



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود

موسوعة العتبات المقدسة

١-١٢

موسوعة العتبات المقدسة



موسوعة العتبات المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

موسوعه العتبات المقدسه

كاتب:

جعفر الخليلي

نشرت في الطباعة:

موسسه الاعلمى للمطبوعات

رقمى الناشر:

مركز القائميہ باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١١١	موسوعة العتبات المقدسة
١١١	اشارة
١١١	الجزء الأول
١١١	اشارة
١١٢	موسوعة العتبات المقدسة الموسوعة العربية
١١٢	اشارة
١١٢	أول دائرة معارف فى التاريخ
١١٣	- صبغة الموسوعة العربية -
١١٤	نشأة الموسوعة
١١٤	ابن المقفع و التراث الهندى الفارسى
١١٤	الجيل الاول من الموسوعيين
١١٤	اشارة
١١٥	١- قدامة بن جعفر الكاتب
١١٥	٢- ابو عثمان الجاحظ
١١٦	٣- ابن قتيبة الدينورى
١١٦	٤- أبو حنيفة الدينورى
١١٦	٥- ابو العباس المبرد
١١٦	الموسوعة عنوان الثقافة
١١٧	ضعف الاتجاه الموسوعى بعد القرن الرابع
١١٧	الفرق بين الطبرى و ابن اياس
١١٨	المسعودى
١١٨	ابن مسكويه

- ١١٨ الكندی و الفارابی و ابن سینا
- ١١٨ المتنبی و البیرونی
- ١١٩ غرض الموسوعیة الاکبر
- ١١٩ السیوطی
- ١٢٠ الموسوعیة تخصص و فن
- ١٢١ رسائل أخوان الصفا
- ١٢٢ الموسوعیة الارویة
- ١٢٢ اشارة
- ١٢٢ دائرة المعارف البريطانية (أنسكلوبیدیا بریتانیکا)
- ١٢٣ دائرة المعارف الفرنسية (الانسكلوبیدیا)
- ١٢٣ الانسكلوبیدیا الامیرکیة
- ١٢٤ الانسكلوبیدیا الالمانیة
- ١٢٤ الانسكلوبیدیا الایطالیة
- ١٢٤ الانسكلوبیدیا الیابانیة و الصینیة
- ١٢٤ فتور الموسوعیة العربیة
- ١٢٥ الموسوعیة العربیة الحدیثة
- ١٢٥ موسوعات عربیة اخرى
- ١٢٧ الموسوعه الكامله
- ١٢٧ موسوعه العتبات المقدسه
- ١٣٠ لمحہ تاریخیہ مجملہ عن مدن العتبات المقدسه كتبها الدكتور حسین أمين
- ١٣٠ اشارة
- ١٣١ مكه المكرمه
- ١٣١ اشارة
- ١٣١ موقعها:

- ١٣١ القبائل التي سكنت مكة
- ١٣٢ اهمية مكة
- ١٣٢ بناء البيت
- ١٣٤ اركان الكعبة
- ١٣٥ الحطيم:
- ١٣٥ المسجد الحرام:
- ١٣٦ أبواب المسجد الحرام:
- ١٣٦ التطورات التي طرأت على المسجد الحرام:
- ١٣٧ المدينة المنورة
- ١٣٧ اشارة
- ١٣٩ القبائل التي نزلت المدينة:
- ١٣٩ الاسلام في يثرب:
- ١٤٠ البقيع
- ١٤١ الكوفة
- ١٤٤ النجف الاشرف
- ١٥١ كربلاء
- ١٥٥ الكاظمية
- ١٥٨ مشهد الرضا
- ١٦٠ سامراء
- ١٦٣ مجمل سير الائمة الاثني عشر كتبه جواد شبر
- ١٦٣ اشارة
- ١٦٣ سير الائمة الاثني عشر
- ١٦٣ بعض من الف الكتب في الائمة الاثني عشر
- ١٦٤ النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله و سلم

- ١٦٤ ولادته
- ١٦٥ بعثته
- ١٦٥ صفاته
- ١٦٦ دعوته و غزواته
- ١٦٧ مواهبه و ملكاته
- ١٦٧ من حكمه و اقواله
- ١٦٧ زوجاته:
- ١٦٩ اولاده:
- ١٦٩ وفاته:
- ١٧٠ فاطمة الزهراء
- ١٧٠ ولادتها
- ١٧٠ ملكاتها:
- ١٧١ اولادها:
- ١٧١ وفاتها:
- ١٧٢ الامام الاول على بن ابى طالب
- ١٧٢ ولادته:
- ١٧٣ صفاته:
- ١٧٤ الامام:
- ١٧٤ خلافته:
- ١٧٤ من اقواله و حكمه:
- ١٧٥ اولاده و ازواجه:
- ١٧٦ وفاته:
- ١٧٦ الامام الثانى الحسن بن على بن ابى طالب
- ١٧٦ اشارة

- ١٧٧ صفاته:
- ١٧٨ من اقواله و حكمه:
- ١٧٨ زوجاته:
- ١٧٩ اولاده:
- ١٧٩ وفاته:
- ١٧٩ الامام الثالث (ابو عبد الله) الحسين بن على بن ابى طالب -
- ١٧٩ اشارة
- ١٧٩ صفاته:
- ١٨٠ من اقواله و حكمه:
- ١٨١ خصومة يزيد:
- ١٨٢ اولاده:
- ١٨٢ مقتله:
- ١٨٣ الامام الرابع على بن الحسين بن على بن ابى طالب -
- ١٨٣ اشارة
- ١٨٣ صفاته
- ١٨٤ من اقواله و حكمه
- ١٨٥ وفاته
- ١٨٥ اولاده
- ١٨٦ الامام الخامس ابو جعفر محمد الباقر بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب -
- ١٨٦ ولادته:
- ١٨٦ صفاته
- ١٨٧ من اقواله و حكمه
- ١٨٨ اولاده: سبعة و هم:
- ١٨٨ وفاته

- ١٨٨ الامام السادس ابو عبد الله جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
- ١٨٨ ولادته
- ١٨٩ صفاته
- ١٨٩ علومه
- ١٩١ بعض اقواله و حكمه
- ١٩١ اولاده:
- ١٩٢ وفاته
- ١٩٢ الامام السابع موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
- ١٩٢ اشارة
- ١٩٢ القابه و كناه
- ١٩٢ صفاته
- ١٩٣ ملكاته الادبية
- ١٩٤ من اقواله و حكمه
- ١٩٤ حبوسه
- ١٩٥ وفاته
- ١٩٥ اولاده
- ١٩٥ الامام الثامن الرضا علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
- ١٩٥ ولادته:
- ١٩٦ صفاته:
- ١٩٦ علمه و فضله
- ١٩٦ ولاية عهد الخلافة العباسية
- ١٩٧ العهد الذي كتبه المأمون بولاية عهد الرضا
- ١٩٩ من اقواله و حكمه
- ٢٠٠ اولاده:

- ٢٠٠ وفاته:
- ٢٠٠ الامام التاسع محمد الجواد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
- ٢٠٠ ولادته
- ٢٠١ صفاته
- ٢٠٢ من اقواله و حكمه
- ٢٠٣ اولاده
- ٢٠٣ وفاته
- ٢٠٣ صفاته:
- ٢٠٤ الامام العاشر ابو الحسن علي الهادي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب
- ٢٠٤ ولادته
- ٢٠٥ من اقواله و حكمه
- ٢٠٥ اولاده
- ٢٠٥ وفاته
- الامام الحادي عشر ابو محمد الحسن العسكري بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر، بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي ط
- ٢٠٥ ولادته
- ٢٠٦ صفاته
- ٢٠٨ من اقواله و حكمه
- ٢٠٨ وفاته
- ٢٠٨ الامام الثاني عشر محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
- ٢٠٨ ولادته:
- ٢٠٨ صفاته
- ٢١٠ عقائد الشيعة و أصول دينهم كتبها جعفر الخليلي
- ٢١٠ اشارة
- ٢١٠ عقيدة الشيعة و أصول دينهم

- ٢١٠ اشارة
- ٢١١ الاسلام و الايمان فى عقيدة الشيعة
- ٢١٢ اصول الدين
- ٢١٢ اشارة
- ٢١٣ ١- الوجود و التوحيد
- ٢١٤ ٢- العدل
- ٢١٤ ٣- النبوه
- ٢١٤ اشارة
- ٢١٧ اعجاز القرآن
- ٢١٨ ٤- الامامة
- ٢١٩ اشارة
- ٢٢٠ صفات الامام
- ٢٢١ امامة على و اولاده
- ٢٢٣ ٥- المعاد
- ٢٢٣ اشارة
- ٢٢٤ - الروح او النفس المجردة-
- ٢٢٥ شبهة الاكل و المأكل فى معاد الجسد
- ٢٢٤ ملخص اعتقاد الشيعة
- ٢٢٧ الشيعة و التشيع كتبه الشيخ عبد الواحد الانصارى
- ٢٢٧ اشارة
- ٢٢٧ الشيعة و التشيع
- ٢٢٧ اشارة
- ٢٢٩ مؤتمر بياضة
- ٢٣٢ اسباب التشيع

- ٢٣٢ اشارة
- ٢٣٥ الامامة
- ٢٣٦ العثمانية اول حرب شنت فى وجه على و شيعته
- ٢٣٧ اشارة
- ٢٣٨ الصراع بين الشيعة العلوية و الشيعة العثمانية
- ٢٤٤ الطبقة الاولى من رجالات الشيعة
- ٢٤٤ ١- ابو ذر الغفارى
- ٢٤٤ ٢- سلمان الفارسى
- ٢٤٤ ٣- عمار بن ياسر
- ٢٤٧ ٤- المقداد بن عمر
- ٢٤٧ ٥- حذيفة بن اليمان
- ٢٤٧ ٦- خزيمه بن ثابت الانصارى
- ٢٤٨ ٧- الخباب الخزاعى
- ٢٤٨ ٨- ابو سعيد الخدرى
- ٢٤٨ ٩- ابو الهيثم ابن التيهان
- ٢٤٨ ١٠- قيس بن سعد بن عباده
- ٢٤٩ ١١- انس بن الحرث
- ٢٤٩ ١٢- ابو ايوب الانصارى
- ٢٤٩ ١٣- جابر بن عبد الله الانصارى
- ٢٤٩ ١٤- هاشم المرقال
- ٢٥٠ ١٥- محمد بن ابى بكر
- ٢٥١ ١٦- مالك الاشتر
- ٢٥٢ ١٧- مالك بن نويرة
- ٢٥٣ ١٨- البراء بن عازب

- ٢٥٤ ١٩- ابى بن كعب الانصارى
- ٢٥٤ ٢٠- عبادة بن الصامت
- ٢٥٤ ٢١- عبد الله بن مسعود
- ٢٥٤ ٢٢- ظالم بن عمرو ابو الاسود الدولى
- ٢٥٥ ٢٣- خالد بن سعيد
- ٢٥٥ ٢٤- اسيد بن ثعلبة الانصارى
- ٢٥٥ ٢٥- الاسود بن عيسى
- ٢٥٥ ٢٦- بشير بن مسعود
- ٢٥٥ ٢٧- ثابت المكنى بابى فضالة
- ٢٥٥ ٢٨- الحارث بن النعمان
- ٢٥٥ ٢٩- خويلد بن عمرو الانصارى
- ٢٥٦ ٣٠- رقاعة بن مالك
- ٢٥٦ ٣١- رافع بن خديج الانصارى
- ٢٥٦ ٣٢- ابو اليسر كعب
- ٢٥٦ ٣٣- سماك بن خراشه
- ٢٥٦ ٣٤- سهيل بن عمرو
- ٢٥٦ ٣٥- عتيك بن التيهان
- ٢٥٦ ٣٦- ثابت بن عبيد
- ٢٥٦ ٣٧- ثابت بن الخطيم
- ٢٥٧ ٣٨- سهل بن حنيف
- ٢٥٧ ٣٩- عقبه بن عمرو
- ٢٥٧ ٤٠- ابو رافع ابراهيم
- ٢٥٧ ٤١- انس بن الحرث
- ٢٥٧ ٤٢- ابو بردة

- ٢٥٧ ٤٣- ابو عمرو الانصارى
- ٢٥٧ ٤٤- الحارث بن الربعى
- ٢٥٧ ٤٥- عقبه بن عمرو
- ٢٥٨ ٤٦- قرظة بن كعب
- ٢٥٨ ٤٧- بشير بن عبد المنذر
- ٢٥٨ ٤٨- يزيد بن نويره
- ٢٥٨ ٤٩- ثابت بن عبد الله
- ٢٥٨ ٥٠- عقبه بن عمرو
- ٢٥٨ ٥١- جبلة بن ثعلبة
- ٢٥٨ ٥٢- جبلة بن عمرو
- ٢٥٨ ٥٣- حبيب بن بديل
- ٢٥٨ ٥٤- زيد بن ارقم
- ٢٥٩ ٥٥- اعين بن ضبيعة
- ٢٥٩ ٥٦- اصغ بن نباتة
- ٢٥٩ ٥٧- يزيد الاسلمى
- ٢٥٩ ٥٨- تميم بن خزام
- ٢٥٩ ٥٩- ثابت بن دينار
- ٢٥٩ ٦٠- جندب بن زهير
- ٢٥٩ ٦١- جعدة بن ابى هبيرة
- ٢٥٩ ٦٢- حارثة بن قدامه
- ٢٦٠ ٦٣- جبير بن الخباب
- ٢٦٠ ٦٤- حبيب بن مظاهر
- ٢٦٠ ٦٥- حكيم بن جبلة
- ٢٦٠ ٦٦- خالد بن ابى دجائة

- ٢٦٠ ٦٧- خالد بن الوليد
- ٢٦٠ ٦٨- زيد بن صوحان
- ٢٦٠ ٦٩- الحجاج بن غزية
- ٢٦١ ٧٠- زيد بن شرحبيل
- ٢٦١ ٧١- زيد بن جبلة
- ٢٦١ ٧٢- ابن الورقاء
- ٢٦١ ٧٣- ابو عثمان الانصارى
- ٢٦١ ٧٤- ابو زين الاسدى
- ٢٦١ ٧٥- ابو عمرة الانصارى
- ٢٦١ ٧٦- ابو طفيل عامر
- ٢٦٢ ٧٧- عبد الله الانصارى
- ٢٦٢ ٧٨- سعد بن مسعود
- ٢٦٢ ٧٩- سعد بن الحرث
- ٢٦٢ ٨٠- الحرث بن عمرو
- ٢٦٢ ٨١- سليمان الخزاعى
- ٢٦٢ ٨٢- شرحبيل الهمدانى
- ٢٦٢ ٨٣- شبيب بن رشأ
- ٢٦٢ ٨٤- سهل بن عمر
- ٢٦٢ ٨٥- سهيل بن عمر
- ٢٦٣ ٨٦- الحرث بن عمر
- ٢٦٣ ٨٧- عبد الرحمن الخزاعى
- ٢٦٣ ٨٨- عبد الله بن خراش
- ٢٦٣ ٨٩- عبد الله بن سهيل
- ٢٦٣ ٩٠- عبيد الله بن العازب

- ٢٦٣ ٩١- عدى بن حاتم
- ٢٦٣ ٩٢- عروة الاسلمى
- ٢٦٣ ٩٣- عقبه السلمى
- ٢٦٤ ٩٤- عمر بن هلال
- ٢٦٤ ٩٥- غمر بن انس
- ٢٦٤ ٩٦- هند بن ابى هاله
- ٢٦٤ ٩٧- وهب بن عبد الله
- ٢٦٤ ٩٨- هانى بن عروه
- ٢٦٤ ٩٩- هبيرة بن النعمان
- ٢٦٤ ١٠٠- يزيد بن قيس
- ٢٦٤ ١٠١- يزيد بن حوريت
- ٢٦٥ ١٠٢- يعلى بن عمير
- ٢٦٥ ١٠٣- انس بن مدرک
- ٢٦٥ ١٠٤- عمرو بن العبدى
- ٢٦٥ ١٠٥- عميرة الليثى
- ٢٦٥ ١٠٦- عليم بن سلمة النهemy
- ٢٦٥ ١٠٧- عمير السلمى
- ٢٦٥ ١٠٨- علباء بن الهيثم
- ٢٦٥ ١٠٩- عوف بن عبد الله
- ٢٦٦ ١١٠- علاء بن عمر
- ٢٦٦ ١١١- قيس بن ابى قيس
- ٢٦٦ ١١٢- نهشل بن حمرة
- ٢٦٦ ١١٣- المهاجر بن خالد
- ٢٦٦ ١١٤- مخنف بن سليم

- ١١٥- محمد بن عمير ٢٦٦
- ١١٦- ابو عمرة الانصارى ٢٦٦
- ١١٧- حازم بن ابى حازم ٢٦٦
- ١١٨- عبيد بن تيهان ٢٦٦
- ١١٩- ابو فضالة الانصارى ٢٦٧
- ١٢٠- اويس القرنى ٢٦٧
- ١٢١- زياد بن النظر ٢٦٧
- ١٢٢- عوض بن علاط ٢٦٧
- ١٢٣- معاذ بن عفراء ٢٦٧
- ١٢٤- عبد الله بن سليم ٢٦٧
- ١٢٥- علاء بن عروة ٢٦٧
- ١٢٦- القاسم بن سليم ٢٦٧
- ١٢٧- عبد الله بن رقية ٢٦٧
- ١٢٨- منفذ بن النعمان ٢٦٨
- ١٢٩- مرة بن منفذ النعمان ٢٦٨
- ١٣٠- الحرث بن حسان ٢٦٨
- ١٣١- بجير بن دلجه ٢٦٨
- ١٣٢- يزيد بن حجة ٢٦٨
- ١٣٣- عامر بن قيس ٢٦٨
- زبده انصار معاوية ٢٧٠
- الفهرست ٢٧٠
- الجزء الثانى ٢٧٢
- [المقدمة] ٢٧٢
- مكة قديما ٢٧٣

- ٢٧٣ اشارة
- ٢٧٣ مكة المكرمة و اسماؤها
- ٢٧٣ اشارة
- ٢٧٤ بكة
- ٢٧٤ ام القرى
- ٢٧٤ البلد، و البلد الأمين، و الحرام
- ٢٧٥ اسماء مكة الاخرى
- ٢٧٥ اول ظهور مكة فى التاريخ
- ٢٧٦ ابراهيم
- ٢٧٩ اسماعيل
- ٢٨٠ قصة الذبح
- ٢٨٠ بناء البيت
- ٢٨٢ دين ابراهيم
- ٢٨٣ البيت، و الكعبة، و المسجد الحرام
- ٢٨٤ تمصير مكة
- ٢٨٤ اماره جرهم
- ٢٨٤ حلف الفضول
- ٢٨٥ اتساع رقعة مكة
- ٢٨٥ اماره خزاعة
- ٢٨٦ مكة فى ايام قريش
- ٢٨٧ دار الندوة
- ٢٨٧ طراز الحكم و صفته
- ٢٨٨ اصحاب الفيل
- ٢٩٠ اسواق مكة

- ٢٩٢ ديانة مكة و عبادتها
- ٢٩٣ الاستقسام و الازلام
- ٢٩٣ نذر عبد المطلب
- ٢٩٤ اشهر امراء مكة و عظاموها
- ٢٩٤ كسوة الكعبة و تزيينها
- ٢٩٥ تجديد بناء الكعبة
- ٢٩٥ قبائل مكة قبل الاسلام
- ٢٩٥ اشارة
- ٢٩٥ القبائل التي سكنت مكة قبل الاسلام
- ٢٩٥ العمالق
- ٢٩٦ جرهم
- ٢٩٧ خزاعة
- ٢٩٨ قريش
- ٣٠٠ اقسام قريش
- ٣٠١ بنو عبد مناف
- ٣٠٢ بنو هاشم
- ٣٠٣ اصحاب الايلاف
- ٣٠٣ عبد المطلب و بنوه
- ٣٠٤ بطون قريش
- ٣٠٤ بنو جمح
- ٣٠٥ بنو تيم
- ٣٠٥ بنو خزيمه
- ٣٠٦ بنو زهرة
- ٣٠٦ بنو سهم

- ٣٠٧ بنو عدى
- ٣٠٧ بنو عبد شمس
- ٣٠٧ بنو عبد المطلب
- ٣٠٩ بنو عامر
- ٣١٠ بنو مخزوم
- ٣١١ بنو الحارث
- ٣١١ مكة في أشهر الرحلات العربية
- ٣١١ اشارة
- ٣١٢ مكة في رحلة ابن جبير
- ٣١٣ شهر جمادى الاولى، عرفنا الله بركته
- ٣١٣ ذكر المسجد الحرام و البيت العتيق، كرمه الله و شرفه
- ٣١٤ ذكر مكة شرفها الله تعالى و آثارها الكريمة، و أخبارها الشريفة
- ٣١٦ ذكر بعض مشاهدها المعظمة و آثارها المقدسة
- ٣١٧ ذكر ما خص الله تعالى به مكة من الخيرات و البركات
- ٣١٩ شهر جمادى الآخرة
- ٣٢٠ جمال الدين و آثاره السنية
- ٣٢١ الأمور المحظورة في الحرم
- ٣٢١ شهر رجب الفرد
- ٣٢١ اشارة
- ٣٢٢ العمرة الرجبية
- ٣٢٣ عمرة الاكمة
- ٣٢٣ يوم طواف النساء
- ٣٢٣ زيادة ماء زمزم
- ٣٢٤ شهر رمضان

اشارة و يرى ابن جبير رمضان فى مكة و قد استهل هلاله ليلة الاثنين التاسع عشر لكانون الاول (ديسمبر)، و كان صيام اهل مكة له يوم الاحد :

- ٣٢٤ تراويح رمضان
- ٣٢٤ ابن بطوطه و مكة
- ٣٢٧ مكة فى رحلة ناصر خسرو الموسوم ب (سفر تامى).
- ٣٢٨ (رحلات) عبد الوهاب عزّام
- ٣٢٩ مكة فى رحلة السائح الهروى
- ٣٣٠ منازل مكة
- ٣٣٠ اشارة
- ٣٣٠ منازل مكة
- ٣٣٤ الطريق الى المدينة
- ٣٣٤ طريق الجادة من المدينة الى مكة
- ٣٣٥ طريق الجادة من معدن النقرة الى مكة
- ٣٣٦ و اما الطريق من البصرة الى مكة
- ٣٣٦ و اما الطريق من مصر الى مكة
- ٣٣٦ و اما الطريق من دمشق الى مكة
- ٣٣٦ و اما الطريق من اليمن الى مكة
- ٣٣٧ مكة فى الشعر
- ٣٣٧ اشارة
- ٣٣٧ ابو العلاء المعرى
- ٣٣٧ احمد بن ابراهيم
- ٣٣٧ احمد شوقى
- ٣٣٨ امية بن ابى الصلت
- ٣٣٨ جرهمى شاعر
- ٣٣٨ الحارث بن خالد

- ٣٣٨ ابن حجر العسقلانى
- ٣٣٩ حسان بن ثابت
- ٣٣٩ الحصرى القيروانى
- ٣٣٩ السيد رشيد الهاشمى
- ٣٣٩ ابن الزبعرى السهمى
- ٣٣٩ الشيخ صالح التميمى
- ٣٤٠ شاعر
- ٣٤٠ شاعر
- ٣٤٠ شاعر
- ٣٤٠ عبد الباقي العمري
- ٣٤٠ عبد الحسين الحويزى
- ٣٤٠ عبد الله بن ثور الخفاجى
- ٣٤٠ عبد الله بن حسن بن حسن
- ٣٤٠ عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى
- ٣٤٠ الشيخ عبد المحسن الكاظمى
- ٣٤١ الشيخ محمد على كمونه
- ٣٤٢ عبد المطلب بن هاشم
- ٣٤٢ قصى بن ربيعة
- ٣٤٢ كعب بن زهير
- ٣٤٢ السيد محمد سعيد الحبوبى
- ٣٤٢ مضاض بن عمرو الجرهمى (جاهلى)
- ٣٤٣ ابن ام مكتوم
- ٣٤٣ مكة فى المراجع الغربية
- ٣٤٣ اشارة

- ٣٤٣ مكة في المراجع الغربية
- ٣٤٣ مقدمة
- ٣٤٤ مكة قبل الهجرة
- ٣٤٤ اشارة
- ٣٤٥ سكان مكة
- ٣٤٥ الحكومة و الادارة
- ٣٤٦ موقع مكة و مناخها
- ٣٤٧ مالية مكة و حياتها الاقتصادية
- ٣٤٩ قوافل مكة
- ٣٤٩ ثروات مكة
- ٣٥٠ بعد الهجرة
- ٣٥٠ اشارة
- ٣٥١ مكة في العهد الاموى
- ٣٥٢ مكة في عهد بنى العباس و ما بعده الى حد تولى الشرفاء (٧٥٠-٩٦١)
- ٣٥٣ الموسويون الشرفاء
- ٣٥٤ الشرفاء الهواشم
- ٣٥٥ حكم قتاده و نسله
- ٣٥٧ الشرفاء في أيام الاحتلال الوهابى
- ٣٥٩ مكة في يومها هذا
- ٣٦٠ مكة في مراجع اجنبية اخرى
- ٣٦٣ لقب الشرفاء
- ٣٦٣ مكة و الصليبيون
- ٣٦٤ الشريف قتاده و موكب الحج العراقى
- ٣٦٦ الحج

- ٣٦٩ زمزم
- ٣٧٠ الكعبة
- ٣٧١ تاريخ الكعبة
- ٣٧٤ عرفات
- ٣٧٤ منى
- ٣٧٥ المزدلفة
- ٣٧٦ الصفا و المروة
- ٣٧٦ الغربيون فى مكة
- ٣٧٦ اشارة
- ٣٧٧ لودفيكو فارتىما الايطالى
- ٣٧٨ مملوك برتغالى مجهول الاسم
- ٣٧٩ جوزيف بيتس الانكليزى
- ٣٨٠ القس جوزيف أوفينكتون
- ٣٨١ ويليام دانيال و شارل جاك بوسيه
- ٣٨١ الرحالة «على بك العباسى»
- ٣٨٢ جيوفانى فيناتى
- ٣٨٣ جون لويس بورخارت
- ٣٨٤ وصف بورخارت لمكة
- ٣٨٤ اشارة
- ٣٨٥ قناة زبيدة
- ٣٨٥ حوارى مكة او محلاتها
- ٣٨٨ بيت الله الحرام
- ٣٨٩ اماكن مقدسة اخرى
- ٣٩٠ الكعبة

- ٣٩١ ملاحظات حول سكان مكة
- ٣٩٣ حكومة مكة و الشرفاء
- ٣٩٤ الحج
- ٣٩٨ السر ريتشارد بورتون
- ٣٩٨ اشارة
- ٣٩٩ فى داخل الكعبة
- ٤٠٠ الكسوة
- ٤٠١ نقاط اخرى
- ٤٠٣ المستشرق الهولندى هورغرونيه
- ٤٠٣ اشارة
- ٤٠٦ الحياة العائليّة
- ٤٠٦ الحياة العلميّة
- ٤٠٨ فى أواخر القرن التاسع عشر
- ٤٠٩ الحسين بن على
- ٤١٠ الثورة العربيّة
- ٤١٠ لورانس بلاد العرب
- ٤١٣ استيلاء الوهابيين على مكة
- ٤١٥ أسلام عبد الله فيلبى
- ٤١٨ مراسيم الحج و فرائضه
- ٤١٨ اشارة
- ٤١٨ فريضة الحج
- ٤١٨ شروط وجوب الحج
- ٤١٩ واجبات الاحرام
- ٤١٩ محرمات الاحرام

- ٤٢٠ الميقات او المواقيت
- ٤٢١ انواع الحج
- ٤٢١ كيفية حج الافراد و حج القران
- ٤٢٢ الطواف و واجباته
- ٤٢٢ شرائط حج التمتع
- ٤٢٣ ركعتا الطواف
- ٤٢٣ حج التمتع
- ٤٢٤ عرفه
- ٤٢٤ سبب التسمية
- ٤٢٤ المزدلفة او المشعر الحرام
- ٤٢٤ منى و اعمالها
- ٤٢٥ منى
- ٤٢٥ الافاضة الى المشعر و الوقوف به
- ٤٢٥ ما يجب فى منى من افعال الحج
- ٤٢٦ الهدى فى الحج
- ٤٢٦ السعى بين الصفا و المروة
- ٤٢٧ التقصير
- ٤٢٧ العودة من منى
- ٤٢٨ مزارات مكة المكرمة
- ٤٢٩ بعض الفروق فى الحج عند المذاهب الإسلامية
- ٤٣٠ فهرست الكتاب
- ٤٣٦ الجزء الثالث
- ٤٣٦ اشارة
- ٤٣٦ المدينة المنورة قديما

- ٤٣٦ يثرب و موقعها الجغرافى
- ٤٣٩ يثرب و أسماؤها
- ٤٤٠ سكان الحجاز و الجزيرة العربية
- ٤٤٢ حياة سكان الجزيرة العامة
- ٤٤٢ نشأة المدينة المنورة و سكانها الأقدمون
- ٤٤٤ نزول اليهود المدينة
- ٤٤٤ الأوس و الخزرج
- ٤٤٧ حضارة المدينة و منازل اليهود و العرب منها
- ٤٤٩ الاسطورة
- ٤٥٠ عودة الى التصافى
- ٤٥١ حروب المدينة و أيامها المشهورة
- ٤٥٢ طبيعة المدينة و سكانها و ميزتها
- ٤٥٤ عوامل السكن و التمصير
- ٤٥٧ قوام الزراعة و مياه المدينة
- ٤٥٨ الوديان - ١
- ٤٥٨ وادى العقيق
- ٤٥٨ وادى القرى
- ٤٥٨ وادى مذيئيب
- ٤٥٨ العيون - ٢
- ٤٥٩ عين فذك
- ٤٥٩ عيون الفرع
- ٤٥٩ عين دومة الجندل
- ٤٥٩ عين أبى نيزر و عين البغيغنة
- ٤٦٠ الآبار - ٣

- ٤٦٠ اشارة
- ٤٦٠ بئر غرس
- ٤٦٠ بئر أرما
- ٤٦٠ بئر أريس
- ٤٦١ بئر حا
- ٤٦١ بئر بضاعة
- ٤٦١ بئر رومة
- ٤٦٢ بئر رئاب
- ٤٦٢ بئر عروة
- ٤٦٤ الحاصلات الزراعية
- ٤٦٧ الصناعة و التجارة
- ٤٦٨ اشهر قرى المدينة و ضياعها
- ٤٦٨ اشارة
- ٤٦٩ العقيق
- ٤٦٩ خيبر
- ٤٧٢ قرية فدك
- ٤٧٣ وادى القرى
- ٤٧٤ قرية الفرع
- ٤٧٤ قرية قبا
- ٤٧٥ دومة الجندل
- ٤٧٦ قرية ينبع
- ٤٧٦ قرى أخرى
- ٤٧٦ اشهر مواقع المدينة و اماكنها القديمة
- ٤٧٦ حره واقم

- ٤٧٧ حزة الوبرة
- ٤٧٧ البقيع
- ٤٧٩ زغابه
- ٤٧٩ النقا و حاجر
- ٤٨٠ المنحنى
- ٤٨٠ حطم الضحيان
- ٤٨٠ حصن كعب بن الأشرف النبهانى
- ٤٨٠ سقيفة بنى ساعدة
- ٤٨١ ثنية الوداع
- ٤٨١ سوق المدينة و سوق بنى قينقاع
- ٤٨١ أهم مصادر البحث
- ٤٨٣ المدينة المنورة فى الشعر
- ٤٨٣ اشارة
- ٤٨٣ أبو بكر العيذى أو العيذى
- ٤٨٣ الأعشى (ميمون بن قيس بن جندل)
- ٤٨٤ امرؤ القيس
- ٤٨٤ البرجمى
- ٤٨٤ بعض الأفاضل
- ٤٨٤ جرير
- ٤٨٥ جورج صيدح فى مولد النبى محمد (ص)
- ٤٨٥ حسان بن ثابت
- ٤٨٥ السيد حيدر الحلّى
- ٤٨٦ سعيد بن العاص
- ٤٨٦ شاعر

- ٤٨٦ شاعر مدنى
- ٤٨٧ الشريف الرضى
- ٤٨٧ الشريف المرتضى
- ٤٨٧ عبد السلام بن يوسف
- ٤٨٨ عبد الله بن قيس (الرقيات)
- ٤٨٨ عمرو بن النعمان البياضى
- ٤٨٨ الفرزدق
- ٤٨٨ الكميت بن زيد الأسدى
- ٤٨٩ الشيخ محسن الخضرى
- ٤٨٩ محمد ناجى القشطينى
- ٤٩٠ مهيار الديلمى
- ٤٩١ نائلة بنت الفرافصة
- ٤٩١ هاشم الكعبى
- ٤٩١ هجرة الرسول الى المدينة المنورة
- ٤٩١ اشارة
- ٤٩١ الدكتور حسين امين
- ٤٩١ هجرة الرسول الى المدينة
- ٤٩٥ اللقاءات الأولى مع أهل المدينة
- ٤٩٥ بيعه العقبة الأولى
- ٤٩٧ بيعه العقبة الثانية
- ٤٩٧ أثر العلاقات بين المسلمين و أهل يثرب فى مكة
- ٤٩٨ يوم الهجرة
- ٤٩٩ طريق الهجرة
- ٥٠٠ الرسول فى قباء

- ٥٠٠ بناء مسجد قباء
- ٥٠٠ توجه الرسول إلى يثرب
- ٥٠١ بناء المسجد النبوى
- ٥٠٣ أعمال الرسول فى يثرب
- ٥٠٣ المؤاخاة
- ٥٠٤ الوثيقة
- ٥٠٩ المراجع المشار اليها بالارقام
- ٥١٢ مدينة الرسول فى المراجع الغربية
- ٥١٢ اشارة
- ٥١٢ الاسم و الموقع
- ٥١٥ التاريخ القديم
- ٥١٦ الاوس و الخزرج
- ٥١٧ ديانة أهل المدينة قبل الإسلام
- ٥١٨ المدينة فى عهد النبى الأعظم
- ٥٢٠ المدينة بعد مقتل عثمان
- ٥٢١ المدينة فى عهد الأمويين و العباسيين
- ٥٢٢ فى أيام الفاطميين و ما بعدهم
- ٥٢٣ فى عهد الاتراك العثمانيين
- ٥٢٣ وصف المدينة بشكلها الأخير
- ٥٢٤ الحرم النبوى
- ٥٢٥ وصف الحرم
- ٥٢٦ المدينة فى مراجع اخرى
- ٥٢٩ الفتنة الكبرى فى المدينة
- ٥٣٢ المدينة فى كتاب دونالدسون

٥٣٥	أئمة البقيع
٥٤٢	الرحالة الغربيون فى المدينة
٥٤٤	جون لويس بورخارت فى المدينة
٥٤٤	الضواحي
٥٤٤	الحرم النبوى الشريف
٥٥٠	أماكن الزيارة الأخرى
٥٥١	سكان المدينة
٥٥١	حكومة المدينة
٥٥٣	السر ريتشارد بورتون فى المدينة
٥٥٤	بين مكة و المدينة
٥٥٥	مظهر الحرم النبوى
٥٥٥	المنائر
٥٥٤	الأروقة و الأعمدة
٥٥٧	دفن النبى
٥٥٧	شء من تاريخ المدينة
٥٤٠	تشكيلات الحرم
٥٤٢	سكان المدينة
٥٤٢	البقيع
٥٤٥	مساجد المدينة
٥٤٧	مشاهدات جون كين فى المدينة
٥٤٩	سكة حديد الحجاز
٥٧٠	المدينة فى الثورة العربية (٩ شعبان)
٥٧٤	الشريف على حيدر فى المدينة
٥٧٩	المدينة فى ١٩٢٥

- ٥٨٣ مكتبات المدينة
- ٥٨٣ ابواب الحرم و محاريبه
- ٥٨٤ البقيع في ١٩٢٥
- ٥٨٥ المدينة في مؤلفات فيلبى
- ٥٨٨ الفهرس
- ٥٩٣ هذه الموسوعة
- ٥٩٤ الجزء الرابع
- ٥٩٤ الأرض المقدسة في نظر الاسلام و عقيدته تأليف جعفر الخليلى
- ٥٩٤ فلسطين إمامة موجزة بتاريخ فلسطين و القدس القديمة حدودها و موقعها
- ٥٩٤ اشارة
- ٥٩٤ اسم فلسطين
- ٥٩٥ سكان فلسطين و القدس القدماء
- ٥٩٥ اشارة
- ٥٩٧ الكنعانيون
- ٥٩٨ العبرانيون
- ٥٩٨ الآشوريون
- ٥٩٩ الكلدانيون
- ٥٩٩ عهد الفرس
- ٥٩٩ العهد اليونانى
- ٦٠٠ الحكم الرومانى
- ٦٠٠ العهد المسيحى
- ٦٠٠ العهد الاسلامى
- ٦٠١ الأرض المقدسة
- ٦٠٣ ابراهيم الخليل

- ٦٠٤ لوط
- ٦٠٥ اسحق و يعقوب
- ٦٠٥ يوسف الصديق
- ٦٠٦ موسى و هارون
- ٦٠٦ اشارة
- ٦٠٧ هل كان موسى مصرياً
- ٦٠٧ موسى عليه السلام: هل كان مصرياً
- ٦٠٨ داود
- ٦٠٨ سليمان
- ٦٠٩ زكريا و يحيى
- ٦١٠ عيسى بن مريم
- ٦١١ مريم العذراء
- ٦١٢ القدس
- ٦١٢ اشارة
- ٦١٢ لمحة موجزة عن تاريخ القدس
- ٦١٤ كيفية بناء القدس لأول مرة
- ٦١٤ القدس فى عهد اليبوسيين و الكنعانيين
- ٦١٦ القدس فى عهد العبرانيين
- ٦١٦ بناء بيت المقدس (المسجد)
- ٦١٧ القدس فى عهد سليمان
- ٦١٩ فضيلة القدس فى الإسلام
- ٦٢٣ أول عهد القدس فى الاسلام- القبلة
- ٦٢٣ الاسراء
- ٦٢٥ العروج إلى السماء

- ٦٢٥ هل كان عروج النبي روحيا أم جسديا
- ٦٢٦ فتح الإسلام (لايلىء) القدس
- ٦٢٧ نص العهد الذى اعطاه الإسلام للقدس
- ٦٢٨ عهد الخليفة عمر لاهل الشام
- ٦٢٩ فضائل اخرى
- ٦٣٠ من اهم الحوادث الرئيسية فى تاريخ مدينة القدس
- ٦٣١ اهم مصادر هذا البحث
- ٦٣٢ حى المغاربة بالقدس كتبه عبد الهادى التازى
- ٦٣٢ اشارة
- ٦٣٢ حى المغاربة بالقدس
- ٦٣٣ سفارة ابن منقذ الى المغرب
- اورشليم الكنعانية (بيت المقدس) فى اقدم عصورها كتبه الدكتور احمد سوسه الحائز على درجة شرف من جامعة جونس هوبكنس و مدير الرى العام و
- ٦٣٨ اشارة
- ٦٤١ ١- تمهيد:
- ٦٤٢ ٢- تسمية المدينة فى مختلف أدوارها:
- ٦٤٣ ٣- سكانها الأولون:
- ٦٤٤ ٤- جغرافية المدينة و طوبوغرافيتها:
- ٦٤٤ ٥- أسوار المدينة- قديما و حديثا-
- ٦٤٤ اشارة موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج٤ ؛ ص ١٣١
- ٦٤٤ أ- السور القديم (السور الأول):
- ٦٤٧ ب- السور الثانى:
- ٦٤٧ ج- السور الثالث و الاخير:
- ٦٤٨ ٦- تاريخ المدينة القديم:
- ٦٤٨ اشارة

- أ- الدور الأول- دور ما قبل ظهور بنى اسرائيل: ٦٤٨
- ب- الدور الثانى- دور بنى اسرائيل: ٦٥١
- ١- عهد موسى ٦٥١
- ٢- عهد يشوع: ٦٥٢
- ٣- عهد القضاة: ٦٥٣
- ٤- عهد الملوك: ٦٥٣
- ٥- عهد الانقسام- مملكتا اسرائيل و يهوذا ٦٥٥
- ٦- الغزو الآشورى و ازالة اسرائيل من الوجود: ٦٥٦
- ٧- الغزو الكلدانى و ازالة يهوذا ٦٥٨
- اشارة ٦٥٨
- ملوك يهوذا الذين حكموا فى اورشليم ٦٦٠
- اورشليم فى زمن الفرس الأخمينيين (٥٣٨- ٣٢٢ ق. م) ٦٦٠
- ٨- اورشليم فى العصر الأغريقى- المكابيون فى فلسطين (٣٣٢ ق. م- ٦٤ ق. م): ٦٦١
- أ: عهد الأسكندر الكبير ٦٦١
- ب- النزاع بين القواد اليونانيين بعد موت الاسكندر: ٦٦٢
- ج- النزاع بين البطالمة فى مصر و السلوقيين فى سورية: ٦٦٢
- د- طبقة من اليهود تتقبل الثقافة اليونانية: ٦٦٣
- ه- تدخل روما فى الشرق: ٦٦٣
- و- محاولة السلوقيين القضاء على اليهودية و اندلاع ثورة المكابين: ٦٦٣
- ز- عهد المكابين فى فلسطين (١٦٦- ٣٧ ق. م) ٦٦٤
- ح- فترة اضطرابات و مشاحنات داخلية تمهد الى تدخل الرومان فى شؤون فلسطين: ٦٦٥
- ط- الرؤساء المكابيون و مدد حكمهم (١٦٦- ٣٧ ق. م) ٦٦٥
- ي: جدول مسلسل للحوادث التاريخية فى العهد الافريقى (٣٣٤- ٦٤ ق. م) ٦٦٦
- ه: اورشليم فى زمن الرومان (٦٤ ق. م- ٦٣٨ ب. م) ٦٦٧

- ٦٦٧ اشارة
- ٦٦٧ أ- التنازع بين الدول على السيطرة في الشرق و تغلب الرومان في الصراع
- ٦٦٨ ب: يهوذا تخضع لحكم روما- كابيتوس نائب قنصل في سورية
- ٦٦٨ ج: كراسوس و كاسيوس في حكم سورية- الحرب بين بومبي و قيصر و انتصار الأخير فيها
- ٦٦٩ د- اليهود في عهد قيصر- انتييايتر الأدومي خازن و حاكم في أورشليم
- ٦٦٩ ه- مارك انطونيوس و كليوباترة- و القضاء على انطونيوس و اقامة الانبراطورية الرومانية
- ٦٦٩ و- هيروودس الأدومي ملك على يهوذا و الجليل
- ٦٧٠ ز- تقسيم مملكة هيروودس على أولاده بعد وفاته
- ٦٧٠ ح- هيروودس اغريبا حفيد هيروودس الكبير ملك على فلسطين
- ٦٧٠ ط- موت اغريبا و ثورة اليهود ثم قمعها على يد تيطوس سنة ٧٠ م.
- ٦٧١ ي- ثورة اليهود من جديد بقيادة باركوخبا و القضاء عليها
- ٦٧٢ ك- تساهل الرومان مع اليهود في نشاطاتهم الدينية و اعادة تشكيل السنهدرين
- ٦٧٢ ل- الانبراطور قسطنطين يعتنق المسيحية و أثر ذلك في انتشار و تغلب المسيحية
- ٦٧٣ م- الصراع بين الفرس و الرومان حتى الفتح الاسلامي
- ٦٧٤ ن- جدول مسلسل للحوادث التاريخية في العهد الروماني (٦٤ ق. م. - ٦٣٨ ب. م.)
- ٦٧٥ جدول مسلسل عام للحوادث التاريخية
- ٦٧٩ الارض المقدسة في بعض المصادر العربية و الاسلامية
- ٦٧٩ اشارة
- ٦٧٩ اسماء القدس في لسان العرب
- ٦٧٩ اشارة
- ٦٧٩ ايلياء
- ٦٨٠ شلم
- ٦٨٠ القدس
- ٦٨١ القدس في رحلة ناصر خسرو

- ٦٨١ اشارة
- ٦٨١ الرحالة ناصر خسرو في بيت المقدس
- ٦٨٥ وصف الدكة التي بوسط ساحة المسجد و الصخرة التي كانت قبله الاسلام
- ٦٨٦ وصف قبه الصخرة
- ٦٨٧ وصف المراقى المؤديه الى الدكة التي بساحة الجامع
- ٦٨٨ وصف قبر الخليل صلوات الله عليه
- ٦٨٩ كنيسة بيعه القمامه
- ٦٩٠ الارض المقدسه في رحله ابن جبير
- ٦٩٠ اشارة
- ٦٩٠ ابن جبير
- ٦٩٠ القدس و بيت المقدس
- ٦٩١ الارض المقدسه في معجم البلدان
- ٦٩١ اشارة
- ٦٩١ ايلياء
- ٦٩٢ المقدس
- ٦٩٨ المقدسه
- ٦٩٨ الخليل
- ٦٩٩ عسقلان
- ٦٩٩ بيت لحم
- ٦٩٩ بيت جبرين
- ٧٠٠ جبرين
- ٧٠٠ الارض المقدسه في رحله ابن بطوطه
- ٧٠٠ اشارة
- ٧٠٠ الارض المقدسه غزه

- ٧٠١ الخليل
- ٧٠٢ بيت المقدس
- ٧٠٢ المسجد المقدس
- ٧٠٢ قبة الصخرة
- ٧٠٣ بعض مشاهد القدس
- ٧٠٣ بعض فضلاء القدس
- ٧٠٣ عسقلان
- ٧٠٤ الرملة
- ٧٠٤ نابلس
- ٧٠٤ فهرست الاعلام
- ٧٢٠ فهرست الموضوعات
- ٧٢١ الجزء الخامس
- ٧٢١ القدس فى المراجع الغربية
- ٧٢١ اشارة
- ٧٢٢ الاسم و الموقع
- ٧٢٤ القدس فى دائرة المعارف الاسلامية
- ٧٢٨ القدس فى دائرة المعارف البريطانية
- ٧٢٨ اشارة
- ٧٣٣ الأناء الذهب
- ٧٣٧ من التاريخ القديم
- ٧٣٧ اشارة
- ٧٣٨ هجرة ابراهيم عليه السلام الى أرض الميعاد
- ٧٤٠ خروج اليهود من مصر الى أرض الميعاد
- ٧٤١ كيف استولى داود على القدس

- ٧٤٢ سليمان الحكيم
- ٧٤٤ ملكة سبأ فى القدس
- ٧٤٤ نهاية الدولة اليهودية
- ٧٤٨ سبى بابل -
- ٧٥٠ حياة السبى -
- ٧٥١ العودة الى اورشليم -
- ٧٥٢ فى حكم اليونانيين -
- ٧٥٣ المكابيون و ظهور السيد المسيح
- ٧٥٤ اشارة
- ٧٥٥ صلب السيد المسيح
- ٧٥٧ تدمير القدس على ايدى الرومان سنة ٦٦ - ٧٠
- ٧٦١ بعد تدمير القدس
- ٧٦١ استنتاجات اساسية
- ٧٦٤ استيلاء العرب على بيت المقدس
- ٧٦٥ اشارة
- ٧٦٦ المسجد الاقصى
- ٧٧٢ قبة الصخرة
- ٧٧٦ وصف كريسويل لقبه الصخرة
- ٧٧٩ القدس و الحروب الصليبية
- ٧٧٩ اشارة
- ٧٨٢ مملكة القدس الصليبية
- ٧٨٢ كيف استرد صلاح الدين القدس
- ٧٨٤ الحروب الصليبية فى مراجع اخرى
- ٧٨٧ رحلة بنيامين ١١٦٥ الى ١١٧٣ م

- ٧٨٧ اشارة
- ٧٩٠ رحلة الى القدس فى ١٦٩٧ م
- ٧٩٢ الأماكن المسيحية المقدسة
- ٧٩٤ زيارة أماكن أخرى
- ٧٩٥ القدس فى العهد العثمانى
- ٧٩٨ القدس فى الحرب العالمية الأولى
- ٧٩٨ اشارة
- ٨٠٢ المجاعة فى القدس
- ٨٠٢ الجنرال اللنبى
- ٨٠٣ مشكلات ادارية و غير ادارية
- ٨٠٦ وعد بلفور
- ٨٠٦ اشارة
- ٨٠٨ صك الانتداب
- ٨١٠ تنفيذ الانتداب
- ٨١٢ رئاسة البلدية
- ٨١٣ حائط المبكى
- ٨١٨ الكفاح العربى
- ٨١٨ اشارة
- ٨٢٢ مفتى القدس
- ٨٢٥ فى الحرب العالمية الثانية
- ٨٢٥ اشارة
- ٨٢٧ تخلى بريطانيا عن فلسطين
- ٨٢٨ تقسيم فلسطين

بلفور فى القدس من أساليب الصهيونية الماكرة فى الدعاية و التضليل، و توريط الأشخاص الذين تسخرهم لأغراضها الجهنمية، استغلال فرصة افتتاح

- ٨٢٩ مناورات صهيونية لإقرار التقسيم
- ٨٣١ دير ياسين و أخواتها
- ٨٣٣ مولد الدولة الاسرائيلية
- ٨٣٤ تدخل الجيوش العربية
- ٨٣٤ معركة القدس
- ٨٣٥ اشارة
- ٨٣٩ مقتل الوسيط الدولي الكونت برنادوت
- ٨٤٣ مقتل الملك عبد الله في المسجد الأقصى
- ٨٤٥ تدويل القدس
- ٨٤٧ القدس في ١٩٦٠
- ٨٤٧ اشارة
- ٨٤٨ شىء عن قبة الصخرة
- ٨٥٠ القدس في عام ١٩٦٩
- ٨٥٢ فهرست الموضوعات
- ٨٥٤ الجزء السادس
- ٨٥٤ الجزء الاول من قسم النجف الاشرف
- ٨٥٤ [مقدمة من دارالتعارف
- ٨٥٥ النجف قديما [للدكتور مصطفى جواد]
- ٨٥٥ اشارة
- ٨٥٥ النجف قديما
- ٨٦٠ خندق سابور ذى الاكتاف «كرى سعدة»
- ٨٦١ النجف مصحة قديمة
- ٨٦٢ النجف و الحيرة
- ٨٦٣ مباني منطقة النجف و مآثرها

- ٨٧٦ أشهر القصور المحيطة بالنجف
- ٨٧٨ النجف في الشعر العربي القديم
- النجف في المراجع العربية: كتبه الدكتور حسين علي محفوظ دكتوراه الدولة من جامعة طهران و المفتش الاختصاصي بوزارة التربية سابقا و الاستا
- ٨٧٩ اشارة
- ٨٧٩ النجف في الحديث
- ٨٨٦ النجف في الشعر
- ٨٨٦ السيد ابراهيم الطباطبائي
- ٨٨٦ الشيخ ابراهيم العاملي ١٢٨٤ هـ
- ٨٨٧ الشيخ ابراهيم العاملي ١٢١٤ هـ
- ٨٨٧ ابراهيم الوايلي
- ٨٨٧ ابن أبي الحديد
- ٨٨٧ ابن حماد
- ٨٨٧ ابن مدلل
- ٨٨٨ أبو أسحاق الصابي كتب إلى عضد الدولة، و فد خرج الى الزيارة:
- ٨٨٨ أبو الحسن بن شاه كوثر
- ٨٨٨ أحمد الصافي النجفي «وادي طوى»
- ٨٨٨ البحتری
- ٨٨٨ بعض الشعراء
- ٨٨٩ بعض الكوفيين
- ٨٨٩ السيد جعفر الحلّي
- ٨٩٠ الشيخ جعفر النقدي
- ٨٩١ الشيخ جواد الشيبلي
- ٨٩١ الحسين بن الحجاج
- ٨٩٢ حميد فرج الله «وادي السلام»

- ٨٩٢ دعبل
- ٨٩٣ الراجز
- ٨٩٣ فريد المزركى
- ٨٩٣ الشريف الرضى
- ٨٩٣ صاحب بن عباد
- ٨٩٤ السيد صادق الفحام
- ٨٩٤ السيد صالح بحر العلوم
- ٨٩٤ طالب الحاج فليح
- ٨٩٤ عامر بن وائلة الليثى
- ٨٩٤ عباس الخليلى
- ٨٩٥ السيد عباس شبر
- ٨٩٥ الشيخ عباس الملاعلى
- ٨٩٦ عبد الباقي العمرى
- ٨٩٦ الشيخ عبد الحسين الحلى تحية النجف بيوم العيد
- ٨٩٧ عبد الحسين العاملى
- ٨٩٧ الشيخ عبد الحسين الحويزى
- ٨٩٧ عبد الحميد السنيد
- ٨٩٨ عبد الرزاق محى الدين
- ٨٩٨ الشيخ عبد الغنى الخضرى
- ٨٩٨ الشيخ عبد المنعم الفرطوسى «وادى السلام»
- ٨٩٩ عبيد الله الحسينى
- ٨٩٩ الشيخ على بازى
- ٨٩٩ السيد على خان الشيرازى
- ٩٠٠ الشيخ على الشرقى وادى النجف

- ٩٠٠ وادى السلام
- ٩٠١ قفص البلبل
- ٩٠٢ على بن عيسى بن أبى الفتح الإربلى
- ٩٠٢ السيد على نقى النقوى اللكنوى الهندى
- ٩٠٣ الفرزدق
- ٩٠٣ الشيخ قاسم محى الدين
- ٩٠٣ كاظم الأرزى
- ٩٠٣ الكميت
- ٩٠٣ مان الموسوس
- ٩٠٤ المجاشعى
- ٩٠٤ الشيخ محسن الخضرى قال، متشوقا- و هو خارج النجف- لمجلس أحبابه:
- ٩٠٥ محمد بن أمير الحاج
- ٩٠٥ محمد توفيق البلاغى
- ٩٠٥ السيد محمد جمال الهاشمى
- ٩٠٦ الشيخ محمد جواد الجزائرى
- ٩٠٦ الشيخ محمد حسن حيدر
- ٩٠٦ محمد بن الحسين- البهاء العاملى
- ٩٠٦ محمد الخلبلى «وادى السلام»
- ٩٠٧ السيد محمد سعيد الحبوى
- ٩٠٧ الشيخ محمد السماوى
- ٩٠٨ محمد بن عبد الوهاب الهمذانى امام الحرمين
- ٩٠٩ الشيخ محمد على اليعقوبى
- ٩١٠ السيد محمد القزوينى
- ٩١١ الشيخ محمد الكرمى من قصيدة طويلة

- ٩١١ محمد مهدي الجواهرى «بين النجف و أميركا»
- ٩١٢ المنصور بالله محمد بن يحيى بن حميد الدين الحسنى اليمانى، امام اليمن
- ٩١٢ السيد محمود الجبوى
- ٩١٢ اصيل النجف
- ٩١٣ الشيخ ملا مهدي النراقى
- ٩١٤ السيد موسى الطالقانى
- ٩١٥ السيد نصر الله الحائرى
- ٩١٥ در النجف
- ٩١٥ الشيخ يعقوب الحاج جعفر النجفى الحلى
- ٩١٦ النجف فى التاريخ
- ٩١٦ تاريخ الرسل و الملوك
- ٩١٦ اشارة
- ٩١٦ سنة ١٢ هـ
- ٩١٦ سنة ١٣ هـ
- ٩١٦ سنة ١٤ هـ
- ٩١٧ سنة ٥١ هـ
- ٩١٧ سنة ٦٧ هـ
- ٩١٧ سنة ١٢٠ هـ
- ٩١٧ سنة ١٤٤ هـ
- ٩١٧ سنة ١٤٥ هـ
- ٩١٨ سنة ٢٢٦ هـ
- ٩١٨ المنتظم فى تاريخ الملوك و الأمم
- ٩١٨ سنة ٣٧٢ هـ
- ٩١٨ سنة ٢٧٩ هـ

- ٩١٨ سنه ٣٩٧ هـ
- ٩١٨ سنه ٤٠٥ هـ
- ٩١٨ سنه ٤١٨ هـ
- ٩١٨ سنه ٤٤٢ هـ
- ٩١٩ سنه ٤٦٠ هـ
- ٩١٩ سنه ٤٧٩ هـ
- ٩١٩ سنه ٤٨٠ هـ
- ٩١٩ سنه ٥١٣ هـ
- ٩١٩ سنه ٥١٥ هـ
- ٩١٩ الكامل فى التاريخ
- ٩١٩ اشارة
- ٩١٩ سنه ١٤ هـ
- ٩٢٠ ليلة الهرير سنه ١٤
- ٩٢٠ سنه ١٢٠ هـ
- ٩٢٠ سنه ٣٧٢ هـ
- ٩٢٠ سنه ٣٧٩ هـ
- ٩٢٠ سنه ٣٨١ هـ
- ٩٢٠ سنه ٤٠٠ هـ
- ٩٢٠ سنه ٤٠٣ هـ
- ٩٢١ سنه ٤٠٥ هـ
- ٩٢١ سنه ٤٠٦ هـ
- ٩٢١ سنه ٤٢٢ هـ
- ٩٢١ سنه ٤٤٦ هـ
- ٩٢١ سنه ٤٥٥ هـ

- ٩٢١ سنه ٤٧٩ هـ
- ٩٢١ سنه ٥٣٣ هـ
- ٩٢١ سنه ٥٩٠ هـ
- ٩٢١ فرحة الغرى
- ٩٢٣ الجامع المختصر
- ٩٢٣ سنه ٥٩٧ هـ
- ٩٢٣ سنه ٦٠٢ هـ
- ٩٢٣ سنه ٦٠٥ هـ
- ٩٢٣ سنه ٦٠٦ هـ
- ٩٢٤ الحوادث الجامعة
- ٩٢٤ سنه ٦٣٤ هـ
- ٩٢٤ سنه ٦٤١ هـ
- ٩٢٤ سنه ٦٤٣ هـ
- ٩٢٤ سنه ٦٤٥ هـ
- ٩٢٤ سنه ٦٤٨ هـ
- ٩٢٤ سنه ٦٤٩ هـ
- ٩٢٥ سنه ٦٥٣ هـ
- ٩٢٥ سنه ٦٦٤ هـ
- ٩٢٥ سنه ٦٧٢ هـ
- ٩٢٥ سنه ٦٧٣ هـ
- ٩٢٥ سنه ٦٧٤ هـ
- ٩٢٥ سنه ٦٩٦ هـ
- ٩٢٥ دوحه الوزراء
- ٩٢٥ سنه ١١٥٣ هـ

- ٩٢٥ سنه ١١٥٦ هـ
- ٩٢٦ سنه ١١٦٠ هـ
- ٩٢٦ سنه ١٢٣٤ هـ
- ٩٢٦ تاريخ العراق بين احتلالين
- ٩٣٢ النجف في الرحلات و الادلة
- ٩٣٢ رحلة ابن جبير سنه ٥٨٠ هـ
- ٩٣٢ الاشارات الى معرفة الزيارات
- ٩٣٣ رحلة ابن بطوطه
- ٩٣٣ ذكر الروضة و القبور التي بها
- ٩٣٤ ذكر نقيب الاشراف
- ٩٣٤ نزهة الجليس و منية الأديب الأيس سنه ١١٣١ هـ
- ٩٣٥ رحلة المنشيء البغدادي سنه ١٢٣٧ هـ
- ٩٣٥ رحلات عبد الوهاب عزام سنه ١٣٤٩ هـ
- ٩٣٧ دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥ - ١٩٣٦ (قضاء النجف الأشرف)
- ٩٣٩ الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦
- ٩٤٠ الجوامع و المساجد
- ٩٤٠ الدليل الجغرافي العراقي
- ٩٤٠ النجف في المراجع الغربية* ترجمه و كتبه جعفر الخياط
- ٩٤٠ اشارة
- ٩٤٠ النجف في كتابات الغربيين
- ٩٤٠ مقدمة
- ٩٤١ النجف قبل سنه ١٥٠٠ م
- ٩٤٣ النجف في أوائل القرن السادس عشر
- ٩٤٤ بدء اتصال النجف بالغرب

- ٩٤٤ الرحالة تكسيرا في النجف
- ٩٤٦ تعليق على اقوال تكسيرا
- ٩٤٧ النجف بين الصفويين و العثمانيين
- ٩٤٨ الرحالة الفرنسي تافيرنييه في النجف
- ٩٤٩ في أواسط القرن السابع عشر
- ٩٥٠ النجف و مسلمو الهند
- ٩٥١ النجف بين نادر شاه و العثمانيين
- ٩٥٤ مشاهدات الرحالة نيبور في النجف
- ٩٥٦ نيبور في الكوفة
- ٩٥٦ هجمات الوهابيين
- ٩٥٨ النجف في ١٨٢٤ - ١٨٥٢
- ٩٥٩ النجف في رحلة لوفتس
- ٩٦١ في أواسط القرن التاسع عشر
- ٩٦٢ جون بيترز في النجف
- ٩٦٤ في أوائل القرن العشرين
- ٩٦٦ النجف في أيام الحرب العالمية الأولى
- ٩٦٨ زيارة السر رونالد ستورز للنجف
- ٩٧٠ النجف في أيام الاحتلال البريطاني
- ٩٧١ ثورة النجف
- ٩٧٥ التفكير بتأسيس حكم وطني في البلاد
- ٩٧٧ وحدة الصف الوطني
- ٩٧٨ نذر الثورة
- ٩٧٩ في ايام الثورة العراقية سنة ١٩٢٠
- ٩٨١ تهدئة الأحوال

- ٩٨٢ مجيء الأمير فيصل
- ٩٨٣ بداية الحكم الوطني
- ٩٨٤ النجف فيما كتبه توماس لايل
- ٩٨٩ موقف النجف الى ١٩٣٢
- ٩٩٠ تثمين في نهاية عهد الانتداب
- ٩٩١ في عهد الملك غازي
- ٩٩٢ موقف النجف من حركات العشائر ١٩٣٥
- ٩٩٥ تعليق و توضيح
- ٩٩٧ فرايا ستارك تكتب عن النجف
- ٩٩٩ النجف في السنين الأخيرة
- ١٠٠٠ الجزء السابع
- ١٠٠٠ الجزء الثاني من قسم النجف
- ١٠٠٠ اشارة
- ١٠٠١ كلمة دار التعارف
- ١٠٠١ الدراسة و تاريخها في النجف كتبه السيد محمد بحر العلوم
- ١٠٠١ اشارة
- ١٠٠١ تمهيد
- ١٠٠٢ النجف قبل الشيخ الطوسي
- ١٠٠٥ من هو الطوسي؟
- ١٠٠٧ العاصفة الطائفية و تأثيرها على الشيخ:
- ١٠٠٨ الشيخ الطوسي يهاجر الى النجف:
- ١٠٠٨ بين حوزتين علميتين:
- ١٠٠٩ أدوار الجامعة النجفية خلال مسيرتها العلمية
- ١٠١٠ اشارة

- ١٠١٠ الدور الأول لجامعة النجف
- ١٠١٠ اشارة
- ١٠١١ بعد الشيخ الطوسي:
- ١٠١٣ بين الطوسي و ابن ادريس
- ١٠١٥ من النجف الى الحلة:
- ١٠١٦ الدور الثاني للجامعة النجفية
- ١٠١٦ اشارة
- ١٠١٧ المظاهر العلمية لهذا العهد:
- ١٠١٨ الحركة الإخبارية و مظاهرها:
- ١٠٢١ مركز الجامعة في نهاية هذا الدور:
- ١٠٢٢ من النجف الى كربلا:
- ١٠٢٣ الدور الثالث للجامعة النجفية
- ١٠٢٣ اشارة
- ١٠٢٤ معالم النهضة العلمية لهذا الدور:
- ١٠٢٤ اشارة
- ١٠٢٤ يمكن تقسيم نتاجها الى عدة مراتب
- ١٠٢٤ المرتبة الأولى:
- ١٠٢٤ المرتبة الثانية:
- ١٠٢٧ المرتبة الثالثة:
- ١٠٢٧ المرتبة الرابعة:
- ١٠٢٨ أسلوب الدراسة في الجامعة النجفية
- ١٠٢٨ اشارة
- ١٠٢٨ مراحل الدراسة:
- ١٠٣١ أشهر الكتب الدراسية في جامعة النجف

- ١٠٣٣ ----- محلات الدراسة فى النجف
- ١٠٣٤ ----- اهم المصادر التى اعتمدها الكاتب
- ١٠٣٤ ----- مدارس النجف القديمة و الحديثة كتبه محمد الخليلى عضو جمعية الرابطة العلميه فى النجف الاشرف
- ١٠٣٤ ----- اشارة
- ١٠٣٤ ----- مدارس النجف القديمة و الحديثة
- ١٠٣٧ ----- الحياة المدرسيه لسكان المدارس الدينيه
- ١٠٣٩ ----- هندسه المدارس العلميه الدينيه:
- ١٠٤١ ----- ما قبل القرن العاشر الهجرى
- ١٠٤١ ----- ١- مدرسه المقداد السيورى (السليميه)
- ١٠٤٢ ----- مدرسه الشيخ عبد الله
- ١٠٤٣ ----- ما بعد القرن العاشر الهجرى حتى اليوم مدرسه الصحن الشريف الاولى او المدرسه الغرويه
- ١٠٤٣ ----- اشارة
- ١٠٤٤ ----- مدرسه الصحن الكبرى
- ١٠٤٤ ----- مدرسه الصدر
- ١٠٤٥ ----- مدرسه المعتمد او مدرسه الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء
- ١٠٤٦ ----- المدرسه المهديه
- ١٠٤٦ ----- مدرسه القوام
- ١٠٤٧ ----- مدرسه الايروانى
- ١٠٤٧ ----- مدرسه المرزا حسن الشيرازى
- ١٠٤٧ ----- مدرسه الحاج مرزا حسين الخليلى الكبرى
- ١٠٤٨ ----- مدرسه البخارى
- ١٠٤٩ ----- مدرسه الشربيانى
- ١٠٤٩ ----- مدرسه الخراسانى الكبرى
- ١٠٥٠ ----- مدرسه الخليلى الصغرى

- ١٠٥٠ مدرسة القزويني
- ١٠٥١ مدرسة البادكوبي
- ١٠٥١ مدرسة الآخوند الوسطي
- ١٠٥٢ مدرسة السيد كاظم اليزدي
- ١٠٥٣ مدرسة الهندي
- ١٠٥٣ مدرسة الآخوند الصغرى
- ١٠٥٣ مدرسة السيد عبد الله الشيرازي
- ١٠٥٣ مدرسة البروجردى الكبرى
- ١٠٥٤ مدرسة العاملين
- ١٠٥٥ المدرسة الطاهرية
- ١٠٥٥ مدرسة البروجردى الصغيرة
- ١٠٥٦ مدرسة الرحاوى
- ١٠٥٦ مدرسة الجوهرجى
- ١٠٥٦ مدرسة جامعة النجف الدينية
- ١٠٥٧ مدرسة عبد العزيز البغدادى الدينية
- ١٠٥٨ مدرسة الافغانيين
- ١٠٥٩ مدرسة اليزدى الثانية
- ١٠٥٩ مدارس تحت الانشاء
- ١٠٦٠ نموذج لكيفية إجراء وقف المدارس الدينية فى النجف
- ١٠٦٣ المدارس الحديثة
- ١٠٦٣ اشارة
- ١٠٦٣ المدرسة الرشدية العثمانية
- ١٠٦٣ المدرسة العلوية
- ١٠٦٤ المدرسة المرتضوية

- ١٠٦٥ مدرسة الغرى الأهلية
- ١٠٦٥ مدارس منتدى النشر
- ١٠٦٥ مدرسة المنتدى الابتدائية
- ١٠٦٦ مدرسة المنتدى الثانوية
- ١٠٦٦ كلية الفقه
- ١٠٦٦ مدرسة جمعية التحرير الثقافى
- ١٠٦٧ المدرسة الأميرية و المدارس الرسمية
- ١٠٦٧ اما المدارس المتوسطة فهى:
- ١٠٦٨ المدارس الابتدائية الرسمية للبنين
- ١٠٦٩ أسماء مدارس البنات الابتدائية فى النجف
- ١٠٧٠ عدد طلاب المدارس الدينية و المدارس المدنية
- ١٠٧٠ اهم المصادر التى اعتمدها الكاتب
- ١٠٧١ مكاتب النجف القديمة و الحديثة كتبه جعفر الخليلى
- ١٠٧١ اشارة
- ١٠٧١ خزائن الكتب القديمة و المكتبات التاريخية
- ١٠٧٤ المكتبات الاسلامية القديمة فى العراق
- ١٠٧٦ دور الكتب العامة فى العصور العباسية ببغداد
- ١٠٧٧ مكاتب النجف القديمة
- ١٠٨٠ المكتبة العلوية
- ١٠٨٠ اشارة
- ١٠٨٣ أهم مخطوطات المكتبة العلوية
- ١٠٨٣ اشارة
- ١٠٨٣ المصاحف
- ١٠٨٣ المخطوطات

- ١٠٨٧ المكتبات العامة قديما و حديثا
- ١٠٨٧ اشارة
- ١٠٨٧ مكتبة الملاي
- ١٠٨٨ مكتبة مدرسة الصدر
- ١٠٨٨ مكتبة الإمام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء
- ١٠٩١ مكتبة حسينية الشوشترية
- ١٠٩٢ مكتبة مدرسة القوام
- ١٠٩٢ مكتبة مدرستي الخليلي
- ١٠٩٣ مكتبة مدرستي الاخوند
- ١٠٩٣ مكتبة مدرسة اليزدي
- ١٠٩٣ المكتبة المرتضوية
- ١٠٩٤ مكتبة الرابطة
- ١٠٩٤ مكتبة الامام أمير المؤمنين
- ١٠٩٥ مكتبة المنتدى
- ١٠٩٥ المكتبة العامة
- ١٠٩٦ مكتبة جمعية التحرير
- ١٠٩٦ مكتبة حنوش
- ١٠٩٦ مكتبة الشيخ اغا بزرك
- ١٠٩٧ مكتبة الامام الحكيم
- ١٠٩٨ مكتبة البروجردي
- ١٠٩٩ مكتبة جامعة النجف
- ١٠٩٩ مكتبات أخرى
- ١٠٩٩ مكتبات النجف الخاصة قديما و حديثا
- ١٠٩٩ اشارة

- ١٠٩٩ مكتبة الرحيم
- ١١٠٠ مكتبة آل الطريحي
- ١١٠٠ مكتبة الجزائري
- ١١٠٠ مكتبة السيد عبد العزيز
- ١١٠٠ مكتبة آل بحر العلوم
- ١١٠١ مكتبة آل القزويني
- ١١٠١ مكتبة الشيخ جعفر الكبير
- ١١٠٢ مكتبة آل محي الدين
- ١١٠٢ مكتبة الشيخ محمد باقر الأصفهاني
- ١١٠٢ مكتبة السيد احمد هلاله
- ١١٠٢ مكتبة السيد ميرزا الأصفهاني
- ١١٠٣ مكتبة الحاج ملا علي الخليلي
- ١١٠٣ مكتبة السيد علي بحر العلوم
- ١١٠٤ مكتبة آل نظام الدولة
- ١١٠٤ مكتبة الحاج ملا باقر
- ١١٠٥ مكتبة الخونساري
- ١١٠٥ مكتبة النوري
- ١١٠٦ مكتبة السيد محمد بحر العلوم
- ١١٠٧ مكتبة شيخ الشريعة
- ١١٠٧ مكتبات القرن الثالث عشر الأخرى
- ١١٠٧ اشارة
- ١١٠٨ أ- كتب بيت العبودي
- ١١٠٨ ب- كتب بيت المشهد
- ١١٠٨ ج- كتب بيت نجف

- ١١٠٨ د- كتب السيد حسن الحكيم
- ١١٠٨ مكتبة الشيخ علي آل الشيخ محمد رضا الشيخ هادي الشيخ عباس
- ١١١٠ مكتبة السيد محمد باقر الأصفهاني الرشتي
- ١١١١ مكتبة السماوي
- ١١١٣ مكتبة السيد جعفر بحر العلوم
- ١١١٣ مكتبة السيد هاشم بحر العلوم
- ١١١٤ مكتبة الشيخ فرج الله
- ١١١٤ مكتبة اليعقوبي
- ١١١٦ مكتبة السيد محمد صادق بحر العلوم
- ١١١٦ مكتبة السيد صادق كمونه
- ١١١٧ مكتبة البلاغي
- ١١١٧ مكتبة يوسف عبد الله شهيت
- ١١١٧ مكتبة فخر الدين
- ١١١٨ مكاتبات الخطباء
- ١١١٨ أمثال لمكاتب آخر
- ١١٢٠ نموذج من نماذج وقف المكاتب و هو كيفية وقف مكتبة الشيخ آغا بزرك
- ١١٢٢ اهم المصادر التي اعتمدها الكاتب
- ١١٢٣ فهرست الجزء الثاني من قسم النجف
- ١١٢٧ الجزء الثامن
- ١١٢٧ [مقدمة الناشر]
- ١١٢٨ كربلاء قديما كتبه الدكتور مصطفى جواد
- ١١٢٨ اشارة
- ١١٢٨ كربلاء قديما
- ١١٢٨ معنى كربلاء:

- ١١٣١ الطف
- ١١٣٢ قصر مقاتل
- ١١٣٣ الحائر
- ١١٣٥ عين التمر
- ١١٣٧ شفاتا
- ١١٣٧ الغاضرية
- ١١٣٧ نينوى
- ١١٣٧ نهر العلقمى
- ١١٤٠ العقر
- ١١٤٠ اهم مصادر البحث التى اعتمدها الكاتب
- ١١٤١ عرض تاريخى مجمل لمصرع الامام الحسين فى عرصة كربلاء كتبه الدكتور حسين أمين
- ١١٤١ اشارة
- ١١٤١ عرض تاريخى مجمل لمصرع ابى عبد الله الحسين (ع)
- ١١٥٤ مراجع البحث
- ١١٥٤ كربلاء فى المراجع العربية كتبه الدكتور حسين على محفوظ
- ١١٥٤ اشارة
- ١١٥٥ كربلاء فى الحديث
- ١١٥٦ كربلاء فى التواريخ
- ١١٥٦ تاريخ الرسل و الملوك
- ١١٥٦ سنة ٥٦٠ هـ
- ١١٥٦ سنة ١٣٢ هـ
- ١١٥٦ سنة ١٩٣ هـ
- ١١٥٧ سنة ٢٦٤ هـ
- ١١٥٧ سنة ٢٦٨ هـ

- ١١٥٧ المنتظم فى تاريخ الملوك و الأمم
- ١١٥٧ سنة ٣٩٨ هـ
- ١١٥٨ سنة ٤٠٧ هـ
- ١١٥٨ سنة ٤٧٩ هـ
- ١١٥٨ سنة ٥٠١ هـ
- ١١٥٨ سنة ٥١٣ هـ
- ١١٥٨ الكامل فى التاريخ
- ١١٥٨ سنة ١٣ هـ
- ١١٥٩ سنة ١٤ هـ
- ١١٥٩ سنة ٤٠ هـ
- ١١٥٩ سنة ٤١ هـ
- ١١٦٠ سنة ٤٨ هـ
- ١١٦١ سنة ١٢٢ هـ
- ١١٦١ سنة ٢٣٦ هـ
- ١١٦١ سنة ٢٩٤ هـ
- ١١٦٢ سنة ٣٩٨ هـ
- ١١٦٢ سنة ٤٠٠ هـ
- ١١٦٢ سنة ٤٠٧ هـ
- ١١٦٢ سنة ٤٢٢ هـ
- ١١٦٢ سنة ٤٣٦ هـ
- ١١٦٢ سنة ٤٧٩ هـ
- ١١٦٣ سنة ٤٨٩ هـ
- ١١٦٣ الجامع المختصر فى عنوان التواريخ و عيون السير
- ١١٦٣ سنة ٥٩٧ هـ

- ١١٦٣ سنة ٦٠٠ هـ
- ١١٦٣ سنة ٦٠٤ هـ
- ١١٦٣ مختصر أخبار الخلفاء
- ١١٦٤ الحوادث الجامعة
- ١١٦٤ سنة ٦٣٤ هـ
- ١١٦٤ سنة ٦٣٥ هـ
- ١١٦٤ سنة ٦٣٧ هـ
- ١١٦٤ سنة ٦٤٦ هـ
- ١١٦٥ سنة ٦٥٣ هـ
- ١١٦٥ سنة ٦٩٦ هـ
- ١١٦٥ منتخب المختار «تاريخ علماء بغداد»
- ١١٦٥ تاريخ العراق بين احتلالين
- ١١٦٦ سنة ٦٦٢ هـ
- ١١٦٦ سنة ٧٦٣ هـ
- ١١٦٦ سنة ٧٩٦ هـ
- ١١٦٦ سنة ٧٩٧ هـ
- ١١٦٦ سنة ٨٢٤ هـ
- ١١٦٦ سنة ٨٤١ هـ
- ١١٦٧ سنة ٨٥٧ هـ
- ١١٦٧ سنة ٨٥٩ هـ
- ١١٦٨ سنة ٨٦١ هـ
- ١١٦٨ سنة ٩١٤ هـ
- ١١٦٨ سنة ٩٤١ هـ
- ١١٦٩ سنة ٩٤١ هـ

- ١١٦٩ فضولى البغدادى
- ١١٦٩ سنة ٩٦٣ هـ
- ١١٧٠ سنة ٩٩١ هـ
- ١١٧١ سنة ١٠٣٥ هـ
- ١١٧١ سنة ١٠٤٩ هـ
- ١١٧٢ سنة ١٠٤٩ هـ
- ١١٧٢ سنة ١٠٨٨ هـ
- ١١٧٢ سنة ١١١٦ هـ
- ١١٧٢ سنة ١١١٨ هـ
- ١١٧٢ سنة ١١٢٦ هـ
- ١١٧٣ سنة ١١٢٧ هـ
- ١١٧٣ سنة ١١٥٢ هـ
- ١١٧٣ سنة ١١٥٤ هـ
- ١١٧٣ سنة ١١٩٤ هـ
- ١١٧٣ غارة الوهابية على كربلاء
- ١١٧٣ سنة ١٢١٦ هـ
- ١١٧٤ سنة ١٢١٨ هـ
- ١١٧٤ سنة ١٢٢٢ هـ
- ١١٧٥ سنة ١٢٣٦ هـ
- ١١٧٥ سنة ١٢٤٢ هـ
- ١١٧٥ واقعة كربلاء
- ١١٧٥ سنة ١٢٥٨ هـ
- ١١٧٦ سنة ١٢٥٩ هـ
- ١١٧٧ سنة ١٢٦٠ هـ

- ١١٧٧ سنه ١٢٤٢ هـ
- ١١٧٧ سنه ١٢٤٨ هـ
- ١١٧٧ سنه ١٢٧٤ هـ
- ١١٧٧ سنه ١٢٧٨ هـ
- ١١٧٧ سنه ١٢٨٤ هـ
- ١١٧٨ سنه ١٢٨٧ هـ
- ١١٧٨ سنه ١٣٠١ هـ
- ١١٧٨ سنه ١٣٠٢ هـ
- ١١٧٩ سنه ١٣٠٤ هـ
- ١١٧٩ سنه ١٣٠٩ هـ
- ١١٧٩ سنه ١٣٢٤ هـ
- ١١٧٩ سنه ١٣٢٥ هـ
- ١١٧٩ سنه ١٣٢٦ هـ
- ١١٧٩ سنه ١٣٢٧ هـ
- ١١٨٠ سنه ١٣٢٩ هـ
- ١١٨٠ سنه ١٣٣٠ هـ
- ١١٨٠ سنه ١٣٣٤ هـ
- ١١٨٠ كربلاء في الجغرافيا
- ١١٨٠ كتاب سمير الليالي
- ١١٨٠ الثمار الشهية في جغرافية المملكة العثمانية
- ١١٨١ جغرافية العراق الثانوية
- ١١٨١ كربلاء في الرحلات
- ١١٨١ كتاب الاشارات إلى معرفة الزيارات
- ١١٨١ رحلة ابن بطوطة

- ١١٨١ نزهة الجليس و منية الأديب الأنيس
- ١١٨٤ رحلة المنشىء البغدادي
- ١١٨٤ كربلا:
- ١١٨٤ نهر الحسينية:
- ١١٨٥ رحلات عبد الوهاب عزام
- ١١٨٥ كربلاء فى الأدلة
- ١١٨٥ دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥ - ١٩٣٦
- ١١٨٦ كربلاء فى التاريخ الحديث
- ١١٨٨ الدليل العراقي الرسمى لسنة ١٩٣٦
- ١١٨٨ الدليل العام لتسجيل النفوس العام لسنة ١٩٥٧
- ١١٨٨ الدليل الجغرافى العراقى
- ١١٨٩ أهم المصادر التى اعتمدها الكاتب
- ١١٩٠ مقتطفات عابرة مما ورد فى المظان التاريخية و الأدبية العامة عن كربلا كتبه الدكتور صفاء خلوصى
- ١١٩٠ اشارة
- ١١٩٠ كلمة
- ١١٩١ معجم البلدان
- ١١٩١ كربلاء فى كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى
- ١١٩١ كربلا فى كتب التاريخ العام
- ١١٩١ المسعودى و كربلاء
- ١١٩٢ كربلاء فى «التنبية و الاشراف» للمسعودى (ص ٢٦٣)
- ١١٩٢ ابن الأثير و الطف
- ١١٩٢ كربلاء فى (الفخرى) لابن الطقطقى
- ١١٩٢ ابن عماد الحنبلى و كربلاء
- ١١٩٣ كربلاء فى التوفيقات الالهامية تأليف محمد مختار

- ١١٩٣ كربلاء فى المراجع العراقية المتأخرة
- ١١٩٣ دوحه الوزراء للشيوخ رسول حاوى الكركوكلى
- ١١٩٤ حديقه الزوراء للسويدى
- ١١٩٥ كربلا فى موجز تاريخ البلدان العراقية
- ١١٩٧ كربلا فى المحاضرات من الاحتلال حتى الاستقلال لعبد الرحمن البزاز
- ١١٩٨ كربلاء فى المراجع الاستشراقية تاريخ العرب الأدي رينولد نكلسن
- ١١٩٨ اشارة
- ١١٩٩ كربلاء فى «بلاد العرب» لمؤلفه دى جى هوكارث «Arabia» By D .G .Hogarth
- كربلاء فى كتاب «الاسلام فى القرون الوسطى» MEDIEVAL ISLAM A Study in Cultural Orientation لغوستاف فون كرونه باود
- ١٢٠٠ فيليب حتى و كربلاء
- ١٢٠١ كربلاء فى المعاجم
- ١٢٠١ لويس معلوف اليسوعى و كربلاء
- ١٢٠١ كربلاء فى «قاموس الاسلام» A Dictionary of Islam
- ١٢٠١ كربلاء فى معجم «لاروس» الفرنسى
- ١٢٠١ Shorter Encyclopaedia of Islam «الموسوعة الاسلامية الموجزة»
- ١٢٠٥ كربلاء فى الأدب
- ١٢٠٥ اشارة
- ١٢٠٥ ابو فراس الحمدانى و كربلاء
- ١٢٠٦ أهم المصادر العربية و الغربية لذكر الإمام الحسين و مدينة كربلاء
- ١٢٠٧ كربلاء فى الشعر جمعه و نسقه حسب الحروف الأبجدية فؤاد عباس
- ١٢٠٧ اشارة
- ١٢٠٧ الشيخ ابراهيم الكفعمى ٨٤٠ - ٩٠٠
- ١٢٠٧ ابن هانىء الأندلسى
- ١٢٠٨ أبو تمام

- ١٢٠٨ أبو دهب الجمحي
- ١٢٠٨ أبو فراس الحمداني
- ١٢٠٨ أبو محجن بن حبيب
- ١٢٠٨ السيد احمد الرشتي المقتول سنة ١٢٩٥
- ١٢٠٨ الشيخ جابر الكاظمي
- ١٢٠٩ الحسين بن علي أبو القاسم المغربي الوزير
- ١٢٠٩ السيد حيدر الحلبي
- ١٢١٠ خضر عباس الصالحي
- ١٢١٠ دعبل الخزاعي
- ١٢١٠ رجل من اشجع
- ١٢١٠ رشيد الهاشمي
- ١٢١٠ سبط ابن التعاويذي
- ١٢١١ سلمان هادي طعمه
- ١٢١١ سليمان بن قته (قتبة؟)
- ١٢١١ شبرمة بن الطفيل
- ١٢١١ الشريف الرضي
- ١٢١٢ صاحب بن عباد
- ١٢١٢ طلائع بن رزيك (الملك الصالح)
- ١٢١٣ عاتكة بنت زيد زوجة الحسين - ع-
- ١٢١٣ عبد الباقي العمري
- ١٢١٥ عبد الحسين الحويزي
- ١٢١٦ شباك أبي الفضل (ع)
- ١٢١٦ عبد الغفار الأخرس
- ١٢١٧ الشيخ عبد الله العلابي

- ١٢١٧ الشيخ فليح حسون الكربلائي المتوفى ١٢٩٦
- ١٢١٨ كاظم الأزرى
- ١٢١٨ كتير عزة
- ١٢١٨ الكميت بن زيد الأسدي
- ١٢١٨ الشيخ محسن أبو الحب
- ١٢١٨ الحاج محمد حسن أبو المحاسن
- ١٢١٩ الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء
- ١٢١٩ الشيخ محمد على كمونه
- ١٢٢٠ مرسى شاکر الطنطاوى
- ١٢٢٠ مصعب بن الزبير (متمثلاً)
- ١٢٢٠ معن بن أوس المزنى
- ١٢٢٠ مهدي الجواهرى
- ١٢٢١ مهيار الديلمى
- ١٢٢٢ السيد موسى الطالقانى
- ١٢٢٢ مير على أبو طبيخ
- ١٢٢٣ للحاج هاشم الكعبى المتوفى سنة ١٢٣١ هـ
- ١٢٢٤ اهم المصادر التى اعتمدها الكاتب
- ١٢٢٥ كربلاء فى المراجع الغربية كتبه و ترجمه جعفر الخياط
- ١٢٢٥ اشارة
- ١٢٢٥ كربلاء فى المراجع الغربية
- ١٢٢٥ اشارة
- ١٢٢٥ كربلا فى بداية عهدها
- ١٢٢٧ أول من زار الضريح
- ١٢٢٨ هدم المتوكل لقبر الحسين

- ١٢٢٩ كربلاء فى ٣٦٩-٧٢٧ هـ
- ١٢٣٠ الشاه أسماعيل فى كربلاء
- ١٢٣١ السلطان سليمان فى كربلاء
- ١٢٣١ منارة العبد
- ١٢٣٢ كربلاء فى القرنين السابع و الثامن عشر
- ١٢٣٣ هجوم الوهابيين
- ١٢٣٥ فى اوائل القرن التاسع عشر
- ١٢٣٦ واقعة نجيب باشا
- ١٢٣٧ بعض مظاهر التجديد
- ١٢٣٨ مشاهدات تكسيرا فى كربلاء
- ١٢٣٩ كربلاء فى رحلة نيهور
- ١٢٤١ لوفتس فى كربلاء
- ١٢٤٣ كربلاء فى رحلة جون أشر
- ١٢٤٥ مدام ديو لافوا فى كربلاء
- ١٢٤٧ زيارة جون بيترز لكربلاء
- ١٢٤٩ زيارة المس بيل قبل الحرب العظمى
- ١٢٥١ المس بيل فى الأخيضر
- ١٢٥٢ كربلاء فى التقارير البريطانية قبل الحرب
- ١٢٥٣ فى أيام الحرب العظمى
- ١٢٥٥ كربلاء فى بداية الاحتلال
- ١٢٥٧ السر رونالد ستورز فى كربلاء
- ١٢٥٨ الاستفتاء العام
- ١٢٦٠ كربلاء تمهد للثورة العراقية
- ١٢٦٥ بعد الثورة

- الموظفون الانكليز في كربلاء ١٢٦٧
- مؤتمر كربلاء ١٢٦٧
- معارضة المجلس التأسيسي و انتخابه ١٢٦٩
- دونالدسون في كربلاء ١٢٧٠
- «التربة» الحسينية ١٢٧٣
- محرم الحرام ١٢٧٤
- كربلاء في دائرتي المعارف البريطانية و الاسلامية ١٢٧٩
- نتف متفرقة ١٢٨١
- فهرس الموضوعات ١٢٨٢
- الجزء التاسع ١٢٨٦
- [المقدمة] ١٢٨٦
- الكاظمية قديما بحث يتناول منطقة مدينة الكاظمين و ما يحاذيها و يجاورها من المدافن و المساجد قبل تمصيرها ١٢٨٦
- اشارة ١٢٨٦
- الكاظمية قديما ١٢٨٧
- اخبار وقعة الخوارج ١٢٨٩
- براتا و مسجدها ١٢٩٠
- مسجد العتيقة و مشهدها «المنطقة» ١٢٩١
- مقابر قريش ١٢٩٢
- المواضع المجاورة لمقابر قريش قديما ١٢٩٣
- قطربل ١٢٩٤
- المزرفة ١٢٩٥
- مقبرة الشهداء ١٢٩٥
- قبر هشام بن عمرو بن الزبير ١٢٩٥
- قطفتا ١٢٩٦

- ١٢٩٦ براتا و مسجدها
- ١٢٩٧ بناورا
- ١٢٩٧ و رثال
- ١٢٩٧ الشونيزيه
- ١٢٩٧ عرض جامع لحياء الامامين الجوادين كتبه جعفر الخليلي مؤلف موسوعة العتبات المقدسة
- ١٢٩٧ اشارة
- ١٢٩٧ الامامان موسى الكاظم و محمد الجواد
- ١٢٩٧ اشارة
- ١٢٩٨ الامام موسى الكاظم
- ١٢٩٨ اشارة
- ١٢٩٨ مثل من حلمه
- ١٢٩٩ صفات الامامة و صفات الكاظم العامة
- ١٣٠٠ سجية الكرم
- ١٣٠١ باب الحوائج
- ١٣٠١ مذهبه فى الحياة
- ١٣٠٢ العلم و الحكمة و الادب
- ١٣٠٣ قوة الحجة و سرعة البديهة
- ١٣٠٤ حبسه و قتله
- ١٣٠٧ وفاته
- ١٣٠٨ اولاده
- ١٣٠٨ نصوص الادعية و الزيارة
- ١٣٠٩ الامام محمد الجواد
- ١٣٠٩ اشارة
- ١٣٠٩ ملكاته العلمية و مذهبه فى الحياة

- استدعاء المأمون لابي جعفر و عزمه على تزويجه ابنته ام الفضل ١٣١٠
- نموذج من عمق تحجره في الفقه و العلم و مدى غوره ١٣١١
- زواجه من ام الفضل ١٣١٤
- رجوعه إلى المدينة و وفاته ١٣١٤
- الكاظمين في الشعر جمعه و نسقه حسب الحروف الابجدية فؤاد عباس من خريجي الجامعة الاميركية ببيروت و المفتش الاختصاصي في وزارة التربية ا
اشارة ١٣١٥
- الشيخ جابر الكاظمي ١٣١٥
- السيد حيدر الحلبي ١٣١٦
- دعبل الخزاعي ١٣١٧
- الشريف الرضي ١٣١٧
- الشيخ صالح التميمي ١٣١٧
- صالح الفزويني البغدادي المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ ١٣١٧
- عبد الباقي العمري ١٣١٨
- عبد الغفار الاخرس ١٣٢٠
- الشيخ عبد المحسن الكاظمي ١٣٢٠
- الشيخ محسن أبو الحب ١٣٢١
- السيد موسى الطالقاني ١٣٢٢
- مهيار الديلمي ١٣٢٢
- الكاظمية في المراجع العربية كتبه الدكتور حسين علي محفوظ دكتوراه الدولة من جامعة طهران و المفتش الاختصاصي بوزارة التربية سابقا و الأستاذ ؛
اشارة ١٣٢٢
- الكاظمية في التواريخ ١٣٢٢
- الكامل في التاريخ ١٣٢٢
- سنة ١٨٣ هـ ١٣٢٢
- سنة ٢١٩ هـ ١٣٢٣

١٣٢٣	سنة ٣١٢ هـ
١٣٢٣	سنة ٣٦٧ هـ
١٣٢٣	سنة ٤٠٦ هـ
١٣٢٤	سنة ٤٢٢ هـ
١٣٢٤	سنة ٤٣٥ هـ
١٣٢٤	سنة ٤٣٦ هـ
١٣٢٤	سنة ٤٤٣ هـ
١٣٢٥	سنة ٤٤٩ هـ
١٣٢٥	سنة ٤٦٦ هـ
١٣٢٥	سنة ٥٠٢ هـ
١٣٢٦	سنة ٥١٧ هـ
١٣٢٦	سنة ٥٩٣ هـ
١٣٢٦	سنة ٦١٤ هـ
١٣٢٦	الجامع المختصر
١٣٢٦	سنة ٥٩٧ هـ
١٣٢٦	سنة ٥٩٨ هـ
١٣٢٧	سنة ٥٩٩ هـ
١٣٢٧	سنة ٦٠٠ هـ
١٣٢٧	سنة ٦٠١ هـ
١٣٢٨	سنة ٦٠٢ هـ
١٣٢٨	سنة ٦٠٤ هـ
١٣٢٩	سنة ٦٠٥ هـ
١٣٢٩	سنة ٦٠٦ هـ
١٣٢٩	مختصر اخبار الخلفاء

- ١٣٢٩ في فرحة العرى
- ١٣٢٩ في الفخرى
- ١٣٣٠ الحوادث الجامعة
- ١٣٣٠ سنة ٦٣٤ هـ
- ١٣٣٠ سنة ٦٣٥ هـ
- ١٣٣٠ سنة ٦٣٧ هـ
- ١٣٣١ سنة ٦٤١ هـ
- ١٣٣١ سنة ٦٤١ هـ
- ١٣٣١ سنة ٦٤٣ هـ
- ١٣٣١ سنة ٦٤٤ هـ
- ١٣٣٢ سنة ٦٤٧ هـ
- ١٣٣٢ سنة ٦٤٨ هـ
- ١٣٣٢ سنة ٦٥٠ هـ
- ١٣٣٢ سنة ٦٥٦ هـ
- ١٣٣٣ سنة ٦٦٣ هـ
- ١٣٣٣ سنة ٦٧٢ هـ
- ١٣٣٣ سنة ٦٧٤ هـ
- ١٣٣٣ سنة ٦٧٧ هـ
- ١٣٣٤ سنة ٦٨٨ هـ
- ١٣٣٤ سنة ٦٩٣ هـ
- ١٣٣٤ سنة ٦٩٤ هـ
- ١٣٣٤ تاريخ بغداد
- ١٣٣٥ المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم
- ١٣٣٥ سنة ٣٥٣ هـ

سنة ٣٥٤ هـ ١٣٣٥

سنة ٣٥٥ هـ ١٣٣٥

سنة ٣٥٨ هـ ١٣٣٥

سنة ٣٦٧ هـ ١٣٣٥

سنة ٣٧٣ هـ ١٣٣٥

سنة ٣٩٣ هـ ١٣٣٦

سنة ٤٠٢ هـ ١٣٣٦

سنة ٤٠٨ هـ ١٣٣٦

سنة ٤٣٦ هـ ١٣٣٦

سنة ٤٤٣ هـ ١٣٣٦

سنة ٤٤٨ هـ ١٣٣٧

سنة ٤٥٠ هـ ١٣٣٧

سنة ٤٥١ هـ ١٣٣٧

سنة ٤٦٦ هـ ١٣٣٧

سنة ٥١٧ هـ ١٣٣٨

سنة ٥٥٢ هـ ١٣٣٨

سنة ٥٥٤ هـ ١٣٣٨

سنة ٥٥٨ هـ ١٣٣٨

سنة ٥٦٢ هـ ١٣٣٩

سنة ٥٦٩ هـ ١٣٣٩

سنة ٥٧٥ هـ ١٣٣٩

سنة ٥٧٥ هـ ١٣٣٩

سنة ٥٩٧ هـ ١٣٣٩

سنة ٦٠٨ هـ ١٣٣٩

مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان

- سنة ٦١٣ هـ ١٣٤٠
- سنة ٦١٥ هـ ١٣٤٠
- سنة ٦٢٢ هـ ١٣٤٠
- منتخب المختار ١٣٤٠
- دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ١٣٤٠
- سنة ١١٥٣ هـ ١٣٤١
- سنة ١١٦٤ هـ ١٣٤١
- سنة ١٢١٦ هـ ١٣٤١
- سنة ١٢٢٩ هـ ١٣٤١
- مختصر مطالع السعود بطيب اخبار الوالى داود ١٣٤١
- سنة ١٢٠١ هـ ١٣٤١
- تاريخ العراق بين احتلالين ١٣٤٢
- سنة ٦٥٦ هـ ١٣٤٢
- سنة ٨٠٣ هـ ١٣٤٢
- سنة ٨٣٦ هـ ١٣٤٢
- سنة ٩١٤ هـ ١٣٤٢
- سنة ٩٤١ هـ ١٣٤٣
- سنة ٩٧٨ هـ ١٣٤٣
- سنة ١٠٣٤ هـ ١٣٤٤
- سنة ١٠٤٨ هـ ١٣٤٤
- سنة ١١٦٢ هـ ١٣٤٤
- سنة ١٢٢١ هـ ١٣٤٤
- سنة ١٢٢٩ هـ ١٣٤٥
- سنة ١٢٤٧ هـ ١٣٤٥

- ١٣٤٥ (محاصرة بغداد)
- ١٣٤٥ سنة ١٢٨٦ هـ
- ١٣٤٥ سنة ١٢٨٧ هـ
- ١٣٤٥ ترامواى الكاظمية
- ١٣٤٦ سنة ١٢٩٩ هـ
- ١٣٤٦ سنة ١٣٠٩ هـ
- ١٣٤٦ سنة ١٣١٧ هـ
- ١٣٤٦ سنة ١٣٢٨ هـ
- ١٣٤٧ سنة ١٣٣٤ هـ
- ١٣٤٧ سنة ١٣٣٥ هـ
- ١٣٤٧ الامام الثائر
- ١٣٤٩ الحقائق الناصعة فى الثورة العراقية سنة ١٩٢٠
- ١٣٤٩ اشارة
- ١٣٥١ [صدور الرسائل من آية الله الشيرازى الى جميع الجهات]
- ١٣٥٣ [حول حركات فى بغداد]
- ١٣٥٦ الكاظمية فى التواريخ البغدادية
- ١٣٥٧ تاريخ مساجد بغداد و آثارها
- ١٣٥٧ جامع الكاظمية
- ١٣٥٨ بغداد مدينة السلام
- ١٣٥٨ تاريخ الامامين الكاظمين - عليهما السلام و روضتهما الشريفه
- ١٣٥٨ اشارة
- ١٣٦٠ [طغيان دجلة فى سنة ٥٦٩]
- ١٣٦٣ [محاصرة بغداد فى سنة ١٠٤٧]
- ١٣٦٥ الكاظمية فى الموسوعات و المراجع العامة

- ١٣٦٥ احسن الوديعه
- ١٣٦٦ اعيان الشيعة
- ١٣٦٦ تاريخ الشيعة
- ١٣٦٧ زهر الربيع
- ١٣٦٧ نزهة الالباء في طبقات الابداء
- ١٣٦٧ معجم الأدباء
- ١٣٦٧ الفتح القسى في الفتح القدسى
- ١٣٦٨ وفيات الاعيان
- ١٣٦٨ الكاظمية في الرحلات
- ١٣٦٩ رحلة ابن جبير
- ١٣٦٩ الاشارات إلى معرفة الزيارات
- ١٣٦٩ رحلة ابن بطوطة
- ١٣٦٩ رحلة المنشىء البغدادي
- ١٣٦٩ رحلة اديب الملك سنة ١٢٧٣ هـ
- ١٣٦٩ رحلة ناصر الدين شاه سنة ١٢٨٧
- ١٣٧٠ رحلات عبد الوهاب عزام
- ٠ الكاظمية في الادلة و كتب الجغرافية دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥-١٩٣٦ ان عدد سكان [الكاظمية] الذين يسكنون المنازل، هم: ٤٧٧٩٥
- ١٣٧٠ الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦
- ١٣٧١ دليل تاريخى على مواطن الآثار فى العراق مرقد موسى الكاظم
- ١٣٧١ اطلس بغداد
- ١٣٧١ مدينة الكاظمية
- ١٣٧٢ المساحات و السكان
- ١٣٧٢ لمحات الكاظمية و ضواحيها
- ١٣٧٢ الدليل العام لتسجيل النفوس العام لسنة ١٩٥٧

- ١٣٧٢ دليل خارطة بغداد المفصل
- ١٣٧٤ الدليل الجغرافي العراقي
- ١٣٧٤ الموسوعة الإحصائية عن التقسيمات الادارية في الجمهورية العراقية
- ١٣٧٤ في تقويم العراق
- ١٣٧٥ جغرافية العراق الثانوية
- ١٣٧٥ العراق قديما و حديثا قضاء الكاظمة
- الكاظمة في المراجع الغربية كتبه و ترجمه من مختلف المصادر الغربية جعفر الخياط الحائز على درجة استاذ علوم M.S.C. من جامعة كليفورنيا و ما
- ١٣٧٦ اشارة
- ١٣٧٦ الكاظمة في المراجع الغربية
- ١٣٧٦ مقدمة
- ١٣٧٧ الكاظمة في بداية عهدها
- ١٣٧٩ الكاظمة فيما كتبه دونالدسون و ريشارد كوك
- ١٣٧٩ اشارة
- ١٣٨٠ [كيف كان الوضعية في زمان البويهيين في بغداد]
- ١٣٨٢ الكاظمة في عهد المغول
- ١٣٨٤ الأمام الكاظم
- ١٣٨٦ تعليقات على أقوال دونالدسون
- ١٣٨٦ اشارة
- ١٣٨٧ [شهادة الإمام موسى الكاظم (ع)]
- ١٣٨٨ الأمام الكاظم في كتاب هو ليستر
- ١٣٨٨ الأمام الجواد
- ١٣٨٨ اشارة
- ١٣٩٠ [مشكلات بين الامام الجواد (ع) و ام الفضل
- ١٣٩٢ الشاه اسماعيل و سليمان القانوني في الكاظمة

- ١٣٩٣ السلطان مراد فى الكاظمية
- ١٣٩٤ فى النصف الثانى من القرن السابع عشر
- ١٣٩٤ فى عهد نادر شاه
- ١٣٩٤ الرحالة نيپور فى الكاظمية
- ١٣٩٥ أواخر القرن الثامن عشر
- ١٣٩٥ النصف الأول من القرن التاسع عشر
- ١٣٩٦ فيلكس جونز فى الكاظمية
- ١٣٩٨ الكاظمية فى رحلة نايهولت
- ١٣٩٨ إصلاحات مدحت باشا فى الكاظمية
- ١٤٠٠ زيارة مدام ديولافوا
- ١٤٠٠ اشارة
- ١٤٠١ [ورود السر ارنست ألفرد و اليس الى بغداد]
- ١٤٠٣ نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين
- ١٤٠٣ إعلان الجهاد فى الكاظمية
- ١٤٠٤ انسحاب الأتراك من بغداد
- ١٤٠٥ السر رونالد ستورز فى الكاظمية
- ١٤٠٦ الكاظمية فى تقارير الحكام السياسيين
- ١٤٠٨ المس بيل فى الكاظمية
- ١٤١١ الحركة الوطنية فى الكاظمية
- ١٤١٣ بسم الله الرحمن الرحيم
- ١٤١٤ الكاظمية و الثورة العراقية
- ١٤١٥ الكاظمية و فيصل الأول
- ١٤١٦ المعارضة فى الكاظمية
- ١٤١٧ معارضة الكاظمية للمجلس التأسيسى

- ١٤١٩ ١٩٢٢٧ حدث
- ١٤١٩ صحفى أمريكى فى الكاظمية
- ١٤٢١ تقرير عن تقدم العراق ١٩٢٠ - ١٩٣١
- ١٤٢١ فرايا ستارك فى الكاظمية
- ١٤٢٤ فاجعة الكاظمية فى ١٩٣٥
- ١٤٢٤ بيان رسمى
- ١٤٢٥ حوادث الرميثة
- ١٤٢٤ الكاظمية فى حوادث ١٩٤١
- ١٤٢٤ بعد حوادث ١٩٤١
- ١٤٢٨ فهرست
- ١٤٣١ الجزء العاشر
- ١٤٣١ القسم الأول
- ١٤٣١ اشارة
- ١٤٣١ كلمة التصدير
- ١٤٣٢ السلك الناظم لدفناء مشهد الكاظم و هو فى سير دفناء المشهد الكاظمى من الأعيان القسم الأول
- ١٤٣٢ اشارة
- ١٤٣٢ دفناء المشهد الكاظمى الذين دفنوا فى الكاظمين بعد دفن الإمام
- ١٤٣٢ القرن الثانى الهجرى سنة ١٨٥
- ١٤٣٣ القرن الثالث الهجرى
- ١٤٣٣ سنة «٢٠٧» هـ
- ١٤٣٤ سنة «٢١٠» هـ
- ١٤٣٥ سنة ٢١٦ هـ
- ١٤٣٥ اشارة
- ١٤٣٦ إبراهيم المرتضى ابن موسى الكاظم - ع

- ١٤٣٦ موسى بن ابراهيم أبو سبحة
- ١٤٣٧ سنة ٢٥٣ هـ
- ١٤٣٨ سنة ٢٨٨ هـ
- ١٤٣٨ سنة ٢٩٧ هـ
- ١٤٣٨ سنة ٣٠٠ هـ
- ١٤٣٩ القرن الرابع الهجرى
- ١٤٣٩ سنة «٣٠٤» هـ
- ١٤٣٩ سنة ٣٠٥ هـ
- ١٤٣٩ سنة ٣١٧ هـ
- ١٤٣٩ سنة ٣١٧ هـ
- ١٤٤٠ سنة ٣٥٢ هـ
- ١٤٤٣ سنة ٣٥٢ أو بعد سنة «٣٦٠» هـ
- ١٤٤٤ سنة ٣٥٥ هـ
- ١٤٤٥ سنة ٣٦٢ هـ
- ١٤٤٦ سنة ٣٦٥ هـ
- ١٤٤٨ سنة ٣٦٨ هـ
- ١٤٤٩ سنة ٣٧٨ هـ
- ١٤٤٩ سنة ٣٩١ هـ
- ١٤٥٠ القرن الخامس الهجرى سنة ٤٠١ هـ
- ١٤٥٠ اشارة
- ١٤٥١ سنة ٤١٣ هـ
- ١٤٥٣ سنة ٤٢١ هـ
- ١٤٥٥ سنة ٤٢٧ هـ
- ١٤٥٥ سنة ٤٣٣ هـ

- ١٤٥٥ سنة ٤٣٥
- ١٤٥٦ سنة ٤٤١
- ١٤٥٧ سنة ٤٧٨ هـ
- ١٤٥٧ اشارة
- ١٤٥٨ المردوستى
- ١٤٥٩ سنة ٤٩٠
- ١٤٥٩ سنة ٥٠٠ هـ
- ١٤٦٠ القرن السادس الهجرى
- ١٤٦٠ سنة ٥٠٢ هـ
- ١٤٦٠ بعد سنة ٥٠٦ هـ
- ١٤٦٠ اشارة
- ١٤٦٠ أحمد بن على بن ناصر
- ١٤٦١ سنة ٥٠٧ هـ
- ١٤٦١ سنة ٥١٥ هـ
- ١٤٦٢ سنة ٥١٨ هـ
- ١٤٦٢ سنة ٥٣٧ هـ
- ١٤٦٢ اشارة
- ١٤٦٦ أبى الضوء العلوى
- ١٤٦٧ سنة ٥٤١ هـ
- ١٤٦٧ سنة ٥٤٤ هـ
- ١٤٦٨ سنة ٥٤٥ هـ
- ١٤٦٨ سنة ٥٤٧ هـ
- ١٤٦٨ سنة ٥٥٢ هـ
- ١٤٦٩ سنة ٥٨٨ هـ

- ١٤٧٣ سنة ٥٦١ هـ
- ١٤٧٣ سنة ٥٦١ هـ
- ١٤٧٣ سنة ٥٦٢ هـ
- ١٤٧٤ سنة «٥٦٨» هـ
- ١٤٧٧ سنة «٥٧١» هـ
- ١٤٧٧ سنة «٥٧٤» هـ
- ١٤٨٧ سنة «٥٧٥» هـ
- ١٤٨٧ سنة ٥٧٧ هـ
- ١٤٨٨ سنة «٥٨١» هـ
- ١٤٨٩ سنة «٥٨٩» هـ
- ١٤٩٠ سنة «٥٩٠» هـ
- ١٤٩٠ سنة «٥٩١» هـ
- ١٤٩١ سنة «٥٩١» هـ
- ١٤٩١ سنة «٥٩٢» هـ
- ١٤٩٢ سنة «٥٩٣» هـ
- ١٤٩٤ سنة «٥٩٤» هـ
- ١٥٠٠ سنة ٥٩٥ هـ
- ١٥٠٠ سنة «٥٩٦» هـ
- ١٥٠١ سنة «٥٩٧» هـ
- ١٥٠١ اشارة
- ١٥٠٢ أبو الفتح ظهير الدين
- ١٥٠٢ سنة «٥٩٨» هـ
- ١٥٠٢ اشارة
- ١٥٠٣ ابو البركات

- ١٥٠٤ ابن المبارك الكرخى
- ١٥٠٤ ابن ضامن الزبيرى
- ١٥٠٥ سنه «٥٩٩» هـ
- ١٥٠٥ اشارة
- ١٥٠٦ أبو البدر بن حيدر
- ١٥٠٦ سنه «٦٠٠» هـ
- ١٥٠٦ اشارة
- ١٥٠٧ ابن حبشى
- ١٥٠٧ أبو اسحاق التبريزى
- ١٥٠٧ القرن السابع الهجرى
- ١٥٠٧ سنه «٦٠١» هـ
- ١٥٠٧ اشارة
- ١٥٠٨ ابن عبدوس
- ١٥١٠ ابن أبى الحديد عبد اللطيف
- ١٥١٠ سنه «٦٠٢» هـ
- ١٥١١ اشارة
- ١٥١١ جارية مكين الدين
- ١٥١١ ابنة الأمير ارغش
- ١٥١١ سنه «٦٠٤» هـ
- ١٥١١ اشارة
- ١٥١٢ ابن الناقد
- ١٥١٣ ابن الصاحب
- ١٥١٣ ابن عمارة الكاتب
- ١٥١٤ أبو الحسن بن على الجرجانى

- ١٥١٤ سنه «٦٠٥»
- ١٥١٥ سنه «٦٠٧» هـ
- ١٥١٥ اشارة
- ١٥١٥ كمشتكين
- ١٥١٦ سنه «٦٠٨» هـ
- ١٥١٦ اشارة
- ١٥١٨ محمد بن يوسف النيسابورى
- ١٥١٩ سنه «٦٠٩» هـ
- ١٥٢٠ سنه «٦١٠» هـ
- ١٥٢٠ سنه «٦١١» هـ
- ١٥٢١ منتجب الدين
- ١٥٢٢ سنه «٦١٣» هـ
- ١٥٢٦ سنه «٦١٦» هـ
- ١٥٣٠ سنه «٦١٧» هـ
- ١٥٣٠ اشارة
- ١٥٣١ ابو الحسن نصير الدين
- ١٥٣٤ قيصر بن المظفر
- ١٥٣٤ سنه ٦١٨ هـ
- ١٥٣٤ اشارة
- ١٥٣٥ ابن حفنا
- ١٥٣٥ على ابن نما الحللى
- ١٥٣٦ سنه ٦٢٠ هـ
- ١٥٣٦ اشارة
- ١٥٣٧ ابن السبيع

- ١٥٣٧ سنه ٦٢١ هـ
- ١٥٣٨ سنه ٦٢٢ هـ
- ١٥٣٨ سنه ٦٢٣ هـ
- ١٥٣٨ اشارة
- ١٥٣٩ ابن المعوج
- ١٥٤٠ أحمد بن أبي المظفر
- ١٥٤٠ سنه ٦٢٤ هـ
- ١٥٤١ سنه ٦٢٥ هـ
- ١٥٤١ سنه ٦٢٦ هـ
- ١٥٤٨ سنه «٦٢٧» هـ
- ١٥٥٠ سنه «٦٢٩» هـ
- ١٥٥٠ اشارة
- ١٥٥٠ عبد الله بن قيصر
- ١٥٥٠ ابن الغبيري
- ١٥٥١ سنه ٦٣٠ هـ
- ١٥٥١ سنه ٦٣١ هـ
- ١٥٥٢ سنه ٦٣٤ هـ
- ١٥٥٢ سنه ٦٣٥ هـ
- ١٥٥٢ اشارة
- ١٥٥٢ ابنة بدر الدين
- ١٥٥٣ سنه ٦٣٧ هـ
- ١٥٥٥ سنه ٦٤٢ هـ
- ١٥٥٥ اشارة
- ١٥٥٦ أحمد ابن الناقد

١٥٥٩ سنه ٦٤٣ هـ

١٥٦٥ سنه ٦٤٧ هـ

١٥٦٧ سنه ٦٤٨ هـ

١٥٦٨ سنه ٦٥٠ هـ

١٥٧٠ سنه ٦٥١ هـ

١٥٧٠ سنه ٦٥٤ هـ

١٥٧١ سنه ٦٥٦ هـ

١٥٧١ اشارة

١٥٩٠ أدب ابن العلقمى

١٥٩٢ سنه ٦٦٣ هـ

١٥٩٢ سنه ٦٧٢ هـ

١٥٩٢ اشارة

١٦٠٣ عدد من المقبورين

١٦٠٣ سنه ٦٨٠ هـ

١٦٠٤ سنه ٦٨١ هـ

١٦٠٤ سنه ٦٨٥ هـ

١٦٠٥ سنه ٦٩٤ هـ

١٦٠٨ القرن الثامن الهجرى سنه ٧٠٢ هـ

١٦٠٨ اشارة

١٦٠٨ سنه ٧٤٩ هـ

١٦٠٩ الفهرس

١٦١٣ القسم الثانى

١٦١٤ موسوعه العتبات المقدسه قسم الكاظمين تأليف جعفر الخليلى منشورات مؤسسه الأعلمى للمطبوعات بيروت- لبنان. ص. ب ٧١٢٠

١٦١٤ اشارة

- ١٦١٤ مقدمة موجزة فى البدو و الحضارة و اسم الكاظمين و الكاظم كتبها جعفر الخليلى
- ١٦١٤ اشارة
- ١٦١٤ البدو و الحضارة
- ١٦١٤ اشارة
- ١٦١٥ البداوة غذاء الحضارة
- ١٦١٦ التكوين العام للمجتمع البدوى - ١
- ١٦١٦ اشارة
- ١٦١٧ الأسرة
- ١٦١٨ القبيلة
- ١٦١٨ المفاهيم القانونية التقاليد و العرف
- ١٦١٩ التنظيمات السياسية
- ١٦١٩ المجلس
- ١٦١٩ الرئيس
- ١٦١٩ الوضع الاجتماعى للبدو - ٢
- ١٦٢١ النشاط الاقتصادى للبدو - ٣
- ١٦٢٢ بدو العراق
- ١٦٢٤ الكاظمين او المشهد الكاظمى
- ١٦٢٤ اشارة
- ١٦٢٥ مقبرة الشهداء
- ١٦٢٦ مقابر قريش
- ١٦٢٨ الكاظمين
- ١٦٣٣ مدينة الكاظمين و تمصيرها
- ١٦٣٥ الكاظم و الكاظمين فى الشعر
- ١٦٣٥ الامام الكاظم (ع)

بيوتات الكاظمية كتبه الدكتور حسين على محفوظ دكتوراه الدولة و الاستاذ بكلية الآداب في جامعة بغداد حالا و المفتش الأختصاصى بوزارة التربية

اشارة ١٦٣٧

انساب المدن ١٦٣٧

البيوتات العلوية ١٦٣٨

١- الاسر الحسينية ١٦٣٨

٢- الاسر الحسينية ١٦٣٩

اشارة ١٦٣٩

نسب بيت الشهرستاني ١٦٤٠

٣- الاسر الموسوية ١٦٤١

البيوتات العلمية مرتبة حسب الحروف الهجائية ١٦٤٢

اشارة ١٦٤٢

بيت أبى الورد ١٦٤٢

بيت الأحمر ١٦٤٢

بيت الأخبارى ١٦٤٢

بيت الازرى ١٦٤٤

بيت أسد الله ١٦٤٤

بيت الأسدى ١٦٤٤

بيت الأصفهاني ١٦٤٥

بيت الأعرجى ١٦٤٥

بيت الأعسم ١٦٤٥

بيت البحرانى ١٦٤٥

بيت البغدادى ١٦٤٥

بيت البلاغى ١٦٤٥

بيت جرموگه ١٦٤٦

- ١٦٤٦ بيت الجزائرى
- ١٦٤٦ بيت الجصانى
- ١٦٤٦ الجوادات
- ١٦٤٦ بيت حجيجى
- ١٦٤٧ بيت الشيخ حسين
- ١٦٤٧ بيت الحسينى
- ١٦٤٧ بيت الحيدرى
- ١٦٤٧ بيت الخالصى
- ١٦٤٨ بيت الخراسانى
- ١٦٤٨ آل داود
- ١٦٤٨ بيت الرشقى
- ١٦٤٨ بيت السيد رضا العاملى
- ١٦٤٩ بيت السيد رضا على الهندى
- ١٦٤٩ بيت الزجانى
- ١٦٤٩ بيت الشيخ زين العابدين
- ١٦٤٩ بيت الزينى
- ١٦٤٩ بيت السببى
- ١٦٤٩ بيت السبزوارى
- ١٦٥٠ بيت السلماسى
- ١٦٥٠ بيت شتر
- ١٦٥٠ بيت شبيب
- ١٦٥٠ بيت شديد
- ١٦٥١ بيت الشريف العسكرى
- ١٦٥١ بيت شطيط

- ١٦٥١ بيت الشهرستاني
- ١٦٥١ بيت الصدر
- ١٦٥٢ بيت العاملى
- ١٦٥٢ بيت عبد الغفار
- ١٦٥٢ بيت عبد النبى
- ١٦٥٢ بيت عطيفة
- ١٦٥٢ بيت القابجى
- ١٦٥٢ بيت قنديل
- ١٦٥٣ بيت الكاشانى
- ١٦٥٣ بيت الحاج كاظم
- ١٦٥٣ بيت الكاظمى - ١
- ١٦٥٤ بيت الكاظمى - ٢
- ١٦٥٤ بيت كبه
- ١٦٥٤ بيت الكركى
- ١٦٥٤ بيت الكشوان
- ١٦٥٤ بيت محفوظ
- ١٦٥٤ بيت المحقق
- ١٦٥٤ بيت المراياتى
- ١٦٥٤ بيت معتوق
- ١٦٥٤ بيت مقصود
- ١٦٥٤ بيت المنشى
- ١٦٥٧ بيت نقدى
- ١٦٥٧ بيت نوح
- ١٦٥٧ بيت الهندى

- ١٦٥٧ بيت الهمداني
- ١٦٥٧ بيت ياسين
- ١٦٥٨ الخدام و السدنة مرتبة حسب الحروف الهجائية
- ١٦٥٨ اشارة
- ١٦٥٩ بيت السرکشک
- ١٦٦١ سدانة مرقد أبي يوسف
- ١٦٦١ البيوتات المعروفة مرتبة حسب الحروف الهجائية
- ١٦٦١ اشارة
- ١٦٦١ بيت أبو اللحم
- ١٦٦١ بيت الاسترآبادى
- ١٦٦٢ بيت الأسود
- ١٦٦٢ بيت أغاني
- ١٦٦٢ الأنباريين
- ١٦٦٢ بيت الانصارى
- ١٦٦٣ البحية
- ١٦٦٣ اشارة
- ١٦٦٣ (١) آل حمد:
- ١٦٦٣ (٢) آل حسين:
- ١٦٦٣ (٣) آل الجوخجى:
- ١٦٦٣ بيت البنا
- ١٦٦٣ بيت البير
- ١٦٦٤ بيت جشعم
- ١٦٦٤ بيت جلال
- ١٦٦٤ بيت الجواهرى

- ١٦٦٤ بيت الجيلاوى
- ١٦٦٤ بيت الجلبى
- ١٦٦٥ بيت الحجى
- ١٦٦٥ بيت الحداد
- ١٦٦٥ بيت الحربرى
- ١٦٦٥ بيت حسونه
- ١٦٦٥ بيت الحلبي
- ١٦٦٦ بيت حمودى
- ١٦٦٦ بيت الخليلى
- ١٦٦٦ بيت دارا
- ١٦٦٦ بيت الديسى
- ١٦٦٦ بيت دروش
- ١٦٦٦ بيت الدهوى
- ١٦٦٧ بيت رزوقى
- ١٦٦٧ بيت زينى
- ١٦٦٧ بيت سريع
- ١٦٦٧ بيت السعدى
- ١٦٦٧ بيت السعيد-١
- ١٦٦٧ بيت السعيد-٢
- ١٦٦٧ بيت السلطان
- ١٦٦٨ بيت سهيل
- ١٦٦٨ بيت شالچى موسى
- ١٦٦٨ بيت الشامى
- ١٦٦٨ بيت شكيب

- ١٦٦٨ بيت الشماع
- ١٦٦٩ بيت شندی
- ١٦٦٩ بيت الصراف
- ١٦٦٩ بيت الصفار
- ١٦٦٩ الحاج حسين الصراف
- ١٦٦٩ بيت صويلح
- ١٦٦٩ بيت العبد
- ١٦٦٩ بيت عبد الغنى
- ١٦٧٠ بيت الشيخ عبود
- ١٦٧٠ بيت عبده
- ١٦٧٠ بيت عسكر
- ١٦٧٠ بيت العطار - ٢
- ١٦٧٠ بيت العطار - ٣
- ١٦٧٠ بيت عطيه
- ١٦٧١ بيت العطية
- ١٦٧١ بيت العگلی
- ١٦٧١ بيت عيد
- ١٦٧١ بيت الحاج غانم
- ١٦٧١ بيت العجان
- ١٦٧١ بيت الغرباوى
- ١٦٧٢ بيت قادريه
- ١٦٧٢ بيت القشدار
- ١٦٧٢ بيت القصاب
- ١٦٧٢ بيت القطيفى

- ١٦٧٢ بيت الحاج قنبر
- ١٦٧٢ بيت الكاظمى فى الكويت -٣-
- ١٦٧٣ بيت الكاظمى فى الكويت
- ١٦٧٣ بيت الكاظمى فى البصرة -٤-
- ١٦٧٣ بيت الكاظمى -٥-
- ١٦٧٣ بيت مؤيد
- ١٦٧٣ بيت المتهدد
- ١٦٧٤ بيت المحلّاتى
- ١٦٧٤ بيت الحاج محمد
- ١٦٧٤ بيت المزين
- ١٦٧٤ بيت المشاط
- ١٦٧٤ بيت معطوش
- ١٦٧٤ بيت الملائكة
- ١٦٧٤ بيت الكظماوى فى قلعة سكر
- ١٦٧٥ بيت الكظماوى فى الديوانية
- ١٦٧٥ بيت كنعان
- ١٦٧٥ بيت گصيد
- ١٦٧٥ بيت غلاوى
- ١٦٧٥ بيت ليلو
- ١٦٧٥ بيت المنذرى
- ١٦٧٥ بيت المنشى
- ١٦٧٦ بيت الحاج مهدى
- ١٦٧٦ بيت موسى راضى
- ١٦٧٦ بيت مومن على

- ١٦٧٦ بيت النجار - ١
- ١٦٧٦ بيت النجار - ٢
- ١٦٧٦ بيت النداف
- ١٦٧٦ بيت النقيب
- ١٦٧٧ بيت النعلبند
- ١٦٧٧ بيت النعمه
- ١٦٧٧ بيت نگو
- ١٦٧٧ بيت التّواب
- ١٦٧٧ بيت هادی
- ١٦٧٧ بيت الهلالي
- ١٦٧٨ العشائر
- ١٦٧٨ بنو تميم
- ١٦٧٨ المصالحة
- ١٦٧٩ الطجاج
- ١٦٧٩ الخضيرات
- ١٦٧٩ الكوايد
- ١٦٨٠ الفهارس فهرس اسماء الاعلام و الأسر و البيوتات و القبائل
- ١٧٠٩ الفهرست
- ١٧١٦ هذه الموسوعة
- ١٧١٦ الجزء الحادي عشر
- ١٧١٦ اشارة
- ١٧١٧ خراسان قديما إمامة شاملة من أول يوم دخول خراسان التاريخ الى يوم مدفن الإمام الرضا (ع) كتبه جعفر الخليلي
- ١٧١٧ اشارة
- ١٧١٧ خراسان قديما

- ١٧١٨ مصادر التاريخ الإيراني و خراسان
- ١٧١٩ أهم مصادر العربية
- ١٧٢٠ كتاب الشاهنامه
- ١٧٢١ ايران و خراسان
- ١٧٢٢ اسم خراسان
- ١٧٢٢ طبيعة خراسان الجغرافية
- ١٧٢٣ أهمية خراسان في تاريخ الحضارة
- ١٧٢٧ أهم معالم الحضارة الخراسانية
- ١٧٢٧ الخط و الكتابة
- ١٧٢٨ الدين و العقيدة
- ١٧٢٩ الصابئية
- ١٧٣٠ البوذية
- ١٧٣١ الزردشتية
- ١٧٣٣ المانوية
- ١٧٣٣ و أديان أخرى
- ١٧٣٤ الاسلام
- ١٧٣٧ الجند و الحرب
- ١٧٤٠ العلم و الأدب
- ١٧٤٢ الغناء و الموسيقى
- ١٧٤٤ أفانين الصناعة
- ١٧٤٦ انتهاء الحكم الساساني في إيران
- ١٧٤٦ خراسان في عهد الخلفاء الراشدين
- ١٧٤٧ خراسان في عهد بني أمية
- ١٧٤٧ اشارة

- ١٧٤٧ أعمال بنى امية فى الخراسان
- ١٧٤٧ الحكم بن عمرو الغفارى
- ١٧٤٧ غالب الليثى - و خليف الحنفى
- ١٧٤٨ ربيع الحارثى - عبد الله بن الربيع
- ١٧٤٨ عبيد الله بن زياد
- ١٧٤٨ أسلم بن زرع
- ١٧٤٨ سعيد بن عثمان
- ١٧٤٨ عبد الرحمن بن زياد
- ١٧٤٩ سلم بن زياد
- ١٧٤٩ عبد الله بن خازم
- ١٧٤٩ بكير بن وشاح
- ١٧٤٩ أمية بن عبد الله بن أسيد
- ١٧٥٠ المهلب بن أبى صفرة
- ١٧٥٠ يزيد بن المهلب
- ١٧٥٠ قتيبة بن مسلم
- ١٧٥٠ عودة يزيد بن المهلب
- ١٧٥١ الجراح بن عبد الله
- ١٧٥١ عبد الرحمن القشبرى
- ١٧٥١ سعيد خذينة
- ١٧٥١ سعيد الحرشى
- ١٧٥١ مسلم بن سعيد
- ١٧٥٢ اسد بن عبد الله القسرى
- ١٧٥٢ أشرس بن عبد الله
- ١٧٥٢ الجنيد بن عبد الرحمن

- ١٧٥٢ عاصم بن عبد الله
- ١٧٥٢ أسد بن عبد الله
- ١٧٥٣ جعفر بن حنظلة- جديع الكرمانى
- ١٧٥٣ نصر بن سيار
- ١٧٥٤ العوامل التى قوضت حكم بنى أمية فى خراسان
- ١٧٥٤ اشارة
- ١٧٥٤ نماذج من الرشوة و الإثراء
- ١٧٥٧ نماذج من الظلم و القسوة
- ١٧٥٩ العصبية و الكبرياء
- ١٧٦٢ الدعوة العباسية
- ١٧٦٢ اشارة
- ١٧٦٥ عمال العباسيين فى خراسان
- ١٧٦٥ اشارة
- ١٧٦٧ ابو داود
- ١٧٦٧ عبد الجبار الازدى
- ١٧٦٧ المهدي
- ١٧٦٨ حميد بن قحطبة
- ١٧٦٨ ابو عون عبد الملك
- ١٧٦٩ معاذ بن مسلم
- ١٧٦٩ المسيب بن زهير
- ١٧٦٩ الفضل بن سليمان
- ١٧٦٩ جعفر بن محمد- العباس- الغطريف- حمزة
- ١٧٦٩ الفضل بن يحيى
- ١٧٧٠ منصور- جعفر بن يحيى- عيسى بن جعفر

- ١٧٧٠ المأمون
- ١٧٧١ على بن عيسى
- ١٧٧٣ هرثمة بن اعين
- ١٧٧٣ هارون في خراسان
- ١٧٧٤ خراسان و المأمون
- ١٧٧٧ معركة الرى
- ١٧٧٨ احتلال بغداد و قتل الامين
- ١٧٧٩ الحالة الاجتماعية و الرأى العام
- ١٧٨٢ بيعة الامام الرضا بولاية العهد
- ١٧٨٤ عهد المأمون للرضا بالخلافة من بعده
- ١٧٨٤ نص العهد
- ١٧٨٥ العهد الذى كتبه الامام على بن موسى الرضا
- ١٧٨٦ هياج العباسيين و خلع المأمون
- ١٧٨٧ توجه المأمون لبغداد
- ١٧٨٧ وفاة الامام الرضا
- ١٧٨٨ خراسان في عهد العباسيين الى حين وفاة الإمام الرضا
- ١٧٩١ خراسان في الشعر جمعه و نسقه حسب الحروف الهجائية فؤاد عباس
- ١٧٩١ اشارة
- ١٧٩١ خراسان في الشعر
- ١٧٩١ أسيد بن المتشمس المزى
- ١٧٩٢ اشجع السلمى
- ١٧٩٢ الأصمعى (عبد الملك بن قريب)
- ١٧٩٢ البحترى
- ١٧٩٣ البستى (ابو الفتاح)

- ١٧٩٣ ابو تمام
- ١٧٩٤ الشيخ جابر الكاظمى
- ١٧٩٤ آقا شيخ حسن هروى
- ١٧٩٥ السيد حيدر الحلّى
- ١٧٩٥ قصيدة سنائى الغزنوى
- ١٧٩٥ قصيدة دعبل الخزاعى
- ١٧٩٨ لدعبل بن على الخزاعى
- ١٨٠٠ ربعى بن عامر
- ١٨٠٠ أبو سعيد المخزومى
- ١٨٠٠ شاعر
- ١٨٠٠ الشريف الرضى
- ١٨٠١ ابو الشيص
- ١٨٠١ الصاحب بن عباد
- ١٨٠١ العباس بن الاحنف
- ١٨٠٢ عبد الباقي العمري
- ١٨٠٢ ؟؟؟ الجرجاني
- ١٨٠٢ مالك بن الريب
- ١٨٠٣ المأمون العباسى
- ١٨٠٣ محمد بن عبيد الله (سبط ابن التعاويذى)
- ١٨٠٣ السيد موسى الطالقانى
- ١٨٠٣ مشهد فى المصادر العربية كتبه الدكتور حسين على محفوظ
- ١٨٠٣ اشارة
- ١٨٠٤ مشهد فى التواريخ تاريخ مشهد خراسان سنة ١٣٠٠ هـ
- ١٨٠٤ أقوال المشاركة فى مشهد خراسان

- ١٨٠٤ أقوال المغاربة
- ١٨٠٥ ظهور المشهد و عمران المدينة
- ١٨٠٥ وصف المشهد
- ١٨٠٥ الكتابات في المشهد
- ١٨٠٦ الآثار و العمارات
- ١٨٠٦ دار الحفاظ
- ١٨٠٦ دار السيادة
- ١٨٠٧ قبة: الله يارخان
- ١٨٠٧ سائر الآثار
- ١٨٠٧ حوادث المشهد التاريخية
- ١٨٠٨ تاريخ طوس أو المشهد الرضوى سنة ١٣٤٦ هـ
- ١٨٠٨ طوس
- ١٨٠٩ جوامعها
- ١٨٠٩ مقابرها المشهورة
- ١٨٠٩ مدارسها العلمية القديمة
- ١٨١٠ صحفها
- ١٨١٠ اشهر ولاتها
- ١٨١٠ اشهر الحوادث التي حدثت في طوس
- ١٨١١ مشهد في الرحلات
- ١٨١١ الإشارات الى معرفة الزيارات
- ١٨١٢ رحلة ابن بطوطة
- ١٨١٢ رحلات عبد الوهاب عزام
- ١٨١٢ مدينة المشهد
- ١٨١٦ جولة في ربوع الشرق الأوسط

- ١٨١٧ ----- مدينة المشهد
- ١٨١٨ ----- المشهد الرضوى فى المراجع الغربيه كتبه و ترجمه من مختلف المصادر الغربيه جعفر الخياط
- ١٨١٨ ----- اشارة
- ١٨١٨ ----- مقدمه
- ١٨١٩ ----- الموقع و تاريخه
- ١٨٢٣ ----- المشهد فى كتابى لسترنج و سايكس
- ١٨٢٥ ----- وصف المشهد المقدس
- ١٨٢٧ ----- المشهد المقدس فى دائرة المعارف الإسلاميه
- ١٨٢٩ ----- موظفو المشهد المقدس و خدامه
- ١٨٣١ ----- ممتلكات المشهد الرضوى و وارداته
- ١٨٣٢ ----- مساجد المشهد و أماكن الزياره الأخرى
- ١٨٣٣ ----- المدارس الدينيه
- ١٨٣٤ ----- الإمام الرضا
- ١٨٤٣ ----- زوار المشهد الرضوى
- ١٨٤٤ ----- مدينة المشهد
- ١٨٤٥ ----- مقابر المشهد
- ١٨٤٥ ----- قصف الروس للمشهد الرضوى فى ١٩١٢
- ١٨٤٧ ----- المشهد بعد إعلان الدستور ١٩٠٩
- ١٨٤٨ ----- فهرست الكتاب
- ١٨٥١ ----- فهرست الاعلام
- ١٨٧٢ ----- الجزء الثانى عشر
- ١٨٧٢ ----- اشارة
- ١٨٧٢ ----- الجزء الأول من قسم سامراء
- ١٨٧٢ ----- اشارة

- ١٨٧٢ سامرا قديما
- ١٨٧٣ اشارة
- ١٨٧٤ الطيرهان
- ١٨٧٧ قدم السكن في سامرا
- ١٨٧٧ منطقة سامرا على عهد الساسانيين
- ١٨٨١ ديارات سامرا و القاطول الكسروي
- ١٨٨١ اشارة
- ١٨٨٥ دير سامرا
- ١٨٨٦ دير مرمارى
- ١٨٨٨ دير السوسى
- ١٨٨٩ دير باشهرا
- ١٨٨٩ دير عبدون
- ١٨٩١ دير صباعى
- ١٨٩٢ دير العذارى
- ١٨٩٣ دير العلث
- ١٨٩٥ عمر نصر
- ١٨٩٦ دير مرماجر جس
- ١٨٩٦ القادسية
- ١٩٠٢ سامراء في ظل الخلافة العباسية
- ١٩٠٢ اشارة
- ١٩٠٢ في أيام المعتصم
- ١٩٠٥ في أيام الواثق بالله
- ١٩٠٥ في أيام المتوكل
- ١٩٠٥ اشارة

- ١٩٠٩ عودة للوائق
- ١٩٠٩ عودة للمتوكل
- ١٩١٠ أيام المنتصر
- ١٩١٠ فى أيام المستعين بالله و المعتز
- ١٩١٣ فى أيام المهدي
- ١٩١٣ فى أيام المعتمد على الله
- ١٩١٤ فى أيام المعتمد
- ١٩١٧ سامرا فى الشعر
- ١٩١٧ اشارة
- ١٩١٧ أحمد بن أبى دؤاد
- ١٩١٧ السيد أحمد الموسوى
- ١٩١٧ الشيخ أحمد النحوى
- ١٩١٨ البحترى
- ١٩١٩ بديع الزمان الهمدانى
- ١٩١٩ أبو تمام
- ١٩١٩ جابر الكاظمى
- ١٩٢٠ السيد جعفر كمال الدين
- ١٩٢٠ الجواهرى
- ١٩٢٣ الحسين بن الضحاك
- ١٩٢٣ حيدر الحلّى
- ١٩٢٣ خالد الكاتب
- ١٩٢٤ دعبل بن على الخزاعى
- ١٩٢٤ سكن
- ١٩٢٤ شاعر

- ١٩٢٥ الشيخ عبد الحسين الحويزى
- ١٩٢٥ عبید الله بن أبى طاهر
- ١٩٢٥ الوزير الكاتب (أبو محمد بن سفيان)
- ١٩٢٥ السيد محمد على آل خير الدين
- ١٩٢٦ ابن المعتز
- ١٩٢٦ المنتصر العباسى
- ١٩٢٦ السيد موسى الطالقانى
- ١٩٢٧ سامراء فى المراجع العربية
- ١٩٢٧ اشارة
- ١٩٢٧ سامراء فى التواريخ
- ١٩٢٧ الجامع المختصر سنة ٦٠٢ هـ
- ١٩٢٧ الحوادث الجامعة سنة ٦٤٠ هـ
- ١٩٢٨ دوحه الوزراء سنة ١٢١٠ هـ
- ١٩٢٨ تاريخ العراق بين احتلالين سنة ٩٦١ هـ
- ١٩٢٩ الحقائق الناصعة فى الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ و نتائجها
- ١٩٢٩ و شايع السراء فى شأن سامراء
- ١٩٣١ كبار الحوادث:
- ١٩٣١ مقابر المشاهير:
- ١٩٣٢ مآثر الكبراء فى تاريخ سامراء سنة ١٣١٨ هـ المسألة الدخانية
- ١٩٣٢ كتاب السيد جمال الدين الأفغانى لسيدنا الإمام الكبير الشيرازى رحمه الله
- ١٩٣٥ المسألة الدخانية التى طار صيتها فى الآفاق
- ١٩٤٢ العراق قديما و حديثا
- ١٩٤٢ قضاء سامراء
- ١٩٤٤ سامراء فى الموسوعات و المراجع العامة

- ١٩٤٤ وفيات الأعيان
- ١٩٤٤ أخبار الدول و آثار الأول
- ١٩٤٤ أحسن الوديعه
- ١٩٤٤ أعيان الشيعة
- ١٩٤٥ تاريخ الشيعة
- ١٩٤٦ سامراء في الأدلة و الجغرافيا
- ١٩٤٦ الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦
- ١٩٤٦ أطلال سامراء
- ١٩٤٦ دليل تاريخي على مواطن الآثار في العراق سامراء اليوم
- ١٩٤٦ الروضة العسكرية و سرداب الغيبة
- ١٩٤٧ الدليل العام لتسجيل النفوس العام لسنة ١٩٥٧ العشائر المتوطنة
- ١٩٤٧ اشارة
- ١٩٤٧ الأحياء:
- ١٩٤٨ الدليل الجغرافي العراقي سامراء
- ١٩٤٨ الأماكن المقدسة في العراق
- ١٩٤٨ جغرافية العراق
- ١٩٤٩ سامراء في الرحلات رحلة ابن جبير
- ١٩٤٩ الاشارات الي معرفة الزيارات
- ١٩٤٩ رحلة ابن بطوطة
- ١٩٤٩ نزهة الجليس و منية الأديب الأنيس
- ١٩٥٠ رحلة المنشيء البغدادي
- ١٩٥٠ رحلات عبد الوهاب عزام يوم سامراء ..
- ١٩٥١ سامرا في المراجع الغربية
- ١٩٥١ اشارة

- ١٩٥٢ الأسم و الموقع
- ١٩٥٤ بناء سامراء
- ١٩٥٧ بناء سامراء فى كتاب سيتون لويد
- ١٩٦٠ فن العمارة فى سامراء
- ١٩٦١ الجوسق الخاقانى
- ١٩٦٣ الجامع الكبير فى سامراء
- ١٩٦٥ الأسس الفنية لعمارة الجامع الكبير
- ١٩٦٥ جامع أبى دلف
- ١٩٦٧ دور سامراء
- ١٩٦٧ القبة الصليبية و مدافن الخلفاء
- ١٩٦٨ الزخرف السامرائى
- ١٩٦٩ عمارة سامراء فى دائرة المعارف الاسلاميه
- ١٩٧٢ الفنون الاسلاميه فى سامراء
- ١٩٧٧ خلفاء سامراء
- ١٩٨١ ما كتبه السرجون غلوب عن خلفاء سامراء
- ١٩٨٣ الروضة العسكريه المطهرة
- ١٩٨٥ سامراء فى كتاب دونالدسون
- ١٩٨٦ الأمام الهادى عليه السلام
- ١٩٨٩ الحسن العسكري عليه السلام
- ١٩٩١ الأمام المهدي المنتظر
- ١٩٩٥ وكلاء الإمام صاحب الزمان
- ١٩٩٥ اشارة
- ١٩٩٧ بعد عودة الخلافة الى بغداد
- ١٩٩٨ سامراء فى القرن التاسع عشر

- ١٩٩٨ اشارة
- ٢٠٠٠ رحلة جونز
- ٢٠٠٢ رحلة جون أشر
- ٢٠٠٣ الرحالة نيجهولت
- ٢٠٠٥ السر والس بيج
- ٢٠٠٦ المس غير تروديبل في سامراء
- ٢٠٠٨ سامراء في الحرب العالمية الأولى
- ٢٠٠٨ اشارة
- ٢٠٠٩ احتلال سامراء
- ٢٠١١ سامراء بعد الاحتلال
- ٢٠١٢ موظفو الانكليز في سامراء
- ٢٠١٣ فرايا ستارك في سامراء
- ٢٠١٤ سامراء في حوادث ١٩٤٠
- ٢٠١٥ نبذ متفرقة عن سامراء
- ٢٠١٧ الفهرست
- ٢٠٢١ تعريف مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

موسوعة العتبات المقدسة

إشارة

- سرشناسه: خليلي، جعفر، ۱۹۰۴ - م.
 عنوان و نام پديد آور: موسوعه العتبات المقدسه / تاليف جعفر الخليلي.
 مشخصات نشر: بيروت: موسسه الاعلمي للمطبوعات، ۱۴ق = ۱۳-
 مشخصات ظاهري: ج: مصور، عكس.
 يادداشت: عربي.
 يادداشت: فهرستنويسی بر اساس جلد ششم، قسمت اول: ۱۹۸۷م = ۱۴۰۷ق = [۱۳۶۶].
 يادداشت: چاپ دوم.
 يادداشت: ج. ۱ (چاپ اول: ۱۳۸۷ق. = ۱۹۶۷م. = ۱۳۴۶).
 يادداشت: ناشر جلد يکم کتاب حاضر دارالتعارف می باشد.
 يادداشت: کتابنامه.
 مندرجات: ج. ۱. قسم کاظمين. - ج. ۶. ق. ۱، قسم النجف. - ج. ۷. ق. ۲، قسم النجف
 موضوع: زيارتگاههای اسلامي -- تاريخ
 موضوع: زيارتگاههای اسلامي -- عراق
 رده بندي کنگره: DS۷۹/۹ / ۸خ ۱۳۰۰
 رده بندي ديويي: ۹۵۶/۷۵
 شماره کتابشناسی ملی: ۱۲۵۹۱۵

الجزء الأول

إشارة

- موسوعة العتبات المقدسة المدخل - ۱
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ۱، ص: ۳
 المدخل الى موسوعة العتبات المقدسة
 ألفها و جمع بين بحوثها و علق عليها
 جعفر الخليلي
 منشورات مؤسسه الاعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان ص. ب. ۷۱۲
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ۱، ص: ۴
 جميع الحقوق محفوظة و مسجلة الطبعة الثانية ۱۴۰۷ هـ - ۱۹۸۷ م
 مؤسسه الاعلمي للمطبوعات:
 بيروت - شارع المطار. قرب كتيبة الهندسة. ملك الاعلمي - ص. ب: ۷۱۲۰

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة العتبات المقدسة الموسوعة العربية

إشارة

الموسوعة إصطلاح حديث أطلق على البحوث المستفيضة الواسعة تقابلها كلمة (الأنسكلوبيديا) و هي كلمة يونانية تعنى مجموعة العلوم و الفنون و قد عزّبت باسم (دائرة المعارف)، و اسم الموسوعة أعم و أكثر شمولاً من اسم دائرة المعارف، سواء كانت الموسوعة أوسع في حقيقتها مدى من (المعاجم) و من (دوائر المعارف) أم أقل منها إحاطةً بالمواد و المواضيع، فكل دائرة معارف، و كل معجم، موسوعة في الاصطلاح، و لكن ليس كل موسوعة- عند الكثيرين- معجماً أو دائرة للمعارف، و الفرق بين الموسوعة، و المعجم، أو دائرة المعارف، فيما جرى عليه الاصطلاح الحديث هو أن نظام التأليف في المعجم و في دائرة المعارف قائم على الحروف الهجائية، مبتدئاً بحرف الألف و منتهياً بحرف الياء، كمعاجم الرجال، و معاجم المواد، و دوائر معارف العلوم و الفنون و الآداب و معاجم اللغة.

أما الموسوعة فلا تلتزم بحوثها بأى نظام في طريقة التأليف غير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٦

نظام المواضيع التي تفرض سليقة المؤلف و ذوقه و مقتضيات بحثه تقديم أى موضوع منها أو تأخيره في العرض، على أن تكون واسعة الغرض، كثيرة الاحاطة، ليكون اطلاق اسم (الموسوعة) المصطلح عليها مطابقاً للواقع، و هنالك نوع من الموسوعات ما يسمى (بالتذكرة) و قد دأب العلماء العرب و غيرهم من الذين شملهم اسم (المسلمين) على تأليف هذا النوع من الموسوعات يجمعون فيها جمهرة من العلوم كتذكرة (الصفدي) و تذكرة (ابن حمدون).

أول دائرة معارف في التاريخ

هنالك اختلاف في أول دائرة معارف كتبت في التاريخ و قد ذهب أكثر المؤرخين على أن (سيوسبيوس) اليوناني و هو ابن أخ أفلاطون و تلميذه كان أول من قام بجمع البحوث العامة و وضع الانسكلوبيديا، و لكن هذه المجموعة من الانسكلوبيديا قد فقدت، و يرى البعض: ان مجموعة (ستوبينوس) (وسويداس) و (كابلا) سنة ٤٨٠ م هي من أهم الموسوعات التي كتبت في ذلك الزمان، و هناك من يورد اسم الموسوعة الصينية المسماة (كوكين سى فون لوى تسي) تأليف (شوهوفو) سنة ٢٤٦ ضمن الموضوعات العامة القديمة و مهما كان من أمر تلك الموسوعات و قيمتها العلمية و قدمها فان (غايوس بلينوس) pliny المسمى بالكبير (٢٣- ٧٩ م) هو أول كاتب موسوعي في التاريخ، كان رومانيا ولد في ايطالية الشمالية و مضى الى روما صغيراً و مارس المحاماة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٧

حقبة من الزمن ثم حارب في المانية و اسبانية و بلاد الغال. فقد زار افريقية و شغل ببعض المناصب الادارية ثم كان قائدا للأسطول في أحد الموانئ البحرية حين استعر بر كان فيزوف فمات حرقاً بشواظ ناره، و لقد أهلتها تلك الحبة المتشعبة النواحي، الغنية بالتجارب و الرحلات، لوضع موسوعته «التاريخ الطبيعي» التي رفعها الى الامبراطور تيطش (تيتوس)، و هي في ٣٧ كتاباً. و يتناول الكتاب الأول المقدمة و الفهارس و المراجع، و الثانى وصف الأرض، و الشمس، و القمر، و الكواكب، و النجوم، و الثالث الى السادس فى الجغرافية، و السابع الى الحادى عشر فى علم الحيوان، و الثانى عشر الى التاسع عشر فى النبات، و العشرون الى السابع و العشرين فى

الطب النباتي، و الثامن و العشرون الى الثاني و الثلاثين فى سائر الأدوية. أما الكتب الباقية فتبحث فى المعادن ثم النحت و التصوير و البناء الخ .

و على أن أول دائرة معارف شاملة فى (التأريخ الطبيعى) المذكور الذى تناول كتابه كل العلوم المعروفة فى العالم القديم و المحتوى على نحو ٢٥٠٠ فصل فان صفة الموسوعية قد لازمت الكتب العربية الاسلامية قبل ان تلازم أية مجموعة من الكتب عند أية أمه من الأمم، و ذلك منذ صدر التأريخ الاسلامى و منذ القرون الهجرية الاولى أى منذ تصدى الكتاب و المؤلفون لتتبع السيرة النبوية و جمع أخبار الصحابة و الغزوات الاسلامية و الفتوحات و ما كان يحدث و يقع، و ما كان يهتم المسلم من دينه و أصوله و شرح الآيات القرآنية و القصص التى تخص الأنبياء مما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٨

أوردها القرآن الكريم على سبيل المثل و الاستشهاد، و منذ ان كانت الحياة تتطلب من المثقف المسلم و غير المسلم من العرب و المستعربين، من الوزير و الكاتب و الحاجب و الرسول و الشاعر و الأديب الإحاطة و الإلمام على قدر الامكان بأمر الدين و تأريخ الأمم و أخبار المدن و القبائل و العادات و الاخلاق، و الشعر و الأدب و الفنون العامة، و ما يقتضيه العصر مما يقع تحت النظر، كان لا بد أن يتطرق الكثير من الكتب العربية الى كثير من هذه الأغراض باتساع أو ايجاز سدا للحاجة، و تنويرا للأذهان التى حث الاسلام فى كثير من المناسبات على مثل هذه الثقافة و المعرفة و فضل أهل العلم على الزهاد و النساك و العباد، و تطلبت الشريعة و مقتضيات الحياة أن يعدّ الحكام و الامراء و القضاة انفسهم لذلك إعدادا وافية و لهذا قالوا بأفضلية القادة و الامراء و الحكام و اعتبروا الخلفاء و الائمة أفضل من الرعية، و عامة الحكام أفضل من المحكوم عليهم، لانهم أفقه فى الدين، و اقوم بالحقوق، و أردّ على المسلمين، و عملهم بهذا افضل من عبادة العباد، و لان نفع اولئك لا يعدو قمع رؤوسهم، و نفع هؤلاء يخص و يعم، و العبادة لا تدله، و لا تورث البله الا لمن آثر الوحدة، و ترك معاملته الناس و مجالسة أهل المعرفة، فمن هناك صاروا بلها، حتى صار لا يجيء من أعبدهم حاكم و لا امام، و ما احسن ما قال ايوب السختياني حيث يقول:

«فى اصحابى من أرجو دعوته و لا اقبل شهادته، فاذا لم يجز فى الشهادة كان من أن يكون حاكما أبعد».

و عاجز الرأى مضىاع لفرصته حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٩

— صبغة الموسوعية العربية —

و كلما خطا الإسلام خطوة و تغلغل بين الأقاليم و اتسعت رقعته، اشتدت الحاجة الى ثقافة اوسع و احاطة أكثر بما انصب فى الأقطار الاسلامية من فنون و علوم و معارف فانسعت رقعة التأليف على نمط الموسوعية و تعددت مواضع الكتب، و تنوعت أهداف الثقافة و اغراضها و اشتدت الحاجة الى التزود بالعلوم و المعارف و الآداب جملة حتى صارت الموسوعية صبغة ثابتة لأمهات الكتب العربية و الاسلامية، لذلك فضلا عن كونها من أقدم الموسوعات فى تأريخ الثقافة العامة فهى اكثر الموسوعات العالمية شمولاً لمختلف المواضيع من دين و علم و حكمة و أدب و تأريخ و فن، و حتى الكتب العربية الخاصة المؤلفة لغرض الاختصاص قلّ منها من لم يصطبغ بصبغة الموسوعية العامة، فكتاب الأغاني مثلا لم يقتصر على الأغنية و مغنيها، و انما هو موسوعة تاريخية عامة أحاطت بالكثير من أخبار العرب و الفرس و الرومان فى سياق الحديث، و هو موسوعة أدبية شاملة استعرضت الشعر العربى و نثره و تراجم الشعراء و الخطباء و الكتاب و الحكام و الأمراء و القادة فى أغلب ادوارهم التاريخية و الأدبية و الفنية، ثم هو بعد ذلك كتاب حكمة و أمثال و أخلاق لما حوى من القصص و الافكار و الشواهد.

و لقد رأينا هنا ان نعرض بإيجاز تأريخ الموسوعة العربية الاسلامية و طبيعتها و استعراض المؤلفين الذين اتصفت مؤلفاتهم بصفة

الموسوعية فكان لها و لهم قيمة كبيرة في تأريخ الثقافة العامة التي خدمت البشرية جمعاء خدمة مشهودة كبيرة معتمدين في هذا الاستعراض الموجز الشامل على الدكتور حسين مؤنس مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد. و على موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٠

المصادر التاريخية، و الموسوعات العربية و الأجنبية. و الدراسات المستفيضة الخاصة الواردة في الصحف و المجالات

نشأة الموسوعية

«نشأ الفكر العربي في العصور الوسطى موسوعياً، نشأ على أيدي رجال فتح الاسلام لهم أبواب العلم و المعرفة، و بسط الأرض أمامهم ليضربوا في مناكبها، و يتوسعوا في العلم بالأرض و ما عليها عن طريق المشاهدة و التجربة، و وضع في أيديهم تراث الماضين ليتمثلوه و يضيفوا خلاصته الى ثروة الفكر العربي الاسلامي الناهض ثم ينشئوا من ذلك كله أدبا و علما زاهرين يتناولان كل ما يرقى بالانسان و يوسع أفقه و يهذب خلقه، و يزيد حظه من الرقي و الرخاء.

هؤلاء الرجال هم الذين أرسوا أسس الفكر العربي بجهدهم الدؤوب المخلص خلال القرن الهجري الثاني (الثامن الميلادي) و هم الذين طوروا مفهوم الادب من معنى التهذيب و السير على التقليد الخلقى الحميد الى معنى المعرفة الانسانية الواسعة «و الإلمام من كل شيء بطرف» كما قال عميد الموسوعيين خلال العصر الاول من تأريخنا الفكري ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (توفي ٢٥٥ هـ ٨٦٩ م).

و خلال القرن الهجري الثاني كانت المعرفة في نظر طلابها كلا واحدا لا يتجزأ يشمل علوم الدين و الدنيا، و يعتبر الكون كله مجالاً للبحث و التفكير و التأليف، و كان على طالب الثقافة ان يحفظ القرآن و يحيط بمعانيه، و يلم بما تيسر له من الحديث و يحفظ ما تيسر له من شعر الجاهليين و المعاصرين، و يتمكن من اللغة و تأريخ العرب و ايامهم و علومهم الاولى كالطب الطبيعي و النبات، و الانواء و القيافة و ما الى ذلك.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١١

ابن المقفع و التراث الهندي الفارسي

و جاء ابن المقفع (توفي ١٤٣ هـ ٧٦٠ م) فوسع الألق و أضاف الى ثروة العرب شيئاً عظيماً من تراث الهند و فارس، و نقل الى العربية كتباً مثل (خدای نامه) أي كتاب السادة، و كليله و دمنه.

فأما الأول فقد دخل تراثنا تحت اسم (سير ملوك العجم) و اتاح للناس الفرصة للاطلاع على جانب من تأريخ البشر قبل الاسلام، و وضع بين أيدي طلاب التأريخ نموذجاً أفادوا منه في تطوير فكرة التأليف التاريخي.

و أما الثاني - كليله و دمنه - فكان نموذجاً جميلاً للقصص الرفيع ذي المغزى البعيد، و ثروة من الحكمة و تجارب البشر تلقاها الفكر العربي في أجمل صورة و أكملها .

و فتح ابن المقفع للناس بكتابه (الصحابه) أبواب التفكير السياسي، و دعاهم الى التفكير الموضوعي في شؤون الدول و الحكومات و الشعوب و السلاطين، هذا الى ما تضمنته كتبه الأخرى مثل (الدره اليتيمه) و (الأدب الصغير) من حكم و تأملات يعجب الانسان من صدورها عن شاب قام بذلك العمل كله قبل ان يبلغ السادسة و الثلاثين من عمره.

الجيل الاول من الموسوعيين

في هذا الطريق الواسع سارت الأجيال التالية لجيل ابن المقفع، واطلعت رجالا ملأوا القرن الهجري الثالث كله علما وادبا، وقد تميز اولئك الرجال

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٢

قبل كل شيء بالموسوعية في الاتجاه و الشمول في العلم، قرأوا متوسعين في كل فن، و كتبوا أكثرين في كل باب من ابواب المعرفة. فهشام بن محمد بن السائب الكلبى (توفى ٢٠٤ هـ أو ٢٠٦ هـ أو ٨١٩ هـ أو ٨٢١ م) كتب في علوم القرآن و السيرة النبوية و الشعر و عجائب البحر و الأصنام و التأريخ العام، بل له كتاب يسمى (منطق الطير).

و أبو عبيدة معمر بن المثنى (توفى ٢١٠ هـ ٨٢٥ م) كتب فيما يقول ابن النديم مائة كتاب و خمسة كتب تتناول كل موضوع تقريبا. و الأصمعي عبد الملك بن قريب بن قيس (توفى ٢١٤ هـ ٨٢٩ م) ألف بضعة و أربعين كتابا في الشعر و اللغة و الطب و النبات. و ابو زيد سعيد بن اوس الأنصاري (توفى ٢١٥ هـ ٨٣٠ م) كتب قريبا من هذا العدد من المؤلفات في كل علوم العصر المعروفة، و من مؤلفاته واحد عن المطر و آخر عن اللبن.

و ابو عبيد القاسم بن سلام (توفى ٢٢٣ هـ ٨٣٨ م) ألف في علوم الاسلام و اللغة و التأريخ و الشؤون المالية، و كتابه (الأموال) آية في التنسيق و العمق و حسن الفهم و الدقة، و كتابه الآخر المسمى (الغريب المصنف) أشبه بموسوعة تكلم فيها عن الانسان و الطعام و الشراب و الأبنية، و المراكب، و السلاح، و الطير، و الحشرات، و النار، و الشمس و القمر و ما الى ذلك، و قد أنفق في تأليفه أربعين سنة فلا غرابة ان أصبح من غرر الكتب في المكتبة العربية الى اليوم.

هؤلاء جميعا كانوا يقرأون في كل موضوع ايضا، كان يدفعهم الى العمل ذلك النهم الى المعرفة الذى يميز الأمم الحية من غيرها من الأمم، و موسوعيتهم كانت مظهرا من مظاهر السيادة العربية، لان العلم فى ذاته سيادة، و طلبه عزة، و على طول التأريخ كانت الأمم العالمة هى الأمم السائدة، و لم يجتمع فى التأريخ ابدا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٣

علم و ذل

و لكن موسوعية هذا الجيل كانت موسوعية اتجاه لا منهج، أى ان اولئك الرجال كانوا يقرأون دون نظام، و يكتبون دون نظام ايضا، و هم يتقلدون فى الفقرة الواحدة من علوم القرآن الى الشعر الجاهلى الى النبات الى الحيوان الى الفلك، و قارئهم يتعب اذا طلب عندهم موضوعا بعينه.

و لكنهم مهدوا الطريق للطبقة الاولى من الموسوعيين المنهجيين فى تأريخنا و أعمدها خمسة من الاعلام، يعتبر كل واحد منهم دائرة معارف قائمة بذاتها.

١- قدامة بن جعفر الكاتب

أول هؤلاء قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب (٢٣٧ هـ ٨٥١ م) و هو أول عربى ألف كتابا شاملا لكل المعارف التى يحتاج اليها المشتغل بالكتابة الديوانية و الانشائية، و قد أطلق على كتابه الجامع هذا اسم (الخراج) و المراد به الشؤون المالية للدولة، و هى عصب الادارة و عماد الخلافة، و قد بقيت لنا من موسوعيته تلك قطع تدل على علم مستبحر، واحدة فى الخراج بالذات، و ثانية عن نقد النثر، و ثالثة عن نقد الشعر، و هناك قطع أخرى لا تزال مخطوطة تنتظر من يخرج بها الى النور.

٢- ابو عثمان الجاحظ

و ثانی هؤلاء أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ توفى (٢٥٥ هـ ٨٦٩ م) أمير هذا الطراز من الموسوعيين في تأريخنا، فقد كان يكتب بنفس المستوى من الاجادة و العمق و الشمول و خفة الظل في العقائد، و علوم الاسلام، و الادب، و التأريخ الطبيعي، و الطب، و الاجناس، و الحيوان، و اخلاق البشر، و هو مسهب متدفق، طويل النفس، يصوغ ما يكتب في اسلوب سهل ممتنع، و يخاطب موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٤

عقل القارىء و يناقش معه الموضوعات و الآراء في غير أثقال او ادعاء أو تكلف، و من الاسف ان الجاحظية لم تجد من يرثها و يسير بها في الطريق الذي كان كفيلا بأن يخرج بالفكر العربي من العصور الوسطى الى العصور الحديثة.

٣- ابن قتيبة الدينوري

و ثالثهم ابو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة توفى (٢٧٦ هـ ٨٧٩ م) و هو يكاد يضاهاى الجاحظ في سعة العلم، و حرية الفكر، و كثرة التأليف، و تنوع الكتب، و هو يشبهه ايضا في ان معظم كتبه الرئيسية سلم من عبث الايام و وصل الينا، و كتابه (أدب الكاتب) خزانه علم و أدب لو فسرت و بوبت لكانت دائرة معارف، أما كتابه (عيون الاخبار) فنموذج جميل من كتب الادب بمعناه الواسع عن العرب و هو معنى يقابل ما نسميه نحن اليوم بالادب او الانسانيات .

٤- أبو حنيفة الدينوري

و رابعهم أبو حنيفة احمد بن داود الدينوري توفى (٢٨٢ هـ ٨٩٥ م) و قد الف في النحو و اللغة و التأريخ و الهندسة و الحساب، و لا يزال كتاباه الرئيسيان (الأخبار الطوال) و (الامامة و السياسة) من معضلات التواليف في مكتبتنا العربية، لان الخلاف طويل حول أصول مادتهما و نسبة بعض فصولهما اليه .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٥

٥- ابو العباس المبرد

و خامسهم أبو العباس محمد بن يزيد المبرد توفى (٢٨٥ هـ ٨٩٨ م) و كتابه (الكامل) موسوعة لعلوم العرب الى أيامه، تتناول كل فن من أدب الى تاريخ الى لغة الى دين الى طب، و هو يتنقل بقارئه من فن الى فن على طريقة كانت تعجب الاقدمين و لكنها تجهد الباحث الحديث، فقد كانوا يرون أن الاستطراد من موضوع لموضوع يعين القارىء على القراءة، و يبعد عن نفسه الملل، أما نحن فترى فيه تقسيما لوحدة الفكرة و الموضوع.

و يلحق بهذه الطبقة من الموسوعيين اثنان من أهل القرن الرابع الهجرى هما أبو احمد بن محمد بن عبد ربّه توفى (٣٢٨ هـ ٩٤٠ م)، و أبو الفرج على بن الحسين الاصفهاني توفى (٣٥٦ هـ ٩٦٧ م) و الاول مشهور بكتابه المسمى (العقد الفريد) و هو من اجمع الكتب عن العرب و انسابهم و شعرهم و نثرهم و علومهم، و تلمح فيه محاولة جادة لترتيب المادة الواسعة و تبويبها، و الثاني مشهور بكتابه الاغانى، و هو دائرة معارف في الادب و التأريخ خاصة.

الموسوعية عنوان الثقافة

و هؤلاء الموسوعيون هم الذين أعطوا الفكر العربي طابعه الموسوعى الانسانى الذى أصبح من مميزاته الرئيسية، و نحن لم نذكر منهم هنا إلا أكابره الذين حددوا مستوى الثقافة الذى كان لزاما على كل من يطمح الى مكان محترم فى المجتمع ان يصل اليه أو يقترب

منه على الاقل، فبينما كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٦

شرلمان اكبر أباطرة الغرب في العصور الوسطى لا يعرف من الكتابة الا رسم اسمه، كان المجتمع العربي لا يرضى عن حاكم بلد صغير الا اذا كان على حظ طيب من المعرفة بالتاريخ والشعر والنثر وعلوم الدين والطب والحكمة واحوال الدنيا، وقد يكون الرجل قائدا عظيما، او خليفه واسع السلطان، أو اميرا عظيم الولاية، او تاجرا ذا مال عريض، ولكن المجتمع لم يكن يعترف بمكانه الا اذا تحلى بالثقافة الواسعة، وقرأ شيئا من الكتب التي أشرنا اليها، وجالس أهل العلم والادب وشاركهم الحديث وطارحهم الشعر، لان (الادب) أى الثقافة الانسانية الواسعة كان شرطا من شروط الظهور والرياسة فى ذلك العالم العربى المثقف .

ضعف الاتجاه الموسوعى بعد القرن الرابع

و نحن عندما نقول ان الفكر العربى أخذ فى الاضمحلال بعد القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) لا-نعنى بذلك ان البحث و التأليف فى هذا العلم او ذاك قد توقف و انقطع، و انما معناه ان الفكر فقد طابعه الموسوعى، و اقتصر كل باحث او عالم على علمه و فنه، ذلك لان التأليف الجيد فى شتى العلوم لم يتوقف خلال تاريخنا كله حتى خلال العصر التركى لم يتوقف العلماء عن البحث و الدرس و التأليف، و لكن الذى يلاحظ بعد القرن الرابع هو هبوط الهمم عن القراءة الواسعة و التأليف الواسع أى التخلّى عن الموسوعىة و لكل ثقافة من الثقافات طابعها المميز و عنصرها الدافع المحرك، و بالنسبة للثقافة العربية كانت الموسوعىة هى روحها و طابعها المميز و قوتها الدافعة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٧

الفرق بين الطبرى و ابن اياس

و نوضح هذه الناحية بمثال:

نحن نقول ان أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى توفى (٣١٠ هـ ٩٢٢ م) عميد مؤرخينا قبل ابن خلدون، و ان البون شاسع بينه و بين رجل مثل محمد بن احمد بن ايامس توفى (حوالى ٩٣٢ هـ ١٥٢٨ م) مع ان ابن ايامس مؤرخ ممتاز متقن لفنه، و كتابه (بدائع الزهور) من الا-صول التى لا-يستغنى عنها باحث فى تاريخ دول الاسلام، و هو من حيث الطول و الاتساع لا يقل عن تاريخ (الرسل و الملوك) للطبرى، و لكن الطبرى لم يكن مجرد مؤرخ، انما كان بحرا من العلم، و قد كتب قبل ان يكتب التأريخ تفسيره المشهور، و هو دائرة معارف تجمع كل علم و فن، فما نمر فيه بتفسير آية كريمة الا وجدناه يفيض فى الشرح و التفسير غير مغادر لمحة تاريخية أو أدبية او علمية الا ذكرها.

اما ابن ايامس فمؤرخ فحسب، و هو يسرد الحوادث دون ان يدل على اتساع وافق او تبحر علم او نظر الى ما وراء ما يكتب، و الفرق بينه و بين الطبرى هى الموسوعىة و الشمول، و هما فى حساب الثقافة العربية المقياس الحقيقى لعلم العالم، و هى الميزة التى تميز العالم العربى عن غيره.

فالطبرى مؤرخ من مورخى عصر الازدهار لانه موسوعى، و ابن ايامس من رجال الاضمحلال لانه غير موسوعى، و الطبرى وحده يعدل فى تاريخنا الفكرى كل مورخى القرن السادس الهجرى من أمثال بهاء الدين بن شراد المتوفى (٦٣٢ هـ ١٢٣٥ م) و ابن ظاهر الاسدى المتوفى (٦١٢ هـ ١٢١٥ م) و سبط ابن الجوزى المتوفى (٦٥٤ هـ ١٢٥٦ م) و شهاب الدين ابى شامه المتوفى (٦٦٥ هـ ١٢٦٧ م) و هو اكبر مورخى القرن السادس تنقصه الموسوعىة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٨

و يفترق عنده اتساع الافق و شمول الثقافة الذى يميز قادة العصور فى تاريخنا. و قد ظل تقليد الموسوعىة قائما على طول تاريخنا و لكن عدد الموسوعيين قل فى عصور الاضمحلال و القليلون الذين ظهوروا منهم خلال القرن الرابع و ما بعده هم الذين ساروا فى طريق الجاحظىة من التوسع فى العلم و الاحاطة بكل فن مضمينه كتابا يضم اطرافا من علمهم الواسع.

المسعودى

ففى القرن الرابع حمل لواء الموسوعىة على ابن الحسين بن على المسعودى المتوفى (٣٤٤ هـ ٩٥٧ م) و هو رجل وعى صدره من العلم ما يدهش له قارئه، فهو مورخ رحالة جغرافى متمكن من الرياضيات و الفلك، راوية للقصاص، حافظ للشعر و النثر، و هو يكتب فى اسلوب جزل جميل يعود بالذهن الى فحولة الجاحظ و ملكته فى النقد و الملاحظة، و هو مثل الجاحظ متوسع فى التأليف، و كتبه مترابطة الموضوعات يكمل بعضها بعضا، و هو فى كل كتاب منها يحيل على ما قاله فى كتبه السابقة او يقول انه سيستوفيه فى كتاب لاحق.

ابن مسكويه

و فى النصف الاول من القرن الخامس نجد أبا على الخارف احمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه المتوفى (٤٢١ هـ ١٠٣٠ م) و هو مورخ فيلسوف حكيم رياضى كيمائى و اديب كاتب شاعر، و كان معاصرا لابي حيان التوحيدى و امتاز عليه باتساع مدى العلم و النظرة الانسانية للامور،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٩

و كتابه (تجارب الامم) من احسن ما كتب فى العربية فى تاريخ الدنيا، و له فيه آراء و ملاحظات تصل به الى مستوى ابن خلدون كمؤرخ للحضارة البشرية و مفلسف للتاريخ، و الى مكانه كفيلسوف حكيم عارف بطباع البشر و اصول الحكمة، تتجلى موهبته فى كتاب (تهذيب الاخلاق و تعطير الاعراق) و هو يقوم على اساس كتاب فارسى يسمى (جاويدان خرد) اى الحكمة الخالدة .

الكندى و الفارابى و ابن سينا

و هذا يصدق على الظاهرين فى بقية ميادين النشاط الفكرى الاسلامى، فالكندى، و الفارابى، و ابن سينا، يتربعون على عرش الفلسفة بسبب تنوع معارفهم و عمقها و شمولها و توسيع مجال الفلسفة حتى تشمل العلوم الانسانية كلها، و ابن سينا بالذات جعل كتابه (الشفاء) دائرة معارف كاملة.

المتنبى و البيرونى

و فى ميدان الشعر يعتبر ابو الطيب المتنبى عميد شعراء العربية لا بالشعر وحده، فان الكثير من شعرائنا يضاھونه فى الشاعرية و لكن أبا الطيب كان موسوعة حافلة، و قارئه يعجب باتساع علمه كما يبهره شعره.

و فى ميدان الرياضيات و الفلك يحتل ابو الريحان البيرونى مكان الصدارة لانه- الى جانب تمكنه من الرياضيات- اديب فيلسوف ضم صدره التراث

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٠

لفكرى الاسلامى كله و أتقن الى جانب ذلك الفارسية و الارديية و اللاتينية و اليونانية و فى كتابه (الآثار الباقية) دلائل على ذلك

كله.

غرض الموسوعية الاكبر

و معنى ذلك ان الموسوعية اصبحت من ايام الجاحظ هي مقياس اهل العلم في تأريخنا، فلا يكفى لكى يكون الرجل علما من اعلام ذلك التأريخ ان يكون متمكنا من فنه الذى تخصص فيه، بل لا بد ان يلم من كل شىء بطرف. و لا يتصور الانسان مقدار الجهد الذى كان اولئك الرجال يبذلونه للمحافظة على تقليد الموسوعية فقد كان عليهم ان يحفظوا الوفا بعد الوفا من الصفحات التى يحتاج استيعابها الى الوفا بعد الوفا من الساعات، فعلاوة على ما لا بد منه من القرآن الكريم و الحديث الشريف، كان عليهم ان يدرسوا اربعة على الاقل من كتب الادب الكبرى و هى: ادب الكاتب لابن قتيبة، و الكامل للمبرد، و الاغانى لابي الفرج الاصفهاني، و العقد الفريد لابن عبد ربه، و تاريخنا من تواريخ الاسلام (كارسل و الملووك) للطبرى، و السيرة لنبوية لابن اسحق، و دواوين كبار الشعراء الى ايامهم، و كتابا على الاقل فى كل علم و فن الى جانب تخصصهم. و هذا الذى ذكرناه كله كان جانبا من محفوظ رجال مثل و ياقوت بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢١

عبد الله الحموى المتوفى (٦٢٤ هـ ١٢٢٩ م) و جمال الدين بن واصل المتوفى (٦٩٧ هـ ١٢٩٨ م) و ابي الفداء اسماعيل بن محمود بن المظفر المتوفى (٧٣٢ هـ ١٣٣٢ م) و شمس الدين الذهبى المتوفى (٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م) و اسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى (٧٧٤ هـ ١٣٧٢ م)، و لسان الدين بن الخطيب المتوفى (٧٧٤ هـ ١٣٧٤ م) و عبد الرحمن بن خلدون المتوفى (٨٠٨ هـ ١٤٠٦ م) و تقى الدين المقرئى المتوفى (٨٤٥ هـ ١٤٤١ م) و شمس الدين السخاوى المتوفى (٩٠٢ هـ ١٤٩٦ م) و غيرهم ممن يعتبرون عمدا تأريخنا الفكرى. و هؤلاء الرجال لم يكونوا يتكلفون هذا الجهد لمطالب العيش، فان العيش لا يكسب بحفظ المجلدات و افناء العمر فى الدفاتر، و انما يكسب بالتجارة و عن طريق وظائف الدولة، و لا يعلل اجتهاد اولئك الرجال إلا بأنهم كانوا يشعرون انهم بعملهم هذا يحافظون على كيان أمة و روح شعب و تقاليد حضارة، و الانسان لا يبذل الجهد العظيم الا اذا كان دافعه اليه مثل أعلى و أعظم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٢

السيوطى

و نضرب لذلك مثلا بالسيوطى، و لا شك ان هذا الحافظ العظيم هو الذى حرّك رجلا مثل جلال الدين السيوطى المتوفى (٩١١ هـ ١٥٠٥ م) الى أن يضطلع وحده بتأليف مجموعة من الكتب يعد كل منها دائرة معارف قائمة بذاتها: واحدة فى علوم الدين، و اخرى فى التاريخ، و ثالثة فى علوم اللغة و ما الى ذلك.

عاش جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٦٢ سنة هجرية ألف خلالها نحو ٣٥٠ كتابا بقى لنا منها ٣١٥، فلو قسمنا كتبه على سنين حياته من مولده الى وفاته لخص كل منها ٦ كتب، و لو فرضنا انه بدأ التأليف فى سن الخامسة و العشرين لكان نصيب كل سنة ١٠ كتب. و معظم كتب السيوطى كأنها مواد لدوائر المعارف موبة، منقبة، مختصرة قدر الامكان، فله كتاب طبقات الحافظ - أى تراجمهم - و هى مرتبة فى طبقات على حسب العصور، و كتاب طبقات المفسرين، و كتاب طبقات النحويين و اللغويين، و له كتاب غاية فى الاختصار و الفائدة فى تاريخ الخلفاء، و اذا أردت ان تأخذ فكرة عن الطريقة المنهجية الموسوعية التى سار عليها فى التأليف فأنظر كتابه (المزهر فى علوم اللغة) و هو فى رأى الدارسين أوفى و اشمل ما لدينا من علوم لغتنا، و كذلك كتابه (الاتقان فى علوم القرآن) و ما اظن ان انسانا استطاع ان يكتب أحسن من هذا فى موضوع شاسع مثل علوم القرآن.

و لم يكتف السيوطى بهذا كله، بل أراد ان يكتب دائرة معارف مختصرة كهذه التى نسميها نحن اليوم دائرة معارف (ديسك

انسايكلوبيديا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٣

فوضع كتابا سماه (الأصول المهمة في علوم جمعة) و يسمى ايضا (النقابة) و هو يضم الضرورى من المعلومات عن ١٤ علما منها التفسير و اصول الدين و التشريح و البديع و البيان، و المعاني، و الطب و التصوف و الحديث و أصول الفقه. و إذن فالسيوطى رجل جعل نفسه جامعة كاملة و دار تأليف و نشر، و عاش عمره كله يقرأ و يدرس و يبوب و يرتب و يكتب. و قد خلف تراثا لا تقوم بمثله جماعات من الرجال.

الموسوعية تخصص و فن

و فى مصر المملوكية اصبحت الموسوعية فنا و منهجا و موضوع تخصص و ظهرت فى ذلك العهد الموسوعات الكبرى التى يعتر بها تاريخنا الفكرى و هى (نهاية الأرب) للنويرى و (مسالك الأبصار) للعمري، و (صبح الأعشى) للقلقشندى. و هذه الموسوعات الثلاث الكبرى تتشابه فى الفكرة و الهدف و ربما اختلفت فى المناهج التى قامت عليها، فأما من حيث الفكرة فهما شبيهان بما تقوم عليه أى دائرة معارف فى عصرنا هذا، و هو جمع المعلومات كلها فى كتاب واحد و ترتيبها على احد أساسين: اساس المواد فترتب على حروف المعجم، أو اساس الموضوعات فترتب على النحو الذى يراه المؤلف.

و قد اختلفت المناهج التى سار عليها المؤلفون الثلاثة بعضها عن بعض، و لكن الحصيلة واحدة تقريبا، و لكل واحدة منهم ميزة على الاثنين الاخرين، فالنويرى أكثر اسهابا فى التاريخ، و العمري طويل النفس فى الأدب، و واسع المعلومات فى الجغرافيا و العلوم، و القلقشندى أوسع الثلاثة علما بشؤون الدولة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٤

و نظامها و تاريخ نظمها و ادارتها و اختصاص كل منها و مراتب العاملين فيها و نظم الجيوش و الاساطيل و أنواع السلاح و ملابس الضباط و الجنود و صنوف المراكب الحربية و النقود و الموازين و المكاييل و ما الى ذلك. و لا يتسع هنا المجال لتحليل مواد هذه الموسوعات الكبرى فذلك بحث قائم بنفسه، ثم ان اثنتين منهما، هما (نهاية الأرب) و (صبح الاعشى) قد طبع معظمهما، و نرجو ان يأذن الله بالفراغ منهما، أما الثالثة (مسالك الابصار) فكانت اجزاؤها متفرقة فى مكاتب الدنيا حتى قبض الله لها شيخ العروبة أحمد زكى باشا طيب الله ثراه فبذل جهدا مضنيا حتى جمع أجزاءها فى دار الكتب المصرية و هى راقدة هناك باجزائها التى تربو على الخمسين تنتظر من يكمل العمل الذى قام به ذلك العلامة الجليل فقد نشر منها جزءا واحدا تناول الزمن عليه و هش ورقه حتى اصبح لا يحتمل التصفح، و احمد زكى هو آخر من سار على تقليد الموسوعية من اهل الفكر عندنا، و لا غرابة ان سماه الناس بشيخ العروبة.

كان الثلاثة شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى المتوفى (٧٣٢ هـ ١٣٣٢ م) و شهاب الدين احمد بن فضل الله يحيى العمري المتوفى (٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م) و شهاب الدين احمد بن على بن احمد القلقشندى المتوفى (٨٢١ هـ ١٤١٨ م) من موظفى الدولة المملوكية، و قد ألفوا موسوعاتهم لخدمة امثالهم من الموظفين و الكتاب و لكن قارئهم يشعر ان هذا لا يمكن ان يكون دافعا كافيا للجهد الذى بذله كل منهم، فان رجلا كالنويرى يكتب فى التاريخ وحده نحو ثمانية مجلدات فى نحو ١٢٠٠ صفحة من القطع الكبيرة لا يمكن ان يكون قد أضنى نفسه على هذا النحو لمجرد ان يضع بين ايدي الموظفين كتابا يرجعون اليه، انما هو عالم متبحر جمع فأوفى، و شعر ان تراث العرب فى حاجة الى من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٥

يحفظه، و ان واجبه ان يقوم بذلك، و من هنا فأنت تشعر و انت تقرأ أى مجلد من مجلدات موسوعته بأنه عالم تخصص فى هذا العلم

الذى يدور عليه المجلد وحده، وكذلك تشعر و انت تتصفح مجلدات العمرى عن الجغرافية و الادب، و القلقشندى فى نظم الدولة المملوكية، و هم جميعا يكتبون فى أسلوب عربى رصين جميل لا يعرف تلاعب السجع و لا اضعاء الوقت فى محسنات البديع، شأن العلماء الجادين الجديرين بهذا الوصف .

و مثل هذا يقال فى أعظم معجمين فى لغتنا: (لسان العرب) لآبى الفضل محمد بن مكرم على الافريقى المصرى المعروف بابن منظور المتوفى (٧١١ هـ ١٣١١ م)، و (تاج العروس) لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق المعروف بالمرتضى الزبيدى المتوفى (١٢٠٥ هـ ١٧٩٠ م) فهما فى الحق دائرتا معارف اضطلع بتأليف كل منهم رجل واحد، و لكن اطلع على مادة واحدة فى كل منهما لتشعر بمقدار الجهد الذى بذل فى وصفها، و سبحان من يسر لرجل واحد ان يضطلع وحده بما تحار فيه المجامع و اللجان.

رسائل أخوان الصفا

و لا بد فى هذا المجال من كلمة عن (رسائل اخوان الصفاء) انها دائرة معارف من طراز فريد فى بابها فى تأريخ الثقافة البشرية، الفتها جماعة من الاصدقاء، كلهم فلاسفة يدينون برأى واحد فى تفسير الكون و حقيقته و ظواهره، و العقائد و اصولها، و ما الى هذه من مسائل الفلسفة التى شغلت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٦

اذهان الناس فى العصور الوسطى.

كانوا جماعة سرية لم يفصحوا عن اسمائهم او عن حقيقة اتجاههم، و اكتفوا بأن سموا انفسهم (اخوان الصفاء و خلان الوفاء) و قد عاشوا خلال النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى، و الغالب انهم فرغوا من رسائلهم سنة ٣٧٣ هجرية ٩٨٣ ميلادية، و واضح من رسائلهم انهم كانوا شيعة اسماعيلية، و ان هدفهم من تحرير هذه الرسائل هو الدعوة لمذهبهم هذا عن طريق العلم و الفلسفة.

و يبلغ عدد الرسائل احدى و خمسين كلها مكتوبة بطريقة واحدة تقوم على التأويل و الرمز تتناول الكلام عن الموت و غاية النفس فى الحياة الدنيا، و العقل، و النور و الظلمة، و الجوهر و العرض، و تحديد العالم، و مكان الانسان فيه، و النفس، و القوة الالهية، و البعث و القيامة، و الحكمة، و الفلسفة و الخالق سبحانه، و العقل و اركانه، و ما الى ذلك ما مسائل الفلسفة و الالهييات.

انها دائرة معارف فلسفية لا تزال الى الآن مشكلة من مشاكل تأريخ الفلسفة عندنا، و لكنها على أى حال أول دائرة معارف فلسفية ظهرت فى التاريخ، و مهما يكن الرأى فى نظريات اصحابها فهى شىء طريف فى مكتبتنا العربية، و هى مظهر من مظاهر الموسوعية فى ثقافتنا».

و للدكتور مصطفى جواد ثمانية استدراقات على اشهر اسماء الموسوعيين و اشهر الموسوعات العربية المتقدمة نثبها هنا إتماما للفائدة و هى:

١- تذكرة ابن حمدون محمد بن الحسن من رجال القرن السادس للهجرة و هى أوسع موسوعة أدبية فى أكثر من خمسين بابا من ابواب الادب، و منها أجزاء فى خزائن كتب (استانبول) كالمكتبة البازيدية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٧

٢- كتاب الفنون لعلى بن عقيل البغدادى المتوفى سنة ٥١٣ و هو فى اربعمائة مجلد و منه مجلد فى دار الكتب الوطنية بباريس، و آخر فى المكتبة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية.

٣- و من كتاب الموسوعية الكبار الثعالبى عبد الملك مؤلف (اليتيمة) و (فقه اللغة) و عشرات الكتب الاخرى فى جميع العلوم تقريبا، و قد توفى سنة ٤٢٨ هجرية.

٤- و مفاتيح العلوم للخوارزمى من أهل القرن الرابع للهجرة، و هو دائرة معارف على الاسلوب الموسوعى الكامل.

- ٥- شرح المقامة الخطيبية لابن الزبير على بن الحسن الغساني في العلوم حتى الموسيقى، منها نسخة بمكتبة الاوقاف ببغداد أرقامها ٩٦٠٦ و نسخة أخرى في مكتبة البلدية بالاسكندرية.
- ٦- و من كبار علماء الموسوعية نصير الدين الطوسي و هو مؤسس أول أكاديمية اسلامية في (مراغه) و ان كانت على عهد الملك هولكو التري.
- ٧- و كتاب (شمس العلوم) لنشوان الحميري، و هو دائرة معارف بل موسوعة على الحقيقة.
- ٨- و كتاب ألف باء البكوى على ذلك الطراز ايضا.

الموسوعة الأوروبية

إشارة

و في الوقت الذي كانت الحركة الفكرية في أوج نشاطها في الاقطار الاسلامية و كانت الموسوعية تطغى على عدد كبير من المؤلفات العربية كانت الاقطار الأوروبية يسودها الخمول بسبب فقدان الامن و الاطمئنان على رغم النشاط الكنسي في علوم اللاهوت و الفلسفة و العلوم الاغريقية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٨

و في خلال القرن الثاني عشر انصب في اوربا نهر عظيم من المعرفة الجديدة مصطحبا معه ثورة فكرية مستمدة من العرب الذين كان المسيحيون يتصلون بهم في صقلية و اسبانيا ثم اتسعت مجارى هذا النهر مما خلفته الحروب الصليبية بين القرن الحادى عشر الميلادى و القرن الثالث عشر فكان لهذا الاتصال- اتصال الغرب بالشرق أثره العميق في بعث الحركة الفكرية في اوربا.

و استقرت اوربا بعض الشيء و اصبح اقتصاد المدن الأوروبية و الريف قادرا نوعا ما على إعالة الناس الذين يهبون انفسهم للحياة الفكرية و بدأ الافق الثقافى لاروبا يتفتح عن نهضة مشرقة فشهد القرنان الثاني عشر و الثالث عشر الميلادى تأسيس اول جامعة، فقد تأسست جامعة او كسفورد في سنة ١٢٠٠ ميلادية و تأسست جامعة كمبرج بعدها بقليل، و ما كاد ينتهى القرن الثالث عشر حتى اصبح في اوربا اللاتينية اثنتا عشرة جامعة .

و حين تم اكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ زاد أفق اوربا العلمى اتساعا و كثر عدد الجامعات في المدن الأوروبية و كثر التآليف و تنوعت المواد التي تناولها العلماء و المكتشفون و الفلكيون بالبحث و الدراسة فزادت الحاجة الى الموسوعية اكثر و اكثر، و اصبحت الاحاطة و الالمامة بالمعرفة العامة من مستلزمات العصر فضلا عن شدة الاحساس بالحاجة الى مصادر يعول عليها و يستعان بها على فهم المواضيع و كنه الحياة العامة فكان من نتائج ذلك ان اتجهت انظار المفكرين الى الموسوعية في تأليفهم و الاهتمام بها يوما بعد يوم حتى تم تأليف (الجمعية الملكية في لندن) سنة ١٦٦٢ و حتى تم تأليف (أكاديمية العلوم الفرنسية) سنة ١٦٦٦ حيث بدأ طبع الدوريات العلمية فتيسر التبادل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٩

السريع بين الاراء فطبعت الكتب الواسعة و المقالات في مختلف العلوم و الفنون لا في العلوم الطبيعية و الرياضيات فحسب بل في فن معرفة الكتابات القديمة و علم المسكوكات القديمة، و علم التقاويم، و تأريخ القانون، و القانون الطبيعى اذ لم تكن اعمال العلماء يومذاك تخضع لمبدأ التخصص، فقد شعر الجميع بوجوب مساهمتهم في جميع جهات العلم و المعرفة .

دائرة المعارف البريطانية (أنسكلويدا برتانيكا)

و تعددت المعاجم و الموسوعات العلمية و التاريخية الأوروبية بنسبة تقدم العالم و كثرت المراجع الواسعة في العصور الحديثة، و لكن اول معجم عام للفنون و العلوم المرتب على الحروف الهجائية لم يصدر قبل (دائرة المعارف البريطانية) و لعل هذه الموسوعة من أشهر و اكمل الموسوعات العالمية، و ستحتفل بعد سنوات ثلاث بمرور مائتي سنة على طبعتها الاولى. فلقد صدرت تلك الطبعة في كانون الأول ١٧٤٨ على شكل كراريس ثمن كل منها ٦ بنسات (٢٤) فلما تم استمرت على الصدور منذ ذلك الحين في اتساع يتناسب مع تقدم العلم، و توسع المعرفة، و انتشار الثقافة، و ازدهار الآداب و الفنون. و قد اصبحت طبعاتها في القرن الاخير دولية يسهم في كتابه مباحثها أدباء و علماء من مختلف الاقطار، كل في موضوع اختصاصه.

و جدير بالذكر ان الطبعة الاولى لدائرة المعارف البريطانية صدرت في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٠

(أدبره) و كملت في سنة ١٧٧١ في ٣ أجزاء، أما الطبعة الاخير فتألف من ٢٤ جزءا ضخما فضلا عن الملاحق السنوية الضخمة التي تتضمن إضافات تاريخية و علمية و ثقافية و احصائية لكل عام.

دائرة المعارف الفرنسية (الانسكلويديا)

و تعتبر هذه الموسوعة من أهم المشاريع الثقافية و لا سيما من ناحية تحرير الأفكار و التمهيد للثورة الفرنسية. و قد عهد بالاشراف عليها الى المفكر الفرنسي دنيس ديدرو (١٧١٣-١٧٨٤). و قد قام ديدرو بتجنيد نخبة من رجال الفكر و الأدب في فرنسا لكتابة البحوث المختلفة و في مقدمتهم فولتير، و روسو، و دالمبرت. و في هذه الاثناء سجن ديدرو لكتابته «رسالة في العميان». لكن الجزء الاول من دائرة المعارف صدر في تموز ١٧٥١ و عقبه الجزء الثاني بعد ستة اشهر. لكن قرارا صدر فوراً بحجز الجزئين لمسهما بسلطة الملك و الدين و مع ذلك طبعت الاجزاء الأخرى، ثم قررت الحكومة وقف الطبع سنة ١٧٥٩ و الجزء الثامن آنذاك رهين المطبعة، و استمر طبع سائر الأجزاء بعد ذلك بين منع الحكومة و تشجيع عدد من كبار رجال الحكم انفسهم، حتى ان رئيس المحكمة التي قررت مصادرة مسودات الطبع أبلغ الناشرين سلفاً بالقرار و نصحهم باخفاء المسودات لديه (لان الشرطه لن يخطر ببالها البحث عنها هناك).

و أخيراً أنجز طبع أجزاء دائرة المعارف الكبرى لكن نسخها حجزت بأمر الملك. و مضت سنوات حتى جرت مناقشة في قصر الملك ذات مساء حول المواد التي يصنع منها البارود. و قالت (مدام دي بومبادور) صديقة الملك انها لا تعلم كيف تصنع جواربها الحرير و لا أحمر الشفاه الذي تستعمله في زينتها. فقال احد النبلاء الحاضرين ان من الامور المؤسفة حجز دائرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣١

المعارف التي تتضمن الاجوبة الصحيحة لكل تلك الاسئلة. فقال الملك انه ابلغ ان ذلك المؤلف مضر جداً، لكنه أمر يجلب الواحد و العشرين جزءاً للانسكلويديا حيث وجد ضيوفه كل المعلومات التي يتوقون الى معرفتها. و صدر الامر الملكي على الاثر برفع الحجز و السماح بتداول دائرة المعارف الممنوعة .

الانسكلويديا الاميركية

و في أواخر القرن الثامن عشر صدرت نحو ٢٣ او ٢٧ دائرة معارف انكليزية اميركية، و من اهم و اوسع دوائر المعارف الاميركية المنسوبة «لا يلتون» التي صدرت في سنة ١٨٧٣-١٨٧٦ في طبعة أنيقة مزودة بالصور، و غير هذه الانسكلويديا الاميركية صدر بعد ذلك و لم يزل يصدر في اميركا عدد غير قليل في مختلف المواضيع العامة سواء ما يقتصر منها على اميركا وحدها او ما يشمل العالم

كله فى مواضع معينة او مواضع عامة .
و كانت آخر دائرة معارف اميركية عامه حديثه هى التى صدرت فى هذه السنة.

الانسكلوبيديا الالمانية

و تعتبر الأنسكلوبيديا الألمانية من أسهل دوائر المعارف و اكثرها تنسيقا و تيسيرا للمطالعة و هى المسماة (ارش و غروير) و قد أنيط اخراجها و تكملتها ب (و ختر) و بنفقة (بروكهس) و صدرت فى ٦ مجلدات بين سنة ١٧٩٦ و ١٨١٠ و طبعت فى (ليبيك) و (آمستردام) ثم طبعت بعد ذلك عدة
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٢
طبعت و ترجمت الى عدة لغات اوروبية، و يرجحها الكثير من حيث اسلوبها و سهولة مراجعتها على الكثير من دوائر المعارف الاخرى، و أول مؤلف لهذه الأنسكلوبيديا هو (لويل) و قد أتمسها (بروكهوس) و انتهت طبعتها الاخيرة فى ١٥ مجلدا مطوعا ب (ليبيك) سنة ١٨٦٤-١٨٦٨ و قد ألحقت بها مستدركات و تمت فى سنة ١٨٧٢-١٨٧٣ و لا تزال اليوم و هى من اهم دوائر المعارف العالمية .

الانسكلوبيديا الايطالية

و اشهر دائرة معارف ايطالية عامه هى دائرة المعارف المسماة (بيفاتى) و يذهب البعض الى انها اقدم دوائر المعارف الاوروبية، ثم دائرة المعارف الايطالية التى بدأ طبعها سنة ١٨٨٤.

الانسكلوبيديا اليابانية و الصينية

و يقول المؤرخون ان الصين قد سبقت اوروبا فى تأليف الموسوعات فلبابانيين و الصينيين عدد من دوائر المعارف و لكن أهم هذه الدوائر هى الانسكلوبيديا المعروفة ب (ينغ لوتاتين) و هى من أوسع دوائر المعارف احاطة، و قد اسهم فى تأليفها ٢٢٠٠ كاتب، و الى سنة ١٤٠٧ كان مجموع مجلداتها ٨٩٢ مجلدا و فى القرن السابع كانت هنالك عدة موسوعات قد صدرت باللغة الصينية أما الانسكلوبيديا الصينية المعروفة ب (سان تسان تو فهى) فتقع فى ١٣٠ مجلدا، و قد قسمت العالم و قوى الكائنات الى ثلاثة اقسام، هى موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٣
السماء، و الأرض، و الانسان، و بحثت كل موضوع منها بحثا موسوعيا شاملا.
و فى اوائل القرن التاسع عشر ترجمت هذه الموسوعة الى اللغة اليابانية .
و لم يدخل القرن التاسع عشر و القرن العشرون حتى تكاثر عدد المعاجم و الموسوعات العالمية و تنوعت اغراضها فى العلوم العامة، و التأريخ العام، و التراجم و الفنون و الآداب و الاصطلاحات العلمية و قد سدت هذه الموسوعات الى جانب الموسوعة البريطانية و الفرنسية كل الفراغ فى حاجة الدنيا العامة و لا سيما الموسوعات الاميركية و لا يزال المتتبعون و المؤلفون الموسوعيون يستدركون بين آن و آخر كل ما كان قد فاتهم او كل حدث جديد فى دنيا العلم و الفن و الأدب فيضيفونه الى تلك المعاجم.

فتور الموسوعة العربية

و فى الوقت الذى بزغ فجر النهضة الاروبية بسبب زوال العوارض و بسبب الاكتشافات العلمية و التأريخية و ما كان لتماس الشعوب

الاوروبية بالشعوب العربية و الحضارة الاسلامية من اثر، اصاب الاقطار الاسلامية شىء من الفتور نتيجة اكتساح المغول للبلدان الاسلامية مما ادى الى انقسام الشعوب و تضعف اركان الاستقرار و اختلال احوال الامم الاسلامية اكثر مما كان مألوفاً فعرا البلدان العربية الاسلامية ما كان قد عرا الاقطار الاوروبية قبل بزوغ شمس الحضارة و قبل القرن العاشر الميلادى لا سيما ايام الحكم العثمانى و بعد القرن الخامس عشر الميلادى، فعلى رغم فتور حركة الموسوعية فى التأليف فقد كان يعوز تلك الموسوعات الصادرة بعد هذا التأريخ المعرفة العامة و الاحاطة التامة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٤

بشؤون الدنيا و تقدم العلم و ما اصاب اوروبا منه من نصيب.

الموسوعة العربية الحديثة

و كما كان للحروب الصليبية فضل انتقال الافكار العلمية من الشرق الى الغرب فقد كان لحملة بونابرت على مصر الفضل الاول فى انتقال الافكار الاوربية الحديثة الى الشرق و زاد تبشير المبشرين بالدين و الرحالة الذين كانوا يطوفون بالبلدان الشرقية هذه الصلة، ثم زادت الجامعة الاميركية ببيروت من توسيع آفاق المعرفة و نشر العلم ، ثم الاكثار من فتح المدارس الجديدة و القيام بترجمة الكتب الفرنسية و انتشار الصحف السيارة حتى وجد القارىء العربى و الكاتب و الدارس و الباحث نفسه بحاجة ماسة الى موسوعة تأخذ بيده و تساعده على فهم الكليات العامة فى حياة العلم و الثقافة و المعرفة، و من هنا، من هذا الاحساس بالحاجة الماسة تيقظت فكرة الموسوعية فى الازهان من جديد، و فى هذه المرة كان التفكير فى سد الحاجة من الثقافة العامة بأى وجه من وجوها العلمية او التاريخية او الفنية، و حتى اللغوية من اشق الامور و اصعبها، على رغم توفر كل الوسائل المطلوبة من الكتب بمختلف اصنافها و اغراضها و سهولة السفر و الانتقال و مقابلة الرجال التى لم تكن متيسرة فى القرون الاولى المؤلفى الموسوعات، ذلك لان ميدان العلم و التأريخ و الفن و الاكتشاف قد اصبح من السعة بحيث يصعب كل الصعوبة على فرد واحد او افراد قليلين دخوله و الاحاطة بطرف من اطرافه فكيف اذا اراد الاحاطة بجميع اطرافه و حدوده و مع ذلك فقد كان بطرس البستاني المتوفى سنة (١٣٠٠ هـ ١٨٨٣ م) اول من فكر باصدار دائرة معارف حديثة شاملة و قد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٥

شرع بها فعلا و انجز منها ستة اجزاء و بدأ بالسابع و توفى فاكمله ابنه سليم و اردفه بالثامن و تعاون ابناء له آخرون مع ابن عمهم سليمان خطار البستاني المتوفى سنة (١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م) فاصدروا الجزء التاسع و العاشر، و الحادى عشر، و شرعوا فى الثانى عشر و توقف العمل اما طبع الجزء الاول من دائرة معارف البستاني فقد تم فى سنة ١٨٧٦ م اى قبل وفاة المعلم بطرس بسبع سنين.

و تصدى فى السنوات العشر الاخيرة فواد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية الى اعادة النظر فى دائرة معارف البستاني و الشروع بتكملة اجزائها على نفقة اميل البستاني و قد صدر منها لحد الآن خمسة مجلدات، و يوشك ان يصدر المجلد السادس قريبا

و صدرت بعد ذلك كتب كثيرة فيها شىء من صفة الموسوعية كما صدر عدد من معاجم اللغة و لكن معجما عاما و دائرة معارف شاملة لم تصدر بعد دائرة معارف البستاني غير دائرة معارف محمد فريد و جدى المتوفى سنة (١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م) و قد صدرت فى عشرة اجزاء كاملة باسم (دائرة معارف القرن الرابع عشر- العشرين) و تم طبع الجزء الاول منها سنة ١٩٢٣، ثم (دائرة المعارف الاسلامية) التى نقلها الى العربية محمد ثابت الفندى و احمد الشنتاوى و ابراهيم زكى خورشيد، و عبد الحميد يونس، و قد طبع منها احد عشر مجلدا بمصر بين سنة ١٩٣٣-١٩٥٧.

و كلما خطا العالم العربي في ميدان الحضارة الحديثة خطوة أحس بالحاجة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٦

الماسة الى سد النقص الهائل في عالم التأليف ففي الخزائن العربية فراغ و في انفس قرائها حاجة، و للعصر اقتضاء يعوز الخزانة العربية كتاب يضم شتات ما فيها من علم و معرفة من القديم و الحديث، و يقتضى العصر الذى نعيش فيه ان تكون لنا كتب يجترى بها المعجل منا عن مطولات السير و ضخام اسفارها كما يقول الزركلى فى مقدمة الاعلام.

و لكن النهوض بهذا الحمل ليس شاقا من حيث تضافر العلماء و الادباء و البحث و التتبع و الاستقصاء فقط و انما النهوض به من حيث التمويل و الانفاق قد لا يقل صعوبة ان لم يكن اكثر صعوبة من التأليف و جمع المواد، و مع ذلك فقد بذلت جهود فردية نجح بعضها نجاحا منقطع النظير، و جانب بعضها التوفيق كله او بعضه لما لحق به من نقص فى الشمول و الاحاطة او التحقيق العلمى و التثبت من صحة الوقائع، و مع ذلك فلم تخرج تلك الجهود و ان كانت مختصرة و محدودة و ضيقة عن حدود المحاولات المفيدة فى عالم الموسوعة.

و كثير اولئك الذين تناولوا التراجم و المواضيع بمختلف اغراضها باسم (الاعلام) او اسم (المعاجم) او الاسماء الاخرى الدالة على الموسوعية، و لكن الغالب فى تلك الموسوعات كان فى منتهى الايجاز و الاختصار و قللة عدد المترجم لهم او قللة المواضيع التى تحدثوا عنها. و قد كان للمؤلفين العراقيين نصيب مذكور فى هذه الموسوعات، و اذا استثنينا معاجم اللغة فمن اهم (الاعلام) و (المعاجم) التى صدرت فى الثلث الاول من هذا القرن هي:

(اعلام العراق) لمحمد بهجة الاثرى المطبوع سنة ١٣٤٥ هجرية، و (اعلام العرب فى السياسة و الادب) لفائز سلامة المطبوع سنة ١٩٣٥ م، و (الاعلام الشرقية فى المائة الرابعة عشرة الهجرية) لزكى محمد مجاهد طبعت بين سنة ١٣٦٨-١٣٧٤ هجرية. و (اعلام النساء) لعمر رضا كحالة و هو فى ثلاثة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٧

مجلدات طبعت فى ١٣٥٩ هجرية. و (اعلام المقتطف) و (اعلام من الشرق و الغرب) و (اعلام الادب و الفن) و غيرها. و من اشهر المعاجم الحديثة (معجم المطبوعات العربية و المعربة) ليوסף اليان سر كيس فى احد عشر جزءا بمجلدين طبع سنة ١٩٢٨، و معجم (ادباء الاطباء) لمحمد الخليلي فى ثلاثة اجزاء طبع الجزء الاول سنة ١٩٤٩ و الجزء الثالث هو تحت الطبع اليوم، و (معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة) لعمر رضا كحالة طبع سنة ١٩٤٩، و (معجم الانساب و الاسر الحاكمة فى التاريخ الاسلامى) للمستشرق زامباور و قد اخرجه جماعة برئاسة زكى محمد حسن طبع فى سنة ١٩٥١، و (المعجم) و هو موسوعة لغوية علمية فنية لعبد الله العاليلى طبع المجلد الاول سنة ١٩٥٤ و (معجم العراق) لعبد الرزاق الهلالي صدر منه جزء آآن ينتهى الجزء الثانى بحرف الصاد و قد طبع الجزء الأول سنة ١٩٥٣ و غيرها.

أما الكتب التى اتصفت بالموسوعية و اطلقت عليها اسماء عامة مختلفة فهي كثيرة و من أشهرها:

(المسك الاذفر فى تراجم علماء القرن الثالث عشر) و (بلوغ الأرب فى أحوال العرب) و الكتابان لمحمود شكرى الألوسى المتوفى سنة (١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م) و يقع بلوغ الأرب فى ثلاثة أجزاء طبع الجزء الاول منه سنة: ١٩٢، و (الروائع) و هى سلسلة صدر منها ما يقرب الستين جزءا لحد الآن ألفها فؤاد أفرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية، و قد طبع الجزء الأول منها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٨

سنة ١٩٣٢ مبتدئا بعلى ابن ابى طالب، و تعتبر (الروائع) أروع خلاصة لتاريخ الأدب العربى و كنوزه القديمة و الحديثة، (و مناهل الادب العربى) سلسلة أصدرتها مكتبة صادر بيروت على غرار (الروائع) و (تاريخ العراق بين احتلالين) و هو فى ثمانية مجلدات لعباس العزاوى المحامى و قد طبع المجلد الاول سنة ١٩٣٥ و (عشائر العراق) للعزاوى نفسه و هو فى أربعة مجلدات، طبع المجلد

الاول منها سنة ١٩٣٧ و (الكنى و الألقاب) للشيخ عباس القمي في ثلاثة أجزاء و قد تم طبعها سنة ١٩٣٩ بمطبعة العرفان و (الغدير في الكتاب و السنة و الأدب) للشيخ عبد الحسين الأميني صدر منه أحد عشر مجلدا و قد طبع المجلد الاول في سنة (١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م) و (أدب المقالة الصحفية) للدكتور عبد اللطيف حمزة و قد صدرت منه ثمانية مجلدات لحد الآن و قد تم طبع المجلد الأول سنة ١٩٥٠. و (الباليات) للشيخ محمد علي يعقوبي و هي ثلاثة مجلدات و قد طبع المجلد الأول سنة (١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م) و (نفائس المخطوطات) لجامعها و محققها الشيخ محمد حسن آل ياسين صدر الجزء الاول منها سنة ١٧٣١ هـ ١٩٥١ م، و عدد آخر مما اتصف بالموسوعية (كمعارف الرجال في تراجم العلماء و الادباء) للشيخ محمد حرز الدين و قد صدرت منه ثلاثة اجزاء، و (كشعراء الغرى) و (شعراء الحلة) لعلی الخاقانی و طائفة أخرى من الكتب ذات الصبغة الموسوعية التي اكتفينا بايراد الأمثلة عليها نظرا لصعوبة التوسع فيها.

الموسوعة الكاملة

أما الكتب الحديثة التي صدرت في النصف الأول من القرن الاخير و اتصفت بالموسوعية اتصافا كاملا و التي قاربت اكثر من غيرها حدود الموسوعية الكاملة فهي كثيرة منها (المنجد في اللغة و الادب و العلوم) تأليف الأب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٩

لويس معلوف اليسوعي و قد صدرت الطبعة الاولى منه سنة ١٩٠٨ مقتصرة على اللغة ثم خرج اخيرا بمساعي الأب فردينان توتل كموسوعة جامعة للغة و الأدب و العلوم.

و (الأعلام) لخير الدين الزركلي الذي قضى في جمع موسوعته و تأليفها أربعين سنة متواصلة بدأها منذ سنة (١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م) و طبع الأجزاء الثلاثة الأولى لأول مرة سنة ١٩٢٧ ثم نقحها و زاد عليها و طبعها في عشرة أجزاء و هي اليوم من أهم بل أهم المصادر لتراجم الرجال المتقدمين و المتأخرين على الاطلاق و ينتظر ان يصدر الجزء الحادى عشر من (الأعلام) في المستقبل القريب.

و كتاب (تنقيح المقال في أحوال الرجال) للشيخ عبد الله الماقمقاني المتوفى سنة (١٣٥١) هـ و هو في ثلاثة أجزاء و يحتوى على ٣٦٥، ١٣ ترجمة لرجال الأخبار و رواة الحديث و أرباب السند و يعتبر (تنقيح المقال) من أوسع علوم الرجال و تراجمهم احاطة و بحثا، و قد تم تأليف الجزء الاول سنة (١٣٤٨ هـ ١٩٣٠ م).

و كتاب (تاريخ الوزارات العراقية) للسيد عبد الرزاق الحسنى و قد صدر منه عشرة مجلدات و تم طبع الجزء الاول سنة ١٩٣٤ و هو في موضوعه موسوعة تامة كاملة.

و كتاب (ايمان الشيعة) للسيد محسن الامين العاملى المتوفى سنة (١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م) و هو في ٥٢ مجلدا يحتوى على ما يقرب من ١٢،٠٠٠ ترجمة للعلماء و الادباء من رجال الشيعة و يعتبر اكبر موسوعة صدرت في تاريخ الموسوعة العربية في موضوعها و قد تم طبع الجزء الاول منها في سنة ١٩٣٥ و بوشر اليوم باعادة طبع هذه الموسوعة و اضافة طائفة من التراجم المستدركة عليها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٤٠

و كتاب (الذريعة الى تصانيف الشيعة) و هي موسوعة كاملة في بابها لمؤلفها الشيخ آغا بزرك و قد طبع منها سبعة عشر مجلدا و تم طبع المجلد الاول سنة (١٣٥٥ هـ ١٩٤٦ م).

و كتاب (تاريخ العرب قبل الاسلام) للدكتور جواد على و هو في عشرة اجزاء و قد طبع المجلد الاول منه سنة ١٩٥٠ م و هو الآخر اوسع مجموعة صدرت عن العرب و تأريخهم قبل الاسلام. و غير ذلك مما اكتفينا بضرب المثل عنه.

و على كثرة المواضيع و النواحي التي تفتقر الثقافة العربية الى وجود موسوعة ضافية لها فان حركة الموسوعية الجماعية منها و الفردية لا تزال ضيقة و قليلة بل و اقل من القليل اذا أجاز هذا التعبير.

و العتبات المقدسة جمع، مفردها العتبه محرکه، و العتبه لغه: هي اسكفه الباب، و الاسكفه: هي خشبه الباب التي يوطأ عليها كما تعرفها كتب اللغه و قد تشمل العتبه خشبه الباب العليا و السفلى، من محل موطن القدم ثم ما لبث العرف ان منح هذه العتبه من ابواب قصور الملوك و مداخل بيوتهم شيئا من الاحترام ازدادت اهميته بمرور الزمان و لم يزل للآن البعض من قبائل العراق حين يريد ان يلود لاجئا بزعيم او كبير من رجال القوم يعمد الى باب مضيفه او داره فيشد نفسه اليه و يقبل عتبه.

و يذهب التاريخ الى ان تقبيل العتبه قد جرى لأول مره على (باب النوبى) ببغداد و باب النوبى هذا من ابواب دار الخلفه العباسيه منذ سنه ٤٤٧ هـ - ١٠٥٥ م فقد جاء فى اخبار الخليفه القائم بامر الله العباسى: «و فى ايامه انقرضت دوله الديلم ببغداد بعد طول مدتها و قامت دوله السلجوقيين، و كان آخرهم

موسوعه العتبات المقدسه، ج ١، ص: ٤١

الملك الرحيم من ولد عضد الدوله دخل عليه بغداد طغرلبك السلجوقى، و هو اول السلجوقيه فقبض عليه و قيده، فقال له الملك الرحيم:

ارحمنى ايها السلطان.

فقال له- لا يرحمك من نازعته فى اسمه المختص به- مشيرا لله تعالى

فبلغ ذلك القائم فقال: قد كنت نهيته عن هذا الاسم فابى الالجاجا اورده عاقبه سوء اختياره، و خلصه من بين يدي طغرلبك الى ان وصل عتبه (باب النوبى) فقبلها شكرا لله و صارت سنه بعده .

و قال ياقوت الحموى فى تعريف (الحريم) و ابوابه من دار الخلفه العباسيه «ثم باب البدرية ثم (باب النوبى) و عنده باب العتبه التي تقبلها الرسل و الملوك اذا قدموا ببغداد» و قال ياقوت فى كتابه المشترك «ثم باب البدرية، ثم باب النوبه و فيه العتبه التي تقبلها الرسل و الملوك و غيرهم اذا قدموا ببغداد و هي قطعه من رخام ابيض مطروحه امام هذا الباب طولا» .

و لما كانت أضرحة الائمة مقدسه و هم أنوار الله، و رسل الخير، و صفوه الخلق طهاره، و عفه، و علما، و تقى، كانت أبوابهم و عتباتهم أحق بمثل هذه المراسيم التي اعتبرت فيما بعد كطقوس مقدسه فأقبل عليها الموالون و العارفون بقديسيته على ما نعتقد و أولوها عناية أكبر و قدسيه انبعثت من أعماق نفوسهم و ايمانهم ثم توسعوا فى عرفهم فسماوا الاضرحة كلها باسم العتبات و اصبح اسم العتبه اكثر شمولاً و أعم بمقتضى ما جرى عليه الاصطلاح

موسوعه العتبات المقدسه، ج ١، ص: ٤٢

و العرف.

و العتبات المقدسه من المواضيع الخطيرة و النواحي ذات العلاقه بالاسلام و المسلمين، و العرب و العروبه، و الثقافه العامه التي كان يجب ان يعنى بها العلماء، و الادباء، عناية كبيره فيخصوصها بموسوعه شامله و ذلك لما لكل عتبه من هذه العتبات من الاثر الكبير فى تأريخ الاسلام و العرب، و الفن، و العلوم، و الادب، فهي منذ صدر الاسلام و منذ ان اصبحت (عتبه) فى عرف المسلمين و اصطلاحهم لم تزل مصدرا من مصادر التأريخ الاسلامى و العربى الواسع اذ بفضلها و فضل مدارستها توسعت دائره الفقه الاسلامى، و بفضلها كثرت الشروح و التفاسير للقرآن الكريم، و النصوص الدينيه، و تركزت الفلسفه اكثر و اكثر فى صلب الأسس القويمه حتى صار للعقل شأن كبير فى استنباط الأحكام و فهم المغازى من قواعد الشريعه الاسلاميه و مراميتها.

و بفضل هذه المدارس و المباحثات و التتبع- الذى كان للعتبات المقدسه منه النصيب الأكبر فى تأريخ الاسلام و العرب و احياء العلوم و المعارف طوال هذه القرون- حفظ الأدب العربى فى العصور المظلمه الراكده روعته، وجدته، و أصول لغته، و حفظ التأريخ العربى و الثقافه الاسلاميه العربيه كنوزه من المخطوطات، و الكتب التي احتفظت بها مدارس العتبات المقدسه و حرصت عليها فى

خزائنها خوفا مما قد يصيبها مثلما أصاب الكتب الاسلامية والعربية في غزوة المغول و في الثورات و الغزوات التي كانت تجتاح البلدان الاسلامية و البلدان العربية في العصور المظلمة، فضلا عما كان ينصب في هذه العتبات من عصارة لمختلف الثمرات و الثقافات التي يحملها المسلمون من جميع اقطار الارض و هم يحجون مكة المكرمة، و يطوفون بالمدينة المنورة، و يزورون النجف الاشرف، و كربلاء، و سائر العتبات، بل و يقيم الكثير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٤٣

منهم في هذه العتبات دارسا، و باحثا، او مجاورا ليقضى بقیة عمره هناك.

و يقول على الشرقي عن احدي هذه العتبات و هي النجف .

«و لأجل التلمذة على منبر النجف هاجر و لا- يزال يهاجر الجمع الغفير من سائر الأقطار الشيعية بالادب، و مواعين الادب، أجل لقد هاجروا باذواقهم، و ميولهم، و عقولهم، و اسلوبهم الفكرى، فأوجدوا في النجف حركة فكرية تمتاز عن الحركة الفكرية في امهات المدن العراقية مثل البصرة، و الموصل، و بغداد، و هذه الفكرة نفعت النجف و انعشتها بأمور عدة: أدبية، و اجتماعية، و أوجدت لها مكانة عالمية مرموقة، فالحركة الفكرية القديمة، و النهضة الحديثه بما فيها من جهاد علمي، و عناد سياسى، و تجديد أدبي و اتجاه اصلاحي، كلها كانت بنافخ من تلك الهجرة، فلقد كان لذلك الاحتكاك أثر أدبي في الحركة الذهنية و قد أعان على نشاط الحركة الفكرية في صفوف النجفيين ما كان للشيعه من مصادر ثرية للمعرفة، تزودهم بزاد للفضيلة من أدب النفس، و أدب اللسان، و صقال الذهن، و لطف الذوق، و الغور في التفكير و التحليق في التصور».

و من كل تلك العوامل من الهجرة الى مواصلة المدارس و البحث و التحقيق، أخذت كل عتبة من العتبات المقدسة نصيبا ان اختلفت ألوانه و أغراضه في كل (عتبة) فلم تختلف في كثير من جواهره التي دلت عليها التأليف و الدواوين، و التراجم، و البناء، و الرياضة، و الخط، و فن النقش، بالاضافة الى ما انبعث من العتبات من قواعد للفلسفة الروحية، و العلوم الاخلاقية، و ما اخص بها من مكارم الاخلاق، و الحث على الكمال فيما أثر عنها من ادعية غاية في الروعة و السحر، و أدب في غاية السمو و الرفعة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٤٤

و ان هذه الكنوز التي احتواها تاريخ العتبات المقدسة من علم، و فن، و ادب، لم تكن جديرة باتخاذها اساسا لموسوعة كبيرة فحسب، و انما كانت في منتهى الضرورة للعالم الاسلامى و العالم العربى خاصة و للعلم المشاع، و الادب العام، و الفن الواسع عموما، و يبدو لى ان عدة محاولات قد بذلت في هذا السبيل بمناهج مختلفة على طريقة المعاجم، او التأريخ الواسع فيما مر من التأريخ القديم و التأريخ الحديث فطبع البعض من تلك الموسوعات و بقى البعض مخطوطا و لكن التوفيق كثيرا ما جانب تلك المحاولات سواء من حيث كثرة الاغلاط و عدم الدقة او من حيث ضيق المجال و الاختصار، هذا مضافا الى ان جل من كتب عن العتبات المقدسة و عن الشيعة و التشيع و معتقداتهم و تواريخهم و فنونهم و آدابهم كانت كتاباتهم محفوفة بالعواطف اما حبا للشيعة لانهم شيعة منهم، و اما كرها لهم لانهم ليسوا منهم، لذلك تبعثت المصادر الصحيحة و تشوهت الحقيقة هنا و هناك، و صار استخلاص الواقع لتأريخ الشيعة العام و تأريخ العتبات المقدسة، لا يخلو من الصعوبة و العسر.

يقول الدكتور طه حسين فى كتابه (على و بنوه) ص ٨٩: «و خصوم الشيعة واقفون لهم بالمرصاد يحصون عليهم كل ما يقولون و يفعلون، و يضيفون اليهم اكثر مما قالوا و فعلوا. و يحملون عليهم الاعاجيب من الاقوال و الافعال ثم يتقدم الزمان و تكثر المقالات و يذهب اصحاب المقالات فى الجدل كل مذهب فيزيدون الامر تعقيدا و اشكالا».

كل هذا هو الذى حمل جمعا من افاضل رجالات العلم عندنا على ان يولوا هذا المشروع اهتماما و ان يعنوا به عناية خاصة، و لقد قيل من قبل ان ليس هنالك من امر عظيم الا و كان مبعثه فكرة صغيرة لا تلبث ان تنشط كما تنشط النبتة حين تشق الارض و تواجه نور الشمس، و كان مشروع (موسوعة العتبات المقدسة) مجرد فكرة انبعثت من ذهن احد رواد (دار التعارف)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٤٥

الذين اعتادوا ان يسمروا في مساء كل احد بدار التعارف ببغداد و جلهم من رجال العلم و استاذة الجامعة، و اهل الادب، و ما كادت الفكرة تنطلق من الذهن عن طريق اللسان حتى تداولها الحاضرون و قلبوها على جميع وجوهها فاذا بها بين عشية و ضحاها تخرج الى حيز العمل باسم (موسوعة العتبات المقدسة).

و حصرت المواضيع، و قسمت الى اجزاء، و تناول كل عضو ما يلائم اختصاصه منها على ان يستعين برهط آخر من ارباب الخبرة و الاختصاص اذا اقتضى ما يستوجب ذلك، فكثر عدد اعضاء المتصددين للتأليف و كثر عدد من يعاونهم، و جرى تقسيم الموسوعة الى اقسام، خصت كل عتبة بقسم من البحوث فالقسم الذى يخص (المدينة المنورة) مثلا سيستقل باجزائه عن اى قسم آخر لاية عتبة اخرى، و قد يصدر جزء او اجزاء من القسم الخاص (بسامراء) مثلا- فى الوقت الذى يصدر جزء واحد او اكثر من القسم الخاص بالمدينة المنورة، او كربلاء، او النجف، او مكة. فقد جعلنا (الاقسام) غير خاضعة لترتيب اجزاء الموسوعة العامة، فكل قسم من هذه الاقسام سيكون موسوعة مستقلة قائمة بنفسها ضمن الموسوعة الكبرى، و ستكون (موسوعة العتبات المقدسة) بناء على هذا عبارة عن مجموعة من الموسوعات.

و تشرفت انا بالقيام بتأليفها و تقسيم مواضيعها، و ربط بعضها ببعض و التعليق عليها بالحرفين (ج. خ) و اسهمت فى التأليف مع المؤلفين على قدر الامكان، و سيكون هذا الجزء بمثابة مقدمة الموسوعة العامة جهدنا ان نجعلها تحيط بما ينبغى الاحاطة به عن العتبات بصورة مجمل على ان يأتى تفصيل هذا المجمل فى اقسامه الخاصة به، و فى اجزائه المتتابعة، و ننظر ان يكون هذا الجزء او هذا المدخل بمثابة الفهرست المجمل لكل الموسوعة مما لا غنى عن ضمه للقسم الخاص باحدى العتبات او للمجموعة العامة من اقسام جميع العتبات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٤٦

فهو المقدمة الاولى لموسوعة العتبات المقدسة جمعاء.

أما الى اى مدى سيحالفنا التوفيق، و كم هى (الاقسام) التى نستطيع ان نخرجها و كم هى أجزاء كل قسم مما نستطيع أن نجعله و ندفع به الى المطبعة فان علم ذلك عند الله تعالى، و حسبنا أننا أقدمنا على مشروع خطير، مهيب، ليس من الهين النهوض به من حيث البحث و التأليف و الانفاق، و ان (دار التعارف) لتحس بثقل هذه المسؤولية، و تتهيب المشروع، و ليس لها ما يبعث فيها الامل و يدفعها الى تحمّل المسؤولية غير الايمان بأن المرأ كثير بأعوانه، و ان أى عجز و أى إخفاق يعترضها فى هذا السبيل، لا يمكن ان يفسر بغير الفوز و النجاح الذى كان أقله أنها قد وضعت- او حاولت أن تضع لبنه فى بناء هذا الصرح، و الاعمال بالنبات كما يقولون، و من الله التوفيق.

دار التعارف- بغداد جعفر الخليلي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٤٧

لمحة تاريخية مجمل عن مدن العتبات المقدسة كتبها الدكتور حسين أمين

إشارة

من أساتذة جامعة بغداد الحائز على درجة دكتوراه الشرف الأولى من جامعة الاسكندرية، و السكرتير لقسم التاريخ فى كلية التربية- و المقرر بدائرة التاريخ و الآثار بجامعة بغداد
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٤٩

مكة المكرمة

إشارة

تعتبر مدينة مكة من أقدم المدن في الجزيرة العربية وقد ورد ذكرها في المصادر اليونانية والآثار اليمانية وكثيرا ما يشار إليها باسم (مكرا) ومعناه بيت الله الحرام، وأقدم ذكر لهذه المدينة المقدسة ورد في القرآن الكريم، في قوله تعالى «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا».

موقعها:

وتقع مكة في تهامة وهي بلدة كبيرة ومستطيلة وليس حولها أرض زراعية، فهي في واد غير ذي زرع، وتبعد أربعين ميلا عن الساحل، ٣٠٠ ميل عن المدينة ونحو ٢٠ ميلا عن الطائف، وواديها يمتد من الشمال الى الجنوب، وهذا الوادي يتسع قليلا في نهايته، فيبلغ عرضه نحو كيلومتر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٥٠

وطول هذا الجزء المتسع نحو كيلومترين، وتقع في هذه الفسحة منه مكة المكرمة، وفي جنوبها يضيق الوادي مرة أخرى، ويتفرع منه واد آخر يتجه نحو الشمال الغربي وبذلك تصبح لمكة ثلاثة مخارج، مخرج شمالي الى عرفه ومنها الى الطائف ونجد ويسمى شعب معبده، وجنوبي، ويسمى المسفلة وهو يفضى الى طريق اليمن، وفي الجنوبي الغربي حرة الباب، الى طريق جدة والمدينة وتحيط الجبال العالية بوادي مكة، ففي الشمال جبل قضا، وفي الغرب جبل لآء و جيفان، والقنا، وبينها شارع المدينة الكبير، وفي وسط الوادي ترتفع الارض، وهذه المرتفعات في الوسط دون الجبال المحيطة بالوادي، ومن مرتفعات الوسط جبل جياذ وكانت عليه قلعة، وجبل أبي قبيس المطل على الحرم وكان عليه مسجد بلال، ويقابل جبل أبي قبيس جبل هندی و عليه قلعة، والحرم الشريف في السهل بين أبي قبيس و هندی، و وادي مكة لا ماء فيه إلا ماء زمزم وبالرغم من أن مكة في مكان جذب فقد انتعشت بسبب وقوعها في طريق القوافل التجارية وقربها من ميناء جدة و يبدو ان سكانها انصرف معظمهم الى الاستفادة من ذلك الموقع واتخذوا من التجارة حرفة أعادت عليهم الأرباح الكثيرة وقد نجحت قريش نجاحا كبيرا في توجيه نشاط المدينة توجيها تجاريا، وبذلك تكونت في مكة قبيل ظهور محمد (ص) جمهورية تجارية تشبهها الجمهوريات التجارية التي ظهرت في القرون الوسطى في ايطاليا كالبنديفة و جنوا و بيزا وغيرها من جمهوريات المدن التجارية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٥٢

القبائل التي سكنت مكة

و سكنت مكة قبائل عديدة من أشهرها العماليق، و جرهم، و كنانة و خزاعة، و دخلتها قريش و أول من عرف من رجالها المشهورين قصى بن كلاب بن مرة و الذي تمكن بما أوتي من القوة و الكفاية من الاستحواذ على مفاتيح البيت الحرام و انتزاعها من بني خزاعة و كان ذلك بعد سنة ٤٠٠ م و قد اشتهرت قريش بالتجارة، و قد ورد في القرآن الكريم ان لقريش رحلتين «لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ» و كانت رحلة الشتاء الى اليمن و بلاد الحبشة، و الثانية كانت الى الشام، و كانت قوافلهم التجارية اشبه بالحمالات تكون بالالف الابل و اتخذت قريش حرسا خاصا لحماية قوافلها، و قد اصطلح على ذلك النفر اسم الاحابيش، و قد اشتهرت في مكة عوائل احترفت التجارة و كسبت منها ارباحا طائلة مثل بنى أمية و بنى مخزوم و بنى نوفل و بنى هاشم .

و كانت قريش تتألف من عدة قبائل و تنقسم الى مجموعتين كبيرتين:

قريش الظواهر، قريش البطاح، فاما قريش الظواهر فهم الدين اقاموا فى ظاهر مكة، و منهم بنو بغيض و بنو الادوم و بنو محارب و كانت هذه القبائل كثيرة الغارات و الغزوات، اما الذين سكنوا حول البيت فى داخل مكة، فقد عرفوا بقريش البطاح و كان لرجالها الادارة و التجارة و الثروة و هم بنو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٥٣

عبد مناف، و بنو عبد الدار، و بنو عبد قصي، و بنو زهرة، و بنو تيم، و بنو مخزوم، و بنو جمح، و بنو عدى.

اهمية مكة

و لمكة قدسية عظيمة فى نفوس المسلمين، لوجود الكعبة الشريفة فيها، و الكعبة اى البيت الحرام الذى كان محجا للعرب قبل الاسلام و صارت كذلك لجميع المسلمين بعد البعثة المحمدية، و سميت الكعبة بهذا الاسم لشكلها المكعب، و كان فى الكعبة قبل الاسلام معظم اصنام القبائل العربية، و جاء فى الاخبار التاريخية ان الرسول (ص) عند دخوله الكعبة يوم الفتح رأى فيها ستين و ثلاثمائة صنم، فامر فكسرت و لعل من اشهر اصنام الكعبة، (العزى) و كانت قريش تتعبد للعزى و تزورها و تهدى اليها و تتقرب اليها بالذبايح، و من مشاهير اصنام مكة اللات و مناة و هبل و يذكر المؤرخون ان هبل هو اول صنم اقيم فى جوف الكعبة، و انه من عقيق احمر على صورة انسان مكسور اليد اليمنى، ادركته قريش فجعلت له يدا من ذهب، و اول من وضع الكسوة فى البيت الحرام كان ملك اليمن اسعد ابو كرب و أصبح هذا العمل عادة فى كسوة البيت كل عام، و قد بذلت قريش عنايتها تنظيم الحج اليها لتقديس العرب فيها و ترتب على ذلك ظهور بعض الانظمة و التى لها ميسس بحرمة هذا المكان و قدسيته، و من تلك الانظمة الملاء، و هو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٥٤

مجلس قريش، و يتكون من رؤساء القبائل، و السدانة، و هى وظيفة العناية ببناء الكعبة و بذل الخدمة لها، و السقاية و هى توفير الماء للحجاج و الرفادة و هو مال تخرجه قريش لاطعام الحجاج الفقراء و الحجابة و عمل رئيس هذه الوظيفة حفظ مفاتيح الكعبة، و اللواء و هى راية قريش و كانت من اختصاص بنى مخزوم، و السفارة، و كانت لبنى عدى و هى وظيفة مهمة يقوم صاحبها باجراء الاتصالات باسم قريش من النواحي السياسية و التجارية و العسكرية، و كان العرب يحجون البيت الحرام فى الجاهلية فى كل شهر ذى الحجة طبقا لمناسك ترجع الى وقت بنائها و كانوا يطوفون بالبيت الحرام و عليهم الا- يجزوا شعرهم و لا اظفارهم و لا يدهنوا و لا يتطيبوا و لا يمسوا النساء و لا يحملوا السلاح و لا يأكلوا اللحم و هم فى حالة طوافهم كانوا يتشابكون بالايدي و يصفقون و يصفرون و هم عراة الاجسام، و قد ورد فى القرآن الكريم ذكر هذه الحالة فى قوله تعالى:

«وَمَا كَانَ صِدْلَتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاءً وَ تَصْدِيَةً» و عند دخول العرب الحجاج البيت الحرام يقبلون اولا الاله «آساف» و كذلك عند خروجهم و بعد ذلك يتجمعون لاستلام الحجر الاسود الذى يعتبر اقدم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٥٥

الاحجار المقدسة و بعد زيارة الكعبة يسعى الحجاج الى الصفا و المروة و هما مرتفعان صخريان عليهما صنمان الاول يسمى مجاور الرياح، و الآخر مطعم الطير، و بعدها يتفرق الحجاج فى الاماكن المجاورة مثل عرفه و المزدلفة للنحر و كانت قريش تنصب لها فى ذلك الموسم قبابا حمرا من الادم اظهارا لزعامتها على العرب، بينما كانت قباب القبائل الاخرى من الشعر.

بناء البيت

ان القرآن الكريم أشار الى بناء ابراهيم (ع) للكعبة الشريفة في قوله تعالى «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» وقد بنى الكعبة بعد ابراهيم العمالق وجرهم، ثم بناها بعد ذلك قصى بن كلاب و قد سققها بخشب الدوم الجيد و بجريد النخل.

و يبدو ان الكعبة الشريفة في عهد ابراهيم طولها ٩ أذرع و طولها في الارض ٣٠ ذراعا و عرضها في الارض ٢٢ ذراعا، و كانت بلا سقف، ثم بنتها قريش في الجاهلية. و للكعبة الشريفة باب ارتفاعه ٦ أذرع و عشرة أصابع و عرض ما بين جداريه ٣ أذرع و ثمانية عشر اصبعاً،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٥٦

و كانت عتبة الباب ملبسة بصفائح من الذهب المنقوش، و في كل جانب من عضادتي الباب اربع عشرة حلقة من حديد مموهة بالفضة متفرقة في كل جانب سبع حلق يشد بها جوف الباب من استار الكعبة و تلاصق الكعبة بعض الاحجار تعرف بشذروان الكعبة و عدد حجارة الشذروان التي حول الكعبة ٦٨ حجرا في جوانب الكعبة الثلاثة:

الشرق و الغرب و اليماني، و بعض حجارة الجانب الشرقي لا بناء عليه و يبدو ان الكعبة كانت محلات في الجاهلية و يذكر ان عبد المطلب كان أول من زينها بالفضة اللذين وجدتهما في زمزم حين حفرها، و ان عبد الملك بن مروان كان اول حاكم اسلامي ذهب البيت الحرام في العصور الاسلامية، و هناك اخبار تاريخية تشير الى ان عبد الله بن الزبير اول من حلّى الكعبة في الاسلام، و انه جعل على الكعبة و اساطينها صفائح الذهب كما جعل مفاتيحها من الذهب.

و ابرز بناء للكعبة ما تم زمن قريش فقد حضر ذلك النبي محمد (ص) و كان النبي في الخامسة و الثلاثين من عمره، و كان السبب الذي دفع قريش الى تجديد بناء الكعبة، ان حريقا اصاب ستورها و اخشابها فاوهن ذلك من بنيانها و اعقب ذلك الحريق سيل اوهى البناء و صدع الجدران فاجمعت قريش امرها على تجديدها، و وصلت الى القوم انباء وجود سفينة عند ساحل جدة، فخرج اليها الوليد بن المغيرة ليبتاع خشبها، و كانت السفينة لتاجر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٥٧

رومي يدعى «باقوم»، و اخبره الوليد بما اعترم عليه القوم، فأنبأه «باقوم» انه بناء نجار فاستصحبه الوليد ليقوم بالبناء، و اول من بدأ في هدمها الوليد بن المغيرة، و قد ساهمت جميع القبائل في بناء الكعبة حتى بلغ البنيان موضع الركن فاخصموا فيه، كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى و كادت ان تقع بينهم الحرب، فضرب بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم و بنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت و ادخلوا ايديهم في ذلك الدم فسمى ذلك الحلف «لصقة الدم». ثم اجتمعت قريش في المسجد الحرام تتشاور و كان ابو أمية بن المغيرة بن عبد الله اكبر الحاضرين سنا فتقدم باقتراح و قال: «يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تحتفلون فيه هو اول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه» ففعلوا، فكان اول داخل رسول الله (ص)، فلما رأوه قالوا: هذا الامين رضينا، هذا محمد، فلما انتهى اليهم و اخبروه الخبر قال (ص): هلم اليّ ثوبا فأتى به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعه جميعا، ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده الشريفة ثم بنى عليه.

و جاءت عمارة قريش تلك زيادة تسعة أذرع على ارتفاعها في بناء الخليل (ع)، و اقتصوا من عرضها أذرا جعلوها في الحجر لقصر النفقة الحلال التي أعدها لعماريتها عن ادخال ذلك، و رفعوا باب الكعبة عن سطح الارض حوالي المترين، و جعلوا في داخلها ست دعائم في صفين في كل صف ثلاث من الشمال الى الجنوب و جعلوا في ركنها العراقي من الداخل سلما يصعد الى سطحها و جعلوا فيه ميزابا يصب في الحجر. و في ٦٤ ه أصاب الكعبة و هن من جراء اصابتها بحجارة المنجنيق حين حاصر مكة الحصين بن نمير من قواد يزيد بن معاوية و من الحريق الذي أصابها من نار أوقدها نفر من أصحاب ابن الزبير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٥٨

في خيمة لهم، فحملت الرياح بلهب تلك النار الى الكعبة فاحرقت كسوتها و ما فيها من خشب الساج، فادى ذلك الى ان ينقض بناؤها و تتأثر حجارتها، فلما ارتحل عن مكة الجيش الأموي أثر وفاة يزيد بن معاوية رأى ابن الزبير ان يهدم الكعبة و يبنها، و بناها على قواعد ابراهيم و أدخل فيها ما أخرجه قريش منها من الحجر و زاد في طولها على بناء قريش نظير ما زادته قريش في طولها على بناء الخليل و ذلك تسعة أذرع، فصار ارتفاعها سبعة و عشرين ذراعاً، و جعل لها بابين لاصقين بالارض احدهما بابها الموجود اليوم و الآخر مقابل له مسدود، و جعل فيها ثلاث دعائم في صف واحد و جعل لها مدرجا في زاويتها العراقية من الداخل يصعد اليه الى ظهرها، و جعل لها ميزابا على سطحها يصب في الحجر، و جعل فيها روازن توضع فيها المصايح، و لما فرغ من بنائها خلقها بالطيب ظاهرا و باطنا و كان يجمرها كل يوم برطل من العود

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٥٩

و في يوم الجمعة برطلين.

و في ٧٤ هـ و بعد ان انتهى الحجاج الثقفي من محاصرة مكة و قتله عبد الله بن الزبير، كتب الى عبد الملك بن مروان يخبره ان ابن الزبير زاد في الكعبة ما ليس منها و أحدث فيها بابا آخر و استأذنه في رد ذلك الى ما كان عليه في الجاهلية، و كتب اليه عبد الملك ان يسد بابها الغربي و يهدم ما زاده ابن الزبير من الحجر و يكبسها على ما كانت عليه، ففعل ذلك الحجاج.

اركان الكعبة

و يقوم الحجر الاسود في الركن الجنوبي الشرقي، و هو مبدأ الطواف عند المسلمين في موسم الحج، و ارتفاعه عن الارض متر و نصف المتر و الحجر هو أسود اللون ذو تجويف أشبه بطاس الشرب و حدث فيه بمرور الزمن تشقق، و في سنة ١٨٩ هـ اعتمر هرون الرشيد و أمر بالحجارة التي يليها الحجر الاسود فتقبت بالماس من فوقها و تحتها ثم أفرغ فيها الفضة . و في سنة ١٢٩٠ هـ عمل للحجر الاسود غطاء من الفضة في وسطه فتحة مستديرة قطرها ٣٧ سم ليرى منها الحجر.

و الركن الذي فيه الحجر الاسود يعرف بركن الحجر و يواجه هذا الجزء الجنوبي من بلاد الحجاز الى عدن و الحبشة و مدغسقر و استراليا و جنوب الهند و الصين و اندونيسيا.

اما الركن العراقي و يعرف بالشامي أيضا و هو الجزء الشمالي الشرقي من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٦٠

الكعبة الشريفة و يواجه هذا الركن الجزء الاكبر من بلاد الحجاز و العراق و بلاد ايران و شمال الهند و شمال الصين و سيبيريا.

اما ركن الكعبة الشمالي الغربي و يسمى بالركن الغربي فيواجه هذا الجزء جميع اوريا و تركيا و الجمهورية العربية المتحدة الى منطقة الشلال.

اما الركن اليماني فهو الواقع في الجنوب الغربي من بناء الكعبة و يواجه الجزء الجنوبي من افريقيا و في هذا الركن أحاديث عن اهميته و قدسيته، ففي حديث عن مجاهد قال: كان رسول الله (ص) يستلم الركن اليماني و يضع خده عليه (١)، و قد بنيت الكعبة من الحجارة الصم ذات الحجم الكبير و اللون الازرق، و بداخل البيت ثلاثة اعمدة من خشب العود الماوردي الجيد قطر الواحد منها ربع المتر و هي على صف واحد من الشمال الى الجنوب و على يمين الداخل للكعبة في زاوية الركن الشمالي الشرقي باب يصعد منه على مدرج الى اعلى الكعبة يقال له: باب التوبة، مسدولة عليه ستائر من الحرير المزركش، و سقف الكعبة منقوش بالنقوش العربية الجميلة و معلق به هدايا ثمينة اهداها اليها الملوك و الامراء في عصور مختلفة، و في سنة ١٢٩٥ هـ فرش السطح بالواح المرمر، و في اعلى منتصف الجدار الشمالي وضع الميزاب لتصريف مياه الامطار، و هو من الذهب، هديء من السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٠ هـ.

الحطيم:

و الى شمال الكعبة بقايا الحطيم، و هو بناء مستدير على شكل نصف دائرة ارتفاعه ٣١، ١ من الامتار و عرض جداره من الاعلى ٥٢، ١ م و من اسفل ٤٤، ١ و هذا البناء موزر بالرخام و أحد طرفيه محاذ للركن الشامي و الآخر محاذ للركن العربي، و قيل سمي بالحطيم لان العرب كانت تطرح فيه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٦١

ما طافت فيه من الثياب فيبقى حتى يتحطم من طول الزمن، و قيل انما سمي بالحطيم لأنه المكان الذي فيه الميزاب ، و المكان الذي بين باب الكعبة و الحجر الأسود يعرف بالملتزم، و هو المكان الذي يقف عنده المسلمون يطلبون الرحمة و المغفرة من الله عز و جل، و يعرف المكان الواقع ما بين الركن اليماني الى الباب المسدود بالمستجار و في هذا المكان يستنجد المسلمون في دعائهم من ذنوبهم.

المسجد الحرام:

و الكعبة الشريفة وسط المسجد الحرام و المسجد الحرام يقوم في وسط مكة و شكله على العموم مستطيل، ضلعه الشمالي ١٦٤ م و الضلع المقابل له ١٦٦ م و ضلعه الشرقي ١٠٨ م و الغربي ١٠٩ م و من الجدير بالذكر أن المسجد الحرام لم يكن له جدار يحيط به إنما كانت البيوت محذقة به من كل جانب، و كانت بين تلك البيوت أبواب يدخل منها الناس، و أول من بدأ بوضع جدار للكعبة هو الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فانه اشترى دورا فهدمها و هدم الدور القريبة من المسجد، و رفض القوم أخذ اثمانها من البيع، فوضعت اثمانها في خزانه الكعبة حتى أخذوها من بعد و كان الجدار الذي شيده عمر بن الخطاب قصيرا دون القامة فكانت المصابيح توضع عليه فلما استخلف عثمان بن عفان ابتاع المنازل و وسع المسجد بها و أخذ منازل أقوام و وضع الأثمان فضجوا به عند البيت فقال انما جرأكم على حلمي عنكم و ليني لكم لقد فعل بكم عمر مثل هذا فأمرتم و رضيتم ثم أمر بهم الى الحبس حتى كلمه فيهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٦٢

عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص فحلى سبيلهم ، و عثمان بن عفان هو أول من أحدث رواقا مسقفا في المسجد الحرام و كان ذلك في السنة السادسة و العشرين للهجرة .

و يحيط بالمسجد الحرام من جهاته الاربع ثلاثة أروقة، يفصل بين كل رواق و آخر صف من الاعمدة مواز لجدار المسجد، و وصل بين كل عمودين بعقد من البناء المتين و أقيمت على كل أربعة أعمدة قبة، و بذلك تكونت قباب متجاورة منها تكون سقف تلك الاروقة، و عدد العقود في الجهة الشمالية من الجدار الشرقي الى الغربي ٤٢ عقدا في كل صف على استقامة واحدة، أما العقود العرضية في هذه الجهة فتلاثة ثلاثة إلا في الطرفين فان العرض عقدان، و عدد العقود طولا في الجهة الجنوبية ٤٠ في أطول صف من الجدار الشرقي الى الغربي، و عددها عرضا ثلاثة ثلاثة و أربعة أربعة في الوسط و في الطرف اثنان و واحد و عددها من الجهة الشرقية طولا بطول الصحن فقط ٢٤ عقدا في كل صف، و العرضية ثلاثة ثلاثة الا في الطرف الجنوبي فاثان لانحراف الجدار، و في الجهة الغربية قبالة الصحن فقط ٢٤ طولا في كل صف، و العقود العرضية أربعة أربعة و قيل ثلاثة ثلاثة، و هناك عروض أخرى من الجهة الشمالية في مدخل باب الزيارة و كذلك في الجهة الغربية في مدخل باب ابراهيم و جملة الاعمدة المقامة عليها تلك العقود (٥٤٥)

عمودا منها ٣٠١ من الرخام و منها ٢٤٤ من الحجر الاحمر، و معلق بين كل عمودين خمسة قناديل كبار توضع فيها المصابيح، و في

صرة كل قبة قنديل و في المسجد الحرام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٦٣

منبر جميل بعث به السلطان سليمان القانوني العثماني سنة ٩٦٦ هـ وهو من الرخام و يمتاز هذا المنبر بزخارفه الاسلاميه الجميله و رونقه الرائع و بضاعته البديعة الدقيقة، هذا و من الجدير بالذكر ان معاوية بن ابي سفيان كان أول من عمل منبرا للمسجد الحرام سنة ٤٤ هـ و كان بثلاث درجات ثم أهدى عامل هرون الرشيد على مصر موسى بن عيسى منبرا للمسجد الحرام ذا درجات تسع و عليه نقش بديع ثم أمر الواثق العباسي بعمل منبر جديد للمسجد الحرام و أمر لمنى و ثالث لعرفه كذلك عمل المنتصر بن المتوكل منبرا للمسجد و هكذا تعددت المنابر في عصور تاريخية مختلفة و كان آخرها المنبر القائم حاليا الذي أهده السلطان سليمان القانوني كما عرضنا سابقا و الى جنوب مقام ابراهيم و على بعد ١٨ م من الحجر الاسود تقع بئر زمزم و بئر زمزم ذكرت كثيرا في الاخبار التاريخية و يرقى تاريخها الى عهد طفولة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام.

أبواب المسجد الحرام:

و للمسجد الحرام تسعة عشر بابا ، هي باب السلام و يعرف بباب بني شيبه و هو باب بني عبد شمس و بهم كان يعرف من الجاهلية، و باب الجنائز، و قد سمي بهذا الاسم لان الجنائز تخرج منه الى مقربة المعلى و يعرف ايضا بباب النبي لان الرسول (ص) كان يخرج منه و يدخل الى منزله دار خديجه عليها السلام ، و باب العباس بن عبد المطلب و باب علي و يعرف بباب بني هاشم و باب بازان سمي بذلك الاسم لان عين مكة المعروفة ببازان كانت بالقرب منه، و باب البغلة و باب الصفا و سمي بذلك لانه يلي الصفا و يقال له موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٦٤

ايضا باب بني مخزوم و باب جياذ الصغير و باب المجاهدية لان عنده مدرسة الملك المؤيد المجاهد صاحب اليمن و يقال له باب الرحمة و باب مدرسة الشريف عجلان و باب أم هانئ بنت أبي طالب و باب الحزورة و الحزورة اسم لسوق في الجاهلية كانت في هذا المكان و دخلت في المسجد الحرام عند توسيعه و يقال له بباب بني حكيم بن خزام و الغالب عليه باب الخزامية و يقال له باب الوداع لان الناس يخرجون منه عند سفرهم ، و باب ابراهيم و هو منسوب الى أحد الخياطين و كان يجلس عنده و باب العمرة، و يسمى بهذا الاسم لان المعتمرين يخرجون و يدخلون منه في الغالب و باب عمرو بن العاص و يقال له باب السدة لانه سد تم فتح و باب العجلة و باب القطبي و باب سويفه و باب المدرسة و قد أضيف باب حديث بالتوسيعات الحديثة سمي بباب الملك سعود. و للمسجد الحرام سبع مآذن هي مآذنة باب العمرة في ركن المسجد الشمالي و قد بناها المنصور العباسي سنة ١٣٩ هـ ، و مآذنة باب السلام و قد عمرها المهدي ابنه سنة ١٦٨ هـ و مآذنة باب علي و عمرها المهدي أيضا في السنة نفسها و مآذنة باب الحزورة التي تعرف بباب الوداع و عمرها المهدي ايضا ثم عمرت زمن الملك الاشرف صاحب مصر و كانت قد سقطت سنة ٧٧١ هـ فعمرت في السنة التالية. و مآذنة باب الزيارة عمرها المعتضد العباسي لما بنى الزيارة سنة ٢٨٤ هـ ثم جددها الاشرف برسباس في سنة ٨٢٦ هـ و مآذنة قاتيباي بالمدرسة المعروفة باسمه و هي مجاورة لباب السلام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٦٥

و مآذنة السليمانية في المدرسة المعروفة باسمها.

التطورات التي طرأت على المسجد الحرام:

ان المسجد الحرام مرّ في عهود تاريخية مختلفة و كان عرضة للزيادة في المساحة و العمران، و نحن نحاول بيان ذلك فيما يلي:

(١) التوسع الذي حصل زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رص) عام ١٧ هـ ففي هذا العام قدم الخليفة الى مكة في غير موسم الحج لما بلغه ان سيلا عظيما اقتحم المسجد الحرام من جهة المدعى و رأى حاجة المسجد الى التوسعة، فأمر بشراء دور و هدمها و ادخال

- أرضها فيه، كما حوّط المسجد بجدار قصير جعل فيه ابوابا و أمر بوضع المصابيح فوقه للاضاءة.
- (٢) و لازدياد عدد المسلمين، ضاق المسجد بهم، فرأى عثمان بن عفان ضرورة اجراء توسيع فى المسجد، فأمر سنة ٢٦ هـ بشراء بعض الدور القريبة و هدمها و اضافتها الى المسجد، و أحدث رواقا مسقفا كما أوضحنا سابقا.
- (٣) و فى سنة ٢٦ هـ رأى عبد الله بن الزبير ضرورة توسيع المسجد الحرام فاشترى بعض الدور فهدمها و ادخلها ضمن المسجد.
- (٤) و فى سنة ٩١ هـ زاد الوليد بن عبد الملك فى مساحة المسجد كما أنه جدد عمارته فبناه بناية محكمة و سقف أروقتة بالساج المزخرف، و يعد الوليد اول من جعل أعمدة المسجد من الرخام.
- (٥) و فى سنة ١٣٩ هـ أمر المنصور بإجراء توسيع فى المسجد الحرام كما أمر بأن يضاف رواق جديد، و قد شيل ذلك الرواق على أعمدة رخام و زين بالنقوش.
- (٦) و فى سنة ١٦١ هـ أمر المهدي بن المنصور بتوسيع المسجد الحرام كذلك
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٦٦
- فأضاف توسيعا آخر سنة ١٦٤ هـ و تعتبر الزيادات التى تمت فى عصر المهدي مهمة اذ وصلت مساحة المسجد فى عمارته القديمة الى ما هى عليه حتى الآن.
- (٧) و فى سنة ٢٨٤ هـ كانت هناك بقية من دار الندوة خارج المسجد الحرام فأمر المعتضد العباسى وزيره بإضافة ذلك القسم و اجراء ما ينبغي للحرم من الاصلاح و الترميم.
- (٨) فى سنة ٣٠٦ هـ أمر المقتدر العباسى بزيادة مساحة المسجد الحرام المكان الذى يعرف الآن بباب ابراهيم و بهذا تكامل البناء القديم.
- أما العمران فى المسجد الحرام خلال العصور التاريخية فان أهم تعميمين كانا ما تمّ سنة ٨٠٣ هـ فى عهد السلطان ناصر فرج بن برقوق من سلاطين المماليك الشركسة المصريه فقد أجرى تجديد بناء احد اروقه الحرم بمكة المكرمة
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٦٧
- جانب المسجد الغربى كله من الجانب الشمالى على أثر حريق شبّ فى السنة المذكورة فى أحد الاربطه المتصلة بالمسجد فيما بين باب الوداع و باب ابراهيم فامتدت النار منه الى جانب المسجد الغربى فأنت على سقوفه و تساقطت مبانيه ثم وصلت النار الى الجانب الشمالى فالتهمت رواقين منه، و فى سنة ٩٧٩ هـ جدد السلطان سليم الثانى عمارة المسجد الحرام تجديدا كاملا فهدمت بعض الاروقه و اعيد بناؤها و لكنها لم تسقف بالخشب بل جعلت سقوفها قبايا و هى الموجودة الآن و قد أتمّ عمارة المسجد بعد وفاة السلطان سليم ولده السلطان مراد، و قد كمل البناء سنة ٩٨٤ هـ.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٦٨

المدينة المنورة

إشارة

مدينة مهمة من مدن الحجاز، أصبحت لها أهمية كبيرة بعد هجرة الرسول (ص) إليها و اتخاذها سكنا و مقرا له. و كانت المدينة قبل دخول الرسول (ص) إليها تعرف باسم يثرب و قد سماها بطليموس و ستيفان البيزنطى (يثربا) Yathrippa كما ظهر اسمها فى بعض النقوش القديمة باسم (إثرب) Ithrib، و يذكر ان يثرب كانت ناحية من المدينة ثم أطلق على المدينة كلها (من اطلاق البعض على الكل).

ولما هاجر النبي (ص) اليها كره ان تسمى باسمها و سماها طيبة و طابة، و كانت لها اسماء أخرى مختلفه مثل المسكينه و جابره و المجبوره و المرجومه و العذراء و المحبه و المحبوبة و القاحمه ، و قد أورد السمهوري أربعة و تسعين اسما للمدينه . و تقع المدينه الى شمال مكه، و أرضها مستويه و الى شمالها جبل أحد و فى جنوبها جبل غير على مقربه من ذى الحليفه، و هو جبل مستقيم شامخ، و الى غرب المدينه سهل فسيح خصب، يعرف بحره و اقم،
موسوعه العتبات المقدسه، ج ١، ص: ٦٩

و عندها وقعت موقعه الحره سنه ٦٣ هـ، و فيها قال الشاعر عبد الله بن قيس الرقيات:

تذكر من قتلى بحره و اقم أصبن و أرحاما قطعن شوابكا

و الى شمال المدينه يقع جبل سلع، قال الشاعر البغدادي متشوقا الى سلع:

ألا ليت شعري هل ابتن ليله بسلع و لم تغلق على دروب

و فى سهل المدينه أوديه كثيره تجتمع فيها السيول و من اشهر تلك الاوديه:

قناه و مهروز و العقيق و بطحان و رانون و مذيقه، و من أهم هذه الاوديه وادى العقيق، و للرسول الكريم (ص) أحاديث كثيره فى بركته و طيبه، و هو يقع الى غرب المدينه، و يبدو ان قصور أغنياء المدينه كانت تقوم فى العقيق و قد ابتنى قوم مناصحابه بالعقيق و نزله . و من الذين شيدوا قصورهم بالعقيق عروه بن الزبير و قصر عاصم بن عمرو و قصر المغيره بن ابى العاص و قصر

موسوعه العتبات المقدسه، ج ١، ص: ٧٠

عنسه بن عمرو .

و العقيق فيه عيون و نخل ، و ماؤه عذب ، و كان لجماله الرائع و طبيعته الاخاذه و طيب هوائه، ما جعل الشعراء يتغنون بهذا الوادى الخصب البديع، فقد تشوق اليه من بغداد سعيد بن سليمان فقال:

و بعد المصلى و العقيق و أهله و بعد البلاط حيث يحلو التزاور

إذا أعشبت قرياته و تزينت عراض بها نبت أنيق و زاهر

و غنى بها التريان تغزو بناتها كما واقعت أيدى القيان المزاهر

و قالت اعرابيه من العقيق تزوجت فى نجد:

إذا الريح من نحو العقيق تنسمت تجدد لى شوقا يضاعفن من وجدى

إذا رحلوا بى نحو نجد و أهله فحسبى من الدنيا رجوعى الى نجدى

و قال البحرى فى وادى العقيق:

وقفه بالعقيق تطرح ثقلا من دموع بوقفه فى العقيق

و من أجمل ما وصف به وادى العقيق ما كتبه سعيد بن العاص الى عبد الأعلى بن عبدان و محمد بن صفوان الجمحى و هما ببغداد يذكرهما بطيب العقيق فى أيام الربيع:

ألا قل لعبد الله إما لقيته و قل لابن صفوان على القرب و البعد

ألم تعلمنا ان المصلى مكانه و ان العقيق ذو الاراك و ذو المراد

و ان رياض العرصتين تزينت بنوارها المصفر و الاشكال الفرد

موسوعه العتبات المقدسه، ج ١، ص: ٧١

اختلف فى الوقت الذى نزل فيه اليهود مدينه يثرب، فيقول ناس انهم نزلوا المدينه فى عهد موسى عليه السلام ، و يقول آخرون انهم بقايا العمالين ، و تدل الأبحاث التاريخيه ان اليهود كانوا أسبق من القبائل العربيه فى يثرب و بسبب عوامل جغرافيه و طبيعيه من أهمها

انهيار سد مأرب و وقوع أزمة اقتصادية كبيرة في بلاد اليمن اضطرت بسببها اقوام القبائل اليمانية الى ترك اليمن و الهجرة الى راضى أخرى حيث الخصب و وفرة المياه، و قد انتشرت تلك القبائل فى مناطق مختلفة من الجزيرة العربية و من تلك المناطق التي اتجهت اليها القبائل المهاجرة مدينة يثرب فقدمت الاوس و الخزرج اليها و استقروا فيها من القبائل اليهودية الساكنة فى يثرب و كانت الثروة فى بنى اسرائيل و كانوا ينفون على عشرين قبيلة، و لهم قرى اعدوا بها الاطام فنزلت الاوس و الخزرج بينهم و حواليهم .

و يبدو ان الاوس و الخزرج بعد سكناهم مع القبائل اليهودية، سألوه ان يعقدوا معهم حوارا و حلفا يأمن به بعضهم من بعض و يمتنعون ممن سواهم، فتعاقدوا و تحالفوا و اشتركوا و تعاملوا و لكن اليهود بعد ان وجدوا الأوس و الخزرج قد استقرت بهم الاحوال و صارت عندهم الأموال انقلبو عليهم، و قطعت القبائل اليهودية الحلف الذى عقد بينها و بين القبائل العربية و جرت بين الاوس و الخزرج من جهة و بين القبائل اليهودية منازعات و وقائع، انتهت بانتصار الاوس و الخزرج و سيادتهم المدينة، ثم اخذت المنافسة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٧٢ و ان بها لو تعلمان اصائلا و ليلا رقيقا مثل حاشية البرد

فهل منكما مستأنس فمسلم على وطن أو زائر لذوى الود

فأجابه عبد الأعلى:

أتانى كتاب من سعيد فشاقي و زاد غرام القلب جهدا على جهد

و أذرى دموع العين حتى كأنها بها رمد عنه المراد لا تجدى

فان رياض العرصتين تزينت و ان المصلى و البلاط على العهد

و ان غدیر اللابتين و نبتة له أرج كالمسك أو عنبر الهند

فكدت بما أضمرت من لاعج الهوى و وجد بما قد قال أفضى من الوجد

القبائل التي نزلت المدينة:

تذكر المصادر العربية ان أول من نزل يثرب بعد الطوفان قبيلة عييل ثم أخرجوا منها فنزلوا الجحفة فجاءهم سيل أجحفهم فيه فلهذا سميت جحفة و قال ابو القاسم الزجاجى أول من سكن المدينة عند التفرق يثرب بن ثانية ابن مهلائيل بن ارم بن عييل بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام، و به سميت يثرب ، و ذكر ياقوت أن أول من زرع بالمدينة و اتخذ بها النخل و عمر بها الدور العمالين و جاء فى شفاء الغرام انه قد نزل المدينة قبل الاوس و الخزرج أحياء من العرب .

و نزلت المدينة اقوام من القبائل اليهودية مثل بنى القينقاع و بنى النضير و بنى قريظة، و ابتنوا المنازل قبل نزول الاوس و الخزرج ، و قد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٧٣

مأخذها بين القبيلتين العربيتين، و جرت بينهما الحروب و كان آخرها يوم بعث الذى اقتتل الطرفان قتالا عنيفا و فقدت الاوس و الخزرج نفوسا كثيرة، و بعدها حاول كبار رجال القبيلتين توحيد جهودهما و تنظيم حياة القبيلتين سياسيا و اقترحوا على تحكيم احد زعماء الخزرج من الذين عرفوا بتقدم السن و رجاحة العقل و الخبرة و الدراية، و لكن تباشير الحياة الجديدة التي انتظمت ببعث الاسلام و وصلت الى المدينة فأيدت الدعوة الاسلامية و آمنت بمبادئها، فكان الاسلام منقذا لجموع العرب فى يثرب و تخليصهم من سيادة اليهودية.

الاسلام فى يثرب:

و كانت بيعة العقبة الاولى ٦٢١ م حيث حج مكة اثنا عشر رجلا من أهل يثرب جرت مقابلتهم للرسول عند العقبة، و بايعوه على ان لا يشرك أحدهم بالله شيئا و لا يسرق و لا يزني و لا يقتل اولاده و لا يأتي ببهتان يفتره بين يديه و رجليه و لا يعصيه في معروف. و في سنة ٦٢٢ م كانت بيعة العقبة الثانية، و قد زار مكة ثلاثة و سبعون رجلا و امرأتان و بايعوا الرسول على مناصرته و تأييده، و محاربة الأسود و الاحمر في سبيله . و في سنة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٧٤

٦٢٢ م كانت هجرة الرسول (ص) الى يثرب و بدأت حياة جديدة للمسلمين فيها كما اصبحت المدينة مركزا للدعوة الاسلامية و عاصمة لحكومتها و بذلك تكون مكة قد فقدت نفوذها و مكانتها خاصة بعد الغلبات الرائعة التي أحرزها الرسول و المسلمون في المواقع الاسلامية التي تكلفت بالنصر المؤرز في يوم الفتح ٢٠ رمضان سنة ٨هـ، و فتحت مكة و حطمت أصنامها و أوثانها و انتشر الاسلام في ربوعها و اوضحت مصرا من أمصار المسلمين المهمة و مراكزهم المقدسة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٧٥

البقيع

يقع البقيع شرق المدينة ، و البقيع في اللغة، الموضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى ، و قد عرف البقيع ببقيع الغرقد، و الغرقد: كبار للعوسجة ، و البقيع مقبرة أهل المدينة، و قد رويت عن النبي الكريم (ص) أحاديث في فضل البقيع، و من تلك الاحاديث المشهورة قوله (ص) «يحشر من هذه المقبرة سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب و كأن وجوههم القمر ليلة البدر» .

و البقيع مكان مقدس مبجل عند المسلمين منذ اتخذ الرسول (ص) المدينة مركزا للدعوة الاسلامية، و في هذا المكان الطيب الكريم، دفن من الأئمة الأطهار و الصحابة الأبرار و السادة الاجلاء اولئك الذين كانوا الطليعة الاولى في بناء صرح الاسلام و الباذلين ارواحهم في سبيل اعلاء كلمة الله و نشر مبادئ القرآن.

و أول من دفن في البقيع من الصحابة الكرام عثمان بن مضعون، و مما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٧٦

يذكر ان البقيع كان غرقدا، فلما دفن عثمان بالبقيع، قطع الغرقد عنه ، و لما توفي ابراهيم بن رسول الله (ص) أمر (ص) ان يدفن عند عثمان بن مضعون، فرغب الناس في البقيع، و قطعوا الشجر فاخترت كل قبيلة ناحية، فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها .

و تدل الأخبار التاريخية ان قبر عثمان بن مضعون في وسط البقيع في المنطقة التي اطلق عليها الرسول اسم الروحاء، روى ابن شبة: كان البقيع غرقدا، فلما هلك عثمان بن مضعون دفن في البقيع و قطع الغرقد عنه. و قال رسول الله (ص) للموضع الذي دفن فيه عثمان: هذه الروحاء و ذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد الى زاوية دار عقيل اليمانية، ثم قال النبي (ص):

هذه الروحاء، للناحية الأخرى، فذلك ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد الى أقصى البقيع يومئذ .

و البقيع في الوقت الحاضر يقع شرق المدينة المنورة و هو على شكل مستطيل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٧٧

طوله ١٥٠ م و عرضه ١٠٠ م، و في هذا المكان دفن ناس من الأئمة و كبار الصحابة (ع)، فمن الذين دفنوا في البقيع السيدة فاطمة الزهراء (ع) و ابراهيم و رقية من أولاد الرسول (ص)، و فاطمة بنت أسد أم الامام علي بن ابي طالب (ع) و الامام الحسن بن علي و علي بن الحسين زين العابدين (ع) و ابو جعفر محمد الباقر (ع) و جعفر الصادق (ع) و العباس بن عبد المطلب، و جميع زوجات الرسول (ص) إلا السيدة الفاضلة خديجة بنت خويلد (ع) فمدفنها بمكة. و من الصحابة المشهورين المدفونين في البقيع عبد الله بن مسعود، و سعد بن معاذ، و ابو سعيد الخدري، و عثمان بن عفان، و عبد الرحمن بن عوف، كذلك دفن في البقيع مالك بن أنس

الاصحى.

و من الجدير بالذكر ان تلك القبور جميعا مندرسة و قد ضرب حولها سياج و قد جرت محاولات لبناء مشاهد الائمة و آل البيت الكرام و لحد كتابة هذه السطور لم يجد شىء جديد.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٧٨

الكوفة

ذكر اصحاب المعاجم اللغوية فى معنى الكوفة انه: كل رملة تخالطها حصباء، و انها سميت بهذا الاسم لاستدارتها، و فى سنة ١٧ هـ و بعد انتصار المسلمين بقيادة سعد ابن ابى وقاص فى موقعة القادسية المشهورة فتح سواد العراق، و باشر بناء مدينة يتخذها معسكرا لجنده فاختر مكان الكوفة الحالية، و قام بتخطيط المدينة ابو الهياج الاسدى عمرو بن مالك بن جنادة و يصف البلاذرى مبدأ التخطيط فيقول: ان عبد المسيح بن بقله اتى سعدا و قال له ادلك على ارض انحدرت من الفلاة و ارتفعت عن المباق، فدل على موضع الكوفة اليوم و كان يقال له سورستان، فلما انتهى الى موضع مسجدنا امر رجلا فعلا بسهم قبل مهب القبلة فاعلم على موقعه ثم علا بهم اخر قبل مهب الشمال و اعلم على موقعه ثم علا بهم قبل مهب الجنوب و اعلم على موقعه ثم علا بهم قبل مهب الصبا فاعلم على موقعه، ثم وضع مسجدنا و دار امارتها فى مقام العال و ما حوله و اسهم لنزار و اهل اليمن بسهمين على انه من خرج بسهمه اولا فله الجانب الايسر و هو خيرهما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٧٩

فخرج سهم اهل اليمن فصارت خططهم فى الجانب الشرقى و صارت خطط نزار فى الجانب الغربى، و من وراء تلك العلامات، و ترك ما دونها فناء للمسجد و دار الامارة .

و قد حرص المسلمون فى بدء الفتوحات الاسلامية، ان يشيدوا معسكراتهم و مدنهم فى امكنة تتصل بمركز الدولة الاسلامية فى الحجاز، و ان تكون الصحراء العربية طريقهم المباشر بذلك المركز، و لا- يجعلوا بحرا او نهرا او جبلا حاجزا بين ما يشيدون و بين مركز انتشارهم و تحركهم، و لا يبتعدوا مسافة عن المدينة التى كانت مشيدة قبل دخولهم البلاد المفتوحة، فلم يتخذوا الحيرة سكنا بل ابنتوا الكوفة التى تبعد حوالى ثمانية كيلومترات عن مسجد الكوفة الى الجنوب، و ينطبق هذا التعليل على بنا المسلمين لمدينة البصرة القريبة من مدينة الأيلة و بناتهم لمدينة الفسطاط القريبة من عين شمس، و نعتقد ان المسلمين كانوا يريدون الابتعاد قدر الامكان عن السكان الاصليين و عدم الاختلاط بهم كى لا موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٨٠

يتأثروا بعاداتهم و تقاليدهم و افكارهم و حتى يبقى الجندى الاسلامى بعيدا عن كل ما تحوى تلك المدن من لهو و مشاغل نفسية و فكرية و يظل دائما و ابدا تحت السلاح كى يؤدى واجبه بشكل صحيح.

و ارض الكوفة سهلة، عالية فوق مستوى الفيضان، ترتفع عن مستوى سطح البحر بمقدار ٢٢ م، و انها بعيدة عن مناطق الاهوار و المستنقعات، و من الجدير بالذكر ان ضفة النهر الغربية اعلى من الضفة الشرقية بمقدار ٥-٦ م، و فى بعض الاقسام الجنوبية يقل ذلك الارتفاع، و الاراضى القريبة من النهر تكون رسوبية خصبة صالحة للزراعة اما ما دون ذلك فارض رملية حصباء تنحدر انحدارا تدريجيا من جهة الغرب فتؤلف ضفة كلسية غير مستنقعية هى النجف، ترتفع بمقدار ٦٠ م عن مستوى سطح البحر ثم تنخفض من جهة الغرب و الجنوب فتؤلف بحيرة ضحلة مالحة هى بحر النجف ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ١٠ م.

و قد شيدت الكوفة على ضفاف نهر الفرات و ترك المسلمون صحراءهم العربية الى جانبهم، فكان الفرات الى شرق المدينة و الصحراء من جبهتها الغربية و تقع الحيرة الى جبهتها الجنوبية الغربية و الكفل من جبهتها الشمالية الشرقية.

و تحسن هنا الملاحظة ان الكوفة كانت اقرب الى الفرات من مدينة الحيرة، و هذا الامر ساعد فى سيطرة الكوفة على الجسر القائم على

نهر الفرات الذي كان الرابط التجاري المهم الذي يربط العراق و ما يجاوره بالطريق التجاري الذي كانت تتبعه القوافل التجارية نحو الحجاز و جنوبي الجزيرة العربية. ذكر المسعودي:

ذكر عبد المسيح بن عمرو بن نفيثة النسائي حين خاطب خالد بن الوليد ايام ابي موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٨١

قليل العمق، و ان اثنين من تلك الاواوين ينفذان الى دهليزين، و هذان يفضيان بكر بن قحافة (ر) حين قال له: ما تذكر؟ قال: اذكر سفن الصين وراء هذه الحصون (يقصد وراء الحيرة) فلما انقطع الماء عن ذلك الموضع انتقل البحر بڑا. فصار من البحر في هذا الوقت على مسافة ايام كثيرة، و من اشرف من وراء النجف عليه تبين له ما وصفنا .
و من اهم النقاط الدالة على مدينة الكوفة التاريخية، مسجد الكوفة و قصر الامارة و مسجد السهلة و الاكام المتناثرة بين المسجد و الطريق المؤدى الى مدينة النجف.

و مسجد الكوفة مربع الشكل تقريبا، ذلك لان اضلاعه الاربعه مختلفه الطول اختلافا قليلا فهي على التوالي ١١٠، ١١٦، ١٠٩، ١١٦. و من اهم مظاهر المسجد مشهد الامام على (ع) الذي يقع في رواق الضلع الجنوبي، و هناك محاريب منتشرة في المسجد و قد تداولت بين الناس باسم المقامات، و منها باسم مقام الخضر و باسم مقام زين العابدين و باسم مقام جبرائيل و باسم مقام ابراهيم (ع).
و من مظاهر المسجد السفينة او التور و يكاد يكون في وسط المسجد، و ينزل الى السفينة بدرج منظم تعلوه عقادة مائله، يفضى هذا الدرج الى ساحة مكشوفة مئمنه الاضلاع تعلو جدرانها الى ما فوق ارض المسجد قليلا، فتظهر من الخارج على هيئة حوض مئمن و في كل ضلع من اضلاع هذا الصحن المئمن ايوان
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٨٢

الى سردابين مستوفين و يبدو ان لهذا المبنى الذي عرف بالسفينة فروعا داخلية اخرى، و واضح الجدار الذي سدت به، و ان هذا الجدار على ما يبدو قد استحدث حديثا. اما سبب تسميته بالسفينة، فالناس يعتقدون ان سفينة نوح (ع) كان رسوها في هذا المكان بعد الطوفان.

و من مظاهر المسجد ايضا بيت (الطشت) الذي يتكون من سرداب يمتد تحت الارض و ينتهي من طرفيه بدرجين يؤديان الى مدخل و مخرج. و من الجدير بالذكر ان مسجد الكوفة في بنائه الحالي يختلف عما انشئ في بادىء الامر، و قد طرأت على بنائه توسيعات و ترميمات في عصور تاريخية مختلفة.

اما قصر الامارة، فانه شيد بمحاذاة الضلع الجنوبي لمسجد الكوفة، و من الثابت تاريخيا ان سعد بن ابي وقاص اول من شرع في بناء هذا القصر، و قد ظهر من التنقيبات الاثرية التي اجرتها مديرية الاثار العراقية، ان المسجد كان يتصل بالقصر من باب مفتوح في الجدار الجنوبي للمسجد، و ان طول ضلع القصر نحو ١٧٧ م و ان معدل سمك الجدران ٦٠، ٣ و معدل قطر الابراج ٣٠، ٣ م.
و الى جهة المسجد الجنوبية الغربية بحدود ٨٥ م بناية صغيرة تعرف بين مدينة الكوفة مصورة من الطائفة
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٨٣

الناس باسم بيت الامام على (ع) و يذكرون ان الامام كان يسكنه و انه كان غسل فيه بعد استشهاده .
و يقوم قبر مسلم بن عقيل (ر) و قبر هاني بن عروة في مشهدين في مكان قريب ملاصق لجدار مسجد الكوفة الشرقي و يفضى اليهما من باب كبيرة في ذلك الجدار، كما ان للمشهدين بابا من جبهة البناء الشمالي، و الى مكان قريب من مشهد مسلم بن عقيل (ر) يقوم قبر المختار بن ابي عبيد الثقفي زعيم التوابين.

و في خارج مسجد الكوفة و الى القرب من بيت الامام على (ع) يقوم قبر ميثم التمار و هو من انصار الامام على (ع) الخالصاء.
و في الكوفة مساجد، لها مكانة كريمة عند الشيعة، تلك المساجد هي مسجد السهلة و مسجد غنى، و مسجد بنى ظفر، و مسجد

الحمراء، و مسجد جعفي، روى المجلسي عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام انه قال: بالكوفة مساجد ملعونة و مساجد مباركة فاما المباركة فمسجد غني و الله ان قبلته لقاسطة، و ان طينته لطيفة و لقد بناه رجل مؤمن و لا تذهب الدنيا حتى تنفجر عنده عينان و يكون فيهما جنتان و اهله ملعونون و هو مسلوب منهم و مسجد بنى ظفر و مسجد السهلة و مسجد الحمراء و مسجد جعفي.

و اشهر هذه المساجد هو مسجد السهلة، و هو البقية الباقية من المساجد التي اختطتها القبائل بعد مسجد الجامع، و يقع المسجد اليوم في ظاهر الكوفة في الجهة الشمالية الغربية من المسجد الجامع على نحو كيلومترين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٨٤

في ارض خالية من العمران و السكن.

و يرجع ان هذا المسجد شيد قبل مجيء الامام على الى الكوفة، و يذكر ابن الفقيه ان الامام عليا (ع) قال: ان بالكوفة اربع بقاع قدس مقدسة فيها اربعة مساجد قيل سمها يا امير المؤمنين قال: احدها مسجد ظفر و هو مسجد السهلة .

مساحة المسجد ١٤٠* ١٢٥ م ٢ و ترتفع جدرانها نحو ٢٢ م و كل ضلع من اضلاعه الاربعة تدعمه ابراج نصف دائرية من الخارج على ابعاد متساوية و ارضية بيت الصلاة مفروشة بالاجر ٢٤* ٢٤ سم ٢ على طراز هندي مقسم بهيئة مستطيلات متساوية الابعاد، اما المحراب فيقع في وسط بيت الصلاة و هو يخلو من آثار الزخرفة او الكتابة.

و من اشهر محلات الكوفة (الكناسة) الواقعة الى غرب مسجد الكوفة و هذه المحلة التي اصبحت مركزا مهما في المدينة تركزت فيها التجارة خاصة تجارة بيع و شراء الجمال و البغال و الحمير كما كانت فيها سوق لبيع و شراء العبيد و سميت بهذا الاسم لانها كانت مكانا لرمي الانقاض لبنى اسد، و من اشهر من سكنتها من القبائل العربية، قبيلة عيس و ضبة و تميم كما سكنتها بنو رباح و بنو دارم و بنو حمام و بنو الشيطان و بنو عوف و بنو حرام و بنو هالك و بنو الكاهل.

ان اهم القبائل التي سكنت الكوفة هي قبيلة كندة، و بجيلة، و همدان، و ثقيف، و مدحج، و تميم، و اسد، و بكر، و الازد، و طي، و قد اقطعت هذه القبائل الاماكن التي اتخذتها مستقرا و سكونا.

و كان اول الوافدين اليها بعد العرب الفرس و كان عددهم اربعة الاف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٨٥

ممن كانوا يعملون في الجيش الفارسي و شهدوا القادسية على رستم، و قد فاوضوا سعدا على ان ينزلوا الكوفة حيث احبوا و يحالفوا من احبوا، و يفرض لهم في العطاء، فاعطوا الذي سألوه و انزلهم سعد بحيث اختاروا و فرض لهم في الف الف و كان لهم نقيب منهم يقال له (ديلم) فاطلق عليهم حمراء ديلم، لان العرب كانت تسمى العجم الحمراء .

ثم سكن الكوفة بعد تمصيرها السريان الذين كانوا يسكنون الديارات القائمة في أطراف الحيرة و النجف، و كان في الكوفة اسقفان احدهما نسطوري و الآخر يعقوبي، و كان نصارى الكوفة طائفتين (نساطرة) و هم الحضرة (يعاقبة) و هم البدو . موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٨٦

و قدم الكوفة وافدين من نجران اليمن اليهود و النصارى و كان معظمهم صيارفة قاموا بالكوفة في محلة عرفت بالنجرانية ، ثم نمت الكوفة و ازدهرت و صارت قبله انظار العرب، و وصلت أوج عظمتها و توسعها في العصر الأموي، و بلغت مساحتها ستة عشر ميلا و ثلثي الميل ، و قال عنها الاصحري: انها اصبحت تضاهي البصرة من حيث السعة و العمران . و كان فيها خمسون الف دار للعرب من ربيعة و مضر و اربعة و عشرون الف دار لسائر العرب و ستة آلاف دار لليمن .

و في سنة ١٣٢ هـ ٧٥٠ م أعلنت الخلافة العباسية في الكوفة و نودي بأبي العباس السفاح أول خليفة عباسي، و قد تحول السفاح عنها الى مدينة الهاشمية القريبة من الكوفة، و لما تولى ابو جعفر المنصور الحكم بعد وفاة ابي العباس السفاح سنة ١٣٦ هـ ٧٥٤ م بنى في الكوفة (الرصافة) و أمر أبا لخصيب مرزوقا مولاه فبنى له القصر المعروف بأبي الخصيب على أساس قديم و يقال ان أبا الخصيب بناه

لنفسه فكان المنصور يزوره فيه .

و يقع بالقرب من الكوفة خندق يعرف بخندق (كرى سعده) و يعرف ايضا بخندق سابور، و يعتقد ان الفرس الساسانيين هم الذين انشأوا هذا المشروع الكبير، و يبدأ من جنوب مدينة هيت على الفرات بمسافة ١٧ كم و يخترق البادية على طول الحدود العراقية لاراضى العراق السهلة و ينتهى البحر قرب مصب (بوبيان) على بعد ٢٠ ميلا من شط العرب
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٨٧

غربا و يعرف هذا الخندق بعد ان يمر من غرب الحباية مارا بجبل سعده ثم وادى (ابو فروج) ثم الى الجنوب الشرقى باتجاه (غدير المالح) و يسلك وادى (الفضاوى) ثم هور ابى ديس الى بحر النجف ملازما الضفة الغربية قرب الكوفة ثم يقطع المسافة الى هور الحمار حيث ينتهى بالقرب من جبل سنام .

و ترتبط الكوفة مع البلدان المختلفة بطرق متعددة، فالطريق الموصل من الكوفة الى مكة كان يسير متجها نحو القادسية ثم المغيثة ثم القرعاء ثم واقصة ثم زباله ثم الشقوق ثم بيطان و الاماكن الاربعة هى ديار بنى اسد و الثغليبة و هى مدينة عليها سور و زرود و الاجفر منازل طى ثم مدينة فيسد و هى التى ينزلها عمال طريق مكة و اهلها من طى.

و توز و سميراء و الحاجر و اهلها قيس و اكثرهم بنو عبس و النقرة و منها يعطف الطريق من اراد المدينة او اراد مكة و من اراد الاتجاه نحو البصرة فيسلك طريق بارق ثم القلع ثم سلمان ثم الى أقر ثم الى الاخايد ثم الى عين صيد ثم الى عين جمل ثم الى البصرة .
و من اراد التوجه الى واسط فيسلك طريق البطائح و تقدر المسافة بست مراحل .

و اول ولاية الكوفة هو سعد بن ابى وقاص الزهرى، الذى كان يقود حملة فتح العراق و تولاهما بعده عمار بن ياسر ثم ابو موسى الاشعري، ثم تعاقب الولاة عليها حتى سنة ٣٦ هـ، فقد نزل بها الامام على (ع) بعد انتصاره فى معركة الجمل، و اقام فيها و قتل و اصبحت مركزا للخلافة الاسلامية، و بعد اغتيال الامام على (ع) انتخب فيها الامام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٨٨

الحسن (ع) خليفة للمسلمين، و بقى كذلك نحو ستة اشهر، ثم صار الامر لمعاوية بن ابى سفيان فانتقلت حاضرة الدولة الاسلامية الى دمشق، و ظلت هكذا حتى سنة ١٣٢ هـ فيها سقطت الدولة الاموية و قامت الدولة العباسية، و اصبحت الكوفة عاصمة الدولة الجديدة و ظلت عاصمة حتى انتقل منها السفاح الى الهاشمية فالانبار

ان الكوفة تعتبر من اهم مراكز الحضارة الاسلامية فى القرون الوسطى، امتازت بعراقتها فى الثقافة العربية، و انها بفخر حاملة لواء الدراسات اللغوية و مدرستها فى النحو غنية عن التعريف، و قد ساهمت هذه المدينة اسهاما كبيرا فى الحفاظ على التراث العربى من ادب و شعر و لغة، كما كانت ميدانا واسعا لنمو الحركات الفكرية الجارية فى الاسلام .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٨٩

النجف الاشرف

مدينة تقع فى طرف الصحراء، بينها و بين الكوفة زهاء ستة أميال، و مناخها صحراوى، حار و جاف صيفا و بارد قارص شتاء، و ترتفع المدينة عن سطح البحر بزهاء ٢٣٠ قدما، و معدل سقوط المطر فى المدينة سنويا ١-٥ قطرة فى كل بوصة، و مدينة النجف عرضة لرياح السموم بسبب وقوعها فى طرف الصحراء و اختلاف درجة الحرارة فيها، و قد تبلغ درجة الحرارة فى المدينة صيفا ٤٨ درجة مئوية. و اكثر احيانا و تقع النجف غربى بغداد و على بعد حوالى ١٨٠ كم.

و النجف قريبة من الحيرة، عاصمة المناذرة بل انها ضاحية من ضواحيها الجميلة، و قد انتشرت الاديعة المسيحية فى منطقة النجف، و من أشهرها دير فاثيون و هو فى اعلا النجف و دير ابن مزعوق فى جنوبها، قال الشاعر محمد بن عبد الرحمن الثروانى:

قلت له و النجوم طالعة في ليلة النصح اول السحر
هل لك في مار فاثيون و في دير ابن مزعوق غير مختصر
يفيض هذا النسيم من طرف الشام و درّ الندى على الشجر
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٩٠

و من الأديرة المشهورة، ديارات الاساقف، و هذه الديارات بالنجف، بظاهر الكوفة، و هو اول الحيرة، و هي قباب و قصور تسمى
ديارات الاساقف و بحضرتها نهر يعرف بالغدير، عن يمينه قصر أبي الخصيب مولى أبي جعفر، و عن شماله السدير، و فيه يقول علي
بن محمد جعفر العلوي الحماني:

كم وقفه لك بالخورنق ما توازي بالمواقف
بين الغدير الى السدير الى ديارات الاساقف

و قصر أبي الخصيب، هو احد المتنزعات يشرف على النجف و على ذلك الظهر كله، يصعد من اسفله في خمسين درجة الى سطح
آخر، أفصح في غاية الحسن و هو عجب الصنعة، و في قصر أبي الخصيب موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٩١
يقول بعضهم:

يا دار غير رسمها مّر الشمال مع الجنوب بين الخورنق و السدير فبطن قصر أبي الخصيب

فالدير فالنجف الأشم جبال ارباب الصليب و من الأديرة المشرفة على النجف، دير مارت مريم، دير قديم من بناء آل المنذر بنواحي
الحيرة بين الخورنق و السدير و بين قصر أبي الخصيب، و فيه يقول الثرواني:

بمارت مريم الكبرى و ظل فنائها فقصر أبي الخصيب المشرف الموفى على النجف

(* و يبدو ان النجف كانت مسرحا للوقائع الحربية في اثناء الفتوحات الاسلامية، و قد نزل فيها القائد خالد بن الوليد و قواده الدين
شاركو في فتح منطقة الحيرة، و بالقرب من النجف الاشرف دارت المعركة الفاصلة في تاريخ الفتوحات الاسلامية، تلك هي معركة
القادسية، في آخر سنة ١٦ هـ . و القادسية بين الكوفة و العذيب، و قد انتصر المسلمون في تلك الوقعة المشهورة، انتصارا عظيما، و
فتحوا السواد، و في ذكر تلك الوقعة الحاسمة، قال بشر بن ربيعة بن عمرو الخثعمي:

ألم خيال من اميمة موهناو قد جعلت أولى النجوم تغور

و نحن بصحراء العذيب و دارها حجازية ان المحل شطير موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٩٢ فزارت غريبا نازحا جل ماله جواد و
مفتوق الغرار طير

و حلت بباب القادسية ناقتي و سعد بن وقاص علي أمير

تذكر هداك الله وقع سيوفنا بباب قديس و المكّر ضرير

عشية و دّ القوم لو ان بعضهم يعار جناحي طائر فيطير

و يصف الققعق بن عمرو التميمي المعارك الطاحنة كما يذكر القتلى في قوله:

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة و أخرى باثباج النجاف الكوانف

فنحن و طئنا بالكواظم هرمزاو بالثني قرني قارن بالجوارف

و النجف في اللغة، مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد و يكون في بطن الوادي و قد يكون بطن من الارض، جمعه «نجاف» و النجف
محركة، التلّ و قشور الصليان، و هو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء ان يعلو الكوفة و مقابرها .

إن اهم القبائل التي كانت تحوّل في اطراف الحيرة و النجف هي قبيلة تغلب التي هاجرت بعد حرب البسوس في ايام عمرو بن هند ،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٩٣

و كذلك قبيلة بكر و من اشهر فروعها قبيلة شيان، و كانت لهذه القبيلة الاخيرة مواقف مشهورة و قد انتصرت مع حليفاتها القبائل العربية على الجيوش الساسانية في موقعة ذي قار

و قد اصبحت منطقة النجف ضمن الاراضى التى تم فتحها بأيدي المسلمين، و بنيت الكوفة سنة سبع عشرة للهجرة، كما مر بنا سابقا، و استمرت هذه المدينة ولاية مهمة من ولايات الدولة الاسلامية حتى سنة ٣٦ هـ، ففي هذه السنة قدم اليها الامام على بن ابى طالب (ع) بعد فراغه من موقعة الجمل، و اقام فيها، و اوضحت الكوفة عاصمة للخلافة الاسلامية مدة اربع سنوات.

و فى الحادى و العشرين من رمضان سنة ٤٠ هـ ٦٦١ م توفى الامام على (ع) متأثرا من جرحه اثر الضربة التى اصابه بها احد الخوارج و هو عبد الرحمن بن ملجم المرادى، و قام بدفنه اولاده و اعضاء اسرته المقربون سرا فى النجف، و طوال الحكم الاموى لم يشيد لمدفنه الشريف ضريح، و انما كان التقاء و زيارة العاويين لقبره هو الذى شخص مدفنه حتى زال الحكم الاموى.

و نتيجة للاخبار التاريخية تعتبر عمارة هرون الرشيد العباسى اول عمارة للقبر الشريف، و بداية الدفن فى منطقة النجف، و نزول الناس ذلك المكان تبركا بالراقد الكريم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٩٤

و عقب عمارة الرشيد، عمارة محمد بن زيد بن محمد بن الحسن العلوى الحسنى، صاحب طبرستان و الديلم الذى ولى الامر بعد وفاة اخيه الحسن بن زيد سنة ٢٧٠ هـ. فقد بنى على قبره الشريف قبة.

و ممن اشتهر أنه عنى فى بناء قبة على القبر الشريف و جعلها مرتفعة الاركان من كل جانب لها ابواب و سترها بفاخر الستور و فرشها بشمين الحصر السامان، ابو الهيجاء عبد الله ابن حمدان بن حمدون التغلبى المقتول سنة ٣١٧ هـ ٩٢٩ م

و لعل اجل العمارات و اهمها تلك التى قام بها الملك البويهى عضد الدولة، و انه صرف اموالا طائلة و عمر المشهد عمارة جليئة، و التى ظلت حتى سنة ثلاث و خمسين و سبعمائة و كان قد ستر الحيطان بخشب الساج المنقوش، فاحتقرت تلك العمارة، و جددت عمارة المشهد على ما هى الآن .

و تمصرت النجف و اتسع نطاقها بعد ذلك و حين زارها الرحالة ابن بطوطة فى سنة ٧٢٧ هـ ١٣٢٦ م قال عنها: انها مدينة حسنة فى ارض فسيحة صلبة من احسن مدن العراق و اكثرها ناسا و اتقنها بناء، و لها اسواق حسنة نظيفة . و مما جاء فى وصفه للروضة الطاهرة قوله:

«و يدخل من باب الحضرة الى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة و الصوفية من الشيعة و لكل وارد عليها ضيافة ثلاثة ايام من الخبز و اللحم و التمر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٩٥

مرتين فى اليوم، و من تلك المدرسة يدخل الى باب القبة و على بابها الحجاب و النقباء و الطواشية فعندما يصل الزائر يقوم اليه احدهم او جميعهم و ذلك على قدر الزائر، فيقفون معه على العتبة و يستأذنون له و يقولون: عن امركم يا امير المؤمنين، هذا العبد الضعيف يستأذن على دخوله للروضة العلية فان اذنتم و إلا- رجع و ان لم يكن اهلا- لذلك، فأتتم اهل المكارم و الستر ثم يأمرونه بتقبيل العتبة و هى من الفضة و كذلك العضداتان ثم يدخل القبة و هى مفروشة بانواع البسط من الحرير و سواه و بها قناديل الذهب و الفضة منها الكبار و الصغار و فى وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمه العمل مسمرة بمسامير الفضة قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شىء و ارتفاعها دون القامة».

و مما جاء فى وصف ابن بطوطة لأهلها قوله: «و ليس بهذه المدينة مغرم و لا مكاس و لا وال و انما يحكم عليهم نقيب الاشراف و أهلها تجار يسافرون فى الاقطار و هم اهل شجاعة و كرم و لا يضام جارهم، صحبتهم فى الاسفار فحمدت صحبتهم» .

و الروضة المقدسة التى فى وسطها القبر الشريف، مربعة الشكل، طول ضلعها ثلاثة عشر مترا و ارضيتها مفروشة بالرخام الإيطالى

المصقول و الجدران الى علو حوالى المترين، مغطاة بالرخام ذى اللون البديع، و ما يعلو تلك الصخور فقد كسيت الجدران جميعا بالمرائى الملونة و الزخارف الهندسية البديعة و بالفسيفساء ذات الاشكال الجميلة، و من الجدير بالذكر ان شاه ايران الحالى محمد رضا بهلوى، هو الذى امر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٩٦

بوضع المرايا و تزجيج الروضة الحيدرية على نفقته الخاصة، و قد بلغت كلفتها ٠٠٠، ١٢ دينار، و الذى قام برسم و تنظيم هذه المرايا الفنان الايرانى «حسين كيانفر» بمعمارية الحاج سعيد المعمار .

و فى وسط الحضرة القبر الشريف الذى ضم البدن الطاهر و قد وضع عليه صندوق من الخشب الساج المرصع بالعاج المنقوش عليه بعض الآيات القرآنية، محاط بشباكين، الاول مما يلى الصندوق الخشى من الحديد الفولاذ و الثانى من الفضة و قد كتبت فى اعلاه ابيات من قصيدة ابن ابى الحديد، التى يقول فى اولها:

يا رسم لا رسمتك ريح زعزع و سرت بليل فى عراصك خروج

و ابيات من قصيدة السيد الحميرى و التى مطلعها:

لأم عمرو باللوى مربع طامسة اعلامه بلقع

و تعلق القبر الشريف قبة جميلة واسعة مرتفعة من قاعدة الروضة المقدسة الى ٣٥ مترا و محيط قاعدتها ٥٠ مترا و قطرها حوالى ١٦ مترا، و للقبة ١٢ موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٩٧

شباكا، و هى مزينة بالقاشانى و ما تحت الشبايك بحوالى المتر، زينت الجدران باشكال مختلفة من المرايا البديعة.

و للروضة المطهرة ستة ابواب و الباب الاول يقع فى وسط الايوان الذهبى و قد نصب فى حدود سنة ١٢١٩ هـ و هو من آثار الحاج محمد حسين خان الاصفهانى الصدر الاعظم، و قد استبدلت هذه الباب، بباب ذهبية مطعمه بالمينا و الاحجار الكريمة، متقنة الصنع، رائعة المنظر، قام بعملها و صياغتها امهر الصاغة فى ايران، و فى اعلى الباب الرئيس كتابة نصها:

قال الرسول صلى الله عليه و سلم: (على مع الحق و لن يفترقا حتى يردا على الحوض).

و الباب الثانى و الثالث اللذان يدخل منهما الى الرواق الى الحرم المطهر فالذى يكون على يمين الداخل الى الحرم نصب سنة ١٢٨٣ هـ فى زمن السلطان عبد العزيز، و كان البازل لنفقته لطف على خان الايرانى، و الباب الذى على يسار الداخل الى المرقد الشريف نصب سنة ١٢٨٧ هـ ايام زيارة ناصر الدين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٩٨

القاجارى، و فى سنة ١٣٧٦ هـ قلعا و ابدلا بباين ذهبيين جميلين رائعين، امتازا ببديع الصنعة و الاتقان و كان البازل لنفقتهما المحسن الحاج محمد تقى الاتفاق الطهرانى و بمسعى السيد محمد كلانتر.

و فى اعلا الباب كتابات هذا نصها:

قال الرسول صلى الله عليه و سلم: انا مدينة العلم و على بابها- الحق مع على و على مع الحق. على حبه جنه. قسيم النار و الجنة. وصى المصطفى حقا، يا على، امام الانس و الجنة.

و فى داخل الحرم بابان فضيان عند الرأس الشريف، احدهما من جهة الشمال نصب سنة ١٣١٦ هـ و كانت الباذلة لنفقته بنت أمين الدولة زوجة على شاه، و نصب الآخر سنة ١٣١٨ هـ و كان البازل لنفقته الحاج غلام على منظر داخلى لأحد أروقة الحرم المزينة بالمرايا موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٩٩

المسقطى، و نصب فى الرواق باب سادس محلى بالذهب سنة ١٣٤١ هـ و موقعه قبال باب الصحن الشريف القبلى، بذلت مصروفاته والدة الحاج عبد الواحد الحاج سكر زعيم آل فتلة .

اما الصحن الشريف فيبلغ طول ضلعيه الشرقي و الغربي ٨٤ م و طول ضلعه الشمالي ٧٤ و الجنوبي ٧٥ م و في كل ضلع من ضلعيه الشمالي و الشرقي خمسة عشر إيوانا و في كل من ضلعيه الغربي و الجنوبي اربعة عشر إيوانا و في كل ايوان حجرة هي مقبرة احد المشاهير و قد شيدت هذه الحجرات لتكون مأوى لطلاب العلم، اما الآن فقد اشغلت من قبل قراء القرآن الكريم على المدفونين في تلك الحجر.

وللصحن الشريف خمسة ابواب، الباب الكبير و هو من جهة الشرق و يعتبر الباب الرئيسي للروضه الحيدريه، و هو قبالة سوق النجف المشهور بالسوق الكبير، و الباب الثاني من جهة الشمال و يعرف بباب الطوسي نسبة إلى شيخ الطائفة ابي جعفر محمد الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ، و هذا الباب يؤدي الى شارع الطوسي و فيه مسجد الطوسي الذي يضم قبر الشيخ الطوسي رحمه الله. و الباب الثالث المعروف بباب القبلة، و قد عرف بهذا الاسم لوقوعه باتجاه القبلة في الجهة الجنوبية من الصحن، و الباب الرابع يقع في جهة الغرب، فتح في ايام السلطان عبد العزيز العثماني سنة ١٢٧٩ هـ و يعرف بالباب السلطاني ،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٠٠

و الباب الخامس و هو باب على مقربة من الباب الكبير.

و في مشهد الامام علي (ع) دفن الكثير من الشخصيات الاسلامية البارزة من علماء و سلاطين و ملوك و وزراء، تبركا بالمكان المقدس و تقريبا من المرقد الشريف الطاهر، و من المشاهير الذين دفنوا بالقرب من الضريح الشريف الامير البويهبي عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٣ هـ ، كما دفن الامير شرف الدولة بن عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٩ هـ ، و ممن دفن في (المشهد) من ولاة البويهيين بمنطقة الجبل و همذان و الدينور و بروجرد و نهاوند و أسد آباد، بدر بن حسنويه و كان مشهورا بالشجاعة و السياسة و العدل ، و هناك العدد الكبير من الامراء و الوزراء البويهيين الذين دفنوا بالمشهد الطاهر.

و دفن في المشهد الشريف، الشيخ حسن الكبير الجلايري المتوفى سنة ٧٥٧ هـ و الأمير قاسم، شقيق السلطان أويس المتوفى سنة ٧٧٩ هـ و دفن في جوار والده الشيخ حسن الجلايري .

و دفن الشاه عباس الاول الصفوي في الرواق تحت القبة المقدسة التي منها يدخل الداخل الى الحرم الشريف من جهة رجلى الامام علي (ع) .

و نقل الى النجف الأشرف جثمان السلطان محمد القاجاري المتوفى سنة ١٢١١ هـ و دفن في الرواق من جهة الشمال بالقرب من منبر الخاتم، و تعرف هذه الحجرة اليوم بحجرة السلاطين، كما نقل الى النجف جثمان الملك كيومرث ميرزا الملقب بملك آراء ابن السلطان فتح علي القاجاري المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ، كذلك نعش السلطان محمد حسن خان و نعش الملك حسين قلى خان و دفنوا في موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٠٢

النجف الأشرف .

و دفن في الإيوان الكبير، الملاصق للرواق و في حجر الصحن عدد كبير من كبار العلماء المسلمين منهم: المولى احمد بن محمد المقدس الاردبيلي المتوفى سنة ٩٩٠ هـ و الشيخ احمد بن اسماعيل بن عبد النبي الجزائري المتوفى سنة ١١٥١ هـ و الشيخ محمد سلى بن الحاج محمد حسن الخونساري المتوفى سنة ١٢٥٤ هـ، و السيد محمد مهدي بن السيد مرتضى بحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢ هـ و الشيخ مرتضى الانصاري، و السيد اسد الله الاصفهاني او الرشتي و الملا كاظم الخراساني المعروف (بالاخوند)، و السيد محمد سعيد الجوبى ، و الشيخ فتح الله المعروف بشيخ الشريعة ، و الميرزا النائيني، و السيد ابو الحسن الاصفهاني المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ و مدفنه في الحجرة الواقعة على الجانب الايسر بالنسبة للداخل الى الصحن من الباب الكبير. و في الحجرة الاولى التي على يسار الخارج من باب الطوسي يرقد عدد من العلماء الكبار امثال محمد باقر القمي المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ، و في الحجرة الواقعة ما بين مدخل السباط و باب الصحن المؤدى الى سوق العمارة، يرقد الشيخ ضياء الدين العراقي المتوفى سنة ١٣٦١ هـ.

و من مشاهير من دفن في النجف شيخ الطائفة ابو جعفر محمد بن الحسن بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٠٤

على بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ و دفن في داره بوصية منه

اما عدد الملوك و الامراء و الراجات الذين دفنوا في الرواق و الصحن الشريف و الغرف المحيطة بالصحن فانه كبير جدا.

و في المدينة عدد غير قليل من مقابر المشاهير من الروحانيين و الوجهاء و كبار رجال الادب، كمقبرة الشيخ جعفر الكبير، و مقبرة

صاحب الجواهر، و مقبرة الشيخ خضر شلال، و مقبرة الحاج ميرزا حسين الخليلي، و مقبرة آل القزويني، و آل بحر العلوم و مقبرة

الماقمقاني، و مدفن الشيخ احمد كاشف الغطاء، و ال الشيخ راضي، و الشيخ عبد الكريم الجزائري

و تعتبر مقبرة النجف المعروفة (بوادي السلام) من اوسع المقابر في العالم، و تأريخ هذه المقبرة قديم قدم التعرف على مرقد الامام

على بن ابي طالب (ع).

و تعتبر من اقدس و اطهر الأماكن لدفن المسلم في نظر المسلمين عامة و الشيعة منهم بشكل خاص ، و تقع هذه المقبرة الواسعة في

شمال مدينة النجف، و تمتاز تربتها بانها رملية ناعمة نقيه، و تحتها بحوالي ٢٠-٢٥ سم طبقة صخرية متكونة من صخور رملية قوية

تسمح لحفر اللحد فيها بصورة عمودية، و تمتاز ارض المقبرة بالجفاف التام باعتبارها جزءا من الهضبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٠٥

الصحراوية الجافة، و لنقاوتها و جفافها، فهي تكون خالية تماما من العفونة و من أي رائحة غير طيبة- قال اسحق بن ابراهيم الموصلي

يمدح الواثق العباسي و يذكر النجف و تربتها التي يصفها بالمسك او العنبر، في قصيدته التي مطلعها:-

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف

و الذين هاج (وادي السلام)- مقبرة النجف الكبرى، شاعريتهم كثيرون و قد يكون من الصعب الاحاطة باسمائهم سواء من المتقدمين

او المتأخرين و من هؤلاء المتأخرين الشيخ علي الشرقي، و محمد علي الحوماني، و عبد المنعم الفرطوسي، و محمد الخليلي، و حميد

فرج الله و غيرهم .

و في النجف الأشرف مساجد مشهورة كثيرة، ففي محلة العمارة خمسة و عشرون مسجدا و في محلة الحويش واحد و عشرون مسجدا

و في محلة البراق أربعة عشر مسجدا و في محلة المشراق ثمانية عشر مسجدا و في محلة الجديدة ثمانية مساجد .

و من المساجد المعروفة بقدسيته، مسجد الحنانة، يقصده الناس للتبرك، و موقعه في شمال مدينة النجف على يسار الذهاب الى

مدينة الكوفة، و بالقرب منه «الثوية» و هي مدفن لكثير من خواص الامام على (ع) .

و من أقدم الأروقة التي بنيت في المشهد، رواق عمران بن شاهين، و عمران

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٠٦

هذا رأس الأمانة الشاهينية بالبطيحة و مؤسسها، أصله من الجامدة «من اعمال واسط» مجهول النسب، سوادى المنشأ، ينتسب الى بنى

سليم، كان عليه دم و هرب الى البطائح فاحتفى بالآجام يتصيد السمك و الطير، و رافقه الصيادون و التف حولة اللصوص، فكثر جمعه

و استفحل أمره، فأنشأ معاقل و تمكن، و عجزت عنه حكومة واسط، و استولى على الجامدة و امتد سلطانه في نواحي البطائح، فجهز له

معز الدولة البويهى جيشا من بغداد سنة ٣٣٨ هـ فهزمه عمران ، و نشبت بينه و بين معز الدولة معارك انتهت بالصلح على ان تكون

امارة البطيحة لعمران بن شاهين، و استمر اميرا منيع الجانب مدة اربعين سنة، و توفي سنة ٣٦٩ هـ ، و قد بنى رواقا في النجف الأشرف و

كان هذا الرواق يقرب من الجهة الشمالية لرواق الحرم العلوى .

و من الاماكن القديمة في النجف الأشرف «مسجد الشيخ الطوسي» و كان دارا لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

المتوفى سنة ٤٦٠ هـ و قد أوصى ان يدفن بها و ان تتخذ داره مسجدا بعده، و هو اليوم من اشهر مساجد النجف و تقام فيه الجماعة و

يحضر فيه اهل العلم للدراسة و التدريس، و موقعه في محلة المشراق، و كانت هذه المحلة تعرف قديما بمحلة العلا من الجهة الشمالية للصحن الشريف.

و تمتاز مدينة النجف بكثرة مدارسها العلمية، و من اشهرها:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٠٧

١- مدرسة الصدر و تحتوى على ٣٠ غرفة و قد بناها محمد حسين خان الاصفهاني في حدود سنة ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م، و تعتبر هذه المدرسة اقدم المدارس في النجف الأشرف، و موقعها في السوق الكبير.

٢- مدرسة المعتمد و تحتوى على ٢٠ غرفة، و قد بناها معتمد الدولة عباس قلى خان في حدود سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م، و موقعها في محلة العمارة.

٣- مدرسة المهدي و تحتوى على ٢٢ غرفة، و قد بناها الشيخ مهدي بن الشيخ على آل كاشف الغطاء في حدود سنة ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م و موقعها في محلة المشراق.

٤- مدرسة القوام و تحتوى على ٢٦ غرفة، و قد بناها فتح على خان الشيرازي في حدود سنة ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م و موقعها في محلة المشراق.

٥- مدرسة السليمية و تحتوى على ١٢ غرفة، و قد بناها سليم خان الشيرازي في حدود سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م، و موقعها في سوق محلة المشراق.

٦- مدرسة الايرواني و تحتوى على ١٩ غرفة، و قد بناها الحاج مهدي الايرواني سنة ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م، و موقعها في محلة العمارة.

٧- مدرسة الشرياني و تحتوى على ١٢ غرفة، و قد بناها الشيخ محمد الشرياني سنة ١٣٢٠ هـ / ١٨٠٥ م، و موقعها في محلة الحويش.

٨- مدرسة القزويني و تحتوى على ٣٠ غرفة، و قد بناها الحاج محمد آغا الامين القزويني سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م، و موقعها في محلة العمارة.

٩- مدرسة الهندي و تحتوى على ٢٠ غرفة و قد بناها ناصر على خان اللاهوري سنة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م و موقعها في محلة المشراق.

١٠- مدرسة الخليلي الكبرى، و تحتوى على ٤٦ غرفة، و قد بناها الحاج ميرزا حسين الخليلي سنة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م، و موقعها في محلة العمارة بالشارع العام المعروف «بعقد السلام».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٠٨

١١- مدرسة الخليلي الصغرى، و تحتوى على ٤٠ غرفة، و قد بناها الحاج ميرزا حسين الخليلي سنة ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م و موقعها في محلة العمارة.

١٢- مدرسة الأخوند الكبرى و تحتوى على ٤٠ غرفة و قد بناها الشيخ ملا محمد كاظم الخراساني سنة ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م، و موقعها في محلة الحويش بالشارع العام.

١٣- مدرسة الاخوند الوسطى، و تحتوى على ٣٣ غرفة، و قد بناها الشيخ ملا كاظم الخراساني سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م، و موقعها في محلة البراق.

١٤- مدرسة الاخوند الصغرى، و تحتوى على ١٢ غرفة، و قد بناها الشيخ ملا محمد كاظم الخراساني سنة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م، و موقعها في محلة البراق.

١٥- مدرسة السيد كاظم، و تحتوى على ٨٠ غرفة، و قد بناها السيد كاظم اليزدي سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م، و موقعها في محلة الحويش.

١٦- مدرسة الشيرازي بجوار الصحن الشريف من جهة باب الطوسي، و فيها قبر المرحوم المجدد الميرزا حسن الشيرازي.

١٧- مدرسة البروجردي و تحتوى على ٦٤ غرفة، و قد بناها السيد آغا حسين البروجردي سنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م، و موقعها بالقرب من

الصحن الشريف.

١٨- مدرسة (جامعة النجف الدينية) و تحتوى على حوالى ٢٠٠ غرفة، قام بالانفاق عليها الحاج محمد تقى الاتفاق الطهرانى، و اشرف على عملية البناء السيد محمد كلانتر، و موقعها فى حى السعد و تعتبر هذه المدرسة من اضخم المدارس العلمية فى النجف.

١٩- مدرسة عبد العزيز البغدادي.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٠٩

كربلاء

من مدن العراق المقدسة، على بعد ٦٠ ميلا الى الجنوب الغربى من بغداد، و تقع على حافة الصحراء ، فى غربى الفرات فيما يحاذى قصر ابن هبيرة .

و من المرجح ان هذه المدينة كانت احدى القرى العراقية القديمة التى يرتفع تاريخها الى العهد البابلى، و الاسم الذى تحمله يؤيد ترجيحنا ذلك، و نحن نرى ان كلمة (كربلاء) لا تعدو غير معنى (قرب الإله)، فالكلمة متوارثة من البابلية القديمة، و احتمال البعض ان اسم كربلاء ربما كان ذا صلة باللغاة الآرامية، و الآستوريه كربالاتو Karbalatu و هو يعنى نوعا من غطاء الرأس، و يقول ياقوت الحموى: و نزل خالد بن الوليد، عند فتحه الحيرة، كربلاء، فشكا اليه عبد الله بن و شيمه البصرى، الذبان فقال رجل من اشجع فى ذلك:-

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١١٠ لقد حسبت فى كربلاء مطيتى و فى العين حتى عاد غثا سمينها

إذا رحلت من منزل رجعت له لعمرى و أيها اننى لأهينها

و يمنعها من ماء كل شريعته رفاق من الذبان زرق عيونها

كما اعتقد بعض الباحثين الافاضل ان كربلاء من كلمة (كور بابل) العربية و هى عبارة عن مجموعة قرى بابلية قديمة، منها «نينوى» التى وجدت منذ العصور الغابرة، و التى تمثل اليوم تلولا اثرية بالقرب من سدة الهندية ثم «الغاضرية» و تعرف اليوم بارض الحسينية و «كربلاء» بتفخيم اللام و تقع الى شرقى كربلا- و جنوبها، ثم «كربلاء» او «عقر بابل» و هى فى الشمال الغربى من الغاضرية، ثم «النواويس» و كانت هذه المنطقة مقبرة للنصارى قبل الفتح الاسلامى و مكانها اليوم من اراضى ناحية الحسينية قرب نينوى، ثم «الحير» و يعرف «بالحائر» و هو اليوم موضع قبر الحسين عليه السلام، الى حدود روضته الشريفه او حدود الصحن.

و ياقوت الحموى اشار فى معجمه الى معنى كربلاء لعدة احتمالات منها:

قوله:- كربلاء بالمد و هو الموضع الذى قتل فيه الحسين بن على «عليه السلام» فى طرف البرية عند الكوفة، فاما اشتقاقه، فالكربلاء رخاوة فى القدمين، يقال جاء يمشى مكربلا، فيجوز، على هذا ان تكون ارض هذا الموضع رخوة، فسميت بذلك، و يقال، كربلت الحنطة، اذا هزرتها و نقيتها، و ينشد فى صفة الحنطة:-

يحملن حمراء رسوبا للثقل قد غربلت و كربلت من القصل

فيجوز على هذا ان تكون هذه الارض منقاة من الحصى و الدغل فسميت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١١١

بذلك، و الكربل اسم نبت الحمّاض، و قال ابو وجرة، يصف عهون اليهودج:

و تامر كربل و عميم دفلى عليها و الندى سبط يمور

فيجوز ان يكون هذا الصنف من النبت بكثرة نبتة هناك فسمى به

و يتفرع من الفرات نهر يعرف بنهر «العلقى» و يمر بالقرب من مشوى سيدنا العباس (ع) و ينحدر الى نواحي الهندية و يقتترن بنهر

الفرات في شمال غربي الكفل .

و يبدو ان منطقة كربلاء لم تكن آهلة بالسكان كما كانت تفتقر الى العمران الكبير، و من المرجح ان هذه المنطقة الغنية بالمياه و بترتها الخصبة، كانت تنتشر فيها القرى و القبائل التي استقرت فيها، او بالقرب منها، و بعد العاشر من محرم سنة ٦١٠ هـ / ٦٨٠ م، أى بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام و دفنه في مكانه الحالي، اخذ الناس يتوافدون على زيارة القبر الشريف، كما أخذ الكثير يستوطنون تلك التربة المقدسة أو يوصى بدفنه هناك، و على الرغم من مقاومة و معارضة أفراد الحكام العباسيين مثل الرشيد و المتوكل للعلويين، فان كربلاء تطورت و توسعت بمرور الزمن.

و في سنة ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م، أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام، و هدم ما حوله من المنازل و الدور و امر بان يذروا و يسقى موضع قبره، و ان يمنع الناس من اتيانه ، و لما تولى ولده المنتصر سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م، عدل عن سياسة ابيه في معادة العلويين، و أمر الناس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١١٢

بزيارة قبر علي و الحسين عليهما السلام، - و اهتم بعمارة المشهد سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م محمد بن زيد بن الحسن الملقب بالراعي الصغير، و كان قد ملك طبرستان:

بعد اخيه الحسن الملقب بالراعي الكبير مدة عشرين سنة ، فشيّد محمد بن زيد للحائر المقدس قبة عالية لها بابان و من حول القبة سقيفتين. ثم عمّر السور من حول الحائر و بنى المساكن، و اجزل بالعطاء على سكان و مجاورى الروضة المقدسة، و قد بالغ محمد بن زيد في فخامة البناء و حسن الرياسة و دقة الصنعة في عمارة الحائر بما يتناسب و منزله مشرفة .

و يبدو ان عضد الدولة البويهى قد بذل عناية فائقة في تشييد بناء على قبر الحسين و اخذت الحياة تدب الى هذه المدينة و تزهو ثقافياً و عمرانيا و اقتصادياً.

و في العهد السلجوقي عنى بعض سلاطين السلاجقة بالمشهد الحسينى، ففي سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م، زار ملكشاه مدينة كربلاء و بترميم سور و أم المشهد الحسينى، و العمارة القائمة اليوم على القبر المطهر هي بالأصل تلك العمارة التي شيدها السلطان اويس الجلايرى فى عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م، فأتمها من بعده ولداه السلطان حسين و السلطان احمد فى سنة ٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م، كما شيّد البهو الامامى للروضة المعروف بايوان الذهب. اما الرواق المعروف اليوم برواق السيد ابراهيم المجاب، فقد شيده عمران ابن شاهين، و فى الواجهة الامامية للروضة رواق حبيب ابن مظاهر الأسدى، و هو أحد المجاهدين مع الامام الحسين عليه السلام فى موقعة الطف، و ضريحه مصنوع من الفضة.

و قد بذل الصفويون غاية العناية فى اعمار المشهد الحسينى، ففي سنة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١١٣

٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م، فتح اسماعيل الصفوى بغداد ثم زار كربلاء فأمر بتذهيب حواشى الحسين و اهدى اثنى عشر قنديلا من الذهب، كما اهدى شبكة فضية لتوضع على القبر و ذلك سنة ٩٣٢ هـ / ١٥٢٥ م.

و امر السلطان مراد الرابع العثمانى ببناء القبة و جصص خارجها، و فى سنة ١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م، أمر السلطان فتح على القاجارى بتجديد بناء المشهد و تبديل صفائح الذهب و اهدى شبكة من الفضة وضعت على القبر الشريف.

كما امر سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م، ببناء قبتي الامامين الحسين و العباس عليهما السلام، و كان يتولى الانفاق و كيله الصدر الاعظم ابراهيم خان الشيرازى.

و القبة الحسينية شاهقة يبلغ ارتفاعها ٢٧ مترا و هي مغطاة من اسفلها الى اعلاها منظر خارجى عام للروضة الحسينية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١١٤

بالذهب الابريز، و يحوطها في الاسفل ١٢ شباكا بين الواحد و الآخر متر واحد و ٢٥ سم، من الداخل، و متر واحد و ٣٠ سم من الخارج.

و في سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م، زار المشهد الحسيني الشريف، السلطان ناصر الدين شاه و امر بتجديد المشهد و تبديل صفائح الذهب و تذهيب القبة الحسينية، كما استملك دورا اضافها الى الصحن من الجهة الغربية.

و يمتاز المشهد الحسيني الطاهر، بسعة صحنه، و كثرة اوانيه الجميلة المزخرفة و المنقوشة نقشا بديعا، و يبلغ طول الصحن ٩٥ مترا في عرض ٧٥ مترا و له عشرة ابواب و قد عرفت باب القبلة من صحن الروضة الحسينية
هذه الابواب باسماء تزهو بالوان جميلة جذابة. مختلفة، و هي: باب القبلة، و باب العلامة الشيرازي، و باب قاضي الحاجات، و باب على الاكبر، و باب الكرامة، و باب الناصري، و باب السلطان، و باب- احدى منارتى الضريح الحسيني و تتجلى فيها الرياضة الاسلامية بأبداع فنونها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١١٦

الزينية، و باب رأس الحسين، و لكل باب طاق معقود بالفيسفاس البديع الصنع، الذي يزهو بالوان جميلة جذابة و يحيط بالمشهد المطهر ٦٥ ايوانا في كل واحد حجرة، قد غشيت جدرانها من الداخل و الخارج بالفيسفاس، و قد اعدت هذه الحجر ليتلقى بها طلاب العلم دروسهم، كما اعد البعض الآخر مقابر للملوك و الامراء و السلاطين و كبار رجال الدين و اشراف الناس.
و يتوسط بلاط المشهد الطاهر بناء الروضة الحسينية الشريفة، و للروضة عدة ابواب من اشهرها: باب القبلة و يعرف بباب الذهب ذلك لان احجار ايوانها مغطاة بالذهب و الفضة الناصعة، عملت باتقان بالغ و مهارة فائقة.

و الداخل من باب ايوان الذهب- باب القبلة- ينتهي به المطاف الى رواق يحيط بالحرم المطهر من الشرق و الجنوب و يجد عن يمينه قبر الشهيد حبيب بن مظاهر الاسدي، الذي وقف الى جانب الامام الحسين في وقعة الطف و نال الشهادة من اجل المثل العليا السامية.
و كانت تزين المشهد الحسين [مأذنة العبد] و هي التي أمر ببنائها أمين الدين مرجان سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م و بنى خلفها من الجانب الشرقي مسجدا و اوقف على المسجد و المئذنة اوقافا كثيرة، و في سنة ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م أمر طهماسب بتعمير المئذنة، و في سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م، أمر ياسين الهاشمي رئيس الوزارة العراقية آنذاك بهدم المئذنة و ذلك بسبب تقرير رفعتة دائرة الاوقاف بخطر بقاء هذه المئذنة نظرا لاعوجاجها

و خزانه الروضة الحسينية التي تحوى الذخائر الثمينة من التحف و نوادر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١١٧

الهدايا من المجوهرات و اللاليء من ملوك و امراء المسلمين، ان هذه الخزانه تقع في الواجهة الشمالية من الروضة الحسينية، و الى غربي الخزانه تقوم مكتبة الروضة الحسينية.

اما مرقد الامام العباس فكان يلقي من الرعاية و العناية ما يلقاها مرقد الامام الحسين «عليه السلام».

و في سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م، امر الشاه طهماسب بتزيين قبة مرقد العباس (ع) بالكاشاني و بنى شباكا على الصندوق و نظم الرواق و الصحن كما بنى البهو امام الباب الاول. و في سنة ١١٥٥ هـ / ١٧٤٢ م، اهدى نادر شاه الى الحرم الشريف تحفا نادرة. و في سنة ١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠ م، امر السلطان محمد شاه بن عباس ميرزا بن فتح على، بصنع شباك من الفضة لضريح الامام العباس (ع).

و يذكر المتتبعون انه من المرجح ان يكون المرحوم محمد حسين صدر الاعظم الاصفهاني هو الذي قام بتشيد بناء الروضة العباسية الحالية. و قد تبرع بالضريح الفضي محمد شاه بن عباس مرزا القاجاري.

و تشمل كربلاء الى جانب مدفن ابي عبد الله الحسين و مدفن اخيه العباس بن علي بن ابي طالب جميع الشهداء الذين استشهدوا في تلك الواقعة التاريخية التي ستمر عليها (الموسوعة) في القسم الخاص (بكربلاء) بالتفصيل.

و الشهداء الأبرار الذين استشهدوا مع الإمام الحسين في موقعة الطف من أهل بيته وهم سبعة عشر والحسين ابن علي بن أبي طالب الثامن عشر، منهم، العباس و عبد الله و جعفر و عثمان بنو أمير المؤمنين عليه و عليهم السلام، أمهم أم المؤمنين، و عبيد الله و أبو بكر ابنا أمير المؤمنين عليه السلام، أمهما ليلى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١١٨

بنت مسعود الثقفية، و علي و عبد الله ابنا الحسين بن علي عليهما السلام، و محمد و عون ابنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين، و عبد الله و جعفر و عبد الرحمن بنو عقيل بن أبي طالب رضى الله عنهم، و محمد بن سعيد الجانب الامامى من ضريح العباس بن علي بن أبي طالب بكر بلاء
بن عقيل بن أبي طالب رحمه الله عليهم اجمعين، فهؤلاء سبعة عشر نفرا من بنى هاشم، رضوان الله عليهم اجمعين، أخوة الحسين عليه و عليهم السلام،
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١١٩

و بنو أخيه و بنو عميه جعفر و عقيل و هم كلهم مدفونون فيما يلي رجلى الحسين في مشهده، حفر لهم بنو اسد حفيرة و قد وجدوهم جثا في العراء، و القوهم فيها جميعا و سوا عليهم التراب إلا العباس بن علي عليهما السلام فانه دفن في موضع قتله على المسناة بطريق الغاضرية، و قبره ظاهر و ليس لقبور اخوته و اهله الذين سميناهم أثر و انما يزورهم الزائر من عند قبر الحسين «عليه السلام» و يومىء الى الارض التى نحو رجليه بالسلام عليهم و علي بن الحسين عليهما السلام و يقال انه اقربهم دفنا الى الحسين (ع).

اما اصحاب الحسين عليه السلام الذين وقفوا الى جانبه في معاركة ضد الامويين و استشهدوا فانهم دفنوا حوله، و من الصعب على المحقق تعيين اجداتهم و لكن مما لا شك فيه، ان الحائر محيط بهم جميعا
و حول الحضرة المقدسة رواق جميل، تزينه نقوش بديعة من المرايا، و له سبعة ابواب تؤدي الى الصحن، باب حبيب بن مظاهر، و باب القبلة، و باب صاحب الزمان، و باب على الأكبر و باب الكرامة و باب سيد ابراهيم المجاب، و باب رأس الحسين، و الرواق هذا له ثمانية ابواب تؤدي الى الحضرة المطهرة:

باب القبلة و باب على الأكبر و بابان يعرفان ببابي الكرامة، و باب الناصر (ناصر الدين شاه) و باب ابراهيم المجاب، و باب رأس الحسين، و باب حبيب بن مظاهر، و فى هذا الرواق بعض المدافن لشخصيات كبيرة، امثال الأمير محمد على بن فتح على شاه، و الحاج محمد حسين كاشانى، دفن فى هذا المكان الطاهر تقديرا لما بذله من هدايا سخية للعتبات المقدسة، و هناك صندوق الى يمين باب على الأكبر ضمّ أجدات عدد من العلماء و المشاهير قبالة باب الكرامة، مقبرة مرزا تقى خان الصدر الأعظم، و قبر عماد الدولة حفيد فتح على شاه، و مقبرة اخرى تضم قبر مظفر الدين شاه بن ناصر الدين و محمد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٢٠

على شاه القاجارى و احمد شاه القاجارى و الأمير محمد حسن.

و هناك من الاخبار عن ابن عنبه ما تشير الى ان أضرحة الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى الكاظم (ع) و ولديه الشريف المرتضى و الشريف الرضى فى كربلاء و فى مشهد الامام الحسين عليه السلام، قال ابن عنبه:

«و أعيد الشريف ابو أحمد الى النقابة و توفى سنة اربع مائة ببغداد و قد أناف على التسعين و دفن فى داره ثم نقل الى مشهد الحسين عليه السلام بكر بلاء فدفن هناك قريبا من قبر الحسين عليه السلام و قبره معروف ظاهر».

و نقل جثمان الشاعر الشريف الرضى الى كربلاء و دفن عند قبر أبيه، قال ابن عنبه: - ولد سنة تسع و خمسين و ثلاثمائة و توفى يوم الاحد السادس من محرم سنة ست و اربعمائة، و دفن فى داره، ثم نقل الى مشهد الحسين (ع) بكر بلاء فدفن عند أبيه و قبره ظاهر معروف .

والشريف المرتضى هو الآخر نقل جثمانه الى مشهد الامام الحسين بكر بلاء، ذكر ابن عنبه: «كانت ولادته سنة ثلاث و خمسين و ثلاثمائة، و توفي خامس عشر ربيع الاول سنة ست و ثلاثين و اربعمائة عن اربع و ثمانين سنة و دفن في داره تم نقل الى كربلاء فدفن عند أبيه و أخيه، و قبورهم ظاهرة مشهورة» .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٢١

الكاظمية

يرتبط تاريخ المشهد الكاظمي، بتاريخ مدينة بغداد، و ان المنطقة المحيطة بذلك المكان، على ما يذكره بعض المؤرخين كانت تكون جملة من البساتين العامرة، كما يذكر البعض منهم ان كسرى أنوشيروان كان يمتلك بستانا في جوار قرية بغداد، سماه بستان العدل . و لا-ريب فان منطقة المشهد الكاظمي قريبة من دجلة و ان تربتها معروفة بالخصب، و لا زالت آثار البساتين تحف بها من معظم جهاتها.

و من الجدير بالذكر أن تلك المنطقة كانت خارج بناء مدينة بغداد، و كانت تعرف قبل ان يطلق عليها اسم مقابر قريش، تعرف باسم مقابر الشويئزي الصغير ، و كانت هناك مقبرة الى الجنوب منها تعرف باسم مقبرة الشويئزي الكبير، و اشهر من دفن فيها السري السقطي و الجنيد البغدادي .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٢٢

و يبدو ان أبا جعفر المنصور بعد انهائه بناء بغداد، اقتطع مقبرة الشويئزي المجاورة لمدينة بغداد من الشمال فجعلها مقبرة ، و اسماها مقبرة قريش، و ربما اختار لفظ قريش ليشير الى مشاركة العلويين و العباسيين في الدفن فيها ، و اول من دفن فيها ابن الخليفة المنصور المدعو جعفر سنة (١٥٠ هـ) ٧٦٧ م.

و في سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م، دفن الامام موسى الكاظم في مقابر قريش و في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م، توفي الامام محمد الجواد (ع) و دفن مع جده الامام موسى الكاظم. موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٢٣

و الى الشمال الشرقي من مشهد الكاظميين مقبرة تدعى باب التبن ، كما ان مدفن الامام الكاظم بعد ذلك اشتهر بمشهد باب التبن نسبة الى باب التبن الذي كان في شرقيه مما يقرب من دجلة ، و باب التبن محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق بازاء قطيعة ام جعفر، و بها قبر عبد الله بن احمد بن حنبل (رض) دفن هناك بوصية منه، و يلصق هذا الموضع في مقابر قريش التي فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الامام الحسين بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم و يعرف قبره بمشهد باب التبن.

و قد عرفت محلة باب التبن بالزهيرية و هي قطيعة زهير بن محمد الأبيوردی، و زهير رجل من الازد من عرب خراسان من أهل ابورد و يتصل بباب التبن ربض أبي حنيفة أحد قواد المأمون و قريب من ذلك الربض، محلة الحریم الطاهري، التي تقع بالقرب من الخندق الطاهري، المنسوب الى طاهر ابن الحسين ، قائد جيش المأمون، كما تتصل بربض أبي حنيفة من جهة المغرب قطيعة تدعى «دار عمارة» منسوبة الى عمارة بن حمزة أحد موالى أبي جعفر المنصور، و كان المنصور قد اقطعها اياه، و كان ربض عثمان بن نهيك يقع بين دار عمارة الغربية و مقابر قريش و عثمان بن نهيك هذا من رجال حرس المنصور.

و يمكننا القول ان الناس أخذوا يسكنون حول ما عرف بمقابر قريش و صار الناس يقومون بزيارة قبرى الامامين الكاظم و الجواد (ع)، و قد ازداد السكن كما بذلت عناية فائقة في بناء المشهد الكاظمي في العهد البويهی

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٢٤

الذي يتبدى من سنة ٣٣٤ هـ، ٩٤٦ م، و اصبح المشهد الكاظمي على مر العصور مزارا لطائفة الشيعة على الأخص و لجميع المسلمين

بشكل عام، كما صار هذا المشهد مكانا يجتمع فيه المحبون و المؤيدون لآل علي (ع) في مواسم الزيارات الخاصة و في الاجتماعات التي تعقد في العشرة الاولى من محرم.

و طبيعيا ان تكون المساكن المحيطة بالمشهد الكاظمي ينزلها على العموم جماعة العلويين الذين صاروا يكونون النسبة العظمى لتلك المدينة التي أخذت في النمو و الاتساع.

ذكر ابن الجوزي عند الكلام على نقل الخليفة القائم بأمر الله العباسي الى حديثه عانه قوله:- و عبر قريش ليلة الاربعاء التاسع من ذي الحجة الى الجانب الغربي، و ضرب خيمة بقرب جامع المنصور و حمل الخليفة الى المشهد بمقابر قريش و قال له: تبيت الليلة فيها، فامتنع، و قال:- هؤلاء العلويون الذين بها يعادونني، فالزم الدخول و بات ليلة في احدى التراب . و هذا النص ان دل انما يدل على كثرة عدد العلويين في هذه المنطقة و قوة نفوذهم.

و قد تعرض المشهد الكاظمي لفيضانات دجلة في عصور مختلفة ففي سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣ م غرقت مقابر قريش ، كما تعرضت المدينة الى غرق سنة ٥٦٩ هـ الذي سبب هدم اكثر سور المشهد ، و كان فيضان سنة ٥٦٤هـ / ١٢١٣ م مريعا، فقد أغرق كثيرا من الاماكن في الجانب الشرقي من بغداد و كان أثره بالغا من الجانب الغربي، فتهدم اكثر القرية و نهر عيسى و الشطيات و غرقت البساتين و مشهد باب التبن و مقبرة احمد بن حنبل و الحرير الطاهري

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٢٥

و بعض باب البصرة و الدور التي على نهر عيسى و اكثر محلة قطفنا ، كما تعرضت المدينة و المشهد لفيضان دجلة في سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨ م، حيث سبب وقع قطعة من سور المشهد الكاظمي على ساكنه السلام ، و سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦ م حيث أحاط الماء ببغداد و غرق الجانبين، و هدم دورا كثيرة بالحرير و المشهد .

كما تعرضت المدينة لموجات الأوبئة التي كانت تصيب العراق او بغداد بشكل عام. موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٢٦
و المشهد الكاظمي القائم اليوم من انشاء اسماعيل الصفوي كما تدل الكتابة القائمة حول المشهد و يدل تاريخ انتهاء البناء سنة ٩٢٦هـ / ١٥١٦ م، و قد اعتنى الصفويون بشكل خاص في بناء هذا المشهد بما يليق و الامام الكاظم (ع)، فظهر البناء جميلا و رائعا، كما حاول العثمانيون بذل العناية بهذا المشهد الكريم، فقد أمر السلطان سليم العثماني بناء منارة جديدة اضافة للمناظر الاربعة التي شيدها الصفويون بأمر السلطان اسماعيل الصفوي، كما ربطت مدينة الكاظمية بمدينة بغداد عن طريق انشاء جسر خشبي عائم بين، الكاظمية و الاعظمية على عهد المشير هدايت باشا حوالي سنة ١٣٠٢ هـ، قائد الفيالق العسكرية السادس في بغداد .

و كان مدحت باشا قد ربط المدينة بالجانب الغربي من بغداد عن طريق انشاء ترامواي كاظمية- بغداد، هذا مع العلم ان مدة حكم مدحت باشا لبغداد كانت بين ١٨٦٩-١٨٧٢ م (١٢٨٦-١٢٨٩ هـ).

و المشهد الكاظمي اليوم من الاماكن المقدسة التي يؤمها المسلمون من جميع انحاء الدنيا، و يمتاز صحن المسجد بالسعة و له عشرة ابواب و طول الصحن (٣٧٠ مترا) (و عرضه ٣٥٠ مترا)، و يبلغ طول البناء المخصص للمشهد ٢٣٠ مترا و عرضه ١٥٠ مترا، و للمشهد الكريم أروقة تحيط به من جهاته الاربعة و يبلغ عرض الرواق خمسة أمتار.

كان سور الصحن اصغر من السور الحالي بكثير كما انه لم يكن مزخرفا، الا ان فرهاد مرزا عمد الى هدمه و تجديد بنائه على الشكل الحالي، كما اشترى بعض الدور عند باب قريش و هدمها و ادخلها ضمن السور كما وسعه من جهة باب المراد.

و السور مكون من او اوين مزخرفة بالكاشاني و في وسط كل ايوان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٢٧

كلمة كتبت بالكاشي ايضا مثل (يا كافي المهمات) (يا ولي الحسنات) و غيرها من العبارات و كلمات ادعية مختلفة.

و هناك غرف خاصة داخل كل ايوان، و قد بنيت غرف على كل باب من ابواب القبلة، و المراد، و باب قريش، و قد استعملت هذه

الاولوين و الغرف للدرس و التحصيل او للخرن او للسكن او لدفن الموتى فيها.

و على يمين الداخل من باب المراد يقوم مرقد (فرهاد ميرزا)، و الغرفة التي على اليسار تحوى جثمان ولده.

ان الصحن يحيط بالحضرة من ثلاث جهات، هي الجهة المقابلة لباب المراد، و الجهة المقابلة لباب القبلة، و الجهة المقابلة لباب قريش.

اما باب المراد التي على الرواق فقد امر بتذهيبه السلطان ناصر الدين القاجارى، و الى يمين هذا الباب ايوان تتخلله كتابه نسخة جميلة و كتابه كوفية مشجرة بديعة.

و باب القبلة امر بتذهيبه محمد شاه القاجارى و القبتين مع المنائر، و على هذا الباب كتابات جميلة، و يوجد سطران كتب بالمرآة على جهتي الباب حول الذهب بقلم كوفى نفيس.

كما ان الايوانين الصغيرين الكائنين على جهتي باب الذهب يحتويان على كتابات كوفية من الكاشى بشكل المستقيمات لا تختلف عن الزخرفة و هما متشابهان.

ان السطرين اللذين كتب بالمرايا يحتويان على الآية الكريمة:

(اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)، و على الجهة الثانية نفس الآية.

اما باب قريش فقد عمّر رواقه السلطان محمد رشاد خان و ليست هناك كتابات كوفية. و تحيط الكتابات النسخية بمعظم الجدران. و يدخل الى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٢٨

ريارة ضريح الامام موسى بن جعفر و محمد الجواد عليهما السلام من ٦ ابواب و القبر داخل ملبن من الفضة جميل الصنع، و صندوق القبر من الخشب المطعم بزخارف الذهب و العاج، و فى حضرة الضريح زخارف بديعة مختلفة من المرايا ذات الاشكال الجميلة المتناسقة و التي يحار لها العقل و يعجز عن وصفها القلم.

و فى الجدار الملاصق لحضرة الامامين (ع) من جهة باب المراد يقوم ضريح الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد، كما دفن معه الشيخ محمد ابن الشيخ جعفر قلوب استاذ الشيخ المفيد، و فى أعلى الشباك الذى على قبر الشيخ المفيد أبيات شعر:

لا صَوْتُ النَّاعِي بِفَقْدِكَ اِنَّهُ يَوْمَ عَلَى آلِ الرَّسُولِ عَظِيمٍ

ان كنت قد غيبت فى جدث الثرى فالعدل و التوحيد فيه مقيم

و القائم المهدي يفرح كلما تليت عليه من الدروس علوم

و يشاهد قبر الشيخ نصير الدين الطوسى قرب ضريح الامامين (ع) فى الجدار الملاصق لجدار الحضرة فى الرواق الثانى من باب قريش، و قد كتبت فى أعلى الجدار كتابه بالخط النسخي:

«بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، هذا مرقد سلطان الحكماء المحققين محمد بن محمد بن حسن الطوسى، عمر فى عهد السلطان بن السلطان ... الامجد معتمد الدولة».

و تذكر المصادر التاريخية ان موسى بن ابراهيم الأصغر بن موسى الكاظم و الملقب بالمرتضى، و يعرف بابى سبحة لكثرة تسيححه، قد توفى ببغداد و قبره بمقابر قريش مجاور لايه و جده عليهم السلام، ذكره صاحب غايه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٢٩

الاختصار: «فحصت عن قبره، فدللت عليه و اذا موضعه حجيرة صغيرة ملك مبارك الجوهري الهندي». كذلك على ما يذكر صاحب غايه الاختصار قبر والده ابراهيم المرتضى بن الامام موسى الكاظم «بمقابر قريش عند أبيه عليه السلام فى تربة مفردة معرفة»، و يجوز البعض ان يكون القبر المنسوب حاليا فى الكاظمية للشريف المرتضى، هو بالذات قبر موسى ابن ابراهيم بن موسى الكاظم عليه

السلام، اذا صحت رواية ابن عنبه التي تقول ان السيدين الجليلين الشريفين المرتضى و الرضى، قد توفيا ببغداد (و نقلنا الى مشهد الامام الحسين (ع) و ممن دفن في مقبرة الامام موسى بن جعفر «ابن المرتضى» ابو الحسن على بن المرتضى بن على العلوى الحسنى المعروف بالأمر السيد، و كان فقيها حنفيًا، و لى التدريس بجامع السلطان، و توفى ابن المرتضى فى ليلة الجمعة لثانى عشرة خلت من رجب سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة و دفن من الغد بمقابر قريش .

و من أهم التجديدات التى طرأت على المشهد الكاظمى فى الوقت الحاضر تبليط الصحن الشريف بالبلاط (المرمر) و وضع ثلاثة أبواب للحرم الشريف من الذهب و المطعمية بالاحجار الكريمة، و تتحلى بزخارف بديعة و قد نصبت هذه الابواب فى اواخر سنة ١٩٦٤.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٣٠

مشهد الرضا

من اشهر مدن ايران الكبيرة، و اهميتها الكبيرة تعود الى قدسيته، بوجود مشهد الامام على الرضا (ع) فيها. و مدينة مشهد هى وارثه مدينة طوس القديمة، و قد يخلط بعض الباحثين بين مدينة طوس و مدينة مشهد الامام على الرضا (ع) فى حين ان اطلال مدينة طوس القديمة تبعد زهاء ١٢ ميلا من (مشهد) الحالية.

و مدينة مشهد الرضا اليوم هى عاصمة المقاطعة الايرانية خراسان و من الأماكن المقدسة عند الشيعة الامامية و هذه المدينة ترتفع عن مستوى سطح البحر بمقدار (٣٠٠٠) قدم، و على خط طول ٥٩ ٣٥ شرقى غرينتش و على خط عرض ١٦ ١٧ شمالا.

و يمر بمدينة طوس نهر كشف رود الذى يأتى الى المدينة من بعد (١٢ ميلا) من جهتها الشمالية الغربية و المعروفة باطلال طوس فى البحيرة الصغيرة جشمه جيلاس، و يتصل ب (حره) «اوهارى رود» حوالى ١٠٠ ميل جنوب شرقى مشهد على الحدود الروسية الايرانية و تقع مشهد على مقربة ٤

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٣١

أميال جنوب نهر كشف رود و ترتفع التلال التى تمتد على طول الوادى ٨٠٠٠ - ٩٠٠٠ قدم من مشهد.

و لقربها من الجبال و ارتفاعها فان مناخ مدينة مشهد يكون قارسا جدا فى الشتاء، و فى الصيف على الاغلب حار حرارة المنطقة الاستوائية كما انها تعتبر مدينة صحية.

و تتكون طوس من مدينتين هما:- الطابران، و هى كبيرة و عليها حصن، و نوقان، و هى على ما يبدو أصغر من الطابران، و ان اهلها اشتهروا بنحت القدور البرام، كما انهم جياد، الا ان ماءهم قليل .

فتح المسلمون مدينة طوس سنة احدى و ثلاثين للهجرة، بقيادة عبد الله ابن عامر، و يذكر البلاذرى: و أتى كنانزك مرزبان طوس،

ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة ألف درهم . موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٣٢

و على مقربة من طوس كانت تقوم قرية سناباذ، و فيها دفن الرشيد الخليفة العباسى الذى توفى سنة ١٦٣ هـ / ٨٠٩ م، و فى سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م توفى الامام على الرضا و دفن الى جنب قبر الرشيد.

و قد هاجم المغول مدينة طوس سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م و خربوها، و ظل قبر الامام على الرضا موضع عناية المسلمين، و صاروا يبنون بيوتهم و شيّدوا اسواقهم حول المشهد الرضوى، و ظلت آثار مدينة طوس القديمة على بعد ١٢ ميلا من ناحية الشمال، و قد زار ابن بطوطة الرحالة مشهد الرضا و وصفه و قال:- مدينة كبيرة ضخمة عامرة الاسواق و حولها جبال، و المشهد الكريم قبة عظيمة، و تجاوره مدرسة، و هذه الابنية قد زوقت جدرانها بالقاشانى و على قبر الامام دكانة خشب، ملبسة بصفائح الفضة و على بابها ستر حرير مذهب

و هى مبسوطة بانواع البسط .

من بقايا خرائب مدينة طوس التاريخية

تذكر بعض المراجع، ان طوس سميت بهذا الاسم نسبة لبانيها طوس ابن نوزر امير الجيش القارى فى عهد امبراطور الفرس كيخسرو، و كانت قبل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٣٣

الاسلام ولاية يحكمها مرزبان و فى المدينة بيت للنار المقدسة عند الفرس القدماء .

يعتبر مشهد الامام الرضا (ع) من أهم الاماكن المقدسة فى ايران و له مكانة كبيرة فى نفوس المسلمين عامة و الشيعة بشكل خاص، و كان المأمون قد شيد على قبر هرون الرشيد قبة عرفت بالقبة الهارونية، ثم دفن فيها الامام الرضا (ع) و هدم هذه القبة سبكتكين، والد محمود الغزنوى، و كان قد ملك مدينة غزنه سنة ٣٦٦ هـ، و كان فى الأصل من غلمان ابن اسحق بن البتكين، و عمرها بعد ذلك سورى بن معتز بن مسعود بأمر السلطان محمود بن سبكتكين ثم تهدمت بغزوات قامت بها بعض القبائل التركيه، ثم عمرها شرف الدين أثر من الحيطان المتبقية من مدينة طوس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٣٤

وجيه الملك ابو طاهر القمى فى عهد سنجر السلجوقى، ثم تهدمت مرة اخرى اثر الغارات التى قام بها جنكيز خان، و عمرت فى عهد خدا بنده، ثم عمرها الصفويون، و كان طهماسب قد كسا القبة بالذهب و كذلك المنارة فى أعلى الحرم و بقيت حتى سنة (١٩١٢ م) فخرّب جزء منها بهجوم الروس ثم اتم ترميمها الوالى نير الدولة سنة ١٩١٣ م. لقد زين الحرم الشريف بالفسيفساء و علفت فيه نفائس القناديل و المصابيح.

و يتكون المشهد الرضوى من صحنين: الصحن القديم و الصحن الجديد، و الصحن القديم يقع الى الجهة الخلفية من موضع الرأس، طوله ٨٦ ذراعا و عرضه ٦٠ ذراعا، و قد عمر نصف الصحن الشمالى الشاه عباس الصفوى، اما النصف الجنوبى فمن اعمال الامير شير على، و قد زين الصحن بالقاشانى الملون الشاه عباس الثانى الصفوى، و يتصل الصحن بالحرم الشريف بايوان يعرف بالايوان العباسى، نسبة للشاه عباس الصفوى، و كان الشاه نادر شاه قد كسا واجهته بالذهب و شيد المنارة التى على الايوان، و فى وسط الصحن قبة ذهبية و فى داخلها حوض مسدس الشكل من الرخام كان قد اعد لشرب الماء، و كان نادر شاه قد أمر ببناء القبة و الحوض، و يحمل الماء الى الحوض من مكان خارج المدينة يعرف بحوض بابا قدرت .

اما الصحن الجديد فيقع عند وجهه اقدام المرقد بناه الشاه على القاجارى، و طول الصحن ٧٢ ذراعا و عرضه ٤٩ ذراعا، و فيه ايوان يتصل بالحرم الشريف ذهبه عضد الملك، متولى الحرم بأمر الملك ناصر الدين شاه القاجارى.

و يبدو ان تزيين الحرم كان فى المائة السادسة و السابعة فقد ظهرت على جدران الحرم الشريف تواريخ مؤرخه كذا (و خمسمائة للهجرة) فى ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة و ستمائة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٣٥

و توجد كتابة على محيط القبة نفسها: «من ميامن منن الله سبحانه الذى زين السماء بزينة الكواكب و رصع هذه القباب العلى بدرر الدرارى الثواقب، أن استسعد السلطان الاعلى و الخاقان الافخم الاكرم مشرف ملوك الارض حسبا و نسبا، و اكرم خلقا و ادبا، مروج مذهب اجداده المعصومين، محى مراسيم آباءه الطيبين الطاهرين، السلطان بن السلطان شاه سليمان الموسوى الصفوى بهادر خان بتذهيب هذه القبة العرشية الملكوتية و تزيينها و تشرف بتجديدها و تحسينها، اذ تطرق اليها الانكسار و سقطت لبناتها الذهبية التى كانت تشرق كالشمس فى رابعة النهار بسبب حدوث الزلزلة العظيمة فى هذه البلاد الطيبة الكريمة فى سنة اربع و ثمانين و الف و كان هذا التجديد فى سنة ست و ثمانين و الف، كتبه محمد رضا الامامى».

اما الكتابة على القبة الصغيرة فنصها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عظام توفيقات الله سبحانه ان وفق السلطان الاعظم مولى ملوك

العرب و العجم صاحب النسب الطاهر النبوي، و الحسب الباهر العلوي، تراب اقدام خدام هذه الروضة المنورة الملكوتية مروج آثار اجداده المعصومين السلطان بن السلطان ابو المظفر شاه عباس الموسوي الصفوي بهادر خان، فاستسعد بالمجىء ماشيا على قدميه من دار السلطنة اصفهان الى زيارة هذا الحرم الشريف و قد شرف بزيئة هذه القبء من خالص الصخرة التاريخية لقبر الامام الرضا يرجع تأريخها الى يوم دفنه بمشهد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٣٦

ماله فى سنة الف و عشرة ثم فى سنة الف و ست عشرة.»

و يقوم بزيارة مشهد الامام الرضا عدد كبير من المسلمين خاصة من طائفة الشيعة.

و هناك اصطلاح سائد فى الاوساط الشعبية ان يطلق لفظ (زاير) على كل فرد قام بزيارة المراقد المقدسة .

و من الجدير بالذكر ان مشهد الامام الرضا يحتوى على مكتبة تعتبر من اضخم المكتبات الاسلامية لما تضم من نفائس الكتب المخطوطة و المطبوعة، و للمكتبة فهرس مطبوع.

الزوار العرب فى صحن الامام الرضا (بمشهد) يستمعون للوعظ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٣٧

سامراء

تقع سامراء على الضفة الشرقية لنهر دجلة، فى منتصف الطريق بين بغداد و تكريت و تعتبر هذه البقعة ضمن الاراضى المتموجة التى تكون جزءا من اقسام اراضى العراق.

و قد بدأ بتشييد سامراء الاسلامية المعتصم العباسى سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م و اخذت فى التوسع ايام ولده الواثق كما بلغت غاية ارتقائها العمرانى زمن المتوكل (٢٣٢-٢٤٧ هـ) ٨٤٧-٨٦١ م و شيدت المدينة بين قرية كرخ فيروز او كرخ يا جدا فى شمالها و قرية مطيرة فى جنوبها.

و من الثابت تاريخيا اليوم ان سامراء كانت من قبل مركزا لحضارة عراقية موعلة فى القدم و قد يعود تاريخها الى العصر الهلينستى و خاصة العهد البارتي منه، و قد عثر فى منطقة وادى الثرثار فى حصيان (و ابو الطبول) على كسر من الفخار يرجع تاريخها الى ١٠٠ قبل الميلاد .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٣٨

كما دلت التنقيبات التى اجراها الاستاذ الدكتور هرزفولد فى موسم (١٩٣٠-١٩٣١) ان الآثار التى عثر عليها فى طيات القبور يعود تاريخها الى العصور الحجرية المتأخرة و الحديثة، و قد عرف الدهر الذى تعود اليه مقبرة سامراء بعصر (حلف) ٥٠٠٠-٤٥٠٠ ق. م و هذا العصر الذى يلي العصر الحجرى الحديث و الذى يمتاز آثاره بزخرفة الاوانى المفخورة و برقى اشكالها و تعدد الوانها .

و تقوم مديرية الآثار العامة العراقية فى هذا الوقت بتنقيبات واسعة فى منطقة تل الصوان فى جنوب سامراء، و قد اعلمنى المختصون القائمون فى التنقيب ان المنطقة ستعطي معلومات قيمة لصفحات من تاريخ العراق القديم يعود تاريخها الى حوالى ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

و يعتقد حمد الله المستوفى ان مدينة سامراء انشأها فى الاصل سابور الثانى ذو الاكتاف (٣٠٩-٣٧٩ م)، كما ذكر بعض الباحثين ان اصل اسم سامراء فارسى، و قالوا فى اشتقاقه «سام- راه»، ساعى- أمرا، و سا- مزا و تعنى الكلمتان الاخيرتان موضعا عليه الخراج، و من الجدير بالذكر ان كلمة سامراء كتبت- سر من رأى- على السكة التى كان يضربها الحكام العباسيون.

اما سبب بناء هذه المدينة على عهد المعتصم، فان يعقوبى خير من يوضح ذلك بقوله:- «كان سرمن رأى فى متقدم الايام صحراء

من اراضى الطيرهان لا عمارة بها و كان بها دير للنصارى بالموضع الذى صارت فيه دار السلطان المعروفة بدار العامة و صار الدير بيت المال، فلما قدم المعتصم بغداد عند منصرفه من طرسوس فى السنة التى بويج له بالخلافة و هى سنة ثمانى عشرة و مائتين، نزل دار المأمون ثم بنى دارا فى الجانب الشرقى من بغداد و انتقل اليها و اقام بها سنة ثمانى عشرة، و تسع عشرة، موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٣٩

و عشرين و احدى و عشرين و مائتين، و كان معه خلق من الاتراك و هم يومئذ عجم، أعلمنى جعفر الخشكى قال: كان المعتصم يوجه بى فى ايام المأمون الى سمرقند الى نوح بن أسد فى شراء الاتراك، فكنت اقدم عليه فى كل سنة منهم بجماعة، فاجتمع له فى ايام المأمون منهم زهاء ثلاثة آلاف غلام، فلما أفضت اليه الخلافة ألح فى طلبهم و اشترى من كان ببغداد من رقيق الناس، كان ممن اشترى ببغداد جماعة جملة منهم اشناس و كان مملوكا لعيم بن خازم ابى هرون بن نعيم، و ايتاخ كان مملوكا لسلام بن الأبرش و وصيف كان زرادا مملوكا لآل النعمان، و سيما الدمشقى و كان مملوكا لذى الرئاستين الفضل بن سهل و كان اولئك الأتراك العجم اذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يمينا و شمالا فيثب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضا و يضربون بعضا و تذهب دماؤهم هدرالا يعدون على من فعل ذلك، فثقل ذلك على المعتصم و عزم على الخروج من بغداد فخرج الى الشامية و هو الموضع الذى كان المأمون يخرج اليه فيقيم به الايام و الشهور، فعزم ان يبنى بالشامية خارج بغداد فخرج الى الشامية و هو الموضع الذى كان قربها من بغداد، فمضى الى البردان بمشورة الفضل بن مروان، و هو يومئذ وزير و ذلك فى سنة احدى و عشرين و مائتين، و أقام بالبردان اياما و احضر المهندسين، ثم لم يرض الموضع فصار الى موضع يقال له باحمشا من الجانب الشرقى من دجلة، فقدر هناك مدينة على دجلة و طلب موضعا يحفر فيه نهرا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٤٠

فلم يجده، فنفذ الى القرية المعروفة بالمطيرة، فاقام بها مدة، ثم صعد الى القاطول فقال: هذا اصلح المواضع، فصير النهر المعروف بالقاطول وسط المدينة و يكون البناء على دجلة و على القاطول، فابتدأ البناء و اقطع القواد و الكتاب و الناس فبنوا، الى ان يقول: ثم ركب متصيدا فمر فى مسيره حتى صار الى موضع سرمن رأى و هى صحراء من ارض الطيرهان، لا عمارة بها و لا أنيس فيها إلا دير النصارى فوقف بالدير و كلم من فيه من الرهبان و قال:

ما اسم هذا الموضع؟ فقال له بعض الرهبان: نجد فى كتبنا المتقدمة ان هذا الموضع يسمى سر من رأى، الى ان يقول: - ثم عزم المعتصم على ان ينزل بذلك الموضع فأحضر محمد بن عبد الملك الزيات و ابن ابى دؤاد و عمر بن فرج و احمد بن خالد المعروف بأبى الوزير و قال مدينة سامراء العامة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٤١

لهم: اشترى من اصحاب هذا الدير هذه الارض، و ادفعوا اليهم ثمنها اربعة آلاف دينار، ففعلوا ذلك، ثم احضر المهندسين فقال اختاروا اصلح هذه المواضع، فاختراروا عدة مواضع للقصور و صير الى كل رجل من اصحابه بناء قصر، فصير الى خاقان عرطوج ابن الفتح ابن خاقان بناء الجوسق الخاقانى و الى عمر بن فرج بناء القصر المعروف بالعمري و الى ابى الوزير بناء القصر المعروف بالوزيرى، ثم خط القواطع للقواد و الكتاب و الناس و خط المسجد الجامع و اختط الاسواق حول المسجد الجامع .

و يبدو ان المعتصم اختار سامراء لميزاتها المتعددة، ذلك ان موقعها الحسن الحوى، فالمياه التى تحيط بالمدينة تتكون بمثابة سور دفاعى لها، كما ان ارتفاع اراضى المدينة عن وادى النهر امر مهم، فان ذلك الارتفاع ادى الى وقاية المدينة من الفيضان، كما ان المدينة حسنة الهواء خصبة التربة، كما ان موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٤٢

موقعها اكثر صلاحية للدفاع و المقاومة من بغداد من الناحية العسكرية.

لقد شيد المعتصم قصره المعروف بالجوسق و شيد هرون الواثق قصره المعروف بالهارونى نسبة اليه، اما المتوكل فقد اقام اول الامر

في الهاروني، ثم شيد عدة قصور، و يذكر المؤرخون انه وسع و شيد اربعة و عشرين قصرا من اشهرها قصر بلكواري، و العروس و المختار، و الوحيد، و كان يخطط قبل موته بتسعة اشهر مدينة جديدة الى الشمال فيما بين كرخ فيروز و الدور، و كانت هذه المدينة تسمى بالجغرافية نسبة اليه، و كان المعتمد آخر حاكم عباسي اقام في سامراء و قد شيد قصره المعروف «المعشوق» على الضفة الغربية من نهر دجلة و ذلك سنة ٢٥٥ هـ - ٨٦٨ م.

و من اهم شوارع مدينة سامراء شارع الخليج و شارع السريحة و في شارع الخليج قطاع المغاربة، و شارع السريحة الذي عرف بالشارع الاعظم، و كان يمتد زمن المعتمد (١٩) كيلومترا و كان يمر بدار الشرطة و السجن، و يؤدي الى الحي الذي سمي باسم الوزير الحسن بن سهل، و في الشارع الاعظم قطاع قواد خراسان منها قطعة هاشم بن باينجور و قطعة عجين بن عنبسة و قطعة الحسن بن علي المأمون و قطعة هرون بن نعيم و قطعة حزام بن غالب .

و هناك شارع ابي احمد بن الرشيد الذي يؤدي الى قرية الايتاخية القائمة على قناة الكسروي، و قد سميت اول الامر بالايتاخية نسبة الى احد زعماء الاتراك المدعو ايتاخ ثم اطلق عليها فيما بعد اسم المحمدية، و ثمة شوارع اخرى مثل شارع الحير الاول و شارع برغمش التركي.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٤٣

و كانت سامراء تعرف بالعسكر ايضا، لان المعتمد لما بناها انتقل اليها بعسكره فقبل لها العسكر، و لهذا اطلق على الامام ابي الحسن علي الهادي (ع) بالعسكري. لانه منسوب الى سامراء، و كان الامام علي الهادي (ع) يسكن المدينة و لكن السعاه و شوابه عند المتوكل فاحضره من المدينة و أقره بسرمن رأى و اقام بها عشرين سنة و تسعة اشهر، و توفي بها يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة اربع و خمسين و مائتين للهجرة و دفن في داره.

و ورث الامامة ولده الحسن الذي عرف بالعسكري ايضا و توفي في سامراء سنة ستين و مائتين للهجرة، و بها ولد المهدي الامام الثاني عشر المنتظر.

و منذ ان استوطن الامام العاشر علي الهادي (ع) مدينة سامراء اضحت هذه المدينة مركزا مهما لمراكز الفقه و الاجتهاد و الفتيا، كما اصبحت بلا ريب مقصدا للشيعه الامامية، و بعد وفاة الأئمة و دفنهم فيها اخذت شكل المدينة المقدسة الاخرى التي ضمت رفات الأئمة الاثنى عشر، و انتقل اليها بعض علماء الشيعة الذين اصبحت لهم زوايا و مدارس، كما بذل المسلمون عناية فائقة في اقامة المشاهد الفخمة على قبر الامامين علي الهادي و الحسن العسكري «عليهما السلام»، و من الجدير بالذكر ان الخليفة الناصر لدين الله العباسي احمد بن الحسن امر بصنع باب من خشب الساج - لارضاء الشيعة الامامية - مزخرف بأجمل الزخارف الاسلامية و عليه كتابة بديعة تدل على دقة عظيمة في صنعه النجارة و دقة متناهية في الذوق الفني و هذا نص الكتابة:-

«بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ.»

هذا ما امر بعمله سيدنا و مولانا الامام المفروض الطاعة على جميع الانام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٤٤

ابو العباس احمد الناصر لدين الله امير المؤمنين و خليفه رب العالمين الذي طبق البلاد احسانه و عدله، و غمر العباد بره و فضله، قرب الله اوامره الشريفة باستمرار النجاح و اليسر، و ناطها بالتأييد و النصر، و جعل لايامه المخلدة جدا، لا يكبو جواده، و لآرائه الممجدة سعدا، لا- يخبو زناده، في عز تخضع له الاقدار فتطيعه عواصيها و ملك تخشع له الملوك فتملكه نواصيها بتولى المملوك معد بن الحسين الموسوي، الذي يرجو الحياة في ايامه المخلدة و يتمنى انفاق بقية عمره في الدعاء لدولته المؤيدة استجاب الله ادعيته و بلغه في ايامه الشريفة أمنيته، ذلك في ربيع الثاني من سنة ست و ستمائة هلالية، و حسبنا الله و نعم الوكيل و صلى الله على سيدنا خاتم النبيين و على آله الطاهرين و عترته و سلم تسليما»

الروضة العسكرية من الجانب الامامى بسامراء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٤٥

مجلد سير الأئمة الاثنى عشر كتبه جواد شبر

اشارة

عضو جمعية المنتدى و الاستاذ بمدرستها سابقا واحد خطباء الدرجة الأولى للمنابر الحسينية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٤٧

سير الأئمة الاثنى عشر

بعض من الف الكتب فى الأئمة الاثنى عشر

ليس هناك سيرة تناولها الكتاب و المؤرخون بمختلف نواحيها و صورها كسيرة النبي محمد صلى الله عليه و سلم و آله و الأئمة الاثنى عشر من بعده، فلقد الف العدد الكبير من الكتب عن سيرة كل واحد، و تناولوا جوانب متعددة لشخصيته منذ القرون الهجرية الاولى حتى اليوم و لم يزالوا يعرضون لهذه السير و يستخرجون منها اشياء جديدة بالنظر لاتساع دائرة تراجمهم و كونها معينا لا ينضب من الحكمة، و الفلسفة، و الادب، و الخلق الرفيع، و كان عدد الكتب و التراجم التى خص بها النبي فى كتب السير و التراجم القديمة و الحديثة و خص بها الامام على بن ابي طالب (ع) و خص بها ابو عبد الله الحسين (ع) و الامام الصادق (ع) تفوق الحصر، و لم يقتصر تأليف هذه الكتب على المسلمين وحدهم و انما اسهم فيها عدد من غير المسلمين، و من غير العرب و لا سيما المسيحيين فى العصور المتقدمة و العصور المتأخرة، اما الذين خصوا فصولا مستقلة من كتبهم بالنبي او باحد الأئمة او اكثر الأئمة الاثنى عشر فهم اكثر و اكثر من غيرهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٤٨

و اننا نورد هنا اهم هذه الكتب التى تناولت تراجم جميع الأئمة الاثنى عشر او اغلبهم باقلام غير شيعية و نشير الى اسماء مؤلفيها على ما استخرجناه من كتب التراجم .

الارشاد- للمفيد محمد بن محمد النعمان.

اعلام الورى- للطبرسى.

ايعان الشيعة- للسيد محسن الامين العاملى.

كتاب الآل- لابن خالويه.

البحار- للمجلسى.

تأريخ الأئمة الاثنى عشر- لشمس الدين محمد بن طولون.

مواليد اهل البيت- لابن الخشاب.

تذكرة خواص الامة فى معرفة الأئمة- لسبط ابن الجوزى الحنفى.

حلية الاولياء- للحافظ ابي نعيم.

الخرائج و الجرائح- لقطب الدين سعيد ابن هبة الله الراوندى.

الدلائل- لعبد الله بن جعفر الحميرى.

الذرية الطاهرة- لابي بشر محمد بن احمد الانصارى الدولابى.

صفوة الصفوة- للشيخ جمال الدين ابن الجوزى.

الفصول المهمة- لابن الصباغ المالكى.

كشف الغمة- لعلى بن عيسى.

المجالس السنية- للسيد محسن الامين.

مطالب السؤل- لمحمد بن طلحة الشافعى.

معالم العترة النبوية- للحافظ الجنابدى البغدادى الحنبلى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٤٩

مقاتل الطالبين- لابي الفرج الاصفهانى.

المناقب- لابن شهر آشوب.

المناقب- لابي بكر الخوارزمى.

المناقب- لابي المؤيد.

اما الذين خصوا بعض الأئمة الاثنى عشر بتوايفهم و تناولوا جوانب خاصة من حياتهم فى كتب مستقلة فان عددهم كبير جدا و ليس الى احصائهم من سبيل، كأبى الفرج الاصفهانى فى كتاب (الاعانى) و كتاب (مقاتل الطالبين) و كإبن ابى الحديد فى شرح (نهج البلاغة) و غيرهما من مئات المتقدمين و من المتأخرين، كعباس محمود العقاد فى كتابه (عقريه الامام) عن الامام على و كتابه (ابو الشهداء) عن ابى عبد الله الحسين، و كالشيخ عبد الله العلايلى فى كتابه (سمو المعنى فى سمو الذات)، عن الامام الحسين، و كفؤاد افرام البستاني فى سلسلة (الروائع) عن نهج البلاغة، و كعبد الفتاح عبد المقصود فى كتابه (الامام على) و كجورج جرداق فى كتابه (الامام على) و كل هؤلاء و مئات غيرهم من غير الشيعة ممن خصوا عددا من الأئمة الاثنى عشر بكتب خاصة بهم، هذا بالاضافة الى آلاف الكتب- و ليس فى هذا شىء من المبالغة- من كتب التراجم، و الاعلام، و كتب الادب، و الفلسفة، و العلوم التى تطرقت و لم تزل تتطرق الى ذكر شىء كثير او قليل من سيرة حياة الأئمة الاثنى عشر، اذ لم تزل هذه السير معينا لا ينضب من المثل العليا فى حياة الانسان الكامل .

و ستخص (موسوعة العتبات المقدسة) كل امام من الأئمة الاثنى عشر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٥٠

ببحث واسع و ترجمه مسهبه، و دراسة وافية ستأتى فى الاجزاء الخاصة بكل (عتبة) من العتبات.

اما هذا العرض لسيرة الأئمة، هنا فليس غير مقدمه هدفنا منها الالمامه المجمله بسيرة الأئمة لتعقبها فيما بعد الاحاطة الواسعة ان شاء الله.

ج·خ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٥١

النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله و سلم

ولادته

ولد النبي صلى الله عليه و آله فى السابع من ربيع الاول و عليه اتفاق الشيعة الاثنى عشرية، كما ان المشهور عندهم انه ولد لاثنتى

عشرة ليلة مضت من ربيع الاول و الى هذا القول ذهب الشيخ محمد بن يعقوب الكليني في كتابه (اصول الكافي) و هناك من يرى رأى الامامية فى ان مولده الشريف كان فى السابع عشر من ربيع الاول بمكة المكرمة فى الدار المعروفة بدار محمد بن يوسف الثقفى. و جاء فى كتاب السيرة النبوية كان يوم الجمعة و هو المشهور عند الشيعة و روى الطبرى عن ابن اسحق انه كان يوم الاثنين عند طلوع الشمس و قبل الفجر، و قيل عند الزوال، و اتفق الرواة ان مولده كان فى عام الفيل بعد خمسة و خمسين يوما او خمسة و اربعين يوما او ثلاثين يوما من هلاك اصحاب الفيل ٢٥ اغسطس سنة ٥٧٠ ميلادية. و لاربعين سنة خلت من حكم كسرى انوشروان خسرو بن قباد بن فيروز.

و امه آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن هرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب. ماتت و عمره ستة و ستون يوما و مات ابوه عبد الله فى شبابه و النبى حمل فى بطن امه، و قال الطبرى فى (اعلام الورى) ان موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٥٢

عبد الله مات و عمر النبى ستان و اربعة اشهر. و قال الكليني كان عمره يوم وفاة ابيه شهرين. عاش مع جده عبد المطلب ثمانى سنوات و بعد وفاة عبد المطلب كفله عمه ابو طالب شيخ البطحاء فكان يكرمه و يحميه و ينصره بيده و لسانه طول حياته، و تزوج بخديجة بنت خويلد اولى زوجاته و عمره خمس و عشرون سنة و لم يتزوج غيرها حتى ماتت و بقى بعدها سنة بدون زوجة.

بعثته

و بعث بالنبوة فى السابع و العشرين من رجب و له من العمر اربعون سنة. و توفى ابو طالب و عمر النبى ستة و اربعون سنة و ثمانية اشهر و اربعة و عشرون يوما و قد عاش مع عمه هذا اثنين و اربعين سنة منها سبع عشرة فى بيته و لم يمكث بعد عمه فى مكة غير ثلاث سنين. و جاء فى كتاب (الاصابة) لابن حجر ج ٧ ص ١١٣ ان النبى خرج عند وفاة عمه ابي طالب و اعترض النعش و قال برقة و حزن و كآبة: «لقد وصلت رحما، و جزيت خيرا يا عم، فلقد ربيت و كفلت صغيرا، و نصرت و آزرت كبيرا». و توفيت خديجة و ابو طالب فى عام واحد فسمى رسول الله ذلك العام: بعام الحزن، و هاجر الى المدينة فى اول ليلة من ربيع الاول و دخلها فى الثانى عشر منه بعد ان مكث فى مكة المكرمة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة و بقى فى المدينة المنورة عشر سنين ثم توفى.

صفاته

جاء فى تاريخ ابن الاثير: قال على بن ابي طالب: كان رسول الله ليس بالطويل و لا بالقصير، ضخم الرأس و اللحية، شثن الكفين و القدمين، ضخم موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٥٣

الكراديس، مشربا وجهه حمرة، طويل المسربة، اذا مشى تكافأ تكافأ كأنما ينحط من صيب، لم ارقبه و لا بعده مثله، و كان ادعج العينين سبط الشعر، ذا وفرة كأن عنقه ابريق فضة، اذا التفت التفت جميعا كأن العرق فى وجهه اللؤلؤ الرطب لطيب عرقه و ريحه، قال ابو عبيدة و غيره:

شثن الكفين و القدمين يعنى انهما الى الغلظ اقرب. و قوله ضخم الكراديس يعنى الواح الاكتاف، و المسربة هى ما بين السرة و اللبة، و الصبب:

الانحدار، و الدعج في العين: هو السوداء، و السبط من الشعر: ضد الجعد.

قال أنس «كان رسول الله اشجع الناس و اسمح الناس و احسن الناس، وقع في المدينة فرع فركب فرسا عربيا فسبق الناس اليه فجعل يقول: ايها الناس لم تراعو لم تراعو. و قال على بن ابي طالب: كنا اذا اشتد بنا اليأس اتقينا برسول الله، فكان اقربنا الى العدو. و كفى بهذا شجاعاً، ان مثل على الذي هو هو في شجاعته يقول مثل هذا- انتهى). و جاء في مسند احمد بن حنبل ج ١ ص ١٥٨ بسنده عن على قال: كنا اذا احمرّ الباس و لقي القوم القوم اتقينا برسول الله فما يكون منا احد ادنى من القوم منه.

و مما وصفه به احد الواصفين قال: من رآه بديهته هابه، و من خالطه معرفة احبه، و كان كثير الابتهاال دائم السؤال من الله تعالى ان يزينه بمحاسن الآداب و مكارم الاخلاق، فكان يقول في دعائه (اللهم حسن خلقي و خلقي، و يقول اللهم جنبني منكرات الاخلاق). و روى مسلم في صحيحه بسنده الى حذيفة بن اليمان. قال: خرجت انا و ابو حسيل فأخذنا كفّار قريش فقالوا: انكم تريدون محمداً، فقلنا:

ما نريد الا المدينة، فأخذوا عهد الله و ميثاقه لننصرفن الى المدينة و لا نقاتل معه، فأتينا رسول الله فأخبرناه الخبر فقال: (انصرفا اليهم بعهدهم و نستعين الله عليهم).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٥٤

و عن الحسين بن على قال: سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله- و كان وصافا يحسن ان يصف النبي فقال: كان رسول الله فخما مفخما اطول من المربوع و اقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر. قال الحسن: و كتمتها زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه و سأله عما سألته عنه، فوجدته قد سأل اباة عن مدخل النبي و مخرجه و مجلسه و شكله فلم يده منه شيئا.

قال الحسين: سألت ابي عن مدخل رسول الله فقال: كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فاذا آوى الى منزله جزأ دخوله الى ثلاثة اجزاء: جزءا لله، و جزءا لاهله، و جزءا لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه و بين الناس، فيرد ذلك بالخاصة الى العامة و لا يدخر عنهم منه شيئا. فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه فقال: كان يخزن لسانه الا عما يعنيه، و يؤلفهم و لا ينفهم، و يكرم كريم كل قوم و يؤليه عليهم، و يحذر الناس و يحترس منهم من غير ان ينطوى عن احد بشره و لا خلقه، و يتفقد اصحابه، و يسأل الناس عما في الناس، و يحسن الحسن و يقويه، و يقبّح القبيح و يوهنه، معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يميلوا، و لا يقصر عن الحق و لا يجوزه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٥٥

قال و سألته عن مجلسه فقال: كان لا يجلس و لا يقوم الا على ذكر، و لا يوطن الا ماكن و ينهى عن ايطانها، و اذا جلس الى قوم جلس حتى ينتهي به المجلس و يأمر بذلك، و يعطى كل جلسائه نصيبه، و لا يحسب احد من جلسائه ان احدا اكرم عليه منه، مجلسه مجلس حلم و حياء، و صدق و أمانة لا- ترفع فيه الاصوات، متعادلين متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون الكبير و يرحمون الصغير و يؤثرون ذا الحاجة و يحفظون الغريب.

غار حراء مهبط الوحي الاول على النبي

فقلت فكيف كانت سيرته في جلسائه فقال: كان دائم البشر سهل الخلق، لئّن الجانب و ليس بفظّ و لا غليظ، و لا صحّاب، و لا فحاش، و لا عيّاب، و لا مدّاح، يتغافل عما لا يشتهي، و اذا تكلم اطرق جلساؤه، و اذا سكت تكلموا، و لا يتنازعون عند الحديث.

دعوته و غزواته

و دعا النبي الى الاسلام فلقى من قريش ما لقي من أذى و مضايقة و اجاب دعوته نفر لقواهم الآخرون ما لقوا من تعذيب حتى اضطر

الى الهجرة الى المدينة وهاجر معه من آمن به فسموا بالمهاجرين، و نصره اهل المدينة و تفانوا في سبيل نصرته و الايمان بدعوته فسموا بالانصار، و وقعت بينه و بين قريش و بين الطوائف الاخرى و اليهود معارك و غزوات كان لكل وقعة منها حكاية يطول شرحها و من اهم هذه الغزوات و المعارك كانت:

غزوة بدر الكبرى، و غزوة بنى قينقاع، و غزوة أحد، و غزوة بنى النضير، و دومة الجندل، و الخندق، و بنى قريظة، و غزوة خيبر، و فتح مكة، و غيرها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٥٦

و لم تقتصر دعوة النبي على قريش و العرب و انما كتب الى عدد من الملوك و القياصرة كتبا يدعوهم فيها الى الاسلام و من اشهر من كتب لهم: قيصر الروم، و كسرى ملك الفرس، و المقوقس ملك القبط و غيرهم .

مواهبه و ملكاته

و اما مواهبه و ملكاته فقد جاء في (شفاء القاضى عياض) شرح الخفاجى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٥٧

«و اما وفور عقله و ذكاء لبه، و قوة حواسه، و فصاحة لسانه، و اعتدال حركاته، و حسن شمائله، فلا- مريء انه كان اعقل الناس و اذكاهم، و من تأمل تدبيره امور بواطن الخلق و ظواهرهم، و سياسته العامة و الخاصة مع عجيب شمائله و بديع صورة الكتاب التأريخي الذي عثر عليه مؤخرًا و الذي كتبه النبي الى المقوقس و عليه ختم النبي الشريف.

سيره، فضلا عما افاضه من العلم، و قرره من الشرع دون تعلم سبق، و لا ممارسة تقدمت، و لا مطالعة للكتب منه، لم يمتز في رجحان عقله، و ثقب فهمه لاول بديهته، و هذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحققه».

من حكمه و اقواله

ايها الناس، انتم على ظهر سفر، و السير بكم سريع، فقد رأيتم الليل و النهار، و الشمس و القمر يبلبان كل جديد، و يقربان كل بعيد، فاعدوا الجهاد لبعث المفاوز، المؤمن من أمن الناس من يده و لسانه (و رواه البعض:

المسلم من سلم .. الخ)

المجالس بالامانة، البلاء موكل بالمنطق، المرء حريص على ما منع، المستشار مؤتمن، الحكمة ضالة المؤمن، ثلاث من مكارم الاخلاق في الدنيا و الآخرة: ان تعفو عن ظلمك، و تصل من قطعك، و تحلم على من جهلك.

و من وصية له يوصى بها عليا (٤):

يا على انه لا- فقر اشد من الجهل، و لا مال اعود من العقل، و لا وحدة اوحش من العجب، و لا مظاهره احسن من مشاوره، و لا عقل كالتدبير و لا حسب كحسن الخلق، و لا عبادة كالتفكير.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٥٨

يا على: آفة الحديث الكذب، و آفة العلم النسيان، و آفة العبادة الفترة، و آفة السماح المن، و آفة الشجاعة البغي، و آفة الجمال الخيلاء.

زوجاته:

تزوج خمس عشرة امرأة، و دخل بثلاث عشرة منهن، و توفي عن تسع اولاهن السيدة:

- ١- خديجة بنت خويلد و هي اول امرأة أسلمت و اول من بنى بيتا فى الاسلام بتزوجها برسول الله و كان يذكرها دائما و يمدحها و يقول آمنت بى حين كذبنى الناس، و واستنى بمالها حين حرمنى الناس و رزقت منها الولد و حرمت من غيرها
- ٢- سودة بنت زمعة، و كانت تحت ابن عمها، ثم قدما مكة فمات بها و لم يعقب، فتزوجها رسول الله.
- ٣- عائشة بنت ابى بكر، و تزوجها على رأس ثمانية اشهر من الهجرة و لم يتزوج بكرا غيرها و ماتت و قد قاربت سبعا و ستين سنة فى شهر رمضان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٥٩

سنة ثمان و خمسين فى ولاية مروان بن الحكم على المدينة و ذلك فى خلافة معاوية

- ٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب، و امها زينب اخت عثمان بن مظعون، و كانت اولاً- تحت خنيس ابن حذافة فتوفى عنها بجراحة اصابته ببدر.

- ٥- زينب بنت خزيمة كانت تدعى فى الجاهلية- ام المساكين- لرأفتها و احسانها اليهم كانت قبله تحت الطفيل بن الحرث فطلقها فتزوجها اخوه عبيدة بن الحرث فقتل يوم بدر شهيدا فخطبها النبى فجعلت امرها اليه فتزوجها و ذلك على رأس واحد و ثلاثين شهرا من الهجرة فمكثت عنده ثلاثة اشهر ثم توفيت و صلى عليها رسول الله و دفنت بالبيع و قد بلغت ثلاثين سنة.
- و لم يمت من ازواجه فى حياته الا هى و خديجة.

- ٦- ام سلمة و اسمها هند بنت ابى امية المخزومي المعروف بزاز الراكب و هو احد اجواد قريش و امها عاتكة بنت عبد المطلب عمه النبى و قبل ان يتزوجها رسول الله كانت تحت ابى سلمة بن عبد الاسد و كانت هى و زوجها اول من هاجر الى ارض الحبشة فولدت له هناك عمر، و سلمة، و تزوج بها النبى فى السنة الثانية من الهجرة بعد وقعة بدر و عاشت اربع و ثمانين سنة و دفنت بالبيع و هى آخر من مات من زوجاته.

- ٧- زينب بنت جحش، و كان اسمها برة فسمها زينب و كانت قبله عند مولاة زيد بن حارثة ثم طلقها فلما انقضت عدتها تزوجها سنة اربع من الهجرة و هى بنت خمس و ثلاثين سنة.

- ٨- جويرية بنت الحرث من بنى المصطلق، سببت فى غزوة بنى المصطلق فكان اسمها برة فسمها رسول الله جويرية، و كانت قبل رسول الله عند

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٦٠

مصافع بن صفوان، و توفيت بالمدينة سنة ست و خمسين.

- ٩- ريحانة بنت يزيد من بنى النظير وقعت فى سبى قريظة فخيرها بين الاسلام و دينها فاخترت الاسلام فاعتقها الرسول و تزوجها سنة ست.

- ١٠- ام حبيبة و هى ارملة بنت ابى سفيان بن حرب، تزوجت من عبيد الله بن جحش قبل الاسلام ثم دخلا معا فى الاسلام و هاجرا معا الى ارض الحبشة و مات عبيد الله فى الحبشة فاعطاها النجاشى ملك الحبشة عشرة الاف درهم مهرا و بعث بها للنبي فتزوجها سنة سبع، و ماتت سنة اربع و اربعين.

- ١١- صفية بنت حى بن اخطب سيد بنى النظير قتل مع بنى النظير، و كانت عند سلام بن مشكم ثم خلف عليها كنانة بن ابى الحقيق و قتل عنها يوم خيبر و لم تلد لاحد منهما و اصطفاها رسول الله لنفسه فاعتقها و تزوجها و جعل عتقها صداقها.

- ١٢- ميمونة بنت الحرث و كان اسمها برة فسمها النبى ميمونة، و هى اخت زوجة العباس بن عبد المطلب فهى خالة عبد الله بن العباس، و اختها اسماء بنت عميس و سلمى بنت عميس و زينب بنت خزيمة ام المؤمنين لامها، و ماتت سنة احدى و خمسين على

الاصح، و بلغت ثمانين سنة و هي اخر زوجاته اللاتي تزوج بهن.

اولاده:

لم يولد للنبي غير سبعة اولاد على اصح الاقوال ثلاثة ذكور و اربع بنات و كلهم من خديجة بنت خويلد الا ابراهيم فانه من مارية القبطية. و هم القاسم، عبد الله، زينب، رقية، ام كلثوم، فاطمة (ع) و عد البعض منهم الطيب و الطاهر و قيل بل انه عبد الله و قد لقب بالطيب الطاهر لولادته بعد الوحي ولد بمكة بعد الاسلام و مات بها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٦١

اكبر اولاد النبي و اولهم هو القاسم و به كان يكنى، ولد من خديجة قبل البعثة و عاش سنتين و قيل سنة و نصف سنة. ثم ولدت خديجة قبل البعثة ايضا زينب، ثم رقية ثم ام كلثوم، ثم فاطمة الزهراء، اما زينب فقد تزوجها ابن خالتها و هو ابو العاص بن الربيع و امه هالة بنت خويلد، و هالة هي اخت السيدة خديجة ام المؤمنين. و ذكر بعضهم بدل هالة (هندا) و يحتمل ان تكون احدهما اسما و الاخرى لقباً فهما واحدة. قال ارباب السير كانت زينب بنت رسول الله قد ادركت الاسلام و اسلمت و هاجرت، و كان ابوها يحبها، و تزوجها ابن خالتها ابو العاص بن الربيع و ولدت منه (امامة) و (عليا) اما على فقد مات مراهقاً، و اما امامة فقد تزوجها الامام على بن ابي طالب بعد وفاة خالتها السيدة فاطمة الزهراء بوصية من فاطمة، و اما رقية، و ام كلثوم، فقد زوجهما النبي من عتبة و عتيبة ابني ابي لهب بن عبد المطلب فلما جاء الاسلام بلغ من عداوة قريش للنبي ان قالوا فرغتم محمدا من همه بتزويج بناته فقالوا لابي العاص طلق ابنة محمد و تزوجك بنت من اردت من قريش فابي و طلبوا مثل ذلك الى عتبة و عتيبة فطلقا زوجتيهما فتزوجهما عثمان واحدة بعد واحدة

و اما عبد الله فقد مات بمكة صغيراً و هو الذي يلقب بالطاهر و الطيب ولد بمكة بعد الاسلام و مات بها و اما ابراهيم فامه مارية القبطية ولد سنة ثمان من الهجرة في ذي الحجة و مات صغيراً و هو ابن سنة و عشرة اشهر اعتقها ولدها. و توفيت هي في خلافة عمر سنة ست عشرة و دفنت بالبقيع. و كل اولاد النبي ولدوا بمكة الا ابراهيم فانه ولد بالمدينة. و كلهم ماتوا في حياته و لم يخلف الا السيدة فاطمة الزهراء.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٦٢

وفاته:

قال ابن الاثير في (الكامل) عند ذكر احداث سنة احدى عشرة من الهجرة في المحرم من هذه السنة بعث النبي بعثا الى الشام، و اميرهم اسامة بن زيد مولاه و امره ان يوطىء الخيل تخوم البلقاء من ارض فلسطين. فتكلم المنافقون في امارته، و قالوا أمر غلاماً على جلة المهاجرين و الانصار المسجد النبوي في المدينة

فقال رسول الله ان تطعنوا في امارته فقد طعنتم في اماره ابيه من قبل، و انه لخليق للامارة و كان ابوه خليفاً لها، و اوعب مع اسامة المهاجرون الاولون منهم ابو بكر و عمر، فبينما الناس على ذلك ابتدا برسول الله مرضه و ذلك في اواخر صفر في بيت زينب بنت جحش، و كان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه في بيت ميمونة.

قال و لما اشتد برسول الله وجعه و نزل به الموت جعل يأخذ الماء بيده و يجعله على وجهه و يقول و اكرهاه فتقول فاطمة: و اكربي لكربك يا ابتي، فيقول رسول الله لا- كرب على ابيك بعد اليوم توفي و هو ابن ثلاث و ستين سنة و لا خلاف في ذلك، و كانت وفاته يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر صفر في السنة الحادية عشرة من الهجرة على ما ذهب اليه اكثر الشيعة الامامية

وقال الشيخ الكليني منهم: انه قبض لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول، وقال غير واحد ان وفاته كانت في اول ربيع الاول، وعن بعضهم في ثامنه، وعن بعضهم في عاشره وعن بعضهم في الثامن عشر منه .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٦٣

فاطمة الزهراء

ولادتها

ولدت فاطمة بنت رسول الله بمكة المكرمة يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخرة بعد البعثة النبوية بسنتين وقيل بعد النبوة بخمس سنين وفي (الاستيعاب) ولدت سنة احدى و اربعين من مولد النبي - اى بعد المبعث بسنة- وقال اكثر من واحد ان مولدها قبل المبعث بخمس سنين والقول الاول اظهر لتسالمهم على انها كانت عند الهجرة بنت ثمانى سنين و هى اصغر بنات الرسول و اعزهن عنده و احبهن اليه، و انقطع نسله الامها، و لجه لها انه كان يدعوها: يا حبيبة ابيها، و سماها فاطمة الزهراء، و لقبها بالزهراء و البتول- و البتل هو القطع - لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا، و دينا، و حسبا، و قيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله تعالى.

اقامت مع ابيها بمكة ثمانى سنين، ثم هاجرت الى المدينة على اثر هجرة ابيها، و تزوجها على عليه السلام فى المدينة، و لما توفى النبي قيل ان عمرها كان ثمانى عشرة سنة و قال بعضهم بل كان عمرها ثمانى و عشرين سنة.

كان النبي يشهد بحقها و يعلن بفضلها و يقول: «فاطمة بضعة منى فمن اغضبها فقد اغضبني» و يقول: «فاطمة بضعة منى يؤذيني ما آذاها و يغضبني ما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٦٤

اغضبها» اخرجه على اختلاف الفاظه ائمة (الصحاح) الست، و عدة اخرى من رجال الحديث فى السنن، و المسانيد، و المعاجم، و روى الصدوق فى (الامالى) باسناده عن ابن عباس قال: ان «رسول الله كان جالسا ذات يوم و عنده على، و فاطمة، و الحسن، و الحسين، فقال اللهم تعلم ان هؤلاء اهل بيتى و اكرم الناس على فاحب من احبهم، و ابغض من ابغضهم، و وال من والاهم، و عاد من عاداهم، و أعن من أعانهم و اجعلهم مطهرين من كل دنس، معصومين من كل ذنب، و ايدهم بروح القدس منك».

و اخرج الامام احمد فى مسنده و ابو داود فى (الاستيعاب) ان النبي قال: «افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد، و آسية بنت (مزاحم امرأة فرعون)، و مريم بنت عمران». و قال خير نساء العالمين اربع: مريم بنت عمران، و آسية بنت مزاحم، و خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد» و على ضوء ذلك قال امير الشعراء احمد شوقى فى مدح الزهراء:

ما تمنى غيرها نسلا و من يلد الزهراء يزهد فى سواها

و يقول الاخر مفاخرا:

فما كل جد فى الرجال (محمد) و لا كل ام فى النساء بتول

ملكاتها:

و قد روى المؤرخون عن ملكات الزهراء و مواهبها الشىء الكثير، و كانت خطبتها فى مجلس الخليفة ابى بكر و هى تطالب بزرد (فدك) لها باعتبارها ارثا تلقته من ابيها تتضمن شواهد كثيرة على طوائف من الملكات و المواهب فقد حضرت مجلس المناقشة، و بعد ان حمدت الله و شكرته و اثنت عليه قالت: «و اشهد ان ابى محمدا عبده و رسوله، اختاره و انتخبه قبل ان ارسله، و سماه قبل ان اجتبه، و اصطفاه قبل ان ابتعثه، اذ الخلائق بالغيب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٦٥

مكونة، و بستر الاهاويل مصنوعة، و بنهاية العدم مقرونة، علما منه بمآل الامور، و احاطة بحوادث الدهور، و معرفة بمواقع المقدور، ابتعته الله إتاما لامره، و عزيمة على إمضاء حكمه، و انقاذا لمقادير حتمه، فرأى الاعمم فرقا في اديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لاوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فانار الله بابى (محمد) ظلمها، و كشف عن القلوب بهمها، و جلا عن الابصار غممها، و قام في الناس بالهداية و انقذهم من الغواية، و بصرهم من العمائة، و هداهم الى الدين القويم، و دعاهم الى السراط المستقيم، ثم قبضه الله اليه قبض رافة و اختيار، و رغبة و ايثار» الى ان قالت «و هذا كتاب الله بين اظهركم، اموره ظاهرة، و احكامه زاهرة، و اعلامه باهرة، و زواجه لائحة. و اوامره واضحة، لقد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون؟ ام بغيره تحكمون» الى ان تقول: «و انتم الآن تزعمون ان لا ارث لى أ فحكم الجاهليّة يبعون و مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» ثم قالت «أ فعلى عمدت تركتم كتاب الله و نبذتموه وراء ظهوركم اذ يقول (و وَرثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) و قال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا اذ يقول: رَبَّ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) و قال (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)* و قال (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْاُنثَىٰ) و قال:

(إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَدْنَىٰ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)

و الخطبة طويلة و ستورد كاملة فى القسم الخاص بحياة الزهراء من (قسم المدينة المنورة) من موسوعة العتبات المقدسة. و من جواب الخليفة ابى بكر لفاطمة الزهراء تتجلى قيمة (الزهراء) فى العالم الاسلامى و منزلتها فى النفوس اذ قال ابو بكر فى جوابها: «يا ابنة رسول الله. لقد كان ابوك بالمؤمنين عطوفا كريما، رؤوفا رحيمًا، و على الكافرين عذابا اليما، و عقابا عظيما، فان عزوانه وجدناه اباك دون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٦٦

النساء، و أخوا إلفك دون الاخلاء، آثره على كل حميم، و ساعده فى كل امر جسيم، لا يحبكم الا كل سعيد، و لا يبغضكم الا كل شقى، فانتم عتره رسول الله الطيبون، و الخيرة المنتخبون، على الخير ادلتنا، و الى الجنة مسالكننا، و انت يا خيرة النساء، و ابنة خير الانبياء، صادقة فى قولك، سابقة فى وفور عقلك، غير مردودة عن حقتك، و لا مصدودة عن صدقتك، و الله ما عدوت رأى رسول الله و لا عملت الا باذنه، و ان الرائد لا يكذب اهله، فانى اشهد الله و كفى به شهيدا انى سمعت رسول الله يقول «نحن معاشر الانبياء لا نورث ذهبا، و لا فضة، و لا دارا و لا عقارا، و انما نورث الكتاب و الحكمة و العلم و النبوة، و ما لنا من طعمة فلولى الامر بعدنا ان يحكم فيه بحكمه» ...

اولادها:

الحسن المجتبى، و الحسين السبط، و المحسن السقط، و زينب الكبرى عقيلة بنى هاشم، و ام كلثوم.

وفاتها:

تعددت الاقوال فى مدة بقائها بعد ابيها هل هى اربعون يوما او خمسة و سبعون او خمسة و تسعون او اكثر من ذلك من نحو مائة يوم او اربعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٦٧

اشهر او ستة او ثمانية اشهر، و قد اتفق الجميع على ان عمرها بعد ابيها لم يكن اكثر من ثمانية اشهر و لا باقل من اربعين يوما.

والذي نختاره هو انها مكثت بعد ابيها خمسة و تسعين يوما، و قبضت في ثالث جمادى الآخرة. فلما توفيت غسلها على (ع) و صلى عليها، و دفنها ليلا، و لم يشهد جنازتها سوى على و خواصه و الحسين و بعض بنى هاشم و سوى على قبرها مع الارض، و قيل منظر البقيع من الجهة الشرقية الجنوبية سنة ١٣٢١ هـ سوى حوالها قبورا مزورة قدر سبعة، حتى لا يعرف قبرها، و لذلك اختلفت الروايات و الاخبار في موضع قبرها، فقيل دفنت في بيتها و قيل في البقيع و قيل بين القبر و المنبر. موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٦٨

الامام الاول على بن ابي طالب

ولادته:

ولد يوم الجمعة ثالث عشر رجب الحرام بعد عام الفيل بثلاثين عاما و كان مولده في البيت الحرام بمكة المكرمة و قول آخر انه ولد لسبع خلون من شعبان و الاشهر الاول سنة ٦٠٠ م ابوه ابو طالب شيخ البطحاء و اسمه عبد مناف، و يكنى بابي طالب اكبر ولده، و هو اخو عبد الله ابي النبي لأمه و ابيه، و امه فاطمة بنت اسد بن هاشم، فهو اول هاشمي ولد بين هاشميين. لقد كانت فاطمة بنت اسد لرسول الله بمنزلة الام لانه ربي في حجرها و هو ابن ثمانى سنين و كان شاكرا لبرها و يسميها (امى) فقد كانت تفضله على اولادها في البر، و كانت من سابقات المؤمنات الى الايمان، هاجرت مع رسول الله الى المدينة. و لما توفيت كفنها رسول الله بقميصه ليدرأ به عنها هوام الارض، و امر من يحفر قبرها فلما بلغوا لحدها حفره بيده، و اضطجع فيه، و قال: «اللهم اغفر لأمى فاطمة بنت اسد و لُقنها حجتها، و وسع عليها مدخلها، فقيل يا رسول الله: رأيناك صنعت شيئا لم تصنعه باحد قبلها، موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٦٩

منظر خارجي لروضة الامام على (ع) في النجف الاشرف

فقال: البستها قميصى لتلبس من ثياب الجنة، و اضطجعت في قبرها ليوسع الله عليها، و تأمن من ضغطة القبر، انها كانت من احسن خلق الله صنعا لى بعد ابي طالب، ...» و سماه ابوه عليا، و يكنى ابا الحسين و ابا السبطين، و ابا تراب، و هى أحب كناه اليه لكون النبي كناه بها منذ رآه ساجدا معفرا وجهه في التراب، قال: انت ابو تراب، و قيل في سبب هذه الكنية ان النبي قال له يا على اول من ينفذ التراب عن رأسه انت. قال الكميت الاسدى: وقالوا ترا بى هواه و دينه بذلك ادعى بينهم و ألقب موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٧٠

نشأ في حجر رسول الله و تأدب بآدابه، و ربي بتربيته. و لما اصاب اهل مكة جذب شديد اخذ النبي عليا من ابيه، و اخذ حمزة جعفرا، و اخذ العباس طالبا، ليخففوا عن ابي طالب، و ابقى ابو طالب عنده عقيلًا.

فلم يزل على مع رسول الله حتى بعثه الله بالنبوة فكان اول من آمن به و اتبعه و صدقه.

اقام مع النبي بمكة ثلاثا و عشرين سنة، و عشر سنين بالمدينة بعد الهجرة يشاركه اكثر محنه، و يشاطره جل اعماله، و يتحمل عنه اكبر اثقاله، و قد باشر الحرب و هو ابن ثلاث و عشرين سنة، و عاش بعد النبي ثلاثين سنة، فيكون عمره ثلاثا و ستين سنة كعمر رسول الله و هذا هو المشهور.

صفاته:

كان على ربعة من الرجال، ادعج العينين، عظيمهما، عظيم البطن الى السمن، شثن الكفين، عظيم الكراديس، اصلع ليس فى رأسه شعر الا من خلفه، كثير شعر اللحية، و كان لا يخضب، و المشهور انه كان ابيض اللحية، و كان اذا مشى تكفأ، شديد الساعد و اليد، قويا ما صارع احدا الا- صرعه، و فى الكامل لابن الاثير الجزرى «و كان من احسن الناس وجهها، و لا يغير شيبه، كثير التبسم» و قال ابن ابى الحديد فى مقدمة شرح النهج «اما شجاعة على فانه انسى الناس فيها ذكر من كان قبله و محاسن من يأتى بعده، و مقاماته فى الحرب مشهورة يضرب بها الامثال الى يوم القيامة، و هو الشجاع الذى ما فرّ قط و لا ارتاع من كتيبة، و لا بارز احدا الا مثله، و لا ضرب ضربة قط فاحتاجت الاولى الى ثانية، و فى الحديث كانت ضرباته و تراء، و لما دعا معوية الى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل احدهما قال له عمرو بن العاص.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٧١

لقد انصفك. فقال معوية: ما غششتنى منذ نصحتنى الا اليوم، أ تأمرنى بمبارزة ابى الحسن و انت تعلم انه الشجاع المطرق، اراك طمعت فى امارة الشام بعدى ... و كانت العرب تفتخر بوقوفها فى الحرب فى مقابلته فاما قتلاه فافتخار رهطهم بانه قد قتلهم اظهر و اكثر، قالت اخت عمرو بن ودّ ترثيه و تفتخر بان قاتله سيد شجعان العرب

لو كان قاتل عمرو غير فاتله لكنت ابكى عليه دائم الابد

لكن قاتله من لا يعاب به ابوه قد كان يدعى بيضة البلد

و جملة الامر ان كل شجاع فى الدنيا اليه ينتهى، و باسمه ينادى، فى مشارق الارض و مغاربها و تالله لو تجسمت الشجاعة و تمثلت، و تمثلت فى شخص لكان ذلك الشخص هو امير المؤمنين، بل لو عرفه قدماء اليونان لاتخذوه إليها للشجاعة فى جملة آلهتهم التى عبدوها، و من سبر حاله فى غزواته مع النبى عرف صحه ما يقول».

و فى صحيح البخارى و مسلم، عن سهل بن سعد: «ان رسول الله قال يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، فبات الناس يدو كون ليلتهم ايهم يعطيها فلما صابح الناس غدوا على رسول الله فاعطاها لعلى ...» قال شمس الدين محمد بن طولون فى تاريخ (الأئمة الاثنى عشر):

و هاجر على الى المدينة، و استخلفه النبى حين هاجر من مكة الى المدينة ان يقيم بعده بمكة اياما حتى يؤدى عنه امانته و الودائع و الوصايا التى كانت عند النبى ثم يلحق باهله ففعل ذلك.

و شهد مع النبى بدرًا، و احد، و الخندق، و بيعة الرضوان، و خيبر؛ و الفتح، و حنينًا، و الطائف، و سائر المشاهد الا تبوك. فان النبى استخلفه على المدينة، و له فى جميع المشاهد آثار مشهورة. و اجمع اهل التاريخ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٧٢

على شهوده بدرًا و غيرها من المشاهد غير تبوك قالوا فاعطاه النبى اللواء فى مواطن كثيرة، و ثبت فى الصحيحين ان النبى اعطاه الراية يوم خيبر، و اخبر ان الفتح يكون على يديه. و اما علمه فكان من العلوم بالمحل الاعلى، روى له عن رسول الله خمس مائة حديث و ستة و ثمانون حديثًا. قال ابن المسيب ما كان احد يقول: سلونى، غير على. و قال ابن عباس اعطى على تسعة اعشار العلم و و الله لقد شاركهم فى العشر الباقي. قال و اذا ثبت لنا الشئ عن على لم نعدل الى غيره. و سؤال كبار الصحابة له و رجوعهم الى فتاويه.

و اقواله فى المواطن الكثيرة و المسائل المعضلات مشهور.

و روى ابن ابى الحديد و ابن عبد البر و غيرهما «ان معاوية بن ابى سفيان قال لضرار بن حمزة صف لى عليا، قال: اعفىنى. قال لتصفنه، قال اما اذا كان لا بد من وصفه فانه: كان و الله بعيد المدى، شديد القوى يقول فصلا، و يحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، و

تنطف الحكمة من نواجذه، و كان حسن المعاشرة، سهل المباشرة، يستوحش من الدنيا وزهرتها، و يأنس بالليل و وحشته، و كان غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه، و يحاسب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، و من الطعام ما جش، و كان فينا و الله كأحدنا، يحيينا اذا سألناه، و يدنينا اذا اتيناه، و نحن و الله مع تقريبه ايانا و قربه منا، لا نكاد نكلمه هيبه له، فاذا تكلم كأنه اللؤلؤ المنظوم، لا يطمع القوى في باطله، و لا ييأس الضعيف من عدله، و اشهد لقد رأيت في بعض مواقف و قد ارخى الليل سدوله، و غارت نجومه، قابضا على لحيته يتململ تملل السليم، و يبكي بكاء الحزين، و هو يقول يا دنيا غزى غيرى، أبى تعرضت؟ ام الى تشوقت؟

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٧٣

هيئات لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثا لا رجعة لي فيها، فعمرك قصير، و عيشك حقير، و خطر ك كبير، آه من قلة الزاد و بعد السفر و وحشة الطريق.

فبكي معوية و قال رحم الله ابا الحسن كان و الله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال حزن من ذبح ولدها في حجرها، فهي لا ترقأ عبرتها، و لا تسكن حرارتها»

الامام:

يقول العقاد في (عبرية الامام) عن علي ابن ابي طالب: «... من هذه الالقاب الشائعة لقب الامام الذي اختص به على بين جميع الخلفاء الراشدين، و الذي اذا أطلق فلا ينصرف الى احد غيره. بين جميع الائمة الذين و سموا بهذه السمة من سابقه و لاحقيه» و يقول: «و ذلك هو علي ابن ابي طالب كما لقبه الناس، و جرى لقبه على اللسنه، فعرفه به الطفل و هو يسمع اماد يحه المنغومة في الطرقات، بغير حاجة الى تسمية او تعريف، و خاصة اخرى من خواص الامامة ينفرد بها على و لا يجاريه فيها غيره و هي اتصاله بكل مذهب من مذاهب الفرق الاسلامية منذ وجدت في صدر الاسلام، فهو منشىء هذه الفرق او قطبها الذي تدور عليه، و ندرت فرقة في الاسلام لم يكن على معلما لها منذ نشأتها او لم يكن موضوعا لها و محورا لمباحثها تقول فيه و ترد على قائلين. و قد اتصلت الحلقات بينه و بين علماء الكلام و التوحيد كما اتصلت بينه و بين علماء الفقه و الشريعة و علماء الادب و البلاغة فهو استاذ هؤلاء جميعا بالسند الموصول».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٧٤

خلافته:

لقد وجدت بنو امية في مقتل عثمان ذريعة فخلقت لعلى مشاكل و بثت الفتن فنشأ من ذلك حرب الجمل و لم تكد تنتهي حتى ابتدأت حرب صفين ثم ابتلى بالخوارج و حربهم في النهروان و لم تترك امية فرصة لعلى ان يتم رسالته و مع ذلك فقد تغلب على كل تلك الصعوبات و نوى في هذه المرة ان يعود الى حرب معاوية و لو كان قد عاد لانتهدت جميع تلك المشاكل و لاستتب الامن و سادت الحرية و الاطمئنان و العدل جميع الربوع الاسلامية و لكن ابن ملجم قد عجل عليه فقتله قبل ان يعود الى تصفية قضية معاوية.

من اقواله و حكمه:

و على ان الكفاية في البلاغة مثلا لهذا الطود الشامخ من الحكمة و الفلسفة و البلاغة فاننا نورد هنا بعض الامثلة لاقواله و حكمه مما لم

يُدرج في نهج البلاغة في الغالب، قال في الطيرة و التنجيم و قد اعتبر الايمان بها على سبيل معرفة الغيب ضربا من ضروب الكفر، قال: «اللهم لا طير الا طيرك، و لا ضير الا ضيرك، و لا اله غيرك».

و كان على يطوف كل بكرة في اسواق الكوفة سوقا سوقا و معه الدرّة على عاتقه فينادى: يا معشر التجار، قدموا الاستخارة، و تبركوا بالسهولة، و اقتربوا من المبتاعين، و تزينوا بالحلم، و تناهوا عن الكذب و اليمين، و تجافوا عن الظلم، و انصفوا المظلومين، و لا تقربوا الربا، و اوفوا الكيل و الميزان، و لا تبخسوا الناس اشياءهم و لا تعثوا في الارض مفسدين.

و قال عليه السلام يعزى اشعث في ابن له: «يا اشعث ان صبرت جرى عليك القدر و انت مأجور، و ان جزعت جرى عليك القدر و انت مأزور»

قال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص قال رجل لعلی: قد عيل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٧٥

صبری، فاعطني، قال فانشدك شيئا ام اعطيك؟ فقال كلامك احب الي من عطائك فقال:

ان عَضَّكَ الدهر فانظر فرجافانه نازل بمنتظره

او مَسَّكَ الضَّرَّ او بليت به فاصبر على عسره و في يسره

رب معافى على تهوره و مبتلى لا ينام من حذره

و آمن في عشاء ليلته دب اليه البلاء في سحره

من مارس الدهر ذم صحبته و نال من صفوه و من كدره

و قال عليه السلام لرجل كره صحبة رجل:

و لا تصحب اخا الجهل و اياك و اياه

فكم من جاهل اردى حلما حين آخاه

يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه

و للقلب على القلب دليل حين يلقاه

و للشيء من الشيء مقاييس و اشباه

و في العين غنى للعين ان تنطق افواه

اولاده و ازواجه:

و عددهم سبعة و عشرون او ثمانية و عشرون ما بين ذكر و انثى، و الذكور اربعة و هم: الحسن، الحسين، زينب الكبرى، ام كلثوم، المحسن السقظ، (و امهم فاطمة الزهراء)، و محمد الاكبر المعروف بابن الحنفية و المكنى بابي القاسم و امه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية.

عمر (الاطرف)، رقية، توأمان- و امهما ام حبيب الصهباء بنت ربيعة التغلبية.

عبيد الله- امه نهلشية و هو قتيل- المذار- بين واسط و البصرة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٧٦

العباس، عبد الله، عثمان، جعفر (شهداء كربلاء) و امهم ام البنين بنت حزام الكلابية.

محمد الاصغر المكنى بابي بكر، عبد الله الشهيد- بكرلاء- امهما ليلى بنت مسعود الدارمية.

يحيى - امه اسماء الخثعمية بنت عميس.

ام الحسن، رمله - أمهما ام سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي.

نفيضة، زينب الصغرى، ام هانى، ام الكرام، جمائمه امامة، ام سلمة، ميمونة، خديجة، فاطمة، و كلهن بنات امير المؤمنين و هن لامهات شتى.

محمد الاوسط - امه امامة بنت ابى العاص.

وفاته:

قبض سنة اربعين من الهجرة ليلة الجمعة بالكوفة ٢١ كانون الثاني ٦٦١ م و هي ليلة احدى و عشرين من شهر رمضان فى الثلث الاول من الليل. مات شهيدا من ضربته عبد الرحمن بن ملجم المرادى، و قد كمن له فى المسجد الاعظم فضربه على رأسه فى اثناء صلاة الفجر، و هذا اشهر الاقوال، و لما قبض غسله الحسن، و الحسين، و محمد يصب الماء ثم كفن و صلى عليه السلام ابنه الحسن، ثم حمله الحسنان، و محمد ابن الحنفية، و عبد الله بن جعفر و خواصه بأمر منه الى (الغرين)، من (نجف الكوفة) و دفنوه هناك ليلا و عفوا موضع قبره بوصية منه خوف الخوارج و بنى امية ان ينشوا قبره. و لم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٧٧

يزل قبره مخفيا لا يعلمه احد غير بنيه و خواص شيعة حتى دل عليه الامام جعفر بن محمد الصادق و زاره الامام الصادق عند وروده على المنصور و هو بالحيرة. ثم عرّفه و اظهره الرشيد العباسي.

قال ابن الاثير فى (الكامل) و لما قتل على قام ابنه الحسن و قال مما قال عن ابيه «و الله ما ترك صفراء و لا بيضاء الا ثمانمائة او سبعمائة ارسدها لجارية».

و قال سفيان ان عليا لم بين آجرة على آجرة، و لا لبنه على لبنه، و لا قصبه على قصبه، و كان يختم على الجواب الذى فيه دقيق الشعير الذى يؤكل منه.

و يقول (لا احب ان يدخل بطنى الا ما اعلم).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٧٨

الامام الثانى الحسن بن على بن ابى طالب

اشارة

هو الامام الثانى و من ائمة اهل البيت، و السبط الاكبر من سيدى شباب اهل الجنة، و اول اولاد على و فاطمة و لم يسم احد باسمه من قبل، ولد بالمدينة المنورة ليلة النصف من شهر رمضان على الصحيح المشهور بين المسلمين، و قيل فى شعبان و لعله اشتباه بمولد اخيه الحسين، و كان مولده ليلة الثلاثاء سنة ثلاث للهجرة ٦٢٥ م و روى سنة اثنتين من الهجرة و قيل انه ولد لسته اشهر و روى مثل ذلك فى حق اخيه الحسين، قال الشيخ الصدوق فى (علل الشرائع) لما ولد الحسن قالت فاطمة لعلى سمّه، فقال ما كنت لا سبق باسمه رسول الله فجاء النبى فأخرج اليه فى خرقة صفراء فرمى بها و قال: «ألم أنهكم ان تلفوا المولود فى خرقة صفراء» و امر ان يلف فى خرقة بيضاء، و اذن فى اذنه اليمنى، و اقام فى اليسرى، ثم سماه بالحسن.

و من القابه: السيد و السبط، و التقى، و الزكى، و المجتبى، و الزاهد،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٧٩

و لكن اعلا القابه رتبة و اولاهها، ما لقبه به رسول الله و هو السيد. لانه قال:

ان ابني هذا سيد. و قال: «و من اراد ان ينظر الى سيد شباب اهل الجنة فلينظر الى الحسن بن علي».

صفاته:

و كان اشبه الناس من رأسه الى صدره بجده رسول الله و لم يكن احد في زمانه اشبه بالنبي منه. و عن و اصل بن عطاء: كان الحسن بن علي عليه سيماء الانبياء، و بهاء الملوك. و عن الغزالي قال:

«و كان النبي يقول للحسن اشبهت خلقي و خلقي».

و كان ابيض مشربا بحمرة، ادعج العينين، سهل الخدين، دقيق المسربة، كث اللحية، ذا وفرة، عظيم الكراديس، بعيدا ما بين المنكبين، ربعة، ليس بالطويل و لا بالقصير، مليحا من احسن الناس وجهها، و كان يخضب بالسواد، جعد الشعر، حسن البدن، قال القبرصي و يصدق هذا الخبر ما رواه محمد بن اسحاق قال: ما بلغ احد من الشرف بعد رسول الله ما بلغ الحسن بن علي، كان يبسط له على باب داره، فاذا خرج و جلس انقطع الطريق فما يمر احد من خلق الله اجلالا له، فاذا علم قام و دخل بيته فيمر الناس، قال الراوي و لقد رأيت في طريق مكة نزل عن راحلته فمشى، فما من خلق الله احد الا نزل و مشى، حتى رأيت سعد بن ابى وقاص قد نزل و مشى الى جنبه.

روى الصدوق في (الامالي) باسناده عن الصادق قال حدثني ابى عن ابيه ان الحسن بن علي بن ابى طالب كان اعبد الناس في زمانه و ازهدهم و افضلهم، و كان اذا حج، حج ماشيا، و ربما مشى حافيا، و ان الجنائب لتقاد بين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٨٠

يديه. و كان اذا بلغ باب المسجد رفع رأسه و قال: «الهي ضيفك بياك، يا محسن قد اتاك المسىء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم».

و عن صحيح البخارى و مسلم عن البراء بن عازب قال: رأيت رسول الله و الحسن بن علي على عاتقه و هو يقول:

«اللهم انى احبه فاحبه» و فى رواية عن (حلية الاولياء) «من احبنى فليحبه» و عن صحيح الترمذى عن ابن عباس قال: كان رسول الله حاملا الحسن ابن علي على عاتقه، فقال رجل «نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي: و نعم الراكب هو».

و كان من حلمه ما يوازن به الجبال على حد تعبير (مروان) عنه.

و كان كرمه و سخاؤه مضرب الامثال، رأى غلاما اسود يأكل من رغيف لقمة، و يطعم كلبا هناك لقمة، فقال له ما حملك على هذا؟ قال الغلام انى استحي منه ان آكل و لا اطعمه. فقال الحسن لا تبرح مكانك حتى آتيك، و ذهب الى سيد الغلام فاشترى الغلام منه، و اشترى الحائط (البستان) الذى هو فيه، فاعتقه و ملكه الحائط.

و كان من العلم و البلاغة و العمق ما ملك اعجاب الناس و احترامهم، قال ابن الصباغ فى (الفصول المهمة): و يجتمع الناس حوله فيتكلم بما يشفى غليل السائلين و يقطع حجج المجادلين.

و كان اذا حج و طاف بالبيت يكاد الناس يحطمونه مما يزدحمون للسلام عليه.

قام بالامر بعد ابيه و له سبع و ثلاثون سنة و ذلك سنة ٤٠ بايعه الناس بالخلافة يوم الجمعة الحادى و العشرين من شهر رمضان بعد ما خطب بالناس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٨١

فى صبيحة الليلة التى قبض فيها امير المؤمنين (على) فرتب العمال، و أمر الامراء، و انفذ عبد الله بن عباس الى البصرة، و نظر فى الامور؛ و اقام فى خلافته ستة اشهر و ثلاثة ايام، و قد وقع الصلح بينه و بين معاوية فى الخامس و العشرين من ربيع الاول سنة احدى و اربعين اضطرارا بعد ان تبين له ان جماعة من رؤساء اصحابه كتبوا سرا الى معاوية و ضمنوا له ان يسلموه اليه عند دنو العسكرين. و خرج الحسن الى المدينة و اقام فيها عشر سنين الا شهرا ثم قبض.

من اقواله و حكمه:

سأل على (ع) الحسن و هى اسئلة طالما يسأل الآباء عن امثالها الابناء لاختبار افكارهم و عمق ادراكهم لقد سأله قائلا:
يا بنى ما السداد؟ قال دفع المنكر بالمعروف.
قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة و حمل الجريرة.
قال: فما المروءة؟ قال حفظ الدين، و اعزاز النفس، و لين الكتف، و تعهد الصنيعة، و اداء الحقوق، و التحبب الى الناس
قال: فما الكرم؟ قال: الابتداء بالعطية قبل المسألة، و اطعام الطعام فى المحل.
قال: فما السماح؟ قال البذل فى العسر و اليسر.
قال: فما الشح؟ قال: قال ان ترى ما فى يديك شرفا، و ما انفقته تلفا.
قال: فما الاخاء؟ قال: المواساة فى الشدة و الرخاء
قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصديق، و النكول عن العدو.
قال: فما الغنيمه؟ قال: الرغبة فى التقوى، و الزهادة فى الدنيا.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٨٢
قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ و ملك النفس.
قال: فما الغنى؟ قال رضى النفس بما قسم الله و ان قل، و انما الغنى غنى النفس.
قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس الى كل شىء.
قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعينك.
قال: فما المجد؟ قال: ان تعطى فى الغرم و تعفو عن الجرم.
قال: فما السؤدد؟ قال: اتيان الجميل و ترك القبيح.
قال: فما الحزم؟ قال: طول الاناة و الرفق بالولاء.
قال: فما الشرف؟ قال: موافقة الاخوان و حفظ الجيران
الى غير ذلك من الاسئلة و الاجوبة الكثيرة التى اوردها مختلف الكتب.

زوجاته:

تزوج (ام اسحق) بنت طلحة بن عبيد الله، و (حفصة) بنت عبد الرحمن بن ابي بكر (و هند) بنت سهيل بن عمرو، و (جعدة) بنت الاشعث بن قيس و هى التى اغراها معاوية بقتله فقتلته بالسم. و نسب له الناس زوجات اخرى من المعتقد انه قد بولغ فيها.

اولاده:

كان للامام الحسن خمسة عشر ولدا ما بين ذكر و انثى و هم:
 زيد، ام الحسن، ام الحسين، و امهم ام بشير بنت ابي مسعود الخزرجية.
 الحسن و يسمى بالحسن المثنى، امه خولة بنت منظور الفزارية.
 عمرو، القاسم، عبد الله، امهم ام ولد.
 عبد الرحمن، امه ام ولد.
 الحسن الملقب بالاثرم، طلحة، فاطمة، امهم ام اسحق بنت طلحة بن
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٨٣
 عبد الله التيمي.
 ام عبد الله، فاطمة، ام سلمة، رقية، لامهات شتى و لم يعقب منهم غير الحسن، و زيد.

وفاته:

كانت وفاته فى الثامن و العشرين من صفر سنة خمسين او فى ست من صفر او السابع منه و كان عمره حين استشهد سبعا و اربعين سنة، امضى منها سبع سنين و اشهرا مع جده الرسول و سبعا و ثلاثين مع ابيه و بقى بعده عشر سنين و قام بتجهيزه اخوه الحسين و اخوته و سائر بنى هاشم و دفن بالبقيع مع جدتد فاطمة بنت اسد.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٨٤

الامام الثالث (ابو عبد الله) الحسين بن على بن ابى طالب**اشارة**

هو السبط الثانى لرسول الله ولد بالمدينة المنورة فى السنة الثالثة من الهجرة او الرابعة لثلاث خلون من شعبان و قيل لخمس خلون منه و المشهور هو الاول ٦٢٦ م.
 قال الشيخ المفيد فى (الارشاد) و الامام بعد الحسن بن على، اخوه الحسين بنص ابيه و جده عليه و وصية اخيه الحسن اليه. و جاءت امه فاطمة الى جده رسول الله فاستبشر به و سماه حسينا و عق عنه كبشا. قال و روى شاذان عن سلمان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله يقول فى الحسن و الحسين: «اللهم انى احبهما و احب من احبهما و قال: من احب الحسن و الحسين احبته، و من احبته احبه الله، و من احبه الله ادخله الجنة، و من ابغضهما ابغضته، و من ابغضه الله، و من ابغضه الله ادخله النار.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٨٥
 و قال: حسين منى و انا من حسين احب الله من احب حسينا، حسين سبط من الاسباط».

صفاته:

كان اشبه اهل البيت برسول الله، و كان اشرق الناس وجها، و احسنهم خلقا قال عبد الله بن الحر الجعفي ما رأيت احدا احسن و لا املاً للعين، و لا اهيب في القلب من الحسين».

و كان في صوته غنة حسنة، و كان الطيب محببا اليه، فكان المسك لا يفارقه في حله و ترحاله، و بخور العود و الند في مجلسه. و كان مجلسه مجلس وقار و علم، و الناس من حوله يتحلقون، يأخذون عنه ما يلقيه عليهم و هم في خشوع كأن على رؤوسهم الطير قال الشافعي في (مطالب السؤل) قد اشتهر النقل ان الحسين كان يكرم الضيف، و يمنح الطالب، و يصل الرحم، و ينيل الفقير، و يسعف السائل، و يكسو العارى، و يشبع الجائع، و يشفق على اليتيم، و قل ان وصله مال الا فزقه، و كان عليه السلام يقول: شر خصال الملوك الجبن عن الاعداء، و القسوة على الضعفاء، و البخل عن الاعطاء. و اعظم جود صدر منه جوده بنفسه في سبيل الله و تسليمه اياها للقتل.

قال رجل عند الحسين: ان المعروف اذا اسدى الى غير اهله ضاع.

فقال الحسين ليس كذلك و لكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر تصيب البر و الفاجر و قال: ما اخذ الله طاقة احد الا وضع عنه طاعته، و لا اخذ قدرته الا وضع عنه كلفته.

و قال: اذا سمعت احدا يتناول اعراض الناس فاجتهد ان لا يعرفك فان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٨٦

ضريح الامام ابى عبد الله الحسين (ع) بكرىلاء

اشقى الاعراض به معارفه.

و قد اشتهر مع الجود بصفتين من اكرم الصفات الانسانية و اليقهما بيته و شرفه، و هما الوفاء، و الشجاعة.

فمن وفائه انه ابى الخروج على معاوية بعد وفاة اخيه الحسن لانه عاهد معاوية على المسالمة (ص ٧٠ ابو الشهداء).

من اقواله و حكمه:

و للامام الحسين كلمات آية في الابداع و فى ذروة البلاغة، سهلة اللفظ، جيدة السبك، متراففة الفقرات، متلائمة الاطراف، تملك القلوب،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٨٧

و تستعبد الاسماع كقوله: الناس عبيد الدنيا، و الدين لعق على سنتهم، يحوطونه ما درت معاشهم، فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون.

و قد اوتى ملكة الخطابة من طلاقة لسان، و حسن بيان، و غنة صوت، و جمال ايماء، و قد استخرج (العقاد) امثلة لذلك منها قوله:

و من كلام الحسين المرتجل قوله فى توديع ابى ذر و قد اخرجه عثمان من المدينة بعد ان اخرجه معاوية من الشام «يا عماء، ان الله قادر ان يغير ما قد ترى و الله كل يوم فى شأن، و قد منعك القوم دنياهم و منعهم دينك، و ما اغناك عما منعوك، و احوجهم الى ما منعهم، فاسأل الله الصبر و النصر، و استعذ به من الجشع و الجزع، فان الصبر من الدين و الكرم، و ان الجشع لا يقدم رزقا، و الجزع لا يؤخر اجلا».

و كان عمره هنا كما جاء فى (ابو الشهداء) ثلاثين سنة فيقول العقاد:

فكأنما اودع هذه الكلمات شعار حياته كاملة منذ ادرك الدنيا الى ان فارقها فى مصرع كرىلاء.

و رويت الغرائب فى اختبار حذقه بالفقه و اللغة، كما رويت امثال هذه الغرائب فى امتحان قدره ابيه عليهما السلام، و لخبرته بالكلام،

و شهرته بالفصاحة، كان الشعراء يرتادونه و بهم من الطمع فى اصغائه اكبر من طمعهم فى اعطائه، و من اقواله عليه السلام: صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك فاکرم وجهك عن رده.

ان اجود الناس من اعطى من لا يرجو، و إن أعفى الناس من عفا عن قدره، و ان أوصل الناس من وصل من قطعه.

الحلم زينة، و الوفاء مروءة، و الصلوة نعمة، و الاستكبار صلف، و العجلة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٨٨

سفه، و السفه ضعف، و الغلو ورطة، و مجالسة اهل الدناءة شر، و مجالسة اهل الفسق ريبه.

سئل الحسين بن على (ع) كيف اصبحت يا ابن رسول الله؟

قال: اصبحت ولى رب فوقى، و النار امامى، و الموت يطلبنى، و الحساب محدد بى، و انا مرتهن بعملى، و لا اجد ما احب و لا ادفع ما

اكره، و الامور بيد غيرى، فان شاء عذبنى، و ان شاء عفا عنى، فای فقير افقر منى؟

خصومة يزيد:

و لما مات معاوية بن ابى سفيان و ذلك فى النصف من رجب سنة ستين من الهجرة كتب يزيد الى عامل المدينة و هو الوليد بن عتبة بن ابى سفيان يأمره ان يأخذ البيعة له من الحسين بن على خاصة و من اهل المدينة عامه، ثم يقول فى الكتاب «و اذا امتنع الحسين عن البيعة فاضرب عنقه و ابعث الى برأسه!!»

يقول العقاد فى كتابه (ابو الشهداء): «قبل ان يقف الحسين و يزيد كانت الحوادث قد جمعت لها اسباب التنافس و الخصومة منذ اجيال ... فقد تنافس هاشم و امية على الزعامة قبل ان يولد على و معاوية، و قد اسلم ابو سفيان و ابنه معاوية عند فتح مكة و كان اسلامهما اعسر اسلام عرف بعد فتحها ... و ظل ابو سفيان الى ما بعد اسلامه زمنا يحسب غلبه الاسلام غلبه عليه فنظر الى النبى مرة و هو بالمسجد نظرة الحائر المتعجب و هو يقول لنفسه ليت شعرى بأى شىء غلبنى. فلم يخف على النبى عليه السلام معنى هذه النظرة ..»

و لخص المقرئى المنافسة التى بين الهاشميين و الامويين فى بيتين قال:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٨٩ عبد شمس قد أضرمت لبنى هاشم حربا يشيب منها الوليد

فابن حرب للمصطفى، و ابن هندلعلى، و للحسين يزيد

و كان الوليد بن عتبة- و قد تلقى امر يزيد بن معاوية باخذ البيعة من الحسين- رجلا يحب العافية فارسل الى الحسين يطلب منه الحضور فى دار الامارة، فاستدعى الحسين جماعة من اهل بيته و اقبل بهم و قال لهم: ان الوليد استدعانى و لا آمن ان يكلفنى امرا لا اجيبه اليه، فكونوا على الباب فان سمعتم صوتى قد علا فادخلوا على لتمنوه عنى، و حين صار الى الوليد وجد عنده مروان بن الحكم، فعنى اليه الوليد معاوية فاسترجع الحسين ثم قرأ عليه كتاب يزيد فقال: نصبح و نرى، فقال مروان: و الله لئن فارقك الحسين الساعة و لم يبايع لا- قدرت منه على مثلها ابدا و لكن احبس الرجل اما ان يبايع او تضرب عنقه، فوثب اليه الحسين و قال: يا ابن الزرقاء انت تقتلنى ام هو؟ كذبت و الله و لثمت، ثم اقبل على الوليد و قال: يا امير انا اهل بيت النبوة، و موضع الرسالة، بنا فتح الله، و بنا يختم، و يزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، و مثلى لا- يبايع مثله، و لكن نصبح و تصبحون، و ننظر و تنظرون، اينا احق بالخلافة و البيعة؟ و ارتفع صوت الحسين فدخل اخوته و ابناؤه فقام و خرج. ثم هيا نفسه و توجه الى مكة ليلتين بقيتا من رجب و هو يقرأ «فخرج منها خائفا يترقب قال ربى نجنى من القوم الظالمين» و دخل مكة لثلاث ليال خلون من شعبان و هو يقرأ «و لما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى ان يهدىنى سواء السبيل» و لما بلغ اهل الكوفة امتناع الحسين عن البيعة ليزيد ثارت احساسهم و كوامن نفوسهم

ضد الامويين فكاتبوا الحسين بالطاعة له و الثورة ضد الامويين، حتى توافدت عليه الوفود و تقاطرت الرسل بآلاف الرسائل، فارسل الحسين اليهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٩٠

ابن عمه مسلم بن عقيل في النصف من شهر رمضان و دخل الكوفة في الخامس من شوال. و اقبل الناس على الترحيب به، و بايعوه حتى احصى ديوانه ثمانية عشر الفا في ذلك اليوم. اما الحسين فلما علم بذلك توجه يوم التروية لثمان خلون من ذي الحجة، و في اثناء الطريق علم بمقتل رسوله مسلم بن عقيل و خضوع الكوفة لـ امر بنى امية و جاءته فصيلة من الجيش يطلبون منه الوصول الى الكوفة و النزول عند امر عبيد الله بن زياد عامل يزيد على الكوفة- فامتنع الحسين و اخذ طريقا لا يرده الى المدينة و لا يدخله الكوفة- لانه اراد الرجوع الى المدينة، و القوم ارادوا منه القدوم الى الكوفة- فوصل الى ضريح سيدنا العباس (ع) بكر بلاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٩١

كربلاء يوم الخميس و هو اليوم الثاني من المحرم و في اليوم العاشر من المحرم كانت الواقعة التي هزت الانسانية هذا عنيقا و التي اقامت الدنيا و اعدتها.

اولاده:

و كان له من الاولاد ستة ذكور و ثلاث بنات و هم:

على الاكبر شهيد كربلاء- و امه ليلي بنت ابي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي.

و على السجاد المعروف بزین العابدين، و امه شاه زنان بنت يزدجرد كسرى ملك الفرس و معنى شاه زنان: ملكة النساء.

جعفر، مات في حياة ابيه، و لا بقیة له، و امه قضاعية.

عبد الله، قتل مع ابيه صغيرا جاءه سهم و هو في حجر ابيه فذبحه.

سكينة بنت الحسين- امها الرباب بنت امرىء القيس الكلبي، و هي ام عبد الله بن الحسين.

فاطمة بنت الحسين- امها بنت اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله تيمية.

و جاء في كتاب السيرة ان للحسين بنتا اسمها رقية، و هي المدفونة بالشام في سوق العمارة و لها ضريح يزار، و مسجد يجاوره، يقصده اهل الشام و غيرهم بالندور و العطور.

و يقال ان للحسين بنتا رابعة، اسمها زينب.

مقتله:

لقد كانت الواقعة يوم الجمعة او يوم السبت و هو يوم العاشر من المحرم سنة احدى و ستين من الهجرة و المصادف (٦٨٠) في ١٠ اكتوبر و ذلك بعد صلاة الظهر و عمره سبع و خمسون سنة و كان عدد من قتل معه من اهل بيته و عشيرته ثمانية عشر نفسا: فمن اولاد علي ستة و هم: العباس، و عبد الله، و عثمان، و جعفر، و عبيد الله، و ابو بكر.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٩٢

و من اولاد الحسن ثلاثة و هم: القاسم، و ابو بكر، و عبيد الله.

و من اولاد الحسين اثنان و هما علي بن الحسين، و عبد الله الطفل المذبوح بالسهم.

و من اولاد عبد الله بن جعفر اثنان و هما: محمد، و عون.
و من اولاد عقيل ثلاثة و هم: عون، و جعفر، و عبد الرحمن.
و من اولاد مسلم بن عقيل اثنان و هما: عبد الله، و عبيد الله.
فهؤلاء ثمانية عشر نفسا من اهل البيت قتلوا مع الحسين و كلهم مدفونون فيما يلي رجلى الحسين فى مشهده بكرىبلاء، و اما العباس فانه
دفن ناحية عنهم فى موضع المعركة عند المسناة و قبره ظاهر.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٩٣

الامام الرابع على بن الحسين بن على بن ابى طالب

اشارة

هو رابع لأئمة عند الشيعة- و زين العابدين اشهر القابه، ولد بالمدينة الطيبة يوم الجمعة لخمسة خلون من شعبان او لتسع خلون منه، و
قال الشيخ فى (المصباح) و ابن طاوس فى (الاقبال) ان مولده كان فى النصف من جمادى الاولى، و ذلك سنة ثمان و ثلاثين او سبع
و ثلاثين او ست و ثلاثين، اى فى خلافة جده امير المؤمنين بغير خلاف من ذلك، و كان عمره يوم واقعه الطف بكرىبلاء ثلاثا و
عشرين سنة، و بقى بعد ابيه اربعا و ثلاثين سنة على الاشهر، فتكون ولادته بالتاريخ الميلادى سنة ٧١٥، قال المفيد فى الارشاد: و كان
امير المؤمنين على عليه السلام ولى حريث بن جابر الحنفى جانبا من المشرق فبعث اليه بنتى يزيد بن شهرىار فنحل ابنه الحسين
(شاه زنان) منهما فأولدها زين العابدين و ماتت فى نفاسها، فهى ام ولد و نحل الاخرى محمد
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٩٤

بن ابى بكر، فولدت له القاسم فهما ابنا خاله، و شهد زين العابدين وقعة كرىبلاء مع ابيه الحسين و حال بين اشتراكه فى الحرب مرضه
و اسر و سبى و لما لم يطق الركوب و الثبات فوق ظهر الجمل لشدة مرضه قيد بالحبال و وضعت الجامعة فى رقبته و جىء به على هذه
الحالة و ادخل مع السبايا من عيالات الحسين الى مجلس عبيد الله بن زياد فى الكوفة ثم مجلس يزيد بن معاوية فى الشام و قد جرت
فى المجلس الاول محاوره غضب لها ابن زياد و امر بقتله فما راع زين العابدين هذا التهديد و قال لابن زياد:
«أبا القتل تهددنى يا ابن زياد؟ اما علمت ان القتل لنا عادة، و كرامتنا من الله الشهادة».
و فى المجلس الثانى ندد باعمال يزيد و ارتكابه قتل ريحانة رسول الله و ذكره بمنزلة آباءه و اجداده. ففى الوقت الذى كان جده
الامام على يرفع رايه الاسلام كان معاوية و ابوه يحملان رايه الكفر يذبان عن الشرك و الالحاد و قال ليزيد:
«يا يزيد انك لو تدرى ماذا صنعت و ما الذى ارتكبت من ابى و اهل بيتى و اخى و عمومى اذن لهربت فى الجبال و افترشت الرمال،
و دعوت بالويل و الثبور» الى ان قال له «فابشر بالخزى و الندامة»

صفاته

كان يدعى (زين العابدين) و يدعى (بالسجاد) و يدعى (بذى النفثات) و قد امتلأ التاريخ باخبار زهده و كرمه و بلاغته.
و روى انه حج على ناقته عشرين حجة فما قرعها بسوط، و فى رواية:
اثنتين و عشرين حجة، و لقد سئلت عنه مولاة له، فقالت أأظن ام اختصر؟ فقيل لها بل اختصرى: فقالت ما اتيت به بطعام فى نهار قط و

ما فرشت له فراشا بليل قط.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٩٥

و جرى ذكره في مجلس عمر بن عبد العزيز فقال «ذهب سراج الدنيا و جمال الاسلام زين العابدين» و قال ابن خلكان هو احد الائمة الاثني عشر، و من سادات التابعين و كان يصلى في الليل و اليوم الف ركعة و روى الاربلى في (كشف الغمة) فقال «كانت له جارية نصب الماء على يده فغفلت فسقط الابريق من يدها على وجه الامام فشجه فرفع راسه اليها فقالت: و الكاظمين الغيظ، قال: كظمت غيظي، قالت و العافين عن الناس، قال عفوت عنك، قالت: و الله يحب المحسنين، قال: اذهبي فانت حرة لوجه الله ..»

و كان عليه السلام لا يضرب مملوكا له بل يكتب ذنبه عنده حتى اذا كان شهر رمضان جمعهم؛ و قررهم بذنوبهم، و طلب منهم ان يستغفروا له الله كما غفر لهم، ثم يعتقهم و يجيزهم بجوائز اى يفض عليهم الهبات و الصلوات، و ما استخدم خادما فوق حول، و في (العقد الفريد) لابن عبد ربه قال و وفد الناس عليه في المسجد يلمسون يده محبة للخير و تفاؤلا، فكان الرجل يدخل الى مسجد رسول الله فيراه، فيذهب اليه من فوره، او بعد صلاته، يقبل يده و يضعها على عينيه يتفاءلون و يرجون الخير.

و جاء في (الفصول المهمة) لابن الصباغ المالكي: كان على بن الحسين يتصدق سرا و يقول صدقة السر تطفى غضب الرب، قال: و قال ابن عائشة سمعت اهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر حتى مات على بن الحسين، و عن روايه احمد بن حنبل و الصدوق في (الخصال) عن الامام الباقر عليه السلام. انه كان يعيل بمائة بيت فقير من فقراء المدينة و كان في كل بيت جماعة من الناس، و انه كان يحمل الجراب على ظهره بالليل فيتصدق به.

و كان لا يأكل طعاما حتى يبدأ فيتصدق بمثله، و اذا انقضى الشتاء تصدق بكسوته، و كان يلبس في الشتاء ثياب الخز، فقيل له تعطيها من لا يعرف قيمتها و لا تليق به لباسا، فلو بعثها فتصدقت بثمانها، فقال انى اكره ان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٩٦

ايح ثوبا صليت فيه، و اراد الحج فاتخذت له اخته سكينه طعاما بالف درهم فلما صار (بظهر الحرة) تصدق به على المساكين. و لما كانت وقعة (الحرة) اراد مروان ان يستودع اهله، فلم يأوهم احد، و تنكر الناس له و مروان من يعرف التأريخ كرهه لاهل البيت- الا الامام زين العابدين فانه جعل اهل مروان مع عياله، و جمع اربعمائة ضائنة بحشمتهم فضمهن الى بيته، حتى قالت واحدة: «و الله ما عشت بين ابوى كما عشت في كنف ذلك الشريف».

و حكى عن (ربيع الابرار) للزمخشري: انه «لما وجه يزيد بن معاوية قائده مسلم بن عقبة لاستباحة المدينة المنورة، ضم على بن الحسين عليه السلام الى نفسه اربعمائة ضائنة بحشمتهم يعولهن الى ان تقوض جيش مسلم، فقالت امرأة منهن: (ما عشت و الله بين ابوى بمثل ذلك الشريف)».

و عن الامام الباقر قال: لما حضرت ابى على ابن الحسين الوفاة ضمنى الى صدره، و قال: يا بنى اوصيك بما اوصانى به أبى حين حضرته الوفاة، و بما ذكر ان اباه اوصاه به قال: يا بنى اياك و ظلم من لا يجد عليك ناصر الا الله، و سئل الامام على بن الحسين عن العصبية فقال «العصبية التى يأتى عليها صاحبها ان يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين، و ليس من العصبية ان يحب الرجل قومه، و لكن من العصبية ان يعين قومه على الظلم».

من اقواله و حكمه

كان زين العابدين الى جانب ما اشتهر به من الزهد و التقوى و الكرم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٩٧

نسيج وحده في عصره من حيث البلاغة و ان (الصحيفة السجادية) التي تجمع ادعيته و ابتهاالاته لهي الواح خالدة من البلاغة و الحكمة و الفلسفة و معرفة الله.

يقول في حمده الله و تمجيده «الحمد لله الاول بلا اول كان قبله، و الاخر بلا اخر يكون بعده، الذي قصرت عن رؤيته ابصار الناظرين، و عجزت عن نعته اوهام الواصفين، ابتدع بقدرته الخلق ابتداءعا، و اخترعهم على مشيئته اختراعا، ثم سلك بهم طريق ارادته، و بعثهم في سبيل محبته، لا- يملكون تاخيرا عما قدمهم اليه، و لا- يستطيعون تقدما الي ما اخرهم عنه، و جعل لكل روح منهم قوتا معلوما مقسوما من رزقه، لا- ينقص من زاده ناقص، و لا- يزيد من نقص منهم زائد، ثم ضرب له في الحياة اجلا- موقوتا، و نصب له امدا محدودا، يتخطأ اليه بايام عمره، و يرهقه باعوام دهره، حتى اذا بلغ اقصى اثره، و استوعب حساب عمره، قبضه الي ما ندبه اليه من موفور ثوابه، او محذور عقابه، ليجزى الذين اساؤا بما عملوا، و يجزى الذين احسنوا بالحسنى، عدلا منه، تقدست اسماؤه، و تظاهرت الآؤه، لا يستل عما يفعل و هم يسألون،

و الحمد لله الذي لو حبس عن عباده معرفة حمده على ما ابلاهم من مننه المتتابعة، و اسبغ عليهم من نعمه المتظاهرة، لتصرفوا في مننه فلم يحمده، و توسعوا في رزقه فلم يشكروه، و لو كانوا كذلك لخرجوا من حدود الانسانية الي حدود البهيمية، فكانوا كما وصف في محكم كتابه (ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا)...

و من دعائه قوله: «اللهم اعتذر اليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم انصره، و من معروف أسدى الي فلم اشكره، و من مسيء اعتذر الي فلم اعذره، و من ذى فاقة سألتني فلم اوثره، و من حق ذى حق لزمني فلم اوفره، و من عيب مؤمن ظهر لي فلم استره»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٩٨

و من دعائه في مكارم الاخلاق قوله:

«اللهم صل على محمد و اله و حلّني بحليّة الصالحين، و ألبسني زينة المتقين في بسط العدل، و كظم الغيظ، و اطفاء النائرة، و ضم اهل الفرقة، و اصلاح ذات البين، و لين العريكة، و خفض الجناح، و حسن السيرة و السبق الي الفضيلة و القول بالحق و ان عزّ، و استقلال الخير و ان كثر من قولي و فعلي، و استكثار الشر و ان قل من قولي و فعلي، و لا ترفعني في الناس درجة الا حططتني عند نفسي مثلها، و لا تحدث لي عزّا ظاهرا الا احدثت لي ذلّة باطنه عند نفسي بقدرها».

وفاته

و روى بن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) ان الامام علي بن الحسين مات مسموما، سمه الوليد بن عبد الملك، و قال الصدوق و ابن طاووس في الاقبال سمّه الوليد بن عبد الملك، فلما توفي غسله ولده (محمد الباقر) و حنطه، و كفنه، و صلى عليه و دفنه، قال سعيد بن المسيب و شهد جنازته البر و الفاجر، و اثنى عليه الصالح و الطالح، و انهال الناس يتبعونه حتى لم يبق احد، و دفن بالبقيع مع عمه الحسن في القبة التي فيها العباس،

توفي عليه السلام بالمدينة سنة خمس و تسعين من الهجرة في شهر المحرم ٢٥ منه و له ٥٧ سنة من العمر على المشهور، و العقب من الحسين منحصر فيه، و منه تناسل ولد الحسين عليه السلام.

اولاده

اولاد الامام زين العابدين خمسة عشر:

ابو جعفر الباقر - امه فاطمة بنت الحسن السبط،
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ١٩٩
 عبد الله، الحسن، الحسين الاكبر، امهم ام ولد،
 زيد، عمر، امهما ام ولد،
 الحسين الاصغر، عبد الرحمن، سليمان، امهم ام ولد،
 علي (و هو اصغر ولده) خديجة، امهما ام ولد،
 محمد الاصغر امه ام ولد،
 فاطمة، علي، ام كلثوم، امهن ام ولد.
 قال الشيخ عباس القمي في (سفينه البحار) و هؤلاء كلهم من امهات اولاد الا ابو جعفر الباقر و عبد الله الباهر. فان امهما ام عبد الله بن
 الحسن بن علي بن ابي طالب،
 وقال ابن زهرة في (غاية الاختصار) و عقب الامام السجاد في ستة رجال: محمد الباقر، عبد الله الباهر، عمر الاشراف، زيد الشهيد،
 حسين الاصغر، علي الاصغر.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٠٠

الامام الخامس ابو جعفر محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب

ولادته:

ابو جعفر محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ولد بالمدينة المنورة، يوم الجمعة و قيل يوم الاثنين غرة رجب و قيل
 ثالث صفر كما في (الوفيات) سنة سبع و خمسين من الهجرة المصادف ٦٧٦ م و قبض بها يوم الاثنين سابع ذي الحجة سنة اربع عشرة
 و مائة المصادف ٧٣٢ م و عمره يومئذ سبع و خمسون سنة مثل عمر ابيه و جده.
 عاش مع جده الحسين عليه السلام ثلاث سنين و قيل اربع سنين، و امه فاطمة بنت الحسن السبط، فهو اول علوي ولد بين علويين، و
 اول من اجتمعت له ولادة الحسن و الحسين، و تكنى امه بام عبد الله و ام الحسن، قال الامام الصادق: كانت صديقة لم يدرك في آل
 الحسن امرأة مثلها،
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٠١
 و يكنى بابي جعفر، و يلقب بالباقر.

صفاته

قال ابن شهر آشوب في (المناقب) كان الامام محمد الباقر، ربع القامة، رقيق البشرة، جعد الشعر، اسمر له خال على خده، ضامر
 الكشح، حسن الصوت، مطرق الرأس، و كان اصدق الناس لهجة، و احسنهم بهجة، و ابذلهم مهجة.
 قال الشيخ المفيد في (الارشاد): و كان الباقر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام من بين اخوته خليفة ابيه، و وصيه، و القائم
 بالامامة من بعده، و برز على جماعتهم بالفضل في العلم، و الزهد، و السؤدد، و كان انبيهم ذكرا، و اجلهم في العامة و الخاصة، و

اعظمهم قدرا، و لم يظهر عن احد عن ولد الحسن و الحسين من علم الدين، و الاثار، و السنة، و علم القرآن، و السيرة، و فنون الآداب ما ظهر عن ابي جعفر، و روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة، و وجوه التابعين، و رؤساء الفقهاء المسلمين، و كتبوا عنه تفسير القرآن، و قال ابن سعد فى (الطبقات) «و كان محمد الباقر عالما عابدا، ثقة، و روى عنه ابو حنيفة و غيره» و قال ابن خلكان فى (الوفيات) «و كان الباقر عالما سيدا كبيرا، و انما قيل له الباقر لانه تبقر فى العلم اى توسع».

و قال ابن حجر فى (الصواعق): «أظهر الباقر من مخبثات كنوز المعارف، و حقائق الاحكام و الحكم و اللطائف ما لا يخفى الاعلى منطمس البصيرة، او فاسد الطوية و السريرة».

و قال ابن ابى الحديد فى (شرح نهج البلاغة) (كان محمد بن على بن الحسين سيد فقهاء الحجاز، و منه و من ابيه جعفر تعلم الناس الفقه).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٠٢

قال الفيروزآبادى فى (قاموس المحيط) لقب بالباقر لتبحره بالعلم و (فى لسان العرب) لابن منظور: «لقب به لانه بقر العلم، و عرف اصله، و استنبط فرعه، و توسع فيه، و (التبقر) التوسع».

و جاء فى (امالى) ابي على القالى قال: دخل ابو جعفر محمد بن على بن الحسين على عمر بن عبد العزيز؛ فقال يا ابا جعفر أوصنى قال (اوصيك ان تتخذ صغير المسلمين ولدا؛ و اوسطهم اخا؛ و كبيرهم ابا؛ فارحم ولدك؛ وصل اخاك؛ و برّ اباك؛ و اذا صنعت معروفا فربّه) اى أدمه.

و قال (الذهبي) فى تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١١٧ «الطبقة الثالثة من التابعين ابو جعفر محمد بن على بن الحسين عليه السلام، الثبت الهاشمى العلوى، احد الاعلام، و كان سيد بنى هاشم فى زمانه، اشتهر بالباقر من قولهم بقر العلم يعنى شقه فعلم اصله و خفيته».

من اقواله و حكمه

من اقواله المشهورة قال فى اقسام العبادة (ان قوما عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجار، و ان قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، و ان قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الاحرار).

قال الجاحظ: «جمع الباقر صلاح شان الدنيا بحذافيرها بكلمتين حيث قال «صلاح شان التعايش و التعاشر مثل مكيال ثلثاه فطنه و ثلثه تغافل».

قال الجاحظ: انه لم يجعل لغير الفطنة نصيبا من الخير، و لا حظا من الصلاح، لان الانسان لا يتغافل عن شىء الا و قد عرفه و فطن له، و قال الباقر فى الزوجة: «اللهم ارزقنى امرأة تسرنى اذا نظرت، و تطيعنى اذا أمرت، و تحفظنى اذا غبت».

و قال فى الكبر «ما دخل قلب امرىء شىء من الكبر الا و نقص من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٠٣

عقله مثل ما دخل فيه قل او كثر».

و جاء فى كشف الغمة للاربلى: ان اجتمع عند الباقر مرة نفر من بنى هاشم و غيرهم فقال:

«اتقوا الله شيعه آل محمد، و كونوا النمرقة الوسطى، يرجع اليكم الغالى، و يلحق بكم التالى».

قالوا و ما الغالى؟

قال: الذى يقول فينا ما لا نقوله فى انفسنا.

قالوا: و ما التالى؟

قال: الذى يطلب الخير فيزيد فيه خيرا و الله ما بيننا و بين الله قرابة، و لا لنا على الله من حجة، و لا نتقرب اليه الا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعا لله يعمل بطاعته نفعته ولايتنا اهل البيت، و من كان منكم عاصيا لله يعمل بمعاصيه لم تنفعه ولايتنا، و يحكم لا تفتروا (و قالها ثلاثا) .. ثم الحذر بن الكبر ..»

اولاده: سبعة و هم:

جعفر الصادق، عبد الله، امهما فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر.
ابراهيم، عبد الله. (لم يعقبا) امهما ام حكيم الثقفية.
على، زينب، لام ولد.
ام سلمة، لام ولد.

وفاته

توفى الامام الباقر فى خلافة هشام بن عبد الملك، و قال الصباغ المالكي (الفصول المهمة): انه مات بالسم فى زمن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٠٤
و قبض بالمدينة يوم الاثنين سابع ذى الحجة سنة اربع عشرة و مائة من الهجرة (٧٣٢ م) و عمره يومئذ سبع و خمسون سنة مثل عمر ابيه و جده و دفن بالبقيع الى جانب ابيه زين العابدين و عم ابيه الحسن، فى القبة التى فيها العباس.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٠٥

الامام السادس ابو عبد الله جعفر الصادق بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابي طالب

ولادته

ولد بالمدينة يوم الجمعة او الاثنين عند طلوع الفجر فى السابع عشر من ربيع الاول و قيل غرة رجب سنة ثلاث و ثمانين من الهجرة و قيل عام الجحاف سنة ثمانين من الهجرة رواه ابن طلحة فى (مطالب السؤل) اما القول الاول فرواه المفيد و الكليني و الشهيد و بالتاريخ الميلادى اما ان يكون سنة ٧٠٠ او ٧٠٣ م.
امه فاطمة المكناة بام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر، و القاسم ابوها هو من ثقة الامام زين العابدين و احد الفقهاء السبعة بالمدينة و جدها
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٠٦
محمد بن ابي بكر كان بمثابة ولد من اولاد الامام امير المؤمنين و امها اسماء بنت عبد الرحمن بن ابي بكر، قالوا و لذا قال الامام الصادق ولدنى ابو بكر مرتين و هو الامام الذى تنتهى اصول الشيعة و مذهبهم اليه و لذلك سموها بالجعفرية و سمي الامامية بالجعفرين نسبة الى جعفر الصادق.

و أشهر القاب الامام هو (الصادق) و قال كثير من العلماء: لقب به لصدق حديثه.

صفاته

قال ابن شهر اشوب كان ربيع القامة، ازهر الوجه، حالك الشعر جعده اشم الانف انزع، دقيق المسربة على خده خال اسود و جاء فى كتاب (الامام الصادق) لمؤلفه محمد ابى زهرة ما نصه: كان الامام الصادق ربعاً ليس بالطويل و لا بالقصير ابيض الوجه. ازهر له لمعان كأنه السراج اسود الشعر جعده اشم الانف قد انحسر الشعر عن جبينه فبدا مزهرا و على خده خال اسود. و قال كمال الدين محمد بن طلحة فى كتابه (مطالب السؤل) و كان الصادق من عظماء اهل البيت و ساداتهم، ذا علوم جمّة، و عبادة موفورة، و اوراد متواصلة، و زهادة بينة، و تلاوة كثيرة، يتتبع معانى القرآن الكريم و يستخرج من بحره جواهره و يستنتج عجائبه.

علومه

اشتهر الامام جعفر الصادق بغزارة العلوم و لا سيما فى الطب. و الكيمياء و خلف آثارا عجيبة من ذلك (طب الصادق) و (اماليه) و قد خلف عشرات من كبار علماء الطب و الفلك و الكيمياء و كلهم يروى عنه بالاضافة موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٠٧

الى علم الكلام و الفقه و الحديث و قد روى جابر بن حيان الكيماوى العربى الشهير الشىء الكثير من الآراء الكيماوية فى مؤلفاته عن الامام جعفر الصادق و قال الدكتور محمد يحيى الهاشمى فى كتابه (الامام الصادق ملهم الكيمياء) ان (هو لميارد) قد اورد فى دراسته لجابر بن حيان فى نشرات الجمعية الطبية الملكية البريطانية ما يؤكد استقائه علمه من معين الامام جعفر الصادق اذ يقول (هو لميارد) «ان جابرا هو تلميذ جعفر الصادق و صديقه و قد وجد فى إمامه الفذ سندا و معيناً و راشدا امينا و موجهها لا يستغنى عنه و قد سعى جابر ان يحزر الكيمياء بارشاد استاذه من اساطير الاولين التى علق بها من الاسكندرية فنجح فى هذا السبيل الى حد بعيد من اجل ذلك يجب ان يقرن اسم جابر مع اساطير هذا الفن فى العالم امثال (بويله) و (بريستله) و (لا فوازيه) و غيرهم من الاعلام».

ثم يقول و اذا درسنا فهرست ابن النديم نجد حقيقتين لا محيد عنهما.

اولا:- ان جابرا كان على اتصال مع البرامكة

ثانيا- مع أئمة الشيعة المعاصرين له

و قد ناقش البعض كيفية احاطة الامام جعفر الصادق بكل هذه العلوم و لا سيما علم الكيمياء و من هؤلاء كان (روسكا) ورد عليهم العلماء الآخرون بالدراسة المنطقية المثبتة و من هؤلاء الرادين (هولميارد) و الدكتور محمد يحيى الهاشمى، و اسماعيل مظهر، الذى يتلخص رده على (روسكا) بان (روسكا) اذا قال انه لم يعرف ان (المدينة) كانت مركزا لدراسة علم الكيمياء- ان كان صحيحا- فان صحته لا تنافى مطلقا ان يكون الامام جعفر الصادق قد درس الكيمياء فى مكان آخر ثم يقول:

و لهذا نقول بان جعفرا إذ كان من عمدة الشيعة و ائمتها الكبار و إذ كان على اتصال بشيعة فارس (و كانوا يعكفون على الاشتغال بالكيمياء) فلهذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٠٨

ليس من سبب ظاهر يحول دون الاعتقاد بانه كان يشتغل بعلم الكيمياء من طريق نظرى على الاقل ان لم يكن من طريق عملى تجريبى. و قال كمال الدين محمد بن طلحة فى كتابه (مطالب السؤل): و كان ممن نقل عن الصادق الحديث و افاد منه العلم جماعة من اعيان

الائمة و اعلامهم مثل يحيى بن سعيد الانصارى، و ابن جريح و مالك بن انس، و سفيان الثورى، و ابن عيينه، و ابى حنيفة، و شعبة بن الحجاج، و ايوب السجستاني و غيرهم و عدوا اخذهم منه منقبة شرفوا بها و فضيلة اكتسبوها.

و قال مالك بن انس - فقيه اهل السنة - ما رأيت عين، و لا سمعت اذن، و لا خطر على قلب بشر، افضل من جعفر الصادق فضلاً، و علماً، و عبادة، و ورعاً، و كان لا يخلو من احدى حالات ثلاث: اما صائماً، و اما قائماً، و قال الشهرستاني فى الملل و النحل «هو ذو علم غزير فى الدين، و ادب كامل فى الحكمة، و زهد بالغ فى الدنيا، و ورع تام عن الشهوات، و قد اقام بالمدينة مدة ثم دخل العراق و اقام به مدة، ما تعرض للامامة قط، و لا - نازح احداً فى الخلافة، و من غرف فى بحر المعرفة لم يطمع فى شط، و من تعالى ذروة الحقيقة لم يخف من حط، و قيل من انس بالله استوحش عن الناس، و من استأنس بغير الله نهبه الوسواس، و هو من جهة الالب ينتسب الى شجرة النبوة، و من جانب الام الى ابى بكر» انتهى ..

قال الشيخ المفيد فى (الارشاد) و نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، و انتشر ذكره فى البلدان، قال الحسن بن على الوشا من اصحاب الرضا عليه السلام - ادركت فى هذا المسجد - يعنى مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول حدثنى جعفر بن محمد، و دخل عليه سفيان الثورى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٠٩

يوماً فسمع منه كلاماً اعجبه، فقال هذا و الله - يا ابن رسول الله - الجوهر.

فقال له: بلى هذا خير من الجوهر و هل الجوهر الا حجر.

قال ابن شهر آشوب: لا يخلو كتاب من كتب الحديث، و الحكمة، و الزهد، و الموعظة، من كلام الامام الصادق: قال ابن خلكان فى (وفياته) «جعفر بن محمد الصادق هو احد الائمة الاثني عشر - على مذهب الامامية - و كان من سادات اهل البيت، و لقب بالصادق لصدقه فى مقاله. و فضله اشهر من ان يذكر، و له كلام فى صنعة الكيمياء، و الزجر، و الفال. و كان تلميذه ابو موسى الزاجز جابر بن حيان الصوفى الطرسوسى قد ألف كتاباً يشتمل على الف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق و هى خمسمائة رسالة».

و قال القرمانى فى ص ١١٢ «الفصل الخامس فى ذكر عالم الحقائق و الدقائق الامام جعفر الصادق رضى الله عنه» و كان من بين اخوته خليفة ابيه و وصيه نقل عنه العلوم ما لم ينقل عن غيره و كان رأساً فى الحديث و روى عنه يحيى بن سعيد، و ابن جريح، و مالك بن انس، و الثورى، و ابن عيينه، و ابو حنيفة و شعبة ابو ايوب السجستاني، و غيرهم» و قد نقل ان كتاب الجفر الذى بالمغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن و نقل ابن شهر آشوب عن مسند ابى حنيفة «ان حسن بن زياد قال سمعت ابا حنيفة و قد سئل من افقه الناس ممن رأيت؟ قال: جعفر الصادق بن محمد، لما طلبه المنصور من المدينة ارسل الى و قال قد فتن الناس بجعفر بن محمد، فتأهب ان تسأله اشكل مسائلك، فاحضرت له اربعين مسألة فاحضرنى المنصور و كان فى (الحيرة) فقصدته و رأيت جعفر جالساً عن يمينه فلما وقع نظرى عليه هبته هيبه لم أهب مثلها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢١٠

المنصور مع شدة بطشه فسلمت عليه فأشار الى بالجلوس، فتوجه الى الصادق و قال يا أبا عبد الله ان هذا ابو حنيفة، فقال اعرفه، ثم توجه الى المنصور و قال: سل ابا عبد الله عن مسائلك .. فما زلت أسأله فيجيب و يقول انتم تقولون كذا و اهل المدينة يقولون كذا و كانت فتواه تارة موافقة لنا و اخرى موافقة لاهل المدينة، و ربما خالف الجميع فى بعض فتواه فلم يخل بواحدة منها، اذا فأعلم الناس باختلاف الاقوال اعلمهم جميعاً و افقههم»

و فى (حلية الاولياء) لابي نعيم بعد ما جاء باسماء اعلام الاسلام و روايتهم عنه قال و اخرج عنه مسلم فى صحيحه، محتجاً بحديثه، و كان مالك بن انس اذا حدث عنه قال: «حدثنى الثقة بعينه»

بعض اقواله و حكمه

من أكرمك فأكرمه، و من استخف بك فأكرم نفسك عنه.

ثلاثة لا يزيد الله بها المسلم الا عزا: الصفح عن ظلمه، و الاعطاء لمن حرمه، و الصلّة لمن قطعه، من حقيقة الايمان ان تؤثر الحق و ان ضرّك، على الباطل و ان نفعك، و ان لا يجوز منطقتك عملك، تهادوا و تحابوا فان الهدية تذهب بالضغائن،

الغضب مفتاح كل شر،

من لم يملك غضبه لم يملك عقله،

انقص الناس عقلا من ظلم من دونه و لم يصفح عن اعتذر اليه،

المؤمن اذا غضب لم يخرج غضبه عن حق، و اذا رضى لم يدخله رضاه في باطل،

طلب الحوائج الى الناس استلاب للعز، و مذهبة للحياء، و اليأس مما في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢١١

ايدى الناس عز للمؤمن في دينه، و الطمع هو الفقر الحاضر.

لا تغتب فتغتب، و لا تحفر لاختيك حفرة فتقع فيها، فانك كما تدين تدان الحياء من الايمان، من رقّ وجهه رقّ علمه، لا ايمان لمن لا حياء له

سرّك من دمك فلا تجره في غير اوداجك، و صدرك اوسع لسرّك

الرجال ثلاثة: رجل بماله، و رجل بجاهه، و رجل بلسانه، و هو افضل الثلاثة مجاملة الناس ثلث العقل

المن يهدم الصنيعة

افضل الصداقة ابراد كبد حرى

اربعة تذهب ضياعا: مودة تمنحها من لا وفاء له، و معروف عند من لا شكر له، و علم عند من لا استماع له، و سر تودعه من لا حصانة له

المعروف ابتداء، فاما ما اعطيته بعد المسألة فانما كافيته بما بذل لك من وجهه

و الامام الصادق نسيح وحده من حيث سمو الخلق و حسن الادب و لطف المعشر فمن وصية يوصى بها عنوان البصرى: «... و من

شتمك فقل له ان كنت صادقا فاسأل الله ان يغفر لي، و ان كنت كاذبا فيما تقول فالله اسأل ان يغفر لك».

اولاده:

اولاده و عددهم عشرة:

اسماعيل ، و عبد الله ، اسماء، و قيل عاليه، و تكنى بأم فروه، مهم بنت الحسين بن على بن الحسين بن ابى طالب، موسى الكاظم،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢١٢

اسحاق، محمد المعروف بالديباج، فاطمة الكبرى، امهم ام ولد، اسمها حميدة بنت صاعد العباس، على فاطمة الصغرى، لامهات اولاد شتى.

وفاته

مجمل عمر الامام الصادق خمس و ستون سنة- و هو اكبر الائمة سنا- توفى بالمدينة المنورة يوم الاثنين لخمس بقين من شوال و قيل في منتصف رجب سنة ١٤٨ ثمان و اربعين و مائة و دفن بالبقيع مع ابيه و جده و عمه الحسن عليهم السلام. قال الكفعمي مات الامام الصادق مسموما في عنب، و قال ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) يقال ان جعفر الصادق مات بالسم في ايام المنصور، و عن ابن بابويه سمه المنصور. موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢١٣

الامام السابع موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب**اشارة**

هو سابع ائمة اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين. ولد بالايواء يوم الاحد سابع صفر سنة ثمان و عشرين و مائة المصادف ٧٤٥ م. امه ام ولد يقال لها حميدة بنت صاعد المغربي و يقال انها اندلسية، و انها كانت حميدة الصفات و تلقب ب (المصفاة) و ان زوجها الصادق لقبها بذلك.

القابه و كناه

يكنى بابي ابراهيم، و بابي الحسن الاول، و اشهر القابه الكاظم، و يعرف بالعبد الصالح حتى اشتهر بذلك، قال فيه القرمانى هو الامام الكبير القدر الاوحد الحجة الساهر ليله قائما، القاطع نهاره صائما المسمى لفرط حبه موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢١٤ و تجاوزه عن المعتدين كاظما، و هو المعروف عند اهل العراق بباب الحوائج لانه ما خاب المتوسل به في قضاء حاجته قط.

صفاته

قال ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) هو المعروف عند اهل العراق بباب الحوائج لنجح قضاء حوائج المتوسلين به. و قال الشيخ المفيد في (الارشاد) و كان موسى بن جعفر عليهما السلام اجل ولد ابى عبد الله قدرا، و اعظمهم محلا، و ابعدهم في الناس صيتا، و لم ير في زمانه أسخى منه و لا اكرم نفسا و عشرة، و كان اعبد اهل زمانه، و اورعهم، و اجلهم، و افقهم، و اسخاهم كفا، و اكرمهم نفسا، و كان اوصل الناس لاهله و رحمه، و كان يتفقد فقراء المدينة بالليل فيحمل اليهم الزنبيل فيه العين و الورق و الادقة و التمر فيوصل اليهم ذلك و لا يعلمون من اى جهة هو!! و كان الناس بالمدينة يسمونه زين المجتهدين، و يسمى بالكاظم لكظمه الغيظ و الصبر عليه من فعل الظالمين به حتى مضى قتيلاً في حبسهم و وثاقهم.

قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في (مطالب السؤل عن مناقب الرسول) في الامام الكاظم: هو الامام الكبير القدر؛ العظيم

الشان، الكثير التهجد، الجاد في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجدا و قائما، و يقطع النهار متقصدا و صائما، و لفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدين عليه دعى كاظما، كان يجازى المسيء باحسانه اليه، و يقابل الجاني عليه بعفوه عنه، و لكثرة عباداته كان يسمى بالعبد الصالح، و يعرف في العراق (بباب الحوائج الى الله) لنجح موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢١٥

المتوسلين به الى الله، كراماته تحار منها العقول، و تقضى بان له عند الله تعالى قدم صدق لا تزول.
قال ابن خلكان في (وفيات الاعيان) كان موسى بن جعفر سخيا كريما، و كان يسمع عن الرجل انه يؤذيه فيبعث اليه بصره فيها الف دينار.

و كان يصير الصرر ثلثمائة دينار و اربعمائة دينار، و مائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة. قال ابو الفرج في (مقاتل الطالبين) «و كانت صرار موسى مثالا».

و عن (عمدة الطالب) كان اهله يقولون عجباً لمن جاءته صرة موسى فشكا القلة.
و كان الكاظم انيق الملبس، جميل الثياب، و قد روى عبد الله بن جعفر الحميري عن ولده الرضا انه قال: قال لى ابي (اي الكاظم) ما تقول في لباس الحسن؟ فقلت بلغني ان (الحسن) كان يلبس، فقال لى البس و تجمل فان على بن الحسين كان يلبس الجبة الخز بخمسماية درهم و المطرف الخز بخمسين دينارا فيشتو فيه فاذا خرج الشتاء باعه فتصدق بثمانه و تلا هذه الآية:
(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)

ملكاته الادبية

و في تحف العقول للحسن بن علي بن شعبة قال ابو حنيفة: حججت في ايام ابي عبد الله الصادق، فلما اتيت المدينة دخلت داره فجلست في الدهليز انتظر اذنه اذ خرج صبي فقلت: يا غلام اين يضع الغائب من بلدكم؟ قال على رسلك ثم جلس مستندا الى الحائط ثم قال:

- توق شطوط الانهار، و مساقط الثمار، و اقنية المساجد، و قارعة الطريق، و توار خلف جدار، و شل ثوبك، و لا تستقبل القبلة و لا تستدبرها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢١٦

وضع حيث شئت، فاعجبني ما سمعت من الصبي - يقول ابو حنيفة - فقلت له:
- ما اسمك؟

فقال - انا موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب!!

كان هارون الرشيد يرى و يشاهد اقبال الناس على الامام الكاظم عليه السلام و القبول منه، و الاخذ عنه و الرجوع اليه، و عندما يراه مالكا قلوب الناس متمتعا بهذه الشعبية المحبوبة تساوره الهواجس و يحاذر على سلطانه منه، فتراه تاره يسأله فيقول له كيف صرتم ذرية رسول الله و انتم بنو علي و انما ينتسب الرجل الى جده لايبه دون جده لانه؟ فيجيبه الامام موسى بقوله (و من ذريته داود و سليمان و ايوب و يوسف و موسى و هرون و كذلك نجزي المحسنين و زكريا و يحيى و عيسى) و ليس لعيسى اب و انما ألحق بذرية الانبياء من قبل امه، و كذلك الحقنا بذرية النبي من قبل امنا فاطمة. ثم قال الكاظم للرشيد: لو نشر رسول الله و خطب اليك كريمتك اكنت تزوجه؟ فقال نعم و افتخر على العرب و العجم، قال الامام و لكنه لا يخطب منى و لا ازوجه لانه ولدنا و لم يلدكم ...

من اقواله و حكمه

التدبير نصف العيش، و التودد الى الناس نصف العقل.

كثرة الهم تورث الهرم.

اتق الله و قل الحق و ان كان فيه هلاكك فان فيه نجاتك، و دع الباطل و ان كان فيه نجاتك فان فيه هلاكك.

المؤمن مثل كفتى الميزان كلما زيد فى ايمانه زيد فى بلائه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢١٧

ليس حسن الجوار كفّ الاذى، و لكن حسن الجوار الصبر على الاذى.

سمع الامام موسى بن جعفر رجلا يتمنى الموت فقال له:

- هل بينك و بين الله قرابة يحاييك لها؟

قال: لا!

قال: فهل لك حسنات قدمتها تزيد على سيئاتك؟

قال: لا!

قال: فانت اذن تتمنى هلاك الابد ...

و قال: من استوى يومه فهو مغبون، و من كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، و من لا يعرف الزيادة فى نفسه فهو فى النقصان، و من

كان الى النقصان فالموت خير له من الحياة.

اجعلوا لانفسكم حظا من الدنيا باعطائها ما تشتهي من الحلال، و ما لا يثلم المرؤة و ما لا سرف فيه. و استعينوا بذلك على امور الدين

فانه روى:

ليس منا من ترك ديناه لدينه، او ترك دينه لديناه.

حبوسه

و خاف الرشيد على خلافته منه فطلبه من المدينة و قيده و ارسل به الى البصرة فحبس عند عيسى بن جعفر، و كان حمله من المدينة

لعشر ليال بقين من شوال، قيل و فى السابع و العشرين من رجب سنة تسع و سبعين و مائة، فقدم به حسان السروى البصرة قبل التروية

بيوم فدفعه الى عيسى بن جعفر فحبسه فى بيت من بيوت المحبس و اقل عليه، و شغله عنه العيد فكان لا- يفتح عليه الباب الا فى

حالتين: حال يخرج فيها الى الطهور، و حال يدخل اليه فيها الطعام، و كتب الى الرشيد: لقد طال امر موسى بن جعفر و مقامه فى

حبسى و قد اختبرت حاله، و وضعت عليه العيون طول هذه المدة فما وجدته يفتر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢١٨

عن العبادة، و وضعت عليه من يسمع منه ما يقول فى دعائه فما دعا عليك، و لا على، و لا ذكرنا بسوء و ما يدعو الا لنفسه بالمغفرة، و

الرحمة، فان انت انفذت الى من يتسلمه منى و الا خليت سبيله فانى متخرج من حبسه، فوجه الرشيد من تسلمه منه و صيره الى بغداد

فسلم الى الفضل بن الربيع فبقى محبوسا عنده مدة طويلة، و عن الخطيب البغدادي فى تاريخ بغداد:

بعث موسى بن جعفر من الحبس رسالة الى هارون يقول «لن ينقضى عنى من البلاء حتى ينقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى

نفضى جميعا الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون» و طلب الرشيد من الفضل ابن الربيع قتله فأبى، فكتب اليه ان يسلمه الى

الفضل بن يحيى البرمكي، فتسلمه منه و جعله في بعض حجر دوره، و وضع عليه الرصد، فكانت العيون تخبره انه لا- يزال يذكر الله تعالى و لم تزل لحيته مخضلة بالدموع من خشية الله و كان اذا قرأ القرآن رفع صوته بالقراءة فيبكي و يخشع كل من سمعه، فقال ما لي و لهذا العبد الصالح؟ و اراد اطلاقه فخاف من الرشيد فامر اهل الحبس و ذوى السجن ان يدعوا الامام على رسله.

وفاته

ثم تسلمه السندی بن شاهك فسّمه بالطعام و قيل سّمه برطب، و لبث ثلاثة ايام ثم توفي في آخر اليوم الثالث مسموما بعدما حبس اربع سنوات و كانت وفاته يوم الجمعة ببغداد لست او لخمس بقين من رجب سنة ثلاث و ثمانين و مائة ٧٩٩ م و هو ابن خمس و خمسين سنة على المشهور، و دفن ببغداد في الجانب الغربي، في المقبرة المعروفة بمقابر قریش بباب (التبن) قال المفيد و كانت هذه المقبرة لبني هاشم و الاشراف من الناس قديما.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢١٩

منظر داخلي لضريح الامامين موسى بن جعفر و محمد الجواد

اولاده

المشهور انهم سبعة و ثلاثين ما بين ذكر و انثى:

على الرضا، ابراهيم، القاسم، العباس، لامهات اولاد

اسماعيل، جعفر، هارون، الحسن، لام ولد

احمد، محمد، حمزة، لام ولد

عبد الله، اسحاق، عبيد الله، زيد، الحسن، الفضل، الحسين، سليمان، لامهات اولاد

فاطمة الكبرى، فاطمة الصغرى، رقية، حكيمه، ام ايها، رقيه الصغرى، ام جعفر، لبابه، زينب، خديجة، عليه، آمنه، حسنه، بريهه، عائشه،

ام سلمه، ميمونه، ام كلثوم، لامهات اولاد.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٢٠

الامام الثامن الرضا على بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب

ولادته:

هو ثامن الائمة ولد بالمدينة يوم الجمعة او يوم الخميس في الحادى عشر من ذى القعدة سنة ثمان و اربعين و مائة ٧٦٥ م و يقال ان ميلاده كان في سنة ثلاث و خمسين و مائة اى بعد وفاة جده الصادق بخمس سنين و المصادف ٧٧٠ م.

امه ام ولد يقال لها (سكن) ثم سميت تكتم و سماها زوجها الكاظم بالظاهرة و ذلك بعد ما ولدت (الرضا) و كناها بام البنين اما لقبها فهو (شقراء)

صفاته:

دخل على الرضا وهو بنيسابور قوم من الصوفية فقالوا: ان امير المؤمنين المأمون لما نظر فيما ولاه الله من الامور فرآكم اهل البيت اولى من قام بالامر فى الناس، ثم نظر فى اهل البيت فرآك اولى بالناس من كل واحد فزد هذا الامر اليك، و الامانة تحتاج الى من يأكل الجشب، و يلبس الخشن و يركب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٢١

الحمار، و يعود المريض، و يشيع الجنائز، و كان الرضا متكأ فاستوى جالسا ثم قال:

«كان يوسف بن يعقوب نبيا فلبس اقبية الدياج المزررة بالذهب، و جلس على متكآت آل فرعون، و حكم و أمر و نهى، و انما يراد من الامام القسط و العدل، و اذا قال صدق، و اذا حكم عدل، و اذا وعد انجز، ان الله لم يحرم ملبوسا، و لا مطعما، و تلا قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده و الطيبات من الرزق)

و عن ابراهيم بن العباس - كما روى الصدوق - انه قال: ما رأيت و لا سمعت باحد افضل من ابى الحسن الرضا، و من زعم انه رأى مثله فى فضله فلا تصدقوه، شاهدت منه ما لم اشاهد من احد و ما رأيتة جفا احدا بكلامه، و لا رأيتة قطع على احد كلامه، حتى يفرغ منه، و ما رد احدا عن حاجة يقدر عليها، و لا مدّ رجله بين يدي جليس له قط، و لا رأيتة يشتم احدا من مواليه و مماليكه، و ما رأيتة تفل، و لا رأيتة يقهقه فى ضحكة بل كان ضحكه التبسم، و كان اذا خلا و نصب مائدته أجلس عليها مواليه و مماليكه حتى البواب و السائس. و عن ياسر الخادم قال «الرضا اذا خلا جمع حشمه كلهم عنده الصغير و الكبير، فيحدثهم و يأنس بهم، و يؤنسهم، و روى انه دعا يوما بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان و غيرهم فقال له بعض اصحابه، جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة فقال: ان الرب تبارك و تعالى واحد و الام واحدة، و الاب واحد، و الجزاء بالاعمال» و عن محمد بن ابى عباد قال كان جلوس الرضا على حصير فى الصيف، و على مسح فى الشتاء، و لبسه الغليظ من الثياب حتى اذا برز للناس تزين لهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٢٢

علمه و فضله

روى الصدوق و غيره عن ابراهيم بن العباس انه قال: ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شىء قط الا علمه، و لا رأيت أعلم منه بما كان فى الزمان الى وقته و عصره، و عن ابى الصلت الهروى قال: ما رأيت اعلم من على بن موسى الرضا و لا رآه عالم الا شهد له بمثل شهادتى، و لقد سمعت على بن موسى الرضا يقول: كنت اجلس فى الروضة و العلماء بالمدينة متوافرون، فاذا أعيب الواحد منهم عن مسألة اشار الى باجمعهم، و بعثوا الى بالمسائل فاجبت عنهم.

و قال ابن شهر اشوب و قد روى عنه جماعة من المصنفين، منهم: ابو بكر الخطيب فى تاريخه، و الثعلبى فى تفسيره، و السمعانى فى رسالته، و ابن المعتز فى كتابه، و غيرهم. و عن كتاب (نثر الدرر) قال سأل الفضل ابن سهل على بن موسى الرضا عليه السلام فى مجلس المأمون فقال: يا ابا الحسين الناس مجبرون؟ فقال: الله اعدل من ان يجبر ثم يعذب، قال: فمطلقون؟ قال:

الله احكم من ان يهمل عبده و يكله الى نفسه

ولاية عهد الخلافة العباسية

كان الرشيد قد بايع لابنه محمد الامين بن زييد و بعده لولده الثاني عبد الله المأمون و بعدهما لآخيهما المؤمن و جعل امر عزله و ابقائه بيد المأمون و كتب بذلك صحيفة و اودعها في جوف الكعبة و قسم البلاد بين الامين و المأمون فجعل شريقها للمأمون و أمره بسكنى (مرو) و غريبها للامين و امره بسكنى بغداد فكان المأمون في حياة ابيه في مرو ثم ان الامين بعد موت ابيه في خراسان خلع اخاه المأمون عن ولاية العهد فقامت قيامة المأمون و وقعت الحرب بينهما، و لما قتل اخاه الامين و استقل بالسلطنة و جرى حكمه في موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٢٣

شرق الارض و غربها، كتب الى الرضا يستقدمه من المدينة الى خراسان، فامتنع و اعتل بعلل كثيرة، فما زال المأمون يكاثبه و يسأله حتى علم الرضا انه لا يكف عنه فاجابه، فبعث المأمون رجاء بن ابي الضحاك و ياسر الخادم الى المدينة ليشخصا اليه الرضا و محمد بن جعفر عم الرضا، و جماعة من آل ابي طالب و ذلك في سنة مائتين من الهجرة

روى المسعودى في اثبات الوصية: ان المأمون استقبل الرضا و اعظمه و اكرمه و اظهر فضله و اجلاله، و قال المفيد لما وصلوا الى مرو أنزلهم المأمون دارا، و انزل الرضا دارا، ثم انفذ اليه: انى اريد ان اخلع نفسى من الخلافة و اقلدك اياها فما رأيك في ذلك؟ فانكر الرضا هذا الامر و قال له: اعيدك بالله يا امير المؤمنين من هذا الكلام و ان يسمع به احد، و جرت في ذلك مخاطبات كثيرة حتى قبل ولاية العهد، فخرج الفضل بن سهل فاعلم الناس برأى المأمون في على بن موسى الرضا، و انه قد ولاه عهده، و أمرهم بلبس الخضرة التى هى شعار العلويين، بدل السواد الذين هو شعار العباسيين، روى الصدوق في (العيون) ان البيعة للرضا كانت لخمس خلون من شهر رمضان سنة احدى و مائتين، ثم ان المأمون زوجه ابنته ام حبيبة في اول سنة اثنتين و مائتين و سمي للجواد ابن الرضا ابنته (ام الفضل)، و امر فضربت له الدراهم و الدنانير و طبع عليها اسم الرضا، و أمر ان يخطب له على المنابر و كتب الى الآفاق بذلك و خطب للرضا في كل بلد بولاية العهد

بعض المسكوكات التى ضربت باسم الامام الرضا في ولاية عهده

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٢٤

العهد الذى كتبه المأمون بولاية عهد الرضا

اما العهد الذى كتبه المأمون فقد ذكره عامة المؤرخين و قد كتبه المأمون بخطه و انشأه و وقع عليه الامام الرضا بخطه و هذا هو نصه، و يليه نص عهد الامام الرضا

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا كتاب كتبه عبد الله بن هرون الرشيد امير المؤمنين لعلى بن موسى بن جعفر ولى عهده، اما بعد فان الله عز و جل اصطفى الاسلام دينا و اصطفى له من عباده رسلا دالين عليه، و هادين اليه، يبشر اولهم بأخرهم و يصدق تاليمهم ماضيهم، حتى انتهت نبوة الله الى محمد صلى الله عليه و آله و سلم على فترة من الرسل، و دروس من العلم و انقطاع من الوحي، و اقتراب من الساعة، فحتم الله به النبيين، و جعله شاهدا لهم، و مهيمنا عليهم، و انزل عليه كتابه العزيز الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه، و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، بما احل و حرّم، و اوعده، و حر و أنذر، و أمر به و نهى عنه، لتكون له الحجة البالغة على خلقه (ليهلك من هلك عن بينة، و يحيى من يحيى عن بينة و ان الله لسميع عليم) فبلغ عن الله رسالته، و دعا الى سبيله بما امره به من الحكمة، و الموعدة الحسنه، و المجادلة التى هى احسن ثم بالجهاد و الغلظة، حتى قبضه الله اليه، و اختار له ما عنده صلى الله عليه و آله و سلم الوحي و الرسالة، جعل قوام الدين، و نظام امر المسلمين بالخلافة و اتمامها و عزها، و القيام بحق الله فيها بالطاعة التى بها تقام فرائض الله و حدوده، و شرائع الاسلام و سنته، و يجاهد بها عدوه فعلى خلفاء الله طاعته فيما استخلفهم و استرعاهم من دينه و عباده، و على المسلمين طاعة

خلفائهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٢٥

ومعاونتهم على اقامة حق الله و عدله، و امن السبيل، و حقن الدماء، و صلاح ذات البين، و جمع الالفه، و في خلاف ذلك اضطراب جبل المسلمين و اختلالهم، و اختلاف ملتهم و قهر دينهم، و استعلاء عدوهم، و تفرق الكلمه و خسران الدنيا و الآخرة، فحق على من استخلفه الله في ارضه، و ائتمنه على خلقه، ان يجهد لله نفسه، و يؤثر ما فيه رضى الله و طاعته، و يعتد لما الله موافقه عليه، و مسائله عنه، و يحكم بالحق، و يعمل بالعدل فيما حمّله الله و قلّده، فان الله عز و جل يقول لنبيه داود عليه السلام (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق و لا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) و قال الله عز و جل (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) و بلغنا ان عمر بن الخطاب قال «لو ضاعت سخلة بشاطيء الفرات لتخوفت ان يسألنى الله عنها» و ايم الله ان المسؤول عن خاصه نفسه، الموقوف على عمله فيما بينه و بين الله، ليعرض على امر كبير، و على خطر عظيم، فكيف بالمسؤول عن رعايه الامه، و بالله الثقه، و اليه المفزع، و الرغبه في التوفيق، و العصمه و التسديد و الهدايه الى ما فيه ثبوت الحجّه، و الفوز من الله بالرضوان و الرحمه:

و أنظر الامه لنفسه، و أنصحهم لله في دينه و عبادته من خلائفه في ارضه:

من عمل بطاعة الله و كتابه، و سنه نبيه عليه السلام في مدّه ايامه و بعدها، و أجهد رأيه و نظره فيمن يوليه عهده، و يختاره لامامه المسلمين، و رعايتهم بعده و ينصبه علما لهم، و مفزعا في جمع ألفتهم، و لم شعثهم و حقن دمائهم، و الامن باذن الله من فرقته و فساد ذات بينهم و اختلافهم، و رفع نزع الشيطان و كيدهم عنهم، فان الله عز و جل جعل العهد بعد الخلافه من تمام امر الاسلام و كماله، و عزه و صلاح اهله، و ألهم خلفاءه من توكيده لمن يختارونه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٢٦

له من بعدهم ما عظمت به النعمه، و شملت فيه العافيه و نقض الله بذلك مكر اهل الشقاق و العداوه، و السعى في الفرقة، و التريص للفتنه و لم يزل امير المؤمنين منذ أفضت اليه الخلافه فاختر بشاعه مذاقها، و ثقل محملها، و شدة مؤونتها، و ما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة الله و مراقبته فيما حمّله منها، فانصب بدنه، و اسهر عينه، و اطال فكره فيما فيه عز الدين، و قمع المشركين، و صلاح الامه، و نشر العدل، و اقامة الكتاب و السنه، و منعه ذلك من الخفض و الدعء، و مهناً العيش علما بما الله سائله عنه، و محبه ان يلقي الله مناصحاً له في دينه و عبادته، و مختاراً لولايه عهده و رعايه الامه من بعده افضل ما يقدر عليه في ورعه، و دينه و علمه، و ارجأهم للقيام في امر الله و حقه، مناجيا له تعالى بالاستخاره في ذلك، و مسائلته الهامه ما فيه رضاه و طاعته في آناء ليله و نهاره، معملاً- في طلبه و التماسه في اهل بيته من ولد عبد الله بن العباس و على بن ابي طالب- فكره و نظره، مقتصرًا مما علم حاله و مذهبه منهم على علمه، و بالغاً في المسأله عمن خفى عليه امره جهده و طاقته، حتى استقصى امورهم معرفه، و ابتلى اخبارهم مشاهده، و استبرى احوالهم معايينه، و كشف ما عندهم مسأله، فكانت خبرته بعد استخارته لله، و اجتهاده نفسه في قضاء حقه في عبادته و بلاده في البيتين جميعاً: على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابي طالب، لما رأى من فضله البارح، و علمه الناصح، و ورعه الظاهر، و زهده الخالص، و تخليه من الدنيا و تسلمه من الناس، و قد استبان له ما لم تزل الاخبار عليه متواطيه، و الالسن عليه متفق، و الكلمه فيه جامع، و لما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعا، و ناشيا، و حدثا، و مكتهلا، فعقد له بالعقد، و الخلافه من بعده، و اتقا بخيره الله في ذلك، اذ علم الله انه فعله اثارا له و للدين، و نظرا للاسلام و المسلمين، و طلبا للسلامه و ثبات الحق و النجاه في اليوم الذى يقوم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٢٧

الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين، و دعا امير المؤمنين ولده، و أهل بيته، و خاصته، و قواده، و خدمه، فبايعوا مسرعين، مسرورين،

عالمين بإيثار امير المؤمنين طاعة الله على الهوى فى ولده، وغيرهم ممن هو أشك منه رحما، و أقرب قرابة و سماه (الرضا) اذ كان رضا عند امير المؤمنين، فبايعوا معشر أهل بيت امير المؤمنين، و من بالمدينة المحروسة من قواده، و جنده، و عامة المسلمين، لأمير المؤمنين، و للرضا من بعده على بن موسى على اسم الله و بركته، و حسن قضائه لدينه و عبادته، بيعه مبسوطة اليها ايديكم، منشرحة لها صدوركم، عالمين بما أراد امير المؤمنين لها، و آثر طاعة الله، و النظر لنفسه و لكم فيها، شاكرين الله على ما ألهم امير المؤمنين من قضاء حقه فى رعايتكم، و حرصه على رشدكم و صلاحكم راجين عائده ذلك فى جمع ألفتكم، و حقن دمائكم، و لم شعثكم، و سد ثغوركم، و قوة دينكم، و استقامة أموركم، و سارعوا الى طاعة الله و طاعة امير المؤمنين فانه الأمر الذى ان سارعتم اليه، و حمدتم الله عليه، عرفتم الحظ فيه ان شاء الله.

و كتب بيده فى يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة احدى و مائتين».

و هذا ما كتبه الامام على بن موسى «الرضا» بخطه على ظهر العهد.

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الفعال لما يشاء، لا معقب لحكمه، و لا راد لقضائه، يعلم خائنة الاعين، و ما تخفى الصدور، و صلواته على نبيه محمد خاتم النبيين و آله الطيبين الطاهرين، أقول و أنا على الرضا بن موسى بن جعفر: ان امير المؤمنين عضده الله بالسداد، و وفقه للرشاد، عرف من حقنا ما جهله غيره، فوصل ارحاما قطعت، و أمن نفوسنا فرعت، بل احياها و قد تلفت،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٢٨

و أغناها اذ افتقرت، مبتغيا رضى رب العالمين، لا يريد جزاء من غيره، و سيجزى الله الشاكرين، و لا يضيع أجر المحسنين، و انه جعل الى عهده، و الامرة الكبرى: إن بقيت بعده، فمن حل عقده أمر الله بشدها، و فسم عروة أحب الله ايثاقها، فقد أباح حريمه، و أحل محرّمه، اذ كان بذلك زاريا على الامام، متتهكا حرمة الاسلام، بذلك جرى السالف فصبر منه على الفلتات، و لم يعترض بعدها على العزمات، خوفا من شتات الدين، و اضطراب جبل المسلمين، جانب من صحن الامام الرضا بمشهد

و لقرب امر الجاهلية، و رصد فرصة تنتهز، و باثقة تبتدر، و قد جعلت الله على نفسى إذ استرعانى امر المسلمين و قلدى خلافته، العمل فيهم عامة و فى بنى العباس بن عبد المطلب خاصة بطاعته، و طاعة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و ان لا اسفك دما حراما، و لا أبيع فرجا، و لا مالا الا ما سفكته حدود الله، و أباحت فرائضه، و ان أتخير الكفاة جهدى و طاقتى، و جعلت بذلك على نفسى عهدا مؤكدا يسألنى الله عنه فانه عز و جل يقول (و أوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا) و ان احدثت، او غيرت، او بدلت، كنت للغير مستحقا، و للنكال متعرضا، و أعوذ بالله من سخطه، و اليه ارغب فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٢٩

التوفيق لطاعته، و الحؤول بينى و بين معصيته فى عافية لى و للمسلمين، و الجامعة و الجفر يدلان على ذلك (و ما ادرى ما يفعل بى و لا بكم إن الحكم الا- لله يقضى بالحق و هو خير الفاصلين) لكنى امتثلت امر امير المؤمنين، و آثرت رضاه، و الله يعصمنى و اياه، و أشهدت الله على نفسى بذلك و كفى بالله شهيدا و كتبت بخطى بحضرة امير المؤمنين أطال الله بقاءه، و الفضل بن سهل، و سهل بن الفضل، و يحيى بن اكنم، و عبد الله بن طاهر، و تمامه بن اشرس، و بشر بن المعتمر، و حماد بن النعمان، فى شهر رمضان سنة احدى و مائتين».

من اقواله و حكمه

لم يخنك الأمين و لكن إئتمنت الخائن.

الصمت باب من ابواب الحكمة.

صديق كل امرىء عقله، و عدوه جهله.

و سئل عن العجب الذى يفسد العمل فقال: العجب درجات منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا فيعجبه و يحسب انه يحسن صنعا، و منها ان يؤمن العبد بربه فيمتن على الله و لله المنه عليه.

يأتى على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة اجزاء، تسعة منها فى اعتزال الناس، و واحد فى الصمت.

أحسنوا جوار النعم فانها وحشية ما نأت عن قوم فعادت اليهم، ان شر الناس من منع رفته، و أكل وحده، و جلد عبده.

من حاسب نفسه ربح، و من غفل عنها خسر، و من حاف أمن، و من اعتبر ابصر، و من ابصر فهم، و من فهم علم، و صديق الجاهل فى تعب، و أفضل المال ما و فى به العرض، و أفضل العقل معرفة الانسان نفسه،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٣٠

و المؤمن اذا غضب لم يخرج غضبه عن حق، و اذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل، و اذا قدر لم يأخذ اكثر من حقه.

اولاده:

روى ان له ابنا واحدا و هو ابو جعفر الجواد، و عن بعضهم ان له ولدين، هما محمد، و موسى، و فى (كشف الغمة) ان له خمسة ذكور، و بنتا واحدة و هم محمد القانع، الحسن، جعفر، ابراهيم، الحسين، عائشة.

وفاته:

اختلف المؤرخون فى سبب موت الامام الرضا ف قيل انه أكل عنبا و مات منه، و قيل بل مات مسموما كما روى هرثمة ابن اعين من انه مات مسموما بالعنب و الرمان اللذين قدما له و روى ابو الفرج فى (مقاتل الطالبين) عن ابي الصلت انه دخل على (الرضا) فقال يا ابا الصلت قد فعلوها: اى سقونى السم، و قد شاع ذلك و اشتهر حتى قال فى ذلك ابو فراس الحمدانى:

باؤا بقتل الرضا من بعد بيعته و أبصروا بعض يوم رشدهم و عموا

و قال دعبل بن على الخزاعى:

شككت فما ادرى أمسقى بشربة فابكيك ام ريب الردى فيهن

قبض يوم الجمعة و قيل يوم الاثنين آخر صفر او فى السابع عشر منه بطوس من ارض خراسان فى قرية يقال لها (سنا آباد) من رستاق نوقان سنة ثلاث او اثنتين و مئتين المصادف ٨١٨ م و هو ابن خمس و خمسين سنة او اثنتين و خمسين او احدى و خمسين و دفن فى القبة التى فيها قبر هارون الرشيد الى جانبه مما يلى القبة فى دار حميد بن قحطبة الطائى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٣١

الامام التاسع محمد الجواد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابي طالب

ولادته

هو تاسع ائمة اهل البيت ولد بالمدينة ليلة الجمعة في التاسع عشر من شهر رمضان او في النصف منه او العاشر من شهر رجب سنة خمس و تسعين و مائة (٨١٠) م و يؤيد قول ولادته في رجب الدعاء المأثور الذي اوله (اللهم أسالك بالمولودين في رجب محمد بن علي الثاني و ابنه علي بن محمد المنتجب).

امه ام ولد، يقال لها سبيكة، روى انها كانت من اهل بيت مارية القبطية و تكنى ام الحسن و كنيته ابو جعفر الثاني لان جده محمد الباقر يكنى بأبي جعفر الاول و لقبه الجواد، و التقى، و المنتجب، و القانع.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٣٢

صفاته

كان اسمر شديد الادمه و لذلك نعته ابن ابى داود بالاسود، و كان يرتدى افخر الملبوس و لقد روى الصدوق بسنده عن علي بن مهزيار قال:

رأيت ابا جعفر الثاني (الجواد) يصلى الفريضة و غيرها فى جبه خزر طاروى، و كسانى جبه خز، و ذكر انه لبسها على بدنه و صلى فيها و امرنى بالصلاة فيها.

و كان افضل اهل زمانه علما، و عملا، و ورعا، و عبادة، و سخاء، و كرما، و فى جميع صفات الفضل، و قد روى عنه من انواع العلوم و اجوبة المسائل المشكلة الشىء الكثير.

و قد نقلت عن اتساع دائرة فقهه و إحاطته بالاحكام و عمقه العجائب و الغرائب و من ذلك كان استفتاء يحيى بن اكنم له عن محرم قتل صيدا فما يكون حكمه؟ فقال له ابو جعفر الجواد:

أقتله فى حل او حرم؟ عالما كان المحرم ام جاهلا؟ قتله عمدا او خطأ؟

حرا كان المحرم او عبدا؟ صغيرا كان ام كبيرا؟ مبتدئا بالقتل ام معيدا؟

من ذوات الطير كان الصيد ام من غيرها؟ من صغار الصيد كان ام من كباره؟

مصرا على ما فعل ام نادما؟ فى الليل كان قتله للصيد فى او كارها ام نهارا و عيانا؟ محرما كان بالعمرة اذ قتله او بالحج كان محرما؟

و قد شرح بعد ذلك هذه الاحوال ليحيى بن اكنم و أبان له ان الأحكام لتختلف باختلاف هذه الأوضاع ثم ادلى بحكم كل قضية!!

قال الطبرسى فى اعلام الورى. كان الامام محمد الجواد قد بلغ فى وقته من الفضل و العلم و الحكم و الآداب مع صغر سنه لم يساوه فيها احد من ذوى الاسنان من السادة و غيرهم و لذلك كان المأمون مشغوبا به لما رأى من علو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٣٣

رتبته و عظيم منزلته فى جميع الفضائل فزوج ابنته، و كان متوفرا على إعظامه و توقيره و تجليله. قال المفيد كان الامام بعد علي بن موسى الرضا، ابنه محمد بن علي المرتضى بالنص عليه، و الاشارة من ابيه اليه، و تكامل الفضل فيه، و كان المأمون قد شغف به لما رأى من فضله مع صغر سنه و بلوغه فى العلم و الحكمة و الأدب و كمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ اهل زمانه و قال- لما أراد المأمون ان يزوج ابنته ام الفضل أبا جعفر بن علي بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم و استكبروه و خافوا ان ينتهى الأمر عنده معه الى ما انتهى اليه مع ابنه الرضا، فخاضوا فى ذلك و اجتمع معهم اهل بيته الادنون منه و قالوا- نشدك الله يا امير المؤمنين ان تقيم على هذا الأمر الذى عزم عليه من تزويج ابن الرضا فانا نخاف ان تخرج به عنا امرا قد ملكتناه الله، و تنزع منا عزا قد البسناه الله، و قد عرفت ما بيننا و بين هؤلاء القوم قديما و حديثا، و قد كنا فى وهلة من عملك مع الرضا ما عملت حتى كفانا الله المهم من ذلك فالله الله ان تردنا الى غم قد انحسر عنا، و اصرف رأيك عن ابن الرضا و اعدل الى من تراه من اهل بيتك يصلح لذلك دون غيرهم،

فقال لهم المأمون «اما ما كان بينكم وبين آل ابي طالب فأنتم السبب فيه، و لو انصفتهم القوم لكانوا اولى بكم، و اما ما كان يفعله من قبلى بهم فقد كان به قاطعا للرحم، و أعوذ بالله من ذلك، و والله ما ندمت على ما كان منى من استخلاف الرضا، و لقد سألته ان يقوم بالأمر و انزعه عن نفسى فأبى، و كان أمر الله قدرا مقدورا، و اما ابو جعفر محمد بن على فقد اخترته لتبريزه على اهل الفضل كافة فى العلم و الفضل مع صغر سنه، و الأعجوبة فيه بذلك، و انا ارجو ان يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلموا ان الرأى ما رأيت فيه». و استأذن الجواد المأمون فى الحج و خرج من بغداد و معه زوجته (ام الفضل) و أقام بالمدينة و هى معه حتى توفى المأمون فى رجب سنة ثمان عشرة و مائتين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٣٤

و بويح اخوه المعتصم فى شعبان من تلك السنة فتخوف المعتصم من الجواد و مكائته فى القوم فطلبه الى بغداد فتجهز و خرج من المدينة الى بغداد و حمل معه زوجته ام الفضل. و قال المسعودى فى (اثبات الوصية) لما انصرف ابو جعفر الجواد الى العراق لم يزل المعتصم و جعفر بن المأمون يدبران و يعملان الحيلة فى قتله حتى سماه.

و روى العياشى فى تفسيره عن زرقان صاحب احمد بن ابي داود (قاضى المعتصم) قال:

رجع ابن ابي داود ذات يوم من عند المعتصم و هو مغتم فسأله فقال:

وددت اليوم انى قد مت منذ عشرين سنة فقلت لم ذاك؟ فقال لما كان من هذا الاسود ابي جعفر محمد بن على بن موسى، قلت و كيف ذلك؟ قال ان سارقا اقر على نفسه بالسرقة و سأل الخليفة تطهيره باقامة الحد عليه، فجمع لذلك الفقهاء و أحضر محمد بن على فسألنا عن القطع فى اى موضع يجب ان يقطع فقلت من الكرسوع (و هو طرف الزند الناتىء مما يلي الخنصر) فقال و ما الحجته فى ذلك فقلت لأن اليد هى الأصابع و الكف الى الكرسوع يقول الله تعالى فى التيمم (فامسحوا بوجوهكم و ايديكم) و اتفق معى على ذلك قوم و قال آخرون بل يجب القطع من المرفق لأن الله تعالى لما قال (و ايديكم الى المرافق) دل على ان حد اليد هو المرفق. فالتفت الى محمد بن على فقال ما تقول فى هذا يا ابا جعفر؟ فقال تكلم القوم فيه يا امير المؤمنين، قال دعنى مما تكلموا به اى شىء عندك؟ قال اعفنى من هذا، قال اقسمت عليك بالله لما اخبرت بما عندك فيه، قال اما اذ أقسمت على بالله فانى اقول انهم اخطأوا فيه السنة، فان القطع يجب ان يكون من مفصل اصول الأصابع فيترك الكف، قال و ما الحجته فى ذلك؟ قال: قول رسول الله صلى الله عليه و آله:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٣٥

السجود على سبعة اعضاء: الوجه، و اليدين، و الركبتين، و الرجلين.

فاذا قطعت يده من الكرسوع، او المرفق، لم يبق له يد يسجد عليها و قال الله تعالى (و ان المساجد لله) يعنى به هذه الاعضاء السبعة التى يسجد عليها، و ما كان لله لم يقطع، فأعجب المعتصم ذلك و أملى و أمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف.

من اقواله و حكمه

روى عن الامام ابي جعفر الشىء الكثير من الحكم و الآداب و الأدعية البليغة و من هذه ما جرى على الألسن مجرى الأمثال قوله:

مرقد الأمامين الكاظمين فى (الكاظمين)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٣٦

من اطاع هواه اعطى عدوه منا

و من هجر المداراة قاربه المكروه
و من عمل على غير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح
و من لم يعرف الموارد أعيته المصادر، و من انقاد الى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرّض نفسه للهلكة و العاقبة المتعبة.
راكب الشهوات لا تستقال له عثره
كفى بالمرء خيانه ان يكون أميناً للخونه
عزّ المؤمن غناه عن الناس، لا يضرك سخط من رضاه الجور

اولاده

اولاده اربعة: علي الهادي، و موسى و فاطمة، و إمامة

وفاته

و كانت وفاته ببغداد يوم السبت او الثلاثاء في اواخر ذى القعدة سنة عشرين و مائتين و له خمس و عشرون سنة و شهران و ثمانية و عشرون يوماً سنة (٨٣٥) م و دفن في مقابر قريش (الكاظمين بالجانب الغربي).
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٣٧
الطيب، العسكري، و هذا اللقب الاخير يشترك به هو و ابنه الحسن لان المحلة التي سكنها بسامراء كانت تسمى (عسكرا).

صفاته:

قال الشيخ المفيد في (الارشاد) و كان الامام بعد ابي جعفر ابنه الحسن علي بن محمد لاجتماع خصال الامامة فيه و تكامل فضله، و انه لا- وارث لمقام ابيه سواه، و ثبوت النص عليه بالامامة و الاشارة اليه من ابيه بالخلافة و قال ابن حجر في (الصواعق) كان ابو الحسن الهادي وارث ابيه علما و سخاء. و قال علي جلال في كتابه (الحسين) كان الامام الهادي فقيها فصيحا جميلا مهيبا.
و يقول القطب الراوندي في (الخرايج) كان الامام علي الهادي قد اجتمعت فيه خصال الامامة و تكامل فضله و علمه و خصال الخير، و كانت اخلاقه كلها خارفة للعادة كأخلاق آباءه، و كان بالليل مقبلا على القبلة لا يفتر ساعه، و قال ابن شهر آشوب في (المناقب) كان الامام اطيب الناس بهجة، و أصدقهم لهجة، و أملحهم من قريب، و أكملهم من بعيد، اذا صمت علتة هيبه الوقار، و اذا تكلم سماه البهاء، و هو من بيت الرسالة و الامامة و مقر الوصية و الخلافة.
أشخصه المتوكل العباسي من (مدينة الرسول) الى (سامراء) و هو في سن العشرين و أكثر بقليل قال سبط ابن الجوزي في (التذكرة) كان سبب إشخاص ابي الحسن الهادي من المدينة هو ان المتوكل كان شديد البغض لعلي و اولاده فبلغه مقام علي الهادي بالمدينة و ميل الناس اليه فخاف منه و قد كتب اليه (بريحة) العباسي صاحب الصلاة بالحرمين بذلك، فدعا المتوكل بقائد من قواده و هو يحيى بن هرثمة و ضم اليه ثلاثمائة فارس و كتب معه كتابا لطيفا الى علي الهادي و أمره ان يسير الى المدينة و ان يحضر الامام، قال يحيى فلما وصلت مدينة الرسول و بلغ اهلها مجييء و لأى سبب
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٣٨

الامام العاشر ابو الحسن على الهادي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب

ولادته

هو الامام العاشر من أئمة اهل البيت. ولد بقرية من نواحي المدينة المنورة يقال لها (صربا) و هذه القرية على ثلاثة اميال من (المدينة) المنورة أسسها الامام الكاظم. ولد يوم الجمعة او الثلاثاء النصف من ذى الحجة او في شهر رجب سنة اثنى عشرة و مائتين، و روى الكليني انه ولد في رجب سنة ٢١٤ المصادف ٨٢٩ م.

امه ام ولد و اسمها (سمانة) المغربية، و يكنى بأبي الحسن لا- غير، اما ألقابه فهي الهادي، النجيب، المرتضى، النقي، العالم، الفقيه، المؤمن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٣٩

مرقد الأمامين علي الهادي و الحسن العسكري بسامراء

ضجوا ضجيجا عاليا ما سمع الناس بمثله خوفا على علي الهادي، و قامت الدنيا على ساق، لانه كان محسنا اليهم ملازما للمسجد، و لم يكن عنده ميل الى الدنيا فجعلت أسكنهم، و احلف لهم اني لم اؤمر فيه بمكروه و انه لا- بأس عليه، ثم فتشت منزله فلم اجد فيه الا مصاحف و أدعية و كتب العلم فعظم في عيني و توليت خدمته بنفسي، و احسنت عشرته، فلما وصلت به الى بغداد (قال المسعودي) فخرج اسحق بن ابراهيم و جملة القواد فتلقوه- و اسحق بن ابراهيم هو و الى بغداد- قال يحيى فقال لي يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله، و المتوكل هو من تعلم، فان حرصته عليه قتله، و كان رسول الله خصمك يوم القيامة، فقلت له و الله ما وقعت منه الا على كل امر جميل، ثم صرت الى (سر من رأى) فبدأت بوصيف التركي فأخبرته بوصوله، فقال و الله لئن سقطت منه شعرة لا يطالب بها سواك، فعجبت كيف وافق قوله قول اسحاق، فلما دخلت على المتوكل سألتني عنه فأخبرته بحسن سيرته و سلامه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٤٠

نيته و ورعه و زهادته و اني فتشت داره فلم اجد فيها غير المصاحف و كتب العلم و ان اهل المدينة خافوا عليه فاكرمه المتوكل و احسن اجازته و روى الناس عنه من اجوبة المسائل في الفقه و غيره من انواع العلوم الشيء الكثير و من اخباره مع المتوكل ما روى ابن خلكان في (الوفيات) انه «سعى بالامام الهادي الى المتوكل بان في منزله سلاحا و كتبا من شيعة اهل قم، و انه يطلب الامر لنفسه و انه عازم على الوثوب، فبعث اليه جماعة من الاتراك فهجموا عليه داره ليلا فوجدوه على الارض و عليه مدرعة صوف و هو جالس على الرمل مستقبل القبلة يقرأ القرآن و يترنم بآيات من الوعد و الوعيد و ليس بينه و بين الارض بساط الا الرمل فحمل على حاله الى المتوكل و المتوكل في مجلس الشراب فدخل عليه و الكاس في يد المتوكل فلما رآه هابه و عظمه و اجلسه الى جانبه و ناوله الكاس التي كانت في يده فقال و الله ما يخامر لحمي و دمي قط، فأعفني فاعفاه، ثم قال له انشدني شعرا فقال اني قليل الرواية للشعر فقال لا بد، فانشده:

باتوا على قتل الاجبال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القل

و استنزلوا بعد عز من معاقلهم و اودعوا حفرا يا بشما نزلوا

ناداهم صارخ من بعدما رحلوا اين الاسرة و التيجان و الحلل؟

اين الوجوه التي كانت محجبة من دونها تضرب الاستار و الكلل؟

فافصح القبر عنهم حين ساي لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتل

قال فبكي المتوكل حتى بلت لحيته دموع عينيه و بكى الحاضرون و صرفه معظما مكرما»

من اقواله و حكمه

من جمع لك وده و رأيه فاجمع له طاعتك
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٤١
 من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره
 الدنيا سوق ربح فيها قوم و خسر آخرون
 من رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه
 الناس فى الدنيا بالاموال و فى الآخرة بالاعمال
 و قال لشخص و قد اكثر من افراط الثناء عليه: اقبل على شانك فان كثرة الملق يهجم على الظنة، و اذا حللت من اخيك فى محل الثقة
 فاعدل عن الملق الى حسن النيء
 المصيبة للصابر واحدة و للجازع اثنتان
 خير من الخير فاعله، و اجمل من الجميل قائله، و ارجح من العلم حامله و شر من الشر جالبه، و اهول من الهول راكمه،

اولاده

اربعة ذكور و بنت واحدة و هم:
 ابو محمد الحسن، الحسين، محمد المعروف (بالسيد محمد سبع الدجيل) جعفر، و عائشة

وفاته

قال المسعودى فى (اثبات الوصية) اعتل ابو الحسن على الهادى علته التى توفى فيها فاحضر أبا محمد ابنه و اوصى اليه، ثم توفى شهيدا مسموما
 قال ابن بابويه سمه المعتمد، قال المسعودى و لما توفى اجتمع فى داره جملة بنى هاشم
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٤٢

الامام الحادى عشر ابو محمد الحسن العسكرى بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر، بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابي طالب

ولادته

هو الحادى عشر من ائمة الشيعة ولد بالمدينة الطيبة يوم الجمعة او الاثنين فى ربيع الاول او الثامن من ربيع الآخر سنة اثنتين و ثلاثين و مائتين مصادف ٨٤٥م و شخص الى العراق بشخص والده اليها، امه ام ولد يقال لها (سوسن) او (حديثه) او (سليلى) قال السيد الامين و هو الاصح و من الجائز انها تسمى بجميع ذلك، و كانت من النساء الصالحات، العارفات، كنيته ابو محمد، و اشهر القابه (العسكرى)

و يلقب ايضا بالتقى، و الخالص، و الزكى، و كان ابوه و جده يعرف كل واحد منهم بابن الرضا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٤٣

صفاته

قال المفيد في (الارشاد) كان الامام بعد ابى الحسن بن على بن محمد ابنه ابا محمد الحسن بن على لاجتماع خلال الفضل فيه و يقدمه على كافة اهل عصره فيما يوجب له الامامة و يقتضى له الرياسة من العلم و الزهد، و كمال العقل و العصمة و الشجاعة و الكرم و كثرة الاعمال المقربة الى الله جل اسمه ثم لنص ابيه عليه و اشارته بالخلافة اليه. ثم اورد جملة من الاخبار الدالة على نص ابيه عليه بالامامة من بعده، و يظهر من الروايات ان ابا الحسن العسكري و اخاه الحسين بن على يسميان بالسبطين تشبيها لهما بجديهما السبطين (الحسن و الحسين)

و قال القطب الراوندى في (الخرايج) كان الحسن العسكري اخلاقه كاخلاق رسول الله و كان رجلاً اسمر، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، حديث السن له جلاله و هيبة و هيئة حسنة يعظمه العامة و الخاصة اضطراراً، يعظمونه لفضله، و يقدمونه لعفافه، و صيانته و زهده، و عبادته و صلاحه، و اصلاحه، و كان جليلاً، نبيلاً، فاضلاً، كريماً، يحمل الاثقال و لا يتضعض للنوائب، اخلاقه خارقة للعادة على طريقة واحدة، و فى جملة من الروايات ان، (المعتمد) كان قد حبس ابا محمد الحسن العسكري، روى المفيد بسنده عن الكليني انه دخل العباسيون على صالح بن وصيف عند حبس ابى محمد فقالوا له ضيق عليه و لا توسع، فقال لهم ما اصنع به و قد وكت به رجلين شر من قدرت عليه فقد صارا من العبادة و الصلاة و الصيام الى امر عظيم، ثم امر باحضار الموكلين فقال لهما: و يحكما ما شانكما فى امر هذا الرجل فقالا- ما نقول فى رجل يصوم النهار، و يقوم الليل كله، لا يتكلم و لا يتشاغل بغير العبادة، فاذا نظر الينا ارتعدت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٤٤

فرائصنا، و داخلنا ما لا نملكه من انفسنا، فلما سمع العباسيون ذلك انصرفوا خائبين

و بسنده انه حبس ابو محمد الحسن العسكري عند على بن اوتاش، و كان شديد العداوة لآل محمد غليظا على آل ابى طالب فما اقام الا يوماً حتى وضع خديه له و كان لا يرفع بصره اليه اجلالاً له و اعظاماً؛ و خرج من عنده و هو احسن الناس بصيرة و احسنهم فيه قولاً.

و فى اعيان الشيعة قال روى الكليني فى (الكافى) و الصدوق فى (كمال الدين) مدخل الروضة العسكرية بسامراء

بسنديهما عن جماعة و بين الروايتين تفاوت بالزيادة و النقصان و نحن نجمع بينهما- قالوا حضرنا فى شعبان سنة ثمان و سبعين و مائتين بعد وفاة الحسن العسكري بثمانى عشرة سنة او اكثر مجلس احمد بن عبد الله بن خاقان و هو عامل السلطان يومئذ على الخراج و الضياع بكورة قم، و كان شديد النصب، و الانحراف عن اهل البيت، فجرى فى مجلسه ذكر المقيمين من آل ابى طالب (بسر من رأى) و مذاهبهم و صلاحهم و اقدارهم عند السلطان فقال ما رأيت و لا اعرف (بسر من رأى) رجلاً من العلوية مثل الحسن بن على بن محمد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٤٥

بن على الرضا فى هديه و سكونه، و عفافه، و نبهه، و كرمه عند اهل بيته و السلطان و بنى هاشم كافة، و تقديمهم اياه على ذوى السن منهم و الخطر، و كذلك حاله عند القواد، و الوزراء، و الكتاب، و عامة الناس. كنت يوماً قائماً على رأس ابى و هو يوم مجلسه للناس اذ دخل حجابهم فقالوا:

ابو محمد بن الرضا بالباب، فقال بصوت عال: ائذنوا له، فتعجبت منه و منهم من جسارتهم ان يكّنوا رجلاً بحضرة ابى- و لم يكن عنده

الا خليفه، او ولى عهد، او من امر السلطان ان يكنى - فدخل رجل اسم اعين حسن القامة، جميل الوجه جيد البدن، حديث السن له جلاله و هيئه حسنة فلما نظر اليه ابى قام فمشى اليه خطوات، و لا اعلمه فعل هذا باحد من بنى هاشم، و القواد، و اولياء العهد، فلما دنا منه عانقه، و قبل وجهه، و صدره، و منكبيه، و اخذ بيده و اجلسه على مصلاه الذى كان عليه و جلس الى جنبه مقبلا عليه بوجهه، و جعل يكلمه و يفديه بنفسه، و ابويه، و انا متعجب مما ارى منه اذ دخل الحاجب فقال جاء (الموفق) و هو اخو المعتمد الخليفة العباسى - و كان الموفق اذا دخل على ابى تقدمه حجابه و خاصة قواده - فقاموا بين مجلس ابى و بين باب الدار سماطين الى ان يدخل و يخرج فلم يزل ابى مقبلا على ابى محمد يحدثه حتى نظر الى غلمان الموفق، فقال له حينئذ اذا شئت جعلنى الله فداك ابا محمد ثم قال لحجابه: خذوا به خلف السماطين لا يراه هذا - يعنى الموفق - فقام و قام ابى فعانقه و مضى فقلت لحجابه ابى و غلمانه و يحكم من هذا الذى كنيتموه بحضرة ابى، و فعل به ابى هذا الفعل؟ فقالوا هذا علوى يقال له الحسن بن على و يعرف بابن الرضا، فازددت تعجبا و لم ازل يومى ذلك قلقا متفكرا فى امره، و امر ابى، و ما رأيت منه حتى كان الليل، و كانت عادته ان يصلى العتمه ثم يجلس فينظر فيما يحتاج اليه من المؤامرات و ما يرفعه الى السلطان فلما صلى و جلس جئت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٤٦

فجلست بين يديه، فقال ألك حاجة؟ فقلت نعم، فان اذنت سألتك عنها، قال اذنت، قلت: من الرجل الذى رأيتك بالغداه فعلت به ما فعلت من الاجلال و الكرامة و فدّيته بنفسك و ابويك؟ قال يا بنى ذاك امام الرفضه، الحسن بن على المعروف بابن الرضا. و سكت ساعه، ثم قال: لو زالت الامامه عن خلفاء بنى العباس ما استحقها احد من بنى هاشم غيره لفضله، و عفاه، و صيانته، و زهده، و عبادته و جميل اخلاقه، و صلاحه، و لو رايت اباه رايت رجلا جزلا، نبلا، فاضلا، فازددت قلقا، و تفكرا، و غيظا على ابى و ما سمعته منه فيه و رايت من فعله به، فلم تكن لى همه بعد ذلك الا- السؤال عن خبره، و البحث عن امره، فما سألت احدا من بنى هاشم و القواد، و الكتاب، و القضاة، و الفقهاء، و سائر الناس الا وجدته عندهم فى غايه الاجلال و الاعظام و المحل الرفيع و القول الجميل و التقديم له على جميع اهل بيته و مشائخه فعظم قدره عندى اذ لم ار له وليا و لا عدوا الا و هو يحسن القول فيه، و الثناء عليه، فقال له بعض من حضر مجلسه من الاشعريين فما حال اخيه جعفر؟ فقال و من جعفر فيسأل عن خبره او يقرن به؟ و لقد ورد على السلطان و اصحابه فى وقت وفاة الحسن بن على ما تعجبت منه و ما ظننت انه يكون، و ذلك انه لما اعتل الحسن بعث الى ابى ان الرضا قد اعتل، فركب من ساعته الى دار الخلاله ثم رجع مستعجلا و معه خمسئه من خدم امير المؤمنين كلهم من ثقافته و خاصته فيهم (نحريه) و امرهم بلزوم دار الحسن و تعرف حاله، و بعث الى نفر من المتطبيين فأمرهم بالاختلاف اليه و تعهده صباحا و مساء، فلما كان بعد ذلك بيومين او ثلاثه أخبر انه قد ضعف، فركب حتى بكر اليه و أمر المتطبيين بلزوم داره، و بعث الى قاضى القضاة و امره ان يختار عشره ممن يوثق به فى دينه و ورعه، و امانته، فبعث بهم الى دار الحسن و امرهم بلزومه ليلا و نهارا، فلم يزالوا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٤٧

هناك حتى توفى، فلما ذاع خبر وفاته صارت (سر من رأى) ضجعه واحده:

مات ابن الرضا، ثم اخذوا فى تجهيزه و عطلت الاسواق، و ركب بنو هاشم، و القواد، و الكتاب، و القضاة، و المعدلون، و سائر الناس الى جنازته فكانت (سر من رأى) يومئذ شبيها بالقيامه، فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان الى ابى عيسى بن المتوكل فامر بالصلاة عليه فلما وضعت الجنازة دنا ابو عيسى منه، فكشف عن وجهه فعرضه على بنى هاشم من العلوية و العباسية، و القواد، و الكتاب، و القضاة، و المعدلين، و قال: هذا الحسن بن على بن محمد بن الرضا مات حتف انفه على فراشه و حضره من خدم امير المؤمنين فلان، و فلان و من المتطبيين فلان و فلان، ثم غطى وجهه و صلى عليه و كبر خمسا، و امر بحمله فحمل من وسط داره، و دفن فى البيت الذى فيه ابوه، و روى انه مضى مسموما و قد سمّه المعتمد

من اقواله و حكمه

من الفواقير التي تقصم الظهر جار ان راى حسنة اطفاهها، و ان راى سيئة افشاها.
 حب الابرار للابرار ثواب للابرار، و حب الفجار للابرار، فضيلة للابرار، و بغض الفجار للابرار زين للابرار، و بغض الابرار للفجار
 خزي على الفجار،
 و قال لشيعة «اوصيكم بتقوى الله، و الورع فى دينكم، و الاجتهاد لله، و صدق الحديث، و اداء الامانة الى من ائتمنكم من بر او فاجر،
 و طول السجود، و حسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه و آله و سلم: صلوا فى عشائهم، و اشهدوا جنازتهم، و عودوا
 مرضاهم، و ادوا حقوقهم، فان الرجل منكم اذا ورع فى دينه، و صدق فى حديثه، و ادى الامانة،
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٤٨

و حسن خلقه مع الناس، قيل هذا شيعى، فيسرنى ذلك، فاتقوا الله و كونوا زينا، و لا تكونوا شينا، جروا الينا كل مودة، و ادفعوا عنا كل
 قبيح، فانه ما قيل فينا من حسن فنحن اهله، و ما قيل من سوء فما نحن كذلك، لنا حق فى كتاب الله و قرابة من رسول الله، و تطهير
 من الله»

من مدح غير المستحق فقد قام مقام المتهم
 لا يعرف النعمة الا الشاكر و لا يشكر النعمة الا العارف
 ان للسقاء مقدارا فان زاد عليه فهو سرف، و للحزم مقدارا فان زاد عليه فهو جبن، و للاقتصار مقدارا فان زاد عليه فهو بخل، و للشجاعة
 مقدارا فان زاد عليه فهو تهور

وفاته

توفى (بسر من راى) يوم الجمعة مع صلاة الغداء لثمان خلون من ربيع الاول على المشهور سنة ستين و مائتين ٨٧٣ م و عمره ثمان و
 عشرون او تسع و عشرون سنة
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٤٩

الامام الثانى عشر محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على بن جعفر بن محمد بن الحسين بن على بن ابي طالب**ولادته:**

هو محمد بن الحسن العسكري الامام الثانى عشر الذى تنتهى عنده الامانة عند الشيعة الاثنى عشرية و يوصف باسما متعددة و كنى
 كثيرة اشهرها (المهدى) و صاحب الزمان، و الامام المنتظر، و الحجء، ولد ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥ (بسر من رأى) و فى عصر
 المعتمد، و امه ام ولد و اسمها (نرجس) و قيل انها احدى بنات قيصر الروم.

صفاته

ايض الوجه، ناصع الجبين، اشم الانف، كث اللحية، اكحل العينين، براق الثنايا- كما استخرجه الامين من مختلف الروايات- و هو شثن الكفين،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٥٠

معطوف الركبتين، و قيل انه يشبه رسول الله في خلقه الرضى، و جاء في رواية (النعمانى) انه يشبه النبي في الخلق و الخلق و سمي بالمنتظر لان خروجه منتظر حين يعم العالم الجور و الظلم و تنعدم الانسانية و يسود الضلال بين الناس و تضمحل المقاييس فيخرج مؤيدا بمشيئة الله (و يملك شرق الارض و غربها فيملاً الارض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا) و نصوص اخرى تقول (و يقسم المال بالسوية، و يعدل في الرعية، و يفصل في القضية)

و قد انكر البعض وجود المهدي اصلا و قال البعض انه لم يولد بالمره و قال البعض بل توفى و هو صغير و ذلك بسبب ما احيط به من جو الكتمان الذى اقتضته الاحوال السياسية يومذاك و استدعت اخفاءه الا عن المقربين و الصالحين من الادنين اليه الذين تولوا السفارة بينه و بين بقية شيعته و الرد على استفئاتهم و مشاكلهم، و قد قضى ورود ذكره- من قبل اكابر اهل السنة فضلا عن الشيعة، و رجال التاريخ، و رواه الحديث و الاخبار، عند مختلف المذاهب- على كل شبهة و كل ظن، و قد لخص (الامين) فى استعراضه لسيرة المهدي من طرق اهل السنة طائفة كبيرة من الاحاديث و الاخبار التى تخص المهدي و كونه الامام الثانى عشر، و كونه المنتظر كما هو عليه رأى الشيعة الاثنى عشرية من انه سيخرج و يملأ الارض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا.

و من المفيد الاشارة الى من قال بوجود المهدي و وافق الشيعة من علماء اهل السنة كأبى سالم كمال الدين محمد بن طلحة القرشى النصيبى (الشافعى) فى كتابه (مطالب السؤل فى مناقب آل الرسول) فقد قال عنه «المهدي الحجة الخلف الصالح المنتظر» ثم قال «و اما مولده (فبسر من رأى) فى ثالث و عشرين رمضان سنة ٢٥٨ للهجرة».

و كأبى عبد الله محمد بن يوسف الكنجى (الشافعى) فى كتابه (البيان فى اخبار صاحب الزمان) و يشتمل هذا الكتاب على خمسة و عشرين باب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٥١

و تناول فى كل باب من الابواب الاربعة و العشرين عدة احاديث عن احوال (صاحب الزمان) من طريق اهل السنة. و كنوز الدين على بن محمد بن الصباغ (المالكي) فى (الفصول المهمة فى معرفة الائمة) فقد جاء فى الفصل الثانى عشر قوله (الفصل الثانى عشر، فى ذكر ابى القاسم الحجة الخلف الصالح ابن ابى محمد الحسن الخالص و هو الامام الثانى عشر، و تأريخ ولادته، و دلائل امامته الخ) و حين تطرق المؤلف فى كتابه هذا الى ذكر الامام الحسن العسكرى و والد المهدي قال بهذا النص:

«و خلف ابو محمد الحسن رضى الله عنه من الولد ابنه الحجة القائم المنتظر لدولة الحق، و كان قد اخفى مولده، و ستر امره لصعوبة الوقت و خوف السلطان ان يطلبه من الشيعة و محبسهم، و القبض عليهم»

و كشمس الدين ابى المظفر يوسف بن عبد الله البغدادي (الحنفى) المعروف بسبب ابن الجوزى فى كتابه (تذكرة خواص الامة فى معرفة الائمة) بعد ان أتى على ترجمة الامام حسن العسكرى بهذا اللفظ «ذكر اولاده- اى اولاد العسكرى- منهم محمد الباقر الامام (فصل) هو محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب عليهم السلام و كنيته ابو عبد الله و ابو القاسم و هو الخلف الحجة و صاحب الزمان و القائم و المنتظر و التالى و هو آخر الائمة».

و كالشيخ محى الدين بن عربى الحاتمى الطائى الاندلسى فى كتابه (الفتوحات المكية) الذى نقل عنه الشعرانى فى (اليواقيت و الجواهر) ما هذا نصه «و عبارة الشيخ محى الدين فى الباب السادس و الستين و الثلاثماية من (الفتوحات)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٥٢

«و اعلموا انه لا بد من خروج المهدي عليه السلام لكن لا يخرج حتى تمتلىء الارض جورا و ظلما فيملؤها قسطا و عدلا و لو لم يكن

من الدنيا الا يوم واحد طول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة و هو من عتره رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من ولد فاطمة رضى الله عنها ... الخ»

و كالشيخ عبد الوهاب الشعراني المصرى فى كتاب (اليواقيت و الجواهر، فى بيان عقائد الاكابر) قال الشعراني ما لفظه «المبحث الخامس و الستون فى بيان ان جميع اشراط الساعة التى اخبرنا بها الشارع حق لا بد ان تقع كلها قبل قيام الساعة و ذلك كخروج المهدي»- الى ان قال- و هو من اولاد الامام الحسن العسكري و مولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥ .. الخ» و كالحافظ محمد بن محمود البخارى (الحنفى) فى كتاب (فصل الخطاب) على ما نقل ما لفظه: «و لما زعم ابو عبد الله جعفر بن ابي الحسن على الهادي رضى الله عنه و ادعى ان اخاه الحسن العسكري رضى الله عنه جعل الامامة فيه سمي الكذاب و هو معروف بذلك، و ابو محمد الحسن العسكري ولده محمد رضى الله عنهما معلوم عند خاصة اصحابه و ثقات اهله».

و كثير غير هؤلاء من اكابر رجال الحديث و التاريخ الذين وردت تراجمهم فى المعاجم و الاعلام بشىء كثير من التجلة و أشير الى كتبهم بشىء كثير من الاعجاب ممن خص كل كتابه او بعض فصوله او قسما من اخباره بالحجة المهدي، و من هؤلاء السيد جمال عطاء الله فى كتابه (روضه الاحباب) و نور الدين عبد الرحمن بن قوام الدين الجامى (الحنفى) و قيل الشافعى، فى كتابه (شواهد النبوة) و هو صاحب كتاب (نفحات الانس)، بالفارسيه و (سلسله الذهب) الذى طعن فيه بطوائف (الرافضية) على حد قول صاحب كتاب (الشقائق النعمانية) و مع ذلك فقد أفاض فى ذكر المهدي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٥٣

مدخل السرداب المعروف بسرداب الغيبة فى سامراء

و غالى فى ايراد معجزاته، و العارف عبد الرحمن من مشائخ الصوفية و قد ذكرت اخباره فى كتاب (مرآة الاسرار) .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٥٥

عقائد الشيعة و أصول دينهم كتبها جعفر الخليلي

إشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٥٧

عقيدة الشيعة و أصول دينهم

إشارة

الشيعة الامامية اثنا عشرية هم الاكثرية العامة. بين طوائف الشيعة، و انما سمو بالاثني عشرية لانهم يحصرون أئمتهم فى اثني عشر اماما، و هذا احد الاختلافات المهمة بينهم و بين طوائف المسلمين و الشيعة الآخرين، و يسمى الشيعة الامامية (بالجعفرية) ايضا ذلك لتلقى قواعد فقهم و أصول مذهبهم من الامام السادس جعفر بن محمد الصادق و لان تجاهرهم بالتشيع كان ابرز و أظهر فى ايام الصادق (ع) فى القرن الثانى الهجرى.

اما نفوس الشيعة اليوم فليس هنالك احصاء مضبوط يمكن الركون اليه و الكثير ممن عنوا بالاحصاء اعتمدوا التخمين اكثر من الاعتماد على الاحصاءات الرسمية، و لعل للعواطف دخلا فى الزيادة و النقصان الوارد فى التخمينات و فى الاحصاءات الرسمية، و مع ذلك فهذه التخمينات لم تتجاوز المائة مليون عدا للشيعة الاثني عشرية حسب الاستنتاجات.

و كثافة سكان الامامية فى العالم هى فى (العراق) و (ايران) و (الهند)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٥٨

و (الباكستان) و (لبنان) و شرقي افريقيا كزنجبار و دار السلام، و على ان العتبات المقدسة من مرقد أئمة الشيعة الامامية هي المراكز الدينية و العواصم المذهبية، فان هذه المراكز و العواصم تنتقل اهميتها حسب العوامل اكثر من عشرين الف مصل يصلون صلاة العيد في احد ميادين كربلاء

الاجتماعية، و الحوادث السياسية و الاقتصادية، و مع ذلك فكثيرا ما انحصرت الزعامة الروحية و المرجعية المذهبية، و دراسة العلوم الدينية، و الفلسفية، و اللغة و الادب (بعتبة) دون اخرى، و كثيرا ما تساوت الاهمية العلمية و الزعامة في عتبتين او اكثر في زمن واحد من حيث الاهمية العلمية و الزعامة الروحية بحيث يتعذر تفضيل عتبة على اخرى من حيث اهميتها الروحية و لكن هذا لا يعنى ان مركز الزعامة الروحية وقف على مركز (العتبة)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٥٩

فكثيرا ما انحصرت الزعامة الدينية الكبرى كلها او جلها في مدن ليست لها علاقة بالعتبات المقدسة كبغداد، و الحلء، و اصفهان مثلا، و مع ذلك فقد احتفظت بعض العتبات بكونها عاصمة للشيعة الاثني عشرية لمدة اطول بسبب عوامل تخص نبوغ ساكنيها من العلماء، و نشاط العلم، و مدى الشهرة التي اكتسبتها، و ان من هذه العتبات التي احتفظت بزعامة الشيعة مدة اطول هي (النجف) التي تعتبر اليوم المرجع المهم، و مصدر الفقه الشيعي، و منبع الفتاوى المذهبية بين اغلب مراكز الشيعة الامامية.

«يقول الشيخ على الشرقي للشيعة مدن علمية تعاقبت في الظهور حسب الاحوال الاجتماعية و السياسية التي تنقلت بهم من مركز الى مركز و من وقت الى وقت فكانت (الكوفة) و كانت (قم) ثم (الحلة السيفية) ثم (حلب) ثم (شيراز) ثم (اصفهان) ثم (كربلاء) ثم (النجف)، و ربما كانت (جبع) احدى مدن عامله و (الصباغية) احدى مواقع البطائح، و (الرماحية) احدى مدن خزاعة في الفرات الاوسط من المراكز العلمية،

و كل هذه المدن كان لها في بعض الاوقات السلطة الزمنية و الدينية و كانت محطات علمية توزع تلاميذها على الاقطار الشيعية و يهاجر اليها رواد العلم و طلابه و في كل منها حتى اليوم اثار علمية ففي (قم) زوايا و مدارس و خوانق قديمة، و في شيراز محلة كبيرة تعرف بمحلة العلماء و للعرفان الشيرازي و الادب الشيرازي انتشار و شهرة، و كل تاريخ (الحلة) علم و ادب، و كتاب المسائل الحلية يشهد بما كان لحلب من تاريخ الشيعة؛ و تكثر في (اصفهان) و بلاد (عامله- لبنان) المدارس التاريخية و المحلات العلمية، و قبور العلماء الشهيرة، و اكثر الكتب الحية و التأليف الممتعة التي بين ايدينا اليوم هي:

للقي، و الحلبي، و الحلبي، و الشيرازي، و العاملي، و الاصفهاني، و الرازي،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٦٠

و الحائري، و الغروي، و قد انتقل النتاج الفكري من كل هذه المدن الى النجف»

و الشيعة يعنون بالعلم، و الفن، و الادب عناية خاصة، و يلتزم فقهاؤهم بالاحاطة التامة باللغة العربية حتى و ان كانوا من غير العرب، و بالتاريخ الاسلامي، و الادب العربي لما يتوقف على ذلك من امور تتعلق بتفسير القرآن و فهم مغازي الحديث، و الخبر، و ما ترمى اليه الشريعة من فلسفة ربما تطلبت استعراض الاديان الاخرى و مقارنتها بالدين الاسلامي، لذلك نبغ من الشيعة عدد كبير من رجالات الفقه و علم الكلام، و اللغة، و الادب و الفنون بمختلف صورها، و قد الفت في ذلك كتب متعددة تطرقت الى هذه الملكات و المواهب، و من اهم هذه الكتب التي صدرت في العصر الاخير كتاب للسيد حسن الصدر الكاظمي باسم (الشيعة و فنون الاسلام) تناول فيه بحث تقدم الشيعة في العلوم و الفنون الاسلامية بصورة واسعة، و قد ترجم هذا الكتاب لاهمية موضوعه الى لغات اجنبية

و الشيعة الاثنا عشرية مسلمون، و يعتقدون ان الاسلام هو النطق بالشهادتين: بان يقول المسلم او من يدخل الاسلام ١- اشهد ان لا اله الا الله ٢- و ان محمدا عبده و رسوله، و على ان الاسلام و الايمان مترادفان و يطلقان على معنى اعم و لكن الايمان اعلى درجة من الاسلام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٦١

«قَالَتِ الْمَآعِرَابُ أَمَّا قُلٌّ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» و مع ذلك فالاسلام و الايمان وحدة تعتمد بالمعنى الاعم على ثلاثه اركان و هي التوحيد، و النبوة، و المعاد فلو انكر الرجل واحدا منها فليس بمسلم و لا مؤمن، و اذا دان بتوحيد الله و نبوة سيد الانبياء محمد «ص» و اعتقد بيوم الجزاء «من آمن بالله و رسوله و اليوم الآخر» فهو مسلم حقا له ما للمسلمين و عليه ما عليهم: دمه، و ماله، و عرضه حرام

و يطلق الاسلام و الايمان على معنى اخص، و هو يعتمد على تلك الاركان الثلاثة، و ركن الشيعة يؤدون صلاة الجماعة في لندن في المسجد الاسلامي العام

رابع آخر، و هو العمل بالدعائم التي بنى عليها الاسلام و هي خمس:

الصلاة، و الصوم، و الزكاة، و الحج، و الجهاد

و بالنظر الى هذا قالوا «الايمان اعتقاد بالجنان، و اقرار باللسان، و عمل بالاركان»

«من آمن بالله و رسوله و عمل صالحا» فكل مورد في القرآن اقتصر على ذكر الايمان بالله و رسوله و اليوم الآخر، يراد به الاسلام و الايمان بالمعنى الاول، و كل مورد اضيف اليه ذكر العمل الصالح يراد به المعنى الثاني

اصول الدين

اشارة

و اصول الدين عند الشيعة الامامية خمسة:

الاول- التوحيد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٦٢

الثاني- العدل

الثالث- النبوة

الرابع- الامامة

الخامس- المعاد

و من الواجب عند الشيعة ان يتدبر المسلم اصول دينه و عقائده بالتتبع، و اعمال الفكر، و اخذ العقيدة بهذه الاصول عن طريق العقل، فلا يجوز تقليد الغير في العقيدة ما دام الله قد وهبه عقلا يجب عليه ان يستخدمه، و يمرنه في النظر الى الاشياء لاكتساب المعرفة، و فهم الامور، و اخذها بميزان البصيرة و الاصول المنطقية الصحيحة، قال تعالى:

(سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)

و قد ذم الله المقلدين في كتابه العزيز بقوله: (قَالُوا يَلْبَسُونَ مَا الْفَنَاءُ عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا) كما ذم من يتبع ظنونه و رحمه بالغيب فقال: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) *

و الحقيقة ان العقول هي التي فرضت علينا النظر في الخلق و معرفته خالق الكون كما فرضت علينا النظر في دعوة النبي فلا يصح عند الشيعة تقليد الغير في ذلك مهما كان ذلك (الغير) منزله و خطرا)

و قد اجمع العلماء قاطبة على ان اصول الدين لا يكفي فيها الظن و ان وصل الى رتبة الاطمئنان و تاخم العلم و الاعتقاد و ان المعرفة واجبه، و هي عند الشيعة اصلية و مأخوذة من قول الامام علي بن ابي طالب «اول الدين المعرفة» و بناء على هذا فان الواجب يقضى بأن تجيء المعرفة باصول الدين الخمسة عن طريق الدليل و الايمان العقلي، و جاء في ذم التقليد ايضا قوله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٦٣

تبارك و تعالی (إِنَّا وَحَدَّثْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ) و قوله (وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) و قوله (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ)

اما التقليد في الفروع فقد جوزه الشيعة الامامية و قيدوا انفسهم به

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٦٤

١- الوجود و التوحيد

و الركن الاول عند الشيعة هو ان يعتقد المسلم بوجود الله و وحدانيته و كونه متصفا بجميع صفات الكمال و منزها عن جميع صفات النقص و عن كل ما يقتضى الحدوث، و هي ما تسمى بالصفات الثبوتية و الصفات السلبية اما الصفات الثبوتية فهي ثمان:

١- قادر مختار ٢- عالم ٣- حي ٤- مرید كاره ٥- مدرك ٦- قديم ازلي باق ابدى ٧- متكلم ٨- صادق، و اما الخالق، و الرازق، و المحي، و المميت و امثالها فهي من صفات الافعال اما صفات الله السلبية فهي سبع:

١- ليس بمركب ٢- ليس بجسم ٣- ليس محلا للحوادث ٤- ليس بمرئى لا- في الدنيا و لا في الآخرة ٥- ليس له شريك ٦- ليس بمحتاج ٧- نفى المعاني و الصفات عنه

و لكل صفة من الصفات المذكورة الثبوتية و السلبية ادلة عقلية ذات وجوه متعددة، تجعل العقيدة راسخة بوجود الله و وحدانيته و اتصافه بتلك الصفات الثبوتية و السلبية فلوجود الله عز و جل ادلة متعددة نضرب مثلا منها ما اورده الشيخ محمد رضا فرج الله من امثله الخاصة قال:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٦٥

«لا شك ان الموجود من حيث هو منحصر في اثنين: مفيض للوجود، و مفاض عليه الوجود، و بعبارة اجمل: منعم و منعم عليه، و لا بد للاول من كونه موجودا لذاته من غير احتياج الى من يفيض جامع الشيعة في الولايات المتحدة»

عليه الوجود و ينعمه به. بل ان ذاته علة لوجود الغير و للانعام عليه، و لا بد للثاني من احتياجه الى علة له خارجة تفيض به عليه الوجود و تنعم به عليه، و لو كان من افاض الوجود و انعم به يحتاج الى من يفيض عليه الوجود و ينعمه به ايضا للزم ان لا يوجد موجود اصلا، لان الفرض ان من يفيض الوجود به لا يفيض الا بعد ان يفاض عليه الوجود من الغير و ينعم به فهو اذا قبل الانعام بافاضة الوجود عليه غير موجود،

و على هذا الفرض و بهذا القياس فلا موجود ابداء، و لتوضيح ذلك فلنضرب مثلا مصغرا بسلسلة من موجودات عشرة فنقول:

اذا كان (العاشر) الذي هو نهاية السلسلة يستقى فيض وجوده من (التاسع) فهو قبل وجود (التاسع) لم يكن موجودا،

ولنأت الى (التاسع) و نقول اذا كان التاسع يستقى فيض وجوده من (الثامن) فهو اذا قبل وجود (الثامن) لم يكن موجودا ايضا و هكذا كل لاحق في العدد يستقى وجوده من سابقه حسب الفرض، فهو غير موجود قبل وجود سابقه حتى نصل الى (الاول) الذى هو مصدر افاضة الوجود عليها و هو ان كان يستقى وجوده من غيره فهو غير موجود
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٦٦

ايضا، فلا وجود (للعشرة) حينذ لفقدان من يفيض عليها الوجود، و هو الاول الذى افاض الوجود على الثانى حسب الفرض، لان ذلك الاول يفقد من يفيض الوجود عليه، فهو ليس بموجود، و على هذا التقرير فلا موجود فى الكون، بل لا كون، و لا موجود، الا اذا كان ذلك الاول لم يستق فيض وجوده من غيره، و اذا كان كذلك فهو اذا (الموجود لذاته) و هو علّة العلل، و هو موجد الكون، و مفيض الوجود، و المنعم به، فلا محيص عن ان الله تعالى موجود بذاته لذاته منذ الأزل و الى الأبد»

اما ما يتعلق بوحدة الوجود فرأى الشيعة فيه و فلسفتهم مأخوذة من كلمة امير المؤمنين فى الله حيث يقل:
(توحيدة تمييزه عن خلقه، و حكم التمييز بينونه صفة لا بينونه عزلة)

و هى اجمع كلمة لقواعد التوحيد، و التجريد، و التنزيه، و دحض التشبيه، و الصحيح الذى لا غبار عليه ان حقيقة الوجود من حيث هى واحدة لا- تعدد فيها و لا تكرار بل كل حقيقة من الحقائق، و ماهية من الماهيات ايضا بالنظر الى ذاتها مجردة عن كل ما سواها يستحيل تعددها و تكررها. و من قواعد الحكمة المتفق عليها ان (حقيقة الشيء لا تتشى و لا تتكرر، و الماهيات انما تتكرر و تكرر بالوجود)

و يتمسك الشيعة فى عقيدتهم بالوجود بقول الامام الصادق «العبودية جوهره كنهها الربوبية» و التى يمثلها لبيد الشاعر فى قوله:
(الا كل شيء ما خلا الله باطل) و الذى قال فيه النبى (ص) «اصدق كلمة قالها الشاعر لبيد»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٦٧

و التوحيد هو الايمان بان الله واحد لا شريك له و ان ما جاء به القرآن الكريم (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) و قوله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ان هذا هو اساس العقيدة التى يجب ان يثبتها المنطق و يقيمها العقل فى الذهن،

و المقصود من ان الله (موجود وحى) هو انه ليس مثل الجمادات، و ليس لانه ذو روح، و القول بانه (مدرك) اى انه يبصر و لكن لا بعين، و يسمع و لكن ليس باذن، بل يدرك جميع المبصرات و المسموعات، و القول بانه (متكلم) هو انه ينطق و لكن ليس بلسان، بل يوجد الكلام فى بعض مخلوقاته، و القول بانه (ليس محلا للحوادث) اى للامور و الصفات الحادثة و معنى (نفى المعانى و الصفات عنه) هو ان صفاته ليست مغايرة، بل هى عين ذاته،

و يعتقد الشيعة ان كل ما ورد من النقل مما ظاهره خلاف ذلك مثل (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) و (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) و (جَاءَ رَبُّكَ) و (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) و (مَكْرُوهًا وَمَكْرُوهًا لِلَّهِ) و (لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَمَأْمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ) و (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلُوا) و غير ذلك فيجب رده و تأويله الى ما حكم به العقل، او ايكال علمه اليه تعالى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٦٨

٢- العدل

هو الركن الثانى من اصول الدين و مفهومه تنزيه الخالق عن فعل القبيح و عن وضعه الشيء فى غير موضعه فهو غير ظالم و غير جائر فى حكمه و قد حكى طبيعة هذا العدل آيات من القرآن الكريم فى قوله تعالى:

(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)

وقوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ)

وقوله (لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)

وقوله (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ)

وغير ذلك من الآيات الكريمة التي تشير الى عدله و الى حثه تعالى الخلق على العدل و تجنب فعل القبيح، و كما ان وجود الله و وحدانيته قد قامت على ادله عقلية فللعدل هذا ادله ذات و جوه متعددة تقوم على قواعد العقل و المنطق تفرض على كل شيعى مدرک مناقشتها و الايمان بها عن طريق العقل و ليس عن طريق التقليد فلو كان الله يفعل الظلم و القبح فان الأمر في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٦٩

ذلك لا يخلو عن اربع صور:

١- ان يكون جاهلا بالأمر فلا يدري انه قبيح

٢- ان يكون عالما به و لكنه مجبور على فعله، و عاجز عن تركه

٣- ان يكون عالما به و غير مجبور على فعله عليه و لكنه محتاج الى فعله

٤- ان يكون عالما به و غير مجبور عليه و لا يحتاج اليه، فينحصر في ان يكون فعله له تشهيا و عبثا و لهوا و كل هذا المفروض محال على الله تعالى و تستلزم صورته النقص فيه، و هو محض الكمال، فيجب ان نحكم بانه منزه عن الظلم و فعل ما هو قبيح و قد وردت الأدلة العقلية في مواطنها المفصلة من الكتب تنزيها له تعالى من الظلم و فعل القبيح

و يقول الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ان (العدل) ليس اصلا مستقلا من صفات الله بل هو مندرج في نعوت الحق و وجوب وجوده المستلزم لجامعيته لصفات الجمال و الكمال، فهو شأن من شؤون التوحيد و لكن الاشاعرة لما خالفوا (العدلية) و هم المعتزلة، و الامامية، فانكروا الحسن و القبح العقليين و قالوا ليس الحسن الا ما حيينه الشرع و ليس القبيح الا ما قبحه الشرع، و انه تعالى لو خلد المطيع في جهنم و العاصي في الجنة لم يكن قبيحا لانه يتصرف في ملكه، و لا يسأل عما يفعل و هم يسألون حتى انهم اثبتوا وجوب معرفة الصانع و وجوب النظر في المعجزة لمعرفة النبي من طريق السمع و الشرع لا من طريق العقل لانه ساقط عن منصة الحكم فوقعوا في الاستحالة و الدور الواضح

اما العدلية- الشيعة و المعتزلة فقد قالوا ان الحاكم في تلك النظريات هو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٧٠

العقل مستقلا، و لا سبيل لحكم الشرع فيها تأكيدا و ارشادا و العقل يستقل بحسن فعل الافعال و قبح بعض آخر، و بحكم ان القبيح محال على الله لانه حكيم، و فعل القبيح مناف للحكمة و تعذيب المطيع ظلم، و الظلم قبيح، و هو لا يقع منه تعالى، و بهذا اثبتوا لله صفة (العدل) و افردوها بالذكر دون سائر الصفات اشارة الى خلاف الأشاعرة مع ان الأشاعرة في الحقيقة لا ينكرون كونه تعالى عادلا غاية ان العدل عندهم هو ما يفعله، و كلما يفعله فهو حسن، نعم انهم انكروا ما اثبتته المعتزلة و الامامية من حكومة العقل و ادراكه للحسن و القبح على الحق جل شأنه قائلين انه ليس للعقل وظيفة الحكم بان هذا حسن من الله و هذا قبيح منه

و تفرعت من راي الاشاعرة فكرة (الجبر) و هي تقابل فكرة

جماعة من الشيعة يؤدون صلاة الجماعة بجماع الشيعة في هامبورك

(الاختيار) و حرية الارادة عند الشيعة و المعتزلة فقد قال الاشاعرة بان الانسان مجبور او ما يشبه ذلك على ما يقع منه، و قالت (الامامية) بل هو مختار و حر في اعماله، و انما ملكة الاختيار و صفته كنفس وجوده من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٧١

الله، فهو الذى خلق العبد و أوجده مختاراً، و يقول الشيعة لو كان العباد مجبورين على افعالهم لما صحت مواخذة العاصي منهم، و لا اثابة المطيع بل تكون المواخذة حينذاك ظلماً، لان الغاصي مجبور على فعل الطاعة ايضاً، و على هذا فلن تكون هناك مثوبة او عقوبة، و لا وعد، و لا وعيد، و لا جنه، و لا نار، و لا سائل و لا مسؤول لان الله سبحانه خلق الخلق و اجبرهم على افعالهم سواء كانت طاعة او معصية

على ان (للاختيار) عند الشيعة حدوداً معينة فليست هى اختيارات بكل معنى الكلمة و انما هى امر بين امرين تتضمنه كلمة الامام الصادق

«لا جبر و لا تفويض و لكن امر بين امرين»

و هى من معضلات المسائل التى اخذت دوراً مهماً فى التحليل و المناقشة طوال القرون الماضية: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسِفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

(لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)

(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)

و باختصار فان عقيدة الشيعة فى الجبر و الاختيار النظريتين اللتين شغلت افكار طوائف المسلمين: ان الاعمال صادرة عن العباد باختيارهم، و ليسوا مجبورين عليها، و انها ليست فعلاً لله تعالى و لا مخلوقة له خلق تكوين، بل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٧٢

خلق تمكين، بمعنى انه تعالى خلق فى العبد القدرة على الفعل و الترك، و خلق فيه الجوارح التى يقدر بها على الفعل، و الادوات التى يتوصل بها اليه و لو شاء منعه لمنعه، و بين له طريق الخير، و امره باتباعه، و اراه طريق الشر، و نهاه عن سلوكه، فاذا عصاه فبسوء اختياره، و اذا اطاعه فبتوقيفه و اقداره

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٧٣

٣- النبوه

اشارة

و عن طريق العقل يجب على المسلم ان يؤمن بأن من العدل ان يرسل الله الى عباده مبشراً و هادياً يعلم الناس الاحكام، و يبين لهم الحلال من الحرام و يرشدهم الى طريق الصواب و يحكم بينهم بالعدل، و ان ذلك واجب على الله تعالى باعتباره لطفاً منه، و اللطف واجب على الاله الذى مرت صفاته فى تعريف ذاته من قبل، و قد يكون الايمان بوجوب ارسال الانبياء يمثل جانباً من (العدل) بحيث لا يمكن ان يستقيم هذا العدل تماماً من غير وجود بشير او نذير، او هاد، او مرشد، يتمثل فى صورة نبي يأتى الى عباده ليعلمهم ما ينبغى عليهم ان يتعلموه ليعملوا به، و ما ينبغى عليهم ان يتعلموه ليتجنبوه حتى يكونوا صلحاء.

قال سبحانه و تعالى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)

و قال (وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)

و قال (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٧٤

و قال تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ)

و قال (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ)

و غير ذلك من الآيات التي يؤمن بمنطوقها الشيعة كركن ثالث من اركان الدين الخمسة و يناقشونها منطقيا حتى يؤمنوا بواقعها بالأدلة القاطعة.

و الفرق بين النبي و بين الرسول امور أهمها: ان النبي قد لا يكون مبعوثا من الله الا لفئة خاصة، و طائفة معينة، و الرسول هو المبعوث الى الناس سواء أ كانت طائفة منهم كيونس في قوله تعالى (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ آلٍ أَوْ يَزِيدُونَ) ام اليهم عامة على ان تكون للرسول شريعة ابتدائية كانت كشرية آدم او منقطعة محدودة منسوخة كشرية موسى و عيسى، او ناسخة لجميع الشرائع كشرية محمد .

و يعتقد الشيعة الأمامية ان جميع الانبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم رسل من الله و عباد مرسلون لدعوة الخلق الى الحق، و ان محمدا هو خاتم الأنبياء و سيد الرسل كما يعتقد الشيعة الامامية بكفر كل من اعتقد او ادعى النبوة بعد النبي محمد ص .

و ان الكتاب الموجود في ايدي المسلمين هو الكتاب الذي انزله الله للاعجاز و التحدى و لتعليم الاحكام، و تميز الحلال من الحرام و انه لا- نقص فيه و لا- تحريف و لا- زيادة، و يتمسك الشيعة الاثنا عشرية في كون ان القرآن سالم عن النقص و الزيادة و التحريف بمنطوق الآية الكريمة (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٧٥

اعجاز القرآن

و دليل اعجاز القرآن هو البلاغة التي لم تتغير مدلولاتها و مفاهيمها بتغير الزمن ما دامت هنالك لغة اسمها اللغة العربية، و الشيعة الامامية يرون ان هذه المعجزة يجب ان تمشي الى جانب القرآن و تظل شاخصة مدى العمر و لهم على ذلك ادلة عقلية و نقلية، فقد سحر القرآن العرب منذ اللحظة الاولى سواء منهم في ذلك من دخل في الاسلام او من لم يدخله فقد كان القرآن العامل الحاسم في ايمان من آمنوا في أوائل الدعوة، يوم لم يكن لمحمد حول او طول، و يوم لم يكن للاسلام قوة و لا- منعة، و قصة ايمان عمر بن الخطاب (رض) في وقعة تولى بن المغيرة نموذجان من قصص كثيرة للايمان و للتولى، فلقد جاء ان النبي كان يصلى في المسجد، و الوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي لاستماعه أعاد قراءة الآية، فانطلق الوليد حتى أتى الى مجلس قومه من بنى مخزوم فقال:

«و الله لقد سمعت من محمد أنفا كلاما ما هو من كلام الجن، و الله ان له لحلاوة، و ان عليه لطلاوة، و ان اعلاه لمثمر، و ان اسفله لمغدق، و انه يعلو و ما يعلو» ثم انصرف الى منزله.

فقال قريش صبا و الله الوليد، و لتصبون قريش كلهم، فأوفدوا اليه أبا جهل يحتال لصرفه عن الاسلام ان كان قد نوى الدخول فيه، و ما زال به حتى قام معه الى مجلس قومه فقال لهم:

«ترعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخفق قط؟ و ترعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن؟ و ترعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب».

و يسألهم و يجيبونه: كلا في كل سؤال، حتى اعياهم ان يردوا كلامه فسألوه رأيه في تفسير بلاغة القرآن؟ ففكر ثم قال:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٧٦

القرآن المنسوب خطه الى امير المؤمنين (ع)

«ما هو الا سحر يؤثر، اما رأيتموه يفرق بين الرجل و أهله و ولده و مواليد فهو ساحر و هذا هو السحر المبين».

فالى ذاك يشير القرآن الكريم «إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ؟ ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، فَقَالَ

إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ».

سحر يوتر، يفرق بين الرجل و أهله و ولده و مواليه ... تلك قوله رجل يتقاعس عن الاسلام و يتكبر ان يسلم لمحمد، و يعتز بنسبه، و ماله، و ولده و ليست قوله رجل آمن فهو يعلل ايمانه بهذا السحر الذى لا يغالب، و انها لأدل على (سحر القرآن) للعرب من كل كلام يقوله المؤمنون، لأنها لا تقال ولدى قائلها حيلة للسكوت عنها او مفر من الاعتراف بها .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٧٧

قطعه من المصحف المنسوب خطه للأم الحسن بن على «ع»

و شاهد آخر من نمط الوليد بن المغيرة من علماء هذا العصر يمثل فى آياته أعجاز القرآن الذى يتمسك به الشيعة كأهم ركن للنبوة لا يجوز التشكيك فيه عندهم، و هو الدكتور شبلى شميل الذى يقول فى قصيدته المشهورة:

دع من محمد فى صدق قرآنه ما قد نجاه للحمة الغايات
انى و ان أك قد كفرت بدينه هل اكفرن بمحكم الآيات
و مواعظ لو انهم عملوا بهاما قيدوا العمران بالعادات
الى قوله:

ببلاغة القرآن قد خلب النهى و بسيفه انحى على الهامات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٧٨

و القرآن فى حد ذاته خير آية تدل على صحة رسالة محمد و بعثته و يقول (جوديون بورت):

«ان القرآن قد صرح بدعوه كل من يدعى البلاغة و الفصاحة فى ذلك الزمان الى السباق و المباراة ليخرج كل بضاعته، او يجلب كل جواده للرهان، فعجز الكل عن ان يأتوا و لو بسورة واحدة من مثله».

«قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» سورة بنى اسرائيل.

القرآن المنسوب خطه للامام زين العابدين «ع»

و قد قيل ان (ليد ابا ربيعة) و هو من أهل اليمن، و أحد أصحاب المعلقات السبع التى علقت فى الكعبة قد استهل قصيدته و هو جاهلى و ثنى بهذا البيت:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٧٩ الا كل شىء ما خلا الله باطل و كل نعيم لا محالة زائل

و قد عجز الشعراء عن ان يأتوا بمثل القرآن حتى نزلت سورة (براءة) و علقت فى الكعبة كما كانت تعلق القصائد، فلما قرأها (ليد) قال:

«ما هذا الا الوحي و الالهام الذى اوحاه الله» فأمن بذلك الوحي و قبل الاسلام و ما يتعلق بالعمل بالقرآن قال الله تعالى:

(وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) و قال امير المؤمنين على فى توضيحه «اي بينه تبياناً و لا- تهذّه هذ الشعر، و لا تنثره نثر الرمل، و لكن اقرعوا قلوبكم القاسية و لا يكن هم احدكم آخر السورة» فرتله ترتيلاً وقف عند وعده و وعيده، و تفكر فى امثاله و مواعظه، و احذر ان تقع من اقامتك حروفه فى اضاعة حدوده .

هذه خلاصة عقيدة الشيعة فى النبوة و القرآن الذى جاء به النبى محمد.

صفحة من القران الكريم المنسوب خطه للامام الرضا «ع»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٨٠

إشارة

والامامة هي الاصل الرابع في معتقدات الشيعة الامامية و هي أصل الخلاف بين الشيعة و سائر الطوائف الاسلامية، فالشيعة الامامية تعتقد بان لامامة منصب يعهد به النبي الى من يخلفه ليكون مرجعا من بعده يرجع اليه لناس في تفهم الشريعة و حكمتها و توضيح رسالة الاسلام و فقهه و مغايزه و لكل امام ان يعهد بالامامة الى من يليه و هي وظائف دينية لا تتم بالانتخاب و الاختيار من قبل الناس و اجماعهم و انما هي تعاليم مقدسة يتلقاها امام عن امام عن النبي الذي لا يقول شيئا و لا يعمل شيئا الا ما يتفق مع رضا الله و اشائته، فهي منصوص عليها من الله تعالى و ان البحث في (الامامة) كالبحت في النبوة عند الشيعة لا يجوز فيه تقليد الاجداد و الاباء و الزعماء و انما يجب تمحيص الامر على ضوء القواعد العقلية لئتم الايمان بان الامام هو خليفة النبي و نائبه العام المتبع في حفظ نوااميس الشريعة و اقامه كيان الملة و الحافظ لقوانينها دينية كانت او دنيوية

و قد ذهب المسلمون في الخلافة عن النبي بعد وفاته مذاهب شتى و سلكوا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٨١

مسالك متعددة اهمها من يرى ان الخلافة تجب عقلا على الله سبحانه و تعالى و منهم من يرى انها تجب عقلا على الناس، و منهم من يرى وجوبها عليهم سمعا، و منهم من لا يرى وجوبها اثباتا لا في العقل و لا في السمع، و منهم من يرى غير ذلك

و لكن الأهم من تلك المذاهب مذهبان ما زالوا و لا يزالان الى ان يشاء الله ما يشاء

المذهب الأول- من اوجبها عقلا على الله تبارك و تعالى و بهذا تؤمن الشيعة الامامية بان الامامة تأتي بنص من النبي و هو حين يختار خليفته فانما يصدع بأمر الله و يمثل في هذا الاختيار مشيئته ليكون بعد النبي هاديا و مرشدا بما أمر الله و نهى عنه، و كما تجب على المسلمين طاعة رسول الله و تحرم معصيته تجب طاعة الامام و تحرم معصيته

المذهب الثاني- من اوجبها على الناس فانه يجب عنده ان يختار الناس من انفسهم اماما لهم ينصبونه عليهم، ينشر فيهم العدل و الانصاف و يدفع عنهم الضرر و الخلاف و لا يلزم فيه الاتصاف بشيء غير وقوع الاختيار عليه

و يعتقد الشيعة الامامية و هم من حملة المذهب الاول بان الدليلين العقلي و القرآن يؤيدان رأيهما في الامامة، فمن الأدلة العقلية ان الله الذي انزل قرآنه و شريعته لم يرد بهذه الشريعة الا تفهمها و رسوخها في اذهان المسلمين و ان اسس هذه الشريعة و فروعها ليست من الامور التي يكفي فيها عمر النبي و جهاده كفيلا لشرحها و الايمان بمبادئها، و لما كان النبي محمد خاتم النبيين و لن يأتي بعده نبي كان من المقترضات الواجبة ان يعين النبي من يخلفه من بعده

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٨٢

اماما لثلا يقع الهرج و المرج في الامامة و لا سيما و العهد بعبادة الاوثان لم يزل قريبا

و يرى الشيعة ان النبي لو كان قد ترك اختيار الامامة للامة من بعده لطمع بها من ليس لها اهلا و لطغى جانب السياسة على الجوانب الاخرى و اصطبغ الدين بصبغة زمنية بحتة تزيد على الحدود التي عينها الله في كتابه و شريعته، و بذلك قد يمتزق الاسلام، و تتدهور كلمة المسلمين، و تتدهور و تضعف كلمة التوحيد، و يمكن ان يدعيها كل قريب للنبي و كل رئيس مطاع و كل مهاجرى باسم المهاجرين و كل انصارى باسم الانصار و في ذلك ما فيه من اختلال في الأمر، و فساد في النظام، خصوصا و ان الدين الاسلامي لم تقو أوأصره بعد و تعاليم الاسلام لم ترسخ اركانها،

«و ما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أ فإن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم»

فالعقل و الحالة هذه يحكم بوجوب نصب شخص يقع اختياره نصا لئؤمن به المسلمون اماما ينفرد بالمزايا التي يجب ان تتوفر في

الامام

و الدليل الثانى الذى يتمسك به الشيعة الامامية هو القرآن الكريم الذى نصت آياته على جعل الخلافة من الامور التى يخص الله وحده تعيينها، و اصطفاؤها سواء أ كان المصطفى نبيا او اماما فليس للناس فيه اختيار او انتخاب، و كثيرة هى الآيات التى يستدل بها الشيعة الامامية على اصطفاء الله الانبياء و الائمة و ورثة الانبياء الذين يعهد اليهم النبى بوصيته كائمه من بعده تنفيذاً لارادة الله و مشيئته اذ يقول الله عن نبيه (و ما ينطق عن الهوى) فاختياره لخليفته من بعده تجسيم لارادة الله و اشائته

و من هذه الآيات قول الله عز و جل فى المصطفين من الانبياء و الأسر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٨٣

و الأقوام (ان الله اصطفى آدم و حواء و نوحا و آل ابراهيم و آل عمران على العالمين)

و قول الله تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)

و قوله (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ)

و قوله (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)

و قوله تعالى (إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ)

و قوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ)

و قوله (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ، خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)

و قوله (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ)

الى غير ذلك من الآيات التى يستدل بها الشيعة الامامية على ان الامامة يعهد بها النبى الى من يقوم بها بعده

صفات الامام

و يعتقد الشيعة ان مجموعة من الصفات يجب ان تتوفر فى الامام لكى يحق له ان يكون اماما فيجب ان يكون افضل الناس فى صفات الانسانية من الصدق و العدل، و الامانة و العفة و كرم الخلق ثم يجب ان يكون افضل الناس من حيث العقل و العلم و الحكمة، و تكون قوة الالهام عند الامام و التغلغل فى اعماق الحقائق و معرفتها و هى التى تسمى بالقوة القدسية، يجب ان تكون غاية فى السمو، فلقد ثبت فى الابحاث النفسية ان كل انسان له ساعة او ساعات فى حياته قد يعلم فيها بعض الأشياء من طريق الحدس الذى هو فرع من الالهام بسبب ما اودع الله تعالى فيه من قوة على ذلك، و هذه القوة تختلف شدة و ضعفا و زيادة و نقصا فى البشر باختلاف افرادهم فيظفر ذهن لانسان فى تلك الساعة الى المعرفة من دون ان يحتاج الى التفكير و ترتيب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٨٤

المقدمات و البراهين و تلقين المعلمين و يجد كل انسان من نفسه ذلك فى فرص كثيرة فى حياته فيجوز ان يبلغ من قوته الالهامية اعلى الدرجات و اكملها و هذا ما قرره الفلاسفة المتقدمون و المتأخرون

و لم تكن هذه الصفات وحدها المفروضة فى الامام و انما يجب ان يكون الامام كالنبى معصوما عند الشيعة، و العصمة هى ان يكون النبى و خلفاؤه من بعده و هم الائمة الاثنا استقبال الشيعة لاحد الروحانيين فى افريقيا الغربية

عشر معصومين من جميع الرذائل و الفواحش ما ظهر منها و ما بطن بل يرى الشيعة ان العصمة تشمل اكثر من ذلك فتعصم الامام من الخطأ و الهوى و الميول العاطفية لان الأحكام و الفتاوى و القواعد ستختل موازينها اذا ما رافقتها الاخطاء و الميول العاطفية و الظنون، و الشبه، لذلك يجب ان تصدر الاحكام عن قواعد ثابتة راسخة، و يجب ان تكون الاقوال كاملة و دالة على معانيها لا يعتورها شىء من الشبه و النسيان، لذلك اعتبر الشيعة صفة العصمة اساسية فى الائمة كما هى اساسية فى النبى محمد (ص)

امامة على و اولاده

و الامامة بناء على ما مر منصب إلهي ينص به النبي على الامام و ينص

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٨٥

الامام به على من يخلفه و يدل النبي الامة عليه و يامرهم باتباعه، و يعتقد الشيعة ان الله سبحانه و تعالى امر نبيه بان ينص على على و ينصبه علما للناس من بعده و يقول الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء و كان النبي يعلم ان تبليغه الامة بامامة على من بعده سيثقل على الناس و قد يحملون ذلك على المحاباة و المحبة من النبي لابن عمه و صهره، و من المعلوم ان الناس في ذلك اليوم و الى هذا اليوم ليسوا في مستوى واحد من الايمان و اليقين بنزاهة النبي و عصمته عن الهوى و الغرض و لكن الله سبحانه لم يعذره في ذلك فاوحى اليه:

«يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ»

فلم يجد النبي بدا من الامتثال بعد هذا الانذار الشديد فخطب الناس عند منصرفه من حجة الوداع في غدیر خم) فنادى و جلهم يسمعون:

- «أ لست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»

فقالوا «اللهم نعم»

فقال- «من كنت مولاه فهذا على مولاه» الى آخر ما قال مما اورده الكتب من غير طريق الشيعة ثم أكد ذلك في مواطن اخرى تلويحا و تصريحاً و اشارةً و نصاً، حتى ادّى الوظيفة، و بلغ عند الله المعذرة و لكن كبار المسلمين بعد النبي تأولوا تلك النصوص نظراً منهم لصالح الاسلام حسب اجتهادهم- فقدموا و اخروا، و قالوا (و الامر يحدث بعده الامر) و امتنع على و جماعته من عظماء الصحابة عن البيعة اولا ثم رأى ان امتناعه من الموافقة و المسالمة ضرر كبير على الاسلام بل ربما ينهار الاسلام من اساسه و هوته بعد في اول نشوئه و ترعرعه، و الاسلام عند على و هو اول من أسلم و آمن بالاسلام- من العزة و الكرامة، و الحرص عليه، و الغيرة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٨٦

بالمقام الذي يضحي له نفسه، و انفس ما لديه، فكم قد قذف بنفسه في لهوات المنايا تضحية للاسلام ...

و يقول كاشف الغطاء (و زيادة على ذلك فقد رأى على ان الرجل الذي تخلف على المسلمين قد نصح للاسلام، و صار يبذل جهده في قوته و اعزازه، و بسط رايته على البسيطة، و هذا اقصى ما يتوخاه امير المؤمنين من الخلافة و الامرة فمن ذلك كله تابع و بايع حيث رأى ان بذلك مصلحة الاسلام و هو على منصبه الالهى من الامامة و ان سلم لغيره التصرف و الرئاسة العامة، فان ذلك المقام مما يمتنع التنازل عنه بحال من الاحوال، اما حين انتهى الامر الى معاوية و علم ان موافقته و مسالمة و ابقاءه واليا فضلا عن الامرة ضرر كبير و فتق واسع على الاسلام لا يمكن بعد ذلك رتقه، لم يجد بدا من حربه و منابذته»

و على هذا فالامام بعد رسول الله و وصيه و خليفته هو الامام على بمقتضى النصوص الواردة، و بعده ابنه الحسن، ثم اخوه الحسين بن على، ثم ابنه على زين العابدين، ثم ابنه محمد الباقر، ثم ابنه جعفر الصادق، ثم ابنه موسى الكاظم، ثم ابنه على الرضا، ثم ابنه محمد الجواد، ثم ابنه على الهادى، ثم ابنه الحسن العسكري، ثم ابنه محمد بن الحسن المهدي الغائب الذي يعتقد الشيعة بظهوره حين يعم الظلم و الجور فيملاً الدنيا عدلاً و أمناً

و قد الفت في الوصية، و وصية رسول الله لعلى، كتب متعددة منذ الصدر الاول للاسلام حتى القرن الرابع الهجرى و اورد الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء اسما طائفة من الكتب المؤلفة عن الوصية قبل القرن الرابع، و من هذه الكتب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٨٧

- ١- الوصية لهشام بن الحكم
 - ٢- الوصية للحسين بن سعيد
 - ٣- الوصية للحكم بن مسكين
 - ٤- الوصية لعلي بن المغيرة
 - ٥- الوصية لعلي بن الحسن بن الفضل
 - ٦- الوصية لابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال
 - ٧- الوصية لاحمد بن محمد بن خالد البرقي صاحب (المحاسن)
 - ٨- الوصية للمؤرخ الجليل عبد العزيز بن يحيى الجلودى
- و اكثر هؤلاء من اهل القرن الاول و الثانى، اما اهل القرن الثالث فلهم مؤلفات كثيرة و واسعة منها

- ١- الوصية لعلي بن رباب
- ٢- الوصية ليحيى بن المستفاد
- ٣- الوصية لمحمد بن احمد الصابونى
- ٤- الوصية لمحمد بن الحسن بن فروخ
- ٥- الوصية و الامامة للمؤرخ على بن الحسين المسعودى صاحب مروج الذهب
- ٦- الوصية لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسى
- ٧- الوصايا لمحمد بن على الشلمغانى المشهور
- ٨- الوصية لموسى بن الحسن بن عامر

اما ما اؤلف بعد القرن الرابع باسم الوصية فانه من الكثرة بحيث لا يستطاع حصره هذا اضافة الى ما ورد عن الوصية باسم الخلافة و الامامة معا ظلت التأليف فيه متصلة حتى يومنا هذا، و آخر ما صدر بهذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٨٨

الخصوص من الاحاطة الشاملة بالوصية، و العهد، و الخلافة، هو موسوعة الغدير للشيخ عبد الحسين الامين الذى توسع فى جمعه لأخبار الوصية و حديث الغدير توسعا كبيرا، و احسن ما صدر على الاطلاق كتاب (المراجعات) و هو ما جرى من اسئلة و أجوبة بين العالمين الكبارين الشيخ سليم البشرى و السيد عبد الحسين شرف الدين، و عقيدة الشيعة بالائمة انهم هم اولو الأمر الذين قال عنهم سبحانه و تعالى (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) و انهم عيبة علمه، و اركان توحيده، و هم كما جاء ذكرهم فى كتاب الله المجيد (عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول و هم بامرهم يعملون و انهم) (الذين اذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا) فكل امرهم من امر الله و كل نهيمهم من نهيه، و ان طاعتهم طاعة الله تعالى، و معصيتهم معصيته، و وليهم وليه، و عدوهم عدوه، و لهذا يعتقد الشيعة ان الاحكام الشرعية الالهية يجب ان تستقى من معينهم، و انهم آل بيت النبى الذى قال النبى عنهم:

(انهم كسفينة نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق)

و الدليل القطعى عند الشيعة دال على وجوب الرجوع الى آل البيت بكونهم المرجع الاصلى بعد النبى لأحكام الله المنزلة و من هذه الأدلة:

قول النبى و هو الذى اتفقت عليه رواة الحديث من اهل السنة و الشيعة بدون اى اختلاف فى الرواية او مضمونها و هو:

(اننى قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله، و عترتى اهل بيتى، ما إن تمسكنم بهما لن تضلوا بعدى ابداء، انهما لن يفترقا حتى يردا على

(الحوض)

والائمة بشر في عقيدة الشيعة لهم ما للناس، و عليهم ما على الناس، و ميزتهم تنحصر في انهم عباد مكرمون، حازوا على الدرجات العالية من التقوى و الصفات السامية و الاخلاق الحميدة لذلك استحقوا ان يكونوا ائمة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٨٩

و ان المغالين فيهم كفر في رأى الامامية، فالائمة لا يردون لله قضاء، و لا يعفون لمذنب ذنبا، و لا يغنون و لا يفكرون، و لا يرفعون، و لا يحطون، فهم عباد الله الصالحون يلجأ اليهم الملتهجىء تمسكا، و يلوذ باضرحتهم اللانذ مصليا و متعبدا، و متوسلا الى الله طلبا للمثوبة، متخذا من اضرحتهم المقدسة وسائل للابتهاج الى الله، يزورهم معترفا بفضلهم، مجددا عهده بولايتهم، و هذا و ليس غيره ما تنص عليه العقيدة، و احسن ما يمثل عقيدة الشيعة الامامية في حقيقة ائمتهم قول الامام الصادق و هو يوصى شيعته قائلا:

«ما جاءكم عنا مما يجوز ان يكون في المخلوقين و لم تعلموه و لم تفهموه فلا تجحدوه و ردوه الينا، و ما جاءكم عنا مما لا يجوز ان يكون في المخلوقين فاجحدوه و لا تردوه الينا»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٩٠

٥- المعاد

اشارة

و المعاد هو الركن الخامس من اصول الدين و هو ان يعتقد المسلم بان الله سيبعث النفوس و يعيد لها الحياة من جديد في يوم القيامة متجسدة بنفس جسدها ليحاسب كل نفس بما عملت فليس من العدل ان يتساوى المجرم و غير المجرم، و المسىء و المحسن، في الحياة، و ليست الدنيا هذه الامرا و معبرا الى الآخرة يقتص فيها الله هناك من المذنبين، و العابثين و الاشرار و ينتصف للمظلومين من الظالمين، و يثيب الذين عملوا الصالحات على اعمالهم و قد أيد المعاد جميع ارباب الشرايع و الأديان و عدوا الاعتراف بعودة الانسان الى الحياة ركنا اساسيا في اديانهم

و يمكن حصر الاقوال العامة الدينية منها و غير الدينية عن (المعاد) في اربعة أقوال:

أولها- انكار المعاد مطلقا لا جسما و لا روحا، و هو قول الملحدين الذين ينكرون مبدأ الحياة و وجود الله فكيف بالمعاد و البعث من جديد

ثانيها- الاعتراف بالمعاد الروحاني دون الجسماني بانين آراءهم على ان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٩١

الارواح بسيطة مجردة، و البسيط المجرد باق، و الاجسام مركبة من شتى العناصر فاذا خرجت الروح تفككت اجزاء الجسم و التحق كل جسم بعنصره و انعدم، لذلك لن يشمل المعاد شيئا غير الروح

و ثالثها- القول بالمعاد الجسماني فقط و هو ما يعتقد به بعض المسلمين الذين يقصرون (المجرد) على الله وحده فلا يعتقدون ان هنالك روحا مجردة، و انما كل ما في الوجود بعد الله اجسام يميز بعضها عن بعض اللطافة و الكثافة

رابعاً- و هو الذى عليه الشيعة و الغالبية العامة من المسلمين و هو القول بالمعاد الروحاني و الجسماني اى معاد هذا الجسد الذى كان فى الدنيا بروحه و جسمه يوم القيامة

و الواضح المعلوم ان كل شخص من البشر مركب من جزئين الجزء المحسوس و هو (البدن) الذى يشغل حيزا من الفضاء و الذى

يشاهد بالعين الباصرة، و الجزء الذى لا يحس بالعين الباصرة و انما يحس بالبصيرة، و يشهد العيان و الوجدان هما فوق كل دليل ان هذا البدن المحسوس الحى المتحرك بالارادة لا يزال يلبس صورة و يخلعها، و تفاض عليه اخرى و هكذا لا تزال تعثور عليه الصور منذ كان نطفة، فعلقه، فعظاما، فجنينا، فمولودا، فرضيعا، فغلاما، فشابا، فكهلا، فشيخا، فميتا، فترابا، و فى ذلك هو هو لم يتغير ذاته و ان تبدلت احواله و صفاته، فهو يوم كان رضيعا هو نفسه يوم صار شيخا هرما لم تتبدل هويته، و لم تتغير شخصيته بل هناك اصل محفوظ يحمل كل تلك الاطوار و الصور و ليس عروضها عليه، و زوالها عنه من باب الانقلاب، فان انقلاب الحقائق مستحيل، فصورة (المنوية) لم تنقلب (دموية) او (علقية) و لكن زالت صورة (المنى) و تبدلت بصورة (الدم) و هكذا فالصورة متعاقبة متبادلة، لا متعاقبة منقلبة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٩٢

و هذه الصور كلها متعاقبة فى الزمان لضيق وعائه، مجتمعة فى وعاء الدهر لسعته، و المتفرقات فى وعاء الزمان مجتمعات فى وعاء الدهر، و لا بد من محل حامل و قابل لتلك الصور المتعاقبة ما شئت فسمه مادة، او هيولى، و كما ان المادة ثابتة لا تزول، فكذلك الصور كلها ثابتة، و الشئ كما نعرف لا يقبل ضده، و الموجود لا يصير معدوما، و المعدوم لا يصير موجودا، و ان انقلاب الحقائق مستحيل

- الروح او النفس المجردة -

و لقد ثبت عند العلماء (الفسولوجيين) تحقيقا ان كل حركة تصدر من الانسان بل و من الحيوان تستوجب احتراق جزء من المادة العضلية و الخلايا الجسمية، و كل فعل ارادى، او عمل فكرى لا بد و ان يحصل منه فناء فى الاعصاب، و اتلاف من خلايا الدماغ، بحيث لا يمكن لذرة واحدة من المادة ان تصلح مرتين للحياة، و مهما بيد من الانسان بل مطلق الحيوان من عمل عضلى، او فكرى، فالجزء من المادة الحية التى عرفت لصدور هذا العمل تتلاشى تماما ثم تأتى مادة جديدة تأخذ محل التالفه، و تقوم مقامها فى صدور ذلك العمل مرة ثانية، و حفظ ذلك الهيكل من الانهيار و الدمار، و هكذا كلما ذهب جزء خلفه آخر، خلع و لبس، و كلما اشتد ظهور الحياة و تكاثرت مزاوله الأعمال الخارجية ازداد تلف المادة و تعويضها و تجديدها، و هذا التلف الدائم لا يزال يعثوره التعويض المتصل من المادة الحديثة الداخلة فى الدم، المتكونة من ثلاث دعائم، هى: دعائم الحياة و اسسها الجوهريه (- الهواء، و الماء، و الغذاء) و لو فقد الانسان واحدا منها و لو بمدة قصيرة هلك و فقد حياته، و هذا العمل التجديدى عمل باطنى سرى لا يظهر فى الخارج الا بعد دقة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٩٣

فى الفكر، و تعمق فى النظر، و لكن عوامل الاتلاف ظاهرة للعيان، يقال عنها انها ظواهر الحياة، و ما هى فى الحقيقة الا عوامل الموت لانها لا تتم الا باتلاف اجزاء من انسجتنا البدنية، و اليافنا العضوية، فنحن فى كل ساعة نموت و نحيا، و نقبر و ننشر، حتى تأتينا الموتة الكبرى و نحيا الحياة الاخرى

و عليه فاننا فى وسط تنازع هذين العاملين: عامل الاتلاف و عامل التعويض، يفنى جسمنا و يتجدد فى مدار الحياة عدة مرات، بمعنى ان جسمنا الذى نعيش به من بدء ولادتنا الى منتهى أجلنا فى هذه الحياة تفنى جميع أجزائه فى كل برهة، و تتحصل اجزاء يتقوم بها هذا الهيكل و ليس فيها جزء من الاجزاء السابقة و لا يمكن تقدير هذه البرهة على وجه التحقيق يعنى فى اى مقدار به تتلاشى تلك الاجزاء جميعا و تتجدد غيرها بموضعها

و المنسوب الى العالم الفسيولوجى (مولينت) ان مدة بقائها ثلاثين يوما ثم تفنى جميعا، اما المنقول عن (فلورنس) بان المدء هى سبع

سين، و قد اجري العلماء المحققون في هذه الاعصار الامتحانات الدقيقة في بعض الحيوانات كالارانب وغيرها فاثبت لهم البحث و التشريح تجدد كل انسجتها بل و حتى عظامها ذرة ذرة في مدة معينة و اذا ثبت هذا التغيير ثبت وجود (النفس المجردة) بسهولة من قوة التذكر و التفكير، فلو كانت قوة التذكر و التفكير مادية و قائمة في خلايا الدماغ و انها الجسد او جزء من الجسد لكان اللازم ان نضطر في كل سبع سنين الى تجديد كل ما علمناه و تعلمناه سابقا، و الوجدان عندنا ان تجدد المادة المتواصل لم يندثر بسببه التفكير و التذكر منا و لم يحدث ادنى تغيير في ذاكرتنا و لم تخب اى شعلة من علمنا، و معارفنا و هو اقوى دليل على وجود قوة فينا مدركة، شاعرة، مجردة عن المادة، باقية بذاتها، مستقلة في وجودها بقيومية مبدئها، محتاجة الى آلياتها المادية في تصرفها، متحدة معها في ادنى موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٩٤

مراتبها، و ان دثور المادة لا يستوجب دثورها، و لا دثور شىء من كمالاتها، و ملكاتها، و لا من مدركاتها، و لا من معلوماتها، كيف لا؟ و لا تزال تخطر على بالنا في وقت الهرم امور وقعت لنا أيام الشباب، بل ايام الصبا و ما قبله، و كيفما كان فان من الوضوح بمكان ان كل ما فينا يؤيد ثبات شخصيتنا، و عدم تغيرها مع تغير و تبدل جميع ذرات اجسامنا

شبهة الاكل و المأكول في معاد الجسد

و ان كسرة الخبز التي نأكلها و فدره اللحم التي نمغضها و تدخل في جوفنا تعثور عليها عدة صور تخلع صورة و تلبس اخرى من الكيموس الى ان تصير دما، ثم توزعه حكمه الله فتجعل من ذلك الدم لحما، و عظما، و شحما، و عسبا، و كبدا، و قلبا، و طحالا، الى آخر ما يحتوى و يتكون منه هذا الهيكل الانساني و الجسد الحيواني، فكيف نشأ من هذه الكسرة سبعون نوعا من الأنواع المختلفة، و الأجناس المتباينة، فاین العظم من اللحم، و این الشحم من الغاز و این الغاز من المخ، و این المخ من الشعر؟ و هكذا و هلم جرا، كل هذا تكوّن من لقمة الخبز، كل هذه الأنواع مندمجة مطوية؟ ام انقلبت و تحولت من صورة الى صورة، و من حقيقة الى اخرى، و مهما قيل فيها فان تلك اللقمة التي تدخل في جوفنا و تتصرف بها المشيئة تلك التصاريف المتنوعة لم تدخل هي في كياننا و لم تصر جزءا من اجسامنا، بل تطورت عدة اطوار، و تعاورتها صورة بعد صورة، و دخلت في معامل ميكانيكية و تحليلات كيمياوية، الى ان بلغت هذه المرحلة و نزلت من اجسامنا بتلك المنزلة

و ان ما يرد من الاعتراض على امكان بعث الانسان الى الحياة روحا و جسدا، و استحالة معاده على هيكله السابق بسبب ما يتداخل من كل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٩٥

جسم في جسم اخر، مما يتعذر به معاقبة المذنب و قد شاركت في جسده اجزاء من جسد الصالح، او مكافأة الصالح حسدا و قد شاركت في تكوين جسده اجزاء من جسد الطالح، فان مثل هذا الاعتراض يرد الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، بما مر من التفاعلات و التحليلات و يضرب المثل بقوله: «فلو ان مؤمنا أكل كل لحم في بدن الكافر، او اكل الكافر كل لحم في بدن المؤمن فلا لحم الكافر صار جزءا من بدن المؤمن، و لا- لحم المؤمن دخل في بدن الكافر، بل اللحم لما دخل في الفم و طحنته الاسنان و هو الهضم الاول زالت الصورة اللحمية منه، و ارتحلت الى رب نوعها (حافظ الصور) و اكتست المادة صورة اخرى، و هكذا صورة بعد صورة، و من القواعد المسلمة عند الحكماء بل عند كل ذى لب (ان الشىء بصورته لا بمادته) فاین اذن تقع شبهة الأكل و المأكول» و يزيد هذا وضوحا ان جميع المركبات العنصرية يطرد فيها ذلك الناموس العام ناموس التحول و التبدل و التبدل و الدثور، و التجدد، انظر حبة العنب مثلا فهل هي الاماء و سكر؟

و هل فيها شىء من الخمر، او الخل او الكحول و لكنها بالاختمار تصير خلا ثم خمرا ثم غازا او بخارا و هكذا، أ ترى ان العنب صار جزءا من الخل؟

و الخل صار جزءا من الخمر؟ اذن فمن اين تجيء شبهة الآكل و المأكول؟

و على المسلم ان يؤمن بالمعاد بالدليل العقلى بصفته ركنا و لا يجوز تقبله من قبل المدركين اعتبارا او بطريق التقليد، اما كيف يعود الميت، و متى يعود؟، فان المسلم غير مكلف بمعرفته، و ان عدم جواز التقليد فى اصول الدين يراد منه عدم كفاية الظن، و وجوب لزوم القطع و اليقين، لا لزوم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٩٦

اقامة الحجج و البراهين، و انما اقامة هذه الحجج لنفسه بحيث تقنع عقلا بصحته

و يتلخص الايمان بالمعاد فى ان يعتقد المسلم، و الشيعة الامامية خاصة، ان الانسان عائد الى الحياة يوم يريد الله ذلك و ان الذى يعود يوم القيامة يعود بنفسه المتعلقة به فليس المعاد للحساب عما فعل هو جسم الانسان فقط كما يرى البعض، و لا مثيله، و لا روحه كما يرى البعض الآخرون و انما يعود بروحه و جسمه،

اما ما نص على المعاد من الآيات القرآنية فهو كثير جدا و منه:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾*

﴿وَلَيْنَ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَلِإِلَهِ تُحْشَرُونَ﴾**

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾**

﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾**

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾**

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾**

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾**

﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾**

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٩٧

﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ، وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُتَّبَعُونَ وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَ أَبْكَى وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا وَ أَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى﴾**

﴿وَلَيْنَ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾**

﴿أَ إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا أ إنا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا، قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤْسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾

ملخص اعتقاد الشيعة

هذا هو ملخص اعتقاد الشيعة الامامية و اصول دينهم و مذهبهم و هو لا يختلف عن اصول الدين عند طوائف المسلمين الاخرى و فى مذاهب الشيعة الاخرى الا- فى (الامامة) بمفهوم الشيعة الاثنى عشرية و الا فى مسائل طيفية تخص صفات الله، اما الاختلاف فى الفروع فعلى رغم كثرتها فانها اختلافات غير اساسية و مبعثها فى الغالب الاجتهاد

و الشيعة الامامية من الاصوليين الذين يحرمون التقليد فى اصول الدين الخمسة و يفرضون الايمان و التمسك بها عن طريق العقل و

المناقشة و يجوزون هذا التقليد في الفروع ذات العلاقة بالاحكام من العبادات و المعاملات و يرون في الرجوع الى المجتهد الافضل و الاعلم في احكام دينهم اساسا لسلامة الحكم و الفتاوى من الاشتباهات و الاخطاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٩٨

و يتعين المجتهد الأفضل و الاعلم عند الشيعة الاصوليين عن طريق التواتر و ليس عن طريق الانتخاب و الاختيار، و التواتر هذا نوع يؤكد مرور الزمن فمع مرور الزمن يزيد رصيد المجتهد من الاجماع و بذلك تتعين ارجحيته في افضلية الرجوع اليه في الاحكام الشرعية

و الاجتهاد، درجة علمية يبلغها المجتهد بملكاته فيستطيع بمقتضاها تنقية الاخبار من الشوائب و البت في الاحكام المتضاربة، و القطع بها، و تتوقف سلامة هذه الاحكام على سلامة ذوق المجتهد و ابتعاده عن التعقد و الجمود فضلا عن تجرعه في الفقه، لذلك ما قد يستسيغه هذا في الاستنباط قد لا يستسيغه الآخر من المجتهدين لان الاختلاف في الذوق و السليقة و ليس في القواعد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٢٩٩

الشيعة و التشيع كتبه الشيخ عبد الواحد الانصاري

اشارة

قاضى بغداد السابق و المحامى الشرعى بمحاكم العراق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٠١

الشيعة و التشيع

اشارة

(الشيعة) من الكلمات العربية المألوفة و المعروفة في قاموس اللغة العربية و هى بمعنى المتابعة و المناصرة و الموالاته و أصبحت تطلق على الفرقة و الجماعة التى تابعت و ناصرته الامام عليا-ع- و اعتقدت بامامته بنص رسول الله-ص- بأنه الخليفة من بعده مباشرة كما هو عليه مذهب الشيعة الجعفرية الامامية الاثنى عشرية .

و من مشتقات هذه الكلمة (التشيع) اى الانتساب، و الانضمام، و الاتباع، و تشيع فلان لفلان، اى اتبعه، و ناصره، و والاه، اما متى أصبحت كلمة الشيعة صفة لازمة يعرف بها الموالاتون و المحبون و التابعون لعلى بن ابي طالب (ع) ثم أصبحت مذهبا للسائرين على نهج الأئمة الاثنى عشر من بعده فهو محل خلاف بين المؤرخين و الباحثين عن احوال الشيعة و التشيع.

ترى جماعة الكتاب و المؤرخين قديما و حديثا ان الشيعة و التشيع لعلى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٠٢

(ع) ظهرت فى عهد النبى (ص) و من هؤلاء ابن حجر العسقلانى و ابن عساكر و غيرهم من القدماء و أحمد امين و المؤلفون و الكتاب من الشيعة الامامية من المتأخرين.

و يروى البعض انها ظهرت بعد وفاة النبى (ص) منهم ابو الحسن النوبختى صاحب كتاب فرق الشيعة، و يرى البعض انها ظهرت فى حصار عثمان، منهم صاحب الفهرست ابن النديم، و يرى الدكتور طه حسين انها ظهرت بعد وفاة الامام على (ع) و ان كلمة الشيعة أطلقت على اصحاب على (ع) و أصحاب معاوية فى صحيفة التحكيم و يرى الشيخ ابو زهرة المعاصر انها عرفت بمصر و نشأت فيها .

فلو طابقنا هذه الآراء مع ما ترويه الشيعة و السنة من الحديث عن النبى (ص) ايدنا رأى الأول و وجدنا ان الشيعة بمعنى الموالاته لعلى

ظهرت في عهد النبي (ص) وهو الذي وصف اتباع علي و محبيه و الموالين له بالشيعة.

روى ابن حجر العسقلاني في الصواعق (ص ٩٦) عن الجاحظ جمال الدين الزرندي عن عبد الله ابن العباس قال: لما أنزل الله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ»

قال رسول الله (ص) لعلي، «هم انت و شيعتك تأتي انت و شيعتك يوم القيامة راضيين مرضيين و يأتي اعداؤك غضابى مقحمين» كما أورد هذا الحديث ابن الأثير في كتابه النهاية- مادة- قمح.

و اخرج الحاكم في شواهد التنزيل عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٠٣

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» في علي و أهل البيت (ع) و قد عدده ابن حجر في (صواعقه) من جملة الآيات التي نزلت فيهم (ع) كما في الفصل الأول من باب (١١) ص ٩٦ النسخة المطبوعة بالمطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٤ هـ.

و أخرج الحاكم في الكتاب نفسه بالاسناد الى علي (ع) قال: «قبض رسول الله (ص) و أنا مسنده الى صدرى فقال: يا علي ألم تسمع قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) هم انت و شيعتك و موعدى و موعداكم الحوض يدعون غرا محجلين».

و أخرج الطبراني كما في الصواعق ص ٩٦ قال: قال رسول الله (ص) لعلي اول اربعة يدخلون الجنة: انا، و أنت، و الحسن، و الحسين، و ذريتنا خلف ظهورنا، و شيعتنا عن ايماننا و عن شمائنا.

و أخرج الديلمي في المصدر نفسه قال: قال رسول الله (ص) يا علي قد غفر الله لك و لولدك و ذريتك و لأهلك و شيعتك و لمحبي شيعتك الخ ..

و أخرج احمد بن حنبل في المناقب كما في المصدر نفسه (ان رسول الله (ص) قال: لعلي اما ترضى انك معى فى الجنة و الحسن و الحسين و شيعتنا عن ايماننا و شمائنا؟).

و أخرج الحاكم في شواهد التنزيل فى تفسير آية (المودة) فى مجمع البيان بالاسناد الى ابي امامة الباهلى قال: قال رسول الله -ص- ان الله خلق الانبياء من شجر شتى و خلقت انا و على من شجرة واحدة فانا اصلها، و على فرعها، و فاطمة لقاحها و الحسن و الحسين ثمارها، و اشياعنا اوراقها، فمن تعلق بغصن من اغصانها نجا و من زاغ عنها هوى ثم قال: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٠٤

هذه و غيرها هى الاحاديث المروية عن طرق اهل السنة، اما الاحاديث المروية عن طرق الشيعة الامامية فكثيرة فى كتبهم و مؤلفاتهم لا سيما كتب الحديث و التفسير نكتفى بالقدر الذى اوردناه على سبيل الاستشهاد و هو من كتب غير الشيعة، لتأييد الرأى القائل بأن التشيع لعلي (ع) ظهر فى عهد الرسول (ص) و انتشر بين الصفوة المختارة من صحبة الكرام السابقين الى الاسلام من المهاجرين و الانصار كما دل على ذلك موقفهم من علي (ع) بعد وفاة النبي (ص) و اعلانهم بأن الامام بعد النبي (ص) هو علي بن ابي طالب (ع) و لا يصح العدول عنه الى غيره.

يحدثنا التاريخ الاسلامى الذى دونت حوادثه فى العهد الأموى و العباسى و تصرفت فى سرد اخباره ايدى الحكام فى العهدين تصرفا يؤيد سلطانهم و يحد من نشاط التشيع و ابطال دعوته المعارضة لحكمهم و أحكامهم، يحدثنا هذا التاريخ ان جماعة خيرة الصحابة تمنعوا عن بيعه ابي بكر (رض)، و قالوا بوجوب بيعه على (ع) بعد النبي و ان جماعة الانصار بعد ان خف عنهم هول المصائب، و عظمة الرزء الذى أصابهم بفقدهم رسول الله شعروا بأنهم قد فرطوا فى حق على، و ان بيعتهم لأبى بكر كانت قد أطاحت بحق على

ان الرواة و المحدثين متفقون على ان الهاشميين، و بنى المطلب، و سلمان، و المقداد، و أبي ذر- و عمار- و حذيفة بن اليمان- و ذى الشهادتين خزيمه بن ثابت، و عبادة بن الصامت، و البراء بن عازب، و قره بن عمرو بن ثعلبة الانصارى، و أبا الهيثم بن التيهان- و أبي بن كعب- و الزبير بن العوام و أنس بن الحرث، امتنعوا عن بيعه ابى بكر و وقفوا بجانب على و تحصن
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٠٥
الكثير منهم فى دار فاطمة (ع).

و من يتتبع سير الحوادث التى حدثت بعد بيعه ابى بكر (رض) مباشرة يجد شيئا من الندم قد خامر بعض الانصار و كثيرا من المهاجرين بحيث راح البعض يعتذر الى على من تسرعه و خذلانه، اما على فقد لزم بيته بعد ان فرغ من دفن رسول الله (ص) و أحسن من يصور لنا تلك الحوادث بمختلف الأخبار و الروايات التى وصلت الينا من المؤرخين القدماء و المتأخرين هو صاحب شرح النهج عبد الحميد بن أبى الحديد المعتزلى، و أحسن من يصوره من المتأخرين هو عبد الفتاح عبد المقصود فى كتابه- الامام على بن ابى طالب- الجزء الاول الطبعة الثالثة: يقول الدكتور عبد الفتاح فى ص- ١٧٩ من كتابه المذكور:

مؤتمر بياضة

«اجتمع سلمان الفارسى، و المقداد بن الاسود الكندى، و ابو ذر الغفارى، و عمار بن ياسر و عبادة بن الصامت، و حذيفة بن اليمان، و البراء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٠٦

بن عازب، و ابو الهيثم بن التيهان و غيرهم من خيرة صحب الرسول (ص) الذين تخلفوا عن بيعه ابى بكر اقتناعا منهم بأن فى الناس سواه اولى منه بالبيعة و من كل الناس اذا اجتمع كل هؤلاء و اجمعوا الكلمة فلقد آن ان يعود الحق اخيرا الى ذويه، التأم الجمع (فى فضاء بنى بياضة) تحت الليل و أقبلوا على الأمر يمحصونه ليروا أنسب الحلول فقال عمار:

- ما لئيم و هذا الأمر؟ انه كان لرسول الله (ص) و هو من بعده فى خير الناس بعد رسول الله (ص) اما لقد ظلمت الأنصار. فأجابه البراء:

- يا أبا اليقظان انما الرجل انتزعه بحق قريش و عاونه صاحبه، فقال حذيفه:

- ان الانصار لتريد ان تنقض ما كان منها:

فسأله عمار:- أ تعلم ذلك حقا؟

فأجابه:- و الله ما كذبت ثم و الله ليكون ذلك، فقال المقداد:

- فهذا و الله خير و ليردن الحق الى صاحبه من بعد.

فقال سلمان:- فان- أبى الرجل؟

فأجابه ابو ذر:- فدعوه انه ليس و لا صاحبه الا ثلاثة من المهاجرين.

قال البراء:- و الله لا يرانى أبدا أبايع ابن ابى قحافة و فى الناس على ابن ابى طالب.

قال عمار:- ما رأى؟

قال المقداد:- رأى ان نعيد الأمر شورى بين المهاجرين.

قال عمار:- أصبت و هذه الانصار تريد ان تنقض امر السقيفة.

و يقول عبد الفتاح فى ص ٢٠٧ من كتابه (الامام على بن ابى طالب) «ندم الانصار على ما سلف منهم حتى سال الأسف بنفوسهم كل مسيل و أخذ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٠٧

الندم يتجمع في النفوس حتى امتلأت به ففاض يلتمس على اللسن و من بين الشفاه و كانت قريش صاحبة احقاد فوقفت لعواطف القوم بالمرصاد. لانتى تحصي عليهم الحروف قبل الالفاظ، و تعده خروجا على طاعة السلطان ان يتحدث الناس بسجايا سواه. و بدأ الحديث مديحا يقابله مديح، و ثناء امام ثناء ثم صار جدلا حتى ترددت كلمات السيف، و القتل، و القتال بين فريق الحاسدين البغاة. و كانت الانبياء لا- تفتأ تأتي عليا بما يدور بين الحزبين فيزيد انطواء على نفسه. و كان الانصار يودون لو انه طلع عليهم فاصابوا بظهوره بينهم قوة تؤلب حوله الرجال و تدفع بقضيته الى الامام و لكنه ظل كما اعتزم مؤثرا ان يبقى بعيدا عن المعترك خشية ان يفتتن به الناس و ما تجيء في اعقاب هذا الافتتان من انقسام الامة في تلك الفترة الحاسمة من تاريخ الاسلام و لم يغير مسلكه ان جاءت جموعهم اليه ذات يوم تحيط بداره و تهتف باسمه، داعية اليه، منادية اياه، ان يبرز لها تباعه، و تعيد له ما ضاع من حقه المسلوب».

و يقول: في ص ٢٠٩ في سرد الحوادث

«وقف سهيل بن عمرو يحف به اعيان قريش يخطب و يقول: يا معشر قريش ان هؤلاء الناس قد دعوا الى انفسهم، و الى على بن ابي طالب، و على في بيته لو شاء لردهم، الا- فادعوه الى صاحبكم، و الى تجديد بيعته، فان اجابوا، و الا فاقتلوهم، .. فو الله اني لارجو الله ان ينصركم عليهم كما نصرتم بهم» ص ٢١٠

ثم تلاه من بعد الحرث بن هشام احد بنى مخزوم آل ابي جهل فقال:

«ايها الناس ان يكن الانصار قد تبوأوا الدار و الايمان من قبل و نقلوا رسول الله الى دورهم من دورنا فأووا و نصرنا فانهم قد لهجوا بامر ان ثبتوا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٠٨

عليه قد خرجوا بما و سموا به و ليس بيننا و بينهم معاتبه الا السيف»

و قال عكرمة بن ابي جهل:

«لو لا قول رسول الله: الأئمة من قريش، ما انكرنا إمرة الانصار ..

انحدروا الى القوم فان أبوا فاقتلوهم»

و في ص ٢١٩ و ٢٢٠ من المصدر نفسه:

«انطلق عمرو بن العاص الى مسجد المدينة يتناول بلسانه ما كان من الانصار اذ ارادوا ان ينصروا عليا بعد خذلان فيفيض في نقدهم و يمعن قال و هو قائم يخطب الناس: «و الله لقد دفع الله عنا من الانصار عزيمة و لما دفع عنهم اعظم، كادوا ان يحلوا جبل الاسلام كما قاتلوا عليه، و يخرجوا منه كما دخلوا فيه الا انهم قاتلونا بالامس فغلبونا على البدء و لو قاتلناهم لغلبناهم على العاقبة» و ان ما يؤيد صحة عزم الانصار على مناصرة الامام و ندمهم على ما فرطوا في حقه هو موقف الامام منهم بعد تحريض الموتورين من اعيان قريش على قتالهم فحين اخبر الفضل بن العباس عليا-ع- بمقالة عمرو غضب الامام و جاء الى المسجد فدعا اليه الناس، حتى تجمعوا و قام فيهم يقول:

«يا معشر قريش ان حب الانصار ايمان، و بغضهم نفاق، ان حب الانصار ايمان و بغضهم نفاق، لقد قضا ما عليهم و بقى ما عليكم. يا معشر قريش ان الله قد رغب لبيكم عن مكة فنقله الى المدينة و كره له قريشا فنقله الى الانصار، يا معشر قريش انا قدمنا على الانصار دارهم فقاسمونا الاموال، و كفونا العمل، حاربنا بهم الناس، و انتصرنا ببذل غنيهم، و ايثار فقيرهم، يا معشر قريش اذكروا ان الله تعالى انزل آية من القرآن جمع فيها الانصار خمس نعم اذ قال «وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٠٩

إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَا كَانَ بِهِمْ حَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَقَّ شَخَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

المُفْلِحُونَ» الا ايها الناس ان عمرو بن العاص قام مقام من آذى فيه الميت والحى، ساء به الوتر، و سربه الموتور، فاستحق من الحاضر الجواب، و من الغائب المقت، فمن احب الله و رسوله احب الانصار، و ليكفف عنا بن العاص نفسه». .

عاد الامام الى بيته و لزم محرابه يجمع القرآن و لم يستمع لنداء الانصار و هتاف الهاتفين من حول داره لانه كان كعادته يقظا، حذرا، منصرفا عن دنيا الناس، حريصا على وحدة الصف، بقدر حرصه على حفظ الدين الذى جاهد فى سبيل نشر رسالته، كان يحز فى قلبه و هو يرى الدخلاء فى الدين يريدون الوقعة بشريعة الله، و الكيد بمن آمن بالله و رسوله حقا، و كان يرى اى بادرة تبدر منه فى تأييد الانصار عمليا تؤدى حتما الى قيام حرب اهلية، و اشتباك مسلح قد يقضى على حياة الصفوة المختارة المؤمنة من اصحاب محمد-ص- و القضاء عليهم هو القضاء على دين الله، و شريعة سيد المرسلين، فرأى فى الصبر على هذا حجبى، فصبر و فى القلب شجبى.

اشتدت الازمة بين الهاتفين لعلى-ع- و بين خصومهم حتى بات التصادم المسلح على و شك الوقوع بين الفريقين فاشار عمر على ابى بكر (رضى) ان يجد فى الامر و يسرع فى اخضاع على و من معه للبيعة مهما كلف الامر

فالتريقه التى يصورها لنا بعض المؤرخين و منهم مؤرخو الشيعة الامامية لكيفية بيعه الامام على-ع- لابي بكر تجعلنا نعتقد بانها كانت اضطرارية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣١٠

حمل الامام عليها حرصه على الدين، و حقن الدماء، و كان للاضطرابات التى حدثت فى القبائل الحديثة العهد بالاسلام بالاضافة الى الاضطرابات الداخلية التى باتت على و شك التصادم المسلح بين المهاجرين و الانصار الاثر الكبير فى حمل الامام على البيعة، فقد رأى فى امتناعه من الموافقة و المسالمة ضررا كبيرا على الاسلام بل ربما كان ينهار الاسلام من اساسه و هو بعد فى اول نشوئه و ترعرعه، و الاسلام عند على و هو اول من امن به حياة العزة، و الكرامة، و السعادة فى المجتمع، و هو بالمقام الذى يجب ان يضحى له نفسه و انفس ما لديه، فكم قد قذف بنفسه فى المهالك تضحية للاسلام، و دفاعا عن كيانه و سواء أ كانت بيعه الامام-ع- لابي بكر (رض) اضطرارية او كما يقول بعضهم جبرية، فان شيعة الامام قد بايعت هى الاخرى ابا بكر و من ولى الامه بعده، و لما صارت الخلافة الى على استبسلت شيعته تحت لوائه فى حرب الناكثين و القاسطين من الفئة الباغية و المارقين فى البصرة، و صفين، و النهروان

و يحدثنا ابن عبد البرقى الاستيعاب فى ترجمة عبد الرحمن بن بزي الانصارى و فى ترجمة عمار بن ياسر بان عدد الذين حضروا مع على فى صفين من اصحاب بيعة الشجرة كانوا ثمانماية نفر من اصل الف و اربعمائة ممن شهدوا مع النبى-ص- الحديبية، و بايعوه بيعة الرضوان تحت الشجرة، اما الذين حضروا مع على-ع- ممن حضر وقعة بدر فكان عددهم ١٧٨ بدريا، استشهد من اهل بيعة الرضوان ثلثمائة و ستون رجلا كما استشهد من اهل بدر ثلاثة و ستون نفرا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣١١

كل ما مر يدل على ان تاريخ شيعة على قديم يرجع الى زمن النبى (ص) و ان التشيع و التحزب و التبعية عند النفوس الكبيرة عبارة عن مزاج و عقيدة تنافى مع المصالح المادية و الشخصية تنافيا كبيرا، و ان جميع الذين وقفوا الى جانب على و شايعوه و صادقوه و زاملوه فى ايام النبى و هو فى ساحة الحرب يذب عن الاسلام او الذين احجموا عن بيعه ابى بكر (ض) و حاولوا ان يباعدوا عليا بالاكره، او الذين وقفوا الى جانب على و استشهدوا بين يديه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣١٢

فى حرب البصرة، و حرب صفين، و حرب النهروان، كانوا اولى مزاج و عقيدة لا يستطيع ان يحولهم عن عقيدتهم طمع و لا جاه، و لا اية امنية من امانى الحياة، و هؤلاء هم زبدة المسلمين الذين حضر بعضهم بدرا، و أحدا و دافعوا عن النبى و الاسلام دفاع المؤمن المستميت، و زاملوا عليا و رافقوه و آمنوا به منذ عرفوه و كلهم او جلهم من اصحاب النبى و من خيرة رجالات الاسلام، و دعائمه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣١٣

اسباب التشيع

إشارة

و التشيع في اهدافه و تعاليمه يمثل اهداف الاسلام و تعاليمه و جوهره، فالتشيع في عقيدة الشيعة هو الايمان بالله و برسالاته و الموالاة لعلی و اهل بيت النبي و الاعتراف بامامته و تصنيف الشيعة الامامية الاثنا عشرية منهم الاعتراف بالائمة الاحد عشر من اولاد علی على الترتيب المعروف عندهم،

اما سبب التشيع لعلی فيقوم على اساسين: الاساس الاول و هو الاخبار و الاحاديث و الروايات الدينية اضافة الى ما يرويه التاريخ عن امامة علی و ما يستدل به علی هذه الامامة من سير الحوادث التي تتضمنها التواريخ القديمة و القريية من عصور الخلافة، خصوصا الاحاديث المروية على السنة غير الشيعة، و التواريخ المكتوبة باقلام غير شيعية، فتجتمع كل هذه الاحاديث و الاخبار و الحوادث التاريخية و تؤلف عند الشيعة دعامة للتمسك بمشايعة علی و متابعتها،

و الاساس الثاني و هو المزاج، المزاج الذي يجعلك ان تحترم كونفشيوس و انت بعيد عنه لمجرد ان تقرأ آراءه فكيف و انت تدرس سيرة من عجائب السير في عمق التفكير، و حسن التصوير، و نضج الرأي، و الخطابة و الادب،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣١٤

و الشجاعة و الايمان، ثم التواضع ثم المرح و انطلاق النفس و الدعابة التي اخذها عليه البعض فقال (لو لا دعابة فيه) بينما هي وحدها الدالة على النفس الطاهرة النقية الى آلاف من صفات الكمال التي حار الكثير من الفلاسفة في تصويرها و تقديرها فكيف بمن رأى عليا رأى العين، و زامله في الحرب، و ما شاه و اختبره في جميع الاحوال و هو يصاحب رسول الله، و هو يعتزل في بيته، و هو يحكم، هذا المزاج هو الاساس عند الذين يكتفون باستعراض السير فيكونون شيعة بداعي مزاجهم،

و اننا نستعرض هنا باجمال بعض الاحاديث و الروايات و الاخبار التي يعود اليها سبب التشيع، اما السيرة فسيتناولها جزء خاص من (قسم النجف) من موسوعة العتبات المقدسة،

ان من أدلة الشيعة الامامية على نص النبي (ص) على امامة علی بالاسم حديث (غدير خم) المشهور الذي رواه ١٢٠ صحابيا و ٨٤ تابعيا و تجاوز طبقات رواته من ائمة الحديث عن ٣٦٠ راويا و بلغ المؤلفون في حديث الغدير من السنة و الشيعة ٢٦ مؤلفا و خلاصته ان النبي -ص- في رجوعه من حجة الوداع، و هي آخر حجة حجها و لم يمكث بعدها حتى توفي و وصل الى (غدير خم) جمع الناس و قام فيهم خطيبا و قال فيما قال:-

«ان الله مولاي و انا مولى المؤمنين و انا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فعلى مولاه، قالها ثلاثا، ثم قال اللهم و ال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله، و أبغض من أبغضه، و ادر الحق معه حيث دار، الا فليبلغ الشاهد الغائب (كتاب الغدير للاميني) (جزء - ١ - ص - ٩ - طبعة ١٣٧٢ هـ) و قد روى حديث من كنت مولاه فعلى مولاه في (الاصابة) في ترجمة الامام علی و (الاستيعاب) في ترجمته و (و الألوسى) في كتاب (نثر اللالي، على نظم الامالي) ١٧٢ طبع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣١٥

بغداد كما رواه اكثر المفسرين من غير الشيعة في تفسير قوله تعالى «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ. و قد جمع العلامة الحلبي ادلة النص على امامة علی في كتابه (الالفين) الذي سماه علی عدد الادلة التي جمعها في الكتاب المذكور نذكر ما ورد منها عن طريق غير الشيعة:

١. روى صاحب الاصابة في ترجمته للامام على -ع- و صاحب (الاستيعاب) في ترجمته عن ام سلمة قالت: جمع النبي عليا و فاطمة و الحسن و الحسين و ادار عليهم رداءه ثم قال: اللهم ان هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس. فنزلت هذه الآية: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا). و ذكر ابو الحمراء في ترجمته قال ان النبي -ص- كان يأتي منزل فاطمة في كل غداة فيقول: السلام عليكم اهل البيت (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا) و في المصدرين المذكورين في ترجمة الامام -ع- ان النبي قال لعلي: انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انك لست بنبي و لا ينبغي اذا ذهبت الا و انت خليفتي: و قال -ص- يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله، و رسوله، و يحبه الله و رسوله فاستدعى عليا و دفع اليه الراية و قال -ص- من كنت مولاه فعلى مولاه و قال -ص- يا علي لا- يجبك الا- مؤمن، و لا- يبغضك الا منافق، و قال -ص- ان عليا ولي كل مؤمن من بعدى.

روى ابن الاثير في الكامل (ج ١) كيفية دعوة النبي لعشيرته لما نزلت اية (و انذر عشيرتكم الاقربين) قال: ما ملخصه ان النبي -ص- امر عليا ان يدعو عشيرته فجمعهم و هم اربعون رجلا يزيدون واحدا او يقلون واحدا و قال فيما قال (قد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة و قد امرني ربي ان ادعوكم اليه فأيكم يؤزرنى على امرى هذا فيكون اخي و وصي و خليفتي فيكم؟ فقال -ع- انا يا رسول الله بعد ان سكت القوم فأخذ النبي -ص- برقبته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣١٦

و قال: ان هذا اخي و وصيي و خليفتي فيكم فاسمعوا. و أطيعوا. فقام القوم يضحكون الخ.

و ذكر صاحب الاصابة في ترجمته و هب بن حمزة قال: قال رسول الله -ص- ان عليا وليكم من بعدى و من المصدرين المذكورين في ترجمته و في (نثر اللالى) للالوسى (و الصحاح الست): انا مدينة العلم و بابها على فمن اراد العلم فليأت من الباب، و في المصادر المذكورة ان النبي استدعى عليا و فاطمة و الحسن و الحسين و راح يباهى بهم و فد نجران فنزلت هذه الآية (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ، وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ، وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ، عَلَى الْكَاذِبِينَ). و روى الالوسى في كتابه (نثر اللالى) في نظم الامالى ص ١٦٩ عن الحديث الذى اخرجه بن مردويه و ابن عساكر و الخطيب البغدادي عن اسماء و بنت عميس قالت: رأيت رسول الله -ص- في ثبير (و هو جبل في مكة و المدينة) و هو يقول: اشرف ثبير اشرف ثبير اللهم انى اسألك مما سألك اخي موسى بن عمران ان تشرح لى صدرى و تيسر لى امرى و تحل عقده من لسانى ليفقهوا امرى و اجعل لى وزيرا من اهلى اخى عليا اشدد به ازرى و أشركه فى امرى كى نسبحك كثيرا و نذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا.

و يجدر بنا ان ننقل ما اورده ابن حجر فى كتابه (الصواعق) ص ٨٩ و ص ٩٠ يقول: بعد ان اورد الآية الرابعة فى شأن اهل البيت و هى قوله تعالى (وقفوههم انهم مسئولون) ان ما نقله المفسرون: ان الموقف و السؤال انما هو عن ولاية على ابن ابى طالب و اهل البيت فقد قال رسول الله -ص- فى مواضع متعددة انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى اهل بيتى فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، و منها يوم (غدير خم).

و قد سمى رسول الله -ص- القرآن و عترته بالثقلين لأن الثقل هو كل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣١٧

نفيس و خطير و هذان كذلك اذ كل منهما معدن للعلوم الدينية و الاسرار و الحكم العالية و الأحكام الشرعية لذا حث النبي -ص- على الاقتداء و التمسك باهل بيته و التعظيم فيهم و قال: الحمد لله الذى جعل فينا الحكمة اهل البيت.

و قيل سمى بالثقلين لثقل و جوب رعاية حقوقهما ثم الذين وقع الحث عليهم انما هم العارفون بكتاب الله و سنة رسوله اذ هم الذين لا يفارقون الكتاب الى الحوض و يؤيد الخبر السابق: و لا- تعلموهم فانهم اعلم منكم. و تميزوا عن بقية العلماء لاني الله اذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا و شرفهم بالكرامات الباهرة و المزايا المتكاثرة و فى احاديث الحث على التمسك بأهل البيت اشارة الى عدم

انقطع متأهل منهم للتمسك به الى يوم القيامة كما ان كتاب الله العزيز كذلك و لهذا كانوا امانا لأهل الأرض. ثم ان الأحق بالتمسك به منهم امامهم و عالمهم على بن ابي طالب كرم الله وجهه لما قدمناه من فريد علمه و رفاق مستنبطاته و لقد قال ابو بكر (رض) «على عتره رسول الله» - ص - هذا بعض ما قاله ابن حجر في كتابه المذكور الذي جمع مناقب الامام على و روى احاديث كثيرة في فضله فعلى طالب المزيد من هذه الاخبار مراجعته، اضافة الى عدد من المؤلفات لغير الشيعة مما تضمن مثل هذه النصوص كمسند احمد بن حنبل، و الخصائص، للنسائي، و (نور الابصار) للشبلنجي، و (ينابيع المودة) و غيرها ممن اعتمد الحديث و الرواية و الخبر في امامة على و فضله.

يقول احمد امين في كتابه (يوم الاسلام) ص ٤١ طبعة ١٩٥٨.

«اراد رسول الله - ص - في مرضه الذي مات فيه ان يعين من يلي الامر بعده ففي الصحيحين - البخاري - و مسلم ان رسول الله لما احتضرته الوفاة قال: هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، و كان في البيت رجال منهم عمر موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣١٨

بن الخطاب فقال عمر: ان رسول الله - ص - قد غلب عليه الوجع و عندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف القوم فمنهم من قال: قربوا اليه يكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده، و منهم من قال: القول ما قاله عمر، فلما كثر اللغو و الاختلاف عنده قال لهم: قوموا فقاموا، و ترك الامر مفتوحا لمن شاء و جعل المسلمين طوال عصرهم يختلفون على الخلافة حتى عصرنا هذا.

و قال في ص ٥٢ «كان مجال الخلاف الاول بين الصحابة في بيت النبي - ص - و الثاني في سقيفة بني ساعدة و اخيرا تم الامر لأبي بكر على مضض، و قال في ص ٥٤ و بايع عمر ابا بكر ثم بايعه الناس و كان في هذا مخالفة لركن الشورى و لذلك قال عمر: انها غلظة و قى الله المسلمين شرها و كذلك كانت غلظة بيعه ابي بكر لعمر»

و كثيرة هي الروايات و الاخبار التي تشير الى دعوة النبي للتشيع لعلى، و قد كان يرمى حمل المسلمين المؤمنين من المهاجرين و الانصار على الوقوف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣١٩

بجانب على للدفاع عن الدين ورد كل من تسول له نفسه الانحراف بتعاليمه و احكامه عن المقاصد التي شرعها الله و انزلها على رسوله فقد كان يعلم بما سيصيب الاسلام من بعده من انتكاسة على يد المناوئين له بعد ان انتصر عليهم في ثلاث معارك - بدر - و احد - و الاحزاب - فاسلموا يوم فتح مكة ليسلموا على رؤوسهم التي طوقتها سيوف المهاجرين و الانصار فدخلوا في دين الله و هم له كارهون و اظهروا الطاعة له و تستروا بالاسلام و كتموا احقادهم و ضغائنهم في صدورهم و راحو يتحينون الفرص للانقضاض على الدين و محو معالمه من الدنيا.

و لبث النبي - ص - بعد الفتح يحذر المسلمين بين آونة و اخرى من شرور من اسلم خشية القتل يوم الفتح فرأى ابا سفيان راكبا و ولده يزيد آخذ بزمام بغلته و معاوية يسوقها فقال «اللهم العن الراكب و القائد و السائق و قال «اذا وجدتم معاوية على منبري فاقتلوه و قال - ص - الخلافة بعدى ثلاثون سنة و في حديث آخر اربعون سنة ثم تكون ملكا غضوضا و قال ص - «رأيت في المنام كأن بنى امية ينزون على منبري كما تنزو القردة و قال - ص - اذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا و عباد الله خولا و غير ذلك من الاحاديث التي رواها غير الشيعة قبل الشيعة التي تشير الى ما كان يضمه الأمويون و حلفائهم من الكيد و البطش للاسلام و المسلمين و الاستيلاء على الخلافة و قلب نظام الحكم في الاسلام و لم يكن امر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٢٠

الطلاق خافيا على المسلمين فقد حذر عمر (رض) رجال الشورى منهم بقوله «لا تختلفوا فاذا اختلفتم جاءكم معاوية من الشام و ابن ربيعة من اليمن فلا يريان لكم فضلا لسابقتكم و ان هذا الامر لا يصلح للطلاق و ابناء الطلقاء «ترجمة عبد الله بن ابي ربيعة» في

الاصابة.

هذا عرض مختصر جدا يقتضيه المدخل الى الموسوعة لبعض الأخبار الواردة عن علي و التي نعتبر السبب الاساسى للتشيع الى علي و الائتتام به و التمسك بولائه.

الامامة

تقول التواريخ ان المسلمين قد اختلفوا بعد وفاة النبي -ص- فى من يجب ان يتولى الامر من بعده و افرقوا الى فريقين قال احدهما و هم الشيعة ان الامامة هى الولاية العامة و من الامور الهامة التى يتوقف عليها حفظ الدين و كيان الاسلام و رعاية شؤون المسلمين، و ان رسول الله لم يغفل عن امرها و خطرها و انه قد نص فى حياته على ولاية علي و وجوب موالاته على المسلمين فهو الولي و هو الامام من بعده و الائمة من بعد علي هم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم الباقر محمد، ثم الصادق جعفر، ثم الكاظم موسى، ثم الرضا علي، ثم الجواد محمد، ثم الهادي علي، ثم العسكري الحسن بن علي ثم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٢١

المهدي محمد عليهم السلام و الى هذا رأى ذهب الشيعة الامامية الاثنا عشرية .

و قال الفريق الآخر: ان النبي -ص- خرج من الدنيا و لم يستخلف على دينه من يقوم مقامه و ان كل من دعا الى كتاب الله و السنة و العمل بالعدل من قریش و جبت امامته، و الخروج معه و الى هذا القول ذهب بقيه المسلمين من غير الشيعة دون ان يكون الخلاف فى الرأى بين الفريقين سببا للشقاق و التفرقة او موجبا لتعطيل الاحكام و الحد من نشاط الحركة الاسلامية و قد تقبل القائلون بالنص على امامة علي -ع- الامر الواقع و بايعوا لابي بكر بعد ان بايعه الاسلام، و اشترك الفريقان فى الجهاد فى سبيل الله و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر و اعلاء كلمة التوحيد و هكذا ظل المسلمون من الفريقين يتمتعون بنعمة الموءاخاة و المحبة و الصفاء يسود بينهما العدل و الحكمة و المساواة حتى خلافة عثمان الذى وجد فيها الموتورون و الامويون وسيلة لرسوخ اقدامهم و تولى الامارات و السيطرة. و الاستيلاء على الحكم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٢٢

من لدن الطلقاء و المؤلفنة قلوبهم فقد تولى عدد من بنى امية و آل ابى معيط مهمات خطيرة منها ولاية الشام، و مصر، و الكوفة، و البصرة و هى اهم و اخطر الولايات الاسلامية و اغناها و عليها المعول فى تمويل الخلافة الاسلامية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٢٣

و يقول الاستاذ محمود ابورية فى كتابه (شيخ المضيره) ص ١٥١ «و كان عثمان بما مكن لبنى امية من حكم هذه الولايات الاربع الكبيرة، و هى تعد بمثابة القواعد الاربع للدولة الاسلامية، انما يصنع هذه القواعد لكى تقوم عليها اركان الدولة الاموية و كان كذلك و هو يجمع اطراف الشام كلها بيد معاوية و يجعلها تحت سلطانه انما يرمى الى ترشيحه لأن يكون ملكا لهذه الدولة و يهيء السبيل لكى يتولى الزعامة الاموية بعد ابيه ابى سفيان»

و يقول الدكتور طه حسين فى كتابه الفتنة الكبرى (عثمان) ص ١٢٠:

«و ليس من شك فى ان عثمان هو الذى مهد لمعاوية ما اتيح له من نقل الخلافة ذات يوم الى آل ابى سفيان و تثبيتها فى بنى امية» و يقول ابورية فى كتابه المذكور ص ١٥٢: «و من اعمال عثمان التى استنكرها المسلمون اشد استنكار و لا يستطيع احد ان يدافع عنه فيها انه رد الحكم بن العاص و اهله الى المدينة و كان النبي (رض) قد اخرجهم، و اعطاه مالا كثيرا قدر بمائة الف درهم، و اقطع ولده الحارث سوق المدينة، و يعرف بنهروز، و كان النبي رض قد تصدق به على المسلمين، و اتخذ مروان و زيرا و مشيرا و امر له بمائة الف ثم اقطعه فدكا التى كانت ملكا للنبي و كانت فاطمة (رض) عنها قد طلبتها من ابى بكر ورد طلبها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٢٤

و يقول في صفحة ١٥٣

«و لما ولي عثمان و هو اموى استعان بالامويين فكان اكثر عماله منهم.

و كان كاتبه و امين سره مروان بن الحكم الاموى، و مروان هو و شيعته قد هدموا كل ما بناه الاسلام من قبل و دعمه ابو بكر و عمر من محاربة العصبيه القبلية، و بث الشعور بان العرب وحده و حكموا كامويين لا- كعرب فحرك ذلك ما كان كامنا من العداوة القديمة بين بنى هاشم و بنى اميه»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٢٥

بدأ عثمان خلافته بتفكيك اوامر الصداقة و المحبة و الاخاء و كانا يسودان المجتمع الاسلامى فى عهد النبى و الخليفين و ساعدت اعماله على استياء كبار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٢٦

الصحابه و السابقين منهم و ابعاد رجال الراى و الحديث و الاجتهاد امثال ابى بن كعب و عبد الله بن مسعود، و عمار بن ياسر، و المقداد بن الاسود الكندى، و ابى ذر، و خزيمه بن الثابت ذى الشهادتين و غيرهم من الذين كانوا موضع ثقه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٢٧

رسول الله- ص- و اليهم كان يفرع ابو بكر و عمر (ض) فى امهات المسائل و معضلات الامور، فابعدهم عثمان عن مركز الخلافة و النظر فى شؤون المسلمين و قرب اليه المبعدين و المنفيين فى عهد النبى- ص- امثال الحكم بن ابى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٢٨

العاص و ولديه مروان و الحارث و معاوية و الوليد بن عتبة و ابى سفيان و من على شاكلته فاستفحلت سيطرة الانتهازيين و اصحاب المطامع و الاهواء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٢٩

و المؤلفه قلوبهم و الموتورين و هاجت عداوة الامويين للهاشميين علانية فتألفت من كل اولئك جماعة و فى مقدمتهم الامويون لمحاربة على بن ابى طالب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٣٠

و مناوئته و بث مختلف الدعاوة ضده و ضد شيعته و ضد الدين و تعاليمه للاستيلاء على الخلافة التى باتت على و شك ان تصير الى الامام على- ع- بعد عثمان،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٣١

فانقسم المسلمون الى فريقين متخاصمين متناحرين يستحيل الجمع بينهما لاختلاف العقيدة و القصد و الغاية و بدأ الصراع الدامى بين الفريقين طيلة العهد الاموى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٣٢

ثم تحول الى صراع عقائدى يشتد تارة و يخف تارة اخرى و لم يسلم هذا النزاع من الفتك و البطش فى اكثر العهود و ما زالت آثاره السيئه ماثله امام المسلمين الى اليوم ففى قبال مذهب التشيع لعلى اعلن الامويون مذهب العثمانية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٣٣

العثمانية اول حرب شنت فى وجه على و شيعته

إشارة

العثمانية مذهب ظهر بعد قتل عثمان (ض) سنة ٣٥ في مقابل التشيع ضم العناصر التي كانت تبغض الامام عليا (ع) ووقفت ضده كافة بعد وفاة النبي -ص- وسعت الى ابعاده عن الخلافة فمنهم من جهر بذلك ووقف بجانب الامويين كعمرو بن العاص، و بسر بن ارطاة، و شرحبيل بن ذي الكلاع، و مالك بن حمزه، و عبد الرحمن ابن ابى بكر، و عبد الله بن عمر، و ابو هريرة، و امثالهم و منهم من آمن به سرا و امتنع عن بيعه على -ع- يقول انيس النصولي في كتابه (دولة امية في الشام) «ان كلمة العثمانيه تدل في الأصل على اقرباء عثمان الخليفة، الثالث و مواليه غير انها اطلقت في الحرب الاهلية للدلالة على حزب الخليفة المقتول الذين قاموا يطالبون بقصاص من سفك دم ذلك الشهيد المظلوم في عرفهم، و تطرف بعضهم فقالوا ان لعلي يدا في الثورة التي نشبت في المدينة و كان من نتيجتها قتل عثمان، و لهذا فهو غير جدير بتسلم عرش الخلافة، و انه لمن الغلط الفادح ان نعتقد بان العثمانيه هم حزب موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٣٤

معاوية و مريدوه بل بالعكس فان كل من التف حول معاوية و ناصره من اجل الاقتصاص لعثمان و الأخذ بثأرهم فهو من العثمانيه» و يقول في ص ٨ من كتابه

«لما قتل عثمان اجتمع الناس من المهاجرين و الانصار فأتوا عليا و بايعوه سنة ٣٥ هـ ٦٥٥ م و الانصار هم اكثرية حزب علي ان هؤلاء منذ وفاة النبي -ص- لم يرضوا عن بيعه ابى بكر خليفة المسلمين و اعترضوا و احتجوا ذلك، فلو نظرنا الى الامر جليا لتحققنا انهم لم يفوزوا في انتخاب علي في الفرص الثلاث التي سنحت لهم بل تربع على عرش الخلافة ابو بكر و عمر، و عثمان، مما هو مشهور» و يقول النصولي ايضا

«لو استثنينا النبلاء من اهل المدينة لوجدنا القليل من اشراف بقيه البلاد الاسلامية مواليه لعلي و يمكننا القول ان اغلب سادة قريش ووقفت على الحياد او ظاهرت معاوية و كانته فتأثر ابن ابى طالب من عدائهم له». و يقول في صفحة ٩

«و اعتزل عن بيعته سعد بن ابى وقاص، و زيد، و عبد الله بن سلام، و اسامة بن زيد، و المغيرة بن شعبه، و عبد الله بن عمر، و ابو موسى الأشعري، و كان هؤلاء يعتقدون انه لا يجوز دينا الاشتراك في الفتنة و مقاتلة اخوانهم في الاسلام و قد قال اسامة لعلي لما طلب منه الخروج: اعفنى من الخروج معك فاننى عاهدت الله ان لا اقاتل من شهد ان لا إله الا الله. و قال سعد: اعطنى سيفا يفرق بين المسلم و الكافر. ثم انضم هؤلاء الرجال الى موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٣٥

معاوية و تألف منهم حزب العثمانيه الذين يقدمون بنى امية على بنى هاشم و يقولون ان الشام خير من المدينة و قد قعدوا عن علي بن ابى طالب و لم يشهدوا حروبه»

لقد ظهرت في مذهب العثمانيه فكرة القول بالارجاء بعد مقتل عثمان عام ٣٥ لحمل الناس على قتال الامام علي -ع- مع علمهم بعصيان ذلك و من اصول الارجاء القول بان العفو واجب على الله و ان جميع الذنوب ما عدا الشرك مغفورة لا محالة و ان العبد اذا مات على التوحيد لم يضره ما اقترف من الآثام و اجترح من السيئات و ان كل ما يعمله العبد من الخير و الشر هو من الله لانه مسير في جميع احواله و لا اختيار له في كل ما يفعل.

استحدث مذهب العثمانيه مقابل مذهب التشيع و للرد على معتقدات الشيعة الذين كانوا يطعنون في معتقدات الامويين و يناقشون الاعمال و الاخطاء التي ارتكبها بعض الصحابة في خروجها على الامام علي، و نكث بيعته و قتاله في البصرة، و صفين، و لتحريم البحث في تلك الاخطاء طرح العثمانيون احاديث نسبوا الى النبي -ص- في فضل عامة الصحابة دون استثناء و وجوب احترام كل واحد

منهم مهما ارتكب من الذنوب والآثام كحديث (اصحابي كالنجم بأيهم اقتديتم اهتديتم) وقوله (الله الله لا تتخذوا اصحابي غرضاً فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني و من آذاني آذى الله) وقوله لعمر (ما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٣٦

فقال لهم اعملوا ما شئتم) واعتبر العثمانيون الصحابة كلهم ابراراً، و كلهم ا خياراً عدولاً، و ان عدالتهم ثابتة و معلومة بتعديل الله (و كنتم خير امة اخرجت للناس) و لا يدخل احد منهم النار و انهم كلهم من اهل الجنة قطعاً من دون تفريق بين ابي بكر و معاوية و بين عمر و مروان، و بين عمار و قاتله ابي الفادية و بين الامام الحسين و قاتله الحصين بن نمير السكوني و شمر بن ذى الجوشن.

لقد ناقش ائمة الفقه غير الشيعة هذه الاحاديث و منهم الامام ابو حنيفة و الامام الشافعي فقد روى ابو الفداء عن الشافعي انه اسر الى الربيع ان لا يقبل شهادة اربعة من الصحابة: معاوية- و عمرو بن العاص- و زياد- و المغيرة بن شعبة، و عن ابي يوسف قال قلت لأبي حنيفة: الخبر يجيئني عن رسول الله- ص- يخالف قياسنا فما نصنع فقال: ان جاءت به الرواة الثقات عملنا به و تركنا الرأي فقلت: ما تقول في رواية ابي بكر و عمر قال ناهيك بها، فقلت و علي و عثمان قال: كذلك، فلما رأني اعدد الصحابة قال، و الصحابة كلهم عدول ما عدا رجال و عد منهم ابا هريرة، و انس بن مالك، و في خبر آخر عد منهم: سمرة بن جندب، و ابا هريرة و انس بن مالك. تقول الشيعة ان الحكم القطعي بدخول جميع الصحابة الى الجنة و عدم دخول فرد منهم النار يناقض الاحاديث التي صححها الامام البخاري في مسنده الذي يعتبر اصدق كتاب بعد القرآن كما يقول ابن خلدون و لا يجوز النظر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٣٧

في رجال رواه ذكر في- باب الحوض- المجلد الرابع ص ٨٧ و ٨٨ الاحاديث التالية:

عن مغيرة قال: سمعت ابا وائل عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي- ص- قال: انا فرطكم على الحوض و ليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول:

يا رب اصحابي فيقول: انك لا تدري ما احدثوا بعدك.

و باسناده عن ابي هريرة انه كان يحدث ان رسول الله- ص- قال: يرد على يوم القيامة رهط من اصحابي فيحثلون عن الحوض فأقول يا رب اصحابي فيقول: انك لا- علم لك بما حدث بعدك. انهم ارتدوا على ادبارهم القهقري. باسناده عن ابن المسيب انه كان يحدث عن اصحاب النبي- ص- ان النبي قال: يرد على الحوض رجال من اصحابي فيحثلون عنه فأقول: يا رب اصحابي فيقول انك لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقري.

و باسناده عن اسماء بنت ابي بكر قالت قال رسول الله- ص-: اني على الحوض حتى انظر من يرد على منكم و سيؤخذ ناس فأقول يا رب مني و من امتي فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك انهم و الله ما يرحوا يرجعون على اعقابهم، و باسناده عن سهل بن سعد قال: اني فرطكم على الحوض من مّر علي و شرب و من شرب لم يظماً ابداً، ليردن على اقوام اعرفهم و يعرفونني، ثم يحال بيني و بينهم، قال ابو حازم فسمعني النعمان بن ابي عباس فقال:

هكذا سمعت عن سهل؟ فقلت نعم، فقال اشهد على ابي سعيد الحذري لسمعته و هو يزيد فيها فأقول انهم مني فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك فأقول سحقا لمن غير بعدى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٣٨

الصراع بين الشيعة العلوية و الشيعة العثمانية

كانت الثورة تغلي في المدينة على عثمان تريد خلعه و ان ابي فقتله و كلما اشتدت الازمة فزع الامام علي (ع) و اسرع الى انقاذه و

التفاهم مع الثوار فكان كلما اصلح على امرا افسده مروان، حتى فطنت الى ذلك زوجة عثمان نافلة بنت الفراقصة فدخلت عليه في آخر مرة بعد ان غضب الامام و يئس من اصلاح ما يفسده عليه مروان، فقالت لزوجها «ان مروان ميتم اولادك، انك إن تطعه يقتلك، ارسل الى ابن عمك عليا فاصلحه فان له في الناس وجهها و اراه غير عائد اليك» و لم يكن طلحة بن عبيد الله و الزبير بن العوام و غيرهما بمعزل عن الثورة و الثائرين و تحريضهم الناس على عثمان بل قيل ان الهجوم قد بدأ على عثمان باشارة من طلحة و قد شاهده عثمان بنفسه يختلي بقائد الثورة بن عديس ثم يبدأ الهجوم.

يقول ابن الاثير في الكامل من حوادث سنة ٣٥ هـ:

«قال عبد الله بن عباس بن ابي ربيعة: دخلت على عثمان فأخذ يدي فاسمعني كلام من على بابه، فمنهم من يقول ما تنتظرون بالرجل؟ و منهم من يقول: انظروه عسى ان يرجع. قال بينما نحن كذلك و اقفون اذ مر طلحة فقال: اين ابن عديس؟ فقام اليه فناحاه ثم رجع ابن عديس فقال لاصحابه لا تتركوا احدا يدخل على عثمان و لا يخرج من عنده فقال لي عثمان هذا ما أمر به طلحة اللهم اكفني شر طلحة فانه حمل على هؤلاء القوم و ألبهم عليّ اني لارجو ان يكون صفرا منها و ان يسفك دمه»

كان مروان حاضرا لما دعا عثمان على طلحة فقد روى ابن الاثير في حوادث سنة ٣٦ من وقائع معركة الجمل «رأى مروان طلحة بين الفارين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٣٩

فرماه بسهم و لما شاهد طلحة الدم يسيل منه قال: اللهم خذ لعثمان حتى ترضى، و اجتاز به رجل فقال له: انت من اصحاب امير المؤمنين؟ قال نعم، فقال له طلحة: مد يدك ابايعك له، فخاف ان يموت و ليس في عنقه بيعة للامام.

تخلى المسلمون عن عثمان (رض) ففضت الثورة عليه و في هذا الجو المحموم انهال المسلمون على علي (ع) يطلبون يده ليايعوه فامتنع الامام من قبول البيعة و اصر على الرفض فجاء اليه الشيخان طلحة و الزبير يلتمسان منه قبول البيعة و حماية المدينة من عبث الثائرين لاذن الثورة باتت على و شك التحول الى الفوضى و ما زالوا به حتى رضى مكرها و بايعه المسلمون عامة و لم يتخلف عن بيعته الا جماعة الامويين و نفر من اصحابه اما المهاجرون من اهل المدينة عامة و الانصار جميعا فقد بايعوا الامام و تبعهم المسلمون خارج المدينة باستثناء اهل الشام الذين كانوا يأتمرون بامر معاوية، و لم تلق بيعة الامام ترحيبا، في قلوب النبلاء من قريش و من اسلم منهم بعد الفتح، فتحالفت العناصر الاخرى للسباب التي استعرضناها من قبل و وحدت موقفها للمرة الثانية لا فساد بيعة الامام و ابعاده عن الخلافة مهما كلف الامر، و امتنع عن بيعته من امتنع امثال سعد بن ابي وقاص، و عبد الله بن عمر، و اسامة بن زيد، و المغيرة بن شعبه، و ابي موسى الاشعري، و نكث بيعته طلحة و الزبير، فاصبح ثلاثة من بقية رجال الشورى الذين رشحهم عمر للخلافة و جعلهم في مصاف الامام علي (ع) و في مرتبته في الاسلام بين ممتنع عن البيعة و بين ناكث لها، فسواء أ كان الناكثان لبيعة الامام مندفعين من تلقاء نفسيهما على نكث البيعة ام كانا مدفوعين من قبل زعيم الامويين معاوية كما يفهم من كتبه اليهما فان السبب الذي اختلقه لنكث البيعة لم يكن سببا يبرر موقفهما في الاشتراك في تأليب الناس على قتل عثمان و لا يدفع مطالبتهما بدم عثمان بتهمة الاستيلاء على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٤٠

الخلافة لا سيما و قد وعدهما معاوية بان يبايع لاحدهما اذا انتصر على الامام كما جاء في نص كتابه الى كل واحد منهما على الانفراد.

روى بن ابي الحديد في الجزء السابع من المجلد الثاني ص ٧٩١ من شرح النهج نص الكتب التي بدأت تتبادل بين مروان في المدينة و بين معاوية في الشام ابان حصار عثمان و بين معاوية و ولاة عثمان من الامويين في البصرة، و اليمن، و الحجاز، و غيرها بعد مقتل عثمان يحرضهم على الثورة و قد كتب الى طلحة بن عبيد الله يقول: «اما بعد فانت أقل قريش و ترامع صباحة وجهك، و سماحة

كفكك، و فصاحة لسانك فانت ازاء من تقدمك في السابقة و خامس المبشرين بالجنة و لك يوم احد، و شرفه، و فضله، فسارع يرحمك الله الى ما تقلدك الرعية امرها، لا يسعك التخلف عنه و لا يرضى الله منك الا بالقيام به فقد احكمت لك الامر من قبلي، و الزبير فغير متقدم عليك بفضل، و ايكما قدم صاحبه فالمتقدم الامام و الامر من بعده للمقدم له سلك بك قصد المهتدين و وهب لك رشد الموقنين»

و كتب الى الزبير «اما بعد فانك الزبير ابن العوام بن ابي خديجة و ابن رسول الله و حواريه و سلفه و صهر ابي بكر و فارس المسلمين و انت الباذل مهجتك بمكة عند صيحة الشيطان بعثك المنبعث فخرجت كالثعبان المنسلخ بالسيف المنصلت تخبط خبط الجمل الوديع كل ذلك قوة ايمان، و صدق يقين، و سبقت لك من رسول الله (ص) البشارة بالجنة و جعلك عمر احد المستخلفين على الامة، و اعلم ابا عبد الله ان الرعية اصبحت كالغنم المتفرقة لغيبة الراعي فسارع رحمك الله الى حقن الدماء و لم الشعث و جمع الكلمة و صلاح ذات البين قبل تفاقم الامر و انتشار الامة فقد اصبح الناس على شفا جرف ها و عما قليل ينهار ان لم يرأب فشمم لتأليف الامة و ابتغ الى ربك سيلا فقد احكمت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٤١

الامر من قبلي لك و لصاحبك على الامر للمقدم ثم لصاحبه من بعده جعلك الله من أئمة الهدى و بغاة الخير و التقوى و السلام»
و مما يدل على ان معاوية كان قد ارسل الى طلحة غير هذا الكتاب يحرضه على الطلب بدم عثمان ما جاء في كتابه الى يعلى بن امية عامل عثمان على اليمن يقول «و قد كتبت الى طلحة بن عبيد الله ان يلقاك بمكة حتى يجتمع رأيكما على اظهار الدعوة و الطلب بدم عثمان امير المؤمنين المظلوم و كتبت الى عبد الله بن عامر يمهد لك العراق و يسهل لكم حزنه اما الشام فقد كفيتك امرها»
هكذا تحالفت القوى المناوئة للبيت الهاشمي على ابعاده عن الخلافة و بدأت امية معركتها ضد الامام على من مكة كما بدأها زعيم الامويين ابو سفيان ضد النبي محمد (ص) و عادت الخصومة الاموية من جديد في جولتها الثانية على مسرح الاسلام باسم الدين لضرب قواعد الاسلام و تمزيق وحدة المسلمين في صورة المطالبة بدم عثمان بينما كانت المعركة معركة انتقام من الامام و شيعته الانصار الذين انتصروا على قريش في معركة بدر و قتل الامام فيه شقيق معاوية حنظلة بن ابي سفيان، و اشترك في قتل عدد من الامويين منهم الوليد، و عتبة، و شيبه كما تقدم بالاضافة الى الطمع بالملك و السلطان و النفوذ.

ان هذه الكتب قد فضحت مؤامرة قريش و ثورة الامويين ضد الهاشميين و كشفت لنا الستار عن كان وراء حرب الجمل، فان معركة الجمل كانت بتحريض الامويين و قادة جيشها كانوا مسيرين من حيث يدرون او لا يدرون و ان عمال عثمان في اليمن و البصرة و مكة هم الذين جهزوا الجيش بالاموال التي انتهبوها من بيوت اموال المسلمين في تلك الاقطار و جاءوا بها الى مكة بأمر معاوية، يقول ابن الاثير في الكامل في حوادث سنة ست و ثلاثين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٤٢

«ان السبب في اجتماعهم بمكة ان عائشة كانت خرجت اليها و عثمان محصور، ثم خرجت من مكة تريد المدينة فلما كانت (بسرف) لقيها رجل من احوالها من بني ليث يقال له عبيد بن ابي سلمة و هو ابن ام كلاب فقالت له فيم؟

قال: قتل عثمان و بقوا ثمانيا، قالت ثم صنعوا ماذا؟ قال اجتمعوا على بيعه على فقالت ليت هذه انطبقت على هذه ان تم الامر لصاحبكم، ردوني، فانصرفت الى مكة و هي تقول قتل و الله عثمان مظلوما، و الله لا طالبن بدمه الى نهاية ما يورده ابن الاثير مما نضرب عن ذكره الى ان يقول «فانصرفت عائشة الى مكة و دخلت الحجر فاستترت فيه فاجتمع حولها الناس فقالت: ايها الناس ان الغوغاء من اهل الامصار و اهل المياه و عبيد اهل المدينة اجتمعا على هذا الرجل المقتول ظلما بالامس و نقموا عليه استعمال من حدثت سنه، و قد استعمل امثالهم قبله، الى آخر خطبتها فقال عبد الله بن عامر الحضري و كان عامل عثمان على مكة: ها انا ذا اول طالب بدمه فاجابه بنو امية على ذلك و كانوا قد هربوا من المدينة الى مكة فرفعوا رؤوسهم و كان اول من تكلموا و قدم عليهم عبد

الله بن عامر من البصرة بمال كثير و يعلى بن امية من اليمن و معه ستمائة بعير و ستمائة الف درهم، فقالت عائشة انهضوا الى هذا الغوغاء فقالوا نأتى الشام فقال ابن عامر كفاكم الشام معاوية، فأتوا البصرة فان لى بها صنائع و لهم فى طلحة هوى»
هكذا دفع الامويين الشيعين الناكثين طلحة و الزبير راغبين ام راغبين الى مصيرهما المحتوم و وقف من ورائهما معاوية يضحك من اندفاعهما وراء الامل المنشود و من الواضح ان معاوية لم يفكر فى يوم من الايام ان يبايع طلحة او الزبير لو خلى لهما الامر و انما اراد ان يؤلبهما على على و ان يجرب قوة الامام على و فى كلتا الحالتين ان انتصرا على الامام تخلص من اقوى شخصيه لزعامه المسلمين و سهل عليه بعد ذلك امر ابعادهما عن الخلافة بنفس التهمة التى اتهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٤٣

هذان الشيخان بها الامام عليا و هى قتل عثمان، لا سيما و ان اشتراكهما فى تألب الناس عليه و تحريض الثوار على قتله من الامور الثانية لدى جمهور المسلمين من اهل المدينة و من حضرها من الامصار و ان انتصر عليهما الامام فقد تخلص معاوية من اقوى مرشحين للخلافة من رجال الشورى و الزم عليا بدماء ثلاثة من كبار الصحابة المنتخبين للخلافة من الذين مات رسول الله و هو عنهم راض كما حدث بذلك عمر (رض).

ما أشبه حياة الامام على -ع- بحياة النبي -ص- فقد بدأ الامام خلافته بثلاث معارك أقامها بنو اميه عليه فى البصرة، و صفين، و النهروان، كما بدأ النبي رسالته بثلاث معارك أقامها الامويون عليه فى بدر، واحد، و الاحزاب، و كانت الغاية واحدة و الهدف واحدا، و هو الصراع بين الحق و الباطل، و النزاع بين الشرك و الايمان، فالامام على و تيرة النبي -ص- و معاوية على و تيرة ابى سفيان، و كانت النتيجة واحدة و ان اختلفت فى ظاهرها بانتصار معاوية على الامام، الا ان النصر النهائى كان للامام -ع- فقد ذهب معاوية و ذهب معه كل ما اقامه من معالم الباطل، و الفساد، و الدعوة الى الجاهلية، و ذهب على -ع- و بقى كل ما حققه فى جهاده للدين من مجد و عزة و كرامة، و ما خلف من ارث فى عالم الحضارة و الانسانية و العدل، و ما اشبه حياة اصحاب الفريقين و موقفهما فى المعارك الاسلامية فكما اشترك اعيان قريش النبلاء بجانب ابى سفيان فى حرب النبي اشترك معاوية و ذووه و انصاره فى حرب على و قد صدق عمار بن ياسر حين صرخ يوم صفين قائلا:

نحن ضربناكم على تنزله و اليوم نضربكم على تأويله

بدات جولة الامويين الثانية من مكة و سار الجيش قاصدا البصرة لان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٤٤

اهلها لهم هوى فى طلحة بن عبيد الله و لابن عامر فيها صنائع و كان الجيش كلما قطع مرحلة من سيره انكشف لاهل الحقيقة بطلان ما زعمه قادة الجيش من انهم ينشدون فى خروجهم الاصلاح و الطلب بدم عثمان، و التقى فى الركب سعيد بن العاص بطلحة و الزبير فانتحى بهما ناحية و دار بينهم الحديث التالى:

سعيد- ان ظفرتما ايها الشيخان فلن تجعلان الامر؟

فأجاباه- لاحدنا

سعيد- بل اجعلاه فى ولد عثمان فانكم خرجتم تطلبون دمه. فجاء الجواب:

- أندع الشيوخ و نجعلها فى الايتام؟

سعيد- لا ارانى اذن اسعى لاجراجها من بنى عبد مناف،

ثم جاء سعيد الى ام المؤمنين فقال لها:- اين تريدن يا ام المؤمنين؟

فأجابت- البصرة

فقال لها سعيد- ماذا تصنعين؟

اجابت- اطلب دم عثمان

فقال سعيد:- هؤلاء قتله عثمان معك يا ام المؤمنين و اشار الى طلحة و الزبير ...

ثم جاء سعيد الى مروان فقال له- و انت ايضا تريد البصرة؟

فاجابه- نعم اطلب قتله عثمان.

فقال له:- هؤلاء قتله عثمان فاين تذهبون و تارككم على اعجاز الابل اقتلوهم ثم ارجعوا الى منازلكم. ثم قال ان هذين الرجلين قتلا

عثمان و هما يريدان الأمر لنفسيهما فلما غلبا عليه قالوا نغسل الدم بالدم و الحوبة بالتوبة»

لقد كشفت امية على لسان ابنها سعيد عن اهداف قادة الركب، و دق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٤٥

اول مسمار في نعش الشيخين اذا ظفروا بعلى-ع- و قضا على خلافته لأن التهمة التي راحا يقاضيان عليا عليها لاصقة بهما على وجه لا

سبيل منها للانكار، فاذا كان من شرط الخلافة ان لا يلبسها من اشترك في دم عثمان فقد خسراها لانهما ممن اشترك اشتراكا فعلياً في

دم عثمان الأمر الذي قد حسب له معاوية و الأمويون الف حساب و حساب.

لقد ابعد الغرور الشيخين عن التفكير فيما يتت لهما معاوية من الخديعة و الوقيعة و شغلها حب السلطان عن مراقبة الفتنة التي رافقت

الركب من اول مسيرة في شخص مروان، فما كاد يقترب وقت الفريضة حتى جاء مروان في لباس العابد الورع يسأل طلحة و الزبير

على أيهما يسلم بالأمر و يؤذن للصلاة؟ فقال ولد الزبير لأبي عبد الله يعني اياه، و عارضه محمد بن طلحة قائلاً: لابي محمد، يريد

اياهم، و تشاجر الولدان و فطنت للأمر ام المؤمنين فصاحت بمروان: ويلك أ تريد ان تفرق امرنا؟! فليصل بالناس ابن اخي عبد الله.

اننا نريد ان نستقصى الحوادث التاريخية و انباء الفتن التي اثارها امية للوقية بالمسلمين و ابعاد الامام على-ع- عن الحكم و موقف

الامام على-ع- و شيعته من الصراع الاموي في غضب الخلافة و تحويلها الى ملك عضوض على غرار ملك كسرى و قيصر و انما

نكتفي بالاشارة العابرة من التاريخ المتسالم عليه عند المسلمين و المفروضه صحته للوقوف على الاسباب التي شددت من عزيمة

انصار امية و الاسباب التي زادت من ايمان شيعه على و بالالتفاف حوله باعتباره رمزا للحق و مثلاً اعلى للمبادئ السلمية، لقد و اصل

الجميع السير الى البصرة فدخلوها قبل الامام على، و بعد جدال و نزاع مع عامل على-ع- على البصرة و هو عثمان بن حنيف اتفقوا

على ان يرسلوا وفدا الى المدينة يسأل اهلها عن بيعه طلحة و الزبير للامام على و هل قد بايعاه كرها ام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٤٦

مختارين؟ و قبل عودة الوفد هجم طلحة و من معه على (عثمان بن حنيف) في المسجد غيلة و قتلوا عددا من اصحابه و قبضوا عليه و

استولوا على قصر الامارة و بيت المال و ارادوا قتله فجاءت امرأة الى عائشة و قالت لها نشدتك الله في عثمان فانه من اصحاب رسول

الله-ص- فعدلت عن قتله، و امرت بحبسه بعد ان نتفوا لحيته، و حاجبيه، و اهداب عينيه، و وقف طلحة بعد ان قبض على عثمان

يخطب في اهل البصرة قائلاً: «يا اهل البصرة توبه لحوبه انا اردنا ان نستعب امير المؤمنين عثمان فغلب السفهاء الحلماء فقتلوه» فاجابه

الناس و لكن كتبك كانت تأتينا بغير هذا؟

و لما بلغ حكيم بن جبلة ما جرى لعثمان بن حنيف جاء الى عبد الله بن الزبير و معه جماعة من قومه فطلب اخلاء سبيل عثمان و

اعادته الى قصر الامارة حسب الاتفاق المعقود بين الطرفين و اطعمهم من بيت المال و قال له: ان دمنا لنا اصبحت حالاً نقتل من

قتلتم فقيم تستحلون الدم الحرام؟

قال له عبد الله: بدم عثمان، قال: هل الذين قتلتموهم كانوا من قتله عثمان؟ اما تخافون الله! فقال له عبد الله: لا نطعمكم من هذا

الطعام و لا- نخلى عن عثمان حتى تخلعوا عليا؟؟ فقال حكيم: اللهم انت حكم عدل فاشهد و قال لأصحابه: لست في شك من قتال

هؤلاء فمن كان في شك من امرهم فليصرف، فدارت المعركة بين الفريقين قتل فيها عدد كبير من الفريقين و قتل حكيم و ابنه

الاشرف و اخوه كعب فقال طلحة و الزبير الحمد لله الذى ادركنا ثارنا من اهل البصرة .

و عن جرير بن حازم عن محمد بن سيرين قال: ما علمت ان عليا اتهم بقتل عثمان حتى يبيع فلما يبيع اتهمه الناس و دارت المعركة و قتل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٤٧

طلحة و الزبير و اصيب عبد الله بثلاثين جرحا او اكثر و عقر الجمل و قتل من المسلمين عشرون الف من اصحاب الجمل و خمسمائة من اصحاب الامام و عاد الامام الى المدينة منتصرا كما عاد النبي - ص - بعد وقعة بدر و راحت امية تستعد للمعركة الثانية فى (صفين) و لم يكن الامام ليغفل عن امرها فاستعد لها هو ايضا و بعد رجوعه دارت معركة صفين بين الشيعة العلوية و على رأسهم الامام على، و بين العثمانية و على رأسهم معاوية. و البحث عن حوادث معركة صفين يحتاج الى كتاب خاص لانه قد استمر اكثر من ثمانية عشر شهرا وقعت فيها من الحوادث المؤسفة و المعارك الدامية بسبب عداوة بنى امية للهاشميين و بسبب الظفر بالسلطان و الطمع بالنفوذ ما ليس له مجال فى هذه الموسوعة

ان الامر الذى يستحسن بحثه فى هذه المعركة هو الالتباس الذى ساد اوساط المسلمين قديما و لا- يزال عالقا فى نفوس بعض المسلمين اليوم و هو ان الصراع فى هذه الحرب كان قد نشأ عن اجتهاد فريقين من المسلمين رأى بعضهم الحق فى قتال البعض الآخر فكان رائد الفريقين رائدا دينيا فللمصيب منهما فى اجتهاده اجران و للمخطيء اجر واحد هذا الرأى الذى يقول الشيعة بفساده لان معركة صفين من ألقها الى يائها بدأت على ضلالة الخارجين على الامام الشرعى على بن ابى طالب - ع - و ختمت بضلال كل من اشترك فيها بجانب معاوية و أسف كل مؤمن ادرك صفين و لم يشترك مع على - ع - فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٤٨

قتاله لفئة معاوية التى ظهرت انها الفئة الباغية التى نص القرآن على وجوب قتالها بقوله تعالى (و قاتلو التى تبغى حتى تفىء الى امر الله)

فمن الذين اسفوا لذلك كان عبد الله بن عمر و قد صح عنه انه قال:

(ما أسفت على شىء من امر الدنيا فاتنى الا تركى قتال الفئة الباغية مع على) و هكذا أسف عبد الله بن عمر بن العاص لاشترائه مع معاوية فى معركة صفين

ان موقف الفريقين فى صفين كان يحكى موقف الفريق المؤمن و الفريق المشرك فى وقعة بدر الكبرى، فقد كان عدد من شهد بدرا مع رسول الله - ص - ٣١٣ من المهاجرين و الانصار اشترك منهم مع على و هم البقية الباقية ممن ادرك صفين ١٧٨ بدريا و قد استشهد منهم ٦٣ نفرا بجانب على - ع - كما اشترك مع على فى معركة صفين اكثر من نصف من بايع النبي - ص - ببيعة الرضوان تحت الشجرة، فقد كان عدد من حضر الحديدية و بايع بيعة الرضوان من المهاجرين و الانصار ١٤٠٠ رجل اشترك منهم ثمانمائة رجل مع على فى معركة صفين، كما شهد بجانب على - ع - ضمن من شهد معركة احد - و الاحزاب - و خبير و الغزوات الأخرى مع النبي - ص - عدد كبير من المهاجرين و الانصار و كلهم شيعة على و تابعوه، افيكون كل هؤلاء من الضالين و بنو امية من المؤمنين؟. و نذكر منهم على سبيل الاستشهاد و ليس الحصر ترجمه من ادرك خلافة على - ع - من الصحابة الكرام و شهد حروبه الثلاثة الجمل - و صفين - و النهروان، ممن كان قد ادرك النبي - ص - و شهد حروبه فى - بدر - و أحد - و الاحزاب، و غيرها و لما كنا بصدد بيان «الصراع بين الشيعة العلوية و الشيعة العثمانية» بعد مقتل عثمان و كنا قد اشرنا الى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٤٩

العناصر التى انضمت الى (العثمانية) كما يقول صاحب كتاب (الدولة الاموية فى الشام) و وقفت بجانب معاوية فيجدد بنا ان نذكر اسما هؤلاء الشيعة و المواليين لعلى من عهد النبي - ص - حتى ادركوا خلافة على و هم الطبقة الأولى من الشيعة العلوية مستندين على

مصادر- الاصابة- و الاستيعاب- و تاريخ الكامل لابن الأثير. و كل هذه المصادر مصادر غير شيعية و بذلك نعطي القارىء فكرة اجمالية عن شيعه على و انصاره و منزلتهم فى الدعوة الاسلاميه و منزلتهم من النبى- ص-
موسوعة العتبات المقدسه، ج ١، ص: ٣٥٠

الطبقة الاولى من رجالات الشيعة

١- ابو ذر الغفارى

هو جندب بن جنادة المشهور بكنيته: (ابو ذر) الصحابى الجليل باتفاق المسلمين و الزاهد المشهور بين صحب النبى- ص- ذو اللهجة الصادقة و التشيع العميق لعلى بن ابى طالب- اسلم فى مكة و اعلن اسلامه فى مسجد الحرام جهرة فى وسط قريش، فاجتمع عليه نفر منهم فأوسعوه ضربا و لكما و لم يخلصه من ايديهم الا- العباس بن عبد المطلب، ففى الحديث عن النبى- ص- انه قال (أمرنى الله بحب اربعة و اخبرنى ان يحبهم:- على و سلمان- و المقداد- و ابو ذر) و هو احد النجباء الاربعة عشر الذين انتجهم و اصطفاهم رسول الله و فى الحديث المتفق عليه عن رسول الله- ص- ما أظلت الخضراء و لا اقلت الغبراء على ذى لهجة اصدق من ابى ذر. و عنه- ص- قال: ان ابا ذر يعيش وحده، و يموت وحده، و يحشر وحده، و عنه- ص-

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١، ص: ٣٥١

قال: ان ابا ذر فى امتى كعيسى فى الزهد، و كان ابو ذر داعية التشيع لعلى- ع- و كان يسمى عليا بامير المؤمنين فى عهد الخلفاء و اليه يرجع أثر التشيع فى بلاد سوريا و لبنان، و قد سبب له اخلاصه لعلى و ايمانه بالتشيع و تصلبه فى موالة اهل البيت ان طارده السلطات فى عهد عثمان مطاردة عنيفة، و لحقه من الاذى على يد معاوية شيئا كثيرا. يقول ابن الأثير فى الكامل فى حوادث سنة ٣٠ هـ و يقول الطبرى (و فى هذه السنة كان ما ذكر من امر ابى ذر و اشخاص معاوية اياه من الشام الى المدينة و ذكر فى سبب ذلك اسبابا كثيرة منها سب معاوية له و تهديده بالقتل، و حمله الى المدينة من الشام على بعير بغير وطاء يقيه من البرد، و الحر، و نقله من المدينة على الوجه الشنيع كرهت ذكرها) و مما يؤيد دعوته الى التشيع ص ٢٤ و ٢٥.

و يقول الشيخ مغنية فى كتابه (الشيعة و التشيع) كان ابو ذر ينادى فى الناس و يقول: عليكم بكتاب الله و التشيع لعلى ابن ابى طالب- ع- و كان يدخل مكة و يتعلق بحلقه بابها و يقول: انا جندب بن جنادة لمن عرفنى و انا ابو ذر لمن لم يعرفنى، سمعت رسول الله- ص- يقول: انما مثل اهل بيتى منك مثل سفينة نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق و هوى ألا اهل بلغت؟

و فى المصدر نفسه (ان ابا ذر كان يقول فى موسم الحج: يا معشر الناس سمعت رسول الله- ص- يقول: فى هذا المكان و الا صممت اذناى: على بن ابى طالب الصديق الاكبر فى ايتها الائمة المتحيرة بعد نبىها لو قدمتم من قدمه الله و اخرتم من آخره الله و رسوله، لما عال ولى الله و لا طاش سهم فى سبيل الله و لا اختلفت الامة بعد نبىها، و قد قال رسول الله- ص- لعلى: انت اول من أقربنى و اول من يصفحنى يوم القيامة)

كان ابو ذر ممن يعلن التشيع و يدعو الناس اليه، و الى موالة على- ع-

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١، ص: ٣٥٢

كما تقدم، لا سيما فى عهد عثمان الذى مهدت خلافته الطريق لاستيلاء امية على الحكم، و كان ابو ذر كغيره من الصحابة يرون فى استيلاء امية على الحكم انحرافا بالدين الى الجاهلية العمياء، و قلب الخلافة الاسلامية التى دستورها الاسلام الى ملكية كسروية او قيصرية دستورها الحكم الفردى و الاستيلاء.

و لما كان التشيع مركزا على مبادئ الدين الحنيف و المحافظة على شريعة الله كما انزلها فى كتابه المجيد و ما اوحى به الى نبىه

الكريم كان ابو ذر يخشى ان ينحرف الأمويون بالدين عن قواعده، لذا كان موقفه من عثمان موقفا جريئا و صلبا في معارضته، لا سيما في اطلاق ايدي الامويين في خيرات المسلمين، و ما يغنمونه في الفتوحات و التصرف في اموال بيوت المسلمين التي تتكون من الخراج و جباية الزكاة حتى كانت اموالها اموالهم.

كان ابو ذر ممن لا يكذب اذا حدث، و لا ينطق بالباطل اذا دعا، فكانت معارضته لعثمان لا تشبه معارضه غيره لانصرافه عن الدنيا و ما فيها من المتع و الملاذ كما يحدثنا هو عن نفسه: «ان بنى امية تهددني بالفقر و القتل و بطن الأرض أحب الي من ظهرها، و الفقر احب الي من الغنى» قال له عثمان: كن عندي تغدو عليك و تروح اللقاح، فاجابه لا حاجة لي في دنياكم

لم يكن ابو ذر ليلهج بالآية الكريمة و الذين يكتزون الذهب و الفضة و لا ينفقونها في سبيل الله الخ في عهد رسول الله -ص- و لا في عهد ابي بكر (ض) و لا في خلافة عمر (ض)، و لم يعارض احدا منهم و لم يطلب من عثمان ان يأخذ اموال الاغنياء و يفرقها على الفقراء، و كان يعارض عثمان لأنه ترك سنه من قبله، لقد شاهد ابو ذر الخليفة عمر (ض) يخطب و عليه ثوب فيه اثنتا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٥٣

عشرة رقعة و شاهد الخليفة عثمان (ض) يملك وحده ثلاثين الف الف درهم من الفضة، و خمسمائة الف و خمسين و مائة الف دينار من الذهب و وجده يعطى مروان صفقة واحدة خمس افريقيا و يؤثره على الجند المحارب في سبيل فتحها، و رأى معاوية يستأثر وحده بخيرات الشام، و الاردن، و فلسطين، و سلط على رقاب المسلمين آل ابي معيط و لم يكن لهم سبق في الاسلام و لا سابق في الخيرات.

كان ابو ذر يعارض حكومة عثمان التي جعلت من المسلمين طبقتين مختلفتين طبقه فقيرة لا أمل لها في القرص، و لا عهد لها في الشعب، و طبقه ارسقراطية تتمتع بكافة الخيرات و هم حاشيته و اقرباؤه و المحسوبون عليه و المنسوبون اليه.

يقول الدكتور طه حسين في كتابه (علي و بنوه) ص ٩٨ و ٩٩

«كان ابو ذر يعارض عثمان معارضه شديدة لتصرفه في اموال المسلمين كأنها امواله، و لكنه لم يحرك يده و انما كان لسانه سلاحه الوحيد، و كان يقول: لو صلبني عثمان على أطول جذع من الجذوع لما غضبت»

و كان ابو ذر في الشام يشاهد تصرفات معاوية اللادينية فيأتي الى باب قصره و يتلو: (الذين يكتزون الذهب و الفضة الخ) لأنه كان يرى بأن معاوية يخالف تعاليم الاسلام و يخرج على سنة الخلفاء و يكتز الذهب و الفضة.

يقول اليعقوبي في كتابه تاريخ البلدان ج ٧ ص ٢٩٦ و ابن عبد البر في (الاستيعاب) في ترجمه الحكيم بن عمرو «ان زياد كتب الى الحكيم بن عمرو و الغفاري عامله على خراسان ابان فتح كورها ان امير المؤمنين معاوية كتب الي ان اصطفى له البيضاء و الصفراء فلا تقسم شيئا من الذهب و الفضة، فلم يلتفت اليه.»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٥٤

و اشتدت معارضته لمعاوية لما أول معاوية قول الله (الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ قال بانها نزلت في أهل الكتاب و لا يشمل حكمها المسلمين، فاخذ ابو ذر يرددها و يرددها على باب قصر معاوية و في كل مكان لثلا ينخدع المسلمون بتأويل معاوية لحكم الآية الكريمة فينصرفوا في انفاق ما رزقهم الله في جهة دون جهة اخرى، لقد كان يريد من معاوية ان يفرق ما كتزه لنفسه من اموال المسلمين، ان ابا ذر لم يحمل الناس على الثورة و لم يكن ليريد من الفقراء ان يبسطوا بالاغنياء و لا ينيهوا اموالهم و يستولوا على ما رزقهم الله من الرزق الحلال. ان من التجنى على ابي ذر الصحابي الجليل الذي لم يجد في عز الاسلام نظاما يصلح للدنيا و الآخرة ان يتهم بالمذاهب المخالفة للاسلام في شريعته و احكامه. و كان الامام علي -ع- يحب أبا ذر، و يحترم مقامه، و احترامه هذا و حبه له، حملة على ان لا يستمتع لنداء عثمان بتحريم تشييع ابي ذر لما نفاه الى (الربذة) و جرت بينه و بين مروان في ذلك شجار بقيت اقوال ابو ذر و معارضته لبنى امية و على رأسهم عثمان و معاوية حديث المسلمين في كل مكان،

٢- سلمان الفارسي

ابو عبد الله سلمان الفارسي او سلمان الخير او سلمان المحمدي قال رسول الله -ص- (سلمان منا اهل البيت) و هو احد النجباء. قالت السيدة عائشة: كان لسلمان مجلس من رسول الله -ص- ينفرد فيه بالليل كان يغلبنا على رسول الله -ص- و هو احد الأربعة الذين اشتاقت لهم الجنة قال رسول الله -ص- اشتاقت الجنة الى اربعة: علي، و سلمان، و عمار، و بلال، و هو احد الذين يغضب الله لغضبهم، و في الاستيعاب ان ابا سفيان مر على موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٥٥

سلمان و صهيب، و بلال، في جماعة فقالوا ما اخذت سيوف الله من عنق عدو الله؟ فسمعهم ابو بكر فقال: أ تقولون هذا لشيخ قريش و سيدها؟

و جاء الى النبي -ص- فأخبره فقال النبي -ص- لأبي بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت اغضبتهم فقد اغضبت ربك جل و علا، فأتهم ابو بكر فقال لعلي -ع- أ أغضبتكم ايها الأخوة؟ فقالوا: لا، يغفر الله لك يا ابا بكر.

كان سلمان من الشيعة الاوائل و تشييعه لعلي كان من ايمان، و صدق، و يقين فقد كان يحدث الناس و يقول «بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين و الائتمام بعلي بن ابي طالب و الموالة له و قد قال رسول الله لعلي انت وصي و خليفتي من اهلي بمنزلة هارون من موسى اما و الله لو و ليتموها عليا لأكلتم من فوقكم و من تحت ارجلكم»

قصد سلمان المدينة فوقع في الاسر و بيع في المدينة، و لما جاء النبي -ص- اليها اشتراه في حديث طويل، و اشترك في مشاهد الرسول -ص- كلها و لما توفي النبي -ص- لازم عليا و امتنع عن بيعه ابي بكر كما تقدم، لأنه كان ممن يؤمن بامامة علي -ع- و كان سلمان ينفق عطاءه البالغ خمسة آلاف و هو عطاء اهل بدر و يعيش بكده، و لاه عمر (ض) على المدائن و مات فيها ٣٦ هـ.

٣- عمار بن ياسر

ابو اليقظان عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة حليف بني مخزوم من السابقين الى الاسلام هو و ابوه ياسر، و امه سمية، و حديث تعذيبهم على ايدي المشركين بعد ان اسلموا حديث ذو شجون، كان النبي -ص- يمر عليهم و هم يعذبون فيقول -ص- (صبرا آل ياسر فمؤعدكم الجنة) قال رسول الله -ص-: (عمار جلدة ما بين عيني) و هو احد النجباء. عن خالد بن موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٥٦

الوليد المخزومي قال كان بيني و بين عمار كلام و غلظت له فشكاني عند رسول الله -ص- فقال رسول الله: «من عادى عمار عاداه الله، و من ابغض عمار أبغضه الله» استأذن يوما بالدخول على النبي -ص- فلما سمع صوته قال -ص- (مرحبا بالطيب المطيب) بعثه الخليفة عمر واليا على الكوفة و بعث معه ابن مسعود فكتب الى اهل الكوفة (بعث اليكم عمار أميرا و ابن مسعود وزيرا و هما من النجباء)

اشترك عمار في حروب رسول الله -ص- فشهد (بدرا) و أبلى فيه بلاء حسنا و قتل في صفين مع علي -ع- عن عبد الرحمن بن بزي السلمى قال:

«شهدنا مع علي -ع- صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية و لا واد من اودية صفين الا رأيت اصحاب محمد -ص- يتبعونه كانه علم لهم، و سمعت عمار يقول لهاشم بن عتبة: تقدم، الجنة تحت الابارقه، اليوم القى الاحبة، محمدا و حزبه، و الله لو هزمونا حتى بلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق و انهم على الباطل ثم انشد:

نحن ضربناكم على تنزيله و اليوم نضربكم على تأويله

فلم ار اصحاب محمد قتلوا في موطن من قتلوا يومئذ، لقد شهد من اصحاب محمد (ص) ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة ثمانمائة صحابي قتل منهم ثلثمائة و ستون نفرا» كان شديد الاخلاص لعلی (ع) و قال يوم بايع الناس لعثمان: يا معشر قريش الى متى تصرفون هذا الامر عن اهل بيت نبيكم؟ تحولون هنا مرة و هنا مرة، ما انا آمن ان ينزعه الله منكم و يضعه في غيركم كما نزعتموه من اهل و وضعتموه في غير اهل، حوادث سنة ٢٣ لأبن الاثير.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٥٧

٤- المقداد بن عمر

المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك النهراي الحضرمي، اشتهر باسم خليفة الاسود الكندي و الذي تبناه كان احد الرجال السبعة الذين سبقوا الى الاسلام اولهم الامام على و هو احد النجباء الذين اصطفاهم النبي (ص) و احد الاربعة الذين قال النبي ان الله يحبهم، و احد الصحابة الذين امتنعوا عن بيعه ابي بكر حتى بايع الامام على، خطب المقداد من عبد الرحمن بن عوف ابنته فغضب، و لما بلغ النبي (ص) ذلك زوجه من ابنة عمه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، كان احد فرسان (بدر) و لما وقف النبي (ص) في طريقه الى بدر يستشير اصحابه في قتال المشركين بعد ان فلتت عير قريش و خرج اهل مكة لقتاله قال المقداد للنبي (ص) انا لا نقول مقالة اليهود لموسى: (اذهب انت و ربك فقاتلا- انا ههنا قاعدون) لكننا نقول لك يا رسول الله (اذهب انت و ربك فقاتلا انا معكما مقاتلون) فاستبشر النبي (ص) و سر لقوله و كانت غزوة (بدر) و كان النصر المبين، و كان تشيع المقداد لعلی مدة حياته في الاسلام مشهور و موقفه يوم بيعة عثمان و مطالبته البيعة لعلی (ع) معلومة، كان في مقدمة المجاهدين في مشاهد رسول الله (ص) كلها، و كان قوى الايمان بتشييعه لعلی حتى انه يوم بويح عثمان غضب و راح يعاتب عبد الرحمن بن عوف و دار بينهما النقاش التالي:

المقداد:- ما رأيت مثل ما اوتى اهل هذا البيت بعد نبيهم؟

قال عبد الرحمن:- ما انت و ذاك؟

قال المقداد:- أما و الله لقد تركت رجلا من الذين يقضون بالحق و يعدلون فقال عبد الرحمن:- يا مقداد اتق الله فانني اخاف عليك الفتنة

فقال رجل للمقداد: رحمك الله من اهل هذا البيت؟ و من هذا الرجل؟

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٥٨

قال:- أهل البيت بنو عبد المطلب، و الرجل على بن ابي طالب

قال عبد الرحمن:- لقد اجهدت نفسي في امركم

قال المقداد:- لو كان لي على قريش اعوان لقاتلتهم قتالي يوم بدر، و أحد عن ابن الاثير حوادث سنة ٢٣ هـ

٥- حذيفة بن اليمان

من عيون الصحابة و صاحب سر النبي (ص) فقد روت الاخبار الدينية ان النبي قد اعلمه بالمنافقين، و كان عمر ينظر اليه عند موت احدهم فاذا حضر حذيفة جنازته حضرها هو و الا تخلف عنها، كان من الفرسان الابطال في يوم احد، و الخندق، و له مواقف حسنة اشترك في الجهاد بعد رسول الله (ص) و هتم على يده فتح همدان، و الري، و الدنيور؛ كان من الموالين لعلی (ع) و القائلين بامامته و تخلف عن بيعه ابي بكر كما تقدم، و قتل له ولدان بصفين هما صفوان، و سعيد، مات في اول خلافة على (ع) و لم يدرك حروبه.

٦- خزيمه بن ثابت الانصاري

خزيمة بن ثابت بن فاكهة بن ثعلبة الانصارى المعروف بذي الشهادتين سماه بذلك رسول الله (ص) يوم عد شهادته شهادتين، فاشتهر بهذا اللقب و هو من كبار الصحابة و السابقين للاسلام، و كان صاحب راية خطية يوم (الفتح) و شهد (بدرا) و المشاهد كلها مع رسول الله (ص) و اشترك مع علي (ع) في حرب الجمل، و قتل بصفين بجانب علي (ع) و كان احد الذين تخلفوا عن بيعه ابي بكر و وقفوا بجانب علي (ع).

٧- الخباب الخزاعي

الخباب الخزاعي سادس من اسلم، واحد المعذيين على يد المشركين في مكة و هو من رواة الحديث الموثقين، واحد الاثني عشر من موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٥٩
الصحابة الذين شهدوا (للامام) بانهم حضروا يوم (الغدیر) و سمعوا مقالة النبي (ص) (من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه) و عدّه صاحب (الاستيعاب) في ترجمه عامر بن وائله المكنى بأبي طفيل من الذين يقدمون عليا على الشيخين و يفضلونه و هم: سلمان- ابو ذر- المقداد- خباب بن الارث- جابر بن عبد الله الانصارى، ابو سعيد الخدرى و قد شهد الخباب بدرا و المشاهد كلها مع رسول الله (ص) و لازم عليا و مات في خلافة الامام علي (ع) في الكوفة سنة ٣٧ و صلى عليه الامام.

٨- ابو سعيد الخدرى

سعد بن مالك بن سنان المشهور بكنته ابي سعيد الخدرى من كبار الصحابة و احفظهم للحديث، كان اول مشهد له مع رسول الله في وقعة (الاحزاب) و قد ورد ذكره فيمن يقدم عليا على الشيخين و يفضله، مات سنة خمس و ستين.

٩- ابو الهيثم ابن التيهان

ابو الهيثم بن مالك بن عتيك الانصارى الاوسى شهد بيعه العقبة و يقال انه كان اول من اسلم و بايع النبي (ص) و هو احد نقباء عبد الأشهل شهد مع النبي (ص) مشاهده كلها و شهد مع علي (ع) حرب البصرة و قتل (بصفين) مع اخيه عتيك تحت راية الامام علي (ع) تألم الامام علي على فقده كثيرا لانه كان في طليعة المسلمين زاهدا عابدا شجاعا زعيما بلا منازع.

١٠- قيس بن سعد بن عباد

ابو الفضل او ابو عبد الله قيس بن سعد بن عباد الخزرجى الانصارى، من اشراف الصحابة كان احد فضلاء الصحابة من اهل الرأى و المكيدة في الحرب مع النجدة، و الشجاعة، و السخاء، و كان شريف قومه بلا منازع،
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٦٠

و كان ابوه وجده كذلك، و يعد من دهاة العرب، قال البخارى: كان من النبي -ص- بمنزلة صاحب الشرطة من الامير، و في الصحيح عن جابر قال: كان قيس في جيش المسرة ينحر، و يطعم، حتى استدان بسبب ذلك فنهاه أمر الجيش ابو عبيدة، و من شواهد جوده و سخائه ان استقرض منه احدهم ثلاثين الفا و لما ردّه عليه لم يقبل ان يأخذه، و قال رسول الله -ص- الجود شيمه اهل ذلك البيت، صحب قيس الامام عليا و كان من خواص اصحابه، ولّاه على مصر فاحتال عليه معاوية فلم ينخدع، و اشترك مع علي بصفين، و بعد مقتل الامام لازم قيس الامام الحسن -ع- و كان احد قواده الأشداء و لما صالح الامام معاوية أصرّ قيس على محاربة معاوية فلم

يباع له الا بعد مدة و رجع قيس الى المدينة فاقام بها حتى توفي، و كانت وفاته في آخر خلافة معاوية و ستأتى الاسباب التي اختلقها معاوية لابعاده عن مصر و خلق الشك في نفوس كبار القادة و المخلصين لعلى بن ابى طالب.

١١- انس بن الحرث

انس بن الحرث بن نبيه قال البخارى: قتل مع الامام الحسين -ع- في كربلاء، و كان انس قد ادرك وقفه كربلاء، و استشهد فيها مع الامام الحسين، و كان انس ممن امتنع عن بيعه ابى بكر، و تحصن في دار فاطمة -ع- كما في الاصابة.

١٢- ابو ايوب الانصارى

خالد بن زيد بن كلاب المشهور بابى ايوب الانصارى من السابقين فى الاسلام و من ثقاء الرواة و المحدثين عن رسول الله -ص- و روى عنه جماعة من الصحابة، استضافه النبى -ص- لما وقف بعيره على باب داره فى المدينة و مكث رسول الله فى بيته حتى اكمل بناء مسجده، و بيوت زوجاته، اشترك مع رسول الله -ص- فى المشاهد كلها، و لما ولى على الخلافة موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٦١ استخلفه على المدينة لما خرج الى العراق، ثم لحق به و كان معه فى حروبه كلها.

١٣- جابر بن عبد الله الانصارى

جابر بن عبد الله بن عمرو بن كعب بن غنم بن سلمة الانصارى الصحابى الجليل، و العالم الفقيه، شهد مع ابيه بيعه العقبة و اشترك مع النبى (ص) فى بدر، و أحد، و مشاهده الاخرى، كان من التابعين لاهل البيت و الموالين لعلى (ع) استغفر له رسول الله خمس عشرة مرة، و كان مع على فى حروبه كلها شهد وقعة الجمل، و صفين، و النهروان، و عاش الى عهد عبد الملك بن مروان و كان له فى مسجد النبى -ص- فى المدينة حلقة تأخذ عنه العلم ادرك من ائمة اهل البيت عليا و الحسن و الحسين، و على بن الحسين، و محمد بن على الباقر و مات فى المدينة و هو اول من زار الامام الحسين (ع) فى كربلاء بعد اربعين يوما من وفاته و زيارته هذه من الزيارات المشهورة عند شيعة اهل البيت (ع) و كان جابر احد الذين يقدمون عليا على الشيخين كما تقدم.

١٤- هاشم المرقال

قال صاحب الاستيعاب فى ترجمته: هاشم بن ابى وقاص، و كان يعرف بهاشم الخير القرشى الزهرى ابن اخ سعد بن ابى وقاص فاتح جلولا و قائد جيشها و كان فتح جلولا بعد فتح الفتوح، غنم المسلمون فيها ثمانية عشر الف الف، كان يكنى بابى عمرو، و يلقب بالمرقال، و بهاشم الخير، و كان من الفضلاء الخيار، و كان من الابطال، فقئت عينه فى (اليرموك) ثم ارسله عمر من اليرموك مع خيل العراق الى سعد و كتب اليه بذلك فشهد القادسية و أبلى فيها بلاء حسنا، و قام فى ذلك اليوم بما لم يقم به احد، و كان هو سبب الفتح للمسلمين، و كان فاضلا خيرا شهد مع على حروبه فى الجمل، و صفين، و كانت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٦٢

و اية على على الرحالة بيده فى صفين و روى فى الاستيعاب و ابن حجر فى الاصابة عن طريق الاعمش عن عبد الرحمن السلمى قال رأيت عمار بن ياسر، و هاشم بن عتبة و هو يرتجز و يقول:

أعور يبغى اهله محلا قد عالج الحياة حتى ملأ

لا بد ان يغلّ او يغلّا ثم اخذا في واد من اودية صفين فما رجعا حتى قتلا، و روى المصدر نفسه في ترجمته لما جاء خبر قتل عثمان الى اهل الكوفة قال هاشم لأبي موسى الأشعري: تعال يا ابا موسى بايع لخير هذه الأمة على، فقال: لا تعجل، فوضع هاشم يده على الاخرى و قال: هذه لعلى و هذه لى و قد بايعت عليا، و انشد:

ابايح غير مكترث عليا و لا اخشى اميرا اشعريا

ابايحه و اعلم ان سأرضى بذاك الله حقا و النبا

روى ابن الاثير في حوادث سنة ٣٧ (حرب صفين)

«ان هاشما استدعى الناس عند المساء و قال من كان يريد الله و الدار الآخرة فالى، فأقبل الناس اليه فحمل على اهل الشام مرارا و قاتل قتالا شديدا فيبينما هو كذلك اذ خرج عليهم شاب من اهل الشام و هو يرتجز و حمل على الناس و هو يشتم و يلعن، فقال له هاشم: يا هذا ان هذا الكلام بعده الخصام، و ان هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فانه سائلك عن هذا الموقف و ما أمرت به. قال:

انى أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلى و انتم لا تصلون و ان صاحبكم قتل خليفتنا و انتم ساعدتموه على قتله! ... فقال له هاشم: ما انت و عثمان؟ الخ ثم قال: و اما قولك ان صاحبنا لا يصلى فانه اول من صلى و أفقه خلق الله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٦٣

فى الذين و اولى برسول الله- ص- و اما كل من ترى معى فكلهم قارىء لكتاب الله لا ينام الليل تهجدا فلا يغوينك هؤلاء الاشقياء فقال الفتى: هل لى من توبه؟ قال نعم تب الى الله يتوب عليك فانه يقبل التوبه عن عبادته و يعفو عن السيئات، فرجع الفتى الى جانب على و قال له اهل الشام:

خدعك العراقى فقال كلا و لكن نصح لى» ابن الاثير

١٥- محمد بن ابى بكر

و محمد هذا ولد ابى بكر (ض) بن ابى قحافة الخليفة الاول من زوجته اسما بنت عميس التى كانت تحت جعفر بن ابى طالب و هاجرت معه و ولدت من صلبه عبد الله بن جعفر فى الحبشة و استشهد جعفر فتزوجها ابو بكر و ولدها محمدا و بعد وفاة ابى بكر تزوجها الامام على- ع- يقول ابن ابى الحديد فى المجلد الثانى- ج ٧ ص ٣٢ طبع دار الفكر ببيروت: ان محمد بن ابى بكر ربيب على و خريجه و كان جاريا عنده مجرى اولاده، رضع الولاء بالتشيع منذ زمن صباه فنشأ عليه فلم يكن يعرف له ابا غير على- ع- حتى قال على: ان محمدا ولدى من صلب ابى بكر، و كان يكنى بأبى القاسم كنهه بذلك اخته السيدة عائشة كما يقول الكثير من المورخين، و قد اولد محمد ابنه القاسم و كان القاسم فقيه اهل الحجاز فى زمانه و اولد القاسم عبد الرحمن و ام فروة فكان عبد الرحمن من فضلاء قریش و تزوج الامام الباقر محمد بن على بن الحسين (ع) ام فروة و اولدها الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) و قد مدح السيد الرضى ام فروة بقصيدة طويلة مطلعها:

يفاخرا قوم بمن لم نلدهم يتيم اذا عد السوابق او عدى

و يقول بمدح النبى (ص) و على (ع) فى ختامها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٦٤ فجدى نبى ثم جدى خليفة فاكرم بجدينا عتيق و احمد

و ما افتخرت بعد النبى بغيره يد صفقت يوم البياع على يد

روى ابن عبد البر فى الاستيعاب ان على بن ابى طالب كان يثنى على محمد بن ابى بكر و يفضله لانه كانت له عبادتة و اجتهاد و ان رايه على يوم الجمل كانت بيده على الرحالة و اشترك مع الامام فى (صفين) و ولاه على (ع) على مصر بعد ان عزل عنها قيس بن

سعد بن عباد الانصارى، فسار اليه عمرو بن العاص في جيش من اهل الشام فاقتتلوا حتى بقى محمد و جده فلجأ الى خربة كانت بالقرب منه و لما عثر به احرقه فيها معاوية بن خديج، و قيل جاؤا به اسيرا فقتله عمرو صبيرا، و قيل لما جاءوا به ادخله معاوية بن خديج في جوف حمار و احرقه و حرمت اخته السيدة عائشة على نفسها أكل اللحم المشوى، و كانت تدعو عقب الصلاة على معاوية و عمرو بن العاص.

اتهم محمدا جماعة من الرواة بأنه اشترك في قتل عثمان و اعتبروه ممن اشترك في دمه و يقول عبد البر، ان جماعة من اهل العلم نفوا اشتراكه في دم عثمان.

و لما وجه الامام على محمدا الى البصرة زوده بكتاب قيم كان منها جالامارته، و دستورا لحكمه، و دروسا في تهذيب النفس و الاخلاق الفاضلة، و الآداب الحسنة اورد ابن ابى الحديد المعتزلى في شرح النهج ص ٣٩ و ٤٠ و ٤٢ و ٤٣ و يقول ابن ابى الحديد: ان هذا الكتاب و بقيه كتب محمد لما قتل استولى عليها عمرو بن العاص و ارسلها الى معاوية و كان معاوية ينظر في هذا الكتاب و يتعجب منه، و قال الوليد بن عقبه و كان عند معاوية و رأى اعجابه بهذا الكتاب فقال لمعاوية مر بهذا الكتاب ان يحرق فقال له معاوية صه لا رأى لك ... فقال الوليد: أ فمن رأى ان يعلم الناس ان احاديث ابى تراب عندك تتعلم فيها؟ فقال معاوية: ويحك أ تأمرنى ان أحرق علما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٦٥

كهذا؟ و الله ما سمعت بعلم هو اجمع منه و لا احكم، فقال له الوليد ان كنت تعجب من علمه و فضله فلم قاتلته؟ فقال لو لا انه قتل عثمان لأخذنا عنه،

يقول ابن ابى الحديد في المصدر نفسه فلم تزل هذه الكتب في خزائن الامويين حتى ولى الخليفة عمر بن عبد العزيز فأظهرها و احتمل ابن ابى الحديد ان يكون هذا الكتاب الذى اعجب به معاوية هو عهد الامام على -ع- لمالك الاشرى، و الحديث عن محمد بن ابى بكر حديث طويل في فضله، و شجاعته، و ايمانه، و تقواه، و تفانيه في سبيل على و آل على و من اراد المزيد فليراجع شرح النهج صفحة ٣٩ الى صفحة ٥٦ من المجلد الثانى طبع دار الفكر.

١٦- مالك الاشرى

المعروف بلقبه هو بن الحرث النخعي يعرفه لنا الامام على في كتاب عهده اليه لما ولاه مصر:

«الى من بمصر من المسلمين سلام الله عليكم فانى احمد الله اليكم الذى لا اله الا هو اما بعد: فقد بعثت اليكم عبدا من عباد الله لا ينال ايام الخوف، و لا ينكل عن الاعداء حذار الدوائر، لا تأكل من قدم، و لا واه في عزم، من أشد عباد الله بأسا، و ألزهم حسبا، اضر على الفجار في حريق النار، و ابعث الناس من دنس و عار، و هو مالك بن الحرث الأشرى، حسام صارم لا نأبى الضريبة، و لا كليل الحد، حليم في السلم، رزين في الحرب، ذو رأى أصيل، و صبر جميل، فاسمعوا له و أطيعوا أمره، فإن أمركم بالنفر فانفروا، و ان أمركم ان تقيموا فاقموا، فانه لا يقدم و لا يحجم الا بامرى، و قد آثرتمكم به على نفسى، نصيحة لكم، و شدة شكيمة على عدوكم، الخ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٦٦

و كان الامام على (ع) يقول كان لى مالك كما كنت لرسول الله و لما قضى معاوية عليه بالسلم خطب معاوية في جمعه فقال: كان لعلى يدان قطعنا احديهما و هو عمار بن ياسر في صفين و قطعنا الاخرى اليوم

و قصة قتله من الامور المتفق عليها تقريبا عند المؤرخين و هى لما بلغ معاوية تولية الاشرى مصر اشتد الامر عليه و راح يفكر بالقضاء عليه قبل ان يصل انى مصر فكتب الى عامل خرجه على بحر القلزم اى (ميناء العقبة) ان يقاتله فلما قدم عليه رحب هذا به و ادخله داره

وعرفه ان لديه الطعام و العلف فبات عنده فسقاه شربة من العسل المسموم، و كان معاوية يقول لأصحابه ان عليا ولي الاشر على مصر فادعوا عليه بالموت، فراح اصحابه يدعون عليه عقب كل صلوة، و لما جاء اليه خبر موته صعد المنبر فحمد الله و قال، لقد استجاب الله دعاءكم و أمات الاشر، ففرحوا بذلك و قيل ان معاوية ارسل رجلا من قبله ليسمه في الطريق بأية وسيلة و اختلف الرواة في كيفية دس السم له، و المشهور انه سم بالعسل للمثل المشهور عن معاوية (ان لله جنودا من عسل) قالها متهمكما بعد اغتيال مالك الاشر و لما بلغ نبأ اغتيال مالك عليا أسف أسفا شديدا، و حزن عليه حزنا عظيما، و قال: لله در مالك، و ما مالك لو كان جبلا لكان فندا، و لو كان حجرا كان صلدا، اما و الله ليهدن موتك عالما و ليفرحن عالما، علي مثل مالك فلتبكت البواكي، و قال علقمة بن قيس النخعي فما زال علي يتلهف و يتأسف حتى ظننا انه المصاب به دوننا و عرف ذلك في وجهه.

١٧- مالك بن نويرة

يقول ابن خلكان في ترجمته و ثيمته بن موسى الوشاء: كان مالك بن نويرة سريا نبيلًا يردف الملوك (اي ولي العهد الذي يخلف الملك) و هو الذي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٦٧

يضرب به المثل فيقال: مرعى و لا كالسعدان، و ماء لا كالصداء، (و فتى لا كمالك)

كان ابن نويرة هذا فارسا كريما شاعرا ذا غيرة و نجدة للممسك بعنان فرسه، فاذا سمعه بهيمه طار اليها، وفد علي النبي - ص - فاسلم و ولاه صدقات قومه، و لما ارتدت العرب بعد النبي - ص - بمنع الزكاة كان مالك من جملة من فاحذ زكاة منهم فوزعها، فقال مالك لخالد بن الوليد اني آتى بالصلوة دون الزكاة فتجادلا طويلا فقال له خالد اني قاتلك قال أو بذلك امرك صاحبك يعني أبا بكر؟ (ض)

فقال خالد و الله لأقتلنك فقال مالك: ابعثنا الى ابي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا فقد بعثت اليه غيرنا من هو جرمه اكبر من جرمنا فأبى خالد؟ و كان عبد الله بن عمر و ابو قتادة الانصارى حاضرين فكلمنا خالدًا في امره، فكره كلامهما، فالتفت مالك الى زوجته ام متمم قال: هذه التي قتلتني و كانت في غاية الجمال فقال خالد بل الله قتلك فقال مالك انا: على دين الاسلام، فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه و جعل رأسه أثفية القدر و كان من اكثر الناس شعرا فكان القدر على راسه حتى نضج الطعام.

و قبض خالد امرأة مالك و طلب من ابن عمر و ابي قتادة ان يحضرا النكاح فأبيا فقال له ابن عمر: اكتب الى ابي بكر و اذكر له امرها فأبى و تزوجها. لقد قال مالك: حقا ان زوجتي هي التي قتلتني لأن خالدًا كان يهواها من قبل. ذلك ما يقوله ابن خلكان: ان زهير السعدى أشد في ذلك:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٦٨ قضى خالد بغيا عليه لعرضه و كان له فيها هوى قبل ذالكا

فأمضى هواه خالد غير عاطف عنان الهوى عنه و لا متماسكا

و قال ابن خلكان و لما بلغ ابا بكر و عمر نبأ قتله قال عمر (ض): ان خالدًا قتل مسلما فاقتله، و انه زنى فارجمه، فقال ابو بكر (ض): ما كنت اقبل رجلا او ارجمه لانه تأول و اخطأ، فقال له عمر: اعزله، فقال: ما كنت لاشيم سيفا سله الله عليهم، و قد روى هذا الخبر (النص و الاجتهاد ص ٦١) (مجمع الأمثال ص ٧٨ ج-٢) (تاريخ ابن خلكان ج-٢ ص ١٧٢) (ايام العرب ص ١٦٠).

و كان في عهد ابي بكر لخالد لما ارسله لقتال اهل الردة: (اذا غشيتم دارا من دور الناس فسمعتم فيها اذانا للصلوة فأمسكوا عن اهلها، حتى تسألوهم عما نصحو، و ان لم تسمعوا اذانا فشنوا الغارة عليهم فاقتلوا، و احرقوا) و اكثر المؤرخين حين رووا ان مالك قال لخالد انني ما ارتددت عن الاسلام و شهد بذلك ابو قتادة الانصارى الذي حلف ان لا يخرج في قتال مع خالد و قبل شهادته عمر (ض) و اصبح من ألد خصوم خالد، و كان من اقواله لأبى بكر بعثت رجلا يقتل المسلمين، و يحرق بالنار، و ذكر البعض من المؤرخين ان

خالدا لما قدم الى قبيلة مالك و وجدهم مسلحين قال لهم: ما هذا السلاح؟ فاجابه (مالك) و لما ذا اتم مسلحون؟ فطلب منهم وضع السلاح، و أمتهم، و دخل جيشه فى بيوت اهل القرية ثم انقضوا على الذين استضافوهم فكل واحد منهم قتل صاحبه بغته بعد نصف الليل، و كان من الذين سخطوا على خالد جماعة من الصحابة منهم طلحة بن عبيد الله الذى جاء يؤيد طلب عمر (ض) عند ابي بكر فاعتذر له بانه تأول فأخطأ، فرد السبى و اودى دية (مالك) من بيت المال فأضاف (الجمحي) صاحب طبقات موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٦٩

فحول الشعراء (ص - ١٧٠) ان عبد الله بن عمر كلم خالدا بعد شهادة ابي قتادة فى (مالك) و اصحابه فقال له: يا ابا عبد الرحمن اسكت عن هذا الامر فانى أعلم ما لا تعلم، و امر ضرار فضرب عنق مالك، و من المتفق عليه ان ابا بكر (ض) قد امر خالدا ان يفارق زوجته مالك، و يقول (العقاد) فى كتابه عن ابي بكر فى عدم تطبيق الحكم الشرعى الذى أشار به اليه عمر (ض) فقال: «فهو اى ابا بكر كان يؤثر اللين لأنه فى عامة احواله مطبوع عليه ما لم يمسه الامر فيما يثير» و هنالك قصة مالك توردها التواريخ بالتفصيل فى كثير من الكتب كالتبرى فى (ج - ٢ - ص ٥٠٢) و ابو الفداء فى (ج - ١ - ص ١٦٦) و (البداية و النهاية ج - ٦ - ص ٣٢٢) و (فتوح البلدان ص ١٠٥) و (ابن خلدون فى تاريخه ج - ٢ - ص ٧٣) و (خزانة الأدب ج ٢ ص ٢١) و (معجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٦٠) و (طبقات فحول الشعراء ص ١٧٠) و (الفتوحات الاسلاميه ج ١ ص ١٠) و (تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٠٩) و (اسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٥) و (الاصابة فى ترجمته ج ٣ ص ٣٢٣) و (الاغاني جزء ١٥ ص ٢٣٩) و (تاريخ الاسلام للنجار ص ٥٠) و العجيب من هذا المؤلف الأخير انه بعد ان سرد قصة مالك بن نويرة كما مرت قال فى تبرير الموقف: «ان سياسته يعنى ابا بكر (ض) كانت سياسة حكيمة مما تستعملها دول استعمارية كالانكليز» فجعل هذا المؤلف الحديد دولة الاسلام فى عهد اول خليفة دولة استعمارية و لم ير اختلافا فى حكومة الخلافة الاسلاميه عن حكومة الدول الاستعمارية!!

و من المورخين المعاصرين العقاد فى كتابه الصديق ص ٨٨ و الخضرى فى محاضراته ج ١ ص ١٧٧ و الصعدي فى القضايا الكبرى فى الاسلام ص ١٠٢، و الكوثرى فى مقالاته ص ٤٥٨ و هيكل فى كتابه ابو بكر الصديق ص موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٧٠

١٥٥ و ١٦٢ هذا عدا مؤرخى الشيعة الذين يروون قصة خالد و مالك كما يرويها غير الشيعة مما لخصناها باختصار فيما مر. عن البراء بن عازب قال: بينما رسول الله - ص - كان جالسا فى اصحابه اذ نادى وفد بنى تميم، و منهم مالك بن نويرة فقال: يا رسول الله علمنى الايمان، فقال رسول الله: تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له و انى رسول الله، و تصلى الخمس و تصوم شهر رمضان، و تودى الزكاة، و تحج البيت، و توالى وصيى هذا، و اشار الى على بن ابي طالب، و لا تأكل مال اليتيم، و لا تشرب الخمر، و توفى بشرائعى، و تحرم حرمى، و تعطى الحق من نفسك للضعيف، و القوى و الكبير و الصغير، حتى عدّ عليه شرائع الاسلام، فقال يا رسول الله عد على فانى رجل نساء فاعاد عليه ما قاله فعقدتها بيده فقام و هو يجرداءه، و يقول: تعلمت الايمان و رب الكعبة. فلما بعد قال رسول الله - ص - من احب ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا الرجل.

١٨ - البراء بن عازب

البراء بن عازب بن حارث بن عدى ابن جشم الاوسى الانصارى من كبار الصحابة و رواة الحديث عن رسول الله - ص - خرج الى (بدر) مع رسول الله - ص - فرده لصغر سنه و اشترك فى وقعة (احد) و بقیة المشاهد كما حارب و جاهد بعد رسول الله - ص - فى الفتوحات الاسلاميه فى فارس، و كان من خواص الامام على - ع - و امتنع عن بيعه ابي بكر كما تقدم و حضر مع على - ع - حروبه فى البصرة، و صفين، و قاتل معه الخوارج فى النهروان، و نزل الكوفة و توفى فى ايام مصعب بن الزبير.

١٩- ابي بن كعب الانصارى

ابى بن كعب بن قيس بن عبيد الانصارى من بنى النجاد كنيته ابو المنذر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٧١

و ابو طفيل سيد الفقراء بالاجماع، و اول من كتب للنبي - ص - كان قد حضر العقبة الثانية و شهد (بدرا) و المشاهد كلها مع رسول الله و فى الحديث قال رسول الله ليهنك العلم. و قال (ان الله امرنى ان اقرأ عليك القرآن) و عدّه (مسروق) و هو احد اهل السنة من اصحاب الفتيا، كان الخليفة عمر - ض - يسأله عن النوازل، و يتحاكم اليه فى المعضلات، قيل مات فى خلافة عمر (رض) و قيل فى خلافة عثمان و هو من الذين امتنعوا عن بيعه ابي بكر (رض) و وقفوا بجانب الامام و هو من ثقاة المحدثين عند الشيعة الامامية.

٢٠- عبادة بن الصامت

عبادة بن الصامت بن قيس بن احرم بن فهر بن ثعلبة الخزرجى الانصارى من أجله الصحابة و فضلائهم، شهد العقبة الاولى، و الثانية، و شهد بدرا، و المشاهد كلها و ما بعدها مع رسول الله و لاه عمر على قضاء فلسطين، فأنكر امورا على معاوية فأغلظ له معاوية فى القول فقال له عبادة: لا اسالك بارض واحدة، و رجع الى المدينة فقال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره، فقال له: «ارجع الى مكانك، فقبح الله مكانا لست فيه» و كتب الى معاوية لا إمرة لك على عبادة. توفى عبادة فى خلافة عثمان و دفن فى البيت المقدس.

٢١- عبد الله بن مسعود

عبد الله بن غافل بن حبيب الهذلى المشهور بابن ام عبد الصحابى الجليل سيد القراء و اشهر المحدثين و من ثقاتهم يقول صاحب الاستيعاب: انه من العشرة المبشرة، و هو من النجباء الذين اصطفاهم النبي و اختارهم كما تقدم، كان من القراء الاربعة و قد أثنى النبي على حفظه للقرآن، و قرآته له، فقال:

«من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأه على ابن ام عبد، و من اراد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٧٢

ان يسمع القرآن غضا فليسمعه من ابن ام عبد» كان من اعلم الصحابة بكتاب الله و علم السنة و اشبه الناس دلا و هديا و سمى برسول الله حين يخرج من بيته الى ان يرجع، روى الاعمش عن شقيق بن سلمة قال: لما امر عثمان فى المصاحف امره قام عبد الله بن مسعود خطيبا فقال «أ يا امرنى عثمان ان اقرأ القرآن على قراءة زيد بن ثابت! و الذى نفسى بيده لقد اخذت القرآن من فئ رسول الله سبعين سورة و ان زيد بن ثابت لذو ذؤابة يلعب مع الصبيان، و الله ما انزل من القرآن شىء الا انا اعلم فى اى شىء نزل» قال شقيق: فما سمعت احدا أنكر عليه و لا- رد ما قاله كان فى جليل مقامه و حب المسلمين له لما بعث اليه عثمان يطلب منه الخروج من المدينة اجتمع الناس اليه و قالوا له: أقم و لا- تخرج و نحن نمنعك من عثمان و لا يصل اليك شىء تكرهه فلم يقبل، و كان عثمان قد امر غلمانة فضربوه، و احدثوا فيه فتقا، و منع عثمان عطاءه و كان عبد الله هذا من اصحاب على و من مواليه.

٢٢- ظالم بن عمرو ابو الاسود الدؤلى

ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل المشهور بكنيته (ابى الاسود الدؤلى) ادرك الجاهلية و الاسلام و شهد (بدرا) مع المسلمين و يقول الجاحظ كان ابو الاسود الدؤلى معدودا من طبقات الناس مقدما فى كل منها فانه يعد من الصحابة و التابعين، و الشعراء، و الفقهاء، و

المحدثين، و الاشراف، و الفرسان و الامراء، و الحاضري الجواب، و من الشيعة، و هو واضح العريضة على المتفق عليه و سئل عن نهج له الطريق الى وضع النحو اجاب تلقيته عن علي، سكن البصرة في خلافة عمر (رض) و كان علوى المذهب، استخلفه عبد الله بن العباس على البصرة فأقره الامام على عليها، له ترجمة واسعة في كتب الادب انتهى كلام صاحب الاصابة و توفي سنة ٦٩ من الهجرة في البصرة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٧٣

٢٣- خالد بن سعيد

خالد بن سعيد بن ابي العامر بن امية بن عبد شمس قيل كان خامس من اسلم و قيل ثالثهم، و كان اسلامه مع ابي بكر (رض) هاجر الى الحبشة مع من هاجر اليها من المسلمين، استعمله رسول الله و صار على اليمن، و كان ممن امتنع من البيعة لأبي بكر و ارادها لعلي و كان من المسلمين الأولين، و من المجاهدين في سبيل الله، اشترك بعد رجوعه مع من رجع من الحبشة في فتح مكة، و الطائف، و تبوك، كما جاهد بعد رسول الله في الفتوحات فقتل فيمن قتل من المسلمين في اجنادين سنة ١٣ من الهجرة، و قيل قتل في مرج الصفر سنة ١٤ هـ.

٢٤- اسيد بن ثعلبة الانصاري

اسيد بن ثعلبة الانصاري، شهد بدرًا مع رسول الله -ص- و قتل في صفين مع علي.

٢٥- الاسود بن عيسى

الاسود بن عيسى بن اسماء بن وهب، شهد بدرًا مع المسلمين و قتل مع علي بصفين.

٢٦- بشير بن مسعود

بشير بن مسعود الانصاري البدرى، من اصحاب علي، شهد بدرًا مع النبي و شهد حروب الامام كلها، و قتل في وقعة الحرة على يد عسكر يزيد بن معاوية.

٢٧- ثابت المكنى بابي فضالة

ثابت المكنى بابي فضالة، شهد بدرًا و قتل مع علي بصفين.

٢٨- الحارث بن النعمان

الحارث بن النعمان بن امية بن امرئ القيس الانصاري، شهد بدرًا، و أحدا مع النبي، و شهد صفين مع الامام علي.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٧٤

٢٩- خويلد بن عمرو الانصاري

خويلد بن عمرو الانصارى، شهد بدرًا مع النبي، و شهد صفين مع الامام على

٣٠- رفاعه بن مالك

رفاعة بن مالك بن عجلان الانصارى المكنى بابى معاذ، شهد بدرًا، و ما بعده مع النبي -ص- و شهد مع على حرب صفين.

٣١- رافع بن خديج الانصارى

خرج مع النبي الى بدر فاستصغره وردده، و شهد أحدا و اصاب بسهم، قال رسول الله: اشهد لك يوم القيامة، و جاهد مع على فى البصرة و صفين و النهروان،

٣٢- ابو اليسر كعب

ابو اليسر كعب بن عمرو بن عبادة الانصارى السلمى، شهد بيعة العقبة، و جاهد فى وقعة بدر، حتى انتزع رايه المشركين، و شهد مع على صفين.

٣٣- سماك بن خراشه

سماك بن خراشه بن اوس الخزرجى الانصارى، المعروف بكنيته ابى دجانة الانصارى، احد الثابتين الابطال يوم (أحد) اشترك مع رسول الله فى (بدر) و ما بعدها و حارب مع الامام على فى صفين.

٣٤- سهيل بن عمرو

سهيل بن عمرو بن ابى عمرو الانصارى، شهد (بدرًا) و قتل فى صفين مع على.

٣٥- عتيك بن التيهان

عتيك بن التيهان اخو ابى الهيثم حضر بدرًا مع رسول الله و قتل فى صفين مع على.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٧٥

٣٦- ثابت بن عبيد

ثابت بن عبيد الانصارى، شهد بدرًا مع رسول الله، و قتل بصفين مع على

٣٧- ثابت بن الخطيم

ثابت بن الخطيم بن عدى بن عمرو الانصارى، شهد بدرًا، و ما بعده مع رسول الله و استعمله الامام على المدائن، و اشترك مع على فى حروبه، و كان ممن يبغضهم معاوية.

٣٨- سهل بن حنيف

سهيل بن حنيف بن وهب بن الحكم، شهد مع رسول الله وقعة بدر و هو احد الثابتين يوم (أحد) حتى انكشف الناس عن رسول الله، صحب الامام عليا فولاه المدينة لما خرج الى البصرة، ثم شهد صفين، ثم ولّاه عليا فارس و مات في خلافة علي سنة ٣٨ هـ

٣٩- عقبه بن عمرو

عقبه بن عمرو المكنى بابي مسعود البدرى الانصارى، شهد مع رسول الله وقعة (بدر) و ما بعدها، و استخلفه الامام علي على الكوفة لما خرج الى صفين، و كان من خواص اصحابه.

٤٠- ابو رافع ابراهيم

ابو رافع ابراهيم مولى رسول الله، من ثقاة رواة الشيعة، حضر مع رسول الله مشاهده كلها، و كان من اخلص الناس لعلي، و من كبار المحدثين عن النبي، مات في خلافة علي و قيل في خلافة عثمان.

٤١- انس بن الحرث

انس بن الحرث بن نبيه، قال البخارى قتل مع الامام الحسين -ع- في كربلاء، و كان انس ممن امتنع عن بيعه ابي بكر، و تحصن في دار فاطمة، فأدرك انس وقعة كربلاء، و استشهد فيها مع الامام الحسين.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٧٦

٤٢- ابو بردة

ابو بردة بن نبار الانصارى، شهد مع النبي بدرا و ما بعدها و شهد مع الامام علي الجمل، و صفين، و حارب الخوارج معه في النهروان.

٤٣- ابو عمرو الانصارى

شهد بيعه العقبة و بايع رسول الله، و حارب معه في بدر، و ما بعدها من المشاهد، و قتل تحت لواء علي بصفين.

٤٤- الحارث بن الربيع

الحارث بن الربيع المشهور بكنيته ابي قتادة الانصارى المعروف بفارس رسول الله، شهد مع النبي بدرا و دعا له رسول الله و كان من اصحاب الامام، و شهد معه معركة الجمل، و صفين.

٤٥- عقبه بن عمرو

عقبه بن عمرو بن ثعلبة الانصارى، شهد بيعه العقبة، و بدرا، و ما بعدها، مع رسول الله و كان من اصحاب علي و شهد حروبه.

٤٦- قرظة بن كعب

قرظة بن كعب بن ثعلبة بن الجزري الانصارى، شهد مع النبي معركة احد، و ما بعدها، كان من فضلاء الصحابة و من اصحاب الامام على، جاهد بعد رسول الله في الفتوحات الاسلاميه، و شهد معركة البصرة، و صفين، و النهروان، مع الامام على.

٤٧- بشير بن عبد المنذر

بشير بن عبد المنذر الانصارى المشهور بكنيته، احد النقباء في بيعة العقبة استخلفه النبي مرتين على المدينة يوم خرج الى بدر، و يوم خرج الى غزوة السويق، و كان من اصحاب على، و مات في خلافته
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٧٧

٤٨- يزيد بن نويرة

يزيد بن نويرة بن الحرث بن عدى الانصارى، شهد مع رسول الله معركة أحد، و شهد له النبي -ص- بالجنة مرتين، كان من اصحاب الامام على و قتل في معركة الخوارج بالنهروان.

٤٩- ثابت بن عبد الله

ثابت بن عبد الله الانصارى، شهد معركة أحد مع رسول الله و قتل بصفين تحت راية الامام على

٥٠- عقبة بن عمرو

عقبة بن عمرو بن ثعلبة الانصارى، شهد بيعة العقبة، و بدرا، و المشاهد و ما بعدها مع رسول الله، و كان من اصحاب الامام على.

٥١- جبلة بن ثعلبة

جبلة بن ثعلبة الانصارى، شهد مع النبي معركة أحد، و ما بعدها، و قتل بصفين مع على

٥٢- جبلة بن عمرو

جبلة بن عمرو بن اوس الساعدى الانصارى، شهد مع النبي وقعة أحد و قتل مع على في معركة صفين.

٥٣- حبيب بن بديل

حبيب بن بديل الوراق ء احد الذين حضروا يوم الغدير و سمع النبي -ص- يقول: (من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه) شهد معركة أحد مع النبي و شارك الامام عليا في القتال يوم صفين.

٥٤- زيد بن ارقم

زيد بن ارقم بن قيس الانصارى الخزرجى، شهد مع النبى - ص -

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٧٨

سبع عشرة غزوة و هو من رواة الحديث عن النبى، و روى عنه جماعة من الصحابة و التابعين، حضر مع على معركة صفين و يعدّ من خواص اصحابه.

٥٥- اعين بن ضبيعة

اعين بن ضبيعة بن ناجية التميمى الحنظلى و جدّ الفرزدق الشاعر، اشترك مع على فى حرب (الجمل) و هو الذى عقر جمل السيدة عائشة.

٥٦- اصبح بن نباتة

اصبح بن نباتة و يعرف بصاحب على، اشترك مع على (ع) فى حرب البصرة و الجمل.

٥٧- يزيد الاسلمى

قتل فى صفين مع على، و رثاه الامام، و كان ممن شهدوا (الحديبية) و بايع (تحت الشجرة) بيعه الرضوان.

٥٨- تميم بن خزام

تميم بن خزام شهد مع الامام حروبه الثلاث، و مات فى ايام يزيد بن معاوية.

٥٩- ثابت بن دينار

ثابت المكنى بأبى حمزة الثمالى الصحابى اشترك مع على فى حروبه، و لازمه و كان من اصحابه، و صحب الحسن، و الحسين، و لازم الامام على بن الحسين (ع)

٦٠- جندب بن زهير

جندب بن زهير الأزدي بن الحارث الغامدى، كان من ابطال حرب الجمل مع على.

٦١- جعدة بن ابى هبيرة

جعدة بن ابى هبيرة بن وهب، امه ام هانى بنت ابى طالب، و لاه الامام خراسان.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٧٩

٦٢- حارثة بن قدامه

حارثة بن قدامة التميمي بن مالك بن زهير من اصحاب الامام علي، و اشترك في حروبه كان من رواة الصحابة و المحدثين، روى عنه اهل المدينة و البصرة.

٦٣- جبير بن الخباب

جبير بن الخباب بن المنذر الانصاري، شهد مع علي صفين و كان من خواصه.

٦٤- حبيب بن مظاهر

حبيب بن مظاهر بن الاشر الكندي الاسدي، شهد مع علي حروبه و قتل مع الامام الحسين في كربلاء.

٦٥- حكيم بن جبلة

حكيم بن جبلة العبدى بن عبد القيس كان رجلا صالحا مطاعا في قومه و من اصحاب الامام علي و كان قد سكن البصرة على رأس عشرينته، و لما قدم طلحة و الزبير البصرة بجيش الجمل و غدرا بالاحنف بن قيس و الى البصرة من قبل الامام علي و أخذوه اسيرا بعد ان نتفوا شعر رأسه، و لحيته، و اهداب جفونه، خرج حكيم بن جبلة في قومه يقاتل و بعد مقتله عظيمة بين الطرفين، قتل حكيم و اكثر اصحابه، و ذلك قبل قيام معركة الجمل.

٦٦- خالد بن ابي دجانة

خالد بن ابي دجانة الانصاري، من شيعة علي، و قد شهد مع علي صفين

٦٧- خالد بن الوليد

خالد بن الوليد الانصاري، من اهل المدينة، شهد مع علي صفين و أبلى بلاء حسنا.

٦٨- زيد بن صوحان

و هو اخو صعصعة بن صوحان و من اخلص الناس لعلي، و موافقه معه مشهورة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٨٠

لا سيما في معركة الجمل، كان احد الابطال في حرب القادسية، و قد قطعت يده في القادسية، ثم قتل في معركة الجمل و لما بلغ السيدة عائشة نبأ قتله ترحمت عليه

٦٩- الحجاج بن غزية

الحجاج بن غزية الانصاري، قدم علي علي -ع- بعد ان نكث طلحة و الزبير بيعته فقال: يا امير المؤمنين دراكها، دراكها، قبل الغوث، لا دالت نفسى ان خفت الموت، يا معشر الانصار انصروا امير المؤمنين كما نصرتم رسول الله -ص- الا ان الآخرة لشبيهة بالاولى. و

شهد معركة صفين مع علي -ع-

٧٠- زيد بن شرحبيل

زيد بن شرحبيل الانصارى، من شهود يوم الغدير، و المحدث بحديث من كنت مولاه فعلى مولاه، من شيعة علي و اصحابه.

٧١- زيد بن جبلة

زيد بن جبلة، او ابن جبلة احد رؤساء بنى تميم، كان شريفا فى الاسلام و صاحب مروءة من اصحاب الامام و شيعته.

٧٢- ابن الورقاء

بديل بن الورقاء، قتل هو و اخوه حبيب و ولده عبد الله مع علي فى صفين

٧٣- ابو عثمان الانصارى

ابو عثمان الانصارى، مولى بنى هاشم و قد شهد صفين مع الامام علي (ع)

٧٤- ابو زين الاسدى

ابو زين مسعود الاسدى بن مالك و قد شهد صفين مع الامام علي (ع)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٨١

٧٥- ابو عمره الانصارى

ابو عمره الانصارى و قد اختلفوا فى اسمه فقيل انه عمرو، و قيل محسن، و قيل ثعلبة و قد قتل فى حرب صفين. مع علي (ع)

٧٦- ابو طفيل عامر

ابن وائله كان من شعراء الصحابة، فاضلا، عاقلا، حاضر الجواب، فصيحاً، متشيعاً لعلى بن ابي طالب، اشترك مع الامام علي فى حرب البصرة، و صفين، و النهروان، قال معاوية: كيف وجدك على خليلك ابي الحسن؟ فاجابه: كوجد ام موسى على موسى، و اشكو الى الله التقصير، فقال له معاوية: كنت فيمن حضر عثمان؟ قال له: كنت فيمن حضره، فقال له: فما منعك من نصره؟ قال له: انت ما منعك عن نصره اذ تربعت به ريب المنون، و كنت مع اهل الشام و كلهم لك؟ فقال له معاوية: اما ترى فى طلبى لدمه نصره له؟ فقال بلى و لكنك كما قال الشاعر:

فلا ألفتك بعد الموت تندبنى و فى حياتى ما زودتنى زادا

كان ابو طفيل ممن يفضل عليا-ع- و يقدمه على الشيخين و فى (الاستيعاب) ان الذين كانوا يفضلون عليا هم: سلمان، و ابو ذر، و المقداد، و خباب، و جابر ابو طفيل، و قد مرت الاشارة الى ذلك

٧٧- عبد الله الانصاري

عبد الله بن عمر الانصاري بن حدام، ابو جابر بن عبد الله من اعيان الصحابة و من حضر بيعه العقبة و اشترك مع رسول الله -ص- قال فيه رسول الله:

جزا الله الانصار خيرا لا سيما عبيد بن عمر بن حدام و سعد بن عباد و كان من المخلصين للامام على -ع- هو و ولده جابر كما تقدم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٨٢

٧٨- سعد بن مسعود

سعد بن مسعود الثقفي عم المختار الثقفي المشهور كان من رجال على -ع- و لاه بعض اعماله و صحبه معه الى صفين

٧٩- سعد بن الحرث

سعد بن الحرث بن الصمة قتل في صفين مع الامام على

٨٠- الحرث بن عمرو

الحرث بن عمرو الانصاري و قد قتل مع على بصفين.

٨١- سليمان الخزاعي

سليمان بن صر الخزاعي شهد مع على صفين، و طالب بعد مقتل الامام الحسين بدمه، و هو رئيس جماعة التوابين

٨٢- شرحبيل الهمداني

شرحبيل بن مرة الهمداني هو من رواه الحديث عن النبي و من رواه حديث رسول الله: «يا على حياتك و موتك معي» استعمله الامام على -ع- على النهروان.

٨٣- شبيب بن رشأ

شبيب بن رشأ النخيري و قد شهد صفين مع الامام على

٨٤- سهل بن عمر

سهل بن عمر، صاحب المربرد و قد قتل مع الامام على بصفين.

٨٥- سهيل بن عمر

اخو سهل صاحب المربرد و قد قتل هو الاخر مع على -ع- بصفين.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٨٣

٨٦- الحرث بن عمر

الحرث بن عمر الانصارى و قد شهد صفين مع الامام على -ع-.

٨٧- عبد الرحمن الخزاعي

عبد الرحمن الخزاعي الفارسي لكتاب الله، العالم بفرائض الاسلام، روى صاحب (الاصابة) عن روى عنه، قال عبد الرحمن: شهدنا صفين مع على -ع- ممن بايع بيعه الرضوان تحت الشجرة ثمانماية نفر قتل منا ثلثمائة و ستون نفرا.

٨٨- عبد الله بن خراش

عبد الله بن خراش و هو المكنى بابي ليلي شهد مع على -ع- صفين.

٨٩- عبد الله بن سهيل

عبد الله بن سهيل الانصارى شهد مع على -ع- حرب صفين.

٩٠- عبيد الله بن العازب

و هو اخو البراء بن العازب شهد هو و اخوه مع على -ع- معركة صفين و النهروان،

٩١- عدى بن حاتم

عدى بن حاتم الطائي المكنى بابي طريف كان من السادة الاجلاء فارسا كريما و هو من المصلين كان يقول: ما دخل وقت الصلوة الا و انا مشتاق اليها، كانت صحبتته لعلى و موالاته له و شهوده حروبه و هو من الابطال الذين فتحوا العراق، و قد سكن الكوفة و كان من امراء جيش الامام على -ع- بصفين، قتل له في المعارك مع الامام ولدان هما: طارق، و طريف، و سأله معاوية فقال له: ما انصفك على إذ أبقى على ولديه و قتل ولديك؟ فقال له عدى: «لا و الله ما انصفت انا عليا إذ قتل و بقيت انا حيا من بعده».
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٨٤

٩٢- عروة الاسلمى

عروة بن مالك الاسلمى شهد مع على حرب صفين.

٩٣- عقبه السلمى

هو عقبه بن عامر السلمى شهد حرب صفين مع الامام على -ع-

٩٤- عمر بن هلال

عمر بن هلال الانصارى و قد شهد مع على صفين

٩٥- عمر بن انس

هو عمر بن انس بن عوف الانصارى و قد شهد بدرًا مع النبي -ص- و شهد صفين مع الامام على -ع-

٩٦- هند بن ابى هاله

هند بن ابى هاله الاسيدى امه ام المؤمنين خديجة بنت خويلد، كان منقطعًا الى صحبة على و كان من الفصحاء و البلغاء من الصحابة، و يجيد الوصف، قتل مع الامام على -ع- فى البصرة يوم الجمل.

٩٧- وهب بن عبد الله

وهب بن عبد الله بن مسلم بن جنادة قدم على النبي و أسلم، و حفظ عنه الحديث، و صحب عليًا من بعده و لما ولى الخلافة استعمله على شرطة الكوفة و كان يسميه (وهب الخير).

٩٨- هانى بن عروة

هانى بن عروة بن الفضفاض بن عمران سكن الكوفة و كان من خواص الامام، اشترك مع الامام فى حروبه الثلاثة و لما جاء مسلم بن عقيل الى الكوفة لآخذ البيعة لابن عمه الحسين بن على -ع- نزل على هانى و لما جاء بن زياد واليا من قبل يزيد على الكوفة قبض على مسلم و هانى فقتلها، و قصة قتلها معروفة فى التاريخ
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٨٥

٩٩- هبيرة بن النعمان

هو هبيرة بن النعمان بن قيس بن مالك بن سعد العشيرة الجعفى كان من الشرفاء كما يقول الكلبي و من امراء جيش الامام على -ع- بصفين و قد ولاه الامام على المدائن.

١٠٠- يزيد بن قيس

يزيد بن قيس بن عبد الله من اصحاب على و ممن اشترك فى حروبه.

١٠١- يزيد بن حوريت

يزيد بن حوريت الانصارى شهد صفين مع على -ع-.

١٠٢- يعلى بن عمير

يعلى بن عمير بن يعمر النهدي كان مع على -ع- بصفين و صاحب رأى نهدي.

١٠٣- انس بن مدرک

انس بن مدرک بن كعيب بن سعد الخثعمي المكنى بابي سفيان كان من شعراء الصحابة قتل بصفين مع الامام على -ع-.

١٠٤- عمرو بن العبدى

كان ابوه من اشرف عبد القيس و رؤسائها، و كان ابنه شريفا في الاسلام، اشترك مع على في وقعة الجمل على رأس اربعة الاف فارس.

١٠٥- عميرة الليثي

كان من اصحاب على -ع- شهد صفين و كان شديدا على معاوية حتى حلف إن ظفر به ليصب الرصاص في اذنه.

١٠٦- عليم بن سلمة النهمي

كان من الصحابة و سكن مصر و لما بويع للامام على -ع- التحق به و شهد معركة صفين و عاد الى مصر مع محمد بن ابي بكر و لما قتل محمد شفع له

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٨٦

معاوية بن خديج و عاش الى ايام مروان و كان مروان قد هدد بقتله و لما ولي الامر قصد برقة و سكنها الى ان مات.

١٠٧- عمير السلمى

عمير بن حارث السلمى شهد مع الامام على -ع- معركة صفين

١٠٨- علياء بن الهيثم

علياء بن الهيثم بن جرير كان ابوه من الرؤساء الذين حاربوا الفرس يوم ذى قار و كان علياء قد ادرك الجاهلية و الاسلام و اشترك في الحروب الاسلامية بعد النبي -ص- و قتل مع على -ع- يوم الجمل.

١٠٩- عوف بن عبد الله

عوف بن عبد الله الازدى، شهد مع الامام على بن ابي طالب حرب صفين و قيل قتل فيها.

١١٠- علاء بن عمر

علاء بن عمر الانصارى، وقد شهد مع الامام على بن ابى طالب حرب صفين.

١١١- قيس بن ابى قيس

وقد شهد معركة صفين مع الامام على بن ابى طالب عليه السلام.

١١٢- نهشل بن حمرة

نهشل بن حمرة بن جابر بن فطن رئيس بنى حنظلة و صاحب رايتهم، اشترك مع على فى الجمل و صفين، و النهروان.

١١٣- المهاجر بن خالد

المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومى، كان من اصحاب على بن ابى طالب و مواليه، و شهد معه حرب الجمل، و صفين، بينما كان اخوه عبد الرحمن مع معاوية.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٨٧

١١٤- مخنف بن سليم

مخنف بن سليم الغامدى العبدى، من ولده ابو مخنف صاحب الاخبار لوط بن يحيى بن ابى مخنف كان مع الامام و هو صاحب راية الازد فى صفين، و قتل يوم الجمل مع الامام على-ع- و قد ولاه الامام على اصفهان.

١١٥- محمد بن عمير

محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب التميمى كان من اشراف الكوفة متشيعا لعلى-ع- و له مع الحجاج اخبار كثيرة و كان من امراء الامام يوم صفين.

١١٦- ابو عمرة الانصارى

ابو عمرة الانصارى من بنى النجار، كان ممن شهد بدرا مع رسول الله، و قتل فى صفين مع الامام على.

١١٧- حازم بن ابى حازم

حازم بن ابى حازم النجلى الاحمصى، شهد مع الامام على بن ابى طالب عليه السلام صفين و قتل بها.

١١٨- عبيد بن تيهان

عميد بن تيهان، او ابو الهيثم الذي كان اول من بايع للرسول ليلة العقبة.

١١٩- ابو فضالة الانصاري

شهد بدرًا مع رسول الله و قتل بصفين مع الامام على بن ابي طالب.

١٢٠- اويس القرني

الزاهد المشهور من الصحابة، و قد قتل مع على بن ابي طالب بصفين

١٢١- زياد بن النظر

زياد بن النظر الحارثي، كان من قواد الامام على بن ابي طالب في حروبه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٨٨

١٢٢- عوض بن علاط

عوض بن علاط السلمى، قتل يوم الجمل بجانب على -ع-

١٢٣- معاذ بن عفراء

معاذ بن عفراء اخو معوذ، شهد بدرًا مع رسول الله و قتل في حرب الجمل.

١٢٤- عبد الله بن سليم

عبد الله بن سليم اخو مخنف بن سليم كان من قواد الامام يوم الجمل و بيده كانت راية الازد.

١٢٥- علاء بن عروة

و قد حمل راية الازد بعد قتل عبد الله بن سليم و تم على يده الفتح يوم الجمل.

١٢٦- القاسم بن سليم

كان صاحب راية عبد القيس يوم البصرة، و قد قتل في حرب الجمل و قتل معه زيد و سبحان ابنا صوحان.

١٢٧- عبد الله بن رقية

و كانت بيده راية عبد القيس يوم البصرة

١٢٨- منفذ بن النعمان

حضر معركة الجمل مع الامام و أقر له مرة بحمل رايه عبد قيس بعد ان قتل القاسم و رفقاؤه

١٢٩- مرة بن منفذ النعمان

و كانت بيده رايه عبد قيس و أبلى بلاء حسنا في معركة البصرة.

١٣٠- الحرث بن حسان

هو الحرث بن حسان الذهلي، كان صاحب رايه بكر بن وائل في معركة الجمل مع علي-ع- و من كلامه قال: (يا معشر بكر لم يكن احد له من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٨٩

رسول الله-ص- مثل منزله صاحبكم) فقتل هو و خمسة من اولاده يوم الجمل.

١٣١- بجير بن دلجه

حضر مع علي البصرة و تعاون هو و المعقل علي عقر الجمل فانهمز اصحابه و تم النصر لعلي.

١٣٢- يزيد بن حجة

يزيد بن حجة التميمي، اشترك مع الامام علي-ع- في حرب الجمل، و صفين، و بعد معركة صفين ولاه الامام علي علي الرى.

١٣٣- عامر بن قيس

عامر بن قيس الحضرمي الطائي اشترك في حروب علي-ع- و قتل في معركة صفين،

*** هؤلاء هم الطبقة الأولى من رجالات الشيعة و قد حضر معظمهم مع علي-ع- معركة صفين سواء المهاجرين منهم و الانصار و كان كلهم قد ادرك النبي-ص- و حارب تحت لوائه الامويين، و اعيان قريش، في المعارك التي اثارها الامويون و جابرة قريش ضد رسول الله-ص- لابطال دعوته، و القضاء علي شريعته في بدر، و أحد، و الاحزاب، و كان معظم هؤلاء بل كل هؤلاء من انصار علي و شيعته منذ زمن النبي-ص- و ممن كانوا يرون في شخصية علي المثل الاعلى و يرون ان الحق يدور حيث دار و ان هنالك جامعة اصيلة تجمع بينهم و بين علي و يؤلف منهم شيعة لرجل تتوفر فيه كل مزايا الانسانية الكاملة. و من الأمثلة علي تفانيهم في عقيدتهم في علي و ايمانهم به ما رواه ابن الأثير في (الكامل) في حوادث سنة ٣٦-٣٧- اذ قال: «خرج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٩٠

عمار يوم «صفين» علي الناس فقال: اللهم انت تعلم اني لو اعلم ان رضاك عنى في ان اذف بنفسى في هذا البحر لفعلت، اللهم انت تعلم لو اعلم ان رضاك عنى ان أضع سيفى في بطنى ثم انحنى عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت، و انى لا- اعلم اليوم عملا- هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، و لو اعلم عملا هو ارضى لك منه لفعلت، و الله انى لأرى قوما ليضربنكم ضربا يرتاب منه المبطلون، و ايم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر، لقلت أنا على الحق و انهم على الباطل» ثم قال: من يتغى رضوان الله ربه؟

ولا يرجع الى مال ولا ولد؟ فأنته عصابة فقال:

«اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطالبون بدم عثمان وانهم ما ارادوا الطلب بدمه و لكنهم ذاقوا الدنيا واستحبوها، و علموا ان الحق اذا لزمهم حال بينهم و بين ما يتمرغون فيه منها، و لم تكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس، و الولاية عليهم، فخدعوا اتباعهم و قالوا إمامنا قتل مظلوما ليكونوا بذلك جابرة، و ملوكا، فبلغوا ما ترون، فلولا- هذا ما تبعهم من الناس رجالان، اللهم ان تنصرنا فطالما نصرت، و ان تجعل الامر لهم فادخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم» ثم مضى و معه تلك العصابة فكان لا يمر بواد من اودية صفين الا تبعه من كان هناك من صحابة النبي -ص- فتقدم عمار حتى دنا من عمرو بن العاص فقال له: «يا عمرو بعث دينك بمصر فتبا لك!! فقال: و لكن اطلب دم عثمان فقال: له عمار اشهد على علمي فيك: انك لا تطلب شيئا من فعلك وجه الله، لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثا مع رسول الله و هذه الرابعة فما هي بأبر و أتقى» ثم برز للقتال.

قال عبد الرحمن السلمى: لما قتل عمار دخلت عسكر معاوية لأنظر هل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٩١

بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا؟ و كنا اذا تركنا القتال يتحدثون الينا و نتحدث اليهم، فوجدت معاوية و عمرو بن العاص و أبا عور السلمى، و عبد الله بن عمرو يتسارون، فقال عبد الله بن عمرو لأبيه، قتلتم اليوم هذا الرجل فى يومكم هذا و قد قال رسول الله -ص-: له يوم كان المسلمون ينقلون فى بناء المسجد لبنه لبنه و عمار ينقل لبنتين فغشى عليه فاتاه النبي -ص- و جعل يمسح التراب عن وجهه و يقول: «ويحك يا ابن سمية الناس ينقلون لبنه لبنه و انت تنقل لبنتين لبنتين رغبة فى الآخرة و انت مع ذلك تقتلك الفئة الباغية» فقال عمرو لمعاوية: أما تسمع عبد الله ما يقول؟ فقال له معاوية:

ما يقول؟ فأخبره بذلك فقال: أ نحن قتلناه؟ انما قتله من جاء به فخرج الناس من فساطيطهم يقولون: ان قاتل عمار من جاء به الى الحرب اى على بن ابي طالب.

يقول صاحب العقد الفريد و لما بلغ ذلك عليا قال: أ نحن قتلنا حمزة ايضا؟! و هو يستهزى بقول معاوية لأن حمزة استشهد يوم احد و كان ممن شهد المعركة، و قد جاء به النبي -ص-

كان جيش الامام على -ع- فى صفين يشتمل على النخبة الممتازة و البقية الصالحة من رجال محمد -ص- الذين انتصر بهم فى موافقه ضد الشرك حتى اعلن كلمة الحق، و رفع بهم راية الدين فى دنيا الاسلام، و قد شهد بذلك مستشار معاوية عمرو بن العاص فى احد ايام صفين، و لما التحق شمر بن ابرهه و جماعه من قراء اهل الشام بعد مقتل عمار بالامام على -ع- فقال: «يا معاوية ... انك تريد ان تقاتل باهل الشام رجلا له من محمد -ص- قرابة قريبة، و رحم ماسة، و قدم فى الاسلام لا يعتد احد بمثله، ... انه قد سار اليك باصحاب محمد -ص-

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٩٢

المعدودين، و فرسانهم، و قرائهم، و اشرافهم، و لهم فى النفوس مهابة، فبادر باهل الشام مخاشن الوعر، و مضايق الغيظ، و احملهم على الجهد، و مهما نسيت فلا تنس انك على الباطل

هؤلاء هم شيعة على، من المهاجرين و الانصار و قد تعلقوا به منذ ان اسلموا و منذ ان عرفوا عليا و امتنع الكثير منهم عن بيعه الخليفة ابي بكر (رض) يوم امتنع على عن بيعته و قد قتل الكثير منهم بين يديه او بين ايدى اولاده هياما بروحه، و شخصيته، و انسانيته الكاملة فكانوا هم الشيعة الأوائل، و هم نواة التشيع من المسلمين المنبعثة من واقع الحياة الخالصة، الصافية من الدنس و الطمع و الشره و المكروه، فمن من الذين بقوا من اصحاب محمد من خصوم على غير الذين اشار اليهم عمار؟: (الذين ذاقوا الدنيا و استحبوها و علموا ان الحق اذا لزمهم حال بينهم و بين ما يتمرغون فيه منها).

زبدة انصار معاوية

يقول اليعقوبي في تاريخه: «اشترك مع معاوية من الانصار النعمان بن بشر الانصاري، و مسلمة بن مجالد و لم يكن من المهاجرين مع معاوية احد في صفين و كل من اشترك معه كان من مسلمي الفتح الذين اسلموا مقهورين، و الطلقاء المؤلفة قلوبهم و على رأسهم عمرو بن العاص و ابو اعور السلمي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٩٣

و شرحبيل بن السمط الكندي، و بسر بن ارطاة و ابو الفادية الجهني و سحره بن جندب و مسلم بن عقبة و يزيد بن اسد و حابس بن سعد الطائي و امثالهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٩٤

الفهرست

الصفحة ٥- الموسوعة و طبيعتها، و الموسوعيون من المسلمين و العرب

اول دائرة معارف في التاريخ- صبغة الموسوعة العربية- نشأة الموسوعة- الجليل الأول من الموسوعيين- ضعف الاتجاهات الموسوعية بعد القرن الرابع- غرض الموسوعة الأكبر- الموسوعة الأوربية- دائرة المعارف البريطانية- الفرنسية- الاميركية- الالمانية- الايطالية اليابانية و الصينية- الموسوعة العربية الحديثة- الموسوعات الكاملة- موسوعة العتبات المقدسة.

٤٧- لمحمة تاريخية مجملته عن مدن العتبات المقدسة

٤٩- مكة المكرمة- القبائل التي سكنت مكة- اهمية مكة- بناء البيت- اركان الكعبة- الحطيم- المسجد الحرام- ابواب المسجد الحرام- التطورات التي طرأت على المسجد الحرام

٦٨- المدينة المنورة

القبائل التي نزلت المدينة .. الاسلام في يثرب-

٧٥- البقيع

٧٨- الكوفة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٩٥

صفحة ٨٩- النجف الاشرف

١٠٩- كربلاء

١٢١- الكاظمية

١٣٠- مشهد الرضا

١٣٧- سامراء

١٤٥- مجمل سير الأئمة الاثني عشر

١٤٧- بعض من الف الكتب في الأئمة الاثني عشر

١٥١- النبي محمد بن عبد الله (ص)

ولادته- بعثته- صفاته- دعوته و غزواته- مواهبه و ملكاته- من حكمه و اقواله- زوجاته- اولاده- وفاته

١٦٣- فاطمة الزهراء

- ولادتها- ملكاتها- اولادها- وفاتها
- ١٦٨- الامام على بن ابي طالب (ع)
- ولادته- صفاته- امامته و خلفته- من اقواله و حكمه- اولاده و ازواجه- وفاته.
- ١٧٨- الحسن بن على (ع)
- ولادته- صفاته- من اقواله و حكمه- خلافته- زوجاته- اولاده- وفاته
- ١٨٤- الحسين بن على (ع)
- ولادته- صفاته- من اقواله و حكمه- خصومه يزيد- اولاده مقتله-
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٩٦
- صفحة ١٩٣- على بن الحسين (ع)
- ولادته- صفاته- من اقواله و حكمه- اولاده- وفاته
- ٢٠٠- محمد الباقر (ع)
- ولادته- صفاته- من اقواله و حكمه- اولاده- وفاته
- ٢٠٥- جعفر الصادق (ع)
- ولادته- صفاته- علومه- بعض اقواله و حكمه- اولاده- وفاته
- ٢١٣- موسى الكاظم (ع)
- ولادته- القابه- و كناه- صفاته- ملكاته الادبية- من اقواله و حكمه- جوسه- اولاده- وفاته
- ٢٢٢- على بن موسى الرضا
- ولادته- صفاته علمه و فضله- ولايته عهد الخلافة العباسية- العهد الذى كتبه المأمون بولاية عهده- من اقواله و حكمه- اولاده- وفاته
- ٢٣١- محمد الجواد (ع)
- ولادته- صفاته- من اقواله و حكمه- اولاده- وفاته
- ٢٣٧- على الهادى (ع)
- ولادته- صفاته- من اقواله و حكمه- اولاده- وفاته
- ٢٤٢- الحسن العسكري (ع)
- ولادته- صفاته- من اقواله و حكمه- وفاته
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٩٧
- صفحة ٢٤٩- محمد بن الحسن (ع)
- ولادته- صفاته
- ٢٥٥- عقائد الشيعة و اصول دينهم
- الاسلام و الايمان فى عقيدة الشيعة- اصول الدين
- ٢٦٤- الوجود و التوحيد
- ٢٦٨- العدل
- ٢٧٣- النبوة
- ٢٨٠- الامامة

صفات الامام امامة على و اولاده

٢٩٠- المعاد

الروح او النفس المجردة- شبهة الآكل و المأكول في معاد الجسد

٢٩٧- ملخص اعتقاد الشيعة

٣٠١- الشيعة و التشيع

مؤتمر بياضه

٣٣١- اسباب التشيع

الامامة

٣٢٤- العداة بين هاشم و امية

٣٣٣- العثمانية

اول حرب شنت في وجه على و شيعته- الصراع بين الشيعة العلوية و الشيعة العثمانية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١، ص: ٣٩٨

صفحة ٣٥٠- الطبقة الاولى من رجالات الشيعة

ابو ذر الغفاري- سلمان الفارسي- عمار بن ياسر- المقداد بن عمرو- حذيفة بن اليمان- خزيمه بن ثابت ذو الشهادةتين- الخباب الخزاعي- قيس بن سعد بن عباد- ابو ايوب الانصاري- جابر الانصاري- هاشم المرقال- محمد بن ابي بكر- مالك الاشر- مالك بن نويرة- عبد الله بن مسعود- ابو الاسود الدؤلي- خالد بن سعيد- زيد بن ارقم- ابو طفيل- عدى بن حاتم- هاني بن عروة، و اكثر من مائة علم آخر من الصحابين و رجالات الشيعة الاوائل.

٢٩٢- زبده انصار معاوية نعمان بن بشر، مسلمة بن مجالد- عمرو بن العاص، ابو اعور السلمي، شرحبيل بن السمط، بسر بن ارطاة، مسلم بن عقبه و غيرهم.

الجزء الثاني

[المقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

كان الواجب ان يكون هذا الجزء اسبق جميع اجزاء الموسوعة في الصدور لو ان تأليفه كان قد كمل في حينه، و حسنا فعلنا حين اخذنا بمبدأ الشروع بطبع اي جزء ينتهي تأليفه دون التقيد بتقديم الأهم على المهم، و لو كنا قد تقيدنا بذلك لبقينا (نراوح) طوال السنتين في مكاننا حتى يتم الجزء الأول من مكة المكرمة و الذي لم يتم الا- اليوم، و حسنا فعلنا ان جعلنا كل عتبة قائمة بنفسها من هذه الموسوعة. و على ان في هذا الاستقبال الكبير الذي استقبلت به الموسوعة من مختلف القراء و مختلف المؤسسات، و الجامعات منذ اول صدور الجزئين الاولين منها تحفيزا كبيرا على مضاعفة النشاط، فان خطورة الموضوع و صعوبة القيام به على الوجه الصحيح المطلوب لا يسمح لنا مهما اجهدنا انفسنا باصدار اكثر من جزئين في كل سنة في الوقت الحاضر، ذلك لان غرلة الكتب من مطبوع و مخطوط، و عزل الرواية و الخبر عن الوقائع التاريخية مما أخذنا على عاتقنا القيام به و اخراجه اخراجا اكاديميا و بحوثا جامعية، على قدر ما نملك من طاقة لهو من اصعب الامور و اكثرها مشقة لا سيما و ان تداخل الاخبار و الروايات و الاحاديث و الوقائع التاريخية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٦

فى تاريخ العتبات المقدسة و تشابكها من التعقيد ما يجعل هذا التاريخ بمثابة الوشيعه من الغزل المتشابك المتقطع الذى لا تدرى كيف تهتدى إلى رأس الخيط الأسمى منها، و مع كل ذلك فنحن ساعون على قدر الامكان فى بذل الجهود فى المستقبل ليكون بمقدورنا ان نصدر ثلاثة اجزاء من الموسوعة فى كل سنة، و ان مبعث هذا الأمل كامن فى زيادة العدد الذى انضم اليها من اساتذة الجامعات و افاضل الباحثين و الكتاب، و لكن مثل هذا الأمل لا يجوز ان يسجله القارىء علينا و عدا.

و انه لمن السار لنا ان نجد الأجزاء التى صدرت تحتل اليوم مكانا مرموقا فى اهم مكتبة من مكتبات الجامعات الاروبية و الاميركية، و هذا ما ييشر بنجاح هذا المشروع و مدى انتشار الموسوعة، و قيمتها العلمية.

و قسم مكة المكرمة كسائر اقسام العتبات المقدسة لن يقل مجموعه عن عشرة اجزاء إن لم يزد على ما نظن، و هذا هو الجزء الأول، و هو عبارة عن المامه و افيه عن مكة من اول تشأتها و اهميتها فى التاريخ، و مصادر بحوثها، و نماذج مما ورد عنها فى اهم المصادر العربية و الأجنبية راجين ان نوفق الى اصدار الأجزاء التسعة الاخرى بمنه تعالى و توفيقه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٧

مكة قديما

إشارة

إمامه تاريخية كافية عن مكة المكرمة منذ أول تمصيرها حتى قيام الاسلام كتبها جعفر الخليلي
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٩

مكة المكرمة و اسماؤها

إشارة

قلما اختلف اللغويون و المؤرخون فى اسم مدينه من المدن و اشتقاقها و تعدد اسمائها كما اختلفوا فى اسم «مكة» فقد جاء فى القاموس للفيروزآبادى ان فلانا مكّ فلانا اى اهلكه و نقصه، و منه (مكة) للبلد الحرام او للحرم كله لانها تنقص الذنوب او تفيها .

و قد قيل انما سميت (مكة) فلقلة مائها، و ذلك انهم كانوا يمتكون الماء فيها اى يستخرجونه- على ما اورد ابن منظور- و قيل بل سميت مكة لانها كانت تمكّ من ظلم فيها و أهد- اى تهلكه، قال الراجز:

يا مكة الفاجر مكى مكّاو لا تمكى مذحجا و عكا

و يقال انما سميت (مكة) فلازدحام الناس بها من قولهم: قد امتك الفصل ضرع امه اذ امتصه مصا شديدا، و روى ياقوت ان الشرقى بن القطامى قال: انما سميت مكة لان العرب فى الجاهلية كانت تقول لا يتم حجنا حتى نأتى مكان الكعبة فمكّ فيه اى نصفر صفير المكاء حول الكعبة، و كانوا يصفرون و يصفقون بأيديهم اذا طافوا بها، و قال قوم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٠

سميت مكة لانها بين جبلين مرتفعين عليها و هى فى هبطه بمنزلة المكوك الى غير ذلك من التفاسير التى يصعب الركون اليها و الاعتماد عليها

و لقد جاء اسم (مكة) فى القرآن الكريم مرة واحدة فى سورة الفتح من قوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ عَنْهُمْ بِيْطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) مشيرا بذلك الى صلح (الحديبية) كما اشارت الى ذلك التفاسير،

بَكَّة

و من أسماء مكة الكثيرة (بَكَّة) و قيل انها سميت بذلك لان مكة كانت تبك اعناق الجابرة اذا اُحدوا فيها بظلم، و قيل بل لان الناس يتباكون فيها من كل وجه اى يتراحمون
 و قال ابن منظور عن يعقوب ان (بَكَّة) ما بين جبلى (مكة) لان الناس يبك بعضهم بعضا فى الطواف، اى يزحم، و قيل سميت (بَكَّة) لان الناس يبك بعضهم بعضا فى الطريق اى يدفع ، قال ذلك ابو عبيدة و أنشد:
 اذا الشريب أخذته أكه فخله حتى يبك بكة
 و قيل بل ان (بَكَّة) موضع البيت و سائر ما حوله (مكة).
 و ورد إسم (بَكَّة) فى القرآن الكريم فى موضع واحد من قوله:
 (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ).

ام القرى

و من أشهر اسماء مكة (ام القرى) و فى سبب هذه التسمية اختلاف
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١١
 كما هو فى اسم مكة و بَكَّة فقد قيل انها سميت (بام القرى) لانها توسطت الأرض فيما زعموا، و يقول ابن منظور فى لسان العرب: و قيل لانها قبله جميع الناس يؤمنونها، و قيل سميت بذلك لانها كانت اعظم القرى شأنا و لا يبعد ان يكون هذا التوجيه اقرب الى الصواب لما عرفت به مكة فى ادوارها التاريخية و لان كل مدينة بمثابة الأم لما حولها من القرى على ما يصطلح عليه اللغويون.
 و قد ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى موضعين:
 (وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَ مَنْ حَوْلَهَا وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَ مَنْ حَوْلَهَا وَ تُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ).

البلد، و البلد الأمين، و الحرام

البلد، و البلد الامين من اشهر أسماء مكة، التى تغلب عليها هذا الاسم و الصفة، فى الاسلام اكثر و المقصود بالامن هو ما عرفت به مكة من الامن على ساكنيها و اللاندين بها و حفظ اموالهم دون جميع اطرافها، و انما سميت مكة بالبلد فهو من باب التفخيم لها كالنجم، للثريا، و العود للمندل و قد ورد ذكر مكة باسم البلد فى أربعة مواضع من القرآن الكريم، و قد اجمع المفسرون على ان المقصود من الآية (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) هو القسم بالبلد الحرام و هو (مكة) و تفسير ذلك: انك يا محمد مقيم بهذا البلد و هو محلك، و هذا تنبيه على شرف البلد بشرف من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٢

حلّ به من الرسول الداعى الى توحيده، و اخلاص عبادته، و بيان ان تعظيمه له، و قسمه به لأجله.
 و هكذا كان المقصود من (البلد) فى الآية: (وَ التَّيْنِ وَ الزَّيْتُونِ وَ طُورِ سَيْنِينَ، وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) هو مكة البلد الحرام الذى يأمن فيه الخائف فى الجاهلية و الاسلام .

و كذلك فان المقصود بالبلد فى الآيه القرآنيه (وَ إِذِ قَالَ اِبْرَاهِيْمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا، وَ ارْزُقْ اَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ) هو مكه المكرمه، و ان معنى قوله (بَلَدًا آمِنًا) اى يأمنون فيه، كما يقال: ليل نائم اى النوم فيه .
و ورد ذكر (البلد) على لسان ابراهيم بمعنى مكه مره اخرى فى الآيه (وَ إِذِ قَالَ اِبْرَاهِيْمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا، وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) .

و وردت (مكه) باسم (البلده) مره واحده فى القرآن الكريم فى الآيه:
(إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا، وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) و عن ابن عباس ان البلده هى مكه، و قوله (و الذى حرّمها) اى جعلها حرما آمنا يحرم فيها ما يحل فى غيرها، لا ينفرد صيدها، و لا يختلى خلاها، و لا يقتص فيها .
و نعتت مكه (بالحرم الآمن) فى موضعين من القرآن فقد جاء فى الآيه (أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِنْ لَدُنَّا) و جاء فى الآيه: (أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَ يَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ)
موسوعه العتبات المقدسه، ج ٢، ص: ١٣

اسماء مكه الاخرى

و لمكّه اسماء اخرى كثيره أوردها المؤرخون و يغلب على الظن ان ما كان معروفًا فى صقع من اسماء (مكه) غير معروف فى صقع آخر، و ما كانت تطلق قبيله على مكه من الاسماء باستثناء اسماء (مكه) العامه الشامله- غير ما كانت تطلقه قبيله اخرى، و الا لما تعددت أسماء مكه كل هذا التعدد.
فمن أسماء مكه: النساسة، و أم رحم، و معاد، و الحاطمه، و الرأس، و الحرم، و صلاح، و العرش، و القادس، و المقدسه، و الناسه، و الباسه، و كوئى، و المذهب فى قول بشر:
و ما ضم جباد المصلى و مذهب و هناك من يطلق على مكه صفة (البيت) و (الكعبه) و يسميها (بالبيت العتيق) او بيت الله. او البيت الحرام، و غير ذلك من الأسماء و النعوت.
موسوعه العتبات المقدسه، ج ٢، ص: ١٤

اول ظهور مكه فى التاريخ

تقع مكه فى الجانب الغربى من جزيرة العرب و تمتد من الغرب الى الشرق على مسافه نحو ثلاثه كيلومترات طولًا- و ما يقرب من نصف ذلك عرضًا فى واد مائل من الشمال الى الجنوب منحصر بين سلسلتى جبال تكادان تتصلان ببعضهما من جهه الشرق و الغرب و الجنوب، و لذا لا- يشاهد ابنيها القادم عليها الا و هو على أبوابها، و السلسله الشماليه فيها تتركب من جبل الفلح (الفلق) غربًا، ثم جبل قيقعان ثم جبل (الهندي)، ثم جبل (لعلع) ثم جبل (كداء) و هو فى أعلى مكه، و من جهته دخل رسول الله البلد حين الفتح، اما الجنوبيه فانها تتركب من جبل (ابى حديده) غربًا يتلوه جبال (كدي) و (كدي) بالتصغير بانحراف الى الجنوب، ثم جبل (ابى قبيس) الى شرقهما، ثم جبل (خندمه).

و ترتفع مكه عن سطح البحر بنحو ٣٣٠ مترًا و هى على عرض ٣١ درجه و ٢٨ دقيقه و فى طول ٤٠ درجه و ٩ دقائق .
و مكه على مسافه قليله من البحر الاحمر يوصلها به ميناء (جده).

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٢، ص: ١٥

و لا تنفذ من وادىها الى الخارج الا من طرق معينه محدوده، و فى تاريخ ظهورها كبيت او كعبه، او مدينه، أقوال مختلفه من الصعب الركون اليها اذا اخذنا القواعد العلميه فى دراسه التاريخ بنظر الاعتبار، و كل ما يمكن القول هو ان تاريخ مكه قديم جدا ربما يرجع

الى الوف من السنين الغابرة .

و من المؤكد ان وادى مكة قد اتخذ من قبل ان تبنى: مرحلة و محطا لمرور القوافل لانها تقع وسط الطريق و لان فيها بعض العيون من المياه التي تفتقر اليها القوافل التي تقطع الصحراء بين اقصى الشمال من اراضى فلسطين الى اقصى الجنوب من اراضى اليمن، و ليس فى تاريخ المدن مدينة كثر حول مبدأ تكوينها و تأسيسها و اسباب ذلك من الكلام و الروايات و الاحاديث كهذه المدينة التي كانت اهم مدينة عند العرب قبل الاسلام، و هى اهم مدينة اليوم عند المسلمين، و ستظل كذلك ما دام الاسلام قائما.

و معول جميع المؤرخين فى كتابة تاريخ مكة القديم يقع على الكتب المقدسة، و على رواية الراوين، و قصص الأنبياء، و على القليل مما تبقى من الآثار التاريخية التي يمكن استخلاص بعض الوقائع منها، و هو ما سنمر عليه على قدر ما يسمح به التحقيق، و على قدر ما تستدعيه حاجة كتاب نريد ان نجعل منه مصدرا عاما لمختلف ما قيل عن تاريخ مكة، و بالقدر المستساغ من مجموع تلك الروايات و الاخبار، و الأحاديث، و القصص الضاربة فى الغرابة و بعد القول.

و تذهب أخبار مكة الى ان مكة او البيت او الكعبة كما تزعم هذه الأخبار كانت موجودة قبل قيام الطوفان! و حين وقع طوفان نوح و عمّ الأرض خفى موضع الكعبة و درس بسبب الغرق، و كان موضع الكعبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٦

- على ما تقول هذه الأخبار- أكمة حمراء مدرة لا تعلوها السيول غير ان الناس يعلمون أن موضع البيت فيما هنالك و لكنهم لم يتثبتوا منه بالضبط!! و كان يأتى البيت المظلوم، و المتعوذ من اقطار الأرض، و يدعو عنده المكروب.

فقلّ من دعا هنالك الا استجيب له، و كان الناس يحجون الى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لابراهيم عليه السلام لما أراد عمارة بيته و اظهار دينه و شرايعه .

و اذا صرفنا النظر عن هذه الأخبار فان جميع المصادر التاريخية و الدينية متفقة على ان باني البيت و مؤسس مكة الأول هو ابراهيم الخليل و ان البحث يقتضينا ان نمر على حياة ابراهيم و لو بايجاز لتعيين اتجاه دينه و دعوته للتوحيد ثم علاقته بمكة و بيت الله الحرام.

ابراهيم

و ابراهيم اسم اعجمى كاسماعيل و فيه لغات: ابراهام، و إبراهيم، و ابراهم بحذف الياء و قال عبد المطلب:

و عدت بما عاذ به إبراهيم

مستقبل القبلة و هو قائم

انى لك اللهم عان راغم

قال (ابو محمد) و وجدت فى التوراة انه ولد لتارخ أبى ابراهيم:

ابراهيم و ناحور و هارون و قد ولد لهارون هذا (لوط) و (ساره) و هناك قول ان ساره هى ابنة هاران الأكبر، و هاران هذا هو اخو تارخ و عم ابراهيم، على ان بعض الأخبار تقول ان ابراهيم تزوج ابنة اخيه لان ذلك لم يكن مخالفا للشرع و المألوف حينذاك.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٧

و قد اختلفت المصادر فى موطن ابراهيم الأصلي و محل ولادته فقال البعض انه ولد فى (سوس) و قال البعض بل كان مولده (بابل) فى الفرات، و قال آخرون: كان مولده بناحية كوثى من ارض السواد (العراق) و قال بعضهم كان مولده، (بالوركاء) بناحية الروابى و حدود (كسكر) ثم نقله ابوه الى (كوثى) و هى الناحية التي كان فيها نمرود، و هو نمرود بن كوش العاهل التاريخى الجبار الشهير فى ذلك الزمان، او نقله ابوه تارخ الى بابل على بعض الأقوال، و قال البعض بل انه ولد بحران و هى مدينة بفلسطين و على ما فى هذه الأقوال من اختلاف فى موضع ولادة ابراهيم فان موضع ولادته متعين فى العراق و ان مكان ظهوره يكاد يقتصر على مدينة بابل، بلاد

الكلدانين، و في عصر نمرود بن كوش الملك الجبار.

و كان آزر و قد ذهب البعض الى ان آزر ليس أبا ابراهيم بل انه عمه و قد تربى ابراهيم في حجره بعد موت ابيه و كان آزر- و هو الاسم الثانى لاسبى ابراهيم على اغلب المصادر كان نجارا، و يظهر انه لم يكن نجارا اعتياديا و انما كان نجارا موهوبا متفنا و كانت بابل تعبد الأصنام فكان آزر هذا متخصصا فى صنع هذه الأصنام بمختلف صفاتها، و حين كبر ابراهيم استعان به ابوه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٨

آزر فى الخروج بهذه الأصنام الى السوق و يبعها على الناس لاقتنائها فى بيوتهم او معابدهم، و قد اوتى ابراهيم من ربه ملكة يميز بها الأشياء و ينظر الى الأمور بعين الفكر و العقل لذلك سرعان ما تسرب الى نفسه الشك فى قدسية هذه الأصنام الخشبية التى يصنعها ابوه و يسبغ عليها القوم صفة الربوبية و يعبدونها، ثم حملته الهداية الالهية على أن يفكر فى الكون و خالقه، و يطيل التفكير فيستعرض الزهرة من النجوم و الكواكب، و القمر و الشمس

فيراها تظهر للعيان ثم تعيب و يستتج بقوة تلك المدارك و الهداية ان هذه الأشياء و ان كانت اعظم ما تستلفت الأنظار من هذا الكون المرئى فلا- يمكن بأى وجه من الوجوه ان يكون احدها هو خالق هذا الخلق و هو رب السموات و الارض، و انما يجب ان يكون هنالك إله غير محدود الجوانب بالبصر، و غير مشهود للعيان و هو الذى يجب ان يتجه اليه القوم و يؤمنوا به فكان اول تشكيكه فى تلك الأصنام ان توجه الى ابيه معترضا و سائلا على ما جاء فى القرآن:

(وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ .

ثم حين قوى ايمانه و يقينه بضلال هؤلاء القوم، و تيقن ان هذه العبادة هى الشرك بالله و ان الله هو فاطر السموات و الارض و انه المعبود الذى لا شريك له قال:

(إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) و راح يبشر بعقيدته و يدعو الى نبد عبادة الاصنام، و يغرس الشكوك فى نفوس القوم بألتهتهم حتى فشا ذلك عنه فى قومه، ولكى يقيم ابراهيم الحجج المنطقية على ان هذه الأصنام ليست الا اخشابا او احجارا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٩

و هى لا- تملك نفعا او ضرا تسلل فى غفلة من القوم و كان لهم عيد يخرجون اليه جميعهم فلما خرجوا لم يخرج ابراهيم معهم الى العيد و خالف اصنامهم و هو يقول:

(تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ) .

و جاء الاصنام و هى فى بهو عظيم بعضها الى جنب بعض، كل صنم يليه أصغر منه، و هوى عليها فكسرها بفأس فى يده حتى اذا بقى اعظم صنم منها ربط الفأس بيده ثم تركهن .

فلما رجع القوم من مهرجان العيد ورأوا ما فعل بأصنامهم راعهم ذلك و اعظموه و قالوا (مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا) فرد عليهم من يعرف ابراهيم و مخالفته لهم فى دينهم قائلين: (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) و هم يعنون انه كان يسب الاصنام و ينال منها، و بلغ ذلك نمرود و اشراف قومه فجىء به و قد كرهوا ان يأخذوه بغير بينة و سألوه و هم عند ملكهم نمرود:

(أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) .

و لم تغد هذه الحجج مع قوم نمرود و برموا به و حاولوا ان يقضوا عليه احراقا بالنار فنجوا و خرج من العراق و لم يؤمن بدعوته الا القليل و كان منهم ابنة عمه سارة بنت هاران و قد تزوجها ابراهيم و هاجر بها و بمن آمن معه الى (حاران) من ارض كنعان.

و جاء فى التوراة- التكوين: و اخذ تارخ ابرام (ابراهيم) ابنه و لوطا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٠

بن هاران ابن ابنه و ساراي (ساره) كتنه امرأة ابرام ابنه- و ذلك قبل ان تسمى ساره- فخرجوا معا من اور الكلدانيين ليذهبوا الى ارض كنعان، فأتوا الى حاران، و اقاموا هناك».

ثم جاء في التوراة التكوين «و حدث جوع في الأرض فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك لآن الجوع في الارض كان شديدا، وحدث لما قرب ان يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته انى قد علمت انك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذ رآك المصريون انهم يقولون هذه امرأته فيقتلوننى و يستقونك، قولى انك اختى، ليكون لى خير بسببك و تحيا نفسى من اجلك» و كان ملوك مصر يومذاك العمالق (الهكسوس) و تروى الأخبار و جلها مستقاة من التوراة قصة طويلة عما جرى لابراهيم و ساره مع فرعون مصر ثم تقول ان فرعون هذا قد اهدى لساره جارية اسمها (هاجر) و كانت ساره عاقرا حتى ذلك الحين فلم تلد لابراهيم و لدا و كانت (هاجر) جارية ذات هيئة فوهبتها ساره لابراهيم و قالت انى اراها امرأة و ضيئة فخذها لعل الله يرزقك منها ولدا .

و خرج ابراهيم من مصر و نزل ارض فلسطين (بيت المقدس) و هى بلاد الكنعانيين، و قد وسع الله عليه و بسط له فى الرزق و المال و الخدم، و هنا ولد اسماعيل من هاجر، فهاج ذلك غيره (ساره) و غاظها ان ترى جاريتها تلد ولدا و هى لا تلد، فغضبت عليها و اخرجتها ثم اعادتها، و ليس من شك ان نزاعا حادا كان قد جرى بينهما و ربما طال امد هذا النزاع فاضطر ابراهيم للهجرة بهاجر و ابنها اسماعيل و قد اختلفت الأخبار فى سن اسماعيل عند الهجرة و قال البعض انه كان رضيعا، و الراجح انه كان فى سن اكبر و فوق سن الرضاعة فقد ورد فى الأسباب التى حملت ساره على ان تفرض على ابراهيم الهجرة بهاجر و ابنها اسماعيل فى قولها: (لا تساكنى موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢١

هاجر فى بلد) هو ان ساره قد حملت هى الأخرى باسحق فلما ولدته و كبر اقتتل هو و اسماعيل ، فلم تطق ساره بعد ذلك ان تحتمل هاجر هاجر و ابنها اكثر مما احتملت. و قد رووا انه لما ولد لابراهيم اسحق من ساره و بلغ ثلاث سنين أقبل اسماعيل على اسحاق و هو فى حجر ابراهيم فنحاه و جلس فى مجلسه فبصرت به ساره فقالت: يا ابراهيم أ ينحى ابن هاجر ابنى من حجرك و يجلس هو فى مكانه؟ لا- و الله لا- تجاوزنى هاجر و ابنها فى بلاد ابدان فنحهما عنى؛ و كان ابراهيم مكرما لساره يعزها و يعرف حقها و ذلك لانها كانت من من ولد الانبياء و بنت خالته (كذا) .

و اقبل ابراهيم بام اسماعيل و اسماعيل حتى قدم بهما مكة و مع ام اسماعيل شنة فيها ماء تشرب منها و عمد بهما الى دوحه فوق (زمزم) و وضعهما تحتها ثم رجع، فوضعت هاجر ابنها الى جنبها تحت الدوحه، و علقت شنتها تشرب منها حتى فنى ماؤها، فانطلقت هاجر حتى صعدت (الصفا) لتنظر هل ترى شيئا فلم ترى شيئا، و قيل انها فعلت ذلك سبع مرات، و كان ذلك اصل السعى عند الحجاج. و تختلف هنا الروايات فى هذه الهجرة و كيفيتها و اصل (زمزم) و ظهورها عند الدوحه لأول مرة، و اسباب تسمية (زمزم) و ما ارفق ذلك من الاخبار التى تقتصر على ما توردها قصص الانبياء و ما يوردها الرواة التى لا تنسجم اخبارها و اخبار التاريخ.

و يعلق محمد فريد و جدى على ما ورد عن تلك الروايات فيقول:

«و يظهر لنا ان فى هذه الروايات ضعفا، بل ان اكثر امثال هذه الروايات مخلوطة بالخرافات- ثم يقول- و يلوح لنا ان ابراهيم لم يطوح بامرأته و ولده

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٢

الى هذا الحد بل انتقل بامرأته الثانية الى جهات مكة لغرض من الأغراض بدليل انه كان قد زار بلاد العرب مرارا» .
و على مثل هذا رأى كان غير قليل من المؤرخين كما سيجىء البحث، و ليس هنالك من تناقض بين هذا رأى و الآية القرآنية الواردة على لسان ابراهيم:

(رَبَّنَا إِنِّي أَسِيءْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) اذ لا ينافى ذلك ان يكون الوادى ذا مياه و افياء مع كونه واديا غير ذى زرع.

اسماعيل

و على مقربة من مكة كانت منازل قبائل جرهم، بل قال بعضهم ان جرهم كانت اولى القبائل التى أقامت فى (مكة) و انها كانت تقيم هناك قبل ان تجيء هاجر و ابنها على حين تذهب روايات اخرى الى ان جرهم لم تقم الا بعد ان تفجرت (زمزم) و جعلت العيش فى هذا الوادى الاجرد مستطاعا و قبائل جرهم عرب يتكلمون اللهجة التى نزل بها القرآن و هى لغة بنى معد.

فشب اسماعيل فى قبيلة جرهم و اعطوه سبع اعنز فكانت اصل ماله و نشأ مع اولادهم و تعلم الرمي، و نطق بلسانهم و ماتت امه و تزوج باحدى بنات جرهم و اقام و اياها مع الجرهميين فى هذا المكان الذى تم فيه تشييد البيت الحرام، و قامت مكة بعد ذلك من حوله. و قيل ان اسماعيل قد تزوج مرتين و تتحدث الأخبار عن الزوجة الاولى و تدعى ان اسمها (عمارة) بنت سعيد بن اسامة و تقول هذه الأخبار ان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٣

ان ابراهيم رأى ان يزور ابنه بعد مرور هذه السنين و يستطلع خبره فجاى يسأل عنه حتى وقف على بيته و وجد امرأة اسماعيل فسألها عنه فقالت:

انه غائب، و ليس من شك ان يكون غيابه فى الصيد، فقد كان الصيد يومذاك هو المعول فى حياة تلك القبائل، و قد يقضى القوم فى الصيد اياما و اسابيع، و لم يجد ابراهيم من زوجة ابنه اسماعيل ما كان مألوفاً عند القبائل من ترحيب بالضيوف فقال لها ابراهيم- على ما تقول هذه الروايات: «قولى لزوجك اسماعيل اذا ما عاد انه قد جاءه شيخ صفته كذا و كذا و هو يقرئك السلام و يطلب منك: ان تغير عتبة بيتك لانه لم يرضها لك». ثم رجع من حيث أتى.

و حين رجع اسماعيل حدثته امرأته بحديث ذلك الشيخ فقال لها زوجها:

«و هذا أبى و انت عتبة بيتى، و هو لم يرض بك فارجى الى اهلك» و أرجعها الى أهلها، و تزوج بجرهمية اخرى، قيل ان اسمها (رعله) بنت مضاض التى ولد له منها اثنا عشر ذكرا فكان هو و جرهم بن قحطان الجددين الأولين للعرب المستعربة. و جاء فى التوراة على لسان الله يخاطب ابراهيم فى اسماعيل «ها انا أباركه و أنمره، و اكثره كثيرا جدا، اثني عشر رئيسا يلد و اجعله امه كبيرة» .

و تقول الرواية: و لبث ابراهيم ما شاء الله ان يلبث ثم عاد مرة اخرى ليزور ابنه اسماعيل فألفاه غائبا كالسابق، و وجد امرأته الجديدة فاستنزلته و هى لم تعرفه و عرضت عليه الطعام و الشراب فسألها: ما طعامكم و شرابكم؟

قالت: اللحم و الماء. قال: هل من حب او غيره من الطعام؟ قالت: لا، قال:

بارك الله لكم فى اللحم و الماء. و قالت بعض الروايات انها جاءته باللبن و اللحم ثم طلبت منه على سبيل المبالغة فى إكرام الضيف و هو شيخ كبير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٤

و على رأسه أثر من غبار السفر، طلبت منه ان تغسل له رأسه و هو على فرسه دون ان ينزل من فرسه و جاءته (بالمقام) بالاناء و وضعته عند شقه الايمن، فوضع قدمه عليه فغسلت له شق رأسه الأيمن، ثم حولت (المقام) الى شقه الايسر و فعلت به كذلك، فقال لها اذا جاء زوجك فاقريه عنى السلام و قولى له: الآن قد استقامت عتبة بابك. فلما جاء اسماعيل قالت له زوجته: لقد جاءنا من بعدك شيخ احسن الناس وجهها، و أطيبهم ريحا، و قال لى كذا و كذا و قلت له كذا و كذا، و غسلت له رأسه، و هو يقرئك السلام و يقول: قد قد استقامت عتبة بابك فلا تغيرها. فقال لها اسماعيل:

ذلك هو أبى ابراهيم، و قوله هذا يدل على رضاه منك.

و ولد لاسماعيل من هذا الزواج كما مر اثنا عشر ولدا هم آباء العرب المستعربة، هؤلاء العرب الذين ينتمون من ناحية خؤولتهم فى جرهم الى العرب العاربة ابناء يعرب بن قحطان. و من ناحية أبوتهم لاسماعيل بن ابراهيم الذى يمت من ناحية امومه الى مصر بأوثق نسب، و من ناحية ابوته الى العراق و الى فلسطين، و الى حيث نزل ابراهيم من ارض الله .

هذه القصة من قصص التاريخ- على ما اورد هيكل - يكاد ينعقد الاجماع على جملتها من ذهاب ابراهيم و اسماعيل الى (مكة) و ان وقع خلاف على التفاصيل، و الذى يعرضون لتفاصيل حوادثها بالنقد، يروونها على ان هاجر ذهبت باسماعيل الى الوادى الذى به (مكة) اليوم، و كانت به عيون أقامت (جرهم) عندها فنزلت هاجر منهم اهلا و سهلا لما جاء ابراهيم بها و بابنها، و ان ما ورد عن حيرة هاجر لما نضب الماء منها، و عن سعيها سبعا بين الصفا و المروة، و عن (زمزم) و كيف نبع الماء منها فهو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٥

موضع شك عندهم، و هناك من يرتاب فى ذهاب ابراهيم و اسماعيل الى الحجاز و ينفى القصة من اساسها و من هؤلاء السير و ليم موير، و لكن هذا الارتياب يفتقر الى ما يسنده فى حين ان جميع الروايات على خلاف هذا الرأى

قصة الذبح

و مصادر قصة الذبح هى نفسها مصادر قصة ابراهيم و مصادر قصة اسماعيل الواردة فى الكتب المقدسة؛ و الرواة كابن عباس، و الصحابة، و قصص الأنبياء، و تلخص القصة، فى ان ابراهيم قد رأى فى المنام ان الله يأمره بأن يذبح ابنه فقالت التوراة و معها بعض الرواة ان الذبيح هذا هو اسحاق بن سارة، و ان ذلك كان فى فلسطين، و قال الرايون الآخرون بل الذبيح هو اسماعيل و ان ذلك كان فى مكة، و اورد القرآن قصة الذبح و لكن لم يعين اسم الذبيح فى القصة. و كل ما جاء هو ان ابراهيم قد اخذ ابنه امتثالا للرؤيا التى رآها لقد اخذه لكى يذبحه و يحرقه و يقدمه قربانا فسار به فى الصباح، و تقول الآية (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ، فَلَمَّا أَسَلِمَا وَمَتْلَهُ لِلْجَبِينِ، وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبْتَلَى، وَ فَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ).

و تكثر الروايات و بأساليب مختلفة و عن طرق مختلفة من الرواة عن الذبيح و كيف جرى هذا الذبح حتى لقد علق الدكتور محمد حسين هيكل على احدى قصص الذبح، يقول: و تسبغ بعض الروايات على هذه القصة خيالا شعريا تدعوننا روعتها ان نقصها ثم يسرد تلك القصة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٦

و ملخص ما تروى المصادر عن كيفية الذبح هو ان ابراهيم لما رأى فى المنام ان يذبح ابنه و تحقق لديه من هذه الرؤيا انها أمر ربانى فيه رضا الله قال لابنه: يا بنى خذ الحبل و المدية و انطلق بنا الى هذه الهضبة لنحتطب لاهلنا، و فعل الغلام و تبع والده، و هناك أفضى ابراهيم الى ابنه برؤياه و سأله رأيه فى الأمر؟ فقال: يا أبى افعل ما تؤمر. و هم ابراهيم بالتنفيذ و لكن الله افتدى الغلام بكبش عظيم و نودى ان قد صدقت الرؤيا فالتفت ابراهيم و اذا بكبش على مقربة منه فعلم انه هو الفدية، فذبحه و حرقه و آمن بأن الله قد قبل منه و من ابنه هذا الفداء، و هذا خلاصة ما تذكره الكتب المقدسة و الروايات فى الذبيح، فاذا كان الذبيح اسحاق على ما تقول التوراة و يروى الرواة فيجب ان يكون مسرح هذه القصة فى فلسطين، اما اذا كان الذبيح اسماعيل كما يروى الآخرون فيجب ان يكون مسرح القصة فى مكة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٧

بناء البيت

و اختلف الرواة فيما اذا كان هنالك بيت او بنية سبقت عهد ابراهيم في مكة، فلما جاء ابراهيم الى مكة شيد هذا البيت على أسسه ام ان ابراهيم قد قام بتشيد هذا البيت ابتداء في هذا المكان الذى يقوم فيه بيت الله اليوم، فقد أوردت بعض المصادر من الأخبار ما يستدل منه ان لمكة هذه كانت بنية من قبل و ان هنالك مواسم كانت القبائل تأتي مكة فيها، و ان مكة هذه كانت هذه ممرا للقوافل و سوقا للتجارة يقع فيها التبادل فى البضائع بين القوافل المارة من هناك و كان الناس يحجون إلى مكة و الى موضع البيت الذى كان مبنيا من الطين مخطط الكعبة كما بناها ابراهيم على ما يدعى البعض نقلا من كتاب (مكة المكرمة- و المدينة المنورة) بالانكليزية تأليف أميل ايسين

قبل الطوفان حتى بوأ الله مكانه لابراهيم لما اراد الله عمارته و اظهار دينه و شعائره، كما أشرنا فى ذلك من قبل. و تذهب هذه الروايات الى مدى ابعد من التصور فتقول عن هذا البيت انه «لم يزل منذ اهبط آدم الى الأرض معظما محرما تتناسخه الأمم و الملل امة بعد امة و مله بعد مله!!» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٨

و هناك من يذهب الى ان ابراهيم قد هاجر باسماعيل و امه فى الموسم فقد رأى فى المنام أمر الله بأن يهاجر باسماعيل و امه من ارض الشام فى الموسم- و كان ذلك فى ذى الحجة- الى مكة و يذبحة فى الموسم و هو يدل على ان هنالك كان موسم، و كان اجتماع، إذ يستبعد ان يكون هذا الموسم قد سنّه ابراهيم و صار موسما عاما فذبح فيه ابنه اسماعيل و الموسم فى عامه الأول. و لكن اكثر الرواة على ان اول من بنى البيت كان ابراهيم، فما لبث ابراهيم بعد زيارته ابنه اسماعيل للمرة الثانية فى مكة حتى عاد مرة اخرى من ارض الشام الى مكة و فى هذه المرة فاجأ ابنه اسماعيل و هو جالس يصلح نبلا له و لا شك ان اللقاء بين الأب و الابن كان مؤثرا و ان الحديث كان طويلا و هناك اى فى هذه الزيارة قال لابراهيم: يا اسماعيل ان الله قد أمرنى ان ابني له بيتا هنا قال اسماعيل: فأطع ربك، فقال ابراهيم: و قد امرك ان تعينى على بنائه، قال: فافعل.

و لا بد ان الاب و الابن قد أعدا العدة حينذاك و هيا المواد اللازما و فى تعيين مكان البيت و المواد روايات كثيرة، و استمر فى البناء (وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ .) و كلما انجزا قسما منه دعوا الله قائلين: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .) و حين ارتفع الجدار و عجز الأب الشيخ ان يضع الحجارة فوق الحجارة رأى ان يضع حجرا و يقوم عليه، و لم يزل مكان هذا الحجر يعتبر مقاما لابراهيم لانه وقف عليه فى اثناء بناء البيت، و جعل ابنه اسماعيل يناوله الحجارة، و قد كان هذا الحجر ملصقا بحائط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان الى ايام عمر بن الخطاب (رض) فأخره عن البيت قليلا لئلا يشغل المصلين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٩

عنده و الطائفين بالبيت . و فى مقام ابراهيم من الآية (وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ) اختلاف عند المفسرين فقال بعضهم: ان مقام ابراهيم هو مراسيم الحج اى الحج كله، و قال البعض بل المقصود بمقام ابراهيم: عرفه و المزدلفة و الجمار، و قيل الحرم كله، و عن السعدى ان مقام ابراهيم هو الحجر الذى كانت زوجة اسماعيل وضعت تحت قدم ابراهيم حين غسلت رأسه و يفسر المفسرون قول ابراهيم و ابنه اسماعيل (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا) على انهما بنيا الكعبة مسجدا لامسكنا لانهما التمسوا الثواب عليه و الثواب انما يطلب على الطاعة. و استدل المستدلون على ان هذا اول بيت بنى كمسجد للعبادة و كبيت لله الذى عبده ابراهيم و من بعده اسماعيل و دعا اليه و لم يكن نظير له من قبل لقد استدلو عليه فى الآية: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ .) على الرغم مما ورد من الاختلاف و التفاسير فى كونه البيت الأول.

و ابرز ما فى هذا البيت مما قدس هو الحجر الأسود الذى وضع فى البناء و ربما افرد فاكتفوا بقولهم (الحجر) بدون وصف اعظاما له، و من ذلك قول عمر بن الخطاب (رض) يخاطب الحجر الأسود و هو يؤدى مراسيم الحج «و الله انك حجر و لو لا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يفعل كذا ما فعلت» .

فأما قول الفرزدق:

و إذا ذكرت أباك أو أيامه أخزأك حيث تقبل الاحجار
فانه جعل كل ناحية منه حجرا، ألا ترى انك لو مسست كل ناحية منه لجاز ان تقول: مسست الحجر .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٠

دين ابراهيم

و بعد ان اتم ابراهيم و اسماعيل بناء البيت تعينت هنالك الفروض الواجبة.

على ابراهيم و اسماعيل و المؤمنين بدعوته الى الوجدانية، و تتلخص ديانه ابراهيم بأنه كان (حنيفا) ففسر البعض الحنيفية بالاستقامة و قالوا اي انه كان مستقيما، و ايدت الأخبار المستقاة من النصوص المقدسة و الروايات ان ديانه ابراهيم كانت ديانه مستقلة لم تنهج نهج ديانات اخرى و قد ايدها الاسلام بعد ذلك و اعتبرها من اساس دعوته، و قد استدل المستدلون على ديانه ابراهيم المستقلة و تأييد الاسلام لها من الآية:

(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَ لِيُّ الْمُؤْمِنِينَ .)

ثم استدلوا على ان ابراهيم لم يكن مشركا و ان طقوسه كانت مقبولة و لم يرد بها الا الدعوة الى الوجدانية في بناء البيت لكي يحضروا عنده و يدعو الله من قلوب خالصة و يصلوا الى ربهم انهم يستدلون على ذلك بالآية:

(وَ إِذِ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْقَائِمِينَ وَ الرَّكَّعِ السُّجُودِ .)

قال المبرد: كأنه قال وحدني في هذا البيت و ذلك معنى (لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا) و طهر بيتي من الشرك و عبادة الأوثان، و من الآية الاخرى:

(وَ عَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرَّكَّعِ السُّجُودِ) اتخذوا دلائل اخرى على اتجاه ابراهيم في ديانتة و الغرض المطلوب من بناء البيت.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣١

و كما لم يكن لدى المؤرخين في الغالب ما يرجعون اليه في تعيين دين ابراهيم و أسسه و بناء البيت و أركانه غير الكتب المقدسة و الأحاديث و الروايات فإنه ليس في الطقوس الدينية في الحج من مصدر غيرها و قد روت هذه المصادر روايات مختلفة لا يخرج مفهومها عن ان طقوس الحج التي يقوم بها المسلمون و الصلاة التي يؤدونها اليوم تكاد تكون نفس الطقوس التي قام بها ابراهيم، و هي موضع مناقشة عند المؤرخين لا سيما فيما يتعلق بالصلاة التي لم تعين تلك المصادر نوعها، و بمواقيتها التي وردت في تلك الأخبار، و مجمل تلك الاقوال هو ان ابراهيم حين فرغ من بناء البيت دعا الناس ممن آمن بدعوته الى الحج و خرج بابنه اسماعيل و بمن لبي دعوته يوم (التروية) فنزل بهم (منى) و صلى بهم الظهر، و العصر، و المغرب، و العشاء الآخرة، ثم بات بهم حتى أصبح فصلى بهم صلاة الفجر، ثم غدا بهم الى (عرفة) فقام بهم هنالك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين:

الظهر و العصر ثم راح بهم الى الموقف من (عرفة) فوقف بهم على (الاراك) و هو الموقف من (عرفة) الذي يقف عليه الامام يريه لاسماعيل و يعلمه، فلما غربت الشمس دفع ابراهيم باسماعيل و بمن معه حتى اتى (المزدلفة) فجمع فيها بين الصلاتين: المغرب و العشاء الآخرة، ثم بات به و بمن معه حتى اذا طلع الفجر صلى بهم صلاة الغداة ثم وقف على (قزاح) من (المزدلفة) فيمن معه و هو الموقف الذي يقف به الامام، حتى اذا أسفر دفع باسماعيل و بمن معه يريه و يعلمه كيف يصنع حتى رمى (الجمرة الكبرى)، و اراه (المنحر) من (منى) ثم نحر، و حلق، ثم أفاض به من منى ليريه كيف (يطوف) ثم عاد به الى (منى) ليريه كيف يرمى (الجمار)

حتى فرغ له من الحج و أذن به في الناس .

و تكرر بعد ذلك حج ابراهيم، و كان ابراهيم يحجه في كل سنة، و حجّت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٢

بعد ذلك الانبياء و الامم، و في روايه عن عبد الله بن ضمرة السلولي: «ما بين الركن الى المقام، الى زمزم قبر تسعه و تسعين نبيا جاؤوا حجاجا فقبروا هنالك» و جاء: «كان النبي من الأنبياء اذا هلكت امته لحق بمكه فتعبد بها النبي و من معه حتى يموت، فمات بها نوح، و هود، و صالح، و شعيب، و قبورهم بين زمزم و الحجر» و مات ابراهيم و دفن في المغارة التي كانت بحبرون الحيشي عند امرأته (ساره) بمدينة الخليل في الأردن، و لم يزل البيت على ما بناه ابراهيم الى ان هدمته قريش سنة ٣٥ من مولد النبي.

البيت، و الكعبة، و المسجد الحرام

و اطلق على بيت الله اسم (البيت) و (البيت العتيق) و (الكعبة)، لتكعيها- اي ترييعها- و المسجد الحرام، و يقال البيت الحرام، كما يقال المسجد الحرام و قد اورده القرآن باسم البيت في عدة آيات سبق ان اوردنا بعضها شواهد فيما مرّ و نورد هنا جميع الآيات الأخرى التي ورد فيها اسم البيت مقصودا به الكعبة قد ايد الاسلام شعائر ابراهيم و نهى عن قتال الآمين الى البيت و منحهم الأمن فيه، و حقن حتى دم الحيوان في الحرم.

فالآيات القرآنية التي ورد فيها اسم البيت هي:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرِ اللَّهِ وَ لَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَ لَا الْهَدْيَ وَ لَا الْقَلَائِدَ وَ لَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ) .

(لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) .

(وَ مَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَ تَصَدِيَةً) .

(فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٣

(وَ لِيُؤْفُوا نُدُورَهُمْ وَ لِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) .

(وَ الطُّورِ، وَ كِتَابِ مَسْطُورٍ، فِي رَقٍّ مُنْشُورٍ، وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) .

(وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَ أَمْنًا، وَ اتَّخَذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) .

(إِنَّ الصَّفَا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) .

و هناك آية جمعت بين اسم البيت و الكعبة في القرآن:

(جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ) .

و ما عدا ذلك فقد ورد اسم الكعبة في القرآن مرة واحدة و ذلك في الآية:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَ أَنْتُمْ حُرْمٌ وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِاللَّعِ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ، أَوْ عَدْلٌ ذَلِكِ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ، وَ مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ، وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)

و ورد اسم المسجد الحرام بقصد البيت في القرآن في اربعة مواضع:

(إِنَّمَا الْمَشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) .

(هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) .

(لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ) .

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُضَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٤

تمصير مكة

و عهد ابراهيم بالدعوة الى ابنه اسماعيل و صار لمكة شأن آخر غير شأنها الذي جعل منها ممرا للقبائل القادمة من اليمن في طريقها الى الشام و القبائل القادمة من الشام في طريقها الى اليمن و ليس من البعيد ان يكون هذا العبور و المرور و إقامة القوافل يوما او يومين بقصد الاستراحة سببا آخر لنشر دعوة اسماعيل و ازدياد عدد الحجاج في كل موسم من المواسم. و لا بد لموقع مثل هذا انحصر به المرور و العبور، و استراحة القبائل بالاضافة الى ما تستدعيه قدسيته لوقوع بيت الله فيه و كثرة آبار المياه من التوجه إليه و الطواف به و التبرك بحجه نقول: لا بد ان يكون هناك موقع استراتيجي في عالم العبادة و التجارة و الكسب و تبادل المنافع، لذلك من الطبيعي - شأن تمصير اى مدينة قديمة ام حديثة- ان يتخذ من تقتضيه مصالحهم سكنا، و مع ذلك لم نجد في المصادر ما يشير الى ان هؤلاء السكان قد عرفوا البناء من ز من طويل و في ايام قريش على اغلب الظن.

و يستدل من تصفح هذه الأخبار و المصادر ان مكة قد عمرت بالسكان في عهد اسماعيل حتى كان لها نظام حكم و سلطة، و ادارة، خصوصا ان مكة كبرت و اتسعت و تشابكت مصالح سكانها، و اصبحت لها مواسم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٥

تختلف مهماتها من طقوس دينية، و عروض تجارية، و غير ذلك من النوازع و الغايات.

و اوردت هذه المصادر ان اسماعيل قد خلف من زوجته الثانية اثني عشر ولدا هم:

نابت، و قيدار، و أذيل، و ميشا، و مسمع، و رما، و ماش، و آذر، و قطورا، و قافس، و طميا، و قيدمان .

امارة جرهم

و يقول المؤرخون أن من (نابت) و (قيدار) ابني اسماعيل نشر الله العرب ، و على هذا يذهب اكثر المؤرخين فينسبون عرب الحجاز كلهم الى (نابت) و (قيدار) كما قد اشرنا الى ذلك من قبل و حين توفي اسماعيل و دفن الى جوار امه (هاجر) بالحجر كان الرئيس بعده و القائم بالأمر و الحاكم المطلق في مكة و الناظر في امر البيت و زمزم هو (نابت) بن اسماعيل على الرغم من ان اسماعيل كما تقول الروايات الاخرى قد اوصى لـ اخيه اسحاق و هو في بر الشام (فلسطين)، و لقد تغلبت (جرهم) على البيت بعد ذلك بداعي الخؤولة او القدرة و البأس فحكمت بمكة و ما والاها عوضا عن بنى اسماعيل بالرغم من كثرة اولاد اسماعيل و شرفهم و انتشارهم بمكة كما تقول الروايات، و احسن الجرهميون ادارة الحكم و اشتهر بعض حكامهم بالمقدرة و حسن السيرة و قوة البأس كان اشهرهم (مضاض) بن عمرو الجرهمي، و كان قد تولى الحكم بعد (نابت) مباشرة، ثم الحارث، ثم عمرو بن الحارث ثم مضاض ابن عمرو بن الحارث، و لكل من هؤلاء ذكر غير قليل في الروايات.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٦

و في ايام جرهم داهم السيل (البيت) و كان سيلا جارفا فهدم البيت فقامت جرهم و اعادة البناء على الأسس التي اقامها ابراهيم، و من اهم ما جعل لمكة شأن بعد ذلك، و حرمة في النفوس هو حلف الفضول الذي شدد في رعاية حقوق الضعفاء و المحتمين بالبيت في ايام حكومة الجرهميين على الرغم مما قيل عن عبثهم بالأموال و الهدايا التي كان الناس و القبائل يهدونها للكعبة.

حلف الفضول

هو حلف جرى بمكة يهدف الى الأخذ بنصرة الضعيف و اخذ حقه من القوى، و يرعى حقوق الغرباء الذين يسكنون مكة و يحمى الاقلية التي تحل مكة من الأكثرية، و يردّ كل اعتداء يقع من اية جهة اتباعا لدعوة الانصاف، و انما سمي بحلف الفضول لانه «قام به رجال من جرهم كلهم يسمى الفضل: الفضل بن الحرث، و الفضل بن و داعه، و الفضل بن فضالة فقيل له حلف الفضول جمعا لأسماء هؤلاء» .

و ظل هذا الحلف معمولا به الى ايام قريش، و صار موضع فخر لمكة و فخر للعرب جميعا لما كان يتضمن من عهود شريفة نبيلة، و قد تجدد هذا الحلف في أيام قريش بدار عبد الله بن جدعان و أدركه النبي (ص) فقال: لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول، و لو أدعى اليه في الاسلام لأجبت.

قال محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي: «كان بين الحسين بن علي ابن ابى طالب و بين الوليد بن عتبة بن ابى سفيان منازعة في مال كان بينهما، و الوليد يومئذ أمير على (المدينة) لعمه معاوية، فتحامل الوليد لسلطانه، فقال له الحسين: أقسم بالله لتنصفني أو لأخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٧

رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم لأدعون (بحلف الفضول) فقال عبد الله ابن الزبير- و كان حاضرا- و انا أحلف بالله لو دعا به (اي الحسين) لأجته حتى ينصف من حقه او نموت، و بلغ المسور بن مخرمة الزهري فقال مثل ذلك، و بلغ عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمي فقال مثل ذلك، فلما بلغ الوليد ذلك أنصف الحسين من نفسه حتى رضى» .

إتساع رقعة مكة

و اتسعت رقعة مكة باتخاذها سكنا لما كان يستدعيه حسن الادارة و طلب المثوبة، و الحث على سكنها من لدن جميع الأنبياء الذين كانوا في مختلف أنحاء الحجاز، فقد جاء في الروايات ان النبي (صالحا) قال لمن آمن به من قومه: ان هذه الدار- يعنى مساكنهم- قد سخط الله عليها و على أهلها فاطعنوا عنها فانها ليست لكم بدار، فقالوا له: فأين تريدنا نذهب؟ قال:

تلحقون بحرم الله و أمنه- يعنى مكة- فاني لا أرى لكم دونه، فانطلقوا آمين البيت الحرام حتى وردوا مكة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا و تلك قبورهم غربى الكعبة بين (دار الندوة) و دار بنى هاشم، و كذلك فعل (هود) و من آمن معه، و كذلك فعل (شعيب) و من آمن معه .

و الذى زاد اهمية مكة و اتساع رقعتها و كثرة الوافدين عليها من الحجاج ان كانت نفائس الأمتعة و الاعلاق و الحلى التي تهدى الى الكعبة و الأموال التي تجبى اليها قد جعلتها اهم سكن في جزيرة العرب حتى لقد كان لها في ايام (جرهم) خزانه بئر في (البيت) يلقي فيها الحلى و المتاع و السلاح مما كان يهدى الى (البيت) و في ضمن ما كان قد أهدى للبيت غزالتان من الذهب، و اسلحه من الذهب مما دل على ان حياة مكة كانت رخيصة ناعمة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٨

امارة خزاعة

و كانت قبيلة خزاعة تنزل حول الحرم في ايام جرهم، و قد اختلف المؤرخون في اصل خزاعة فقال بعضهم ان اصلها من اليمن كالجرهميين، و قد هاجرت بسبب ما كان ينتظر من الدمار الذى يخلفه سيل العرم و اقامت في مكة، و قال بعضهم بل إن خزاعة من بنى اسماعيل، و كيفما كان فقد اطمع رخاء مكة و شأنها العظيم و وفرة النعمة خزاعة بامارة مكة و كان ذلك في ايام حكم مضاض بن عمرو بن الحارث، فقامت خزاعة في وجه جرهم، و وقع القتال بينهما، و اعتزل بنو اسماعيل الفريقيين، فتغلبت خزاعة على جرهم و

انتزعت منهم الامارة، و أجلتهم عن مكة فقصدها اليمن موطن اصولهم إذ لم يبق لهم مآمل في مكة.

و من قصيدة منسوبة لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمي الذي غلب على امره و أجلى عن مكة هو و من تبعه يستخلص الباحث بعض الرخاء و النعمة و راحة النفس التي كانت تتمتع بها مكة، يقول مضاض عن مكة و هو في طريقه إلى اليمن جاليا:

و قائله و الدمع سكب مبادرو قد شرقت بالدمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس و لم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا صروف الليالي و الجدود العواثر
و كنا ولاة البيت من بعد (نابت) نطوف بذاك البيت و الخير ظاهر
الى ان يقول:

و صرنا احاديثا و كنا بغبطة بذلك عصتنا السنون الغواير
فسحت دموع العين تبكى لبلده بها حرم أمن و فيها المشاعر
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٩ و تبكى لبيت ليس يؤذى حمامه يظل به أمنا و فيه العصافر
و فيه و حوش لا ترام أنيسه اذا خرجت منه فليست تغادر

على ان بعض المصادر قالت ان الواقعة قد حدثت في ايام عمرو بن الحارث و ليس في ايام ابنه مضاض و ان هذا الشعر انما هو لعمرو و انه هو الذي أجلى عن مكة و ليس ابنه مضاضا كما ذكرنا، و تزعم بعض المصادر ان هذه القصيدة و غيرها من ابيات عمرو بن الحارث كانت اول شعر عربى قيل و لم يقل قبله احد شعرا!! .

و غير هذا الكثير الذى يدل على توسع رقعة مكة و ازدياد عدد سكانها يوما بعد يوم لما امتازت به هذه البلدة من رخاء و أمن و عزه. و يقول الأزرقى فى اخبار مكة و فى قوله دلالة اخرى على النعمة و الرخاء التي كانت تتمتع به مكة فى اماره خزاعة خاصة، يقول «و احتازب خزاعة حجابة الكعبة و ولاية امر مكة و فيهم بنو اسماعيل بن ابراهيم بمكة و ما حولها لا ينازعهم احد منهم فى شىء من ذلك و لا يطلبونه فتزوج (لحي) - و هو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر (الخزاعي) - (فهيرة) بنت عامر بن عمرو ابن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمي ملك جرهم فولدت له (عمروا) و هو عمرو بن لحي، و بلغ بمكة و فى العرب فى حطمة حطموها عشرة آلاف ناقه؟ و كان قد اعور عشرين فحلا، و كان الرجل فى الجاهلية اذا ملك الف ناقه فقا عين فحل ابله! فكان قد فقا عين عشرين فحلا!! و كان اول من اطعم الحاج بمكة سدايف الابل و لحيانها على الشريد، و عم فى تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة اثواب من برود اليمن».

فمن اين لعمرو هذا عشرون الف بعير؟ و من اين له كل هذا الثراء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٤٠

الذى ينفق منه آلاف البرود اليمنية الغالية الثمن على الحجاج، و يطعم هؤلاء الحجاج شحوم السنام لو لم تكن مكة قد تجاوزت الحدود فى الرخاء و النعمة و فيما كان يدخل اليها من المداخل؟

و لقد دافعت خزاعة عن مكة و الحرم غير مرة، و كان بعض التبايعه من اليمن قد سار الى البيت غازيا و اراد هدمه و تخريبه فقامت دونه خزاعة و قاتلت عليه اشد القتال حتى رجع ثم غزاها غزوة اخرى و هكذا و كانت لخزاعة نفوس ابيئة منعتها من ان تمد يدا الى الاموال و الهدايا التي تهدى الى الكعبة، و لا بد ان يكون هذا الاباء قد انعكس فى ادارة حكمها فزاد من قيم الأنظمة و اعزاز البيت و تقديسه.

و تولت خزاعة الحكم نحو ثلاثمائة سنة، وقيل خمسمائة سنة تولت بعدها قريش الحكم و ولاية البيت بزعامه (قصي) بن كلاب بعد حرب وقعت بين خزاعة و بين القبائل التي استعان بها قصي لانتزاع الحكم من مخطط بناء الكعبة في عهد قريش نقلا عن كتاب (مكة المكرمة و المدينة المنورة) بالانكليزية- تاليف اميل ايسين.

ايدى خزاعة، و انتهت هذه الحرب بالتحكيم و تولى قصي ولاية البيت و اماره مكة و بقيت مكة تحت حكم قريش حتى قام الاسلام. و تغير اسلوب الحكم و طريقة الادارة منذ ان تول قصي بن كلاب اماره مكة، و قام بحفر عدد من الآبار زادت من ثروة البلاد المائية، و اوجد تشريعات جديدة، و احدث وظائف اكثر ضمانا لتنظيم حياة السكان في مكة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٤١

دار الندوة

و انشأ قصي في داره مجلسا اشبه بالمجلس النيابي باسم (دار الندوة) و قد بنى داره هذه و جعل بابها الى مسجد الكعبة، و سن لها تشريعا يقصر بمقتضاه دخولها على اولاده كافة و على من يبلغ الأربعين من العمر من قريش، و في دار الندوة هذه كانت تجتمع قريش للتداول في الرأي و التشاور في كل امر يخص المدينة او البيت الحرام، فلا يرمون شيئا الا فيها، و لا يعتقدون لواء لحرب قوم من غيرهم الا فيها يعقده لهم بعض اولاد قصي و لا تفصل خصومة بينهم الا هناك.

قال الكلبي: و هي اول دار بنيت بمكة ثم تتابع الناس فبنوا من الدور ما استوطنوه، و كلما قربوا من عصر الاسلام ازدادوا قوة و كثرة حتى دانت لهم العرب، و صار امر قصي في قريش كالدين المتبع، و سميت (الندوة) لأنهم كانوا ينتدون فيها اي يجتمعون للخير و الشر و كثر المنتدون بعد ذلك فكان لعبد المطلب مجلس في ظل الكعبة على فراش يعد له لا يجلس عليه احد غيره احتراماً له و اجلالاً لقدره، و في جوار الكعبة كانت قريش تسم في انديته تسمع فيها المواعظ و الأخبار، و غير ذلك.

طراز الحكم و صفته

و عظم شأن مكة و كثرت مواردها و تعددت المرافق و النواحي التي تفتقر الى الرعاية و ادارة شئون البلد الواسعة و صار الحكم فيها منذ عهد قصي الذي تولى حكمها يقرب من الحكم الديمقراطي الذي يشترك في ادارته غير واحد من الحكام مما يشبه الحكم الشورى و كانت مناصب مكة تقوم على ستة اسس تعتبر هي القواعد الأساسية لادارة شؤون مكة الخاصة و العامة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٤٢

و هي: السدانة، و دار الندوة، و اللواء، و السقاية و الرفادة، و القيادة.

و كان من اولاد قصي عبد مناف، و كانت له و جاهه و شخصيه تكاد تحصر زعامه ابيه فيه و قد شق ذلك على الاب و الام ان لا يكون للابن الثاني و هو عبد الدار هذه المنزلة و رأى الأب ان يقسم هذه المناصب بينهما فناطق بابنه عبد الدار (السدانة) و (دار الندوة) و (اللواء).

و السدانة- هي الحجابة و باستطاعة المتولى لها ان يحجب الكعبة لان مفتاحها بيده وحده يفتح بابها للناس و يقفله، و لها المقام الأول عندهم، و مثل هذا المنصب قديم عند اليهود، فقد كانت عندهم كاهن خاص لحراسة الهيكل يسمونه حافظ الباب، و قد جعل صاحب (العقد الفريد) السدانة و الحجابة منصبين .

دار الندوة- و قد مر ذكرها و هي ادارة شؤون الشورى و ما يتعلق ببلوغ الرشده عند الفتيان و الفتيات و غير ذلك من مهام هذه الندوة. اللواء- هو الرأيه- و قد كانت لقريش رأيه تسمى العقاب، فكانوا اذا ارادوا الحرب اخرجوها، فاذا اجتمع رأيهم على واحد سلموه اياها

والا فانهم يسلمونها الى صاحبها .

ثم ناط قصي بابنه عبد مناف المناصب الثلاثة الأخرى و هي: (السقاية) و (الرفادة) و (القيادة).

و السقاية- اما السقاية فحياض من آدم (جلود كانت على عهد قصي توضع بفناء الكعبة و يسقى فيها الماء العذب من الآبار على الابل و يسقاه الحجاج.

و الرفادة- خرج من المال كانت قريش تخرجه من اموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي يصنع به طعاما للحاج يأكله من لم يكن معه سعة و لا زاد.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٤٣

و في احدى السنين و كانت الرفادة بيد عمرو بن عبد مناف اصاب البلد قحط و جذب شديد، فخرج عمرو بن عبد مناف الى الشام فاشترى بماله دقيقا و كعكا، فقدم به مكة في الموسم، و هشم ذلك الكعك و نحر الجزور و طبخه و جعله ثريدا و اطعم الناس، و كانوا في مجاعة شديدة حتى أشبعهم فسمى منذ ذلك الحين باسم (هاشم) و لم يعد احد يسميه عمروا لانه هشم الثريد لأهل مكة . و في ذلك يقول الشاعر مشيرا إلى هاشم:

عمرو العلاء هشم الثريد لمعشر كانوا بمكة مستنين عجاف

و القيادة- هي إمارة الركب و يتقدم صاحبها الركب و يقودهم للقتال في الحرب و يتزعمهم في قيادته في الخروج للتجارة.

و تفرعت بعد ذلك من هذه المناصب مناصب اخرى اهمها: (الاشناق) و هي النظر في الديات و الغرم، و (القبه) و هي جمع تجهيزات الجيش في الحرب، و (الاعنة) و هي تدبير شؤون الخيل عند قريش في الحرب، و (المشورة) و هو منصب مهمته اسداء النصيحة و المشورة و قد كان هذا المنصب في بني اسد فلم تكن قريش تجتمع على امر حتى يعرضوه على بني اسد، و (السفارة) في القيام بالاتصال بين قريش و غيرهم من القبائل اذا وقعت حرب او تطلب الأمر الى مذاكرة و صلح، و (الايثار) و هي الازلام التي كانوا يستقسمون بها للاستخارة بما يشبه سحب القرعة، و كان يتولى ذلك رجل من بني جمح، و (الحكومة) و هي التي تحكم بين الناس اذا اختلفوا، و (الاموال) المحجرة و هي الأموال التي كانت تخص آلهم من النقد و الحلوى و السلاح و هي ما تشبه (بيت المال) في الاسلام، و كانت ولايتها في بني سهم، و (العمارة) و يراد بها ان لا يتكلم احد في المسجد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٤٤

الحرام بهجر و لا- رفث و لا يرفع صوته على ما وصف به العقد الفريد، و يمكن ان يوصف صاحبها بالمسؤول او المحافظ على حرمة البيت .

و يعلق جرجي زيدان على هذه المناصب فيقول ان بعض هذه المناصب لا- اهمية لها على الاطلاق و لكن يظهر انهم قد اكثرها ليرضوا كل بطون قريش خوفا من التحاسد و إجلالا لقدرة الكعبة و المبالغة في تعظيمها، و ترى انهم جمعوا بها بين السياسة و الدين و الادارة و الحرب و لكنهم اقتسموها فيما بينهم بما يشبه الجمهورية، او هو نوع من الحكومة لا ترى له شبيها بين الامم المتمدنة، و ربما اشتهت الحكومة الشورية بعض الوجوه الا ان للشورى، رئيسا كالملك او السلطان او رئيس الجمهورية، و ليس في هذه شىء من ذلك الا ما قد يكون لصاحب (دار الندوة) او السدانة من الرياسة .

و كان لهذا الحكم و نظامه شىء غير قليل من الامتياز، و اليه يرجع الكثير من الأسباب التي جعلت من مكة مدينة عامرة ذات امجاد و شهرة انفردت بها بهن جميع المدن العربية قبل الاسلام ثروة، و جاهها، و حرية، و أمنا، و حربا.

اصحاب الفيل

ان قصة اصحاب الفيل هي قصة ابرهة الأشرم الذي سار بجيش جرار من الأحباش مستخدما الفيلة ناويا هدم بيت الله الحرام و قد هزم

اللبنات العربية التي اعترضته و هو في طريقه الى مكة حتى وقعت به و بجيشه النكبة عند ابواب مكة و التي تحدثت الروايات عنها بمختلف الأحاديث، و تفشت على اثرها الحصبة و الجدري في حيش ابرهه و هي امراض قيل انها عرفت في بلاد العرب لأول مرة في ذلك التاريخ و داهمهم السيل فألقى بهم في البحر و رجع ابرهه ناكصا على عقبيه و قد وقع الدمار بمن بقي من الجيش

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٤٥

حتى صار عبرة للمعتبرين اذ جاء في محكم كتاب الله:

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ؟».

إن قصة ابرهه هذه قد رفعت قدر مكة خصوصا حين وجدوا عبد المطلب و هو رئيس مكة و عظيمها يطمئن قريشا بأن للبيت ربًا سيحميه. فلما رد الله تعالى الحيشة عن مكة و اصابهم بما اصابهم به من النعمة عظمت العرب شأن قريش و قالوا: «اهل الله قاتل الله عنهم، و اكفاهم مؤونة عدوهم» .

و سبب زحف ابرهه كما يروى الرواة هو ان ابرهه الاشرم احد قواد النجاشي الحبشى العظام لما فتح اليمن بنى كنيسة كبيرة فيها اراد بها ان يصرف العرب عن حج مكة اليها، فتغوط بعض العرب فيها في غفلة من الناس تحقيرا لها و يقول الطوسي في تفسيره بل هدم البعض في غفلة من القوم جانبا منها بقصد الاهانة فعزم ابرهه ان يسير الى مكة فيهدمها انتقاما فكان الذي كان من الدمار الذي لحق بجيشه.

و في طير الابابيل و صفته و حمله الحجارة بمنقاره و كيفية مهاجمة هذا الطير جيش ابرهه اختلاف في التفاسير و الروايات.

و يقول فريد و جدى: اما الروايات في اشكال هذه الطيور فكثيرة و كثرتها تدل على انه لا يوجد نص صحيح في ذلك عن النبي صلى الله عليه و آله، فليل انها كانت طيرا خرجت من البحر و اختلفوا في لونها فليل كانت بيضاء، و قيل سوداء، و قيل خضراء لها خراطيم كخراطيم الطير و اكف كأكف الكلاب الى غير ذلك من الروايات المختلفة «و قد يذهب بعض علماء العصر الى ان هذه الطيور عبارة عن الميكروبات حملت اليهم الطاعون او البعوض و قد حمل اليهم الحميات الخبيثة، او ميكروبات الجدري

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٤٦

و ليس في الآية ما يمنع هذا المعنى فيتفق المنقول و المعقول،- و يقول فريد و جدى و نحن نميل الى هذا الرأي و تؤيده، لا سيما ليس من مانع لغوى و لا علمي يمنع من ان يريد بالطير المكاريب، و كثيرا ما يتفشى الطاعون في الجيوش فيردها على اعقابها خاسرة، فهذا نابليون الاول لما حاصر (عكا) و لبث أشهرها اصاب جيشه الطاعون فكان سبب رفعه الحصار عنها و رجع لمصر راضيا من الغنيمة بالاياب و اصابه مثل ذلك في محاربه لروسيا في موسكو فكان الوباء و البرد اشد عليه من كل ما لقيه من جيوش الروس فرجع و لا جندي معه و هلك عسكره برمته» .

و يروى احمد بن ابى يعقوب المتوفى سنة ٢٩٢ رواية تفيد علماء العصر في استخلاص ما يرون استخلاصه مما يتفق و اراءهم عن انكسار جيش (ابرهه) و هلاكه فيقول: ان الرعب قد داخل ابرهه و غشيه الذعر حينما خرج اليه زعيم مكة الكبير عبد المطلب طالبا منه ان يعيد له ابله التي استحوذ عليها ابرهه في مرعاها خارج مكة و كانت نحو مائتي بعير فتعجب ابرهه و قال انه كان يتوقع ان يكون طلبه منحصر في حفظ البيت من هدمه اياه لا رد ابله اليه، فقال له عبد المطلب و بكل و ثوق و اطمئنان: «ان للبيت ربا يحميه» ثم يقول احمد ابن ابى يعقوب:

«فلما انصرف عبد المطلب من عند ابرهه جمع ولده، و من معه، ثم جاء الى باب الكعبة فتعلق به، ثم انصرف و اقام بموضعه، فلما كان من غد بعث ابنه عبد الله (ابا محمد بن عبد الله النبي) ليأتيه بالخبر، و دنا و قد اجتمعت اليه من قريش جماعة ليقاتلوا معه ان امكنهم ذلك، فاني عبد الله على فرس شقراء يركض و قد جردت ركبه، فقال عبد المطلب: قد جاءكم عبد الله بشيرا و نذيرا، و الله ما رأيت ركبه قط قبل هذا اليوم فاخبرهم بما صنع الله باصحاب الفيل» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٤٧

و لم يزد اليعقوبى و هو من اقدم مؤرخى الاسلام و من اقرب المؤرخين الى ذلك العهد، انه لم يزد شيئا على ذلك و لم يأت بذكر عن طير الابابيل و صفتها، اما الشيخ محمد عبده فقد اورد فى تفسيره لجزء (عم) قوله:

«عندما اقترب (ابرهة) من مكة فزع اهلها و انطلقوا الى شعب الجبال ينتظرون ما هو فاعل رغم ما اكده لهم رسله من انه لم يأت لحربهم و انما اتى لهدم البيت، اى الكعبة، و فى اليوم التالى فشا فى جند ابرهه داء الجدرى و الحصبة، و كانت هذه اول مرة يظهر فيها الجدرى ببلاد العرب كما قال عكرمة، و كما يقول يعقوب بن عبثه من ان (اول ما رؤيت الحصبة و الجدرى ببلاد العرب ذلك العام) لقد فعل ذلك الوباء باجسام الحبشى و جنده ما يندر وقوع مثله، فكان لحمهم يتناثر و يتساقط فذعر الجيش و صاحبه و ولوا هارين، و اصيب الحبشى و لم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة و انملة و انملة حتى انصدع صدره و مات فى صنعاء».

و لا يستبعد بعد ذلك الشيخ محمد عبده ان يكون طير الابابيل من الحشرات كالذباب و البعوض الذى يحمل جراثيم بعض الامراض و قد علق به من الطين اليابس الملوث بالمكروب.

و كيفما كان الامر فليس هنالك من شك ان (ابرهة) قد غزا مكة بالافيال محاولا هدمها و قد رد مقهورا، و وقع فى جيشه الوباء و البلاء، فاضافت قصة انهزام اصحاب الفيل هذه، الى عظمة مكة عظمة اخرى، و اضفت عليها شيئا كثيرا من الهيبة و الجلال و العظمة.

اسواق مكة

و كان لا بد للتجارة ان تتسع فتتسع اسواقها بمكة، فسكان مكة كانوا اكثر ارتيادا للاسواق الخارجية و كانت لهم اتصالات واسعة بهم الاسواق المشهورة حتى لقد اصبحت مكة سنين طويلة معرضا لا نفس البضائع و اغلاها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٤٨

و هذا من اهم العوامل التى زادت قيمة مكة و زادت ثراءها خصوصا فى ايام قريش الذين كانوا يعتمدون التجارة فى حياتهم و كانت طرق التجارة خطرة الا عليهم لحفظ العرب حرمتهم لانهم ولاه الكعبة، و كانوا كثيرا ما يسافرون الى بلاد فارس او الى الشام او اليمن، فيأتون من اليمن بالبرد و المنسوجات اليمنية الفاخرة، و يأتون من الشام بالاطعمة، و يأتون من فارس بالشمع و الستر و غير ذلك، و لما كانت البلاد العربية قد عرفت بالخيول الجيدة فلا يبعد ان تكون قريش قد تاجرت بها مع ما تاجرت به من البضائع و خصوصا الجلود و الاموال التجارية و كانت لهؤلاء التجار من قريش رحلتان رحلة الشتاء و هى التى تدفع بهم الى الجنوب من بلاد اليمن، و رحلة الصيف و هى التى يؤمون بها الشام، و فى موسم معين تعرض قريش و تعرض كل القبائل ما لديها من البضائع و المنتج فى هذا السوق، و كانت للعرب اسواق كثيرة فى مختلف بقاع جزيرة العرب و لكن اسواق مكة كانت اهم جميع تلك الاسواق و اوسعها و اكثرها جمعا للقبائل بل اوسعها غاية.

و من اهم اسواق مكة سوق (عكاظ)، و سوق عكاظ و ان كانت اقرب الى الطائف منها الى مكة لوقوعها فى واد بينه و بين مكة ثلاث ليال بينما لا تبعد عن الطائف الا ليلة واحدة فقد تعتبر سوقا تخص مكة من حيث الافادة، و يقول ابن منظور: سمي عكاظ عكاظا لان العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضا بالفخار اى يدعكه و كان العرب يتوافدون الى هذه السوق بجميع ما لديهم فى موسم معين، و من اشهر ما عرفت به عكاظ هو الأديم الكاظمى و هو ما يحمل الى عكاظ و يباع فيها حتى اذا انتهوا من عروض تجارتهم و سائر اغراضهم، و قفوا فى (عرفه) ثم قصدوا مكة فقصوا فيها مناسك الحج ثم انصرفوا الى مواطنهم.

و تجاوزت سوق عكاظ حدود التجارة و اتخذت منها قريش منتدى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٤٩

منتدى لمطارحة الشعر و الخطب و عرض الخلاف بين القبائل على المحكومين، و كان لعكاظ ايام الموسم رجل يولونه الحكومة

للفصل في ما قد يقع من الخلاف او نحوه، و كان الغالب ان يكون ذلك الحاكم من بنى تميم و كان احدهم الأقرع بن حابس التميمي.

و توسعت اغراض سوق عكاظ فكانت مسرحا عاما يخطب فيها كل خطيب مصقع، و منهم كان قس بن ساعدة، الايادي إذ خطب خطبته الشهيرة هناك و هو على جملة و كان كل شريف انما يحضر سوق بلده الا سوق عكاظ فانهم كانوا يتوافدون اليها من كل جهة فكانت تأتيها قريش، و هوازن:

و بنو سليم، و الاحابيش، و عقيل، و المصطلق، و طوائف من العرب، و من كان له اسير سعى في فدائه، و من كانت له حكومة ارتفع الى الذي يقوم بأمر الحكومة اما متى اتخذت سوقا فيحددها فريد و جدى بسنة ٥٤٠ للميلاد .

و قضايا عكاظ و ايام عكاظ مشحونة بأخبار الحروب و التفاخر و الشعر و من اطرف ما ورد في بلوغ الأرب ان طريف بن تميم العنبري كان من مشاهير شجعان العرب و فرسانهم و قد قتل مرة رجلا من بنى شيبان ثم حضر موسما من مواسم عكاظ فرآه احد اقارب ذلك القتل و صار يمعن النظر في وجه طريف، فسأله طريف عن سبب امعانه فقال: اريد ان اعرفك فلعلني اصادفك يوما لأقتلك او تقتلني، و من الغرائب انه قد صادف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٥٠

ذلك الرجل طريفا ذات يوم و قتله و اخذ بثأر قريبه.

و افادت قريش من سوق عكاظ فوائد اخرى غير الفوائد الاقتصادية و الاجتماعية فلقد كان لهذه السوق العظيمة تأثير كبير في تهذيب اللغة العربية عند قريش فكانت قريش لقرب هذه السوق منها اسبق القبائل للتقاط كل معنى حسن، و لفظ جزل و عبارة بليغة فنسب اليها التهذيب الأخير للغة حتى استأهلت الشرف العظيم بنزول القرآن الكريم بلغتها، و اعتبرت لهجتها اخلص لهجات العرب من التعقيد و التنافر .

و قد بلغ من اهمية مكة و الاهتمام بالكعبة ان اختارت العرب سبع قصائد من اجود الشعر و كتبتها بماء الذهب و علقتها بأستار الكعبة تكريما لشعرائها الذين فضلهم العرب على غيرهم، و هذا وحده كاف للدلالة على ما كان لمكة من اهمية في جميع النواحي من الحكم و الادارة و الاقتصاد و الادب و ليس لمخالفة البعض من المؤرخين في صحة رواية المعلقات المسماة بالمعلقات السبع، من اهمية في تقليل شأن مكة الأدبي.

و يورد جرجي زيدان نقلا عن ابن خلدون قوله:

يقول ابن خلدون «حتى انتهوا- اي العرب- الى المناغاة في تعليق اشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم، و بيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر، و النابغة الذبياني، و زهير بن ابي سلمى، و عنترة بن شداد، و طرفه بن العبد، و علقمة بن عبدة، و الاعشى، و غيرهم من اصحاب المعلقات السبع» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٥١

و يقول البغدادي في الخزائن (الجزء الأول صفحة ٦١) ان العرب كانت في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض فلا يعبا به، و لا ينشده احد، حتى يأتي مكة في موسم الحج فيعرض على انديء قريش فاذا استحسونه روى و كان فخرا لقائله، و علق على ركن من اركان الكعبة حتى ينظر اليه، و ان لم يستحسونه طرح و لم يعبا به، و قيل بل كان الملك اذ استجيدت قصيدة يقول: علقوا لنا هذه لتكون في خزانتها، و هذا القول ينفي انها كانت تعلق في الكعبة على ان هذه المعلقات سميت ايضا السبع الطوال، و سميت السموط، و سميت المذهبات كما سميت سبع قصائد غيرها المذهبات في (جمهرة أشعار العرب) و حتى اصحاب المعلقات مختلف في احصائهم ... امرؤ القيس، طرفه، زهير، لبيد، عمرو بن كلثوم، و هؤلاء متفق عليهم، و عنترة، و الحارث بن حلزة، او النابغة الذبياني، و الأعشى ميمون، ثم عبيد بن الابصر، و لهذا تجد كتبها (المعلقات العشر) و مما يذكر ان حمادا الراوية هو الذي جمعها، او ان بعض بنى

امية أمر من اختار له سبعة أشعار فسمها المعلمات .

و كيفما كان الامر فان حضور العرب اسواق مكة و قراءة الشعر على قريش أكان قد تم تعليق الجيد منه في الكعبة او لم يتم قد ساعد على رفع قيمة مكة و شأنها في نظر جميع العرب قاصيها و دانيها.

و من اهم اسواق مكة بعد ذلك (سوق ذى المجاز) و كانت بناحية (عرفة) و سوق (مجنّة) و هي في موضع بقرب مكة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٥٢

و قد افادت مكة من هذه الأسواق فوائد كبيرة عامها جعلت لها الزعامة الكبرى بين جميع المدن العربية كما جعلت لقريش ميزة كبرى بين جميع القبائل.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٥٣

ديانة مكة و عبادتها

لم تعرف مكة دينا غير دين ابراهيم في اول عهدا بالدين اذ المفروض ان يكون تأسيس مكة متعلقا بتأسيس البيت، فقبل تأسيس البيت لم تكن مكة اكثر من ممر للقبائل يمرون بها لوقوعها في وسط الطريق بين اقصى شمال الجزيرة و بين اقصى جنوبها فحين بنى ابراهيم البيت و دعا الى التوحيد و نهج ابنه اسماعيل نهجه آمن به اكثر من سمع دعوته فكانت الحنيفية التي عرف بها ابراهيم هي اول ما اعتنقت مكة من دين فكانوا يعتقدون ان الله واحد، و هو خالق الخلق وحده لا شريك له. و كانوا يحجون البيت و يقيمون المناسك، و يعظمون الأشهر الحرم، و ينكرون الفواحش و التقاطع و التظالم فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة على البيت، و كان آخر من قام بولاية البيت الحرام من ولد معد هو ثعلبة بن اياد بن نزار بن معد، فلما خرجت اياد و ليت خزاعة حجابة البيت. و في امره عمرو بن لحي الذي تولى حجابة البيت تغير ما كان عليه الأمر في المناسك و اتجهت العبادة اتجاها آخر و دخلت الاصنام لأول مرة مكة على اساس كونها و سائط مقدسة بين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٥٤

الله و بين عبادته، فالدعوات و القرابين و التوسلات يجب ان تقدم لها.

و قصة دخول الأصنام الى مكة لأول مرة و عبادة الله عن طريقها يختلف في روايتها الراوون، و يقول البعض ان عمرو بن لحي هذا قد مرض فوصفوا له الاغتسال في عين من العيون بالبقاء من ربوع الشام و قالوا له اذا اتيتها برأت من المرض، و قصدها عمر و استحم بها و كان من نتيجة ذلك أن برىء و في مكوثه هناك رأى اهل هذه البقعة يعبدون الأصنام فسألهم عنها فقالوا هذه أرباب نتخذها لنا و نستنصر بها فننصر، و نستسقى بها فنسقى، و كل من سألها يعطى فطلب منهم صنما يدعونه (هبل) فسار به إلى مكة و نصبه على الكعبة، و دعا الناس الى تعظيمه و عبادته ففعلوا ذلك و هناك من يقول ان (هبل) هذا قد جاء به عمرو بن هيث و قلد بعض العرب اهل مكة في عبادة الأصنام فاتخذت كل قبيلة لها صنما و حين تم فتح مكة من قبل النبي محمد (ص) كان عدد الأصنام حول الكعبة ثلاثماية و ستين صنما، و كان اشهر هذه الأصنام بعد (هبل) الذي يعد اكبر اصنام العرب هو (أساف) و (نائلة) و في اصل هذين الصنمين مزاعم لا يركن اليها.

فكان الطائف اذا طاف بدأ (باساف) ثم (بنائلة) و ختم بهما فكان هذا عاملا آخر في عظمة مكة و جعلها مطمح انظار العرب جميعا بحيث صاروا ملزمين بأن يتوجهوا بقلوبهم لاصنام الكعبة و حجهم الهياكل عام من كل صوب و حذب، و لكل قوم و قبيلة تلبية خاصة بهم، و كانت تلبية قريش:

(لييك اللهم لييك لا شريك لك، تملكه و ما ملك).

على ان سكان مكة كانوا يقدسون الى جانب تقديس اصنامهم بمكة صم (اللات) بالطائف و سموا باسمه زيد اللات، و تيم اللات، و

ضمن (العزى) و هو بواد من نخلة الشامية فى طريق العراق من مكة، و سموا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٥٥

باسمه عبد العزى بن كعب، و صم (مناء) و كان منصوبا على ساحل البحر بناحية (المشلل) بين مكة و المدينة و قد سمت العرب باسمه: عبد مناء، و زيد مناء.

و هذه كانت أعظم الأصنام عند قريش، و كانت تطوف بالكعبة و تقول:

و اللات، و العزى، و مناء الثالثة الأخرى، فانهن الغرائق العلى و ان شفاعتهن لترتجى» .

و كانت العرب تقدم مكة و تهدي الهدى للأصنام و تضحى، و تدعو و تنذر، و تستقسم.

و يبدو لمن يسير التاريخ و يستعرض الحوادث ان مكة لم تكن كلها على هذا النحو و انما بقى هناك على دين ابراهيم عدد و ان قل فان فيهم الزعيم و الشخصية المرموقة من ذوى الصولة و الجاه و من هؤلاء كان عبد المطلب على ما يروى البعض.

الاستقسام و الازلام

و الاستقسام هو طلب القسم الذى قسّم للمرء و قدّر مما لم يقسم و لم يقدر، و الازلام سهام كانت لأهل الجاهلية مكتوب على بعضها: أمرنى ربى، و على بعضها نهانى ربى و على الآخر غفل فاذا اراد الرجل سفرا أو أمرا ضرب تلك القداح (السهام) فان خرج السهم الذى عليه: أمرنى ربى، مضى لحاجته، و ان خرج الذى عليه: نهانى ربى، لم يمض فى أمره و ان خرج الغفل عاد فأجالها و ضرب بها اخرى الى ان يخرج (الامر) او (النهى) .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٥٦

و كانت العرب تستقسم بالازلام اى (القداح) فلا يكون لها حاجة من الحاجات من زواج و سفر و استكشاف حال الاربع الى القداح، و كان لهم امان على القداح لا يثقون بغيرهم، على ان البعض يقامر بالقداح و هو ما يسمى بالميسر (القمار) و ليس له بالقداح الذى يستقسم به من صلة.

و يقول ابن جرير و اذا اريد الاستقسام بالازلام جاؤوا الى (هبل) و هبل هذا قائم على بئر فى جوف الكعبة، و هذه البئر هى التى يجمع فيها ما يهدى للكعبة، و كان عند هبل سبعة (اقدح) كل قدح منها فيه كتاب، قدح فيه العقل و ذلك اذا اختلفوا فى العقل و من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة، و قدح فيه (نعم) فاذا ارادوه ضربوا به فان خرج قدح (نعم) عملوا به، و قدح فيه (لا) فاذا ارادوا امرا ضربوا به فى القداح فاذا خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الامر، و قدح فيه (منكم)، و قدح فيه (ملصق) و قدح فيه (من غيركم)، و قدح فيه (المياه) فاذا ارادوا ان يحفروا للماء ضربوا بالقداح و فيها قدح (المياه) فحيثما خرج عملوا به، و كانوا اذا ارادوا ان يختنوا غلاما او يتزوجوا، او يدفنون ميتا او شكوا فى نسب احد منهم ذهبوا به الى (هبل) و بمائة درهم و جزور و أعطوها صاحب القداح الذى يضربها ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ثم قالوا: «يا إلهنا هذا فلان بن فلان قد اردنا به كذا و كذا فأخرج الحق فيه» ثم يقولون لصاحب القداح اضرب، فيضرب، فان خرج عليه (منكم) كان وسيطا و ان خرج عليه (من غيركم) كان حليفا، و ان خرج عليه (ملصق) كان على منزلته منهم لا- نسب له، و لا- حلف، و ان خرج فى شىء سوى هذا مما يعملون به (نعم) عملوا به، و ان خرج (لا-) أخزوه عامهم ذلك حتى يأتوا به مرة اخرى و ينتهوا فى امورهم الى ذلك .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٥٧

نذر عبد المطلب

و المنقول عن عبد المطلب حين لقى بعض الأذى من قريش عند حفرة (زمزم) نذر لئن ولد له عشرة نفر و بلغوا اشدهم بحيث يستطيع

ان يستعين بهم و يمنعوه لينحرن احدهم لله عند الكعبة فلما ولد له عشرة بنين و عرف انهم سيمنعونه جمعهم و اخبرهم بنذره الذى نذر و دعاهم الى الوفاء لله فأطاعوه، و قالوا كيف نصنع؟ قال يأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه، فجىء بالقداح فضربوا بها فظهرت باسم (عبد الله) أبى النبي محمد (ص) و كان اصغرهم، و أحبهم الى أبيه، فأخذه ليذبحه فقامت قريش فى وجهه و قالت: و الله لا تذبحه ابدا حتى تعذر فيه، فلئن فعلت هذا فلا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا و وجدت قريش حلا بأن يقدموا عشرا من الابل كفدية و يضربوا عليها بالقداح فان خرجت على عبد الله (فليزيدوها عشرا عشرا حتى تخرج القداح على الابل و بذلك نرضى الله عنه، و هكذا فعل عبد المطلب و نحر مائة من الابل و تركها للناس طعاما، و منذ ذلك اليوم صارت الدية من الابل على ما سن عبد المطلب .

و هكذا نجد مكة قد اصبحت كل شىء فى كيان العرب قبل الاسلام لأنها منذ وجدت شغلت المحل الأسمى فى الروايات ان الكعبة سره الارض و قد صوها المصور المسلم مركزا لدائرة يحيط بها جميع اقطار العالم معيننا لكل قطر قبيلة منها (نقلا عن كتاب لزاراب لا للعرب بالفرنسية)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٥٨

من تاريخ العرب، من حيث الدين، و اللغة، و طريقة الحكم و الصولة، و الثروة.

اشهر امراء مكة و عظاموها

نابت و قيادار- من ابناء اسماعيل.

مضاض بن عمرو الجرهمى، الحارث، عمرو بن الحارث، مضاض ابن عمرو بن الحارث من جرهم.

لحي بن حارثة الخزاعى، عمرو بن لحي، من خزاعة.

قصى بن كلاب، عبد مناف، عبد الدار، هاشم، عبد المطلب ابو طالب من قريش.

كسوة الكعبة و تزيينها

يقال ان اول من كسا الكعبة هو (تبع) و قد مرّ بمكة فأخبر بفضلها و شرفها و كانت الكعبة غير مسقفة فكساها (تبع) الخصف، و هى حصر من خوص النخل، ثم كساها بعد ذلك (الانطاع) و هو بساط من الجلد ثم كساها (المعافر) و المعافر: ثياب يمانية تنسب إلى قبيلة من همدان يقال لها المعافر و جعل لها بابا يغلق، و روى الأزرقى ان الكعبة كانت تكسى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٥٩

فى الجاهلية كسى شتى من خز، و حبرة، و انماط فتكسى منه الكعبة و يجعل ما بقى فى خزانه الكعبة فاذا بلى منها شىء أخلف عليها مكانه ثوب آخر، و لا ينزع مما عليها شىء من ذلك و كان يهدى اليها خلوق و مجمر، و كانت تطيب بذلك فى بطنها و من خارجها .

و كانت قريش فى الجاهلية تفرض كسوة الكعبة على القبائل و تجمع أثمانها منهم على قدر احتمالهم، و قد جرى ذلك فى عهد قصى بن كلاب حتى نشأ ابو ربيعة المغيرة بن عبد الله بن مخزوم و كان مثيرا فقال لقريش انا اكسو الكعبة وحدى سنة و تكسو قريش كلها سنة، فكان يأتي بالحبرة الثمينه من اليمن فيكسوها فسمته قريش العدل لأن فعله عدل بفعل قريش كلها و يقال لأولاده بنو العدل، و ظل يكسو الكعبة حتى مات .

و كان أول من حلّى البيت هو عبد المطلب لما حفر بئر زمزم و اصاب فيه من دفن (جرهم) غزالين من ذهب فضر بهما فى باب الكعبة .

تجديد بناء الكعبة

و في أواخر حكم قريش بمكة داهم السيل الكعبة، و كان من القوة بحيث هدمها كما فعل ذلك في أيام جرهم و كان هذا اهم شيء في مكة و عند سكانها لان عظمة مكة كلها مدينة للبيت و طقوسه و حرمة عند العرب، فاجتمعت قريش و تشاورت فيما بينها و اجمعت أمرها على تجديد بناء الكعبة و احكامها و كان ذلك قبل مبعث النبي بخمس سنوات، و كان البحر على ما روى المؤرخون قد رمى بسفينته (بجدة) فتحطمت فأخذوا أخشابها و استعانوا به على عمارتها، و يقول الحموي: و كان بمكة رجل قبلي نجار فسوى لهم ذلك و بنوها ثمانية عشر ذراعاً، فلما انتهوا الى موضع (الركن) اختصموا،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٦٠

و اراد كل قوم ان يكونوا هم الذين يضعون الحجر في موضعه من الركن، و تفاقم الأمر بينهم حتى تواعدوا للقتال، ثم تجاوزوا و تناصفوا على ان يجعلوا بينهم اول طالع يطلع من باب المسجد حكماً ليقضى بينهم فيما يرى و يكون بحكمه الفصل، فخرج عليهم محمد بن عبد الله (ص) و كان يومذاك في نحو الخامسة و الثلاثين و لم يعلن نبوته بعد، فاحتكموا اليه فقال لهم:

هلموا ثوبا، فأتى به، فوضع الحجر فيه ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ليرفعوا، حتى اذا رفعوه الى موضعه اخذ النبي الحجر بيده فوضعه في الركن العراقي خارج الكعبة على ارتفاع دون القامة ليتسنى لمسه للمتبركين و هو الركن القريب من مقام ابراهيم و زمزم فرضوا بذلك و انهوا عن الشرور، و رفعوا باب الكعبة عن الأرض مخافة السيل، و ان لا يدخل فيها الا من أحبوا، و بقوا على ذلك الى ايام عبد الله بن الزبير.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٦١

قبائل مكة قبل الاسلام

إشارة

كتبه الدكتور حسين امين استاذ التاريخ الاسلامي المساعد و مقرر دائرة التاريخ و الآثار بجامعة بغداد و الحائز على درجة دكتوراه الشرف الاولى من جامعة الاسكندرية
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٦٣

القبائل التي سكنت مكة قبل الاسلام

العمالقة

ان عددا من رواة التاريخ يقولون أن العمالقة هم أول من استوطن مكة و نسبهم الى عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، بينما نجد ابن خلدون ينسبهم الى عمليق بن ارفخشذ بن سام بن نوح ، و الأبحاث العلمية التاريخية تؤكد ان العماليق كانوا يسكنون جنوبي فلسطين، و يظهر انهم كانوا يتحكمون في طرق التجارة بين غزة و أيلة (ايلات) أي العقبه المؤدية الى مصر ، و قد جرت بين العبرانيين و العمالقة حروب شديدة .

و تبدو أخبار العمالقة، مضطربة في مصادر التاريخ، مما يجعلنا متحفظين في قبول اكثر اخبار رواتها، و اقدم تلك الأخبار العربية تقول:
ان ابراهيم (ع) لما اسكن اسماعيل مكة مع أمه هاجر و ابتهل الى خالقه قائلا: رَبَّنَا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٦٤

إِنِّي أَسِيكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» و كان موضع البيت ربوة حمراء، أمر ابراهيم هاجر ان تتخذ عليه عريشا يكون لها مسكنا، و كان من ظمأ اسماعيل و هاجر ما كان إلى ان أنبع الله لهما (زمزم)، و أقحط الشحر و اليمن، فتفرق العماليق و جرهم في البلاد، و من هناك من بقايا عاد، فبقيت العماليق نحو تهامة يطلبون الماء و المرعى و الدار الخصيبة، و عليهم (السميدع بن هود بن لابي بن قنطور ابن كركر بن حيدان) فلما أمعت بنو كركر في المسير. و قد عدت المأوى و المرعى، و اشتد بها الجهد، أقبل السميدع بن هود، يحثهم على السير في شعر له:

سيروا بنى الكرر في البلاد إني أرى ذا الدهر في فساد

قد سار من قحطان ذى الرشاد جرهم لما هدها التعادى

فأشرف روادهم على الوادى، فنظروا الطير ترتفع و تنخفض، فهبطوا الوادى و نظروا الى العريش على الربوة الحمراء، و فيها هاجر و اسماعيل، و قد زمت حول الماء بالاحجار و منعت من الجريان، فسلم الرواد عليها، و استأذنها في نزولهم و شربهم من الماء، فأنست اليهم، و أذنت لهم في النزول، فتلقوا من كان وراءهم من اهلهم، و اخبروهم خبر الماء فنزلوا الوادى مطمئنين، مستبشرين بالماء . و يبدو ان الاخباريين تأثروا بالتوراة فأوردوا اخبارا عن العمالقة الذين اعتبروهم اول من سكن مكة و ذكروا او صافا عديده عن اجسامهم و طولهم و عن ابنتهم و قدمهم و قصصا عن احوالهم و حروبهم .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٦٥

و يعتقد الاخباريون ان قبيلة (جرهم) التى كانت على عهد العمالقة من العرب البائدة، و قد سموا بجرهم الأولى ، و ان نسبهم يعود الى (عابر)، و ان هؤلاء ابعدوا على ايدى القحطانيين.

جرهم

و جرهم الثانية هى قبيلة قدمت الى موقع مكة من اليمن، و هى تنتسب الى القحطانية، و القبائل القحطانية بالنسبة الى قحطان بن عابر بن شالخ ابن ارفخشتر بن سام بن نوح ، و يذكر بعض المؤرخين ان (يعرب) تولى الملك بعد (قحطان) و كان ملكه باليمن، و قد غلب بقايا (عاد) و استعان باخوته فى حكم البلاد فأقر اخاه (حضر موت) على البلاد التى عرفت باسمه فقيل لها (حضر موت) و عين (عمان) على ارض عمان، و ولى جرهما على الحجاز .

و تذكر الروايات التاريخية ان اسماعيل تزوج من جرهم و بلغتهم تكلم، قال الازرقى: فكانت (أى هاجر أم اسماعيل) معهم (أى قبيلة جرهم) هى و ابنها حتى ترعرع الغلام و نفسوا فيه و اعجبهم، و توفيت أم اسماعيل، و طعامهم الصيد يخرجون من الحرم و يخرج معهم اسماعيل فيصيد فلما بلغ، أنكحوه جارية منهم تدعى (عمارة بنت سعيد بن اسامة) الى آخر ما ورد من اخبار زواج اسماعيل فى صدر هذا الجزء من الموسوعة.

و الاخبار العربية تشير الى ان قبيلة جرهم حكمت الحجاز و كانت قائمة على الكعبة و اشتهر منهم رجال كان لهم شأن فى التاريخ، منهم الحارث

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٦٦

ابن مضاخ الجرهمى، و كان مقيما فى الحجاز تابعا لليمن، و فى ايامه نشطت حركة بنى اسرائيل و زحفوا يريدون مكة، من الشمال، فقاتلهم الحارث بن مضاخ فهزمهم و استولى على تابوت من الكتب كانوا يحملونه، و فيه ما انتحلوه على الزبور، و الحارث بن مضاخ هو الذى يقال انه خرج من بلاده يجول فى الأرض، زمنا طويلا، و ضربت الأمثال باغترابه.

و يذكر المسعودى: إنه اول من تولى أمر البيت بمكة من بنى جرهم، و كان ينزل فى الموضع المعروف بقعيقعان، و كان كل من

دخل مكة بتجارة عشرينها عليه، و ذلك في اعلى مكة، و ملك العماليق (السميدع بن هود بن حدر ابن مازن بن لاي بن قنطورا) و كان ينزل (اجياد) من اسفل مكة، و كان يعشّر من دخل مكة من ناحيته، و كانت بينهما حروب، فخرج الحارث ابن مضاض ملك جرهم تتفقع معه الرماح و الدرق، فسمى الموقع بقعيقعان، و خرج السميدع ملك العماليق و معه الجياد من الخيل فعرف الموضع بأجياد . و من رجال جرهم عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي، تولى مكة بعد خروج أبيه منها، و كذلك نفيلاً بن عبد المدان . و نستدل من الحصيلة الشعرية ان قبيلة جرهم كانت لها ولاية البيت، قول عمرو بن الحارث بن مضاض الاصغر الجرهمي:-
 كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس و لم يسمر بمكة سامر
 الى آخر ما ورد من الأبيات.

و قال عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي:-

و كنا ولاة البيت و القاطن الذي إليه يؤدي نذره كل محرم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٦٧ سكننا بها قبل الطباء وراثتها عن بنى هي بن بنت بن جرهم

و يبدو ان خزاعة وجدت الفرصة سانحة للسيطرة على ما تسيطر عليه قبيلة جرهم، و وردت بعض الأخبار التاريخية التي تشير الى ان قبيلة جرهم بغوا بمكة و استحلوا خلافاً من الحرم، فظلموا من دخلها من غير أهلها، و أكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها، فزق أمرهم، فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، و غبشان من خزاعة ذلك، اجمعوا لحربهم و إخراجهم من مكة. فأذنوهم بالحرب فاقتلوا، فغلبتهم بنو بكر و غبشان، فنفوههم من مكة.

و كان لتلك الواقعة على ما تشير الاخبار التاريخية أثرها الكبير في انحسار نفوذ جرهم، و يذكر ابن هشام؛ قال ابن اسحاق: فخرج عمرو بن الحارث ابن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة و بحجر الركن، فدفنها في زمزم، و انطلق هو و من معه من جرهم الى اليمن، فحزنوا على ما فارقوا من امر مكة و ملكها حزناً شديداً، فقال عمرو بن الحارث الجرهمي قولته المشهورة المتقدمة من الشعر:
 و قائله و الدمع سكب مبادرو قد شرقت بالدمع منها المحاجر

خزاعة

و تولت خزاعة أمر البيت الحرام، و خزاعة من عرب الجنوب، و هي فرع من قبيلة الأزد العربية الكبيرة، و معظم النسابة ينسبون هذه القبيلة الى عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن مزيقياء، و يذكر المسعودي ان سبب تسميتهم (خزاعة): انه لما خرج عمرو بن عامر و ولده من مأرب،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٦٨

انزع بنو ربيعة، فنزلوا تهامة، فسموا خزاعة لا نخزاعهم .

و يعتقد ان ورود خزاعة كان في القرن الخامس الميلادي على وجه التقريب . و تلقب رجال خزاعة الذين سيطروا على مكة بألقاب الملوك و صاروا يتوارثون النفوذ كابر عن كابر.

و عادت خزاعة اصناماً كثيرة من اهمها، العزى و هبل و إساف و نائلة، و عظمت هذه القبيلة الصنم مناة .

و يعتقد الاخباريون ان اول من نصب الأوثان هو عمرو بن ربيعة، و هو لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي، ابو خزاعة. و يعتبر اول من غير دين اسماعيل «فنصب الأوثان و سيب السائبة، و وصل الوصيلة، و بحر البحيرة و حمى الحامي» .

و كان آخر حكام قبيلة خزاعة حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو، و خطب قصي بن كلاب ابنته حبي فرغب فيه حليل فزوجه، فولدت له عبد الدار و عبد مناف و عبد العزى و عبدا .

و يبدو ان حليل بن حبشية، كبرت به السن فكان اذا إعتل اعطى مفتاح البيت الى ابنته حبي ففتحته فإذا اعتلت اعطت المفتاح زوجها

قصيا او بعض ولدها ففتحها. و لما شعر حليل بن حبشية بدنو اجله نظر الى قصى و الى ما انتشر له من الولد من ابنته فرأى ان يجعلها فى ولد ابنته، فدعا قصيا فجعل له ولاية البيت، و اسلم إليه المفتاح و كان يكون عند حبنى،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٦٩

فلما هلك حليل أبت خزاعة أن تدعه ذاك، و أخذوا المفتاح من حبنى فمشى قصى الى رجال من قومه من قريش و بنى كنانة و دعاهم الى ان يقوموا معه فى ذلك و ان ينصروه و يعضدوه فأجابوه الى نصره. و ارسل قصى الى اخيه لأمه (رزاح بن ربيعة) و هو ببلاد قومه من قضاة يدعوهم الى نصره و يعلمه ما حالت خزاعة بينه و بين ولاية البيت و يسأله الخروج إليه بمن اجاب من قومه، فقام رزاح بن ربيعة فى قومه فأجابوه الى ذلك، فخرج رزاح و معه اخوته من ابيه، حنّ، و محمودة، و جلهمة بنو ربيعة بن حرام فيمن تبعهم من قضاة فى حاج العرب مجتمعين لنصرة قصى و القيام معه، فلما اجتمع الناس بمكة خرجوا الى الحج فوقفوا بعرفة و بجمع و نزلوا منى، و قصى مجمع على ما اجمع عليه من قتالهم، بمن معه من قريش، و بنى كنانة، و من قدم عليه مع اخيه رزاح من قضاة، فلما كان آخر أيام منى ارسلت قضاة الى خزاعة يسألونهم ان يسلموا الى قصى ما جعل له حليل، و عظموا عليهم القتال فى الحرم، و حذروهم الظلم و البغى بمكة و ذكروهم بما كانت فيه جرهم و ما وصلت إليه حين الحدوا فيه بالظلم و البغى، فأبت خزاعة أن تسلم ذلك فاقتلوا بمفضى مأزى منى، و سمي ذلك المكان (المفجر) لما فجر فيه و سفك فيه من الدماء، و انتهك من حرمة، فاقتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعا و فشت فيهم الجراحات و حاج العرب جميعا من مضر و اليمن مستكفون ينظرون الى قتالهم ثم تداعوا الى الصلح، و دخلت قبائل العرب بينهم، و عظموا على الفريقين سفك الدماء و الفجور فى الحرم، فاصطلحوا على ان يحكموا بينهم رجلا- من العرب فيما اختلفوا فيه فحكموا (يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن الليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة) و كان رجلا شريفا، فقال لهم: موعدكم فناء الكعبة غدا. فاجتمع إليه الناس، و عدوا القتلى فكانت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٧٠

فى خزاعة اكثر منها فى قريش و قضاة و كنانة. فلما اجتمع الناس بفناء الكعبة قام (يعمر بن عوف) فقال: الا انى قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمى هاتين فلا تباعة لاحد على احد فى دم و انى قد حكمت لقصى بحجابه الكعبة و ولاية امر مكة دون خزاعة، لما جعل له حليل و ان يخلى بينه و بين ذلك و ان لا تخرج خزاعة عن مساكنها من مكة، فسلمت ذلك خزاعة لقصى و عظموا سفك الدماء فى الحرم و افترق الناس فولى قصى بن كلاب حجابه الكعبة و امر مكة و جمع قومه من قريش من منازلهم الى مكة يستعزيهم و تملك على قومه فملكوه.

قريش

و هكذا سيطرت قريش على مكة و استحوذ قصى بن كلاب اول زعماء قريش على الامور فى تلك المدينة، و هو قصى بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن فهر، و أمه فاطمة بنت سعد بن سيل. و يذكر بعض المؤرخين ان قصيا اشترى ولاية البيت من ابي غيشان بزق خمر و عود، و يذكر بعض الرواة ان هذا الشراء حصل فى ايام ملك الحيرة «المنذر بن النعمان».

و تعتبر قريش من القبائل العدنانية، و اختلف فى معنى كلمة قريش، يقول الفيروزأبادى: يقرشه و يقرشه قطعه و جمعه من ههنا و ههنا و ضم بعضه الى بعض و منه قريش لتجمعهم الى الحرم أو لأنهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها، أو لأن النضر بن كنانة اجتمع فى ثوبه يوما فقالوا تقرش أو لأنه جاء الى قومه فقالوا كأنه جمل قريش أى شديدا و لأن قصيا كان يقال له القرش، أو لأنهم كانوا يفتشون الحاج فيسدون خلتها، او سميت بمصغر القرش و هو دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها، او سميت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٧١

بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر و كان صاحب غيرهم فكانوا يقولون قدمت غير قريش و خرجت غير قريش .

و يبدو ان الفيرزآبادى متأثر برأى المؤرخ الطبرى الذى يقول: و سميت قريش قريشا بقريش بن يخلد بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة، و به سميت قريش قريشا لأن غير بنى النضر كانت إذا قدمت قالت العرب قد جاءت غير قريش، قالوا و كان قريش هذا دليل بنى النضر فى اسفارهم و صاحب ميرتهم، و كان له ابن يسمى بدرا و قال ابن الكلبي انما قريش جماع نسب ليس بأب و لا أم و لا حاضن و لا حاضنه، و قال آخرون انما سمي بنو النضر بن كنانة قريشا لأن النضر بن كنانة خرج يوما على نادى قومه فقال بعضهم لبعض انظروا النضر كأنه جمل قريش. و قيل انما سميت قريش قريشا بدابة تكون فى البحر تدعى القرش، فشبه بنو النضر بن كنانة بها لأنها اعظم دواب البحر قوة، و قيل ان النضر بن كنانة كان يقرش عن حاجة الناس فيسدها بماله، و القرش فيما زعموا التفتيش، و كان بنوه يقرشون اهل الموسم عن الحاجة فيسدونها بما يبلغهم، و قيل ان النضر بن كنانة كان اسمه قريشا، و قيل بل لم تزل بنو النضر بن كنانة يدعون بنى النضر حتى جمعهم قصى بن كلاب فقيل لهم قريش من اجل ان التجمع هو القرش، فقالت العرب: تقرش بنو النضر أى قد تجمعوا، و عن محمد بن سعد:

سميت قريش قريشا حتى اجتمعت إلى الحرم من تفرقتها فذلك التجمع القرش. قال عبد الملك ما سمعت هذا و لكن سمعت أن قصيا كان يقال له القرشى، و لم يسم قرشى قبله .

تللك هى الآراء التى قدمها المؤرخ الطبرى، و لعل أقرب الآراء للبحث العلمى ان اسم قريش من (القرش) و هو حيوان بحرى، و أن البحث العلمى فى المستقبل قد يتوصل الى معلومات قيمة عن أصالة هذه القبيلة و صلتها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٧٢

الوثيقة بهذا الحيوان الذى ارتبطت به و التفت حوله ليكون حاميتها و المدافع عنها، و هذا الموضوع معروف عند علماء الاجتماع بمبدأ الطوطمية Totemism و هو عبارة عن اعتقاد جماعة من الناس بوجود صلة لهم بحيوان ما، تقدم له الاحترام و لا تجيز صيده او ذبحه، و يرى بعض العلماء انه ليس من الضرورى ان تقوم القبيلة بعبادة الحيوان و لكنها تشعر بروابط دموية بين افرادها اى بوجود صلة رحم بينها، و الرابط بينها هو ذلك الطوطم الذى تنتمى الجماعة إليه و تلتف حوله ليكون حاميتها و المدافع عنها فى الملمات .

و يعتبر قصى بن كلاب اول رئيس وردت اخباره التاريخية و أنه هو الذى لمّ شعث قومه، و جمعهم من الاودية و الشعاب و الجبال الى مكة، و ابنتى دار الندوة و جعل بابها الى البيت، ففيها كان يكون أمر قريش كله، و كانت إليه الحجابة و السقاية و الرفادة و اللواء و الندوة و حكم مكة كله و كان يعشر من دخل مكة سوى اهلها كما ان قصيا بعد ان تمكن من مكة حفر بها بئرا اسمها (العجول) و هى اول بئر حفرتها قريش، و ادخل قصى بطون قريش كلها الأبطح، فسموا قريش البطاح، و اقام بنو معيص بن عامر بن لؤى و بنو تيم الأدموم بن غالب بن فهر و بنو محارب بن فهر و بنو الحارث بن فهر، بظهر مكة فهؤلاء الظواهر لأنهم لم يهبطوا مع قصى الى الأبطح فهم مع المطيبين اهل البطاح، و قد قال الشاعر فى ذلك و هو ذكوان مولى عمر بن الخطاب للضحاك بن قيس الفهرى حين ضربه:

فلو شهدتنى من قريش عصابة قريش البطاح لا قريش الظواهر

و تذكر المراجع ان قصى بن كلاب لما كبر ورق و كان عبد الدار بكره موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٧٣

و اكبر ولده، فأعطاه دار الندوة و حجابة البيت و اللواء و السقاية و الرفادة.

و يرى بعض المؤرخين ان قصيا عمل ذلك لأنه رأى ضعف ولده عبد الدار و ان عبد مناف كان قد ساد فى حياة ابيه فأراد قصى تقويته بتلك الامتيازات التى اسبغها على عبد الدار . و يورد الأزرقى رواية اخرى فيذكر ان قصى اجمع على ان يقسم امور مكة الستة التى فيها الذكر، و الشرف، و العز، بين ابنه أعطى عبد الدار السدانة و هى الحجابة، و دار الندوة، و اللواء، و اعطى عبد مناف السقاية، و الرفادة، و القيادة . و يذكر ابن الأثير:

ان قبيلة قريش تفرقت، فكانت طائفة مع بنى عبد مناف و طائفة مع بنى عبد الدار، فكان بنو اسد بن عبد العزى، و بنو زهرة بن كلاب، و بنو تميم بن مرة، و بنو الحارث بن فهر مع بنى عبد مناف، و كان بنو مخزوم و بنو سهم و بنو جمح و بنو عدى مع بنى عبد الدار

فتحالف كل قوم حلفا مؤكداً، وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فوضعوها عند الكعبة و تحالفوا و جعلوا ايديهم في الطيب، فسموا المطيبين، و تعاقد بنو عبد الدار و من معهم و تحالفوا فسموا الأحلاف، و تبعوا للقتال ثم تداعوا الى الصلح على ان يعطوا بنو عبد مناف السقاية و الرفادة، فرضوا بذلك، و تحاجز الناس عن الحرب، و اقرعوا عليها فصارت لهاشم بن عبد مناف، ثم بعده للمطلب بن عبد مناف ثم لابن طالب بن عبد المطلب .

ان قريش سيطرت على الطرق التجارية و استغلت ضعف الاسطول البيزنطى بسبب الحروب الفارسية البيزنطية، و تحولت التجارة من البحر الى البر نتيجة لذلك، و قد برع القريشيون فى التجارة، و قد اشار القرآن الكريم الى تجارتهم فى قوله تعالى: (لايلاف قريش، ايلافهم رحلة الشتاء و الصيف)، و يبدو ان القريشيين استغلوا ايضا الوضع السيئ الذى آلت موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٧٤

إليه اليمن نتيجة انهيارها السياسى بدخول الأحباش إليها، و صار رجال قريش يهيمنون على التجارة العربية و قاموا بدور الوساطة التجارية، و تنقلت قوافلهم الى بلاد الشام و اليمن، و اصبحت مكة من اهم المراكز الاقتصادية فى العالم قبل ظهور الاسلام. و كانت مواسم الحج اياما تزدهر فيها التجارة، فالعرب يقصدون الكعبة من كل مكان، و يجلبون معهم ما يشاءون من السلع، و ينشط التجار القريشيون فى ذلك الموسم و تعود عليهم الأرباح بشكل و فير. كما كانت تخرج لقريش القوافل الكبيرة للتجارة يشرف عليها احد كبار رجالات مكة امثال ابن العاص بن الربيع العبشمى ، زوج السيدة زينب ابنة الرسول محمد (ص) و كان يخرج الى الشام بتجارة قريش، و كان رجلا مأمونا، يخرج بماله و مال و أموال رجال من قريش أبضعوها معه، و أبى سفيان صخر بن حرب الذى كان يقود قافلة كبيرة لقريش و بسببها وقعت موقعة بدر فى السنة الثانية للهجرة. و كانت وسيلة النقل التجارى لقريش هى الجمال و انها استخدمت عناصر سودانية و حبشية و غيرهما من شرقي افريقيا لحراسة القوافل و تحميل الجمال و تفرغها و اطعامها، و قد عرفت تلك العناصر بالأحباش.

ان قريش المتحكمة فى مكة تعتبر نفسها هى الحامية للأصنام و الاوثان و من اشهر الأصنام التى عبدتها قريش و عظمتها، (هبل) الذى كان من اعظم تلك الآلهة ، و كان مصنوعا من عقيق أحمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى، ادركته قريش فجعلوا له يدا من ذهب . و (العزى) و كانت قريش تزورها و تهدي إليها و يتقربون إليها بالذبح. كما كانت قريش تخصص (اللات) بالاعظام و الاكبار. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٧٥

اقسام قريش

و قبيلة قريش قسمان، قريش الظواهر و قريش البطاح، و قريش الظواهر، تلك التى سكنت فى ظاهر مكة، و هم بنو بغيض بن عامر بن لؤى، و بنو الأدوم بن غالب بن فهر، و بنو محارب بن فهر، و كان هؤلاء يعيشون عيشة البداوة، لم يتعودوا حياة الاستقرار، و كثيرا ما قامت بينهم الغارات.

اما قريش البطاح فهى التى سكنت حول الحرم، و استحوذ رجالها على جميع الوظائف فى مكة، و كانت بيدها التجارة و كل المرافق الاقتصادية، و تميزت بالغنى و الثروة و بحياة الاستقرار و صلاتها المختلفة مع البلدان كالشام و العراق و اليمن و الحبشة.

و قبائل قريش البطاح هى: بنو عبد الدار، و بنو عبد مناف، و بنو عبد قصى، و بنو زهرة بن كلاب، و بنو تيم بن مرة و بنو مخزوم بن يقظة و بنو سهم، و بنو جمح، و بنو عدى بن كعب، و بنو حسيل بن عامر بن لؤى، و بنو هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر، و بنو هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر، و بنو هاشم بن عبد مناف و بنو المطلب ابن عبد مناف، و بنو الحارث بن عبد مناف و بنو أمية بن عبد شمس، و بنو نوفل بن عبد مناف، و بنو الحارث بن فهر.

و من زعماء قريش المشهورين، قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى سيد قريش و زعيمها الأول، مات ابوه و هو طفل فتزوجت

امه من ربيعة ابن حرام بن ضنّة بن عبد بن كبير، بن عذرة بن سعد بن زيد أحد قضاة فاحتملها الى بلاده من ارض عذرة من اشراف الشام الى سرغ و ما دونها،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٧٦

و كان قصي فطيما، و سمي قصيا لتقصيها به الشام، و ولدت امه لربيعة ولدا سمي (رزاحا) و كان قصي ينسب الى ربيعة بن حرام، ففاضل يوما رجلا من قضاة يدعى رقيعا، و هو من عذرة، فنضله قصي فغضب المنضول، فوقع بينهما شر حتى تقاولا و تنازعا، فقال رقيع:- ألا تلحق ببلدك و قومك، فانك لست منا. فرجع قصي الى امه فقال: من أبي؟

فقال: أبوك ربيعة. قال: لو كنت ابنه ما نفيت. قالت: أو قد قال هذا؟

فو الله ما أحسن الجوار، و لا- حفظ الحق، أنت و الله يا بنى اكرم منه نفسا و والدا و نسبا و اشرف منزلا، أبوك كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي، و قومك بمكة عند البيت الحرام فما حوله؛ قال: فو الله لا أقيم ههنا ابدا. قالت: فأقم حتى يجيء إبان الحج فتخرج في حاج العرب، فاني أخشى عليك ان يصيبك بعض الناس، فأقام فلما حضر ذلك بعثته مع قوم من قضاة، فقدم مكة، و زهرة أخوه يومئذ حي، و كان أشعر و قصي اشعر ايضا، فأتاه، فقال له قصي:- أنا اخوك، فقال زهرة: أذن مني، و كان قد ذهب بصره و كبر، فلمسه فقال: اعرف و الله الصوت و الشبه، فلما فرغ من الحج عالج القضاة على الخروج معهم و الرجوع الى بلادهم، فأبى و أقام بمكة .

و يبدو ان قصي بن كلاب كان رجلا جلدا بعيد النظر و طموحا، و انه خطب الى حليل بن حبشية بن سلول الخزاعي، ابنته حبي - كما ترى-، فرغب فيه حليل و زوجته، فولدت له عبد الدار، و عبد مناف، و عبد العزى، و عبد قصي، و كان حليل بن حبشية يلي الكعبة و أمر مكة، و كان حليل إذا إعتلى اعطى ابنته مفتاح الكعبة، ففتحت ابواب البيت، فاذا اعتلت اعطت المفتاح زوجها قصيا او بعض ولدها ففتحها، و لما حضرت حليلا الوفاة نظر إلى قصي و الى ما انتشر له من الولد من ابنته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٧٧

ف رأى ان يجعلها في ولد ابنته فدعا قصيا فجعل له ولاية البيت و اسلم إليه المفتاح ، و هكذا اصبحت الزعامة الى قصي و آل اليه الأمر في مكة كما قد أشرنا الى ذلك من قبل.

و جعل قصي لولده عبد الدار، الحجابة و الندوة و السقاية و الرفادة و اللواء، و الحجابة و هي حجابة الكعبة، و الندوة و هي مجلس قريش و معقد اجتماعهم، و فيها تقرر الحروب و تعقد المحالقات السياسية و الاقتصادية و ترسم سير القوافل التجارية و اتجاهاتها و غيرها من الأمور المهمة، و الرفادة و هي خرج تخرجه قريش في كل موسم من اموالها الى قصي بن كلاب فيصنع منه طعاما للحجاج يأكله الفقراء، و السقاية، و هي سقاية الحاج، و اللواء، راية قريش، و كان قصي هو الذي يعقد لقريش أوليتهم.

و جرى نزاع بين أبناء عبد الدار و أبناء عبد مناف، فقد اراد ابناء عبد مناف انتزاع المراتب الشرفية التي كانت لعبد الدار و ابنائه، فانقسمت قريش أحلاف، و نحر بنو عبد الدار و انصارهم جزورا، و غمسوا ايديهم في دمه، متعاهدين، و لعق أحدهم من ذلك الدم، و تابعه من كان معه، فسموا الاحلاف و لعقة الدم، و اخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا، فوضعوها عند الكعبة، و تحالفوا، و جعلوا ايديهم في الطيب، فسموا بالمطيبين، و استعدوا للقتال، ثم اصطلحوا على ان تكون لبني عبد مناف السقاية و الرفادة، و لبني عبد الدار اللواء و الحجابة .

بنو عبد مناف

و بنو عبد مناف، ينتسبون الى عبد مناف، و قيل ان اسمه المغيرة، لقبه، و ذكر ابن سعد عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن ابيه قال:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٧٨

لما هلك قصي بن كلاب، قام عبد مناف بن قصي على أمر قصي بعده، وأمر قريش إليه، واختط بمكة رباعا بعد الذي كان قصي قطع لقومه، وعلى عبد مناف اقتصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى أنزل الله تبارك وتعالى عليه (وَأَنْزَلْنَا عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ).

وولد عبد مناف بن قصي ستة نفر، وست نسوة، المطلب بن عبد مناف، وكان أكبرهم، وهو الذي عقد الحلف لقريش من النجاشي في متجرها إلى أرضه، وهاشم بن عبد مناف، وعبد شمس بن عبد مناف، وتماضر بنت عبد مناف وحنّة، وقلابة، وبرّة، وهالة، بنات عبد مناف وأمهاتك الكبرى بنت مرة بن هلال بن فالح، بن ثعلبة، بن ذكوان، ابن ثعلبة، بن بهثة، بن سليم، بن منصور، بن عكرمة بن خصفه، ابن قيس، بن عيلان، بن مضر، ونوفل بن عبد مناف، وهو الذي عقد الحلف لقريش من كسرى إلى العراق، و ابا عمرو بن عبد مناف، و ابا عبيد درج، و امهم واقدة بنت أبي عدى، و ريطة بنت عبد مناف .

بنو هاشم

و بنو هاشم، و ينتسبون إلى هاشم، أكبر اولاد عبد مناف، و قد انتهت إليه السيادة في مكة، و ذكر ان اسمه (عمرو) و كنيته (ابو نضله) و انما قيل له هاشم لأنه اول من هشم الثريد لقومه بمكة و أطعمه . و امتاز هاشم بقوة الشخصية و سعة النفوذ، و هو الذي حفر عدة آبار في مكة مثل بئر (سجلة) و هى البئر التى يقال لها بئر جبير بن مطعم فى و بئر (بدر) و قال حين حفرها لأجعلنها للناس بلاغا و هى البئر التى حقّ المقوم ابن عبد المطلب فى ظهر دار الطلوب مولاة زبيدة بالبطحاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٧٩

و هاشم اول من سنّ الرحلتين لقريش، للتجارة، رحلة الشتاء إلى اليمن و الحبشة، و رحلة الصيف إلى غزة و بلاد الشام و ربما بلغ أنقرة، فدخل على قيصر فيكرمه و يحبوه فأصابته قريشا سنوات ذهبن بالأموال . و هو الذى اخذ الحلف من قيصر لقريش على ان تأتى الشام و تعود منها آمنة.

و كان احد الأجواد الذين ضرب بهم المثل فى الكرم، و قد ذكر انه خرج مرة إلى الشام فأمر بخبز كثير فخبز له، فحملة فى الغرائر على الابل حتى وافى مكة، فهشم ذلك الخبز و شرده و نحر تلك الابل، ثم أمر الطهاة فطبخوا، ثم كفا القدور على الجفان ، فأشع اهل مكة، فكان ذلك اول الحيا بعد السنة التى أصابتهم فسمى بذلك هاشما و فى ذلك قال عبد الله بن الزبيرى:-

عمرو العلى هشم الثريد لقومه و رجال مكة مستنون عجاف

و قد مر ذكره فى صدر هذا الجزء

و يبدو أن ما أصاب هاشما من علو المكانة و سمو المجد، اثار حسد أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، و كان ذا مال، فتكلف أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه، فشمت به ناس من قريش فغضب، و نال من هاشم و دعاه إلى المنافرة، فكره هاشم ذلك لسنه و قدره، فلم تدعه قريش و أحفظوه، قال هاشم: فانى انافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحرها بطن مكة، و الجلاء عن مكة عشر سنين، فرضى أمية بن عبد شمس بذلك، و جعل بينهما الكاهن الخزاعى و هو جد عمرو بن الحمق و منزله بعسفان ، و قد قضى الكاهن لهاشم بالغلبة، فأخذ هاشم الابل فنحرها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٨٠

و اطعمها من حضره، و خرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين، فكانت هذه اول عداوة وقعت بين هاشم و أمية .

و فى ايام هاشم حصل النزاع بين بنى عبد مناف و بنى عبد الدار من اجل السيطرة على المراتب التى استحوذت عليها بنو عبد الدار، و قد بينا فيما سبق ما آل إليه ذلك النزاع حيث اصبحت السقاية و الرفادة لبنى عبد مناف، و احتفظ بنو عبد الدار باللواء و الحجابة و دار

الندوة . و دار الندوة ملك خاص لبني عبد الدار توارثوها حتى آلت الى عكرمة بن عامر بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، من معاوية بن أبي سفيان فجعلها دار الامارة ، و قيل ان دار الندوة صارت الى حكيم بن حزام بن خويلد ابن اسد بن عبد العزى بن قصي، فباعها من معاوية بن ابي سفيان بمائة الف درهم، فلامه معاوية على ذلك و قال: بعت مكرمة آبائك و شرفهم، فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى، و الله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر و قد بعتها بمائة الف درهم، و اشهدكم ان ثمنها فى سبيل الله تعالى فأين المغبون؟ و قال ابن الكلبي: دار الندوة اول دار بنت قريش بمكة و انتقلت بعد موت قصي الى ولده الأكبر عبد الدار. و ولد هاشم بن عبد مناف اربعة نفر و خمس نسوة، شبيهة الحمد و هو عبد المطلب، و كان سيد قريش حتى هلك، و رقيه، ماتت و هى جارية لم تبرز و امها سلمى بنت عمرو بن زيد بن لييد بن خدش بن عامر بن غنم ابن عدى بن النجار. و أبا صيفى بن هاشم، و اسمه عمرو و هو أكبرهم.

و صيفيا، و امهما هند بنت عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج، و اسد بن هاشم، و امه قيلة بنت عامر بن مالك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٨١

ابن جذيمة من خزاعة، و نضله بن هاشم. و الشفاء. و رقيه و امهم أميمة بنت عدى بن عبد الله بن دينار بن مالك من قضاة، و الضعيفة بنت هاشم و خالدة بنت هاشم، و امها ام عبد الله واقدة بنت أبي عدى. و حنة بنت هاشم، و امها عدى بنت حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيظ بن جشم ابن قسى و هو ثقيف .

و فى حدود ٥٢٤ م وفد هاشم بن عبد مناف على الشام فى تجارة له، فمرض فى طريقه إليها، فتحول الى غزة فمات فيها .

اصحاب الايلاف

و من اولاد مناف، نوفل بن عبد مناف، و هو من اصحاب الايلاف، قال ابن حبيب: اصحاب الايلاف الذين رفع الله بهم قريشا، و نعش فقراءها، هاشم، و عبد شمس، و المطلب، و نوفل، بنو عبد مناف . و كل من هؤلاء كان رئيس من يخرج معه ممن يتجر فى وجهته، و اشتهر من اولاده، عدى، و عامر، و عمرو، و عبد عمرو، و يبدو ان نوفل كانت تجارته الى العراق، و فى احدى رحلاته التجارية توفى فى مكان يعرف (بالسلمان) و هو ماء قديم جاهلى فى الطريق الى تهامة من العراق ، و قد مات نوفل قبل اخيه المطلب .

و من بنى عبد مناف، عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، و كان هذا هو الآخر من اصحاب الايلاف، و كان متجرا الى بلاد الحبشة ، و له من الولد، أمية، و حبيب، و عبد أمية، و نوفل، و ربيعة، و عبد العزى، و عبد الله. و توفى عبد شمس فى مكة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٨٢

و من بنى عبد مناف، المطلب بن عبد مناف بن قصي، و كان أكبر من هاشم و من عبد شمس، و هو الذى عقد الحلف لقريش من النجاشى فى متجرها، و كان شريفاً فى قومه مطاعاً سيداً، و كانت قريش تسميه الفيض لسماحته، فولى بعد هشام السقاية و الرفادة، و خرج مرة بتجارة الى ارض اليمن فتوفى بردمان من بلاد اليمن .

عبد المطلب و بنوه

و تولى الرفادة و السقاية بعد وفاة المطلب بن عبد مناف، عبد المطلب ابن هاشم، و كان اسمه شيبه، و هو الذى حفر زمزم، و كان يحمل الماء من زمزم الى عرفه فيسقى الحاج، و من أبرز الحوادث التى حصلت فى زمن عبد المطلب، حملة الأحباش الكبيرة على مكة، و كان فى مقدمة جيش الحبشة فيل كبير، و يقود تلك الحملة القائد الحبشى (ابرهه) و قد هلك معظم جيش الأحباش نتيجة و

باء و بيل اكتسح ذلك الجيش و مزق صفوفه، و قد اشار القرآن الكريم الى تلك الحادثة في قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ، وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ، تَزِمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ» و بذلك انقذت مكة و ذهب عن اهلها الخوف.

و ولد عبد المطلب بن هاشم اثني عشر رجلا و ست نسوة، الحارث و هو اكبر ولده و به كان يكنى و مات في حياة ابيه، و امه صفية بنت جنيد بن حجر بن زبياب بن حبيب بن سواء بن عامر بن صعصعة، و عبد الله ابا رسول الله صلى الله عليه و علم، و الزبير و كان شاعرا شريفا، و إليه أوصى عبد المطلب، و ابا طالب و اسمه عبد مناف، و عبد الكعبة مات و لم يعقب، و أم حكيم و هي البيضاء، و عاتكة، و برة، و اميمة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٨٣

و اروى، و امهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤى، و حمزة و هو اسد الله و اسد رسوله، شهد بدر و استشهد يوم احد، و المقوم، و حنبل و اسمه المغيرة، و صفية و امهم هالة بنت و هيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، و العباس و كان شريفا عاقلا مهيبا، و ضرارا و كان من فتيان قريش جمالا و سخاء، و مات أيام أوحى الله الى النبي صلى الله عليه و سلم، و لا عقب له، و قثم بن عبد المطلب لا عقب له، و ابا لهب بن عبد المطلب و اسمه عبد العزى و يكنى ابا عتبة، كناه عبد المطلب ابا لهب لحسنه و جماله، و كان جوادا، و الغيداق بن عبد المطلب و اسمه مصعب .

و توفي عبد المطلب بمكة سنة ٥٧٩ م بعد ان عاش نحو من ثمانين عاما.

و ذكر ان وفاته كانت سنة تسع من عام الفيل و للنبي (ص) يومئذ ثمانى سنين، و قيل: بل توفي عبد المطلب و هو ابن ثلاث سنين .

بطون قريش

و قريش القبيلة الكبيرة فى مكة، تتألف من بطون أخرى كثيرة منها:

بنو أسد و هم ابناء اسد بن عبد العزى بن قصي، و هم حى كبير من قريش، و كانت تلبى بنى اسد فى الجاهلية إذا حجوا: (لييك اللهم لييك، يا رب أقبلت بنو أسد اهل التواني و الوفاء و الجلد، إلييك.) و يعتقد ان لا عقب لعبد العزى إلا من أسد . و من مشاهير هذه القبيلة فى الجاهلية عثمان بن الحويرث بن اسد بن عبد العزى، و ورقة بن نوفل بن أسد، و من مشاهيرها فى الاسلام السيدة الجليلة خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى، ام المؤمنين عليها السلام، و حكيم بن حزام بن خويلد بن اسد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٨٤

ابن عبد العزى، ابو خالد و هو ابن اخى السيدة خديجة عليها السلام، و كان من سادات قريش فى الجاهلية و الاسلام، و قد اسلم يوم الفتح، و كان من أصدقاء النبي (ص) و كان من المؤلفه و شهد حنين و أعطى من غنائمها مائة بعير ثم حسن اسلامه، قال الزبير: جاء الاسلام و فى يد حكيم ابن حزام الرفادة و كان يفعل المعروف و يصل الرحم، و قيل انه عاش مائة و عشرين سنة شطرها فى الجاهلية و شطرها فى الاسلام . و من المشهورين فى هذه القبيلة الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى و هو من المسلمين الأولين و شهد بدر و أحدا و قتل سنة ٣٦ هـ بوادى السباع على بعد سبعة فراسخ من البصرة.

بنو جمح

و بنو جمح، و هم اولاد جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، و كان له من الولد حذاق و سعد، و من بنى سعد بن جمح، ابو محذورة و قيل ان اسمه أوس بن معير بن لوزان بن ربيعة بن عريج بن سعد بن جمح،

مؤذن الرسول (ص).

واخوه انيس بن أنيس بن مغير، قتل يوم بدر كافرا، و من بنى حدافة ابن جمح، أمية بن خلف و أخوه أبي بن خلف، و كانا من المشركين، و كلدة بن أسيد بن خلف بن حدافة بن جمح، الذى انزل فيه (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) و جميل بن معمر بن حبيب بن وهب الذى انزل فيه (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) على احد الاقوال .

بنو تيم

و بنو تيم، و هم أبناء تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٨٥

ابن مالك بن النضر، و من مشاهير هذه القبيلة ابو بكر، عبد الله بن ابي قحافة عثمان بن عامر بن كعب، اول الخلفاء الراشدين و المتوفى سنة ١٣ هـ، و طلحة بن عبيد الله بن عثمان، و كان من رجال الشورى الذين عينهم الخليفة عمر بن الخطاب (رض)، و قتل فى معركة الجمل سنة ٣٦ هـ

بنو خزيمه

و بنو خزيمه، و هم ابنا خزيمه بن مدركة بن الياس، من مضر، و كنيته ابو اسد، و هو الذى نصب (هبل) على الكعبة، و كان يقال له: هبل خزيمه، و من ابناؤه، عضل بن الهون بن خزيمه بن مدركة، اختلط بنوه ببني اخ له اسمه «الديش» و سموا (القارة) لاجتماعهم و التفاهم، و يذكر القسطلانى: ان القارة بطن من الهون ينسبون الى الديش المذكور، و يعتقد البعض الآخر ان الهون، و عضل، و القارة، اخوة الهزيل، بينما يرى فريق آخر ان الهون، و عضل، حيان فى نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه و سلم . و هم على ما يظهر بنو زهرة فى الجاهلية . و من مشاهير هذه القبيلة عبد الرحمن بن عبد القارى، و هو من ولد القارة بن الديش، من التابعين الأجلاء فى المدينة و علمائهم، و كان على بيت المال للخليفة عمر بن الخطاب (رض)، و روى عن عمر بن الخطاب، و روى عنه عروة بن الزبير و حميد بن عبد الرحمن . و اشتهر بنو القارة بإجادة الرمي و فيهم المثل، و هو من رجز لأحدهم:- «قد انصف القارة من راماهما»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٨٦

و يورد ابو الفرج الأصفهاني، قصة و قد عضل، و القارة، و قدمهم على الرسول (ص) و غدرهم بعدد من الصحابة، قال ابو الفرج:- قدم على رسول الله (ص) بعد أحد رهط من عضل و القارة، فقالوا: يا رسول الله، ان فينا اسلاما و خيرا، فابعث معنا من اصحابك، يفقهونا فى الدين، و يقرئونا القرآن، و يعلمونا شرائع الاسلام، فبعث رسول الله (ص) معهم نفرا ستة من أصحابه: مرثد بن ابي مرثد الغنوى، حليف حمزة بن عبد المطلب، و خالد بن البكير، حليف بنى عدى بن كعب، و عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح اخا بنى عمرو بن عوف، و خبيب بن عدى اخا بنى جحجج بن كلفه بن عمرو بن عوف، و زيد بن الدثنة، اخا بنى بياضة بن عامر، و عبد الله بن طارق حليفا لبنى ظفر من بلي، و أمر رسول الله (ص) عليهم مرثد بن أبى مرثد، فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرجيع غدروا بهم و استصرخوا عليهم هذيانا فلم يرع القوم و هم فى رحالهم إلا بالرجال و فى ايديهم السيوف قد غشوه، فأخذوا اسيا فمهم ليقاتلوا القوم، فقالوا: إنا و الله ما نريد قتلكم و لكننا نريد ان نصيب بكم شيئا من اهل مكة، و لكم عهد الله و ميثاقه ألا نقتلكم.

فأما مرثد بن أبى مرثد، و خالد بن البكير، و عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح، فقالوا: إنا و الله لا نقبل من مشرك عهدا و لا عقدا ابدا. فقاتلوه حتى قتلوه جميعا. و اما زيد بن الدثنة و خبيب بن عدى، و عبد الله ابن طارق فلانوا و رقوا و رغبوا فى الحياة و أعطوا

بأيديهم، فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظهران، انتزع عبد الله بن طارق يده من القران، ثم أخذ سيفه و استأخر عن القوم،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٨٧

فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره بالظهران. اما خبيب بن عدى وزيد ابن الدثنة فقدموا بهما مكة فباعوهما .

بنو زهرة

و بنو زهرة، و هم ابناء زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى، و من مشاهير بنى زهرة، عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث الزهرى القرشى، من صحابة رسول الله (ص) و احد الستة اصحاب الشورى الذين عينهم عمر بن الخطاب (رض)، و كان اسمه قبل اسلامه (عبد الكعبة) و سماه رسول الله (ص) عبد الرحمن، و قيل كان اسمه (عبد عمرو) .

و من مشاهير بنى زهرة سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف الزهرى، و هو احد الستة الذين عينهم عمر بن الخطاب (رض) لمجلس الشورى، اسلم و هو ابن ١٧ سنة و شهد بدر، و قاد جيش المسلمين فى موقعة القادسية و التى انتصر فيها المسلمون انتصارا رائعا على الدولة الساسانية و فتحوا العراق، مات فى قصره بالعقيق و حمل الى المدينة و ذلك سنة خمس و خمسين للهجرة .

و من رجالات بنى زهرة المعروفين محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى، رأى عشرة من اصحاب النبى (ص) و روى عنه جماعة منهم مالك و ابن عيينة و الثورى . و يعتبر محمد بن مسلم اول من دون الحديث واحد اكابر الحفاظ و الفقهاء ، و نزل محمد بن مسلم الزهرى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٩٠

مدينة الشام و استقر بها، و حضرته الوفاة فى ضيعته المعروفة (شعب) و هى خلف وادى القرى و بها قبره .

بنو سهم

و بنو سهم، أولاد سهم بن عمرو بن هيص بن كعب بن لؤى، و من مشاهيرهم، العاص بن وائل بن هاشم السهمى، أدرك الاسلام و ظل على الشرك، و كان على رأس بنى سهم فى حرب الفجار، و كان من المستهزئين، و هو القائل لما مات القاسم ابن النبى (ص) ان محمدا ابتر لا- يعيش له ولد ذكر، فأنزل (ان شانتك هو الأبت). و من مشاهير بنى سهم، منبه بن الحجاج السهمى، و كان ادرك الاسلام و وقف مواقف عدائية للمسلمين، و هو نديم لطعيمة بن عدى بن نوفل من رؤساء قريش فى الجاهلية، و قد قتل الامام على بن ابي طالب، طعيمة بن عدى فى موقعة بدر، و قتل منبه بن الحجاج، ابو اليسر، اخو بنى سلمة فى تلك الوقعة ايضا.

و نبيه بن الحجاج بن عامر أخو منبه بن الحجاج، كان نديما للنضر بن الحارث، و قتل مشركا فى وقعة بدر، قتله حمزة بن عبد المطلب .

و من مشاهيرهم فى الاسلام، هشام بن العاص بن وائل بن هاشم، من المسلمين الأقدمين، و هاجر الى بلاد الحبشة فى الهجرة الثانية، ثم عاد الى مكة حين علم بهجرة الرسول (ص) الى المدينة، و قتل فى موقعة اجنادين .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٩١

و من بنى سهم عمرو بن العاص أخو هشام بن العاص و كان من المعارضين للرسول محمد (ص) و للمسلمين، و اسلم بعد معاهدة الحديبية، شارك فى فتوح الشام و ولاه الخليفة عمر بن الخطاب فلسطين ثم مصر، و عزله الخليفة عثمان بن عفان، و أيد عمرو بن العاص معاوية بن أبى سفيان ضد الامام على بن ابي طالب، و مات فى مصر سنة ٤٣ هـ.

بنو عدى

و بنو عدى، و هم ابناء عدى بن كعب بن مرة، و كان له من الولد رزاح و عويج، فمن بنى (رزاح) الخليفة عمر بن الخطاب (رض) و من بنى عويج، نعيم بن عبد الله المعروف بالنعحام .

و من مشاهير بنى عدى فى الجاهلية، زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، و كان مشهورا بالاتزان و الحكمة و سعة الصدر، و يعتبر نصيرا للمرأة فى الجاهلية، و إنه اعتزل عبادة الأوثان و امتنع من اكل ذبائحهم، و كان إذا خلص الى البيت استقبله ثم قال: - لبيك حقا حقا، تعبدا و رقا، البرّ ارجو لا الخال ، و هل مهجر كمن قال:

عدت بما عاذ به ابراهم مستقبل الكعبة و هو قائم

يقول انفى لك عان راغم مهما تجشمني فاني جاشم

و رحل الى الشام باحثا عن عبادات اهلها، فلم تستهوه اليهودية و لا المسيحية، و رجع الى مكة يعبد الله على دين ابراهيم، و جاهد بعداء الاوثان ،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٩٢

فتألب عليه جمع من قريش، فأخرجوه من مكة، فانصرف الى (حراء) فسلط عليه عمه الخطاب ابن نفيل جماعة من قريش منعه من دخول مكة فكان لا يدخلها إلا سرا، و كان يعارض فكرة وأد البنات، و لا يعلم بنت يراد وأدها إلا قصد أباه و كفاه مؤونتها، فيربها حتى إذا ترعرت عرضها على ابيها فان لم يأخذها بحث لها عن كفؤ فزوجها به . و توفى زيد قبل مبعث النبى (ص) بخمس سنين. و من بنى عدى الخليفة عمر بن الخطاب، و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، هاجر الى المدينة و شارك فى معظم الغزوات و كان من ذوى الرأى و البسالة، و شهد اليرموك، و ولاه القائد ابو عبيدة عامر بن الجراح، ولاية دمشق، و كانت وفاته فى المدينة سنة احدى و خمسين للهجرة .

بنو عبد شمس

و بنو عبد شمس، ابناء عبد شمس بن عبد مناف بن قصى كان له من الولد: أمية، و حبيب، و عبد أمية، و نوفل، و ربيعة، و عبد العزى و عبد الله . و عبد شمس من اصحاب الايلاف، و كان متجرا الى الحبشة ، و من اشهر اولاده امية الذى كانت له القيادة بعد وفاة ابيه ، و قد شارك امية بن عبد شمس مع عبد المطلب بن هاشم، و خويلد بن اسد فى وفد التهنته الذى اوفدته قريش الى سيف بن ذى يزن فى اليمن .

و من بنى عبد شمس، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس (ابو سفيان) و هو والد معاوية بن ابي سفيان، كان من اشد المشركين حربا للرسول و المسلمين، قاد جيوش قريش فى موقعة أحد سنة ٣ هـ و فى موقعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٩٣

الخدق سنة ٥ هـ، و اعلن اسلامه بعد فتح مكة سنة ٨ هـ، كما اسلم ولداه معاوية و يزيد فى السنة نفسها و هم جميعا من الطلقاء.

بنو عبد المطلب

و بنو عبد المطلب، اولاد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى، و هو من أشهر زعماء قريش فى الجاهلية، امتاز بالحلم و سعة الصدر، و فصاحة اللسان، و كانت له السقاية و الرفادة، و فى ايامه كانت محاولة الاحباش فى غزو مكة. مات بمكة سنة تسع من عام الفيل و للنبي (ص) يومئذ ثمان سنين على بعض الروايات.

و من اشهر اولاد عبد المطلب، (ابو طالب) عبد مناف بن عبد المطلب ابن هشام، عم النبي (ص) و كافلة و مربية و مناصره، كان من ابطال قريش و من الخطباء العقلاء الأباة، نشأ الرسول محمد (ص) في بيته، و دافع بقوة عن الرسول محمد في وقت كانت فيه قريش تتفنن في اذى الرسول و اضطهاد المسلمين و تحاول كل جهدها في القضاء على الفكرة الاسلامية. و من اولاده المشهورين، الامام على بن ابي طالب (ع) و جعفر شهيد معركة مؤتة، و عقيل، و قد امتاز عقيل بن ابي طالب بفصاحة اللسان، و انه من اعلم قريش بأيامها، و مآثرها، و مثالبها، و أنسابها، برز اسمه في الجاهلية و كان في قريش اربعة يتحاكم الناس إليهم في المناقرات: عقيل بن ابي طالب، و مخزوم بن نوفل، و حويطب بن عبد العزى، و عامر بن حذيفة، و الى عقيل ينتسب بنو عقيل.

و من اولاد عبد المطلب المشهورين بالشجاعة و الشهامة و بصدق الجهاد و مضاء العزيمة، حمزة بن عبد المطلب، ابو عماره، و قد علم يوما ان أبا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٩٤

جهل تعرض للنبي (ص) و نال منه، فقصدته حمزة بن عبد المطلب و ضربه، و قدم على الرسول (ص) و اظهر اسلامه، و هاجر مع الرسول و جاهد جهادا صادقا في موقعة بدر، و كان شعار حمزة في الحرب ريشة نعامة يضعها على صدره، و في بدر انتصر على عدو الاسلام شيبه بن ربيعة و قتله، و شارك في قتل عتبة بن ربيعة و قتل طعيمة بن عدى، و شارك في معركة أحد و استشهد فيها.

و العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، من الشخصيات البارزة في بيت عبد المطلب خاصة و قريش عامة، و إليه ينتسب الخلفاء العباسيون، كان ممن حضر بيعة العقبة مع الانصار قبل اسلامه، و شهد بدرا مع المسلمين مكرها فافتدى نفسه و افتدى ابن اخيه عقيل بن ابي طالب، و يقال انه اسلم و كتم اسلامه و صار يكتب الى الرسول (ص) بالاخبار ثم هاجر قبل الفتح بقليل و شهد الفتح و ثبت يوم حنين، مات بالمدينة سنة اثنتين و ثلاثين للهجرة. و من اشهر اولاده (عبد الله) و يعرف (حبر الأمة) و نشأ في بدء عصر النبوة و كان ممن لازم الرسول (ص) و روى عنه الاحاديث الصحيحة. ولد في شعب بنى هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، و قد امتاز عبد الله بن العباس بطلب العلم و تعليم الناس و تفتيهم في امور دينهم، و شهد عبد الله بن العباس الجمل، و صفين، و النهروان، مع الامام على بن ابي طالب (ع)، و كان عاملا على البصرة في خلافة الامام على (ع). و توفي ابن عباس سنة ثمان و ستين للهجرة بالطائف و صلى عليه محمد بن الحنفية، و كبر عليه اربعا و قال: «اليوم مات رباني هذه الأمة» و ضرب على قبره فسظا. و كان عبد الله بن عباس قد عمى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٩٥

آخر عمره، و قال له يوما معاوية بن ابي سفيان: ما بالكم تصابون في ابصاركم يا بنى هاشم؟ فقال له: كما تصابون في بصائركم يا بنى أمية.

و من اولاد عبد المطلب (ابو لهب) عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم و هو يعد من الشخصيات الكبيرة في العصر الجاهلي كما كان من اشد المشركين اذى للرسول محمد و لأصحابه، و فيه نزل قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ، وَ تَبَّ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)، و كان من المستهزئين بالرسول و المسلمين، عظيم التكذيب له دائم الأذى، فكان يطرح العذرة و التتن على باب النبي (ص) و كان جاره، فكان رسول الله (ص) يقول:

أى جوار هذا يا بنى عبد المطلب، فرآه يوما حمزة فأخذ العذرة و طرحها على رأس أبي لهب، فجعل ينفذه عن رأسه و يقول: صاحبى احمق، و اقصر عما كان يفعله لكنه يضع من يفعل ذلك. و مات ابو لهب بمكة عند وصول الخبر بانهزام المشركين ببدر بمرض يعرف بالعدسة.

و عبد الله، هو اصغر اولاد عبد المطلب بن هاشم، ابو قثم، الملقب بالذبيح والد رسول الله محمد (ص) و كان ابوه قد نذر لئن ولد له عشرة ابناء و شبوا في حياته لينحرن احدهم عند الكعبة، فشب له عشرة، فذهب بهم الى هبل، فضربت القداح بينهم، فخرجت على عبد

اللّه، و كان أحبهم إليه ففداه بمئة من الابل، فكان يعرف بالذبيح. و زوجته آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، و كان عبد الله يمتهن التجارة، و خرج عبد الله بن عبد المطلب الى الشام في قافلة من قوافل قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا، فمرو بالمدينة و عبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض، فقال انا اتخلف عن (١) المرجع السابق: ص ١٨٢.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٩٦

اخوالى بنى عدى بن النجار، فأقام عندهم مريضا شهرا، و مضى أصحابه، فقدموا مكة، فسألهم عبد المطلب عن عبد الله فقالوا:- خلفناه عند اخواله بنى عدى بن النجار و هو مريض، فبعث إليه عبد المطلب اكبر ولده الحارث فوجده قد توفى، و دفن في دار النابغة. و كان لعبد الله يوم توفى خمس و عشرون سنة، و رسول الله (ص) يومئذ حمل .

بنو عامر

و بنو عامر، و هم اولاد عامر بن لؤى بن غالب من قريش، كان له من الولد، حسل و بغيض، فمن بنى حسل سهيل بن عمرو، و سهيل خطيب قريش واحد سادتها في الجاهلية، اسره المسلمون في معركة بدر و افتدى، و قد أوفدته قريش لمفاوضة محمد (ص) و ابرام صلح معه، ذلك الذى عرف في التاريخ بصلح الحديبية، في السنة السادسة من الهجرة النبوية، و أسلم يوم الفتح في السنة الثامنة، مات بالطاعون في الشام سنة ثمان عشرة للهجرة، و ذكر ان سهيل بن عمرو كان عند البيت الحرام لما فتح الرسول محمد (ص) مكة و دخل البيت ثم خرج فوضع يده على عضادتي الباب فقال: ماذا تقولون؟. فقال سهيل بن عمرو: نقول خيرا و نظن خيرا، أخ كريم و ابن اخ كريم. و يروى ايضا ان عمر بن الخطاب قال للنبي (ص) دعنى انزع ثنيتى سهيل بن عمرو فلا يقوم علينا خطيبا، فقال: «دعها فلعلها أن تسرك يوما» فلما مات النبي (ص)، قام سهيل ابن عمرو، فقال: من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات و من كان يعبد الله فان الله حى لا يموت.

و من بنى عامر، عمرو بن عبد ودّ، كان فارس قريش الكبير،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٩٧

خرج يتقدم صفوف قريش الى قتال المسلمين في معركة الخندق سنة خمس للهجرة، و تقدم الى صفوف المسلمين متحديا و طالبا البراز، فخرج إليه بطل الاسلام الكبير الامام على بن أبى طالب (ع) و انتصر عليه و صرعه، و كان لانتصار الامام على الأثر الكبير في كسب انتصار موقعة الخندق لصالح المسلمين.

و من بنى عامر، عمرو بن أم مكتوم، و كان عمرو و هو مؤذن الرسول (ص) و امه أم مكتوم اسمها عاتكة بنت عبد الله بن عاتكة بن عامر بن مخزوم، و هو ابن خال خديجة أم المؤمنين، و كان ممن قدم المدينة مع مصعب بن عمير قبل رسول الله (ص)، و استخلفه الرسول (ص) على المدينة في غزواته ثلاث عشرة مرة، و استخلفه في خروجه الى حجة الوداع و شهد القادسية و معه اللواء و قتل بها شهيدا، و قال الواقدي: رجع الى المدينة و مات بها سنة خمس عشرة. و ابن ام مكتوم هو المذكور في سورة (عبس و تولى) و نزلت فيه (غير اولى الضرر) لما نزلت (لا يستوى القاعدون).

و اختلف في اسمه، فأهل المدينة يقولون اسمه عبد الله، و اما اهل العراق فيقولون عمرو .

و من بنى عامر، عبد الله بن سهيل بن عمرو، و هو من الذين هاجروا الى الحبشة، و يروى ان والده سهيل بن عمرو أخذه بعد ان رجع من الحبشة ففتنه عن دينه فأظهر الرجوع و خرج مع قريش الى بدر، ففر الى المسلمين و كان احد الشهداء بعد ذلك في صلح الحديبية، و دخل مع المسلمين يوم فتح مكة، و هو الذى اخذ الأمان لأبيه، و شارك عبد الله بن سهيل مع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٩٨

المسلمين في حروب الردة، و استشهد في معركة اليمامة .

و من الطريف ان من بنى عامر، عبد الله بن مخزومه بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن عامر بن لؤى القرشى العامرى، كان ممن هاجر الى الحبشة و استشهد هو الآخر فى معركة اليمامة .
و من بنى عامر، من هاجر الى الحبشة و شارك فى معركة بدر و استشهد فى معركة اليمامة، سليط بن عمرو بن عبد شمس العامرى .
و من بنى عامر، ابو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى العامرى، من المسلمين الأولين، و هاجر إلى الحبشة و معه أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، و عاد الى المدينة و شهد بدرا، و أقام بمكة بعد وفاة الرسول (ص) الى ان مات فى خلافة عثمان بن عفان، و لا يعلم احد من اهل بدر رجح الى مكة غيره .

بنو مخزوم

و من قبائل قريش المشهورة، بنو مخزوم، اولاد مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب، و كان له من الولد عمرو و عمران و عامر و من مشاهير بنى مخزوم فى الجاهلية هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومى، و كانت قريش و كنانة و من والاهم يؤرخون بثلاث حوادث:

بناء الكعبة، و عام الفيل، و بموت هشام، و هو قريب عهد من البعثة النبوية، و صار ولده (الحارث) من الصحابة، و شهد معركة بدر مع المشركين و كان فيمن انهزم ، و اسلم يوم فتح مكة، و خرج الى الجهاد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٩٩

فى فتوح الشام، و مات فى طاعون عمواس سنة ١٨ هـ ، و هو اخو أبى جهل .

و من بنى مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، من قضاة العرب فى الجاهلية و من زعماء قريش، و كان على جانب كبير من الثراء، و كانت قريش جميعها تكسو البيت جميعها، و الوليد يكسوه وحده ، و عند ما بدأت قريش فى تهديم الكعبة بقصد بنائها، كان الوليد بن المغيرة المخزومى أول من ضرب فيها بمعول . و ادرك الاسلام و اعلن حربه الشديدة على المسلمين، و قاوم الدعوة مقاومة عنيفة. و كان يقول:

أينزل على محمد و أترك، و أنا لبيب قريش و سيدها، و يترك ابو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سيد ثقيف، و نحن عظيم القريتين .
فأنزل الله تعالى فيه (وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ. أَ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) الى قوله تعالى :- (خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) . و مات الوليد بن المغيرة بعد الهجرة النبوية بثلاثة اشهر .

و منهم الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، و هو أخو خالد بن الوليد، ادرك الاسلام و لكنه ظل على وثنيته، و حارب المسلمين فى موقعة بدر فأسره المسلمون، فافتداه اخواه هشام و خالد، فلما افتدى اسلم و عاتبوه فى ذلك، فقال: ما كنت لأسلم حتى أفتدى، و لا تقول قريش إنما اتبع محمدا فرارا من الفداء، و حبسه اخواه ثم أفلت من أسرهم و لحق بالنبي (ص) و مات بالمدينة فى حدود السنة السابعة للهجرة و من مشاهير بنى مخزوم، عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومى المعروف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٠٠

بأبى جهل، و كان اشد الناس عداوة للنبي (ص) و أكثرهم اذى له و لا صحابه و من جرائمه فى حق المسلمين انه قتل السيدة الجليلة سمية ام عمار بن ياسر، و كانت قريش تهابه و تقدمه، فقد سؤدته و لم يطر شاربه و ادخلته دار الندوة مع الكهول .

و اورد ابن هشام قصة استماع أبى سفيان و أبى جهل و الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى، حليف بن زهرة، للرسول (ص) و هو يصلى من الليل فى بيته، فسأل الأحنس بن شريق أبى جهل عن رأيه فيما سمعه من محمد (ص)؟ فقال ابو جهل: ماذا سمعت، تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، و حملوا فأحملنا، و أعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاذينا على الركب، و كنا كفرسى رهان، قالوا:

منا نبى يأتيه الوحى من السماء، فمتى ندرك مثل هذه، و الله لا تؤمن به أبدا، و لا نصدقه .

و خرج ابو جهل مع المشركين الى قتال المسلمين فى السنة الثانية للهجرة حيث وقعت معركة بدر الخالدة و التى انتصر فيها المسلمون انتصارهم الرائع و هلك فيها كبار مشركى مكة و فى مقدمتهم ابو جهل، قتله معوذ ابن عفراء و عبد الله بن مسعود ، و بذلك يكون المسلمون قد تخلصوا من عدو لدود لهم.

و من شخصيات بنى مخزوم، الاسود بن عبد الأسد المخزومى و كان رجلا شرسا سىء الخلق، و من كبار مشركى مكة، خرج لقتال المسلمين فى بدر و وقف امام المشركين يقول: أعاهد الله لأشربن من حرضهم، او لأهدمنه، او لأموتن دونه، فلما خرج، خرج اليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٠١

و هو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو اصحابه، ثم حبا الى الحوض، حتى اقتحم فيه، يريد ان يبرّ يمينه، و أتبعه حمزة فضربه، حتى قتله فى الحوض .

و من بنى مخزوم، خالد بن الوليد بن المغيرة، و كان من المشركين المعادين للاسلام و المسلمين، و قاتل المسلمين فى عدة مواقع و كان الذى يقود ميمنة قريش فى معركة أحد ، و كان يتربص بالرماة الذين وضعهم الرسول (ص) على جبل أحد، و تمكن من السيطرة على الجبل و قتله المسلمين. و أسلم خالد بن الوليد قبل فتح مكة بقليل، فقد ورد عن عمرو بن العاص قوله: ثم خرجت الى رسول الله صلى الله عليه و سلم، لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، و ذلك قبيل الفتح، و هو مقبل من مكة . و يؤيد هذا القول ما جاء فى كتاب الاصابة، من ان خالد ابن الوليد أسلم فى سنة سبع بعد موقعة خيبر و قيل قبلها ، و ساهم خالد فى الجهاد و شارك فى معركة مؤتة، و حارب المرتدين فى اليمامة، و أمره الخليفة ابو بكر بالتوجه الى فتح العراق، كما شارك فى فتوح الشام، و عزله الخليفة عمر بن الخطاب حين تولى الخلافة سنة ١٣ هـ . و مات بحمص سنة ٢١ هـ .

بنو الحارث

و بنو الحارث، بطن من قريش و هم ابناء الحارث بن فهر بن مالك ابن النضر، و كان للحارث هذا من الولد ضبة و ضرب و الخلج . و من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٠٢

مشاهيرهم، ابو عبيدة عامر بن الجراح ابن هلال بن أهيب بن صبة بن الحارث، من الصحابة الكرام، و كان اسلامه هو و عثمان بن مظعون و عبيدة بن الحارث بن المطلب و عبد الرحمن بن عوف و ابو سلمة بن عبد الأسد فى ساعة واحدة، و ذلك قبل دخول النبى دار الارقم بن ابى الأرقم . و شهد معظم الغزوات الاسلامية، و قيل انه قتل اباه فى موقعة بدر ، و كان احد قادة فتوح الشام ز من الخليفة ابى بكر (ر ض) ، و ان عمر بن الخطاب اول ما تولى الخلافة أمر بعزل خالد بن الوليد و تولية ابى عبيدة عامر بن الجراح القيادة العامة . و توفى بطاعون عمواس سنة ثمان عشرة للهجرة و هو ابن ثمان و خمسين سنة .

تلك جولة عامة فى تاريخ القبائل العربية التى استوطنت مكة منذ اقدم العصور و حتى انبثاق فجر الاسلام.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٠٣

مكة فى أشهر الرحلات العربية

كتبه الدكتور صفاء خلوصى دكتوراه من جامعة لندن و الأستاذ بكلية التربية من جامعة بغداد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٠٥

مكة في رحلة ابن جبير

لم يأل الرحالة العرب جهدا في الاهتمام بالعتبات المقدسة و لا سيما مكة و المدينة و كربلاء و النجف و الكاظمين، و على رغم أهمية ما ورد من معلومات حولها جميعا فاننا سنخص بالذكر في هذا الفصل مكة و الكاظمين فحسب تاركين عداهما لكتاب آخر أو مناسبات أخرى، و لنبدأ بمكة في رحلة ابن جبير الاندلسي البلسي (ت ٥٣٩ هـ - ١١٤٤ م - ٦١٤ هـ - ١٢١٧ م) يقول في باب «عدل صلاح الدين»:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٠٦

و من مفاخر هذا السلطان المزلفه من الله تعالى و آثاره التي ابقاها ذكرا جميلا للدين و الدنيا: ازالته رسم المكس المضروب و وظيفة على الحجاج مدة دولة العبيدين، فكان الحجاج يلاقون من الضغط في استيائها عنتا مجحفا و يسامون فيها خطه خسف باهظة، و ربما ورد منهم من لا- فضل لديه على نفقته او لا نفقه عنده فيلزم اداء الضريبة المعلومة، و كانت سبعة دنانير و نصف دينار من الدنانير المصرية التي هي خمسة عشر دينارا مؤمنية على كل رأس، و يعجز عن ذلك، فيتناول بأليم العذاب بعيداب؛ فكانت كاسمها مفتوحة العين، و ربما اخترع له من انواع العذاب التعليق من الانثيين او غير ذلك من الامور الشنيعة، نعوذ بالله من سوء قدره؛ و كان بحده امثال هذا التنكيل و اضعافه لمن لم يؤد مكسه بعيداب و وصل اسمه غير معلم عليه علامة الأداء، فمحا هذا السلطان هذا الرسم اللعين و دفع عوضا منه ما يقوم مقامه من اطعمة و سواها؛ و عين مجبى موضع معين بأسره لذلك و تكفل بتوصيل جميع ذلك الى الحجاز، لأن الرسم المذكور كان باسم ميرة مكة و المدينة عمرهما الله، فعوض من ذلك اجمل عوض، و سهل السبيل للحجاج و كانت في حيز الانقطاع و عدم الاستطلاع، و كفى الله المؤمنين على يدى هذا السلطان العادل حادثا عظيما و خطبا أليما.

و تحت عنوان: «ذكر ما استدرك خبره مما كان أغفل» يقول (ص ٣٤):

أنا لما حللنا الاسكندرية في الشهر المؤرخ اولا عاينا مجتمعا من الناس عظيما بروزا لمعاينة اسرى من الروم أدخلوا البلد راكبين على الجمال و وجوههم الى اذناها و حولهم الطبول و الأبواق، فسألنا عن قصتهم فأخبرنا بأمر تنفطر له الأكباد اشفاقا و جزعا؛ و ذلك ان جملة من نصارى الشام اجتمعوا و أنشأوا مراكب في اقرب المواضع التي لهم من بحر القلزم (اي البحر الأحمر)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٠٧

ثم حملوا انقاضها على جمال العرب المجاورين لهم بكراء اتفقوا معهم عليه، فلما حصلوا بساحل البحر سمروا مراكبهم و اكملوا انشاءها و تأليفها و دفعوها في البحر و ركبوها قاطعين بالحجاج و انتهوا الى بحر النعم فأحرقوا فيه نحو ستة عشر مركبا، و انتهوا الى عيداب فأخذوا فيها مركبا كان يأتي بالحجاج من جدّة، و اخذوا ايضا في البحر قافلة كبيرة تأتي من قوص الى عيداب، و قتلوا الجميع و لم يحيا احدا، و اخذوا مركبين كانا مقبلين بتجار من اليمن، و احرقوا اطعمة كثيرة على ذلك الساحل كانت معدة لميرة مكة و المدينة اعز هما الله، و احدثوا حوادث شنيعة لم يسمع مثلها في الاسلام و لا انتهى رومي الى ذلك الموضوع قط.

و يذكر في الفصل الخاص ب «صفة جدّة» ما يلي (ص ٥٣):

و جدّة هذه قرية على ساحل البحر المذكور اكثر بيوتها اخصاص و فيها فنادق مبنية بالحجارة و الطين و فى اعلاها بيوت من الاخصاص كالغرف و لها سطوح يستراح فيها بالليل من اذى الحر، و بهذه القرية آثار قديمة تدل على انها كانت مدينة قديمة، و اثر سورها المحدق بها باق الى اليوم؛ و بها موضع فيه قبة مشيدة عتيقة يذكر انه كان منزل حواء ام البشر، صلى الله عليها، عند توجهها الى مكة، فبنى ذلك المبنى عليه تشهيرا لبركته و فضله، و الله اعلم بذلك.

و في صدد رحلته «من جدّة الى الحرم الشريف» يذكر مكة بقوله:

«و في عشى يوم الثلاثاء الحادى عشر من الشهر المذكور، و هو الثانى من شهر أغسطس، (اغسطس)، كان انفصالنا من جدّة بعد ان ضمن الحجاج بعضهم بعضا، و ثبتت اسماؤهم فى زمام عند قائد جدّة على ابن موقّ، حسبما نفذ اليه ذلك من سلطانه صاحب مكة مكثّر بن عيسى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٠٨

المذكور، و هذا الرجل مكثّر من ذرية الحسن بن على، رضوان الله عليهما.

لكنه ممن يعمل غير صالح، فليس من اهل سلفه الكريم، رضى الله عنهم .

و دخلنا مكة، حرسها الله، فى الساعة الأولى من يوم الخميس الثالث عشر لربيع المذكور، و هو الرابع من شهر أغسطس، على باب العمرة، و كان اسراؤنا تلك الليلة المذكورة، و البدر قد ألقى على البسيطة شعاعه، و الليل قد كشف عنا قناعه و الأصوات تصك الآذان بالتلبية من كل مكان، و الألسنة تضج بالدعاء و تبتهل الى الله بالثناء، فتارة تشتد بالتلبية، و آونة تتضرع بالأدعية، فيا لها ليلة كانت فى الحسن بيضة العقر، فهى عروس ليالى العمر، و بكر بتيات الدهر، الى ان وصلنا فى الساعة المذكورة من اليوم المذكور، حرم الله العظيم و ميوأ الخليل ابراهيم، فألفينا الكعبة الحرام عروسا مجلوة مرفوفة الى جنه الرضوان محفوفة بوفود الرحمن، فطفنا طواف القدوم، ثم صلينا بالمقام الكريم، و تعلقنا بأستار الكعبة عند الملتزم، و هو بين الحجر الأسود و الباب، و هو موضع استجابة الدعوة، و دخلنا قبة زمزم و شربنا من مائها، و هو لما شرب له، كما قال، صلى الله عليه و سلم، ثم سعينا بين الصفا و المروة، ثم حلقتنا و احللنا، فالحمد لله الذى كرمنا بالوفادة عليه و جعلنا ممن انتهت الدعوة الابراهيمية اليه ، و هو حسبنا و نعم الوكيل .

شهر جمادى الاولى، عزفنا الله بركته

استهل هلاله ليلة الاثنين الثانى و العشرين لأغشت، و قد كمل لنا بمكة، شرفها الله تعالى، ثمانية عشر يوما، فهلال هذا الشهر اسعد هلال اجلته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٠٩

ابصارنا فيما سلف من اعمارنا .

ذكر المسجد الحرام و البيت العتيق، كرمه الله و شرفه

و من آيات البيت العتيق انه قائم وسط الحرم كالبرج المشيد و له التنزيه الأعلى، و حمام الحرم لا تحصى كثرة، و هى من الأمن بحيث يضرب بها المثل، و لا سبيل ان تنزل بسطحه الأعلى حمامة و لا تحل فيه بوجه و لا على حال فترى الحمام يتجلى على الحرم كله، فاذا قربت من البيت عزجت عنه يمينا أو شمالا و الطيور سواها كذلك، و قرأت فى اخبار مكة انه لا ينزل عليه طائر الا عند مرض يصيبه فاما ان يموت لحينه او يبرأ فسبحان من أورثه التشريف و التكريم .

و من آياته ان بابه الكريم يفتح فى الأيام المعلومة المذكورة، و الحرم قد غص بالخلق، فيدخله الجميع و لا يضيق عنهم بقدره الله، عز و جل، و لا يبقى فيه موضع الا و يصلى فيه كل احد؛ و يتلاقى الناس عند الخروج منه؛ فيسأل بعضهم بعضا: هل دخل البيت ذلك اليوم؟ فكل يقول:

دخلت و صليت فى موضع كذا و موضع كذا حيث صلى الجميع؛ و لله الآيات البينات و البراهين المعجزات، سبحانه و تعالى.

و من عجائب اعتناء الله تبارك و تعالى به أنه لا يخلو من الطائفين ساعة من النهار و لا وقتا من الليل؛ فلا تجد من يخبر انه رآه دون طائف به، فسبحان من كرمه و عظّمه و خلّد له التشريف الى يوم القيامة.

و في القبة العباسية ... خزانه تحتوي على تابوت مبسوط متسع و فيه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١١٠

و بازاء الحرم الشريف ديار كثيرة لها أبواب على الحرم مصحف احد الخلفاء الأربعة اصحاب رسول الله (ص) و بخط يد زيد بن ثابت (رض) منتسخ سنة ثمانى عشرة من وفاة رسول الله (ص) و ينقص منه ورقات كثيرة، و هو بين دفتى عود مجلد بمغاليق من صفر، كبير الورقات و اسعها، عايناه و تبركنا بتقييله و مسح الخدود فيه. نفع الله بالنيه في ذلك.

و اعلمنا صاحب القبة المتولى لعرضه علينا: ان اهل مكة متى أصابهم قحط او نالتهم شدة في اسعارهم اخرجوا المصحف المذكور و فتحوا باب البيت الكريم و وضعوه في العتبة المباركة مع المقام الكريم: مقام الخليل ابراهيم، صلى الله على نبينا و عليه، و اجتمع الناس كاشفين رؤوسهم داعين متضرعين، بالمصحف الكريم و المقام العظيم الى الله متوسلين، فلا ينفصلون عن مقامهم ذلك الا و رحمة الله عز و جل قد تداركتهم و الله لطيف بعباده، لا إله سواه.

و بازاء الحرم الشريف ديار كثيرة لها ابواب يخرج منها اليه. و ناهيك بهذا الجوار الكريم! كدار زبيدة و دار القاضى و دار تعرف بالعجلة و سواها من الديار، و حول الحرم ايضا ديار كثيرة تطيف بكلها مناظر و سطوح يخرج منها الى سطح الحرم فبييت اهلها فيه و يبدون ماءهم فى اعالي شرفاته، فهم من النظر الى البيت العتيق دائما فى عبادة متصلة، و الله يهنئهم ما خصهم به من مجاورة بيته الحرام بمنه و كرمه.

و الفيت بخط الفقيه الزاهد الورع ابي جعفر الفنكى القرطبي: ان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١١١

ذرع المسجد الحرام فى الطول و العرض ما اثبتته اولاً، و طول مسجد رسول الله (ص) ثلاثمائة ذراع، و عرضه مئتان، و عدد سواعديه ثلاثمائة، و مناراته ثلاث، فيكون تكسيه اربعة و عشرين مرجعا من المراجع المغربية، و هى خمسون ذراعا فى مثلها، و طول مسجد بيت المقدس، اعاده الله للاسلام، سبعمائة و ثمانون ذراعا، و عرضه اربعمائة و خمسون ذراعا و سواريه اربعمائة و اربع عشرة سارية، و قناديله خمسمائة و ابوابه خمسون بابا، فيكون تكسيه من المراجع المذكورة مائة مرجع و اربعين مرجعا و خمسى مرجع .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١١٢

ذكر مكة شرفها الله تعالى و آثارها الكريمة، و أخبارها الشريفة

هى بلدة قد وضعها الله عز و جل بين جبال محدة بها، و هى بطن واد مقدس، كبيرة مستطيلة، تسع من الخلائق ما لا يحصيه الا الله عز و جل.

و لها ثلاثة ابواب: اولها باب المعلى، و منه يخرج الى الجبانة المباركة، و هى بالموضع الذى يعرف بالحجون، و عن يسار المار اليها جبل فى اعلاه ثنية عليها علم شبيه بالبرج، يخرج منها الى طريق العمرة، و تلك الثنية تعرف بكداء، و هى التى عنى حسان بقوله فى شعره (من الوافر):

تثير النقع موعدها كداء فقال النبى (ص) يوم الفتح: ادخلوا من حيث قال حسان، فدخلوا من تلك الثنية، و هذا الموضع الذى يعرف بالحجون هو الذى عناه الحارث ابن مضاى الجهمى بقوله (من الطويل):

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس و لم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا اهلها فأبادنا صروف الليالى و الجدود العوارث

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١١٣

و بالجبانة المذكورة مدفن جماعة من الصحابة و التابعين و الاولياء و الصالحين قد دثرت مشاهدتهم المباركة و ذهبت عن اهل البلد

اسماؤهم وفيه الموضع الذي صلب فيه الحجاج بن يوسف، جازاه الله، جثه عبد الله ابن الزبير، رضى الله عنهما؛ وعلى الموضع بقية علم ظاهر الى اليوم، وكان عليه مبنى مرتفع، فهدمه أهل الطائف غيرة منهم على ما كان يجدد من لعنة صاحبهم الحجاج المذكور؛ وعن يمينك اذا استقبلت الجبانة المذكورة مسجد في مسيل بين جبلين، يقال انه المسجد الذي بايعت فيه الجن النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم.

وعلى هذا الباب المذكور طريق الطائف، وطريق العراق والصعود الى عرفات، جعلنا الله ممن يفوز بالموقف فيها، وهذا الباب المذكور بين الشرق والشمال، وهى الى المشرق أميل.

ثم باب المسفل: وهو الى جهة الجنوب، وعليه طريق اليمن، ومنه كان دخول خالد بن الوليد يوم الفتح.

ثم باب الزاهر ويعرف ايضا باب العمرة، وهو غربى، وعليه طريق مدينة الرسول (ص) وطريق الشام وطريق جدّة، ومنه يتوجه الى التنعيم وهو اقرب ميقات المعتمرين، يخرج من الحرم اليه على باب العمرة، ولذلك ايضا يسمى هو بهذا الاسم. والتنعيم من البلدة على فرسخ، وهو طريق حسن فسيح، فيه الآبار العذبة التى تسمى بالشبيكة.

وعندما تخرج من البلدة بنحو ميل تلقى مسجدا بازائه حجر موضوع على الطريق كالمصطبة يعلوه حجر آخر مسند فيه نقش دائر الرسم يقال انه الموضع الذى قعد فيه النبي (ص) مستريحا عند مجيئه من العمرة فيتبرك الناس بتقبيله ومسح الخدود فيه ... ثم بعد هذا الموضع بمقدار غلوة تلقى على قارعة الطريق من جهة اليسار للمتوجه الى العمرة قبرين قد علتها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١١٤

اكوام من الصخر عظام يقال انها قبرا ابى لهب وامراته، لعنهما الله، فما زال الناس فى القديم الى هلم جرا يتخذون سنة رجمهما بالحجارة حتى علاهما من ذلك جبلان عظيمان .

ثم تسير فيهما بمقدار ميل وتلقى الزاهر، وهو مبنى على جانبى الطريق، يحتوى على دار و بساتين، والجميع ملك احد المكيين وفى الموضع بئر عذبة.

وعن جانبى الطريق فى هذا الموضع جبال اربعة: جبلان من هنا، وجبلان من هنا، عليها اعلام من الحجارة، وذكر لنا انها الجبال المباركة التى جعل ابراهيم (ع) عليها اجزاء الطير ثم دعاهن حسبما حكى الله، عز وجل، سؤاله اياه جل وتعالى ان يريه كيف يحيى الموتى؛ وحول تلك الجبال الأربعة جبال غيرها، وقيل: ان التى جعل ابراهيم عليها الطير سبعة منها، والله اعلم.

وعند اجازتك الزاهر المذكور تمر بالوادى المعروف بذى طوى الذى ذكر ان النبي (ص) نزل فيه عند دخوله مكة وحوله آبار تعرف بالشبيكة، وفيه مسجد يقال انه مسجد ابراهيم (ع) فتأمل بركة هذا الطريق ومجموع الآيات التى فيه والآثار المقدسة التى اكتنته.

وتجيز الوادى الى مضيق تخرج منه الى الاعلام التى وضعت حجزا بين الجبل والحرام، فما داخلها الى مكة حرم وما خارجها حل، وهى كالأبراج مصفوفة كبار وصغار واحد بازاء الآخر، وعلى مقربة منه تأخذ من اعلى الجبل الذى يعترض عن يمين الطريق فى التوجه الى العمرة، وتشق الطريق الى اعلى الجبل عن يساره، ومنه ميقات المعتمرين وفيها مساجد مبنية بالحجارة يصلى المعتمرون فيها ويحرمون منها.

ومن عجيب ما عرض علينا باب بنى شيبه المذكور عتب من الحجارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١١٥

العظام طوال كأنها مصاطب صفت امام الابواب الثلاثة المنسوبة لبنى شيبه، ذكر لنا انها الأصنام التى كانت قريش تعبدها فى جاهليتها، وكبيرها هبل بينها، قد كتبت على وجوهها، تطؤها الأقدام وتمتتها بأغلقتها العوام؛ ولم تغن عن انفسها فضلا عن عابديها شيئا فسبحان المنفرد بالوحدانية لا اله سواه؛ والصحيح فى امر تلك الحجارة ان النبي (ص) امر يوم فتح مكة بكسر الاصنام و احراقها، و

هذا الذي نقل الينا غير صحيح و انما تلك التي على الباب حجارة منقولة و عنى القوم بتشبيها الى الاصنام لعظمتها. و من جبال مكة المشهورة، بعد جبل ابي قبيس، جبل حراء، و هو فى الشرق على مقدار فرسخ او نحوه مشرف على منى، و هو مرتفع فى الهواء على القنة، و هو جبل مبارك، كان النبى (ص) كثيرا ما ينتابه و يتعبد فيه، و اهتز تحته فقال له النبى (ص): «اسكن حراء، فما عليك الا نبى و صديق و شهيد» و اول آية نزلت من القرآن على النبى (ص) فى الجبل المذكور و هو آخذ من الغرب الى الشمال، و وراء طرفه الشمالى جبانة الحجون ... و سور مكة انما كان من جهة المعلى و هو مدخل الى البلد، و من جهة المسفل و هو مدخل ايضا اليه؛ و من جهة باب العمرة و سائر الجوانب جبال لا يحتاج معها الى سور؛ و سورها اليوم منهدم إلا آثاره الباقية و ابوابه القائمة.

ذكر بعض مشاهدتها المعظمة و آثارها المقدسة

مكة، شرفها الله، كلها مشهد كريم، كفاها شرفا ما خصها الله به من مثابة بيته العظيم و ما سبق لها من دعوة الخليل ابراهيم و انها حرم الله و امنه، و كفاها انها منشأ النبى (ص) الذى آثره الله بالتشريف و التكريم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١١٦

و ابتعته بالآيات و الذكر الحكيم، فهى مبدأ نزول الوحي و التنزيل و اول مهبط الروح الامين جبريل، و كانت مثابة انبياء الله و رسله الاكرمين، و هى ايضا مسقط رؤوس جماعة من الصحابة القرشيين المهاجرين الذين جعلهم الله مصايح الذين و نجوما للمهتدين. فمن مشاهدتها التى عايناها قديماً الوحي، و هى فى دار خديجة ام المؤمنين (رض)، و بها كان ابتداء النبى (ص) بها، و قبة صغيرة ايضا فى الدار المذكورة فيها كان مولد فاطمة الزهراء (ع)، و فيها ايضا ولدت سيدى شباب اهل الجنة: الحسن و الحسين (ع) و هذه المواضع المقدسة المذكورة مغلقة مصونة قد بنيت بناء يليق بمثلها.

و من مشاهدتها الكريمة ايضا مولد النبى (ص) و التربة الطاهرة التى هى اول تربة مست جسمه الطاهر، بنى عليها مسجد لم ير احفل بناء منه، اكثره ذهب منزل به، و الموضع المقدس الذى سقط فيه، صلى الله عليه و سلم، ساعة الولادة السعيدة المباركة التى جعلها الله رحمة للأمة اجمعين، محفوف بالفضة؛ فيا لها تربة شرفها الله بأن جعلها مسقط اطهر الأجسام و مولد خير الانام، صلى الله عليه و على آله و اهله و اصحابه الكرام و سلم تسليمًا؛ يفتح هذا الموضع المبارك فيدخله الناس كافة متبركين به فى شهر ربيع الأول و يوم الاثنين منه، لأنه كان شهر مولد النبى (ص) و فى اليوم المذكور ولد (ص)، و تفتح المواضع المقدسة المذكورة كلها و هو يوم مشهور بمكة دائما.

و من مشاهدتها الكريمة ايضا دار الخيزران، و هى الدار التى كان النبى (ص) يعبد الله فيها سرا مع الطائفة الكريمة المبادرة للاسلام من اصحابه، رضى الله عنهم ...

و على مقربة من دار خديجة (رض) ... و فى الزقاق الذى الدار المكرمة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١١٧

فيه مصطبة فيها متكأ يقصد الناس اليها و يصلون فيها و يتمسحون بأركانها، لان فى موضعها كان موضع قعود النبى (ص). و من الجبال التى فيها اثر كريم و مشهد عظيم الجبل المعروف بأبى ثور، و هو فى الجهة اليمينية من مكة على مقدار فرسخ او ازيد و فيه الغار الذى اوى اليه النبى (ص) ... و قرأت فى كتاب «أخبار مكة» لأبى الوليد الأزرقى: ان الجبل نادى النبى (ص): «إلى يا محمد! إلى يا محمد! فقد آويت قبلك نبيا» ...

و اكثر الناس ينتابون هذا الغار المبارك و يتجنبون دخوله من الباب الذى احدث الله عز و جل فيه، و يرومون دخوله من الشق الذى دخل النبى (ص) منه تبركا به، فيمتد المحاول لذلك على الأرض و يبسط خده بازاء الشق و يولج يديه و رأسه اولًا ثم يعالج ادخال

سائر جسده فمنهم من يتأتى له ذلك بحسب قضافة بدنه، ومنهم من يتوسط بدنه فم الغار فيعضه فيروم الدخول او الخروج فلا يقدر فينشب و يلاقى مشقة و صعوبة، حتى يتناول بالجدب العنيف من ورائه.

فالعقلاء من الناس يجتنبونه لهذا السبب، و لا سيما و يتصل به سبب آخر مخجل فاضح، و ذلك ان عوام الناس يزعمون ان الذى لا يسع عليه و يمتسك فيه و لا يلججه ليس لرشده . جرى هذا الخبر على ألسنتهم حتى عاد عندهم قطعاً على صحته لا يشككون؛ فبحسب المنتشب فيه المتعذر و لوجه عليه ما يكسوه هذا الظن الفاضح المخجل، زائدا الى ما يكابده بدنه من اللز في ذلك و المضيق إشرافه منه على المنية توجعا و انقطاع نفس و برح ألم، فالبعض من الناس يقولون فى مثل: «ليس يصعد جبل ابى ثور الا ثور».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١١٨

و على مقربة من هذا الغار فى الجبل بعينه عمود منقطع من الجبل، قد قام شبه الذراع المرتفعة بمقدار شبه القامة، و انبسط فى اعلاه شبه الكف، خارجا عن الذراع، كأنه القبة المبسوطة، بقدرة الله عز و جل، يستظل تحتها نحو العشرين رجلا، و تسمى قبة جبريل، صلى الله عليه و سلم ...

و ذكروا ان الامام ابا حامد الغزالي دعا الله عز و جل بدعوات، و هو فى حرمة الكريم، فى رغبات رفعها الى الله جل و تعالى، فأعطى بعضا و منع بعضا؛ و كان مما منع نزول المطر وقت مقامه بمكة، و كان تمنى ان يغتسل به تحت الميزاب و يدعو الله عز و جل عند بيته الكريم فى الساعة التى أبواب سمائه فيها مفتوحة فمزع ذلك و أجيب دعاؤه فى سائر ما سأله؛ فله الحمد و له الشكر على ما أنعم به علينا؛ و لعل عبدا من عباده الصالحين الوافدين على بيته الكريم خصه الله بهذه الكرامة، فدخلنا جميع المذنبين، فى شفاعته، و الله ينفعنا بدعاء المخلصين من عباده و لا يجعلنا ممن شقى بدعائه؛ انه منعم كبير.

ذكر ما خص الله تعالى به مكة من الخيرات و البركات

هذه البلدة المباركة سبقت لها و لأهلها الدعوة الخليلية الابراهيمية و ذلك ان الله عز و جل يقول حاكيا عن خليله (ص): «فَجَعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، وَ ارزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ، لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» و قال عز و جل:

«أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِيبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ» فبرها من ذلك فيها ظاهر متصل الى يوم القيامة، و ذلك ان افئدة الناس تهوى اليها من الأصقاع النائية و الاقطار الشاحطة فالطريق اليها ملتقى الصادر و الوارد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١١٩

ممن بلغته الدعوة المباركة و الثمرات تجبى اليها من كل مكان، فهى اكثر البلاد نعما و فواكه و منافع و مرافق و متاجر.

و لم يكن لها من المتاجر الا اوان الموسم ففيه يجتمع اهل المشرق و المغرب، فيباع فيها فى يوم واحد، فضلا عما يتبعه، من الدخائر النفيسة كالجواهر، و الياقوت، و سائر الأحجار، من انواع الطيب: كالمسك و الكافور و العنبر و العود و العقاقير الهندية، الى غير ذلك من جلب الهند و الحبشة، الى الأمتعة العراقية و اليمانية، الى غير ذلك من السلع الخراسانية، و البضائع المغربية، الى ما لا ينحصر و لا ينضب، ما لو فزق على البلاد كلها لا قام لها الاسواق النافقة و لعم جميعها بالمنفعة التجارية، كل ذلك فى ثمانية ايام بعد الموسم، حاشا ما يطرأ بها مع طول الايام من اليمن و سواها؛ فما على الأرض سلعة من السلع و لا ذخيرة من الدخائر الا و هى موجودة فيها مدة الموسم فهذه بركة لا خفاء بها و آية من آياتها التى خصها الله بها.

و اما الارزاق و الفواكه و سائر الطيبات فكنا نظن ان الاندلس اختصت من ذلك بحظ له المزية على سائر حظوظ البلاد حتى حللنا بهذه البلاد المباركة فألفيناها تغص بالنعم و الفواكه كالتين و العنب و الرمان و السفرجل و الخوخ و الأترج و الجوز و المقل و البطيخ و القشاء و الخيار الى جميع البقول كلها كالباذنجان و اليقطين و السيلجم و الجزر و الكرنب الى سائرهما، الى غير ذلك من الرياحين العبقرة و المشمومات العطرة، و اكثر هذه البقول كالباذنجان و القشاء و البطيخ لا يكاد ينقطع مع طول العام، و ذلك من عجيب ما

شاهدناه مما يطول تعداده و ذكره، و لكل نوع من هذه الأنواع فضيلة موجودة في حاسة الذوق يفضل بها نوعها الموجود في سائر البلاد، فالعجب من ذلك يطول.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٢٠

و من اعجب ما اختبرناه من فواكهها البطيخ و السفرجل، و كل فواكهها عجب، لكن للبطيخ فيها خاصة من الفضل عجيبه، و ذلك لأن رائحته من اعطر الروائح و أطيبها، يدخل به الداخل عليك فتجد رائحته العبقرة قد سبقت اليك، فيكاد يشغلك الاستمتاع بطيب رياه عن اكلك اياه، حتى اذا ذقته خيل اليك انه سثيب بسكر مذاب او بجنى النحل اللباب، و لعل متصفح هذه الاحرف يظن ان في الوصف بعض الغلو، كلا- لعمر الله! انه لا- كثر مما وصفت و فوق ما قلت، و بها غسل اطيب من الماذى المضروب به المثل يعرف عندهم بالمسعودى.

و انواع اللبن بها في نهاية الطيب، و كل ما يصنع منها من السمن، فانه لا تكاد تميزه من العسل طيبا و لذادة، و يجلب اليها قوم من اليمن يعرفون بالسمر و نوعا من الزبيب الاسود و الاحمر في نهاية الطيب و يجلبون معه من اللوز كثيرا.

و بها قصب السكر ايضا كثير، يجلب من حيث تجلب البقول التي ذكرناها و السكر بها كثير مجلوب و سائر النعم و الطيبات من الرزق و الحمد لله.

و اما الحلوى فيصنع منها انواع غريبة من العسل و السكر و المعقود على صفات شتى. انهم يصنعون بها حكايات جميع الفواكه الرطبة و اليابسة؛ و في الاشهر الثلاثة: رجب و شعبان و رمضان يتصل منها اسمطة بين الصفا و المروة، و لم يشاهد احد اكمل منظرا منها لا بمصر و لا- بسواها، قد صورت منها تصاوير انسانية و فاكهية و جليت في منصات كأنها العرائس و نصّدت بسائر انواعها المنصّدة الملونة، فتلوح كأنها الأزاهر حسنا، فتقيد الابصار و تستنزل الدرهم و الدينار.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٢١

و اما لحوم ضأنها فهناك العجب العجيب، قد وقع القطع من كل من تطوف على الآفاق و ضرب نواحي الأقطار أنها أطيب لحم يؤكل في الدنيا، و ما ذاك و الله اعلم الا- لبركة مراعيها؛ هذا على افراط سمنه، و لو كان سواه من لحوم البلاد ينتهى ذلك المنتهى في السمنة للفظته الأفواه زهما و لعافته و تجنّته.

و الأمر في هذا بالضد، كلما ازداد سمننا زادت النفوس فيه رغبة و النفس له قبولاً فتجده هنيئا رخصا يدوب في الفم قبل أن يلاك مضغا، و يسرع لخفته عن المعدة انهضاما؛ و ما ارى ذلك الا من الخواض الغريبة و بركة البلد الأمين قد تكفّلت بطيبه لا شك فيه؛ و الخبر عنه يضيق عن الخبر له، و الله يجعل فيه رزقا لمن تشوق بلده الحرام، و تمّنى هذه المشاهد العظام، و المناسك الكرام، بعزّته و قدرته.

و هذه الفواكه تجلب اليها من الطائف، و هي على مسيرة ثلاثة ايام منها، على الرفق و التّودة، و من قرى حولها؛ و اقرب هذه المواضع يعرف بأدم، هو من مكة على مسيرة يوم أو ازيد قليلا، و هو من بطن الطائف، و يحتوى على قرى كثيرة، و من بطن مّر، و هو على مسيرة يوم او اقل؛ و من نخلة، و هي على مثل هذه المسافة، و من اوية بقرب من البلد كعين سليمان و سواها، قد جلب الله اليها من المغاربة ذوى البصارة بالفلاحة و الزراعة فاحدثوا فيها بساتين و مزارع، فكانوا أحد الاسباب في خصب هذه الجهات، و ذلك بفضل الله عز و جل، و كريم اعتناؤه بحرمه الكريم، و بلده الأمين.

و من اغرب ما ألفتناه فاستمتعنا بأكله و اجرينا الحديث باستطابته و لا سيما لكوننا لم نعهده، الرّطب، و هو عندهم بمنزلة التين الأخضر في شجرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٢٢

يجنى و يؤكل، و هو في نهاية من الطيب و اللذادة، لا يسأم التفكه به، و إبانه عندهم عظيم، يخرج الناس اليه كخروجهم الى الضيعة او

كخروج اهل المغرب لقراهم ايام نضج التين و العنب، ثم بعد ذلك عند تناهى نضجه يبسط على الأرض قدر ما يجف قليلا ثم يركم بعضه على بعض فى السلال و الظروف و يرفع.

و من صنع الله الجميل لنا و فضله العميم علينا أنا وصلنا الى هذه البلدة المكرمة فألفينا كل من بها من الحجاج المجاورين ممن قدم عهده فيها و طال مقامه بها يتحدث على جهة العجب بأمنها من الحرابة المتلصصين فيها على الحاج المختلسين ما بأيديهم و الذين كانوا آفة الحرم الشريف، لا يغفل أحد عن متاعه طرفة عين إلا اختلس من يديه او من وسطه بحيل عجيبة و لطافة غريبة، فما منهم إلا احدى يد القميص، فكفى الله فى هذا العام شرهم إلا القليل، و أظهر أمير البلد التشديد عليهم فتوقف شرهم، و بطيب هوائها فى هذا العام، و فتور حمارة قيظها المعهود فيها، و انكسار حدة سمومها، و كنا نبيت فى سطح الموضع الذى كنا نسكره، فربما يصيبنا من برد هواء الليل ما نحتاج معه الى دثار يقينا منه. و ذلك مستغرب بمكة.

و كانوا ايضا يتحدثون بكثرة نعيمها فى هذا العام، و لين سعرها، و أنها خارقة للعوائد السالفة عندهم. كان سوم الحنطة اربعة اصواغ بدينار مؤمنى، و هى أوبتان من كيل مصر و جهاتها، و الأويتان قد حان و نصف قدح من الكيل المغربى. و هذا السعر فى بلد لا ضيعه فيه و لا قوام معيشة لاهله إلا بالميرة المجلوبة اليه سعر لا خفاء بيمنه و بركته على كثرة المجاورين فيها فى هذا العام و انجلاب الناس اليها و ترادفهم عليها. فحدثنا غير واحد من المجاورين الذين لهم بها سنون طائلة انهم لم يروا هذا الجمع بها قط، و لا سمع بمثله فيها. و الله يجعله جمعا مرحوما معصوما بمنه.

و ما زال الناس فيها يسلسلون أوصاف احوالها فى هذه السنة و تمييزها عما سلف من السنين، حتى لقد زعموا أن ماء زمزم المبارك زاد عذوبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٢٣

و لم يكن قبل بصادقها.

و هذا الماء المبارك فى امره عجب، و ذلك أنك تشربه عند خروجه من قرارته، فتجده فى حاسة الذوق كاللبن عند خروجه من الضرع دفيئا، و تلك فيه من الله تعالى آية و عناية، و بركته اشهر من أن تحتاج لوصف و اصف و هو لما شرب له كما قال، صلى الله عليه و سلم، أروى الله منه كل ظمىء اليه، و بعزته و كرمه.

و من الأمور المجربة فى هذا الماء المبارك أن الانسان ربما وجد مس الاعياء، و فتور الاعضاء، إما من كثرة الطواف، او من عمرة يعتمرها على قدميه، او من غير ذلك من الأسباب المؤدية الى تعب البدن، فيصب من ذلك الماء على بدنه فيجد الراحة و النشاط لحيته و يذهب عنه ما كان أصابه.

شهر جمادى الآخرة

استهل هلال ليلة الاربعاء، و هو الحادى و العشرون من شهر ستنبر العجمى، (سبتمبر)، و نحن بالحرم المقدس، زاده الله تعظيما و تشريفا.

و فى صبيحة الليلة المذكورة وافى الأمير (مكثر) باتباعه و أشياعه، على العادة السالفة المذكورة فى الشهر الأول، و على ذلك الرسم بعينه، و الزمى المفرد بثائه و الدعاء له فوق قبة زمزم، يرفع عقيرته بالدعاء و الثناء عند كل شوط يطوفه الأمير، و القراء أمامه، الى أن فرغ من طوافه، و اخذ فى طريق انصرافه.

و لاهل هذه الجهات المشرقية كلها سيرة حسنة، عند مستهل كل شهر من شهور العام، يتصافحون و يهنئ بعضهم بعضا و يتغافرون و يدعوا بعضهم لبعض، كفعلهم فى الأعياد؛ هكذا دائما. و تلك طريقة من الخير واقعة فى النفوس، تجدد الاخلاص و تستمد الرحمة من الله، عز و جل، بمصافحة المؤمنين بعضهم بعضا و بركة ما يتهادونه من الدعاء، و الجماعة رحمة، و دعاؤهم من الله بمكان.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٢٤

جمال الدين و آثاره السنية

ولهذه البلدة المباركة حمّامان: أحدهما ينسب للفقهاء الميثانسي، أحد الأسيخ المحلّقين بالحرم المكرّم؛ والثاني، وهو الأكبر، ينسب لجمال الدين، وكان هذا الرجل كصفته جمال الدين، له، رحمه الله، بمكة والمدينة، شرفهما الله، من الآثار الكريمة والصنائع الحميدة والمصانع المبنية في ذات الله المشيدة ما لم يسبقه أحد إليه فيما سلف من الزمان ولا أكابر الخلفاء فضلا عن الوزراء. وكان رحمه الله، وزير صاحب الموصل، تمادى على هذه المقاصد السنية المشتملة على المنافع العامة للمسلمين في حرم الله تعالى و حرم رسوله، صلى الله عليه وسلم، أكثر من خمس عشرة سنة، ولم يزل فيها باذلا أموالا لا تحصى في بناء ربا بمكة مسبلة في طرق الخير والبر، مؤبّدة، محبسة، واختطاط صهاريج للماء، ووضع جباب في الطرق يستقر فيها ماء المطر، الى تجديد آثار من البناء في الحرمين الكريمين.

و كان من اشرف افعاله أن جلب الماء الى عرفات وقاطع عليه العرب بنى شعبه، سكان تلك النواحي المجلوب منها الماء، بوظيفة من المال كبيرة على ان لا يقطعوا الماء عن الحاج، فلما توفي الرجل، رحمه الله عليه، عادوا الى عادتهم الذميمة من قطعه. ومن مفاخره ومناقبه أيضا أنه جعل مدينة الرسول، صلى الله عليه وسلم، تحت سورين عتيقين أنفق فيهما أموالا لا تحصى كثرة. و من أعجب ما وفقه الله تعالى إليه أنه جدّد ابواب الحرم كلها. و جدّد باب الكعبة المقدسة و غشاه فضة مذهبة و هو الذي فيه الآن حسبما تقدّم وصفه، و جلل العتبة المباركة بلوح ذهب إبريز، و قد تقدّم ذكره أيضا. فأخذ الباب القديم و أمر بأن يصنع له منه تابوت يدفن فيه. فلما حانت وفاته أوصى بأن يوضع في ذلك التابوت المبارك و يحجّ به ميتا. فسبق الى عرفات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٢٥

و وقف به على بعد و كشف عن التابوت، فلما أفاض الناس أفيض به و قضيت له المناسك كلها و طيف به طواف الأفاضة، و كان الرجل، رحمه الله، لم يحجّ في حياته. ثم حمل إلى مدينة الرسول، صلى الله عليه وسلم، و فتح فيها موضع يلاحظ الروضة المقدسة، و أبيض له ذلك على شدة الضنانه بمثله لسابق أفعاله الكريمة و دفن في تلك الروضة و أسعده الله بالجوار الكريم، و خصّه بالمواراة في تربة التقديس و التعظيم، و الله لا يضيع أجر المحسنين، و سنذكر تاريخ وفاته إذا وقفنا عليه من التاريخ الثابت في روضته، إن شاء الله عز و جل، و هو وليّ التيسير، لا ربّ غيره.

ولهذا الرجل، رحمه الله، من الآثار السنية و المفاخر العلية التي لم يسبقه إليها الأكاير الأجواد، و سراة الأمجاد فيما سلف من الزمان ما يفوت الاحصاء و يستغرق الثناء، و يستصحب طول الأيام من الألسنة الدعاء، و حسبك أنه اتسع اعتناؤه بإصلاح عامّة طرق المسلمين بجهة المشرق من العراق إلى الشام إلى الحجاز، حسبما نذكره، و أستنبط المياه، و بنى الجباب، و اختطّ المنازل في المفازات و أمر بعمارتهما مأوى لأبناء السبيل و جميع المسافرين، و ابتنى بالمدن المتصلة من العراق إلى الشام فنادق عيّن فيها لنزول الفقراء أبناء السبيل الذين يضعف أحدهم عن تأدية الأكرية، و أجرى على قومه تلك الفنادق و المنازل ما يقوم بمعيشتهم، و عيّن لهم ذلك في وجوه تأبّدت لهم، فبقيت تلك الرسوم الكريمة ثابتة على حالها إلى الآن. فسارت بجميل ذكر هذا الرجل الرفاق و ملئت ثناء عليه الآفاق.

و كان مدة حياته بالموصل، على ما أخبرنا به غير واحد من ثقات الحجاج التجار ممن شاهد ذلك، قد اتخذ دار كرامه واسعة الفناء فسيحة الأرجاء يدعو إليها كل يوم الجفلى من الغرباء فيعمهم شبعاً و رياً، و يرد الصادر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٢٦

و الوارد من أبناء السبيل في ظله عيشاً هنيئاً، لم يزل على ذلك مدة حياته، رحمه الله، فبقيت آثاره مخلدة، و أخباره بالسنة الدكر مجددة، و قضى حميدا سعيدا، و الذكر الجميل للسعداء حياة باقية، و مدة من العمر ثانية، و الله الكفيل بجزاء المحسنين إلى عباده،

فهو أكرم الكرماء، و أكفل الكفلاء.

الأمور المحظورة في الحرم

من الأمور المحظورة في الحرم الشريف، زاده الله تعظيماً و تكريماً، أن النفقة فيه ممنوعة، لا يجد المتأخر من ذوى اليسار إليها سبيلاً في تجديد بناء أو اقامة حطيم أو غير ذلك مما يختص بالحرم المبارك.

و لو كان الأمر مباحاً في ذلك لجعل الراغبون في نفقات البر من أهل الجدة حيطانه عسجدا و ترابه عنبراً، لكنهم لا يجدون السبيل إلى ذلك، فمتى ذهب أحد أرباب الدنيا إلى تجديد أثر من آثاره أو إقامة رسم من رسومه اخذ اذن الخليفة في ذلك. فان كان مما ينقش عليه او يرسم فيه طرز باسم الخليفة و نفوذ امره بعمله و لم يذكر اسم المتولى لذلك. و لا بد مع ذلك من بذل حظ وافر من النفقة لأمير البلد ربما يوازي قدر المنفوق فيه، فتضاعف المؤونة على صاحبه و حينئذ يصل الى غرضه من ذلك.

و من اغرب ما اتفق لأحد دهاة الأعاجم، ذوى الملك و الثراء، انه وصل الى الحرم الكريم، مدة جد هذا الأمير مكثراً، فرأى تنور بثر زمزم و قبتها على صفة لم يرضها فاجتمع بالأمير و قال اريد ان أتأق في بناء تنور زمزم و طيه و تجديد قبتها و ابليغ في ذلك الغاية الممكنة و انفق عليه من صميم مالى، و لك على فى ذلك شرط ابليغ بالتزامه لك الغرض المقصود، و هو أن تجعل ثقتك من قبلك يقيد مبلغ النفقة فى ذلك. فاذا استوفى البناء التمام،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٢٧

و انتهت النفقة منتهاها. و تحصلت محصاه، بذلك لك مثلها جزاء على اباحتك لى ذلك.

فاهتز الأمير طمعا، و علم ان النفقة فى ذلك تنتهى الى آلاف من الدنانير، على الصفة التى وصفها له، فأباح له ذلك، و ألزمه مقيدا بحصى قليل الانفاق و كثيرة. و شرع الرجل فى بنائه و احتفل و استفرغ الوسع و تأتق و بذل المجهود، فعل من يقصد بفعله ذات الله عز و جل و يقرضه قرضا حسنا، و المقيد يسود طواميره بالتقيد. و الأمير يتطلع الى ما لديه، و يؤمل لقبض تلك النفقات الواسعة بسط يديه، الى أن فرغ البناء على الصفة التى تقدم ذكرها اولا عند ذكر بثر زمزم و قبتها، فلما لم يبق الا ان يصبح صاحب النفقة بالحساب و يستقصى منه العدد المجتمع فيها، خلا منه المكان، و اصبح فى خير كان، و ركب الليل جملا، و اصبح الأمير يقلب كفيه، و يضرب اصدرية، و لم يمكنه ان يحدث فى بناء وضع فى حرم الله تعالى حادثا يحيله او نقضا يزيله، و فاز الرجل بثوابه و تكفل الله به فى انقلابه و تحسين مآبه: «و ما انفقتم من شى فهو يخلفه و هو خير الرازقين» و بقى خبر هذا الرجل مع الأمير يتهادى غرابه و عجا و يدعو له كل شارب من ذلك الماء المبارك.

شهر رجب الفرد

إشارة

استهل هلاله ليلة الخميس الموفى عشرين لشهر اكتوبر بشهادة خلق كثير من الحجاج المجاورين و الأشراف اهل مكة، ذكروا انهم رأوه بطريق العمرة و من جبل قيعقان و جبل ابى قبيس، فثبتت شهادتهم بذلك عند الأمير و القاضى، و اما من المسجد الحرام فلم يبصره أحد. و هذا الشهر المبارك عند اهل مكة موسم من المواسم المعظمة و هو اكبر اعيادهم، و لم يزالوا على ذلك قديما و حديثا يتوارثه خلف عن سلف متصلا ميراث ذلك الى الجاهلية لأنهم كانوا يسمونه منصل الأسنة. و هو أحد الأشهر الحرم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٢٨

و كانوا يحرمون القتال فيه و هو شهر الله الأصم، كما جاء فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم.

العمرة الرجبية

والعمرة الرجبية عندهم اخت الوقفة العرفية، لانهم يحتفلون لها الاحتفال الذي لم يسمع بمثله و يبادر اليها اهل الجهات المتصلة بها فيجتمع لها خلق عظيم لا يحصيهم الا الله عز و جل فمن لم يشاهدها بمكة لم يشاهد مرأى يستهدى ذكره غرابه و عجا. شاهدنا من ذلك امرا يعجز الوصف عنه، و المقصود منه الليلة التي يستهل فيها الهلال مع صبيحتها. و يقع الاستعداد لها من قبل ذلك بأيام، فأبصرنا من ذلك ما نصف بعضه على جهة الاختصار.

و ذلك لأننا عاينا شوارع مكة و ازقتها، من عصر الاربعاء. و هي العشي التي ارتقب فيها الهلال، قد امتلأت هودج مشدودة على الابل مكسوة بأنواع كسا الحرير و غيرها من ثياب الكتان الرفيعة بحسب سعة احوال اربابها و وفرهم، كل يتأنق و يحتفل بقدر استطاعته، فأخذوا في الخروج الى التنعيم ميقات المعتمرين فسالت تلك الهودج في اباطح مكة و شعابها، و الابل قد زينت تحتها بأنواع التزيين و اشعرت بغير هدى بقلاند رائحة المنظر من الحرير و غيره. و ربما فاضت الاستار التي على الهودج حتى تسحب اذيالها على الأرض. و من اغرب ما شاهدناه من ذلك هو هودج الشريفة جمانه بنت فليته عمه الأمير مكثر، فان اذيال ستره كانت تسحب على الأرض انسحابا و غيره من هودج حرم الأمير و حرم قواده، الى غير ذلك من هودج لم نستطع تقييد عدتها عجزا عن الاحصاء. فكانت تلوح على ظهور الابل كالقباة المضروبة فيخيل للنظر اليها أنها محلة قد ضربت ابنتها من كل لون رائق.

و لم يبق ليلة الخميس المذكور بمكة الا من خرج للعمرة من اهلها و من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٢٩

المجاورين، و كنا في جملة من خرج ابتغاء بركة الليلة العظيمة فكندا لا نتخلص الى مسجد عائشة من الزحام و انسداد ثنيات الطريق بالهودج.

و النيران قد اشعلت بحافتي الطريق كله، و الشمع يتقد بين ايدي الابل التي عليها هودج من يشار اليه من عقائل نساء مكة. فلما قضينا العمرة و طفنا و جئنا للسعي بين الصفا و المروة، و قد مضى هدى من الليل، ابصرناه كله سرجا و نيرانا و قد غص بالساعين و الساعيات على هودجهن، فكنا لا نتخلص الا بين هودجهن و بين قوائم الابل لكثرة الزحام و اصطكاك الهودج بعضها على بعض. فعاينا ليلة هي اغرب ليالي الدنيا، فمن لم يعاين ذلك لم يعاين عجا يحدث به و لا عجا يذكره مرأى الحشر يوم القيامة لكثرة الخلائق فيه، محرمين مليونين، داعين الى الله عز و جل ضارعين و الجبال المكرومة التي بحافتي الطريق تجيبهم بصداها، حتى سكت المسامع، و سكت من هول تلك المعاينة المدامع، و ذابت القلوب الخواشع.

و في تلك الليلة ملئ المسجد الحرام كله سرجا فتلا نورا، و عند ثبوت رؤية الهلال عند الأمير امر بضرب الطبول و الدبادب و البوقات اشعارا بأنها ليلة الموسم.

و يوضح ابن جبير انه في صبيحة ليلة الخميس خرج الى العمرة في احتفال لم يسمع بمثله انحشد له اهل مكة على بكرة ابيهم فخرجوا على مراتبهم قبيلة قبيلة و حارة و حارة شاكين في الأسلحة فرسانا و رجالة فاجتمع منهم عدد لا يحصى كثرة ... فكانوا يخرجون على ترتيب عجيب، فالفرسان منهم يخرجون بخيلهم و يلعبون بالاسلحة عليها ... فلما كان اليوم الثاني، و هو يوم الجمعة، كان طريق العمرة في العمارة قريبا من أمسه، راكبين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٣٠

و ماشين، رجالا و نساء، و النساء الماشيات المتأجرات كثيرات يسابقن الرجال في تلك السبيل المباركة، تقبل الله من جميعهم بمنه. و في اثناء ذلك يلقى الرجال بعضهم بعضا فيتصافحون و يتهادون الدعاء و التغافر بينهم، و النساء كذلك. و الكل منهم قد لبس افخر ثيابه و احتفل إحتفال اهل البلاد للأعياد؛ و اما اهل البلد الأمين فهذا الموسم عيدهم، له يعأون و له يحتفلون، و في المباهاة فيه

يتنافسون و له يعظّمون، و فيه تنفق اسواقهم و صنائعهم، يقدّمون النظر في ذلك و الاستعداد له بأشهر. ثم يستطرد الرحالة ابن جبير للتحديث عن قبائل من اليمن تعرف بالسرو و هم اهل جبال حصينة باليمن تعرف بالسراة كانها مضافة لسراة الرجال ...

و تجمع ميرتهم بين الطعام و الإدام و الفاكهة ... و لولا هذه الميرة لكان اهل مكة في شظف من العيش؛ و من العجب في امر هؤلاء المائرين انهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار و لا بدرهم، انما يبيعونه بالخرق و العباءات و الشّمل، فأهل مكة يعدّون لهم من ذلك مع الأفتنة و الملاحف المتان و ما اشبه ذلك مما يلبسه الاعراب. و العمرة في هذا الشهر كله متصلة ليلا و نهارا ... فاذا كان اليوم التاسع و العشرون منه أفرد للنساء خاصة، فيظهر للنساء بمكة في ذلك اليوم احتفال عظيم فهو عندهم يوم زينتهم المشهور المستعدّ له.

عمرة الاكمة

و في ليلة الثلاثاء السابع و العشرين منه، اعنى من رجب، ظهر لأهل مكة ايضا احتفال عظيم في الخروج الى العمرة لم يقصر عن الاحتفال الأوّل ...

و هذه العمرة يسمونها عمرة الأكمة؛ و الأصل في هذه العمرة الأكمة عندهم ان عبد الله بن الزبير لما فرغ من بناء الكعبة المقدسة خرج ماشيا حافيا معتمرا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٣١

و اهل مكة معه ... و جعل طريقه على ثنية الحجون المفضية الى المعلى التي كان دخول المسلمين يوم فتح مكة منها ... فبقيت تلك العمرة سنة عند اهل مكة في ذلك اليوم بعينه و كان يوم عبد الله، رضى الله عنه، مذكورا مشهورا لانه اهدى فيه كذا و كذا بدنة ... و لم يبق من اشراف مكة و ذوى الاستطاعة فيها الا من اهدى و اقام اهلها اياما يطعمون و يطعمون و يتنعمون و ينعمون شكرا لله عز و جل.

يوم طواف النساء.

و في اليوم التاسع و العشرين منه و هو يوم الخميس افرد البيت للنساء خاصة ... و لم تبق امرأة بمكة الا حضرت المسجد الحرام ذلك اليوم ...

و ظهر من تراحمهن ما ظهر من السرو اليمينيين مدة مقامهم بمكة و صعودهم يوم فتح البيت المقدس .

زيادة ماء زمزم

و في يوم الجمعة الثاني من ذلك اليوم اصبح بالحرم امر عجيب و ذلك انه لم يبق بمكة صبيّ إلّا و صبحه و اجتمعوا كلهم في قبة زمزم، و ينادون بلسان واحد: هلولوا و كبروا يا عباد الله فيهلل الناس و يكبرون ... و الناس و النساء يزدحمون على قبة البئر المباركة لأنهم يزعمون بل يقطعون قطعاً جهليا لا قطعاً عقليا، ان ماء زمزم يفيض ليلة النصف من شعبان ... و كان من الاتفاق ان اعتنينا بهذا الأمر لغلبة الاستفاضة التي سمعناها في ذلك و استمرارها مع سوائف الأزمنة عند عوام أهل مكة؛ فتوجه منا ليلة الجمعة من أدلى دلوه في البئر المباركة الى ان ضرب في صفح الماء و انتهى الجبل الى حافة التنور و عقد فيه عقدا يصح عندنا القياس به في ذلك، فلما كان في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٣٢

صبيحتها و تنادى الناس بالزيادة، الزيادة الظاهرة، خلص احدنا فى ذلك الزحام على صعوبة و معه من استصحب الدلو و ادلاه فوجد القياس على حاله لم ينقص و لم يزد، بل كان من العجب ان عاد للقياس ليله السبت فالفاه قد نقص يسيرا لكثرة ما امتاح الناس منه ذلك اليوم .

و هذه الليلة المباركة، اعنى ليلة النصف من شعبان عند اهل مكة معظمه للاثر الكريم الوارد فيها، فهم يبادرون فيها الى اعمال البر من العمرة و الطواف و الصلاة افرادا و جماعة .

شهر رمضان

إشارة و يرى ابن جبير رمضان فى مكة و قد استهل هلاله ليلة الاثنين التاسع عشر لكانون الاول (ديسمبر)، و كان صيام اهل مكة له يوم الاحد بدعوى فى رؤية الهلال لم تصح.

و المؤذن الزمزمى يتولى التسحير فى الصومعة التى فى الركن الشرقى من المسجد بسبب قربها من دار الامير ... و فى ديار مكة كلها سطوح مرتفعة، فمن لم يسمع نداء التسحير ممن يبعد مسكنه من المسجد يبصر قنديلين يقدان فى اعلى الصومعة فاذا لم يصبر هما علم ان الوقت قد انقطع .

و يشير الى طواف الأمير «مكثر» ليلة الثلاثاء الثانى من الشهر مع العشى مودعا ... و المتحدث به فى وجهته قصد اليمن لاختلاف وقع فيها وقتنه حدثت من امرائها، لكن وقع فى نفوس المكيين منه ايجاس خيفة و استشعار خشية؛ و فى ضحوه يوم الاربعاء الثالث من الشهر المبارك سمعت دبابد الامير مكثر و أصوات نساء مكة يولولن عليه ... و كان هذا اليوم بمكة من الايام الهائلة المنظر العجيب المشهد الغريبة الشأن.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٣٣

تراويح رمضان

و هذا الشهر المبارك قد ذكرنا اجتهاد المجاورين للحرم الشريف فى قيامه و صلاة تراويحه و كثرة الائمة فيه، و كل وتر من الليالى العشر الأواخر يختم فيها القرآن، فالولها ليلة احدى و عشرين، ختم فيها احد ابناء أهل مكة و حضر الختمه القاضى و جماعة من الاشياخ فلما فرغوا منها قام الصبى فيهم خطيبا، ثم بعد ذلك ليلة ثلاث و عشرين و كان المختم فيها احد ابناء المكيين ذوى اليسار غلاما لم يبلغ سنه الخمس عشرة سنه فاحتفل ابوه لهذه الليلة احتفالا بديعا .

و يذكر ابن جبير بعض احتفالات مكة و يوضح كيف احدث بشرفات الحرم كلها صبيان مكة، و قد وضعت بيد كل منهم كره من الخرق المشبعة سليطا فوضعها متقدة فى رؤوس الشرفات و اخذت كل طائفة منهم ناحية من نواحيها الاربع فجعلت كل طائفة تتبارى صاحبته فى سرعة ايقادها، فيخيل للناظر ان النار تشب من شرفه الى شرفه لخصاهم وراء الضوء المرتقى الابصار.

و يصف لنا عيد الفطر فى مكة و مناسك الحج و انفصال الجاج الى مكة، و يبين وصوله الى مكة قريب الظهر، و يروى قصة صعوده الى جبل ثور لمعاينه الغار المبارك و ولوجه إياه من الموضع الذى يعسر الولوج منه على البعض من الناس تبركا بمس بشره البدن بموضع مسه الجسم المبارك لان مدخل النبى (ص) كان منه، و كان الاعتقاد السائد ان الذى لا يستطيع و لوجه من هذا الموضع مولود غير رشده ... و هذا الجبل صعب المرتقى جدا يقطع الانفاس تقطيعا لا يكاد يبلغ منتهاه الا و قد القى بالايدي اعياء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٣٤

و كاللا و هو من مكة على مقدار ثلاثة اميال، و على ذلك القدر هو جبل حراء منها .

و فى يوم الجمعة بعده كان وصول السرو اليمينيين فى عدد كثير مؤملين زيارة قبر الرسول (ص) و قد جلبوا ميرة الى مكة على عادتهم فاستبشر الناس بقدمهم استبشارا كثيرا. حتى أنهم اقاموه عوض نزول المطر

و يعرض لذكر مسجد مولد النبى، و دار خديجة الكبرى و فيها مولد فاطمة (ع) و هو بيت صغير مائل للطول، و فى البيت المذكور مولد الحسن و الحسين ابنيها (ع) و مسقط شلو الحسن لاصق بمسقط شلو الحسين و عليهما حجران مائلان الى السواد كأنهما علامتان للمولدين المباركين الكريمين.

و يستطرد ابن جبير ليذكر لنا مجيء السرويين اليمينيين و توجههم لزيارة التربة المباركة طيبة من عند رسول الله (ص) و وصولهم فى اسرع مدة اذ قطعوا الطريق من مكة الى المدينة فى يسير ايام، و وصول طوائف أخرى للحج خاصة لضيق الوقت عن الزيارة فاقاموا بمكة .

و يتحدث عن فساد ظهر فى اشرف بقاع الأرض فى زمانه فقد عزل زعيم الشينيين عن منصبه و لم يلبث ان عاد اليه بخمسمائة دينار مكية استقرضها و دفعها لاولى الأمر.

و يعرج على الحديث عن دار الخيزران التى كان منها منشأ الاسلام و هى بازاء الصفا و يلاصقها بيت صغير عن يمين الداخل اليها كان مسكن بلال (رضى)

و فى أيام ابن جبير وصل الامير عثمان بن على صاحب عدن خرج منها فارا أمام سيف الاسلام ... و وصل مكة بعير موقرة متاعا و مالا دخلت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٣٥

على اعين الناس الى داره التى ابتناها بها بعد ان قدم نفيس ذخائره و مدخر ماله و جملة رقيقه و خدمه ليلا.

و لما كان يوم الاربعاء السابع من ذى الحجة، وصل المبشر و كانت نفوس اهل مكة قد اوجست خيفة لبطئه حذرا من حقد الخليفة على اميرهم مكثر لمذموم فعل صدر عنه، فكان وصول هذا البشير امانا و تسكينا للنفوس الشاردة فوصل مبشرا و مؤنسا و اعلم برؤية الهلال ليلة الخميس المذكور؛ فلما كان يوم الخميس بكر الناس بالصعود الى منى و تمادوا منها الى عرفات ... و اتصل صعود الناس ذلك اليوم كله و الليلة كلها الى يوم الجمعة كله فاجتمع بعرفات من البشر جمع لا يحصى عدده الا الله عز و جل؛ و مزدلفة بين منى و عرفات، من منى اليها ما من مكة الى منى، و ذلك نحو خمسة أميال و منها الى عرفات مثل ذلك او اشف قليلا و تسمى المشعر الحرام ...

و يشير فى كلامه الى «جبل الرحمة» و الى وصول الأمير العراقي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٣٦

و الامراء الأعاجم الخراسانيين ثم يرجع القول الى استيفاء حال النفر عشية الوقفة المذكورة بعرفات، و ذلك ان الناس نفروا منها بعد غروب الشمس فوصلوا مزدلفة مع العشاء الآخرة فجمعوا بها بين العشائين.

و لما كان اليوم الثالث يتعجل الناس فى الانحدار الى مكة بعد ان كان كمل لهم رمى تسع و اربعين جمرة- نفروا الى مكة فمنهم من صلى العصر بالأبطح، و منهم من صلاها بالمسجد الحرام ... و قد كانت فى يوم الانحدار المذكور بين سودان اهل مكة و الاتراك العراقيين جولة و هوشة وقعت فيها جراحات و سلّت السيوف فوقى الله شر تلك الفتنة بتسكينها سريعا .

و يستطرد الرحالة الشهير فى حديثه الى «كسوة الامير العراقي للكعبة» فى يوم السبت، يوم النحر، سيقت كسوة الكعبة المقدسة من محلة الامير العراقي الى مكة على اربعة جمال.

ثم يتكلم عن «يوم الاعاجم العراقيين» و «سوق المسجد الحرام» ...

لينتهي الى «يوم الرحيل» ففي عشي يوم الاحد و هو اول ابريل (نيسان) كان مسير ابن جبير و صحبه الى محلة الامير العراقي بالزاهر، و هو على نحو الميلىين من البلد و قد كمل اكرآؤهم الى الموصل و هى على بعد عشرة ايام من بغداد ... فكانت مدة مقامهم بمكة من يوم وصولهم اليها و هو يوم الخميس الثالث عشر لربيع الآخر من سنة ٧٩ الى يوم اقلاعهم و هو يوم الخميس الثانى و العشرين لذى الحجة من السنة المذكورة ثمانية اشهر و ثلث أشهر.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٣٧

ابن بطوطه و مكة

و بعد نحو مائتى سنة من وفاة ابن جبير اى فى سنة ٧٢٥ هـ على وجه الضبط قام الرحالة ابن بطوطه (٧٠٣ هـ - ٧٧٩ هـ) بالحج الى مكة و زيارة قبر الرسول (ص) و يبدو ان الحج عند المسلمين كان الدافع الاكبر لظهور فكرة السياحات فى مختلف اقطار العالم و وضع المؤلفات فيها؛ و قد ولد ابن بطوطه فى طنجة و خرج من بلده فى سن الثانية و العشرين ثم أخذ فى الرحلة فبدأ بالحرمين الشريفين فالشام فالعراق ففارس فآسيا الصغرى فجنوب روسيا فافغانستان الى دهلى و الصين و قد استهل ابن بطوطه كلامه فى مكة بقوله :

«و هى مدينة كبيرة متصلة البنيان مستطيلة فى بطن واد تحف به الجبال فلا يراها قاصدها حتى يصل اليها ، و تلك الجبال المطله عليها ليست بمفرطة الشموخ، و (الاشخبان) من جبالها هما جبل أبى قبيس و هو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٣٨

فى جهة الجنوب منها و جبل قيقعان و هو فى جهة منها و فى الشمال منها الجبل الاحمر و من جهة أبى قبيس اجياد الاكبر، و اجياد الاصغر، و هما شعبان و الحندمة و هى جبل (و المناسك كلها منى، و عرفه و المزدلفة) بشرقى مكة، و لمكة من الأبواب ثلاثة: باب المعلى باعلاها، و باب الشبيكة من اسفلها، و يعرف ايضا باب العمرة و هو الى جهة المغرب و عليه طريق المدينة، و مصر، و الشام، و جده و منه يتوجه الى التنعيم و باب المسفل و هو من جهة الجنوب ...

و يمضى ابن بطوطه بهذا الاسلوب فى وصف جغرافية مكة و طوبو غرافيتها اى تخطيطها و ما يتوفر فيها من الفواكه و الحاصلات، و هو فى اكثر ما يذكر ينقل من رحلة ابن جبير اما مباشرة بالحرف الواحد أو باقتباس المعنى؛ و ابن بطوطه اكثر تفصيلا و متعة لكثرة ما يورد من حكايات و نوادر و حوادث و يلوح لنا انه اقل صدقا و دقة.

و بعد ان يذكر «المسجد الحرام» و موقعه ينتقل الى ذكر «الكعبة» و «الميزاب» و «الحجر الأسود» و «المقام الكريم» و «الحجر و المطاف» و «ززم» فيذكر ان قبة بئر زمزم تقابل الحجر الأسود و بينهما اربع و عشرون خطوة و المقام الشريف عن يمين القبة و من ركنها اليه عشر خطى- و داخل القبة مفروش بالرخام الابيض، و تنور البئر المباركة فى وسط القبة مائلا الى الجدار المقابل للكعبة الشريفة و هو من الرخام البديع اللصاق مفروغ بالرخام ... و عمق البئر احدى عشرة قامه، و هم يذكرون ان ماءها يتزايد فى كل ليلة جمعة . موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٣٩

ثم ينتقل الرحالة الى ذكر «أبواب المسجد الحرام و ما دار به من المشاهد و «الصفاء و المروة» و ذكر «الجبانة المباركة» خارج باب المعلى و يعرف ذلك الموضع بالحجون و اياه عنى الحارث بن مضاض الجرهى بقوله (من الطويل): كان لم يكن بين الحجون الى الصفا .. الخ و بهذه الجبانة مدفن الجم الغفير من الصحابة و التابعين، و العلماء، و الصالحين و الاولياء، الا ان مشاهدهم دثرت و ذهب عن أهل مكة علمها فلا يعرف منها الا القليل فمن المعروف منها قبر خديجة بنت خويلد، و بمقربة منه قبر ابى جعفر المنصور، و فيها الموضع الذى صلب فيه عبد الله بن الزبير.

و يستطرد ابن بطوطه فيلم «بعض المشاهد خارج مكة» فمنها (الحجون) الذى ألمعنا اليه و منها (المحصب) و هو ايضا الابطح و هو يلى الجبانة المذكورة و فيه خيف بنى كنانة الذى نزل به رسول الله (ص) و منها ذو طوى و هو واد يهبط على قبور المهاجرين التى

بالحصاحص دون ثنية كداء.

و يعرج على ذكر «الجبال المطيفة بمكة» و يأتي على خبر الغار المبارك و كيف ان بعضهم لا يدخله خوف الفضيحة التي ذكرها ابن جبير فيكتفى بالصلاة امامه و لكن ابن بطوطة يكشف سر استطاعة او عدم استطاعة الولوج الى الغار و ذلك ان من دخل من ذلك الشق منبطحا على وجهه وصل رأسه الى ذلك الحجر فلم يمكنه التولج و لا يمكنه ان ينطوى الى العلو و وجهه و صدره يليان الارض فذلك هو الذي ينشب و لا يخلص الا بعد الجهد و الجذب الى خارج و من دخل مستلقيا على ظهره امكنه لأنه اذا وصل رأسه الى الحجر المعترض رفع رأسه و استوى قاعدا فكان ظهره

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٤٠

مستندا الى الحجر المعترض و اوسطه في الشق و رجلاه من خارج الغار ثم ينهض قائما بداخل الغار.

و لا ينسى ابن بطوطة سرد «فضائل اهل مكة» من اثارهم الضعفاء و المنقطعين و حسن الجوار، و العفة، و الظرف، و النظافة؛ ثم يذكر «المجاورين بمكة»

و يعرج على «ذكر عادة اهل مكة في صلواتهم و مواضع ائمتهم»، و عادتهم في الخطبة و صلاة الجمعة، و في استهلال الشهور، و في شهر رجب، و عمرة رجب و «احرام الكعبة»، ثم يسرد شعائر الحج و اعماله و يتحدث عن «كسوة الكعبة»، مختتما الحديث بانفصاله عن مكة المكرمة بصحبه امير ركب العراق البهلوان محمد الحويح الموصلى .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٤١

مكة في رحلة ناصر خسرو الموسومة ب (سفر نامي)

رحلة ناصر خسرو علوى، من الرحلات المشهورة التي دونت بالفارسية و قام بترجمتها الدكتور يحيى الخشاب ، و هي رحلة شاعر فارسي تقع حوادثها بين سنة ٤٣٧ و ٤٤٤ ه فتكون بذلك قد سبقت رحلة ابن جبير بما ينوف على المائة عام، و هي بدون شك تقف في مصاف رحلة ابن فضلان رسول المقتدر بالله العباسي الى بلاد البلغار القديمة، و رحلة ابن جبير في القرن السادس للهجرة و رحلة ابي الحسن الهروي الموصلى في القرن ذاته و رحلة البلوى المغربي و ابن بطوطة المغربي في القرن الثامن للهجرة.

بلغ ناصر خسرو مكة في يوم الأحد السادس من ذى الحجة و نزل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٤٢

عند باب الصفا، و كان بمكة قحط ، فكانت الاربعة امنان من الخبز دينار نيسابوري، و قد هاجر منها المجاورون و لم يفد عليها حاج من اى بلد، و قد ادى فريضة الحج يوم الاربعة في عرفات، و لبث بمكة يومين؛ و خرج من الحجاز خلق كثير مما أصابهم من الجوع و الفقر، و تفرقوا في البلاد؛ ثم توجه ناصر خسرو ناحية مصر و قد هاجر اليها من الحجاز في ذلك العام خمسة و ثلاثون الف آدمي.

و في شهر رجب سنة اربعين و اربعمائة (ديسمبر سنة ١٠٤٨) قرأوا على الناس مرة اخرى مثالا للسلطان بان في الحجاز قحط، و ليس من الخير ان يسافر الحجاج، فلم يسافروا ، و لكن السلطان لم يقصر البتة في ارسال ما كان يرسله كل سنة من الكسوة و اجور الخدم و الحاشية، و امراء مكة و المدينة وصله امير مكة و قد كانت ثلاثة آلاف دينار في الشهر، و كانت ترسل اليه الخيول و الخلع مرتين في السنة و عهد بهذا في هذه السنة الى رجل اسمه القاضي عبد الله، من قضاء الشام و قد ذهب ناصر خسرو معه عن طريق القلزم و هذه هي رحلته الثانية، الى مكة، و كان موعد الحج قد قرب كثيرا و كان الجمل يؤجر بخمسة دنانير فسار مسرعا ...

فبلغها في الثامن من ذى الحجة و ادى فريضة الحج و قد حدث ان قافلة عظيمة اتت للحج من بلاد المغرب، و في اثناء عودة حجاجها، عند باب المدينة المنورة، طلب العرب «الخفارة» منهم، فقامت الحرب بينهم، و قتل من المغاربة اكثر من الف رجل، و لم يعد كثير منهم الى المغرب.

و من طريف ما يذكره ناصر خسرو ان جماعة من أهل خراسان قاموا عن طريق الشام و مصر فبلغوا المدينة في سفينة، و قد بقى عليهم ان يقطعوا مائة فرسخ و اربعة حتى عرفات و هم في السادس من ذى الحجة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٤٣

فقالوا: ان كلا منا يدفع اربعين دينارا لمن يرحلنا الى مكة في هذه الأيام الثلاثة الباقية لنلحق الحج، فجاء الاعراب و اوصلوهم الى عرفات في يومين و نصف يوم، و اخذوا اجورهم ذهباً، و كانوا قد شدوهم الى جمال سريعة، و اتوا بهم من المدينة الى عرفات؛ و قد هلك اثنان منهم، و كانوا موثقين على الجمال، و كان اربعة منهم نصف أموات، و قد بلغوا عرفات ... ساعة صلاة العصر، و كانوا لا يستطيعون الوقوف او الكلام. قالوا: «انا توصلنا كثيرا في الطريق ان يأخذ هؤلاء الاعراب الذهب الذي اشترطنا و ان يتركونا، فانه لا طاقة لنا على مواصلة السفر، ولكنهم لم يسمعوا لنا و ساقونا على هذا النحو»، و مهما يكن، فقد حج هؤلاء الأربعة و عادوا عن طريق الشام.

و قد وصف ناصر خسرو، على نحو ما فعل بعده ابن جبير و ابن بطوطة «المسجد الحرام و الكعبة» و «باب الكعبة» ثم وصف «الكعبة من الداخل»، و «بئر زمزم» و جاء على وصف «فتح باب الكعبة» («و عمدة الجعرانة») و هي مكان على اربعة فراسخ من شمال مكة كان به النبي (ص) مع جيشه في السادس عشر من ذى القعدة فاحرم منه و جاء الى مكة و اعتمر.

و قد ذكر ناصر خسرو ان الكعبة تقوم وسط المسجد الحرام و ان المسجد الحرام يقوم وسط مكة، و المسجد ممتد طولاً من الشرق الى الغرب و عرضاً من الشمال الى الجنوب، و سوره ليس قائم الزوايا، بل اركانه مقوسه، تميل الى الاستدارة، و ذلك حتى تكون وجوه جميع المصلين شطر الكعبة في اى جهة كانوا يصلون بالمسجد.

و لم نجد في سائر اوصافه للكعبة المشرفة و ما يتصل بها اكثر مما مر بنا في رحلتى ابن جبير و ابن بطوطة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٤٤

(رحلات) عبد الوهاب عزام

اما في عصرنا الحديث، فقد ظهرت «رحلات» الدكتور عبد الوهاب عزام و قد كتب الفصل الخاص بمكة باسلوب شعري خيالي لطيف، فيقول:

«الليل مهوّد و سنان، ترى العين سكونه، و يحسّ القلب سكينته؛ ... و تبدو في سكون الليل و نور القمر قمم الجبال: خندمة و ابي قبيس و اجياد .

هذا هو المسجد الحرام! فهل تقع العين الا على مصل خاشع، و طائف بالكعبة واله، و قارئ تنطق بضراعتة الآيات، و داع يرسل قلبه في كلمات؟

أنظر فلا اجد في هذا البناء تمثالا و لا صنما و لا وثنا و لا صورة و لا نقشا. انما هو التوحيد في خلوصه، و العقيدة في يسرها، و الاسلام في فطرته؛ بيت لعبادة الله يؤمه عباد الله.»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٤٥

و بهذا الاسبوب يستمر ليقول تحت عنوان: «في خيف منى»:

هذا ثانى ايام التشريق و منى غاصة بمضاربها قد اجتمع اليها الحجيج من أرجاء الارض ... و قد ادينا بحمد الله المناسك و لم يبق الا رمى الجمار لبثنا قليلا ثم هبطنا الى فجوة بين الصخور تسمى غار المرسلات؛ يقال ان السورة الكريمة «و الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا» او حيت الى صاحب الرسالة صلوات الله عليه هناك.

و ما زال الاستاذ عزام يصعد حتى بلغ مسجد الخيف و هو مسجد برى عطل من الزينة، فراشه الحصباء، و رأى عن شماله المحصب حيث العقبات الثلاث التي ترمى فيها الجمرات؛ و الى اليمين يمتد وادى منى بنى سطرين من الجبال الشاهقة يسائر فيها الطرف اسراب

الحمام الى ان يكل.

و اما الجبل الشامخ الذى يمتد على جانب الوادى الايسر فهو ثبير و كم ردد التاريخ و الشعر ذكر ثبير! و تغلب على رحله الدكتور عزّام مسحة من تاريخ الادب الجاهلى و صدر الاسلام و يشير الى الفاظ من نحو «بشام» و «سلم» و «ريع» ترد فى حديث أعرابى معه فيقول الدكتور الرحالة: «لو اتسع الوقت لآخذنا كثيرا من اللغة من هذا الاعرابى، فمن كان يظن ان هذه الفاظ مبنية فى المعاجم فليعلم انها لا تزال حية فى أفواه كثير من العرب!» ثم ينتقل الى الحديث عن غار حراء» و كله اسلوب خطاب و ذكريات موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٤٦

و خيال صوفى يختمه بقوله: «أيها الغار، يا مولد الحق، و مطلع النبوة و مأوى محمد! لو لا أن محمدا الكريم نهانا لقبّلت احجارك و اكتحلت بترابك!

ايها الغار! من لى فيك بخلوة، من لى بخلوة فيك!»

و قد خصص القسم الرابع للحديث عن الحج و الخامس للمدينة المنورة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٤٧

مكة فى رحلة السائح الهروى

يقول السائح الهروى فى حديثه عن مكة ان «بها الكعبة المعظمة» و قيل سميت كعبة لان ابراهيم «عم» لما بناها جعل طولها فى السماء تسع أذرع، و جعل من الركن الاسود الى الركن الشمالى مما يلى بابها اثنتين و ثلاثين ذراعا، و من الجانب الغربى احدى و ثلاثين ذراعا، و من الركن الذى فيه الحجر الاسود الى الركن الذى تجاهه من جهة الجنوب اثنتين و عشرين ذراعا و من الجانب الشمالى تجاهه عشرين ذراعا، و دورها مائة و خمس أذرع و لم تزل كذلك الى ان هدمتها قريش و عمرتها قريش فى عهد رسول الله «صلعم» و صغروها عما كانت عليه اولا، و بقى منها فى الحجر ست اذرع و نصف و زادوا فى ارتفاعها تسع اذرع فصار ارتفاعها ثمان و عشرة ذراعا .

و يقول انه «كان بها صور الملائكة و الأنبياء (عم) و الشجرة و صورة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٤٨

ابراهيم (عم) و الازلام بيده و صورة عيسى بن مريم و امه (عم) فلما كان عام الفتح امر رسول الله (صلعم) فطمست جميع الصور ما عدا صورة المسيح و امه و كان بها قرنا الكباش الذى ذبحه ابراهيم (عم) معلقة داخل الكعبة و بقيت كذلك الى عهد ابن الزبير فاحترقت و لما بناها ابن الزبير ادخل الحجر فيها بقيت عريضة قصيرة فزاد فى ارتفاعها تسع اذرع فطولها فى السماء سبع و عشرون ذراعا و هى سبعة و عشرون سافا من الحجارة ... فلما قتله الحجاج خرّب ما عمره ابن الزبير فى الحجر ... و سدّ باب الكعبة الغربى» .

و يقول مؤلف الكتاب: رأيت الباب الذى فتحه ابن الزبير غربى الكعبة و سدّه الحجاج، و عتبه على حالها و عددت حجارتها المسدود بها و زرعت دائر مدينة مكة و مدينة يثرب - حرسهما الله تعالى - و زرعت طول الآبار المشهورة بمكة فلما غرقت كتبتى عجزت عن اثبات ذلك.

ثم يعدد المشاهد و المقابر و اضرحه الصحابة و الاولياء الصالحين و يبين مواضعها من مكة و يكاد يفوق سائر السياح بالارقام و القياسات التى اجراها هو بالفرات ، و لكن تعوزه حيوية ابن بطوطة و ابن جبير فى كتابيهما، فلا يوجد فى هذه الرحلة ما هو ملموس من رونق و جمال اسلوب أدبى ناصع فى الرحلتين آنفتى الذكر.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٤٩

منازل مكة

إشارة

كتبه الدكتور حسين علي محفوظ دكتوراه الدولة من جامعة طهران و المفتش الاختصاصي بوزارة التربية سابقا و الاستاذ بكلية الآداب في جامعة بغداد اليوم
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٥١

منازل مكة

منازل مكة في مصطلح الجغرافيا- الطرق اليها. و قد تعرضت أكثر كتب الجغرافيا و المسالك لها.
أما المقدسي؛ فقد ذكر مملكة الإسلام في كتابه «أحسن التقاسيم».
و حرّر طرقها المعروفة، و قسمها أربعة عشر اقليما؛ هي:
(أ) أقاليم العرب:

١- جزيرة العرب. ٢- العراق. ٣- اقور. ٤- الشام. ٥- مصر.
٦- المغرب.

(ب) أقاليم العجم:

١- المشرق. ٢- الديلم. ٣- الرحاب. ٤- الجبال. ٥- خوزستان.
٦- فارس. ٧- كرمان. ٨- السند.

و الطرق إلى مكة منها، أربعة؛ هي:

١- طريق العراق من الكوفة الى المدينة، و هو طريق أقاليم العجم-
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٥٢

أيضا. ٢- طريق الشام. ٣- طريق مصر، و هو طريق المغرب- أيضا. ٤- طريق الجزيرة.
و أما ابن رستم؛ فقد ذكر في «الأعلاق النفيسة»:

أ- الطريق من مدينة السلام الى إقصى خراسان و غيرها.

١- المسافة من مدينة السلام إلى الرى. ٢- الطريق من الرى إلى نيسابور.

٣- الطريق من نيسابور إلى طوس. ٤- الطريق من نيسابور إلى هراة.

٥- الطريق من هراة إلى كرمان. ٦- الطريق من هراة إلى سجستان.

ب- الطريق من بغداد إلى مكة: ج- الطريق من المدينة إلى مكة.

د- الطريق من الكوفة إلى البصرة. ه- الطريق من البصرة إلى مكة.

و- الطريق من البحرين إلى مكة. ز- الطريق من مصر إلى مكة:

١- على ساحل البحر على طريق سوان. ٢- من فسطاط مصر إلى المدينة.

ح- الطريق من دمشق إلى المدينة. ط- الطريق من مكة إلى الطائف.

ى- الطريق من البصرة إلى اليمامة. ك- الطريق من بغداد إلى البصرة.

ل- الطريق من واسط إلى سوق الأهواز.

١- من سوق الأهواز إلى فارس. ٢- من سوق الأهواز إلى ازم إلى فارس. ٣- من سوق الأهواز إلى رامهرمز إلى فارس. ٤- من باذ بين (على خمسة فراسخ من واسط) إلى ارجان.

م- الطريق من الاهواز إلى فارس. ن- الطريق من الاهواز إلى شيراز. س- الطريق من ارجان إلى شيراز. ع- الطريق من اصبهان إلى الرى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٥٣

و اما اليعقوبى؛ فقد ذكر فى «البلدان» مسافة ما بين كل بلد و بلد، و مصر. و ابتداءً بالعراق، و ذكر بغداد، و سر من رأى. ثم ذكر سائر البلدان. و قسم الأقطار على أربعة أقسام:

أ- الربع الأول؛ ربع المشرق:

١- الجبل. ٢- اذربيجان. ٣- قزوین. ٤- زنجان. ٥- قم.

٦- اصبهان. ٧- الرى. ٨- طبرستان. ٩- جرجان. ١٠- ستجستان.

١١- خراسان. ١٢- ما اتصل بخراسان؛ من التبت، و تركستان.

ب- الربع الثانى؛ الربع القبلى:

١- الحجاز. ٢- المدينة. ٣- مكة. ٤- الطائف.

ج- الربع الثالث؛ ربع الشمال:

١- المدائن. ٢- واسط. ٣- البصرة. ٤- الأبله. ٥- اليمامة. ٦- البحرين. ٧- عمان. ٨- السند. ٩- الهند.

د- الربع الرابع؛ (ربع الغرب).

و اما ابو الفرج قدامة بن جعفر؛ فقد تعرّض فى كتاب «الخراج» لعلم الطرق. و عدد اسماء المواضع، و ذكر المنازل، و عدد الأميال و الفراسخ. و بدأ بالطريق المأخوذ من:

١- مدينة السلام (إلى الكوفة ثم إلى المدينة ثم) إلى مكة. ٢- من المدينة إلى مكة. ٣- من مصر إلى مكة. ٤- من دمشق إلى مكة.

٥- من اليمامة إلى مكة. ٦- من صنعاء إلى مكة. ٧- من مخلاف خولان إلى مكة. ٨- من عمان إلى مكة: أ- طريق الساحل. ب-

طريق الجادة. ٩- الطريق إلى نواحي المشرق: أ- الأهواز. ب- فارس.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٥٤

ج- اصبهان. د- كرمان. هـ- سجستان. و- ما والاها إلى نواحي الشمال، و المغرب.

و اما ابن حوقل فقد فصل بلاد الاسلام فى «صورة الأرض» اقليمًا اقليمًا، و صقعا صقعا، و رسم جميع ما تشتمل عليه من الطرق، و السبل، و المسالك، و المسافات و المراحل. و البلاد التى عددها هى:

١- ديار العرب. ٢- بحر فارس. ٣- المغرب. ٤- الأندلس.

٥- صقلية. ٦- مصر. ٧- الشام. ٨- بحر الروم. ٩- الجزيرة.

١٠- العراق. ١١- خوزستان. ١٢- فارس. ١٣- كرمان.

١٤- السند. ١٥- أرمينية و الران و اذربيجان. ١٦- الجبال. ١٧- الديلم، و طبرستان. ١٨- بحر الخزر. ١٩- مفازة خراسان و فارس.

٢٠- سجستان. ٢١- خراسان. ٢٢- ما وراء النهر.

و اما ابن خرداذبة؛ فقد اوضح فى كتاب «المسالك و الممالك».

مسالك الارض، و ممالكها، و المسير بين ذلك منها، و رسوم طرقها.

و ذكر قبلة اهل كل بلد، و ابتداءً بالسواد، ثم المشرق ... و ذكر:

١- الطريق من مدينة السلام إلى إقاصى خراسان. ٢- طريق الشاش و الترك. ٣- الطريق إلى الكور الجبلية و واسط و الأهواز و فارس.
 ٤- الطريق من شيراز إلى كرمان ثم إلى سجستان. ٥- الطريق من شيراز إلى نيسابور. ٦- الطريق من شيراز إلى درابجرد. ٧- الطريق من الفهرج إلى السند. ٨- الطريق من الأهواز إلى اصفهان. ٩- الطريق من اصفهان إلى الرى. ١٠- الطريق من بغداد إلى البصرة. ١١- الطريق من البصرة إلى عمان على الساحل. ١٢- الطريق من البصرة إلى المشرق.

١٣- الطريق إلى الصين. ١٤- الطريق من مدينة السلام إلى المغرب.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٥٥

١٥- الطريق من الفسطاط إلى المغرب. ١٦- الطريق من بغداد إلى الرقة.

١٧- الطريق من نصيبين إلى أرن. ١٨- الطريق من الجزيرة إلى الساحل.

١٩- الطريق من الكوفة إلى دمشق. ٢٠- الطريق من مدينة السلام إلى مكة. ٢١- الطريق من مكة إلى اليمن. ٢٢- الطريق من البصرة إلى مكة.

٢٣- الطريق من اليمامة إلى مكة. ٢٤- الطريق من عمان إلى مكة.

٢٥- الطريق من مصر إلى مكة. ٢٦- الطريق من دمشق إلى مكة.

غير عشرات الطرق الأخرى التي ذكرها فى أثناء ذلك.

و خصّ حمد الله المستوفى القزوينى الطرق و كمية مسافتها بفصل مطوّل ممتع فى كتاب «نزهة القلوب» الذى ألفه سنة ٧٤٠هـ؛ فقسم الطرق إلى:

أ- الطريق الجنوبية؛ و هى القبلىة:

١- من السلطانية إلى النجف. - من السلطانية إلى همدان. - من همدان إلى قصر شيرين. - من قصر شيرين إلى بغداد. - من بغداد إلى النجف.

٢- من النجف إلى مكة. ٣- من مكة إلى المدينة. - بطريق الجادة.

بطريق بدر.

من المدينة إلى النجف. ٥- من واسط إلى الثعلبية ثم إلى مكة.

٦- من بغداد إلى سائر البلاد؛ ثم إلى البصرة ٧- من البصرة إلى البحرين.

٨- من البصرة إلى قيس. ٩- من بغداد إلى اصفهان. ١٠- من بغداد إلى رحبة الشام. ١١- من بغداد إلى الموصل.

ب- الطريق الشرقية:

١- من السلطانية إلى جيحون. - من السلطانية إلى الرى و ورامين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٥٦

- من ورامين إلى رباط مهمان دوست. - من مهمان دوست؛ بطريق جاجرم إلى نيسابور. - من نيسابور إلى سرخس. - من سرخس؛ بطريق بلخ إلى جيحون.

٢- من بسطام إلى خوارزم، بطريق جرجان و دهستان ٣- من نيسابور إلى هرات. ٤- من نيسابور إلى ترشيز و قهستان. ٥- من هرات إلى سيستان. ٦- من هرات إلى مرو. ٧- من مرو إلى بلخ. ٨- من مرو إلى خوارزم.

ج- الطريق الشمالية؛ من السلطانية إلى باب الأبواب:

من السلطانية إلى اردبيل. - إلى قراباغ أزان. - من قراباغ إلى تبريز بطريق اهر.

د- الطريق الغربية، من السلطانية إلى قونية:

- من السلطانية إلى تبريز. - من تبريز إلى ارزن الروم. - من ارزن الروم إلى ارزنجان و من الرزنجان إلى سيواس.
- ه- الطريق ما بين الشرق و الجنوب؛ و من السلطانية إلى قيش:
- من السلطانية إلى ساوة. - من ساوة إلى كاشان. - من كاشان إلى اصفهان. - من اصفهان إلى يزدخواست. - من يزدخواست بالطريق الصيفية إلى شيراز. - من شيراز إلى قيش. - من قيش إلى سرنديب.
- من شيراز إلى كازرون. - من شيراز إلى هرموز. - من شيراز إلى شبانكاره. - من شيراز إلى ابرقوه. - من ابرقوه إلى يزد. - من شيراز إلى نوبنجان. - ثم إلى تستر
- و- الطريق ما بين الغرب و الجنوب؛ من السلطانية إلى قلعة بيرو.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٥٧
- هذا- و عمدة الطرق إلى مكة:
- ١- طريق الكوفة. ٢- طريق البصرة. ٣- طريق الشام. ٤- طريق مصر. ٥- طريق اليمن. ٦- طريق جدة. ٧- طريق المدينة.
- أما طريق الكوفة؛ و هو طريق جميع أهل المشرق:
- فمن الكوفة إلى القادسية ١٥ ميلا
- ثم إلى العذيب ٦ أميال
- ثم إلى المغيثة ٢٤ ميلا.
- و المتعشى وادى السباع على ١٥ ميلا.
- ثم إلى القرعاء ٣٢ ميلا.
- و المتعشى مسجد سعد على ١٤ ميلا.
- ثم إلى واقصة ٢٤ ميلا.
- و المتعشى بالطرف على ١٤ ميلا.
- ثم إلى العقبة ٢٩ ميلا.
- و المتعشى القبيبات على ١٤ ميلا.
- ثم إلى القاع ٢٤ ميلا.
- و المتعشى بالجلحاء على ١٣ ميلا.
- ثم إلى زباله ٢٤ ميلا.
- و المتعشى بالجريسى على ١٤ ميلا.
- ثم إلى الشقوق ٢١ ميلا.
- و المتعشى التناير على ١٤ ميلا.
- ثم إلى البطان- و هى قبر العبادى- ٢٩ ميلا.
- و المتعشى بردين على ١٤ ميلا.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٥٨
- ثم إلى الثعلبية- و هى ثلث الطريق- ٢٩ ميلا.
- و المتعشى بالمهلبية على ١٤ ميلا.
- ثم إلى الخزيمية ٣٢ ميلا.

- و المتعشى الغميس على ١٤ ميلا.
 ثم إلى الأجر ٢٤ ميلا.
 و المتعشى بطن الأعز على ١٥ ميلا.
 ثم إلى فيد- و هي نصف الطريق- ٣٦ ميلا.
 و المتعشى القرائن على ٢٠ ميلا.
 ثم إلى توز ٣١ ميلا.
 و المتعشى بالقرنتين على ١٧ ميلا.
 ثم إلى سميراء ٢٠ ميلا.
 و المتعشى بالفحيمة على ١٣ ميلا.
 ثم إلى الحاجر ٣٣ ميلا.
 و المتعشى العباسية على ١٥ ميلا.
 ثم إلى معدن القرشى- و العامة تسميه معدن النقرة» ٣٤ ميلا.
 و المتعشى ترورى على ١٧ ميلا.

الطريق الى المدينة

- من المعدن إلى العسيلة ٤٦ ميلا.
 ثم إلى بطن نخل ٣٦ ميلا.
 ثم إلى الطرف ٢٢ ميلا.
 ثم إلى المدينة- و هي طيبة- ٣٥ ميلا.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٥٩

طريق الجادة من المدينة الى مكة

- من المدينة إلى الشجرة- و هي ميقات اهل المدينة- ٦ أميال.
 ثم إلى ملل ١٢ ميلا.
 ثم إلى السیالة ١٩ ميلا.
 ثم إلى الرويثة ٣٤ ميلا.
 ثم إلى السقيا ٣٦ ميلا.
 ثم إلى الأبواء ٢٩ ميلا.
 ثم إلى الحجفة- و هي ميقات اهل الشام- ٢٧ ميلا.
 ثم إلى قديد ٢٧ ميلا.
 ثم إلى عسفان ٢٤ ميلا.
 ثم إلى بطن مرّ ٣٣ ميلا.
 ثم إلى مكة ١٦ ميلا.

طريق الجادة من معدن النقرة الى مكة

منها إلى مغيثة الماوان ٣٣ ميلا.
و المتعشى السمط على ١٦ ميلا.
ثم إلى الربذة ٢٤ ميلا.
و المتعشى أريمه على ١٤ ميلا.
ثم إلى معدن بنى سليم ٢٤ ميلا.
و المتعشى شرورى على ١٢ ميلا.
ثم إلى السليله ٢٦ ميلا.
و المتعشى بالكنابين على ١٣ ميلا.
ثم إلى العميق ٢١ ميلا.
موسوعه العتبات المقدسه، ج ٢، ص: ١٦٠
و المتعشى السنجه على ١٢ ميلا.
ثم إلى الايعيه ٣٢ ميلا.
و المتعشى الكراع على ١٥ ميلا.
ثم إلى المسلح- و هى ميقات اهل العراق- ٣٤ ميلا.
و المتعشى الكبرانه على ١٤ ميلا.
ثم إلى الغمره ١٨ ميلا.
و المتعشى القصر على ٨ أميال.
ثم إلى ذات عرق ٢٦ ميلا.
و المتعشى أوطاس على ١٢ ميلا.
ثم إلى بستان بنى عامر ٢٢ ميلا.
و المتعشى غمر ذى كنده على ١١ ميلا.
ثم إلى مكة ٢٤ ميلا.
و المتعشى مشاش على ١١ ميلا.
و الطريق من مدينه السلام- بغداد- إلى الكوفه:
من بغداد إلى جسر كوثرى ٧ فراسخ.
ثم إلى قصر ابن هبيرة ٥ فراسخ.
ثم إلى سوق اسد ٧ فراسخ.
ثم إلى شاهى ٧ فراسخ.
ثم إلى الكوفه ٥ فراسخ.
فذلك ٣١ فرسخا. فمن بغداد إلى مكة ٢٧٥ فرسخا و ثلثا فرسخ.
تكون أميالا ٨٢٧ ميلا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٦١

و اما الطريق من البصرة إلى مكة

من البصرة إلى المنجشانية، ثم إلى الحفير، ثم إلى الرحيل، ثم إلى الشحجى، ثم إلى الخرجاء، ثم إلى الحفر، ثم إلى ماوية، ثم إلى ذات العشر، ثم إلى الينسوعه، ثم إلى السمينه، ثم إلى النباح، ثم إلى العوسجه، ثم إلى القريتين، ثم إلى رامة، ثم إلى امره، ثم إلى طخفه، ثم إلى ضريه، ثم إلى جديله، ثم إلى فلجه، ثم إلى الدفينه، ثم إلى قبا، ثم إلى مران، ثم إلى وجره، ثم إلى اوطاس، ثم إلى ذات عرق، ثم إلى بستان بنى عامر، ثم إلى مكة.

و اما الطريق من مصر إلى مكة

من الفسطاط إلى العجب، ثم إلى البويب، ثم إلى منزل ابن بندقه، ثم إلى عجرود، ثم إلى الذنبه، ثم إلى الكرسى، ثم إلى الحفر، ثم إلى منزل، ثم إلى أيله، ثم إلى حقل، ثم إلى مدين، ثم إلى الأغراء، ثم إلى منزل، ثم إلى الكلابه، ثم إلى شغب، ثم إلى بدا، ثم إلى السرحتين، ثم إلى البيضاء، ثم إلى وادى القرى، ثم إلى الرحيه، ثم إلى ذى المروه، ثم إلى المر، ثم إلى السويداء، ثم إلى ذى خشب، ثم إلى المدينه، ثم إلى المنازل التى قد مر ذكرها إلى مكة.

و اما الطريق من دمشق الى مكة

من دمشق إلى منزل، ثم إلى منزل، ثم إلى ذات المنازل، ثم إلى سرخ، ثم إلى تبوك، ثم إلى المحدثه، ثم إلى الأقرع، ثم إلى الجنيهه، ثم إلى الحجر، ثم إلى وادى القرى، ثم إلى الرحيه، ثم إلى ذى المروه، ثم إلى المر، ثم إلى السويداء، ثم إلى ذى خشب، ثم إلى المدينه، ثم إلى المنازل التى قد مر ذكرها إلى مكة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٦٢

و اما الطريق من اليمن الى مكة

من صنعاء إلى اثافث، ثم إلى خيوان، ثم إلى الأعمشيه، ثم إلى صعده، ثم إلى عرقه، ثم إلى المهجره، ثم إلى سروم راح، ثم إلى الشجه، ثم إلى كتنه، ثم إلى بيمبم، ثم إلى بنات حرب، ثم إلى جساء، ثم إلى بيشه، ثم إلى تباله، ثم إلى رنيه، ثم إلى كرى، ثم إلى تربه، ثم إلى صفن، ثم إلى الفتق، ثم إلى قرن المنازل، ثم إلى بئر ابن المرتفع، ثم إلى مكة.

أما المنازل؛ التى سلكتها ام جعفر «زبيده» سنه حجها؛ و قد نزلها أحمد بن عمرو؛ فهى: نهر عيسى. الفرات. نهر سورا. نهر أبا.

الفرات الأسفل. الكوفه. القادسيه. المغيئه. القرعاء. واقصه. العقبه.

القاع. زباله. الشقوق. بطن. الثعلبيه. الخزيميه، من زرود. الأجر.

فيد. توز. سميرا. الحاجر. النقره. مغيئه الماوان. الربذه. السليله.

العمق. المعدن. افيعيه. المسلح. الغمره ذات عرق. البستان. المشاش.

مكة - منى - عرفات - المزدلفه - المشعر. بطن مر. عسغان. فديد.

الجحفه. الأبواء. السقيا. الروحاء. السياله. ملل. المدينه. الطرف.

بطن نخل. العسيله. المحدث. ثم الطريق الأول نحو العراق.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٦٣

مكة في الشعر

إشارة

جمعه و نسقه حسب الحروف الهجائية فؤاد عباس من خريجي الجامعة الاميركية ببيروت و المفتش الاختصاصي في وزارة التربية العراقية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٦٥

ابو العلاء المعري

استغفر الله في أمني و اوجالي من غفلتي و توالي سوء اعمالي
قالوا هرمت و لم تطرق (تهامة) في مشاء و فد و لا ركبان أجمال
فقلت: إنني ضرير و الذين لهم رأي رأوا غير فرض حج امثالي
ما حج جدى و لم يحجج أبى و أخى و لا ابن عمى و لم يعرف (منى) خالى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٦٦ و حج عنهم قضاء بعد ما ارتحلوا قوم سيقضون عنى بعد ترحالى
فان يفوزوا بغفران أفر معهم أو لا فأنى بنار مثلهم صال
و لا أروم نعيما لا يكون لهم فيه نصيب و هم رهطى و اشكالى

سيسأل ناس ما قرينش و مكة كما قال ناس ما جديس و ما طسم
أرى الوقت يفنى أنفسا بفنائها و يحو فيما يبقى الحديث و لا الرسم

مكة أقوت من بنى الدرديس فما لجنى بها من حسيس

احمد بن ابراهيم

الخازن بالزهراء (يمدح الخليفة الحكم المستنصر):
ليهنتك أن لم يبق فى الأرض ناكث و لا مشرك إلا أتاك بلا عهد
و لم يبق إلا أن يحل بمكة فيطرد عنها المستحقين للطرد

احمد شوقى

تجلّى مولد الهادى و عمّت بشائره البوادرى و القصبا
و أسدت للبرية بنت وهب يدا بيضاء طوّقت الرقابا
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٦٧ فقام على سماء البيت نورايضىء جبال (مكة) و الشعابا

ما للشباب و للماضى يمرّ بهم فيه على الجيف الأحزاب و الشيع

شريف مكة حرّ في ممالكه فهل ترى القوم بالحزبة انتفعوا؟
 *** و قال يخاطب الاستانة حين نقل الكماليون العاصمة الى انقره و يشير الى فتوى شيخ الاسلام بقتالهم:
 هدروا دماء الذائدين عن الحمى بلسان مفتى النار لا مفتيك
 شربوا على سرّ العدو و غزّوا كالبوم خلف جدارك المدكوك
 لو كنت (مكة) عندهم لرأيتهم كمحمد) و (رفيقه) هجروك
 *** و قال فى قصيدته التى يعارض بها قصيدة البوصيرى:
 سائل حراء و روح القدس هل علمامصون سرّ عن الادراك منكم
 كم جيئ و ذهاب شرفت بهما بطحاء مكة فى الاصبح و القمم
 هناك اذن للرحمن فامتلات اسماع (مكة) من قدسيه النغم

امية بن ابى الصلت

كان عبد الله بن جدعان من مطعمى قريش كهاشم بن عبد مناف، و هو اول من عمل الفالودج للاضياف، فقال فيه امية بن ابى الصلت
 يمدحه:

له داع بمكة مشمعل و آخر فوق دارته ينادى
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٦٨ إلى ربح من الشيزى ملاءلباب البرّ يلبك بالشهاد

جرهمى شاعر

يا عمرو لا تظلم بمكة إنّها بلد حرام
 سائل بعاد اين هم؟ و كذلك تخترم الانام
 و بنى العماليق الذين لهم بها كان السوام

الحارث بن خالد

من كان ذا شجن بالشام يحبسه فان فى غيره أمسى لى الشجن
 و ان ذا القصر حقًا ما به وطنى لكن بمكة أمسى الاهل و الوطن
 من ذا يسائل عنا اين منزلنا (فالاقحوانة) منا منزل قمن
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٦٩

ابن حجر العسقلانى

(شهاب الدين احمد بن على) يمدح النبى (ص):
 و بفتح مكة قد عفا عمّن هفأأتوه بالترغيب و الترهيب
 لم يحتموا من ميم طعنات و لألفات ضربات و لام حروب

الا ليت شعرى هل ابين ليلة بمكة أشفى ذا الفؤاد المفنّدا؟

و هل اردن ماء النعيم بزمزم و هل لى ان اروي و اسعى و اسعدا؟

حسان بن ثابت

و قال فى قوم من بنى كعب من خزاعة كان النبى (ص) ادخلهم فى حلفه يوم الحديبية فعدرت بهم قريش:
عنانى و لم اشهد ببطحاء مكّة رعاة بنى كعب تحزّ رقابها
و لو شهد البطحاء منا عصابة لهان علينا يوم ذاك ضرابها

الحصرى القيروانى

(ابو الحسن على بن عبد الغنى) الضرير ابن اخت صاحب كتاب زهرة الآداب.
يا حرفه الشعراء إنك منهم حيث ابتغوا رزقا بالمرصاد
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٧٠ لو حلّ بالوادي المقدّس ركبهم لشفاء غلّتهم لجفّ الوادى
و لو ابتغوا حلق الرؤوس بمكة حضر (الرشيد) بها و غاب (الهادى) *** عسى من يوفّى النذور
حجّا و يقضى النفث يزدنى دعوة بمكة
إذ لا رفت؟ يغيث بها باكيا
فأى الثرى لم يغث؟؟

السيد رشيد الهاشمى

قامت بقيامكم العرب و زهت بفعالكم الكتب
غنت بكم الاقلام و قدر قصت لأغانيتها القضب
اوصال الملك مقطعة و قلوب بنيه تضطرب

ابن الزبيرى السهمى

كانت قريش بيضة فتفلقت فالبح خالصها لعبد مناف
(عمرو العلاء) هشم الثريد لمعشر كانوا بمكة مستنين عجاف

الشيخ صالح التميمى

قال- رحمه الله- دخلت بعد قتل محمد بك و عبد العزيز آل الشاوى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٧١
على دارهم و هى موحشة منهم، و قد نزل فارس الجرباء، و خواصهم بين غاد و رايح، فقلت:
بالله يا دار المكارم ما الذى اضىنى ربوعك يا شفاء الانفس
عجبا لقوم يهرعون لمجلس و نسوا بربعك طيب ذاك المجلس
قد قلت لما أن رأيت حجيجهم شتان (مكتنا) و (بيت المقدس)

شاعر

و أية ارض انت فيها ابن معمر كمكة لم يطرق بشر حمامها

شاعر

ليال تمنى ان تكون حمامة بمكة يؤويك الستار المحرم

شاعر

كأنى لم أظن بمكة ساعة ولم يلهنى فيها ريب منعم
و لم اجلس الحوضين شرقى زمزم و هيهات أنى منك لا أين زمزم

عبد الباقي العمري

يمدح الامام على (ع)
انت العلى الذى فوق العلى رفعا بطن مكة وسط البيت اذ وضعها
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٧٢

عبد الحسين الحويزى

و الهدى يوم فتح (مكة) نادى بعلو التكبير و التهليل
و صناديدها غدت طلقاء من يديه جيلا ترى بعد جيل
الشيخ عبد الحسين الحويزى

عبد الله بن ثور الخفاجى

فأصبح بطن مكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها هشام

عبد الله بن حسن بن حسن

أنس حرائر ما هممن بريء كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانياو يصدهن عن الخنا الاسلام

عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى

أمكة تفديك النفوس الكرائم و لا برحت تنهل فيك الغمام
عليك سلام الله ما طاف طائف بكعبتك العليا و ما قام قائم
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٧٣

الشيخ عبد المحسن الكاظمى

يا اهل مكة و الورى ما تنفضى حجّاتها
 فى كل عام عندكم تقضى الفروض قضاتها
 و بكلّ يوم عندنا حجج تفضلّ هداتها
 الجسر (مكتنا) و كئبان النقا (عرفاتها)
 و (منى) جزيرتنا التى قطع الحشا حصياتها
 الشيخ عبد المحسن الكاظمى

الشيخ محمد على كمونه

آثرنا أن نجتزىء من هذه القصيدة العامرة فى رثاء الحسين (ع) ما يتعلّق بذكر كفيته الحجّ و ذكر مناسكه فى زمنه السفر على ظهور الابل.

نرى ظعنا يبغى (منى) فا (لمحصبا) فادنى اليه اليعملات و قربا
 و قوض من بعد الاقامة راحلا يلفّ الربى بالبيد و البيد بالربى
 و جشمها شرق البلاد و غربها اذ جاز منها سبسبا ام سبسبا
 ليقضى عليها من (منى) غايه المنى فقد شاقه من (شعبه) ما تشعبا
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٧٤ و قد جنحت (للخيف) حتى كأنما قوائمها نيطت بأجنحة الصبا
 و ارسلها و خدا الى ذلك الحمى و منه الجناب الرحب حيا و رحبا
 و عرس كيما يستريح ركابه باعطانها مما عراها و أعبا
 و لما حدا الحادى و هاج اها جهارواقص للادلج هجن تطربا
 و وجّه تلقاء (المعرّف) وجهه ليقضى به فرض (الوقوف) تقربا
 و لما قضى (التعريف) و الشمس آذنت و قد ازف الترحال- ان تتحجبا
 و حيث (أفاض) الناس أرخى ركابه و ألوى به (للمشعرين) و نكبا
 و قد رقصت عند (المحسر) من (منى) به و على اكوارها ماس مطربا
 و ضجّ فضجّ الناس كلّ مؤديا من (الذكر) ما نصّ الاله و اوجبا
 و ما لى الى جمع (الجمار) و (رميها) و لما رماها ساق (هديا) و قربا
 و طاف (بيت الله) سبعا إنابة اليه و صلّى فى (المقام) و عقبا
 و قد اوسع (الاركان) عند (استلامها) دموعا فخيّل السيل قد بلغ الزبى
 و اكثر عند (المستجار) تنصّلا الى ربّه مما أساء و أذبا
 و ساغ اليه الورد من ماء (زمزم) و أعذب بماء ورده ساغ مشربا
 و (للسعى) بين (المروتين) مهر و لاسعى و بجلباب الخضوع تجلببا
 و سارع (للتقصير) غير مقصّر و شرّق (للتشريق) ينحو (المحصبا)
 و لما قضى نسكا (مناسك) حجّه نحا (يثربا) لا ابعد الله يثربا
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٧٥

عبد المطلب بن هاشم

نحن اهل الله في (بلدته) لم يزل ذاك على عهد (ابراهيم)
 نعبد الله و فينا شيمه ضلله القربى و ايفاء الذمم
 ان للبيت لربا مانع من يرد به باثام يصطلم
 *** أم الغوث بن أكرم حين نذرت إن ولدت غلاما لتجعلنه عبدا للكعبة يخدمها فولدت الغوث و وفيت بنذرها.
 انى جعلت رب من بينه ربيطة بمكة العليه
 فباركن لى به إلهه و اجعله لى من صالح البريه

قصي بن ربيعة

انا ابن العاصمين بنى لوى بمكة مولدى و بها ربيت
 و لى البطحاء قد علمت معدو مروتها رضيت بها رضيت

كعب بن زهير

من لاميته المشهورة: بانث سعاد
 ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
 فى عصبه من قريش قال قائلهم بطن (مكة) لما اسلموا: زولوا
 زالوا فما زال أنكاس و لا كشف عند اللقاء و لا ميل معازيل
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٧٦

السيد محمد سعيد الجبوبي

قال راثيا (بعض الكبراء) و قد توفى بطريق مكة المشرفة
 سرى و حداء الركب حمد أياديه و آب و ما حاد لهم غير ناعيه
 أحين غشى بطحاء مكة شيخها فكانت تغنى بالنسيب مغانيه
 فكان كابراهيم زار (مقامه) و فى (حجر) اسماعيل كان كبانيه
 كأنى به فى مكة او مدينة يلاقيه اهلها فيدهش لاقيه
 فمن مرتج منه و من مغرم به و من آخذ عنه و من واثق فيه
 السيد محمد سعيد الجبوبي

مضاض بن عمرو الجرهيمى (جاهلى)

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا نيس و لم يسمر بمكة سامر
 و لم يتربع واسطا فجنوبه الى المنحنى من ذى الاراكه حاضر
 بلى نحن كنا اهلها فأبادنا صروف الليالى و الجودد العواثر

فسحت دموع العين تبكى لبلدها حرم و فيها المشاعر

ابن ام مكتوم

قال و هو آخذ بخطام ناقة رسول الله (ص) و هو يطوف:

حبذا مكة من وادى بها ارضى و عوادي

بها ترسخ او تادى بها امشى بلا هادى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٧٧

مكة فى المراجع الغربية

اشارة

كتبه و ترجمه من مختلف المصادر جعفر الخياط الحائز على درجة استاذ علوم M.S.C من جامعة كليفورنيا و مدير التعليم الثانوى، و

المفتش الاختصاصى بوزارة التربية سابقا و مدير التعليم المهنى حالا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٧٩

مكة فى المراجع الغربية

مقدمة

تعتبر مكة المكرمة اول بلد مقدس فى الاسلام، ففيها اول الحرمين و ثانى القبلتين، و هى مهبط الوحي و التنزيل و محط أنظار

المسلمين، يتوجهون شطرها فى صلواتهم و يحجون اليها من كل حدب و صوب.

و لذلك فليس من العجيب ان تهفو لها قلوب المسلمين و المؤمنين فى مشارق الأرض و مغاربها، و تخشع لها نفوسهم، فيتمنون على

الله مخلصين ان يمنحهم التوفيق من عنده لزيارتها و يكتب لهم حج البيت فيها قبل ان يتوفاهم الله اليه، و يفارقوا هذه الحياة الدنيا.

و كيف لا تكون لهذا البلد الامين مثل هذه القدسية و هذا التبجيل عند

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٨٠

المسلمين، و هو عنوان مجدهم و ينبوع هدايتهم و عقيدتهم. و كيف لا ترنو اليه الابصار، و تهفو له الأفئدة، و هو الذى تمتزج ذكرياته

الحافلة بتاريخهم العريق و تشتبك أحاسيسه بمجدهم التليد.

فقد كان لظهور الاسلام، الذى تفجرت ينابيعه من بطاح مكة و وهاذا القاحلة، و للمعجزة الخالدة التى حققها محمد و المهتدون

بهديه فى نشر الاسلام بمثل تلك السرعة الخاطفة فى الخافقين، صدى ما زال يرن فى الغرب و يدوى فى أرجائه. فراح علماءه و

مستشرقوه يبحثون فى كل ما له علاقة بهذه الدعوة، التى اهتدى المسلمون بهديها و استضاءوا بنورها، فأخذ العالم يدرس أحوال مكة

التي انبثق منها ذلك النور، و يمحص المؤرخون جميع ما يمت اليها بصله. و قد بلغ من اهتمام الغربيين بمكة أن دخل اسمها فى لغتهم

و اصبح كلمة خاصة تدرج فى القواميس لتدل على الجهة التى يتوجه اليها الناس أو يقصدونها بصفة دائمة.

و لم يكتفوا بذلك فقط، و انما شد لها الرحالون الغربيون رحالهم أيضا و قصدوا السياح و المسافرين منهم فجازفوا بأنفسهم و

أرواحهم ليدخلوا فيها و يحجوا اليها متنكرين. و قد حالف التوفيق عددا منهم، و فشل كثيرون غير هؤلاء، فتكونت مما كتبوه و دونوه

عن تلك الدراسات و المجازفات ثروة علمية يصعب على الباحث ان يحيط بها كلها، لا سيما و ان ما كتب لم يكن فى لغة واحدة من

اللغات الغربية الحية و انما كتب بلغات عدة أخصها الانكليزية و الألمانية و الفرنسية.

و لا- يخفى ان الدوافع التي تدفع الغربيين الى الاهتمام بمكة و ما يتصل بها من شؤون، او الكتابة عنها، هي دوافع معروفة أهمها: الأغراض التبشيرية، او البحث العلمي، او المجازفة و التطويح او التجسس و الأغراض السياسية في الغالب. على اننا سنحاول في هذا البحث ان نورد نماذج مفيدة عن أهم ما كتب عن مكة باللغة الانكليزية على الأخص، مع موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٨١

التنبية الى ان شيئا غير يسير مما كتب في هذه اللغة يعتبر بعضه مترجما عن الألمانية او الفرنسية او الإيطالية او الهولندية، فضلا عن استناد الكثير منه على المصادر العربية.

و الملاحظ أن أهم المراجع الغربية التي تتطرق الى ذكر الكثير عن مكة المكرمة و شؤونها (دائرة المعارف الإسلامية) الموسوعة و المختصرة، التي يشرف على تحريرها المستشرقان المعروفان غيب و كريموز. فقد وجدت فيها خلاصة شاملة تناول تاريخ مكة في مختلف ادوارها، و شؤون الحج فيها و ما يتصل به من المناسك و الطقوس و ما أشبهه. و سنورد هنا أهم ما جاء في هذه الخلاصة التي كتب معظمها المستشرق الفرنسي لامانس بالاشتراك مع الاستاذ فنسك .

مكة قبل الهجرة

إشارة

يبدأ هذان الاستاذان بحثهما بالقول ان مكة المكرمة قد خرجت من بين اشباح الماضي السحيق و فرضت نفسها على المؤرخين بولادة النبي محمد فيها ما بين سنتي ٥٧٠ و ٥٨٠ ميلادية. و يبدو ان الجغرافي اليوناني بطليموس كان يعرفها باسم «ماكورا» لكنها كانت معروفة قبل زمانه بمدة طويلة.

فقد كانت على ما يحتمل محطة من المحطات الواقعة في «طريق البخور» الذي كانت تسلكه القوافل المحملة بالمنتجات الشرقية المصدرة الى عالم البحر الابيض المتوسط، و لا سيما العطور الثمينه منها. و تعزى الأهمية التي كانت تتمتع بها مكة الى كونها كانت واقعة في ملتقى الطرق التجارية الكبرى في تلك العصور الغابرة. فقد كانت هذه المدينة، التي نشأت حول بئر موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٨٢

زمزم و الكعبة المقدسة، تقع في موقع تنتهي فيه أطراف آسية التي تسكنها الأقوام البيضاء من جهة و أفريقية السودان من جهة أخرى، على مقربة من إحدى الفتحات التي تتخلل جبل الصراة، و في جوار ملتقى للطرق كان يؤدي من بابل و سورية الى مرتفعات اليمن و سواحل البحر الأحمر و المحيط الهندي. و بطريق البحر كانت تتصل بالقارة الأفريقية المجهولة.

و مما يذكر عن علاقات مكة الخارجية في تاريخها القديم ان سكانها كثيرا ما كانوا يدخلون في مفاوضات مع الدول المجاورة. و كانوا يحصلون منها على حسن المعاملة و حرية المرور لقوافلهم، و هو ما كان يطلق عليه مؤرخو العرب «ضمانة كسرى و قيصر». و كانوا يعقدون اتفاقيات كذلك مع النجاشي في الحبشة، و شيوخ نجد الكبار، و أقيال اليمن، و ملوك الحيرة و الغساسنة. على أنهم لم يكن بوسعهم الحصول على معاملة «الباب المفتوح» في مفاوضاتهم مع الايرانيين و الأغرقيق، و لذلك كان التبادل التجاري يجري مع هؤلاء في الثغور الواقعة على الحدود او المدن التي تعين لهذا الغرض: و من هذه المدن في فلسطين كانت غزة و أيلة و ربما القدس أيضا، اما في سورية فقد كانت بصرى منفذهم الرئيس و سوقهم الكبرى.

و هناك في هذا المبحث إشارة الى ما جاء في الآية الكريمة عن «رحلة الشتاء و الصيف»، و الى ان النسابة العرب يذكرون أسماء

رؤساء قريش الذين توفقوا في الحصول على الرخص المطلوبة للمتاجرة بطريق المفاوضات.

و كان البلد الذي يحصلون على رخصة للمتاجرة فيه يسمى عندهم «وجه» او «متجر»، كما كان هناك ما لا يحصى من القيود التي تحدد امتياز هذه المتاجرة. فلم تكن الدول الشرقية مثلا تسمح لأهل مكة بالتجارة الحرة و كانت بيزنطة أكثر شكا و ارتيابا بالأجانب، و لا سيما البدو منهم.

و لذلك كان العرب يحصلون على حق المتاجرة لقاء تضحيات كبيرة و تكاليف غير يسيرة، مثل دفع الضرائب الباهظة أو رسوم خاصة للكمارك و العبور أو وضع الرهائن.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٨٣

و تقول دائرة المعارف الإسلامية في هذا الشأن ان مكة كانت تعوض ما تخسره في هذه المعاملات عن طريق فرض تكاليف و رسوم عديدة على التجار الأجانب الذين كانوا يقدون عليها، مثل رسوم العشور و الأقامة و المتاجرة و التجوال و غير ذلك. فقد كان على التاجر الأجنبي ان يدفع رسما خاصا قبل الدخول الى مكة مثلا، و كان هناك، كما كان في تدمر أيضا، رسم آخر على الخروج و على تصدير البضائع.

سكان مكة

و تقول دائرة المعارف هذه ان سكان مكة في وقت الهجرة كانوا يدعون بتحدرهم كلهم من جد واحد يسمونه قريشا أو فهرا، و كان قريش يلقب بالنظير أيضا. و قد كانت أصول قريش متواضعة، لا- يعرف الا- القليل عنها. لكن المعروف انهم كانوا يؤلفون فرعا من الفروع غير الثرية التي تتصل بكنانة، الأرومة الأصلية. و كانوا في أول أمرهم يعيشون عيشة تاعسة في الجبال الوعرة التي تحيط بمنطقة مكة المقدسة. و المقول ان رئيسا يتحلى بالكثير من المزايا الحربية، اسمه قصي، جاء من شمال الحجاز فأنزلهم بقوة السلاح في مكة بعد ان انتزعها من سيطرة خزاعة.

و يمكن تمييز عشر بطون من قريش، على ما يذكر هذا المبحث، و هي:

هاشم، و أمية، و نوفل، و زهدة، و أسد، و تيم، و مخزوم، و عدى، و جمح و سهم. و كان هؤلاء يشغلون في الدرجة الأولى مركز المدينة أو بطن الوادي، أي البطحاء، حيث يتجمع ماء زمزم، و حول القعر الذي كانت تقوم فيه الكعبة. و لذلك صار يسمى أحدهم الأبطحي، او البطاحي، و صارت قريش تسمى «قريش البطاح». و قد كانت المحلة الوسطى من مكة تعتبر محلة خاصة بالطبقة الارستقراطية من الناس، أو محلة الأسر الكبيرة من قريش. و هناك بطون من هذه البطون العشر كانت خاملة الذكر و لم تشتهر الا بظهور الإسلام، مثل تيم و عدى اللتين نبه ذكرهما بالخليفتين الراشدين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٨٤

أبي بكر و عمر. اما البطون الأخرى، التي يكتنف ارتباطها بالجد الأعلى شيء من الغموض فقد كانت تنتحى ارباض مكة على سفوح الشعب الواطئة من الجبال المطلقة على البلدة، و لذلك كان يطلق عليهم «قريش الظواهر». على ان هؤلاء كانوا، مع تمتعهم باعتبار أقل مما كانت تتمتع به العشائر الأخرى من الأباطحة، يتميزون عنهم بالشجاعة و البسالة في الحروب. و لهذا كانوا يقدمون للمجتمع القرشي أحسن الجنود و أشجعهم، و لم يتخاوا عن ذلك الى سكان مكة الوسطى.

الحكومة و الادارة

ليس من السهل، على ما يقول كاتبنا هذا البحث في دائرة المعارف، الاهتداء الى دلائل واضحة تدل على وجود حكومة معينة في مكة يومذاك.

على انه لا من ان يكون قد وجد نظام بسيط للسجلات او الوثائق (أرشيف) تحفظ فيه اتفاقيات التحالف و المتاجرة، و مؤسسة خاصة تقوم بجباية الرسوم و الضرائب من التجار الاجانب. و هناك ما يستدل منه على ان البعض من سكان مكة كانوا يشغلون وظائف شرفية بحتة من دون تمتع بسلطة قضائية، غير انه لا يمكن التأكد من عددهم و لا من نوعية الوظائف التي كانوا يشغلونها.

و يقول لامانس ان حكومة مكة يومذاك يمكن ان تسمى «جمهورية التجار»، و ان أبا سفيان اذا كان يمكن ان يسمى فيها «شيخ قريش أو رئيسها» فأن عددا آخر من معاصريه كان يمكن ان يمنحوا ألقابا لا تقل عن هذا اللقب في المنزلة. كما يقول ان الطريقة التي دونت فيها حوادث السنين الثمان الأولى بعد الهجرة تثبت بطلان الانطباع الخاطيء بأنه كان يمسك زمام القوة في مكة بيديه. على ان الحقيقة هي انه كان اقدر رجال قريش الذين يمثلون بطونها الاصلية، و أكثرهم ذكاء. فهل كان هؤلاء الوجوه يكونون مجلسا أو هيئة رسمية منتظمة يا ترى؟ ان هناك ما يدل على ان هذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٨٥

كان شيئا حقيقيا، حتى ان مكة كان فيها، على ما يقال، نوع من «مجلس شيوخ» أو «مجلس كبير» يسمى «دار الندوة». و لم يكن هذا يعقد الا- في الظروف الاستثنائية او الطارئة. على ان الشؤون التي كانت تنطج بالطابع العام و الأهمية الشاملة كان يبت فيها عادة في المجالس الخاصة، أو مجالس الأسر، او النادي اى «نادى القوم» الذى كان يطل على فناء الكعبة بورصة البلدة أو سوقها العام على ما يقول لامانس.

و يقول لامانس، علاوة على ذلك، أن القرآن لا يمكن ان يتصور وجود شىء من السلطة من دون وجود مجلس للوجوه او الأشراف معها، أى الملاء. و تدل كثرة ورود هذا الاسم فى القرآن الكريم على ان النبى الأعظم لا بد من ان يكون قد شاهد بنفسه هذا «الملاء» و هو يعمل أو يحكم.

و لذلك يمكن أن نقول ان مكة كانت تحكمها أقلية الملاء. و كانت هذه القلة، الأوليغاركية بالتعبير الحديث، عبارة عن مجلس خاص يتألف من رؤساء اكبر الأسر و أكثرها ثراء و نفوذا فيها. و هذا هو سبب ذكر أمية و مخزوم عند ذكر هذا المجلس و تشكيله. و لا يمكن لأى أحد ان يحصل على العضوية فيه بالانتخاب و لا بالولادة، و انما يحصل عليها بالخدمات التي يقدمها للمجموع و النفوذ الذى يحصل عليه بالثروة و القابلية الخاصة. و على هذه الشاكلة كان هذا المجلس قد رحب بانضمام ابن جدعان الثرى جدا اليه، برغم انتمائه الى تيم غير المتنفذة.

موقع مكة و مناخها

كانت مكة فى وقت الهجرة تبدو بشكل هلال متطاوول ينحنى طرفاه نحو جناحى جبل قعيقعان، و كانت و هى بهذا الشكل تنحصر ما بين سلسلة مزدوجة من الجبال الجرداء شديدة الانحدار. و كان مركز هذا الأخدود الذى لا يتحرك فيه الهواء بسهولة يتطابق تطابقا ملائما مع منخفض موجود فى قعر الوادى اما مكة القديمة فقد كانت تشغل قعر هذا المنخفض الذى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٨٦

الذى يسمى «الوادى» او «بطن مكة»، كما كان وسط هذا المنخفض يسمى «البطحاء». و قد كانت بعض الابنية القائمة فى هذه المحلة قريبة من الكعبة بحيث كانت ظلالها تختلط فى الصباح و المساء بظلال المبنى المقدس.

و فيما بين هذه البيوت و الكعبة نفسها كان يمتد فضاء ضيق ينخفض فى مستواه عن مستوى الارض المحيطة به. و كانت هذه البقعة

المفتوحة تكون «المسجد» البدائي او المعبد المفتوح الى السماء الذى لم تكن بطحاء الجاهلية تعرف معبدا سواه، كما كانت نهايات الأزقة الصغيرة المتصلة بهذا الفضاء تسمى «أبواب الحرم او المسجد». و قد سميت باسماء البطون او القبائل النازلة حول الكعبة، فكان يقال مثلا «باب بنى جمح» او غير ذلك. و كانت جدران البيوت العائدة لتلك القبائل تعين حدود المسجد نفسه من جميع الجهات. و يقول لامانس ان مجلس الأسر الرئيسية لقريش، او النادي الذى كان يؤلف «الملا» كان يعقد عادة فى الطوابق الارضية من الأبنية المواجهة للكعبة.

اما فى «الظواهر» و الشعاب، من بعد ذلك، فقد كانت تنتشر بيوت الفقراء و أكواخهم الحقيرة بصورة تدل على الكثير من الفوضوية و الانحطاط. و كانت مشكلة اولئك السكان الدائمة قلة الماء و ندرة وجوده، فان السكان كلهم كانوا يعتمدون على مقدار الماء المتغير، الموجود فى بئر زمزم. و كان هناك علاوة على ذلك عدد من الآبار الأخرى الموجودة فى خارج البلد معظمها، لكنها كلها كانت لا تكاد تكفى السكان فى مواسم الحج على الأخص.

يضاف الى ذلك ان الامطار فى منطقة مكة كانت و ما زالت شحيحة، و لا تسقط الا فى فترات متباعدة. و لذلك فان فترات الجفاف التام كثيرا ما تمتد الى أربع سنوات متتالية، غير ان بعض مواسم الشتاء تغزر فيها الأمطار فتصبح سيولا مدمرة تصل الى حد لم يسمع بمثله من العنف و التخريب.

إذ يقوم فى شرق مكة جدار جبلى شديد الانحدار، متألف من سلسلة من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٨٧

الطبقات الصخرية و القمم التى تندمج فى النهاية بجبل الصراء. و تقوم هذه القمم الوعرة و شعابها المختلفة بجمع مياه الأمطار الموسمية الغزيرة، التى تأتى بالخصب و الخير الى منطقة اليمن. و على طول هذه المنحدرات الخالية من الشجيرات و الأعشاب تتكون عند سقوط الأمطار سيول غزيرة و شلالات متدفقة تهبط فى مجاريها المختلفة بسرعة و تنقض على الباطن الذى تقع الكعبة المشرفة فى قعره. ثم تشق طريقها من «أبواب المسجد» فتغمر البقعة المحيطة بأماكن العبادة، و ترتفع بعد ذلك فتهاجم الكعبة نفسها. و يبدو أن قريشا لم تكن تعبأ كثيرا بهذا الوضع قبل الهجرة، أو أنهم كانوا عاجزين عن الحيلولة دون وقوع الضرر منه. و لم تؤد الجهود التى بذلها الخلفاء بعد ذلك الى نتائج مرضية. و الظاهر ان هذه الحالة ما تزال مستعصية حتى يومنا هذا فقد لاحظنا فى أحد مؤلفات فيلبى و هو كتاب (اليوبيل العربى).

وجود إشارة الى غرق المسجد الحرام و الكعبة فى شهر تموز ١٩٥٠. و هناك فى غير هذا الكتاب علاوة على ذلك، صورة معبرة تمام التعبير لمياه السيول التى اكتسحت المسجد الحرام و ما يحيط بالكعبة المشرفة فى ذلك الشهر فغمرتها الى عمق سبعة أقدام بالمياه. حتى تسنى للناس ان يسبحوا فيها.

مالية مكة و حياتها الاقتصادية

و قد جاء فى (دائرة المعارف الإسلامية) عن هذا الموضوع ان تمحيص الأدبيات الغزيرة التى كتبت عن السيرة النبوية العطرة ينم عن انطباع عام يدل على ان نشاطا تجاريا فعلا كان يتفجر من وادى مكة العقيم [المسجد الحرام و قد غمره سيل الامطار حتى استحال الى بحيرة يسبحون فيها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٨٨

الضيق. و ان الأشارات التى ترد فى القرآن الكريم عن هذا الموضوع تؤكد على الانطباع نفسه و تؤيده. و قد احتفظ الرسول الأعظم طوال أيام حياته بما تعلمه من هذه الثقافة القرشية و تدرّب عليه، و هو لا يخرج فى الأساس عن طابعه التجارى المتكشّف فى كل

فرصة أو مناسبة.

ولذلك فان المرء ليأخذه العجب حينما يطلع على ما كان للكتابة والحساب من أهمية في حياة مكة الاقتصادية قبل الهجرة. فألى جنب «دفتر الحساب» كان الشيء البارز في كل دكان من دكاكينها وجود الميزان، الذي لم يكن يستعمل لوزن السلع بقدر ما كان يستعمل للتأكد من الدفعيات التي تدفع لهم بجميع الأشكال بما فيها النقد. فلم يكن يوجد النقد بكثرة في أسواق مكة، ولذلك كان التعاطى يتم بالإضافة الى النقد بالمعادن الثمينة و سبائك الذهب والفضة، و بالتبر او تراب الذهب. و هذا كله لا يمكن التأكد منه الا بواسطة الميزان، اما في الحالات التي كانت تستدعى المزيد من الدقة فكان يستعان بخدمات الوزن الممتهن.

و الملاحظ ان رأس المال كان على جانب كبير جدا من التداول في ذلك المجتمع المكي الخاص. فلم يكن ينشغل التاجر في اكتناز الثروة و ادخارها في صناديقه المقفلة فقط، و انما كانت له أيضا عقيدة عمياء باستغلال رأس المال غير المتناهي، عن طريق الأقراض. و لذلك كان الدلالون و الوكلاء و أكثرية السكان يعيشون على الأقراض و الأثمان. و كانت المضاربة تستأثر برغبة الجميع فيها، لا سيما مضاربة «الأسهم بالنصف». و على هذه الشاكلة كان يمكن استثمار أبسط المبالغ و أقلها و توظيفها للربح الى حد الدينار الذهب الواحد، و حتى الى حد «النش» أو نصف الدينار.

و قد كانت العملات التي ترد الى مكة من أنواع مختلفة بجد الاختلاف، من دينار الذهب البيزنطى (ديناريوس أوريوس) الى درهم الفضة الساسانى و الحميرى. و كثيرا ما كانت هذه العملة تسوف و تستهلك فيقل و زنها، او

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٨٩

تشوه معالمها، بعد ان تكون قد ضربت في مختلف دور الضرب. و لذلك لم يكن غير الصراف المختص قادرا على التعرف على مختلف انواعها و تعيين مقاييس و أقيام الموجود منها في التداول بدقه و أحكام. و كانت هناك بالإضافة الى ذلك تعقيدات الاختلاف في معايير العملة و تذبذب أقيامها و أثمانها.

فقد كانت البلاد الخاضعة للحكم البيزنطى مثل سورية و مصر تعتبر من «أهل الذهب» اى من البلاد التي تعتمد على التعاطى بمعيار الذهب في العملة، بينما كانت بابل من «أهل الورق» اى من البلاد التي تعتمد على معيار الفضة الساسانى. و لذلك كانت تنشط الحركة في أسواق مكة عشية رحيل القافلة الى الشام فيرتفع سعر الدينار، لأن التاجر المكي كان من رجال المال الذين لا يختلفون في كل وقت و مكان. فهو حينما تسنح الفرصة يبادر الى استثمار رأس ماله في المتاجرة و تنظيم القوافل و يسلفها الى رؤساء القافلة أو التجار أو غيرهم.

و لما كانت مكة مدينة تكثر فيها الحركة التجارية و يوجد فيها الصرافون و المصارف فى الدرجة الأولى فقد كان فيها مؤسسات و أعراف تصلح لمثل هذا النوع من المعاملات. و كان من جملة هذه الربا أو الربح بأشبع أنواعه، عن طريق إقراض الدينار بدينار و الدرهم بدرهم أى الأقراض بنسبة مئة بالمئة. و لذلك احتجت قریش حينما حرم القرآن الربا بقولها انها لا ترى فيه سوى نوع من انواع البيع و الشراء، أو تأجير رأس المال. و كانت تشيع المضاربة كذلك، المضاربة على أسعار التحويل و أحمال القوافل و حاصلات الحقول و قطعان الأغنام، و على تزويد المدينة بالأزودة المطلوبة أيضا.

و كانت تؤلف جمعيات و همية و تعقد صفقات للبيع تقترض من أجلها ما تحتاجه من المبالغ. و لذلك يقول المؤرخ سترابو «ان كل عربى لا- بد ان يكون تاجرا أو دلالا». و حينما كان مواطنو مكة يساقون فى حملات حربية كانوا يحملون معهم على الدوام بعض البضائع و السلع، و هذا ما فعلوه حينما توجهت قوة من مكة لا سعاف قافلة بدر. و يقول كاتب البحث

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٩٠

فى دائرة المعارف الإسلامية ان أول ما فعله المهاجرون عند وصولهم الى المدينة انهم سألوا عن موقع السوق، و أن النساء كن يشاركن الرجال فى هذه الغرائز التجارية كذلك. فأن ام أبى جهل كانت تدير محلا لبيع العطور، و ان هندا زوجة أبى سفيان كانت تبيع السلع

على الكلبين في سورية. وقد كانت لنساء مكة أيضا مصالح في القوافل الخارجة منها و الداخلة فيها. فكن يجتمعن حول أبي سفيان عند رجوع القوافل من الخارج ليطلعن على مقدار الربح الذي يصيب الواحدة منهن لقاء ما وظفته من مال.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٩١

قوافل مكة

لقد كان تنظيم شؤون القوافل التجارية و تسييرها من المواضيع التي كانت تتناولها المناقشات غير المنتهية في «النادي» حول الكعبة. و كان رحيل القافلة و عودتها من الحوادث التي يهتم بها الجميع على سواء، لأن سكان مكة كلهم كانوا مرتبطين بها بشكل من الأشكال. و كانت القافلة في أثناء سيرها الى الشام و غيرها تبقى على اتصال دائم بأقرب القرى عن طريق البدو الذين يصادفونها في الطريق، أو بواسطة رسل خاصين يرسلون لهذا الغرض. فقد انفذ ابو سفيان مثلا رسولا خاصا من هؤلاء ليصف الى سكان مكة حراجه موقف القافلة حينما تصدى لها المسلمون في بدر، فكلفه ذلك عشرين دينارا و هو مبلغ جسيم بالنسبة لمقاييس تلك الأيام لكنه كان يتناسب مع جسامه المبلغ الذي كانت توظفه مكة في قافلته التي كانت تقدر بخمسين ألف دينار.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٩٢

و كانت قوافل مكة ذات حجم غير يسير في العادة. فلم تكن تستخدم فيها الخيول و لا البغال، و انما كانت تقتصر على الأبل التي كان يرتفع عددها أحيانا حتى يصل الى (٢٥٠٠). اما عدد الرجال، من تجار و حراس و أدلاء، فقد كان يتراوح بين مئة و ثلاث مئة، و قد كانت تشدد الحراسة على القافلة حينما تصل الى الأماكن التي كانت تكثر فيها عصابات «الصعاليك»، و كانت القوافل المكية تستجلب من اليمن منتجات الهند و حرير الصين و المنسوجات العدينة. و فيما عدا التبر، أو تراب الذهب، كانت صادرات أفريقية الرئيسية الى مكة العبيد و العاج. فأن مكة كانت تستجلب من أفريقية عمالها و جنودها المرتزقة من الاحابيش. اما في مصر و سورية فقد كان تجار قریش يتسوقون سلع المترفين من منتجات بلاد البحر الأبيض المتوسط الصناعية، و على الأخص الأقمشة القطنية و الكتانية و الحريرية، و الأقمشة الملونة باللون الأرجواني البراق. و كان يؤتى من بصرى و الشراة (في سورية) بالأسلحة و الحبوب و الزيت، مما كان يرغب فيه البدو جد الرغبة.

و قد كان سير القافلة بطيئا في العادة، لكن السلع التي كانت تحملها مثل الجلود و المعادن و الخشب العطري لم يكن يخشى عليها من العطب و لا- التأخر و كانت النفقات تقتصر على أجور الحيوانات و الحراسة و رسوم العبرية و الهدايا التي كانت تقدم الى رؤساء القبائل. و لذلك كانت نسبة الربح تصل الى مئة بالمئة في مثل هذه التجارة. و هذا ما كان ينطبق تمام الانطباق على قافلة بدر التي جاء كل دينار وظف فيها بدينار من الربح، على ما يقول كاتب هذا البحث في دائرة المعارف الإسلامية.

ثروات مكة

و بالنظر للوضع التجاري الذي كانت تعرف به مكة المكرمة. على ما مر ذكره، كان لا بد من ان يتجمع فيها شيء غير يسير من الثروة و المال

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٩٣

في صناديق مموليها الذين كانوا يعرفون بميلهم الخاص الى الادخار و التوفير و هنا تشير دائرة المعارف الإسلامية الى ان قوافل مكة

لم تكن تحمل سوى بضائع غالية الثمن، وان أصحابها كانوا من أبناء البيوتات الثرية من مثل أسرة أبي أحيحة الأموية التي كانت توظف في قافلة بدر و حدها مبلغ ثلاثين ألف دينار. ويشير هذا المرجع أيضا الى أن بعض أسر مخزوم في مكة لم تكن أقل من أسر منافسيها الأمويين ثراء و مالا، و ان عبد الله بن جدعان التيمي كان حتما من «مليونيريه» مكة في تلك الأيام بالنسبة لما يروى و يذكر عنه. و يذكر مرجعنا هذا كذلك ان المشرفين على قافلة بدر من المتمولين لم يضعوا ثروتهم المذكورة كلها في هذه القافلة بطبيعه الحال، لانهم كانوا يستفيدون مما تبقى من ثروتهم في أوجه استثمارية أخرى أيضا مثل الاقراض بالربح الفاحش و المضاربة و غير ذلك. و كان من بين المليونيريه الآخرين في مكة الثريان المخزوميان الوليد بن المغيرة، و عبد الله والد عمر بن أبي ربيعة الشاعر المعروف في صدر الإسلام.

و تأتي بعد هؤلاء في الثراء بعض الشخصيات المكيه المشهورة مثل عبد الرحمن بن عوف الذي كان رأس ماله يبلغ ثمانيه آلاف دينار، و الحارث بن عامر، و أمية بن خلف. و كان الأول قد وطف ألف دينار في قافلة بدر المعروفة، بينما كان الثاني قد وطف فيها ألفي دينار. و أخيرا فقد كان هناك في مكة جمهور التجار الصغار و الدالين و أصحاب الحوانيت، الذين كانوا يؤلفون البورجوازية الصغيرة في مكة على ما يقول مرجعنا.

و كان البعض من المتمولين يضيف الى أشغاله بالتجارة اشرافه على بعض الأعمال الصناعيه كذلك مثل صناعة الحديد و النجارة و ما أشبه. و يقول كاتب البحث في هذا المرجع ان الذي يصح ان يتخذ نموذجا لهذه الطبقة الخليفه أبو بكر الصديق الذي كان بزازا في الجاهلية برأس مال قدره أربعون ألف درهم على ما يبدو. و مما يذكر بين الصرافين المتمولين كذلك العباس موسوعة العتبات المقدسه، ج ٢، ص: ١٩٤

بن عبد المطلب عم النبي، غير أنه لا تتوفر تفصيلات كافية عنه في هذا الشأن.

و يقول مرجعنا أيضا ان رجال مكة الذين دفعوا مبالغ جسيمة لتفدية أقاربهم الذين وقعوا أسرى عند المسلمين في موقعه بدر الكبرى لا بد من أنهم كانوا على درجه غير يسيره من الثراء و الغنى. فقد كلفهم ذلك مبلغا لا يقل عن مئتي ألف درهم، و تنازل رؤساء مكة عن حصصهم الأصلية في مشروع قافلة بدر البالغه حوالي خمسة و عشرين ألف دينار من أجل التهيؤ للانتقام من المسلمين في غزوة مقبله. و قد فعلوا ذلك عن طيبه خاطر، و بروحيه المتمول الموسر الذي لا يبالي بالمجازفة و المضاربه بمقياس واسع من أجل الربح، في الوقت الذي أبوا فيه أن يمسا حصص المساهمين الصغار في القافلة.

هذا و لم تكن مكة قبل الهجرة تملك أيه سفينه أو ميناء. على ان بعض السفن الأجنبية كانت تلقي مراسيها في أحوال استثنائية في خليج الشعبيه الصغير على ساحل البادية. و كان هذا هو المكان الذي غرقت فيه ذات يوم إحدى السفن البيزنطيه، فحىء بخشبها الى مكة و جدد تشيد الكعبه به.

و الى هذا المكان توجه أيضا المسلمون الأوائل الذين هاجروا الى الحبشه هاربين من قريش، بعد ان سمعوا ان سفينتين كانتا قد ألقتا بمراسيها فيه.

و نادرا ما كانت السفن تقلع من ساحل جدّه المقفر الذي كان أقرب من الشعبيه الى مكة. غير ان جدّه أخذت مكان الشعبيه على عهد الخليفه عثمان بن عفان و أصبحت ميناء لعاصمه القرشيين. و حينما استقر النبي الكريم في يثرب و قطع على قريش اتصالها بسوريه لم يفكر رجال مكة مطلقا بالتوجه الى البحر و ركوب متنه، بل اتخذوا طريق نجد الطويل اليها مسيرا بدلا من طريقهم الأول.

بعد الهجرة

إشارة

ان الحوادث التي وقعت خلال السنين الثمان التي أعقبت الهجرة يمكن تلخيصها، على ما يقول مرجعنا، بكفاح النبي محمد ضد خصومه. وقد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٩٥

كان كفاحه هذا، واستسلام مكة له بعد ذلك، ضربة قاضية للازدهار الاقتصادي الذي كان يتمتع بخيراته أعيان مكة و سراتها. فقد أخذت الأسر الكبيرة تهاجر واحدة بعد أخرى الى المدينة، التي أصبحت عاصمة الإسلام العتيده. ثم ازداد هذا الاتجاه في عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل، الذين أبقوا مقرهم العام ما بين الأنصار. اما على فقد غادر الجزيرة العربية نهائيا و استقر في الكوفة. و حينما تولى رجال قريش مقاليد الحكم بأيديهم، و اصبحوا قادة للجيش و حكاما للمقاطعات و البلاد، تخلوا عن اهتمامهم بالتجارة و لم يعد يسمع شيء عن القوافل و الاسواق المعروفة في الحجاز.

فخلت مكة و لم تعد ترغش بالحياة من جديد إلا- في موسم الحج التي كان يأتي فيها الخلفاء اليها على رأس الحجاج القادمين من بلادهم. و قد كان الاستيلاء على العراق آخر ضربة توجه للحياة الاقتصادية في غربي الجزيرة العربية فتقضى عليها نهائيا، لأن التجارة الهندية استأنفت السير في طريقها القديم المار بالخليج العربي و وادي الرافدين و عاد اتصالها المباشر بأسواق الشرق الأوسط عن طريق البر.

مكة في العهد الاموي

غير ان الوضع في مكة قد تحسن في عهد الأمويين، على ما يقول مرجعنا في دائرة المعارف الإسلامية. فقد أبدى معاوية اهتماما فعالا بمدينته و مسقط رأسه، فشيّد فيها الأبنية و أصلح الزراعة فيما حولها بحفر الآبار و أنشاء السدود لخرن المياه. و أصبحت مكة على عهد من جاء بعده من الأمويين، و لا سيما بنى مروان، مدينة لهو و الراحة و ملتقى للشعراء و الموسيقيين الذين كان يجتذبهم اليه المجتمع الباهر المزدهي بأبناء الصحابة. إذ كان الكثيرون من الناس قد عادوا الى السكنى فيها بعد ان حصلوا على الثروة عند اشتغالهم في حكومات البلاد المستولى عليها. و لا يخفى ان اتصالهم بالمدينت الأجنبيّة كان قد هذب طباعهم و جعلهم شديدي التأنق. فتعودوا على الاستحمام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٩٦

الذي يتطلب توفر الماء الكافي له، و لذلك كان لا بد من سحب المياه الى مكة من جبل الصراء. و يقرن اسم خالد القسري بهذا العمل الكبير الذي بدل وجه المدينة على ما تقول دائرة المعارف. فقد عمد الخليفان عمر و عثمان من قبل الى الاستعانة بالمهندسين الأجانب لحل مشكلة السيول و الفيضان، فشيّدوا الخزانات و القناطر في الاماكن العالية و حافظوا على المناطق المحيطة بالكعبة بالسدود، و أكمل الأمويون هذه الأعمال و هذبوها. فحفروا مجرى جديدا للسيل، و حاولوا التخفيف من حدته و عنفه بالحواجز التي قيمت في مستويات مختلفة. و قد كان همهم الأكبر في ذلك حماية منخفض البطحاء الذي تقوم الكعبة في وسطه. غير ان مهارة المهندسين في تلك الايام لم تكن كافية للتغلب على المشاكل الطبوغرافية في المنطقة، او تجنب التخريبات التي كانت تسببها امطار الشتاء التي تنزلها العواصف الرعدية الخاصة بالمنطقة.

فقد احبطت الجهود المبذولة في هذا الشأن شدة انحدار الأرض الذي كان يعقده شكل البطحاء القابل لتصريف المياه.

و الى جانب هذه الاصلاحات، و الاحتياطات المتخذة ضد السيول بذلت الجهود لتوسيع الفناء الضيق المحيط بالكعبة، لان توسع شأن الاسلام و انتشاره كان يتطلب وجود مكان للعبادة يتناسب و ادعاءاته الطويلة العريضة (كذا). فقد أدت الاستملاكات التي بدأ بها عمر، و انتهت في أيام الوليد الأول، الى إنشاء الأواوين. و لذلك يمكن ان يقال ان تخطيط المسجد الحرام و وجود الفناء الواسع حول

الكعبة كان من صنع الخليفة الأموي الذي استعان بالمهندسين المستقدمين من سورية و مصر. و كانت حاكمية الحجاز بمدنه الثلاث، مكة و المدينة و الطائف، لا- تناط الا- بفرد من أفراد الأسرة المالكة بالنظر لأهميتها. و كان من بين من تولاها من هؤلاء سعيد بن العاص و أثنان ممن اصبحوا خلفاء بعد ذلك، و هما مروان بن الحكم و عمر بن عبد العزيز. و في الظروف التي لا يمكن تعيين أحد من أفراد الأسرة المالكة لها كان يعين الحكام الذين ثبتت أهائهم بالتجربة مثل الحجاج و خالد القسري.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٩٧

و مع ذلك فقد بقيت المدينة المنورة مركزا للحكومة فغطت على مكة في عهد الأمويين نظرا لأهميتها السياسية، و لأنها كانت موطننا للطبقة الارستقراطية المسلمة الجديدة.

و قد أدت ثورة عبد الله بن الزبير على عهد يزيد الى سوق الجيوش السورية الى مكة، و كان النائر هذا قد جعل مقره في فناء المسجد الحرام و كان يحمي الكعبة يومذاك عريش من الخشب فأدى اهمال أحد الجنود المكيين الى ان تشب النار فيها، و لذلك اضطر ابن الزبير الى ان يعيد تشييد المبنى من جديد بعد ان أضاف الحجر اليه. و حينما قمع الحجاج ثورة ابن الزبير أعاد الكعبة الى أبعادها الأصلية، فبقيت على تلك الحالة حتى يومنا هذا. و في سنة ٧٤٧ للميلاد (١٢٩ هـ) استولى على مكة نائر يمانى ينتمى الى الخوارج من دون أن يلاقى مقاومة تذكر. على أنه سرعان ما دحرته جيوش مروان الثاني و ذبح فيها. و في سنة ٧٥٠ (١٣٢ هـ) انتقلت مكة مع سائر بلاد الخلافة الاسلامية الى عهده الحكم العباسي.

مكة في عهد بنى العباس و ما بعده الى حد تولى الشرفاء (٧٥٠ - ٩٦١)

لم تكن الأحوال في مكة في بداية الحكم العباسي تختلف كثيرا عما كانت عليه في أيام الأمويين، برغم انتقال مركز الثقل في الاسلام من دمشق الشام الى بغداد. فقد كان الحرمان يعين لهما في العادة أمراء من بنى العباس أو اشخاص لهم اتصال و ثيق بهم . و كانت مكة و الطائف في بعض الأحيان يحكمهما حاكم واحد، يكون في الوقت نفسه أميرا للحج، بينما كان يعين للمدينة حاكم على حدة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ١٩٨

على ان بلاد الجزيرة العربية كان يعيش فيها منذ القرن الأول للهجرة عدد غير يسير من العلويين، فظل بعض البارزين من هؤلاء يتحينون الفرص للثورة على السلطات الحاكمة و انتزاع الحكم منها. و لذلك نجد ان المنصور (٧٥٤-٧٧٤) قد حدث له مشاكل من هذا القبيل في غرب الجزيرة العربية، كما نجد في أواخر أيام الخليفة المهدي (٧٧٤-٧٨٥) ان رجلا من الحسينيين يدعى الحسين بن علي ثار بالقرب من المدينة المنورة فشن هجوما قويا عليها. غير أنه قتل في فخ الكائنة على مقربة من مكة بعد أن جردت عليه الحكومة جيشا كان يقوده أمير الحج العباسي نفسه، فدفن في مكان يسمى اليوم «الشهداء» و أصبح يدعى بشهيد فخ.

و قد كان من عادة هارون الرشيد خلال الحج التوسع التي حجها في أيام خلافته، ان يوزع الهبات و يصرف الأموال الطائلة في مكة. على أنه لم يكن العباسي الوحيد الذي كان يوزع الأموال في البلاد المقدسة، و حينما استمر التوزيع مدة من الزمن أصبح له تأثير سيء في أخلاق المكيين. فلم يبق من أبناء الأسر القديمة أحد فيها تقريبا، و أصبح السكّان الموجودون فيها متعودين على الاتكال على غيرهم في المعيشة بحيث كانوا على استعداد دائم للاستثارة في أى وقت كان. و كثيرا ما كان موقف المكيين هذا يستغل للأغراض السياسية المعروفة.

و في عهد المأمون (٨١٣-٨٣٣) ثار العلويون من جديد بقيادة حسين الأفطس و ابراهيم بن موسى، فسيطروا على المدينة و مكة و اليمن و استولوا على خزائن الكعبة (كذا). و مما يدل على مقدار ما وصل اليه نفوذ العلويين و سطوتهم في تلك الأيام ان المأمون اضطر الى تعيين اثنين من العلويين لحاكمية مكة. و حينما أخذت الخلافة العباسية بالانحطاط و التدهور بعد وفاة المأمون بدأت تسود

البلاد الاسلاميه المقدسه فتره من الفوضويه التي كثيرا ما كانت تكون مصحوبه بالقحط أو المجاعه. و أصبح من عادة عدد من الحكام المسلمين ان يكونوا ممثلين في مواكب الحج كل سنه، و ان ترفرف أعلامهم
موسوعه العتبات المقدسه، ج ٢، ص: ١٩٩

في سهل عرفات، و لذلك فنادرا ما كانت المدينه المقدسه نفسها قادره على تجنب الاشتباك و الاصطدام في كل فرصه أو مناسبه. و قد تأثرت حاله الأمن و سلامه القوافل الآتية بالحجاج تأثرا غير يسير، و أصبح الحجاج غير آمنين على أنفسهم في الطرق.
و هنا يلاحظ ان مرجعنا يتحامل من دون مبرر علمي على العلويين في كل مناسبه، و يعزو اليهم سبب الثورات و الغزوات و اختلال الأمن.

و يخرج من ذلك الى القول بأن الدعوه العلويه قد قوى شأنها في العالم الاسلامي حينما تأسست أسرته حسنيه مالكة في طبرستان. و كان تأثير هذا الحادث في مكه ان ثار اثنان من الحسينيين هما اسماعيل بن يوسف و أخوه محمد، و هاجما المدينه وجده فأحدثا تخريبات غير يسيره فيهما (٨٦٥).

و قد جلب ظهور القرامطه بعد ذلك مزيدا من البؤس و التعاسه الى هذه البلاد خلال خمسين السنه الأخيره من الفتره التي انتهت بظهور الشرفاء فيها. و كان الخلفاء، و هم يعانون كثيرا من المضايقه في عواصمهم، غير قادرين بالمره تقريبا حتى على التفكير في مد يد المساعدة للبلاد المقدسه او المبادره لانجادها لأن ممثلهم فيها لم تكن توجد قوه كافيه تحت تصرفهم.

فقد قطع القرامطه الطريق على الحجاج من سنه ٩١٦ (٣٠٤ هـ) فصاعدا، و في سنه ٩٣٠ غزا (١٥٠٠) قرمطي مكه نفسها و ذبحوا من سكانها بالألوف، ثم نهبوا الحجر الأسود من الكعبه و نقلوه الى البحرين. و لم تخفت حماستهم، أو تقل حدتهم، إلا عندما أدركوا ان هذه الأعمال الشائنه لم تكن تقربهم من هدفهم الأصلي و هو القضاء على الحكومات الاسلاميه فأعادوا الحجر الأسود الى مكانه في مكه سنه ٩٥٠ (٣٣٨ هـ). و بذلك تخلصت مكه من خطر جسيم كان يهددها على الدوام. و قد شهدت السنه التاليه تزايد نفوذ العلويين في القسم الغربي من الجزيره العربيه، و لا سيما بعد ان تقدم شأن الحكم الفاطمي فيها و تعاضم نفوذ البويهيين في بغداد. و منذ هذا الوقت

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٢، ص: ٢٠٠

فصاعدا صار العلويون في مكه يلقبون بالشرفاء، و احتفظ كل منهم بلقب «الشريف» حتى اليوم.

الموسويون الشرفاء

يبدأ حكم الشرفاء الموسويين في مكه بجعفر الذي تولى الحكم في احدى سنوات الفتره المنحصره بين ٩٥١ و ٩٦٨، على ما يقول مرجعنا، لكن المعروف ان العلويين كانوا يسيطرون على الأراضي المقدسه قبل ذلك، و ان سلالة الشرفاء الحسينيه تبدأ به في مكه بينما كان اسم الشرفاء في المدينه يطلق على الأسرة الحسينيه الحاكمه فيها أيضا.

و يدل تولى الشرفاء الحكم و استمرارهم فيه على الاستقلال النسبي الذي كانت تتمتع به الجهات الغربيه من الجزيره العربيه بالنسبه لسائر أجزاء العالم الاسلامي، من الناحيتين السياسيه و الدينيه. و قد استعادت مكه بهذا رجحان كفتها على المدينه منذ ذلك اليوم. و مما يدل على مقدار القوه التي أبداها الشرفاء في المحافظه على استقلالهم تجاه القوى الخارجيه ان مكه رفضت تقديم الولاء و الطاعه للخليفه الفاطمي في مصر سنه ٩٧٦. لكن هذا الخليفه سرعان ما أمر بمحاصره مكه و منع استيراد المواد المطلوبه لها من مصر حتى اضطر المكيون الى الرضوخ لمشيئته، لأن الحجاز كان يعتمد على مصر في أقواته. اما الحادثه الثانيه التي كانت تدل على شعور الشرفاء بالاستقلال فهي إقدام ابي الفتوح (٩٩٤-١٠٣٩) على اعلان الخلافه لنفسه في سنه ١٠١١. و قد يكون الدافع لذلك ما بدر من

الخليفة الحاكم بأمر الله في مصر من امارات الزندقة و الالحداء على ما يقول مرجعنا في دائرة المعارف الاسلاميه. لكن الخليفة الفاطمي اضطر أبا الفتوح الى الرضوخ في هذه المدة كذلك، لأن شريفا آخر من الشرفاء اغتصب الحكم لنفسه و لم يقطع أبو الفتوح استرداده منه الا بمؤازرة الحاكم بأمر الله نفسه. و قد انتهى عهد الموسويين الحسينيين هؤلاء بابنه شكر (١٠٣٩-١٠٦١) بعد أن مات موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٠١

من دون عقب. و الموسويون هم أبناء موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. و قد كانت وفاة شكر من دون عقب سببا في حصول الفوضى و الاضطراب، و وقوع نزاع بين أفراد الأسرة الحسينية، فعاد ذلك بأوخم العواقب على مكة. فقد ذهب بنو شيبه خلال ذلك الى حد أنهم أخذوا لأنفسهم جميع ما كان في بيت الله الحرام من معادن كريمة و أعلاق نفيسة على ما يقول كاتب البحث في دائرة المعارف الاسلاميه. و لذلك اضطر الصليحي حاكم اليمن الى التدخل في الأمر، و أعاد الأمن و النظام الى نصابهما في المدينة المقدسة. فبدا هذا التدخل التدخل الخارجي في نظر الحسينيين شيئا غير محتمل، و طلبوا الى الصليحي أن يقوم هو بتعيين واحد منهم للشرفاء و يغادر مكة. فقبل بذلك و عين ابا هاشم محمدا (١٠٦٣-١٠٩٤) شريفا أكبر فيها، و بذلك تبدأ سلالة الهواشم من الشرفاء.

الشرفاء الهواشم

ينسب هذا الاسم الى أبي هاشم محمد، شقيق الشريف الأول جعفر.

و كان الأخوان هذان يتحدران من الجيل الرابع من أبناء موسى الثاني جد الشرفاء الموسويين. و قد ترتب على أبي هاشم هذا ان يدخل خلال السنين الأولى من سني حكمه في كفاح مستمر مع الدوحة السليمانية من الشرفاء الذين شعروا بالاهانة عند تعيينه في منصبه. و كان السليمانين يتحدرون من نسل سليمان أحد أخوة موسى الثاني المار ذكره.

و لقد عرفت فترة الحكم التي تولى الحكم فيها أبو هاشم بالطريقة المعيبة التي عرض فيها التابعيه على أعلى المتزايدين، أي التابعيه اما الى الخليفة الفاطمي في مصر أو الى السلجوقيين الذين كانوا يسيرون الخلافة في بغداد.

و كان تأثير ما ترتب على ذلك من تدابير سيئا على المكيين بطبيعة الحال، لأن استيراد الأطعمة و الأقوات من مصر قد توقف حالما توقف المسؤولون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٠٢

في مكة عن ذكر الخليفة الفاطمي في الخطبة و استعاضوا عنه بذكر اسم الخليفة العباسي في بغداد. و قد تكرر ذلك مرات عديدة حتى مل السلاجقة من المهزلة، فساقوا جنودا من التركمان الى مكة. و قد أدت الكراهية المتبادلة ما بين الشريف و السلطان الى الاساءة الى الحجاج القادمين الى مكة من العراق، فنظروا الى ان أمانة قوافل الحج قد نقلت بالتدرج من العلويين الى عهدة الجنود أو الموظفين الأتراك فان أبا هاشم لم يكن يتردد في بعض السنين عن مهاجمة الحجاج و نههم في الطريق.

اما خلف أبي هاشم فقد عرفت مدة حكمه كذلك بالكثير من حوادث السلب و الجشع. فان الرحالة المغربي ابن جبير يذكر أمثلة تقشع لها الأبدان عن ذلك حينما حج الى مكة في سنتي ١١٨٣ و ١١٨٥. على أن الهواشم لم يكونوا حتى في تلك الأيام مستقلين تمام الاستقلال في حكمهم، لأن الأيوبيين كانوا قبل ذلك بعشر سنوات قد استطاعوا ان يخلفوا الفاطميين في مصر، و أخذوا يحاولون السيطرة على البلاد الآسيوية القريبة منهم، و حينما مر أخو صلاح الدين بمكة المكرمة في طريقه الى جنوبي الجزيرة العربية تخلى عن فكرته في الغاء شرافتها، غير ان أمانة الحج الشرفية بقيت للأيوبيين و ظلت أسماؤهم تذكر في الخطبة بعد اسمي الخليفة العباسي و الشريف.

وقد عمد الأمير الأيوبي نفسه في ١١٦٦ الى الغاء الطريقة الشيعية في الأذان (كان الشرفاء يومذاك من الزيدية)، و سك النقود باسم صلاح الدين، ثم ألقى الرعب في قلوب أفراد الحرس الشريفى، الذين كانوا ما فتئوا يرتكبون جرائم القتل و السرقة حتى ذلك الوقت، بانزال العقوبات الصارمة فيمن يسىء منهم. و كان من نتائج التبعية الأيوبية أيضا رجحان كفة المذهب الشافعى و انتشاره فى البلاد المقدسة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٠٣

حكم قتاده و نسله

و فى الوقت الذى كانت تحدث فيه الأحداث المار ذكرها كان قتاده، و هو رجل من نسل موسى الثانى جد الموسوية و الهواشم، ينبه ذكره و يتعاطف شأنه فى ينبع بالحجاز، و امتد نفوذه بعد ذلك الى مكة فكثر اتباعه فيها. و تقول بعض المراجع ان ابنه حنظلة كان يعد العدة من جميع الوجوه لا نزال ضربه حاسمة بالمدينة المقدسة و المسيطرين فيها. لكن مراجع أخرى تقول ان قتاده استولى على مكة فى يوم ٢٧ رجب حينما كان معظم سكانها منشغلين فى تأدية العمرة بمناسبة ذكرى انتهاء عبد الله بن الزبير من تشييد الكعبة المشرفة، التى جعل الاحتفال بها مطابقا ليوم المعراج. و قد كان استيلاء قتاده على مكة فاتحة عهد تولى فيه حكم البلاد المقدسة رجل على الهمة قوى الارادة، تحدر الشرفاء المتتالون جميعهم من نسله.

فقد أخذ يثبت أقدامه فى البلاد و يحقق مطامعه فيجعل قطره مستقلا من جميع الوجوه. لكنه لم يكتب له التوفيق التام فى ذلك نظرا لأن الحجاز عاد فأصبح من جديد مسرحا للأطماع و المطامح السياسية المتضاربة. و قد بدأ قتاده على ما يقول مرجعنا فى دائرة المعارف، بتفويت الفرص على نفسه مع الدول المعظمة. فأساء معاملته ابن الملك العادل الأيوبي بطريقة فظة، و أثار حفيظة الخليفة فى بغداد بالموقف الذى وقفه تجاه الحجاج القادمين من العراق. على انه استطاع ترضية الخليفة بعد ذلك فعاد الوفد الذى أوفده للمثول بين يدي الخليفة محملا بهداياه. و قد دعاه الخليفة لزيارة بغداد كذلك، و يقول بعض المؤرخين انه استجاب للطلب و توجه الى بغداد، لكنه غير رأيه قبل الوصول اليها فعاد أدراجه. و المقول أنه عبر عن رأيه بالغرلة التامة و الحياة شعرا و نثرا، على ما يذكر المستشرق الهولاندى سنوك هورغرونيه فى كتابه عن مكة.

و يقال من جهة أخرى ان قتاده ساعد بكل قوته أحد الأئمة الحسينية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٠٤

على تأسيس مملكة فى اليمن. و بعد ان استولى حفيد من احفاد الملك العادل على هذه المنطقة مرة ثانية صار أيوبيو مصر و سورية و الجنوب العربى يذكر اسمهم فى خطبة مكة مع ذكر اسمى الخليفة و الشريف. و قد انتهت حياة قتاده أخيرا فى مذبحه أقدم ابنه الحسن عليها ليتخلص بها من منافسيه فى الأسرة. على ان الأمير مسعود الأيوبي وضع حدا لأطماعه و جعل حكم مكة فى أيدي قواده. و ما ان توفى مسعود حتى عاد الحكم الى أيدي الشرفاء الذين سمح حكام اليمن لمنطقتهم بالاستقلال لدرجه ما بقصد اتخاذها درعا حصينا ضد مصر.

و فى حوالى منتصف القرن الثالث عشر للميلاد اتخذ العالم الاسلامى شكلا جديدا بنتيجة وقوع حوادث خطيرة، و ظهور أشخاص جدد.

فقد أزال هولاء الطاغية الخلافة من بغداد فى ١٢٥٨ و استولى عليها، و لم تعد لموكب الحج القادم من بغداد أية أهمية سياسية. و انتقلت السلطة فى مصر من الأيوبيين الى المماليك فأصبح السلطان بيبرس (١٢٦٠ - ١٢٧٧) فى الحال أقوى شخصية فى العالم

الاسلامى. وقد تسمى له ان يترك حكومته مكة في عهده الشريف أبى نمدى لأنه كان رجلا نشطا استطاع ان يحكم بلاده بشدة و حزم خلال النصف الثانى من القرن الثالث عشر (١٢٥٤-١٣٠١)، فأدى حكمه الطويل هذا الى تثبيت سلالة قتادة فى دست الحكم. على ان نصف القرن الذى أعقب وفاة أبى نمدى كان حافلا بالمنازعات على الشرافة ما بين المدعين بها. وكانت المددة التى حكم فيها الشريف عجلان (١٣٤٦-١٣٧٥) مفعمة كذلك بالاضطراب السياسى الذى استطال أمده حتى اضطر السلطان المملوك فى مصر ان يقسم ذات يوم على إبادة الشرفاء جميعهم. ولأجل ان يحول الشريف عجلان دون الاختلاف و النزاع بين الشرفاء بعد وفاته ابتدع طريقه تعيين ابنه أحمد مقدما ليخلفه فى الحكم.

و مما يذكر عما فعله الشريف عجلان كذلك انه أخذ يعامل امام الزيدية فى مكة و مؤذنههم معاملة قاسية، فكان ذلك يدل على ان شرفاء تلك الفترة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٠٥

كانوا قد تخلوا عن العقيدة الزيدية التى كان يعتقدونها آباؤهم و اعتنقوا المذهب الشافعى الذى كان يروج أمره.

و من أبناء عجلان و أخلافه الذين يجب ان يذكر شىء عنهم يجب أن نشير هنا الى الحسن (١٣٩٦-١٤٢٦) لأنه حاول ان يمد رواق سيطرته على الحجاز بأجمعه ليضمن مصالحه المالية بعناية و دقة، و ليكون فى الوقت نفسه قادرا على عدم إفساح المجال للمصريين بالتدخل فى شؤونه. و قد اختار السلطان من أبناء الحسن الثلاثة، الذين كانوا يتنازعون على المنصب فى حياة أبيهم، بركات الأول ليكون وصيا فى عهد أبيه، و بعد عشرين سنة خلف أباه فى الحكم و استطاع ان يحافظ على المنصب الى ان توفى سنة ١٤٥٥. و قد اضطر الى ان يخضع لمشيئة السلطان و يقبل بوجود حامية تركية فى مكة قوامها خمسون خيالا تركيا. و يمكن اعتبار هذا الأمير طليعة الحكام الآخرين فى مكة، الذين حصلوا على نفوذ غير يسير أحيانا من تحت التابعية التركية.

و لقد تسنى لمكة أن تتمتع بفترة من الازدهار و الرخاء فى عهد محمد ابن بركات (١٤٥٥-١٤٩٧) الذى تولى فى الوقت الذى تولى الحكم فى مصر قائد بك، و كان هذا قد خلد اسمه فى مكة بانشاء عدة أبنية فيها. و فى عهد بركات الثانى بن محمد (١٤٩٧-١٥٢٥) تغيرت الحالة السياسية فى العالم الاسلامى تغيرا أساسيا باستيلاء السلطان سليم العثمانى على مصر فى ١٥١٧.

و مع ان استانبول قد أصبحت منذ ذلك الحين فصاعدا تحل فى المحل الذى كانت تتمتع به بغداد فى يوم من الأيام بالنسبة لمكة، و برغم عدم وجود التفاهم التام ما بين الأتراك و العرب يومذاك، فقد تمتعت مكة فى بادىء الأمر بفترة من السلم و الهدوء فى عهد الشريفين محمد أبى نمدى (١٥٢٥-١٥٦٦) و الحسن (١٥٦٦-١٦٠١). و امتدت ممتلكات الشرفاء تحت الحماية العثمانية من خيبر فى الشمال الى حايل فى الجنوب، و الى داخل نجد فى الجهة الشرقية. على ان الاعتماد على مصر بقى موجودا فى الوقت نفسه،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٠٦

لكنه كان يضعف عند ما تكون الحكومة قوية فى استانبول و العكس بالعكس.

و لم يكن هذا الاعتماد سياسيا فقط و انما كانت له صفة مادية و دينية أيضا.

فان الحجاز كان يعتمد فى التزود بالأطعمة و استيراد الحبوب على مصر، و وجدت المؤسسات التى كانت لها صبغة دينية او تعليمية فى السلاطين الأتراك حماة لها.

على ان الجهة المعتمدة فى تابعية مكة للعثمانيين كانت تنطوى فى تدخلهم فى ادارة الأمور القضائية و الشرعية. فبالنظر لاعتناق الشرفاء للمذهب الشافعى كان قاضى الشافعية فى مكة يعد رئيسا لسائر القضاة. و كان هذا المنصب قد بقى لمدة قرون عديدة منحصر فى أسرة واحدة، لكن العثمانيين حينما تولوا حماية الحرمين أخذوا يتدربون أعلى المتزايدى فى استانبول لسد هذا المنصب فى مكة، فكان لا بد للمكيين من أن يدفعوا ثمن هذا التدخل مع الربح بطبيعة الحال.

و بوفاء الشريف حسن حلت فى مكة فترة جديدة حافلة بالفوضى و الحرب الأهلية. و يقول المؤرخون ان وجود كلمة «ذوو» فى اسماء

الشرفاء وجماعاتهم كان يدل على الاختلاف الحاد الموجود بينهم. فقد تركز النزاع على السلطة، الذي كانت تتخلله مشاجرات مع موظفي الدولة المسيطرة خلال القرن السابع عشر في العبادلة و ذوو زيد و ذوى بركات.

و كان زيد (١٦٣١-١٦٦٦) رجلا جم النشاط و الفعالية، يتحمل جميع ما يفعله الموظفون الأتراك، لكنه لم يستطع معارضة الأتراك بنجاح حينما أمره باضطهاد الحجاج الإيرانيين، على قول مرجعنا في دائرة المعارف الإسلامية. فقد أدت الخصومة التي كانت موجودة يومذاك بين الأتراك و الإيرانيين الى ان يمتد تأثيرها حتى الى مكة بنتيجة الأمر الذي أصدره السلطان مراد الرابع بطرد الإيرانيين من المدينة المقدسة و عدم السماح لهم بالحج في المستقبل. و لم يكن هذا الأمر يرضى الشرفاء و لا الطبقات العليا موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٠٧

من المجتمع في مكة، و انما كان يطمئن رغبات الرعايا فقط ليتخذ وسيلة لسلب الإيرانيين الميسرين. و حالما أمر الحاكم التركي في مكة بطرد الإيرانيين سمح الشرفاء للشيعة باجراء مراسيم الحج و البقاء في البلدة. و كان الشرفاء يحابون على الشاكلة نفسها الزيدية الذين كثيرا ما كان الأتراك يحولون دون دخولهم الى مكة.

اما تأريخ مكة في الفترة الباقية التي تمتد الى وقت استيلاء الوهابيين فيكاد يكون عبارة عن نزاع ممل بين الأسر الشريفية المختلفة (ذوو زيد و ذوو بركات و ذوو مسعود)، او بينهم و بين الموظفين العثمانيين في مكة نفسها أو جدء.

الشرفاء في أيام الاحتلال الوهابي

كان الشريف غالب (١٧٨٨-١٨١٣) أول من شهد حركة الوهابيين تتقدم تقدا كاسحا بشكل يشبه السيل نحو ممتلكاته، لكنه لم يدخر وسعا في مقاومة خطرهم. فقد ساق جيوشه الى الشمال و الشرق و الجنوب، و سار اخوانه و أنسباؤه الى ساحات الحرب، ثم طلبت النجدة من أمراء الحج السوريين و المصريين في كل موسم من مواسم الحج المتتالية، و لكن من دون جدوى. و في ١٧٩٩ عقد الشريف غالب اتفاقية مع أمير الدرعية جددت بموجبها الحدود بين الطرفين مع الاشرط بأن يسمح للوهابيين بالدخول الى البلاد المقدسة. على ان سوء التفاهم كان لا بد من أن يحصل في يوم في يوم من الأيام، و في ١٨٠٣ وصل جيش الأمير سعود الى المدينة المقدسة.

و بعد ان انسحب الشريف غالب الى جدء دخل سعود الى مكة التي أعلن سكانها اعتناقهم الوهابية في الحال، فهدمت القباب كلها و أحرق جميع الموجود من التبغ و الآلات الموسيقية، ثم حذف من الأذان، جمل الثناء على النبي كما يقول مرجعنا في دائرة المعارف الإسلامية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٠٨

غير ان (غالبا) عاد في تموز الى مكة، لكنه أصبح سجينا في داخلها بالتدرج لكثرة ما كان يحيط به من الأعداء. ثم بدأ الحصار الفعلي في آب فحلت محله فترة مؤلمة من المجاعة و تفشى الطاعون: فترتب على غالب في شباط السنة التالية ان يخضع للتابعية الوهابية و يحتفظ بمنصبه. و لم يحرك الباب العالي ساكنا خلال هذه الحوادث كلها، و لم يفعل شيئا حتى أعاد الوهابيون في ١٨٠٧ قوافل الحجاج القادمة من مصر و سورية مع المحملين، و عند ذلك صدرت التعليمات الى الخديوى محمد على بأن يعالج مشكلة الحجاج بعد ان يكون قد انتهى من مهمته في مصر. و لم يستطع هذا استرجاع مكة من الوهابيين الا في ١٨١٣، و هناك التقى بالشريف غالب الذي قدم له نصائح ملؤها الحذر. على ان غالبا سرعان ما وقع في الفخ الذي نصبه له محمد على و ابنه طوسون، فنفي الى سلاويك التي عاش فيها الى أن قضى نحبه ١٨١٦.

و كان محمد على في الوقت نفسه قد نصب في مكانه يحيى بن أخيه سرو (١٨١٣-١٨٢٧)، و بذلك انتهت أول فترة استولى فيها

الوهابيون على مكة، فأصبح الحجاز مرة أخرى تابعا لمصر. و قد ظل محمد على يتمتع بسمعة مشرفة في مكة مدة من الزمن لأنه أعاد تعمير المؤسسات الدينية التي خربها الوهابيون، و أعاد استجلاب القمح من الخارج ثم عين الرواتب للذين كانوا يتميزون في الشؤون الدينية عن غيرهم.

و في ١٨٢٧ اضطر محمد على الى التدخل في شؤون الشرفاء الداخلية من جديد. فقد كان الشريف يحيى قد جعل من منصبه شيئا غير محتمل بانتقامه من أحد أقربائه، و لذلك عمد الوالي الى عزله، و هو من ذوى زيد و تعيين شريف من العبادلة في مكانه يدعى محمد بن عون (١٨٢٧-١٨٥٠).

فكان عليه قبل كل شىء ان يدخل في النزاع التقليدى مع أقاربه، و أدى حدوث نزاع بينه و بين وكيل محمد على الى تنحية الاثنين و أخذهما الى القاهرة في ١٨٢٦.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٠٩

و لقد بقى الشريف في القاهرة الى ١٨٤٠ حينما تقرر في المعاهدة التي عقدت بين محمد على و الباب العالي ان يرتبط الحجاز بها من جديد، فعاد محمد بن عون الى وطنه و منصبه، على ان تابعية مكة للعثمانيين قد أدمجت في هذه المرة بوظيفة و الى جده، فكان الاحتكاك و التصادم بينه و بين محمد ابن عون شيئا لا مناص منه. لكن صداقه الشريف لمحمد على قد ثبتت فائدها له في هذه المرة، فحصل على استحسان الترك و ثنائهم عليه للحملات التي جردها ضد الأمير فيصل الوهابى في الرياض، و ضد العشائر الثائرة في العسير. كما مهدت غزواته في اليمن الطريق لسيطرة العثمانيين عليها.

و كان كبير أسرة ذوى زيد الشريف عبد المطلب (١٨٥١-١٨٥٦) قد استغل صداقته للصدر الأعظم في الوقت نفسه استغلالا تاما أدى به الى أبعاد العبادلة لصالح ذوى زيد. على ان عبد المطلب لم ينجح في المحافظة على علاقاته الطيبة مع أحد (الباشيين) الذين تحتم عليه التعامل معهما واحدا بعد آخر. فتقرر سنة ١٨٥٥ في استانبول إلغاء أمر تعيينه و استدعاء محمد بن عون ليحل في مكانه. فرفض عبد المطلب بادىء ذى بدء الاعتراف بصحة صدور الأمر، و أيده في ذلك من كان يكره الأتراك في مكة لتحريمهم المتاجرة بالرقيق. على أنه تحتم عليه ان يتخلى عن منصبه في النهاية الى محمد بن عون، الذى تولى الشرافة في ١٨٥٦ للمرة الثانية، و لم تطل مدة بقائه فيها هذه المرة أكثر من سنتين. و قد حدث خلال الفترة المتقضية بين وفاته في مارث و وصول خلفه عبد الله الى مكة في تشرين الثانى أن قتل المسيحيون في جدة (١٥ تموز) و دفعت فديتهم.

و قد عرف حكم عبد الله (١٨٥٨-١٨٧٧) الذى كان محبوبا من رعاياه بانتشار السلم في الحجاز، و بوقوع حوادث بالغة الأهمية في الخارج.

فقد كان فتح قناة السويس (١٨٦٩) يعنى تحرر الحجاز من سيطرة مصر من جهة و اتصاله باستانبول مباشرة من جهة أخرى. كما كانت لتأسيس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢١٠

الاتصالات التلغرافية بين الحجاز و سائر أنحاء العالم أهمية مماثلة. أما إعادة استيلاء الأتراك على اليمن فقد كان يقصد به تقوية الانطباع بأن الجزيرة العربية خاضعة للأتراك كلها الى الأبد.

و لقد انتهت المدد القصيرة التي تولى الحكم فيها حسين أخو عبد الله الأكبر (١٨٧٧-١٨٨٠) بقتله على يد رجل من الأفغان. فجىء بعده للشرافه من استانبول بالشريف عبد المطلب المتقدم في السن من جديد.

و مع ان رأى العام في الحجاز كان يعتبره بمنزلة القديسين فان حكمه سرعان ما ظهر تعسفه و بانت شدته فطالب وجوه البلد و أعيانه بعزله. فكانت النتيجة ان انتدب في ١٨٨١ القائد النشط عثمان نوري باشا مع ثلثة من الجيش الى الحجاز ليكون قائدا للحامية فيه، على ان تكون مهمته تمهيد الطريق لإعادة العبادلة الى الشرافة الكبرى. فخدع عبد المطلب و ألقى القبض عليه، ثم سجن في بيته في مكة

الى أن مات في ١٨٨٦.

و كان بود عثمان نوري باشا،- الذي تعين واليا في تموز ١٨٨٢-، ان يرى صديقه عبد الله، أحد العبادلة، ينصب في دست الشرافة الكبرى بجانبه. على ان عون الرفيق (١٨٨٢-١٩٠٥) هو الذي عين في هذا المنصب. و لما كان الوالي على جانب كبير من النشاط و الفعالية، و بالنظر لأن الشريف عون كانت له أهميته و منزلته برغم ميله الى العزلة، فان حصول تصادم بينهما كان شيئاً لا مناص منه لا سيما و ان لكل منهما كانت نفس الصلاحية في امور كثيرة مثل إدارة الشؤون القضائية و السهر على سلامة طرق الحجاج و أمنها. و بعد شيء غير يسير من الاحتكاك عزل عثمان نوري في ١٨٨٦. فأعقبه جمال باشا لمدة قصيرة، ثم جاء بعده صفوة باشا. و لم يستطع البقاء في دست الولاية إلى جنب عون الرفيق سوى أحمد راتب الذي كان يغمض عينه عن كثير من الأشياء و يكتفى ببعض المنافع المادية. و بعد أن توفي عون اختير عبد الاله خلفا له. على أنه مات قبل ان يبدأ برحلته من استانبول الى مكة. و لذلك فقد كان خلف عون الحقيقي ابن أخيه على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢١١

(١٩٠٥-١٩٠٨)، و في ١٩٠٨ أضع كل من على و أحمد راتب منصبه بوقوع الثورة التركية.

و بتولى الحسين (١٩٠٨-١٩١٦-١٩٢٤)، الذي هو من أبناء أخوة عون أيضا، يكون آخر شريف قد تولى الحكم في مكة. و لولا وقوع الحرب العالمية الأولى لسارت شرافته في طريقها المعتاد على وجه الاحتمال.

و كان هذا قد اغتتم فرصة انشغال الدولة التركية انشغالا تاما بالحرب فأعلن استقلاله في ١٩١٦. ثم حاول ان يمد سيطرته الى أبعد حد ممكن كمنقذ للعرب أولا، و بصفه ملك (٢٢ حزيران ١٩١٦) في الحجاز أو بلاد العرب كلها، و أخيرا بصفه كونه خليفة للمسلمين. على انه سرعان ما اتضح ان سلطان نجد، عبد العزيز السعود، قد كتب له كما كتب لأجداده الوهابيين من قبل ان يكون له القول الفصل في مستقبل الجزيرة العربية و شؤونها.

ففي أيلول ١٩٢٤ استولت قواته على الطائف، ثم استولت على مكة في تشرين الأول. ففر الملك حسين الى العقبة أولا، و أخذ من هناك الى قبرص في أيار ١٩٢٥. غير ان عليا ابنه تراجع الى جدة، فعمد ابن سعود الى محاصرتها و محاصرة المدينة مدة تقارب السنة تجنبا لاراقه الدماء و التعقيدات مع الدول الأوروبية. فاستسلمت المدينتان في كانون الأول ١٩٢٥ فأصبح ابن سعود منذ كانون الثاني ١٩٢٦ ملكا في الحجاز، و أصبح عنوان مملكته «مملكة الحجاز و نجد، و توابعهما»، أما اليوم فهي المملكة العربية السعودية.

و بذلك تكونت وحدة سياسية جديدة عاصمتها مكة، تضم مساحة أكبر من أية مساحة كان يسيطر عليها الشرفاء في أي يوم من الأيام، و تملك قوة داخلية أعظم من أية قوة نشأت في الجزيرة العربية منذ ان انتهى حكم العباسيين فيها حتى يومنا هذا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢١٢

مكة في يومها هذا

و يقول مرجعنا في دائرة المعارف الاسلامية ان الحياة الدينية و الاقتصادية في مكة كانت تتركز منذ القدم في حركة الحجاج و المسجد الحرام. و تنعكس و صفة مكة، بصفتها عاصمة الاسلام الدينية في تنوع قوميات سكانها الحاليين تنوعا غير يسير. فالى جانب أهل مكة الأصليين توجد فيها عناصر عربية أخرى كثيرة، يبرز من بينها على الأخص عنصر الحضارمة المعروف بنشاطه و فعاليته. و هناك عدد كبير من الجاليات المسلمة التي جاءت من أنحاء العالم الإسلامي كافة لتستقر في المدينة المقدسة مدفوعة بأسباب دينية و دنيوية مختلفة. و من بين هؤلاء يجب ان يذكر بصفه خاصة القادمون من الملايو، الذين يعرفون عموما باسم جاوة، لأنهم جاءوا يقيمون في مكة إقامة دائمة لأسباب دينية بحتة.

و حتى في يومنا هذا يكون (العبيد)، لا سيما الأفريقيين، عنصرهما في مجتمع مكة. و قد كانت البنات الحبشيات من الأرقاء يقدرن

بشمن غال على الدوام لأنهن يؤخذن جواري و محظيات. على ان سوق النخاسة لم تعد له تلك الأهمية التي كانت له من قبل. و تنتشر أكوخ العبيد المعتقين في الضواحي المحيطة بالبلد المقدس.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢١٣

و تزدهر في مكة مهنة المطوفين الذين تعيش طبقتهم على حركة الحجاج في كل سنة، و هؤلاء يعينون لهم و كلاء في جدة كذلك. غير ان هذا ينطبق على سكان مكة كلهم تقريبا، لأنهم يرتبون أمورهم بحيث يؤجرون بيوتهم الى الحجاج خلال مدة غير يسيرة من السنة. فما يحل الشهر الثامن من السنة الهجرية حتى يصل الى البلدة عشرات الألوف من الحجاج، و يزداد هذا العدد باطراد حينما يحل الشهر الثاني عشر. و بحلول محرم الحرام يعود المنظر في مكة الى سالف عهده من الهدوء الاعتيادي.

و لقد توسع الناس في الحجاز خلال مئتي السنة الأخيرة في تقديس الأموات و زيارة القبور باستمرار، ففي البلاد أماكن عديدة لها اتصال بالذكريات المقدسة التي تختص بالنبي محمد و آل بيته، و بالبارزين من المهاجرين و القديسين المتأخرين. و قد شيدت فوقها قباب عديدة صار الناس يزورونها و يترددون عليها بكثرة. غير ان الوهابيين قضوا على الكثير من هذه العادات و الطقوس منذ أن تم استيلاؤهم على البلاد.

و مكة اليوم هي مركز الحكومة و مقرها، مع ان إقامة الملك تكون في الرياض عادة. و تصدر «أم القرى» جريدة الحكومة الرسمية مرة في الاسبوع، و هناك كذلك مطابع عديدة تقوم بطبع المؤلفات الوهابية و الحنبلية في الغالب.

مكة في مراجع اجنبية اخرى

و هكذا تنتهي الخلاصة التاريخية التي توردها دائرة المعارف الاسلامية و من أهم الكتب الغربية الأخرى التي تبحث في كثير من شؤون مكة و تاريخها بالتفصيل كتاب الكولونيل جيرالد ديغوري الموسوم (حكام مكة). و يتطرق هذا المؤلف الانكليزي الى جميع ما جاء في الخلاصة التاريخية المار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢١٤

ذكرها بشيء أكثر من التفصيل، و لا سيما عن تاريخ بعض الشرفاء الكبار من مثل الأمير قتادة، و محمد أبي نمي، و بركات الأول، و بركات الثاني، و زيد بن محسن، و عبد الله بن سعيد، و سرور و أخيه الشريف غالب، و محمد بن عون، و عون الرفيق.

و من جملة ما يأتي عليه ديغوري بالتفصيل موضوع تأسيس مكة و نشوئها.

فهو بعد أن يصف طبيعة موقعها و أحوالها الجوية القاسية يروي ما يطلق عليه «الأسطورة المسلمة» حول قدسية مكة، فيقول ان قافلة من قوافل بني جرهم لاحظت خلال سيرها نحو الجنوب في تلك الجهات أن عينا من الماء كان يتدفق ماؤها في مكان مقفر لم يعهدوا وجود ماء فيه من قبل.

فوقفت القافلة، ثم انتدبت رجلين من رجالها للوقوف على جلية الأمر.

و حينما ذهب الرجلان ألفيا قرب العين امرأة مع طفل ذكر بجنبها، و قد فهما من كلامها ان اسمها هاجر و ان العين تعود لها و لطفلها. و بترخيص من عندها خيمت جرهم حول العين، و صارت تستعملها و تحافظ عليها حتى سميت باسم «زمزم» بعد ذلك. و يقول ديغوري، نقلا عن السر ليونارد و ولي الآثاري الانكليزي المشهور، أن ذلك يصادف حوالي سنة (٢٠٠٠) قبل الميلاد على وجه الاحتمال.

و قد نشأ اسماعيل بن هاجر عند بني جرهم، و هي من قبائل الجنوب العربي، ثم تزوج منهم و صار يعيش على الصيد و القنص. ثم يقول ديغوري ان ابراهيم قد عاد للمرة الثالثة و اشار على ابنه بأن يبني في تلك البقعة بيتا.

و انتخبوا نشزا من الأرض و فعلوا ذلك. ثم جاء تبع الحميري، ملك اليمن، و صنع بابا للبيت مجهزا بالأفقال، و جاء الملك جبرائيل

بالحجر الأسود

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢١٥

و وضعه فيه. و كان هذا الحجر يلتمع فوق جبل أبي قبيس المطل على مكة، و لم يكتسب لونه الأسود الا بعد نشوب نار من حوله في أيام الجاهلية بعد ان قلبت امرأة من الناس مبخرة على الأرض. على ان قريشا، و هم أخلاف جرهم في مكة، أعادت بناء البيت المقدس من جديد. و يقول ديغوري هنا ان المختصين بالأحجار يعتقدون بأن الحجر الأسود هو من أصل يمت الى الشهب السماوية بصله.

و كانت الكعبة نفسها في الأصل عبارة عن بناء مكعب بسيط، و كانت هناك كعبة أخرى في صنعاء اليمن ظلت تنافسها مدة من الزمن، كما كان في بطرا او البتراء حجر أسود آخر، بينما كان يوجد في الطائف و بعض الأماكن الأخرى عدد من الأصنام الحجرية للعبادة. و كان بناء الكعبة يجدد بين حين و آخر، و تدخل عليه التحسينات المختلفة، ثم يغطي تغطية موقرة بجلود الحيوانات التي تنحر وقت الحج. و قد حلت خزاعة سنة ٢٠٧ للميلاد في محل جرهم و العمالقة في سدانة الكعبة بظروف و أحوال غامضة، و في سنة ٤٠٠ للميلاد حلت في محل خزاعة قبيلة كنانة القرشية التي ينتمى اليها شرفاء مكة الحاليون. و يذكر ديغوري عن قطب الدين الحنفي في هذا الشأن قوله: و قد حكمت خزاعة مكة و قامت بسدانة الكعبة بكل إدراك و حكمه من دون إقتراف ما يؤدي الى تعكير العلاقات بين الناس، حتى تول قصي بن كلاب بن مرة، الذي كان اول رجل من كنانة ينجح في الحكم و يعمل على توحيد قريش.

أما كيفية انتقال السدانة من خزاعة الى قصي فان ديغوري يورد قصة طريفة عنها في كتابه. فهو يقول ان قصيا كان يسمى زيدا أيضا، و كان يكنى بالمجمع لأنه و حد قريشا و جمعها في كتلة واحدة. و لم يكن «قصي»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢١٦

سوى لقب اشتهر به لأنه جاء الى مكة من مكان قصي بعيد. فقد أخذته أمه من الحجاز و عادت به إلى أهلها في سوريه حينما توفي والده، و تزوجت هناك. و حينما شب قصي تنازع مع زوج أمه و أسرته و عاد الى عشيرته حوالى مكة، و هناك وجد كل ترحيب و تزوج ابنه زعيم القبيلة حليل بن جيش الخزاعي و كان اسمها حبه. و سرعان ما أنجب منها عددا كبيرا من الأولاد، و أصبح ثريا كثير الغنى. و حينما توفي حليل سلم مفاتيح الكعبة الى ابنته حبه التي أنعمت بها على قريب من أقاربها يدعى ابن غبشان. على ان ابن غبشان هذا كان مدمنا على شرب الخمر، كثير السكر بحيث باع مفاتيح الكعبة ذات يوم الى قصي بن كلاب بقينيه من الخمر. فهاج عمله هذا قبيلته خزاعة التي لم تشأ ان تخرج سدانة الكعبة من يدها بمثل هذه السهولة، لكنها لم تستطع استرجاعها من قصي الذي وقف من ذلك موقفا حاسما.

و المعتقد ان قصيا توفي سنة ٤٩٠ للميلاد، و لكن بعد ان جعل من الكعبة مكانا مقدسا تجله جميع القبائل و تقدسه بحيث صار من المعتاد عند السدنة و الحجاج أجمع ان يتركوها قبل الغروب. و لم يعد يجرؤ أحد على المبيت في تلك البقعة المقدسة، كما لم يعد يسمح لأحد ان يقضى نجه فيها. و قد منع دفن الموتى أو إقامة المآتم فيها، كما منع ارتكاب أى شىء مخالف او منطو على الغش فيها.

على ان قصيا جمع قبيلته و طلب الى افرادها ان يبنوا بيوتهم في المنطقة المقدسة و يعيشوا فيها. و حينما فعل ذلك أبان للناس وجوب تمتعهم باحترام خاص بحيث لا يتجرأ أى عربى على مهاجمتهم او إجلائهم عنها. و المقول أنه هو نفسه قطع أول شجرة و وضع أول حجر لبناء بيت دائم له في المنطقة المقدسة، حتى يقتدى الباقون من أفراد عشيرته به و يقدمون على تنفيذ ما يريد. و يقول ديغوري ان هذا ربما كان قد حصل في سنة ٤٨٠ للميلاد، لأن النبي محمدا عليه السلام كان قد ولد سنة ٥٧١، و هو خامس جيل ينحدر من قصي (اعتبر لكل جيل حوالى عشرين سنة).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢١٧

وقد أدخل قصى على ما يذكر ديغورى كثيرا من الاصلاحات و التحسينات على الكعبة و وضعها، ثم غير موقع الأصنام فيها و أمر ان يؤتى ببعضها من مكانها البعيد الى داخل الهيكل، و بذلك جمع الآلهة كلها فى مكان واحد كما وُحِد قبيلته فى كيان واحد. و بنى بالاضافة الى ذلك قاعة للمجلس و بهوا للمراسيم، ظل يسمى فيما بعد بدار الندوة، و قد كان يشترط فى عضو المجلس ان لا يقل عمره عن أربعين عاما، باستثناء أبنائه الذين كان يسمح لهم بالعضوية حالما يبلغون سد الرشد .

يضاف الى ذلك ان قصيا جمع فى يده وظائف البيت الحرام كلها، فجمع الحجابة، و السقاية، و الرفادة، و رأسه الندوة، و اللواء، و القيادة فى الحرب. ثم نقل صلاحياته هذه كلها الى ابنه عبد الدار قبيل وفاته بأمل أن يؤمن له مركزه قبل ان يرحل الى الدار الآخرة. لكن أولاده الباقين نازعوا أخاهم فى ذلك بعد وفاته من دون ان يكون التوفيق حليفهم، غير ان أبناء عبد الدار تغلب عليهم أبناء أخيه عبد مناف الذى كان يتمتع بجانب أكبر من الحيوية، مع البعض من نبلاء قريش. و بذلك انتقلت مفاتيح الكعبة الى آل شيبه الذين بقيت فى أيديهم الى يومنا هذا. و على الشاكلة نفسها استطاع عمرو هاشم، بن عبد مناف، أن يحصل على حق السقاية و الرفادة، و كان هو الذى يشرف على تنظيم خروج القوافل الى الجنوب فى الشتاء و الى الشمال فى الصيف (رحلة الشتاء و الصيف). و كان هاشم يصحب القافلة بنفسه فى كثير من الأحيان. و فى إحدى سفراته هذه توفى فى غزة بفلسطين و هو فى مقتبل العمر فدفن فيها. لهذا السبب صارت تسمى «غزة هاشم» فى بعض الأحيان.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢١٨

و كان هاشم خلال سفرته الأخيرة التى توفى فيها قد تزوج فى المدينة بإمرأة من أهلها فرزق منها طفلا نشأ و ترعرع فيها حتى طالب به عمه مطلب و جاء به الى مكة فسماه عبد المطلب. و حينما توفى العم فى اليمن بعد ذلك ورث عبد المطلب ماله و ممتلكاته، و رزقه بعدد من الأبناء كان من جملتهم عبد الله و والد النبى محمد عليه الصلاة و السلام.

و يقول ديغورى ان ذرية قصى تقاسمت الميراث فيما بينها، فصار قسم منها يتولى شؤون البيت الحرام، و قسم آخر مثل أبناء هاشم حصلوا على حق الرفادة و المتاجرة مع الخارج فى الوقت نفسه، بينما اختص بعضهم الآخر بالتجارة فقط و هم أبناء عبد شمس، أخى هاشم (الأمويون) فأصبحوا صرافين معروفين. غير ان أعضاء مجلس أعيان جمهورية مكة، على ما يقول ديغورى، كانوا يحسدون ذرية قصى على ما كانوا يتمتعون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢١٩

به من امتيازات. و هذا ما أدى بهم الى انذار عثمان بن حويرث و التشهير به فى الحال حينما أخذ على عاتقه ان يقوم بزيارة قيصر الروم ليقترح عليه عقد اتفاقية خاصة بين الطرفين تؤمن سلامة القوافل المكية التى تقصد الشام لقاء جزية سنوية ضئيلة تدفع بالعينية، و الاعتراف بسيطرته على مكة.

و فى حوالى سنة ٦٠٠ للميلاد أعادت قريش بناء الكعبة مرة أخرى، فوسعت فناءها و أضافت الى البناء نفسه، ثم زادت فى علوه. و قد تم ذلك على أثر ما أصابها من الغرق بسبب السيول. فسنحت الفرصة لقريش فى تلك الأثناء بأن تستفيد فى التعمير من أخشاب سفينة أغريقية كانت قد غرقت بالقرب من ساحل جدة حينما كانت فى طريقها من مصر الى الحبشة. فقد انتدب وجيه من قريش ليفاوض (باقوم) ربان السفينة بقصد شرائها منه، فتمت الصفقة و اشترك فى البناء نجار مصرى ماهر كان موجودا فى مكة و ربان الباخرة (باقوم) الذى استخدم فى ذلك ما كان فى السفينة الغارقة من حبال و رافعات. و قد أمكن بهذه الوسيلة أن يكون البناء بمقياس أوسع، و ان يشيد الباب بمستوى يرتفع عن سوية الأرض لثلا تتسرب منه مياه الطوفان الى الداخل.

و يقول ديغورى ان هذا التوسيع و التحرير كان آخر شىء تم من نوعه، فأعطى الشكل الحالى للكعبة و البيت الحرام الذى لم يطرأ عليه أى تغيير فى مظهره الأساسى خلال الألف و الثلاث مئة سنة الأخيرة (كتب كتاب ديغورى سنة ١٩٥١).

لقب الشرفاء

و يتطرق مرجعنا هذا بعد ذلك الى البحث في أصل كلمة «الشريف» فيقول ان منشأ استعمالها بالمعنى الاصطلاحي الذي يطلق على سادات مكة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٢٠

يكتفه الغموض. غير انه يبدو أنه بدء باستعمالها في أيام الخلفاء الفاطميين، على ما يقول السيوطي، حين منع استعمالها كلقب خاص لغير ذرية الامامين السبطين الحسن و الحسين عليهما السلام. و لقد بحث في المعنى الذي ينطوي عليه هذا اللقب عدد من المؤلفين العرب، فقال الحصرى في زهر الآداب انها تعنى عدا التحدر من ذرية النبي الأكرم ان تتوفر في الشخص الشجاعة، و نظافة النسب، و الأخلاق الفاضلة، و سعة العقل الناتجة عن الاطلاع و التعلم. و يذكر القتيبي في (كتاب العرب) اربع صفات لذلك، و هى الارتقاء بالنسب الى النبي الأ-عظم، و التحلى بالخلق الانساني الرفيع، و التحدر من أجداد أفاضل، و الانصاف بالسخاء و الكرم. ثم رسخ استعمال الكلمة بعد ذلك فأصبحت فى القرن الثالث عشر للميلاد لقباً خاصاً يطلق الجميع على حكام مكة و البارزين من أسرهم، و منذ ذلك الحين فصاعداً توسع استعمالها فأصبح يشمل أفراد تلك الأسر بأجمعهم. و على هذا الأساس أصبحت كلمة «الشرفاء» تختلف عن كلمة الأشراف بمعناها العام و تعنى أفراد الأسرة المالكة فى مكة.

مكة و الصليبيون

و ينفرد ديغورى فى البحث عن إقدام الصليبيين على مهاجمة الاسلام فى عقد داره، بقطع طريق الحج الى مكة و محاولة الاستيلاء على المدينتين المقدستين فى حوالى سنة ١١٨٢-٨٣، على عهد الشريف قتادة، و فى أيام الخليفة المقتدر فى بغداد.

فهو يقول ان فارسا من فرسان الصليبيين الفرنسيين يدعى رينو دى شاتيون Reynaudde Chatillon كان قد استولى على بلاد شرقى الأردن و قلاع مؤاب و الشوبك شرقى البحر الميت، فأصبح مسيطرا من هناك على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٢١

طريق الحج الى مكة المكرمة. فصارت تراود مخيلته خطة جريئة يهاجم فيها الاسلام فى عقر داره، و يحقق آمال الصليبية. و فى السنة التالية خالف شروط الهدنة المعقودة مع المسلمين، و توغل فى جزيرة العرب حتى وصل إلى تيماء، فقطع طريق الحج و استولى على عدد من القوافل الغنية غير أنه تخلى عن فكرته فى مهاجمة المدينة بطريق البر، للاستيلاء على ما كان يؤمل وجوده من أموال و نفائس فى قبر النبي، و قرر ان يفعل ذلك عن طريق البحر. على أن صلاح الدين رد عليه بانشاء قلعة حصينة فى شمال شبه جزيرة سيناء، و اتخذها قاعدة أمامية له. فلم يكن من الفارس رينو الا أن يعيد احتلال أيلة (ايلات) المطللة على خليج العقبة فى الوقت نفسه، بهجوم مفاجىء. و عمد بعد ذلك الى نقل السفن من موانئ فلسطين الجنوبية، مثل عسقلون و غيرها، الى البحر الأحمر بعد ان فسخها و نقل أجزاءها على ظهور الجمال بطريق البادية المار ببلاد أيدودم و وادى عربية. و فى خليج أيلة أعاد رينو بناء السفن المنقولة أجزاءها، فاستطاع ان يهوى خمس سفن حربية كبيرة و يحمل فى كل منها ألف جندي من الصليبيين، علاوة على عدد آخر من السفن الأصغر منها. ثم عمد مع قسم من هذه الأرمادا الى محاصرة جزيرة «غراى» فى البحر الأحمر، و بينما كان يقوم بهذه المهمة توجه أحد قادته بباقي السفن الى سواحل البحر الأحمر الأخرى و أخذ ينهبها كلها و يعيث فساداً فيها من الشمال الى الجنوب قبل ان يعلم صلاح الدين بما فعل. و لما كانت السفن الصليبية تسير بالمجازيف الجماعية، فقد كانت أكثر سرعة من سفن العرب الشراعية و أخف حركة منها. و لذلك تسنى لهم ان يقطعوا اتصال الموانئ الصغيرة كلها بالعالم الخارجى، و يستولوا على السفن التجارية، فضلاً عن تدمير مواصلات الجيوش المسلمة. و قد ظلوا يغرقون جميع ما يصادفونه من السفن بعد ان يستولوا على شحناتها خلال سنة كاملة (١١٨٢-)

٨٣). و الى أبعد من ذلك جنوبا نهب الصليبيون ميناء عيذاب الأفريقي، الذي كان على جانب كبير من الأهمية للحجاج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٢٢

المتوجهين من وادي النيل الى مكة المكرمة. و هناك أحرقت السفن التجارية كذلك، و أغرقوا سفينة كبيرة كانت تقل عددا كبيرا من الحجاج الى جدة.

و لم يكتف رينو الصليبي بأفعاله الشنيعة هذه فقط، بل أقدم أيضا على انزال حملة عسكرية في الساحل المصري فسارت شمالا و استولت على كثير من القوافل الغنية القادمة من قصير. ثم ظهر رجاله في جميع موانئ الجزيرة العربية، و منها رابع و الهوارة في شمال ينبع و جنوبها، حتى أنهم ظهروا في باب المنذب و عدن كذلك، حيث أسروا عددا من الشيوخ و رجال الدين في أثناء قيامهم بسد المدخل الى البحر الأحمر من هناك.

على ان الجيوش العربية في القاهرة كانت قد خفت الى تجهيز نفسها على ما يقول ديغوري، و تهيأت لشن هجوم مقابل على الصليبيين. لكن الملك العادل، أخا صلاح الدين و نائبه في غيابه، لم تكن تتوفر لديه السفن المطلوبة في البحر الأحمر فارتأى ان يقلد رينو في ما فعل، و نقل عدة سفن كبيرة من النيل و الاسكندرية الى القلزم (البحر الأحمر). و في كانون الثاني ١١٨٣ أنزل هذا الاسطول العربي في البحر الأحمر بقيادة حسام الدين لؤلؤ (المسمى بالحاجب) الذي كان معروفا بورعه و مقدرته في الحروب البحرية. و في أقل من شهرين استطاع ان يحرق السفن الصليبية الثلاث التي كانت تحاصر جزيرة غراي و يأسر جميع بحارتها. و على مقربة من الهوارة هاجم باقى الاسطول الصليبي في منتصف الصيف، و دمر سفنه بأجمعها.

فحاول بحارة السفن المدمرة ان ينضموا في البر الى الرتل الذي كان قد بدأ بالزحف على المدينة المنورة قبل المعركة. و على مسيرة خمسة أيام من البحر، و يوم واحد من المدينة، هاجم المسلمون القوة الصليبية المؤلفة من ثلاث مئة محارب فدمروها شر تدمير. و من بين المئة و السبعين صليبيا الذين نجوا من القتل خلال المعركة فأسروا و قتل عدد غير يسير حيث كانت تنحر الضحايا في منى، و في المدينة و على مقربة من مكة نفسها. اما الباقون فقد فر قليل منهم فنجوا بأنفسهم و وصلوا الى سواحل البحر الأبيض المتوسط، و أخذ موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٢٣

البعض الى مصر فشهر بهم و عرضوا على الجمهور الحائق قبل ان يقتلوا على يد الدراويش و غيرهم. و قد شاهد بعضهم الرحالة المغربي ابن جبير و وصفهم في رحلته، و هو يقول ان الاسطول العربي الذي قضى على الاسطول الصليبي بقيادة حسام الدين لؤلؤ كان يديره بحارة من المغاربة الأشداء الشجعان.

و يتابع ديغوري بحثه في هذا الشأن و يقول ان صلاح الدين الأيوبي قرر ان يضع حدا الى الأبد لهذا الخطر الذي صار يهدد مكة و غيرها من المدن المقدسة. فأمر بالاستيلاء على قصر رينو و قلعته. و بدأ حصاره بقيادته هو نفسه في خريف تلك السنة بالذات و قد بدأ القصف بالقنابر حينما كان الصليبيون يحتفلون بزواج ابن زوجته رينو، فسقط قسم منها في وسط المحتفلين و على الراقصين و الآلاتية لكن هذا الحصار لم يدم طويلا لأن الملك بالدوين الرابع خف لنجدة رينو برغم مرضه الشديد فأنقذه.

على ان رينو لم يبق طويلا على قيد الحياة بعد حملته الفاشلة في البحر الأحمر على كل حال، لأن صلاح الدين دحر الصليبيين سنة ١١٨٧ في موقعة حطين بالقرب من الجليل، فسقطت في يده مملكة القدس الصليبية. و قد أسر أمراء المسيحيين و فرسانهم، و قتل رينو «عفرت الغرب» و خصم صلاح الدين شر قتله في حضور صلاح الدين بالذات. و في رواية انه قتله بيده.

الشريف قتاده و موكب الحج العراقي

و يذكر ديغوري ما وقع في أيام الشريف قتاده من اعتداء على الحجاج العراقيين في مكة سنة ١٢١٠ و ١٢١٢، نفلان عن (شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام) لمؤلفه تقي الدين أبي طيب محمد بن أحمد الفاسي، الذي نشره مترجما المستشرق الألماني فستنيلد في لايزرغ

سنة ١٨٥٩.

و موجز ما يقوله الفاسي هذا أن أمير الحج العراقي يومذاك كان علاء الدين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٢٤

محمد بن الأمير ياقوت، بالنيابة عن والده الذي كان حاكماً في خوزستان و أميراً للحج في الوقت نفسه، و كان مساعده و دليله ابن فراس. و على رأس الموكب الشامي كان صمصام اسماعيل أخو شاروخ النجمي، بينما كان يرأس الموكب الفلسطيني الحاج علي بن سالم، و كانت من بين الحجاج في هذا الموكب ربيحة خاتون شقيقة الملك العادل. و قد حدث في منى بعد الانتهاء من رمي الجمرات ان انقض الاسباعيليون على أحد الشرفاء من أبناء عم قتادة، و شبيهه في الخلقة، فقتلوه ظناً منهم أنه قتادة نفسه. و كان القاتل يدعى هارون أبا عزيز، و ينتمي الى أم جلال الدين علي ما قيل.

و عند ذاك انبرى للعمل عبيد الشرفاء و خدامهم في الحال، ففسلقوا سفوح التلال المحيطة بمنى و أخذوا يرمون الحجاج المحتشدين بالنبال و القذائف من (العرات). و ظلوا خلال اليوم التالي كله يعتدون على الحجاج و ينهبون ممتلكاتهم، فحدثت عدة قتل من الجانبين. و لذلك أشار ابن أبي فارس على أمير الحج العراقي، محمد بن ياقوت، بأن ينقل مخيم العراقيين من منى الى الظاهر، حيث يخيم الشاميون في العادة. و حينما بدأوا بالانتقال الى هناك تصور قتادة و عبيده ان العراقيين تحركوا للهجوم عليهم، فعاجلهم بالهجوم و نهب جميع ما كانوا يملكون. و هو يصرخ قائلاً: «سوف لا أبقى أحداً منهم على قيد الحياة».

و كانت ربيحة خاتون عند ذاك في الظاهر فالتجأ أمير الحج العراقي الى خيمتها التي كانت فيها الخاتون أم صلاح الدين الأيوبي أيضاً. فما كان من السيدة ربيحة إلا- ان تبعت الى قتادة مرافقها ابن السقار يقول له «ما ذنب الناس اذا كان القاتل معروفاً؟ أم أنك تختلق الحجج لسلب الحجاج، مع أنك تعرف من نحن؟» و قد هدد ابن السقار قتادة بأنه اذا لم يكف عن الانتقام فان العاقبة ستكون و خيمة عليه حين يزحف الخليفة بنفسه عليه من بغداد و يزحف السوريون من الشام. و عند ذاك أمر قتادة بايقاف العنف بشرط أن يدفع له الحجاج تعويضا قدره مئة ألف دينار. و أخيراً تم جمع حوالى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٢٥

ثلاثين ألف دينار من الحجاج، و من والده صلاح الدين. و قد بقي مئات الناس مقيمين حول خيمة السيدة المعظمة ثلاثة أيام بقصد الحماية، فكان الكثيرون منهم جياعا عراة، كما كان بعضهم مصابا بجروح. و كان قتادة يعتقد ان الخليفة في بغداد هو الذي أو عز بتدبير قتله، و لذلك أقسم على قتل أى حاج يصل الى الحجاز من أهل العراق.

و هكذا عاد حجاج العراق الى بلادهم و هم على جانب كبير من التعاسة.

بعد مدة من الزمن أوفد قتادة ابنه راجحا يستجدي العطف و الرضا من الخليفة في بغداد، فعفا عنه و بعث له في السنة التالية هدايا و أموال كثيرة، ثم وجه له الخليفة دعوة لزيارة بغداد. على أنه ما ان وصل الى الكوفة في طريقه الى المثل بين يدي الخليفة حتى غير رأيه و عاد راجعا من حيث أتى، لأن رجال الخليفة الذين استقبلوه في الكوفة كان أحدهم يقود أسدا مقيما بسلاسل من حديد فتشاءم الشريف من ذلك. ثم بعث الى الخليفة بقصيده من نظمه يعتذر فيها. و يقول (ديغوري) ان قتادة صرح أكثر من مرة في ملأ من الناس بأنه أحق بالخلافة من الخليفة العباسي في بغداد.

و الظاهر أن خلاف الشرفاء مع العراقيين كان يتجدد بين حين و آخر برغم تقادم العهد و كر السنين. فبعد الحادث المذكور بمئة سنة أو يزيد نجد الشريف رميئة، على ما يذكر ديغوري، يبعث ابنه محمدا بحملة اجتاز بها نجدا و احتل الحلّة في العراق حيث كان حكم المغول الأيلخانيين آخذاً بالانحلال. و كان قبل ان يندبه لهذه المهمة قد حذره من غوائل العراق و العراقيين، فأيدت الحوادث ما كان يخشاه لأن ابنه قتل في العراق خلال تلك الحملة. و لذلك انقطع توارد الحجاج العراقيين على مكة بعد تلك السنة مدة تقارب أحد عشر عاما، خوفاً من انتقام الشرفاء لابن رميئة، و نظرا (١) المرجع الأخير الص ١٠٠.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٢٦

لاختلال الأحوال في البلاد على أثر انهيار الحكم المغولي فيها. و لم يعد العراقيون الى الحج بعد ذلك الا في ١٣٤٤ للميلاد على عهد الشريف عجلان ابن رميثة.

و مما يجدر ذكره هنا بمناسبة ذكر الشريف رميثة مما له علاقة بمكة، أن امبراطورا مسلما من حكام العبيد في أفريقية يدعى منسى موسى حج الى مكة من (ماندينكو) مع حاشيته الذين كان يبلغ عددهم حوالي خمسة عشر ألف نسمة على ما يقال. و قد جاء معه بأكياس كثيرة من الذهب و صرف أموالا طائلة في مكة و غيرها من البلاد الحجازية، فظلت حجته هذه على ألسن الناس مدة طويلة من الزمن. و ينقل ديغوري عن أحد المؤلفين الانكليز قوله في هذا الشأن: «.. و كان حينما سار الى الحج يمتطي صهوة جواده و يتقدمه خمسة آلاف عبد من العبيد الأشداء الذين كان كل منهم يحمل علما من الذهب وزن (٥٠٠) مثقال أو ست ليرات منه .. و كان الهدف الوحيد من رحلته الطويلة هذه اداء الفريضة الدينية، و على الرغم مما كان فيها من أبهة و فخخة فانها كانت تخلو من اي مغزى سياسى ... و قد حدث بنتيجة مروره بمصر في طريقه الى مكة أن دخل كثير من الذهب في التداول بحيث قل سعره في السوق الى حد غير يسير، و بقي على مستواه ذاك مدة سنين عديدة ..»

الحج

هناك بحث مفصل عن الحج في دائرة المعارف الاسلاميه، يبدأ بالاشارة الى كون الحج فريضة دينية على كل مسلم و مسلمة، بالشروط و التحفظات التي تنص عليها أصول الدين. ثم يتعرض الى المشقة التي كان يلاقيها الحجاج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٢٧

في الوصول الى بيت الله الحرام، و يخلص من ذلك الى ذكر مواكب الحج و قوافله المشهورة التي كانت تقصد مكة في كل سنة. فيقول ان موكب الحج السورى كان يسير في طريق القوافل التجارية القديم، الذى كان يخرج من الشام و يجتاز البلاد الأردنية الى معان، و منها الى مدائن صالح فالمدينة المنورة. و قد كان الموكب السورى أكبر موكب يصل الى مكة، فقد بلغ عدد الحجاج الذين جاءوا معه سنة ١٨٧٦ على ما يقول الرحالة دوطى ستة آلاف شخص. و كان الموكب يأخذ معه في العادة محملا خاصا تسير وراءه القافلة بشكل مهيب. و لذلك كانت القلاع و الخانات تبنى في المحطات الموجودة في الطريق بحيث يمكنها تأمين الطعام و سائر التسهيلات للحجاج. و يقول الرحالة بورخارت ان الموكب كان يقطع المسافة الى مكة في مدة ثلاثين يوما.

و كان موكب الحج المصرى يصحب على الشاكلة نفسها المحمل، الذى كان يحمل في العادة الكسوة الثمينة الى الكعبة المشرفة. و يقول المستشرق لين ان الموكب المصرى كان يغادر القاهرة في آخر اسبوع من شوال فيصل الى مكة في سبعة و ثلاثين يوما، بعد ان يسير على طول الساحل البحرى.

و هناك طريق آخر كان يفضله الحجاج القادمون من مصر و بلاد المغرب، و هو يخرج من القاهرة أو غيرها من البلاد المصرية فيتجه شمالا الى أحد موانئ البحر الأحمر المواجهة الى جدة في الحجاز. و هذا هو الطريق الذى سلكه الرحالة المغربى ابن جبير، و التبتوتى في (الرحلة الحجازية).

و كان هناك موكب آخر يخرج من العراق فيجتاز جزيرة العرب، و موكب آخر كان يخرج من اليمن. و يقول مرجعنا في دائرة المعارف ان الحكومة السعودية منذ ان تكونت لم تتقاعس عن بذل الهممة و العناية الزائدة فى تأمين الطرق و تزويد الحجاج بالماء و العناية الصحية و غير ذلك.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٢٨

و قد كانت قوافل الحجاج تضم عناصر من مختلف الناس. فقد كانت تضم الأمراء و التجار و البدو و الشحاذين و غير ذلك. و كان

هؤلاء يسافرون ماشين على أرجلهم او راكبين على ظهور الخيل و الابل و ما أشبهه. و كانت السلطات فى مكة تتخذ التدابير المختلفة لمنع تعرض البدو بالقوافل، حتى اضطرت الى عقد اتفاقيات خاصة مع رؤساء القبائل و شيوخها لتسهيل شؤون الحجاج. فكان عليها ان تدفع بمقتضى ذلك مبالغ مقطوعة، تسمى صرة، لقاء هذا. و قد كانت هناك موانع قهارة أخرى فى تاريخ الحج تحول دون سير القوافل بأمن و سلامة الى مكة فى بعض السنين، مثل القرامطة، و السلطات المصرية، و القرصان، و الوهابيين. على ان الحكومة السعودية اليوم قد تمكنت من نشر لواء الأمن التام فى هذه الطرق.

و كان وصول المحملين المصرى و السورى يعد حادثا له أهميته بالنسبة للمكيين على الدوام. فكانوا يستقبلون كل واحد منهما بالكثير من المراسيم و مظاهر الحفاوة فيخيم فى موقعه الخاص خارج المدينة. غير ان أهميته قد تضاءلت كثيرا فى السنوات الأخيرة. اما مجموع الحجاج الذين يصلون الى مكة فى كل سنة فهو معروف لدرجة غير يسيرة من الدقة. فقد كان العدد يتراوح قبل الحرب العالمية الثانية ما بين (٣٦٠٠٠) و (١٠٨٠٠٠)، لكن المعدل يمكن ان يعتبر حوالى (٧٠، ٠٠٠). و يصل معظم الحجاج فى العادة قبل موعد الحج، كما ان عددا غير قليل منهم يقضون شهر رمضان فى مكة كذلك. و هناك كثيرون يفضلون البقاء فى مكة بعد الحج، للدراسة الدينية او للمجاورة و الاقامة حتى يتوفاهم الله فى البلد المقدس. و الملاحظ ان عدد الحجاج يزداد على الأخص حينما يصادف يوم الحج الرئيس (٩ ذو الحجة) فى يوم من ايام الجمعة.

و تتطرق دائرة المعارف الاسلامية بعد هذا الى البحث فى مناسك الحج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٢٩

كلها بالتفصيل، فتصفها بالوصف المألوف المعروف. ثم الى منشأ فكرة الحج فى الاسلام فتقول ان موقف النبى عليه السلام من الحج الذى كانت تمارسه العرب قبل الاسلام لم يكن موقفا واحدا فى جميع الظروف و الأحوال فهو فى شبابه لا بد من ان يكون قد أسهم فى كثير من الأحيان فى طقوسه و مراسيمه، و بعد الدعوة الاسلامية السامية لم يكن يعير هذه المراسيم كثيرا من الالتفات فى بادىء الأمر كما يلاحظ من عدم وجود ذكر لها فى آيات القرآن الأولى. و لا يبدو من أى شىء آخر انه كان قد اتخذ موقفا واضحا تجاه هذه العادة فى الأصل.

على ان اهتمام النبى محمد بالحج كان قد ظهر فى المدينة المنورة لأول مرة، و هناك أسباب عدة كانت تدعوه الى ذلك. فقد أثار نجاحه اللامع فى غزوة بدر الكبرى أفكارا كانت تحوم فى مخيلته حول مهاجمة مكة و الاستيلاء عليها. و لا شك ان القيام بالاستعدادات اللازمة لاتخاذ مثل هذه الخطوة الجريئة كان لا بد من ان يقترن بمزيد من النجاح لو أثير الاهتمام الدينى الدنيوى فى نفوس أنصاره و أتباعه. و كان عليه السلام قد خدع فى تقدير موقف اليهود تجاهه فى المدينة بحيث كان عدم اتفاهه معهم فى أمور كثيرة لا بد من أن يجعل حصول قطيعة دينية معهم شيئا لا مناص منه. و فى هذه الفترة بالذات نشأت فكرة ديانة ابراهيم و علاقتها بالديانتين اليهودية و الاسلامية.

فقد أخذت الكعبة تصبح بالتدريج مركزا للعبادة الدينية عند العرب، و لا شك ان ابراهيم أبا التوحيد كان هو الذى بناها و شيدها بالاشتراك مع ابنه اسماعيل، لتكون مجمعا للناس أجمع. و ان ما يقوم به الناس من الشعائر و العبادات فى الكعبة يرجع سببه الى الأوامر الربانية الواردة فى بعض سور القرآن.

و فى هذه الفترة كذلك جعلت الكعبة قبلة للمسلمين و أصبح الحج فريضة عليهم (و لله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا). و لقد كان الوضع على مثل هذا فى السنة الثانية للهجرة. و لم يكن فى استطاعة النبى الأعظم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٣٠

ان يحاول تنفيذ ما كان عنده من خطط الا فى السنة الخامسة بعد الهجرة).

أى بعد الحصار الفاشل الذى فرضته قريش على المدينة (واقعة الخندق، و قد كان أول مجهود بذل فى هذا الشأن تجريد حملة

الحديبية، التي جعلت أمر تأدية العمرة في السنة التالية شيئاً ممكناً و لو لم تؤد بالنبي عليه السلام الى الاستيلاء على مكة. و في السنة السابعة سن محمد مناسك الحج في الكعبة، غير ان الفرصة لم تسنح للقيام بمراسيم الحج علنا إلا بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة. لكنه لم يغتنم هذه الفرصة لنفسه هو و انما بعث بدلا عنه في السنة التاسعة أبا بكر، ليرأس موكب الحج و قافلته الى مكة. و بينما كان أبو بكر في طريقه اليها أدركه علي بن أبي طالب في بعض منازل الطريق ليقرأ على الحجاج سورة «براءة» التي كانت قد نزلت على النبي عليه السلام في ذلك الوقت. و قد حرمت هذه السورة إداء الحج على غير المسلمين الا الذين كان النبي قد دخل في اتفاق خاص معهم. و في السنة العاشرة حج النبي (ص) حجة الوداع، فكان للترتيبات التي أجراها في هذه الحجة أهمية بالغه بعد ذلك. فقد ألغى النسيء و أدخل استعمال السنة القمرية البحتة المذكورة في القرآن (ان عدة المشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله).

و يتطرق مرجعنا في دائرة المعارف الاسلامية الى المنشأ الذي نشأت عنه مناسك الحج في أيام الجاهلية، و يحاول خلق أوجه شبه أو تقارب بينها و بين الموجود مثلها في الديانة اليهودية، من دون ان يحالفه التوفيق. فيبدأ بالاشارة الى العلاقة الموجودة بين موسم الحج في مكة و أسواق العرب التي كانت تعقد في أيام الجاهلية. فيقول أننا نعلم ان العرب كانت تعقد سوقين سنويين قبل الاسلام في شهر ذي القعدة، و هما عكاظ و المجنة.

و كان يعقبهما كذلك سوق ثالث في أوائل ذي الحجة، و هو ذو المجاز الذي كان الناس يذهبون منه الى عرفات مباشرة. و على هذا فقد يكون الفرض الذي يفرض على المسلمين بالذهاب من مكة إلى عرفات مباشرة شيئاً جديداً.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٣١

و قد كان الحج الى عرفات يتم في التاسع من ذي الحجة، فتشترك فيه مختلف القبائل العربية. على ان ذلك لم يكن شيئاً ممكناً الا حينما يكون السلم منتشرًا لوائه في البلاد، و لذلك كانت أشهر ذي القعدة و ذي الحجة و محرم تؤلف ما يسمى بأشهر الحرام المقدسة التي تتوقف فيها القبائل عن منازعاتها و خصوماتها، و تضع أسلحتها جانبا في المنطقه المقدسة. و كانت المتاجرة و عرض السلع و المعروضات للبيع تفرن عادة بالحج و مناسكه، بعد الانتهاء من موسم قطف التمور. و ربما كانت هذه الأسواق هي. الشيء الرئيسي بالنسبة لمعاصري النبي محمد، كما هي الحالة اليوم بالنسبة لعدد غير قليل من المسلمين الحاليين، لأن المراسيم الدينية كانت قد فقدت أهميتها حتى في ذلك الوقت. و كان من المراسيم الرئيسية في حج الجاهلية «الوقوف» في سهل عرفات، اما في الاسلام فان الحج من دون «وقوف» يعد شيئاً غير مقبول. و يمتد الوقوف في الاسلام من وقت الزوال حتى الغروب، و يقول أهل السنة ان محمداً أمر بأن لا يغادر الحجاج سهل عرفات الا بعد الغروب؛ بينما كان من المعتاد قبل الاسلام ان تبدأ «الأفاضة» حتى و لو قبل الغروب. لكن المقول ان محمداً لم يغير الوقت فقط و انما ألغى الشعيرة جميعها بمنع الاسراع في الذهاب الى المزدلفة، و أمر بأن يكون الدخول اليها على مهل.

و يعتقد مرجعنا في دائرة المعارف الاسلامية ان هذا كانت له علاقة بعبادة الشمس في الجاهلية، و لذلك تعمد النبي ان يغير في المواعيد.

و قد كان «قزح» إله الصواعق هو إله مزدلفة، و لذلك كانت توقد النار فوق الجبل المقدس المعروف باسم قزح أيضاً. و هنا كان يتم الوقوف كذلك، و ربما كانت العادة التقليدية في الجاهلية المنطوية على إحداث الجلبة و الضوضاء بكثرة ترجع في سببها الى كونها كانت تعويذة توددية تتملق للاله المذكور.

و حالما كانت الشمس تبدو في الأفق كانت تبدأ الأفاضة في الجاهلية. و لذلك فرض النبي عليه السلام ان تبدأ هذه الأفاضة قبل طلوع الشمس،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٣٢

ليقتضى على شعيرة من شعائر عبادة الشمس كذلك. و يقال أن العرب كانت تنشد في أثناء الأفاضة قولها «أشرق ثبير كيما نغير». لكن تفسير هذه الكلمات لا يعد شيئاً أكيدا، و لو أنها قد فسرت أحيانا بالقول: «أدخل الى نور الصبح يا ثبير، لنعجل بالمسير». و حينما كان العرب يصلون الى منى كان أول شيء يفعلونه هو نحر الأضاحى على ما يبدو، و ما زال اليوم العاشر من ذى الحجة يسمى بيوم الاضاحى كما لا يخفى. و كانت الأبل المهيأة للتضحية فى الجاهلية تعلم بعلامات خاصة. و كانت الجمار، على ما يقول ابن هشام، لا ترمى الا بعد ان تكون الشمس قد عبرت حد الزوال. و يقول المستشرق (هو تسما) أنه من المحتمل أن يكون رميها موجها الى عفريت الشمس. لأن هذا العفريت حينما ينحى جانبا أو يطرد تكون قساوة الشمس قد انتهت بانتهاء الصيف، و لذلك كان لا بد من أن يعقب هذا العمل التملق بالعبادة لاله الصواعق الذى يأتي بالخصب الافاضة فى الجاهلية كما يصورها مؤرخو الغرب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٣٣

و المطر كما لوحظ من قبل فى ذكر مزدلفه. غير ان المعروف عند المسلمين كما لا يخفى ان الجمار يراد برميها رجم الشيطان، و على هذا فان محاولة هذا المرجع ايراد هذا التفسير بعد تصرفا بعيدا عن الواقع. ثم يقول مرجعنا ان التروية قد تكون لها علاقة كذلك بالعبادة من أجل استدرار المطر، التى بقيت آثارها حيّة بتقديس ماء زمزم. و يقول المرجع كذلك ان بعض الحجاج كانوا يجففون لحوم الأضاحى فى الشمس، خلال أيام «التشريق»، ليأخذوها معهم حينما يعودون الى ديارهم. و هذه العادة تنطبق على معنى كلمة تشريق التى يفسرها العرب القاموسيون بأنها تعنى «تجفيف قطع اللحم فى الشمس».

زمزم

جاء فى دائرة المعارف الاسلامية أن زمزم هى بئر مكة المقدسة، التى تسمى بئر اسماعيل كذلك. و تقع فى الحرم الشريف جنوب شرقى مكة فى مقابل الركن الذى يوجد فيه الحجر الأسود. و يقدر عمقها بمئة و أربعين قدما، و هى محاطة فى الوقت الحاضر بقبة رشيقة جميلة البناء. و يقوم الحجاج بشرب الماء المستخرج منها للحصول على الصحة و العافية، و هم يأخذون من مائها الى أهلهم أيضا ليسقوه المرضى و الناقهين. و تعنى زمزم بالعربية الماء الغزير.

و تنص الروايات العربية و الاسلامية على ان هذه البئر لها علاقة بقصة ابراهيم الخليل. فقد فجرها جبرائيل لينقذ هاجر و ابنها اسماعيل، حينما أشرفا على الموت عطشا فى تلك البقعة القاحلة. و كانت هاجر أول من جمع ماءها ببناء جدار من الأحجار حولها. و من الأكد ان هذه البئر كانت تعتبر بئرا مقدسة منذ مدة موهلة فى القدم. و المعروف فى بعض الأخبار، كما يستفاد من أبيات شعر قديمة، ان الايرانيين كانوا يرتلون صلواتهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٣٤

حول زمزم فى الأزمنة الغابرة، و يقول شاعر آخر ان هذه البئر كانت قد زارها ساسان بن بابك جد الأكاسرة الساسانيين. و يفهم مما جاء فى الأخبار ان جرهم ردمت زمزم فى عهد الوثنية، و أخفت خزائنها فيها، لكن المؤرخ المسعودى يقول ان جرهم كانوا أناسا فقراء لا يملكون مثل هذه الخزائن التى لا بد من ان يكون قد دفنها الايرانيون لا الجرهميون. على أن البئر أعاد اكتشافها و حفرها عبد المطلب جد النبى، الذى بنى من حولها جدرانا من الحجر. و قد استخرج منها خلال ذلك غزالين من الذهب، و بعض السيوف القلعية، مع عدد من الدروع و الزرود. فصنع باب الكعبة من السيوف، و غلفها بصفائح الذهب التى أخذها من أحد الغزالين، أما الغزال الثالث فقد احتفظ به فى داخل الكعبة.

و فى سنة ٩٠٩ (٢٩٧ هـ) فاض ماء زمزم على غير المعتاد فأغرق عددا من الحجاج. و قبل ان يغادر الحجاج مكة و يعودوا الى بلادهم

ينقعون الأكفان التي يحتفظون بها للتكفن بعد الموت.

الكعبة

الكعبة حصن الاسلام و حرزها الحريز على ما تقول دائرة المعارف الاسلامية، و هي تقع في وسط المسجد الحرام في مكة. و لأسمها علاقة بشكلها المكعب في مظهره. و يبلغ طول الجدار الذي تتكون منه الجبهة و يقع فيه الباب، و الجدار الخلفي، أربعين قدما، أما الجدران الأخران فيبلغ طولهما خمسة و ثلاثين قدما، كما يبلغ الارتفاع خمسين قدما.

و يتكون بناء الكعبة من طبقات متتالية من حجر رمادي اللون جيء به من الجبال المحيطة بمكة. و هي تقوم فوق قاعدة من المرمر تبلغ عشر بوصات في ارتفاعها، و تبرز حوالى قدم واحد عن البناء فتسمى «الشاذروان».

و تدل الخطوط الأربعة التي ترسم من مركز البناية بامتداد الأركان على جهات البوصلة الأربع تقريبا. و يسمى الركن الشمالي «الركن العراقى»، و الركن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٣٥

الغربي «الركن الشامى»، و الجنوبي «الركن اليمانى»، و الشرقى «الركن الأسود» نسبة الى الحجر الأسود.

و تغطى جدران الكعبة الأربعة بكسوة تصل الى أسفل، و تشد بحلقات نحاس مثبتة بالشاذروان. و هناك فتحات فى الكسوة للباب و خروج ماء الغسيل. اما الكسوة فتصنع فى مصر كل سنة و يؤتى بها إلى مكة بالمحمل مع موكب الحج. و ترفع الكسوة القديمة كل سنة فى اليوم الخامس و العشرين (او الثامن و العشرين) من ذى القعدة، فتغطى الكعبة مؤقتا بغطاء أبيض ينزل الى ما فوق الأرض بست أقدام، فيقال عندئذ أنها «محرمة»، و عند انتهاء الحج تغطى بالكسوة الجديدة. اما الباب فيغطى يكسوة خاصة لوحده، و هي من صنع مصرى أيضا، و تسمى البرقع.

و تتألف الكسوة من نسيج حريرى مشجر ذى لون أسود، حيكت فيه الشهادة. و على ارتفاع ثلثى الكسوة يدور من حولها حزام من التطريز المذهب، المغطى بآيات قرآنية كتبت بخط جميل حسن. و يعتبر كل شىء من الكسوة القديمة قاماشا مقدسا بطبيعة الحال، و لذلك يبيعها بنو شيبه سدنة الكعبة بقطع صغيرة تستعمل أحجبة و تائم فى شتى الظروف و المناسبات.

و على ارتفاع سبعة أقدام من الأرض يوجد الباب فى الجدار الشمالى الشرقى، و هذا الباب يطعم قسم منه بتزيينات من الفضة. و فى داخل الكعبة ثلاثة أعمدة خشبية يستند عليها السقف الذى يؤدى سلم خاص اليه. و الأثاث الوحيد الموجود فيه هو الأضوية العديدة من الذهب و الفضة المعلقة فيه.

و هناك كتابات كثيرة حول الجدران الداخلية، اما الأرضية فهى مبلطة بقطع من المرمر.

و قد بنى الحجر الأسود فى الركن الشرقى، على ارتفاع خمسة أقدام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٣٦

من الأرض و مسافة غير بعيدة عن الباب. و هو يتكون اليوم من ثلاث قطع كبيرة، و عدة كسر صغيرة ملصقة معا و محاطة بحلقة حجرية يحيط بها حزام من فضة. و يوصف الحجر أحيانا بكونه من نوع البازلت، و أحيانا أخرى يعتبر من اللاب البركانى. على أنه من الصعب تعيين طبيعته، لأن سطحه الظاهر قد تأكل فأصبح أملس بفعل اللمس و التقليل. و يقدر البتونونى قطره باثنتى عشرة بوصة، أما لونه فهو أسود ميال الى الحمرة مع بعض الجزئيات الحمراء و الصفراء منتشرة فيه.

و يسمى القسم المحصور بين الباب و الحجر الأسود من الجدار «الملتزم» لأن الحجاج يضغطون عليه بصدورهم عندما يبتهلون بجانبه. و يوجد فى الركن الغربى كذلك، على ارتفاع خمسة أقدام من الأرض، حجر آخر يسمى «الحجر الأسعد». و هذا الحجر يلمس و لا يقبل فى أثناء الطواف حول الكعبة.

و يبرز الى خارج الجدار من تحت قمة الجدار الشمالى الغربى «الميزاب» المذهب الذى تلتحق به زائده صغيرة تسمى «لحيه الميزاب». و يطلق على الميزاب اسم «ميزاب الرحمه»، كما تقع القبلة المضبوطة ما بين الميزاب هذا و الركن الغربى.

و يوجد فى مقابل الجدار الشمالى الغربى، من دون اتصال به، جدار مرمر أبيض له شكل نصف دائرى. يسمى «الحطيم». و يبلغ ارتفاعه ثلاث أقدام، و سمكه خمس أقدام، كما يبعد طرفاه عن الركنين الشمالى و الغربى بما يقرب من ست أقدام. و للفضاء نصف الدائرى المحصور ما بين الحطيم و الكعبه أهميه خاصه لأنه كان جزءا من الكعبه مده من الزمن، و لذلك فانه لا يدخل فى ضمن خط الطواف الذى يمد على مقربه من جهته الخارجيه. و يسمى هذا الفضاء «الحجر» او «حجر اسماعيل»، لأن المقول ان ابراهيم و اسماعيل و هاجر كانوا قد دفنوا فيه، و يسمى التبليط

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٢، ص: ٢٣٧

الذى يتم فوqe الطواف «المطاف»، و هناك خسفه فى القسم الكائن فى مقابل الباب منه تسمى «المعجان»، لأن الاسطورة الخاصه تقول ان ابراهيم و اسماعيل كانا قد خلطا الملاط فيها عند بناء الكعبه.

و يدور حول المطاف، و بارتفاع يزيد على ارتفاعه، حاجز مبلط، يبلغ عرضه بضع خطوات، و يقوم فوqe واحد و ثلاثون او اثنان و ثلاثون عمودا من الأعمده الرشيقة. و تسد صف الأعمده هذا باب بنى شبيهه التى يقوم طاقتها الكبير فى مقابل جدار الكعبه الشمالى الغربى فيعتبر مدخلا للمطاف.

و فيما بين هذا المدخل المقوس، و الكعبه نفسها تقوم بنايه غير كبيره لها قبه صغيره، تسمى «مقام ابراهيم». و فى داخل هذه البنايه الصغيره يحتفظ بحجر يقال ان ابراهيم كان يقف عليه فى أثناء بناء الكعبه. و لا يسمح بالدخول الى المقام الا بدفع اجور دخوليه خاصه. هذا و لم يستطع الأوربيون الذين زاروا البيت الحرام متخفين ان يشاهدوا الحجر، و يقول الرحاله الانكليزى بورتون (سيأتى ذكره بالتفصيل بعد هذا) ان الريالات الخمسه التى طلبت منه للدخوليه كانت أكثر مما تتحمله ماليته يومذاك فلم يدخل. أما الشريقيون من الرحاله فيقولون عنه انه حجر غير صلب يمكن ان تلاحظ فيه حتى الآن آثار قدمى ابراهيم الخليل، فى مقابل جدار الكعبه الشمالى الغربى أيضا، و ما بين صف الأعمده «المنبر» المصنوع من المرمر الأبيض.

و يكون التبليط الذى يقوم عليه صف الأعمده أخفض بقليل من التبليط الذى يدور حولها، فتتفرع عنه ثمانيه مماش مبلطه تصل الى الأعمده التى تحيط بالمسجد الحرام. و تقع على التبليط الخارجى اربعه مبان صغيره، كما تقع بالقرب من باب بنى شبيهه، فى مقابل الحجر الأسود، القبه المقامه فوق بئر زمزم. اما المبانى الصغيره الثلاثه الأخرى فتسمى «المقامات» او الأماكن التى يصلى فيها أئمه المذاهب السنيه الثلاثه عدا الشافعى. فيقوم المقام أو المصلى الحنبلى فى جنوب مبنى زمزم تجاه الجدار الجنوبى الشرقى للكعبه، و هو يتألف من سقف يعلو و يضييق حتى يتكون منه رأس مدب

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٢، ص: ٢٣٨

فى الوسط، و يحمل على أعمده رشيقة من المرمر. و يكون مبنى المقام المالكى بالشكل نفسه، و هو يقع تجاه جدار الكعبه الجنوبى الغربى. و يطل المقام الحنفى على الحطيم، و جدار الكعبه الشمالى الغربى، فيكون له سقفان أحدهما فوق الآخر. اما الشافعى فليس له مقام خاص به، على ما يقول مرجعنا فى دائرة المعارف الاسلاميه، و لذلك يصلى الشافعيه تحت القبه فوق سقف زمزم أو فى مقام ابراهيم. على أن الحكم الوهابى قد ألغى وجود المذاهب فى داخل المسجد الحرام.

تاريخ الكعبه

ليس عند العرب مستندات تاريخيه او شبه تاريخيه تدل على أصل الكعبه و منشئها، على ما يقول مرجعنا فى دائرة المعارف الاسلاميه، و لا تتيسر عند الأوربيين مثل هذه المستندات كذلك. لكن المستشرق الهولاندى هور غرونيه (الذى سنذكره بعد هذا) يقول ان تفجر

الماء في زمزم في واد قاحل جاف ربما يكون هو السبب في نشوء قدسية المكان بأجمعه.

ولا بد من ملاحظة أن بطليموس يذكر في جغرافيته «ماكورا» في مكان مكة. ولا شك ان هذه الكلمة تقرب من كلمة «مكراب» او «محراب» في لغة الجنوب العربي و الأبحاش. و لذلك يمكن ان يستنتج بأن الكعبة كانت موجودة في القرن الثاني بعد الميلاد. و تدل قصة أبرهه و زحفه على مكة على وجودها في القرن السادس للميلاد كذلك، لكنها تنورنا بشيء عن مظهرها او عما كان فيها من أشياء. و المعروف ان تبعا الحميري الذي جاء الى مكة كان أول من جهز البناء بكسوة و باب له قفل، اما المعلومات المتوفرة عن توزيع وظائف الكعبة على أبناء قصى فتدل على ان العبادة في هذا المكان قد أصبحت نظاما دينيا منتظما قبل مبعث النبي عليه السلام بعدة أجيال.

على ان المراجع التاريخية المتيسرة تبدأ بظهور محمد (ص). و هي تشير الى أنه حينما وصل الى دور الرجولة و النضج حدث حريق في الكعبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٣٩

و أتى عليها كلها. و هنا يذكر مرجعنا قصة بنائها من جديد و الاستفادة من خشب السفينة اليونانية الغارقة فيه، مما أتينا على ذكره قبل هذا. و يقال ان الكعبة القديمة كان ارتفاعها لا يزيد على قامه واحدة، و لم يكن لها سقف.

و كانت عتبتها في سوية الأرض، و لذلك كانت مياه السيول كثيرا ما تتسرب اليها. فرفعت سويتها عند تجديد البناء، و وضع الباب فوق مستوى الشوارع بحيث كان على من يريد الدخول إليها ان يتسلق سلما يؤدي الى فنائها. و كان الزوار غير المرغوب فيهم يدفعون من فوق العتبة الى أسفل. و قد اختلف أهل مكة فيما بينهم على الشخص الذي يضع الحجر الأسود في المكان المعد له في البناء، فحكّم محمد الصادق الأمين في الأمر على ما هو معروف في تاريخه عليه السلام قبل الرسالة.

و حينما تسنى للنبي ان يفتح مكة في سنة ٨ للهجرة ترك بناء الكعبة على ما كان عليه، لكن التجديدات التي كان يريد إدخالها فيه قد تحققت في سنة ٦٤ للهجرة (٦٨٣ م) على يد عبد الله بن الزبير. فقد حاصره الحصين ابن نمير في مكة حينما ثار فيها على الأمويين، و عندما أخذ الجيش المغير بقصفها نصب عبد الله خيامه و خيام مؤازريه بالقرب من الكعبة فأدى الاصطدام الى تهديمها الى حد كبير، بعد ان شبت النار فيها. و قد تسببت النار في تصدع الحجر الأسود و تكسره الى ثلاث قطع. و بعد ان انسحب الجيش الأموي شاور عبد الله المسؤولين عن الكعبة في نقضها كلها و بنائها من جديد. و عندما قرر ذلك، و اقتضى الأمر ان تزال الأنقاض. لم يجرأ أحد على التصدي للعمل لأن معظم السكان و على رأسهم عبد الله بن عباس كانوا قد تركوا البلد المقدس لأنهم كانوا يخشون ان ينزل عليهم عذاب من الله. و لذلك اضطر عبد الله بن الزبير ان يتسلق الجدران بنفسه، و في يده الفأس، فيبدأ بالعمل المخيف. و حينما وجد قومه أنه لم تنزل به نازلة او يصيبه شيء تشجعوا فساعدوه في العمل.

و عند ذاك بنيت الكعبة بأحجار مكة لا غير، و ملاط اليمن، فجعل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٤٠

ارتفاعها سبعة و عشرين ذراعا. و تنفيذها لما جاء في السنة النبوية أدخل الحجر (بكسر الحاء) في ضمن البناء، و جعل بابان فقط في سوية الأرض إحداهما للدخول و آخر للخروج. على ان هذه التغييرات لم تستقم وقتا طويلا.

فقد استولى الحجاج بن يوسف الثقفي على مكة سنة ٧٤ هـ (٦٩٣ م) فقتل عبد الله بن الزبير، و بموافقه من الخليفة عبد الملك عزل الحجر عن الكعبة و سدّ الباب الغربي. و بذلك تظمنت رغبة بنى أمية التي كانت تريد إبقاء شكل الكعبة على ما كانت عليه قبل الاسلام تقريبا، و قد حافظت على شكلها ذلك حتى يومنا هذا. و كان الرأي العام المكي على الدوام غير راغب في إدخال أي تعديل ذي بال على الكعبة، كما هو الحال في الجاهلية. و لهذا فحينما هددتها مياه السيول سنة ١٦١١ م حزمت البناية بحزام من نحاس لتفادي الكارثة، غير ان سيلا آخر حصل في ١٦٣٠ فجعل هذا التدبير شيئا لا يفى بالمرام، فقرر إدخال بعض التحسينات و التجديد. لكن

الأحجار القديمة كانت قد استعملت كلها في إعادة البناء على قدر الامكان.

اما عادة تغطية الكعبة بكسوة خاصة فيقال ان تبعاً الحميري كان أول من بدأ بها، على ما مر سابقاً. على ان إكساءها بكسوة جديدة في كل سنة قد أصبح عادة مستديمة في الأزمنة الحديثة. و قد كان يوم عاشوراء في الزمن القديم هو اليوم الذي تجدد فيه كسوة الكعبة، غير انها كانت تكسى في رجب في بعض الأحيان كذلك. و كانت الكسوة تصنع من قماش يمني تارة او قماش مصرى تارة أخرى. و يبدو ان الكعبة قد ناءت بثقل الكساوى على عهد الخليفة عمر، و كادت تنهار، فجردت من كساواها القديمة كلها.

و تشير الروايات التاريخية الى أن المقامات الموجودة حول الكعبة كانت موجودة في أيام العباسيين، و كان المقام يسمى أحياناً «ظلة». على أن المقول هو أن ابنتها الحالية تعود في تاريخها الى سنة ١٠٧٤ (١٦٦٣ م).

و لقد ذكرت القبة المقامة فوق بئر زمزم منذ أيام العباسيين كذلك، لكن بنائتها الحالية كانت قد شيدت في ١٠٧٢ للهجرة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٤١

و قد كانت الذنور و القرابين تقدم للكعبة في العهد الوثني و عهد المسلمين على السواء، و كثيراً ما كانت الأموال التي تجمع من هذا المورد تستخدم للأغراض السياسية من قبل بعض الحكام و الأمراء و الملوك. فقد ذكرت بعض المصادر أن الخليفة عمر قال يوماً بأنه لن يبقى ذهباً و فضة في الكعبة و أنه سوف يوزعها على جهات و أغراض مختلفة. غير ان على بن أبي طالب قد اعترض على ذلك بشدة على ما يقال، فعدل عمر عن رأيه.

اما تاريخ الكعبة في الاسلام فقد سبق ان أوردنا موجزاً عنه نقلاً عما ذكره ديغوري في (حكاه مكة) من قبل، و لكننا نود ان نضيف الى ذلك هنا بعض النقاط التي يوردها كاتب البحث المختص في دائرة المعارف الإسلامية أيضاً. فحينما استولى محمد (ص) على مكة جاء اليه عمه العباس و طلب اليه ان يحتفظ بوظائف خدمة الكعبة لنفسه، غير ان النبي الكريم لم يكن يعلق أهمية كبرى على كل هذه الوظائف سوى السقاية و السدانة. فبقيت السقاية في يد العباس، و أعطيت السدانة الى عثمان بن طلحة الذي عين ابن عمه شيبه ابن أبي طلحة و كيلاً عنه. و بقي بنو شيبه في سدانة الكعبة حتى هذا اليوم أما الرفادة التي كانت في عهدة أبي طالب فقد تولاه أبو بكر في سنة ٩ للهجرة، ثم تولاه الخلفاء أنفسهم من بعده.

و في سنة ١٠ للهجرة كان محمد (ص) نفسه على رأس الحجاج الى مكة، و لذلك لم يدخل الكعبة في هذه السنة أي و ثنى من عبدة الأصنام تنفيذاً لما جاء في سورة براءة التي نزلت عليه. فأصبحت مكة منذ تلك السنة معبداً للمسلمين و حدهم بالكلية، و صار المسلمون في أنحاء العالم كافة يتجهون الى مكة في كل صلاة، كما صار الطواف حول الكعبة لحجاج بيت الله الحرام أول المناسك الدينية و آخرها عندهم في اثناء الحج.

و من المراسيم الخاصة التي تختص بالكعبة الشريفة يؤكد مرجعنا على اثنين منها على الأخص، و هما عمليتا فتح الكعبة و غسلها. فان فتح الكعبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٤٢

يتم في أيام معينة، و عند ذاك يسمح بالدخول اليها للرجال أولاً، ثم للنساء.

و في هذه الحال يوضع السلم المشار اليه من قبل بالقرب من البناء. و تعتبر الصلاة في الكعبة على جانب كبير من الأهمية و التقدير. و بعد ان ينتهي أمد الحج في نهاية ذى الحجة يحين أوان غسل الكعبة، و هذه العملية تتولاها السلطات المسؤولة في مكة و عدد من الحجاج أنفسهم.

و كان أول من يدخل الكعبة لهذا الغرض شريف مكة المسؤول، و بعد أن يصلى ركعتين يقوم بغسل الأرض بماء زمزم الذي يتسرب إلى الخارج من ثقب خاص في عتبة الباب. و كانت الجدران تغسل بنوع خاص من المكناس مصنوع من سعف النخيل على ما يقول مرجعنا. ثم يعمد الشريف الى رش كل شيء بماء الورد، و يعقب ذلك تبخير البناية بأنواع العطور و البخور.

و يقوم الشريف في النهاية برمي المكنسة الى جمهور الحجاج الذين يتخاصمون و يتنافسون فيما بينهم من أجل الحصول عليها. و يذكر البتوني في رحلته ان المطوفين و الزمزميين يبيعون الى الحجاج مكانس مماثلة بما لا يقل عن نصف ريال للواحدة. فيتضح من ذلك ان تقديس الكعبة يمتد الى كل ما له علاقة بها، مثل الحجر الأسود و الميزاب و ماء زمزم و ما أشبهه. على اننا نلاحظ في المراجع العربية ان الخليفة عمر خاطب الحجر الأسود ذات يوم بقوله «انى أعلم أنك حجر لا تضر و لا تنفع، و لو لا ان رسول الله قد قبلك لما قبلتك».

ثم ان الصلاة تحت الميزاب تعتبر صلاة فيها الكثير من الأجر و الثواب، و لذلك يقول المؤرخ الأزرقى «الصلاة تحت المثعب تمحو الذنوب». و يعد ماء زمزم الذى يسكبه الحاج على نفسه مرة بعد أخرى من دون ملل، مفيدا لكل شىء عند الشرب. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٤٣

عرفات

يطلق هذا الأسم على جبل اشتهر بكونه مكانا يحج اليه الحجاج بعد الطواف فى مكة، و على السهل القريب منه، الكائن على بعد ست ساعات من شرف مكة كما تقول دائرة المعارف الإسلامية. و يتألف هذا الجبل المعتدل فى حجمه و أبعاده، من حجر الغرانيت، فيصل ارتفاعه الى مئة و خمسين او مئتى قدم. و هناك درجات حجرية متسعة فى الجهة الشرقية منه تؤدى الى قمته. و توجد فى الدرجة الستين فسحة خاصة يقوم فى وسطها منبر تلقى منه الخطبة سنويا بعد ظهر اليوم التاسع من ذى الحجة، أى فى يوم عرفات. و قد كانت توجد فوق القمة سابقا قبة خاصة تسمى باسم «ام سلمة»، فهدمها الوهابيون. و المعروف ان المسلمين المتدينين لا يتجاوزون فى صعودهم حد الفسحة و المنبر. و يسمى الجبل فى العادة جبل الرحمة.

اما سهل عرفات فيمتد الى جنوبى الجبل الى ان تحده سلسلة جبال الطائف الشامخة من الجهة الشرقية. و يغطى السهل نمو غير مرتفع من النباتات المستحية (ميموزا)، و هو لا يمتلىء بالحياة و الحركة الا فى يوم واحد من السنة (التاسع من ذى الحجة) حينما ينصب الحجاج خيامهم احياء لفريضة او شعيرة «الوقوف»، و يتم الوقوف بعد ظهر اليوم المذكور فيمتد الى غروب الشمس. و يعبر الحجاج الذين يحضرون للوقوف عن حماسهم الدينية بقولهم «لييك، لييك» بصوت عال، و الصلاة و تلاوة القرآن الكريم.

و لا يعرف ما هو أصل عرفات، غير ان التفسير الأسطورى على ما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٤٤

يقول مرجعنا هو ان آدم و حواء تلاقيا فى هذا المكان و تعارفا ثانية بعد ان افترقا على أثر طردهما من الجنة. و هناك تفسيرات مماثلة غير هذه يذكرها المؤرخون العرب.

منى

تقع منى ما بين الجبال الكائنة فى شرق مكة، على الطريق المتجه منها الى عرفات. و تذكر دائرة المعارف الإسلامية نقلا عن المقدسى أن المسافة بين مكة و منى لا تزيد على فرسخ واحد، بينما يقول المؤرخ الانكليزى (ويفل) ان المسافة تقدر بخمسة اميال، و أن إكمالها الى عرفات يبلغ تسعة اميال. و تقع منى فى واد ضيق يمتد من الشرق الى الغرب، و يبلغ طوله حوالى ألف و خمس مئة خطوة على ما يقول الرحالة بورخارت، و هو محاط بأجراف منحدره جرداء من حجر الغرانيت. و يقوم فى الجهة الشمالية من منى جبل يسمى «ثبير». فينزل القادمون من مكة الى هذا الوادى من ممشى جبلى نحت فيه عدد غير يسير من الدرجات، و هذا هو «العقبة» التى اشتهرت بالمفاوضات التى كان النبى محمد (ص) قد أجراها مع المدينتين.

و تتألف البلدة من بيوت مبنية بالحجر ذات حجوم معتدلة، يتكون منها شارعان طويلان. و فيما يقرب من العقبة عمود قصير منحوت نحنا غير صقيل، يطلق عليه «الجمرة الكبرى» او «جمرة العقبة»، و يرمى الحجاج جمراتهم على هذا العمود. و على مسافة قليلة الى الشرق من هذا توجد في وسط الشارع «الجمرة الوسطى»، التي يعرف مكانها بوجود عمود أيضا. كما يوجد على مسافة مماثلة من هذه مكان ثالث يسمى «الجمرة الاولى». و حينما يصل المرء الى النهاية الشرقية من الوادي يجد على يمين الطريق مسجدا مربع الشكل محاطا بسور خاص، هو مسجد الخيف الذي أعاد بناءه صلاح الدين في ١٤٦٧ (٨٧٤ هـ)، ثم جده من بعده السلطان موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٤٥

المملوك قائدبك. و توجد على طول الجهة الغربية من السور المحيط بالمسجد ثلاثة صفوف من الاعمدة. و أبرز ما يلفت النظر في منى المفرق العظيم الذي يلاحظه المرء بين الشوارع الهادئة الخالية فيها خلال القسم الاعظم من السنة، و الازدحام الهائل الذي يحصل خلال شهر الحج. فان نصف مليون من الناس مع حيواناتهم المحملة بالأحمال الثقيلة يحاولون قطع الأيال التسعة في الفترة المنحصرة بين طلوع الشمس و الساعة العاشرة زواله قبل الظهر. و لذلك تكون كل بقعة في الوادي مغطاة في ذلك اليوم بالخيام التي يقضى الحجاج ليلتهم فيها.

و يقول مرجعنا في دائرة المعارف الإسلامية ان مناسك الحج في منى تعود في تاريخها الى أيام الجاهلية الوثنية. فيعتقد ان رمى الجمار هي عملية قديمة جدا، لكن أهميتها في الإسلام يكتنفها شيء من الغموض، مع انه يشك بان اكوام الجمار الثلاثة كانت موجودة قبل الإسلام. و من الواضح كذلك ان مناسك الحج في منى كانت تعتبر خاتمة الحج كله حتى في الأزمنة القديمة. و يقول مرجعنا ان النبي محمدا (ص) أدخل بعض التغييرات المهمة في هذا الشأن، فقد أوجب زيارة الحجاج لمكة قبل المكوث في منى لكن عناصر الحج القديمة بقيت من العوامل المهمة فيه لأنه لا- ينتهي اليوم في مكة و انما ينتهي في منى كما كان بالسابق. و ربما كان المكان الذي تنحر فيه الأضاحي، الذي تفضله اكثرية الحجاج، و هو سفوح تير الجنوبية، من بقايا العهد القديم ايضا، لأن علاقته بقصة ابراهيم ربما تكون قد أدت الى اعتراف الإسلام بمثل هذه البقعة الوثنية. و هي كما يصفها بورتون الرحالة عبارة عن منصة صخرية مربعة الشكل يمكن الوصول اليها بعدد من الدرجات. و لم يمنع النبي نفسه استعمال بقعة النحر الوثنية مباشرة، لكنه جردها عن أهميتها القديمة بقوله ان نحر الضحايا يمكن ان يتم في أي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٤٦

بقعة من منى كلها، و هذه وسيلة بارعة كان قد اتبعها في عرفات و مزدلفة كذلك.

و تحتم التعاليم الإسلامية على الحجاج الذين يصلون الى مكة في ثامن ذى الحجة ان يغادروها بحيث يستطيعون اداء صلاة الظهر في منى، و البقاء فيها حتى مطلع الشمس في اليوم التاسع، و عند ذاك فقط يمكنهم الذهاب الى عرفات. على ان اغلبية الحجاج لا تفعل هذا و انما يذهبون في اليوم الثامن الى عرفات بعد الصلاة مباشرة حيث يصلون عند المساء. و بعد أن يؤدوا مناسك الحج في عرفات و مزدلفة يذهبون الى منى قبل طلوع الشمس في اليوم العاشر ليحتفلوا بيوم النحر الاكبر. و هنا يؤدون مناسك اختتام الحج كلها، و هي النحر و قص الشعر و الاظافر و رمى الجمار. و ليس هناك اتفاق تام على الترتيب الذي يجب ان يتبع في إنجاز هذه المناسك، على ان تحوير عملية رمى الجمار له أهميته لانها ترمى في يوم النحر على كومة العقبة، بينما يقوم كل حاج في الأيام الثلاثة التالية برمي سبع جمرات صغار في كل يوم على الاكوام الثلاثة كلها. أما اختتام الحج فيتم بأيام منى أو أيام التشريق الثلاثة، أي يوم ١١ و ١٢ و ١٣ من ذى الحجة. و تعتبر هذ الأيام أيام فرح و انشراح يحييها الحجاج بمظاهر البهجة و السرور، و بانارة الأضواء و إطلاق النار من الاسلحة. على ان الحجاج كلهم لا يمكنون في منى طوال الايام الثلاثة، و انما يمكنهم العودة قبل ذلك.

جاء في دائرة المعارف الاسلامية ان المزدلفة مكان يقع في منتصف الطريق الموصل بين منى و عرفات تقريبا، حيث يفضى الحجاج العائدون من عرفات الليلة المنحصرة بين يومى ٩ و ١٠ ذى الحجة، بعد ان يؤدوا صلاتى المغرب و العشاء. و قبل ان تنبغ الشمس فى صباح اليوم التالى، يهرع الحجاج الى التسلق من وادى المحاصر الى منى. و تسمى المزدلفة كذلك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٤٧

«المشعر الحرام» و «الجمع»، لكن رواية أخرى تقول ان الجمع يتألف من المنطقة الواقعة بين عرفات و منى كلها بما فيها الموقعان نفساهما، بحيث يعنى «يوم الجمع» يوم عرفات نفسه و «أيام الجمع» أيام منى نفسها. و ترجع المناسك التى يقوم بها الحجاج خلال الليلة التى يقضونها فى المزدلفة الى أيام الوثنية القديمة فى تاريخها، على ما يقول مرجعنا فى دائرة المعارف الإسلامية. و يعترف العرب انفسهم بذلك حينما يشيرون الى أن قصيا هو الذى ابتدع إشعال النار المقدسة فى هذه الليلة، و يقولون ان قيادة الخروج الى منى تعتبر امتيازاً خاصاً لأسرة عدوان.

و كان المكان المقدس فى المزدلفة جبل قزح، و قد بقى هذا الجبل محافظاً على قدسيته حتى بعد ان صرح الاسلام بأن المزدلفة كلها «مواقف».

و يقول الأزرقى مؤلف مكة القديم: ان قزحا كان يوجد فوقه برج مدور سميك الجدران، كانت النار توقد فيه» و فى أيام هارون الرشيد كانت هذه النار تغذى بالخشب، ثم صارت توقد الشموع فيه حتى تم بناء مسجد خاص

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٤٨

على بعد أربعمئة ياردة من البرج. و تضاء الأضوية فى ليلة المزدلفة اليوم فوق هذا المسجد نفسه.

الصفا و المروة

ان الصفا و المروة، على ما جاء فى دائرة المعارف الاسلامية، هما نشزان غير مرتفعين من الأرض موجودان فى موقعين متقابلين من مكة المكرمة، و يعنى معناهما الحجر.

و يقوم المسلمون خلال الحج بالسعى بين هذين المرتفعين احياء لذكرى هاجر، أم اسماعيل، التى ظلت تهول بين الصفا و المروة للتفتيش عن ماء تأتى به الى ابنها العطشان. و يؤكد المؤرخون ان هذا المكان كان من الأماكن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٤٩

المقدسة حتى فى الجاهلية. فقد كان فيه صنمان حجريان هما «إساف» فوق الصفا و «نائلة» فوق المروة، و كان العرب يسعون بينهما و يمسكون بهما للتبرك. و قصة هذين الصنمين الجاهليين الاسطورية قصة طريفة تتلخص فى أنهما كانا شخصين سلوكا سلوكا شائنا فى الكعبة، فانقلبا الى صنمين حجريين وضعا فوق الصفا و المروة ليكونا عبرة لمن يعتبر من الناس. و قد نسيت هذه القصة بمرور الزمن فلم يعد أهل الجاهلية يعلمون بظروف وجودهما هنا، و أخذوا يقدسونهما الى حد العبادة. و تقول روايات أخرى ان هذا المكان كانت توجد فيه أصنام من النحاس، كما تقول روايات غيرها ان هذين التلين كان يعيش فيهما بعض العفاريت التى كانت تخرج أصواتا مخيفة فى الليل.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٥٠

الغريون فى مكة

هذا و يستفاد مما جاء فى عدد غير يسير من المراجع الغربية ان مكة المكرمة تطرق الى ذكرها المؤرخون الغربيون منذ القدم، و ان عددا من رحالى الغرب و مستشرقيه قد تسنى لهم الدخول اليها و الاشتراك فى مناسك الحج فى مختلف الأدوار السابقة و اللاحقة، بعد ان اعلنوا اسلامهم الحقيقى او غير الحقيقى. و قد تهيأ لعدد من هؤلاء ان يكتب عن مجازفاته و مغامراته فى سفره مثل هذه فى أكثر من لغة واحدة من اللغات الأوربية.

فمن أوائل الأوربيين الذين ذكروا مكة و وصفوا ساحل الحجاز على البحر الأحمر المؤرخ اليونانى ديودورس الصقلى . فهو يقول ان هذا الساحل ليس فيه سوى عدد قليل جدا من الموانىء و المرافىء نظرا لوجود سلسلة طويلة من الجبال تمتد على طولها، و هى تبدو جميلة جدا ملأى بالألوان للمارين بالسفن من قربه. الا ان منطقة داخله فى البحر تصادفهم بعد ذلك و هى ملأى بالقرى و البلدان التى يسكنها العرب الأنباط. و لهؤلاء بلاد واسعة تمتد على ساحل البحر، و بعيدا عنه الى الداخل، و هى بلاد كثيرة موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٥١

السكان غنية بالمواشى و الأغنام. و كانوا يعيشون عيشه رخاء و نزهة لما كان عندهم من قطعان كبيرة، حتى أطلق ملوك الاسكندرية الحرية للتجار بارتياح البحر الاحمر. فأخذ هؤلاء يسرقون السفن المعطلة، و يمارسون اعمال القرصنة حتى هددوا الحركة التجارية فى ذلك البحر. و عند ذاك سيق عليهم حملة بحرية أنزلت بهم العقاب. ثم يذكر ديودورس وجود قوم يسميهم «البيزومينيين» ، و يذكر ان هؤلاء كانوا يعيشون على اصطياد الحيوانات الوحشية. و هنا يقول ان هذا المكان يوجد فيه معبد مقدس يجله العرب كلهم. اما مؤرخ الاغريق المشهور هيرودوتس، الذى كتب تاريخه فى ٤٣٠ قبل الميلاد، فيقول ان العرب كانوا يعبدون أوروتال أو أليلات. و لا شك ان هذين الاسمين يعينان، على ما يقول ديغورى فى كتابه المار ذكره الصنمين «الله تعالى» و «اللات» الذى كان يوجد فى الطائف. ثم يقول هيرودوتس كذلك ان العرب كانوا يتعاقدون و يتعاهدون لدى هذين الصنمين فيعتبر تعاقدهم نافذا نفوذا مضاعفا حينما كان يؤخذ الى مكة.

لودفيكو فارتيمبا الايطالى

و أول من زار مكة من الأوربيين الحديثين و كتب عن رحلته فوصلت كتابته إلينا سالمة واضحة رجل ايطالى مغامر يدعى لودفيكو فارتيمبا، من أهالى بولونيه فى ايطالية على ما يقول ديغورى، و يسمى نبيل روما فى المزاج الاخرى. و يقول لودفيكو فى رحلته أنه يرد على من يسأله عن السبب الذى دفعه الى القيام بها ان السبب ينطوى فى الرغبة الملحة فى السعى وراء المعرفة و مشاهدة العالم، و ما فيه من معجزات الله عز و جل.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٥٢

و قد أبحر من البندقية فى ١٥٠٣، و وصل الى الاسكندرية، و بعد ان زار حصن بابلون فى مصر على ما يقول توجه لزيارة طرابلس و انطاكية و بيروت و دمشق. و هناك ارتبط بصداقة مع ضابط من ضباط المماليك، فقرر الذهاب الى مكة معه فى ضمن موكب الحج السنوى الذى يخرج من دمشق بكثير من المراسيم و التقاليد. و قد تحرك الى مكة فى اليوم الثامن من نيسان بزي جندى من جنود المماليك، و هو يقدر ان قافلة الحج كانت تتألف من أربعين ألف رجل و خمسة و أربعين ألف حيوان. و مما يرويه عن وقائع الطريق ان القافلة اضطرت فى يوم من الأيام الى الاصطدام بحشد كبير من أعراب البادية، لكن الستين من جنود المماليك الذين كانوا موكلين بحراسة القافلة كانوا أكثر من ند للخمسين ألف (كذا) بدوى على ما يقول لودفيكو. و قد هوجمت القافلة فى يوم آخر بحشد من البدو يقدر بأربع و عشرين ألف شخص (كذا)، لكنها تغلبت عليهم بعد ان تمكنت من قتل ألف و خمس مئة منهم! و يعود السبب

فى ذلك كله على ما يقول الى شجاعه الجنود المماليك و قوة بأسهم، و الى كون الاعراب كان قسم كبير منهم غير مسلحين و عراة أيضا. و تقول شارحة رحلة بارتيميا أو فارتيميا (المنشورة مع رحلة بورتون الانكليزى) المسز اليزابيل بورتون بهذه المناسبة ان بدو الحجاز فى ايامها (١٨٧٣) أصبحوا أشد خطرا و أقوى شكيمة لأنهم صاروا يستعملون (البواريد) و البنادق، و ان الطريقة الوحيدة لتجريدهم من قوتهم و دفع خطرهم هى منع استيراد الأسلحة النارية و مادة الرصاص لهم.

و بعد أن أدى فارتيميا مناسك الحج كلها فى المدينة و مكة على ما يقول استطاع بتدبير خبيث ان يهرب من القافلة و زملائه الحراس عليها الى جدة، و من هناك أبحر عن طريق البحر الأحمر الى ايران. و يذكر فى وصف هزيمته انه اختبأ فى بيت أحد المسلمين فى مكة الى حين خروج موكب الحج الشامى منها، لكنه يذكر انه كان من حسن حظه ان احبته إحدى قريبات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٥٣

صاحب البيت فساعدته على التخفى و الهرب.

و هو يذكر فى الفصل الذى يتطرق فيه الى تشييد مكة و انشائها انها مدينة جميلة تكتظ بالسكان، لأنها تحتوى على ستة آلاف أسرة. و دورها حسنة للغاية، مثل دور الايطاليين على حد تعبيره، و هناك بعض الدور تقدر قيمة الواحدة منها بثلاثة أو أربعة آلاف دوكات. و يذكر كذلك ان مكة لم تكن مسورة لأن أسوارها هى الجبال الطبيعية التى تحيط بها، و لها أربعة مداخل. و حينما وصل الحج الشامى كان الموكب المصرى قد وصل الى مكة، و لذلك يذكر فارتيميا بالمناسبة ان هذا الموكب كان فيه حوالى أربعة و ستين ألف جمل، و له مئة مملوك للحراسة. و يقول بطريقته التهكمية، التى تدل على تعصبه ضد الاسلام، ان الله سبحانه و تعالى أنزل لعنته على هذه المدينة فجعلها جرداء قاحلة لا تنتج أى شىء من العشب و الأشجار، و لا أى شىء آخر. و انما كانت تستورد معظم اطعمتها و حاجياتها من القاهرة عن طريق البحر الأحمر. و قد اندهش فارتيميا من كثرة الحجاج الهائلة و تعدد جنسياتهم و قومياتهم، بحيث يقول انه لم يجد مطلقا من قبل مثل هذا العدد من الناس يجتمع فى بقعة واحدة من الأرض.

و فى الفصل المخصص للحج و الغفران من رحلته يقول ان مركز مكة يوجد فيه معبد جميل جدا على حد تعبيره، يشبه الكولوسيوم الموجود فى روما، لكنه مبنى من اللبن المشوى. و للمسجد الحرام، أو المعبد كما يسميه، مئة باب ذات طوق. ثم يشير الى وجود الكعبة فى الوسط دون ان يذكر اسمها، و يقول ان المغفرة من الله تطلب عند الطواف حولها. و للكعبة التى يسميها برجا، باب فضة لا تزيد فى علوها على قامه واحدة. ثم يصف بئر زمزم و يقول ان لها قبة جميلة، و ان عمقها يبلغ سبعين قامه، و ان ستة او سبعة رجال يقفون عادة حول البئر ليستقوا الماء للناس منها. و هؤلاء يريقون ثلاثة أسطل من ماء زمزم فوق كل حاج من الحجاج، فيتبلل به من قمة الرأس الى أخمص القدم و لو كان لباسه من حرير.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٥٤

مملوك برتغالى مجهول الاسم

و فى تموز ١٥٦٥ حج الى مكة المكرمة مملوك ١ برتغالى الأصل مجهول الاسم فكتب وصفا دقيقا عنها برغم اختصاره و اقتضاب ما جاء فيه و قد اكتشف ما كتبه هذا المملوك فى السنوات الأخيرة السنيور ديلافيدا مكتوبا فى حاشية كتاب عربى موجود فى مكتبة الفاتيكان برقم ٢١٧. و كان هذا البرتغالى قد تحرك من رايغ الى مكة فى آخر يوم من حزيران، و هو يقول ان الناس يذهبون عراة الى مكة من هناك مشيرا الى الأحرام بطبيعة الحال.

و فى حوالى الوقت نفسه حج الى مكة كذلك رجل ١ المانى يسمى هانس وايلد، كان قد أخذه الأتراك اسيرا فى هنغاريا يومذاك، و سيق الى مكة فلم يعد الى المانيا الا فى سنة ١٦١١. و بعده بسنوات قليلة أسرفتى بندقى، يدعى ماركو دى لومباردو، و هو يعبر

الأبيض المتوسط بصحبه عمه القبطان فبعث به الى مكة من مصر مصاحبا لابن سيده. و قد دون أشياء طريفه عن سفرته التي نشرها بعد ذلك بسنين عديدة المبشر يوجين روجر.

جوزيف بيتس الانكليزي

وقد حج الى مكة في أواخر القرن السابع عشر شاب انكليزي يافع من أهالي أو كسفورد يدعى جوزيف بيتس. و كان هذا الشاب و هو في السادسة عشرة من عمره قد دفعه طموحه سنة ١٦٧٨ الى التطويح في الآفاق و زيارة البلاد، ان ينخرط في سلك البحريه، فأدى به ذلك الى ان يقع أسيرا في أيدي القرصان الجزائريين. و بعد ان عاش حوالي خمس عشرة سنة في الأسر و العبودية أخذ صاحبه الى مكة المكرمة و المدينة عن طريق الاسكندرية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٥٥

و القاهرة و السويس. و يعتقد الرحالة بورتون، الذي نشر مذكرات بيتس هذا مع رحلته، ان وصف بيتس للأماكن التي زارها هو وصف دقيق مضبوط في الأعم الأغلب، و مع ان كتابته تتصف بالتعصب الأعمى فانها خالية من الخرافات او الأشياء التي لا تصدق. و نظرا لأن بيتس كان يجيد التكلم بالعربية و التركية فقد اتقن التعاليم الاسلاميه أكثر من غيره. و كان صاحبه، النقيب في خيالة الجيش الجزائري، رجلا مسرفا منغمسا في الدعارة و الفجور على ما يقول بيتس، فصمم على ان يكون سببا في اعتناق مملوكة الانكليزي الديانة الاسلاميه تكفيرا عن آثامه و خطاياها. فاستعمل الضرب و الشدة معه حتى نطق بالشهادة، لكنه بقي خلال وقته كله الذي قضاه في بلاد الاسلام و المسلمين يعبر عن سخطه و دخيلة نفسه المجبولة على المسيحية في شتى الظروف و المناسبات.

و حينما أخذه سيده الجزائري الى مكة أعتقه و أخلى سبيله، لكنه بقي يعيش معه و يخدمه لقاء أجور حتى عاد الى الجزائر، و عند ذاك أخذ يفكر في الهرب و العودة الى بلاده الاصلية. فاستطاع التسلل الى سفينة من السفن المتوجهة الى استانبول، بعد ان أخذ معه كتاب توصية من المستر بيكر القنصل الانكليزي في الجزائر يومذاك الى قنصل انكلترا في أزمير المستر رى.

و مع ان الحنين الى الجزائر قد عاوده في أزمير و صار يفكر في العودة و استئناف الحياة فيها كرجل مسلم، فقد استقل باخرة فرنسية متوجهة الى ليغهورن في ايطالية، بعد أن دفع ثمن التذكرة عنه تاجر انكليزي كان يقيم في أزمير يدعى المستر أيلوت. و مما يدل على مقدار تعصب بيتس للمسيحية و احتفاظه بعقيدته فيها، رغم جميع ما أصابه من تقلبات، أنه ما كادت رجله تطأ الأرض في ليغهورن حتى خر ساجدا عليها و قبلها عدة مرات، و هو يشكر الله على عودته الى ديار النصرانية بعد هذه الغيبة الطويلة عنها. ثم عاد الى موطنه في انكلترا بعد ذلك.

هذا و قد كتب جوزيف بيتس مذكرات تفصيلية عن سفرته الى مكة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٥٦

وصف فيها البلدة و أماكنها، كما وصف المسجد الحرام و الكعبة و مناسك الحج كلها. و ليس من الممكن بطبيعة الحال ان نورد هنا جميع ما كتب عن ذلك، و انما سنورد نماذج منتخبة مما كتب. فهو يقول عن أول وصوله الى مكة:

.. و حالما وصلنا الى مكة المكرمة سار بنا الدليل في الشارع الكبير الذي يقع في وسطها، و يؤدي الى المسجد الحرام (يسميه المعبد)، و بعد أن أنخنا ذلولنا كان أول ما أخذنا الدليل اليه البركة لنقوم بعملية الوضوء، و عند ذلك جاء بنا الى الحرم الشريف فخلعنا أحذيتنا و تركناها عند الكيشوان، ثم دخلنا من باب السلام. و بعد ان سرنا خطوات معدودة وقف بنا الدليل و رفع يده للدعاء و أخذ يرتل بعض الجمل الدينية، فقلده الحجاج و كرروا ما كان يقوله. و ما أن وقع نظر الحجاج على بيت الله الحرام (يقصد الكعبة) في الداخل حتى انهمرت الدموع من أعينهم بغزارة، و قادنا الدليل اليه في الوقت الذي كنا ما نزال نكرر ما يقول من الأدعية و الجمل الدينية. و

قد أعقبنا ذلك بالطواف سبع مرات من حوله، و بالصلاة ركعتين من بعد ذلك. و بعد الانتهاء من كل هذا أخذنا الدليل الى الشارع من جديد حيث كان علينا ان نهول أو نركض من مكان في الشارع الى آخر (بين الصفا و المروة) فنقطع مسافة لا تزيد على رمية سهم. و أنى اعترف بأننى لم يكن بوسعى سوى ان أعجب بهؤلاء المساكين الذين يخلصون الى آخر حد فى تأدية مثل هذه «الخرافات»، و أقدر شعورهم حينما ألاحظ مقدار ما يتناهبهم من الرهبة و الارتعاش. و الحق أننى لم أتمالك نفسى من البكاء و ارسال الدموع حينما رأيت حماسهم المتناهية فى العقيدة، برغم ما فيها من وثنية (كذا)، و مع كونهم يؤدونها على العمياء. و يصف بيتس مكة فيقول أنها بلدة تقع فى واد غير ذى زرع، أو فى وسط عدة جبال صغيرة. و هى غير عصيمة، لأنها ليس لها أسوار و لا أبواب. اما سكانها فهم فقراء ميالون الى النحافة و الهزال، و سمر فى لونهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٥٧

على ان البلدة محاطة لعدة أميال بآلاف عدة من التلال و الجبال الصغيرة التى تتقارب بعضها الى بعض جد التقارب. و كلها احجار صخرية مائلة الى السواد فى لونها ... و هناك فوق قمة أحدها غار مشهور يسمى غار حراء، كان النبى محمد يعتزل فيه فيستغزق فى عبادته و تأملاته و صومه. و قد ذهبت اليه فلم أجد ان يد التجميل قد مسته مطلقا، فأعجبت جد الاعجاب بذلك. و يقول بيتس كذلك ان مكة كان فيها ماء كثير، لكنها خالية من العشب و الزرع الا فى بعض الأماكن. على أنه وجد فيها عدة أنواع من الفواكه ميسورة للناس مثل العنب و البطيخ و الرقى و الخيار و القرع و ما أشبه. و هذه يؤتى بها فى العادة من مكان يقع على مسيرة يومين او ثلاثة، يسمى «جباش» (؟) و لعله يقصد بذلك الطائف.

ثم يذكر خلال وصفه للحج و مناسكه ان سلطان مكة (اى الشريف) الذى ينحدر من نسل النبى محمد (ص) لا يعتقد بأن غيره قمين بتنظيف البيت و تطهيره، و لذلك يقوم هو شخصيا و الأثيون عنده من رجاله بغسله بماء زمزم المقدس، ثم بالماء المطيب المعطر. و حينما يقومون بهذه العملية ترفع السلالم التى تؤدى الى بيت الله، و لذلك يحتشد الناس تحت الباب ليدفع ماء الغسيل عليهم حتى يتبللوا به من الرأس الى القدم. ثم تقطع المكناس التى يكنس بها البيت المقدس قطعاً صغيرة و ترمى عليهم فيتلاقفونها، و من يفز بقطعة منها يحتفظ بها كأثر مقدس لديه (؟). و يتطرق بعد ذلك الى ذكر الكسوة و وصفها كالمعتاد. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٥٨

القس جوزيف أوفينكتون

و قد كانت شركة الهند الشرقية فى أواخر القرن السابع عشر معنية بجمع المعلومات عن موانئ البحر الأحمر و أهميتها، فكلفت عددا من رجالها بذلك. و كان من جملتهم القس جوزيف أوفينكتون الذى كتب فى وصف جده و أهميتها، فنشر الوصف فى كتابه المسمى «رحلة الى صورة».

و هو يقول ان الميناء الرئيسى فى البحر الأحمر يعود للسلطان ... و هو ميناء مكة. و ليست الأراضى المحيطة بهذين البلدين ذات فائدة مطلقا، كما انها غير قابلة للإصلاح و التحسين بحيث يبدو أنها قد أصيبت بلعنة من الطبيعة فحرمت من نعم الله تعالى بندرة وجود الأشياء كلها فيها، ما لم تستورد لها من الخارج. و لذلك يتكبد السلطان مبالغ طائلة لتقويم أودها، و تجهيزها من مصر بصورة مستمرة، فتصل إليها حوالى عشرين الى خمس و عشرين سفينة كبيرة كل سنة، محملة بالذخائر و المؤن و الأموال. و ما أشبه.

و تزدهر جده بمواصلاتها الدائمة مع الهند و ايران و الحبشة، و أجزاء الجزيرة العربية الأخرى. فيأتى العرب اليها بينهم (قهوتهم) ليشتريه الأتراك و يحملوه الى السويس. و يأتى اليها على الشاكلة نفسها الحجاج فى كل سنة من أنحاء العالم الاسلامى جميعه.

ويليام دانيال و شارل جاك بوسيه

و في عهد الشريف سعيد (١٧٠٠) وصل إلى جدة رجل انكليزي يدعى ويليام دانيال و آخر فرنسي يدعى شارل جاك بوسيه، فخلفا وصفا واضحا عما شاهدها. فقد كان دانيال شاهد عيان للخصام الذي حصل بين الشريف الأكبر سعيد و الباشا الذي كان يمثل السلطان في الحجاز. و هو يقول موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٥٩

ان الشريف أهان الباشا لأنه جاء الى جدة شخصيا و في معيته ألفان من الخيالة، و طلب الباشا الى حضرته فطالبه بتسليم مئة ألف جفوين. و لم يكتف بذلك فقط و إنما تجاوز على السلطان كذلك بقوله انه ابن مسيحية عاهر، و أنه لا يعترف به حاميا للإسلام و المسلمين لأنه تصالح مع الدول النصرانية. و لذلك اضطر الباشا الى ان يرسل المبلغ المطلوب للشريف فيسلم على حياته.

و قد وصل الفرنسي المسيو شارل بوسيه الى جدة في اليوم الخامس من كانون الأول، أي بعد الحادث المار ذكره بأيام قليلة. على انه يصف زيارة الشريف الذي كان ما زال مخيما خارج أسوار المدينة. فهو يقول ان الشريف كان رجلا في حوالي الستين من عمره، تبدو في محضره المهابة و الجلال، و له شق صغير في الجانب الأيمن من شفته السفلى. غير ان رعاياه و جيرانه لا يستصوبون لطفه و رأفته. و قد أجبر الباشا الذي يعيش في جدة على ان يسلم له ألف و خمس مئة ريال ذهب انكليزي، بعد ان هدده بالقتل إذا لم يذعن لطلبه. ثم يصف المسيو بوسيه كيف كان الشريف يأخذ ضرائب من الأتراك كذلك، و يقول ان الشريف، و هو العنيف المتكبر، قد سحب خضوعه للسلطان الذي يسميه على سبيل التحقير «ابن مملوك».

الرحالة «علي بك العباسي»

و قد حج الى مكة في سنة ١٨٠٧ (في عهد الشريف غالب) رجل من يهود اسبانية يدعى دو منيكو باديا أي ليليج. بعد ان تزيا بزى المسلمين و سمى نفسه على بك العباسي. و كان هذا اليهودي مكلفا بمهام خاصة من قبل الحكومة الفرنسية، فتجول كثيرا و كتب بالفرنسية تفصيلات مهمة عن الحجاز و مكة و غيرها في كتاب ضخيم. و قد كتب عن الشريف موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٦٠

غالب يقول أنه كان انانيا غير متعلم، و ان الأنكليز كانوا يعتبرونه أحسن صديق لهم، و لذلك كانوا يشجعون التجارة مع الهند بواسطته. كما يقول ان الشريف كان يبعث بسفنه لتتاجر مع مخا و مسقط و صوارة، و أنه كان يدعى بعائدية مصوع و جزيرة سواكن له، مع انها كانا يخضعان للسلطان بصورة أسمية.

و من طريف ما يذكره «علي بك العباسي» هذا، الذي اصبح كتابه.

مرجعا مهما للغربيين عن مكة، وصفه لجماعة من البدو الوهابيين الذين جاءوا الى الحج في مكة سنة ١٨٠٧ بصفته شاهد عيان. فهو يقول .. و سرعان ما دخل البلدة جمهور من الرجال العراء، الذين لم يكونوا يلبسون شيئا الا الأسمال التي كانت تستر عورتهم. و كان عدد قليل منهم يضعون بالاضافة الى ذلك شيئا فوق أكتافهم، كما كان قسم آخر منهم عراء بالكلية، لكن الجميع كانوا مسلحين اما بالبنادق او بالخناجر. و حالما وقعت أعين المكيين على هذا السيل من العراء المسلحين هرعوا الى البيوت كلهم و اختفوا عن الأنظار. و كان البعض من هؤلاء يركبون الخيول، مع عربهم و تسلحهم بالرمح، و يرتلون أديعتهم و جملهم الدينية بصوت مرتفع كل بالطريقة التي يختارها، و من دون خشوع او انتظام. و قد تولى أطفال مكة، و هم الأدلاء على الدوام، أرشادهم و الطواف بهم لأن الكبار قد تلاشوا عن الأنظار. و لذلك أخذوا يمرون في داخل البيت الحرام و يقبلون الحجر الأسود و كأنهم مجموعة محتشدة من الزنابير. و يقول «علي بك» بالاضافة الى ذلك ان الشريف غالبا كان خلال ذلك يشاهد الوهابيين من قصره القائم فوق السفح بعد ان أوعز الى

جنده من العبيد و الاتراك بان لا يغادروا مقراتهم بينما كان هذا المد القادم من البادية يكتسح داخلية مكة، و ينحسر عنها دون وقوع حادث يذكر .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٦١

جيوفانى فيناتى

و جيوفانى هذا رجل مغامر من أهالى فيرارا فى ايطاليا، و قد قدر له بعد تطويحات و مغامرات عدة ان يحج الى مكة المكرمة فى ١٨١٤، باعتباره رجلا مسلما اسمه محمد. فقد سيق الى الجندية فى بلدته سنة ١٨٠٥، ففر منها و قبض عليه ثم سيق اليها مرة ثانية. و هناك اتفق مع جنود آخرين و فر الى ألبانيا فاشتغل عند أحد الباشوات الأتراك فيها، و اعتنق الاسلام فتوجه الى استانبول. و بعد مغامرات و تقلبات عدة وصل الى القاهرة فى ١٨٠٩ و انخرط فى سلك الحرس الألبانى و أصبح عريفا فى حرس الخديوى محمد على باشا الخاص. و اشترك بعد ذلك فى حملة سيقت الى مصر العليا للقضاء على المماليك و ثورتهم فيها. ثم رابطت قوته فى المطرية استعدادا لسوقها بقيادة طوسون باشا بن محمد على لتأديب الوهابيين الذين احتلوا الحجاز، فأبحرت القوة فى ١٨١١ و استطاعت الأنزال فى ينبع و استولت عليها بعد معركة اشترك فيها جيوفانى أو «محمد» اشتركا فعليا. و بالنظر لأصابته بالروماتيزم الحاد عاد الى القاهرة، و بعد ان بقى فيها مدة من الزمن سمع بانتصارات محمد على باشا على الوهابيين فى الحجاز، فقرر الالتحاق بالقوة الألبانية المنجدة التى توجهت الى هناك فى ١٨١٤.

و هناك اشترك فيناتى فى محاصرة القنفذة و الاستيلاء عليها. و كان موجودا فيها حينما استردها الوهابيون بفظاظه، فجرح و تمرض و لذلك قرر الفرار من الجندية و التوجه الى مكة نفسها. فحج فيها و كتب عما شاهده خلال ذلك بتفصيل غير يسير. فهو يقول:
... و لما كنت مسرورا لنجاحى فى الفرار كنت فى وضع فكرى يتقبل شيئا غير يسير من الانطباعات القوية، و لذلك تحسست كثيرا بجميع ما رأيت عندما دخلت البلدة (يقصد مكة). لأنها و ان تكن ليست واسعة و لا جميلة بحد ذاتها، فقد كان فيها شىء يبعث الرهبة و الاندهاش فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٦٢

النفس. و كان ذلك يلاحظ على الأخص عند الظهيرة حينما يهدأ كل شىء تمام الهدوء، الا المؤذن الذى يدعو الناس الى الصلاة من فوق المأذنة ...

و ابرز ما يلاحظ فى هذه البلدة البناء المقدس المشهور الذى يقع فى وسطها، فهو فناء مبلط واسع له أبواب كثيرة تؤدى اليه من جميع الجهات، مع ممر واسع يحمل سقفه أعمدة تحيط بالبناء كله، بينما يقوم فى وسطه بناء يدعى الكعبة، و تغطى جدران هذا البناء من الخارج بكسوة من المخمل الثمين الذى تطرز فوقه كتابات عربية بالذهب.

ثم يعلق على ازدحام الناس فى مكة و كثرة الحجاج فيها فيقول: ..

و مع هذا التجمع الهائل الذى كان ينقطع بين حين و آخر فى السنوات الأخيرة فقد وصلت الى مكة منذ ان اتت اليها قافلتان كبيرتان، إحدهما من آسية و أخرى من افريقية، يبلغ عدد القادمين فيهما حوالى اربعين ألف شخص كان يبدو عليهم كلهم مقدار ما يكونونه فى نفوسهم من الاحترام و التقديس للبيت الحرام .. و هنا يعلق الرحالة بورتون، الذى نشر ما كتبه فيناتى فى آخر رحلته، على هذا بقوله ان «على بك» يقدر عدد الحجاج الذين وقفوا فى عرفات سنة ١٨٠٧ بثمانين ألف رجل و ألفى امرأة و ألف طفل، و ان الرحالة بورخارت قدرهم فى ١٨١٤ أيضا بسبعين ألف. ثم يقول بورتون انهم لم يتجاوزوا الخمسين ألف نسمة حينما زار مكة سنة ١٨٥٣.

و يقول فيناتى بالنسبة لمناسك الحج فى عرفات ان الحجاج حينما يذهبون اليها لا بد من ان يضحوا و لو بذبح خروف فيها، و ان هذا

يفعله الغنى و الفقير على سواء و يساعد فيه الغنى الفقير عند الحاجة. و كان مثل هذا العدد الهائل من الضحايا يملأ الأماكن المكشوفة كلها، فيتقاطروا الفقراء من جميع أنحاء البلاد ليأخذوا حصتهم منها.. و بعد ان تتم مناسك الحج كلها كانت تسجل الاسماء عند كاتب خاص يعين لهذه المهمة، و عند ذاك ينفض الحجاج و يعودون الى اماكنهم. و يعلق بورتون على هذا القول أيضا بقوله ان هذه العادة لم يعد يعمل بها، و أن شهادة كان يعطيها الشريف من قبل الى جميع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٦٣

من يستطيع دفع المال المطلوب عنها و من يحتاج الى البرهنة على ذهابه الى حج البيت الحرام، لكن هذه أيضا لم يعد لها وجود.

جون لويس بورخارت

يعد الرحالة السويسري بورخارت من أشهر رحالي القرن التاسع عشر، و بعدهم صيتا و شهرة. فقد تجول في بلاد النوبة و ما جاورها من البلاد الأفريقية، و تجول في مصر و سورية، و في الحجاز و ما جاورها كذلك. ثم كتب كتابا قيمة عن رحلاته هذه كلها، و من جملتها «رحلاته الى بلاد الجزيرة العربية» الذي يأتي فيه على وصف مكة المكرمة في تلك الأيام من جميع النواحي، و المدينة المنورة كذلك. و يتألف المجلد من جزأين يحتوي الأول منهما على مشاهدات بورخارت في جدة و الطائف و مكة، و على وصف محلات مكة بالتفصيل و بيت الله الحرام و الكعبة و سائر الأماكن المقدسة، فضلا عن سكان مكة و حكومتها و احوالها الجوية. و يحتوي الجزء الثاني على وصفه للحج و مناسكه بالتفصيل، و على مشاهدته في سفرته الى المدينة المنورة و أماكن الزيارة فيها و حكومتها و احوالها الجوية، و على ما شاهده في ينبع و في سفرته منها الى القاهرة.

و كان المستر بورخارت قد أسلم على ما يزعم عند قدومه الى مصر في عهد الخديوي محمد علي باشا، و سمي نفسه الشيخ ابراهيم. و يقول ناشر كتبه الأنكليزي، و يليام أوсли، في كانون الثاني ١٨٢٩، ان معرفة بورخارت للعربية و اطلاعه التام على أحوال المسلمين و عاداتهم قد ساعده على تقمص دور الرجل المسلم بنجاح حتى استطاع ان يعيش في مكة خلال موسم موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٦٤

الحج كله و يشترك في مناسكه و شعائره من دون ان يثير أدنى شك بشخصيته المنتحلة. و كان بورخارت نفسه يقول انه من بقايا المماليك الذين قضى عليهم محمد علي باشا في مصر، حينما كان يسأل عن هويته. و قد تعرف خلال زيارته لمصر على عاهلها يومذاك محمد علي، و لذلك اغتنم فرصة توجهه الى الحجاز لادارة الحملة التي جردتها الدولة العثمانية بقيادته لاسترداد البلاد المقدسة من الوهابيين، و ذهب لزيارتها و إداء «فريضة» الحج سنة ١٨١٤. و كان محمد علي باشا قد وصل الى الحجاز في ربيع ١٨١٣ و أقام في الطائف للأشراف على مهمته و القضاء على الوهابيين في عقر دارهم كذلك.

و قد نزل بورخارت في جدة يوم ١٨ تموز ١٨١٤، و سار منها الى الى الطائف لمقابلة محمد علي، ثم قصد مكة المكرمة لأداء فريضة الحج على ما يدعى. و يستبان مما دونه ان محمد علي باشا كان يشك في إسلامه، و مع هذا فقد سمح له بالتوجه الى الحج في مكة. و هو يأخذ بوصف الحج و شعائره قبل وصوله الى مكة، و يبدأ بذكر ما يختص بالاحرام بطبيعة الحال. فيذكر بهذه المناسبة ان المؤرخين العرب يروون عن هارون الرشيد و زوجته زبيدة انهما قصدا الحج في سنة من السنين مشيا على الأقدام من بغداد الى مكة، و لم يكن يستر جسمهما غير لباس الاحرام على طول الطريق و في كل مرحلة من مراحل الطريق كان يوجد بخدمتهما قصر مؤثث تأثيثا فاخرا، و ان الطريق كله كان يغطي بالسجاد يوميا ليسيرا فيه!!

و يأتي بعد ذلك على ذكر التوجه الى المسجد الحرام و الطواف و السعي بين الصفا و المروة، و زيارة العمرة، ثم العودة الى مكة. على ان بوخارت يذكر كذلك ان الكعبة كانت مكانا مقدسا في أيام الجاهلية أيضا، و ان الناس كانوا يطوفون حولها بنفس النمط

الذى يطوفون فيه حولها اليوم تقريبا، لكن المبنى المقدس كانت تزينه يومذاك ثلاث مئة و ستون صنما و كان على الرجال و النساء ان يظهروا امامها عراة كما خلهم ربهم ليستطعوا التجرد عن الخطايا و الذنوب و التخلص منها مع الملابس التى يتجردون عنها. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٦٥

وصف بورخارت لمكة

إشارة

و الملاحظ مما كتبه رحالتنا هذا أن إقامته فى مكة كانت مريحة جدا، فهو يقول انه لم يتمتع خلال سفراته فى البلاد الشرقية كلها بمثل ما تمتع به فى مكة من الراحة، و انه سيظل يتذكر اقامته فيها الى الأبد برغم انحراف المزاج الذى ألم به فلم يسمح له بالتمتع بجميع ما سمحت له الأحوال التمتع به.

و بعد ان يشير الى التقديس و التبجيل الذى يكنه العرب جميعا لها، و الى الأسماء التى تطلق عليها مثل «أم القرى» و «المشرفة» و «البلد الأمين»، يأخذ بوصفها من جميع النواحي فيقول ان البلدة نفسها تشغل فضاء يبلغ طوله حوالى ألف و خمس مئة خطوة، اى من محلة الشبيكة الى نهاية المعلا.

لكن جميع ما يطلق عليه اسم مكة بالمعنى الأوسع يمتد من ضاحية جرو (المدخل من طريق جدة) الى ضاحية المعبده على طريق الطائف، و يبلغ هذا حوالى ثلاثة آلاف و خمس مئة خطوة. اما الجبال التى تحيط بهذا الوادى.

الذى كان يسميه العرب وادى مكة أو بكة، فيبلغ ارتفاعها ما بين مئتين و خمس مئة قدم، و هى جرداء خالية من الزرع و الشجر. و ينحدر الوادى برفق نحو الجنوب، حيث تقع محلة المسفلة. و لذلك يتبدد المطر الذى يسقط أحيانا على مكة فى جنوب مسفلة، فى الوادى المكشوف الذى يسمى وادى الطرفين.

و تقع معظم البلدة فى ضمن الوادى نفسه.

و يقول بورخارت ان مكة يمكن ان تعتبر بلدة جميلة، لان شوارعها أعرض من شوارع المدن الشرقية الأخرى بوجه عام، و بيوتها عالية مبنية بالحجر، فيها عدد من الشبايك التى تطل على الشوارع فتسبغ عليها منظرا تملأه الحيوية بخلاف الدور فى مصر و سورية التى لا تطل على الطرق فى الغالب. و هى، مثل جدة، تحتوى على عدد من الدور ذات ثلاثة طوابق، و يقول كذلك ان مكة مفتوحة من جميع الجهات، لكن الجبال المحيطة بها تكوّن مانعا حصينا ضد العدو اذا ما دوفع عنها بطريقة أصولية. و قد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٦٦

كان لها فى الزمن القديم ثلاثة أسوار تحمى جوانبها المتطرفة، و كان أحدها مشيدا عبر الوادى فى شارع المعلا، و كان الثانى مبنيا فى محلة شبكية، و الثالث فى الوادى الذى يفتح على حارة المسفلة. و قد بنيت معظم بيوت مكة لتكون منازل للحجاج، عدا بيوت بعض الأغنياء و الشرفاء.

و يتطرق بورخارت الى ذكر الماء الذى يعتمد عليه سكان مكة فيقول أنه قليل، و ان قلته تكوّن مشكلة على الدوام. فان بثر زمزم المشهورة قد تفى بغزارة مائها جميع السكان، لكنها على قداستها يكون ماؤها ثقيلًا على الذائقة صعبا فى الهضم. كما ان الفقراء لا يمكنهم الاستقاء منه بحرية على الدوام، على ان احسن ماء يؤتى به الى مكة من عرفات الواقعة على مسيرة سبع ساعات عنها، لكن الحكومة أهملت القناة التى تأتى بهذا الماء. فهى مشيدة بالحجر كلها، و لم ترمم او تتلف منذ خمسين سنة. و هناك مكانان احد شوارع مكة و بيوتها القديمة التى يرجع تاريخ بعض ابنتها الى ما قبل القرن الخامس عشر الميلادى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٦٧

في داخلية مكة يمكن أخذ هذا الماء منهما، و يقف عليهما في العادة عيد الشريف لجباية الأجور.

قناة زبيدة

و يذكر بورخارت ان تاريخ هذه القناة يسهب فيه المؤرخون العرب، و موجزه أن زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد كانت قد أمرت بسحب مياه «عين النعمان» من منبعها في جبل كرا الى مكة في قناة خاصة، و صرفت مبالغ طائلة من مالها الخاص على ذلك. ثم أمرت بعد هذا بسحب مياه عين عرف من سفح جبل شامخ الكائن في شمال جبل كرا، و ربطها بمياه عين النعمان بعد ان كانت تسقى سهل حنين. و ربطت في الأخير مياه أربعة ينابيع أخرى بهذه القناة كذلك، و هي ينابيع البرود و الزعفران و ميمون و عين مشاش. على ان القناة قد أهملت بعد ذلك و سدت على ما يبدو، لكنها أصلحت في سنة ٦٤٣ هـ بأمر من السلطان سعيد خدا بنده، ثم أصلحها بعض الاصلاح للمرة الثالثة الشريف حسن بن عجلان في مدة حكمه سنة ٨١١، و قد صرف مبالغ طائلة عليها بعد ذلك أيضا السلطان قاتيباي في مصر سنة ٨٧٩، ثم أسهم في اصلاحها سنة ٩١٦ قانصوه الغوري من آخر سلاطين مصر المماليك الجراكسة. و في سنة ٩٣١ حاول السلطان سليمان القانوني ان يعيد إنشاء القناة من جديد لكن التصميم المطلوب لم يتم وضعه، حتى توفى بعد ذلك ابنه السلطان سليم الثاني في شق قناة جديدة بعد كثير من الأتعاب و النفقات، و هي القناة التي شاهدها بورخارت تأتي بالماء الغزير الى مكة المكرمة. فقد حفر للمجرى الجديد خلال الصخر الذي سيمتد وراء جبل عرفات، و نجح بذلك في تزويد مكة بماء عذب غزير سنة ٩٧٩.

و يستغرق طول القناة كلها مسيرة سبع أو ثمانى ساعات. و مع هذا فقد شاهد رحالتنا بورخارت الشحاذين و المرضى و الحجاج المنقطعين يستطعون شربة ماء عذب في شوارع مكة نفسها لان ملء الجرة الواحدة كان يكلف بارتين خلال موسم الحج على كل حال.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٦٨

حوارى مكة او محلاتها

و من امتع ما يكتبه بورخارت عن مكة وصفه المسهب لمحلاتها المختلفة بعد ان شاهدها بنفسه و دقق أحوالها. فهو يقول ان القادم من جدة الى مكة المكرمة يجد في مدخلها برجين عاليين للحرس، كان قد أنشأهما الشريف غالب للدفاع عن عاصمته المقدسة. و بعد ان يدخل القادم من بينهما بمسافة غير بعيدة يصادفه موظفو الشريف الذين يجبون الرسوم على البضائع. ثم يدخل الى «حارة جروول»، التي يعيش فيها البدو المشتغلون في تجارة النقل ما بين مكة و جدة. و تأتي بعد «حارة الباب» التي تتألف من شارع عريض متسع يقوم في جانبه عدد غير يسير من الدور الكبيرة الحسنه «حارة الشبيكة» التي تمتد الى اليمين فى الغالب. و يقول بورخارت ان هذه المحلة كان أصحاب النبي عليه السلام قد ضويقوا فيها حد المضايقة فى حروبهم مع قريش.

و هناك عدد غير يسير من الدور الجيدة فى هذه الحارة التي تعد من أنظف حارات مكة و أنقاها هواء، و يقطنها الكثيرون من أهالى جدة كما توجد فيها دار كبيرة للشريف غالب تسكن فيها أسرته. و ينتشر فى جانبي الشارع الرئيسى منها عدد من المقاهى التي يتحرك منها فى مساء كل يوم بريد الرسائل و المكاتيب الى جدة على ظهور الحمير، و كانت السلطات تتقاضى بارتين عن المكتوب الواحد.

و فى الجهة الغربية من الشبيكة تمتد نحو الجبل مقبرة واسعة تنتشر فيها أكواخ و خيام عديدة تعود لبعض البدو، و بيوت حقيرة تسكنها النساء من الطبقة الدنيا. و تسمى الخندريس، على انها على ما يظهر أصبحت مقبرة مهجورة. و اذا ما سار القادم من الشبيكة على طول الشارع العريض المذكور نحو الشمال يصادف حماما عاما يعد واحدا من الحمامات الثلاثة الجيدة فى مكة كلها. و كان هذا الحمام

قد بناه في ٩٨٠ محمد باشا وزير السلطان سليمان الثاني، و يعد من أحسن الأبنية في مكة. و تتكون من هذا الحمام و عدد من الشوارع الفرعية المؤدية الى الحرم الشريف نفسه «محلة باب العمرة»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٦٩

التي يسكنها عدد من المطوفين و الحجاج، و لا سيما الأتراك منهم. و يقول بورخارت ان معظم الحجاج يفضلون السكنى فى هذه الحارة و غيرها من الحارات القريبة الى بيت الله الحرام لثلا يؤدي ابتعادهم الى فوات وقت الصلاة عليهم فى داخل المسجد الحرام. و يضيف الى ذلك ما سمعه من ان قريهم هذا سهل لهم التخلص من الأحلام المزعجة التي قد يحلمون بها فى نومهم. فكثيرا ما يرى الحجاج و هم يركضون فى منتصف الليل نحو المسجد الحرام حيث يتوجهون الى الطواف حول الكعبة و تقبيل الحجر الاسود و إقامة الصلاة القصيرة، و يشربون قليلا من ماء زمزم فيعودون الى فراشهم فى الحال.

و اذا ما سار السائر من محلة الشبيكة الى الجنوب، و انحدر قليلا فى سيره يصادف ما يسمى بالسوق الصغير الذى ينتهى بباب المسجد الحرام المسماة «باب ابراهيم». و قد وجد بورخارت فيما وجد فى هذا السوق ان الجراد كان يباع فيه بالوزن. و تسمى نهاية هذا السوق من جهة الجبل «حارة حجيعة»، و هذه يسكنها فى بيوت لا بأس بها خصيان الحرم الشريف و خدامه. و تعد اخفض منطقة فى مكة، و لذلك فهى كثيرا ما تتعرض الى السيول الناتجة عن مياه الأمطار. و تسمى المنطقة الكائنة فى شرق السوق الصغير و جنوبيه «حارة المسفلة» التى يقطن القسم الأكبر منها الهنود و الفقراء من الناس برغم وجود عدد من البيوت الجديدة فيها. و فى الأقسام الخربة من هذه المحلة يسكن كذلك عدد غير يسير من العبيد الذين تقوم ازواجهم بصنع مشروب مسكر من الذرة يسمى «بوزة». و قد سكن بورخارت فى هذه المحلة على ما يقول.

و هو يقول بالمناسبة ان القمة الغربية من وادى الطرفين التى تقابل المسفلة كانت تقوم فوقها بناية صغيرة و قبة شيدت لتخليد ذكرى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، فصارت تسمى «مقام سيدنا عمر»، لكن الوهابيين حينما استولوا على مكة قبيل ان يستردها منهم محمد على باشا هدموا هذه البناية و القبة و خربوها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٧٠

و عند التوجه من الثكنة التى يربط فيها جند الشريف نحو الحرم الشريف توجد فى الجهة اليمنى «حارة اجياد» التى يسكنها فقراء الناس و عدد من خدام الحرم الشريف. و يقرل بورخارت ان اسم الحارة هذه مشتق من اسم المكان الذى ترابط فيه خياله تبع ملك اليمن حينما هاجم مكة، و يستنتج من هذا بأن الحارة لا بد من ان تكون من أقدم حارات البلدة.

ثم يذكر حارة الصفا القريبة من شارع المسعى، و يقول ان هذه الحارة توجد فيها دور جميلة يقيم فيها خلال موسم الحج عادة عدد غير يسير من الأغنياء الأجانب. و ان المسعى حينما شاهده خلال مدة وجوده فى مكة كان يشبه السوق الاستانبولى. فقد كان هناك عدد كبير من الدكاكين يديرها أناس أتراك من أوربة او آسية الصغرى، و كان هؤلاء يبيعون مختلف الألبسة التركية و أنواعها. و كانت تباع فى هذه الدكاكين كذلك السيوف الجميلة و الساعات الانكليزية الممتازة، و نسخ القرآن المزخرفة. كما كان طباخو استانبول يبيعون فيها أنواع المأكولات و الحلويات قبل الظهر، و الكباب و غيره من اللحوم المشوية بعد الظهر، و المحلبيية عند الغروب. و قد كان هناك عدد كبير من المقاهى التى كانت تزدهم بالناس من الساعة الثالثة صباحا الى الحادية عشرة فى المساء. و مما يستغرب، على ما يقول بورخارت، ان دكاكين من هذه الدكاكين كانت تباع فيهما المسكرات أو المشروبات الروحية علنا خلال الليل فقط!! و كان أحد هذه المشروبات يستحضر من الزبيب المتخمّر، و هو مشروب قوى برغم خلطه بكثير من الماء عند تناوله. اما الآخر فقد كان عبارة عن نوع من «البوزة» المخلوطة بالبهارات.

و يذكر رحالتنا كذلك ان المسعى يعتبر محلا عاما تنفذ فيه العقوبات العلنية، مثل احكام الاعدام. فقد أعدم أحد الناس بقطع رأسه فيه خلال

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٧١

مدة وجود بورخارت في مكة، بعد ان حكم عليه القاضي بذلك لأنه سرق مئتي باون انكليزي من أحد الحجاج الأتراك. وفي المحل الذي ينتهي فيه السعي من جهة المروة لاحظ بورخارت وجود الدار التي كان يسكن فيها العباس عم النبي عليه السلام، كما لاحظ وجود دكاكين الحلاقين الذين يحلقون شعور الحجاج بعد انتهائهم من السعي.

وهنا أيضا تجرى المبيعات بكثير من الحاجات في صباح كل يوم، وتوجد على مقربة من هذا المكان بركة وسيل للشرب بناه السلطان سليمان القانوني واستمد له الماء من قناة مكة المشهورة. والى الشرق من المروة التي ينتهي فيها المسعى، توجد السوق التي تمتد بموازاة الجانب الشرقي من الحرم المسمى القديم بين الصفا والمروة وقد جدته الحكومة السعودية اليوم وصيرت منه مسعى خاصا وعلى جانب كبير من الروعة كما مرت صورته الحديثة من قبل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٧٢

الشريف. وهذه عبارة عن سوق صغيرة نظيفة على الدوام يعرض فيها تجار الهنود الأغنياء سلعهم الثمينة مثل الموسلين والشال الكشميري وما أشبه.

وهناك أكثر من عشرين دكانا تباع فيها أنواع العطور والدهون والند وما أشبه. وفي دكاكين غير هذه تباع فيها المسبحات والقلائد المرجان والصندل وأنواع المصوغات، فضلا عن سلع الصيني الفرفوري.

وفي منتصف السوق توجد مساطب حجرية يبيع من فوقها النحاسون العبيد الأحباش من الجنسين. ويبلغ سعر العبد الجميلة من هؤلاء ما بين مئة وعشرة ريالات ومئة وعشرين. ويسمى الطرف الشرقي من السوق «الشامية» التي تمتد من اليمين الى الجبل ومن الشمال الحد حد الحرم الشريف.

وهذه منطقة جيدة البناء يسكنها التجار الأغنياء. وتباع في دكاكينها السلع الشامية والحلي من منسوجات حريرية وغيرها، كما تباع السلع التركية في احيان كثيرة.

وهناك حارة تقع في شمال الشوارع المتفرعة من السوق تسمى (كرارة) وهي محلة مشهورة ذات بيوت أنيقة يسكنها أغني التجار وأكثرهم ثروة، من أمثال التاجر الجيلاني والسكات. والى الشرق من كرارة عبر الحارة المجاورة المسماة «ركوب» يمتد شارع كبير يسمى شارع المودعة، وهو عبارة عن امتداد للمسعى.

ويتفرع بالقرب من الصفا شارع عريض يمتد الى الشرق في موازاة المودعة، ويسمى الكشاشية. ويقوم في هذا الشارع الحاكم أو مدير الشرطة الذي يأتي بعد الشريف في المنزلة على ما يقول بورخارت، ويجاورها ما يسمى «شعب المولد» أو «صخرات المولد». ثم يأتي على ذكر عدد من الشوارع والحارات الأخرى مثل الغزي وسوق الحدادين والمعلا. ويوجد في الطرف الشمالي من المعلا، عند اتصاله بسوق الحدادين، مقهى يسمى «قهوة الحشاشين» حيث يباع المخدر المستحضر من «الحشيش» والبنج، الذي يدخل مع التبغ. ويقول بورخارت ان الشريف غالبا كان قد فرض ضريبة فاحشة على بيع الحشيش ليحول دون انتشاره بين الناس.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٧٣

ويذكر بورخارت كذلك «الزقاق الصيني»، وزقاق الحجر الذي يقول ان الزهراء البتول عليها السلام وأبا بكر الصديق قد ولدا فيه. وقد سمي الزقاق باسم الحجر الذي كان يحيى الرسول الأعظم كلما كان يمر به عند رجوعه من الكعبة على ما يقال. وتنتهي مكة من جهة المعلا ومحل اتصاله بالغزي بسهل رملي تنتشر فيه بعض المقاهي المنزلة. ويوجد على حافة هذا السهل عدد من البرك التي تزود منها قوافل الحجاج بالماء، فهناك بركة للموكب المصري وأخرى للشامي وكانتا قد بنيتا في سنة ٨٢١هـ. وعلى مقربة من هذه البرك يوجد جامع يسمى جامع السليمانية، والمقول ان «السليمانية» اسم يطلق على المسلمين الذين كانوا يردون الى مكة من قندهار وأفغانستان وكشمير وعدد آخر من البلاد الواقعة في هذه الجهة من السند.

وفي مقابل السليمانية، في السفح الشرقي من الجبل، تقع حارة «شعب عامر» في جوار الغزى و شعب على. و يسكن شعب عامر الباعة المتجولون من بدو تقيف و قبائل قريش، مع عدد من الشرفاء الفقراء. و توجد في هذه المحلة بعض المطاحن الكبيرة العائدة للحاكم التركي، و هنا أيضا تصبغ الأقمشة القطنية و أقمشة الكتان. و لا تعد هذه الحارة من الحارات المحترمة على ما يقول بورخارت لأن عددا من النساء الساقطات يسكن فيها .

و يقول كذلك ان الشريف غالبا كان قد فرض ضريبة باهظة على هؤلاء النسوة، و شدد أكثر من ذلك على اللواتي كن يتبعن الحجاج الى عرفات.

و تفرض مثل هذه الضريبة في القاهرة، و غيرها من المدن المصرية الكبرى كذلك. كما يقول أيضا ان شعراء العرب من مثل ابن الفارض يعرضون في أشعارهم بشعب عامر هذا، و يملحون الى من يقيم فيه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٧٤

و عند انتهاء المعلا، و على مسافة غير بعيدة من قصر الشريف الكائن في شمال منطقة البرك، يوجد قبر أبى طالب والد الامام على عليه السلام و عم النبي الكريم صلوات الله عليه. و قد عمد الوهابيون الى تقويض البناء الذي كان قائما فوق القبر فأحالوه الى كومة من الأنقاض، و لم يجد محمد على باشا بعدهم من المناسب ان يعيد البناء الى سالف عهده. و يقول بورخارت ان الناس في مكة يقدسون أبى طالب و يجلونه غاية الاجلال، و يخشون القسم كذبا به.

و يختم بورخارت بحثه عن حارات مكة بالاشارة الى عدد نفوسها، بعد ان يبحث في صعوبة تقدير النفوس في المدن و البلاد الشرقية عامة.

و هو يقدر نفوس مكة في غير مواسم الحج، في تلك الأيام، بخمسة و عشرين الى ثلاثين ألف نسمة، يضاف إليها حوالي ثلاثة الى أربعة آلاف عبد حبشى و غير حبشى. ثم يقول ان مكة كان بوسعها في تلك الأيام ان تسكن ثلاثة أضعاف هذا العدد من الحجاج أيضا. و يشير كذلك الى ان إحصاء للنفوس كان قد جرى في عهد السلطان سليم الأول (٩٢٣ هـ) فوجد ان النساء و الرجال و الأطفال قد بلغ عددهم حوالي اثني عشر ألف نسمة. و هو يرى ذلك عن المؤرخ قطب الدين، الذي يذكر أيضا ان نفوس مكة كانت أكثر من هذا بكثير في القرون الخالية، لأن القرامطة حينما هاجموا مكة في ٣١٤ هـ بلغ عدد من قتل بأيديهم من سكان مكة حوالي ثلاثين الف نسمة

بيت الله الحرام

و يصف بورخارت في الجزء الأول من رحلته بيت الله الحرام بالتفصيل، فيأتى على كل شىء فيه بحيث يستغرق وصفه ما يزيد على خمسين صفحة .

و قد ذكرنا شيئا غير يسير عن معظم ما جاء في هذا الفصل عند الاشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٧٥

الى ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية عنه، و لذلك سنكتفى بالاشارة الى بعض النقاط المهمة الواردة فيه فقط. و من طريف ما يورده بورخارت في هذا الفصل قائمة بأسماء الأبواب الموجودة في المسجد الحرام تحتوى على تسعة و ثلاثين اسما حديثا تقابلها الأسماء القديمة لبعض الأبواب. لكنه يقول ان اهم الأبواب كانت: باب السلام الذى يجب ان يدخل منه كل حاج، و باب العباس، و باب النبي، و باب على، و هذه كلها من الجهة الشمالية. اما الجهة الشرقية فأهم أبوابها باب الزيت، و باب العشرة، و باب الصفا، و باب الشريف، ثم باب ابراهيم و باب العمرة في الجنوب، و باب الزيارة في الجهة الغربية. و معظم هذه الأبواب لها عقود عالية مديبة.

و يستفاد مما جاء في هذا الفصل كذلك ان محيط المسجد الحرام من الخارج كانت تزينه سبع منارات موزعة توزيعا غير متساو عليه،

وهي منارة باب العمرة، ومنارة باب السلام، ومنارة باب علي، وباب الوداع، ومنارة قائد بك، وباب الزيادة، ومنارة السلطان سليمان. ويفهم كذلك ان أبرز شخص بين السدنة في البيت الحرام وأولهم «نائب الحرم» او «حارس الحرم» الذي تحفظ عنده مفاتيح الكعبة المشرفة. وتودع عنده أيضا المبالغ التي يتبرع بها المحسنون الى البيت الحرام، فيوزعها بالاتفاق مع القاضي. ويتم تحت اشرافه اجراء التعميرات والترميمات بصورة مستمرة. ويقول بورخارت ان المصروفات التي كان يصرفها نائب الحرم على شؤون البيت المقدس، بالاتفاق مع الشريف والقاضي، كانت تبلغ حوالي ثلاث مئة كيس.

ويأتي بعد نائب الحرم «أغا الخصيان» الذي يطلق عليه اسم «أغا الطواشين» على ما يقول بورخارت. ويقوم الخصيان او الطواشين بواجبات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٧٦

الشرطة في داخل الحرم الشريف، علاوة على قيامهم بغسل أرضية الكعبة وكنسها يوميا. وكان عدد الطواشين هؤلاء يزيد على الأربعين، وهؤلاء يقدمهم الأمراء والولاة في العادة مع بعض المبالغ هدية للحرم المقدس، كما فعل محمد علي باشا حين قدم عشرة منهم. ويعتبر أغا الطواشين من شخصيات مكة على ما يلاحظ؛ بحيث يكون مخولا بالجلوس مع الشريف والباشا والحاكم. ويحصل الطواشون على مبالغ كبيرة من واردات المسجد الحرام والتبرعات الخاصة التي يقدمها الحجاج، علاوة على ما يصل اليهم من استانبول. ومعظم هؤلاء من العبيد السود، وبعضهم من الهنود.

اماكن مقدسة اخرى

ويخصص بورخارت في رحلته فصلا خاصا لذكر بعض الأماكن والبقع المقدسة التي يقول عنها ان الناس، خلال احتلال الوهابيين لمكة، لم يكونوا يجزؤون على زيارتها او التقدم منها، وان جميع الأبنية او القبب المشادة عليها قد تم تهديمها. وأول ما يذكر من هذه الأماكن «مولد النبي» أو الموقع الذي ولد فيه سيد الكائنات النبي الأعظم صلوات الله عليه. وهو يقول انه وجد العمال يعيدون بناء المبنى الذي كان مشيدا فوقه. وقد وجد حفرة صغيرة في الوسط قيل له انها البقعة التي كانت ام النبي جالسة فيها حينما جاءها المخاض فولدته. والمقول ان المكان كله كان بيت عبد الله بن عبد المطلب والد النبي.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٧٧

ثم يذكر «مولد ستنا فاطمة» أو المكان الذي ولدت فيه الزهراء البتول سيدة نساء العالمين، ويوجد هذا «المولد» على ما يقول بورخارت في بناية حسنة مبنية بالحجر يقال انها كانت بيت أمها خديجة الكبرى، في شارع صغير يسمى «زقاق الحجر». ويؤدي سلم صغير اليه عند الدخول لأنه تحت مستوى الشارع، وتوجد فيه بقعتان محددتان إحداهما ولدت فيها فاطمة الزهراء عليها السلام والثانية كانت تجلس فيها لتدير رحاها وتطحن الحب. ويقول: وفي جناح بالقرب من ذلك توجد حجرة صغيرة، كان يجلس فيها النبي عليه السلام حينما كان جبريل ينزل عليه بالوحي، ولذلك كانت تسمى «قبة الوحي».

ويذكر بعد ذلك «مولد الامام علي» في الحارة المسماة «شعب علي» ويقول بورخارت ان هذا عبارة عن مسجد صغير توجد حفرة في فئانه لتدل على البقعة التي ولد فيها الامام علي بن ابي طالب عليه السلام.

ويشير بعد ذلك الى «مولد سيدنا أبي بكر» الذي يقول انه ضمن مسجد صغير يقع في مقابل الحجر الذي كان يحيى النبي (ص) عند مروره به.

ويقول كذلك ان هذا المكان ليست فيه بقعة خاصة بالذات، لكن ساحته مغطاة بسجادة إيرانية. ويعلق بعد ذلك فيقول ان جميع هذه «الموالد» كانت قد أعيد بناؤها وترميمها بعد اخراج الوهابيين من مكة في تلك الأيام عدا «مولد النبي» الذي كان يجري بناؤه مجددا. وتشارك في سدائه هذه الأماكن المقدسة عدة أسر شريفة.

وقد ألقى بورخارت ان «مولد أبى طالب» فى محله المعلا قد تم تهديمه عن آخره، و هو يتوقع ان لا يعاد بناؤه من بعد ذلك أيضا. كما وجد الوهابيين قد هدموا القبة التى كانت مشيدة على قبر «ستنا خديجة» و لم يعد بناؤه أيضا، مع ان الحجاج و سائر الناس كان من المعتاد ان يزوروه بانتظام، لا سيما فى ايام الجمع صباحا. و يقع هذا القبر فى المقبرة الكبيرة الموجودة فى محله «المعلا» و هو محاط بجدار مربع ليس فيه ما يلفت النظر سوى حجر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٧٨

حفرت عليه آية الكرسى بخط كوفى. و على مسافة غير بعيدة من هذا القبر كان هناك قبر آمنه والدة النبى (ص). و كان مغطى بحجر حفرت فيه بعض الآيات القرآنية بخط كوفى قديم. و مما يذكره عن هذه المقبرة أنه وجد فى نهايه كل قبر من قبورها تقريبا نباتا من نباتات (الصبر) قد زرع ليدل على الصبر الذى يجب ان يتحلى به الموتى قبل ان يبعثوا فى يوم المحشر.

و هناك أماكن كثيرة أخرى خارج مكة يأتى بورخارت على ذكرها و يشير الى قداستها. فيذكر أولا جبل أبى قبيس الذى يقول انه من أعلى الجبال المحيطة بمكة، و هو يسيطر عليها من جهة الشرق. و هناك قمتان فيه يزورهما الحجاج فى العادة، تسمى احدهما «مكان الحجر» و الأخرى تقع عبر واد ضيق على مسافة قصيرة من مكان الحجر و تسمى «مكان شق القمر»، اى المكان الذى يقال ان معجزة شق القمر قد وقعت فيه بعد ان ابتهل النبى الأعظم لله من أجلها لتؤمن به قريش. لكن بورخارت يقول، بعد ان يذكر تفصيلات المعجزة ان هذه لا تستند على رواية صحيحة أو حديث نبوى مسند. و يقول كذلك ان هذه القصص و غيرها مما يختص ببعض الأماكن يلفقها المكيون لا بتراز المال من الحجاج. لكنه يذكر ان مكان شق القمر يخرج اليه أهل مكة عادة لرؤية الهلال فى الأوقات المطلوبة.

و يأتى بورخارت كذلك على ذكر «جبل النور» الذى يقع فى شمال مكة. فيصفه و يقول ان الصعود الى قمته يستغرق ثلاثة أرباع الساعة، و هناك يجد الصاعد قبة صغيرة هدمها الوهابيون يوجد فى ساحتها شق فى الأرض. و المقول ان النبى صعد الى هذا المكان يوما بعد ان ضايقته قريش، و قال له أتباعه المشككون ان الله سبحانه و تعالى قد تخلى عنه. فاختلى فيه و أخذ يناجى الله مبتهلا مستنجدا فتزل عليه جبرائيل بالآية الكريمة «أَلَمْ نُنشِرْ لَكَ صَدْرَكَ ..»، و على مسافة قصيرة من اسفل هذا المكان يوجد «غار حراء» الذى نزلت فيه على النبى (ص) عدة سور قرآنية.

و بعد هذا يشير بورخارت الى «جبل ثور» الذى يقع على مسيرة ساعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٧٩

و نصف من جنوبى مكة، الى يسار الطريق المؤدى الى قرية الحسينية. و هو جبل شاهق توجد فوق قمته مغارة التجأ اليها النبى و أبو بكر قبل ان يهاجرا الى المدينة حينما أخذت قريش فى مكة تضيق الخناق، و تشدد فيه، على محمد (ص) و أتباعه.

الكعبة

تفتح الكعبة، على ما يذكر بورخارت، ثلاث مرات فى السنة فقط:

فى اليوم العشرين من رمضان، و اليوم الخامس عشر من ذى القعدة، و العاشر من محرم الحرام. و يتم ذلك عادة بعد طلوع الشمس بساعة واحدة، بنصب سلم فيما يقرب من الباب الكبير، و حالما يتم ذلك تتدفق عليه جموع المسلمين المحتشدة فى أسفله و سرعان ما تمتلىء بهم داخلية الكعبة نفسها. و يتحتم على الداخل ان يصلى ثمان ركعات، باعتبار ركعتين اثنتين فى كل ركن من أركانها، و ان يبتهل بقرب أحد الجدران فيرتل بعض الأدعية و الكلمات و هو يضغط بوجهه عليه. لكن ذلك يتم فى العادة بكثير من النحيب و ذرف الدموع، و ينطوى على شىء غير يسير من التوبة و الابتهاى بغفران الذنوب.

و يقول بورخارت أنه لم يستطع البقاء هناك أكثر من خمس دقائق لأن حرارة المكان كانت مرتفعة بحيث لم يحتملها، و أوشك ان

يخر مغشيا عليه منها.

لكنه يقول ان الشريف يجلس عادة في المدخل و مفتاح الفضة بيده، يعرضه على الحجاج للتقيل و دفع الرسم المطلوب عند الخروج. و يقدم الحجاج بعض المال الى الطواشي الذي يجلس بقرب الشريف كذلك.

و تبقى الكعبة مفتوحة الى الساعة الحادية عشرة تقريبا، ثم تفتح في الثاني للنساء. و يعقب زيارة داخل الكعبة الطواف حولها من الخارج أيضا.

و بعد ان يصف بورخارت داخلية الكعبة و استارها بما هو معروف يقول ان زيارتها لا تشكل واجبا دينيا على الحجاج الذين يغادر مكة كثيرون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٨٠

منهم من دون ان يفعلوا ذلك. و قد زارها هو مرتين، في يومى ١٥ ذى القعدة و عشرة محرم الحرام، فشهد في المرة الأخيرة ان الستائر الجديدة التي بعث بها محمد على باشا من القاهرة قد علفت، فكان قماشها ثميئا و نسجها أدق من نسج الكسوة السوداء التي تغطي الكعبة من الخارج. اما الستائر القديمة التي كان قد مر عليها أكثر من عشرين سنة، فقد بيعت علنا للمتدنين المتمكنين بسعر ريال واحد لكل قطعة مساحتها ست بوصات مربعة. و هناك مخزن خاص في مقابل باب السلام تباع فيه هذه القطع مع قطع الكسوة الخارجية كذلك. و قد وجد بورخارت ان سترا كانت تصنع من قماش الكسوة، كما وجد في نفس المخزن الذى تباع فيه قطع الكسوة رسوم مكة و المدينة مرسومة فوق الأقمشة و على قطع من الأخشاب فاشترى منها كما اشترى عددا من قناني ماء زمزم.

ملاحظات حول سكان مكة

يلاحظ في رحلة بوخارت التفصيلية انه يخصص ما يزيد على سبعين صفحة منها للتحدث عن سكان مكة و طبقاتهم و طباعهم، مع احوالهم الاجتماعية و الاقتصادية و غير ذلك. و سوف اوردها خلاصة مختصرة جدا عن ذلك.

فهو يقول اولاً- ان سكان مكة يمكن ان يقال عنهم كلهم انهم غرباء و أجنب عنها. لان قبائل قريش الأصلية التي كانت تسكنها قد تفتتت و هاجرت الى الخارج بحيث لم يبق لها ذكر يعتد به في مكة. على ان محيط مكة و ما جاوره ما زال يوجد فيه البعض من تلك القبائل البدوية على الأخص. و قد كانت توجد في مكة على أيام بورخارت ثلاث أسر قرشية معروفة فقط، و كان يرأس إحداها نائب الحرم. اما أكثر طبقات السكان فقد كانوا من أهالى اليمن و حضر موت، و كان يليهم فى العدد أبناء الهنود المستوطنين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٨١

و المصريين و السوريين و المغاربة و الاتراك. و كان هناك أيضا مكيون من أصل إيراني و تاتارى و بخارى و كردى و أفغانى، و من كل بلد مسلم آخر تقريبا.

على ان أقدم السلالات المكية التي بقيت فى مكة كذلك هى سلالة الشرفاء الاصيلين، الذين ينتمون الى الدوحتين الحسنية و الحسينية من ابناء الأمام على بن أبى طالب عليه السلام. ثم يأتى بورخارت على وصف أنواع الشرفاء فى داخل الحجاز و خارجه، و يقول ان تقاسيم الشرفاء فى مكة هى تقاسيم جميلة مقبولة تقارب تقاسيم البدو فى شكلها و لا سيما فى الوجه و العيون و الأنف الأتني.

و بعد ان يصف لباس المكيين بالتفصيل يقول أن معظم الأسر المتوسطة و المتمكنة تقتنى العبيد. و يذكر بالمناسبة ان النبى محمدا (ص) وجد تجارة العبيد الأفريقيين مستحكمة فى بلاد العرب بحيث لم يبذل جهدا لألغائها.

و بذلك ساعد على انتشارها و امتدادها الى الشمال الأفريقي بجميع ما كان يصحبها من قسوة و تعذيب. و الظاهر ان المستر بورخارت غير مطلع على مقدار الجهد الذى بذله الأسلام و المسلمون فى مختلف الادوار التاريخية من أجل تحديد الرق و تقليصه، و أكسابه

الصفة الإنسانية التي لم يكن يحلم بها الغربيون انفسهم، الذين بقى الرق معروفا عندهم بأبشع صورته في انكلترة وفرنسة وغيرهما الى ما قبل مدة من الزمن. ولا نرانا بحاجة الى ذكر ما تنص عليه التعاليم الإسلامية في هذا الشأن، ولا سيما بالنسبة للعتق والاعتراف بنسل النساء العبيد، و أباحة الزواج و ما أشبهه.

و يتطرق بعد ذلك الى اقتناء الجوارى الحبشيات و تزوجهن عند الحاجة، و يقول في هذه الاثناء انه علم من الحلاقين و الأطباء و باعة الادوية في مكة ان عادة الأجهاض منتشرة فيها، و أن الناس يستعملون لهذا الغرض بذور البلمس المكي المعروف.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٨٢

و بعد ان يصف حالة مكة الاقتصادية بأسهاب، و يشير الى مقدار الثروة التي يصبها الحجاج فيها كل سنة، يتطرق الى ذكر الشرور المنتشرة بين المكيين و منها شرب المشروبات الروحية و هو يقول في هذا الشأن ان قدسية المدينة المقدسة، و تعاليم الإسلام الرصينة ليس بوسعها ان تحول دون أقدام المكيين على تناول المشروبات الروحية، و الانهماك بما يتعلق بها من موبقات السكر. فان الأسطول الهندي (البريطاني بطبيعة الحال) يستورد دائما الى الحجاز كميات كبيرة من العرق في براميل. و يباع هذا الكحول، بعد خلطه بالسكر و خلاصة الدارحيني، باسم «ماء الدارحيني»، و يعتاد الشرفاء في مكة و جدة، فضلا عن التجار الكبار و العلماء و جميع الناس المرموقين، على تناول هذا المشروب الذي يقنعون انفسهم بكونه غير محرم لأنه ليس بخمر و لا «براندي». لكن الناس غير الاثرياء لا يستطيعون شراء مثل هذا المشروب الغالي، و أنما يتناولون مشروبا مخمرا يصنع من زبيب الطائف، بينما تشرب الطبقات الفقيرة البوزة. و يقول بورخارت كذلك انه لاحظ خلال مدة وجوده في الطائف ان تركيا من حاشية الخديوي محمد على باشا كان يستقطر البراندي من العنب و يبيعه على ملأ من الناس بسعر اربعين قرشا للقينة الواحدة.

و حينما يكتب بورخارت عن مصرف المكاويين الباذخ يقول ان من بين الاشياء التي ينفقون عليها عادة كثيرا من المال شراء الحبشيات اللواتي يحتفظ بهن الرجال للمتعة، او الصرف على البغايا المتيسرات بكثرة. ثم يتطرق الى ذكر ما يقترفه المكيون، و هو آسف، من أشد انواع الفساد و الفجور كل يوم حتى في داخل الحرم الشريف و هو اقدس مكان عند المسلمين. و هو يسهب في ذكر ذلك، على اننا لا نعرف مقدار الصحة في كلامه و نستهجن ان يعمد رجل مثله الى ذكر هذه السقطات ان وجدت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٨٣

فعلا. لكنه يقول ان هذا موجود في معظم المدن الآسيوية، و في مصر على عهد المماليك. على انه يقول كذلك ان المجتمعات البدوية لا تعرف مثل هذا الفساد. و يتطرق بعد ذلك الى ذكر المشروبات الروحية ايضا، و الى بيعها حتى بالقرب من المسجد الحرام، كما يتطرق الى تدخين «الحشيش» علنا و لعب الورق في كل مقهى من المقاهي العربية على ما يقول، برغم المنع الموجود في القرآن الكريم لجميع انواع القمار.

على انه مع جميع ما يذكره من السيئات يشير الى الصفات الحسنة عند المكيين كذلك مثل السخاء و الكرم، و محبة الغريب و مساعدته، و الامتناع عن السرقة و الغش.

هذا و يتطرق بورخارت الى الناحية العلمية من ناحية مكة ايضا، فيقول ان العلم و تعلمه لا يمكن ان يؤمل ازدهارهما في مكان يفكر فيه الجميع بالحصول على الربح و المغنم أو الجنة. و هو يعتقد ان مكة في يومه ذاك لم تكن في مستوى البلاد الاسلامية الاخرى من هذه الناحية، و حتى من ناحية العلوم الدينية. و يروي عن الفاسي المؤرخ ان مكة كان فيها إحدى عشرة مدرسة في ايامه، بجانب عدد من الرباطات و غيرها. بينما لم تكن توجد و لا مدرسة واحدة تلقى فيها المحاضرات على ما يقول، و ليس فيها مكتبة عامة ملحقة بالحرم الشريف أيضا. و مع عدم اهتمام المكيين بالكتب و التعلم فأن لغة مكة، على ما يقول بورخارت، ما تزال اكثر نقاء و رقة في اللفظ و التركيب، من لغة أي مكان آخر يتكلم أهله العربية في العالم.

فهى تقرب من العربية القديمة المدونة، و خالية من التحريف و الاعوجاج.

و هو لا يعتقد ان اللغة العربية كانت آخذة بالانحطاط يومذاك.

و لا ينسى الموسيقى العربية التي يقول أنها لا تمارس في مكة كما تمارس في غيرها من البلاد العربية و لا سيما في مصر و سورية. و ليس هناك من الآلة سوى الربابة و الناي و الطنبور. و لم يسمع الاذان و هو يردد من فوق المنائر في مكة بمثل التأثير الذي يحدثه خلال الليل في مصر و سورية. و يذكر بالمناسبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٨٤

ان الشريف كانت له في مكة جوقه موسيقية خاصة، مثل جوقه الباشوات، تعزف على بابه مرتين في اليوم. كما يذكر ان المغنيات المحترفات يحضرن في حفلات الاعراس فيغنين بأصوات رخيمة رقيقة و يرقصن. و قد سمع من المكيين ان الغناء كان يسمع خلال الليل في كل شارع قبل استيلاء الوهابيين الأول على مكة.

حكومة مكة و الشرفاء

كانت مكة و الطائف و قنفذة و ينبع على ما يقول بورخارت تابعة لشريف مكة قبل ان يحتلها الوهابيون، و المصريون من بعدهم، في اوائل القرن التاسع عشر. و قد مدد الشريف نفوذه الى جدة، لكنها بقيت منفصلة عن ممتلكاته اسميا لأنها كان يحكم فيها باشا ينتدب لحكمها من استانبول فيقتسم وارداتها مع الشريف. و كان الشريف يتربع على دست الحكم في مكة بالقوة عادة، او بنفوذه الشخصي و موافقة أسر الشرفاء القوية، ثم يحكم باسم السلطان الذي يؤيد في العادة من يستطيع الحصول على المنصب. و لذلك كان الشريف في كل سنة يتلقى خلع السلطان الواردة من استانبول بصحبة القفطانجي باشي، فيعد في مقدمه باشوات الامبراطورية. و حينما كانت سلطة الباشوات في جدة تصبح شيئا اسميا فقط، و يكون المسؤولون في الباب العالي عاجزين عن تجهيز جيوش كبيرة تصحب موكب الحج المتوجه في كل سنة الى الحجاز، كان شرفاء مكة الحاكمون يصبحون مستقلين غير عابئين بالاوامر التي كانت تصدر لهم من استانبول، برغم احتفاظهم بلقب خدام السلطان و تسلمهم الخلع السنوية و اعترافهم بالقاضي الذي كانت تعيينه استانبول. غير ان محمد علي باشا استعاد سلطة العثمانيين على الحجاز كلها، و اغتصب السلطة من الشرفاء.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٨٥

و يعلق بورخارت في حاشية له على ذلك بقوله ان حكومة الحجاز كثيرا ما كانت تكون موضع نزاع بين خلفاء بغداد و سلاطين مصر و أئمة اليمن. فقد كان شرف املاك البلاد المقدسة، و لو بصورة اسمية، هو الذي تتنافس عليه الجهات المختلفة برغم التكاليف الباهظة التي كانت تصحب ذلك في كثير من الاحيان. و جل ما كانت تحصل عليه هو حق تجهيز الكسوة للكعبة، و ذكر الأسم في صلاة الجمعة في المسجد الحرام. و لقد انتقل النفوذ الذي كانت تمارسه مصر على مكة في هذا الشأن منذ بداية القرن الخامس عشر للميلاد الى سلاطين آل عثمان في استانبول بعد ان استولى السلطان سليم الأول على مصر نفسها.

و بعد ان يأتي بورخارت على تاريخ الكثيرين من الشرفاء و اعمالهم، و لا سيما الشريف سرور و الشريف غالب، يبدأ بوصف لباسهم و مواكبتهم عند الخروج للصلاة و غيرها، و يذكر بالمناسبة ان الوهابيين حينما احتلوا مكة أجبروا الشريف على الخروج ماشيا الى المسجد الحرام في أوقات الصلاة بحجة ان الركوب و الفخفة لا يناسبان الخشوع و الورع الذي يجب ان يبديه الحاج او المصلي بجوار الكعبة، و لكن الشريف غالبا حينما كان يمسك حكومة مكة بيد من حديد كان يجبر الباشوات المرافقين لموكب الحج على الاعتراف بأقدميته في جميع المناسبات. و قد أشاع في أنحاء الحجاز بأنه كان أعلى من أي موظف في الباب العالي، و حتى السلطان نفسه في استانبول كان يجب عليه ان ينهض له و يحييه.

و قد كان من عادة الشرفاء المقيمين في مكة منذ القدم ان يبعثوا بأولادهم الذكور للعيش و النشوء بين القبائل البدوية خارج مكة، منذ اليوم الثامن لولادتهم، و يبقوا هناك مدة تقارب العشر سنوات او حتى يكون بوسعهم ركوب الخيل و الجياد. و لا يؤتى بالولد الى

اهله خلال تلك المدة، الا بعد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٨٦

ان يبلغ الشهر السادس من عمره ليره. و ليس هناك رجل من الشرفاء، فقيرا كان أم غنيا، لم يقض طفولته او ينشأ بين القبائل البدوية مدة من الزمن.

وقد كان من المعتاد ان ينشأ أبناء الشرفاء الحاكمين عند قبيلة عدوان المعروفة ببسالتها و سخاء أبنائها. و كان عثمان المضايقي، الرئيس الوهابي الذي استخدمه الأمير سعود في إخضاع الحجاز من شيوخ هذه القبيلة بالذات، فتزوج الشريف غالب أخته. اما الشرفاء الآخرون فقد كان أبناؤهم ينشأون في مضارب هذيل و ثقيف و بنى سعد و حرب و غيرهم. و يقول بورخارت ان الشرفاء يحصلون على الكثير من الفوائد عندما ينشأون هذه النشأة البدوية الخالصة، فهم لا يحصلون على بنية قوية و حسب و انما يحصلون أيضا على شيء غير يسير من النشاط و الحرية في التصرف و الشجاعة التي يعرف بها أبناء البادية، علاوة على الاهتمام الزائد الذي يولونه للسخاء و الضيافة و الايمان بالعقيدة الحققة.

غير ان بورخارت يقول ان المكيين يشككون كثيرا في نزاهة الشرفاء و استقامتهم، ثم يذكر ان القسم الأعظم من شرفاء مكة نفسها و خاصة الشرفاء الحاكمين من ذوى زيد يحتمل جدا ان يكونوا من الزيدية الذين يكثر أتباعهم في اليمن و لا سيما في جبال صعده، لكن الشرفاء يكذبون ذلك و يتمسكون بالمذهب الشافعي الذي يتمذهب به سكان مكة معظمهم، أما الشرفاء المقيمون في الخارج فلا ينكرون ذلك. و يعتقد بورخارت ان الزيود ينقسمون الى فرق مختلفة، و يرجع زيود مكة و اليمن الى مؤسس المذهب الامام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين الذي يرجع بنسبه الى الامام الحسن ابن علي عليه السلام. و كان قد ولد في الرص من أعمال القصيم في سنة ٢٤٥ هـ، و أعلن عقيدته لأول مرة في صعده باليمن سنة ٢٨٠ هـ، فحارب العباسيين و استولى على صنعاء، ثم أخرج منها، و حارب القرامطة فمات مسموما في صعده سنة ٢٩٨ هـ. و هناك من يرجع نسب الزيدية الى زيد بن علي زين العابدين، الذي قتل في الكوفة سنة ١٢١ للهجرة بأمر من هشام بن عبد الملك الأموي.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٨٧

و يتطرق بورخارت الى ذكر القاضى الذى كانت العادة ان يتعين من استانبول، فيقول ان الأباطرة العثمانيين كانوا يتوخون من ذلك الحيلولة دون استبداد الشرفاء بالناس و التأثير على شؤونهم العديلة. غير انه يذكر ان الناحية العملية تجعل ذلك شيئا غير ممكن، فان القاضى لا بد من ان يخضع للحاكم المحلى الذى يترك للحكم كما يشاء بشرط ان يبعث الواردات المطلوبة منه الى الباب العالى. و لذلك لم يكن بوسع الفرد ان يحصل على حقوقه فى المحاكم ما لم تدعمه الحكومة أو يدفع رشوة الى المسؤولين. و على هذا فان وظيفة القاضى لم تكن تمنح الا بالبيع لأعلى المتزايدين على ان يكون مفهوما بأنه يسمح له بأن يعوض ما دفعه الى المسؤولين خلال مدة عمله.

و بتأتى دخل الشريف فى الغالب عن رسوم الكمارك التى تدفع فى جدة، و كانت هذه تقسم بينه و بين الباشا التركى فيها، ثم تسنى للشرفاء المتأخرين قبل استيلاء محمد على باشا على الحجاز ان يستأثروا بها كلها حتى جاء الخديوى المذكور فصارت تؤخذ اليه بأجمعها. و يقال ان الشريف غالبا حينما استقل بالحكم و عظمت سطوته كانت عنده ثمانى سفن كبيرة تشتغل فى تجارة البن ما بين اليمن و جدة و الموانىء المصرية، و حينما كان يجد صعوبة فى بيع ما عنده من هذه السلعة كان يجبر التجار على شراء شحناته منها بسعر السوق. كما كانت اثنتان من سفنه الكبيرة تقوم كل منهما بسفرة سنوية الى جزر الهند الشرقية، و كانت السلع التى تأتى منها تباع الى الحجاج فى مكة أو يشتريها تجار جدة مقاسمة بالقوة. هذا فضلا عن سائر الرسوم التى كانت تفرض على المأكولات و الحيوانات و ما أشبه. و لذلك كانت الواردات السنوية تبلغ فى أيام الشريف غالب فى مكة حوالى ثلاث مئة و خمسين ألف باون استرلينى.

و في الجزء الثاني من رحلته ، يخصص المستر بورخارت فصلا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٨٨

كبيراً للحج و مناسكه و جميع ما يختص به من شؤون. و أول ما يبدأ به هو الإشارة الى ان المسلمين قد قلت حماسهم لتأدية الواجبات الدينية المفروضة عليهم في تلك الأيام، و من جملتها الحج الذي أصبحت تكاليفه الباهظة على الكثيرين من المسلمين تحول دون تجشمهم المصاعب من أجله.

و صار قسم كبير منهم ينيب غيره للحج عنه بالأجرة، إذا لم يترك الأمر بالكلية أو يماطل به.

و يشير بعد ذلك الى ان عدداً غير يسير من المسلمين كانوا قد وصلوا الى مكة قبل موعد الحج بثلاثة أو أربعة أشهر، لأن تقضية رمضان المبارك في البلد المقدس فيه كثير من الأجر و الثواب. ثم يأخذ بوصف مواكب الحجاج و قوافلهم التي تأتي من البلاد الاسلامية المشهورة، و لا سيما سورية و مصر. فيقول ان موكب الحج القادم من سورية كان على الدوام من أقوى الموكب، منذ كان الخلفاء يصحبون الحجاج بأنفسهم من بغداد. و يبدأ الموكب الشامي في العادة بالتحرك من الأستانة فيجمع في طريقه حجاج المدن و البلاد الأناضولية و السورية حتى يصل الى دمشق الشام، حيث يمكث عدة أسابيع. و في خلال الطريق الممتد من الأستانة الى الشام كله تؤخذ التدابير اللازمة للمحافظة على سلامة القوافل و ما فيها من حجاج، و تصحب الموكب من بلدة الى أخرى قوات مسلحة يجهزها الحكام المسؤولون. و في كل محطة أو خان كان يجد الحجاج البرك و الأحواض العامة من الماء التي كان السلاطين القدماء قد أنشأوها لراحتهم و العناية بهم، و يقابلون بمظاهر البهجة و الفرح في كل مكان. و قد كان كل موكب من مواكب الحج يضم عدداً كبيراً من الحيوانات، لا سيما الابل، برغم العدد القليل من الحجاج الذين كانوا ينضمون الى الموكب في بعض الأحيان. ففي ١٨١٤ لم يكن عدد الحجاج في الموكب الشامي ليزيد على خمسة آلاف حاج على ما يقول بورخارت، لكن عدد الابل كان يبلغ خمسة عشر ألف بعير. و هنا يذكر في الحاشية بعض الروايات التاريخية المنسبة، فيقول نقلاً عن الفاسي المؤرخ أن والده

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٨٩

المستعصم بالله، آخر خلفاء بني العباس، حجت سنة ٦٣١ هـ و كانت قافلته تتألف من مئة و عشرين ألف بعير. و حينما حج سليمان بن عبد الملك الأموي سنة ٩٧ هـ استخدم تسع مئة بعير لنقل لوازمه و أغراضه فقط. ثم يذكر علاوة على ذلك ان الخليفة المهدي صرف حينما حج في سنة ١٦٠ هـ ثلاثين مليون درهم، كما أخذ أبو المعالي الملك الناصر سلطان مصر حينما حج في سنة ٧١٩ هـ خمس مئة بعير لحمل الحلويات و بعض الأطعمة فقط، مع مئتين و ثمانين بعيراً لحمل الرمان و اللوز و سائر الفواكه. و كان في جملة ما أخذه للأكل ألف وزه و ثلاثة آلاف دجاجة. هكذا جاءت رواية بورخارت عن المقرئ، لكننا حينما رجعنا الى النص الأصلي وجدناه يقول (.. و جهز من الشام خمس مئة جمل تحمل الحلوى و السكر و انات و الفواكه، و حضرت أيضاً حوائج خاناه على مائة و ثمانين جملاً- تحمل الحب رمان و اللوز و ما يحتاج اليه المطبخ، سوى ما حمل من الحوائج خاناه من القاهرة، و جهز الف طائر أوز و ثلاثة آلاف طائر دجاج).

و كان الموكب الشامي على انتظام تام في سيره و سائر شؤونه، فان باشا الشام او من ينيبه من ضباط كان يرأسه على الدوام، فيعطى الإشارة في الحل و الترحال باطلاق الرصاص. و تتقدم الموكب في الطريق ثلثه من الخيالة، كما تسير خلفه ثلثه أخرى لرعاية المتخلفين. و يجتمع في ضمن الموكب الحجاج القادمون من المدن المختلفة في جماعات تسير سوية على طول الطريق.

و يتعاقد الحجاج عادة مع أحد المقيمين و هو يتعهد بتجهيز الدابة الى الحاج مع سائر ما يحتاج اليه خلال السفر. و لذلك يلاحظ كل عشرين او ثلاثين حاجاً مع مقومهم الخاص الذي يهيء لهم الخيم و يجهز الخدم فيوفر على الحجاج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٩٠

أتعاب السفر، ولا سيما بتحضيره شؤون الطعام و القهوة و الماء و ما أشبه لهم. و لقد كانت أجرة الحاج عند المقوم في ١٨١٤ مع أعاشته تبلغ مئة و خمسين ريالاً من دمشق الى المدينة، و خمسين ريالاً من المدينة الى مكة.

و كانت تشعل المشاعل في الليل، و تقطع المسافات اليومية ما بين الثالثة بعد الظهر و بعد مرور ساعة او ساعتين على موعد طلوع الشمس من اليوم التالي. لكن البدو الذين يحملون الذخيرة يسرون خلال الليل فقط متقدمين القافلة. و كان يوجد في المحطات التي تتزود فيها القافلة بالماء حصن كبير مع حوض واسع من الماء ترد منه الجمال. و كانت ترابط في كل حصن حامية تتألف من عدد قليل من الجنود الذين يقون فيها خلال السنة كلها.

و في مثل هذه الحصون كان يلتقى شيوخ البدو بالقوافل فيأخذون الأجور المعتادة. و لا تبعد المحطات بعضها عن بعض أكثر من مسيرة اثنتي عشرة ساعة عادة.

اما قوافل الحج المصريين و موكبهم فتسير على نفس النظام الذي تسير عليه القوافل السورية، لكنها نادرا ما تساويها في العدد لأنها تتألف من الحج المصريين فقط الى جنب الحرس العسكري. و يكون طريقها على جانب أكبر من الخطر و المشقة، لأن الطريق الممتد على سواحل البحر الأحمر يمر من ديرات قبائل شرسة قوية الشكيمة كثيرا ما تحاول قطع الطريق على القوافل بالقوة. و كان الموكب المصري في ١٨١٤ يتألف من العند المرافق للمحمل و حاشيته مع بعض الموظفين الرسميين، لأن جميع الحج المصريين فضلوا الحج عن طريق السويس و في ١٨١٦ رافق موكب الحج عدد من وجوه مصر و سرانها، و قد جاء أحدهم بمئة و عشرة جمال لتحمل عفشه و حاشيته، مع ثمانى خيم كبيرة. و لا بد من ان تكون نفقات سفره قد بلغت حوالى عشرة آلاف دينار. وكان مع الموكب أيضا حوالى خمس مئة فلاح مع نسائهم من مصر السفلى. و هؤلاء لا يبالون عادة بمشاق السفر و أخطاره في البادية و البحر الأحمر. و الغريب ان بورخارت يقول انه شاهد معهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٩١

جماعه من البغايا و الراقصات، و ان خيم اولائى النسوة كانت أجمل خيم الموكب و أكثرها زينة و تزويقا.

و يقول بورخارت كذلك ان موكب الحج الايرانى الذى كان يخرج من بغداد فى سالف الأيام، فيأتى الى مكة عن طريق نجد، قد انقطع مجيئه حينما أوقف الوهابيون مجيء الموكب الشامى من سورية. و بعد ان عقد الأمير عبد الله بن سعود صلحا مع طوسون باشا (بن محمد على) فى ١٨١٤ كان العدد القليل من الحج الايرانيين القادمين عن طريق البر قد عبروا من بغداد الى الشام و ساروا مع الموكب الشامى بصحبة عكامين من بغداد.

و من الجدير بالذكر، على ما يقول بورخارت، ان الايرانيين لم يكن يسمح لهم على الدوام ان يأتوا الى مكة. فبعد ان أعيد بناء الحرم الشريف فى ١٦٣٤ أمر السلطان مراد الرابع بأن لا يسمح لأى ايرانى من «شيعه على» بتأدية الحج او الدخول الى بيت الله الحرام. فبقى التحريم ساريا عدة سنوات، غير ان المال الذى بذله الايرانيون سرعان ما فتح الطريق أمامهم الى الكعبة و عرفات.

و قد توقف مجيء الموكب المغربى للحجاج مدة سنين عديدة، و أصبح قدومهم على دون هدى او انتظام. و كان من المعتاد أن يرأس الموكب قريب من أقرباء ملك مراكش، فيسير مسيرات بطيئة نحو تونس و طرابلس و يجمع الحجاج فى طريقه من كل منطقة. و يسلك هذا الموكب من طرابلس الطريق الممتد على ساحل البحر الى درنة، و من هناك يسير مع الساحل المصرى الى القاهرة عن طريق الاسكندرية. و لا يرافق هذا الموكب الا عدد قليل من الجند لأن الحجاج يكونون مسلحين تسليحا حسنا فى العادة. و يقول بورخارت انه شاهد مع هذا الموكب جماعة صغيرة من عرب دراع النازلين جنوبى شرقى جبال الأطلس، و كان أحدهم من بدو الشلوخ الذين كانت منازلهم حينما تركهم تقع على مسيرة عشرين يوما من تمبكتو. و يوجد مع موكب الحجاج المغاربة عادة أناس من أهالى جزيرة جربا الذين يعتقد أنهم شيعه من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٩٢

الامام على كما يقول بورخارت. و كثيرا ما يبقى البعض من هؤلاء في القاهرة حيث يسكنون في حارة تسمى تيلون. Teyloun و المعتقد ان عدد حجاج المغرب كان يبلغ حوالى ألفى حاج فى تلك الأيام.

و كان يأتى من اليمن موكبان للحج عن طريق البر من قبل، و كان أحدهما، و يسمى الكبسى، و يتحرك من صعده فيسير فى المناطق الجبلية الى الطائف و منها الى مكة. اما الموكب الثانى فقد كان يتألف من حجاج يمانيين مع حجاج ايرانيين و هنود يصلون فى العادة الى موانئ اليمن. و قد أبطل هذا الحج فى ١٨٠٣، بعد ان كان من المواكب الغنية بالسلع المختلفة و البن، و بعد ان كان يرأسه أئمة اليمن. و قد كان لهذا الموكب، كما كان لغيره، مكان خاص فى مكة المكرمة ينزل فيه، و قد خصص له حوض حجرى كبير للماء. و يذكر بورخارت فى هذا الشأن أن كثيرا من الحجاج الأتراك كانوا يأتون بجماعات عن طريق مصر فى أواخر عهد المماليك، حينما كانوا يسيطرون على مصر العليا فقط بينما كان محمد على باشا يسيطر على مصر السفلى. و كثيرا ما كان هؤلاء المماليك يعتقدون على الحجاج الأتراك و يرتكبون أنواع الفظاعات تجاههم، و من جملة ما يذكر ان وحشا يونانيا من أصل يهودى يدعى حسن بك اليهودى كان يشتغل مع المماليك، و كان يفتخر بأنه قتل وحده حوالى خمس مئة من أولئك الحجاج المساكين. و كانت هذه المذابح الوحشية هى التى قدمت للخديوى محمد على باشا حجة للغدر بالمماليك و القضاء عليهم فى قلعة القاهرة المعروفة. اما الحجاج الباقون فيأتون الى مكة عن طريق البحر من اليمن و جزر الهند الشرقية، و هؤلاء هم مسلمو الهند و كشمير و كجران و الايريانيون القادمون عن طريق الخليج و العرب من البصرة و مسقط و عمان و حضر موت فضلا عن القادمين من سواحل مليندا و موباسا الذين يطلق عليهم «السواحليون» و يأتى مسلمو الحبشة و سائر بلاد العبيد بالطريق نفسها كذلك.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٩٣

و يلاحظ من بعض ما يكتبه بورخارت فى الرحلة انه ربما كانت له علاقة بالاستخبارات البريطانية فى تلك الأيام. فهو يقول ان وصول الغرباء من جميع أنحاء العالم الاسلامى، أى من تمبكتو الى سمرقند و من بلاد الكرج الى بورنيو، تجعل جده مكانا ممتازا جدا للأوربيى المسافر المعنى بجمع الأخبار و حب الاستطلاع. فهو بتقديمه المساعدة للحجاج الفقراء، و صرف مبالغ زهيدة لتجهيزهم بالمؤن، يمكنه ان يجتذب اليه عددا كبيرا فيستطيع بهذه الوسيلة جمع معلومات كثيرة تختص بأبعد البلاد المعروفة فى أفريقيا و آسيا. ثم يصف بورخارت وصول الموكبين الشامى و المصرى، و يذكر بمناسبة وصول الموكب المصرى ان محمد على باشا كان مقيما فى الطائف يومذاك، للاشراف على الحملة المصرية المجردة ضد الوهابيين، و قد وصل لتفتيش القوة التى وصلت مع المحمل فسّر بها لأنها زادت فى أمله بالتغلب على الوهابيين.

و هو يقول ان محمد على كان يلف جسمه بأقمشة الأحرام الجميلة المصنوعة من الشال الكشميرى، لكن أحد الضباط كان يحمل فوق رأسه (رأس محمد على) شمسية تقيه حر الشمس فى أثناء سيره.

و يأخذ بورخارت بوصف مناسك الحج بالتفصيل، مما أتينا عليه قبل هذا فى هذا المبحث فى مناسبات عدة من قبل. على أننا لا بد من ان نذكر هنا انه قدر عدد الحجاج الذين وقفوا فى عرفات (سنة ١٨١٤) بسبعين ألف حاج. و قد كان مخيم الحجاج هناك يبلغ طوله بين ثلاثة و أربعة أميال، و عرضه حوالى الميلىن. و هو يقول فى هذا الشأن أنه ليس هناك على وجه الأرض بقعة فى مثل هذا الحجم الصغير يقف عليها مثل هذا العدد من الناس الذين يتكلمون بهذا العدد الكبير من اللغات و اللهجات. و يقول كذلك أنه شخصا لاحظ وجود أربعين لغة بين الحجاج، و أنه كان هناك عدد آخر من اللغات الأخرى بطبيعة الحال. و يذكر بمناسبة ذكر المحمل المصرى نقلا عن المقرزى ان الظاهر يبرز البندقدارى سلطان مصر كان أول من بعث بالمحمل سنة ٦٧٠ للهجرة. و منذ ذلك الوقت فصاعدا أخذ سلاطين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٩٤

المسلمين الذين يبعثون بمواكب الحج الى مكة المكرمة يعتزون بارسال محمل من عندهم و يعتبرون ذلك دليلا حيا على ولائهم

للاسلام و المسلمين. فجاء أول محمل من اليمن في ٩٨٠ هـ، و في ١٠٤٩ هـ جاء المؤيد بالله امام اليمن الزيدى و ملكها مع المحمل بنفسه الى عرفات. كما كانت المواكب القادمة من بغداد و دمشق و القاهرة تأتي كل منها بمحملة الخاص من قبل. و قد جىء في سنة ٧٣٠ هـ بمحمل بغداد محملا على فيل خاص الى عرفات.

و يقول بورخارت في آخر بحثه عن الحج ان بعض الحجاج كانوا يتوقون الى الحصول على لقب «خادم المسجد» الذى يمكن الحصول عليه بعد دفع حوالى ثلاثين ريالاً. إذ تعطى لقاء ذلك ورقة تنص على منح الحاج اللقب يوقعها الشريف و القاضى. و قد يستطيع فى بعض الأحيان حتى النصارى الحصول على امتياز «خادم المسجد»، و هذا ما يحاول الحصول عليه بوجه خاص سكان جزر الأرخييل اليونانى لأنهم عندما يصادف وقوعهم فى أيدي القراصنة من المغاربة الذين يعترف أشدهم بأسا وقوة بهذه الشهادة يستطيعون التخلص منهم. و يذكر بورخارت أنه شاهد قبطانا يونانيا حصل على مثل هذه الشهادة بعد ان دفع ما يقرب من مئتى ريال لقاءها. فقد كان يقود سفينة من سفن محمد على باشا و هو فى طريقه الى بلاده، فوجده مطمئنا جد الاطمئنان لأنه يستطيع بهذه الشهادة أن يقود أية سفينة كانت من دون ان يخشى خطر القراصنة المغاربة عليها. و لقد كان هذا اللقب فى قديم الزمان له أهمية كبيرة، لكنه لم تعد له فى أيام زيارة بورخارت للحجاز أهمية تذكر.

السر ريتشارد بورتون

إشارة

و اذا كان المستر بورخارت لم يستطع فى بعض الأحيان القيام بجميع مناسك الحج و تفاصيله على الوجه الأكمل، فقد استطاع السر ريتشارد بورتون ان يفعل ذلك بعده بأربعين سنة من دون أن يكتشف أمره على الاطلاق. و كان الفضل فى ذلك يعود الى اتقانه التخفى، بعد ان تعلم العربية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٩٥

و الفارسية و التركية، و اتقن تعلم الفروض الدينية المعروفة عند المسلمين. و قد استعد لذلك قبل ان يقدم على رحلته المخطرة بأشهر عديدة و اتخذ جميع التدابير اللازمة للقيام بمهمته خير قيام، و من جملة ذلك أنه عمد الى الاختتان، و هو يومئذ فى الثانية و الثلاثين من عمره، و قد جرب علاوة على ذلك تأثيرات الصبغات المختلفة فى جلده و مظهره، و تعلم التنميل و استعمال الرمح و ما أشبهه. و كان بورتون من موظفى شركة الهند الشرقية، المعروفة، و بعد ان اشتغل عدة سنين فى دوائرها فى الهند حصل على رخصة طويلة الأمد من الشركة و اتصل بالجمعية الجغرافية الملكية فى انكلترا لتساعده ماليا فى مهمته التى تنطوى على الدخول الى جزيرة العرب و الحجاز على الأخص، ثم الوصول الى مكة المكرمة فى موسم الحج للكتابة عنها بالتفصيل. فتوفى فى ذلك، و بعد ان أكمل الاستعدادات جميعها أبحر من انكلترا الى الاسكندرية فى اليوم الثالث من نيسان ١٨٥٣ باسم المرزا عبد الله من بوشهر. و يقول سيتون ديردون مؤلف كتاب «الفراس العربى» أنه قبل ان يتوجه الى مهمته علم أن رحالة انكليزيا يدعى والين Wallin كان قد تمكن من الدخول الى مكة و الحج مع الحجاج فى ١٨٤٥، لكنه لم يستطع تدوين شىء عما فعل و رأى لأنه كان خائفا على حياته و خاصة بعد ان لاحظ ان اثنين من اليهود قد أكتشف أمرهما فى مكة تلك السنة فقتلها الحجاج الهائجون شنفا. فقرر ان يستفسر منه عن أشياء كثيرة قبل ان يقدم على الاضطلاع بمهمته، و كتب له بذلك.

لكن كتابه لم يصل الى والين الا بعد أن كان قد توفى. و لذلك عمد الى دراسة ما كان قد كتبه بورخارت قبله من تفصيلات فدرسه دراسة مستفيضة.

و استعد للرحلة على ضوء ما جاء فيها.

و بعد ان بدل هويته و جنسيته عدة مرات في مصر، و في الطريق الذي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٩٦

أخذه منها الى ينبع فالمدينة المنورة، وصل مدينة الرسول سالما غانما و استقر فيها باعتباره أحد الحجاج الأفغان. و بعد ان أطلع على ما في المدينة و أماكنها المقدسة توجه مع موكب الحج الشامي الى مكة في يوم ٣١ آب ١٨٥٣. و بعد ثمانية أيام متعبه وصل الموكب بالآفة السبعة من الناس الى أم القرى. و يقول بورتون عن مكة حينما وصلها لأول مرة انه لم يجد فيها ذلك الجمال الرشيق المتناسق الذي يتجلى في آثار اليونان و ايطالية، و لا الفخامة البربرية المتجلية في أبنية الهند، و مع هذا فقد كان المنظر غريبا فريدا في بابه بالنسبة اليه. و يقول كذلك «.. و يمكنني أن أقول حقا انه من بين جميع الحجاج الذين كانوا يتعلقون بأستار الكعبة و هم سيكون، أو يضغظون بقلوبهم النابضة على الحجر، لم يكن هناك أحد في تلك اللحظة أشد شعورا و أطفى عاطفة من الحاج القادم من بلاد الشمال. فقد بدا لي كأن أساطير العرب الشعرية جميعها كانت تنطق بالصدق، و كأن أجنحة الملائكة الخفاقة، و ليس نسيم الصباح العذب، كانت هي التي تحرك الكسوة السوداء التي تجل الكعبة المقدسة. لكنني لا بد لي من أن اعترف اعترافا متواضعا بأن عاطفة أولئك الحجاج المتدفقة كان مبعثها الحماسة الدينية، أما عاطفتي فقد كان مبعثها نشوة الكبرياء المطمئن.»

و قد كتب السر ريتشارد بورتون. هذا عن زيارته الى المدينة و مكة بتفصيل مسهب استغرق مجلدين كبيرين لكن الملاحظ ان الرحالة الموما اليه كتب عن جميع ما دونه سلفه بورخارت، و لكن بطريقة مختلفة و تعليقات لا- تشبه تعليقات بورخارت في كثير من المناسبات. غير ان الوصف العام لا يختلف عند الاثنين اختلافا جوهريا، و لذلك نكتفي هنا بما سبق أن ذكر بشيء من التفصيل عن بورخارت، لكننا سنورد شيئا عما كتبه بورتون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٩٧

عند دخوله الى داخل الكعبة لأن بورخارت لم يذكر كثيرا عن ذلك.

في داخل الكعبة

فهو يقول: .. و كان جمهور من الناس قد احتشد حول الكعبة، و لم أكن راغبا في ان أقف حاسر الرأس حافي القدمين في شمس أيلول.

فصاح أحدهم يقول افتحوا الطريق للحاج الذي يريد ان يدخل البيت، و عند ذاك أفسح المتجمهرون الطريق .. و تقدم رجلان قويان من أهالي مكة كانا يقفان تحت الباب المرتفع، فرفعاني بأذرعهما بينما سحبي رجل ثالث من أعلا الى داخل المبنى. فحياني في المدخل عدد من خدام الكعبة و هم من المكيين سمر البشرة الذين كان أشدهم سمره و بساطة شاب من أسرة بني شيبه سدنه الكعبة. و هؤلاء يحتفظون بمفاتيح البيت عندهم، و كان رئيسهم يوم زرت مكة الشيخ أحمد. و كان في يد ذلك الشاب مفتاح مذلاج الكعبة المطلى بالفضة، و سرعان ما جلس على مسطبة خشبية في ركن الكعبة الأيسر و ابتدرني بالسؤال رسميا عن اسمي و قوميتي و تقصيلات أخرى. و لما كانت أجوبتي وافية بالمرام أمر الفتى محمدا الذي كان يصحبنى بأن يقودني حول المبنى و يرتل أمامي الصلاة. و لا- أنكر أنني حينما نظرت الى الجدران الخالية من الشباييك، و لا- حظت وجود السدنة بالباب، و جمهور المتعصبين الهائجين في أسفل الكعبة، شعرت و كأني فأرة في المصيدة. على ان ذلك لم يمنعني عن ملاحظة ما كان يحيط بي بدقه خلال صلاتنا الطويلة، و رسم مخطط تقريبي بقلم الرصاص فوق قماش احرامى الأبيض.

فلم يكن هناك شيء أبسط من داخلية هذا المبنى الشهير. فان التبليط المساوي لمستوى الأرض يتألف من قطع من المرمر البديع بألوانه المختلفة التي يكثر فيها الأبيض. اما الجدران فان جميع ما كان ظاهرا منها كان مبنيا بالمادة نفسها. لكن القطع كانت غير منتظمة في شكلها، و كثير منها مكتوب بكتابات طويلة. و كانت الاقسام العليا من الجدران، و السقف الذي كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٩٨

النظر اليه يعتبر ضرباً من عدم الاحترام، مغطاة بالدمقس الأحمر المورّد بالذهب، و الذي كانت حاشيته ترتفع الى علو ست أقدام عن الأرض لتكون بعيدة عن أيدي الحجاج. و كان السقف المنبسط يستند على دعائم مستعرضة ثلاث، تستند هي بدورها على الجدارين الشرقي و الغربي و تحملها في الوسط ثلاثة أعمدة يبلغ قطر كل منها حوالي عشرين بوصة، و هي مغلّفة و مزينة بخشب الند المحفور. و يوجد في الركن العراقي باب صغير يسمى «باب التوبة»، يؤدي الى ممر ضيق ينفذ الى سلم يستعمله الخدم في الصعود الى السطح، و لا يفتح الا عند الحاجة. و يشغل الركن «الأسود» او «الأسعد» صندوق مسطح القبة مصلع الشكل توضع فيه أحيانا مفاتيح الكعبة نفسها.

و يصنع الباب و الصندوق معا من خشب الند. و تمتد ما بين الأعمدة، على تسع أقدام من الأرض عوارض معدنية لم استطع الاهتداء الى نوعية معدنها، يعلق منها عدد غير يسير من المصابيح التي يقال أنها من ذهب.

و مع عدم وجود عدد كبير من الناس و الخدم في داخل الكعبة فان الجدران الحجرية الخالية من الشبايك، و الأبواب الضيقة فيها، تجعل منها شيئاً أشبه بسجن البندقية. إذ يتساقط العرق من الأجسام في داخلها بقطرات كبيرة، و قد ساورني الرعب حينما فكرت بامتلائها بالمتعصبين المتدافعين من الناس. و كانت شعائر العبادة تنطوي على الصلاة بركعتين، و الابتهاج لمدة طويلة، في الركن الشامي (الغربي) و الزاوية العراقية (الشمالية)، و اليمانية، و أخيراً تجاه الثلث الجنوبي من الجدار الخلفي. و هنا يقول بورتون ان بورخارت قد أخطأ حينما ذكر ان الصلاة تتم «في كل ركن» من الأركان الأربعة. «و بعد ان انتهينا من هذا كله عدت الى الباب حيث يتم الدفع ..»

الكسوة

.. و قد كانت الكعبة مبرقعة بكسوتها الجديدة حينما دخلنا فيها. على أن الكسوة كانت مرفوعة من السقف بالحبال بدلا من ان تكون مشدودة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٢٩٩

بالحلقات في أسفلها. و قد كانت مصنوعة من قماش أسود لامع. و كان الحزام او المنطقة الذهب التي تدور حول الكعبة من أعلاها، مع البرقع، يكاد لمعانه يأخذ بالأبصار. و من المعتقد ان أول من جلل الكعبة بالكسوة تبع الحميري، و بقي أكساؤها ساريا منذ ذلك العهد .. و كان من عادة العرب في الجاهلية ان لا يرفعوا الكسوة القديمة عند اكساؤها بكسوة جديدة.

بل كانت الكسوات تبقى واحدة فوق الأخرى حتى أصبح ثقلها يهدد بتقويض البناء.

و كان المال اللازم لتجهيز الكسوة يجمع من الناس منذ عهد قصي، الى ان تبرع ابو ربيعة المغيرة بن عبد الله بتجهيزه على حسابه الخاص بين سنة و أخرى بعد ان أثرى و كثر ماله، و بذلك حصل على لقب العادل. و كان النبي الكريم يفضل ان تصنع الكسوة من القماش اليماني الرقيق، فأمر بأن يصرف عليها من بيت مال المسلمين. و حينما تولى عمر الخلافة صار يفضل ان تصنع الكسوة من الكتان المصري، و تجدد في كل سنة فيوزع قماش القديمة على الحجاج. ثم جاء عهد عثمان بن عفان فصارت تستبدل مرتين في السنة، أي في الشتاء و الصيف فتكسى بالقميص المطرز في الشتاء و الازار المصنوع من الكتان في الصيف. أما معاوية فقد كان يقدم الكتان و الحرير في بادئ الأمر، لكنه أمر بعد ذلك باستبدال الكتان بالنسيج اليماني المقلم و طلب الى شيبه بن عثمان ان يجرّد الكعبة عن كسوتها القديمة قبل التجديد و يطيب جدرانها بالخلوق. فصار شيبه يوزع الكسوة القديمة بين الحجاج فلم يعترض عبد الله بن عباس على ذلك.

و قد أمر الخليفة المأمون (في القرن التاسع) بأن تستبدل الكسوة ثلاث مرات في السنة، و كانت تصنع على عهده من الحرير الموشى

الأحمر فتكسى الكعبة بها في اليوم العاشر من محرم الحرام، و تصنع من الحرير الموشى الأبيض لتستبدل في اليوم الأول من شوال. و حينما قيل للمتوكل العباسي (القرن التاسع) ان قماش الكسوة صار يتهراً بأيدي الحجاج من كثرة اللمس أمر موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٠٠

في بادئ الأمر بأن تغلف الكعبة بكسوتين، و ان تكون كل منهما طويلة بحيث تصل الى حد التبليط. غير أنه أمر في الأخير بأن تجهز الكعبة بكسوة جديدة كل شهرين من أشهر السنة. فأصبح اهتمام العباسيين هذا يعني سيطرتهم على الحجاز و شؤونه، الأمر الذي كانت تتناوب عليه بغداد و مصر و اليمن.

و كانت الكسوة في عهد الادريسي (القرن الثاني عشر للميلاد) تصنع من الحرير الأسود و يجدها الخليفة العباسي في بغداد سنوياً. اما ابن جبير فيذكر أنها كانت خضراء موشاة بالذهب. على ان أمر الكسوة صار يتولاه في القرن الثالث عشر السلطان قلاوون في مصر، الذي أوقف لها واردات قريتين من القرى المصرية الغنية و هما بيسوس و سندبوس. و كانت واردات هاتين القريتين تخصص لتجهيز كسوة خارجية سوداء للكعبة و أخرى حمراء داخلية، مع ستائر خاصة لقبر النبي الأعظم في المدينة المنورة. و حينما استولى العثمانيون على البلاد المقدسة أمر السلطان سليم بأن تكون كسوة الكعبة سوداء اللون، ثم أوقف ولده السلطان سليمان (القرن السادس عشر للميلاد) مبالغ طائلة لهذا الغرض. و صارت الكسوة بعد ذلك تستبدل كلما ارتقى عرش آل عثمان و ال جديد. اما الوهابيون فقد كسوا الكعبة عند اول استيلائهم على مكة بكسوة حمراء مصنوعة من نسيج العباءات العربية المصنوعة في الاحساء.

و يقول بورتون في الأخير ان الكسوة في عهده (١٨٥٣) كانت تصنع في مصنع النسيج القطنى المسمى «الخرنفش» في باب الشعيرة في القاهرة ثم يذكر ان الكسوة تتألف عادة من ثمانى قطع، اثنتان منها لكل وجه من أوجه الكعبة، و يغطى محل اتصال القطعتين بحزام ذهبى المظهر، ثم تبطن بخام أبيض و تجهز بحبال قطنية. و يقال ان الكسوة كانت تنسج خلال حياكتها الآيات القرآنية كلها فيها. اما في عهد بورتون فقد كانت تنسج فيها الآية الكريمة (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ)،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٠١

مع سبع سور قرآنية هي: سورة الكهف، و مريم، و آل عمران، و التوبة، و تبارك، و طه، و ياسين. و كانت هذه تخط بحروف «الطومار» و هو أكبر الخطوط الشرقية في الحجم، و يقرأ من بعيد. اما الحزام فهو نطاق يبلغ عرضه حوالى قدمين، و يحيط بالكعبة على ثلثى ارتفاعها. و يقسم الى اربع قطع يخاط بعضها ببعض، و تخط على القطعة الأولى و الثانية بعض آيات العرش، أما على القطعتين الثالثة و الرابعة فتتقش عناوين و أسماء السلطان الحاكم. و تحاك هذه الكتابات، كما تحاك كتابات البرقع أو ستار الباب، بالذهب الملفوف بالحرير الأحمر. و حينما تتم حياكة لكسوة في الخرنفش تنقل الى مسجد سيدنا الحسين في القاهرة بموكب خاص، و هناك تبطن و تخاط فتكون جاهزة للرحلة الى البيت الحرام.

نقاط اخرى

و فى رحلة بورتون فصل قيم كثير الفائدة عن الحياة فى مكة، يصف فيها مكة نفسها و أحوال سكانها بشىء غير يسير من التفصيل. فهو يقول عنها أنها تعد مدينة حديثة نسبياً برغم ان منشأ بيت الله الحرام تضع جذوره العميقة بين طبقات الماضى السحيق. فقد بنيت حوالى سنة أربع مئة و خمسين ميلادية من قبل قصى و عشيرته قريش. و هى تحتوى على ثلاثين الى خمسة و أربعين ألف نسمة من السكان، مع وجود أماكن فيها لسكنى ثلاثة أضعاف هذا العدد من الناس على الأقل. و تبنى بيوتها بالطابوق و حجر الغرانيت و الحجر الرملى المستمد من الجبال المجاورة. و منظر مكة أشبه بواد متموج متعرج يمتد فوق هضبة صغيرة من الهضاب. و يبلغ أقصى طولها ميلين و نصف من معبده فى الشمال الى جبل أجياد فى الجنوب، كما يبلغ أقصى عرضها ما بين ابى قبيس فى الشرق (الذى تمتد على سفوحه الغربية البلدة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٠٢

معظمها) و جبل هندی فی الغرب. و تقوم الكعبة فی مركز هذا الخط.

و يقول بورتون خلال تحدّثه عن سكان مكّة، و ما سمعه منهم عن مستقبل الاسلام، ان الكثيرين ممن عرفهم يذكرون ان الاسلام مكتوب له ان يصادف كثيرا من الأحن و النكبات فی مقبل الأيام. و يخلص من هذا الى القول ان المسيحيين المتحمسين لنشر عقيدتهم و ديانتهم فی العالم يمكن ان يجدوا فی وضع المسلمين الفكري هذا فرصة للانتشار و التغلغل بينهم فی الأجيال المقبلة. ثم يذكر فی حاشية له ان الوضع لا- يحتاج الى كثير من التنبؤ قبل الأوان ليستنتج منه المرء بأن الانكليز لا بد من ان تضطرهم الأحوال السياسية لأن يحتلوا بالقوة ينبوع الاسلام هذا و قبلته المقدسة.

و يذكر من جهة أخرى ان المشروبات الروحية التي يذكر بورخارت وجود أمكنة خاصة لبيعها فی مكّة لم يعد لها وجود مطلقا فی أيامه، و قد أكد له بعض الضباط الأرنأؤوط أنهم وجدوا صعوبة فائقة فی تهريب بعض الفناني من هذه المشروبات من جدة الى مكّة. ثم يشرح فی الحاشية ان زيارة بورخارت كانت فی عهد استيلاء محمد علي باشا عليها، و يعزو السبب الى هذا الوضع طبيعته الحال.

و من طريق ما يذكره بورتون فی هذا الفصل ان أحد المطوفين كان يصحبه فی ذهابه و إيباه الى العمرة، فأصر عليه ان ينييه للحج بالنياحة عن ابيه و أمه، فألقى نفسه مجبرا على الأذعان للطلب و أخبره أن أباه يسمى يوسف ابن احمد و أمه فاطمة بنت يونس. ففعل المطوف ذلك و أخذ أجرته المقتنة عن عمله هذا.

و قد زار بورتون مقبرة مكّة المقدسة كما يسميها، التي كان يطلق عليها «جنّة المعلا». و هو يقول أنه شاهد فيها المكان الذي علقت فيه جثة عبد الله ابن الزبير بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي، و قبر عبد الرحمن بن أبي بكر الذي يذكر انه موضع تقديس السنة و الشيعة معا، و قبر السيدة خديجة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٠٣

الكبرى الذي كان مغطى بقماش أخطر، و قبر آمنه والدة النبي عليه السلام الذي أعيد بناؤه بعد ان خربه الوهابيون. و بعد هذا يذكر بورتون قيامه بزيارة الأماكن الأخرى التي ذكرها بورخارت من قبل. و يشير فی الحاشية الى ان الكتب التي رجع اليها تذكر اثني عشر مكانا آخر للزيارة فی مكّة، لا يعرف عن أكثرها غير اسمها. و هي: المختبأ، و دار الخيزران التي كان النبي يصلى فيها سرا في بداية دعوته، و مولد عمر، و بيت أبي بكر، و مولد جعفر الطيار بالقرب من مقبرة الشبيكة، و المدعى، و دار الهجرة، و مسجد الراية، الذي غرس النبي رايته فيه عند استسلمت له مكّة، و مسجد الشجرة الذي يقول بورتون انه المسجد الذي جعل النبي الشجرة فيه تتقدم اليه و تتقهقر الى الراء. و مسجد الجعرانة حيث لبس النبي لباس الاحرام و هو المكان الذي ما زال الايرانيون يزورونه، و مسجد ابراهيم، و مسجد ابي قبيس و مسجد ذي طوى.

و أخيرا، يشير بورتون الى دعوة عشاء دعاه اليها رجل يقال له علي بن ياسين الزمزمي. و قد أكل فيها أكلا كثيرة منها الرز (البلاذ) و الباميا و السبانخ و البرياني و الكمأة و الورق المحشى و الكباب و السلطة و الخبز النفيس، ثم الكنافة و المحلبية و راحة الحلقوم. و قد أكل بعض ذلك بملعقة خشبية. و هو يقول في هذه الأثناء ان العرب يتجاهلون فن الأكل الفرنسي الذي يطيل الأكلون مدة أكلهم فيه. و يذكر بالمناسبة ان مكّة تتجهز من الطائف و وادي فاطمة بكميات كثيرة من الخضر و الفواكه التي يبلغ مقدارها في موسم الحج وحده مئة حمل بعير في اليوم على الأقل.

و مما يؤتى به الى مكّة الرقي و التمر و الليمون و العنب و الخيار و ما أشبه.

و آخر ما نذكره عن بورتون مغادرته مكّة المكرمة و مجيئه الى جدة حيث كشف للمستمر كول القنصل البريطاني فيها عن هويته. و مع انه يثنى على المستر كول، و يذكر انه رفع اسم بلاده عاليا و ألقى دروسا على الشريف و غيره بوجوب احترام الاسم البريطاني، فإنه مع ذلك كله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٠٤

يقول ان على المسؤولين البريطانيين ان يعينوا في هذه الجهات قنصلا انكليزيا في جدة و وكيلا محليا يمثل الانكليز في مكة نفسها حتى يأتي اليوم الذي تجدهم فيه الحوادث على احتلال أم البلاد الاسلامية في يوم من الأيام!! و هو يقول أنه يلح في ذكر هذه الأمور لأنه لا يخرج عن طبع كل انكليزي حينما يود أن يرى الأنكليز متقدمين في كل مكان، و حتى في جدة. و لبيان أهمية جدة و مركزها التجارى يذكر بورتون ان خمسا و عشرين الى ثلاثين سفينة تجارية ترد من الهند الى جدة كل سنة، و ان حجم التجارة معها يبلغ حوالى خمسة و عشرين لكا من الروبيات.

المستشرق الهولندي هورغرونجه

إشارة

لقد تسنى للمستشرق الهولندي سنوك هورغرونجه الاستاذ في جامعة ليدن ان يقضى سنة كاملة من حياته (١٨٨٤ - ١٨٨٥) في الحجاز، كانت ستة أشهر منها في مكة نفسها و ستة أخرى في جدة. و قد عاش في مكة خلال هذه المدة طالبا من طلاب العلم يدرس العلوم الاسلامية و يتفقه فيها. و كان الاستاذ هورغرونجه قد طبع قبل ذلك كتابا مفصلا باللغة الهولندية عن مناسك الحج حاول فيه ان يستقصى منشأ هذه الطقوس و تطورها في الجاهلية و الاسلام. ثم نشر في ١٨٨٨ - ١٨٨٩ مجلدا كبيرا في جزئين بالألمانية ضمنه ما توصلت اليه افكاره المتحيزة عن (مكة) التي سمي المجلد الكبير باسمها. و كان الجزء الأول من المجلد يحتوى على موجز بالوصف الطبوغرافى في مكة المكرمة نفسها. و تاريخ كامل للبلد الحرام منذ أيام النبي حتى سنة ١٨٨٥ م. و لم يترجم هذا الجزء الى الانكليزية على ما نعلم، لكن الجزء الثانى منه ترجمه الى الانكليزية المستر جى أيج موناهان أحد قناصل. الانكليز السابقين في جدة، و نشره سنة (١)

Hurgronje, C. Snouck- Het Het Mekkaansche Feest, ٠٨٨١ Leyden

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٠٥

١٨٣٠ (لوزاك) بعنوان (مكة في القسم الأخير من القرن التاسع عشر).

و يبحث هورغرونجه فيه عن الحياة اليومية في مكة، و عادات أهلها و سكانها، مع أحوالها العلمية، و الاندنوسيين الساكنين فيها، الذين يطلق عليهم كلهم اسم (جاوا) على ما يقول.

و يبدأ هورغرونجه بحثه عن سكان مكة فيقول ان من يزور مكة يلاحظ في شوارعها أنواعا عدة من القوميات، من الأتراك ذوى البشرة البيضاء الى النوبيين ذوى البشرة السوداء الطمطمانية. ثم يقول ان الجاليات القومية المختلفة هذه تأخذ في الغالب موقفا غير ودى تجاه الجاليات الأخرى، و أن أغلب هؤلاء يقيمون في مكة بقصد المجاورة و التبرك. لكن ذلك لا يعنى عدم وجود جماعات تقيم فيها لأغراض و مصالح دنيوية. على أن الأغراض الدينية، و شؤون العبادة، التي تدعو الكثيرين من سكان مكة الى الأقامة فيها الى آخر العمر، تقاس بالمقياس المادى الدنيوى كذلك كما يستفاد من القول العربى (حج مبرور، و ذنب مغفور، و تجارة لا تبور).

و يقول هورغرونجه ان من مظاهر المصالح الدنيوية لأولئك السكان وجود حركة تجارية غير يسيرة في مكة، و لا سيما في موسم الحج. و ينشط في هذه الحركة على الأخص الهنود الذين يحصلون على أرباح طائلة بالمتاجرة، و الاقراض. و يقول كذلك ان الربا و ان كان الشرع الاسلامى يحرمه تحريما صارما، فان اولئك المسلمين يتحايلون على النصوص الشرعية و يجرون معاملات الاقراض بالفائدة عن طريق ما يسمى بالمرايحة. ثم يذكر ان من جملة أساليب التحايل: اولا- ذكر مبلغ أكبر من المبلغ الذى يقبضه موسوعة

العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٠٦

المستدين في السند المختص. ثانياً- قيام الدائن ببيع سلعة من السلع بسعر فاحش يدفع بعد أجل مسمى ثم يشتريه من جديد منه. و معظم الدائنين هم من الطبقة المتوسطة عادة.

و من الذين ينافسون الهنود في مكة في هذا المسعى الحضارمة الذين يأتون إليها في الأعم الأغلب و هم لا يملكون شروى نقير، لكنهم يتصفون بقبليّة فائقة للتأقلم و التحمل او الجلد غير المتناهي. فليس هناك أي حس او شعور شرفي، على ما يقول هورغرونيه، يمنعهم عن امتهان المهنة التي تدر عليهم شيئاً من الربح عند الحاجة. و لذلك يلاحظ ان كثيرا منهم كان يبدأ حمالاً بسيطاً في جدة ثم ينتهي و هو من التجار الأغنياء. و يأتي الكثيرون من اليمن لنفس السبب و العمل في بعض الأحيان، لكن اليمانيين لا يمكن ان يضاهاوا الحضارمة في هذا الشأن.

و بعد ان يذكر هورغرونيه طبقات السكان الفقيرة الأخرى من البدو و المغاربة و الأفغان و غيرهم الذين يقيمون في مكة، و يمتنون مختلف المهن البسيطة، يذكر بصورة خاصة التكروريين السود الاحرار، و المعتقين من العبيد. و من الغريب ان يعمد استاذ مثل هورغرونيه الى تسقط السوءات و المبالغة فيها بالشكل الذي يقحم فيه ذكر الفواحش من النساء في هذا الموضوع. فهو يضيف الى طبقات السكان هذه النساء اللوانى يأتين الى مكة، من مصر على الأخص، ليصبحن زوجات و فتيات بطريقة يسترن فيها بغاءهن على ما يقول، و هي طريقة «الزواج بالمقاوله».

و الملحوظ أنه يثنى بصورة خاصة على طبقة الاندنوسيين من السكان، الذين يسميهم باسم «جاوا». فهم يمتازون من بين الجميع بكونهم لا يأتون الى مكة بقصد الربح و المتاجرة، و انما من أجل المجاورة و الأغراض الدينية في الغالب. و مع عدم استبعادنا لما يذكره عن هؤلاء المسلمين الطيبين، فأنا لا بد من ان ننوه هنا بأن منشأ اهتمام هورغرونيه الخاص بهذه الطبقة من سكان مكة قد يرجع الى كونه هولانديا، لأن هولاندا ظلت تحتل موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٠٧ أندنوسية، و تستغلها مدة طويلة من الزمن.

و مع كل هذا الاختلاف الملحوظ في طبقات المجتمع المكي فان الطابع الذي يطغى فيه هو طابع بلاد العرب الغربية، في لغته و عاداته و طباعه، الذي يفرض عليه من أعلى، بوجود العدد الكبير من الشرفاء و السادة و غيرهم من أبناء الأسر المكية العريقة في القدم، و من أسفل يتوارد سائر أبناء الحجاز و أفراد قبائل حرب باستمرار عليه. على انه يقول من جهة أخرى ان سكان مكة ال يخضعون بسهولة للشرفاء و من لف لفهم، و لذلك نجد ان لهم نزاعاتهم و تقاليدهم الخاصة. و بينما نرى ان اللغة و العادات و أساليب العيش المعروفة في بلاد العرب الغربية هي السائدة، نجد من جهة أخرى ان الجميع يجتمعون في صعيد واحد هو صعيد استغلال الحجاج و الاستفادة منهم، لأن جميعهم من اكبر شريف فيهم الى الشحاذ في الشارع يعتاشون بصفه مباشرة و غير مباشرة على توارد الحجاج و حركتهم. و يتطرق هورغرونيه كذلك الى النخاسة و المتاجرة بالعبيد فيقول ان جميع أنواع الأفريقيين منهم كان يمكن الحصول عليهم بكثرة يومذاك عن طريق الدالين (النخاسين). وقد وجد في سوق النخاسة الخاص، الذي كان عبارة عن قاعة كبيرة بالقرب من باب الحرم الشريف (باب الدريية) ان العبيد من كلا الجنسين كانوا يعرضون فيه، و منهم من كان قد استورد حديثاً الى السوق و منهم من كان يباع على حساب مالكة السابق.

و هو يصف السوق و ما فيه من «بضاعة» و صفا مفصلاً لا مجال لنقله هنا، و انما نكتفي بالقول بان ما تحسس به هورغرونيه أكثر من أي شيء آخر في هذا الشأن هو ان تلك البضاعة البشرية كانت تعرض في سوق النخاسة و كأنها بقر يعرض للبيع، و لا سيما النساء الشابات. لكن التدقيق في الأمر سرعان ما يظهر ان اولاء الشابات لم يكن يبدو عليهن أنهن مشمئزات من ذلك على ما يقول.

و يتعمق هورغرونيه في شؤون العبيد الأفريقيين و كيفية الإتيان بهم

على أيدي «الجلابة»، و في تأثير الإسلام عليهم في مواطنهم الأفريقية و خارجها، فيقول ان العرب و المسلمين ينشرون الإسلام اينما يذهبون في أفريقية. و ليس بوسع حتى المبشرين المسيحيين ان ينكروا تأثير ذلك في قرى العبيد التي سرعان ما تصبح نظيفة، و ينصرف سكانها الى العمل المثمر في الزراعة و الصناعات البسيطة و التعلم، و كثيرا ما تتميز بهذا القرى المسلمة عن القرى الوثنية. و يقول متحسرا ان المسيحيين المخلصين كانوا يشعرون بالخجل على الدوام حينما يلاحظون عند تقصيصهم للحقائق ان العبيد نصف العراء الذين يمثلون الحضارة الأوربية يعرفون بلبس القبعات الكبيرة و شيوخ المشروبات الروحية بين ظهرانيهم، بينما يجدون من جهة أخرى ان المسلمين السود ينصرفون الى الأنتاج و العمل المثمر. ثم يخلص من ذلك، بعد كثير من البحث و السرد، الى ان الآلاف من العبيد و الأحباش الذين يؤتى بهم الى البلاد الإسلامية و يتذكرون نشأتهم الأولى في بلادهم الأصلية يعتبرون أنفسهم بأنهم قد جعلوا أناسا من البشر عن طريق الرق و العبودية. و تجدهم في العادة قانعين بحالهم، و غير راغبين في العودة الى بلادهم. و لذلك كله يدعو هورغرونيه الى عدم مكافحة التجارة بالرقيق بالأساطيل و القوة، و انما بشيء أحسن من ذلك. فعندما يتعلم الأفريقيون أنفسهم معنى الحياة و قيمتها فان هذه التجارة الممقوته تبطل من أساسها. و لا شك ان مرور الوقت قد برهن على هذا القول الذي كان يدعو اليه هورغرونيه. و يلاحظ ان هذا الكاتب يعتذر عن توسعه في موضوع الرق و العبيد نظرا للأهمية التي كانت تعطى له منذ الأزل في المجتمع المكي نفسه، و لأن المشكلة كانت من مواضيع الساعة في تلك الأيام.

و يعتمد بعد ذلك الى ذكر الكيفية التي يستفيد بها أهالي مكة من الحجاج.

فيبدأ بالأشارة الى آل شيبه سدنه الكعبة، و يقول ان هذه الأسرة تستفيد من بيع قطع الكسوة القديمة عند تجديدها كل سنة، و من أيام فتح الكعبة و الدخول اليها. فأن أيام فتحها معروفة، فهي تفتح على ما يقول في يوم موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٠٩

١٠ محرم الحرام، و ٢٧ رجب، و ١٥ شعبان، و بعض أيام رمضان، و في أشهر الحج. لكنها قد تفتح في أيام غير هذه للأثرياء الغبراء الذين يدفعون مبالغ غير قليلة عن ذلك. على ان البعض من أغوات مكة الخصيان يستفيدون شيئا من هذه المناسبات كذلك. و يذكر بعد ذلك طبقة «الزميين» فيقول ان السقاية في مكة كانت في ايدي العباسيين، يتوارثونها جيلا بعد جيل، و يتولون شؤون زمزم بموجبها. و منذ ان تخلى العباسيون عن ذلك بقي امر الاستفادة من مياه هذه البئر المقدسة شيئا مباحا للجميع. لكن الحقيقة هي ان هناك طبقة كبيرة خاصة تحتكر لنفسها أمر توزيع مياه زمزم، يطلق عليها «الزممية».

و هؤلاء جميعهم كانوا يحتفظون بجرارهم في الحرم الشريف و دوارقهم الخزفية التي تبرد الماء، و هذه تؤجر للحجاج فيحتفظ لهم بها ليشربوا منها عند الحاجة. و قد يقوم الزمزيون بخدمات أخرى للحجاج فيتقاضون عنها شيئا من المال أيضا.

و يشير هورغرونيه كذلك الى قوام أماكن الزيارة المقدسة أيضا مثل (مسقط ستنا فاطمة) الذي سماه بورخارت (مولد فاطمة)، و غيره من الأماكن التي مرت الإشارة اليها من قبل. على انه يتوسع في ذكر طبقة «المطوفين» الكبيرة، و يقول ان المطوف كان و ما زال يقوم هو و أفراد أسرته بشؤون الحاج و خدمته من جميع الوجوه. و المعروف ان المطوفين يختصون عادة بخدمة الحجاج العائدين لقوميات و ملل خاصة، فهناك مطوفون للأتراك و آخرون للعراقيين، و غيرهم لأهل الشام، و غير ذلك. و هم يستقبلون زبائنهم من جدة و غيرها، و يأخذونهم الى مكة فيستضيفونهم و يتولون أخذهم الى الحرم الشريف، ثم الى عرفات و منى و المزدلفة و غير ذلك. و يكون هؤلاء عصبه خاصة لها قوتها و أهميتها في مجتمع مكة، و يختلفون في مستواهم الحضاري و الثقافي و في منزلتهم الاجتماعية تمام الاختلاف.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣١٠

ثم يتطرق الى ذكر الخدمات الخاصة الأخرى، و الباعة في الأسواق، و الصرافين، و غيرهم ممن يستفيد من توارد الحجاج على مكة و حركتهم.

ا يتطرق الى ذكر أصحاب البيوت و الشقق، الذين يؤجرونها بأثاثها خلال الموسم.

و مما يذكره هورغرونيه فى هذا الباب من كتابه كذلك، عودة مكة الى الهدوء النسبى فى محرم الحرام حين يخرج منها عدد كبير من الحجاج عاندين الى بلادهم. لكنه يشير الى فتح الكعبة فى يوم عاشوراء و تخلف عدد كبير من الحجاج من أجله، و يشير أيضا فى الحاشية (بمناسبة ذكر عاشوراء) الى ان الأيرانيين الموجودين فى مكة يقومون سرا بأحياء ذكرى بطولته الحسين فى هذا اليوم. اما فى جده فأنهم أخذوا يحيون هذه الذكرى بصفه علنية منذ وقوع الحرب الروسية التركية قبيل تلك الأيام، و لا يدرى ما هى العلاقة بين الترخيص بأقامة المآتم الحسينية و هذا الحادث. و يقول هورغرونيه ان الأيرانيين يجتمعون هناك خلال العشرة الأولى من محرم فى دار كبيرة يستطيع الغريب ان يدخل اليها كذلك، و انه حضر المآتم بنفسه فى تشرين الأول ١٨٣٤ فوجد ان الحاكم التركى كان حاضرا فيه أيضا بدعوة من القنصل الأيرانى. و لم يشرب هذا الحاكم (الشربت) فقط هناك و إنما بكى بكاء مؤثرا كذلك.

و يتطرق علاوة على هذا الى ذكر المواسم التى يحيى فيها أهالى مكة ذكرى بعض الأولياء، فيخرجون الى قبورهم و يحتفلون بقربها. و هناك أيام خاصة فى السنة لمثل هذه الاحتفالات، و هى أيام «ستنا ميمونة» و «الشهداء» و «الشيخ محمود» و «المهدلى». و يوم الشهداء هذا هو اليوم الذى سقط فيه الحسين بن على و أنصاره شهيدا فى أسفل جبل فح، بعد ان جاء من ينبع تائرا على العباسيين سنة ٧٨٦ للهجرة. على ان بعض

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣١١

المكيين يعتقدون ان هذا المكان يرقد فيه البعض من الصحابة مثل عبد الله بن عمر.

الحياة العائلية

و لقد أفرد هورغرونيه قسما خاصا من الكتاب للحياة العائلية فى مكة يومذاك (١٨٨٥). و قد عالج هذا الموضوع من جميع نواحيه معالجة تفصيلية مملئة فيها الكثير من الوهم و التحامل فى بعض الأحيان. فهو يقول ان المرء فى مكة حينما يتكلم عن حريمه فإنه يقصد زوجته و خادماته أو أية امرأة أخرى تعيش فى بيته. ثم يدعى ان الرابطة الزوجية عند المسلمين فى مكة و غيرها غير متينة، و الا لما وضعت على النساء القيود و فرض الحجاب و العزلة عليهن. و يذهب الى القول بان المرأة غير المتزوجة، سواء ا كانت عزباء ام باكر، تعتبر عبئا ثقيلا على أهلها و أقربائها مالم يكونوا أثرياء. و لذلك فان امرأة مثل هذه تشبث بان تكون شريكة موقته لرجل من الرجال فى حياته، و بذلك تحصل على معيشة مجانية لنفسها عدا نوع من المهر الذى يتفق عليه اذا كانت أحوال الرجل المالية تساعد على ذلك، كما تحصل على خادم أو خادمة من العبيد. و حتى بعض النساء الثريات يتمنين لو يحصلن على مثل هذا الزواج بالمقاوله، ليتخلصن من استغلال أقاربهن لهن. و يقول فى مناسبة أخرى ان الغربى بينما يجد صعوبة فى الأفتراق حتى عن خليلته فأن علاقة الزواج المستديم، و الحب الصادق بين الأزواج، بعيدة كل البعد عن تفكير الرجل المسلم!!

و مع انه يقر ان القاعدة العامة فى حياة مكة العائلية هى الزوجة الواحدة، و ان تعدد الزوجات يصعب وجوده الا عند الأثرياء، فإنه يخوض فى استنتاجات كثيرة غير واردة عن الخيانة الزوجية التى يعتبرها قاعدة عامة فيها.

و اورد هورغرونيه الشئ الكثير من هذا و قد اكتفينا بالاشارة اليه منتقلين الى موضوع آخر.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣١٢

الحياة العلمية

و يبحث هورغرونيه بالاضافة الى ذلك فى حياة مكة العلمية فيفرد لها بابا خاصا يزيد على الخمسين صفحة من الكتاب. فيتطرق فى بحثه الى نشوء الفقه الإسلامى، و العلوم الدينية، و الى العلوم الأخرى التى قد يدرسها طلبه العلم فى مكة المكرمة. كما يتطرق الى

المذاهب السنية الأربعة وانتشار كل منها في مكة وغيرها، و إلى الوظائف الدينية و ما أشبه. و لا يتسع المجال هنا إلى إيراد الكثير مما يقوله في هذا الشأن لأن معظمه أشياء عامة تختص ببلاد المسلمين جميعها، لكننا سنحاول ذكر شيء مما يختص بمكة ذاتها. فهو يقول ان الدراسة الدينية تتم في الحرم الشريف في الأعم الأغلب، على شكل حلقات تعقد بعد الصلوات الخمس. و تتم على المذاهب الأربعة المعروفة، لكنه يذكر ان الاساتذة او العلماء الذين كانوا يتولون التدريس في الحلقات كان قليل منهم من الحنابلة الذين يشابه فقههم فقه الوهابية على ما يقول. و كانت حلقات المالكية تزيد في عددها على حلقات الحنابلة بقليل لان موطن المالكية الحقيقي هو البلاد الأفريقية المسلمة عدا مصر السفلى. فان أهل السودان و العبيد التكروريين، و الأحباش المسلمين، و جميع المستسلمين من بلاد العبيد الأخرى، و الذين يتبعون الطريقة السنوسية هم من معتنقى المذهب المالكي. اما المذهب الحنفي فقد كان هو المذهب الرسمي للأتراك، و لذلك كانت تكثر حلقاته التدريسية في الحرم الشريف على الدوام. و قد كان الأتراك يعينون في بداية الأمر في مكة لكل مذهب قاضيا خاصا، بالنظر لطبيعة مكة الدولية بالنسبة للمسلمين في انحاء العالم كافة. غير انهم سرعان ما لاحظوا ان تنفيذ القانون لا بد من ان يكون بأيديهم لتأمين مصالحهم في البلد الحرام، فصاروا يقتصرون على تعيين قاض حنفي واحد فقط برغم وجود أكثرية شافعية في مكة نفسها. و كان (١) الص ١٥٣-٢١٢.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣١٣

هذا القاضى يتولى البت فيما يختص بقانون الأحوال الشخصية، اما سائر الأمور فقد صار بيت فيها بموجب «القانون المنيف» و هو القانون المدنى الجديد.

و قد كان من الطبيعى و الحالة هذه ان يتقاضى الأئمة الحنفية في الحرم الشريف أكبر الرواتب و أكثرها في مكة، على ما يقول هورغرونيه.

فقد كان في القائمية المرسمية لسنة ١٨٨٥-١٨٨٦ خمسون الى ستين اماما يتقاضون رواتب من واردات الحرم الشريف، و كان حوالى ثلث هذا العدد من الحنفية و بينهم أئمة من الهند و آسية الروسية و مكة، و غير ذلك من البلاد الخاضعة للإمبراطورية العثمانية. و مع كل هذا فقد بقى المذهب الشافعى له أهمية كبرى في مكة، و استمر أئمة على تدريس حلقاتهم غير القليلة في الحرم الشريف. و يعزى انتشاره في هذه الجهات الى ان العباسيين كانوا يرعونه خلال مدة حكمهم كلها، و كان المذهب الذى ينافسه في مكة يومذاك المذهب الشيعى الزيدى الذى كان يكثر معتنقوه في جنوب و غرب الجزيرة العربية.

و هنا يقول هورغرونيه ان الشرفاء كانوا انتهازيين بالنسبة للمذهب الذى يعتنقونه، لأنهم استبدلوا عقيدتهم الزيدية الشيعية بالشافعية التى كانت تعتنقها الغالبية العظمى من رعاياهم أهالى مكة. ثم يذكر ان بعض المناطق فى جوار مكة ما تزال فيها بقايا قوية من الشيعية الزيدية التى سيطرت على غربى الجزيرة العربية فى يوم من الأيام. و بعد ان يفصل انتشار الشافعية و انحسار الشيعية الزيدية أمامها يقول انه ليس من المستغرب ان يتولى عدد من علماء الشافعية منصب «شيخ العلماء». و ان يبلغ عدد الأئمة الشوافع فى الحرم الشريف عشرين الى ثلاثين من مجموع خمسين الى ستين. و تعد حلقات الشافعية من أهم نماذج الحركة العلمية فى مكة. و أغلب أئمة الشافعية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣١٤

من متولدى مكة نفسها مثل شيخ العلماء أحمد دحلان، و السيد عبد الله الزواوى الذى كان أبوه المشهور محمد صالح رجلا شريفا من أئمة الصوفيين، و أبى بكر الشطا. و ممن اشتهر منهم كذلك أئمة أكملوا دراستهم فى الأزهر مثل محمد البسيونى و عمر الشامى و مصطفى عفيفى و محمد المنشاوى. و كان هناك علماء شوافع من أصل حضرمى أيضا من مثل محمد سعيد بابصل الذى يشغل منصب أمين الفتوى لشيخ العلماء، و من أصل داغستانى مثل عبد الحميد الداغستانى الذى كان البعض يعتقد بأنه أعلم من سيد دحلان.

و يورد هورغرونيه معلومات كثيرة عن حلقات التدريس و طلبتها، و العلوم التي تدرس فيها، و أوقاتها، و الأصول المرعية فيها، و غير ذلك مما لا يمكن أيراد شيء منه هنا لعدم تيسر المجال الكافي له.

في أواخر القرن التاسع عشر

كانت العلاقات الموجودة بين الشرفاء الحاكمين في مكة و الولاة الذين كانوا يعينون من استانبول قد أخذت تزداد توترا في العشرات الأخيرة من القرن التاسع عشر. فقد أخذ الولاة يغتنمون الفرص لحصر السلطات المختلفة بأيديهم، و جعل الشرفاء حكاما بالأسم فقط و هياكل دينية لا يملكون سوى مناصبهم المجلدة. غير ان الشريف عبد المطلب، الذي كان ينتمي الى ذوى زيد، ما ان تولى الحكم للمرة الثالثة، بعد قتل الشريف حسين، حتى أخذ الصراع يحتدم بين الطرفين و ظلت شخصيته تطغى على الحكم و تفرض نفسها في كل مكان بحيث فكر أولو الأمر في الباب العالي بأن يضعوا حدا لذلك.

فتعين في مكة في تشرين الثاني ١٨٨١ قائد فعال جديد يدعى عثمان نوري باشا، و اعيد تعيين الوالى السابق عزت باشا فيها. و بعد خطه ارعه اتخذت في مكة احيط قصر الشريف عبد المطلب بقوات كافية،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣١٥

و قرىء عليه أمر عزله، ثم أخذ محجوزا عليه الى الطائف . و بعد ذلك نقل الى قصره الخاص فى منى و بقى فيه حتى وافته المنية فى ٢٩ كانون الثانى ١٨٨٦. و قد ارتأت الجهات المسؤولة فى الباب العالي ان يتولى الشرافة الكبرى فى مكة الشريف عون الرفيق الذى كان فى الخمسين من عمره.

و مع ان هذا الشريف كان يتصف بالميل الى التجدد وسعة الأفق، فإنه كان يؤثر الانعزال فى كثير من الأمور و يتحاشى التحدث فى الشؤون السياسية.

لكن الوالى التركى تمادى فى خطته و لم يترك مجالا للشريف عون بممارسة سلطته و تنفيذ مآربه. و قد بلغ الاستيلاء فى الاوساط الشريفية فى مكة و غيرها حدا جعل الشريف يقدم على عمل لم يقدم عليه شريف آخر من قبل. فقد قرر ان يغادر مكة الى المدينة مع أفراد أسرته البارزين، و عدد من أشرف مكة و تجارها، و القاضى الشافعى مع جملة من العلماء و رجال الدين.

فتمت هذه الهجرة الفريدة فى بابها خلال الليل من دون علم السلطات المسؤولة بها. و أرسلت الرسل من المدينة الى استانبول تحمل احتجاج الشريف الى المسؤولين و تدمراته، و تخبرهم بأن الشريف مع وجوه مكة و أشرفها لن يعودوا اليها حتى يكون الوالى قد نقل منها الى الأبد. و لما كان السلطان يومذاك يكن احتراماً خاصاً للشريف عون الرفيق، تحتم على الباب العالي ان يدعن لمشيئة الشريف فنقل الوالى عثمان باشا الى حلب فى الحال.

فعاد الشريف الى مكة، و نحى الموظفين الذين كانوا منسوين الى الباشا السابق عن وظائفهم. و حينما تولى الوالى الجديد جمال باشا الحكم فى مكة كان يتصف بالكثير من المرونة و الميل الى تلبية رغبات الشريف.

و حينما توفى الشريف عون فى ١٩٠٥ بادر الوالى أحمد راتب باشا الى ترشيح ابن اخت عون (على بن عبد الله بن محمد بن عون) فى مكانه، ليفسح لنفسه مجال السيطرة على الأمور فى مكة نظراً لصغر سن الشريف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣١٦

وحدائه عهده فى الشؤون العامة. و فى ١٩٠٨ أعلن الدستور العثمانى و عزلت الحكومة التركية الجديدة أحمد راتب نفسه، ثم نحى الشريف على عن الحكم فى مكة فالتجأ الى الانكليز فى مصر. فتعين الشريف عبد الأله باشا فى مكانه، و كان هذا رجلا طاعنا فى السن قضى معظم حياته فى استانبول، و قد قدر له ان لا يمارس الحكم فى مكة برغم تعيينه شريفاً أكبر فيها لأنه توفى قبل ان يتوجه

اليها. وقد تشرح في مكانه رجلان بارزان من الشرفاء، الشريف علي حيدر من ذوى زيد و الشريف حسين ابن علي من ذوى عون. و نظرا لأن الشريف علي حيدر كان متزوجا بامرأة انكليزية فى استانبول، فقد رأت الجهات المختصة ان تفضل الشريف حسين عليه فصدر الفرمان بذلك و تسلم الخلعة المعروفة .

الحسين بن علي

كان الشريف حسين بن علي قد دعى من مكة الى الأستانة ليقيم فيها مع أسرته سنة ١٨٩٣، فى السابعة و الثلاثين من عمره لأنه كان يتصف بروح ثورية على ما يقول دى غورى فى (حكاه مكة). و كان له يومذاك ثلاثة أولاد، على و عبد الله و فيصل، أدخلهم فى مدارس استانبول.

و بقى هناك خمسة عشر عاما فى حكم المعتقل، و لم يغادرها الا فى ١٩٠٨ حينما توجه الى مكة ليشغل منصب الشرافة الكبرى. و قد تم فى عهده إنشاء سكة حديد الحجاز التى توصل الشام بالمدينة فتسهل وصول الحجاج الى مكة. و يقول ديغورى انه بينما كانت سكة الحديد تمتد خطوطها ما بين سهول هذه البلاد العربية و وهاها، أخذت تنتشر فى أنحاء البلاد العربية التابعة للإمبراطورية العثمانية آراء و أفكار جديدة عن القومية العربية و أحيائها. فقد أدى صدور الدستور العثماني

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣١٧

فى ١٩٠٨ الى ان تفلت الآمال و الأمانى القديمة من عقالها و تنتشر فى البلاد بالطرق البخارية. و فى مثل هذا الجو توجه الحسين بن على الى مكة، فاعتبر مواليا للأتراك فى أول الأمر لكنه حينما أخذ يجرد الحملات على العسير و القصيم لأخضاع العشائر فيهما، و استعادة نفوذ الشرفاء بينهم، صار الباشا العثماني فى الحجاز يشك فى إخلاصه و سلوكه.

و قد استطاع ضابط من الضباط الانكليز يدعى ويفل ان يحج متخفيا الى مكة خلال السنوات الأولى من عهد الشريف حسين، و يكتب كتابا خاصا عن مغامرته هذه بعنوان (حاج عصرى فى مكة). و يصف ويفل الملك حسين و الحفلة الرسمية التى كانت تقام سنويا فى العيد لتأييد تنصيبه فيما يأتى:

.. لقد كان هذا يوم العيد، و كان كل فرد قد لبس أحسن ما عنده من لباس، فصار المخيم كله يبدو فى منظر جذاب. و قد ذهبنا صباحا لشاهد حفلة تقديم الهدايا الى الشريف، الذى كان مخيمه و هو مقام فوق مرتفع اصطناعى يتألف من أربع سرادقات عالية و عدد من الخيم الصغيرة.

و كانت صفوف الجنود تكوّن فيما بينها ممرات للمدعوين، و تمنع الناس عن التقدم الى الأمام .. فصار كبار المدعوين يصلون واحدا بعد آخر مع الحاشية و يستقبلهم الشريف فيجلسهم على منصة تقوم فى الطرف البعيد من السرادق الكبير. و كان هؤلاء هم وفود البلاد الإسلامية، و حاكم مكة، و بعض و جهاء المسلمين القادمين من الهند و غيرها، و غيرهم من الناس المعروفين. و بعد ان اجتمع الجميع و أخذ كل مقعده المعد له وصل السفير التركي مع هدية السلطان الموضوعه فى صحن من الذهب. و يقول ويفل و لا اذكر أى شىء كانت تحتوى عليه الهدية لأنها كانت مغطاه بقطعة من القماش، لكننى علمت انها كانت تتألف فى السابق عادةً موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣١٨

من مبلغ نقدى بعدة الاف. فجاء الشريف الى حافة المنصة لاستقبال هذا الزائر الكبير و مرافقته الى الداخل.

و ما ان انتهت المراسيم و ركب السفير التركي للرجوع من حيث أتى حتى قام و جهاء مكة و الحجاج الأجانب للسلام على الشريف و تقديم التبريكات له .. و الشريف الحالى، السيد حسين، رجل محبوب جدا. و هو بالنسبة لما شاهدته بنفسى أهل لهذا التقدير كله، لأنه فى الوقت الذى يحافظ فيه على هيئته و وقاره فى المنصب يحاول أحياء تقاليد النبى و الخلفاء الأقدمين الذين كان يستطيع الجميع

الاتصال بهم و الدخول عليهم، و يضعون و صايا الأخوة و المساواة الواردة في القرآن في موضع التطبيق .

الثورة العربية

و يصف ديغورى في (حكام مكة) طموح الشريف حسين، و كيفية اتصاله بالأنكليز و انتفاضه على الأتراك بمساعدتهم، بما سمي بالثورة العربية التي بدأ بها في ١٠ حزيران ١٩١٦ (٩ شعبان). فهو يقول ان الحسين أقدم على الثورة في هذا الوقت بنتيجة المراسلات التي تبودلت مع السر هنرى مكماهون المندوب السامى البريطانى يومذاك في مصر، و بعد زيارة رونالد ستورز (السكرتير الشرقى لدار الاعتماد في مصر) للحجاز، فضلا عن خوفه من قيام الحملة التركية، التي كان يؤمل وصولها الى المدينة المنورة في طريقها الى اليمن، بعزله و تنحيته عن منصبه في مكة.

و قد بدأت الثورة في يوم ٩ شعبان (١٠-٦-١٩١٨) في الساعة الثالثة و النصف من منتصف ليلة السبت، بأطلاق النار من البنادق على الثكنة العسكرية في مكة و بناءة الحميدية التي كانت تضم الدوائر الحكومية.

ثم فرض الحصار على القوات التركية التي كانت موجودة في جميع القلاع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣١٩

الأخرى. و كان اطلاق النار بهذا الشكل مفاجئا للموظفين الأتراك و حاميتهم، و لذلك اتصل الضباط بقصر الشريف للاستفسار عن جلية الأمر فقيل لهم ان البلاد قد اعلنت استقلالها، و ان عليهم ان يستسلموا في الحال فرفضوا ذلك. و بعد حصار استدام ثلاثة أيام استسلمت حامية مكة، و تبعتها بعد ذلك حامية الطائف التي كان على رأسها حاكم الحجاز العام غالب باشا. و في ٩ تموز تم الاستيلاء على جميع النقاط العسكرية الأخرى في مكة. و في تشرين الثانى من تلك السنة نودى بالشريف حسين ملكا على البلاد العربية كلها، لكن الحكومتين البريطانية و الفرنسية أبلغتا الشريف في كانون الثانى ١٩١٧ أنهما تعترفان به ملكا على الحجاز فقط. و يقول الكولونيل ديغورى ان البريطانيين كانوا يطلبون من الملك حسين أكثر مما ينبغى، لأنهم كانوا يسعون لشرائه بصراحة على ما كان يبدو.

فأن حزنه و دهشته لما تمخص عنه مؤتمر سان ريمو، حول الانتداب على فلسطين و العراق الذى منح الى بريطانيا، و المعاهدة التي أريد عقدها معه في الأخير بتقديم الحماية له و مده بالمنح المالية لقاء اعترافه بأطماع الصهيونية في فلسطين، أمور تذكرها جميع المراجع المختصة على ما يقول. و قد ألح في المفاوضات التي تكرر إجراؤها حول عقد المعاهدة على عدم إفساح المجال لليهود في فلسطين لأنهم كانوا يستهدفون إقامة دولة خاصة بهم فيها. و في آب ١٩٢٣ كتب الملك حسين الى رئيس الوزارة البريطانية يستنجزه الوعود التي بذلوها له خلال الحرب و يطالبه بوجود وضعها في موضع التنفيذ، لكنه لم يحصل على رد عن ذلك مطلقا و في تلك الاثناء تم زحف الوهابيين على الحجاز، و ما حل تشرين الأول حتى تنازل هو عن العرش. و حينما استنجد بالبريطانيين لمساعدته في الوقوف بوجه الوهابيين أوجب على آخر نداء وجهه في هذا الشأن بأنهم يعتقدون بان النزاع بين الطرفين كان نزاعا دينيا لا يستطيعون التدخل فيه. و بذلك عاد الحكم مرة أخرى الى الوهابيين و كان الملك حسين قد تنازل عن الملك الى ابنه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٢٠

الكبير الملك على. و يختم ديغورى بحثه هذا بقوله و قد قدر للحسين ان يقضى نجه و هو أبى كسير في منفاه بعمان يوم ٤ حزيران ١٩٣١، و ان يموت ابنه على في بغداد يوم ١٤ شباط ١٩٣٥.

و كان من مقتضيات المساعدة البريطانية للشرية حسين في مكة، حينما ثار على الأتراك في ١٩١٦، أن أوفد الى الحجاز عدد من رجال الاستخبارات البريطانية الذين كان يضمهم في القاهرة ما يسمى ب «المكتب العربي». و كان من أهم هؤلاء و أكثرهم اشتغالا مع الحسين و أنجاله خلال الثورة العربية الكابتن تى أى لورانس، الذى حصل على شهرة واسعة خلال اضطلاع بهذه المهمة حتى سمي بلورانس بلاد العرب .

و قد دون لورانس مذكراته و خبرته، و رسائله فى كتاب (أعمدة الحكمة السبعة)، و كتاب (ثورة فى البادية) و كتاب (رسائل لورانس السرية) .

لكن الذى اشتهر منها هو كتاب اعمدة الحكمة السبعة الذى طبعت منه طبعات عديدة.

و لا- شك ان لورانس كان قد اتصل بالملك حسين و ابنائه الأربعة اتصالا وثيقا، و لا سيما الأمير فيصل، و تجول كثيرا فى البلاد الحجازية عدا مكة المكرمة و ما يحيط بها من المنطقة المحرمة على غير المسلمين. و لذلك لم نجد فيما طبع من كتاباته شيئا خاصا عن مكة بالذات، لكنه كتب عن الثورة من نواحيها المختلفة طبيعته الحال، و عن الحسين و ابنائه و حكومته موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٢١

و لا- سيما فى «رسائله السرية» التى كان يبعث بها خلال اضطلاع بالمهمة الى المكتب العربى فى القاهرة يومذاك، و الى مراجعه الأخرى. و قد وجدنا من المناسب أن ندرج شيئا من ذلك هنا .

فهو يقول عن نشوء الثورة فى الحجاز، كما سردها فى حديثه اليه «سيدى فيصل» فى كانون الأول سنة ١٩١٦، ان أخاه عبد الله كان يدور فى خلداه أول الأمر بأن الحجاز يستطيع مناجزة تركية بمساعدة الجيشين اللذين يمكن تشكيلهما من العراقيين و السوريين، و بمعونه الأنكليز السياسية. غير ان الفكرة أهملت نظرا لما أبداه فيصل بأن تركية كانت قوية بحيث لا يمكن الوقوف فى وجهها. و حينما أعلنت الحرب العظمى قرر الشريف حسين ان فرصته قد سنحت، فبعث فيصلا الى الشام لتمهيد الطريق الى ثورة فى سورية نفسها فوجد ان الوقت لم يكن مناسباً و أشار على والده بالتريث. غير ان عبد الله أبدى لأبيه ان فيصلا كان يتهيب و يخاف من إشعال الثورة، و لذلك تم إشعالها فى حزيران ١٩١٦. و كان الشريف قد أعد البدو للأمر قبل أشهر و أخبرهم بأن لا يتحركوا قبل ان تصل أوامره اليهم.

و فى رسالته من رسائل لورانس السرية منشورة فى نشرة المكتب العربى الصادرة فى ٢٦ تشرين الثانى ١٩١٦ نراه يبدى ملاحظات شخصية عن أفراد الأسرة الشريفة و يقول ان المرء يستطيع ان يرى بسهولة ان الشريف و ابنائه الثلاثة يعدون أبطالاً فى نظر البدو فهو على ما يبدو على درجة من الدماثة و مراعاة الغير بحيث يكاد ان يكون ضعيفا، غير ان مظهره ذلك يخبى وراءه سياسة حصيفة عميقة الغور و أطماعا بعيدة المدى، و بعد نظر غير عربى مصحوبا بالعناد وقوة الشخصية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٢٢

.. و كانت ميوله عشائرية فى الغالب، كما كان و هو ابن ام جركسية موهوبا بسجايا تعد غريبة عن الترك و العرب معا، غير انه عزم على أسر قلوب البدو بتنشئة أبنائه نشأة بدوية، لكن الأتراك كانوا يصرون على تثقيفهم فى استانبول فوافق الشريف على ذلك بطيبة خاطر. و لذلك تلقى جميعهم تربية تركية من الطراز الأول، و تعرفوا خلال ذلك على أحوال العالم. لكنهم ما عادوا من استانبول و هم يلبسون الألبسة الغربية و يتخلقون بالأخلاق التركية حتى جعلهم يبدلون ذلك فى الحال و يراجعون عربيتهم من جديد. ثم كلفهم بأن يخرجوا على رأس دوريات الهجانة لحماية طرق الحج من تعديات البدو. و قد منعوا من العودة الى مكة حتى فى أيام العيد.

.. و هم الآن بدو خلص بأجمعهم، و عندهم بمقتضى دراستهم معلومات الموظفين الأتراك و خبرتهم، و يجرى فى عروقهم ذلك المزيج المتكون من الذكاء الفطرى و الحيوية اللذين يتأتيان فى غالب الاحيان من اختلاط الدم العربى بالدم الجركسى. و هذا يجعلهم

مجموعة عائلية قوية جدا مرهوبة الجانب، ذات أهلية و كفاية تثير الإعجاب.

و يقول لورانس عن «سیدی علی» انه قصير القامة نحيف البنية، تبدو عليه أمارات الكبر برغم كونه ما يزال في السابعة و الثلاثين من عمره.

و تميل بشرته الى الصفرة في لونها، و له عينان و سيعتان دعجاوان، و أنف رقيق قليل الانعفاف، و وجه مجهد كثير التغضن، و فم ذابل، و لحيته سوداء خفيفة، و يدها نحيفتان جدا. اما عاداته و طباعه فبسيطة برمتها، و هو حى الضمير متأن كيس شريف الخصال من دون قوة في الشخصية.

و كثيرا ما يجعله ضعفه الجسمي فريسة لنوبات سريعة من الغضب و الانتفاض مع حالات من العناد غير الجامح. و هو على ما يبدو لا يحمل طموحا لنفسه، لكنه سهل الاندفاع برغبات الغير. على انه يميل الى الكتب و المطالعة، و لديه اطلاع واسع في شؤون الشريعة و الدين. و يبين في سحنه الدم العربي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٢٣

أكثر مما يبين في اخوته.

اما «سیدی عبد الله» فيذكر لورانس عنه انه يبلغ الخامسة و الثلاثين من عمره، لكنه يبدو أصغر من ذلك. و هو قصير القامة، ممتلىء التكوين، ظاهر القوة كالجواد، مع عينين مرحتين شديدتي الدعج و وجه مدور غير متغضن و شفيتين قصيرتين ممتلتين، و أنف أقى و لحيه سمراء. يضاف الى ذلك انه صريح في طباعه لدرجة تلفت النظر و كثير الجاذبية، غير متقيد مطلقا بالرسميات و لذلك تراه يختلط مع افراد القبائل و كأنه احد شيوخهم. و قد يزن كلماته بتحفظ فيصبح منطقيا قويا في المناسبات الحظيرة، لكنه قد لا يكون متوقد الذهن مثل ابيه. و هو يجد الآن في بناء مجد اسرته، و لهذا يمتلىء رأسه بالافكار الغريضة الواسعة التي تختص بنفسه بلا ريب. و سيكون التصادم بينه و بين فيصل أخيه شيئا موجبا للاهتمام. و العرب يعدونه سياسيا بارعا و رجل دولة بعيد النظر، لكن ما فيه يدل على أنه سياسى أكثر منه رجل دولة.

و يقول لورانس عن «سیدی فيصل» أنه طويل القامة، حلو الشمائل، عنيف، ملكى الملامح، يبلغ من العمر احدى و ثلاثين سنة. و هو كثير السرعة غير مستقر في حركاته، كثير التفوق على أخوته في المهابة، يعرف ذلك عن نفسه فيساوم به. و تصفو بشرته كما تصفو عند الجراكسة الأصلاء، مع شعر فاحم و عينين سوداوين تشع منهما الحياة و تتركبان في وجهه بشيء من الميل، و أنف أشم و ذفن قصير. و لذلك يلوح للرائى كأنه أوربى، شديد الشبه بتمثال ريشارد الاول. و هو حاد المزاج صعب المراس قليل الصبر، غير معقول احيانا، يبدل اتجاه حديثه بصورة مفاجئة. و يمتلك من الجاذبية الشخصية و الحيوية أكثر بكثير مما يمتلكه أخوته منهما، غير أنه أقل منهم فطنة و تبصرا. كما أنه شديد البراعة غير كثير الوسواس احيانا، لكنه قد يكون ضيق الفكر متسرعا عندما يعمل بتحريض من الغير، و مع هذا فإنه عنده ما يكفى من قابلية التأمل و التفكير بحيث يستطيع إصدار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٢٤

الأحكام الصحيحة، و فوق هذا كله فهو صنم محبوب طموح، تمتلىء مخيلته بالاحلام و يتصف بالقدرة على تحقيقها، مع عمق نظر شخصى حاد كما انه رجل عمل كثير الكفاية.

و يقول عن الشريف زيد انه يناهز العشرين من عمره، و يطغى عليه بالكلي صيت اخوته و سمعتهم. و هو كثير الاقتداء بأمه التركية، مولع بركوب الخيل و اللعب من فوقها. و لم يعهد اليه بأية مهمة ذات شأن لكنه فعال متحرك. و مع ان طباعه فيها القليل من الفظاظه الا انه رقيق غير عاطل.

و هو خجول بشوش، و قد يكون احسن توازنا من اخوته الى حد ما لأنه على جانب أقل من الحدة.

اما بالنسبة لعقيدة الشريف و آرائه الدينية فيقول لورانس في نشرة المكتب العربي الصادرة في ٢٨ تموز ١٩١٧ ان الشريف حسين قد

أوضحها للكولونيل و يلسن بحضوره. و هو يعتقد ان الشريف شافعي في الظاهر.

و كان يتخذ موقفا وسطا بين الشيعة و أهل السنة عند تحدته، لكن المعتقد بوجه عام انه يعتنق العقيدة الزيدية. و يقول لورانس كذلك ان (سيدي عبد الله) شيعي بالصراحة تقريبا، و هو كثير الميل الى الجعفرية، و ان سيدي علي جازم في سنته، اما سيدي فيصل فهو غير اصولي و يميل الى اتخاذ موقف غير واضح بالنسبة للعقيدة الدينية، لكنه قد يكون شيعيا اكثر منه سنيا برغم الغموض الذي يبدو فيه. على انهم كلهم غير ميالين الى اظهار موقفهم الحقيقي في هذا الشأن، و يحافظون على اعتراف لا مطعن فيه بالشافعية امام الناس.

و قد سأل لورانس الشريف الاكبر عن حقيقة اللقب الذي يلقيه به العرب الشماليون، و هو لقب «امير المؤمنين»، و هل يلقى ذلك التلقب قبولا- عنده، فأجاب بعد شيء من التأمل بالنفي. ثم قال له ان الناس ينسبون له اطماعا لا شيء منها عنده، و انه سمعهم يتحدثون عن إحيائه للخلافة.

و بادر الى توضيح موقفه من ذلك ايضا بقوله ان الخلافة قد انتهت بأبي بكر،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٢٥

و ان إحياءها اليوم يعد ضربا من السخافة، لا بل كفرا بالنسبة لقواعد الدين و أصوله، و انه لن يتدخل قطعيا في شؤونها. و قال الشريف علاوة على ذلك ان فكرة الخلافة الاسلامية كان البريطانيون قد اقترحوا استغلالها على السلطان عبد الحميد فاستغلها فعلا ليضرب الشرفاء بها. و كان ذلك شيئا قاضيا على هيبة الإسلام لأنه حاول قلب الدين الى عقيدة سياسية، فتحمل مسؤولية القلاقل التي وقعت في ترقية و جزيرة العرب و شمال أفريقية و جاوة و الهند و الصين. و هو بالنسبة لهذا المثل السيء أمامه، و بالنظر لصداقته مع بريطانية العظمى، لا يسعه الاعتراف بخلافة أخرى أو بوجود تسنمها على ما يقول.

و يعود لورانس فيذكر بعد كل ذلك أنه يرى شخصا بأن الشريف حسينا لا يمكن ان يرفض لقب «أمير المؤمنين» اذا ما جاء عن طريق مبايعة أتباعه له بهذه الأمانة، و ليس بطريق انتحاله للقب من تلقاء نفسه. هذا و يقول لورانس بالمناسبة ان تلقيب الشريف بهذا اللقب كان شائعا في الحجاز يومذاك بين القبائل من قاف الى قنفذة.

استيلاء الوهابيين على مكة

لقد كان استيلاء الوهابيين على مكة نقطة تحول خطيرة في تاريخ البلد الحرام، و صفحة جديدة من صفحات تاريخه المغمم بالحوادث. و خير من يصف هذا الحدث المهم، و ما يحيط به من مضاعفات، من الغربيين سنت جون فيلبي الذي اعتنق الإسلام على يد الملك عبد العزيز السعود فأصبح يسمى باسم الحاج عبد الله فيلبي . فقد أشار فيلبي الى استيلاء الوهابيين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٢٦

على الحجاز كله في معظم كتبه تقريبا، لكن اهم كتابين يرد ذكر هذا الحادث فيهما هما كتاب (اليوبيل العربي). و كتاب (أربعون سنة في الأوعار).

فهو يعود بالحوادث الى أيام الملك حسين، و مبايعة بعض العرب له بالخلافة، و يقول في (اليوبيل العربي) ان مصطفى كمال كان قد اعلن إلغاء الخلافة في ترقية فتمسك الملك حسين تمسكا قويا بخرقه النبي، الى ان يقول: و لو كانت الظروف غير الظروف التي كانت تحيط بالملك حسين لرحب العالم الإسلامي بهذا الحادث الذي تعود فيه الخلافة الى رجل من آل البيت النبوي الكريم، و لكن الحسين لم يستطع الحصول على التأييد المطلوب لادعائه الا في شرقي الاردن و سورية و العراق، حيث تمكن أولاده فيها من استحصال بعض الدعم و التأييد. و وصل الى عمان في كانون الثاني ١٩٢٤، و نودي بخلافته رسميا في عمان يوم ١٤ مارت بعد ان

جرى الشىء نفسه فى الجامع الأموى فى دمشق.

وفى آب من تلك السنة وصل هجوم الأخوان الوهابيين الى زيزا فى جنوب عمان و بمفاجأة مذهلة وقع فى اليوم الثالث من أيلول ما لم يكن فى الحسبان. فقد ظهرت قوة و هابية كبيرة يقودها سلطان بن بجاد فى ضواحي الطائف عاصمة الحجاز الصيفية. فانسحب الأمير على، ابن الملك الأكبر، مع قواته على عجل الى ما يقرب من مكة تاركا الطائف لمصيرها المحتوم. واستسلمت من دون مقاومة تذكر، و لم يجد ابن بجاد صعوبة فى التخلص من على و قواته فى موقعه حدة التى تقاطرت على أثرها الى مكة فلول تلك القوة و المدنيين الهاربين من سكان الطائف.

و سرعان ما تناهت هذه الأنباء الى ابن سعود فى الرياض، فاندحش موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٢٧ فى سهولة تداعى خط الدفاع الحجازى أمام هذا التعرض البسيط. و أصبح يعنى فى الدرجة الاولى بما سيحدث بعد هذا، و يتوقع حدوث معركة فى مكة قد تؤدى الى كثير من القتل و اراقه الدماء. و لأجل ان يحد من تعصب رجاله المتطرفين بعث بأوامر مستعجلة الى الجبهة يمنع فيها احتلال مكة بالقوة و يحث الوهابيين على ضبط انفسهم حتى يصل اليهم هو بنفسه. و الحقيقة ان الأمير عليا كان فى تلك الأثناء قد تجاوز مكة خلال فراره امام الوهابيين الى جدة. فقرر الملك حسين بعد كثير من الاحجام و التردد ان يخلى مكة المكرمة ليتحاشى وقوع معارك دموية فى شوارعها. و لذلك وقع شرف احتلال مكة من دون مقاومة على عاتق سلطان بن بجاد، و لم يتعرض احد خلال ذلك بسكان مكة انفسهم، لكن بعض القبة المشاهدة فوق قبور مقبرة المعلا قد هدمت و نهبت ممتلكات بعض الشرفاء.

اما فى جدة فقد رضخ الملك حسين لضغط الرأى العام عليه، و تنازل عن العرش لأبنة على، ثم استقل باخرة من البواخر مع أسرته الى العقبة التى كان قد نزل فيها قبل سبعة اشهر فقط فى طريقه الى حيث نودى به خليفة للمسلمين. و قد كانت مهمة الملك على فى الدفاع عن جدة مهمة شاقة، و لذلك حاول فيها ان يحسم الخلاف مع ابن سعود بالحسنى فاستقدم من الخارج لهذا الغرض السيد طالب النقيب، و أمين الريحاني، و المستر فيلبى، و يقول فيلبى أنه نصحه بمقابلة ابن سعود شخصيا حينما يصل الى مكة، و يستسلم. على ان مستشاريه العسكريين حرضوه على قتال الوهابيين و ردهم الى باديتهم، بعد ان يصل اليه المتطوعون من سورية و شرقى الاردن.

و يقول فيلبى فى (أربعون يوما فى الاوعار) ان الملك حسينا ابرق الى ابنه من العقبة فى مثل هذا الوقت العصيب، الذى كان الجو مشحونا فيه بالتأزم، يطلب اليه الاستماتة فى الاحتفاظ و لو بجزء صغير من البلد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٢٨

الذى ولدت فيه الثورة العربية. فقرر عدم الرد عليه.

و يفهم مما كتبه فيلبى ان المفاوضات و الوساطات بين الطرفين لم تجد نفعا فترك جدة فى يوم ٣ كانون الثانى ١٩٢٥، و أخذ ابن سعود يقصف جدة بمدفعيته فى اليوم الثانى بعد أن وجه إنذارا لأهاليها بالاستسلام. و يقول فيلبى انه عاد الى جدة فى تشرين الثانى من تلك السنة ليشهد المرحلة الأخيرة من انهيار المملكة الهاشمية فى الحجاز. لكنه يذكر ان رجلا انكليزيا آخر يدعى ايلدون رثر Eldon Rutter كان قد قضى صيف ١٩٢٥ و خريفه كليهما فى مكة منتحلا صفة أحد الحجاج المسلمين، فكتب كتابا مهما فى ذلك (لم نعرث عليه مع الأسف) يصف فيه أول عهد ابن سعود فى حكم الحجاز. و هو يصفه شخصيا كذلك، و يصف ديموقراطيته و بساطته المحببة للناس. فيقول «.. ان طموحه الشخصى لا يحده حد، لكن الذى يخفف من وطأته هو ما عنده من حذر و قابلية تمييز شديدة.

و هو عدو لا يرحم فى المعارضة و الحرب، لكنه أعظم العرب أنسانية فى التاريخ عند النصر. اما طريقته فى الحكم فمن مزايه فيها أنه يلجأ الى المشورة و الرأى حتى بين الأقارب، و يعد حكمه حكما مطلقا فى أساسه».

و بعد ان استولى ابن سعود على الحجاز أدرك البريطانيون ان وجود الملك حسين فى العقبة سيؤدى بطبيعة الحال الى تدفق الجيش الوهابى على حدود شرقى الأردن و فلسطين، فاتخذوا الخطوات اللازمة لنقل الملك اللاحى على ما يقول فيلبى الى قبرص، و احتلوا العقبة بسرية من السيارات المصفحة. فكان لذلك وقع سىء عند ابن سعود الذى أبدى تدمره لأيلدون رتر .. و لأجل ان يظهر ابن سعود للعالم بأنه غير عازم على التخلي عن أى جزء من مسؤوليته الجديدة تجاه الحجاز، اتخذ الترتيبات اللازمة للمناداه به ملكا عليه خلفا طبيعيا للأسرة الهاشمية، بعد ان تشاور مع سكان مكة و المدينة و جدة، و رؤساء العشائر. فتم ذلك فى المسجد الحرام بمكة المكرمة بعد صلاة الجمعة فى اليوم الثامن من كانون الثانى ١٩٢٦.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٢٩

و كان من حسن حظ المستر ايلدون رتر ان يحضر هذه المناسبة العظيمة، التى صادف وقوع يوبيلها الفضى فى نفس اليوم الذى وقع فيه اليوبيل الذهبى للمناداه به ملكا فى الجزيرة العربية، بالتقويم القمري.

أسلام عبد الله فيلبى

كان المستر سنت جون فيلبى، أو الحاج عبد الله فيلبى، قد بدأ الاتصال بالعرب عند أول اشتغاله فى العراق مع الحملة البريطانية التى نزلت الى البر العراقى سنة ١٩١٥ لمقاتلة العثمانيين خلال الحرب العالمية الأولى.

و قد ازداد تعلقه بالعرب و تقربه لهم خلال مدة وجوده فى العراق، و اتجه اتجاها خاصا نحو السعوديين و الملك عبد العزيز السعود بعد ان أوفد بمهمة رسمية خاصة اليه. و صار يكره الهاشميين بعد ذلك و يدعو الى آل سعود فى كل فرصة او مناسبة. فأدى به ميله هذا الى مقاومة فيصل الأول عندما جاء الى العراق، و الدعوة الى تأسيس حكم جمهورى فيه. فأخرج من وظيفته على أثر ذلك، و تقلبت به الأحوال حتى استقر عند الملك عبد العزيز السعود بعد ان توفق فى احتلال الحجاز، و صير عاصمه ملكه فى مكة المكرمة سنة ١٩٢٦.

و حينما توطدت علاقته بالسعوديين على هذا المنوال و بقى مقيما فى الحجاز و الرياض أشيع عنه انه تزوج من أميرة سعودية فتركته زوجته الانكليزية و عادت الى بلادها. و كان لا بد له من ان يفكر بالأسلام و اعتناقه للدين الإسلامى و هو فى وضعه هذا، ففعل ذلك على يد الملك عبد العزيز السعود. فهو يقول فى كتابه (أيامى فى البلاد العربية):

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٣٠

.. و منذ أيامى الأولى فى الهند انجذبت الى الإسلام انجذابا تاما لتأكيده الشديد على ما كان يبدو لى صالحا من الفلسفة و أساليب الحياة. و كنت قد تخلت عن المسيحية منذ مدة طويلة لأكون فيلسوفا ليس له حس دينى خاص او اقتناع بأى دين من الأديان، مع أننى كنت أعترف بأن الدين فى حد ذاته يعد ضرورة لا مناص منها للسواد الأعظم من البشر. و كان الإسلام فى الهند من جهة أخرى يبدو لى أنه قد حمّل بأكثر مما يجب من المبادئ و الطقوس غير الأساسية التى كان يصعب قبولها من دون تحفظ و احتراز زائد. و قد وجدت أهل السنة فى العراق على شىء غير يسير من الضحالة و على جانب كبير من الرسميات فى ممارسة الدين او التفكير به، بينما لم تجذبني العقيدة الشيعية بقديسيها و علمائها الأصوليين.

و لذلك لم تتح لى الفرصة للاتصال بما كنت أعتقد أنه الشكل البقى الطاهر من الإسلام الا عندما ذهبت الى جزيرة العرب، التى ألفت فيها ذلك الإسلام الذى يستمد تعاليمه بالكليّة من منابع وحيه الأصلية فى القرآن و سنة النبى الأعظم، من دون ان يمت بشىء من الصلة الى ما طرأ على التعاليم الأصلية من تفسير و تأويل بعد ذلك. و قد لاح لى بعد درس عميق ان العقيدة الوهابية هى الشكل المثالى للدين، و ان تعصب أتباعها لم يكن مكروها فى نظرى أنا. ذلك لأننى وجدت عند الوهابيين مزية غير موجودة عند غيرهم، و

هي أنهم يمارسون ما يعتقدون به و يدعون اليه بصراحة، و ان عقيدتهم تبدو متفقه تمام الاتفاق مع ما تتطلبه حياة الإنسان و المجتمع البشرى بأبسط أشكالهما. و هي عقيدة يستطيع المرء ان يتقبلها بسهولة، و يتخذها دليلا في حياته و مسلكه من دون ان تستولى عليه ذهنية عدم النزاهة في الفكر. كما أن مقاييسها الاخلاقية تناسب، على ما يبدو، حاجات البشر الأساسية أحسن مما تناسبها الديانات الأخرى كالمسيحية مثلا. و لئن كان تشريعها قاسيا من بعض الوجوه، فهي لا تفر الزيف، اما تعدد الزوجات الذي تقره و تعترف به، و الذي كثيرا ما كان هدفا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٣١

للنقد و التجريح، ففيه من التدابير الواقية ضد العهر و الفسق ما يفضل على التدابير الموجودة في الوصايا العشر .. و بعد ان يسرد فيلبي في كتابه المشار اليه كيفية دخوله الإسلام و اعتناقه أياه نهائيا، و أخذه الى مجلس الملك ابن سعود في مكة يقول:

.. و قد روى الملك للمجلس المحتشد كيف صفقت السيدة نورة شقيقته من فرحها عندما سمعت أنني اصبحت مسلما، ثم قص عليهم بعض ما كان دار بين كلينا من الحديث في هذا الشأن. ثم قال فجأة اننا يجب ان نجد له أسما جديدا، فماذا تقترحون كلكم؟ .. لماذا لا نسميه عبد الله؟ نعم، فليكن اسمه عبد الله، عبد الله فيلبي. و هكذا كان منذ ذلك الوقت حتى اليوم .. و يكتب فيلبي في (أربعون عاما في الأوعار) فصلا خاصا عن خطواته الأولى في الإسلام على ما يسميها، و يقصد بذلك حجه الى بيت الله الحرام لأول مرة، اي بعد ان اعتنق الإسلام. و يفهم مما كتبه في هذا الفصل انه كان قد فاتح صديقه الملك عبد العزيز منذ مدة برغبته في اعتناق الاسلام و حجه الى البيت الحرام، لكن الملك كان يوصيه بالصبر و الانتظار.

و قد أشار عليه بعد ان أسلم بان يقضى «مدة تجربة» في جدة تستغرق عدة أشهر قبل ان يقدم على أداء هذا الواجب الديني المقدس، لكن الأقامة في جدة طوال هذه الأشهر كانت شيئا لا يروقه و فاتح الملك بأن يقضيها معه في مصيفه الجميل بالطائف على ما يقول. فاستجاب له الملك، و في يوم ٧ آب ١٩٣٠ اتصل به تلفونيا و أمره بأن يستعد للتوجه الى مكة بعد ظهر ذلك اليوم نفسه حيث تدبر له زيارة البيت الحرام.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٣٢

و يقول فيلبي ان ذلك قد تم بالفعل فوصل بعد ان ترك جدة بساعتين الى واحة الحده في وادي فاطمة الكائنة على بعد أميال معدودة عن منطقة مكة المحرمة التي كان ينتظره فيها وفد من الشخصيات المرموقة من مثل الشيخ عبد الله السلیمان وزير الماليه السعودى، و الشيخ فؤاد حمزة نائب وزير الخارجيه، اللذين أوكل لهما الأشراف على قضية دخوله الى مكة المكرمة. و بعد ان التقى بالوفد المذكور في مخيم خاص، توجأ و أحرم و أخذ بالسيارة الى بيت الشيخ عبد الله الجميل الكائن في ضواحيها الغربية، بعد ان مر بالشمسى و العلمين اللذين يدلان على الحل و الحرم، و يقهوة العبد (قهوة سالم) و ما فيها من بئر و مقهى، ثم بالمقتلة و أم الدود و بستان البير و جرول.

و بعد ان تناول العشاء متأخرا تلك الليلة، و هي ليلة المولد النبوى لسنة ١٣٦٠ هـ، جىء له بسيارة خاصة قبيل منتصف الليل و أخذ بصحبة «مطوع» من مطوعى الوهابية يدعى صالح العنقرى. و يقول فيلبي انه توجه الى البيت الحرام مع هذا المطوع بقلب خافق، و هو آخر الملتحقين بأبسط الأديان و أشدها تأثيرا فى النفس، بالدين الذى يقول نبيه الكريم (كل مولود يولد على الفطرة، و انما أبواه يهودانه أو ينصرانه).

ثم يتابع وصف دخوله الى البيت الحرام فيقول .. و بعد ان تركت الخفين فى خارج العتبة العالية، التى تصد المياه المتدفقة عند هطول الأمطار، سلمت قيادى الى دليلى الذى أمسك بمعصمى الأيمن و أدخلنى من (باب السلام) الى صحن الحرم الكبير الذى كان يمتد أمامنا بروعة و بهاء فى ضوء القمر اللامع. و كانت تقوم فى وسطه الكعبة المشرفة، المجلله كلها بالكسوة السوداء، التى كان يدور

حولها من ثلثي ارتفاعها عن الأرض حزام من الكتابة المنقوشة بالفضة. و كان بضع مئات من الناس ينتشرون في الصحن الكبير هنا و هناك، للصلاة و سائر أنواع العبادة و التأمل، بينما كان عشرات الناس غيرهم يطوفون حول الكعبة مكونين تيارا لا موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٣٣

ينقطع الا في أوقات الصلاة. و قد سرت، و أنا أكرر الأدعية و الجمل الدينية التي يتلوها دليلي الآخذ بيدي على الدوام، على طول الممشى المبلط بخشونة الى وسط المسجد الحرام حتى وقفت بين يدي الكعبة نفسها. و كان الكشك المشاد فوق مقام ابراهيم (او مصلاه)، و البناء المبنى فوق بئر زمزم، يقعان على يميني و شمالي بالتعاقب، حينما كنت أواجه الحجر الأسود الموضوع بارتفاع الكتف في الركن الشرقي للكعبة المشرفة نفسها. و حالما تنحى الحجاج الآخرون عن الحجر تقدم دليلي اليه بخشوع فقبله، ففعلت كما فعل، ثم قادني للطواف سبع مرات حول الكعبة و هو يتلو الجمل الدينية المطلوبة لأكررها بعده. و كنا نقف في كل دورة لنقبل الحجر الأسود، كما كانا في الركن الجنوبي نجبي على الشاكلة نفسها الحجر اليماني الذي كان عبارة عن قطعة غير منتظمة من الغرانيت ناتئة من فتحة في العمود.

و حينما انتهينا من الطواف في الدورات السبع، انتقلنا الى مقام ابراهيم لأداء ركعتين من الصلاة فيه كالمعتاد، ثم انتهت الشعائر بزيارة لبئر زمزم حيث شرب كلانا قدحا من الماء المقدس الذي وجدته شيئا مستساغا خاليا من التأثير السيء في المعدة، على خلاف ما ذكره الرحالة بورتون و غيره ممن انتقد مذاقه و محتواه الكيميائي. و الحق ان شعيرة الطواف كانت شيئا مؤثرا في النفس، الى أبعد ما تستطيع الكلمات وصفه و تحديده. لكن الغريب في الأمر أنها كانت تكاد تكون شيئا مألوفا عندي كما لو كنت قد قمت به من قبل، و لا شك ان ذلك قد يكون مرجعه كثرة ما قرأته و اطلعت عليه من كتب الحج و شؤونه من قبل .. و يمكنني ان أدعي بالنسبة للعطف الذي شملني به عبد العزيز السعود من دون مبالغة بأني كنت أول شخص دخل الإسلام دخولا فعليا و هو في وسط جمع حاشد من الرموز و الأنصبه التاريخية العريقة، و على مقربة من المسجد الحرام في مكة.

و بعد ان تركنا المسجد الحرام من (باب الصفا) توجهت مع دليلي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٣٤

الى أداء شعيرة السعي. المنظوية على قطع المسافة ما بين تلي الصفا و المروة سبع مرات متتاليات على الاقدام، أي قطع مسافة تقدر بثلاث مئة و ثمانين ياردة. و يتم هذا السعي بالهرولة عبر الطريق العام خلال خمس و ثلاثين ياردة، و مشيا على الاقدام خلال المسافة المتبقية. و قد كانت مسافة الميل و النصف من هذه المرات السبع المارة في طريق و عر غير مبلط مسافة متعبة حقا، حينما تتخللها الوقفات القصيرة في نهاية كل مرة لأداء الصلاة في اتجاه الكعبة. و لذلك سرنى ان أعود الى دار الشيخ عبد الله السليمان لأنضى بقيه الليل مرتاحا فيها، بعد ان بقيت فترة قصيرة من الزمن أتحدث فيها الى ضيف آخر في البيت هو المهندس البولوني المسلم فؤاد أحمد سافيشكي الذي كانت بعهدته الورشة الحكومية يومذاك.

و في صباح اليوم الثاني، الجمعة، شرفني بالزيارة الشيخ عبد الله ابن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٣٥

حسن أحد العلماء الوهابيين في مكة، الذي كان ينتمي الى أسرة مؤسس الوهابية الشيخ محمد بن عبد الوهاب. و كان قد جاء ليهنئني على اعتناقي الإسلام، و يدبر أمر اصطحابي له مع سائر أقطاب المذهب الوهابي في مصلى الداودية لأداء صلاة الجمعة في المسجد الحرام. و الى ان يحين ذلك الوقت أخذني الشيخ فؤاد حمزة لمشاهدة معالم مكة و ضواحيها القريبة بالسيارة.

و بعد أن أديت صلاة الجمعة لأول مرة في حياتي عدنا جميعا الى بيت عبد الله السليمان للغداء. و كان الشيخ عبد الله بن حسن رقيقا جدا في استقبالي و الاحتفاء بي. و قد ضحكنا حينما تحدثت اليه عن ما كان قد جرى ذات يوم قبل سنوات. فقد صادفني في قهوة بير ابن حساني الواقعة في طريق المدينة فاعترض اعتراضا شديدا على وجود كافر مثلي يومذاك في تلك الجهات. و كانت الملاحظة

التي ابداهها اليوم «انه لم يكن بينى و بين جهنم يومذاك سوى الموت، اما اليوم فتوجد الجنة اذا استجاب الله تعالى لأسلامى و اعتبره شيئا نابعا من القلب».

و يفهم مما يذكره الحاج عبد الله فيلبى فى فصل آخر من كتاب (أربعون عاما فى الأوعار) انه خرج من مكة بعد زيارة الحرم الشريف لأول مرة فى حياته، و عاد الى الطائف فرحب به الملك ابن سعود و سماه عبد الله على النحو المار ذكره قبل هذا، لكنه عاد الى مكة مرة ثانية بعد ذلك ليقيم فيها و يصبح مواطنا من مواطنيها المرموقين، و كان ذلك فى تشرين الثانى سنة ١٩٣٠. و هو يقول أنه قضى عند عودته اليها يومين فى ضيافة عبد الله الفضل رئيس المجلس الاستشارى حتى وجد له بيتا خاصا يعيش فيه. فتم له ذلك و سكن

فى الدار رقم ٢٧ من محله جرول المعروفة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٣٦

فى مكة، بقرب حدائق البلدية و قصر وزير المالية، و هو يقول «.. و فى اليوم الأخير من تشرين الأول ١٩٣٠ اصبحت مواطنا من مواطنى مكة، و بقيت كذلك مدة ربع قرن».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٣٧

مرايم الحج و فرائضه

اشارة

كتبه الخطيب جواد تبر عضو جمعية منتدى النشر و جمعية الرابطة العلمية فى النجف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٣٩

فريضة الحج

الحج لغه هو القصد، و لهذا سمي الطريق محجةً لانه يوصل الى المقصود.

و الحج شرعا هو القصد الى بيت الله الحرام و اداء مناسك خاصة و طقوس معينة فى زمن معين، و هو واجب على كل مسلم و مسلمة تتوفر فيهما الشروط المعينة.

و تتفق طقوس الحج و كيفية ادائها عند جميع المذاهب الاسلامية باستثناء فرق طفيفة اوردنا اهمها فى آخر هذا البحث.

و المتفق عليه عند عامة المسلمين ان الحج يجب فى العمر مرة واحدة، و وجوبه عند حصول الاستطاعة. و من وجب عليه الحج فاتى به فمات فى الاثناء، فان كان بعد الاحرام و دخول الحرم اجزأه و الا فلا.

شروط وجوب الحج

هى: ١- البلوغ. ٢- العقل. ٣- الاستطاعة و ذلك بأن يكون مالكا مؤونة السفر من الزاد و الراحلة ذهابا و إيابا، و قادرا على تموين

عياله الذين و جبت نفقتهم عليه. و كان سالما من المرض متمكنا من السير و غير خائف فى الطريق

و اول واجبات الحج هو الاحرام من احرم يحرم اذا اهل بالحج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٤٠

و العمرة و باشر اسبابها و شروطها من خلع المخيط، و اجتناب الاشياء التى منع منها الشرع. و هو توطين النفس على اجتناب تلك

المحرمات التى نهى الاسلام عنها و سيأتى الكلام عليها.

واجبات الاحرام

- ١- لبس ثوبى الاحرام، للرجل و هما: ازار ورداء يأتزر باحدهما ساترا ما بين السرة و الركبة، و يرتدى بالآخر ساترا للمنكبين. و يجب ان يكونا غير مخيطين للرجال، و يعتبر فى الثوبين مما تصح فيه الصلاة.
- ٢- النية و هى القربة و الاخلاص فينوى الاحرام لعمرة متمتع بها الى حج التمتع حج الاسلام لوجوبه قربة الى الله تعالى.
- ٣- التلبية و هى قول الحاج: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد و النعمة لك و الملك لا شريك لك. و يجب النطق بها على النهج الصحيح و تجب مرة واحدة إذ لا ينعقد الاحرام الا بها. و قد تتكرر استحبابا.

محرمات الاحرام

- يجب على المحرم ان يلتزم بترك ما يحرم فعله ما دام محرما، و هى محرمات الاحرام الواجب على المكلف ان يلزم نفسه بتركها.
- ١- صيد الحيوان البرى و ذبحه، دون غيره من الحيوانات، و كذلك امساكه و اكله و الاعانة على صيده بدلالة أو اشارة او نحو ذلك من اساليب الصيد أو الذبح، قال تعالى (لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ) اما السباع الضارية اذا كان يخاف منها، او السباع من الطيور اذا اذت حمام الحرم فيجوز قتلها حفظا لنفسه و لحمام الحرم، فاذا اصطاد المحرم الصيد أو
 - موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٤١
 - ذبحه كان ميتة، و يحرم عليه و على كل احد أن يأكل منه. نعم لا يحرم قتل الحية و العقرب و الفأرة، و لا كفارة فى قتل الزنبر خطا، و فى قتله عمدا صدقة بشىء من طعام.
 - هذا اذا كان الصيد برياً. اما الصيد البحرى فلا يحرم.
 - و كما يحرم الصيد على المحرم و لو كان فى غير الحرم، كذلك يحرم الصيد على المحل فى داخل حدود الحرم و تلزمه الفدية كما تلزم المحرم و لو قتل المحرم الصيد فى الحرم لزمته الكفارتان: القيمة و العين.
 - ٢- تحرم مباشرة النساء على المحرم وطأ، بل حتى التقبيل و اللمس بشهوة.
 - ٣- عقد النكاح سواء كان ذلك لنفسه ام لغيره، دائما او منقطعاً، و سواء كان للمحل أو المحرم. و يجوز الرجوع بالمطلقة فى حال الاحرام.
 - ٤- الشهادة على النكاح و لو لغيره.
 - ٥- الاستمنا بآى سبب كان بالملاعبة أو باليد أو غير ذلك.
 - ٦- الطيب بجميع اقسامه و انحاء استعمالاته كالمسك و العنبر، و العود، و الزعفران، و الكافور، و عطر الورد و غيرها من العطور، و حتى الهيل و القرنفل. فلا يجوز وضع ذلك فى الثياب و لافى الطعام و الشراب او دهن البدن به. و لكن لا بأس بأكل الفواكه العطرية كالتفاح و السفرجل و بقية الفواكه.
 - ٧- لبس المخيط للرجال فقط دون النساء. و يستثنى من ذلك محفظة الدراهم.
 - ٨- لبس الخف و الجورب و نحوهما مما يغطى ظهر القدم، و خير شىء هى احذية (الاسفنج) و لا- بأس بستر ظاهر القدم بثوب الاحرام
 - موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٤٢
 - أو ثنى الركبة عند الجلوس او تحت الدثار عند المنام.
 - ٩- الاكتحال بالسواد.
 - ١٠- النظر فى المرأة مطلقاً، سواء كان بقصد الزينة ام بقصد آخر، و اذا نظر فى المرأة استحباب له تجديد التلبية- رجلا كان الناظر او

- امرأة- و لا بأس بالنظر في الماء الصافي.
- ١١- الفسوق- اى الكذب سواء كان على الله أو على الرسول او الائمة عليهم السلام، أو على الناس. و السباب و المفاخرة و كل كلام بذيء و لفظ قبيح.
- ١٢- الجدال- و هو قول- لا- و الله، و بلى و الله- اما فى اظهار المودة و تقديم الاكرام و الانعام و عند اثبات الحق و دفع الباطل فلا بأس به.
- ١٣- التختم- و هو لبس الخاتم للزينة. و لا- بأس بلبسه اذا كان للسنة- اى للاستحباب الشرعى- و يجوز للمرأة لبس ما اعتادت من الحلى.
- ١٤- الادهان- بأن يطلى جسده بالزيت أو السمن او غيرهما من الادهان، حتى و لو لم تكن فيه رائحة طيبة الا للضرورة كاستعماله و قاية من تشقق الجلد.
- ١٥- ازالة الشعر مطلقا الا للضرورة مثل الوقاية من القمل أو خشية الصداع. و يكره الاحرام فى الثياب الوسخة و ان كانت طاهرة.
- ١٦- الحنّاء للزينة، و الاولى تركها مطلقا، و يستحب النظافة فى البدن و الثياب قبل ذلك.
- ١٧- تغطية الرأس اختيارا، و يحرم ذلك على الرجل دون المرأة.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٤٣
- و تجب عليه الفدية عند تغطية الرأس .
- ١٨- تغطية المرأة وجهها بنقاب و غيره مما يلصق على الوجه كلا او بعضا و حتى فى حال النوم.
- ١٩- التظليل للرجال اختيارا فى حال السير الا اذا كان ماشيا، فيجوز ان يمر تحت الظل عابرا.
- ٢٠- إخراج الدم من البدن بأى سبب كان. بالقصد أو بالحجامة أو السواك أو حك الجلد.
- ٢١- قلع الضرس و ان لم يخرج الدم عدا الاضطرار.
- ٢٢- تقليم الأظافر و لو ظفرا واحدا او بعض ظفر الاذى يجوز تقليمه.
- ٢٣- لبس السلاح بأنواعه. اما (السكين) الصغيرة للشؤون الخاصة فلا بأس بها. و يجوز حمل السلاح اذا خاف من عدو أو سارق بشرط اخفائه.
- ٢٤- يحرم على المحرم و غيره قطع كل نبت فى الحرم و كذلك قلعه، و يستثنى من ذلك (الاذخر) و كذلك يستثنى النخل و الفواكه، و ما كان الانسان قد غرسه هو بنفسه، او كان نابتا فى ملكه أو فى منزله و يكره الكلام بغير ذكر الله تعالى.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٤٤

المواقيت او المواقيت

و هى الحدود المكانية المعينة بالذات لمواضع الاحرام، فلا يجوز للحاج ان يتعداها الا باحرام منها او مما يحاذيها، و لا يجوز لأحد ان يدخل مكة الا محرما الا لمرض او من يتكرر دخوله كالخطاب و الحشاش و نحوهما.

و لو خرج بعد احرامه ثم عاد فى الشهر الذى خرج فيه اجزا و ان عاد فى غيره احرم ثانية.

يجب عليه ان يتجرد من ملابسه و يرتدى ثوبى الاحرام و هو: ازار و رداء، و يتقدم إلى بيت ربه بثوبين غير مخيطين و رأس مكشوف.

المواقيت المكانية هى التى عينها رسول الله و حددها تحديدا كاملا و اضحا محيطا بمكة المكرمة من جميع جهاتها و سائر اقطارها و نواحيها:

شمالا و جنوبا و شرقا و غربا.

اولا- مسجد الشجرة و يسمى (ذو الحليفة) لاهل المدينة و لمن كان طريقه على المدينة من اهل الافاق و الاقطار كسائر الحجاج الذين يؤمون زيارة المدينة و يقومون بزيارة النبي اولاً و قبل الحج.

و يبعد عن مكة نحو ٤٩٢ كيلومترا. اما الذين يذهبون الى جدة عن طريق الجوثم الى مكة فعليهم ان يحرموا من حدود الحرم بالمكان المسمى ب (الحديبية).

ثانيا- وادى العقيق، و يبعد عن مكة المكرمة نحو ١٠٠ كيلومتر و هو ميقات اهل العراق و اهل نجد. و اول هذه الميقات من جهة العراق موضع يسمى (المسلخ) و وسطه (غمرة) و آخره (ذات عرق).

ثالثا- الجحفة و هو لاهل الشام و مصر و من عبر على طريقهم الى مكة من اهل الاقطار و الامصار الاخرى، و يبعد عن مكة نحو ١٨٧ كيلومترا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٤٥

رابعا- قرن المنازل و يبعد عن مكة المكرمة نحو ٩٤ كيلومترا و هو ميقات اهل الطائف و من عبر على طريقهم الى مكة.

خامسا- يللم و هو جبل من جبال تهامة، و يبعد عن مكة المكرمة ٩٤ كيلومترا تقريبا، و هو ميقات اهل اليمن و من عبر على طريقهم الى مكة.

سادسا- ادنى الحل- و هو حدود الحرم و ميقات من لم يعبر الى مكة من احد هذه المواقيت.

انواع الحج

الحج على ثلاثة انواع:

١- حج التمتع ٢- حج القران ٣- حج الافراد

و النوع الاول و هو حج التمتع يتكون من عبادتين: الاولى: العمرة، و الثانية: الحج، و هو الواجب على كل مكلف مستطيع يبعد وطنه عن مكة المكرمة ٤٨ ميلا اى ما يساوى ٩٦ كيلومتر تقريبا من كل جانب فان كانت المسافة اقل من ذلك كان حج قران او افراد.

و التمتع اصله التلذذ، و سمي هذا النوع به لما يتخلل بنى عمرته و حجته من التحلل الموجب لجواز الانتفاع و التلذذ بما كان قد حرمه الاحرام مع ارتباط عمرته بحجه حتى انهما كالشيء الواحد.

و افضل انواع الحج: حج التمتع، ثم حج القران، ثم حج الافراد و انما سمي بالقران (او القارن) لان الحاج يقرب هديه معه و يسوقه عند احرامه اما (الافراد) فلانفراد العمرة عن الحج فيه بخلاف حج التمتع و ذلك بأن يعتمر بعد ان يحل من الحج عمرة مفردة و حج التمتع

تكون عمرته مقدمة عليه و مرتبطة به بخلاف القران و الافراد فان عمرتهما متأخرة عن حجتهما.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٤٦

كيفية حج الافراد و حج القران

و هو فرض اهل مكة و من بحكمهم. و كفيته اجمالا:

ان يحرم بالحج اولاً من ميقاته الذى مرت الاشارة اليه فى المواقيت، أو من حيث يسوغ له الاحرام. ثم يمضى الى عرفه فيقف بها ثم الى المشعر فيقف به ثم الى منى يوم النحر فيقضى مناسكه بها ثم يأتى الى مكة فيطوف بالبيت و يصلى ركعتى الطواف و يسعى و يطوف طواف النساء و يصلى ركعتين و ليس عليه هدى و لا اضحية، و عليه عمرة مفردة بعد الحج، و لا بد فيه من النية. و له ان يأتى

بها بعد الحج بلا فاصل، و ان يؤخرها الى غير اشهر الحج.

و حج القران كالأفراد الا- انه يتميز عنه بسياق الهدى عند احرامه و لا يجب الهدى على الحاج المفرد، و لا على القارن الا اذا ساق

القارن معه الهدى من الاحرام.

قال الامام محمد الباقر عليه السلام:

الحاج على ثلاثة وجوه:

رجل افرد الحج و ساق الهدى، و رجل افرد الحج و لم يسق الهدى، و رجل تمتع بالعمرة الى الحج.

و لما كان اكثر من يؤم بيت الله من القسم الثالث من اقسام الحج، و من كل فج عميق من النائين عن مكة و من يكون حجهم حج

تمتع استدعى التفصيل فيه دون القسمين الاولين: القران و الافراد.

ان الواجب هو تقديم العمرة على الحج، و ان حج التمتع يتكون من عبادتين:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٤٧

الاولى العمرة، و الثانية الحج.

اما الواجب على هذه فخمسة افعال:

١- النية و هي القصد و العزم على الفعل و طلب القربة الى الله تعالى اذ لا عبادة بلا نية القربة.

٢- الاحرام و هو ان يحرم لعمرة التمتع لحج التمتع حج الاسلام من الميقات متقربا الى الله تعالى.

٣- الطواف و ركعتاه و الطواف سبعة اشواط.

٤- السعي بين الصفا و المروة سبعا.

٥- التقصير بأن يأخذ المعتمر شيئا من شعر رأسه و يقصر منه او من اظفاره.

هذه هي واجبات عمرة التمتع، و لا- يجب فيها طواف النساء، فاذا فرغ من تقصيره حل له كل شىء احرم منه، و لهذا سميت: عمرة

التمتع اى التلذذ و الانتفاع مما كان يحرم الانتفاع به عليه بسبب الاحرام. و يبقى المعتمر محلا يتمتع بما يشاء مما يحل للمحل فى

الحرم حتى يحرم للحج على التفصيل الآتى بيانه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٤٨

الطواف و واجباته

يجب على المعتمر للتمتع بعد دخول مكة أن يتدّىء بالطواف لعمرة التمتع. و الطواف ركن فمن تركه عامدا الى زمن لا يمكن فعله

فيه قبل الوقوف بطل حجه و صار حج افراد قال تعالى (وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) و المريض يطوف معتمدا، أو راكبا، او محمولا، فان

لم يتمكن استتاب.

و يجب الطواف فى حج التمتع، و حج الافراد، و حج القران، و عمرة الافراد و عمرة القران و العمرة المفردة مرتين:

١- طواف الحج سواء للتمتع، او الافراد، أو القران، و عمرتيهما و العمرة المفردة و هو ركن.

٢- طواف النساء لكل من حج التمتع، و حج الافراد، و حج القران، و عمرة كل من الافراد، و القران، و العمرة المفردة. ولكنه ليس

بركن بخلاف الطواف السابق فانه ركن و يبطل كل نسك بتعمد تركه.

شروط حج التمتع

يجب على المعتمر عمرة التمتع ان يطوف حول البيت طواف عمرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٤٩

التمتع بشروط:

- ١- النية المشتملة على قصد القرية والتعيين بكونه طواف حج، او عمرة، أو نساء، أو غيرها. و تكون هذه النية مقارنة لاول جزء منه. و ذلك بأن يقول: أطوف سبعة أشواط في بيت الله الحرام طواف عمرة التمتع لحج الاسلام. حج التمتع لوجوبه قرينة الى الله تعالى.
- ٢- الطهارة من الحدث الاكبر و الاصغر، و المتعذر عليه الوضوء او الغسل يتيمم بدله فلو احدث في اثناء الطواف قبل اكماله اربعة أشواط استأنف.
- ٣- طهارة البدن و الثياب.
- ٤- اباحة اللباس بأن لا يكون لباسه مغصوبا.
- ٥- ستر ما يجب ستره في الصلاة للرجال و النساء، كل بحسب حاله.
- ٦- الختان فلا يصح طواف الاغلف و ان كان طفلا.
- ٧- يجب ابتداء كل شوط من الاشواط السبعة بالحجر الأسود و الاختتام به، فلا يصح ان يبدأ الطواف بغيره كما لا يصح الاختتام بغير الحجر الأسود ايضا.
- و يكفي في حصول الابتداء و الاختتام المحاذاة العرفية في ابتداء الشوط و ختامه.
- ٨- جعل البيت على اليسار فلا يصح الطواف بعكس ذلك.
- ٩- ادخال حجر اسماعيل في الطواف و ان يجعله الطائف على يساره، و العكس باطل.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٥٠
- ١٠- خروج تمام بدنه عن البيت و عن حجر اسماعيل و عن ما يحسب من البيت.
- ١١- كون الطواف بين البيت و المقام مقام ابراهيم فلا يصح أن يجعل مقام ابراهيم داخل المطاف، بل الواجب ان يكون مقام ابراهيم على اليمين، و البيت على اليسار. و يلزم على الطائف أن لا يبعد عن البيت ازيد من ٢٦ ذراعا بذراع اليد تقريبا من جميع الجوانب، فلا يبعد عن الكعبة بما يزيد على هذا المقدار و الا خرج عن المطاف.
- ١٢- اكمال سبعة اشواط بلا زيادة و لا نقصان. فلو شك في العدد بعد الفراغ لم يلتفت.
- ١٣- الموالاة في الطواف فانها شرط، و معناها المتابعة بين اشواط الطواف، و لا يعمل الطائف خلال القيام بالطواف عملا يفصل بينها.

ركعتا الطواف

- ثم يصلى ركعتي الطواف بعد فراغه من الطواف خلف مقام ابراهيم عليه السلام و هي الصخرة التي وقف عليها ابراهيم الخليل، و هو يبني جدار الكعبة، و ان لم يتمكن من الصلاة خلف المقام صلاها عنده من احد الجانبين فان لم يتيسر له ذلك يصلها حيث شاء في المسجد الحرام مع مراعاة الاقرب فالاقرب الى خلف المقام.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٥١

حج التمتع

- هو الجزء الثاني الذي يقع بعد التمتع المار بالذكر.
- و لذا يضاف اليه، فافعاله امور مترتبة مجملها:
- الاحرام، و الوقوف بعرفات، ثم الوقوف بالمشعر، ثم المضى الى منى يوم العيد، و رمى جمرة العقبة، ثم الذبح، ثم الحلق، ثم طواف الزيارة و ركعتاه، ثم السعي، ثم طواف النساء و ركعتاه، ثم المبيت بمنى ليلة الحادى عشر و الثانى عشر و الثالث عشر، و رمى الجمرات الثلاث.

- التفصيل:

بعد الاحلال من عمره المتمتع يكون الاحرام بالحج- و هو ركن من الاركان- و الاحرام من مكة، و الافضل من المسجد. و يتسحب ايقاعه يوم التروية- و هو اليوم الثامن من ذى الحجة، فيلبس الحاج ثوبى الاحرام ثم ينوى الاحرام للحج ثم يلبي فيقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك. فينعد احرامه و تحرم عليه المحرمات المذكورة فى العمرة. اما النية فكيفيتها: ان يقول اقف بعرفة و قوف حج المتمتع حج الاسلام لوجوبه قربه الى الله تعالى. و يخرج الى منى، و الوقوف بعرفات تاسع ذى الحجة حاضرا فيه مستوعب الوقت كله- من زوال الشمس الى غروبها اختيارا من يوم عرفة. و الموقف الاضطرارى هو من مغيب الشمس ليله العيد الى طلوع الفجر.

عرفة

يوم عرفة يوم التاسع من ذى الحجة و عرفة: ميدان واسع ارضه مستوية يبلغ نحو ميلين طولاً- فى مثلها عرضاً، تحيط به سلسلة جبال على شكل قوس كبير و يمر بطرفى القوس
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٥٢
من جهة الجنوب الطريق الى الطائف و فى شماليه جبل الرحمة المعروف عند الناس بجبل عرفات و انما جبل عرفات ما اطاف بهذا الميدان، و جبل الرحمة اصغر جزء فيه. قالوا: وحدها من بطن عرفة و (توبة) و (نمرة) الى ذى المجاز.

سبب التسمية

يقال ان سبب هذه التسمية لان الناس يعترفون بذنوبهم فيها و قيل غير ذلك.

المزدلفة او المشعر الحرام

المزدلفة: بضم الميم و سكون الزاى المعجمة و فتح المهملة و كسر اللام اسم فاعل من الازدلاف و هو الاجتماع، تقول: ازدلف القوم اذا تقدموا. و هى موضع يتقدم الناس فيه من عرفات الى منى و قيل لانه يتقرب فيه الى الله، او لمجىء الناس فيها فى زلف من الليل- اى (ساعات) فسميت المزدلفة قال تعالى (فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) و المشعر الحرام هو جبل فى آخر المزدلفة و اسمه قرح و وصف بالحرام لحرمة او لانه من الحرم وسمى مشعرا لانه موضع لشعائر الله و عبادته.

منى و اعمالها

و ينتقل الحاج من عرفات الى المشعر الحرام، و ان عليه ان يمكث فيه من طلوع الفجر الى طلوع الشمس مختاراً.. فاذا طلعت الشمس من يوم العيد انتقل من المشعر الى منى، و بينهما واد يسمى واد (محسر)
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٥٣
و ليس للحاج ان يتجاوزها الا بعد طلوع الشمس.
و لمنى مناسك شتى، تستمر من يوم النحر، و هو يوم العيد الى صبيحة اليوم الثالث عشر، او مساء اليوم الثانى عشر، و فى منى تنتهى واجبات الحج، و تسمى الايام الثلاثة، و هى ١١، ١٢، ١٣، من ذى الحجة ايام التشريق.

منى

منى بالكسر و التثنية يقع فى درج الوادى الذى ينزله الحاج و يرمى فيه الجمار و قد سمي بذلك لما يمنى به من الدماء أى يراق.
و كانت منى فى الجاهلية مقرا لسبعة اصنام: بعضها على الطريق و بعضها على الجمره الاولى، و بعضها على شفير الوادى، و بعضها على الجمره الوسطى، و على الجمره الكبرى، و على جمره العقبه.

و يستحب التقاط حصى الجمار من المشعر و الاحتفاظ بها الى منى للرمى و عددها سبعون.

قال العلامة الحلى فى كتابه (تذكرة الفقهاء) يرمى فى كل يوم احدى و عشرين حصاة، على ثلاث دفعات، كل واحده منها سبع حصيات، يتدء بالاولى و هى أبعد الجمرات من مكه، و تلى مسجد الخيف، و يستحب ان يرميها حذفاً- أى يضع الحصاة على باطن الابهام و يدفعها بظاهر السبابة- عن يسار الجمره من بطن المسيل بسبع حصيات، و يكبر عند كل حصاة، و يدعو ثم يتقدم الى الجمره الثانية و تسمى الوسطى و يقف عن يسار الطريق و يستقبل القبلة و يحمد الله و يثنى عليه و يصلى على النبى ثم يتقدم قليلا و يدعو ثم يرمى الجمره، و يصنع كما صنع عند الاولى، و يقف و يدعو ايضا بعد الحصاة الاخيره.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٥٤

ثم يمضى الى الجمره الثالثه- و تسمى بجره العقبه- و يرميها كالسابقه و لا يقف بعدها و بها يختم الرمى.

و ان مجموع ما يرميه فى الايام الثالثه بمنى ٦٣ حصاة- هذا ان بات بمنى ليله الثالث عشر- كل يوم ٢١ تضاف الى السبع التى رماها يوم العبد، فتتم على السبعين.

الافاضه الى المشعر و الوقوف به

يجب الافاضه من عرفات الى الشعر الحرام ليله العيد و البيتوته بها.

توضيح: اذا غابت الشمس و زالت الحمرة المشرقيه افاض الناس الى المشعر بسكينه و وقار. فاذا وصلوا الى الكتيب الاحمر عن يمين الطريق يجب فى الوقوف بالمشعر الحرام امران:

١- المييت بالمشعر ليله العيد، و يكفى فيه صدق المييت و لو بعد ثلث الليل او نصفه.

٢- الوقوف بالمشعر من طلوع الفجر الى طلوع الشمس من يوم عيد النحر و عندما يفرغ الحاج من الوقوف بالمشعر و جب عليه ان يأتى يوم العيد عاشر ذى الحجه الى منى و يسمى يوم النحر.

ما يجب فى منى من افعال الحج

الواجبات الثالثه التى تجب على الحاج بعد أن يفيض من المشعر، بعد طلوع الشمس من يوم العيد الى منى لاداء مناسكها الثالثه بالترتيب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٥٥

١- رمى جمره العقبه يوم العيد، و وقته من طلوع الشمس الى الغروب.

٢- الذبح او النحر .

٣- الحلق أو التقصير.

فاذا افاض من المشعر يوم عيد النحر و جب عليه العود الى منى، و يتوجه رأسا الى جمره العقبه لرميها بالحصيات السبع التى التقطها من المشعر، او من داخل حدود الحرم الشريف.

و وقت رميها يكون من طلوع الشمس من يوم العيد الى غروبها.

و الرمي هو اول اعمال منى. فلا- يجوز للحاج أن يقدم الذبح أو الحلق عليه. فلو اخلف الترتيب أو عمل بالعكس أثم و لا شىء عليه من الكفارات.

و تجب النية بأن يرمى الجمار تقربا الى الله تعالى. و الواجب ان يباشر الرامى عمل الرمي بنفسه، فلا- يجزى غيره عنه الا فى بعض الأحوال.

و الرمي بسبع حصيات، فلو كانت اقل لم يكف، و اصابة الجمره أو موضعها بكل من الحصيات السبع. فلو أخلّ بواحدة فلا بد من تعويضها باخرى. و الرمي على التعاقب و الترتيب

و أما الواجب الثانى فى منى بعد الرمي هو الذبح أو النحر. و الواجب هدى واحد و يستحب الزيادة.

و الواجب أن يكون الهدى من النعم الثلاثه: الابل، البقر، الغنم.

و المعز من فصيلة الغنم، و يشترط السن فى كل هذه. فالإبل ما اكمل السنه الخامسة و دخل فى السادسة، و البقر ما اكمل الثانية و دخل فى الثالثه،

موسوعة العتبات المقدسه، ج ٢، ص: ٣٥٦

و المعز ما اكمل الثانية و دخل فى السنه الثالثه، و الضان ما اكمل الاولى و دخل فى الثانية- اى ما اكمل السنه الاولى-.

و يشترط أن يكون الهدى صحيحا، فلا- تكفى العرجاء و لا العوراء و لا مقطوعه الأذن او مكسوره القرن الداخلى و لا المهزوله و لا الجماء، أو البتراء، و لا الجرباء.

و يجب ان يكون الذبح يوم العيد فلا يجوز تأخيرها، و أن يكون بمنى فلا يجوز فى غير منى. و يكره له ان يخرج شيئا مما ذبح فى منى الى الخارج الا اذا لم يكن فى منى من ينتفع بالهدى.

اما الواجب الثالث من واجبات منى فهو الحلق أو التقصير و لو بقدر الانمله و ذلك يوم العيد بعد الرمي و النحر. فهو أن يحلق رأسه كله.

اما التقصير، فهو أن يأخذ شيئا من شعر رأسه أو لحيته أو شاربه أو شيئا من الأظافر.

و الحلق يتعين فى الحجه الاولى، اما الحجه الثانية و ما بعدها فيكون مخيرا بين الحلق و التقصير.

أما النساء فيحرم عليهن الحلق و يتعين التقصير.

الهدى فى الحج

الهدى: هو ما يهدى الى بيت الله الحرام من بدنه و غيرها.

و هو اسم للحيوان الذى يقدمه المحرم و يسوقه قربانا لوجه الله قال تعالى: «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»

و القلائد جمع قلادة ما يجعل فى الهدى من العلامة، و تكرر فى القرآن

موسوعة العتبات المقدسه، ج ٢، ص: ٣٥٧

اسم (الهدى) فى غير هذه الآية: قال تعالى «فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ» و قال (حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ) و قال «هديا بالغ الكعبه». و هو من شعائر الله «و البدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها و اطعموا القانع و المعتز كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون».

و بعد الفراغ من الطواف و صلاة ركعتين يجب السعى سبعة اشواط بين الصفا و المروة و تستحب المبادرة اليه فوراً بعد ركعتي الطواف بحيث لا يعد متهاونا فحينما يفرغ من صلاة الطواف يستلم الحجر الأسود و يقبله ان امكن و الا اشار اليه ثم يخرج الى السعى بسكينه و وقار- من الباب الذي هو الآن معلّم باسطوانتين معروفتين و منه كان خروج النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و هو يحاذي الحجر الأسود ثم يصعد الصفا و ينظر الى البيت و يستقبل الركن الذي فيه الحجر الأسود، و يحمد الله و يثنى عليه و يكبره و يصلى على النبي و آله.

و يجب استحضار القلب و النية بأن يقول: أسعى بين الصفا و المروة سبعة اشواط سعى عمره التمتع، لحج التمتع، حج الاسلام لوجوبه قربة الى الله تعالى.

و السعى واجب بعد صلاة الطواف و هو ركن كالطواف، و ان يتبدىء بالصفا و يختتم بالمروة، بأن يحسب السعى من الصفا الى المرة شوطاً، و منها الى الصفا شوطاً آخر، و هكذا الى ان يتم سبعة اشواط. فابتداء السبعة من الصفا و ختمها بالمروة.

و يجب ان يكون هذا السعى واقعا في الطريق المتعارف في الذهاب موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٥٨

و الاياب، فلو ذهب من وسط المسجد الحرام مثلا الى المروة أو العكس لم يكن مجزيا.

و كذا لو خالف فابتداءً بالمروة بطل سعيه كما يجب ان يحتفظ بالعدد بأن يكون السعى سبع مرات بلا زيادة و لا نقصان في (المسعى) فلو دخل في الأثناء الى المسجد أو خرج منه الى السوق ثم رجع لم يصح منه ذلك السعى. و يجوز السعى راكبا كما يجوز الطواف راكبا لكن سعيه راجلاً أفضل، و ان يكون على سكينه و وقار. و يجوز له الجلوس على الصفا و المروة للاستراحة، أما الجلوس.

بينهما فالأحوط تركه بدون عذر. و تستحب الهرولة في السعى ما بين المنارتين المعلمتين الآن باللون الأخضر، و لا تستحب الهرولة للنساء لقول الامام الصادق عليه السلام: لا أذان و لا هرولة على النساء بين الصفا و المروة.

التقصير

هو آخر واجبات عمره التمتع. و يجب في كل من الحج و العمرة:

ففي الحج يكون بعد الذبح في منى. و في العمرة يكون بعد إكمال السعى. و به يفرغ الانسان و يتحلل من عقد احرامه.

فبعد فراغه من السعى يجب عليه التقصير و يحصل بأخذ شيء من شعر رأسه، او لحيته، او شاربه أو حاجبه، او تقليم بعض اظفاره. و لا- يكفي حلق تمام الرأس بل لا- يجوز الحلق في العمرة و تجب النية للاحلال من احرام عمره التمتع لحج الاسلام قربة الى الله تعالى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٥٩

فاذا قصر حلّ له كل شيء حرم عليه بالاحرام حتى النساء الا الصيد في الحرم، محرماً كان أو محلاً.

العودة من منى

بعد اداء مناسك (منى) الثلاثة يعود الحاج الى مكة المكرمة ليؤدي الواجبات الثلاثة، و الاولى أن يكون يوم العيد و إن جاز تأخيرها

الى يوم ثانى العيد.

اولا- الطواف و صلواته كالطواف السابق إلا ان النية تكون لحج التمتع حج الاسلام و يسمى ب (طواف الزيارة) و (طواف الحج) ايضا، و الصلاة ايضا خلف مقام ابراهيم، و الاولى أن يكون ذلك فى يوم العيد.

ثانيا- السعى بين الصفا و المروة.

ثالثا- طواف النساء بعد السعى مباشرة، فلا تحل النساء للرجال، و لا الرجال للنساء الا بعد الايتان بهذا الطواف و ركعتيه و بعد أداء هذه الواجبات الثلاثة يجب الرجوع الى منى للمبيت فيها ليلالى التشريق و هى:

ليلة الحادى عشر، و الثانى عشر، و رمى الجمار الثلاث فى يوميهما، ثم ان بات ليلة الثالث عشر رمى فى يومها و يجب عليه رمى الجمرات الثلاث على الترتيب الآتى:

الجمرة الاولى التى تلى مسجد الخيف.

ثم الوسطى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٦٠

ثم جمرة العقبة و هى القصوى.

اولا- الجمرة الاولى و هى اقرب الجمرات الى منى. ثم الوسطى و هى التى تليها.

ثم جمرة العقبة و هى آخر الجمرات من جهة مكة المعروفة بالكبرى.

و لا يجوز الرمي ليلا، لا لليوم الماضى و لا لليوم الآتى مع التمكن منه نهارا.

اما الخائف و المريض و الراعى و امثالهم فيجوز لهم رمى جمرات كل يوم فى ليلته. و يجوز أن يرمى المريض من يستنبيه لذلك.

انما وقت الرمي للجمرات يكون من طلوع الشمس من يوم الحادى عشر الى غروبها و من لم يتق فى احرام الحج و العمرة من النساء و الصيد يجب عليه بيتوته الليلة الثالث عشر، و كذلك على من لم يخرج من منى او حدودها قبل المغرب.

و من بات ليلة الثالث عشر يجب عليه رمى الجمرات فى نهارها- اى ان للحاج ان يخرج من منى فى اليوم الثانى عشر من ذى الحجة بعد زوال الشمس و قبل غروبها، و اذا بقى فى منى الى المغيب و جب عليه المبيت فى منى ليلة الثالث عشر، و لا ينفر منها الا بعد طلوع الشمس.

الشمس.

و عندما يفرغ الحاج من ذلك فقد أتم حجه، و له ان يرجع الى اهله، و الافضل ان يطوف طواف الوداع فى مكة بالبيت و يقول:

«اللهم ان البيت بيتك، و العبد عبدك، و قد قلت من دخله كان آمنا، فامننى من عذابك و أجرنى من سخطك، اللهم من تهيأ و تعبأ و

أعد و استعد لوفادة الى مخلوق رجاء رفته و جائزته و نوافله و فواضله فاليك يا سيدى تهيتنى و إعدادى و استعدادى رجاء رفدك و

نوافلك و جائزتك فلا تخيب اليوم رجائى، يا من لا يخيب عليه سائل و لا ينقصه نائل».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٦١

مزارات مكة المكرمة

١- زيارة مولد النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و هو فى سوق الليل بزقاق المولد.

٢- منزل خديجة زوجة النبى (ص) فى جانب مولد النبى و هو الآن مسجد معروف.

٣- زيارة عبد مناف فى مقبرة قريش، و هى بقعة معروفة بمكة ٤- زيارة عبد المطلب جد النبى.

٥- زيارة ابى طالب عم النبى، و بقعته فى وادى قريش معروفة.

٦- زيارة آمنه بنت وهب والده الرسول (ص) و قبرها فى (المعلى) أو فى (الابواء) على خمس مراحل من مكة.

٧- زيارة خديجة زوجة رسول الله (ص) ب (الحجون) و قبرها هناك معروف في سفح الجبل.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٦٢

بعض الفروق في الحج عند المذاهب الإسلامية

قالت الشيعة الامامية: الطهارة شرط في الطواف الواجب فلا يصح طواف المحدث، و به قال مالك و الشافعي لما ورد من قول الرسول (ص):

الطواف بالبيت صلاة الا انكم تتكلمون فيه.

و قال ابو حنيفة ليست الطهارة شرطا، و اختلف اصحابه فقال بعضهم بالاول و بعضهم بالثاني. و عن احمد بن حنبل روايتان احدهما على رأى الشيعة و الثانى ان الطهارة ليست شرطا فمتى طاف للزيارة غير متطهر اعاد ما دام مقيما بمكة، فان خرج الى بلده جبره بدم. قالت الشيعة الامامية يجب ان تكون نية العمرة مستقلة ثم ينوي للحج نية ثانية و اوجبوا لكل نسك احراما مستقلا فلا يجيزون الجمع بين الحج و العمرة فى احرام واحد و لا بنية واحدة. و قد اجاز فقهاء السنة ان يجمع الناسك فى احرام واحد و بنية واحدة بين الحج و العمرة.

قالت الشيعة الامامية: لو استأجر الرجل الصحيح من يحج عنه الحجة الواجبة لا يجزيه ذلك، اما اذا استأجر من يحج عنه النافلة اجزاه، و به قال ابو حنيفة. و قال الشافعي لا يجوز ان يستأجر لا نفلا و لا فرضا.

قالت الشيعة الامامية: الاعمى يتوجه اليه فرض الحج اذا كان له من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٦٣

يقوده و يهديه، و وجد الزاد و الراحلة لنفسه و لمن معه. و قال ابو حنيفة لا يجب عليه الحج و ان وجد جميع ما قلناه.

قالت الشيعة الامامية: من استقر عليه وجوب الحج و لم يفعل و مات وجب ان يحج عنه من صلب ماله مثل الدين و لم يسقط بوفاته، هذا اذا خلف مالا، فان لم يخلف مالا كان وليه بالخيار فى القضاء عنه. و به قال الشافعي و عطا و طاووس، و قال ابو حنيفة و مالك: يسقط بوفاته بمعنى انه لا يفعل عنه بعد وفاته و حسابه على الله حين يلقاه و الحج فى ذمته، و ان كان اوصى حج عنه من ثلثه و يكون تطوعا لا يسقط الفرض به عنه، و هكذا يقول فى الزكوات و الكفارات و جزاء الصيد كلها تسقط بوفاته و لا تفعل عنه بوجه.

قالت الشيعة الامامية: من قدر على الحج عن نفسه فلا يجوز ان يحج عن غيره اما اذا كان عاجزا عن الحج عن نفسه لفقد الاستطاعة جاز له ان يحج عن غيره.

و قال مالك ابو حنيفة: يجوز له ان يحج عن غيره على كل حال، قدر عليه او لم يقدر.

قالت الشيعة الامامية: لا يجوز الاحرام قبل الميقات فان احرم لم ينعقد احرامه، الا ان يكون نذر ذلك و قالوا: لا خلاف ان النبي (ص) احرم من الميقات.

و قال ابو حنيفة: الافضل ان يحرم قبل الميقات. و للشافعي فيه قولان احدهما مثل قول ابى حنيفة و الثانى الافضل من الميقات الا انه ينعقد قبله على كل حال.

قالت الشيعة الامامية: اذا حمل المحرم على رأسه مكتلا أو غيره لزمه الفداء و به قال الشافعي. و قال ابو حنيفة لا يلزمه.

قالت الشيعة الامامية: اذا وطىء المحرم ناسيا، أو تطيب ناسيا،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٦٤

لم تلزمه الكفارة و به قال الشافعي و عطا بن ابى رباح و الثورى و احمد و اسحاق.

و قال ابو حنيفه: و مالك: عليه الفدية.

قالت الشيعة الامامية: ما عدا المسك و العنبر و الكافور و الزعفران و الورس و العود لا يتعلق به الكفارة اذا استعمله المحرم.

و خالف جميع الفقهاء فى ذلك فوجبوا الكفارة فيما عداها.

قالت الشيعة الامامية: الطواف يجب ان يكون حول البيت و الحجر معا، فان تباعد من البيت حتى يطوف بالسقاية و زمزم لم يجزه. و قال الشافعى يجزيه.

قالت الشيعة الامامية: اذا طاف منكوسا- و هو ان يجعل البيت على يمينه فلا يجزيه، و عليه الاعادة، و به قال الشافعى، و قال ابو حنيفه: ان اقام بمكة اعدا، و ان عاد الى بلده جيره بدم.

قالت الشيعة الامامية: التحلل فى الحج ثلاثة، اولها اذا رمى و حلق و ذبح، فانه يتحلل من كل شىء الا النساء و الطيب، فاذا طاف طواف الزيارة و سعى حل له كل شىء الا النساء، فاما الاصطياد فلا يحل له لكونه فى الحرم، و يجوز له ان يأكل منه، فاذا طاف طواف النساء حلت له النساء.

و قال الفقهاء كلهم انه يتحلل بتحليلتين معا: بالرمى و طواف الزيارة، و التحلل الاول يحصل بشيئين: رمى و حلق، او رمى و طواف، او حلق و طواف، و يستبيح عند ذلك اللباس و ترجيل الشعر و الحلق و تقليم الأظفار. قال الشافعى و لا يحل له الوطء الا بعد التحلل الثانى قولاً واحداً و الطيب على قولين، قال فى القديم لا يحل بالتحلل الاول، و الآخر يحل قولاً واحداً، فاما عقد النكاح و الوطء فيما دون الفرج و الاصطياد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٦٥

و قتل الصيد فعلى قولين، قال فى القديم لا يحل، و الثانى يحل له كل هذا، و به قال ابو حنيفه و لم يعتبر احد طواف النساء بحال. قالت الشيعة الامامية: اذا وطىء المحرم ناسيا لا يفسد حجه.

و قال ابو حنيفه يفسد حجه مثل العمد، و هو احد قولى الشافعى، و قوله الثانى لا يفسد.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٦٧

فهرست الكتاب

مكة قديما

مكة المكرمة و اسمائها ٩

بكة ١٠

ام القرى ١٠

البلد، البلد الأمين، و الحرام ١١

اسماء مكة الأخرى ١٢

أول ظهور مكة فى التاريخ ١٤

ابراهيم ١٦

اسماعيل ٢٢

قصة الذبح ٢٥

بناء البيت ٢٧

دين ابراهيم ٣٠

البيت و الكعبة و المسجد الحرام ٣٢

تمصير مكة ٣٤

إمارة جرهم ٣٥

حلف الفضول ٣٦

اتساع رقعة مكة ٣٧

إمارة خزاعة ٣٨

مكة أيام قريش ٤٠

دار الندوة ٤١

طراز الحكم وصفته ٤١

اصحاب الفيل ٤٤

اسواق مكة ٤٧

ديانة مكة و عبادتها ٥٣

الاستقسام و الازلام ٥٥

نذر عبد المطلب ٥٧

اشهر امراء مكة ٥٨

كسوة الكعبة و تزيينها ٥٨

تجديد بناء الكعبة ٥٩

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٦٨

قبائل مكة قبل الإسلام

القبائل التي سكنت مكة قبل الاسلام (العمالقة) ٦٣

جرهم ٦٥

خزاعة ٦٧

قريش ٧٠

أقسام قريش ٧٥

بنو عبد مناف ٧٧

بنو هاشم ٧٨

اصحاب الايلاف ٨١

عبد المطلب و بنوه ٨٢

بطون قريش ٨٣

بنو جمح ٨٤

بنو تيم ٨٤

بنو خزيمه ٨٥

بنو زهره ٨٧

- بنو سهم ٩٠
 بنو عدى ٩١
 بنو عبد شمس ٩٢
 بنو عبد المطلب ٩٣
 بنو عامر ٩٤
 بنو مخزوم ٩٧
 بنو الحارث ١٠١
 مكة فى أشهر الرحلات العربية
 مكة فى رحلة ابن جبير ١٠٥
 شهر جمادى الأولى ١٠٨
 ذكر المسجد الحرام و البيت العتيق ١٠٩
 ذكر مكة شرفها الله و آثارها ١٠٩
 الكريمة و أخبارها الشريفة ١١٢
 ذكر بعض مشاهدها المعظمة و آثارها المقدسة ١١٥
 ذكر ما خص الله تعالى به مكة من الخيرات و البركات ١١٨
 شهر جمادى الآخرة ١٢٣
 جمال الدين و آثاره السنية ١٢٤
 الأمور المحظورة فى الحرم ١٢٤
 شهر رجب الفرد ١٢٧
 العمرة الرجبية ١٢٨
 عمرة الأكمة ١٣٠
 يوم طواف النساء ١٣١
 زيادة ماء زمزم ١٣١
 شهر رمضان ١٣٢
 تراويح رمضان ١٣٣
 ابن بطوطة و مكة ١٣٧
 مكة فى رحلة ناصر خسرو الموسومة ب (سفر نامى) ١٤١
 رحلات عبد الوهاب عزام ١٤٤
 مكة فى رحلة السائح الهروى ١٤٧
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٦٩
 منازل مكة
 منازل مكة ١٥١
 الطريق إلى المدينة ١٥٨

طريق الجادة من المدينة إلى مكة ١٥٩

طريق الجادة من معدن النقرة إلى مكة ١٥٩

الطريق من مدينة السلام إلى الكوفة ١٦٠

الطريق من البصرة إلى مكة ١٦١

الطريق من مصر إلى مكة ١٦١

الطريق من دمشق إلى مكة ١٦١

الطريق من اليمن إلى مكة ١٦٢

مكة في الشعر

أبو العلاء المعزى ١٦٥

احمد بن ابراهيم ١٦٦

احمد شوقي ١٦٦

أمية بن أبي الصلت ١٦٧

جرهمى شاعر ١٦٨

الحارث بن خالد ١٦٨

ابن حجر العسقلانى ١٦٩

حسان بن ثابت ١٦٩

الحصرى القيروانى ١٦٩

السيد رشيد الهاشمى ١٧٠

ابن الزبيرى السهمى ١٧٠

الشيخ صالح التميمى ١٧٠

عبد الباقي العمرى ١٧١

عبد الحسين الحويزى ١٧٢

الشيخ عبد المحسن الكاظمى ١٧٣

الشيخ محمد على كمنون ١٧٣

عبد المطلب بن هاشم ١٧٥

قصى بن ربيعة ١٧٥

كعب بن زهير ١٧٥

السيد محمد سعيد الجوبى ١٧٦

مضاض بن عمرو الجرهمى ١٧٦

ابن أم مكتوم ١٧٦

مكة في المراجع الغربية

مكة في المراجع الغربية ١٧٩

مكة قبل الهجرة ١٨١

- سكان مكة ١٨٣
- الحكومة و الادارة ١٨٤
- موقع مكة و مناخها ١٨٥
- مالية مكة و حياتها الاقتصادية ١٨٧ افل مكة ١٩٠
- ثروات مكة ١٩٢
- بعد الهجرة ١٩٤
- مكة في العهد الأموي ١٩٥
- مكة في عهد بني العباس و ما بعده الى حد تولى الشرفاء (٧٥٠-٩٦١) ١٩٧
- الموسويون الشرفاء ٢٠٠
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٧٠
- الشرفاء الهواشم ٢٠١
- حكم قتادة و نسله ٢٠٣
- الشرفاء في أيام الاحتلال الوهابي ٢٠٧
- مكة في يومها هذا ٢١٢
- مكة في مراجع اجنبية أخرى ٢١٣
- لقب الشرفاء ٢١٩
- مكة و الصليبيون ٢٢٠
- الشريف قتادة و موكب الحج العراقي ٢٢٣
- الحج ٢٢٦
- زمزم ٢٣٣
- الكعبة ٢٣٤
- تاريخ الكعبة ٢٣٨
- عرفات ٢٤٣
- منى ٢٤٤
- المزدلفة ٢٤٦
- الصفاء و المروة ٢٤٨
- الغرييون في مكة ٢٥٠
- لود فيكو فاريتما الايطالي ٢٥١
- مملوك برتغالي مجهول الاسم ٢٥٤
- جوزيف بيتس الانكليزي ٢٥٤
- القس جوزف أو فينكتون ٢٥٨
- ويليام دانيال و شارل جاك بوسيه ٢٥٨
- الرحالة على بك العباسي ٢٥٩

- جوفاني فيناتي ٢٦١
جون لويس بورخارت ٢٦٣
وصف بورخارت لمكة ٢٦٥
قناة زبيدة ٢٦٧
حواري مكة أو محلاتها ٢٦٨
بيت الله الحرام ٢٧٤
أماكن مقدسة أخرى ٢٧٦
الكعبة ٢٧٩
ملاحظات حول سكان مكة ٢٨٠
حكومة مكة و الشرفاء ٢٨٤
الحج ٢٨٧
السر ريتشارد بورتون ٢٩٤
في داخل الكعبة ٢٩٧
الكسوة ٢٩٨
نقاط أخرى ٣٠١
المستشرق الهولندي هور غرونيه ٣٠٤
الحياة العائلية ٣١١
الحياة العلمية ٣١٢
في أواخر القرن التاسع عشر ٣١٤
الحسين بن علي ٣١٦
الثورة العربية ٣١٨
لورانس بلاد العرب ٣٢٠
استيلاء الوهابيين على مكة ٣٢٥
اسلام عبد الله فيليبي ٣٢٩
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٢، ص: ٣٧١
مراسيم الحج و فرائضه
فريضة الحج ٣٣٩
شروط وجوب الحج ٣٣٩
واجبات الاحرام ٣٤٠
محرمات الاحرام ٣٤٠
الميقات او المواقيت ٣٤٤
انواع الحج ٣٤٥
كيفية حج الافراد و حج القران ٣٤٦

- الطواف و واجباته ٣٤٨
 شرائط حج التمتع ٣٤٨
 ركعتة الطواف ٣٥٠
 حج التمتع ٣٥١
 عرفة ٣٥١
 سبب التسمية ٣٥٢
 المزدلفة او المشعر الحرام ٣٥٢
 منى و اعمالها ٣٥٢
 منى ٣٥٣
 الافاضة الى المشعر و الوقوف به ٣٥٤
 ما يجب فى منى من افعال الحج ٣٥٤
 الهدى فى الحج ٣٥٤
 السعى بين الصفا و المروة ٣٥٧
 التقصير ٣٥٨
 العودة من منى ٣٥٩
 بعض الفروق فى الحج عن المذاهب الإسلامية ٣٦٢

الجزء الثالث

إشارة

المدينة المنورة قديما
 إلمامة تاريخية شاملة عن المدينة المنورة منذ اول تمصيرها حتى قيام الاسلام كتبها جعفر الخليلي
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٧

المدينة المنورة قديما

يثرب و موقعها الجغرافى

يثرب ثانية مدن الحجاز القديمة و أهم مدينة حجازية تاريخية بعد مكة المكرمة من حيث السعة و التجارة، و أهم مدينة حجازية من حيث الحاصلات الزراعية و وفرة المياه و لعل البعض قد فضلها على مكة المكرمة من حيث القدسية و من هؤلاء كان الخليفة عمر بن الخطاب (ض).

و الحجاز أحد أقاليم الجزيرة العربية الواقع فى غرب جزيرة العرب، و هو إقليم مستطيل تحده قديما من الشمال بادية الشام أو الأردن الحالية، و من الغرب البحر الأحمر، و من الشرق نجد، و من الجنوب بلاد العسير، و يبلغ طول الحجاز من الشمال إلى الجنوب نحو ١٦٠٠ كيلو متر، و عرضه من الغرب إلى الشرق نحو ٣٠٠ كيلو متر، و قدر بالأميال بنحو ٧٠٠ ميل طولاً و ٢٥٠ ميلاً عرضاً. و تقطع الحجاز من الشمال إلى الجنوب جبال (السراة) و يبلغ ارتفاع بعضها نحو ٨٠٠٠ قدم، و يتصل بمنحدرات هذه الجبال سهل

مشهور هو السهل المعروف باسم (تهامة) وقيل إن الحجاز هو الجبال الحاجزة بين الأرض العالية من نجد و بين الساحل الواطيء (تهامة). و الحجاز

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٨

على هذا هو الجبال الممتدة من خليج العقبة إلى عسير، وقيل: بل سمي حجازا لأنه يحجز بين الشام و اليمن و التهائم .
و اعتبر البعض اسم الحجاز شاملا لتهامة، و تبوك، و حتى فلسطين، و أن يثرب المدينة واقعة في القسم الشمالي من الحجاز و على بعد ٣٠٠ ميل شمالي مكة المكرمة و في طريق الشام للمصعد من اليمن و مكة، و على مسافة ١٣٠ ميلا عن ميناء المدينة على البحر الأحمر، و يثرب هذه واحة خصبة التربة غزيرة المياه محصورة بين حرتين أو ما تسمى باللأبتين، و في أرض سبخة- و الحرّة هي الحجارة البركانية السوداء المنخوبة، و السبخة هي التربة المشوبة بالملح- و هاتان الحرتان اللتان تقع يثرب بينهما هما حرّة (واقم) في الشرق، و حرّة (الوبرة) في الغرب، و تكتنف الوديان الحرتين من الشرق و من الغرب، و تحيط بالمدينة من جهاتها الأربع.

و يجمل أحمد ابراهيم الشريف موقع المدينة و يستخلصه من المصادر و من مشاهداته فيقول: و يقع جبل (عير) في الجنوب الغربي من يثرب، و القادم من مكة إلى يثرب- في زمن الهجرة النبوية- كان يمكنه إذا قام بأعلى جبل (عير) أن يحدّد صورة مكتملة لمنطقة يثرب، فوادي العقيق إلى يساره ممتدا غربي المدينة فيما وراء حرّة (الوبرة) إلى ما بعد بئر (رومة) في شمالها الغربي، و العريض و عوالي المدينة إلى يمينه من شرق حرّة (واقم)، و هناك من أقصى الشمال يقوم جبل (أحد) ثم جبل (سلع).

و تقع قرية (قباء) في جنوب المدينة على ميلين، و بين قباء و المدينة يسير وادي (بطحان) و وادي (رانوناء) حيث يتجهان شمالا فيما
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٩

بين حرّة (الوبرة) و المدينة فيتصلان بوادي (قناة)، و هو واد يقع في جنوب (أحد) و ينحدر غربا بينه و بين جبل (سلع) حتى يتصل بوادي (بطحان)، و تلتقى هذه الوديان عند مجتمع الأسيال من (رومة)، كما يوجد وادي (مزنيب)، و وادي (مهزور) في الجنوب الشرقي من المدينة و التي سيأتي ذكرها فيما بعد من هذا البحث.

و تقع مدينة (يثرب) بين خط العرض ٢٤-٢٥ شمالا، و على خط الطول ٣٩،-٤٠، شرقي كرينتش، و لجبالها و مرتفعاتها شهرة اكتسبت معظمها بعد هجرة الرسول إلى المدينة و بسبب ما حدث عندها من حوادث مهمة في تاريخ الإسلام مما أضفت عليها الأحاديث الشىء الكثير من الثناء و الذكر الطيب، و من أهم هذه الجبال: جبل (أحد)، و هو واقع شمال المدينة بينه و بينها قرابة ميل واحد، و هو جبل أحمر، و عنده كانت الوقعة الفظيعة التي اشتهر بها (أحد) و التي قتل فيها سبعون من خيرة أصحاب النبي (ص) و منهم كان حمزة بن عبد المطلب عمّ النبي (ص) فأقبلت (هند) زوج أبي سفيان و أم معاوية، و لم يكفها أنه مات- كما يقول هيكل- بل مثلت به ما لم يمثّل بأحد في غزاة، إذ جدعت أنفه، و قطعت أذنيه، و شقّت بطنه، و أخرجت كبده تمضغها و تلوكها تشفيا و سخيمة فلقت بأكلة الأكبادة، و أقبلت يومذاك (صفية) بنت عبد المطلب و هي أخت حمزة لأبيه و لأمه، فقال رسول الله (ص) لابنها الزبير بن العوام: إلقها فأرجعها لا ترى ما بأخيها، فقال لها الزبير: يا أمه، رسول الله يأمرك أن ترجعي، قالت: و لم؟ و قد بلغني أنه مثل بأخي و ذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبنّ و لأصبرنّ إن شاء الله، فجاء الزبير فأخبره

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٠

بذلك، فقال الرسول (ص): خلّ سبيلها، فأنته، فنظرت إليه، و صلّت عليه و استرجعت، و استغفرت له فأمر به النبي (ص) فسجى ببرد ثم صلى عليه، فكبر عليه سبعين و دفنه، و لما رجع إلى المدينة سمع البكاء و النواح على القتلى فذرفت عيناه و بكى، ثم قال: لكن حمزة لا بواكى له، فجاءت نساء بني عبد الأشهل لما سمعوا ذلك- و هم من بطون الاوس- فبكين على عمّ رسول الله (ص) و نحن على باب المسجد، فلما سمعهن خرج إليهن فقال: إرجعن يرحمك الله قد أيستن بأنفسكن .

و هذا ما جعل لأحد بالإضافة إلى الوقعة الكبيرة شهرة واسعة زادها ذكرا موقع هذا الجبل و صفاؤه فيما حوله حتى لقد ورد ذكره في

الشعر كثيرا و مما ورد: هو أن محمد بن عبد الملك الفقعسى حين كان ببغداد حنّ إلى وطنه و ذكر (أحدا) و سلعا دون الجهات الأخرى فقال فيما قال:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلئ بسلع، و لم تغلق علىّ دروب
و هل (أحد) بادلنا و كأنه حصان أمام المقربات جنيب
يخبّ السراب الضحل بينى و بينه فيبدو لعيني تارة و يغيب
فإنّ شفائي نظرة إن نظرتها إلى (أحد) و الحرّتان قريب

و من أشهر جبال المدينة جبل (ورقان) و هو جبل أسود واقع على يمين المتجه من المدينة إلى مكة. جاء في معجم البلدان عن عزّام بن الأصبغ في أسماء جبال تهامة قوله: و لمن صدر من المدينة مصعدا أول جبل يلقاه من عن يساره ورقان و هو جبل عظيم اسود كأعظم ما يكون من الجبال،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١١

و فى ورقان أنواع الشجر المثمر و غير المثمر، و قد ورد فيه شعر كثير و من ذلك قول أبى سلمة يمدح الزبير:

إنّ السماح من الزبير محالف ما كان من ورقان ركن يافع
فتحالف لا يغدران بدمه هذا وجود به و هذا شافع

و جبل (رضوى) و يقع على نحو سبع مراحل من المدينة، و هو عند ميناء المدينة (ينبع) و من (رضوى) هذا يقطع حجر المسنّ و يحمل إلى الخارج، و هو جبل منيف ذو شعاب و أودية قال ياقوت الحموى:

و رأيت من (ينبع) أخضر، و أخبرنى من طاف فى شعابه أن به مياه كثيرة و أشجارا و هو الجبل الذى يزعم (الكيسانى) أن محمد بن الحنفية به مقيم حتى يرزق، على ما قال ياقوت.

و فى هذه الجبال الثلاثة وردت أحاديث مباركة عن النبى (ص) فمن قوله فى جبل أحد: أحد نجبه و يحبنا، و فى (ورقان) قوله:

خير الجبال أحد و الأشعر و ورقان، و الأشعر جبل جهينة ينحدر على ينبع من أعلاه، و فى (رضوى) قوله: رضوى رضى الله عنه .

و هنالك جبال أخرى و منها (سلع) و هو واقع فى سوق المدينة و على مسافة ساعتين، و فى سلع وردت أشعار كثيرة و بعض هذه الأشعار قد دخل الغناء و منه شعر لقيس بن ذريح و قد غنّته ذات مرة حنّابة جارية يزيد بن عبد الملك و كانت من أحسن الناس وجها و مسموعا على ما أورد ياقوت عن الأصمعى، و كان يزيد شديد الكلف بها و كان منشؤها المدينة المنورة، فغنت:

لعمرك إننى لأحبّ سلعالرؤيته و من اكناف سلع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٢ تقرّ بقربه عيني، و إنى لأخشى أن يكون يريد فجعى

حلفت برّب مكة و المصلّى و أيدى السابحات غداة جمع

لأنت على التناثى فاعلميه أحبّ إلى من بصرى و سمعى

و تنفست حنّابة الصعداء على رواية الأصمعى، فقال لها يزيد: لم تنفسين؟ و الله لو أردته - يقصد جبل سلع - لقلعته اليك حجرا حجرا، فقالت: و ما أصنع به؟ إنما أردت ساكنيه.

و من جبالها (عير) قال عزّام على ما جاء فى معجم البلدان أن (عير) جبالان أحمران من عن يمينك و أنت ببطن العقيق تريد مكة، و من عن يسارك شوران و هو جبل مطل على السدّ، و قال نصر: عير جبل مقابل الثنية المعروفة بشعب الخوز، و ذكر عير كذلك فى الشعر و منه قول أبى صخر الهذلى:

فجلّل ذا عير و والى رهامه و عن مخمص الحجاج ليس بناكب

و قال السكرى أن عير جبل، و مخمص: اسم طريق فيه و يروى ذا عير و هو جبل عظيم شامخ يقع فى جنوب المدينة و على مسافة

ساعتين منها.

أما مناخ المنطقة فيختلف باختلاف الموقع من حيث الارتفاع ووفرة المياه و كثرة البساتين؛ و مع ذلك فهو على العموم شديد الحرارة و لا سيما مناخ المدينة نفسها.

يثرب و أسماؤها

و يثرب هو الاسم التاريخي الذي كان يطلق على هذه المدينة قديما و التي عرفت بعد ذلك (بمدينة الرسول)، و قد اختلف المؤرخون و اللغويون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٣

في أصل هذا الاسم و اعتبره البعض من مشتقات الثريب و هو الإفساد و التخليط لغه، و لكن هذا البعض لم يذكر شيئا عن وجه هذه التسمية و أسبابها إذا صح أن تكون من الثريب العريية، و قد قيل إن اسم يثرب هو اسم الأرض من ذلك الصقع . و قيل بل هو اسم المدينة نفسها؛ و قد زعم آخرون أن يثرب قد سميت باسم أول من سكنها من ولد سام بن نوح!! و زعم غيرهم أنها سميت باسم رجل من العمالقة!!

و هناك من يزعم أن كلمة يثرب محرّفة من الكلمة المصرية (إثريس) و يقول ياقوت: إنها سميت بيثرب لأن أول من سكنها عند التفرق كان يثرب بن قانية بن مهلائيل ابن ارم بن عييل بن عوض بن ارم بن سام ابن نوح!، و كل هذه أقوال ليس لها ما يسندها من واقع التاريخ شىء، و عندنا أن ليس من الشرط أن يعرف سبب تسمية المدن بأسمائها ليحتاج الأمر إلى مثل هذه الأقوال. و التضارب فيها، و كل ما هو ثابت: أن يثرب مدينة قديمة، و موعلة في القدم، و لا يعرف بالضبط سبب تسميتها كما لم تعرف أسباب تسمية مئات المدن التاريخية و حتى مدن القرون الوسطى بل و بعض مدن القرون الأخيرة.

و ما من مدينة من المدن الإسلامية كان لها من الأسماء و كثرتها كمدينة يثرب، و إذا صح أن كل هذه الأسماء الواردة في كتب التاريخ هي أسماء لمدينة (يثرب) فالراجح أن كل اسم من هذه الأسماء قد أطلق عليها بناء على صفة اتصفت بها أو اريدان تتصف بها و أن معظمها قد أطلق عليها بعد هجرة الرسول (ص).

و أورد ابن النجار في سلسلة من الأقوال أن: «للمدينة في التوراة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٤

احد عشر اسما» و قد عدّ هذه الأسماء و ذكرها و لم يكن بينها اسم ليثرب!! و روى ابن النجار بعد ذلك عن عبد العزيز بن محمد قوله:

«و بلغنى أن لها في التوراة- أى يثرب- أربعين اسما» و قد أوصلها صاحب كتاب وفاء الوفا إلى نيف و تسعين اسما!!

أما ياقوت الحموي فقد أحصى أسماء المدينة فوجدها تسعة و عشرين اسما و هي المدينة، و طيبة، و طابة، و المسكينة، و العذراء، و الجابرة، و المحبة، و المحببة، و المحبورة، و يثرب، و الناجية، و الموفية، و أكالة البلدان، و المباركة، و المحفوفة، و المسلمة، و المجنة، و القدسية، و العاصمة، و المرزوقه، و الشافية، و الخيرة، و المحبوبة، و المرحومة، و جابرة، و المختارة، و المحرمة، و القاصمة و طبابا .

قال ابن الأثير في الحديث: إن النبي (ص) هو الذي سمي يثرب، طيبة و طابة لأن المدينة كان اسمها يثرب، و الثرب هو الفساد، فنهى أن تسمى به، و سماها طابة، و طيبة .

و يقول القزويني: إن من خصائص (المدينة) أن من دخلها يشم رائحة الطيب، و للعطر فيها رائحة لم توجد في غيرها و على هذا فالراجح أن يكون النبي (ص) قد أطلق عليها اسم (طيبة) لهذا السبب، و مع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٥

ذلك فهناك من المؤرخين من يرى أن اسم (طيبة) كان من أسماء يثرب في الجاهلية و قبل ظهور الإسلام. و على كثرة أسماء المدينة المنورة فقد اختصت بالشهرة باسم (يثرب) و باسم (المدينة) و اسم (طيبة) دون الأسماء الأخرى، و كان اسم يثرب هو أقدم اسم عرفت به هذه المدينة أو هذه الأرض ثم تغلب اسم (المدينة) بعد ذلك على يثرب و طيبة فسميت بعد هجرة النبي إليها (بمدينة الرسول) تمييزاً لها عن المدن الأخرى، ثم اكتفى بعد ذلك باسم المدينة منفرداً و ألحقت بها الصفة فصارت تسمى بالمدينة المنورة.

و النسبة إلى (يثرب): يثري و أثري، و النسبة إلى المدينة المنورة:

مدني، و لغير (المدينة) تختلف النسبة؛ فإذا نسبت إلى مدينة المنصور قيل: مديني، و إلى مدائن كسرى قيل: مدائني، و ذلك للتفريق بين النسب لثلاثا تختلط .

و ذكر بطليموس (المدينة) في جغرافيته باسم LathriPPa و هي أيضا LathrPPa .Polis التي ذكرها اصطيفانوس البيزنطي و عرفت كذلك باسم (المدينة) من كلمة (مدینتا) التي تعني (الحمى) أي (مدينة) على رأى المستشرقين الذين يرون أن اليهود المتأثرين بالثقافة الارامية أو بعض المتهودين من بنى إرم الذين نزلوا (يثرب) هم الذين دعواها (مدینتا) و منها جاءت (المدينة). أما كلمة (مدينة) على أنها اختصار (لمدينة الرسول) فيرون أنه رأى متأخر قال به العلماء .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٦

سكان الحجاز و الجزيرة العربية

لكي نعرف الشيء الكافي عن نشأة المدينة المنورة و سكانها في العصر الجاهلي، أو لكي نعرف بعض ما يمكن معرفته منها فإن علينا ان نلقى نظرة عابرة على الجزيرة العربية و أصل العرب و مبعثهم ليسهل علينا بعد ذلك ان نعرف جنسيه سكان الحجاز بصورة عامة و جنسيه سكان المدينة بصورة خاصة و أسلوب حياتهم.

و من المؤسف ان تكون الوسائل التي يتم بها الوقوف على تاريخ العرب القديم بصورة علمية عميقة ليست كافية لتعطينا فكرة كاملة عن حياة العرب القديمة، و كل ما ورد في الأخبار و القصص و الأشعار و الأساطير لا يتعدى مدى قرن أو قرنين على الأكثر قبل بعثة الرسول (ص) ثم ان كل ما جاء في الكتب العربية من تاريخ العرب - على ما أشار اليه فريد و جدي في دائرة المعارف - إنما كان يراد به الجانب الأدبي و تاريخه في الغالب، فأين هو من الحقائق المؤيدة بالآثار و النقوش التي لا مجال للشك فيها.

و قد كتب في تاريخ العرب فطاحل من المؤرخين الاروبيين مثل (دروي) و (سديو) و (كوستاف لوبون) و (كوسان دوبرسفال) و هذا الأخير أشهرهم جميعاً، و يعتبر كتابه أجمع الكتب لتاريخ العرب و لكنه دون كتاب تاريخ العرب للدكتور جواد على من حيث الجمع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٧

و التحقيق و الاستقصاء - و على أن ما كتبه المستشرقون عن تاريخ العرب كان مستمداً من الكتب العربية فقد كان لهم فيه فضل التويب و الترتيب، و صحة الاستنتاج، و الاستقصاء، و مع ذلك فإن هذا غير كاف لتحقيق تاريخ علمي صحيح للعرب، إذ المعول كله على ما يبذله المنقبون في الآثار و النقوش العربية و الخطوط التي يعثرون عليها في اليمن و تدمر و الحجاز، فإن هنالك آثاراً عليها نقوش حميرية بالقلم المسند، و نقوش آرامية بالقلم النبطي قد بدأت تكشف عن التاريخ القديم و تسفر عن الحقائق التي لم يكن يعرفها أحد من قبل عن العرب و تاريخهم البعيد و تلقى ضوءاً على فهم هذا التاريخ.

و أول من تصدى لهذه المباحث كان العالم الألماني (ميخائيلس) المتوفى سنة ١٨٩١ ثم عثر الضابط الإنكليزي (و لسند) سنة ١٨٣٨ على نقوش حميرية باليمن اهتم بها العلماء غاية الاهتمام و لكنهم لم يستطيعوا حل رموزها إلا بعد سنين.

و وجد الضابط الإنكليزي (كروتندن) في صنعاء نقوشا ظن أنها من خرائب مدينة (مأرب)، و أول من تصدى من الفرنسيين للبحث عن هذه النقوش و الآثار كان المسيو (أرنو) فإنه اخترق اليمن سنة ١٨٤٣ و عاد و معه ٥٦ نقشا نقلها من صنعاء، ثم جاء المستشرق (أرسياندر) فحل رموز الآثار التي وجدها (أرنو) و ذلك سنة ١٨٤٥.

و بعد هذا أرسلت وزارة المعارف الفرنسية المستشرق (جوزيف هاليفي) سنة ١٨٦٩ إلى اليمن فسار حتى بلغ مأرب، و رجع و معه ٦٨٠ نقشا، و جاء بعده (أدورد غلازر) الألماني، و ساح في اليمن مرارا و نقل منها الف نقش. بينها نقوش غاية في القيمة التاريخية. و عثر الباحثون أيضا في شمالي بلاد العرب على آثار الأنباط فوجدوا منها آثارا كثيرة في مدينة (بطرا) و مدينة (الحجر) و اكتشفوا في موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٨ (حوران) و (العلا) نقوشا بالخط المسند الحميري .

و قد لقي القرن العشرون من عناية علماء الآثار و الباحثين الشيء الكثير الذي كشف عن نواحي كانت غامضة من تاريخ العرب القديم، و مع ذلك فإن جميع ما اكتشف و ما حققه الباحثون لا يؤلف إلا جزءا صغيرا من التاريخ العربي في الأدوار القديمة التي تخص العرب البائدة، و ظل التاريخ العربي القديم يعتمد في حكايته على الأساطير و ما يترشح منها من القصص و مما ورد في التوراة أو الأخبار و الشعر و الأمثال.

و العرب على ما وصل إلينا من أخبارهم و على ما قسمهم المؤرخون قسما: العرب البائدة. و هم الذين بادوا و انقضوا قبل الإسلام بزمن بعيد و لم يبق منهم إلا- تلك الأساطير المشار إليها و الحكايات التي لا- تزال تفتقر إلى ما يسندها من الآثار و النقوش، و الخطوط، و هم قبائل: عاد، و ثمود، و العمالقة، و طسم، و جديس، و جرهم و غيرهم، و قد ترشح إلينا من أخبارهم الشيء الذي لم يزل موضع مناقشة عند المؤرخين منها أخبار التباغة و الأذواء الذين شيّدوا البنيان في الشرق و الغرب و مَصِّروا الأمصار، و الذين بنوا المدن الكبيرة (كافريقش) بن أبرهه، و ما بنوا في المغرب من المدن كمدينة (أفريقيا) و (صقليا) و ما كَوَّرُوا من الكور هناك و ما اتخذوا من العمائر في أرض المشرق و بنيان مدينة (سمرقند) و ما خلفوا هناك من قبائل حميرية بها و منهم الحمورايون ملوك بابل، و كل هذا و أمثاله مما ورد عن العرب البائدة لم يزل قيد الدرس عند المؤرخين الذين يبحثون اليوم بجد بين الآثار لمعرفة ما في تلك القصص و الأخبار من الواقع الذي تسنده الآثار و تثبته الخطوط و النقوش.

و الثابت من الآثار و التنقيبات التي أجريت في اليمن في السنين الأخيرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٩

هو أن دولا- عربية كانت ذات حضارة و نظام قد قامت في التاريخ القديم فكان منها الدولة المعينية، و الدولة السبائية، و الدولة الحميرية، و قد دلت هذه الآثار على مدينة قديمة ربما لم تقل شأنًا عن مدينة الأشوريين، و المصريين، و الفينيقيين، فقد أنشأت تلك الدول في اليمن المدن، و عمرت القصور، و غرست الحدائق، و نحت التماثيل، و حفرت المناجم، و نظمت الجند، و فتحت البلاد، و سعت التجارة، و أتقنت الزراعة، و قد ذكرهم هيردوتس الرحالة اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد.

فقال:

«إن في جنوبي بلاد العرب وحدها البخور و القرفة، و الدار صيني، و اللاذن و المر» و عدّها من أغنى ممالك العالم في زمانه .

و قد سكن قسم من العرب البائدة الحجاز، و استوطنوا (يثرب) و امتد نفوذهم إلى العراق و الشام و مصر.

و القسم الثاني من العرب: هم العرب الباقية، و هم على قسمين:

عدنانيين و قحطانيين؛ أما العدنانيون فهم من ولد اسماعيل و قد كان مسكنهم الرئيسي في الحجاز مكة المكرمة، و القحطانيون و هم أولاد قحطان، و مسكنهم الرئيسي من الحجاز (المدينة) و يقول المسعودي:

و ان من بقى من العرب البائدة قد دخلوا في العرب الباقية و هم قحطان، و معد، و لا يعلم أن قبلا بقي يشار إليه في الأرض من العرب

الأول غير معد (العدنانيين) و قحطان .

و على أن معظم تاريخ العرب البائدة بل و حتى الجاهلية الذى سبق ظهور الإسلام بقرن أو أكثر قليلا ما زال مجهولا فإن المحقق هو أن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٠

العرب انبعثوا من اليمن فى دفعات أهمها الدفعة التى أعقبت سيل العرم، و انتشروا فى جزيرة العرب، و منها اندفعوا إلى خارج حدود الجزيرة، و أن الحجاز و يثرب منه كان ملجأ تلجأ إليه قبائل اليمن العربية عند نزول الشدائد، و حين تضيق بهم الأحوال الاقتصادية، أو عند حدوث الغزو الكاسح، و إذا لم نستطع أن نستخلص أصول التاريخ القديم لجزيرة العرب. و سكانها القدماء فإننا نستطيع أن نؤكد أن الجزيرة العربية لم تعرف منذ أول تاريخها سكانا غير العرب و أن الحجاز بالذات، و المدينة منه كانت مسكنا منذ التاريخ القديم حتى اليوم من مساكن العرب البائدة اولا ثم العرب الباقية أخيرا.

حياة سكان الجزيرة العامة

أما الحياة و النظام السائد فى جزيرة العرب فى العصر الجاهلى فهو نظام قبلى مرتبط بالقبيلة داخل الجزيرة، و لكل قبيلة زعيم و رئيس أو شيخ يشترط فى تبوئه الرياسة وجود مؤهلات خاصة فيه كالكرم، و الشجاعة و الثروة النسبية، و أن يكون حسن التدبير قد اكتسب من امتداد عمره و شيخوخته تجربة تساعد على رص الصفوف بين قبيلته و حفظ كيانه، و تنظيم شؤونهم العامة، لذلك صار لكل قبيلة أنظمة و مراسيم خاصة يفرضها اختلاف طبيعة الشيوخ و الرؤساء و الظروف المعينة و ما ورثوه من التقاليد المختلفة، و لهذا صعب ان يتوحد النظام و تتفق المراسيم و التقاليد و صعب أن يكون للجزيرة طابع معين غير طابع البداوة التى لم تعرف شيئا عن الدولة و معناها داخل الجزيرة و أواسطها.

و يقول الرحالة (دوتى): انه رأى فى أهل البادية فى هذا القرن - يعنى القرن العشرين - من لا يتصور الدولة إلا على أنها قبيلة، و يقيس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢١

قوتها بما تملك من الأبل و مع ذلك فلم تعدم الجزيرة فى وقت من الأوقات نظاما حضريًا شبيها بنظام الدول التى قامت فى أطرافها، مثل مملكة الحيرة، و مملكة غسان، و مملكة كنده.

أما مكة المكرمة، و المدينة المنورة فعلى رغم ما بدا عليهما من معالم الحضارة فقد كانتا خاضعتين للنظام القبلى، و قد جرى عرف العرب حتى فى هاتين المدينتين على الانتساب إلى القبائل لا إلى المدن، بل لم يعرف الانتساب إلى المدن إلا فى القرن الثانى للهجرة و قد كان للعصبة القبلية حتى عهد الأمويين و أيام حكمهم أثر بارز فى التفرقة بين المضربين و القحطانيين و موقف بعضهم من بعض فى الحرب و السلم خلافا للتعاليم الإسلامية التى كانت ترمى إلى القضاء على كل نعة و تدعو إلى ذوبان القبائل فى الدولة الإسلامية، و لقد توسع مفهوم العصبة القبلية حتى عمت المنافسة و الحروب القبلية ذات الأصل الواحد، بل و حتى شملت الأفخاذ و الأسر الصغيرة!!

نشأة المدينة المنورة و سكانها الأقدمون

كل ما ورد عن نشأة المدينة الأولى لا يتجاوز المزاعم و الأساطير و الحكايات فهناك من يزعم بأن أول من نزل المدينة بعد غرق قوم نوح قوم يقال لهم صعل و فالج، فغزاهم داود النبى و أخذ منهم مائة ألف عذراء!! و هناك من يزعم بأن بنى عييل و هم من العرب البائدة كانوا أول من نزلوا (يثرب)، و عييل هذا كما تزعم تلك الأساطير أنه ابن عوص ابن أرم بن سام بن نوح، و قد كان أمير قبيلة من العرب العاربة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٢

التي انقرضت و هو أخو (عاد) بن عوص، أما الذى فى (الروض) للسهيلى فهو أن عييل بن مهلائيل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن ارم، و فى بعض هذه الأسماء اختلاف فيما ورد فى الأخبار، و قال السهيلي:

و بنو عييل هم الذين سكنوا (الجحفة) فأجحفت بهم السيول فسميت الجحفة و تسمى اليوم براىخ.

أما المسعودى فمن أقدم المؤرخين الذين يذكرون (الجحفة) و يعينون مكانها بين مكة و المدينة، و يقول: إن عييل بن عوص بن ارم بن سام بن نوح هو الذى نزل بلاد (الجحفة) و معه أولاده فهلكوا بالسيول، أما يثرب فيقول المسعودى أن يثرب و هو ابن قامه بن مهليل بن ارم بن عييل قد نزل هو و ولده و من تبعه فيها فسميت به (يثرب) فهلك هولاء ببعض غوائل الدهر و آفاته فقال شاعرهم:

عين جودى على عييد برجع بأماق فيضانها بانسجام

عمروا (يثربا) و ليس بها سفر ولا صارخ و لا ذو سنام

غرسوا لينها بمجرى معين ثم حفوا السبيل بالأرحام

و بين رواة هذه الأخبار و الأساطير من يذهب إلى أن العمالقة هم الذين بنوا (يثرب) بعد خروجهم من مصر، و يقول محمد لبيب البتانونى فى رحلته الحجازية: ان لنا فى يهودية السكان ما يؤيد قول من ذهب إلى أن موسى فى طريقه إلى فلسطين أرسل فرقة من قومه لتكشف له تلك الجهة فساروا إليها و بلغهم موته فبنوا مدينة (اثرييس) و أقاموا فيها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٣

و على هذا فبالامكان اعتبار ابتداء عمران (يثرب) من سنة الف و ستمائة قبل المسيح أو الفين و مائتين و اثنتين و عشرين قبل الهجرة . و كان العماليق - على هذا الرأى - هم الذين بنوا المدينة و زرعوا فيها الزروع و غرسوا النخيل، و عمروا الدور و الاطام (الحصون) و اتخذوا بها الضياع.

و العمالقة هم بنو عملاق بن ارفخشذ بن سام بن نوح على ما تروى تلك الأخبار و كانوا ممن امتد نفوذهم و سطوتهم إلى جهات كثيرة فأخذوا ما بين البحرين و عمان، و الحجاز كله إلى الشام و مصر، فجابرة الشام - و كان يقال لهم الكنعانيون - و فراعنة مصر، كانوا من العمالقة، و كان من العمالقة بالبحرين و عمان أمه يسمون (جاشم) و كان ساكنو المدينة منهم: بنو هف و سعد ابن هفان، و بنو مطرويل، و كان ملك الحجاز الأرقم بن أبى الأرقم، و من أشهر من ورد اسمه من العمالقة هو أذينة بن السמידع الذى استولى على بلاد الروم و تملك عليها و ذكره الأعشى فى شعره إذ قال:

أزال (أذينة) عن ملكه و أخرج عن ملكه ذا يزن

و يقول ابن الأثير ان بنى عييل قد لحقت بيثرب قبل ان تبنى و لحقت العماليق بصنعاء قبل ان تسمى صنعاء، و انحدر بعضهم إلى (يثرب) فأخرجوا منها (عييلا) و نزلوا موضع الجحفة، و أن العماليق قوم عرب و لسانهم عربى .

و فى تاج العروس أن (يثرب) سميت بأول من سكنها من ولد سام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٤

ابن نوح، و قيل باسم رجل من العمالقة .

و توسع الزبيدى فى أصل العمالقة الذين سكنوا (يثرب) و مصرّوها كما تقول الأخبار فقال: العماليق و العمالقة: قوم من عاد، تفرقوا فى البلاد، و انقرض أكثرهم، و هم من ولد عمليق كقنديل أو عملاق مثل قرطاس الأخير عن الليث: إنه ابن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام كما فى الصحاح، و فى المقدمة الفاضلة أن لاوذ أخو (إرم) و ارفخشذ بنى نوح عليه السلام، و قال الليث: و هم الجبابرة الذين كانوا بالشام على عهد موسى عليه السلام.

و قال ابن الأثير: هم الجبابرة الذين كانوا بالشام من بقية قوم عاد، و قال ابن الجوانى: عمليق: أبو العمالقة و الفراعنة، و الجبابرة بمصر و

الشام و كانوا فبانوا منقرضين .

و قال السهيلي: من العماليق ملوك مصر الفراعنة منهم الوليد بن مصعب بن أشمير بن لهو بن عمليق و هو صاحب موسى عليه السلام، و الريان بن الوليد صاحب يوسف عليه السلام .

و كل ما أوردناه هنا عن نشأة (لمدينة) الأولى و سكانها إنما هو خلاصة لأخبار لا يعول على أكثرها و ذلك لعدم وجود ما يسندها من البراهين و الأدلة من كتابات و نقوش و آثار، و قد استقيت هذه الأخبار عن نشأة المدينة الأولى و سكانها الأوائل من الروايات و الأخبار المتناقلة و من التوراة فسجلت في العصور الإسلامية كما تناقلتها الألسن دون تمحيص .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٥

نزول اليهود المدينة

و تستمر هذه الأساطير في حكاياتها فتقول ان سبب نزول اليهود المدينة و أطرافها و ضياعها على ما روى ياقوت في معجم البلدان و غيره هو أن موسى بن عمران بعث إلى الكنعانيين و هم (العمالقة) حين أظهره الله تعالى على فرعون، فوطأ الشام، و أهلك من كان بها منهم، ثم بعث بعثا آخر إلى (العماليق) في الحجاز الذين كانوا يحكمون تلك الأصقاع، و أمرهم ان لا يستبقوا أحدا ممن بلغ الحلم من العمالقة إلا من دخل في دينه

و تقول الرواية: فقدموا على العمالقة و قاتلوهم و قتلوهم و قتلوا ملكهم (الارقم) و أسروا ابنا له و كان شابا جميلا كأحسن من رؤى في زمانه، فضنوا به عن القتل، و قالوا نستحيه حتى نقدم به على موسى ليرى فيه رأيه، فأقبلوا و هو معهم، و قبض الله موسى و هم في الطريق و قبل وصولهم، فلما قربوا، و سمع بنو إسرائيل بذلك تلقوهم، و سألوهم عن أخبارهم، فأخبروهم بالفتح و ما أصابوا في حربهم، قالوا- فما هذا الفتى الذى معكم؟

فأخبروهم بقصته، فقالوا: إن هذه معصية منكم لمخالفتكم نبيكم، و الله لا دخلتم علينا بلادنا أبدا، و حالوا بينهم و بين دخول الشام !!.. فقال ذلك الجيش - ما بلد اذ منعتكم بلدكم خير لكم من البلد الذى فتحتموه و قتلتم أهله فارجعوا إليه.

فعادوا إلى يثرب و أقاموا بها، فكان هذا أول تاريخ سكنى اليهود الحجاز و المدينة!! ثم لحق بهم بعد ذلك بنو الكاهن بن هارون- شقيق موسى بن عمران- فكانت لهم الأموال و الضياع بالسافلة- و السافلة هى ما كان فى أسفل المدينة إلى جبل أحد أما العالية فهى ما كان فوق المدينة فرعم بنو قريظة أنهم مكثوا كذلك زمانا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٦

و غزا الروم الشام و احتلواها و قتلوا من بنى إسرائيل خلقا كثيرا فخرج بنو قريظة، و النصير، و هدل، هارين من الشام يريدون الحجاز لينضموا إلى الإسرائيليين هناك و يسكنوا معهم، و وجه ملك الروم فى طلبهم من يردهم فأعجزوا رسله و فاتوهم على ما تقول الأخبار، و الراجح هو أن الروم قد طاردوهم فهاجروا إلى الحجاز لأول مرة و سكنوا المدينة و أطرافها منذ ذلك التاريخ .

و فى الأساطير التى جاء بها بعض مورخى الحجاز من اليهود أن سبب نزول اليهود (يثرب) هو أن ملك الروم حين ظهر على بنى إسرائيل و احتل الشام خطب إلى بنى هارون ابنه منهم، و لما كان زواج اليهودية بالمسيحيين و غيرهم ليس جائزا فقد تحير اليهود فى الأمر، و خافوا بطش الملك فجاملوه و تحببوا إليه، و سألوه ان يشرفهم بزيارته لهم، و حين جاءهم فتكوا به و بمن معه و هربوا إلى الحجاز و أقاموا بها.

و يقول ابن النجار: و كان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق و كان الحجاز أكثر بلاد الله شجرا، و أظهره ماء، فنزل اليهود منه حيث شاءوا، بعد ان هاجروا بسبب اضطهاد الروم لهم، و يؤيد ذلك ما جاء فى المصادر الإفرنجية؛ أن مستعمرات اليهود فى الحجاز كقرى خيبر و غيرها قد كوّنها اليهود الذين اضطهدهم أباطرة الرومان من أمثال (أدربان) الذى طردهم من فلسطين عام ١٣٢ .

و كان جمع من اليهود قد نزلوا (زهرة) و هي محل بين الحرّة و السافلة مما يلي القف، و كانت لهم الأموال بالسافلة، و نزل جمهورهم بمكان يقال له (يثرب) بمجمع السيول: سيل بطحان و العقيق، و سيل قناة مما يلي رغبة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٧

و خرجت قريظة و أخوانهم بنو هذل، و هذل، و عمرو، أبناء الخزرج بن الصريح ابن التوم بن السبط بن اليسع، بن العتين بن عيد بن خبير ابن النجار بن ناحوم بن عازر بن هارون بن عمران، و النصر بن النجار بن الخزرج بن الصريح بعد هولاء، فتبعوا آثارهم و نزلوا بالعليه على وادين يقال لهما (مذيبيب) و (مهزور)، فنزل بنو النضير على (مذيبيب) و اتخذوا عليه الأموال، و نزل بنو قريظة و هذل على (مهزور) و اتخذوا عليه الأموال، و كانوا أول من احتفر بها الآبار، و اغتسروا الأموال، و ابتنى الآطام و المنازل، و قد قيل: إن جميع ما بنى اليهود بالمدينة كان تسعة و خمسين اطما أى قلعة .

*** إلى هنا و التاريخ لم يسلم من شوائب الأساطير و الحكايات المغرقة في الخيال و المزاعم التي تفتقر إلى تأييد مادي يعتمد الخطوط و النقوش و الآثار ليصحّ تعيين مبدء لتاريخ المدينة القديم و سكانها القدماء و أجناسهم، و كل ما يمكن الجزم به هو أن مدينة (يثرب) مدينة قديمة- كما قلنا- و مغرقة في القدم و قد ورد اسمها في الكتابات (المعينية) مما يدل على قدمها، و أن (المعنيين) قد استعمروها على ما يستنتج من تلك الكتابات، فقد كانت للمعنيين مستعمرات على طول الطريق التجاري من اليمن- مركز المعنيين- حتى تخوم الشام، فليس من المحتمل أن يكونوا قد تجاوزوا يثرب دون ان ينتفعوا بموقعها، و خصب أرضها، و كثرة مياهها، و اتخاذها مستعمرة لهم، و محطة لتجارتهم، لا سيما و أن مستعمراتهم كانت متصلة إلى شمال يثرب و على طول (وادي القرى).

و إذا كان اسم (يثرب) قد ورد في الكتابات المعينية القديمة فلا بد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٨

أنها كانت من المواضع التي سكنتها جاليات من المعنيين ثم صارت إلى السبائين بعد زوال مملكة معين .

و لما كانت عوامل السكن و الاستيطان متوفرة في هذه البقعة من الأرض و لا سيما الزراعة كان من البدهى ان تكون يثرب مطمح الأنظار من قديم الزمان و أن يقصدها السكان من جميع الجهات، أما تاريخها فمثل تاريخ كثير من المدن القديمة المجهولة الأصل، فليس بالبعيد ان تكون كغيرها من المدن الزراعية نشأت في بادئ الأمر قرية صغيرة ثم كبرت فكانت مركزا لملاكي الضياع و مسكنا للفلاحين و المزارعين الذين يذهبون صباحا إلى حقولهم و يعودون مساء إلى بيوتهم، و أن مثل هذا النهج في الحياة، و مثل هذا الأسلوب في معيشة السكان لمنتهج في أغلب المدن القديمة عند أول تكوينها و تمصيرها، و ما زال ساريا منذ عهد حمورابي حتى يومنا هذا باستثناء المدن التي أنشئت لتكون مدينة منذ أول يوم كبغداد و القاهرة و سامراء و غيرها.

و كان ليثرب العوامل التي تستدعي قيامها في هذا الموضع من الحجاز و تستدعي ان يمتد نفوذها إلى مناطق بعيدة واسعة تشمل قرى و ضياعا و أودية.

و القرى المحيطة بيثرب القديمة ككل القرى الأخرى يومذاك، كانت تتألف في الأول من عدد من البيوت، و تضم عددا من الأسر تكثر و تقل تبعاً لأهمية موقع القرية و طبيعتها و عواملها الأخرى، و تشد هذه الأسر روابط من الرحم و القرابة أو الجوار أو المصالح المشتركة، فإذا كانت القرية واقعة في منطقة زراعية آل امتلاكها و زعامتها في الغالب إلى شيخ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٩

أو رئيس قبيلة ثم تؤول هذه الزعامات إلى زعيم واحد يكون ملكا أو أميرا أو رئيسا كبيرا أو أية شخصية ذات نفوذ و وجهة و قوة، و حين يتساوى النفوذ بين صغار الرؤساء أو الكبار تقع الحروب القبلية و تستمر على مرور السنين حتى يتم خضوع الضعيف من القبائل و الأسر للقوى المنتفد، أو يحصل اتفاق تفرضه المصلحة بين الزعماء يكون من شأنه تحديد النفوذ و السلطة و تعيين حدود كل رئيس و

علاقته بالآخرين من أتباعه أو جيرانه أو أصدقائه و أعدائه، و قد مرّ مثل هذا على يثرب فمرّ تاريخها بالشىء الكثير من الخصومة و المعارك و الصلح و المسالمة، و شهدت فى مختلف أدوارها ممن حكمها ما رفع قدرها حيناً و ما ألحق بها من الخسائر و الأضرار حيناً آخر.

و على هذا النهج قامت هذه المدينة، و سكنتها قبائل لها صولة و جولة و مكانة فى تاريخ جزيرة العرب.

*** و كلما بدأ الزمن يدنو من ظهور الإسلام كان يتلاشى أثر الأساطير و الأخبار فى تدوين التاريخ المقارب للواقع، إذ يكون الرواة أقرب إلى مصدر الخبر و الوقوف على الوقائع عن كتب و تلقى الأخبار عن الثقاء فى سلسلة قصيرة لا تسمح الظروف بإضافة نسبة كبيرة من الحلقات المختلفة إليها.

و أن مثل هذا التاريخ القريب من الواقع بعض القرب و الذى قد نجد لبعض حكاياته ما يسنده من الآثار قد بدأت علائمه منذ ظهور اليهود و الأوس و الخزرج على مسرح تاريخ المدينة، على رغم ما فيه من مبالغة و إغراق.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٠

فالحقيقة التى يمكن أن يتوصل إليها المؤرخ هى أن اليهود قد نزلوا يثرب سواء تم نزولهم فى أيام موسى و فى أثناء حربه العمالة الذى نستبعده نحن - أو بدفعات نتيجة للعوامل الطبيعية و الظروف التى تحتم على الأقسام الهجرية - و هو ما نميل إليه و نأخذ به - و أنهم بناء على ما عرفوا به من نزعة فى كيفية استثمار الأموال و التجارة و استغلال مرافق الحياة و قصر المنفعة عليهم دون غيرهم استطاعوا أن يستولوا على ثروة البلاد و يسخروا مواردها لمنفعتهم حتى لقد استأثروا بثروة (يثرب) كلها، و كانت المدينة كما أشرنا من حيث الخصب و الشجر و المياه و الموقع التجارى الاستراتيجى مطمح الأنظار فكان لها من القابلية ما تستوعب سكنى الكثيرين من المهاجرين.

و كان أشهر اليهود الذين أمسكوا بزمام البلد و استولوا على مرافقة الزراعة و التجارية بنو قريظة و بنو النضير، حتى صاروا ملوكاً، و كانت يثرب و تهامة فى الجاهلية تدفع الخراج لعامل عليها من قبل (مرزبان) فلما قويت شوكة اليهود و أصبحوا حكاماً بدأ سكان يثرب و ضياعها يدفعون الخراج لليهود و لذلك قال بعض الأنصار:

تؤدى الخرج بعد خراج كسرى و خرج بنى قريظة و النضير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣١

الأوس و الخزرج

و فى هذا الوقت أو قبله كان قوم من القحطانيين آخرون و هم الأوس و الخزرج قد نزحوا من اليمن و نزلوا يثرب، و لنزوحهم من اليمن قصص و حكايات لا يطمئن إليها المؤرخون المتشبتون، و كل ما يمكن استخلاصه هو أن الأوس و خزرج و هم أبناء حارثة ابن ثعلبة قد هاجروا من اليمن إلى المدينة فى دفعات، و استوطنوا يثرب كما فعل اليهود بناء على وفرة مياهها و رغد العيش فيها، و أقاموا بين قريظة و النضير، و خيبر، و تيماء، و وادى القرى، و نزل أكثرهم فى يثرب، و كثيراً ما هاجر القحطانيون من اليمن عند نزول الشدائد و الكوارث - كما قلنا - حتى لقد تم لهم حين تكاثروا ان ينشؤوا دولا كدولة الغساسنة فى الشام، و دولة المناذرة فى العراق، و كندة بنجد و قد سبقت الإشارة إلى ذلك.

و جاء فى دائرة المعارف أن القحطانيين خارج اليمن كانوا تسع عشرة قبيلة - أى قبائل يمانية غير عدنانية - و هى:

قبائل طى، و الأشعر، و بجيلة، و جذام، و الأزدي، و عاملة، و كندة، و لحم، و مذحج، و همذان، و مازن، و غسان، و عدنان، و مزيقيا، و أزد، و شنوءة، و الأوس، و الخزرج، و خزاعة، و لكل من هذه القبائل بطون، و أفخاذ، و عمائر، و عشائر لا سبيل لحصرها.

فليس من الشرط أن تختلق لنزوح الأوس و الخزرج معاذير و أسباب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٢

أكثر من أنها نزحت كما تنزح سائر القبائل حين تشتد بها الحاجة كأن يصيبها المحل، أو تبددها الحروب، أو تحل بها كارثة عامة، و لعل لانهايار سد مأرب الأثر الكبير في مثل هذا التفرق الذي ظهر على القبائل القحطانية في اليمن. و كان في (المدينة) قرى و أسواق لليهود من بنى إسرائيل كما مر و كان قد نزلها عليهم أحياء من العرب قبل نزول الأوس و الخزرج و هم:

بنو أنيف، حى من بلى و قيل إنهم من بقايا العمالق، و بنو مريد و هم حى من بلى أيضا و بنو معاوية بن الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور ابن عكرمة بن خصفه بن قيس ابن عيلان، و بنو الجذما و هم حى من اليمن، فبنوا الآطام و المنازل فى يثرب و كانت الاطام عز أهل المدينة و منعتهم التى يتحصنون فيها من عدوهم فكان منها ما يعرف اسمه، و منها ما لا يعرف اسمه، و منها ما يعرف باسم سيدها، و منها ما لا يدري لمن كانت هذه الحصون و منها ما جاء ذكرها فى الشعر، و منها ما لم تذكر، و كان ما بنى من الاطام للعرب بالمدينة ثلاثة عشر أطما .

و قال ابن النجار عن العرب الذين كانوا فى المدينة قبل نزول الأوس و الخزرج نقلا عن عبد العزيز بن عمران أنهم أحياء من العرب منهم أهل التهمة تفرقوا جانب بلقيز إلى المدينة فكانت منازلهم بين مسجد الفتح إلى يثرب فى الوطا و جعلوا الجبل بينهم و بين المدينة و قد أبروا الآبار و زرعوا الأرض و عمروها.

و حين نزول الأوس و الخزرج المدينة كان فيها من اليهود بنو قريظة، و بنو النضير، و بنو محمحم، و بنو زعورا، و بنو قينقاع، و بنو ثعلة، و أهل زهرة، و أهل زباله، و أهل يثرب، و بنو القصيص، و بنو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٣

فاعصه، و بنو ماسكة و بنو القمعة، و بنو زيد اللات، و هم رهط عبد الله، و بنو عكوة، و بنو مرانة.

و لا يعلم كم لبث الأوس و الخزرج حتى استقر بهم المقام و حتى صار لهم شأن يذكر بين اليهود الذين كانوا يملكون المال و القلاع و السلطة الزمنية فى يثرب و ضياعها، بحيث رأى اليهود ان مصلحتهم تستدعيهم إلى ان يعقدوا بينهم و بين الأوس و الخزرج حلفا و جوارا يأمن به بعضهم من بعض و يمنعون بهذا الحلف من يتحداهم بالغزو أو الحرب من الخارج، فتعاقدوا و تحالفوا و تشاركوا و تعاملوا، و لم يزالوا على ذلك زمنا طويلا، و قد أثرى الأوس و الخزرج و صار لهم مقام و جاه و صولة فى يثرب. و على أن الأوس و الخزرج و قبائلهم، و أن قريظة و بنى النضير و سائر اليهود كانوا متقاربين فى المجاورة و المنازل فقد اختصت كل جهة بكثافة معينة من تلك القبائل.

حضارة المدينة و منازل اليهود و العرب منها

فحرة (واقم) و هى الحرة الواقعة شرقى (المدينة) كما عينا موقعها فى محل آخر من هذا البحث كانت مسكونة بأهم قبائل اليهود من بنى النضير و قريظة و عدد آخر من عشائر اليهود الأخرى، كما كانت تسكنها أهم البطون الأوسية من بنى عبد الأشهل، و بنى ظفر، و بنى حارثة، و بنى معاوية.

و تنقسم حرة (واقم) باعتبار المنازل الواقعة منها قديما إلى خمس مناطق متجاورة، منطقتين منها كانتا لليهود، و ثلاث كانت للأوس.

و فى منازل عبد الأشهل من الأوس كان يقوم حصنهم (واقم)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٤

الذى سميت (الحرة) باسمه، و قد ترك أصحاب هذه المنازل من اليهود و الأوس آثارا فى (الحرة) تدل على حضارة و نظام مدنى لم يبق منها اليوم إلا- أطلال دوارس، ذلك لأن هذه (الحرة) صارت ميدان حرب حين ظهر الإسلام و استقر فى المدينة و خان اليهود

العهود و المواثيق التي كانت بينهم و بين النبي (ص) الأمر الذي اضطر النبي (ص) إلى محاصرة بنى النضير من اليهود حتى أجلاهم، ثم حاصر بنى قريظة حتى قضى عليهم .

و من ذكر أسماء القصور و الحصون و القلاع في المدينة و ضواحيها و مما بقى من أطلالها حتى اليوم تقوم أدلة كثيرة على وجود حضارة ذات لون خاص عرفت به المدينة المنورة بين المدن العربية القديمة، فهذه القلاع الضخمة المشيدة في جميع أنحاء يثرب و المبنية بالصخور و الحجارة السوداء و التي لم يزل بعضها قائما كحصن (الضحيان)، و حصن كعب بن الأشرف النبھاني، و القصور المنتشرة هنا و هناك و لا- سيما قصور وادى العقيق، و الأسوار التي كانت تحوط بعض القرى المنيعة، و الابهاء التي تحيط ببعض الأبنية كسقيفة بنى ساعدة لتشير كلها إلى طراز خاص من الحضارة التي تدل على شيء كثير من الاستقرار و الراحة و النعمة، إضافة إلى الصهاريج و أقينية المياه و حفر الآبار و تنظيم السقى و المزارع.

أما الأبنية العامة أو بيوت الطبقة الوسطى فعلى رغم بساطتها من حيث المواد و الطراز و الهندسة فهي الأخرى لا تخلو من مظهر من مظاهر الحضارة في مثل تلك العصور و في وسط محاط بقبائل البدو الرحل الذين لا تتجاوز حياتهم الحياة البدائية.

و يستبان من الحفريات التي يجريها المهندسون في المدينة المنورة اليوم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٥

لإقامة الأبنية الجديدة و شق الأسس أن كثيرا من ابهاء دور المدينة القديمة التي يعثرون عليها كانت مفروشة بالطوب المربع الأحمر، و مبنية بالطين، و اللبن، و الحجارة، و الراجح أنهم كانوا يستعينون بأخشاب الأشجار التي يأتون بها من الوديان فيعملون منها الأبواب و النوافذ، أما الزخرف فلم يكن معروفا في العمارة العربية قبل الإسلام و لا في الصدر الأول منه

و فيما يعثر عليه المهندسون و هم يشقون الأسس من أشياء، تكفى وحدها لتدل على لون الحياة الرفيعة التي لا يجوز اعتبارها حياة غير حضارية، و قد جاء في كتاب (آثار المدينة) لعبد القدوس الأنصاري:

أن العمال و هم يحفرون الأرض في (المدينة) لوضع نصب تذكاري سنة ١٣٣٥ هـ إذ انفتحت لهم هوة كشفت عن بيوت كانت سقوفها تحت طبقة هذه الأرض فزلوا إليها و وجدوا بها ثيابا معلقة على جبال!! و مع بلاها فقد كانت محتفظة بشكلها و هندامها و هي متماسكة بحكم الرطوبة، و عدم تخلل الهواء للغرف الموجودة بها، فدمروا البيوت، و شادوا عليها النصب و قد اتضح أن المدينة الحديثة مبنية فوق المدينة القديمة.

و عند دخول الإسلام المدينة كانت مواد البناء و هندسته عند الطبقة الوسطى لم تزل على ما هي عليه من أبعاد العصور، و حين قام النبي (ص) ببناء أول مسجد أسهم هو و ابن عمه الإمام على (ع) في العمل، و كانت مواد البناء كما تقول الأخبار من اللبن، و كان على (ع) يعمل في البناء و يرتجز و يقول:

لا يستوى من يعمر المساجد أيدأب فيها قائما و قاعدا

و من يرى عن الغبار حائدا و كان عثمان بن عفان (رض) رجلا نظيفا متظفا- على ما يصفون-

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٦

يحمل اللبنة فيجافى بها عن ثوبه فإذا وضعها نفض كمه و ما يكون قد أصاب ثوبه من التراب .

و معظم كثافة سكان اليهود كان (بزهره) من منازل بنى النضير، و بشمالها كانت منازل بنى قريظة، و قد عرفت (غرس) منها بكثافة السكان.

قال الواقدي: و كانت منازل بنى النضير بناحية (الغرس) و في خارج المدينة، و في الضياع و القرى، دساكر و منازل اختصت باليهود من يثرب، و عجت بكثافة سكانها منهم خصوصا بعد أن تغلب عليهم الأوس و الخزرج ففر الكثير منهم إلى (خيبر) و إلى (فدك) و سائر القرى الأخرى و كانت لهم على (مذيئب) و (مهزور) بصورة خاصة- كما مر من قبل- منازل و مساكن و قلاع ما لبثت ان

اكتظت بالسكان.

*** و كانت مصلحة السكن و الاستقرار هي التي تفرض على القبائل العربية و القبائل اليهودية اللثام و التقارب و إلا فإن هذه القبائل كانت على طرفي نقيض في العادات و الأخلاق و التقاليد و الدين بصورة خاصة، فقد كان الأوس و الخزرج كسائر العرب يقدسون أصنام قريش بصورة عامة و على الأخص (مناة) بل لقد كان مناة هو الصنم الأكبر عند الأوس و الخزرج، و كان هذا الصنم منصوبا على ساحل البحر بناحية (المشلل) بقديد بين المدينة و مكة، و هو أقدم من الأصنام الأخرى كاللات و العزى و سمت العرب: عبد مناة، و زيد مناة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٧

و كانت العرب جميعا تعظم (مناة) و تذبح حوله، و لكن الأوس و الخزرج كانوا أشد إعظاما له من سائر القبائل و (مناة) الصنم هو (منوتن أو منوت Manavat عند النبط).

*** و تكاثر نزول العرب في يثرب و أطرافها، و صار للأوس و الخزرج منازل و مبان و أملاك و أموال أكثر من ذي قبل، و لا بد أن تكون قد حدثت حوادث موضعية بين العرب و اليهود و هو أمر طبيعي كثيرا ما يحدث بين الأسرة الواحدة و البيت الواحد كما حدث بعد ذلك بين الأوس و الخزرج إضافة الى ان الحذر من ابرز طبيعة اليهود، فآلت تلك الحوادث الموضعية الى توتر الحالة العامة بين العرب و اليهود و استغل اليهود كثرتهم و تفوقهم على العرب فتنمروا للأوس و الخزرج و نقضوا العهد و الحلف الذي كان قائما بينهم و اعلنت الحرب، و كان مالك بن العجلان من الخزرج ابرز رجالات القبيلتين فسودته القبيلتان عليهما، و احسن هذا تحشيد الرجال و توحيد الصفوف و الهجوم حتى استولى في المدينة على حصون اليهود و دفع بهم الى خارج يثرب، و الى الضياع التي يسكنها قومهم، و اتخذ هناك الأوس و الخزرج الديار و الأموال و تفرقوا في (عالية) المدينة و (سافلتها) و جاء بعضهم الى عفا من الأرض لا ساكن فيه فنزله و نزل بعضهم بعض قراها و اتخذوا فيها الأموال و الاطام فكان ما ابتنوا من الاطام مائة و سبعة و عشرين أطما (حصنا) و اقاموا كلمتهم و أمرهم مجتمع و صارت الكلمة العليا للأوس و الخزرج.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٨

الاسطورة

و هنالك اسطورة في كيفية تغلب الاوس و الخزرج على اليهود لا بأس من إيرادها هنا للاطلاع على ما تقول الاخبار عن هذه الحرب. فلقد قيل ان مالكا هذا الذي سوده الاوس و الخزرج عليهم قد استعان بابي جبيله و هو احد ملوك الغساسنة في الشام على حربه حين تغلب اليهود على العرب فجاء ابو جبيله بقومه و قتل اليهود في خدعة انطلت عليهم و مهد للأوس و الخزرج الاستيلاء على المدينة لان الاوس و الخزرج كانوا ضعفاء لا يقوون على الوقوف في وجه اليهود، فتقول الاسطورة:

إنه كان لبنى اسرائيل في المدينة ملك يقال له (الفيطوان) و يقول ياقوت بل انه (الفيطون) استنادا الى ما جاء في كتاب ابن الكلبي، و كان اليهود، و الاوس و الخزرج يدينون له، و كانت له فيهم سنة ألاً تزوج امرأة منهم إلا أدخلت عليه قبل زوجها حتى يكون هو الذي يفتضها!! إلى ان زوجت اخت لمالك ابن العجلان فيها و هو ابن زيد السالمي الخزرجي، فلما كانت الليلة التي تهدي فيها الى زوجها خرجت على مجلس قومها كاشفة عن ساقها و اخوها مالك في المجلس، فقال لها:- قد جئت بسوءة بخروجك على قومك و قد كشفت عن ساقك.

قالت:- الذي يراد بي الليلة أعظم من ذلك لأنني أدخل على غير زوجي.

ثم دخلت الى منزلها فدخل إليها اخوها و قد أرمضه قولها فقال لها:

- هل عندك من خبر؟

قالت - نعم فماذا؟

قال - أدخل معك في جملة النساء على (الفتيون)، فإذا خرجن من عندك و دخل عليك ضربته بالسيف حتى يبرد.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٩

قالت - افعل.

فتزّيا بزى النساء، وراح معها، فلما خرجت النساء من عندها دخل (الفتيون) عليها فشدّ مالك بن العجلان بالسيف و ضربه حتى قتله و خرج هاربا الى الشام و قصد فيها ابا جيلة، - و قيل بل فر الى اليمن و قصد تبع الاصغر بن حسان- و شكّا الى ابي جيلة ما كان من (الفتيون) و ما كان يعمل في نسائهم، و ذكر له انه قتله و هرب، و انه لا يستطيع الرجوع خوفا من اليهود، فعاهده ابو جيلة ان لا يقرب امرأة، و لا يمسّ طيبا، و لا يشرب خمرا، حتى يسير الى المدينة و يذلّ من بها من اليهود، و اقبل سائرا من الشام فى جمع كثير مظهرا انه يريد اليمن حتى قدم المدينة، و نزل بنى حرض، ثم ارسل الى الاوس و الخزرج انه على المكر باليهود و هو عازم على قتل رؤسائهم، و انه يخشى متى علموا بذلك ان يتحصّوا فى آطامهم، و أمرهم بكتمان ما أسرّه اليهم، ثم ارسل الى وجوه اليهود ان يحضروا طعامه ليحسن اليهم و يصلحهم، فأتاه و جوههم و اشرافهم و مع كل واحد خاصته و حشمه، فلما تكاملوا أدخلهم فى خيامه، ثم قتلهم عن آخرهم، فصارت الاوس و الخزرج من يومئذ أعزّ أهل المدينة، و قمعوا اليهود، و سار ذكرهم، و صار لهم الأموال و الاطام .

عودة الى التصافى

و يبدو من متابعة التاريخ ان المصلحة عادت فوفقت بين قبائل العرب و قبائل اليهود، و قد ساد الفريقين صفاء ضمته احلاف و عهود جديدة، فقد حالف بعض اليهود الأوس، و حالف بعضهم الخزرج و فى هذه المرة وقف كل فريق مع حليفه فى الحروب بحكم المصلحة على الرغم من تعارض

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٤٠

هذا الوقوف مع احكام التوراة، و قد ظل اثر هذه الاحلاف الى ما بعد الهجرة اذ ظل الأوس و الخزرج متمسكين بحلفهم مع اليهود، و قد أشارت بعض آيات القرآن الكريم الى هذا التمسك و التزام العرب بهذا الحلف و وعدهم لليهود بالنصرة إذا ما قامت حرب ضدهم، و سمى القرآن اولئك بالمنافقين لانهم اظهروا الاسلام و قبلوه و مع ذلك فقد ظلوا على حلفهم و موافقتهم و تضامنهم مع اليهود و ذلك فى الآية الكريمة:

«أَلَمْ تَرَ» يا محمد «إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا» فآظهروا الايمان و ابطنوا الكفر «يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ» فى الكفر و هم «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يعنى يهود بنى النضير. «لِئِنْ أُخْرِجْتُمْ» من بلادكم «لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ» مساعدين لكم «وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا» يعنى فى قتالكم و مخاصمتكم «وَإِنْ قُوتِلْتُمْ» معاشر بين النضير «لَنَنْصُرَنَّكُمْ» و لندفعن عنكم .

و كانت صلات الاوس و الخزرج و اليهود بالقبائل العربية الاخرى و لا سيما قريش صلات طيبة، حتى لقد أصهر هاشم بن عبد مناف الى بنى النجار الخزرجيين من أهل يثرب، و ظل ابنه عبد المطلب على صلة و وثيقة باخواله هؤلاء، كما كان لغيره من زعماء مكة صداقات و اتصالات بزعماء يثرب، و لكن قريشا كانت تتجنب الحلف مع قبائل المدينة منعا لتورطها فى دخول حلف ربما جرّ الى التدخل فى الحروب الداخلية التى كانت تنشب من آن لآخر بين الاوس و الخزرج قبيلتى يثرب، و ظلت علاقة قريش طيبة مع يثرب برغم ما كان يمكن ان يحدث من تنافس بين المدينتين الواقعتين على طريق التجارة.

كذلك كانت صلات مكة باليهود جميعا طيبة فى يثرب، و خير،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٤١

و تيماء، و وادى القرى، كما كان اليهود يجلبون القرشيين و يعتبرونهم سادة العرب، و ملوك الناس، و لم يكن اليهود فى جزيرة العرب

يحفلون كثيرا بتعاليم التوراة التي تأمرهم بالابتعاد عن الوثنيين و تلزمهم بمعاداتهم، و محاربتهم، و إنما كانوا يجرون وراء مصالحهم المادية .

حروب المدينة و أيامها المشهورة

و كان من الطبيعي بعد ان صفا الجو للاوس و الخزرج و اصبحوا هم الأمرين و الناهين فى يثرب أن يدب الخلاف بينهم بداعى احتكار السلطة و المنفعة لا سيما و قد أمنوا جانب اليهود و لم يستطع الاصل و النسب المشترك ان يحول دون التنافس بينهما و ذلك لداعى تنازع البقاء فقامت بين القبيلتين حرب طاحنة لم تخدم نيرانها مرة الا و تشب من جديد، و قد اشار المؤرخون الى العداة القائم بينهم و وصفوه بكونه عداة تجاوز حد الوصف!!

روى الطبرى قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: قال ابن اسحاق: كانت الحرب بين الاوس و الخزرج عشرين و مائة سنة!! حتى قام الاسلام و هم على ذلك فكانت حربهم بينهم و هم اخوان لأب و ام فلم يسمع بقوم كان بينهم من العداة و الحرب ما كان بينهم و كان لهم من العز و الجاه و التاريخ الذى حكى الشعر جانبا كبيرا منه ما سجل الكثير من المفارخ العربية فى شتى الميادين فتهدم هذا بسبب تلك الحروب حتى ضعف شأن هاتين القبيلتين، و ضاع بسبب ذلك الكثير مما اكتسبت المدينة من المجد و العز و الجاه و الثروة.

و قد عرفت لحروبهم ايام مشهودة اشهرها: يوم الصفيئة، و هو اول يوم جرت الحرب فيه، و يوم السرارة، و يوم وفاق بنى خطمة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٤٢

و يوم حاطب بن قيس، و يوم حضير الكتائب، و يوم أطم بنى سالم، و يوم أبتروه و يوم البقيع، و يوم بعث، و يوم مضرس و معبس، و يوم الدار، و يوم بعث الاخر، و يوم فجار الانصار.

و كانوا ينتقلون- كما يقول يعقوبى- فى هذه المواضع التى تعرف ايامهم بها و يقتتلون قتالا شديدا .

و لم تقتصر حرب المدينة على الاوس و الخزرج و إنما شاهدت المدينة من غزو الغازين حروبا ضارية كان من اشهرها غزوة تبع الاخر للمدينة، و هو تبار أسعد أبو كرب، و كان قد جاء من المشرق جاعلا طريقه على المدينة، و كان حين مر بها فى بدأته لم يهجم أهلها و قد خلف بين اظهريهم ابنا له فقتل ابنه هذا غيلة فقدم تبع و هو مجمع لإخراة (المدينة) و استئصال أهلها، و قطع نخلها، فجمع له هذا الحى من الانصار حين سمعوا بذلك من أمره ليمتنعوا منه، و كان رئيسهم يومئذ عمرو بن الطلة احد بنى النجار من الخزرج ثم أحد بنى عمرو بن مبدول، فخرجوا لقتاله، و الذى زاد من حقد تبع و موجدته على يثرب هو انه حين نزل بهم تصدى رجل من بنى عدى بن النجار يقال له: أحمر، فقتل رجلا من أصحاب تبع و كان قد وجده فى عذق له يجذّه على ما أورد الطبرى، فضربه بمنجله فقتله و قال: «إنما الثمر لمن أبره» اى اصلح زرعه، ثم القاه حين قتله فى بئر من آبارهم المعروفة يقال لها (ذات تومان) فوقعت الحرب بين تبع و الاوس و الخزرج، و بينا كان تبع على ذلك من حربته و حربهم يقاتلهم و يقاتلونه قال ابن حميد يحدث عن سلمة عن محمد بن اسحاق: ان الانصار من الاوس و الخزرج زعموا انهم كانوا يقاتلون (تبع) بالنهار و يقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٤٣

و يقول: «و الله ان قومنا هولاء الكرام» .

و إذا صح هذا فيكون ما نسب لصلاح الدين الأيوبي من مثل هذا الاكرام مقتبسا من نهج الاوس و الخزرج و نبلهم فى حرب تبع.

و انتهت الحرب دون ان يستطيع تبع اخضاع المدينة، و لكنها كلفت المدينة ما كلفت من الخسائر،

و فى امتناع المدينة على تبع يقول شاعر من الانصار:

تكلفنى من تكاليفها نخل الاساوىف و المنصعه

نخيلا حمتها بنو مالك خيول ابي كرب المفضلة

و يبدو ان حرب تبغ هذه قد طالت فقد اشار إليها غير واحد من المؤرخين حتى عبر عنها بالحروب، و من هؤلاء كان المسعودي الذي يذكر (تبعا) هذا في ضمن ملوك اليمن و يقول: ثم ملك تبغ و هو الملك السائر من اليمن الى الحجاز و كانت له مع الأوس و الخزرج حروب، و أراد هدم الكعبة .

و من استعراضنا لتاريخ المدينة في زمن الجاهلية و لا سيما في السنوات الأخيرة ما قبل ظهور الاسلام نرى ان الحروب قد الحقت بالمدينة اضرارا كبيرة، و قد حال التنافس و العداء بين الأوس و الخزرج دون تقدم البلاد اكثر حتى ضج القوم، و حتى سئموا و راحوا يستنجدون بقریش في مكة فلم يجدوا فيهم عوناً لأية جهة حتى قام الاسلام، فساوى بينهم و قضى على تلك العداوة التي تجاوزت تاريخها المائة من السنين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٤٤

طبيعة المدينة و سكانها و ميزتها

انفردت المدينة المنورة و سكانها بخصائص ميزتها بين الكثير من المدن العربية، القديمة قبل الاسلام، و قد زادها الاسلام بعد هجرة النبي (ص) إليها رفعة و علو شأن، تحدث عنها المؤرخون كثيرا فهي بلدة طيبة، مباركة، كثيرة الخيرات، عذبة المياه، و افرة النخيل و الثمار، و أهلها و سكنتها يودون الغرباء، و يحبون المهاجرين إليها و من خصائصها التي عرفت بها في تاريخها القديم: ان من دخلها يشم رائحة الطيب على ما ادعوا، و للعطر فيها فضل رائحة لم توجد في غيرها على ما ذكر القزويني، و ان أهلها أحسن الناس صوتا! و قد قيل لبعض المدينيين: ما بالكم أنتم أطيب الناس صوتا؟ فقال: مثلنا كالعيدان خلت اجوافنا فطاب صوتنا و لا نحتمل ان يكون خلو الجوف هنا بسبب قلة الطعام كما قد يتبادر الى الذهن - هذا اذا صحت الرواية - و الراجح أنه أراد ان ينفي النهم عن أهل المدينة الذي كان يستعيه العرب.

و عن ابن عباس: ان النبي (ص) حين عزم على الهجرة قال: اللهم انك قد اخرجتني من أحب ارضك التي فأترلني أحب ارضك اليك، فأترله المدينة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٤٥

و في الاخبار و الاساطير التي وردت في تاريخ العرب ما جاء في أمالي القالي عن خنافر بن التوأم الحميري - و قد مرت الاشارة اليه من قبل انه اوحى له (رثيه)، أي الشبح الذي كان يظهر له، و نصحه بأن يتجه الى يثرب واصفا اياها بذات النخل، و واصفا أهلها بأهل الطول، و الفضل، و المواساة و البذل فاذا شككنا في ظهور الشبح فليس من شك في صحة وصف المدينة و أهلها.

و خص الاسلام المدينة بفضائل لم يخص بها غيرها من المدن، و من مناظرة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لعبد الله بن عباس يستدل بعض الرواة على تفضيل المدينة حتى على مكة المكرمة، فقد روى ان الخليفة عمر بن الخطاب قال لعبد الله:

- أنت القائل: ان مكة خير من المدينة؟

فقال عبد الله بن عباس: - هي حرم الله و أمنه و فيها - اى في مكة - بيته، فقال عمر: - لا أقول في حرم الله و بيته شيئا، أنت القائل .. الى آخره، و قالها ثلاث مرات!!

و من (المنتقى) قال محمد بن عيسى: و لو أقر له ابن عباس بذلك لضربه الخليفة عمر - يريد به تأديبه - على تفضيل مكة على المدينة لاعتقاده - أى لاعتقاد عمر ابن الخطاب - تفضيل المدينة على مكة، او هو يرى ترك الأخذ في تفضيل احدهما على الاخرى، إلا ان الوجه الاول اظهر لما اشتهر من اخذ الصحابة في ذلك دون نكير، و هذا تصريح من الخليفة عمر (ض) بأن المدينة أفضل من مكة .

و من فضيلة المدينة و رجحان عقول سكانها، و اخذهم الأمور بالموازن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٤٦

العقلية بالنسبة لامثالها من المدن العربية القديمة هو ان أغلب المدن و القرى قد افتتحت بالسيف، اما المدينة فقد افتتحت بالقرآن على ما تشير اليه الاخبار.

و مما روى عن رسول الله (ص) انه قال: «المدينة كالكبير تنفى خبثها و ينصع طبيها» و قيل: انه قال: «أمرت بقرية تأكل القرى يقولون: يثرب و هي (المدينة) تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد» و قد علق ابن الحاج على هذا الخبر بقوله: و لا معنى لقوله تأكل القرى الارجحان فضلها عليها- اى على القرى- و زيادتها على غيرها.

و كثيرة هي الاخبار التي تميز المدينة و تفضلها على غيرها و على مكة ايضا لخصائص طبيعية ذات علاقة بطبيها، و طيب سكانها، او ايمانها، و نصرتها لرسول الله (ص) و ايوائه، و ايواء المهاجرين، و ممن قال بتفضيلها من كبار الأئمة كان الامام مالك الذى روى عنه انه قال: إن المدينة أفضل من مكة.

و مما روى ابو هريرة عن رسول الله (ص) انه قال: «من صبر على لأواء المدينة و شدتها كنت له يوم القيامة شفيعا او شهيدا» و قد تتنافى هذه الرواية فى الظاهر مع طبيعة المدينة التي اشتهرت بالخصب و الرخاء و طيب السكان فالراجح ان النبى أراد باللاواء الشدة العارضة التي اصابت المدينة من جراء و باء عارض حل بها فى فترة من الزمان، و هي الفترة الاولى من التجاء المهاجرين الى المدينة فقد روى عن عائشة انها قالت:

لما قدم المهاجرون المدينة اشتكوا بها- اى مرضوا- فعاد النبى (ص) أبا بكر (ض) فقال:
- كيف تجدك؟ فقال ابو بكر:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٤٧ كل امرىء مصبّح فى أهله و الموت أدنى من شراك نعله
ثم دخل النبى على عامر بن فهيرة فقال:
- كيف تجدك يا عامر؟ فقال عامر:

إنى وجدت الموت قبل ذوقه إنَّ الجبان حتفه من فوقه

كالثور يحمى جلده بروقه ثم دخل رسول الله (ص) على بلال، فقال:
- كيف تجدك يا بلال؟ فقال بلال:

ألا ليت شعرى هل أبيتَ ليلةً بفتح و حولى أذخر و جليل
و هل أردن يوما مياه مجتة و هل يبدون لى شامة و طفيل

و إذا كان مجال الشكوك فى صحة هذا الخبر من حيث الشعر و اسعا و موضعا للمناقشة فليس هنالك اى شك فى ان و باء من الحمى كان قد اجتاحت المدينة فى تلك الاوقات بحيث حمل النبى (ص) ان يدعو قائلا:

«اللهم حَبِّبِ لَنَا الْمَدِينَةَ كَحَبْنَا مَكَّةَ وَ اشْدِّ، وَ صَحِّحْهَا، وَ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَ مَدَّهَا، وَ انْقِلْ حَمَّاها فَاجْعَلْهَا بِالْجَحْفَةَ» و ذلك حين رأى شكوى اصحابه من و باء المدينة و اضاف بعضهم (خير) الى الجحفة فى دعاء النبى و قال: ان النبى (ص) قال: و انقل حمّاها الى خيبر و الجحفة باعتبارهما من منازل اليهود.

و لا بد ان السجاي و الفضائل التي اتصفت بها المدينة كانت من موارث اجيالها المتقدمة لان اكتساب هذه الصفات لا يمكن ان تأتى مرة واحدة و بين ليلة و ضحاها، و حين جاء الاسلام صقلها و أيد الطيب منها، و دعا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٤٨

لنبد الردى، من الاخلاق التي صاحبت الجاهلية، فكان للمدينة و سكانها من الانصار شأن بحيث اكثر القرآن من الثناء عليهم .
و قد خصّ الكثير من أهل المدينة بخصائص اعتبرت قدوة عند المسلمين، و من بعض هؤلاء كان عاصم بن الأفلح، و كان حبيب بن

ثابت، و كان حنظلة بن زاهب، و كان مالك بن التيهان الأوسى، و منهم كان سعد بن معاذ و هو سيد الاوس الذى قال عنه رسول الله (ص): اهتز العرش بموت سعد بن معاذ، لقد قالها من باب المجاز تكريما لسعد، و ان لكل اولئك و امثالهم قصصا تدخل ضمن الاخبار اكثر مما تدخل ضمن التاريخ الممحوص.

و من اشهر اولئك كان خزيمه بن ثابت الاوسى المعروف بذى الشهادتين و قد شهد مع رسول الله (ص) بدر و ما بعدها، و لقب بذى الشهادتين لقصة اجمع عليها المؤرخون و قالوا: ان النبى اتباع فرسا من اعرابى - كان اسمه كما جاء فى اسد الغابة-: سواء بن قيس المحاربى فاستتبعه النبى ليقضى ثمن فرسه، فأسرع النبى (ص) المشى و ابطأ الأعرابى، و اعترض الاعرابى رجال يساومونه بالفرس و لا يشعرون ان النبى قد ابتاعه حتى زاد بعضهم الاعرابى فى ثمن الفرس، فنادى الاعرابى و قال:

- إن كنت مبتاعا هذا الفرس - يخاطب النبى - فابتعه و إلا بعته ...

فقام النبى و قال:

- او ليس قد ابتعته منك؟

فقال الاعرابى - لا و الله و ما بعتك!!

قال النبى - بلى قد ابتعته منك.

فاجتمع الناس عليهما و هما يتراجعان، فجعل الاعرابى يقول:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٤٩

- هلم شهيدا يشهد أنى بعتك،

فجاء من المسلمين من قال للاعرابى: و يلك ان النبى لم يكن يقول إلا حقا، و جاءهم (خزيمه) فاستمع لمراجعة النبى و الاعرابى، و سمع الاعرابى يقول: هلم شهيدا يشهد انى بايعتك، فقال خزيمه: انا أشهد انك قد بايعته، فقال النبى: ما حملك على الشهادة و لم تكن معنا حاضرا؟

فقال خزيمه - صدقت بما جئت به، و علمت انك لا تقول الا حقا، و فى: روايه قال انا اصدقك بخبر السماء و لا اصدقك بما تقول - فقال رسول الله (ص) «من شهد له خزيمه او شهد عليه فهو حسبه».

و كان هذا سبب تلقيب خزيمه (بذى الشهادتين)، و اصبحت شهادته بعد هذا تعدل شهادة رجلين، حتى اذا أراد الخليفة عمر بن الخطاب (ض) ان يجمع القرآن قال: من كان تلقى من رسول الله شيئا من القرآن فليأتنا به، و كانوا قد كتبوا ذلك فى الصحف، و الالواح، و العسب (جريد النخل) و كان عمر لا يقبل شيئا من ذلك حتى يشهد عليه شهيدان، فجاءهم خزيمه بالآية: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه»، و اكتفى الخليفة بشهادته عليها و قال: «لا اسألك عليها شاهدا غيرك».

و اصبحت هذه الميزة لخزيمه مدعاة فخر لقبيلة الأوس، حتى اذا ما افتخر الحنّان: الاوس، و الخزرج، قال الاوس: «و منا ... و منا من جعل رسول الله شهادته بشهادة رجلين: خزيمه».

و استشهد خزيمه هذا تحت راية على (ع) بصقن سنة سبع و ثلاثين و اجمع المؤرخون فى بيان وفاته و قالوا: شهد خزيمه مع على (الجمل) و (صفين) كفا سلاحه و هو يقول: «لا اقاتل حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله فانى سمعت رسول الله (ص) يقول: «عمار تقتله الفئة الباغية»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٥٠

فلما قتل عمار، قال خزيمه: قد بانت لى الضلالة، ثم اقترب فقاتل حتى قتل .

و إتاما للفائدة نأتى بخلصه من تعليق العالم المحقق السيد مرتضى العسكرى على مقتل خزيمه الرجل الذى تفخر به المدينة و تباهى بامثاله المدن الأخرى.

يقول العسكري: و كان وقع مثل خزيمة عظيما على أمير المؤمنين على (ع) و قد ذكره بشجو في خطبته التي انتدب فيها أهل الكوفة لحرب أهل الشام، و قال: «ما ضرّ اخواني الذين سفكت دماؤهم بصفين ان يكونوا اليوم احياء يستسيغون الغصص، و يشربون الرنق- الى قوله:- اين اخواني الذين ركبوا الطريق، و مضوا على الحق، اين عمّار؟ و اين ابن التيهان؟ و اين ذو الشهادتين؟»

هذا هو الصحابي خزيمة ذو الشهادتين. و كان في قصة استشهاد منقصة مزدوجة لبني أمية في قتلهم اياه و هو ذو الشهادتين و من مشاهير اصحاب رسول الله (ص)، و من مفاخر الاوس، و هذه هي المنقصة الاولى بكونهم قتلوا شخصا كهذا، و المنقصة الثانية كونهم قد اثبتوا انهم هم الفئة الباغية التي نسب النبي البغي للفئة التي تقتل خزيمة ..

و ان شهادة النبي (ص) في ضلالة قاتلي خزيمة قد حملت سيف بن عمر التميمي الذي وقف نفسه لخدمة بني أمية و مماثلته سلطتهم نشدانا للنعمه و الجاه، لقد حملته على ان يحاول محو هذا العار عن بني امية فيختلق صحابيا آخر باسم خزيمة بن ثابت ليكون هو المقتول في صفين بسيف امية و ليس خزيمة ذا الشهادتين؟! و قد وضع لذلك من الحديث ما انطلى امره على الطبري فاوردته في تاريخه نقلا عن سيف الذي نقله عن محمد و عن طلحة و مضمونه: ان عليا (ع) لما رأى من أهل المدينة ما لم يرض،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٥١

جمع وجوه أهل المدينة و خطب فيهم، و طلب منهم ان ينصروه- على حد قول سيف- فأجابه رجلا من اعلام الانصار: ابو الهيثم بن التيهان- و هو بدرى- و خزيمة بن ثابت- و قال سيف على ما روى الطبري:

و ليس هذا بذى الشهادتين لأن ذا الشهادتين مات في زمن عثمان (ض) و راح سيف يعزّز روايته هذه بما اختلق من الاخبار ليزيل ما علق بذهن الناس عن قاتلي خزيمة مبالغه في خدمته لبني امية.

و يقول العسكري: و يطول علينا المقام ان حاولنا إيراد اسماء الحاضرين من أهل المدينة مع الإمام على (ع) في حروبه، لذلك سنقتصر على ذكر عددهم مما جاء في (تاريخ الاسلام الكبير) للذهبي فقد روى ان عدد أهل المدينة مع على في (الجمل) كان اربعة آلاف، و في رواية بعدها: كان مع على (ع) يوم وقعة الجمل ثمانماية من الانصار، و سبعمائة ممن شهد بيعة الرضوان و في رواية بعدها: شهد مع على يوم الجمل مائة و ثلاثون (بدريا) و سبعمائة من اصحاب النبي و كان معظم هؤلاء من الانصار المدينيين، و مثل هذه الاخبار عن أهل المدينة و رجالها تشهد بتميزها منذ العصور القديمة حتى العصر الاسلامي.

و يبدو من تصفح الاخبار و استعراض التاريخ ان أهل يثرب كانوا اكثر تبصرا بالأمور، و اكثر ادراكا لقيمة العقل، و اقل تعصبا للتقاليد الموروثة على رغم تلك الحروب الضارية التي كانت تقوم بينهم و بين من يغزوهم، و على رغم تعصب الاوس و الخزرج كل لآله و أسرته و قبيلته، و ليس أدلّ على فهم (المدينيين) و وعيهم من قبول الدعوة الاسلامية و هي دعوة جاءت لتهدم كل معتقداتهم، و تزيل من الوجود كل تقاليدهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٥٢

الموروثة، و تقلب حياتهم رأسا على عقب لو لم يكونوا على شيء من الوعي و التروى و تحكيم العقل في الامور العامة، فالمروى عن جابر بن عبد الله الانصاري: ان رسول الله (ص) لبث بمكة عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في الموسم بمجته، و عكاظ، و منازلهم بمنى، و يقول: من يؤويني و ينصرنى حتى ابلغ رسالات ربي و له الجنة؟

فلا يجد احدا يؤويه، و لا من ينصره، حتى ان الرجل الذي يريد ان يرحل من مصر او اليمن يأتيه قومه أو ذو رحمه فيقولون له: إحذر فتى قريش- يعنون محمدا- لا يفتنك- انه- يمشى بين رجالهم و يدعوهم- الى- الله عز و جل،- و هم- يشيرون اليه باصابعهم حتى- يقول جابر- بعثنا الله عز و جلّ من يثرب فيأتيه الرجل مّا فيؤمن به و يقرئه القرآن فينقلب الى اهله فيسلمون باسلامه حتى لم تبق دار من دور يثرب إلا- و فيها رهط من المسلمين يظهرون الاسلام، ثم بعثنا الله عز و جل له فأتمرنا، و اجتمعنا سبعين رجلا منا فقلنا حتى

متى ندع رسول الله (ص) يطرد في جبال مكة و يخاف؟- و يقول جابر الانصارى- فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم فتواعدنا شعب (العقبة) و اجتمعنا فيه من رجل و رجلين حتى توافينا عنده، فقلنا يا رسول الله على من نبايعك؟ قال تبايعوننى على السمع و الطاعة في النشاط و الكسل، و على التفتقد في العسر و اليسر، و على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و على ان تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم، و على ان تنصرونى اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعونى مما تمنعون منه انفسكم، و ابناءكم، و ازواجكم و لكم الجنة.

يقول جابر الانصارى: فقمنا اليه نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٥٣

و هو اصغر السبعين رجلا إلا أنا، فقال: رويدا يا أهل يثرب، إننا لم نضرب اليه اكباد المطى إلا و نحن نعلم انه رسول الله، و ان إخراجة اليوم شيخ من شيوخ قريش على ما يتخيل (برتون) مترجم الف ليلة و ليلة الى الانكليزية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٥٤

مفارقة العرب كافة، و قتل خياركم، و ان تعضكم السيوف، فاما انتم قوم تصبرون على عض السيوف اذا مستكم، و على قتل خياركم، و مفارقة العرب كافة، فخذوه و أجركم على الله، .. و اما انتم قوم تخافون على انفسكم خيفة فذروه هو اعذر لكم عند الله، قالوا أمط عنا يدك يا اسعد بن زرارة، لا تذر هذه البيعة و لا نستقبلها، فقمنا اليه رجلا رجلا يأخذ علينا شرطه و يعطينا على ذلك الجنة و اصبح هذا المكان مسجد البيعة و هو واقع على يسار الذهاب الى منى، و يسمى الموضع الذى فيه المسجد (شعب البيعة) و (شعب الانصارى) و قد بقى اثره الى اليوم .

و فى الطبقات الكبرى لابن سعد ان النبى (ص) اقام بمكة ما اقام يدعو القبائل الى الله و يعرض نفسه عليهم كل سنة بمجته، و عكاظ، و منى، ان يؤوه حتى يبلغ رسالته ربه و لهم الجنة فليست قبيلة من العرب تستجيب له و يؤذى و يشتم حتى أراد الله اظهار دينه، و نصر نبيه، و انجاز ما وعده، فساقه الى هذا الحى- يريد به المدينة- من الانصار لما أراد الله بهم من الكرامة، فانتهى الى نفر منهم و هم يحلقون رؤسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله، و قرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله و لرسوله، فاسرعوا و آمنوا و صدقوا، و آووا، و نصروا، و واسوا، و كانوا و الله اطول الناس السنة؛ و أحدهم سيوفا .

و مثل هذا الايمان الصادق، و مثل هذه الشجاعة التى لم تبال بجموع العرب فى تألبهم على اليربيين، و مثل هذه الشهامة التى لاحت من أهل المدينة فى ابواء النبى لأمر ليس من السهل قبولها ما لم يكن لدى سكان هذه المدينة من سالف الزمن من المثل العالية، و الطيبة، و سمو الاخلاق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٥٥

و لو بنسبة محدودة معينة جعل للمدينة و سكانها ميزة محسوسة ملموسة بين المدن العربية الاخرى فى الازمان السالفة.

و لقد أحس النبى (ص) بهذه الميزة فاثنى عليها فى مختلف المناسبات و ذكرها بالحمد و الثناء، و لم ينزل بيوت مكة بعد ان سكن المدينة، و يقول ابن جريج نقلا عن عطاء: ان النبى كان اذا طاف بالبيت انطلق إلى أعلى مكة فضرب به الأبنية، و لم ينزل بيوت مكة بعد ان سكن المدينة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٥٦

عوامل السكن و التمصير

عوامل قيام القرى و الدساكر و المدن فى العالم منذ اقدم تاريخ البشرية حتى اليوم احد ثلاثة هى الزراعة، و الصناعة، و التجارة بجميع مفاهيمها الاقتصادية و لما كان لهذه المنطقة من ارض الحجاز من المؤهلات الكافية من هذه العوامل الثلاثة التى تجعل منها بلدا مرموقا عامرا بالنسبة لكثير من مواقع جزيرة العرب أمها السكان من كل جانب، و قامت فيها على مرور الزمن مدينة (يثرب) و عدد من

القرى و الحصون الآهلة بالسكان، حتى لقد تنافست على امتلاكها القبائل و الامم و قد بلغ من امرها ان امتد نفوذها ذات يوم الى مسافات شاسعة من شمال الحجاز من تيماء و تبوك، و الى جهات البحر الاحمر من الغرب، و اصبح الكثير من هذه القرى و الأودية و حتى (مدين) و جبالها ذات يوم من ملحقات يثرب و حكامها، بل ان هذه العوامل التي يعود اليها تمصير هذه البقاع و قيام هذه المدينة بسبب الخصب و النماء و الصناعة و التجارة كثيرا ما أطمعت بها الدول البعيدة و جعلتها احدى امنيات الغزاة و موطن رجائها.

قوام الزراعة و مياه المدينة

و قوام الزراعة هي المياه، و حيث توفرت المياه الصالحة و الأرض الصالحة كثر الخصب و النماء، و قد كان لوفرة المياه في هذا القسم من الحجاز الشمالى - يثرب و توابعها - اثره في تمصير هذه المدينة و عمران

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٥٧

ضياعتها، فقد جادت عليها الطبيعة بعدد من الوديان، و العيون، و الابار التي يرجع اليها الفضل في انتعاش زراعتها - و استثمار ارضها، و اذا كانت بعض تلك العيون و الابار غير صالحة للشرب، او كان بعضها موبوء كبئر (الملك) التي احتفرها (تبع) على ما قيل في (المدينة) فان هناك عيونا و آبارا اشتهرت بعدوبتها كبئر (رومة) في المدينة، و بئر (عروة) من آبار عقيق المدينة التي ارسل ماؤها على سبيل الهدية الى هرون الرشيد و هو مقيم (بالرقة) و على شاطئ الفرات العذب!!

و الكثير من هذه المياه جوفية تستخرج بواسطة حفر الآبار لذلك كثرت الابار في هذه المنطقة و في نفس مدينة (يثرب) بحيث سدت حاجة السكان من الشرب و غرس النخيل، ورعى الابل و الغنم، و على رغم ان الكثير من هذه الابار قد عرف باسم عدد من مشاهير العرب و المسلمين من سكان يثرب فان الأغلب منها كان قديما و من عهود بعيدة، يؤيد ذلك وجود السكان القدماء و بعض الاسماء غير العربية التي تطلق على تلك الابار و التي بقيت على حالها و لم تتبدل، و يغلب على الظن ان الاسماء العربية و الاسلامية التي اطلقت على هذه الابار فانما اطلقت على اساس امتلاكها لا على اساس حفرها و تاريخها، و لا يعنى هذا ان كل الابار التي ورد اسمها في التواريخ كانت كلها من آبار العهود الماضية ذلك لان عددا من الابار قد حفر في المدينة و ملحقاتها في عصور مختلفة من العصور الاسلامية.

و ما عدا الابار التي فاضت بخيراتها على سكان يثرب و توابعها فان هناك اودية تفيض بالمياه في مواسم المطر الذي قد يبلغ من غزارته ان يخرب الطرق، و يقطع طرق المواصلات، و يهدم البيوت، و يقتلع الأشجار، و حتى هذا اليوم و الامطار و السيول تنزل في جهات يثرب و شمال الحجاز بغزارة مدهشة.

و قد روى الدكتور محمد حسين هيكل و هو على مسافة قريبة من المدينة و في قرية بنى حصان: انه لقي بسبب غوص السيارة في الرمل شيئا من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٥٨

العنت فقال احد السكان: «إنها سيول هذا العام أفسدت الطريق و كان من قبل صالحا، فقد انهمرت و بلغ انهمارها حدا لا عهد لنا به منذ عرفنا الحياة، و كان من ذلك ان ارتفعت المياه في هذا الوادى حتى غمرت سيارة من سيارات اللورى فمات بها اثنا عشر من راكبيها».

و اضاف القائل و هو يشير الى الفندق الذي نزله هيكل قائلا: «و قد بلغت المياه هذا الفندق و كادت توهن جدرانها لو لا متانة بناؤه».

و يقول هيكل: و عجبت لما سمعت، و قلت للرجل: و ماذا كان يفعل آباؤكم الاولون و قد كان هذا طريقهم من مكة الى يثرب و الى الشام.

و كان سكان يثرب ينتفعون بمياه الامطار في مواسم المطر، و عند الجفاف كان يسهل استخراج المياه من بطون تلك الوديان بمجرد

إزالة قليل من التراب او حفر بعض الحفر فى اعماقها.

و إننا نورد هنا أهم موارد المياه من الوديان، والعيون، والابار التى يعود لها فضل تمصير تلك البقاع و قيام مدينة يثرب بالذات كاحد عوامل الازدهار والسكن.

الوديان - ١

وادي العقيق

والعقيق لغه الوادى، و كل مسيل شقه ماء السيل فأنهره و وسعه، و العقيق بالمدينه فيه عيون و نخيل و قد قيل عن عقيق المدينه انه عقيقان:

الأكبر، و هو ما يلى الحرة ما بين ارض عروه بن الزبير الى قصر المراجل و مما يلى الحمى ما بين قصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو بن

موسوعة العتبات المقدسه، ج ٣، ص: ٥٩

عثمان الى قصر المراجل ثم الذهاب بالعقيق صعدا الى منتهى البقيع،.

والعقيق الاصغر ما سفل عن قصر المراجل الى منتهى العرصه، و فى عقيق المدينه يقول الشاعر:

إنى مررت على العقيق و أهله يشكون من مطر الربيع نزورا

ما ضرّكم إن كان جعفر جاركم ان لا يكون عقيقكم ممطورا

و هناك عقيق آخر هو اكبر من ذينك العقيقين فى المدينه و قد أقيمت على العقيق قصور و مبان منذ القديم، و هو واقع فى غربى (المدينه) و مصدر (حضير) على مسيره يوم و نصف يوم منها على ما عينه عبد القدوس الانصارى فى (آثار المدينه المنوره)، و فى العقيق عدد كبير من الآبار.

وادي القرى

و هو اشهر اودية الحجاز و اوسعها يمتد بين المدينه و الشام، و قد كان مشهورا بغزاره مياهه، و كثرة عيونه، و قد روى الرواه انه استخرجت فى أيام معاويه ثمانون عينا فيه بعد ان كان هذا الوادى قد أهمل لتترك سكانه له، و قد استنتج بعض المؤرخين من تسميته بوادى القرى كثرة ما كان عليه من القرى بسبب غزاره مياهه.

وادي مذنيب

و يقع وادى مذنيب على نحو سبعة أميال من (المدينه) و هو من أشهر و ديان المدينه قامت عليه منازل بنى النضير و هم اول من احتفر به، و بنى، و غرس، و قد نزل عليهم بعض قبائل العرب فشاركهم فى ذلك، و من هؤلاء الاشراف والد كعب صاحب الحصن المشهور باسمه .

موسوعة العتبات المقدسه، ج ٣، ص: ٦٠

العيون - ٢

عين فدك

و في (فدك) عين فوارة، و نخيل كثيرة، هي اشهر عيون يثرب، و فدك هذه واقعة في شمال المدينة و على مسافة قليلة منها- كما سيأتي الحديث عنها- و لمياهاها في التاريخ شهرة كبيرة.

عيون الفرع

و في الفرع، و هي في جنوب المدينة عيون كثيرة ورد ذكرها و ذكر نخيلها في كثير من المصادر و الاخبار و على الاخص معجم البلدان.

عين دومة الجندل

و في دومة الجندل بين دمشق و بين المدينة عين قال عنها ياقوت الحموي انها عين تثج فتسقى ما به من النخل و الزرع، و قد جاء في عهد النبي (ص) (لأكيدر) صاحب دومة الجندل: ان له (الضامئة) اي النخل، و (المعين) من المعمور و هو الماء الدائم .

عين أبي نيزر و عين البغيغة

و هما عينان في ضيعتين من ضياع المدينة يجري فيهما جدول يسمى (بالربيع) اما ابو نيزر فهو من ولد النجاشي رغب في الاسلام صغيرا و اتى رسول الله (ص) على ما روى ابو محلم محمد بن هشام في اسناده، و كان معه في بيوته، فلما توفي رسول الله (ص) صار مع فاطمة و ولدها، قال ابو نيزر جاءني على بن ابي طالب (ع) و أنا اقوم بالضيعتين: عين موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٦١

ابى نيزر و البغيغة فقال: هل عندك طعام؟ فقلت طعام لا ارضاه لأمير المؤمنين، قرع من قرع الضيعة صنعته بإهاله سنخه، فقال: على به، فقام الى (الربيع) و هو جدول فغسل يديه ثم اصاب من ذلك شيئا ثم رجع الى (الربيع) فغسل يديه بالرمل حتى انقاهما ثم ضم يديه كل واحدة منهما الى اختها و شرب منهما حسي من (الربيع) ثم اخذ المعول و انحدر فجعل يضرب و أبطأ عليه الماء فخرج و قد تنضح جبينه عرقا فانتكف العرق من جبينه ثم اخذ المعول و عاد الى العين فاقبل يضرب فيها و جعل يهيم فانتالت كأنها عنق جزور، فخرج مسرعا و قال: اشهد الله انها صدقة: على بدواء و صحيفة، فعجلت بهما اليه فكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تصدق به عبد الله على امير المؤمنين (ع) تصدق بالضيعتين بعين ابى نيزر و البغيغة على فقراء أهل المدينة، و ابن السليل ليقى بهما وجهه حر النار يوم القيامة لا- تباعان و لا- توهبان حتى يرثهما الله و هو خير الوارثين الا أن يحتاج اليهما الحسن و الحسين فهما طلق لهما و ليس لاحد غيرهما».

قال ابو محلم محمد بن هشام: فركب الحسين دين فحمل اليه معاوية بعين ابى نيزر مائتي الف دينار فأبى ان يبيع و قال: «انما تصدق بهما ابى ليقى الله وجهه حر النار و لست بائعهما بشيء».

و البغيغة في اللغة البئر القريبة الرشاء و كل ماء كان قامه او نحوها سمي بالبغيغ و قال ياقوت فلم تزل هذه الضيعة في يدى بنى عبد الله بن جعفر من ناحية ام كلثوم يتوارثونها حتى استخلف المأمون، فذكر ذلك له فقال:

كلا هذه وقف على بن ابى طالب (ع) على ولد فاطمة، فانتزعها من ايديهم و عوضهم عنها، وردّها الى ما كانت عليه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٦٢

الآبار - ٣

إشارة

و ما عدا هذه الاودية و العيون و ديان و عيون اخرى ورد ذكرها عرضا فى كتب التاريخ و الروايات و الاخبار و الاحاديث، كما ورد ذكر عدد كبير من الآبار و فى ضمنها آبار عرفت بالعدوبة، و حين جاء الاسلام و استوطن النبى (ص) يثرب بارك بعض هذه الآبار و اضى عليها شيئا من القدسية التى اشارت اليها كتب الحديث، اما أهم آبار يثرب التاريخية فهى:

بئر غرس

و بئر غرس بئر فى (المدينة) بينها و بين مسجد قبا نحو نصف ميل و هى واقعة فى الشمال الغربى من المدينة عذبة المياه كان النبى (ص) يستعذب ماءها و يستطيبه، و يباركه، و تقول الروايات: ان النبى (ص) حين حضرته الوفاة اوصى عليا (ع) قائلا: «اذا انا مت فاغسلنى من ماء بئر غرس بسبع قرب». و فى حديث ابن عمر قال: قال رسول الله (ص) و هو قاعد على شفير (غرس) رأيت الليلة كأنى جالس على عين من عيون الجنة يعنى بئر غرس و (غرس من عيون الجنة) رواه ابن عباس .

بئر أرما

و من اشهر آبار يثرب القديمة بئر عرفت ببئر أرما، و يستدل على قدمها من اسمها و كون هذا الاسم أعجميا، و هى بئر واقعة على ثلاثة أميال من (المدينة) و عندها كانت غزاة ذات الرقاع، و قد ضبطها (تاج العروس) بالالف المقصورة و قال عنها: «و بئر أرما كحما قرب المدينة».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٦٣

ماء بارد زلال لسقاية الحجيج داخل المسجد النبوى الشريف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٦٤

بئر أريس

و بئر أريس هى الاخرى من اشهر آبار المدينة القديمة التى ظل اسمها غير العربى شاهدا على قدمها، و هى بئر يثرب فى غريبها مقابل مسجد قبا.

قال احمد بن يحيى بن جابر: نسبت هذه البئر الى (أريس) و هو رجل من المدينة من اليهود رواه الحموى، و قد اشتهرت هذه البئر بحادثه اوردتها كتب الاخبار و هى ان للنبي (ص) كان خاتم فى يد عثمان بن عفان (ض) و هو فى السنة السادسة من خلافته فسقط الخاتم من يده فى هذه البئر، و اجتهد عثمان فى استخراجها بكل ما وجد اليه سيلا فلم يظفر بنتيجة فاستدلوا بعدم وجوده على وقوع حادث فى الاسلام عظيم، و قالوا: ان عثمان لما مال عن سيرة من كان قبله كان اول ما عوقب به ذهاب خاتم رسول الله (ص) من يده، و قد كان قبله فى يد ابى بكر (ض) ثم فى يد عمر (ض) ثم فى يد عثمان .

و يقول ابن الاثير فى وصف هذا الخاتم ان نقشه كان ثلاثة اسطر:

(محمد: سطر، و رسول، سطر، و الله: سطر) فتختم به رسول الله حتى توفى ثم تختم به ابو بكر ثم عمر ثم تختم به عثمان ست سنين،

ثم سقط منه في بئر (أريس) حين كان عثمان يعبث به، فطلبوه فيها و نزعوا ما فيها من الماء فلم مقدروا عليه، و لما يئس عثمان (ض) صنع خاتما آخر على مثاله و نقشه، فبقى في اصبعه حتى هلك ، فلما ذهب ذهب الخاتم فلم يدر من أخذه.

بئر حا

هي في شمال شرقي المدينة و لا يفصلها عنها الا مسافة قليلة جدا و لا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٦٥

يعرف بالضبط سبب تسميتها ببئر (حا) و قد زارها ابن النجار في اوائل القرن السابع الهجري فوجدها معمورة و قال عنها: انها واقعة وسط حديقته صغيرة جدا، و عندها نخلات، و يزرع حولها، و عندها بيت مبنى على علو من الارض و هي قريبة من سور المدينة، و هي ملك لبعض اهل المدينة، و ماؤها عذب حلو، ثم يقول: و ذرعتها فكان طولها عشرة أذرع و نصف ماء، و الباقي بنيان، و عرضها ثلاثة أذرع و شبر.

و قد عين ابن النجار موقعها من المسجد فقال انها مقابل المسجد.

و بئر (حا) هذه من الآبار التاريخية القديمة، كان يدخلها رسول الله (ص) و يشرب من مائها العذب.

و روى البخاري في (الصحيح) من حديث أنس بن مالك قال: كان ابو طلحة أكثر انصار المدينة مالا من نخل، و كان احب أمواله

اليه بئر (حا) فلما نزلت هذه الآية: «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» قال ابو طلحة لرسول الله (ص):

ان احب أموالى الى (بئر حا) و انها صدقة لله أرجو برّها و ذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله.

فقال رسول الله (ص): يخ بخ ذلك مال رابح، و انى أرى ان تجعلها فى الاقربين.

فقسمها ابو طلحة فى اقاربه و بنى عمه .

بئر بضاعة

و بضاعة هذه دار بنى ساعدة (بالمدينة) و بئرها مشهورة بلون من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٦٦

القدسية التى تحمل السكان على الاعتقاد بانها تشفى المرضى، و يبدو من استقصاء أخبارها أنها كانت بئرا مشوبة باختلاطات من المياه غير الصافية، و لذلك كانت الفتوى التى افتاها النبى (ص) بخصوص الماء و طهارته و كون الماء طاهرا ما لم يتغير. و تحديد هذا التغير انما كانت بشأن هذه البئر،

و فى الخبر: ان النبى (ص) أتى بئر بضاعة هذه فتوضأ من الدلو، و شرب منها، و ردها الى البئر . و كان اذا مرض المريض فى أيام النبى

(ص) يقول: اغسلونى من ماء بضاعة فيغسل فكأنما أنشط من عقال، و جاء فى الاخبار عن شيوخ تبرك الناس بماء هذه البئر و شفاء

المرضى ان اسماء بنت ابى بكر (ض) قالت: كنا نغسل المرضى من بئر بضاعة ثلاثة أيام فيعافون.

و هي عين جارية الى بساتين يشرب منها، و قد رد البعض بهذا على من قال باختلاط المياه القذرة بها و احتمال نجاستها، و اعتبرها

طاهرة ما دامت مياهها جارية، و ما دام النبى قد توضأ بها و شرب منها، و حدّد طهارة الماء بسببها، و زارها ابن النجار فى أوائل القرن

السابع الهجرى و قال انه وجدها فى بستان و ان ماءها عذب طيب، و لونه صاف ابيض و ريحه كذلك و يستقى منها كثيرا، و يقول: و

قد ذرعتها فكان ان طولها احد عشر ذراعا و شبرا .

بئر رومة

بئر في عقيق المدينة و قد باركها النبي (ص) فقال عنها: نعم القليب قليب المزني- و القليب هو البئر و المقصود بالمزني (رومة)- و نقل ياقوت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٦٧

عن الكثير من الرواة ان المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الماء، و كان لرجل من بني غفار بئر يقال لها (رومة) كان يبيع منها القربة بالتميد، فقال له رسول الله (ص) بعنيها بعين في الجنة، فقال يا رسول الله: ليس لي و لعيالي غيرها لا استطيع ذلك، فبلغ ذلك عثمان (ض) فاشتراها بخمسة و ثلاثين الف درهم، و صار الناس يستقون منها.

و جاء في معجم البلدان: ان مصعب بن عبد الله الزبيري قد ذكر (رومة) و تشوقها و هو بالعراق فقال:

أقول لثابت و العين تهمي دموعا ما أنهنتها انحدارا

أعزني نظرة بقرى دجيل تحايلها ظلما أو نهارا

فقال: أرى (برومة) او بسلع منازلنا معطلة قفارا

و قال أهل السير لما قدم (تبج) المدينة، و كان منزله (بقبا) و احتفر البئر التي يقال لها (بئر الملك) و به سميت فاحتوى ماءها، فدخلت عليه امرأة من بني زريق يقال لها (فاكهة) فشكا إليها و باء بئر، فانطلقت و استقت له من بئر (رومة) ثم جاءته به فشربه فاعجبه، فقال لها: زیدی، فكانت تصير اليه مقامه بالماء من (رومة) .

و حين حوصر عثمان في داره حالوا بينه و بين ما يريد، و منعه كل شيء حتى الماء، فاشرف عثمان يوما على محاصريه و سلم عليهم ثم قال:

أنشدكم الله، هل تعلمون اني اشترت بئر (رومة) بمالي ليستعذب بها فجعلت رشائي فيها كرجل من المسلمين؟ قالوا نعم.

قال: فلم تمنعوني ان اشرب منها حتى افطر على ماء البحر .

و زار ابن النجار بئر (رومة) في اوائل القرن السابع الهجري في اثناء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٦٨

طوافه بالمدينة و ربوعها فقال عنها: و هذه البئر بعيدة عن المدينة جدا و هي في براح واسع من الأرض و طئي، و عندها بناء من حجارة خراب قيل انه كان ديرا ليهود، و حولها مزارع و آبار. و يقول بعد ذلك: فذرعها فكان طولها ثمانية عشر ذراعا، و ماؤها صاف .

بئر رئاب

من آبار المدينة التي اشتهرت على اللسن حتى قال احد الشعراء فيها:

أسل عمّن سلا و صالك عمداو تصابي، و ما به من تصابي

ثم لا تنسها على ذاك حتى يسكن الحى عند بئر رئاب

بئر عروة

من اشهر آبار عقيق المدينة بئر عروة و هي منسوبة لعروة بن الزبير بن العوام و قد قال على بن الجهم فيها:

هذا العقيق فعّد أيدي العيس من غلوائها

و اذا أطفت ببئر عروة فاسقنى من مائها

إنّا وعيشك ما ذمنا العيش في أفنائها

قال الزبير بن بكار: كان من يخرج من مكة وغيرها إذا مرّ بالعقيق تزود من ماء (بئر عروءة) وكانوا يهدونه الى اهاليهم ويشربونه في منازلهم، قال الزبير: و رأيت أبي يأمر به فيغلى ثم يجعله في القوارير و يهديه الى الرشيد و هو بالرقعة، و الرقة كما هو معلوم واقعة على الفرات و ان لعذوبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٦٩

ماء الفرات شهرة كبيرة، و من هذا يستبان ان ماء بئر عروءة كانت اكثر عذوبة بحيث يستحق ان يهدى ماؤها الى الرشيد و هو على شاطئ الفرات!!

و يقول السري بن عبد الرحمن الانصارى في بئر عروءة:

كفنونى إن متّ فى درع أروى و اجعلوا لى من بئر عروءة مائى

سخنة فى الشتاء باردة الصيف سراج فى الليلة الظلماء

و جاء فى آثار البلاد و اخبار العباد عن الزبير بن بكار: «و ماء هذه البئر يأخذه من مرّ بالعقيق هدية لأهله» .

*** هذا إضافة إلى عشرات العيون و الابار التى ورد ذكرها فى التاريخ و كتب الأخبار كعين (يحنس) و قد كانت هذه العين للحسين بن على ابن ابى طالب (ع) و كان للحسين (ع) غلام يسمى (يحنس) و هو الذى استخرج هذه العين و قد باعها على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ع) بسبعين ألف دينار قضى بها دين أبيه، و كان أبوه (الحسين) (ع) قتل و عليه دين هذا مقداره .

و بئر (ذروان) و هى بئر بمنازل بنى زريق بالمدينة، و بئر (جشم) و (بئر جمل) و بئر (الدريك) بالمدينة و بئر (عائشة) بالمدينة و هو عائشة بن نمير بن واقف رجل من الأوس و ليس هو بامرأة، و بئر (أبى عنبة) و هى بئر بينها و بين المدينة مقدار ميل، و بئر (السقيا) و هى بئر قديمة و كانت ملكا لذكوان الزرقى و اشتراها منه سعد بن أ. و قاص، و بئر (غدق) و هى بئر بالمدينة و بئر (مطلب) و هى بئر تقع على سبعة أميال من المدينة، و بئر (بنى مرق) و بئر (أنا) و سماها البعض (أنى)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٧٠

و هى من آبار بنى قريظة، و بئر (البصة) بالقرب من البقيع.

هذا إلى جانب العدد الآخر من الوديان و العيون و الابار التى كان لها شأن كبير فى تمصير هذا الجانب من الحجاز كوادى (السيالة) و هو واد يقع فى أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة، و قد نقل ياقوت عنه على رواية ابن الكلبي أنه قال: مرّ «بئع» بالسيالة بعد رجوعه من قتال أهل المدينة و وادها يسيل فسامها (السيالة) و وادى (الزّمة) المعروف بخصب الكلاً و كثرة العشب و المراعى و هو أكبر واد بنجد يجىء من الغور و الحجاز أعلاه لأهل المدينة و بنى سليم، و وادى (راثوناء) و هو فى الضاحية الجنوبية الغربية للمدينة، و وادى بطحان، و قد روى عن النبى (ص) أنه قال: ان بطحان على ترعة من ترع الجنّة، و وادى (مهزور) وادى (قناة) و هو يبعد عن المدينة فى أقرب جهاته نحو ثلاثين دقيقة بالمشى المتوسط على ما عينه عبد القدوس الأنصارى، و وادى (رابغ) و هو واد له ذكر فى المغازى و فى أيام العرب بين (الابواء) و (الجحفة).

و من مواطن تجمّع المياه المعروفة: (المهراس) و هو ماء بجبل (أحد) و هو فى أقصى شعب (أحد) يجتمع المطر هناك فى نقر كبار و صغار فيؤلف مجاميع من المياه التى سميت (بالمهراس).

و هناك مهراسان على ما جاء فى (آثار المدينة المنورة) هما الآن مقبل للمتنزهين لوجود الماء العذب القراح فيهما خصوصا فى فصل الشتاء لكثرة هطول الأمطار فى المدينة فى هذا الفصل فتساب المياه من أعالي هضاب الجبل إلى هذه النقر فتمتلئ و تفيض.

من كل هذه المنابع و غيرها التى يصعب حصرها لاندثار البعض منها و قلّة شهرة البعض الآخر كانت (المدينة) و بقاعها و ملحقاتها تستمد مياه الشرب و الزراعة و المراعى، و ليس من شك أن الذى فات كتب التاريخ ذكره لاندثاره لم يكن قليلا، فقد ذكر عبد

القدوس الأنصاري في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٧١

كتابه (آثار المدينة المنورة) أنه قد عثر في اثناء الحفريات لإقامة أسس القسم الشمالي لمدرسة العلوم الشرعية الحالية في المدينة و ذلك في سنة ١٣٥٢ هجرية وقعوا على بركة صغيرة و مجارى مياه، و قطع من قلل المياه على عمق أربعة أمتار، و كل هذا دليل على ما كانت يثرب تتمتع به من الخصب و الثمر و الحاصلات الزراعية المتنوعة بسبب كثرة المياه التي أشرنا إليها و ديانا، و عيونا، و آبارا.

الحاصلات الزراعية

و كثرة هذه المياه لا بد و أن توفر لهذه البقاع حاصلات زراعية وافرة خصوصا حين يتم الحصول على أرض صالحة للزراعة و لهذا كان الحجاز من المناطق التي حظيت بالكثير من الزروع و الأشجار على الأخص (الطائف) و ارباضها، و الوديان التي تمتد بين مكة و جدّه، و يثرب و ارباضها و ملحقاتها، و لا تزال هذه المناطق منذ القديم حتى الآن تحتفظ بالكثير من الينابيع و الوديان التي أتينا على ذكر الكثير منها، و لا تزال تتمتع بخضرة السهول، و جنات النخيل و الأعناب و مختلف الفواكه و الزروع.

و على أن يثرب نفسها من مناطق الحرار المعروفة في الجزيرة فقد اشتهرت هي و أطرافها و ملحقاتها بالخصب و النماء بسبب كثرة مياهها و وجود التربة الصالحة إلى جانب الصخور و المرتفعات، و المؤهلات الطبيعية المتوفرة للزروع كوادى القرى الذي لا بد و أن يكون قد سمي بذلك - كما أسلفنا- لكثرة قراه، و الذي عرف بكثرة بساتينه، و مياهه، و قراه في التاريخ القديم.

و المنطقه بين قباء و المدينة هي الأخرى قد عرفت بكونها من أخصب مناطق يثرب بل لعلها أخصبها لذلك فهي تثمر جل فاكهه هذه البقاع و خضرواتها و من ثم كانت بسبب هذا الخصب و النماء متمزها لأهل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٧٢

يثرب، و مصحا ينتجعون فيه الراحة في مختلف العصور، فكان الناس يخرجون إليها للترييض و يقيم بها الناقهون استعدادة للنشاط و القوة

و خير دليل على خصب المدينة هو وجود غابة كثيفة الشجر في شمال المدينة و هي قائمه منذ العهود القديمة حتى اليوم، و هي غابة كثيفة الشجر في وسط أودية كثيرة الشقوق تشغل مساحات شاسعة من الأرض بحيث يتعذر ارتيادها بغير دليل خبير حتى هذا اليوم.

و لقد نقل السمهودي: أن الزبير بن العوام كان قد اشتراها بمائة و سبعين ألفا، و بيعت في تركته بألف الف و ستمائة الف لذلك فليس من العجيب أن يكون نصيب يثرب في مختلف العصور القديمة من الشجر و الزرع و الفاكهه كبيرا بحيث شمل صنوفا متعددة من الشجر و على الأخص النخل و أنواع التمور و حتى صار النخل صفة من أكثر الصفات الملتصقة بأرض يثرب و لقد نسب لخنافر بن التوأم الحميري- و كان كاهنا- زاعمين أنه كان يتلقى وحيه في كهانته من ملهم كان يتراءى له في الحلم و كان اسمه (شصار) فكان (رثيا له) فلما ظهر النبي (ص) ظهر (شصار) لخنافر بن التوأم في الحلم، و أوصاه بأن يؤمن بدين الإسلام، و حين سأله خنافر:

- كيف؟ و اين؟

قال له شصار:- إحق بيثرب ذات النخل (كذا).

و من أشهر بقاع يثرب و ضياعها التي عرفت بزراعة النخيل، و كثرة التمور كانت قرى (خير) فقد قال البخارى عن عائشه إنها قالت:

لما فتحت خير قلنا الآن نشبع من التمر!!

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٧٣

و عن ابن عمر قال: ما شعبنا- يعنى من التمر- حتى فتحنا خير .

و على انه لم يعرف بالضبط متى عرفت النخلة و فى اى موطن من البلدان عرفت لأول مرة فإن هنالك كثيرا من المرجحات الدالة على

أن جزيرة العرب هي أقدم ما اعتبرها التاريخ موطناً للنخيل و ان القسم الجنوبي منها كاليمن، و المدينة المنورة، و الطائف، لمن أقدم تلك المواطن .

و لقد افادت يثرب من زراعة النخيل في حياتها الاقتصادية و العمرانية و الاجتماعية فوائد كبيرة، فالى هذه النخلة يرجع تحسن أحوال السكان، و الخروج من حياة البداوة، و تنظيم امور المعيشة النسبية، و نمو الثروة أكثر مما يرجع الى المنتوجات الزراعية الأخرى. سأل عمر رجلا من اهل (الطائف) الحبله- اى شجرة الكرم- خير ام النخلة؟ فقال الطائفي:

- الحبله أتربها، و اتربها، و اصلح بها برمتي- يعنى الخل- و انام في ظلها.

فقال عمر:- لو حضر ك رجل من أهل يثرب ردّ هذا عليك.

فدخل- حينذاك- عبد الرحمن بن محصن البخارى فاخبره عمر (ض) خبر الطائفي، فقال البخارى:

- ليس كما قال الطائفي، فاني إن آكل الزبيب أضرس، و ان أتركه أغرث، ليس كالصقر- اى الدبس- فى رؤوس الرقل- اى النخل الطوال- الراسخات فى الوحل، المطاعم فى المحل، تحفة الكبير،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٧٤

و صمته الصغير، و زاد المسافر، و عصمه المقيم، و تحرسه مريم بنت عمران، و ينضح و لا- يعنى طابخه، و يحترش به الضب من الصلفاء» .

و نستبين أثر النخلة فى حياة يثرب الاقتصادية، و قيمتها فى رفع مستوى يثرب بين العدد الكبير من اصقاع جزيرة العرب و بلدانها الشهيرة، من حكاية تعود الى ما قبل ميلاد المسيح عن شخص من قدماء سكان العراق و قد سئل:

- ما هى اثمار بلادكم؟

فأجاب: التمر.

ثم قيل له:- ثم ماذا؟

فأجاب: التمر ايضا.

فلما استغرب السائل قال الرجل:

- «اننا نستفيد من النخل فوائد عدة، فاننا نستظل به من وهج الشمس، و نأكل ثمرته، و نعلف ماشيتنا بنواته، و نعلن عن افراحنا بسعفه، و نتخذ من عصارته عسلا و خمرا، و نصنع من جريده و حوصه الاوانى و الحصران و غيرها من الاثاث، و نصنع من جذعه خشبا لسقوفنا، و اعمدة لبيوتنا، و وقودا لطبخنا» .

و من المؤكد ان قدر النخلة و قيمتها الاقتصادية فى حياة المدينة كان معروفا فقد امتلأ التاريخ باخبارها و اخبار صنوف التمور فيها و اهمية تلك التمور- تمور يثرب بالذات- فى التجارة، و كانت النخلة تعد ثروة كبيرة عند أهل يثرب، و لها و لتمورها الشأن الاكبر فى حياة السكان القدماء، و لذلك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٧٥

ظل مثل (عرقوب) فى مواعيده قائما منذ أقدم الأزمنة و ذلك ليس لغرابه خلف عرقوب لمواعيده فحسب و انما لقيمة التمر الذى عزّ على الأخ ان يعين به أخاه و يسدّ له به حاجته لما كان لهذا الثمر من شأن فى المعيشة بحيث جعل الأخ يبخل على اخيه بحاصل نخلة واحدة ليسدّ به عوزه و هو طلع بعد و لم ينضح.

و القصة كما تروىها كتب الادب هى: ان رجلا من العماليق أتاه أخ له يسأله، فقال له (عرقوب)- و هو الأخ المسؤول- اذا أطلعت هذه النخلة فلنك طلعتها، فلما اطلعت أتاه للعدة، فقال عرقوب: دعها حتى تصير بلحا، فلما أبلحت، قال: دعها حتى تصير زهوا، فلما زهت قال: دعها حتى تصير رطبا، فلما أرطبت، قال دعها تصير تمرا، فلما أثمرت، عمد اليها عرقوب من الليل فجذّها و لم يعط أخاه شيئا،

فصار مثلاً في الخلف وفيه يقول الأشجعي:

وعدت و كان الخلف منك سجيئة مواعيد عرقوب أخاه يثرب

و يروي البعض انها (يثرب) بالثناء و هو موضع قرب اليمامة، و لكن الاصح انه يثرب مدينة الرسول و ليس (بيثرب) اليمامة، و على هذا الرأي كان ياقوت الحموي فقد قال ان الصحيح هو ان عرقوب من قدماء يهود يثرب و الحكاية و ان كانت تدل اكثر ما تدل على الجشع و الطمع و لكنها لا تعدم الدلالة على قيمة التمر و اهميته بحيث يثير الطمع في نفسو الطامعين.

و بلغت قيمة التمر و قيمة النخلة مبلغاً طالما آلت الى الخصومة و حتى الى القتل و كان أهم تنكيل اذا أراد اعداء يثرب ان ينكلوا بسكان يثرب في الحرب هو ان يعمدوا الى نخيلهم فيقطعوها و يجذوها من رؤوسها،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٧٦

و وجد مرة رجل من بني النجار من سكان يثرب يقال له أحمر رجلاً من اصحاب (تبّع) و هو يجذّ عذقا له في بستانه- و قد كانت لتبّع عظمتة و سلطانه و كان قد غزا المدينة بجيشه الجزار- فضربه احمر بمنجله و قتله و قال: انما الثمر لمن أبره- اى زرعه و لقحه- ثم القاه حين قتله في بئر من آبارهم يقال لها ذات تومان و لم يبال، و لم يخش سلطان (تبّع) و قد مرت الاشارة الى هذا الحادث من قبل. و أنواع تمور المدينة كثيرة، و أقل ما أورده المؤرخون لتمور المدينة انه مائة و بضعة و ثلاثون نوعاً اشهرها العجوة، و الصيحاني، و عذق ابن طاب و هو تمر معروف في المدينة كما جاء في الصحاح:

و تفيد المدينة من تجارة التمور كثيراً، و ان امتياز بدو البادية و الاطراف انما يجرى من تمر المدينة و حاصلاتها.

و من اشهر صادرات المدينة من حاصلاتها الزراعية هو التمر الصيحاني، و هو نوع لم يوجد في غير المدينة و حبّ (البان) الذي يحمل الى سائر البلاد و تفيد المدينة من تجارته شيئاً كثيراً، و البان شجر قديم يكثر في بقاع المدينة، و لحب ثمره دهن طيب، و كان حبه يوصف فيما مضى للبرش و النمش، و الكلف، و الحصف و البهق، و السعفة و الجرب، و تقشر الجلد، طلاء بالنخل، و صلابه الكبد و الطحال شرباً بالنخل، و ان مثقالاً منه شرباً مقيء، مطلق بلغمًا خاصاً الى غير ذلك مما كانوا يصفون به هذا الحب من المنافع فكانت تجارته تدر ارباحاً كثيرة،

و حين جاء الاسلام، و هاجر النبي الى المدينة حث على العناية بالتشجير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٧٧

و اوصى برعاية النخلة، و دعا لتناول التمور في مختلف الأحوال، و قد وردت في تمر المدينة روايات و أحاديث من قبيل: «ان الله ليربي لاحدكم التمرة و اللقمة كما يربي احدكم فلوه و فصيله حتى يكون مثل أحد» و هذه استعارة لطيفة و المراد بها هو ان الله تعالى يجمع القليل الى القليل من صدقاتكم حتى يعظم يسيرها، و يكبر صغيرها، فجعل (ص) ذلك كترية الفلو و الفصيل، و تربية الطفل الصغير .

و روى عن النبي (ص) انه قال: «ان قامت الساعة و في يد احدكم فسيلة فان استطاع ان لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها».

و مما رواه احمد: «من أكل سبع تمرات عجوة ما بين لابتي المدينة على الريق لم يضره يومه ذلك شيء حتى يمسي» .

و هذا و غيره ما ضاعف العناية بالتمور و غرس النخيل فضاعف الحاصل منه حتى كان النخل هو الركيزة الاولى التي ارتكزت عليها حياة المدينة الاقتصادية في تاريخ الإسلام فضلاً عن تاريخها القديم و لذلك قيل عنها:

انها بلدة طيبة مباركة، كثيرة الخيرات، عذبة المياه، و افرة النخيل و الثمار .

و مع كون المدينة و بعض الأطراف ارضاً حرّة سبخة فقد وصفها ياقوت بقوله: لها نخل كثير، و مياه، و زروعهم تسقى من الابار، هذا الى جانب الحاصل الكبير الذي تجنيه المدينة من فواكه الشجر و الخضروات.

و من استعراضنا للتاريخ نعرف ان فى المدينة الى جانب النخل و الشجر المثمر الشىء الكثير من الأشجار غير المثمرة و المنتفع باخشابها و حطبها او ظلها و خضرتها و على الاخص (العضاه) و هو كل شجر له شوكة يعظم، و من أعرف ذلك: الطلح، و السلم، و السیال، و العرطف، و السممر، موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ٣؛ ص ٧٨

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٧٨

و الشبهان، و الكنهبل، و الواحدة عضه، قال الراعى:

و خادع المجد اقوام لهم ورق راح العضاه به و العرق مدخول

و المنقول عن النبى (ص) انه قال: «أحرّم بين لابتي المدينة ان يقطع عضاهها او يقتل صيدها» و اللابة هى الارض ذات الحجارة النخرة السوداء و قد فسرت اللابة بالحرة.

و فى (ورقان) و هو من جبال المدينة أنواع من الشجر المثمر و غير المثمر الذى أتى على وصفه المؤرخون و فيه (القرظ) و هو ورق يستعمل لدبغ الجلود، و السماق، و الخزم، و هو شجر تتخذ منه الأرشية الجياد، و له ساق كساق النخلة على ما وصف ياقوت الى غير ذلك مما درّ على المدينة من حاصل زراعى كان له الاثر الكبير فى انعاش هذا البلد فى مختلف ادواره التاريخية.

الصناعة و التجارة

و العاملان الاخران اللذان يعود اليهما الفضل فى تمصير يثرب فى تاريخها القديم و العمل على خلق حضارة نسيه لها: هما الصناعة و التجارة، و الصناعة و التجارة فى يثرب و ان لم تكونا مورد قياس مع صناعة المدن التاريخية المتحضرة و تجارتها بأى وجه من الوجوه و لكنهما كانتا كبيرتى الأهمية جدا بالنسبة لمدينة تقوم هى و ضياعها فى موقع جغرافى كموقع يثرب تحوطه البوادي و سكانها البدو من جميع الجهات و ينعدم اتصالها الوثيق بالحضارات العريقة كحضارة وادى الرافدين و وادى النيل و انعدام الوسائل التى يتجاوز مفعولها الحدود التى كانت عليه صناعة المدينة و تجارتها، و مع ذلك فقد كان هذان العلان مما لا يستهان بهما فى انعاش الحالة الاقتصادية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٧٩

و الاجتماعية لسكان يثرب و ضياعها فالى جانب حاصلات المدينة الزراعية و كثرة الفواكه و الاشجار و النخيل و ما كان يفيد سكان المدينة من الحاصلات الزراعية و بيع التمور و تصديرها الى الخارج كانت هناك صناعة تفرضها عليهم طبيعة السكن و مقتضيات الحاجة، لذلك عرفت المدينة فيما عرفت بصنع النصال فقيل عن نصالها:

«و ما هو الا اليثربى المقطع».

و المقصود باليثربى المقطع هو النصل، و قد زعم بعض الرواة ان المراد باليثربى السهم لا النصل، و ان يثرب لا يعمل فيها النصال، و أنكر ابو حنيفة ان يكون الأمر كذلك لأن النصال تعمل بيثرب، و بوادى القرى، و بالرقم، و غيرها من ارض الحجاز و قد ذكر الشعراء ذلك كثيرا، و جاء فى قول كثير:

و ماء كأن اليثربية أنصلت باعقاره دفع الازاء نزوع

و اشتهرت يثرب بصناعة السهام الى جانب صناعة النصال فقيل فى الوصف «سهم يثربى و أثربى» منسوب الى يثرب .

و لكون يثرب المركز الرئيسى و العاصمة الكبرى فى القسم الشمالى من الحجاز كان لا بد ان تكون مركزا رئيسيا لصناعة الالات الزراعية و الاجهزة المنصوبة على الابار و الدلاء و ما شاكل ذلك، و الافادة من منتوج النخيل كالجذوع فى بناء البيوت، و الليف فى صنع الحبال و الرشاء، و الجريد فى مختلف الصناعات التى كانت تسد حاجة البيوت بالاضافة الى دبغ الجلود و استعمالها فى مختلف الشؤون التى تقتضيها الحاجة الى الجلود.

و يكفى شهرة يثرب فى الصناعات المختلفة ان يكون فى (زهرة)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٨٠

وحدها و هى قرية من قرى ضواحي المدينة ثلثماية صانع من اليهود .

و لما كانت المدينة بحكم مؤهلاتها و اهميتها محل اردتياد القبائل فليس بالبعيد ان تكون مختصة من بين المدن المهمة بصناعة كل ما يلائم حياة البدو الذين يمتارون منها مأكولاتهم، و ملابسهم كنسج الأخييه و بيوت الشعر، و صنع حدوج الابل، و العدول، و القدور، و الاوانى، و القرب، اضافة الى صناعة كل ما يحتاج اليه الحضر من السكان، و قد شاعت ثياب المدينة حتى قيل فى وصفها: (ثوب مدنى).

و المدينة و ضياعها واقعة فى ممر القوافل القادمة من اليمن الى الشام و القادمة من الشام الى اليمن حتى لقد اعتبروا وادى القرى طريقا عالميا منذ القديم كانت تسلكه القوافل بين الشام و اليمن .

و صحيح ان مكة كانت مركزا مهما من مراكز التجارة بل انها كانت اهم المراكز التجارية فى شبه جزيرة العرب خصوصا فى القرن السادس الميلادى و لكن المدينة كانت تنافسها لحد غير قليل لوقوعها على نفس الطريق بين اليمن و الشام، و كانت المدينتان تجلبان الميرة و ما تحتاجان اليه من خارج جزيرة العرب من مرفئيهما جده كميناء خاص بمكة، و ينبع كميناء خاص بالمدينة.

و المدينة بعد ذلك متصلة ببادية نجد من الشرق التى توصلها بالعراق الذى يوصلها بالبحر الأحمر من الغرب، و ان مركزا جغرافيا كهذا لمما يجعل الفوائد الاقتصادية كبيرة جدا لا سيما و ان يثرب خير مقيلا لراحة القوافل و استعادة النشاط لمواصله السفر و ذلك لكثرة مياهها و بسايتها و وفرة ما تحتاج اليه القوافل المارة من زاد و مؤون و بضاعة للطريق، فكان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٨١

كل ذلك سببا من اسباب انعاش الحركة التجارية و ارتفاع مستوى الحياة، فضلا عما كانت تجنى يثرب من انتقال الحضارة النسبى و تبادل الافكار و الاتصال بالعالم الخارجى على قدر ما فى تلك الحركة المستمرة من قابلية فى نقل الحضارة النسبية و تأثيرها فى هذه الجهة من الحجاز.

و كانت تجارة الرقيق فى الجاهلية رائجة، و من هذا الطريق دخلت الى المدينة افكار جديدة حملها الارقاء الى السكان، و ليس من البعيد ان تكون تلك الافكار قد احدثت تفاعلا و لو بنسبة محدودة فى حياة المدينة، فقد كان الرقيق شائعا لحد كبير و كثيرا ما يأتى عن طريق الأسر و الغزو كأن تغزو القبيلة القوافل المارة فى طريق الشام او طريق العراق و تأسر بعض الاشخاص الذين ترى فى اسرهم مغنما و تبيعهم فى أسواق المدن، و قد كان سلمان الفارسى من هؤلاء الارقاء الذين اسروا فى قافلة خرجت من العراق تريد الشام فاسترق و بيع لبعض يهود المدينة.

و بلغت تجارة المدينة و ثروتها ان اقتنى السكان العبيد و الاماء و استخدموا العمال و الخدم و عاش الكثير منهم فى نعمه منشهودة، و يقول ياقوت عن أهل المدينة ان نخيلهم و زروعهم كانت تسقى من الابار و يملكها العبيد .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٨٢

اشهر قرى المدينة و ضياعها

إشارة

تحيط بالمدينة قرى و ضياع كان لها فى أيام الجاهلية شأن كبير من حيث عمرانها، و خصبها، و ازدهارها، و حصونها، و مناعتها فى الحرب، و قد بقى قسم من تلك القرى حتى اليوم محافظا على خصبه، مزهوا بنخيله و ثمره، و قد كانت هذه القرى و الدساكر

مسكونة بقبائل ليس لدينا منها إلا- أخبار يفتقر الكثير منها إلى التأييد الذى يأتي به الحفر والتنقيب و البحوث الحديثة فى كتب الأخبار و الأحاديث و الرحلات قبل نزول اليهود و نزول الأوس و الخزرج و حتى فى العصور الإسلامية، و سنستعرض هنا أهم تلك القرى على قدر ما يستسيغه علم التاريخ الحديث من أخبارها.

العقيق

و الأعقة كثيرة، و كل عقيق ينسب لجهة من الجهات، أما عقيق المدينة فهو واد عليه أموال المدينة يقع على مسافة ميلين أو ثلاثة أميال و قيل سبعة على ما ذكر ياقوت الحموى، و كان عامرا بالقصور، و الأبنية، و السكان فى الجاهلية فقد روى أن رسول الله (ص) ركب إلى العقيق ثم رجع فقال:

- يا عائشة جئنا من هذا العقيق، فما ألين موطئه، و أعذب ماءه.

قالت: يا رسول الله- أفلا نقل إليه؟

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٨٣

فقال:- كيف و قد ابتنى الناس- أى أنه ملك غيرنا من الناس- و لأهل العقيق أخبار مستحسنة فى الكتب، و أشعار رائعة، و يبدو أن العقيق ظل معمورا إلى أواسط زمن العباسيين لانتساب الكثير إليه كمحمد بن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين (ع) ابن علي بن أبي طالب (ع) المعروف بالعقيقى.

و يقول ياقوت الحموى عن محمد بن جعفر أن له عقبا، و فى ولده رياسة، و من ولده أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد العقيقى أبو القاسم كان من وجوه الأشراف بدمشق، و مدحه أبو الفرج الوأواء، و مات بدمشق سنة ٣٧٨ و دفن بالبواب الصغير. و فى هذا العقيق قصور، و دور، و منازل، و قرى و يقول المسعودى و لست ترى قبلا- من العرب توغل عن الأماكن المعروفة لهم و المياه المشهورة بهم كماء ضارج، و ماء العقيق، و السباط، و ما أشبه ذلك من المياه .

يقول ابن النجار: و ولى رسول الله (ص) العقيق لرجل اسمه هيضم المزنى، و لم تزل الولاة على المدينة يولون واليا من عهد النبى إلى زمن الرشيد و الأمين، و هذا يدل على أهمية (العقيق) و بعد تاريخه، و قيام المنازل و القصور فيه قبل الإسلام.

قالوا: و مات سعيد بن زيد، و سعد بن أبى وقاص، و هما من العشرة بالعقيق و حملا إلى المدينة فدفنا بها.

و قال ابن النجار: و وادى العقيق اليوم ليس به ساكن، و فيه بنيان خراب، و آثار تجد النفس برؤيتها أنسا كما قال أبو تمام:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٨٤ و لا الخدود و ان أدمين من خجل أشهى إلى ناظرى من خدّها الترب

ما ربع مية معمورا يطيف به غيلان أبهى ربا من ربعها الخرب

و ابن النجار من أبناء القرن السادس الهجرى و معنى هذا انه لم يبق من العقيق و واديه فى هذا القرن و ما بعده غير آثار خرائب الماضى.

خيبر

خيبر ناحية على نحو ثمانية برد من المدينة (و البريد اثنا عشر ميلا عربيا فتكون المسافة كلها ٩٦ ميلا- عربيا و قد جاء فى أخبارها القديمة أنها إنما سميت بخيبر نسبة إلى خيبر بن قانية بن مهلائيل بن ارم بن سام بن نوح، و هو عمّ الربذة، و زرود، و الشقره بنات يثرب؟

و كان خيبر أول من نزل هذا الموضع على ما ذكر الحموى و ما جاءت به الأخبار القديمة التى لم تزل بحاجة إلى التمهيص، و لكن

قدم هذه الناحية في التاريخ أمر ليس فيه ريب، وقد ورد اسم خيبر في الكتابات البابلية القديمة، ويقول محمد رضا في كتابه (محمد) أن معنى خيبر باللغة العبرية هو الحصن أو القلعة مستندا على ما ذكره ياقوت في معجم البلدان، و خيبر هذه مشهورة بحصونها المنيعه المبنية بالحجارة و الصخور، و أشهرها سبعة حصون هي:

- ١- حصن ناعم.
 - ٢- القموص حصن أبي الحقيق.
 - ٣- حصن الشق.
 - ٤- حصن النظاة.
 - ٥- حصن السالم.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٨٥
- ٦- حصن الوطيح.
 - ٧- حصن الكتيبة.

و يستبان أن كل حصن من هذه الحصون كان يشتمل على مجموعة من الحصون، و لكون هذه البقعة تشمل هذا العدد من الحصون سميت (بالخيار) و كان أمنع حصونها حصن الناعم من حصون (النظاة).
و سكان خيبر يهود كانوا يقطنون بيوتا حصينة وسط النخيل و حقول القمح، و من سكانها المشاهير كان السموأل بن عادي المشهور بالوفاء، و لعل خيبر أكثر القرى في شمال الحجاز ثروة و مالا لوفرة زرعها و حاصلاتها من الحبوب و الفواكه و على الأخص التمور.
يقول حسان بن ثابت:

أتفخر بالكثان لما لبسته وقد تلبس الأنباط ريطا مقصرا

فلا تك كالعاوى فأقبل نحره لم تخشه سهما من النبل مضمرا

فانأ، و من يهدى القصائد نحونا كمستبضع تمرا إلى أرض خيبرا

و أن لخيبر في حاصل تمورها شهرة كشهرة (هجر) التي ورد في الأمثال عنها: (كمستبضع التمر إلى هجر) أو (مستبضع التمر إلى خيبر) و كان لحاصل التمور يومها قيمة جد كبيرة في ثروة البلاد.

و كان يهود خيبر يحسون بقيمة هذه الثروة الطائلة من المزروعات و النخيل و التمر و يخافون عليها من الغزو لذلك حصنوا قراهم و بساتينهم بقلاع ليس من الهين الاستيلاء عليها لمناعتها و لوفرة السلاح و تنوعه فيها، فحين حاصر النبي (ص) قلاع خيبر في السنة السابعة من الهجرة اتاه رجل في الليلة السادسة من الحصار من يهود خيبر و أخبره أنه قد خرج من حصن (النظاة) و هو يعرف بعض أسرار الحصن، و قال: إن في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٨٦

حصن (الصعب) و هو من حصون (النظاة) و في بيت فيه تحت الأرض منجنيقا، و دبابات، و دروعا، و سيوفا، فإذا دخل فيه رسول الله أوقفه على أسراره، فإذا كان في بيت من بيوت خيبر مثل هذه العدة فكم يكون في عشرات البيوت الأخرى.

و لقد توقى الغزاة هذه القلاع و تهيبوها و لذلك لم نثر على فاتح استطاع أن يخضعها لنفوذه و يفتحها قبل الإسلام، و قد كلف فتحها الإسلام الشيء الكثير من العنف و الشدة، حين حث اليهود و نكثوا العهد الذي أعطاهم النبي إياه و الذي تضمن حريتهم و حفظ أموالهم و أغراضهم و معتقداتهم، و قد جاء أن النبي (ص) كان يعهد في كل يوم لواء الحرب لقائد من القواد لمحاربة الحصن الأول و هو حصن (ناعم) فيرجع القائد و يرجع الجيش دون طائل، و قد عز على النبي (ص) أن يستشهد في هذه المعارك قائد كمحمود بن مسلمة أخى محمد بن مسلمة حتى لقد أعطى اللواء لأبي بكر و عمر بن الخطاب (ض)، و يكفي دليلا على أهمية هذه الحصون و

خطورتها أن نستعرض النبي و هو يستعيد بالله من شر هذه المعركة، فقد جاء في البخارى عن أنس: أن النبي (ص) لما أشرف على خيبر قال لأصحابه: قفوا. ثم قال:

اللهم رب السموات و ما اظللن، و رب الأرضين و ما اقللن، و رب الشياطين و ما اضللن و رب الرياح و ما ذرين، نسألك خير هذه القرية، و خير أهلها، و خير ما فيها، و نعوذ بك من شرّها و شر أهلها، و شر ما فيها .. أقدموا باسم الله» .

حتى إذا تأزم الوضع و تعقدت الحرب دون الحصول على نتيجة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٨٧

طلب النبي (ص) الإمام على بن أبى طالب (ع) و دفع إليه اللواء فكان أن تم الفتح على يديه.

و يقول ابن الأثير عن على (ع): فنهض - أى الإمام على - بالراية و عليه حلّة حمراء فأتى خيبر فأشرف عليه رجل من يهود فقال: - من أنت؟

قال - أنا على بن أبى طالب.

فقال اليهودى -: غلبتم يا معشر يهود .

و قد رويت عن فتح الإمام على (ع) لقلاع خيبر روايات كثيرة اتفقت كلها فى المضمون فى صحيح مسلم، و البيهقى عن ابى هريرة قال: قال رسول الله (ص):

«لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله يفتح عليه، قال عمر (رض): فما أحببت الإمارة إلا يومئذ، فدعا عليا (ع) فبعثه ثم قال: اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك، و لا تلتفت الخ ...» .

و قال الإمام أحمد: إن رسول الله (ص) أخذ الراية فهزّها ثم قال:

من يأخذها بحقها؟ فجاء فلان فقال: أنا، قال: إمض، ثم جاء رجل آخر فقال: إمض، ثم قال النبي (ص) و الذى كرم وجه محمد لأعطينها رجلا لا يفرّ، فقال: هاك يا على، فانطلق حتى فتح الله عليه (خيبر) و (فدك) و جاء بعجوتها و قديدها .

أما إحدى روايات الطبرى فتتلخص فى أن رسول الله (ص) لما نزل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٨٨

بحصن أهل خيبر أعطى اللواء لعمر بن الخطاب (ض) و نهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر و أصحابه فرجعوا إلى رسول الله (ص) و هم يجبنونه - أى يجبنون عمر - و هو يجبنهم، فقال رسول الله - و كان قد مرّ على محاصرة القلعة عدة أيام دون طائل، قال:

لأعطين اللواء غدا رجلا - يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، فلما كان من الغد تناول لها أبو بكر و عمر (ض) فدعا عليا عليه السلام و هو أرمده و أعطاه اللواء و نهض معه من الناس من نهض فإذا (بمرحب) و هو أشهر أبطال اليهود يرتجز و يقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجزّب

فارتجز على (ع) قائلا:

أنا الذى سمّتنى أمى حيدرته أكيلكم بالسيف كيل السندره

ليث بغابات شديد قسوره و يروح الطبرى واصفا هذه المقاتلة و ما كان يدّرع به (مرحب) إذ يقول عنه: و خرج مرحب من الحصن و هو صاحبه و عليه مغفر معصفر يمان، و حجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، و تقاتلا قتالا عنيفا انتهى بقتل مرحب و أخذ المدينة و كانت مدة النزال شهرا على ما ذكرت التواريخ.

و جاء فى كتاب (محمد رسول الله): و كان أول حصن فتحه المسلمون هو حصن (الناعم) من حصون (النطاة) على يد على رضى الله عنه .

ولأهميته هذا الفتح قال النبي (ص):- و كان جعفر بن أبي طالب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٨٩

قد قدم من الحبشة يوم فتح خيبر:- ما أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدم جعفر.

و إلى جانب هذه النعمة الوافرة التي كان ينعم بها أهل خيبر، و الحصن المنيع الذي يضمن لهم الأمن و الاطمئنان، و العيش الرغيد كان هنالك شيء ينغص حياة سكان خيبر و ينكد عيشهم، و ذلك هو الحمى التي عرفت بها قرى خيبر، و الراجح أنها كانت (المالاريا) و ذلك لكثرة المياه و لمراودة هذه الحمى السكان بين آن و آخر على ما تصف الأخبار و قد عرفت هذه الحمى بالحمى الخيبرية و وصفت بالشعر، و منه قول أحد الشعراء:

كأن به إذ جئته - خيبرية يعود عليه وردها و ملالها

و قدم أعرابي خيبر بعياله فقال:

قلت لحمى خيبر: استعدى هاك عيالي فاجهدى وجدى

و باكرى بصالب و ورد أعانك الله على ذا الجند

و يقول ياقوت: فحمم و مات هو و بقى عياله!

و قال الأحنس بن شهاب:

فلأبنة حطان بن قيس منازل كما نتمق العنوان فى الرق كاتب

ظلمت بها أعرى و أشعر سخنة كما اعتاد محموما بخيبر صالب

قرية فديك

و فديك قرية من قرى خيبر تقع على مسافة يومين أو ثلاثة أيام من المدينة المنورة، و سكانها يهود كسكان المواقع الأخرى و القرى اليهودية من خيبر، و هى ذات شجر و نخيل و خصب بفضل مياهها الفواردة، و أرضها الصالحة، و ليس من شك أنها كانت قد احتاطت لنفسها توفيا من الغزو و الحروب بالقلع الحصينة كما فعلت سائر قرى خيبر دفاعا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٩٠

عن النعمة الوافرة التي كانت تنعم بها خيبر، و يبدو من سير التاريخ أن قرية فديك إذا لم تكن أخصب قرية من قرى المدينة و أوسعها ثروة فى حاصلاتها الزراعية فهى على الأقل كانت من أخصب البقاع فى عصور المدينة القديمة التي لم يعرف شيء عن مبدأ تاريخها قبل أن يسكنها اليهود غير ورود اسمها فى الكتابات البابلية القديمة، و قد أكسبتها قضية امتلاكها فى مختلف الأدوار شهرة كبيرة خصوصا فى القرن الأول و القرن الثانى من الهجرة، فقد تردد اسمها على الأفواه فى أيام الخليفة أبى بكر (ص) و ما بعده، و لولا ذلك لما ذكر خبرها بأكثر مما كان يذكر من أخبار قرى خيبر الأخرى و أخبار حصونها.

و يتلخص خبر (فديك) فى أن رسول الله (ص) حين استولى على قلاع خيبر و أموالها لم يبق إلا حصنان هما (الوطيح) و (السلام) و قد اشتد حصاره لهما حتى أيقن سكان الحصنين من اليهود بالهلاك سألوا النبي (ص) أن يسيرهم و يحقن لهم دماءهم ففعل، و كان النبي قد حاز أموال حصن (الشق) و حصن (النطاة) و (الكتيبة) و (القموص) و حصن (الناعم) و ما احتوت عليه تلك القرى إلا ما كان من دينك الحصنين اللذين انتهى أمرهما بأخذ الأمان و حقن الدماء، و المصالحة على المناصفة فى استثمار الأرض حين رأى سكان فديك أن لا مناص لهم من المصالحة بعد أن رأوا ما انتهى إليه أمر سكان (الوطح) و (السلام) فبعثوا إلى الرسول (ص) يسألونه أن يسيرهم و يحقن دماءهم على أن يخلوا له الأموال، ففعل، و صالحهم كما صالح (الوطيح) و (السلام) على أن يكون للمسلمين الحق فى إخراجهم من القرية إذا شاؤوا، فكانت خيبر فبئنا للمسلمين، أما (فديك) فكانت خالصة لرسول الله (ص) لأنها لم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٩١

باحة المسجد النبوي الكريم و ضريح الرسول الاعظم في المدينة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٩٢

يوجف عليها بخيل أو ركاب.

و بعد وفاة النبي (ص) ضمها أبو بكر (ض) إلى أملاك المسلمين فنازعتها فيها فاطمة الزهراء (ع) ابنة النبي (ص) وقالت له: إن رسول الله قد نحلنيها، و قد جعلها لى فأعطينها، و شهد لها الامام على بن ابي طالب (ع) فسألها أبو بكر شاهدا آخر فشهدت لها أم أيمن مولاة النبي (ص) فقال أبو بكر: «قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا يجوز إلا شهادة رجلين، أو رجل و امرأتين» فانصرفت .

فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره برّد (فدك) إلى ولد فاطمة (ع) فكانت في أيديهم في أيام عمر بن عبد العزيز، فلما ولي يزيد بن عبد الملك قبضها، فلم تزل في أيدي بنى أمية حتى ولي أبو العباس السفاح الخلافة فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن على ابن أبي طالب، فلما ولي المنصور و خرج عليه بنو الحسن قبضها عنهم، فلما ولي المهدي بن المنصور الخلافة أعادها عليهم، ثم قبضها موسى الهادي و من بعده إلى أيام المأمون، فجاءه رسول بنى على بن أبي طالب (ع) فطالب بها، فأمر أن يسجل لهم بها، فكتب السجل و قرىء على المأمون فقام دعبل و أنشد:

أصبح وجه الزمان قد ضحكابرد مأمون هاشم فدكا

و يقول ياقوت الحموي: «فلما كانت سنة ٢١٠ أمر المأمون بدفعها إلى ولد فاطمة، و كتب إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة: أنه كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أعطى ابنته فاطمة رضى الله عنها (فدك) و تصدق عليها بها و أن ذلك كان أمرا معروفا عند آله عليه الصلاة و السلام، ثم لم تزل فاطمة تدعى منه بما هي أولى من صدق عليه، و أنه قد رأى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٩٣

ردّها إلى وراثتها و تسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على ابن الحسين بن على بن أبي طالب، رضى الله عنهما ليقوما بها لأهلها و يقول ياقوت نقلا- عن الزجاجي: أنها سميت بفدك بن حام و كان أول من نزلها!! و هذا من الأخبار المفتقرة للتمحيص .

وادي القرى

هو واد بين الشام و المدينة- كما مر- و بين تيماء و خيبر- فيه قرى كثيرة و بها سمي وادي القرى، و نقل ياقوت عن أبي المنذر أنه إنما سمي بوادي القرى لأن هذا الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة، و يقول:

و كانت من أعمال البلاد و آثار القرى إلى الآن بها ظاهرة إلا أنها في وقتنا هذا كلها خراب، و مياهها جارية تندفق ضائعة لا ينتفع بها أحد .

و وادي القرى هذا من منازل قضاة، ثم جهينة، و عذرة، و بلى، و كان قديما منازل ثمود و عاد، و آثارها إلى الآن باقية على ما يذكر ياقوت، و قد نزل هذه القرى بعدهم اليهود، و استخرجوا كظائمها، و أساحوا عيونها، و غرسوا نخلها فلما نزلت بهم القبائل عقدوا بينهم حلفا، و كان لهم فيها على اليهود طعمة و أكل في كل عام و منعوها لهم على العرب، و دفعوا عنها قبائل قضاة و يقول ياقوت: و كان النعمان بن الحارث الغساني ملك الشام أراد غزو وادي القرى مرة فحذره نابغة بنى ذبيان من ذلك بقوله:

تجّبت بنى حنّ فإنّ لقاءهم كرية و إن لم تلق إلا بصابر

هم قتلوا الطائي بالحجر عنوة أبا جابر و استنكحوا أم جابر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٩٤ و هم ضربوا أنف الفزاري بعدما أتاهم بمعقود من الأمر، قاهر

أتطمع في وادى القرى و جنباه و قد منعوا منه جميع المعاشر

و يفسر ياقوت الأسماء فيقول عن (حنّ) انه ابن ربيعة و ينتهى به إلى قضاءه، أما أبو جابر فيقول عنه أنه الجلّاس و ينتهى به إلى طى، و كان هذا ممن اجتمعت عليه جديله طى.

و فى سنه سبع و عندما فرغ النبي (ص) من غزوه لخبير توجه إلى وادى القرى فدعا أهلها إلى الإسلام فامتنعوا عليه و قاتلوه ففتحها عنوة و غنم أموالها، و أصاب المسلمون منهم أثاثا و متاعا فخمّس رسول الله ذلك و ترك النخل و الأرض فى أيدي اليهود، و عاملها على نحو ما عامل عليه أهل خيبر.

و فى وادى القرى يقول القاضى أبو يعلى عبد الباقي بن أبى الحصين المعزى:

إذا غبت عن ناظرى لم يكديمر به- و أيبك- الكرى

فيؤلمنى أننى لا أراك إذا ما طلبتك فيمن أرى

لقد كذب النوم فيما استقل بشخصك فى مقلتى و افترى

و كيف و دارى بأرض الشأم و دارك أرض بوادى القرى

و بعد فلى أمل فى اللقاء لأنى و إياك فوق الثرى

و قد نسب إلى وادى القرى جماعة منهم: يحيى بن أبى عبيدة الوادى المتوفى سنة ٢٤٠ هـ .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٩٥

قرية الفرع

و من أشهر القرى القديمة التابعة للمدينة قرية الفرع، و قد اشتهرت بكثرة مياهها و نخيلها، و هى على مسافة ثمانية برد من المدينة المنورة فى طريق مكة، و قد وصفت بالازدهار و جمال الطبيعة، فليل عنها انها قرية غناء، و هى قرية قديمة و غابة فى القدم حتى لقد زعموا أنها كانت أول قرية مارت اسماعيل و أمه التمر بمكة، و قال ابن الفقيه عنها:

فأما أعراض المدينة فأضخمها (الفرع)، و من عيونها المشهورة عينان يقال لهما الربض، و النجف، و قيل انهما تسقيان عشرين ألف نخلة!!

قرية قبا

و من القرى المشهورة القديمة التابعة للمدينة المنورة قرية (قبا)، و المعروف أن قبا اسم بئر عرفت به القرية، و هى واقعة على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة كما يعينها ياقوت، و قد أكسبتها صلاة النبي فيها شهرة واسعة، و عن أبى سعيد الخدرى روى أنه لما صرفت القبلة الى الكعبة أتى رسول الله (ص) مسجد قباء، فقدم جدار المسجد الى موضعه اليوم و أسسه و نقل رسول الله و أصحابه الحجارة لبنائه، و كان الرسول يأتيه كل سبت ماشيا .

و يقول أحمد بن يحيى بن جابر فى روايه البشارى التى أوردها ياقوت:

كان المتقدمون فى الهجرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و من نزلوا عليه من الأنصار بنوا بقاء مسجدا يصلون فيه الصلاة سنة إلى البيت المقدس، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه و سلم و ورد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٩٦

(قبا) صلى بهم فيه، و ان أهل قبا يقولون: إنه المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم، و قيل انه مسجد رسول الله.

وقد وسع مسجد قباء وكبر بعد، وقد أقام النبي لما هاجر بقاء يوم الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وركب يوم الجمعة يريد المدينة فجمع في مسجد بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج فكانت أول جمعة جمعت في الإسلام .
و يقول ياقوت: و بقبا أثر بنيان كثير- يريد في القرن السادس- وهناك مسجد التقوى عامر، قدامه رصيف و فضاء حسن، و آبار و مياه عذبة.

و مسجد قبا كما جاء في كتاب الاستبصار في القرن السادس أيضا:

أنه مسجد مربع طوله ٧٠ ذراعا و عرضه كذلك، و مقدمه ٣ بلاطات و مؤخره مع مجنبتة سقيفة واحدة على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار عددها ٤٣ عمودا و له ٣ أبواب بلا- مصارع، و على ركن مؤخر المسجد مكتوب عن يسار من استقبال المحراب: «أن النبي صلعم دخل على أم أيمن و هي حزينة، فقالت له ليس عندي ما أحجج به، فقال لها: صومي أيام العشر ثم أت مسجد قبا يوم عرفة فصلّى فيه ركعتين بثواب حجة».

و مكتوب أيضا: أن سعد بن أبي وقاص قال:

«لئن آت مسجد قبا فاصلى فيه ركعتين أحبّ إليّ من أن أزور بيت المقدس مرتين، و لو علم الناس ما فى مسجد قبا لضربوا اليه آباط الأبل».

و بيت سعد بن خيثمة الأنصارى الذى كان يقيم فيه النبى صلعم بين المسلمين و هو قريب من ركن المسجد الغربى و من مقدم المسجد و الشجرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٩٧

التي كانت تحتها البيعة سقف، و ذلك السقف هو جزع و هو مغطى بالألواح .

و يقول ابن جبير: أن (قبا) كانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة، و الطريق إليها كما يصفه فى رحلته بين حدائق النخيل المتصلة، و النخيل محدد بالمدينة من جهاتها، و أعظمها جهة القبلة و الشرق، و أقلها جهة المغرب، و فى مسجدها موضع مبارك ناقة النبى، و فى قبله المسجد دار لبني النجار و هى دار أبى أيوب الأنصارى.

و فى قرية قبا التى سماها ابن جبير بالمدينة: تل مشرف يعرف بعرفات يدخل على دار الصفة حيث كان عمّار، و سلمان، و أصحابهما المعروفون بأهل الصفة، و أن آثار هذه القرية و مشاهدها كثيرة لا تحصى .

دومة الجندل

هى بضم الدال و بعضهم يلفظها بفتح الدال، قرية اعتبرها المؤرخون من أعمال المدينة و توابعها، و هى على سبع مراحل من دمشق بينها و بين المدينة، و فى تاريخها القديم أخبار لا يمكن الركون إليها لعدم وجود ما يستند اليه غير القصص و الأخبار المتناقلة، فقد روى ياقوت فى معجمه أنها سميت باسم (دوم) بن اسماعيل. و قيل انه كان لاسماعيل ولد اسمه (دما)!! أما الشىء الثابت فهو ورود اسمها فى الكتابات الأثرية و هو الدليل على قدمها.

و يقول ابن الكلبي فى روايته ياقوت أيضا: ان ابن اسماعيل هو دوماء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٩٨

و قال: و لما كثر ولد اسماعيل بتهمه خرج دوماء بن اسماعيل حتى نزل موضع (دومة) و بنى به حصنا فقبل دوماء و نسب الحصن له!! و فى حديث الواقدي: دوماء الجندل، و هى قرية ذات نخيل و مزارع و فيها عين فوارة تسقى البساتين، و إنما سميت بدومة الجندل لأن حصنها مبنى بالجندل- أى الصخور العظيمة.

و قال أبو عبيد السكوني: ان دومة الجندل حصن و قرى بين الشام و المدينة قرب جبل طى كانت به بنو كنانة من كلب، و على

(دومة) سور يتحصن به، وفي داخل السور حصن منيع يقال له: (مارد) و هو حصن (أكيدر) الملك بن عبد الملك بن عبد الحي بن أعيان بن الحارث بن معاوية بن خلاوة بن أبامه بن سلمه بن شكامة بن شبيب بن السكون بن أشرس بن ثور بن عفير و هو كنده السكون الكندي! .

و الراجح هو أن دومة الجندل هذه قرية أو مدينة قديمة و من أقدم قرى الجاهلية، و أن الحصن الذي عرفت به حديث يرجع إلى عهد (أكيدر) الملك المسيحي الذي أسلم على عهد رسول الله (ص) ثم تمرد، و قيل انه كان متمردا ثم أسلم، و قد احتل جيش الإسلام هذا الحصن، و يقول ليبد و هو يصف بنات الدهر:

و أعصفن بالدومي من رأس حصنه و أنزلن بالأسباب ربّ المشقّر

يريد به (أكيدر) صاحب دومة الجندل فقد روى أن منزل (أكيدر) هذا كان بدومة الحيرة في العراق، و كان قومه يزورون أخوالهم من (كلب) و ذات مرة كان (أكيدر) معهم و قد خرجوا للصيد إذ رفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق إلا حيطانها و هي مبنية بالجندل فأعادوا موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٩٩

بناءها و غرسوا فيها الزيتون و غيره و سموها (دومة الجندل) تفرقة بينها و بين (دومة الحيرة) و كان (أكيدر) يتردد بينها و بين دومة الحيرة، و قد ذهب البعض إلى أن التحكيم بين الإمام علي (ع) و بين معاوية كان بدومة الجندل .

قرية ينبع

على سبع مراحل من المدينة المنورة بين مكة و المدينة، كما جاء في مختلف الرحلات و على يمين (رضوى) لمن كان منحدرًا من المدينة إلى البحر، و هي قرية كانت لبنى الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) و هي كسائر القرى التابعة للمدينة و التي لم يعرف عن تاريخها الجاهلي شيء مضبوط، و تشمل قرية ينبع حصنًا به نخيل و ماء و زرع، و بها وقوف وقفها الإمام علي (ع) كان يتولاها ولده و قد عدّها بعض المؤرخين من أرض تهامة و لم يلحقها بالمدينة، و قيل إنما سميت بينع لكثرة يابيعها، و قال الشريف بن سلمه بن عياش الينبعي: عددت بها مائة و سبعين عينا على ما ذكر ياقوت، و في بعض الأخبار: أن النبي (ص) أقطع عمر ابن الخطاب (ض) ينبع و ملكه إياها و هذا يناقض كونها من موقوفات الإمام علي (ع).

قرى أخرى

و من أشهر قرى المدينة القديمة (زباله الزج) و قرية (المال) و هي من أقدم قرى المدينة، و قد قال السهمودي عن (زباله الزج): و كان بالمدينة في الجاهلية سوق بزباله من الناحية التي تدعى يثرب و خيف العيون، و هي بالقرب من المدينة و فيها آثار بنايات متداعية قديمة على ما ذكر عبد القدوس الأنصاري، و غير هذه قرى أخرى طمست آثارها و محيت أسماؤها كقرى (عرينه) و منازل (مزينة) و غيرها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٠٠

أشهر مواقع المدينة و أماكنها القديمة

حرة واقم

و هي الحرة الواقعة شرقي المدينة؛ و تنقسم باعتبار المنازل القديمة إلى خمس مناطق متجاورة موصفها، منطقتين منها كانتا لليهود، و

ثلاث مناطق كانت للاوس من الأنصار.

حزة الوبرة

وهي بضاحية المدينة الغربية و أقرب إلى المدينة بالنسبة لحزة (واقم) و تمتاز حزة (الوبرة) عن حزة (واقم) بكثرة الهضاب و القلاع و المرتفعات و المنخفضات، و بهذه الحزة تقع إحدى ثنيات الوداع، و بطرفها الشمالي الشرقي منازل بني سلمة.

البيقع

أشهر موقع من مواقع المدينة، بل من أشهر مواقع الحجاز قاطبة، و بقيع الغرقد هذا هو الذي ورد ذكره في مرثية عمرو بن النعمان البياضى لقومه و كانوا قد دخلوا في بعض حروبهم حديقه من حدائقهم و أغلقوا بابها عليهم - على ما يروون - ثم اقتتلوا فلم يفتح الباب الا بعد ان قتل بعضهم بعضا!! فقال في ذلك:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٠١ خلت الديار فسدت غير مسودو من العناء تفردي بالسودد

أين الذين عهدتهم في غبطة بين (العقيق) إلى بقيع الغرقد

كانت لهم أنهاب كل قبيلة و سلاح كل مدرّب مستنجد

نفسى الفداء لفتية من عامر شربوا المية في مقام انكد

قوم هم سفكوا دماء سراتهم بعض ببعض فعل من لم يرشد

يا للرجال لفتية من دهرهم تركت منازلهم كأن لم تعهد

و اتخذ البيقع مقبرة و سميت ببقيع الغرقد لأنها كانت مغطاة بالنباتات الشوكية المعروفة بالغرقد، أما كلمة البيقع فمعناها المكان المزروع بعدد من أنواع الشجر و لذلك سماها الرحالة السويسرى (برخارت) (جنة البيقع).

و شهرة البيقع قد رافقته منذ أن أصبح مدفنا لعدد من عظماء المسلمين و أئمتهم و أعلام الأنصار و المهاجرين، و كان النبي (ص) يقصد البيقع يؤمه كلما مات أحد من الصحابة ليصلى عليه و يحضر دفنه، و قد يزور و البيقع في أوقات أخرى ليناى الأموات من أصحابه و يطلب لهم الرحمة.

و قد روى مسلم فى الصحيح عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم كلما كانت ليلتى منه يخرج من آخر الليل إلى البيقع فيقول:

«سلام عليكم دار قوم مؤمنين، و أتاكم ما توعدون، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد».

و حدث محمد بن عيسى عن خالد عن عوسجة قال: كنت أدعو ليلة إلى زاوية دار عقيل بن أبى طالب التى تلى باب الدار فمرّ بى جعفر ابن محمد (ع) فقال لى:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٠٢

- أعن أثر وفتت ها هنا؟

قلت:- لا ...

قال:- هذا موقف نبي الله (ص) بالليل إذا جاء يستغفر لأهل البيقع .

لذلك كبر شأن البيقع، و كثر رواه بقصد الدعاء و الاستغفار أو التسلية إذ أصبح ملتقى الجماعات و أشبه ما يكون بالمنتدى و المجلس العام لاجتماع الناس فى أوقات فراغهم، فقد روى أن عمر بن الخطاب (ض) أمر الذين يريدون أن يتحدثوا فى أمور دنياهم

فى المسجد أن يخرجوا إلى البقيع ليتحدثوا هناك بشؤونهم الخاصة.

و اتسعت رقعة البقيع و عظم شأنها حتى قيل أن عدد الذين دفنوا فيها من الصحابة كان عشرة آلاف صحابى !!

و الظاهر أن هذه المقبرة ظلت عامرة باضرحتها و أبنيتها الضخمة، و القبة القائمة على مدافن المشاهير و الأعلام حتى قيام الوهابية التى كان من مذهبها تسوية القبور بالأرض فسويت تلك الأضرحة و المدافن كضريح العباس بن عبد المطلب، و السيدة فاطمة الزهراء (ع) و ابراهيم بن النبى (ص) و الخليفة عثمان بن عفان (ض) و الإمام الحسن بن على بن أبى طالب (ع) و عدد كبير من التابعين أمثال نافع شيخ الإمام مالك، و من تابعى التابعين أمثال مالك إمام المدينة.

و عمر ابن جبير الرحالة فى القرن السادس الهجرى بالبقيع فيصف المقبرة و صفا خلاصته: أن بقيع الغرقد واقع شرقى المدينة تخرج اليه على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٠٣

باب يعرف باب البقيع، و أول ما تلقى عن يسارك عند خروجك من الباب المذكور مشهد صفيه عمه النبى (ص) و هى أم الزبير بن العوام، و أمام هذه التربة قبر مالك بن انس الإمام المدنى (ض) و عليه قبة صغيرة مختصرة البناء، و أمامه قبر السلالة الطاهرة: ابراهيم بن النبى (ص) و عليه قبة بيضاء و على اليمين منها تربة ابن لعمر بن الخطاب (ض) اسمه عبد الرحمن الأوسط و هو المعروف بأبى شحمة، و هو الذى جلده أبوه الحدّ فمرض و مات، و بازائه قبر عقيل بن أبى طالب (ض) و عبد الله ابن جعفر الطيار (ض) و بازائهم روضة فيها أزواج النبى (ص) و بازائها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النبى (ص) و تليها روضة العباس ابن عبد المطلب (ض) و الحسن بن على (ع) و هى قبة مرتفعة فى الهواء على مقربة من باب البقيع المذكور و عن يمين الخارج منه، و رأس الحسن (ع) إلى رجلى العباس (ض) و قبرهما مرتفعان عن الأرض متسعان مغشيان بألواح ملصقة أبدع الصاق، مرصعة بصفائح الصفر و مكوكبة بمساميره على أبدع صفة و أجمل منظر، و على هذا الشكل قبر ابراهيم مغشيان بألواح ملصقة أبدع الصاق، مرصعة بصفائح الصفر و مكوكبة ابن النبى (ص) و يلى هذه القبة العباسية بيت ينسب لفاطمة بنت رسول الله (ص) و يعرف (بيت الحزن) يقال انه البيت الذى آوت اليه و التزمت فيه الحزن على موت أبيها المصطفى (ص)، و فى آخر البقيع قبر الخليفة عثمان (ض) و عليه قبة صغيرة مختصرة، و على مقربة منه مشهد فاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب (ع).

ثم يقول ابن جبير: و مشاهد هذا البقيع أكثر من أن تحصى لأنه مدفن الجمهور الأعظم من الصحابة المهاجرين و الأنصار، و على قبر فاطمة المذكورة- بنت أسد- مكتوب: «ما ضم. قبر أحد كفاطمة»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٠٤

بنت أسد رضى الله عنها و عن بنيتها .»

و يمر ابن بطوطة بعد ابن جبير بما يقرب من ١٥٠ سنة بالبقيع فيصف البقيع و صفا مطابقا لوصف ابن جبير فى تحديد هذه المشاهد و القبور و القبة و الأضرحة .

و على مرور الزمن نال البقيع بسبب الإهمال و عوادي الدهر ما ذهب بروعة هذه البقعة من الشجر و الكثير من الأبنية و الغالب أن هذه الإهمال قد لحق البقيع بعد القرن السابع الهجرى، و الغريب فى الأمر أن يزور صاحب كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار فى القرن السادس و البقيع على ما تنقل الروايات فى ذلك العصر كان فى ازهى أدواره فيقول عنه:

«بقيع المدينة من ناحية الشرق، فأول ما تلقى إذا خرجت إلى البقيع:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٠٥

قبر مالك (ض) و هو قبر مهمل مبنى بالحجر و الطين، مزتفع من الأرض نحو ٤ أشبار، و عند رأسه حجر أدكن منقوش تاريخه من يوم مات، ثم تسير منه قليلا و قد بصقت القبور موتاها!! و رفضت الأرض جميع ما دفن فيها من صغير و كبير!! و لم يبق فى بطنها منهم

شئ إلا رفضته على وجهها، فلم يبق عضو من أعضائها، ولا عظم من عظامها و لو كان مقدار خردلة إلا و خرج على الأرض من ناس أهل المدينة خاصة!! و ترى البقيع شبه المقتلة من دفن قديم و حديث، و جماجم الموتى بالية قديمة، و أخرى حديثة، فهذا عبرة لمن اعتبر!! ثم تسير قليلا فتلقى روضة العباس بن عبد المطلب (ض) ثم روضة ابراهيم ولد النبي عم، ثم روضة عثمان بن عفان، و روضات كثيرة».

و في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي زار الحاج عبد الله بورخارت البقيع و قيل بل كان اسمه الحاج بوخارت ابراهيم فقال عنه ما ملخصه:

«في اليوم الذي يلي أداء الحاج واجباته للمسجد و الحجرة، تجرى العاة بذهابه الى مقبرة المدينة تكريما لذكرى القديسين الكثيرين المدفونين بها، و هي تجاور أسوار البلد على مقربة من باب الجمعة و تسمى (البقيع) صورتها مربع مكّون من بضع مئات من الأذرع يحيط به جدار يتصل من الجنوب بضاحية المدينة، و تحيط به من سائر نواحيه مزارع النخيل، و هذا المكان حقير جدا بالنظر الى قداسة الأشخاص الذين يحتوى رفاتهم، و لعله أشد المقابر قذاره و حقارة بالقياس الى مثله في أية مدينة شرقية في حجم (المدينة) فليس به متر واحد حسن البناء، كالا- بل ليست به أحجار كبيرة عليها كتابة اتخذت غطاء للقبور، إنما هي أكوام من تراب أحيطت بأحجار غير ثابتة».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٠٦

و زيارة (برخارت) الحجاز كان بعد غزوة الوهابيين الذين سؤوا هذه القبور مع الأرض و حين عاد الأمر للعثمانيين بعد إجلاء الجيوش المصرية للوهابيين أعادوا بناء كثير من القباب و شادوها على صورة من الفن تتفق مع ذوق العصر، و قد ذكر صاحب (مرآة الحرمين) هذه الأضرحة و القبب و صورها في كتابه، و حين عاد الوهابيون الى الحجاز بعد أكثر من مائة سنة على حملتهم الأولى عادوا إلى هدم تلك القبب و الأضرحة و ساووها بالأرض.

و يزور الدكتور محمد حسين هيكل البقيع بعد (برخارت) بما يقرب من ١٢٥ سنة فيقول انه لم يجد في البقيع بقية لبناء أو قبة على الأجدات مما حمل برخارت على أن يسمى هذا المكان (جنه البقيع) كذلك يقول إنه لم يجد بها أكواما من التراب و لا حفرا و لا حثالة، و إنما وجد قبورا مسواة بالأرض يحيط بكل قبر منها أحجار صغيرة تعلمه، فلو لا أنك تعرف أن هذا المكان هو البقيع، و أن به رفاتا خلف أصحابها على التاريخ أعظم الذكر، و لو لا هذه الأحجار المحيطة بكل قبر لخلتها- يقول هيكل - فضاء مسورا لا شئ فيه البتة .

زغابة

و زغابة موضع قرب المدينة و في آخر العقيق، يصب فيه سيل العقيق و وادي قناة و بطحان، و هي مجمع سيول المدينة؛ و فيها وقعت المعركة بين النبي و قريش، فصارت لها شهرة أكبر، و في الحديث على ما روى الراون: أن أعرابيا أهدى للنبي ناقة فكافأه النبي بست نياق فاستقلها الأعرابي و لم يقبل بها!! فقال النبي: ألا تعجبون لهذا الأعرابي و قد أهدى لى ناقتي التي أعرفها و التي ذهبت منى يوم (زغابة) فكافأته بست و سخط و لم يرض؟!

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٠٧

الرحالة بوخارت يزور العتبات و هو في زى التنكر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٠٨

النقا و حاجر

النقا و حاجر موضعان متجاوران متلاصقان قديما طالما تغنى بهما الشعراء و كلاهما فى ناحية المدينة على أن هناك من يعين كل واحد منهما فى جهة أخرى بعيدة و الراجح أن الأسماء مشتركة و قد جاء فى رسالة الطيف للاربلى ذكر لحاجر فى الشعر لعل المقصود به حاجر المدينة:

أهلا و سهلا بك من مؤنس ينظر عن طرف الطلا النافر

أهلا و سهلا بك من زائريخجل نور القمر الزاهر

إلى أن يقول:

و عيشة دلت على حاجر جاد الحيا السكب ربا حاجر

و جاء ذكر (النقا) عند أبى عبادة البحرى من قصيدة يمدح بها أبا الصقر.

و لما التقينا و النقا موعد لنا تعجب رائى الدر منا و لا قطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها و من لؤلؤ عند الحديث تساقطه

هذا إذا كان المقصود بالنقا نقا المدينة

المنحنى

و المنحنى كما أورد السهمودى: اسم لما يقع شرقى وادى بطحان إلى مسجد المصلى و قد ذكر السهمودى للاستدلال على موقع

المنحنى بيتين للشيخ شمس الدين الذهبى هما:

تولّى شبابى كأن لم يكن و أقبل شيب علينا تولّى

و من عاين المنحنى و النقا فما بعد هذين إلا المصلى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٠٩

حطم الضحيان

و من أشهر حصون المدينة و مواقعها فى العصر الجاهلى هو حصن (الضحيان) و هو مشيد بحجارة الحرّة السوداء يبلغ طوله نحو ٢٧

مترا و عرضه ١٢ مترا و ارتفاعه نحو ثمانية أمتار على تحقيق الأنصارى، و لم يبق منه إلا خرائب و أطلال، يقع شمالى العصبه و هو

أطم بناه أحيحة ابن الجلاح فى أرضه التى يقال لها القبابة .

حصن كعب بن الأشرف النبهانى

و هو حصن قائم على هضبة من الحرّة الجنوبية الشرقية للمدينة على ما ذكر الأنصارى و تبلغ مساحته ٣٣ مترا فى ٣٣ مترا و لم يبق من

ارتفاع أسواره اليوم إلا ما يساوى ٤ أمتار، و هو بناء حربى محصن و كونه الحصن الخاص بكعب بن الأشرف النبهانى هو من تحقيق

الأنصارى.

سقيفة بنى ساعدة

سقيفة بنى ساعدة بناية اختلف المؤرخون فى موقعها، و يرى السهمودى أنها بالقرب من بئر بضاعة و هى شبه البهو الواسع الطويل

السقف و كانت لبني ساعده بن كعب بن الخزرج الأنصارى من أيام الجاهلية، وقصة هذه السقيفة مشهورة في التاريخ الإسلامى فقد جلس فيها النبى (ص) على ما روى ثم اجتمع فيها الأنصار من الاوس و الخزرج ليبايعوا سعد ابن عبادة رئيس الخزرج خليفة للنبي بعد وفاته و لكن الأمر تبدل لميل الأوس إلى جانب المهاجرين و تمت حينذاك بيعه أبى بكر بالخلافة فى السقيفة المذكورة و قتل سعد بن أبى عبادة و زعموا أن الجن هم الذين قتلوه!!

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١١٠

و كسبت السقيفة منذ ذلك اليوم شهرة لما جرى من اختلاف بسبب هذا الاجتماع و بسبب الخلافة.

ثنية الوداع

و من الأماكن المشهورة فى المدينة قديما: ثنية الوداع، و هى موقعان على ما حققه الأنصارى، موقع فى شمال المدينة فى اتجاه الشام، و موقع فى جنوب المدينة باتجاه مكة، و كان يجرى فى كل موقع توديع المسافرين المتجهين إلى الشام و المتجهين إلى مكة فسمى الموقعان باسم واحد، و فى سبب تسمية الموقع بثنية الوداع اختلاف كبير، و يقول ياقوت: إن الصحيح هو أنه اسم جاهلى قديم أطلق على هذا الموقع بناء على ما كان يجرى فيه من توديع المسافرين من المدينة.

و من ثنية جنوب المدينة استقبل النبى (ص) لأول مرة بنشيد الصبايا المشهور على ما يروون و هو:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

سوق المدينة و سوق بنى قينقاع

و سوق المدينة، و سوق بنى قينقاع هما الآخران من أشهر مواقع المدينة قديما، و كان يجرى فى هذين السوقين البيع و الشراء و عرض المحصولات، و فى الرواية: أن النبى (ص) لما أراد أن يجعل للمدينة سوقا اتى سوق بنى قينقاع، ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله و قال:

«هذا سوقكم فلا يضيق و لا يؤخذ فيه خراج».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١١١

أهم مصادر البحث

- ١- القرآن الكريم
- ٢- البيان فى تفسير القرآن للشيخ الطوسى
- ٣- تاريخ يعقوبى
- ٤- مروج الذهب للمسعودى
- ٥- تاريخ الأمم و الملوك للطبرى
- ٦- الكامل فى التاريخ لابن الأثير
- ٧- آثار البلاد و أخبار العباد للقرزوينى
- ٨- الدررة الثمينه فى تاريخ المدينة لابن النجار

- ٩- أخبار مكة للأزرقي
- ١٠- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار
- ١١- مكة و المدينة في الجاهلية و عهد الرسول
- ١٢- تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان
- ١٣- معجم البلدان للحموي
- ١٤- دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى
- ١٥- الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتانوني
- ١٦- مرآة الحرمين
- ١٧- فى منزل الوحي للدكتور هيكل
- ١٨- فى بلاد الرافدين لليدى دراور
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١١٢
- ١٩- رحلة ابن جبير
- ٢٠- رحلة ابن بطوطة
- ٢١- جولات برخارت السويسرى
- ٢٢- بلوغ الارب للالوسى
- ٢٣- البدايه و النهايه لعماد الدين أبى الفداء
- ٢٤- المدخل لابن الحاج
- ٢٥- خمسون و مائه صحابى مختلق للسيد العسكرى
- ٢٦- الطبقات الكبرى لابن سعد
- ٢٧- آثار المدينة المنورة للأنصارى
- ٢٨- محمد رسول الله لمحمد رضا
- ٢٩- لسان العرب
- ٣٠- تاج العروس
- ٣١- أمالى القالى
- ٣٢- التنبيه على أمالى القالى
- ٣٣- القاموس للفيروز آبادى
- ٣٤- رساله الطيف للأربلى تحقيق عبد الله الجبورى
- ٣٥- السقيفة للشيخ محمد رضا المظفر
- ٣٦- التمور العراقية قديما و حديثا
- ٣٧- شجرة العذراء
- ٣٨- مجمع الأمثال للميدانى
- ٣٩- الدكتور جواد على
- ٤٠- جغرافية العالم الاقليمية (مؤسسة فرنكلين)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١١٣

المدينة المنورة في الشعر

إشارة

جمعه و نسقه حسب الحروف الهجائية فؤاد عباس من خريجي الجامعة الأميركية ببيروت و المفتش الاختصاصي في وزارة التربية العراقية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١١٥

أبو بكر العيدي أو العيذي

قال من قصيدة ابتداء فيها بوصف مكة و البيت الحرام و مواقفها العظام و (يثرب) مدينة النبي عليه السلام، و يتشوق أهلها و يذكر كرمها و فضلها.

و منها:

لى بالحجاز غرام لست أدفعه ينقاد قلبى له طوعا و يتبعه
يهزنى البرق (مكيا) تبسمه إذا تراءى (حجازيا) تطلعه

و منها:

و فى ربي (يثرب) غايات كل هوى يجلل عن موقع الأشواق موقعه
أفق الشريعة و الإسلام طالع شموسه مستجاش النصر متبعه
حيث النبوة مضروب سرادقها و الفضل شامخ طود الفخر أفرعه
و حيث كان طريق الوحي متضحابين السماء و بين الأرض مهيعه
و خاتم الأنبياء المصطفى شرفا محمد باهر الأشواق مضجعه
صلّى الا له عليه ما تكرر بالصلاة فرض مصل أو تطوعه
و للشفاعة أبواب مفتحة مشفع من بمغناها تشفعه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١١٦ محلّ قدس و تشریف يجزّ به ذيل الجمال على ذى المال يدفعه

يشبّ نيران أشواقى غليل هوى اليه ليس سوى مرآه ينقعه

و يستمدّ حنينى كلّ منحنائه و عامره الزاكي و بلقعه

(عقيقه) و (قباه) و (البقيع) و ما يحدّ (أحد) لمن فى الله مصرعه

مستنزل الفوز و الغفران مهبطه و ملتقى كل رضوان و مجمعه

أحبّه و أحبّ الناقلين بهو ما تضمّ نواحيه و أربعه

طبعها جبلت عليه فى الغرام بهو أين من طبع من يهوى تطبعه !

الأعشى (ميمون بن قيس بن جندل)

يروى أنه مدح الرسول (ص) بهذه القصيدة و تصدّت له قريش فى الطريق واقنعه رجالها بالرجوع الى أهله بعد أن جمعوا له مائة من

الابل.

و لما رجع رمى به بعيره فى الطريق فقتله.

ألم تغتمض عيناك ليله أرمداو بتّ كما بات السليم مسهدا
إلا أيهذا السائلى أين يمت فان لها فى أهل (يثرب) موعدا
و آليت لا أرثى لها من كلاله و لا من وجى حتى تلاقى (محمدا)
متى ما تناخى عند باب (ابن هاشم) تراخى و تلقى من فواضله ندى

امرؤ القيس

تبصر خليلي هل ترى من ضعائن سواكك نقبا بين حزمى شععب
علون بانطاكية فوق عقمه كجرمة نخل أو كجئة (يثرب)
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١١٧

البرجمي

فمن يك أمسى (بالمدينة) رحله فأتى و قنار بها لغريب

بعض الأفاضل

نظم أسماء (المدينة المنورة) بقوله:
خذ جملة يا صاح من أسماء مدينة الهادى من الأسواء
(محمد) نبينا المشرف الهاشمى المصطفى البر الوفى
فطيبة، طيبة، و طابه و طائب، تعرف بالاطابه
حبيبة، بيت الرسول، و الحرم و حرم الرسول، فاحفظ ما انتظم
و دار الايمان، و دار السنه و دار فتح، مع دار الهجرة
دار السلامة، و دار الأبرار و دار الأخيار، لنفى الأشرار
حسنة، مختارة، مرزوقه مؤمنة، مسكينة، محفوظة
مدخل صدق، قبة الاسلام شافية من جملة الآلام
أكالة القرى، مع المقدسه و نورها بورك من قد قبسه
من نور أسماء (مكان المصطفى) نظم به أرجو موارد الصفا

جرير

لقد علم الحى المصيح أنامتى ما يقل يا للفوارس نركب
إذا رمت فى حىي خزيمة عزنا سما كل صريف السنانين مصعب
ألم تر قومى (بالمدينة) منهم و من ينزل (البطحاء) عند (المحصب)
فوارسنا من صلب (قيس) كأنهم إذا بارزوا حربا أسنه صلب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١١٨

و قال يهجو التيم

قال الأمير لعبد تيم بسمأبليت عند مواطن الأحساب
و لقد خرجت من (المدينة) آفلاخرع القناء مدنس الأثواب
يا تيم إن بيوتكم تيمية فقد العماد قصيرة الأطناب
قوم إذا حضر الملوك و فودهم نتفت شواربهم على الأبواب

جورج صيدح في مولد النبي محمد (ص)

لا يعجز الله الذي إن قال كن للشيء كان
أمر الرمال فاطلعت صحراء يثرب أقحوان
لرسل آيات، و هذاالطفل آيته البيان
الروح يملى ما يترجمه، و نعم الترجمان
بالضاد آذن ربّه فتخلدت لغه الأذان
يا صاحبي: بأى آلاء الرسول تكذبان

حسان بن ثابت

قال في قتل عمرو بن عبدود بسيف على (ع):
أمسى الفتى عمرو بن عبد يتغى بجنوب (يثرب) غارة لم تنظر
و لقد وجدت سيوفنا مشهورة و لقد وجدت جيانا لم تقصر
و لقد رأيت غداة بدر عصبة ضربوك ضربا غير ضرب الحسر
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمه يا عمرو أو لجسيم أمر منكر
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١١٩

و قال حسان يرثى النبي (ص)

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت ماقيها بكحل الارمد
جزعا على المهدي أصبح ثاوييا خيرا من وطىء الثرى لا تبعد
وجهي يقيك التراب لهفا ليتنى غيبت قلبك فى (بقيع الغرقد)
بأبى و أمى من شهدت وفاته فى يوم الاثنين النبى المهتدى
فضللت بعد وفاته متبلدا متلدا يا ليتنى لم أولد
أقيم بعدك (بالمدينة) بينهم يا ليتنى صبحت سم الأسود

السيد حيدر الحلى

قال من قصيدة مهنتا بها الحاج محمد صالح كبه بقدم ولديه محمد رضا و الحاج مصطفى من الحج.
ثم لما أكمل الحج معاودعا (مكة) فيمن ودعا

و إلى (يثرِب) منها ازمعا قصد من ألبس فخرا (يثرِبا)
 و جباها شرف الذكر و أمّا (كذا) و به فاق سناها الشهبا
 فاشتهدت تغدولها الشهب رغاما و نحا كل ضريح المصطفى
 ناشقا طيب ثراه عرفا و به طاف و منه عطفا
 نحو مغنى (المرتضى) مرتغبالسواه عنه لا يلوى الزاما
 فقضى من حقه ما وجبا و أتى (الكرخ) فحيا و أقاما
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٢٠

سعيد بن العاص

كتب إلى عبد الأعلى بن عبد الله و محمد بن صفوان الجمحي يذكرهما طيب (العقيق) و (العرصتين) في أيام الربيع.
 ألا قل لعبد الله إنا لقيته و قل لابن صفوان على القرب و البعد
 ألم تعلمنا أن (المصلّى) مكانه و أن (العقيق) ذو الاراك و ذو المراد
 و أن رياض (العرصتين) تزيت بنوارها المصفر و الأشكل الفرد
 و أن بها لو تعلمان أصانلا و ليلا رقيقا مثل حاشية البرد
 فهل منكما مستأنس فمسلم على وطن أو زائر لذوى الود؟!
 فأجابه عبد الأعلى:

أتانى كتاب من سعيد فشاقتنى و زاد غرام القلب جهدا على جهد
 و اذرى دموع العين حتى كأنها بها رمد عنه المراد لا تجدى
 فان رياض (العرصتين) تزيت و أن (المصلّى) و (البلاط) على العهد
 و أن غدِير (اللابتين) و نبتة له أرج كالمسك أو عنبر الهند

شاعر

عين جودى على عييل و هل يرجع ما فات فيضها بالسجام
 عمّروا (يثرِبا) و ليس بها شفرو لا صارخ و لا ذو سنام
 غرسوا لينها بمجرى معين ثم حفوا النخيل بالآجام
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٢١

شاعر مدنى

و (بالعرصة البيضاء) اذ زرت أهلها مها مهملات ما عليهن سائس
 خرجن لحبّ اللهو من غير ريبة عفائف باغى اللهو منهّن آيس
 يردن إذا ما الشمس لم يخش حرّها خلال بساتين خلاهنّ يابس
 إذا الحرّ آذاهنّ لذن بحجرة كما لاذ بالظلّ الظباء الكوانس

الشريف الرضى

قال من قصيدة و هو فى مدينة الرسول (ص) و ذلك فى المحرم سنة ٣٩٤ هـ
و ما كنت أدرى الحب حين تعرّضت عيون ظباء (بالمدينة) عين
فو الله ما أدرى الغداة رميناعن النبع، أم عن أعين و جفون !
بكلّ حشا منا رمية نابل قوى على الاحشاء غير أمين
فررت بطرفى من سهام لحاظهاو هل تتلقى أسهم بعيون!!
فيا بانتي بطن (العقيق) سقيتما بماء الغواذى بعد ماء شؤون
أحبكما و المستجنّ (بطيبة) محبة ذخر بات عند ضنين
*** و قال أيضا و هى من لواحق الحجازيات
يا رفيقى ففا نضويكما بين أعلام (النقا) و (المنحنى)
و انشدا قلبى فقد ضيّعته باختيارى بين (جمع) و (منى)
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٢٢ عارضا السرب فان كان فتى بالعيون النجل يقضى فأنا
إنّ من شاط على الحاظهاضعف من شاط على طول القنا
تجرح الأعين فينا و الطلى قاتل الله الطلى و الأعينا
ثم كانت (بقباء) وقفه ضمنت للشوق قلبا ضمنا
و حديث كان من لذته أحد) يصغى الينا أذنا

الشريف المرتضى

قال مفتخرا من قصيدة
هل ليالى بالمنقى رجوع مثلما كرت لى و نحن جميع
إذ قناتى محتدة و شفيعى من شباى إلى الحسان شفيح
ساحبا (بالبيع) من نشواتى فضل ثوبى إذ البقيع ببيع
وطن طاب جوّه و تراه فكأن المصيف فيه ربيع

عبد السلام بن يوسف

قال يتشوق العقيق و ساكنيه:
على ساكنى بطن (العقيق) سلام و إن أسهرونى بالفراق و ناموا
حظرتم على النوم و هو محرم و حلّتم التعذيب و هو حرام
إذا بنتم عن (حاجز) و حجرتم على السمع أن يدنو إليه كلام
فلا ميلت ريح الصبا فرع بانه و لا سجعت فوق الغصون حمام
و لا قهقهت فيه الرعود و لا بكى على حافيه بالعشى غمام
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٢٣ ألا ليت شعرى هل إلى الرمل عودة و هل لى بتلك الباتين لمام؟؟

و هل نهله من (بئر عروة) عذبة أداوى بها قلبا براه أوام

عبد الله بن قيس (الرقيات)

إن الحوادث (بالمدينة) قد أوجعنى و قرعن مروتيه
 وجبني جبّ السنام فلم يترك ريشا في مناكيه
 تبكيهم أسماء معولء و تقول ليلي: و ارزيتيه
 على بن حجر
 هنيئا لكم يا زائرين ضريحه أمتتم به يوم المعاد من الرجس
 و صلتم إلى قبر الحبيب (بطيبة) فطوبى لمن يضحى (بطيبة) أو يمسى

عمرو بن النعمان البياضى

يرثى قومه:

خلت الديار فسدت غير مسودو من العناء تفردى بالسود
 أين الذين عهدتهم فى غبطة بين (العقيق) إلى (بقيع الغرقد)
 كانت لهم أنهاب كل قبيلة و سلاح كل مدرّب مستنجد
 نفسى الفداء لفتية من عامر شربوا المتيءة فى مقام انكد
 قوم هم سفكوا دماء سراتهم بعض ببعض فعل من لم يرشد
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٢٤

الفرزدق

حين مدح الفرزدق الامام زين العابدين على بن الحسين (ع) بقصيدته:
 (هذا الذى تعرف البطحاء و طأته) حبسه هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى فى (عسفان) و هو موضع بين مكة و المدينة فهجا
 الفرزدق هشاما و كان هشاما أحول العين بقوله:
 أيحبسى بين المدينة و التى إليها قلوب الناس يهوى منيها
 يقلب رأسا لم يكن رأس سيدو عينا له حولاء باد عيوبها

الكميت بن زيد الأسدى

قال فى إحدى هاشمياته فى آل البيت النبوى (ع)
 أسرة الصادق الحديث أبى القاسم فرع القدامس القدام
 خير حى و ميت من بنى آدم طرا مأمومهم و الامام
 أبطحى بمكة استثقب الله ضياء العمى به و الظلام
 و إلى (يثرب) التحول عنها المقام من غير دار مقام
 هجرة حوّلت إلى الأوس و الخزرج أهل الفسيل و الآطام

و قال أيضا

و أنت أمين الله فى الناس كلهم علينا و فيها اختار شرق و مغرب
فبوركت مولودا و بوركت ناشئا و بوركت عند الشيب إذ أنت أشيب
و بورك قبر أنت فيه و بوركت به و له أهل لذلك (يثر)
لقد غيبوا برا و صدقا و نائلا عشية و اراك الصفيح المنصب
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٢٥

و منها:

إذا ما قضت من أهل (يثر) موعدا فمكة من أوطانها و المحصب
و قال أيضا :

طربت و هل بك من مطرب و لم تتصاب و لم تلعب
و شجو لنفسى لم أنسه بمعترك الطف فالمجتبى
كأن خدودهم الواضحات بين المجر إلى المسحب
صفائح بيض جلتها القيون مما تخيرن فى (يثر)

الشيخ محسن الخضرى

قال راثيا العلامة الكبير السيد مهدي القزوينى المتوفى فى الطريق عند قفوله من الحجاز.
ما حجّ إذ حجّ نحو البيت عن سعة أئى و قد عال بالأئى و بالرجل!
فرحب البيت لما حلّ ساحقه أو ضاق رحبا بذاك العارض الهمل
حتى إذا ساقه الأذنى له رحما و آذنت جمرات الشوق فى شعل
جلى فأنس نور الله ملتعمان أرض (طيبة) مثوى سيد الرسل
من (يثر) جاءت البشرى بمقدمه لسهل (لينة) ممتدا إلى الجبل
فيا لها فرحة ما كان اطولها لو لم تطأها و شيطا فدحة الأجل
و قال من موثّق :

سل أهيل الود لما احتملوا فى ظلام الليل عن وادى السلام
أترى هل أدركوا ما أملوا بحمى (طيبة) و (البيت الحرام)؟
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٢٦ أم تراهم بلغوا ما أملوا بالدعا بين المصلّى و المقام
شكر الله مساعيهم كما أخلصوا لله ذلّ الموقف
شخصا أبصارهم نحو السما بخشوع و دموع ذرف
و قال :

أحدثى عما رآه بمكة و (بطيبة) و من الحجاز إلى الغرى
و سواك لو يقضى جميع زمانه بين المشاعر خلته لم يشعر
حتى كأنك قد رأيت و لم يكن أحد سواك بمسمع و بمنظر

من قصيدة (ما وراء الحجب)
 أيها النشء ادركوا أوطانكم فهي حيرى بيد المغتصب
 فإذا بالسلم لم ترجع لكم فأعيدوها بحدّ القضب
 واغسلوا العار بسيل من دم فهو لم يغسل بماء السحب
 وأعيدوا هيبة الله لهاو جلال المصطفى من (يثرب)
 *** وقال من قصيدة عنوانها (ابو الزهراء)
 الحق أبلج وضّاح إلى الأبد كالصبح يسطع لا يخفى على أحد
 وان ترد مثلاً أعلى لتضربه للحق غير أبى الزهراء لم تجد
 طوبى (ليثرب) فى طه و عترته و لتبق (يثرب) طول الدهر فى رغد
 ضمت جلال رسول الله و اتحدت بآية منه و البشرى لم تحد
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٢٧

مهيار الديلمي

سل فى الغضا- و صبا الاصائل تنفح: هل ربح (طيبة) فى الذى يستروح؟
 و هل النوى- و قضاؤها متمرد تركت برامه بأنه تترنح؟
 أهل (القباب) و من بهم لمصفد بالبعد أتلع بالعراق و أبطحوا
 *** و كتب إلى الصاحب ابن عبد الرحيم من قصيدة:
 أصبوا إلى (طيبة) من بابل ما أقرب الشوق و ما أبعدا!!
 يا فارس (الغيداء) يبغى (منى) بلغ- بلغت الرشا الاغيدا
 يا حبذا الذكرى و ان أسهرت بعدك و الدمع و إن أرمدا
 و قال من قصيدة فى رثاء الشريف الرضى، معرّضا بمن كان يحسد الشريف الرضى و يزيد فى غيظهم
 أقريش لا لقم أراك و لا يدفتواكلى غاض الندى و خلا الندى
 خلاك ذو الحسين انقاضا متى تجذب على جبل المذلة تنقد
 و منها:

من راكب يسع الهموم فواده و تناط منه بقارح متعود
 يطوى المياه على الظما و كأنه عنها يضلّ، و أنّه للمهتدى
 يغشى الوهاد بمتلها من مهبطو ربا الهضاب بمتلها من مصعد
 قرّب قربت من التلاع فإنها (أم المناسك) مثلها لم يقصد
 دأبا به حتى تريح (بيثرب) فتنيخه نقضا بباب المسجد
 واحث التراب على شحوبك حاسرا و انزل فعزّ (محمدا) (بمحمد)
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٢٨

و قل:

انطوى حتى كأنك لم تلد منه الهدى و كأنه لم يولد

نائلة بنت الفرافصة

قالت تخاطب أباها ضبئة حين حملت إلى عثمان بن عفان من الكوفة.
أحفاً تراه اليوم يا (ضب) أننى مصاحبة نحو (المدينة) أركبا
لقد كان فى فتیان حصن بن ضمضم لك الويل ما يجزى الخباء المحجبا
قضى الله حقا أن تموتى غريبة (بيثرب) لا تلقين أما و لا أبا

هاشم الكعبى

قال من قصيدة فى رثاء الحسين (ع)
عج بى إذا جئت غربى الحمى و بدت منه لمقلتك الأعلام و القب
و حى عنى الألى اقمارهم طلعت من (طيبة) ولدى (كرب البلا) غربوا
فاعجب لهم كيف حلوا (كربلاء) و كم كانت بهم تفرج الغماء و الكرب!!
فأين تلك البذور التتم لا غربوا و أين تلك البحور الفعم لانضبوا!
و قال من قصيدة:

منى القلب أن تدنو (منى) و (المحصب) و للركب قصد دون ذاك و مأرب
خليلى عوجا بى على الربع عوجة عسى يشفى فيها السقيم المعذب
تقولان قصد العيس (جمع) و (يثر) صدقتم و هذا الربع جمع و يثر
و لا تعجبا مما يحاول مدنف فأمر كما فى اللوم أدهى و أعجب
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٢٩

هجرة الرسول الى المدينة المنورة

إشارة

كتبه

الدكتور حسين امين

استاذ التاريخ الاسلامى المساعد بجامعة بغداد
و الحائز على درجة دكتوراه الشرف الاولى من جامعة الاسكندرية
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٣١

هجرة الرسول الى المدينة

يعتبر موضوع الهجرة النبوية من أهم المواضيع التاريخية الإسلامية، ذلك لأن الإسلام بعد الهجرة انطلق انطلقا واسعا و أضحى

المسلمون أمام مسؤوليات جديدة، وراحوا يقيمون دعائم البناء الإسلامى بروح عالية مفعمة بالإيمان الصادق و مشبعة بالتعاون الكبير. ولا بد للباحث حين يتقصى تلك الحادثة الخطيرة من تاريخ المسلمين أن يتعرف على بواعثها و مقدماتها و يقف على ما جابهه المسلمون من مخاطر و آلام.

و من المعروف أن المشركين فى مكة أنزلوا اضطهادا و عذابا بالمسلمين، و صمد المسلمون أمام ذلك الاضطهاد الكبير فقتل من قتل و لحق التعذيب بالكثيرين منهم، فرأى الرسول (ص) أن ينقذ المسلمين من ذلك الأذى و الاضطهاد، فأذن (ص) لأصحابه الكرام أن يهاجروا إلى الحبشة ١.

و هنا يعترضنا سؤال، لماذا اختار الرسول (ص) الحبشة مكانا لهجرة أصحابه المسلمين؟ و الذى نرجحه هو أن الرسول (ص) اختار هذا المكان لأسباب سياسية أو دينية، فالرسول (ص) لم يؤيد رأى القائل بالهجرة إلى اليمن مثلا، ذلك لأن اليمن كانت تحت النفوذ الفارسى، فالاستقرار السياسى لم يتوفر فيها كما أن هناك تأثيرات وثنية و مجوسية نتيجة النفوذ الفارسى هناك، كذلك يمكن تطبيق هذا القول على العراق،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٣٢

أما الشام فبالإضافة إلى القلق السياسى، فإن قريش لها علاقات تجارية مع بلاد الشام و بإمكانها إقلاق المسلمين و تأليب الحكام و المتنفذين عليهم هناك. فاختيار الحبشة كان أمرا منطقيا و سليما، فالبلاد هناك مستقرة سياسيا و نجاشى الحبشة من الذين عرفوا بالحكمة و الرزانة يومذاك و الحبشة و إن فصلها عن الحجاز بحر، فإنها قريبة إذا ما أراد المسلمون الانتقال إليها أو العودة منها، ثم إن ما يحمل المسلمون من مبادئ إنسانية سامية و احترام للدين المسيحى ما يطمئن الرسول (ص) على أصحابه فى بلاد الحبشة.

و هناك أسباب و عوامل حملت الرسول بالإذن لأصحابه الكرام فى الهجرة إلى الحبشة، و من تلك العوامل أن يتخلص المسلمون من الأذى الشديد المستمر الذى يلاقونه من الفئة المشركة، و أن يجد المسلمون رزقا لهم فى بلاد الحبشة بعد أن سدت أمامهم أبواب الكسب الحلال فى مكة، و قد يكون الرسول (ص) رأى من الضرورى إبعاد الجماعة الإسلامية من الجو المشحون بالحقد و العنف و الاضطهاد الحاصل فى مكة، بقصد تقوية الروح المعنوية لتلك الجماعة و حتى لا تشعر بالضعف و الخور من توالى شدة الضربات، أو أنه أراد أن تكون هذه الجماعة المهاجرة إلى الحبشة رصيذا يعتمد عليه فى المستقبل ٢.

و هاجر إلى الحبشة أحد عشر رجلا و أربع نساء وهم:

عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية و معه امرأته رقية بنت رسول الله (ص)، و أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة و معه امرأته سهلة بنت سهيل ابن عمرو، و الزبيرى العوام بن خويلد بن أسد، و مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، و عبد الرحمن بن عوف، و أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، و معه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة. و عثمان بن مظعون، و عامر ابن ربيعة، و معه امرأته ليلي بنت أبى حثمة، و أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٣٣

و سهيل بن بيضاء و جعفر بن أبى طالب و معه امرأته أسماء بنت عميس.

و مكثوا هناك ثلاثة أشهر و تناقلت إليهم بعض الأخبار التى تشير إلى أن المشركين عدلوا عن إيذاء المسلمين، فعاد معظم هؤلاء المهاجرين إلى مكة، فلما بلغوها وجدوا قريشا ما زالت مستمرة فى صب أذاها على المسلمين بشكل أشد، فعاد المسلمون بهجرة ثانية إلى الحبشة فى ثمانين رجلا غير نساءهم و أطفالهم، و ظلوا هناك حتى استتب الأمر للمسلمين فى المدينة (يثرب) و فى السنة السابعة للهجرة عاد جميعهم على ظهر سفينتين ٣.

و الذين هاجروا إلى الحبشة فى هجرتهم الثانية من المسلمين هم:

جعفر بن أبى طالب و معه زوجته أسماء بنت عميس، و عثمان بن عفان و معه امرأته رقية ابنة رسول الله (ص)، و عمرو بن سعيد بن

العاص ابن أمية و معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية، و خالد بن سعد بن العاص بن أمية و معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر، و عبد الله بن جحش و أخوه عبيد الله بن جحش و معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، و قيس بن عبد الله و معه امرأته بركة بنت يسار، و معيقب بن أبي فاطمة. و أبو خديعة ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، و أبو موسى الأشعري و اسمه عبد الله ابن قيس. و عتبة بن غزوان ابن جابر، و الزبير بن العوام، و الأسود ابن نوفل بن خويلد بن أسد، و يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب، و عمرو بن أمية بن الحارث، و طليب بن عمير، و مصعب بن عمير بن هاشم، و سويبط بن سعد بن حرملة، و جهم بن قيس بن عبد شرحبيل، و معه امرأته أم حرملة، و عمرو بن جهم بن قيس و خزيمه بن جهم بن قيس، و أبو الروم بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف، و عبد الرحمن بن عوف، و عامر ابن أبي وقاص، و أبو وقاص مالك بن أهيب، و المطلب بن أزهري بن عبد عوف، و معه امرأته رمله بنت أبي عوف. و عبد الله بن مسعود بن الحارث، و أخوه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٣٤

عتبة بن مسعود، و المقداد بن عمرو بن ثعلبة، و الحارث بن خالد بن صخر بن عامر و معه امرأته ربطة بنت الحارث، و عمرو بن عثمان بن كعب، و أبو سلمة بن عبد الأسد و معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية، و شماس بن عثمان بن الشريد، و هبار بن سفيان و هشام بن أبي حذيفة، و سلمة بن هشام بن المغيرة، و عياش بن أبي ربيعة، و معتب بن عوف، و عثمان بن مظعون و ابنه السائب بن عثمان و أخواه قدامة بن مظعون و عبد الله بن مظعون، و حاطب بن الحارث، و معه امرأته فاطمة بنت المجلل ابن عبد الله، و ابنه محمد بن حاطب و الحارث بن حاطب، و أخوه حطاب بن الحارث، و معه امرأته فكيهة بنت يسار، و سفيان بن معمر ابن حبيب، و معه ابنه جابر بن سفيان و جنادة بن سفيان، و معه امرأته حسنة و هي أمهما، و أخوهما من أمهما شرحبيل بن حسنة. و عثمان ابن ربيعة، و خنيس بن حذافة بن قيس و عبد الله بن الحارث بن قيس، و هشام بن العاص، و قيس بن حذافة بن قيس، و أبو قيس بن الحارث ابن قيس، و عبد الله بن حذافة بن قيس، و الحارث بن الحارث بن قيس، و معمر بن الحارث بن قيس، و بشر بن الحارث بن قيس و أخ له من أمه من بني تميم يقال له سعيد بن عمرو، و سعيد بن الحارث ابن قيس، و السائب بن الحارس، و عمير بن رثاب بن حذيفة، و محمية بن الجزاء.

و معمر بن عبد الله بن نضلة بن عبد العزى، و عروة بن عبد العزى، و عدى بن نضلة بن عبد العزى و ابنه النعمان بن عدى، و عامر بن ربيعة و معه امرأته، ليلي بنت أبي حثمة بن غانم. و أبو سبرة بن أبي رهم و معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، و عبد الله بن مخزوم، و عبد الله ابن سهيل بن عمرو، و سليط ابن عمرو بن عبد شمس، و أخوه السكران ابن عمرو و معه امرأته سودة بنت زمعة، و مالك بن زمعة و معه امرأته عمرة بنت السعدى بن وقدان، و حاطب بن عمرو، و سعد بن خولة، و أبو عبيدة بن الجراح، و سهيل بن بيضاء، و عمرو بن أبي سرح بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٣٥

ربيعة، و عياض بن زهير بن أبي شداد، و عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد، و عثمان بن عبد غنم بن زهير، و سعد بن عبد قيس بن لقيط، و الحارث ابن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية.

و حاولت قريش أن توغر صدر النجاشى ضد المسلمين المهاجرين، فأرسلت برجلين من زعمائها و معها هدايا ثمينه، هما عمرو بن العاص و عبد الله بن أبي ربيعة، و قالوا لملك الحبش: (أيها الملك أنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا فى دينك، و جاؤوا بدين ابتدعه لا نعرفه نحن و لا أنت. و قد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم و أعمامهم و عشائهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا و أعلم بما عابوا عليهم و عاتبوهم فيه ٤). و قدما للملك و لرجال الهدايا، و لكن الملك الحبشى أبى أن يعيد المسلمين إلّا بعد أن يسمع كلامهم، فاستدعاهم، فجاؤوا لمقابلة الملك، فسألهم: ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم و لم تدخلوا فى دينى و لا دين أحد من هذه الملل؟ فأجاب الملك رجل من المسلمين الأولين و بطل من أبطالهم

المشهورين، و كان لجوابه أثر كبير في نفس النجاشي و أتباعه، و كانت كلمته صورة واضحة لحالة العرب قبل ظهور محمد (ص)، لقد وقف جعفر ابن أبي طالب و قال:-

«أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، و نأكل الميتة، و نأتي الفواحش و نقطع الأرحام و نسيء الجوار، و يأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، و نعبده و نخلع ما كنا نعبد نحن و أبائنا من دونه من الحجارة و الأوثان، و أمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة و صلة الرحم و حسن الجوار و الكف عن المحارم و الدماء و نهانا عن الفحشاء و قول الزور و أكل مال اليتيم و قذف المحصنات، و أمرنا أن نعبد الله و لا نشرك به شيئا، و أمرنا بالصلاة و الزكاة و الصيام،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٣٦

فصدقناه و آمننا به و اتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا، و حرّمنا ما حرّم علينا و أحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا و فتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، و أن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث. فلما قهرونا و ظلمونا و ضيقوا علينا و حالوا بيننا و بين ديننا، خرجنا إلى بلدك و اخترناك على من سواك و رغبتنا في جوارك، و رجونا أن لا نظلم عندك ٥».

كانت لتلك الكلمات الحقّة الرائعة أثرها الكبير في يقظة الضمير و انقداح الفكر، و تأكد لملك الحبشة و رجاله صدق هؤلاء المؤمنين المسلمين و أن ما يحملون من مبادئ و أفكار لا تختلف عن مبادئ و أفكار السيد المسيح، فامتنع النجاشي من تلبية طلب القرشيين و رجع رسولا- قريش يجزون أذيال الخيبة و الفشل، و انتصر الإسلام و المسلمون في هذه الجولة، و اطمأن المؤمنون في الحبشة ينعمون بالأمن و الحرية حتى عادوا إلى أوطانهم بمحض إرادتهم و برغبتهم كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

و استمر المشركون في أذى المسلمين، و لاقى الرسول (ص) ما لاقى من صنوف العذاب و الاضطهاد، و قد ضرب الرسول العظيم و صحبه الكرام أمثلة عالية في الثبات على المبدأ، و لما وجد المشركون هذا الصمود العظيم و الثبات الكبير، ساورهم شعور بخطورة الأمر و أن محمدا (ص) سوف يقوى جانبه يوما بعد يوم، فاتصلوا بعمه أبي طالب، و طلبوا منه التوسط لدى ابن أخيه، ليكف عن الدعوة إلى الإسلام، و عرض المشركون عليه عروضاً مغرية، و لكن الرسول (ص) وقف بصلابته المؤمن، قائلا:- «و الله لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في شمالي ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله. أو أهلك دونه ٦».

و لما يئست قريش من إغراء محمد (ص) بالمال و السلطان، اتعبت أسلوبا جديدا، أعلنت فيه مقاطعة بني هاشم مقاطعة كاملة، فلا يؤاكلونهم و لا يشاربونهم و لا يبايعونهم، و لا يناكحونهم، و لا يكلمونهم حتى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٣٧

ينبذوا محمدا و المسلمين، و لكي يؤكدوا على أنفسهم قداسته هذا العهد الذي اتخذوه على أنفسهم، وضعوا- الصحيفة- التي كتبوا فيها بنود القطيعة في جوف الكعبة ٧، و قاسى المسلمون في هذه الفترة أذى شديدا، و ضرب أبو طالب عم النبي الكريم (ص) اسمي مثل للوفاء كما كان موقف السيدة خديجة زوج النبي (ص) عظيما و جليلا، و في هذه الفترة توفي أبو طالب و السيدة خديجة ٨، و بذلك يكون الرسول (ص) قد فقد أعظم نصيرين له، و كان لهذه الحادثة أثرها الكبير في نفس الرسول (ص) فقد فقد عمه الحنون و من بذل له الحماية و العون و فقد زوجته الرؤوف و شريكه حياته الوفيّة، من بذلت له الإخلاص و الحب و الوفاء صافيا نقيّا، و كانت الحق أحب نسائه و اولهن اسلاما و اشدهن ايمانا.

و هكذا استمر الاضطهاد الكبير و انصب العذاب الشديد على المسلمين الأولين الذين ثبتوا على معتقدتهم ثبات المؤمنين الصامدين، عندئذ فكر الرسول لدعوته في مناخ آخر غير مناخ مكة و في أناس آخرين غير أهل مكة من المشركين، فتوجه إلى الطائف ٩ يلتمس من قبيلة ثقيف النصرة و يرجو إسلامهم، و لكنهم جابهوه بعنف لم يكن يتوقعه، و بأذى شديد لم يكن يحسبه، فعاد إلى مكة، و من

هنا بدأ الرسول (ص) يفكر في عرض فكرته على القبائل، خاصة تلك التي تفد على مكة في موسم الحج، فاتصل (ص) برهط من بنى كلب و برهط من بنى حنيفه و برهط من بنى عامر ١٠، و لكنهم لم يتجاوبوا مع دعوة الرسول (ص) و لكن الرسول (ص) لم ييأس و استمر في عرض نفسه على الوافدين إلى مكة من القبائل المختلفة.

اللقاءات الأولى مع أهل المدينة

و بدأت تبشير النجاح في حدود سنة ٦٢١ م، فقد قدم مكة، أبو الحيسر أنس بن رافع و معه فتية من بنى الأشهل فيهم إياس بن معاذ، موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٣٨

يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ١١، فسمع بهم رسول الله (ص) فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: - هل لكم في خير مما جئتم له؟ فقالوا له: - و ما ذاك؟ قال: أنا رسول الله، بعثني إلى العباد، أَدْعُوهم إلى أن يعبدوا الله و لا يشركوا به شيئاً، و أنزل علي الكتاب.

و ذكر لهم (ص) الإسلام و تلا عليهم القرآن. فقال بن معاذ، و كان غلاماً حدثاً: أي قوم، هذا و الله خير مما جئتم له. بينما أخذ أبو الحيسر، أنس بن رافع، حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ، و قال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا. فصمت إياس ابن معاذ، و قام الرسول (ص) عنهم و انصرفوا إلى المدينة ١٢. و يبدو أن الإسلام قد دخل قلب إياس بن معاذ، و ذكر ابن هشام في سيرته عن محمود بن لبيد قال: أخبرني من حضره من قومه عند موته: أنهم لم يزالوا يسمعون بهل الله تعالى و يكبره و يحمده و يسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلماً، و أنه قد كان استشعر الإسلام في ذلك اللقاء مع الرسول الكريم (ص) ١٣.

و التقى الرسول (ص) بنفر من الخزرج، قال ابن اسحاق، حدثني عاصم ابن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه. قالوا: لما لقيهم رسول الله (ص) قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال أمن موالى يهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز و جل، و عرض عليهم الإسلام، و تلا عليهم القرآن. فلما كلم الرسول (ص) أولئك النفر، و دعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا و الله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه و قبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، و قالوا إنا قد تركنا قومنا، و لا قوم بينهم من العداوة و الشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسندم عليهم، فدعوههم إلى أمرك و نعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٣٩

فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عن رسول الله (ص) راجعين إلى بلادهم و قد آمنوا و صدقوا ١٤. كان هذا من الانتصارات الرائعة في نشر الفكرة، و كان ذلك اللقاء فاتحة خير في نجاح الدعوة و بث مبادئها السامية بين العرب من أهل يثرب و الحق ليعتبر ذلك اللقاء مفتاح الهجرة العظيمة و باكورة اللقاءات الطيبة ذات النتائج المفيدة للإسلام و للجماعة الإسلامية، فقد أصبح للمسلمين أعوان يؤمنون بالمبادئ الإسلامية في يثرب ينشرون الفكرة بصدق و إخلاص و يعملون على ترسيخ المبادئ النبيلة في نفوس أهلهم و أبناء عشيرتهم، و يعرفون الناس بالدعوة الجديدة، منهم النواة الأولى و الوحدات الأساسية في تلك المدينة التي ستشهد عما قريب أعظم حدث في التاريخ الإسلامي، حادثة الهجرة النبوية و تأسيس الدولة الإسلامية فيها.

بيعة العقبه الأولى

بعد ذلك اللقاء المهم و بعد أن حلّ العام الجديد و جاء موعد الحج أتى الموسم اثنا عشر رجلاً من أهل يثرب، فالتقوا بالرسول محمد (ص) بالعقبه، و هؤلاء الرجال هم: - أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار و عوف و معاذ، ابنا الحارث بن رفاعه بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، و رافع بن مالك ابن العجلان و ذكوان بن عبد قيس و عبادة بن

الصامت ابن قيس بن أصرم، و أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزيمه بن أصرم، و العباس ابن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان، و عقبه بن عامر بن نابی بن زيد ابن حرام، و قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد. و أبو الهيثم بن التيهان، و عويم بن ساعدة ١٥.

و بايع أولئك الرجال الرسول (ص) على أن لا يشرك أحدهم بالله شيئاً ولا يسرق ولا يزني ولا يقتل أولاده ولا يأتي بهتان يفتره بين يديه ورجليه ولا يعصيه في معروف، فإن و في ذلك فله الجنة، و ان غشى من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٤٠

ذلك شيئاً فأمره إلى الله، إن شاء عذب و إن شاء غفر، ١٦ ... و لما انصرف القوم بعث رسول الله (ص) معهم الصحابي الجليل مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصي، و أمره أن يقرئهم القرآن و يعلمهم الإسلام، و يفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة: مصعب و كان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس ١٧.

و أخذت المبادئ الإسلامية في الانتشار بيشرب و اعتنق الكثير من الاوس و الخزرج الدين الإسلامي، و قد أسلم سعد بن معاذ و أسيد بن حضير، و كان لإسلامهما أثر كبير في نشر الدعوة الجديدة، و قصة إسلامهما من طرائف تاريخ الدعوة الإسلامية. قال ابن اسحاق: و حدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقب و عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير، يريد دار بني عبد الأشهل، و دار بني ظفر، و كان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر ١٨.

قال ابن هشام: و اسم ظفر، كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس قالوا: على بئر يقال لها: بئر مرق، فجلسا في الحائط، و اجتمع إليها رجال ممن أسلم، و سعد بن معاذ و أسيد بن حضير، يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، و كلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به، قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا، ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما و انهما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لو لا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت، كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، و لا أجد عليه مقدماً، قال:- فأخذ أسيد بن حضير حربته، ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة، قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه. قال: فوقف عليهما و قال: ما جاء بكما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٤١

إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلنا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، و إن كرهته كفف عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، ثم ركز حربته و جلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، و قرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما: و الله عرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه و تسهله، ثم قال:

ما أحسن هذا الكلام و أجمله، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قال له: تغتسل فتطهر و تطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى. فقام فاغتسل و طهر ثوبيه و تشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجالاً إن أتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، و سأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته و انصرف إلى سعد و قومه و هم جلوس في ناديبهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادى، قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فو الله ما رأيت بهما بأساً، و قد نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحببت، و قد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد ابن زرارة ليقتلوه، و ذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك. فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً، تخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال و الله ما أراك اغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما، فلما رأهما سعد مطمئنين، عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما، ثم قال لأسيد بن زرارة:- يا أبا أمامة، أما و الله لو لا ما بيني و بينك من القرابة، ما رمت هذا منى، أتغشانا في دارينا بما نكره؟ و قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب، جاءك و

اللّه سيّد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٤٢

فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرا و رغبت فيه قبلته، و إن كرهته عزلنا عنك ما تكره. قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة و جلس، فعرض عليه الإسلام، و قرأ عليه القرآن، قالوا: فعرنا و اللّه في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه و تسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم و دخلتم في هذا الدين، قالوا: تغتسل فطهر و تطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى ركعتين، قال: فقام فاغتسل و طهر ثوبيه و تشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامدا إلى نادى قومه و معه أسيد بن حضير ١٩.

و لما رآه قومه مقبلا، قالوا: نحلف باللّه لقد رجع إليك سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا و أفضلنا رأيا و أيمننا نقيية، قال: فإن كلام رجالكم و نساءكم على حرام، حتى تؤمنوا باللّه و برسوله ٢٠. فدخل جميع من فى دار بنى عبد الأشهل من رجال و نساء فى الإسلام، و رجع أسعد و مصعب بن عمير إلى دار أسعد بن زرارة، و أقام عنده يدعو إلى الدين الجديد و انتشر الإسلام بشكل كبير و اعتنقته معظم الاوس و الخزرج.

بيعة العقبة الثانية

كانت بيعة العقبة الأولى فى حدود سنة ٦٢١ م ٢١، و فى الموسم الأخير، خرج من الأنصار ثلاثة و سبعون رجلا و امرأتان، و التقوا بالرسول (ص) بالعقبة، و بايع أولئك القادمون من يثرب الرسول (ص) بيعة عرفت فى التاريخ الإسلامى بيعة العقبة الثانية ٢٢، و قد أبانت بنود البيعة ما تحلى أولئك الرجال من صدق فى العزيمة و رغبة فى تقبل المبادئ الجديدة و اندفاع فى حماية الأهداف النبيلة و الذود عن الرسول الكريم (ص)، و يتجلى ذلك بوضوح فى كلمة الصحابى الجليل البراء بن معرور الذى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٤٣

كان فى مقدمة أهل يثرب فى بيعتهم الرسول عند العقبة، قال البراء يخاطب الرسول محمدا فى ايمان كبير و صدق عظيم: و الذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن و الله أهل الحرب و أهل الحلقة و رثناها كابرنا عن كابر ٢٣. و مدّ القوم أيديهم، و بسط الرسول (ص) يده فبايعوه على أن يحموه كما يحمون أهلهم و على أن يحاربوا الأسود و الأحمر فى سبيله، فلما فرغوا من البيعة قال لهم النبى (ص) أخرجوا لى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم كفلاء. فاختار القوم تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس، فقال الرسول (ص) لهؤلاء النقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم و أنا كفيل على قومى ٢٤.

أثر العلاقات بين المسلمين و أهل يثرب فى مكة

و انتشر خبر هذه البيعة الكبيرة فى مكة بشكل سريع و حسبت مكة لها حسابا كبيرا و راعها أمر تلك العلاقة المتطورة بين الرسول (ص) و أهل يثرب و تحققت من خطورة الأمر و العاقبة الفادحة، فأخذت فى تدبير المؤامرات للتخلص من شخص محمد (ص) و عملت على تشديد الرقابة و العذاب بالمسلمين، و أخذ بعض المسلمين فى الهجرة إلى يثرب خلاصا بدينه و ابتعادا عن ذلك الأذى و الاضطهاد، و ضرب المسلمون أسمى درجات التضحية، فتركوا أهلهم و أراضيهم و مواطن ذكرياتهم إلى بلد آخر فى سبيل الدعوة الإسلامية و ثباتا على العقيدة السامية.

و تفاقم الأمر حدة و صارت قريش تضيق الخناق و تكيل للمسلمين الأذى، و اجتمع زعمائها فى دار الندوة يتشاورون على ضرورة التخلص من محمد بن عبد الله (ص) بأى ثمن و بأية وسيلة، و أخيرا قرروا أن يختاروا من كل قبيلة شابا جلدا و يحملون سيوفهم و

يضربون محمدا ضربة رجل واحد في ليلة معينة و في وقت محدد، و لكن الله عز و جل، نصر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٤٤

نبيه العظيم و أعز الإسلام بفشل المشركين و نجاه النبي الأمين ٢٥ في تلك الليلة طلب النبي (ص) من ابن عمه الامام علي (ع) أن ينام في فراشه ليؤهم قريشا أنه محمد، و طلب من صديقه أبي بكر (رض) أن يصحبه في الخروج إلى يثرب، فخرج الرسول (ص) و أبو بكر (رض) و نام علي بن أبي طالب (ع) في فراش النبي و كانت تضحية عالية و كان فداء كبيرا ٢٦. موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ٣؛ ص ١٤٤

يوم الهجرة

مضى رسول الله (ص) و لما يزل المتآمرون ينتظرون في بابه، و قال قائل لهم ما تنتظرون؟ قالوا: محمدا. قال خبتم و خسرتم، قد و الله مَرَّ بكم و ذرَّ على رؤوسكم التراب، قالوا و الله ما أبصرناه و قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم و هم أبو جهل، و الحكم بن أبي العاص، و عقبه بن أبي معيط، و النضر بن الحارث، و أمية بن خلف، و ابن الغيطلة، و زمعة بن الأسود، و طعيمة بن عدى، و أبو لهب، و أبي بن خلف، و نبيه و منبه ابنا الحجاج، فلما أصبحوا قام على عن الفراش فسألوه عن رسول الله (ص) فقال: لا علم لي به، و صار رسول الله (ص) إلى منزل أبي بكر، فكان فيه إلى الليل، ثم خرج هو و أبو بكر فمضيا إلى غار ثور فدخلاه. و كان الرسول و أبو بكر قد استأجرا عبد الله بن أريقط من بنى الدليل بن بكر و كان مشركا يدلها على الطريق، و لم يعلم بخروج رسول الله (ص) غير أبي بكر و علي و آل أبي بكر و أمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما بمكة نهاره ثم يأتيهما ليلا و أمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يأتيهما بها ليلا و كانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بطعامهما مساء فأقاما في الغار ثلاثا ٢٧. و غار ثور، غار في جبل ثور بأسفل مكة، و كان عبد الله بن أبي بكر إذا غدا من عندهما اتبع أثره بالغنم حتى يعفى أثره، فلما مضت موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٤٥

الثلاث و سكن الناس أتاها دليلهما ببعيريهما فأخذ رسول الله أحدهما بالثمن و ركبه، و قيل هي ناقته اشتراها أبو بكر من نعم بنى قشير بثمانمائة درهم و اشتراها منه رسول الله (ص) لتكون هجرته من مال نفسه، و بقيت الناقة إلى زمن أبي بكر، فماتت و هي مرسله ترعى في البقيع.

و ركب الرسول، و ركب أبو بكر، و سارا و أردف أبو بكر مولاه عامر ابن فهيرة يخدمهما في الطريق فساروا ليلتهم و من الغد إلى الظهر، و رأوا في الطريق صخرة طويلة فسوى أبو بكر عندها مكانا ليقيل فيه الرسول (ص) و ليستظل بظلها، فنام رسول الله (ص) و حرسه أبو بكر حتى رحلوا بعد ما زالت الشمس ٢٨.

إن قريش قام قائمها في مكة و أرسلت العيون إلى كل مكان يتبعون الآثار و يتقصون الأخبار، و جعلت قريش لمن يأتي بالنبي (ص) مائة ناقة ٢٩، فدفع الطمع من المشركين ففتبع أثر الرسول، ذلك المشرك هو سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي، فلحقهم و هم في أرض صلبة فقال أبو بكر: يا رسول الله، أدركنا الطلب فقال (ص): (لا تحزن إن الله معنا) و كبا جواد سراقه بن مالك بن جعشم كبوة عنيفة، و كان قد قبلها كبوتين، فوقع من ظهر جواده يتدحرج في سلاحه، و تطير سراقه و ألقى في روعه أن الآلهة مانعة منه ضالته، و أنه معرض نفسه لخطر داهم إذا هو هم مرة رابعة لإنفاذ محاولته. هنالك وقف و نادى القوم:

أنا سراقه ابن جعشم. أنظروني أكلمكم، فو الله لا أريكم و لا يأتيكم مني شيء تكرهونه. فلما وقفا ينظر انه طلب إلى محمد (ص) أن يكتب له كتابا يكون آية بينه و بينه. و كتب أبو بكر بأمر النبي كتابا على عظم أو خزف القاه إلى سراقه، فأخذه و عاد أدراجه، و أخذ نفسه بتضليل من يطاردون المهاجر العظيم بعد أن كان هو يطارده ٣٠.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٤٦

طريق الهجرة

يبدو أن الفصل الذي كانت فيه هجرة الرسول (ص) كان فصل الصيف، و أن الرسول و صاحبه قطعاً بطون تهامة في قيظ محرق تتلظى له رمال الصحراء، فقد خرج بهما دليلهما عبد الله بن أريقط و سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل من عسفان، و عسفان على بعد ستة و ثلاثين ميلاً من مكة و هي حدّ تهامة، ثم سلك بهما على أسفل أميح و هي بلد من أعراض المدينة، قال الشاعر ٣١:

و لست أنسى مسيرنا ظهرا حين حللنا بالسفح من أميح

ثم استجاز بهما، حتى عارض بهما الطريق، بعد أن أجاز قديداً و قديد هي من أعمال مكة، قال عبيد الله بن قيس الرقيات ٢٣:-

قل لقد تشيع الأضعاناو بما سرّ عيشنا و كفانا

صادرات عشية عن قديداردات مع الضحى عسفانا

ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخزار، و الخزار موضع بالحجاز قرب الجحفة و قيل: أول واد من أودية المدينة، ثم سلك بهما ثنية المرة، و هو موضع ماء، ثم سلك بهما لفتا، و هي ثنية بين مكة و المدينة، قال معقل بن خويلد الهذلي ٣٣:

نزيعا محلبا من آل لفتلحي بين أثلة و النحام

ثم أجاز بهما مدلجة لقف، ثم استبطن بهما مدلجة مجاح ذكر الزبير بن بكار في مجاح؛- ٣٤ من قول محمد بن عروة بن الزبير:

لعن الله بطن لقف مسيلاو مجاحا و ما أحب مجاحا

لقت ناقتي به و بلقف بلدا مجدبا و أرضا شحاحا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٤٧

ثم تبطن بهما مرجح من ذى العضوين، قال قيس بن مكشوح لعمر و ابن معد يكرب ٣٥:

و أعمامى فوارس يوم لحج و مرجح ان شكوت و يوم شام

ثم أجاز بهما إلى ذى كشر، و هو موقع بين مكة و المدينة، ثم أخذ بهما على الجداجد ثم على الأجرد ثم سلك بهما ذا سلم، و سلم واد مشهور في الحجاز، ثم على العبايد، ثم أجاز بهما القاحه، و القاحه مدينة على بعد ثلاث مراحل من المدينة، ثم هبط بهما العرج و هي عقبه بين مكة و المدينة، ثم خرج بهما من العرج فسلك بهما ثنية العائر، و هو جبل بالمدينة، ثم هبط بهما بطن رثم، و هو واد لمزينة قرب المدينة، قال كثير ٣٦:

عرفت الدار قد أقوت برثم إلى لأى فمدفع ذى يدوم

ثم قدم بهما قباء، على بنى عمرو بن عوف، و هي قرية قرب المدينة على بعد ميلين منها على يسار القاصد إلى مكة، و فيها مسجد التقوى.

و كان أهل المدينة ينتظرون بفارغ الصبر قدوم النبي (ص)، قال عبد الرحمن بن عويمر بن ساعده، حدثني رجال من قومي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، قالوا: لما سمعنا بمخرج رسول الله (ص) من مكة توكلنا قدومه (أى استشعرناه و انتظرناه)، كنا نخرج إذا صلينا الصبح، إلى ظاهر حرّتنا ننتظر رسول الله (ص)، فو الله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فإذا لم نجد ظلا دخلنا، و ذلك في أيام حارة.

حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله (ص)، جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظلّ دخلنا بيوتنا، و قدم رسول الله (ص) حين دخلنا البيوت، فكان أول من رآه رجل من اليهود، و قد رأى ما كنا نصنع، و أنا ننتظر قدوم رسول الله (ص)، فصرخ بأعلى صوته: يا بنى قيلة (بنو قيلة هم الأنصار)، هذا جدّكم قد جاء.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٤٨

قال: فخرجنا إلى رسول الله (ص) و هو في ظل نخلة، و معه أبو بكر (رضي) في مثل سنه، و أكثرنا لم يكن رأى رسول الله (ص) قبل ذلك، و ركبته الناس و ما يعرفونه من أبي بكر، حتى زال الظل عن رسول الله (ص)، فقام أبو بكر، فأظله بردائه، فعرفنا عند ذلك ٣٧.

الرسول في قباء

أقام الرسول بقاء مدة خمسة أيام فقد وصلها يوم الاثنين لأثنى عشر من شهر ربيع الأول، و نزل رسول الله (ص) بقاء على كلثوم ابن هدم، أخى بنى عمرو بن عوف، و كان شيخا كبيرا، و هو أول من مات من الأنصار بعد قدوم الرسول (ص) ثم مات بعده أسعد بن زرارة بأيام و كان كلثوم يكنى أبا قيس ٣٨. و قيل أن الرسول نزل على سعد بن خيثمة، و يبدو أن الرسول (ص) كان إذا خرج من بيت كلثوم بن هدم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة، و ذلك أنه كان عزبا لا أهل له، و كان يقال لبيت سعد بن خيثمة أنه بيت الأعراب. و نزل أبو بكر (رضي) على خارجه بن زيد بن أبي زهير بن مالك الأنصاري، و قد شهد خارجه، العقبه و بدرا و قتل يوم أحد شهيدا و دفن هو و سعد بن الربيع في قبر واحد و كان ابن عمه، و كان خارجه ابن زيد من كبار الصحابة، صهرا لأبي بكر (رضي) كانت ابنته تحت أبي بكر، و كان الرسول (ص) قد آخى بين أبي بكر (رضي) و بين خارجه بن زيد حين آخى بين المهاجرين و الأنصار ٣٩.

و من الجدير بالذكر أن الامام على بن أبي طالب (ع) بقى في مكة ثلاث ليال و أيامها، حتى أدى عن الرسول (ص) الودائع التي كانت عنده للناس، و حين فرغ منها، لحق برسول الله (ص) فنزل معه على كلثوم بن هدم، و بقى الإمام على (ع) بقاء ليلة أو ليلتين، و من الطريف أنه كانت بقاء امرأة لا زوج لها، مسلمة. قال الإمام على (ع)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٤٩

فرأيت إنسانا يأتيها من جوف الليل، فيضرب عليها بابها فتخرج إليه، فيعطيه شيئا معه فتأخذه. قال: فاستربت بشأنه، فقلت لها: يا أمه الله، من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة، فتخرجين إليه، فيعطيك شيئا لا أدري ما هو، و أنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟ قالت:

هذا سهل بن حنيف بن واهب، قد عرف أنى امرأة لا أحد لى، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها، ثم جاءنى بها، فقال: احتظبى بهذا، فكان الإمام على (ع) يأثر (يحدث به) ذلك من أمر سهيل بن حنيف حتى هلك عنده بالعراق ٤٠.

بناء مسجد قباء

و بدأ النبي (ص) مع الصحابة الكرام فى تشييد مسجد قباء و المعروف بمسجد التقوى ٤١، قال ياقوت الحموى: لما قدم (ص) نزل بقاء على بنى عمرو بن عوف فأقام فيهم يوم الاثنين و يوم الثلاثاء و يوم الأربعاء و يوم الخميس و أسس مسجده ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة، و ذكر ابن خيثمة أن رسول الله (ص) حين أسسه كان هو أول من وضع حجرا بيده فى قبلته ثم أخذ الناس فى البناء و هذا المسجد هو أول مسجد بنى فى الإسلام و فيه و فى أهله نزلت (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) ٤٢، و هو عن هذا المسجد الذى أسس على التقوى.

توجه الرسول إلى يثرب

خرج الرسول (ص) من قباء متوجها إلى يثرب ٤٣ و أدركت رسول الله (ص) الجمعة فى بنى سالم بن عوف، فصلاها فى المسجد الذى بطن الوادى، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ٤٤، قال ابن عباس: ولد النبي يوم الاثنين و استنبت يوم الاثنين و رفع الحجر

الأسود يوم الاثنين و هاجر يوم الاثنين و قبض يوم الاثنين !!٤٥

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٥٠

كان دخول الرسول يثرب من الأيام المشهودة في التاريخ و أصبح ذلك اليوم من أعز أيام المسلمين تمجيذا، و من شدة اعتزازهم بذلك اليوم الأغر أن جعلوا تاريخهم يبدأ من يوم هجرة نبيهم (ص)، و وقف الناس رجالا و نساء ينتظرون قدوم الرسول، بل خرجوا إلى مسافات بعيدة من ظاهر المدينة ينشدون النغم الجميل معلنين فرحتهم و مظهرين استبشارهم، و سارع كل فرد من أهل يثرب إلى استضافة الرسول (ص) و كلهم يود لو ظفر بهذا الشرف، و قد أتاه عتبان بن مالك، و عباس ابن عباد بن نضلة، في رجال من بني سالم بن عوف، فقالوا: يا رسول الله. أقم عندنا في العدد و العدة و المنعة، قال: خلوا سبيلها، فإنها مأمورة، (يقصد ناقته) فخلوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بياضة، تلقاه زياد بن لبيد، و فروة بن عمرو، في رجال من بني بياضة، فقالوا: يا رسول الله: هلم إلينا، إلى العدد و العدة و المنعة، قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، فخلوا سبيلها. فانطلقت، حتى إذا مرت بدار بني ساعدة، اعترضه سعد بن عباد، و المنذر بن عمرو، في رجال من بني ساعدة، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلينا إلى العدد و العدة و المنعة، قال: خلوا سبيلها، فإنها مأمورة، فخلوا سبيلها، فانطلقت، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج، اعترضه سعد ابن الربيع، و خارجه بن زيد، و عبد الله بن رواحة في رجال من بني الحارث ابن الخزرج، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلينا، إلى العدد و العدة و المنعة، قال: خلوا سبيلها، فإنها مأمورة، فخلوا سبيلها، فانطلقت، حتى إذا مرت بدار بني عدى بن النجار و هم أخواله، اعترضه سليط بن قيس و أبو سليط، أسيرة بن أبي خارجه في رجال من بني عدى ابن النجار، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلى أخوالك، إلى العدد و العدة و المنعة، قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، فخلوا سبيلها، فانطلقت ٤٦.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٥١

و بركت الناقة على موضع لغلामين يتيمين من بني النجار، و هما في حجر معاذ بن عفراء، سهل و سهيل ابني عمرو، فلما بركت، و رسول الله (ص) عليها لم ينزل، و ثبت فسارت غير بعيد، و رسول الله (ص) واضع لها زمامها لا- يثنيها به، ثم التفتت إلى خلفها، فرجعت إلى ميركها أول مرة، فبركت فيه، ثم تحلحلت و زمت و وضعت جرانها- الجران ما يصيب الأرض من صدر الناقة و باطن حلقها- فنزل عنها رسول الله (ص)، فاحتمل أبو أيوب خالد ابن زيد رحله، فوضعه في بيته، و نزل عليه رسول الله (ص) و سأل عن الموضع لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل و سهيل ابني عمرو، و هما يتيمان لي، و سأرضيهما منه، فاتخذة مسجدا ٤٧.

بناء المسجد النبوي

رأى الرسول أن يقيم مسجده على ذلك الموضع، و نزل (ص) على أبي أيوب حتى بنى مسجده و مساكنه، فعمل فيه رسول الله (ص) ليَرغب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون و الأنصار و دأبوا فيه، فقال قائل من المسلمين ٤٨:

لئن قعدنا و النبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

و ارتجز المسلمون و هم يبنون المسجد يقولون ٤٩:-

لا عيش إلّا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار و المهاجرة

و ارتجز الإمام علي بن أبي طالب (ع) و هو يساهم في ذلك العمل الخالد ٥٠:

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيه قائما و قاعدا

و من يرى عن الغبار حائدا قال ابن هشام: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر، عن هذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٥٢

الرجز، فقالوا بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به، فلا يدري أهو قائله أم غيره ٥١.

و كان من الذين يعملون بجد و نشاط و أظهر هممة عالية في تلك الأيام، عمار بن ياسر، فقد ذكر أن عمار بن ياسر دخل بناء المسجد و قد أقتلوه باللبن، فقال: يا رسول الله، قتلوني، يحملون علي ما لا يحملون.

قالت أم سلمة زوج النبي (ص) فرأيت رسول الله (ص) ينفض و فرته بيده، و كان رجلا- جعدا، و هو يقول: ويح ابن سميء، ليسوا بالذين، يقتلونك، إنما تقتلك الفئة الباغية ٥٢.

و بعد أن كمل بناء المسجد و كملت ابنيه مساكن الرسول (ص) انتقل (ص) من بيت أبي أيوب إلى مساكنه، و بناء المسجد النبوي في المدينة يعتبر أول عمل باشره الرسول في تلك المدينة الخالدة، و من الجدير بالذكر أن مسجد النبي كان بسيط البناء و أقيم في نفس المربد الذي بركت فيه ناقته، ثم بنى لعائشة بيتا، يليه شارع المسجد، و جعل بابا في المسجد تجاه باب عائشة يخرج منه إلى الصلاة، و أقام من حول المسجد منازل لأزواجه و كانت كلها في الشق الأيسر إذا قمت إلى الصلاة إلى وجه الإمام في وجه المنبر ٥٣، (و عن الإمام مالك (رضي) إن حجر أزواج النبي (ص) ٥٤ ليست من المسجد و لكن أبوابها شارع في المسجد) و كانت هذه المنازل تسعة بيوت باللبن و لها حجر من جريد مطرور بالطين ٥٥.

و من الطريف أن الغلامين أصحاب المربد، قالوا للرسول (ص):

نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله (ص) حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير و قال معمر عن الزهري، و أمر أبا بكر أن يعطيها ذلك. و كان جدارا مجدرا ليس عليه سقف و قبلته إلى بيت المقدس، و كان أسعد بن زرارة بناه فكان يصلي بأصحابه فيه، و يجتمع بهم في الجمعة قبل مقدم رسول الله. فأمر رسول الله (ص) بالنخل الذي في الحديقة، و بالغرق الذي فيه، أن يقطع، و أمر باللبن فضرب. و كان بالمربد قبور جاهلية،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٥٣

فأمر رسول الله فنبشت، و أمر بالعظام أن تغيب، و كان بالمربد ماء مستنجل فسيره حتى ذهب ٥٦.

و أسسوا المسجد، و جعلوا الأساس قريبا من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة، ثم بنوه باللبن، و جعلت قبلته إلى بيت المقدس و جعل له ثلاثة أبواب، باب في مؤخره، و باب يقال له باب الرحمة، و هو الباب الذي يدعى باب عاتكة، و الباب الثالث الذي يدخل فيه رسول الله، و هو الباب الذي يلي آل عثمان، و جعل طول الجدار بسطة و سقفه جديدا ٥٧.

و أغلب الظن أن المسجد و قتيذاك كان يقتصر على رحبة واسعة تحيط بها جدران من جهاتها الأربعة، و أنه لم يكن له سقف أول الأمر، (لأن الناس شكوا إلى الرسول شدة الحر) ٥٨ فأقام لهم ظل و جعل في المسجد (سوارى من جذوع النخل، ثم طرحت عليها العوارض و الخصف و الادر ٥٩ و يضيف العقيلي: (جعلت قبلته- أي جدار القبلة- من حجارة منضورة بعضها على بعض، و حيطان باللبن، و جعلت عمدته من جذوع النخل) ٦٠.

و كانت طريقة البناء في أول الأمر، أن الجدران بنيت بالسमित، لبنة على لبنة، أي الواحدة بجوار الواحدة، و الواحدة فوق الأخرى، ثم بالسعيدة، لبنة و نصف أخرى، أي اللبنة الواحدة متعارضة مع كل لبنتين ثم كثروا، فقالوا يا رسول الله لو زيد فيه، ففعل، فبنى بالذكر و الأثنى، و هي لبنتان مختلفتان ٦١.

و نلاحظ أن هناك اختلافات في مقدار مساحة المسجد، فذكر البعض إنه كان مائة في مائة ذراع، و أنه كان مربعا، و قال البعض الآخر أنه كان أقل من ذلك، و نرجح أن مساحة المسجد كانت ثلاثة و ستين ذراعا عرضا و سبعين ذراعا طولاً، و قيل كانت بظلته ثلاثة أروقة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٥٤

أي ثلاثة أساكيب ٦٢. و كانت به ست أساطين ثلاثا إلى اليمين المنبر و ثلاثا إلى يساره (٦٣).

و ظلت القبلة متجهه نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ثم حولت نحو الكعبة، و أقيمت ظلّة ثانية عليها، و ظلت الظلّة الأولى مكانا لأهل الصفة، و كان ما بين الظلتين رحبة واسعة ٦٤. و كان سقف المسجد واطئا، و ارتفاع جدرانه سبعة أذرع، أى ثلاثة أمتار و نصف، و قيل فى ذلك (بنى الرسول فى مسجده عريشا كعريش موسى، سبعة أذرع، تمامات و خشبات و ظلّة) ٦٥. و بعد فترة ليست بالطويلة ضاق المسجد بالناس، فجدد سقفه، و زيد فيه، و قد اشترى الرسول (ص) بقعة من أنصارى زيدت فى المسجد ٦٦، و كانت هذه الزيادة فى شقيه بمقدار عشرة أذرع، أو أسطوانة، و فى غريبه بمقدار عشرين ذراعا و فى شماليه بمقدار ثلاثين ذراعا، فأصبح ذرع المسجد قريبا من مربع، طول جدار القبلة فيه تسعون ذراعا و منه إلى جدار المؤخر مائة ذراع ٦٧. و قد أضيفت إلى المسجد النبوى زيادات و إضافات مختلفة فى عصور تاريخية متعددة سوف لا نتطرق إليها لأننا اقتصرنا فى موضوعنا هذا على عهد الرسول (ص) فقط.

أعمال الرسول فى يثرب

و منذ أن وصل الرسول (ص) مدينة يثرب، و هو نائب على العمل فيلمس الناس جميعا تغييرات و تطورات مختلفة، فقد أمر (ص) بإبدال اسم يثرب إلى اسم طيبة، و قد كره الرسول أن تسمى باسمها و سماها طيبة، و يثرب من التثريب و معناه الإفساد أو اللؤم، و هناك رأى أن يثرب كلمة مشتقة من كلمة اثرييس المصرية و سماها بطليموس و ستيفان البيزنطى (يثربا)، كما ظهر اسمها فى بعض النقوش القديمة (إثرب)،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٥٥

و يقال أن يثرب كانت ناحية من المدينة ثم أطلق على المدينة كلها من باب إطلاق البعض على الكل .

المؤاخاة

و ليزيد النبى من الترابط الاجتماعى بين المسلمين فى المدينة من أنصار و مهاجرين فقد عمل (ص) بمبدأ المؤاخاة بين الجماعة الإسلامية، و جعل كل مهاجر أخا لأنصارى، فجعل عمار بن ياسر و حذيفة بن اليمان أخوين، و أبا ذر الغفارى و المنذر بن عمرو أخوين، و ساعدة بن كعب بن الخزرج أخوين، و مصعب بن عمير و أبا أيوب خالد بن زيد أخوين و أبو بكر بن أبى قحافة و خارجه بن زهير أخوين، و عمر بن الخطاب و عتبان ابن مالك أخوين، و طلحة بن عبيد الله و كعب بن مالك أخوين.

و كان الرسول (ص) و على بن أبى طالب (ع) أخوين، و كان حمزة ابن عبد المطلب أسد الله و أسد رسول الله (ص) و زيد بن حارثة أخوين، و كان جعفر بن أبى طالب و معاذ بن جبل أخوين ٦٨.

ذكر ابن سعد فى طبقاته: أن الرسول آخى بين المهاجرين و الأنصار، آخى بينهم على الحق و المؤاساة يتوارثون بعد الممات دون ذوى الأرحام، و كانوا تسعين رجلا، خمسة و أربعين من المهاجرين، و خمسة و أربعين من الأنصار، و يقال كانوا مائة، خمسين من المهاجرين و خمسين من الأنصار، و كان ذلك قبل معركة بدر، فلما كانت وقعة بدر و أنزل الله تعالى (و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم) ٦٩ فنسخت هذه الآية ما كان قبلها، و انقطعت المؤاخاة فى الميراث، و رجع كل إنسان إلى نسبه و ورثه ذوو رحمه. و ذكر أن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٥٦

الرسول (ص) حالف بين المهاجرين و الأنصار فى دار أنس ٧٠.

و كتب الرسول (ص) دستور الجماعة الإسلامية، فقد عمل الرسول (ص) منذ أن وطئت قدمه المدينة على تكوين قوة سياسية تساعده و تساعد جماعته على الوقوف فى وجه أى معارضة سياسية و أدرك الرسول (ص) أن الفكرة الدينية التى يعمل جاهدا على تحقيق

مبادئها هي بحاجة ماسة إلى تنظيم سياسى يخدم الأهداف و العقائد الدينية الإسلامية، و بما أوتى من الذكاء الحاد و القابليات المنطقية، و بلباقه السياسى المجرب نجح (ص) فى تحويل قوته السياسية التى أوجدها فى المدينة إلى اتجاه دينى بل إلى سلطة دينية، و الوثيقة التى بين أيدينا و التى نشرها (ص) بين المسلمين فى المدينة تعتبر الدستور المؤقت الذى رسمه الرسول (ص) للجماعة الإسلامية و الطوائف الأخرى التى تسكن المدينة، حتى يتم التشريع شيئاً فشيئاً، و هى لا- تخرج عن إطار الأهداف و المبادئ الإسلامية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٥٧

الوثيقة

و لأهمية الوثيقة بموضوع هجرة النبى لا بد لنا من الوقوف عندها بعض الشيء و تثبيت نصها التاريخى الفريد التالى:-
بسم الله الرحمن الرحيم.

«هذا كتاب من محمد النبى بين المؤمنين و المسلمين من قريش و يثرب و من تبعهم فلحق بهم و جاهد معهم: إنهم أمه واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم و هم يقدون عانيهم بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، و كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، و كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى و كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو التبت على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٥٨

بين المؤمنين، و ان المؤمنين لا يتركون مفرحاً- المفرح المثل بالدين- بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل.
و أن لا- يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، و أن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، و أن أيديهم عليه جميعاً، و لو كان ولد أحدهم، و لا يقتل مؤمن مؤمناً فى كافر، و لا ينصر كافراً على مؤمن، و أن ذمة الله واحدة، يجبر عليهم أدناهم، و أن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس؛ و أنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر و الأسوة، غير مظلومين و لا- متناصرين عليهم؛ و أن سلم المؤمنين واحدة، لا- يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله، إلا على سواء و عدل بينهم، و أن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً، و أن المؤمنين يبيىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله، و أن المؤمنين المتقين على أحسن هدى و أقومه؛ و أنه لا يجير مشرك مالا لقريش و لا نفساً، و لا يحول دونه على مؤمن؛ و أنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة، فإنه قود به إلا أن يرضى ولّى المقتول، و أن المؤمنين عليه كافة، و لا يحل لهم إلا قيام عليه.

و أنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة، و آمن بالله و اليوم الآخر، أن ينصر محدثاً و لا يؤويه؛ و أنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله و غضبه يوم القيامة، و لا يؤخذ منه صرف و لا عدل. و أنكم مهما اختلفتم فيه من شىء، فإن مردّه إلى الله عز و جل، و إلى محمد (ص).

و أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، و أن يهود بنى عوف مع المؤمنين، لليهود دينهم و للمسلمين دينهم، مواليهم و أنفسهم، إلا من ظلم و أثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، و أهل بيته. و أن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف، و أن ليهود بنى الحارث

مثل ما ليهود بنى عوف- و ذكر يهود بنى ساعدة و يهود بنى جشم و يهود بنى الأوس و يهود بنى ثعلبة- أن لهم ما ليهود بنى عوف،
إلا من ظلم و أثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٥٩

و أهل بيته. و أن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، و أن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف، و أن البر دون الإثم، و أن موالى ثعلبة
كأنفسهم، و أن بطانة يهود كأنفسهم، و أنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد (ص)، و أنه لا ينحجز على ثار جرح، و أنه من فتك
فبنفسه فتك، و أهل بيته، إلا من ظلم، و أن الله على أبر هذا، و إن على اليهود نفقتهم و على المسلمين نفقتهم، و أن بينهم النصر على
من حارب أهل هذه الصحيفة، و أن بينهم النصح و النصيحة، و البر دون الإثم؛ و أنه لم يأثم امرؤ بحليفه، و أن النصر للمظلوم، و أن
اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، و أن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

و إن الجار كالنفس غير مضار و لا آثم، و أنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، و أنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار
يخاف فساد، فإن مردّه إلى الله عز و جل، و إلى محمد (ص)، و أن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة و أبرّه، و إنه لا تجار قریش و
لا من نصرها، و أن بينهم النصر على من دهم يثرب، و إذا دعوا إلى صلح يصلحونه و يلبسونه، فإنهم يصلحونه و يلبسونه، و أنهم إذا
دعوا إلى مثل ذلك، فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب فى الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم، و أن يهود
الأوس موالىهم و أنفسهم، على ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، و أن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب
إلا على نفسه، و أن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة و أبره.

و أنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم. و أن من خرج آمن و من قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم و أثم، و أن الله جار لمن برّ و
أتقى» ٧١.

*** و بعد أن عرضنا نص الوثيقة أو الصحيفة، بإمكاننا تفحص بعض نصوصها و التعليق عليها، فقد أوضحت الوثيقة فى سطورها

الأولى عن تكوين الأمة الإسلامية بقوله (ص): انهم أمة واحدة من دون الناس، و لم يقصر الرسول

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٦٠

(ص) هذه الأمة على النفر الذى كان سابقا إلى الإسلام، بل جعلها عامة من أسلم و آمن و لو بعد حين، شريطة أن يكون مجاهدا ينفرد
فى سبيل الله و إعلاء كلمة الإسلام و الدفاع عن مبادئه؛ و نلاحظ أن التنظيم الإسلامى يختلف عن التنظيم القبلى من حيث أنه قائم
على أساس العقيدة لا على أساس الدم، فهو لذلك يستند على مبادئ روحية أخلاقية، و تمتزج فيه السياسة بالأخلاق، و من الجدير
بالذكر أن هذه الجماعة غير ثابتة أو محدودة بل هى قابلة للتوسع أو التقلص حسب من ينضم إليها من الناس، على أن كافة من فيها
متساوون فى الحقوق و الواجبات.

و اعترف الرسول (ص) بالوحدات القبلية القائمة حينذاك، و أقر لها التماسك و حق الجوار و الدية المشتركة و بعض الواجبات
المالية.

و اعتبر (ص) المهاجرين وحدة قائمة بذاتها و كذلك الأوس و التبت، و القبائل التى هى من مجموعة الخزرج، بنو عوف و بنو
ساعدة و بنو الحارث و بنو جشم و بنو النجار و بنو عمرو بن عوف، و يبدو أن قبائل الخزرج أكثر تأييدا للإسلام من الأوس فى الأيام
الأولى من دخول الرسول (ص) إلى مدينة يثرب.

و أشارت الوثيقة إلى وحدة الأمة، فإن للسلم سلم الأمة الواحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال، فهنا إشارة إلى الوحدة فى كل
شئ فى السلم و الحرب، و أن مسألة السلم و الحرب مركزية يشترك فيها الجميع، و لا يمكن أن يحارب بعض المتعاهدين و يتمتع
الآخرون و تكون الخدمة العسكرية إلزامية و يشترك فيها الجميع، تغزو جنود و تستريح أخرى تعاقبا و لا تستقل به طائفة دون أخرى،
«و أن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا»، و يجب على المسلمين أن يكون بعضهم أولياء بعض يتعاونون فى الحروب و

يتشاطرون السراء والضراء، وأن المؤمنين يبىء بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله. و كل فرد صغيرا كان أم كبيرا أن يجبر و يؤدي كما كان عليه من قبل و يسعى بدمتهم ادناهم و يحترم وعده و تتقيد به الأمة كلها، إن ذمة الله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٦١

واحدة يجبر عليهم ادناهم و أن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس.

و تتجلى في هذا النص روح الأخوة و المساواة التي تسود الكتلة الإسلامية الجديدة، فلا فرق بين كبير و صغير، أو غنى و فقير، بل الجميع أخوة ينظمهم دين واحد، و لكل فرد أن بحير و يحمى، و لا ريب أن هذا تقليد كانت تطبقة القبائل العربية من قبل، و يتجلى فيه مدى احترام الفردية، و إقرار المجتمع لما تقرره، و من شأن هذا النص أن يشجع الكثير من الناس على الانضمام للإسلام، فيتاح للمسلم أن يحمى أنصاره و مؤيديه الذين قد يطلبون ذلك و هذا قد يجلبهم إليه. على أن هذه الإجارة لا تشمل كفار قريش «لا يجبر مشرك مالا لقريش و لا نفسا، و لا يحول دونه على مؤمن». و لا تقتصر هذه الاحكام على المسلمين و أتباعهم، بل تمتد إلى اليهود أيضا فقد نص أنهم يشتركون في صد الهجمات الموجهة إلى المدينة «و أن بينهم النصر على من دهم يثرب» و بذلك حتم عليهم الإشتراك في الحروب الدفاعية تجاه المدينة، و هناك مادة أخرى تنص أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، و أن بينهم النصح و النصيحة و البرّ دون الإثم، و يبدو من النص أن الوثيقة تلزم اليهود بواجب الدفاع عن المدينة و لا- تدعوهم إلى المشاركة مع المسلمين في حروبهم الهجومية، و هذا ما أيده الحوادث التاريخية فلم يخرج اليهود للحرب و لم يلزموا بمعاونة المسلمين في بدر، أو أحد، أو الخندق، و لكنهم كانوا مطالبين بواجب الدفاع عن المدينة- يثرب- ضد أى هجوم يقع عليها.

و جاء في الوثيقة أن الرسول (ص) منع اليهود الخروج من المدينة بغير إذنه و نرجح أن هذا كان من مستلزمات توفير الأمن و الإحاطة بكل النشاطات اليهودية، و يبدو أن الرسول (ص) كان يتوجس منهم خيفة و يتوقع غدرا كما أنه كان يتشكك في إخلاصهم، فحرم عليهم الخروج من المدينة بغير إذنه كي يراقب حركاتهم و يقف على أسرارهم، و كان (ص) لا يمانع في خروج أى يهودى لغرض التجارة أو أى عمل آخر شريطة أن يوضح للنبي (ص)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٦٢

و جهته و غرضه و كم يكفيه من الوقت أى متى يتوقع عودته إلى يثرب و من يصطحب، و بعد أن يعود ذلك الشخص عليه إخبار الرسول (ص) بذلك كما كان الرسول (ص) لا ينفك يتطلع إلى أخبار اليهود و الوقوف على أسرارهم و أهدافهم عن طريق عيون رقيبته كانت تعمل بإخلاص و حذر خدمة للإسلام و حفاظا على المبادئ النبيلة.

و قد نظمت الوثيقة الإلتزامات المالية الناجمة من الحروب التي قد يشترك فيها الفريقان، «ان اليهود ينفقون مع المسلمين ما داموا محاربين» فإذا ضم الجيش معسكرين، معسكر للمسلمين و آخر لليهود، كان على كل معسكر أن يتكفل بنفقاته، فيتاع الأسلحة و يطعم الجند من ماله الخاص، «و أن على اليهود نفقتهم و على المسلمين نفقتهم» و بذلك لا- يظن اليهود بأن نفقتهم واجبة على المسلمين إذا ما اضطروا لقتال عدوهم، أو يظن المسلمون بأن نفقتهم واجبة على اليهود بما خرجوا معهم لقتال عدوهم، و في ذلك يقول أبو عبيد: فهذه النفقة في الحرب خاصة، شرط عليهم المعاونة له على عدوه، و إنما كان يسهم لليهود إذا غزوا مع المسلمين بهذا الشرط الذي شرط عليهم من النفقة. و لو لا هذا لم يكن لهم في غنائم المسلمين سهم، و إنما كان هذا الكتاب قبل أن يظهر الإسلام و يقوى، و قبل أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب ٧٢.

و قد أعتبرت مدينة يثرب حرما لأهل هذه الصحيفة. «و أن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة» و معنى هذا التقرير بالسلم داخل يثرب و منع الحرب في داخلها، و هذا النص يعطينا فكرة عن أحد أسباب نشوء الحرم، على أن مثل هذا الحرم قائم لأسباب سياسية، و لم تحدد حدود الحرم بالضبط و هو محدود التنفيذ على أهل الصحيفة، و هم أهل المدينة فحسب، فلا يشمل غيرهم من الناس، و الواقع أن المسلمين كانوا حتى آنذاك محدودين بهذه المنطقة، فمنطقتهم أصبحت حرما، لا يجوز لهم الاعتداء على أحد فيها، و

هكذا أبطلت الحروب الداخلية رسمياً، ولكن لم يبين ما حكم أهل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٦٣

الصحيفة؟ وما هو حكمهم إذا لم يعترفوا بهذا الحرم، وأنهم إذا أرادوا غزو المدينة فلهؤلاء أن يدافعوا عن أنفسهم، ولم تعين النصوص حدود هذا الحرم ولا نطاقه.

ونلاحظ في الوثيقة بنوداً متعددة تخص العدالة، وتنظيم القضاء، وإدارته، حتى يمكن اعتبار تنظيم العدالة إحدى الغايتين الرئيسيتين اللتين استهدفتهما الوثيقة، وقد ركزت السلطة القضائية بيد النبي، سواء في الخلافات بين المسلمين، أو اليهود، «و أنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله». ففي هذه المادة أوجد السلطة القضائية مركزية تكون مرجع الجميع، وهي نقطة مهمة كانت تفتقر إليها المدينة، وكان من المتوقع أن يكون لها تأثير في استتباب الأمن والنظام. وهذا ونلاحظ أن الوثيقة لم تنص أن لهذه السلطة القضائية قوة تنفيذية تلزم الناس على طاعة قراراتها، ولكن مما لا شك فيه أن المسلمين كانوا جميعاً يخضعون لقرارات النبي وينفذونها تلقائياً، وأن مخالفة الرسول تعنى مخالفة النصوص القرآنية، قال تعالى: «وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ».*

ومما لا شك فيه أن الرسول محمداً (ص) أعطى لليهود حق ممارسة قوانينهم الشخصية، أما في أمور الحرب والسلام فقد كان القضاء بيد الرسول (ص) وهو يحكم به. وأعطى لليهود حرية دينية تشملهم وتشمل مواليتهم، وحصر مسؤولية الاجرام فيمن قام بالحرم وفي أهل بيته ولا تمتد إلى عشيرته، «وان يهود بنى عوف أمه مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليتهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته» وكرر ذلك لليهود بنى النجار و ليهود بنى الحارث و ليهود بنى ساعدة و ليهود بنى جشم و ليهود بنى الأوس و ليهود بنى ثعلبة، بأن لهم ما ليهود بنى عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته. ويقصد الرسول (ص) بالظلم، ما قد يقوم به اليهود من محاولات لايجاد الفتن و صد الناس عن الدخول في الإسلام، وغير ذلك من الأمور التي تسبب صدعا لصفوف المسلمين و ضررا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٦٤

في تقدم الدعوة الإسلامية، وقوله (ص) للظالم منهم إن ظلمه لن يكون إلا ظلماً لنفسه، إنما هو تهديد لهم، وإظهار لقوة المسلمين و شدة بأسهم، وتحذير لهم مما قد تسوّله لهم أنفسهم أو تزينه لهم شياطينهم، ومن الجدير بالذكر أن الرسول (ص) كرر هذا المعنى في الوثيقة أكثر من مرة، وكأنه كان يحس أن لن يتم بين اليهود والمسلمين وفاق، وأن اليهود سيتزعجون إلى العداوة والشقاق و الدس والكيد والنفاق، وأنهم سينقضون العهد والميثاق، فأراد أن يلتمس العذر أمام الله والناس والضمير إن هو نكل بهم بعد ظلمهم وخروجهم على العهد الذي بينه وبينهم فقد أنذرهم كثيراً وقد أعذر من أنذر، ولا شك أن هذا الإنذار والتهديد إنما أراد به الرسول (ص) أن تستقر الحال في المدينة فلا يكون هناك نزاع داخلي بين المسلمين واليهود، وهو الأمر الذي تستغله قريش ويؤدي إلى عرقلة جهود النبي (ص) في نشر الفكرة الإسلامية خارج مدينة يثرب، ولم يلبث الرسول. أن أعقب الترهيب ترغيباً و الشدة ليناً، فأمر أن لا يقوم المسلمون ضد اليهود إلا إذا عادوا للإسلام.

لقد أقرت الوثيقة مبدأ المساواة بين المسلمين أمام العدالة فالأحكام تسرى عليهم جميعاً، لا تمييز بين أحد، وهم يد واحدة على كل من بغى أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثماً أو عدواناً أو فساداً بين المسلمين المؤمنين، و يجتهدون في عقابه، ولا يجوز لأحد أن يوالى المجرم، أو يدافع عنه أو يسعى في تخليصه، ولو كان المجرم ولده، و من ارتكب جريمة قتل عمد، فعليه القصاص والقتل، ولكن يجوز لولى المقتول أن لا يصرّ على القصاص و يطلب الفصل أى قبول الدية (التعويض)، و على المؤمنين أن يؤيدوه ضد القاتل «من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول بالعقل، و أن المؤمنين عليه كافة و لا يحل لهم إلا قيام عليه»، على أنه لا يجوز قتل المؤمن في كافر «و لا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر».

و يتبين لنا من هذه النصوص التأكيد الزائد على الروح الإجتماعية و على وجوب اشتراك المسلمين جميعا و مساهمتهم فى صيانة الأمن و معاقبة العتدى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٦٥

و عدم حمايته، و هكذا تتبع السلطة التنفيذية من مجتمع المؤمنين و حدهم و لا يساهم بها غيرهم، فهم كتلة واحدة و السلطة التنفيذية منهم و ليست مفروضة عليهم، و يلاحظ أن هذه النصوص الجنائية أقرب إلى روح المفاهيم البدوية التى كانت سائدة و هى محدودة جدا، و ليست هناك نصوص تتعلق بالقوانين المدنية و التجارية، و لعل هذا يرجع إلى أن النص اهتم فى الوثيقة بالأمور التى تخص الصالح العام و بها ترتبط الأمور الجنائية، أما الأحوال الشخصية فكانت أقل أهمية فى ذلك الدور.

و قد أكدت الوثيقة أن المسلمين كتلة واحدة تتعاون فى تنفيذ البنود المتعلقة بالجنايات و هم يد واحدة على من بغى، و ليس لأحدهم أن ينصر محدثا حتى و لو كان ولد أحدهم، و على كل واحد منهم نصر المؤمنين و دعمهم، فالمؤمنون بعضهم موالى بعض دون الناس، ينبغى عليهم مساعدة الضعيف منهم و الفقير و عدم تركه «و أن المؤمنين لا يتركون مفرحا أن يعطوه بالمعروف و القسط بين المؤمنين» فهم بذلك متكاتفون بعضهم موالى بعض دون الناس، و المفرح هو المثقل بالدين الكثير و العيال، فإن كان من أهل الأسير، أعانه المؤمنون حتى يشارك فى الفداء، و إذا كان من عاقلة المرء الذى جنى خطأ، عقلوا عنه حتى لا يزداد دينه بعجزه عن أداء حصته من الديه أو الفداء و حتى لا يعجز عن نفقات عياله إذا شارك فيها بما كان يدخر للانفاق عليهم، و المسلمون إذ يعطون المفرح فى فداء أو عقل، أو فى غير الفداء و العقل، إنما يحققون مبدأ التعاون الإجتماعى الذى تعتر به الإنسانية. و يحاربون الرق و الموت فى آن واحد، فقد كان العربى فى الجاهلية إذا عجز عن وفاء دينه فى الموعد المحدد زاد دينه و نما و أصبح كالعبد الخادم للدائن لا يكلفه أمرا إلا فعله، و كان صاحب العيال يقتل أولاده مخافة الفقر و الفاقة، فيقبر فلذات أكباده فى غير اكتراث أو مبالاة، و قد حارب الإسلام ذلك كله، فبدأ بمقدماته. فهدمها و بأسبابه فقطعها، عندما أمر الرسول (ص) أصحابه المؤمنين بأن يعطوا المفرح و يعينوه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٦٦

و أكد الرسول (ص) فى الوثيقة مراعاة حق الجار «و أن الجار كالنفس غير مضار و لا آثم». و نلاحظ أن النص جاء بكلمة الجار دون تحديد، و من المرجح أن الرسول (ص) أراد أن تشمل كلمة الجار إلى جانب المؤمن:

اليهودى، و النصرانى، و لا شك أن جار المرء هو أقرب الناس إليه بعد عائلته و أهله، و أن دعوة الإسلام إلى رعاية الجار و الإهتمام به و حمايته أثر كبير فى بناء الكيان الإجتماعى و مظهر من مظاهر التعاون الذى رسم أبعاده الرسول محمد (ص).

و نصت الوثيقة: «أنه لا تجار قريش و لا من نصرها» و من الجدير بالذكر أن عادة الجوار من العادات الأصيلة عند العرب قبل الإسلام و كان يتغنى بها أشرف القوم و يتمجدون و يفخرون، و الرسول محمد (ص) و هو على جانب كبير من الفطنة و الذكاء، و هو الخبير العبقرى رأى أنه إن أبقي هذه العادة قائمة، لتؤدى إلى نتائج سيئة بالنسبة لمسيرة المسلمين و الدعوة الإسلامية، فلو أن قريشا اشتد فى إيذائه و اضطهاده و قتله المسلمين، ثم استجار برجل من أهل المدينة لما استطاع المسلمون أن يتخلصوا منه و لا من عدوانه لهم، فلا عجب إذن إذا أمرهم أن لا- يجيروا قريشا أو نصيرا لقريش، و نلاحظ أن الرسول (ص) لم يحدد هنا المجير، حتى تشمل الكلمة المؤمن و اليهودى و المشرك، فقد كان يخشى (ص) أن يلجأ القرشيون إلى أقاربهم و معارفهم من المهاجرين فيتذكر هؤلاء جوار الجاهلية و تكون النتيجة غير التى يريدتها الرسول.

هذا و قد احترم المسلمون المؤمنون الوثيقة التى نشرها الرسول (ص) و كانت لها نتائج كبيرة فى حياة المدينة- يثرب- و لكن اليهود لم يكونوا أوفياء لها، و قد انقلبوا و كان انقلابهم و بالا- عليهم، أدى إلى إجلائهم من المدينة التى أصبحت تستقل بالمؤمنين المجاهدين.

و على هذا فإن بانتقال الرسول (ص) إلى يثرب بدأت حالة جديدة في تلك المدينة، إذ أصبحت مركز الدعوة الإسلامية و نقطة الإنطلاق الإسلامي،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٦٧

و تغير اسمها و أصبحت تسمى مدينة الرسول و تسمى اليوم المدينة، و ذكر ياقوت الحموي تسعة و عشرين اسما لها، منها المدينة، و طيبة، و المحببة، و المحبوبة، و يثرب، و الناجية، و المباركة، و العاصمة، و الشافية. و ان الرسول (ص) بقى بها الى ان انتقل الى الرفيق الاعلى و اتخذ المسلمون السنة التي هاجر فيها الرسول من مكة إلى المدينة مبدأ للتاريخ عندهم، نسبة إلى هذا الحادث العظيم، و أصبح في المدينة ثلاثة أصناف من السكان:

١- المهاجرون، و هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، قبل و بعد هجرة الرسول (ص).

ب- الأنصار، و هم سكان المدينة- يثرب- الذين اعتنقوا الدين الإسلامي و هم من قبيلتي الأوس و الخزرج، و زعيم الأوس هو أسيد بن حضير و زعيم الخزرج سعد بن عباد.

ج- اليهود و أشهر قبائلهم بنو قينقاع، و بنو النضير، و بنو قريظة.

و أصبح الرسول (ص) هو رأس الجماعة الإسلامية في المدينة و قائدها و مرشدها؛ و لما فرغ الرسول من بناء المسجد، فكر في أن يدعو للصلاة ببوق كالبوق الذي يدعو به اليهود لصلاتهم، لكنه كره البوق فأمر بالناقوس، فصنع ليضرب به للصلاة كما تفعل النصارى، على أنه بعد مدة عدل عن الناقوس أيضا إلى الأذان الذي يؤذن به المسلمون من مآذنه في أوقات صلواتهم.

و اتحد المسلمون و قويت كلمتهم، و انفسح المجال أمام محمد (ص) لنشر تعاليم الاسلام و بناء الكيان الإجتماعي القائم على الأخاء الإنساني، و تهذيب النفوس و تربيتها تربية طيبة تخلق المواطنين الصالحين الذين سيفنون كالطود الشامخ أمام كل التحديات و سيعملون جاهدين من أجل إعلاء كلمة الله و إعلاء كلمة الإسلام إذا ما قاموا حقا بالتعاليم الإسلامية و طبقوا مبادئها عليهم و على الآخرين من المسلمين و غير المسلمين تنفيذاً لهذه الوثيقة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٦٨

المراجع المشار إليها بالأرقام

(١)- ابن هشام: السيرة ج ١ ص ٣٢١.

(٢)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥٢.

(٣)- ابن هشام: السيرة ج ٢ ص ٣٥٩.

(٤)- المرجع السابق ج ٢ ص ٣٣٣.

(٥)- ابن الأثير: الكامل ج ٢ ص ٥٢.

(٦)- ابن هشام: ج ١ ص ٢٦٥.

(٧)- ابن سعد: الطبقات ج ١ ص ١٩٢.

(٨)- ابن هشام: ج ١ ص ٤١٦.

(٩)- ابن الأثير: ج ٢ ص ٦٣.

(١٠)- ابن هشام: ج ١ ص ٤٢٢-٤٢٤.

(١١)- المرجع السابق ج ١ ص ٤٢٨.

(١٢)- ابن الأثير: ج ٢ ص ٦٦.

- (١٣)- ابن هشام: ج ١ ص ٤٢٨.
- (١٤)- ابن هشام: ج ١ ص ٤٣١.
- (١٥) المرجع السابق ص ٤٣١.
- (١٦)- المرجع السابق ص ٤٣١.
- (١٧)- ابن سعد: ج ١ ص ٢٠٤.
- (١٨)- ابن هشام: ج ١ ص ٤٣٥.
- (١٩)- المرجع السابق ج ١ ص ٤٣٧.
- (٢٠)- المرجع السابق ج ١ ص ٤٣٧.
- (٢١)- كانت الهجرة النبوية سنة ٦٢٢ م و العقبه الاولى قبل ذلك بنحو السنه.
- (٢٢)- ابن الأثير: ج ٢ ص ٧٠.
- (٢٣)- ابن هشام: ج ١ ص ٤٤٢.
- (٢٤)- ابن سعد: ج ١ ص ٢٠٧.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٦٩
- (٢٥)- ابن هشام: ج ١ ص ٤٨٠.
- ابن سعد: ج ١ ص ٢١٢.
- (٢٦)- ابن الأثير: ج ٢ ص ٧٢.
- (٢٧)- ابن هشام: ج ١ ص ٤٨٦.
- ابن الأثير: ج ٢ ص ٧٣.
- (٢٨)- ابن الأثير: ج ٢ ص ٧٤.
- (٢٩) ابن هشام: ج ١ ص ٤٨٦.
- (٣٠)- هيكل: حياة محمد: ص ٢١٠.
- (٣١)- ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٣٥٧.
- (٣٢)- ياقوت معجم البلدان ج ٤ ص ٤٢.
- (٣٣)- المرجع السابق ج ٤ ص ٣٦١.
- (٣٤)- المرجع السابق ج ٤ ص ٤١٦.
- (٣٥)- المرجع السابق ج ٤ ص ٤٩٠.
- (٣٦)- المرجع السابق ج ٤ ص ٨٨٩.
- (٣٧)- ابن هشام: ج ١ ص ٤٩٢.
- (٣٨)- ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة ح ٣ ص ٢٨٨.
- ابن عبد البر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب ح ٣ ص ٢٩٦ هامش الإصابة.
- (٣٩) ابن هشام: ج ١ ص ٥٠٤.
- (٤٠)- ابن حجر: الاصابة ح ٢ ص ٨٦.
- ابن هشام: ج ١ ص ٤٩٤.

- (٤١)- ابن الأثير: ج ٢ ص ٧٧.
- ابن هشام: ج ١ ص ٤٩٤.
- (٤٢)- آية / ١٠ سورة التوبة.
- (٤٣)- ابن سعد / الطبقات ج ١ ص ٢٣٣.
- (٤٤)- ابن هشام: ج ١ ص ٤٩٤.
- (٤٥)- ابن الأثير: ج ٢ ص ٧٦.
- (٤٦)- ابن هشام: ج ١ ص ٤٩٥.
- ابن الأثير: ج ٢ ص ٧٦.
- (٤٧)- ابن سعد: ج ٢ ص ٤.
- ابن الأثير: ج ٢ ص ٧٦.
- (٤٧)- ابن سعد: ج ٢ ص ٤.
- ابن الأثير: ج ٢ ص ٧٧.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٧٠
- (٤٨)- ابن هشام: ج ١ ص ٤٩٦.
- (٤٩)- ابن سعد: ج ٢ ص ٤.
- ابن هشام: ج ١ ص ٤٩٦.
- (٥٠)- ابن هشام: ج ١ ص ٤٩٧.
- (٥١)- المرجع السابق ج ١ ص ٤٩٧.
- (٥٢)- ابن سعد: ج ٢ ص ٦.
- ابن هشام: ج ١ ص ٤٩٧.
- (٥٣)- ابن سعد: ج ٢ ص ١٩ / ٥.
- (٥٤)- ابن النجار: الدرّة الثمينّة / مخطوط ورقة ٢٣.
- (٥٥)- السمهودي: وفاء الوفي / ج ١ ص ٣٦٦.
- (٥٦)- ابن سعد: ج ٢ ص ٤.
- (٥٧)- ابن سعد: ج ٢ ص ٥.
- (٥٨)- السمهودي: ج ١ ص ٢٣٩.
- (٥٩)- المرجع السابق: ط ١ ص ٢٣٩.
- (٦٠)- العمري / مسالك الامصار ج ١ ص ١٢٥.
- (٦١)- السمهودي / ج ١ ص ٢٣٩.
- (٦٢)- ابراهيم رفعت / مرآة الحرمين ح ١ ص ٤٦١.
- (٦٣)- السمهودي / ج ١ ص ٢٤٨.
- (٦٤)- ابن النجار: الدرّة الثمينّة / ورقة ٢١.
- (٦٥)- السمهودي / ح ١ ص ٢٤١.

(٦٦) - ابن النجار: الدرّة الثمينة/ ورقة ٢١.

(٦٧) - السمهودي/ ج ١ ص ٢٤٢.

(٦٨) - ابن هشام: ج ١ ص ٥٥.

(٦٩) - آية ٧٥ سورة الانفال.

(٧٠) - ابن سعد/ ح ٢ ص ٣.

(٧١) - ابن هشام: ١١ ص ٥٠١-٥٠٤.

(٧٢) - ابو عبيد/ الأموال ص ٢٠٦.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٧١

المدينة المنورة في المراجع الغربية

كتبه و ترجمه من مختلف المصادر الغربية جعفر الخياط الحائز على درجة استاذ علوم M.S.C. من جامعة كليفورنيا و مدير التعليم

الثانوى و المفتش الاختصاصى فى وزارة التربية العراقية و مدير التعليم المهنى العام سابقا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٧٣

مدينة الرسول فى المراجع الغربية

إشارة

تعد مدينة الرسول، أو المدينة المنورة، ثانى البلاد المقدسة فى الاسلام أو ثانى الحرمين الشريفين اللذين تتجه إليهما أنظار المسلمين فى مشارق الأرض و مغاربها، و تقصدهما الآلاف المؤلفه منهم فى كل عام لحج البيت فى أولهما و التبرك بقبر الرسول الأعظم القائم فى ثانيهما. و لا غرو فإن تاريخ هذه المدينة المقدسة لتجسد فيه آمال المسلمين و أمانيتهم، و ترتبط بصفحاته ذكرياتهم فى مختلف العصور و الأدوار. كيف لا، و قد نشأ الإسلام فيها و ترعرع و عاش فى ربوعها رجاله و أعلامه و قبرت أجداث الكثيرين منهم فى تربتها الزكية.

و من أجل هذا عنى بها علماء الغرب و مستشرقوه بقدر ما عنى بها المسلمون، و انجذب إليها سياحه و مغامروه، فى مختلف العصور، ليقفوا على سر العظمة التى اتصف بها الإسلام، و يهتدوا إلى المجهول الذى يحتل عقولهم فيضربوا أخماسا بأسداس عنه و يلفقوا أنواع التلفيقات فى كثير من الأحيان.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٧٤

و لذلك كتبت كتب كثيرة، و ألفت مؤلفات عدة، عن المدينة وحدها أو عنها مقرونة بمكة المكرمة.

الاسم و الموقع

و من أحسن ما كتب عن المدينة فى الانكليزية البحث الذى عقده الأستاذ إيف بوهل فى دائرة المعارف الإسلامية المختصرة و الموسعة. فهو يقول ان المدينة المنورة بلدة من بلدان الجزيرة العربية، أقام فيها النبى محمد (ص) بعد الهجرة، و أصبحت عاصمة الأمبراطورية العربية فى أيام الخلفاء الأوائل.

و كان اسم هذه البلدة الحقيقى «يثرب» أو «ياثربيا» على ما يذكره بطليموس و ستيفان بيزانتينوس، أو «أيثرب» كما ورد فى ما اكتشف من الكتابات لمعينية التى يشير إليها م. هارتمان الألمانى .

لكن كلمة المدينة من جهة أخرى كلمة و صفة مشتقة من الأرامية التي تعنى فيها كلمة «مدينتا» حرفيا «المنطقة القضائية». وقد وردت في الآيات المكية من القرآن الكريم اسما بصفة الجمع «المدائن»، بينما وردت المدينة في السور المدنية إسم علم يطلق على البلدة التي أقام فيها النبي الكريم. أما الإسم القديم يثرب فلا يرد ذكره في القرآن إلّا مرة واحدة قط و يبدو من هذه النقاط أن التفسير الإعتيادي لإسم المدينة- مدينة الرسول- هو اسم أطلق عليها بصورة متأخرة. و من المعتقد أن الإسم المستعار من الأرامية قد أصبح اسما إعتياديا جديدا للبلدة بسبب وجود عنصر يهودى قوى في يثرب.

و ما أشبه هذا بكلمة «هجر» العربية الجنوبية التي كانت تطلق على عاصمة البحرين يومذاك. على أننا نجد من جهة أخرى أن قيس بن الحظيم أحد شعراء المدينة يستعمل كلمة يثرب بالكلية، بينما يستعمل الشاعران حسان بن ثابت و كعب بن مالك الاسمين معا كما هو الحال فيما ورد في بعض أقوال لنبي محمد.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٧٥

و في حاشية مستفيضة للرحالة البريطاني المعروف السير ريتشارد بورتون، وردت في إحدى صفحات رحلته إلى المدينة و مكة، أقوال كثيرة أخرى عن اسم المدينة. فهو يذكر أن هناك حديثا نبويا يفهم منه أن المدينة لها عشرة أسماء، غير أن الكتب المتيسرة تعد حوالى مئة اسم، و سوف نكتفى بإيراد البعض منها هنا. فمن أسمائها طبة، و طيبة و متطية، و هذه تشير إلى طيب موقع المدينة و مناخها، و إلى عبير القبر المطهر و الورد الأحمر الذى كان حسكا قبل أن يسقى بعرق جبين النبي عليه السلام، و إلى خلوها من المدنسات مثل وجود الكفار أو عبدة الأصنام. و قد أعلن محمد (ص) أن الله سبحانه و تعالى أمره بتغيير اسمها من يثرب أو أثرب إلى طبة. و كان اسمها- يثرب- إسما لابن من أبناء نوح، على قول بعض المراجع، لكن مراجع أخرى تطلق هذا الإسم فى الأصل على مكان يقع فى غرب جبل أحد و ليس على المدينة نفسها و يجمع ب «أثريب» أى البقاع التى يكثر فيها الماء و النخيل، و هذا دليل على أنها لم تكن تعود إلى شخص واحد بالكلية. و كيفما كان الأمر فإن الدلالة المشؤومة التى تدل عليها «يثرب» المشتقة من «ثراب» فى الأصل (و معناها الخراب) و استعمال العرب الوثنيين لها قد اجتمعا معا على جعل الإسم «الغلبة» مهملا و صار المسلم المتدين حذرا فى التأكد من تسميتها «المدينة». أما الاسم «برة» و «بارة» فيشير إلى خضوعها و طهارتها، كما يشير الإسم «حسونة» إلى جمالها، و «خيرة» إلى طيبها وجودتها، و محبة و حبيبة و محبوبة إلى حظوتها عند النبي، بينما يدل إسم جابرة، و جبارة، و جبرة، على تأثيرها الحسن فى مصائر المؤمنين و تأثيراتهم السيئة على الكفار. و تسمى الشافية لتأثيرات الأرض الشافية الموجودة فى جوارها، و ناصرة، و عاصمة، لأن محمدا و أصحابه كانوا بها فى مأمن من غضب أعدائهم، و فاضحة، لأنها فضحت موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص:

١٧٦

الكفار و المنافقين. و تسمى كذلك المسلمة و المؤمنة و المباركة و المحبورة و المحروسة و المحفوظة إشارة إلى ما يزعم من أن ملكا من الملائكة يجلس فى كل شارع من شوارعها الرئيسة العشرة ليحرسها و يمنع «الدجال» من الدخول إليها فالمعروف فى الأساطير أن الدجال سيظهر فى الشرق ذات يوم فيسيح فى الأرض، لكنه سوف يتعذر عليه الدخول إلى مكة، و حينما يصل إلى المدينة ينحرف عنها و يتجه إلى مهلكه فى دمشق. و تسمى المدينة فى التوراة «المقدسة» أو «المرحومة» تلميحا إلى رسالة محمد (ص). و قد تسمى كذلك المرزوقه دلالة على خيراتها، و المسكينة لأنها مستقلة عن خزائن الذهب و الفضة، و المقر، و المكيئة، و الحرم، و أخيرا البلد، و المدينة.

أما ألقابها فمنها أرض الله، و أرض الهجرة، و أكالة البلدان، و أكالة القرى، نظرا لتفوقها عليها برغم الاسم الذى يطلق على مكة، و هو «أم القرى»، و بيت رسول الله، و جزيرة العرب، و حرم رسول الله. و تلقب فى الكتب و المراسلات أحيانا ب «المشرفة»، و يكثر تلقيبها بالمنورة بنور الإيمان و عمود النور الذى يعتقد بأنه يخرج من الضريح المقدس.

و تقع المدينة على ما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية فى سهل من سهول الحجاز ينحدر إلى الشمال انحدارا خفيفا جدا، فيحده من

الشمال و الشمال الغربي جبلاً أحداً، و غير، على بعد يقارب أربعة أميال من المدينة، و أنفان جليان يخرجان من السلسلة التي تكوّن الحدود ما بين مرتفعات الجزيرة العربية و السواحل الواطئة التي تسمى تهامة. و يحد السهل من الجهتين الشرقية و الغربية الحرات التي هي عبارة عن بقع كبيرة قاحلة مغطاة بحجر البازلت الأسود، لكن الحرات الشرقية تقع على مسافة أبعد من البلدة فتترك بينها و بين المدينة مجالاً لا امتداد يقع خصبة من الأرض بحيث تكوّن حدود السهل الشرقية في الحقيقة سلسلة من الجبال السوداء الواطئة. و يمتد السهل من الجنوب إلى أبعد مما يدركه البصر.

و تتميز هذه الجهة بوفرة المياه و فرة غير معتادة في الجزيرة العربية. فأن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٧٧

جميع المياه تأتي من الجنوب، أو من منطقة الحرات، فتتجه في جريانها إلى الشمال حيث تتجمع في زغابة فتتحرف و تجري نحو الساحل في وادي العظم. و لا- تمتلئ هذه المجارى بالماء في العادة إلا بعد أن تهطل الأمطار في تلك المنطقة، لكنها تغذى طبقة المياه الجوفية بحيث يكثر عدد الينابيع و العيون فيها. و تتكون بعد هطول الأمطار الغزيرة بحيرة واسعة الأرجاء في فضاء المناخة المجاور للبلدة، و قد تكتسح سيول الماء بعض جهات البلدة فتغرقها و تهدد بعض الأبنية الكائنة في القسم الجنوبي منها. و مما يذكر في التاريخ أن طوفانا من هذا القبيل حصل في أيام الخليفة عثمان فهدد البلدة بحيث أمر الخليفة بإنشاء سدة خاصة لحمايتها (البلادري).

و حدث أشد من هذا الطغيان كذلك في سنتي ٦٦٠ و ٧٣٤ للهجرة حينما تصدع الحاجز البركاني الكبير بضغط الماء عليه.

و يكون الماء في بعض الجهات كثير الملوحة بحيث لا يستساغ، و لذلك حاول عدد من الحكام المتعاقبين على المدينة مد قنوات خاصة لجرّ مياه صالحة للشرب من آبار عذبة المياه تقع في مكان أبعد من جهة الجنوب؛ و لمجارى المياه و وديانها هذه أسماء مختلفة، فهناك في الجهة الغربية العقيق و وادي بطحان و روننا، و في الجهة الشرقية وادي القناة و مهزور و المذانيب.

أما التربة فهي رملية مالحة، و طينية مزيجية ذات طبيعة كلسية، و تكون خصبة جدا في كل مكان و لا سيما من جهة الجنوب. و لذلك تجود فيها زراعة النخيل إلى آخر حد، كما تجود زراعة البرتقال و الليمون و الرمان و الموز و الخوخ و المشمش و التين و الأعناب. هذا و يكون شتاء المدينة باردا مرطبا، كما يكون صيفها حارا لكنه نادرا ما يكون حارا مرطبا.

و يقول الرحالة الحديثون ان الهواء في المدينة عليل لطيف، لكنه غير صحي تماما، و كثيرا ما تتناهب الحميات بشكل و بائي فيقع فريسة لها القادمون الجدد على الأخص كما حصل للمهاجرين من أتباع النبي محمد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٧٨

(ص). و يقول الأستاذ بوهل ان الأمويين كانوا يسمونها «القدر» مقابلة «للأسم المشرف الذي أطلقه عليها الرسول الأعظم و هو «الطيبة».

و يقارن وضع المدينة الذي حبه أياها الطبيعة مقارنة واضحة بوضع مكة المكرمة و موقعها الكائن في واد صحري «غير ذى زرع». فلم تكن المدينة منذ البداية بلدة كاملة بالمعنى الصحيح، بل كانت مجموعة من البيوت و الأكواخ محاطة بالبساتين و الحقول المزروعة، حيث كان ينصرف سكانها إلى الزراعة. و لذلك كان البدو يسمونها «النبط» على سبيل الاحتقار، على أن هذه المنازل المتناثرة أخذت تتصل بالتدريج و ترتبط حتى تكون منها شيء يشبه البلدة، على أن هذا كان يقع في شمال المدينة التي تكونت فيما بعد لأن اسم يثرب على ما يقول السهمودي كان يقرب على الأخص بمكان يقع في غرب قبر الحمزة، حيث نزل بنو الحارثة في أول الأمر. و لم تكن البلدة التي نشأت بهذه الطريقة محوطة بسور لكن خطوط دفاعها كانت بساتين النخيل المكتظة و الجنائن المحيطة بالبيوت. و لما كانت هذه البساتين أقل اكتظاظا و كثافة من الجهتين الشمالية و الغربية فقد كانت هاتان الجهتان أشد تعرضا للهجمات المعادية.

كما كانت القلاع الصغيرة (أطم جمعها آطام) التي تبنى بأعداد غير يسيرة تقوم مقام السور، فقد كان بوسع السكان أن يتراجعوا إليها

فى أوقات الضيق و الشدة.

التاريخ القديم

و جاء فى البحث الذى تعقده دائرة المعارف الإسلامىة أيضا أنه لم يكن يوجد فى العهود المتأخرة أخبار يعتمد عليها عن أصل المدينة المنورة و تاريخها القديم. و قد حاول المؤرخون سد هذه الثغرة من عندهم فجعلوا، كما فعلوا بالنسبة لأماكن أخرى، جرهم و العمالقة يلعبون دورا فيها.

و لذلك لا نستطيع الاطمئنان إلى ما يروى من هذا التاريخ إلا ما يختص

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٧٩

منه بالفترة البادئة بقدم اليهود إلى المدينة، لكن المؤرخين لا يعرفون شيئا عن الزمن الذى جاءوا فيه إليها بالضبط بحيث يجعلون لذلك علاقة بموسى فى بعض الأحيان، أو بسبى نبوخذ نصر لليهود فى أحيان أخرى، أو باستيلاء اليونان و الرومان على فلسطين فى بعض الأحيان. فقد كان اليهود، على ما يشير اليه التلمود فى عدة مناسبات، موجودين فى جزيرة العرب خلال القرون الميلايدية الأولى، و يقصد بذلك شمالى الجزيرة العربىة بالتأكيد. و يتضح وجودهم بكثرة فيها من وجود الجاليات اليهودية فى تيماء و حجر و وادى القرى و فدك و مقنا التى كانت جالية المدينة اليهودية على اتصال بها. و قد كانوا فى كل واحدة من هذه الواحات ينصرفون إلى فلاحه الأرض و يتفرغون لها، و من المحتمل أن تكون واحدة من هذه الواحات قد تطورت إلى بلدة بواسطتهم. و يستدل على ذلك من اسم المدينة الآرامى نفسه، و هو يثرب. كما يستدل من بعض الأبيات التى نظمها الشاعر حسان بن ثابت على أنهم أنشأوا عددا من الحصون الصغيرة فى هذه البلدة. لكننا يمكن أن نستلخص من كونهم لم يكونوا أول من فعل ذلك أن سكان المدينة الأقدمين لم يكونوا بدوا خلصا. (و يذكر لامانس فيما كتبه عن الطائف أن هذه الحصون كانت تبني على غرار حصون اليمن).

و قد لعبت قبيلة بنى قينقاع اليهودية دورا بارزا فى الهجرة، و سمي فى دور متأخر أحد الأسواق المهمة فى القسم الغربى من المدينة باسمها.

لكن قبيلتى بنى قريظة و بنى النضير أصبحتا بعد ذلك أهم القبائل اليهودية فى المدينة بالتدريج. و كان بنو قريظة يسكنون مع بهدل على وادى مهزور، كما كان بنو النضير ينزلون على وادى بطحان. و يقول كاتب البحث انه بينما تذكر الأغاني فى الجزء التاسع عشر أن بنى قريظة و بنى النضير موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٨٠

يعدون من اليهود الخالص، يقول اليعقوبى انهم لم يكونوا يهودا أفحاحا و انما كانوا قبيلتين عربيتين متهودتين تنتميان إلى بنى جذام، و يؤكد على ذلك المؤرخ الألمانى نولدكه فيشهد بصحة الرواية. ثم يعلق كاتب البحث على هذا بقوله انه فى الوقت الذى قد يثبت فيه تأريخيا أن عددا غير يسير من العرب قد تهودوا يومذاك، فان هناك مع ذلك أسبابا قوية للاعتقاد بأن العنصر اليهودى فى المدينة لم ينشأ على هذه الشاكلة. فمن الأهمية بمكان أن بنى قريظة و بنى النضير كثيرا ما كان يطلق عليهم «الكاهنانية»، الأمر الذى يدل على أن اليهود كانوا على علم بسلسله نسبهم و أنهم كانوا يؤكدون على أصلهم. و يلاحظ الشىء نفسه من أن السيدة صفية التى تزوجها النبى، و هى من بنى النضير، كانت تعرف بكونها من سلالة هارون. لكن القول الفصل فى هذا الشأن لما جاء فى سور القرآن المدينة التى يخاطب بها يهود المدينة أنفسهم. فأنها تسميهم «بنى إسرائيل»، و تذكرهم بأن الله قد فضلهم على الناس. و تحشرهم مع بنى إسرائيل القدماء كما لو كانوا قد أسهموا فى الهجرة من مصر.

و قد أنزل الله الكتاب على موسى ليهدىهم إلى السبيل السوى، لكنهم خرجوا على القواعد التى وضعها ليسيروا على منوالها فى ميثاقهم معهم.

و تدل هذه الإشارات بأوضح ما يمكن على أن النبى (ص) كان يعتبرهم متحررين من أصلاب بنى إسرائيل القدماء. و على هذا فلا بد

من أنه كان هناك، علاوة على العرب المتهودين، أناس من اليهود الأفحاح، و من الواضح في الحقيقة أنه لو لم يوجد من هؤلاء لما كان من الممكن أن يتهود أحد من العرب. وقد أشار فيلهاوزن بالإضافة إلى ذلك إشارة بارعة إلى أن اليهود الذين وجدوا بين العرب بلغتهم، و معرفتهم بالتوراة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٨١

و بطراز حياتهم، و ولعهم بالسخرية الماكرة، و الفنون السريّة و السحر و التعذيب، و بتخوفهم من الموت، يعطون انطباعا لا يمكن أن يفسر بكونهم كانوا عربا متهودين. لكننا يجب أن لا ننسى من جهة أخرى أن اليهود في جزيرة العرب كانوا قد تأثروا كثيرا بمحيطهم، فكوّنوا شخصية خاصة بهم. فإننا نجد مثلا أنهم كانوا منقسمين إلى قبائل و أسر و متخلفين بالأخلاق الناجمة عن مثل هذا الوضع الذي يعد من الخصائص العربية. و لا نستطيع أن نرجع بأسماء هذه القبائل إلى أصول يهودية قديمة، و إنما هي أسماء عربية خالصة في مظهرها، كما هي الحال كذلك في أسماء الافراد التي نادرا ما توجد بينها أسماء يهودية مثل سموأل و سارة. و يلاحظ استعراب اليهود على الأخص في قصائد الشعر المنسوبة إلى اليهود، و أكثرها كان من الممكن أن يكون من نظم البدو العرب .

الأوس و الخزرج

و بينما كان اليهود هم العنصر البارز في أماكن مثل خيبر و فدك و ما أشبهه، فقد تغير وضعهم في المدينة بهجرة القبائل إليها التي يغزوها العرب إلى تصدع سد مأرب، و ما أدى إليه من هجرة القبائل العربية التي كانت تقطن القسم الجنوبي من الجزيرة العربية. فبهذه الطريقة جاءت قبائل قبيلة، على ما كانت تسمى يومذاك، أو قبائل الأوس و الخزرج إلى المدينة. و ليست هناك تفصيلات مدونة عن كيفية مجيء هذه القبائل، لكنه يفهم من بعض ما يكتبه ابن خرداذبه و ياقوت أنهم ظلوا مدة طويلة من الزمن خاضعين لليهود و تابعين لهم، و أن هذا القسم من جزيرة العرب الشمالية كان في ذلك الوقت خاضعا للحكم الفارسي. على أن عرب قبيلة تمكنوا بعد ذلك من خلع النير اليهودي عنهم و إخضاع اليهود إلى موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٨٢

حكمهم. و تقول الروايات أن هذا تم حينما حاول ملك قوى من ملوك اليهود يدعى فيتون أن يمارس حقه الأقطاعي المزعوم في اغتصاب إحدى البنات البواكر، فقتله رجل من الخزرج يسمى مالك بن العجلان، انقاذا لشرف أخته. أما ما أعقب ذلك فهناك روايتان مختلفتان، تنص إحدهما على أن ابن العجلان التجأ بعد صنيعه هذا إلى ملك من ملوك الغساسنة يدعى أبا جبيلة طالبا معونته، بينما تنص الثانية على أنه التجأ في ذلك إلى تبع من تبابعة الجزيرة الجنوبية يدعى أسعد أبا كرب.

و قد استولى أسياذ يثرب الجدد على الحصون التي كان يشغلها اليهود، و شيّدوا عددا آخر منها. و تعلموا كذلك فنون النبط منهم فأخذوا يغرسون النخيل و يتخذون الفلاحة مهنة لهم. و لما كان الخزارجة، الذين كان بنو النجار (أوتيم اللات) أبرز أسرة فيهم، أقوى القبائل يومذاك، فقد اضطلعوا بالقيادة و نزلوا في القسم الأوسط من البلدة حيث توجد المدينة الحديثة في يومنا هذا. و سكنت إلى الغرب و الجنوب منهم قبائل الخزرج الأخرى، بينما كانت تمتد منطقة بني الحارث من جهة الشرق.

أما الأوس، الذين كانوا يتألفون من عدة أسر أيضا، فقد استقروا في جنوب أخوانهم و شقيقهم. كما نزل النبيت في الجهة الشمالية الشرقية بحيث كان يفصلهم عن أقاربهم بنو الحارث. على أن القبيلتين الرئيسيتين من قبائل اليهود، و هما بنو قريظة و بنو النضير، حافظتا على مقدار معين من الاستقلال و احتفظ أفرادها بأراضيهم في ظل الأوس، بينما احتفظ بنو قينقاع بأراضيهم في الجهة الجنوبية الغربية مع أن صنعتهم الرئيسة كانت صياغة الذهب. و كان في المدينة عدا قبائل قبيلة المهاجرة و اليهود عدد من القبائل الأخرى التي كان قسم منها موجودا في يثرب حينما جاءت قبيلة إليها. و كانت هذه القبائل على اتصال وثيق باليهود، حتى تهود قسم منهم. و قد أدى استقرار الأمور على هذه الحالة إلى تمتع يثرب بفترة طويلة من السلم الذي أخذ يتعكر صفوه بالتدرج بتزايد الخصومة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٨٣

التي نشبت ما بين قبيلتي قبيلة الكبيرتين، أي بين الأوس و الخزرج. فقد تخاضت الأسر على انفراد في بادئ الأمر و تقاتل أفرادها فيما بينهم، لكن الخصومة اشتد أوارها بالتدريج و امتد لهيبتها بحيث صار يهدد وجود البلدة بأسرها. غير أن الاختلاف أمكن حله بالتحكيم، لكن الهدوء ما استقام طويلا حتى تجدد الاحتكاك بين الطرفين فأدى إلى استئناف النزاع و القتال الذي كان سبب القسم الأشد منه انتقام خاطب في هذه المرة.

و يشير إلى هذا قيس بن الخطيم في أشعاره، و هو من أسرة أوسية تنتمي إلى بني النبيت. على أن القتال تطور في جميع الأحوال في غير صالح الأوسيين، و طرد بنو النبيت في الأخير من ممتلكاتهم. فطلب الأوس و هم في محتهم هذه مساعدة القبيلتين اليهوديتين الرئيسيتين، فرفض اليهود التدخل بادئ ذي بدء غير أن الخزرج عمدوا إلى ذبح البعض من رهائن اليهود فأدى ذلك إلى إقدام اليهود على التحالف مع الأوس و أعلنوا استعدادهم للمساعدة. فأعقب هذا وقوع معارك طاحنة اشتركت فيها القبيلتان العظيمتان بكل قواهما، و سائر سكان يثرب، و حتى البدو المحيطون بالمدينة. غير أن موقعة بعث التي استعد لها الفريقان خلال مدة طويلة من الزمن كانت هي الحاسمة في النهاية. و قد بدا بادئ ذي بدء كما لو كان الأوس سيغلبون أيضا، لكن الآية انقلبت في الأخير فأصيب الخزرج بانتكاسة شديدة. و مما يجدر ذكره هنا أن عبد الله بن أبي الخزرجي أبدى في هذه المناسبة نفس التردد الذي أبداه بعد ذلك عندما أقدم على معارضة محمد (ص). فقد نزل إلى ميدان الحرب مع الآخرين لكنه لم يشترك فيها، و هرب فعلا يوم العرارة. هذا و قد استعادت موقعة بعث التوازن بين القبيلتين الرئيسيتين، لكن القتال المستمر كان قد استنزف قوى البلدة بأجمعها و جعلت الروح العدائية التي كانت تفصح عن نفسها بين حين و آخر حياة الناس شيئا لا يطاق يوما بعد يوم، و عند ذاك حدث انقلاب خطير بين سكان المدينة، الذين كانت بهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٨٤

حاجة إلى زعيم كبير يمسك زمام الأمور بيد من حديد، حينما قبض لهم أن يتصلوا بالنبي محمد الذي لم يكن قد أصاب يومذاك إلا نجاحا يسيرا في اجتذاب المكيين إلى اعتناق تعاليمه الدينية.

ديانة أهل المدينة قبل الإسلام

و كانت قبائل قبيلة حينما هاجرت إلى يثرب تدين بعبادة الأوثان، شأنها في ذلك شأن الأكثرية الساحقة من العرب و كانت الآلهة الكبرى التي يعبدونها «مناة» التي سميت أوس الله باسمها منذ البداية، لكنهم كانوا يوقرون اللات كذلك من الآلهة الأخرى. و يقول بوهل في دائرة المعارف هذه، خلال إلحاحه الممل في البحث على تأثير اليهود في المدينة و الإسلام، إن هذه القبائل كانت خلال معيشتها إلى جنب اليهود قد تأثرت بمعتقداتهم الدينية و تعاليمهم الأخلاقية. لكننا و يا للأسف لا نعلم إلا النزر اليسير عن وجهة نظرهم الروحية قبل قدوم النبي الأعظم إلى المدينة فإن قيسا شاعرهم يشير بطريقة بدوية في الدرجة الأولى إلى المشاهدات التي كانت تحصل بين القبائل و الأسر فقط، و نادرا ما كان يتعرض بشيء إلى الشؤون الدينية. و هو يتطرق بين حين و آخر إلى ذكر الآلهة المحلية لكنه يشير إلى الله الذي كان يسميه الخالق، و يعد هذا نفسه دليلا كافيا على وجود التأثير اليهودي أو المسيحي (كذا). و إلى جانب هذا كله كانت هناك فئة من الناس قد ذهبت في مفاهيمها إلى أبعد من ذلك خلال احتكاكها باليهود أو المسيحيين، حتى صار أفرادها يعرفون بالأحناف لأنهم كانوا يعترضون بجزم على عبادة الأوثان المعتادة، و يميلون إلى الزهد و التمسك. فقد كان أبو الهيثم و أسعد بن زرارة مثلا يقرّون بالتوحيد قبل أن يتعرفوا بالنبي محمد (ص). و من نتائج العيش مع اليهود (كذا) في المدينة، على رأى بوهل، أن فن الكتابة كان يعرف تمام المعرفة فيها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٨٥

و قد أصبح تأثير اليهود الروحي على سكان المدينة العرب عاملا مهما في علاقاتهم بالنبي محمد (ص)، لأنه جعلهم يتقبلون تعاليمه

الدينية بسهولة حينما تعرفوا عليها خلال ترددهم على مكة، وبالطرق والوسائل الأخرى.

المدينة في عهد النبي الأعظم

و بعد أن تتطرق دائرة المعارف الإسلامية إلى تعرف النبي الأمين على نفر من أهل المدينة و اعتناقهم لمبادئه الدينية، و عقده و أياهم معاهدة لحمايته، كما يرد في كتب التاريخ المعروفة، تذكر هجرة المسلمين السريه إلى المدينة، و هجرة النبي (ص) من بعدهم بالكيفية التي تذكرها الكتب التاريخية كلها كذلك.

و تقول دائرة المعارف هذه علاوة على ذلك (عند بحثها عن النبي) إن هجرته إلى المدينة قد اتخذها المسلمون بحق بداية لتاريخهم الهجري المعروف، لأنها تعتبر المرحلة الأولى لحركة خطيرة جدا تمكنت في مدة و جيزة من الزمن أن تصيح ذات أهمية كبرى في تاريخ العالم. ثم تذكر أن الحسابات الاعتيادية تجعل وصول النبي إلى قبا في ضواحي المدينة في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول الواقع في السنة الأولى للهجرة بطبيعة الحال، أي في يوم ٢٤ أيلول سنة ٦٢٢ للميلاد. و بعد أيام قلائل انتقل إلى موطنه الجديد، فألقت المهمة الجسيمة التي كانت تنتظره عبئها الأكبر على قابلياته التنظيمية و الدبلوماسية.

و قد جعل النبي صلوات الله و سلامه عليه إقامته الأولى في دار أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري الخزرجي حتى استطاع تهيأة منزل خاص به. و ليس هناك شيء مطلقا يدل بوضوح على مواهبه، المبنية على عقيدته برسالته النبوية المقدسة، في قيادة الرجال و إقناعهم بالرضوخ لإرادته، مثل نجاحه خلال مدة قصيرة جدا في تهدئة الأمور في المدينة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٨٦

و فرض نوع من النظام فيها، بعد أن كادت تمزقها الأحقاد و الضغائن.

و في توحيد خليط متنافر من السكان يتألف من سكان يثرب العرب القدماء، و قبائل قليلة التي أصبحت مهيمنة فيها، و المهاجرين الجدد من مكة، و اليهود أو العرب المتهودين. و يقول بوهل إننا نستطيع أن نتبين ما فعله النبي (ص) في هذا الشأن من «الكتاب الذي كتبه الرسول بين المهاجرين و الأنصار لموادعة اليهود» المثبت في سيرة ابن هشام، و كان أول بيان يصدره في المدينة. و نرى من الأفضل هنا أن نورد نص الكتاب نفسه بدلا من تلخيص ما تذكره عنه دائرة المعارف الإسلامية:

قال ابن اسحق: و كتب رسول الله (ص) كتابا بين المهاجرين و الأنصار وادع فيه اليهود و عاهدتهم، و أقرهم على دينهم و أموالهم، و اشترط عليهم و شرط لهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من النبي محمد (ص) بين المؤمنين و المسلمين من قريش و يثرب و من تبعهم فلحق بهم و جاهد معهم، انهم أمه واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربتهم يتعاقلون بينهم، و هم يفدون عانيهم بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو عوف على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، و كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو ساعدة على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى و كل طائفة منها تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو الحارث على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى و كل طائفة منها تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو جشم على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٨٧

و كل طائفة منها تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو النجار على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى و كل طائفة منها تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو عمرو بن عوف على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى و كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو النبيت على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى و كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و بنو الأوس على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى و كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و أن

المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو أثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن، وأن ذمة الله واحدة: يجير عليهم أديانهم وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس، وأنه من تبعنا من يهود فأن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وأن سلم المؤمنين واحدة: لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء و عدل بينهم، وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا، وأن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش، ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول، وأن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وأنه من نصره وآواه فإن عليه لعنة الله و غضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله عز وجل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٨٨

و إلى محمد (ص)، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يهود بنى عوف أمه مع المؤمنين لليهود دينهم و للمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من أظلم و أثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه و أهل بيته، وأن ليهود بنى النجار ما ليهود بنى عوف، و أن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف، و أن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف، و ان ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف، و أن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف، و أن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف، إلا من أظلم و أثم فإنه لا يوتغ إلا- نفسه و أهل بيته، و أن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، و أن لبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف، و أن البرّ دون الأثم و أن موالى ثعلبة كأنفسهم، و أن بطانة يهود كأنفسهم، و انه لا يخرج منهم أحد إلا بأذن محمد (ص)، و أنه لا ينحجز على ثار جرح، و أنه من فتك فبنفسه فتك و أهل بيته إلا من ظلم، و أن الله على أبر هذا، و أن على اليهود نفقتهم و على المسلمين نفقتهم و أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، و أن بينهم النصح و النصيحة و البرّ دون الأثم، و أنه لم يأثم امرؤ بحليفه، و أن النصر للمظلوم، و أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، و أن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، و أن الجار كالنفس مضا و لا آثم، و أنه لا تجار حرمة إلا بأذن أهلها، و أنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مردّه إلى الله عز و جل و محمد (ص)، و أن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة و أبرّه، و أنه لا تجار قريش و لا من نصرها، و أن بينهم النصر على من دهم يثرب، و إذا دعوا إلى صلح يصلحون و يلبسونه، و أنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين: على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم، و أن يهود الأوس مواليهم و أنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٨٩

و أن البرّ دون الأثم: لا- يكسب كاسب إلا على نفسه، و أن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة و أبرّه، و أنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، و أنه من خرج آمن، و من قعد آمن بالمدينة، إلا- من ظلم و أثم، و أن الله جار لمن برّ و اتقى، و محمد (ص) انتهى .

لكن شروط هذا العهد سرعان ما أهملت، على ما يقول بوهل، نظرا لتطور الحوادث السريع في المدينة، و من الطبيعي أن ذلك لم يكن مخالفا لما كان يريد النبي الذي ذهبت خططه إلى أبعد مما نص عليه في الكتاب. و السبب الرئيسي في فقدان الكتاب المذكور لأهميته هو خبث اليهود بالشروط الموضوعه و تحركهم للعمل ضده و الهزء بما جاء به. فقد أخذوا يحاولون إثارة الضغائن القديمة بين الأوس و الخزرج و يدسون عليه في كل فرصة أو مناسبة.

على أن النبي ردّ على ذلك بالعمل المتواصل في توحيد أتباعه ليستطيعوا الوقوف ضد خصومه الأصليين في مكة. و يتطرق بحث دائرة المعارف الإسلامية بعد ذلك إلى موقعة بدر و أحد و الخندق، و يقول كاتبه عند ذكر موقعة الخندق ان ابن جبير شاهد في القرن الثاني عشر بقايا الخندق المذكور في المدينة، و ان قريشا هم الذين كانوا السبب في انتصار المسلمين فيها لأنهم أبدوا كثيرا من الخور و الجهل بأصول الحرب. ثم يعقب على ذلك بقوله ان مركز النبي قوى كثيرا بعد هذه الموقعة في المدينة، حتى تسمى له أن يقضى على خصومه في الداخل من اليهود و المنافقين. و قد استطاع أن يكيل الصاع صاعين لليهود، و يعاملهم بشدة و قسوة في مختلف المراحل. فقد أخرج بنى القينقاع من المدينة بعد انتصاره المدوّى في وقعة بدر، و أخرج بنى النضير منها بعد غزوة أحد التي لم يكن النصر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٩٠

حليفه فيها. أما بنو قريظة فقد ذبحوا ذبحا لا رحمة فيه برغم توسط الأوس لهم. و بهذه الطريقة نجح النبي عليه السلام في التخلص من الخطر الذي كان يتهدهده من ناحية اليهود، لأن الذين بقوا منهم في المدينة لم يعد لهم شأن يذكر فيها. و لقد أصبحت الحرب في حكم المنتهية مع قريش عندما عقد النبي معهم صلح الحديبية في سنة ٦ للهجرة، لأن عبقرية الدبلوماسية استطاعت أن ترغم قريشا بها على الاعتراف بالمدينة و اعتبارها قوة تضاهي مكة في أهميتها. لكن الانتهاء الرسمي لكفاحه عليه السلام مع قريش قد حصل عندما تم له فتح مكة من دون إراقة دماء في العام الثامن للهجرة. على أن هذا النصر على عظمتها، و على ما كان فيه من ظفر و موقية للنبي، قد سبب حدوث توتر جديد كتب له أن يكون شيئا مؤذيا للإسلام بعد وفاة النبي. و هنا يتطرق كاتب البحث إلى الاختلاف بين المهاجرين و الأنصار، و الدور الذي كان يلعبه عبد الله بن أبي فيه، و إلى قضية بناء مسجد ضرار و هدمه، و غير ذلك.

هذا و قد برّ النبي عليه السلام بوعد لأصحابه حينما عاهدهم على البقاء في المدينة حتى النهاية، و عدم الانتقال إلى مكة بعد فتحها، فبقى فيها حتى توفي في ٨ حزيران سنة ٦٣٢ للميلاد و دفن فيها. و يقول الدكتور بوهل ان الخليفين أبا بكر و عمر قد دفنا، كما دفن النبي، في بيت عائشة، بينما جرى بحثة عثمان محموله «على خشبة» في ظلمة الليل إلى المقبرة خلال عاصفة من التنديد و الرمي بالحجارة. و لم يفكر أحد خلال هذه المدة بتقوية خطوط دفاع العاصمة الإسلامية العتيبة، حتى و لا في أيام الردة التي أعقبت وفاة النبي. و كان الخليفة الثالث قد أمر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٩١

بهدم الحصون التي كانت موجودة في المدينة، لكن آثارها بقيت شاخصة للعيان حتى أواخر القرن العاشر.

المدينة بعد مقتل عثمان

و مما جاء في دائرة المعارف الإسلامية عن هذا العهد أن خلافة الإمام على في المدينة قد أحدثت فيها تبديلا تاما. فحينما نشبت الحرب الأهلية بينه و بين خصومه، و وقعت المواقع الحربية الحاسمة في الأقاليم أدرك الإمام على عليه السلام أن الامبراطورية الواسعة لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تدار من زاوية بعيدة من زوايا العالم التي تقع فيها المدينة. و بينما كان الخلفاء الأوائل يبقون في العاصمة و يسوقون جيوش الفتح منها إلى مختلف الأنحاء، قاد الإمام على جيوشه بنفسه و غادر المدينة في سنة ٣٦-٦٥٦ و لم يعد إليها منذ تلك السنة. فقد اتخذ الكوفة عاصمة له، و بقيت كذلك حتى حلت دمشق في محلها حينما تولى معاوية.

فأصبحت المدينة، كما أصبحت مكة من قبلها، مدينة أقلية ثنوية غير متأثرة بمجرى الأحوال في العالم الخارجي. و يمكن الوقوف على رأى المتعبدين القدامى من الصحابة في هذا التبدل الجوهرى من الحديث الذي دار بين الإمام على و بين عدد من وجوه الأنصار

الذين ذهبوا ليقنعوه بالعدول عن مغادرة المدينة. فقد قال له عقبه بن عامر و كان بدريا «يا أمير المؤمنين إن الذى يفوتك من الصلوة فى مسجد رسول الله (ص) و السعى بين قبره و منبره أعظم مما ترجو من العراق، فإن كنت إنما تسير لحرب أهل الشام فقد أقام عمر فينا و كفاه سعد زحف القادسية، و أبو موسى زحف الأهواز، و ليس من هؤلاء رجل إلا و مثله معك و الرجال أشباه و الأيام دول» فقال على «ان الأموال و الرجال، بالعراق و لأهل الشام و ثبة أحب أن أكون قريبا منها».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٩٢

المدينة فى عهد الأمويين و العباسيين

و لا شك أن المدينة بكل ما فيها من ذكريات دينية عزيزة على المسلمين، و بالجهد الطاهر المقبور فى تربتها، لا يمكن أن تصبح مدينة مهمة على الإطلاق. و إنما كان الأمر بالعكس، فقد أخذت قدسيته تزداد فى أعين المسلمين كلما عظمت شخصيته النبى الأعظم فى نظرهم لكن حياة البلدة نفسها ظلت تبعد شيئا فشيئا عن العالم الحقيقى الذى كانت تتكشف فيه حوادث التاريخ الفعلى. و صار يقصدها الراغبون فى البقاء بمعزل عن فوران الوقائع السياسية، مثل ما فعل الحسن بن على (ع) بعد تنازله عن حقه فى الخلافة. و قصدها الحسين كذلك من الكوفة، لكنه غادرها من جديد ليحاول محاولته اليائسة فى الحصول على حقوقه المهضومة. لكن المهم أن أحدا من أنصار المدينة لم يخرج معه إلى الكوفة. و حينما استشهد بذلك الشكل المؤلم المؤسف جىء بنسائه و ابنه إلى المدينة، حيث عاشوا بهدوء و سلام من دون أن يسهموا فى القتال. و قد أقام محمد بن الحنفية كذلك فى المدينة. على أن أقرباء النبى و أتباعه المخلصين لم يكونوا وحدهم هم الذين يفضلون العيش فى مدينته المقدسة، و إنما فعل ذلك أيضا البعض من الأمويين، أعدائه السابقين، الذين كانت تجذبهم المدينة إليها بهدوئها الشامل و حياتها الرخية و بهذه الطريقة أصبحت المدينة موطناً لطبقة جديدة من السكان تتألف من إناس يريدون التمتع بالثروة العظيمة التى جاءت إليهم بها حروب الفتح المختلفة من دون إزعاج. و قد صارت الحياة فيها على جانب أكبر من الترف و الرخاء بالتدريج حتى غدت فى الأخير، و هى المدينة المقدسة، رديئة السمعة بحيث أن مروان الثانى آخر الخلفاء الأمويين سأل أحد المشتركين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٩٣

فى ثورة قامت فيها سنة ١٢٧-٧٤٥ كيف أن خمور المدينة و جواريتها لم تقعه عن الالتحاق بها. و يعقب كاتب البحث هذا بعد ذلك بقوله ان مثل هذه القصص عن المدينة تذكرنا بالوصف الذى أورده الرحالة دوطى فى رحلته إلى المدينة (سنة ١٨٧٨) عن سكان المدينة فى أيامه.

فهو يقول «ان المقامرة و أنواع اللعب و إدمان شرب العرق و تعاطى المخدرات، كانت توجد فيها كلها».

و كانت هناك طبقة أخرى من الناس تفضل السكنى فى المدينة و الاعتزال فيها، و هى طبقة الناس الذين لا يقيمون وزناً للأغراض و المباحج الدنيوية.

و كان هؤلاء يكرسون حياتهم للعيش بين أطلال الماضى المقدس للمدينة، و جمع الأحاديث النبوية لدراستها و تمحيصها، علاوة على تفسيرها و توضيح ما ترمى إليه، و مقدار مطابقتها للسنة و الأجماع فى المدينة.

و أبرز شخصية من بين هذه الطبقة مالك بن أنس (المتوفى سنة ١٧٩-٧٩٥) صاحب الموطأ، الذى كان و هو مؤسس المذهب المالكي يجمع الكثيرين من تلاميذه حوله و يفقههم فى أمور الدين. و قد كتب ابن زباله أحد تلامذته أول كتاب فى تاريخ المدينة (١٩٩-٨١٤) لكنه لم يصل إلينا.

و قد كانت المدينة يحكمها فى هذه الفترة حكام يعينهم الخليفة من دمشق أو بغداد. على أنها لم تكن فى عزلة تامة عن التأثير بالحروب التى نشبت خلال القرون الأولى التى تقضت بعد وفاة النبى (ص). ففى أيام يزيد بن معاوية كان شعور أهل المدينة، و حتى

الأمويين منهم،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٩٤

معاديا للخليفة حتى انحاز الكثيرون منهم إلى جانب خصمه عبد الله بن الزبير في مكة. وقد منيت الحملة التي جردها يزيد عليها بقيادة حاكمها عمرو بن سعيد بالفشل. وفي سنة ٦٣-٦٨٢-٨٣ ثار أهل المدينة على الخليفة ثورةً عنيفةً و عينوا عبد الله بن حنظلة قائداً عليهم، ثم شيدوا لها سورا وحفروا خندقا في الجهة الشمالية منها. لكن يزيدا ساق إليها جيشا يقوده مسلم بن عقبة. فاتخذ هذا مقرا له في الحرة الكائنة في شمال شرقي البلدة. وعند ذاك وقعت موقعة الحرة المعروفة التي انتهت بانحجار أهل المدينة، بتأثير الخيانة التي بدت من بني حارثة. وهنا يشكك كاتب البحث بالرواية الثابتة عند المؤرخين المسلمين عن انتهاك حرمة المدينة وأهلها وهتك أعراضها، وسلب أموال الناس فيها، بأمر من يزيد.

ويستند إلى ما كتبه فلها وزن في هذا الشأن. ثم يستأنف الكتابة ويقول ان الخوارج استطاعوا بقيادة قائدهم أبي حمزة من دحر أهل المدينة في كيبد قبيل انتهاء الحكم الأموي. لكن أبا حمزة فوجيء بجيوش مروان فذبح في المعركة.

و حينما تولى العباسيون الخلافة بعد ذلك حاول أخوان علويان، محمد و ابراهيم، من أبناء عبد الله بن الحسن الحصول على حصتهما في الحكم عن طريق القتال. فقد أطلق محمد على نفسه لقب المهدي و ظهر في المدينة سنة ١٤٥-٧٦٢-٦٣، حيث وجد عددا غير قليل من الأتباع والمؤازرين الذين كان من بينهم مالك بن أنس و أبو حنيفة. و حاول بطرق شتى تقليد النبي، فتمنطق بسيفه و حفر الخندق حول المدينة و فعل أشياء أخرى. لكن الخليفة ساق عليه جيشا يقدر بأربعة آلاف مقاتل بقيادة قريبه عيسى بن موسى، و حينما نصب القناطر فوق الخندق بمد عدد من الأبواب و دخل المدينة تخاذل معظم أتباع المهدي كما كان من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٩٥

المعتاد أن يحصل لدى أتباع العلويين. و عندما جدد كفاحه أمام الجيش الزاحف خرقتيلا في المعركة. و بعد عشرين سنة ثار علوي آخر في المدينة يدعى الحسين بن علي ضد العباسيين، و بعد حصول تدمير غير يسير في المدينة أخرج منها فقتل في فخ بالقرب من مكة. و يقول بوهل، و هو يبدى لهجة مناوئة للعلويين في بحثه: ان قتيلا فخ هذا قد مجده الحزب العلوي تمجيذا غير يسير برغم الدمار الذي أنزلته حركته في مدينة الرسول. و لا شك أن هذا هو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، على ما جاء في مقاتل الطالبيين.

و في أيام الواثق الخليفة العباسي تكبدت المدينة خسائر فادحة من هجمات سليم و بنى هلال عليها. فخف لإنجادها بغا الكبير سنة ٢٣٠-٨٤٤-٤٥ و حبس البدو. لكنهم أفلحوا في الإفلات من السجن حينما غادرها هذا القائد، فاكشف أمرهم أهل المدينة و قضاوا عليهم بأجمعهم و قد أبدى المدنيون محبتهم للخليفة الواثق بنديبه و النوح عليه في ليل متعاقبة بعد موته.

في أيام الفاطميين و ما بعدهم

و جاء في دائرة المعارف الإسلامية كذلك أن المدينة قد خمل ذكرها بعد هذا بحيث لم يعد يذكرها المؤرخون إلا في النادر، و حتى عندما كانت تذكر فإن ما كان يكتب عنها لم يكن شيئا ذا بال في الأعم الأغلب. و حينما تولى الفاطميون في مصر، و صاروا يهددون المدينتين المقدستين في الحجاز، شيد سور خاص حول المدينة في النهاية. و قد فعل ذلك عضد الدولة البويهى سنة ٣٦٤-٩٧٤-٩٧٥، لكن هذا السور لم يكن يحيط إلا بالقسم الأوسط من البلدة. و قد أعاد تشييد هذا السور في ٥٤٠-١١٤٥-٤٦ وزير من وزراء زنكي. و لما كان عدد غير يسير من السكان أصبح يعيش في خارج السور و هو في هذه الحالة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٩٦

التي لا تحميهم من هجمات الأعراب فقد شيد أتابك سوريه نور الدين محمود بن زنكي في سنة ٥٥٧-١١٦٢ سورا ثانيا يمتد امتدادا

أوسع حول المدينة، و يحتوي على عدد من الأبراج والأبواب الكبيرة. أما السور الحالي (كتب البحث في أوائل القرن هذا) الذي يتراوح ارتفاعه بين ٣٥ و ٤٠ قد بناه السلطان سليمان القانوني بن السلطان سليم (١٥٢٠-١٥٦٦) من حجر البازلت والغرانيت، و حفر خندقاً مناسباً من حوله. و قد شق السلطان نفسه قناة مغطاة و أوصلها من الجهة الجنوبية إلى داخل البلدة. و أخيراً رفع السور إلى ارتفاع ثمانين قدماً في أيام السلطان عبد العزيز، و بقي على ارتفاعه هذا منذ ذلك اليوم.

في عهد الأتراك العثمانيين

و بقيت المدينة تعيش في ظل العهد التركي عيشة وادعة هادئة، لا- تعباً إلا- قليلاً بالعالم الخارجي، و نادراً ما كان يأتي ذكرها في حدث مهم. و قد ساعد على ذلك وضعها الديني الخاص و كون الدخول إليها محرماً على غير المسلمين. غير أن انقلاباً جذرياً حدث فيها في أوائل القرن التاسع عشر. فقد استولى عليها الوهابيون في ١٨٠٤، و نهبوا خزائنها، ثم منعوا الحجاج عن زيارة القبر المطهر فيها. و قد باءت محاولة بدرت منهم لتهديم القبة بالفشل، لكن خزائن اللؤلؤ و الجواهر العظيمة التي كان زوار القبر المطهر قدموها هدية إلى الجامع الكبير قد تناهبتها الأيدي الأثيمة و اختفت من مكانها. و لم يستطع طوسون بن الخديوي محمد علي باشا من استرداد المدينة من الوهابيين إلا في سنة ١٨١٣، و في معاهدة الصلح المعقودة في ١٨١٥ اعترف عبد الله بن سعود بتابعية الأماكن المقدسة في الحجاز إلى الأتراك. و قد جاء هذا الاسترداد بشيء جديد واحد على الأقل إلى تلك الأنحاء، و هو إنشاء سكة حديد الحجاز بين دمشق و الشام و المدينة نفسها سنة ١٩٠٨. و كان الغرض الرئيسي من إنشائها نقل الحجاج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٩٧

إلى البلاد المقدسة، لكنها كانت لها أهمية عسكرية خاصة كذلك، و من أجل هذا تعرضت إلى تخريبات غير قليلة خلال الحرب العالمية الأولى.

و على أثر الصلح الذي عقد بانتهاء الحرب العالمية أخلت الجيوش التركية المدينة في ١٩١٨.

و ظهر في الوقت نفسه خصم جديد للملك حسين في الحجاز، و هو الملك عبد العزيز بن سعود الذي رفع الوهابيين إلى موقف السيطرة من جديد. فإن حركة الحسين الجريئة في انتحال صفة الخلافة لم تقابل بالتأييد ما بين أمراء العرب، فاضطره سكان الحجاز إلى التنازل عنها.

و قد اغتتم ابن سعود هذه الفرصة و دخل في تشرين الأول ١٩٢٤، بعد أن أجبر علياً بن الحسين على مغادرتها. و على هذا سقطت المدينتان المقدستان في أيدي الوهابيين و أصبحتا تابعيتين إلى المملكة السعودية منذ سنة ١٩٣٢. و غدا الوهابيون بمرور الزمن أكثر تساهلاً في السماح بزيارة الجامع الذي يقوم فيه الضريح المطهر و سائر البقع المقدسة، و منعوا التعبد فيها فقط.

وصف المدينة بشكلها الأخير

جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن المدينة برغم حظر الدخول إليها على غير المسلمين فإن كتابات الرحالة الحديثين على اختلاف أنواعهم تساعدنا على تكوين صورة واضحة عنها في مخيلتنا، يمكن إيرادها هنا بصورة موجزة. فالسهل الذي تقع فيه المدينة يقسم إلى قسم أعلى جنوبي و قسم أسفل شمالي، أي «العالية» و «السافلة»، و قد ورد هذان الأسمان حتى في الكتابات القديمة. و تمتد العالية إلى قرية قبا الكائنة على بعد ثلاثة أميال من المدينة، كما تمتد السافلة إلى جبل أحد. و يضم السور القديم المدينة الأصلية في داخله، كما يضم السور الجديد- المتهدم قسم غير يسير منه في الوقت الحاضر- ضاحية العنبرية الغربية الواسعة و «بَرّ المناخة»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٩٨

الذي يبلغ عرضه حوالي أربع مئة ياردة ما بين السور و المدينة.

و يشار هنا إلى موضع «المصلى» التقليدي. و على طول الجانب الجنوبي من السور يمتد «درب الجنازة» الذي يؤدي إلى المقبرة العامة، و هي مقبرة البقيع، أو «بقيع الغرقد» في القسم الشرقي من البلدة. و من بين الآلاف المدفونين هنا ابراهيم بن النسي، و زوجته، و الكثيرون من أصحابه، و العباس، و محمد الباقر، و جعفر الصادق - و قد نسي الكاتب أن يذكر هنا أيضا الإمامين الحسن بن علي، و علي بن الحسين عليهم السلام و الفقيه مالك بن أنس، و غير هؤلاء كثيرون.

و يقوم في الزاوية الشمالية الغربية من البلدة القصر المبنى على سورها.

و هناك عدة أبواب في السور، بما فيها باب الجمعة في الشرق، و باب العنبرية في الغرب. و من ينبوع من الماء العذب يقع في قرية قبا تمتد قناة خاصة إلى البلدة، و كان قد شقها أول مرة مروان حاكم المدينة. و كثيرا ما كان يهمل ترميم هذه القناة و تعميرها في مختلف العهود، لكنها كانت ترمم بين حين و آخر كما تم على عهد عدد من سلاطين آل عثمان، و آخرهم عبد الحميد الذي رممها بعد أن هدمها الوهابيون.

و قد تعرضت المدينة إلى كثير من الأضرار بفعل السيول و الفيضان في مختلف الأدوار. فقد تعذر على أهل المدينة في سنة ٧٣٤ زيارة قبر الحمزة خلال مدة تناهز الستة أشهر بسبب الفيضان. أما شوارعها فهي نظيفة لكنها ضيقة في الغالب، و لم يبلط منها سوى الشارع الرئيسي و تبنى البيوت بناء متقنا بالحجر، و عدد غير يسير منها يتكون من طابقين أيضا. و هناك عدة بيوت محاطة بحدائق و بساتين، لكن المحاطة ببساتين توجد في العادة خارج السورين الشمالي و الجنوبي و لا سيما من جهة الجنوب، حيث تتناوب حقول الخضروات و بساتين الفاكهة مع بساتين النخيل و حقول القمح. و يزرع في المدينة سبعون نوعا من أنواع التمور التي تعد من حاصلات البلاد الرئيسية كما كانت من قبل. على أن حركة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ١٩٩

الحجاج تعد أهم مورد مالى للسكان الذين يؤجرون مساكنهم إلى الغرباء و يزورونهم الأماكن المقدسة، كما يعلمونهم الشعائر و الواجبات الدينية الخاصة بالزيارة. و يلعب «المزورون» في المدينة نفس الدور الذي يقوم به المطوفون في مكة. أما السكان فقد ذكر الرحالة بورتون (١٨٥٣) أن نفوس المدينة كانت تبلغ ١٦٠٠٠ - ١٨٠٠٠ نسمة مع أربع مئة رجل في الحامية، لكن و يقل يجعل نفوسها في سنة ١٩٠٨ ثلاثين ألف نسمة عدا الجند و الحجاج الزوار، بينما يقول البتونى في رحلته أن نفوسها تبلغ ستين ألف نسمة بما فيهم عدد من الأجانب. و يقول الرحالة بورخارت (١٨١٥) أن الأسر المتحدرة من سلالات الأنصار الأصليين لا يزيد عددهم على العشر في المدينة، و أن عددا غير يسير من السكان الشيعة يعيشون في ضواحيها.

الحرم النبوي

و تتطرق دائرة المعارف الإسلامية إلى ذكر شيء غير قليل عن الحرم النبوي الشريف في المدينة. فقد جاء فيها أن المدينة مع كونها لا يوجد فيها حرم مقدس يجله الناس منذ العهود الموعلة في القدم مثل الكعبة، فإنها تباهى من جهة أخرى بالحرم المقدس الذي لا يثمن بثمن عند المسلمين في كل مكان لأنه يضم بين جدرانها ضريح النبي الأعظم الذي يقصده الحجاج و الزوار من مشارق الأرض و مغاربها. حتى أن بعض الفقهاء يعتبرونه أقدم من الحرم الشريف في مكة، لكن هذا الرأي لا تؤيده أكثرية المسلمين و لا تعد زيارة الحرم النبوي شيئا إجباريا من ناحية الفرائض الدينية مثل الحج إلى مكة، كما أنه يمكن أن يزار في أى وقت من أوقات السنة. و هناك إجماع على أن الرسول الأعظم كان قد دفن في بيت عائشة، حيث قبر الخليفان الأولان أيضا. يضاف إلى ذلك أن جميع الروايات القديمة تتفق على أن النبي عليه السلام كان قد بنى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٠٠

مسجدا بعد وصوله إلى المدينة في الحال، ثم وسعه بعد فتح خيبر، كما تتفق على أن مساكن أزواجه كانت قريبة من المسجد بحيث

يكون من المحتمل جدا أن يكون بيت عائشة و ضريحه صلوات الله و سلامه عليه قد أدمج بالمسجد بعد ذلك. و يستفاد من بعض الآيات أن هناك مسجدا آخر كان قد بنى في المدينة في أيام النبي (ص)، لكن كيتاني يناقش هذا و يستنتج من كثير من الأحاديث و الأقوال أن موقع المسجد الآخر هذا كان بيت النبي نفسه مع صحنه و عدد من المساكن الأخرى. و إذا كان هذا صحيحا حقا فلا يعلم أحد من هو الذى بنى هذا المسجد. لكنه من المحتمل أنه كان قد شيد بعد وفاة النبي بقليل، لأن تبجيل النبي و تقديره المتزايد ربما كان قد حدا بالمسلمين في الحال إلى ربط مدفنه بشؤون التعبد و الدين. و لذلك يمكن أن يشار إلى هذا المسجد بكونه مسجد محمد الذى تذكره الروايات و الأحاديث.

و هو عبارة عن بناية بسيطة من الآجر فيها أعمدة من جذوع النخل و سقف من أغصان الشجر. و تقول الروايات كذلك أن عمر بن الخطاب كان قد وسعه، كما وسعه عثمان من بعده و جدد بناءه فشيده من الحجر و الجص، و جعل سقفه من خشب الساج. و حينما تعين مروان عاملا في المدن شيد فيه مقصورة من الحجر الملون، و لم يضاف إليه شىء آخر حتى حل عهد الوليد الذى خول عامل المدينة عمر بن عبد العزيز الخليفة بعد ذلك - بتزيين المبنى إلى حد الفخامة. فاستعان عمر في هذا الشأن ببنايين إغريق، و أقباط، و المقول أن امبراطور بيزنطة يومذاك قد تبرع بألف مثقال ذهب و مقدار كبير من حجر الموزاييك لهذا الغرض. و قد أقيمت بهذه المناسبة أربع منارات فوق أركان الحرم، و غطيت السقوف بصفائح الرصاص. و بقى الجامع على حالته هذه من دون أن يطرأ عليه أى تعديل إلى أيام الخليفة المهدي. فبعد أن زار المدينة هذا الخليفة أعيد تشييد الجامع و وسعت مساحته في سنة ١٦٢ - ٧٧٨ - ٧٩ فأصبح طوله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٠١

ثلاث مئة ذراع و عرضه مئتي ذراع. و استدعى الأمر إعادة بنائه في القرن التالي فتولى ذلك المتوكل في ٢٤٧ - ٨٦١ - ٦٢.

وصف الحرام

و يقول بوهل في دائرة المعارف الإسلامية أن الجامع، أو الحرم الشريف، الذى جاء إلى الوجود على هذه الشاكلة قد وصفه عدد من المؤرخين و الكتاب العرب في مختلف العهود مثل ابن عبد ربه (٣٢٨ - ٩٤٠)، و المقدسى (٣٧٥ - ٩٨٥)، و ابن جبير (٥٨١ - ١١٨٢)، و ياقوت كذلك. و لا يمكننا أن نورد هنا من وصف هؤلاء المؤلفين إلا أشياء قليلة. فقد كان الشكل الذى حوفظ عليه باستمرار عبارة عن صحن مفتوح يغطى أرضه الرمل أو الحصباء و تحيط به من جهاته الأربع صفوف من الأعمدة. و فى القسم الشرقى من البهو الجنوبي ذى الأعمدة يوجد قدس الأقداس، أى قبر النبي الأعظم، مع قبرى أبى بكر، و عمر و يصفه ياقوت بأنه مبنى عال يفصله عن سقف البهو ذى الأعمدة فراغ من فوقه فقط. أما بالنسبة لوضع القبور الثلاثة فقد كانت هناك آراء مختلفة في أيامه. و تقول بعض الروايات أن قبر الزهراء البتول ابنة رسول الله يقع فى شمال القبور الثلاثة، بينما تنص روايات أخرى على أن قبرها المطهر موجود فى البقيع. و يحمل ذلك القسم من البهو ذى الأعمدة الواقع فى غرب هذه القبور المقدسة اسم «الروضة»، و هو الأسم الذى سَمَّاه به النبي عليه السلام. و المقول أن عدد الأعمدة فى البهو كان يبلغ مئتين و تسعين، و كانت الأعمدة فى الجهة الجنوبية منه مزينة بأساطين من الجص، بينما كانت الأعمدة الباقية من الرخام. يضاف إلى ذلك أن الجدران كانت مزينة بالرخام و الذهب و الموزاييك. و يمتد على طول حدود الروضة الجنوبية حاجز يقترن به عدد من الآثار المقدسة للغاية:

مثل بقايا جذع الشجرة التى كان يتكىء عليها النبي محمد (ص)، و منبره

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٠٢

على الأخص. و قد رغب معاوية، على ما تقول بعض الروايات، فى إزاحتها من مكانها لكن زلزلة عنيفة حصلت فى الحال، فعدل عن رأيه و رفعها بدلا من ذلك فى مبنى يعلو خمس درجات عن الأرض. و أراد الخليفة المهدي بعد ذلك أن يزيل هذا الملحق فأقنع

بالتخلي عن رأيه لأن المسامير كانت قد دقت في المنبر القديم نفسه. و للمنبر ثمانى درجات على ما ينص عليه الوصف، و كانت هناك قطعة من العاج فوق المقعد يستطيع الزوار لمسها. و كانت بقايا جذع الشجرة تقبل و تمسّد بالأيدى، و هذا تقليد لعادات العرب الدينية القديمة. و من نفائس الحرم الثمينة نسخة المدينة الأصلية من القرآن التى أعدها الخليفة عثمان. و للحرم الشريف تسعة عشر بابا، لم يكن يفتح منها غير أربع: اثنان فى الجهة الشرقية و اثنان فى الجهة الغربية. و كانت هناك ثلاث منارات، اثنان منها فى الجهة الشمالية و واحدة فى الزاوية الجنوبية.

و مع أن الحرم الشريف قد سلم من هزة بركانيه وقعت فى سنة ٦٥٤-١٢٥٦ فقد اشتعلت فيه النار خلال السنة نفسها لإهمال صدر من بعض الخدم فدمر جزء منه. و قد بقى الطلب الذى قدم للحصول على مساعدة خاصة لإعادة بنائه إلى خليفة بغداد من دون جواب لأن الأسرة العباسية الحاكمة كانت تترنح يومذاك قبيل سقوطها الذى تم بعد سنتين. و لم يرمم إلا السقف ترميما مؤقتا فى السنة التى أعقبت سنة الحريق، و لم ترفع حتى الأنقاض من بين القبور المقدسة، و إنما بقيت على وضعها مدة تزيد على قرنين. هذا و كان عدد من سلاطين المماليك قد أبدى شيئا من الاهتمام بالحرم المطهر، و منهم بيبرس الأول الذى يقول مجير الدين (القاهرة ١٢٨٣) انه وضع مشبكا حول قبر النبى و زين السقف من فوقه بينما بعث آخرون العمال و المواد للترميم، و لا سيما المنصور قلاوون فى ٦٧٨-١٢٧٩ الذى بعث من يعين موقع القبر و يبنى قبه من فوقه مغطاة بصفائح الرصاص.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٠٣

على أن الأشرف سيف الدين قابتبای (١٤٦٨-١٤٩٥) كان أول من اهتم اهتماما جديا فعلا، فقوّض المنارة الرئيسية الكائنة فى الركن الجنوبي الشرقى و أعاد بناءها من جديد. و قد وقعت بالحرم الشريف نكبة عظيمة فى سنة ٨٨٦-١٤٨١ حينما هبت عاصفه هو جاء فى المدينة سقطت فى أثنائها صاعقه عليه فدمرت قسما منه، و بذلك تلفت خزانه الكتب بما كان فيها من مخطوطات القرآن الثمينة. و يصف السهمودى الذى أضاع خزانه كتبه هو بالمناسبة أيضا الحريق الذى حصل و صفا مسهبا. على أن السلطان الهميم أوفد عددا كبيرا من العمال و الآلات و المواد فأعيد البناء إلى ما كان عليه فى ٨٨٩-١٤٨٤، ثم وسعت القبه التى كانت تعلق الضريح المطهر. و قد أهدى الحرم كذلك حاجز المقصورة المصنوع من النحاس الأصفر. و أهدى السلطان إلى المدينة نفسها بالمناسبة حمامات، و قناة للماء، و طاحونه ماء، مع عدد كبير من الكتب لتعويض ما احترق المدينة المنورة فى أواسط القرن التاسع عشر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٠٤

من كتب الخزانه الموجوده فى الحرم الشريف. على أن سوء الحظ لم يزايل المدينة المقدسة، ففى نهاية سنة ٨٩٨-١٤٩٢ أصيب الحرم الشريف بصاعقه مدمره أخرى هدمت المنارة الرئيسية فيه فأعيد تشييدها. و قد اكتسب الحرم شكله الحالى بعد توسيعه من الجهة الشماليه من قبل السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٠-١٨٥٣-٥٤، و كان الرحاله بورتون قد شاهد العمل فيه يومذاك قبل أن ينتهى. و تتضمن الكتابات الكثيره المكتوبه فوق الجدران سورا قرآنيه مختلفه و أشعارا من نهج البرده.

و لا شك أن البقاع المجاوره لمدينة الرسول غنيه بالقصص و الأخبار التى تقترن بذكره عليه السلام. و أهم هذه كلها جبل أحد و قبور أبطال لمسلمين الذين وقعوا شهداء للعقيدة و الدفاع عن بيضة الإسلام هناك.

و يضاهى ذلك فى القدسية قرية قبا التى نزل بها النبى محمد (ص) قبيل دخوله إلى المدينة عند هجرته إليها، و بقى فيها من يوم الاثنين إلى يوم الخميس. و تقع هذه القرية التى كان يشغلها يومذاك بنو عمرو بن عوف على بعد ميلين عن المدينة على ما يقول الرحاله بورخارت. و هناك توجد البقعة التى بركت فيها ناقه النبى (المبرك)، كما يوجد المسجد الذى تشير اليه الآيه القرآنيه الكريمة و قد بنى من تبرعات الناس. و كان هذا المسجد و منارته البسيطة فى حالة خراب حينما شاهده الرحاله السويسرى بورخارت (١٨١٥)، لكنه شيد بعد ذلك بالحجر من جديد.

و هناك مراجع كثيرة أخرى من المراجع الغربية تتطرق إلى ذكر المدينة المنورة، و الحقيقة أن جميع من يكتب عن نشأة الإسلام و تاريخه من الغربيين لا بد من أن يأتي على ذكرها بشكل أو آخر، و معظم ما يذكر لا يخرج عن الحقائق التاريخية المدونة في جميع كتب التاريخ.

لكننا سوف نقتبس هنا بعض ما كتب من هذا القبيل لما له من وجهة نظر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٠٥

خاصة، أو لما فيه من إشارة إلى بعض النقاط التي لم يذكرها الغير.

فيقول المستر فانيس، المبشر الأمريكي الذي أقام سنين طويلة في البصرة و اطلع على أحوال المسلمين و تاريخهم، في كتابه الموسوم «تعرف على العربي»: .. و على بعد مئتين و خمسين ميلا من شمالي مكة تقع المدينة، التي تأتي في المرتبة الثانية في قدسيتها، لأن النبي قد دفن فيها. و تعد زيارتها خلال موسم الحج شيئا مستحبا و ليس إجباريا. و هي مدينة يسكنها ثلاثون ألفا من السكان، و تحتوى على جامع كبير توجد في داخله غرفة القبر المقدس التي يحرسها بدقه العبيد و الخصيان، و لا يمكن الدخول إليها. و قد دفن فيها النبي محمد (ص) نفسه، و ابنته فاطمة، و أبو بكر و عمر من خلفائه. و هناك بقعة خالية عرف محمد (ص) أنه قال انها يجب أن تبقى كذلك حتى يعود عيسى إلى الأرض فيموت و يدفن فيها. فإن القرآن ينص على أن عيسى صعد إلى السماء و لم يمت، و أن صلبه كان شيئا من تضليل النظر .. و يقول فانيس في مناسبة أخرى (الصفحة ٣٠) عن الآيات القرآنية الكريمة و نزولها أن تسعين من السور نزلت على النبي في مكة خلال مدة كفاحه للمشركين من قريش، و هذه آيات نارية بليغة في بيانها، تؤكد على وحدانية الله عز و جل و صفاته الحسنى و الواجبات الدينية و جزاء الآخرة. أما السور الأربع و العشرون الباقية فقد نزلت في المدينة بعد أن هاجر النبي إليها، حيث أكمل رسالته و وصل إلى الأوج في قيادته السياسية ..

و يقول جيرالد ديغورى في كتابه «حكام مكة»: .. و قد قدر للإسلام في المدينة أن يصبح دولة محاربة، و يستخدم سيف الله ببراعته و لم يكن هذا من رأى مؤسسه الأصلي، فقد كان و هو المكي المحجم موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٠٦

عن سفك الدماء يأمل، قبل أن يمنعه النبلاء من التبشير بدعوته، أن يستولى على مكة بالطرق و الوسائل السلمية. لكنه اضطر بعد أن هاجر إلى المدينة إلى إعداد الجيوش لصد هجمات المكيين التي كان يقودها قريب ثرى من أقربائه، و هو أبو سفيان الصراف .. و يتطرق ديغورى كذلك (الصفحة ٨١) إلى محاولة الصليبيين الاستيلاء على المدينة و العبث بقبر الرسول بقيادة رينو، مما كنا قد فصلناه في بحثنا عن مكة المكرمة، في الجزء المختص بها من أجزاء هذه السلسلة من (العتبات المقدسة). فقد هاجم الصليبيون الحجاز من ساحل البحر الأحمر، و ظلوا يعيشون فسادا فيه حتى خفت اليهم الجيوش المصرية بقيادة الحاجب حسام الدين لؤلؤ الذى انتدبه الملك العادل، أخو صلاح الدين، لهذه المهمة و جهزه بأسطول نقل أجزاء سفنه من البحر الأبيض و شاهدها في البحر الأحمر كما فعل الصليبيون من قبل. و فى الهوارة استطاع المسلمون تدمير السفن الصليبية تدميرا تاما، لكن بحارتها حاولوا الالتحاق بالرتل الصليبي الذى توغل فى طريقه إلى المدينة. و فى شعاب البادية الكائنة على بعد خمسة أيام من ساحل البحر و يوم واحد من المدينة هوجم الثلاث مئة محارب صليبي فقتلهم قضاة مبرما. و من المئة و السبعين محاربا الذين نجوا من الموت و أسرهم المسلمون، نحر البعض فى منى كما تنحر الأضاحى و قتل بعض آخر فى المدينة نفسها. أما الباقون فقد أخذوا بأسر مدل إلى مصر و طيف بهم فى الشوارع قبل قتلهم على ملاء من الناس من قبل الدراويش.

و يورد ديغورى فى بحثه أيضا وصف الرحالة المغربى ابن جبير لأولئك الأسرى و الوضع الذى رآهم فيه.

ثم يشرح ديغورى استيلاء الوهابيين على مكة، و استسلام المدينة لهم فى ربيع ١٨٠٤ (الصفحة ١٨٧). و ينتقل بعد ذلك (الصفحة ١٩٤) إلى تجريد الحملة المصرية بقيادة طوسون باشا بن الخديوى محمد على لإخراج الوهابيين من الحجاز سنة ١٨١٢. و هو يقول ان طوسون

ارتأى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٠٧

ان يهاجم الوهابيين في المدينة من ينبع في ساحل البحر، الكائنة على بعد ستة أيام منها. و كانت المدينة أقوى المدن الحجازية بالتحصين. و لذلك بقى حامية مناسبة في ينبع و تقدم في اتجاه المدينة في كانون الثاني ١٨١٢، بعد مناوشات بسيطة دخل قرية بدر الكائنة في مدخل الجبال التي يجب ان يخترقها قبل أن يسلك الطريق الذاهب إلى المدينة. ثم قصد الصفرة اشتبك مع قبائل حرب التي كانت منحازة إلى الوهابيين، ثم إلى الجديدة مقر حرب الرئيس. و هنا اندحر طوسون بجيشه اللجب بكمين دبرته له قبائل حرب و الوهابيون بعد أن أبلى بلاء حسنا في المعركة فعاد إلى ينبع.

و يقول ديغوري ان انتصار سعود أمير الوهابيين هذا وطّد مركزه بين العشائر العربية كلها حتى صار يجمع الخاوة من البدو القرييين من بغداد و دمشق و حلب كذلك.

و قد عاد سعود بعد هذا إلى الدرعية حاسبا أن المدينة يمكنها أن تقاوم الجيش الغازي مدة طويلة من الزمن، و أن الأتراك لا بد من أن يرجعوا من حيث أتوا. لكنه كان مخطئا في ذلك جد الخطأ، فقد وجد طوسون باشا نفسه خلال تشرين الأول ١٨١٢ قادرا على أن يحاول محاولة ثانية لإنقاذ المدينة من براثن الوهابية. فنقل معسكره إلى بدر بعد أن دخل في حلف مع البدو النازلين في محيطها، ثم قاد أحمد بونابرت قسما كبيرا من جيشه و تقدم نحو المدينة بعد أن استولى على ممر الجديدة الذي شهد الاندحار السابق، حتى وصل إلى ضواحيها. و بعد مناوشات خفيفة مع الوهابيين دخل أحمد ضواحي المدينة نفسها و طرد منها الوهابيين الذين تراجعوا للتحصن في القسم الأوسط منها، الذي كان على جانب كبير من المنعة. و في خلال الحصار الذي استدام اسبوعين هاجم الوهابيون من الداخل الجيش المحاصر عدة مرات. و بعد أن نسفت فتحة كبيرة في السور دخل الجيش التركي (أو المصري) إلى المدينة و اشتبك في معركة رهيبة قتل فيها حوالي ألف وهابي في الشوارع و الطرقات، و نهبت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٠٨

البلدة نفسها، بينما لم يقتل من الأتراك سوى خمسين. و كان أول الداخلين إلى مدينة الرسول، على ما يقول ديغوري، رجل سكوتلاندى يدعى توماس كيث (الص ١٩٩) كان قد تطوع في الجيش المصري باسم ابراهيم أغا. لكن ألفا و خمس مئة وهابي ظلوا محاصرين في القلعة ثلاثة أسابيع، و لم تكن عند الأتراك مدفعية قوية يمكنها أن تهدد أسسها الصخرية. إلا أن القائد أحمد بونابارت تعهد للوهابيين المحاصرين بالنجاة بأنفسهم إذا ما استسلموا، فتم الاستسلام و رحلوا عائدين إلى نجد. و قد جمع هذا القائد جماجم الوهابيين الذين قتلوا في المدينة و أنشأ منها نصبا تذكاريا في مبدأ الطريق الذي يخرج من المدينة إلى ينبع، ثم وضع الحرس للمحافظة عليه. لكن سكان المدينة استطاعوا مع ذلك أن يمحوا هذا الأثر بالتدريج.

و في هذه الأثناء وصل الخديوى محمد على نفسه إلى الحجاز ليعد العدة للقضاء على الوهابيين في عقر دارهم بعد أن يخرجهم منه. و بعد أن بقى مدة و جيزة في مكة، و عين حسن باشا حاكما فيها، توجه إلى المدينة فوصلها على دون انتظار في ١٤ نيسان ١٨١٣ و في حاشيته ثلاثون أو أربعون جنديا فقط يركبون الأبل. و لا شك أنه جاء ليتبرك بزيارة القبر المطهر، و يطلع على الوضع العسكري و تفاصيله.

أما المستر كلوب، الذي أنشأ الجيش العربي في المملكة الأردنية الهاشمية و عاش فيها كما هو معروف مدة من الزمن، فيبحث بالتفصيل عن تاريخ المدينة المنورة و دورها في نشأة الإسلام و ذلك في كتابه البارع عن «فتوحات العرب الكبرى». فهو يعمد إلى وصف مدينة الرسول نفسها (الص ٥٦) و يقول ان الوادى الذي تقع فيه المدينة كان يمتلىء ببساتين النخيل النضرة و حقول الزرع الياضعة، التي تهدى أعين المسافرين الواصلين إليها أبدا و دوما بعد تعرضها لسطوع الشمس المعشية موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣،

ص: ٢٠٩

في البادية. و تنتشر في ذلك الوادي الفسيح منازل عدد من المجموعات القبلية المختلفة التي تعيش كل منها في قريتها المختصة بها المتألفة من الأبراج و البيوت الحصينة، المبنية بالطين و الحجر. و بعد المرور ما بين صخور الجبال الجرداء المحرقة كان هذا الوادي يبدو مريحا مطمئنا يشعر الرائي بالهدوء و الخصب، و بالقناعة و السكون.

ثم يقول عند اختيار النبي (ص) للأرض التي بنى فيها مسجده الأول في المدينة أن بستانا مهجورة من بساتين النخيل الكائنة في وسط الواحة اشترت بعد أيام معدودة من وصوله بمبلغ من المال يعود لأبي بكر الصديق. و بدأ العمل بإنشاء مسجد و بيت لا يختلف كثيرا عن الكوخ ليسكن الرسول الأعظم فيه. فأخذ المهاجرون القادمون من مكة و أنصار المدينة يعملون و يكدون في البناء و هم يغنون، و يقطعون اللبنة و الأحجار فينون بها الجدران، و على رأسهم محمد (ص) نفسه. و كان من جملة ما تغنوا به قولهم:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار و المهاجرة

و يحلل المستر غلوب غزوات النبي و معاركه تحليلا- بارعا في كثير من الأحيان. و من جملة ما يقول في موقعه الخندق و التجاء المسلمين إلى حفرة (الص ٨٤) أن الجمود العجيب في التكنيك الحربى الذى كان يتبعه العرب يمكن أن يلاحظ من ارتباك قريش ارتباكا تاما حينما شاهدوا هذا التطور غير المنتظر، و اعتبروه بكل ازدياد شيئا غير مشرف و غير متفق مع عرف العرب. و لم يفكروا و هم يخيمون في خارج قطاع المدينة بشن هجوم عام عليها، مع أن عددهم كان ثلاثة أضعاف المقاتلين المسلمين. و على ما هو معروف عند العرب من الاهتمام بالشجاعة الشخصية في الحرب بدلا من التكتيك المنتظم، هاجم أربعة من خيالة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢١٠

قريش الخندق نفسه فاجتازوه بقفزة واحدة ليصبحوا في وسط المدافعين الذين أخذوا ينازلونهم على انفراد. فانبرى على بن أبى طالب لهم كالمعتاد و قتل رئيسهم، و عند ذاك ولى الثلاثة الباقيون الأدبار عبر الخندق ...

و باختفاء العدو و تراجع في طريق مكة، عاد محمد (ص) تعباً إلى بيته و شرع المسلمون بنزع السلاح عن أنفسهم. و على حين غرة ظهر جبرائيل لرسول الله .. و أشار عليه في آية من آيات الله اللين أن لا يلقى السلاح، و أن يهاجم بنى قريظة الذين تأمروا عليه مع العدو. و عند ذاك دعا محمد (ص) المسلمين إلى حمل السلاح من جديد، و قادهم على بن أبى طالب و هم ينشرون راية الرسول الحربية إلى منازل بنى قريظة آخر قبيلة يهودية بقيت في المدينة .. و كان وصول قوة كبيرة من مكة قد شجع بنى قريظة و أحيا في نفوسهم الأمل في الانتقام، فاتصلوا بقريش. لكن انسحاب قريش و تدهورهم الفجائى جعل اليهود وجها لوجه أمام المسلمين الغاضبين .. و قد وافق محمد (ص) على إحالة أمرهم إلى سعد بن معاذ شيخ الأوس، و حليف اليهود الأسبق. و كان سعد من أوائل من اهتدى للإسلام من أهل المدينة، و قد حمل راية قبيلته في موقعه بدر الكبرى.

و كان حينما أحيل إليه أمر البت في جريمة بنى قريظة يكابد آلام الموت من سهم أصيب به في أثناء الحصار. و ربما كان يعانى مرارة الخيبة كذلك في موقفه ذاك بعد أن كان صديق اليهود من قبل. و لهذا أصدر قراره يقتل كل رجل من رجال بنى قريظة، و سبى النساء و الأطفال، مع نهب ما يملكون. فرحب النبي بالحكم و اعتبره حكما عادلا، ثم أمر بتنفيذه .. و قبل التنفيذ عرض عليهم أن يعتنقوا الإسلام، فكان بوسعهم أن ينتقلوا من سوية المجرمين المحكوم عليهم إلى سوية المستولى عليهم بمجرد ترديد جملة بسيطة، لكن قليلا منهم فضل الاستفادة من هذه الفرصة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢١١

الفتنة الكبرى في المدينة

على أن من أهم ما يسهب به المستر غلوب من تاريخ المدينة المنورة في صدر الإسلام، الفتنة الكبرى التي أدت إلى مقتل الخليفة عثمان (الص ٢٩٧-٣٠٧). فهو يشيد بمنزلة عثمان و شهرته حينما تولى الخلافة، و يذكر خدماته للإسلام، و لا سيما ما عمله في جمع

القرآن و يقول ان القرآن الكريم كان قد كتب في خلافة عمر، لكن عددا من المتون ظهرت للوجود بعد ذلك فأمر عثمان بإعداد متن واحد و بذل جهده في جمع المتون الأخرى و إتلافها في المدينة. ثم يقول ان الاستيلاء المتزايد الذي حصل في أيام عثمان لم يكن موجها اليه شخصيا بقدر ما كان موجها إلى الحكام الذين عينهم في الأمصار. و حينما اتهم بمحاباة الأقارب أجاب بأن الله عز و جل نفسه أمر بأن يكون «الأقربون أولى بالمعروف»، و ذهب إلى أبعد من ذلك فانتقد الشيخين لأنهما لم يراعى الأقارب في حكمهما .. و لا شك أن تجرد الكثيرين عن التقوى من مرشحي عثمان للحكم و تركهم التمسك بأمر الدين بصورة عنية، و كونهم كانوا هم و آباؤهم من أشد أعداء الرسول و مناوئيه، قد استفز الكثيرين من المسلمين المتدينين الأقياح في المدينة و مكة. فقد كان الصحابة لا يزالون كثيرين في عددهم، و لا سيما من حارب منهم في موقعتي بدر و أحد، أو من شهد صلح الحديبية. و لا ريب أن جميع هؤلاء كان يسوؤهم جدا أن يتولى الحكم في الإسلام أعداء النبي .. ثم يتطرق إلى معاملة عثمان لعبد الله بن مسعود و أبي ذر الغفاري، و يخرج من ذلك إلى القولى بأن الخليفة عثمان مع كونه كان مستعدا لعزل الكثيرين من الحكام و القواد لأدنى بادرة استياء تبدر من المسلمين تجاههم، فإنه لم تكن هناك قوة تستطيع التأثير عليه لكي يعزل مرشحيه الأمويين. و يتطرق بعد هذا إلى انتشار الفتنة في الكوفة و استياء الناس فيها من تصرف حاكمهم الأموى سعيد بن العاص الذي قال في خطبة له ذات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢١٢

يوم أن «السواد بستان قريش». كما يتطرق إلى نفى مالك الأشر من الكوفة إلى الشام، و ما كان له من تأثير في الثورة على هذا الحكم الفاسد الجائر. ثم يقول ان قادة الإسلام في المدينة لم يدخروا وسعا في تقديم النصيح و المشورة إلى الخليفة، و مطالبته بالاستماع إلى ظلمات الناس و المبادرة إلى القضاء على أسبابها أو بالعمل على إطفاء الفتنة المتسعة بالقوة. و يبدو أنهم قد يتسوا في الأخير من تردده، على حد تعبير ديغوري، فتركوه إلى مصيره. فقد انسحب من الميدان مجلس الشورى الذي انتخبه نفسه، و هم على بن عم النبي، و الزبير الذي تسلق أسوار حصن بابلون، و طلحة بالإضافة إلى السيدة عائشة زوجة النبي. لكن عمرو بن العاص، فاتح مصر الذي عز له عثمان عن ولاية مصر ليعين أخاه في الرضاة بدلا منه (عبد الله بن أبي سرح)، كان منشغلا يومذاك بزرع بذور الفتنة و التذمر في المدينة كذلك.

و حينما حج الخليفة إلى مكة سنة ٦٥٥، انتهاز فرصة الحج و جمع ولاة الأمصار ليأخذ رأيهم في تدني الحالة و استياء الناس في كل مكان.

فأشار عليه ابن أبي سرح «جأبي الضرائب» في مصر بأن يستخدم المال المتكدر في خزائنه لأن الناس تعشق المادة، و قال له معاوية إن الذنب ذنب الحكام أنفسهم، لكن والى البصرة الشاب عبد الله بن عامر أشار عليه بأن يسوق الجيوش للجهد و الفتح لتبتعد عن الفتنة، و لا يتيسر الوقت الكافي للناس بالتفكير فيها.

و بينما كان الولاة مجتمعين في مكة وضع الثوار في الكوفة و البصرة و الفسطاط خططهم على ما يقول غلوب، و نصجت ثورتهم، و في أوائل سنة ٦٥٦ بدأوا بزحفهم على عاصمة الخلافة، و خيم كل فريق منهم على حدة في خارج المدينة. ثم بعثوا بنفر منهم لمفاوضة الإمام على و الزبير و طلحة، لكن قادة الرأي العام المسلم هؤلاء أتوا الثوار على شغبهم و أعمالهم الاستفزازية. على أن عليا زار في الوقت نفسه الخليفة عثمان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢١٣

و طلب اليه عزل عبد الله بن أبي سرح من مصر، و بعثت السيدة عائشة اليه بالرأى نفسه أيضا. فوافق الخليفة الشيخ على ذلك و رجا مشيريه أن يرشحوا له واليا جديدا لمصر.

ثم يقول غلوب انه من المؤسف أن يسجل بالمناسبة أن محمدا بن أبي بكر كان أحد قادة الفتنة في مصر. و أن الفرق بين هذا

المحرك العنيف الطموح و والده الصارم الوديع في الوقت نفسه. و أخص أصحاب الرسول، ليدل على الانحطاط الذي طرأ على سلوك الجيل الإسلامي الجديد الذي نشأ في وسط الترف و الثراء. و قد طلب ممثلو الجيش المصري تعيين هذا الشاب الطموح ليكون قائدا لهم فأذعن الخليفة للطلب. ثم يتطرق غلوب إلى التطور الذي حصل بعد ذلك فأدى إلى رجوع الثوار إلى المدينة بعد أن بدا للجميع أن العاصفة قد هدأت، و كان سبب الرجوع الرسالة التي عثر عليها بيد خادم الخليفة حول قتل محمد بن أبي بكر كما هو معروف ..

و يتابع قوله فيذكر أنه يبدو أن الإمام عليا عليه السلام كان يقوم بدور الوسيط بين الخليفة و الثوار لتهدئة الفتنة و حسم الأمور بالحسنى، و لذلك ذهب اليه و أخبره بحقيقة ما جاء به الثوار من جديد، لكن الخليفة أنكر بشدة معرفته بما حصل و وافق على مواجهة وفد من الثوار أنفسهم. فبين له هؤلاء بأن العبد الذي كان يحمل الرسالة كان من عبيده، و أن الرسالة كانت مختومة بختمه. فاعترف الخليفة بكل ذلك لكنه أقسم بالله على أنه لم يكتب الرسالة، و لم يأمر بكتابتها، كما لم يأمر بإنفاذ العبد. و لا يخفى أن الخليفة كان محقا في ذلك لأن الذي فعل كل شيء و ورطه بالأمر كان قريبه مروان بن الحكم الذي لم يكن يفارقه في تلك الأيام .. و حينما لجأ الثوار إلى العنف و طالبوا الخليفة بالتنازل عن الخلافة و عدهم بالنظر في ظلاماتهم لكنه رفض التنازل عن المنصب الذي رفعه اليه الله عز و جل. و عند ذاك اشتد أمر الثوار فانسحب الإمام علي عائدا إلى بيته.

ثم تطورت الحالة إلى حد الخطورة، لأن الثوار استطاعوا السيطرة في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢١٤

هذه الأثناء على قلب المدينة المنورة نفسها، و حاصروا بيت الخليفة من كل جانب، كما امتلأ بهم مسجد الرسول ..

و مما يذكره غلوب في هذا الشأن قوله ان معظم المؤرخين العرب يصدقون ما أقسم عليه عثمان و يبرئون ساحته من تهمة الرسالة و معرفته بها. كما أن كثيرا منهم يتهمون بها ابن عمه مروان بن الحكم الذي كان قد منحه حصه الحكومة من غنائم إفريقية الشمالية، لأنه كان يدخل عليه في بيته على الدوام و كثيرا ما كان يتخذة أمينا لسره .. و على هذا فقد طالبه الثوار بتسليم مروان الذي كان مختبئا في دار الخليفة نفسه لكن الخليفة أبي أن يسلمه اليهم. أما سائر الأمويين فقد أفرعهم وضع الثوار و أخافهم، فتخلوا عنه في وقت الشدة هذا و اختفى بعضهم في مخابىء مختلفة ثم فر بعضهم الآخر إلى دمشق ليحتموا بمعاوية.

و على هذه الشاكلة أدت الفتنة إلى ما هو معروف في كتب التاريخ عن قتل عثمان، و اضطراب أحوال المسلمين من جراء ذلك بعد أن اغتتم معاوية الفرصة ليجر المغنم له و لبني أمية. و مما يشير اليه غلوب في هذه المناسبة أن الخليفة عثمان بعث يطلب الماء من الإمام علي عليه السلام حينما حوصرت داره، فبعث اليه الإمام بثلاث قرب ملأى به و لم يستطع عبيد بنى هاشم إدخالها إلى الدار المحاصرة إلا بشق الأنفس. و أن محمد بن أبي بكر استنجد في هذه الفتنة بعشيرته تيم حينما حوصرت دار الخليفة، و أن عليا عليه السلام و طلحة، و عددا آخر من الصحابة، بعثوا بأبنائهم ليحرسوا دار الخليفة و يذبون عنه الأذى .. و حينما اشتبك هؤلاء مع الثوار أصيب الإمام الحسن (ع) بعدة جروح حتى سالت منه الدماء فتغطى بها جسمه، و جرح كذلك محمد بن طلحة و مروان.

و بعد أن قتل الخليفة بهذا الشكل المؤسف خف إلى داره الإمام علي و الزبير و طلحة و أسفوا جد الأسف لما حدث، و وبخوا الثوار على ما بدر منهم .. و يقول غلوب كذلك ان جثة الخليفة القتل ظلت مطروحة ثلاثة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢١٥

أيام في بيته من دون أن يجراً أحد على نقلها لتدفن في المقبرة. و في مساء اليوم الثالث خرج موكب صغير من الدار المشؤومة في ظلمة الليل المعتمة و هو يحمل جنازة الخليفة على الأكتاف، و كان الموكب يتألف من الإمام الحسن و الزبير بن العوام و بعض أقارب الخليفة و خدامه. و مع ذلك فقد علم الثوار بالأمر و أخذوا يرشقون الجنازة بالحجارة. و بهذا دفن أمير المؤمنين في قطعة صغيرة من الأرض تقع في جوار المقبرة العامة الكائنة في خارج المدينة.

و آخر ما يذكره غلوب عن هذه الفتنة، أنه يحلل شخصية الخليفة الثالث و مقدار نجاحه في الحكم ثم يقول انه كان يعيش عيشة مترفة و يتقبل الهدايا، مع أن ترفه البدائي كان شيئاً لا يمكن أن يقارن بترف ملوك بيزنطة و المدائن بطبيعة الحال. و مع هذا فقد كان النبي عليه السلام و الشيخان من بعده يزهدون في مباحج الدنيا و عرضها الزائل و يمشون حفاة بين الناس و عليهم اللباس الصوفي الخشن، حتى بعد أن كانوا قابضين على السلطة السياسية بأيديهم .. و قد كانت أيام عثمان أياماً صعبة، و كانت استمرارياً النصر الإسلامي المؤزر قد دبّ دبب البطء فيها، و أخذت حرارة الحماسة الدينية المتطرفة تخف و تبرد. و لكن عثمان لو كان عمراً آخر لاستطاع أن يقف في وجه العاصفة.

المدينة في كتاب دونالدسون

و لقد أفرد الدكتور دونالدسون في كتابه «عقيدة الشيعة» الذي سبقت الإشارة إليه مرات عديدة في أجزاء هذه المجموعة السابقة فصلاً خاصاً عن المدينة المنورة بعنوان «مدينة الرسول و آل بيته». و يستهل هذا الفصل بقوله ان المدينة بلدة صغيرة يقدر اتساعها بنصف اتساع مكة موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢١٦

المكرمة، لكنها أخصب من مكة في أرضها. ففيها مياه جارية و بساتين للنخيل تجود بأحسن أنواع التمور، و منها تمور البردى و العوجه التي لا يزرع أحسن منها في سائر البلاد. و معظم سكانها سمر البشرية، و أكثرهم يشتغل بالتجارة.

ثم يورد دونالدسون أشياء كثيرة عن فضل المدن و قدسيتها، و ينقل روايات و أحاديث عدة في هذا الشأن عن «نزهة القلوب» للمستوفى.

و يقول بعد ذلك أن المستوفى الذي كتب كثيراً عن المدينة في القرن الرابع عشر للميلاد لم يذكر شيئاً عن الحالة المؤسفة التي كان عليها قبر النبي المطهر في ذلك الوقت، و ما قبله بقرن واحد. فمنذ أن شبت النار في الحرم النبوي الشريف سنة ١٢٥٦ م فهدمت معظمه تقريباً بقيت الأنقاض على حالها ذاك مدة تزيد على القرنين. و في الأخير عين السلطان المنصور قلاوون موقع القبر الشريف بقبة مغطاة بصفائح الرصاص، و كان ذلك في السنة ١٢٧٩ ميلادية. و في ١٤٨١ انقضت على هذا البناء المتواضع صاعقة من السماء فأحرقت ما فيه، و لا سيما خزائنه الكتب و ما كان فيها من مخطوطات ثمينة للقرآن الكريم. فأعيد بناء الحرم هذا على أحسن وجه سنة ١٤٨٤ فوسعت القبّة، و أقيم سياج من النحاس الأصفر حولها.

و في عهد الأسرة الصفوية المالكة في إيران (١٥٠٢-١٧٣٦) حدثت حروب عديدة متطاولة بين إيران و تركيا فأصبح من الصعب جدا على الحجاج الشيعة الحج إلى بيت الله الحرام و زيارة الحرم النبوي الشريف في المدينة. ثم يقول دونالدسون (الصفحة ١٤٣) ان الشاه عباس و غيره من ملوك الصفويين هم الذين كانوا يضعون العراقيل في هذا الشأن من أجل تشجيع المشاهد و المزارات الموجودة في داخل الحدود الإيرانية، ليعملوا على الاحتفاظ بالمبالغ الكبيرة من المال التي كان زوار إيران و حجاجها قد تعودوا على صرفها في الخارج.

و ما انتهى القرن الثامن عشر للميلاد حتى كان الأتراك قد استولوا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢١٧

على العراق و الحجاز استيلاء تاماً، و أصبح السلطان التركي الخليفة المعترف به في العالم الإسلامي كله عدداً إيران. و عند ذاك صارت المدن و العتبات المقدسة تدار على أسس مالية و اقتصادية، و عادت حركة الزيارة و الحج إلى الازدهار فأخذت الألوف المؤلفة من الناس تقصد العتبات المقدسة في النجف و كربلا و بغداد و سامراء من إيران للتبرك بالأضرحة المطهرة، و ترتجى شفاعته الأئمة الثاوين فيها. و صار الذين يقصدون مكة للحج من هؤلاء يهتمون اهتماماً خاصاً بزيارة المدينة المنورة للصلاة في الحرم النبوي الشريف الموجود فيها، و التبرك بزيارة قبر الزهراء البتول و قبور الأئمة المعصومين الحسن، و زين العابدين، و محمد الباقر، و جعفر

الصادق.

و كانت حركة الحجاج و الزوار هذه تعود بالنفع الكبير على الحكومة التركية و سكان البلاد المقدسة، غير أن قدوم آلاف المسلمين من جميع أنحاء العالم سعياً في طلب الشفاعة من نبيهم المتوفى و الأئمة من أبنائه كان يستثير حنق القبائل الوهابية القوية في الحجاز و غيره، فاضطلعت بدور المصلح الديني و أعلنت أن مثل هذا التعبد يعتبر شيئاً محرماً حتى إذا كان بالقرب من قبر النبي نفسه. فهاجمت المدينة في سنة ١٨٠٤، و نهبت ما فيها من خزائن و نفائس، ثم منعت زيارة قبر الرسول. لكنهم لم يتوقفوا في تهديم القبّة المقامة فوق القبر المطهر.

و حينما استعاد الأتراك سيطرتهم على البلاد المقدسة في ١٨١٨ اتخذ السلطان عبد المجيد العثماني التدابير اللازمة لإعادة تعمير الحرم النبوي الشريف في المدينة. و كان هذا التعمير قائماً على قدم و ساق ما بين سنتي ١٨٤٨ و ١٨٦٠، فكلّف مبلغاً يناهز السبع مئة ألف باون استرليني، لكن المعتقد عند البعض أن هذا المبلغ تدخل فيه قيمة الجواهر التي أودعها السلطان في الروضة المقدسة. و هذا هو شكل الحرم الذي ظل قائماً حتى السنين الأخيرة، فوصفه الرحالة بورتون (١٨٥٣) كما سيتضح مما موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢١٨

سنورده بعد هذا، و يقل (١٩٠٨)، و البتونني (١٩١٠)، و رتر (١٩٢٨) الذي سنشير اليه بعد هذا أيضاً.

و بقيت مكة و المدينة تابعتين إلى الدولة التركية حتى سنة ١٩١٨، حين تنازلت عنهما إلى الشريف حسين ملك الحجاز بمقتضى شروط الصلح التي انتهت بموجبها الحرب العالمية الأولى. لكن الملك حسين لم يستطع المحافظة على سيطرته في البلاد، و ظهر الوهابيون على مسرح الحوادث من جديد فاستولوا على مكة و المدينة و يقول دونالدسون فخيم الحزن و الأسى على الكثير من البلاد الإسلامية خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى إقدام الوهابيين على العبث بمقدساتهم، و يحق لهذه البلاد أن تفرغ لهذا الخبر لأن الوهابيين يعتقدون أن زيارة القبور تعتبر نوعاً من أنواع الشرك. على أن استيلاءهم على المدينة لم يكن ينطوي على الخطر المأمول بالنسبة لقبر النبي نفسه. فقد كان علماء الدين الوهابيون تواقين إلى تهديم القبّة، و إعادة بناء الحرم الشريف من دون إدخال القبر فيه، لكن ابن سعود استعمل دهاءه السياسي للحيلولة دون ذلك، لئلا يثير عليه عداة العالم الإسلامي كله. و بذلك سلم قبر الرسول الأعظم من العبث، لكن حماسة الوهابيين الدينية سمح لها بأن تمارس ما تريد من العنف في تخريب الأضرحة و القبور الموجودة في البقيع. و خير من وصف البقيع بعد أن خربه الوهابيون و عاثوا فساداً فيه من الغربيين ايلدون رتر الذي زار البلاد الحجازية في ١٩٢٥. و سوف نورد وصفه هذا فيما بعد. ثم يتابع دونالدسون حديثه عن المدينة في فصله الخاص و يقول ان هذا العبث بالأضرحة المقدسة يمكن أن نقف على عقيدة الشيعي المخلص فيه مما كتبه المستوفى عن مقبرة البقيع قبل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢١٩

الوهابيين بمدة غير يسيرة. فهو يقول ان مقبرة المدينة المسماة بالبقيع تقع في الجهة الغربية من المدينة، و فيها يشاهد قبر ابراهيم نجل النبي الأوحده، و قبور بناته كذلك. و قد دفن الخليفة عثمان فيها أيضاً. و دفن فيها كذلك أمير المؤمنين الحسن، و العباس عم النبي، و الأئمة المطهرون زين العابدين، و محمد الباقر، و جعفر الصادق سلام الله عليهم أجمعين. و يورد دونالدسون كذلك نصاً عن البقيع من رحلة ابن جبير الرحالة المغربي المعروف. و اليك النص الأصلي الوارد في الرحلة هذه بعنوان «ذكر المشاهد المكرمة التي ببقيع الغرقد و صفح جبل أحد»:

... فأول ما نذكر من ذلك مسجد حمزة رضى الله عنه، و هو بقبلى الجبل المذكور، و الجبل جوفى المدينة، و هو على مقدار ثلاثة أميال.

و على قبره رضى الله عنه مسجد مبن. و القبر برحبة جوفى المسجد، و الشهداء رضى الله عنهم بأزائه. و الغار الذي آوى اليه النبي (ص) بأزاء الشهداء أسفل الجبل. و حول الشهداء تربة حمراء، هي التربة التي تنسب إلى حمزة، و يتبرك الناس بها.

و بقیع الغرقد شرقی المدینة، تخرج الیه علی باب يعرف بباب البقیع، و أول ما تلقى عن یسارک عند خروجک من الباب المذكور مشهد صفیة عمه النبی (ص)، أم الزبیر بن العوام رضی الله عنه. و أمام هذه التربة قبر مالک بن أنس الإمام المدنی، و علیه قبة صغيرة مختصرة البناء. و أمامه قبر السلالة الطاهرة، ابراهیم ابن النبی (ص) و علیه قبة بیضاء. و علی الیمین منها تربة ابن لعمر بن الخطاب رضی الله عنه اسمه عبد الرحمن الأوسط، و هو المعروف بأبی شحمة، الذی جلده أبوه الحد فمرض و مات موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٢٠

و بأزائه قبر عقیل بن أبی طالب رضی الله عنه، و عبد الله بن جعفر الطیار رضی الله عنه و بأزائهم روضة فیها أزواج النبی (ص). و بأزائها روضة صغيرة فیها ثلاثة من أولاد النبی (ص). و تليها روضة العباس بن عبد المطلب و الحسن بن علی رضی الله عنهما و هی قبة مرتفعة فی الهواء، علی مقربة من باب البقیع المذكور، و عن یمین الخارج منه، و قبراها مرتفعان عن الأرض، متسعان مغشيان بألواح ملصقة أبداع الصاق، مرصعة بصفائح الصفر و مكوكة بمساميره علی أبداع صفة و أجمل منظر و علی هذا الشكل قبر ابراهیم ابن النبی (ص). و يلي هذه القبة العباسية بیت ينسب لفاطمة بنت الرسول (ص)، و يعرف ببیت الحزن، يقال انه الذی آوت الیه و الترت في الحزن علی موت أبيها المصطفى (ص). و فی آخر البقیع قبر عثمان الشهيد المظلوم، ذی النورین و علیه قبة صغيرة مختصرة. و علی مقربة منه مشهد فاطمة ابنة أسد أم علی رضی الله عنهما. و مشاهد هذا البقیع أكثر من أن تحصى لأنه مدفن الجمهور الأعظم من الصحابة المهاجرين و الأنصار رضی الله عنهم أجمعين.

و علی قبر فاطمة المذكورة مكتوب «ما ضم قبر أحد كفاطمة بنت أسد» رضی الله عنها و عن بنيتها.

و يبحث دونالدسون فی كتابه (الصل ١٤٧) عن أهمية زيارة المدینة من الناحية الدينية، فينقل اخلال ذلك أقوالا كثيرة من كتب الشيعة، و أخصها كتاب «تحفة الزائرین» للملا محمد باقر المجلسی (١٦٩٩ م) فيقول مثلا ان عددا من الأئمة المعصومين الأثنى عشر يروى عن النبی أنه قال «من زارني حيا أو ميتا كنت له شفيعا يوم القيامة». و روى عند كذلك أنه قال «من زارني غفرت ذنوبه و لم يصب بالفقر و الفاقة».

و يتطرق دونالدسون كذلك (الصل ١٤٨) إلى كيفية زيارة الحرم الشريف، و المراسيم التي يجب أن يقوم بها الحاج عند دخوله اليها. و قد رأيت من المناسب أن أورد هنا النص الذي جاء في «مفاتيح الجنان» موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٢١

للشيخ عباس القمي (الصل ٣١٥) لأنه يطابق ما يذكره دونالدسون في الغالب:

... فإذا وردت إن شاء الله تعالى مدينة النبي فاغتسل للزيارة، فإذا أردت دخول مسجده فقف على الباب و استأذن بالاستئذان الأول، و ادخل من باب جبرائيل و قدم رجلك اليمنى عند الدخول، ثم قل:

الله أكبر مئة مرة ثم صل ركعتين تحية المسجد، ثم امض إلى الحجرة الشريفة فإذا بلغت فاستلمها بيدك و قبلها، و قل السلام عليك يا رسول الله .. ثم قف عند الأستوانة المقدمه من جانب القبر الأيمن مستقبل القبلة و منكبك الأيسر إلى جانب القبر و منكبك الأيمن مما يلي المنبر فإنه موضع رأس النبی (ص) و قل أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ...

فإن كانت لك حاجة فاجعل القبر الطاهر خلف كتفيك و استقبل القبلة و ارفع يدك و سل حاجتك فإنه أحرى أن تقضى إن شاء الله تعالى .. و قال الشيخ في المصباح فإذا فرغت من الدعاء عند القبر فأت المنبر و امسحه بيدك و خذ برماتيه و هما السفلاوان و امسح وجهك و عينيك به و قم عنده و احمد الله و أثن عليه و سل حاجتك فإن رسول الله (ص) قال: ما بين قبري و منبري روضة من رياض الجنة، و منبري علی باب من أبواب الجنة .. ثم تأتي مقام النبی (ص) فتصلي فيه ما بدا لك، و أكثر من الصلاة في مسجد النبی (ص) فإن الصلاة فيه بألف صلاة .. و صل في بيت فاطمة عليها السلام، و أت مقام جبرائيل و هو تحت الميزاب فإنه كان مقامه إذا استأذن علی رسول الله .. ثم زر قبر فاطمة من عند الروضة، و قد اختلف في موضع قبرها فقال قوم هي مدفونة في الروضة أي ما

بين القبر و المنبر و قال آخرون فى بيتها، و قالت فرقة ثالثة انها مدفونة بالبقيع، و الذى عليه أكثر أصحابنا أنها تزار عند الروضة و من زارها فى هذه الثلاثة مواضع كان أفضل ...

و يذكر دونالدسون (الصفحة ١٥١) بالأضافة إلى ذلك أن هناك عمودا
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٢٢

أدخل فى المسجد يقال انه يحتوى على جزء من النخلة التى كان يتكىء عليها النبى حينما كان يجلس للوعظ، قبل بناء المسجد .. و يقول دونالدسون و هناك تعليمات أخرى عن زيارة البقيع و أدعيه تتلى على قبر فاطمة، و الحسن، و زين العابدين، و محمد الباقر، و جعفر الصادق عليهم السلام .. لكن الحاج الذى يزور البقيع اليوم لا- يجد أية قباب مذهب و لا قبورا مزينة، فإن البقعة جميعها، و المكان الذى يثوى فيه مثل هذا العدد من آل بيت النبى مصطفى، قد أصبحت قفرا مهجرا ..

أئمة البقيع

و لا يخفى أن ذكر الأئمة المطهرين الذين دفنوا فى البقيع بالمدينة، أى الحسن، و زين العابدين، و الباقر، و الصادق عليهم السلام، يرد فى معظم المراجع الغربية التى تبحث فى تاريخ المسلمين و عقائدهم مثل دائرة المعارف الإسلامية و غيرها. لكن أهم من يكتب عنهم بشىء من التفصيل هو الدكتور دونالدسون فى كتابه عقيدة الشيعة. فهو يخصص فصلا واحدا من كتابه لكل أمام من الأئمة الاثنى عشر المعصومين، و منهم أئمة البقيع سلام الله عليهم. و مع أن ما يكتبه عنهم فيه الكثير من التجنى و الخبث الذى يؤمل صدوره من مبشر مسيحي مثل دونالدسون، إلا أنه يذكر أشياء تستحق الإشارة و التدوين.

و يستهل بحثه عن الإمام الحسن بقوله انه نودى به خليفة للمسلمين فى الكوفة بعد وفاة والده الإمام على بيومين، و كان ذلك فى شهر رمضان سنة أربعين للهجرة. فبعث برسله و وكلائه إلى السواد و الجبل، و قتل المجرم عبد الرحمن بن ملجم .. و بعد أن يناقش دونالدسون حق الحسن فى تولى الخلافة بعد أبيه يقول ان الإمام عليا سلم إلى الحسن قبيل وفاته بحضور آل البيت و رجال الشيعة المعروفين، الكتب السرية و سلاحه.

ثم خاطبه يقول: يا بنى أمرنى رسول الله أن أوصى اليك و أن أرفع
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٢٣

كتبى و سلاحى، كما أوصى إلى رسول الله (ص) و دفع كتبه و سلاحه إلى، و أمرنى أن آمرك إذا حضر ك الموت أن ندفعها إلى أخيك الحسين.

ثم أقبل على ابنه الحسين فقال: و أمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد على بن الحسين ثم قال له و أمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن على و اقرأه من رسول الله (ص) و منى السلام ...

و يروى أن عليا دعا الحسن و سماه «ولى الأمر» و كذلك «ولى الدم»، أى أنه ترك له أمر الثأر لدمه و الاقتصاص من القاتل.

ثم يتطرق إلى التطورات التى حصلت بعد ذلك فأدت إلى تنازل الإمام الحسن عن الخلافة إلى معاوية، و ينقل فى ذلك عن الدينورى فى أخباره الطوال و عن اليعقوبى فى تاريخه المعروف. و يقول بعد هذا نقلا عن السيوطى ان تنازل الإمام كان مشروطا بعودة الخلافة له بعد معاوية و يتابع دونالدسون بحثه هذا فيذكر أن طول المدة التى تولى فيها الحسن الخلافة بعد أبيه غير أكيد. إذ يقول المسعودى انها كانت ستة أشهر و ثلاثة أيام، و ان الحسن أول خليفة تولى عن سلطته لغيره. غير أن المتفق عليه عند الشيعة أن خلافته كانت عشرة أعوام و ستة أشهر، و أن أربعة عشر شهرا منها مارس فيها شؤون الخلافة بالفعل، ثم فوض أمرها إلى معاوية لمدة تسع سنين و أربعة أشهر على سبيل الاضطرار و التقية و حقنا لدماء أتباعه و محافظة على أموالهم و أسرهم من جور معاوية و ظلمه. أما الفرق بين الأشهر الستة التى يذكرها المسعودى و الأربعة عشر شهرا المشار إليها فتفسر بالحادث الذى بايعت فيه المدينة المنورة الإمام

الحسن في خلافة والده الذي نازعه فيها معاوية بحيث جرد جيشا على المدينتين المقدستين بقيادة بسر لأخذ البيعة له، و كانت مكة قد بايعت الأمام عليا و بادرت المدينة إلى مبايعة ابنه الحسن. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٢٤

و يذكر بعد ذلك أنه بينما كان الأمام علي قد ولد في الكعبة نفسها، فقد ولد ابنه الحسن في المدينة أي في بيت علي و فاطمة عليهما السلام و هو البيت الوحيد الذي سمح جبرائيل بأن يكون له باب مطل على صحن المسجد النبوي الشريف. و يتعرض دونالدسون بعد هذا إلى حياة الأمام الخاصة (الصفحة ٧٤) و سيرته فيذكر روايات و آراء تدل على جهله الفاضح بالتاريخ الإسلامي و تحامله الذي لا يستبعد صدوره من مبشر يتطفل على البحث في مثل هذه المواضيع. و من المؤسف أن يضيق المجال لمناقشته هنا و تفنيد أوهامه و آرائه الخاطئة. ثم يختم فصله عن الأمام المجتبي بالأشارة إلى وفاته فيقول انه عليه السلام قد توفي مسموما بعد محاولات عدة بذلت من أجل ذلك. فقد حاول أعداؤه أن يدسوا له السم في طعامه عن طريق خادم له يقدم الطعام فاكشف أمره، و حاولت زوجته جعدة بنت الأشعث الكندي ثلاث محاولات متتالية أن تسمه بعد أن أغراها مروان على ذلك باسم معاوية و وعدها بأن يزوجه يزيد بن معاوية إذا ما توفقت في قتله. و كانت أول محاولة لها أنها دست له السم في العسل فمرض على أثر ذلك مرضا شديدا لكنه تغلب على الجرعة غير القاتلة و حصر شكه فيها. و لهذا صار يراقبها بحذر لكنها استطاعت أن تدس له السم الزعاف مرة ثانية في بضع تمرات ناضجة فسقط مريضا تنتابه الآلام الفظيعة، غير أنه استطاع في هذه المرة أيضا أن يتغلب على السم و تعود إليه صحته بالتدريج. و من الغريب أن يذكر دونالدسون أن أعصاب الأمام عليه السلام قد انهدت في هذه المرة، و شكك لأصحابه من أسقامه و آلامه، فقرر الرحيل إلى الموصل ليتبعد عن زوجته الخائنة. غير أنه وجد هناك رجلا أعمى ظل يتربص به الفرص ليدس له السم بطريقة أخرى أيضا. و لعل دسائس معاوية، الذي كان يهيمه أن يقضى على الأمام ليتخلص من الشروط التي اشترطها عليه، ظلت تلاحقه إلى كل مكان يذهب إليه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٢٥

و لهذا لم يجد الحسن عليه السلام هدوء البال الذي كان يبتغيه في الموصل فعاد إلى المدينة من جديد، و فيها قرر الابتعاد عن زوجته جعدة و بذل أقصى ما يمكن من الحذر في مأكله و مشربه. لكن الخائنة استطاعت أن تتسلل إلى مخدعه في ليلة من الليالي و هي تحمل سما قاتلا مزج بمسحوق الماس، و بينما كان يغط في نومه وضعت السم في إناء من الماء كان موضوعا بجانبه. و ما أن شرب جرعة منه في اليوم الثاني حتى خر صريعا في الحال و هو يلفظ قطعا من كبده إلى الخارج، حتى قضى نجه ...

و تقول الرواية انه أوصى أن يدفن إلى جنب جده النبي صلوات الله و سلامه عليه، و إذا ما حالت دون ذلك الحوائل، أن يدفن إلى جنب أمه الزهراء في البقيع فتم له ذلك.

و لما لم نجد ذكرا للمرجع الذي استند إليه دونالدسون في الرواية الأخيرة وجدنا من المناسب أن نقل هنا رواية المسعودي في هذا الشأن.

فقد جاء في الجزء الثاني (الصفحة ٤٢٧) قوله حدثنا جعفر عن محمد أبيه، عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال: دخل الحسين على عمي الحسن بن علي لما سقى السم، فقام لحاجة الأنسان ثم رجع، فقال: لقد سقيت السم عدة مرات فما سقيت مثل هذه، لقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبه بعود في يدي، فقال له الحسين:

يا أخي من سقاك؟ قال و ما تريد بذلك؟ فإن كان الذي أظنه فالله حسيبه، و إن كان غيره فما أحب أن يؤخذ بي برىء، فلم يلبث بعد ذلك إلا ثلاثا حتى توفي رضي الله عنه.

و ذكر أن امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السم، و قد كان معاوية دس إليها: انك ان احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمئة ألف درهم، و زوجتك من يزيد، فكان ذلك الذي بعثها على سمه، فلما مات و في معاوية لها بالمال، و أرسل إليها: أنا نحب حياة يزيد،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٢٦

و لو لا ذلك لوفينا لك بترووجه. و في جعدة يقول النجاشي في شعر طويل:

جعدة بكيه و لا تسأمي بعد بكاء المعول الثاكل

لم يسبل الستر على مثله في الأرض من حاف و من ناعل

كان إذا شبت له ناره يرفعها بالسند الغاتل

كيما يراها بائس مرمل و فرد قوم ليس بالآهل

و قال آخر:

تأس فكم لك من سلوة تفرج عنك غليل الحزن

بموت النبي، و قتل الوصي و قتل الحسين و سم الحسن

و في الفصل المخصص للأمام زين العابدين عليه السلام (الفصل ٩ الص ١٠١) يبدأ دونالدسون بالبحث عن انقسام الشيعة في تولى

الأمامة بعد الحسين إلى كيسانية يرجحون محمدا ابن الحنفية، و إمامية يتمسكون بوصية الأمام الشهيد لابنه على زين العابدين. ثم

يذكر أن زين العابدين، الذي يسميه عليا الأصغر، كان أحد خمسة نجوا من القتل في مجزرة كربلا الفظيعة من أسره الحسين و هم:

عمته زينب و أخوه عمر و أخته، و هو نفسه. و كان عليه السلام لا يقل عمره عن ثلاث و عشرين سنة حينما استشهد والده في حومة

الشرف و المجد، و لم يسهم في القتال لأنه كان مريضا و من أجل هذا أنقذ حياته عمر بن سعد. و يصفه الدينوري بأنه كان مراهقا

يومذاك، و كان أخوه عمر لا يتجاوز الرابعة من عمره. ثم يورد دونالدسون رواية الدينوري في أخباره الطوال عن سبي الأسرة

الحسينية و حمل الرؤوس إلى عبيد الله بن زياد، و إلى يزيد في دمشق. و يقول ان الخمسة الذين نجوا من القتل الأثيم سمح لهم في

دمشق بأن يعودوا إلى موطنهم في المدينة، و هناك روى للناس أوجه النكبة التي حلت في كربلا.

و كانت دعاية خطيرة هيأت الجو للقيام في وجه الأمويين و جورهم، بعد أن سفكوا دماء آل البيت الزكية .. و قد اغتتم هذه الفرصة

عبد الله بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٢٧

الزبير، و كان يومذاك، في أوائل الستينات من عمره، و كان انتهازيا، طموحا بشكل أناني، برغم ما كان عنده من قابلية للقيادة و

الترعم ..

و يذكر أنه كان على خلاف الباقيين قد شجع الأمام الحسين على الذهاب إلى الكوفة لغرض في نفسه، لأنه عرف مقدما أن الحسين

(ع) سيخونه أهل الكوفة و يقتلونه، و أن الجو سيخلو له بعد ذلك فتسرح الفرصة الكبيرة للثورة .. و حينما ثارت ثائرة أهل المدينة

لسماعهم بتلك الأنباء المفجعة و الفظائع المخزية التي ارتكبتها الأمويون جمعهم عبد الله بن الزبير في المسجد الكبير، و أكد على

خيانة أهل الكوفة حين خطب بهم، فأدى ذلك إلى مناداة أهل المدينة، و أهالي مكة من بعدهم، به خليفة عليهم.

و بهذا اتفقت المدينتان المقدستان على الثورة في وجه يزيد، و تعين في كل منهما رجل للقيادة. لكن عبد الله جعل مقره في مكة

و راح يهيج سكان الجزيرة العربية كلها ضد الأمويين. لكن مسلم بن عقبة جرد من دمشق في الحال سنة ٦٣ ه على رأس حملة تأديبية

ضد المدينة و مكة.

و يبدو أن هذه الحملة (واقعة الحره) كانت على شكل غزوة سريعة لأن ابن الزبير لم يعرف اندحاره فيها، بينما تذكر التواريخ أن عددا

من قادة الثورة قد قتلوا فيها و أن سكان المدينة قد تعرضوا لأسوأ أنواع العنف و الأباحة، و انتهكت قدسية الحرم النبوي الشريف. و

بعد ثلاثة أيام من التهديم و سفك الدماء جلس مسلم بن عقبة في ديوانه الرسمي ليتقبل طاعة الذين سلموا من القتل من أهالي

المدينة ليزيد، و تقديم عبوديتهم له. و كان بين الذين جىء بهم إليه الأمام زين العابدين عليه السلام، لكنه احتفى به على ما يروى و

أجلسه بقربه ثم قال له ان يزيد أوصاه به خيرا.

... و عند ذاك كان أهل الكوفة قد شعروا بالتقصير الذى بدر منهم تجاه الحسين الشهيد، فلم يرضوا بمروان الذى تولى بعد هلاك يزيد و لا بابن الزبير الذى كان معتصما فى مكة. فاجتمعوا بينهم و انتخبوا خمسة موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٢٨

منهم، و هؤلاء تداولوا مع سليمان بن صرد الخزاعى، و قرروا بأن أول ما يجب عليهم أن يفعلوه هو أن يتوبوا إلى الله عما بدر منهم فى خذل الأمام الحسين و القعود عن نصرته، فسموا ب «التوابين»، ثم اتفقوا على تطهير الأرض من قتله أهل البيت، و تعيين الأمام زين العابدين خليفة للمسلمين ... و بعد أن تطورت الأحداث ظهر المختار بن أبى عبيد فى الكوفة مدعيا بأنه يمثل الأمام زين العابدين الذى كان ما يزال باقيا فى المدينة .. و حينما قضى ابن الزبير على المختار لم يتعرض للأمام عليه السلام لأنه كان على علم بعدم وجود صلة للمختار به. و كان الأمام قد تسلم معروضات خاصة منه قبل هذا لكنه ترفع عن الرد عليها، و كان يشجب أعماله على ملاء من الناس فى مسجد النبى.

ثم يتطرق دونالدسون (الصفحة ١٠٧) إلى قصة الأمام زين العابدين مع عمه محمد ابن الحنفية أيضا، فيقول ان قضية الاختلاف فى تولى الأمامة بين محمد ابن الحنفية و زين العابدين كانت من قضايا الساعة الحيوية خلال فترة الاضطراب التى رافقت حركة ابن الزبير و أعقبها، و أدت إلى حصول اختلافات بين الشيعة و تكوّن فرقة جديدة منهم. فقد كانت الجهود التى بذلها الحزب الشيعى للحصول على السلطة الدينوية فى الامبراطورية الإسلامية جهودا فاشلة مرة بعد أخرى، و كانت أول نتيجة لذلك أنهم حوّروا نظريتهم المختصة بالأمامة و صاروا يعتبرون الأئمة قادة روحيين فى الدرجة الأولى، و شفعاء عند الله يوم الدين.

و يقول دونالدسون ان ابن الحنفية ذهب بعد موت ابن الزبير إلى مكة مع ابن أخيه زين العابدين ليقررا أيهما الوارث الحقيقى للأمامة. فقد كان موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٢٩

يدعى أنه أحق منه بها لأنه كان ابن على بن أبى طالب، لكن زين العابدين طلب منه أن يخاف الله و لا يأتى بهذه البدعة ثم اتفقا على التحكيم أمام الحجر الأسود فى بيت الله الحرام فكانت النتيجة فى صالح الأمام زين العابدين بطبيعة الحال. و لذلك عاد إلى المدينة و عاش فيها عيشة هادئة منعزلة، تفرغ فيها للعبادة و شؤون الدين، و بقى على هذا المنوال مدة تناهز العشرين عاما. و قد عرف بين الناس فى كل مكان بورعه و تعبده، و بحزنه المتواصل على والده عليه السلام، حتى سُمى بزین العابدين، و هو الأسم المسجل له فى الجنة. و يقال انه أحد خمسة أو ستة بكائين اشتهروا فى تاريخ العالم. و مما يؤثر عنه أنه كان يكبر سبعين تكبيرة فى كل صلاة، و يقرأ القرآن كله من أوله إلى آخره. و كان مشتتها علاوة على ذلك بحسن تجويده للقرآن و صوته العذب الحنون، و بانصرافه للصلاة آناء الليل و أطراف النهار حتى تخشبت بعض أعضائه من أثر السجود و سمي السجاد كذلك.

.. و لا بد من أنه كان على جانب عظيم من ضبط النفس و كظم الغيظ، فقد روى عنه أن خادما من خدامه أراق على رأسه و رقبتة عليه السلام شيئا من الطعام الحار خطأ، فلم يؤذنه و إنما سرّحه و أعتقه باحسان. و مما يروى عن سخائه و كرمه أنه كان يخرج فى المدينة كل ليلة و هو يحمل أكياس القمح و الطحين ليوزعها على بيوت المحتاجين من دون أن يعرفوا هويته، حتى بلغ عدد الأسر التى كان يعينها على هذه الشاكلة ثلاث مئة أسرة. أما خلال النهار فكان يذبح فى كل يوم مئة رأس من الغنم، و يوزعها على الناس. لكن معظم وقته كان يقضيه و هو جالس للصلاة فوق قطعة بالية من الحصير من دون أن يأكل شيئا، لأنه كان يصوم فى الغالب أو يأكل شيئا من خبز الشعير.

و كان يشبه فى مظهره جده الأمام عليا (ع). فقد كان طول جده، و كان شعره يميل إلى الحمرة فى لونه، كما كان أبيض الوجه موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٣٠

و الرقبة عالية الصدر كبير البطن. و كان أول أمام يكتفى بأمرأة واحدة، و هى التى أنجب منها الأمام محمدا الباقى (ع) الذى خلفه فى

الأمامة.

لكنه أعقب أربعة عشر ولدا غيره من إمامه أو جواريه .. و بعد أن يذكر دونالدسون (الصفحة ١١٠) ما وقع للأمام زين العابدين مع هشام بن عبد الملك حينما جاء ليطوف حول الكعبة، و هي القصة التي نظم فيها الفرزدق الشاعر قصيدته المشهورة، يقول ان هشاما هذا أمر بأن يدبر قتله بالسم.

فتوفى سلام الله عليه سنة ٩٤ أو ٩٥ للهجرة، و هو في السابعة و الخمسين من عمره فدفن في بقيع الغرقد إلى جنب عمه الحسن عليهما السلام. و قد قضى عمره على الوجه التاريخي الآتي: فقد قضى سنتين في أيام جده علي، و عشر سنين من أيام عمه الحسن، و عشا من إمامة أبيه الحسين، و خمسا و ثلاثين سنة اماما للمسلمين من بعدهم.

و في الفصل العاشر من كتاب «عقيدة الشيعة» يذكر دونالدسون شيئا غير يسير عن حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام، الذي عاش عمره كله في المدينة المنورة. فهو يقول ان الإمام تولى بعد أبيه السجاد في السنة الاخيرة من أيام الوليد بن عبد الملك. و كان المجتمع الإسلامي يومذاك قد تقدمت فيه شؤون الثقافة، و تعددت دور العلم. و كان الامام الجديد الذي عاش عيشة منعزلة هادئة في المدينة، على غرار عيشة أبيه، يعتبر المرجع الأول للعقيدة الشيعية و قد ظل كذلك تسعة عشر عاما تقريبا.

على أن هناك اختلافا في تاريخ وفاته بين المؤرخين، فيذكر يعقوبى أن ذلك وقع في سنة ١١٧ للهجرة، بينما يشير المسعودى إلى أنه توفي في سنة ١٢٥ أو ١٢٦ هـ.

و قد عرف الباقر بتضلعه في العلم و تبخره فيه، و كان يقدر تقديرا فائقا لعلمه هذا و نبيل مولده و شرف محتده. و سمي بالباقر على هذا الأساس، لأنه تبقر في العلم أى توسع، و هو باقر علوم الأولين و الآخرين. و كان قد ولد في المدينة المنورة في الثالث من شهر صفر سنة ٥٧ للهجرة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٣١

و المقول أنه كان في الثالثة أو الرابعة من عمره حينما استشهد جده الحسين.

و كانت أمه بنتا من بنات الإمام الحسن تسمى أم عبد الله. و كان هشام بن عبد الملك الأموى كثيرا ما يضايقه و يثير الشكوك من حوله. و قد حاججه ذات يوم في إمامته، و كان من جملة ما أجابه عليه السلام أنه استهل الحديث بالآية الكريمة .. اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا .. ثم قال ان النبى قد كشف للإمام على عن أسرار أخرى بعد أن نزل عليه الوحي بها. و من بين آل البيت جميعهم اصطفى الإمام عليا واحدا فقط فجعله موضع ثقته، و انتقل اليه ميراث العلم بالأسرار، فسأله هشام: إذا كان الله لم يجعل للنبي شريكا يشاركه في أسرار، فكيف يدعى على بذلك؟ لكن الإمام الباقر قرأ عليه كثيرا من أقوال النبى و أحاديثه في هذا الشأن مما يدل على منزلة الإمام على عنده و علاقته به. و حينما سمع هشام كل هذا صمت و لم يحرجوا، ثم سمح للإمام الباقر و جماعته بالعودة إلى المدينة.

و حينما عزم زيد بن علي زين العابدين أخو الإمام الباقر على الثورة ضد الأمويين ذهب اليه في سنة ١٢١ أو ١٢٢ للهجرة و أخذ رأييه فيما هو مقدم عليه، لكن الإمام الباقر حذر أخاه هذا من الاعتماد على أهل الكوفة و ذكره بما صنعوه بأهل البيت من قبل. على أن زيدا لم يعبأ كثيرا بالتحذير و أعلن الثورة فقتل و علقت جثته على صليب في كناسة الكوفة، بينما طيف برأسه في الأمصار. و يشير دونالدسون إلى ما يذكره الشهرستاني في (الملل و النحل) من أن خلافا كان موجودا بين الإمام الباقر و أخيه زيد لأنه كان يتبع تعاليم واصل بن عطاء المعتزلى. و كان زيد يتحدث بما ينسبه المعتزلى إلى الإمام على من خطأ في قتل الخوارج، و بما يقوله المعتزلة من أن دوافعه عليه السلام لم تكن الدوافع التي كان يريد لها أهل البيت في هذا الشأن. و كان زيد يعتقد كذلك بأن الإمامة كانت مشروطة بقيام الإمام علنا للمطالبة بحقوقه. فرد عليه الباقر يقول:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٣٢

«إذن فأنت لا تعتقد بأمامة أبيك، لأنه لم يقم للمطالبة بحقوقه قط».

و هناك غموض يكتنف سبب وفاة الباقر و الوقت الذى حصلت فيه الوفاة. فيقول بعضهم ان ابراهيم بن الوليد دس له السم، لكن رواية أخرى تقول ان زيدا آخر من أبناء الحسن نازع الأمام على الميراث، و اتفقا على أن يحتكما عند القاضى. و حينما حكم القاضى فى صالح الأمام الباقر استأنف زيد القضية لدى هشام بن عبد الملك. و بتأثير من اتهامات زيد هذا بعث هشام بهدية ذهب إلى حاكم المدينة، و فى صحبتها تعليمات تشير عليه باستحصال الميراث من الباقر، أو المستندات التى يستند إليها فى أخذ الميراث. لكن الأمام الباقر سلم إلى حاكم المدينة صندوقا يحتوى على المستندات المزيفة التى يستند إليها زيد. و هذه أرسلت إلى هشام بن عبد الملك فى دمشق، و حينما اطع عليها زيد أيقن بأنها مزيفة. و تقول رواية الشيعة ان هشاما أعطى إلى زيد سرجا مسموما، و احتال زيد فى أن يعطى هذا السرج إلى الأمام الباقر فاستعمله و تسرب السم إلى جسمه الطاهر، فقضى نحبه!! و تقول الرواية كذلك ان الحكمة الألهية شاءت أن تقص من زيد هذا فأصيب بمرض عضال فقد فيه عقله و مات .

و يورد دونالدسون ما يروى عن جابر بن عبد الله الأنصارى الذى عاش إلى أيام الباقر، و نقل له حديث الرسول (ص) .. فقد روى جابر أن رسول الله قال له ذات يوم: يا جابر يوشك أن تلتحق بولد لى من ولد الحسين اسمه كأسمى يبقر العلم بقرا أى يفجره تفجيرا، فإذا رأيتة فاقراه عنى السلام. قال جابر رضى الله عنه فأخر الله تعالى مدتى حتى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٣٣

رأيت الباقر فأقرأته السلام عن جده رسول الله (ص) .. ثم يختم الفصل بما جاء من أقوال و معجزات تنسب إلى الأمام الباقر، و بمناقشة يلقي فيها ضوءا من الشك على اعتقاد الشيعة بوفاة الباقر مسموما بتدبير بنى أمية. و مع هذا فيقول فى النهاية ان التحركات التى نشطت ضد الأمويين كانت تزداد شيئا فشيئا فى تلك الأيام بحيث احتجب فى أهميتها الوقت المضبوط الذى انتهت فيه امامة الباقر، الأمام المسالم، و بدت فيه امامة ابنه الصادق، المسالم كذلك.

أمام الامام جعفر الصادق (ع) فيقول عنه دونالدسون (الصفحة ١٢٩) انه الأمام الذى يشار اليه على الدوام بكونه الحجة فى شؤون الحديث و الشرع الإسلامى. و قد عاش خمسة و ستين عاما (٨٣-١٤٨ هـ)، و بذلك عمر أكثر من أى امام آخر من الأئمة المعصومين الأطهار. و يجمع الكتاب على أن أمه هى أم فروة ابنة القاسم بن محمد بن أبى بكر. و لم يذكر عن هيئته و أوصافه عليه السلام إلا أنه أبيض الوجه و الجسم، أسود الشعر، أفتى الأنف. كما لم يذكر عن حياته البيئية إلا القليل، فقد كان له عشرة أولاد سبعة منهم من زوجتيه الأصليتين و إحداهما تسمى فاطمة، أما الثلاثة الآخرون فمن إمانته و جواريه و قد عاش الصادق عليه السلام بعيدا عن السياسة و أحوالها بعدا تاما.

فيذكر المسعودى أن ابراهيم الزعيم العباسى حينما قتله مروان الثانى خشى أبو سلمة أن تفشل الدعوة ضد الأمويين فحاول إقناع جعفر الصادق بأن يأتى اليه شخصيا، فيعلن حقه فى الإمامة، و يتقبل ولاء الخراسانيين له.

على أن الأمام دعا بمصباح و أحرق كتاب أبى سلمة فيه، ثم قال للرسول الذى حمل الكتاب اليه: أخبر سيدك بما رأيت .. و يذكر الشهرستانى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٣٤

أن معرفة الأمام الصادق بالشؤون الدينية و الثقافية كانت ممتازة، و كان على علم تام بالفلسفة، و بلغ مبلغا عظيما من التقوى، و ترفع عن الشهوات بالمره. و قد عاش مدة طويلة فى المدينة بحيث أفاد طائفته و أتباعه إفادة تامه، و نفع أصدقاءه بالعلوم الخفية. و زار بعد ذلك العراق، لكنه لم يظهر للملا فيعلن امامته، و لم يبحث فى شؤون الخلافة مع أحد.

لأنه كان غارقا فى بحور العلم و المعرفة، من دون أن يروقه أى شىء آخر، فمن يرتفع إلى قمة الصدق لا يخشى التدنى. و بتعبير آخر: أن الذى يتفرغ لله ينكمش عن البشر لكن من يعتصم بغير الله تقضى عليه الشهوات .. و كان الصادق يتصل بشجرة النبوة من جهة

الأب بطبيعة الحال و بأبي بكر الصديق من جهة الأم. و يضيف دونالدسون على ذلك قوله انه قال ذات يوم: برئت ممن يذكر أبا بكر و عمر بسوء. و قد يكون موقفه هذا تجاه أهل أمه، أو قابليته في تقدير المزايا الحسنه في الخليفين الأولين، مما ساعده على تحاشي سوء ظن الخلفاء الذين عاصروه به- أي هشام و الوليد و ابراهيم و مروان من الأمويين، و السفاح و المنصور من العباسيين .. و يذكر كذلك عن الكليني بعض الكرامات و المعجزات، و عن مقابلاته لأبي جعفر المنصور الذي كان يخشاه و يسيء الظن به. و يظهر مما يذكر عن النمط الذي كان يتبعه الأمام الصادق في حياته العلميه و غيرها و هو قابع في حديقته الجميله في المدينه، و السخاء الذي كان يبذله في استقبال زواره فيها من جميع الطبقات، بأنه كان يعقد مجامع للمناقشه، أو يدير مدرسه فلسفيه على نمط مدرسه سقراط. فأن

موسوعة العتبات المقدسه، ج ٣، ص: ٢٣٥

عددا من تلامذته أسهموا اسهاما خطيرا بعد ذلك في تطور الشريعه و العلوم اللدنيه. و قد افتى اثنان من تلامذته بعد ذلك بسنوات، و هما أبو حنيفه و أنس بن مالك، مؤسسا المذهبين الإسلاميين المعترف بهما، إلى سكان المدينه نفسها أن القسم الذي أقسماه عند المنصور لا يمكن أن يعتبر شيئا ملزما لأنه أعطى بضغط و اكراه. و يروى أن تلميذا آخر من تلامذته، و هو واصل بن عطاء مؤسس طائفه المعتزله، جاء اليه للمناقشه بنظريات أدت إلى طرده من صفوف الأمام الصادق. و كان جابر بن حيان الذي اشتهر بالكيمياء من تلاميذه كذلك.

و قد يكون أبو حنيفه أشد إثارة للاهتمام من تلامذته، و هو الذي كان يلقي محاضرات عامه في الكوفه تستشير الكثير من العناية و الالتفات.

و كان يعتمد في استنباط الأحكام على القياس و الرأي، و لذلك انتقده الفقهاء من خصومه في مكه و المدينه. و لا شك أن أحكامه في هذا الشأن كانت تتناول الشرع الإسلامى بوجه عام، و لم يكن ما يصدره من هذا

موسوعة العتبات المقدسه، ج ٣، ص: ٢٣٦

القبيل ذا صفة رسميه لأنه كان يرفض على الدوام الدخول في خدمه الحكومه لتسبب مناصب القضاء. و بذلك استطاع أن يحافظ على مركزه في أيام الأمويين و العباسيين معا. و من المحتمل جدا أنه كان يشايح العلويين بقوة، و يستاء من الكيفيه التي كانوا يعاملون بها. و يقول دونالدسون بعد ذلك انه من العجيب أن يكون هذان المشرعان المتعاصران قد استطاعا متابعه أعمالهما الشرعيه، الأمام الصادق في المدينه و أبو حنيفه في الكوفه، مده طويله من الزمن في مثل تلك الأزمنه المضطربه ..

و قد كان أبو حنيفه يقدر جد التقدير من قبل مشايخ الأمام الصادق لأنه كان ينتقد أبا جعفر المنصور و من على شاكلته من الطغاه الجائرين من بنى أميه أو بنى العباس. فقد صرح ذات يوم بأن مثل هؤلاء الرجال لو أقدموا في يوم من الأيام على بناء مسجد من المساجد و كلفوه بمهمه عد الآجر السهله من أجل ذلك لما فعل ما يريدون «لأنهم من الفساق، و الفساق غير جديرين بتزعم المسلمين». و حينما نقل قوله هذا إلى المنصور أمر بالقبض عليه و أودعه السجن حتى توفي فيه. و كانت مكابده لمثل هذا العناء بسبب قوله ذاك هي التي جلبت له موده الشيعة و تقديرهم. و يستند دونالدسون في روايته هذه على ما رواه العلامة المجلسي في «تذكرة الأئمة» (الص ١٣٠).

و يذكر مرجعنا بعد هذا أن رأى الأمام عليه السلام في القدر أو القوه التي تسير الإنسان في أعماله هو رأى وسط، إذ لا «جبر» و لا «تفويض» بل أمر بين أمرين .. و يقول المؤرخ اليعقوبى انه كان من عادة الفقهاء الذين ينقلون عنه أن يقولوا «أخبرنا الأمام الحجه». و حينما نتذكر أن مالك بن أنس (٩٤-١٧٤ هـ) صاحب كتاب «الموطأ» كان معاصرا للأمام الصادق، أى قبل البخارى و مسلم بمده تناهز القرن الواحد تقريبا، يكون من المهم جدا أن نجد أن الأمام الصادق يعتبر صاحب الفضل الأول في القول الذي أصبح بعد ذلك أهم قاعده يستند اليها المسلمون في الحكم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٣٧

على صحة ما يروى من الأحاديث النبوية الشريفة، و هو «خذوا ما يتفق منها و كتاب الله، و دعوا ما يخالفه».

و بعد أن يورد دونالدسون الكثير من الأقوال و الروايات عن معجزات الأمام و حياته العلمية و قواعده الأخلاقية، يذكر نقلا عن ابن خلكان أنه عليه السلام كتب رسالة في الكيمياء و كتب في الكهانة و الجفر، و أن تلميذه جابر بن حيان كتب كتابا بألفى صفحة أدرج فيها أبحاث سيده الأمام عن الكيمياء التي كانت تكون خمس مئة رسالة .. و ينهى الفصل بقوله ان الأمام توفي في السنة العاشرة من خلافة أبي جعفر المنصور (٧٦٥-١٤٨)، و هو التاريخ الذي يتفق عليه المؤرخون بأجمعهم، بعد أن عمر خمسا و ستين سنة. و قد سم عليه السلام بايعاز من الخليفة المنصور الذي كان يحاذر من وجوده و هو من هو بمنزلته بين المسلمين.

و قد دفن في مقبرة البقيع في المدينة بالقرب من أبيه و جده. و بقيت على هذا الضريح المطهر لعدة قرون قطعة من المرمر كتب عليها: بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الله الذي يبقى الأمم، و يحيى العظام و هي رميم.

هنا قبر فاطمة بنت رسول الله سيده نساء العالمين، هنا قبر الحسن بن علي ابن أبي طالب، و هنا أيضا قبر علي بن الحسين، و هنا قبر محمد بن علي كذلك، و هنا قبر جعفر بن محمد رضى الله عنهم أجمعين.

و تعليقا على ذلك نورد ما جاء في (الفصول المهمة) لابن الصباغ المالكي (الصل ٢١٢) في هذا الشأن: «.. و مات الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام سنة ١٤٨ في شوال و له من العمر ثمان و ستون، أقام فيها مع جده علي بن الحسين اثنتى عشرة سنة و أياما و مع أبيه محمد بن علي بعد وفاة جده ثلاث عشرة سنة، و بقى بعد موت أبيه أربعا و ثلاثين سنة و هي مدة إمامته عليه السلام. يقال انه مات بالسم في أيام المنصور و قبره بالبقيع دفن في القبر الذى فيه أبوه و جده و عم جده، فله دره من قبر ما أكرمه و أشرفه، و أما أولاده فكانوا سبعة: ستة ذكور و بنت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٣٨

واحدة، و قيل كانوا أكثر من ذلك. و الذكور هم: موسى الكاظم و اسماعيل، و محمد و علي، و عبد الله، و اسحق، و البنت اسمها أم فروة رضوان الله عليهم».

الرحالة الغربيون في المدينة

لقد زار المدينة المنورة عدد غير يسير من الغربيين في مختلف العهود و الأدوار، و تسنى لهم الدخول إلى الحرم الشريف، بعد أن ذهبوا إليه بصفة مسلمين حقيقيين و غير حقيقيين. و كان عدد من هؤلاء من أبرع الكتاب و الباحثين، و لذلك استطاعوا أن يكتبوا عن المدينة مؤلفات قيمة و يصفوها و صفا شاملا له أهميته القصوى في تاريخ المدينة و تدوين أحوالها.

و معظم هؤلاء كانوا قد زاروا مكة المكرمة كذلك و اشتركوا في مناسك الحج فكتبوا أشياء كثيرة عنها، و قد أشرنا إلى ذلك كله بشيء من التفصيل في الحلقة المختصة بمكة من الجزء الأول من سلسلة (العتبات المقدسة) هذه (الصل ٢٥٠-٣٣٦).

و أول أوربي زار المدينة في العصور المتأخرة، بعد حجه في مكة بصحبة موكب الحج الشامى، مغامر إيطالى يدعى لودفيكو فارتيمو Ludvicuo Vartouannus من أهالى بولونى الإيطالية و كان قد أبحر من البندقية سنة ١٥٠٣ متوجها إلى الاسكندرية، و توجه من هناك إلى دمشق الشام حيث ارتبط بصداقة مع ضابط من الضباط المماليك. فقرر الذهاب إلى المدينة و مكة مع صديقه هذا فى ضمن موكب الحج الشامى الذى خرج إلى البلاد المقدسة فى اليوم الثامن من نيسان، و قد تزيا فارتيمو بزى جندى من جنود المماليك.

و يظهر من الرحلة التى دونها فارتيمو أنه رجل أفاق، متحامل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٣٩

على النبي والأسلام، بعيد عن الثقافة واللاتزان، ادعى أنه اتصل بكثير من المسلمات فى رحلاته، و دون ملاحظات فيها الكثير من الخلط و الخرافات. فهو يقول انه وصل مع القافلة إلى جبل بالقرب من المدينة يسكنه قوم من اليهود يبلغ عددهم خمسة آلاف نسمة، و هؤلاء قصار القامة لا يزيد الواحد منهم على الخمسة أو الستة أشبار أو أقل من ذلك بكثير.

و لهؤلاء أصوات رقيقة كأصوات النساء، و بشره تميل إلى السواد، و هم؟؟؟ على لحوم الماعز، و إذا وقع المسلم بأيديهم يسلخون جلده و هو حى!! و حينما وصل إلى المدينة التى يسميها «مدينة النبي» بقى فيها ثلاثة أيام. و هو يدعى أنه دخل الحرم الشريف الذى يسميه المعبد و يصفه و صفا موجزا. فيقول أنه مسجد مقبب يدخل اليه من باين كبيرين، و يحمل سقفه حوالى أربع مئة عمود من الآجر الأبيض!! و فيه عدد كبير من المصاييح المعلقة- الثريات- يناهز الثلاثة آلاف!!! و يشير إلى وجود عدد من الكتب الدينية فى جهة من جهات المسجد التى تحتوى على تعاليم الديانة الأسلامية و حياة النبي و أصحابه. ثم يذكر شيئا عن القبر المطهر، و يقول انه توجد بقره قبور أبى بكر و عثمان (كذا) و فاطمة.

و مما يقوله كذلك ان الأمام عليا هو صهر النبي أو زوج ابنته فاطمة، و ان ابا بكر و عمر هما من قادة جيوشه. موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ٣؛ ص ٢٣٩

فى سنة ١٦٧٨ حج إلى الديار المقدسة شاب إنكليزى يافع من أهالى أو كسفورد يدعى جوزيف بيتس gosePh Pitts ، خرج يبتغى المغامرة و الأسفار و هو فى السادسة عشرة من عمره. و من أجل ذلك انخرط فى سلك البحرية فوق أسيرا بأيدى القرصان الجزائريين فى البحر المتوسط، فعاش خمس عشرة سنة عبدا عند ضابط من ضباط الخيالة فى الجيش الجزائرى. و كان هذا قد ألح على عبده باعتناق الأسلام تكفيرا عن خطاياها هو، فضغط كثيرا على العبد حتى نطق بالشهادة لكنه ظل يضمم النصرانية فى قلبه خلال الوقت الذى قضاءه فى بلاد الأسلام و المسلمين كله.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٤٠

فقد أخذه سيده الجزائري إلى مكة و المدينة، و هناك أعتقه و أخلى سبيله، لكنه ظل متعلقا به و أخذ يخدمه بأجور حتى عاد إلى الجزائر. و بعد تقلبات كثيرة هناك هرب من الجزائر و عاد إلى بلاده بواسطة القنصل الإنكليزى. و مما يدل على مقدار تعصبه للنصرانية التى بقى عليها أنه ما كادت رجله تطأ الأرض فى ميناء ليغهورن الأيطالى الذى هرب اليه حتى خر ساجدا و قبلها عدة مرات، و هو يشكر الله على عودته إلى ديار النصرانية. و يبدو أن جوزيف بيتس هذا كتب مذكرات تفصيلية عن سفرته إلى الحج، و وصف مكة بالتفصيل، ثم كتب شيئا غير يسير عن المدينة المنورة كذلك.

فهو يقول عن المدينة انها بلدة صغيرة، فقيرة، و مع ذلك فهى مسورة بأسوار محكمة و فيها الجامع الكبير، لكنه لا يبلغ «معبد» مكة فى ضخامته. و لذلك يعتقد أن هذا السور قد بنى ما بين سنتى ١٥٠٣ و ١٦٨٠. و فى زاوية من زوايا الجامع بناء يشغل خمسة عشر خطوة مربعة، فيه شباييك كبيرة مشبكة بالنحاس الأصفر. و فى داخله بعض المصاييح المعلقة و الأغلاق النفيسة. و ليس هناك ذلك العدد الكبير من المصاييح الذى كتب بعضهم يقول انها تبلغ ثلاثة آلاف فى عددها. و فى وسط هذا المكان يوجد قبر محمد و هنا يتجاوز على النبي الأعظم و يسميه «دعيا». ثم يصف الستائر و يشير إلى ما كان يتردد فى هذا الشأن من الخرافة التى تقول ان الجدث الطاهر يشاهد و هو فى تابوته معلقا بين السقف و الأرض. و يشير إلى البقعة المعدة للمسيح عيسى بن مريم، ثم يقول ان المدينة تزود بجميع ما تحتاجه من الحبشة الكائنة فى الجهة المقابلة من البحر الأحمر.

هذا و قد زار المدينة عدد آخر من الأوربيين الرحالة بعد ذلك، و لا سيما خلال القرن التاسع عشر منذ بدايته حتى نهايته. و قد كانت حملة الخديوى محمد على باشا على الحجاز بأمر من الباب العالى فى استانبول،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٤١

لإنقاذها من الوهابيين، سببا فى دخول عدد من الأوربيين مع الجيوش المصرية إلى الأراضى المقدسة، و زيارتهم للمدينة، كما فعل

الرحالة بورخارت الذي سنأتى على ذكره بعد هذا، و كما حصل للجندي السكوتلاندى المغامر توماس كيث. فقد كان توماس كيث أغا من أغوات المماليك العاملين فى جيوش محمد على باسم ابراهيم أغا. و قد كتب لأبراهيم أغا هذا أن يشارك فى حملة طوسون بن محمد على التى سيقى على المدينة سنة ١٨١٢ فكان أول الداخلين إليها، ثم وجد نفسه يشغل أغرب وظيفة فى حياته لفترة قصيرة من الزمن و هى وظيفة حاكم عسكري للمدينة المنورة على ما يقول هو غارث. و يلخص المستر هو غارث (الص ١٨٦) هذا أسماء الأوربيين الذين زاروا الأراضى المقدسة فيما يأتى: .. أن قائمة الأوربيين الذين زاروا مكة هى قائمة طويلة فى الحقيقة. فمنهم الإيطاليون مثل قارتيما و فيناتي، و الألمان مثل قايلد و ستيزن و فون مالتزان، و الإنكليز مثل بيتس و بورتون و كين، و السويسريون مثل بورخارت، و الاسبان مثل باديا، و السويد مثل والين، و الهولنديون مثل هورغرونيه، و الفرنسيون مثل كوتر نلمونت. و إلى جانب هؤلاء هناك عدد من المحاربين و المغامرين، و قد سمع الرحالة نيور بجراح فرنىسى تمكن من الدخول إلى الأراضى المقدسة، و برجلين انكليزيين أيضا. و طرق سمع الرحالة دوطى أن عددا من الأفرنج دخلوا إليها كذلك، و صادف هو بالذات رجلا إيطاليا يسمى نفسه فرارى كان فى طريقه إلى مكة مع قافلة الحج الأيرانية. و وجد جوزيف بيتس رجلا ايرلانديا فى المدينة، كما يقول الرحالة مالتزان ان ليون روش القنصل الفرنسى فى تونس حج إلى مكة و زار المدينة، و كذلك فعل رجل من البحارة الانكليز. هذا فضلا عن عدد من الأوربيين المشاركة مثل اليونان. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٤٢

.. و لما كان الخديوى محمد على يشك فى إخلاصه لأسلامه فقد كان متساهلا مثل ابنه فى هذا الشأن فسمح لعدد من الأوربيين بالدخول إلى الأراضى المقدسة و منهم بورخارت. و لا بد من أن يقال هنا ان الذين زاروا المدينة كذلك من بين هؤلاء هم قارتيما و فايلد و بيتس، و ستيزن و بورخارت، و والين، و بورتون، و كين، و شاهد المدينة من الخارج الرحالة سادلير كذلك. على أن أهم الرحالة الأوربيين هؤلاء و أغزرهم علما و ثقافه هو الرحالة السويسرى جون لويس بورخارت الذى حج إلى مكة المكرمة، و زار المدينة المنورة، سنة ١٨١٤ و شهد حملة محمد على على الوهابيين فى الحجاز، و السر ريتشارد بورتون الذى زار المدينة المنورة، و حج إلى مكة المكرمة، فى سنة ١٨٥٣. و قد كتب كل منهما عن رحلته بصورة مفصلة، و أسهب فى ذكر كل شىء يمكن أن يخطر على البال تقريبا عن المدينتين المقدستين و ما يحيط بهما من البلاد الحجازية. و لذلك فقد ذكرنا شيئا كثيرا عنهما فى الجزء المختص بمكة من سلسلة العتبات المقدسة هذه (الص ٢٦٣-٣٠٤).

جون لويس بورخارت فى المدينة

كان المستر بوخارت قد أسلم على ما يزعم عند قدومه إلى مصر فى عهد محمد على باشا، و سمي نفسه الشيخ ابراهيم. و قد تعرف بمحمد على و اتصل به كثيرا، ثم تبعه حينما ذهب إلى الحجاز للأشراف على الحملة التى جردت ضد الوهابيين. و هناك سهّل له محمد على حج البيت الحرام، و زيارة المدينة المنورة، برغم شكه فى اسلامه و ارتيابه فيه.

و قد توفى بورخارت فى كل هذا، و لم يكتشف أمره على ما يبدو،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٤٣

فضمن رحلته المعروفة جميع ما شاهده و مرّ به من حوادث و تجارب.

فقد توجه إلى المدينة بعد أن انتهى من الحج فى مكة، و وصل إليها فى صباح يوم ٢٨ كانون الثانى ١٩١٥، بعد أن قطع المسافة إليها بثلاثة عشر يوما. و من سوء حظه أنه وقع مريضا بمرض البرداء- المالاريا- حتى أصابه اليأس من نفسه و ظن أنه سيقضى نحبه فى المدينة فيقبر فيها.

لكنه مع ذلك استطاع أن يرى أشياء كثيرة من أحوال المدينة و ما فيها بحيث استطاع أن يكتب عدة فصول عنها فى الجزء الثانى من رحلته (الص ١٣٨-٢٩٢).

و هو يقول ان القافلة نزلت في الساحة الكبرى الكائنة في ضاحية المدينة، و وجد له منزلا مناسباً بواسطة المزور. و أخذ كالعادة لزيارة الحرم الشريف فلاحظ أن مراسيم الزيارة أقصر و أسهل من مراسيم الحج و مناسكه بطبيعة الحال. لكنه لاحظ أن المدينة كان قد احتلها طوسون باشا مؤخرا و طرد منها الوهابيين، فنفر عنها البدو و أصحاب الأبل الذين كانوا يأتون إليها بالأقوات و المؤن. فعز فيها الطعام، و لاحظ و خامه الجو فيها كذلك و طعم الماء المقيت.

و يأخذ بورخارت بوصف المدينة و موقعها الطبيعي، بوصف يشابه الوصف الوارد في دائرة المعارف الاسلاميه الذي اثبتناه في بداية هذا البحث، لأنها كانت قد استندت اليه على ما يظهر. و يقول انه وجد أسوارها عامرة بحيث تعدها للدفاع على أحسن وجه بالنسبة لمقاييس تلك الجهات، و لذلك كانت المدينة المعقل الرئيسي في الحجاز. و كان السور قد بنى حولها سنة ٣٦٠ للهجرة، ثم أعيد بناؤه بعد ذلك في أوقات مختلفه موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٤٤

أخصها سنة ٩٠٠ للهجرة، لكن الخندق كان قد مدد حولها سنة ٧٥١.

على أن بناءه بشكله في أوائل القرن التاسع عشر كان قد تم بأمر من السلطان سليمان القانوني في نهاية القرن السادس عشر. و هناك أبواب ثلاثة جميلة فيه: الباب المصري في الجهة الجنوبيه، و هو مع باب الفتوح في القاهرة أجمل الأبواب التي شاهدها بورخارت في المدن الشرقيه، و الباب الشامي في الجهة الشماليه، و باب الجمعة في الجهة الشرقيه.

و هناك باب يسمى «الباب الصغير» في الجهة الجنوبيه كان الوهابيون قد أغلقوه عندما احتلوا المدينة قبل سنوات. و فيما يقرب من الباب الشامي، في جوار القلعة، هناك محراب في السور كان جزءاً من مصلى صغير على ما يقال يسمى مسجد السباق، و منه كان محاربو الصحابة يبدؤون سباقاتهم في الركض.

و يقول بورخارت انه شاهد المدينة مبنية بالحجر كلها، و تتألف بيوتها من طابقين بوجه عام و من سطوح منبسطة. و لما كانت غير مصبوغة بالأبيض، و نظراً لأن حجر البناء كان غامقا في لونه فقد كان منظرها يبدو كثيباً. و على كل فقد كانت المدينة من أحسن المدن الشرقيه في بنائها، و هي تأتي بعد حلب في نظره. و يعد الشارع الرئيسي فيها عرض الشوارع أيضاً، و هو الذي يؤدي من الباب المصري إلى المسجد الكبير.

و توجد فيه معظم المخازن و الدكاكين. و يسمى الشارع الآخر شارع البلاط، و يمتد من المسجد إلى الباب الشامي، لكن عددا من البيوت الموجودة فيه كانت خربة. و يقول بورخارت ان مكة تعتبر بلدة عربية في مظهرها أكثر من المدينة التي تعتبر أشبه بالمدن السورية.

أما الحارات فيورد أسماء المنحصر منها ما بين الشارعين المذكورين كالاتي: الساحة، كومه الحشفه، البلاط، الزقاق الطويل، الذي يقع زفيه بيت القاضي و عدد من الحدائق الجميله، زقاق الذرة، سقيفه الشاخي، قاق البكر. و في شمال شارع البلاط بامتداد شمالي من المسجد إلى باب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٤٥

الجمعة تقع محله الحمامه، و زقاق الحبس، و زقاق انكيني، و زقاق الصماهدى، و حارة الميده، و حارة الشرشوره، و زقاق البدور، و حارة الأغوات حيث يعيش الخصيان الموكلون بالحرم الشريف. و تقع في الجهة الممتدة من باب الجمعة على طول الأجزاء الجنوبيه من المدينة إلى حد الباب المصري و السوق الكبير محله دوران، و الصالحية، و زقاق ياهو، و حارة أحمد حيدر، و حارة بنى حسين حيث تنزل القبيلة المسماة بهذا الأسم، و حارة البسوغ، و حارة السقيفه، و حارة الرصاص، و زقاق الزرندي، و زقاق الكبريت، و زقاق الحجامين، و حارة سيدى مالك حيث بيت الفقيه المعروف مالك بن أنس، و حارة الخماشين.

و يقول بورخارت ان العرب بوجه عام لا يهتمون كثيرا بفخامة الأبنية و طراز البناء، و حتى روستاهم يكتفون في أبنيتهم بالضروري منها فقط. و لذلك فليس في المدينة أبنية كبيرة بارزة إلا القليل. فهناك الحرم النبوي الشريف المحتوى على قبر النبي العظيم، و

مدرسة عامة جميلة تسمى المدرسة الحميدية في شارع البلاط، و أخرى شبيهة بها قرب المسجد حيث يسكن شيخ الحرم، و مخزن كبير للحبوب يضم بين جدرانه ساحة كبيرة يقع في الجزء الجنوبي من البلدة، و حمام غير بعيد عنه و هو الحمام العام الوحيد في البلدة و قد شيده في سنة ٩٧٣ هـ محمد باشا وزير السلطان سليمان. أما القلعة فهي محاطة بأسوار قوية جدا و أبراج عالية منيعة عدة. و هي تسع حوالى ست مئة او ثمانمئة رجل، و فيها عدد من الغرف ذات العقود التي لا تخترقها القنابل. و هذه لو وضعت فيها حامية جيدة و جهزت بما تحتاج من المؤن لا تستطيع أية قوة عربية التغلب عليها لأنها مبنية فوق صخور صلبة لا يمكن أن تلغم بالألغام. على أنها لا تستطيع الصمود تجاه المدفعية الأوربية. و فيها بئر عميقة فيها ماء صالح للشرب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٤٦

الضواحي

تمتد ضواحي المدينة، على ما يذكر بورخارت، في الجهة الغربية و الجنوبية منها فتغطي مساحة من الأرض تزيد على مساحة البلدة نفسها.

و تحجز الضواحي عن البلدة نفسها فسحة كبيرة تضيق من جهتها الجنوبية و تتسع من الجهة الغربية بين يدي الباب المصرى حيث تكوّن ساحة عامة تسمى المناخة .. و ليس هناك سور للضواحي المطلّة على المناخة، لكن الجهتين الخارجيتين من الغرب و الجنوب يحيط بهما سور آخر يقل مناعة عن سور البلدة الأصلية. و هناك أربعة أبواب تؤدي إلى الخارج منها، و هي أبواب خشبية صغيرة غير متينة .. و في الجهة الغربية من الضاحية مقابل باب القاهرة و المناخة تتألف الضاحية من شوارع منتظمة حسنة البناء تشبه دورها الدور الموجودة في داخل المدينة. و يخترق هذا الجزء من الضاحية شارع واسع يسمى العنبريه، و تقوم على جانبيه أبنية و بيوت حسنة البناء، و في حوالى هذه الجهات يعيش طوسون باشا في دار خاص به، و يسكن بالقرب منه التاجر الثرى عبد الشكور.

و أهم الحارات الموجودة في الضواحي هي حارة العنبرية، و حارة الواجيه، و حارة الساح، و حارة أبى عيسى، و حارة مصر، و حارة الطيار، و حارة نفيسة، و حارة الحمديّة، و حارة الشهرية، و حارة الخيرية، و حارة الجفر. و كثير من سكان البلدة الداخلية لهم بيوت صيفية في هذه الحارات يقضون فيها شهرا من السنة يتفرغون فيه إلى جى حاصلات تمورهم.

و هناك مسجدان في المناخة، أحدهما يسمى «مسجد على» و يقال انه قديم منذ صدر الإسلام، لكن بنيته القائمة كانت قد شيدت في ٨٧٦.

و المقول ان النبي عليه السلام كثيرا ما كان يصلى فيه. و يسمى المسجد الآخر «جامع عمر» و قد ألحقت به مدرسة عامة كانت تستخدم بنايتها مخزنا للذخيرة و ملجأ للكثير من الجنود.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٤٧

الحرم النبوى الشريف

و بعد أن يصف بورخارت أشياء أخرى في المدينة، و أهمها مشروع الماء فيها، يقول ان الجوهرة الغالية التي تجعل المدينة في صف مكة من حيث الأهمية، لا بل و تفضلها عليها في نظر بعض الناس مثل أتباع مالك ابن أنس، هو الجامع الأكبر الذي يضم في داخله قبر النبي محمد (ص).

و هو مثل جامع مكة يسمى «الحرم». و يقع هذا الجامع في الطرف الشرقي من البلدة و ليس في وسطها. أما أبعاده فهي أصغر من أبعاد الجامع في مكة، إذ يبلغ طوله مائة و خمسا و ستين خطوة و يبلغ عرضه مائة و ثلاثين. لكنه مشيد على الطراز نفسه تقريبا، فهو يكوّن صحنًا مكشوفًا في الوسط تحيط به صفوف من الأعمدة المغطاة من جميع الجهات، مع مبنى صغير في وسط الصحن المربع. و تكون

صفوف الأعمدة هذه أقل انتظاما من صفوف الأعمدة في مكة حيث تكون على نفس العمق من جميع الجهات. كما تكون الأعمدة نفسها مختلفة في حجمها، ففي الجهة الجنوبية التي يقع فيها قبر النبي المطهر، و تكوّن أقدس بقعة في المبنى كله، تكون أبعاد الأعمدة أكبر من أبعادها في سائر الجهات و يبلغ قطر الواحد منها قدمين و نصف .. و يتألف السقف فوق الأعمدة من عدد من القباب الصغيرة المصبوغة بالأبيض من الخارج، كما هي الحالة في مكة. أما الجدران الداخلية فهي مصبوغة بالأبيض كذلك إلا من الجهة الجنوبية و قسم من الزاوية الجنوبية الشرقية المكسوة بقطع من الرخام إلى السقف تقريبا. و هناك على طول هذا الجدار عدة صفوف من الكتابات المكتوبة بأحرف كبيرة من الذهب، واحدة فوق الأخرى ..

و بعد أن يصف بورخارت سائر أجزاء الحرم و الضريح المطهر و ما يوجد حوله من القبور الأخرى يقول ان نفائس الحجاز كانت تحفظ في السابق حول هذه القبور إما معلقة بحبال من حرير يمتد في داخل المبنى، أو بمودعة في صناديق خاصة موضوعة على الأرض. و يمكن أن يذكر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٤٨

من هذه على الأخص نسخة من القرآن الكريم مكتوبة بالخط الكوفي تعود إلى الخليفة عثمان بن عفان، و يقال انها لا تزال موجودة في المدينة ..

ثم يتطرق إلى ذكر حصار الوهابيين للمدينة، و إلى أن شيئا كثيرا من هذه النفائس، و لا سيما الأوعية الذهب منها، استولى عليها رؤساء البلدة بحجة توزيعها على الفقراء لكنهم تقاسموها فيما بينهم بعد ذلك.

و حينما دخل الأمير سعود الوهابي إلى المدينة و استولى عليها دخل الحجرة النبوية نفسها و وصل إلى ما وراء الستائر فوضع يده على جميع النفائس التي وجدها هناك. و قد باع قسما منها إلى شريف مكة و حمل الباقي إلى الدرعية معه. و من الأعلق النفسية التي أخذها، و هي أغلى من أي شيء آخر، النجمة البراقة المتألثة المطعمة بالماس و اللؤلؤ التي كانت معلقة فوق القبر المقدس مباشرة، و قد كانت تسمى «الكوكب الدرّي».

و قد كانت تودع في هذا المكان جميع أنواع الأوعية و الأواني الثمينة المطعمة بالجواهر، و الأقراط، و الأساور، و القلائد، و سائر النفائس التي كانت تهدى من جميع أنحاء الامبراطورية العثمانية و يأتي بها الحجاج في أثناء زيارتهم للمدينة. و لا شك أن ذلك كله كان يؤلف مجموعة ذات قيمة غير يسيرة، لكنها لا تكاد تقدر بثمن. فقد قدر الشريف غالب ما اشتراه من الأمير سعود بمائة الف دولار. و يقال ان رؤساء البلدة أخذوا من أوعية الذهب و أوانيها ما يقدرونه بمائة «هندردويت» - الهندردويت الواحد يساوي ١١٢ باونا أو ليرة - أو ما يساوي ثمنه خمسين ألف دولار. كما يقال ان ما أخذه الأمير سعود معه يتألف غالبا من اللؤلؤ و المرجان، و ان قيمته تساوي ما باعه إلى الشريف غالب.

و ربما يبلغ مجموع كل ما وجد في قيمته حوالي ثلاث مائة الف دولار.

و هناك من الأسباب ما يجعلنا نعتقد بأن هدايا المسلمين التي تجمعت في هذه البقعة عبر القرون و الأجيال كانت تبلغ أكثر من هذا بكثير. و من المحتمل جدا أن يكون حكام المدينة الذين كانوا مستقلين في كثير من الأحيان، و سدنة الضريح المقدس أنفسهم، قد أخذوا الشيء الكثير مما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٤٩

كان يهدى بين حين و آخر كما فعل علماء مكة قبل ثلاث مائة سنة حينما سرقوا مصابيح الذهب العائدة للكعبة و أخذوها إلى الخارج بين طيات أردانهم على ما يقول المؤرخ قطب الدين. و قد أخذ طوسون باشا، عند مجيئه إلى المدينة، يفتش عن الأواني الذهب التي بيعت في المدينة فوجد قسما منها و ابتاعه من مالكيه بعشرة آلاف دولار، ثم أعاده إلى مكانه.

ثم يذكر بورخارت أن فوق «الحجرة» قبة جميلة عالية الذرى، ترتفع فوق القباب الأخرى التي تكوّن السطح الممتد من فوق الأعمدة،

و ترى من مسافة بعيدة في المدينة. و حالما تلوح للزائرين من بعيد يبدؤون بالصلاة و قراءة الأدعية. و تغطي بالرصاص، كما يعلوها هي كرة غير صغيرة بالحجم و هلال كبير، و كلاهما يتوهج بذهبه. و قد صنعت الكرة و الهلال في استانبول بأمر من السلطان سليمان القانوني. أما القبة و الحرم بأجمعه فقد بناه قايتباي سلطان مصر ما بين سنتي ٨٨١ و ٨٩٢ هـ.

و كان الوهابيون قد أغرامهم بتهديم القبة الكبيرة الذهب اللماع، و تعاليمهم القاضية بتهديم القباب المقامة فوق القبور جميعها بما فيها قبة الرسول الأعظم. فحاولوا ذلك و ابتغوا رفع الكرة و الهلال، لكن متانة البناء، و وجود الغطاء الرصاص، جعل من الصعب عليهم تنفيذ ما يريدون.

ثم سقط اثنان منهم بعد أن تزلحوا من فوق السطح الأملس، فتركت المحاولة و عدّ ذلك من معجزات النبي.

و هناك على مقربة من ستائر الحجر و في داخل محيطها قبر «سنتنا فاطمة» مغطى بغطاء أسود من الحرير المطرز. و هناك بعض الاختلاف في الرأي حول مدفن الزهراء البتول في هذه البقعة أو في مقبرة البقيع.

و لذلك يزورها الزوار في هذين المكانين معا. و في الجدار الشرقي للجامع في مقابل هذا القبر تقريبا شباك صغير يدل على المكان الذي كان ينزل فيه جبرائيل على النبي محمد (ص)، و يسمى «مهبط جبرائيل» ...

و لا يعتقد بورخارت بأن الزينة التي وجدها في جهة الروضة و حول الضريح

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٥٠

المطهر تناسب المقام المقدس، و لذلك يرى بأن أية كنيسة من الكنائس الكاثوليكية في أوروبا تبدو أفخم و أجمل عند المقارنة، و أن المسلمين غير ميالين إلى التضحية بأموالهم في هذا الشأن مثل ما يفعله الكاثوليك، و حتى البروتستانت من النصارى.

و بعد أن يشرح بورخارت الكيفية التي يزور بها الزوار الحرم الشريف، يبدأ بوصف الصحن الأوسط فيقول ان مبنى صغيرا مقببا يقوم في وسطه، و تحفظ فيه الأضوية و المصابيح العائدة للحرم. و يوجد بالقرب منه سياج خشبي غير مرتفع في داخله نخلات تعتبر مقدسة لأنها على ما يقال كانت قد زرعتها الزهراء عليها السلام. و في جانب النخلات بئر تسمى «بئر النبي»، لكن ماءها ماء عكر و لذلك لا يتمتع بشهرة قدسية.. و حينما يأتي على ذكر الأضواء و الشموع يذكر أن زوجة الحديوي محمد على باشا التي كانت يومذاك في المدينة جاءت بكميات كبيرة من الشمع و أهدتها إلى الحرم الشريف، بعد أن كانت قد نقلت بعناية و صعوبة كبرى من ينبع إلى المدينة.

و للحرم الشريف أربعة أبواب كبيرة: باب السلام الذي كان يسمى باب مروان على ما يروى السمنودي، و يقع في الزاوية الجنوبية الغربية، و هو الباب الرئيسي الذي يجبر الزائر على الدخول منه عند أول زيارته للحرم. و هذا الباب جميل ذو عقادة مقوسة، و أجمل بكثير من أي باب من أبواب الحرم الشريف في مكة، مع أنها أصغر من عدد منها في الحجم، و أجمل من أي باب من أبواب الجوامع التي رأيتها في الشرق من قبل. فقد طعمت جوانبها بقطع من الرخام و الكاشي الملون بمختلف الألوان، و اكسبتها الكتابات البارزة بحروف من الذهب المكتوبة فوق القوس و على جوانبها مظهرًا متألقا يبهج الأبصار. و هناك أيضا باب الرحمة الذي كان يسمى الباب العتيق من قبل، و يقع في السور الغربي فتمر منه الحناجر إلى داخل الجامع حيث يصلى و يقرأ عليها، و باب الجبر الذي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٥١

يسمى أيضا باب جبرائيل، و باب النسا في السور الشرقي و هو أول باب فيما يقرب من قبر سنتنا فاطمة. و جميع هذه الأبواب تغلق بعد الغروب بثلاث ساعات يوميا، و لا تفتح إلا قبل الفجر بساعة. لكن الذين يرغبون في الصلاة داخل المسجد طول الليل يمكنهم أن يستحصلوا الرخصة لذلك من الأغا المكلف بالخفارة، الذي ينام بالقرب من الحجر عادة.

أما في أيام رمضان، فيبقى الحرم مفتوحا طوال الليل.

و تعهد مهمة أمن الجامع و غسل الحجر و سائر أجزاء المبنى جميعها، و إنارة الحرم و ما أشبهه، إلى خمسين أغا من الأغوات الخصيان

الذين توجد منظمة خاصة لهم تشبه المنظمة الموجودة في بيت الله الحرام في مكة.

لكن هؤلاء تعطى لهم أهمية أكبر في المدينة، فتجدهم يلبسون أحسن و يستعملون الشال الكشميري و أوفر أقمشة الهند الحريرية. و حينما يمرون بالسوق يسارع الجميع إلى تقبيل أيديهم، و لذلك يمارسون نفوذا غير يسير في شؤون البلدة الداخلية. و لهم مخصصات غير قليلة تبعث لهم من استانبول سنويا بصحبة موكب الحاج السورى. و يأخذون كذلك حصتهم من جميع ما يقدم إلى الحرم، و ينتظرون الهدايا من الحجاج الزوار الأغنياء، علاوة على الرسوم التي يتقاضونها من زوار الحجره .. و يسمى رئيس هؤلاء الأوغات «شيخ الحرم»، و هو رئيس الجامع بأسره أيضا و الشخصية الأولى في المدينة عادة، و على هذا مرتبة أعلى من مرتبة رئيس الأوغات في مكة. و هو في الحقيقة خصى من الخصيان يبعث من استانبول، و ينتمى عادة إلى الباب العالى الذى يرسله فى كثير من الأحيان على سبيل النفي كما يحصل عند ارسال باشوات الحجاز إلى جدة. و قد كان شيخ الحرم الذى شاهده بورخارت يومذاك «قزلى أغاسى» فى عهد السلطان سليم .. و قد شوهه مرارا و هو يتقدم على طوسون باشا الذى كانت رتبته برتبة الباشا فى جدة، أى برتبة باشا ذى ثلاث «طوغات».

و لذلك تسنى لبورخارت أن يشاهد طوسون باشا و هو يقبل يد شيخ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٥٢

الحرم فى داخل الجامع المقدس. و له ديوان يضاهاى ديوان الباشا بتشكيلاته تقريبا .. و على هذا الأساس فقد احترامه حتى الوهابيون حينما استولوا على المدينة، و سمح له أميرهم سعود بأن ينسحب إلى ينبع هو و عدد من الخصيان مع أزواجهم و أمتعتهم و ممتلكاتهم النفسية .. و يلقب الخصيان عادة بالأوغات، كما يخاطب رئيسهم «بسيادتك» كما يخاطب الباشا و شريف مكة .. و هناك بالإضافة إلى هؤلاء عدد آخر من الخدم فى الحرم الشريف من أبناء المدينة نفسها يطلق عليهم «الفراشون» ... و يشتغل كثير من هؤلاء فى الوقت نفسه مزورين أو قائمين بصلاة الغائب، أو مرشدين للزوار فى الأماكن المقدسة .. و يكون عدد الفراشين كبيرا جدا عادة. و ينتقل بورخارت بعد ذلك إلى الكتابة عن أهمية الزراعة فى حياة أهل المدينة، و يذكر أن المدينة محاطة ببساتين النخيل التى تنتشر فيها البيوت. و يقول أن الحاصلات الرئيسية فيها القمح و الشعير و البرسيم و أنواع الفاكهة، بالإضافة إلى التمور التى تعد الحاصل الرئيسى فيها.

و يزرع الشعير بمساحات أكبر، و لذلك يعتبر خبز الشعير الغذاء الرئيسى لطبقات الناس الفقيرة. و هو يحصد هناك فى مارت، و حاصله من النوع الجيد .. و تكثر بساتين الفاكهة فى جهات قبا، و يزرع فيها الرمان و العنب الفاخر و الخوخ و الموز بالإضافة إلى الرقى و الخضروات مثل السبانخ و الشلغم و الكراث و البصل و الجزر و الفاصولية. و يشيع فى المدينة شجر (النبق).

و يتطرق أيضا إلى ذكر النخيل و فائدته فى صنع أشياء كثيرة من أجزائه المختلفة. ثم يقول انه سمع بأن المدينة فيها ما يزيد على المائة نوع من التمور، و أكثرها انتشارا و أرخصها «الجبلى»، و هنا أيضا «الحلوة» و «الحلية» و ثمارها صغيرة، و الصيحانى، و البرنى. و يذكر نوعا يقول انه نسبى اسمه تبقى ثماره خضراء اللون حتى بعد أن تنضج و تجف، و نوعا آخر أصفر مثل الزعفران، و هذان النوعان ينظمان فى خيوط تباع باسم «قلائد الشام».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٥٣

و ينهى الفصل عن المدينة بذكر المنطقة الحرام فيها، و يقول انها تحيط بالبلدة من جميع الجهات لمسافة اثنى عشر ميلا، و يدخل فى ضمنها من الجهة الجنوبية جبل عير و الشمالية جبل ثور (و هو جبل صغير يقع وراء جبل أحد). و هذه يجب أن تعتبر منطقة مقدسة لا يذبح أو يقتل فيها أى شخص إلا الأعداء أو المعتدين عن طريق الدفاع عن النفس، أو الكفار الذين يدنسونها. كما يجب أن لا يقتل فيها الطيور و لا- تقطع الأشجار. على أن هذا التحريم قد وضع جانبا فى الوقت الحاضر، على ما يقول بورخارت، أى بوجود القوات المصرية. فقد لاحظ أن الأشجار تقطع و الطيور تذبح و معارك دموية تقع فى البلدة و ما حولها، و مع أن غير المسلمين يحرم عليهم

الدخول إليها فقد حدثت مناسبات خلال مدة وجوده في المدينة استخدم فيها النصارى اليونانيون في مهمات تعود لجيوش طوسون باشا المخيمة على رمية بنديقه من المدينة نفسها.

أماكن الزيارة الأخرى

ويذكر بورخارت أنه في اليوم الذي ينهى فيه الحاج زيارته للحرم والضريح المقدس في المدينة، يزور مدافن البلدة كذلك في العادة حيث يثوى عدد من الصحابة والأئمة والشهداء. وتقع المقبرة هذه في خارج سور البلدة فيما يقرب من باب الجمعة، و تسمى مقبرة البقيع.

وهي عبارة عن مربع كبير تبلغ سعته عدة مئات من الخطوات، محاط بجدار يتصل من الجهة الجنوبية بضاحية البلدة وبساتين النخيل من الجهات الأخرى. وتبدو المقبرة حقيرة جدا لا تليق بقدسية الشخصيات المدفونة فيها. وقد تكون أقدر و أتعس من أية مقبرة موجودة في المدن الشرقية الأخرى التي تضاهي المدينة في حجمها. فهي تخلو من أى قبر مشيد تشييدا مناسبا، و تنتشر القبور فيها و هي أكوام غير منتظمة من التراب يحد كلا منها عدد من الأحجار الموضوعه فوقها. و يعزى تخريب المقبرة موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٥٤

إلى الوهابيين فيشير إلى بقايا القبر و المبانى الصغيرة التي عمدوا إلى تخريبها من فوق قبور العباس و بعض الأئمة و عثمان و سئنا فاطمة و عمات النبي (ص). و الموقع بأجمعه عبارة عن أكوام من التراب المبعثر، و حفر عريضة، و مزابل .. و يذكر بورخارت (الص ٢٢٦) بالمناسبة أسماء الشخصيات الإسلامية التي قبرت في البقيع، و قد أتينا على ذكرها من قبل. لكنه حينما يذكر قبر الأمام الحسن بن على عليهما السلام يتوهم أنه الأمام الحسين سيد الشهداء فيقول ان جسمه فقط دون الرأس قد دفن فيه، و يشير إلى أن الرأس قد أخذ إلى القاهرة و حفظ في جامع خاص يدعى الحسينية .

ثم يصف زيارته إلى جبل أحد حيث وجد المسجد الذي شيد حول قبر الحمزة و غيره من شهداء أحد، مثل مصعب بن عمير و جعفر بن شماس و عبد الله بن جحش، و قد هدم الوهابيون القبّة المشادة فوق القبر لكنهم لم يتعرضوا للقبر نفسه. و على مسافة من هذا المسجد وجد قبّة صغيرة تشير إلى المكان الذي أصيب فيه الرسول عليه السلام في موقعة أحد. و على مسافة قصيرة من هذه القبّة وجد قبور اثني عشر صحابيا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٥٥

من أصحاب الرسول الذين استشهدوا في موقعة أحد أيضا، و قد خرب الوهابيون قبورهم و عبثوا بها. و يقول بورخارت ان سكان المدينة قد اعتادوا على الخروج مرة واحدة في السنة إلى جبل أحد خلال شهر تموز، و هناك يقون ثلاثة أيام متتالية يسرحون و يمرحون كأنهم في عيد.

وزار بورخارت منطقة قبا أيضا، و أهم ما يذكره عنها أنها ملأى بالبساتين العامرة التي تزرع فيها جميع أنواع الفاكهة عدا التفاح و الكمثرى.

و تتزود المدينة بفواكهها من هذه المنطقة التي تنتج الليمون و البرتقال و الرمان و الموز و الأعناب و الخوخ و المشمش و التين، و تنمو أشجار هذه الفواكه ما بين أشجار النخيل و النبق و نباتات الخروع. و يقوم مسجد قبا التاريخي مع ثلاثين أو أربعين بيتا من حوله في وسط هذه البساتين.

و قد وجد المسجد صغيرا و بحاله خربة، و يلاحظ فيه «ميرك الناقه»، و البقعة التي صلى فيها النبي عند وصوله إلى (قبا) و التفت إلى مكة فتخيل ما كانت قريش تفعله فيها، و المكان الذي نزلت فيه الآية المختصة صورة أخرى للمدينة في أواسط القرن التاسع عشر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٥٦

بسكان (قبا) و على مسافة قصيرة من مسجد قبا شاهد مسجد على، و بقربه بئر عميقة تسمى «العين الزرقاء».

سكان المدينة

أما سكان المدينة المنورة و طبقات الناس فيها فيقول بورخارت عنها انهم مثل سكان مكة أكثريتهم من الغرباء الذين تجذبهم قدسية البلد اليها من جميع أنحاء العالم الإسلامي. و على هذا فهناك فيها جاليات من كل بلد إسلامي تقريبا. و لا توجد فيها إلا أقلية صغيرة من نسل الأنصار الذين كانوا يسكنون المدينة عندما هاجر النبي اليها سنة ٦٢٢ للميلاد.

فهناك حوالي عشر أسر يمكنها إثبات نسبها و تحدرها من الأوس و الخزرج، و هذه أسر فقيرة تعيش على الفلاحة في الضواحي و البساتين. على أن عدد الشرفاء الحسينيين غير قليل في المدينة، لكن معظمهم غير مدنيين في الأصل، و إنما كان آباؤهم قد نزحوا اليها من مكة خلال الحروب التي كان يشنها الشرفاء للاستيلاء عليها. و ينتمى معظم هؤلاء تقريبا إلى طبقة العلماء، أما الشرفاء المحاربون الذين يشبهون شرفاء مكة فقليلون جدا.

و هناك أيضا قبيلة صغيرة من الشرفاء الحسينية المتحدرين من نسل الحسين شقيق الأمام الحسن عليهما السلام. و يقال انهم كانوا أقوياء في المدينة سابقا، و كانوا يأخذون لأنفسهم القسم الأكبر من واردات الحرم الشريف، فإنهم كانوا خلال القرن الثالث عشر سدة القبر المطهر المحظوظين. لكنهم تضاءلوا بعد ذلك حتى أصبحوا اليوم يقتصرون على عدد محدود من الأسر التي لا تزال من عليه القوم في البلد و سكانه الأغنياء.

و هم يشغلون حارة خاصة بهم، و يحصلون على أرباح طائلة و لا سيما من الحجاج الإيرانيين الذين يفدون على المدينة للزيارة. و يفهم مما كتب في هذه الرحلة أن هؤلاء من شيعة المدينة الذين يمارسون عباداتهم على الطريقة السنية في الظاهر، و مع هذا فيطلق عليهم «الرافضة».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٥٧

و المعروف في كل مكان أن بقايا الأنصار القدماء، و عددا كبيرا من عرب المدينة الفلاحين الذين يفلحون البساتين و الحقول من حولها هم من «الرافضة» أي الشيعة كذلك. و يسمى هؤلاء النواخلة، لأنهم يعيشون بين النخيل، و هم كثيرون في عددهم و شجعان في الحروب ..

و لذلك قاوموا الوهابيين حينما احتلوا المدينة مقاومة عنيفة .. و نقول ان المعروف في التاريخ، و لدى المطلعين من الناس، أن النواخلة من الفلاحين الذين كانوا يفلحون في بساتين الأمام الحسن عليه السلام. و يقول بورخارت كذلك ان النواخلة لا يتزوجون مع غيرهم إلا في النادر، و معظمهم يجاهرون بالشيعة حينما يكونون بين نخيلهم لكنهم يدعون بالسنية حينما يكونون في البلد. و قد استوطن بعضهم في الضواحي فاحتكروا مهنة القصابة. و تعيش في البادية من جهة الشرق على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة قبيلة بدوية بكاملها يسمى أفرادها «بنى على»، و هؤلاء كلهم من الشيعة أو من معتقى المذهب الإيراني على حد تعبير بورخارت الذي يستغرب كيف أن أقدس مدينتين في الإسلام تحاط إحداهما بالزيدية (أي مكة) و الأخرى بالجعفرية (أي المدينة) و لا تبذل أية محاولة لأجلائهم.

و من بين الأسر القديمة في المدينة أسر تتحدر بنسبها من نسل العباسيين كذلك، لكن شأنهم قد انحط الآن حتى أصبحوا فقراء. و يطلق عليهم «الخليفة»، أي المنحدرين من نسل الخلفاء .. ثم يسهب بورخارت في ذكر الجنسيات الأصلية التي ينتمى اليها سكان المدينة و يقول ان الجيل الثاني أو الثالث من السكان غير العرب يستعربون بالتدريج و يصبحون عربا حتى في قسما و جوههم. و يتطرق بعد ذلك إلى لباس المدنيين و أسلحتهم و أحوالهم المعاشية و الاقتصادية و تجارتهم و أطعمتهم، و عاداتهم و طباعهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٥٨

و في فصل خاص بحكومة المدينة يلخص بورخارت تاريخها منذ صدر الإسلام إلى يوم وصوله إليها تلخيصا مختصرا جدا لا نرى موجبا لنقله هنا لأنه منقول بصورة وافية و كافية للاطلاع في صدر هذا الجزء الذي يتطرق إلى المدينة قديما. لكنه من الطريف أن نذكر هنا أن حكومة المدينة قد استولى عليها في العشرين السنة الأخيرة، أي منذ أواخر القرن الثامن عشر، رجل يسمى حسنا بعد أن كان قد عين أغا في القلعة، و لذلك سمي حسن القلعي. و كان هذا رجلا من عوام الناس متصفا بالدهاء و الحيلة و محبوا بقوة التحمل و الشدة، فوصل إلى رتبة ضابط في الجيش. و كان و هو ذو قامه قصيرة جدا يمشى مشيا مضطربا لأنه كان شبه أعرج، برغم ما كان عنده من قوة في البدن و رهبة في الصوت. و بعد عدة سنوات من الكفاح الشاق استطاع هذا الرجل أن يصبح سيد المدينة غير المنازع، و كان في خدمته فوج من الحرس المختلط المتألف من البدو و المغاربة و سكان المدينة، كما كان في جانبه جميع رعاي المدينة و عوامها. فأخذ يستبد بالناس و يظلم الحجاج فيبتر أموالهم، و يصادر ممتلكاتهم، و يستولى على مخلفات المترفين منهم، كما صار يصادر «العدة» أو الأموال التي كانت تحول من استانبول إلى العتبة المقدسة في كل سنة، حتى جمع ثروة جسيمة و أموالا طائلة. و قد رويت عنه قصص غريبة تدل على وحشيته و نذالته، و منها أن أرملة ثرية جاءت من استانبول ذات يوم مع ابنتها لزيارة القبر المطهر فقبض عليها و أجبرها على التزوج منه. و ما مرّ يومان على الزواج حتى وجدت المرأة المسكينه ميتة في بيته فاستولى على أموالها، و بعد مدة من الزمن أجبر ابنتها على الخضوع له و التزوج منه أيضا!! و مع أن أمره قد رفع إلى استانبول عدة مرات فإن السلطان لم يجد نفسه قادرا على طرده أو الاقتصاص منه.

و لم يكتف بذلك بل صار يتعرض بقوافل الحجاج و مواكبهم الرسمية فيبتر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٥٩

منها الأموال و الرسوم حتى اضطر موكب الحج السوري إلى العودة قبل الوصول إلى المدينة في سنة من السنين. و حينما أخذ الوهابيون يهاجمون الحجاز في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر، و يتوجهون نحو المدينة، ازداد حسن القلعي عتوا و عنفا و لم تعرف لتعسفه و جوره أية حدود في السنوات الثلاث التي سبقت استيلاء الوهابيين على المدينة. و صارت المخازن و الدكاكين تسرق خلال الليل من قبل البدو العاملين في خدمته. و لما وجد نفسه عاجزا عن الوقوف في وجه الوهابيين و الصمود لهجماتهم استسلم لهم بشرط أن يبقى في منصبه، فوعد بذلك و تم له ما أراد. فقد وضعت حامية وهايبة في القلعة، و أجبر آغا الحرم و الأتراك الذين كانوا موجودين في المدينة على الانسحاب منها بعد أن لم يكونوا فيها سوى أشباح لا أثر لها. و هكذا بقي حسن القلعي حاكما على المدينة في ظل الوهابيين. و عندئذ أخذ يتطرف في تحمسه للمذهب الوهابي الجديد و يضغط على السكان في سبيل اعتناقه بأقصى الوسائل و أعنف الطرق. و لم يكن سعود ليحترم المدينة كما كان يحترم مكة، و لذلك أعفى المكيين من الرسوم و الزكاة و شدد في استيفائها من أهل المدينة بواسطة حسن القلعي.

و عندما زحفت الجيوش المصرية على المدينة تحمس حسن القلعي في الدفاع عنها، و بعد أن اندحر طوسون باشا اندحاره الأول في الجديدة ترك الحكم لحسن نفسه. غير أن طوسون أعاد الكرة في الهجوم على المدينة بقوة أعظم، فوجد القلعي أن لا قبل له بهذه الجيوش و دخل في مفاوضات سرية معها فوعد بابقائه في منصبه عند استسلام المدينة لها. فانحاز للجيوش العثمانية حينما وصلت إلى أبواب المدينة، و استقبله أحمد بونابرت القائد العثماني (المصري) بكل تقدير و تكريم. ثم هوجمت البلدة في الحال و استسلمت القلعة للمهاجمين.

و بعد أن قضى على الوهابيين و استبعد خطرهم قبض على القلعي و زميله مزيان قائد الوهابيين و قيادا بالحديد و السلاسل ثم بعث بهما إلى القاهرة، و منها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٦٠

إلى استانبول حيث لقيما ما يستحقانه من الجزاء. و بذلك انقضت صفحة من أغرب صفحات التاريخ في مدينة الرسول.

السر ريتشارد بورتون في المدينة

لقد جاء السر ريتشارد بورتون الرحالة الانكليزي لزيارة مكة و المدينة بعد بوخارت بأربعين سنة تقريبا (١٨٥٣)، و نجح نجاحا باهرا في التستر بحيث استطاع المكوث مدة من الزمن في المدينة و زيارة الحرم الشريف فيها، و سائر الأماكن ذات الذكريات المقدسة و زيارة مكة المكرمة و أداء فريضة الحج بكل مناسكها و شعائرها، من دون أن يكتشف أمره لأنه تظاهر بالإسلام و تسمى ب «عبد الله»، و انتحل الجنسية الأفغانية. و قد أوردنا تفصيل ذلك في الجزء المختص بمكة المكرمة من سلسلة العتبات المقدسة هذه (الصفحة ٢٩٤).

و يلاحظ من الرحلة التفصيلية الرائعة التي طبعت بجزئين كبيرين أن السر ريتشارد لم يترك شاردة و واردة إلا ذكرها في نصوص الرحلة أو شروحها و هوامشها الضافية. و مع ما في هذه الرحلة من تحامل و أغلاط في فهم الإسلام و شريعته، فإنها تعد شيئا ممتازا من ناحية البحث و التحقيق، و دراسة لها قيمتها التاريخية و الجغرافية. و سنحاول أن نورد فيما يأتي أهم ما يمكن اقتباسه منها، تاركين الباقي إلى ما كان قد ذكره بورخارت عن المدينة قبله، و ما سنقله عن رحلة أيلدون رتر المتأخرة (١٩٢٥) لكونه أقرب إلى واقع المدينة الحالي، لا سيما ما يختص منها بوصف داخلية الحرم النبوي و ما أشبهه.

فقد جاء بورتون إلى المدينة من ينبع المطل على البحر الأحمر، و وصلها موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٤١ في الخامس و العشرين من تموز ١٨٥٣. و هو يرسم صورة قلمية لها عند أول إطلالة عليها من مسافة قليلة بقوله: و قد بان أمامنا سهل فسيح تحده من الأمام أراضي نجد المتعادية، و يبين في يساره ركام عبوس من الصخور هو جبل أحد المعروف، و كتلة كبيرة من الخضرة تستكن في قاعدتها قبة بيضاء واحدة أو قبتان. و كانت تمتد إلى اليمين، من فوق نخيل قبا و بسايتها المتميزة بخضرتها الزمرديئة من بين وجه السهل الأسمر المعتم، شرائط عريضة من الضباب الليلقي المتكاثف بالندى المتجمع هنا، و المتباعد هناك، بفعل الأشعة المنبعثة في الصباح. و في أسفل السهل، على بعد ميلين منا، كانت تربض المدينة المنورة، فتبدو كأنها مكان كبير متسع، لكننا ما دنونا و تبيناها على قرب حتى تبين لنا أن انطباعنا ذلك كان شيئا و هميا. و كان يخترق السهل ما بين الحرة و المدينة طريق ملتو يؤدي إلى مدخل مرتفع مستطيل الشكل يخترق السور الطيني المحيط بالضاحية، و هو مدخل «العنبري». و تقوم إلى يساره قباب و منائر مبنية تركي جميل، هو التكية التي شيدها محمد علي لاستقبال مسافري الدراويش، كما يمتد إلى يمينه خط طويل واطيء من الأبنية البيضاء المزدانة بشبابيك مربعة بشعة .. و فيما بين النخيل القائم في شمال المدينة من الخارج كانت تبين خربة سبيل قديم واسع بصورة رائعة، و فيما بين هذه الخربة و القلعة كانت تقوم بناية بارزة مبنية على طراز المقاصير التركية، و هي قصر الحاكم. و تبين في زاوية سور البلدة الشمالية الغربية قلعة بيضاء طويلة مشيد قسم منها فوق كتلة بارزة من الصخر. و تكسب هذه البناية استحكاماتها محمد علي باشا الخديو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٤٢

و مزاعيلها مظهرها أوربيا حديثا يفارن مقارنته غريبة بتاريخها الشرقي الخالص.

و تقوم في ضاحية «المناخة» القباب و المنائر الجديدة من فوق المساجد الخمسة لامعة بين الكتلة الداكنة المتكونة من البيوت و الأرض المحيطة بها. و فيما وراء ذلك في أقصى القسم الشرقي من المدينة تبين بصورة رائعة جوهره المدينة أي الأبراج (لعله يقصد المنائر) العامرة الأربعة و القبة الخضراء اللامعة التي يثوى تحتها حدث النبي الطاهر. و يبدو محتجا نصف احتجاب بهذه الكتلة من الأبنية و بيوت البلدة، من بعيد عدد من البقع البيضاء منطبع فوق سطح أخضر، يشير إلى القبور التي تزدان بها مقبرة البقيع الموقرة. و تبدأ من تلك النقطة إلى الجنوب كتلة النخيل و بسايتها التي عرفت في الإسلام ب «أشجار المدينة». و تبرز من وراء هذا المنظر

خلفية ملائمة تتكون من حقول الجفاء (البازلتى) الأسود الدال على أصل بركانى واضح، و المتكسر إلى كتل جسيمة ضخمة يتلوى نزلا من بينها بانحدار يسمح بنزول الإبل طريق يؤدي إلى السهل.

ابراهيم باشا ابن محمد على باشا

و يصف بورتون بعد ذلك ساعة الوصول و الاستقبال فيقول خلال هذا: ان العرب يبدون فى هذه المناسبات من العواطف أكثر مما تبديه سائر الأقوام الشرقية التى يعرفها، ففى طبيعتهم من الحنان و المحبة الشئ الكثير، و هم أكثر تعبيراً عن عواطفهم بكثير من الهنود .. و بعد أن مرّ الركب من باب العنبرى ساروا أرتالا- فى شارع عريض مغبر فاخترقوا حارة العنبرية، و هى الحارة الرئيسة فى ضاحية المناخة .. ثم عبروا جسرا يتكون من طاق حجرى واحد مشيد فوق مسيل يسمى «السيح»،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٦٣

و بعده بقليل وصلوا إلى «بر المناخة»، و هذا يؤدي باتجاه مستقيم إلى «الباب المصرى» للمدينة.

بين مكة و المدينة

و فى فصل خاص يفرد بورتون لزيارته قبر النبى (ص) يستهل الكتابة بالخوض فى موضوع المفاضلة بين مكة و المدينة. فيقول ان المسجد النبوى هو أحد الحرمين، و ثانى الأماكن المقدسة الثلاثة المعده للعبادة، أما الإثنان الآخران فهما المسجد الحرام فى مكة الذى يعود بقديسيته إلى إبراهيم الخليل و المسجد الأقصى فى القدس الشريف. و يذكر فى حاشية له على هذا القول أن البعض يضيفون مكانا رابعا إلى هذه الأماكن الثلاثة، و هو «مسجد التقوى» فى قبا. و قد ورد فى الحديث عن النبى قوله «الصلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فى أماكن أخرى، إلّا المسجد الحرام». و لذلك فمن واجب الزائر الذى يبقى فى المدينة أن يصلى هناك فى الأوقات الخمسة، و يقضى النهار بقراءة القرآن الكريم فيه، و الليل فى التأمل إن أمكن.

و يسمى الدخول إلى المسجد النبوى و تفقد الأماكن و البقع المقدسة فيه «الزيارة». و هناك فرق أساسى بين هذا الطقس و الحج إلى بيت الله الحرام.

فالحج فريضة واجبة يفرضها القرآن على كل مسلم مرة واحدة فى حياته، أما الزيارة فعمل مستحب. و الطواف الذى يتم فى بيت الله فى مكة يجب أن لا- يؤدي حول قبر الرسول مطلقا، و على الزائر أن لا- يزور القبر المطهر بلباس الاحرام و لا يلمسه بيده أو يضغط بصدرة عليه كما يفعل فى الكعبة، و لا يعفر وجهه بالتراب المتراكم من حوله.

و يخال للمرء أن هذه النقاط تكفى للاتفاق على منزلة المسجد النبوى و مكاتته الروحية، لكن الناس تختلف على الدوام، و لا سيما فى الشرق فيذهب المالكيون إلى أن المدينة أكثر تبيجا من مكة نظرا لقدسيتها و المنافع الدينية المستمدة منها، و لوجود قبر النبى (ص) فيها. و يقر البعض أن الرسول

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٦٤

عليه السلام فضل مكان هجرته على أى مكان آخر و باركه كما بارك إبراهيم مكة. يضاف إلى هذا أن الحديث المختص يستفاد منه أن جسم كل امرء يستمد من الأرض التى يدفن فيها، و لذلك فقد حظيت المدينة بشرف تقديم المادة لجسم الرسول الأعظم. و هناك آخرون مثل عمر بن الخطاب لم يكونوا متأكدين من أى شئ يفضلون. و لما كان الوهابيون من جهة أخرى لا يعترفون بشفاعة الرسول يوم القيامة، و يعتبرون قبر الرسول قبرا مثل سائر القبور شيئا لا يعتد به، و وسيلة للعبادة الوثنية التى يمارسها بعض المسلمين الحمقى، فقد نهوا المبنى المقدس بعنف ينطوى على التدنيس و منعوا الزوار القادمين من البلاد النائية عن الدخول إلى المدينة .

على أن المسلمين يجمعون على أفضلية بيت الله الحرام فى مكة على كل شئ فى العالم، و يعترفون بأن المدينة أكثر احتراماً و تبيجا

من أى جزء من مكة، و جميع ما فى الأرض، عدا بيت الله. و لا شك أن هذا لا يعنى تفضيل سكان مكة على سكان المدينة أو بالعكس، لكن المكيين فى الوقت نفسه يدعون ادعاء مطلقا بأفضليتهم على أهل المدينة، و كذلك يفعل المدنيون (الص ٣٠٤-٣٠٧ ج ١).

مظهر الحرم النبوى

و حينما حاول بورتون الدخول إلى الحرم الشريف فى المدينة لم يجد له جهة خارجية واضحة، و لا منظرا يليق بمسجد الرسول على ما يقول، و لذلك فهو كمبنى مقدس لا جمال فيه و لا جلال. و بعد أن دخل من «باب الرحمة» اندهش من منظره العادى و البهرجة الرخيصة المتجلية فيه، التى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٦٥

تعد شيئا غير لائق لمثل هذا المكان الذى يجله المسلمون فى مشارق الأرض و مغاربها و يقديسونه كل التقديس. و هو ليس مثل بيت الله الحرم المهيب البسيط، المعبر عن فكرة سامية واحدة. و يقول كذلك: اننى كلما أمعنت النظر فيه تبين لى أشبه بمتحف فن من الدرجة الثانية، أو دكان تحف قديم ممتلىء بالتزيينات غير الكمالية، و مزدان بفخامة الفقراء.

.. و المسجد متوازى الأضلاع يناهز الأربع مائة و عشرين قدما فى الطول و الثلاث مائة و أربعين فى العرض، و يتجه طوله من الشمال إلى الجنوب تقريبا. و هو مثل سائر المباني الدينية الإسلامية المعتادة مبنى فيه ساحة وسطى مكشوفة تسمى الصحن، أو الحوش، أو الحصوة، أو الرملة، يحيط بها بهو له صفوف عديدة من الأعمدة على شاكلة الأديرة الإيطالية. و الأروقة فيه سقوف منبسطة، لكنها مقببة من فوق بقبب تشبه القبب الإسبانية نصف النارجية، و تقسم إلى أربعة أقسام بممرات ضيقة تنخفض عن مستوى التبليط بثلاث أو أربع درجات. و يمتد على طول الجدار الشمالى القصير من داخله الرواق المجيدى المسمى باسم السلطان الحاكم (عبد المجيد)، كما يشغل الجدار الغربى الطويل رواق باب الرحمة، و الجدار الشرقى رواق باب النساء.

و يستمد الرواق الأخير اسمه هذا من قربه من قبر السيدة فاطمة (ع)، و يدخل النساء منه عندما يردن زيارة القبر المطهر.

و يحتضن الطول الداخلى للجدار الجنوبى القصير صف الأعمدة الرئيس المحيط بالروضة، أى الموضع المحتوى على جميع ما هو مقدس فى الحرم.

و هذه الأروقة الأربعة المقدسة من الخارج تحملها من الداخل أعمدة تختلف بعضها عن بعض فى الشكل و المادة. و قد بلط الرواق الجنوبى الذى يقوم فيه الضريح بقطع جميلة من الرخام الأبيض المشغول بشغل التطعيم، المغطى هنا و هناك بالحصر الخشن التى فرش فوقها السجاد غير النظيف المتأكل بأرجل المؤمنين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٦٦

المنائر

يبلغ عدد المنائر فى الحرم الشريف خمسة، لكن منارة واحدة، هى الشكيلية التى تقوم فى الزاوية الشمالية الشرقية من المبنى قد هدمت و ما تزال تبنى بشكل جديد. و تقوم منارة باب السلام إلى جانب هذه الباب. و هى كأنها برج طويل جميل تعلوه كرة كبيرة أو مخروط من النحاس الأصفر اللامع. كما تقوم منارة باب الرحمة فى منتصف الجدار الغربى، و هى أبسط فى شكلها من المنائر الأخرى، و لها حوضان يكون الأعلى منهما دائرى الشكل يعلوه سطح مخروطى كما هو مألوف فى ترقية مصر. و تقوم فى الزاوية الشمالية الشرقية من المسجد المنارة السليمانية المسماة باسم بانيها السلطان سليمان القانونى. و هى برج متين البناء بالحجر، له ثلاثة أحواض يكون الحوضان الأسفلان منها مصلعى الشكل و الحوض الأعلى أسطوانى الشكل، و ينتهى كل منها بمنصة يدور حولها

سياج حديد لحماية الذين يصعدون اليه.

و أخيراً، تقوم المنارة الرئيسية في زاوية المسجد الجنوبية الشرقية، و المفروض في هذا الموقع أن يكون الموقع الذى كان يقف فيه بلال مؤذن الرسول فيدعو المسلمين إلى الصلاة. و يقول بورتون انها سميت رئيسية لأنها مخصصة لرؤساء المؤذنين. و هى مثل المنارة السلিমانيه لها ثلاثة أحواض يكون الأولان منها مصلعين في شكلهما و الثالث أسطواني الشكل، و له مثل ما للأولين منصة مسيجه. و تنتهى كل من المنارتين الأخيرتين بشكل يضىو صلب ينبت منه عدد من المثلثات الخشبية التى تعلق بها و بالمنصات مصابيح نفطية فى الأعياد و المناسبات، مثل مناسبة وصول موكب الحج الشامى - و هى محاولة هزيلة للأنارة يمكن أن تساعد على تفسير الخرافة المدنيه التى تشير إلى عمود النور الذى يعلو قبر النبی (ص). و ليس هناك تناسق فى شكل هذه المناورات الأربع و حجمها، و لهذا تكاد تبدو لأول وهلة غريبة المنظر و فى غير محلها برغم ما فيها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٦٧

من جمال و جلال. و يقول بورتون انه بعد أن بقى فى المدينة عدة أيام صارت عيونہ تألفها و لم يعد يجد صعوبه فى تقدير نسبها الضخمة و أشكالها السامقة (الص ٣٣٣ و ٣٣٤ ج ١).

الأروقة و الأعمدة

و يسرى عدم التناسق الموجود فى المنائر إلى الأروقة المحيطة بالصحن المربع المكشوف فى الوسط أيضا. فعلى طول الجدار الشمالى سيكون عند الانتهاء من البناء الذى كان قائما على قدم و ساق صف جميل من الأعمدة الغرانيت التى بلطت الأرض فيما بينها بالرخام. و للرواق الشرقى ثلاثة صفوف من الأعمدة، و قد ثبتت الأربعة الغربية منها و الجنوبية، التى يقوم تحتها الضريح المطهر تثيبا أعمق. لكن هذه الدعامات التى تدعم المبنى قد نحتت من مواد مختلفة، فبعضها رخام فاخر جميل، و بعضها الآخر حجر غير صقيل كسى و صبغ بأرابيسك مبتذل - أى ببقع و خطوط عريضة من اللونين القرمزى و الأسود مثل وجه المهرج اللندنى حينما يظهر فوق المسرح. يضاف إلى ذلك أن حجم الأعمدة مختلف أيضا، فتألف الجنوبية منها من أساطين أضخم من الأساطين الموجودة فى سائر أنحاء المسجد، فنادرا ما تجد اسطوانتين لهما تاجان متشابهان، و كثير منها ليس له قواعد، كما أن بعضها قد قطع بجهل مؤلم بفن البناء. و لذلك يقول بورتون انه لا يسعه أن يشمل إعجابه بالمنارات الأعمدة هذه.

و من بين هذه الأعمدة التى لا تستحق الثناء، هناك ثلاثة لها شهرة فى تاريخ الإسلام و لذلك كتبت أسماؤها عليها بالدهان، و تتمتع خمسة أخرى بشرف التسميات المشهورة. فيسمى الأول «المخلق» لأنه لطح بالخلوق فى مناسبة من المناسبات، و يقع هذا بالقرب من المحراب النبوى إلى يمين المكان الذى يصلى فيه الأمام، كما يدل على البقعة التى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٦٨

كان الرسول الأعظم عليه السلام قبل اختراع المنبر يتكىء فيها على «الأسطوانة الحنانة» و يلقى خطبة الجمعة. و العمود الآخر هو ثالث عمود من المنبر و ثالث من الحجر، و يسمى «عمود عائشة» و كذلك «أسطوانة القرعة» لأن الرسول على ما تقول زوجته المفضلة صرح قائلاً:

ان الناس حينما يعرفون قيمة هذا المكان سوف يستعينون بالقرعة للصلاة فيه. و يذكر فى بعض الكتب باسم «عمود المهاجرين»، كما أن آخرين يسمونه «المخلق» كذلك.

و على بعد عشرين ذراعا من عمود عائشة، و عمودين من الحجر، و أربعة أعمدة من المنبر يقع «عمود التوبة» أو عمود أبى لبابة. و قد سمي كذلك على أثر حادثه وقعت لأبى لبابة أحد الأنصار، اليهودى الأصل، أو الأوسى، الذى جاء يفادى النبی عن بنى قريظة اليهود فأساء التصرف و ندم فقرر أن يشد نفسه بنخله كانت فى هذه البقعة حتى يقبل الله و النبی توبته. أما الأعمدة التى تقل فى

شهرتها فهي «أسطوانة السرير» التي كان من عادة النبي أن يجلس في موقعها للتأمل فوق سريره المتواضع المصنوع من جريد النخل. و تشير «أسطوانة علي» إلى المكان الذي كان الأمام علي يصلى فيه إلى جنب ابن عمه النبي. و في موقع «أسطوانة الوفود» كان النبي (ص) يستقبل الوفود و الرسل و المبعوثين من البلاد الأخرى.

و تدل «أسطوانة التهجد» على المكان الذي كان النبي يمضى ليله فيه مصليا متهجدا. و أخيرا «مقام جبرائيل» الذي لم يجد بورتون تفسيراً لأسمه الآخر «مربعة البعير».

و تطل الأروقة الأربعة في مسجد المدينة على صحن أوسط مكشوف متوازي الأضلاع في شكله. و الشيء الوحيد الذي يلفت النظر فيه سياج خشب مربع الشكل يحيط بتربة حسنة الأرواء تدعى «حديقة ستنا فاطمة»، و توجد فيها اليوم (أى يوم زيارة بورتون في ١٨٥٣) اثنتا عشرة شجرة يهدى خصيان المسجد تمرها إلى السلطان و عظماء المسلمين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٦٩

و توجد بين النخلات بقايا لسدره قديمه يباع ثمرها بأسعار عالية. أما البناية الصغيرة التي ذكرها بورخارت قبل أربعين سنة، و قال إنها توجد بالقرب من هذا الموقع، فقد هدمت قبل ثلاث أو أربع سنوات، و كانت تسمى «قبة الزيت» أو «قبة الشمع».

دفن النبي

و ينهى بورتون فصله الطويل الذي كرسه لوصف الحرم الشريف (الفصل السادس عشر ج ١) بالتشكيك في صحه المكان الذي دفن فيه النبي الأعظم، مستندا إلى أسباب تافهة. فهو يقول (الص ٣٣٩) انه برغم أن كل مسلم و مسلمة على وجه البسيطة، متعلما كان أو غير متعلم، يعتقد بجزم بأن رفات النبي محمد قد دفنت في «الحجرة» بالمدينة، فأنى لا يسعنى إلا أن أعتقد بأن المكان مشكوك فيه، مثل ما هو مشكوك بالقبر المقدس في القدس الشريف.

و يجب أن نتذكر أن شغبا قد حصل حينما توفى النبي لأن الناس الذين كانوا يعتقدون بخلوده لم يصدقوا النبأ، و حتى عمر فعل ذلك و هدد بقتل من يصدقه.

يضاف إلى ذلك أن النبي ما سعدت روحه إلى بارئها في السماء حتى حصل نزاع بين مهاجرى مكة و أنصار المدينة. و باحتدام هذا النزاع هدد البعض بحرق بيت علي و فاطمة، الواقع على بعد أقدام معدودة من البقعة التي يوجد فيها جدث الرسول اليوم، ثم انتخب أبو بكر للخلافة في مساء اليوم نفسه.

و يقدم بورتون فيما يأتى الأسباب التي تدعوه إلى الاعتقاد بمثل هذا الرأى العجيب!!.

فهو يقول ان قبر الرسول منذ أيامه الأولى لم يعرف شكله قط في الاسلام، و لهذا السبب يكون شكل القبور محدبا في بعض البلاد الاسلامية و مسطحا في بلاد أخرى و لو كانت هناك سنة في هذا الشأن لما كانت الحالة على ما هي عليه اليوم. كما ان الروايات، فالسمنهودى الذي يعد ثقة بين المؤرخين يناقض نفسه في هذا الشأن. فتارة نجده يصف القبر المطهر، و تارة أخرى يقول

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٧٠

بصراحة انه دخل الحجرة حينما كان يرممها قايتباى و رأى في داخل الضريح ثلاثة لحدود عميقة و لكن لم يجد أثرا للقبور. و لذلك فاما ان تكون وفات الرسول يكون الشيعة قد نقلوها الى مكان آخر حينما ظل القبر المقدس بعهدتهم قرونا عديدة. و أخيرا يقول بورتون: انى لا يسعنى الا ان اعتبر قصة النور الذي يأخذ بالأبصار فيحيط بقبر الرسول، مما كان و ما زال يعتقد به المسلمون، تمويها ابتدعه المسؤولون لتغطية النقص المشار اليه. و لا اعتقد ان هذه الأسباب، و هذا الرأى، يستحق الرد عليها لأنها تتهادى أمام المنطق السليم .

و هناك فصل أفرده بورتون في رحلته (الفصل السابع عشر ج ١) لتاريخ المسجد النبوي لا نجد مبررا لا يراد شيء منه هنا نظرا لما جاء من هذا التاريخ في صدر هذا البحث نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية. لكن بداية هذا الفصل تتطرق الى تاريخ المدينة القديم، وقد وجدنا من المناسب ايراده هنا لما فيه من طرافة و شيء من الفائدة بالرغم من كونه من الاخبار التي لا تتجانس مع التاريخ الاكاديمي العلمي فهو يقول ان ابن عباس أخبر العالم بان الثمانين شخصا الذين كانت تتكون منهم أسرة النبي نوح عند أول خروجه من الفلك نزلوا في مكان يبعد عن بابل بعشر مراحل و اثني عشر فرسخا، اي بمقدار ٣٦ الى ٤٨ ميلا- و هناك تناسلوا و تكاثروا ثم انتشروا فكونوا امبراطورية قوية، لكنهم انحرفوا عن عبادة الله العلي القدير في الأخير على عهد نمرود بن كنعان بن حام. و بمعجزة من المعجزات تفرقوا أيدي سبا و انتشروا الى أقصى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٧١

بقاع الأرض، ثم أخذوا يختلفون بتعدد لغتهم البدائية الى اثنتين و سبعين لهجة.

و قد أوحى الى قبيلة من هؤلاء تسمى أبناء سام بن نوح، أو العمالق و العمالق، نسبة الى جدهم عملق بن أرفخشد بن سام بن نوح، بمعرفة اللغة العريية. فنزلت في المدينة، و كانت أول من فلاح الأرض و زرع النخيل فيها، و احتل هؤلاء الناس بمرور الزمن جميع الأراضي الواقعة ما بين بحري الحجاز (البحر الأحمر) و عمان (الجزء الشمالي الغربي من المحيط الهندي) فأصبحوا أسلاف الجابرة في سورية و الفراعنة في مصر. و كان عمر الانسان في عهد هؤلاء العمالق طويلا بحيث لم يكن يرى خلال أربع مائة سنة أى تابوت لم يسمع أى نوع من العويل في مدنهم.

و يقول معظم المؤرخين ان آخر ملك من ملوك العمالق، و هو أرقم بن الأرقم ذبحه جيش من أبناء اسرائيل أرسله موسى بعد «الخروج» أو هجرة اليهود و أمرهم بتطهير مكة و المدينة تطهيرا كاملا من سكانها الكفرة. فقضى على القبيلة كلها عدا امرأة واحدة و أطفال من الأسرة المالكة و فتى يافع منهم، لأن جماله الطاغى أقع المحتلين باستبقائه الى ما بعد الرجوع الى رأى النبي فيه. و حينما عاد الجيش وجد موسى قد قضى نجه، فأنبههم الناس على مخالفة أمره الصريح. و لم يشأ أفراد الجيش ان يعيشوا مع الأمة التي استقبلتهم بمثل ذلك اللوم و التفرع، فعادوا الى الحجاز و استقروا فيه .

و يتفق المؤرخون المسلمون على ان بنى اسرائيل هم الذين حكموا بلاد العرب المقدسة بعد العمالق، لكن المتبحرين في التاريخ لا يتفقون على سبب هجرتهم الى هناك. فيقول بعضهم ان موسى حينما كان عائدا من الحج في مكة وجد جماعة من اتباعه في المدينة الدلائل التي يشير التوراة بواسطتها الى انه ستستمع الى خاتم النبيين و آخر المرسلين. فنزلوا فيها و انضم اليه كثير من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٧٢

البدو الموجودين حولها، و خضعوا لشريعة موسى. و يخبرنا ابن شيبه كذلك ان موسى و هارون حينما رحلا من مكة و اتجها نحو الشمال لم يدخلا الى المدينة خوفا من بعض اليهود الذين كانوا فيها، لكنهما نصبا خيامهما فوق جبل أحد. و حينما اوشك هارون على الوفاء حفر موسى قبرا له و خاطبه يقول «لقد أتتك الساعة يا أخى فوجه وجهك الى العالم الآخر». فتمدد في القبر، و فاضت روحه في الحال، و عند ذاك أهال موسى عليه التراب و توجه الى أرض الميعاد! .. و هنا يعلق بورتون و يقول انه شاهد قبه هارون فوق قمة أحد، لكنه يذكر كذلك ان قليلا من المراجع تعتقد بدفن هارون في هذا المكان، لأن قبره موجود فوق جبل الطور في شبه جزيرة سيناء، و هو كثيرا ما يزار هناك.

و يزعم أبو هريرة ان بنى اسرائيل نزلوا في المدينة بعد تفتيش طويل، لأنهم وجدوا في كتبهم بعد أن طردوا من فلسطين على اثر احتلال بختنصر لها أن خاتم النبيين سيظهر في بلدة من بلدان «عريية» تدعى «ذات نخل».

و قد احتل البعض من أبناء هارون المدينة، و نزلت القبائل الأخرى في خيبر و ما جاورها و بنوا لهم أطما، أو حصونا مربعة مسطحة

السطوح من الحجر للسكنى و الدفاع. و خلفوا لأجيالهم التالية ما يفهم منه أن محمداً يجب ان يستقبل استقبالاً حسناً، لكن الله سبحانه و تعالى أغلظ قلوبهم فأدى ذلك الى هلاكهم.

فقد اداروا ظهورهم كالحمير الى رحمة الله، و كانت النتيجة ان استؤصلوا من الأرض.

و يذكر الطبرى فى تاريخه ان بختنصر بعد ان خرب اورشليم هاجم مصر و ذبح ملكها الذى كان قد آوى بقايا بنى اسرائيل، فوجد اللاجئون المطاردون طريقهم الى الحجاز و نزلوا بالقرب من يثرب، حيث أسسوا بلداناً عدة مثل خيبر، و فدك، و وادى الصبو، و وادى القرى، و قريظة، و كثير غيرها:

و لذلك يبدو باتفاق المؤرخين ان اليهود فى الزمن القديم اما ان يكونوا قد استوطنوا المدينة، أو حلوا محل العمالقة فيها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٧٣

و قد تخلى الاسرائيليون فى الأخير عن عبادة الله الواحد الأحد، الذى أثار قبائل الأوس و الخزرج العربية عليهم. و تمت هذه القبائل بصله الى أصل واحد، كما تزعم ان بلادها الأصلية هى بلاد اليمن. و تشرح ظروف هجرتهم الى المدينة على الوجه الآتى: فقد كان أحفاد يعرب بن قحطان بن شالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح، أقارب العمالقة، يعيشون عيشة مزدهرة فى بلاد سبأ، و كان نفوذهم يمتد الى رحلة شهرين عن سد مأرب بالقرب من عاصمة اليمن الحالية فيصل الى سورية. كما كانت تروى روايات لا تصدق عن ضيافتهم و خصب أراضيهم. فتبدلت قلوبهم كالمعتاد و انحرفت بتأثير الترف و الحياة المزدهرة التى كانوا يحيونها، و طلبوا من الله ان يريحهم من عناء الامبراطورية المترامية الأطراف و من واجبات الضيافة بتقليل ممتلكاتهم. فكانت نتيجة تضرعاتهم العاقبة ما أصابهم من سيل العرم المعروف!!

و كان رئيس أبناء قحطان بن سبأ، من أسر اليمن المالكة، رجلاً يسمى عمرو بن ماء السماء، و يلقب «مزيقياً» لأنه كان يمزق ثيابه بعد ان يلبسها مرة واحدة. و كانت لزوجته (تاركة) الحميرية معرفة تامه بالعرافة و الكهانة، فتكهنّت بحوادث مميتة و أندرت زوجها مقدماً بذلك. و لما كان غير راغب بترك قبيلته من دون عذر أو ميرر، دبر مع ابنه بالتبني ان يتشاجر معه و يلطمه على وجهه فى مأدبة كبيرة يحضرها رجال مملكته المرموقون. فاتخذت تلك الحادثة حجة لبيع أملاكه و هاجر الى الشمال يتبعه أبناؤه الثلاثة عشر، الذين كانوا كلهم من أهمهم (تاركة) نفسها. و قد قدر للجماعة الصغيرة هذه، التى نجت من الطوفان فى اليمن على هذه الشاكلة أن يكون أحد أفرادها أباً للأنصار الذين نصرروا رسول الله فى المدينة من بعد ذلك.

فقد انتشر أولاد عمرو جميعهم فى مختلف أنحاء الجزيرة العربية، و اختار ابنه الأكبر سلبه بن عمرو الحجاز فنزل فى المدينة التى كانت يومذاك فى أيدي بنى اسرائيل العاقين، و أصبح أباً للأوس و الخزرج. و بمرور الزمن جعل الله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٧٤

سبحانه و تعالى من القادمين الجدد وسيلة للانتقام من اليهود المتمردين. إذ كانت قبيلتا بنى قريظة و بنى النضير تدعيان ببعض الحقوق الاقطاعية فى جميع مناسبات الزواج، و بعد ان تحمل أبناء الأوس و الخزرج هذه الالهانة مدة من الزمن التجأوا فى الأخير الى قريب من أقربائهم الذين كانوا قد نزلوا فى سورية عندما تفرقت الأسرة، و هو أبو جيلة. فساق هذا جيشاً الى المدينة و انتقم لشرف أقربائه فيها، و بذلك قضى على قوة اليهود الذين أصبحوا منذ ذلك اليوم موالى للعرب.

فعاثت قبائل الأوس و الخزرج بعد ان تحررت من عدوها المشترك عيشة هدوء و صفاء مدة من الزمن. ثم وقعت خلافات و ضغائن بينهم بعد ذلك، و ظلوا يتقاتلون فيما بينهم حتى جاء النبى الأكرم الى المدينة فأصلح فيما بينهم.

على ان هذا لم يحدث الا بعد ان منى الخزرج باندحار شنيع على يد الأوس فى موقعة بؤاس حوالى سنة ٦١٥ للميلاد.

و قد روى أيضاً ان تبعاً الأصغر سار نحو الشمال، قبل ان يحاصر أبو جيلة المدينة بثلاثة قرون، بطلب من الأوس و الخزرج لتأديب اليهود. و بعد ان استولى على المدينة ترك أحد أبناؤه حاكماً فيها و زحف لاحتلال سورية و العراق.

غير انه أخبر فجأة ان أهالى المدينة قتلوا أميرهم الجديد غيلة فعاد تبع لتوه وأخذ بمهاجمتها. وحينما قتل حصانه من تحته فى أثناء الهجوم أقسم بأن لا يقوض خيامه ما لم يهدم المدينة على أهلها. وعند ذاك خرج له اثنان من كهنة اليهود وأخبارها، هما كعب وأسيد، وأخبراه بأنه ليس فى مقدور البشر ان يهدم هذه المدينة لأن الله سيحميها على ما تذكره كتبهم، ويجعلها ملجأ لئيه من أبناء أسماعيل.

فتهود تبع وأخذ أربع مائة من أخبار اليهود معه و ترك المدينة، و بعد ان حج الى الكعبة فى مكة وأنعم عليها بكسوة ممتازة، و شيد فى المدينة دارا للنبي المنتظر عاد الى عاصمته ملكه فى اليمن. و هناك ألغى عبادة الأصنام و عامل ضيوفه الأخبار بكل عناية و رعاية، ثم كتب على فراش الموت ما فحواه:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٧٥

«أشهد ان أحمد على حق، و هو نبي الله خالق الأرواح، و لو امتد عمرى الى أيامه لصرت وزيرا له و ابن عم». و بعد ان ختم الورقة سلمها الى الحبر الأكبر و أخذ عهدا منه بأن يسلم الكتاب الى النبي الأعظم اذا سنحت له الفرصة، و اذا طال الزمن و بعد اليوم الذى يظهر فيه فان الكتاب يجب ان يسلم من جيل الى آخر حتى يصل اليه. و قد عهد بالدار التى بنيت فى المدينة الى حبر كان من نسله أبو أيوب الأنصارى الذى كان أول شخص تجاوز عتبة بابه النبي عندما وصل الى المدينة فى هجرته. و كان عند أبي أيوب كتاب تبع نفسه، و بذلك وصل الكتاب بعد ثلاثة أو أربعة قرون الى المرسل اليه .

ثم يبدأ بورتون بذكر علاقة النبي و المدينة و كيفية وقوع الهجرة المباركة اليها مما هو معروف فى التاريخ. لكنه يذكر أيضا فى حاشية له قوله أنه من الغريب ان يكون عبد الله أبو النبي قد مات فى المدينة و دفن فيها، و ان يكون قبر أمه آمنه فى الأبياء على طريق المدينة. و فيها أيضا تزوج هاشم جده الأكبر سلمى المتدلية التى كانت متزوجة قبله من أحيحة الذى ينتمى الى الأوس. فكان جده شيبه المسمى بعبد المطلب فى العادة ابنا لسلمى هذه، و قد نشأ فى المدينة أيضا.

تشكيلات الحرم

و يأتى بورتون على تشكيلات الحرم النبوى الادارية و العلمية. فيقول ان هذه التشكيلات قد تغيرت كثيرا منذ أيام الرحالة بورخارت (١٨١٤) الذى سبق ان أشرنا اليه، و كان ذلك بتأثير المولدين الأتراك و نفوذهم.

و على هذا الأساس لم يعد «شيخ الحرم» من الخصيان. و كان على أيام بورتون رجلا من باشوات الأتراك يدعى عثمان، تعين من استانبول براتب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٧٦

قدره ثلاثون ألف قرش فى الشهر. و نائبه خصى أسود يسمى «رئيس الأغوات»، و يتقاضى خمسة آلاف قرش فى الشهر، و كان يومذاك يسمى (طيفور أغا) و هو عبد من عبيد (عصمة سلطانه) أخت السلطان محمود المتوفى. و يطلق على رئيس الخزانة «مدير الحرم» و هو يراقب (الخزنة دار) فى عمله و يتقاضى راتبا قدره ألف و خمس مائة قرش، كما يشتغل فى معيته مساعد يسمى «نقيا»، و يتقاضى ألف قرش. و هناك شيوخ ثلاثة للخصيان يتقاضى الواحد منهم ما بين سبع مائة و ألف قرش فى الشهر. و يبلغ عدد الخصيان حوالى مائة و عشرين، و هؤلاء ينقسمون إلى ثلاث طوائف: البوابون الذين يفتحون أبواب الحرم، و الخبزيه الذين يكنسون الاقسام النظيفة من الحرم، و الطائفة الأخيرة التى يعرف أفرادها بالبطلين، و هؤلاء يكنسون سائر أجزاء الحرم و يضربون الذين يجدونهم نائمين و يعملون كالشماسين فى الكنائس.

و يتراوح راتب الواحد منهم ما بين (٢٥٠) و (٥٠٠) قرش فى الشهر.

و تعتبر وظائفهم شرفية، و هم فى العادة متزوجون، و بعضهم متزوج من ثلاث زوجات أو أربع.

و هناك إلى جانب الخصيان عدد من الأحرار يطلق عليهم (الفراشون) و يكاد ينتمى جميع أفراد الطبقة الوسطى و الدنيا من سكان المدينة الى هذه الطائفة من الخدم، و هم يقسمون الى جماعات يتألف كل منها من ثلاثين، و يتبدلون كل أسبوع بعد ان يتقاضوا عن خدماتهم «غازى» واحد أو ما يعادل اثنين و عشرين قرشا. و ينحصر عملهم فى مسح الأرض و غيرها و ازالة التراب عنها، و فرش السجاد، و ملء المصاييح بالنفط بعد ان ينزلها الخصيان لهم من السقوف، و غير ذلك

و أخيرا هناك الطبقة الدنيا من الخدم المتألفة من «شيخ السقاى» الذى يشتغل فى معيته أربعون الى خمسين رجلا يقومون بفرش الساحات و سقى الحدائق و تقديم الماء للزوار.

اما التشكيلات الدينية فهى على نطاق أوسع من التشكيلات الادارية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٧٧

الرحالة السر تشارلز بورتون باللباس العربى ١٨٥٣

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٧٨

فهناك القاضى الذى يبعث كل سنة من استانبول، و بعد أن يقضى اثنى عشر شهرا فى المدينة ينتقل الى مكة ثم يعود الى بلاده بعد خدمه سنة أخرى فيها.

و يشتغل فى معيته ثلاثة (مفتين): المفتى الشافعى، و المفتى الحنفى، و المفتى المالكى. و كل من هؤلاء يتقاضى حوالى مائتين و خمسين قرشا فى الشهر.

اما الرؤساء، كما يسمى المؤذنون هنا، فهم كثيرون العدد. فهناك ثمانية و أربعون او تسعة و أربعون مؤذنا من الطبقة الدنيا، و يتراأسهم ستة من المؤذنين الكبار.

و هؤلاء أيضا يرأسهم شيخ الرؤساء الذى يحق له فقط ان يؤذن من فوق «المنارة الرئيسية». و هذا الشيخ يتقاضى مائة و خمسين قرشا، اما الرؤساء فيتقاضى كل منهم مائة، المؤذنون الاعتياديون ستين. و هناك فى الحرم أيضا خمسة و أربعون خطيبا يعظون و يؤمون المصلين فى أيام الجمع لقاء مائة و عشرين قرشا فى الشهر، و هم تبع لرئيس الخطباء. و يدفع المبلغ نفسه إلى خمسة و سبعين إماما يقرأون الصلوات الخمس يوميا فى الحرم، و يتراأسهم شيخ الأئمة.

و لم يستطع بورتون الحصول على معلومات مضبوطة حول المبلغ الذى تحوّل سنويا من استانبول و القاهرة الى المدينة. فالنقطة الوحيدة المتفق عليها بين الناس فى هذا الشأن ان معظم هؤلاء يحرمون من نصف مخصصاتهم عادة و يبتزها غيرهم. فحينما تصل الصدقة و مبالغ الأوقاف الى المدينة تسلم الصرّة الى المفتين و رئيس الخطباء و كاتب القاضى. و هؤلاء تتكون منهم لجنة خاصة، و بعد أن يحصوا الأسر المستحقة يقسمون المبالغ فيما بينها بموجب العدد الذى تتكون منه الأسرة الواحدة و منزله المستحق. و يقسم هؤلاء الى الدرجات التالية:

أ- العلماء و المدرسون الذين يعظون و يحاضرون و يعلمون البالغين من الناس فى الحرم.

ب- الأئمة و الخطباء.

ج- السادة من نسل النبى.

د- الفقهاء و الماللى.

ه- العوام بما فيهم أهالى المدينة و المجاورون.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٧٩

و قد استقى بورتون هذه المعلومات من عمر أفندى الذى ينتمى إلى الدرجة الثانية من هذا التصنيف. و قد أخبره بأن حصته تتراوح بين ثلاثة الى خمسة عشر ريالا فى السنة.

سكان المدينة

ذكرنا فيما سبق من هذا البحث ما كتبه الرحالة بورخارت عن سكان المدينة حينما زارها في ١٨١٤، و سنورد هنا ما كتبه بورتون بعده بأربعين سنة في الموضوع نفسه، منتقن منه ما لم يتطرق الى ذكره الرحالة الأول.

فيقول بورتون ان المدينة فيها عدد قليل من الأسر المتحدرة في نسبها من أنصار النبي الأقدمين، و أنه سمع عن أربع منها:

- ١- بيت الأنصاري، أو سلالة أبي أيوب الأنصاري النبيلة التي تفرعت شجرتها تفرعا كبيرا خلال مدة تناهز الألف و خمس مائة سنة. و مع ان هؤلاء يحملون مفاتيح مسجد قبا، و يخدمون أئمة في الحرم الشريف، فانهم لم يعودوا من الأسر الثرية القوية.
- ٢- بيت أبي جود، و هؤلاء يزودون الحرم بعدد من الأئمة و المؤذنين.

لكن المعروف في أواسط القرن الخامس عشر بأن الأسرة لم يبق منها سوى شخصين هما ولد و بنت. ثم يقول بورتون بالمناسبة ان الرحالة المغربي ابن جبير يروي انه شاهد في المدينة مؤذنا من نسل بلال مؤذن الرسول يمارس المهنة التي تخصصت بها أسرته عبر القرون.

٣- بيت الشعب، و هذه أسرة كثيرة العدد اتخذ قسم من ابنائها الترحال مهنة لهم، و اتخذ الآخرون التجارة و الخدم في الحرم الشريف.

٤- بيت الكراني، الذين يشتغلون غالبا في الأمور التجارية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٨٠

ثم يتطرق الى ذكر النخولة الشيعية فيورد نقاطا و تهما ما أنزل الله بها من سلطان عنهم، و لعل ذلك من خيال المتعصبين الذين نقلوا له هذه الأخبار عن مثل هذه الطبقة من الناس التي كانت تشتغل في صدر الاسلام في الفلاحة عند الامام الحسن عليه السلام، كما ألمحنا في السابق. و كذلك يتكلم عن بني حسين و الخليفة مما أوردناه في بحث الرحالة بورخارت. و يزيد على ذلك بذكر الصديقية من نسل أبي بكر، و بني النجار الذين يقول عنهم انه لم يجد أحدا يزوده بأى خبر يختص بهم. و يحلل بعد ذلك أوضاع سكان المدينة من جميع الوجوه بفصل يستغرق ثمان و عشرين صفحة كاملة، و من المؤسف انه ليس من الممكن ايراد ذلك هنا.

البقيع

و قد زار بورتون مقبرة البقيع زيارة خاصة، فخرج مع جماعته من المدينة سالكا درب الجنازة اليها، الذي يحاذي السور الجنوبي .. و هو يقول عند الوصول اليها ان هناك خبرا يقول ان سبعين ألف قديس، و في رواية مائة الف، سوف يعيشون يوم القيامة من البقيع. و ان عشرة آلاف صحابي، و عددا لا يحصى من السادة، قد دفنوا في هذه المقبرة على مر السنين فاندرست على مر السنين فاندرست قبورهم لأن القبور في الأزمنة القديمة لم تكن توضع عليها شواهد. و أول من سيعث يوم النشور النبي الأعظم (ص)، و بعده أبو بكر، و بعده عمر، ثم أهل البقيع، ثم دفنوا مقبرة «جنه المعلا» في مكة المكرمة.

و كان أول شخص في الاسلام دفن في البقيع عثمان بن مظعون، لأنه أول من توفي في المدينة من المهاجرين. ففي اليوم الثالث من شعبان سنة ٣ للهجرة قتل النبي جبين جثته و أمر بدفنها في مدى الرؤية من مقره. و كان المكان في تلك الأيام حقلا ينتشر فيه عدد من أشجار الغرقد، فقطعت الأشجار و سويت الأرض فدفن ابن مظعون في وسطها. ثم وضع النبي بيديه الكريمتين حجرين شاهدين كبيرين فوق رأس صاحبه و قدميه. و يقول بورتون في حاشية له ان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٨١

مروان بن الحكم رفع هذين الحجرين بعد ذلك حينما قرر عدم تمييز هذا القبر، لكن المسلمين استهجنوا هذا العمل من و كيل معاوية. و لعل ابن مظعون كان من خصوم الأمويين. هذا و قد أنشئت بمرور الزمن قبة فوق هذا القبر. ثم دفن الى جنبه ابراهيم الابن الثاني

للنبي محمد، فأصبح البقيع من بعد ذلك مقبرة مشهورة.

و مدفن الأولياء هذا له شكل متطاوّل غير منتظم تحيط به جدران متصلة بالضاحية من زاويتها الجنوبية الغربية. و يحجزه درب الجنّازة عن سور المدينة، كما يحده من الشمال طريق البادية الشرقى الذى يخرج من باب الجمعة. و تعتبر هذه المقبرة صغيرة اذا ما لوحظ أن جميع من يتوفاه الله فى المدينة من أهلها و من الغرباء يتأملون ان يدفنوا فيها الا الراضة و الكفرة. و لذلك فلا بد لها من ان تضيق بجثّ الموتى الذين لا يمكن ان تستوعبهم لو لا ان الطريقة التى يدفن بها المسلمون موتاهم تساعد على التفسخ و الانداس .. و ليس فى داخل المقبرة أزهار و لا أشجار باسقة، و لا كل شىء مما يخفف كآبة المدافن المسيحية فى العادة، حتى ان الأبنية التى فيها تعد شيئا بسيطا للغاية او حقيرا فى الحقيقة.

و لقد هدم الأبنية و النصب القديمة التى كانت موجودة فيها الأمير سعود و أتباعه الوهابيون الذين شنوا حملة شعواء ضد ما لا بد من أنهم كانوا يعتبرونه شيئا باذخا من الأضرحة، لأنهم يعتقدون بأن خير القبور الدوارس. و كان منظر هذه المقبرة حينما زارها بورخارت من قبل (١٨١٤) عبارة عن «.. أكوام مبعثرة من التراب، و حفر واسعة، و أنواع من الزبل، من دون شاهدة واحدة على أى قبر. و يرجع الفضل لما بنى منها بعد ذلك الى السلطانين عبد الحميد و محمود ..».

و يقول بورتون كذلك: .. و قد دخلت المقبرة المقدسة مقدما رجلى اليمنى كما لو كنت أدخل الى المسجد، و حافى القدمين لأتخاشى اعتبارى من الراضة.

فمع ان أهالى المدينة يدخلون اليها بأحذيتهم فانهم يغتاضون كثيرا حينما يرون الايرانيين يفعلون مثلهم. ثم بدأنا بقراءة الزيارة العامة المألوفة .. و أعقبناها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٨٢

بقراءة سورة الاخلاص و الشهادة، و بانتهائها رفعنا أيدينا و قرأنا الفاتحة قراءة خافتة و مسحنا أيدينا على وجوهنا و تحركنا. و حينما سرنا فى ممر ضيق يودى من جهة البقيع الغربية الى الجهة الشرقية دخلنا مرقدًا متواضعا أقيم فوق قبر الخليفة عثمان .. فعندما قتل أراد أصحابه ان يدفن فى «الحجرة»، لكن ثوار مصر قابلوا ذلك بعنف و أقسموا أن لا يدفن هناك و لا يصلى عليه، و انما سمحوا فقط بنقله بعد تهديد حبيبة أم المسلمين (و بنت أبى سفيان) لهم. و فى خلال الليلة التى أعقبت وفاته نقل عثمان الى البقيع من قبل أصحابه، لكنهم طردوا من هناك أيضا فاضطروا الى ايداع حملهم فى بستان تقع فى الجهة الشرقية الخارجية من مقبرة الأولياء هذه. و كانت تدعى «حصن كوكب» حتى أدمحها مروان بالبقيع. و قد وقفنا على مرقد عثمان هذا و تلونا الزيارة .. و بعد ذلك دفعنا الصدقات و أرضينا الخادم بعشرة قروش.

و بعد هذا سرنا خطوات قليلة الى الشمال و توجهنا نحو الشرق فرزنا أبا سعيد الخدرى صاحب النبى الذى يقع قبره فى خارج البقيع. و كان المكان الثالث الذى زرنه قبة تحتوى على قبر السيدة حليلة البدوية (السعدية) مرضعة النبى محمد .. و من هناك توجهنا الى الشمال فوقفنا أمام مبنى صغير يحتوى على أكوام بيضوية الشكل من الأحجار المتناثرة، و هى قبور شهداء البقيع الذين قتلهم مسلم قائد كبير الفاسقين يزيد. و يقول بورتون فى حاشية له هنا (الص ٣٧ ج ٢) ان الامام الشافعى يسمح لأتباعه بسبب يزيد بن معاوية الذى جعلته قساوته مع آل البيت، و جرائمه و موبقاته، يهودا الأسخريوطى المسلم. و قد سمع بورتون مسلمين أحنافا يسبون يزيدا كذلك. أما الوقفة الخامسة فكانت بالقرب من وسط المقبرة على قبر ابراهيم ابن النبى الذى توفى و عمره ستة أشهر، أو سنتان على قول البعض. و كان ابن مارية القبطية التى أهداها الى النبى (ص) جارج مقوقس الاسكندرية فى مصر. فقد أهال النبى التراب بيديه الكريمتين عليه، ورشه بالماء، ثم وضع الحجارات الصغيرة فوق ذلك و قرأ السلام الأخير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٨٣

عليه. و لهذا السبب دفن الكثيرون من الرجال المقدسين فى هذا الجزء من المقبرة، لأن كل أحد كان يطمع فى ان يلحد فى الأرض

التي شرفتها يدا النبي. و زرنا بعد هذا النافع ابن عمر المسمى نافعا القارى عادة، لأنه كان يجود القرآن، و الى جنبه مالك بن أنس ابن المدينة و رجلها الفذ. و كانت الوقفة الثامنة على قبر عقيل بن أبى طالب أخى الامام على. و هنا يعلق بورتون فى حاشية له و يقول ان عقيلاً توفى دمشق على عهد معاوية، لكن البعض يذكر انه دفن هناك بينما يقول غيرهم ان جثمانه نقل الى المدينة بعد ذلك و دفن فى مكان كان يقوم فيه بيته من قبل و كان يسمى دار عقيل .. و قد زرنا بعد هذه البقعة التى دفنت فيها أزواج النبي جميعهن عدا خديجة التى دفنت فى مكة. و كان محمد (ص) قد تزوج خمس عشرة امرأة عاش منهن بعده تسع، و بعد أمهات المؤمنين قرأنا الفاتحة على قبور بنات محمد اللواتى يقال أنهن كن عشرا.

و بعد ان يصف بورتون (الصفحة ٢٩ ج ٢) الشحاذين و أنواعهم و كيف يستقبلون الزوار يقول: .. و قبل ان نترك البقيع وقفنا و قفنا الحادية عشرة فى القبة العباسية، أو قبة العباس عم النبي. و هنا يعلق فى الحاشية بقوله ان البعض يرون ان مراسيم الزيارة كانت و لا تزال تبدأ هنا، لكن ترتيب الزيارات يختلف و لا يتفق عليه اثنان، و كانت مسؤولياً ما فعله تقع على ما فعله مزوره الشيخ حميد، لأنه لم يشأ المجازفة بشيء من عنده .. ثم يستأنف وصف القبة و يقول:

و هذه القبة التى بناها الخلفاء العباسيون من قبل فى ٥١٩ للهجرة أكبر و أجمل جميع القبب الأخرى، و تقع على يمين الداخل من باب المقبرة. و يدل على أهميتها تجمع الشحاذين بقربها، فقد جاءوا اليها و تكأوا عليها حينما وجدوا الايرانيين متجمعين فيها بكثرة و هم يبكون و يصلون. و بعد ان اجتزت العتبة بصعوبة طفت حول عدد من القبور كانت تشغل وسط المبنى من دون ان يكون بينها و بين الجدار الامم ضيق. و هى محاطة بسيجاج و مغطاة بعدة كساوى من القماش الأخضر المكتوب عليه بأحرف بيضاء. و تبدو هذه كأنها كومة مرتبكة، لكنها ربما بدت لى كذلك بسبب الازدحام المحيط بها. و توجد فى القسم الشرقى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٨٤

قبور الحسن بن على سبط النبي، و الامام زين العابدين بن الحسين، و ابنه محمد الباقر (الامام الخامس)، ثم ابنه الامام جعفر الصادق - و هؤلاء جميعا من نسل النبي و قد دفنوا فى نفس المرقد الذى دفن فيه العباس بن عبد المطلب عم النبي .. و بعد أن خرجنا و تخلصنا من أيدي الشحاذين الصغار و جھنا و جھنا نحو الجدار الجنوبي الذى يوجد بقربه قبر ينسب الى السيدة فاطمة و قرأنا الدعاء المعروف. و يقول بورتون فى حاشية مستفيضة (الصفحة ٤١ ج ٢):

.. و يبدو ان المؤرخين المسلمين يتهجون بالغموض الذى يكتنف مدفن السيدة فاطمة الزهراء (ع) .. فبعضهم يذكر أنها دفنت فى الحرم الشريف و يستند فى ذلك الى الرواية التى تقول انها حينما علمت بدنو أجلها قامت فرحة مستبشرة فغسلت الغسل الكبير و لبست ملابسها النظيفة، ثم فرشت حصيرا على أرض بيتها الواقع بقرب قبر الرسول، و تمددت مستقبلة القبلة فوضعت يدها تحت خدها و قالت لمن حضر بقربها .. لقد تطهرت و لبست ثيابى الطاهرة، فلا تسمحوا لأحد بأن يكشف عن جسدى بل ادفنوني حيث أنا .. و حينما عاد على وجد زوجته قد توفيت، و نفذت رغبتها الأخيرة. و قد كان عمر بن عبد العزيز يعتقد بهذه الرواية فألحق الغرفة تلك بالمسجد، و لذلك فالاعتقاد العام فى الاسلام هو ان الزهراء البتول قد دفنت فى الحرم. اما اولئك الذين يعتقدون بأنها مدفونة فى البقيع فيستندون الى قول الامام الحسن: «.. فاذا لم يسمحوا بدفنى عند قبر جدى فادفونى فى البقيع الى جنب أمى فاطمة ..» و هؤلاء يرون الخبر التالى فى هذا الشأن: .. فقد غسلها و كفنها على و أم سلمة، اما غيرهم فيقولون ان اسماء بنت عميس زوجة أبى بكر كانت بجنب فاطمة حينما اعترضت فى ساعتها الأخيرة على حملها للدفن كما يحمل الرجال. لكن أسماء وعدتها بأن تصنع لها نعشا أشبه بمحفة العروس، من جريد النخل، على غرار ما رآته فى الحبشه، و عند ذاك ابتسمت فاطمة للمرة الأولى منذ ان توفى والدها و أخذت عهدا بأن لا يدخل عليها أحد طالما كان جثمانها الطاهر مسجى فى البيت. و لذلك لم تسمح أسماء لعائشة بالدخول حينما طرقت الباب عليها بعد ذلك، فذهبت شاكية الى أبيها و قالت له ان زوجة أبيها ستعمل محفة

عرش خاصة تحمل بها جثه الزهرا الطاهرة الى مدفنها. فذهب أبو بكر الى الباب و سمع من زوجته ما كانت قد أوصت به فاطمة، فعاد راجعا الى بيته من دون اعتراض. و قد أخفيت وفاة ابنة النبي عن الكبير و الصغير برغبة منها، فدفنت خلال الليل من دون ان يشيع نعشها أو يصلى عليها أحد سوى زوجها الامام على و عدد قليل من أقربائها .. اما المكان الثالث الذى يقال انها دفنت فيه فهو مسجد صغير فى البقيع جنوبى قبة العباس بن عبد المطلب، و كان يسمى «بيت الحزن» لأنها قضت آخر أيامها فيه تنذب فقد ابياها الغالى. و يبدو ان قبرها كان موجودا هنا من قبل، لكن الزوار يصلون عليها الآن فى مكانين:

اى فى الحرم و فى القبة العباسية .. و بعد ان غادرنا مقبرة البقيع تقدمنا شمالا تاركين باب المدينة الى يسارنا حتى أتينا على قبة صغيرة قريبة من الطريق، تحتوى على قبور عمات النبي و لا سيما صفيية بنت عبد المطلب أخت الحمزة، و إحدى بطلات الاسلام فى أول عهده .. و نقول تعليقا على ما جاء عن دفن فاطمة الزهراء عليها السلام انه يفهم من هذه الروايات، و مما جاء فى «الامامة و السياسة» لابن قتيبة ان الزهراء توفيت و هى غير راضية عن ابى بكر، و لذلك لم تشأ ان يعلم بموتها هو أو غيره لثلا يصلى عليها و هو خليفة للمسلمين فدفنت فى بيتها الذى أدخل فى الحرم بعد ذلك. و على هذا فقد تكون الرواية المنسوبة الى الامام الحسن، التى يفهم منها انها مدفونة فى البقيع، غير صحيحة.

مساجد المدينة

يوجد فى المدينة، على ما يذكر بورتون (الصفحة ٤٤ ج ٢) ما بين خمسين و خمسة و خمسين مسجدا، و بقعة مقدسة، لا يعرف معظمها اليوم حتى أهالى المدينة أنفسهم. و سأذكر أهمها فيما يأتى نقلا عن أفواه الناس.

فعلى بعد ثلاثة أميال من شمالى غربى المدينة، و فيما يقرب من وادى العقيق، يقع مسجد القبلتين. و يطلق البعض هذا الاسم على مسجد التقوى فى قبا، بينما يدعى البعض الآخر ان النبي (ص) بعد أن زار بيت امرأه عجوز موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٨٦

تدعى أم مبشر و أكل فيه ذهب ليصلى فى مسجد بنى سلمه. و ما صلى ركعة واحدة و هو متجه نحو بيت المقدس حتى أنذره الوحي فجاءه فاتجه الى الجنوب، و أكمل الصلاة و هو يستقبل القبلة الجديدة. و قد علمت ان هذا المسجد لا يخرج عن كونه قبة حقيرة ليس له منارة و لا- سور. و هناك أيضا مسجد بنى ظفر، أو مسجد البغلة، و قد سمي بالاسم الأخير لأن حجرا يوجد بالقرب من جهته الجنوبية تلاحظ فيه آثار بغلة النبي التى غرست حافرها فيه حينما وقف النبي (ص) بقربه و مال بذراعه عليها، و هى البغلة التى أهداها له المقوقس مع مارية القبطية و حمارها يعفور. و توجد فى هذا المسجد قطعة من المرمر كان النبي قد جلس عليها ذات يوم و استمع لتلاوة الذكر الحكيم، و يقول المؤرخون ان كثيرا من النساء اللواتى جلسن على هذه المرمرة أنعم الله عليهن بالأولاد. و يقع هذا المسجد شرقى البقيع.

و هناك فى واد بالقرب من قبا مسجد يسمى مسجد الجمعة، و هو المسجد الذى صلى فيه النبي (ص) و وعظ الناس فى أول جمعة بعد هجرته من مكة.

و يوجد أيضا مسجد يسمى مسجد الفضيخ، و قد سمي بهذا الاسم لأن أبا أيوب الأنصارى و جماعة آخرين كانوا جالسين فى موقعه ذات يوم و فى أيديهم كؤوس الشراب فسمعوا و هم فى تلك الحالة بنزول الآية التى تحرم الخمر، فما كان منهم الا ان أراقوا الشراب فى الحال و امتنعوا عنه. و قد صلى النبي فى هذا الموضع ستة أيام حينما انشغل فى تأديب بنى النضير من اليهود. و يطلق على هذا المسجد أيضا مسجد الشمس لان أشعة الشمس الأولى تشرق عليه فى كل يوم. و فى شرقى مسجد الفضيخ يقع ما يسمى بمسجد قريظة، و هو مسجد شيد فى البقعة التى نزل منها النبي لمهاجمة بنى قريظة اليهود. و كان ذلك حينما عاد من موقعة الخندق و هو تعب، و جلس ليغسل يديه و وجهه، فظهر له جبرائيل فجاءه على شكل فارس يلبس الدرع و قد علاه الغبار، و قال له «ان ملائكة الله ما

زالوا شاكي السلاح أيها النبي، و تقضى مشيئة الله ان تعود قدمائك الى الركاب، سأقدمك لأمهد لك النصر على الكفار بنى قريظة». موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٨٧

و تضيف الأسطورة الى ذلك ان الغبار الذى أثاره الضيف الملائكى شوهد من شوارع المدينة، لكن عيون الناس لم تقع عليه هو نفسه. فأمر النبي بدعوة تباعه الى الحرب، و سلم الراية الى على و هى علامة العرب فى تعيين القائد العام. فقضى على هذه القبيلة المناوئة، و كان هذا الحكم قد أصدره عليهم سعد بن معاذ شيخ الأوس الذى احتكموا اليه لأن قبيلته كانت حليفة لهم. و هناك أيضا مسجد «مشربة أم ابراهيم»، و هو مشيد فى موقع كانت لمارية القبطية فيه حديقة. و هو بناية صغيرة تقع فى العوالى شمالى مسجد بنى قريظة و بالقرب من الحرة الشرقية. و تقع فى شمالى البقيع بناية صغيرة أخرى تدعى مسجد الأجابه، و سبب هذه التسمية ان النبي وقف ذات يوم ليصلى فى هذا المكان الذى كان يعود لطائفة من الأوس تسمى بنى معاوية. و قد قرأ دعاء طويلا بعد الصلاة ثم التفت الى أصحابه و قال: سألت الله ان يهبى ثلاثا، فأنعم على باثنتين منهما و رفض الثالثة .. اما اللتان استجاب لهما فهما ان لا يهلك المسلمين غرق و لا مجاعه، لكن التى لم يستجب لها فهى ان لا يهلكهم نزاع داخلى.

و يقع فى وادى السيح الذى يأتى من اتجاه قبا، على بعد حوالى نصف ميل من شرقى القبلتين، أربعة مساجد تسمى اعتياديا بمسجد الفتح. و يسمى أكبرها أيضا مسجد الفتح او مسجد الأحزاب اشارة الى ذكر الاحزاب الوارد فى القرآن الكريم، لأن النبي ظل يصلى فى مكان هذا المسجد ثلاثة أيام خلال موقعة الخندق، او موقعة الأحزاب التى يقال انها كانت آخر موقعة حارب فيها المسلمون قريشا و هم بقيادة أبى سفيان. و بعد هذه الأيام الثلاثة هبت ريح صرصر باردة يصحبها مطر نصف متجمد فأنزلت بالعدو خسائر فادحة. و بذلك استجاب الله لدعاء الرسول، و لهذا يعتقد المسلمون المتدينون ان كل أدعاء يتلى فى هذا المكان لا بد من ان يستجاب .. و من جمله ما يؤيد ذلك ان الامام الشافعى كان يتلو الدعاء الخاص بهذا المكان حينما غضب عليه هارون الرشيد فنجأ من سخطه. و يختلف فقهاء المسلمين اختلافا كثيرا فى تعيين موقع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٨٨

البقعة التى وقف فيها الرسول، لكن معظمهم يقول انها كانت فى موقع مسجد الأحزاب هذا هو أشد ارتفاعا بين المساجد الأربعة. و الى غرب هذا المسجد، و فى نقطة أوطأ منه، يقع مسجد سلمان الفارسى صاحب فكرة حفر الخندق .. و فى أسفل مسجد سلمان يوجد مسجد على، كما ان البناية الصغرى التى تقوم فى جنوب الجبل هى مسجد أبى بكر. و يعزى الفضل فى تشييد هذه الجوامع الى الوليد الأموى، و قد رمت مرات عديدة فى أيام خلفائه. و قد شيد مسجد الراية فى بداية الأمر الوليد فى المكان الذى كان الرسول عليه السلام قد نصب خيمته خلال أيام معركة الخندق. و يسميه البعض أيضا بمسجد الضباب اى باسم التل الذى يقوم عليه المسجد. و يفصل بين مسجد الراية و مسجد الفتح مرتفع من الأرض يسمى جبل سلع أو جبل الثواب.

و يعتبر هذا الموقع موقعا مهما لأنه يتسلط على منظر الحرم الذى يبين منه بوضوح. و على بعد ما يقرب من ميل و نصف من جنوب شرقى البقيع هناك قبة يطلق عليها «قوة الاسلام». و كان النبي قد غرس سعفة يابسة هنا فنمت و أزهرت ثم حملت ثمرا يانعا. يضاف الى ذلك ان النبي استطاع هنا، حينما لم يكن بوسع المسلمين الحج الى بيت الله الحرام فى سنة ما، أن يظهر للناس منظر الكعبة و عرفات و جميع متطلبات الحج الأخرى. و هنا يقول بورتون:

اننى يجب ان أنه قرائى بأن لا يلوموا نبي الاسلام على هذه التلقيات الصيبانية.

و يقع مسجد عنين فى جنوب قبة الحمزة، على تل يسمى جبل الرمة، و هو المكان الذى وقف فيه رماة السهام المسلحون فى معركة أحد. و يذهب البعض الى أن أمير الشهداء أصيب بجرحه المميت فى هذا المكان، بينما يذهب الآخر الى ان هذا الحادث وقع فى مكان مسجد العسكر أو مسجد الوادى.

و يقول بورتون في حاشيته له هنا ان المكان الذي خر فيه الحمزة صريعا قد شيدت عليه الآن «قبة المصرع». و فيما عدا هذه أحصيت أسماء، أسماء فقط، اربعين مسجدا آخر، و ها انى أذكر المهمة منها: مسجد بنى عبد الأشهل، مسجد بنى حارثة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٨٩

مسجد بنى حارم، مسجد الفش، مسجد السوفية، مسجد بنى بياض، مسجد بنى حطمة.

مشاهدات جون كين في المدينة

و في موسم الحج لسنة ١٨٧٧-٧٨ استطاع رجل انكليزي مغامر يدعى جون كين ان يدخل الحجاز و يحج البيت الحرام في مكة، ثم يزور المدينة، بعد ان تظاهر باعتناق الاسلام و تسمى «محمد أمين» او الحاج محمد أمين. بعد ذلك. و قد فعل كل هذا و هو في ركاب أمير هندي مسلم و حاشيته، تعرف عليه في جدة التي نزل فيها الى الحجاز لأول مرة. و حينما عاد الى بلاده كتب ما شاهده و مر به من تجربة في كتاب خاص أسماه «ستة أشهر في الحجاز» .

و اول ما يذكره عن الحج في تلك السنة ان عدد الحجاج الذين نزلوا في جدة ذلك الموسم يقدر ب (٧١٨، ٤٢). و هو ينقل هذا عن تقرير للقنصل البريطاني في جدة نشر في جريدة التايمز اللندنية، في عددها الصادر يوم ٢٦ تشرين الثاني ١٨٧٨. فقد جاء فيها: يقول القنصل البريطاني في جدة ان موسم سنة ١٨٧٧-٧٨ نزل فيه الى جدة (٧١٨، ٤٢) حاجا، أى بزيادة (٤٠٠٠) حاج على عددهم في السنة السابقة .. و قد قدر مجموع الحجاج الذين تجمعوا في مكة يوم العيد الأكبر ما يزيد على (١٨٠، ٠٠٠) نسمة.

و قبل ان ينضم الى موكب الأمير الهندي المسلم ذهب المستر كين الى قنصل بريطانيا في جدة و أعطاه اسمه و عناوين اصدقائه في انكلتره، ثم أخبره بما عزم عليه. لكن القنصل حاول ان يثنيه عن عزمه و ان يخوفه بما يمكن ان يتعرض اليه في الطريق غير الآمنه، لكنه لم يثن عن ذلك فباع ملابسه الافرنجية و اشترى ملابس عربية ليلبسها. و من طريف ما يذكره عن مشاهداته موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٩٠

في مكة نفسهلينان: أولهما أنه سمع بوجود امرأة انكليزية تعيش فيها باسم «زهرة بكم» منذ سنين عديدة، و كانت قد جاءت الى مكة مع زوجها الهندي، بعد ان اغتصبها في الهند، فتوفى فيها و اضطرت هي للبقاء و العيش في مكة من كدّ يدها. فدبّر (كين) مواجهتها و استطاع أمرها عدة مرات فكتب قصة مؤثرة عنها (الصل ٣٥ و ١٣٧ و ٣٠٠). و ثانيهما انه شاهد غرق المسجد الحرام في اليوم الثامن الذي أعقب انتهاء الحج، على أثر زوبعة رعدية قوية و أمطار غزيرة هطلت خلال فترة طويلة فأنزلت المياه كأفواه القرب، و تسبب عن ذلك سيل عرم اكتسح الطرق و دخل المسجد الحرام، ثم أحاط بالكعبة المشرفة و تراكم فيها الى عمق سبع أقدام. و قد وصف كين كل هذا وصفا واضحا جد الوضوح (الصل ١٣٨-١٤٣).

اما المدينة المنورة فقد كتب عنها فصلين موجزين (الثالث عشر و الرابع عشر) يستهل الفصل الأول منهما بقوله ان المدينة عندما تشاهد من بعيد أول مرة يمكن ان تقارن باستانبول حينما ينظر اليها من بحر مرمره، أو أية مدينة أخرى من المدن الجميلة في العالم. و حينما تلوح للحجاج التعب القادم اليها من مكة، بأسوارها البيضاء الطويلة، و منائرها العديدة المطلية بالذهب، و الشمس تشرق عليها في الصباح، و بنطاق زرعه العريض الأخضر الذي يحيط بها فيحجزها عن جذب الصحراء المخيف المترامي الأطراف، تبدو كأنها جوهرة متألثة جديدة محاطة بفسيفساء من اللؤلؤ و الأوبال المطعم في حاشية متألقه من الميناء الخضراء اللماعة .. و لذلك يقول كين ان المدينة كان يجب ان تسمى «المحظوظة» ايضا، لأنها تحتوى على جميع ما يمكن ان يريده

المسجد الحرام و قد غمره سيل الأمطار حتى صار بحيرة يسبحون فيها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٩١

العقل الشرقي و يرتاح اليه من البيوت المنتظمة و الحقول النضرة و المياه الجارية و ما أشبه. و على هذا فحينما أشرفت قافلته على المدينة و بانت لهم معالمها من بعيد ضجت القافلة بأجمعها فرحة مسرورة و ابتهل المسافرون بالشكر و الدعاء، و حتى الابل العجماء المسكينة رفعت اعناقها الطويلة المتهدلة الى أعلى و بذلت قصارى ما عندها من جهد لتصل الى النهاية الدانية بأسرع ما يمكن، و قد وصلت القافلة بعد ان قطعت ميلين و نصف.

و يقول كين عن داخل المدينة انه وجد شوارعها نظيفة منتظمة جدا بالنسبة لما تكون عليه سائر المدن الشرقية. و وجد فيها جوا عاما من الازدهار و الرفاه الذى يلوح على المكان و السكان معا، الأمر الذى يعطى انطباعا حسنا للواصلين الجدد اليها. ثم يقول: و حتى الكلاب الموجودة فيها لم تكن نهمه شرسة مثل كلاب المدن الاسلامية الأخرى.

و قد زار الأمير الهندي الذى كان المستر كين فى معيته عدد من تجار التمور الذين كانوا يحملون معهم نماذج من هذه الفاكهة. و قال له أحد هؤلاء ان خمسين نوعا من أنواع التمور تزرع فى المدينة، و أن أحسن أنواعها هو النوع المعروف باسم «الجلبى»، و هو نوع لا يمكن ان يوجد بأحسن التمر الا فى المدينة نفسها. و ثمرته طويلة جدا و لذيدة، و لذلك اشترى الأمير نصف طن منه. اما النوع الآخر الذى يليه فهو نوع ثمرته صغيرة ذات فصمة أو نواة متضائلة جدا فى الحجم.

و يعود كين الى ذكر المدينة نفسها فيقول انه لا يمكن ان يوجد فى أنحاء الشرق كله مدينة صغيرة أكثر ازدهارا من المدينة المنورة. و يبلغ عدد نفوسها حوالى عشرين ألف نسمة ربما يكون ثلاثة أرباعهم من العرب، و الباقون أتراك و من جميع الأمم الاسلامية الأخرى تقريبا. و قد شيدت بيوتها من نفس المواد الانشائية التى شيدت بها بيوت مكة، لكن المدينة لا يرى الزائر فيها بيوتا مهدمة أو مهملة مثل ما يجد فى مكة. و بالحرارة الكافية الموجودة تجود ضواحي المدينة المروية بالمياه الوفية بانتاج أنواع لا حصر لها من الفواكه و الخضروات.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٩٢

فان قائمه ما يمكن ان يشتري يوميا من السوق يمكن ان تحتوى على البصل و الثوم و الجزر و الشوندر و الفجل و الفاصوليا و الخيار و العنب الفاخر. و يكاد ينمو فى المدينة جميع ما يمكن ان يتصوره الانسان تقريبا، علاوة على الحبوب المعتادة مثل الذرة و الحنطة و الشعير.

اما الفصل الثانى (الصفحة ٢٢٧) فيفرد المستر كين لوصف الحرم الشريف و ما شاهده فيه، و هو فصل صغير مختصر لا يمكن ان يقارن بفصول الكتب الأخرى عن الموضوع. و لما كنا قد وينا وصف الحرم حقه فيما انتقينا من المراجع المار ذكرها فسوف نقتصر هنا على ذكر بعض النبد الواردة فى هذا المرجع .. فهو يذكر مثلا أن الأروقة المعمدة يبلغ ارتفاعها حوالى ثلاثين قدما، و يبلغ عرضها أربعين قدما. و ان سطحها المقبب تحمله ثلاثة صفوف من الأعمدة المدورة، و ان التبليط يتألف من ألواح حجرية كبيرة صقيلة. و يخصص الرواق الغربى للنساء فيصلين فيه، و لذلك فهو معزول بمشبك خشبى.

و حينما انضم إلى صفوف المصلين فى داخل الحرم جلس فى صف بعيد عن المنبر حتى يحين الوقت لصلاة الظهر، و راح يلاحظ الجالس من حوله فوجد أن أكثر من نصفهم من الهنود، أما النصف الباقى فكان من أهل المدينة مع عدد قليل من الأتراك و الأيرانيين. و فيما عدا بعض الهنود و العبيد كان الجميع يبدوون بمنظر محترم نظيف، و يفضلون فى ذلك على المجتمع الذى شاهده فى مكة من قبل .. و من الغريب أن يقول المستر (كين) أن عرب المدينة يميلون إلى السمرة فى سيمائهم أكثر من اخوانهم المكيين بينما يذكر السر ريتشارد بورتون قبله بخمس و ثلاثين سنة أن العكس هو الصحيح، و يقول علاوة على ذلك أن المدنيين أكثر تحفظا تجاه الأجانب من المكيين و أشد و قارا. و يخطئ حين يذكر الزهراء (ع) و دفنها فى الحرم الشريف فيقول انها كنة النبى .. ثم ينهى الفصل بالقول ان المدينة تبدو بقدر ثلث مكة فى حجمها، لكن ضواحيها تمتد إلى مسافة ميل أو ميلين من كل جهة خارج السور إلا من جهة الجبل. و يأخذ بوصف السور و كيفية بنائه،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٩٣

و بمنزلة المدينة بين المدن المقدسة، و بأن الصلاة فيها تعادل ألف صلاة تصلى في أى مكان آخر.

سكة حديد الحجاز

و يرد ذكر المدينة بعد هذا مقرونا بمشروع سكة حديد الحجاز التي تربط المدينة بدمشق، و قد بدأت الدولة العثمانية في أيام السلطان عبد الحميد بالتفكير فيه و اخراجه إلى حيز التنفيذ في بداية القرن العشرين، تنفيذاً لأغراضها السياسية المقنعة بالأغراض الدينية. و هو مشروع على جانب كبير من الأهمية، و قد قدر له ان يؤثر تأثيراً كبيراً في تاريخ الحجاز و سائر البلاد العربية لأنه ربط البلاد المقدسة بالعالم الخارجى و أدخل إليها أساليب الحياة الحديثة و أفكارها.

و خير من يصف سكة حديد الحجاز و منشأها جورج أنطونيوس فى كتابه «يقظة العرب»، و جورج هذا رجل فلسطينى عربى من أم انكليزية اتصل كثيراً بالانكليز و حافظ على شعوره العربى الأصيل فألف مؤلفه الثمين هذا باللغة الانكليزية عن نهضة العرب الحديثة و يقظتهم فى هذا العصر.

و يبدأ قوله فى هذا الشأن بالحديث عن سياسة السلطان عبد الحميد التي كانت تستهدف اجتذاب العالم الإسلامى اليه و تثبيت مركزه بين الدول بواسطته. و قد اعتمد فى ذلك على رجال عديدين كان من أبرزهم عزت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٩٤

باشا العابد الرجل العربى السورى .. فيقول جورج أنطونيوس أن عزت باشا العابد ، و هو عربى سورى، كان من المغامرين الذين استطاعوا أن ينالوا حظوة كبرى لدى السلطان عبد الحميد عن طريق الكيد و الدس، و قد قضى ثلاث عشرة سنة (حتى سقوطه عام ١٩٠٨) فى خدمة السلطان بصفة سكرتير ثان. فاستطاع خلالها ان يصبح أقوى موظف فى الامبراطورية، و لا يبيزه فى الثروة و الخبث و النفوذ الا سيده. و مع ان استانبول كانت فى العهد الحميدى تعج بالدهاء فقد كان دهاء عزت باشا خارقاً و طاغياً، إذ جمع إلى المكر نشاطاً و حركةً و لكنه لم يخل فى أعماقه من البلادة التي كثيرا ما تختفى وراء فكر جاد. أما ميزته البارزة فكانت فى معرفة الصفات البشرية الدنيئة الكامنة فى خلق الناس معرفة صحيحة لا تخطىء. و هذا هو سر نجاحه العجيب لأنه بهذه المقدرة استطاع أن يفهم جين سيده و غروره مع ادراك حقيقى للحد الفاصل بين هاتين الصفتين، و احساس دقيق بمزاج السيد فى ظروفه المختلفة. و لكنه فى سره كان يحتقر عبد الحميد احتقاراً تاماً فسهل عليه التلاعب بعواطفه. و يعود اهتمامنا بسيرة عزت باشا هنا إلى سببين، أحدهما عام، و الآخر خاص: أما السبب العام فهو أنه أصبح المحور الذى تدور حوله سياسة عبد الحميد العربية، و السبب الخاص هو إنشاء سكة حديد الحجاز.

و لدينا ما يشير إلى أن فكرة مد خط سكة حديد إلى الحجاز كانت من بنات أفكار عزت باشا، و ان كان يصعب الجزم بذلك. و مهما يكن من الأمر فقد كان هو الأداة الفعالة الرئيسية فى تحقيق المشروع الذى يقضى بمد سكة الحديد من دمشق إلى المدينة فمكة، و كان الغرض الظاهر منها تسهيل الحج بينما كان السبب الحقيقى يتعلق بعوامل سياسية و عسكرية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٩٥

فقد عين السلطان لجنة برئاسة عزت باشا و وجه نداء إلى العالم الإسلامى يوضح فيه الدوافع الدينية الحميدة التي استوحى منها الخليفة فكرة مد الخط، و يطلب من المسلمين الاكتتاب لتغطية نفقاته. و قد لاقى النداء قبولاً حسناً، ثم فرضت فى الوقت نفسه ضريبة جديدة فى جميع أنحاء المملكة نجى بلصق طابع خاص، و طوبى الموظفون العاملون فى الحجاز بالتبرع بنسبة معينة من رواتبهم. و بدأ تشييد الخط فى ربيع ١٩٠٠ على يد مهندسين ألمان، و فى خريف عام ١٩٠٨ وصل الخط إلى المدينة، و هى مسافة تناهز التسعمائة ميل. و قد غطت تبرعات العالم الإسلامى ما ينوف على ثلث النفقات البالغ مجموعها ثلاثة ملايين من الجنيهات.

وقد كان هذا المشروع من نواح عديدة لعبةً سياسيةً رائعةً، لأنه خلق في جميع أنحاء العالم الإسلامي حماساً كبيراً وعمل أكثر من مشاريع عبد الحميد الأخرى على إعلاء شأن الخلافة، كما أنه من الناحية العسكرية أوجد واسطةً للنقل البري تحمل جنده إلى الجزيرة ومنها، وكانت الحاجة إلى هذه الواسطة ملحةً فاستطاع تأمينها من دون أن يثقل خزائنه بعبء كبير. وكان محطة سكة حديد الحجاز ومسجد العنبرية في المدينة سنة ١٩٣٨

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٩٦

حتى ذلك الوقت مضطراً إلى استعمال طريق البحر المارة بقناة السويس وتحمل بطئها وكثرة تكاليفها. أما الآن فقد غدا صاحب خط حديدي يمتد كله في ضمن مملكته، فراح يتطلع إلى اليوم الذي يستطيع فيه تمديد الخط جنوباً إلى مكة وربما إلى أبعد من مكة ليثبت قدمه في بلاد اليمن المضطربة.

ومع ذلك، كان من أكبر النتائج لمُد سكة حديد الحجاز، ولعلها نتيجة لم تخطر على بال عبد الحميد في البداية، أنها بتسهيلها أسباب السفر والانتقال بين مكان وآخر ساعدت على سريان الأفكار في الأجزاء الغربية من بلاد العرب. إذ كانت القوافل السريعة قبل تسيير الخط الحجازي تقطع المسافة ما بين دمشق والمدينة في أربعين يوماً على الأقل، بينما كان السفر بالبحر من بلاد الشام إلى الحجاز يستغرق عشرة أيام أو خمسة عشر يوماً، ويتوقف على وجود المراكب المسافرة أو عدمه. لأن سير الخط لم يكن منتظماً، فقربت سكة الحديد المسافة بين المدينتين حتى جعلتها لا تتجاوز خمسة أيام، فكان لهذا الاختصار في الطريق كما سيتضح لنا فيما بعد أثر كبير جداً في توجيه الحركة العربية ومصيرها عندما أتمتها الفرصة للانفجار في ثورة علنية.

وقد كتب السفير البريطاني لدى الباب العالي في تقريره السنوي لعام ١٩٠٧ ما يأتي: .. يمكننا أن نقرر بأنه بين حوادث السنوات العشر الأخيرة على الأقل يوجد عنصران بارزان في الموقف السياسي العام: الأول هو خطة السلطان الماهرة التي استطاع أن يظهر بها أمام ثلاث مائة مليون من المسلمين في ثوب الخليفة الذي هو الرئيس الروحي في الدين الإسلامي، وأن يقيم لهم البرهان على قوة شعوره الديني وغيرته الدينية ببناء سكة حديد الحجاز التي ستمهد الطريق في القريب العاجل أمام كل مسلم للقيام بفرصة موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٩٧

الحج إلى الأماكن المقدسة في مكة والمدينة. وبهذا تفتح له أبواب الحياة الأخرى وما تحويه من جنّة ونعيم. وقد ترتب على هذه السياسة أنه أصبح حائزاً على خضوع رعاياه له خضوعاً أعمى بشكل لم يسبق له مثيل، فباتوا بنتيجة هذا الخضوع راضين عن حكمه الاستبدادي الذي قد لا نجد في جميع أدوار التاريخ ما يحاكي شدته. وهكذا أصبحت ارادة السلطان قانوناً في البلاد، فإذا ما كتب لمسلم بائس أن يئن تحت وطأة الاضطهاد والاستعباد القاسي من جانب الحكومة، أعلن شكواه من الموظفين من دون أن ينسب للخليفة عمل أي شيء ..

وافتح هذا الخط الحيوي الذي وصل إلى المدينة افتتاحاً رسمياً في أيلول سنة ١٩٠٨. وقد رافق هذا الحدث تعيين الشريف (الملك بعد ذلك) حسين بن علي لأماره مكة وشرافتها الكبرى، وكان في الثالثة والخمسين من عمره يومذاك، من قبل الاتحاديين برغم معارضة عبد الحميد في ذلك.

المدينة في الثورة العربية (٩ شعبان)

ويرد ذكر المدينة كثيراً في المراجع الغربية التي تبحث في الثورة العربية التي انطلقت من مكة سنة ١٩١٦، أو ثورة ٩ شعبان التي أطلق أول رصاصه فيها ضد الأتراك في الحجاز الحسين بن علي شريف مكة. ويعود السبب في ذلك بطبيعة الحال إلى أن المدينة كانت نهاية سكة حديد الحجاز، ومركز تجمع القوات التركية بعد مكة، بحيث أصبحت هدفاً للثورة مدةً طويلةً من الزمن ومداداً لخطتها حتى انتهت بوصول الثوار إلى دمشق الشام في النهاية.

و يعلم الجميع أن هذه الثورة اشتهر فيها عدد غير يسير من ضباط الانكليز، الذين ساعدوا الثورة، و رجال استخباراتهم من أمثال ماكماهون و لورنس، و ستورز، و ويلسن، و يونغ، و هوغارث، و غيرهم كثيرون. لكن الذى اشتهر منهم على الأخص تى أى لورنس الذى صار يعرف باسم لورنس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٩٨

العرب أو لورنس بلاد العرب . و على هذا فقد كتب هؤلاء عن هذه الثورة، و ذكر الثورة جميع من كتب عن لورنس من الكتاب و الصحفيين، و من السياسيين و المؤرخين. و كانت هذه الكتابات فى معظم اللغات العربية، و فى الانكليزية و الفرنسية على الأخص. لكن أبرز كتاب انكليزى كتب و اشتهر فى هذا الشأن هو كتاب «أعمدة الحكمة السبعة» الذى كتبه لورنس نفسه و ضمنه جميع ما عنّ له عن الثورة العربية و وقع له فيها. و هو كتاب ضخم يقع فى مائة و اثنين و عشرين فصلا، لكنه كان قد لخصه و نشره بمقياس واسع فى كتاب يسمى «ثورة فى الصحراء»، قبل ان يطبعه فى الأصل.

و يبدأ لورنس فى الفصل الخامس من أعمدة الحكمة السبعة (الصفحة ٤٩) بتحليل مقدمات الثورة العربية التى بدأ الحسين بن على يعد العدة لها منذ سنة ١٩١٥ على ما يبدو. فهو يقول: «ان نشوب الحرب قد أحدث اضطرابا فى حالة الحجاز. فقد انقطع توارد الحجاج عليه فانقطعت بذلك واردات المدينتين المقدستين، و توقفت الحركة التجارية فيهما. و كان هناك خوف له ما يبرره، من أن المراكب الهندية التى تحمل الأطعمة إلى الحجاج سينقطع مجيئها اليه نظرا لأن الشريف قد أصبح من رعايا العدو. و لما كان القطر كله لا ينتج الأطعمة التى يأكلها فى العادة فسيعتمد اعتمادا مخطرا على ما يضمه الأتراك تجاهه، و هؤلاء يمكن ان يجيعوه بتوقيف سير القطارات اليه. و بذلك لم يجد الحسين نفسه مثل ما وجدها فى تلك الأيام مطلقا، فقد موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٢٩٩ أصبح تحت رحمة الأتراك بالكلية. لكنهم فى هذه اللحظة البغيضة كانوا يحتاجون احتياجا خاصا لوقوفه إلى جانبهم فى «الجهاد» ضد العالم المسيحى.

«و لأجل ان يكون هذا الجهاد مؤثرا فى كل مكان يجب ان يقترن بمصادقة مكة المكرمة عليه، و إذا ما تم ذلك فقد يزج الشرق كله فى بحور من الدم. و كان الحسين شريفا حادقا، و عنيدا شديدا التدين. فقد كان يعتقد أن الحزب المقدسة لا يمكن أن تتفق شرعيا مع الحرب الاعتدائية، و شيئا سخيفا إذا كانت تشن مع حليف نصرانى هو المانية. و لذلك رفض طلب الأتراك، و قدم فى الوقت نفسه استغاثة مبدئية إلى الحلفاء طالبا فيها عدم تجويع بلاده بسبب الحرب التى لم يكن لقومه ناقة فيها و لا جمل. فرد الأتراك على ذلك فى الحال بفرض حصار جزئى على الحجاز بالسيطرة على لورنس فى زى البدو و هو بجانب جملة فى الصحراء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٠٠

سكة حديد الحجاج. لكن البريطانيين تركوا سواحلهم مفتوحة لسفن الطعام و نظم تواردها تنظيما خاصا. «على أن الحسين لم يتسلم طلب الأتراك وحده. فقد بعث اليه فى كانون الثانى ١٩١٥ ياسين (الهاشمى) رئيس الضباط العراقيين، و على رضا (الركابى) رئيس الضباط السوريين، و عبد الغنى العيسى عن المدنيين السوريين، خطه مرسومة للقيام بتمرد عسكري كبير فى سورية ضد الأتراك.

و قد خاطبه أهل العراق و سورية المضطهدون و لجان «العهد» و «الفتاة» فى هذا الطلب ب (أبى العرب)، و زعيم المسلمين، و أميرهم الأكبر، و ناشدوه بأن ينقذهم من خطط طلعت و جمال الشريعة.

«و قد اضطر الحسين بصفته سياسيا، و أميرا، و مسلما، و عصريا مجددا، و وطنيا مخلصا، إلى أن يستمع لاستغاثتهم به. فأوفد فيصلا، ابنه الثالث، إلى دمشق ليبحث مع الضباط العرب مشاريعهم فى هذا الأمر بالنيابة عنه، و يقدم تقريرا بما يتوصل اليه. ثم انتدب ابنه الأكبر عليا إلى المدينة ليجند الجنود بهدوء من قروبي الحجاز و ابناء عشائره، متذرا بأية حجة يراها مناسبة، و ليكون على أهبة الاستعداد للعمل إذا ما تطلبت مهمة فيصل ذلك. أما عبد الله ابنه الثانى اللبى، فقد كلف بجس نبض البريطانيين عن طريق المخابرة، و معرفة

الموقف الذي سيتخذونه فيما لو ثار العرب ضد الأتراك.

«و في كانون الأول ١٩١٥ أخبر فيصل والده بأن الأحوال المحلية كانت مؤاتية للعمل، لكن شؤون الحرب العامة لم تكن تسير بموجب ما كانوا يريدون و يأملون. فقد كانت في دمشق ثلاث فرق من الجنود العرب المستعدين للثورة، و كانت في حلب فرقتان أخريان تفشت بين جنودهما فكرة القومية العربية بحيث كان من المؤكد أن ينضموا إلى الثورة فيما لو بدأ بها الآخرون. و كانت هناك فرقة تركية واحدة فقط في هذا الجانب من طوروس، و لذلك كان من الأكيد أن يستولى الثوار على سورية في أول

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٠١

جهد يبذلونه. لكن الرأي العام من جهة أخرى كان أقل استعداداً للأقدام على اتخاذ تدابير متطرفة، و كانت طبقة العسكريين واثقة من أن المانية سوف تريح الحرب في القريب العاجل.

«ثم أعقب ذلك حصول تأخيرات في الخطء، لأن الخلفاء هاجموا الدردنيل بدلاً من مهاجمة الاسكندرون. فذهب فيصل إلى استانبول للحصول على أوثق المعلومات عن الأحوال في جبهة غاليبولي، لأن اندحار تركية فيها سيكون بمثابة إشارة للعرب بالحركة. و حينما تبين لفيصل أن خسائر الأتراك كانت جسيمة هناك عاد إلى سورية و في نيته أن يبدأ بالعمل، لكنه وجد أن الأحوال المحلية قد أصبحت غير ملائمة.

فقد ألقى مؤازرية فيها بين موقوف أو مختف، و أن أصدقاءهم كانوا يعلقون على المشائق بالعشرات بتهم سياسية مختلفة. كما وجد أن الفرق العربية التي كانت مهياة للثورة قد سيقت إلى جبهات بعيدة، أو جزئت إلى أجزاء وزعت كلها على الوحدات التركية في كل مكان. يضاف إلى باشا (السفاح) الفريق في الجيش التركي يحيط به ضباط المان سنة ١٩١٧ مؤشرا اليه بالعلامة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٠٢

ذلك أنه وجد ان الفلاحين العرب قد جندوا للخدمة العسكرية بحيث وقعت سورية مستلقية تحت رحمة جمال باشا السفاح. «و على هذا الأساس كتب فيصل إلى أبيه يشير عليه بتأجيل الأمر إلى فرصة أخرى أي إلى الحين الذي تكون فيه انكثرت مستعدة للمساعدة و تركية قد دخلت في مأزق حرج. لكن المؤسف أن انكثرت كانت في وضع مزر، لأن قواتها أخذت تتقهقر مضعضة في الدردنيل. و كانت نكبة الكوت المتطولة في آخر دور من أدوارها، كما كانت ثورة السنوسي التي نشبت في وقت دخول بلغارية إلى الحرب تهدد أجنحتها (أي أجنحة انكثرت).

و لذلك تأزم موقف فيصل إلى أقصى الحدود، لأنه أصبح تحت رحمة أعضاء الجمعية السرية التي كان يرأسها قبل الحرب. فقد كان مضطراً إلى العيش في ضيافة جمال باشا بدمشق، فاستهدف بذلك زيادة الأطلاع على الوضع العسكري و تظاهر بأن أخاه علياً أخذ يجند الجنود في المدينة بحجة قيادة وحداتهم التي سيقودها مع أخيه في الزحف على قناة السويس مع الجيش التركي. و لما كان فيصل عثمانياً مخلصاً و ضابطاً في خدمة الجيش التركي كان لا بد من ان يعيش في المقر العام، و يتحمل بصبر و أناة ما كان يصبه جمال المستأسد في كؤوسه من ضروب التحقير و الأهانة لقومه العرب.

«فقد كان جمال يدعو فيصل و يأخذه معه إلى حيث كان يشق أصدقاءه السوريين. و لم يتجرأ ضحايا العدالة هؤلاء على المجاهرة بمعرفة آمال فيصل و أمانيه الحقيقية، بأكثر من عدم تجرؤه هو على الأعراب عما كان في فكره بالكلام أو النظر، لأن الكشف عن ذلك كان سيدين أسرته و ربما بنى قومه كلهم فيؤدى بهم إلى نفس المصير. لكنه انفجر مرة واحدة فقط و قال لجمال بأن أحكام الأعدام هذه ستكلفه جميع ما كان يحاول تحاشيه و تجنبه، فتطلب ذلك تدخل أصدقائه، من رجال تركية الموجودين في استانبول، و تشفعهم في إنقاذه من جريرة هذه الكلمات المنطوية على التسرع.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٠٣

«و قد كانت مراسلات فيصل لأبيه في تلك الظروف مجازفة بحد ذاتها.

فقد كان يرأسه بواسطة أتباع أسرته و حفتها القدماء ممن كانوا فوق الشبهات، و كان هؤلاء يذهبون و يعودون في قطار الحجاز و هم يحملون الرسائل في أغماد السيوف، أو في داخل قطع «الكيك»، أو مخاطة في أنعل الأحذية، أو بكتابات غير منظورة على أوراق تلف بها رزم لا خطر فيها. و في جميع هذه الرسائل كان فيصل يذكر أشياء غير سارة، و يسترحم من والده تأجيل العمل في أى شىء كان إلى الوقت المناسب.

«على أن الحسين لم يكن يتأثر بمشبطات الأمير فيصل و لو بمقدار ذرة، لأن الاتحاديين الأتراك كانوا في نظره شرذمة من الأتراك الملاحدة الخارجين على الدين و الأنسانية، الخونة لروحية العصر و مصالح الاسلام العليا. و مع أنه كان رجلا كبيرا تجاوز الخامسة و الستين من عمره، فقد كان عازما على إعلان الحرب عليهم برحابة صدر و اعتماده الوحيد في ذلك على عدالة قضيته. و قد كانت ثقة الحسين بالله عظيمة بحيث ترك حسه العسكري باثرا غير مستغل، و ظن أن الحجاز يستطيع الوقوف ضد تركية في الحرب على قدم المساواة. و لذلك أنفذ عبد القادر العبدو يحمل رسالة إلى فيصل يقول فيها ان كل شىء كان جاهزا ليقوم هو بتفتيشه في المدينة قبل أن يبدأ بالزحف إلى الجبهة. فأخبر فيصل جمالا بالأمر، و طلب ترخيصه للذهاب إلى المدينة، غير أنه فوجىء بما أفزعه حينما رد عليه جمال يقول ان القائد العام، أنور باشا، كان في طريقه إلى هناك أيضا فانهم سيزورون المدينة سوية فيفتشون الجيش فيها. و كان فيصل قد رتب أن يرفع علم والده القرمزى حالما يصل إلى المدينة، و يباغت الأتراك على غفلة منهم، بينما اضطر الآن إلى أن يرافق ضيفين ثقيلين يحتم واجب الضيافة العربية المحافظة عليهما و عدم مسهما بسوء، و قد يؤدي ذلك إلى تأخير ما كان ينوى الأقدام عليه بحيث تتعرض أسرار الثورة كلها إلى الخطر بسببه.

«على أن الأزمة انتهت بسلام بعد ذلك، برغم ان سخريه الاستعراض

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٠٤

كانت شيئا مزعجا. فقد وقف أنور و جمال و فيصل يستعرضون القطعات و هى تسير و تنعطف ثم تدور في السهل المغبر خارج باب المدينة، و يغير بعضها على بعض سعدا و نزلا كما يفعلون في حربهم على الأبل، أو يهاجمون بخيولهم في لعبة الرمح و الجريد طبقا لتقاليدهم العربية الخالدة.

و أخيرا توجه أنور إلى فيصل يسأله بقوله: هل تطوع هؤلاء كلهم للجهاد؟

فأجابه فيصل بالإيجاب. ثم سأله من جديد: و هل عزم هؤلاء على القتال حتى الموت ضد أعداء المسلمين؟ فرد فيصل بالإيجاب مرة ثانية. و قد جاء الرؤساء بعد ذلك ليسلموا على القائد العام بعد ان يتم تقديمهم له، فتنحى الشريف على بن حسين، من مذبح، بفيصل جانبا و همس في أذنه يقول: هل يأذن سيدى بقتلهم الآن؟ لكن فيصلا رد عليه يقول: كلا انهم ضيوفنا.

فخرى باشا قائد حامية المدينة

«و احتج الرؤساء مرة أخرى على هذا الرفض، لأنهم كانوا يعتقدون أنهم يمكنهم ان ينهوا الحرب بضربتين حاسمتين. و قد كانوا عازمين على اجبار فيصل على ما يريدون، و لذلك اضطر أن يذهب اليهم ثانية على مرأى من الواقفين و يتوسل لأنقاذ حياة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٠٥

الديكتاتورين التركيين، اللذين كانا قد علقا خيرة أصدقائه و أخلصهم على أعواد المشانق. و اضطر في الأخير الى ان ينتحل الأعدار المناسبة و يعود بالضيفين إلى داخل المدينة، و يملا قاعة الاستقبال فيها بعبيده و رجاله، ثم يرافقهما في العودة إلى دمشق لينقذهما من الموت في الطريق إليها. و قد فسّر هذه المجاملات المنهكة بأن شهامة العرب تقضى بان يكرس كل شىء الى ضيوفه. و لما كان أنور و جمال على جانب كبير من الشك و الريبة مما شاهداه، فقد فرضا حصارا شديدا على الحجاز، و أمرا بسوق امدادات قوية آليه. و قد أراد جمال ان يحتفظ بفيصل عنده في دمشق، لكن البرقيات صارت تصل تترى من المدينة تطلب حضوره العاجل للحيلولة دون وقوع الفوضى و الاضطراب، فسمح له جمال بالعودة إلى المدينة و هو مكره بشرط أن يبقى رجال حاشيته رهائن عنده.

«و قد وجد فيصل أن المدينة أصبحت ملأى بالجنود الأتراك، و بضباط مقر الفيلق الثاني عشر و على رأسهم فخرى پاشا، الجزائر القديم الشجاع الذى طهر (زيتون) و (أورفه) تطهيراً دمويًا من الأرمن. و من الواضح أن الأتراك كانوا قد أشعروا بما كان يدبر لهم فى الخلفاء، فأصبح أمل فيصل بتدبير هجوم مفاجىء، و الحصول على نجاح من دون ان ترمى أية رمية تقريباً، شيئاً غير ممكن. على ان الأمر قد تأخر بحيث لم تعد معالجته بالفتنة وحدها شيئاً ممكناً. فبعد أربعة أيام فرت حاشية فيصل من دمشق على ظهور الخيل و التجأت إلى نورى الشعلان شيخ الرولة فى البادية، و شمر فيصل عن ساعده للعمل فى اليوم نفسه. و حينما رفع رايته العربية انتقلت الدولة الإسلامية الكبرى، التى اشتغل من أجلها عبد الحميد و ذبح الناس و مات، و أمل الألمان فى تعاون الإسلام على تنفيذ خطط القيصر العالمية، إلى عالم الأحلام. فقد أنهى الشريف بمجرد اعلانه الثورة هذين الفصلين الوهميين من فصول التاريخ». انتهى و كانت خطط الثورة فى بادىء أمرها تتركز حول مهاجمة المدينة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٠٦

و تطهيرها من الأتراك، لأنها أصبحت مقرهم الوحيد فى الحجاز و مركز تجمعهم و قد أعد الشريف و أنجاله جميع ما كان عندهم من امكانيات لذلك، لكنهم لم يحرزوا شيئاً من النجاح فى هذا الشأن. و يقول لورنس فى هذه المناسبة (الصر ٩٣، الفصل ١٣):

«و قد كان أول هجوم شنه الثوار على المدينة عملاً من الأعمال اليايسة، لأن العرب كانوا مسلحين تسليحاً سقيماً و تقصم الذخيرة و العتاد بينما لورنس متكرر بملابس عجزية من عجريات سوريا و كثيراً ما كان يتسلل إلى المناطق التركية بهذا الزى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٠٧

كانت قوة الأتراك فيها عظيمة لأن مفرزة فخرى باشا كانت قد وصلت حديثاً .. و فى أوج الأزمة تخاذل بنو على فأخرج العرب إلى الخارج فيما وراء السور، و عند ذاك أصلاهم الأتراك بوابل من نيران مدفعيتهم الحامية فأثر هذا تأثيراً مرعباً فيهم. فقد التجأ العقيل و عتيبة إلى مكان آمن و رفضوا التحرك من جديد، و عبثاً حاول فيصل و على المدحجى الركوب أمامهم من دون خوف ليبرهننا لهم أن القذائف المتفجرة لم تكن شيئاً مميتاً كما قد يفهم من أصواتها المدوية. ثم ازداد الذعر و ضعفت العزائم.

«يضاف إلى ذلك ان فريقاً من بنى على اتصلوا بالقيادة التركية، و عرضوا عليها الاستسلام إذا وعدوا بسلامة قراهم. فاحتال فخرى عليهم، و فى خلال ما أعقب ذلك من توقف فى المناوشات طوق ضاحية العوالى بجنوده. ثم أمرهم فجأة بمهاجمتها و الاستيلاء عليها بالقوة، و بقتل كل حى يوجد فيها. فذبح مئات من السكان و اغتصبوا، و تلا ذلك إضرام النار فى البيوت فاحترق فيها الأموات و الأحياء سوية».

و يقول لورنس ان مثل هذه المعاملة القاسية، و هذا الفتك، قد هز أنحاء الجزيرة العربية كلها لأنه جاء مخالفاً لجميع القواعد و الأعراف .. و لم يعد من الممكن للعرب أن يخضعوا ثانية للأتراك الذين كان ما اقترفوه فى العوالى قد ولد روحية الثأر عند الجميع. و لذلك: تراجعوا من السهل المنبسط القريب من المدينة إلى الجبال القائمة فى عبر الطريق السلطانى حوالى عاد و الراحة، و بير عباس. و هناك أخلدوا قليلاً إلى الراحة حتى يتمكن على و فيصل من تدبير السلاح و المال و الأطعمة لشن حملة جديدة ..

و بعد وصول الامدادات و المساعدات التى قدمتها بريطانية للثوار صاروا يحاصرون المدينة بالتدرج، و كان الأمير عبد الله مكلفاً بشىء غير يسير من هذه العملية. و مما يقوله لورنس فى هذا الشأن: «و أخيراً فقد غادر الشريف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٠٨

عبد الله مكة. و بعد اسبوعين تركز فى المكان الذى كان يقصد ان يخيم فيه أى فى شمال شرقى المدينة، حيث يكون قادراً على قطع طريق التجهيزات التى ترد إليها من القصيم و الكويت. فقد كان تحت تصرفه أربعة آلاف رجل، لكنه لم تكن عنده معهم سوى ثلاثة مدافع رشاشة و عشرة مدافع جبلية غير جيدة كان الشريف قد استولى عليها عند استسلام الأتراك فى الطائف و مكة، و لم يكن على درجة كافية من القوة لتنفيذ خطته الأخرى بالهجوم المشترك على المدينة مع على و فيصل. فكان بوسعه فقط ان يحاصرها، و من

أجل هذا أقام في الحناكية و هي مكان صحراوي على بعد ثمانية أميال من شمال شرقي المدينة».

و يذكر لورنس في هذه المناسبة قصة أشرف المغامر التركي الذي قبض عليه رجال الشريف عبد الله بالقرب من المدينة، و هو مكلف منها بالتوجه إلى اليمن في مهمة حربية خاصة. و كان أشرف هذا مغامرا تركيا من أهالي ازمير في الأصل، و قد ثار مرة على الدولة فقبض عليه في أيام السلطان عبد الحميد و نفى إلى المدينة المنورة لمدة خمس سنوات. و ظل محجوزا فيها حتى استطاع ان يفر من سجنه و يلتجئ إلى شهد أمير العوالي المناويء للأتراك يومذاك فأواه. ثم تمكن في يوم من الأيام أن يأتي إلى المدينة فجاء على فرس عربي أصيلة، و يدخل إلى ثكنتها فيخطف منها ضابطا شابا كان يدرّب جنوده فيها، و هو ابن خصمه حاكم المدينة، و يعتصم به في منطقة جبل أحد. و لأجل ان يستعيد حاكم المدينة ابنه المخطوف، و ينقذه من براثن هذا الوحش الضاري، اضطر إلى تحريره من الحجز و وعده بعدم التعرض له ثم دفع له خمس مائة باون. و عند ذاك اشترى له عددا من الأبل و بعض الخيام، و تزوج زوجته من بنات المدينة، ثم أخذ يتجول بين العشائر حتى نشبت ثورة الشبان الأتراك في استانبول. فتوجه إليها، و أصبح هناك موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٠٩

من رجال أنور باشا. و حينما أعلنت الحرب العامة الأولى أوفد إلى المدينة، و جهز بالأموال و الرسائل اللازمة من السلطان ليتصل بأمرء العرب و الحامية التركية التي اصبحت معزولة في اليمن. و قد صادف خلال المرحلة الأولى من رحلته إلى اليمن أن مر بالمنطقة التي كان يخيم فيها الشريف عبد الله في وادي العيص بالقرب من خيبر، فألقى القبض عليه بعد معركة حامية وقع جريحا فيها، و جاء به الشريف فوزان الحارث إلى عبد الله فوجدت معه أشياء كثيرة منها عملة بمبلغ عشرين ألف باون، و عدد من الخلع الثمين، و الهدايا النفيسة، و بعض المستندات و الأوراق المهمة، مع عدة أحمال من البنادق و المسدسات ..

و هنا يصف لورنس الجبهة العربية يومذاك بكلمات موجزة تشير إلى ان الأتراك صاروا يتخذون وضعا دفاعيا في المدينة، حينما كان القائد الانكليزي موري يضغط في جهات سينا، و فيصل يربط في الوجه، و عبد الله يخيم بين الوجه و المدينة. و يستفاد من تسلسل الحوادث في فصول أعمدة الحكمة السبعة بعد ذلك أن لورنس بدأ يعتقد بضرورة إبقاء فخرى باشا، مع قواته التركية التي يبلغ عددها خمسة و عشرين ألف مقاتل، في المدينة و ضرب طوق من الحصار حولها لئلا يستفيد منها الأتراك في جهات أخرى. و هذا ما كان يريده الكولونيل الفرنسي بريمون كذلك، و هو رئيس البعثة الفرنسية التي جاءت إلى الحجاز لتشارك في مساعدة العرب مساعدة اسمية أو رمزية على الأقل.

و كانت وجهه نظر بريمون في هذا الشأن إلهاء العرب بمحاصرة فخرى باشا في المدينة و عدم السير إلى الشام و تكوين حكومة عربية فيها، كما تم بعد ذلك، لأن فرنسا كانت تطمح في سورية منذ ذلك الوقت بطبيعة الحال، و كانت سورية من حصتها في المقاسمة السرية التي أجريت بين انكلتره و فرنسا بموجب اتفاقية سايكس-بيكو.

لكن الأتراك على ما يبدو قد أدركوا وضعهم الميئوس منه في المدينة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣١٠

و فائدة خصومهم منه، فأوعزوا إلى قائدهم في المدينة بأخلائها. و يقول لورنس في هذا الشأن: «وقد جاءني ما كروري بنسخة من تعليمات برقية صادرة من جمال باشا إلى فخرى باشا في المدينة، و كانت هذه التعليمات قد صدرت في بادئ الأمر من أنور باشا و هياة أركان الحرب الألمانية في استانبول، و هي تقضى بأخلاء المدينة و تركها في الحال، و إخراج الجيش منها بمسيرات بريئة عدة تسير إلى هدية أولا، ثم إلى العلا، و إلى تبوك، و أخيرا إلى معان حيث تحفر الخنادق و يتخذ موضع قوى فيها متصل بخطوط سكة الحديد. و كانت هذه الحركة تعد شيئا مناسباً للعرب، لكن جيشنا في مصر اضطرب للخبر و أزعجته فكرة نزول خمسة و عشرين ألف جندي أناضولي مع مدفيعتهم غير الاعتيادية على جبهة بئر السبع بصورة مفاجئة.

و لذلك أخبرني كلايتون بكتابه بان أعير هذه التطورات أهمية فائقة، و أن أبذل كل جهد للاستيلاء على المدينة، أو القضاء على

الحامية عندما تخرج منها. و كان نيو كومب منشغلا بتخريب خطوط السكة تخريبا شديدا، و لذلك وقعت المهمة على عاتقي. و قد شعرت بأني لا استطيع عمل شيء كثير في هذا الشأن، لأن البرقية جاءت متأخرة و قد أزف وقت إخلاء المدينة المشار اليه ..»
 و حينما نشط لورنس للعمل على تنفيذ الأوامر التي تسلمها ذهب إلى الشريف عبد الله في وادي العيص للوقوف على أسباب عدم قيامه بأية حركة خلال الشهرين الأخيرين، و لأقناعه بمهاجمتهم حالما يخرجون من المدينة، لكن الأتراك لم يستطيعوا تنفيذ الأوامر التي صدرت لهم و لم يستطع الثوار العرب الاستيلاء على المدينة و القضاء على الحامية التركية فيها لأسباب كثيرة لا مجال لشرحها هنا. و لذلك تأكدت فكرة محاصرتهم و الإبقاء على قوتهم مجمدة في داخل المدينة المقدسة. و هاك ما يورده لورنس (الص ٢٢٥ و

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣١١

٣٨٠) في هذا الشأن: «... فيجب علينا ان لا- نأخذ المدينة، فقد كان الأتراك غير مضرين لنا فيها، لكننا في مصر سوف نضطر إلى اطعامهم و حراستهم لو وقعوا أسرى في أيدينا. و كان الشيء المثالي لنا ان نبقي سكة الحديد عاملة بالكاد .. و على هذا الأساس ظل الثوار العرب مع لورنس في جبهة المدينة و سكة الحديد الموصلة لها يدمرون القطارات و ينسفون الكثيرين من جسورها و أجزاءها على طول الخط، إلى ان وصلوا الى خطوطها المارة في منطقة الأردن حين استولوا بالتمام على ثمانين ميلا منها تقع ما بين معان و المدورة، و بذلك انتهى أمر الدفاع الفعال عن المدينة بهذه العملية على ما يقول لورنس. و بقيت القوة التركية محاصرة في المدينة إلى ما بعد اندحار تركية، و إلى ان وضعت الحرب أوزارها. لكن الغرب في الأمر ان المنتمين إلى المدرسة القديمة من القادة الأتراك، على ما يقول لورنس، كانوا (الص ٤٦٠) يعيرون المدينة أهمية كبرى و يعتبرونها آخر أثر من آثار سيطرتهم على البلاد المقدسة، و حجة حية للتمسك بالخلافة. و لذلك دفعت بهم هذه العاطفة إلى اتخاذ قرار مخالف لمقتضيات الحالة العسكرية فيها.
 أما مصير فخرى باشا، و القوة التي بقيت محاصرة معه في المدينة، فيقول الصحفي الأمريكي ليدل هارت في كتابه المشهور عن لورنس (الص ٣٧٥) أن حامية المدينة هذه لم تستسلم إلا في كانون الثاني ١٩١٩.

و لم يكن حتى الاستسلام من رأى فخرى باشا نفسه، لكن ضباطه الذين أخذ منهم الجوع مأخذه اغتتموا فرصة مرضه فاستسلموا للعرب و سلموا قائدهم المريض اليهم كذلك، و كانت روحية هذا القائد العسكرية قد أدت به الى ان يتمسك بالمدينة تمسكا عنيدا أسهم به في خسارة بلاده إلى حد كبير. و نذكر بالمناسبة أن المستر ليدل هارت يأتي في كتابه هذا على جميع موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣١٢

ما نقلناه عن لورنس و يؤيده، و يضيف إلى ذلك قوله ان خط سكة الحجار ما بين معان و المدينة يبلغ خمس مائة ميل في طوله، و ان هذه المسافة تقسم إلى ثلاثة قطاعات متساوية تقريبا، و هى قطاع معان، و قطاع تبوك مدائن صالح، و قطاع مدائن صالح المدينة.

الشريف علي حيدر في المدينة

كان الشريف علي حيدر، حفيد الأمير عبد المطلب، من شرفاء مكة المنتمين إلى ذوى زيد، و قد جرى به إلى استانبول في أيام السلطان عبد الحميد و هو حدث صغير في السابعة من عمره ليكون رهينة عند الدولة العثمانية عن سلوك جده الحسن تجاهها. و قد نشأ نشأة ارسقراطية في العاصمة التركية و ترعرع فيها، و تعين في شبابه عضوا في مجلس المبعوثان ثم تسنم عدة وظائف مرموقة في الدولة. فأصبح وزيرا للأوقاف و نائبا للرئيس في المجلس المذكور كذلك. و كان خلال إقامته هناك قد تزوج بالمس يزابيل دن

Isabel Dunn

ابنة الكولونيل دن خبير الأسلحة الانكليزي الذي ظلت تستعين به الحكومة التركية عدة سنوات، بعد أن أسلمت على يده و صارت تسمى فاطمة. فأنجب عدة أولاد منها، و منهم الشريف محيى الدين و الشريف محمد أمين، و الشريفة مصباح. و قد تثقف هؤلاء ثقافة

عالية فيما بعد، واستطاعت الشريفة مصباح ان تكتب كتابا بالانكليزية تسرد فيه نشوء أسرتها في استانبول و قصة والدها و أحقيقته بشرافة مكة باعتباره من ذوى زيد، و تتحمل فيه على الملك حسين باعتباره من ذوى عون الرفيق و ثورته على الأتراك. و من كتابها هذا استقينا هذه المعلومات.

و حينما ثار الحسين بن على في مكة على الأتراك في ١٩١٦، رد عليه الأتراك بأعلان عزله عن الشرافة الكبرى في مكة المكرمة و تنصيب الشريف موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣١٣

على حيدر هذا في مكانه. و اتخذت التدابير اللازمة لتسفيره إلى المدينة المنورة و تسلم منصبه فيها، على أن يعمل بالاشتراك مع القوات التركية الموجودة فيها على استرداد مكة و سائر أجزاء الحجاز بعد القضاء على الثورة العربية فيه. فترك استانبول في يوم ١٩ حزيران ١٩١٦ متوجها إلى الشام، و من هناك توجه إلى المدينة بالقطار في أول آب ١٩١٦.

و تقول الشريفة مصباح في الفصل الرابع عشر من كتابها (الص ٩) عن مرور أبيها الشام أن جمال باشا القائد العام فيها قد ساء تقاطر العرب و تواردهم للسلام على الشريف حيدر. و كان من بين الذين فعلوا ذلك نوري الشعلان شيخ مشايخ الدولة الذي أهدى له الشريف حيدر ساعة ذهب، و كان يتقاضى يومذاك مخصصات محترمة من الحكومة العثمانية لقاء ولائه لها. و تقول كذلك:

.. و مع أن القائد العام قد بذل جهدا في إخفاء شعوره الشخصي تجاه الشريف، فقد كان من الواضح عند أول التقاء الشريف الأكبر به انه كان يكرهه كراهية شديدة، حتى انه لا- يثق بوجوده في الشام. و لا- شك بأن شكوكه بأن ينضم إلى الثورة العربية في يوم من الأيام، أو يقلل من منزلته هو في البلاد، لم يكن له أى أساس من الصحة مطلقا. لكنه لما كان يعد العدة يومذاك ليعلن نفسه ملكا على سورية في أول فرصة تسنح له، فليس من الغريب أن يكره رجلا في مثل منزلة الأمير و مكانته .. غير أنه مع جميع ما كان يكره من شعور تجاهه فانه عامله بأكثر ما يكون من الحفاوة و التكريم خلال الأيام الأخيرة من وجوده في دمشق ...

.. و قد قوبل الأمير بحماسة و ترحيب على طول الخط الممتد من الشام إلى المدينة، و حينما وصل إلى مدينة الرسول في اليوم الأول من آب ١٩١٦ استقبل استقبال الملوك باطلاقات المدافع، و رحب به فخرى باشا، الحاكم العسكري، ترحيا كبيرا. و كان جمهور كبير من العرب المتحمسين قد احتشد في خارج بناية المحطة المزدانة بمعالم الزينة لاستقبال أميرهم و السلام عليه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣١٤

الشريف على حيدر و هو خارج من باب السلام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣١٥

و أعقب ذلك انشغاله الشديد بالتعرف على الوضع عن كثب، فقد توافدت القبائل من كل مكان لتؤدى يمين الأخلص و الطاعة، و تعبر عن فرحها بوصول عميد أسرة ذوى زيد صاحب الحق الشرعى في شرافة مكة الكبرى. و تقاطرت الألوف منهم للانضواء تحت رايته و وضع أنفسهم تحت تصرفه، حتى تألف منهم جيش بخمسة عشر ألف مقاتل ليسير وراءه.

لكن مصاعبه و مشاكله أخذت تزداد يوما بعد يوم، لأنه مع كونه قد تقبل ولاءهم بفرح و سرور فقد اضطر إلى أن يوعز لهم بالتفرق بعد ذلك لأنه لم يكن قادرا على تزويدهم بأى شىء من الذخيرة و التموين. فإن المدينة كانت تخلو من كل شىء، و كانت وحدات الجيش النظامى فيها فقيرة التجهيز إلى أقصى حد ممكن.

و لم تأت الاتصالات المتكررة بالحكومة بأى شىء، لأن المسؤولين كانوا يخضعون لأسيادهم الألمان في فكرة تركيز القوات العسكرية في جهات أخرى ضد الأنكليز. و لذلك تحتم على الأمير ان يتجرع مرارة الخيبة في ان تفلت من يده الفرصة الوحيدة التي سنحت له لسحق الثورة العربية، و استعادة مكة. فان قبيلة بعد أخرى أخذت ترسل رسلها لتقول ان الوقت قد حان، و أن الفرصة قد سنحت، لتخليص الحجاز من حسين المكروه و حلفائه الكفار. لكنهم كلهم كانوا يحتاجون إلى الذخيرة الحربية و الطحين، و هما الشيطان الحيويان اللذان لم يكن على حيدر يملكهما و لم يكن قادرا على استحصالهما من الحكومة التي سبق لها أن أخذت تفقد

سيطرته على الشؤون الحيوية في البلاد. و كانت القبائل في الوقت نفسه تعاني الجوع والحاجة إلى كل شيء تقريبا، فاضطروا في الأخير إلى الرضوخ واحدا بعد آخر إلى لسان الدعاية المقنعة التي كان يبثها رؤساء الثورة المدعومون بذهب الأنكليز و طحينهم.

و كانت من بين الرسائل التي تسلمها الشريف الأكبر في هذا الوقت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣١٦

رسالة من ابن سعود أمير نجد يومذاك. و ندرج نصها في الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الى سمو الشريف الأكبر أمير مكة المكرمة الشريف على حيدر المحترم

حياك الله و جعل النصر لك، و بعد فقد حصل لى الشرف بتسلم كتابكم الكريم. و أن كل ما يحدث في البلاد العربية اليوم فأنا على علم تام به، و قد علمت بتعيينكم لسدة الشرافة الكبرى في مكة، و اعتراف صاحب الجلالة الخليفة و أمير المؤمنين بكم على هذا الأساس. و أنى أعلم كذلك ان قبولكم لهذا الشرف العظيم لم يكن الدافع اليه أطماعكم الشخصية، و لا الرغبة في الفوائد المادية، و إنما كان ذلك بدافع حماسكم و اخلاصكم للأسلام، و لتحسين أحوال المسلمين بوجه عام. و قد رفعتم رايتكم من أجل الأسلام ضد حسين و أولاده، الذين خرجوا على شرع النبي المقدس.

و لم تقم أسرة الحسين حينما أعلنت الثورة على خليفة المسلمين و حكومته الا بانزال الضرر بالمسلمين و زرع بذور التفرقة بينهم، لكن ليس هناك قوة أعظم من قوة الله عز و جل. و قد كان سماح الحسين للنصارى بالدخول إلى الأراضى المقدسة من جملة التجاوزات التي تجاوز فيها على الأسلام، و لا بد من أن تؤدي هذه إلى سقوطه في النهاية. لأن سلوكه يعتبر سلوكا مغايرا لروحية الأسلام بالكليّة، و منافيا لتقاليد العرب و عقائدهم. و تدل ثورته ضد خليفته على سوء نيته. فهو يريد الاستقلال بأى ثمن، و لهذا فإنه سوف يمارس أنواع الدس بين أبناء البلاد العربية، و تحريك أحدهم ضد الآخر لخدمة مصالحه و أطماعه. و قد أخذ الذين تتفق مصالحه مع مصالحهم يؤازرونه و يؤيدونه. و لذلك فان الوضع المهم الحالى يتطلب من حكومة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣١٧

سموكم شيئا كثيرا من الالتفات و الرعاية. ان دسائس الحسين و أولاده قد سببت هياجا غير قليل بين قبائلى أنا أيضا، و قد أخبرت سموكم و موظفى الحكومة بهذه الأعمال غير المرغوب فيها التي تجرى في الوقت الحاضر.

و ها أنا ذا أضع نفسى اليوم تحت تصرف الحكومة التركية و أوامرها، و انا على استعداد لعمل ما تريدونه، لكننا نطلب المزيد من الذخيرة الحربية و التجهيزات. و يعتبر وضع الشريف حسين في الوقت الحاضر وضعاً ذا أهمية قليلة، و بوسعنا ان ندحره بسهولة اذا ما توفر لنا مزيد من التجهيزات.

و نحن بانتظار ذلك مع تعليمات سموكم. فالعرب اليوم يجتمعون هنا، و هذه أحسن لحظة لأية حركة يمكن ان نقوم بها.

عبد العزيز السعود حاكم نجد

أما مصير الشريف حيدر و حركته في المدينة فتفرد له الشريفه مصباح فصلا خاصا في كتابها هو الفصل الخامس عشر (الص ١٠١). و هى تقول فيه: لقد أخذ الوضع يزداد سوءا في المدينة. و كان الأمير قد بعث بتقارير مستعجلة عديدة، و برقيات كثيرة، يشرح فيها الأحوال السيئة و يطالب بأرسال الأغذية و الذخيرة العسكرية و الذهب. فلم تكن للعملة الورقية أية قيمة عند القبائل، التي كانت تريد الذهب وحده الذى كان بوسع فيصل و لورنس توزيع كميات غير محدودة منه.

و حينما وصل الأمير حيدر إلى المدينة في بداية الأمر كان الوضع ما يزال مؤاتيا فيها، فقد كانت الطائف ما تزال في أيدي الأتراك، و كانت الفرصة سانحة للحصول على انتصار سريع فيما لو زحفوا في الحال على مكة و ينبع، و هو ما كان يرتأيه الأمير. على ان هذا لم يكن من الممكن الاضطلاع به من دون وجود تجهيزات كافية. و بينما كان الأتراك مترددين في هذا الشأن تغير الوضع من سىء إلى

أسوأ، و لم تؤد التضمرعات المرسله الى سعيد

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٣، ص: ٣١٨

حليم الصدر الأعظم الى أية نتيجة، لأن الجهود كلها متركرة في جبهة فلسطين.

و في شباط ١٩١٧ حصل تغيير وزارى فأعقب طلعت باشا سعيد فهميم فى رأسه الوزارة. و فى بريقه بعث بها طلعت الى الأمير أعلن حصول هذا التبدل، و طلب اليه ان يبعث بأخيه الشريف جعفر الى جمال باشا فى دمشق، و من ثم الى استانبول، لمناقشه الوضع مع أنور و معه هو نفسه. و قد لميح له فى هذه البرقيه الى أن جمالا و أنور لم يكونا يدر كان الخطر الذى كان يحاول شرحه لهما. لأن كلاهما كان متأثرا بحجج الألمان التى تبرر ترك المدينة و الانسحاب منها، مع تحشيد القوى كلها فى فلسطين. و لذلك بعث الشريف الأكبر بأخيه و ابنه الأكبر عبد المجيد، ليحاولوا أقناع الجهات المختصة بالخسارة العظمى التى ستصيب نفوذ الحكومه و هيبتها بين العرب و المسلمين فيما لو تم ذلك. فتقرر الدفاع عن المدينة حتى النهاية. و بعد أن أنهى الشريف جعفر مهمته على هذه الشاكلة قفل راجعا الى المدينة.

و لما اصبحت مشكله التجهيزات و المؤن على جانب أكبر من الحده و الصعوبه تقرر ان يترك الشريف حيدر المدينة مع حاشيته و يقيم فى سوريه، و قبل ان يرحل عنها سلم الى فخرى باشا أمر الحاميه فى المدينة جميع ما كان عنده من عدد و تجهيزات طيبه و خيول و ابل ليستعين بها فى الدفاع عنها.

و قد خزن جميع ما كان عنده من خيام كبيره، و سجاد يكفى لجلوس مائه نفر عليه، فى داخل المسجد النبوى مع امتعته الشخصيه التى كانت من بينها عشره صناديق سدر ثمينه ملأى بأنواع الفرو الفاخر و الخلع التى كان قد أهداها السلطان اليه. و قد سلم الأمير مفتاح الغرفه التى خزنت فيها الى زوجته، لكن تلك المخزونات لم تسترجع بعد ذلك مطلقا، لأنها وقعت فى أيدي أتباع فيصل حينما دخلوا المدينة.

و يشير السر رونالد ستورز، عضو مكتب الاستخبارات البريطانيه فى القاهره يومذاك و حاكم القدس و قبرص بعد ذلك، إشارة عابره الى مجيء

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٣، ص: ٣١٩

الشريف على حيدر هذا الى المدينة فى كتابه المشهور. إذ يذكر عن بداية الثورة أولا ان مكه استسلمت للثوار فى ١٣ حزيران ١٩١٦، و استسلمت جدّه فى يوم ١٦ منه بعد ان قصفتها الباخره البريطانيه فوكس من البحر.

ثم سقطت الطائف بعد ذلك، لكن المدينة بقيت تدافع عن نفسها بقيادة قائدها الباسل فخرى باشا حتى النهاية .. ثم يقول ان الباب العالى بادر فى ١٦ تموز الى تعيين الشريف على حيدر شريفا لمكه برتبه وزير.

و هناك نشر بيانا فى آب عليه ختم اماره مكه يشير فيه الى ان الثورة العربيه دبرت بأصابع مسيحيه. و يقول فى حاشيه فى أسفل الصفحه نفسها انه زار الشريف حيدر فى بيروت سنه ١٩٢٣ فوجده رجلا مهذبا ذا شخصيه جذابه، و كان أحد أبنائه كمنجاتيا بارزا (يقصد الشريف محيى الدين الذى اشتغل فى معهد الفنون الجميله فى العراق بعد ذلك)، و كان ابنه الآخر ممثلا لشركه جنرال موتورز فزاره فى قبرص.

المدينة فى ١٩٢٥

كانت الفترة الممتده ما بين سنتى ١٩٢٤ و ١٩٢٥ من الفترات الحاسمه فى تاريخ الحجاز الحديث. فقد هاجم الوهابيون فيها، بقيادة ال سعود،

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٣، ص: ٣٢٠

البلاد الحجازية و استولوا عليها بعد ان أخرجوا منها الأسرة الهاشمية المالكة، و هي أسرة الحسين بن علي المنتميه إلى أسرة ذوى عون الحسينية. و قد زار الحجاز فى هذه الفترة التاريخية الحاسمة كاتب انكليزى يدعى أيلدون رتر، مدعيا الأسلام، و منتحلا اسم «أحمد» أو الحاج أحمد، و ناسبا نفسه إلى البلاد الشامية. فنجح فى تستره هذا، و حج البيت الحرام فى مكة، ثم زار المدينة المنورة، و كتب أشياء كثيرة عن رحلته هذه فضمنها فى كتاب له سماه «مدن الجزيرة العربية المقدسة».

و يذكر المستر رتر فى مقدمته كتابه أنه جاء الى القاهرة فى مايس ١٩٢٥، و هو عازم على الرحلة فى بلاد الجزيرة العربية لزيارة مكة و أداء فريضة الحج التى يؤديها المسلمون كل سنة، و زيارة المدينة بعد ذلك حيث يوجد قبر النبى (ص). و يقول بعد ذلك: و كانت الحرب فى هذا الوقت ناشطة فى المملكة الحجازية كلها. ففى صفر سنة ١٣٤٣ للهجرة (ايلول ١٩٢٤) كانت قوات السلطان عبد العزيز بن سعود قد احتلت واحة الطائف العظيمة المرتفعة، التى تقع فى واد عريض بين قمم جبل كرا المثلمة ..

و بعد ان نهب الوهابيون من أتباع ابن سعود هذه البلدة الجميلة و ذبحوا عددا كبيرا من سكانها العزل، دخلوا الى مكة بلباس الأحرار و استولوا عليها من دون عنف أو إراقة دماء. و كان الحسين، ملك الحجاز الهاشمى قد تنازل عن العرش لابنه الشريف على، و بعد ان تراجع الملك على الى جدة تبعه الوهابيون و ضربوا نطاقا من الحصار حوله فيها. و كانت المدينة، و ميناؤها ينبع، لا تزال فى أيدى الحكومة الهاشمية لكنهما حوصرتا كذلك من قبل قوات ابن سعود. و قد سدت جميع الموانئ الحجازية فى وجه حركة السفن الاعتيادية، فكانت الوجه و ينبع و جدة محاصرة، بينما كانت اللث و قنفذة فى جنوبى جدة قد استولى عليهما الوهابيون فضرب الملك الهاشمى نطاقا موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٢١

من الحصار حولهما. و يقول المستر رتر- غير انى صممت على ان لا أعبأ بهذا الحصار، فأصل الى الحجاز بطريقة من الطرق .. و قد وصل بالفعل بعد ان أقلع عن طريق قناة السويس الى مصوع، ثم الى القمح و البرك، و من هناك الى قنفذة. و بعد ان ادى فريضة الحج و زار الأماكن التاريخية و المقدسة فى مكة كلها، توجه الى رابع و منها الى المدينة المنورة.

و مما يذكره المستر رتر عن مكة انه استطاع المثول بين يدى السلطان عبد العزيز بن سعود فيها، قبل ان تسقط جدة فى يده. و كان ذلك فى أثناء جلوسه فى «الحميدية» بواسطة رجل سورى كان يشتغل محررا فى جريدة «أم القرى». ثم زاره بعد ذلك عدة مرات أى قصره فى الأبطح. و يشير كذلك الى أنه قد اكتشف أمره فى مكة و عرفه بعض الناس انه رجل انكليزى لكنه استطاع ان يبرهن على أنه انكليزى مسلم. و بهذه الصفة واجه ابن سعود و تحدث معه عن أشياء عامة كثيرة منها قضية احتلال اماره شرقى الأردن و تعنى يومذاك العقبة و معان، و استياؤه من ذلك، و عطفه على الثورة السورية ضد الفرنسيين و استعداده لمساعدتها فيما لو سكت الأنكليز عنه، و تصفية بعض قضايا الحدود مع العراق فى مؤتمر بحره. و يذكر أيضا أنه لقي الدكتور عبد الله الدمولوجى فى مجلس ابن سعود، حينما كان يعمل مستشارا للشؤون الخارجية عنده، و هو يثنى عليه و يشيد بثقافته و معلوماته العامة.

و يخصص المستر رتر ثلاثة فصول كبيرة من كتابه لما يذكره عن المدينة، و يعنون أحدها بعنوان «قبر النبى» و الثانى بعنوان «ملاحظات طوبوغرافية و تاريخية» و الثالث بعنوان «حرم المدينة». و لما كان معظم ما يذكره رتر فى هذه الفصول قد ورد فيما انتقيناها من المراجع السابقة المشار إليها فى هذا المبحث لم نر حاجة الى تكرار ذكره هنا، و لذلك سنقتصر على ايراد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٢٢

بعض الفقرات و الملاحظات العامة منها مما قد يدل على شكل الحرم فى السنوات المتأخرة فقط. و يلاحظ هنا ان المدينة حينما وصلها رتر كان قد تم احتلالها من قبل الوهابيين.

فهو يقول مثلا عن الحرم النبوى الشريف ان باب السلام يقع فى نهاية السوق الشرقية و ينتهى بها، و انه يعد الباب الرئيسى للمسجد الذى يتحتم على الزائر الدخول منه الى لأول مرة. و يذكر عند الإشارة الى محراب النبى (ص) انه مغلف بقطع من الرخام الأبيض و الأسود و الأحمر و الأخضر، و هى مرتبة بأشكال معقدة. و يقول كذلك ان صيغة الزيارة الطويلة المفصلة التى قرأها المزور معه كان

يحرّمها الوهابيون. وقبل ان يبدأ المزور في قراءتها أخبره همسا بأنه سيزوره القبر المقدس على طريقة المسلمين الذين يحبون رسول الله (ص)، فعلم من ذلك ان المزور يجازف في مثل هذه الزيارة لأنه ربما يتعرض للأهانة والعنف بسببها من الوهابيين المتعصبين الذين استولوا على المدينة مؤخرًا. وبهذه المناسبة يذكر ان الوهابيين يعملون بتعاليم ابن تيمية التي بنى المذهب الوهابي عليها، وان المزور حينما يطلب شفاعته النبي يكون قد ارتكب جريمة «البدعة»، وان الصلاة في المساجد التي تحتوى على قبور الأولياء في داخلها تعتبر باطله في نظر الوهابيين.

ومن طريف ما يذكره المستر (رتر) كذلك القصة المنسوبة الى السلطان محمود نور الدين (١١٤٥-٧٣) ملك الشام، نقلًا عن «تاريخ المدينة» للمؤرخ السهمودي. فقد شاهد هذا السلطان النبي ثلاث مرات في حلمه ذات ليلة، وكان النبي يقول له في كل منها «أنقذني يا محمود من هذين الشخصين»، وكان هناك في مقابلة شخصان أحمر الشعر. فنهض السلطان قبل بزوغ الفجر ودعا وزيره اليه فقص عليه الرؤيا. فقال له الوزير ان هذا الشيء لا بد من ان يكون قد حصل في المدينة، ولا يمكن ان يتولى معالجته سوى السلطان نفسه. و على هذا الأساس ركب السلطان مع عدد كبير من رجال حاشيته وقادة جيشه وتوجه الى المدينة المنورة. ودخلها من موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٢٣

دون ان يعلم بقدمه أحد، وكان أول ما فعله فيها انه أمر ان تسجل له أسماء سكان المدينة بأجمعهم ليوزع عليهم الصدقات بنفسه. فوزع مبالغ كبيرة بهذه الطريقة حتى يستطيع التأكد بنفسه من الناس، ويكتشف الشخصين اللذين أشار اليهما النبي في حلمه. لكنه لم يجد أحدا منهما بين جميع من حضر من سكان المدينة، فسأل: هل تأخر أحد عن الحضور؟ وأجابه الناس ان الجميع قد حضروا ما عدا غربيين اثنين من أهالي الأندلس، يقيمان في التكية القائمة تجاه حجرة النبي (ص)، وجدوا في التفتيش عنهما حتى وجدوهما فأحضرهما بين يدي السلطان الذي عرفهما حالما وقع نظره عليهما، وقال لوزيره انهما هما بعينهما. وحينما استفسر منهما عن هويتهما، أجابا بأنهما جاءا للاقامة في مدينة النبي. لكنه أصر عليهما بان ينطقا بالحقيقة وشدد عليهما النكير والتعذيب حتى اعترفا بأنهما نصرانيان، وانهما جاءا لسرقه رفات النبي (ص) المدفونه في الحجرة، بايعاز من ملكيهما.

وقد وجد أنهما كانا قد حفرا نفقا تحت جدار المسجد المتجه إلى مكة، يؤدي الى الحجرة بطريقة بارعة كانا يخفيان بها التراب و يأخذانه بعيدا عن الأنظار. وحينما سمع السلطان اعترافهما هذا قطع رأسيهما بالقرب من شباك الحجرة الشرقي، وأحرق جثتيهما بالنار. و أخيرا أمر بحفر خندق يحيط بالحجرة المقدسة وصب فيه الرصاص والنحاس الأصفر، لئلا يمكن تدنيسها أو العبث بها بهذه الطريقة بعد ذلك.

اما من الناحية الطبوغرافية فيقول رتران المدينة تقع فوق هضبة أواسط الجزيرة العربية، فتختلف بذلك عن مكة التي تعد من مدن السهل الساحلي.

و تتوسط عددا من المجموعات الجبلية التي تحيط بها على شاكلة حدود الحصان التي تقع فتحتها في الجهة الجنوبية الشرقية و تتألف الأرض،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٢٤

الممتدة من جبل عير الى مسافة تقل بمقدار نصف ميل عن أسوار المدينة، من منحدر متكسر يتكون من صخور بركانية، و في السهل الممتد الى شرقي المدينة تقع كتلة رابية من اللابا السوداء. وهذه تمتد الى مسافة ميل عن باب المدينة الشرقية المسماة باب الجمعة أو باب البقيع، و تعرف بالحرّة.

و يبلغ سمك الحرّة حوالي عشرة أقدام، و هي ترتفع ارتفاعا فجائيا عن التربة الرملية المحيطة بها فتبدو كأنها جدار أسود. و يروى سكان المدينة ان النبي (ص) حينما حارب اليهود في المدينة عمدوا الى دفن أموالهم و جواهرهم في الحرّة، فحاول المسلمون بعد ذلك العثور عليها من دون جدوى. و قد زرع الفراغ الممتد بين المدينة و الحرّة ببساتين النخيل الكثيفة، و في ظلال هذا النخيل يزرع

البرسيم و الحنطة و الشعير و الطماطة و أنواع عديدة أخرى من الخضروات. و في الجهة الجنوبية للمدينة تمتد بساتين النخيل و الأثل و النبق بشكل اسفين ما بين الحره و جبل غير الى مسافة ستة أو سبعة أميال. و تنتشر ما بين الأشجار البيوت و القرى الصغيرة، لكن هذه كلها كانت مهجورة و في حالة خربة، كما كانت الحقول جرداء غير عامرة بالذرع، حينما زار المستر رتر المدينة. و يعزى ذلك كله الى الحصار الذي كان الوهابيون قد فرضوه خلال السنة الأخيرة. و الى شمال غرب أحد وراء الجناح الغربى للجبل توجد واحه واسعة تسمى «العيون».

و تكوّن المدينة شكلا بيضويا يمتد طوله من الشرق الى الغرب. و يحميها سور عال متين توجد فيه عدة حصون و تسعة أبواب. و الأبواب هي:

باب الجمعة أو باب البقيع و تقابل الشرق، و الباب المجيدى و الباب البصرى و الباب الشامى و تقابل الجهة الشمالية، و الباب الصغير و العينية و الباب المصرى و تقابل الغرب، و باب الشونة و باب الحمام و تقابل الجنوب.

و يذكر المؤرخون أن أول شخص شيد سورا حول المدينة هو محمد ابن اسحق حاكم المدينة فى سنة ٢٣٦ للهجرة (٨٥٠ م). و قد أعيد بناؤه فى ٥٤٠ للهجرة بأمر من سلطان الموصل. و حينما زار المدينة السلطان محمود

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٢٥

نور الدين للنظر فى أمر المسيحيين اللذين حاولا العبث بالحجرة المقدسة أمر بتشيد الجدار الخارجى. و قد أعيد ترميم السورين عدة مرات بعد ذلك، و آخر من رمم السور الداخلى السلطان عبد العزيز العثمانى سنة ١٨٦٧.

و يقوم فى خارج السور من الجهتين الشمالية و الغربية عدد غير يسير من المباني الكبيرة، التى يبدو ان بعضها كانت قصورا منيفة فى يوم من الأيام. و كانت هذه البيوت قد شيدها الأتراك و غيرهم ممن سكن هنا فى أيام السلطان عبد الحميد. و لا شك أن المدينة ببساتينها، و قطارها الذى كان يأتى اليها بالفواكه و الخضروات و المؤن و السلع المختلفة من دمشق، كانت منتجعا لطيفا يعتزل فيه الناس الذين أعجبهم عناء العالم الحديث و أقص مضجعهم تناقص الاهتمام بالدين و شؤونه. و بافتتاح سكة حديد الحجاز سنة ١٩٠٨ تبدأ فترة مزدهرة فى المدينة تقاطر فيها الأغنياء عليها بقصد الإقامة الدائمة.

على ان ظهور الوطنيين الأتراك على مسرح السياسة التركية بعد ذلك جاء بشعور عدم الثقة و الاطمئنان فى هذا الحرم الأمين، لأنهم لم يقدروا قيمة امتلاك الحرمين، و نادرا ما كانوا يعدون هذا الشرف قمينا بصرف المبالغ الطائلة عليه و إرشاء القبائل العربية للامتناع عن قطع الطرق المؤدية اليهما. و لذلك فقد أدى الخوف من إقدام ابن رشيد على احتلال المدينة أو قيام الوهابيين بتكرار ما كانوا قد فعلوه فى أوائل القرن التاسع عشر بها، الى ترك الكثيرين لها قبل ان يعمد الشريف حسين الى اعلان الثورة على الأتراك فى ١٩١٦. و منذ أن وقع ذلك الحادث المهم توالى على المدينة ويلات عديدة تتوجت بحصار الوهابيين لها مدة خمسة عشر شهرا على ما يقول المستر رتر.

و كانت النتيجة التى أدى اليها الحصار الكريه هذا أن قل عدد السكان فيها الى ستة آلاف نسمة فقط، مع ان هؤلاء السكان كان عددهم قد وصل الى سبعين او ثمانين ألف نسمة من قبل .. ثم يأخذ رتر بوصف الشوارع و الأزقة الفارغة و البيوت المتهدمة، و يخرج من ذلك الى وصف محطة القطار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٢٦

المهملة فى نهاية المدينة الغربية بالقرب من باب العنبرية.

و بعد ان يصف اشياء كثيرة مرت الإشارة اليها قبل هذا فى المراجع الأخرى، يقول رتر: ان كثيرا من طلبة العلوم الدينية الذين كانوا يقيمون فى المدينة سابقا فروا هاربين الى بلاد آمنة مع شيوخهم، لكن قليلا منهم ظلوا مقيمين فيها خلال مدة الحصار الوهابى. و ها هم يدرسون الآن على ابن تركى فى الحرم الشريف، و ابن تركى هذا نجدى سلفى معتدل لا يمكن ان يسمى وهايبا لأنه على ما يقول

رتر لا- يعتقد بجميع تعاليم ابن تيمية و محمد ابن عبد الوهاب. و من علماء المدينة الآخرين الذين يذكروهم رتر أحمد الطنطاوى المصرى الذى امتنع عن التدريس فى الحرم منذ قدوم الوهابيين الى المدينة، و أخذ طلبته يراجعونه فى بيته.

مكتبات المدينة

و بعد ان يأتى رتر على وصف الحرم الشريف على النحو المار ذكره فى هذا البحث بصورة عامة يتطرق الى ذكر مكتبة عارف حكمت العامة، و يقول انها تشغل بناية تتألف من غرفتين مقببتين .. و كانت هذه المكتبة قد تبرع بها مؤسسها الشيخ عارف حكمت شيخ الأسلام السابق فى استانبول و أثتها تأثيثا كاملا. و كتب هذه المكتبة كلها مرقمة يمكن استعادتها و الاستفادة منها فى الخارج. و قد شاهد رتر على منضدة خاصة فيها كرة أرضية كبيرة يدل وجودها على ان الشيخ عارفا كان يؤمن بكروية الأرض، كما شاهد فيها عددا من الشيبة يطالعون الكتب و هم جالسون على السجاد بالقرب من الشباك. و يلاحظ ان مأمور المكتبة و مساعده كانا تركيبين مطلعين على تصنيف الكتب و أماكنها فى الرفوف، فسألتهما (رتر) أن يحضرا له مجلدا من مجلدات فخر الرازى فى تفسير القرآن ف جاء له به المساعد فى الحال بكل عناية و اهتمام. و قد أخبره هذا المساعد انهم لا يعيشون على ما يقبضونه من الملك و لا من الحسين بن على أو ابن سعود، بل يعيشون على ما يأتى اليهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٢٧

من الوقف الذى أوقفه الشيخ على المكتبة فى استانبول.

و يخلص رتر من هذا الحديث الى الإشارة الى ان المدينة كانت تشتهر بخزانات كتبها منذ زمن طويل، لكن مجموعات ثميلة من كتبها قد اختفت بمجىء الوهابيين الى المدينة، و لم يعرف لها أثر. و قد قيل ان مكتبة السلطان محمود الكائنة بجوار باب السلام بقيت من دون ان يتعرض لها أحد، لكن المستر رتر وجدها مغلقة من دون ان يستطيع أحد فتحها. اما مكتبة بشير أغا الشهيرة، و مكتبات الشفاء و السلطان عبد الحميد و عمر افندى فيقال انها لم يعد لها وجود فى المدينة. و يقول البعض ان معظم كتبها كانت قد سرقت حينما هرب السكان من المدينة، بينما يدعى آخرون أن الوهابيين قد أحرقوها، و هناك غير هؤلاء يقولون انها كانت قد بيعت من قبل المكلفين بحفظها و حراستها.

و هناك فى المسجد الأكبر حوالى مائة نسخة كبيرة من القرآن الكريم موضوعه على الرفوف بجانب محراب النبى (ص). و قد خط معظمها بخط جميل ممتاز و زينت بالذهب و باللونين الأحمر و الماوى و غيرهما.

و كانت هذه النسخ الثمينة قد أهديت الى المسجد النبوى فى مختلف الأوقات ليستفيد منها الزوار فى القراءة و الترتيل.

ابواب الحرم و محاريبه

و يذكر رتر ان هناك خمسة أبواب عامة كبيرة فى الحرم المدنى الشريف، و هى: باب السلام و باب الرحمة فى السور الغربى، و يحمل الموتى من باب الرحمة الى داخل الحرم للصلاة عليهم قبل الدفن، و الباب المجيدى المسمى باب التواصل أيضا فى السور الشمالى، و باب جبريل و باب النساء فى السور الشرقى، و يقع باب النساء بالقرب من مصلى النساء فى الحرم اما باب جبريل فيحمل منه الموتى لدفنهم فى البقيع.

و هناك علاوة على هذه الأبواب الخمسة باب آخر فى السور الشمالى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٢٨

يؤدى الى جناح المخازن، لكنه يظل مغلقا فى الغالب. و هناك باب صغير آخر فى السور الجنوبى يؤدى الى حديقة عمر، و هذا ايضا يبقى مغلقا و لا- يفتح ما لم يدفع الزائر مبلغا من المال الى البواب لفتحه لأجل ان يمر من الممر الذى كان يسلكه عمر. و يوجد

كذلك عدد من الأبواب الصغيرة التي تؤدي الى المنائر.

و هناك عدد من المحاريب التي تقع في مختلف أنحاء المسجد. و لهذه المحاريب ذكريات تاريخية عديدة، و كثير من المسلمين يفضلون الصلاة أمام محراب واحد منها دون المحاريب الأخرى لأسباب شخصية لا غير.

لكن بعض الناس يصلون امامها كلها، و قد يشير المزورون على الزوار بالصلاة ركعتين أمام كل منها. و لا حاجة للقول ان أهم هذه المحاريب هو محراب النبي (ص). و هاك أسماءها بالترتيب: محراب النبي في الروضة، و محراب عثمان في الوسط الشرقي من السور الجنوبي، و المحراب السلیمانی الذي بنى في القرن التاسع الهجري و كساه بالرخام السلطان سلیمان القانوني في القرن العاشر، و يقع في خط المحراب النبوي من الجهة الغربية، و محراب المتهجد في الجانب الشمالي من حجرة الزهراء البتول و قبرها. و هناك منصة مرتفعة بين يدي هذا المحراب، و يعتقد ان النبي (ص) كان يتهدج في هذا الموقع طوال الليل. و في داخل الحجرة التي تحتوى على قبر فاطمة يوجد محراب آخر، لكن هذا لا يمكن الوصول اليه. و آخر محراب هو محراب باب النساء.

البقيع في ١٩٢٥

ذكرنا سابقا فيما اقتطفناه من رحلة بورخارت، و السر ريتشارد بورتون الى الحجاز، و غيرهما الحالة التي وجدت فيهما هذه المقبرة التاريخية و ما أصابها من الوهابيين الذين لا يؤمنون بتوقير القبور، حينما استولوا على المدينة في بداية القرن التاسع عشر. و قد لاحظنا ان المستر رتر يذكر الشئ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٢٩

نفسه تقريبا عند زيارته لها في ١٩٢٥، اى بعد ان احتل الوهابيون المدينة للمرة الثانية بعدة شهور فقط.

فهو يذكر في وصفها (الص ٥٦٢) بعد ان زارها عدة مرات في أيام الخميس بعد الظهر انه وجدها عبارة عن قطعة أرض محاطة بسور من الطين، تبلغ أبعادها مئتي ياردة في مئة و عشرين، و تقع فيما يقرب من السور الشرقي للمدينة. و قد دفن فيها على ما يقال عشرة آلاف صحابي من أصحاب النبي.

ثم يقول:

.. و حينما دخلت الى البقيع وجدت منظره كانه منظر بلدة قد خربت عن آخرها. فلم يكن في انحاء المقبرة كلها ما يمكن ان يرى أو يشاهد، سوى أحجار مبعثرة و أكوام صغيرة من التراب لا حدود لها، و قطع من الخشب و الشيش، مع كتل كثيرة من الحجر و الآجر و السممت المتكسر، هنا و هناك. و قد كان ذلك أشبه بالبقايا المبعثرة لبلدة أصابها الزلزال فخربها كلها. و ألفت بجنب السور الغربى للمقبرة أكواما كبيرة من ألواح الخشب القديمة، و الكتل الحجرية، و قضبان الحديد. و كانت هذه بعض ما جمع من المواد الأنشائية المبعثرة و كؤم هنا بانتظام. و قد أزيلت الأنقاض من بعض الممرات الضيقة حتى يمكن للزائرين ان يمروا منها ليصلوا الى مختلف انحاء المقبرة، و فيما عدا ذلك لم يكن هناك ما يدل على شئ من الانتظام. فقد كان كل شئ عبارة عن و عورة تتخللها مواد الأبنية المهدامة و شواهد القبور المبعثرة، و لم يحدث هذا بفعل الزمن و عوارض الطبيعة بل صنعته يد الأنسان عن عمد و تقصد.

فقد هدمت و اختفت عن الأنظار القباب البيضاء التي كانت تدل على قبور آل البيت النبوي في السابق، و قبر الخليفة الثالث عثمان، و قبر الأمام مالك، و غيرهم. و أصاب القبور الأخرى نفس المصير، فسحقت و هشمت حتى الأقفاص المصنوعة من أعواد الجريد التي كانت تغطي قبور الفقراء من الناس قد عزلت جانبا أو أحرقت.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٣٠

و يقول رتر و حينما توغلنا في داخل المقبرة لمشاهدة الأكوام التي تدل في يومنا هذا على قبور المسلمين الأوائل الذين صنعوا التاريخ الحافل، سمعت دليلى عامدا يكرر بهمس: استغفر الله، استغفر الله، لا حول و لا قوة الا بالله. و كان القلة ممن بقى من سدنة القبور

التي بقيت معالمها شاخصة للعيان يقفون أو يجلسون بجانبها بأوجه غير معبرة، و من دون ان تبدر منهم أية حركة. فلم يطلبوا الصدقة، و لم يتكلموا بشيء سوى بعض الكلمات الخافتة برغم عدم وجود أحد من الوهابيين على مقربة منهم غير اثنين من عبيد ابن سبهان في الباب. لكن بعض النواخله كانوا لا يزالون منشغلين في التقاط بعض القطع الصالحة للاستعمال من الخشب و غيره، من بين الخرائب و الأتقاض. و ليس بوسع هؤلاء النخاوله في العادة ان يدفنوا موتاهم بين الأولياء في البقيع، لكنهم قاموا الآن تحت اشراف الوهابيين بتهديم قبور المسلمين السنة و تدميرها.

و قد سرنا في ممر ضيق، نظف من بين الزبل المبعثر، نحو قبر عثمان الواقع في الجبهة الشرقية من المقبرة. و فيما كنا نخطو هذه المسافة خطوا مستأنيا التقينا بجماعة من الهنود راجعين من زيارة هذا القبر. و كان الذي يتقدمهم رجلا مسنا ذا لحيه طويلة قد و خط الشيب سوادها، و كان و هو يمشى منتصب الرأس لا يحرك عينيه يمنة و لا يسرة، بل كان ينظر الى الأمام على الدوام و الدموع تنحدر من عينيه بتيار مستمر. اما الذين كانوا يسيرون وراه فقد نظروا الينا نظرة خاطفة ثم حولوا أنظارهم الى الأمام بسرعة. فوصلنا الى مرتفع بسيط، و عندئذ عرفت سبب الحزن الذي كان يبدو على الهندي المسن. فقد كان هناك بين يدينا على الأرض منشأة طويلة قليلة السمك لا يكاد يبلغ سمكها ست بوصات. و كان يبدو أنها مصنوعة من اطار خشبي دقت فيه بالمسامير قطع خشنة من التنك. فكان هذا هو قبر عثمان الخليفة الثالث نفسه. و كان يجلس بجانبه هندي آخر و هو ينتحب.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٣١

المدينة في مؤلفات فيلبى

كان سنت جون فيلبى، أو الحاج عبد الله فيلبى، قد عاش مدة طويلة في نجد و الحجاز في كنف الملك عبد العزيز السعود، و أعلن اسلامه على بديه فأصبح حرا يتجول في البلاد المقدسة كما يهوى و يريد، و أجرى دراسات تاريخية و جغرافية عديدة في تلك البلاد. و قد ألف مؤلفات عدة في هذا الشأن، فكان لا بد من ان يتطرق الى ذكر المدينة فيها بين حين و آخر.

و من أحسن مؤلفاته عن الملك عبد العزيز السعود كتابه «اليوبيل العربى» الذى كتبه في تفصيل حياة هذا الملك بمناسبة بلوغه الثانية و السبعين من عمره. و قد ورد ذكر المدينة في هذا الكتاب بمناسبة مختلفة، و أقدم ما يذكره عنها فيه إشارة (الص ٢٦) الى ان سكة حديد الحجاز قد تم انشاؤها و وصلت نهايتها الى المدينة في ١٩٠٨ برغم معارضة القبائل البدوية و أمراء مكة لها. ثم عين السلطان عبد الحميد في السنة نفسها الشريف حسين ابن على في شرافة مكة الشاغرة. و يشير كذلك (الص ٤٤) الى وصول الشريف على حيدر الى المدينة في ١٩١٦ ليحل محل الحسين و يشغل شرافة مكة الكبرى بعد ان ثار الحسين على الأتراك بالنحو الذى مر ذكره في هذا المبحث من قبل. فهو يقول ان الحسين أعلن الثورة على الأتراك و بلغ ابن سعود رسميا بذلك طالبا مساعدته. لكن ابن سعود بعث بنسخة من الكتاب الى الأنكليز في البصرة للمعلومات و رفض التملق للعدو جوابا على الكتاب الثانى الذى تسلمه بعد ذلك من الشريف على حيدر في المدينة. و لكن الذى نلاحظه نحن في ادعاء فيلبى يدل على عدم اطلاعه التام على ما جريات الأحوال في تلك الفترة. لأن الحقيقة هي ان ابن سعود قد رد على كتاب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٣٢

الشريف على حيدر بكتاب رسمى يتودد فيه الى الأتراك و خليفتهم في استانبول، و يهاجم الحسين بن على لأنه ثار عليهم ففرق بين المسلمين و حالف النصارى فسمح لهم بالدخول الى البلاد المقدسة. ثم يطلب منه ان يمدد بالمال و الذخيرة ان أمكن. و قد أثبتنا نص الكتاب في ضمن ما اقتطفناه جون فيلبى (الحاج عبد الله فيلبى) بالملابس العربية و الغليون الانكليزى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٣٣

من كتاب الشريفة مصباح حيدر.

على ان أهم ما يذكره فيليبى فى هذا الكتاب تطرقه الى استيلاء الوهابيين على المدينة بعد محاصرتها ردحا من الزمن. فهو يقول (الص ٧٦) ان ابن سعود بعد ان احتلت قواته الطائف و ذبحت سكانها العزل فى مذبحه رهيبة، ثم احتلت مكة المكرمة، صار يعد العدة للاستيلاء على المدينة، وجدة بعد ذلك. و قد شهد هو نفسه- اى فيليبى- فى رابع جيش الأمير محمد ثالث أنجال ابن سعود يتوجه فى طريقه الى المدينة التى طلبت التسليم اليه، و ليس الى فيصل الدويش و أتباعه «الأخوان» الذين ظلوا يحاصرونها مدة طويلة من الزمن، و رفضت دخولها الى المدينة خوفا من عبثهم بمقدساتهم و إقدامهم على ذبح الناس فيها. و قد تم ذلك بالفعل، فما ان وصل الأمير محمد الى أبوابها حتى استسلمت له فى يوم ٥ كانون الأول ١٩٢٥. و من أهم ما يذكره عن المدينة كذلك (الص ٨٤ و ٨٥) وصول وفد جمعية الخلافة الاسلامية من الهند الى البلاد المقدسة بعد احتلال السعوديين لها بقصد التأكد من مصيرها و الاطمئنان على مستقبلها، و التحقيق فى قضية المذابح و الانتهاكات التى نسبت لهم فترددت أخبارها فى أرجاء العالم الإسلامى كلها. و يقول فيليبى ان وفد هذه الجمعية غادر البلاد المقدسة، فى النصف الثانى من كانون الأول ١٩٢٦، و هو نصف مقتنع بمستقبل الحجاز المضمون برغم ما بذله عبد العزيز السعود من جهود باقناعهم فى هذا الشأن. و ما ترك وفد هذه الجمعية الحجاز حتى وصل وفد اسلامى آخر من الهند يمثل «جمعية خدام الحرمين» فيها، و معه ستون ألف روية لمساعدة ضحايا الجور الذى حصل فى المدينة. و كان موقف هذا الوفد أكثر تصلبا و صراحة فى عدائه للعهد الجديد منذ البداية، و أشد انتقادا للأعمال التى جرت، الأمر الذى اضطر ابن سعود الى اخراجهم من البلاد فى أول سفينة أبحرت من الساحل الحجازى الى السويس فى اليوم الأول من شهر مارت. و كانت انتقاداتهم تتركز فى الغالب حول المزاعم المبهمة التى تنطوى على خضوع ابن سعود للنفوذ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٣٤

البريطانى كما يستتج من اتفاقيتى الحدة و بحرة، اللتين طلبوا الأطلاع على نصهما الأصلى الموقع لأنهم كانوا يشكون بوجود فقرات سرية فيهما.

يضاف الى هذا أنهم أبدوا استياء عظيما من الفظائع التى حصلت فى الطائف و المدينة و سائر الأماكن، و طلبوا تقديم تفسير لذلك. و انتقدوا بشدة إقدام ابن سعود على مراوغة رأى العام الاسلامى و عدم أخذه بنظر الاعتبار حينما أعلن تسنمه العرش من جانبه هو فقط.

و يقول فيليبى فى مناسبة أخرى ان المجازفة فى حصول تعقيد مع الدول الأوربية، فى حالة وقوع اصابات فى القتال الذى قد يحصل فى جدة، قد اضطره (اضطر ابن سعود) على الشاكلة نفسها الى تأخير الهجوم على تلك البلدة حتى يتسنى له ان يتولى إدارة العمليات الحربية بنفسه. و كان قد أمر من قبل فيصلا الدويش و اتباعه المتعصبين بالتوقف عن مهاجمة المدينة المنورة التى استسلمت بعد ذلك بصورة أصولية منتظمة الى الأمير محمد. و مع هذا فقد حصلت تخريبات فى الأماكن التقليدية المقدسة فى المدينة و مكة معا، فكان لها وقع سيء فى أنفس المسلمين و أثارت حفيظة الناس فى ايران و سائر البلاد الإسلامية.

و يشير فى موقع آخر (الص ١٥٣ و ١٥٤) الى أن نصب مكبرات الصوت فى الحرمين الشريفين قد تم قبل حلول شهر الصوم فى شباط ١٩٢٦، بعد ان لم يكن من المناسب الاستفادة من مثل هذا الاختراع من قبل فى هذه البقاع المقدسة. ثم يتطرق فيليبى فى صفحات أخرى الى مساهمته هو و الشركة التى كان يمثلها فى الحجاز فى مكافحة البعوض فى المدينة و غيرها، و نصب الأجهزة اللاسلكية التى أوصلت لمدينة بجدة و مكة (خلال الثلاثينات). و يناقش فيليبى فى صفحات أخرى (الص ١٩٨ و ٢٢٧) من كتابه هذا الأبهامات التى وجهها الملك عبد الله فى مذكراته الى الملك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٣٥

عبد العزيز السعود حول استغلال ثروات الحجاز من النفط و الذهب، مشيرا بذلك الى المذكرة التى قدمها فى ٥ نيسان ١٩٤٤ الى المندوب السامى فى فلسطين، فيقول ان الحجاز لم تظهر فيه ثروة نفطية و ان الذهب أمكن استخراج مقادير مناسبة منه بواسطة

المشروع الذي استغل «مهد الذهب» الكائن في منتصف الطريق بين مكة و المدينة. و آخر ما يتطرق فيلبي الى ذكر المدينة فيه خلال هذا الكتاب (الصفحة ٢٤٥) تطرق الى زيارة الملك فاروق الرسمية الى الحجاز في سنة ١٩٤٤ و قضائه بضعة أيام مع الملك عبد العزيز السعود في مخيم جميل أقيم لهما في ظلال جبل رضوى ما بين المدينة و ينبع و يأتي ذكر المدينة كذلك في صفحات كثيرة من كتاب فيلبي المهم الآخر، و هو كتاب «أربعون عاما في الأوعار» الذي نشر في سنة ١٩٥٧. ففي الفصل الذي يخصصه لحصار جدة من الكتاب (الصفحة ١٢٢)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٣٦

يتعرض الى خروج الحسين من الحجاز بعد تنازله عن العرش الى ابنه الملك علي و يدعى أنه أخذ معه (٨٠٠، ٠٠٠) باون انكليزي ذهب بعد ان اقتصدتها من المبالغ التي قدمتها الحكومة البريطانية له خلال الحرب، و من الضريبة التي كان يفرضها بمقدار خمسة باونات على كل بغير يستأجره الحجاج من جدة الى المدينة أو من ينبع الى المدينة، و بمقدار ثلاثة باونات عن كل حاج يتسلمه المطوفون في مكة.

و يتطرق في هذا الكتاب ايضا (الصفحة ١٢٨) الى حصار الوهابيين للمدينة قبل استسلامها لهم، فيقول ان ابن سعود بعث برسله الى المدينة طالبا استسلامها في الحال، هي و حاميتها و ما فيها من أسلحة و عتاد و عدد لاسلكية و سائر الذخائر العسكرية، الى قائده في الميدان صالح العاذل من شمر، الذي كان قد وصل مع قوة من البدو الى الحناكية. و بهذه الشروط وعدت مدينة الرسول بضمن سلامتها و عدم التعرض لها بشيء، بينما طلب الى قبائل حرب المحيطة بها بان تفعل الشيء نفسه لتتجنب مغبة العناد. لكن قائد المدينة الشريفى أخبر ملكه بهذه التطورات وطمنه بانه اتخذ ما يلزم للصمود في وجه الحصار.

و يشير فيلبي في بعض صفحات الكتاب (الصفحة ١٩٩) الى ايعاز الملك عبد العزيز السعود الى حكومته بالعمل على تحقيق مشروع انشاء سكة حديد الى البحر الأحمر، فلم يتأخر المستر غيلديا

Gildaa

مسؤول هذه الأعمال عن القيام بمسح خط منتظم يمتد ما بين الرياض و المدينة عن طريق مَرَات و القصيم، و من هناك الى ينبع و جدة مع انشاء فرع الى مكة، أى الى مسافة يبلغ طولها حوالي ألف ميل. و فى نهاية عام ١٩٥٤ كان كل شىء جاهزا للبدء بانشاء الخط المقترح، لكن المبالغ التي أرصدت له فى الميزانية لم تكن قد وفرت له بعد .. و يتطرق بعد ذلك الى تشغيل سكة حديد الحجاز و إعادة ترميم المتخرب منها ما بين معان و المدينة، فيقول متذمرا انه يود لو نجب الخوض فى حديثه. لأن هذا المشروع ظل يدور البحث فيه منذ ثلاثين سنة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٣٧

و ظل المسؤولون عنه يصرحون بترميمه فى القريب العاجل بين حين و آخر.

لكنه لم يصل قط الى مرحلة إجراء المسح التفصيلي له برغم أوامر سعود المشددة فى انجازه. ثم صرفت مبالغ طائلة على السفرات و اللجان لدراسة التقارير، و لم تكن هناك صعوبة فنية تحول دون إعادة تسيير الخط.

و المفهوم ان المشروع كله لا- تزيد كلفته على أربعة ملايين باون تتحملها السعودية و سورية و الأردن. و قد قيل فى كانون الأول ١٩٥٥ ان لجنة ثلاثية غادرت الشام الى معان لترتب المباشرة باصلاح الخط ما بين معان و المدينة .. لكن شيئا من هذا لم يظهر للوجود حتى الآن بطبيعة الحال.

و آخر ما يرد ذكر المدينة فيه خلال هذا الكتاب إشارة فيلبي الى خصومته مع يوسف ياسين وزير الخارجية السعودية الأسبق، و اتهام يوسف لفيلبي بتأثيره على الملك فى إلغاء مقالة تبليط طريق المدينة المبهض من دون انزال عقوبة بالشركة البريطانية، التي كانت قد خسرت مبالغ غير يسيرة فيه و لم تنجزه (الصفحة ٢١٢).

و من كتب فيلبى التاريخية الأثرية المهمة كتابه الموسوم «أرض مدين»، المنشور فى سنة ١٩٥٧ أيضا. فقد ضمن فيه التحريات التى أجراها ما بين تشرين الثانى ١٩٥٠ و مارت ١٩٥٣ فى منطقة مدين القديمة التى تقرب من المدينة، و كان فيلبى قد جعل المدينة مقرا له و ظل يذهب منها الى مختلف الجهات المطلوبة للبحث و التنقيب على ما يقول بمساعدة من الملك عبد العزيز الذى قدم له منحة مالية قدرها ألف باون لهذا الغرض. و هو يقول انه أجرى هذه التحريات العلمية فى سهول و جبال و وديان بلاد قديمة جدا تعود فى أيام عزها الى عهد ابراهيم الخليل و موسى و سليمان، و الى عهد نابونيدس البابلى الذى كان يجعل عاصمته الصيفية فى تيماء، أو الى عهود الملوك اللحيانيين و المعنيين و النبطيين الذين تعاقبوا على حكم العرب من أهل عاد موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٣٨ و ثمود، و سيطروا على الطرق التجارية التى كانت تصدر بواسطتها توابل «بلاد العرب السعيدة» و عطورها الى مراكز المدينة الكبرى فى الأزمنة السحيقة فى القدم (الص ٤).

و مما يدونه فيلبى فى المقدمة عن تفصيلات مهمته هذه حول المدينة قوله ..
و قد قررت ان تكون المدينة نقطة تحركى الفعالة فى حملتى الى مدين؛ التى جعلت من أهدافها الرئيسة جمع الكتابات التاريخية القديمة فى ميدان كان قد ارتاده جزئيا من قبل تشارلز هوبر و جولوس يوتنغ فى أوائل الثمانينات من القرن الماضى، و الأبوان جوسن و سافينياك من القدس ما بين سنتى ١٩٠٧ و ١٩١٠. و نادرا ما كنت أتوقع أن أجد خلال حملتى هذه شيئا مثل اسطوانة تيماء المشهورة، الموجودة فى متحف اللوفر الآن، أو مثل الكتابات الملكية المعنية التى وجدت فى مدائن صالح و العلا (التى كانت تسمى ديدان فى الزمن القديم). لكنى توقعت اننى لا بد من أن أعر على نصوص ثمودية و نبطية جديدة، فضلا عن بعض النصوص السبائية و المعنية و حتى الأغريقية، بينما كان الحلم الذى استوحيت منه رغبتى فى زيارة مدين هو إمكان العثور فى الجهة الشمالية الغربية من جزيرة العرب على أصل الخط السينائى الأولى المشهور، الذى لا يعرف له وجود اليوم الا فى منطقة سيناء و يعتقد بأنه أساس الأنباء المعروفة. و الحقيقة ان إحدى الكتابات التى عثر عليها ريتشارد بورتون فى مدين من قبل كان قد أدخلها الدكتور ليبوفتش فى مخطظه الخاص بنصوص الخط السينائى الأولى، الذى نشره فى ١٩٢٠، مع أنه يبدو الآن بأنه خط ثمودى فى الحقيقة. و يمكننى ان أقول فى الحال بان تحرياتي عن مواد تاريخية من هذا النوع لم تكن موفقة فى نتائجها، مع أننى جمعت بالفعل حوالى ألفى نموذج للخطوط من مختلف الأنواع من منطقة واسعة جسيمة تمتد من المدينة المنورة الى خليج العقبة. و قد يكون من الصحيح ان نفترض بأن الخط السينائى لم يكن مصدره جزيرة العرب.

على اننى عثرت على بعض النماذج التى يمكن أن تقارن على ما يبدو بنصوص موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٣٩

بورتون المشار اليها قبل هذا فى بعض الاماكن الأقرب الى الرياض.

و فيما عدا هذا فمن أهم ما ورد ذكر المدينة فيه قول المؤلف بأن هذه الرحلة قد جعلتهم يتذوقون طعم لحم الوعل أكثر من مرة خلال مرورهم بالأوعار الجبلية المقفرة التى تمتد من المدينة الى ما وراء خيبر بمسافة. و تمر سكة حديد الحجاز من هذه المنطقة على مسافة غير بعيدة من المخيم الذى نصبوه، و لا يعتقد فيلبى ان هناك أى أوربى آخر تسنى له من قبل أن يمر بالبقيع الممتدة الى شرق الخط الذى يربط المدينة بجهات خيبر. ثم يذكر فى مناسبة أخرى (الص ٣٠ و ٣١) أنه و جماعته كثيرا ما كانوا يأكلون خلال رحلاتهم هذه تمر المدينة مع الشاى، و يصنعون منه أكلة تسمى «الحينى» بخلط سحيق التمر بالطحين و البصل. كما يذكر ان المسافة بين المدينة و خيبر تبلغ فى الطريق الاعتيادى مئة و تسعة و سبعين كيلومترا.

و هكذا يرد ذكر المدينة فى طول هذا الكتاب و عرضه، و لا سيما خلال الفصل الأول المعنون بعنوان «المدينة الى خيبر».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٤٠

الموضوع الصفحة
المدينة المنورة قديما
يثرب و موقعها ٧
يثرب و اسمائها ١٢
سكان الحجاز و الجزيرة العربية ١٦
حياة سكان الجزيرة العامة ٢٠
نشأة المدينة المنورة و سكانها ٢١ الاقدمون
نزول اليهود المدينة ٢٥
الاوس و الخزرج ٣١
حضارة المدينة و منازل اليهود ٣٣ و العرب
الاسطورة ٣٨
عودة الى التصافي ٣٩
حروب المدينة و ايامها المشهورة ٤١
طبيعة المدينة و سكانها ٤٤
الموضوع الصفحة
عوامل السكن و التمصير ٥٦
الوديان
وادي العقيق ٥٨
وادي القرى ٥٩
وادي مذيئب ٥٩
العيون
عين فذك ٦٠
عيون الفرع ٦٠
عين دومة الجندل ٦٠
عين أبي نيزر و عين البغيغة ٦٠
الآبار
بئر غرس ٦٢
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٤١
الموضوع الصفحة
بئر أرما ٦٢
بئر أريس ٦٤
بئر حا ٦٤

بئر بضاعة ٦٥ موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج ٣ ؛ ص ٣٤١

ر رومة ٦٦

بئر رثاب ٦٨

بئر عروه ٦٨

الحاصلات الزراعيه ٧١

الصناعة و التجارة ٧٨

اشهر قرى المدينه و ضياعها

العقيق ٨٢

خيبر ٨٤

قرية فذك ٨٩

وادي القرى ٩٣

قرية الفرع ٩٥

قرية قبا ٩٥

دومه الجندل ٩٧

قرية ينبع ٩٩

قرى اخرى ٩٩

اشهر مواقع المدينه و اماكنها القديمه

حرة واقم ١٠٠

حرة الوبره ١٠٠

الموضوع الصفحه

البقيع ١٠٠

زغابه ١٠٦

النقا و حاجر ١٠٨

المنحنى ١٠٨

حطم الضحيان ١٠٩

حصن كعب بن الاشرف ١٠٩

سقيفه بنى ساعده ١٠٩

ثنيه الوداع ١١٠

سوق المدينه و سوق بنى قينقاع ١١٠

المدينه المنوره فى الشعر

ابو بكر العيدى او العيدى ١١٥

الاعشى - ميمون ١١٦

امرؤ القيس ١١٦

- البرجمى ١١٧
جرير ١١٧
جورج صيدح ١١٨
حسان بن ثابت ١١٨
السيد حيدر الحلبي ١١٩
سعيد بن العاص ١٢٠
الشريف الرضى ١٢١
الشريف المرتضى ١٢٢
عبد السلام بن يوسف ١٢٢
عبد الله بن قيس (الرقيات) ١٢٣
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٤٢
الموضوع الصفحة
عمرو بن النعمان البياضى ١٢٣
الفرزدق ١٢٤
الكميت بن زيد الاسدى ١٢٤
الشيخ محسن الخضرى ١٢٥
محمد ناجى القشطينى ١٢٦
مهيار الديلمى ١٢٧
نائلة بنت الفرافصة ١٢٨
هاشم الكعبى ١٢٨
هجرة الرسول الى المدينة
هجرة الرسول ١٣١
اللقاءات الاولى مع أهل المدينة ١٣٧
بيعة العقبة الاولى ١٣٩
بيعة العقبة الثانية ١٤٢
أثر العلاقات بين المسلمين و اهل يثرب فى مكة ١٤٣
يوم الهجرة ١٤٤
طريق الهجرة ١٤٦
الرسول فى قبا ١٤٨
بناء مسجد قبا ١٤٩
توجه الرسول الى يثرب ١٤٩
بناء المسجد النبوى ١٥١
اعمال الرسول فى يثرب ١٥٤

- المؤخاه ١٥٥
الموضوع الصفحة
الوثيقة ١٥٧
المدينة في المراجع الغربية
مدينة الرسول في المراجع الغربية ١٧٣
الاسم و الموقع ١٧٤
التاريخ القديم ١٧٨
الايوس و الخزرج ١٨١
ديانة اهل المدينة قبل الاسلام ١٨٤
المدينة في عهد النبي (ص) ١٨٥
المدينة قبل مقتل عثمان ١٩١
المدينة في عهد الأمويين و العباسيين ١٩٢
المدينة في ايام الفاطميين و ما بعدها ١٩٥
المدينة في عهد العثمانيين ١٩٦
وصف المدينة بشكلها الاخير ١٩٧
الحرم النبوي ١٩٩
وصف الحرم ٢٠١
المدينة في مراجع اخرى ٢٠٤
الفتنة الكبرى في المدينة ٢١١
المدينة في كتاب دونالدسون ٢١٥
أئمة البقيع ٢٢٢
الرحالة الغربيون في المدينة ٢٣٨
جون لويس بورخارت ٢٤٢
الضواحي ٢٤٦
الحرم النبوي الشريف ٢٤٧
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٣، ص: ٣٤٣
الموضوع الصفحة
اماكن الزيارة الاخرى ٢٥٣
سكان المدينة ٢٥٦
حكومة المدينة ٢٥٨
السر ريتشارد بورتن في المدينة ٢٦٠
بين مكة و المدينة ٢٦٣
مظهر الحرم النبوي ٢٦٤

- المناظر ٢٦٦
الاروقه و الاعمده ٢٦٧
دفن النبي ٢٦٩
شىء من تاريخ المدينه ٢٧٠
تشكيلات الحرم ٢٧٥
سكان المدينه ٢٧٩
الموضوع الصفحه
البيع ٢٨٠
مساجد المدينه ٢٨٥
مشاهدات جون كين في المدينه ٢٨٩
سكه حديد الحجاز ٢٩٣
المدينه في الثورة العربيه ٢٩٧
الشريف على حيدر ٣١٢
المدينه في ١٩٢٥ ٣١٩
مكتبات المدينه ٣٢٦
ابواب الحرم و محاريبه ٣٢٧
البيع في ١٩٢٥ ٣٢٨
المدينه في مؤلفات فيلي ٣٣١
موسوعه العتبات المقدسه، ج٣، ص: ٣٤٤

هذه الموسوعه

على الرغم من انتشار الحضارة و الثقافة التي دفعت بالكثير من العلماء و المحققين و الباحثين في العصور الأخيرة الى احياء مختلف التراث الاسلامي و الآثار العربيه فيما بحثوا، و حققوا، و كتبوا، فقد ظلت هنالك كنوز ذات قيمه كبرى في تاريخ العالم الانساني فضلا عن تاريخ الاسلام و العرب.

لقد ظلت هذه الكنوز مطموره في بطون الكتب المخطوطه و المطبوعه لم يمسه احد الا من بعض اطرافها، و لم يتطرق اليها باحث الا من بعض جوانبها، و هي كنوز لم تقتصر على ناحيه دون ناحيه، فهي تخص العلم، و الادب، و الفن، و الفلسفه، بقدر ما تخص الفقه و التاريخ، متمثله كلها في تاريخ العتبات المقدسه:

مكة المكرمه- المدينه المنوره- القدس الشريف- النجف الاشرف- كربلاء- الكاظمين- مشهد الرضا- سامراء .. الخ
فلكل عتبه من هذه العتبات تاريخ ذو علاقته جد وثيقه بالثقافه و الحضاره الاسلاميه و العربيه، مما اخترنته من المخطوطات الاثريه، و الروائع الادبيه، و ما قامت به من المدارسه طوال العصور المظلمه، اذ لو لا هذه العتبات لما بقى اليوم بايدينا من تلك الكنوز الا النزر اليسير.

و هذا هو الذي دفع بطائفه من اهل الفضل و اساتذه جامعه بغداد من ارباب الاختصاص الى ان تتضافر جهودهم في اخراج موسوعه تاريخيه- علميه- اثريه- ادبيه- عامه، تتناول جميع العتبات المقدسه بالبحث المفصل الشامل منذ اول تمصير العتبه المقدسه حتى

اليوم- على ان يكون لكل عتبة اجزاء خاصة، و ان يكون كل جزء منها مستقلا بمواضيعه.
و هو اول عمل من نوعه، و اول مجهود خطير يقوم به مؤلفه، و يكفى ان يستدل القارىء على خطورته مما يقع تحت عينيه من اجزائه.

الجزء الرابع

[الارض المقدسة فى نظر الاسلام و عقيدته تأليف جعفر الخليلي]

فلسطين إمامة موجزة بتاريخ فلسطين و القدس القديمة حدودها و موقعها

إشارة

اختلف المؤرخون فى تعيين حدود فلسطين القديمة اختلافا ربما كان كبيرا و ليس من سبب فى هذا الاختلاف الا التغييرات التى طرأت على هذه البلاد من جراء تغيير الزمن، و النفوذ، و الاقوام، ففلسطين القديمة كما وصفها جيمس هنرى بريستد: هى الارض الواقعة الى الجهة الجنوبية الشرقية من بحر الروم، و هى شقة من الارض كما يصفها، واقعة بين البادية شرقا و البحر غربا، طولها نحو ١٥٠ ميلا، و مساحتها نحو عشرة آلاف ميل .

أما ابن الاثير فيقول عنها انها الكورة المعروفة فيما بين الاردن و ديار مصر و إن أم بلادها بيت المقدس .
و يقول ياقوت: انها آخر كور الشام من ناحية مصر، و ان من قصبتها البيت المقدس، و من مشهور مدنها عسقلان، و الرملة، و غزة، و أرسوف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٨

و قيساريه، و نابلس، و أريحا، و عمان، و يافا، و بيت جبرين، و قيل فى تحديدها: انها اول أجناد الشام من ناحية الغرب، و طولها للراكب مسافة ثلاثة أيام اولها رفح من ناحية مصر، و آخرها اللجون من ناحية الغور، و زغر ديار قوم لوط، و جبال الشراة الى إيلة كله مضموم الى جند فلسطين .

و عند ابي الفدا ان فلسطين كورة كبيرة تشتمل على بيت المقدس و غزة، و عسقلان .

و طبيعة فلسطين الجغرافية تختلف باختلاف مواقعها، فالجزء الاكبر من فلسطين قاحل لا ينتج شيئا، و القسم الجنوبى منها عبارة عن قطعة من البادية تمتد شمالا حتى القدس، آكام جافة جديبه مؤلفه من الحجر الكلسى، اما الأودية الواقعة فى شمال البلاد فهى ذات خصب و غلال و افره، و البلاد برمتها لا يقع فيها المطر صيفا، و لا سقايه فيها فكل اعتمادها على امطار الشتاء، و لذلك كانت غلاتها دون غلات سواها من البلدان التى تروىها امطار الصيف، و لا موانئ فى فلسطين الا فى الجزء الشمالى منها، و هذه كان قد استولى عليها الفينيقيون منذ عهد بعيد فامست البلاد منفصلة عن البحر، بعيدة عنه، و لم تساعد مواردها الطبيعى على التقدم المادى و لا على انشاء قوة سياسيه كالبلدان المتمدنة المجاورة لها كمصر و ما بين النهرين، و سوريا، و فينيقيا .

اسم فلسطين

أما من اين جاء اسم فلسطين ففيه اخبار كثيرة و اغلبها يحتاج الى دليل علمى، و هى تلفظ بكسر الفاء ثم الفتح و سكون السين و طاء مهملة و آخره

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٩

نون على ما اورد ياقوت و فى اعرابها اختلاف كبير عند العرب و زعموا أنها سميت بفلسطين نسبة لفلسطين بن سام بن ارم بن سام بن

نوح، و زعم الآخرون بل انها سميت باسم فلسطين بن كلثوم من ولد فلان بن نوح، و فى كتاب ابن الفقيه على ما روى ياقوت انها سميت بفلسطين بن كسلوخيم بن صدقيا بن كنعان ابن حام بن نوح و قد نسبوا إليها فلسطينى و استشهدوا بقول ابن هرمة.

كأس فلسطينية معتقة شبيت بماء من مزنة السبل

و تفننوا فى اسباب التسمية و عزّ على نقله مثل هذه الاخبار ان لا يكون لابن نوح الثالث (يافت) نصيب كنصيب اخويه فى هذه التسمية فقالوا بل إنما سميت فلسطين نسبة لمن نزلها اول مرة و هو فلسطين ابن كيسوحين بن لقطين بن يونان بن يافت بن نوح .

و اغلب الظن إن لم يكن من اليقين نظرا لبعض الدلالات التاريخية من الاثار ان شعبا من شعوب البحر المتوسط يعرف بالفلسطينيين هاجر من جزيرة (كريت) و استوطن فلسطين فسميت البلاد باسمه .

وجد المؤرخين الذين ينسبون اسم فلسطين للشعب النازح الى هذه الارض يقولون بأنه شعب أفراده بحارة يضعون على رؤوسهم تيجانا من الأسل مثل تيجان البحارة النورديين (الشماليين).

و هذا الاعتماد بتاج الاسل نجده فى تواريخ بعيدة و موعلة فى القدم تحت مرقم نحات و مؤرخ الحضارة المصرية على جدران هيل (مدينتجو)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٠

و هذا الشعب النازح من جزيرة (كريت) كان نزوحه بعد مجيء الكنعانيين الى هذه الارض فشغل الساحل الجنوبي الغربى لفلسطين اى البقعة المحصورة من غزة الى يافا .

أما فلسطين قبل نزوح هذه القبائل من البحر المتوسط اليها فقد كان باسم كنعان لذلك سمي سكانها القدماء بالكنعانيين و هى جزء من ارض الشام.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١١

سكان فلسطين و القدس القدماء

إشارة

و الوقوف على تاريخ فلسطين القديمة من ارض الشام (ارض كنعان) لا يخلو من صعوبة و مشقة لقله المصادر العلمية من الاثار التى تحكيها الابنية، و الألواح، و الرقائم، و النقوش، كالتى فى الاقطار المجاورة لفلسطين من تاريخ الفراعنة، و الفينيقيين، و آشور، و بابل تلك الاثار الغنية بالمخطوطات المنقوشة على البردى و الآجر، و فوق المعابد و كثرة ما بقى سالما منذ القرون القديمة من الاوانى و الادوات، و اسباب المعيشة التى توصل العلماء الى قرائتها و استقصاء ماهيتها، حتى تم الوقوف على كثير من أحوال السكان فى تلك الاصقاع، و بدأت الحقائق تحل محل الشكوك و تطرد الأوهام فى تاريخ الكثير من الاقطار و الممالك.

أما فلسطين فقد كان نصيب المؤرخين فيها قليلا من هذه الاثار التى يمكن منها تكوين فكرة علمية كاملة عن تاريخها القديم و على الأخص الموعول فى القدم فلم يبق باليد الا التوراة ثم الآثار التى وجدت فى بابل و آشور و فى آثار الفراعنة بصورة خاصة التى جاء فيها ذكر فلسطين و حوادثها، و الا بعض ما بقى من الابار و اسس الجدران و الكتابات و القبور فى داخل فلسطين نفسها مما لا تفى بالغرض الكامل لتعطي فكرة كاملة غير مشوبة بالشكوك و الظنون.

و التوراة مشحون بالكثير من القصص و الاساطير و الاخبار و الكثير منها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٢

مبالغ في روايته مما لا يصلح هنا الكثير منه ان يكون مصدرا علميا كاملا- عند المؤرخين و مع ذلك فان المؤرخين الاكاديميين يرجعون الى التوراة باعتباره أقدم مصدر باليد فيأخذون منه ما لا يتنافى مع الدراسات المنطقية على قدر الامكان و يسندونها بما يعثرون عليه من الادلة الاثرية المادية التي يحصلون عليها داخل فلسطين او خارجها مما كشفت عنه التنقيبات في آشور و بابل، و في تاريخ الفينيقيين و الفراعنة بصورة خاصة و اليونان و الرومان و الفرس و في اصقاع فلسطين.

و في عقيدة الاسلام «ان العقل ركن المعتقدات الاول فما اوجبه كان واجبا، و ما احاله كان محالا، و ما أجازته كان جائزا» و هذا ما يتفق كل الاتفاق مع منطق الباحثين من المؤرخين الاكاديميين.

أما الذي يكاد لا يتسرب الشك اليه نتيجة الدراسات العلمية هو أن اكثرية سكان فلسطين الاوائل كانوا من (الساميين) الذين نزحوا من جزيرة العرب و كان قد خيم بعض هؤلاء الساميين في البادية بين العراق و الشام، فالمقيمون منهم قرب الفرات كانوا يتسربون تدريجا الى المدن المجاورة، فمن تحضر منهم هناك خدم دولتها في الحروب او غيرها مما يحتاج الى قوة بدنية ثم لا يلبث ان يندمج في أهلها.

و كان سكان لملدن يسمون أهل تلك البادية (آراميين) أي أهل الجبال، و أهل ما بين النهرين (عمورو) او (مورو) أي أهل الغرب، لأن بلادهم واقعة غربي الفرات.

و قد يراد با (لعمورو) أهل غربي الفرات من بدو و حضر الى البحر المتوسط، ثم سموهم (عربيي) او (عرب) و معناها ايضا في اللغة السامية الأصلية (الغربيون) و كانوا يسمون بلادهم (مات عربيي) أي بلاد الغربيين او بلاد العرب .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٣

و يرى البعض من المحققين ان سكان ارض الشام القدماء التي تعتبر فلسطين جزء منها كانوا يدعون (العموو اللودانو) . و لكن التاريخ لم يستطع ان يعين لنا بالضبط متى كانت هجرة هذه القبائل من جزيرة العرب الى هذه الاصقاع و الى ارض الشام خاصة إنما يمكن حصرها بين ٣٥٠٠- ٢٥٠٠ قبل الميلاد على أغلب الظن.

و مع كل ذلك فلم تكن فلسطين حين نرح إليها الساميون غير مأهولة، فالرجوع الى ما هو معروف لدى المؤرخين للعصور التاريخية القديمة يدل على ان البلاد كانت أهلة بالسكان و ان قاطنيها الأوائل كانوا قبائل من اشباه الرّحل

و يستدل من تاريخ فلسطين انها لم تكن ابدا من نصيب شعب واحد تجمعه جماعة من جوامع القومية، و إنما كانت في جميع الأرمنة مزيجا من الاعراق، و من الهجاء و المولدين المختلطين، و كانت زقاقا مقفلا من الطراز الاول تنتهي لديه موجات المهاجرين المتعبين

و بالاضافة الى ذلك فان لموقع فلسطين الجغرافي اهمية كبرى لا سيما ما يخص الاتجار و تبادل السلع و البضائع منذ قديم الزمان و كانت فلسطين لهذه الأسباب تؤلف مدينة و حضارة مزدهرة و تجمع من كل صوب ما تجمع من بدو و من حضر يدخلها و يذوب فيها،.

و يقول اندريه ايمار، و جانين او بوايه، في موسوعتهما الشهيرة: ان جوار البحر المتوسط، و ارتفاع سلاسل لبنان يطبعان بطابع خاص المنطقة التي هي امتداد لصحارى البلاد العربية نحو الغرب: فكنعان في الجنوب و سوريا في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٤

الشمال، و تشد هذه المنطقة، الى هذه الصحارى صلة دائمة من حيث انها تتعرض لهجمات الرياح المحرقة المفاجئة، و من حيث انها تستهوى البدو الرّحل و قد بلغت منها موجات متعاقبة، و أقامت في أقسام كبيرة منها أحيانا، فهي لهم الارض السعيدة بفضل امطارها و انهارها، و ينابيعها: فالزراعة ممكنة فيها، و جبالها مكسوة بالاشجار، ثم ان الطرقات المختلفة تؤدي اليها و تمرّ فيها، و هي المسلك الطبيعي الوحيد بين مصر و جميع بلدان الشرق الادنى، و قد يلفظ البحر فجأة القراصنة و رائدى المغامرات، و لكن هذا البحر نفسه

طريق يؤدي الى البلدان المختلفة، و هنالك اخيرا طرق القوافل التي تصلها باسفل الفرات و بلاد ما بين النهرين، فهي بلاد صغيرة اذن لا حدود طبيعية لها، و لا وحدة فيها، و لا ادارة مركزية تجمعها، و مفترق مستطيل قسمته طبيعة الارض الى طرائد طويلة تتجه من الشمال الى الجنوب، و هي الى ذلك مفتوحة امام كل سيطرة و تأثير و قد طمعت فيها كل الامبراطوريات العظيمة، و الجماعات البشرية التائهة التي رغبت في ان تقطع فيها لنفسها مكانا

و مع كل ذلك المزيج و الاختلاط من مختلف الشعوب العابرة و المستوطنة فان الطابع العام لسكان ارض كنعان (فلسطين) طابع سامي، و قد تأثر بمختلف الحضارات فكانت له طبيعة ذات لون حضارى مكتسب من العراق، و من مصر، و بلدان البحر الابيض المتوسط.

يقول جيمس هنرى بريستد: ان اتجار فلسطين مع بابل علم الساميين الغربيين - اى سكان فلسطين - الكتابة المسمارية، و كانت فلسطين مدخل الجسر الواقع بين آسيا و افريقيا، فامتزجت فيها مدنات مصر، و بابل، و فينيقية، و بلاد ايجيه، و آسيا الصغرى باسلوب لا مثيل له فى الشرق القديم.

و كانت السلع التجارية هي عنوان تلك المدنات، و دليل تغلغلها فى الوسط الفلسطينى، و لأن موقعها بين جارتها القويتين: مصر و العراق جعلها معتركا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٥

حربا قرونا عدة، فقد استولت عليها مصر مئات السنين و بعد ذلك استولت عليها آشور، ثم تسلط عليها الكلدان، و آخر الكل بسط يده عليها الفرس، و حين آل امرها الى العبرانيين لم يؤملوا ان يبقوا امدا طويلا - احرارا من الضغط الخارجى ثم انتزعها الرومان و استولى عليها المسلمون العرب، و قد ترك كل قوم فيها شيئا من آثارهم خيرا كان أو شرا، ليس فى عهودها الاخيرة و انما فى جميع عهودها القديمة.

الكنعانيون

و كان الكنعانيون اول شعب تميز عنصره و عرف نجاده بعد تلك القبائل السامية و ما قبلها من سكان فلسطين الذين لا يعرف التاريخ عنهم شيئا كثيرا و الكنعانيون كما يقول رواة الاخبار ساميون و اصلهم من اولاد (لاود) ابن سام و من سلالة (عمليق) و هو ابو العماليق و منهم كانت الجبابرة بالشام و كانت طسم، و العماليق، و أميم، و جاشم، و كانوا عربا، و لسانهم كان عربيا، و هم اول من عرفهم التاريخ بعد السكان الذين كانوا يدعون با (لعموا اللودانو).

و فى نحو ألفى سنة قبل الميلاد شرع الكنعانيون يستوطنون السهول و البقاع الساحلية، فانشأوا مدنا و قرى، و اخذوا يعنون بتنمية ثقافتهم الخاصة، و قد روت التوراة ان البلاد كانت تسمى (ارض كنعان) على ما ورد فى سفر (العدد) ٣٤: ١ و ٣٥: ١٠، او بلاد الكنعانيين على ما ورد فى سفر (الخروج) ٣: ١٧ .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٦

و قيل انما عرف الكنعانيون بهذا الاسم فلنسبتهم للارض التي سكنوها و المعروفة باسم (ارض كنعان) اى الارض الواطنة .

و هناك من يذهب الى ان نزول الكنعانيين بارض فلسطين كان قبل اكثر من ٣٠٠٠ سنة، و يقول محمد على الزعبي: و اذا علمنا ان (نرام سين) الملك الاشورى غزا فلسطين فى القرن الثامن و الثلاثين قبل الميلاد فناواته حكومتها العربية تحققنا أن العرب الكنعانيين هم اهل فلسطين منذ قرون لا نستطيع تحديدها .

و ما قيل عن حضارة الكنعانيين و كونها عصارة عدد من الحضارات قد قيل فى ديانة الكنعانيين، فديانتهم كانت مزيجا من تأثيرات

مختلفة اذ كانت ملتقى دينيا لمختلف الشعوب كما كانت ملتقى تجاريا.

العبرانيون

و العبرانيون ساميون نشأوا في الجزيرة و انتشروا كقبائل رحل بخيلهم و مواشيهم، و كانت حياتهم حياة بداءة مطلقه ليس لها بالحضارة صلة او نسب، و لا يعرف التاريخ كيف و متى حل بعض هذه القبائل ارض مصر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٧

و كل ما عرف هو انهم عاشوا فترة من الزمن مستعبدين للطواغيت من الفراعنة، و انهم لقوا في مصر الشيء الكثير من الاضطهاد حتى تسنى لهم ظهور النبي موسى فخرج بهم من مصر الى فلسطين.

و كان اول غزو العبرانيين لارض كنعان في نحو القرن الثاني عشر ق.م، و حين دخل العبرانيون ارض كنعان وجدوا هناك حضارة و نظاما و حياة لم يألفوها من قبل، و كان الكنعانيون يقيمون في مدن آهلة بسكان يسودهم من النظام و الاساليب ما يضمن لهم حياة سعيدة، و كانت اغلب المدن الكنعانية مسورة بأسوار منيعة ليس من السهل الاستيلاء عليها، و كانت حضارة الكنعانيين قديمة نشأت منذ الف و خمسمائة سنة من ظهور العبرانيين لذلك كانت المدن الكنعانية و على الاخص القدس (اورشليم) تهزأ بحملات العبرانيين، و لهذا ظلت السيطرة على (القدس) نحو بضعة قرون غير تامة و ليس القدس وحدها التي كانت تهزأ بحملات العبرانيين و انما الكثير من بقاع فلسطين و حتى السهول قد عجز العبرانيون عن السيطرة عليها و انتزاعها من يد الكنعانيين، فلم يحدث قط ان اذعن الفلسطينيون للغزاة اذعانا كاملا اذ انهم استبقوا سيطرتهم مفروضة على سهولهم الساحلية الواقعة على طول البحر المتوسط .

و يقول بريستد: و لا يخفى ان هذه المدن التي عجز مهاجموها من العبرانيين عن افتتاحها كانت ذات حضارة قديمة و منازل متقنة، فيها كثير من اسباب الراحة، و حكومتها، و صناعتها، و تجارة، و علم، و معرفة بالكتابة، و ديانة حضارية اقتبسها اخيرا العبرانيون من مواطنيهم لان العبرانيين لم يستطيعوا ان يعيشوا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٨

بمعزل عن اهل المدن الكنعانية التي عجزوا عن افتتاحها، لان الصناعة و التجارة كانت رابطا قويا بينهم، و قد احدث هذا الامتزاج تغييرات جوهرية في حياة العبرانيين و اخراجهم من سكنى الخيام الى سكنى الدور و البيوت العامرة، و الباسهم الالبسة الزاهية حتى لم يعد بعد زمن تفريق الكنعانيين عن العبرانيين من حيث المظهر و العادات و المدنية سهلا خصوصا بعد امتزاج الكنعانيين بالعبرانيين بالزواج و اختلاط الدم .

و مرّ بعض الزمن دبّ فيه الضعف في حكام مصر فظهر اثر التأخر و الانحطاط، عليهم جليا و ذلك في نحو ١١٠٠ قبل الميلاد و كانت آشور حينذاك بمعزل عن التفكير في غزو الاقطار الغربية فكان ذلك وجهها من وجوه حسن الحظ للعبرانيين اذ اتاحت الفرصة المناسبة لوقوع الحرب بين العبرانيين و الكنعانيين استولى فيها العبرانيون على ممتلكات الكنعانيين، ثم ظهر النبي داود و من بعده سليمان فتمت السيطرة حينذاك للعبرانيين على القدس و سائر البقاع في تفاصيل يتحدث بها و يعللها التاريخ.

و دامت مملكة العبرانيين نحو قرنين ثم انقسمت الى مملكة اسرائيل في الشمال، و مملكة يهودا في الجنوب، و بتسمية هذا الاخير عرف اليهود و انتسبوا له.

الآشوريون

و نشب النزاع بين الاشوريين و المصريين فى نحو سنة ٧٣٣-٧٢١ ق. م نظرا لكونهما القوتين العظيمتين المسيطرتين على واديين من اخصب اودية الدنيا عطاء و أوفرها حضارة فالآشوريون فى وادى الرافدين، و المصريون فى وادى النيل فكان من مصلحة العبرانيين (الاسرائيليين) الانحياز الى المصريين على ما قدرت سياستهم و اقتضى قربهم لمصر اكثر من قربهم للعراق، فنقم موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٩

عليهم الاشوريون و اعدوا العدة لغزوهم فى فلسطين و الاستيلاء على حاضرتهم اورشليم (القدس)، و كان على رأس الحملة التى جردت لغزو فلسطين الملك (سنحاريب) ملك اشور فانهار امامه العبرانيون، و حاصر القدس و فتحها، و سبا اليهود و فرض عليهم شروطا قاسية و جزية كبيرة حتى اضطر اليهود الى قشر الذهب عن ابواب الهيكل و جدرانها و تسليمه للاشوريين و قد عاد الاشوريون الى بلادهم بعد ان كاد الطاعون يقضى عليهم، ثم رجعوا بعد ذلك فاحتلوا فلسطين و دخلوا اورشليم و اسروا ملكها (منسه) و سَفَرُوهُ الى بابل و ذلك فى نحو سنة (٦٧٨ ق. م) ثم اطلقوه بعد ذلك و رجع الى (اورشليم) و بنى سورها من جديد، ثم ضعف شأن الاشوريين بعد ذلك و تخلوا عن البلاد.

الكلدانيون

و اعقب الكلدانيون الاشوريين فى السيادة على بابل و صار لهم شأن كبير و كان التنافس بينهم و بين المصريين مثلما كان على عهد الاشوريين، و مرة اخرى انحاز الاسرائيليون الى المصريين بداعى المصلحة فجرد ملك الكلدانيين (نبوخذنصر) حملة كبيرة و قام بمهاجمة (اورشليم) و استولى عليها فى نحو عام (٥٨٧ ق. م)، و قد قتل من اليهود خلقا كثيرا، و ساق الكثير منهم أسرى الى بابل و على رأس الأسرى ملك اليهود (يهوياكين) و هدم اسوار المدينة و قلاعها و هيكلها، و هكذا تم انقراض العبرانيين نهائيا كدولة ذات استيطان، و ذلك فى نحو (٥٦٨ ق. م) على ما يعين بعض المؤرخين. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٠

عهد الفرس

و حين قضى الفرس على الكلدانيين و استولوا على بلاد بين النهرين و كان قد مرّ على تدمير القدس و سبي اليهود نحو سبعين سنة أعاد ملك الفرس (كورش) اليهود من سبيهم الى اورشليم التى كان قد استولى عليها، فاعاد اليهود بناء الهيكل من جديد، كما قاموا ببناء الاسوار حول اورشليم بأمر من ملك الفرس (دارا) و لكن اليهود لم يستطيعوا أن يستعيدوا سلطتهم، و لا شيئا من نفوذهم السابق، اذ كانت دولتهم قد دالت فى الثلث الاخير من القرن السادس قبل الميلاد، و لم تقم لهم بعد ذلك قائمة.

العهد اليونانى

و اكتسح اليونانيون الفرس فى عهد الاسكندر و دخلت مصر و معظم بلاد الشرق تحت نفوذ اليونانيين فى عصر الاسكندر و لما مات الاسكندر و تم اقتسام البلاد من قبل قواده كانت فلسطين من نصيب البطالسة، و حاول اليهود مقاومة بطليموس الاول و عصوا عليه فى (اورشليم) فساق بطليموس عليهم جيوشه و فتح المدينة و نكل باليهود و ارسل منهم نحو مائة الف اسير الى مصر و كان ذلك فى نحو (٣٢٠ ق. م)

و في سنة ١٦٨ ق. م استولى على (اورشليم) انطيوخوس الرابع ملك السلوقيين، فتمرد اليهود من جديد على حكمه و استطاعوا بمساعدة (المكابيين) في شمال البلاد من استعادة اورشليم التي بقيت في حوزتهم حتى عام ٦٣ ق. م

الحكم الروماني

و في أعام ٦٣ ق. م استولى الرومان تحت قيادة (بومبيوس) على مدينة القدس و هدموها، و لكن اليهود ناوؤه و تمردوا عليه فنكل بهم و ألغى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢١

(مجمعهم) و هدم سور المدينة ثم جاء الحاكم (هيروودس) فاتخذ من اورشليم عاصمته له، و قد عرف باهتمامه في الانشاء و التعمير لذلك ما لبث ان اعاد بناء المدينة من جديد و اقام السور و انشأ العمارات، و تم له ان يقيم ثلاثة حصون فخمة، و كان من اهم ما ذكر من تعميره و انشائه هو قيامه ببناء (الهيكل) و احياؤه من جديد. و بناء القلعة الكائنة باب الخليل، و اجرى الماء في القنوات و ترك اثارا كثيرة في القدس، و قد ولد المسيح في آخر سنة من سني حكم (هيروودس) الذي نصبته روما ملكا على اورشليم.

و قد كشف عالم آثار اسرائيلي النقب اليوم عن اكتشاف مدينة عمرها (٢٠٠٠) ألقى سنة تحت مدينة القدس القديمة، و قد وصفت الحفريات التي قام بها الأثرى المذكور بأنها اول محاولة لاكتشاف قدس ما قبل العهد بقايا قصر الملك هيروودس الكبير في السامرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٢

الميلادي، اي المدينة التي اختفت عند ما دمر الرومان هيكل هيروودس عام ٧٠ ق. م. .

و في عام ٦٦ ب. م تمرد اليهود على الحكم الروماني فجرد (تيطس) حملة على المدينة و ذلك في عام ٨٠ ب. م و استولى على (اورشليم) و احرقها عن آخرها. و دمر الهيكل. و شرد اليهود في ارجاء المعمورة.

ثم عاد الرومان فاحيا المدينة من جديد و عمروها و جعلوا منها مدينة و ثنية في عهد الامبراطور الروماني (هادريان).

العهد المسيحي

و حين انتشرت المسيحية و اعتنق الرومان ديانتها و اصبحت المسيحية ديانة الدولة الرسمية و ذلك في ٣٢٥ ب. م اعيدت المدينة الى سابق عهدها من البناء و زالت الانصاب الوثنية.

و في عام ٦١٤ ب. م غز الاكاسرة من الفرس ممالك الرومان و استولوا على فلسطين و احتلوا حاضرتها (اورشليم) و فتكوا بسكانها و هدموا كنيسة القيامة ثم استطاع امبراطور الرومان (هرقل) من مهاجمة الفرس و انتصاره عليهم، و استعادة فلسطين منهم.

و في عهد المسيحية تجددت الشعائر الدينية فبنى الامبراطور قسطنطين الاول كنيسة القبر المقدس، و أنشأت امه كنيستين، هما كنيسة الميلاد في بيت لحم، و كنيسة القيامة في القدس، و بدأت فلسطين تجتذب وفود الحجيج المسيحيين، كما اصبحت مركزا لحياء النساك و الانخراط في سلك الرهبنة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٣

العهد الاسلامي

و في سنة ١٥ للهجرة و قبيل ١٦ للهجرة اى فيما يتفق و سنة ٦٣٦ للميلاد تم احتلال فلسطين من قبل جيوش المسلمين العرب و دخلوا (القدس) بعهد شريف عهد به الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لاهل ايلياء اى (القدس) الذى سياتى ذكره فيما بعد.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٤

الأرض المقدسة

و التاريخ الاسلامى يعنى عناية خاصة بالارض المقدسة و يعتبر تقديسها ركنا من اركان معتقداته لانها موطن الانبياء و موضع ظهور نبوتهم و دعوتهم الى التوحيد، و الصلاح، و نشر الخير و سائر المبادئ التى ايدها الاسلام و اتم الدعوة لها و ختم بها النبوة، و اختلف مورخو الاسلام فى تحديد هذه (الارض المقدسة) و لكنهم اتفقوا جميعا على ان حاضرة هذه الارض هى مدينة القدس، عاصمة تلك الدعوات المتتالية التى بشر بها الانبياء، و لذلك كانت القدس اولى القبلتين و ثالث الحرمين الشريفين عند المسلمين.
و لقد حدد القاضى مجير الدين الحنبلى الارض المقدسة، فقال:

تحدها من القبلة: ارض الحجاز، و تفصل بينهما جبال الشورى (الشراء) و من الشرق من بعد دومة الجندل بريئة السماوة الممتدة الى العراق، و من الشمال مما يلي الشرق نهر الفرات، و من الغرب بحر الروم، و من الجنوب رمل مصر و العريش، ثم يليه تيه بنى اسرائيل و طور سيناء.

و من هذا التحديد يستخلص ان الارض المشمولة بالقدسية لتزول الانبياء فيها و بث دعوتهم بها، و اتخاذها مدفنا لهم هى ارض واسعة شاسعة لا تقتصر على العاصمة (القدس) و ضواحيها و اطرافها و انما تشمل اغلب المدن التى يشملها اسم فلسطين ان لم تكن كل مدنها بموجب هذا التحديد.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٥

و يحدد القاضى مجير الدين الحنبلى و هو من ابناء القرن التاسع (القدس).
فى ذلك القرن بقوله:

اما الحدود المنسوبة لبيت المقدس عرفا مما يلي القبلة و يطلق عليه (عمل القدس الشريف) و يسوغ لقضاة القدس الحكم فيه فمن القبلة (عمل الخليل) و من الشرق: نهر الاردن، و من الشمال: مدينة نابلس، و من الغرب:
الى ما يقارب مدينة غزة

و تستخلص عقيدة الاسلام بقدسية الارض المقدسة من التوراة و الانجيل و القرآن الكريم و مما روى الخلفاء و الصحابة و الأئمة، و لمكانة هذه الارض و على الاخص (القدس) التى سياتى الحديث عن مكانتها فى الاسلام و فى عقيدته جازت المبالغات و الاساطير فى الروايات، و استسيغ ما لم يستسيغ فى نقل الرواية و الاحاديث سواء عن تلك التربة المقدسة او ساكنيها او الانبياء الذين بشروا بالدين و الصلاح، و الخير فيها، اما الشئ الذى لا جدال فيه فهو ان الاسلام يعتبر فلسطين و حاضرتة القدس ركنا من اركان معتقداته التى تستلزم تقديسها بصفتها مهبط الانبياء الذين نزلوا فى فلسطين و ايمان الاسلام بما جاء به هؤلاء الانبياء ايمانا مطلقا بصفتهم رسل الله و انبياءه المبشرين بالحق.

لقد جاء فى الروايات انه سئل رسول الله (ص) عن اكرم الناس قال:

اتقاهم لله، فقالوا ليس عن هذا نسألك، قال فاكرم الناس يوسف الصديق فانه نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله، فهؤلاء الاربعة و هم: ابراهيم الخليل و ولده اسحاق، و ولده يعقوب، و ولده يوسف، قبورهم فى فلسطين و فى محل واحد، و عليهم من الوقار و الجلال ما لا يكاد يوصف، و المقصود بالكرم هنا هو النقاء و الطيب و ما شاكل كما يشمل السخاء و الجود و قد عرف بهما ابراهيم

الخليل بصورة خاصة بين اقدم الانبياء.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٦

و الى جانب هولاء الانبياء قد دفنت زوجاتهم المعروفات بالصلاح عند الاسلام، و قد دفن هولاء الانبياء و زوجاتهم فى مغارة ذكر خبرها الرواة من المسلمين و من غير المسلمين من اهل الكتاب.

و روى الطبرى ان سارة زوجة ابراهيم قد ماتت على ما قيل بقرية الجابرة من ارض كنعان فى حبرون فدفنت فى مزرعة اشتراها ابراهيم و قد دفن ابراهيم فى هذه المزرعة ايضا.

فأول من دفن اذن فى هذه المغارة كانت سارة زوجة ابراهيم ثم دفن فيها ابراهيم الخليل، ثم ريقه زوجة اسحاق، ثم اسحاق، و قد مات اسحاق بالشام و دفن عند ابيه ابراهيم ثم دفن بعده فى المغارة يعقوب، و تقول الاخبار ان يعقوب هذا هو المعروف باسرائيل، و تزعم انه هرب خوفا من اخيه عيص (عيسو) الى خاله، و كان يسرى بالليل و يكمن بالنهار فلذلك سمي (اسرائيل)! و كان قد نزل الشام و مات و دفن عند قبر ابيه و جده ثم دفنت (ليقا) او (ليعا) زوجة يعقوب و يقال لها (ايليا) ايضا،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٧

و اغلقت المغارة دون الآخرين من اولاد يعقوب و العيص (عيسو) و اخوته، ثم علم من الخارج على كل قبر برمز يشير الى قبر كل واحد و بقيت المغارة مغلقة دون ان يصل اليها احد حتى جاء الروم فاقاموا كنيسة هناك، و اصبحت هذه القبور مزارا.

و حين جاء الاسلام هدم المسلمون تلك الكنيسة و شادوا محلها هذا الضريح الذى يقوم اليوم على ما شيد المسلمون فى (الخليل) من قبل و قد جرى فيه تجديد و تعمير فى كل فترة من الزمن.

و كانت مدينة (الخليل) تسمى (حبرون) قبل دفن الخليل فيها، و قيل فى وصفها انها قرية بالبيت المقدس، و يقال لها حبرى أيضا، و روى عن كعب الحبر على ما ذكر ياقوت الحموى ان اول من مات و دفن فى حبرى كانت سارة زوجة ابراهيم، و ان ابراهيم خرج يطلب موضعا لقبرها فقدم على (صفوان) و كان على دينه و كان مسكنه ناحية (حبرى) فاشترى الموضع منه بخمسين درهما، فدفن فيه سارة، ثم دفنه و دفن اولاده بعده و بنى سليمان حول هذه القبور حيرا، ثم اضاف ياقوت قول الرواة على اختلاف رواياتهم و المورخين فى اخبارهم فقال اعتمادا على رواية العقيدة لا التاريخ بأن فى هذه المغارة قبر ابينا آدم كذلك!! و خلف هذا الحير الذى اقامه سليمان قيل ان هناك قبر يوسف الصديق جاء به موسى من مصر و كان مدفونا فى وسط النيل فدفن عند آباءه، و عن يعقوب رويت مثل هذه الرواية فليل ان يعقوب قد مات بمصر فنقل يوسف جثمانه و دفنه حيث أبيه اسحق،

و روى ياقوت بعد ذلك ان تميم الدارى قدم على رسول الله و معه قومه و سأله ان يقطعه (حبرون) فاجابه و كتب له كتابا نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى محمد رسول الله (ص) لتميم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٨

الدارى و اصحابه، انى أعطيتكم بيت عينون و حبرون، و المرطوم، و بيت ابراهيم بدمتهم و جميع ما فيهم، عطية بت، و نفذت، و سلمت ذلك لهم و لا عقابهم بعدهم ابد الأبد، فمن آذاهم فيه آذى الله» شهد بذلك ابو بكر ابن ابى قحافة، و عمر، و عثمان، و على بن ابى طالب» .

و لا حاجة للتدليل على ضعف هذه الرواية، لأن حبرون يومذاك لم تزل بيد الروم، و لم يستول الاسلام عليها بعد فكيف يمكن قطعها لتميم الدارى؟

و لأن الشهود قد جاء ترتيبهم كما لو كانوا خلفاء بعد رسول الله، فكيف وقعت هذه المصادفة؟

و المؤكد ان هذه القبور قد عين محلها قبل ظهور الاسلام بزمان بعيد، و قد قدست من قبل اليهود، و المسيحيين، و عنى بها الرومان فى ايام حكمهم عناية كبيرة بالاضافة الى عنايتهم ببيت المقدس.

و مما يذكر عن قدم معرفة الناس بهذه القبور ما روى عن محمد بن بكر ان ابن محمد خطيب مسجد الخليل في اوائل القرن الرابع الهجرى قال سمعت محمد بن اسحاق النحوى يقول: خرجت مع القاضى ابى عمرو عثمان بن جعفر بن شاذان الى قبر ابراهيم الخليل عليه السلام فاقمنا به ثلاثة ايام، فلما كان فى اليوم الرابع جاء الى النقش المقابل لقبر (ريقة) زوجة اسحق عليه السلام فأمر بغسله حتى ظهرت كتابته، و تقدم الى بان أنقل ما هو مكتوب فى الحجر الى درج كان معنا على التمثيل (اى رسمه على الورق كما هو) فنقلته، و رجعنا الى الرملة فاحضر اهل كل لسان ليقراه عليه فلم يكن فيهم أحد يقرؤه، و لكنهم اجمعوا على ان هذا بلسان اليونانى القديم، و انهم لا يعلمون انه بقى احد يقرؤه غير شيخ كبير (بحلب) فعمدوا إلى احضاره، فلما حضر عنده أحضرنى فاذا هو شيخ كبير، فأملى على الشيخ المحضّر من حلب ما نقلته فى الدرج على التمثيل اوله:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٩

بسم إلهى إله العرش القاهر الهادى الشديد البطش العليم الذى لا يحد، هذا قبر ابراهيم الخليل، و العلم الذى بحذائه من جهة الشرق قبر زوجته ساره و العلم الاقصى الموازى لقبر ابراهيم الخليل قبر يعقوب، و العلم الذى يليه من الشرق قبر اليا (ليقا)- و فى معجم البلدان (ليعا) زوجة يعقوب و قد كتبه العيص (عيسو) بخطه! و العيص هو اخو يعقوب و منافسه، و اكتسب البناء المنسوب لسليمان المحيط بقبر ابراهيم صفة المسجد و اطلق البعض على ضريح ابراهيم صفة الحرم فسموه حرما. و لفضيلة هؤلاء الانبياء و ايهم ابراهيم الخليل عند الاسلام مراسيم و آداب خاصة يقوم بها المسلمون، و ادعية و صلوات، و قد وردت نصوص قديمة لما يستحب ان يقوله الزائر و يدعو به فى مقام ابراهيم. و جاء فى كتاب (الانس الجليل) ان كل ما ذكره العلماء رضى الله تعالى عنهم فى مناسكهم من آداب الزيارة فى حق النبى صلى الله عليه و آله فهو سائغ فى حق خليل الله ابراهيم.

و لم يقتصر التقديس عند الإسلام على المدفونين فى هذه المغارة بل ان القرآن الكريم تناول عددا غير قليل من هؤلاء الانبياء الذين ضمتهم فلسطين قاطبة و القدس بصورة خاصة نورد هنا بعض ما ورد عن بعض هؤلاء فى نصوص القرآن الكريم توضيحا للأسباب التى جعلت المسلمين يطلقون على فلسطين اسم (الارض المقدسة) و جعلت لهذه الارض تلك المكانة المقدسة فى نظر الاسلام و عقيدته بالنظر لمكانة هؤلاء الرسل و الانبياء عند الله تعالى و التى يشير اليها القرآن الكريم كتاب الله و دستور المسلمين.

ابراهيم الخليل

قال الله جل و علا فى محكم كتابه عن ابراهيم الخليل:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٣٠

«سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ»

و قال «وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ»

و فى آية اخرى جاء «وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا»

و فى آية اخرى «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ».

و فى سورة الصافات جاء «وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ».

و جاء فى آية اخرى «قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

و قال: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَ هَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَ آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ».

وقد جاء ذكر ابراهيم في القرآن الكريم ٦٣ مرة، فهو ابو الانبياء و من اوائل المبشرين بالله و وحدانيته و هو الى جانب ذلك قد لقي من الاذى و العذاب في محاربهه للاصنام و تثبيت الدعوة الى وجود الله ما لقي في سبيله، و هو بعد ذلك من السخاء و اكرام الضيف و الشهامة ما تحدثت به الكتب.

يقول عبد الوهاب النجار: ان ابراهيم كان مضيافا و لا يرضى لا ضيافه بما يقيم اودهم، بل كان يكثر لهم من القرى، لأن ثلاثة أضياف لا- يقدرون على التهام عجل سمين، بل هو يفضل عنهم و كان يكفيهم عناق صغير (المعزى الصغيرة دون السنه من العمر) او بعض الفطير يقدم اليهم، و لكنه اظهر حفاوة هونت عليه ان يبذل من ماله كل كريم و لا يفعل ذلك الا الكريم. و يقول: و ها انا اذا استطرد لكم حكاية قرأتها في بعض الكتب العبرية الادبية و هي ان ابراهيم نظر الى البرية يوما فرأى رجلا قد بلغ من الكبر عتيا يمشى و في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٣١

يده عكازته، فقام و استقبله و اضافه و قدم له طعاما فلما طعم الرجل مع ابراهيم قال ابراهيم: هلم نشكر الله الذى اطعمنا و رزقنا هذه النعم، و لكن الرجل أبى و قال: لا- أعرف الله الذى تقوله، و انما اشكر إلهى الذى فى بيتى- يعنى صنمه- فغضب ابراهيم و طرد الرجل، فلما ولى الرجل عنه رجع ابراهيم باللائمة على نفسه قائلا:

ان الله سبحانه قد خلق هذا الشيخ و جباه بجلائل النعم و أطال عمره و قد مضى عليه الآن مائة سنة يكفر بالله و يجحده و لا يؤدى شكر شىء من نعمه عليه، و مع اصراره على الكفر و تماديه فى الضلال لم يقطع الله عنه نعمة من نعمه المتواصله، و أنا لأنى أطعمته مرة واحدة و خالف مشورتى فى عباد الله اطرده، و أسف لذلك أسفا شديدا

لوط

و لوط هو ابن اخى ابراهيم، آمن بعمه و بشر بدينه و فى ذلك تقول الآية الشريفة:

«فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي».

و هاجر مع عمه ابراهيم فجاءت الآية الكريمة:

«وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ».

و فى سورة الشعراء «كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ» و ما أسئلكم عليه من أجرٍ إن أجرى إلا على رب العالمين».

و فى آية اخرى و قد قال لوط بعد أن رأى إسراف قومه فى المنكر:

«رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ، فَنجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٣٢

و جاء فى سورة التحريم: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ ..»

و ورد ذكر لوط فى ٢٧ موضعا من القرآن الكريم.

و كان لوط قد نزل سادوم و عامورة فى الاردن بعد ان فارق عمه لبيشر و يندر، و كان قومه يأتون المنكر كما يصف القرآن الكريم و يشرح المفسرون، و لم تغد معهم مواعظ لوط و ارشاده، فنزل عليه ذات يوم ثلاثة من الملائكة ضيوفا و هو لا يعلم انهم من الملائكة كما تقول التفاسير، لقد نزلوا عليه لكى ينزلوا على قومه العذاب، فتعرض بهم قوم لوط و طلبوا من لوط تسليمهم ضيوفه ليفسقوا بهم فقال لهم:

«... يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطَهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي، أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ».

و هناك كشف الملائكة عن انفسهم و

«قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ..».

و في عرض لوط بناته على القوم في سبيل حفظ كرامه ضيوفه صورة من اروع صور السخاء و النبل و الشهامة و الايمان، و كانت هذه الصفة من اجلى و احلى ما اتصف به لوط بين الانبياء.

اسحق و يعقوب

و من انبياء الارض المقدسة كان اسحاق و كان ابنه يعقوب، و قد خصهما الله في كتابه العزيز بالتعزير فورد ذكر اسحق ١٦ مرة في القرآن الكريم، و ورد ذكر يعقوب ١٠ مرات فضلا عن سرد قصتهما. فقد جاء في القرآن الكريم:

«وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ اٰى بَشَرْنَا اِبْرٰهِيْمَ - وَ بَارَكْنَا

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٤، ص: ٣٣

عَلَيْهِ وَ عَلَىٰ إِسْحَاقَ وَ مَن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ».

و قوله تعالى عن ساره «فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَ مَن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ»

و جاء في قوله تعالى لابراهيم:

«وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا»

ثم قوله تعالى لابراهيم ايضا:

«وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا، وَ وَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَ جَعَلْنَا لَهُم لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا»

و من فضائل يعقوب شدة الايمان بالله و قد تجلى ذلك حين أنهى له اولاده خير افتراس الذئب أعز ابنائه اليه و هو يوسف حتى قال لهم و هو يحس ان الفتك به انما جرى من قبلهم و ليس من الذئب:

«بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ».

و حين و وجه يعقوب باحتجاز ابنه بنيامين شقيق يوسف من لدن عزيز مصر و احتمال ضياعه كما ضاع اخوه يوسف لم ييأس من رحمة الله بل قال:

«إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ وَ لَا تَيَاسُّوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ».

يوسف الصديق

قال الله تبارك و تعالى في ابراهيم:

«وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَ نُوْحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مَن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ، وَ سُلَيْمَانَ، وَ أَيُّوبَ، وَ يُوسُفَ، وَ مُوسَى وَ هَارُونَ، وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ».

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٤، ص: ٣٤

و قال الله يخاطب يوسف:

«وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ، وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنمِّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

و خص الله يوسف بقوله:

«وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ».

وقوله تعالى:

«وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نَصِيبٌ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءٍ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ».

وقوله تعالى:

«وَلَا نُجْزِي الْأَخْرَجَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ».

وقد ورد ذكر يوسف في ٢٦ موضعا من القرآن الكريم.

و من اجلى صفات يوسف الأمانة والعفة التي وقفته مثل ذلك الموقف المشرف و هو شاب في ريعان الشباب و غضارة الفتوة من

زليخا الملكة الجميلة التي ضرب بجمالها اروع الامثال و كانت قد اختلت به و راودته عن نفسه كما تصف الآية الكريمة:

«وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ، قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي يُرِيدُ بِهِ زَوْجَهَا- أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا

يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ»

و للامام الفخر الرازي كلمه قديمه أوردها في تفسيره، خلاصتها على ما جاء في (قصص الانبياء) ان يوسف قد شهد الله تعالى ببرائه

بقوله:

«إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ» و شهد الشيطان ببرائه بقوله: «فَبِعِزَّتِكَ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٣٥

لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» و شهد ببرائه الشاهد من اهل العزيز اذ قال: «إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ

مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ

عَظِيمٌ، يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا، وَاسْتَتَفَرَى لِدُنْبِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ» و شهدت ببرائه النسوة اللاتي قطعن ايديهن بقولهن «ما

عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ» و شهدت ببرائه زوجه العزيز بقولها «الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ، أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ».

و يقول الشيخ عبد الوهاب النجار: ان قصة يوسف مورد غزير المادة لمن يريد ان يستنبط الاخلاق الفاضله الطاهرة و يشرح الاستقامة

على المبادئ الحقه و اثرها في النفس، و هي موضع درس عميق في علم النفس، و لا- يكون العالم النفسى مسرفا إذا وضع في

الاخلاق و علم النفس كتابا كبيرا و ايا مرجعه فيه (سورة يوسف).

و الى جانب العفة التي اتصف بها يوسف فقد اتصف بالحلم و الغفران اذ قابل ذنب اخوته الذين نكلوا به و ألقوه في غيابه الجب و

اتهموه و اتهموا شقيقه (بنيامين) بالسرقة حين جاؤوه يستغفرونه قائلين: «... تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ، قَالَ لَا تَثْرِيبَ

عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

موسى و هارون

إشارة

و من انبياء الله الذين كانت الارض المقدسة منبتا لدعوتهم موسى بن عمران و اخوه هارون فقد جاء في القرآن عن موسى:

«وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٣٦

و في آية أخرى:

«وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ»

و في موضع آخر من القرآن الكريم:

«فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي».

و في موضع آخر من الآيات جاء عنه:

«وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا».

و جاء ذكر موسى في كثير من المواضع الاخرى منفردا و مع اخيه هارون كما في الآية الكريمة:

«وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ. وَ نَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُفْرِ الْعَظِيمِ»

«وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَشِيمَ، وَ هَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ، سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ».

و في آية اخرى قول الله تعالى في موسى و هارون:

«وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا. وَ نادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَ قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا، وَ هَوَّيْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ

هَارُونَ نَبِيًّا».

و في موضع آخر من الآيات جاء ذكر النبيين موسى و هارون:

«اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صِدْرِي، وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَ اخْلُصْ لِي لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي، وَ اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ

أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَ أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي، كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا، وَ نَذْكُرَكَ كَثِيرًا، إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا، قَالَ قَدْ أُوتِيتَ

سُؤْلَكَ يَا مُوسَى .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٣٧

هل كان موسى مصرياً

نشرت جريدة الاهرام بعددها الخاص في ١٠ مايو سنة ١٩٣٩ خبرا لمراسلها في لندن نقله الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه (قصص

الانبياء) جاء فيه:

موسى عليه السلام: هل كان مصرياً

لندن في ٩ مايو- لمراسل الاهرام- اشارت جريدة (نيوز كرونكل) الى الطبعة الالمانية التي نشرت في أمستردام لكتاب (موسى و

التوحيد) من تأليف الاستاذ (سيجموند فرويد) من علماء تحليل النفس المشهورين، و مما قالته الجريدة: ان اهم آراء الاستاذ (فرويد)

في هذا الصدد قوله: ان النبي موسى لم يكن يهوديا، بل كان مصرياً من اتباع (إخناتون) و هو يعتقد- اى فرويد- ان اليهودية و

المسيحية، اشتقتا من عبادة اخناتون للشمس.

و قالت الاهرام: و سننشر الترجمة الانكليزية لهذا الكتاب يوم ٢٦ مايو الحالى .

و ردّ على هذا القول بعض العلماء كان منهم الاستاذ منصور وهبه، و الدكتور هلال فارحى، و نوقش رأى فرويد فيما يتعلق بنسب

موسى و فيما يتعلق باليهودية و المسيحية و كونهما قد اشتقتا من عبادة اخناتون للشمس.

و المعروف عند المتبعين و الباحثين هو ان اخناتون لم يكن من عباد الشمس كما يقول فرويد و انما كان موحداً يؤمن بالاله الواحد و

انه كان يعتبر الشمس من اكبر آيات الله و يتخذها وسيلة الى الله تعالى و هذا ما استدل عليه من الآثار و على هذا فلن يكون هنالك خلاف فى العقيدة بين اخناتون و بين موسى الا فى تقديس الوسيلة و هى الشمس على ما نرى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٣٨

و من اشهر ما اتصف به موسى و هارون هو الجهاد المستمر فى سبيل الدعوة للتوحيد و عبادة الله سواء يوم كان بمصر او يوم حل بفلسطين و هو يدعو بنى اسرائيل الى دين الحق و هم يتمردون عليه حتى اتخذوا عبادة العجل و حتى اكثروا عليه من الحجج و المقترحات و الطلبات فقال:

«رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ»

و من اشهر ما اتصف به موسى اخلاصه فى العمل و مراعاته العهود و من ذلك كان عهده فى خدمته (شعيب) و قضاء الأجل الذى بينه و بين شعيب و زاد على ذلك رعاية منه لشيخ كبير ليس له من ناصر و قريب.

داود

و من انبياء الارض المقدسة كان داود و قد جاء ذكره فى ١٦ موضعا من القرآن الكريم: قال الله تعالى:

«وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ»

و جاء فى آية أخرى:

«وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ، إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ، وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ، وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ».

كذلك جاء ذكره فى آية اخرى:

«وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا».

و الزبور عبارة عن قصائد و اناشيد تتضمن التسييح لله و حمده و الثناء عليه و التضرع له.

و من اشهر ما اتصف به داود انه جزأ ازمانيه يومه للعبادة، و يومه للقضاء، و يومه للوعظ، و يومه لخاصة نفسه، ثم انه عرف بعد ذلك بالحكمة كما جاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٣٩

فى الآية الكريمة: «وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ، وَفِي الْآيَةِ الْكُرِيمَةِ «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ».

و هو بعد ذلك كان معروفًا بحسن الصوت و رخامته و حسن الانشاد.

سليمان

و جاء فى القرآن الكريم عن سليمان:

«وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ».

و فى موضع آخر:

«اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ».

و في موضع آخر على لسان سليمان:

«وَقَالَ رَبُّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ».

و استجاب الله دعاه على ما تقول التفاسير، و المراد بالديه هو داود و أمه، و كانت أم سليمان على ما يروى الرواة و المفسرون من العابدات الصالحات، و قد روى عن جابر عن النبي (ص) قال:

قالت ام سليمان بن داود (لابنها): «يا بنى لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيرا يوم القيامة» .

و جاء ذكر سليمان في ١٧ موضعا من القرآن الكريم.

و من اشهر مميزات سليمان الذكاء و الفطنة و اصالة الرأي منذ صباه و قد تمثل العدل في جميع احكامه على ما يقول المفسرون، فقد قال المفسرون:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٤٠

ان حزنا- أى زرعا او كرما- تدلت عناقيدته نفشت فيه غنم لغير اهله- اى أكلته ليلا- فجاء المتحاكمون الى داود و عنده سليمان فحكم داود بالغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه الذى أتلفته الغنم برعيه اياه ليلا، فقال سليمان- و هو ابن احدى عشرة سنة على ما تقول الرواية- غير هذا أرفق، فأمر بدفع الغنم الى أهل الحرث فينتفعوا بألبانها و أولادها و أشعارها، و ادفع الحرث إلى اهل الغنم يقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان- اى يرد كل جانب ما يخص الجانب الآخر اليه- .

و علق عبد الوهاب النجار على ذلك بقوله:

قال البيضاوى (و الاول) نظير قول ابى حنيفة فى العبد الجانى (و الثانى) مثل قول الشافعى بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا أبق، و حكمه عند الشافعى: و جوب ضمان المتلف بالليل، إذ المعتاد ضبط الدواب ليلا، و كذلك قضى النبي صلى الله عليه و آله لما دخلت ناقة البراء حائطا و أفسدته فقال:

«على اهل الاموال حفظها بالنهار، و على اهل الدواب حفظها بالليل» و عند ابى حنيفة: لا ضمان الا ان يكون معها حافظ.

زكريا و يحيى

و زكريا هو ابو يحيى على ما يقول المفسرون و كان زوجا لخالة مريم ابنة عمران و كان زكريا ممن يقوم على رعاية الهيكل فى العبادة، و كانت امرأة عمران- أم مريم- قد نذرت مولودها للهيكل، و حين ولدت مريم جاءت بها الى الهيكل، و قد تصدى كل من كان على خدمة المعبد لأن يكفلها و التجأوا الى القرعة لحسم النزاع فكانت (مريم) نصيب (زكريا) فقام بأمرها كما اشارت الآية الكريمة الى ذلك فى قولها:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٤١

«وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا».

كما اشار القرآن الكريم الى القرعة بهذا الشأن اذ قال:

«وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُتْلَى أُولَآئِهِمْ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ».

و كانت زوج زكريا عاقرا و قد بلغ هو من العمر عتيا و حين شاهد مريم و قد رزقها الله بعيسى اشتدت ضراوته لله بان يرزقه ولدا، ينهج نهجه فى الدعوة لعبادة الله بعد تخوفه من استمرار بنى اسرائيل فى الضلال.

و تقول الآية الكريمة:

«فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّدًا وَ حَصُورًا».

فحملت زوجته زكريا يحيى وجاء عنه في القرآن:

«وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا».

و في آية أخرى:

«يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا»

و في موضع آخر من القرآن الكريم:

«يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا، وَ حَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَ زَكَاةً، وَ كَانَ تَقِيًّا، وَ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَ لَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا، وَ سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ، وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا».

و قد قتل يحيى كما تقول الاخبار كما قتل ابوه زكريا، و في نبوتيهما اقوال اذ قيل انهما لم يكونا من الانبياء و انما كانا من عباد الله الذين وصفتهم الآية ابا و اما و ابنا فقالت:

«كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ يَدْعُونَنا رَغَبًا وَ رَهَبًا وَ كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٤٢

عيسى بن مريم

و جاء في القرآن الكريم عن عيسى بن مريم الآية:

«وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ اِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ»

و في موضع آخر من القرآن الكريم قول الله:

«إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رَافِعِيكَ إِلَى وَا مَطَّهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ».

و في آية اخرى:

«إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَ جِيهًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ».

و في موضع آخر من الآيات:

«وَ يَعْلَمُهُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِي الْأَكْمَةَ وَ الْأَبْرَصَ، وَ أَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبَيِّنُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

و في آية اخرى:

«فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ، رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٤٣

و في آية اخرى:

«إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»

و في رسالته تقول الآية:

«وَقَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ، وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ».

و يؤكد القرآن رساله عيسى بآيه أخرى فيقول:

«ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً».

كذلك تؤكد الآيات رساله عيسى في مواضع أخرى فتقول:

«وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ، وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ».*

و في مكانته و مقامه عند الله تقول الآية:

«وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا».

و كثيرة هي خصائص المسيح و قد جاء ذكره في ٢٤ موضعا من القرآن الكريم، و كان من أهم ما اتصف به هو الحلم و الصفح و مقابلة الاساءة بالاحسان، و من مبادئه المشهورة:

«إذا ضربك احد على خدك الايمن فأدر له خدك الايسر».

«و المكان الذي حوكم فيه السيد المسيح في عهد الحكم الروماني عند ما كان اليهود يطالبون بتسليمه اليهم لقتله او صلبه، اصبح فيما بعد في عهد الحكم الاسلامي مدرسه و فقيهه يؤمها طلاب العلم من مختلف الأقطار، و هي واقعه في جوار الحرم القدسي الشريف و في مكان مرتفع يشرف على المسجد الاقصى المبارك و القسم الأكبر من مدينة القدس. و بمرور الزمن و تعاقب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٤٤

الاحداث تشعت بنيانها و درس معظم آثارها، و في اواخر عهد الدولة العثمانية أصبحت ثكنة عسكرية. فلما تألف المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى عام ١٩٢٠ و تولى شؤون المحاكم الشرعية و الاوقاف الاسلامية قام بعمارة هذا المكان الاثرى التاريخي و حوله كما كان من قبل دارا للعلم، فاستقرت فيه كلية روضة المعارف الوطنية نحو ١٥ عاما كانت خلالها معقلا- من معاقل القضية الوطنية الفلسطينية و ملتقى رجالات العالمين العربي و الاسلامي، و في قاعه محاضراتها الفسيحة انعقد اول مؤتمر اسلامي عالمي لقضية فلسطين عام ١٩٣١ و غيره من المؤتمرات و الاجتماعات الوطنية. ثم استولت عليه السلطة العسكرية البريطانية عام ١٩٣٨ و اتخذته مركزا عسكريا لمقاومة المجاهدين الفلسطينيين داخل القدس القديمة عند ما تفاقم أمر الثورة الفلسطينية و اشتد خطرها. و لما استؤنفت الثورة عام ١٩٤٧ اثر قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين، استولى عليه جيش الجهاد المقدس بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني و سلمه لقيادة المتطوعين العراقيين. و اخيرا اصبح دارا للمدرسة العمريه التابعة لوزارة التربية و التعليم الاردنية . (اما اليوم فهي تحت سيطرة الاسرائيليين).

مریم العذراء

و في قدسية مريم و فضيلتها ذكر مجيد في القرآن الكريم و قد جاء ذكرها في ٩ مواضع من القرآن منها:

«إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٤٥

وَ أَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

و من الآيات الباهرات قول الله تعالى في مريم:

«وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ».

*** هذا الى جانب المئات من الرسل والانبيا والقدسين الذين جاء ذكر بعضهم في القرآن الكريم وبعضهم في الروايات، و القصص، و الاخبار، الى جانب ذكر قصصهم في التوراة والانجيل تصريحاً او تلميحاً، و من هولاء النبي (شعيا) بن (أمصيا) و كان قد جاء قبل زكريا ويحيى، و تقول الروايات ان (شعيا) هذا هو الذي بشر بعيسى و محمد عليهما السلام و هذا ما رواه محمد بن اسحق. و كل هولاء الرسل والانبيا والقدسين الذين جاء ذكرهم في الكتب المقدسة و في القرآن الكريم قد أصفوا على ارض فلسطين هذه القدسية العظيمة في عقيدة الاسلام. و جعلوا لهذه الارض - و لا سيما القدس - منزلة لا تضاهيها منزلة من حيث هذا الجمع المحتشد من الرسل والانبيا والقدسين الذين ولدوا فيها، او عاشوا في ربوعها، و بشروا بعبادة الله في اصقاعها و هياكلها و معابدها، او ماتوا في ارضها و قبروا في تربتها.

و من الآيات العامة في جمع من اولئك الانبياء قول الله تعالى عنهم و من بينهم النبي اسماعيل الذي ولد في ارض فلسطين:

«قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٤٦

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ».

و في آية اخرى خص الله طائفه من اولئك الانبياء الذين استوطن معظمهم ارض فلسطين بالذكر فقال تعالى في سورة النساء.

«إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا، وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ، وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا، رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٤٧

القدس

إشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٤٩

لمحة موجزة عن تاريخ القدس

يقول عارف باشا العارف عن القدس: «لم تلعب مدينة من المدن القائمة على وجه هذه البسيطة الدور الذي لعبته مدينة القدس في التاريخ، انها و ان لم تكن من المدن التجارية المهمة، و لا من المدن الزراعية او الصناعية على رغم وقوعها بين البادية في الشرق، و البحر من الغرب، الا انها كانت على مَرِّ الدهور مطمح أنظار الغزاة و الفاتحين فحو صرت مرارا، و هدمت تكرارا، و هجرت، و أعيد بناؤها ثمانى عشرة مرة في التاريخ، و لكنها بالرغم من هذا كله ظلت قائمة في هذا الوجود، و ظل اسمها مذكورا في طليعة المدن و البلدان، ذلك لانها مقدسة في نظر جميع الاديان».

و الباحث في تاريخ القدس لا يستطيع ان يقطع بمبدأ هذا التاريخ و يعرف كيف نشأت هذه المدينة اول ما نشأت، و كل ما يمكن التثبت منه هو ان هذه المدينة موغلة في القدم و ليس الى معرفة اصلها في الواقع العلمى سبيل.

اما الاخبار فتقول ان ارض مدينة القدس كانت صحراء قبل ان تبني و تمصير و هي واقعة بين اودية و جبال ليس فيها بناء او عمارة

فكان اول من اختطها و بناها ملك اليبوسيين المدعو ملكيصادق، و معناه بالعبرانية ملك الصدق، و قد قيل انه اسم لسام بن نوح، و قيل ان اول اسم اطلق على القدس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٥٠

كان (بيوس) نسبة إلى اليبوسيين و قيل بل ان اول اسم اطلق عليها كان اسم (ايلياء) لان ايلياء هو الذى بناها على ما تقول هذه الاخبار و ليس (ملكيصادق)، و ان ايلياء هذا كما يقول ياقوت هو ابن ارم بن سام بن نوح و هو اخو دمشق! و حمص! و اردن! و فلسطين مما لا يخرج عن دائرة الاخبار.

و (ايلياء) بالالف الممدودة و بالالف المقصورة (ايليا) و بحذف الياء الاولى (إليا) و معناه بيت الله، و قد سمي البيت المقدس ايلياء على ما جاء في شعر الفرزدق:

و بيتان بيت الله نحن ولاته و قصر باعلى (إيلياء) مشرف

و هناك من يقول ان اسمها الاول كان (روشلّم) اطلق عليها هذا الاسم حين تم بناؤها اما اسماؤها الاخرى من (اورشليم) و (اوريسلم) بالسين المهملة و (اوريشلوم) و (اوريشلم) بتشديد اللام و (اوراسلم) فهي اسماء عبرانية اطلقت عليها فيما بعد، و من ضمنها (روشلّم) التي وردت في كتاب (الانس الجليل) محرفة على ما نعتقد.

و في حديث عطاء أبرشى (أورى شلم) براكب الحمار يريد بيت المقدس.
قال الاعشى:

و قد طفت للمال آفاقه عمان، فحمص، فأورى شلم

و هناك اسماء قديمة اخرى اطلقت على (القدس) قبل ان تسمى بالقدس و من ضمن هذه الاسماء اسم (سالم) و اسم (شالم) و قد اشتق الاسمان من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٥١

اسم (ملكيصادق) الباني الاول للقدس، و الذى اطلقوا عليه (ملك السلام) على ما تقول الروايات.

و من ضمن هذه الاسماء ايضا اسم (صهيون) قال الازهرى: قال ابو عمرو: صهيون هي الروم، و قيل البيت المقدس، و قال ياقوت، و صهيون موضع معروف بالبيت المقدس محلة فيها كنيسة صهيون، و المعروف انه جبل في القدس، و من اسمائها (بابيشى) على ما ورد في سجلات الفراعنة الذين سيطروا على القدس حينما من الدهر .

و سماها الامبراطور ادرينوس سنة ١٣٩ م باسم (إيليا كابتولينا) و لكنها عادت فعرفت باسم (ايلياء) اى بيت الله حتى الفتح الاسلامى حيث استقرت على اسم واحد هو بيت المقدس، و سمي مسجدها بالمسجد الاقصى ثم اقتصر اسمها على (القدس) و هو من اسماء الله .

و القدس هو (البيت المقدس) الذى سنشير اليه فيما بعد، و قد سمي بذلك فى الاسلام لأنه المحل الذى يتطهر فيه من الذنوب او سمي بذلك للبركة التى فيه، قال الشاعر:

لا نوم حتى تهبطى ارض العدس و تشربى من خير ماء بقدس

و قد اراد بذلك الارض المقدسة على ما جاء فى تاج العروس و لسان العرب،

و القدّوس هو الطاهر المنزه عن العيوب، و لم يجىء منه الا (قدّوس) و (سبّوح) و (ذوّج) و قد تكرر ذكر التقديس فى الحديث و المراد به

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٥٢

التطهير، و منه الارض المقدسة، قيل هى الشام و فلسطين، و سمي (بيت المقدس) لانه الموضع الذى يتقدس فيه من الذنوب، و يقال

(بيت المقدس) و (البيت المقدس) و (بيت القدس).

و من الحديث: لا قدّست أمة لا يؤخذ لضعيفها من قويتها، اي لا طهّرت .

ثم حين استولى العثمانيون على فلسطين اطلقوا على (القدس) نعت (الشريف) فصارت تدعى (بالقدس الشريف).

كيفية بناء القدس لأول مرة

و سواء كان الباني الاول لمدينة القدس هو سام الملقب (بملكیصادق) كما تقول الاخبار او كان بانيها ايلياء حفيد ملكیصادق، فقد تواترت الاخبار بان بناتها كان (اليبوسيون) و ان (ملكیصادق) اي سام بن نوح هو اول من اختطها و بناها و كان قبل ذلك يسكن و قومه في الكهوف، و قد عرف بالتقوى فما غشى امرأه، و لا- اراق دما، و ما أكل سوى الخبز، و ما شرب سوى الخمر، و كان محبا للسلام حتى اطلق عليه (ملك السلام) و اشتهر امره حتى بلغ ملوك الارض الذين هم بالقرب من ارض بيت المقدس و بالشام، و سدوم و غيرها، و تقول هذه الرواية ان عدة اولئك الملوك كانت اثني عشر ملكا، فحضروا اليه، فلما رأوه، و سمعوا كلامه اعتقدوه و أحبوه حبًا شديدا، و دفعوا له مالا ليعمر به مدينة القدس، فاختمها و عمرها و سميت (بروشلم) فلما انتهت عمارتها اتفق الملوك كلهم على ان يكون (ملكیصادق) (ملكا عليها، و كونه (بابي الملوك) و كانوا باجمعهم تحت طاعته، و استمر حتى مات بها على ما تقول الاخبار.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٥٣

و قيل ان سام هذا كان القيم بعد ابيه نوح في الارض و من ذريته الانبياء كلهم، و جعل الله في ذريته النبوة و الكتاب، و نزل بنو، سرّة الارض و لم تكتف هذه الاخبار بان تنسب له التخطيط الاول لمدينة القدس، و انما اعتبرته هو المؤسس الاول (للمسجد) في القدس . و يرى بعض الذين يعتمدون الاخبار بدون تمحيص علمي ان آدم هو الذي بنى بيت المقدس، و قال البعض الآخر بل بنته الملائكة. اما الشيء الثابت هو ان مدينة القدس مدينة قديمة، و غاية في القدم كما يستدل من الآثار، و يقول عنها القاضي مجير الدين الحنبلي انها كانت قديما اكبر من مصر (و لعله يقصد القاهرة) و اكبر من بغداد كما وصفها البعض من مؤرخي المسلمين، فقالوا ان العمارة و المنازل كانت متصله من جهة القبلة الى القرية المعروفة يومئذ (بدير السنة) و من جهة الشرق الى جبل طور و استمرت العمارة بطور زيتا الى حين الفتح العمري، و ما عمارة داود و سليمان لمدينة القدس الا تجديد البناء القديم ليس الا .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٥٤

القدس في عهد اليبوسيين و الكنعانيين

و اليبوسيون هم بناء القدس الاولون كانوا رهطا من بطون العرب الاوائل نشأوا في صميم الجزيرة العربية و ترعرعوا في ارجائها ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية و استوطنوا ارض فلسطين، و اغلب الظن ان ذلك قد حدث حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد فكان اليبوسيون هم اصحاب القدس، اما حبرون و بيت لحم فقد كان اصحابها الاموريين.

و الكنعانيون عرب من نجد و ينتسبون هم الآخرون الى سام كنسبة اليبوسيين ملوك القدس انفسهم و قد قيل ان كنعان موجود بفلسطين منذ ماية قرن على الاقل اما شراح العهد القديم فلا يعترفون بهذه التقديرات اذ يرون ان عمر العالم يستحيل ان يتجاوز السبعين قرنا مستنديين في ذلك على التوراة الذي يرجع اليه المؤرخون لقدمه و كونه المصدر الاول في هذه الاخبار.

و يستنتج المؤرخون من بعض الآثار و لا- سيما الآثار المصرية في ايام الفراعنة الى جانب الاخبار المروية بان اليبوسيين ما لبثوا ان اصبحوا ذوى حضارة و كانت (القدس) المسماة (بيوس) عنوان تلك الحضارة التي كانت تتجلى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٥٥

في عماراتها و ابنيتها الفخمة و اسباب معيشتها و رفاهية سكانها، و كان من ملوك (يبوس) القدماء الملك (سالم اليبوسي) و قد بذل جهدا كبيرا في سعة عمران هذه البلدة، و اقام على جبل صهيون و هو محل من محلات القدس برجا للدفاع عن المدينة عند محاولة غزوها من الشرق او الغرب، و كانت لليبوسيين في القدس حكومة ذات نظام، لها صناعتها و تجارتها، و كيانها المعروف بين المدن المتحضرة.

و ان موقع (يبوس) الاستراتيجي قد جعل لها و لليبوسيين و الكنعانيين شأنا كبيرا في عالم التجارة، فهي واقعة على طريقين من اهم طرق التجارة واحدة تربط البحر بالصحراء، و الاخرى تربط حبرون (الخليل) (بيت إيل) من اعمال (رام الله) و في (بيت إيل) كانت الطريق تسير في اتجاهين:

واحد نحو شكيم (نابلس) و الآخر الى (اريجا) و وادي الاردن .

فكان لا بد ان تزدهر الحضارة في القدس بسبب انتقال التجارة و البضاعة و الصناعة بين العراق من الشرق و الفينيقيين من الشمال و بين مصر من جهة الغرب عن طريق هذه المدينة و سكانها اليبوسيين و الكنعانيين.

و بالنظر لموقع (يبوس) الجغرافي و كونها واقعة على مرتفعات مطوقة بالاسوار المنيعة التي بناها ملوكها دفاعا عنها عند محاولة غزوها فقد اصبحت (يبوس) منيعة و اصبح سكانها و ملوكها ممن يعتز بهذه المناعة فكان لملوكها جيوش اشداء و كانوا يحسنون السياسة فقد اورد المؤرخون اخبارا كثيرة تتعلق بحسن هذه الصناعة و ما عثر عليه في الآثار من عقود و معاهدات بين ملوك (يبوس) و الملوك المجاورين و تحسين علاقات بعضهم ببعض زيادة في توثيق حسن الجوار و الاستعداد للدفاع المشترك بينهم عند وقوع الحرب.

و الراجح ان معظم سكان الضياع و القرى المجاورة كانوا من الكنعانيين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٥٦

الذين لا يكاد يميزهم احد عن اليبوسيين لاتحاد الاصل و العنصر فكلاهما ساميان، و كلاهما قد هاجر في اوقات متقاربة ان لم تكن واحدة، و كلاهما وجدا في هذه البقعة و هناك من يطلق على الرهطين اسما واحدا و يسميهما بالكنعانيين، اما اللغة فكانت كنعانية و لم تتغير الا حين تداخلت فيها اللغة البابلية عند استيلاء البابليين عليها، و ظلت اللغة البابلية هي اللغة الرسمية الى ان دخلها الفرس و سيطروا عليها،

و كانت ديانة القدس و سكانها اليبوسيين عبادة الاصنام، و كان صنمهم الاكبر (بعل) و معناه الرب و كان بعل هذا صنما صيغ من الذهب لقوم اليباس كما جاء ذلك في قول الله تعالى «وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَ تَدْعُونَ بَعْلًا وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ».

قال علماء النسب: هو اليباس التشبي و قد بعث بالنبوة بعد (هارون) فالانبياء الذين بعثوا قبله هم آدم، و شيث، و ادريس، ثم نوح، ثم ابراهيم ثم اسماعيل، و اسحق ثم يعقوب، ثم يوسف، ثم لوط، ثم صالح، ثم شعيب ثم موسى و هارون ابنا عمران و قالوا كان ارسال اليباس الى اهل بعلبك الذين كانوا يعبدون صنما باسم (بعل) فكذبوا النبي اليباس.

و في نسخ أخرى من الاقوال ان (بعل) هذا كان يخص قوم يونس، و سمي العرب معبودهم الذين يتقربون به الى الله بعلا لاعتقادهم الاستعلاء به.

شارع من شوارع القدس القديمة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٥٧

و كانت هذه الحضارة التي تتمتع بها (القدس)، و الحياة الرفيعة التي كان ينعم بها سكان القدس قد جعلتها مطمح الانظار و لا سيما

من قبل العبرانيين الذين كانوا يعيشون عيش البداوة في البرارى و الخيام و يمارسون رعى الغنم و قد بدأوا يقلقون راحة الكنعانيين فى مدنهم و قراهم و يهاجمون سكان (القدس) فلاذ اليبوسيون- و قد بدأوا يشعرون بالضعف- بفراعنة مصر، فكان هذا سببا لخضوع القدس مدة للفراعنة و سيطرتهم و ليس من شك ان (القدس) قد تأثرت بالحضارة الفرعونية و اقتبست منها شيئا غير قليل، و كان من اشهر الفراعنة الذين سيطروا على القدس (توت عنخ آمون) و (رعمسيس الثانى) ..

و الظاهرة التى توصل اليها المؤرخون من مدارستهم للأثار و قراءة ما وجدوه من النقوش و الكتابة فى الآثار المصرية ان القدس كانت فى عهد استيلاء الفراعنة عليها محفوفة بغابات كثيفة تمتد من الجبال حتى البحر، و لا شك انه كان لهذه الغابات شأنها ايضا فى خدمة الحضارة للفوائد التى يمكن ان تحصل من اخشابها فى البناء و الشعال فضلا عن استغلال حاصلاتها الحيوانية و الشجرية.

القدس فى عهد العبرانيين

و اخيرا غزا العبرانيون القدس و تمكنوا من احتلالها فى نحو عام ١٠٤٩ على ما تذكر بعض المصادر و استمر حكم العبرانيين نحو اربعة قرون اقتبس العبرانيون الشىء الكثير من الحضارة التى عرفت بها القدس فغيرت لهم طريقة معيشتهم، و طورت حياتهم، و نقلتهم من حياة البداوة الى المدينة مما اشرنا الى ذلك من قبل، و يذهب المؤرخون الى ان سيطرة العبرانيين خلال تلك المدة لم تكن سيطرة تامة سالمة من الثورة و التمرد باستثناء عهد داود و عهد سليمان بصورة خاصة، و كان داود اول من اختل القدس كملك اذ سار بجيش قيل ان عدده كان ثلاثين الف مقاتل فاستولى عليها و غير اسمها الكنعانى (اوروسالم) و سماها (مدينة داود) و لكن هذا الاسم لم يدم طويلا، فكان داود اول

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٥٨

ملك عبرانى سيطر على المدينة بالرغم من الثورات التى قامت فى وجهه من قبل اولاده اخوة سليمان.

و كان داود قبل ان يزحف بحيشه على القدس يقيم فى حبرون (الخليل) فدخل القدس ملكا عليها و لاول مرة شرع ببناء (بيت المقدس) اى المسجد.

بناء بيت المقدس (المسجد)

و فى بعض الاخبار ان داود لم يكن هو الذى اول من شرع ببناء بيت المقدس (المسجد) و لا سليمان كان اول بانيه كما يقول معظم المؤرخين و انما كان اول من بنى بيت المقدس هو يعقوب بن اسحق، فقد رووا ان يعقوب حين لحق اخاه (العيس) باهله و ما معه من الانعام و المواشى و العبيد قاصدين جبال (ساعير) مّر (بساحور) فابتنى له بيتا، و لدوا به ظلالة، ثم مرّ على اورشليم قرية (شخيم) بن جّمور فنزل قبل القرية، و اشترى مزرعة (شخيم) بن جّمور بمائة نعجة، فضرب هنالك فسطاقه، و ابتنى ثمة مذبحا و سماه (ايل إله اسرائيل) و أمره الله ببناؤه ليستعلن له فيه، و هو (بيت المقدس) اليوم و الذى جدده بعد ذلك سليمان بن داود، و هو مكان الصخرة التى أعلمها بوضع الدهن عليها قبل ذلك.

و هنالك اخبار اخرى تقول انه لما استقرت يد يوشع بن نون بعد موسى على البيت المقدس نصب (قبة الزمان) التى كان قد اقامها موسى و كانت تحمل فى التيه كرمز مقدس للعبادة، لقد نصبها يوشع على صخرة بيت المقدس فكانوا يصلون اليها فلما بادت صلوا الى محلتها و هى الصخرة فلماذا كانت قبله الانبياء .

اما الاخبار التى تبانى عليها اغلب المؤرخين فهى ان داود هو الذى بنى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٥٩

المسجد- اى بيت المقدس- و على الصخرة قبة فى الموضع الذى قدسه الله تعالى فى (ايليا).

و اوحى الله الى داود- على ما تقول هذه الاخبار- لما كثر طغيان بنى اسرائيل: انى اقسمت بعزتى لابتليهم بالقحط سنتين او اسلط عليهم العدو شهرين، او الطاعون ثلاثة ايام، فاختر داود الطاعون، و امرهم ان يتجهزوا و يلبسوا اكفانهم، و يخرجوا نساءهم، و إماءهم، و اولادهم أمامهم و هم خلفهم على الصخرة و الصعيد الذى بنى عليه مسجد بيت المقدس و هو يومئذ صعيد واحد، ففعلوا و اظهروا هناك مسكنتهم و خرجوا سجدا من حين طلوع الصبح، فسلط الله عليهم الطاعون من ذلك الوقت الى أن زالت الشمس ثم رفعه عنهم. ثم اوحى الله الى داود أن ارفعوا رؤوسكم فقد شفعتك فيهم فرفع داود رأسه ثم نادى بنى اسرائيل ان ارفعوا رؤوسكم فرفعوا رؤوسهم و قد مات مسجد النبى داود و قد تناول فيه المسيح و حواريوه العشاء السرى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٦٠

منهم مائة الف، و سبعون الفا أصابهم الطاعون و هم سجدوا و غير هذا الخبر اخبار اخرى مستقاة من العقيدة الدينية.

و جاء فى الاخبار ان داود قد أعد لبناء بيت المقدس مائة الف بدره ذها، و الف الف بدره ورقا، و ثلثماية الف دينار لطلاء البيت. و هنالك من الاخبار ما يشير الى ان مدينه القدس حين بنيت كان محل المسجد فى وسطها و هو صعيد واحد و الصخرة الشريفة قائمه فى وسطه حتى بناه داود.

و يقال لمسجد بيت المقدس (الزيتون) و لا- يقال له الحرم على بعض الروايات، كما يقال للزيتون (طورزيتا). و هو الجبل الذى قام عليه مسجد بيت المقدس، و اقسم الله فى القرآن المجيد «والتين و الزيتون و طور سينين و هذا البلد الامين».

يقول ابو هريره: ان التين هو طور سيناء و هو مسجد دمشق، و الزيتون هو (طور زيتا) اى مسجد بيت المقدس، و طور سينين حيث كلم الله نبيه موسى و الواضح ان نزول هذه الآيه كان قبل قيام مسجد دمشق فلا يمكن ان يكون المقصود (بالتين)- على قول ابى هريره- هو مسجد دمشق، اما مسجد القدس فقد كان قائما عند نزول الآيه كمسجد توحيد لعباده الله.

و فى (التين) و (الزيتون) روايات كثيرة، و قد روى الكثير انهما جبلان و عن ابن عباس: ان التين هو مسجد نوح الذى بنى على الجودي.

و الزيتون هو بيت المقدس- و هناك من يقول انه الجبل الذى صلب عليه المسيح و يسمى بجبل سكوبس ايضا- و عن الضحاك: ان التين هو المسجد الحرام، و الزيتون المسجد الاقصى. و طور سينين يعنى الجبل الذى كلم الله عليه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٦١

موسى و ان سينين و سيناء واحد .

و يستدل من الأقوال التى تنسب بناء المسجد لداود لأول مرة، ان هذا المسجد قد بنى على اساس قديم و لم يكن داود المؤسس الاول و انما كان داود مجددا اذ هناك من يقول بان الصخرة التى سمى المسجد باسمها هى الصخرة التى كان يذبح عليها ابراهيم عليه السلام القرابين لله.

و مسجد الصخرة هذا هو المسجد الذى أمر الخليفة عمر بن الخطاب (ض) ببنائه سنة ٦٨٥ و تم فى نحو سبع سنوات.

و تزيد الاخبار التأكيد بأن باني هيكل المسجد بيت المقدس لم يكن غير داود، و تقول بان داود قد ابتاع من ارنان اليبوسى ارضه الواقعة على تل (موريا) و هى البقعة التى يقوم عليها الآن الحرم القدسى، و كانت قبل ذلك بيدرا و شرع فى بناء الهيكل و مات و لم يتمه

القدس فى عهد سليمان

و المعروف ان داود قد اوصى ابنه سليمان بان يعنى بمدينة القدس و يسعى لاتمام بناء الهيكل، فاستعان سليمان (بحيرام) ملك صور و

أمدّه هذا بمهرة الصناع الفينيقين، و كان لدى (حيرام) هذا عدد كبير من مهرة الصناع الذين يحتاج اليهم سليمان لبناء المدينة و الهيكل.

و يقول جيمس هنرى برستيد: و لربما كان الصناع الذين زخرفوا مدينة صور هم الذين اشتغلوا فى زخرفة هيكل (اورشليم).
و يظهر ان هذا الهيكل كان فخما بحيث ان الخشب المستعمل فيه كان قد استورد من صور ايضا و أمدّه به حيرام الملك، أما الطراز فيذهب المؤرخون الى انه كان طرازا كنعانيا، و قد خص هذا الهيكل باقامة الطقوس الدينية، و تم بناء الهيكل فى سنة ١٠٠٧ ق. م
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٦٢

و اتسعت القدس فى زمن سليمان فبنى فيها الدور و شيد القصور و اتسع ملكه و امتد من الفرات الى تخوم مصر فعمرت القدس فى زمانه بحيث باهت الخواصر و المدن الكبيرة و اشتهر الهيكل و قرن اسمه باسم سليمان و سمي بهيكل سليمان.
و من آثار سليمان البناء الكائن تحت المسجد الاقصى، و برك سليمان الواقعة الى الجنوب من بيت لحم و قيل انه لما رفع سليمان يده من البناء بعد الفراغ منه على ما ذكر القاضى مجير الدين و احكامه الهيكل جمع الناس و اخبرهم انه مسجد لله تعالى و هو الذى أقره ببنائه، و ان كل شىء فيه لله تعالى و ان داود عهد اليه ببنائه و اوصاه بذلك.

و اضافة الى كل ذلك قد احرز النظام المركزى تقدما كبيرا فى عهد سليمان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٦٣

و ازداد عدد موظفى البلاط الذين يعملون الى جانب الملك فى ادارة المملكة كما جاء فى (تاريخ الحضارات العام) و قد جاء فى التوراة ان سليمان «جعل النقد فى اورشليم عاديا كالحجارة»

و يقول تاريخ الحضارات العام: و قد استخدم سليمان ثرواته لا- لتقوية جيشه فحسب بل لتجميل عاصمته ايضا فاقام على رابية (صهيون) الهيكل و (بيت الملك) الذى اكمله بقصر للملكة التى قيل عنها أنها اميرة مصرية، و لكن التنقيب عن الآثار لم يتوصل الى اظهار هذا او ذاك من الابنية، و لذلك فان كل محاولة لتحقيق تصميمها تكون مجرد اجتهاد

و الامر الذى عدّه التاريخ من البدديات بعد بناء الهيكل و البرك و القصور الفخمة هو الاسراف الذى بدا فى حياة البلاط فى عهد سليمان فقد عرفت المدينة فيما عرفت الزخرفة بالذهب المطعم بالعاج و الحجارة المنحوتة، و خشب الارز الذى جهزه الملك حيرام لسليمان، و بناء المراكب التى استخدمها سليمان فى خليج العقبة لتحويل جانب من التجارة مع الجزيرة العربية الى القدس بعد ان كانت مصر قد احتكرتها لنفسها.

و حين مات سليمان انقسمت البلاد الى مملكتين: يهوذا و عاصمتها (اورشليم) التى التحق بها سبطان فقط، و اسرائيل، و عاصمتها (السامرة) التى التحق بها الاسباط العشرة الاخرى.

و هناك من المؤرخين من يذهب الى ان سليمان لم يكن يهوديا و انما كان آشوريا و هو (شلمناصر) الذى حوّر اسمه الاسرائيليون فسموه سليمان و عرف بعد ذلك بهذا الاسم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٦٤

و سواء كان البانى الاول لمسجد بيت المقدس داود أو غير أداود فقد اسبغ الانبياء على القدس صفة الطهارة و القدسية و اعتبروها مدينة الله و موضع التوجه اليه سبحانه و تعالى.

و اصيبت هذه المدينة بنكبات متعددة حتى زالت من الوجود مرة بالهدم العام غير مرة و حتى تعرضت للقتل و الاسر و السبى غير مرة، و مع ذلك عادت، فعادت هذه القدسية اليها و اتجاء النفوس من مختلف الاديان الى باربيها فى هذا المقام الشريف.

فقد غزا الآشوريون اورشليم، ثم غزا البابليون هذه المدينة، و افتتحها (نبوخذ نصر) و سبى جميع من فيها، و ارسلهم الى بابل، ثم غزا الفرس القدس و استولى (كورش) على جميع فلسطين و سمح بتجديد بناء الهيكل، و بناء المدينة.

ثم غزا اليونان على عهد الاسكندر فلسطين، و احتلوا (اورشليم) ثم غزاها الرومان، و هدموها و ازالوا معبدها من الوجود. و فى عهد الامبراطور (هادريان) الرومانى سنة ١٣٠ م اعاد الرومان بناء (اورشليم) المهدمه ليجعلوها منها مدينة و ثنية، فاقاموا فيها هيكلين الاول (لجوبيتر) فى مكان هيكل سليمان، و الثانى (لفينوس) فى مكان كنيسة القيامة الآن، و اطلق الرومان على المدينة اسم (ايليا كيبولينا) كما اشرنا الى ذلك فى استعراض اسماء القدس، و منع اليهود من دخول المدينة حتى انهم فرضوا عقوبة الاعدام على كل يهودى يدخلها و اقام (هادريان) تمثالا لنفسه بالقرب من الصخرة المباركة. و تولاهما البيزنطيون بعد ذلك فمرت المدينة بظروف قاسية كثيرا ما قضت على قدسيتها و صبغتها الدينية حين ازيل الهيكل و مسجد العبادة من الوجود

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٦٥

و لكنها عادت من جديد لتكون بلدا مقدسا و بيتا من بيوت الله العظمى فى عقيدة الاسلام و عهوده التاريخية حتى اليوم.

فضيلة القدس فى الإسلام

فى احد الفصول المتقدمة من هذا البحث اشارة الى الاسباب و العلل التى جعلت الاسلام يعنى بفلسطين عموما و يسميها بالارض المقدسة و يعنى (باورشليم) خصوصا منذ أن اطلق عليها اسم (يوس) او (ايلياء) و يسميها (بالقدس) ثم يعتبرها اولى القبلتين و ثالث الحرمين، و تأكيدا لما مر فممن المستحسن اعادة القول بان الاسلام كان يؤمن بما جاء به الانبياء من قبله و يقدر الرسل الذين بشروا بدعوتهم و اعتبر الاسلام ان ما جاء به كل واحد من أولئك الأنبياء انما جاء به من عند الله، لذلك حق على الاسلام ان تحوط أولئك الانبياء و الرسل بهالة من التقديس، و يمنح الارض التى عاش الانبياء فيها و دفنوا فى تربتها الحرمة الكاملة، و المحبة الخالصة، و لما كانت فلسطين - او القدس بصورة خاصة - مهبط جمهرة من عظماء اولئك الانبياء و مؤسسى اول ديانته تربط الانسان بالله و توجه وجهه اليه فقد خصها القرآن الكريم و خصته الروايات و الاحاديث الاسلامية بعناية مفرطة و اضفت الشريعة الاسلامية على هذه المدينة الشىء الكثير من القدسية التى اصفته على مكة المكرمة، و المدينة المنورة، و كل غلو جاء فى الاحاديث و الاخبار عن القدس، و كل رواية بولغ فى مبنائها و مغزاها و سردها حتى التى لا يهضمها المنطق و العقل فهى دليل على قيمة هذه المدينة و مكانتها و فضيلتها، اذ لو لا تلك الاهلية و الجدارة و الفضيلة التى تتمتع بها القدس لما خصت بكل تلك الاخبار و الاحاديث و القصص، و الاساطير، المعقول و غير المعقول منها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٦٦

فمن هذه الاخبار انه لما خرج نوح من السفينة بادر الى جثة آدم و دفنها ببيت المقدس .

و فى رواية ان قبر آدم كائن فى مغارة بين بيت المقدس و مسجد ابراهيم الخليل، و رجلاه عند الصخرة، و رأسه عند مسجد ابراهيم الخليل.

و ان سفينة نوح طافت بالبيت الحرام - أى مكة المكرمة - اسبوعا ثم طافت ببيت المقدس اسبوعا.

و قد رووا ان السفينة سارت حتى بلغت بيت المقدس فوقف و نظقت و قالت:

«يا نوح هذا موضع بيت المقدس الذى يسكنه الانبياء من اولادك»

و مثل هذه الروايات الشىء الكثير الذى يثبت للقدس فضيلتها التى لولاها لما جاز ان تحاك عنها الاساطير و تحكى الحكايات التى تتعارض و التاريخ المادى.

و الفضيلة الحقبة التى خصت بالقدس تتجسم فى واقعها، و ان واقعها هو الذى تبانت عليه الاخبار المدروسة و ما سلم به العلم و العقل و نص على فضيلته القرآن الكريم و اعتبره الدين الاسلامى داخلا فى صلبه.

فتواتر الاخبار بان فى المغارة الغربية و تحت المسجد العتيق ستين نبيا منهم عشرون نبيا مرسلالا يتنافى مع المعقول، و لا فيه ما يغير الواقع، أو يستدعى التشكيك.

و مثل هذا ما روى عن (مقاتل بن سليمان) عن بيت المقدس اذ قال:

(ما فيه موضع شبر الا و قد صلى عليه نبى مرسل).

و المروى عن ابى ذر (ض) انه قال: قلت يا رسول الله أىّ مسجد وضع فى الأرض اولا؟ قال: المسجد الحرام.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٦٧

قال: قلت ثم اى مسجد؟

قال: المسجد الاقصى.

قلت: و كم بينهما؟

قال: أربعون سنة.

ثم قال: «فاين ادر كتك الصلاة فصلّ فان الفضل فيه»

و هذا وحده يكفى تثمينا لفضيلة القدس و مكانتها فى العقيدة الاسلامية، فقد كانت ضياعها اول مستوطن لأبى الأنبياء ابراهيم الخليل، فحين جاء ابراهيم من مصر أقام (بالسبع) فاحتفر به بئرا، و اتخذ به مسجدا فكان ماء تلك البئر معينا و كانت غنمه تردّها، و حين أودى ابراهيم غادر (السبع) و نزل بناحية من ارض فلسطين بين (الرملة) و (ايلياء) و البلد يقال له قط او قط على ما ذكر ابن جرير الطبرى.

و مما يزيد من فضيلة القدس ما ذكرته بعض الروايات و على الاخص التوراة بان الذبيح لم يكن اسماعيل كما هو عليه الغالب من المسلمين و ان هذا الذبيح لم يجر بمكة المكرمة و انما كان الذبيح اسحاق، و ان موضع الذبيح كان على صخرة بيت المقدس .

ثم ان قبر موسى واقع فى جوار بيت المقدس، و المشهور ان مدفن موسى واقع شرقى بيت المقدس و ان بينه و بين بيت المقدس مرحلة واحدة، و دربه عسر لكثرة الوعر و عليه بناء و داخله مسجد، و عن يمينه قبة معقودة بالحجارة على ما وصف القاضى مجير الدين الحنبلى فى القرن التاسع الهجرى.

ثم هى بعد ذلك مدفن داود فقد قيل ان مدفنه كان بالكنيسة المعروفة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٦٨

بالجسمانية شرقى بيت المقدس فى الوادى، و قال الآخرون بل ان قبره كان بكنيسة صهيون و هى التى بظاهر القدس.

و فى بعض الروايات عن الليث عن يونس عن الزهرى قال: لم يبعث الله منذ هبط آدم الى الارض نبيا الا- جعل قبلته صخرة بيت المقدس، و مع ما فى هذه الرواية من معارضة لمن يقول بان بانى مدينة القدس و مخططها الاول كان (ملكىصادق) او حفيده فهى تعرب عن عظمة هذه المدينة عند الاسلام بحيث يجوز ان ينسب لها الرواة مثل هذه الروايات لغرض التقديس.

و مما روى زيادة فى توجيه الانظار الى مكانة القدس و مقامها عند الله ان سليمان بن داود كان يتعبد فى بيت المقدس السنة و السنين، و الشهر و الشهرين! و اقل من ذلك و اكثر!! فيدخل فيه طعامه و شرابه

و فى الاخبار: ان سليمان حين وقف فى مؤخرة المسجد دعا ربه و قال:

«اللهم من آتاه من ذى ذنب فاغفر له، او ذى ضرر فاكشف ضره» و قيل فلا يأتيه احد- اى يأتى المسجد- الا اصاب من دعوة سليمان

و فى روايات الاسلام رواية اخرى اوردها القاضى مجير الدين تقول:

ان سليمان حين انتهى من بناء المسجد قال:

اللهم انى أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال

١- ان لا يدخل اليه مذنب لا يعمده الا لطلب التوبة ان تتقبل منه توبته، و تغفر له ذنبه.

٢- ولا يدخله خائف لا يعمده الا لطلب الأمن ان تؤمنه من خوفه و تغفر له ذنبه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٦٩

٣- ولا يدخله سقيم و لم يعمده الا لطلب الشفاء ان تشفى سقمه و تغفر له ذنبه.

٤- ولا يدخله مقحط لا يعمده الا للاستسقاء ان تسقى بلاده.

٥- و ان لا تصرف بصرك عن دخله حتى يخرج منه.

و عن النبي (ص) انه قال: ان سليمان بن داود سأل ربه ثلاثا فاعطاه مسجد قبه الصخرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٧٠

اثنتين و نحن نرجو ان يكون قد اعطاه الثالثة.

سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه اياه، و سأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فاعطاه، و سأله ايما رجل يخرج من بيته لا يريد الا الصلاة

في هذا المسجد ان يخرج من خطيئته كيوم ولدته امه، و نحن نرجو ان يكون قد اعطاه اياه.

و جاء في بعض الاخبار: ان سليمان قد عصى عليه مرة فتح باب بيت المقدس فحار في أمره و اذا بشيخ من جلساء ابيه يقبل عليه و هو

شيخ طاعن في السن فيستجلى خبره، و يرى حيرته فيقول له:

- ألا أعلمك كلمات كان ابوك يقولها عند كربه فيكشف الله عنه؟

قال:- بلى.

قال- قل: اللهم بنورك اهتديت، و بفضلك استغنيت، و بك اصبحت و أمسيت، ذنوبي بين يديك، استغفرك و اتوب اليك يا حنان

يا منان.

و لذلك يستحب على ما تقول هذه الرواية ان يدعو الزائر و غيره بهذا الدعاء إذا دخل من باب الصخرة، و كذلك من باب المسجد.

و المعروف ان هذا الدعاء أثير عند الداعين في صباح كل يوم و مسائه في مشارق الاسلام و مغاربه.

و اشارت الآية الكريمة الى (القدس) باسم القرية من قول الله عز و جل «وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا، وَ قُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ».

و قد اجمع المفسرون على ان المراد بالقرية ها هنا: (بيت المقدس) و يؤيده قوله تعالى في موضع آخر «ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ» و

«فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ»* أي بما شئتم من طعام القرية بعد المنّ و السلوى، و قد قيل ان هذه إباحة لهم منه لغنائمها و تملك اموالها إتماما للنعمه عليهم.

«وَ ادْخُلُوا الْبَابَ»* يعنى الباب الذى أمروا بدخوله، و قيل هو باب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٧١

(حطه) من بيت المقدس

و ليست كل (قرية) جاء اسمها في القرآن الكريم تعنى بيت المقدس و ان تشابه المعنى و اوجب الالتباس، ففي قول الله عز و جل «وَ

اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ» فقد اشتهر عن كثير من السلف و الخلف كما يقول ابن الاثير في (البدایة و

النهاية) ان هذه القرية هى انطاكية و لكن هناك من يعارض هذا القول لأن اهل هذه القرية التى يشير اليها القرآن الكريم قد أهلكوا

بتكذيبهم الرسل فى حين ان اهل انطاكية كانوا قد آمنوا و اتبعوا رسل المسيح من الحواريين اليهم ..

و خص الله القدس بالبركة فى قوله تعالى «وَ نَجِّنَا وَ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ» و هى بيت المقدس كما يقول بعض

المفسرين لان بها مقام الانبياء، و قد نجى الله ابراهيم و لوطا و هو ابن اخى ابراهيم و كان قد آمن بإبراهيم، و فى هذه الآية بيان نعمه

الله على ابراهيم.

وقد نص القرآن صراحةً بفضيلة الأرض المقدسة كقوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ»
و نص كناية، كقوله «وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ» قال ابن عباس:
هي بيت المقدس.

و كقوله تعالى «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ»

ف قيل انه يعنى: بيت المقدس كما روى ذلك الطبرسى فى تفسيره،

و فى بركات بيت المقدس قال ابن عباس: بيت المقدس عليه الطل والمطر مذ خلق الله السنين والايام.

و فى مسند الامام احمد من حديث امامه قال: قال رسول الله (ص) لا تزال طائفة من امتى على الحق ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٧٢

من خالفهم، ولا ما أصابهم من اللأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا يا رسول الله و أين هم؟

قال- بيت المقدس و اكناف بيت المقدس

و مما قيل عن رسول الله انه قال: قال الله تعالى «يا روثليم- يريد القدس- انت مقدسة بنورى، و فيك المحشر و المنشر، أرفك يوم القيامة كما تزف العروس الى بلعها. و من دخلك استغنى عن الزيت و القمح».

و عن أنس قال: قال رسول الله (ص) من زار بيت المقدس محتسبا اعطاه الله أجر الف شهيد.

و عنه (ص) من زار عالما فكأنما زار بيت المقدس

و روى عن جرير بن عثمان و صفوان بن عمرو انها قالوا: الحسنه فى بيت المقدس بألف و السيئه بالف. موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ٤؛ ص ٧٢

قال وهب بن منبه: اهل بيت المقدس جيران الله و حق على الله ان لا يعذب جيرانه.

و فى فصل الصلاة ببيت المقدس، و الصوم فيه، و المبيت عنده، و الدفن فى ارضه، آيات كثيرة تزخر بها الكتب الاسلاميه و تلخص فضيلة القدس فى عقيدة الاسلام! بأن:

الله قد كلم موسى فى ارض بيت المقدس.

و تاب الله على داود و سليمان فى ارض بيت المقدس

و بشر الله زكريا يحيى فى ارض بيت المقدس

و ولد المسيح و تكلم فى المهد، و انطلقت دعوته، و انزلت عليه المائدة فى ارض بيت المقدس.

و رفع الله المسيح الى السماء من بيت المقدس

و ينزل المسيح من السماء الى الارض ببيت المقدس

و ماتت مريم ببيت المقدس

و هاجر ابراهيم من كوثا الى بيت المقدس

و صلى النبى (ص) زمانا الى بيت المقدس قبل ان يصلى الى المسجد الحرام و أسرى بالنبى (ص) الى بيت المقدس

و بيت المقدس بعد هذا مثوى الرسل و الانبياء و الصالحين و ليس من المهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٧٣

ان تكون هناك اخبار تشوبها بعض المبالغات و تحف بها بعض الاساطير و لكن مثل هذا لا يستطيع ان ينفى عظمة القدس و فضيلتها او يقلل من شأنها فى معتقد جميع اهل الكتاب و على الاخص المسلمين و لا سيما القرآن المجيد الذى يرجع اليه الاسلام فى جميع

معتقداته.

مسقط رأس مريم حسب التواتر السائد و يقع قرب باب سنت استيفان و المعروف في القرون الوسطى بباب الست مريم و هو الآن كنيسة تدعى بكنيسة (سنت انا) و قد بنيت في زمن الصليبيين»
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٧٤

أول عهد القدس في الاسلام - القبلة -

ان اول عهد القدس بالاسلام أو أول عهد الاسلام بالقدس ابتداءً بالاعتقاد بمكانة هذه المدينة و المسجد الاقصى و الصخرة منه على الاخص و قدسيتها عند الله ثم اتخاذ الصخرة قبلة في الصلاة بصفتها القبلة التي صلى عندها الانبياء من ايام يوشع بن نون و ظلت قبلتهم الى زمان رسول الله (ص) و قد صلى اليها رسول الله (ص) اول ما صلى، و كان يجعل الكعبة بين يديه في مكة، و لما هاجر أمر بالصلاة إلى بيت المقدس، فصلى إليها ستة عشر، و قيل سبعة عشر شهرا ثم حولت القبلة الى الكعبة. و هي قبلة ابراهيم، و كان ذلك في شعبان سنة اثنتين للهجرة في وقت صلاة العصر .

و في هذا الصدد نزلت الآية الكريمة «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ»

و مع ذلك فلم يفقد المسجد الاقصى اهميته حين تحولت القبلة عنه الى المسجد الحرام فقد وردت عنه احاديث كثيرة اشير الى بعضها في فصول سابقة فضلا عن النصوص القرآنية الكريمة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٧٥

روى ابن خزيمة في صحيحه: ان النبي قال:

صلاة في المسجد الحرام افضل مما سواه من المساجد بمائة الف صلاة.

و صلاة في مسجد المدينة افضل من الف صلاة فيما سواه، و صلاة في بيت المقدس افضل مما سواه من المساجد بخمسمائة صلاة و في مثل هذا المضمون روى عن النبي انه قال «لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، و مسجدى هذا- يعنى به المدينة- و المسجد الاقصى .

الاسراء

و الاسراء الى بيت المقدس من اهم ما حظيت به القدس من التقديس و الفضيلة عند الاسلام و في صميم عقيدته فلم تقتصر القدسية على بيت المقدس بكونه اول قبلة اتخذها الاسلام، و انما خصت بانها كانت نهاية المطاف من الاسراء و مبتدأ عروج النبي (ص) الى السماء في معتقد الاسلام، سواء كان هذه الاسراء و العروج روحيا كما يقول به البعض او جسديا كما هو عليه الآخرون.

و في تفسير الطبرسي للآية الكريمة «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ» ان (سبحان) كلمة تنزيه و ابراء لله عز اسمه عما لا يليق به من الصفات، و قد يراد به التعجب، يعنى: سبحان الذي سير عبده محمدا (ص)، و هو عجب من قدرة الله تعالى و تعجب ممن لم يقدر الله حق قدره و اشرك به غيره.

و سرى بالليل، و أسرى بمعنى، و قد عدى هنا بالياء، و الوجه في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٧٦

التأويل انه اذا كان مشاهدة العجب سببا للتسبيح صار التسبيح تعجبا، فقيل (سبح) اي عجب. و (ليلا) قالوا كان ذلك الليل قبل الهجرة

بسنة.

(من المسجد الحرام) و قال اكثر المفسرين:

أسرى برسول الله (ص) من دار ام هانى أخت على بن ابى طالب و زوجها هبيرة بن ابى وهب المخزومي. و كان نائما فى تلك الليلة فى بيتها

و فى رواية عن ام هانى ابنة ابى طالب: ما أسرى به الا من بيتنا، نام عندنا تلك الليلة. صلى العشاء ثم نام، فلما كان قبل الفجر أنبهناه للصبح، فقام، فلما صلى الصبح قال:

«يا ام هانى، لقد صليت معكم العشاء كما رأيت بهذا الوادى ثم قد جئت بيت المقدس فصليت فيه. ثم صليت الغداة معكم» و تصلح

هذه الرواية و ما بعدها لأن تكون سندا لمن يقول بالعروج الروحانى

و أنزل الله عز و جل: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ»

و قول الله عن الاسراء (ليلا) معناه بعض الليل. على تقليل وقت الاسراء

و عن الحسن: صلى النبى (ص) المغرب فى المسجد الحرام ثم أسرى به الى بيت المقدس فى ليلة. ثم رجع فصلى الصبح فى المسجد الحرام.

و المراد بالمسجد الحرام هنا مكة، و ان مكة و الحرم كلها مسجد.

و قال الحسن و قتادة: كان الاسراء من نفس المسجد الحرام الى (المسجد الاقصى) يعنى بيت المقدس، و انما قال الاقصى. لبعد

المسافة بينه و بين المسجد الحرام (الذى باركنا حوله) و قد مر بنا المراد من قوله تعالى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٧٧

(الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) أى جعلنا البركة فيما حوله بأن جعلناه مقر الانبياء، و مهبط الملائكة (عن مجاهد) و بذلك صار البيت مقدسا عن

الشرك لانه لما صار متعبدا للانبياء، و دار مقام لهم تفرق المشركون عنهم فصار مطهرا من الشرك، اما التقديس فهو التطهير و قد مر

كذلك ذكره، و قد اجتمعت فيه بركات الدين و الدنيا

اما وسيلة الاسراء فهى دابة اكثر الرواة من وصفها، و جاء فى كتاب الأئمة الجليل على لسان النبى (ص) قال: أتيت بالبراق، و هو دابة

ابيض طويل فوق الحمار و دون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال:

فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالجلفة التى تربط بها الانبياء.

و روى ابن سعد فى الطبقات الكبرى فقال: قال النبى (ص): و خرج معى جبرائيل لا يفوتى و لا افوته حتى انتهى بى الى بيت المقدس

فانتهى (البراق) الى موقفه الذى كان يقف فربطه جبرائيل، و كان مربوط الانبياء قبل رسول الله (ص)

و حين بلغ النبى (ص) بيت المقدس كما تقول الرواية صلى هناك، و قد تلقاه ابراهيم (ع) فبشر له فى رهط من الانبياء، و فى رواية

قال الرسول (ص) و رأيت الانبياء جمعوا لى فرأيت ابراهيم، و موسى، و عيسى فظننت انه لا بد ان يكون لهم امام فقدمنى جبريل حتى

صليت بين ايديهم و سألتهم فقالوا بعثنا بالتوحيد.

و فى رواية اخرى: قال النبى (ص):

احد اروقة المسجد الاقصى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٧٨

فلما دخلت المسجد اذا بالانبياء و المرسلين قد حشروا الى من قبورهم، و مثلوا لى و قد قعدوا صفوفوا صفوفوا ينتظرونى فسلموا على،

فقلت:

- يا جبرائيل من هؤلاء القوم؟

قال- اخوانك الانبياء والمرسلون،- ثم قال:- لقد زعمت قريش ان لله شريكا فاسأل هولاء النبيين: هل كان لله شريكا؟ ثم قرأ «وَسْئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَنْ جَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ».

وقد قيل ان هذه الآية نزلت على النبي (ص) ببيت المقدس ليلئ الاسراء ثم قال النبي (ص) ثم جمعهم جبرائيل و قدمنى فصليت بهم ركعتين .

و تقول روايه ابن سعد فى الطبقات ثم أخذ جبرائيل بيد الرسول الى (الصخرة) فاقعده عليها و من هناك ابتداء عروجه الى السماء.

اما تاريخ الاسراء و العروج فقد كان ليلئ سبع عشرة من شهر ربيع الاول، و قبل الهجرة بسنة واحدة و من شعب ابى طالب الى القدس .

العروج إلى السماء

و من بيت المقدس و من فوق الصخرة تم العروج الى السماء.

و عرج فى الدرجة و السلم يعرج عروجا، اى ارتقى، و عرج فى الشئ عروجا رقى، و عرج الشئ فهو عريج، ارتفع و علا.

و فى التنزيل: تعرج الملائكة و الروح اليه، اى تصعد، و قيل: معارج الملائكة و هى مصاعدها التى تصعد فيها، و تعرج فيها، و قال الفراء: ذى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٧٩

قبة الصخرة المباركة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٨٠

المعارج من نعت الله لان الملائكة تعرج الى الله، فوصف نفسه بذلك، و المعرج: المصعد، و المعرج: الطريق الذى تصعد فيه الملائكة.

و المعراج: شبه سلم او درجة تعرج عليه الارواح اذا قبضت، و المعراج السلم، و منه ليلئ المعراج .

و الروايات تشير الى النبي (ص) و قد اسرى به ليلا الى المسجد الاقصى و عروجه الى السماء فى تلك الليلة و تصف هذه الروايات ما شاهد النبي فى السموات مما لا يدخل ذكره فى موضوعنا ثم يسهب الشعراء فى وصف المعراج و العروج و يقيم الكثير من المسلمين فى ذكرى ليلئ المعراج من كل سنة احتفالات بهذه المناسبة تتلى فيها قصة الاسراء و المعراج و ما قيل فى ذلك من الشعر كقول الشاعر:

و رسول الله قد قال لنا ليلئ المعراج لما صعد

وضع الله بكنفى يده فاحس القلب ان قد برده .. الخ

و عند العودة من السماء روى الراون على لسان النبي (ص) انه قال: ثم حملنى جبرائيل حتى انزلنى على جبل بيت المقدس، و اذا (بالبراق) واقف على حاله، فى موضعه، فسميت الله، و استويت على ظهره، وعدت الى مكة، و هناك تحدث النبي (ص) للناس بمسراه هذا الى بيت المقدس، و وصف لهم الطريق الى المسجد، كما وصف لهم المسجد و ما شاهد فيه و رأى فى طريقه الى السماء و عودته الى القدس.

هل كان عروج النبي روحيا أم جسديا

و قد جرى فى قضية الاسراء و العروج نقاش اشار اليه المفسرون فهناك من يرى بان الاسراء و العروج كان فى المنام و ان ما رأى النبي لم يكن الا حلما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٨١

و يؤيد المؤرخون الذين يعتمدون الأثر و المادة في بحوثهم اولئك القائلين بأن الاسراء و العروج كان روحيا و كان في المنام، و لهم على ذلك استدلالات تخالف مباني العقيدة اذ ان العقيدة شىء آخر لا- يرضخ للفلسفة و لما تبانت عليه القلة من المفسرين و المؤرخين، لذلك فان عقيدة الاغلبية من المفسرين ترى ان الاسراء و العروج قد جرى في يقظة من النبي (ص) دون منامه، و لهم في ذلك احتجاجات يوردونها في تفاسيرهم

و يشير الطبرسى في تفسيره الى هولاء القائلين بالاسراء و العروج الروحي و يتلخص قوله: بان هناك من قال بان الاسراء بالنبي من المسجد الحرام (اي مكة) الى المسجد الاقصى (اي بيت المقدس) في ليلة واحدة ثم رجوع النبي الى مكة في نفس الليلة و قد صلى الصبح في المسجد الحرام كان ذلك في النوم و لم يكن في اليقظة، و ان عروجه من بيت المقدس الى السماء كان عروجا روحيا اي لم يكن ذلك في اليقظة، كما يراه اولئك.

اما الشيخ احمد الاحسائي و هو شيخ طائفة الشيخية و من المتأخرين فهو يرى: ان للانسان جسدين احدهما (هورقليائي) و الثاني (صوري) فالاول منهما هو الجسد اللطيف الذي يمثل مادة الانسان الثابتة أي جوهره الاصيل كما يمثل المعدن مادة الشىء المعمول منه، اما الجسد (الصوري) فهو الذي يتكون من الاجزاء الفضلية، و الكثافات العرضية الموجودة في بدن الانسان و هي كثافات تكدر البدن و تمنع من صفائه و لطافته، و يعتقد الشيخ احمد ان النبي حين عرج الى السماء في ليلة الاسراء لم يصعد بجسده (الصوري) الكثيف بل صعد بجسده (الهورقليائي) .

و عن عائشة ان عروج النبي كان روحيا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٨٢

و يسوق الاغلبية من المفسرين على اختلاف مذاهبهم الادلة المستندة الى العقيدة بأن اسراء النبي و عروجه كان جسديا و كان في اليقظة و على هذا الرأي كان الطبرسى و هو من كبار المفسرين.

و سواء كان الاسراء و العروج في اليقظة و هو ما تعتقد به الاكثية من المذاهب الاسلامية او كان روحيا و في المنام كما تقول به الاقلية من المفسرين فان ذلك لا يقلل من اهمية الارض المقدسة و بيت المقدس و الصخرة في عقيدة الاسلام و المسلمين قاطبة، ان لم يضاف الى بيت المقدس قدسية اخرى تكفي ان تجعل النبي (ص) محمدا يفكر فيها، و يشير اليها، و يهتم بها، سواء كان اسراؤه و عروجه جسديا ام روحيا.

فتح الإسلام (لايلاء) القدس

الى هنا و كل علاقة الاسلام بالقدس كانت علاقة روحية اقتضت على تمجيد القدس بالروح و العقيدة، و حين تم فتح الاسلام للقدس و دخول المسلمين اليها صارت تلك العقيدة طقوسا عملية يقوم بها المسلمون عند دخولهم المسجد الاقصى و زيارة قبور الانبياء فيتبركون بالصلاة في المسجد الاقصى و يؤدون مراسيم الزيارات الماثورة عن الأئمة، و يتلون الدعوات في بقاعها المباركة، و يتقربون الى الله في مواضعها المقدسة، و ينزلونها في الاسلام المنزل الثالثة في التقديس بعد المسجد الحرام في مكة، و مسجد النبي في المدينة، بصفتها بيت الله الذي صلى اليه النبي (ص) و المسلمون اول ما صلوا.

و في قصة فتحها من قبل جيوش المسلمين روايات تتلخص في حصار المسلمين للمدينة و وقوع بعض المعارك حول اسوارها تحت قيادة ابي عبيدة فقبلت القدس الصلح على شريطة ان يتم ذلك على يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (ض) و ان يحضر الخليفة نفسه عقد هذا الصلح، فكتب ابو عبيدة الى الخليفة ابن الخطاب (ض) بذلك، و تكثر الروايات في كيفية تلقي الخليفة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٨٣

هذا الطلب، و جاء فى كتاب الانس الجليل: ان عمر بن الخطاب حين تلقى كتاب ابى عبيدة استشار رؤساء المسلمين فى أمر حضوره تسليم القدس و تعهده و جاهها لسكانها المسيحيين، فقال له عثمان:
ان الله قد أذلهم، و حصرهم، و ضيق عليهم، و هم فى كل يوم يزدادون نقصا و هزالا، و ضعفا و رعبا، فان انت أقت و لم تسر اليهم رأوا انك بامرهم مستخفّ، و لشأنهم حافر غير معظم، فلا يلبثون الا قليلا حتى ينزلوا على الحكم و يعطوا الجزية.
فقال عمر (ض) ما ترون؟ هل عند احد منكم رأى غير هذا؟ فقال على بن ابى طالب (ع):
- نعم عندى غير هذا رأى.

قال- ما هو؟

قال- انهم قد سألوا المنزلة التى فيها الذل لهم و الصغار، و هو على المسلمين فتح و لهم فيه عزّ، و هم يعطونكها الان فى العاجل فى عافية ليس بينك و بين ذلك الا ان تقدم عليهم، و لك فى القدوم عليهم الأجر فى كل ظمأ و مخمصه، و فى قطع كل واد، و فى كل نفقة، حتى تقدم عليهم، فاذا انت قدمت عليهم كان الأمن، و العافية، و الصلاح، و الفتح، و لست آمن إن آيسوا من قبولك الصلح منهم ان يتمسكوا بحصنهم فيأتيهم عدو لنا، أو يأتيهم منهم مدد، فيدخل على المسلمين بلاء، و يطول بهم حصار، فيصيب المسلمين من الجهد و الجوع ما يصيبهم، و لعل المسلمين يدنون من حصنهم فيرشقونهم المدخل الى القبر المقدس من كنيسة القيامة
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٨٤

بالنشاب، او يقذفونهم بالمناجيق، فان اصاب بعض المسلمين تمنيتم انكم افتديتم قتل رجل من المسلمين بمشرك الى منقطع التراب و كان المسلم لذلك من اخوانه اهلا» .

و اخذ عمر (ض) بهذا رأى و استخلف على بن ابى طالب (ع) مكانه فى المدينة و سار نحو ارض الشام، و صالح أهل (ايلياء) بالجابية و كتب لهم فيها الصلح لكل كورة كتابا واحدا ما خلا اهل (ايلياء) فقد خصوا بعهد مستقل.

و كان ذلك فى سنة ٦٣٦ م الموافق ١٥ هجرية، و كان قيل بل انه كان فى ربيع الآخر سنة ١٦ هجرية و استقبال الخليفة عمر استقبالا عظيما من لدن البطارقة و القسس و الرهبان و على رأسهم (صفرونيوس) كبير البطارقة .

و عن ابى مريم مولى سلامة، قال: شهدت فتح ايلياء (القدس) مع عمر رحمه الله فسار من (الجابية) فاصلا حتى يقدم ايلياء ثم مضى حتى يدخل المسجد، و كان اول ما طلب ان يراه هو مسجد داود، فيقول ابو مريم.

ثم مضى نحو محراب داود و نحن معه فدخله، ثم قرأ سجدة داود فسجد و سجدنا معه .

و حين زار عمر الصخرة رفع عنها الادران، و أمر ببناء مسجد عليها و سمي (بمسجد عمر) و زار كنيسة القيامة، و اباح الدخول الى هذه المدينة للزوار من مختلف الاديان و استثنى من اولئك اليهود كما جاء فى العهد الذى سيأتى.

نص العهد الذى اعطاه الإسلام للقدس

و من نصوص العهد الذى اعطاه الخليفة عمر بن الخطاب (ض) لاهل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٨٥

القدس و مقارنته بالعهد الذى اعطى لاهل الشام تبين مكانة القدس فى الاسلام و عقيدته باجلى صورها و يكفى هذا العهد وحده ليحكى نظرة الاسلام للقدس، و منزلة القدس فى صلب الديانة الاسلامية و معتقداتها، و اهميتها و اهمية ساكنيها من المسيحيين عند المسلمين باستثناء اليهود.

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل (ايلياء) من الامان، أعطاهم أمانا لانفسهم، و اموالهم، و لكنائسهم، و صلبانهم، و سقيمها، و بريثها، و سائر ملتها: انه لا تسكن كنائسهم، و لا تهدم، و لا ينتقص منها، و لا من حيزها، و لا من

صليبيهم، ولا من شيء من اموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن (بايلياء) معهم احد من اليهود، وعلى اهل (إيلياء) أن يعطوا الجزية كما يعطى اهل (المدائن) وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه، و ماله. حتى يبلغوا مأماتهم، و من أقام منهم فهو آمن، و عليه مثل ما على اهل (إيلياء) من الجزية، و من أحب من اهل (إيلياء) ان يسير بنفسه و ماله مع الروم و يخلى بيعهم، و صلبهم فانهم آمنون على انفسهم، و على بيعهم و صلبهم حتى يبلغوا مأماتهم، و من كان بها من اهل الارض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد، و عليه مثل ما على اهل (إيلياء) من الجزية، و من شاء سار مع الروم، و من شاء رجع الى اهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

و على ما فى هذا الكتاب عهد الله و ذمة رسوله، و ذمة الخلفاء و ذمة المؤمنين اذا اعطوا الذى عليهم من الجزية».

شهد على ذلك خالد بن الوليد، و عمرو بن العاص، و عبد الرحمن بن عوف، و معاوية بن ابي سفيان و كان ذلك سنة ١٥٠ هجرية و قيل بل كان ذلك سنة ١٦ هجرية كما مرت الاشارة اليه .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٨٦

عهد الخليفة عمر لاهل الشام

و سكان الشام فى غالبيتهم سكان القدس مسيحيون فى الغالبية و لكن التفاوت الحاصل بين العهدين العهد الذى اعطى لاهل القدس و العهد الذى اعطى لاهل الشام ليس ناشئا مما ابدت الشام من صلابه فى محاربه المسلمين قبل الصلح و ان يكن مثل هذا عاملا من عوامل التشدد و القسوة فى الشروط، و لكن العامل الكبير فى استجابة الخليفة عمر (ض) طلب سكان القدس و حضوره الصلح بنفسه، و منحهم الحرية الكاملة و ما اجراه من تساهل ملحوظ إنما يعود لما لهذه المدينة من منزلة سامية فى الاسلام و مكانة كبيرة فى عقيدة المسلمين بالاضافة الى تعزيز القرآن للمسيحيين و الثناء عليهم كما جاء فى الآية الكريمة.

«لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عِدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَشْتَكِرُونَ».

و لتبيين الفروق الكبيرة بين العهد الذى اعطى لاهل القدس و العهد الذى اعطى لاهل الشام ثبت هنا عهد عمر (ض) لاهل الشام.

«عن عبد الرحمن بن غنم، قال: كتب لعمر بن الخطاب (ض) حين صالح نصارى اهل الشام:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا و كذا: انكم لما قدمتم علينا سألتناكم الأمان لانفسنا و ذرارينا، و اموالنا، و اهل ملتنا، و شرطنا لكم على انفسنا ان لا نحدث فى مدينتنا و لا فيما حولها ديرا و لا كنيسة، و لا قلاية، و لا صومعة راهب، و لا نحى منها ما كان فى خطط المسلمين، و لا نمنع كنائسنا ان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٨٧

ينزلها احد من المسلمين فى ليل او نهار، و ان نوسع ابوابها للمارة و ابن السبيل، و ان ننزل من ممر من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم و لا نواري فى كنائسنا، و لا فى منازلنا جاسوسا، و لا نكتم غشا للمسلمين، و لا نعلم اولادنا القرآن، و لا نظهر شركا، و لا ندعو اليه احدا، و لا نمنع احدا من ذوى قرابتنا الدخول فى الاسلام ان اراده، و ان نوقر المسلمين، و نقول لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس، و لا نتشبه بهم فى شيء من لباسهم فى قلنسوة و لا عمامة و لا نعلين و لا فرق شعر، و لا نتكلم بكلامهم، و لا نتكنى بكناهم، و لا نركب السروج، و لا نتقلد السيوف، و لا نتخذ شيئا من السلاح، و لا نحمله معنا، و لا ننقش على خواتمنا بالعربية، و لا نبيع الخمر، و ان بخز مقادرم رؤوسنا، و ان نلزم زينا حيشما كنا، و ان نشد زنانير على اوساطنا، و لا نظهر الصليب على كنائسنا، و لا نظهر صلباننا، و لا كتبنا فى شئ من طرق المسلمين، و لا فى اسواقهم، و لا نضرب نواقيسنا فى كنائسنا الا ضربا خفيفا، و لا نرفع اصواتنا مع موتانا، و لا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين، و لا نطلع عليهم فى منازلهم».

قال: فلما أتيت عمر بن الخطاب (ض) بالكتاب زاد فيه: «ولا نضر باحد من المسلمين، شرطنا لكم ذلك على انفسنا و اهل ملتنا و قبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا شيئا مما شرطناه لكم و ضمناه على انفسنا فلا- ذمة لنا، و قد حلّ لكم منا ما حل من اهل المعاندة و الشقاق».

و قد روى هذا الامام البيهقي و غيره، و اعتمد أئمة الاسلام هذه الشروط و عمل بها الخلفاء الراشدون .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٨٨

فضائل اخرى

و فضائل أخرى أضيفت الى القدس بعد الفتح الاسلامي زادت من تمسك المسلمين بهذه المدينة و احلالها من العقيدة المحل الأسمى.

فعن رجاء بن حيوة عن شهد دخول عمر بن الخطاب (ض) بيت المقدس قال:

لما شخص عمر من (الجابية) الى (ايلياء) فدنا من باب المسجد قال ارقبوا لى كعبا، فلما انفرك به الباب قال: لبيك اللهم لبيك، بما هو أحب اليك.

ثم قصد المحراب محراب داود عليه السلام و ذلك ليلا فصلى فيه، و لم يلبث ان طلع الفجر فأمر المؤذن بالاقامة فتقدم فصلى بالناس و قرأ بهم (ص) و سجد فيها ثم قام و قرأ بهم في الثانية: (صدر بنى اسرائيل) ثم ركع ثم انصرف .

و في رواية ان عمر بن الخطاب (ض) قد خطب بعد دخول القدس بالمسلمين و ذلك قبيل رجوعه الى المدينة، و حضرت الصلاة، فقال عمر لبلال الحبشي: ألا تؤذن لنا رحمك الله؟

قال بلال: يا امير المؤمنين و الله ما أردت ان أوذن لأحد بعد رسول الله (ص) و لكن سأطيعك اذ أمرتني في هذه الصلاة وحدها، فلما أذن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٨٩

بلال و سمعت الصحابة صوته ذكروا نبيهم فبكوا بكاء شديدا، و لم يكن يومئذ اطول بكاء من ابى عبيدة، و معاذ بن جبل حتى قال لهما عمر: حسبكما رحمكما الله .

هذا مضاف الى بناء الحرم القدسي الشريف المشيد على جبل (موريا) من بيت المقدس و الذي يحوى المسجد الاقصى المبارك، و مسجد صخرة بيت المقدس، و الاثار الاسلامية المنتشرة هنا و هناك و في اطراف بيت المقدس، و مضاف لما قد شيد من ابنىة و مساجد و معابد، مما صبغت القدس بصبغة اسلامية عملية تتمشى مع صبغتها الروحية و قدسيتها الشريفة، ففي مكان قصر (هيرودس) الرومانى أنشئ مقر للحكومة الاسلامية بعد الفتح بقليل اى فى القرن السابع الميلادى و ذلك بدليل العثور على سور مطمور يتصل به حصن مستدير الشكل بنى على طراز قصور الخلفاء الاولين كما نرى نماذجها فى (الغور) و فى بادية الشام، و التى يرجع تاريخها الى القرن الثامن للميلاد و آخر القرن الاول للهجرة .

و كثرت المساجد، و كثر ملازموها من العباد و المتقربين الى الله ببيت المقدس، و دفن عدد كبير من الاولياء و احفاد الرسول فى تلك المساجد و من ذلك كان مسجد (اليقين) و بظاهره مغارة بها قبر فاطمة بنت الحسن بن على بن ابى طالب (ع).

قال القاضى مجير الدين الحنبلى: و عند قبرها رخامة مكتوب عليها بالكوفى.

داخل قبة الصخرة بيت المقدس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٩٠ أسكنت من كان فى الاحشاء مسكنه بالرغم منى بين التراب و الحجر

أفديك فاطمة بنت ابن فاطمة بنت الأئمة بنت الانجم الزهر

و جاء فى شعر ابن حجر العسقلانى قوله:

الى البيت المقدس جئت ارجو جنان الخلد نزلا من كريم

قطعنا فى مسافته عقابوا ما بعد العقاب سوى النعيم

و جاء فى شعر ابى العلاء المعرى عن قدسيه القدس قوله:

يا شاكى النوب انهض طالبا حلبانهوض مضنى لحسم الداء ملتمس

و اخلع حذاك اذا حاذيتها ورعاكفعل موسى كلیم الله فى القدس

و من ابداع اقوال المتأخرين قول احمد شوقى فى القدس:

بلد على ارض الهدى و سمائهالمجد حائطه و رأس بنائه

بلد بنوه الاكرمون قبورهم و قصورهم وقف على نزلائه

و قول جورج صيدح عن القدس اذ يقول:

سلى سماء شعوب الارض هل بلغت ما فى ثراك من الامجاد و العظم

طلعت فجرا على التاريخ فاض سناو ما جزيت بغير الظلم و الظلم

أيجحد الغرب من بالله عرفه و كان إيمانه بالسيف و الصنم

الى غير ذلك الكثير من الشعر و الذى يصور مكانة الارض المقدسة فى نظر الاسلام و عقيدته من القديم و الحديث خير تصوير.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٩١

من اهم الحوادث الرئيسية فى تاريخ مدينة القدس

نحو سنة ١٠٠٠ ق.م. اتخذ الملك داود مدينة القدس عاصمة لمملكته

٩٦٠ ق.م. بنى الملك سليمان هيكله.

٥٨٧ ق.م. خراب القدس على يد نبوخذ نصر و سبى اليهود الى بابل

٥٣٩ ق.م. عودة اليهود من السبى.

٥٢٠ ق.م. إعادة بناء الهيكل.

٤٤٤ ق.م. إعادة بناء اسوار القدس على عهد نحميا.

١٧٠ ق.م. فتح الملك انطيوخوس ألبانيس مدينة القدس و تدنيس الهيكل.

١٦٥ ق.م. ثورة المكابيين، و إعادة تدشين الهيكل.

من ٤٠ الى ٤ ق.م هيرودوس الكبير باني الهيكل الثالث و برج انطونيا و القصر الاعلى (و كان هذا الاخير يشمل برج القلعة الشمالى

الشرقى).

٧٠ ب.م. خراب القدس على يد الرومان، و اقامة حامية رومانية فى القصر الأعلى.

١٣٠ ب.م. أسس الامبراطور هادريانوس مستعمرة رومانية فى القدس و دعاها إيليا كابيتولينا

٣٢٦ ب.م. شروع الامبراطور قسطنطين الكبير بتشييد كنيسة القيامة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٩٢

نحو سنة ٦٣٦ ب.م. الفتح الاسلامى.

٦٩١ ب.م. بناء قبة الصخرة المشرفة مكان الهيكل.

- ١٠٩٩ ب. م. فتح الصليبيين مدينة القدس و اتخاذ (برج داود) قصرًا لملوكهم منذ ١١٠٠ م.
 ١١٨٧ ب. م. استرجاع القدس من قبل المسلمين تحت قيادة السلطان صلاح الدين الايوبي.
 ١٢٣٩ ب. م. هدم تحصينات برج داود.
 ١٢٦٠ ب. م. استيلاء المماليك المصريين على القدس.
 من ١٣١٠ ب. م فصاعدا- اعادة بناء برج داود.
 ١٥١٦ ب. م. الفتح العثماني.
 ١٩١٧ ب. م. الاحتلال البريطاني
 ١٩١٧ ب. م. وعد بلفور.
 ١٩٤٨ ب. م. احتلال جانب من القدس من قبل اسرائيل.
 ١٩٤٧ ب. م. احتلال القدس كاملا من قبل اسرائيل.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٩٣

اهم مصادر هذا البحث

- القرآن الكريم
 التوراء- سفر التكوين- سفر الملوك
 انجيل لوقا
 كشف الآيات
 تاريخ يعقوبى
 مروج الذهب- للمسعودى.
 الطبقات الكبرى- لابن سعد.
 تاريخ الامم و الملوك- لابن جرير الطبرى.
 الكامل فى التاريخ- لابن الأثير.
 تفسير التبيان- للشيخ الطوسى.
 مجمع البيان- للطبرسى.
 لسان العرب- لابن منظور.
 تاج العروس- للسيد مرتضى الحسينى الزبيدى.
 القاموس- للفيروز آبادى.
 دائرة معارف القرن العشرين- محمد فريد و جدى.
 قصص الانبياء- لعبد الوهاب النجار.
 النهاية فى غريب الحديث و الأثر لابن الأثير.
 معجم البلدان لياقوت الحموى.
 العصور القديمة- لجيمس هنرى بريستد.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٩٤

موسوعة العتبات المقدسة - قسم مكة المكرمة - لجعفر الخليلي.

العرب قبل الاسلام - لجرجي زيدان.

تاريخ الحضارات العام - تاليف طائفة من العلماء الفرنسيين من منشورات عويدات.

فلسطين في ضوء الحق والعدل - تأليف المحامي هنري كتن، و ترجمه وديع فلسطين.

كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - للقاضي مجير الدين الحنبلي

البداية و النهاية - لابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي

تاريخ القدس - لعارف باشا العارف.

بطلان الاسس التي أقيم عليها وجود اسرائيل على الارض العربية للمحامي حسين جميل.

دليل قلعة القدس - تأليف س. ن. جونص.

الطريق الى فلسطين - لمحمد عنان.

لقاء عند بوابة مندلبوم - لاحمد فوزي عبد الجبار.

اهل العلم والحكم في ريف فلسطين - لاحمد سامح الخالدي.

اسطورة الشعب المختار - ترجمه الدكتور اكرم فاضل.

اسرائيل بنت بريطانيا البكر - لمحمد علي الزعبي.

انها لذكري - لشاكر البدرى.

جريدة الحياة البيروتية.

مذاكرات الحاج امين الحسيني - مجلة فلسطين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٩٥

حي المغاربة بالقدس كتبه عبد الهادي التازي

إشارة

خريج جامعة القرويين و الاستاذ بجامعة فاس سابقا و العضو بالمجمع العلمي و سفير المملكة المغربية ببغداد اليوم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٩٧

حي المغاربة بالقدس

ارتبط تاريخ المغاربة بالقدس الشريف منذ اللحظات الاولى التي اعتنقوا فيها الاسلام كمذهب، و لهذا فقد شدتهم اليه نفس الوشائج

التي شدتهم الى كل من مكة المكرمة و المدينة المنورة فكان جلتهم يمر بالشام عند مقفله من الحج حتى ينعم برؤية مسرى النبي

العربي و يحقق الاجر في شد الرحلة الى المساجد الثلاثة ...

عرج عليه عشرات الاعلام ممن كانوا نبراسا يهتدى بهم في الديار المغربية فكانوا يعطرون بذكره المجالس، و كانوا يروون عن الائمة

الذين صادفهم هناك من امثال ابي بكر الطرطوشي و ابن الكازروني و قد اجتمع بهما فخر المغرب القاضي ابو بكر ابن العربي الذي

رافق والده الامام عبد الله في سفارته الى المستظهر بالله العباسي من قبل يوسف بن تاشين ..

و من امثال القاضي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد ابن جماعة الذي حضر مجلسه الرحالة المغربي النقاد العبدري (٦٨٩-١٢٩٠)

(١٢٩١) و أمثال محمد بن سالم الغزى و عماد الدين النابلسى و شهاب الدين الطبرى و محمد ابن مثبت الغرناطى ممن كانوا على صلة بالرحالة المغربى الشهير ابن بطوطة،
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٩٨
و من امثال ابى الحسن الواسطى و ابى عبد الله محمد بن سالم الكنانى و ابى البركات زين الدين و على ابن ايوب المقدسى و شمس الدين الخولانى و محمد بن نباتة الذين اتصلوا بالكاتب المغربى خالد البلوى ...

سفارة ابن منقذ الى المغرب

كانت سمعة الاساطيل التى كان المغرب يتوفر عليها قد وصلت الى الديار المشرقية و بخاصة ايام دولة الموحدين الذين انشأوا لهم «دار الصنعة» المختصة بانشاء الاساطيل البحرية و المراكب الجهادية
و بما ان الفرنج ملكوا سواحل الشام و اخر الدولة الفاطمية، و ملكوا معها بيت المقدس فقد صارعهم صلاح الدين الايوبى و افتتح البيت حوالى سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧-١١٨٨ م).
و عندئذ انقضت امم النصرانية من كل جهة على سواحل الشام شأنها فى المغرب عند ما تحالفت على الاجهاز على الوجود الاسلامى بالاندلس ...

لقد اعترضوا اسطول صلاح الدين فى البحر و لم تتمكن اساطيل الاسكندرية آنذاك لصد الغزو الصليبي نظرا لضعفها و قلة عددها.
و من هنا وردت فكرة الاستغاثة باسطول المغرب الذى كان يهيمن على مسالك البحر الابيض المتوسط ..
و كان أن بعث القائد صلاح الدين الى السلطان يعقوب المنصور سنة ٥٨٦ (١١٩٠-١٩١١ م) يطلب اعانتة بالاساطيل لمنازلة عكا، و صور، و طرابلس الشام.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٩٩
و قد أوفد على رأس هذه البعثة المهمة الامير ابا الحرث عبد الرحمن بن منقذ الشيرى ، طالبا «ان تحول القوات المغربية فى البحر بين اساطيل الفرنج و بين امداد النصرانية بالشام من الجهات الاخرى»
و قد بعث صلاح الدين بهدية تشتمل على مصحفين كريمين منسوين، و وزن مائة درهم من عطر البلسان، و عشرين رطلا من العود القمارى و ستمائة مثقال من المسك و العنبر و خمسين قوسا عربية بأوتارها، و عشرين من النصول الهندية مع عدة من السروج المثقلة ...

و قد وصلت السفارة فعلا الى الديار المغربية فصادفت المنصور بالاندلس فى عملية عسكرية لقمع الاعتداءات التى اخذت تتوالى على المدن الاندلسية و جعل حدّ للزحف الصليبي الذى اخذ يستفحل بعد انكسار و بدء عام ٥٦٧ .
و انتظر السفير ابن منقذ بمدينة فاس عودة السلطان المنصور الذى طير اليه الخبر عن طريق الرقاصة المغاربة.
و قد كان يوم استقبال الوفد يوما مشهودا بفاس العاصمة الاولى للدولة المغربية.
هناك تسلم العاهل المغربى الرسالة الأيوبية التى كانت من انشاء الاديب عبد الرحيم البيسانى المعروف بالقاضى الفاضل .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٠٠
لقد كانت ديباجة الكتاب «من الفقير الى الله تعالى يوسف ابن ايوب صلاح الدين الى امير المسلمين .. و بعده: «الحمد لله الذى استعمل على الملة الحنيفة من استعمر الارض و اغنى من أهلها من سأله القرض، و اجرى من اجرى على يده النافلة و الفرض، و زين سماء الملة بدرارى الذرارى التى بعضها من بعض ... و هو كتاب طويل ...

و كان السفير ابن منقذ مدح السلطان المنصور بقصيدة طويلة كذلك من اربعين بيتا كان من حملة ابياتها:

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته الى بحر جود ما لأخراه ساحل!
الى معدن التقوى الى كعبة الندى الى من سمت بالذكر منه الاوائل
اليك أمير المؤمنين و لم تزل الى بابك المأمول تزجي الرواحل
قطعت اليك البر و البحر موقنابان نداك الغمر بالنجح كافل
و حزت بقصديك العلا فبلغتها و ادنى عطاياك العلا و الفواضل
فلا زلت للعلياء و الجود بانيا تبلغك الآمال ما انت آمل!

و قد ابتهج السلطان المنصور بسفير صلاح الدين و حمله على «مباهج البر و الكرامة» كما تقول المصادر المغربية، و اعجب بشخصية
الامير ابن منقذ و اكرمه باربعين الف دينار.

و بالرغم من بعض المؤاخذات التي كانت للسلطان يعقوب على الامير صلاح الدين بسبب تسريح هذا الاخير مولاه قراقوش لبلاد
المغرب سنة ٥٦٨ (١١٧٢-١١٧٣) لمحالفه خصوم الموحدين و التشغيب عليهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٠١

بالرغم من ذلك جهز له بعد ذلك بمائة و ثمانين اسطولا كان لها اثر قوى على منع النصارى من سواحل الشام كما يقول ابن خلدون

و ان الذى يعرف غيره المنصور الموحدى و تفانيه فى ساحات الجهاد و يعرف مع ذلك حاجة الاندلس بالذات تليقظة الزائدة و
الحركة المطردة ليدرك جيدا تضحية المنصور بل مغامرته بارسال مثل هذا العدد من الاساطيل الجهادية الى اقصى جهات المتوسط.
و لعل احسن تعبير أدته الشام اعترافا بجميل العاهل المغربى هو ذلك المشهد الذى اقاموا له على مقربة من دمشق على ما عند ابن
خلكان ...

و معلوم ان ذلك العدد من المراكب لم يأخذ طريقه دون عسكر مدرب و دون متطوعين و مرشدين و مجاهدين و بهذا نفسر التحاق
عدد من المغاربة بالشام كان فيهم الصناع و العمال و الفقهاء من امثال ابى الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الشيخ غزا
بالمغرب مع الموحدين، و بالشام مع صلاح الدين .

و عند ما حقق صلاح الدين آماله فى إبعاد الخطر عن بيت المقدس اذن لمن يريد من المغاربة بالعودة الى ديارهم لكنه كان بحاجة
الى بعض منهم ممن كانوا يفضلون بدورهم البقاء بالشام استعدادا للطوارئ.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٠٢

و من هنا كانت كذلك مدرسة المالكية و مسجد المغاربة الذى تحدث عنه خالد البلوى الاندلسى منذ سنة ٧٣٨ (١٣٣٧-١٣٣٨ م)
كما تحدث عنه ذو الوزارتين السفير ابو القاسم الزباني فى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى .

*** لكن كل هذا لم يكن كافيا لتمرکزهم بالقدس فقد كان على دولة بنى مرين التي ورثت دولة الموحدين ان تقوم باول محاولة
من نوعها فى سبيل تملك العقار بتلك الديار، و كأنها تنبعت لما يهدد البيت الحرام من غزو آخر يكون على شكل تملك اراضى
تلك البقاع ...

و هكذا نجد السلطان ابا الحسن عليا بن عثمان يخصص سنة ٧٣٨ (١٣٣٧-١٣٣٨) ستة عشر الفا و خمسمائة دينار ذهبى لشراء الرباع
فى الحرمين و القدس ...

و حتى يعرب الملوك المغاربة عن تعلقهم بتلك الرحاب قاموا انفسهم بنسخ ثلاثة مصاحف كبرى بخط ايديهم ليجعلوها فى خزائن
تلك العتبات المقدسة تذكيرا باهمية التربة و تعبيراً ...

و كما كان الشأن فى مصحف مكة عام ٧٣٨ (١٣٣٧-١٣٣٨) و مصحف المدينة عام ٧٤٠ (١٣٣٩-١٣٤٠) فقد قام السلطان ابو الحسن

عام ٧٤٥ (١٣٤٤-١٣٤٥) بانتساخ المصحف بيده و جمع الوراقين لتنميته و تذهيبه، كما احضر القراء لضبطه و تهذيبه، وضع له طرفا مؤلفا من الابنوس و العاج و الصندل و غشاه بصفائح الذهب و غلفه من فوق برقاع من الحرير و الديقاج ...

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٠٤

و قد وهم ابن خلدون عند ما ذكر ان ابا الحسن ادركنه وفاته قبل الفراغ من نسخها. فقد بعث بهذا المصحف الجميل الى ابي الفداء اسماعيل بن الملك الناصر محمد ابن قلاوون، بواسطة احد سفرائه اللامعين: هو ابو الفضل ابن ابي عبد الله بن ابي مدين عند ما توجهت الاميرة مريم الى الديار المقدسة ...

و قد ذكر المقرئ صاحب نفح الطيب انه رأى المصحف الذى ببيت المقدس و رأى ربعتة (يعنى ظرفه) و هى فى غاية الصنعة.

و قد استمر هذا المصحف ببيت المقدس الى السنوات الاخيرة حيث وقفت عليه يوم ثانى شتنبر من عام تسعة و خمسين و تسعمائة و الف، و قرأت عليها اسم «عبد الله على» و تاريخ ٧٤٥ ...

*** و استمرت صلة الدولة المغربية بتلك البقاع ليس فقط لما تتمتع به من قداسة و لكن لان عددا مهما من المواطنين المغاربة ارتبط بتلك الديار فكان جسرا شريفا بين مغرب الاسلام و مشرقه، و لهذا فلا عجب ان نجد السلطان أبا العباس احمد المنصور السعدى يستقبل فى قصره بالمغرب عددا من علماء مكة و المدينة و بيت المقدس. و هكذا نجد الفقيه امام الدين ابن محمد بن يوسف ابن علاء الدين بن قاسم البطائحي الخليلي الاشعري يرتبط ببيت المقدس لدرجة تجعله - بالرغم مما لقيه فى بلاط ابي العباس من كرم الضيافة و لطف المعشر - يعبر عن شوقه الى تلك الرحاب:

اهلى بارض القدس ينتظروننى قد مسهم الم التوى ببعادى

لى طفلة كلف الفؤاد بحبهاو تشتت لفراقها اكبادى

جست الاراضى و اخترت ملوكهاو لقيت من فيها من الامجاد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٠٥ ما شاهدت عيناي مثلك فى الورى تتبين الاشياء بالاضداد

بل جودكم عم الانام و قدركم أربى على المأمون فى بغداد

*** و كما كان الشأن فى العهود السابقة فاننا نجد الامر كذلك بالنسبة فى العصور اللاحقة حيث ظل القدس مزار المغاربة يقصدونه جيئة و ذهابا سواء أكان اتجاههم نحو الحجاز مع ركب الحاج او نحو اسطنبول فى مهمات سياسية كما ظلت فكرة تملك العقار بالبقاع المقدسة فى صدر اهتمام الملوك المغاربة.

و قد قرأنا عن الاميرة لالة خنائة زوجة السلطان المولى اسماعيل و ام السلطان المولى عبد الله وجدة السلطان محمد الثالث، قرأنا عنها اقتناءها العقار بالبقاع المقدسة و صرفها ما يناهز الالف مثقال ذهب مطبوعة فى ذلك و تعيينها ناظرا للسهر على ريع الوقف و توزيع فوائده .

و قد اهتم الملوك العلويون بامر جاليتهم فى القدس فوجه السلطان المولى عبد الله بضعة و عشرين مصحفا بخطوط جميلة كان منها ما نال ثالث الحرمين

كما ان السلطان محمد الثالث وقف عددا من المخطوطات على الحرمين و بيت المقدس بالنظر لتكاثر المغاربة هناك و تمكنهم من جل مرافق المدينة.

و قد امسى المسجد الاقصى بمثابة مزار مغربية لا تختلف عن مشهد المولى ادريس الاكبر بمدينة زرهون او ادريس الازهر بمدينة فاس، الامر الذى يفسره الاهتمام بنشر قرارات الدولة فى تلك المراكز على نحو نشرها بالديار المغربية لما ان الحاليات المغربية تتواجد بكثرة فى تلك البقاع.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٠٦

و من هناك كثر المغاربة و اخذوا يجدون لهم فروعا في شتى جهات فلسطين، و مع انهم امتزجوا بباقي الاسر المتواجدة هناك فانهم ظلوا ملتفين بعضهم بعضا محتفظين بعاداتهم و تقاليدهم في المطعم و الملبس متخذين جلهم من المذهب المالكي مرجعا لهم كما هو الشأن بالمغرب الاقصى و متخذين فوق ذلك و كيلا- لهم يدافع عن مصالحهم و يرفع حقوقهم و يقوم بتوزيع المساعدات التي استمرت تصل الفقراء و المحتاجين منهم من الديار المغربية.

و بالرغم من انه لا يضبط تاريخ محدد لتأسيس حي المغاربة و لا للباب الذي يحمل اسم باب المغاربة مما يتصل بالحي المذكور، بالرغم من ذلك فان سائر القرائن تدل على انه من الاحياء القديمة جدا التي يرجع تاريخها الاول لعهد صلاح الدين الايوبي- إن لم يسبق ذلك التاريخ- و قد جددت دون شك بعض جهاته ايام السلطان سليمان القانوني ...

و يعتبر حي المغاربة برمته من الاوقاف الخيرية المغربية، و هو يقع في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة القديمة، و يلاصق المسجد الاقصى و الصخرة و حائط المبكى (حائط البراق الشريف) شرقا، و الحي اليهودي غربا و سور القدس (باب المغاربة) جنوبا، و باب السلسلة المحكمة الشرعية الاسلامية شمالا ..

(انظر الرسم). و الحي يضم مائتين و خمسة و اربعين عقارا و يحتوى على سبعمائة و ثلاثين شقة سكنية و مسجدين و خمسة مخازن و يقع في الحي بعض الابنية الاثرية التي بناها المماليك و اهمها قصر الامام، و جميع تلك المنازل ملاصقة بعضها بعضا، و هي ابنية قديمة تشتهر بآبارها و غرفها الصغيرة نوعا ما، و جدرانها السميكة حيث يصل سمك الجدار احيانا المتر الواحد، كما تشتهر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٠٧

بصغر مداخلها الرئيسية كبقية احياء القدس القديمة، و بوضع درجات نزولا.

و في معظم تلك البيوت يوجد سرداب يؤوى اليه السكان في فصول الصيف، و يختزنون فيه بعض المواد التي يتسرع اليها الفساد، و ان اكبر بيت في حي المغاربة لا يتجاوز الطابقين و ثمان غرف الا ان العلامة المميزة له عن بقية الاحياء كونه غير مسقوف و لا وجود للقناطر فيه ...

و لا ينكر ان في حي المغاربة بيوتا اصبحت غير صالحة للسكنى بسبب تداعيتها، و مع ذلك نجدها آهلة بسكانها المغاربة مع العلم ان هناك لجنة للاصلاح و الترميم تشرف عليها الاوقاف الاسلامية.

و من ابرز المعالم التي توجد في الحي زاوية سيدي بومدين الغوث التي كانت تحتوى، فيما تحتوى عليه، سيفه الذي قيل انه كان يجاهد به ضد الصليبيين احدى الحرافات الاسرائيلية تهدم جانبا من حي المغاربة الملاصق للمسجد الاقصى المبارك يوم ١٤/١٤/١٩٦٩

١٩٦٩

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٠٨

عند ما زار بلاد المشرق ..

و تضم الزاوية حوالى عشرين غرفة صغيرة جدا لا- تتجاوز مساحة كل منها ثلاثة امتار على مترين، يقيم فيها الحجاج الواردون من المغرب و الجزائر و تونس، بحيث تعتبر الزاوية مقر استراحة للحجاج الافارقة في طريقهم الى الحجاز ذهابا و ايابا. و فيهم من يستهويه الحال فيقطن فيها بصورة دائمة.

و يتخذ حي المغاربة شكلا مربعا يحيط به طريق ضيق مبلط مع بضع درجات، و يربط الحي بالقدس القديمة حي باب السلسلة، كما يربطه بالقدس الجديدة باب المغاربة و هو باب الحي في سور القدس، و للحي المغربي اهمية لوجود حائط المبكى (حائط البراق الشريف) فيه، و يؤم الحائط كما هو معلوم آلاف السياح و الرواد كل سنة، و كل من يروم زيارة الحائط لا يدخله من اختراق الحي.

و بعض تلك الاملاك- على ما اسلفنا- من وقف مغربي اقدمه يرجع لعهد المرابطين و الموحدين و بنى مرين.

و عند ما اعتدى على القدس الشريف من قبل القوات الصهيونية الغاشمة يونه ١٩٦٧ صادرت اسرائيل تلك الاوقاف و ضمتها الى املاكها و اختلتها من سكانها مستعمله لتحقيق ذلك وسائل الضغط الاقتصادي و قطع المجارى و شبكات المياه و اخيرا استعمال القوة و النسف حيث دمر الحى المغربى عن
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٠٩

بكرة ابيه و سوى بالارض، و اقامت سلطات الاحتلال الاسرائيلى مكانه ساحه عامه تتوسطها حديقه ملاصقه لحائط المبكى .
و قد تمت ازاله مباني الحى المغربى بتاريخ ١١-٦-١٩٦٧ اى بعد احتلال اسرائيل للقدس بخمسه ايام. و قد قامت الهيئه الاسلاميه فى القدس بواجبها عند ما تكشف ان تنفيذ نسف حى المغاربه سيتطلب هدم باقى الابنيه العريبه القائمه بين باب المغاربه و الزاويه الجنوبيه الغربيه للحرم و الملاصقه للمسجد الاقصى من جهه الجنوب، و كذلك عمارة المحكمه الشرعيه القديمه و باب السلسله من جهه الشمال، و هكذا سارعت الهيئه الاسلاميه بتقديم مذكرة الى السلطات المحتله بتاريخ ٩-٨-١٩٦٧ تطالب فيها بايقاف اى اجراء تعسفى جديد .

و لم يكد خبر العدوان الوحشى على مبنى القدس الشريف يصل مسامع الملك الحسن الثانى حتى استجاب للنداء الجريح الباكي الذى توجه به الملك الحسين عاهل الاردن الى مختلف الدول الاسلاميه ..
و هكذا احتضن المغرب مؤتمرين اثنين متواليين: القمه الاسلامى الذى حضرته خمس و عشرون دوله، و القمه العربى التى شاركت فيه سائر الدول العريبه .

*** و الحديث عن حى المغاربه يقتضى منا أن نتعرف قليلا على اولئك الذين كانوا الى الامس القريب يقيمون بهذا الحى مخلفين فى ذلك آباءهم و جدودهم الاقدمين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١١٠

ان الجاليه المغربيه القاطنه فقط فى حى المغاربه تضم اكثر من خمس و عشرين عائله يقدر عدد افرادها بحوالى ٨٠٠ شخص، كما توجد بعض العائلات متفرقه فى مدن الاردن كاريحا، و عكا، و عمان، و مجموع افراد الجاليه الكلى يقارب ال ١٣٠٠ شخص عدا الحجاج القاطنين فى زاويه سيدى بومدين.

و توجد الى جانب الجاليه المغربيه طائفه من العائلات الجزائريه و التونسيه و الليبيه الا انها لا تتجاوز السبع عائلات .. و المعروف ان جل المغاربه فى فلسطين و الشام كان جدودهم قدموا من الوطن الام (المغرب) على ما اسلفنا لكن فيهم ايضا من قدم مع الجيوش الفرنسيه و اعتصموا بهذه البقاع فارين من العمل ضد غزو اخوتهم.

و اشهر العائلات المغربيه هى عائله المرحوم الحاج ادريس المغربى المعروف بابى الايتام و المشهور بأيديه البيضاء على دار الايتام التى انشأها المجلس الاسلامى الاعلى فى بدايه العشرينات، و عائله المرحوم الحاج ابراهيم الفكيكى و عائله المرحوم الشيخ محمد المهدي، و عائله المرحوم الحاج على النقيب، و عائله السيد صالح الطيب، و عائله المرحوم الحاج احمد المصلوحى، و عائله السيد احمد الفاسى و السيد سعيد الفيلالى، و عائله السيد احمد بو حماله و اسره الحاج البشير التازى و اسره الاشراف العلميين ...

و هذه العائلات تقطن الحى منذ مئات السنين بدون اجرة و يحق للشباب المغربى الراغب فى الزواج ان يطالب ببيت مستقل له و لزوجته فى حاله عدم اتساع بيت ابيه له بعد الزواج، و كما كان منذ القدم فان جميع افراد الجاليه المغربيه تتمتع بمساعدات ماديه من الحكومه المغربيه تقوم هذه بصرفها الى لجنة شؤون المغاربه لتقوم بتوزيعها على المحتاجين سواء من سكان البيوت او من المجاورين فى زاويه سيدى بومدين، هذا الى المساعدات الغذائيه اليوميه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١١١

و لما كان عدد افراد الجالية المغربية في تزايد مستمر، و لما كانت مصالحهم و اعمالهم كثيرة فكر رجال الجالية بفصل الاوقاف المغربية عن شؤون الاوقاف الاسلامية، و نجحوا في ذلك مطلع عام ١٩٥٤، و هكذا اصبحت الاوقاف المغربية مستقلة ماليا و اداريا، و قد عينت الاوقاف الاسلامية بالاشراف مع لجنة مغربية الشيخ الحاج محمد المهدي عميدا للجالية يحمل اختاما خاصة و يشرف على تصريف شؤون المغاربة في الاردن، كان بمثابة «مختار» و قد استمر في منصبه حتى عام ١٩٥٩، و لما كان الشيخ المهدي قد طعن في السن كثيرا اجتمع رجال الجالية ثانية في نفس التاريخ و انتخبوا الحاج علي النقيب كعميد لهم يمثلهم لدى الاوقاف الاسلامية و يشرف على امورهم، و قد استمر هذا في منصبه حتى وافاه الاجل عام ١٩٦٢، بعدها عقدت الجالية اجتماعا طارئا قرروا فيه انتخاب السيد محمد الفكيكي خلفا له و لا يزال هذا الاخير يشغل منصبه حتى الوقت الحاضر، لكن اشرافه اقتصر على ما تبقى من افراد الجالية المغربية في الارض المحتلة.

و على ذكر الرئاسة هذه نشير الى ان منصب الرئاسة او (المخترة) هو منصب فخري لا يتقاضى من يشغله اى اجر و انما يتلقى المساعدة المادية كبقية افراد الجالية لا يفوتهم بأى شىء.

*** و بعد اسر القدس الشريف و تراكم الاعمال على السيد الفيكيكي اصبحت سفارة المملكة المغربية الملجأ الوحيد لافراد الجالية يراجعونها في تصريف امورهم، و قد استعان السيد عبد الكبير الفاسي سفير المغرب آنذاك بالسيد احمد بو حمالة- بعد التشاور مع افراد الجالية- و هكذا اصبحت بو حمالة بمثابة رئيس مساعد يقدم للسفير المشورة اللازمة.

و قد أمسى افراد الجالية المغربية يعيشون في مخيمات النازحين كبقية جميع اخوانهم اللاجئين الفلسطينيين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١١٢

و ازاء هذه الحال المضنية عمد المغرب الى اسعاف ابنائه و هكذا امر جلالة الملك الحسن الثاني بارسال طائرات متتابعة محملة بالمواد الغذائية و الالبسة و الاغطية الصوفية و الاحذية و الاعانات المادية التي وزعت في الوقت المناسب على المشردين المعذبين. لكن في المغاربة من لم يتحمل هذه الحياة المريرة التي لم يتعودوها منذ ان نسفت منازلهم و سويت بالارض ففكر معظمهم في العودة الى الوطن الامم المغرب، و قد كان مما شجعهم على ذلك ما امر به العاهل المغربي من تسهيل العودة بالطائرة على كل الراغبين في ذلك، و قد تم بالفعل تسفير عدد من العائلات المغربية بطريق الجو حيث وجدوا في استقبالهم الصدور الرحبة و المعاملة اللائقة، و مع ان الشعور بالاسى يغمر اولئك المغاربة الذين اصبحوا بين عشية و ضحاها دون ماوى و لا مئوى فانهم مشبعون املا في ان لهم عودة الى بيوت لهم نحتها اجدادهم منذ مئات السنين، و انهم و لو أنهم يعتزون بوطنهم الام لكن الروح التي شدت بهم الى القدس ستظل مهيمنة على كل وجدانهم و مشاعرهم الى ان يهزموا الظلم الذي حف بيت المقدس و بحى المغاربة فيه ..

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١١٣

اورشليم الكنعانية (بيت المقدس) في اقدم عصورها كتبه الدكتور احمد سوسه الحائز على درجة شرف من جامعة جونس هوبكنس و

مدير الرى العام و مدير المساحة العام فى العراق سابقا

اشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١١٥

١- اورشليم الكنعانية (بيت المقدس) فى أقدم عصورها ١- تمهيد

٢- تسمية المدينة فى مختلف أدوارها

٣- سكانها الأولون

٤- جغرافية المدينة و طوبوغرافيتها

- ٥- أسوار المدينة قديما و حديثا
 أ- السور القديم (السور الأول).
 ب- السور الثاني.
 ج- السور الثالث و الأخير.
 ٦- تاريخ المدينة القديم
 أ- الدور الأول- دور ما قبل ظهور بنى اسرائيل
 ب- الدور الثاني- دور بنى اسرائيل.
 ١- عهد موسى.
 ٢- عهد يشوع.
 ٣- عهد القضاة.
 ٤- عهد الملوك.
 ٥- عهد الانقسام- مملكتا اسرائيل و يهوذا.
 ٦- الغزو الآشورى و ازالة اسرائيل.
 ٧- الغزو الكلدانى و ازالة يهوذا.
 ٧- أورشليم فى زمن الفرس الاخمينين (٥٣٨-٣٣٢ ق.م).
 ٨- أورشليم فى زمن الاغريق (٣٣٢-٦٤ ق.م).
 أ- عهد الاسكندر الكبير.
 ب- النزاع بين القواد اليونانيين بعد موت الاسكندر.
 ج- النزاع بين البطالسة فى مصر و السلوقيين فى سورية.
 د- طبقة من اليهود تتقبل الثقافة اليونانية.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١١٦
 ه- تدخل روما فى الشرق.
 و- محاولة السلوقيين القضاء على اليهودية و اندلاع ثورة المكابيين.
 ز- عهد المكابيين فى فلسطين (١٦٦-٣٧ ق.م).
 ح- فترة اضطرابات و مشاحنات تمهد الى تدخل الرومان فى شؤون فلسطين.
 ط- الرؤساء المكابيون و مدد حكمهم (١٦٦-٣٧ ق.م).
 ى- جدول مسلسل للحوادث التاريخية فى العهد الاغريقى (٣٣٤-٦٤ ق.م).
 ٩- أورشليم فى زمن الرومان (٦٤ ق.م- ٦٣٨ ب.م).
 أ- التنزع بين الدول على السيطرة فى الشرق و تغلب الرومان فى الصراع.
 ب- يهوذا تخضع لحكم روما المباشر- كابينوس نائب قنصل فى سورية.
 ج- كراسوس و كاسيوس فى حكم سورية.
 د- اليهود فى عهد قيصر- انتياتر الأدمى خازق و حاكم فى أورشليم.
 ه- مارك انطونيوس و كليوباترة- القضاء على انطونيوس و اقامة الانباطورية الرومانية.

- و- هيرودس الأدومي ملك على يهوذا و على الجليل.
- ز- تقسيم مملكة هيرودس على أولاده بعد وفاته.
- ح- هيرودس اغريبا حفيد هيرودس الكبير ملك على فلسطين.
- ط- موت اغريبا و ثورة اليهود ثم قمعها على يد تيطوس سنة ٧٠ م.
- ى- ثورة اليهود من جديد بقيادة باركوخيا و القضاء عليها.
- ك- تساهل الرومان مع اليهود فى نشاطاتهم الدينية و اعادة تشكيل السنهدرين.
- ل- الانباطور قسطنطين يعتنق المسيحية و أثر ذلك فى انتشار و تغلب المسيحية.
- م- الصراع بين الفرس و الرومان حتى الفتح الاسلامى.
- ن- جدول مسلسل للحوادث التاريخية فى العهد الرومانى (٦٤ ق م - ٦٣٨ ب. م)
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١١٧
- المختصرات نظرا لكثرة الاشارة إلى اسفار التوراة فقد اثبتنا طريقة اختصار اسمائها على الوجه الآتى:-

سفر التكوين / مختصره / (تك)

سفر الخروج / مختصره / (خر)

سفر اللاويين / مختصره / (لاو)

سفر العدد / مختصره (عد)

سفر التثنية / مختصره (تث)

سفر يشوع / مختصره / (يش)

سفر القضاة / مختصره / (قض)

سفر راعوث / مختصره / (را)

سفر صموئيل الأول / (١ صم)

سفر صموئيل الثانى / (٢ صم)

سفر الملوك الاول / مختصره / (١ مل ن)

سفر الملوك الثانى / مختصره / (٢ مل)

سفر أخبار الأيام الأول / (١ أخ)

سفر أخبار الأيام الثانى / (٢ أخ)

سفر عزرا / مختصره / (عز)

سفر نحميا / مختصره / (نح)

سفر المزمير / مختصره / (مز)

سفر الجامعة / مختصره (جا)

سفر اشميا / مختصره / (اش)

سفر ارميا / مختصره (ار)

سفر حزقيال / مختصره (حز)

سفر هوشع / مختصره / (هو)

سفر يوثيل / مختصره / (يو)

سفر عاموس / مختصره / (عا)

سفر المكابيين الأول / مختصره / (١ مك)

سفر المكابيين الثاني / مختصره / (٢ مك)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١١٨

أورشليم الكنعانية (بيت المقدس) في اقدم عصورها

١- تمهيد:

ما من مدينة في تاريخ العالم تمتعت بقدسية مستديمة، منذ أن أسسها اليوسيون الكنعانيون قبل زهاء خمسة آلاف عام حتى يومنا هذا، مثل مدينة أورشليم (بيت المقدس الحالية): هي الارض المباركة «دار السلام» كما سماها الأقدمون، و قد حمل ملوكها القدماء لواء عقيدة التوحيد للاله العلي لأول مرة في التاريخ البشرى على ما يرى الكثير من المؤرخين. و قد خصها الله بالعديد من الأنبياء حتى قيل إن بناءها تم على يدهم و سكنوها «ما فيها موضع شبر إلا و قد صلى فيه نبي او قام فيه ملك». كما خصها الله باسراء رسوله المصطفى (عليه الصلاة و السلام) فقال في كتابه العزيز:

«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١١٩

بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

و انطلاقا من عقيدة التوحيد نطق الملك الكنعاني (العربي) «ملكي صادق» ملك شاليم (اورشليم) «الكاهن لله العلي». حين بارك ابراهيم الخليل (ع) بقوله: «بارك الله العلي الذي اسلم أعداءك في يدك»، و ما زالت المدينة حتى يومنا هذا تقدها الديانات السماوية الثلاث بكل تجلئ و تعظيم. و ملكي صادق، هذا يرجع تاريخه الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد و هو زمن ابراهيم الخليل (ع) و هو من نسل كنعان بن حام كان ملكا على مدينة أورشليم و ولايتها التي كانت تعرف باليوسية نسبة الى يوس ولد كنعان. و جاء في بعض التقاليد اليهودية أن «ملكي صادق» هو سام و ان تقدمه بالعمر و شرف نسبه جعله جديرا بان يبارك ابراهيم (ع)، و يرى العلماء المحدثون ان «ملكي صادق» من سلالة حام و كان محافظا على سنة الله القديمة بين شعب و ثنى، و قد عرف بالتقوى و الزهد، و قيل إن ملكي صادق كان يسكن هو و قومه في الكهوف و كان أول من اختط أورشليم و بناها و كان محبا للسلام حتى أطلق عليه ملك السلام، و من هنا جاء اسم المدينة «شالم» و «شليم» و «سالم» أي مدينة السلام. و يقول الانجيل إن السيد المسيح صار «على رتبة (ملكي صادق) رئيس كهنة الى الأبد». و يقول بعد ذلك عن «ملكي صادق» إنه لا بداءة أيام له و لا نهاية حياة، بل هو مشبه بابن الله، هذا يبقى كاهنا الى الأبد». فالتوراة و الانجيل معا يصفان الكاهن الكنعاني بصفة الكاهن الأعلى و بصفة الخلود و يرفعانه الى المنزلة التي يتلقى منه ابراهيم بركة الإله العلي، إله السموات و الأرض.

و قد وصل الينا من أسماء ملوك أورشليم غير «ملكي صادق» الملك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٢٠

«عبدى هيبا» أو «عبدى خيبا» و هو الذي ورد اسمه في وثائق العمارنة في ست رسائل و جهها الى ملك مصر «أمنحوتب الرابع»، أحد ملوك السلالة الثامنة عشرة، و هو المسمى أيضا «اخاتون»، و قد اشتهر هذا الملك العظيم الذي حكم بين سنة ١٣٧٥ و سنة ١٣٥٨ ق. م بدعوته لعقيدة التوحيد. و من أهم ما ورد في هذه الرسائل طلب الملك «عبدى خيبا» العون من ملك مصر لصد هجمات أهل البادية «العبيرو» أو «الهيرو» أو «الخبيرو»، و هم العبريون أهل البادية الشمالية الذين منهم جاءت كلمة «عبرى» التي شاع استعمالها

للدلالة على اليهود في العصور التالية. و في جملة اقوال هذا الملك: «إن هذه الأرض، أرض أروسالم، لم يعطني اياها ابي و لا أمي و لكن أيدي الملك القوية هي التي ثبتتني في دار آبائي و أجدادي، و لم اكن أميراً بل جندياً للملك و راعياً تابعاً للملك ... منحت ملكية أرض أروسالم الى الملك الى الابد و لا يمكن ان يتركها للاعداء...» و كان آخر ملوك أورشليم عند هجوم بني اسرائيل بقيادة يشوع على المدينة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد الملك «أدونى صادق». و قد ورد ذكر هذا الملك في التوراة في جملة الملوك الخمسة الذين اعتبروا من العموريين .

و نظراً لما كان لأورشليم من دور رئيسي في تاريخ فلسطين القديم، فلا يمكن فصل البحث في تاريخها القديم عن تاريخ فلسطين بصورة عامة. لذلك فقد ضم هذا البحث تفاصيل لأحداث جانبية معاصرة لم يكن بالوسع إهمالها لصلتها بمنطقة أورشليم بوصفها جزءاً مهماً من فلسطين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٢١

٢- تسمية المدينة في مختلف أدوارها:

سمّاها الكنعانيون، سكان البلاد الأصليون، «يرو-شالم»، أو «يرو-شلم»، و «شالم»، و «شلم» اسم لاله كنعاني معناه السلام . و قد جاءت فيما بعد بهذه التسمية، أي «أورشليم» في التوراة، و هي مشتقة من التسمية الكنعانية الأصلية. و سمّيت في التوراة أيضاً «سالم» و «شليم» و «مدينة الله» و «مدينة داود» و «مدينة الملك العظيم» و «مدينة يهوذا» و «أريئيل»، و «القدس»، و ورد ذكرها في الانجيل باسم «شليم» (رسالة العبرانيين ٧: ٢). و قد وردت باسم «أروسالم» في الكتابات الكنعانية التي ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد أي مدينة السلام، و ظل اسم أورشليم شائعاً منذ ذلك العهد الى يومنا هذا، و من «ياروشالم» جاء الاسم الفرنجي «جيروزالم» (Jerusalem). و قد ذكر ياقوت في كتابه معجم البلدان أن المدينة وردت باسم أورشلم بالضم ثم السكون و كسر الراء و ياء ساكنة و شين معجمة مفتوحة و لام مكسورة و يروي بالفتح و ميم و قد يسكنون اللام فيقولون أورشلم.

و قد وردت أيضاً بحسب قوله باسم اوريسلم بالسين المهملة و باسم أورشلوم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٢٢

و اوريشلم بتشديد اللام و أورشلم بفتح الراء و السين . و قد نسبت المدينة الى الملك الكنعاني «ملكي صادق» الذي عرف بالتقوى و حب الخير و السلام و لقب بملك شالم، اي «ملك السلام» و وصفته التوراة أنه «كاهن لله العلي أخرج خبزاً و خمراً لابراهيم و باركه» .

و من أسماء أورشليم القديمة أيضاً «يبوس» نسبة الى اليبوسيين و هم فرقة من الكنعانيين سكنوا في أورشليم و حولها، هم سكان أورشليم الأصليون نزحوا من جزيرة العرب، و قد سمّاها الفراعنة في كتاباتهم الهيروغليفية «يايشي» و «يابتي» و هو تحريف لاسم يبوس الكنعاني . و قد وردت تسمية يبوس في التوراة و وصفت أنها هي أورشليم . و وردت أيضاً في التوراة باسم «مدينة اليبوسيين» و سمّيت أيضاً «باليبوسى»، و من تسمية «يبوسيين» صار الكنعانيون يطلقون اسم «يبوس» على كل أورشليم.

و كان لليبوسيين قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية من أورشليم كانوا يطلقون عليها اسم «صهيون»، و قد سمّيت «حصن صهيون»، ثم سمّيت بعد استيلاء الملك داوود عليها «مدينة داود»، و ذلك بقصد تغيير الاسم الكنعاني. و يلاحظ هنا أن الملك داود لم يكن لديه مجال لايجاد اسم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٢٣

جديد للمدينة يحمل معنى كتسمية أورشليم، لأن اللغة التي سمّيت بها أورشليم قبل عصر بني اسرائيل هي نفس اللغة التي كان يتكلم بها سكان البلاد و من ضمنهم بنو اسرائيل، و هي اللغة الكنعانية الآرامية الأصلية، لذلك أطلق على المدينة اسمه فقط، و لكن مع

ذلك بقى الاسم الكنعاني الآرامي الأصلي يستعمل و ما زالت المدينة تعرف بهذا الاسم حتى يومنا هذا .. و صار الحصن يعرف في عهد المسيح (ع) باسم «جبل صهيون». و يوجد الآن في جوار مدينة أورشليم واد يسمى «وادي صهيون» كما يوجد موضع يقع في جنوب غربى المدينة خارج السور الحالى للمدينة يسمى «جبل صهيون». و هذه التسمية حديثة لا تمثل موضع جبل صهيون الأصلي الذى كان يقع فى القسم الجنوبي الشرقى من المدينة.

و فى زمن الرومان حوّل الامبراطور هادريان مدينة أورشليم، بعد ان استولى عليها و دمرها سنة ١٣٥ م، الى مستعمرة رومانية و بدّل اسمها الى «ايليا كيتولينا» **Aelia Capitolina** و ايليا هو الاسم الأول لهادريان. ثم أعاد لها قسطنطين اسمها القديم «أورشليم» بعد اعتناقه المسيحية و كرسّت امه الامبراطورة هيلانة لكشف مواضع الحوادث المهمة للمسيحية و لبناء كنائس تذكارا لها .

و قد سمّيت المدينة فى العصور التالية ب «بيت المقدس» و «القدس الشريف» الخ .. و قد سمّاها الشيخ إسحاق بن حسين المنجم فى كتابه «آكام المرجان فى ذكر المدائن المقهورة فى كل مكان» بالاسمين «بيت المقدس ايلياء» و المنجم من علماء القرن الخامس الهجرى.

يتضح مما تقدم أن تسمية «أورشليم» التى يحاول الصهيونيون اليوم عدّها من الأسماء العبرية (بمعنى الاسرائيلية) هى فى الحقيقة كلمة كنعانية آرامية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٢٤

أصيلة وردت بهذا الاسم فى النصوص الكنعانية التى وجدت فى مصر قبل ظهور بنى اسرائيل بعدة قرون، ثم بعد أن ظهر الاسرائيليون و تكونت اللهجة العبرية المقتبسة من الآرامية فى وقت لاحق صار الاسرائيليون يسمونها بلغتهم العبرية «يروشلايم». لذلك فدعوى القول بأن اسم «أورشليم» عبرى الأصل (بمعنى اسرائيلى) دعوى باطلّة لا تستند الى مصدر تاريخى بدليل ورود الكلمة فى الكتابات الكنعانية قبل ان تتكون اللهجة العبرية و المدونات العبرية بنحو ثمان مئة عام. و تعترف التوراة اعترافا صريحا بان ليس لبنى اسرائيل أية صلة بتاريخ أورشليم القديم لا من حيث التسمية و لا من حيث القومية، فلما خاطب حزقيال أورشليم قال: «أبوك أمورى، و أمك حثية» (حز ١٦: ٣)، و ذلك على اعتبار أن ملوك أورشليم كانوا من العموريين فى رأى التوراة حيث اعتبرت «أدونى صادق» آخر ملوك أورشليم فى جملة الملوك العموريين. (يش ١٠: ٣).

٣- سكانها الأولون:

كان اليبوسيون الكنعانيون أقدم سكان أورشليم يرجع الخبراء تاريخ وجودهم فى المدينة الى ما قبل خمسة آلاف عام حين نزع الكنعانيون من جزيرة العرب الى فلسطين، و كانوا يقطنون فى المنطقة حوالى أورشليم و كانت اورشليم مركزهم الرئيسى و عاصمته ملكهم. فكونوا فى وطنهم الجديد حضارة ذات حكومة و صناعة و تجارة و ديانة. و قد ورد ذكر أحد ملوكهم فى الكتابات المصرية باسم «عبدى هيبا»، و هذه تعود الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، كما ورد ذكر ملك آخر فى التوراة باسم «ملكى صادق» يعود الى زمن ابراهيم الخليل (القرن التاسع عشر قبل الميلاد). و بعد غزو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٢٥

بنى اسرائيل لكنعان بقيادة يشوع اتحد ملك اليبوسيين «أدونى صادق» مع اربعة من الملوك المجاورين له و استعدوا للمقاومة غير انهم وقعوا فى اسر يشوع فاعدمهم و علّقهم يوما كاملا على الخشب . ثم اتحد بقية اليبوسيين مع يابن ملك حاصور ضد يشوع الّا أنهم انهزموا أيضا و تشتت شملهم .

و مع ذلك لم يتم الاستيلاء على المدينة الّا بعد موت يشوع حيث حاصرها بنو اسرائيل و أخذوها و أشعلوا النار بها و دمروها و لكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على المدينة على القسم المحصن المسمى (حصن صهيون) فعاد اليبوسيون الى ارضهم و بقى الحصن بيد

اليوسيين مدة عهد القضاة و عهد الملك شاؤول حتى تبوأ داود العرش فاحتل الحصن (يوآب) قائد جيشه و سكن داود المدينة و اتخذها عاصمة له و سماها «مدينة داود» كما تقدم. و لما كان مجيء بني اسرائيل الى فلسطين في حوالى سنة ١٢٩٠ قبل الميلاد و عصر داود يبدأ في حوالى سنة ١٠١٠ ق.م فيكون الحصن قد بقى بيد اليوسيين حوالى ثلاث مئة عام بعد ظهور بني اسرائيل حتى احتله الملك داود.

و تقول التوراة ان بني بنيامين الذين صارت اورشليم في تخمهم لم يطردوا اليوسيين فسكن اليوسيون مع بني بنيامين في اورشليم الى هذا اليوم، و لعل المقصود بالقول: «الى هذا اليوم» هو الى ما بعد السبي الثانى الى بابل حيث كتب اكثر التوراة هناك، و تعترف التوراة في نفس الوقت بان بني اسرائيل لم يستطيعوا طرد اليوسيين من اراضيهم فتوكد ان بني يهوذا لم يقدروا على طردهم فسكنوا معهم في اورشليم الى هذا اليوم. و مما يؤيد ذلك أن الملك داود لما أراد أن ينشئ الهيكل في اورشليم قام بشراء الأرض التي اختارها لبناء الهيكل من أصحابها اليوسيين .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٢٦

٤- جغرافية المدينة و طوبوغرافيتها:

تقع اورشليم عند الدرجة «٣١، ٤٦، ٣٥» من خطوط العرض شمالا، و الدرجة ٣٥، ١٨، ٣٠ من خطوط الطول شرقى كرينوش، و هى تبعد ٣٢ ميلا- عن البحر المتوسط غربا و حوالى ١٨ ميلا- عن البحر الميت شرقا و ١٩ ميلا- عن الخليل (حبرون) جنوبا و ٣٠ ميلا عن السامرة (سبطسية) شمالا. و يبلغ معدل ارتفاع المدينة ٢٥٠٠ قدم فوق سطح البحر المتوسط و ٣٨٠٠ قدم فوق سطح البحر الميت. و تتميز اورشليم بموقعها الجغرافى الاستراتيجى، فالطبيعة منحتها أقوى التحصينات لحماية نفسها من الغزو، فهى تقع على أرض مرتفعة محاطة من جميع أطرافها بأودية عميقة، يحدها من الشرق «وادي قدرون» و من الغرب «وادي هنوم». و يبدأ الواديان في الطرف الشمالى الغربى من المدينة و يلتقيان في جنوب المدينة و بذلك يحيطان المدينة من اطرافها الثلاثة، الشرق و الغرب و الجنوب. يتبدى «وادي قدرون» (الوادي الشرقى) على بعد ميل و نصف الميل الى الشمال الغربى من المدينة فيسير أولا الى الشرق الى ان يصل الى زاوية السور الشمالية الشرقية، ثم ينحرف بميل حاد نحو الجنوب فينحدر بين سور المدينة من الجانب الغربى و بين جبل الزيتون و تل المعصية من الجانب الشرقى حتى يلتقى بوادي هنوم المنحدر من جهة الغرب، ثم ينحدر المجرى الموحد بعد ذلك الى «مارسابا» حيث يسمى «وادي الراهب» و من ثم يمتد الى البحر الميت و هناك يسمى «وادي النار». و يسمى الوادي حاليا باسم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٢٧

«وادي ستى مريم»، و كان يعرف في القديم باسم وادي قدرون و معناه الوادي الأسود، و كان يسمى ايضا وادي «يهو شافاط»، و قد ورد ذكره في أخبار ملك داود حيث عبره لثما هرب من وجه ابنه أبشالوم و كذلك مّر المسيح (ع) به، و فى هذا الوادي أحرقت تماثيل معكئة و طرحت جميع أدوات العبادة الباطلة التي تنجس بها هيكل الرب. و يبلغ ارتفاع وادي قدرون ٢١٧٩ قدما فوق سطح البحر.

أما الوادي الغربى، أى وادي هنوم، فينحدر رأسا الى الجنوب من شمال غربى المدينة ثم يعطف شرقا بعد وصوله حد المدينة الجنوبى حتى يتصل بالوادي الشرقى (وادي قدرون) عند الموضع المسمى «بئر أيوب». و يسمى هذا الوادي حاليا باسم «وادي ربابه»، أما اسمه القديم كما ورد فى التوراة فهو «وادي هنوم»، و وادي بنى هنوم، و وادي ابن هنوم. و كان يسمى الجزء الجنوبى الشرقى من الوادي «توفه»، أو وادي القتل .

و أجاز آحاز و منسى أولادهما بالنار فى هذا الوادي على عادة أهل كنعان .

و يبلغ ارتفاع هذا الوادي ٢٠٢٩ قدما.

و كان هناك واد ثالث يخترق أرض المدينة يبدأ شمالا من قرب باب دمشق الحالي و ينحدر جنوبا الى وادي قدرون عند البركة الحمراء، فيقسم أرض المدينة قسمين مؤلفين من هضبتين مستطيلتين، الهضبة الغربية يحدها موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٢٨

وادي هنوم من الغرب و الهضبة الشرقية يحدها وادي قدرون من الشرق.

و صار هذا الوادي يعرف باسم «وادي الجبانين» (صانعي الجبن) و هو مطوم الآن و لم يبق له أى أثر فى الوقت الحاضر، كما كان واد رابع يبتدىء من جهة الغرب من قرب باب يافا الحالي فيسير شرقا فى اتجاه شارع داود حاليا حتى ينتهى الى «وادي الجبانين» فيقسم الهضبة الغربية الى قسمين.

و فى شرقى وادي الجبانين كان خندق يقطع الهضبة الشرقية عرضا فيقسمها قسمين شمالي و جنوبى ايضا. و هكذا أصبحت المدينة منحصرة فى اربعة اقسام مرتفعة و هى القسم الشمالى و الجنوبى من الهضبة الغربية ثم القسم الشمالى و الجنوبى من الهضبة الشرقية (انظر مخطط اورشليم فى أقدم عصورها).

و أقدم بناء فى المدينة هو الحصن الذى كان قد أقامه اليبوسيون سكان اورشليم الأصليون فى القسم الجنوبى من الهضبة الشرقية، فاقاموا حوله سورا و شيدوا فى طرف الحصن برجاً عاليا للسيطرة على المنطقة من فوقه. و اليبوسيون فرع من القبائل الكنعانية التى كانت قد نزلت من جزيرة العرب و استقرت فى فلسطين منذ أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد، لذلك سميت المدينة باسمهم «يبوس» فأصبحت هذه التسمية مرادفة لأورشليم، و قد ورد ذكرها فى التوراة على هذا الشكل فقيل «يبوس هى اورشليم» و «اورشليم مدينة اليبوسيين». و كان يعرف حصن ييوس بحصن صهيون أيضا، كما كان يعرف الجبل الذى أقيم عليه الحصن بالاكمه او «أوفل» و أحيانا «جبل صهيون». و يبلغ ارتفاع جبل صهيون ٢٥٥٠ قدما فوق سطح البحر و ينحدر باتجاه وادي قدرون نزولا الى ارتفاع ٢٠٢٩ قدما. و فى موضع حصن صهيون انشأ السلوقيون قلعة كانت تعرف باسم «قلعة عكرا» أو «أكرا» و قد سقطت بيد سمعان المكابى سنة ١٤١ ق.م

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٢٩

و قد كان طبيعيا أن يقع اختيار اليبوسيين على موقع اورشليم بالذات و ذلك لما اتصف به هذا الموقع من مميزات استراتيجية طبيعية تجعله على جانب كبير من المناعة. و قد حبت الطبيعة هذا الموقع بأهم ما يحتاجه السكان و هو الماء، ففى جوار حصن ييوس شرقا نبع ماء غزير فى وادي قدرون كان يعرف باسم «جيحون» و هو غير نهر جيحون المعروف فى تركستان، و كان اليبوسيون قد حفروا نفقا تحت الجبل لنقل مياه النبع فيه الى داخل المدينة عند الحصن، و فى وقت لاحق قام الملك حزقيا ملك يهوذا (٧١٥-٦٨٦ ق.م) بمد هذا النفق، بعد اغلاقه فى اتجاهه الشمالى، الى جهة الغرب و انشأ فى نهايته بركة صارت تعرف باسم «بركة سلوام» و أقام أبنيه عند فم البركة:

(و حزقيا سد مخرج مياه جيحون الأعلى و أجراها تحت الأرض الى الجهة الغربية) و قد ورد ذكر هذا النفق فى التوراة فى أخبار الملك داود فسُمى بالقناة. و يرى البعض أن الملك داود اكتشف مدخله السرى من خارج السور فأدخل رجاله فيه حتى وصلوا الى منتهاه فى داخل السور فباغتوا اليبوسيين داخل الحصن و احتلوه دون قتال (٢ صم: ٥، ٧، ٩). و قد اكتشف هذا النفق البالغ طوله ١٧٥٧ قدما سنة ١٨٨٠ م و عثر على مسافة ١٩ قدما من بركة سلوام داخل النفق على كتابة نقشت على الحجر دونت فيها تفاصيل كيفية تنفيذ المشروع. و كانت هناك بركة أخرى أسفل بركة سلوام كانت تعرف ببركة الملك او البركة السفلى. و وردت اسماء برك أخرى فى التوراة منها بركة شيلوه و عين روجل يعتقد أنها أسماء لنفس المشروع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٣٠

و الحصن و البركة يقعان اليوم خارج سور المدينة الحالي فى الطرف الجنوبى الشرقى منها. هذا و فى الجانب الغربى من المدينة أقام

حزقيا نفقا آخر يبدأ من وادي هنوم و يمرّ تحت سور المدينة بالقرب من باب حيفا الحالى و ينتهى عند البركة المعروفة ببركة حزقيا حتى هذا اليوم.

و قد بقى حصن ييوس (حصن صهيون) بيد اليوسيين بعد مجيء بنى اسرائيل حوالى ثلاثة قرون كما سبقت الاشارة الى ذلك لعدم استطاعتهم اقتحامه، و ذلك حتى تولّى الملك داود الحكم فى اسرائيل فجمع كل اسرائيل و ذهب معهم الى اورشليم اى ييوس، و قال داود إن الذى يضرب اليوسيين أولا يكون رأسا و قائدا، فتقدم يوآب و اقتحم الحصن فصار رأسا. و أقام داود فى الحصن لذلك دعى «مدينة داود». و بنى داود مستديرا من القلعة فداخلا و جدّد يوآب سائر المدينة .

و قد اختار داود القسم الشمالى من الهضبة الشرقية، أى القسم الذى يقع شمال «حصن صهيون»، لبنى الهيكل فيه، و يعرف هذا القسم بجبل المريا و ارتفاعه ٢٤٤٠ قدما أى أوطأ من قمة جبل صهيون بمئة و عشر أقدام. و كان موضع المريا هذا بيدرا للحبوب و كان ملكا لأرنان أو أرونه اليوسى فاشتره داود من صاحبه بخمسين شاقلا من الفضة و بنى فيه مذبحا للرب و أصدر محرقات و ذبائح سلامة . و فى نفس الموضع بنى سليمان الهيكل بعد ذلك .

و يسمّى الآن موضع الهيكل القديم الحرم الشريف و فى وسطه مسجد قبة الصخرة و المسجد الأقصى الى الجنوب منه. و يعتقد ان موقع الصخرة هو الموقع الذى عين لتقديم ابراهيم ابنه اسحاق قربانا عند ما أراد الله امتحانه حيث ورد فى التوراة ما يشير الى أن الموضع هو أرض المريا . و قد سمى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٣١

يوسيفوس القسم الجنوبى من الهضبة الشرقية، أى موضع حصن ييوس (حصن صهيون)، بالمدينة السفلى و سمى موضع جبل المريا شمالا بالمدينة العليا.

و كان الى الشمال من جبل المريا «جبل بيزيثا» و ارتفاعه ٢٥٢٩ قدما، و كان هذا الجبل خارج حدود السور القديم ثم أصبح داخل السور الجديد و هو السور الحالى .

و فى القسم الجنوبى من الهضبة الغربية الى الغرب من حصن صهيون جبل يسمّى اليوم خطأ بجبل صهيون و هو غير جبل صهيون الاصلى الذى يقع الى الشرق منه فى القسم الجنوبى من الهضبة الشرقية، و لعل تسميته الحديثة هذه مشتقة من تسمية الجبل الشرقى الاصلى. و يبلغ ارتفاع هذا الجبل ٢٨١٦ قدما و ينحدر جنوبا الى وادي هنوم الى ٢٥٠٥ أقدام و يقع اليوم خارج سور المدينة الحالى فى الطرف الجنوبى الغربى منها.

٥- أسوار المدينة - قديما و حديثا -

إشارة موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج ٤ ؛ ص ١٣١

أ- السور القديم (السور الأول):

و لما كانت الأسوار جزءا من حياة المدن فى تلك العصور القديمة فلا بد من نبذة عن تاريخ أسوار اورشليم فى مختلف أدوارها: إن أقدم أسوار المدينة هو السور الذى يرجع الى عهد اليوسيين سكان اورشليم الأصليين و الذى كان يحيط بحصن ييوس أو «حصن صهيون»، فيشكل شبه مستطيل يتوسطه الحصن، و كان النفق الذى يسحب المياه من عين جيحون ينتهى الى البركة داخل هذا السور. و بعد احتلال الملك داود للحصن فى القرن العاشر قبل الميلاد أقام أبنية أضافها الى الحصن و سميت المنطقة «مدينة داود» رغبة منه فى تبديل اسمها الكنعانى الاصلى على الأرجح، ثم اشترى أرض المريا الواقعة الى الشمال من حصن ييوس و بنى فيها مذبحا للرب. و من المحتمل جدا أنه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٣٢

وسّع السور اليبوسى ليضم داخله جبل المريا، كما أنه من المحتمل أن يكون الملك سليمان قد قام بتقوية هذا السور و توسيعه بعد أن أقام الهيكل فى أرض المريا. وهذا هو السور الأول ولا يوجد الآن أى أثر ظاهر لهذه الأسوار القديمة، كما أنه لا يوجد أى أثر للأسوار التى ترجع الى الفترة التى تلى عهد سليمان و التى تبدأ بعهد الانقسام و تنتهى بتهديم الهيكل و السور فى عهد نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م، و ذلك لكثرة التغييرات التى وقعت خلال هذه الفترة نتيجة التهديم وإعادة البناء مرات عديدة. و قد دلت التنقيبات الاثارية على أن أساسات سور الهيكل القديم تقع على نحو من ٨٠ قدما تحت سطح الحرم الشريف حاليا، و ذلك نتيجة توالى التخريب و الهدم. يتضح مما تقدم أن التحصينات اليبوسية التى يرجع تاريخها الى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد كانت قائمة فى أورشليم لفترة حوالى ألفى سنة قبل أن يحتلها الملك داود.

ب- السور الثانى:

وأقدم و اوضح وصف لدينا لسور اورشليم هو الوصف الكامل الذى ورد فى التوراة للسور الذى اعيد إنشاؤه بعد السبى البابلى فى عهد نحemia (سنة ٤٤٤ ق.م) و الذى يعتبر ثانى سور للمدينة، و قد اتبع فى إعادة الانشاء نفس الخط الذى كان يسير عليه السور القديم الذى كان قد أقامه منسى ملك يهوذا سنة ٦٤٤ ق.م فى اثناء الحملة الاشورية فى عهد آشور بانيبال ثم هدم فى عهد نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م و قد استعملت نفس الأسماء القديمة لابواب السور و أبراجه. و يعطينا هذا الوصف فكرة واضحة عن اتساع المدينة فى ذلك العصر، فيبدأ السور من باب الضأن شمال الهيكل و يمتد غربا ثم جنوبا ثم شرقا و شمالا حتى يعود فيتصل بنقطة البداية. انظر «تخطيط أورشليم فى اقدم عصورها» و الابواب حسب تسلسلها ثلاثة فى السور الشمالى و هى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٣٣

باب الضأن، و باب السمك، و الباب العتيق. و باب السمك سُمى كذلك لانه كان الموضع الذى تدخل منه الاسماك المستوردة من صور. و يلاحظ ان السور عند الزاوية الشمالية الغربية أضخم من سائر اقسامه، و تحليل ذلك هو أن هذا القسم كان مجردا من وسائل الدفاع الطبيعية بخلاف ما كانت عليه بقية الاقسام التى تحيط بها الاودية من كل اطرافها. أما الابواب الأخرى فهى: باب افرايم غربا و بابا الوادى و الدمن جنوبا و أبواب العين و الماء و الخيل و الشرق و السجن و الزاوية شرقا. و أهم ابراج السور كانت تقع فى الطرف الشمالى و فى الزاوية الشمالية الغربية المكشوفة و هى حسب تسلسلها: برج المئة و برج حننيل و برج التناير و تبلغ المساحة داخل هذا السور حوالى ٢٠٠ أيكرا (٣٣٦ دونما عراقيا) و هذه كانت تضم السكان الأصليين (اليبوسيين و غيرهم) الذين بقوا مع بنى اسرائيل ثم استأثر السكان الأصليون بجميع المنطقة و استقلوا بها بعد سبى بنى اسرائيل من اورشليم سنة ٥٨٦ ق.م حتى عاد بعض الاسرائيليين فى العهد الفارسى فأعادوا بناء الهيكل، و السكان الأصليون باقون فى أرضهم.

ج- السور الثالث و الاخير:

و الأرجح أن معظم السور الذى بناه نحemia بقى فى عهد المكابيين (١٦٧-٣٧ ق.م) على رغم دك بطليموس الأول جانبا منه سنة ٣٠٠ ق.م و انطيوخس الرابع جانبا آخر سنة ١٦٨ ق.م و فى عهد هيرودس الكبير (٣٧-٤ ق.م) تمت تقويته دون أى تغيير فى تخطيطه على الأرجح. و فى عهد هيرودس أغريبا (٤١-٤٤ م) شرع اليهود فى بناء سور جديد فى الجهة الشمالية غير أن الامبراطور الرومانى كلوديوس منعهم من متابعة العمل فاتهموا ببناءه قبل حصار تيطس سنة ٧٠ م، و هذا هو السور الثالث و سُمى أيضا سور

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٣٤

هيرودس أغريبا وقد ضم هذا السور منطقة بيزثيا الشمالية و ما زال السور الشمالي الحالي للمدينة يسير بنفس هذا الاتجاه. هذا في حين أن حدود المدينة من الجنوب تقلصت بتراجع السور الى الداخل الى نفس الاتجاه الذي يسير فيه السور الجنوبي للمدينة حاليا. و قد ظل هذا السور يتأرجح بين الهدم و اعادة البناء كلما تحوّلت المدينة من يد الى أخرى في العصور التالية، و لكن على رغم هذه التقلبات حافظ على اتجاهه الأخير، و السور الذي نشاهده اليوم حول المدينة الحالية هو الذي جدّه سليمان باشا القانوني، دامت عمارته خمسة أعوام (١٥٣٦ - ١٥٤٠ م) و أضاف اليه عددا من الأبراج، و فوق الأبواب كتابات على الجدران تشير الى ذلك انظر «مخطط أورشليم في أقدم عصورها».

٦- تاريخ المدينة القديم:

إشارة

إن تسلسل الأحداث التاريخية التي مرت على أورشليم منذ تأسيسها في عهد اليوسيين في أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد حتى تخريبها سنة ١٣٥ على عهد الرومان (فترة حوالى ثلاثة آلاف عام) تحدد أدوار المدينة التاريخية بخمسة أدوار منفصلة تقريبا و هي: أولاً، دور ما قبل ظهور بنى اسرائيل، ثم دور بنى اسرائيل و يليه دور القدس فاليونان و أخيرا عهد الرومان.

أ- الدور الأول - دور ما قبل ظهور بنى اسرائيل:

لقد سبق و أشرنا الى أن تاريخ أورشليم القديم يرجع الى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد، أى قبل حوالى خمسة آلاف عام، و ذلك عند ما بدأت القبائل العربية تهجر ديارها في الجزيرة العربية إثر الجفاف الذى حل بها، و من هذه القبائل القبائل الكنعانية التي استقرت في فلسطين و من فروعها قبيلة ييوس التي اتخذت منطقة أورشليم مقرا لها، فأصبحت على مرّ الايام مملكة قائمة بذاتها موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٣٥

اتخذت هضبة أورشليم الحصينة مركزا و عاصمة لها. و أقدم ما لدينا من معلومات عن هذه المملكة هو ورود كلمة «يا بيتى» و «يا بتى» فى الكتابات المصرية القديمة تحريفا لكلمة ييوس الكنعانية، ثم ورود كلمة «أوروسالم» فى وثائق العمارنة المصرية التي تعود الى القرنين الخامس عشر و الرابع عشر قبل الميلاد.

و من الأسماء التي وصلتنا من هذا الدور «ملكى صادق» الذى يرجع عهده الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد و هو معاصر لعصر ابراهيم الخليل، ثم الملك «عبدى هيبا» الذى ورد اسمه فى وثائق العمارنة مع اسم اوروسالم المار الذكر و كان «ادونى صادق» آخر ملوك أورشليم عند ما غزا بنو اسرائيل فلسطين و قد اعتبرته التوراة من العموريين (انظر ما تقدم حول ذلك).

و تدل الأحداث التاريخية المثبتة أخبارها فى المدونات المصرية القديمة على أن أول من اتصل بأرض كنعان و من ضمنها منطقة أورشليم، المصريون و أقدم ذكر لحملات المصريين على بلاد كنعان ورد فى كتابه عبر عليها من عهد الفرعون فيويس الأول (٢٣٥٠ ق. م)، و هى منقوشة على قبر قائد إحدى هذه الحملات المدعو «أونى»، فدوّن هذا القائد انتصاراته على جماعات البدو التي كانت تهاجم الكنعانيين. و هناك ما يدل على أن مصر تمكّنت من بسط نفوذها على جميع كنعان فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، و لم يحاول المصريون تمصيرها بل اكتفوا بتحصيل الجزية من سكانها، و تركوا السكان يمارسون عاداتهم و ديانتهم دون أن يتدخلوا فى شؤونهم الاجتماعية الأخرى بل كانوا ينجدونهم فى حروبهم مع أعدائهم.

و مما ورد فى الكتابات المصرية القديمة أيضا أن الملك سيزوستريس الثالث (السلالة الثانية عشرة) صعد على أرض فلسطين فى حوالى سنة ١٨٥٠ ق. م و استولى على المدينة المسماة «س-ك-م-ن»، و قد رجح البعض أن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٣٦

المقصود بها مدينة شكيم (نابلس حاليا).

و من أهم الوثائق التي عثر عليها المنقبون وثيقة مهمة ترجع الى عهد سنوسرت الأول (١٩٧١-١٩٢٨ ق.م). تضمنت وصفا مسهباً لبلاد كنعان دونه أحد كبار حاشية القصر الفرعوني المدعو «سينوهي»، و سينوهي هذا اضطر لأسباب سياسية أن يهجر بلاد مصر فقصده بلاد كنعان حيث عاش في رعاية أحد رؤساء القبائل العمورية، فاندمج مع القبيلة حتى تزوج ابنة رئيسها وأصبح زعيم القبيلة، فصارت له بساتين و حقول و مواشى كما صار له أولاد فشارك هو و أولاده في حروب و غزوات القبيلة. و هنا يصف «سينوهي» الحياة الخشنة التي عاشها في هذا المحيط القاسى حتى داهمته الشيخوخة فأخذ يحن الى وطنه الأصلي، فيذكر في آخر القصة أن الفرعون سنوسرت وجه اليه كتابا يدعو فيه للعودة الى وطنه قائلا: «و يجب أن لا يكون رقودك على أرض غريبة يدفئك فيها الآسيويون فيلقونك داخل جنود الغنم». فاستجاب سينوهي الى دعوة الملك و قرر العودة فوراً فقام بتصفية ملكيته بين أولاده، و نصب أكبر أولاده زعيماً لقبيلته. و قد اصطحبه عند مغادرته بلاد كنعان جمع غفير من أبناء عشيرته الى نقطة الحدود المصرية، و من هناك اصطحبه رجال الحكومة الفرعونية الى العاصمة «مفيس».

و من غريب الصدف أن سينوهي يستعمل عند ما يصف أرض كنعان نفس العبارات التي استعملتها التوراة في وصفها بعد حوالي ألف عام من زمن «سينوهي»: «أرض جيدة و واسعة تفيض لبنا و عسلا.. أرض حنطة و شعير و كرم و تين و رمان، أرض زيتون و عسل، أرض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزاً و لا يعوزك فيها شيء» و الظاهر أن قصة سينوهي كانت من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٣٧

القصص المحببة لدى المصريين حيث وجدت فيها نسخ كثيرة مما يدل على أنها كانت واسعة الانتشار في تلك الأزمان. و من الأوصاف لبلاد كنعان التي تركها فراعنة مصر القدماء أيضاً كتابات الفاتح المصرى الشهير تحوطمس الثالث (١٥٠٣-١٤٤٩ ق.م). و ذلك فى اعقاب طرد المصريين للهكسوس من بلادهم، فورد فى المدونات التى سجلها انه قام بسبع عشرة حملة على سورية و فلسطين فامتدت تخوم امبراطوريته فى الشرق الى جبال الأمانوس شمالاً، و يعده البعض أعظم فراعنة مصر فى تاريخ مصر القديم و قد دام حكمه ٥٤ سنة منها الاثنتا عشرة سنة الأولى حكمت عنه الوصية على العرش هاتشبوت لصغر سنه. و مما ورد فى كتاباته جدول باسماء ١١٨ مدينة كنعانية يعتقد أنها المدن التى افتتحها فى فلسطين.

و الظاهر أن دويلات كنعان أصبحت فى معظم تلك الأدوار أشبه بمحميات مصرية توثقت صلاتها مع مصر باتفاقيات لحمايتها من غزوات البدو، و تدلنا المدونات المصرية على أن ملوك هذه الدويلات كثيراً ما كانوا يستنجدون بفراعنة مصر لارسال نجدات لحمايتهم من غزوات «العبيرو»، اذ عثر على عدد من الرسائل من بعض ملوك كنعان ترجع الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد بهذا المعنى و قد سبقت الاشارة الى ذلك.

و كانت اورشليم من أهم المدن الكنعانية من الناحية التجارية و الاستراتيجية إذ كانت تقع على طريقين من أهم طرق التجارة، واحدة تربط البحر بالصحراء و الأخرى تربط المدن الشمالية بالمدن الجنوبية من فلسطين. و أهم المدن الكنعانية فى تلك العصور هى المستوطنات الساحلية التى تمركزت فى سفوح جبل لبنان للاستفادة من حماية هذه الجبال الطبيعية من خلفهم مثل «أوغاريت» و «ارواد» و «عرقه» و «طرابلس» و «بترونا» و «جليل» و «بيروتا» و «صيدا» و «صور» و «عكو» (عكة).

و هناك مدن أخرى فى داخل أرض فلسطين مثل «جارز» و «مجدو»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٣٨

و «شكيم» و «اورشليم» و «اريجا» و «حبرون» و «بيت شان» و غيرها. و هذه كلها مدن كنعانية أصيلة باسمائها و بثقافتها و بلغتها و بديانها وجدت قبل ظهور بنى اسرائيل بحوالى ألفى عام و بعضها بأكثر من ثلاثة آلاف عام، إذ توصل الآثاريون الى ارجاع تاريخ

بعض هذه المدن الى ما قبل الألف الثالثة قبل الميلاد، فقد أرجع الباحثون تاريخ بلدة «أريحا» الى ما قبل سبعة آلاف سنة. وهذا ما جعل بعضهم ان يعتبرها أقدم مدينة في العالم ما زالت باقية حتى الآن . هذا وقد توصل الباحثون أيضا الى أن أقدم المعابد الكنعانية تقع في أريحا ومجدد وهي ترجع الى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد. ويقول البروفيسور أولبرايت في كتابه «الاركيولوجيا والديانة الاسرائيلية» (ص ٦٨) إنه لدينا من البراهين والأدلة على أن الكنعانيين أصحاب اللغة السامية الغربية استقروا في فلسطين في أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد حيث عثر على أسماء مدن تحمل أسماء كنعانية ترجع الى الأسرة الخامسة المصرية (٢٩٦٥ ق. م) كما وجدت كلمات كنعانية وردت في المدونات المصرية من عصر الأهرام (القرن الثامن والعشرون قبل الميلاد). وفي ضوء ما تقدم نستطيع أن نجزم واثقين بان الكنعانيين كانوا مستقرين في فلسطين في الألف الثالثة قبل الميلاد، أي قبل خمسة آلاف سنة، والأرجح أن هجراتهم الى فلسطين بدأت قبل ذلك بزمن بعيد. وتعتبر بلدة «شكيم» (نابلس) العاصمة الطبيعية لبلاد كنعان لوقوعها في وسط فلسطين كما تعتبر «حاصور»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٣٩

العاصمة الشمالية في منطقة الجليل، وقد لعبت كلاتهما دورا مهما في تاريخ فلسطين القديم.

و كانت المستوطنات الكنعانية مَحْصِيْنَةً على غرار دويلات المدن و كانت هذه الدويلات في نزاع و حروب فيما بينها في الغالب، و لكن على رغم ذلك كانت تنشأ فيما بينها بين الحين و الآخر اتحادات مؤقتة بسبب الأخطار التي تهددها كلها، فكانت احداها تترجم مثل هذه الاتحادات. و قد سَمِيَ اليونانيون مجموعة المدن البحرية الشمالية التي كانوا باتصال معها باسم فينيقيا (Phoinix)، و كانت تمارس هذه المدن الصناعة و التجارة الخارجية في حين أن المدن الداخلية كانت تمتهن الزراعة و خاصة زراعة الأشجار في الغالب. و قد عرفت المدن الكنعانية تعدين النحاس و البرونز من بداية الألف الثانية قبل الميلاد و بدأت تستعمل الحديد بكثرة منذ الألف الأولى قبل الميلاد.

و قد تقدم لديها فن الصياغة و صناعة العاج و الزجاج و النسيج الصوفى و القطنى، هذا عدا صناعة الأصباغ و لا سيما القرمز و الأرجوان الذى اقترن باسم الكنعانيين.

و مما لا شك فيه أن الكنعانيين هم أقدم الأقسام الذين استقروا في أرض فلسطين و اليهم يرجع تأسيس حضارة فلسطين القديمة. و الأرجح أن لغتهم كانت في الأصل اللغة التي اعتبرت أم اللغات السامية، أي اللغة العربية القديمة التي كان يتكلم بها أهل الجزيرة قبل هجرتهم الى الهلال الخصيب، ثم تفرعت منها مختلف اللهجات المتأخرة، و من هذه اللهجات التي انفردت فيما بعد بخصائصها الخاصة بها اللغة الكنعانية التي صارت تعرف كاحدى اللهجات في مجموعة دعيت بكتلة اللغات الغربية، و منها الموآبية و الفينيقية و العبرانية لتمييزها عن اللهجات الأخرى ضمن اطار المجموعات السامية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٤٠

و قد اشتهرت بلاد كنعان بنشاطاتها التجارية التي كانت تمارسها مستغلة موقعها الجغرافى على طريق المواصلات الرئيسية بين آسية و بلدان ساحل البحر الأبيض المتوسط في تنمية الحركة التجارية. فقد اشتهر الفينيقيون سكان السواحل بصناعة بناء السفن مستغلين الأشجار ذات الأخشاب القوية من غابات لبنان الشهيرة في صنع السفن، حيث ابتدعوا شكل سفنهم التجارية الخاص و هو يختلف عن الشكل المصرى الذى كان معطوفا من طرفيه الى الأعلى، و ذلك بأن جعلوا لمقدم سفنهم منقارا ناتئا، و قد وجدت مثل هذه السفن ذات المناقير منقولة عن رسوم في قصر سنحاريب ملك آشور الذى استخدم السفن الفينيقية لأغراضه. و قد ساعدهم ذلك على الامتداد في أسفارهم البحرية البعيدة، فاحتكروا أشهر الطرق البحرية و أقاموا مستعمرات تجارية في قبرص و صقلية و سردينية و فى شمال افريقية و فى اسبانية، و كانت قرطاجنة الواقعة في جوار تونس الحالية أهم المستعمرات التجارية الفينيقية و قد اتسع نفوذها في البحر المتوسط مما أثار تخوف الرومان من اتساع سيطرتها فوجَّهوا حملة بحرية ضدها حتى قضاوا عليها سنة ١٤٦ ق. م. و كانت

علاقات الفينيقيين مع الآشوريين حسنة و ظلوا على هذه الحال من الصلات الحسنة مع الآخمينيين و اشتهرت صور بأنها تحدت الاسكندر الكبير في فتوحه للشرق .

و أعظم ما قام به الكنعانيون للحضارة هو اختراع الأبجدية الهجائية الذي يعتبر من أهم الاختراعات في تاريخ الحضارات البشرية. و يتفق الباحثون على أن أصل الحروف الهجائية في العالم بدأ في كتابات الأقوام السامية الغربية الذين تمتد مناطقهم من طور سيناء الى أقصى حدود بلاد الشام شمالا و غربا، إذ وجدت في هذه المناطق أنواع كثيرة من النقوش السامية بالحروف الأبجدية، و قد حمل الأراميون فيما بعد الحروف الأبجدية الفينيقية من سواحل البحر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٤١

المتوسط شرقا الى آسيا حتى الهند، و الفينيقيون نقلوها بدورهم الى الاغريقية و اللاتينية و هكذا تغلبت الكتابة بالحروف الأبجدية على الكتابة بالمقاطع المسمارية التي كانت شائعة أو انذاك.

ب- الدور الثاني - دور بني اسرائيل:

١- عهد موسى

: يبدأ تاريخ بني اسرائيل بخروجهم من مصر و توجههم بقيادة النبي موسى الى أرض كنعان (فلسطين)، و يرجح الباحثون أن الخروج قد وقع في حوالي سنة ١٢٩٠ ق. م. يوم كان رعمسيس الثاني على عرش مصر (١٣٠٤-١٢٣٧ ق. م)، و قدر الباحثون عدد الاسرائيليين آنذاك بحوالي ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ نسمة عند خروجهم من مصر. و كانت سيطرة مصر على فلسطين آخذة في التدهور حيث كان الحيثيون الذين نزحوا من الأناضول يزاحمون المصريين في هذه المنطقة مما أدى الى اصطدام الطرفين في معركة ضارية خاضها رعمسيس مع غريمه «مواتاليس» ملك الحيثيين في قادش (شمال فلسطين) سنة ١٢٩٩ ق. م. كاد الحيثيون أن ينتصروا فيها، إلا أن رعمسيس تمكن من الصمود بشجاعة أمام الحيثيين حتى وصلته الامدادات فواصل القتال الى أن انتهى الصراع الى عقد صلح سنة ١٢٦٩ ق. م. بين العاهلين رعمسيس و الملك الحثي حاتوشيلي الثالث مع التوقيع على ميثاق دفاع مشترك ضد أي غزو خارجي أو ثورة داخلية، و في الوقت نفسه عقد فرعون على ابنة الملك الحثي حاتوشيلي توثيقا للعلاقات الودية بين الطرفين. و يستدل من ذلك على أن فلسطين كانت ساحة حرب عند ما خرج بنو اسرائيل من مصر. لذلك تجنّب النبي موسى التوغّل في داخل فلسطين و اختار لمستقره مع بني اسرائيل بركة سيناء حيث كانت له صلات مع المديانيين القاطنين في جوار هذه المنطقة، إذ سبق له ان أقام في أرض مدين و قد تزوّج هناك من ابنة كاهنها الذي كان على ما يرجح موحدًا يعبد الله باسم «يهوه»، و هو اسم الاله الذي عبده الاسرائيليون. و بذلك كان جناحه الأيمن محميا من جهة البادية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٤٢

لأن الآشوريين لم يكونوا في وضع يساعدهم على الفتح حيث كانوا خاضعين آنذاك لحكم الكشيين في العراق. كما أن الأراميين لم يكونوا قد بلغوا من القوة بحيث يهددون فلسطين بمغامرة ضدها. و هكذا كان الجو ملائما جدا لسلامة بني اسرائيل، فبقوا في بركة سيناء حوالي السنة ثم ارتحلوا الى قادش برنيع و نزلوا في بركة فاران ثم توجهوا الى عصيون جابر و منها الى بركة سين فجبج هور في طرف أرض أدوم. و لم توضّح التوراة الوضع بعد هذه المرحلة لقد جاء كلامها غامضا غير أن فقرة تشير الى أن الرب أتاه بني اسرائيل في البرية أربعين سنة حتى فنى الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب . و نخلص من هذا الى أن بني اسرائيل لم يقوموا بأي غزو أو فتح حتى جاء الجيل الجديد بعد أربعين سنة. و الظاهر أن موسى عقد العزم على غزو كنعان من جهة شرقي الأردن لصعوبة اختراق الجبهة

الشرقية. و كانت في هذه الجهة خمس مقاطعات احتل موسى الثلاثة الشمالية و لم يتحرس بالمقاطعتين الجنوبيتين موآب، و أدوم. و وزع موسى المقاطعات الثلاث على سبطين و نصف سبط.

٢- عهد يشوع:

و مات موسى في أرض موآب فعين قبل وفاته يشوع ابن نون خليفه له، فاقتحم يشوع أرض كنعان عبر الاردن و حارب أقوامها و كان أكثرهم من القبائل الكنعانية و العمورية و العمالقة التي كانت قد نزحت من جزيرة العرب منذ أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد على أقل تقدير. و تدعى التوراة أن يشوع قضى على ٣١ ملكا من ملوك هذه الأقوام و منهم ملك أورشليم «أدونى صادق» «لم يبق شاردا بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إله اسرائيل». و من بين المدن التي استولى عليها يشوع أريحا و بيت أيل و عاي و لخيش و عجلون و حبرون و دبير، و كانت أريحا أولى المدن التي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٤٣

احتلها بنو اسرائيل بقيادة يشوع «فحرموا كل ما في المدينة من رجل و امرأة من طفل و شيخ حتى البقر و الغنم و الحمير بحد السيف .. و أحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها، انما الفضة و الذهب و آنية النحاس و الحديد جعلوها في خزانة بيت الرب». و يؤخذ من أخبار التوراة أن يشوع قسم الأراضي المستولى عليها بين تسعة اسباط و نصف، لأن سبطين و نصف سبط أخذوا نصيبهم من الأراضي في الجانب الشرقي من الأردن في عهد موسى.

و كان بنو اسرائيل يواجهون في هذا العهد هجرة أقوام أقوياء كانوا يهاجمونهم من الجهة الغربية و يصدون تقدمهم في هذا الاتجاه، و كان هؤلاء يعرفون بالفلسطينيين، و هم جماعة من الأقوام الأيضية كانوا قد فروا من وجه الهجرات اليونانية التي ازاحتهم من مواطنهم، فهاجر قسم منهم الى فلسطين بعد إخفاقهم في النزوح الى مصر حيث صدهم الفرعون رعمسيس الثالث في معركة بحرية (١١٩١ ق.م). و استولوا على الساحل الفلسطيني الذي يمتد من غزة الى جنوب يافا و منهم جاءت تسمية فلسطين الحالية. و من مدنهم المشهورة التي أسسوها في هذا القطاع من الساحل «أشدود» و «غزة» و «أشقلون» و «جت» و «عقرون». و كانت هذه المدن تؤلف دويلات كل منها برئاسة زعيم و تؤلف فيما بينها اتحادا بزعماء أشدود. و كان هؤلاء الفلسطينيون متفوقين على الاسرائيليين في معداتهم الحربية إذ كانوا يعتمدون على أسلحة من الحديد الذي أتقنوا تعدينه و صنع الدروع و الأسلحة الأخرى منه . لذلك لم يجرأ يشوع محاربتهم فتجّتهم كما تجنب المدن المحصنة و منها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٤٤

أورشليم لمناعتها. و قد بقي الفلسطينيون بعد أن اندمجوا بالعناصر الكنعانية بحيث غدا من الصعب تمييزهم عنهم مصدر قلق و خط يهدد الاسرائيليين في جميع أدوارهم التالية حتى قضى الرومان على الكيان الاسرائيلي .

و مما ساعد على تقدم الفتح الاسرائيلي في بلاد كنعان بقيادة يشوع ملاءمة الطرف السياسي السائد أو انذاك، فقد كانت البلاد منقسمة على نفسها تتصارع ما بينها، دويلات لا يحصى عددها يحكم فيها حكام اقطاعيون مستبدون همهم الوحيد الحفاظ على سيطرتهم. و يرجع توطيد دعائم هذا النظام الاقطاعي في هذه المناطق الى عهد الهكسوس الذين دام حكمهم فيها و في مصر السفلى حوالي قرنين من الزمن بين سنة ١٧٨٥ و سنة ١٥٨٠ ق.م. و لمّا أخرج المصريون الهكسوس من بلادهم لاحقوهم في مستعمراتهم الشرقية و استولوا عليها و منها بلاد كنعان التي ضموا الى مملكتهم. و لكن المصريين لم يحاولوا تغيير الأوضاع السياسية في هذه المناطق فتركوها على حالها و كان جل اهتمامهم جمع الجزية من البلاد على يد مأمورين متفسخين. و فضلا عن ذلك ان مصر كانت في منتهى ضعفها عندما غزا يشوع بلاد كنعان ما جعلها غير قادرة على التدخل و مدّ ملوك كنعان بمساعداتها. و لم يسلم من هذا

الوضع المتردى غير المدن الساحلية الشمالية المتحصنة وراء سلسلة جبال لبنان مما جعلها بعيدة عن تأثير المنازعات الداخلية فكانت لها موانئها من جهة البحر تساعد على تنمية مصالحها التجارية والاقتصادية من الخارج، و كان دخول عنصر الحديد في البلاد خلفا للنحاس و القصدير قد فتح لها عهدا جديدا فأخذت هذه المدن تمارس صناعة الحديد لصنع الأسلحة و بيعها و ذلك باستيراد الحديد الخام من بلاد الحثيين فتقدمت و ازدهرت تجارتها .

و نستخلص من رواية التوراة أن مدينة أورشليم كانت من بين المدائن التي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٤٥

لم يستطع يشوع احتلالها لمناعتها و صلابه سكانها اليوسيين. و يؤكد ذلك الأستاذ بيرون في مقاله عن تاريخ أورشليم في دائرة المعارف البريطانية فيقول: «و من الجلى الواضح أن أورشليم كانت قبل مجيء الاسرائيليين بقيادة يشوع مدينة كنعانية خالصة على جانب كبير من الأهمية و المناعة» .

٣ - عهد القضاة:

و بعد موت يشوع أخذ بنو اسرائيل ينتهزون الفرص بعد أن ثبتوا أقدامهم في أرض كنعان لتوسيع رقعة الأراضي التي استولوا عليها، فاستولى بنو يهوذا على غزة و اشقلون و عقرون و تخومها ، كما استولوا على مدن أخرى و منها أورشليم التي أشعلوا النار فيها ، ألا انهم عادوا فاخلوها تحت ضغط اليوسيين. أما تحصينات أورشليم و منها حصن ييوس (حصن صهيون) فقد ظلت صامدة بيد اليوسيين حوالى ثلاثة قرون بعد ظهور بنى اسرائيل في فلسطين حتى احتلها الملك داود في أوائل القرن العاشر قبل الميلاد. «و سكن بنو اسرائيل في وسط الكنعانيين و الحثيين و العموريين و الفرزيين و الحويين و اليوسيين و اتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء و أعطوا بناتهم لبنينهم و عبدوا آلهتهم ... فحمى غضب الرب على اسرائيل فدفعهم بايدي ناهيين نهوهم و باعهم بيد اعدائهم حولهم و لم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم ... فضاق بهم الأمر جدا و أقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهيينهم.» لذلك سمي هذا العهد من الاستيطان بعصر القضاة و قد استمر حوالى القرن بين سنة ١١٢٥ و ١٠٢٥ ق. م .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٤٦

و كان عهد القضاة عهدا مضطربا تخللته عدة نكسات كادت تهدد الكيان الاسرائيلي في فلسطين، أما سكان البلاد الأصليون فتعترف التوراة أنهم أصبحوا من القوة بحيث تمكنوا من إخضاع بنى اسرائيل لحكمهم في فترات متواصلة قبيل و خلال عهد القضاة . و قد بلغ الفلسطينيين في منتصف القرن الحادى عشر قبل الميلاد أوج قوتهم فاقوعوا في أواخر عهد القضاة بالاسرائيليين هزائم شديدة حتى أنهم استولوا على «تابوت العهد» و خضع الاسرائيليون الى حكمهم أربعين سنة حتى ظهر شمشون فحارب الفلسطينيين. و تابوت العهد بحسب المآثر الاسرائيلية خزانه من الخشب مكسوة بالذهب اعتبرها الاسرائيليون رمزا لوجود الله و قد أودع فيها اللوحان الحجران اللذان نقشت عليهما الوصايا العشر و أشياء دينية أخرى، و صارت هذه الخزانه تشغل أقدس جزء من طقوسهم الدينية و وجودها بين ظهرانيهم يكفل النصر لهم، لذلك كانوا يحملونها معهم في رحلاتهم و فى معاركهم على أعمدة طويلة .

٤ - عهد الملوك:

و لقد شعر بنو اسرائيل تجاه الوضع المضطرب بحاجه الى تنظيم جديد يضمن اتحادهم و توحيد قوتهم أمام مقاومة سكان فلسطين المتزايدة، خصوصا بعد أن شهدوا بأعينهم كيف كان الفلسطينيين متحدين صفا واحدا فى المعارك ضدهم، كما شهدوا حكم

الملوك في الدويلات الفلسطينية و الأدمية و المويية و العمونية و العمورية و الكنعانية و غيرها، فصاروا يتوقون الى أن يكونوا مملكة واحدة مثل سائر الشعوب، و القضاء على انقسام الاسباط. و كان هناك دافع آخر يدفعهم في هذا الاتجاه و هو أنهم تدمروا من حكم القضاء، إذ مال بعض

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٤٧

القضاء وراء المكسب و أخذ الرشوة، فاجتمع كل شيوخ اسرائيل و جاؤا الى صموئيل و هو آخر كبار القضاء و قالوا له: «هو ذا انت قد شخت فالآن اجعل لنا ملكا يقضى لنا كسائر الشعوب.» و قد أصر الشعب على طلبهم هذا على رغم ما شرحه لهم صموئيل من مساوية لملوك و استبدادهم و تسخيرهم للشعوب و ما يملكون لمصالحهم، فابى الشعب أن يسمعوا لصوت صموئيل و قالوا لا بل يكون علينا ملك فنكون نحن أيضا مثل سائر الشعوب و يقضى لنا ملكنا و يخرج أمامنا و يحارب حروبنا.» فنزل صموئيل عند رغبتهم و عين لهم الملك المنشود، و هذا الملك الأول هو شاول. و لكن كان على الملك أن يحكم وفق أوامر يهوى التي تصل على يد الكهنة رجال الدين، و لما أهمل هذا الملك الرضوخ التام لأوامر يهوى المنقولة على يد صموئيل خذله الرب و أوقعه بيد أعدائه الفلسطينيين فاندحر امامهم فقتل هو و أولاده الثلاثة في المعركة و تشير التوراة الى أنه مات منتحرا بعد جرحه. و كان حكم شاول قد استمر حوالي ١٥ سنة بين سنة ١٠٢٥ و ١٠١٠ ق. م على وجه التقريب .

و قد اتخذ حبرون (الخليل) عاصمة له خلال مدة حكمه. ثم تقلد الحكم الملك داود خلفا لشاول فاستطاع هذا الملك أن يخضع اكثر المدن الفلسطينية كما تمكن من إخضاع دويلات أدوم و موآب و عمون، و وسع مملكته من جهة الشرق فاستولى على مملكة صوبا الأرامية الغنية بمناجم النحاس و أخضع ملكها هدد عزر بن رحوب و أخذ منها «نحاسا كثيرا جدا». كما اخضع توعى ملك حماة الذى أعلن موالاته للملك داود بارساله هدايا ثمينة اليه .

«و ملك داود على جميع اسرائيل و كان داود يجرى قضاء و عدلا لكل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٤٨

شعبه.» و في هذا العهد تعلم الاسرائيليون صناعة الحديد من أبناء فلسطين مستغلين الحديد الخام المتوفر في ارض أدوم التي استولوا عليها، كما استطاعوا أن يوسعوا تجارتهم بعد سيطرتهم على الطريق التجارية المهمة بين بلاد الشام و بلاد العرب. و قد اتخذ داود في أوائل حكمه حبرون عاصمة له ثم انتقل الى اورشليم بعد استيلائه عليها من اليوسيين و بنى فيها قصره الملكى و اقام فيها معبدا للاله يهوى. و بذلك تكون اورشليم قد بقيت في أيدي أهلها من الكنعانيين حوالي ألفى عام قبل احتلالها في زمن الملك داود. و قد استمر حكم داود ٤٠ سنة بين سنة ١٠١٠ و سنة ٩٧١ ق. م. على وجه التقريب. (١) ثم انتقل الحكم الى الملك سليمان و هو الذى اشتهر ببناء الهيكل في اورشليم.

اما الوصف الذى اعتاد الباحثون ترديده عن اتساع و امتداد حدود مملكة سليمان فيعه أكثر الباحثين من قبيل المبالغات التى درجت عليها دويلات و أقوام تلك العصور. و الحقيقة أن اسرائيل كانت في عهد سليمان الذى يتبجح الاسرائيليون بعظمته أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر قائمة على حراب أسياها الفراعنة الذين كانوا أهم ما يهدفون اليه من وراء هذا الاسناد حماية حدودهم الشرقية من غارات الأقوام الطامعة بمصر و فى مقدمتهم الاشوريون. و كان سليمان يريد أن يجارى الفراعنة فى البذخ و الظهور بما هو فوق طاقاته و امكاناته الاقتصادية و ذلك باغداقه على إقامة الابنية الشاهقة و القصور الفخمة، فاثقل كاهل الشعب بكثرة الضرائب كما أثقل كاهل خزينته بالديون المتراكمة حتى اضطر أن يقدم الى حيرام ملك صور عشرين مدينة فى أرض الجليل مقابل الديون التى تراكت عليه، و لكن لم تحسن هذه المدن فى عيني حيرام حتى قال لسليمان: «ما هذه المدن التى أعطيتنى اياها؟»

فدعاها حيرام أرض كابول.» و لما عسر على سليمان أن يحتل أرض

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٤٩

الفلسطينيين الساحلية طلب معونة حميه فرعون مصر فارسل جيشا مصريا احتلها له و سلمها اليه مهرا لابنته زوج سليمان. و يؤكد الخبراء بان الوثائق التاريخية التي بين أيديهم لا تؤيد كل الشهرة و العظمة التي نسبت الى سليمان لأن المملكة التي ورثها عن ابيه داود كانت أوسع و أغنى مما صارت عليه في عهده . و في الأسفار الأربعة من العهد القديم، سفرى صموئيل الأول و الثانى و سفرى الملوك الأول و الثانى، تفاصيل عن حياة و اعمال الملوك الثلاثة، فالسفران الأولان مكرسان لصموئيل و شاول و داود و السفران الأخيران معظمهما مكرس لسليمان.

لقد كان الخلاف بين مصدر و آخر فى تعيين تواريخ حكم كل من شاول و داود و سليمان شاسعا بحيث يختار الباحث باى منها يأخذ، لذلك أخذنا بتاريخ بداية حكم ملكى يهوذا و اسرائيل بعد الانقسام و هو سنة ٩٣١ ق.م.

كما توصلت اليه أحدث الدراسات، ثم اعتمدنا على التوراة التي حددت مدة حكم كل من سليمان و داود باربعين سنة فى تعيين تاريخ حكمهما قبل الانقسام مباشرة. اما شاول فلم تشر التوراة الى مدة حكمه و قد عينه الباحثون كل حسب تخمينه فى الفترة التي تلى عهد القضاة مباشرة. و بذلك يمكن تحديد تاريخ حكم كل منهم على وجه التقريب كالآتى:

يتضح مما تقدم أن كيان هذه المملكة الموقته كان قائما على إسناد المصريين الملك شاول بين ١٠٢٥ و ١٠١٠ ق.م.
الملك داود بين ١٠١٠ و ٩٧١ ق.م.

الملك سليمان «٩٧١ و ٩٣١»

موسوعة العتبات المقدسة، ج٤، ص: ١٥٠

الذين اتخذوها محمية لهم على حدود بلادهم الشرقية. و كانت الظروف السياسية السائدة أو انذاك الى جانب الاسرائيليين حيث كانت الامبراطورية الآشورية تعاني سكرات الوهن و الانحلال مما جعل الاسرائيليين فى مأمن من خطر الغزو من الشرق، و فى الوقت نفسه كان الأراميون الذين يهددون اسرائيل من الشرق قد وجدوا باب العراق مفتوحا أمامهم لغزو وادى الرافدين و التغلغل فى ارجائه فاشغلهم ذلك عن التفكير بالامتلاكات الغربية فى فلسطين. و هكذا صفا الجو لتشكيل المملكة الموقته فى فلسطين بحماية مصر.

٥- عهد الانقسام - مملكتنا اسرائيل و يهوذا

و لقد خلف سليمان بعد وفاته تركه ثقيلة، فقد أحدثت اندفاعاته فى تسخير الشعب ردة فعل سرعان ما برزت من مكمنها بعد موته مباشرة، فالاتحاد بين الشطرين، اسرائيل و الاسباط العشرة من جهة و بنيامين من جهة أخرى، الذى حققه داود غدا فى خبر كان و ظهرت الخلافات على اشدها من جديد و قد تمخض عنها قيام دولتين، الأولى فى الشمال باسم مملكة اسرائيل و تضم عشرة اسباط و عاصمتها شكيم (نابلس) ثم (ترصة) و أخيرا مدينة السامرة (سبسطية)، و الأخرى فى الجنوب باسم مملكة يهوذا و تضم سبطى يهوذا و بنيامين و عاصمتها أورشليم. و قد تولّى الحكم فى اسرائيل يربعام بن نباط و كان خصما لسليمان أراد سليمان قتله فهرب من وجهه الى شيشنق ملك مصر. فلما مات سليمان عاد فنصب ملكا على اسرائيل . كما تولّى الحكم فى يهوذا رحبام بن سليمان و كان ذلك سنة ٩٣١ ق.م. و كان أهل الشمال يختلفون عن أهل الجنوب فى نمط حياتهم و ثقافتهم، فكان أهل الشمال يمارسون الزراعة و التجارة و كانوا أكثر تأثرا بالكنعانيين المدنيين و بثقافتهم و ديانتهم الوثنية من أهل الجنوب الذين كانوا أكثر تمسكا بالآله يهوى

موسوعة العتبات المقدسة، ج٤، ص: ١٥١

و محافظتهم على حياة البداوة. و كانت الحرب سجالا بين المملكتين منذ البداية و استمرت طيلة حياتهما مما اضعف كليهما، هذا عدا الغزوات التي كانت المملكتان معرضتين لها من الخارج. فأول من غزا مملكة يهوذا شيشنق الأول الليبى ملك مصر، «فى السنة

الخامسة للملك رحبام صعد شيشنق ملك مصر الى اورشليم و أخضعها للفراعنة و أخذ خزائن بيت الرب و خزائن بيت الملك و أخذ كل شىء و أخذ جميع اتراس الذهب التى عملها سليمان.» و فى زمن يهورام ملك يهوذا الرابع (٨٤٨-٨٤١ ق.م) انفصل بنو أدوم عن مملكة يهوذا و ملكوا على أنفسهم ملكا» و فى زمنه أيضا صعد الفلسطينيون و العرب الذين بجانب الكوشيين فصعدوا الى يهوذا و افتتحوها و سبوا كل الأموال الموجودة فى بيت الملك مع بنيه و نسائه أيضا و لم يبق له إلا أصغر بنيه. و فى زمن يواش غزا الجيش الآرامى اورشليم و أهلكت كل الرؤساء و أخذ جميع الخزائن و قدمها لحزائيل ملك الاراميين. و فى عهد امصيا ملك يهوذا (٧٩٦-٧٦٧ ق.م) هجم يهواش ملك اسرائيل على اورشليم فهدم سورها و أخذ كل الذهب و الفضة و جميع الآنية الموجودة فى بيت الرب و فى خزائن بيت الملك. و فى عهد ازدهار مملكة دمشق الأرامية أصبحت كلتا المملكتين، اسرائيل و يهوذا، تحت سيطرتها فأخذ الملك ابن هداد (بنهدد) ملك دمشق (٨٧٩-٨٤٣ ق.م) الجزية من يهوذا و ضم منطقة جلعاد فى شرقى الاردن الى المملكة الأرامية، كما أنه فرض الحماية الأرامية و الجزية على اسرائيل فى عهد ملكها آخاب بن عومرى (٨٧٤-٨٥٣ ق.م). و كان الأراميون يستغلون الخلاف بين اسرائيل و يهوذا لاختضاع كليهما الى نفوذهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٥٢

ثم تحركت الامبراطورية الآشورية متعطشة للفتح فاصطدمت أول ما اصطدمت بالآراميين، و بدأ الصراع ما بينهما على السيطرة، فاستغل الآشوريون الصراع القائم بين الآراميين و بين اسرائيل و يهوذا للانقضاض عليهم جميعا فاختضعوهم الواحد بعد الآخر.

٦- الغزو الآشورى و ازالة اسرائيل من الوجود:

لقد كان لقيام الامبراطورية الآشورية الثانية التى دامت بين سنة ٧٤٥ و ٦١٢ ق.م. أثرها فى تغيير وجه الشرق، فقد حكم خلال هذه الفترة ستة ملوك بلغت الانبراطورية فى عهدهم أوج عظمتها و اتساعها خلال القرنين الثامن و السابع قبل الميلاد بحيث ضمت جميع أراضي الهلال الخصيب و من ضمنها مصر، و لم يكتفوا بذلك فوسّعوا نطاق سلطانها و سيطرتها حتى شملت البلاد الجبلية الشمالية و الشرقية و ما وراءهما. و يهمننا من بحث هذه الانبراطورية العظيمة الدور الرئيسى الذى لعبته فى القضاء على مملكة اسرائيل نهائيا و سبى سكانها اليهود الى أماكن بعيدة و احلال سكان من غير اليهود محلهم من مختلف انحاء الامبراطورية، ثم تحطيم مملكة يهوذا. و من الحملات التى شنّها ملوك هذه الانبراطورية فى فتوحاتهم حملة أول ملوكها «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٥-٧٢٧) على مملكة آرام فاستولى على عاصمتها دمشق (٧٣٢ ق.م) و سبى أهلها و قتل ملكها رصين، ثم توجه الى اسرائيل فاستولى فى زمن فح ملك اسرائيل (٧٣٩-٧٣١ ق.م) على كل أراضي اسرائيل و سبى أهلها الى آشور تاركا لخلفه الملك هوشع مدينه السامرة. و قد قام تجلات بلاسر بهذه الحملة استجابة الى استنجد آحاز بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٥٣

يوتام ملك يهوذا (٧٣٥-٧١٥) ق.م. بتجلات بلاسر لانقاذه من ضغط الملك رصين ملك دمشق و الملك فح ملك اسرائيل و قدّم الى ملك آشور كميات كبيرة من الفضة و الذهب «الموجودة فى بيت الرب و فى خزائن بيت الملك.»

و قد اتبع تجلات بلاسر سياسة التهجير و نقل السكان من مكان الى مكان آخر، فكان ينفى سكان الاقاليم المغزوة و يسكن محلهم سكان أقاليم أخرى، فنقل سكان سورية و فلسطين الى بلاد بابل و آشور و أحلّ محلهم أقواما من بابل و من لولوبو فى الزاغروس و من نايرى قرب بحيرة وان. و قد عثر على مسلة آشورية نقش عليها شرح كامل لحملة تجلات بلاسر على آرام و على اسرائيل.

و فى عهد شيلمنصر الخامس، خلف تجلات بلاسر (٧٢٧-٧٢٢ ق.م) جرّد هذا الملك حملة تأديبية على اسرائيل، فحوصرت عاصمتها السامرة مدة ثلاث سنوات، و قبل ان يظفر بالنصر النهائى وافته المنية فى الشهر العاشر من عام ٧٢٢ ق.م.، و لكن القائد

الآشوري أتم مهمته باحتلال السامرة في نهاية العام على عهد سركون الثاني خلف شيلمنصر، و بذلك تم استسلام السامرة عاصمة اسرائيل و القضاء على مملكة اسرائيل نهائيا. و تبعا للخطة التي تبنها تجلاش بلاسر الثالث أجلى سركون الثاني زهرة رجال المملكة (٢٨٠، ٢٧)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٥٤

شخصا) الى ناحية حران و الى ضفة الخابور و ميديا، و قد أحل محلهم الأراميين من اقليم حماة، ثم لحق بهم العرب هناك في عام ٧١٥ ق.م.

و كذا بعض الأهلين من كوئا و بابل سنة ٧٠٩ ق.م. و بذلك قضى على العشرة أسباط التي كانت تتكوّن منها اسرائيل فأزيلت مملكة اسرائيل من الوجود و بقيت مملكة يهوذا الصغيرة تتأرجح في مهب الريح بين رحمة حكومة مصر من المغرب و دولة آشور من الشرق فاذا انحازت للاولى غضبت عليها الثانية و اذا انضمت الى الثانية أغاضت الاولى، فلما أخذ الملك حزقيا ملك يهوذا (٧١٥-٦٨٦ ق.م) يتقرب من مصر و أخذ يتهيأ للدفاع المشترك مع بعض الملوك المجاورين ضد هجمات الآشوريين و يستعد للدفاع عن عاصمته أورشليم بتقوية أسوارها و تحصينها غضب سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م) خلف سركون، فصمم على القيام بحملة قوية على مملكة يهوذا لاختضاعها او تدميرها و القضاء عليها كما فعل أسلافه باسرائيل. فهب حزقيا و أرسل وفدا إلى مصر مستنجدا بملكها فوعده المصريون بالعون، فانتقده أشعيا على اعتماده على ملك مصر بدلا من اعتماده على الرب بقوله: «ويل للذين ينزلون الى مصر للمعونة و يستندون على الخيل و يتوكلون على المركبات لأنها كثرة و على الفرسان لأنهم أقوىاء جدا و لا ينظرون الى قدوس اسرائيل و لا يطلبون الرب» .

و لدينا مصدران عن أخبار حملة سنحاريب هذه على مملكة يهوذا: الأولى، كتابات سنحاريب نفسه، و قد نقشت على جدران قصره في نينوى الى جانب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٥٥

صورته و هو جالس على عرشه في مقر عملياته الحربية في لخيش و قد ظهر وفد من يهوذا يقدمون الجزية و فروض الطاعة. و يظهر مما ورد في هذه المدونات أن سنحاريب اتجه غربا حتى وصل الى ساحل البحر الأبيض المتوسط فاستولى على صيدون (صيدا) بعد فرار ملكها «لولي» دون أن يتحرش ببلده صور لموقعها المنيح على الجزيرة. ثم جاءه تأييد الطاعة مع الهدايا من مدن الساحل من أرواد و بيلوس (جبيل) و أشدود، و كذلك من دول الشرق من موآب و عمون و أدوم. و قد بعثت مصر بجيش من المصريين و الأثيوبيين فاستولوا أولا على اشقلون (عسقلون)، ثم اتجهوا شمالا للاتصال بقوات حزقيا ملك يهوذا إلا أن سنحاريب قابلهم و انتصر عليهم، ثم توجه الى عقرون فهدمها و أخذ يحتل مدن يهوذا الواحدة بعد الأخرى و قد اتخذ مقره في لخيش و منها بعث بجيش أقام الحصار على أورشليم العاصمة. و فيما يلي نص كتابة سنحاريب يصف فيها انتصاراته على يهوذا فيقول: «أمرا حزقيا اليهودي فلم يرضخ لسلطتي فحاصرت ٤٦ مدينة من مدنه المحصنة عدا القرى المجاورة التي لا يحصى عددها و استوليت عليها كلها باستخدام انواع الآلات الحربية و المنجنيقات مما ساعدنا على الاقتراب من الأسوار و اختراقها. و قد أخذنا منهم (اليهود ١٥٠ و ٢٠٠ نسمة)، رجالا و نساء، أطفالا و شيوخا، مع حيواناتهم من الخيول و البغال و الحمير و الجمال، كبيرة و صغيرة، لا تحصى، و هذه كلها غنائم استولينا عليها. هو شخصه (حزقيا) جعلته حبيسا في أورشليم في قصره كالطير في القفص، حطته بأكوام من الأتربة للتضييق على من يحاول الخروج من باب المدينة. سلّمت مدنه التي استوليت عليها الى «ميتيني» ملك أشدود و «يادي» ملك عقرون و «سيليل» ملك غزة. و هكذا قلّصت حدود بلاده و فرضت زيادة في الجزية التي عليه ان يدفعها سنويا». . موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٥٦

أما المصدر الثاني، فهو رواية التوراة و قد جاءت هذه الرواية مشوشة غير واضحة، فمرة تقول: «صعد سنحاريب ملك آشور على جميع مدن يهوذا الحصينة و أخذها و أرسل ملك يهوذا الى ملك آشور الى لخيش يقول قد أخطأت، ارجع عني و مهما جعلت علي

حملته، فوضع ملك آشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من الفضة و ثلاثين وزنة من الذهب: فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة في بيت الرب و في خزائن بيت الملك.» ثم تعود التوراة في رواية ثانية تقول إن ملك آشور «أرسل من لخييش الى الملك حزقيا بجيش عظيم الى اورشليم فصعدوا و أتوا الى اورشليم ... و ان ملاك الرب خرج و ضرب من جيش آشور مئة الف و خمسة و ثمانين ألفا، و لما بكروا صباحا اذا هم جث ميته فانصرف سنحاريب ملك آشور و ذهب راجعا و أقام في نينوى» . نستخلص من المصدرين الأمور التالية التي تتفق فيها الروايتان:

أولا- ان حزقيا طلب العون من مصر فعلا استنادا الى انتقاد أشعيا لملك حزقيا على طلبه العون من مصر.

ثانيا- استيلاء سنحاريب على جميع مدن يهوذا المحصنة.

ثالثا- ان سنحاريب اتخذ من لخييش مركزا لعملياته الحربية في فلسطين.

رابعا- ان الحصار على اورشليم وقع فعلا ثم فك الحصار.

خامسا- تسلّم سنحاريب الجزية من حزقيا.

أما الخلاف فينحصر في الأمور التالية:

أولا- ان التوراة في الوقت الذي تعترف ضمنا بطلب العون من مصر إلا انها لم تشر الى المعركة التي تذكرها كتابات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٥٧

سنحاريب بين جيش آشور و جيش مصر و تغلب الأول على الثاني.

ثانيا- ان التوراة تعترف باستيلاء سنحاريب على جميع مدن يهوذا إلا انها سككت عن الغنائم و الأسرى الذين سباهم سنحاريب، و قد سككت التوراة أيضا عن تسليم المدن التي استولى عليها سنحاريب الى ملوك أشدود و عقرون و غزة.

و قد حدّدت التوراة تاريخ حملة سنحاريب على يهوذا في السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا و لما كان حزقيا ارتقى العرش في سنة ٧١٥ ق.م. فيقع زمن حملته في سنة ٧٠١ ق.م.، و هذا يتفق مع التاريخ الذي توصل اليه المحققون من المصادر الأخرى.

و مع أن مدينة اورشليم لم تسقط إلا أن الجيش الآشوري ترك البلاد خرابا، و لم يستطع ملك يهوذا الاحتفاظ بعرشه إلا بعد دفع الجزية و اعترافه بسيادة الآشوريين، و ظل الأمر كذلك حتى انهيار الدولة الآشورية. و قد اكتشف المنقبون بين أطلال قويونجق في الموصل ثورا من الصخر كتبت عليه وقائع تاريخية بينها أخبار حملة سنحاريب على حزقيا و ذلك في الألواح المحفوظة في دار المتحف البريطاني.

٧- الغزو الكلداني و ازالة يهوذا

إشارة

و بعد انقراض الدولة الآشورية بسقوط نينوى سنة ٦١٢ ق.م. اقتسم الماذيون و الكلدانيون ممتلكاتها ف وقعت حصّة الكلدانيين في سورية و العراق، و تأسست على أثر ذلك الدولة البابلية الكلدانية بزعامة نبوبولاسر، و قد لعبت هذه السلالة التي دام حكمها ٧٣ سنة دورا مهما في تاريخ الشرق الأدنى في القرن السادس قبل الميلاد، فكان من حملاتها الحربية الحملتان على مملكة يهوذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٥٨

في عهد نبوخذ نصر الثاني ابن نبوبولاسر و القضاء عليها و سبي اليهود الى بلاد بابل. و أهم مصادرنا عن هاتين الحملتين التوراة لأن نبوخذ نصر أكثر في مدوّناته تسجيل أعماله العمرانية. فتشير التوراة الى أن يهوياقيم ملك يهوذا (٦٠٨-٥٩٧ ق.م.) تمرد على نبوخذ نصر على رغم تحذير النبي إرميا له و ذلك بعد أن أظهر طاعته و خضوعه الى العاهل الكلداني مدة ثلاث سنوات.

ثم تضيف التوراة أن نبوخذنصر أوعز في بادىء الأمر الى السوريين الآراميين و الموابيين و العمونيين أن يغزوا مملكة يهوذا حيث كانت هذه الدويلات من النيل الى نهر الفرات تحت قبضته . ثم شنّ نبوخذنصر بعد ذلك (سنة ٥٩٧ ق.م) حملة على يهوياقيم فحاصر أورشليم، و في أثناء هذا الحصار توفي يهوياقيم و خلفه ابنه يهوياكين الذى اضطر الى الاستسلام. فسبى نبوخذنصر كل أورشليم و كل الرؤساء و جميع جابرة البأس عشرة آلاف مسبى و جميع الصناع و الاقيان، لم يبق أحد الا مساكين شعب الأرض كما سبى يهوياكين و أمه و نساءه و رجاله من أورشليم الى بابل. و أخرج نبوخذنصر جميع خزائن بيت الرب و خزائن بيت الملك و كسر كل آنية الذهب، ثم عين صدقيا عم يهوياكين خلفا ليهوياكين الذى أكد ولاءه للملك الفاتح . و قد تم اسكان المسيبين و عوائلهم فى منطقة تدعى «نهر الخابور» قرب «نيبور» (نفر) فى جنوب العراق . و هذا كان خلاف عادة الآشوريين الذين كانوا يشتتون أسراهم فى أماكن مختلفة و بعيدة لمنعهم من التكتيل و التجمع و ممارسة تقاليدهم و ثقافتهم، فمكّن ذلك اليهود من التجمع فى المنفى و الاستمرار فى ممارسة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٥٩

تقاليدهم و تكوين مجتمعهم المنعزل الخاص بهم.

كان هذا السبى الأول ثم تبعه السبى الثانى سنة ٥٨٦ ق.م. و قد وقع على أثر نقض صدقيا لعهد الولاء الى نبوخذنصر إذ دخل فى حوالى سنة ٥٨٩ ق.م.

فى تحالف مع المدن السورية و الفلسطينية بتحريض من «حوفرا» ملك مصر (خلف نيخو الثانى) الذى كان يطمح أن يستعيد سيطرة مصر على سورية.

و هكذا فقد وضع صدقيا مصيره مع مصر و حلفائها على رغم محاوله إرميا إبعاده عن هذا الحلف الذى كان ضمنا موجها ضد نبوخذنصر. فغضب نبوخذنصر غضبا شديدا و جاء هذه المرة بنفسه على رأس حملة قوية الى سورية الشمالية و عسكر فى ربلا على نهر العاصى، و كان ذلك سنة ٥٨٧ ق.م. فأرسل نبوخذنصر من حاصر أورشليم، ألا ان دخول حوفرا ملك مصر الى فلسطين اضطر البابليين الى رفع الحصار مؤقتا، لمحاربتة، فظن اليهود أن النصر بات حليفهم و لكن النبى إرميا حذّرهم فأبان لهم بأنهم يخدعون أنفسهم بهذا النصر لأنه وقتى فوضعه فى السجن . و وقع كما تنبأ إرميا فعلا فقد تمكن البابليون من صد المصريين و ارجاعهم على أعقابهم ثم أعادوا بسط الحصار على أورشليم فى الحال، و لم يمض وقت طويل حتى تفشت المجاعة و ربما الوباء فى المدينة مما اضطر اليهود أن يرضخوا و يستسلموا فدخلت الجيوش البابلية المدينة فى اليوم الرابع من شهر تموز سنة ٥٨٦ ق.م.، أما صدقيا فهرب هو و أفراد عائلته و لكن البابليين لحقوا به فى سهول أريحا حيث قبضوا عليه و حملوه الى ربله حيث مقر معسكر الملك نبوخذنصر، و هناك ذبح نبوخذنصر أولاده امام عينيه ثم فقئت عيناه و أخذ مكبلا مع الأسرى الى بابل. أما أورشليم فخربت و دمّرت تدميرا كاملا فدك سورها و أحرق بيت الرب و بيت الملك و كل بيوت أورشليم و كل بيوت العظماء و سلبت الخزائن و نقلت الى بابل، و قد خمن عدد الأسرى الذين سيقوا الى بابل ليلحقوا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٦٠

باليهود من السبى الأول بحوالى ٥٠٠٠، ٥٠ شخص. ثم وجه نبوخذنصر بعد ذلك بجيشه الى المدن الفينيقية و السورية فأخضعها الا مدينة صور التى تعذر فتحها لكونها جزيرة فى البحر فدام حصارها ١٣ سنة (٥٨٥-٥٧٣ ق.م.) و لم ينته إلا بعقد صلح قبلت صور بموجه تجديد ولائها لبابل و دفع الجزية و بذلك غدت أورشليم (أورو- سالم فى لسان البابليين) مستعمرة بابلية تدفع الضرائب لبابل، و ظلت كذلك حتى الفتح الفارسى.

و هكذا قضى على مملكتى اسرائيل و يهوذا الهزيلتين، فكان عدد الملوك الذين حكموا فى كل منهما عشرين ملكا، فدام حكم اسرائيل ٢٠٩ سنوات و ذلك بين سنة ٩٣١ ق.م. و ٧٢٤ ق.م.، و قد دام حكم يهوذا ٣٤٥ سنة و ذلك بين سنة ٩٣١ و ٥٨٦ ق.م.

و بعد تخريب نبوخذنصر لبيت المقدس و سبى بنى يهوذا الى بابل ورث الأدوميون ديار يهوذا الجنوبية من الخليل الى بئر السبع فشرقاً إلى وادي عربه حيث يتصل بتخوم أدوم. و من الأدوميين الذين حكموا فلسطين فى النصف الثانى من القرن الأول قبل الميلاد هيرودوس الكبير (٣٧-٤ ق. م.)، (٣٧-٤ ق. م.)، ثم بعده أبناؤه أرخيلائوس و انتيباس و فيليب. و الأدوميون كانوا عرباً و مواطنهم على حدود الصحراء الشرقية فى جنوبى فلسطين و هم من نسل عيسو كما تقول التوراة.

ملوك يهوذا الذين حكموا فى أورشليم

رجعام ... ٩٣١-٩١٣ ق. م
أبيام ... ٩١٣-٩١٠ ق. م
آسا ... ٩١٠-٨٦٩ ق. م
يهوشافاط ... ٨٦٩-٨٤٨ ق. م
موسوعه العتبات المقدسه، ج ٤، ص: ١٦١
يهورام ... ٨٤٨-٨٤١ ق. م
أخزيا ... ٨٤١ ق. م
عثليا ... ٨٤١-٨٣٥ ق. م
يوآش ... ٨٣٥-٧٩٦ ق. م
أمصيا ... ٧٩٦-٧٦٧ ق. م
عزيا ... ٧٦٧-٧٣٩ ق. م
يوثام ... ٧٣٩-٧٣٥ ق. م
آحاز ... ٧٣٥-٧١٥ ق. م
حزقيا ... ٧١٥-٦٨٦ ق. م
منسى ... ٦٨٦-٦٤١ ق. م
آمون ... ٦٤١-٦٣٩ ق. م
يوشيا ... ٦٣٩-٦٠٨ ق. م
يهوآحاز ... ٦٠٨-٦٠٨ ق. م
يهوياقيم ... ٦٠٨-٥٩٧ ق. م
يهوياكين ... ٦٠٨-٥٩٧ ق. م
صدقيا ... ٥٩٧-٥٨٦ ق. م

أورشليم فى زمن الفرس الأخمينيين (٥٣٨-٣٢٢ ق. م)

استفاد اليهود فى أثناء وجودهم فى الأسر فى بابل من حضارة البابليين و ثقافتهم فاقتبسوا الكثير منها و خاصة ما يتعلق بفنون الزراعة و الرى، فأخذ أكثرهم يمارسون الزراعة التى تعتمد على الإرواء الدائم بما فى ذلك أساليب شق الجداول و تطهيرها و طرق الإرواء . و فى بابل مارسوا شعائرهم الدينية و واصل كهنتهم أعمالهم الدينية، كما يشير الى ذلك نشوء التعاليم اليهودية المهمة المعروفة موسوعه العتبات المقدسه، ج ٤، ص: ١٦٢

باسم التلمود البابلي حتى يقال إن السبي البابلي كان عاملاً قويا في تطور الدين اليهودي في القرون التي تلي. ولما فتح كورش الأخميني الفارسي بلاد بابل (٥٣٩-٥٣٨ ق.م) سار في فتوحاته حتى احتل سورية و فلسطين و من ضمنها أورشليم، ثم سمح لمن أراد من أسرى نبوخذنصر (أسر ٥٩٧ و أسر ٥٨٦ ق.م) الرجوع إلى فلسطين، و أعاد إليهم كنانة الهيكل التي كان قد سلبها نبوخذنصر و أمر باعادة بناء الهيكل في أورشليم على نفقة بيت الملك، فعاد فريق منهم بقيادة «رزوبابل» بن شلائيل بن يهوياكين ملك يهوذا الأخير و آثر الآخرون البقاء حيث كانوا. و قد نعت اليهود كورش بالراعي و بالمسيح المنتظر و وصفوه بصفة المنقذ. أما عدد الذين عادوا، فقد جاء في سفرى عزرا و نحميا أن عددهم كان (٤٢٣٦٠ نسمة)، هذا عدا عبيدهم و امائهم الذين بلغوا (٧٣٣٧) نسمة و حيواناتهم من خيول و بغال و جمال و حمير، و لكن الرأى الحديث لا- يميل الى الأخذ بهذه الأعداد لانسامها بالمبالغة .

و يرجح المؤرخون أن الذين رجعوا انحصروا فى أولئك الذين لم يفلحوا كثيرا فى الأرض الجديدة و المتعصبون لاعادة بناء الهيكل، لأن الدلائل تشير الى أن هناك عددا غير قليل أصابوا النجاح فى بلاد بابل فأثروا و أصبحت لديهم ممتلكات كثيرة ففضلوا البقاء و عدم المجازفة بمغامرة مجهولة المصير. و تشير الوثائق التى عثر عليها الى أن عائلة «الموراشو» اليهودية اشتهرت كاحد البيوتات المالية الكبيرة فى عهد ارتكس كرس الأول (٤٦٥-٤٢٤ ق.م)، فكانت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٦٣

هذه المؤسسة تمتلك جداول للرى و قطعانا كثيرة من الأغنام، و كانت أكثر الأراضى فى جوار نيبور مرهونة عندها و قد أثرت نتيجة تعاطيها الربا الفاحش الذى كان يصل الى ٤٠ أو ٧٠ بالمائة .

و كان «رزوبابل» قد عين اول حاكم على الجالية اليهودية فى فلسطين تابعا الى الدولة الفارسية، فشرع فى بناء الهيكل إلا أن الأقوام المجاورة كالحوريين و العمونيين و الحثيين و الأدوميين احتجوا على ذلك و هددوا بالعصيان فأصدر سمرديس خلف قمبيز الثانى سنة ٥٢٢ ق.م. أمرا بتوقيف عملية البناء، و لكن دارا الأول أباح لهم ذلك و أتموا بناء الهيكل و السير على عهده سنة ٥١٥ ق.م.، و فى عهد أكسركس الأول (٤٦٥-٤٢٤ ق.م) عادت جماعة أخرى من اليهود بقيادة نحميا و جماعة أخرى بقيادة عزرا. فعين نحميا حاكما على أورشليم (٤٤٤-٤٣٢ ق.) .. و هو الذى قام ببناء ما تهدم من السور .

و قد ترك اليهود استعمال اللغة العبرية ما بينهم فى هذا العهد و حلت محلها الآرامية، إذ كانوا فى بابل و حتى بعد عودتهم إلى أورشليم يتكلمون باللغة الآرامية، و قد و قد اقتصرت العبرية على الكتب الدينية المقدسة .

٨- أورشليم فى العصر الأغرقي- المكابيون فى فلسطين (٣٣٢ ق.م - ٦٤ ق.م):

أ: عهد الإسكندر الكبير

يبدأ هذا العصر فى بداية حملة الاسكندر الكبير على بلاد الشرق سنة ٣٣٤

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٦٤

ق.م .. فكان الاسكندر يرمى من حملته هذه تأسيس امبراطورية واسعة تضم الغرب و الشرق بلا حدود تفصلها، تخضع سياسيا و اقتصاديا و ثقافيا للنفوذ الاغرقي، و ذلك بتأسيس مستوطنات اغريقية فى مختلف أنحاء هذه الامبراطورية و انشاء قواعد عسكرية على طول خطوط المواصلات مع اقامة مراكز ثقافية تتولى نشر الثقافة اليونانية بما فى ذلك اللغة اليونانية. و قد قام الاسكندر بذلك فعلا بعد احتلاله للبلاد فأسس سبعين مدينه يونانية جديدة بأسماء يونانية. و مع أن حلمه لم يتحقق بالشكل الذى أراد، لأنه لم يطل بقاؤه فى البلاد التى احتلها أكثر من إحدى عشرة سنة فلم تنفرض الثقافة اليونانية من البلاد، حيث سلك أخلافة فى نفس الطريق لتطبيق

منهجه في نشر الثقافة اليونانية، والدليل على رسوخها أن رسالة المسيح أذيعت بعد ثلاثة قرون باللغّة اليونانية على العالم المتمدن. وقد اختلف المؤرخون في موضوع زيارة الاسكندر لأورشليم فقال البعض إنه مرّ بها في طريقه الى مصر، الّا أنه لا يوجد أي ثبت يؤكد ذلك. وقد بقي الاسكندر في مصر حوالي السنتين بين سنة ٣٣٢ و ٣٣١ ق.م، فأسس هناك مدينة الاسكندرية و قد منح في أثناء وجوده في مصر للجالية اليهودية نفس الحقوق التي منحت لمواطنيه، ويستدل من مجرى الأحداث على أن الاسكندر بعد أن استولى على فلسطين و مصر لم يتعرّض للأنظمة الدينية الذاتية التي كانت سائدة بين الجماعات اليهودية في ظل سلطة الكهننة في فلسطين.

ب- النزاع بين القواد اليونانيين بعد موت الاسكندر:

و قد برز بعد وفاة الاسكندر في بابل سنة ٣٢٣ ق.م أربعة من قواده على رأس نبع جيحون و يحتاج الى صعود ٣٣ درجة في المغارة للوصول الى الماء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٦٥

أربعة أقطار، و هم: بطليموس في مصر، و سلوقس في بابل، و انطيفونس في فلسطين و آسيا الصغرى، و انتيبتر في مقدونيا، و سرعان ما نشب الخلاف بين القواد الأربعة على تقسيم الامبراطورية بينهم، فكان بطليموس (بطليموس الأول- سويتز) أول من تحرّك منهم فهاجم أنطيفونس سنة ٣١٢ ق.م. و بمعاونة سلوقس له انتصر على انطيفونس في غزة و ضم فلسطين الى أملاكه في مصر. و قد بقيت فلسطين حوالي القرن تحت حكم البطالمة في مصر باستثناء فترات قليلة خرجت فيها من أيديهم. و تشير الوقائع التاريخية الى أن بطليموس نزل على أورشليم سنة ٣٠٠ ق.م. و نقل عددا كبيرا من اليهود الى أفريقيا لأنهم لم يرضوا أن يحاربوا يوم السبت. و قام سلوقس بدوره بمهاجمة أنطيفونس سنة ٣٠١ ق.م فانتصر عليه أيضا و استولى على سوريا و على القسم الشرقي من آسيا الصغرى و قد امتد تخم أراضي سلوقس شرقا ليضم بلاد فارس.

و أسس سلوقس مدينة أنطاكية على الجانب الأيسر من نهر العاصي في موضع يقع على بعد حوالي ٢٠ ميلا من البحر و سمّاها باسم أبيه أنطيوخس و قد اتخذها مركزا لحكمه في سورية، كما أنشأ مدينة على البحر المتوسط تحمل اسمه فسّمّاها «سلوقية»، و قد أنشأها لحماية مصب العاصي و لتكون ميناء لانطاكية. و قد أنشأ أيضا مدينة «أفاميا» على نهر العاصي سمّاها باسم زوجته و اتخذها مقرا للجيش و مركزا مهما لتربية الأفيال الحربية التي كان السلوقيون و البطالمة يستخدمونها في حروبهم، و قد جعل السلوقيون الفيل شعارا لهم نقشوه على نقودهم المسكوكة. و قد أسس سلوقس عدا ذلك ثلاثا و ثلاثين مدينة ست عشرة منها باسم والده انطيوخس، و تسع باسمه، و خمس باسم والدته، و ثلاث باسم زوجته.

ج- النزاع بين البطالمة في مصر و السلوقيين في سورية:

و هكذا فبعد ابعاد انطيفونس عن المسرح بقيت القوتان اليونانيتان، قوة البطالمة في مصر و قوة السلوقيين في الشرق، تتزاحمان بينهما على السلطة و محاولة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٦٦

توسّع الواحد على حساب الآخر، فلم يمض وقت طويل حتى بدا الخلاف على أشده بينهما، ففي عهد سلوقس الثاني (٢٤٦-٢٢٦ ق.م.) هاجم بطليموس الثالث (٢٤٦-٢٢١ ق.م) سورية و احتل أنطاكية و توجه نحو الفرات في سورية، الّا أنه اضطر الى التراجع بسبب اضطرابات داخلية نشبت في مصر. ثم رد بعد ذلك على هذا الهجوم أنطيوخس الثالث الملقب بالكبير و هو سادس الملوك السلوقيين (٢٢٣-١٨٧ ق.م.)، فهاجم البطالمة في سورية و انتصر عليهم فاسترجع جميع الأملاك التي كان قد استولى عليها بطالمة مصر من

أسلافه و احتل فلسطين و معها يهوذا سنة ١٩٨ ق.م.، و بذلك انتقلت فلسطين الى حكم السلوقيين. و كان أنطيوخس يستعد للهجوم على مصر ألما أن تدخل روما فى الأمر اضطره الى الكف عن الهجوم، و لكن روما لم تكتف بذلك بل هاجمته و انتصرت عليه فى معركة بحرية نشبت بين الطرفين سنة ١٩١ ق.م. و استولت على أملاك انطيوخس فيما وراء طوروس و فرضت عليه تعويضات حربية ثقيلة. و تبرز هنا نقطة تحوّل رئيسة فى السياسة الدولية فى الشرق، و هى ظهور روما أول مرة كدولة قويّة طامعة فى الممتلكات الشرقية.

د- طبقة من اليهود تقبل الثقافة اليونانية:

و كانت قد ظهرت فى ذلك الوقت طبقة ارسقراطية من اليهود فى اورشليم، و هم من الأغنياء و المتجددين استجابوا الى مخطط البطالمة و السلوقيين لغرض الثقافة اليونانية و العمل بها، فاقتبسوا اللغة اليونانية و أبدوا استعدادهم للتعاون مع اليونانيين فى هذا المجال. و قد استفاد اليهود فى يهوذا من الخلاف المستحکم بين الحكام السلوقيين فى سورية و بين الحكام البطالمة فى مصر فى التمتع بالحكم الكهنى الذاتى و بامتيازات أخرى، ففى مرسوم ملكى أصدره أنطيوخس الثالث الى بلدة اورشليم بعد استيلائه على فلسطين أعفى فيه المدينة من الضرائب ثلاث سنوات على أن يشمل الاعفاء أيضا تخفيضا فى الضرائب الى الثلث فيما بعد ذلك.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٦٧

ه- تدخل روما فى الشرق:

و ما كادت روما تظهر على مسرح الأحداث فى الشرق حتى أصبحت حامية للبطالمة الضعفاء و غدت تنافس السلوقيين فى أرضهم، فلما هجم العاهل السلوقى انطيوخس الرابع (ايفانوس) سنة ١٧٠ ق.م. على مصر و تمكن من الاستيلاء على مصر السفلى عدا الاسكندرية و أسر ملكها بطليموس السادس «فيلوميتور» (١٤٥ ١٨٠) (Philometor ق.م.)، تدخلت روما فى الأمر و أرغمت انطيوخس الرابع على إخلاء ما احتله من أرض مصر و الرجوع الى دياره، ثم أعاد انطيوخس غزوه لمصر سنة ١٦٨ ق.م. و لم ينقذه منه سوى تدخل روما التى أرغمته على الانسحاب للمرة الثانية. و فى طريق عوده انطيوخس عرج على اورشليم فدمّر هيكلها و نهب ما فيه من خزائن و خطط للقضاء على اليهودية و إرغام اليهود فى يهوذا على الاخذ بالديانة الهيلينية الوثنية و العمل بتقاليدها و ممارسة طقوسها، فأحلّ الاله اليونانى «زوس» (Zeus) فى الهيكل و أعلن نفسه إلها من الآلهة التى يجب أن تعبد. ثم بعث أنطيوخس بمن يقوم بجباية الضرائب الثقيلة من اورشليم و ملحقاتها.

و- محاولة السلوقيين القضاء على اليهودية و اندلاع ثورة المكابيين:

و قد بدأ اضطهاد اليهود بشكل منظم سنة ١٦٨ ق.م. ثم صدرت أوامر صارمة سنة ١٦٧ ق.م. بتحريم ممارسة الديانة اليهودية بما فيها ممارسة الختان و الشعائر السبتية، و صارت تذبح الخنازير على مذبح الهيكل، و مزّقت الكتب اليهودية المقدسة، و قد انتشر الموظفون فى كل البلاد لتنفيذ أوامر الملك فكانت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٦٨

عقوبة المخالفين الموت. و هكذا فقد تحوّلت اورشليم الى مدينة يونانية صرفه من جميع النواحي و أقيمت حامية سورية فى مدينة داود. و انشئت فى موضع حصن بيوس القديم قلعة صارت تعرف باسم قلعة عكرا او أكرا. و هنا أخذ الصراع بين اليهودية و الاغريقية يشتد يوما بعد يوم حتى اندلعت شرارة الثورة من قرية «مودين» الواقعة على بعد عشرين ميلا من اورشليم، حيث تزعم الثورة «متياس» الكاهن فى «مودين» هو و أولاده الخمسة. فرفض الادعان لأوامر الملك، و لم يكتف بذلك بل قتل الموظف المسؤول و هدم المذبح

المعد لتقديم القرابين للالهة اليونانية، كما قتل أحد اليهود الذين امتثلوا الى أوامر الملك. فلم يكن بعد ذلك مجال للتراجع، فهرب «متياس» و أبناؤه الخمسة الى الجبال و شكلوا عصابات و استعدادوا للقتال كقوة محاربة، فتمكّنوا من صد الجيش الملكي و الانتصار عليه فى معركة خاضوها معه عند «بيت حورون». فأثار ذلك غضب أنطيوخس و أسرع لاتخاذ العدة للقضاء على الثورة، فعين «ليسياس» نائبا عنه و عهد اليه بتنظيم الحملة و توجه الى بلاد فارس لجمع الجزية. فاختار «ليسياس» ثلاثة من القواد الذين يعتمد عليهم و أرسلهم على رأس جيش كبير ضد يهوذا، ألما أن القواد الثلاثة لم يحرزوا أى نجاح فى مهمتهم و رجعوا مكسورين خاسرى المعركة، و فى خلال ذلك مات متياس سنة ١٦٦ ق. م. فوقع العبء على أبنائه الخمسة، فترعم فيهم أكبرهم و هو «يهوذا» الذى كان يسمّى «مكابوس»، لذلك صار يعرف خلفاؤه من الزعماء بالمكابين، كما أطلق على عصرهم اسم العصر المكابى الذى دام حوالى القرن و ربع القرن (١٦٦-٣٧ ق. م.).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٦٩

ز - عهد المكابين فى فلسطين (١٦٦ - ٣٧ ق. م.)

و على أثر إخفاق قواد الجيش السلوقى فى اخماد الثورة أعد «ليسياس» حملة أخرى مؤلفة من جيش كبير أيضا ترأسه هو نفسه هذه المرة و لكن لم يكن مصيره بأحسن من مصير القواد الذين سبقوه، فمكّنت هذه الانتصارات «يهوذا» أن يتطلع الى الاستقلال، خاصة بعد أن استطاع بمعاونة اخوته أن يستولى على مدينة أورشليم سنة ١٦٤ ق. م.، و فى خلال ذلك عقد «يهوذا» معاهدة مع الرومان. و لم يمض وقت طويل حتى توفى انطيوخس الذى قيل إنه مات كمدا من شعوره بالخزى و العار إثر انتصارات «يهوذا» على جيشه، فخلفه ابنه انطيوخس الخامس (أيوباتور) سنة ١٦٣ ق. م.، ففى عهده استؤنف القتال بقيادة «ماشيدوس» و «اليوموس» ضد يهوذا، فكانت الغلبة هذه المرة الى جانب الجيش السلوقى، فغلب «يهوذا» على أمره و قتل سنة ١٦٠ ق. م.، فخلفه أخوه «يوناثان» على رأس السلطة، و بعد قتال عنيف بين المعسكرين السلوقى و اليهودى عقد القائد السلوقى ماشيدوس معاهدة مع «يوناثان» تحمل معها شبه اعتراف بسلطه «يوناثان» و استقلاله، و بهذا تمكّن يوناثان من توطيد السلم و حرية العبادة فى المنطقة اليهودية التى تحت حكمه.

و قد استفاد «يوناثان» من نشوب خلاف على العرش بعد موت أنطيوخس الخامس (أيوباتور) بين اثنين من الأمراء، هما ديمتريوس سوتر و اسكندر بالاس، فصار كلاهما يخطبان ود «يوناثان» للحصول على تأييده، فكانت ثمرة هذا الخلاف ان منح اسكندر بالاس الأول بعد تسنّمه العرش على سوريه سنة ١٥٠ ق. م. «يوناثان» لقب حاكم فى المقاطعة اليهودية. و كان «يوناثان» أول المكابين الذى حمل لقبى ملك و رئيس الأبحار الأعلى. و بعد أن قضى «يوناثان» حوالى عشرين سنة على رأس السلطة وقع فى قبضة أحد الملوك جيرانه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٧٠

و مات قتلا- فى المنفى. فخلفه أخوه «سمعان» الذى حاز على اعتراف باستقلاله التام من ديمتريوس نيقاتور الثانى خلف اسكندر (١٣٨-١٤٦ ق. م.)، و من أعمال «سمعان» التوسعية خارج تخوم مقاطعته احتلاله لمدينة «جازر» و طرد سكانها الوثنيين و استيلاؤه على مدينة «يافا» التى هى الميناء الوحيد على الساحل الفلسطينى، و قد تم له أيضا الاستيلاء على قلعة أورشليم الحصينة التى بقيت صامدة بيد السلوقيين طيلة عصور أسلافه، و هى القلعة التى كان قد انشأها السلوقيون فى موضع حصن صهيون القديم و كانت تعرف باسم قلعة «عكرا» و قد سبقت الاشارة اليها. و من أعماله السياسية أنه و طّد علاقات دبلوماسية مع رومة و اسبرطة، و قيل إنه بعث سفيرا الى رومة مع هدايا ثمينه توفى سنة ١٣٤ ق. م. قتلا بيد أحد المغامرين و خلفه ابنه «يوحنا هيركانوس» المسمّى بالكبير على رأس السلطة و لقب ب «الكاهن الأعلى». قضى «يوحنا» حوالى ٣٠ سنة فى الحكم و كان ابان حكمه ان واجه تهديدا من أنطيوخس السابع (سيدتس) (١٣٧-١٢٨ ق. م.) فضرب حصارا على أورشليم و لم يفك حصارها الا بعد أن دفع «يوحنا» الجزية عن «يافا» و «جازر» و غيرها من

المواقع التي كان قد احتلها ابوه «سمعان» و التي اعتبرها أنطيوخس خارج حدود يهوذا، وقد أجبر أنطيوخس «يوحنا» أن يهدم أسوار أورشليم.

ثم انتهز يوحنا موت أنطيوخس السابع في سنة ١٢٨ ق.م. و شيوع الحروب المدنية فاستعاد نفوذه و سلطته.

وقد كان لانتصارات اليهود المكابيين أثره في تطرفهم في تعصبهم الضيق فاضطهدوا إخوانهم اليهود الذين تأثروا بالثقافة اليونانية و أهملوا طقوسهم الدينية، و لمّا كان السامريون قد استجابوا لخطط أنطيوخس الرابع الرامية الى فرض النظم و التقاليد اليونانية على يهوذا، فهاجم «يوحنا» مدينتهم و احتلها فخرّبها و هدم هيكلها على «جبل جرزيم». و لم يكتف المكابيون بذلك فقد اضطهدوا في عهد «يوحنا» سكان المناطق التي اصبحت تحت سيطرتهم من غير اليهود، فأجبروهم على اعتناق اليهودية و الاختتان و نكّلوا بهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٧١

مخطط اورشليم في أقدم عصورها

مقتبس من كتاب «قصة التوراة» ج ١ ص ٥٢) صح بعض التحرير

مخطط اورشليم في اقدم عصورها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٧٢

ح- فترة اضطرابات و مشاحنات داخلية تمهد الى تدخل الرومان في شؤون فلسطين:

وقد خلف «يوحنا» ابنه «أرسطوبولس الأول» سنة ١٠٥ ق.م.

فسمّى نفسه ملكا و استبد في الحكم و طغى، فقتل امه و سجن ثلاثة من إخوته، و من أعماله في حكمه القصير، الذي لم يدم أكثر من سنتين، فتحه للجيل في شمال فلسطين. و عند موته سنة ١٠٤ ق.م. خلفه ابنه «اسكندر يانيوس» فكان عهده مشحونا بالقلق و الاضطرابات تسوده حروب و مشاحنات أهلية. فقد عاد إلى البروز النزاع القديم بين الملوك و رجال الدين، فهل تكون يهوذا مملكة زمنية او حكومة ذات سلطة دينية صرفة؟ فانضم أكثرية الناس الى الشق الثاني مؤيدين الفريسيين الذين لعبوا دورا مهما في هذا الصراع، و الفريسيون فرقة يهودية يؤمن منتسبوا بالقيامة و لا يعترفون بغير شريعة موسى (الأسفار الخمسة). و قد شاغب الفريسيون على «اسكندر» فلبجأوا الى الامير ديمتريوس الذي اقصاه الى الجبال، ألّا أنه عاد بعد قليل فانتقم من خصومه أشد الانتقام و قتل ما يقارب ٨٠٠ شخص منهم و قتل نساءهم و أطفالهم أمامهم قبل قتلهم. و بعد موت «اسكندر» سنة ٧٨ ق.م خلفته ارملته «اسكندرة» (سالوم) فسلمت مقاليد الامور الى الفريسيين و تركت لهم المجال ليحكموا حسب اهوائهم، فظهرت اثر ذلك فرقة ثانية تخالف الفريسيين في عقائدها تزعمها «ارسطوبولس» ابن «اسكندرة» الصغير. و بعد موت «اسكندرة» سنة ٦٩ ق.م. خلفها «هيركانوس الثاني» ألّا أنه سرعان ما انقض عليه أخوه «أرسطوبولس» فخلعه و حل محله في الحكم، و لكن تدخل انتياتر الأدومي، و هو الذي اصبح ذا شأن في حكم فلسطين فيما بعد، و معه «آريتاس» ملك البطراء فأقصيا «أرسطوبولس» و أعادا «هيركانوس» الى الحكم، و بقي «هيركانوس» على رأس السلطة حتى تدخل الرومان في النزاع سنة ٦٦ ق.م.، و ذلك بناء على لجوء الطرفين المتنازعين الى نائب القائد الروماني العام في الشرق فأعاد «يومي» «أرسطوبولس» على رأس السلطة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٧٣

و من هذا التاريخ بدأ النفوذ الروماني يسود بلاد الشرق و قد حلّ محل الحكم الاغريقي الذي دام حوالي ٢٧٠ سنة (٣٣٢-٦٤ ق.م.).

ط- الرؤساء المكابيون و مدد حكمهم ١٦٦-٣٧ ق.م.

يهوذا ابن الكاهن متياس ١٦٦-١٦٠ ق.م

يوناتان ابن الكاهن متياس ١٦٠-١٤٢ ق. م
 (منح لقب كاهن أعلى و حاكم فى أورشليم و لقب نفسه ملكا)
 سمعان ابن الكاهن متياس ١٤٢-١٣٤ ق. م
 (اعترف به رئيسا مستقلا للسلطة المدنية و كاهنا أعلى)
 يوحنا هيركانوس الكبير (الاول) ابن سمعان ١٣٤-١٠٥ ق. م
 (هاجم السامرة فهدمها و خرب هيكلها و اضطهد السكان غير اليهود)
 ارسطوبولس (الاول) ابن يوحنا (سمى نفسه ملكا) ١٠٥-١٠٤ ق. م
 اسكندر يانيوس ١٠٤-٧٨ ق. م
 (وسع تخم الاراضى التى سيطر عليها بحيث صارت تغطى اكثر تخوم اسرائيل و يهوذا القديمتين).
 اسكندرة ارملة اسكندر يانيوس ٧٨-٦٩ ق. م
 هيركانوس الثانى ٦٩-٦٦ ق. م
 ارسطوبولس الثانى ٦٦-٦٣ ق. م
 هيركانوس الثانى ٦٣-٤٠ ق. م
 عينه بومبى القائد الرومانى بمنصب الكاهن الاكبر و ليس ملكا الا أن قيصر أعاد اليه السلطة المدنية عند مجيئه الى سورية سنة ٤٧ ق. م
 انتيغونس ابن ارسطوبولس ٤٠-٣٧ ق. م
 (عينه الفرثون ملكا على اليهود أعدهم القائد الرومانى انطونيوس و بهذا ينتهى حكم سلالة المكابيين) موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٧٤

٥: جدول مسلسل للحوادث التاريخية فى العهد الافريقى (٣٣٤-٦٤ ق. م.)

- ٣٣٤ ق. م. - بداية حملة الاسكندر على الشرق.
 ٣٣٢ ق. م. - حملة الاسكندر فى فلسطين و مصر.
 ٣٣١ ق. م. - تأسيس الاسكندر مدينة الاسكندرية.
 ٣٢٣ ق. م. - (١٣ حزيران) وفاة الاسكندر فى بابل.
 ٣١٢ ق. م. - فلسطين تصبح تحت حكم البطالمة فى مصر.
 ٣٠١ ق. م. - سورية و القسم الشرقى من آسيا الصغرى تصبح فى حكم السلوقيين.
 ٣٠٠ ق. م. - دخول بطليموس الأول أورشليم و نقل عدد من اليهود الى أفريقيا لأنهم لم يرضوا ان يحاربوا يوم السبت.
 ١٩٨ ق. م. - استيلاء انطيوخس الثالث الملقب بالكبير على فلسطين.
 ١٩١ ق. م. - انتصار الرومان على انطيوخس الكبير.
 ١٨٨ ق. م. - استيلاء الرومان على املاك انطيوخس الكبير فيما وراء طوروس.
 ١٧٠ ق. م. - غزو انطيوخس الرابع (ايفان) لمصر و انسحابه منها.
 ١٦٨ ق. م. - غزو انطيوخس الرابع لمصر للمرة الثانية و انسحابه منها تحت ضغط روما.
 ١٦٨ ق. م. - دخول انطيوخس الرابع أورشليم و تدمير هيكلها و نهب خزائنها.

- ١٦٧ ق. م. - اضطهاد اليهود و اجبارهم على نبذ اليهودية.
- ١٦٧ ق. م. - بداية ثورة العائلة الهشمونية المكابية بزعامه متياس الكاهن.
- ١٦٦ ق. م. - موت متياس و تولى ابنه الأكبر يهوذا زعامه الحركة.
- ١٦٤ ق. م. - استيلاء يهوذا على اورشليم على أثر الخسائر التي لحقت بالجيش السلوقي.
- ١٦٠ ق. م. - موت يهوذا و احلال اخيه يوناثان محله على رأس السلطة.
- ١٤١ ق. م. - موت يوناثان و احلال اخيه سمعان محله.
- ١٤١ ق. م. - احتلال سمعان للقلعة السلوقية في اورشليم و اعتراف الملك دمتریوس الثاني باستقلاله.
- ١٣٤ ق. م. - موت سمعان و احلال ابنه يوحنا هيركانوس محله.
- ١٣٤ ق. م. - استيلاء انطيوخس السابع (سيدنيس) على اورشليم و هدم أسوارها ثم إعادة إنشائها بعد سقوط أنطيوخس.
- ١٠٥ ق. م. - موت يوحنا و احلال ابنه ارسطوبولس الأول محله سمي نفسه ملكا.
- ١٠٤ ق. م. - موت ارسطوبولس و احلال ابنه اسكندر بانيوس محله.
- ٧٨ ق. م. - موت اسكندر و احلال ارملته اسكندرة محله.
- ٦٩ ق. م. - موت اسكندرة و احلال هيركانوس الثاني محلها.
- ٦٦ ق. م. - تنصيب الرومان ارسطوبولس الثاني على راس السلطة.
- ٦٤ ق. م. - احتلال القائد الروماني بومبي لسورية و ضمها الى روما.
- ٦٣ ق. م. - دخول بومبي اورشليم و جعل يهوذا تابعه لحاكم سورية الروماني و تعيين هيركانوس الثاني بمنصب الكاهن الأعلى.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٧٥

ه: اورشليم في زمن الرومان (٦٤ ق. م. - ٦٣٨ ب. م.)

إشارة

يرجع تغلغل الرومان في الشرق الى زمن حكم البطالمة في مصر و ذلك حين بدأوا يتدخلون في شؤون البطالمة الداخليه و يتولون حمايتهم من غزوات السلوقيين، و كان ذلك التدخل نتيجة طبيعية بين حكيمين أحدهما سائر نحو التدهور كحكم البطالمة و الثاني سائر نحو التقدم و التعالي كحكم الرومان، و قد سبقت الإشارة الى ذلك في الكلام على العصر الاغريقي. و لا بد قبل الدخول في بحث العصر الروماني من نبذة تشرح الحالة السياسية في فترة ما قبل انهيار الحكم الاغريقي في الشرق: ففي سورية أخذت الأمور تتدهور من سىء الى أسوأ منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، إذ لم يستطع أخلاف أنطيوخس الرابع الحفاظ على تخوم أملاك الامبراطورية السلوقية الواسعة التي توارثوها، فالفترة التي اعقبت أنطيوخس الرابع لقرن كامل تتمثل في دور مضطرب مليء بالمشاحنات و بالحروب الداخليه و المنازعات العائليه على الحكم حتى تقلصت الامبراطورية السلوقية الى دويله في شمال سورية، ففي جهه الشرق فقد السلوقيون جميع ممتلكاتهم التي كانت تكوّن جزءا مهما من امبراطوريتهم، و في الغرب ظهرت قوة تراحمهم في نفس سورية، فالانباط الذين كانوا قد حلّوا محل الادوميين و تمركزوا في البتراء أصبحوا قوة في المنطقة لها نفوذها في الأرضين التي كان يمتلكها الأراميون من قبل، و مثلهم أخذ «اليطوريون» الأعراب يهاجمون مدن السواحل، كذلك أخذت المدن الفينيقية تستقل عن الحكم السلوقي الواحدة تلو الأخرى مستغلة ظروف الانحلال السائدة.

أ- التنارع بين الدول على السيطرة في الشرق و تغلب الرومان في الصراع

و في خلال هذا الفراغ ظهرت في منطقة الشرق الاوسط ثلاث قوات كبيرة تتزاحم على السيطرة، و هذه القوات هي الامبراطورية الفرثية الفارسية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٧٦

من الشرق و المملكة الأرمنية من الشمال، و دولة الرومان من الغرب، فالملك دكران ملك أرمينيا أقصى الفرثيين من العراق و توغل في شمال سورية و في قيليقيا حتى أصبح الملكان السلوقيان أنطيوخس الثالث عشر و فيليب الثاني المتنازعان على العرش السلوقي في زوايا النسيان. و قد أسس الملك دكران مدينه ملكيه جديده في المنطقه الشماليه من نهر دجله و اتخذ له لقب ملك الملوك و امتدت فتوحاته حتى وصل الى عكّه فاحتلها سنه ٦٩ ق.م، فلم يبق أمام روما تجاه هذا الوضع المهدّد لمصالحها في المنطقه سوى اعلان الحرب على الملك دكران، فتمكنت من ارغامه على سحب قواته و حامياته من سورية و إعادة الملك السلوقي أنطيوخس الثالث عشر الى مقر مملكته في انطاكيا معترفا به من روما. و قد بعثت روما بعد ذلك قائدها الشهير بومبي فسار بجيوشه إلى منطقه أرمينية و هاجم ميثراداتس ملك بونتوس حليف دكران و حميه و احتل بلاده و طرده عنها، ثم عاد بومبي الى سورية فاحتلها سنه ٦٤ ق.م. و ضمها الى روما كمقاطعه تابعه لها مع انطاكيه عاصمه لها، كما جعل من قيليقيا مقاطعه أخرى تابعه لرومه أيضا. و بذلك انتهى حكم السلوقيين الهزيل فكان الملك فيليب الثاني آخر من حمل لقب ملك من السلالة السلوقيه.

ب: يهوذا تخضع لحكم روما – كابتوس نائب قنصل في سورية

اما مقاطعه يهوذا فكان يحكمها ارسطوبولس الثاني المكابي عند ما ضم بومبي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٧٧

سورية إلى روما، و كانت في أورشليم آنذاك ثلاث فرق عقائديه تتنازع فيما بينها، في حين أن أكثرية الشعب كانت تطالب باقامه حكومه كهنيه. و في غمره هذا الاضطراب دخل بومبي أورشليم سنه ٦٣ ق.م، فلم يتعرض لخزائن الهيكل و لكنه من سلطتها على المدن الساحليه و المدن غير اليهوديه في الداخل جرد يهوذا و جعلها تابعه لحكم الرومان المباشر، و نصب هيركانوس الثاني المكابي بصفه كاهن أعلى لادارة شؤون اليهود الدينيه، و بذلك قضى على استقلال اليهود الذاتى، فساد الهدوء في يهوذا في اعقاب الاحتلال الرومانى. و في غضون ذلك تحالف بومبي مع قيصر و كراسوس و تكوّنت منهم الحكومه الثلاثيه الرومانيه الأولى في روما سنه ٦٠ ق.م، فقرر أن يعهد بحكم سورية الى نائب قنصل فعين كابينوس سنه ٥٧ ق.م. أول نائب قنصل انتدبه بومبي ليحكم سورية. و قد قسم كابينوس المنطقه اليهوديه الى خمس أقسام و شكل في كل قسم مجلسا دينيا محليا و أعاد بناء عدد من المدن التي كان قد خزبها المكابيون مثل السامرة و غزه و دور و غيرها.

ج: كراسوس و كاسيوس في حكم سورية – الحرب بين بومبي و قيصر و انتصار الأخير فيها

و في سنه ٥٤ ق.م. عين كراسوس، و هو أحد أعضاء الحكومه الثلاثيه، نائب قنصل في سورية خلفا لكابينوس. و كراسوس هذا كان طموحا و جشعا فقام بنهب خزائن الهيكل في أورشليم، ثم أقدم على محاربه القوات الفرثيه المتمركزه في العراق، و هى القوات التي بقيت تهدد الممتلكات الرومانيه في الشرق بعد أن أقصى دكران ملك أرمينيا عن سورية و هزم ميثراداتس ملك بونتوس، الّا أن خيانه حليف كراسوس في معركة خاضها في الصحراء السوريه سنه ٥٣ ق.م. أدت بالقضاء عليه و على جيشه، و قد أخذ رأسه و يده اليمنى الى ملك الفرس في طيسفون. و قد خلف كراسوس في حكم سورية كاسيوس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٧٨

خازن الدوله فحارب الفرثيين و صد هجومهم على سورية سنه ٥١ ق.م.

ثم اضطرت الأمور في روما بسبب الحرب الداخلية التي نشبت هناك بين بومبي وقيصر سنة ٤٩ ق.م. والتي انتهت باندحار بومبي، فانتزح ابن ميثراداتس الفرصة لإعادة عرش والده في بونتوس، فقام قيصر بحملة ضده، وفي طريق عودته مرّ بسورية سنة ٤٧ ق.م. و منح امتيازات الى بعض المدن السورية و من ضمنها يهوذا، فأعاد السلطة المدنية الى هيركانوس الثاني التي كان بومبي و كابينوس قد جرداه منها و أعاد إلى يهوذا بعض الممتلكات التي سلخت منها. و في الوقت نفسه عين قيصر انتياتير الأدمي الذي كان قد وقف إلى جانبه في النزاع بينه و بين بومبي خازنا في يهوذا و صار هو صاحب السلطة الحقيقي فيها.

د- اليهود في عهد قيصر - انتياتير الأدمي خازن و حاكم في اورشليم

و قد تمتع اليهود في زمن قيصر بحرية ممارسة طقوسهم الدينية و بحكمهم الذاتي، فحصلوا على امتيازات كثيرة منها اعفاؤهم من الخدمة العسكرية، و قد شملت هذه الامتيازات اليهود في الاسكندرية و في روما، كما سمح لليهود أن يعيدوا بناء سور اورشليم. و مع كل ذلك لم يطمئن اليهود في اورشليم الى حكم انتياتير الأدمي الذي كان يتمتع بتأييد و التزام قيصر. و أنتياتير هذا كان يتظاهر بأنه من اليهود اليهود لما له من صلة قرابة معهم، و لكنهم كانوا يرون بأن الحكم لغير طبقه الكهنه مخالف للشريعة، فحدثت إثر ذلك اضطرابات داخلية كادت تهدد مدينة اورشليم بالثورة. و في غضون ذلك كان تؤثر الأحوال السياسية في روما قد بلغ أشده إثر اغتيال قيصر في مجلس الشيوخ سنة ٤٤ ق.م.، فشكّلت بعد هذا الحادث الحكومة الرومانية الثلاثية الثانية سنة ٤٢ ق.م. من أوكتافيان (أغسطس) و مارك أنطونيوس و ليبيدوس.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٧٩

ه- مارك انطونيوس و كليوباترة - و القضاء على انطونيوس و اقامة الانباطورية الرومانية

و في سنة ٤٠ ق.م. أسندت ممتلكات الرومان في الشرق الى مارك أنطونيوس، ألا أن أنطونيوس انشغل عن الحكم بعلاقاته الغرامية مع كليوباترة آخر ملكة من ملوك البطالسة في مصر، فأهمل مصالح الرومان في الشرق و وزع الولايات الرومانية في الشرق بين كليوباترة و أبنائها. فانتزح الفرثيون هذه الفرصة الملائمة فاستولوا على مقاطعة سورية كلها باستثناء بلدة صور التي ظلت صامدة أمام هجومهم. و كان تصرف انطونيوس مدعاة لنشوب خلاف عنيف بين اوكتافيان و أنطونيوس فجرد أنطونيوس من سلطاته و أعلن اوكتافيان الحرب عليه و على كليوباترة سنة ٣٢ ق.م. كان النصر فيها لأوكتافيان، و أخيرا انتحر انطونيوس سنة ٣٠ ق.م. و كان ذلك إيذانا بزوال حكم البطالمة في مصر. و قد أعقب هذا الانتصار تولّى أوكتافيان زمام الحكم بصفته أول انباطور روماني، و في السنة التالية ضم مصر الى انباطوريتها.

و- هيرودس الأدمي ملك على يهوذا و الجليل

اما يهوذا فبعد موت أنتياتير سنة ٤٣ ق.م. عين محله في السلطة الفعلية ابنه هيرودس، ألا أن استيلاء الفرثيين على البلاد سنة ٤٠ ق.م. اضطره الى الهرب الى روما فعين الفرثيون بعد استيلائهم على اورشليم انتيغونس بن ارسطوبولس ملكا على يهوذا. و ما ان انسحب الفرثيون سنة ٣٩ ق.م.

حتى عاد هيرودس الى سورية فعينه أنطونيوس و أوكتافيان ملكا على يهوذا و على الجليل، ألا أنه لم يستطع احتلال اورشليم إلا بعد أكثر من ستين حيث دخل اورشليم سنة ٣٦ ق.م. عنوة بعد أن قام هو و الرومان بمذابح عنيفة. أما انتيغونس فقد أسر و أعدم في أنطاكيا، و باعدامه كانت نهاية حكم السلالة المكابية و بداية حكم السلالة الهيرودية في فلسطين.

و هيرودس أدمي الأصل أبوه أدمي جاء من ناحية بئر السبع و أمه ابنة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٨٠

أحد الأمراء العرب الأنباط اختلط مع اليهود بصله الزواج، والأدوميون كانوا عربا مواطنهم في طرف البادية في جنوب شرقي فلسطين. كان حكمه الذي دام ٣٣ عاما بين سنة ٣٧ و ٤ قبل الميلاد قد أتمم بالاستبداد و بالقساوة الوحشية، فقتل عددا هائلا من الناس و لم يسلم من يده حتى أفراد عائلته و أعز أصدقائه فكان أول من قتله من ذوى قرياه الكاهن الأعلى ارسطوبولوس أخ زوجته مريم، ثم قتل بعده جدها هيركانوس الكاهن الأكبر الشيخ، ثم قتل زوجته مريم و ثلاثة من أولاده. و قد تزوج عشر زوجات و قتل البعض منهن، و قيل انه أحرق طالين كانا قد مزقا شعار النسر الروماني و هما حيّان.

و كان هيرودس يفضل الإقامة في السامرة التي غيّر اسمها الى «سبسطية» تخليدا لاسم اغسطس قيصر الذي وهبها اياها. و مع أن هيرودس قام بأعمال عمرانية عظيمة أهمها بناء الهيكل من جديد استرضاء لليهود، فقد كان اليهود تخطيط للهيكل الذي شيده هيرودس فهدمه الرومان سنة ٧٠ م

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٨١

يمقتونه لقساوته الوحشية و لاندفاعه في نشر الثقافة اليونانية و الرومانية بما في ذلك انشاء معابد للأصنام في المدن الفلسطينية. إلا أن هناك من يرى بأن فلسطين شهدت أزهى ادوار ذلك العصر و أكثرها استقرارا في عهده لما تركه من آثار في مختلف نواحي التقدم الحضاري لذا سمى بهيرودس الكبير.

ز - تقسيم مملكة هيرودس على أولاده بعد وفاته

قسمت مملكة هيرودس بعد وفاته سنة ٤ ق. م. بين أبنائه الثلاثة: فحكم الأول أرخيلوس في منطقتي يهوذا و أدوم، و الثاني هيرود أنتيباس في الجليل، أميا الثالث و هو فيليب فقد عين واليا على الاقليم الواقع شرقي الجليل. و الظاهر أن حكم أرخيلوس لم يكن مرضيا لقساوته و سوء تصرفاته مع الشعب فخلعه أغسطس سنة ٦ ب. م. و جعل منطقة يهوذا مقاطعة رومانية تابعة الى والي في سورية. و في الفترة بين سنة ٦ و سنة ٤١ ب. م. تناوب في حكم يهوذا سبعة موظفين رومانيين كان أشرسهم و أقسامهم في معاملته مع الشعب بونتوس بيلاط (٣٦- ٢٦) (Pontius Pilate م.)، فأرسله والي Vitellius في سوريا الى روما لمحاكمته. و من أهم ما تخللته هذه الفترة من أحداث هي محاكمة السيد المسيح (ع) و صلبه سنة ٢٩ م. على ما جاءت به الاخبار.

ح - هيرودس اغريبا حفيد هيرودس الكبير ملك على فلسطين

و كانت البلاد تعيش في جو مضطرب غير مستقر على يد موظفين سيئى السيرة قساء التصرف حتى عين هيرودوس اغريبا حفيد هيرودس الكبير ملكا على فلسطين بعد أن لقي حظوة لدى الامبراطور كاليجولا (٣٧- ٤١ م.) ثم لدى الامبراطور كلاودوس (٤١- ٥٤ م) بعده، و قد أضاف الأخير الولاية الرومانية في الشرق إلى حكم اغريبا. و هنا يظهر مرة أخرى ملكا على فلسطين و لكن للمرة الأخيرة. و قد تمكن اغريبا بفضل ما كان يتسم به من الورع و طيب النفس من تهدئة الأوضاع و ذلك بتجنبه الأعمال المستفزة لشعور اليهود الدينى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٨٢

ط - موت اغريبا و ثورة اليهود ثم قمعها على يد تيطوس سنة ٧٠ م.

و بعد موت اغريبا سنة ٤٤ م. جعلت كل فلسطين مقاطعة واحدة لأن اغريبا الثانى ابن اغريبا الأول لم يستطع تولّى الحكم لصغر سنه. ففي الفترة بين سنة ٤٤ و ٦٤ م. تولّى سبعة من الخزنة الرومانيين حكم فلسطين، كانوا كلهم سيئى الأخلاق و مرتشين، فسادت الفوضى

في البلاد وعمّ الشغب و كثر اغتيالات، و كان الحكام يستعملون العنف بقساوة شديدة في قمع الثورات و الاضطرابات فبلغ حكم الارهاب على أشده في زمن الحاكم «انطونيوس فيليكس» (٥٢- ٦٠ م). و تفاقم الوضع خطورة بعد اغتيال الكاهن الأكبر يوناثان بتحريض من «فيليكس» فانتشر السلب و النهب في كل مكان و انعدم النظام حتى وقع الانفجار أخيرا في ربيع سنة ٦٦ م، فاذا به ثورة عارمة على الحكم الروماني، فطرد الحاكم من البلد و رميت معطيات الانبراطور للهيكل خارجا و قتل أفراد الحامية الرومانية في القدس و استولى عليها، و امتد لهيب الثورة الى بقية المدن و عمّ القتال بين اليهود و الأغيار في كل مكان. فسارع والى سوريه «سمستوس غالوس» و توجه مع عدد كبير من الجيش و المعدات الحربية لقمع الثورة، ألّا أنه هزم و اندحر أمام مقاومة اليهود العنيفة في المعركة التي جرت قرب «بيت حورون» في تشرين الثاني من سنة ٦٩ م، فشكّل اليهود حكومة للدفاع و عهدوا الى «يوسيفوس» المؤرخ المشهور بالدفاع عن الجليل. و لما وصلت أخبار فشل حملة «سمستوس» الى الانبراطور نيرون (٥٤- ٦٨ م) جرّد حملة قويّة من ثلاث قرق من جيش قوامه ٠،٠٠٠، ٦٠ جندي و أودع قيادة هذه الحملة الى «وسبسيان»، فبدأت الحملة عملياتها في صيف ٦٧ م. بالتضيق على جبهة منطقة الجليل فاستسلمت بعض المدن، ألّا أن «يوسيفوس» قاوم بشدة في أول الأمر و لكنه توقّف عن القتال بالانفاق مع «وسبسيان» و توجه الى روما تاركا الجبهة مكشوفة أمام الجيش الروماني. ألّا في الجنوب، فقد عمّت الفوضى و اشتد القتال بين مختلف الطبقات و انتشرت المذابح في كل مكان فتركهم «وسبسيان»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٨٣

يقع في مدخل الشارع الضيق في القدس و المعروف باسم (فيادو الذي يمتد من حصن انطونيا الى كنيسة القيامة و قد أقيم في القرن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٨٤

و شأنهم دون أن يهاجمهم و قد اكتفى باحتلال ضواحي أورشليم. ثم توقفت العمليات الحربية حوالى سنة على أثر وفاة الانبراطور نيرون في ٩ حزيران ٦٨ م. حتى نصب «وسبسيان» امبراطورا في ١ تموز ٦٩ م. ليحل محل نيرون فأودعت القيادة في فلسطين الى تيطوس ابن «وسبسيان». و قد بدأ تيطوس هجومه على أورشليم و هى في حالة مضطربة أشبه بالفوضى متحديا المقاومة المستميتة التي أبداها المدافعون من اليهود فاقتحم السور الشمالي أولا، ثم الثاني و الثالث حتى اذا ما حل شهر آب من سنة ٧٠ م. أصبح جيش تيطوس عند الهيكل، و في اليوم التاسع من الشهر دخل جيش تيطوس الهيكل فأوقع مذبحه مريعة باليهود و خرّب أورشليم و أحرق هيكلها و ذبح كهنته، فأزيل الهيكل من الوجود تماما بحيث لم يعد يهتدى الناس الى موضعه. و كانت المدينة في حالة بؤس شديد عند احتلالها فاجتاحتها الأمراض الفتاكة و عمتها المجاعة فمات من مات، ألّا الباقون أحياء فسيقوا عبيدا. و قد أجزر الكثير من الأسرى على أن يقتل بعضهم البعض الآخر أو أن يموتوا و هم يتصارعون مع الوحوش أمام آلاف المتفرجين في ملاعب الرومان المستديرة- (eatres) Amphith). و قد قدر عدد الذين هلكوا في خلال فترة الحرب الدائرة بين سنة ٦٦ و ٧٠ بحوالى مليون نسمة. و هكذا قضى على الكيان الذاتي الدينى لليهود في فلسطين و من ضمن ذلك التنظيمات الادارية الدينية التي كانت تتمثل بالسندرين .

١- ثورة اليهود من جديد بقيادة بار كوخبا و القضاء عليها

و قد تمكنت فئة من اليهود من جماعة الفريسيين بعد الهزيمة التي منى بها الاسرائيليون على يد تيطوس من اللجوء الى مدن الساحل الفلسطيني، فكان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٨٥

معهم عدد من الحاخامين من أعضاء السندرين فمكثوا في بلدة بينة قرب حيفا ثم نزحوا منها الى طبرية فاتخذوها مركزا لأعمالهم. و قد ساد الهدوء حوالى نصف قرن لاطمئنان الرومان و استبعادهم قيام أية حركة عصيان بعد قضائهم على الكيان اليهودى و سحق ثورتهم. ألّا أن شرارة عصيان جديد اعترضت موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٨٦

هذا الهدوء على أثر اصدار الانبراطور هادريان (١١٧-١٣٨ م). مرسوما يقضى بمنع الخصاء و الختان بشكل عام و اصداره أمرا بانشاء معبد للاله زوس فى أورشليم فى محل الهيكل المهذوم، فكان ذلك إيذانا بانفجار جديد، فاشتعلت نيران الثورة بقيادة زعيم يدعى «باركوخبا»

(Bar Kokhba)

و معناه بالأرامية «ابن النجم»، و كان يسند باركوخبا هذا الحاخام الكبير «أكيبا» (Akiba) فاعتصمت جماعة باركوخبا فى المواقع الجبلية الحصينة و أخذوا يقاتلون على هيئة حرب عصابات، و ظلوا معتصمين بمواقعهم ثلاث سنوات ١٣٢-١٣٥ م. حتى جرّد الرومان عليهم حملة اجتاحت مواقعهم و ازلت قلاعهم و أحرقت قراهم، و حوّل هادريان مدينة أورشليم الى مستعمرة رومانية و حرّم على اليهود سكنها و قد بدل اسمها الى «ايليا كبتولينا» (Aelia Capitolina). و ايليا هو الاسم الأول لهادريان. و قد أسكنت جالية رومانية فى جبل صهيون و أقيم فى محل الهيكل معبد للاله اليونانى جوبيتر، و قدّر عدد الذين قتلوا فى هذه المعارك ٥٨٠ ألفا عدا من هلك جوعا و مرضا و حرقا. و هذه هى الضربة الأخيرة لليهود فى فلسطين، فلم يعد لهم أى كيان فيها طوال العصور التالية.

ك- تساهل الرومان مع اليهود فى نشاطهم الدينية و اعادة تشكيل السنهدين

و بالرغم من اصدار هادريان مراسيم تقضى بتحريم ممارسة الشعائر الدينية اليهودية و فرض عقوبة الموت لمن خالف ذلك، فقد تمكن عدد من الرؤساء الروحانيين من أتباع «أكيبا» و معظمهم من الفريسيين من الهرب الى منطقة الجليل حيث و اصلوا أعمالهم الدينية، و قد ساعدهم على ذلك الغاء الانبراطور «أنتونينس بيوس» (١٦١-١٣٨) (Antoninus Pius م) للمراسيم موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٨٧

التي استنها سلفه هادريان و القاضية بتحريم ممارسة الشعائر الدينية اليهودية. و هكذا أخذ هؤلاء الرؤساء الروحانيون يستعيدون نشاطهم لارجاع الحياة الدينية اليهودية بتنظيم و تأسيس مدارس دينية فى المنفى، ففى بلدة أوشا

(Usha)

فى الجليل الأعلى أعيد تشكيل «السنهدين» (المجلس اليهودى الدينى الأعلى) و هو العمل الذى و وشر فى «يبنة» على يد «أكيبا» فتولى مواصلته خلفه مثير (Meir) حتى انتقل العمل أخيرا الى الحاخام يهوذا الذى ورد ذكره فى التلمود. و فى خلال الفترة (١٣٨-٢٠٠ م) كان الرومانيون أكثر تساهلا للنشاطات الدينية البحتة التي كان يمارسها الرؤساء الروحانيون فى الجليل فاعترفوا بهم ممثلين لليهودية كما اعترفوا بمجلس «السنهدين» مما ساعد على انجاز جماعة هذا المجلس تدوين التلمود الفلسطينى المشتمل على مجموعة الشرائع اليهودية، و قد سُمى بالفلسطينى لتمييزه عن التلمود الذى اعد فى بابل. و قد بقى منصب رئاسة «السنهدين» وراثيا فى عائلة «هلل» أكثر من ثلاثة قرون.

ل- الانبراطور قسطنطين يعتنق المسيحية و أثر ذلك فى انتشار و تغلب المسيحية

نسخة من الانجيل يعود تاريخها الى القرن الرابع و قد حدث بعد ذلك حادث غير مجرى تاريخ الانبراطورية الرومانية، و هو اعتناق الانبراطور قسطنطين الأول المدعو بالكبير (٣٠٦-٣٣٧ م) الديانة المسيحية، ثم نقل عاصمة الانبراطورية الى «بيزنطيا» رسميا فى ١١ مايس ٣٣٠ م، و قد سُميت باسمه القسطنطينية (استامبول حاليا). و على هذا أصدر قسطنطين فى سنة ٣١٣ م. مرسوما يقضى بمنح المسيحيين حرية العبادة على دينهم فى جميع أنحاء

الانبراطورية الرومانية،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٨٨

ثم عقد في سنة ٣٢٣ م. اجتماعا عاما في نيسيا (Nicea) في آسيا الصغرى حضره جميع الأساقفة، و من ضمنهم الأسقف مكاريوس أسقف أورشليم، بحثت فيه الشؤون الدينية المسيحية، فثبتت الديانة المسيحية على أسس اتفق عليها الجميع. و كانت الانبراطورة «هيلينا» أم الانبراطور قسطنطين أكثر تحمسا للعبادة على الديانة المسيحية، فقامت بالحج الى أورشليم سنة ٣٢٦ م و كترت جهودها لكشف مواضع الحوادث المهمة للمسيحيين و لبناء كنائس تذكارا لها. و أقام قسطنطين كنيسة في «الجلجلة»، موضع صلب السيد المسيح بحسب التقاليد المتواترة، و هي كنيسة القيامة حاليا.

و من الطبيعي أن الحوادث المذكور لم يكن من صالح اليهود إذ تمخض عن هذا التطور الجديد اضطهاد اليهود في كل أنحاء الانبراطورية الرومانية التي أصبحت تدين بالمسيحية رسميا. ألا أن تغيرا حدث بعد مرور حوالي ربع قرن من الزمن على وفاة قسطنطين، هو اعتلاء الانبراطور جوليان العرش الروماني سنة ٣٦١ م. و قد سمي بالمرتد لانحرافه عن المسيحية و رجوعه الى الوثنية.

و حاول هذا الانبراطور إعادة بناء هيكل أورشليم، و لكن الزمن لم يمهل لانجاز ذلك حيث توفي بعد سنتين، فقد قتل في حملته على بلاد الفرس في ٢٦ حزيران ٣٦٣ م. و قيل إن هزة أرضية أدت الى هدم البناء الذي باشره للهيكل. و بموت جوليان عاد فتغير الوضع لغير صالح اليهود إذ عاد إلى ما كان عليه قبل جوليان. و في سنة ٣٩٥ م. حدث حادث مهم في تاريخ الانبراطورية الرومانية حيث تم تقسيم الانبراطورية الرومانية الى قسمين غربي و شرقي، فكانت فلسطين بصورة طبيعية من ضمن القسم الشرقي البيزنطي.

م- الصراع بين الفرس و الرومان حتى الفتح الاسلامي

و قد شهدت فلسطين في هذا الدور الجديد بعض الاستقرار دام أكثر من مئتي عام مما ساعد على نمو البلاد اقتصاديا، و ذلك بتشجيع الحج الى الأماكن المقدسة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٨٩

و في عهد الانبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م.) أقيمت عمارات كثيرة في فلسطين منها «باب الذهب» في القدس، و هو ما زال يسمى بهذا الاسم حتى هذا اليوم، كما أنشئ في موضع المسجد الأقصى الحالي كنيسة. و لكن لم يكتب لهذه الفترة الهادئة الدوام، ففي سنة ٦١١ م. هجم ملك الفرس كسرى الثاني (أبرويز) (٥٩٠-٦٣٨) على سورية و امتدت فتوحاته حتى احتل سنة ٦١٤ م. القدس، فخرّب كنيسة القبر المقدس (كنيسة القبر الآن) و خرّب كذلك الكنائس الأخرى، فهدمها تهديما كاملا و أخذ البطرك سجيناً. و مما يذكر أن اليهود انضموا الى الفرس في حملتهم هذه رغبة منهم في الانتقام من مضطهديهم المسيحيين. و هكذا فقد البيزنطيون سيطرتهم على البلاد المقدسة.

و لكن هذا الاحتلال الفارسي لم يدم طويلا، فقد أعاد الأنبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١ م.) فتح أرض فلسطين سنة ٦٢٨ م. و لحق بالفرس إلى بلادهم، و قيل إنه استرجع حوالي سنة ٦٣٠ م (الصليب الأصلي) الذي كان قد استولى عليه الفرس بعد احتلالهم للقدس سنة ٦١٤ م. ألا أن انتصار هرقل هذا لم يكتب له الدوام أيضا، حيث أعقبه مباشرة الفتح العربي الإسلامي الذي كان النصر فيه حليف العرب في معركة اليرموك الحاسمة سنة ٦٣٦ م.

ثم تبعتها الفتوحات العربية في عهد ابي بكر الصديق (ر) و بعد ذلك في عهد الخليفة عمر (ر) حيث سقطت القدس في زمنه في أيدي العرب، و كان ذلك سنة ١٧ هـ. (٦٣٨ م.)، فدخل عمر المدينة بناء على طلب أهلها تسليمها اليه شخصيا، و لما دخلها زار موضع الصخرة المقدسة و محل عبادة داود و موضع الهيكل فكانت في حالة يرثى لها بسبب تراكم الأوساخ فيها، فأمر بتنظيفها و جعل لها مصلى فيها على جبل المريا حيث كان هيكل سليمان في القديم، و من ذلك جاء اسم «مسجد عمر» خطأ للقبه التي بناها عبد الملك

فيما بعد فوق الصخرة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٩٠

ن - جدول مسلسل للحوادث التاريخية في العهد الروماني (٦٤ ق.م - ٦٣٨ م.م.)

- ٦٤ ق.م - احتلال القائد الروماني بومبي لسورية و ضمها الى روما.
- ٦٣ ق.م - دخول بومبي اورشليم و جعل يهوذا تابعه للحاكم الروماني في سورية.
- ٦٠ ق.م - تشكيل الحكومة الثلاثية الرومانية الأولى من بومبي و كراسوس و قيصر.
- ٥٧ ق.م - تعيين كابينوس نائب قنصل في سورية و منحه صلاحيات واسعة.
- ٥٤ ق.م - تعيين كراسوس عضو الحكومة الثلاثية نائب قنصل في سورية.
- ٥٤ ق.م - نهب كراسوس لخزائن الهيكل في اورشليم.
- ٥٣ ق.م - مقتل كراسوس في حربه مع الفرثيين و تعيين كاسيوس خلفا عنه.
- ٥١ ق.م - مواجهه خلفه كاسيوس الفرثيين في سورية و صد هجومهم عليها.
- ٤٩ ق.م - نشوب الحرب الأهلية في روما بين بومبي و مجلس الشيوخ من جهة و قيصر من الجهة الأخرى.
- ٤٨ ق.م - اندحار بومبي و مقتله في مصر.
- ٤٧ ق.م - حملة قيصر على ملك بونتوس في أرمينيا ثم دخوله اورشليم في طريق عودته و منحه يهوذا سلطة مدنية.
- ٤٧ ق.م - تعيين قيصر لأنتباتير الأدومي خازنا في يهوذا.
- ٤٤ ق.م - اغتيال قيصر في مجلس الشيوخ في روما و نشوب حرب أهلية ثانية.
- ٤٣ ق.م - تشكيل حكومة ثلاثية ثانية من أوكتافيان (أغسطس) و مارك انطونيوس و ليبيدوس.
- ٤٣ ق.م - موت أنتباتير مسموما و احلال ابنه هيرودس محله.
- ٤٠ ق.م - إسناد حكم سورية و مصر الى مارك أنطونيوس بعد تقسيم السلطة في العالم الروماني.
- ٤٠ ق.م - احتلال الفرثيين لسورية و تعيينهم لأنتيغونس ابن ارسطوبولس ملكا على يهوذا و هرب هردوس الى روما.
- ٣٨ ق.م - انسحاب الفرثيين من سورية و تعيين أنطونيوس و أوكتافيان لهيرودس الأدومي ملكا على يهوذا و الجليل.
- ٣٦ ق.م - احتلال هيرودس لأورشليم عنوة بعد معارك عنيفة و اعدام انتيغونس المكابي و بذلك كان انتهاء حكم السلالة المكابية.
- ٣١ ق.م - نشوب حرب اكيثوم البحرية بين اوكتافيان (اغسطس) و بين انطونيوس و كليوباترة و انتصار الأول فيها.
- ٣١ ق.م - نصب أوكتافيان (أغسطس) أول امبراطور روماني و في ذلك بداية الامبراطورية الرومانية.
- ٣٠ ق.م - انتحار أنطونيوس.
- ٣٠ ق.م - ضم أوكتافيان (أغسطس) مصر الى الامبراطورية الرومانية.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٩١
- ١٩ ق.م - شروع هيرودس ببناء الهيكل في اورشليم.
- ١٩ ق.م - شروع هيرودس ببناء الهيكل في اورشليم.
- ١١ ق.م - انتهاء هيرودس من البناء الخارجي للهيكل.
- ٦ ق.م - مولد السيد المسيح (ع).
- ٤ ق.م - وفاة هيرودس في أريحا و تقسيم حكم فلسطين بين اولاده الثلاثة

- ١٤ ب. م. - وفاة أغسطس و اعتلاء تيريوس العرش خلفا له في حكم الامبراطورية الرومانية.
- ١٩ ب. م. - صلب السيد المسيح (ع).
- ٣٧ ب. م. - وفاة الامبراطور تيريوس و احلال كاليجولا محله.
- ٣٨ ب. م. - اضطهاد اليهود في الاسكندرية.
- ٤١ ب. م. - تعيين هيروودس اغريبا الأول ملكا على فلسطين.
- ٤١ ب. م. - وفاة الامبراطور كاليجولا و احلال كلاودوس محله.
- ٤٤ ب. م. - وفاة هيروودس اغريبا الأول.
- ٥٤ ب. م. - وفاة كلاودوس و احلال نيرون محله.
- ٦٤ ب. م. - الحريق في روما و اضطهاد المسيحيين.
- ٦٦ ب. م. - بداية ثورة اليهود في اورشليم ضد الرومان في عهد نيرون.
- ٦٨ ب. م. - وفاة الامبراطور نيرون (٩ حزيران) و احلال و سبسيان محله في ١ تموز ٦٩ م.
- ٧٠ ب. م. - احتلال تيطوس لأورشليم و حرق الهيكل و الفتك باليهود و الغاء السنهدرين.
- ٧٩ ب. م. - وفاة و سبسيان و احلال تيطوس محله.
- ١٣٢ ب. م. - ثورة اليهود في عهد الامبراطور هادريان بقيادة «باركوخبا».
- ١٣٥ ب. م. - القضاء على ثورة «باركوخبا» و اقامة مستعمرة رومانية في اورشليم و تحريم سكنى اليهود فيها.
- ٣١٣ ب. م. - اعتناق الانباطور قسطنطين المسيحية و اصدار مرسوم يقضى بمنح المسيحيين حرية العبادة في جميع أقطار الانباطورية الرومانية.
- ٣٣٠ ب. م. - اتخاذ بيزنطية عاصمة رسمية للانباطورية الرومانية و تغيير اسمها الى القسطنطينية نسبة الى مؤسسها قسطنطين.
- ٣٩٥ ب. م. - تقسيم الانباطورية الرومانية الى غربية و شرقية.
- ٦١٤ ب. م. - احتلال كسرى أبرويز لسورية و فلسطين و تخريبه لكنائس القدس من ضمنها كنيسة القبر المقدس.
- ٦٢٨ ب. م. - انتصار الانباطور هرقل (٦١٠-٦٤١ م) على الفرس و استرجاع سورية و فلسطين منهم.
- ٦٣٦ ب. م. - معركة اليرموك التي انتصر فيها العرب على البيزنطيين.
- ٦٣٨ ب. م. - سقوط مدينة القدس في أيدي العرب في عهد الخليفة عمر (١٧ هـ)
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٩٢

جدول مسلسل عام للحوادث التاريخية

- ١- ٣٠٠٠- ٢٥٠٠ ق. م. هجرة الكنعانيين الى فلسطين و منهم اليبوسيون سكان اورشليم الأوائل.
- ١٩٠٠- ١٨٥٠ ق. م. هجرة ابراهيم الخليل (ع) من أور الى فلسطين.
- ١٨٩٤- ١٥٩٥ ق. م. العهد البابلي القديم في العراق، أشهر ملوكه حمورابي (١٧٩٢- ١٧٥٠ ق. م).
- ١٧٨٥- ١٥٨٠ ق. م. هجرة الهكسوس الى مصر و حكمهم فيها.
- ١٧٢٠ ق. م. هجرة آل يعقوب الى مصر في عهد الهكسوس.
- (حوالي) ١٧٠٠ ق. م. بداية هجرة الحوريين من مناطقهم الجبلية في شمال ايران الى شمالي العراق و تأسيسهم دولة ميتاني (حوالي ١٥٠٠- ١٤٠٠ ق. م).

- ١٥٩٥-١١٦٢ ق. م. فترة حكم الكاشيين في العراق- عاصمتهم كوريكالزو (عقرووف الحالية).
- ١٥٨٠-١٠٨٥ ق. م. تكوين الامبراطورية المصرية بعد طرد الهكسوس من مصر.
- ١٥٨٠-١٥٤٦ ق. م. عهد أحموسه الأول مؤسس السلالة الثامنة عشرة المصرية محرر بلاده من الاحتلال الهكسوسى.
- ١٥٠٤-١٤٥٠ ق. م. عهد تحوتمس الثالث الفاتح المصرى الشهير قضى على بلاد الهكسوس فى الشرق و استولى على معظم أقطار الشرق الأدنى.
- ١٤٥٠ ق. م. بداية هجرة الحثين من الاناضول الى شمال سوريه و تأسيسهم دولة قرقاميش- (جربلس) (١٤٥٠-١٢٠٠ ق. م.)
- ١٤١٧-١٣٦٢ ق. م. عهد رسائل تل الحمارنة.
- ١٤١٧-١٣٦٢ ق. م. عهد ملك اورشليم عبدى- خيبا الكنعانى (Abdikhiba) و رسائله الى اخناتون و سلفه امنحوتب الثالث التى ورد فيها ذكر اوروسالم (اورشليم)
- ١٤١٧-١٣٧٩ ق. م. عهد امنحوتب الثالث (السلالة ١٨) كان معاصرا لعبدى خيبا ملك اورشليم
- ١٣٧٩-١٣٦٢ ق. م. عهد امنحوتب الرابع (السلالة ١٨) المعروف باخناتون صاحب الدعوة الى عقيدة التوحيد كان معاصرا لعبدى- خيبا ملك اورشليم.
- ١٣٠٤-١٢٣٧ ق. م. عهد رعمسيس الثانى (السلالة ١٩) تم فى زمنه خروج بنى اسرائيل من مصر بقيادة النبى موسى.
- ١٢٩٠ ق. م. (حوالى)- خروج بنى اسرائيل من مصر و هجرتهم الى ارض فلسطين.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٩٣
- ١٢٠٠-١١٥٠ ق. م. هجرة الفلسطينيين الى الساحل الفلسطينى الجنوبى و منهم جاءت تسمية «فلسطين» (فلسطين الحالية)
- ١١٩٨-١١٦٦ ق. م. عهد رعمسيس الثالث (السلالة ٢٠) أكثر فراعنة مصر ايجالا فى بلاد العرب و هو الذى صد هجوم الفلسطينيين على مصر سنة ١١٩١ ق. م.
- ١١٦٢-١٠٤٦ ق. م. فترة حكم السلالة البابلية الرابعة فى بابل اشتهر من ملوكها نبوخذ نصر الأول (١١٢٤-١١٠٣ ق. م.)
- ١١٢٥-١٠٢٥ ق. م. (حوالى) عهد القضاة الاسرائيليين فى فلسطين.
- ١٠٧٧-٩١١ ق. م. غزو الأراميين للعراق و استقرارهم على طول الجانب الأيمن من نهر الفرات.
- ١٠٥٠ ق. م. انتصار الفلسطينيين فى المعركة التى نشبت بينهم و بين بنى اسرائيل فى عهد القضاة و استيلاؤهم على تابوت العهد.
- ١٠٢٥-١٠١٠ ق. م. (تقريبى) فترة حكم الملك شأوول على بنى اسرائيل.
- ١٠١٠ ق. م. (تقريبى) انتصار الفلسطينيين على الملك شأوول و مقتله هو و اولاده الثلاثة.
- ١٠١٠-٧٩١ ق. م. (تقريبى) فترة حكم الملك داود على بنى اسرائيل.
- ١٠٠٣ (تقريبى) استيلاء الملك داود على ييوس (اورشليم) و اتخاذها عاصمة له.
- ٩٩٤-٩٧١ ق. م. (تقريبى) فترة حكم الملك داود فى اورشليم.
- ٩٧١-٩٣١ ق. م. (تقريبى) فترة حكم الملك سليمان فى اورشليم.
- ٩٢٦ ق. م. زحف شيشنق الأول ملك مصر على اورشليم فى عهد رحبمام ملك يهوذا و نهب ذخائر الهيكل و بينها ٥٠٠ ترس من ذهب.
- ٨٥٣ ق. م. المعركة غير الحاسمة بين الاشوريين و بين الأراميين و حلفائهم فى القرقار على نهر العاصى
- ٧٣١ ق. م. استيلاء تجلات بلاسر الثالث ملك آشور على كل اراضى اسرائيل و سبى أهلها الى آشور.
- ٧٢٢-٧٢١ ق. م. حملة الاشوريين على مملكة اسرائيل فى زمن شلمنصر الخامس و سركون الثانى و ازالتها من الوجود هى و

عاصمتها السامرة.

- ٧٠١ ق. م. حملة سنحاريب ملك آشور على مملكة يهوذا و محاصرة أورشليم.
- ٦١٢ ق. م. سقوط نينوى عاصمة الاشوريين بيد الجيوش الماذية و البابلية المتحالفة.
- ٥٣٩-٦١٢ ق. م. فترة حكم الدولة الكلدانية في العراق بعد سقوط نينوى.
- ٦٠٥ ق. م. انتصار نبوخذنصر على نحو ملك مصر في معركة قرقميش و انسحاب مصر من الشرق الادنى.
- ٦٠٠ ق. م. بدء هجرة الأنباط الى شرقي الأردن.
- ٥٩٧ ق. م. حملة نبوخذنصر الأولى على مملكة يهوذا و أورشليم (السبي الاول لبني يهوذا).
- ٥٨٦ ق. م. حملة نبوخذنصر الثانية على مملكة يهوذا و أورشليم بسبي اليهود الى بابل (السبي الثاني).
- ٥٣٩ ق. م. فتح كورش الأخميني لمدينة بابل و قضاؤه على الدولة الكلدانية في العراق و سماحه لمن رغب من اليهود العودة الى أورشليم و اذنه لهم باعادة بناء الهيكل.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٩٤
- ٣٣٢ ق. م. فتح الاسكندر لفلستين و انشاء مستعمرات اغريقية بين اليهود.
- ٣٢٣ ق. م. (١٣ حزيران) وفاة الاسكندر في بابل.
- ٣٢٣-٣٠ ق. م. حكم البطالمة في مصر.
- ٣١٢ ق. م. فلسطين تصبح تحت حكم البطالمة في مصر.
- ٣١٢-٦٤ ق. م. فترة حكم السلوقيين في سورية.
- ٣٠٠ ق. م. نقل بطليموس الأول عددا من يهود أورشليم الى أفريقيا.
- ١٩٨ ق. م. استيلاء انطيوخس الثالث على فلسطين.
- ١٦٨ ق. م. دخول انطيوخس الرابع (أبيفان) أورشليم و تدميره لهيكلها و نهبه لخزائنها.
- ١٦٧ ق. م. اضطهاد اليهود في فلسطين و اجبارهم على نبذ اليهودية و اعتناق الوثنية اليونانية.
- ١٦٧ ق. م. بداية ثورة العائلة الهشمونية المكابية بزعامه الكاهن متآثيوس.
- ١٦٧-٣٧ ق. م. فترة عهد المكابيين في فلسطين.
- ١٦٤ ق. م. استيلاء المكابيين على أورشليم على أثر الخسائر التي لحقت بالجيش السلوقي.
- ١٤١ ق. م. -٢٢٧ ب. م. - حكم الفرثيين في العراق و في سورية جزئيا.
- ١٤١ ق. م. مناداه سيمون كاهنا أعلى و حاكما في اورشليم و اعتراف دمتريوس الثاني الملك السلوقي باستقلاله.
- ٧٠ ق. م. -٤٧٦ ب. م. - عهد الانباطورية الرومانية.
- ٦٩ ق. م. احتلال دكران ملك أرمينيا لشمال سورية و استيلاؤه على عكة ثم انسحابه منها تحت ضغط الرومان.
- ٦٤ ق. م. احتلال القائد الروماني بومبي لسورية و ضمها الى رومه.
- ٦٣ ق. م. دخول بومبي القائد الروماني الى أورشليم و جعل يهوذا تابعة لحاكم سورية الروماني.
- ٥٤ ق. م. نهب كراسوس لخزائن الهيكل في أورشليم.
- ٤٧ ق. م. تعيين الانتيبايتار الاروسي خازنا في يهوذا.
- ٤٣ ق. م. موت أنتيبايتار و احلال ابنه هيرودس محله حاكما على يهوذا.
- ٤٠ ق. م. استيلاء الفرثيين على فلسطين ثم انسحابهم منها سنة ٣٨ ق. م.

٤٠ ق. م. هرب هيرودس الى روما بعد احتلال الفريثيين لفلسطين.

٦ ق. م. مولد السيد المسيح (ع)

٤ ق. م. وفاة هيرودس و تقسيم حكم فلسطين بين اولاده الثلاثة.

٣٦ ق. م. احتلال هيرودس لأورشليم عنوة بعد معارك عنيفة و بذلك كان انتهاء حكم السلالة المكابية.

٣٠ ق. م. ضم الامبراطور أغسطس مصر الى الامبراطورية الرومانية.

١٩ ب. م. صلب السيد المسيح (ع)

٦٦ ب. م. بداية ثورة اليهود فى أورشليم ضد الرومان فى عهد نيرون. موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج ٤ ؛ ص ١٩٥

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٩٥

٧٠ ب. م. فتح الرومان لأورشليم و تشتيت اليهود.

١٣٢ ب. م. ثورة اليهود من جديد فى عهد الامبراطور هادريان (١١٧-١٣٨ م) بقيادة «باركوخبا».

١٣٥ ب. م. قضاء هادريان على ثورة «باركوخبا» و اقامة مستعمرة رومانية فى أورشليم و تحريم سكنى اليهود فيها.

١٣٨ ب. م. تسنم الانبراطور أنتونينس بيوس (١٣٨-١٦١ م). العرش الرومانى و الغاؤه المراسيم التى استنتها سلفه هادريان القاضية

بتحريم الديانة اليهودية.

٣١٣ ب. م. اصدار قسطنطين مرسوما يقضى بمنح المسيحيين حرية العبادة على المسيحية فى جميع اقطار الانبراطورية الرومانية.

٣٢٣ ب. م. عقد اجتماع مجلس الأساقفة فى نيسيا لبحث الشؤون الدينية المسيحية.

٣٢٦ ب. م. حج الانبراطورة هيلينا الى أورشليم.

٣٣٠ ب. م. اتخاذ «بيزنطية» عاصمة رسمية للامبراطورية الرومانية و تغيير اسمها الى اسم مؤسسها قسطنطين.

٣٣٠-٣٣٧ ب. م. إقامة الانبراطور قسطنطين «كنيسة القبر المقدس» (القيامة حاليا) فى «الجلجلة».

٣٦١ ب. م. اعتلاء جوليان عرش الانبراطورية الرومانية و انحرافه عن المسيحية و أمره باعادة هيكل اليهود فى أورشليم.

٣٦٣ ب. م. وفاة جوليان و الرجوع الى الديانة المسيحية.

٣٩٥ ب. م. تقسيم الانبراطورية الرومانية الى غربية و شرقية.

٥٢٧-٥٦٥ ب. م. إقامة الانبراطور جستنيان عمارات كثيرة فى فلسطين منها «الباب الذهبى» الذى لا يزال يعرف بهذا الاسم و منها

الكنيسة التى انشأها فى موضع المسجد الأقصى الحالى.

٦٠٨ ب. م. وصول جيوش كسرى الثانى (أبرويز) (٥٩٠-٦٢٨ م.) الى حدود البوسفور و تهديدها للقسطنطينية.

٦١٤ ب. م. احتلال كسرى أبرويز لسورية و فلسطين و تخريبه كنائس القدس من ضمنها «كنيسة القبر المقدس».

٦٢٨ ب. م. انتصار الانبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١ م.) على الفرس و استرجاع سورية و فلسطين منهم.

٦٣٠- (حوالى) ملاحقة هرقل للفرس فى بلادهم و استرجاع «الصليب الأصيل» الذى كانوا قد استولوا عليه بعد احتلالهم للقدس سنة

٦١٤ م.

٦٣٦ ب. م. معركة اليرموك التى انتصر فيها العرب على جيوش الانبراطور البيزنطى هرقل.

٦٣٨ ب. م. سقوط مدينة القدس فى أيدي العرب فى عهد الخليفة عمر (١٧).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٩٦

المراجع الاجنبية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ١٩٩

- المراجع العربية- «بيت المقدس في الاسلام»، تقديم الدكتور عبد الحليم محمود، مجمع البحوث الاسلامية في الازهر، الكتاب الخامس (عدد خاص) ١٩٦٩.
- جبرا (ابراهيم جبرا): «الرحلة الثامنة القدس: الزمن المجد، صيدا، ١٩٦٧، ص ١٥٥-١٧٦. (قطعة أدبية تاريخية رائعة عن القدس).
- العارف (عارف باشا): «تاريخ القدس» القاهرة، دار المعارف، ١٩٥١.
- : «تاريخ الحرم القدسي، القدس، ١٩٤٧ (تقريظ المقتطف ج ١١٢ (١٩٤٨) ص ٧٤-٧٥).
- العليمي (عبد الرحمن بن محمد): القدس ١٤٥٦-١٥٢٢، ج ٢، مصر، المطبعة الوهبيية في مصر ١٢٨٣.
- مجير الدين: الانس الجليل بتاريخ القدس و الخليل
- ابو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي ولد بالقدس و توفي بها ٩٢٧ هـ المطبعة الوهبيية بمصر ١٢٨٣ هـ (ج ٢).
- العمري (ابن فضل الله): «مسالك الابصار في ممالك الامصار» بتحقيق الاستاذ احمد زكي باشا، الجزء الاول، القاهرة، ١٩٢٤ (انظر «المسجد الاقصى» ص ١٣٣-١٦٧).
- الموسوعة العربية الميسرة- بيت المقدس، ص ٤٥٤-٤٥٥.
- الولي (الشيخ طه): «التراث الاسلامي في بيت المقدس و فضائله الدينية»، بيروت ١٩٦٩.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٠١

الارض المقدسة في بعض المصادر العربية و الاسلامية

اشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٠٢

ابن منظور هو محمد بن مكرم بن علي بن احمد الانصاري الافريقي ولد سنة ٦٣٠، و كان باحثا لغويا واسع الاطلاع، و قد اغرم بتلخيص الكتب المطولة فلخص الاغانى و العقد الفريد و غيرها من الكتب الشهيرة و قد نقل على لسان ابنه انه ترك خمسمائة مجلد بخطه، و قد جمع في اللغة كتابه الشهير (لسان العرب) و قيل في ترجمته انه كان متشيعا، و قد عمى في اواخر عمره، و كتابه هذا قد جمع فيه جميع اللغة من جميع المجاميع اللغوية و ما ترك العرب في امثالهم و اشعارهم التي تصلح ان تكون شواهد لغوية و أدبية، و قد مات سنة ٧١١ هـ.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٠٣

اسماء القدس في لسان العرب

اشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٠٤

ايلياء

و ايلياء مدينة بيت المقدس، و منهم من يقصر الياء فيقول إلياء و كأنهما روميان، قال الفرزدق:
و بيتان! بيت الله نحن و لاته و بيت بأعلى (إيلياء) مشرف

و في الحديث: ان عمر رضى الله عنه، أهل بحجة من ايلياء، هي بالمد و التخفيف اسم مدينة بيت المقدس، و قد تشدد الياء الثانية، و تقصر الكلمة و هو معرّب.

شلم

و عن الفراء: لم يأت على فعل اسما الا بقم، و عثر، و ندر وهما موضعان، و شلم بيت المقدس.

القدس

و القدس و القدس، بضم الدال و سكونها، اسم و مصدر، و منه قيل للجنة: حضيرة القدس. و التقديس: التطهير و التبريك، و تقدس اى تطهر، و فى التنزيل: و نحن نسبح بحمدك و نقدر لك. الزجاج: معنى نقدر لك اى نظهر انفسنا لك، و كذلك نعمل بمن اطاعك نقدره اى نظهره، و من هذا قيل للسطل القدس لانه يتقدس منه اى يتطهر،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٠٥

و القدس بالتحريك: السطل بلغة اهل الحجاز لانه يتطهر منه، قال: و من هذا بيت المقدس اى البيت المطهر اى المكان الذى يتطهر به من الذنوب.

ابن الكلبي: القدوس الطاهر، و قوله تعالى: الملك القدوس الطاهر، فى صفة الله عز و جل، و قيل قدوس، بفتح القاف، قال، و جاء فى التفسير انه المبارك، و القدوس: هو الله عز و جل و القدس: البركة، و الارض المقدسة الشام، منه، و بيت المقدس من ذلك ايضا، فاما ان يكون على حذف الزائد، و اما ان يكون اسما ليس على الفعل كما ذهب اليه سيبويه فى المنكب، و هو يخفف و يثقل، و النسبة الى مقدسى، مثل مجلسى، و مقدسى قال امرؤ القيس:

فادركنه ياخذن بالساق و النساكما شبرق الولدان ثوب المقدسى

و الهاء فى (ادركنه) ضمير الثور الوحشى، و النون فى ادركنه ضمير الكلاب، اى ادركت الكلاب الثور فأخذن بساقه و نساها، و شبرقت جلده كما شبرق ولدان النصارى ثوب الزاهد المقدسى، و هو الذى جاء من بيت المقدس فقطعوا ثيابه تبركا بها، و الشبرقة تقطيع الثوب و غيره، و يقال للراهب مقدس، و اراد فى هذا البيت بالمقدسى الراهب، و صبيان النصارى يتبركون به و بمسح مسحه الذى هو لابسها، و اخذ خيوطه منه حتى يتمزق عنه ثوبه.

و المقدس الحبر، و حكى ابن الاعرابى: لاقدره الله: اى لا بارك عليه، قال و المقدس المبارك، و الارض المقدسة: المطهرة، و قال الفراء: الارض المقدسة الطاهرة، و هى دمشق، و فلسطين، و بعض الأردن، و يقال: ارض مقدسة اى مباركة و هو قول قتادة و اليه ذهب ابن الاعرابى و قول العجاج:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٠٦ قد علم القدوس مولى القدس أن ابا العباس اولى نفس

بمعدن الملك القديم الكرسي اراد انه أحقّ نفس بالخلافة،

و روح القدس: جبريل عليه السلام، و فى الحديث ان روح القدس نفث فى روعى، يعنى جبريل عليه السلام، لأنه خلق من طهارة، و قال الله عز و جل فى صفة عيسى، على نبينا و عليه الصلاة و السلام «وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»* هو جبريل معناه روح الطهارة اى خلق من طهارة، و قول الشاعر:

لا نوم حتى تهبطى ارض القدس و تشربى من خير ماء بقدس

اراد الأرض المقدسة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٠٧

القدس في رحلة ناصر خسرو

إشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٠٨

ناصر خسرو خراساني من ابناء القرن الخامس على جانب كبير من العلم و المعرفة، و هو اسماعيلي المذهب قام برحلة واسعة في الثلث الاول من القرن الخامس و سجل الشئ الكثير من مشاهداته التي اعتبرها المؤرخون مرجعا من اهم المراجع التاريخية في القرن الخامس و الرحلة مكتوبة باللغة الفارسية فقام بترجمتها المؤرخون الى اغلب اللغات الحية، و ترجمت اخيرا عن طريق الدكتور يحيى الخشاب الى اللغة العربية، و على هذه الرحلة يجري الاعتماد في وصف المسجد الاقصى و مساحة قاعاته و ابهانه مما سيطلع عليه هنا المؤرخون من العرب الذين لم يسبق لهم الاطلاع على هذه الرحلة. و كان دخوله الى بيت المقدس في سنة ٤٣٨ هـ.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٠٩

الرحلة ناصر خسرو في بيت المقدس

زار الرحالة الايراني الاسماعيلي ناصر خسرو، فيما زار من البلاد الشامية في عهد الفاطميين، فلسطين: و بيت المقدس على الأخص، فدوّن في رحلته الشهيرة باسم «سفرنامه» أشياء مفيدة كثيرة عنها. و لأجل أن لا فراغ نحيط بالموضوع من جميع جوانبه نثبت فيما يأتي ما كتبه في هذا الشأن إتماما للفائدة:

«.. في الخامس من رمضان سنة ٤٣٨ (١٦ مارس ١٠٤٧) بلغنا بيت المقدس. و كان قد مضى على خروجنا من بلدنا سنة شمسية، و طوال رحلتنا لم نقرّ في مكان قط و لا وجدنا راحة كاملة. و أهل الشام و أطرافها يسمون بيت المقدس «القدس». و يذهب الى القدس في موسم الحج من لا يستطيع الذهاب الى مكة من أهل هذه الولايات، فيتوجه الى الموقف و يضحي ضحية العيد كما هي العادة. و يحضر الى هناك لتأدية السنّة، في بعض السنين، أكثر من عشرين ألف شخص، في أوائل ذي الحجة، و معهم أبناؤهم. كذلك يأتي لزيارة بيت المقدس من ديار الروم كثير من النصارى و اليهود، و ذلك لزيارة الكنيسة و الكنيش هناك. و هناك كنيسة عظيمة سيأتي وصفها في مكانه.

و سواد و رساتيق بيت المقدس جليّة كلها، و الزراعة و أشجار الزيتون و التين و غيرها تنبت كلها بغير ماء، و الخيرات بها كثيرة و رخيصة و فيها أرباب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢١٠

عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف منّ من زيت الزيتون، يحفظونها في الآبار و الأحواض. و يصدرونها الى أطراف العالم. و يقال انه لا- يحدث قحط في بلاد الشام. و سمعت من ثقات ان وليا رأى النبي عليه السلام في المنام فقال له «ساعدنا في معاشنا يا رسول الله» فأجابته النبي عليه السلام «عليّ خبز الشام و زيتته». و الآن أصف مدينة بيت المقدس:

هي مدينة مشيدة على قمة الجبل، ليس بها ماء غير الامطار. و رساتيقها ذات عيون. و المدينة محاطة بسور حصين من الحجر و الجص و عليها بوابات حديد. و ليس بقربها أشجار قط، فانها على رأس صخر. و هي مدينة كبيرة كان بها في ذلك الوقت عشرون ألف رجل، و بها أسواق جميلة و أبنية عليه، و كل أرضها مبلطة بالحجارة، و قد سووا الجهات الجليّة و المرتفعات و جعلوها مسطحة،

بحيث تغسل الأرض كلها و تنظف حين تنزل الأمطار. و في المدينة صناع كثيرون و لكل جماعة منهم سوق خاصة، و الجامع شرقي المدينة و سورها هو سورها الشرقي. و بعد الجامع سهل كبير مستوي يسمى «الساهرة» يقال انه سيكون ساحة القيامة و الحشر، لهذا يحضر اليه خلق كثيرون من أطراف العالم و يقيمون به حتى يموتوا فاذا جاء وعد الله كانوا بأرض الميعاد.

اللهم عفوك و رحمتك بعيدك ذلك اليوم آمين يا رب العالمين. و على حافة هذا السهل قرافة عظيمة و مقابر كثير من الصالحين، يصلى بها الناس و يرفعون بالدعاء أيديهم فيقضى الله حاجاتهم، اللهم تقبل حاجاتنا و اغفر ذنوبنا و سيئاتنا و ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين. و بين الجامع و سهل الساهرة واد عظيم الانخفاض كأنه خندق، و به أبنية كثيرة على نسق أبنية الأقدمين. و رأيت قبة من الحجر المنحوت مقامة على بيت لم أر أعجب منها. حتى أن الناظر اليها ليسأل نفسه كيف رفعت في مكانها؟ و يقول العامة انها بيت فرعون، و اسم هذا الوادي «وادي جهنم». و قد سألت عن من أطلق هذا اللقب عليه فقيل ان عمر رضى الله عنه أنزل جيشه أيام خلافته في سهل الساهرة هذا. فلما رأى الوادي قال: هذا وادي جهنم. و يقول العوام ان من يذهب إلى نهايته يسمع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢١١

صياح أهل جهنم، فان الصدى يرتفع من هناك، و قد ذهبت فلم أسمع شيئا.

و حين يسير السائر من المدينة جنوبا مسافة نصف فرسخ و ينزل المنحدر يجد عين ماء تنبع من الصخر تسمى «عين سلوان» و قد أقيمت عندها عمارات كثيرة. و يمر ماء هذه العين بقرية شيدوا فيها عمارات كثيرة و غرسوا بها البساتين. و يقال ان من يستحم من ماء هذه العين يشفى مما ألم به من الأوصاب و الأمراض المزمنة. و قد وقفوا عليها مالا كثيرا. و بيت المقدس مستشفى عظيم عليه أوقاف طائفة و يصرف لمرضاه العديدين العلاج و الدواوبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف المقرر لهذه المستشفى. و مسجد الجمعة على حافة المدينة من الناحية الشرقية، و إحدى حوائط المسجد على حافة وادي جهنم. و حين ينظر السائر من خارج المسجد يرى الحائط المطل على هذا الوادي يرتفع مئة ذراع من الحجر الكبير الذي لا يفصله عن بعضه ملاط أو جص.

و الحوائط داخل المسجد ذات ارتفاع مستو. و قد بنى المسجد في هذا المكان لوجود «الصخرة» به، و هي الصخرة التي أمر الله عز و جل موسى عليه السلام أن يتخذها قبلة. فلما قضى هذا الأمد و اتخذها موسى قبلة له لم يعمر كثيرا بل عجلت به المنية حتى اذا كانت أيام سليمان عليه السلام، و كانت الصخرة قبلة، بنى مسجدا حولها بحيث أصبحت في وسطه. و ظلت الصخرة قبلة حتى عهد نبينا المصطفى عليه السلام فكان المصلون يولون وجوههم شطرها، الى أن أمرهم الله تعالى أن يولوا وجوههم شطر الكعبة و سيأتي وصف ذلك في مكانه.

و قد أردت أن أقيس هذا المسجد، و لكني آثرت أن أتقن معرفة هيئته و وضعه أولا ثم أقيسه، فلبثت فيه زمنا أمعن النظر فرأيت عند الجانب الشمالي بجوار قبة يعقوب عليه السلام طاقا مكتوبا على حجر منه أن طول المسجد أربع و خمسون و سبع مئة ذراع و عرضه خمس و خمسون و أربع مئة ذراع، و ذلك بذراع الملك المسمى في خراسان «كز شايدكان» و هو أقل قليلا من ذراع و نصف، و أرض المسجد مغطاة بحجارة موثوقة الى بعضها بالرصاص.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢١٢

و المسجد شرقي المدينة و السوق، فاذا دخله السائر من السوق فانه يتجه شرقا فيرى رواقا عظيما جميلا ارتفاعه ثلاثون ذراعا و عرضه عشرون. و للرواق جناحان واجهتهما و أيوانه منقوشة كلها بالفسيفساء المثبتة بالجص على الصورة التي يريدونها، و هي من الدقة بحيث تبهر النظر. و يرى على هذا الرواق كتابة منقوشة بالمينا، و قد كتب هناك لقب سلطان مصر، فحين تقع الشمس على هذه النقوش يكون لها من الشعاع ما يحير الأبواب. و فوق الرواق قبة كبيرة من الحجر المصقول، و له بابان مزخرفان و واجهتهما من النحاس الدمشقي الذي يلمع حتى لتظن أنهما طليا بالذهب. و قد طعما بالذهب و حليا بالنقوش الكثيرة، و طول كل منهما خمس عشرة ذراعا و عرضه ثمان و يسميان «باب داود» عليه السلام. و حين يجتاز السائر هذا الباب يجد على اليمين رواقين كبيرين في كل

منهما تسعة و عشرون عمودا من الرخام، تيجانها وقواعدها مزينة بالرخام الملون و وصلاتها مثبتة بالرخام. و على تيجان الأعمدة طيقان حجرية و هي مقامة فوق بعضها بغير ملاط و جص، و لا يزيد عدد حجارة الطاق منها على أربع أو خمس قطع، و هذان الرواقان ممتدان الى المقصورة. ثم يجد على اليسار و هو ناحية الشمال رواقا طويلا به أربعة و ستون طاقا كلها على تيجان أعمدة من رخام، و على هذا الحائط نفسه باب آخر اسمه «باب السقر». و طول المسجد من الشمال، و هو ساحة مربعة اذا اقتطعت المقصورة منه، و القبلة الى الجنوب. و على الجانب الشمالي بابان متجاوران آخران عرض كل منهما سبع أذرع و ارتفاعه اثنا عشرة ذراعا، و يسميان «باب الأسباط». فاذا اجتازه السائر و ذهب مع عرض المسجد الذي هو جهة المشرق يجد رواقا آخر عظيما كبيرا به ثلاثة أبواب متجاورة في حجم باب الأسباط و كلها مزينة بزخارف من الحديد و النحاس قل ما هو أجمل منها تسمى «باب الأبواب» لأن للمواضع الأخرى باين و له ثلاثة. و بين هذين الرواقين الواقعين على الجانب الشمالي، في الرواق ذى الطيقان المحملة على أعمدة الرخام، قبة رفعت على دعائم عالية و زينت بالقناديل و المسارج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢١٣

تسمى قبة يعقوب عليه السلام، لأنه كان يصلى هناك. و فى عرض المسجد رواق فى حائطه باب خارجه صومعتان للصوفية. و هناك مصليات و محاريب جميلة يقيم بها جماعة منهم و يصلون و لا يذهبون الى الجامع الا يوم الجمعة لأنهم لا يسمعون التكبير حيث يقيمون.

و عند الركن الشمالى للمسجد رواق جميل، و قبة جميلة لطيفة مكتوب عليها: «هذا محراب زكريا النبى عليه السلام»، و يقال انه كان يصلى هناك دائما. و عند الحائط الشرقى، وسط الجامع، رواق عظيم الزخرف من الحجر المصقول حتى لتظن أنه نحت من قطعة واحدة ارتفاعه خمسون ذراعا و عرضه ثلاثون عليه نقوش و نقر، و له بابان جميلان لا يفصلهما أكثر من قدم واحدة و عليهما زخارف كثيرة من الحديد و النحاس الدمشقى و قد دق عليهما الحلق و المسامير. و يقال ان سليمان بن داود عليه السلام بنى هذا الرواق لأبيه. و حين يدخل السائر هذا الرواق متجها ناحية الشرق، فالأيمن من هذين البابين هو «باب الرحمة» و الأيسر «باب التوبة»، و يقال ان هذا الباب هو الذى تقبل الله عنه توبة داود عليه السلام. و على هذا الرواق مسجد جميل كان فى وقت ما دهليزا فصيره جامعا و زينوه بأنواع السجاد، و له خدم مخصصون، و يذهب اليه كثير من الناس و يصلون فيه و يدعون الله تبارك و تعالى، فانه فى هذا المكان قبل توبة داود، و كل انسان هناك يأمل فى التوبة و الرجوع عن المعاصى. و يقال ان داود عليه السلام لم يكذب قط عتبه هذا المسجد حتى بشّره الوحي بأن الله سبحانه و تعالى قد قبل توبته، فاتخذ هذا المكان مقاما و انصرف الى العبادة. و قد صليت، أنا (ناصر) فى هذا المقام و دعوت الله تعالى أن يوفقنى لطاعته، و ان يغفر ذنبى فالله سبحانه و تعالى يهدى عباده جميعا لما يرضاه و يغفر ذنوبهم بحق محمد و آله الطاهرين.

و حينما يمضى السائر بحذاء الجدار الشرقى الى ان يبلغ الزاوية الجنوبية، عند القبلة التى تقع على الضلع الجنوبي، يجد أمام الحائط الشمالى مسجدا بهيئة السرداب ينزل فيه بدرجات كثيرة مساحته عشرون ذراعا فى خمس عشرة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢١٤

و سقفه من الحجر مرفوع على أعمدة الرخام. و بهذا السرداب مهد عيسى عليه السلام، و هو من الحجر، حجمه كبير بحيث يصلى عليه الناس، و قد صليت هناك. و قد أحكم وضعه فى الأرض حتى لا يتحرك، و هو المهد الذى أمضى فيه عيسى طفولته و كَلّم الناس منه، و هو فى المسجد مكان المحراب. و فى الجانب الشرقى من هذا المسجد محراب مريم عليها السلام. و به محراب آخر لزكريا عليه السلام. و على هذين المحرابين آيات القرآن التى نزلت فى حق زكريا و مريم. و يقال ان عيسى عليه السلام ولد فى هذا المسجد. و على حجر من عمدته نقش أصبعين كأن شخصا أمسكه. و يقال أن مريم أمسكته بأصبعيها و هى تلد. و يعرف هذا المسجد ب «مهد عيسى» عليه السلام. و به قناديل كثيرة من النحاس و الفضة توقد كل مساء.

و حين يخرج السائر من هذا المسجد متبعا الحائط الشرقي، يجد عند ما يبلغ زاوية المسجد الكبير مسجدا آخر عظيما جدا، أكبر مرتين من مسجد مهد عيسى يسمى «المسجد الأقصى». وهو الذي أسرى الله عز و جل بالمصطفى (ص) ليلة المعراج من مكة إليه، و منه صعد الى السماء كما جاء في القرآن:

«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى».

و قد بنوا به أبنية غاية في الزخرف، و فرش بالسجاد الفاخر، و يقوم عليه خدم مخصصون يعملون به دواما. و حين يعود السائر الى الحائط الجنوبي، على متي ذراع من تلك الزاوية، لا يجد سقفا و هناك ساحة المسجد، و اما الجزء المسقوف من المسجد الكبير و الذي به المقصورة فيقع عند الحائطين الجنوبي و الغربي. و طول هذا الجزء عشرون و أربع مائة ذراع و عرضه خمسون و مائة ذراع، و به ثمانون و مئتا عمود من الرخام على تيجانها طيقان من الحجارة. و قد نقشت تيجان الأعمدة و هياكلها، و ثبتت الوصلات فيها بالرصاص في منتهى الأحكام. و بين كل عمودين ست أذرع مغطاة بالرخام الملون الملبس بشقائق الرصاص. و المقصورة في وسط الحائط الجنوبي و هي كبيرة جدا تتسع لستة عشر عمودا، و عليها قبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢١٥

عظيمة جدا منقوشة بالمينا على نسق ما وضعت، و هي مفروشة بالحصير المغربي، و بها قناديل و مسارج معلقة بالسلاسل و متباعد بعضها عن بعض، و بها محراب كبير منقوش بالمينا، و على جانبيه عمودان من الرخام لونهما كالعقيق الأحمر، و إزار المقصورة كله من الرخام الملون. و على يمينه محراب معاوية، و على يساره محراب عمر رضى الله عنه. و سقف هذا المسجد مغطى بالخشب المنقوش المحلى بالزخارف. و على باب المقصورة و حائطها المطين على الساحة خمسة عشر رواقا عليها أبواب مزخرفة ارتفاع كل منها عشر أذرع و عرضه ست. و تفتح عشرة من هذه الأبواب على الجدار الذي طوله عشرون و أربع مئة ذراع، و خمسة منها تفتح على الجدار الذي طوله خمسون و مئة ذراع. و قد زين باب منها غاية الزينة، و هو من الحسن بحيث تظن أنه من ذهب، و قد نقش بالفضة و كتب عليه اسم الخليفة المأمون، و يقال انه هو الذي أرسله من بغداد. و حين تفتح الأبواب كلها ينير المسجد حتى لتظن انه ساحة مكشوفة، اما حين تعصف الرياح و تمطر السماء و تغلق الأبواب فان النور ينبعث للمسجد من الكوات. و على الجوانب الأربعة من الحرم المسقوف صناديق من مدن الشام و العراق يجلس بجانبها المجاورون كما هو الحال في المسجد الحرام بمكة شرفها الله تعالى. و خارج هذا الحرم، عند الحائط الكبير الذي مر ذكره، رواق به اثنان و أربعون طاقا، و كل أعمدته من الرخام الملون، و هذا الرواق متصل بالرواق المغربي. و تحت الأرض في الحرم المسقوف حوض جعل بحيث يكون في مستوى الأرض حين يغطي. و قد بنى لتجمع فيه مياه المطر. و على الحائط الجنوبي باب يؤدي الى ميضأة، يذهب اليها من يحتاج الى الوضوء فيجدده، و ذلك لأنه لا يلحق الصلاة اذا هو خرج من المسجد ليتوضأ، إذ أن كبر المسجد يفوت عليه الصلاة اذا اجتازه. و كل الأسقف ملبسة بالرصاص. و قد حفرت في أرض المسجد أحواض و صهاريج كثيرة، فان المسجد مشيد كله على صخرة، فهما يهطل من المطر لا يذهب خارج الأحواض و لا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢١٦

يضيع سدى بل ينصرف الى الأحواض و ينتفع به الناس. و هناك ميازيب من الرصاص ينزل منها الماء الى أحواض حجريه تحتها، و قد ثقت هذه الأحواض منها الماء و يصب في الصهاريج بواسطة قنوات بينها غير ملوث أو عفن. و قد رأيت على ثلاثة فراسخ من المدينة صهريجا كبيرا تنحدر اليه المياه من الجبل و تتجمع فيه، و قد أوصلوه بقناة الى مسجد المدينة، حيث يوجد أكبر مقدار من مياهها. و في المنازل كلها أحواض لجمع مياه المطر، إذ لا يوجد غيره هناك، و يجمع كل انسان ما على سطح بيته من مياه، فان ماء المطر هو الذي يستعمل في الحمامات و غيرها. و الأحواض التي بالمسجد لا- تحتاج الى عمارة أبدا لأنها من الحجر الصلب، فاذا حدث بها شق أو ثقب أحكم اصلاحه حتى لا

تتخرب. و يقال ان سليمان عليه السلام هو الذى عمل هذه الاحواض. و قد جعل القسم الأعلى منها على هيئة التنور، و على رأس كل حوض غطاء من حجر حتى لا يسقط فيه شىء.

و ماء هذه المدينة أعذب و أنقى من أى ماء آخر. و تستمر الميازيب فى قطر المياه يومين أو ثلاثة و لو كان المطر قليلا الى أن يصفو الجو و تزول آثاره السيئة، و حينئذ يبدأ المطر.

قلت ان مدينة بيت المقدس تقع على قمة جبل و أن أرضها غير مستوية.

اما المسجد فأرضه مستوية، فخارج المسجد حيثما تكون الأرض منخفضة يرتفع حائطه، إذ يكون أساسه فى أرض واطئة، و حيثما تكون الأرض مرتفعة يقصر الجدار. و فى الجهات الواطئة من أحياء المدينة فتحوها فى المسجد أبوابا كأنما ثقب تؤدى الى ساحته. و من هذه الأبواب باب يسمى «باب النبى» عليه السلام، و هو بجانب القبلة، أى فى الجنوب، و قد عمل بحيث يكون عرضه عشر أذرع و اما ارتفاعه فيتفاوت حسب المكان، فهو فى مكان خمس أذرع، أى علو سقف هذا الممر، و فى مكان آخر عشرون. و الجزء المسقوف من المسجد الأقصى مشيد فوق هذا الممر و هو محكم بحيث يحتمل ان يقام فوقه بناء بهذه العظمة من غير ان يؤثر فيه قط. و قد استخدمت فى بنائه حجارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢١٧

لا يصدق العقل كيف استطاعت قوة البشر نقلها و استخدامها، و يقال ان سليمان بن داود عليه السلام هو الذى بناه. و قد دخل منه نبينا عليه الصلوات و السلام الى المسجد ليلة المعراج. و هذا الباب على جانب طريق مكة.

و على الحائط، بقرب هذا الباب، نقش دقيق لمجن كبير. يقال ان حمزة ابن عبد المطلب عم النبى عليه السلام كان جالسا و على كتفه المجن و ظهره مسند الى الحائط، و ان هذا نقش مجنّه.

و عند بوابة المسجد حيث هذا الممر الذى عليه باب ذو مصراعين، يبلغ ارتفاع الجدار من الخارج ما يقرب من خمسين ذراعا. و قد قصد بهذا الباب ان يدخل منه سكان المحلة المجاورة لهذا الضلع من المسجد، فلا يلجؤون للذهاب الى محلة أخرى حين يريدون دخوله. و على الحائط الذى يقع يمين الباب حجر ارتفاعه خمس عشرة ذراعا و عرضه أربع أذرع فليس فى المسجد حجر أكبر منه. و فى الحائط على ارتفاع ثلاثين أو أربعين ذراعا من الأرض كثير من الحجارة التى تبلغ فى حجمها أربع أذرع أو خمس.

و فى عرض المسجد باب شرقى يسمى «باب العين» اذا خرجوا منه نزلوا منحدرافيه عين سلوان. و هناك ايضا باب تحت الأرض يسمى «الحطة» يقال أنه هو الباب الذى أمر الله عز و جل بنى اسرائيل أن يدخلوا منه الى المسجد، قوله تعالى: «وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ» و هناك باب آخر يسمونه «باب السكينة» فى دهليزه مسجد به محاريب كثيرة، باب أوله مغلق حتى لا يلجئه أحد. و يقال ان هناك تابوت «السكينة» الذى ذكره الله تبارك و تعالى فى القرآن و الذى حملة الملائكة.

و أبواب بيت المقدس، ما فوق الأرض و ما تحتها، تسعة أبواب كما ذكرت.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢١٨

وصف الدكة التى بوسط ساحة المسجد و الصخرة التى كانت قبله الاسلام

أقيمت هذه الدكة فى وسط المساحة لأنه لم يتيسر نقل الصخرة الى الجزء المسقوف من المسجد لعلوها. و هى تظل مساحة من الأرض مقدارها ثلاثون و ثلاث مائة ذراع فى ثلاث مائة و ارتفاعها اثنا عشرة ذراعا. و صحنها مستو و مزخرف بالرخام الملبس بوصلات الرصاص. و على جوانبها الأربعة ألواح الرخام كما يعمل فى المقابر. و هى مبنية بحيث لا يستطيع أحد الصعود عليها من غير المراقى المخصصة لهذا الأمر و يشرف من يصعد عليها على سقف الجامع و قد حفر فى أرضها، فى الوسط، تصب فيها مياه المطر

بواسطة قنوات أعدت لذلك، و ماء هذا الحوض أنقى و أعذب من كل ماء في الجامع. و على هذه الدكة أربع قباب، أكبرها قبة الصخرة التي كانت القبلة.

وصف قبة الصخرة

بنى المسجد بحيث تكون الدكة في وسط الساحة، و قبة الصخرة في وسط الدكة و الصخرة وسط القبة. و قبة الصخرة بيت مئمن منظم، كل ضلع من أضلاعه الثمانية ثلاث و ثلاثون ذراعا و له أربعة أبواب، على الجهات الأربع الأصلية، باب شرقي و آخر غربي و ثالث شمالي و رابع جنوبي، و بين كل باين ضلع. و جميع المحيطات من الحجر المنحوت، و ارتفاعها عشرون ذراعا. و محيط الصخرة مائة ذراع، و هي غير منتظمة الشكل، لا هي مدورة و لا مربعة، و لكنها حجر غير منتظم كحجارة الجبل. و قد بنوا على جوانب الصخرة الأربعة أربع دعائم مربعة بارتفاع حائط البيت المذكور. و بين كل دعامتين، على الجوانب الأربعة، عمودان اسطوانيان من الرخام بنفس الارتفاع و على قمة تلك الدعائم و هذه الأعمدة الاثني عشر بنوا القبة التي تحتها الصخرة، و التي يبلغ محيطها مائة و عشرين ذراعا.

و بين حائط هذا البناء و الدعائم و الأعمدة (اسمى المربعة المبنية: ستون)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢١٩

دعامه، و المنحوتة المستديرة التي من حجر واحد «اسطوانة» عمودا ثمان دعائم أخرى مبنية من الحجارة المنحوتة، و بين كل اثنتين منهما ثلاثة أعمدة من الرخام الملون على أبعاد متساوية، بحيث يكون في الصف الأول عمودان بين كل دعامتين، و يكون هنا ثلاثة أعمدة بين كل دعامتين. و على تاج كل دعامة أربعة عقود، على كل عقد طاق، و على كل عمود طاق، و على كل عمود عقدان فوق كل منهما طاق. و هكذا يكون على العمود متكأ لطاقين، و على الدعامة متكأ لأربعة، فكانت هذه القبة العظيمة في ذلك الوقت مرتكزة على هذه الدعائم الاثني عشر المحيطة بالصخرة، فتراها على بعد فرسخ كأنها قمة جبل. لأنها من أساسها الى قمته ثلاثون ذراعا، و هي تستند الى أعمدة و دعائم ارتفاعها عشرون ذراعا، و قبة الصخرة مشيدة على بيت ارتفاعه اثنا عشر ذراعا، و إذن فمن ساحة المسجد الى رأس القبة اثنتان و ستون ذراعا

و سقف هذه الدكة و قبابها مكسوة بالنجارة. و كذلك الدعائم و العمود و الحوائط و ذلك بدقة يقل نظيرها. و الصخرة أعلى من الأرض بمقدار قامه رجل و قد أحيطت بسياج من الرخام حتى لا تصل يد إليها.

و الصخرة حجر أزرق لونه، لم يطأها أحد برجله ابدا، و في ناحيتها المواجهة للقبلة انخفاض كأن انسانا سار عليها فبدت آثار قدمه فيها، كما تبدو على الطين الطرى. فان آثار أصابع قدمه باقية عليها. و قد بقيت عليها آثار سبع أقدام. و سمعت ان ابراهيم عليه السلام كان هناك. و كان اسماعيل طفلا فمشى عليها و هذه هي آثار قدمه. و يقيم في بيت الصخرة هذا جماعة من المجاورين و العابدين. و قد زينت أرضه بالسجاد الجميل من الحرير و غيره.

و في وسطه قنديل من الفضة معلق بسلسلة فضية فوق الصخرة. و هناك قناديل كثيرة من فضة كتب عليها وزنها أمر بصنعها سلطان مصر. و قد قدرت ما هناك من الفضة بألف من.

و رأيت هناك أيضا شمعة كبيرة جدا طولها سبع أذرع و قطرها ثلاثة أشبار لونها كالكاפור الزباجي و شمعتها مخلوط بالعنبر. و يقال ان سلطان مصر يرسل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٢٠

هناك كل سنة كثيرا من الشمع، منه هذه الشمعة الكبيرة، و يكتب عليها اسمه بالذهب. و هذا المسجد هو ثالث بيوت الله سبحانه و تعالى، و المعروف عند علماء الدين ان كل صلاة في بيت المقدس تساوي خمسة و عشرين ألف صلاة، و كل صلاة في مدينة

الرسول عليه الصلاة والسلام تعد بخمسين ألف صلاة، و ان صلاة مكة المعظمة شرفها الله تعالى تساوى مئة الف صلاة. وفق الله عز و جلّ عباده جميعا لهذا الثواب.

وقد قلت ان أسقف و ظهور القباب ملبسة بالرصاص و على جوانب البيت الأربعة أبواب كبيرة مصاريعها من خشب الصاج، و هى مقفلة دائما. و بعد قبة الصخرة قبة تسمى «قبة السلسلة»، و هى السلسلة التى علقها داود عليه السلام، و التى لا تصل اليها الا يد صاحب الحق، أما يد الظالم و الغاصب فلا تبلغها. و هذا المعنى مشهور عند العلماء. و هذه القبة محمولة على رأس ثمانية أعمدة من الرخام، و ست دعائم من الحجر. و هى مفتوحة من جميع الجوانب عدا جانب القبلة، فهو مسدود حتى نهايته، و قد نصب عليه محراب جميل. و على هذه الدكة أيضا قبة أخرى مقامة على أربعة أعمدة من الرخام، و هى مغلقة من ناحية القبلة أيضا حيث بنى محراب جميل. و تسمى هذه القبة «قبة جبريل» عليه السلام. و ليس فيها فرش بل ان أرضها من حجر سؤوه. و يقال ان هناك أعد «البراق» ليركبه النبي عليه السلام ليلة المعراج.

و بعد قبة جبريل قبة أخرى يقال لها «قبة الرسول» عليه الصلاة و السلام و بينهما عشرون ذراعا. و هى مقامة على أربع دعائم من الرخام أيضا. و يقال ان الرسول عليه الصلاة و السلام صلى ليلة المعراج فى قبة الصخرة أولا ثم وضع يده على الصخرة، فلما خرج وقفت لجلاله، فوضع الرسول عليه الصلاة و السلام يده عليها لتعود الى مكانها و تستقر و هى بعد نصف معلقة. و قد ذهب الرسول عليه السلام من هناك الى القبة التى تنتسب اليه و ركب البراق، و هذا سبب تعظيمها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٢١

و تحت الصخرة غار كبير يضاء دائما بالشمع. و يقال انه حين قامت الصخرة خلا ما تحتها، فلما استقرت بقى هذا الجزء كما كان.

وصف المراقى المؤدية الى الدكة التى بساحة الجامع

يسار على هذه الدكة من ستة مواضع: لكل منها اسم، فبجانب القبلة طريقتان، يصعد فيهما على درجات، فاذا وقفت فى وسط ضلع «الدكة» وجدت أحدهما على اليمين، و الثانى على اليسار. و الذى على اليمين يسمى مقام النبي عليه السلام، و الذى على اليسار يسمى مقام الغورى. و سمي الأول مقام النبي لأن النبي عليه السلام صعد على درجاته الى الدكة ليلة المعراج و دخل الى قبة الصخرة. و يقع طريق الحجاز على هذا الجانب. و عرض درجاته اليوم عشرون ذراعا، و هى من الحجر المنحوت المنتظم، و كل درجة قطعة أو قطعتان من الحجر المربع، و هى معدة بحيث يستطيع الزائر الصعود عليها راكبا و على قمة هذه الدرجات أربعة أعمدة من الرخام الأخضر الذى يشبه الزمرد، لو لا أن به نقطا كثيرة من كل لون، و يبلغ ارتفاع كل عمود منها عشر أذرع و قطره بقدر ما يحتضن رجلا، و على رأس هذه الأعمدة الأربعة ثلاثة طيقان أحدها مقابل للباب و الآخران على جانبيه، و سطح الطيقان أفقى، من فوقه شرفات بحيث يبدو مربعا، و هذه العمدة و الطيقان منقوشة كلها بالذهب و بالمينا ليس أجمل منها. و درابزين الدكة كله من الرخام الأخضر المنقط، حتى لتقول ان عليه روضة ورد ناضر.

وقد أعد مقام الغورى بحيث تكون ثلاثة سلالم على موضع واحد، أحدها محاذ للدكة و الآخران على جانبيها، حتى يستطيع الصعود من ثلاثة أماكن.

و من فوق هذه السلالم الثلاثة أعمدة عليها طيقان و شرفة. و الدرجات بالوصف الذى ذكرت من الحجر المنحوت، كل درجة قطعتان أو ثلاث من الحجر المستطيل. و كتب بخط جميل بالذهب على ظاهر الأيوان: أمر به الأمير ليث

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٢٢

الدولة نوشتكين الغورى. و يقال انه كان تابعا لسلطان مصر، و هو الذى أنشأ هذه الطرق و المراقى.

و على الجانب الغربى للدكة سلمان فى ناحيتين منها، و هناك طريق عظيم مشابه لما ذكرت. و كذلك فى الجانب الشرقى طريق

عظيم مماثل، عليه أعمدة فوقها طيقان و شرفه يسمى المقام الشرقي. و على الجانب الشمالي طريق أكثر علواً و أكبر منها كلها، به أعمدة فوقها طيقان، يسمى المقام الشامي. و أظن انهم صرفوا على هذه الطرق الستة: مئة ألف دينار.

و فى الجانب الشمالى لساحة المسجد، لا على الدكة، بناء كأنه مسجد صغير يشبه الحظيرة، و هو من الحجر المنحوت، يزيد ارتفاع حوائطه على قامه رجل و يسمى «محراب داود»، و بالقرب منه حجر غير مستو يبلغ قامه رجل، و قمته تتيح وضع حصيرة صلاة عليها. و يقال أنه كرسي سليمان عليه السلام الذى كان يجلس عليه فى أثناء بناء المسجد.

هذا ما رأيته فى جامع بيت المقدس. و قد صورته و ضمته الى مذكراتي و من النوادر التى رأيته فى بيت المقدس شجرة الحور. و بعد الفراغ من زيارة بيت المقدس عزمت على زيارة مشهد ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة و السلام، فى يوم الأربعاء غرة ذى القعدة سنة ٤٣٨ (٢٠ نيسان ١٠٤٧)، و المسافة بينهما ستة فراسخ عن طريق جنوبى به قرى كثيرة و زرع و حدائق و شجر برى لا يحصى من عنب و تين و زيتون و سَمَاق. و على فرسخين من بيت المقدس أربع قرى بها عين و حدائق و بساتين كثيرة، تسمى «الفراديس» لجمال موقعها، و على فرسخ واحد من بيت المقدس مكان للنصارى يعظمونه كثيرا، يقيم بجانبه مجاورون دائما و يحج اليه كثيرون اسمه «بيت لحم». و هناك تقدم النصارى القرايين و يقصده الحجاج من بلاد الروم. و قد بلغته مساء اليوم الذى قمت فيه من بيت المقدس.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٢٣

وصف قبر الخليل صلوات الله عليه

يسمى أهل الشام و بيت المقدس هذا المشهد «الخليل»، و لا يذكرون اسم القرية التى هو فيها. قرية مطلون، و هى موقوفة عليه مع قرى كثيرة. و فى هذه القرية عين ماء تخرج من الصخر يتفجر ماؤها رويدا رويدا، و هو ينقل من مسافة بعيدة بواسطة قناة الى خارج القرية، حيث بنى حوص مغطى يصب فيه الماء فلا يذهب هباء، حتى يفى بحاجه أهل القرية و غيرهم من الزائرين. و المشهد على حافة القرية من جهة الجنوب، و هى فى الجنوب الشرقى.

و المشهد يتكون من بناء ذى أربع حوائط من الحجر المصقول، طوله ثمانون ذراعا و عرضه أربعون، و ارتفاعه عشرون، و ثخانة حوائطه ذراعان. و به مقصورة و محراب فى عرض البناء، و بالمقصورة محاريب جميلة بها قبران رأسهما للقبلة، و كلاهما من الحجر المصقول بارتفاع قامه الرجل: الأيمن قبر اسحق ابن ابراهيم، و الآخر قبر زوجه عليها السلام و بينهما عشرة أذرع. و أرض هذا المشهد و جدرانته مزينة بالسجاجيد القيمة و الحصر المغربية التى تفوق الديباج حسنا. و قد رأيت هناك حصيرة صلاة، قيل أرسلها أمير الجيوش و هو تابع الى سلطان مصر. و قد اشترت من مصر بثلاثين دينارا من الذهب المغربى، و لو كانت من الديباج الرومى لما بلغت هذا الثمن. و لم أر مثلها فى مكان قط.

حين يخرج السائر من المقصورة الى وسط ساحة المشهد يجد مشهدين أمام القبلة: الأيمن به قبر ابراهيم الخليل (ص)، و هو مشهد كبير، و من داخله مشهد آخر لا يستطاع الطواف حوله، و لكن له أربع نوافذ يرى منها فيراه الزائرون و هم يطوفون حول المشهد الكبير، و قد كسيت أرضه و جدرانته ببسط من الديباج، و القبر من الحجر و ارتفاعه ثلاث أذرع، و علق فيه كثير من القناديل و المصابيح الفضية.

و المشهد الثانى الذى على يسار القبلة قبر ساره زوج ابراهيم عليه السلام، و بين القبرين ممر عليه باباهما، و هو كالدليل، و به كثير من القناديل و المسارج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٢٤

و بعد هذين المشهدين قبران متجاوران، الأيمن قبر النبي يعقوب عليه السلام و الأيسر قبر زوجه. و بعدهما المنازل التى اتخذها ابراهيم

للضيافة، و بها ستة قبور. و خارج الجدران الأربعة منحدر به قبر يوسف بن يعقوب عليه السلام، و هو من حجر و عليه قبة جميلة. و على جانب الصحراء بين قبر يوسف و مشهد الخليل عليهما السلام قرافة كبيرة يدفن بها الموتى من جهات عديدة. و على سطح المقصورة التي في المشهد حجرات للضيوف الوافدين، و قد وقف عليها أوقاف كثيرة من القرى و مستغلات بيت المقدس. و أغلب الزراعة هناك الشعير، و القمح قليل و الزيتون كثير. و يعطون الضيوف و المسافرين و الزائرين الخبز و الزيتون. و هناك طواحين كثيرة تديرها البغال و الثيران لطحن الدقيق. و بالمضيئة خادمتان يخزن طول اليوم. و يزن رغيفهم مئاً واحداً، و يعطى من يصل هنا رغيفا مستديرا و طبقا من العدس المطبوخ بالزيت و زببيا كل يوم. و هذه عادة بقيت من أيام خليل الرحمن عليه السلام حتى الساعة. و فى بعض الأيام يبلغ عدد المسافرين خمس مائة فتهياً الضيافة لهم جميعاً.

و يقال انه لم يكن لهذا المشهد باب، و كان دخوله مستحيلاً، بل كان الناس يزورونه من الايوان فى الخارج. فلما جلس المهدي على عرش مصر أمر بفتح باب فيه، و زينه و فرش به بالسجاجيد، و أدخل على عمارته إصلاحاً كثيراً، و باب المشهد وسط الحائط الشمالى على ارتفاع أربع أذرع فوق الأرض و على جانبيه درجات من الحجر، فيصعد اليه من جانب، و يكون النزول من الجانب الثانى. و قد وضع هناك باب صغير من الحديد.

ثم رجعت الى بيت المقدس، و من هناك سرت ماشياً مع جماعة تقصد الحجاز. و كان دليلنا رجلاً اسمه أبو بكر الهمذاني، و هو رجل جلد يقدر على المشى، و وجهه جميل. غادرت بيت المقدس فى منتصف ذى القعدة سنة ٤٣٧ (أول أيار ١٠٤٧)، و بعد ثلاثة أيام بلغت جهة تسمى «أعز القرى»، بها ماء جار و أشجار، ثم بلغنا منزلاً آخر يسمى «وادي القرى»، و من بعده موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٢٥

نزلنا مكاناً ثالثاً. ثم بلغنا مكة بعد عشرة أيام. لم تحضر لمكة قافلة من أى بلد فى هذه السنة، و شح الطعام. و قد نزلت فى «سكة العطارين» أمام باب النبى عليه السلام. و فى يوم الاثنين طلعت عرفات، و كان الناس مملوئين رعباً من العرب و لما عدت من عرفات لبثت يومين بمكة، ثم رجعت الى بيت المقدس عن طريق الشام. و بلغنا المقدس فى الخامس من المحرم سنة ٣٣٩ (٧ يوليو ١٠٣٧). و لا أذكر هنا وصف مكة و الحج، و سأذكر ذلك عند الكلام على الحجة الأخيرة.

كنيسة بيعه القمامة

و للنصارى فى بيت المقدس كنيسة يسمونها «بيعه القمامة» لها عندهم مكانة عظيمة. و يحج اليها كل سنة كثير من بلاد الروم، و يزورها ملك الروم متخفياً، حتى لا يعرفه الناس، و قد زارها أيام عزيز مصر الحاكم بأمر الله فبلغ ذلك الحاكم، فأرسل اليه أحد حراسه - بعد ان عرفه ان رجلاً - بهذه الحلية و الصورة يجلس فى كنيسة بيت المقدس - و قال له «أذهب عنده و قل له ان الحاكم أرسلنى اليك و يقول لا- تحسبنى أجهل أمرك و لكن كن آمنًا فلن أقصدك بسوء. و قد أمر الحاكم هذا بالاغارة على الكنيسة فهدمها و خربها، و ظلت خربة مدة من الزمان. و بعد ذلك بعث القيصر اليه رسلاً، و قدم اليه كثيراً من الهدايا و الخدمات و طلب الصلح و الشفاعة ليؤذن له باصلاح الكنيسة فقبل الحاكم و أعيد تعميمها.

و هذه الكنيسة فسيحة تسع ثمانية آلاف رجل، و هى عظيمة الزخرف من الرخام الملون و النقوش و الصور، و هى مزدانة من الداخل بالدباج الرومى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٢٦

و الصور، و زينت بطلاء من الذهب. و فى أماكن كثيرة منها صورة عيسى عليه السلام راكباً حماراً، و صور الانبياء الآخرين مثل ابراهيم و اسحق و يعقوب و آبائهم عليهم السلام. و هذه الصور مطلية بزيت السندروس. و قد غطى سطح كل صورة بلوح من الزجاج الشفاف على قدها. بحيث لا يحجب منها شىء و ذلك حتى لا يصل الغبار اليها. و ينظف الخدم هذا الزجاج كل يوم.

و هناك عدا ذلك عدة مواضع أخرى كلها مزينة و لو وصفتها لطالت كتابتي. و في هذه الكنيسة لوحة مقسمة الى قسمين، و عملا لوصف الجنة و النار. فنصف يصف الجنة و أهلها، و نصف يصف النار و أهلها، و من يبقى فيها. و ليس لهذه الكنيسة نظير في أية جهة من العالم. و يقيم بها كثير من القسس و الرهبان، يقرأون الانجيل و يصلون و يشتغلون بالعبادة ليل نهار».

سفرنامه - ترجمة الدكتور يحيى الخشاب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٢٧

الارض المقدسة في رحلة ابن جبير

إشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٢٨

ابن جبير

هو محمد بن احمد بن جبير الاندلسي و هو احد رجالات العلم تدل عليه رحلته التي قام بها الى الشرق و حج بيت الله و لم يقع له ان يزور بيت المقدس لوقوعها يومذاك بيد الجيوش الصليبية؛ و كانت ولادته سنة ٥٣٩ هـ و وفاته سنة ٦١٤ اما زمن الرحلة فقد كان بين سنة ٥٧٨ هـ و سنة ٥٨١ بعد ان قضى ثلاث سنوات مطوفا، و على انه لم يزر بيت المقدس فان رحلته لم تخل من ذكر الارض المقدسة و بيت المقدس و اطرافها مما يستدعيه الحديث، و قد استخرجنا منها الشذرات.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٢٩

القدس و بيت المقدس

«و طول مسجد بيت المقدس - أعاده الله للاسلام - سبع مئة و ثمانون ذراعا، و عرضه اربع مئة و خمسون ذراعا، و سواريه اربع مئة و اربع عشرة سارية، و قناديله خمس مئة. و ابوابه خمسون بابا، فيكون تكسيره من المراجع المذكورة مئة مرجع و اربعين مرجعا و خمسي مرجع».

ص ٨١ دار صادر و دار بيروت

«و في داخل البلد- يريد به دمشق- كنيسة لها عند الروم شأن عظيم.

تعرف بكنيسة مريم. ليس بعد بيت المقدس عندهم افضل منها و هي حفيلة البناء...»

ص ٢٥٥ دار صادر و دار بيروت

«و من اعجب ما يحدث به ان نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين و نصارى، و ربما يلتقى الجمعان و يقع المصاف بينهم، و رفاق المسلمين و النصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم. شاهدنا في هذا الوقت الذي هو شهر جمادى الاولى، من ذلك خروج صلاح الدين بجميع عسكر المسلمين لمنازل حصن (الكرك) و هو من اعظم حصون النصارى، و هو المعترض في طريق الحجاز، و المانع لسبيل المسلمين على البر، بينه و بين (القدس) مسيرة يوم او أشف قليلا، و هو سرارة ارض فلسطين - اي اطيب اراضيها - و له نظر عظيم الاتساع، متصل العمارة، يذكر انه ينتهي الى اربع مئة قرية».

ص ٢٦٠ دار صادر و دار بيروت

«و يقال: انه ما على ظهر المعمور اعجب منظرا، و لا ابعد سموا، و لا أغرب بنيانا من هذه القبة- يريد بها قبة الرصاص القائمة وسط الجامع المكرم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٣٠

بدمشق- الا ما يحكى عن قبة (بيت المقدس) فانها يحكى انها ابعد فى الارتفاع و السمو من هذه، و جملة الأمر ان منظرها و الوقوف على هيئة وضعها و عظيم الاستقدار فيها عند معانيها بالصعود اليها و الولوج داخلها من اغرب ما يحدث به من عجائب الدنيا، و القدرة لله الواحد القهار لا إله سواه».

ص ٢٦٧ دار صادر و دار بيروت

و هو يتحدث عن عكة يقول: «و على بادية طبرية اختلاف القوافل من دمشق لسهولة طريقها، و يقصد بقوافل البغال على (تبين) لوعورتها و قصد طريقها، و بحيرة طبرية مشهورة، و هى ماء عذب، و سعتها نحو ثلاثة فراسخ او اربعة، و طولها نحو ستة فراسخ، و الاقوال فيها تختلف و هذا القول اقربها الى الصحة، لانا لم نعاينها و عرضها ايضا مختلف سعة و ضيقا، و فيها قبور كثيرة من قبور الانبياء صلوات الله عليهم، كشعيب، و سليمان، و يهوذا، و روبيل، و ابنه شعيب زوج الكليم موسى و غيرهم صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين، و جبل الطور منها قريب.

و بين عكة و بيت المقدس ثلاثة ايام، و بين دمشق و بينه مقدار ثمانية ايام، و هو بين المغرب و القبلة من عكة الى جهة الاسكندرية، و الله يعيده الى ايدى المسلمين، و يطهره من ايدى المشركين، بعزته و قدرته».

ص ٢٨٢ دار صادر و دار بيروت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٣١

الارض المقدسة فى معجم البلدان

إشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٣٢

ياقوت الحموى هو ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى اخذ اسيرا- و لم يزل صغيرا- من بلاد الروم و بيع فاشتره تاجر حموى فحمل لقبه، و قد اتيح لياقوت ان يقرأ و أن يتتبع و قد استعمله مالكة- و هو تاجر- للسفر بشأن تجارته فافاد من الاسفار شيئا كثيرا و لقد عاش مدة من استنساخ الكتب فزاد ذلك من علمه و فضله و اطلاعه، و قد الف عددا من الكتب لا تزال اليوم من اهم مراجع الادب و مراجع الجغرافيا و من هذه الكتب كتاب معجم البلدان الذى نقل منه بعض ما ورد عن الارض المقدسة و قد توفى سنة ٦٢٦ هـ اما تاريخ ولادته فهو مجهول عند المؤرخين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٣٣

إيلياء

و فى اسم ايلياء (بيت المقدس) يقول ياقوت:

«بكسر اوله و اللام، و ياء، و الف محدودة: اسم مدينة بيت المقدس، قيل معناه: بيت الله، و حكى الحفصى: فيه القصر و فيه لغة تالثة،

حذف الياء الاولى فيقال (إلياء) بسكون اللام و المد، قال ابو على: و قد سمي البيت المقدس ايلياء بقول الفرزدق

و بيتان بيت الله نحن ولاته و قصر بأعلى ايلياء مشرف

فايلياء: الهمزة في اولها فاء لتكون بمنزلة الجرياء والكبرياء، و الياء التي بعد الهمزة لا تخلو من ان تكون منقلبة من الهمزة على هذا القول، لان الهمزتين اذا لم تجتمعا حيث يكثر التضعيف نحو شددت و رددت، فان لم تجتمعا حيث يقل التضعيف أجدر، ألا ترى ان باب دودن و كوكب من القلة بحيث لا نسبة له الى باب رددت، و لم تجتمع الهمزتان فيه كما اجتمع سائر حروف الحلق في هذا الباب في قلة مهاه و البعاع، و البعّة، و لّجّ، و سجّ، و نجّ، و ان جعلتهما من الياء كان من لفظة قولهم في اسم البلد أيلة. هذا ان كان فعلة، و ان كان مثل ميتة أمكن ان تكون من الواو، و مما جاء على لفظة من الفاظ العرب الأيل، و هو فعل مثل الهيّخ في الزنه، و كون العين ياء و من بنائه الإمّر ولد الضائن، و القنّف، و قالوا للبراق الإلّقي، و للقصير ذنب، و مجيء البناء في الاسم و الصفة، يدل على قوته، فان قيل: هل يجوز ان تكون إيلياء إفعال فتكون الهمزة ليست بأصل كما كانت اصلا في الوجه الاول؟

فالقول في ذلك: انا لا نعلم هذا الوزن جاء في شيء و اذا لم يجيء في شيء لم يسع حمل الكلمة عليه، و لو جاء منه شيء لأمكن ان تكون الياء الاولى منقلبة عن الواو او منقلبة عن الهمزة كالايما و نحوه، و لم يجوز ان يكون انقلابها عن موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٣٤

الياء لانه لم يجيء من نحو سلس في الياء الا يديت و أيديت، و قيل: انما سميت إيلياء باسم بانيتها و هو إيلياء بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، و هو أخو دمشق، و حمص، و أردن، و فلسطين!! قال بعض الاعراب:

فلو ان طيرا كلفت مثل سيره الى واسط، من إيلياء لكّلت

سما بالمهاري من فلسطين بعد مادنا الفىء من شمس النهار فولت

فما غاب ذاك اليوم حتى أناخها بميسان قد حلّت عراها و كّلت

كأن قطاميا من الرحل طاويا اذا غمرة الظلماء عنه تجلّت»

حرف الألف و الياء- دار صادر و دار بيروت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٣٥

المقدس

المقدس: في اللغة: المنزه، قال المفسرون في قوله تعالى: و نحن نسيح بحمدك، و نقديس لك، قال الزجاج: معنى نقديس لك اي نظهر أنفسنا لك و كذلك نفعل بمن اطاعك نقديسه اي نظهره، قال و من هذا قيل للسطل القدس لانه يتقدس منه اي يتطهر، قال: و من هذا بيت المقدس، كذا ضبطه بفتح اوله و سكون ثانيه و تخفيف الدال و كسرهما، اي البيت المقدس المطهر الذي يتطهر به من الذنوب قال مروان:

قل للفرزدق و السفاهة كاسمها ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس

و دع المدينة انها محذورة و الحق بمكة او ببيت المقدس

و قال قتادة: المراد بارض المقدس اي المبارك و اليه ذهب ابن الاعرابي، و منه قيل للراهب مقدس، و منه قول امرئ القيس

فادركنه يأخذن بالساق و النساكما شبرق الولدان ثوب المقدس

و صبيان النصرارى يتبركون به و بمسح مسحه الذي هو لابسه و أخذ خيوطه منه حتى يتمزق عنه ثوبه، و فضائل بيت المقدس كثيرة و لا بد من ذكر شيء منها حتى يستحسنه المطالع عليه، قال مقاتل بن سليمان: قوله تعالى: و نجينا و لوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين، قال هي بيت المقدس، و قوله تعالى لبنى اسرائيل: و واعدناكم جانب الطور الايمن، يعنى بيت المقدس، و جعلنا ابن مريم و أمه آيتين و أويناها الى ربوة ذات قرار و معين، قال البيت المقدس، و قال تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى: هو بيت المقدس، و قوله تعالى: في بيوت أذن الله ان ترفع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٣٦

و يذكر فيها اسمه؛ البيت المقدس، و في الخبر: من صلى في بيت المقدس فكأنما صلى في السماء، و رفع الله عيسى بن مريم الى السماء من بيت المقدس، و فيه مهبطه اذا هبط و ترف الكعبة بجميع حجاجها الى البيت المقدس يقال لها مرحبا بالزائر و المزور، و ترف جميع مساجد الارض الى البيت المقدس، أول شيء حسر عنه بعد الطوفان صخرة بيت المقدس و فيه ينفخ في الصور يوم القيامة و على صخرته ينادى المنادى يوم القيامة و قد قال الله تعالى لسليمان ابن داود عليهما السلام حين فرغ من بناء البيت المقدس: سلني أعطك، قال يا رب أسألك ان تغفر لي ذنبي، قال: لك ذلك، قال يا رب و أسألك ان تغفر لمن جاء هذا البيت يريد الصلاة فيه و ان تخرجه من ذنوبه كيوم ولد، قال: لك ذلك، قال و أسألك من جاء فقيرا أن تغنيه، قال: لك ذلك، قال و أسألك من جاء سقيما أن تشفيه، قال و لك ذلك.

و عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال: لا- تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، و المسجد الحرام، و مسجد البيت المقدس، و ان الصلاة في بيت المقدس خير من الف صلاة في غيره، و اقرب بقعة في الارض من السماء البيت المقدس، و يمنع الدجال من دخولها، و يهلك أجوج و مأجوج دونها!! و أوصى آدم عليه السلام ان يدفن بها! و كذلك اسحاق، و ابراهيم و حمل يعقوب من ارض مصر حتى دفن بها. و اوصى يوسف عليه السلام حين مات بارض مصر ان يحمل اليها و هاجر ابراهيم من كوثي اليها، و اليها المحشر و منها المنشر، و تاب الله على داود بها، و صدق ابراهيم الرؤيا بها، و كلم الناس عيسى في المهدي بها، و تقاد الجنة يوم القيامة اليها و منها يتفرق الناس الى الجنة او الى النار، و روى عن كعب ان جميع الانبياء عليهم السلام زاروا بيت المقدس تعظيما له، و روى عن كعب انه قال، لا تسموا بيت المقدس ايلياء و لكن سموه باسمه فان ايلياء امرأة بنت المدينة، و عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: فلما فرغ سليمان من بناء بيت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٣٧

المقدس سأل الله حكما يوافق حكمه، و ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه الله ذلك.

و عن ابن عباس قال: البيت المقدس بنته الانبياء، و سكنته الانبياء ما فيه موضع شبر الا و قد صلى فيه نبي أو أقام فيه ملك، و عن ابي ذر قال:

قلت لرسول الله صلى الله عليه و سلم: اى مسجد وضع على وجه الارض اولا؟ قال المسجد الحرام قلت: ثم اى؟ قال البيت المقدس و بينهما اربعون سنة.

و روى عن أبي بن كعب قال: اوحى الله تعالى الى داود ابن لى بيتا قال يا رب و اين من الارض؟ قال حيث ترى الملك شاهرا سيفه، فرأى داود ملكا على الصخرة واقفا و بيده سيف.

و عن الفضيل بن عياض قال: لما صرفت القبلة نحو الكعبة قالت الصخرة:

إلهي لم ازل قبلة لعبادك حتى اذا بعثت خير خلقك صرفت قبلتهم عنى، قال ابشرى فانى واضع عليك عرشى و حاشر اليك خلقى، و قاض عليك أمرى، و ناشر منك عبادى.

و قال كعب: من زار بيت المقدس شوقا إليه دخل الجنة، و من صلى فيه ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه و أعطى قلبا شاكرا و لسانا ذاكرا، و من تصدق فيه بدرهم كان فداءه من النار، و قال كعب: معقل المؤمنين ايام الدجال البيت المقدس يحاصرهم فيه حتى يأكلوا اوتار قسيهم من الجوع، فبينما هم كذلك اذ سمعوا صوتا من الصخرة فيقولون هذا صوت رجل شبعان، فينظرون فاذا عيسى بن مريم عليه السلام، فاذا رآه الدجال هرب منه فيتلقاه بباب لدد فيقتله.

و قال ابو مالك القرظي في كتاب اليهود الذى لم يغير ان الله تعالى خلق الارض فنظر اليها و قال: انا واطىء على بقعتك، فشمخت الجبال،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٣٨

و تواضعت الصخرة فشكر الله لها و قال: هذا مقامى، و موضع ميزانى، و جنتى و نارى، و محشر خلقى، و انا ديان يوم الدين.
 و عن وهب بن متبه قال: أمر اسحاق ابنه يعقوب ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين، و ان ينكح من بنات خاله لابان ابن تاهر بن أزر و كان مسكنه فلسطين فتوجه اليها يعقوب و ادركه فى بعض الطريق الليل فبات متوسدا حجرا فرأى فيما يرى النائم كأن سلما منصوبا إلى باب السماء عند رأسه و الملائكة تنزل منه و تعرج فيه، و اوحى الله اليه: انى انا الله لا إله الا انا إلهك و إله آبائك ابراهيم و اسماعيل و اسحاق، و قد ورتتلك هذه الارض المقدسة، و ذريتك من بعدك، و باركت فيك و فيهم، و جعلت فيكم الكتاب و الحكمة و النبوة ثم انا معك حتى تدرك الى هذا المكان فاجعله بيتا تعبدنى فيه انت و ذريتك، فيقال انه بيت المقدس، فبناه داود و ابنه سليمان ثم أخربته الجبابرة بعد ذلك فاجتاز به شعيا، و قيل عزيز عليهما السلام فرآه خرابا فقال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها؟ فاماته الله مائة عام ثم بعثه، كما قص عز و جل فى كتابه الكريم، ثم بناه ملك من ملوك فارس يقال له كوشك، و كان قد اتخذ سليمان فى بيت المقدس اشياء عجيبه، منها القبة التى فيها السلسلة المعلقة ينالها صاحب الحق و لا ينالها المبطل حتى اضمحلت بحيلة غير معروفة، و كان من عجائب بنائه أنه بنى بيتا و أحكمه و صقله فاذا دخله الفاجر و الورع تبين الفاجر من الورع، لأن الورع كان يظهر خياله فى الحائط ابيض، و الفاجر يظهر خياله أسود و كان ايضا مما اتخذ من الاعاجيب ان ينصب فى زاوية من زواياه عصا آبنوس فكان من مسيها من اولاد الانبياء لم تضره و من مسها من غيرهم أحرقت يده، و قد وصفها القدماء بصفات إن استقصيتها أمملت القارىء، و الذى شاهدته أنا منها ان ارضها و ضياعها و قراها كلها جبال شامخة و ليس حولها و لا بالقرب منها ارض و طئ البتة و زروعها على الجبال و اطرافها بالفؤوس لان الدواب لا صنع لها هناك، و اما نفس المدينة فهى على فضاء فى وسط تلك الجبال و ارضها كلها حجر من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٣٩

الجبال التى هى عليها و فيها اسواق كثيرة، و عمارات حسنة، و اما الاقصى فهو فى طرفها الشرقى نحو القبلة، أساسه من عمل داود عليه السلام، و هو طويل عريض و طوله اكثر من عرضه، و فى نحو القبلة المصلى الذى يخطب فيه للجمعة و هو على غاية الحسن و الاحكام مبنى على الاعمدة الرخام الملونة و الفسيفساء التى ليس فى الدنيا أحسن منها لا جامع دمشق و لا غيره، و فى وسط صحن هذا الموضع مصطبة عظيمة فى ارتفاع نحو خمس اذرع كبيرة يصعد اليها الناس من عدة مواضع بدرج، و فى وسط هذه المصطبة قبة عظيمة على اعمدة رخام مستقفة برصاص منمقة من بزا و داخل بالفسيفساء مطبقة بالرخام الملون قائم و مسطح، و فى وسط هذا الرخام قبة أخرى و هى قبة الصخرة التى تزار و على طرفها أثر قدم النبى صلى الله عليه و سلم، و تحتها مغارة ينزل اليها بعدة درج مبلطة بالرخام قائم و نائم يصلى فيها و تزار، و لهذه القبة اربعة ابواب، و فى شرقها برأسها قبة أخرى على اعمدة مكشوفة حسنة مليحة يقولون انها قبة السلسلة، و قبة المعراج ايضا على حائط المصطبة، و قبة النبى داود عليه السلام، كل ذلك على اعمدة مطبق اعلاها بالرصاص، و فيها مغاور كثيرة و مواضع يطول عددها مما يزار و يتبرك به، و يشرب اهل المدينة من ماء المطر، ليس فيها دار الا و فيها صهريج لكنها مياه رديئة اكثرها يجتمع من الدروب و ان كانت دروبهم حجارة ليس فيها ذلك الدنس الكثير، و بها ثلاث برك عظام، بركة بنى اسرائيل و بركة سليمان عليه السلام و بركة عياض عليها حماماتهم، و عين سلوان فى ظاهر المدينة فى وادى جهنم مليحة الماء، و كان بنو أيوب قد احكموا سورها ثم خزّبوه على ما نحكيه بعد، و فى المثل:

«قتل أرضا عالمها و قتلت ارض جاهلها»

هذا قول ابى عبد الله محمد بن احمد بن البناء البشارى المقدسى، له كتاب فى اخبار بلدان الاسلام، و قد وصف بيت المقدس فأحسن، فالأولى ان نذكر قوله لأنه أعرف ببلده و ان كان قد تغير بعده بعض معالمها قال: هى متوسطة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٤٠

الحر و البرد قل ما يقع فيها ثلج، قال: و سألتني القاضي ابو القاسم عن الهواء بها فقلت: سجسج لا حرّ و لا برد، فقال: هذه صفة الجنة، قلت: بنيانهم حجر لا ترى أحسن منه و لا أنفس منه و لا أعفّ من اهلها و لا أطيب من العيش بها و لا انظف من اسواقها و لا اكبر من مسجدها، و لا اكثر من مشاهدتها، و كنت يوما في مجلس القاضي المختار ابى يحيى بهرام بالبصرة فجرى ذكر مصر الى أن سئلت: اى بلد أجلّ؟ قلت: بلدنا قيل: فأيهما اكبر؟

قلت: بلدنا، فتعجب اهل المجلس من ذلك و قيل: انت رجل محصل و قد ادعيت ما لا يقبل منك و ما مثلك الا كصاحب الناقه مع الحجاج، قلت:

اما قولى أجلّ فلأنها بلدة جمعت الدنيا و الآخرة فمن كان من ابناء الدنيا و اراد الآخرة وجد سوقها، و من كان من ابناء الآخرة فدعته نفسه الى نعمة الدنيا وجدها، و اما طيب هؤلاء فانه لا سمّ لبردها و لا أذى لحوها، و اما الحسن فلا يرى أحسن من بنيانها و لا انظف منها و لا أنزه من مسجدها، و اما كثرة الخيرات فقد جمع الله فيها فواكه الاغوار و السهل و الجبل و الاشياء المتضادة كالاترج و اللوز و الرطب و الجوز و التين و الموز، و اما الفضل فهي عرصة القيامة و منها النشر و اليها الحشر، و انما فضلت مكة بالكعبة و المدينة بالنبي صلى الله عليه و سلم، و يوم القيامة ترفان اليها فتحوى الفضل كله، و اما الكبر فالخلايق كلهم يحشرون اليها فأى أرض اوسع منها؟ فاستحسنوا ذلك و أقروا به، قال: الا ان لها عيوباً، يقال إن فى التوراة مكتوبا بيت المقدس طست من ذهب مملوء عقارب، ثم لا ترى أقدر من حماماتها، و لا أثقل مؤنة، و هى مع ذلك قليلة العلماء كثيرة النصارى، و فيهم جفاء، و على الرحبة و الفنادق ضرائب ثقال، و على ما يباع فيها رجالة، و على الابواب اعوان فلا يمكن احدا ان يبيع شيئا مما يرتفق به الناس الا بها مع قلة يسار، و ليس للمظلوم انصار، فالمستور مهموم، و الغنى محسود و الفقيه مهجور، و الاديب غير مشهور، و لا- مجلس نظر، و لا تدريس، قد غلب عليها النصارى و اليهود، و خلا المجلس من الناس و المسجد من الجماعات، و هى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٤١

اصغر من مكة و اكبر من المدينة، و عليها حصن بعضه على جبل و على بقيته خندق، و لها ثمانية ابواب حديد: باب صهيون، و باب النية، و باب البلاط، و باب جب أرميا، و باب سلوان، و باب أريحا، و باب العمود، و باب محراب داود عليه السلام، و الماء بها واسع، ليس ببيت المقدس اكثر من الماء و الأذان، قل ان يكون بها دار ليس بها صهريج او صهريجان او ثلاثة على قدر كبرها و صغرها، و بها ثلاث برك عظام: بركة بنى اسرائيل، و بركة سليمان، و بركة عياض، عليها حماماتهم لها دواع من الازقة، و فى المسجد عشرون جباً مشجرة قل ان تكون حارة ليس بها جبّ مسيل، غير ان مياهها من الأزقة، و قد عمد الى واد فجعل بركتين تجتمع اليهما السيول فى الشتاء، و قد شق منهما قناة الى البلد تدخل وقت الربيع فتدخل صهاريج الجامع و غيرها، و أما المسجد الاقصى فهو على قرنة البلد الشرقى نحو القبلة، أساسه من عمل داود، طول الحجر عشر اذرع و أقل منقوشة موجهة مؤلفه صلبه، و قد بنى عليه عبد الملك بحجارة صغار حسان، و شرفوه، و كان أحسن من جامع دمشق لكن جاءت زلزلة فى ايام بنى العباس فطرحته الا ما حول المحراب، فلما بلغ الخليفة خبره أراد رده مثلما كان فقيل له: تعيا و لا تقدر على ذلك، فكتب الى أمراء الاطراف و القواد يأمرهم ان يبنى كل واحد منهم رواقاً، فبنوه أوثق و أغلظ صناعة مما كان، و بقيت تلك القطعة شامة فيه و هى الى حذاء الاعمدة الرخام، و ما كان من الاساطين المشيدة فهو محدث، و للمعطى ستة و عشرون باباً: باب يقابل المحراب يسمى باب النحاس الاعظم مصفح بالصفير المذهب لا يفتح مصراعه الا رجل شديد القوة عن يمينه سبعة ابواب كبار فى وسطها باب مصفح مذهب و على اليسار مثلها، و فى نحو المشرق احد عشر باباً سواذج و خمسة عشر رواقاً على اعمدة رخام أحدثها عبد الله بن طاهر، و على الصحن من الميمنة اروقة على اعمدة رخام و اساطين، و على المؤخر اروقة ازاج من الحجارة، و على وسط المغطى جمل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٤٢

عظيم خلف قبة حسنة، و السقوف كلها الا المؤخر ملبسة بشقاق الرصاص، و المؤخر مرصوف بالفيسفساء الكبار، و الصحن كله مبلط،

و في وسط الرواق دكة مربعة مثل مسجد يثرب يصعد اليها من اربع جهاتها بمراق واسعة، و في الدكة اربع قباب: قبة السلسلة و قبة المعراج و قبة النبي صلى الله عليه و سلم، و هذه الثلاث الصغار ملبسة بالرصاص على اعمدة رخام مكشوفة، و في وسط الدكة قبة الصخرة على بيت مثنى باربعة ابواب كل باب يقابل مرقاة من مراقى الدكة، و هي: الباب القبلى، و باب اسرافيل، و باب الصور و باب النساء، و هو الذى يفتح الى المغرب، جميعها مذهبة فى وجه كل واحد باب مليح من خشب التنوب، و كانت قد أمرت بعملها أم المقتدر بالله، و على كل باب صفة مرخمة و التنوية مطبقة على الصفريه من خارج، و على ابواب الصفات ابواب ايضا سواذج داخل البيت ثلاثة اروقة دائرة على اعمدة معجونه أجل من الرخام و أحسن لا نظير لها قد عقدت عليه اروقة لاطئة داخله فى رواق آخر مستدير على الصخرة على اعمدة معجونه بقناطر مدورة فوق هذه منطقة متعالية فى الهواء فيها طاقات كبار و القبة فوق المنطقة طولها غير القاعدة الكبرى مع الشقوق فى الهواء مائة ذراع ترى من البعد فوقها سفود حسن طولها قامه و بسطة، و القبة على عظمها ملبسة بالصفير المذهب و ارض البيت مع حيطانه، و المنطقة من داخل و خارج على صفة جامع دمشق، و القبة ثلاث سافات، الاولى مروقة على الالواح، و الثانية من اعمدة الحديد، قد شبكت لثلاث تملها الرياح، ثم الثالثة من خشب عليها الصفائح و فى وسطها طريق الى عند السفود يصعد منها الصنّاع لتفتقدها و رمها فاذا بزغت عليها الشمس اشرفت القبة و تالأت المنطقة و رؤيت شيئا عجيبا، و على الجملة لم أر فى الاسلام و لا سمعت ان فى الشرق مثل هذه القبة، و يدخل المسجد من ثلاثة عشر موضعا بعشرين بابا منها: باب الحطة، و باب النبي، عليه الصلاة و السلام، و باب محراب مريم، و باب الرحمة، و باب بركة بنى اسرائيل، و باب الاسباط، و باب الهاشميين، و باب الوليد، و باب ابراهيم عليه السلام،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٤٣

و باب أم خالد، و باب داود، عليه السلام، و فيه من المشاهد محراب مريم و زكريا و يعقوب و الخضر و مقام النبي صلى الله عليه و سلم، و جبرائيل و موضع المنهل و النور و الكعبة، و الصراط متفرقة فيه و ليس على الميسرة اروقة، و المغطى لا يتصل بالحائط الشرقى و انما ترك هذا البعض لسبيين: احدهما قول عمر: و اتخذوا فى غربى هذا المسجد مصلى للمسلمين، فتركت هذه القطعة لثلاث يخالف، و الآخر لو مد المغطى الى الزاوية لم تقع الصخرة حذاء المحراب فكهوا ذلك و الله اعلم.

و طول المسجد الف ذراع بالذراع الهاشمى، و عرضه سبعمائة ذراع، و فى سقوفه من الخشب اربعة آلاف خشبة، و سبعمائة عمود رخام، و على السقوف خمسة و اربعون الف شقة رصاص، و حجم الصخرة ثلاثة و ثلاثون ذراعا فى سبعة و عشرين، و تحت الصخرة مغارة تزار و يصلى فيها تسع مائة و ستين نفسا، و كانت وظيفة كل شهر مائة دينار، و فى كل سنة ثمانمائة الف ذراع حصرا، و خدامه مماليك له اقامهم عبد الملك من خمس الاسارى، و لذلك يسمون الاخماس لا- يخدمه غيرهم و لهم نوب يحفظونها، و قال المنجمون: المقدس طولها ست و خمسون درجة، و عرضه ثلاث و ثلاثون درجة، فى الاقليم الثالث، و اما فتحها فى اول الاسلام الى يومنا هذا فان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أنفذ عمرو بن العاص الى فلسطين ثم نزل البيت المقدس فامتنع عليه فقدم ابو عبيدة بن الجراح بعد ان فتح قنسرين و ذلك فى سنة ١٦ للهجرة فطلب اهل بيت المقدس من ابى عبيدة الأمان و الصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من اداء الجزية و الخراج و الدخول فيما دخل فيه نظراؤهم على ان يكون المتولى للعقد لهم عمر بن الخطاب، فكتب ابو عبيدة بذلك الى عمر فقدم عمر و نزل الجابية من دمشق ثم صار الى بيت المقدس فأنفذ صلحهم و كتب لهم به كتابا و كان ذلك فى سنة ١٧، و لم نزل على ذلك بيد المسلمين و النصرى من الروم و الافرنج و الارمن و غيرهم من سائر اصنافهم يقصدونها للزيارة الى بيعتهم المعروفة بالقمامة و ليس لهم فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٤٤

الارض أجلّ منها، حتى انتهت الى ان ملكها سلمان بن أرتق و اخوه ايلغازى جدّ هولاء الذين بديار بكر صاحب ماردين و آمد، و الخطبة فيها تقام لبنى العباس، فاستضعفهم المصريون و ارسلا اليهم جيشا لا طاقة لهم به و بلغ سكرمان و أخاه خبر ذلك فتركها من

غير قتال و انصرفوا نحو العراق، و قيل:

بل حاصروها و نصبوا عليها المجانيق ثم سلموها بالامان و رجع هولاء الى نحو المشرق، و ذلك فى سنة ٤٩١ و اتفق ان الافرنج فى هذه الايام خرجوا من وراء البحر الى الساحل فملكوا جميع الساحل او اكثره و امتدوا حتى نزلوا على البيت المقدس فاقاموا عليها نيفا و اربعين يوما ثم ملكوها من شمالها من ناحية باب الاسباط عنوة فى اليوم الثالث و العشرين من شعبان سنة ٤٩٢ و وضعوا السيف فى المسلمين اسبوعا و التجأ الناس الى الجامع الاقصى فقتلوا فيه ما يزيد على سبعين الفا من المسلمين، و أخذوا من عند الصخرة نيفا و اربعين قنديلا فضة كل واحد وزنه ثلاثة الاف و ستمائة درهم فضة، و تَوَّر فضة وزنه اربعون رطلا بالشامى و اموالا لا تحصى، و جعلوا الصخرة و المسجد الاقصى مأوى لخنازيرهم، و لم يزل فى ايديهم حتى استنقذه منهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب فى سنة ٥٨٣ بعد احدى و تسعين سنة أقامها فى يد الافرنج و هى الآن فى يد بنى أيوب و المستولى عليهم الآن منهم الملك المعظم عيسى بن العادل ابى بكر بن ايوب، و كانوا قد احكموا سوره و عمروه و جودوه فلما خرج الافرنج فى سنة ٦١٦ و تملكوا دمياط استظهر الملك المعظم بخراب سوره و قال: نحن لا نمنع البلدان بالاسوار انما نمنعها بالسيوف و الاساوره، و هذا كاف فى خبرها و ليس كل ما اجده اكتبه و لو فعلت ذلك لم يتسع لى زمانى، و فى المسجد اماكن كثيرة و اوصاف عجيبة لا تتصور الا بالمشاهدة عيانا، و من اعظم محاسنه انه اذا جلس انسان فيه فى اى موضع منه يرى ان ذلك الموضع هو أحسن المواضع و أشرحها، و لذا قيل ان الله نظر اليه بعين الجمال و نظر الى المسجد الحرام بعين الجلال.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٤٥ أهيم بقاع القدس ما هبت الصبا فتلك رباع الأنس فى زمن الصبا و ما زلت فى شوقى اليها مواصلا سلامى على تلك المعاهد و الربى

و الحمد لله الذى وفقنى لزيارته، و ينسب الى بيت المقدس جماعة من العباد الصالحين و الفقهاء منهم:

نصر بن ابراهيم بن نصر بن ابراهيم بن داود ابو الفتح المقدسى الفقيه الشافعى الزاهد، أصله من طرابلس و سكن بيت المقدس و درّس بها و كان قد سمع بدمشق من ابى الحسن السمسار و ابى الحسن محمد بن عوف و ابن سعدان و ابن شكران و ابى القاسم و ابن الطبرى، و سمع بآمد هبة الله بن سليمان و سليم بن أيوب بصور و عليه تفقه و على محمد بن البيان الكازرونى، و روى عنه ابو بكر الخطيب و عمر بن عبد الكريم الدهستاني، و ابو القاسم النسيب، و ابو الفتح نصر الله اللاذقى و ابو محمد بن طاووس و جماعة، و كان قدم دمشق فى سنة ٧١ فى نصف صفر ثم خرج الى صور و اقام بها نحو عشر سنين ثم قدم دمشق سنة ٨٠ فاقام بها يحدث و يدرّس الى ان مات، و كان فقيها فاضلا زاهدا عابدا ورعا أقام بدمشق و لم يقبل لأحد من اهلها صلة، و كان يقتات من غلة تحمل اليه من أرض كانت له بنا بلس و كان يخبز له منها كل يوم قرص فى جانب الكانون، و كان متقللا مترهدا عجيب الأمر فى ذلك و كان يقول: درست على الفقيه سليم من سنة ٣٧ الى سنة ٤٠، ما فاتنى فيها درس و لا إعادة و لا وجعت الا يوما واحدا و عوفيت، و سئل كم فى ضمن التعليقة التى صنفها من جزء؟ فقال نحو ثلثمائة جزء و ما كتبت منها حرفا و انا على غير وضوء، او كما قال، و زاره تاج الدولة تتش بن ألب ارسلان يوما فلم يقم اليه و سأله عن أحل الاموال السلطانية فقال: اموال الجزية، فخرج من عنده و ارسل اليه بمبلغ من المال و قال له: هذا من مال الجزية، ففرّقه على الاصحاب و لم يقبله و قال: لا حاجة بنا اليه، فلما ذهب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٤٦

الرسول لاحه الفقيه ابو الفتح نصر الله بن محمد و قال له: قد علمت حاجتنا اليه فلو كنت قبلته و فرقته فينا، فقال: لا تجزع من فوته فلسوف يأتيك من الدنيا ما يكفيك فيما بعد فكان كما تفرّس فيه، و ذكر بعض اهل العلم قال:

صحبت أبا المعالى الجوينى بخراسان ثم قدمت العراق فصحبت الشيخ أبا اسحق الشيرازى فكانت طريقته عندى افضل من طريقة الجوينى ثم قدمت الشام فرأيت الفقيه أبا الفتح فكانت طريقته أحسن من طريقتهما جميعا، و توفى الشيخ ابو الفتح يوم الثلاثاء التاسع من المحرم سنة ٤٩٠ بدمشق و دفن بباب الصغير و لم تر جنازة أوفر خلقا من جنازته، رحمه الله تعالى.

و محمد بن طاهر بن علي بن احمد ابو الفضل المقدس الحافظ و يعرف باين القيسراني، طاف في طلب الحديث و سمع بالشام و بمصر و العراق و خراسان و الجبل و فارس و سمع بمصر من الجبائي و ابي الحسن الخلعى، قال: و سمعت ابا القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ يقول: أحفظ من رائية محمد بن طاهر ما هو هذا:

الى كم أمتى النفس بالقرب و اللقايوم الى يوم و شهر الى شهر
و حتى م لا أحظى بوصل أحبتى و أشكو اليهم ما لقيت من الهجر
فلو كان قلبى من حديد أذابه فراقكم او كان من صالب الصخر
و لما رأيت البين يزداد و النوى تمثلت بيتا قيل فى سالف الدهر:
متى يستريح القلب و القلب متعب بين على بين و هجر على هجر

قال الحافظ: سمعت أبا العلاء الحسن بن أحمد الهمدانى الحافظ ببغداد يذكر ان أبا الفضل ابتلى بهوى امرأة من اهل الرستاق كانت تسكن قرية على ستة فراسخ فكان يذهب كل ليلة فيرقبها فيراها تغزل فى ضوء السراج ثم يرجع الى همدان فكان يمشى كل يوم و ليلة اثني عشر فرسخا، و مات ابن طاهر و دفن عند القبر الذى على جبلها يقال له قبر رابعة العدوية و ليس هو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٤٧

بقبرها انما قبرها بالبصرة، و اما القبر الذى هناك فهو قبر رابعة زوجة احمد ابن ابي الحواري الكاتب و قد اشبهه على الناس».

المقدس - دار صادر و دار بيروت

المقدسة

«فهي الأرض المقدسة اى المباركة الزهية، قيل هي دمشق و فلسطين، و بعض الاردن، و بيت المقدس منه»

المقدس - دار صادر و دار بيروت

الخليل

«الخليل: اسم موضع و بلدة فيها حصن و عمارة و سوق بقرب البيت المقدس، بينهما مسيرة يوم، فيه قبر الخليل ابراهيم عليه السلام، فى مغارة تحت الارض، و هناك مشهد و زوار و قوام فى الموضع، و ضيافة للزوار، و بالخليل سمي الموضع، و اسمه الاصلى حبرون و قيل حبرى، و فى التوراة:

ان الخليل اشترى من عفرون بن صوحار الحيثى موضعا باربعمائة درهم فضة و دفن فيه سارة، و قد نسب اليه قوم من اصحاب الحديث، و هو موضع طيب، نزه روح، أثر البركة ظاهر عليه، و يقال، ان حصنه من عمارة سليمان بن داود عليه السلام.

و قال الهروي: دخلت القدس فى سنة ٥٦٧ و اجتمعت فيه و فى مدينة الخليل بمشايع حدثوني ان فى سنة ٥١٣ فى ايام الملك بردويل انخسف موضع فى مغارة الخليل فدخل اليها جماعة من الفرنج باذن الملك فوجدوا فيها ابراهيم و اسحاق و يعقوب عليهم السلام، و قد بليت اكفانهم و هم مستندون الى حائط و على رؤوسهم قناديل، و رؤوسهم مكشوفة، فجدد الملك اكفانهم ثم سد الموضع، قال و قرأت على السلفى ان رجلا يقال له الارمنى قصد زيارة الخليل و أهدى لقيم الموضع هدايا جمّة و سأله ان يمكنه من النزول الى جثته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٤٨

ابراهيم عليه السلام، فقال له: اما الآن فلا يمكن لكن اذا أقمت الى ان ينقطع الجثل و ينقطع الزوار فعلت، فلما انقطعوا قلع بلاطة هناك و اخذ معه مصباحا و نزل فى نحو سبعين درجة الى مغارة واسعة و الهواء يجرى فيها و بها دكة عليها ابراهيم عليه السلام ملقى و عليه

ثوب اخضر و الهواء يلعب بشيئته!! و الى جانبه اسحاق و يعقوب، ثم أتى به الى حائط المغارة فقال له: ان ساره خلف هذا الحائط فهم ان ينظر الى ما وراء الحائط فاذا بصوت يقول: اياك و الحرم!! قال: فعدوت من حيث نزلت».

حرف الخاء- دار صادر و دار بيروت

عسقلان

«بفتح اوله، و سكون ثانيه ثم قاف، و آخره نون، و عسقلان فى الاقليم الثالث من جهة المغرب خمس و خمسون درجة و عرضها ثلاث و ثلاثون و هى اسم اعجمى فيما علمت و قد ذكر بعضهم ان العسقلان أعلى الرأس فان كانت عربية فمعناه انها فى أعلى الشام، و هى مدينة بالشام من اعمال فلسطين على ساحل البحرين بين غزة و بيت جبرين، و يقال لها عروس الشام، و كذلك يقال لدمشق ايضا، و قد نزلها جماعة من الصحابة، و التابعين، و حدث بها خلق كثير، و لم تزل عامرة حتى استولى عليها الافرنج خذلهم الله فى السابع و العشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ و بقيت فى ايديهم خمسا و ثلاثين سنة الى ان استنقذها صلاح الدين يوسف بن ايوب منهم فى سنة ٥٨٣ ثم قوى الافرنج و فتحوا عكة و ساروا نحو عسقلان فخشى ان يتم عليها ما تم على عكا فخرّبها فى شعبان سنة ٥٨٧».

حرف العين- دار صادر و دار بيروت

بيت لحم

«بالفتح و سكون الحاء المهملة، بليد قرب البيت المقدس عامر حفل، فيه سوق و بازارات، و مكان مهد عيسى بن مريم عليه السلام، قال مكنى بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٤٩

عبد السلام الرميلي، ثم المقدسى: رأيت بخط مشرف بن مرجا بيت لحم (بالحاء المعجمة) و سمعت جماعة من شيوخنا يروونه (بالحاء المهملة) و قد بلغنى ان الجميع صحيح جائر، قال البشارى:

بيت لحم، قرية على نحو فرسخ من جهة جبرين، بها ولد عيسى بن مريم عليه السلام، و ثم كانت النخلة و ليس ترطب النخيل بهذه الناحية و لكن جعلت لها آية، و بها كنيسة ليس فى الكورة مثلها، و لما ورد عمر بن الخطاب، رضى الله عنه الى البيت المقدس أتاه راهب من بيت لحم، فقال له: معى منك أمان على بيت لحم، فقال له عمر: ما اعلم ذلك، فآظهره و عرفه عمر، فقال له: الأمان صحيح و لكن لا- بد فى كل موضع للنصارى ان نجعل فيه مسجدا، فقال الراهب: ان بيت لحم حنية مبنية على قبلتكم فاجعلها مسجدا للمسلمين و لا- تهدم الكنيسة، فعفا له عن الكنيسة و صلى الى تلك الحنية و اتخذها مسجدا، و جعل على النصارى إسراجها، و عمارتها و تنظيفها و لم يزل المسلمون يزورون بيت لحم و يقصدون الى تلك الحنية، و يصلون فيها، و ينقل خلفهم عن سلفهم انها حنية عمر بن الخطاب، و هى معروفة الى الآن لم يغيرها الفرنج لما ملكوا البلاد، و يقال ان فيها قبر داود و سليمان، عليهما السلام».

مادة (بيت) دار صادر و دار بيروت

بيت جبرين

«لغة فى جبريل: بليد بين بيت المقدس و غزة، و بينه و بين القدس مرحلتان، و بين غزة أقل من ذلك و كانت فيه قلعة حصينة خربها صلاح الدين لما استنقذ بيت المقدس من الافرنج، و بين بيت جبرين و عسقلان واد يزعمون انه وادى النملة التى خاطبت سليمان بن

داود عليه السلام».

مادة بيت- دار صادر و دار بيروت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٥٠

جبرين

و في جبرين يقول ياقوت:

«جبرين لغة في جبريل: بيت جبرين ذكر قبل، و هو من فتوح عمرو بن العاص اتخذ به ضيعة يقال لها عجلان باسم مولى له، و هو حصن بيت المقدس و عسقلان، ينسب اليه ابو الحسن محمد بن خلف بن عمر الجبريني، يروى عن احمد بن الفضل الصائغ، روى عنه ابو بكر محمد بن ابراهيم الاصبهاني، و في كتاب دمشق: احمد بن عبد الله بن حمدون بن نصر بن ابراهيم ابو الحسن الرملي المعروف بالجبريني، قدم دمشق و حدث بها عن ابي هاشم محمد بن عبد الأعلى بن عليل الامام و ابي الحسن محمد بن بكار بن يزيد السكسكي الدمشقي و ابي الفضل العباس بن الفضل بن محمد بن الحسن بن قتيبة و ابي محمد عبد الله بن أبان بن شداد، و ابي الحسن داود بن أحمد بن مصحح العسقلاني، و ابي بكر محمد بن محمد بن ادريس امام مسجد حلب، روى عنه عبد الوهاب بن جعفر الميداني و تمام بن محمد الرازي».

حرف الجيم- دار صادر و دار بيروت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٥١

الارض المقدسة في رحلة ابن بطوطة

إشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٥٢

ابن بطوطة هو محمد بن ابراهيم الملقب بشمس الدين الطنجي نسبة الى بلده طنجة و هو من البربر ولد سنة ٧٠٤ هـ و توفي سنة ٧٧٩ هـ قام بعدة رحلات من البلدان الافريقية و الآسيوية بالإضافة الى البلدان العربية و بلغ في تطوافه الهند و الصين، و حج مكة المكرمة و زار المدينة المنورة، و المشاهد المقدسة كالقدس و النجف الاشرف و سائر المراقد و سجلت رحلاته هذه و اهمها الرحلة الاولى التي بدأها من مسقط رأسه طنجة و التي قام بها سنة ٧٢٥ هـ نكتطف منها بعض ما ورد عن القدس و الارض المقدسة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٥٣

الارض المقدسة غزة

بدأ ابن بطوطة رحلته من غزة فقال:

«... ثم سرنا حتى وصلنا الى مدينة غزة و هي اول بلاد الشام مما يلي مصر، متسعة الأقطار، كثيرة العمارة، حسنة الاسواق، بها المساجد العديدة، و الاسوار عليها، و كان بها مسجد جامع حسن، و المسجد الذي تقام الان به الجمعة فيها بناه الأمير المعظم الجاولي، و هو اتيق البناء، محكم الصنعة، و منبره من الرخام الابيض، و قاضي غزة بدر الدين السلختي الحوراني و مدرّسها علم الدين بن سالم، و بنو سالم كبراء هذه المدينة و منهم شمس الدين قاضي القدس».

الخليل

«.. ثم سافرت من غزة الى مدينة الخليل، صلى الله على نبينا و عليه و سلم تسليماً، و هي مدينة صغيرة الساحة، كبيرة المقدار، مشرقة الانوار، حسنة المنظر، عجيبة المخبر، في بطن واد، و مسجدتها انيق الصبغة، محكم العمل، بديع الحسن، سامى الارتفاع، مبنى بالصخر المنحوت، في احد اركانها صخرة، احد اقطارها سبعة و ثلاثون شبراً، و يقال ان سليمان عليه السلام أمر الجن ببنائه، و فى داخل المسجد الغار المكرم المقدس، فيه قبر ابراهيم و اسحاق و يعقوب، صلوات الله على نبيه و عليهم، و يقابلها قبور ثلاثة هي قبور ازواجهم و عن يمين المنبر بلصق جدار القبلة موضع يهبط منه على درج رخام محكمة العمل الى مسلك ضيق، يفضى الى ساحة مفروشة بالرخام، فيها صور القبور الثلاثة، و يقال انها محاذية لها، و كان هنالك مسلك الى الغار المبارك و هو الآن مسدود، و قد نزلت بهذا الموضوع مرات، و مما ذكره اهل العلم دليلاً على صحة كون القبور الثلاثة الشريفة هنالك ما نقلته عن كتاب موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٥٤

على بن جعفر الرازى الذى سماه (المسفر للقلوب عن صحة قبر ابراهيم و اسحق و يعقوب) أسند فيه الى أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لما أسرى بى الى بيت المقدس مرّ بى جبريل على قبر ابراهيم فقال: انزل فصلّ ركعتين، فان هنا قبر ابيك ابراهيم، ثم مرّ بى على بيت لحم و قال: انزل فصلّ ركعتين فان هنا ولد اخوك، عيسى عليه السلام، ثم أتى بى الى الصخرة، و ذكر بقیة الحديث، و لما لقيت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الامام الخطيب برهان الذين الجعبرى احد الصلحاء المرضيين و الأئمة المشهورين، سألته عن صحة كون قبر الخليل عليه السلام هنالك، فقال لى: كل من لقيته من اهل العلم يصرحون ان هذه القبور قبور ابراهيم و اسحاق و يعقوب على نبينا و عليهم السلام، و قبور زوجاتهم، و لا يطعن فى ذلك الا اهل البدع، و هو نقل الخلف عن السلف لا يشك فيه.

و يذكر ان بعض الأئمة دخل الى هذا الغار و وقف عند قبر سارة، فدخل شيخ فقال له: اى هذه القبور هو قبر ابراهيم؟ فأشار له الى قبره المعروف، ثم دخل شاب فسأله كذلك، فأشار له اليه، ثم دخل صبى فسأله أيضاً، فأشار له اليه، فقال الفقيه: اشهد ان هذا قبر ابراهيم عليه السلام، لا شك، ثم دخل المسجد فصلّى به، و ارتحل من الغد.

و بداخل هذا المسجد ايضا قبر يوسف عليه السلام و بشرقى حرم الخليل تربة لوط عليه السلام، و هي على تل مرتفع يشرف منه غور الشام، و على قبره ابنة حسنة، و هو فى بيت منها حسن البناء مبيض، و لا ستور عليه.

و هنالك بحيرة لوط، و هي أجاج، يقال انها موضع ديار قوم لوط، و بمقربة من تربة لوط مسجد اليقين، و هو على تل مرتفع له نور و اشراق، ليس لسواه، و لا يجاوره الا دار واحدة يسكنها قومه، و فى المسجد بمقربة من بابه موضع منخفض فى حجر صلد قد هىء فيه صورة محراب لا يسع الا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٥٥

مصلياً واحداً، و يقال: ان ابراهيم سجد فى ذلك الموضع شكراً لله تعال عند هلاك قوم لوط، فتحرك موضع سجوده، و ساخ فى الارض قليلاً.

و بالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن على عليهما السلام، و بأعلى القبر و اسفله لوحان من الرخام فى احدهما مكتوب منقوش بخط بديع: بسم الله الرحمن الرحيم، لله العزة و البقاء، و له ما ذرأ و بزأ، و على خلقه كتب الفناء، و فى رسول الله أسوء، هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين، رضى الله عنه، و فى اللوح الآخر منقوش: صنعه محمد بن ابى سهل النقاش بمصر و تحت ذلك هذه الايات:

أسكنت من كان في الاحشاء مسكنه بالرغم منى بين التراب والحجر
يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمة بنت الأئمة بنت الانجم الزهر
يا قبر ما فيك من دين و من ورع و من عفاف و من صون و من خفر

ثم سافرت من هذه المدينة الى القدس، فزرت في طريقى اليه تربة يونس عليه السلام، و عليها بنية كبيرة و مسجد، وزرت ايضا (بيت لحم) موضع ميلاد عيسى عليه السلام و به اثر جذع النخلة، و عليه عمارة كثيرة و النصرى يعظمونه اشد التعظيم، و يضيفون من نزل به»

ص ٥٥-٥٧ دار صادر و دار بيروت

بيت المقدس

«ثم وصلنا الى بيت المقدس شرفه الله ثالث المسجدين الشريفين فى رتبة الفضل، و مصعد رسول صلى الله عليه و سلم تسليمًا، و مرجه الى السماء، و البلدة كبيرة منيفة بالصخر المنحوت، و كان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن أيوب، جزاه الله عن الاسلام خيرا، لما فتح هذه المدينة هدم بعض سورها ثم استنقص الملك الظاهر هدمه خوفا من ان يقصدها الروم فيتمنعوا موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٥٦

بها، و لم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدم، و جلب لها الماء فى هذا العهد، الأمير سيف الدين تنكيز أمير دمشق».

ص ٥٧ دار صادر و دار بيروت

المسجد المقدس

«و هو من المساجد العجيبة الرائعة، الفائقة الحسن يقال: انه ليس على وجه الارض مسجد اكبر منه، و ان طوله من شرق الى غرب سبعمائة و اثنان و خمسون ذراعا بالذراع المالكية، و عرضه من القبلة، الى الجوف اربعمائة ذراع و خمس و ثلاثون ذراعا، و له ابواب كثيرة فى جهاته الثلاث، و اما الجهة القبليّة منه فلا اعلم بها الا بابا واحدا، و هو الذى يدخل منه الامام، و المسجد كله فضاء و غير مسقف الا المسجد الاقصى، فهو مسقف فى النهاية من احكام العمل، و اتقان الصنعة، ممّوه بالذهب و الاصبغة الرائقة، و فى المسجد مواضع سواه مسقفة».

ص ٥٧-٥٨ دار صادر و دار بيروت

قبة الصخرة

«و هى من اعجب المباني و اتقنها و اغربها شكلا، قد توفر حظها من المحاسن، و اخذت من كل بديعة بطرف، و هى قائمة على نشز فى وسط المسجد يصعد اليها فى درج رخام، و لها اربعة ابواب و الدائر بها مفروش بالرخام ايضا محكم الصنعة، و كذلك داخلها و فى ظاهرها و باطنها من انواع الزواقة و رائق الصنعة ما يعجز الواصف، و اكثر ذلك مغشى بالذهب، فهى تتلأأ نورا، و تلمع لمعان البرق يحار بصر متأملها فى محاسنها، و يقصر لسان رائها عن تمثيلها.

و فى وسط القبة الصخرة الكريمة التى جاء ذكرها فى الآثار فان النبى صلى الله عليه و سلم عرج فيها الى السماء، و هى صخرة صماء ارتفاعها نحو قامه،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٥٧

و تحتها مغارة في مقدار بيت صغير ارتفاعها نحو قامة ايضاً، ينزل اليها على درج، و هنالك شكل محراب، و على الصخرة شباكان اثنان محكما العمل يغلقان عليها، احدهما و هو الذي يلي الصخرة من حديد بديع الصنعة و الثانى من خشب، و فى القبة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك و الناس يزعمون انها درقة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه».

ص ٥٨ دار صادر و دار بيروت

بعض مشاهد القدس

«... فمنها بعدوة الوادى المعروف بوادى جهنم فى شرقى البلد على تل مرتفع هنالك بنية يقال انها مصعد عيسى عليه السلام، بها، و هنالك ايضاً كنيسة اخرى معظمه يحجها النصارى، و هى التى يكذبون عليها، و يعتقدون ان قبر عيسى عليه السلام بها، و على كل من يحجها ضريبة معلومة للمسلمين، و ضروب من الالهانة يتحملها على رغم أنه، و هنالك موضع مهد عيسى عليه السلام يتبرك به».

ص ٥٩ دار صادر و دار بيروت

بعض فضلاء القدس

«... فمنهم قاضيه العالم شمس الدين محمد بن سالم الغزى، و هو من اهل غزة و كبرائها، و منهم خطيبه الصالح الفاضل عماد الدين النابلسى، و منهم المحدث المفتى شهاب الدين الطبرى، و منهم مدرس المالكية و شيخ الخانقاه الكريمة ابو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطى نزىل القدس، و منهم الشيخ الزاهد ابو على حسن المعروف بالمحجوب من كبار الصالحين، و منهم الشيخ الصالح العابد كمال الدين المراغى، و منهم الشيخ الصالح العابد ابو عبد الرحيم عبد الرحمن بن مصطفى من اهل أرز الروم، و هو من تلامذة تاج الدين الرفاعى، صحبته و لبست منه خرقة التصوف».

ص ٥٩ دار صادر و دار بيروت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٥٨

عسقلان

«ثم سافرت من القدس الشريف برسم زيارة ثغر عسقلان و هو خراب قد عاد رسوما طامسة، و أطلالا دارسة، و قلّ بلد جمع من المحاسن ما جمعه عسقلان إتقاناً و حسن وضع، و اصالة مكان، و جمعا بين مرافق البرّ و البحر، و بها المشهد الشهير حيث كان رأس الحسين بن على عليه السلام قبل ان ينقل الى القاهرة، و هو مسجد عظيم سامى العلو، فيه جب للماء أمر ببنائه بعض العبيد، و كتب ذلك على بابه.

و فى قبله هذا المزار مسجد كبير يعرف بمسجد عمر لم يبق منه الا حيطانه، و فيه اساطين رخام لا مثيل لها فى الحسن، و هى ما بين قائم و حصيد، و من جملتها اسطوانة حمراء عجيبة يزعم الناس ان النصارى احتملوها الى بلادهم ثم فقدوها فوجدت فى موضعها بعسقلان،

و فى القبلة من هذا المسجد عبر تعرف بيتر ابراهيم عليه السلام، ينزل اليها فى درج متسعة، و يدخل منها الى بيوت، و فى كل ناحية من جهاتها الاربع عين تخرج من اسراب مطوية بالحجارة، و مأوها عذب، و ليس بالغزير، و يذكر الناس من فضائلها كثيرا.

و بظاهر عسقلان وادى النمل، و يقال: انه المذكور فى الكتاب العزيز، و بجبانة عسقلان من قبور الشهداء و الاولياء ما لا يحصر لكثرة اوقفنا عليهما قيم المزار المذكور، و له جراية يجريها له ملك مصر مع ما يصل اليه من صدقات الزوار».

ص ٥٩- ٦٠ دار صادر و دار بيروت

الرملة

«ثم سافرت منها الى مدينة الرملة، و هي فلسطين، مدينة كبيرة كثيرة الخيرات، حسنة الاسواق، و بها الجامع الابيض، و يقال: ان في قبلته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٥٩

ثلاثمائة من الانبياء مدفونين، عليهم السلام، و فيها من كبار الفقهاء مجد الدين النابلسي».

ص ٦٠- ٦١ دار صادر و دار بيروت

نابلس

«ثم خرجت منها الى مدينة نابلس، و هي مدينة عظيمة كثيرة الاشجار، مطردة الانهار، من اكثر بلاد الشام زيتونا، و منها يحمل الزيت الى مصر و دمشق، و بها تصنع حلواء الخروب، و تجلب الى دمشق و غيرها.

و كيفية عملها: ان يطبخ الخروب ثم يعصر و يؤخذ ما يخرج منه من الرّب فتصنع منه الحلواء، و يجلب ذلك الرّب ايضا الى مصر و الشام، و بها البطيخ المنسوب اليها، و هو طيب عجيب، و المسجد الجامع في نهاية من الاتقان و الحسن، و في وسطه بركة ماء عذب».

ص ٦٠ دار صادر و دار بيروت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٦٠

فهرست الاعلام

لقد راعينا في ترتيب الاعلام الاسم الوارد عن الشخص سواء كان هذا الاسم كنية، او اسما مجردا عن الصفة، او صفة خاصة و ذلك خلافا لما تبانى عليه و اضعو فهارس الاعلام الذين يعتمدون النسبة او الصفة دون غيرها في الترتيب فاقتضى التنبيه؛

حرف الالف ابراهيم الخليل ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠.

ابراهيم الفكيكي ١١٠.

ابرويز- كسرى ١٨٩، ١٩١، ١٩٥.

ابشالوم بن داود ١٢٧،

ابن ابي زرع ٩٨، ١٠٨.

ابن الأثير ٧، ١٥، ٢٦، ٥٠، ٧١، ٨٥.

ابن الاعرابي ٢٣٥.

ابن بطوطة ٩٧، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣،

ابن جبير ٢٢٧، ٢٢٨.

ابن جرير الطبري ٤٦، ٤٧، ٨٤، ٨٥، ٨٨.

ابن حجر العسقلاني ٩٠،

- ابن خزيمة ٧٥،
 ابن خلدون ١٠١، ١٠٢.
 ابن خلكان ١٠١،
 ابن زيدان النقيب ١٠٥.
 ابن سعد ٦٦، ٧٦، ٧٧، ٧٨.
 ابن سعدان ٢٤٥،
 ابن شكران ٢٤٥.
 ابن الطبري ٢٤٥.
 ابن عباس ٦٠، ٧١، ٢٣٧،
 ابن غانية ١٠١،
 ابن فضل الله العمري ١٩٩
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٦١
 ابن الفقيه ٩،
 ابن الكازروني ٩٧.
 ابن كثير العدسي ٥٨.
 ابن الكلبي ٢٠٥.
 ابن منظور ٨٠، ٢٠٢
 ابن هرمة ٩،
 ابو اسحق الشيرازي ٢٤٦،
 ابو البركات زين الدين ٩٨،
 ابو بكر - الخليفة ٢٨، ٨٩.
 ابو بكر الخطيب ٢٤٥.
 ابو بكر الطرطوشي ٩٧.
 ابو بكر محمد بن ابراهيم الاصبهاني ٢٥٠،
 ابو بكر محمد بن محمد بن ادريس ٢٥٠
 ابو بكر الهمداني ٢٢٤.
 ابو الحرث عبد الرحمن بن منقذ الشيزري ٩٩،
 ابو الحسن بن عمر الجبريني ٢٥٠.
 ابو الحسن الخلعي ٢٤٦.
 ابو الحسن داود بن مصحح العسقلاني ٢٥٠.
 ابو الحسن السمسار ٢٤٥.
 ابو الحسن محمد بن عوف ٢٤٥.
 ابو الحسن الواسطي ٩٨.

- ابو حنيفة ٤٠.
- ابو ذر الغفاري ٦٦، ٢٣٧.
- ابو طالب ٧٦، ٧٨.
- ابو عبد الله محمد البشاري ٢٣٩.
- ابو عبد الله محمد بن سالم الكناني ٩٨.
- ابو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطي ٢٥٧.
- ابو عبيدة بن الجراح ٨٢، ٨٣، ٨٩، ٢٤٣.
- ابو العلاء الحسن بن احمد الهمداني ٢٤٦.
- ابو العلاء المعري ٩٠.
- ابو علي حسن المحجوب ٢٥٧.
- ابو عمر ٥١.
- ابو الفتح نصر الله اللاذقي ٢٤٥، ٢٤٦.
- ابو الفداء ٨، ١٠٤.
- ابو الفضل بن ابي عبد الله بن ابي مدين ١٠٤.
- ابو الفضل العباس بن الفضل بن قتيبة ٢٥٠.
- ابو القاسم اسماعيل بن الحافظ ٢٤٥، ٢٤٦.
- ابو القاسم الزياني - الوزير ١٠٢.
- ابو القاسم القاضي ٢٤٠.
- ابو القاسم النسيب ٢٤٥.
- ابو مالك القرظي ٢٣٧.
- ابو محمد بن طاووس ٢٤٥.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٦٢
- ابو محمد عبد الله بن ابان بن شداد ٢٥٠.
- ابو مريم مولى سلامة ٨٤.
- ابو المعالي الجوني ٢٤٦.
- ابو هاشم محمد بن عبد الأعلى بن يزيد السكسكي الدمشقي ٢٥٠.
- ابو هريرة ٦٠، ٢٥٤.
- ابي بن كعب ٢٣٧.
- اييام ١٦٠.
- آحاز بن يوثام ١٢٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٦١.
- احمد الاحسائي ٨١.
- احمد بن عبد الله بن حمدون الرملي الجبريني ٢٥٠.
- احمد بن الفضل الصانع ٢٥٠.

- احمد بو حمالة ١١٠، ١١١.
- احمد زكى باشا ١٩٩.
- احمد سامح الخالدي ٨، ٩، ٢٥،
- احمد سوسة- الدكتور ١١٣.
- احمد شوقى ٩٠.
- احمد عويدات ١٤.
- احمد- الامام ٧١.
- احمد الفاسى ١١٠.
- احمد فوزى عبد الجبار ١٩، ٥١،
- احمد المصلوحى ١١٠.
- احمد المنصور السعدى السلطان ابو العباس ١٠٤.
- احموسة ١٩٢،
- آخاب بن عومرى- ملك اسرائيل ١٥١.
- اخزيا ١٦١.
- ادريانوس ٥١.
- ادريس ٥٦.
- ادريس المغربى المعروف بأبى الأيتام ١١٠.
- ادونى صادق ١٢٠، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٥، ١٤٢.
- ارتكسر كس الأول ١٦٢، ١٦٣،
- ارخيلاووس ١٦٠، ١٨١.
- اردن بن سام ٥٠، ٢٣٤.
- الاركيولوجى الألمانى ١٣٨.
- الأزهرى ٥١.
- أرسوبولس ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٠.
- ارم بن سام ٩، ٥٠، ٢٣٤.
- ارميا النبى ١٥٨، ١٥٩.
- ارنان اليبوسى ٦١، ١٣٠.
- اسامة بن منقذ ٩٨، ٩٩، ١٠٠.
- اسحق بن ابراهيم ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٤٥، ٤٦، ٥٦، ٦٧، ١٣٠، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٥٤.
- موسوعه العتبات المقدسه، ج ٤، ص: ٢٦٣
- اسحق بن حسين المنجم ١٢٣.
- اسرائيل ٩، ١٣، ١٦، ٢٦، ٣٦، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٥٤، ٦٣، ١١٥، ١٤٩، ١٥٠.
- اسكندر بالاس ١٦٩.

- الاسكندر الكبير ٢٠، ٤٤، ١١٥، ١٤٠، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٤، ١٨٤، ١٩٤.
- اسكندرة ام اسكندر يانيوس ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤،
- اسكندر يانيوس ١٧٣، ١٧٤.
- اسماعيل بن ابراهيم الخليل ٤٥، ٤٦، ٥٦، ٦٧، ١٧٥، ٢١٩، ٢٣٨،
- أشعيا ١٥٤، ١٥٦،
- الاعشى ٥٠،
- اكرم فاضل - الدكتور ٩، ١٣، ٦٣،
- اكيبا ١٨٦، ١٨٧.
- الياس ٤٢.
- الياس التشبي ٥٦.
- اليوموس ١٦٩.
- ام هانى ٧٦.
- امام الدين بن محمد بن يوسف بن علاء الدين بن قاسم البطائحى الخليلي الاشعري ١٠٤،
- امامة ٧١.
- امرؤ القيس ٢٠٥، ٢٣٥.
- امصيا - ملك يهوذا ٤٥، ١٥١، ١٦١،
- امنحوتب - اخناتون ٣٧، ١٢٠، ١٩٢
- اتونينس بيوس ١٨٦، ١٩٥.
- انتياس ١٦٠.
- انيتياتر ١١٦، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٨، ١٧٩، ١٩٠، ١٩٤.
- اندرية ايمار ١٣.
- انس ٧٢.
- انطونيوس ١١٦، ١٧٣، ١٧٨، ١٧٩، ١٩٠.
- انطونيوس فيلكس ١٨٢.
- انطيوخوس ٢٠، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٩٤.
- انطيوخوس ايبافانيس ٩١.
- انطيوخس الرابع ١٣٣.
- أنطيفونس ١٦٥.
- انتيغونس ١٧٣، ١٧٩، ١٩٠.
- او كنافيان (اوغسطس) ١٧٨، ١٧٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٤.
- اولبرايت ١١٨.
- اونى - القائد الفرعوني ١٣٥.
- ايلغازى ٢٤٤.

- إيلياء ٥٠، ٥٢، ٢٣٤.
- أيوب ٣٣، ٤٦.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٦٤
- حرف الباء باركوخبا ١١٦، ١٨٤، ١٨٦، ١٩١، ١٩٥،
- بدر الدين السلختي ٢٥٣.
- بدر الدين محمد بن إبراهيم القاضي ٩٧
- بردويل - الملك ٢٤٧.
- برهان الدين الجعبري ٢٥٤.
- البشاري ٢٤٩.
- البشير التازي - الحاج ١١٠.
- بطليموس ٢٠، ١٣٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٤، ١٩٤.
- بلال الحبشي ٨٨، ٨٩.
- بلفور ٩٢.
- بنهدد ١٥١.
- بنيامين ٣٣، ٣٥، ١٢٥، ١٥٠،
- بولص - القديس ١٢٣، ١٢٨،
- بومبي القائد ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٩٠، ١٩٤،
- بوميوس ٢٠.
- بومدين الغوث ١٠٧، ١٠٨، ١١٠.
- بونتوس ١٨١، ١٩٠.
- بيرون ١٤٥.
- البيضاوي ٤٠.
- البيهقي ٨٧.
- حرف التاء تاج الدين الرفاعي ٢٥٧.
- تتش بن الب ارسلان (تاج الدولة) ٢٤٥.
- تجلات بلاسر ١٥٢، ١٥٣، ١٩٣.
- تحوطمس - (ملك مصر) ١٣٧، ١٩٢.
- تفلث فلاسر ١٥٢.
- تمام بن محمد الرازي ٢٥٠.
- تميم الداري ٢٧، ٢٨.
- توت عنخ آمون ٥٧.
- توعى - ملك حما ١٤٧.
- تيريوس ١٩١،

- تيطس ٢٢، ١١٦، ١٨٢، ١٨٤، ١٩١
- حرف الجيم جابر الانصارى ٣٩،
جانين ابواية ١٣.
الجبائى ٢٤٦.
- جبرا ابراهيم جبرا ١٩٩.
- جبرائيل ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٢٠٦.
- جرجى زيدان ١٢
- جرير بن عثمان ٧٢.
- جستينيان- الامبراطور ٨٩، ١٩٥،
جمال الدين الالوسى ٩٩
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٦٥
- جورج صيدح ٩٠.
- جوليان- الامبراطور ١٨٨، ١٩٥،
جيمس هنرى برستيد ٧، ٨، ٩، ١٤، ١٧، ١٨، ٤١،
حرف الحاء حاتوشيلي- الحثى ١٤١.
- الحاكم بأمر الله ٢٢٥.
- حام بن نوح ٩، ١١٩.
- الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الشيخ ١٠١.
- حزقيا- الملك ١٢٩، ١٣٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦١.
- حزقيال ١٢٤.
- الحسن بن على بن أبى طالب ٧٦.
- الحسن الثانى- ملك المغرب ١٠٩، ١١٢،
حسين جميل- المحامى ٩، ١٦.
- حسين ملك الاردن ١٠٩.
- حمزة بن عبد المطلب ٢١٧.
- حمص بن سام ٥٠، ٢٣٤.
- حمورابى- الملك ١٩٢.
- حيرام- ملك صور ٦١، ١٤٨.
- حوفرا- ملك مصر ١٥٩.
- حرف الخاء خالد البلوى ٩٨، ١٠٢.
- خالد بن ثابت ٨٥.
- خيرى حماد ١٢٢.
- حرف الدال داود قربان ١٥، ١٧.

- داود- النبي ١٨، ٣٣، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٦، ٥٣، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٢، ٨٤، ٨٨، ٩١، ٩٢، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٨، ١٨٩، ١٩٣، ٢١٣، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٩.
- دارا- ملك: الفرس ٢٠، ١٦٣.
- الدجال ٢٣٦، ٢٣٧.
- دكران ١٧٦، ١٧٧، ١٩٤.
- دمتريوس سوتر ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٤، ١٩٤.
- دمشق بن سام ٥٠، ٢٣٤.
- ديلابورت ١٥٤.
- حرف الراء رابعة العدوية ٢٤٦.
- رابعة زوجة احمد بن ابى الحوارى ٢٤٧،
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٦٦
- رجاء بن حياة ٨٨.
- رجبام بن سليمان ١٥٠، ١٥١.
- رجبعام ١٦٠، ١٩٣.
- رزوبابل بن شلائيل ١٦٢، ١٦٣.
- رصين- الملك ١٥٢، ١٥٣.
- رعمسيس ٥٧، ١٤١، ١٤٣، ١٩٢، ١٩٣.
- روبييل ٢٣٠.
- روحي الخطيب ١٠٩.
- ريقة زوجة اسحق ٢٦، ٢٨. موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج ٤ ؛ ص ٢٦٦
- حرف الزاى زكريا ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٥، ٧٢، ٢١٣،
- زليخا ٣٤،
- الزهري ٦٧.
- الزيانى ١٠٥.
- حرف السين س. ن جونص ٨٩.
- سارة زوجة ابراهيم ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٣، ٢٢٣، ٢٤٨.
- سالم اليبوسى ٥٥.
- سام بن نوح ٩، ١٥، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ١١٩، ٢٣٤،
- سركون ١٥٢، ١٥٣، ١٩٣.
- سستوس ١٨٢.
- سعيد الفيلاالى ١١٠.
- سكمان ٢٤٤.
- سلمان بن ارتق ٢٤٤.

- سلوقس ١٦٥، ١٦٦.
- سليم بن ايوب ٢٤٥.
- سليم الفقيه ٢٤٥.
- سليمان بن داود ١٨، ٢٧، ٢٩، ٣٣، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٦، ٥٣، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٩١، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٢، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٩٣، ٢١١، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٣.
- سليمان القانوني ١٠٦، ١٣٤.
- سمرديس ١٦٣.
- سمستوس غالوس ١٨٢.
- سمعان ١٦٨، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤.
- سمعان المكابي ١٢٨.
- سناتو ١٧٦.
- سنت انا ٧٣.
- سنحاريب (ملك آشور) ١٩، ١٤٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧.
- سنوسرت الاول ١٣٦.
- سيبويه ٢٠٥.
- سيزوستريس الثالث ١٣٥.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٦٧
- سيف الدين تنكيز- الامير ٢٥٦.
- سيليل ١٥٥.
- سيمون ١٩٤.
- سينوهي- فرعون مصر ١٣٦.
- حرف الشين الشافعي ٤٠.
- شاكر البدرى ٨٤، ٥١.
- شأؤول- الملك ١٢٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٩٣.
- الشيبي ١٠١.
- شخيم بن جمور ٥٨.
- شعيا ٢٣٨، ٤٥.
- شعيب ٣٨، ٥٦، ٢٣٠.
- شلمانصر ٦٣، ١٥٣، ١٩٣.
- شمس الدين- قاضي القدس ٢٥٣.
- شمس الدين الخولاني ٩٨.
- شمس الدين بن سالم الغزي ٢٥٧.
- شمشون ١٤٦.

شهاب الدين الطبري ٩٧، ٢٥٧،

شيت ٥٦،

شيشنق - ملك مصر ١٥٠، ١٥١، ١٩٣.

حرف الصاد صالح الطيب ٥٦، ١١٠.

صدقا ٩، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١،

صفرونيوس ٨٤.

صفوان بن عمرو ٢٧، ٧٢.

صلاح الدين الأيوبي ٩٢، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٦، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٥،

صموئيل ١٤٧، ١٤٩.

حرف الضاد الضحاك ٦٠.

حرف الطاء الطبرسي ٦١، ٧٥، ٧٦، ٨١، ٨٢

الطبري ٢٦.

طه باقر - الدكتور ١٢١، ١٢٢، ١٤٩، ١٥٤، ١٦٢، ١٦٣.

طه الولي - الشيخ ١٩٩.

الطوسي ٧٦.

حرف الظاء الظاهر - الملك ٢٥٥.

حرف العين عائشة ٨١

عارف باشا العارف ٤٩، ٥٢، ٥٥، ٦١، ١٣٤، ١٩٩،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٦٨

عبد الحلیم محمود - الدكتور ١٩٩.

عبد الحميد السائح ١٠٩.

عبد الرحمن بن عوف ٨٥.

عبد الرحمن بن غنم ٨٦.

عبد الرحمن بن محمد العليمي ١٩٩.

عبد الرحمن بن مصطفى ٢٥٧

عبد الرحيم البيساني - القاضي الفاضل ٩٩.

عبد القادر الحسيني ٤٤.

عبد القادر الكيلاني ١٠٨.

عبد الكبير الفاسي ١١١.

عبد الله بن طاهر ٢٤١.

عبد الله بن عمر ٢٣٦.

عبد الله بن علي ١٠٤.

عبد الله كنون ١٠١.

- عبد الملك بن مروان - ٢٤١
- عبد الهادي التازي - ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٠٥
- عبد الوهاب بن جعفر الميداني ٢٥٠.
- عبد الوهاب النجار ٣١، ٣٥، ٣٧، ٤٠.
- عبدى هيبا - عبدى خيبا ١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ١٣٥، ١٩٢.
- عثليا ١٦١،
- عثمان بن جعفر بن شاذان ٢٨،
- عثمان بن عفان ٢٨، ٨٣.
- العجاج ٢٠٥.
- عجاج نويهض ١٨٥،
- عزر بن رحسوب ١٤٧.
- عزرا ١٦٢، ١٦٣.
- عزيا ١٦١،
- العزير ٢٣٨.
- عطاء ٥٠.
- عفرون بن صوحان الحثي ٢٤٧.
- علم الدين بن سالم ٢٥٣.
- علي بن أبي طالب ٢٨، ٧٦، ٨٣، ٨٩
- علي بن أيوب المقدسي ٩٨.
- علي بن جعفر الرازي ٢٥٤.
- علي بن عثمان السلطان ابو الحسن ١٠٢ ١٠٤.
- علي النقيب - الحاج ١١٠ - ١١١.
- علي الوردى - الدكتور ٨١.
- عماد الدين النابلسي ٩٧، ٢٥٧،
- عمران ٤٠، ٤٤،
- عمر بن الخطاب ٢٣، ٢٨، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٨٩، ١٨٩، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٥، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٥٨.
- عمر بن عبد الكريم الدهستاني ٢٤٥.
- عمر بن العاص ٨٥، ٢٤٣، ٢٥٠.
- عمليق ابو العمالقة ١٥.
- عيسى بن العادل الأيوبي ٢٤٤.
- عيسى بن مريم ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٧٧، ٢٠٦، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٣٦،
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٦٩
- ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٥٧،

- العيس (عيسو) ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٥٨، ١٦٠.
- حرف الغين غابنوس ١٨٥.
- حرف الفاء فاطمة بنت الحسن ١٩، ٩٠، ٢٥٥،
الفخر الرازي ٣٤،
الفراء ٧٨، ٢٠٤.
- الفرزدق ٥٠، ٢٠٤، ٢٣٣، ٢٣٥،
فرعون ٣٦، ٢١٠.
- فرويد ٣٧.
- الفضيل بن عياض ٢٣٧.
- فقع - ملك اسرائيل ١٥٢، ١٥٣،
فلسطين بن سام ٥٠، ٢٣٤.
- فلسطين بن كلثوم ٩،
فيليب ١٦٠، ١٧٦، ١٨١،
فيونيس (فرعون مصر) ١٣٥.
- حرف القاف القاضي المختار - ابو يحيى ٢٤٠.
- قتادة ٧٦، ٢٠٥، ٢٣٥.
- قراقوش ١٠٠، ١٠١.
- قسطنطين الكبير ٢٢، ٩١، ١١٦، ١٢٣، ١٨٧، ١٨٨، ١٩١، ١٩٥.
- قلوديوس ١٣٣.
- قمبيز ١٦٣،
قيصر ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٩٠.
- حرف الكاف كابينوس ١١٦، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٩٠.
- كاسيوس ١١٦، ١٧٧، ١٩٠.
- كاليجولا ١٨١، ١٩١.
- كراسوس ١١٦، ١٧٦، ١٧٧، ١٩٠، ١٩٤،
كسلوخيم ٩،
كعب (الحبر) ٢٧، ٨٨، ٢٣٦، ٢٣٧.
- كلاودوس ١٨١، ١٩١.
- كلثوم ٩.
- كليوباترة ١١٦، ١٧٩، ١٩٠.
- كمال الدين المراغي ٢٥٧.
- كنعان بن حام ٩، ١١٩، ١٢٢،
كورش - ملك الفرس ٢٠، ٦٤، ١٦٢، ١٩٣،

- كوشك ٢٣٨،
 كيسوجين ٩.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٧٠.
 حرف اللام لابان بن تاهر ٢٣٨.
 لالا خنائه- الأميرة ١٠٥.
 لاود بن سام ١٥.
 لقطين ٩.
 لوط ٨، ٣١، ٣٢، ٥٦، ٧١، ٢٣٥، ٢٥٤، ٢٥٥.
 الليث (الامير) ٦٨، ٢٢١.
 لييدوس ١٧٨، ١٩٠.
 لسياس ١٦٨، ١٦٩.
 ليقا- زوجة يعقوب ٢٦، ٢٩.
 حرف الميم مأجوج ٢٣٦،
 ماشيدوس ١٦٩.
 مأمون ١٠٥.
 متايوس ١٩٤.
 متياس ١٧٣، ١٧٤.
 متياس الكاهن ١٦٨.
 مجاهد ٧٧.
 مجد الدين النابلسي ٢٥٩.
 مجير الدين الحنبلي ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٦٠، ٦٢، ٦٧، ٦٨، ٨٤، ٨٩، ١٩٩،
 محمد بن أبي النقاش ٢٥٥.
 محمد بن اسحق ٢٨، ٤٥.
 محمد بن بكران بن محمد ٢٨.
 محمد بن البيان الكازروني ٢٤٥،
 محمد بن سالم الغزي ٩٧.
 محمد بن طاهر الحافظ (ابن القيسراني) ٢٤٦.
 محمد بن نباتة ٩٨-
 محمد بن مثبت الغرناطي ٩٧.
 محمد الثالث- السلطان ١٠٥.
 محمد رسول الله ٢٧، ٧٥، ٢١٣.
 محمد علي الزعبي ١٣، ١٦، ٥٤.
 محمد عنان ١٩، ٦٤.

- محمد الفاسي ٩٧.
- محمد الفكيكي ١١١.
- محمد المهدي - الحاج ١١١.
- محمد المهدي - الشيخ ١١٠.
- محمود العابدي ١٠٢، ١٠٦.
- مريم بنت عمران ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٧٢، ٧٣، ٢١٤، ٢٢٩، ٢٣٥.
- المستظهر بالله - العباسي ٩٧.
- المسيح ٢١، ٤٢، ٤٣، ٥٩، ٦٠، ٧١، ٧٢، ١١٩، ١٢٣، ١٢٧، ١٦٢، ١٦٦، ١٨١، ١٨٥، ١٨٨، ١٩١، ١٩٤.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٧١
- مشرف بن مرجا ٢٤٩.
- معاذ بن جبل ٨٩.
- معاوية بن ابي سفيان ٨٥.
- مقاتل بن سليمان ٦٦ - ٢٣٥.
- المقدسي ٢٤٩.
- المقري ٩٧، ١٠٤، ١٠٥.
- مكابوس ١٦٨.
- مكاريوس ١٨٨.
- مكي بن عبد السلام الرميلي ٢٤٨.
- ملكيبادق ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٨، ١١٩، ١٢٢، ١٢٤، ١٣٥.
- منسي ١٢٧، ١٣٢، ١٦١.
- منصور وهبه ٣٧.
- المنصور يعقوب - السلطان ٩٩، ١٠٠، ١٠١.
- منسأة ١٩.
- المهدي ٢٢٤.
- مواتاليس - ملك الحثيين ١٤١.
- موسى - الابسكوئي ٨٢.
- موسى بن عمران ١٧، ٢٧، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٦، ٥٦، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٧، ٧١، ٧٢، ٧٧، ١١٥، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٧٢، ١٨٥، ١٩٢.
- ٢٣٠، ٢١١.
- المولي ادريس ١٠٥.
- المولي اسماعيل (السلطان) ١٠٥.
- المولي عبد الله - السلطان ١٠٥.
- ميتيني ١٥٥.
- ميثراداتس ١٧٦، ١٧٨.

مثير ١٨٧.

حرف النون ناصر خسرو ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٣

نوبولاسر ١٥٧، ١٥٨.

نوخذنصر ١٩، ٤٤، ٩١، ١٣٢، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢، ١٩٣.

نحميا- الملك ٩١، ١٣٢، ١٣٣، ١٦٢، ١٦٣.

نرام سين- الملك الأشوري ١٦.

نصر بن ابراهيم- ابو الفتح المقدسي ٢٤٥.

نصر بن داود- ابو الفتح المقدسي ٢٤٦

النقاد العبدري ٩٧.

نوح ٩، ٣٢، ٣٣، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٦٠، ٦٦، ٢٣٤.

نوشتكين الغوري ٢٢١، ٢٢٢.

نيرون ١٨٢، ١٨٤، ١٩١، ١٩٤.

حرف الهاء هاتشبشوت ١٣٧،

هادريان- الامبراطور ٢٢، ٦٤، ٩١،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٧٢

١٢٣، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٥.

هارون بن عمران ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٦، ٥٦.

هبة الله بن سليمان ٢٤٥.

هبيرة بن أبي وهب المخزومي ٧٦،

هرقل- الامبراطور ٢٢، ١٨٩، ١٩١، ١٩٥.

الهروي ٢٤٧،

هلال فارحي ٣٧.

هليل ١٨٧.

هنري كتني ١٣، ١٥، ١٧، ٢٢،

هوشع ١٥٢.

هونيكي ١٨٥.

هيركانوس ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠،

هيردوس- الأدوني ٢١، ٢٢، ٨٩، ٩١، ١١٦، ١٣٣، ١٦٠، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٩٠، ١٩١، ١٩٤،

هيرود انتيباس ١٨١.

هيرودس- اغريبا- ١١٦، ١٣٣، ١٣٤، ١٨١، ١٨٢، ١٩١.

هيلانة ١٢٣.

هيلينه ١٨٨، ١٩٥.

حرف الواو وديع فلسطين ١٣، ١٥، ١٧، ٢٢،

- وسبسيان ١٨٢، ١٨٤، ١٩١،
 وهب بن منه ٧٢، ٢٣٨،
 حرف الياء يابين - ملك صور ١٢٥.
 يأجوج ١٣٦.
 يادى ١٥٥.
 يافث ٩.
 ياقوت الحموى ٧، ٩، ٢٧، ٥٠، ٥١، ١٢١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٥٠.
 يبوس ٥٠، ١١٩، ١٢٢.
 يحيى بن زكريا ٤٠، ٤١، ٤٥، ٧٢
 يحيى الخشاب - الدكتور ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢٦.
 يربعام بن نباط ١٥٠.
 يعقوب بن اسحق ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٤٦، ٥٦، ٥٨، ١٤٣، ٢١١، ٢١٣، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٥٤،
 يعقوب المنصور - السلطان ٩٨.
 يهو آحاز - ١٦١.
 يهوذا ١٨، ٦٣، ١١٥، ١٢١، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٧، ٢٣٠.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٧٣
 يهورام - ملك يهوذا ١٥١، ١٦١.
 يهو شافاط ١٦٠.
 يهويقيم - ملك يهوذا ١٥٨، ١٦١.
 يهوياكين ١٩، ١٦١.
 يشوع ١١٥، ١٢٠، ١٢٥، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥،
 يوآب - القائد ١٢٥، ١٣٠،
 يوآش ١٥١، ١٦١.
 يوثام ١٦١.
 يوحنا ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤.
 يوسف بن ايوب - صلاح الدين ١٠٠
 يوسف الصديق ٢٥، ٢٧، ٣٣، ٣٤، ٣٥٢، ٥٦، ١٤٣، ٢٢٤، ٢٣٦، ٢٥٤
 يوسف بن تاشين ٩٧.
 يوسيفونس ١٣١، ١٦٨، ١٨٢
 يوشع بن نون ٥٨، ٧٤.
 يوشيا ١٦١.
 يونان ١٦٩، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٢.
 يونان بن يافث ٩.

يونس ٥٦، ٤٦، ٤٨، ٢٥٥.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٧٤

فهرست الموضوعات

الموضوع الصفحة

١- المامه موجزة بتاريخ فلسطين ٧

موقعها و حدودها ٧

اسم فلسطين ٨

سكان فلسطين و القدس القدماء ١١

الكنعانيون ١٥

العبرانيون ١٦

الآشوريون ١٨

الكلدانيون ١٩

عهد الفرس ٢٠

العهد اليوناني ٢٠

الحكم الروماني ٢٠

العهد المسيحي ٢٢

العهد الاسلامي ٢٣

٢- الارض المقدسة و سبب تقديسها ٢٤

ابراهيم الخليل ٢٩

لوط ٣١

اسحق و يعقوب ٣٢

يوسف الصديق ٣٣

موسى و هرون ٣٥

داود و سليمان ٣٨

زكريا و يحيى ٤٠

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٤، ص: ٢٧٥

الموضوع الصفحة عيسى بن مريم ٤٢

مريم العذراء ٤٤

٣- لمحة موجزة عن تاريخ القدس ٤٩

كيفية بناء القدس لأول مرة ٥٢

القدس في عهد اليبوسيين و الكنعانيين ٥٤

القدس في عهد العبرانيين ٥٧

- بناء بيت المقدس ٥٨
- القدس في عهد سليمان ٦١
- ٤- فضيلة القدس في الاسلام ٦٥
- الاسراء و العروج الى السماء ٧٥
- فتح الاسلام للقدس و العهد ٨٢
- فضائل القدس في الاسلام ٨٨
- ٥- حى المغاربة بالقدس ٩٧
- سفارة ابن منقذ الى المغرب ٩٨
- ٦- اورشليم فى اقدم عصورها ١١٨
- تسمية المدينة فى مختلف ادوارها ١٢١
- سكان القدس الاولون ١٢٤
- جغرافية المدينة و طبوغرافيتها ١٢٦
- اسوار القدس القديمة ١٣١
- تاريخ المدينة القديم و ادوارها فى الازمنة المختلفة ١٣٤
- ٧- القدس فى اشهر المصادر الاسلامية و العربية ٢٠١
- اسماء القدس فى لسان العرب لابن منظور ٢٠٤
- القدس فى رحلة ناصر خسرو ٢٠٨
- الارض المقدسة فى رحلة ابن جبير ٢٢٧
- الارض المقدسة فى معجم البلدان ٢٣١
- الارض المقدسة فى رحلة ابن بطوطة ٢٥١

الجزء الخامس

القدس فى المراجع الغربية

اشارة

كانت القدس و لا تزال قبله أنظار العالم أجمع. لأنها البقعة الوحيدة التى أجمع معتقوا الديانات الكبرى الثلاث فيها على تقديسها و بذل الغالى و الرخيص من أجلها. و من الصدف ان تأتى كتابتنا هذه عنها فى وقت حمى و طيس النزاع فيه بين الباطل اليهودى الغاشم، الذى اغتصب هذه البلاد الغالية، و حق العرب الصريح الذى انبرى ابناؤهم البررة لاسترجاعها بكل ما يملكون من جهد و مال أو أنفس و رجال. و من المؤسف حقا ان ينحاز الغرب المسيحى، فى هذا الصراع العنيف من أجل الحياة، بدافع من مصالحه، الى جانب اليهودية المتطرفة و الصهيونية فيساعدوها، و يمدوا بالعون المادى و المعنوى. ليتغلب باطلها على الحق الصراح فى أرض الأنبياء. و من الغريب كل الغرابة ان يتناسى الغرب المسيحى عداة اليهود للسيد المسيح و أتباعه فى كل عصر أو زمان، فيقف فى صفهم و يعادى الحنيفة السمحاء فى أرض البراق و الأسراء. و يخذل أبناءها فيعمل على هضم حقوقهم و تشريدهم فى الآفاق، و هى التى فتحت صدرها للأهل الكتاب و رعت ابناهم و طوائفهم فى أيام عزها و مجدها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٨

الاسم و الموقع

يقول الاستاذ غي لسترايغ، المستشرق الانكليزي المعروف، في كتابه (فلسطين في عهد المسلمين) ان القدس تعرف عند المسلمين باسم «البيت المقدس» أو «القدس» باختصار، و هو اسمها الاعتيادي الآن. غير ان الاسم العبري القديم «يروشاليم» كان يعرف جيدا لدى العرب في السابق لكنه لم يكن يستعمل. و يذكر ياقوت الحموي اسماء أخرى مثل «يورشالوم» - بتشديد اللام- و «يورشالوم» من دون تشديد، و «شلام»، باعتبارها أسماء مختلفة للمدينة المقدسة هذه في عهد اليهود الأقدمين.

كما يقول الاستاذ ف. بوهل فيما كتبه عن القدس في دائرة المعارف الاسلامية ان كلمة «القدس» هي الاسم العبري الاعتيادي في الأزمنة المتأخرة. و كان كتاب العرب القدامى يسمونها «بيت المقدس»، و يقصد بذلك في الحقيقة هيكل سليمان الذي يسمى في العبرية «بيت هامقديشا»، لكن الاسم شمل المدينة كلها بعد ذلك. و كذلك كان يسميها العرب «إيلياء»، و هذا الاسم قسم من الاسم الروماني الذي أطلق عليها بعد سنة ١٣٥ م، و هو «إيليا كابيتولينا». و قد عرفوا الاسم القديم «جيروسالم»، أيضا و حوروه الى «أورشالم». و يذكر المقدسي كذلك اسما آخر للقدس و هو «البلاط» المستخرج من كلمة Palatium، الذي ربما أريد به «المسكن الملكي».

اما دائرة المعارف البريطانية فتذكر في هذا الشأن أن أول دليل و تائقى عن وجود القدس يعود الى سنة ١٣٧٠ قبل الميلاد. فقد اكتشفت ألواح في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٩

تل العمارنة بمصر تسميها باسم «أوروسالم»، و من المحتمل ان يكون معناه «مدينة السلام» أو مقر إله من آلهة الساميين يدعى «سالم». و جاء في كتاب (فلسطين العرب) (لمؤلفته الانكليزية الفاضلة المستر ستوارت ايرسكين (الصفحة ٩-٢٤) قولها في هذا الشأن: و يعنى اسمها الذي بقى غير متبدل خلال ألفى سنة من النور و العتمة «دار السلام» أو «إرث السلام» كما يفهم من كلمة «يوروسالمو» الكنعانية و «ياروشلاييم» العبرية و «هيروسوليمه اليونانية. اما اسمها العبري فيدل على الحرمه و القدسيه.

و قد لاحظنا في دائرة المعارف اليهودية ما مفاده ان اسم القدس يذكر في العهد القديم، و على معظم العملة العبرية القديمة باسم «يروشلایم»، و بالآرامية «يروشلم»، و بالآشورية «يوروسالم» و «يوروسالمو». اما تركيب الكلمة و معناها فهناك عدة آراء فيهما، فانها تعنى على ما قيل «دار السلام» أو «دار سالم» أو «أساس السلم» أو «اساس شلم»، و شالم هو إله السلام. و بالنسبة لما يذكر في المدراس اليهودية انها تتألف من «شالم» و هو الاسم الذي كانت تسمى به مدينة سام (بن نوح)، و من «يرعه» أو «يرءه» و هو الاسم الذي أطلقه عليها ابراهيم عليه السلام. لكن التعريف العملي المعقول للاسم يأتي بمعنى «يوروشالم» اي مدينة الاله شالم. و قد يكون هذا هو الاله الآشوري شالمان او شولمان او الاله الفينيقي و المصري شارامانا.

هذا و تقع القدس على خط عرض بدرجة ٣١ و ٤٦ دقيقة و ٤٥ ثانية شمال، و بخط طول ١٥ درجة و ١٣ دقيقة و ٢٥ ثانية. و تقوم فوق الجناح الجنوبي لهضبة يتحدر اتجاهها الشرقي من ٢٤٦٠ قدما فوق سطح البحر شمالي موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٠ منطقة الهيكل الى ٢١٣٠ قدما في الطرف الجنوبي الشرقي. و يرتفع الجبل الشرقي الى ارتفاع ٢٥٠٠ قدم عن سطح البحر ثم ينحدر في اتجاه جنوبي شرقي من هضبة اليهودية.

و تحاط القدس من جميع جهاتها بأودية لا يكون القسم الشمالي منها واضحا كل الوضوح. و يبدأ الواديان الرئيسيان من شمال غربي المدينة الحالية (القديمة)، فيمتد الأول نحو الشرق بانحناء طفيف الى الجنوب (و هو وادي الجوز) ثم ينحرف الى الجنوب رأسا فيكون وادي «ستي مريم» الذي كان يسمى وادي كدرون، فيعزل المدينة عن جبل الزيتون. اما الثاني فيمتد رأسا الى الجنوب من

الجهة الغربية للمدينة، ثم يتجه شرقا في الطرف الجنوبي الشرقي.

و عند ذاك يتجه الى الشرق مباشرة فيتصل بالوادي الأول بالقرب من بئر أيوب. و يسمى هذا وادي الربابي، و كان يسمى قبلا وادي هنوم .

و هناك واد ثالث يبدأ من الشمال الغربي حيث يوجد باب دمشق، و يمتد في اتجاه جنوبي شرقي الى بركة سيلوم، و يشطر القسم الجنوبي الى شطرين.

و يوجد واد رابع كان يمتد من التل الغربي (بالقرب من باب يافا) الى منطقة الهيكل، و هو الذي يمثل شارع النبي داود حاليا. اما ما يذكره لسترانج عن موقع القدس و اهميتها و اسمها، علاوة على ما اقتبسناه قبل هذا منه، فهو قوله أن الامبراطور هديران الروماني حينما أخرج اليهود من القدس (١٣٠ م) سماها «إيليا كاييتولينا». و تحوم حول هذا الاسم أساطير كثيرة يذكرها ياقوت: فهو يقول استنادا الى رواية كعب انها سميت إيليا لأن هذا كان اسم امرأة كانت قد شيدت المدينة المقدسة من قبل. و يعنى هذا الاسم أيضا، على ما يقال، بيت الله. و هناك من يقول انها سميت كذلك باسم بانيها إيليا بن آرام بن سام بن نوح، و كان أخا لدمشق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١١

و حمص و أردن. و كانت تسمى في الشعر العربي احيانا «البلاط» و هى كلمة استعارها العرب في الأصل من الكلمة اللاتينية بالانيوم Palatium .

ثم يذكر لسترانج: ان القدس لم تكن من الناحية السياسية عاصمة «جند» فلسطين الاسلامية مطلقا، و انما كانت الرملة هى العاصمة. لكن المدينة المقدسة، و هى تحتوى على المسجد الأقصى و قبة الصخرة و سائر الأماكن المقدسة كانت تعتبر فى المرتبة الثانية فى القدس بعد مدينتى الحجاز المقدستين، مكة و المدينة، فى نظر المسلمين. و أنها سوف تكون المكان الذى يجتمع فيه البشر قاطبة يوم الحشر. و قد كتب عنها الاصطخرى و ابن حوقل يقولان (القرن العاشر) إنها مدينة توكر عاليا فوق التلال، و يمكن للمسافر ان يصل اليها من جميع الجهات، و ليس فيها ماء جار سوى الماء الذى يستخرج من العيون و يستعمل لسقى الحقول، و مع هذا فهى من أخصب بقاع فلسطين.

و قد كتب هذه الكتابة فى أيام ازدهار الرملة و عزتها، حين كانت عاصمة الصقع الجنوبي السورى بينما كانت دمشق عاصمة الصقع الشمالى.

و يشير لسترانج ايضا الى ان المقدسى يذكر كذلك، و هو من أبناء بيت المقدس، ان المنطقة المقدسة تقع فى ضمن نصف قطر طوله أربعون ميلا من القدس و تدخل فيه قرى كثيرة، ثم تمتد على طول اثنى عشر ميلا من ساحل البحر الميت الى صفار و مؤاب، و الى خمسة أميال بعد ذلك فى البادية. اما من الشمال فتمتد الى حدود نابلس. و هذه بلاد تنبت فى مرتفعاتها الأشجار، و تمتد فى سهولها الحقول التى لا تسقيها الأنهار. و يصح فيها قول الرجلين اللذين جاءا الى موسى بن عمران و أخبراه بأنهما رأيا بلادا يسيل فيها اللبن و العسل ..

و يقول المقدسى بعد ذلك انه شاهد بنفسه يوما ما فى القدس ان الجبن كان يباع بسدس الدرهم للرطل الواحد، و السكر بدرهم للرطل الواحد. و بهذا المبلغ كان بوسع المرء ان يحصل يومذاك على رطل و نصف من زيت الزيتون و أربعة أرطال من الزبيب.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٢

و بعد ان يحول لسترانج هذه الأسعار الى العملة و المقاييس الانكليزية ليبرهن على الرخاء الذى يفصله المقدسى يقول ان الحصب الطبيعى العظيم فى منطقة القدس يشير اليه الكتاب العرب على الدوام. و يعزى ذلك الى لطافة المناخ و ملائمة الأحوال الجوية، ثم يستشهد بقول المقدسى عن رطوبة جوها الذى يذكر انه عندما تهب الريح الجنوبية فى فلسطين خلال الصيف يتراكم الندى فوق شبابيك المسجد الأقصى و يسيل منها. و تأييدا لهذا يورد لسترانج فى حاشية له (الص ٨٧) ما يقوله غايكى فى كتابه (الأرض

المقدسة و الأنجيل) عنها. إذ يقول غايكى ان السماء الصباحية فى فلسطين تسبب انتشار حرارة النهار فى الفضاء بسرعة، فيؤدى ذلك الى ان تكون الليالى باردة و النهارات بعكسها. و بسبب برودة الهواء فى هذه الليالى تسقى النباتات سقيا طبيعيا. فالرطوبة التى يحملها الهواء تمتصها الأرض التى يلامسها ذلك الهواء.

و يحيلها الهواء البارد الى قطرات من الماء تتناثر بشكل مطر ضبابى مستحب فوق النباتات العطشى.

و يقول بعد هذا ان موقع القدس و هى تقع فوق جناح ممتد من الجبل.

و تحيط بها وديان عميقة من ثلاث جهات، كان على ما يظهر قد لفت أنظار الحجاج القادمين اليها من الشرق و الغرب، لا سيما و ان العرب كانوا متعودين على إنشاء مدنهم الكبيرة فى الوديان، او السهول للاستفادة من مياه الأنهر و الحداويل. و هنا يورد لستراىج وصف الرحالة المسلم ناصر خسرو للقدس حينما وصلها فى ٥ مارت ١٠٤٧ م بالطريق الشمالية. فهو يقول: و بعد أن تابعنا السير فى طريقنا الصاعد على بعد قليل من قرية انفتح أمامنا سهل عظيم كان قسم منه حجريا و قسم ذا تربة جيدة. و هنا امتدت أمامنا بيت

المقدس كما لو كانت موكرة فوق قمة الجبل. و يسمى أهالى سوريه و ما جاورها من موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٣

البلاد المدينة المقدسة هذه باسم «القدس»، و هم اذا لم يكن فى استطاعتهم الحج الى مكة يذهبون فى الموسم المعين الى القدس فيؤدون فيها الشعائر و ينحرون الأضاحى يوم العيد كما يفعل الحجاج فى مكة. و هناك سنين يبلغ عدد القادمين اليها عشرين ألفا خلال الأيام الأولى من ذى الحجة. و يأتى النصارى و اليهود كذلك من جميع بلاد اليونان و غيرها بأعداد كبيرة لزيارة كنيسة القيامة و الكنيس اليهودى الكبير فيها.

و يقول ناصر خسرو كذلك- فيما ينقله لستراىج عنه- ان الأراضى و القرى المحيطة بالمدينة المقدسة تقع فى سفوح التلال الكبيرة، و تحث الأرض فيزرع فيها القمح و الزيتون و التين، و هناك أنواع عديدة من الأشجار أيضا.

و مع عدم وجود مياه للارواء فان الحاصلات تكون وافرة جدا فيها و الأسعار معتدلة. فان كثيرا من الناس يستخرجون ما يقرب من خمسين ألف من (٨٠٠، ١٦ غالون) من زيت الزيتون فى السنة. و هذا يحفظ فى أحواض و صهاريج و يصدر منه مقدار غير يسير الى الخارج بعد ذلك. و المقول أن الجذب و المحل لم تعرفهما سوريه- و من ضمنها فلسطين- فى سنة من السنين قط.

و تقع القدس فوق الجبل .. و تحاط بأسوار من الحجر لها أبواب حديد.

و ليس هناك من حولها أشجار لأنها مبنية على الصخر. و القدس مدينة عظيمة جدا، و كان عدد سكانها حينما زرتها حوالى عشرين ألف نسمة، و فيها أسواق عالية مبنية بناء حسنا. و جميع شوارعها مبلطة بقطع من الحجر، و أينما وجد تلّ أو مرتفع فيها يقطع و يسوى، و حالما يقع المطر يغسل البلد كله. و هناك فى المدينة عدد كبير من (الفنانين) و أصحاب الصنعة و لكل حزله من الحرف سوق خاصة بها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٤

القدس فى دائرة المعارف الاسلامية

بعد ان يذكر الاستاذ بوهل، كاتب الخلاصة عن القدس فى هذه المعلمة، ما اقتبسناه قبل هذا عن اسم القدس و يقول ان هذه المدينة المقدسة و لو كانت تقوم فى خارج نطاق المصالح التى كان يعنى بها النبى محمد عليه السلام فقد أصبحت ذات أهمية خاصة له حينما أخذ يتجه نحوها فى صلواته، على غرار ما كان يفعله اليهود (كذا). أضف الى ذلك أنها كانت، بالنسبة لما يذكره القرآن عن المسجد الأقصى. هدف إسرائته المعروف. و كان المقصود بهذا فى ذلك الوقت الذى لم يكن قد بنى المسجد الأقصى فيه بعد موقع هيكل سليمان القديم. على ان صحة هذا القول غير أكيدة، فى رأى الأستاذ بوهل، لأن عددا من الكتاب يؤيد رأى الأستاذ هورويتر بان المقصود فى القرآن (أو ما كان يقصده النبى عليه السلام على حد تعبير بوهل) هو مكان ما فى السماء كما يفهم من سورة

الاسراء. لكن الرأي التقليدي الذي لا بد من أن يكون قد نشأ في وقت مبكر يرجح كفة بيت المقدس و أهميتها في هذا الشأن. لأن هذا الرأي هو الذي بنى عليه اعتبار المزار الاسلامي المقدس في القدس من الأماكن المقدسة الثلاثة التي يصلى فيها مسلمو العالم. ثم يضيف الكاتب الى ذلك قوله: و الحقيقة أنه يفضل على الحرمين المقدسين الآخرين في بعض الأحيان (أى مكة و المدينة)، و لا نظنه مصيبا في ذلك.

و هناك روايتان مختلفتان عن استيلاء العرب على بيت المقدس. إذ تنص الرواية الغالبة على ان القائد العربي أبا عبيدة طلب الى الخليفة عمر في سنة ١٧ للهجرة (٦٣٨ م) ان يشد الرحال الى قصره في الجابية، لأن سكان بيت المقدس اشترطوا في تسليمهم ان يعقد اتفاقية التسليم الخليفة عمر بنفسه. اما الرواية الأخرى التي يؤيدها المستشرق الهولاندي دي غرييه في كتابه عن فتح سورية فترجح ان الخليفة جاء الى الجابية من تلقاء نفسه لتنظيم شؤون المناطق المستولى عليها، و من هناك بعث بخالد بن ثابت الى القدس ليحاصرها.

و الرواية الأخرى التي يؤيدها المستشرق الهولاندي دي غرييه في كتابه عن موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٥ فتح سورية فترجح ان الخليفة جاء الى الجابية من تلقاء نفسه لتنظيم شؤون المناطق المستولى عليها. و من هناك بعث بخالد بن ثابت الى القدس ليحاصرها ثم صادق عمر على الشروط التي وضعها خالد للاستسلام من بعد ذلك. و كانت هذه الشروط التي وصلت الينا بمختلف الصور و الاشكال معتدلة جد الاعتدال فقد منح سكانها المسيحيون الأمان على أرواحهم و ممتلكاتهم و كنائسهم و صلبانهم بينما طلب اليهم ان لا تستعمل كنائسهم للسكن. و ان لا تهدم أو يقلل من حجمها و اتساعها. و ان يحتفظوا بحريتهم الدينية. و كان عليهم في مقابل ذلك ان يدفعوا الجزية. و يساعدوا المسلمين في رد الجيوش البيزنطية و سائر الغزاة.

اما تاريخ فتح بيت المقدس فهناك اختلاف بين المؤرخين فيه، و منهم الطبري مثلا الذي يحدده بربيع الثاني من سنة ١٦ للهجرة. و هناك تفاصيل أخرى يوردها مختلف المؤرخين النصارى و المسلمين عن سلوك العرب في أثناء الاستيلاء على بيت المقدس. إذ يذكر ثيوفانس الذي كتب كتابه في نهاية القرن الثامن للميلاد ان الخليفة حينما عقد الاتفاقية المطلوبة، التي كانت في صالح المسلمين الى آخر حد ممكن، دخل المدينة المقدسة و هو يلبس اسمالا متسخة- دلالة على رياءه الشيطاني- على حد قوله و طلب ان يؤخذ الى موقع الهيكل الذي جعل منه بعد ذلك محلا للعبادة الوثنية (كذا).

و لا شك أن تعصب هذا المؤرخ ضد المسلمين و تأثيره من طردهم لقومه البيزنطيين هو الذي جعله يكتب بهذه اللهجة بعد أن اعترف بالمعاملة الحسنة التي عومل بها مسيحيو بيت المقدس. و قد كتب عن ذلك في القرن العاشر الميلادي بلهجة أحسن من هذه المؤرخ المسيحي المصري يوتيكس فقال بتفصيل أوفى نوعا ما أن الخليفة عمر رفض ان يصلى في رواق كنيسة القيامة بل صلى عوضا عن ذلك على سلم مدخلها ليحول دون مطالبه المسلمين بالكنيسة بعد ذلك و قلبها إلى جامع لهم و انه اعطى البطريرك صفرونيوس وثيقة تؤيد ذلك و بطلب منه دلل صفرونيوس بعد هذا على الصخرة التي كانت مغطاة موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٦

بانقاض من الزبل و الاقدار، و حذا حذوه المسلمون، و سرعان ما بان الصخرة لهم، و أمر في الوقت نفسه بأن يشيد المسجد بحيث تكون الصخرة في ظهر المسلمين و ليس قدامهم. و من الواضح أن هذه القصة أريد بها تأكيد حقوق النصارى في كنائسهم بأمر من الخليفة الأعظم. لكن المؤرخين المسلمين تخلو كتاباتهم من مثل هذا الاتجاه بطبيعة الحال- حيث أنهم يظهرون المسيحيين في غير هذا الوضع. فهم يذكرون ان القس و ليس البطريرك حاول بادىء ذي بدء ان يغش الخليفة عمر حينما طلب ان يؤخذ الى هيكل داود. بأخذه الى كنيسة القيامة و كنيسة صهيون. لكن الخليفة فطن الى ذلك. لأن النبي عليه السلام كان قد وصف له المكان كما شاهده في ليلة المعراج. و أخيرا أخذ الى موقع الهيكل فعرف أنه المكان الحقيقي. و يذكر الطبري قصة أخرى في هذا الشأن.

و بعد هذا يقول الدكتور بوهل كاتب البحث اننا اذا حللنا هذه الروايات بأمعان نجد أنها كلها تجمع على ان عمر طلب تشييد مكان للعبادة في بقعة الهيكل المهجورة. و أننا متأكدون تاريخيا من هذا لأن المطران اركولفوس يذكر في كتابه الذي كتبه حوالي سنة ٦٧٠ م ان المسجد كان بسيطا جدا في بنائه. لكنه كان يستوعب ثلاثة آلاف من المصلين. و الحقيقة ان ما حدث كان حلا عمليا جدا

للمشكلة، فقد وضع الخليفة اليد على موقع كان يعتبر مقدسا منذ مدة طويلة من الزمن، من دون أن يصطدم بالامتيازات التي منحت للنصارى لأنهم لم يشيدوا أية كنيسة على موقع الهيكل. و من الواضح بالاضافة الى ذلك ان ما يرويه لنا يوتيكوس حول صلاة عمر على سلم رواق كنيسة القيامة يعتبر قصة موضوعه لا سند تاريخيا لها، وقد أريد بوضعها رد تعديتات المسلمين عليها. لكن هذا التحيز في القصة يظهر بوضوح من قصة أخرى يرويها يوتيكوس، مفادها أن المسلمين في أيامه (النصف الأول من القرن الميلادي العاشر) تجاوزوا تعليمات عمر و استولوا على نصف الساحة الأمامية موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٧

لنصارى لأنهم لم يشيدوا أية كنيسة على موقع الهيكل. و من الواضح بالاضافة الى ذلك ان ما يرويه لنا يوتيكوس حول صلاة عمر على سلم رواق كنيسة القيامة يعتبر قصة موضوعه لا سند تاريخيا لها، وقد أريد بوضعها رد تعديتات المسلمين عليها. لكن هذا التحيز في القصة يظهر بوضوح من قصة أخرى يرويها يوتيكوس، مفادها أن المسلمين في أيامه (النصف الأول من القرن الميلادي العاشر) تجاوزوا تعليمات عمر و استولوا على نصف الساحة الأمامية بقرب السلم الذي صلى عليه الخليفة و بنوا فيه مسجدا سموه «مسجد عمر» لأن عمر كان قد صلى في موقعه. و يعتقد شمالزان. شيئا من بقايا أعمدة المسجد المذكور يمكن أن تلاحظ الآن.

و في عهد الأمويين، أدت الأحوال السياسية الى ارتفاع شأن بيت المقدس و أهميتها. فانهم لم يكونوا كثيرى الاهتمام بتعاليم النبي محمد و ميوله، و لذلك لم يكن من الصعب عليهم ان يتركوا مدن الجزيرة العربية المقدسة حينما يكون من الصعب عليهم الوصول اليها لسبب من الأسباب. و كانت القدس على الأخص، بالنسبة لقدسيتها التي اعترف بها النبي و بعض الآيات القرآنية، يمكن ان تحل في محل تلك الأماكن المقدسة بطريقة ما، لا سيما و ان الوصول اليها من دمشق كان أسهل من الوصول الى مكة و المدينة.

و مما يدل على التقدير الذي حظيت به القدس ما فعله معاوية حينما دبر أمر بيعته للخلافة فيها. فيذكر مرجع سرياني نشره المستشرق نولدكه ان كثيرا من العرب اجتمعوا في تموز ٧١ (صفر - ربيع ٤٠) في بيت المقدس لتنصيبه ملكا، و أنه نزل الى الضريح المقدس فصلى فيه، ثم ذهب الى قبر مريم و صلى حوله كذلك. و تذكر المراجع العربية انه ببيع في بيت المقدس سنة ٤٠.

و لا بد من أن يكون هذا قد حصل على أثر مقتل الامام علي في السابع عشر من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٨

رمضان. و خطا عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ، ٦٨٥-٧٠٥) خطوة أخرى في هذا الاتجاه. فحينما استولى عبد الله بن الزبير على مكة خاف عبد الملك من أن يجبر السوريون الذين يقصدون مكة لحج بيت الله الحرام فيها على الالتحاق به. او يتم اقناعهم بذلك. و لهذا منعهم من الذهاب الى الحج، و حينما احتجوا عليه و ذكروه بأوامر الرسول في هذا الشأن أمرهم بالحج الى بيت المقدس و الصخرة المقدسة فيها، و اشار لهم الى حديث أورده الزهري اعتبر النبي بيت المقدس فيه في سوية مكة و المدينة، بكونها محجا لا يقل عن مكة و المدينة في أهميته. و للتعبير عن هذا التقدير لبيت المقدس في الزينة و البهاء أمر الخليفة الأموي بأن تبنى قبة خاصة فوق الصخرة التي وضع النبي قدمه الشريفة عليها حينما عرج الى السماء، فبنيت قبة الصخرة. و تنسجم فكرة تعمد عبد الملك، في جعل قبة الصخرة تفوق قبة كنيسة القيامة في جمالها و فخامتها، مع هذا الاتجاه. و هناك مؤرخون يجعلون الوليد بن عبد الملك باني قبة الصخرة و ليس والده. لكن هذه الرواية تناقض الكتابة الموجودة التي حذف منها اسم عبد الملك و وضع في محله اسم الخليفة العباسي المأمون. حيث أن التحريف بقى غير متقن بحيث ما زالت الألوان و الأسماء تدل على الحقيقة و يقول المؤرخون المتأخرون كذلك (ابن تغرى بردى و العليمى و الخ) ان عبد الملك بنى أيضا المسجد الأقصى الذي استمد اسمه من الآية القرآنية المعروفة

و في خلال القرون التي أعقبت ذلك يعتبر تاريخ بيت المقدس شبيها بتاريخ سائر المدن السورية بعد أن تضاءلت أهميتها من الناحية الدينية الاسلامية، و أصبحت في المؤخرة. فبعد زوال الحكم الأموي أصبحت تابعة للعباسيين، ثم الى الطولونيين. و الى الفاطميين بعد سنة ٩٧٤ م. و في سنة ١٠٠٩ هدمت كنيسة القيامة بأمر من الحاكم بأمر الله، لكن الامبراطور البيزنطى أعاد بناءها بموجب المعاهدة التي عقدت بعد سنة ١٠٣٨. ثم خسرها الفاطميون باستيلاء السلجوقيين عليها في ١٠٧٠. و قد ذبح سكانها على أثر ثورة نشبت فيها سنة

١٠٧٦، و بعد ان استردها الخليفة الفاطمي المستعلى في ١٠٩٦ استولى عليها الصليبيون في ٢٥ تموز ١٠٩٩ و وضعوا السيف في سكانها. و قد عمد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٩

الصليبيون هؤلاء الى قلب الجوامع الى كنائس.

و بعد ان استردها صلاح الدين في ١١٨٧ أضاعت القدس صبغتها المسيحية و أزيلت معالم الاحتلال النصراني لها. و قد عنى صلاح الدين عناية خاصة في إعادة المسجد الأقصى الى رونقه و بهائه الاسلاميين. على ان كثيرا من النصارى سمح لهم بالبقاء فيها. و في الفترة المنحصرة بين ١٩٢٩ و ١٢٤٤ امتلك المسيحيون القدس من جديد- عدا اماكن المسلمين المقدسة في الحرم- على اثر الاتفاقية التي عقدها الامبراطور فردريك الثاني مع الملك الكامل الأيوبي.

و في ١٢٤٤ وقعت بيت المقدس ثانية في أيدي الأيوبيين. و سرعان ما أصبحت هي و جميع سورية و فلسطين جزءا من ممتلكات المماليك.

داخل قبة الصخرة و قد تم انشاؤها سنة ٦٩١ م فوق جبل (المريا) الذي يعتقد انه نفس الموضع الذي قام ابراهيم بذبح ابنه اسحاق قربانا على رواية التوراة و بعض المؤرخين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٠

و بعد ١٥١٦ صارت القدس تابعة الى الامبراطورية العثمانية. و لم يعد تاريخها حافلا بالحوادث المهمة. على ان فترة التاريخ العثماني جميعها يتخللها من الحوادث المهمة فقط احتلال المصريين لها في ١٨٣١-١٨٤٠ في أيام محمد علي. و في القرن التاسع عشر أصبح النفوذ المسيحي يتزايد فيها بالتدريج.

و بعد ان نشبت حرب القرم التي تحالفت فيها الدولة العثمانية مع الدول الأوربية المعظمة ضد روسية رفع الحظر الذي كان مفروضا على غير المسلمين في زيارة منطقة الهيكل. و منذ سنة ١٨٨١ كان هناك شيء غير يسير من هجرة اليهود اليها.

و بنتيجة ما وقع في الحرب العامة الأولى أصبحت القدس عاصمة فلسطين الخاضعة الى الانتداب البريطاني. و في النزاع الذي أعقب ذلك بين العرب و الهجرة اليهودية خلال مدة الانتداب على فلسطين و بعدها أدى الشعور القومي المتصاعد الى تمتمين الأواصر التقليدية التي تربط المسلمين بالقدس و أماكنها المقدسة. و حتى بعد ان تكونت اسرائيل في ١٩٤٨ بقي وضع القدس النهائي غير مقرر.

و نقول تعليقا على ما جاء في هذه الخلاصة من ان معاوية بويع في القدس ملكا على بلاد الشام بعد مقتل الامام علي عليه السلام بأن المستشرق الألماني يوليوس فلها وزن يذكر في كتابه (تاريخ الدولة العربية) ان مهادنة جرت في سنة ٤٠ هـ بين علي و معاوية .. و يروى انهما اتفقا فأقام معاوية في الشام بجنوده يجيها و ما حولها. و على بالعراق يجيها و يقسمها بين جنوده.

و لا يمكن ان تكون هذه المهادنة الا قصيرة الأمد، لأن معاوية اتخذ لنفسه في أول سنة ٤٠ هـ لقب الخلافة في بيت المقدس عام ٤٠ هـ. و هو يذكر في هذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢١

الحادث روايتين مستقلتين، فيقول: و في عام ٦٧١ اجتمع كثير من العرب في بيت المقدس و نصبوا معاوية ملكا، فصعد معاوية الى جبل الجلجلة **Golgata** و صلى هناك ثم صعد الى جيتسماني، ثم هبط الى قبر السيدة مريم و صلى ..

و في شهر تموز ٦٧١ اجتمع الأمراء و كثير من العرب و بايعوا معاوية، و صدر الأمر بان ينادى به ملكا في جميع أنحاء بلاده، و لكنه لم يحمل تاجا كما يحمله سائر ملوك العالم. على أنه أقام عرشه في دمشق و لم يرد ان يذهب الى مقر النبي (المدينة). و يقول المسروقي أيضا ان أهل الشام بايعوا معاوية بالخلافة في ايلياء سنة ٤٠ هـ، و لكن من الخطأ القول بأن ذلك لم يحدث الا بعد وفاة

الأمام على .. ثم يعيد فلها وزن ذكر الخبر نفسه في مناسبة أخرى يتطرق فيها الى ان «معاوية لم يكن في قلبه تعلق عميق بالاسلام» و أنه كان يتخذ الثأر لمقتل عثمان هو الأساس الذي بنى عليه حقه في وراثته الخلافة. و لذلك اتحد مع عمرو بن العاص الذي ألب على عثمان أخبث تأليب (الص ١٢٨ و ١٢٩ من الترجمة العربية).

القدس في دائرة المعارف البريطانية

إشارة

ان خلاصة دائرة المعارف هذه، التي اشرفنا اليها قبل هذا، فيها تفصيل أوفى عن القدس. و تبدأ بقولها ان القدس هي المدينة المقدسة رقم واحد لليهودية و النصرانية، و حرم الاسلام الرئيس بعد مكة و المدينة. و قد كانت مركزا للورع الدينى فى العالم و قبلة له خلال حقبة غير متقطعة تمتد الى ما قبل ثلاثة آلاف سنة. ثم قسمت فى ١٩٤٨ ما بين الأردن و «اسرائيل» فاصبح القسم الاسرائيلى منها عاصمة لاسرائيل.

و تقع القدس فى جبال اليهودية على ارتفاع يبلغ معدله ٢٥٠٠ قدم فوق سطح البحر الأبيض المتوسط من الغرب، و ٣٨٠٠ قدم فوق سطح البحر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٢

الميت من الشرق. و تعزى أهمية موقعها أولا- الى مناعتها الطبيعية، لأنها محمية من الهجمات بوديان عميقة، مثل وادى ستى مريم (كدرون) من الشرق و وادى الربانى (هنوم) من الغرب، اللذين يلتقيان فى طرفها الجنوبى تاركين الجهة الشمالية فقط معرضة للأخطار. و ثانيا الى وجود منبع ماء دائم فى جناحها الشرقى، و هذه ميزة نادرة فى فلسطين. و ثالثا لسيطرتها على الممر الذاهب من الشرق الى الغرب فى شمال البحر الميت مباشرة. و قد كان تاريخها يتميز بظاهرتين: فانها كانت ابدا و دوما موطننا للتوحيد و مأوى له، لكن مصائرهما المادية كانت تعتمد من دون تغيير على خصومات الدول و الحكومات الخارجية.

قدس العهد القديم- ان أول بنية و تائقيه عن وجود القدس يعود تاريخها الى سنة ١٣٧٠ قبل الميلاد، فقد اكتشفت ألواح فى تل العمارنة بمصر يطلب فيها حاكم القدس يومذاك المساعدة من الفرعون أخناتون لأن البلاد أخذت تتعرض للاكتساح. و تسمى المدينة «أوروسالم»، و ربما كان يعنى ذلك «مدينة السلام»، أو مقر إله من آلهة الساميين يدعى «سالم». و قد أظهرت فى سنة ١٩٦١ الحفريات التى أجرتها «مدرسة الآثار القديمة البريطانية» فى القدس ان بلدة «مسورة» كانت توجد فوق قسم من موقعها الحالى خلال العصر البرونزى الثانى، أى فى سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد على وجه الاحتمال. و لذلك يتضح ان القدس كانت قبل أن يأتى اليها العبريون مدينة كنعانية ذات أهمية. و كانت تقع المدينة الأصلية فوق المنبع مباشرة و الى الغرب منه، على لسان ممتد من الأرض يسمى أوفيل فى جنوب الهيكل، يحيط بها واديا «كدرون» و «تيرويون». و قد برهنت الحفريات على ان البلدة كانت أوسع بكثير مما كان يعرف فى السابق، بحيث أنها كانت تمتد بعيدا الى أسفل المنحدر الشرقى، و ان الممر القديم الذى كان يؤدى الى المنبع كان فى داخل أسوارها.

و قد احتل داود القدس فى السنة السابعة من حكمه، أى فى سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد. إذ دخلها رجاله بقيادة أيوب بعد ان تسلقوا عمود البئر. و أدى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٣

هكذا كان يهود القدس فى القرون السالفة يتسكعون فى طرق المدينة و ازقتها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٤

شراء داود لساحة الدياسة التي كانت تشغل قمة التل الصخرى الكائن في شمال عاصمته الجديدة الى تقرير مستقبل القدس في جميع الأزمان، لأن خلفه سليمان شيد أول هيكل فيها لليهود. و لم تعرف الدولة الجديدة السلم و الاستقرار ففى حوالى ٩٢٦ قبل الميلاد انسحبت القبائل (الاسباط) الشمالية و تخلت عنه، و فى ٩٢٢ غزا المدينة من مصر شيشق و نهبا، ثم أعقبه الفلسطينيون و العرب فى ٨٥٠، و من بعدهم جوش الاسرائيلى فى ٧٨٦. و لم يكن حصار سنحاريب لها فى سنة ٧٠١ حصارا ناجحا. لأن انشاء نفق سيلوم حال دون وصول قواته الى المنبع. و مع هذا فقد اضطر حزقيال الى ان يدفع جزيه باهظه. ثم دخلت اليها عباده الأوثان بتأثير الآشوريين فتقدم شأنها لكن جرميا و حزقيال شجباها و قاوماها. و فى ٥٩٧ نهبت القدس و سفر ملكها الى بابل.

ثم دمرت المدينة و الهيكل تدميرا كاملا فى ٥٨٨ و بدأ عهد السبي. و بعد ان حل كورش فى ٥٣٧ فى محل الدولة البابلية حصلت عودة ما بعد السبي. فأعيد بناء الأسوار حول المدينة بالنشاط الذى ابداه نحميا، كما أعيد تشييد الهيكل و كرس لخدمة الله باحتفال خاص فى عهد زير و بابل. لكنه لم يكن مشمولا بالعطف الروحى بالنسبة لما كان عليه الهيكل الأول، و مع هذا فقد ظل قائما مدة أطول من المدة التى بقى فيه الهيكل المقام قبله و بعده.

فى العهد اليونانى الرومانى- و لا يعرف الا القليل عن تطور المدينة و أحوالها خلال القرنين اللذين أعقبا ذلك العهد، لكن مجيء الاسكندر الكبير الى المشرق و انتصاره فى موقعه أسوس سنة ٣٣٣ تأثرت به القدس تأثرا بالغا. فقد أصبحت منذ ذلك الحين مدينة شرقية خاضعة لتأثيرات شرقية. و قدر لها فى هذا العهد ان ترتبط خلال ألف سنة تقريبا، أى الى أن جاءها العرب و الاسلام بعجلة التأثيرات السياسية الغربية. و قد تكرر هذا الارتباط فى القرنين التاسع عشر و العشرين. فقد دخلها بطليموس الأول من مصر، و فى سنة ١٩٨ استحوذت عليها الأسرة السلوقية الشمالية المالكة. فأزعج الأورثودوكس نمو التأثير الاغريقى- اى التأثير الوثنى الملحد- إزعاجا متزايدا و أعربت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٥

خصومتهم عن نفسها بثورة علنية قامت فى سنة ١٦٨ حينما عمد أنطونيوس أيفانوس الرابع الى انتهاك حرمة الهيكل بتقصده. و كان يقود الثورة رجل متعبد من أهل الريف يدعى ماتاثياس الحسمونى، و مضى فيها ابنه يهودا مكابى . و قد تمكن الحسماونيون من تأسيس دولة يحكمها ملوك أساقفة، كانت بحجم مملكة سليمان تقريبا و صارت تضم منطقة الجليل. و بذلك ضمنوا أن ينشأ فيها المولدون لأبوين من الجليل، بما فيهم يسوع الناصرى، فى مجتمع يهودى.

و كان سعد روما فى صعود يومذاك، و كان الامبراطور بومبى قد استولى فى سنة ٦٣ قبل الميلاد على القدس و روع اليهود بالدخول الى قدس الأقداس- و هو فأل غير حسن بالنسبة لاتصال روما باليهودية. و قد تأجل الاصطدام الذى لا مناص منه بين روما و القومية اليهودية مدة من الزمن بالدهاء الذى كانت تبديه أسرة شهيرة كان لها نفوذ واسع فى البلاد، و كان من أنشط أفرادها هيرود الكبير. و هيرود هذا من أصل عربى أيدومى، لكنه كان يدين بالديانة اليهودية، فقد كان أبوه انتى باثر عربيا أيدوميا تزوج من امرأة عربية نبيلة من أهالى بطرا. فوجد هو و أبوه بثاقب رأيهما ان حمل لواء المعارضة لروما يعتبر عديم الفائدة، و ان التعاون مع السلطة الجديدة هذه سيعود بالفائدة. و فى سنة ٤٠ قبل الميلاد، أى قبل موت والده بسنين ثلاث، عين مجلس السنيت الرومانى هيرودا ملكا على اليهودية. بعد ان كان حاكما فى منطقة الجليل. و بمساعدة من الجيش الرومانى دحر آخر الحسمونيين فحكم اليهودية، و هو صديق انطونى أولا و أوغسطس من بعده، لمدة ست و ثلاثين سنة أعاد خلالها بناء معظم أقسام بيت المقدس. فأشاد أولا حصن أنطونيا فى الزاوية الشمالية الشرقية من منطقة الهيكل، التى هى الآن الحرم الشريف، و وسعها الى سعتها الحالية البالغة ٣٥ أيكرا. و أخيرا أشاد قصر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٦

كبير ما تزال بقاياها موجودة فى القلعة الحالية. و قد ربط هذا بحصن انطونيا بواسطة السور الثانى. و أعقب هيرود ابنه غير المرضى عنه هيرود أركيلوس.

و في سنة ٦ بعد الميلاد أصبحت اليهودية أقلية من الدرجة الثالثة يحكمه وكيل من الوكلاء. و في عهد خامس الوكلاء هؤلاء، أى بونتيوس بيليت (٢٦-٣٦)، صلب يسوع الناصري.

و في خلال سنة ٤١ الى ٤٤ ميلادية أعيد تشييد المملكة الهيرودية لصالح هيرود أغريبا الأول حفيد هيرود العظيم. فشيّد أغريبا في القدس سورها الشمالى الجديد، المسمى بالسور الثالث، ليضم في داخله الرىض الجديد الذى جاءت به الى الوجود مقتضيات الأمن الرومانى. و قد كانت آثار هذا السور موضوع الكثير من الاختلاف، لكن المشكله يمكن اعتبارها منتهيه الآن لأن الحفريات الأخيرة التى اضطلع بها الآباء الدومينيكان تدل على انه كان يشغل مكان السور الشمالى الحالى. و كان السور الثالث يضم في داخله المكان الذى صلب فيه السيد المسيح و بقره قبر يعقوب اريمانا الذى تقول الروايات انه كان قد دفن على مقربة من إحدى أبواب السور الثانى. و تدل الحفريات التى أجريت فى ١٩٦١ على أن أغريبا كان قد وسع المنطقه التى يحيط بها السور من الناحية الجنوبيه أيضا. و فى سنة ٦٦ للميلاد ثار اليهود على روما فسحقت الثورة فى سنة سبعين، و تضمن السحق حصار بيت المقدس و تدميرها مع حرق الهيكل. و أصبحت يبابا بلقعا ليس فيها شىء سوى معسكر الحامية. و ما حلت سنة ١٣٠ حتى كان قسم منها قد سكنه بعض السكان من جديد، لكن الامبراطور هديران، الذى كان مولعا بالتعمير مثل هيرود، قرر ان يشيد على الموقع القديم مدينة جديدة قدر لها ان تكون بعد ذلك مستعمرة رومانية. فثار اليهود من جديد بقيادة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٧

اركو كبا و سحقوا ثانية أيضا (١٣٢-١٣٥) و لم يعد لبيت المقدس وجود مطلقا حتى الاسم، فنشأت فى مكانها إيليا كابتولينا. و قد غير العمران الجديد الذى تشير اليه خارطة مادبا الفيسفائية المشهورة (فى شرق الأردن) اتجاه الشارع الرئيسى فى القدس، الذى كان ممتدا ما بين الهيكل و القلعة- اى ما بين الشرق و الغرب- الى الاتجاه الذى بقى حتى الآن اى من الشمال الى الجنوب. إذ ما يزال الشارع الرئيسى فى «مستعمرة هديران» هو شارع القدس الرئيس الآن، الذى يمتد من باب دمشق أو باب العمود كما كان يطلق عليها من قبل تخليدا للعمود التذكارى الذى أقامه هديران بقرب هذا الباب من الداخل، على ما يظهر من خارطة مادبا. و قد تركت منطقة الهيكل فى خارج البلدة الجديدة، و أقيم تماثلان لهديران و جوث فوق التل. ثم انتهكت حرمة موقع الضريح المقدس باقامه معبد للالهة فينوس حامية رومانية. و أخرج اليهود و النصارى و اليهود فى الأصل من إيلياء، لكن كنيسة مسيحية عائدة للنصارى غير اليهود فى الأصل ظلت قائمة فيها. و كان أساقفتها يحملون أسماء أغريقية، كما كانت طقوسها الدينيه تتم باللغة اليونانية. و فى سنة ٢١٢ أنشأ الأسقف اليكساندر مكتبة خاصة، و كان قد قدم فى الأصل مسيحية عائدة للنصارى غير اليهود فى الأصل ظلت قائمة فيها. و كان أساقفتها يحملون أسماء أغريقية، كما كانت طقوسها الدينيه تتم باللغة اليونانية. و فى سنة ٢١٢ أنشأ الأسقف اليكساندر مكتبة خاصة، و كان قد قدم فى الأصل زائرا من قبادوقية، و لذلك يمكن ان يعتبر هذا التاريخ بداية قدوم الحجاج الى بيت المقدس. و مما يعرف أن أورغن، مفكر عصره، زار القدس عدة مرات لجمع المخطوطات. و فى ٢٥٠ وقع اليكساندر ضحية لاضطهاد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٨

ديسيوس. و قد حلت بالكنيسة الفلسطينية نكبات شديدة أيضا فى أثناء الاضطهاد الذى وقع على يد داىو كليشيان القدس المسيحية- و ما حلت سنة ٣١٥ حتى كان الحجاج يتقاطرون على القدس ليتبعوا فوق جبل الزيتون، الذى كان المحل الوحيد المسموح بالتعبد فيه يومذاك على ما يظهر. و فى ٣٢٥ حضر مكاريوس أسقف القدس مجلس نيقيا و حصل على تأييد قسطنطين فى مشروعه الرامى الى إعادة تقديس الموضع الذى صلب فيه المسيح و الضريح المقدس. ثم زارت الملكة هيلينا القدس فى السنة التالية فشيدت الباسيليكا فوق جبل الزيتون و فى بيت لحم. و فى سنة ٣٣٣ شاهد الحاج المجهول من مدينة بورد و هذه الأبنية فى أثناء التشييد. و قد عقد فى ٣٣٥ مجلس كنسى فى القدس فأعلنت فيه قدسية كنيسة القيامة أو الضريح المقدس. و يمكن تمييز هذه الكنيسة بوضوح فى خارطة مادبا الفيسفائية حيث كان يدخلها الناس من باب ثلاثى ما تزال أقسام منه قائمة حتى اليوم.

ثم بنى فوق الضريح المقدس بناء مدور. كما بنى ما بين الباب و المبنى المدور باسيليكا كبيرة و خمسة أروقة بين الأعمدة. مع جناح مدور بارز في ساحة متسعة. فبقى موضع الصلب منعزلا على حدة باعتباره مزارا قائما بذاته.

و قد أعاد جلال التصميم و وفرة الزينة في هذه المجموعة من الأبنية الى القدس الأهمية الدينية التي كانت تتمتع بها حينما كان «الهيكل» قائما .. و في منتصف القرن الخامس للميلاد أدخلت الامبراطورة يودوقيا تزيينات أخرى في المدينة المقدسة التي توفيت فيها سنة ٤٦٠. و قد جعل المجلس الكالسيدوني في القدس بطريكه مستقلة عن «قيصرية» التي كانت تتبع لها من قبل. و في حوالي ٥٢٢ أغنى الامبراطور جستنيان القدس بتشييد باسيليكا عظيمة نذرها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٩

للعذراء، فوق التل الغربى فلم يبق لها أثر اليوم. ثم انتهت هذه الحقبة المزدهرة في ٦١٤ باستيلاء الايرانيين على القدس. الذين نهبوا و قتلوا سكانها و حرقوا كنائسها. و قد أخذ في هذه الأثناء صليب الصلبوت منها، ليستعيده هرقل سنة ٦٢٩ أو ٦٣٠. غير أنه في سنة ٦٣٨ دخل الخليفة عمر بن الخطاب الى القدس.

القدس الاسلامية- ان سبب تقديس الاسلام لبيت المقدس هو ان النبي عليه السلام أمر بالتوجه اليها عند الصلاة في بادىء الأمر. و لأنها كانت هدف إسرائه (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ). و قد قبل عمر بأن يبنى مسجدا ذى سقف من خشب في موقع الهيكل، و هو سلف المسجد الأقصى الحالى. لكن عبد الملك ابن مروان بنى قبة الصخرة (التي انتهى فيها البناء سنة ٦٩١) على شاكلة بناء كنيسة القيامة المدور. و بقيت كنيسة القيامة، التي كانت قد أعيد بناؤها بمقياس أكثر تواضعا بعد ان دمرها الايرانيون، في أيدي المسيحيين أنفسهم.

فقد أبدى المسلمون تساهلا كبيرا تجاه اليهود و النصارى الذين يحترمون الكثير من تقاليدهم الدينية. و في سنة ٧٥٠ أعقب العباسيون في بغداد الأمويين، و استمروا على سياسة اسلافهم التحررية في هذا الشأن. فالمقول ان هارون الرشيد بعث بمفاتيح القبر المقدس الى شارلمان في سنة ٨٠٠. و انتقلت القدس في ٩٦٩ الى أيدي الخلفاء الشيعة في مصر (يقصد الفاطميين)، و في ١٠٠٩ أمر الحاكم بأمر الله بتدمير المزارات المسيحية. و دحر الأتراك السلجوقيون المسيحيون يشاركون في احتفالات الفصح سائرين على طريق الجلجلة الحزين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٣٠

البيزنطيين دحرا فظيلا سنة ١٠٧٧ في منزى كرد، و عند ذاك اكتسحوا بلاد المشرق فحلوا محل المصريين في امتلاك القدس. و قد أثار قطعهم لطرق الحجاج الى بيت المقدس استياء المسيحية الغربية، فبدأت في الغرب حركة خاصة لتطهير البلاد المقدسة، و أدت الى نشوب الحروب الصليبية.

و تأسست في القدس على عهد الصليبيين مملكة لاتينية استقامت من سنة ١٠٩٩ الى ١١٨٧. و قد جعل فرسان الهيكل مقرهم في منطقة الهيكل فتسموا باسمه، و أصبحت قبة الصخرة كنيسة لهم ثم صار شكلها نموذجا للكنائس المدورة التي بناها فرسان الهيكل بعد ذلك في لندن و غيرها. و لأماكن التعميد، مثل الموجود منها في بيزا. و قد بنيت كنائس أخرى على نفس النمط، و أحسن مثل لما بقى من هذا القبيل كنيسة القديسة آن. و حينما دخل الصليبيون الى القدس أنشأوا فيها عددا من المستشفيات و المنازل للحجاج. و كان أحدها من تشييد تجار أالمقى في ايطالية، فأشرف على ادارته شخص يقال له جيرارد.

و في ١١١٣ منحه البابا باسقال الثانى «الثور» الذى يعتبر الوسيلة التي يتكون منها شعار جماعة رهبان مستشفى القديس حنا في القدس . و قد وحد صلاح الدين في ١١٨٧ سورية و مصر تحت حكمه، و دحر اللاتين في حطين بالقرب من بحيرة طبرية. و فيما عدا الفترتين ١٢٢٩-١٢٣٩ و ١٢٤٣-١٢٤٤، و باستثناء الفترة المنحصرة بين ١٩١٧ و ١٩٤٨ بقيت القدس في أيدي المسلمين على الدوام. و قد نهب التتار الخوارزميون القدس في ١٢٤٤. ثم وقعت في أيدي المصريين سنة ١٢٤٧ مرة أخرى بعد ان حكموها في عهد الأيوبيين سلاطين

دمشق، فقد ر لها ان تبقى خاضعة لسلطة المماليك مدة ٢٧٠ سنة شيد خلالها عدد من أحسن أمثلة العمارة الاسلاميه الباقية في القدس اليوم. و في ١٥١٧ احتل السلطان سليم الأول التركي بيت المقدس فافتتح بذلك فترة التسلط العثماني التي امتدت الى أربع مئة سنة. و أعاد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٣١

سليمان القانوني خلفه بناء المتاريس و الاستحكامات بشكلها الحالي، ثم شيد باب دمشق و هي آخر هدية من العمارة الاسلاميه في القدس الشريف.

ثم ظلت القدس ثلاث مئة سنة من دون ان يكون لها تاريخ يستحق الذكر غير أن أعين الغرب اتجهت اليها من جديد في القرن التاسع عشر. فكان يحكمها ما بين ١٨٣٢ و ١٨٤٠ محمد علي خديوي مصر و ابنه ابراهيم باشا. و في ١٨٣٨ فتحت فيها قنصلية بريطانية، فكان من بين واجباتها المحافظة على مصالح اليهود بوجه عام. ثم تأسست الأسقفية الأنكليكانية في ١٨٤١. و بعد ذلك بقليل بعثت بطريركية اللاتين من جديد لتقف على قدم المساواة مع كنيسة الأورثودوكس و الأرمن. و كذلك وجدت كنائس القبط و الأحباش. و قد كان لحرب القرم، التي وقعت فيها فرنسة و انكلترا الى جانب تركيه في حلف عسكري، تأثير بالغ على منزلة الأوروبين في القدس - ففي ١٨٥٥ سمح لهم بالدخول الى الحرم لأول مرة، و في ١٨٥٦ أصدر الباب العالي «مرسوم التساهل» تجاه جميع الأديان الموجودة في الامبراطورية العثمانية.

و بدىء بالاضطلاع بالتنقيب عن الآثار. ففي ١٨٤١ كات ضابطان من المهندسين الملكيين قد قاما بأول مسح لمدينة القدس، و أعقب ذلك القيام بمسح آخر بمقياس أوسع على حساب أنجيلا بورديت كوتس (البارونة بعد ذلك) في سنة ١٨٦٤. فأدى هذا النشاط إلى تأسيس «جمعية ارياد فلسطين».

و في خلال القرن التاسع عشر كله اتسع نطاق الطائفتين اليهوديتين، الأشكنازي و السفاردي، برعاية انكلترة و ازدادات حيويتها في ثمانينات القرن بتأسيس أول المستوطنات الزراعية اليهودية في البلاد و بنمو الحركة الصهيونية و تعاضها في الخارج بعد ذلك. فقد عقد المؤتمر الصهيوني الدولي الأول في بازل، سويسرة، سنة ١٨٩٧.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٣٢

القدس الحديثة - لقد أصدرت بريطانيا العظمى في تشرين الثاني ١٩١٧ وعد بلفور المعروف. و في الشهر التالي دخل الجنرال اللنبي القدس مستوليا عليها فاقامت فيها ادارة عسكرية، ليعقبها في ١٩٢٠ تأسيس إدارة مدنية فيها. و في ٢٥ نيسان من تلك السنة عهد المجلس الأعلى المنعقد في سان ريمو بايطالية بالانتداب على فلسطين الى بريطانيا العظمى. فتمتعت القدس خلال عهد الانتداب بفترة من التوسع و الازدهار المادي لم تعدها منذ أيام الرومان.

فالعادلة و الصحة و التعليم و الطرق و الماء و تسوية حقوق الأرض، مع جميع مستلزمات المجتمع الحديث، قد أدخلت اليها و ثبتت جذورها فيها. و ربما كانت فلسطين في نهاية عهد الانتداب أحسن دولة تدار في آسية. لكن الأمور كانت تتحول فيها من سىء الى أسوأ من الناحية السياسية. فقد ساعد و عد بلفور الصهيونية و ألهب نيران الشك و الريبة في نفوس العرب. و لذلك كان الفريقان تزداد عدم ثقة أحدهما تجاه الآخر، و تجاه الدولة المنتدبة خلال الحقبة كلها، و يتكرر التعبير عنه بالعنف، بينما كان التقدم المادي و الاجتماعي يسير في أعظم مراحلها. و هكذا قدر للقدس في أيامها الأخيرة، مثلما كان قد قدر لها في أيامها الأولى، ان تبرهن على وجود العقدة التي فطر عليها مصيرها: فقد كانت و ما تزال موثلا لأسمى أنواع العبادة و أعظمها، و منبعا لأشد النزاع و أعنفه. و قد ترك خط الهدنة الذي رسم بعد اقتتال العرب و اليهود في ١٩٤٨، و جعل حدودا بمقتضى الأمر الواقع، مدينة القدس التاريخية القديمة مع أرباضها الشمالية و المطار و متحف الآثار القديمة تحت حكم المملكة الهاشمية في الأردن، و الأرباض الغربية و الجنوبية في حكم اسرائيل. و لا يسمح بأى اتصال بين سكان المنطقتين، الا للمسيحيين المقيمين في اسرائيل في عيدي الميلاد و الفصح.

وقد حصل الكثير من الانشاء و التعمير فى الجانبين، و على الأخص فى الجانب الاسرائيلى الذى يعد أبرز ما أنشئ فيه أبنية الجامعة العبرية، التى تقع فى منطقة منزوعة السلاح فى جبل سكوبس من الأراضى الأردنية. و قد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٣٣

ضمنت التعليمات التى يفرضها الجانب الأردنى، بوجوب بناء واجهات المباني جميعها بالحجر. ان تكون الأحياء الجديدة جذابة مهيبة. ثم فتحت طرق جديدة و أسست حديقته الجديدة للبلدية بالقرب من باب دمشق. و دشن فى تشرين الأول ١٩٦٠ مستشفى سان جون للرمد. و تعد القدس العبرية مركزا لحدى المحافظات، و يشرف حاكمها على الاماكن المقدسة فيها و فى بيت لحم. و يمكن الوصول إليها من بيروت فى لبنان جوا، و بطريق البر من دمشق فى سورية، و من العقبة الكائنة على البحر الأحمر. و مع ما يصادفه الحجاج و الزوار من عراقيل بسبب تقسيم المدينة، فانهم يتقاطرون عليها من جميع أنحاء العالم، و يأتى كثير منهم من بلاد لم يسمع بها فى الأيام الغابرة.

الأناء الذهب

و ممن كتب عن القدس، و فلسطين كلها، امرأة انكليزية منصفه، و كاتبه قديره تدعى المستر ستوارت أيرسكين. فقد كتبت هذه المؤلفه كتبا عدة عن العرب و بلادهم فكانت منصفه فيما كتبت بوجه عام، و من جمله كتبها كتاب (فلسطين العرب) الذى أصدرته فى ١٩٣٥ فدافعت فيه عن حقهم و وجهه نظرهم تجاه الباطلين الصهيونى و الاستعمارى.

و يبحث الفصل الأول من هذا الكتاب عن القدس بعنوان «الأناء الذهب» و يعتبر هذا الفصل خلاصه مفيدة جدا عن وضع القدس و أهميتها الدينية فضلا عن وضعها التاريخى و السياسى. فهى تقول ان القدس تعد قلب فلسطين، و قيمة الأماكن المقدسة فيها، و مركزا للكفاح و النضال، و بذلك تشغل منزله مزدوجه فى التاريخ. و قد كانت فلسطين منذ القدم ساحة حرب للامبراطوريات المحيطة بها، فأسهمت القدس و هى جاثمه بين تلالها و جبالها بقسط غير يسير موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٣٤

من مصائبها. و لو أراد المرء ان يعدد الحصارات و الحرائق و الهجمات و وقائع التدمير الكلى و الجزئى التى نزلت بالقدس لملاصفحات بقوات المصائب و الرزايا المعروفة للجميع. لكن ما يلفت النظر فى كل ذلك ان القدس برغم تبدل أسيادها و سلالاتها الحاكمة و دياناتها و لغاتها و عاداتها قد حافظت على شخصيتها الخاصة بها و احتفظت بضوء يشتعل حول حرمها الداخلى المقدس. و يعنى اسمها، الذى بقى غير متبدل خلال ألفى سنه من النور و الظل، دار السلام .. لكن الرومان بمدينتهم الوثنيه ايليا كابيتولينا و معبدهم المكرس للاله جوبيتر قد تلاشى حتى ذكرهم بين زحمة الوقائع التى تتالت على المدينة المقدسة. و هى إذ تكون مدينة للسلام من جهة و مدينة النزاع من جهة أخرى.

و مرتعا لتصادم الأقوام و الديانات منذ أيام الغزوات العشائرية فى أيامها الأولى الى يوم القلاقل العنصرية و السياسيه هذا، و موضعا لتقديس أبناء الديانات العظمى الثلاث فى العالم، قد احتفظت بطبيعتها المقدسة خلال التقلبات التى وقعت فى أثناء وجودها الطويل .. ثم تقول المؤلفه ان المرء قبل ان يحاول فهم وضع القدس السياسى فى هذا اليوم، لا بد من ان يدرك ماذا تعنى فلسطين كلها بالنسبة للعرب و اليهود، و ما ذا تنطوى عليه علاقتهم بالبلاد و بعضهم ببعض. و بعد ان تشير الى ان الغربيين كلهم على علم تام بمنشأ التوراه و الانجيل فيها، و ظهور الأنبياء فى أزمنتها القديمه، تأتى على ذكر شئ عن منشأ العرب و علاقتهم باليهود.

فهى تقول ان الجد الذى تسمى به العرب و اليهود، و جميع الساميين فى الحقيقة، كان سام بن نوح. و يدعى العرب و اليهود على حد سواء أنهم يتحدرون من نسل ابراهيم الكلدانى الذى هاجر من أور الكلدانيين الى الغرب بأوامر آلهته. فقد تحدر اليهود من ساره الزوجه و تحدر العرب من هاجر الوصيفه. و كانت فى أرض الميعاد حتى قبل ان يدخل إليها ابراهيم قبائل ساميه و غير ساميه أخرى، كان يطلق عليهم بمجموعهم اسم الكنعانيين فى بعض الأحيان. و لما كان من المعتقد اليوم ان هذه القبائل قد تحدر من نسلهم فلاحو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٣٥

فلسطين الحاليون، فان الجو قد تهيأ للكشف عن الدراما بكاملها ..

ثم تذكر المسز أيرسكين ان ابراهيم عليه السلام كان يلجأ الى الطرق السلمية فى التسلل الى فلسطين و الحصول على منزل فيها. و قد تزوج أتباعه برغم تحذيره لهم مع القبائل التي كانت تملك الأرض فى فلسطين، و تدينوا ببعض دياناتهم أحيانا. و حينما نام ابراهيم نومته الأبدية فى الخليل استمر ابناؤه على العيش فى فلسطين حتى ذهب حفيده يعقوب للأقامة فى مصر حيث حصل يوسف على رعاية فرعون له. و قد أدى تغير السلالة المالكة فى مصر، التي أعقبها اضطهاد الاسرائيليين، الى ظهور موسى برسالته و مبادرته الى قيادة شعبه و العودة بهم الى أرض الميعاد. و بعد كثير من التجوال و التطويح استقروا أخيرا فى مكان ما، و انتخبوا شاؤول أول ملك لاسرائيل.

و تشير المسز ايرسكين بعد ذلك الى أن القدس كان لها تاريخ حافل قبل ان يلقي داود خليفة شاؤول نظرة عسكرية على أسوارها المنيعه. و قد نجح فى انتزاع الحصن من اليبوسيين فاتخذ القدس عاصمه له. و كان الملوك و الأمراء يسكنون فى القدس و هى تابعه الى مصر، التي كانوا يرسلونها برسائل حفظتها الرقم المكتشفه فى تل العمارنه. فقد كانت مكانا منيعا جديرة بالقتال دونها، و مهمه جدا لداود لأنها تشغل موقعا ستراتيغيا بين المملكتين الشماليه و الجنوبيه اللتين وحدهما و أدخلهما فى حكمه معا.

و قد شيد داود قصرا و هيكلًا فوق أوفيل، لكن سليمان ابنه انتقل الى جبل موريا حيث شيد البيوت و الثكنات و القصور و هى ترتفع بعضها فوق بعض فى السفوح حتى تنتهى بالهيكل الذى أقيم حيث تقوم قبه الصخره اليوم بلونها الأزرق و الرمادى البارزين أمام امتداد جبال مواب الطويل. و كان يبدو يومذاك ان مملكة اسرائيل أصبحت قوية الجانب تضاهى فى قوتها الصخور التي بنيت فوقها القدس. لكن ذلك لم يتحقق.

فلم تستقم المملكتان المتحدتان بعد موت سليمان، بل انقسمتا من جديد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٣٦

و لم تعمرا طويلا حتى فى هذه الحالة. فقد تحطمت المملكة الشماليه فى ٧٢٢ قبل الميلاد، و تلاشى الأسباط العشره بعد ان تفرقوا أيدى سبأ، بينما ظلت مملكة يهوذا الجنوبيه تكافح دون حتفها الى سنه ٥٩٧ قبل الميلاد حين استولى بنوخذ نصر على القدس و نهبها، ثم أخذ زبده أبنائها فى السبى المعروف. و بعد عشر سنوات التفت صدقيا آخر ملك من ملوكها الى مصر فعوقب بتدمير القدس و تخريبها، و بهذا ترك سبى آخر مملكة يهوذا التي كانت مزدهره فى يوم من الأيام قاعا صفصفا. اما عوده بقايا من اليهود الى القدس بعد أن أطلق كورش الايراني سراهم، و السماح لهم ببناء الهيكل، فلم يكن الا شيئا فاترا تعوزه الحماسه لأن الكثيرين من أهل السبى آثروا البقاء فى بابل.

و فى عهد السيطرة المقدونيه سادت الحضاره الأغريقيه فى سوريه و فلسطين. و كان اليهود يتضايقون من تعسف الملك أنتيكوس ايفانوس فأدى بهم ذلك الى الثورة بقيادة كاهنهم الكبير ماتاثياس و ابنائه. و قد تعتبر هذه الوقائع من النقاط للامعه فى تاريخ اليهود، لكنها سرعان ما تتعمم بظهور هيرود و ميله الى مسالمه روما. و ليست بنا حاجه هنا الى الاسهاب فى ذكر كيفيه ظهور هيرود، و زواجه بالأميره الحسمونيه سليله المكابيين، التي قتلها بنزوه من نزوات الغيره، و موته فى السنه التي ولد فيها المسيح بعد أن أصدر مرسوما فى قتل «الأبرياء». و انما يكفى ان نتذكر أنه بنى آخر هيكل فقدر له ان يكون قصير الأجل. و من المهم ان يذكر فى الحقيقه ان الهيكل هذا قد صحت نبوءه السيد المسيح فيه، ففى خلايا الأربعين السنه المذكوره فى النبوءه هدم الهيكل الى وجه الأرض خلال حصار تايوس للقدس فى سنه ٧٠ للميلاد.

و تخلص المؤلفه من كل هذا الى القول انه يتضح بان العبريين لاحق لهم فيما يدعون به اليوم. فقد عجزوا فى تحقيق الوحده فيما بينهم، و كان يقاتل بعضهم بعضا باستمرار، و لم يمتلكوا فلسطين كبلاد تحكم نفسها بنفسها حكما ذاتيا قط، حتى فى أوج حكمهم.

لكننا نجد من جهة أخرى أن التاريخ الروحي لشعب اختاره الله ليحمل النور في وقت الظلمة يجب ان تكون له أهمية فائقة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٣٧

بالنسبة للإنسانية جمعاء. فقد قادتهم رسل موحى اليهم بوحى مباشر، و أرشدوا الى الطريق السرى الذى كان عليهم ان يسلكوه. فماذا كانت النتيجة؟ و لماذا كانوا يعاقبون بين حين و آخر؟ ان الجواب على كل هذا موجود فى كتبهم الدينيه هم أنفسهم. فان خطب أنبيائهم اللاذعة تميظ اللثام عن ان اليهود كانوا مفتونين بالوثنيه و عبادة الأصنام بحيث أوحى بقمعهم.

و حينما عنفوا و زجروا «أغلظوا رقابهم» كما فعل آباؤهم من قبل. و تقول التوراة- العهد القديم- ان المصائب التى نزلت باليهود انما نزلت لتلقنهم دروسا لا يبدو انهم تعلموها بأى حال من الأحوال. و حينما صلبوا مسيحيهم كانت نهاية وجودهم القومى غير بعيدة عنهم. و بعد ان انقسمت الامبراطورية الرومانية، أصبحت فلسطين من حصه الامبراطورية الشرقية و عاصمتها بيزنطة. و قد جعل مرسوم ميلان سنه ٣١٣ المسيحية دينا معترفا به. فأبدى قسطنطين و أمه هيلانه و رعهما المعروف بتشيد الكنائس فى المواقع المقدسه، و بذلك اتخذ مصير القدس شكلا آخر.

فقد تمتعت فلسطين فى أيام الحكم البيزنطى بحاله من السلم انتهت فى سنه ٦١٦ حين غزاها خسرو الثانى ملك ايران. و فى سنه ٦٣٦ نقلت معركة اليرموك الحاسمه السلطه الى العرب.

و بعد ان تتطرق المسز أيرسكين الى تاريخ العرب القديم قبل الاسلام، و اتصالهم باليهود، و مجيء ابراهيم الخليل و اسماعيل الذى أعاد بناء الكعبه فى مكه، تخرج من ذلك الى ظهور النبى محمد عليه السلام و اعترافه بأنبياء بنى اسرائيل. ثم تبدأ بذكر الفتوحات فتعرج على فتح العرب لبيت المقدس.

فتقول ان الخليفه الراشد أبا بكر عين خالد بن الوليد المعروف بسيف الله المسلول على رأس قواته التى حاربت الايرانيين، و البيزنطيين فى سوريه و فلسطين بعد ذلك. فكان النصر حليف خالد اينما اتجه، و لا سيما فى قتاله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٣٨

لجيوش الامبراطور هرقل التى فتك بها فى موقعه أجنادين الكائنه بين غزه و بيت المقدس. و قد توفى أبو بكر بعيد هذا النصر الحاسم فى اليرموك سنه ٦٣٦. فقد وجد الامبراطور هرقل، الذى كان يتبجح بأن جيوشه بوسعها القضاء على «شردمة العرب البداه»، نفسه مطرودا من سوريه و فلسطين و الطريق قد انفتح لسيطره العرب عليهما.

و قد صمدت القدس و قيصريه، و هما من معاقل العقيدة الأورثودكسيه المعروفة، لمده ما لكنهما اضطرا الى التسليم فى النهايه. حيث استسلمت القدس فى ٦٣٩ و استسلمت قيصريه بعد ذلك بسنه. و لا غرو فقد كان العرب لا بد من ان يجبروا هاتين المدينتين على التسليم بعد أن أصبحوا أسياد دمشق، أقدم مدينه فى سوريه و أهمها، و انطاكيه ملكه الشرق الواقعه على نهر العاصى، و حمص ذات الحصون المنيعه، و غيرها من المراكز المهمه. و كان لهم فضل كبير فيما أظهروه من اعتدال عند تقديم مطالب الاستسلام.

فحينما اتضح لسكان بيت المقدس عدم جدوى المقاومه عقد اجتماع فيها بين بطريك الروم الأورثودوكس و قائد الحاميه، و تقرر ان تجلو الحاميه الموجوده فيها و تنسحب الى مصر و ان يترك الأمر الى البطريرك بأن يتفق على الشروط مع العرب. فاشترط ان تسلم مفاتيح المدينه الى الخليفه عمر بنفسه نظرا لأن النبوه كانت تقول فى هذا الشأن ان المنتصر يحمل اسما بثلاثه حروف كما هو الحال فى اسم الخليفه العربى «عمر». فأبلغ الخليفه بذلك و وافق على القيام بهذه الرحله الطويله، و أخيرا وصل الى الموقع و هو يمتطى جملا هزيلا و يرتدى اسمالا باليه ليظهر ازدرائه لتوفاه هذا العالم الشرير. و حينما لاحظ البعض من قواده، الذين وقفوا لاستقباله فى خارج السور يلبسون ملابس صنعت من حرير دمشق استشاط غضبا، و لم يوافق على الدخول الى المدينه بصحبتهم الا بعد ان أروه ما كانوا مدججين به من سلاح تحت البسه الحرير الناعمه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٣٩

ثم تقول ان الخليفة عمر دخل الى المدينة المقدسة راجلا و الى جانبه البطيرك و اذا كان منظره يومذاك شيئا غير مؤثر فقد كانت شروطه رحيمة سخية، حينما فرضت على النصارى و اليهود عن دون تميز. و قد كان فيها بعض التحفظات، لكنها كانت تنطوى على الرفق و الرحمة بوجه عام فقبلت بكثير من المنه و التقدير. و لم يبق الخليفة مدة طويلة في بيت المقدس، لكنه تيسر له متسع من الوقت لزيارة كنيسة العذراء التي هي المسجد الأقصى في يومنا هذا، و كذلك وضع الأساس لتشييد مسجد للمسلمين في موقع الهيكل اليهودي الذي كان مخفيا تحت اكوام من الزبل المتراكم على مدى الأجيال المتعاقبة.

و كان هناك سبب لسياسة التسامح هذه. فقد كانت القدس مقدسة عند المسلمين، و كانت تأتي بعد مكة فقط في الشهرة باعتبارها درة غالية في تاج الفتوح التي حققوها، و كانوا تواقين جدا للاحتفاظ بها و تجميلها. حيث ان الاعتقاد بان بيت المقدس ستكون المكان الذي يحشر فيه المؤمنون يوم القيامة يشترك فيه المسلمون و اليهود على سواء، كما يلاحظ أو يفهم من الرغبة التي يبديونها في الدفن بقربها. و يجلب المسلمون كذلك المكان الذي أعلن النبي محمد بأنه شاهده في الرؤيا.

في ليلة هادئة لم تكن تعكر هدوءها و لا- نسمة ريح قال النبي عليه السلام ان صوتا ايقظه من نومه و هو يقول «استيقظ ايها النائم»، ففتح عينيه و إذا بجبريل الملك يمثل أمامه و يطلب اليه ان يركب البراق فأسرى به و هو بصحبته إلى بيت المقدس. و هنا قيل له ان يترجل و يصل، ثم أخذ إلى «صخرة التضحية» في منطقة الهيكل، و من هناك رفع إلى السماوات العلى.

فأصبحت هذه الرؤيا من معتقدات المسلمين الذين ما زالوا يقدسون المكان الذي صلى فيه النبي، و الصخرة التي رفع من فوقها إلى السماء على سلم من نور و حتى المكان الذي وقف فيه البراق.

و بعد ان تأتي المؤلفه على ذكر شيء عن أعمال الخليفة عمر و ما حدث بعد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٤٠

قتله من اختلاف في أيام الخليفين الراشدين عثمان و على تقول ان فلسطين تمتعت بقرن من الهدوء و السلم قبل أن تبدأ علائم الانحطاط في الامبرطورية العربية الجسيمة. و قد ازدهرت القدس إزدهارا غير يسير لكنها لم تصبح مركزا كبيرا للثقافة و الحضارة كما أصبحت قرطاج قرطبة التي كان اليهود الأوربيون يتقاطرون عليها للدراسة في جامعتها الاسلامية. فقد كانت في فلسطين مراكز دينية معروفة في القدس و الخليل و طبرية و صفد لكنها لم يكن فيها من الثقافة العامة العالمية التي كانت تزخر بها مدن اسبانية الاسلامية و صقلية.

و بعد ان تذكر المؤلفه شيئا عن حضارة العرب في الأندلس و فضلها على الغرب تقول: و كان الخلفاء الأمويون يحكمون من دمشق، لكن الأسرة العباسية المالكة حينما حلت في محلهم و أسست العاصمة في بغداد انحط الاهتمام ببيت المقدس. فقد كان هارون الرشيد يبدي اهتماما بسورية و أسس المدارس فيها، لكنه لم يفعل الا القليل من هذا في فلسطين التي انقسمت الى شيع و احزاب و أصبح الاختلاف هو العادة المألوفة فيها. و في نهاية القرن العاشر استولت الخلافة الفاطمية في مصر على القدس. و في ١٠٧١ احتل السلطان السلجوقي سوريه و فلسطين فأعقب ذلك حلول فترة من الرعب عانى فيها النصارى ما عانوا من الجور و التعسف. و قد أثارت آلام الحجاج المسيحيين و اهمال الاماكن المقدسة تدمرات الحجاج الذين كانت تتقاطر جموعهم على بيت المقدس، و كان أحدهم و هو بطرس الراهب هو السبب في البدء بالحملة الصليبية الأولى.

و قد حرر الصليبيون «القبر المقدس» و أسسوا مملكة لاتينية قصيرة العمر في القدس، لكن الحملات المتفرقة التي أعقبت الحملة الأولى لم تكن كافية لضمان البقاء الدائم في البلاد المقدسة.. و بعد ان تغلب صلاح الدين على الصليبيين في قمم حطين الرهيبة قتل رينيه دي شاتيون بيديه من دون سلاح، و أمر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٤١

بقتل متي فارس من فرسانهم على مرأى من الجيش كله. لكنه حينما أقدم على تسلم بيت المقدس أظهر كل ما يمكن من ضروب

الرحمة والاعتدال.

فقد سمح لجميع من يرغب في ترك هذه المدينة المقدسة بأن يفعل ذلك من دون ان يتعرض لأى نوع من الأذى، حتى أنه سمح للأساقفة بأن يأخذوا معهم الكثير من الكنوز العائدة للكنائس، و قدم لمن بقي شروطا سخية.

و بذلك عادت القدس مرة أخرى الى أيدي المسلمين، و بذل صلاح الدين كثيرا من الجهد لاستعادة أمجادها السابقة و تعمير أماكنها المقدسة مثل قبة الصخرة و المسجد الأقصى اللذين قلبهما النصارى الى كنيستين. و بمرور الزمن تلاشت من بين المسلمين و المسيحيين البغضاء التي أوصلها الصليبيون الى الأوج، و اتخذت الترتيبات اللازمة بالسماح النصارى في زيارة القبر المقدس متى شاءوا. لكن ذلك لم يدم طويلا. ففي سنة ١٢٤٠ اكتسح الأتراك الخوارزميون البلاد، و هدموا بيت المقدس تهديما جزئيا بعد ان فتكوا بالسكان المسيحيين فيها، و في ١٢٥٠ ظهر المغول بقيادة هولاكو حوالها فردهم السلطان المملوك بيبرز، الذي أخضع فلسطين للحكم المصرى مرة أخرى. و قد استقام الحكم المصرى هذا زهاء ثلاث مئة سنة، أى الى ان انتزع الأتراك العثمانيون منه السلطة لأنفسهم و أصبحوا أسياد الشرق الأوسط. و باستثناء فترة قصيرة استعادت فيها مصر السيطرة على فلسطين، فقد بقيت بأيدي الأتراك منذ ذلك التاريخ حتى سلموها الى حوزة الانتداب البريطانى في ١٩١٧.

و لا يعرف الا القليل عن أحوال بيت المقدس الاعتيادية في الفترات التي كانت تتخلل ما يذكره المؤرخون من بلايا و مصائب عظيمة. لكنه يستفاد من انطباعات المقدسى، الجغرافى العربى الشهير، عن القدس التي ولد فيها سنة ٩٤٦ أنها ثمينة لندرة مثيلاتها بين البلاد، و أنها أجمل مدينة في العالم، لأن الحياة فيها على حد قوله كانت ملأى بكل ما هو لطيف و جميل، و ان كل من يريد التمتع بما فى الدارين ان يفعل ذلك عن طريق الاقامة فى قدس القرن العاشر الميلادى، و بعد ذلك يحدثنا عن العقارب التي يمتلىء بها «و عاؤها الذهب».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٤٢

و يبدو ان العقارب التي يعينها المقدسى هي حماماتها القذرة، و أزوادها الغالية، و مدارسها الخالية، و مسجدتها الذي لا يمتلىء بالعلماء و الدارسين.

و استفحال أمر النصارى و اليهود فيها. و تعقب المسز أرسكين على ذلك بقولها ان ذلك الوعاء الذهب ما زالت تتوالد فيه أنواع العقارب.

مثل ما يجرى فى داخل أسوارها و خارجها من الاضطرابات و القلاقل، و مثل الخصومات السياسية و الصدامات العنصرية و الأمانى و الآمال المتضاربة التي لم تتحقق.

من التاريخ القديم

إشارة

لا شك ان تاريخ القدس القديم تاريخ حافل بالوقائع و الحوادث فى كل دور من أدواره، و قد حظى بالكثير من العناية و التنقيب لدى العلماء و الباحثين نظرا لقدسية هذه المدينة العريقة فى القدم، و علاقة ذلك بانباء الديانات الكبرى الثلاث. و لا شك أن إقدام الكثيرين من مؤرخى الغرب و منقبه على البحث فى تاريخ القدس يرجع أيضا الى ظهور السيد المسيح حولها، و صلبه و دفنه فيها على ما يقولون، و نشؤ الانجيل و التوراه فى ديارها.

و لذلك نرى ان ما كتبت من الكتب و الرحلات فى اللغات الغربية عن القدس القديمة و تاريخها، و لا سيما فى الانكليزية و الفرنسية و الألمانية، أوسع مما يمكن ذكره أو الاحاطة به فى مثل هذا البحث. على اننا سنحاول هنا أن نوجز الحوادث المهمة التي تعين

القارىء على تفهم المجرى التاريخى العام.

وقد لاحظنا من بين الكتب الحديثة التى تستند الى أحدث ما حصل من التنقيب الآثارى، فى القدس و ما حولها من البلاد، كتابا يفتى بهذا الغرض. وقد كتب هذا الكتاب باحث ألمانى يدعى فيرنر كيلر بعنوان (الانجيل كتاريخ). موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٤٣

و استند فيه الى احداث الاستكشافات الآثارية و أوثقها على ما يدعى. ثم ترجم الى الانكليزية و طبع لأول مرة سنة ١٩٥٦، ثم أعيد طبعه عدة مرات كانت آخرها الطبعة العاشرة فى ١٩٦١.

و يتناول المستر كيلر فى هذا الكتاب تاريخ ما ورد فى التوراة و الانجيل من حوادث و وقائع مشهورة، فيحاول البرهنة على صدقها فى ضوء المكتشفات الحديثة، و قد يناقش قسما منه فيخطؤه أو يورد آراء مختلفة حول بعض النقاط. و من أهم ما يبدأ ببحثه من ذلك، و لا سيما ما يختص منه باليهود و تاريخهم، موضوع ابراهيم الخليل عليه السلام، فيناقش معيشته فى أور ثم يذكر هجرته الى حران الكائنة فى شمال العراق فى ضمن ما كان يسمى بمملكة ماري السامية. لكنه يخرج من ذلك الى انه عليه السلام يصعب ان يكون قد عاش فى أور الكلدانيين كما هو معروف فى التوراة، و يخطئ ليونارد و لى المنقب الانكليزى الذى تولى التنقيب فى أور خلال العشرينات من هذا القرن و اكتشف مدينة السومريين التى كان يجهلها العالم تقريبا. فقد كتب و لى يقول ان ابراهيم كان مواطنا من مواطنى مدينة عظيمة (أور) ورثت تقاليد مدينة راقية عريقة فى القدم، و لم يكن من أناس مترجلين بدءا كما يفهم من بعض آيات التوراة و نصوصه. لكن كيلر يقول فى كتابه (الصفحة ٤٢-٤٤) أن و لى و ان كانت تؤيده فى رأيه هذا بعض آيات سفر التكوين قد تسرع فى ما ذهب اليه، لأن آيات أخرى فى سفر التكوين نفسه تنص على خلاف ذلك أيضا. لأنه حينما أوفد خادمه القديم من بلاد كنعان الى مدينة ناحور ليخطب زوجة لابنه اسحق يسمى هذه المدينة «أرض مولدى» و يشير الى «بيت أبى» و «أرض أجدادى». و ناحور تقع فى منطقة حران الكائنة فى شمال بلاد بين النهرين. و يذكر كذلك ان يوشع بعد ان استولى على أرض الميعاد خاطب أصحابه يقول «لقد سكن آباؤكم فى الجهة الأخرى من الطوفان قديما، و فعل ذلك حتى تارح والد ابراهيم و ناحور»، و يقصد بالطوفان هنا و فى نصوص التوراة الأخرى نهر الفرات. و لا شك ان مدينة أور تقع فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٤٤

الجانب الأيمن من الفرات، و اذا ما نظر اليها الرائى و هو فى بلاد كنعان فهى تقع فى هذا الجانب أيضا و ليس فى الجانب الآخر. يتابع كيلر مناقشته لو و لى فيقول ان تنقيباته لم تكتشف ما يدل بصورة باتة قاطعة على ان تارح و ابنه ابراهيم كانا يعيشان فعلا فى أور. ثم ينهى هذه المناقشة بقوله ان البحث المضنى، و لا سيما التنقيب الآثارى فى العقدين الأخيرين من السنين، يجعل من المؤكد تقريبا ان ابراهيم لا- يمكن ان يكون قد وجد فى العاصمة السومرية أو كان مواطنا من مواطنيها. فان ذلك يناقض جميع الأوصاف التى يصف التوراة بها ابراهيم و طراز حياته، و كونه من سكنة الخيام الذين- ينتقلون مع قطعانهم من مرعى الى آخر انتجاعا للكلا و من بئر إلى أخرى، فهو و الحالة هذه لا يعيش كما يعيش مواطن المدينة الكبيرة بل عيشة البدوى المعروفة.

و يقول كيلر فى موضع آخر (الصفحة ٦٧) ان أسماء أجداد ابراهيم و اسلافه تخرج من العصور المظلمة و هى لا تعدو كونها أسماء مدن كائنة فى شمال شرقى بين النهرين، أى فى فدان آرم فى سهل آرم. و فى وسط هذا السهل تقع حران التى كانت على ما يظهر من وصفها مدينة مزدهرة خلال القرنين التاسع عشر و الثامن قبل الميلاد. و يذكر كذلك ان المكتشفات التى عثر عليها المنقبون الفرنسيون فى ٢٣ كانوا الثانى ١٩٣٤، فى تل الحريرى الكائن على بعد سبعة كيلومترات من البوكمال، تبرهن لأول مرة على أن حران هى موطن ابراهيم الخليل و المكان الذى ولد فيه العبرانيون. و تقع بالقرب من ذلك مدينة ناحور المعروفة فى التوراة أيضا، و هى موطن ربيكا زوجة اسحق.

هجرة ابراهيم عليه السلام الى أرض الميعاد

ويذكر كيلر بعد هذا اننا اذا ما أردنا ان نصدق بالتواريخ المذكورة في التوراة نجد ان ابراهيم قد ترك موطنه حران قبل فرار الاسرائيليين من مصر بست مئة وخمس وأربعين سنة. وقد ظلوا يهيمنون في الصحراء نحو أرض الميعاد بقيادة النبي موسى خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ولذلك فلا بد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٤٥

من ان يكون ابراهيم قد عاش في حران حوالي سنة ١٩٠٠ قبل الميلاد. وهذا ما تؤيده حفريات مملكة ماري.

ويأتي بعد ذلك الى ذكر كنعان (الص ٧٠) وهجرة ابراهيم اليها تنفيذا للأوامر الالهية، فيقول ان الطريق الذي كان عليه ان يقطعه يبلغ طوله ما بين حران وبلاد كنعان ما يزيد على ست مئة ميل. وهو يمتد على طول نهر البليخ الى الفرات. ومن هناك يسير المسافر بطريق قديم للقوافل يرجع الى آلاف السنين في قدمه، فيمر بتدمر و الشام، ومنها يتجه في اتجاه غربي الى بحيرة الجليل (طبرية). و بلاد كنعان على ما يقول كيلر هي الشطيطة الجبلية المنحصرة بين البحر الأبيض و البادية الممتدة من غزة الى حماه على شواطئ العاصي في الشمال. و قد كانت كنعان يومذاك تعرف ببلاد الأرجوان لأن الكنعانيين سكانها كانوا معروفين باستخراج الأرجوان من حيوانات المريق القشرية البحرية. و كان الأرجوان من السلع الغالية لأن صبغته كانت تصبغ بها الملابس الثمينة التي يرتديها كبار الناس و مرموقهم في المجتمع يومذاك.

ولذلك كان اليونانيون الأقدمون يطلقون على صانعي الأرجوان و صباغيه «الفينيقيين» و على البلاد «فينيقية»، و هو اسم مشتق من كلمة

Phoefcia

التي تعني الأرجوان في لغتهم.

اما البلاد التي كانت ستصبح موطناً للاسرائيليين فقد سماها الرومان، على ما يقول كيلر، باسم أعداء اسرائيل. فقد سموها باسم «الفلسطينيين» أو «بلشليم» حسب التسمية الواردة في التوراة، الذين كانوا يسكنون في القسم الجنوبي من الساحل الكنعاني. و هي تمتد على ما يفهم من نصوص التوراة من منابع الأردن في أسفل جبل الشيخ الى التلال الكائنة في غرب البحر الميت، و الى النقب في الجنوب، أي انها تقدر بحوالي مئة و خمسين ميلا في الطول و خمسة و عشرين ميلا في العرض في أضيق بقعة منها. و لم تصبح أوسع من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٤٦

هذا قط الاخلال عشرات قليلة من السنين. فقد امتدت في أيام داود و سليمان الى عصيون جابر على البحر الأحمر في الجنوب و الى ما وراء الشام بقليل في الشمال.

و يظهر مما يكتبه كيلر ان ابراهيم سلك في هجرته هذا الطريق فمر بالشام ثم دخل هو و زوجته سارة و ابن أخيه لوط و أقاربه و قطعانه الى فلسطين التي كانت قليلة السكان على ما يقول، و كانت مدنها يومذاك عبارة عن قلاع متباعدة تتعرض على الدوام الى هجمات البدو و غزواتهم من البادية بين حين و آخر. و قد حرص على ان يدخل من دون ضجة، و ان يكون سيره هذا تسللا، لأنه لم يكن قادرا على الاصطدام بالكنعانيين، فحل في شكيم الكائنة في شمال فلسطين. و يلتقى في سهل شكيم طريقان أحدهما يمر بالمناطق المأهولة فيذهب الى وادي الأردن الخصيب، و يمر الثاني بطريق التلال المنعزلة فيتخطى القدس الى النقب. و قد آثر ابراهيم ان يسلك الطريق الثاني حتى وصل القدس العائدة لليبوسيين، فزار فيها ملكيصادق الذي يسميه كيلر «ملك سالم» أي ملك القدس نفسها على أغلب الترجيح. و في الأصحاح الرابع عشر من سفر التثنية يذكر ان ملكيصادق هذا قدم لابراهيم خبز او خمرا لأنه كان كاهنا لله العلي، و بارك ابراهيم بقوله: مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات و الأرض و تبارك الله العلي الذي رفع أعداءك

الى يدك.

ثم توجه ابراهيم الى مصر مع لوط و عادا بعد ذلك الى فلسطين، فتوجه لوط مع أسرته مفارقا عمه نحو الشرق، و ظل ابراهيم ينتقل حوالى القدس حتى شاء ان يستقر فى أواخر أيامه فى قرية مامر القريبة من حبرون التى سماها العرب بعد ذلك باسمه، أى «الخليل». و فى هذا الشأن يقول كيلر (الصفحة ٩٧) انه قضى أيامه الأخيرة فى قرية صغيرة تدعى مامر، غير بعيدة عن بلدة الخليل، حيث شيد المذبح. و قد تملك هنا أول قطعة أرض من الحثيين ليعد قبرا صخريا لزوجته سارة، على عادة الساميين. و قد دفن هو كذلك فى الضريح نفسه. و هذا ما تؤيده الحفريات بوضوح. و على بعد ميلين من الخليل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٤٧

يقدمس العرب اليوم على قول كيلر موقعا يسمونه «حرم رامه الخليل». و قد عثر الأب المنقب مادر بالفعل بالقرب من هذا الموقع على أحجار مذبح ما تزال تبدو فيها آثار الاشتعال .. و ما يزال قبر ابراهيم يعتبر اليوم موقعا مقدسا يحج اليه الناس. و يقول كيلر فى موقع آخر كذلك (الصفحة ١١٢) ان ابراهيم نصب خيمته الى مقربة من حبرون فى جنوب تلال اليهودية، ما بين ابناء «حث»- أى الحثيين- و قد اشترى منهم الأرض التى أودع فيها زوجته سارة و تركها لراحتها الأبدية .. و يخبرنا حزقيال النبى- الأصحاح السادس عشر من سفره- ان الحثيين مسؤولون جزئيا عن تأسيس القدس ..

خروج اليهود من مصر الى أرض الميعاد

و يقول كيلر ان موسى بعد أن أدى واجبه الشاق فأخرج اليهود من مصر و مدنها التى كانوا مستعبدين فيها رشح يوشع خلفا له و رحل عن هذا العالم الفانى، من دون أن يقدر لقدميه ان تطأ أرض الميعاد أو مدينة القدس، لكنه استطاع ان يلمحها عن بعد من قمم جبل نبو. و مع جميع البراعة التى أبداهها يوشع بن نون فى قيادة اليهود الى أرض الميعاد، و القسوة التى تذرع بها فى الاستيلاء على البلاد الفلسطينية و أهلها بالقوة، لم يستطع انتزاع القدس من أهلها لمناعة حصونها و خطته فى تحاشى مهاجمة الأماكن الحصينة. و مما يذكره كيلر فى هذا الشأن (الصفحة ١٦٢) ان اسرائيل كانت قبيل سنة ١٢٠ قبل الميلاد قد بلغت الهدف الذى ظلت تكافح من أجله ردحا طويلا من الزمن.

فقد دخلت كنعان لكنها لم تستول على البلاد كلها استيلاء تاما. و خلفت وراءها خطا طويلا من المدن المحروقة. و قد تحاشى يوشع مهاجمة القلاع الحصينة مثل قلعتى القدس و جيزر. و بقيت كذلك فى أيدي الكنعانيين السهول الخصبة و وديان الأنهر، و سبقتى كذلك لعدة أجيال تأتى.

و بعد ان يتحدث كيلر عن مجيء الفلسطينيين من جزيرة كريت و احتلالهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٤٨

للساحل الجنوبى من فلسطين، ثم استقرارهم فى عسقلان و غزة و أشدود و عقرون، يشير الى تهديدهم للاسرائيليين و خطورة ذلك عليهم. فيقول (الصفحة ١٧٩): و فى حوالى ١٠٥٠ قبل الميلاد أصبح وجود اسرائيل نفسه مهددا بالخطر. فقد كانت توشك ان تخضع لنير الفلسطينيين و تواجه وجودا مفعما بالعبودية التى لا تنتهى. و تجاه هذا الضغط الخطير من الخارج أصبحت اسرائيل أمه من الأمم، و وقع اختيارها على شأؤول البنيامينى ليكون أول ملك لها .. و شأؤول هذا هو طالوت الوارد ذكره فى القرآن الكريم.

و قد اكتشف البروفسور أولبرايت على بعد عدة أميال من القدس سنة ١٩٣٣، فى تل يسمى «تل الفول»، بقايا قصر شأؤول و هو أول قصر ملكى لاسرائيل حيث كان يجلس شأؤول، على ما يذكر كيلر، و من حوله أصدقاؤه و ابنه يونا و أبن ابن عمه و قائد جيشه، و داود حامل سلاحه الشاب ..

على ان هذا كله على ما يبدو لم يكن ينفذ اليهود و لا ملكهم المتبخر شأؤول، فقد اصطدموا بالفلسطينيين و كانت النتيجة مميتة على

ما يقول كيلر (الصفحة ١٨١) لان انتصار الفلسطينيين عليهم كان كاملا- و انتحر شاؤول بعد ان قتل ابنه في المعركة. و احتلت أرض اسرائيل بأجمعها، ثم علقت جثة الملك و ابنه فوق أسوار مدينة بيت شان القريبة من ساحة المعركة .. و الظاهر ان ساعة اسرائيل الأخيرة قد دقت، و بدا أنها قد كتبت عليها الزوال. و هكذا سارت المملكة اليهودية الأولى، التي كانت تعقد عليها الآمال في البداية، الى نتائجها المخيفة. فقد أصبح الشعب الحر يوسف في قيود العبودية، و وقعت الأرض التي وعد بها في أيد أجنبية (كذا).

كيف استولى داود على القدس

لقد تولى قيادة بنى اسرائيل بعد اندحار شاؤول و انتحاره حامل سلاحه و قائد جنوده المرتزقة داود. فمن دركات القنوط الواطئة التي أصبح فيها الاسرائيليون، و وضعهم الميؤوس منه تحت نير الفلسطينيين، ارتقى هؤلاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج٥، ص: ٤٩

القوم، على ما يقول كيلر (الصفحة ١٨٤)، خلال عشرات قليلة من السنين الى موضع العزة و العظمة. و كان كل ذلك بفضل داود الشاعر مرتل المزامير.

فقد كان مجهول الهوية حامل الذكر عرف لأول مرة حاملا لسلاح شاؤول، ثم قائدا لقواته المرتزقة، و رجلا عنيفا من رجال المقاومة ضد الفلسطينيين بعد ذلك، حتى انتهى في عمر متقدم و هو يجلس في القدس على عرش شعب صار قوة عظيمة يحسب لها الحساب. و بعد ان يثنى كيلر على داود و شعبه، و يبالغ في مدح اعماله مبالغه يبدو فيها الأفراس الممل، يأتي على وصف الكيفية التي اكتشفت فيها طريقة استيلاء داود على القدس الحصينة و انتزاعها من البيوسيين .. فهو يقول (الصفحة ١٨٨) و قد أميط اللثام في نهاية القرن الماضي عن الطريقة الرومانتيكية التي وقعت فيها قلاع القدس الحصينة في يدى داود، بالصدفة من جهة و بالولع الاستكشافى الذى كان يتحلى به نقيب من نقيب الجيش البريطانى يومذاك من جهة أخرى ففى الجهة الشرقية من القدس حيث تنحدر الصخور الى وادى ستى مريم (كدرون) تقع عين ستى مريم. و كانت هذه العين على الدوام المعين الدائم للماء و الذى يستقى منه سكان المدينة المقدسة. و يمر الطريق المؤدى اليها اليوم بخرائب مسجد قديم، ثم بسرداب منعزل. و تؤدى ستون درجة هنا الى حوض صغير يتجمع فيه ماء صاف ينبثق من الصخر.

و فى ١٨٦٧ زار الكابتن وارن مع جمع من الحجاج هذه البركة المشهورة التى تقول عنها الاسطورة انها المكان الذى كانت السيدة مريم تغسل فيه أقمطة ابنها الرضيع. و قد لاحظ وارن فى هذه الزيارة وجود مغارة مظلمة فى السقف برغم العتمة الشديدة فى الداخل، على بعد عدة ياردات من اعلى البقعة التى كان يتفجر فيها الماء من الصخر. و الظاهر ان هذه المغارة لم يلاحظ وجودها أحد من قبل لأن وارن حينما سأل عنها لم يستطع الحصول على أية معلومات بشأنها.

القدس - الجزء الثانى (٤)

موسوعة العتبات المقدسة، ج٥، ص: ٥٠

فعاد فى اليوم التالى الى بركة العذراء و هو متشوق الى استطلاع الأمر من جديد، آخذا معه قطعة من الحبل الطويل و سلما مناسباً، من دون ان يعلم ان مهمة خطيرة يكتنفها شىء من المغامرات كانت فى انتظاره.

و كانت تمتد من منبع القناة الى ما فوق فى اتجاه الصخر بخط مستقيم قنأ غير متسعة. و كان وارن يجيد التسلق فى الجبال، و على علم بكيفية المروق من مثل هذه الممرات الضيقة. فتمكن بعناية فائقة من الصعود الى أعلى بطريق القنأ هذه، و بعد ما يقرب من أربعين قدما انتهت القنأ فجأة. و حينما تحسس وارن طريقه فى الظلام هناك وجد ممرا ضيقا فى النهاية، فدخل فيه و هو يزحف على الأربع و وجد ان عددا من الدرجات كان قد نحت فى الصخر. و بعد برهة من الزمن لاحظ أمامه من بعيد و ميضاً من نور، و وصل الى حجرة مقببة لا تحتوى الا على جرار و قنأ زجاجية يعلوها الغبار. و حينما حشر نفسه فى شق موجود فى الصخر هناك وجد أنه قد خرج الى

نور النهار الساطع في وسط المدينة، و بركة العذراء على بعد غير يسير من تحته.

و قد دلت الاستقصاءات الموثوقة التي قام بها باركر بعد ذلك في ١٩١٠، موفدا من المملكة المتحدة باشراف صندوق ارتياد فلسطين، على أن هذه الترتيبات المدهشة تعود في قدمها الى الألف الثانية قبل الميلاد. فقد بذل سكان القدس القديمة جهودا مضنية يومذاك في شق ممر من الصخر ليستطيعوا الوصول منه بأمان في وقت الضيق الى عيون الماء التي كانت تتوقف عليها حياتهم.

و بذلك اكتشف وارن بدافع حب الاستطلاع الطريق الذي كان داود قد استخدمه قبل ٣٠٠٠ سنة في الاستيلاء على حصن القدس بصورة مفاجئة.

فان كشافه داود الاستطلاعية لا- بد من أنها كانت على علم بهذا الممر السري كما يمكن ان يلاحظ من بعض نصوص التوراة التي كانت غامضة من قبل ..

و هكذا استقر داود في القدس و اتخذها عاصمته له بعد حبرون، ثم أسماها (مدينة داود) على ما تقول معظم المراجع و نصوص التوراة. و من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٥١

طريف ما يذكره كيلر (الصفحة ١٩١) عن داود، استنادا الى المكتشفات التي اكتشفها الفرنسيون في قصر مملكة ماري، ان داود لم يكن يسمى بهذا الاسم، و أن هذا الاسم هو لقب من الألقاب العسكرية التي كانت تعني «القائد»، و قد غلب عليه في التسمية و اختصر من «دافيدم» الى «دافيد». و استعان داود في تشييد قصره الذي أنشأه في اورشليم على هضبة صهيون، و سماه «بيت داود»، بحيرام ملك صور الفينيقي الذي بعث اليه بمهندسين مختصين و نجارين و نحائين ماهرين، مع شيء غير يسير من أخشاب أرز لبنان. اما العبرانيون فقد اقتبسوا حضارة اليبوسيين حينما أخذوا يستقرون في اورشليم، فغادروا الخيام و سكنوا البيوت كما كان يفعل الكنعانيون، و خلعوا عنهم الجلود التي كانوا يكتسون بها فلبسوا الثياب المنسوجة من الصوف التي تشبه ثياب الكنعانيين أيضا.

سليمان الحكيم

يبدأ كيلر (الصفحة ١٩٤)، عند البحث عن سليمان الذي أعقب والده داود في تولى الحكم في القدس، بإيراد عدة آيات من سفر الملوك في التوراة.

و كلها تدل على الأبهة التي كان يعيش فيها سليمان و على مقدار الثروة و الغنى عنده، و يفهم منها أنه كان له أربعون ألف مرابط من مرابط الخيل التي كان يستعملها لعرباته، و اثنا عشر ألف خيال و سائس. و أنه أنشأ اسطولا من السفن في عسيون جابر الكائنة بجانب إيلات، و أن جميع أوانيها كانت من الذهب لأن أسطوله كان يجلب اليه من الخارج الذهب و الفضة و العاج و القروود و الطواويس. و ان البيت الذي بناه لله (الهيكل) كان كله مغلفا بالذهب، و ان خيوله كان يأتي بها من مصر، و أن وزن الذهب الذي جيء به اليه في سنة من السنين بلغ «ست مئة ستين» و ستة قناطير. و بعد ان يذكر كيلر ان هذه المبالغات تكاد لا تصدق يعود فيقول انه من المؤكد ان بعض القصص الموجودة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٥٢

في التوراة يعتبرها العلماء من الأساطير مثل قصة بلعام المشعوذ و حماره الناطق، و قصة شمشون الذي كان شعره الطويل يمنحه مزيدا من القوة، و مع هذا فان هذه القصص الأسطورية هي في الحقيقة ليست خرافات مطلقا (كذا).

و لا ريب ان تعصب كيلر هو الذي يحدو به الى تدوين مثل هذا الرأي، و الى محاولة اثباته بالبراهين التنقيبية الملموسة. و هنا يشير الى التنقيبات التي أجرتها البعثة الأثرية الأمريكية برأسه نلسون كلوك سنة ١٩٣٧ في تل الخليفة في الأردن، و اكتشاف ميناء عسيون جابر فيه بالقرب من العقبة. و قد اكتشف هنا أيضا منجم كبير للنحاس الذي استخدم سليمان قسما منه في بناء الهيكل و

زخرفته في القدس، و صار يصدر مقادير كبيرة منه الى الخارج في مقابل الذهب و الأشياء الثمينه الأخرى التي كانت ترد اليه. فقد كانت عدة أشياء في هيكل سليمان هذا مصنوعة من النحاس، مثل المذبح و الحوض الكبير الذي كان يسمى «البحر» و قواعد الأركان العشرة و الأواني و الأحواض الصغيرة و ما أشبهه، علاوة على عمودى النحاس العظيمين «ياكين» و «بواز» في رواق الهيكل. ثم يقول كيلر ان سليمان، الذي يسميه كلوك «ملك النحاس العظيم»، لا بد من أنه كان من أعظم مصدري النحاس في العالم القديم. و يضيف بعد ذلك قوله ان سليمان نازع الفلسطينيين في الجنوب على حقهم في احتكار الحديد أيضا و حصل منهم على الطريقة السريه في استخراجها. و هكذا تصح نصوص التوراة عن النحاس و الحديد الواردة في سفر التثنية على حد قوله.

يضاف الى هذا ان سليمان كان عاهلا تقديما على ما يظهر. فقد كان مقتنعا بالاستفادة من الأدمغة و الخبرة الأجنبية، و هذا هو السر الذي جعل النظام الفلاحي البسيط الذي كان يتميز به اليهود في عهد أبيه داود يتقلب في قفزات سريعة الى نظام اقتصادى من الصنف الأول على ما يزعم. و هنا أيضا ينطوى السر في ثروته التي يؤكد عليها التوراة. حيث انه استقدم خبراء صهر المعادن و تنقيتها من فينيقية، و عهد الى حورام أبهى الصانع الماهر من (صور)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٥٣

بصب زخرفات الهيكل في القدس و تنسيقها. و استقدم كذلك خبراء في الملاحة و السفن، و فى شؤون الأرصفة و الموانىء، من البلاد الفينيقية. و قد وردت جميع هذه الأخبار و تفصيلاتها فى النصوص الفينيقية المكتشفة كذلك. فهى تنص على ان حيرام ملك صور عرض على «أمير اليهود» مواد إنشائية لقصره الجديد اذا ما تنازل له عن ميناء فى البحر الأثيوبى (الأحمر)، فقدم له الأمير ذاك بلدة إيلات و ميناءها. و مع وجود الكثير من النخيل حول المكان لم يكن هناك خشب مناسب للأغراض البنائية، و لذلك اضطر حيرام ان ينقل الخشب على ثمانية آلاف جمل. و قد بنى اسطول عدته عشر سفن من هذا الخشب.

و هنا يكتفى بهذا المقدار مما يذكره كيلر عن سليمان، الذى كان عصره من أبهى عصور القدس و أزهاها، و نتقل الى ما كتبه الكاتب الفرنسى المعروف جان لوى برنار عن سليمان مؤخرا. فقد أورد رأيا يكاد يكون غريبا يشكك فى كون سليمان يهوديا من بنى اسرائيل و يقول انه رجل أجنبى عنهم.

فهو يقول فى بحث طويل: ماذا يعنى الاله لدى الاسرائيليين؟ أن المتباكين لدى حائط المبكى فى القدس سيضحكون من أنفسهم ذاتها حين يعلمون ان سليمان مشيد الهيكل لم يكن يهوديا، و انما كان آشوريا. كان «نائب ملك» معين من الخارج لايجاد التوازن فى «برج بابل»، ذلك البرج الذى يضم شعوبا مختلفة الأصول تقطن فى فلسطين .. و سليمان هو شلما نصر الذى «عبرته» الاسرائيليون فحولوا اسمه الى سليمان ..

.. و بصورة عامة لعبت فلسطين دور نائب الملك التابع، و مهما أوغلنا فى تاريخها القديم لا نجد لها أبدا قد عاشت مستقلة، و حتى فى أيام داود، الذى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٥٤

تولى الحكم فى القدس، كانت تدور فى الفلك المصرى العملاق. و كل فرعون كان يعين نائبا له يختاره قطعا من العنصر المحلى. و الرومان قد حذوا حذو الفراعنة، فان هيرود مثلا كان من عنصر آخر، كان أيدوميا على حد تعبير العهد الجديد. و هذا العنصر قد قاسى ما قاسى من كره اليهود له.

. و كان فرعون يعين فى محميته «نائب الملك» ممن ليسوا من أهل المنطقة، ثم يزوجه امرأة من الطبقة الأرستقراطية المصرية. و امتد هذا الال-جراء حتى شمل الهاربين و الخونة و المرتدين السياسيين و كذلك الرهائن، و كانوا ينشئونهم على الطريقة المصرية و يزوجونهم بالطريقة نفسها. و بهذا الخصوص أقول ان أفضل مثل يضرب دون نزاع هو مثل سليمان .. ففى عهده دخلت سطوة مصر العسكرية فى دور الاضمحلال، كما هى حالة سطوة بابل. اما الكوكب الذى توسط كبد السماء فهو الكوكب الآشورى. فتحوّلت

«نيابات الملك» التابعة من يد الى أخرى، تحولت في فينيقية كما تحولت في فلسطين.

و أرجح كون سليمان ساميًا، كما كانوا ساميين أولئك الآشوريون المنحدرون من جبال زاغروس، و من صياصى القفقاس و معهم شطر من الأ-كراد .. كل هؤلاء هبطوا الى ما بين النهرين ليخضعوها بعد أن دب في أوصالها الانحلال .. و قد تمثلوا لغتها و ثقافتها. و الثقافات المسماة سامية نابعه من الجزيرة العربية القديمة الممعنة في الحضارة .. و سليمان من معدنهم، فهو نصف عربي (و هذه حصته البابلية)، و هو نصف كردى. و هذا يفسر لنا الصداقة التي تربط سليمان بالملوك الفينيقيين الذين ساعدوه في بناء هيكله الذائع الصيت في القدس. و يفسر لنا كذلك الحب الذي ستكرسه ملكة سبأ العربية للحكيم سليمان. و لو كان يهوديا لاستحالت هذه الصداقة و لاستحال هذا الحب الى كراهية و بغضاء، لأن اليهود و هم أمشاج مختلطة كانوا منبوذين في العالم العربي. و لكن هذا السامى الكردى مرتبط روحيا بمصر اذا لم يكن هذا الارتباط سياسيا، و قد تزوج بامرأة مصرية من طبقة روحية عليا تدين بديانة الآلهة هاتور و تتكتم في ديانتها هذه، و هاتور آلهة سماوية ذات وجه أسود.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٥٥

و ان آية الشاعر الملك الرائعة هي «نشيد الأنشاد» الذى هو عبارة عن غزل دينى كان سائدا آنذاك، و هو مصرى قلبا و قالبا، «اننى سوداء و لكننى حسناء».

.. و هذه الفكرة غريبة للغاية على التصوف اليهودى الذى لا يعطى المرأة أية قيمة روحية، بل الأمر بالعكس، و ان «نشيد الانشاد» هو نبع خالص من الأدب الصوفى المصرى .. و هناك مفسرون سطحيون رأوا فى هذه المعشوقة السوداء جارية من جوارى الحریم من الجنس الأسود، فيا لها من نظرة سخيفة .. فالحقيقة ان القضية هي قضية انشودة غرامية مهداة الى عذراء سماوية ذات قناع أسود. و هذه النظرية الغامضة كانت أساس العديد من الجمعيات السرية و هي كلها صوفية، و كانت تشمل الشرق بأسره فهل هذه مصادفة إذا كان سليمان يعتبر الأب الروحى لكهان الشرق؟

لقد كان عالما بأسرار الجانب الخفى من الدين. و ان الماسونية الحرة نفسها تدعى أنها تدين بدين سليمان و بهيكله المشهور فى القدس .. و الشك هنا لا محل له من الاعراب، فقد كان سليمان شخصية عظيمة لا سيما على الصعيد الروحى، فهل لهذه الغاية اغتاله اليهود؟ هذا ما يجعلنا نفهمه من الكتاب المقدس .. فانه بنائه الهيكل، و بفتحه أبواب القدس للروحانيات الأجنبية قد أوجد دواء لمرجسيتهم (عبادة الذات) .. و لكنهم فضلوا أسطورة الشعب المختار.

و اذا كان هذا الملك السامى الكردى قد استطاع ممارسة الدين الذى تكتنفه الخفايا و الأسرار- و هو من أعلم أهل زمانه- فانه كان مدنيا بهذا العلم لكاهنة مصرية من كهنة الآلهة هاتور، و هذه الكاهنة تزوجها بدافع الطموح السياسى .. و توج كل هذا بمعاهدة مصرية- آشورية. ففلسطين التى كانت حتى ذلك العهد محمية مصرية أصبحت فى الواقع آشورية. و قد وافق فرعون على تعيين نائب للملك الآشورى شريطة ان يرتبط بمصر عن طريق امرأة مصرية، و نصيبه كنصيب أسلافه .. و عن طريق المرأة نقلت مصر بحيازتها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٥٦

على التقاليد الانسانية القديمة امتيازاتها الروحية، فعهدت بها الى أجنب من النخبة الممتازة. و قضية سليمان نظرها كمثل .. و لأجل ان نحسن فهم ماهية هذه المنقولات علينا ان نناظر بين الملك سليمان المعبرن بصورة اعتباطية و بين شخصية أخرى هي شخصية الحبر الأعظم (يوياء) المعبرن هو أيضا بصورة كاذبة، فسموه يوسف الذى باعه أخوته ..

ملكة سبأ فى القدس

يفرد المستر كيلر فصلا خاصا (الفصل ٢١) لزيارة ملكة سبأ سليمان الحكيم فى اورشليم، يتحدث فيه عن «العربية السعيدة» و مدنيّتها و كونها كانت منبعا للكثير من السلع الثمينة النادرة التى كانت تأتى بها القوافل بانتظام الى الشمال، حتى صار سكان الكثير من البلاد فى

تلك الأعصر الخوالى يتخيلون سحرها و يتناقلون قصصا خيالية عن قبورها الملقى بالذهب، و عما كان فيها من توابل و عطور. و بعد ان يصف أشياء كثيرة من هذا القبيل يخرج كيلر من كل ذلك الى ان منتهى «طريق التوابل و العطور» كانت اسرائيل، و كان وكلاء سليمان الرسميون «تجار الملك» فى القدس و غيرها يتسلمون السلع الثمينة و يتاجرون بها. و لذلك كانت حياة ملكة سبأ تتوقف على هذه التجارة التى صار يملك زمامها يومذاك الملك سليمان نفسه. لأن هذه السلع و القوافل كان لا بد لها من ان تمر باسرائيل قبل أن تذهب الى سوريه و مصر و فينيقية.

و لأجل تأمين هذه التجارة المزدهرة، و نظرا للسمعة التى صار يتمتع بها سليمان يومذاك، شدت بلقيس ملكة سبأ الرحال الى اورشليم و فى صحبتها هدايا ثمينه اليه. و بهذا يمكن اعتبارها شريكه تجاريه له، على ما يفهم مما يذكره كيلر. لكن التوراه تعلل زيارتها لسليمان فى القدس بكونها كانت تريد امتحانه ببعض الأمور و تلمس الحكمة منه (الاصحاح العاشر من سفر الملوك الأول). فلما اختبرته و وقفت على ما عنده من حكمه قدمت اليه هدايا

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٥، ص: ٥٧

كثيره. فقد قدمت له مائه و عشرين وزنه من الذهب و كميات كبيره من الطيوب و الحجارة الكريمه. و لا شك ان هذا كله يدل على ثروه هذه الملكة و غناها إن صحت الروايات، و على شهرة سبأ بالذهب عند اليهود.

على ان الدكتور جواد على يقول فى تاريخه ان قصه هذه الزياره و إن كانت دوت فيما بعد، كتبها كتبه التوراه بعد عدة قرون، تستند الى قصص قديم كان متداول و لا- شك بين العبرانيين، فدونها هؤلاء الكتاب. و قد رأى بعض نقده التوراه ان هذه القصه كتبها أولئك الكتبه لاثبات عظمه سليمان و سعه دولته و شهرة حكمته. غير ان هذا لم يبت به حتى الآن. و رأى آخرون ان هذه الملكة لم تكن ملكة سبأ فى اليمن، بل كانت ملكة تحكم فى العربيه الشماليه، و ربما كانت تحكم جماعه من السبائين المقيمين فى الشمال. و يستند الدكتور فى هذا على ما يقوله البحاثه هيستينغ .

اما و يندل فيليبس منقب جامعه كاليفورنيه الذى أجرى فى نهايه ١٩٥١ تنقيبات أثريه فى مأرب، يشير اليها المستر كيلر نفسه، فيقول فى كتابه عن ملكة سبأ: و الجدير بالذكر انه لم يسبق لأى شىء فى ذلك الجزء من العالم أن نسب الى زمنها الذى كان على وجه التقريب حوالى سنه ٩٥٠ قبل الميلاد.

و الآن و نحن نتطلع الى نقوش من صنع انسان قد يكون حيا فى الوقت الذى كانت تعيش فيه بلقيس، فانه لا يسعنا الا أن نفكر فى ملكة سبأ أكثر فأكثر.

و كان الكثير من الأساطير قد دار حول ملكة سبأ، تلك الملكة التى ورد ذكرها، أول ما ورد، فى الفصل العاشر من سفر الملوك، حيث قص علينا

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٥، ص: ٥٨

نبأ زيارتها للملك سليمان فى القدس. و فى ذلك الوقت كان الملك سليمان.

الذى قدر الاستاذ أولبرايت انه كان يعيش فى الفترة الواقعة ما بين سنه ٩٦١ و سنه ٩٢٢ قبل الميلاد. يشرف على عمليات بحريه فى البحر الأحمر و المحيط الهندي. و كما روى سفر الملوك انها قدمت شمالا فى قافله من الجمال.

و مما لا شك فيه ان زيارتها كانت ذات قيمه تجاريه مهمه، فانها أهدت الملك ١٢٠ وزنه من الذهب و الأحجار و اللاكلىء التى لم يشاهد مثلها من قبل .. و كان هناك مقدار و فير من التوابل لم يسبق ان شهدت مثله القدس.

.. و يقول بعض المؤرخين ان ملكة سبأ كانت بالفعل شماليه تحكم قبائل رحل فى شمال شبه الجزيره العربيه. أكثر منها ملكة تخضع لها الأمه التى كانت عاصمتها مأرب. و بالرغم من ان هناك ملكات من العرب أكثر من الملوك. و ورد ذكرهن فى النقوش و الكتابات الآشوريه، خلال الفترة الواقعة بين سنه ٨٠٠ و سنه ٦٥٠ قبل الميلاد، فان ذلك لا يثبت ان الملكة انما كانت تعيش فقط فى شمال

الجزيرة العربية ..

و من بين القصص التي تروى عن هذه الملكة عند زيارتها للقدس قصة تشرح كيف انها بعد أيام من وصولها الى بلاط الملك سليمان قد رأت الملك يصاب بصدمة حينما سمع الشائعات التي تقول عنها ان لها رجل عترة. و لما لم يكن الملك راغبا في إحراج هذه السيدة. و أن يسألها ان ترفع أهداب ثوبها لترى قدمها، فقد أعدّ خطة بارعة للتوصل الى ما يريد .. فقد بنى مهندسوه أرضا من البلور تلوح للرائي كأنها ماء. و قد جاء اليوم، و كان سليمان يقف فيه في المكان المواجه للأرض البلور. عندما دعا ملكة سبأ لتنضم اليه. و اعتقادا منها بان عليها ان تعبر ماء رفعت الملكة ثوبها كما تفعل السيدات و قفزت الى الأمام. و قد رأى سليمان ما قرت به عينه و هداً خاطره .. كانت تملك ساقين عاديتين .. و لطيفتين أيضا.

و من بين الأساطير الحبشية. أسطورة تقول انه لما كانت ملكة سبأ امرأةً صالحة ترفض باستمرار ألوان الغزل و المداعبة التي يعرضها عليها الملك سليمان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٥٩

فقد دعاها في ليلة حارة إلى عشاء دسم، ثم وضع جرّة تحتوى على ماء بارد قرب فراشه بينما وضع جرّة فارغة قرب فراشها. و بعد ان استراحت الملكة فعلت تلك الأظعمة فعلها فزادت في عطشها. و أخيرا تسللت الى مخدع سليمان لتستعير شيئا من الماء، و بدأ اقتربت عن براءة بنفسها من صاحب الجلالة الذي كان ينتظرها على أحر من الجمر.

و قد تكون هذه الأساطير ملفقةً مخترعةً و لكنه ليس هناك سبب واحد يدعوننا الى الشك في ان الملكة المشار اليها كانت ملكة فعلا.

نهاية الدولة اليهودية

لقد قضى سليمان نحبه في سنة ٩٢٦ قبل الميلاد فقبر و قبر معه الى الأبد حلم اسرائيل ببقائها دولةً واحدةً معظمه، على ما يقول كيلر (الص ٢٢١) فقد تسنى لداود و سليمان ان يحققا شيئا من هذا الحكم المفعم بالطموح خلال جيلين من الأجيال، و لكن في اللحظة التي رحل فيها سليمان الى العالم الآخر نشبت الخلافات العشائرية بين اليهود من جديد فتحطمت الامبراطورية الفلسطينية نتيجة ذلك النزاع. و حلت في محلها مملكتان- مملكة اسرائيل في الشمال و مملكة يهوذا في الجنوب. و كان الاسرائيليون هم الذين يعملون على تقويض امبراطوريتهم، فأدى هذا الى ان يقع سكان اسرائيل فريسةً للأشوريين و سكان يهوذا فريسةً للبابليين. و كان الذي حل بهم، و هم منقسمون على أنفسهم، أسوأ من مجرد اختفائهم في عالم النسيان. فقد وقعوا بين شقي رحى الدول المعظمة التي قدر لها في القرن الذي أعقب ذلك ان تسيطر على المسرح العالمي، و انتهارت مملكتا يهوذا و اسرائيل في غمرة النزاع المحتدم و لما يتم مرور ٣٥٠ سنة على موت سليمان فاصبحتا أثرا بعد عين.

فقد نفذت آخر رغبة لسليمان قبل وفاته، على ما يذكر كيلر، و جلس ولده رجعام على عرش القدس ليحكم القبائل كلها مدةً و جيزة من الزمن.

لكن الأسباط سرعان ما ازدادت الخصومة و النزاع بينهم فرجت البلاد في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٦٠

حرب أهلية، و آل ذلك الى انفصال عشرة أسباط عن عرش سليمان في القدس و اسسوا لهم في الشمال مملكة أخرى في ٩٢٦ قبل الميلاد باسم اسرائيل و عاصمتها شكيم. و نصب رجعام ملكا عليها. اما السبطان الباقيان، يهوذا و بنيامين، فقد بقيا على ولائهما لرجعام في الجنوب فتكونت منهما مملكة يهوذا التي اتخذت القدس عاصمةً لها.

و مع هذا فقد استمر النزاع بين المملكتين مدةً من الزمن. و ما ان نشبت الحرب الأهلية بينهما حتى تعرضت فلسطين الى احتلال غير منظر دام عدة أجيال. فقد هاجمها شينشق (الفرعون شينونك الاول) من مصر بجيوشه و اكتسح البلاد فنهبها في طريقه. و كانت أعظم

الغنائم التي استولى عليها غنائم القدس العاصمة، إذ نهب هيكل سليمان و ما فيه من نفائس، و نهب قصره الذي يسميه التوراة «بيت لبنان»، و لم يكن يمضى على تشييدهما أكثر من عشرين عاما، و بذلك جردت النصب الدالة على عظمة سليمان عن عزتها و مجدها. و صار رجبعام يصنع دروعه من النحاس بدلا من الذهب، و فى هذا فال سىء على ما تقول التوراة.

اما اسرائيل فقد بلغت درجة من الضعف تغلبت فيه عليها حتى مملكة مؤآب. على ان الخطر ظل يهدد الدوليتين اليهوديتين من الشرق. فقد كان نجم الآشوريين آخذا بالصعود، و صار ماوكها العظام يولون وجوههم شطر الدول و الامارات السامية التي تحجبهم عن البحر فى سوريه و فلسطين. و سرعان ما هوجمت المدن الفينيقية .. و لا شك ان هذا كان نذير سوء للمملكتين اليهوديتين فى فلسطين فقد قيل .. «من حلقت لحيه جار له فليسكب الماء على لحيته». فقد تولى الحكم فى آشور تيغلات بيلسر الثالث، و راح يكتسح بلدان البحر الأبيض المتوسط على ما يقول كيلر (الصفحة ٢٣٨)، و أجبر الشعوب المستقلة على ان تكون تابعة الى الامبراطورية الآشورية. ثم توجه الى فلسطين فخضعت له اسرائيل فى عهد الملك مناحيم الذى تحاشى تدمير بلاده بدفع ألف قنطار فضة جمعها من أهالى اسرائيل المتمكنين. و يذكر كيلر ان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٦١

هذه تساوى بعملة اليوم ستة ملايين باون ذهب استرليني، و يقدر ان اسرائيل لا بد من ان يكون فيها يومذاك حوالى ستين ألف موسر، لأن كلا منهم دفع خمسين شقلا.

و ما ان تراجع تيغلات بيلسر حتى هب رزين ملك دمشق و تزعم تكوين حلف من الدويلات الآرامية فى وجه هذا الخطر الداهم. و انضمت اليه اسرائيل و الدويلات الفينيقية و العربية، على ما يذكر كيلر، و كذلك انضمت مدن فلسطين الجنوبية و الأدوميون. و حينما امتنع يوحاز ملك يهوذا فى القدس عن الانضمام الى الحلف هاجمته الدويلات المتحالفة فى عاصمته فاستنجد بسيدة فى آشور. و كانت النتيجة على ما يذكر التوراة (سفر الملوك) و تؤيده التنقيبات الأثرية، ان دمرت اسرائيل تدميرا تاما و محيت من الوجود على يد سرجون الثانى. إذ يقول كيلر ان عشرات الآلاف من الناس طردوا بعنف من ديارهم، و سيقوا الى بلاد غريبة، و حل فى محلهم أناس جىء بهم من مختلف الأنحاء.

و هكذا اختفى من الوجود سكان مملكة اليهود الشمالية و ملوكهم، و امتصتهم شعوب بلاد أخرى، فلم يظهروا بعد ذلك الى الوجود مطلقا. فان جميع التنقيبات الأثرية التى أجريت للتفتيش عن مصير الأسباط العشرة لم تؤد الى نتيجة ما.

اما مملكة يهوذا فقد توفى ملكها الذى جامل الآشوريين و استكان لهم، و تولى بعده ابنه حزقيا، فأخذ يكتل مدن فلسطين الجنوبية معه. و اتصل بفرعون مصر شاباك الحبشى يومذاك لا سيما و قد كانت وفوده موجودة فى أورشليم. و قد رد سرجون على ذلك فى الحال بتدمير مدن فلسطين الجنوبية، و نكل بها تنكيلا شديدا كما يفهم من النقوش المكتوبة على جدران قصره، و بذلك قضى على الجبهة المناوئة له. فالتفت حزقيا عند ذاك الى مردوخ بلادان ملك بابل ليتعاون معه فى تكوين جبهة جديدة، و حينما هم سرجون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٦٢

بالقضاء على خصومه الجدد اغتيل فى قصره فتأخرت الكارثة التى كانت بانتظار مملكة يهوذا و عاصمتها أورشليم.

على ان حزقيا صار يعد للأمر عدته، فأصلحت مواقع الدفاع فى أورشليم و هيئت لحصار طويل الأمد، بعد أن جددت الأجزاء القديمة من الأسوار و شيدت فيها الأبراج. كما شيد سور خارجى ثان من الجهة الشمالية المعرضة للهجوم، بعد ان هدم بعض الدور من أجله. و أهم ما اتخذ فى هذا الشأن من تدابير تدبير الماء للمدينة فى أثناء الحصار. ففى خارج المدينة حيث تنحدر السفوح الجنوبية انحدارا تدريجيا نحو وادى كدرون كانت توجد بركة ماء، فاتخذ تدبير بارع صار يمكن به تحويل ذلك الماء بصورة سرية الى المدينة عند الحاجة.

اما الآشوريون فقد تولى العرش عندهم بعد سرجون الثانى ابنه سنحاريب، و بعد أن أدب المتمردين فى بلاد بين النهرين توجه فى

نهاية سنة ٧٠٢ ق.م فسحق البلاد النائرة في الحال، واستولى على مملكة يهوذا كلها عدا عاصمتها أورشليم. فقد حاصرها وضيّق عليها الخناق من جميع الجهات، وظل على هذه الحال حتى حدث أمر مفاجيء أمر فيه سنحاريب جيوشه بالانسحاب والعودة الى آشور. ولا تشير النقوش الآشورية الى سبب الانسحاب بشيء، لكن المستر كيلر يستنتج من التنقيبات التي وجدت بالقرب من القدس أن وباء مخيفا تفشى في الجيوش الآشورية فأدى الى الانسحاب، بعد ان وافق حزقيا المحاصر في أورشليم على دفع غرامه باهظة. و يقول النص المختص بموقعة القدس هذه، المستمد من النقوش الآشورية، على لسان سنحاريب ما يأتي: .. أما حزقيا فقد انسحق بروعة جلالتي .. و أرسل الى نينوى من بعدى كنوزا ثمينه .. ثلاثين قنطار ذهب، و بعث بناته و نساء حرمه، و بالمغنين نساء و رجالا. و لتقديم الطاعة و الجزية بعث برسله .. اما التوراة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٦٣

(سفر الملوك الثاني) فيذكر ان حزقيا بعث الى نينوى بثلاثمائة قنطار فضة و ثلاثين قنطار من الذهب.

سبي بابل

و هكذا تدنى أمر مملكة يهوذا، لكن القدر انقذها في آخر لحظة و بقيت على قيد الحياة ضعيفة الجانب مهيبضة الجناح. و أخذت تستعيد شيئا من الحياة بالتدريج خلال المدّة التي حكم فيها أسرحدون بعد ابيه سنحاريب في آشور، و آشور بانيبال من بعده. و قد حصلت تطورات خطيرة بعد ذلك في توازن القوى فأدت الى انتهاء أمر آشور كدولة معظمه، و ظهور الميديين و الكلدانين في بابل. إذ تحالفت هاتان القوتان فيما بينهما فقضتا على الدولة الآشورية و تقاسمتا أسلابها، و كانت المناطق الشمالية و الشمالية الشرقية من حصّة الميديين و البقية من حصّة البابليين. و بهذا وقعت سورية و فلسطين من حصّة نيبو بلاصر والد نبوخذنصر.

و كان أول ما فعله انه بعث بنبوخذ نصر ولي عهده لتسليم ممتلكاته الجديدة.

و كانت مملكة يهوذا قبيل ذلك قد وقعت فريسة في يدي نخو فرعون مصر الذي ألحق فلسطين و سورية به. و أخذ يهوذا بن يوشيا أسيرا الى مصر بعد أن جرده من كل ما يمت للملكية بصله، و نصب في أورشليم مكانه ابنا آخر من ابناء يوشيا يدعى يواقيم فبدل اسمه الى يهوياقيم.

و ما باشر نبوخذنصر بدحر نخو فرعون مصر في شمال بين النهرين تمهيدا لتسلم سورية و فلسطين حتى توفي والده فعاد الى بابل و تأخرت نهاية يهوذا المؤدية الى سبي بابل بضع سنوات. و في دورة القرن السادس قبل الميلاد وقعت الواقعة التي أدت الى محو مملكة يهوذا من الوجود الى الأبد و شطبها من سجل التاريخ كأمة من أمم الشرق القديم، على ما يقول كيلر (الص ٢٧٣).

و أخذت الحوادث تترى بسرعة مخيفة على الدولة التابعة و سكانها في أورشليم و ما يحيط بها. فقد آل بهم الأمر الى طريق المنفى و الترحيل القسري الى بابل.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٦٤

و قد بدأت الواقعة برفض الجزية و اعلان الثورة على السيد الاقطاعي الجديد على ما يعبر عنه كيلر، و ذلك في سنة ٥٩٧ ق.م: فلم يتدخل نبوخذنصر في بادىء الأمر و انما اكتفى بسوق جيوش محلية من مؤاب و أمون و سورية على أورشليم، و حينما عجزت عن قمع الثورة بسرعة خف هو بنفسه الى مملكة يهوذا. و بينما كان في طريقه اليها مات يهوياقيم فجأة، و تولى عرش أورشليم في مكانه ابنه يهوياكين. و كان هذا يبلغ الثامنة عشرة من العمر، و لم يحكم سوى ثلاثة أشهر. و حينما وصل نبوخذنصر الى أسوار أورشليم استطاع فتحها و القضاء عليها بعد أن نهبها و دمرها، ثم أخذ ملكها و سبي أهلها الى بابل.

و يقول كيلر إن التوراة يذكر بأن يهوياكين و أسرته قد أخذوا أسرى الى بابل في سنة ٥٩٧ ق.م، لكن التنقيبات الأثرية التي أجراها الاستاذ كولدبوي الألماني في بابل سنة ١٨٩٩، و الرقم الطينية التي ظلت محفوظة الى سنة ١٩٣٣ حتى قرأها و حل رموزها فايدنر،

تميط اللثام عما يخالف ذلك. فلم يضطهد اليهود في بابل كما جاء في التوراة و انما عاش ملكهم مع أسرته و حاشيته في قصر نبوخذنصر نفسه في بابل عيشة مرفهة. كما تشير الى ان نبوخذنصر سمح لمملكة يهوذا، بعد أن أخذ ملكها و سبي قسما من أهلها، بأن تبقى مملكة من الممالك التابعة الى بابل. و كان الذي تولى عرش أورشليم بعد يهوياكين عمه ماتانيا الذي أعاد نبوخذنصر تسميته باسم صدقيا.

و مع هذا فقد عادت يهوذا الى الثورة و العصيان بتحريض من فرعون مصر المسمى أفريز. فخف نبوخذنصر في هذه المرة الى يهوذا بسرعة الصاعقة، في حملة تأديبية ماحقة. و بعد ان استولى على انحاء المملكة كلها من جديد ظلت أورشليم تقاوم مدة ثمانية عشر شهرا بأمل وصول النجدة التي وعدت بها من مصر. لكن أملها في ذلك كان سرايا خادعا، و لم يكن بالامكان تأخر النتيجة القاضية. فقد تمكن الجيش الكلداني من اقتحام أورشليم، و أسر صدقيا ثم ذبح أبناءه على مرأى منه، و سملت عيناه تنفيذا لما يقتضيه القانون العسكري البابلي بالنسبة للخونة. اما أورشليم فقد أبيحت للسلب و النهب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٦٥

و أضرمت النار في هيكل سليمان و القصر الملكي، ثم هدمت أسوار المدينة الى الأرض. و في هذه المرة أيضا سبي قسم كبير من اليهود (سنة ٥٧٦) و أخذوا الى بابل، فمحي نبوخذنصر بذلك أسرة داود الملكية من الوجود بعد ان حكمت في أورشليم مدة اربعمائة سنة. و اصبحت يهوذا كلها مقاطعة بابلية. اما الذين تخلفوا في البلاد من اليهود فقد نظموا حرب عصابات للمقاومة في الجبال، و قتلوا الحاكم البابلي غيداليا على ما يدعون. و قد أدت هذه الأعمال الى قيام البابليين بترحيل اليهود للمرة الثالثة و الأخيرة من فلسطين، و استطاع عدد منهم الافلات من ذلك فنجوا بأنفسهم الى مصر. و هكذا أسدل ستار التاريخ على بلاد خالية، و تفرق أسباط اسرائيل مع الرياح الأربعة على حد تعبير كيلر.

ثم يذكر كيلر (الصفحة ٢٨٠) ان بعض علماء التاريخ مثل كوك و تيرى ينكرون صدق الرواية التي توردها التوراة في ترحيل السكان الى المنفى، و هم يرون ان الترحيل لم يكن بمقياس واسع من يهوذا و انما أخذت بعض الأسر المرموقة و أسرت في بابل. لكن التنقيبات الأثرية تدل على عكس ذلك تماما، حيث لم يعثر في التنقيب و لا على بلدة واحدة في مملكة يهوذا ظلت مسكونة باستمرار خلال مدة السبي. فقد دمر البابليون مملكة يهوذا تدميرا كاملا و أخلوها من السكان، و بذلك يكونون قد نظفوها و كنسوها كنسا كاملا على حد تعبير كيلر.

و هكذا، فبعد ستماية و خمسين سنة من الوقت الذي وطأت فيه أقدام أبناء اسرائيل أرض الميعاد لم يبق فيها من نسلهم و لا شخص واحد. و بذلك تحققت تحذيرات انبيائهم و تهديداتهم، و نفذت ارادة الله بحقهم. فتعزو التوراة ما أصاب دولتي اليهود من نكبات الى انحرافهم المستمر و إكثارهم من الخيانة و تعاطي الرذائل. فقد جاء في الأصحاح السابع عشر من سفر الملوك:

و عبدوا آلهة أخرى و جروا على سنن الأمم التي طردها الرب من وجههم،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٦٦

و على ما سنه ملوك اسرائيل . و عملوا في الخفاء أمورا غير مستقيمة في حق الرب إلههم، ابتنوا المشارف في جميع مدنهم و أقاموا أنصبا على كل أكمة.

و قتلوا هناك مثل سائر الأمم، و فعلوا أفعالا سيئة لاسخاط الرب، و عبدوا الأصنام فأمرهم الرب على ألسنة أنبيائه بالتوبة و حفظ وصاياهم فلم يسمعوا، و صلبوا رقابهم مثل آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب، و ردلوا فرائضه و عهده، و اقتفوا الباطل و تركوا جميع وصايا الرب إلههم. و صنعوا لهم عجولين من المسبوكات، و أقاموا غابا و سجدوا لجميع جند السماء، و عبدوا البعل و أجازوا بنيهم و بناتهم في النار. و تعاظوا العرافة و الفأل و باعوا أنفسهم لعمل الشر، فغضب الرب جدا من اسرائيل و نفاهم من وجهه و لم يبق الا سبط يهوذا. و يهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الرب و سلكوا في سنن اسرائيل فذلل الرب جميع ذرية اسرائيل و أذلهم و أسلمهم الى أيدي الناهبين

.. وهناك في الاصحاح السادس و الثلاثين من سفر أخبار اليوم الثاني إشارة الى ذكر استيلاء نبوخذنصر على اورشليم و سقوط دولة يهوذا. فقد جاء:

حتى ان جميع رؤساء الكهنة و الشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم. و نجسوا بيت الرب الذي قدسه، في اورشليم، فارسل الرب إله آبائهم اليهم عن يد رسله مبكرا و مرسلا لأنه أشفق على شعبه و على مسكنه فكانوا يهزأون برسل الله، و ردلوا كلامه و تهاونوا بانبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه، حتى لم يكن شفاء. فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم، و لم يشفق على فتى أو عذراء و لا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليد، و جميع آنية بيت الله الكبيرة و الصغيرة، و خزائن بيت الرب و خزائن الملك و رؤسائه. و أحرقوا بيت الله و هدموا سور اورشليم، و أحرقوا جميع قصورها بالنار، و سبى الذين بقوا من السيف الى بابل فكانوا له و لبنيه عبيدا الى أن ملكت مملكة فارس.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٦٧

حياة السبي

تدل التنقيبات الأثرية، و اللقى التي عثر عليها في بابل و غيرها، على أن حياة اليهود في المنفى لم تكن حياة سيئة كما تذكر بعض المراجع. فقد كانت عيشتهم فيها عيشة مرفهة، اكتسبوا فيها ثقافة عامة هيئوا أنفسهم بواسطتها لمقاومة الفناء و الاحتفاظ بخصائصهم المعروفة. إذ يذكر كيلر (الصفحة ٢٨٣ - ٢٩٠) بعد ان يصف بابل و عظمتها، و يشير الى أنها لم تكن مركزا تجاريا فقط بل مركزا دينيا عظيما أيضا، و الى أنها كانت أعظم من طيبة، و ممفيس و أور، و حتى أعظم من نينوى، بان يهود السبي الآتين من فلسطين و حتى من اورشليم المتغترسة كانوا أناسا ضيقى الأفق محدودى التفكير، و لم يكونوا يعرفون سوى الطرق الضيقة و الأزقة المظلمة.

و يشير كذلك الى ان يهود المنفى أخذوا بوصية جرميا التي بعثها من اورشليم الى كبارهم و أنبيائهم و حاخامهم و قد نجحوا نجاحا باهرا، ثم عاشوا عيشة مثمرة في ظل السلم الذي توخوه. فقد كتب لهم جرميا (سفر جرميا) يوصيهم ببناء منازل و السكنى فيها، و زرع البساتين و الحقول و أكل حاصلاتها حتى يتكاثروا و لا يقل عددهم. و طلب اليهم أن ينشدوا السلم في المدينة التي أخذوا سببا إليها. و بذلك كانت حالتهم أحسن من حالة أجدادهم الذين وجدوا في مصر على عهد النبي موسى، و لا تقارن بها.

و من طريف ما يذكره المستر كيلر في هذا الشأن، مما عثر عليه المنقبون الأمريكيان في نقر، ان أسرة يهودية من أسر السبي كانت قد أسست شركة خاصة لها و فتحت محلا تجاريا مقره في نقر و فروعها في كل مكان. و كانت هذه الشركة المسماة بشركة «موراشو و أولاده» تدير مصرفا دوليا، و تتعاطى أعمال التأمين و نقل الملكية و القروض و المتاجرة بالأراضي الزراعية و غير الزراعية و ما أشبهه، حتى أصبحت ذات سمعة كبيرة وصيت ذائع. و قد استمرت في أعمالها خلال مدة تقارب مائة و خمسين سنة، و بقيت الى أيام الفرس الذين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٦٨

حكموا بابل بعد الكلدان. و يشبه كيلر هذه الشركة بشركة «لويد» في يومنا هذا، فيدعوها «لويد بين النهرين». و لقد اكتشفت وثائق هذه الشركة و مخبراتها محفوظة في جرار مسدودة بالاسفلت. و مما وجد فيها ان الذين كانوا لا يستطيعون الكتابة من عملائهم و مراجعهم كانوا يوقعون على المستندات ببصمة أظافرهم. و يورد كيلر تفصيلات عدد من المعاملات التي قامت بها شركة موراشو هذه لاناس معينين بأسماء معروفة. كما يورد نصوص مقاولات موقع عليها ببصمة الأظافر و مؤرخة بتاريخ أيلول أو غيره.

و يفهم من كل هذا ان ضمانات الذين يسجنون عن الديون كانت تودع في مصرف هذه الشركة، التي كانت تخصص شعبة خاصة من دائرتها لكل شأن من شؤون الحياة. و ان مقدار الفائدة كان عشرين بالمائة. و يعقب كيلر على هذا بقوله ان شركة موراشو و أولاده

يمكن ان تتخذ مثالا للمهنة التي أصبحت منذ عهد السبي مقرونة بأبناء اسرائيل. فقد أصبحت بالنسبة لهم مهنة مفضلة و بقيت كذلك حتى يومنا هذا، و هي مهنة المتاجرة و البيع. و قد كانوا في موطنهم الأول فلاحين و مربى حيوانات و أصحاب أراض و باعة فقط. لأن قانون اسرائيل لم يخصص نصا للتجارة التي كانت مهنة غريبة عنهم، و لذلك كانت تترك للكنعانيين و غيرهم. و يقول كيلر بعد ذلك ان انتقال اليهود الى المهنة التي كانت محرمة عليهم حتى ذلك اليوم كان عملا بارعا للغاية، لأنه برهن بالنسبة لما عندهم من تعلق شديد بعقيدتهم القديمة على كونه أحسن ضمان لبقائهم كشعب من الشعوب بين أمم الأرض. فهم كفلاحين و زراع لو استمروا على مهنتهم و انتشروا في الأرض لاختلطوا و تزاجوا مع الأقوام و العروق الأخرى، و لأدى ذلك خلال أجيال معدودة الى امتصاصهم و اختفائهم من الوجود. فقد تطلبت مهنتهم الجديدة هذه ان تكون بيوتهم في مجتمعات كبيرة يستطيعون في ضمنها ان يكتلوا أنفسهم في مجتمع خاص بهم و يمارسون طقوسهم الدينية المختصة بهم. و هذا يعني أنها كونت فيهم التماسك و البقاء على أنهم مهما أخلدوا الى السكينة و السلام في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٦٩

المحيط الذي كانوا يوجدون فيه، و مهما استفادوا من كل ذلك، فانهم لم يستطيعوا نسيان مدينة داود أورشليمهم المحبوبة.

العودة الى أورشليم

و حينما تسنى لكورش ملك الفرس ان يقضى على الدولة الكلدانية في بابل سمح لليهود المقيمين فيها بالعودة الى أورشليم، و أصدر أمره الامبراطوري الذي كان مكتوبا بالآرامية يومذاك الى شيش بازار الحاكم في أورشليم بالاشراف على اعادتهم و تعمير أورشليم و الهيكل فيها، و أعطاهم ما أخذه نبوخذنصر من المعبد من أواني الذهب و الفضة، فعادت جماعات منهم على دفعتين يبلغ عددهما معا خمسين ألفا، بينما تخلف أكثر المنفيين في «المنفى». و يقول كيلر (الص ٢٩٩) انه من المفهوم في هذه الحالة بعد بقاء اليهود خمسين عاما في المنفى ان لا يغتنم هذه الفرصة بالعودة الى موطن آبائهم. و على كل فقد كان من المجازفة للفرد منهم ان يغادر بلاد بابل الغنية التي استقر فيها، و نشأ معظمهم بين ظهرانيتها، فيسلك طريق العودة الوعر و يعود الى خرائب البلاد التي ظل ينقع فيها البوم. و على الرغم من هذا غادرت بابل في ربيع سنة ٥٣٧ قبل الميلاد، بعد استعداد طويل الأمد، قافلة كبيرة نحو أرض «الوطن».

و ليس من الصعب ان نتصور شكل هذه القافلة بحاخاميتها و مغنيها و حماليها، و بنسائها و أطفالها، و هم يسرون وئيدا على ضفاف الفرات العظيم، ثم يتجهون الى الغرب فيمرون بدمشق و منها الى أسفل جبل الشيخ و الى بحيرة طبرية. و بعد ذلك حلّ اليوم الذي لاحظوا فيه من بين قمم اليهودية السمرات خرائب مدينة صهيون المقفرة و شاهدوها بأعينهم، فكانت أورشليم بعينها.

و يعتقد علماء الغرب و عدد كبير من مفكريهم «ان مستقبل العالم كان ينطوي في تلك القافلة التي ذهبت الى أورشليم» فقد كان يتوقف عليها أمر كتابة التوراة و الانجيل كما نعرفهما اليوم- التوراة و الانجيل و العقيدة اليهودية و النصرانية، مع عدة قرون من الحضارة الأوربية. فلو لم تحصل العودة الى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٧٠

أورشليم للقيت مملكة يهوذا على وجه التأكيد نفس المصير الذي آلت اليه مملكة اسرائيل قبلها، و لاختلط أفرادها بأمم الشرق و انعدم وجودها بين الأمم». و لا شك أنهم يقصدون بذلك ظهور السيد المسيح و نشوء النصرانية التي ظهرت بعد عودة اليهود من السبي كما لا يخفى.

و حالما عاد اليهود الى أورشليم بنيت أسس الهيكل الجديد في غمرة من الحماسة المتصاعدة على حد ما يقول كيلر. لكن العمل سرعان ما أخذ بالتباطؤ، و فترت الحماسة العظيمة التي ظهرت في بادئ الأمر، لأن الحياة كانت شاقه جافة في تلك البلاد التي فرغت من سكانها حيث كانت البيوت المتهدمة عاجزة عن تقديم أقل نسبة من الأيواء و الحماية للناس. و كان هناك علاوة على هذا مشكلة

الحصول على القوات و المعيشة، حتى أصبح الكل أعجز من ان يهتم بغير مشكلاته الخاصة. و مع هذا فقد تقدم التعمير ببطء، و كان أول المستوطنين فقراء معدمين كما يبدو من المكتشفات الأثرية.

و ليس من الغريب ان يعمد كيلر في كتابه هذا الى عدم ذكر المقاومة التي قوبل بها اليهود العائدون من سكان البلاد الأصليين، و هو الذى يبدو تحيزه واضحا لليهود فى ثنايا الكتاب. إذ يقول الأستاذ دروزة انهم حينما أخذوا يستعدون لتعمير المدينة و المعبد بعد وصولهم تصدت لهم شعوب الأرض فى شرق الأردن و غربه و أرسلوا العرائض ضدهم الى ملك الفرس الذى خلف كورش يحذرونه منهم، و يذكرون له ما كان من سيرة آبائهم. حيث يبدو من هذا استمرار كراهية و حقد أهل البلاد لهم نتيجة لما كان من سيرتهم معهم. و قد نجحوا فى حملتهم فصدرت الأوامر بمنعهم و ظل المنع مستمرا ردحا من الزمن غير قصير الى أن أذن لهم دارا الثانى بالبناء. و لقد برز من بين المنفيين زعيم اسمه نحما عينه الفرس واليا على اليهودية فجاء و أخذ ينشط

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٧١

فى سبيل انعاش قومه، و تحصين سور أورشليم، فتصدى له أهل شرق الأردن و فلسطين بقيادة زعماء ثلاثة هم: جاشم العربى، و سنبلط السامرى، و طويبا العمونى، و أخذوا يصابولونه و يزجونه و يعرقلون نشاطه. و اشترك معهم الآشوريون و الفلسطينيون. و يؤيد هذا كله ما ورد فى بعض أسفار التوراة.

و يذهب الى هذا كذلك الدكتور جواد على فيقول ان سفر نحما يخبرنا بأن سنبلط الحورونى و طويبا العبد العمونى و جاشم العربى قد احتقروا اليهود حينما حاولوا بناء سور القدس و اغتاضوا من ذلك، و ان سنبلط و طويبا و العرب و العمونيين و الاشدوديين غضبوا جدا و قرروا ان يحاربوا أورشليم، و ان سنبلط و جاشم خاصة حاولا إبطال بناء السور لانهما خافا من تمرد اليهود و من عودة ملكهم .. و هذا مما يدل على ان العرب و حلفاءهم قد استعادوا نفوذهم فى فلسطين و أنهم كانوا على أبواب القدس. و يظهر من هذا السفر ايضا ان عددا قليلا من العبرانيين أرادوا الرجوع بعد السبى إلى أورشليم على الرغم من سماح الفرس لهم بالعودة و الحاح الأنبياء عليهم فى طلب الرجوع.

ثم يتابع كيلر سرد الحوادث فى هذا الشأن فيقول ان إعادة تشييد الهيكل فى أورشليم لم يؤخذ بصورة جدية أخيرا الا فى عهد دارا خليفه كورش، أى بعد أن مرّ عشرون عاما على المباشرة بوضع الأسس له. و كان على اليهود بعد ذلك ان ينتظروا الى حلول القرن التالى ليبدأوا فيه بتشيد سور المدينة من جديد. و قد تم ذلك على عهد نحما الذى عينه الفرس حاكما مستغلا على اليهودية، أى فى سنة ٤٤٤ قبل الميلاد.

فى حكم اليونانيين

لقد انتقل مركز القوى فى القرن الرابع قبل الميلاد من «الهلال الخصيب» الى الغرب بالتدرج. و عندما استطاع الاسكندر الكبير دحر دارا الثالث سنة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٧٢

٣٣٣ ق. م بالقرب من الاسكندرونه تمهدت له الأمور فاستولى على الشرق كله

اما بالنسبة للقدس و فلسطين فان يوسفوس المؤرخ اليهودى يورد رواية غير موجودة فى التوراة مفادها ان الاسكندر بعد ان استولى على حصن غزة المنيع جاء الى القدس، فاستقبله الناس فيها و الحبر اليهودى الاعظم جدوع استقبالا حافلا. و زار الهيكل فقدم القرابين فيه، ثم أنعم على الناس بانعامات غير قليلة. غير ان كيلر يستبعد صحة هذا الخبر لأن التنقيبات الأثرية لا تؤيد ذلك، و لأن الاسكندر لم يكن لديه الوقت الكافى لزيارة القدس بعد أن تأخر حوالى تسعة أشهر فى محاصرة صور و غزة. و على كل فالظاهر ان القدس اليهودية كلها قد خضعت للحكام الجدد، و ليس هناك ما يدل على حصول مقاومة أو تمنع فى هذا الشأن.

و حينما قضى الاسكندر نجه في بابل بالبرداء (الملاريا)، و تقاسم قواده الملك بينهم، كانت القدس و ما حولها من بلاد اليهودية من حصه البطالسة في مصر بادىء ذى بدء و استمر ذلك مدة تناهز المايه سنه و قد زاد خلال هذه المده النفوذ اليونانى الهلينستى بين اليهود حتى انتقل قسم كبير منهم الى الاسكندرية، و ترجم التوراه الى اليونانية. و فى سنه ١٩٥ ق.م استولى انطيوخس الثالث على فلسطين و مملكه يهودا كلها، فأصبحتا خاضعتين للسلوقيين تمام الخضوع. و قد حاول السلوقيون إكراه اليهود على التخلي عن تقاليدهم و طقوسهم الدينيه، و نجحوا فى ذلك الى حد غير يسير لأن الكثيرين من يهود القدس و منهم رؤساء الحاخامين مالوا و السلطه و أخذوا يفعلون ما تريد. ثم تخلق الكثير منهم، و لا سيما الشبان، بأخلاق اليونان و أخذوا يظهرن فى الألعاب الاولمبيه و هم عراة فى كل مكان و على الأخص فى الملعب الذى أقامه جيش الحبر الأعظم اليهودى فى قلب القدس، أى فى الوادى الذى يحاذى الهيكل و يقع قريبا منه.

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٥، ص: ٧٣

ثم جاء أنطيوخس الرابع، المسمى أبيفانوس، فنهب هيكل القدس و انتهك قدسيته فى سنه ١٦٨ ق.م، حيث كان من عادته انتهاك قدسيه المعابد فى كل مكان. و لم يكتف مما حصل عليه فى الهيكل من نفائس، بل كلف بالاضافه الى ذلك جابى ضرائبه أبولونيوس بالتوجه الى القدس مع قوة من الجيش. فعمد هذا الى نهب المدينه و اضرام النار فيها، ثم هدم البيوت و الجدران فى كل مكان، و أخذ النساء و الأطفال أسرى، كما استولى على المواشى و سائر الحيوانات.

و كان ما أصاب اليهود فى القدس على أيدي السلوقيين أشد مما أصابهم حتى فى عهد الآشوريين و البابليين. فقد ادخلت عباده زيوس إله الأوليمپ فى هيكل يهوه، و عوقب بالموت كل من كان ينفذ تعاليم اليهوديه مثل تقديم الضحايا و القرابين، و مراعاة السبت، و الختان، و تحريم لحم الخنزير، و ما أشبهه. و يقول كيلر (الص ٣١٦) ان هذا كان أول اضطهاد دينى منظم حصل فى التاريخ. و بتأثير هذا الضغط و القسوة حدثت ثورة فى البلاد بقيادة الحاخام ماتاثياس و أولاده الخمسه. و قد بدأت فى قريتهم الصغيره مودين التى تسمى اليوم المديه، و تقع على بعد عشرين ميلا من القدس. و هذه ما اطلق عليها بثورة المكابيين. و تمكن يهوذا مكابوس بن ماتاثيوس الذى قاد الثورة بعد أبيه من تحرير القدس فى ١٦٤ ق.م و إعادة العباده فى الهيكل الى ما كانت عليه فى السابق، ثم أعيد بناء المذبح و قدمت القرابين الى يهوه. و مع ان الثورة التى امتدت الى مختلف الأنحاء لم تستطع الصمود فى وجه القوة التى جردت عليها بكل ما تحويه من خياله و فيله، مع اختلاف اليهود بين أنفسهم و خيانه الكثيرين منهم، فقد كانت نتيجه اعتراف انطيوخس الرابع بحريه اليهود الدينيه و بطبقه رجال الدين فى القدس سنه ١٦٧ ق.م. لكن المكابيين أخذوا بعد ذلك يطالبون و يثورون من أجل الحصول على الحريه السياسيه كذلك،

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٥، ص: ٧٤

كما حصل فى أيام يونانان و شمعون أولاد يهوذا المكابى، حتى انتهى الأمر بالحصول على الحريه السياسيه أيضا فى، ١٤ ق.م على عهد شمعون.

لكن السلوقيين ضعفوا بمرور الزمن، و لم يعد بإمكانهم اخضاع المكابيين لمشيئتهم. و عند ذاك تعالى شأن الرومان فى روما و استطاعوا التحرر من ربهه التسلط القرطاجى (الفينيقى) الذى كان يفرضه حنى بعل (هانيبال) عليهم.

ثم انتزعوا السلطه من السلوقيين و غيرهم، و زحف القائد الرومانى بومبى مخترقا المملكه السلوقيه الى فلسطين. و بعد ان حوصرت القدس ثلاثه أشهر دخلتها الفيالق الرومانيه سنه ٦٣ ق.م و أصبحت اليهوديه مقاطعه رومانيه، و بهذا ينتهى استقلال اليهود السياسى الذى لم يعمر طويلا.

إشارة

وقد حكمت في القدس اسرتان من المكابيين، أولاهما تعرف بأسرة حشمتاي و كان منها عشرة ملوك من ضمنهم ماتاثيا و أولاده الخمسة قادة الثورة. و أسرة هيرود التي كان من خطتها مسaire اليونان و الرومان المسيطرين و التعاون معهم في حكم البلاد. و كان هيرود هذا رجلا من أصل ايدومي - غير عبري - يدين باليهودية، و قد عينه الرومان للملكية فحكم اليهود بقسوة و فضاضة على ما تشير اليه نصوص التوراة و غيرها. و في عهده ولد السيد المسيح في بيت لحم على ما تقول التوراة، و ظهرت نجمة بيت لحم في كبد السماء فكانت إشارة تنبيء بمجيء حكماء المجوس من الشرق الى القدس للتفتيش عنه و الأيمان به.

و يذكر المؤرخ اليهودي يوسفوس ان شائعة سرت بين الناس في تلك الأثناء بان الله سبحانه و تعالى قد قرر انهاء حكم الرومان الأجانب، و أن إشارة سماوية قد أذرت الناس بظهور ملك يهودي جديد. فجفل هيرود لهذا الخبر، و بادر في الحال الى جمع رجال الدين و كتاب الناس جميعهم،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٧٥

و طلب اليهم ان يعلموه حينما يولد المسيح و يدلوه على المكان الذي يولد فيه ثم دعا حكماء الشرق و بعثهم الى بيت لحم الكائنة على بعد خمس كيلو مترات عن القدس، للتفتيش عنه و هناك أيدت الاشارات السماوية ولادته لهم.

و في أيام هيرود كذلك زارت كيلو باطرة ملكة البطالسفة في مصر القدس عدة مرات، و حاولت ان تستميله الى جانبها لانها كانت تخطط سريرا لاعادة سطوة آباؤها القديمة على هذه البلاد. فلم تفلح في ذلك، و أخذت تحرك عليه لدى عشيقها انطونيوس الروماني، و لو لا- لباقة هيرود و مرونته لأدى التحريك الى قطع رأسه. فقد استطاع إقناع انطونيوس بالهدايا الثمينة لكنه أجبر على التنازل عن الساحل الفلسطيني و مدنه كلها، فأهداه انطونيوس الى عشيقته لتلطيف خاطرها. و قد أخذت بالاضافة الى ذلك مدينة أريحا و ما يحيط بها من مزارع و بساتين عامرة تحتوى على الكثير من النباتات العطرية، التي يقال ان ملكة سبأ كانت قد أهدتها الى سليمان الحكيم، و منها نبات البلسم الذي أخذت كيلو باطرة عقلا منه الى مصر فزرعتها في منطقة المطرية.

و قد مات هيرود في سنة ٤ ق. م في السبعين من عمره، بعد ان حكم ستا و ثلاثين سنة قضاها في اضطهاد شعبه و سكان بلاده على ما يزعمون. و يقول يوسفوس ان اليهود عانوا من ظلم هيرود و تعسفه خلال سنوات معدودة ما لم يعان مثله آباؤهم خلال المدة الطويلة التي مرت على عودتهم من بابل في عهد كورش و قد قضى بهذه الوسيلة على كثير من أسر القدس العريقة و أزيلت من الوجود. و كان آخر ما فعله قبل موته انه قتل ابنه أنتى باتر، ثم مات بعد خمسة أيام، بعد ان رشح ثلاثة من أولاده الصغار و هو على فراش الموت ليخلفوه في الحكم. و أول من خلفه ابنه أرخلاوس، فقد بايعه على الملك في القدس أفراد أسرته و جنوده المرتزقة المتكونة من الألمان و الغال و المكدونيين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٧٦

و بدلا من ان يحزن اليهود لموت هيرود صاروا يطالبون بتخليد ضحاياه، الذين ذهبوا قرايين لتعسفه و أطماعه. غير ان ابنه الملك الجديد رد عليهم بسوق الجيوش على القدس نفسها. و جرت في اعقاب ذلك مذبحه رهيبه فيها قتل في اثنا عشر ثلاثة آلاف شخص في يوم واحد، بحيث ملأت جثثهم قاعات الهيكل و أبهائه، و بذلك برهن على ان «الولد على سر أبيه». و قد صادف ان ذهب الملك أرخلاوس و اخوه هيرود انتيباس الى روما للحصول على تأييد الامبراطورية لحكم أرخلاوس، فانتهز الشعب المتدمر غيابهما و اتسع نطاق الاضطرابات و القلاقل في القدس و ما حولها بحيث اضطر الرومان الى سوق فيلق خاص اليها لتهدئة الحالة.

ثم حصلت ثورة اخرى تجاوز فيها اليهود على جنود الرومان، فبادر الجند الى أضرام النار في الهيكل، ثم هاجموا الناس في داخله و نهبوا جميع ما وصلت اليه ايديهم هناك. و انتشرت الثورة من القدس الى سائر انحاء المملكة اليهودية كما تنتشر النار في الهشيم. فنهبت القصور الملكية في كل مكان و أضمرت النيران فيها. ثم خف حاكم سورية الروماني الى القدس مع جيش قوى تعزز بوصول

وجدت اليه من بيروت و بلاد العرب. و ما وصلت أرتال الجيش الى مشارف القدس حتى فرّ الثوار اليهود، فتعقبهم الجيش و ألقى القبض على عدد كبير منهم. و عند ذاك شنق حوالى الفى شخص .

و قد صادف فى هذه الفترة العصيبة أن مر يوسف النجار فى طريق عودته من مصر الى فلسطين. و سمع بحكم أرخلاوس فى مكان أبيه فلم يمكث فى القدس بل توجه الى الناصرة، و هناك قضى السيد المسيح طفولته و صباه، حتى بعث مبشرا و هاديا للناس. و يقول الاستاذ دروزه : و فى هذه الفترة، و بالتحديد فى عهد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٧٧

أو غسطوس قيصر، و فى أواخر عهد هيرودس الثانى ظهر من بنى اسرائيل عيسى بن مريم عليه السلام داعيا الى الله وحده، ربه و رب السموات و الأرض، و الى الصلاح و الاصلاح، مبشرا بالرحمة و الرفق و السلام ناعيا على اليهود و زعماء دينهم ما ارتكسوا فيه من انحرافات و آثام دينية و خلقية ..

و قد كان من طبيعة الدعوة التى دعا اليها ان غدت الديانة المسيحية ديانة انسانية عامة انضوت تحت لوائها أمم مختلفة .. و قد تألب رؤساء اليهود على السيد المسيح بسبب دعوته الاصلاحية لأنه كان يشدد الحملات و النكير عليهم.

و حرضوا الجمهور عليه، ثم شكوه الى الحاكم الرومانى بلاطوس البنطى و طالبوا بشنقه. و تذكر الأناجيل المعروفة ان الحاكم استجاب لهم و نفذ طلبهم. لكننا نقول تعليقا على هذا ان القرآن الكريم يقرر أن الله أنزل الانجيل على عيسى و إن شق عيسى لم يتم بلا شبه لهم، و ان رواية شنقه قائمة على الظن دون اليقين، و ان هناك اختلافات كثيرة فى شأن عيسى بين النصارى أنفسهم.

صلب السيد المسيح

ذهب السيد المسيح فى رحلته الأخيرة من الجليل الى البلد المقدس، و قد سلك الطريق الذى كان ابراهيم الخليل قد سلكه مع أسرته من قبل مارا من بين الجبال التى تخترق منطقة السامرة. فمنعه السامريون من المرور فى بلادهم و اضطر الى ان ينحرف عنها و يحاذى الحدود الأردنية فى سيره، ثم يعبر الأردن الى اريحا. و من ثم قصد القدس. و قد استغرقت رحلته كلها ثلاثة أيام بلياليها، لأنه كان يقطعها مشيا على الأقدام مع بعض حواريه.

فبانت له القدس قبل انتهاء الطريق من وراء قمة جبل الزيتون و كأن يدا سحرية قد استحضرتها من بين الجبال. و هنا يورد كيلر (الص ٣٤٩) وصفا للمدينة المقدسة من بعيد كما كانت تبين للرأى يومذاك، نقلا عن المؤلف غارستغ فى كتابه عن اريحا:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٧٨

.. فقد كانت ترتفع أسوارها العظيمة الى علو مئتين و خمسين قدما عن الوادى. و كانت تعلو من وراء شرفاتها المنفرجة خطوط أبنيتها الكبيرة المارة بالبقعة التى تنحصر فيها البيوت و الشوارع و الأزقة الضيقة. و يقع فى مقابل جبل الزيتون مباشرة الهيكل الذى يشغل مقدمة المنظر، فيحجب بلمعانه و روعته جميع الأبنية الأخرى. و تتجه واجهته، التى ترتفع الى مائة و خمسين قدما و تمتد فى عرضها بالمقدار نفسه، نحو الشرق فتتألف بكليتها من الرخام الخفيف. و كانت زخارفه و تزييناته كلها بالذهب الخالص، كما كانت الأساطين تطوق أبهاء الوسيعة و دهاليزه المتفرعة. على ان ما كان يتوّج جلال المنظر و بداعته المعبد الذى يقوم فى الوسط، و يتلأأ كما يتلأأ الجبل الذى تكسو قممه الثلوج، على ما يعبر به المؤرخ اليهودى يوسفوس.

و فى الجهة الشمالية الغربية من سور المعبد كان يرتفع مباشرة «برج أنطونيا» موكرا فوق مرتفع صخرى القوام. و يبلغ ارتفاع كل برج من بريجات زواياه الكبيرة حوالى مائة و عشرين قدما. و توصل بين الجهة الجنوبية لمنطقة المعبد و قصر الأسرة الحسمونية المالكة فى المدينة العليا قطرة متينة خاصة.

و فى أعلى نقطة فى المدينة كان يقوم قصر هيرود بالقرب من السور الغربى، و تعلوه بالشاكلة نفسها ابراج ثلاثة يبلغ ارتفاعها ١٣٠ و

١٠٠ و ٨٠ قدما.

و قد أطلق عليها هيرود الأسماء الآتية: هيبيكوس، و فاسيل، و ماريا من.

و يمتد من هذه النقطة سور سميكة فيخترق بحر البيوت المنتشر حتى يصل الى منطقة الهيكل، فيقسم بذلك قلب المدينة مرة أخرى الى قسمين كبيرين.

و يكتنف المدينة، على ما يقول كيلر جو قهاريم عنه تعدد التحصينات و كثرة الأسوار و الأبراج التي تحيط بالهيكل. فحينما ينظر الناظر الى القدس بهذه الحالة يكاد يتنفس عنادها و صلابتها أو عدم مرونتها. و قد كانت هذه المزاي نفسها هي المسؤولة عما حل بالقدس من دمار بعد ذلك، و طرد اسرائيل من أرض الآباء (كذا).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٧٩

و لا بد من ان المسيح قد خالجه هاجس داخلي بمستقبل القدس اليهودية و مصيرها حينما تمعن في هذا المنظر و نقل ناظريه في أنحائه. فقد بكى عليها كما يذكر إنجيل لوقا.

اما ما ذكر في الأناجيل عن محاكمة السيد المسيح في القدس، و الحكم عليه بالصلب، و تنفيذ هذا الحكم، فقد تم التأكد منه بدقة علمية بذلها عدد من الباحثين فوجدوا أنها روايات موثوقة بكل ما فيها من تفصيل.

إذ تبدأ المأساة التي لا مثيل لها بالتكشف منذ أول توقيف المسيح. فقد كان عليه السلام قد جمع حواريه حوله في حديقة الجثمانية فوق جبل الزيتون و ما أن بدأ بحديثه معهم حتى فاجأهم جمع كبير من اليهود بالسيوف و العصى يتقدمهم يهودا، أحد حواريه. و كان هؤلاء قد بعثهم اليه حبر اليهود الأعظم و الحاخامون. فأوقفوه و أتوا به الى المجلس الديني الأعلى لليهود. أو السانهدرين الذي كانت بيده يومذاك السلطة اليهودية العليا و الذي تجتمع فيه السلطان الدينية و الدنيوية. و كان هذا المجلس كذلك يتولى أعمال المحكمة العليا لليهود، و يجتمع تحت المعبد فيما يقرب من الجسر المؤدى الى القسم الأعلى من القدس.

اما الأسباب التي استند اليها المجلس اليهودي في الحكم على السيد المسيح بالصلب فيلخصها كيلر بالنقاط الآتية نقلا عن الأستاذ الالمانى مارتن نوت :

اجتماع الحواريين بمريم و القديسان من النساء و فجأة عصفت ريح من السماء و امتلأت الدار على ما جاء في الانجيل. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٨٠

«.. ان انتظار أنبياء اليهود القداماء الذي كان يتركز في ظهور مسيح ملك في المستقبل قد تطور خلال مدة التسلط الأجنبية الطويلة، و انقلب الى أمل في ظهور محرر سياسى يحرر اليهود من الأجانب. و كان كلما يزداد التذمر من حكومة البلاد الرومانية تزداد وضوحا في مخيلة اليهود فكرة ظهور مسيح فاتح يتولى القضاء على السلطة الأجنبية الممقوتة. و اذا ما قيس بسوع الناصرى بهذه المقاييس لا يمكن أن يكون هو ذلك المسيح المنتظر .. و إذا لم يكن كذلك فانه لا بد من أن يكون دعيا و مسيحا مزيفا. و لما ثبت كونه دعيا و مسيحا مزيفا فان مصلحة السلم و الحياة الدينية في أورشليم لا بد من ان تتطلب التخلص منه.

كما ان ادعاء يسوع في أثناء المحاكمة بانه المسيح، و انه ابن الله بالنسبة للأسس التي جاء بها العهد القديم، كان يكفي للحكم باعدامه بتهمة الكفر الصريح»

و قد كان القانون يومذاك يقتضى مصادقة الوكيل الرومانى، بيلاطوس البنطى ، على هذا الحكم قبل تنفيذه. و كان بيلاطوس هذا مكروها جد الكراهية من اليهود، لكنه كان يدرك كذلك ان يسوع المتهم كان موضع حقد اليهود و كرههم له، و لذلك رفض المصادقة على القرار من دون تردد و قال لحبر اليهود الأعظم انه لم يقتنع بالذنب المنسوب الى يسوع. لكن الغوعاء التي تجمهرت حول قصر الوكيل بتحريض من أبحار اليهود و رجالهم أصرت على طلبها في إعدام المسيح، فاضطر الى المصادقة. ثم أخذ بيده و سلمه اليهم ليصلبوه.

و كان المكان الذي وقع فيه هذا كله الساحة «المبلطة» في محكمة بيلاطوس و المعروف ان هذه الساحة بقيت سالمه حتى بعد أن دمرت القدس في سنة سبعين بعد الميلاد. و قد اكتشفها المنقبون في السنوات الحديثه بعد كثير من التنقيب و البحث ففي ساحة برج أنطونيا المعروف وجدت بقعه كبيره مبلطة تبلغ حوالي ٣٠٠٠ ياردة مربعه في مساحتها، مبنية على الطراز الروماني في عهد السيد موسوعه العتبات المقدسه، ج ٥، ص: ٨١

المسيح، فكانت هذه البقعه هي التي وقف فيها بين يدي بيلاطوس بينما كانت الغوغاء يعلو صراخها في الخارج. و في هذه البقعه كذلك عذب المسيح و جلد قبل صلبه، كما كانت العاده المتبعه يومذاك. ثم أخذه الجنود الرومانيون ليقوموا بصلبه. و قبل ان يفعلوا ذلك أخذوه فألبسوه الأرجوان و وضعوا فوق رأسه تاجا من الشوك ليسخروا به. و هكذا أخذ الى التل الذي صلب فيه (جبل الجلجله). و قدموا له قبيل الصلب شيئا من الخمر المخلوط بالمر للتخفيف من عذابه، لكنه امتنع عن شربه و تحمل آلام مسمره جسمه في الصليب. ففضى الأمر.

و لا يكاد يبعد هذا عن الموقع الذي جلس فيه بيلاطوس للمحاكمه بأكثر من ألف، خطوة، على طول «طريق الآلام» المنتهى بكنيسه القبر المقدس. و في سنة ٣٢٦ ميلاديه أقام الامبراطور قسطنطين نصبا بديعا فوق قبر السيد المسيح، الذي كان قد اكتشف حديثا يومذاك. و كان يتألف من أعمده مزينه تزيينا غير قليل، يعلوها سقف من العارضات المطلية بالذهب .. و في داخل مصلى الكنيسه اليوم هناك عدد من الدرجات المتآكله تؤدي الى سرداب فيه قبر طوله ستة أقدام منحوت من الصخر. فهل هذا هو مدفن السيد المسيح؟

يقول المستر كيلر (الص ٣٥٦) ان ما يزيد على ألف قبر قد اكتشف في فلسطين تعود الى ذلك العهد، لكنها كلها كانت في مقابر أو سرايب

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٥، ص: ٨٢

تعود للأسر. اما هذا القبر فهو لوحده. و يفهم من أحاديث الانجيل ان المسيح كان أول من دفن في قبر كبير، فقد تسلمه يوسف النجار و لفه بقطعه نظيفه من نسيج الكتان و وضعه في قبره الجديد الخاص الذي كان قد نحته في الصخر، ثم دحرج حجرا كبيرا سدّ به الضريح و غادر المكان.

و يذكر في مكان آخر من الكتاب (الص ٣٦٧) ان بطرس كان أول رسول بعد وفاة السيد المسيح بشّر بين الوثنيين و هداهم الى النصرانيه، كما كان رئيس أول طائفة مسيحيه في القدس و اليهوديه، ثم وسع مجال عمله بعد ذلك الى خارج فلسطين.

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٥، ص: ٨٣

تدمير القدس على أيدي الرومان سنة ٦٦-٧٠

يفهم مما جاء في انجيل لوقا ان السيد المسيح تنبأ بتدمير القدس و قتل الكثيرين من أبنائها، و أخذ عدد آخر منهم أسرى الى بلاد أخرى، و دخول غير اليهود اليها دخول المنتصر. و قد أنذر بنى اسرائيل بذلك حينما طغوا و تجبروا و هزءوا برسالته السماويه التي جاءت تبشر بالسلام و المحبه على طول الأجيال.

فصح ما تنبأ به عيسى بن مريم و حل الدمار بالقدس بعد مجزره رهيبه استقامت خمس سنين، فأدت الى محوها من الوجود و اختفاء اسم اليهود منها عبر القرون و لما يمض على صلب المسيح جيل واحد.

فقد تعالي صوت اليهود يوما بعد يوم و كثرت احتجاجاتهم على الرومان و تصرفهم في اورشليم على ما يقول كيلر (الص ٣٧٥). و راح «الزبلوت» المتعصبون من اليهود يؤلفون عصابات نائرة في البلاد، و يطالبون بازاله الحكم الأجنبي عنها. و كان كلّ منهم يحمل خنجرا أو مديئه و يخفيه بين طيات ثيابه على الدوام، ثم ازداد عدد هؤلاء و انضم الناس اليهم في كل مكان حينما كانت تصرفات

الوكيل الروماني تزيدي في الطين بله، و تؤدي الى ازدياد التوتر.

و انقلب هذا الغضب المتزايد الى ثورة علنية في مايس سنة ٦٦ للميلاد، حينما طالب فلورس الوكيل الروماني اليهود بتسليم سبعة عشر قنطارا من خزائنه الهيكل في القدس. و عند ذلك تسلم الثوار المدينة و صارت في قبضة أيديهم.

فقد كان الامتناع عن التضحية اليومية للامبراطور يعنى اعلانا صريحا للحرب ضد الامبراطورية الرومانية. و أُلقت القدس بقيودها على أقدام روما فتحدث بذلك الامبراطورية العظيمة.

و سرت نيران الثورة في كل مكان بعد ذلك، فخرج الزمام من يدي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٨٤

فلورس و لم يعد هو المسيطر في البلاد. و حينئذ زحف سيستوس غالوس حاكم سورية على القدس لينقذ الموقف بفيلق واحد، و عدد كبير من القوات المساعدة، لكنه اضطر الى النكوص بخسائر فادحة. و استولى الثوار على البلاد

و إذ كان اليهود على ثقة بان روما سترد على هذا التحدي بكل بطش و جبروت، خفوا الى تحصين المدن و اصلاح مواقع دفاعها. فرمّموا الأسوار القديمة و عيّنوا القادة العسكريين. و قد تعين يوسفوس، المؤرخ اليهودي القديم، قائدا عاما في منطقة الجليل. اما

بالنسبة للرومان، فقد عهد الامبراطور نيرون بالقيادة الى الجنرال فسباسيانوس، الذي كان قد برهن على كونه جنديا لامعا، و أظهر كفاية ممتازة، عند احتلال الرومان لبريطانية.

فزحف، يصحبه ابنه تايوس، على رأس ثلاثة من أحسن فيالق الجيش الروماني و عدد من القوات المساعدة، و هاجم منطقة الجليل في الشمال. و قد شهدت القرى الصغيرة المطلّة على بحيرة طبرية، التي كان المسيح يعظ صيادي السمك فيها قبل سنوات قليلة، أول

مجزرة دموية في هذه الحروب. و أخضعت منطقة الجليل بكاملها في تشرين الأول سنة ٦٧ للميلاد. و سار بين جموع الأسرى في النتيجة يوسفوس القائد العام نفسه، فقد قيد بالسلاسل و حمل الى المقر العام بأمر من فسياسيان. و أصبح ستة آلاف أسير من بعده

عبيدا يعملون في قناة الكورنيث في روما.

ثم استؤنف قمع الثورة في الربيع التالي، لكن أخبارا وصلت في أثناء المعركة تفيد بانتحار نيرون فتوقفت الأعمال العسكرية مدة من الزمن. و بعد تطورات كثيرة و كفاح مرير حصل في روما نودي بفسياسيان قائد فلسطين نفسه امبراطورا على رأس الامبراطورية

الرومانية، و غادر البلاد بعد أن عهد الى ابنه تايوس بانهاء المهمة. فظهر على أبواب القدس يقود

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٨٥

جيشا لجبا في ربيع سنة سبعين، و كان هذا الجيش يتألف من الفيلق الخامس و العاشر و الثاني عشر و الخامس عشر، مصحوبة بالخياالة و المهندسين و سائر القوات المساعدة، بحيث بلغ مجموع الجيش الكلي ثمانين ألف محارب

و كانت المدينة المقدسة تعج بالناس، لأن الحجاج كانوا قد قدموا اليها من قريب أو بعيد للاحتفال بعيد الفصح اليهودي، و قد حصل نزاع بين الزيلوت المتطرفين و بين المعتدلين من اليهود خلال المراسيم فبقى القتلى و الجرحى في مكانهم من دون أن يخف اليهم

أحد. و كان الرومان في الوقت نفسه يتوزعون على المعسكرات القريبة من المدينة. ثم قوبل نداء الجيش بالاستسلام بالهزء الصاخب، ورد عليهم تايوس بالهجوم. فراح المشاة الرومان و أدوات الحصار السريعة الرمي و قاذفات الحجارة يعملون عملهم في وقت واحد. و

كان كل واحد من المجانيق يمكن ان يرمى أحجاره الى بعد ستمائة قدم. و لم تخمد الحرب الأهلية بين اليهود في الداخل الا حينما أخذت الأحجار و القذائف تمطر المدينة بوابل متواصل منها. فاصططح الطرفان المتناحران و اتفقا على ان يتولى شمعون باركيورا

زعيم المعتدلين الدفاع عن الجهة الشمالية، و ان يعهد الى يوحنا الكيشالي قائد الزيلوت المتطرفين بالدفاع عن منطقة الهيكل و برج انطونيا.

و قد استطاعت في بداية أيار آلات الحصار و أجهزته، بعد قصف متواصل استدام اسبوعين، ان تحدث ثغرة كبيرة في السور الكائن

فى أقصى الشمال و فى خلال خمسة أيام أخرى اخترق الرومان السور الثانى. و بعد أخذ ورد دام عدة أيام سيطر الرومان على الضاحية الشمالية و ثبتوا أقدامهم فيها.

و كان تايوس فى تلك المرحلة قد اقتنع بأنه اذا أوقف القتال و استعرض الجيش فى داخل السور على مرأى من الناس فانهم سيبدرون الى الاستسلام فأمر بذلك و دخل الجيش يستعرض و يدق طوله من الصباح الباكر حتى المساء خلال أربعة أيام متوالية، فلم يحدث التأثير المطلوب. ثم حاول محاولة أخيرة لاقتناعهم، فندب اليهم أسيره يوسفوس المؤرخ اليهودى ليناشدهم بالخضوع.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٨٦

و ذهب اليهم و راح يخاطبهم بلهجة تدمى الفؤاد و يذكرهم بماضيهم و تاريخهم و آبائهم و أجدادهم، و رسالة اسرائيل، فلم يعأوا به، ثم أخذ يحذرهم و ينبههم الى المصير المظلم الذى ينتظرهم، و الخراب الذى سيحل بالمدينة و الهيكل فذهبت توسلاته ادراج الرياح.

و لذلك بدأت الحرب ثانية من السور الثانى، و كان الهدف برج انطونيا.

و اندفعت مقدمة الجيش من خلال شوارع الضاحية الى منطقة الهيكل و الجهة العليا من المدينة. و استمرت المقاومة خلال الوقت كله. و كان الرومان اذا ما جنّ الليل يلاحظون أشباحا هزيلة تحيط بهم من كل الجهات، و كانت هذه الأشباح تتسلل من الداخل ناحية نفسها من جحيم الحصار و جوعه فى داخل المدينة. و قد رأى تايوس ان ينتقم من هؤلاء تأديبا للذين يقاومون فى الداخل، فأمر بان يصلب على الأعواد كل هارب أو ملتجىء أو طالب طعام أو علف.

و تنفيذاً لذلك الأمر كان الجنود المرتزقة يصلبون خمسمائة شخص يوميا على صلبان تنصب خارج المدينة، و سرعان ما تكونت غابة كبيرة تمتد الى سفح التل، و استمر هذا العمل حتى توقف بتعذر الحصول على الخشب المطلوب للصلبان. فقد قطعت الأشجار كلها لهذا الغرض و لأغراض الحصار الأخرى، و أصبح ما يحيط بالمدينة قاعا صفصفا، و حتى جبل الزيتون لم يعد يتكون فيه الظل المألوف. و فسد الهواء بروائح الجثث المنتنة التى كانت ترمى الى الخارج و تتكدس بقرب الأسوار بالآلاف، و هى جثث المائتين من الجوع و الساقطين صرعى فى الحروب و غيرهم.

و لأجل تشديد الحصار و النكير على المدينة و من فيها أمر بأن تحاط كلها بسدود عالية من التراب، فتم ذلك و طوقت القدس من جميع الجهات بعد ان اشتغل فيها أفراد الجيش فى الليل و النهار، و تم كذلك انشاء ثلاثة عشر استحكاما و عدد من النقاط الحصينة الأخرى. و بهذا انقطع حتى تهريب بعض القوت و الطعام و النجديات الى داخل المدينة. فخيم شبح المجاعة على القدس التى كانت ملأى الى حد الطفوح بالحجاج، و أخذ الموت يحصدهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٨٧

حصدا مخيفا، و قد أدى الجوع بالناس الى ارتكاب كل ما تعافه النفس و تأباه الانسانية من أجل الحصول على القوت. و قد استمرت المجانيق على قصف القدس بأثقالها ليل نهار، و سئم تايوس من هذا الكابوس المخيف فأراد ان ينهيه بأسرع ما يمكن. و فى غرة تموز هاجم جنوده برج أنطونيا فنسف القصر الذى كان يسوع الناصرى قد حوكم فوق ساحته المبلطة و حكم بالموت قبل سنين، من أساسه. و كانت جدرانته تتأخم سور الهيكل الشمالى. ثم جاء دور الهيكل الحصين بكل ما فيه من بهاء و أورقة و درابزينات. و ذاكر القائد العام ضباطه فى هذا الخصوص، و كان كثير منهم يريدون اعتباره حصنا من الحصون فيشنون عليه الهجوم بكل الوسائل. لكن تايوس عارضهم فى هذا و أراد ان أمكن ان يحافظ على المعبد الذى انتشرت سمعته فى انحاء الامبراطورية على ما يقول كيلر (الص ٣٨٢). و لآخر مرة طلب الرسل من المدافعين ان يستسلموا فكان الرد بالرفض مرة أخرى. و هكذا قرر تايوس مهاجمة هذا المكان المقدس.

فانصب على ساحته و أبهائه و ابل متواصل من السهام و الحجارة الثقيلة، و صمد اليهود فى الدفاع كالمأخوذى على ما يذكر كيلر. و

لم يتراجعوا قيد أنملة و كان في أملمهم ان يخفّ يهوه الى انجادهم في آخر لحظة فينقذ هيكله المقدس. و كان من الصعب تهديم الحجاره التي بنى بها هيرود الهيكل من قبل. و لأجل ان يدخل اليه الجنود بالقوة أمر تاتيوس بأن يحرق بابه الخشبي. و قبل ان يتم احتراقه كله أصدر تعليماته باطفاء النار و فتح ممر للجنود من خلاله لمهاجمة الهيكل في الداخل. و مع ان اوامر تاتيوس كانت تحتم تحاشي تدمير البقعة المقدسة فقد تسربت النار في الليل الى الساحة الداخليه. و اندفع الجنود في كل مكان فجرت مجزره مخيفه بينهم و بين المدافعين حول تلك البقعه. و قد بلغت الحماسه بأحد الجنود أن رمى مشعلا ملتهبا من شباك الذهب في الغرف المجاوره

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٨٨

لقدس الأقداس. و كانت هذه الغرف مغلفه بخشب قديم و تحتوى على مواد قابله للاحتراق و من جملتها جرار الزيت المقدس. فالتهب كل شيء، و اندلعت ألسنه اللهب في كل مكان حتى احترقت قدس الأقداس و ما يحيط به، على الرغم من محاوله القائد تاتيوس إطفاء النار و إنقاذه بنفسه. حيث لم يرتدع الجنود عن نشر النار و ترويجها، و لم يكفوا عن مهاجمه كل شيء لأنهم كانوا يعتقدون بوجود الذهب في كل مكان منه.

و في شهر آب من سنه ٧٠ للميلاد نصب جنود الفيالق الرومانيه أعلامهم في البقعه المقدسه، و ضحوا لها. و مع ان نصف القدس كانت في أيدي العدو، و برغم أعمده اللهب و الدخان التي كانت تتصاعد من الهيكل المحترق لم يشأ المتطرفون ان يستسلموا.. فتحتم على تاتيوس القائد ان يبذل في هذه المره أيضا كل ما كان عنده من جهد و يستغل جميع امكانياته للسيطره التامه على المدينه بكاملها. و ما حلّ أيلول حتى تم له ما اراد و انتهت المقاومه.

فاستولى الجيش الروماني على المدينه التي ظلت تقاوم بعناد و قوه مدّه من الزمن بعد ان نهبها و قتل الكثيرين ممن ظلوا فيها. و عند ذاك أمر القائد بأن تهدم المدينه بأسرها، و ان يدمر الهيكل الى الأرض، و لم يبق قائما سوى الأبراج الثلاثه و جزء من سور المدينه في الجهه الغربيه لتكون مقرا للحاميه التي تقرر إبقاؤها.

و كان عدد قتلى اليهود عاليا بحيث لا يمكن تصويره. فقد كان في المدينه خلال الحصار ستمايه ألف نسمة. و يذكر يوسفوس ان عدد الأسرى بلغ ٩٧،٠٠٠ أسير، غير الذين صلبوا و بقرت بطونهم، و ان عدد الجثث التي أخرجها اليهود من باب واحد من ابواب المدينه فقط خلال ثلاثه أشهر قد بلغ ٨٠٠، ١١٥ جثه.

و في سنه ٧١ للميلاد احتفل تاتيوس بنصره العظيم على القدس اليهوديه بموكب مظفر هائل سار في شوارع روما. و كان يسير بين السبعمايه أسير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٨٩

يهودي في ذلك الموكب حنا الكيشالي و شمعون باركيوار و هما يرسفان في قيود الأسر. و في عمره الفرح الذي استولى على روما حمل في موكب الظفر هذا نصابان تذكاريان ثمينان من الذهب الخالص، هما الشمعدان المسبوع و مائده خبز التقدمه اللذان كانا في هيكل القدس.

و فوق هذه الخرائب المقفره المتجهمه التي منع اليهود و النصارى على السواء من الاقتراب اليها جاء الأمبراطور هدریان (١١٧-٣٨ م) فشيّد مستوطنه رومانيه جديده، سماها إيليا كابيتولينا. على أن منظر المستوطنه الأجنبيه فوق هذه الأرض اليهوديه المقدسه أدى الى نشوب ثوره أخرى في البلاد، بقيادة رجل اسمه باركوكبا أي ابن الكوكب. فدعى القائد جوليوس سيفيروس من حاكميته في بريطانيا الى اليهوديه فسحق آخر محاوله يائسه بذلها اليهود للحصول على حريتهم. لكن ذلك استغرق ثلاث سنوات. و عند ذاك أنشأ الامبراطور هدریان هناك «ساحه سباق» و حمامين و مسرحا كبيرا.

ثم نصب تمثال لكبير آلهه الرومان (جوبيتر) فوق خرائب الهيكل اليهودي للتشفي، و في الموقع الذي يعتقد النصارى بأنه موقع

الضريح المقدس كان الغرباء يصعدون الدرجات ليقدموا الخضوع والطاعة في مزار وثى أقيم للالهة فينوس، إلهة الحب والجمال عند الرومان.

وقد بيع القسم الأعظم من سكان أرض الميعاد، الذين لم يبقوا في حرب ٦٦-٧٠ م الدامية و ثورة ١٣٢-١٣٥، بيع العبيد في البلاد. و لم يعثر علماء الآثار و منقبوها على بيئات ملموسة تدل على وجود الاسرائيليين في فلسطين بعد سنة سبعين للميلاد، و لم يجد أحد حتى و لا قبرا واحدا كتبت عليه كتابة عبرية. و هدمت الكنائس كلها، و حتى بيت الله في كوبرنوم الهادئة استحال الى خراب بلقع. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٩٠

بعد تدمير القدس

يذكر عدد من المؤرخين ان اليهود الذين نزحوا الى خارج فلسطين على أثر هذه النكبة، و لا سيما الذين توجهوا الى قبرص و مصر و القيروان اصطدموا في عهد الامبراطور تروجان (٩٨-١١٧) باليونانيين الوثنيين الذين كانوا في هذه الأقاليم، و تمكنوا من قتل آلاف منهم. و كانوا يمثلون تمثيلا- فظيعا بهم فيقطعون أطرافهم و يشربون دماءهم و يأكلون لحومهم. فغضب الامبراطور عليهم و أوقع في الاسكندرية مذبحه هائلة فيهم، و كذلك فعل قواده في قبرص كما بعث برجاله الى ليبيا و بين النهرين للعمل على ذبحهم هناك أيضا.

و حينما انقسمت الامبراطورية الرومانية الى شرقية و غربية صارت فلسطين و سائر بلاد الشرق العربي تابعة للقسطنطينية عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية، و ممن تولى في هذه العاصمة بعد قسطنطين، يوليانوس المرتد أو الجاحد، لأنه ارتد عن المسيحية و راح يضطهد المسيحيين و يعيد بناء المعابد الوثنية.

و كان مما فعله في القدس انه حرض اليهود القليلين يومذاك على تجديد هيكلهم فيها، و أمدهم بالمال و الرجال ليبرهن على كذب السيد المسيح- على حد قوله- حينما تنبأ بأنه سوف لا يقام في الهيكل حجر على حجر بعد تدميره.

فتسارع اليهود من الخارج الى القدس و اغتتموا هذه الفرصة، لكن الروايات تقول عن بناء الهيكل ان اليهود كانوا كلما أقاموا جهة من جهاته تتداعى في اليوم الثاني، و لذلك لم يتم بناء الهيكل حتى الآن.

و قد قتل يوليانوس فأحبطت خطته، و اضطهد اليهود في القدس من جديد في عهد جوتيان (٥٤١-٥٧٩ م) فثاروا في أيامه و قمعت ثورتهم بشدة و قسوة كذلك. و في سنة ٦١٥ ميلادية انتصر الفرس على الرومان و استولوا على سورية و فلسطين، فعاد اليهود الى التثمر و أخذوا ينتقمون لأنفسهم من النصارى في القدس و سائر انحاء فلسطين التي شهدت مذابح أهلية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٩١

كثيرة مرة أخرى. و مما يروى في هذا الشأن ان اليهود ساعدوا الفرس على احراز الانتصار، و أنهم كانوا يشترون منهم الأسرى و يذبحونهم. و قد بلغ عدد الذين قتلوهم بهذه الطريقة حوالي مائة و تسعين الفا. و حينما انتصر هرقل على الفرس سنة ٦٢٥ م و أجلاهم عن فلسطين تسنى للنصارى ان ينتقموا من اليهود فتجددت المذابح بينهم. و هذه هي المذابح التي وقعت قبيل الفتح الاسلامي للقدس، و هي تدل على شدة كراهية النصارى الذين طغت أكثرتهم على فلسطين يومذاك و لا سيما في القدس نفسها. و قد أدت بهم هذه الكراهية الى ان يشترطوا في الصلح الذي عقده مع الخليفة عمر بن الخطاب، عندما فتح القدس، عدم سكنى اليهود فيها.

استنتاجات أساسية

يلاحظ من الخلاصات التاريخية المار ذكرها ان هناك نقاطا أساسية تختص بوجود اليهود في فلسطين، و مقدار حقهم فيها، لا بد من أن نوردها هنا لالقاء الضوء الحقيقي على تاريخ هذه البلاد المقدسة، و ازهاق الباطل الذي أخذت الصهيونية و أنصارها في العصر

الحديث تبالغ فيه و تستند عليه في تكوين حق تاريخي لليهود وحدهم في البلاد الفلسطينية.

و أول ما يتبادر الى الذهن من هذه النقاط التاريخية هو ان القدس، و ما يحيط بها من بلاد، لم تكن يهودية في الأصل، و ان اليهود كانوا طارئين عليها و ظلوا غرباء عنها حتى تسنى لهم ان يحتلوها بالقوة لفترة محدودة من التاريخ. و يؤيد ذلك بلا شك الكثير مما جاء في أسفار التوراة التي تجعل فلسطين أرضا غريبة و عدوا بها فسميت أرض الميعاد. فقد كانت تسكن فيها قبل ان يأتي اليها ابراهيم- و قبل ان يخرج اليهود مهزومين من مصر- أقوام ذات مدينة عريقة عمرت الأرض فاستغلت زرعها و معادنها، و شيدت المدن و البلاد،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٩٢

ردحا طويلا من الزمن. و كانت هذه تتألف من العشائر الكنعانية السامية و الشعوب العربية التي أثبتت وجودها في مواطنها هذه خلال حقبة طويلة من الأعصر التاريخية. إذ كان هناك الآموريون، و العمالقة، و المدينيون، و الأدوميون و الأنباط، و اليبوسيون، الذين بنوا مدينة القدس و اعتبروها من المدن المقدسة، و غيرهم . و قد كان الأنباط و العمالقة و الأدوميون و المدينيون و اليبوسيون من العرب المقيمين في فلسطين. و هناك شواهد و أدلة كثيرة تبرهن على ذلك.

فمن طريف ما يشير الى عروبة الأدوميين قسم من نقوش أسر حدون الآشوري (٦٨٠-٦٦٩) التي تنص على ما يأتي: من أدوماتو (أدوم) قلعة العرب التي كان فتحها سنحاريب ملك آشور أبي، و أخذ منها الأسلاب، و فتحتها أنا فأسرت ملكتها أفكالاتو ملكة العرب جاء حزائيل ملك العرب بهدايا كثيرة، و قبل قدمي و توسل الى لأعيد اليه التماثيل فعطفت عليه و أصلحت عطب أثار سماين، و داي، و نهى، و رولدا (رضا)، و أبيرولو، و أثار كوروما العرب و أعدتها اليه بعد ان نقشت عليها اسم سيدي آشور و قوته العليا، و اسمي .. و لما حل القضاء بحزائيل أجلس ابنه ياتا (يطيع) .. و بعد ذلك قاد وهب أو أبو (وهب) جميع العرب في ثورة على (يطيع) و لكني انا أسرحدون ملك آشور، ملك الأقطار الاربعة المحب للعدل .. أرسلت جنودي لنجدة (يطيع) فأخضعت جميع العرب و قدت و هبا و جنوده و حملتهم التي فوضت الأطواق في أعناقهم .. و يؤيد هذا ما يذكره المؤلف الأمريكي مونتغمري الذي يقول ان الأدوميين كانوا عربا في عنصريتهم، و كانت عواطفهم مع العرب . موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٩٣

و يذكر الاستاذ دروزه عن اليبوسيين (الصفحة ١٥٧): و ليس هنالك ما يوضح هوية اليبوسيين الذين يظهر ان ذكرهم مع الكنعانيين بسبب كونهم من أرومة أخرى نرجح أنها أرومة عربية الجنس تفرعت من إحدى الموجات التي كانت تخرج من جزيرة العرب و تطرأ على بلاد الشام، و جاءت الى عرب الأردن فاستقرت فيها قبل خروج بني اسرائيل من مصر. و بعض النصوص يفيد ان اسم مدينتهم يوس، و أنها هي القدس، و لعل الاسم من اسم القبيلة على ما كان يجري عليه الأقدمون في التسميات.

و مما أورده الدكتور جواد على كذلك (الصفحة ٣٤٨ و ٣٤٩) استنادا الى مونتغمري و نولدكه الألماني ان من أسفار التوراة المهمة التي ورد فيها ذكر عدد من القبائل التي يظن أنها عربية سفر القضاء، ففيه خبر غزو قام به (المدينيون) (أهل مدين) و العمالقة و بنو «المشرق» لفلسطين الى حدود غزة. و قد قاموا بهذا الغزو في أوائل القرن الحادي عشر قبل الميلاد. و في القضاء ايضا ان المدينيين أذلوا الاسرائيليين و ان الرب دفع الاسرائيليين الى أيدي المدينيين سبع سنوات .. و المدينيون و العمالقة و أبناء المشرق و هم «بنو قديم» كانوا أصحاب إبل، و هم من الأعراب على رأى كثير من العلماء.

و أورد أيضا (الصفحة ٣٥٨) ان النبط قد ورثوا أدوم فاضحوا يسيطرون على شرايين التجارة الحساسة التي كانت تمر بأرض أدوم .. و الظاهر أنهم ذابوا فيمن ذاب من القبائل في مملكة النبط التي انصهرت نفسها في بوتقة أوسع، و هي بوتقة العروبة التي صهرت كل تلك العناصر، و أذابتها في سبيكة الاسلام بعد ذلك. و قد ذاب في هذه السبيكة عدد كبير من يهود فلسطين و جزيرة العرب، و من اندمج فيهم و تأثر بديانتهم و لا- شك قبل الاسلام و بعده. فالعرب هم أحق من غيرهم إذن في حيازة الملك. موسوعة العتبات

المقدسة، ج ٥، ص: ٩٤

اما عن عروبة الأقباط الأخرى فاكتمى بايراد رأى الدكتور جواد الذى يقول فيه: و يتبين من هذه الاشارات الواردة فى التوراة و فى «المكابين» و فى أماكن أخرى ان العرب كانوا فى الشام و فلسطين قرون عديدة قبل الميلاد، و أنهم كانوا من سكان تلك البلاد الاصلين. و من المؤسف حقا ان العرب الشماليين كانوا يكتبون باللغة الآرامية، و ان التوراة قصدت بالعرب فى الغالب «الأعراب». اما أهل المدن فلم تسمهم بهذا الاسم، بل سميتهم باسمائهم الخاصة او بأسماء مدنهم، فعز علينا الوصول الى معرفة هوية عرب الشام و فلسطين المتحضرين فحسبوا من الاراميين، و حسبوا على غيرهم أيضا، و شك فى أصل الآخرين لأنهم دعوا بأسمائهم، و لم يدعوا عربا لأنهم لم يكونوا أعرابا. و لو كانوا منهم لأشير الى ذلك، و لهذا لم ترد فى التوراة و فى المكابين اشارات كثيرة اليهم، لا لأنهم لم يكونوا من أهل الشام و فلسطين، او لأنهم كانوا قلة، بل لسبب آخر معلوم مفهوم، هو انهم لم يكونوا أعرابا بل كانوا حضرا مستقرين. و لو كانت كلمة «عرب» قد خصصت فى ذلك الوقت على نحو ما خصصت له فى الوقت الحاضر لسموا بها من غير شك، و لتبين لنا أنهم كانوا كثرة، و أنهم كانوا هناك اصلا من الأصول (الص ٢٤٨).

و يضيف الدكتور جواد (الص ٣٤٨) الى ذلك قوله: و على كل ففى التوراة اعتراف بان اسماعيل هو ابن ابراهيم البكر، و انه ولد فى فلسطين و عاش فى بريبة فاران، و فى ذلك دليل على ان مواطن الاسماعيليين (أبناء اسماعيل) الأولى على رأى قدماء اليهود و التوراة هى فلسطين. و الاسماعيليون هم من العرب كما ذهب الى ذلك علماء التوراة، فهم أقدم عهدا بها من الاسرائيليين. و النقطة الثانية التى نستنتجها هى ان هذه الأقباط السامية و العربية التى كانت موجودة فى القدس و ما حولها من بلاد فلسطين قد قاومت اليهود على مجيئهم اليها من مصر، و ظلت تقاوم دخولهم مدة تقارب الأربعين عاما. و كان العمالقة أول طبقة من سكان فلسطين قاومت العبرانيين و حاربتهم لمنعهم من الدخول

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٩٥

اليها .. فحارب العمالقة العبرانيين عند سيناء لمنعهم من اجتياز أرضهم، كما حاربوهم فى الأرضين الجنوبية من فلسطين لصددهم عن الدخول اليها عن طريق قادش. و ساعدوا المؤابيين فى دور القضاء و المدنيين فيما بعد خلال حروبهم مع العبرانيين. و حاربوهم فى أيام الملك شاؤول و فى أيام داود، فأثارت مقاومتهم العنيفة هذه للعبرانيين حقا عنيفا فى نفوس الاسرائيليين عليهم يتجلى فيما دون عنهم فى أسفار التوراة. و قد قاوم اليهود و حاربهم أيضا الأدميون، و حاولوا منعهم من الدخول الى فلسطين و المرور فى بلادهم و هم آتون من البرية الى فلسطين، بقصد الوصول الى القدس. و حاربوهم كذلك فى أيام شاؤول و من جاء بعده. ثم قاتلهم اليوسيون على أبواب القدس للدفاع عن مدينتهم و الذب عنها، و استمر هذا الدفاع مدة طويلة من الزمن حتى استطاع داود التغلب على أسوارها المنيعه و كذلك حاربتهم طبقات السكان الأخرى و قاومت استيلائهم على فلسطين و الاستقرار فيها.

و على هذا فنحن، على ما يقول الدكتور جواد على، أمام جيل من العرب كان يسكن فلسطين الوسطى و فلسطين الجنوبية، و فى طور سيناء، قبل هجرة العبرانيين الى هذه البلاد، و ان هذا الجيل قد قاوم العبرانيين، و لم ينش عنه عزمه حتى اندمج فى بقية الشعوب التى ظلت تقاوم العبرانيين، و من ذريته أبناء فلسطين الحاليون .

و هناك نقطة أخرى يشير اليها عدد من مستشرقى الغرب المعروفين من أمثال مرغليوث و مونتغمرى، و هى ان تلك الشعوب العربية التى كانت موجودة فى حوالى القدس قد أثرت تأثيرا غير يسير فى حياة اليهود و ديانتهم و لغتهم، عند ما دخلوا الى البلاد عنوة و اختلطوا بهم. فان الاصحاح الثالث من سفر الخروج يشير الى ان موسى عليه السلام حينما جاء الى مدين تزوج من صفوره ابنة بثرون (رعوئيل) كاهنها و أميرها، و ان المدينيين كانوا بصحبه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٩٦

الاسماعيليين حينما بيع يوسف لهم. و المدينيون فى رأى كثير من علماء التوراة هم من العرب، و تقع أرضهم فى بلاد العرب. و يرى البعض ان موسى تأثر بآراء يثرون هذا، و تعلم منه العبادة الجديدة التى شاعت بين العبريين و هى عبادة الاله «يهوه»، و يهوه هو إله

قبائل مدين أو بعض بلاد العرب الشمالية، لا سيما وقد أقام موسى مدة غير يسيرة بين المدينيين (جواد على الص ٣٥٢).
و يقول المستشرق هيستينغز ان النبي أيوب كان عربيا كما يستدل من الطابع الذي يغلب على أسفاره. فقد عاش أيوب في أيام حكم القضاة في حوران أو على حدود أدوم و بلاد العرب، أو في جزيرة العرب نفسها. و كان يسكن أرض عوص التي يرى بعضهم أنها تقع في منطقة نجد، و يرى آخرون انها في حوالى حوران أو فيما يقرب من فلسطين. و يشير مونتغومرى (الص ١٧٢) الى ان من قدماء القائلين بأثر العربية في تلك الأسفار العالم اليهودى «ابن عزا» من رجال القرن الثانى عشر للميلاد، و تبعه عدد من الباحثين فى ذلك حتى قالوا ان تلك الأسفار كانت مترجمة عن أصل عربى. و من المتحمسين فى الدفاع عن هذا الرأى المستشرق الانكليزى مرغليوث ، الذى درس الأسماء الواردة فى تلك الأسفار و قابلها مقابلة لغوية أيضا و يؤيده كذلك فى هذا الرأى مستشرقان أمريكيان هما فوستر و فيفر.

و لقد تكرر فى التوراة ذكر طغيان اليهود و خروجهم على رأى انبيائهم، و تماديهم فى المملذات و طرق الرذيلة من دون ان يعبأوا بنصائح رجالهم و انبيائهم. و لهذا كله أصابهم ما أصابهم من غضب الله و سخطه عليهم، فنكبوا و شردوا فى الأرض.
و لادراك ما يراد بهذه الأقوال يجدر بنا فى هذه المناسبة ان نورد هنا ما يذكره أحد المؤلفين الانكليزى المختصين بالبحث عن الحياة الجنسية و تاريخها عند موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٩٧

الأقوام المختلفة. فيتطرق ج. راترى تيلور أولا فى كتابه (الجنس فى التاريخ) الى القانون اليهودى و شريعته موسى فيقول: و بالنسبة للتنظيمات التى تنظم السلوك الجنسى بين الناس كان القانون اليهودى يختلف عما كان عليه فى العالم اليونانى-الرومانى اختلافا غير يسير. و كان هذا القانون مستمدا من مجموعة قوانين حمورابى البابلية، لكن موسى نزل عليه الوحي الالهى فاستلهم الموافقة القدسية عليه. و قبل ان يصعد الى جبل سيناء كان «يهوه» إلهها محليا جبليا ينصرف اهتمامه الى دخاخين القرابين المحترقة فقط. و كانت الوصية الجنسية الوحيدة التى تنطوى عليها «الوصايا العشر» الوصية ضد الزنا، أو السطو على زوجة الجيران. و يجب ان يلاحظ ان الزنا فى هذه الحقبة من التاريخ كان يعتبر، كما يعتبر فى روما و عند اليونان، اعتداء على الملكية الخاصة و يعنى اغتصاب حقوق الغير فقط. و لم يقصد فى ذلك ان يقتصر المرء فى التفاته على زوجته فقط، حيث ان الحقيقة هى ان الزوجة حينما كان يثبت عمقها فى إنجاب الأولاد كانت تقدم الى زوجها جارية من جواريتها لتنجب ابناء له.

و يذكر لنا التاريخ بالاضافة الى ذلك ان الرجال كانوا أحرارا فى اتخاذ العشيقات و الاحتفاظ بهن علاوة على ما عندهم من أزواج، و لم يكن هناك تحديد لعدد الزوجات عند كل رجل.

و لم يكن هناك كذلك اى حظر على العلاقات الجنسية قبل الزواج عند اليهود. و يلاحظ ان التوراة لم يكن يحرم الزنا غير التجارى و غير المتقصد كما لم يحرم اغتصاب المرأة بشرط ان يكون للوالد الحق فى المطالبة بتعويض مادي عن البكارة- و حينما تصل البنت الى الثانية عشرة و النصف من العمر تكون حرة فى ممارسة الاتصال الجنسى مع من تشاء، ما لم يمنعها أبوها منعا خاصا. و مع ان البغاء كان لا ينظر اليه بارتياح فقد كان من الأشياء الشائعة فى اورشليم، و كان عدد البغايا على درجة من الكثرة بحيث كانت لهن سوق خاصة بهن فيها. و لم يكن اللواط فى فترة ما قبل السبى جريمة يعاقب عليها القانون فى موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٩٨

اورشليم كذلك، الا اذا ارتكب باعتباره جزءا من العبادة الدينية للآلهة غير اليهودية. و يمكن الاستنتاج مما جاء فى الاصحاح التاسع عشر من سفرى التكوين و القضاة ان اللواط يعتبر شكلا طبيعيا من أشكال الغواية و الفسق، و لو كان شكلا مبتذلا و يشير الحظر المفروض فى الاصحاح الثالث و العشرين من سفر التثنية الى الشكل الدينى منه فقط، كما ان الكلمة المترجمة بمعنى اللواط فى سفر الملك جيمس من التوراة تختص بالقس الذى يعنى ببغاء الهيكل.

و الحقيقة فقد أصبحت حتى هذه المهنة شائعة فى مملكة يهوذا على عهد ملوك اليهود الأقدمين.

إشارة

لاحظنا من بين المراجع الغربية التي تيسرت لنا ان من خير من يصف فتح العرب لبيت المقدس السرجون باكوت غلوب، العسكري البريطاني الذي اشتغل مدة طويلة في المملكة الأردنية الهاشمية واطلع على تاريخ العرب و أحوالهم.

فهو يصف هذا الفتح بإيجاز في كتابه «فتوحات العرب الكبرى» و يقول (الص ١٨٢): فما حلّ خريف سنة ٦٣٦ م حتى كان العرب قد اكتسحوا سورية بأجمعها الى حد جبال آسية الصغرى، لكن القدس و قيصريه في الجنوب بقيتا صامدتين في وجههم. و كان العرب في كلوب باشا موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٩٩

الوقت نفسه قد أنشأوا قاعدة عسكرية في الجابية الواقعة في منطقة الجولان، و هي منطقة متوسطة يستطيع جيشهم منها ان يدفع حركاته بسرعة في أى اتجاه كان لاختماد الثورات و يظهر ان فكرة انشاء قواعد عسكرية كبيرة مثل هذه، في مواضع متوسطة يمكن تركيز القوات العربية فيها، من دون ان يفسدهم الاتصال بالسكان المدنيين، تعزى في أصلها الى الخليفة عمر بن الخطاب.

و منذ ان بدأ الاستيلاء على سورية قبل ثلاث سنوات كانت فلسطين أقليم عمرو بن العاص الخاص. و كان ينضم الى الجيش العربي الرئيسي بين حين و آخر في أيام الشدة، مثل موقعة اليرموك، و لكن حالما كان يزول الخطر كان يعود الى منطقتة الخاصة. و قد كان التاكتيك العربي، الذي جعلهم قوما لا يغلبون في السهول المكشوفة، لا يمكن ان يطبق في البلاد الجبلية او البلاد المغلقة.

و لذلك فظالما كانت الجيوش البيزنطية موجودة في الميدان كان عمرو بن العاص يحصر نطاق عملياته في سهل فلسطين الساحلي من بئر السبع الى قيصريه. على ان جيوش الميدان المعادية لم يبق لها وجود الآن. فتسلق العرب بنتيجة ذلك جبال اليهودية الصخرية، و ضربوا نطاق حصارهم على القدس. و لم يعد من المؤمل أن يطول أمد هذا الحصار أو يتناول بابتعاد هرقل و جيوشه الى ما وراء جبال طوروس. و قد فتح صفرونيوس بطريرك القدس باب المفاوضات مع العرب في أواخر خريف ٦٣٧ على وجه الاحتمال، و سرعان ما تم التوصل الى الاتفاق على شروط الاستسلام. على ان صفرونيوس قد أصرّ على ان لا يسلم المدينة الا الى الخليفة عمر بن الخطاب شخصيا. فأرسل أبو عبيدة رسالة في هذا المضمون الى المدينة المنورة، و قرر عمر في الحال أن يزور الجبهة السورية بنفسه. و قد سار راكبا في طريق القوافل الى درعه، التي تقع اليوم على الحدود الجنوبية الفاصلة بين سورية و الأردن، و هو يلبس ملابسه المرقعة البالية كالمعتاد.

لكن الخليفة المتكشّف صعق حينما لاحظ ان سكان درعه قد خرجوا لاستقباله و معهم المغنيات و الراقصون بالسيوف، و الضاربات على الطبول من النساء.

و صاح من سخطه على ذلك «أوقفوهم أوقفوهم!» على ما يقول الرواة لكن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٠٠

ابا عبيدة سرعان ما بين له ان هذا كان من عادة أهم البلاد في مناسبات مثل هذه، و أنهم اذا منعوا من القيام به سوف يعتقدون ان عمر ما زال على موقفه المعادي منهم. و بمثل هذه الحجج أقنع الخليفة بصعوبة على التغاضي عن هذا العبث التافه. لكن غضبه على القادة العرب كان أشد من هذا. فقد ركب ابو عبيدة و يزيد بن ابى سفيان و خالد الى الجنوب لاستقباله و هم يلبسون ملابس مقصبة ثمينة، و يمتطون خيولا مرختة بالعدد الغالية. فقال لهم و هو مغضب، على ما يروى، أتأتون الى و أنتم ترفلون بمثل هذه الملابس، هل تغيرتم الى هذا الحد خلال سنتين؟ إنكم جميعا تستحقون العزل بالخزي و العار. فأجاب القادة و هم مرتبكون، على ما يذكر الرواة: ان التبديل الذي تراه يا أمير المؤمنين هو تبديل في الظاهر فقط و كشفوا عما تحت الملابس الخارجية ليروه دروعهم المزردة من تحتها. لكن الخليفة الذي كان يلبس رداء مرقعا لم يهدأ غضبه الا بصعوبة. و قد برهن المستقبل على ان مخاوفه كانت في محلها.

و كان ينتظر عمر بن الخطاب في القاعدة العسكرية في الجابية و فد مرسل من البطريرك صفرونيوس، فوضعت شروط الاستسلام في

الحال. ثم ركب الخليفة الى الجنوب عبر وادي الأردن، في الطريق العام القديم الذي يمر بيسان و يقطع جبال السامريين الباسمة، المغطاة بحقول القمح و الكروم و بساتين الزيتون، الى ان وصل الى المدينة المقدسة حيث استقبله فيها البطريرك حامى الكنيسة ذى اللسان المعسول. لكن صفرونيوس اذا كان لسانه قد نطق بكلمات مجاملة رقيقة، فقد كان قلبه أبعد ما يكون عن الاخلاص. و حينما كان الخليفة البدوى الحافى يمشى بملابسه الرثة حول كنيسة القيامة همس البطريرك باليونانية فى أذن أحد أتباعه يقول «هذه هى بالتأكيد فظاعة الدمار الذى تكلم عنه النبى دانيال و هو يقف فى البقعة المقدسة».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٠١

و قد حدث بالصدفة ان حلّ وقت صلاة الظهر حينما كان عمر بن الخطاب منشغلا فى تفقد كنيسة القيامة، و بينما كان أحد مرافقيه يهيم بفرش حصيرة الصلاة على أرض الكنيسة ليقوم الخليفة بادائها منعه عن ذلك و هو يقول انه لا يجذب ان يصلى فى هذا المكان. ثم أردف يقول «لو فعلت هذا فان المسلمين سيطلبون بجعل الكنيسة مسجدا.» و لذلك خرج من الكنيسة و صلى فى خارجها و ما يزال يوجد مسجد صغير حتى اليوم، و قد بنى الى جانب جدار كنيسة القيامة، و هو على ما يقال يضم البقعة التى صلى فيها الخليفة صلواته تلك. و قد كانت القدس و ما تزال يقدها المسلمون تمام التقديس، لأن محمدا علم أتباعه بالتوجه اليها عند الصلاة، كما أنه عرج الى السماء من موقع هيكلها يوم أسرى به. و يبدو ان عمر بن الخطاب قد سلك مع سكان المدينة المقدسة هذه سلوكا فيه الكثير من التواضع و المجاملة.

و اتخذ الخليفة فى أثناء هذه الزيارة الترتيبات اللازمة لادارة الأقاليم المفتوحة حديثا، ثم قسمها الى مناطق عسكرية. و فى ربيع ٦٣٨ ركب العاهل العربى البسيط حصانه من جديد الى البادية فى طريق عودته الى المدينة.

اما المؤرخ الألمانى بروكلمان فيوجز فى كتابه المعروف (تاريخ الشعوب الاسلامية) فتح بيت المقدس و يقول: و من هناك وجه عمر خالد بن ثابت لفتح بيت المقدس التى لم تلبث ان طلبت الصلح. فتولى عمر نفسه عقد الصلح مع أهلها، و كانت شروطه رقيقة غير ثقيلة. فقد أعطاهم عمر الأمان لأنفسهم و أموالهم و كنائسهم، كما منحهم الحرية الدينية على ان يعطوا الجزية للمسلمين و على ان لا يسكن بيت المقدس معهم أحد من اليهود. و الواقع ان عمر سار بنفسه الى بيت المقدس، فدخل ساحة الهيكل المهجورة فأزال الردم بيده عن الصخرة المقدسة التى يعدها اليهود و النصارى و المسلمون جميعا منتصف الأرض، و أمر ببناء المسجد هناك.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٠٢

المسجد الأقصى

جاء فى دائرة المعارف الاسلامية قول كاتب البحث فيه، (وينسك) إنه المسجد الذى بنى فى منطقة الهيكل فى القدس. و يعنى الاسم «الحرم الأبعد»، و قد ورد ذكره فى السورة السابعة عشرة، الآية الأولى، من القرآن الكريم «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا».

و قد بينا فى بحثنا عن «المعراج» ان التأويل القديم يجعل هذه الآية تشير الى عروج النبى الى السماء، و يرى ان المسجد الأقصى يقصد به أحد الأماكن السماوية. على ان هذا التفسير كان لا بد من ان يفسح المجال بمرور الزمن الى تفسير آخر يشار فيه الى بيت المقدس. و لهذا التفسير علاقة باسراء النبى، و هكذا فان الجمع بين قصتى الاسراء و المعراج تتكون منه قصة رحلة النبى الليلية الى المسجد الأقصى فى بيت المقدس، و رحلته بعد ذلك من بيت المقدس الى السماوات العلى.

و لكن كيف أصبحت القدس متميزة فى هذا الشأن فى نظر مفسرى القرآن الكريم و شارحيه؟ لقد كان هذا على ما يقول الاستاذ شريك نتيجة من نتائج ميل الأسرة الأموية المالكة الى تقديس بيت المقدس على حساب أرض الاسلام المقدسة. لكن الدكتور هوروفيتز يتحدى هذا التفسير و يشكك فيه. و على كل فان القدس كانت تعتبر مكانا مقدسا فى الاسلام من أقدم الأزمنة، حيث

كانت القبلة الأصلية التي، و ان تركت لتحل مكة في محلها فقد بقيت محافظة على قدسيتها كما يمكن ان يلاحظ مثلا من إقدام عمر على بناء المسجد في موقع الهيكل. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٠٣

و اسم المسجد الأقصى الآن يطلق على الأخص على المسجد الكائن في جنوب منطقة الهيكل الذي كان في الأصل على ما يقول البعض كنيسة من انشاء الامبراطور جستينيان. و يذكر الكتاب العرب المتأخرون ان هذا المسجد بناه الخليفة عبد الملك (٦٥-٨٥، ٦٨٥-٧٠٥)، و قد يعنى هذا ان كنيسة جستينيان قد أعيد بناؤها بهذا الشكل.

اما المستشرق الانكليزي لسترانج فيذكر المسجد الأقصى في كتابه (فلسطين في عهد المسلمين) بتفصيل أوفى. فهو يبدأ البحث بشرح قدسية المسجد و الأسباب التي أدت اليها، و يذكر المعراج و إيراد آية الاسراء. و يقول كذلك ان الخليفة عمر بن الخطاب أمر بعد أن تسلم بيت المقدس في سنة ٦٣٥ م (١٤ هـ) ببناء مسجد على ما كان يعتبر موقعا لهيكل النبي داود. و قد عين الموقع في المكان الذي كان النبي عليه السلام قد صلى فيه قبل ان يعرج الى السماء، بناء على الوصف الذي سمعه منه. و يقع هذا المكان بقرب الصخرة التي أعيد اكتشاف موقعها بعد ان كانت مختفية تحت أكوام الزبل و الروث.

و كان المسجد الذي بناه الخليفة هناك بسيطا بشكله و هيأته، لأنه بنى باللبن غير المشوى و الخشب. و لذلك لم يستقم طويلا، و ربما لم يبق له أثر بعد نصف قرن من الزمن حين أمر عبد الملك بن مروان بتشييده من جديد. و كان البناء الذي شيده في ٦٩٠ (٧٢ هـ) من الحجر بناء ضخما بديع المنظر. ثم يذكر لسترانج هنا انه يبدو من المحتمل ان البناء الجديد هذا قد استعملت فيه المواد الانشائية التي كانت موجودة هناك، و هى من أنقاض كنيسة «سنت ميرى» العظيمة التي كان قد شيدها من قبل الامبراطور جستينيان الرومانى في الموقع نفسه تقريبا سنة ٥٦٠ فأحرقها خسرو الثانى ملك الفرس سنة ٦١٤، حينما موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٠٤

شن حملته الكبيرة على سورية فأدت الى تدمير معظم المباني المسيحية المهمة في البلاد المقدسة. و يورد لسترانج كذلك في حاشية من حواشى بحثه رواية أخرى في هذا الشأن، نقلها عن المؤرخ البيزنطى المعروف ثيوفانس، الموسوم باسم «كرونو جرافيا». و هو إذ يوردها يقول إنها أقدم ذكر لخبر بناء المسجد الذى أمر عمر، لأن أقدم من يذكر الخبر من العرب هو المقدسى في سنة ٩٨٥ م.

فيقول ثيوفانس عن أخبار سنة ٥٢٤ م ان عمر بدأ باعادة بناء الهيكل المقدس (كذا)، لأن بناءه في الحقيقة لم يبق له وجود بعد ان أصبح انقاضا و خرابا.

و حينما سأل عمر أهالى بيت المقدس عن السبب أجابه اليهود بقولهم «انك اذا لم تهدم الصليب القائم على جبل الزيتون فان بناء الهيكل لن يمكن بقاؤه ثابت الأسس و الأركان. و عند ذاك هدم عمر الصليب في مكانه لأجل ان يمكن بناء الهيكل على أسس متينة. و للسبب نفسه هدمت صلبان كثيرة في أماكن أخرى ..

و لا شك ان قول اليهود هذا إن صح ففيه دس و خبث، كما ان رواية ثيوفانس (التي نرجح زيفها) و لهجتها الأصلية ظاهرة التحيز و التعصب الى آخر حد، لا سيما ما يختص منها بتهديم الصلبان لأن التساهل الذى أبداه المسلمون و الخليفة عمر بالذات مع النصارى عند فتح بيت المقدس يدحض ذلك. و هذا ما يعترف به المؤرخون الغربيون أجمع. يضاف الى ذلك أن الخليفة عمر أمر ببناء المسجد الأقصى لا الهيكل اليهودى المزعوم.

و يذكر لسترانج أيضا ان زلزالا يقال انه وقع في سنة ٧٤٦ (١٣٠ هـ) فهدم قسما كبيرا من المسجد الأقصى الذى بنى في عهد الملك. ثم يورد في هذا المقام رواية استقاها من مخطوطة «مثير الغرام فى وصف البلد الحرام» العربية، و خلاصة ما فى الرواية المسندة الى عبد الرحمن بن محمد بن ثابت،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٠٥

عن أبيه الذى رواها عن أبيه و جدّه، أن أبواب المسجد فى أيام عبد الملك كانت مغطاة كلها بصفائح ذهب و فضة و لكن الجناحان

الشرقي والغربي من المسجد تهديما في أيام المنصور الخليفة العباسي. وحينما فوتح المنصور باعادة بناء القسم المتهدم و توسيع المسجد أجابهم بأنه نظرا لعدم وجود المال في الخزانة العامة يومذاك، فعليهم أن يقلعوا صفائح الذهب والفضة و يستعملوها في سك العملة المطلوبة للبناء، ففعلوا ذلك و أكملوا البناء و كان ذلك في سنة ١٥٤ هـ (٧٧١ م) على الأرجح.

ثم حدث زلزال آخر فقوض هذا البناء من جديد، و حينما تولى الخليفة المهدي بعده كان المسجد في حالة خراب فأمر ببناؤه. لكنه أمر كذلك بتوسيعه لأنه كان طويلا ضيقا في السابق، فأجريت التوسيعات المطلوبة فيه، و كان ذلك ما يعتقد في سنة ٧٦٠ م (١٤٣ هـ) التي توجه فيها المهدي الى بيت المقدس و صلى فيه. و فيل ان يصف المقدسي المؤرخ المسجد الأقصى في سنة ٩٨٥ م أنشأ فيه عبد الله بن طاهر رواقا ذى أعمدة. و كان وصف المقدسي له في أيام الخليفة الفاطمي العزيز بالله في مصر. ثم يقول لسترانج ان وصف الرحالة ناصر خسرو لبيت المقدس في سنة ١٠٤٧ (أى بعد ٦٢ سنة) هو مطابق لوصف المقدسي. و هذان الوصفان معا يعطياننا فكرة واضحة عن المسجد الأقصى قبل ان يستولى الصليبيون على بيت المقدس.

و مما يذكره لسترانج كذلك نقلا عن المقدسي ان عددا من الزلازل وقع في سورية و مصر بين سنتي ٤٠٧ و ٤٢٥ للهجرة، فوقت في ٤٠٧ قبة الصخرة فوق الصخرة نفسها، و تهدمت مدينة الرملة في سنة ٤٢٥ (حوالي ثلثها)، ثم تهدم الجدار الخارجي من منطقة الحرم القدسي فأعيد بناؤه و بناء الصخرة بأمر من الظاهر الخليفة الفاطمي في مصر.

و في ١٤ تموز سنة ١٠٩٩ استولى الصليبيون بقيادة غودفري دوبريوني على بيت المقدس، فأعطيت منطقة الحرم الشريف الى الداوية أو فرسان الهيكل، فأحدثوا تغييرات غير يسيرة في المسجد الأقصى و أقسام الحرم المجاورة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٠٦

لكنهم تركوا قبة الصخرة من دون أن يعثوا بها. فقد شيدوا في غرب المسجد الأقصى بامتداد السور الجنوبي لمنطقة الحرم مستودع أسلحتهم، أى في موقع الرواق الذي أشرنا اليه. و وصفه ناصر خسرو، و فى أسس زاوية الحرم الجنوبية الشرقية الى غرب مهد السيد المسيح بنوا اصطبلات خيولهم.

و حينما استرد صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس من الأفرنج في سنة ١١٨٧ أعيد إصلاح و ترميم منطقة الحرم بأجمعها (يراجع من أجل هذا الجزء التاسع من ابن الأثير). و يقول لسترانج كذلك ان المؤرخين العرب لا- يذكرون تفصيلات ما جرى من تعمیر في المسجد الأقصى بعد ان استرد صلاح الدين بيت المقدس حتى جاء مجير الدين فى ١٤٩٦ فذكر فى- أنس الجليل- ان السور الجنوبي لمنطقة الحرم بالقرب من محراب داود أعاد بناءه سلطان مصر المملوك محمد بن قلاوون الذى حكم من ١٣١٠ الى ١٣٤١ م. و أمر كذلك بتبليط الطرف الجنوبي من المسجد بالمرمر و فتح شباكين فى الجدار الجنوبي الى يمين المحراب الكبير و شماله. و يظهر ان المسجد الأقصى لم يكن يختلف فى أيامه كثيرا عما هو عليه اليوم (كتب لسترانج هذا فى ١٨٩٠).

هذا و قد كتب المستشرق الأنكليزى كريسويل خبير فن العمارة الإسلامية فى كتابه المعروف فصلا موجزا ايضا عن المسجد الأقصى نورد فيما يأتى ترجمة: يبدأ كريسويل بالتساؤل عن المدة التى استقام فيها بناء المسجد الذى شيده الوليد، و الظاهر انه يعتقد ان الذى شيّد المسجد الأقصى، بعد البناء البسيط الذى أمر ببناؤه عمر بن الخطاب، هو الوليد بن عبد الملك و ليس اباه عبد الملك بن مروان كما يذكر معظم المؤرخين. ثم يقول انه يبدو ان ذلك البناء قد دمر تدميرا غير يسير فى الزلزال الكبير الذى وقع سنة ٧٤٧ أو ٧٤٨ لكن أول ذكر لإعادة بنائه ورد فى كتاب متأخر يعرف بالمشير- و لعله يقصد موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ٥؛ ص ١٠٦ موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٠٧

كتاب مشير الغرام المشار اليه قبل هذا- و قد كتب سنة ١٣٥١. و يعزو هذا إعادة التعمير الى المنصور. و يذكر الكتاب نفسه ان زلزالا آخر وقع بعد بضع سنوات و أعاد بناء القسم المتهدم من المسجد الأقصى فيه الخليفة المهدي و لا يسعنى أن أشعر بأن هذين الزلازلين هما عبارة عن زلزال واحد، و هو المذكور أولا. ثم يتابع كريسويل قوله بأن المسجد أعيد بناؤه بشكل أضخم و أمتن مما كان عليه من

قبل، و لكن القسم القديم غير المتهدم منه أبقى في وسط المبنى الجديد كأنه شامة فيه. و هذا يمتد الى حد أعمدة الرخام، و من بعدها يبدأ القسم الجديد. و لم يذكر أى الخلفاء أمر بالتعمير و لكن صاحب كتاب المثير يقول ان الخليفة المهدي هو الذى فعل ذلك. اما السنة التى تم فيها فيعتقد لستراىج أنها سنة ١٦٣ هـ (٧٨٠) لأن الطبرى يذكر أن المهدي هو ذهب فى تلك السنة الى بيت المقدس فصلى فى المسجد الأقصى.

و نورد هنا الوصف الوحيد الذى يتيسر لدينا عن المسجد بشكله ذاك، و هو وصف المقدسى نفسه الذى يقول:
ان الحرم له ستة و عشرون بابا، و يسمى الباب المقابل للمحراب باب النحاس الكبير .. و الى يمينه توجد سبعة أبواب كبرى أيضا، و سبعة ابواب مثلها فى الجهة الشمالية. و هناك فى الجهة الشرقية احد عشر بابا غير مزخرف ..
و يغطى القسم الأوسط من الحرم سقف ذو جملون كبير تعلو فوقه قبة جميلة.
و تغلف السطوح فى كل مكان بطبقة من الرصاص.

فكيف كان شكل هذا المسجد يا ترى؟ لنترك هذا السؤال مؤقتا و نتابع تاريخ المبنى فى سيره. فقد حصل زلزال فى سنة ١٠٣٣ فهدم المسجد تهديما استدعى ان يقوم الظاهر الخليفة الفاطمى بأعادة بنائه سنة ١٠٣٥ م، و كثيرا ما كان المسجد الأقصى بشكله الحالى يعتبر من إنشاء الصليبيين و صلاح الدين، لكن هذا رأى مغلوط لأن القسم الأعظم من بناء الخليفة الظاهر ما زال موجودا فان المعمار التركى المقتدر المرحوم كمال الدين الذى أجرى ترميمات فى المسجد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٠٨

بين سنتى ١٩٢٤ و ١٩٢٧ قد أطاق اللثام عن تفاصيل كثيرة فى البناء تبرهن على ما نقول:

١- لقد أزال الجص عن سطح العقد الشمالى الذى يحمل القبة فكشف بذلك عن زخرف بديع بالفيسفاس المزجج يتألف من لفائف كبيرة من نبات شوكة اليهود (أكانتوس) تعلوها كتابة طويلة بالكوفى، تحت عوارض السقف مباشرة، يرد فيها اسم الخليفة الظاهر الفاطمى. و هذا يبرهن على ان العقد الكبير الذى يحمل القبة لا يمكن ان يتأخر بناؤه عن ١٠٣٥ م.

٢- لقد أزال جزئيا غطاء الرصاص من حافة القبة الخشبية السفلى. و تميل هذه الحافة السفلى قليلا الى الخارج لتدفع عن البناء ماء المطر أو الوفير. و تبقى محافظة على شكلها هذا بسلسلة من العارضات البارزة الى الخارج كما هو الحال تماما فى قبة الصخرة حيث تخرج العارضات بمقدار ٨٥ سنتمترا فى مقابل ٧٥ فقط فى الأقصى (٥، ٣٣ مقابل ٥، ٢٠ بوصة). و كان من حسن حظى، على ما يقول كريسويل، ان أرى هذه العارضات مكشوفة للعيان، فكان معظمها قد نخره الدود، لكن القليل منها الذى بقى سالما تقريبا كما كان محفورا بزخرفة فاطمية. و يبرهن هذا على ان اسطوانة القبة لا يمكن ان تتأخر عن زمن الظاهر، و كذلك العقود الأربعة التى تحمل القبة لا العقد الموجود تحت القبة فقط.

٣- إن جميع عقود المسجد تسند بعارضات ذات شدتين، و قد دقت بالمسامير فى الجانب الأسفل من كل زوج لوحة سميكة عليها زخرف منقوش بالدهان. و كان هذا يختفى وراء غلاف خشبى ازيل عنه فى عشر أو اثنتى عشرة حالة. فكانت إحدى الشدات تحمل نطاقا من كتابة القرن الحادى عشر الكوفية. و لذلك فان الأقواس القريبة من القبة لا يمكن ان يتأخر زمنها عن زمن الظاهر كذلك. و تنطبق نفس الملاحظة هذه على شدة العارضة الأولى التى تلى القبة فى كل جهة من جهتى الرواق الوسطى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٠٩

٤- كان سقف المصلى يتألف (الى زمن متأخر). من عوارض سقفيه متقاربة تقاربا غير يسير تستند الى أفاريز مسطحة بحجمين، يبلغ عرض بعضها ٣٥ سم و طولها تسعين (٧٥، ١٣ فى ٢٥، ٤٣). و هى مزخرفة بزخارف محفورة من النادر ان يتأخر عصرها عن القرن الثامن. و المفروض أنها أخذت من المسجد الذى بناه المهدي و استخدمت فى البناء مجددا.

و الآن دعنا نعود الى المخطط (التصميم) فننحصه. اننا نجد ان هناك خطأ من أعمدة جسيمة مدورة ما تزال سالمة شرقى رواق

المصلى على مسافة ١٠، ٧ م منه. وهناك عمود آخر من مثل هذه في الرواق التالي الممتد الى الشرق. اما القسم المحمول على أعمدة من الرخام فقد بقي فيه رواقان مقنطران يمتدان في شرق القبّة و غربها مع جزء ثالث في الجهة الشرقية. و نلاحظ كذلك ان العقود الشماليّة و الجنوبيّة التي تحمل القبّة تستمر في امتدادها شرقا و غربا، لأجل أن تحمل قوتها الدافعة الى الجدران الجانبية، و هكذا تكون مخططا بشكل

T

على الورق و ليس في الحقيقة و الواقع، لأن جميع الأروقة المقنطرة تستمر الى حد جدار القبلة. و على هذا يتضح ان قسما كبيرا من المسجد الحالي هو من تشييد الخليفة الظاهر الفاطمي، أي عقود الرواق الأوسط و أربعة عقود تحت القبّة و الأسطوانة الى حافتها العليا، و عقد آخر شرقي عقد المصلى، و الأروقة الكائنة في يسار العقد الشرقي الذي يحمل القبّة، مع رواقين يقابلانها في الجهة المقابلة.

شكل مسجد الظاهر- ان الحد الشمالي لبناء المسجد الذي شيده الظاهر لا بد من أنه كان على نفس ما هو عليه اليوم، لأن مدخلين من المداخل الثلاثة الموجودة في الوسط يجب ان يكون تاريخها، بالنسبة للزخرف الموجود فيها، غير متأخر عن القرن الثامن. و فيما يأتي أدون استنتاجاتي العامة (القول لكريسيويل) في هذا الشأن:

١- إن قسما كبيرا من المسجد الأقصى الحالي هو من تشييد الظاهر الفاطمي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١١٠

٢- ان مسجده كان يتألف من سبعة أروقة متكونة من عقود تتعامد مع جدران القبلة، و تتألف كلها الا العقدتين الوسطيين من أحد عشر قوسا.

٣- لقد كان الرواق الأوسط يبلغ ضعف الأروقة الأخرى في عرضه تقريبا (٨٠، ١١ مقابل ٥٠، ٦ متر و ٣٧٥ مقابل ٢٥، ٢١ قدم). و كان له في أعلاه منور، و كانت الفسح السبع الأولى بين الأعمدة مغطاة بسقف جملوني الشكل توجد فوقه قبة خشبية كبيرة.

٤- كانت العقود المستعرضة التي تحمل القبّة تمتد الى الجدران الجانبية نظرا لما تقتضيه قوة الحمل الدافعة فيها.

٥- كانت الأروقة الجانبية تغطيها سقوف جملونية الشكل في مستوى أخفض من مستوى الجملون الكبير و موازية له.

٦- و اني ميال (يقول كريسيويل) الى الاعتقاد بان هذا المسجد لم يكن أعرض من بناء المسجد الحالي.

تكوين جامع المهدي- و لنعد الآن الى وصف المقدسى. فليس هناك احد لا يستطيع الالتفات الى الشبه الموجود في الخصائص الرئيسية التي لاحظها في المسجد و الخصائص البارزة في مسجد الظاهر، اي المدخل الكبير الأوسط مع المداخل السبعة الأصغر عن اليمين و عن الشمال، و السقف الجملوني الكبير فوق القسم الأوسط من المصلى مع القبّة الجميلة المرتفعة فوقه، و السطح المغلف بالرصاص.

و لكن هناك أشياء أكثر من هذه. فقد لاحظنا ان الأعمدة هي بحجمين، إذ يبلغ قطر الأعمدة في المصلى و شرقيه حوالي تسعين سنتمرا (٣ اقدم) بالمعدل. غير ان هذه لا تعد أعمدة قط، لأنها حينما أزيل عنها الجص وجد أنها مبنية بسوف من الحجارة. و هذا ما يذكرنا في الحال بكلمات المقدسى حينما وصف مسجد المهدي و قال «ان الأقسام القديمة منه قد بقيت، حتى أصبحت كأنها شامة في وسط العمران الجديد». و يمتد هذا القسم الى حد أعمدة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١١١

الرخام، و لا يبدأ القسم المتأخر الا حيث تنتهي «الأعمدة المبنية».

و هكذا فان جامع المهدي كان قسم منه مشيدا على أعمدة و قسم آخر على أساطين مدورة، كما في المسجد الحالي تماما، و كان القسم الأوسط منه مغطى بسقف جملوني جسيم ترتفع فوقه قبة جميلة. يضاف الى ذلك ان الرواق الاوسط الكبير و الرواقين الى يمينه

و شماله لا بد من أن عرضها قد كان بمقدار عرضها الحالي لأن محاورها تتعين بالمداخل الوسطى الثلاثة، التي لا يمكن ان يتأخر زمن اثنين منها عن القرن الثامن. و ليس من العجيب أن يكون عدد الأبواب في الجهة الشرقية من مسجد المهدي، و هي احد عشر، مساويا بالتام لعدد الأقواس في العقود الحالية. أفلا يدل هذا اذن على ان عقود مسجد المهدي كانت تتألف من أحد عشر قوسا؟ و اذا ما أخذت جميع هذه النقاط بنظر الاعتبار فان الاستنتاج الواضح لكل ذلك يكون منطويا في ان الظاهر الفاطمي احترم مخطط المهدي و أخذه في الاعتبار، فترك الأساطين المدورة بالحالة التي كانت عليها و أعاد تشييد كل شيء على النمط نفسه. كما ان عرض مسجد المهدي لا بد من أنه كان يبلغ ٨٠، ١١ (من مركز إلى مركز) بالنسبة للرواق الأوسط، زائدا ٥٠، ٦-١٤ م للأروقة الأربعة عشر المقابلة للأبواب الأربعة عشر الأصغر في حجمها، فيساوي المجموع ٨٠، ١٠٢ م. و لما كان الطول من الشمال إلى الجنوب، بالنسبة للقياس الداخلي، ٢٠، ٦٩ م (٢٣٠ قدم) تكون النسبة بالضبط تقريبا ٣:٢، و هي نسبة ملائمة في فن العمارة العباسي، مثل أبنية المنصور في بغداد و الأخضر و في سامرا في القرن التالي. و لا شك ان وجود خمسة عشر رواقا يعني إضافة أربعة أروقة في كل جهة من جهتي المسجد الحالي. و ليس من الصدفة الغريبة ان توجد في الملحق الصغير من الناحية الشرقية، المسمى جامع عمر، أربع فسحات و يكون معدل عرضها ٧٥، ٦ م (٢٢ قدما) على وجه التقريب. و لذلك فان الجهة الشرقية من الملحق هذا تقابل الجهة الشرقية في مسجد الهادي اذا ما أعيد تكوينه كما يقترح، و تكون الأساطين الجدارية الكائنة في الجهة الجنوبية من هذا الملحق على محور الأساطين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١١٢

الجدارية التي يتطلبها تطبيق نظريتي هذه تقريبا.

حوامل الأفاريز الخشبية- تكون حوامل الأفاريز هذه، التي تتصل بالعارضات السقفية من الطرفين بحجمين كما ذكر من قبل. و هما يعودان الى زمن أقدم بكثير من زمن الظاهر الفاطمي، و اعتقد انهما من حوامل الأفاريز التي كانت في مسجد المهدي. و حينما نشرت انا صورتيهما في مجلة «أخبار لندن المصورة» الصادرة في ١٦ كانون الثاني ١٩٣٧ اعتقد عدد من النقاد انهما كانا من طراز حوامل الأفاريز الأموية. اما أنا فقد عزوتهما الى أيام المهدي بالنظر لحيوية الفن الهيلينستي و بقاءه في سورية الى ما بعد انقراضه في البلاد الأخرى بكثير .. و نحن نرى الآن من الملاحظات و التنقيبات التي أجريت تحت الأرضية الحالية خلال عملية تجديد ما يقرب من ثلث بناء المسجد الأقصى في سنة ١٩٣٨-١٩٤٢ ان المسجد لم يكن له رواق أوسط عريض قبل أيام المهدي، و لذلك لم تكن هناك حاجة لحوامل الأفاريز العريضة التي تبلغ ستين الى مائة و عشرة سنتمترات في حجمها (٦، ٢٣ في ٧، ٤٣ بوصة).

المسجد الأقصى الاموي- و يصح بالضرورة من الوصف الذي أورده المقدسي بأن مسجدا أقدم، بعقود تستند الى أعمدة من الرخام و تمتد من الشمال إلى الجنوب، كان قد أدخل في المسجد الأقصى الذي شيده المهدي. و لا تزال هذه العقود موجودة في شرق و غرب القسم الذي تغطيه القبّة.

و حينما أدخلت القبّة في البناء كان من الضروري تهيئة دعائم من الشرق و الغرب بجعل عقود مستعرضة تمتد الى الجدران الجانبية، و تتألف من سلسلة من الاقواس التي تستند الى مساند مستقلة توضع في كلا جانبي العمود المقابل للعقود الطويلة، فتنحشك العقود القديمة ما بين الاقواس المستعرضة الجديدة. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١١٣

ففي أثناء العمل الذي تم في ١٩٣٨-١٩٤٢ استطاع هاملتون حينما أزاح الجص ان يلاحظ بأن بناء سبندلات الأقواس المستعرضة غير مرتبط ببناء سبندلات العقد الطولي الأول الموجود في شرقي القبّة. و لا ينطبق هذا على العقد الثاني لأن الأقواس المستعرضة تنشأ هنا من نفس الدعامة التي تنشأ منها الأقواس في الشمال و الجنوب. و لذلك فقد استنتجت بأن هذا القسم قد تأثر بالزلازل أكثر من غيره و أعيد بناؤه من قبل المهدي العباسي. و لا يزال هناك في الجهة الشرقية الأبعد عقد ثالث داخل جزئيا في الجدار. .. و قد تم التوصل الى اكتشاف آخر تحت التبليط حينما أزيل قسم منه.

فقد وجد قسم من جدار شمالي أقدم يبلغ ارتفاعه سافا واحدا في بعض الأماكن و لوحظ امتداده الى ما يزيد على ١٨ مترا (٥٩ قدما). و كان يبلغ سمكه مترا واحدا (٢٥، ٣ قدما) و كانت جبهته الجنوبية على بعد ٤٠، ١٨ مترا (٦٠ قدما) من الجهة الداخلية للجدار الشمالي الحالي. و على هذا فان المسجد الأقدم، و هو الأموي على ما يفترض، كان يبلغ طوله من الشمال الى الجنوب ٨٠، ٥٠ مترا (١٦٧ قدما) فقط بدلا من ٢٠، ٦٩ (٢٢٧ قدما)، لكن عرضه لا يمكن تعيينه.

قبة الصخرة

جاء في دائرة المعارف الاسلامية ان قبة الصخرة هي القبة المعروفة في القدس، التي تسمى خطأ في بعض الأحيان بجامع عمر. فهي في الدرجة الأولى ليست جامعا و انما هي مزار أو مصلى مشيد فوق الصخرة المقدسة و حولها شبيه بالأبنية المقيمة المنتشرة في منطقة الحرم. و لم تكن في الدرجة الثانية مما شيده

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١١٤

عمر من الأبنية بل كانت من تشييد الخليفة الأموي الخامس عبد الملك بن مروان و يقدر الصخرة هذه المسلمون و النصارى و اليهود على سواء فيعتبرونها محور ارتفاع العام. حتى يقال انها أقرب الى السماء من أية بقعة أخرى بمقدار ثمانية عشر ميلا. و يجعلها المسلمون تلي الكعبة في قدسيتها.

و مع ان الصخرة لم يرد لها ذكر في العهد القديم فقد ورد ذكرها في التلمود و الترجومة. لكن الأحاديث الاسلامية قد كبرت هذه المادة الاسطورية و ضخمتها جميعها. و مما تقوله ان الملائكة زاروا الصخرة قبل خلق آدم بألفى سنة، و استوى فلك نوح عليها بعد الطوفان. و يقال انها صخرة من صخور الجنة بالفعل، و سينفخ هنا في يوم الحشر اسرافيل الملك صورة الأخير. و قبل ان يحصل ذلك ستأتي الكعبة من مكة عروسا تنهادى مزفوفة إلى الصخرة.

و يجزمون بأنها ترتكز على نخلة سوف تقوم عاصية امرأة فرعون، و مريم أخت موسى، بتزويد المؤمنين في ظلها بنشقة باردة من أنهر الجنة، و المعتقد ان جميع مياه الأرض الحلوة قد نشأت من مكان ما تحتها. و يقول آخرون ان الصخرة معلقة بين السماء و الأرض بمعجزة، و لما كانت هذه العجيبه أغرب من أن تصدقها العيون البشرية فقد أخفيت عن قصد بالمبنى الذي يحيط بها.

و في أسفل الصخرة مغارة يسمع من قاعها عندما تقع قدم الماشى عليها صوت أجوف يشير إلى وجود كهف تحتها، أو ربما بئر، و هي ما يسمى ببئر الأرواح حيث تجتمع - على ما يعتقد - الأرواح الراحلة عن هذا العالم مرتين في الاسبوع.

و لا شك ان تجويف الجدران و المساحة هذا هو الذي نشأت عنه اسطورة تعلق الصخرة في وسط الهواء. و يقول الحديث ان جميع أنبياء الله سبحانه و تعالى الى حد النبي محمد (ع) كانوا قد صلوا على هذه الصخرة التي يحيط بها كل يوم حرس ملائكي مؤلف من سبعين ألف ملك. و يقال ان الله عز و جل أمر موسى بأن يضع الصخرة في موضع القبلة، و كان في نية محمد ان يفعل الشيء نفسه لكن الله أوحى له أن يجعل القبلة نحو الكعبة في مكة المكرمة، و قد حصل هذا التغيير في رجب من السنة الثانية للهجرة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١١٥

و حينما فتح عمر بيت المقدس وجد الصخرة مغطاة بالقذارة بحالة مزرية.

فأمر بأن يقوم الأنباط بازالة هذه الأقدار، و بعد أن طهرت الصخرة ثلاث زخات قوية من المطر، صلى فوقها. و في سنة ٦٩- ٧٢ (٦٨٨- ٦٩١) بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة، و كان السبب المباشر لذلك الحالة السياسية في تلك الأيام. فقد آثر سكان الحرمين، مكة و المدينة، الانحياز إلى منافس عبد الملك في الخلافة عبد الله بن الزبير. و لما كان عبد الملك يخشى من أن يعود رعاياه الفلسطينيين من حجهم إلى مكة في تلك الأيام و هم ملقحون بروح الثورة عزم على انتهاج خطة يحول فيها حجاج مكة من الذهاب الى المنطقة الثائرة و يوجههم بدلا عنها الى بيت المقدس. و بعد أن جس نبض الناس بنشر مناشير تنص على عزمه هذا، و بعد ان قوبل

ذلك بالتأييد الحار (كذا) مضى في تنفيذ فكرته و وضع مشروعه في حيز التنفيذ، و هو تزيين القدس بالأبنية الدينية المفخمة . و بعد هذا أعلن لرعاياه قوله «ستكون هذه الصخرة لكم بمثابة الكعبة»، و يستند في هذه الجملة على المؤرخ العربي يعقوبى. و لتلافي مصروفات هذه البناية يقال انه خصص لها خراج مصر لمدة سبع سنوات، و أمر بأن تكون الخزانة التي يصرف منها تشييد قبة الصخرة فى مبنى صغير خاص خططه فى جوار موقع القبة، و يعرف اليوم بقبة السلسلة. و قد راق نظره هذا المبنى بحيث أمر بأن يكون مبنى قبة الصخرة على غرارها. و كانت الصخرة يومذاك محاطة بمشبكة من العاج و ستائر مقصبة. و فى هذا الوقت علفت أيضا درة ثمينه، مع قرون كبش ابراهيم، و تاج خسرو، فى السلسلة المعلقة فى أواسط القبة. و حينما استولى العباسيون على الحكم انتقلت هذه المعلقات إلى الكعبة . و قد كانت البناية فى تلك الأيام مضخمة بالروائح و العطور بحيث موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١١٦

ان المرء الذى كان يزورها و يخرج منها يبقى العطر عالقا فيه فيعرف بأنه كان فيها.

و السبب الآخر الذى جعل عبد الملك يقدم على تشييد قبة الصخرة يذكره المقدسى. و يقول ان الخليفة لاحظ قبة كنيسة القيامة و بهاءها، خوفا من أن يؤثر ذلك فى نفوس المسلمين و أنظارهم شيد القبة فوق الصخرة لتضاهيها و قد كان هناك اختلاف خلال مدة من الزمن حول المؤسس الحقيقى و البانى لقبه الصخرة. حيث كان يبدو أنها أبداع مما يمكن أن يحققه العرب (كذا) فكان فيرغوسن يقول انها من صنع المعماريين البيزنطيين فى أيام الامبراطور قسطنطين و انها كانت تدل على موقع الضريح المقدس. لكن كوندر كان أبرز المعارضين لهذا الرأى. و لا شك ان عبد الملك استعان بالمعماريين اليونان فى البناء، و كان يتيسر عدد غير قليل من الأعمدة اليونانية و التيجان بين أنقاض الكنائس التى هدمها الايرانيون، مما يمكن إدخالها فى ضمن البناء بسهولة.

و لذلك فان حجة فيرغوسن تناقض أدلة المؤرخين العرب عدا كونها على جانب من الخطأ.

و يدل على ان قبة الصخرة شيدها عبد الملك هو وجود الكتابة الكوفية المشهورة بالخط الأصفر فى خلفيه من الموزاييك الأزرق فوق الكورنيش المحيط بقاعدة القبة. و تنص على ان: «بنى هذه القبة عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين فى سنة اثنتين و سبعين» و حينما رمم البناء فى عهد المأمون العباسى سنة ٨٣١ م ..

و بنى الجدار المثلثن أزيلت بعض البلاطات و استبدلت بغيرها و هى تحمل اسم المأمون. لكن التزوير اكتشف بسهولة لأن موزاييك البلاطات لجديدة أعمق فى لونه الأزرق و الحروف المكتوبة فوق أكثر تحاشكا و تقاربا.

و تاريخ قبة الصخرة معروف معرفة غير يسيرة فى الأدبيات التاريخية. فقد تطلب الأمر ان يعاد ترميمها و تجديدها عدة مرات فى القرون التالية. ففي ١٠٩٩ دخل الصليبيون الى القدس فوهب بالدوين الثانى مبنى القبة إلى فرسان الهيكل لتصبح كنيسة لهم. فأعيد تزيينها من الداخل و الخارج برسوم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١١٧

نصرانية و صور لقديسين. و نصب مذبح من الرخام على الصخرة و صليب ذهب كبير فى أعلى القبة، كما نصبت شبكة حديد كبيرة ذات أربع بوابات من صنع الفرنسيين ما بين أعمدة الدائرة الداخلية. و قلبت المغارة فى أسفل إلى مصلى، إذ كانوا يعتقدون بأنها قدس الأقداس فسموها «الكونفسيو». و هكذا أصبح المبنى نموذجا للكنائس التى ظل يبنها فرسان الهيكل فى أوروبا، و صارت القبة رمزا لهذه الطريقة الرهبانية فأخذت تظهر فى ختم «السيد الأعظم». و فى الصورة التى رسمها الرسام الشهير رافائيل بعنوان «زواج العذراء» يبدو مبنى مزلعا يذكر بقبة الصخرة ليرمز الى معبد يهودى.

و فى ١١٨٧ استعاد صلاح الدين الأيوبي المدينة المقدسة و أزال جميع الاضافات المسيحية من مبنى القبة. و توجد فى داخلها كتابة كتبها صلاح الدين لتسجل تجديده لها. و قد حصلت عدة تجديدات و ترميمات منذ ذلك التاريخ أيضا.

أما البناية فهى على شكل مثلث منتظم يبلغ طول ضلعها ستة و ستين قدما، كما يبلغ طول القطر من الداخل مائة و اثنتين و خمسين قدما، و قطر القبة من قاعدتها ستة و ستين قدما. و ترتفع القبة الى تسعة و تسعين قدما، و هى من الخشب المغطى من الخارج

بالرصاص و من الداخل بالزخرف الجصى المذهب و المزين بالزينة الغنية. و تكوّن الآيات القرآنية المكتوبة كتابه متداخلة جميلة أفريزا حول المبنى. و تحيط بالصخرة من الداخل أربع اسطوانات جسيمة و اثنا عشر عمودا من الوسط. و على هذه كلها تركز القبّة. هذا و يبلغ طول الصخرة نفسها ستة و خمسين قدما و عرضها أربعة و أربعين و هي تكاد تكوّن نصف دائرة في شكلها، و يقع الجانب المقوس من الجهة الشرقية و الجانب الأعلى المستقيم من الغرب. و تكوّن من الناحية الجيولوجية جزءا من الطبقات الصلبة الرمادية التي تتكون منها هضبة القدس، و قد أقيمت خلال العصور كلها بحالتها الخشنة الطبيعية تقريبا. و عندما يزور الزائر الورع هذه البقعة عليه ان يجعل الصخرة الى يمينه حتى يكون طوافه حولها بعكس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١١٨

الطواف حول الكعبة. و يقول ابن عبد ربه في العقد الفريد ان الزائر عندما يدخل الصخرة عليه ان يصلى في الأركان الثلاثة، و على الرخامة التي تماثلها في القدسية لأنها تجثو فوق باب من أبواب الجنة. و الرخامة هي قطعة من التبليط بالقرب من «باب الجنة»، و المفروض عند البعض أنها تدل على المكان الذي صلى فيه الخضر (الياس) بينما يعتقد آخرون أنها تغطي قبر سليمان. على ان الجميع يجزمون بأنها كانت في الأصل قطعة من أحجار الجنة، و أنها تسمى «بلاطة الجنة». و هناك حديث ينص على ان النبي محمدا دق في هذه الرخامة تسعة عشر مسمارا (ذهبا) لا بد من ان تقع منها بصورة دورية واحدا بعد آخر. و حينما تنقلع كلها تكون نهاية العالم قد أزفت. و قد كاد الشيطان ان يتمكن من قلعها كلها لو لا ان يتدخل الملك جبرائيل في أخرج الأوقات و يحول دون ذلك. و قد بقيت فيها الآن ثلاثة مسامير بينما غار أحدها إلى الأسفل قليلا و لذلك يمر الزوار الأتقياء من فوقها بهدوء و ببطء لئلا يكونوا سببا في قلع أحدها فيعجلوا بدنو يوم القيامة.

و بعد ان يسرد المستر و وكر، كاتب البحث، الأساطير هذه و يعنى بإيرادها يأخذ بإيراد غيرها و يقول: و على قطعة منفصلة من عمود رخام تقع في جنوب غربى الصخرة، و تغطي بقية غير متقنة الصنع تضم في داخلها أيضا شعرات من لحية النبي عليه السلام، يوجد «قدم محمد»، و هو الذى خلفه وراءه في ليلة صعوده الى السماء على براقه الخاص. و قد كان هذا يعرف في أيام الصليبيين، عندما احتل النصارى قبّة الصخرة (بقدم عيسى) اما الثقب المدور في وسط الصخرة فهو البقعة التي حفر فيها جسد النبي فمرق منها الى أعلى. و يشاهد على مقربة من ذلك سراج البراق نفسه بشكل عدة كسر من الرخام. و يبدو واضحا أيضا في غرب الصخرة بصمة يد جبريل «كف سيدنا جبرائيل»، و هو المكان الذى مسك الصخرة منه حينما كادت ان ترتفع مع محمد (ص) عند صعوده. و فيما يقابل هذا مباشرة يحتفظ برايات محمد، و عمر، و درع الحمزة. و تغطي الصناديق التي يحتفظ في داخلها بهذه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١١٩

المخلفات طبقة من الغبار، فيجمع هذا بعناية مرة واحدة في السنة و يباع بكميات قليلة جدا للاستعمال كدواء شاف من جميع الأمراض. و هناك انخفاض بسيط في التبليط القريب من جهة الصخرة الغربية يقال إنه أثر قدم النبي ادريس و فى الزاوية الشمالية الشرقية «راوزونه» تسمى «قبلة الأنبياء». و هناك كذلك عدة نسخ قديمة من القرآن الكريم و حاجز قصير يطلق عليه «تقليد سيف على».

و يتم الدخول إلى المغارة فى الأسفل عن طريق «باب المغارة» الواقعة فى الزاوية الجنوبية الشرقية للصخرة. و ينزل الزوار بتواضع الاحدى عشرة درجة فيها و هم يقرأون ما يعرف بصلاة سليمان: «ربى اغفر للمذنبين الذين يأتون إلى هنا و أغث المظلومين». و يبلغ معدل ارتفاع المغارة ست أقدام، و يمكن ان يلاحظ فى سقفها أثر رأس النبي محمد. و قد بلطت أرضيتها بالرخام و صبغت جدرانها بالأبيض. و المقول إنها يمكن ان تسع اثنين و ستين شخصا (المرجع هو ابن الفقيه). و هناك نتوء فى الصخرة بارز للعيان يسمى «لسان الصخرة» لأنه سلّم على عمر فى احدى المناسبات. و يشاهد هناك كذلك عمود نحيف يعتقد بأنه هو الذى تركز عليه الصخرة. و يلفت الدليل نظر الزائر ان كذلك الى «محراب سليمان» فى الجهة اليمنى، و مقام الخليل فى الجهة اليسرى، و فى الزاوية الشمالية الى

مقام الخضر و الى محراب داود في الجهة المقابلة.

و هناك في جنوب شرقي الصخرة سلم يؤدي الى شرفه الصخرة، و منها يمكن الوصول إلى الهلال المنتصب فوق القمة. اما الثناء الذي يطرى به المقدسي القبة فلا يزال يصح في يومنا هذا كذلك: و عند الفجر حينما تبدأ أشعة الشمس بمداعبة القبة و يستقبل سطحها خيوطها الذهبية يتكون منظر عجيب خلاب، لم أر مثيلا له في بلاد الاسلام جميعها قط.

هذا و يورد المستشرق الانكليزي لسترايج تفصيلات كثيرة عن قبة الصخرة و تاريخ كل شيء عنها. و قد رأينا من المناسب ان نقتبس نتفا مما كتب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٢٠

في هذا المجال. فهو يقول انه يفهم من التفصيلات التي دونها المؤرخون العرب ان بناء القبة الذي شيده عبد الملك بن مروان في سنة ٦٩١ (٥٧٢هـ) هو من حيث المخطط نفس البناء الذي نشاهده في نهاية القرن التاسع عشر تقريبا فقد رمت القبة او البناء الخارجي و أعيد بناؤها في عدة مناسبات، لا سيما بعد الزلزال، لكن المخطط المثلثن بقي على حاله.

ثم يبحث لسترايج في قدسية المكان عند المسلمين فيقول ان قدسية الصخرة تبنى على شيئين: ١- انها تمثل قبة النبي موسى القديمة ٢- لأنها كانت قبة الاسلام الاولى إذ لم ينزل الوحي على النبي عليه السلام بجعل القبة تتجه الى مكة إلا في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة. يضاف إلى ذلك ان المسلمين يعتقدون ان النبي صعد الى الجنة من فوق هذه الصخرة، و عاد إلى الأرض فنزل في هذه البقعة أيضا. و قد اتخذ عبد الملك هذه القدسية ذريعة له، حينما حاربه منافسه عبد الله بن الزبير و استولى على الحجاز، يوجه بها أنظار المسلمين إليها. و ينقل عن المؤلف بالمر (المشار اليه قبلا) ما يأتي في وصف أحوال الخلافة الأموية في الفترة التي بنيت فيها قبة الصخرة.

.. لقد حدثت على عهد الملك بن مروان سنة ٦٨٤ م حوادث لفتت الأنظار الى مدينة داود مرة أخرى. فقد ظلت الامبراطورية الاسلامي تعاني الانقسامات الخطيرة و النزاعات الحزبية مدة ثمانى سنوات. إذ ثار سكان المدينتين المقدستين مكة و المدينة ضد السلطات الحاكمة و نادوا بعبد الله بن الزبير رئيسا روحيا و دنيويا لهم .. و استطاع الثائر المغتصب ان يحصل على اعتراف جزيرة العرب و الأمصار الأفريقية به، و جعل مقر حكومته في مكة نفسها. فارتجف عبد الملك هلعاً من ذلك و خاف على ملكه من الزوال .. و لأجل أن يتحاشى النتائج الوخيمة، و يضعف خصمه في الوقت نفسه، فكر في إبعاد الناس عن الحج الى مكة و اقناعهم بأن يحجوا إلى بيت المقدس.

و يذكر لسترايج بعد هذا ان يعقوبى يورد وصفا واضحا لكيفية تشبث عبد الملك، للأسباب السياسية المذكورة، في جعل المسلمين يطوفون حول

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٢١

صخرة بيت المقدس و يحلونها في محل الحجر الأسود الموجود في مكة في نفوسهم. و لو نجحت المحاولة لعمد الخليفة الى وضع شعائر سنوية خاصة للحج الى بيت المقدس، على غرار الشعائر التي ظلت تقام في الحرم المكي المقدس منذ أيام النبي عليه السلام، و لتحوّل تدفق سيل الذهب المستمد مما يقدمه الحجاج من قرابين و أضاحي و رسوم إلى خزائن عبد الملك نفسه بدلا من ان يذهب الى جيوب سكان مكة الذين كانوا يومذاك يؤيدون خصمه ابن الزبير في مطالبته بالخلافة. و لو نجح عبد الملك في هذا لكان من الممكن أيضا أن تصيح القدس عاصمة للأمميين بدلا من دمشق. غير ان الحوادث أثبتت بعد ذلك ان الخليفة الأموي فشل في حمل الحجاج المسلمين على التوجه الى المدينة المقدسة في فلسطين، و لم تخسر مكة تميزها في كونها مركز الاسلام المقدس، حتى عند ما اندحر ابن الزبير و قتل، و بقيت دمشق عاصمة للخلافة الأموية.

ثم يورد لسترايج نص رواية يعقوبى التي يقول فيها ان المسلمين حينما احتجوا لدى عبد الملك مستنكرين إقدامه على هذه البدعة

في الاسلام أجابهم يقول: ألم يرو ابن شهاب الزهري حديثا عن الرسول يقول فيه .. ان الناس سيشدون الرحال الى مساجد ثلاثة: المسجد الحرام و مسجدى، و المسجد الأقصى و بعد ذلك بنى عبد الملك قبة فوق الصخرة و علق الأستار حولها، ثم عين لها سدة و بوابين. و تعود الناس على الطواف حول الصخرة كما كانوا يفعلون حول الكعبة فى مكة المكرمة، و استمرت هذه العادة فى أيام الخلفاء الأمويين جميعها من بعده.

و نورد تعليقا على ما يذكره لسترانج فى هذا الشأن ما يذكره المستشرق الألماني فلهاوزن (الصفحة ٢٠٦-٢٠٧ الترجمة العربية)، الذى مرت الإشارة إليه، ان خلفاء بنى أمية لكى يزيدوا فى رجحان كفة الشام من الناحية السياسية حاولوا فيما حاولوا نقل مركز الشعائر الدينية الى الشام .. و هنا يذكر قصة النزاع بين عبد الملك و عبد الله بن الزبير الميمنة قبل هذا، و يضيف الى ذلك قوله و لكن عبد الملك ترك ما كان ينويه من احلال القدس فى محل مكة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٢٢

بمجرد ان امتد سلطانه الى ماوراء بلاد الشام. و قد بدا ان فكرة إحلال بيت المقدس محل مكة الاسلامية كلها فكرة لا يمكن تنفيذها. و لكن عبد الملك حاول فيما بعد ان يجعل للشام شأننا دينيا على حساب ما كان للمدينة من شأن، و من قبله كان معاوية قد أمر سنة ٥٠هـ بأن يحمل المنبر النبوى الى الشام .. فرجع عما أراد .. و قد همّ عبد الملك بما كان معاوية قد همّ به، و لكن صاحب خاتمه صرفه عن ذلك. و يقال ان ابنه الوليد هم مرة أخرى بما همّ به أبوه، و لكنه كف عن ذلك لما طلب سعيد بن المسيب من عمر بن عبد العزيز ان يكلم الوليد فى ان لا- يتعرض الى سخط الله عزّ و جل .. و يروى ان خالد بن عبد الله القسرى قال: لو أمرنى أمير المؤمنين لنقضت الكعبة حجرا حجرا و نقلتها الى الشام.

و يقول فلهاوزن فى مناسبة أخرى (الصفحة ٢١٧) ان الوليد قد نفذ ما يقال ان أباه عبد الملك كان قد عزم عليه و تركه، و هو انه أخذ من النصارى فى دمشق كنيسة القديس يوحنا فوسّع بها المسجد الملاصق لها و جدده تجديدا رائعا فى سنة ٥٨٤هـ. و أخذ من كنيسة نصرانية فى بعلبك قبتها النحاسية المطلية بالذهب و وضعها فى بيت المقدس فوق الصخرة المقدسة. و يذكر (الصفحة ٣٦٨) عند حديثه عن مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية أنه هدم أسوار حمص و بعلبك و دمشق و بيت المقدس لأنه لاقى مقاومة منها حينما أخذ الخلافة بالقوة.

و يروى لسترانج كذلك عن المقدسى ان اهتمام عبد الملك بتعمير قبة الصخرة و المسجد الأقصى، و بناء أبنية شامخة باذخه فيهما هو مضاهاة الكنائس الكبيرة التى كان النصارى قد شيدها بفخامة فى بيت المقدس من قبل، و اقناع المسلمين بعدم التأثير بها و التوجه نحو مساجدهم لا غير.

و مما ورد فى دائرة المعارف اليهودية عن بناء قبة الصخرة قولها نقلا عن مجير الدين ان عبد الملك حينما بناها استخدم فيمن استخدم عشر أسر يهودية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٢٣

و أعفاها من الجزية. فتكاثرت هذه الأسر بمرور الزمن بحيث اضطر عمر بن عبد العزيز الى تنحيتهم عن خدمتها .. و كانت كذلك بين خدم الحرم القدسى نفسه جماعة أخرى من اليهود تقوم بصنع زجاج الفوانيس و المصابيح، و الأوعية الزجاجية. و لم تكن تجبى الجزية منها، و لا من اليهود الذين كانوا يصنعون فتائل المصابيح أيضا.

وصف كريسويل لقبة الصخرة

اما كريسويل المختص بفن العمارة الاسلامية فيسهب فى وصف قبة الصخرة و يأتى على كل جزء من أجزائها بالتفصيل فى كتابه المشار اليه قبل هذه (الصفحة ١٧-٤٠). فهو بعد أن يذكر سبب انشاء القبة يقول ان الصخرة قطعة غير منتظمة من الحجر الطبيعى تجثم

في وسط منطقة الهيكل في القدس، التي تسمى منطقة الحرم الشريف. و هي تكوّن بالفعل قمة جبل موريا. و هناك كل الأسباب التي تدعونا الى الاعتقاد بأن هذه الصخرة هي ما اطلق عليها الحاج الفرنسي القادم من بوردو (٣٣٣ م) **Lapis pertusus**، و التي يقول ان اليهود كانوا يأتون اليها مرة في السنة فيمسحون بالزيت على سبيل التكريس و يبكون ثم يمزقون ثيابهم و يرحلون عنها. و هي الأساس الحقيقي لهيكل «القرابين المحترقة»، حيث تكوّن المغارة تحتها «الحفرة التي كانت في اسفل الهيكل، التي يتجمع فيها دم الضحايا المختلط بالماء المستعمل للتطهير».

و لما كانت هذه القبة أقدم أثر موجود للعمارة الإسلامية فإن المعرفة الدقيقة عن منشئها الأصلي تعد على جانب كبير من الأهمية، و يقول: و سحاول الآن أن أصفها بالشكل الذي كانت عليه في أيام عبد الملك فهي حلقية الشكل تتألف من قبة جوفاء عالية يتخللها ستة عشر شباكاً، و تتركز على أربع ركائز مبنية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٢٤

(دنك) و اثني عشر عموداً تقف كلها في دائرة تتسع اتساعاً يكفي للملاحظة بالصخرة، و ترتب بحيث تتناوب كل اسطوانة ثلاثة أعمدة منها مع ركيزة بنائية واحدة. و بذلك تتكون اسطوانة وسطية يتساوى قطرها مع ارتفاعها. تقريباً. و تقع دائرة الركائز في وسط مئمن كبير يبلغ معدل طول كل ضلع منه ٦٠، ٢٠ متراً (٥، ٦٧ قدماً)، و تكون هذا المئمن ثمانية جدران يبلغ ارتفاعها ٥٠، ٩ متراً (٥، ٢٩ قدماً). و هناك من الخارج سبع فسحات بين الأعمدة في كل ضلع، لكن الفسحات الواقعة في الزوايا هي حشوات غير مفتوحة.

و تتخلل سائر الفسحات من الأعلى خمسة شبايك. و هناك باب عرضه ٦٠، ٢ متراً (٨ اقدام) و ارتفاعه ٣٠، ٤ متراً (١٤ قدماً) في كل ضلع من أضلاع المئمن التي تقابل الجهات الأصلية، و لذلك يكون الشباك الوسطى الكائن فوق الباب في هذه الأضلاع أصغر بكثير من الشبايك الأخرى. و لما كان الفضاء الحاصل ما بين الدائرة و المئمن واسعاً بحيث يصعب تسقيفه بعارضات (جسور) منفردة، فقد أقيم مئمن أوسط يتألف من أربعة و عشرين عقداً تحملها ثمان ركائز بنائية و ستة عشر عموداً مرتباً بحيث يتناوب كل عمودين مع ركيزة واحدة لتهيئة الدعم المطلوب للسقف. و لذلك فقد قصد بالرواقين اللذين يدور أحدهما حول الآخر ما بين الدائرة و المئمن ان يطوف الناس عن طريقهما طوافهم المقدس حول الصخرة. و يغطي هذين الرواقين الانحدار من الخشب المغلف بالرصاص. و تضاء داخلية القبة بستة و خمسين شباكاً يترتب وضعها كالتالي: خمسة في كل ضلع من أضلاع المئمن فيكون مجموعها أربعين، و ستة عشر شباكاً في الأسطوانة الكبيرة. و بهذا يكون العدد المجموع ستة و خمسين، و هو العدد المطابق لما جاء في رواية ابن الفقيه سنة ٩٠٣ م. و حينما يدخل المرء الى الداخل يجابه بداخلة تسيطر عليها الروعة و السناء، و تتلألأ بحشوات الرخام و أعمدتها التي تعلوها تيجان مذهبة، و بالموزاييك الملون بالأخضر و الأزرق و الذهبي و اللؤلؤى. و تقوم امام الداخل مباشرة العقود

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٢٥

الثلاثة التي تعود لضلع من أضلاع المئمن الأوسط، و هي تتركز على عمودين رخام يقومان ما بين الركيزتين المغلفتين بالرخام ايضاً. و تمتد من فوق تاجيهما المذهبين عارضات رابطة جسيمة يغطي جانبها الأسفل بصفائح معدنية مزخرفة بزخرف نافر. و تنقش و تذهب على شاكلة العارضات التي تمتد من فوق المداخل الأربعة. و تزخرف سطوح العقود بموزايك متألئى يلاحظ الرائي من ورائه دائرة الركائز الداخلية التي يتبين من بين عقودها الزخرف الضخم المعمول في القبة الخشبية بكتابات و نقوش مكحلة بالذهب. و ليس بوسع المرء ان ينسى ذلك المنظر مطلقاً. و إذا ما نقل طرفه في كل مكان يلاحظ ان الجدران تغلف من أعلاها الى أسفلها بحشوات من ارباع الرخام و تتخللها ستة و ثلاثون شباكاً من الشبايك الجميلة.

و يتطرق كريسويل كذلك (الص ٣١) الى زخرفة مبنى قبة الصخرة بالتفصيل، فيقول ان القسم الأعلى من الجدران الخارجية و الاسطوانة أيضاً كانت في الأصل مع أنها مغلقة في الوقت الحاضر بحشوات من الخزف المزخرف مغطاه بالذهب و الموزاييك

الملون. و هذا ما ذكره أبوت دانييل (١١٠٦ م) و جون و رزبورغ (١١٦٥ م) و ثيودريك (١١٧٢ م) و ويليام الصوري (١١٨٤) و غيرهم. و لم يستبدل السلطان سليمان الغلاف القديم بغلاف الخزف الحالى الا فى سنة ١٥٥٢ م. و قد جدد هذا الغلاف عدة مرات منذ ذلك الوقت و يرى البعض ان أفخر قسم فيه هو على درجة من الجودة بحيث يمكن ارجاعه الى عهد يسبقه عهد السلطان سليمان. و لذلك يجب ان يؤكد على ان هذا الرأى لا ينطبق على الواقع، لأن چودى الألمانى يقول (فى ١٥١٩):

و الجدران مغلقة من الخارج بشغل الموزاييك الغالى الثمن، و مع ان كنيسة سان مارك فى البندقية، و كنيسة القيامة فى القدس، و كنيسة بيت لحم قد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٢٦

شغلت بنفس الشغل فى الداخل فلا توجد هناك صور فى قبة الصخرة سوى صور ملائكة .

و يقول انطونيو دى أراندا (فى ١٥٣٠) ان هذا المبنى مكسو من الخارج كله من حد وسط الى أسفل برخام ثمين جدا، و مكسو من الوسط الى أعلى بالموزاييك الفاخر و الزخرف المورق و سائر الزخارف الجصية البديعة .

و يصفه فى الأخير بانيتليو دافير و فى ١٥٥٢ فيقول انه مغلف من الأرض الى الوسط بالواح كبيرة لماعة من أفخر الرخام، و من الوسط الى حد الصبة الاولى فى الأعلى باغلى الموزاييك و أبدعه مع نقوش كثيرة فيها أغصان و أوراد و سائر أنواع الأزهار الجميلة .

و فى هذه السنة غلفت الجدران الخارجية بالخزف المزخرف على ما يفهم من كتابة منقوشة فوق الباب الشمالية. و كانت الأسطوانة قد غلفت من قبل فى سنة ١٥٤٥ - ٤٦. و يذكر زوالارت عن التغليف الجديد الذى تم فى ١٥٨٦ قوله ان المبنى تمت زخرفته من الخارج بالواح من الرخام و بلاطات ملونة فى القسم الأعلى منه على طريقة دمشق، و بالرخام الأبيض من أسفل .

و قد ذكرنا من قبل ان عقود أروقة المداخل الأربعة جميعها كانت مزينة من دون شك بالموزاييك. اما الوجه الداخلى للجدار الخارجى فهو مغلف اعلاه الى اسفله بحشوات من أرباع الرخام مع نطاق زخرفى بالأسود و الذهبى يبلغ عرضه خمسين سنتمرا (٥، ١٩ بوصة) و يمتد حول الداخل كله الى ارتفاع ٨٥، ٣ مترا (٥، ١٢ قدما).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٢٧

و تملأ الفتحات المروحية الأربع فوق عتبات الأبواب العليا امتلاء مختلفا، إذ تملأ الموجودة فوق المدخلين الشرقى و الغربى بمصبغات حجرية تتألف من أنصاف دوائر متراكبة مثل الكثير من المصعبات الرومانية، و قد تكون مبتكرة. اما الاثنتان الأخرى فتعودان الى وقت متأخر. و تحاط الكوتان الجنوبية و الغربية بأطارين يشبه زخرفهما زخرف الغطاء المعدنى الذى يغطى العتبات فى أسفل.

و تغلف الركائز البنائية الثمان العائدة للمثمن بالرخام، كما يدور الكورنيش الكورينثى الذى يزين الجهات الداخلى للعارضات الرابطة حول الوجه الداخلى للركائز. فيكون كورنيشا خاصا يكون كل شىء فوقه مغطى بالموزاييك. و لما كان سطح العقود يتألف من سلسلة فتحات مثلثة تقريبا، فقد رسم الفنان الذى رسمها أشكاله على محور كل عمود من الأعمدة. و تنشأ من فوق كل تاج من تيجان الأعمدة شجرة غريبة الشكل فتنتشر بمينا و شمالا باتساع المجال لها، و بذلك ينشأ عنها ما يسميه ستريزكوفسكى بالتعبير الزخرفى الشمعدانى. و تكون هذه ملبسة بالجواهر و الأقراط و القلائد، و حتى بعناقيد من العنب.

و لكن الزخرفة فى نهاية كل عقد من العقود المجاورة للركيزة البنائية حيث يكون الفضاء الباقى بقدر نصف الفضاء الموجود فوق الأعمدة فقط، تكون من نوع آخر. فبدلا من ان تبدأ مجموعة الزخارف من أسفل تبدأ من قمة العقد و تنزل الى جانب الركيزة البنائية. و تتألف بصورة عامة من نبات قرن الرخا (كودونوكوبيا) يمتد أحد سيقانه الى الخارج فيتولى على شاكلة اللولب الى الداخل. و ينتهى فى إحدى الحالات الى تعبیر زخرفى يشيع وجوده فى أبنية عربية أخرى. و يتوج جميع هذا الزخرف نطاق من الكتابة الكوفية يبلغ طوله حوالى ميتين و أربعين مترا، فينتهى فى الوجه الخارجى للعقد الجنوبى بالتاريخ ٧٢ للهجرة (٦٩١ م).

و تزين سطوح الركائز البنائية العريضة بأزواج من سيقان نبات شوكة اليهود (أكانثوس) تنشأ من جذر النبات نفسه فتلبس بالقلائد و

الأقراط و ما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٢٨

اشبهه، لكن الأجنحة الضيقة تتألف زينتها على الدوام من شجرة تحاكي الطبيعة في شكلها، أو من مجموعة خيالية تحتوى على أشكال مختلفة تتراكب بعضها فوق بعض. و هنا يوجد شيء يلفت النظر: فهناك ثمان ركائز بنائية، و لذلك هناك أيضا ستة عشر جناحا لكن الملحوظ ان ثمانية أجنحة متتالية تزخرف كل منها بشجرة، بينما تزخرف الثمانية الأخرى بخليط عجيب من الأشكال يجعلنى استنتج بأن اناسا من مدرستين فئتين مختلفتين تعتنق كل منهما قواعد فنية مختلفة عن الأخرى و قد تقاسموا العمل فيما بينهم. و لا استطيع الاحجام هنا عن لفت النظر بصورة خاصة الى التركيب الجميل الموجود فى الزخرف المحتوى على نخلة من النخيل يهب عليها الهواء و ما فيها من تفوق غير قابل للقياس على نماذج موزاييك ال «رافينا» الموجود فى قطع الزخرف. و يجب ان تلاحظ كذلك الشجرة الصغيرة الموجودة فى كل جهة من جهتي الجذع، لأننا هنا نلاحظ القاعدة الأساسية المعروفة فى الفن الاسلامي - و هى قاعدة تغطية الفراغ تغطية متساوية متناسقة. و تغلف ركائز القبة البنائية الأربعة أيضا بالرخام من جهاتها الأربعة كلها، لكن أجنحتها تزين علاوة على ذلك بحشوات أو سرر من الزينة المذهبة. فهى مزينة بكورنيشات فيها شيء بسيط من الانحدار و مزخرفة بلفائف من نبات شوكة اليهود (أكانثوس) يعلوها (على ارتفاع ٩٠، ٦ مترا من الأرضية تقريبا) زخرف بالموزاييك كما هى الحال فى خصور العقود. على أن العقود تزينها ألواح متناوبة من الرخام الأبيض و الأسود، يحتمل انها وضعت لتخفى التلف الذى أصاب حواشى الموزاييك لأن الأشكال تبدو مقطعة بها و قد كانت هذه موجودة فى سنة ١٣٤٤ م كما يفهم مما يذكره العمرى، و لذلك فمن المحتمل ان يكون السلطان الناصر محمد هو الذى وضعها فى ١٣١٨ - ١٩.

اما الوجه الداخلى للأسطوانة فهو مزخرف كالاتى: فهناك أولا واجهه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٢٩

رخام تغطى العقود و خصوصها، و يتوج هذه نطاق من زينة تضاهى الزينة التى تكوّن كورنيش ركائز القبة البنائية، و يعلو هذا النطاق ربع دورة كبيرة من الحلية المعمارية المقولبة مغطاة بالموزاييك. و تأتى فوق هذا الأسطوانة الأصلية نفسها التى يزينها نطاقان كبيران من الموزاييك تحجز بينهما حلية مقبولة كبيرة.

و يبلغ قياس هذين النطاقين معا ٤٠، ٩ مترا. و توجد فى النطاق الأعلى منهما الشبائيك الستة عشر التى تجلس أساكفها (عتباتها) على الحلية المقولبة الكبيرة نفسها. و يتوج النطاق الأعلى كذلك كورنيش خشبي تستقر فوقه، على ارتفاع ٤٠، ٢٠ مترا من الأرض العقود العمياء (المغلقة) الكائنة فى قاعدة القبة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٣٠

القدس و الحروب الصليبية

إشارة

لا يخفى ان القدس و سائر الأماكن المقدسة فى فلسطين كانت هى السبب المباشر الذى اتخذه الصليبيون ذريعة لشن حروبهم على الشرق الاسلامى فى تلك الايام. و قد مرت القدس، و ما جاورها من البلاد، خلال الحقبة الطويلة التى استدامت فيها الحروب الصليبية فى فترات عصيبة من تاريخها لا- تختلف كثيرا عن فترات التاريخ الأخرى التى تميزت بالمآسى و النكبات و ظلم الانسان لأخيه الانسان. و قد كتبت كتب كثيرة فى الشرق و الغرب عن الحروب الصليبية هذه، و يذهب كثير منها الى ان الغزو الصليبي الوحشى للأراضى المقدسة و ما يحيط بها من البلاد لم يكن الدافع اليه دافعا دينيا حقا كما تفيد التسمية أو كما يريد البعض ان يفكر فيه، و

انما كان دافعا استعماريًا أسبغت عليه الصبغة الدينية التي كانت تروج في ذلك العصر والأوان. و سوف يلاحظ القارىء مما نورد من المقبسات الغربية المنصفه عظم الجرائم الانسانية، والأعمال الوحشية التي اقترفوها باسم الدين. و مع ذلك فقد استطاعت البلاد العربية يومذاك، و هي حامية العتبات المقدسة للأديان السماوية جميعها، ان تصمد صمودا كان فيه خير حل للمشكلة الانسانية و كافتحت كفاحا لا بد لها من ان تعيده في يوم محنتها هذا لتحق الحق برغم ما يبته لها الأعداء.

وقد وجدنا ان خير من يكتب عن هذه الفترة من المؤرخين، و يأتي بحقائق ناصعة تستند الى أحسن المصادر الغربية هو السيد أمير على المؤرخ الهندي المسلم الذي تتقف بالثقافة الغربية و تشبع بها الى جانب ثقافته الاسلاميه حتى وصل الى ان صار عضوا في مجلس شورى الملك في انكلتره، و ألف كتبا كثيرة عن الاسلام باللغة الانكليزية أهمها «روح الاسلام» و «القانون الاسلامي» و كتاب «مختصر تاريخ العرب و التمدن الاسلامي» الذي سنقتبس منه لهذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٣١

البحث بعض ما كتبه عن القدس و عن الحملات الصليبية و أحوالها.

فهو يبدأ بحثه هذا بالتمهيد لما يكتبه عن الصليبيين و حروبهم بوصف عام لحالة المسيحيين المرفهه في البلاد الاسلاميه يومذاك و التسامح الذي يبديه المسلمون تجاههم، ثم يقول: غير ان هذا التسامح الرائع لم يكن ليخفف من غلواء هؤلاء المتهوسين الذين كانوا ينظرون إلى بقاء المسلمين في القدس بعين البغض و الاستنكار.

و يتابع بحثه فيقول: و كان الحجاج يزورون الأرض المقدسة، و يلاقون فيها من العرب ضروب الرعاية و الكرم .. و لكنهم كانوا بالرغم من كل ذلك يعودون الى بلادهم و قد امتلأت قلوبهم حسدا و حقدًا. فما كاد ينتهي القرن العاشر حتى اعتقد المسيحيون اعتقادا جازما ان ساعة الخلاص قد أذفت، و ان العصر الألفى السعيد قد حل أو كاد. و بهذا الاعتقاد طفقت جموع المهاجرين تتدفق من العالم اللاتيني على الأرض المقدسة، و في القرن الحادى عشر ازداد عددهم زيادة هائلة.

و في ذلك الحين كان حكم فلسطين قد انتقل الى أسرة أرتق التركمانية ..

و كان هؤلاء يجهلون الحماسة التي كانت تتأجج في قلوب الأجانب، فلم يعاملوهم بالتسامح الذي كان يعاملهم به الحكام الأولون، لذلك كان هؤلاء الحجاج المتعصبون اذا ما عادوا الى أوطانهم شوها الحقيقة و شنعوا بالمسلمين ..

حتى عقد البابا أربان الثانى أخيرا مجلسا في بلاستييا في آذار ١٠٩٥ و مجلسا آخر في كلير مونت في تشرين الثانى و خطب معلنا ضرورة انقاذ ضريح المسيح في القدس من أيدي الكفار (كذا) كما أعلن غفران ذنوب الخاطئين الذين يلتحقون بالجهاد الدينى، و وعد الذين يموتون في سبيل هذه الحرب بجنات الخلد، غير ان الباعث الحقيقى لتلك الحروب الصليبية الدامية كان في الواقع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٣٢

الهوس الدينى الممزوج بأغراض أخرى كالميل الى تأسيس ممالك جديدة، و الحصول على ثروات طائلة، و الرغبة الملحة التي سرت في أعماق النفوس الوضيعة في احتساء الأنبذة الشرقية، و التمتع بفتنة الكرجيات .. و يقول المؤرخ هالام انهم تذرعوا بكل وسيلة لنشر هذا الجنون الوبائى، و كان الجندى في خلال الحملات الصليبية معفى من العقبات و يضمن له النعيم الأبدى.

و بعد ان يصف الحروب الصليبية الأولى و الثانية و الثالثة و أهوالها و فظاعاتها، و لا سيما ما حدث منها في الاستيلاء على انطاكية يورد السيد أمير على وصف المؤرخ الفرنسى الميسو ميشو لما جرى خلال استيلاء الصليبيين على القدس في ١٥ تموز سنة ١٠٩٩ م، على الوجه الآتى:

.. و كان المسلمون يذبحون ذبح الأنعام في الشوارع و المنازل، و لم يجد أهل المدينة محلا أمينًا يعتصمون به فألقى بعضهم نفسه من فوق الأسوار.

و ازدحم البعض الآخر في القصور و الحصون و المساجد و لكنهم لم يستطيعوا برغم ذلك إخفاء أنفسهم من متصد بهم. فحاصر

الصليبيون جامع عمر الذي اعتصم فيه المسلمون وجدوا تلك المناظر الوحشية التي تعدد و صمء في جبين فرسان التوتون، إذ هجم الجنود على الهاربين و أعملوا السيف في رقابهم في غير ما شفقة و لا-رحمة، و لم يكن يسمع في تلك الساعة الرهيبة غير أنين الجرحى و حشرجة الموتى. و طثوا كذلك بخيولهم الجثث المكدسة في أثناء مطاردة الهاربين. و يقول ريموند دى آغيل الذي شهد تلك الموقعة: كانت الدماء قد وصلت في رواق المسجد الى الركب . و لم يكف الصليبيون عن السفك الا عند ما تقدموا الى الله بالابتهاال و الشكر على نجاحهم، و لكنهم ما كادوا ينتهون من صلاتهم حتى و اصلوا الفتك و القتل مرة أخرى و ذبحوا في موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٣٣

هذه المرة جميع من أبقوا على حياتهم رجاء ان ينالوا منهم الفدية. و قد اضطر بعض سكان القدس إلى إلقاء نفسه من أعلى الحصون و المنازل، كما أحرقت الصليبيون البعض حيا. ثم جاءوا بالذين كانوا قد لاذوا بالفرار و وضعوهم على جثث الموتى المكدسة، و أخذوا يمثلون بهم أشنع تمثيل. و لم تكن تجدى في ذلك الموقف الدامى دموع النساء و لا صراخ الأطفال، و لا منظر البلد الذي صفح فيه السيد المسيح عن جلاديه، فكل هذه المناظر المثيرة للرحمة و العطف لم تكن لتلين قلوبهم القاسية. و يقول مؤرخ آخر (ميلز ج ١، الص ٢٧٨) ان الصليبيين كانوا قد صمموا فيما بينهم على ان لا يظهر عطا أو رحمة نحو المسلمين، و لهذا كانوا يسوقونهم الى الميادين العامة و ينكلون بهم شر تنكيل دون ان يقوا على أحد، فكانوا يذبحون النساء و الأطفال و البنات و الاولاد على حد سواء، حتى أصبحت ميادين القدس و شوارعها ملأى بالجثث و أشلاء الأطفال من غير ما شفقة و لا رحمة. و على هذا النحو هلك في القدس وحدها زهاء سبعين الفا!!

و بعد ان فتح الصليبيون بيت المقدس على هذه الشاكلة انتخبوا غردفرى ملكا عليها، و لكن أخاه بولدوين خلفه بعد سنة و شرع يحاصر قيصرية ..

و عند ما دخلوها لم يراعوا حرمة العهود و ذبحوا السكان الأمنين في غير ما شفقة و لا رحمة .. و على هذا النحو انتقلت فلسطين و جزء من بلاد الشام الى أيدي الافرنج الذين أسسوا فيها النظام الاقطاعى الذى كان شائعا في أوربة يومذاك .. و يقول الكاتب الأمريكى انطونى ويست فى (الحروب الصليبية)، الص ٧٢ (: و شرع الصليبيون فى مسير طويل شاق عند نزولهم مع الساحل الفلسطينى، فقد مروا بقمم جبل لبنان و بمدنتى صور و صيدا ثم عكا و يافا. و من هذه المدينة استداروا الى الداخل، و بعد مضى ستة أشهر على مغادرتهم موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٣٤

انطاكية و صلوا قمة المضيق الجبلى الذى يفصل بيت المقدس عن البحر و عسكروا فيه لقضاء ليلتهم .. و فى صبيحة اليوم التالى تسلقوا جبل المشارف فى برد قارس قبيل الفجر، و عند بزوغ الشمس بدى أمام أعينهم بيت المقدس. و ملأهم المنظر بمزيج من الفرح و الرعب، فقد كانوا يتوقعون رؤية أرض الميعاد و هى تفيض لبنا و عسلا و تختلف عن الجبل الأجرد الذى تسلقوه الآن، الا أن المنظر الممتد أمامهم لم يكن سوى واد مغبر أكسبته شمس الصيف لونا بنيا. و كانت بيت المقدس أمع قلاع العالم القديم، و هى قائمة على جبل تتوج أسوارها قطوع جانبية عميقة لثلاثة وديان صخرية. و منذ ألفى عام بذل حكامها جهدهم واحدا بعد آخر لجعل القلعة لا تقتحم. و عند ما اقترب النصارى من المدينة طغى عليهم عزم جنونى بأن لا شىء يحول بينهم و بين الاستيلاء عليها، و وجدوا ان المسلمين قد ردموا الآبار ضمن أميال متعددة فى كل اتجاه. فمكث الصليبيون حيث هم متمونين بالمياه التى كانت تجلب لهم مع الخمر على ظهور البغال من نهر الأردن البعيد و تصل متعفنة فاسدة الطعم. و مع هذا كانت تسد حاجتهم، و تحمل الصليبيون ذلك مدة ثلاثين يوما، و فى نهاية الشهر شقوا طريقهم عنوة الى داخل المدينة. و عند حلول الظلام فى يوم ظفرهم انقلبت حالتهم الروحية من حماس جارف الى جنون إجرامى فاندفعوا طوال الليل يبحثون فى المدينة ذابحين كل رجل و امرأة أو طفل تقع أعينهم عليه. و قد لجأ كثير من يهود المدينة الى كنيسهم الكبير فلم ينجهم ذلك، فقد أحرقة الصليبيون بمن فيه، اما

من حاول منهم النجاة من اللهب فقد قتلوه. و قبيل الصبح توجه الصليبيون نحو المسجد الأقصى حيث تقوم الصخرة، و كانوا قد سجنوا المسلمين هناك بعد استسلامهم و إلقاء اسلحتهم. فقتلهم الصليبيون عن بكرة أبيهم فى داخل المسجد. و عند طلوع الضياء كانت مدينة بيت المقدس تغرق بالدماء، و فى شوارعها و مساجدها أكثر من اثنى عشر ألف قتيل. و قد خلفت هذه المجزرة مرارة استمرت قرنا و نصف قرن.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٣٥

لقد حصل الصليبيون على بيت المقدس و برّوا بقسمهم فأنقذوا الضريح المقدس ممن حسبوهم كفارا و أصبحوا أحرارا فى العودة، الا أنه كان عليهم قبل ذلك اختيار قيم على المدينة المقدسة يتولى أمر الدفاع عنها. و كان ريموند كونت طولوز يتوقع منهم ان يبلغوه مطمحه بمنحه تاج المملكة النصرانية الجديدة. و لكن مجلس الفرسان نظر فى أمر ريموند .. فوقع اختيارهم على غودفري دى بويون و كان من الأوائل الذين اقتحموا أسوار القدس ..

مملكة القدس الصليبية

يقول السيد أمير على ان مملكة القدس الصليبية كانت تعتمد فى الحصول على الرجال و المواد الحربية و الطعام على جميع انحاء العالم الأوربي و امرائه الذين يتوقون الى «إعلاء كلمة الله»، و المغامرة فى الحصول على الكنوز الطائلة و الثروات العريضة، و مناصرة المتهوسين المتفانين فى مقاتلة الكفار، كما كانت تعتمد أيضا على طريدى العدالة الذين كانوا يتدفقون بكثرة على سواحل الشام. و كان أمورى قد توفى و خلفه ابنه على العرش، غير انه كان مصابا بمرض معد هو (الجذام) جعله أجدر بالثناء منه الى ادارة شؤون الدولة. فتزوجت أخته ايزابيلا من أمير مونتفرات، و ولدت له طفلا سماه بالدوين. و لما توفى زوجها تزوجت ثانية من لوسنيان الذى عينه بالدوين نائبا عنه، و لكنه سرعان ما عزله و نصب مكانه ريموند أمير طرابلس الذى لم يلبث ان تنازل عن العرش لابن اخته بالدوين الخامس و لم يكن قد ناهز بعد الخامسة من عمره. و المظنون ان الملك الطفل قتل بايعاز من أمه، و سواء أكانت الرواية هذه صحيحة أم مختلفة فالمعروف ان ايزابيلا على أثر وفاة ابنها نادت بنفسها ملكة على القدس و وضعت بيدها تاج الملك على مفرق زوجها. و هكذا انتقل عرش فلسطين فى سنة ١١٨٧ الى ايزابيلا و زوجها لوسنيان. و فى عهد بالدوين المجذوم عقدت معاهدة صلح بين السلطان و الفرنج. و يقول ميشو ان هذه الهدنة جديرة بالملاحظة، إذ أن المسلمين كانوا جد حريصين على تنفيذ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٣٦

أحكامها فى حين لم يتقيد المسيحيون بشروطها قط، كما ظهر عليهم ميل شديد الى إشهار الحرب من جديد ..

كيف استرد صلاح الدين القدس

و فى سنة ١١٨٦ نقض ريجنالد- يسميه العرب أرنا- شروط المعاهدة، و انقضّ بجيشه على إحدى القوافل المارة بالقرب من حصنه (الكرك) و ذبح عددا غير قليل منهم بعد ان سلب أموالهم. فغضب السلطان صلاح الدين غضبا شديدا و طلب من حاكم القدس ان يعاقب المعتدى، و لما رفض الملك إجابة طلبه أخذ صلاح الدين على عاتقه تأديب ريجنالد، على ما يقول أمير على، و حاصر بنفسه الحصن الذى وقعت بقربه تلك المأساة الدامية، كما أرسل الى الجليل قره صغيرة بقيادة أكبر أبنائه على الملقب بالملك الأفضل لمراقبة حركات الفرنج. فلم يكد الصليبيون يعلمون بوجوده حتى وحدوا صفوفهم و زحفوا عليه فأسرع السلطان الى نجدة ابنه .. فعسكر جيش الفرنج فى سهول صفورية، و لكن صلاح الدين استطاع بمهارته الحربية ان يستدرجهم من مكمنهم المنيع الى واد مكشوف بين الجبال الواقعة بمقربة من بحيرة طبرية فى تل حطين.

فسار الفرنج كأنهم جبال تتحرك شطر البحيرة، و لكن جنود السلطان أخذوا أهبتهم و قطعوا عليهم الماء فتقابل الفريقان يوم الخميس

٢ تموز، بعد ان قضى السلطان طوال الليل يهيه الصفوف، و دارت معركة رائعة بينهما يوم الجمعة و صباح السبت المصادف ٢٥ ربيع الثاني سنة ٥٨٣هـ، فأسفرت عن تقويض دعائم دولة لوسينيان بعد أن أثنخ فيهم المسلمون، و قتلوا عشرة آلاف بينهم جماعة من أشهر القواد. و كان من جملة الذين وقعوا أسرى في أيدي المسلمين لوسينيان نفسه و أخوه جوفرى و رينو صاحب الكرك (مثير الحرب) و ابن هانفرى، و كونت هونغ و ابن لورد طبرية. و لم ينج من الأسر غير ريمون أمير طرابلس و ابن أمير انطاكية و يليان. إذ أفلتا من القوة التي تعقبتهما و وصلوا الى الساحل. اما لوسينيان فقد عومل معاملة حسنة، غير ان السلطان أمر بقتل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٣٧

رينو و بعض القواد الآخرين الذين كانوا قد أخلوا بشروط المعاهدة و ذبحوا المسلمين خلال الهدنة. كذلك لم يمهل الأعداء حتى يلموا شعنتهم بل واصل مطاردتهم بعد موقعة حطين. و ما هو الا ان استولى على حصن طبرية، و وقعت في قبضة يده زوجته ريمون أمير طرابلس فردها الى زوجها معززة مكرمة. و يقول المؤرخون ان المسلمين لم يسىء أحد منهم قط الى النساء و الأطفال .. و من ثم توجه السلطان صوب القدس التي كانت تضم داخل أسوارها زهاء ستين ألف جندي علاوة على سكانها الأصليين، و حالما أشرف على المدينة بعث فى طلب أشرافها و خاطبهم بقوله انه يحترم مدينة القدس، و لا يرغب فى انتهاك حرمتها باراقة الدماء، و لهذا ينصحهم بترك استحكاماتهم اما هو فيتعهد من جهته بان يعوضهم عن أملاكهم بالأموال و الأراضى. غير ان الصليبيين لتعصبهم رفضوا تلبية هذا الطلب المنطوى على شىء كثير من السخاء.

فسخط صلاح الدين عليهم و حاصر المدينة الى حين. و لكنهم عادوا و طلبوا الصلح «باسم اله البشر جميعهم»، فتغلب عطف السلطان على رغبته فى الانتقام، و سمح للروم و نصارى القدس بالسكنى فى بلاده بعد أن ضمن لهم التمتع بالحرية التامة، كذلك أمر جميع الجنود الصليبيين داخل المدينة بأن يرحلوا مع أسرهم و أطفالهم عن القدس، و ضرب لهم موعدا أربعين يوما، كما ضمن لهم سلامة الرحيل إلى صور أو طرابلس، و حدد فدية الرجل بعشرة دنانير شامية و خمسة دنانير للمرأة و دينار واحد للطفل.

و كان من شروط الصلح أن من يعجز عن أداء الفدية يؤخذ أسيرا، غير أن ذلك الشرط أهمل إهمالا تاما. إذ يقال ان السلطان وحده افتدى عشرة آلاف شخص، كما أطلق أخوه سيف الدين (الملك العادل) سراح سبعة آلاف آخرين، و قد كان رجال الدين عند ما غادروا المدينة يحملون معهم الامتعة، كذلك كثير من النصارى يحملون والديهم و اصدقاءهم الذين أقعدهم المرض عن السير. فتأثر السلطان بهذا المنظر و أمر حالا ان توزع عليهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٣٨

الصدقات و ان يزودوا بالدواب. و لما استأذنته الملكة ايزابيلا و كان يصحبها بعض الأمراء اذن لها بالسفر و حباها بكرمه الغياض. و كان معها رهط من النساء اللواتى كن يعولن بالصياح و النحيب و هن حاملات اطفالهن، فلما اقتربن منه ناشدنه ان يفك سراح أزواجهن و أولادهن و اخوانهن .. فتأثر صلاح الدين أى تأثير بتوسلاتهن، و فى الحال أمر برد الأسرى الى أقاربهم و وعد فوق ذلك بمعاملة الباقين منهم بالعطف و الرأفة، كما وزع الصدقات على اليتامى و الأرامل .. و يمكننا بعد هذه الإمامة القصيرة ان ندرك البون الشاسع و الفرق المدهش بين صفات صلاح الدين السمحة و بين قسوة الأمراء المسيحيين و وحشيتهم. و يقول المؤرخ ميلز فى هذا الصدد: ان كثيرا من المسيحيين الذين غادروا بيت المقدس رحلوا الى انطاكية، غير ان بوهمند أميرها لم يحرمهم الضيافة حسب بل سلبهم أيضا أموالهم، فى حين كان أولئك البائسون يلاقون اينما ساروا فى بلاد المسلمين ضروب العطف و الكرم .. و يضيف السيد أمير على الى ذلك قوله ان ما يثير الاعجاب ان صلاح الدين احترم شعور المغلوبين، فلم يدخل القدس بجيشه الجرار الا بعد ان غادرها جميع الصليبيين.

و فى يوم الجمعة ٢٧ رجب (يوم المعراج) سنة ٥٨٣ دخل بيت المقدس يحف به الأمراء و اشراف الامبراطورية الذين جاءوا لتهنئته على هذا النصر المبين.

فأمر بترميم ما دمرته الحرب، و تشييد الجوامع و المدارس الدينية التي هدمها الفرنج، و وضع أساسا حكيما لادارة دولاب الدولة يختلف كل الاختلاف عن حكومة الصليبيين المستبدة ..

و قد أحدث سقوط مدينة القدس دويا هائلا في العالم المسيحي، على ما يذكر السيد أمير علي، و أفرغ رجال الكهنوت جهودهم بالاستنجد بالشعوب المسيحية و الاستجارة بالملوك و الأمراء و اقناعهم باشهار حرب صليبية أخرى، فتكلت جهودهم بالنجاح التام و انهالت النجدات على صور و المعسكر الضارب قرب عكا. و اشترك ثلاثة ملوك من أعظم ملوك المسيحيين شأننا في تلك الحرب الشعواء و هم: فردريك بار باروسا امبراطور المانية، و فيليب أوغسطس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٣٩

ملك فرنسة، و ريكاردوس قلب الأسد ملك انكلترة .. و يقول الرواة ان رؤساء النصارى تذرعوا بكل وسيلة لاثارة روح التعصب في شعوب أوربة كافة. اما بطيريك القدس الذي كان صلاح الدين قد أحسن معاملته فقد أخذ يطوف المدن الأوربية حاملا صورة المسيح، و قد جرحها أحد الأعراب ليحثهم بذلك على أخذ الثأر ..

و بعد حروب عتيقة خاضها الصليبيون .. طلب قلب الأسد المصالحة ففشلت المفاوضات بينه و بين الملك العادل أخى صلاح الدين، ثم بذلت محاولة أخرى للصلح اشترط فيها الصليبيون الاحتفاظ بالمدن التي كانت بأيديهم، ورد بيت المقدس لهم و صليب الصلبوت (خشبة الصليب الاصلية). و يقول السيد أمير علي ان السلطان صلاح رفض تسليم القدس رفضا باتا إلا أنه أعرب عن استعداده لاعادة خشبة الصليب. و لما كان ريكاردوس قلب الأسد تواقا الى العودة الى بلاده التي بدأت تعصف بهاريح الفوضى استأنف مفاوضاته مرة أخرى مع الملك العادل و توصل الى مسودة اتفاق لم يوافق عليه الكهنة المسيحيون. و كانت الشروط أن يزوج قلب الأسد أخته أرملة ملك صقلية من الملك العادل، و ان تعطى عكا و ما فى أيدي الافرنج اليها، و ان يعطى ما بأيدي المسلمين من بلاد الساحل الى الملك العادل، و ان يحكم الزوجان مدينة القدس بصفة كونها مدينة محايدة حرة لاتباع الديانتين، و ان يجرى تبادل فى الأسرى و يعاد الصليب للمسيحيين، و يحتفظ الرهبان بامتيازاتهم. ثم جرت مفاوضات أخرى كانت نتيجتها أن أعلن ملك الأنكليز تنازله عن مدينة القدس و المطالبة بها .. و كان يوم اعلان الصلح يوما مشهودا، و لم يلبث ريكاردوس ان عاد الى بلاده ..

و هكذا انتهت الحرب الصليبية الثالثة التي هلك فيها عدد لا يحصى من الناس، و خسرت ألمانية أحد براطرتها العظام، كما فقدت فرنسة و انكلترة زهرة فرسانها، و لم تكتسب المسيحية غير عكا.

و بعد سفر ريكاردوس استراح صلاح الدين قليلا فى القدس. ثم سار تحرسه كوكبة من الفرسان نحو الساحل ليتعهد الثغور، و أمر باصلاح ما خرب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٤٠

منها، كما شيد فى القدس مستشفى و مدرسة. و ولى على المدينة سكرتيره و مترجم حياته حورديك من المماليك النورية. ثم عاد الى دمشق و بقى فيها مع أسرته حتى وافته المنية يوم الأربعاء ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ ..

الحروب الصليبية فى مراجع أخرى

و يأتى كارل بروكلمان المستشرق الألماني على ذكر الحروب الصليبية بشيء غير يسير من التفصيل الذى يشير فيه الى معظم ما أوردناه هنا، و لكنه لا يذكر مطلقا الفظاعات التي ارتكبتها الصليبيون و المجازر التي سببها. و مما يذكره عن فردريك الثانى (الص ٣٦٢) و خلافه مع البابا ان فردريك هذا توج فى ١٨ آذار ١٢٢٩ بوصفه زوجا لايزابيل ملكة الأرض المقدسة فى كنيسة القيامة، و كان ذلك بعد عقد الصلح مع الملك الكامل الذى تقرر تسليم القدس فيه الى الصليبيين (اي للمرة الثانية بعد وفاة صلاح الدين). لكن هذا الصلح لم يتم، و أمر البابا بتحريم شامل يفرض على المدينة المقدسة ما أقام فردريك فيها.

و يصف بروكلمان كذلك موقعه حطين و فتح القدس على يد صلاح الدين كما يأتي: و الواقع ان الصلح الذي عقد مع صلاح الدين، و الذي كان غي دي لوسينيان خليفه بغدوين الخامس على عرش القدس، حريصا على ادامته كثيرا ما نقضت أحكامه بسبب من تمرد الأمراء التابعين له و عدم تقيدهم بأمره. فكان ريجنالد دي شاتيون أمير الكرك لايني يوقع بقوافل الحجاج و قوافل التجارة من حصنه القائم على البلقاء (مؤآب القديمة) شرقي البحر الميت، فوق الجرف المسيطر على طريق القوافل من دمشق الى الحجاز، و من دمشق الى مصر أيضا. و لم يعد في استطاعة صلاح الدين ان يغض الطرف عن هذا كله، فعزم في أوائل ١١٨٧ على ان يبطش بالمعتدين بطشه كبرى. ثم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٤١

قبة الصخرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٤٢

انه أمر قواته السورية بالاحتشاد في حارم ليسير هو نفسه الى منطقة الكرك فيلتقى بهذه القوات عند بخيرة طبرية. عندئذ حشد ملك القدس جيشا عظيما من الفرسان في صفورية، و بدلا من ان ينتظر هجوم صلاح الدين في هذا الموقع الاستراتيجي الصالح نازعته نفسه ان يهاجم المسلمين في اتجاه طبرية، و كانوا قد احتلوها، فالتقى الفريقان في سهل مرتفع الى الغرب من البحيرة صعب. كثير الحجارة، عديم المياه هو سهل حطين. و هناك أنزل صلاح الدين بالجيش الصليبي هزيمة قاضية، و أسر ملك القدس نفسه. حتى اذا كان أيلول سنة ١١٨٧ انتهى صلاح الدين و جنوده الى أبواب بيت المقدس، التي اضطرت الى الاستسلام في ذلك الشهر نفسه. و على مشهد من جميع أفراد أسرة صلاح الدين تقريبا دخلت المدينة المقدسة مرة ثانية في حوزة المسلمين و هدم صلاح الدين جميع أماكن العبادة النصرانية في هذه البقعة المقدسة (كذا) و في غير ما إبطاء سعى الى ان يقضى على آخر آثار الحكم الصليبي في المشرق ..

و تعليقا على قول بروكلمان بان صلاح الدين «هدم جميع اماكن العبادة النصرانية في هذه البقعة المقدسة» نقول ان هذا غير صحيح، فان صلاح الدين لم يهدم سوى التعديلات و التشويهات التي أدخلها الصليبيون في قبة الصخرة و المسجد الأقصى و هما من أماكن العبادة الاسلامية التي حولها الصليبيون الى كنائس كما لا يخفى. و لم يشر بروكلمان كذلك الى المرجع الذي استند اليه في تجنيه هذا (راجع قول انطوني و يست بعد صفحات قليلة). يضاف الى ذلك ان بروكلمان نفسه يذكر في موقع آخر من كتابه هذا (الص ٣٥٥ من الترجمة) ان صلاح الدين سمح للنصارى بزيارة القدس حجاجا عزلا من السلاح. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٤٣ و يعدد صلاح الدين كذلك (الص ٣٦٠) آثار صلاح الدين العمرانية فيقول انه خدم فن العمارة خدمات جلي في القدس و القاهرة. فأما في القدس فقد كان له فضل تجديد المسجد الأقصى، الذي اتخذه الصليبيون قصرا لهم، و تزيينه بالفسيفساء و الرخام. ليس هذا فقط بل لقد أقام فيه منبرا نفيسا أتى به من حلب، و ما زال باقيا الى اليوم. و يذهب الدكتور فيليب حتى في كتابه الذي ألفه بالانكليزية عن تاريخ العرب الى تأييد الكثير من أقوال السيد أمير على التي أوردناها عن الصليبيين.

فهو يقول (الص ٦٣٩) عن ما حدث عند استيلائهم على القدس انهم في ١٥ تموز هاجموا المدينة المقدسة و استولوا عليها بعد حصار دام شهرا واحدا، و ارتكبوا مجزرة لم يفرقوا فيها بين الرجال و النساء و لم يراعوا حرمة السن. و أورد جملة من مرجع غربي تقول ان أكداسا من الرؤوس و الأيدي و الأقدام كانت تشاهد هنا و هناك في شوارع القدس و ساحاتها.

اما عن موقعه حطين فيقول الدكتور حتى ان صلاح الدين استولى على طبرية بعد حصار دام ستة أيام، و أعقب ذلك موقعه حطين المجاورة (٣-٤ تموز). و قد بدأت في يوم الجمعة يوم الصلاة الذي يتفاءل فيه صلاح الدين في الحرب، و يعتبره الافرنج يوما سيئا. و

كان عدد جيوش الصليبيين هناك يبلغ عشرين ألفاً، لكنهم كانوا يشكون الحر والعطش فوقعوا كلهم تقريباً فريسةً في أيدي أعدائهم. وكانت قائمة الأسرى المعروفين يتصدرها غي دي لوسينيان ملك القدس، فقابل السلطان المتصف بروح الفروسية الملك المنكوب بحفاوة صادقة. لكن صاحبه ريجنالد دي شايون، معكّر صفو السلام، كان يستحق معاملته مختلفة. وربما كان ريجنالد أكثر قادة اللاتين مجازفةً وأقلهم تعقلاً وأقدرهم على التكلم بالعربية. وكان هو في إمارة الكرك قد هاجم موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٤٤

القوافل الآمنة أكثر من مرةً ونهبها حينما كانت تمر مما يقرب من أسوار حصنه المنيع، برغم مخالفة ذلك للاتفاقية المعقودة مع العرب. حتى انه أحضر اسطولاً خاصاً في أيلة وأخذ يضايق فيه سواحل البلاد المقدسة في الحجاز، وينهب الحجاج القادمين إليها. وكان صلاح الدين قد أقسم ان يذبحه بيده هو عند سوح الفرصة، فسنت له في هذه المرة. لكن ريجنالد استغل قواعد الضيافة العربية للتخلص من الموت بواسطتها فطلب شربةً من الماء الموجود في خيمته آسره، غير ان صلاح الدين لم يقدمها له لثلاث تترتب عليها علاقة الضيف التي تستدعي العفو عنه. وبذلك دفع ريجنالد ثمن خيانتة بحياته. وقد قرر انتصار العرب في حطين مصير القضية الصليبية. فبعد حصار دام أسبوعاً واحداً استسلمت القدس التي كانت قد خسرت حاميتها في حطين (٢ تشرين الاول ١١٨٧)، فحل الأذان في المسجد الأقصى في محل صوت الناقوس المسيحي وأنزل الصليب الذهب الذي كان يعلو قبة الصخرة من قبل رجال صلاح الدين. وهكذا مهد احتلال عاصمة المملكة اللاتينية لصلاح الدين الاستيلاء على معظم مدن سورية.

اما انطوني ويست فيذكر عن استرداد صلاح الدين لبيت المقدس قائلاً: ان موقف النصارى في مملكة بيت المقدس أخذ بالتردى عاماً بعد عام، بعد ان خابت الحملة الصليبية الثانية. ومات نور الدين فاعتقد الصليبيون مدةً من الزمن ان موته سيؤدي الى تشتيت المسلمين وضعفهم، الا- أن صلاح الدين الذي حل محله كان زعيماً أعظم منه. ومرض بالدوين الرابع ملك بيت المقدس فتوفي في وقت كانت فيه المملكة بأمس الحاجة اليه .. وانتقل عرش بيت المقدس اثر ذلك الى غي دي لوسينيان. وكان يوم تتويجه يوم نحس لبيت المقدس .. لأنه كان متهوراً عصبى المزاج وقد نفى من فرنسة لقتله رجلاً في شجار، وكان حديث عهد بالبلاد المقدسة وقليل المعرفة بأساليب قتال المسلمين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٤٥

وقد أشار كل الموجودين في بيت المقدس ان سبيله الوحيد للثبات في وجه صلاح الدين هو اللجوء الى التريث .. فقد كان الفرسان خبراء بأساليب المسلمين عارفين بصعوبة الحفاظ على الجيوش الاسلامية مجتمعاً عند ما لا يكون هنا سوى قتال يسير. فلم يصنع (غي) لهم سمعاً وقال انه لا شيء يرغمه على التصرف بجبن، وانه يعتقد ان الطريق لدر صلاح الدين هو البحث عنه و ارغامه على خوض المعركة. وقاد غي قواته صاعداً مع وادي الأردن الى طبرية، عارضاً قواته في ديار المسلمين. وتراجع صلاح الدين أمامه مفسحاً له المجال للابتعاد عن معاقله. وحينما تم له في الأخير سحب النصارى الى مسافة كافية استدار بقواته داخلاً بينهم وبين ديارهم قاطعاً خط انسحابهم وحاصراً اياهم في واد قاحل. وكان غي قد ورط نفسه في مأزق حرج وبصحبته كل محاربي مملكته تقريباً، وقد حمل معه صليب الصلبوت الذي أخذه من كنيسة القيامة في بيت المقدس مستعملاً اياه راية حرب. والواقع ان غي كان قد ألقى بكل ما عنده في لعبة مقامرة لم يكن لديه أي أمل في كسبها. وكانت هذه معركة حطين.

وقد نظر رجاله من التل المكسو بالأشواك الذي حصر فيه جيشهم الى واد أخضر في أسفلهم حيث تشع وتسطع بحيرة طبرية، ولم تكن هناك قطرة ماء على التل. وكان اليوم حاراً ركبت فيه الريح في مطلع شهر تموز، وكانت الشمس تحرق النصارى بلا رحمة. وأشعل المسلمون النار في مطلع النهار بالأشواك المحيطة بجيش غي وتوجه الدخان الحار الخانق الى قمة التل فجفف حناجرهم. الا أن غي و رجاله على الرغم من موقفهم اليأس قاتلوا طوال النهار وعند ما استسلم آخر رجل منهم كان الاعياء الناتج عن الحر والظمأ قد بلغ بهم مبلغاً جعلهم يقفون على أقدامهم بصعوبة، وقد بلغ الضعف ببعضهم حداً جعلهم يعجزون عن تسليم سيوفهم للمتصرين. و

عند ما انهارت مقاومتهم بكى صلاح الدين فرحا، فقد عرف ان قوة مملكة بيت المقدس قد دمرت و أنه قد استرجع المدينة المقدسة. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٤٦

وقضى صلاح الدين بقاء الصيف يحتل قلاع النصارى واحدة بعد أخرى و فى تشرين الأول صلى صلاة الشكر فى جامع عمر فى بيت المقدس. و كان صلاح الدين عادلا رحوما فأبقى على حياة (غى دى لوسينيان) و سمح لأسر الفرسان النصارى الذين قتلهم بالذهاب أحرارا، و لم يحرق أية بناية نصرانية فى بيت المقدس. و بعد دخوله المدينة بثلاثة أيام أعاد الكنائس ثانية الى القسس، و أغلقت كنيسة القيامة ثلاثة أيام فتحت بعدها ثانية للزوار النصارى. الا أن حقيقة واحدة بقيت و هى أن صليب الصلبوت و المدينة المقدسة أصبحتا بأيدي المسلمين. و عادت الأنباء الى أوروبا تحمل خبر ضياع ما أنجزته الحملة الصليبية الأولى.

و مما يذكر عن صلاح الدين حينما استرد بيت المقدس من الصليبيين انه كان عطوفا على اليهود الذين كان عددهم يومذاك قليلا جدا. و من غريب ما حدث فى عهده هذا ان ثلاثمائة من أبحار اليهود و حاخاميهم جاءوا اليه الى القدس من فرنسة و انكلتره و فاتحوه فى السماح لليهود أوربة بالهجرة الى القدس فلم يحصلوا على نتيجة ملموسة فى هذا الشأن. إذ يبدو من أخبار القدس بعد خمسين سنة (١٢٧٦ م) ان القدس لم يكن فيها سوى يهوديين اثنين فقط.

و كانا أخوين. و فى سنة ١٣٢٧ كانت فى القدس جالية صغيرة من اليهود يتعاطى أفرادها مهنة الصباغة فى الغالب. اما فى بداية القرن الخامس عشر فقد كان فى المدينة المقدسة كنيس واحد لليهود لكن الجالية كانت مضايقة و مضطهدة بحيث هاجر أفرادها الذين لم يكونوا يزيدون على مئة أسرة، الى الخارج.

و كان عدد اليهود فى القدس خلال القرن الخامس عشر و القرن السادس عشر يتراوح على ما يظهر بين (٢٥٠) و (١٥٠٠) نسمة. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٤٧

رحلة بنيامين ١١٦٥ الى ١١٧٣ م

إشارة

و بنيامين هذا هو الرحالة الغربى بنيامين بن يونه التيطلى النبارى الأندلسى، و كان تاجرا من تجار اليهود فى الأندلس خلال القرن الثانى عشر الميلادى فأحب أن يسير فى بلاد العالم و يطلع على أحوال أخوانه اليهود فى كل بلد من البلاد التى يزورها علاوة على الأحوال الأخرى. و قد استغرقت رحلته من سنة ١١٦٥ الى سنة ١١٧٣ م، بعد أن بدأ بها من برشلونه، و قد زار العراق فى أيام الخليفة العباسى المستنجد بالله. و كان قد كتب هذه الرحلة عند عودته الى الأندلس باللغة العبرية، فعثر على نسخة قديمة منها الاستاذ عزرا حداد فنقلها الى العربية فى بغداد و نشرها سنة ١٩٤٥.

و لقد زار بنيامين فى رحلته هذه البلاد الفلسطينية معظمها يومذاك فكتب ملاحظاته عنها، و كتب أشياء كثيرة عن بيت المقدس على الأخص. و كانت زيارته لها قبيل توفى صلاح الدين الأيوبي فى استردادها من الصليبيين. و لذلك وجدنا من المناسب ان نورد هنا ما يذكره هذا الرحالة اليهودى الغربى عنها و يبدو من الرحلة انه جاء الى القدس من لبنان فزار فى طريقه اليها عكا و حيفا و قيسارية و اللد و نابلس و وادى ايلون، و جبل المورية الذى يسميه «جرن داود» كذلك و يقول عنه انه مدينة جبعون القديمة، و لم يجد فيها أحدا من اليهود، و قد سميت باسم جرن داود كناية عن البيدر الذى كان يملكه رجل يوسى من سكان أورشليم يدعى أرنه أو أرنان. و قد ظهر الملاك لداود و أوحى له بأن يشتريه فاشتراه و شيد فيه هيكلًا و مذبحًا لله (حاشية المترجم).

و كانت بيت المقدس يومذاك تقع على مسيرة ثلاثة فراسخ من جبل مورية، و يقول عنها بنيامين انها: بلدة صغيرة عظيمة التحصين تحيط بها ثلاثة أسوار.

و فيها عدد كبير من العياقة و السريان و الأرمن و اليونان و الكرج و الافرنج،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٤٨

خليط من كل أمة و إنسان. و فيها معمل للصباغة يستأجره اليهود من ملك القدس سنويا فتتخصر بهم هذه المهنة دون غيرهم. و يبلغ عددهم فى هذه المدينة حوالى المئتين .. و يقول الاستاذ عزرا حداد فى التعليق ان الصليبيين حينما فتحوا القدس ذبحوا يهودها الا النزر اليسير منهم. و بعد عشر سنوات من زيارة بنيامين هذه لم يجد فيها الرحالة فتاحية (اليهودى) غير يهودى واحد .. و يتابع بنيامين قوله عن القدس بان هذه الزمرة القليلة من اليهود يقيمون فى حى مجاور لبرج داود، و البرج و اغل فى القدم و ترتفع أساساته الى عشرة أذرع، و هو من بناء أسلافنا الأقدمين، و الباقي شيدته المسلمون، و ليس فى المدن بناء آخر يضارع برج داود متانه و سموا. و فى القدس مستشفيان يتسعان لايواء اربعمائة من فرسان الاستبارية عدا المرضى الذين يجهزون بكل ما يلزمهم فى الحياة و بعد الممات .. و فى الحاشية يقول المترجم ان يوحنا ورتزبورغ احد الحجاج المسيحيين زار بيت المقدس بين سنتى ١١٦٠ و ١١٧٠ م، فوصف المستشفى بقوله: و بالقرب من كنيسة يوحنا المعمدان يقوم مستشفى فيه عدد كبير من النساء و الرجال و المرضى، و ينالون العناية التى تكلف نفقات باهظة. و قد بلغنى لما كنت هناك ان عدد اولئك المرضى بلغ الألفين، و قد يبلغ عدد الموتى منهم الخمسين فى اليوم الواحد، و قد يعالج بالعيادة الخارجيه بقدر عدد المرضى المقيمين فى المستشفى، هذا فضلا عن أعمال الإحسان التى لا تقدر. إذ يتصدق يوميا على السائلين و أبناء السبيل بالخيز.

و يقول بنيامين كذلك ان فى القدس البناية المسماة «معبد سليمان» و يزعم البعض أنها من أنقاض مقدس الملك سليمان. و يقيم فى هذه البناية نحو ثلاثمائة من فرسان المعبد يمارسون فنون الحرب و القتال. و يوجد عدا هؤلاء فرسان يتوافدون من بلاد الافرنج و سائر ديار النصرى. من الذين يندرون الخدمة فى هذا المقام سنه أو سنتين.

و بالقدس كنيسة كبرى تدعى كنيسة الضريح المقدس منسوبة الى مسيح النصرى، يحج اليها عدد غير منهم. و للقدس أربعة أبواب: باب ابراهيم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٤٩

و باب داود، و باب صهيون، و باب يوشفاط. و هذا الأخير يحاذى الموضع الذى كان بيت المقدس مستويا عليه فى قديم الزمن. و عليه اليوم البناء الذى يسميه الافرنج «المعبد المقدس»، و قد عقد عليه عمر بن الخطاب (كذا) قبة عظيمة أنيقة. و ليس يسمح لأحد ان يدخل فيها تمثالا أو أيقونة لأنها محل خاص بالعبادة.

و قبالة هذا البناء يوجد الحائط الغربى، و هو من حيطان قدس الأقداس فى الهيكل القديم، و يسميه اليهود «باب الرحمة» و يحجونه لاقامة الصلاة فى باحته.

و تشاهد بالقدس أطلال الاضطرابات التى عمرها الملك سليمان بجوار قصره.

و قد استعمل فى بنائها الصخر الجسيم المنحوت، مما لا نظير له فى بناء آخر.

و هناك ايضا أطلال المذابح التى كانت الأضاحى تقدم عليها فى سالف الأزمان.

و من عادة حجاج اليهود ان يكتبوا اسماءهم على الحيطان الملاصقة لهم.

و بظاهر المدينة من باب يوشفاط يشاهد النصب الذى أقامه أبشالوم.

و مرقد الملك عزيزه و نبع سلوان الذى يمر بوادى قدرون، و فوق هذا النبع بناء من آثار الأسلاف و ليس فيه من الماء الا اليسير. و

غالب أهل القدس يشربون ماء المطر يجمعونه من صهاريج معدة لهذا الغرض فى البيوت. و من عدوة وادى يوشفاط يصعد الى جبل

الزيتون، و منه يمكن مشاهدة سدوم. و بين بحر سدوم و نصب الملح الممسوخ عن امرأة لوط فرسخان، و يقال ان السائمة تلحس هذا

النصب يوميا ثم يعود الى سابق هيئته. و يحاذى القدس جبل صهيون (و هو تل عريض مرتفع فى القدس، و وجهه الغربى يعلو ٤٠٠ قدم

فوق وادي جهنم يبلغ طوله ٢٤٠٠ قدم و ينتهى عند باب الخليج .. من الحاشية) و على هذا الجبل بيعة للنصارى و ثلاث مقابر قديمة لليهود، فوق كل قبر حجارة محفور عليها تاريخه- لكن الأفرنج يهدمون هذه القبور و يستعملون حجارتها لبناء بيوتهم.

و تحيط بالقدس الجبال الشاهقة، منها جبل صهيون، عليه قبر الملك داود

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٥٠

و سائر الملوك من آله. و هى عافية الآثار لا تكاد تعرف فى الوقت الحاضر.

و قد حدث قبل خمس عشرة سنة ان تداعى جدار البيعة التى على جبل صهيون، فامر البطريك بعض أتباعه من الرهبان باعادة رمه. و أوصاهم بأن يأخذوا الحجارة من أسوار صهيون الشرقية. فعكف عشرون عاملا على اقتلاع الحجارة من أسوار صهيون.

و حدث ان عاملين تربط بينهما صداقة وثيقة كانا قد تأخرا عن موعد العمل لانشغالهما بمأدبة. فأنحى عليهما رئيس العمل بالتقريع، و وعدا بأن يكملا العمل خلال أوقات الراحة عند ما ينصرف رفاقهما للغداء. و بينما هما يشغلان منفردين اقتلعا حجارة وجدا تحتها فجوة تؤدي الى غار عميق.

فقال أحدهما للآخر: هلم نر ما فى هذا الكهف عسانا نعر على كنز، و لما ولجا الغار وجدا نفسيهما وسط قاعة كبرى محكمة، معقود سقفها على أساطين من رخام موشاة بفضة و ذهب. و فى القاعة خوان عليه صولجان و تاج من خالص الذهب. و يتوسط القاعة قبر داود ملك اسرائيل، و الى يساره قبر ولده سليمان و قبور سائر الملوك من آل داود. و وجدا كذلك صناديق مقللة لم يعرفا مضمونها. و بعد مضى برهة و جيزة هبت عليهما ريح صرصر عاتية طوحت بهما الى الأرض، فبقيا بلا حراك حتى وقت الغروب. و عندها هتف بهما صوت آدمى يقول: انهضوا و بارحوا المكان.

هرول الرجلان نحو ظاهر الكهف فاسرعا الى البطريك يقصان عليه ما شاهدها و سمعاه. فاستدعى البطريك اليه الربن ابراهيم القسطنطينى الناسك من بكائى أورشليم و قص عليه الحادث. فأيد الربن كون هذا الكهف مرقد الملوك من آل داود. أما العاملان فانهما لازما فراش المرض لهول ما شاهدها و رفضا دخول المغارة مرة أخرى. و عندئذ أمر البطريك بردم بابه حتى طمست معالمه عن الناس. هذا ما قصة ابراهيم الناسك نفسه. و يعلق المترجم على ذكر ابراهيم القسطنطينى هذا بقوله ان الرحالة اليهودى فتاحية الذى زار القدس بعد عشر سنوات وجد فيها يهوديا واحدا فقط يدعى «ابراهيم الصباغ»،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٥١

ربما كان ابراهيم القسطنطينى الذى يشير اليه بنيامين. و يضيف فتاحية قوله ان ابراهيم هذا يؤدى للملك ضريبة فادحة لكى يسمح له بالبقاء هناك. اما فيلكس فابرى الحاج المسيحى الذى زار القدس أيام استعادتها من قبل صلاح الدين الأيوبى (١١٨٧ م) فيذكر انه وجد فيها نحو خمسمائة يهودى و نحو ألف نصرانى (رحلة فابرى ٩-٢٢٦).

هذا ما يقوله الرحالة بنيامين الأندلسى عن بيت المقدس، و هو يذكر بالاضافة الى ذلك أشياء كثيرة أخرى عن سائر بلدان فلسطين معظمها. و من جملة ما يعتنى بذكره عدد اليهود الموجودين فى كل منها، و قد وجدنا من المناسب ان نورد فيما يأتى جدولا بالأعداد المذكورة عليها تفيد، هى و الأرقام التى أوردناها قبيل هذا، فى دحض الحجج التى تقدمها الصهيونية اليوم لامتلاك فلسطين، اذا كانت قد بقيت أية فائدة للحجج و البراهين:

البلدة/ عدد اليهود فيها/ البلدة/ عدد اليهود فيها

القدس / ١ / بيت لحم / ١١

عكا/ ٢٠٠ / الخليل / لم يذكر شىء

حيفا/ لم يذكر شىء / بيت جبرين / ٣

قيسارية/ ٢٠٠ / قلعة الحصن / ٣٠٠

قاقون / ليس فيها / سنت صموئيل / لم يذكر شيء

اللد / ١ / بيسان / ليس فيها

سبسطية / ليس فيها / بيت النبي / ٢

نابلس / ليس فيها / بيت النبي / ٢

جبل جلبوع / ليس فيها / الرملة / ٣٠٠

وادي أيلون / ليس فيها / يافا / ١

أبلين / ليس فيها / تبنين / -

اشدود / ليس فيها / حوش / ٢٠

عسقلان / ٢٠٠ / ميزون / لم يذكر شيء

زيرين / ١ / علمة / ٥٠

صفورية / لم يذكر شيء / قادس / ليس فيها

طبرية / ١٠٠ / المجموع / ١٣٩٠

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٥٢

هذا مع العلم ان عدد اليهود في مدن أخرى يومذاك، على ما يذكر بنيامين نفسه، كان فيها عدد كبير جدا من اليهود. فقد كان في دمشق ٣٠٠٠ يهودي، والكوفة ٧٠٠٠، والحلة ١٠٠٠، والبصرة ١٠٠٠، وبغداد ٤٠٠٠، وعكبرة ١٠٠٠، و حربى ١٥٠٠٠، والعزير (نهر سمره) ١٥٠٠.

رحلة الى القدس في ١٦٩٧ م

و مما عثرنا عليه من الرحلات القديمة الى القدس رحلة قام بها قسيس انكليزي كان ملحقا بالمحطة التجارية الانكليزية في حلب يومذاك. وقد رغب هو و أربعة عشر بريطانيا كانوا في تلك المؤسسة في ان يحجوا الى بيت المقدس في عيد الفصح. فتركوا حلب يوم الجمعة المصادف ٢٦ شباط ١٦٩٦ في قافلة خاصة بهم. وقد طبعت هذه الرحلة أولا في نيسان ١٧٠٣، ثم طبعت طبعات أخرى راجعنا منها الطبعة الرابعة التي طبعت في أوكسفورد سنة ١٧٢١. وهي عبارة عن رحلة دينية في الغالب، برغم ما فيها من معلومات عن أشياء أخرى طريفة لا سيما في الطريق الى القدس.

وقد سارت القافلة في طريق محاذية للبحر فخرجت من حدود باشوية حلب، ثم دخلت الى باشوية طرابلس التي كانت تعود لها جبال النصيرية.

و تمر القافلة بعد ذلك بميناء بانياس المعروف. ثم بما يقابل جزيرة أرواد من الساحل. و بعد ذلك يمرون بأنهر عدة قبل الوصول الى طرابلس الشام. و في الرحلة وصف لطرابلس و الزيارة التي زاروا الوالى فيها. و من هناك وصلوا في طريقهم الى المدينة اللبنانية المعروفة منذ القدم و هي جبيل، اى بيلوس التي موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٥٣

كان فيها معبد أدونيس على ما يقول صاحب الرحلة. و يذكر هنا ان حيرام الملك الفينيقى جعل أهالى جبيل يعدون المواد التي طلبها منه سليمان الحكيم حينما بنى هيكله في بيت المقدس، على ما يذكر في التوراة. و من ثم تمر القافلة بنهر ابراهيم حتى تصل الى خليج جونيه، و بقره تلتقى حدود باشويتى طرابلس و صيدا في جبال كسروان على ما يقول موندل. و قد توجهوا بعد ذلك الى نهر الكلب الذى دفعوا قبل الوصول اليه الخاوة الى المارونيين الذين يقول عنهم القس الرحالة أنهم أكثر تعسفا و عجرفة من الأتراك أنفسهم.

وقد وجدوا على نهر الكلب جسرا جيدا بأربعة عقود كتبت على قطعة مرمر بيضاء في جانبه كتابة عربية تشير الى اسم مشيده الأمير

فخر الدين. ثم وصلوا الى نهر بيروت فوجدوا مشيدا فوقه جسرا حجريا بستة عقود، و من هناك وصلوا الى بيروت التي وجدوها مدينة منورة. و من طريف ما يذكر موندل عنها نبذة عن الأمير فخر الدين المعنى الذي يقول ان مسكنه الرئيسي كان فيها. و كان يحكمها في أيام السلطان مراد الرابع، بينما كان هو الأمير الرابع للدروز.

ثم يذكر ان الأمير فخر الدين تمكن بقوته و دهائه من توسيع ممتلكاته فاستولى على الساحل الممتد من بيروت الى عكا في فلسطين، حتى اضطر السلطان الى إجباره على الرجوع إلى منطقتة الجبلية فقط، و عند ذاك تمرد عليه. و يظهر ان الرحالة هو و جماعته تمكنوا من زيارة قصر الامير فخر الدين الواقع في القسم الشمالي الشرقي من بيروت. و حينما يأتي على ذكر القصر يقول إنه في حالة خربة، لكنه يثنى على بستان البرتقال المحيطة به. و يعجب كيف ان أميرا شرقيا مثل الامير فخر الدين يستطيع انشاء مثل هذا القصر و هذه البستان الرائعة، ثم يستدرك قوله و يذكر السبب. و هو ان الأمير سبق له ان زار ايطالية و اطلع فيها على اشياء كثيرة استطاع تقليد قسم منها. و قد وجد تماثيل كثيرة منتشرة في انحاء البستان فاستنتج منها ان الأمير لم يكن من المسلمين المتحمسين لديانتهم. و حينما غادر موندل و قافلته بيروت يوم ١٩ مارت صادف بعد مسيرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج٥، ص: ١٥٤

ثلاث ساعة فقط حرش الصنوبر الذي يقول انه يعود الى الأمير فخر الدين كذلك، و قدر اتساعه بان طوله يزيد على نصف الميل. و هو يثنى على جمال هذا الحرش و منظره الخلاب، ثم يقول انهم وجدوا على مسافة من السهل الذي سارت فيه القافلة من اليسار قرية تعود للدروز تسمى «سوق فوات»

Suekfoat

و لعله يقصد الشويقات الحالية. فأمر هذه القرية هو أحمد حفيد الأمير فخر الدين. و كان أحمد متقدما في السن محتفظا بتقاليد أسرته.

و في طريق القافلة الى فلسطين وصلت الى صيدا فاستقبل القافلة جمع من الفرنسيين الموجودين في صيدا و استضافوا من فيها. و كان القنصل الفرنسي فيها يحمل رتبة قنصل في بيت المقدس كذلك. و هو مجبر على ما يقول موندل على زيارة المدينة المقدسة في عيد الفصح من كل سنة بحجة تفقد الأماكن المقدسة فيها و الاطمئنان على سلامتها و سلامة الرهبان القيمين عليها من جور الأتراك. لكنه يقول ايضا ان الرهبان المذكورين يشعرون في الحقيقة بشيء أكثر من الاطمئنان و الأماكن من دون مراقبة القنصل.

و قد كان المستر موندل و جماعته راغبين في مرافقة القنصل هذا في حجه إلى بيت المقدس هذه السنة، فبعثوا يكتبون اليه بالأمر من حلب، ليستطيعوا بحمايته تجنب ما قد يصيبهم من عبث العرب و الأتراك الذي يزداد في فلسطين و حوالى القدس خاصة، على حد قوله. و قد سرهم كثيرا حينما وصلوا الى عكا بعد ذلك فوجدوا القنصل الفرنسي بانتظارهم، و في صباح اليوم التالي توجهوا الى القدس، و بعد مسيرة قصيرة في محاذة الساحل تركوه متوجهين الى بغيتهم عن طريق الناصرة. فمروا بمنطقة نابلس و بير يعقوب، و بعد ساعتين وصلوا الى قمة شاهدوا من فوقها عن بعد القدس لأول مرة، و بمسيرة ساعة أخرى وصلت القافلة الى أسوار المدينة المقدسة.

غير انهم كان عليهم ان ينتظروا حتى يعلموا الحاكم بوصولهم و يستأذنوا منه بالدخول، لأن الافرننجي كان لا يستطيع الدخول الى المدينة المقدسة من دون هذه المراسيم، و لذلك قصدوا الجانب الغربي من السور حتى وصلوا الى

موسوعة العتبات المقدسة، ج٥، ص: ١٥٥

الزاوية الكائنة فوق باب بيت لحم، و هناك وقفت القافلة بانتظار اذن الدخول، و كان المطلوب من الفرنج ما لم يكونوا بصحبة شخصية مهمة ان يترجلوا عند الباب و يلقوا سلاحهم فيدخلوا راجلين. و لما كانت قافلة المستر موندل في معية القنصل الفرنسي لم يطلب اليها ان تفعل ذلك عند الدخول، و بعد هذا أخذهم القنصل الى بيته الخاص في القدس و نزلوا في ضيافته طوال مدة بقائهم

فيها. و بعد استراحة قليلة ذهبوا الى دير اللاتين حيث كان يحتفى بجميع الحجاج الفرنج، فاستقبلهم رئيس الدير بكل حفاوة ثم تناولوا العشاء فى الدير.

الأماكن المسيحية المقدسة

و لا شك ان جميع ما فى الرحلة هذه عن القدس يدور حول زيارة الأماكن المسيحية المقدسة و وضعها يومذاك. و لما كان يوم الجمعة ٢٦ مارت هو يوم الجمعة الحزينة عند اللاتين يقول موندل ان القنصل الفرنسى ذهب الى كنيسة الضريح المقدس (كنيسة القيامة) لاداء الزيارة فذهبوا معه برغم ان الجمعة الحزينة عند الانكليز تأتى بعد أسبوع من هذا التاريخ. فوجدوا باب الكنيسة يحرسها عدد من الانكشارية و الضباط الأتراك، الذين يقول عنهم انهم وضعوا هنا ليلاحظوا أن جميع الداخلين قد دفعوا الرسوم المطلوبة و تختلف الرسوم باختلاف الاشخاص و البلاد التى يأتون منها الى الحج، اما الافرنج فقد كانت العادة ان يدفع كل منهم أربعة عشر ريالاً الا اذا كانوا من رجال الدين فيؤخذ منهم نصف المبلغ. و بعد ان يدفع الشخص هذا الرسم يكون حراً فى الدخول و الخروج متى شاء خلال موسم العيد كله.

و يذكر موندل ان الحجاج بعد ان دخلوا الكنيسة كلهم سدت أبوابها فى المساء و بقيت كذلك الى يوم الفصح، فبقوا محجوزين فيها ثلاثة أيام. و قد قضا وقتهم فى مشاهدة المراسيم التى يقيمها اللاتين فى هذه المناسبة، و زيارة الأماكن المقدسة واحدة بعد أخرى فى الداخل بكل حرية. و مما يقوله عن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٥٦

الكنيسة انها مقامة على جبل الجمجمة الذى هو عبارة عن قمة فوق جبل موريا. و كان هذا الموقع مخصصاً فى قديم الزمان لاعدام المجرمين، و لذلك كان فى معزل عن المدينة خارج السور. و لكنه حينما جعل المذبح الذى صلب فيه السيد المسيح صار هذا الموقع يتمتع بسمعة مشرفة و قدسية ما بعدها من قدسية، و صار المسيحيون يحجون اليه و هم فى أشد حالات الخشوع من جميع أنحاء العالم، تقدمت المدينة اليه و صارت تحيط به من جميع الجهات حتى أصبح فى وسط بيت المقدس. و قد ترك قسم كبير من جبل صهيون خارج السور ليفسح المجال للناس بالمرور الى المذبح. و حينما شيدت الكنيسة فوق التل سويت الأرض فى بعض جهاته خوفاً من ان تمس الأماكن المقدسة التى لها علاقة بمأساة السيد المسيح. فبقى المكان الذى يقال انه كان مشدوداً فيه، و المكان الذى رفع فيه على الصليب. من دون ان يمس بشيء. و تقدر مساحة هذه البقعة بحوالى عشر الى اثنتى عشرة ياردة مربعة. و هى أعلى من ساحة الكنيسة المحيطة بها بحيث صار الناس يصعدون اليها بدرجات يبلغ عددها احدى و عشرين درجة. اما الضريح المقدس نفسه، الذى كان بادية ذى بدء مغارة محفورة فى الصخر تحت الأرض، فقد قطعت الصخور من حوله و أزيل الكثير منها حتى أصبح و كأنه كهف فوق سطح الأرض.

و يبلغ طول الكنيسة أقل من مائة خطوة، و عرضها يزيد على الستين خطوة.

و مع ذلك فهى تشتمل بين جدرانها على اثنتى عشرة بقعة مقدسة او ثلاث عشرة، و ليست قدسية هذه البقع بالقدسية الاعتيادية و انما هى قدسية بالغة الأهمية تختص بالسيد المسيح. فهناك أولاً المكان الذى أقدم فيه الجنود الرومان على الهزء به، و ثانياً الموقع الذى مزقوا فيه ثيابه. ثم المكان الذى حبس فيه بينما كان الجنود يحفرون الأرض لتثبيت الصليب فيها و يعدون العدة لصلبه.

ثم المكان الذى ثبت فيه جسمه المقدس فى الصليب بالمسامير. و بعد ذلك الموقع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٥٧

الذى أقيم فيه الصليب. و حيث وقف الجنود الذين ثقبوا جنبه. و حيث مسح مسح جسمه بالزيت، على سبيل التكريس قبل دفنه، و حيث أودع الجسم فى الضريح. ثم الموقع الذى ظهرت فيه الملائكة للنساء بعد بعثه، و حيث ظهر هو فيه لمريم المجدلانية. و غير

ذلك.

و في أروقة تمتد حول الكنيسة، و كذلك في أبنية صغيرة ملحقة بها من الخارج، توجد شقق لاستقبال الرهبان و الحجاج، و تحتفظ كل أمه من الأمم المسيحية القديمة في هذه الأماكن بجماعة صغيرة من رهبانها. و قد خصص الأتراك لكل جماعة من هؤلاء مكانا معين لها، فهناك اللاتين، و اليونان، و السوريون، و الأرمن، و الأحباش، و الكرج، و النساطرة، و الأقباط، و المارونيون الخ.

و يشير المستر موندل بتأثر بالغ الى الخصومة الموجودة بين الفرق المسيحية في بيت المقدس، و المنازعات الدامية التي تحدث بين رجال الدين المسيحي حتى قرب الضريح المقدس حول إقامة القديس و أقدمية كل فرقة من الفرق في هذا الشأن. ثم يقول بحسرة بعد ذلك: كيف يمكن بهذه الحالة انقاذ الأماكن المقدسة من أيدي الكفار؟! و اذا ما تم ذلك ما الذي سيحدث من أنواع الخصومة و النزاع يا ترى؟ و يذكر بعد هذا ان ملك فرنسا لأجل ان يضع حدا لهذه الخصومات و تلك الحالة المزريّة كتب الى الصدر الأعظم في استانبول قبل اثنتي عشرة سنة كتابا يطلب فيه وضع الضريح المقدس في أيدي اللاتين تنفيذا لشروط الامتيازات المعقودة في سنة ١٦٧٣. و لم يتم ذلك الا- في سنة ١٦٩٠ على ما يقول موندل، فأصبح من حق اللاتين وحدهم إقامة القديس هناك. و مع ان المسيحيين بأجمعهم يسمح لهم بالزيارة و الصلاة في الداخل، فليس بوسع أحد منهم إجراء أي شعيرة مقدسة رسميا سوى اللاتين.

ثم يأخذ موندل بوصف ما يقوم به رجال الدين من واجبات في هذه الكنيسة، و يبدأ بعد ذلك بوصف المراسيم الدينية التي أجزاها اللاتين بمناسبة الموسم، فهو يقول ان المراسيم تبدأ في مساء الجمعة الحزينة، و يسميها اللاتين «نوكس نينبيروزا» و هي تقام بشيء كثير من الوقار و الجلال يجعله يأتي على موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٥٨

وصفها بالضرورة. فيقول: ما ان خيم ظلام ذلك اليوم على البلد حتى أخذ الرهبان و الحجاج جميعهم بالاجتماع في «مصلى الشيخ» الكائن في الجهة الشمالية من الضريح المقدس بالقرب من مساكن اللاتين، لأجل أن يخرجوا بموكب يدور في الكنيسة. و لكنهم قبل ان يفعلوا ذلك ألقى احد الرهبان خطبة و عظ بالاطالية في ذلك المصلى، و حينما بدأ بها أطفئت الشموع جميعها فبقى المجتمعون نصف ساعة في الظلام و هم يستمعون الوعظ. و بعد الانتهاء من ذلك أخذ كل من الحاضرين شمعة بيده، و رفعت الصلبان ليبدأ الموكب.

و كان بين الصلبان صليب كبير جدا يحمل صورة السيد المسيح بالحجم الطبيعي، و قد ثبتت فيه بمسامير كبيرة كسيت رؤوسها بأشواك ملطخة بالدم. و قد حمل هذا الصليب في مقدمته الموكب و تبعه الجميع لزيارة جميع البقع المقدسة و هم يرتلون التراتيل المناسبة في كل منها.

و كانت أول بقعة زارها الموكب «عمود الضرب» الذي يحتفظ بقسم كبير منه في غرفة من غرف المصلى المذكور، و هنا رتل الترتيل المناسب و القى أحد الرهبان آخر خطبة و عظية بالاسبانية. و توجهوا من هناك بخشوع الى «سجن المسيح» حيث أودع السيد المسيح، على ما يزعمون (هذا ما يقوله موندل)، حينما كان الجنود الرومان يعدون ما يلزم لصلبه. و هنا رتلوا على الشاكلة نفسها ترتيلة أخرى و انبرى راهب ثالث فخطب بالفرنسية. و من هناك توجهوا الى البقعة التي مزقت فيها ملابس السيد المسيح فرتلوا ترتيلة دينية فيها فقط من دون خطبة. ثم قصد الموكب «مصلى السخريه» فألقى بعد الترتيلة راهب رابع خطبة و عظ بالفرنسية كذلك.

و ذهبوا بعد هذا الى الموقع الذي صلب فيه، فتركوا أحذيتهم في أسفل السلالم. و يوجد هنا مذبحان للزيارة، أحدهما البقعة التي يعتقد ان السيد المسيح سمر جسمه فيها بالصليب، و الأخرى البقعة التي أقيم فيها الصليب نفسه.

فوضعوا الصليب الكبير في الأولى على الأرض، و بعد الترتيل القى خطبة الوعظ بالاسبانية راهب من الرهبان. ثم انتقلوا الى المذبح المجاور حيث يعتقد

ان الصليب قد أقيم فيه و هو يحمل السيد المسيح. و فى هذا المذبح توجد حفرة صغيرة فى الصخرة الطبيعية التى يعتقد انها نفس الحفرة التى ثبت فيها الصليب يومذاك. و هنا نصبوا الصليب الذى كان يحمل الصورة الدامية، و قرأوا بعض التراتيل، و فى كرسى وضع بين يدى الصليب جلس الأب الحارس و ألقى خطبةً وعظ مؤثرة باللغّة الايطالية، و على بعد ياردة و نصف من حفرة الصليب كان يلاحظ الشق المشهور فى الصخرة، الذى يقال انه حدث على اثر الزلزال الذى وقع حينما كان يصلب المسيح. و هنا يناقش موندلر صحه وقوع هذا الحادث و ماهية الشق المذكور.

و بعد انتهاء هذه المراسيم تقدم راهبان يمثل أحدهما يوسف الأريثيمى و الآخر يمثل نيكوديم فعمدا الى خلع المسامير من الجسد المصلوب و انزلاه فوضعه فى قطعة كبيرة من القماش و سار الموكب به الى حيث توجد «صخرة المسح بالزيت»، و هو المكان الذى يعتقد انه نفس المكان الذى جهزت فيه جثة السيد المسيح و أعدت للدفن. و هنا وضعوا الجثة المزعومة و ألقوا عليها عددا من المساحيق الطيبة و الأفاويه، ثم لفوها بالقماش. و بينما كان يتم ذلك كان الجميع يرتلون التراتيل المناسبة، و قام أحد الرهبان بعد ذلك و ألقى خطبة دينية باللغّة العربية. و بعد الانتهاء من هذه المراسيم الطويلة كلها حملوا الجثمان الملفوف و وضعوه فى الضريح المقدس ثم أغلقوا الباب عليه الى يوم الفصح.

و يقول موندلر ان كثيرا من الحجاج ذهبوا فى صباح اليوم الثانى ليدمغوا أذرعهم بعلامة بيت المقدس المعروفة، بطريقة الوشم. و هنا يصف كيفية ذلك. اما فى صباح يوم الفصح فقد فتح الضريح المقدس منذ الصباح الباكر. و قد أقيم القداس بقربه لأنه أبرز مكان فى الكنيسة، حيث جلس الأب الحارس على عرش أقيم له، و هو يرتدى الألبسة الأسقفية و التاج فوق راسه، بحضور الأتراك. و أخذ يوزع خبز القربان المقدس الى جميع من كان مستعدا لقبوله، و لم يرفض ذلك حتى الأطفال فى السابعة أو الثامنة من العمر.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٦٠

زيارة أماكن أخرى

يقول موندلر ان مراسيم الحج بعد ان انتهت صار بوسعهم الخروج لزيارة بعض الأمكنة المشهورة خارج سور البلدة. فبدأوا بالموجود منها فى الجهة الشمالية، و كان أول ما زاروه هناك كهف كبير على مقربة من باب دمشق (من الخارج)، يقال إنه كان مسكنا فى يوم من الأيام لجرميا. و أهم ما لاحظوا فيه المكان الذى كان يكتب فيه جرميا مناجاته و تفجعاته. و مما يورده موندلر هنا قوله ان هذا المكان كان ملجأ للدرراوئش حينما زاروه، و هو من الأمكنة التى يقدسها المسلمون- الذين يسميهم الأتراك- و اليهود و المسيحيون. ثم زاروا ما يسمى بأضرحة الأنبياء، لكن موندلر يشكك فى التسمية لان الانبياء لم يدفنوا هنا على ما ترويه المراجع الدينية. و بعد عودتهم من أضرحة الأنبياء مروا بكهف ممتلىء بالماء القدر بالقرب من باب هيرود. و يظن انه المكان الذى حبس فيه الملك صدقيا جرميا.

و فى اثنين الفصح كانت العادة ان يأخذ حاكم بيت المقدس المسلم الحجاج المسيحيين بقيادته الى نهر الأردن لزيارة بعض الأماكن التاريخية. و يقول موندلر ان هذه السفره شبه إجبارية لأن الباشا يتقاضى عن كل افرنجى يشترك فيها اثنى عشر ريالاً. فتجمعوا كلهم فى باب القديس اسطفان على ما يقول، و كان عددهم حوالى ألف حاج من الجنسين و من كل الأمم تقريبا.

و قد ذهب موندلر من هناك مع جماعته الى سواحل البحر الميت. و من جملة ما يذكره عن سفرته الثانوية هذه انه وجد بين منتجات هذا المكان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٦١

النباتية ثمرة غريبة يسميها العرب «الزقون»، و لعله يقصد الزقوم. و يقول ان نبات هذه الثمرة ينمو بشكل شجيرة ذات أوراق صغيرة، و

الثمرة أشبه بجوزة صغيرة غير ناضجة من حيث الشكل و اللون. و يعتمد العرب الى سحن حبوب هذه الثمرة سحنا ناعما بالهاون، ثم يضعون اللب في ماء شديد الحرارة فيخرج منها نوع من الزيت طاف فوق الماء، و عندئذ يجمعونه للاستفادة منه عند الحاجة لمداواة القروح و الجروح. و يقول موندلر كذلك انه أخذ قنينة من هذا الزيت فوجده دواء كثير الشفاء، ثم يذكر بعد ذلك أن أوراد أريحا لم يستطع العثور عليها في ذلك الموسم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٦٢

القدس في العهد العثماني

و حينما عظمت شوكة العثمانيين و امتد نفوذهم حتى شمل البلاد العربية معظمها كانت فلسطين من جملة البلاد التي خضعت للدولة العثمانية في عهد السلطان سليم. و قد وجدنا خلاصة موجزة عن فلسطين، التي لا يخرج تاريخها عن نطاق تاريخ القدس نفسها في الغالب، في كتاب الاستاذ أكرم زعيتير عن هذا العهد آثرنا ايرادها هنا إكمالاً للبحث:

.. و بعد ما فتح السلطان سليم سورية أقبل على فلسطين و التقى قرب اللجون بجيش سلطان المماليك طومان باي، فهزمه و كثر على القدس و سائر المدن الفلسطينية فاستولى عليها، ثم زحف على مصر ففتحها و عاد الى الاستانة.

و هكذا دخلت فلسطين في حوزة الدولة العثمانية، و من أهم مآثرها ذلك السور الذي بناه سليمان القانوني حول القدس (١٥٤٢). و من أهم الأحداث السياسية في هذا العهد العثماني ظهور شخصين في فلسطين مثلاً على مسرحها دورا مهما، أولهما: (ظاهر العمر) شيخ صفد الذي ضم اليه طبرية و خضعت له نابلس و الناصرة و عكا (١٧٥٠ م) فحصرها و جعلها مقره على استمرار إدائه التزاماته المالية الى الدولة العثمانية ..

و ثانيهما: (أحمد الجزائر) الذي كان مملوكا لعلي بك و جلادا استحق لقب الجزائر، فقد هرب من مصر الى سورية و التحق بالجيش السوري الذي استرد صيدا من ظاهر العمر، ثم خلفه على عكا فأجاد تحصينها و انشأ اسطولا صغيرا و بنى جامعه المشهور باسمه فيها. ثم عينه السلطان واليا على دمشق (١٧٧٠) فشمّل نفوذه سورية كلها و لمع اسمه في ردّ نابليون عن عكا (١٧٩٩).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٦٣

و بعد ان احتل نابليون مصر صار لا بد له في طريقه الى الهند من احتلال القدس و فلسطين. فاحتل العريش، فغزة، فالرملة، ثم حاصر يافا التي كانت تدافع عنها حامية من جنود الجزائر .. و راح يحاصر عكا التي كان الجزائر يدافع عنها برا و يساعده في الدفاع عنها بحرا الأسطول البريطاني ..

و بعد ما أباد محمد علي المماليك في مصر طمع في توسيع ملكه. فجهز الى سورية جيشا بقيادة ابنه ابراهيم باشا ففتح العريش و الرملة و غزة، و نزل ابراهيم باشا الى يافا بحرا. ثم فتحت القدس و نابلس و حوصرت عكا (١٨٣١) .. و قد حكم ابراهيم باشا في فلسطين عشر سنوات مملوءة بالشدة و البطش و فرض الضرائب و التجنيد الالزامي مما أدى الى ثورات في نابلس و الخليل امتدت الى لبنان و شرق الأردن فاشتغل في قمعها حتى استعادت الدولة العثمانية القدس و سائر اجزاء فلسطين .. انتهى.

و مما لا بد من ذكره هنا علاوة على ذلك أن استيلاء العثمانيين على القدس جعل الدولة العثمانية عرضة لدس اليهود و تحريكاتهم في مختلف الاوقات و المناسبات. و قد سهل هذا الدسّ و التغلغل في شؤون الدولة العثمانية حينما فتحت صدرها لليهود المطرودين من اسبانية سنة ١٤٩٢، و رحبت بهم فأوتهم في بلادها و أنزلتهم في سلانيك التي استقروا فيها حتى يومنا هذا. و كان قسم غير يسير من حركاتهم المريبة يستهدف العودة الى القدس. و أول ما يذكر من هذا القبيل قصة يرويها المستر جفرز في كتابه (حقيقة فلسطين)، نقلا عن كتاب الصهيوني المعروف نورمان بنتويش (فلسطين اليهود). فهو يقول ان رجلا من أسرة يهودية هاجرت من البرتغال يدعى دوم جوزيف ناسي ترقى به الحال في الدولة العثمانية حتى أصبح من أكثر الدبلوماسيين العثمانيين حظوة لدى الدوائر العليا فيها. و قد

حاول خلال مدة نفوذه هذه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٦٤

أن يؤسس مستعمرة يهودية في إحدى الجزر اليونانية التابعة للدولة العثمانية، لكنه عدل عن فكرته و أقنع السلطان سليم الثاني فحصل منه على مقاطعة كبيرة من الأرض في منطقة الجليل بفلسطين، و اذنا باعادة بناء بلدة طبرية من جديد و جعلها كلها خاصة بالسكان اليهود. لكن هذا المشروع لم يكتب له النجاح على ما يظهر. و مثل هذا النفوذ الذي حصل عليه هذا اليهودى عند السلطان سليم يؤيده ما جاء في كتاب القائد التركي المتقاعد الجنرال جواد رفعت ايتلخان (الخطر المحيط بالاسلام) حيث يقول (الص ٦٥ من الترجمة العربية) ان السلطان سليم دبّر قتل أخوته ابناء سليمان. ليجلس في مكانه على عرش آل عثمان ليجلس في مكانه على عرش آل سليمان، و كان ذلك بتدبير من عشيقته اليهودية نوربانو التي كانت من نساء البلاط العثماني يومذاك. و قد تزوجها بعد ذلك فانجبت له ابنه السلطان مراد الثالث، فبقيت خلال مدة هذين السلطانيين صاحبة النفوذ و التسلط من وراء ستار.

ثم يقول جفريز (الص ٣٢): و في النصف الأول من القرن السابع عشر كان عدد اليهود في القدس نفسها لا يزيد على ألفي نسمة، ثم هبط هذا العدد الى ألف فقط سنة ١٧٣٠. اما في خارج القدس فقد كانت هناك جماعات قليلة منهم فقط و لا سيما في صفا و طبرية. و بحلول القرن التاسع عشر يحل العهد الذي أخذ يزداد فيه هذا العدد. فقد أجرى نوع من الاحصاء في ١٨٥٦ فكان عدد يهود القدس فيه ٥٠٠٠ نسمة فقط، بينما ازداد عدد اليهود في سائر انحاء فلسطين حتى قدر في الثمانينات بعشرين ألفا. و حينما قويت حركة الاستيطان اليهودي في فلسطين بعد ذلك بلغ عددهم ٥٠٠٠، ٨٥ نسمة قبيل الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤.

و حينما ظهرت الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر و أخذت أفكار العودة الى أرض الميعاد تتبلور في أفكار اليهود كتب ثيودور هرزل اليهودي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٦٥

النمساوي كتابه (الدولة اليهودية) بالألمانية في ١٨٩٦. و يقول جفريز (الص ٣٦ و ٣٧) ان ذلك حصل على أثر حادتين وقعا في تلك السنين:

أولهما الاضطهاد الذي أصاب اليهود في روسية القيصرية بعد مقتل القيصر اسكندر الثاني سنة ١٨٨١، و الثاني قضية دريفوس الضابط اليهودي الفرنسي الذي نقل الى غينية على اثر خيانه اتهم بها فضج اليهود بسببها و أرسل هرزل كصحفي من فينه لحضور المحاكمة التي أجريت له في باريس سنة ١٨٩١، و على اثر ذلك أقر المؤتمر الصهيوني الأول المعقود في بازل بسويسرة سنة ١٨٩٧، رسم الخطة المطلوبة لزيارة الهجرة اليهودية الى فلسطين، و المطالبة بوطن قومي لليهود فيها. و كان السلطان العثماني يومذاك عبد الحميد الثاني، فتم الاتصال به و استبان بادىء ذى بدء نجاح التشبث بمنح السلطان للمنظمة الصهيونية امتيازاً بتملك الأراضي في فلسطين و استثمارها بواسطة شركة صهيونية خاصة تتألف لهذا الغرض. غير ان المساعي المذكورة سرعان ما فشلت لأن السلطان عبد الحميد رفض الطلب. لا سيما و قد لاحظ خلال المراجعات ان الرأي العام الاسلامي ضد المشروع كان أقوى مما يمكن ان يتجاهله. حتى انه وعد الفلسطينيين باصدار الأوامر اللازمة بمنع الهجرة اليهودية بتاتا الى فلسطين. و يضيف جفريز الى ذلك قوله ان فشل المشروع كان يعزى لحد كبير الى ان السلطان طلب من اليهود مقابل ذلك عشرة ملايين باون، فلم يستطع اليهود تدبيرها له. غير اننا نرى ان هذا الاتهام لفقّه اليهود للحط من شأن السلطان و الدسّ عليه، لأن المبلغ المطلوب لم يكن عزيزا على متمولى اليهود و موسريهم ان يجمعوه. و يؤيد رأينا هذا المساعي الحثيثة التي بذلوها بعد ذلك لخلعه على يد الاتحاديين الذين كان عدد غير يسير من أقطاب جمعيتهم (الاتحاد و الترقى) من يهود الدونمة المعروفين في سلانيك.

إذ يذكر جفريز (الص ٣٨)، علاوة على ما يذكره بعض الكتاب الأتراک

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٦٦

وغيرهم، ان خلع عبد الحميد عن العرش قوى أمل الصهيونيين فى الاتحاديين الذين كانوا مصطبغين بالصبغة اليهودية أنفسهم، لان جمعية الاتحاد والترقى نفسها كانت تخضع فى الغالب لنفوذ الدونمة اليهود (من أمثال جاويد و طلعت و ما أشبهه).

و اتماما للفائدة نقول ان الجنرال التركى المتقاعد جواد رفعت إيتلخان يذكر فى كتابه (الصفحة ٧٦ و ٧٧) ان هزل قدم الى الاستانة فى نيسان ١٨٩٣ و تمكن من المثل بين يدى السلطان عبد الحميد و فى صحبته الحاخام موسى لاوى و فاضله فى قضية الوطن القومى لليهود فى فلسطين، و فى شراء أملاك السنية العائدة له شخصيا فى القدس، فرفض طلبهما و طردهما شر طردة.

و لذلك أخذ اليهود يشنعون عليه و يلقون أشياء كثيرة ضده، و يتآمرون مع الاتحاديين من أجل خلعه. فقد ادعوا ان مجيئهم الى الاستانة كان بدعوة منه، و انه كان ظالما جبارا يقضى على رجال تركية و شخصياتها بطرق غامضة و انه تصرف باموال سكة حديد الحجاز، و كلفهم بتجنيد اليهود فى الجيش العثمانى لقاء بعض الامتيازات. و ربما كانت قصة الملايين العشرة من الباونات التى أشار اليها المستر جفرز من قبيل هذه التلقيات أيضا. و يقول الجنرال جواد ايضا انهم هم الذين حرضوا الأرمن على اغتيال عبد الحميد فنجى منه بأعجوبة، و هم الذين دبروا أما خلعه بالاتفاق مع الجمعية الماسونية التركية و جمعية الاتحاد والترقى المعروفة. و قد لعب فى جميع هذه الأعمال، و فى النشاط الذى بدر من الاتحاديين فى خلع عبد الحميد، دورا بارزا جماعة من يهود سلانيك الدونمة الذين كان السلطان يمنع انتقالهم الى استنبول. و من أبرز هؤلاء جاويد الذى أصبح وزيرا للمالية بعد الانقلاب العثمانى، و المحامى ميتر سالم، و قره صو، و الجنرال الدونمة رمزي باشا، و ضياء يالچى. و من غريب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٦٧

ما يذكر ان قرصو هذا كان من أعضاء هيئة الخلع الثلاثة التى بلغت السلطان عبد الحميد شخصيا بأمر خلعه. و من جملة ما يذكره (الصفحة ١٣٥) الجنرال إيتلخان «ان ميتر سالم الذى ترعرع فى أحياء اليهود القذرة الموحلة قد انتسب الى النادى اليهودى المسمى (ما كابى)، و بدلالة النادى المذكور انتسب الى الجمعية الماسونية. و ان ميتر سالم المذكور و قره صو و جاويد اساتذة الماسونية سحروا عيون الأتراك الثوريين المحبين للترقى بالماسونية، فأخذوهم تحت قيادتهم، و أدخلوا كافة زعماء انقلاب المشروطية و رؤساء جمعية الاتحاد و الترقى فى المحافل الماسونية.»

و حينما تسلّم الاتحاديون الحكم فى الدولة العثمانية سمح لليهود على ما يظهر بشراء الأراضى فى فلسطين و بالسكنى فى القدس. إذ يقول الجنرال إيتلخان: «ان الاتحاديين عند مجيئهم الى الحكم بفضل دسائس اليهود و أموالهم بعد اعلان المشروطية برزت الى الوجود مستعمرات يهودية معمورة و منتظمة جدا فى مدة و جيزة فى فلسطين، و ذلك بفضل تعاون الاتحاد و الترقى و الماسون .. و يذكر بعد ذلك أن يهود المستعمرات هذه شكّل قسم منهم شبكة جاسوسية فى فلسطين تزود الحلفاء بأخبار الجيوش التركية خلال الحرب العامة الأولى، و كان يرأسها يهودى اسمه آرونسون. و قد عين آرونسون هذا فى وظيفة مرموقة فى القدس عند أول استيلاء الانكليز عليها.

و مما يؤيد صلة الاتحاديين فى أواخر أيام الدولة العثمانية بالحركة الصهيونية و مساعدتها على تهجير اليهود الى فلسطين ما نقله أدناه عن جريدة القبس الشامية لصاحبها الأستاذ محمد كردعلى، و هو ضبط وقائع احدى جلسات مجلس المبعوثان التركى فى ١٩١١ فى الأستانة:

«.. قدّم جاويد بك (و هو نفس جاويد الدونمة المار ذكره) وزير المالية موازنة عام ٣٢٧ الى مجلس النواب .. و قد خطب فى هذه الموازنة يومين كاملين .. و تعاقب خطباء كثيرون، و هنا وقف اسماعيل حقى بك مبعوث كوملنجة و زعيم حزب الأهالى فألقى خطبة رنانة كان لها دوى شديد ليس فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٦٨

دوائر الاستانة فقط بل فى الاندية الأوربية أيضا. فبعد ان بحث موضوع الموازنة استطرد الى البحث عن الجمعية الصهيونية، و قال انها

ترمى الى انشاء مملكة اسرائيل مستقلة في القدس و قد خطت خطوات واسعة نحو هذه الغاية و استفحل أمرها. و قال ان الخطر يهدد القدس و أرجاء فلسطين، و ان الحكومة مغضية عن اعمال الجمعية لأن بنوگها تمدها بالمال اللازم. ثم تلى مكتوبات جمه عن غايات الصهيونيين و آمالهم و برهن على انهم خرجوا من طور التفكير الى طور العمل. و ذكر اسماء نفر منهم قال إنهم يديرون الوزارة الحاضرة.

و ختم كلامه محذرا الدولة العثمانية بصورة عامة من هذا الخطر المدهم، و العرب بصورة خاصة لأن فلسطين جزء من البلاد العربية و الاسلاميه التي فيها مهد الرسل و الأنبياء.

فرد عليه الصدر الأعظم قائلا ما هذا إلّا و هم من الأوهام و ان الجمعية الصهيونية لا ترمى الى مثل هذه الغاية (كذا) فاشتدت الحمله عليه و أخذ الخطباء يفتدون أقواله، و كان من جمله الذين خطبوا في ذلك الوقت الشهيد شكرى العسلى (الذى شنقه جمال الاتحادى في ٦ أيار في الشام) و كان مبعوث دمشق، فتكلم في خطر الصهيونية و ألعيبها و حيلها في سبيل تأسيس وطن قومي يهودى. و مما جاء في خطابه قوله انى مانعت في تسجيل (العفولة) عند ما كنت قائمقاما و بيعها إلى اليهود لما لها من أهمية، و طلبت بيعها بحق الشفعة الى العرب، و كتبت الى نظارة الداخلية تقريرا بهذا الأمر. و لكن جميع التقارير التي كانت تصلها ألقيت في سلة المهملات. فكتبت الى نظارة الحربية بذلك لما لهذه القلعة (قلعة العفولة) من أهمية تاريخية، فأوعزت نظارة الحربية الى قائد منطقته عكا ان يجرى تحقيقا فجاء تقريره مطابقا لما ذهب اليه، لا سيما و ان هذه القلعة تشرف على مرج ابن عامر. أضف الى ذلك انها واقعة على الخط الحجازى، و لكن على رغم هذا كله فقد سجلت القلعة و ما يحيط بها من أراض لليهود بأمر من والى بيروت، و خلافا للأوامر السلطانية التي تمنع إسكان الأجانب، و خاصة اليهود على جانبى الخط الحجازى الى مسافة تبعد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٦٩

عشرة كيلومترات. و ذكر العسلى بعد ذلك في خطابه أشياء عن تسليح اليهود بالأسلحة الجيدة، و عن مطامع هذه الحركة الصهيونية. و مما قاله ان لليهود مطامع كبرى، فهم يريدون تأسيس دولة في فلسطين عاصمتها القدس لتتشر ظلها على ربوع الشام و مصر و العراق. و قد يعتقد بعضهم ان هذا من قبيل الخيالات و لكن اليهود يملكون مصارف عديدة تسهل شراء الأراضي بأثمان باهظة، فاذا استمروا على عملية الشراء هذه بمثل هذه الأثمان فان العرب سينقرضون. و عاد اسماعيل حقى بك مرة ثانية الى المنبر يؤيد قول مبعوث دمشق و يزيد عليه بأنه يملك وثائق أخطر مما أورده المبعوث الدمشقى .. انتهى

على أن أول المستعمرات التي أنشئت في فلسطين في العهد العثماني كانت المستعمرات التي انشأتها في سنة ١٨٧٠ جمعية «مجبى صهيون»، و كانت أهمها مستعمرة «ميكفا اسرائيل» في جنوب يافا و ما تزال موجودة حتى الآن، (جفرين الص ٣٥). و يذكر جفرين بالاضافة الى ذلك نقلا عن الكاتب الصهيونى شتاين . ان عددا من يهود روسية الذين فروا من اضطهاد القيصرية الى الخارج في ١٨٨١ توجهوا الى فلسطين، و كان يقدر عددهم بثلاثة آلاف، فنزلوا في يافا خلال مدة اثني عشر شهرا .. و لا شك ان كل هذا كان بمعرفة الحكومة العثمانية يومذاك، و هو لا يخلو مطلقا من التأثيرات الصهيونية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٧٠

القدس في الحرب العالمية الأولى

إشارة

أعلنت الحرب العالمية الأولى و فلسطين لما نزل جزءا مهما من أجزاء الدولة العثمانية المسلمة، لوجود القدس و سائر البقع المقدسة فيها. لكن الاتحاديين الذين ادخلوا الدولة في الحزب ضد الحلفاء أخذوا يشكون في إخلاص العرب لهم، و يزيدون في تعسفهم و

تكيلهم بقيادة الرأى فى البلاد العربية و زعمائها. و قد تولى هذا على الأخص جمال باشا (السفاح) الحاكم العثماني العام فى سورية التى كانت فلسطين تابعة لها. و كان من جملة من تعرض لهذا التنكيل عدد غير يسير من رجال فلسطين و زعمائها. و يقول المستر جفريز فى (حقيقة فلسطين) المشار اليه قبلا ان القمع الذى كان يقوم به جمال باشا كان فظيعا. فقد كان يدعو أصحابه المقربين للتفرج على إعدام كل وجبة من رجال العرب تساق الى المشانق. و كان عدد من ضحاياه هؤلاء من أبناء فلسطين. فقد شق اثنا عشر شابا فى يوم واحد فى القدس.

و كان من جملة من أعدم أحمد عارف الحسينى مفتى غزة و ابنه .. و كذلك أعدم رجل من أسرة النشاشيبي المعروفة فى القدس، و سليم أحمد العبد الهادى عم عونى بك عبد الهادى سكرتير الملك فيصل الذى وقّع معه على معاهدة فرساي، و الذى هو الآن- اى وقت تأليف الكتاب (١٩٢٨)- فى معسكر الاعتقال فى صرفند الذى دخله بعد الحكم عليه بعد العودة الى بلاده. و كان المرحوم سليم عبد الهادى قد عرف بنية الحكومة التركية تجاهه و لم يهرب خوفا من ان ينتقم جمال من عمه حافظ باشا .. و قد بلغ عدد الذين سيقوا نفيًا الى الأناضول و الجوع ثلثمائة و جيه من وجهاء فلسطين كذلك.

اما اليهود فيذكر جفريز عنهم (الصل ٨٨) ان الحرب العامة حينما أعلنت كانت لهم فى فلسطين ٥٥ مستوطنة تضم ما يبلغ مجموعة اثني عشر ألف نسمة، و كان هناك علاقة على هذا سبعة آلاف منهم متكئين فى المدن، و لا سيما القدس. و قد جاءت هذه الأغلبية الساحقة ليهود فلسطين، الذين لم يكن يزيد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٧١

مجموعهم على خمسين ألف، الى البلاد خلال الثلاثين سنة الأخيرة فقط ..

و يذكر بعد ذلك ان أسرة آرونسون اليهودية فى القدس كانت تشغل فى التجسس للحلفاء خلال الحرب فاكتشف أمرها و اضطرت جاسوسة من أبنائها الى الانتحار للتخلص من التعذيب .. و يقول بالنسبة لسائر يهود القدس و فلسطين انهم كانوا يتمتعون خلال الحرب بشيء من الحماية نظرا لوجود جماعات صهيونية ذات نفوذ فى الأستانة و برلين، و فى نيويورك و سائر العواصم المحايدة و مما يدل على وجود هذا النفوذ فى الأستانة ما يذكره السر رونالد ستورز فى حاشية من حواشى مذكراته، التى سنشير اليها بعد هذا بالتفصيل، (الصل ٣٦٤) من ان طلعت باشا وزير الداخلية الاتحادي الدونمة من (يهود سلانيك) فى الأصل أخبر الكونت بيرن ستورف اليهودى حينما كان يفاوضه بصدد تأسيس الوطن القومى لليهود فى فلسطين بأنه يسره ان يفعل ذلك لليهود من من أجل أن يرضيه لكنه حذره من خطر العرب عليهم و قال له ان العرب سوف يقضون على اليهود فى الحال (نقلها ستورز عن مذكرات بيرن ستورف نفسه).

هكذا كان حال القدس فى أواخر أيام الحكم العثماني. اما حالها حينما استولى عليها الانكليز، و لا سيما خلال الأيام التى كانت (ما تزال رحي الحرب تدور فيها، فخير من يصفها لنا بالتفصيل السر رونالد ستورز حاكم القدس العسكري البريطاني فى مذكراته المنشورة بعنوان (توجيهات) .

و تحتوى هذه المذكرات على الكثير مما يختص بالقدس من جميع الوجوه و لا سيما فى تلك الفترة المرتبكة، لأنه بقى فى القدس ما يقرب من تسع سنوات بصفة حاكم عسكري و حاكم مدنى، حتى نقل الى قبرص فى أواخر ١٩٢٦.

فيبدأ المستر ستورز فيما يكتبه عن القدس فى ٧ كانون الأول ١٩١٧ حينما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٧٢

كان سكرتيرا شرقيا للمقيمية البريطانية فى القاهرة. و حاكما سياسيا فى معية مارك سايكس، المعروف بطبخ اتفاقية سايكس- بيكو المعروفة فى سجل بريطانيا و وعودها العرقوية مع العرب. و هو يقول انه فتح فى هذا اليوم بريقة وردت الى المندوب السامى فى مصر تخبر باستسلام القدس للجيش البريطانى و توقع دخول الجنرال اللنبي اليها دخولا رسميا فى يوم ٩ كانون الأول. و فى الخامس عشر

من الشهر نفسه طلبه المستر كلايتون رئيس الحكام السياسيين في الحملة البريطانية على فلسطين، ليكون مساعدا له في القدس نظرا للاشغال الكثيرة التي اصبح كلايتون يضطلع بها. وقد كتب ستورز الى رئيسه مارك سايكس قبيل انفكاكه يخبره بالأمر و يقول له بالمناسبة ان لورانس ذكر له بان اليهود في فلسطين يتخذون موقفا معاديا للانكليز بصورة غير علنية، و ان المسلمين يتخذون علنا موقفا معاديا لهم، بينما كان النصارى اللاتين يتخذون موقفا معاكسا لهذا. ثم يضيف انه أخذ يلتقى كثيرا بالصهيانية و صار يبذل جهده في تشجيع تبادل الرأى الودى بينهم و بين العرب عن طريق جريدة «القبلة» و غيرها. و قد ذكر في الحاشية (الص ٢٧٣) فى صدد التعليق على موقف اليهود من الانكليز قوله ان أخبارا وردته فى كانون الأول ١٩١٤ تفيد بان الجنرال الألماني فون كريس كريس شتاين عند ما وصل الى القدس مع عدد كبير من الضباط و قوة من الجيش حياهم اليهود الموجودون فيها و نصبوا لهم «قوس ظفر» كتبت عليه آية من آيات التوراة بأحرف عبرية و عربية كبيرة فى باب يافا.

و قد وصل ستورز مع كلايتون مساء يوم ٢٠ كانون الأول ١٩١٧، فى جو عاصف مطير، فوجدها فى ظلام دامس يلفها السكون فى كل مكان، و قد خلت شوارعها فصارت تبدو كأن أهلها قد رحلوا عنها. فنزل فى فندق فاست الذى كان يقيم فيه الألمان، و لذلك سمحوا لصاحبه بان يحتفظ بماكنة الكهرباء التابعة له. و كان يديره أناس سوريون يتقاضون من الضباط أجورا مخفضة قدرها (٤٥) قرشا تركيا فى الليلة أو حوالى تسع شلنات. و أول من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٧٣

التقى به ستورز من الانكليز هناك الجنرال بيل بورتون حاكم القدس نفسه، ثم تناولوا عشاءهم مع الكولونيل ليولن مدير الشرطة. و يأتى ستورز بعد ذلك على وصف المدينة و الضائقة التي كان يعانها الجميع فيها من قلة الطعام و ندرته. فقد كانت خلال السنوات الثلاث الأخيرة تتبع نظام جراية القحط فى توزيع الأرزاق. ثم انقطع اتصالها يومذاك بالخارج فانقطعت عنها واردات الأماكن المقدسة و توقف جلب الحبوب اليها من مناطق السلط و الكرك و غيرها فى الأردن بعد ان رحل عنها الأتراك. و زاد الطين بله فيها وجود فرقتين من الجيش بخلاف الترتيبات المتفق عليها. ثم يصف حال العملة التركية و انخفاض أسعارها و احتكار اليهود لقطعها الصغيرة و تقاضى عمولها قدرها خمسة او ستة بالمائة عليها حسب المعتاد. و الظاهر ان ستورز كان حسن الظن بالصهيانية، لأنه يقول ان مثل هذه القباحة و «القدارة» البادية من يهود القدس لا بد من ان يوقفها الصهيانية عند حدها.

اما الشؤون الصحية فيقول عنها انها كانت جيدة فى المدينة، و لم تسجل الى ذلك التاريخ سوى اصابة واحدة بمرض الزهري فى القدس.

و لاحظ ستورز فى اليوم التالى - ٢١ كانون الاول - لأول مرة ان إطلاق النار من المدافع الثقيلة كان ما زال يسمع باستمرار من جهات جبل الزيتون.

و حينما زار حاكم القدس الجنرال بورتون فى مكتبه وجد جبرائيل بك حداد يشتغل كاتباً لأسراره فى الدائرة. و مما يذكره من أخبار ذلك اليوم انه زار الأرمن فى ديرهم و حارتهم الخاصة، و هو يصف حالة الدير و الكنيسة و القبّة الوسطى فيهما التي كان يكسوها كاشى كوتاهية. و عند عودته من هناك عرّج على البلدية فزار رئيسها حسين أفندى الحسينى، و قد أعجبه على ما يظهر مما دونه عنه. فهو يقول عنه انه رجل متوسط العمر، مهذب، يتكلم بانكليزية لا غبار عليها لانه كان قد زار انكلترة و أمريكا. و كان انطباعه عنه انه يتصف بضعف محبب مفعم بالميل الى المساعدة. و قد هدده الأتراك بالاعتقال مرات عديدة و لذلك كان يعيش و حقاؤه جاهزة بجنبه بانتظار الرحيل فى أى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٧٤

وقت. و يذكر كذلك انه كان يجهل أحوال المدينة المنورة يومذاك و محاصرة الأمير عبد الله و لورانس لها، فأخبره ستورز بواقع الحال. ثم يذكر ستورز ان عدد مسلمى القدس يومذاك كان يناهز الأحد عشر ألف نسمة، و أكثرهم من الشوافع و الاحناف. و كان

عدد من الضباط الأتراك قد تركوا أسرهم في القدس اعتمادا على البريطانيين و سمعتهم الحسنة.

و في يوم ٢٢ منه زار ستورز مفتى القدس الذي كان يعقد محكمته في بناية تطل شباييكاها على الحرم الشريف. فاستقبله في غرفة مربعة الشكل عالية القبة نظيفة الترتيب يحيط بها ديوان يتوسطه مكتب مغطى بالقماش الأخضر. و يقول ستورز ان المفتى كمال افندى، ابن عم حسين افندى رئيس البلدية، هو مفتى بالوراثه. و يبلغ عمره حوالى ٤٥ سنة، و هو ذو تقاسيم منتظمة رشيقة و لباس أنيق. و قد درس في الأزهر، و لذلك كان يعرف مصر معرفة جيدة، لكنه لم يطلع على أية نسخة من المقطم أو غيرها من الجرائد خلال السنوات الثلاث الأخيرة، و لذلك انفرجت أساريه حينما وعده ستورز بأعداد شهر واحد منها. و قد لاحظ ان المتقاضين أمام المفتى كانوا يحضرون على انفراد بين حين و آخر فيسمعون منه ما كان يعتبره حكما قضائيا، فيتراجعون بهدوء من دون أن يكون في ذلك مقاطعة لسير الحديث بين الاثنين. و بعد ان قضى ستورز عند المفتى ساعة و نصف ساعة علم منه ان خزانه الوقف و الميتم كان فيها ما يعادل حوالى أربعة آلاف ليرة تركية بالعملة الورقية، و كان عليه أن يدفع منها أجور ما يقرب من سبعين مستخدما و موظفا في آخر الشهر.

و زار في اليوم الآخر مجلس اليهود الاشكناز الذي استقبله عشرون منهم بكثير من الحفارة و الرسميات في قاعة الاجتماع. و قد استطاع التفاهم خلال حديثه الطويل معهم بشىء من العريية و الانكليزية. و هو يقول بكل تبجح انه لفت نظرهم الى أن تاريخ دخول النبي الى القدس يصادف اليوم الذى يحل فيه عدد الحنوكه المكابى، و الى ان أخبار الجرب العظمى نفسها وصلت الى القدس فى التاسع من آب، و هو اليوم الذى هدم فيه تاتيوس الرومانى مدينه موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٧٥

القدس. ثم يضيف ان القدس كان فيها يومذاك ثلاثون ألف يهودى، ينتمى حوالى ستة عشر الف منهم الى الاشكنازيين (و هو شىء غريب) و أربعة عشر ألف الى قسم السفارديم. مع عدد من يهود اليمن و بخارى. و يدعى ستورز ان «وعد بلفو» قد أساء الأتراك تفسيره لهم، و مع ذلك فقد أحدث كثيرا من الحماسة و الابتهاج عندهم. و قد أبتهم على قضية احتكار اليهود قطع العملة الصغيرة فى البلد، فانكروا ذلك و ادعوا فى مقابله ان المسلمين يرمون لهم السمسم و الحنطة بأسعار فاحشة. و حينما اضطر الى ان يتناول براندى «ديشون ليزيون» معهم على نخب الجيش المنقذ جعل نخبه هو لصحة الطائفة اليهودية فى القدس و موفقيتها!!

و يقول ستورز انه بعد ان بقى فى القدس الى الثامن و العشرين من كانون الاول ١٩١٧ تبلغ فى اليوم الأخير هذا بتعيينه حاكما عسكريا فى القدس برتبة عقيد، خلفا للجنرال بورتون. و كان هذا التعيين أمرا عسكريا لا بد من قبوله على ما يقول. فتسلم عمله الجديد فى مقر الحاكمية الذى كان لا يعدو ان يكون صفا من الغرف غير المريحة فى الطابق الأول من فندق هيوز الكائن مقابل حدائق البلدية فى طريق يافا. و كان الموظفون فى معيته الكولونيل ديرموغ، و معاونه الكابتن بريستاو، و الكولونيل غارنر، و الميجر بورك، ثم جبرائيل حداد الذى جدد صداقته معه على ما يقول. و يثنى ستورز على جبرائيل هذا فيقول عنه انه مسيحي سوري جاء به الجنرال بورتون من الاسكندرية كمشاور محلى، و هو رجل مقتدر بقدر ما هو مخلص و لطيف، و انه لا يستطيع تثمين خدماته القيمة فى أيام الجهل و الريبة تلك.

ثم يذكر كيف ان الجنود البريطانيين قد شقوا طريقهم عنوة، قدما بعد قدم، خلال البرد الفارص فى ذلك الطريق المضنى المخطر الممتد عبر جبال اليهودية و وديانها ليجدوا عند تحرير القدس فخرا و مجدا قلما جادت بمثلها الحرب العظمى على غيرهم. لكنهم لم يجدوا غير ذلك تقريبا. لان تلك الأيام كانت أياما لما يزل يبدو فيها الخوف فى أعين الناس، و جرعة الارتياح لا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٧٦

نزال متوقفة فى حناجرهم. فقد كانت أسر مسيحية تنفى الى الأناضول بأكملها فى ظرف ساعة واحدة لمجرد وجود صداقه (حقيقية أو مشكوك فيها) لها مع الحلفاء. و قد شفق قاض مسلم فى باب يافا .. لكن الأنكى من ذلك ان الأتراك حينما أنزلوا علمهم و رحلوا

عن البلاد التي حكموها اربعمائة سنة حملوا معهم السجلات و الأموال و القيود و الأدوية و الآلات الجراحية، مع الكثير من الأثاث و جميع المواد الغذائية، و كل ما يمكن ان تكون له أقل فائدة للمدينة و محربيها (كذا).

المجاعة في القدس

يقول السر رونالد إن أشد ما كان يؤلمه و يثير قلقه في أيام القدس الاولى ندره الأرزاق التي كانت لا تختلف كثيرا عن المجاعة. و كان يؤلمه أشد من كل ذلك ما يمكن ان يقوله الناس في المدينة المقدسة بان الانكليز قد حرروا القدس ليقضوا عليها جوعا. و مما يذكره في تقريره الى القيادة العسكرية في هذا الشأن ان أول ما يجابه المدينة بعد ان ضمن الجيش البريطاني سلامتها من أى هجوم معاد هو مشكلة الأرزاق و صعوبة تيسر المواد الغذائية لأهلها. فقد كانت القدس الى ان أعلنت الحرب تستورد مواردها الغذائية من البلاد المحيطة بها. إذ كانت تعتمد في حبوبها على مناطق السلط و الكرك و غيرها في شرق الأردن من جهة، و على استيراد الطحين من الخارج عن طريق يافا و البحر من جهة أخرى. و منذ ان دخلت تركة الحرب انقطع الاتصال البحري و بقي الاتصال بالطرق البرية، و لما كانت تلك المناطق لا تزال في أيدي الأتراك يومذاك فقد انعزلت القدس بالنسبة لموارد الغذاء الاعتيادية .. و من المعتقد ان المدينة لم تعد فيها كميات مناسبة من الحبوب يمكن ان يعتمد عليها، اما القرويون و الفلاحون فلا يمكن ان تحصل الحكومة على شئ منهم .. و على هذا الاساس اقترح ستورز ان يستورد اليها حوالي مائتي طن حبوب من مصر في الحال.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٧٧

و قد زار السر رونالد ستورز في هذه الأثناء فجأة الجنرال النبي فاتح القدس نفسه، لتفقد الأمور في المدينة، و أول ما عرضه عليه من المشكلات مشكلة الطعام و الأرزاق. و في صباح اليوم التالي أخذت تتقاطر على القدس بصورة منتظمة اللوريات العسكرية محملة بالقمح فتنفس الجميع الصعداء.

و لأجل تخفيف الضائقة أيضا سمح للمقيمين من سكان البلدان و المدن الاخرى بالعودة اليها. و كانت تنقلهم الى أماكنهم لوريات القمح العائدة بعد تفرغ حمولتها.

و مما كان يؤثر على وضع المجاعة هذا تأثيرا غير مباشر ارتباك وضع العملة في القدس و تدهور قيمة العملة التركية منها، ثم اضطرار السلطات العسكرية الى استبدالها بالعملة المصرية يومذاك. و يقول ستورز في هذا الشأن ان ما كان يضيف الى مناظر القدس الغربية منظر الجمهور الهائج و الناس الذين يحملون المال الذين لا يستطيعون التصرف به و هم يتدافعون مع الشرطة الخيالة التي كانت تصدهم عن التجمهر في ابواب البنك العثماني للحصول على قطع العملة الصغيرة.

و يذكر ستورز ايضا انه كانت هناك عدة منظمات تعمل على الاغاثة من جميع الوجوه للمسيحيين و اليهود بحيث تخفف من الضائقة المستحكمة لدرجة ما، لكن المسلمين لم تكن عندهم مثل هذه المنظمات الخيرية. و لذلك فسرعان ما أسس لهم مستوصف مجاني للمعالجة و التداوى، و مطابخ للشوربا، استطاع ستورز ان يجمع لها مبالغ كبيرة من المحسنين المصريين.

الجنرال النبي

يشئى المستر ستورز ثناء عطرا على القائد العام الفاتح الجنرال النبي، على اثر دعوة تلقاها لزيارته في مقره العام في بيرسالم، ما بين بساتين الزيتون في منطقة الرمل. و من الغريب انه يصف الرمله بكونها بلدة صليبية، بينما الرمله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٧٨

في الحقيقة كانت موجودة منذ أيام الفتوح الاسلامية لأن المقر العام للجيش الاسلاميه كان فيها هناك، على ما يقول لسترانج و الجنرال غلوب، فضلا عن المراجع العربية.

و هو يقول انه ما زار المقر العام هذا حتى ألقى نفسه متعجبا من شخصية النبي و هو يردد في دخيلة نفسه أى قائد هذا الذى حصل على انتصار لامع حاسم، و هو على اطلاع واسع بكل ما يجب الاطلاع عليه من أحوال الطيور الى احوال الحيوانات الوحشية و الاسماك، و قد قرأ كل شىء حتى استطاع ان يستشهد حرفيا بجمل و مقاطع من أشهر المراجع و أقلها شهرة. ثم ركب معه و هو يمتطى حصانه الضخم «هند نبورغ» ما بين بيارات البرتقال، و تمشى معه فى اليوم الثانى بالقرب من أسوار القدس فلاحظه يطلب الى شخص كان يحدثه عن نبات من نباتات فلسطين، التى ورد اسمها فى التوراة، ان يخصص له اسم السفر و الآية التى تشير الى ذلك. و كان يستطيع، على ما يقول ستورز، ان يسمى طيور فلسطين و يعرفها و هى محلقة فى الجو فوق جبل الزيتون بعيدا عن أنظار الرجل الاعتيادى!! و قد كان من الصعب مجاراته فى سرعة القراءة، و تزويده بالكتب لها حتى فى أثناء حملة ١٩١٨ التى كان يقودها. ثم يخلص من ذلك الى القول بان اناسا كثيرين أصبحوا مرموقين خلال الحرب لكنهم لم يصبحوا شخصيات يشار اليها بالبنان. و كان بوسع النبي ان يصبح شخصية ذائعة الصيت حتى لو لم تكن هناك حرب عظمى.

اللورد النبي قائد الجيش البريطانى الذى احتل القدس فى ٩ كانون الاول ١٩١٧

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٧٩

و من مزياه انه كان يقضى على الدس و المخاتلة بإلهامه و استقامته. و اذا ما حصل شىء من الخلل فى شؤون الحملة و إدارتها، لم يكن هو الذى يؤاخذ عليه مطلقا. فالذين اشتغلوا مع مثل هذا الرئيس المخلص، الطيب القلب، يذكرون على الدوام بانه لم يتدخل فى شىء الا للتأييد و التشجيع.

و يثنى ستورز كذلك على نظام الحكم العسكرى الذى ساعده كثيرا فى تذليل الصعاب حينذاك، و تزويده بكل ما يمكن للعمل حتى صار عنده على ما يقول اسطول يتألف من أربع عشرة سيارة فورد لأغراض الاغاثة و توزيع الأطعمة، بعد ان لم تكن الحاكمة تملك لا تلفونا و لا سيارة واحدة فى القدس يوم تسلم زمامها هو بيده.

مشكلات ادارية و غير ادارية

يلاحظ مما يدونه ستورز فى مذاكراته ان «إدارة اراضى العدو المحتملة» OETA كانت تجابه مشكلات ادارية جممة فى القدس الى جانب مشكلات الأرزاق و الاعاشة. و كان قسم من هذه المشكلات سببه التعليمات العسكرية التى تصدرها القيادة العامة. فقد كان التنقل بين فلسطين و الخارج، و بين القدس و سائر أنحاء فلسطين، أمرا صعبا لا سيما و ان القدس كان فيها عدد غير يسير من رعايا العدو و الرعايا المحايدين، حتى بين أبناء الطوائف الدينية المختلفة. إذ كان على كل مدنى يرغب فى الدخول الى فلسطين او الخروج منها ان يحصل على رخصة خاصة .. اما فى داخل فلسطين نفسها فقد كانت الرخص ضرورية للمسافرين حتى و إن سافروا مشيا على الاقدام الى القدس أو أية مدينة أو قرية أخرى.

و كان الأتراك قد أخذوا معهم عند الانسحاب من فلسطين أشياء كثيرة من جملتها رؤساء بعض الطوائف المسيحية مثل داميانوس من الأورثوذكس، و أورمانيان بطريرك الأرمن، و غيرهما. ثم أخذ القاضى بحجة عقد المحاكم الشرعية، فأخرجوا السلطات المسيحية فى تعيين شخصية مسلمة بدلا عنه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٨٠

و لذلك فقد نسب ستورز المفتى للقيام بأعمال القاضى أيضا فلم يتوقف العمل.

و قد صادف ان توفى رئيس بلدية القدس السيد حسين الحسينى فى أوائل سنة ١٩١٨ و اضطرت الادارة العسكرية الى تعيين رئيس جديد و مجلس بلدى جديد

يضاف الى ذلك ان مدينة القدس لم تكن فيها إنارة، و لهذا لم يكن يرى فى الليل و لا ضوء واحد فيها حينما تشاهد من فوق جبل

الزيتون الذي كانت لا تزال تسمع منه أصوات القتال في معركة أريحا، و أوجه حرقاتها. و لذلك كانت المدينة تام عند غروب الشمس.

و كان الفلاحون يلاحظون بالأسمال البالية في كل مكان، كما كانت الشوارع ملأى بالفقراء و الشحاذين، و كانت حالة السجون و من فيها بحالة مزريه تقزز الأنفس.

و قد أضيفت الى هذه المشكلات و غيرها مشكلة اللاجئين الأرمن الذين تجتمع زهاء ألفين منهم على بطريركيتهم في القدس. و كذلك مشكلة اللاجئين من نصارى السلط الذين تبعوا الجيش البريطاني خوفا من بطش الأتراك بهم لأنهم كانوا قد رحبوا به- لكن الحكومة كان يساعدها في مجابهة هذه المشكلات الجمعيات الخيرية المسيحية، و منها جمعية «إسعاف سورية و فلسطين»، برأسه الدكتور ماك أينس اسقف القدس الأنكليكاني، التي يثنى عليها ستورز ثناء عطرا. و كان بوسع «ادارة اراضى العدو المحتلة» ان تطلب كذلك، على ما يقول ستورز، مساعدة وحدة (هداسه) الطبيه (اليهودية) و الصليب الأحمر الأمريكى.

و كانت سياسة «ادارة اراضى العدو المحتلة» فى تمشيه شؤون القدس و غيرها يومذاك المحافظة على الوضع الراهن فى كل شىء، دنيا و دنويوا، برغم الصعوبة التي كانت تجابهها فى تنفيذها. و قد أعلن عن ذلك الجنرال اللنبى عندما احتل القدس أول مرة، الى ان تعرف نتيجة الحرب و بيت فى وضع البلاد بوجه عام.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٨١

و من أهم ما طبقت فيه سياسة الوضع الراهن هذه فى القدس سدانه كنيسه القيامة و الاشراف عليها. فقد أودع أمر حراستها الى جنود بريطانيين و فرنسيين و طليان، لكنها كانت محرمة عليهم و هم الذين قاتلوا فى سبيل تحريرها من نير الحكم العثماني. و كان يمثل هذا الحكم فى داخل الكنيسة- من دون أى تعسف هنا على الأقل كما يقول ستورز، سادن مسلم يتولى عمله بالوراثة. و هو شخصيه و قوره فى عمامته و قفطانه كان جده الأعلى قد تعين فى هذا المنصب على عهد الملك الكامل، على أثر المعاهدة التي عقدها فى ١٢٢٩ مع الامبراطور الصليبي فردريك الثاني. و يقول ستورز انه تلقى ضغطا غير قليل من مختلف الطوائف المسيحية يومذاك بتبديل الوضع لأن بقاء أقدس مكان عند المسيحيين فى يد هذا السادن المسلم يعتبر تحديا يجب ان لا يتحمله أى حاكم مسيحي فى القدس. لكنه يقول ان عددا قليلا من الذين فاتحوه فى الأمر كانوا قد زاروا القبر المقدس فى الكنيسة أو دخلوا أية كنيسة أخرى، و لم يفكر أحد منهم بأى وضع مسيحي كان يمكن ان يستبدل الوضع الراهن، و من هو الذى كان يمكن ان تقبل به الطوائف المسيحية كلها. فلم يكن من الممكن ان تسمح الطائفة الأورثودكسية بتولى شخص من الكاثوليك الروم، كما لم يكن الروم الكاثوليك ليحتملوا أى شخص من الأورثودكس أو الانكليكان- حتى اذا كانت الكنيسة الانكليكانية تملك الحق للتدخل. و لم يكن بوسع جميع الطوائف ان تتسامح فى تعيين شخص من البروتستان، فيما لو وافق أحدهم على تولى هذا المنصب. يضاف الى ذلك أن الشيخ المسلم كان يقوم بعمله خير قيام، بالمحافظة على الوضع الراهن و الأمن العام بقدر ما يستطيع، و الاستعانة بالشرطة عند الحاجة. و يقول ستورز انه يمكن ان يذهب الى أبعد من هذا فيذكر ان الشيخ كان الموظف الوحيد، بين العسكريين و المدنيين و رجال الدين، من المندوب السامى الى المستخدم البسيط فى البلدية، الذى لم يسمع عنه أى تدمر من الناس بشتى طبقاتهم خلال السنوات التسع التي قضاها فى حاكمية القدس الشريف. لكن هذه الاعتبارات جميعها لم تكن تجديه نفعا ضد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٨٢

التحريكات المشار اليها لو لم يستطع ستورز نفسه التمسك به بمقتضى المحافظة على الوضع الراهن التي لا يمكن ان يناقش فيها أحد. و مع ان الجيش البريطاني هو الذى كان يحتل القدس فقد كان حلفاؤهم الفرنسيون يصرون على تحدى الوضع الراهن، و يطالبون بمراعاة ما كان يعرف عن كونهم حماة المسيحية اللاتينية فى بلاد الامبراطورية للعثمانية، و اعتبار المسيويكو و بعثته الفرنسية فى القدس فى وضع مرموق خاص يشرف فيه على اجراء الطقوس الدينية و مراسيمها على الأخص. و قد استمرت بطريركية اللاتين الى ما

بعد وضع انتداب البلاد المقدسة بعهدة بريطانية و هي تخاطب الحكومة الفلسطينية عن طريق القنصل الفرنسي العام. و استمرت تعمل على هذا الاساس حتى سنة ١٩٢١ حين أبطل الفاتيكان نفسه هذا الوضع الخاص.

و قد ساعد هذا الحكومة الفلسطينية تمسكها بسياسة المحافظة على الوضع الراهن على عدم إفساح المجال في القدس برفع أعلام مختلفة أو عزف سلامات خاصة لمختلف الدول و الجهات. ذلك لأن الجنرال اللنبي كان قد قرر منذ البداية أن لا يرفع في البلاد كلها سوى العلم البريطاني وحده فوق محل إقامة القائد العام.

و يعترف ستورز (الصفحة ٣٠١) بان الادارة العسكرية، برغم جميع الجهود المبذولة في المحافظة على الوضع الراهن، قد خالفت هذه السياسة بصورة صريحة في الشؤون المختصة بالصهيونية. فهو يقول ان فلسطين كانت من البلاد التابعة الى الامبراطورية العثمانية المسلمة (و ان نصفها كان لا يزال في ١٩١٨ تابعا لها كذلك)، و الأغلبية العظمى من سكانها كانوا من العرب.

و بالنسبة لسياسة المحافظة على الوضع الراهن كان من حقنا (بموجب ما تلقيناه من تعليمات) ان ندخل في روع الذين يرغبون في إجراء إصلاحات عاجلة بأننا هنا مجرد «حكومة عسكرية» و لسنا «اداريين مدنيين». و لذلك كانت طريقتنا المنطقية في العمل ان ندير البلاد كما لو كانت بمثابة مصر أو أية بلاد أخرى فيها أقليات مهمة. فنجعل الانكليزية لغة رسمية، و نهىء ترجمات عربية و مترجمين الى العربية، و نعامل المقيمين في البلاد من اليهود و الأوربيين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٨٣

و الأرمن و غيرهم كما يعاملون في بلاد أخرى.

لكن موقف «إدارة اراضى العدو المحتلة» كان أبعد ما يكون عن هذه المفهومة في أول بيان أصدره الجنرال اللنبي، و جميع ما أصدرته أنا. فقد صدر باللغة العبرية، الى جانب الانكليزية و العربية. و كانت اعلانات الدوائر و الاعلانات العامة تصدر منذ البداية باللغات الثلاث، و كذلك الوصولات الرسمية و وصلوات البلدية. و قد تعين بين موظفينا ضباط يهود و كتاب يهود و مترجمون، فانقذت «ادارة اراضى العدو المحتلة» على هذه التصرفات في داخل فلسطين و خارجها.

على ان ستورز يحاول تبرير هذا التقصد الصريح في قيام حكومته البريطانية بفرض اليهود على فلسطين منذ البداية، فيقول ان الادارة لا تلام في عملها هذا لأن بريطانيا العظمى كانت قد أعلنت «وعد بلفور» فلقيت الفكرة الواردة فيه تأييدا جماعيا تقريبا!!! و هذا من شأنه ان يعطى السلطة المحتلة الحق في افتراض ان الحكومة التى ستشكل في فلسطين أخيرا ستكون مجبرة على الاعتراف بحق الصهيونيين في فلسطين، برغم ان عصبه الأمم لم تكن قد ولدت يومذاك و ان الانتداب لم يكن يدور في خلد الناس في تلك الأحوال.

و مما حدث على عهد ستورز في القدس انه سعى الى تشكيل جمعية خاصة لأعمار القدس و تجميلها بناها هو بصفته الحاكم العسكري، فكانت برآسته و عضوية رئيس البلدية، و المفتى، و مدير الآثار القديمة الانكليزي، و بعض الحاخامين الكبار، و رؤساء الطوائف المسيحية المختلفة، و رؤساء الطائفة اليهودية، و رئيس الوكالة الصهيونية، مع عدد من الشخصيات البريطانية و العربية و اليهودية و الأمريكية البارزة في البلد. و من الغريب ان لغة هذه الجمعية عند الاجتماع و ضبط المحاضر جعلت الفرنسية، لكنه يقول ان ذلك كثيرا ما كان يغض النظر عنه فتمت المفاهمة بالعربية و التركية و العبرية و حتى بالأرمنية. كما يقول ان هذه العناصر المتنافرة قد وحدها في الجمعية حب الجميع للمدينة المقدسة التى كان يسعى الجميع لتحسين أحوالها. و كان مما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٨٤

فعلته الجمعية أنها سعت في جمع تبرعات من جميع الملل في الداخل و الخارج، فتم الحصول على مبالغ غير يسيرة من مصر و انكلترا و أمريكا و غيرها.

و يذكر ستورز في هذه المناسبة ان قبة الصخرة قد تضررت ضررا بليغا خلال الشتاء القاسى الذى مر بالمدينة المقدسة سنة ١٩١٧-١٩١٨، و لا سيما جبهتها الشمالية الغربية، و أخذ قاشائيتها البديع تتساقط بلاطاته واحدة بعد أخرى فتباع في أسواق البلد. و قد كان من

حسن الحظ ان استطاع ستورز ان يستقدم لهذا الغرض المستر أرنست ديشموند من مهندسى الأوقاف المصرية، فقدم تقريراً مفصلاً بالترميمات و التعميرات المهمة. و لأجل ان يمكن تنفيذ ما جاء بتوصياته تم الاتفاق على ان يقوم مفتى القدس باصدار بيان خاص يناشد فيه العالم الاسلامى بالتبرع بالمبالغ المطلوبة لذلك. و قد تضمن البيان ذكراً لمقدار المبالغ التى قدرها المستر رشموند بثمانين ألف باون استرلينى.

و قد اكتشف ريشموند هذا خلال كشفه على القبة الأفران التى بنيت فوق «اسطبلات سليمان الحكيم» فى منطقة الهيكل لصنع الكاشانى و الأجر عند تشييد قبة الصخرة. و على هذا الأساس استدعى من الشام رجل أرمنى (داود أو هانيسيان) مختص و خبير آخر من كوتاهية فى الأناضول لصنع القاشانى محلياً فى تلك الأفران القديمة، بدلاً من جلبه من أوربه كما كان يحصل فى الخمسين سنة الأخيرة. و مما يشير اليه ستورز فى هذا الشأن ان وضع القبة كان مخطراً حتى قبل سنة ١٩١٨، و لم يستطع المهندس الألمانى الذى بعثه قيصر ألمانيا لنفس الغرض قبل أربع سنوات ان يعمل شيئاً سوى ان يقترح إكساء الجهة الشمالية الغربية المتضررة ببلاطات من حديد الصب تستورد من ألمانيا.

و مما يدل على الروح الصليبية التى كان يحملها الانكليز حينما دخل للنبي الى القدس خلال الحرب العالمية الأولى ما يذكره ستورز فى (الصفحة ٣١٥) فى تسمية أسماء الشوارع الجديدة فى القدس، أو الشوارع التى لم تكن لها أسماء على ما يدعون. فقد سميت بالأسماء الآتية: شارع سنت فرانسيس، طريق سنت بول، شارع غودفري دى بويون (من ملوك الصليبيين)، طريق موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٨٥

نحميا، زقاق تانكريد (من الصليبيين)، ساحة النبي، طريق سليمان، طريق الملكة مليساند (من الصليبيين)، و شوارع الأنبياء. و لأجل ترضية المسلمين بعض الترضية سمى شارع من الشوارع باسم صلاح الدين كذلك. و مما يدل على ممالأة الوضع لليهود ان الجمعية التى كان يرعاها ستورز أسست مدرسة خاصة للموسيقى فى القدس فكان ثلاثة أرباع اساتذتها منذ البداية، تسعون بالمئة من طلابها، من اليهود. و بعد ان تشكلت و نظمت سلمت الى اليهود ليتصرفوا بها. و يذكر ستورز (الصفحة ٣٢٣) انه تسلم حاكمية فلسطين كلها و كاله بعد نقل الجنرال موني منها، فى ١٨ كانون الأول ١٩١٨. و يقول بالمناسبة انه زار جميع مناطق فلسطين الادارية الاثنى عشر فأنقص عددها الى ست فقط. ثم يشير الى ان هذا العدد أنقص الى ثلاثة بعد قرار تكليف بريطانيا بالانتداب على فلسطين. و فى ١٩٢٢ قسمت فلسطين الى حاكمتين: الحاكمية الجنوبية و تشمل على القدس و أريحا و بيت لحم و الرملة و يافا و الخليل و غزة و بئر السبع، و الحاكمية الشمالية و تشمل على حيفا و بلاد السامريين (نابلس) اللورد بلفور صاحب الوعد المعروف باسمه و الجليل. و فى ١٩٢٦ أعيد تقسيم المنطقة الجنوبية الى منطقتين هما: منطقة القدس و ما جاورها، و تضم الأخرى الأقسام المذكورة من قبل.

وعد بلفور

إشارة

لقد قيل الكثير، و كتب الكثير، عن هذا الوعد المشؤوم و الظلم الصارخ الذى يندر صدور نظيره فى التاريخ. و ليس هناك مجال فى بحثنا هذا للتعمق فيه،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٨٦

حيث يصعب حصر ما كتب عنه فى المراجع الغربية و غيرها، و ليس هناك ما يدعو الى ذلك لأنه أصبح معروفاً لدى الخاص و العام، بل يكفى ان نشير الى ان هذا الوعد كان من أساليب الأمبريالية الماكرة فى هذا العصر، التى لا تحسب حساباً لانسانية أو دين أو

انصاف أو أى معنى من المعانى الساميه التى يعتر بها البشر. و لذلك سوف نقتصر هنا على ايراد نقاط موجزة تكفى لتوجيه البحث. لقد أشرنا فيما سبق الى ان الصهيونية العالمية قررت العمل على استملاك فلسطين بكل وسيلة، و شرعت فى تنفيذ قرارها بمفاوضة السلطان عبد الحميد فى الأمر لكنها قوبلت برفض بات منه. فأخذت تكيد له و تدس عليه فى بلاده نفسها. ثم راحت تسعى جاهدة بواسطة أذنانها لادخال الدولة العثمانية فى حرب لم تكن لها فيها ناقة و لا جمل لتقضى عليها، و هى التى كانت تسمى الدولة العثمانية «الرجل المريض» يومذاك. و عندئذ تجد فرصتها مع المنتصرين للتأثير عليهم و حصول ما تريده منهم. و حينما لاح أمل انتصار بريطانيا و حلفائها فى الحرب أخذت بالتأثير على وزراء بريطانيا و ساستها، من امثال لويد جورج رئيس الوزراء و بلفور وزير الخارجية و الجنرال سمطى و هربرت صموئيل الصهيونى حتى كان لها ما أرادت و استحصلت الوعد المذكور على صورة كتاب موجه رسميا من بلفور وزير الخارجية فى ٢ تشرين الثانى ١٩١٧ الى اللورد روتشيلد اليهودى.

و يفهم من التفصيلات التى يوردها جفريز فى (حقيقة فلسطين) ان صيغته كتاب بلفور، و الجمل و المصطلحات الواردة فيه، قد هيأها وايزمن و جماعته الصهاينة أنفسهم بالاتفاق مع المستر بلفور بالذات، و ان الصهاينة قد بذلوا جهودا مضنية مع امريكا و سائر الدول فى سبيل ان تكون فلسطين بعد انتهاء الحرب و اقتسام الغنائم و الأسلاب من حصه بريطانيا، حتى يمكنها تنفيذ ما تتعهد به لهم، فكان لهم ما أرادوا (الفصل العاشر الص ١٥٦). و يقول المطلعون ان الدوافع السياسية لاصدار هذا التصريح يمكن تلخيصها برغبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٨٧

بريطانية فى استماله العناصر الصهيونية القوية فى المانية و النمسا خاصة، و فى سائر انحاء العالم عامه، و استجلاب عطف يهود امريكا فى وقت لم تكن الولايات المتحدة قد قررت فيه خوض الحرب الى جانب الحلفاء. و قد يكون أهم من هذا ما ارتآه أنصار التصريح من أنه يؤدى الى جعل فلسطين المتاخمة لقنال السويس منطقة نفوذ بريطانيا تحمى مركزها فى مصر و تضمن الاتصال البرى بالشرق، و تقيم سدا بين موقعها فى قناة السويس و موقع فرنسة المقبل فى سوريه ثم ان وعد بلفور يمهّد السبيل أمام بريطانيا للمطالبة بان تكون فلسطين من حصتها حتى تتمكن من تنفيذ وعد بلفور لليهود (اكرم زعيتر الص ٤٥).

و يلاحظ مما ورد فى الكثير من المراجع الغربية، و لا سيما فى كتابى جفريز و المسز ستوارت أرسكين ان بريطانيا لم يكن من حقها ان تصدر مثل هذا الوعد بالنظر لما تنطوى عليه النقاط التالية:

اجتماع امام قبة الصخرة للاحتجاج على وعد بلفور

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٨٨

١- ان صيغته الوعد الواردة فى الكتاب صيغته غامضة يسود فيها التناقض كما هى الحال فى كثير من الوثائق التى تصدرها الحكومة البريطانية على الداوم.

و لا شك ان هذا الغموض و هذا التناقض كانا مقصودين حتى يمكن للحكومات البريطانية المتعاقبة تنفيذ ما تريده من ورائها.

٢- ان الوعد المذكور لم يكن التزاما دوليا له قيمته القانونية، و انما كان عبارة عن كتاب عطف موجه الى شخص ما.

٣- ان بريطانيا العظمى لم تكن عند صدور التصريح قد استولت على فلسطين بعد، و لم تكن فلسطين تابعة لبريطانية. و لذلك فقد كان وضعها فى هذا الشأن أشبه بمن يهب ما لا يملك، و بيت فى مصير بلد لا سيادة له عليه.

ان اللورد روتشيلد الذى وجه اليه كتاب التصريح كان شخصا من وجهاء اليهود، و لكنه لم تكن له صفة دولية معترف بها، و لم يكن يمثل حتى يهود بريطانيا تمثيلا صادقا.

٥- ان عبارة «الوطن القومى» عبارة مبهمه لا معنى لها فى القانون الدولى و انما هى اصطلاح اخترعته الاعيب الصهاينة و من شابههم من مهودى الانكليز يضاف الى ذلك ان الديانة اليهودية هى ديانة يتفرق بناؤها فى مختلف بقاع العالم و لا يكونون أمة ذات قومية عرقية خاصة. و ان معظم يهود أورپه لم تكن لهم علاقة بفلسطين مطلقا، و لا يستطيعون حتى التكلم بالعبرية، لانهم كلهم يمتون الى

قبائل الخزر التي اعتنقت اليهودية في القرن الثامن الميلادي.

٦- لم يلتفت التصريح مطلقا الى سكان البلاد الاصليين، وهم العرب و تجاهل حتى ذكر اسمهم، بينما كانوا أهل البلاد والأغلبية الساحقة فقد كان عدد اليهود في أيام الحرب لا يزيد كثيرا على الخمسين ألف في حين كان العرب يبلغ عددهم ما يقرب من سبعمائة ألف نسمة. ومع كل هذا تعمد التصريح إغفال ذكر السياسة لغير اليهود و اشار فقط الى الحقوق المدنية و الدينية و تعلق الكاتبة الانكليزية مود رويدن بهذه المناسبة في كتاب لها بعنوان (مشكلة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٨٩

فلسطين) قائلة: و يتعلق هذا التصريح بفلسطين، اي ببلد عربي و عدنا سكانه بحريتهم و فرنا بمساعدتهم مقابل هذا الوعد. و لكن رغبات هذا الشعب لم يلتفت اليها و لا مرة واحدة. و يتعلق التصريح بفلسطين البلد الذي كان تسعون بالمائة من سكانه عربا، لكن كلمة «عربي» لا تأتي على الاطلاق في هذه الوثيقة العجيبة. و يتعلق التصريح بشعب فلسطين التي سكنها ألفا و ثلثمائة سنة، و مع ذلك فان الاعتراف بوجوده يشار اليه مرة بعد اخرى بعبارة «الاطراف غير اليهودية».. و لم يكن للحكومة الانكليزية الحق بقطع هذا الوعد، فقد كان فاسدا منذ البداية.. و لا يحق لعصبة الأمم ان تمنح بريطانيا انتدابا على فلسطين، فكيف بانتداب يشترط فيه وعد بلفور؟ و قد يظهر هذا غريبا للذين يؤمنون بقوة السياسة، و لكن من الحق القول ان للامم الضعيفة حقوقا خاصة بها، لا تقل عن حقوق الأمم القوية في أهميتها.. (الص ١٠٣ من الترجمة).

٧- ان الحكومة البريطانية كانت، قبل ان تصدر وعد بلفور بستين، قد اتفقت مع العرب بمعاودة تمنح البلاد العربية المنسلخة عن الدولة العثمانية استقلالها فتكون دولة عربية شاملة، فجاء الوعد المزيف مناقضا لهذا الاتفاق.

فلا يخفى ان العرب اعلنوا الحرب على الأتراك و هم أخوانهم في الدين للحصول على استقلال البلاد العربية التي تنص عليها هذه المعاهدة، ثم ساروا بقيادة فيصل بن الحسين الى ان دخلوا الشام قبل النبي، بعد ان ساعدوه مساعدة جلى لا ينكرها احد، و يعتر بها حتى لويد جورج و اللبني و لورانس. إذ تذكر الكاتبة الانكليزية مود رويدن (الص ٧٨ و ٧٩ من الترجمة العربية) قولها: و في هذا الوقت ظهرت أهمية التعاون العربي أكثر من أي وقت مضى، و عمل فيصل باخلاص تام بجانب اللبني. و يقول لورانس: أن الجيش العربي تطور من جماعات موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٩٠

بدوية الى فرق عسكرية منظمة كاملة العدة، و أسر خمسة و ثلاثين الف تركي و قتل عددا أكبر من هذا، ثم استولى على مائة و خمسين مدفعا و على مائة ألف ميل مربع من الأراضي العثمانية. و كانت هذه خدمة جلى لنا، و وجدنا انا مديون للعرب بمكافأة تماثلها.

ثم تعقب المس رويدن ذلك بقولها: و هناك دليل آخر على أهمية المساعدة العربية للجيش الانكليزي، و هي شهادة الجنرال اللبني نفسه التي أتى على ذكرها لويد جورج في مؤتمر السلم عام ١٩١٩. إذ قال: لم تكن القضية السورية قضية سورية و انما كانت قضية انكلترا نفسها. فمع ان انكلترا جندت ما يقارب تسعمائة الف الى مليون جندي ضد تركية فقد كانت مساعدة العرب اساسية لها، و هذه نقطة استطاع الجنرال اللبني ان يتكلم عنها، حيث قال:

ان مساعدة العرب كانت فعالة لا تقدر بثمن. و يتابع المستر لويد جورج قوله ان الملك حسين كان قد حشد كل قواه لتأييد انكلترا في ساحة القتال، و هذا مما ساعدنا عمليا على الفوز في النهاية.. ثم تقول رويدن في الاخير: و ليس هناك شك في ان الفضل في نجاح حملة الجنرال اللبني لا يعود فقط الى القوى الانكليزية، و لا الى نبوغ الجندي العظيم، بل الى العرب الذين حاربوا في صفوفه.

صك الانتداب

و على كل فان المنطق و الحجج الدامغة لا يمكن لها ان تقرر شيئا من الناحية العملية تجاه سياسة القوة و الفتح التي تذرعت بها دول

الحلفاء المنتصرة في الحرب العظمى. فقد كان رجالها الاستعماريون الخاضعون للنفوذ الصهيوني، و المتشبعون بالروح الصليبية الأصيلية، راغبين في تسليم فلسطين لقمة سائغة لليهود. فابتدعوا مهزلة الانتداب، و سلمت فلسطين الى بريطانيا باعتبارها موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٩١

الدولة المنتدبة عليها. و أدخلت النقاط الواردة في صك الانتداب نفسه، و كان وضع مسودة هذه الوثيقة أيضا على أيدي الصهاينة الأثيمة. فقد أخذ رأيهم في الموضوع و كلفوا بوضع الشكل المقترح لصك الانتداب قبل اقراره. حيث أنه يكاد يكون صورة طبق الأصل لمشروع الجمعية الصهيونية الذي عرضته على مؤتمر الصلح شباط ١٩١٩. و يفهم مما جاء في مذكرات وايزمن ان بنيامين كوهين الأمر التي هو الذي عهد اليه بالاشتراك مع سكرتير اللورد كرزون وزير خارجية بريطانيا بتنظيم مسودة صك الانتداب و الموافقة على نصوصه.

و فيما يأتي ندرج النقاط التي المهمة تختص بفلسطين في صك الانتداب:

١- تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد (فلسطين) في احوال سياسية و اقتصادية و ادارية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي فيها، كما جاء في ديباجة الصك، و عن ترقية مؤسسات الحكم الذاتي.

٢- يعترف بوكالة يهودية صالحه كهيئة عمومية لأسداء المشورة و المعونة الى ادارة فلسطين في الشؤون الاقتصادية و الاجتماعية و غير ذلك من الأمور التي قد تؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين و مصالح السكان اليهود في فلسطين و لتساعد و تشارك في ترقية البلاد .. و يعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة ملائمة ما دامت الدولة المنتدبة ترى ان تأليفها و دستورها يجعلانها صالحه.

٣- على ادارة فلسطين .. ان تسهل هجرة اليهود في احوال ملائمة، و ان تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية حشد اليهود في الأراضي بما فيها أراضي الحكومة و الأراضي الموات غير المطلوبة للمصالح العامة.

٤- على ادارة فلسطين ان تتولى مسؤولية سن قانون للجنسية، و يجب ان يشتمل ذلك على نصوص من شأنها ان تسهل لليهود الذين يتخذون فلسطين مقاما دائما لهم اكتساب الجنسية الفلسطينية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٩٢

اما تعليقنا على هذا فهو ان «صك الانتداب» قد جاء عبارة عن «صك عبودية» منحتة الدول المنتصرة الغاشمة الى بريطانيا حتى تمهد فيه لتسليم فلسطين الى الصهاينة. و قد برهنت الحوادث الى حد اليوم على قولنا هذا. و هو في كثير من نقاطه يخالف ميثاق عصبة الأمم، إذ تجعل المادة ٢٢ منه رغبة السكان الأصليين في البلاد المنتدب عليها هي التي تعين الدولة المنتدبة في الدرجة الأولى. لكن العرب أصحاب فلسطين لم يؤخذ رأيهم في تعيين بريطانيا دولة منتدبة على بلادهم، و انما كان هذا التعيين تلبية لرغبة الجمعية الصهيونية.

و تستند فكرة «الوطن القومي» و ديباجة الصك على شيء و همى مصطنع يقال له «صلة اليهود التاريخية» بفلسطين، و تجعل هذه الفكرة من أهم الأسباب الداعية لأنشاء الوطن القومي. و لا شك ان ما مر ذكره من خلاصة تاريخية يكذب هذه الاسطورة.

و يؤيد رأينا هذا كثير من كتاب الغرب أنفسهم، الذين نورد فيما يأتي شيئا من آرائهم في هذا الشأن، فقد ذكر المستر اليهو غرانت يقول: ان الحقوق اليهودية في فلسطين قد سقطت بين سنتي ١٣٦ و ١٩٢٠ للميلاد، و بكلمة ثانية منذ ابتداء التاريخ المسيحي على التقريب. و لذلك فان ادعاء آت اليهود بالبلاد ترجع إذن الى ما قبل التاريخ المسيحي، و لكنها عادتنا في ان ننسى العربي المسيحي و نفتري على العربي المسلم .

و تقول الكاتبة الانكليزية مود رويدن في (مشكلة فلسطين): و نحن كأمة نشأت على الانجيل نجد الحقيقة بان فلسطين يمكن ان توصف بكونها «عبرية صريحة» صدمة لنا. و مع اننا جميعا نعلم ان الرومان دمروا القدس عام ١٣٥ م و ان اليهود انتشروا في العالم، فاننا لا نزال نعلق في مخيلاتنا فلسطين باليهود

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٩٣

و باليهود فقط .. و تقول رويدن في مناسبة أخرى: نحن لا- نعرف، كما أنه لا يمكن لأحد ان يعرف من كان هناك أولاً. انما نحن نعرف ان الرجوع الى الورا الفاء و ثلاث مئة عام لنبحث في التاريخ و نرجع البشرية الحائرة الى الأرض التي احتلتها ضرب من المستحيل، نحن الانكليز لا نتظر ان نسكن المانيا او ندعى بذلك لمجرد كون اجدادنا الانكلوسكسون عاشوا هناك اياما، و لا نسمح للويلشن ان يمتلكوا انكلترة بناء على انهم كانوا هنا قبلنا، انها لفكرة مضحكة، ان مكوث امه الفاء و ثلثمائة سنة في ارض من الاراضى يخول لها الحق الكامل بامتلاكها امتلاكاً لا يحتمل الجدل و النزاع، و لم يحدث هذا مع الاسف الا في فلسطين (الص ٨٦ و ٩٨ من الترجمة العربية).

و يقول المستر لورانس غريز و ولد الكاتب الأمريكي في كتابه الذي ترجم بعنوان (إدفع دولارا تقتل عربياً)- الص ١٨ من الترجمة العربية- و من هذه الخلاصة الموجزة يدرك القارىء ان دعوى الصهيونيين بأن يكون ذلك القطر وطناً قومياً لهم انما تستند الى عهد شفهي خرافي أعطاه يهوه لموسى.

و الواقع ان البروفسور أولبرايت أحد كبار الثقافات العالميين في تاريخ فلسطين القديم يذكر بوضوح لا يحتمل اللبس على انه ليس في فلسطين أية آثار يهودية ترجع الى ما قبل العهد الرومانى الانطونى .. ثم يقول (الص ٢٨) في مناسبة أخرى: «و الحقيقة الواضحة تحتم علينا القول بأن سيادة العبرانيين القصيرة على فلسطين لا تمنحهم من الحقوق فيها غير جزء مما تمنحه لسيادة العرب و الفرس و الرومان على الديار المقدسة من حقوق. بل انها لا تمنحهم حقوقاً تتساوى و حقوق الصليبيين الأوربيين أنفسهم. و الى ذلك فقد كان ثمة طبعاً حقيقة إضافية، و هي ان فلسطين كانت آهلة بالعرب العصريين الذين ترجع ملكيتهم للأرض الى القرن السادس عشر! و الواقع ان التنكر الفجائى للحقوق الطبيعية و اخراج الشعب الذى يملك الأرض و يحرثها من دياره ليس الا من عمل الساسة المتعدين على التصرف بما يملكه الآخرون، و اليهود الذين اكتسبوا تفكيرهم و طبيعتهم من الاحياء القذرة التى أقاموها لأنفسهم فى أوربة الشرقية»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٩٤

تنفيذ الانتداب

ان الغريب فى الأمر ان الحكومة البريطانية اعتبرت كل ما مر شيئاً حاصلاً منذ أول احتلالها للبلاد، و قبل ان تصدر وعد بلفور، أو قبل ان يفكر أحد فى الانتداب و الصك المدبر لتنفيذه. و أخذت تمهد الطريق لتسليم فلسطين الى الصهاينة عند أول فتحها للقدس و قبل ان يتم الاستيلاء على فلسطين جميعها، كما يستفاد مما أوردناه قبل هذا من مذكرات السر رونالد ستورز. و قد جاءت لهذا الغرض بما يسمى «اللجنة الصهيونية» لتشارك الحكومة البريطانية فى المهمة الأثيمة، و عين الموظفون الصهاينة فى المراكز المهمة.

و صارت هذه اللجنة التى استقرت فى القدس تتدخل فى الصغيرة و الكبيرة و تعتبر نفسها صاحبة البلاد، و المسؤولة عن ادارتها. حتى انها كانت تصدر كتباً خشنة ملأى بالصلف و التحدى حتى الى الموظفين الانكليز، فاصطدمت بها مرات عديدة. و يلاحظ ذلك على الأخص فى عهد السر لويس بولز الحاكم الادارى العام على فلسطين جميعها، الذى تجرأ فكتب مذكرة شديدة اللهجة فى هذا الشأن الى مرجعه فى لندن، يعدد فيها تجاوزات اللجنة الصهيونية و تصرفاتها الشائنة .

و يقول جفريز ان مصير هذه المذكرة غير معروف لكنها على وجه التأكيد كانت سبباً قويا من الأسباب التى دعت لويد جورج الى التعجيل فى الغاء الادارة العسكرية فى فلسطين، وحدث بوايز الى ان يطالب بتعيين أناس من الانكليز فى فلسطين بيدون اهتماماً أكثر بمهمة تحقيق «الوطن القومى لليهود».

و قد تباطأت الحكومة البريطانية فى تبليغ العرب بوعد بلفور، و لعلها لم تدر كيف تفعل ذلك أو لم تجد موجبا لذلك، لكن حاكم

فلسطين العام السر بولز ارتأى ان يذيعه عليهم بعد مدة سنة و نصف. و ان يخبرهم بعزم الحكومة البريطانية على قبول الانتداب على فلسطين الذى يندمج فيه وعد بلفور نفسه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٩٥

فكان رد الفعل عنيفا بطبيعة الحال، لأن فلسطين هبت بأسرها تستنكر ذلك و تحتج عليه، و تألفت فى القدس و غيرها من البلاد «الجمعيات الاسلاميه المسيحيه» للعمل على مقاومته، و سارت بعد ذلك المظاهرات، و عقدت المؤتمرات فى كل مكان.

لكن أهم ما حدث و وقع اضطرابات فى القدس بمناسبة حلول موسم النبى موسى و الاحتفال به (٤-٨ نيسان ١٩٢٠). فقد انقلب الموسم الى مظاهرة عنيفة أدت الى مهاجمة اليهود و الاصطدام بهم، و بالشرطة، و وقوع عدد من القتلى و الجرحى بين الطرفين. و يشير ستورز الى ذلك اشارة عابرة فى مذاكراته (الصفحة ٣٣٠) يذكر فيها تصاعد الشعور المناوىء للصهيونية بين العرب فى القدس، و يعزو ذلك الى ان الدم يدور ساخنا فى فلسطين خلال الربيع و لا ينسى هنا ان يضع اللوم على «المحرضين» و فى مقدمتهم «... شخص يدعى الحاج أمين الحسينى الأخ الأصغر للمفتى كامل افندى.» ثم يضيف فى حاشية الصفحة (٣٤١) قوله ان الحاج أمين خلف أخاه فى الافتاء، و كان فى ١٩٤٢ مذيع محطات المحور العربية ضد الحلفاء!!

مفتى فلسطين الحاج امين الحسينى

و يذكر ستورز بعد ذلك ان الحاج أمين حرض المحتفلين بالموسم على العنف و اختفى عن الانظار، و حينما تعقبته الشرطة البريطانية و أخذت تفتش عنه، كبست دار أخيه المفتى و فتشته من دون ان تستشير (تستشير ستورز).

فاغتاظ المفتى و اهان و راجع «ادارة أراضى العدو المحتلة» محتجا اليها بأنه قد أهين و مسّ شرفه بذلك، ثم أرجع اليها و سام السى أيم جى CMG

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٩٦

الذى كان قد منح له قبل قليل. على ان هذه الالهانة الكبيرة للانكليز قد تم التجاوز عنها، و بدلا من ان يشطب اسمه من قائمة أصحاب الوسام أعيد اليه مع الاعتذار عما وقع.

و حينما تألفت لجنة عسكرية للتحقيق فى الأسباب المؤدية الى وقوع الحادث كتبت تقريرا تعز و فيه وقوع الاضطرابات الى «يأس العرب من تحقيق الوعود التى قطعت لهم فى أثناء الحرب بالاعتراف باستقلالهم، و اعتقادهم ان تصريح بلفور يتضمن عدوانا على حقوقهم فى تقرير مصيرهم، و خشيتهم ان يؤدى انشاء الوطن القومى اليهودى الى تضخم الهجرة اليهودية تضخما يسفر عن استعبادهم اقتصاديا و سياسيا من قبل اليهود. و ما أدت اليه تصرفات اللجنة الصهيونية فى فلسطين من استفزاز، و ما سببه ترويج الملك فيصل فى دمشق على سورية المتحدة بما فيها فلسطين من حماسة».

لكن هذا التقرير لم يكن له أى تأثير فى النهاية. فقد ألغيت الادارة العسكرية فى فلسطين، و تقرر إقامة ادارة مدنية فيها. و قد عين فى اليوم الأول من تموز ١٩٢٠ السر هربرت صموئيل أول مندوب سام لفلسطين، و هو يهودى من أقطاب الصهيونية المعروفين فى بريطانيا. و لا شك انه جىء به لتنفيذ صك الانتداب قبل صدوره، و العمل على تحقيق «الوطن القومى» لليهود بالسرعة الممكنة. و قد صرح الدكتور وايزمن، على ما يذكر جفريز (الصفحة ٣١٧) فى هذا الشأن بقوله: «لقد كنت انا المسؤول فى الدرجة الأولى عن تعيين السر هربرت صموئيل فى فلسطين. فالسر هربرت صديقنا، و بطلب منا قبل ان يتولى هذا المنصب الصعب، فوضعه فى منصبه. انه صموئيلنا».

و مما يذكره جفريز كذلك فى عدة مناسبات ان هربرت صموئيل كان من جملة الذين عملوا على إقناع الحكومة البريطانية باصدار وعد بلفور منذ البداية، و تبنى ما جاء فيه.

و ما ان وصل السر هاربت الى القدس حتى شرع فى وضع البلاد فى حالات سياسية و اقتصادية و ادارية تؤدى الى قيام الوطن القومى

اليهودى. فعين أحد غلاة الصهيونية- بنتويش - نائبا عاما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٩٧

يقوم باعداد القوانين و الانظمة، و كذلك عين مدير التجارة العام و مدير المهاجرة و السفر من اليهود، و أقيم على رأس كل دائرة موظف انكليزى أو يهودى، و كذلك حكام المقاطعات، و اعتبرت اللغة العبرية لغة رسمية الى جانب العربية و الانكليزية. و ترك لليهود ان يستقلوا بادارة معارفهم و مدارسهم فتشرف عليها و تديرها اللجنة التنفيذية الصهيونية، على حين جعلت المعارف العربية بيد انكليزى و مساعدين انكليز ادارة. و إشرافا، و تفتيشا، و توجيها.

و كتبت على الطوايع و النقود «أرض اسرائيل» بالعبرية ترجمة لكلمة «فلسطين» بالعربية. و فى عهد صموئيل هذا بدت عمليات انتقال الأراضي من أيدي العرب الى أيدي اليهود، و أقطعوا أكثر أراضي الدولة لهم .. حتى بلغ ما أعطته الحكومة لليهود من أملاك الدولة (١٧٥) ألف دونم .. و أقلت المصرف الزراعى، و حجزت أراضي الفلاحين و مواشيهم تسديدا للقروض.

و دفعت الضرائب فأخذ البعض يعرضون أراضيهم للبيع لدفع تلك الضرائب او للتخلص من الديون لسد الرمق . و الأهم من ذلك كله ان أبواب الهجرة قد فتحت على مصراعها لليهود.

فمنحت شهادات الدخول الى البلاد بالآلاف. و يذكر المستر جفريز (الصفحة ٣٧٣) فى هذا الشأن ان السر هربرت صموئيل قد اعترف بصراحة ان هدف الحكومة هو الاستمرار على إدخال اليهود إلى فلسطين حتى يتجمع منهم فى النهاية عدد يكفى لانشاء دولة يهودية فيها، و هو ما تم بالفعل كما لا يخفى.

كما يشير السر رونالد ستورز (الصفحة ٣٥٨) الى ان الرئيس اليهودى الدكتور وايزمن حينما سئل فى مؤتمر الصلح فى باريس عما يريد بعبارة «الوطن القومى اليهودى» أجاب انه يقصد بذلك ان تتهاى فى فلسطين فى النهاية ظروف تصبح فيها بلادا يهودية كما أصبحت أمريكا أمريكية و انكلترا انكليزية .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٩٨

رئاسة البلدية

يذكر ستورز فى مذكراته (الصفحة ٣٣٣) ان الاضطرابات التى وقعت فى ربيع ١٩٢٠ فى القدس بمناسبة موسى النبى موسى أثارت قضية رئاسة البلدية فيها. فان موسى كاظم پاشا الحسينى الذى كان رئيسا للبلدية يومذاك كان عليه ان يمثل الطوائف الثلاث من دون تحيز، لكنه كان عليه بصفته رئيسا لأسرة من الأسر الكبيرة فى البلاد ان يتأسر المعارضة للانتداب و يتكلم باسمها. و قد لقيته فى يوم من الأيام (بعد الظهر) يقود حشدا من الناس فى التظاهر ضد الدوائر الصهيونية، فرجوت منه ان يعود الى بيته معهم لثلاث تنشأ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ١٩٩

اضطرابات بهذا السبب. ثم أندرتة فى مساء اليوم نفسه بأن يختار بين السياسة و رئاسة البلدية. و فى أثناء الاضطرابات أصبح شموسا فى بداية الأمر. و اتخذ موقف التحدى بعد ذلك، فأخبرت الادارة العسكرية باقتراحى فى إقالته و تعيين شخص آخر فى محله- فقبولت باقتراح يفيد بتعيين رئيس بلدية انكليزى فى مكانه، و بذلك يقل عدد المناصب التى يطمح فى إشغالها أحد الفلسطينيين. و قد كان من السهل على أن أفند هذا الطلب بدلا من أن أفنش فى مثل هذا الجو المتوتر على بديل للرئيس الحالى.

لكننى طلبت راغب بك النشاشيبي، و هو رجل قدير من أعضاء مجلس المبعوثان العثمانى السابق، و عرضت عليه رئاسة البلدية ثم رجوته بأن يؤيد قبول هذا المنصب خطيا فى الحال. و قد سررت إذ فعلت هذا، لأنى بعد عشرين دقيقة ألمحت الى موسى كاظم پاشا (و انا آسف لأنه كان قد قدم خدمات لبلده و برهن فى بعض المناسبات على انه «جنتلمن» عربى مؤدب) بأن الوقت قد أصبح يتطلب التبدل. فأجانبى الباشا «ان سعادتك حر فيما تعمل، لكننى أشير عليك بان تنتظر لأننى متأكد بعدم وجود أحد من العرب يجرأ على

أخذ مكاني». فعرضت عليه في الحال موافقة راغب بك ليطلع عليها. و حينما قرأها نهض من مكانه، فشكرني على تأييدي السابق له، و أكد لي استمرار الصداقة بيننا ثم صافحني و خرج من مكتبي يمشى الهونا بانتصاب.

و كان المجلس البلدى يومذاك يتألف من ستة أعضاء: اثنين من المسلمين أحدهما رئيس البلدية، و اثنين من المسيحيين أحدهما أورثودكسى و الثانى من اللاتين، و اثنين من اليهود. لكنى استحدثت بالاضافة الى هذا منصبى نائب لرئيس البلدية يشغل أحدهما رجل مسيحي و الآخر يهودى، حتى يشغلا بالتناوب منصب الرئاسة عند تغيب الرئيس.

و يتطرق ستورز في مناسبة أخرى (الصفحة ٤٠١) الى وصف مجتمع القدس و المسلمين فيه، و الى هذين الشخصين منهم بالذات (الحسينى و النشاشيبى)،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٠٠

فيقول: و قليل من الزوار من يدرك ان فلسطين بوجه عام و القدس على الأخص يجب ان تدرس و تفهم عن طريق الوقوف على أحوال طوائفها الثلاث- طائفة المسلمين، و المسيحيين، و اليهود، و أشخاص أفرادها أيضا .. و لا شك ان أكبر الطوائف و أشدها أهمية في فلسطين هي طائفة المسلمين. فهي بخلاف الطائفتين الأخرين لم تكن منقسمة الى مذاهب و شيع، و انما كانت تنقسم فقط الى حزبين كبيرين هما: حزب الحسينيين و حزب النشاشيبين.

اما أسرة الخالدى التى تتحدر من صلب قائد محمد خالد بن الوليد رأسا، و تعد أقدم من كلا الأسرتين الأخرين، فهي على قدر أقل من النفوذ مع أنها لا تزال قادرة على ان تؤثر في سير الانتخابات البلدية. و كلما ابتعد المرء عن القدس يقل اعتراف الأسر الكبيرة الأخرى، مثل أسرة آل عبد الهادى فى نابلس أو أسرة بيضون فى عكا، بنفوذ هاتين الأسرتين. لكن الحقيقة أن جميعهم كانوا يقفون فى صف واحد و يشتغلون مع هذه أو تلك. أما تجاه الصهيونية فيمكن ان يقال بان آل الحسينى يمثلون الناحية الدينية و القومية العربية المتطرفة، بينما يمثل آل النشاشيبى الجانب الحكومى. و الأسرة الحسينية من بين الأسرتين هي المدينة الى السلطات البريطانية أكثر من الأخرى، لأن هذه السلطات قد أبقت كامل الحسينى فى منصبه (الافتاء)، و رشحت موسى كاظم لرأسه بلدية القدس، ثم أنعمت على كل منهما بوسام، و كانت مسؤولة رأسا عن تعيين الحاج أمين خلفا لأخيه. و قد كنت فى أيام «ادارة الأراضي المحتلة» على اتصال ودى و ثيق بكامل أفندى، الذى كان رجلا معقولا، يحب المساعدة، حتى أفسدته السياسة.

اما رئيس البلدية موسى كاظم پاشا فقد كان يتصف بجميع وقار الحاكم العثمانى التقليدى، و بعض صفاته الحسنة. و لقد أعيد التوازن بين الأسرتين لدرجة ما خلال اثنى عشر سنة حينما تسم رئاسه البلدية راغب بك النشاشيبى أقدر رجل عربى فى فلسطين على الاطلاق. فقد كان يتصف بالحنكة و الدهاء و بسرعة الادراك و العمل، و بعدم الاعتقاد بالقضاء و القدر كما هو الحال مع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٠١

أبناء ديانتة .. ثم يستمر ستورز فى الثناء على النشاشيبى و يقول انه أعيد انتخابه (بعد رحيل ستورز عن القدس) ١٩٢٦ مرة واحدة، لكنه لم يستطع البقاء فى المنصب بعد ذلك، لأن خصمه الحاج أمين الحسينى مفتى القدس و «رئيس المجلس الاسلامى الأعلى» الذى شكله السر هربرت صموئيل كان يشتغل ضده، و يؤثر على الفلاحين و المتأثرين بالسياسة تأثيرا مباشرا بعمامته المهيبة التى يكون لها وقع مؤثر حينما تفرق بقبة الصخرة الفخمة، مع أنه أقل من النشاشيبى فى شخصيته و قدرته، و فى رغبته فى التعاون مع الحكومة.

حائط المبكى

ان حائط المبكى هو الجدار الغربى للحرم الشريف، و فى ما وراء هذا الحائط من جهة ساحة الحرم غرفة يعتقد المسلمون انها المكان الذى ربط فيه البراق (فرس النبى) ليلة الاسراء فاصبح الحائط يعرف لديهم بالبراق.

و يزعم اليهود ان هذا الحائط يشكل جزءا من الحائط الخارجى الغربى لهيكل اليهود القديم، و لذلك اعتادوا زيارته لاقامة الصلاة فيه

و البكاء على مجدهم الغابر الذى ضيعوه بأيديهم.

و قد اتخذت الصهيونية هذا الحائط وسيلة لتنفيذ أغراضها الاستعمارية و السياسية، و صارت تستند على قدسيته المزعومة فى المطالبة بفلسطين. و كان أول احتكاك وقع فى هذا الشأن، على ما يذكر ستورز (الصفحة ٣٣٢)، حينما باشرت دائرة الاوقاف فى القدس باجراء ترميمات فى السقف الذى ينتهى به الحائط، و فى أسفل السطح بعدة أمتار. فاستنكر اليهود ذلك حينما سقط شئ من مواد البناء على اليهود الذين كانوا يؤدون صلاتهم فى أسفل الحائط على ما يدعون. و قد بدأ الاحتكاك حينما وجهت اللجنة الصهيونية الى ستورز كتابا شديد اللهجة تعترض فيه على هذه الترميمات.

و حينما كلف ستورز خبيرا معماريا من الانكليز و كشف على الترميم الذى كان يجرى، بحضور بعض اليهود المسؤولين، وجد ان ذلك الترميم كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٠٢

لا بد من ان يتم للمحافظة على البناء. غير انه تم الاتفاق على ان يجرى ذلك فى غير أوقات الصلاة، و ان لا ينزل الترميم الى ما تحت ثلاثة أمتار من السقف.

و مما يتطرق اليه ستورز فى هذا الشأن أيضا (الصفحة ٣٤٦) قوله ان الدكتور وايز من حاول تحقيق مشروع لو نجح فيه لهلّل له الصهاينة فى أرجاء العالم كله.

فان حائط المبكى من الناحية الجغرافية هو الجدار الغربى للحرم الشريف. اما من الناحية البنائية و المعمارية فانه الجدار الغربى لمنطقة الهيكل، و يتألف من تسع سافات مبنية بأحجار جسيمة غير مكسوة كانت قد وضعت فى مكانها فى عهد هيرودس، و ربما كان بعضها قد وضع فى عهد زيرو بابل و سليمان النبى. و من أربع سافات فوقها من البناء الرومانى البيزنطى، الذى يكمله أحد عشر من البناء الاسلامى العربى و التركى. و الجدار من الناحية القانونية و الشرعية هو جزء من سطح الحرم، و بهذه الصبغة هو ملك صرف للطائفة الاسلامية.

اما تاريخيا فهو أقدس حائط فى العالم، و اما روحيا فهو روح اسرائيل و قلبها النابض. و تمتد بجانب الحائط من الغرب شطيطة مبلطة بعمق ست ياردات تكوّن هي، و بعض الأكوخ الحجرية و الممرات التى ينخفض مستواها انخفاضا قليلا، قسم القدس من وقف أبى مدين الذى كان قد أوقف منذ أيام نور الدين - من رجال صلاح الدين - على الزوار المغاربة فى الأصل الذين أصبحوا مقيمين فى القدس فى يومنا هذا. و يحتفظ بالمستندات التى تثبت الملكية غير المنازع فيها شيخ المغاربة متولى وقف «قبر أبى مدين» القريب من الموقع.

و المستندات مسجلة فى سجلات محكمة المسلمين الشرعية فى القدس.

لكن حائط المبكى هو المكان المقدس الوحيد الذى بقى لليهود من مجدهم الغابر، و تمتد عادة الصلاة بقربه الى القرون الوسطى على الأقل. و لهذا الحائط القديم تتجه فلوب اليهود فى العالم أجمع، و لا سيما فى مساء كل سبت، و فى أيام عيد الفصح اليهودى، و رأس السنة اليهودية، و فى يوم الكفارة (الكپور) و فى التاسع من شهر آب - أى يوم خراب الهيكلين الأول و الثالث اليهوديين ..

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٠٣

و يورد ستورز فى الحاشية ما كتبه هرزل مؤسس الصهيونية فى مذاكراته ليوم ٣١ تشرين الأول ١٨٩٨ حينما كان فى القدس فلم يتحسس كثيرا بحائط المبكى.

فهو يقول: ذهبنا الى حائط المبكى، و من الصعب على المرء ان يشعر بعاطفة عميقة هناك. لأن المكان يمتلىء بالتسول القبيح التاعس المحفوف بالمخاطر.

أو هكذا كان مساء يوم أمس و فى صباح هذا اليوم، حينما كنا هناك.

حائط المبكى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٠٤

و يتابع ستورز قوله: فهذه هي التقاليد و الاستمرارية التي يمكن أن يقال إن اليهود قد كونوا بواسطتها حقا مطلقا معترفا به في حرية الوصول الى الحائط للتعبد في أية ساعة من ساعات النهار أو الليل خلال السنة كلها. و مع ان المسلمين يجزمون أحيانا بالقول بأنهم من الناحية القانونية يمكنهم أن يقيموا جدارا يحول دون وصول الناس الى هذا الحائط، فليس هناك حكومة متدبئة يمكنها ان تسمح بمثل هذا التجاوز الواضح على «الوضع الراهن». و نجد من الناحية الأخرى ان حق اليهود في هذا الشأن لا يزيد على كونه حق طريق و وقوف من دون ان يتضمن حقا صريحا أو ضمنيا في تملك الحائط و لا التبليط المحاذي له. و قد اقترح الدكتور و ايزمن و جوب استملاك هذا المكان الغالي لعبادة اليهود، لا عن طريق الشراء لأن الوقف الاسلامي لا يباع و انما عن الطريق القانوني الذي كثيرا ما يتبع في استبدال أرض بأخرى. و قد عرض على الحكومة مبلغ (٧٥) ألف پاوان استرليني لتلافي مصاريف إعادة إسكان شاغلي المكان الحاليين، كما كان مستعدا لدفع مبالغ أخرى. و تلقت تعليمات خاصة بدراسة الاقتراح و تقديم تقرير عنه. و يقول ستورز: هذا و اننى شخصا لا أعتقد بوجود قدسية في وقف أبي مدين و لا غيره من الأوقاف، و قد كنت على استعداد للاشراف بحرص على أى مبنى يمكن ان يبنى هناك في المستقبل، حيث كان من غير المنتظر ان يعمد اليهود الى الحط من قدر الأرض التي يقع فيها أقدس مكان عندهم أو العبث بها. كما كان من الممكن ان يخصص المبلغ المرقوم لتعليم المسلمين. و لذلك أيدت الاقتراح لدى كلايتون و موني، اللذين أيداه بدورهما أيضا. على ان حداد بك كان يرى ان الأمل في قبول الاقتراح كان ضعيفا على كل حال لا سيما اذا كان الصهاينة هم الذين سيتقدمون به بأنفسهم، و لذلك وافقت على ان أتولى بنفسى أمر فتح باب المفاوضات بشأنه. فتسلمت بعد ذلك عريضة احتجاج قدمتها جماعة من رجال العرب البارزين، و وجدت في نهاية ايلول ١٩١٨ ان الوضع ازدادت حراجه بحيث اضطرت باستشارة سريعة من حداد بك الى أن أوصى باهمال المشروع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٠٥

برمته. و لا شك انه كان محقا في رأيه. فحتى اذا كان المفتى نفسه راغبا في الموافقة عليه كان عليه ان يواجه حساسية جمهوره المتدفقة (الى جانب ازدياد تخوفهم من الصهيونية) تجاه حركة تدخل تبدو حتى بالنسبة للأرض التابعة للخارجية جدران الحرم الشريف .. و في حاشية الصفحة نفسها (٣٤٧) يذكر ستورز أن التنقيبات التي كان باركو قد أجراها في المنطقة خلال سنة ١٩١٠-١٩١١ قد أدت الى تفجر الاستياء العام في أنحاء تريكه كلها.

و إتاما للبحث و الفائدة نورد هنا ما تطور اليه أمر حائط المبكى بعد ذلك حتى انفجر انفجارا مدويا في سنة ١٩٢٩، فأدى الى أن تقوم الحكومة البريطانية في لندن بتأليف لجنة برلمانية برأسه قاض من القضاة للتحقيق في الأمر، و كانت تسمى «لجنة شو». فقد تمادى الصهاينة في صلفهم و تحديهم للمسلمين في القدس بالنسبة لهذه البقعة فجلبوا في مساء يوم ٢٣ ايلول ١٩٢٨ أدوات جديدة الى المبكى، و أقاموا ستارا يفصل بين الرجال و النساء، فأثار هذا التصرف المسلمين و جعلهم يعتقدون ان الغاية الأخيرة هي استملاك المسجد الأقصى تدريجيا بزعم أنه الهيكل ابتداء من الجدار. و قد ألفوا جمعية «حراسة المسجد الأقصى» و عقدوا عدة اجتماعات عامة في المسجد آلوا فيها على أنفسهم الدفاع عن البراق و المسجد الأقصى، و صدرت الأوامر الرسمية الى اليهود بنزع الستار فلم يفعلوا لكن الشرطة تولت رفعه بنفسها فهاج هائجهم (يوم عيد الصيام) ثم هتفوا «الحائط حائطنا».

لكن المسلمين خرجوا في اليوم التالي (١٦ آب)، الذي كان يوم المولد النبوي، بعد صلاة الجمعة من الحرم في تظاهرة صاخبة نحو البراق. و هناك قلبوا منضده تعود للشماس اليهودي، و أحرقوا الاسترحامات التي اعتاد اليهود وضعها في ثقب الحائط، فزاد هذا في اشتداد التوتر. و حدث أن طعن عربي في ١٧ آب يهوديا دخل حديثه طعنه أودت بحياته فكانت فاتحة اشتباكات و اضطرابات، حتى كان يوم الجمعة التالي في ٢٣ من آب حين غادرت الجموع الهائجة ساحة الحرم و قامت بهجوم على اليهود امتد الى ضواحي المدينة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٠٦

و عم الهياج و التظاهرات فلسطين كلها. فوقع هجوم على اليهود بالخليل فى اليوم التالى أسفر عن مقتل أكثر من ستين يهوديا عدا الجرحى الكثيرين. و هجم المتظاهرون على ثكنة الشرطة فى نابلس فسقط الجرحى، ثم امتدت الاضطرابات الى بيسان، و حيفا، و يافا، حيث اقتحم اليهود و على رأسهم شرطى يهودى رسمى بيت إمام مسجد فقتلوه هو و جميع أفراد عائلته، و بقروا بطنه و حطموا رؤوس زوجته و طفلته و ابن أخيه. كما هاجم اليهود مقام عكاشة فى القدس فأتلفوا و دنسوا قبور الصحابة الكائنة فيه. و قد بلغت الاضطرابات ذروتها فى يوم ٢٩ آب حين وقع الهجوم فى صنفد على اليهود، و هناك وقع نحو خمسين يهوديا بين قتيل و جريح. و قدرت السلطات الرسمية عدد الاصابات فى نهاية الاضطراب بنحو ١٣٥ قتيلا و ٣٤٠ جريحا من اليهود، و ١١٦ قتيلا و ٢٤٠ جريحا من العرب الذين كانت معظم اصاباتهم بأيدى الشرطة و القوات العسكرية. و قرر العرب مقاطعة اليهود، لكن السلطات نكلت بكل من كان يحرض على المقاطعة او يشرف على تنفيذها ..

و مما ذكرته اللجنة فى تقريرها عن الحادث «أن السبب الأساسى الذى لولاه لما وقعت الاضطرابات، هو شعور العرب بالعداء و البغضاء نحو اليهود شعورا نشأ عن خيبة أمانهم الوطنية و السياسية و خوفهم على مستقبلهم الاقتصادى فان الشعور السائد اليوم بين العرب يستند الى خوفهم المزدوج من أنهم سيحرمون و سائل معيشتهم و يسيطر عليهم اليهود سياسيا يوما ما، بسبب الهجرة اليهودية و شراء الأراضى. و أصبح العرب لا يرون فى المهاجر اليهودى خطرا على معيشتهم فقط، بل يرون فيه ذلك الذى قد يسيطر على البلاد فى المستقبل أيضا.

و قد أوصت اللجنة بتعيين هيئة دولية من عصبه الأمم للفصل بالحقوق المتعلقة بحائط المبكى، فتألفت الهيئة المذكورة و حضرت الى فلسطين فاعترفت فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٠٧

تقريرها بملكية المسلمين للحائط باعتباره جزءا من الحرم الشريف، و بملكية الرصيف أمامه.

هذا و قد أصدرت المحاكم البريطانية فى فلسطين حكمها على عشرين عربيا بالاعدام، و لم ينفذ هذا الحكم الا بثلاثة فقط، و هم: فؤاد حجازى، و عطاير، و محمد جمجوم. كما حكم على ثمانمائة عربى بالسجن لمدد مختلفة، اليهود فلم يحكم الا على واحد منهم بالاعدام و هو الشرطى حانكير قاتل الأسرة العربية فى يافا، لكن هذا الحكم استبدل بالسجن عشر سنوات قضى بعضها فيه ثم أطلق سراحه. يضاف الى ذلك ان الحكومة المتهددة فرضت على بعض المدن العربية غرامات باهظة لم تستطع استحصالها الا بأساليبها التعسفية المعروفة.

و قبل ان نهى البحث عن «حائط المبكى» نستشهد هنا برأى الكاتب الأمريكى لورانس غريز و ولد، صاحب كتاب (ادفع دولارا تقتل عربيا) حيث يقول عن حق اليهود فى حائط المبكى: و يزعم الصهاينة ان ما يدعى «حائط المبكى» هو بقية من هيكل سليمان، و هو زعم باطل لأن الحائط غرانيتى و هيكل سليمان انما بناه الفينيقيون له من خشب الأرز. و يكاد يكون من الثابت اليوم عند العلماء ان ذلك الجدار هو جزء من الهيكل الذى بناه فى حوالى سنة ٢٠ ق. م هيرودس الكبير الأيدومى الذى اعتنق اليهودية لأغراض سياسية. و هكذا فان المسجد الأقصى، و قبة الصخرة، و قبة السلسلة، هى وحدها بين آثار فلسطين التى ترقى الى ما قبل الاحتلال الصليبي للبلاد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٠٨

بلفور فى القدس من أساليب الصهيونية الماكرة فى الدعاية و التضليل، و توريث الأشخاص الذين تسخرهم لأغراضها الجهنمية، استغلال فرصة افتتاح الجامعة العبرية فى القدس خلال شهر مارت ١٩٢٥ فى جبل سكوبس. و كانت هذه الجامعة قد أقيمت فوق أراض تعود لأصحابها العرب فانترعت منهم بموجب «قانون نزع الملكية» و أعطيت الى اليهود. فقد شاء الصهاينة أن تكون هذه الحفلة برعاية اللورد بلفور، صاحب الوعد المشؤوم، إمعانا فى التشفى بالعرب و اعترافا بفضل على «الوطن القومى» اليهودى.

وقد كتب المستر جفريز في هذا الشأن (٥٩٦) يقول: ان اللورد بلفور توجه الى القدس في مارت ١٩٢٥ ليفتح الجامعة العبرية. و لو تم افتتاح هذه الجامعة في ظروف أخرى لحضر الحفلة أناس من مختلف طبقات السكان في فلسطين. و لم تقصّر الجامعة العبرية حتى في وضعها الحالي في القيام برسالتها الجامعية الحقّة، فقد ارتفع أكثر من صوت يهودى فيها ضد المبادئ غير الأخلاقية، و أساليب التعجرف و الغطرسة التي تتبعها الصهيونية السياسية في فلسطين.

لكن افتتاحها الذى تم في ١٩٢٥ لم يكن سوى عرض للمناورات السياسية المفصوحه، التي يدل عليها مجيء اللورد بلفور. فان حضوره في حفلة الافتتاح يعتبر إهانة متقصده للعرب، لأنه لم يطلب اليه ان يرهاها نظرا لما يتصف به من مواهب و قابليات شخصية خاصة و انما طلب اليه ذلك لاكمال التمثيلية التي عهد اليه بالدور الرئيسى فيها فوق مسرح هذه البلاد المظلومة. و قد كانت الحفلة غير موفقة من نواح كثيرة على ما يفهم من الوصف الذى يورده جفريز، و قوبل بلفور في خارجها بكثير من الصدود و البرود. فقد تلقاه العرب باعلان الاضراب العام في القدس، و بادروا الى اغلاق دكاكينهم و مخازنهم و ملء الشوارع و الأزقة بالأعلام السود. و كان من المقرّر ان يلقي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٠٩

اللورد بلفور في عشية يوم الافتتاح، الذى كان يوم أحد، خطبة و عظ خلال القداس الذى يقام في كنيسة سنت جورج لتبديد الاعتقاد الخاطيء الذى تسرب الى نفوس العرب المسيحيين بانه رجل يهودى في الحقيقة و الواقع .. غير ان هذا لم يحصل البتة، لأن جوقة المرتلين في تلك الكنيسة هدد أفرادها بالامتناع عن الاشتراك في القداس اذا ما سمح له بالاشتراك فيه. فاضطر المطران الى إلغاء الترتيب المذكور تجنباً للفوضى و الاضطراب.

على ان التائب الرئيسى للضيف الثقيل كان سد أبواب قبة الصخرة و جامع عمر في وجهه. فقد رفض مفتى القدس و السلطات الدينية الأخرى السماح له في الدخول الذى يسمح به في العادة لجميع الزوار من دون تفريق. فغضب لذلك السر رونالد ستورز حاكم القدس غضبا ما بعده من مزيد و قال لهم بأنهم يتحدثون بهذا العمل شخصية مرموقة. و ليس هناك شيء مسجل يدل على ما أجاب به العرب في هذا الشأن، لكن المعروف عن شعور العرب في فلسطين بان اللورد بلفور يمكن ان يكون كل شيء الا- كونه شخصية مرموقة عندهم، بصرف النظر عما كانت عليه منزلته في أوربية. غير انه عوض عن هذه الالهانة باستقباله استقبالا حافلا في تل أبيب، حيث شهد تمثيل رواية شمشون و دليّة.

اما لماذا ابدى اللورد بلفور رغبة في ان يزور المسجد العربى، و هو المعروف بكونه لم يعترف بوجود عرب في فلسطين، فان ذلك يعتبر لغزا من الألغاز.

وقد استمر على موقفه هذا منهم حتى في فلسطين. فبعد ان انتهى من تناول الغداء في دعوة من الدعوات التي حضر فيها عدد من الشخصيات البريطانية كضيف معه تمشى الى الشباك و أخذ يشاهد المارة في الشارع، ثم سأل «من هم أولئك الذين يلبسون القفطين؟». لقد كان الذين يلبسون القفطين هم العرب بطبيعة الحال كما كان بلفور يعرف جيدا، لكنه أخذ يظهر اهتمامه بالأزياء حينما قيل له من هم أولئك الناس!!

لكنه حينما غادر المنطقة البريطانية و توجه لزيارة دمشق، كاد ان يصاب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢١٠

بكارثة فيها. فان الفرنسيين لم يتخذوا تدابير أمن مشددة لحراسته، كما اتخذت له في فلسطين حيث كان يحرس كما يحرس السجن الحكومى، و لذلك تجمعت الغوغاء من العرب حول الفندق الذى نزل فيه. و امتلأت المدينة بالهياج و الاضطراب و أغلقت المخازن و الأسواق، و صار الناس يهتفون «فلسطين عريية» و جموعهم تتوجه نحو الفندق الذى أغلقت أبوابه في وجههم. و حينما تجرأ اللورد بلفور و خرج الى الشرفه مع بعض مرافقيه، أخذ يسأل عن سبب هذا الهياج المجهول عنده و يلاحظ بتعجب و استغراب صفوف

الشرطة الخيالة وهي تصد المتظاهرين حول فندقه. و بانت بعد ذلك السيارات المصفحة، لكن الجموع المتظاهرين أخذت تقاوم، و تشتبك بالأيدى مع رجال الشرطة و الجيش الذين التجأوا لاستعمال قواعد البنادق و أغلفه السيوف و السياط، و زاد الطين بله ظهور الطيارات فى الجو و انقضاضها لالقاء قنابل الدخان على الناس.

و قد وقف الجنرال سراى، المندوب السامى الفرنسى، نفسه لحماية اللورد فى باب الفندق الرئيسى، حتى أمكن تهريبه من باب جانبية و انقاذه من الجموع الهائجة. ثم أخذ على عجل الى بيروت، و منها الى ظهر الباخرة «سفنكس» مباشرة. و لا بد من ان اللورد بلفور قد عنّ له ان يتساءل قائلاً «هل هذا كله بسبب تصريحى عن الوطن القومى لليهود؟». و بقى محجوزاً على ظهر الباخرة الراسية فى الميناء ثلاثة أيام، حتى أقلعت قافلته الى انكلتره.

اما السر رونالد ستورز فلا يذكر كل هذا فى مذكراته. و انما يكتفى بوصف موجز (الصفحة ٤٣٦) يقول فيه ان استعدادات فخمة اتخذت فى ربيع ١٩٢٥ لافتتاح الجامعة العبرية فى القدس من قبل اللورد بلفور، و ان هذه كانت مناسبة يرغب فيها اليهود و يستهجنها العرب و تخشاها الشرطة. ثم يقول: و ليس من الممكن أن يصدق، على ما يظهر، بأن شخصيه مرموقة لطيفة مثل هذه الشخصية يمكن ان يكون عدوا ممقوتا مثل هذا المقت عند العرب و لذلك كان الخوف من ان تساء معاملته لهذا السبب يساورنى فى الليل و النهار، و لم يكن هو و لا من كان فى حاشيته يعلم عظم المجازفة التى تكتنف حضوره الى القدس و لا الجهد الذى نبذله فى سبيل المحافظة عليه.

و قد كانت فرصة طيبة له فى الحقيقة ان يطلع على مقدار الكره الذى كان يكرهه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢١١

له العرب لو تسى له قراءة عشرات البرقيات المهنية له التى كانت تنتظره فى سراى الحكومة لو لم يعمد سكرتيره (و لعله كان يهوديا) الى إخفائها عنه و إتلافها كلها فى النهاية .. ثم يشير ستورز الى الحفاوة التى لقيها بلفور فى تل أبيب، و يذكر انه لم يجد من المناسب أخذه لزيارة قبة الصخرة خوفاً من ان يمنعه العرب عن ذلك، من دون الاشارة بشيء الى ما جاء فى روايته جفريز السابقة فى هذا الشأن .

الكفاح العربى

إشارة

و على هذا المنوال بدأ الحكم الانكليزى فى فلسطين، و قد أخذت الأيام تبرهن كلما تصرمت على ان الحكومة البريطانية المنتدبة قد جعلت من نفسها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢١٢

آله مسخرة فى أيدي الصهيونية العالمية لتحقيق الحلم اليهودى فى اغتصاب فلسطين من أصحابها الشرعيين و انشاء حكومة صهيونية فيها تكون عاصمتها القدس.

و قد تنبه العرب منذ البداية الى ما كان يبيت لهم من خطط شيطانية و أحاييل تستهدف ابتزاز بلادهم بالتدريج و تشريدهم الى خارجها. فراحوا يكافحون بكل ما عندهم من قوة، فى الميدانين السياسى و الثورى المسلح.

فعقد المؤتمر الفلسطينى الأول فى القدس سنة ١٩١٩، فقرر رفض وعد بلفور و الهجرة اليهودية و الانتداب البريطانى، ثم حدد مطالب العرب بالوحدة مع سورية باعتبار فلسطين جزءاً لا يتجزأ منها، و تسميتها «سورية الجنوبية».

ثم عقد فى القدس مؤتمر آخر فى حزيران ١٩٢١، فأكد فيه العرب أمانهم الوطنية و شجب وعد بلفور، و تمسكهم بالوحدة مع سورية، مع المطالبة بتشكيل حكومة وطنية فى فلسطين .

وقد انتخب هذا المؤتمر وفدا يسافر الى بريطانيا ليعرض مطالب الفلسطينيين على حكومتها. و في لندن اتصل بالأوساط الانكليزية المختلفة، و كان من تأثيره فيها ان بادر مجلس اللوردات في ٢٠ حزيران ١٩٢٢ الى اصدار قرار يرفض فيه صك الانتداب على فلسطين لأنه يناقض ما قطعتة بريطانيا من وعود للعرب في ١٩١٥، و لا يتفق مع رغبات أهالي فلسطين أنفسهم. لكن هذا القرار لم يكن له تأثير عملي على سياسة الحكومة البريطانية، لأن مجلس العموم أقر سياسة الحكومة في هذا الشأن. ثم اضطر وزير المستعمرات يومذاك (تشرشل) الى ان يصدر في أول تموز ١٩٢٢ ما سمي بالكتاب الأبيض.

وقد حاول هذا الكتاب تفسير وعد بلفور تفسيراً يطمئن العرب فيه، لكنه خيب آمالهم. و يقول جفريز في هذا الشأن (الصفحة ٤٩٢) ان الوفد أجبر وزير

موسوعة العتبات المقدسة، ج٥، ص: ٢١٣

المستعمرات على ان يضمن الكتاب الأبيض أعدار الحكومة عن حثها بالوعد المقطوع لهم. و كان هذا القسم من الوثيقة بمثابة اعتراف خطي موقع من الحكومة البريطانية بعدم النزاهة، و مع ان قليلا من الناس قرأوا هذا الاعتراف يومذاك أو اهتموا به فانه على كل حال سيبقى بينه واصله واضحة لمحكمة التاريخ، و لجيل من الناس اكثر شعورا بالصالح العام .. و اعترفت الحكومة بصراحة كذلك بانها لا يمكنها ان تخلق فلسطينا لليهود وحدهم.

و حينما عاد الوفد الى فلسطين عقد في نابلس المؤتمر الفلسطيني الخامس الذي قرر عدم الموافقة على اقتراح الحكومة بتشكيل مجلس تشريعي مختلط في القدس، و مقاطعة الانتخابات التي أعلنت عنها الحكومة لهذا الغرض (شباط ١٩٢٣). ثم قوطع بعد ذلك أمر تشكيل مجلس استشاري في البلاد، و رفض تأليف وكالة عربية على غرار الوكالة اليهودية.

اما مقاومة عرب فلسطين المسلحة فيمكن ان يقال ان حياتهم ما بين ١٩٢٢ و ١٩٣٩، كانت سلسلة ثورات و اضطرابات يتخللها انتخاب لجان و هيئات بريطانية للتحري عن الأسباب. فقد جاء في كتاب (الشرق الأوسط) الذي أصدره المعهد الملكي للشؤون الدولية في انكلتر سنة ١٩٥١ ان فترة السبع عشرة سنة المنحصرة ما بين ١٩٢٢ و نشوب الحرب في ١٩٣٩ حدثت فيها اضطرابات في ١٩٢٩، و ١٩٣٣، و ١٩٣٦، و بلغت هذه الاضطرابات ذروتها بنشوب ثورة كبيرة في ١٩٣٨. و كانت كلها بسبب عداة العرب للهجرة اليهودية .. و كان قادة الثورة على اتصال وثيق بمفتي القدس و اللجنة العربية العليا الموجودين في المنفى خارج فلسطين. و قد لا يزيد عدد الثوار على (١٥٠٠) شخص، لكنهم كانوا يتمتعون بالتأييد السلبي و الايجابي لأغلبية موسوعة العتبات المقدسة، ج٥، ص: ٢١٤

العرب في البلاد. و لولا الخصومات العربية الموجودة بين الأحزاب العربية في داخل فلسطين لامتد أمد الثورة الى أطول مما امتد اليه، و لكلف قمعها مبالغ أكثر. فما حل مايس ١٩٣٩ حتى أخذت الثورة بالتصاعد من الداخل، و صارت العمليات العسكرية البريطانية تلاقي نجاحا أكثر .. و قد بلغ عدد الاصابات على ما جاء في إحدى الحواشي مجموعا قدره ٣٧١٧، انتهى.

هذا و قد أوردنا شيئا عن اضطرابات سنة ١٩٢٢ و ١٩٢٩ قبالا، اما اضطرابات ١٩٣٣ و حوادثها الدامية فقد كان من اسبابها المباشرة اندفاع السر آرثر و اكهوب المندوب السامي البريطاني في سياسته التهويدية و لا سيما في تملك الاراضي و توسيع نطاق الهجرة الصهيونية الى فلسطين، إذ قفز رقم المهاجرين اليهود من ٩٥٠٠ مهاجر في سنة ١٩٣٢ الى زهاء ٣٣ ألفا في ١٩٣٣ و الملاحظ من هذا ان كفاح العرب أخذ يتوجه نحو الانكليز بصراحة و ليس نحو اليهود وحدهم. و قد بدأت الاضطرابات في القدس باضراب العرب و قيامهم بمظاهرة عامة يتقدمها أعضاء اللجنة التنفيذية في يوم الجمعة ١٣ تشرين الأول. و حدثت في يوم ٢٧ منه مظاهرة صاحبة أخرى في يافا، و اطلقت الشرطة البريطانية النار عليها فوقع فيها ثلاثون شهيدا و أكثر من مائتي جريح.

ثم قامت مظاهرة ثالثة في جميع انحاء فلسطين يوم عيد الفطر الذي وقع بعد شهرين.

و يفهم مما كتبه جفريز (الصفحة ٦٥٥-٦٦٥) ان ثورة ١٩٣٦ قد بدأت باضراب عام قام به العرب على عهد المندوب السامي البريطاني و اكهوب ايضا، حيث انه كان يشجع هجرة اليهود و يسهل أمرها، فهو يقول ان ما يسمى بالثورة الخامسة قد وقع في نيسان، و السبب في

ذلك هو من جديد، السبب الذي ادى الى وقوع الاضطرابات الأولى و الثانية و الثالثة و الرابعة قبلها، بالاضافة الى ملل الأمة و بأسها من تحقيق أمنياتها .. و قد بدأت فى يوم ٢١ نيسان بقرار أصدره ممثلو الأحزاب العربية كلهم، حينما اجتمعوا لتعيين مجلس وطنى يمثل الجميع، فسمى باللجنة العربية العليا. و كان يرأسه مفتى موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢١٥

القدس الحاج أمين الحسينى، و يدخل فى ضمن أعضائه عونى عبد الهادى، و راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس، و مدير البنك العربى، و عضوان من المسيحيين هما يعقوب افندى فرج و الفريد افندى روك. و قد طالبت اللجنة العليا رسميا بايقاف الهجرة، و منع بيع الأراضي للصهاينة، و تأسيس حكومة وطنية مسؤولة تجاه مجلس نيابى منتخب انتخابا ديمقراطيا .. و مما يذكره فى هذه المناسبة ان ارقام الهجرة ارتفعت من ٩٥٠٠ مهاجر فى ١٩٣٢ الى ٣٣ ألف فى ١٩٣٣ و الى ٤٣ ألف فى ١٩٣٤، و الى ٦٢ ألف فى ١٩٣٥، عدا ألوف المهاجرين غير الشرعيين بالتهريب و ما أشبهه. و على الرغم مما ذكره الخبير البريطانى سمبسون بأن الأراضي الموجودة فى أيدي العرب غير كافية صورة لاحدى موجات الهجرة اليهودية الى فلسطين موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢١٦

لهم فان السلطات البريطانية ظلت تشجع انتقال الأراضي الى أيدي اليهود حتى بلغ ما انتقل اليهم منذ أصدر سمبسون توصيته بوقف العملية أكثر من ٦٦٧ ألف دونم.

و قد تطور الاضراب العام فى هذه المرة الى «عصيان مدنى» على غرار ما وقع فى الهند كما يقول جفريز، فتوقفت الحياة فى البلاد تقريبا. و توسعت حوادث العنف و تدمير الممتلكات الصهيونية و الأراضي فى طول البلاد و عرضها. ثم استحالت الاضطرابات بالتدريج الى حرب صغيرة، هوجمت فيها القطارات و مخافر الشرطة، و ازدادت أعمال القناصة، كما تكونت العصابات فى الجبال. و يشير جفريز أيضا الى ان مذكرتين قدمتا الى حكومة فلسطين البريطانية فى القدس، احدهما من كبار الموظفين العرب و الأخرى من سائر موظفى العرب، يقولون فيها: ان الشعب المظلوم قد فقد ثقته بالعود الرسمية التى قطعت له بسبب اذعان الحكومة البريطانية للضغط الصهيونى، و ان ما يجرى فى فلسطين هو تعبير عن اليأس، فكان اضرابه و ثورته. و ان قتل الشعور بالقوة غير ممكن، و سيظل هذا الشعور قائما و سيبقى مصدرا للاضطراب و القلق حتى تزول العوامل التى ولدته، و ان ايقاف الهجرة هو الحل الوحيد الشريف للخروج من المأزق .. و لم تهدأ الثورة و يكف الشعب عن الاضراب حتى وسط الانكليز ملوك العرب الذين وجهوا الى العرب فى فلسطين نداء بالأخلاق الى السكينة لأن «الصديقه» بريطانية قد أعلنت رغبتها لتحقيق «العدل».

و يقول الأستاذ اكرم زعير فى (القضية الفلسطينية الص ١٠٥) ان السلطات زعمت تخفيفا لخسائرها ان عدد القتلى من قواتها بلغ (٤٥) قتيلًا و (٢٦٠) جريحًا، و ان قتلى اليهود كانوا (٨٠) و جرحاهم نحو (٣٠٠).

اما المصادر العربية فتقدر عدد الشهداء بألف شهيد، و يقدر عدد الذين زجوا فى السجون و المعتقلات بثلاثة آلاف عربى .. و قد امتازت هذه الثورة عن سابقتها بكونها كانت موجهة ضد الانتداب البريطانى أولا و بكونها عنيفة موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢١٧

شديدة، و باستمرارها و شمولها لجميع طبقات الأمة، و باشتراك العرب غير الفلسطينيين فيها اشتراكا فعليا عن طريق التطوع و امداد المجاهدين بالسلاح و العتاد، و اشتراك حكوماتهم بالتدخل السياسى حتى اصبحت القضية الفلسطينية قضية عربية عامة من الناحية العربية.

اما ثورة ١٩٣٨ فقد كانت شبيهة بثورة ١٩٣٦، لكنها كانت بمقياس أوسع. و كان السبب المؤدى لها ما جاء فى تقرير «لجنة پيل» التى قدمت الى البلاد للتحقيق فى اسباب ثورة ١٩٣٦. فمع ان هذه اللجنة قد اعترفت فى تقريرها بأن أسباب الثورة هى رغبة العرب فى نيل الاستقلال و كرههم لانشاء الوطن القومى اليهودى و تخوفهم منه، و هما السببان اللذان أديا الى وقوع اضطرابات ١٩٢٠ و ١٩٢٢ و

١٩٢٩ و ١٩٣٣، و فرغ العرب من تمادى اليهود فى تملك الأراضى، فانها قد خلقت فكرة التقسيم لأول مرة و اقترحتها فى التقرير. و كان اقتراح التقسيم مبنيا على اعتقادهم بان الانتداب قد ثبت فشله فى فلسطين على ما يذكر جفريز (الصفحة ٦٦١). و يروى جفريز تفصيلات هذا التقرير و ظروفه (الصفحة ٦٦٤-٦٦٧) و تبني الحكومة البريطانية لفكرة التقسيم الواردة فيه، و مناقشة البرلمان لوزير المستعمرات اليهودى أورمزبى غور عنها، و هى تفصيلات مضحكة مبكية فى نفس الوقت لما فيها من تناقض تتصف به السياسة البريطانية على الدوام و خنوع دائم للنفوذ الصهيونى و خططه الماكرة. و من جملة ما يذكره جفريز على الأخص (الصفحة ٦٦٦) ان الرئيس الصهيونى وايزمن قد زود بنسخة من تقرير لجنة بيل هذا قبل طبعه و نشره ليبدى رأيه فيه.

و لا شك أن نشر التقرير قد أدى الى تصاعد الهياج بين عرب فلسطين و البلاد العربية الأخرى، و لا سيما بعد أن عرضه وزير الخارجية المستر ايدن على عصبة الأمم فى ١٤-١٠-٣٧ و دافع فيها عن فكرة التقسيم الواردة فى التقرير. ففى ٢٦ من الشهر نفسه أطلقت النار على المستر اندروز حاكم الجليل فقتل هو و حارسه. و عند ذاك ثار ثائر السلطات البريطانية فاغتتمت الفرصة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢١٨

للبلطش بالعرب و زعمائهم. و يقول المستر جفريز (الصفحة ٦٧٣) ان هذا الحادث كان واحدا من سلسلة طويلة لا نهاية لها من الحوادث. التى تحدث فى كل بلد من بلاد العالم فى حقب التاريخ أجمع، فقد اتخذت الحكومة فرصة لها لا لتقبض على مرتكب الجريمة و تقتص منه بل لتحارب الأمة التى تقف فى وجهها كلها، و تضرب المبدأ الذى تتمسك به. فقد حلت جميع اللجان الوطنية فى فلسطين، و حرم مفتى القدس الأكبر، و رئيس اللجنة العربية العليا من مناصبه كافة ثم صدرت الأوامر باعتقال الأعضاء الآخرين. و كان السبب المزعوم لهذا الصنيع ان الزعماء العرب هم المسؤولون معنويا عن هذه الحوادث، و ان نشاطهم و أفعالهم كانت تعرقل صيانة الأمن العام. و أعقب هذا بعد اسبوعين صدور أمر آخر منع فيه أربعة من الزعماء العرب كانوا فى الخارج من العودة الى بلادهم. و كان من بين المعتقلين او المنفيين اناس معلومون من مثل جمال الحسينى، و الفريد روك، و عونى عبد الهادى. فقد استطاع جمال الحسينى التخلص من الاعتقال و فر هاربا الى سورية، حيث لحق به بعد قليل قريبه مفتى القدس الذى اختبأ فى جامع عمر أول الأمر، و فرّ بعد ذلك الى جهة الساحل، و من هناك وصل الى بيروت. و كان الاثنان الآخران فى جنيف، و قد حرم عونى عبد الهادى حتى من التأشير على جواز سفره الى انكلتره ..

ثم يقول جفريز: و كانت النتيجة الوحيدة لضربة الادارة الانكليزية هذه أنها برهنت للملأ على بطلان الادعاء القديم بان «الأفندية» الرؤساء اذا ما أزيحوا عن الطريق سرعان ما تتحطم المعارضة التى تقف فى وجه الوطن القومى اليهودى، و ان الفلاحين العرب سيرفعون ايديهم للصهيونيين الذين يجلبون لهم الازدهار و الموقية و ما أشبه. فقد كان الواقع بالعكس، لأن الثورة بدلا من ان تتبدد على ما كان ينتظر تقوّت و شملت فلسطين كلها و أصبحت ثورة عارمة بكل معنى الكلمة. حيث ان الناس الوحيديين الذين كان يمكنهم على الأقل ان يحاولوا ضبطها قد اعتقلوا أو زجوا فى غياهب السجون.

و يذكر جفريز كذلك: و لتبرير الفشل الذى منيت به حركة أول

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢١٩

(أوكتوبر) الحكومية عزيت تطورات الثورة هذه كلها الى مفتى القدس و جماعته الذين كانوا يعملون آمينين فى سورية و لبنان بحماية الفرنسيين. و قد كانت أشياء كثيرة تعزى الى المفتى على الدوام منذ كان فى القدس، و كان يسمى روح الثورة. و من وقائع هذه الثورة التى يذكرها الاستاذ زعيتر ما يذكرها بقوله:

و فى أثناء وجود لجنة التقسيم احتلت العصابات مدينة القدس القديمة، و نشطت فى مختلف الساحات، فاستبدلت الحكومة البريطانية الجنرال هينغ بالجنرال و يفلى فى منصب القائد العام .. و أخفقت جميع التدابير الزجرية فى تخفيف حدة الثورة. ففى ٢٠ من اغسطس احتل الثائرون مدينة الخليل، و فى ٢٤ دخل أحد الثوار سراى الحاكم البريطانى فى جنين المستر موفات و اطلق النار عليه فأرداه قتيلًا

ثم خرج ناجيا بنفسه. و في ٩ أيلول احتل الثوار مدينة بئر السبع و اطلقوا المساجين و استولوا على مركز البوليس فيها و احرقوها، و توالى النجدة العسكرية حتى استطاعت السلطات بعد جهود احتلال القدس القديمة ثانية.

و في ٥ اكتوبر احتل الثوار مدينة طبرية و غزوا أحياءها اليهودية فقتل و جرح عشرات من اليهود، عدا ما حرق و دمر من البيوت و المنشآت الرسمية.

و قد أحصت السلطات الرسمية حوادث العنف مدة الثورة فقدرتها بنحو عشرة آلاف، منها نحو الف و خمسمائة ضد الجيش و البوليس، و قدرت الاصابات من الانكليز فى سنتى ١٩٣٨ و ١٩٣٩ بثلاثمائة و خمسين قتيلًا و نحو ستمائة جريح. اما العرب فعدد شهدائهم فى هذه الفترة ليس اقل من الفين.

و جاءت الى القدس خلال الثورة «لجنة و ودهيد» التى كان من المقرر ان تحدد حدود التقسيم الذى اقترحه لجنة بيل، فقامت بعملها برغم مقاطعة العرب لها. ثم قدمت تقريرًا ذكرت فيه الكثير من مساوىء فكرة التقسيم، لكنها اقترحت اقتراحات أخرى مماثلة لليهود ايضا. غير ان أحد أعضائها، و هو المستر ريد، أرفق بالتقرير مذكرة تحفظية جاء فيها: ان اعلان سياسته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٢٠

التقسيم قد حوّل الاضطرابات فى فلسطين الى ثورة عربية قومية أسهم فيها العرب المقيمون فى بعض الأقطار العربية .. ثم قال: لقد أوفى الانتداب بوعد أعطى تحت ضغط ناجم عن الحرب، اما اقتراح تقسيم البلاد فهو أمر آخر بالمره، أى انه انقلاب لا يجوز ان يجريه الأوصياء من دون موافقة شعب فلسطين الذى ليس هو بالساذج المفتقر الى الوصى و لا هو بالعاجز عن اتخاذ قرار بهذا الشأن .. و بتأثير حدة الثورة، و بناء على ما جاء فى تقرير هذه اللجنة من مشاكل، تراجعت الحكومة البريطانية عن فكرة التقسيم فانتصرت الثورة. و دعت الى عقد مؤتمر لممثلى الدول العربية و عرب فلسطين، ثم نظمت ما سمته بالكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٦ فجعلت منطوياته أساسا لمفاوضات المؤتمر. و مما تضمنه الكتاب الأبيض قول الحكومة البريطانية ان حكومة جلالتهم ترغب فى ان ترى قيام دولة فلسطينية مستقلة يشترك فيها العرب و اليهود بممارسة الحكم فيها و لكن لا بد من أن يسبق ذلك نشوء علاقات طيبة بين العرب و اليهود. و عليه لا بد من فترة انتقال تحتفظ خلالها حكومة جلالتهم بالمسؤولية النهائية بصفتها السلطة المنتدبة، و لا بد من فترة يزداد فيها نصيب الأهالى من الاضطلاع بالحكم الذاتى. و تبذل الحكومة فى أثنائها جهدها لتنمية العلاقات الطيبة بين العرب و اليهود. فلم يوافق على تفصيلات المشروع لا العرب و لا اليهود، لكن الحكومة البريطانية تمسكت به و عرضته على عصبة الأمم لاقتراره. و بينما هى تنظر فيه أعلنت الحرب العامة الثانية و توقف عمل العصبة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٢١

مفتى القدس

ليس هناك شخصية عربية تعرضت للنقد و التحامل الشديد فى صحف المغرب، و أصبحت هدفا دائما للهجمات التى ظلت تشنها عليها أقلام خاصة فى أنحاء العالم أجمع، خلال مدة تمتد من أوائل العشرينات فى هذا القرن الى سنى ما بعد الحرب العالمية الثانية، مثل شخصية مفتى القدس الحاج أمين الحسينى. و لا شك ان سبب هذا كله هو ان المفتى كان من أوائل المتصددين للقضية الفلسطينية من المتبينين لحركة المقاومة فى وجه الصهيونية، اما الاختلاف الواقع بينه و بين الزعماء الآخرين فمبعثه الاجتهاد و لكل من ساسة فلسطين العرب رأيه و طريقة معالجته الأمر.

و لأجل ان تخرج الصورة التى نحاول رسمها عن القدس فى العصر الحديث و هى صورة كاملة رأينا من المناسب ان نورد هنا نموذجا لما كتب عن المفتى فى الصحف البريطانية و الكتب التى طبعت فى البلاد الانكليزية. فقد كتب عنه الصحفى اليهودى جون كيمشى، محرر ال «جويش أوبزرفر» صفحات خاصة فى كتاب أخرجه سنة ١٩٥٣ بعنوان (الأعمدة الساقطة السبعة) على أثر تشكيل دولة

اسرائيل و فشل الجيوش العربية السبعة في الحيلولة دون تكوينها. فهو يقول:

«... وقد لا يكون هناك رأى عام عربى على شاكلة الرأى العام الموجود فى نيويورك أو لندن. و لكن أخذ نوع من الرأى العام العربى المخاطر يتكون بالتأثير البارع الذى كانت تمارسه شخصية مفتى القدس الشريفة، الحاج أمين. فقد كان هرب المفتى من فرنسة و التجائه الى الملك فاروق فى مصر موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٢٢

فاجعة لليهود و البريطانيين العرب على سواء، حينما أخذت تشتد أزمة الهجرة اليهودية الى فلسطين فى صيف ١٩٤٦. فبعد ان تخلص من الاعتقال للمرة الرابعة، أخذ محمد أمين الحسينى مكانه المرموق فى العالم العربى مرة أخرى و أصبح فى المجالس العربية العليا الشخصية الأولى التى تغطى على الحكام و الرؤساء ممن كان يدبر الشؤون العربية و يوجهها بشىء أكثر من الاعتدال عند غياب المفتى و تفرغه لخدمة النازيين.»

«و قد ولد الحاج أمين قبل إحدى و خمسين سنة فى القدس، لكن طبيعته المتقلبة، و لحيته الضاربة الى الحمرة فى لونها، مع مظهره الثعلبى، تجعله يبدو أصغر مما هو بكثير. و قد أطلق عليه ضباط الاستخبارات البريطانية خلال الحرب اسم «بارباروسا»، لكن خصل الشيب أخذت تغطى الآن على لحيته الحمراء و اتخذت قامته الرشيقه شكلا على جانب أكبر من الروحانية و المظهر الكهنوتى. و كان شباب المفتى يسير فى النمط الكلاسيكى الذى يسير فيه شباب كل مشاغب. فقد درس فى مدرسه من المدارس التركية، و قضى سنة غير مستقرة فى جامعة الأزهر فى القاهرة التى تركها من دون أن ينتظر من أجل الحصول على درجة الشبخية منها- ثم حج الى بيت الله الحرام، و قضى فترة قصيرة فى الجيش التركى خلال الحرب العالمية الأولى، و تعين لوقت ما موظفا فى الكمرک و معلما بعد ذلك. و عند ذاك يبدأ مسلكه فى الافتاء.

«و كانت إحدى المحاكم البريطانية قد حكمت عليه فى ١٩٢٠ بالسجن لمدة عشر سنوات بتهمة التحريض على الاضطرابات التى حصلت ضد اليهود فى تلك السنة. ففر الى شرقى الاردن و التجأ الى الأمير عبد الله. و كان هذا أول تملص من الانكليز يتوفى فيه، حيث أنه أصبح عادة له فيما بعد. ثم قدر للمفتى بأن يحظى فى السنة التالية بطالع حسن ظل يعرف به طوال حياته السياسية فقد كان المندوب السامى اليهودى فى فلسطين السر هربرت صموئيل ينشد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٢٣

الحصول على حسن نية العرب تجاهه باتباع سياسة تنطوى على الكثير من الترضية و رحابة الصدر. و فى غمرة من هذا الاتجاه عفى عن الوطنى الثائر أمين الحسينى. و لم يكتف بهذا فقط، بل قرر المضى فى حركة أخرى من حركات حسن النية، فقد بذل نفوذه فى سبيل ان ينتخب الحاج أمين الحسينى مفتيا للقدس على الرغم من المشورة التى قدمتها له الأسر العربية المعتدلة بخلاف ذلك. «و ما ان ثبت أقدامه فى منصبه الجديد حتى أخذ يدرك- و هو فيه طبيعة- رسالته التى كرس جهوده لها باخلاص قلما يوجد له مثيل فى التأريخ المتأخر.

و كانت رسالته تنطوى على تحقيق أطماعه هو نفسه، من دون ان يسمح لشيء بان يقف فى طريقها. و قد أعقب تعيينه للافتاء عمل آخر من أعمال الترضية التى كان يمارسها المندوب السامى اليهودى، فقد عين مفتى القدس رئيسا للمجلس الاسلامى الأعلى فيها أيضا. فأصبحت بيده قوة لا يستهان بها، حيث انه بات يتحكم فى جميع الأموال العائدة للمؤسسات الدينية و فى المحاكم الشرعية و المقابر، و المساجد. و بكلمة موجزة أصبح الحاج أمين ديكتاتور الحياة الدينية و التعليمية و الاجتماعية لجميع المسلمين فى فلسطين. فتمت أطماع هذا المفتى و توسعت. غير انه كانت هناك أسر عربية قوية لم تزل فى فلسطين تشغل مناصب مهمة فى البلد و تحول دون أطماعه. و لذلك قرر تصفيتها و القضاء عليها.

السر هربرت صموئيل اول مندوب انتدبته بريطانيا لادارة فلسطين و هو صهيونى صميم ساعد حكمه على قيام دولة اسرائيل فى النهاية. «و قد فتح ظهور هتلر و تسنمه مقام السلطة فى العالم أفقا جديدا فى هذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٢٤

الشأن. إذ سرعان ما اتصل المفتى بالألمان، و أوفد الطلاب للدراسة في ألمانية فتلقى مساعدة لقاء ذلك. و هكذا كان المسرح مهيباً لثورة ١٩٣٦ التي كان المفتى يدبر كل شيء فيها. و كان قد جند المرتزقة لكنه وجد في القرى العربية، و لدى العرب الاعتياديين، تعاطفاً معه أكثر من التأييد العملي. فقد قدرت اللجنة الملكية ان عدد القائمين بالثورة لم يكن يزيد على (١٥٠٠) نائراً نظامياً. و اكتشف المفتى وجود معارضة نامية لسياسته بين العرب المعتدلين، و لذلك حرّض رجاله على هؤلاء المعارضين الذين كانوا يتهمونه باساءة التصرف في المبلغ الذي يزيد على المليونى پاون مما يعود الى أموال الأوقاف المسلمة بعهدته. فاغتيل رجال العرب البارزين و غير البارزين، و عدد من النساء. و عند ذلك صدرت مذكرة بتوقيف المفتى هذا، فاحتمى بقبة الصخرة الكائنة في القدس القديمة، و أخذ يدير الحركات من حرمها و يحاكم العرب الذين لم يطيعوه. و قد ترك عدد من العرب البارزين فلسطين الى مصر هرباً من انتقام المفتى.

«و حينما انطفأ لهيب الثورة في الأخير تزيا المفتى بزى امرأة عربية، و هرب من المسجد فالتجأ الى لبنان. و لم يعتقله الفرنسيون حينما أعلنت الحرب لكنه فر هارباً من مراقبتهم الشديدة و وصل الى بغداد. فصوّتت الحكومة العراقية على تخصيص (٠٠٠، ١٨) پاون له، مع مبلغ شهرين قدره ألف باون يدفع له من المخصصات السرية. و قد ظهر في برلين في أواخر أيام الحرب مع هتلر و هملر، ثم ساعد بعد ذلك في تنظيم مسلمى الألبان و اليوغوسلاف و انتمائهم إلى جماعات الصاعقة التي كانت تحارب تيتو. و كذلك ساعد في تأسيس مدرسة تخريب للعرب الموجودين في آثينة، و في تلقين المظليين العرب عن مهمتهم في فلسطين و العراق.»

«و كان التأثير العاجل لعودة مفتى القدس الى الشرق الأوسط في ١٩٤٦ إثارة أعصاب معظم الزعماء العرب. و عادت الى الظهور كذلك ذكريات أساليبه الفعالة في اقناع او تحطيم الذين كانوا على خلاف معه. و يبدو أنه كان قد توفّق في الحصول على أتباع غير قليلين في العراق، و فلسطين، و سورية.»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٢٥

فانضم العرب المعتدلون -خوفاً من العزلة- الى التهديد و الصراخ بما يجب ان يفعلوه اذا لم يبادر البريطانيون الى ايقاف السيل المتدفق لهجرة اليهود غير الشريفة. و كان ذلك، كما لوحظ، في الوقت الذي وصل اليه النفوذ الروسى في الشرق الأوسط الى قمته. فقد هدد الناطقون باسم المفتى من عرب فلسطين بأنهم سيتجهون الى روسية و يستمدون العون منها اذا امتنعت بريطانيا عن ايقاف الهجرة اليهودية عند حدها.

«فساعد هذا كله على تشجيع حكومة العمال في لندن على اتباع مشورة العرب و حكومة فلسطين و وزارة الخارجية، فصودق على ترحيل المهاجرين غير الشرعيين الى قبرص و ابقائهم فيها مدة سنتين. و كانت تقارير وزارة الخارجية عن تغلغل النفوذ الروسى في الشرق الأوسط، و تصاعد السخط العربى، و مناورات المفتى، كافية لاقتناع مجلس الوزراء بذلك و اخماد أى نبضة وجدان يمكن ان تنبض في غرفة الاجتماع في داوونينغ ستريت ..»

اما الغربيون المنصفون فيجّلون مفتى القدس و يضعون الحق في جانبه.

فيقول جفريز (الصفحة ٦٧٤) مثلاً: «ان هناك قليلاً من الشك على ما يظهر بان المفتى رجل ذو مزاج تأمرى، و ربما كان له ضلع في المقاومة المسلحة التي حصلت في فلسطين. و لكن النقطة التي يجدر ذكرها بالنسبة للمفتى هي: ان أى موقف بالضبط؟، و أى عمل كان يمكن ان ينتظر منه ان يفعله بعد أن أصبح من الواضح جدا ان السنوات المتتالية من المطالب السلمية و الاحتجاجات لم تنجح في الفوز بالنظر في التهم التي كان يقدمها هو و غيره من الزعماء العرب ضد الانتداب و صانعيه، فضلاً عن رد هذه الاتهامات؟ فاذا كان قد التجأ الى الدس و التحريض بالفعل بعد سنين من الاحتجاجات و العرائض التي لم ينظر فيها، و اذا كانت مناقشاته المدعمة بالحجج و البراهين لم تحظ حتى بالالتفات اليها، فمن هو الذى يحكم عليه إذن؟ لا شك ان الذين سيحكمون عليه يجب ان لا يكونوا

ممن كانوا يشغلون مناصب عالية في الحكومات والهيئات التي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٢٦

كانت تتآمر على بلاده خلال عشرين سنة و من ورائها الصهاينة المتحفزون.

وقد كان معظم الزعماء العرب الآخرون منشغلين بالفعل في هذه الاستغاثات السلمية التي لم تقلل الا بعدم الالتفات. و كانت حياتهم السياسية قد تقضت بالذهاب والاياب ما بين القدس و لندن و جنيف».

في الحرب العالمية الثانية

إشارة

أعلنت الحرب العالمية الثانية و ثورة ١٩٣٨ ما تزال قائمة في فلسطين. لكنها سرعان ما توقفت لأسباب كثيرة أهمها نقص السلاح و نفاذ العتاد، و ضخامة التضحيات التي بذلها العرب. و كانت الحكومة البريطانية لا تزال مصرة على تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض، فراحت تتخذ التدابير المطلوبة لذلك و على الأخص بالنسبة لمشكلة تسرب الأراضى الى اليهود و إيقاف الهجرة، و تأسيس شكل من أشكال الحكم الذاتى. و اصبح موقف العرب فى أثناء الحرب أقرب الى المهادنة منه الى التمرد لأنهم كانوا يأملون ان يتم تنفيذ الكتاب الأبيض.

لكن اليهود ثارت ثائرتهم على مندرجات الكتاب الأبيض و أخذوا يقاومونه بكل ما لديهم من قوة و نفوذ. و من أجل هذا سلكوا ثلاثة طرق: -١- التجأوا الى الولايات المتحدة ليستعينوا بالصهيونيين الأقوياء فيها و ليحملوا حكومتها على التدخل فى الأمر. -٢- أخذوا يسلمون أنفسهم بكل وسيلة و يقوون مؤسساتهم العسكرية السرية. -٣- نشطوا فى أعمالهم الارهابية ضد الانكليز و أخذوا يطعنون الدولة البريطانية من الخلف فى الحين الذى كانت تشغل فيه فى أمور الحرب الطاحنة و شؤونها الخطيرة.

و على هذا الأساس عقد الصهاينة الأمريكان مؤتمرا خاصا فى فندق بلتيمود فى نيويورك خلال مايس ١٩٤٢ و قرروا فيه:) اولاً رفض الكتاب الأبيض

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٢٧

ثانياً إطلاق الهجرة الى فلسطين. ثالثاً انشاء جيش يهودى يحارب تحت رايته الخاصة و الاعتراف به. رابعاً قيام دولة يهودية فى فلسطين بأسرع ما يمكن.

فاعترفت الوكالة اليهودية بمقررات بلتيمور هذه و أيدتها الأحزاب الصهيونية كلها، فاصبحت برنامجاً للعمل عند الجميع. و ظلت الجهات الصهيونية جمعاء تشتغل و تدس، و ترمى بثقلها كله للتأثير على الدوائر الأمريكية المتنفذة حتى تسنى لها الاستيلاء على الرئيس ترومان و من يحيط به من رجال الكونغرس، و الحزبين الجمهورى و الديمقراطى، و نفذوا بواسطتهم ما أرادوا. فقد نقض الكتاب الأبيض، و فتح باب الهجرة، و تابعت المناورات السياسية و التأثيرات غير المنصفة فى هيئة الأمم المتحدة التى تشكلت بعد انتهاء الحرب و انتصار الحلفاء فيها، فأدى ذلك كله الى استصدار قرار من هذه الهيئة الدولية بتقسيم فلسطين و تأسيس دولة اسرائيل المزعومة فى جزء مهم من فلسطين

اما الأعمال الارهابية التى قام بها اليهود فقد توسع نطاقها و اشتدت و طأتها على الانكليز، و بقيت كذلك حتى أعلن التقسيم. و كانت تقوم بها المنظمات السرية اليهودية: الهاغانا و هى منظمة الحرس المسلح لحماية المستعمرات اليهودية و أرغون زفاى لومى لأرض اسرائيل التى تهدف الى الاستيلاء على فلسطين و شرق الأردن بقوة السلاح، و شتيرن و هى عصابة للاغتيال تختص بنهب الأموال و السلاح و الغاية عندها تبرر الواسطة.

وقد اغتازت السلطات البريطانية لهذه الأعمال الاجرامية الى آخر حد، ولا سيما حينما نسفت الدوائر الحكومية التي كانت تشغل جناحا من اجنحة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٢٨

فندق الملك داود في تموز ١٩٤٦. فعزت السلطات العسكرية هذا العمل الى اليهود علنا، و ألقت اللوم على الطائفة اليهودية كلها في بيان أصدره القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين الجنرال باركر، فقد قال فيه «ان الطائفة اليهودية في فلسطين لا يمكنها ان تملص من مسؤولية السلسلة الطويلة من الانتهاكات التي بلغت الذروة في نسف قسم كبير من دوائر الحكومة في بناء فندق الملك داود و ضياع عدد غير قليل من أرواح الناس».

و كتب عدد كبير من كتاب الغرب عن هذه الأعمال، فشجبا معظمهم و أدانها المنصفون من بينهم، و من بين هؤلاء اناس من اليهود يناوئون الصهيونية و يناهضونها، فقد كتب الكاتب الامريكى اليهودى الفريد ليلنتال المعادى للصهيونية يقول في كتابه (ثمن اسرائيل): و فيما كانت الصهيونية ماضية في غيرها، و بينما كان اليهود يتعاملون عن هذه الأعمال الارهابية، ارتفع صوت يهودى واحد يندد بها، و كان له دوى الصاعقة .. لقد تحرك أخيرا ضمير حى من الضمائر اليهودية الصحيحة هو ضمير الدكتور يهودا ماغنس رئيس الجامعة العبرية في القدس. و المعروف عن الدكتور ماغنس انه لم يؤيد أبدا فكرة فرض سيطرة يهودية على فلسطين، بل كان يسعى الى ايجاد حل عادل لهذه المشكلة ..

فقد وقف خطيبا في الذكرى الواحدة و الثلاثين على إنشاء الجامعة و قال: «ان الصهيونية تحاول ان تضع الشعب اليهودى كله تحت نفوذها بالقوة و العنف ..

ان الحظ لم يسعدنى بعد لأن أسمع من أفواه معارضى الصهيونية رأيهم الصريح بأولئك الأشخاص الذين نصبوا أنفسهم مدافعين عنهم .. إنهم قتلة .. انهم عصابة من الرجال و النساء. و جميع أمريكا يشاركون هؤلاء في الجرم .. لأن واجبا يقضى علينا بان لا نظل مكتوفى الأيدي، و نحن اذا ما قرعنا ناقوس الخطر فذلك لأننا حريصون على المحافظة على تقاليدنا الدينية الصحيحة ..»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٢٩

هذا و قد سافر الدكتور ماغنس بعد مدة قصيرة من إلقاء خطابه هذا الى الولايات المتحدة، و قرر ان لا يعود الى القدس، المدينة التي أحبها من صميم فؤاده.

و يذكر ليلنتال بعد ذلك: «و ان كان الدكتور ماغنس قد مات فان أقواله الصريحة الصادقة ستعيش الى الأبد. فهو الذى قال: لقد كنا نعتقد ان الصهيونية ستعمل على تخفيف الحملة ضد السامية في العالم، و لكننا رأينا العكس تماما» ..

كان العلامة اينشتاين يرى رأى الدكتور ماغنس فى الصهيونية التي حاولت مرارا ان تستفيد من سمعته و منزلته العالمية لترويج أغراضها، و ارادت ترشيحه لرئاسة الجمهورية بعد موت وايزمن، و لكنه رفض. و يقول الفرد ليلنتال فى هذا الشأن: «و لكن مجرد دراسة بسيطة لتزعة انشتاين و عاطفته تجاه اسرائيل تظهر لنا بوضوح ان العلامة الكبير لا ينتمى لاسرائيل كما ادعت الصحف اليهودية، و انما كان اهتمامه منصبا منذ البداية فى انعاش الجامعة العبرية فى القدس. و قد حدث ابان الصراع العنيف بين وايزمن و برانديس (القاضى اليهودى الامريكى) ان وقف انشتاين الى جانب برانديس و أيد موقفه فى مناهضة الحركة الصهيونية و أهدافها المتطرفة .. و عندما مثل انشتاين امام لجنة التحقيق الأمريكية البريطانية عام ١٩٤٦ أجاب على سؤال وجهه اليه أحد الأعضاء عما اذا كان من الضرورى انشاء دولة يهودية لحل قضية اللاجئين اليهود فقال: ان فكرة انشاء دولة لا تلاقى هوى فى نفسى، إذ أنى لا أفهم الحاجة الى قيام هذه الدولة .. و أقول انها وليدة فكرة نبتت فى رؤوس فريق من اليهود أصحاب العقول الضيقة .. و لذا اعتقد انه من الخطأ التفكير بانشاء مثل هذه الدولة، و قد كنت و ما زلت ضدها».

و هناك أناس كثيرون من اليهود غير هؤلاء شجبا الارهاب شجبا عنيفا و اخصهم جماعة «مجلس اليهودية الامريكى»، و فى

مقدمتهم رئيس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٣٠

المجلس المستر كليرنس كولمان، و المستر ليسينغ روزنوالد، و الحاخام أيلمر بيرغر المدير الادارى لهذا المجلس و غيرهم . و هذا المجلس يناهض الصهيونية و يعادياها بصورة صريحة.

تخلي بريطانيا عن فلسطين

كانت الجهود التي بذلتها الصهيونية العالمية في امريكا قد اثمرت و نجحت تمام النجاح في حمل الحكومات الأمريكية المتعاقبة، و دواثرها السياسية على التدخل في قضية فلسطين في جانب الصهيونية. و قد أخذت هذه الجهات تضغط على انكلترة بشتى الوسائل حتى توافق على زيادة الهجرة اليهودية و الحث بنصوص الكتاب الأبيض التي تبنتها الحكومة البريطانية و عزمت على تنفيذها. و كان لموقف ترومان الرئيسى الأمريكى المتصهين تأثير مريبك في هذا الشأن، كانت تصريحاته و تدخلاته تعرقل ما كان المستر بيغن وزير خارجية حكومة العمال البريطانية قد عزم عليه في حل المشكل.

و بعد مداولات و مناورات كثيرة ألقى المستر بيغن في ٢٦ شباط ١٩٤٧ خطابا في مجلس العموم البريطانى أشار فيه الى ان القضية الفلسطينية معقدة جد التعقيد بسبب ما في نظام الانتداب من وعود متناقضة، لأنه يسمح لليهود بغزو فلسطين و الهجرة اليها بينما يحتم عدم الاضرار بسكانها الآخرين، و أشار الى ما كان لتصريحات ترومان و موقف حكومته من أثر في تعقيد القضية ثم قال:

غير ان بريطانيا لا تستطيع ان تفرض حلا نهائيا الا بالقوة لأنها منتدبة انتدابا، و لذلك أصبح واجبها دفع الأمر الى هيئة الأمم المتحدة لتقرر الحل الذى تراه مناسباً.

و في هذا المآل يقول لينتال (ثمن اسرائيل الص ٤٦): و ما أطل عام موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٣١

١٩٤٧ حتى كانت الحالة في فلسطين قد بلغت ذروتها من حيث التأزم، و كانت تستدعى تدخلا دوليا عاجلا لحلها .. فان الصهيونيين كانوا يصرون بعناد على ان يكون اليهود الأكثرية ليمكنوا من انشاء حكومة يهودية .. و في غمرة الفوضى الشاملة قررت بريطانيا نفذ يدها من فلسطين. خاصة بعد ان فشلت جميع المحاولات و المشاريع التي عرضتها حلا للمشكل .. و كان آخر الحلول ذلك الحل المعروف بمشروع بيغن الرامى إلى إنشاء نظام «كانتونات» بفلسطين من العرب و اليهود لمدة خمس سنوات، و السماح لمائة الف لاجىء بالدخول الى البلاد.

ترومان و وايزمن في وقفه تحاب و صفاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٣٢

و قد أعلنت الوكالة اليهودية آنذاك أنها لن تتعاون بعد الآن مع السلطة المنتدبة ضد أعمال الارهابيين اليهود. و حيا ذلك رأت بريطانيا أن لا مخرج لها من هذه الورطة، الا بعرض القضية على هيئة الأمم المتحدة .. و عند عرض القضية على بساط البحث في مجلس العموم البريطانى حاول بيغن بعبارات غامضة ان يبرر فشل حكومته في حل القضية الفلسطينية متهما الساسة الأمريكين بتعقيد المشكله. و قد تجاوز حدود التقاليد الدبلوماسية عندما غمز من طرف خفى مسؤوليه البيت الأبيض حيث قال:

«... و خرجت في اليوم الأول من انعقاد مؤتمر السلم في باريس و انا مطمئن الى اننا تمكنا من تذليل العقبات .. و في منتصف ليل اليوم التالى تلقيت مخابرة هاتفية من رئيس الحكومة البريطانى يعلمنى ان الرئيس الأمريكى ينوى، إصدار قرار آخر بصدد المائة الف مهاجر .. و كان مجلس السلم لا يزال منعقدا و لذلك رجوت بيرنز ناظر خارجية امريكا ان يتدخل لدى الرئيس ترومان كي يؤجل صدور ذلك القرار. و كان جواب ناظر الخارجية الأمريكية انه اذا لم يعلن ترومان موافقته على ادخال المائة الف يهودى فان مزاحمه في الانتخابات ديوى سيسبقه الى اعلان موافقته و تأييده لادخال هذا العدد من المهاجرين فيكسب بذلك أصوات يهود أمريكا في

انتخابات الرأسة»...!!

لجنة التحقيق الانكليزية الاميركية

و كتب جيمس ريستون في صحيفه نيو يورك تايمس في نفس الموضوع يقول:

«ان عددا كبيرا من مستشارى الرئيس ترومان عارضوا صدور مثل هذا القرار نظرا لتوقع عقد هدنة بين بريطانيا والصهيونيين .. بل ان (أتلى) رئيس الحكومة البريطانية اتصل بنفسه بالرئيس ترومان و طلب منه تأجيل اصدار ذلك القرار لكن ترومان لم يعر جميع هذه المحاولات أدنى اهتمام ..»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٣٣

ثم يقول ليلنتال بعد ذلك: و يجدر بالذكر هنا ان وزارتي الخارجية و الحربية الأمريكيتين حذرتا البيت الأبيض و الكونغرس من اتباع تلك السياسة الخاطئة.

و كانتا محقتين في تحذيرهما، لأن مثل تلك السياسة قد تودى بنفوذ امريكا فى بقعة استراتيجية هامة من العالم. و لكن الساسة الأمريكين لم يأبهوا كثيرا لتلك الحقيقة وضحوا بها من أجل سياسة حزبية تحقق مآربهم الشخصية .. و هذا ما حصل بالفعل. فقد كانت القضية الفلسطينية فى أخرج أزماتها ..

عند ما بلغت حملة الانتخابات ذروتها بين الحزبين المتنافسين .. فأدرك كل منهما ان حزبه لن يظفر بأصوات الناخبين اليهود فى أمريكا الا اذا تعهد بتأييد إقامة دولة اسرائيل فى أرض فلسطين .. و لعلها المرة الأولى فى التاريخ ان تكسب معركة حاسمة بوسائل الدعاية، و كان الفضل فيها للصهاينة أنفسهم الذين علقوا مصير مستقبلهم على نتيجة تلك المعركة الانتخابية ..

تقسيم فلسطين

و تنفيذًا لعزم بريطانيا على نفض يدها من فلسطين، بعد ان مهدت لانشاء الوطن القومى اليهودى فيها خلال ٢٨ عاما، قدمت بريطانيا مذكرة الى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة تطلب فيها عرض القضية الفلسطينية برمتها فى دورة خاصة.

و قد كتب الفريد ليلنتال (الصل ٥٣) فصلا خاصا فى هذا الموضوع عنوانه «التقسيم غير المقدس» يقول فيه: و فى ٢٨ نيسان ١٩٤٧ عقدت الجمعية العمومية جلسة خاصة فى نيو يورك لبحث قضية فلسطين، و قد اقتضت ابحاث هذه الجلسة على عرض مختصر القضية من مختلف وجوها .. و قد تقرر تأليف لجنة للتحقيق فى القضية الفلسطينية، على ان ترفع تقريرها الى اللجنة فى مدة أقصاها شهر أيلول ١٩٤٧ .. فتألفت اللجنة من ١١ دولة صغرى هي:

اوسترالية، و كندا، و تشيكوسلوفاكية، و غواتيمالا، و الهند، و ايران، و هولانده، و بيرو، و السويد، و أوراغواى، و يوغوسلافية، كما عين القاضى السويدى أميل ساند ستروم رئيسا لها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٣٤

و يتابع المستر ليلنتال سرد القضية فيقول: و منذ الساعة الأولى التى أعلنت فيها أسماء أعضاء اللجنة بدأت محاولات الصهيونية فى الضغط و التأثير على الأعضاء، و راحت المنظمات و المؤسسات اليهودية تبذل الجهود و المساعى خلال اجتماعات الجمعية العمومية لكسب التأييد و المساعدة للقضية الصهيونية.

و قد وصلت اللجنة الى القدس فى ١٧ حزيران ١٩٤٧ فأضربت فلسطين و بعض البلاد العربية يوم وصولها. و يذكر المستر ليلنتال بهذه المناسبة قوله:

و فى مثل هذا الجو العاصف المحموم باشرت لجنة التحقيق دراستها للقضية فى أرض فلسطين نفسها. و فى ٣١ آب وضعت تقريرها النهائى و رفعته الى اللجنة الثانية للجمعية العمومية. و لكن ماذا تضمن التقرير؟ فبعد ان عقدت اللجنة حوالى ستة عشر اجتماعا عاما و

٣٦ اجتماعا خاصا في ليك سكييس، و القدس و جنيف، و استمعت الى عشرات البيانات الشفهية و مثلها من البيانات و الوثائق الخطية من الحكومات و من المنظمات السياسية و الهيئات الدينية، لم تكن الحلول التي أوصت بها في تقريرها جماعية. فقد اقترحت أكثرية الاعضاء تقسيم فلسطين، و اقترحت الاقلية المؤلفة من الهند، و ايران، و يوغوسلافية، إقامة دولة واحدة على نظام فيدرالى، بينما لم تؤيد اوسترالية كلا الفريقين ..

اما بالنسبة للقدس فقد وضع اقتراح الاكثرية منطقتها تحت نظام الوصاية الدولية، على ان يعين مجلس الوصاية التابع لهيئة الأمم حاكما عاما للقدس لا- يكون عربيا و لا يهوديا. بينما ينص اقتراح الأقلية على تأسيس حكومتين مستقلتين استقلالاً ذاتياً تتألف منهما دولة اتحادية مستقلة عاصمتها القدس نفسها. و قد أوضح موقف بريطانية من الاقتراحين مندوبها آرثر كريتش جونس، على ما يذكر ليلنتال، و قال ان دولته لا تقر فرض أى مشروع جديد تضعه هيئة الأمم ما لم ينل موافقة الطرفين العرب و اليهود .. و هكذا ألفت بريطانية مسؤولية كبرى على عاتق أعضاء هيئة الأمم .. و قام محمد ظفر الله خان وزير خارجية باكستان و مندوبها في هيئة الأمم يدافع بحماسة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٣٥

و حرارة عن وجهة النظر العربية و معارضتها للتقسيم. فأكد ان من حق عرب فلسطين البالغ عددهم مليوناً و (٣٠) ألف عربى ان يختاروا نظام الحكم الذى يريدون، و ان هذا الحق قد ضمنته شرعة الأمم المتحدة .. و بعد ان تولت لجنة خاصة تدقيق الاقتراحين أقرت مشروع التقسيم، حينما أيدته ١٣ دولة و امتنعت ١٧ دولة عن التصويت. و يذكر المستر ليلنتال بهذه المناسبة (الصفحة ٦٤) ان الجدير بالملاحظة انه فى جميع دورات الاقتراح و قفت الولايات المتحدة الى جانب روسية السوفياتية .. و على الرغم من هذا الانسجام المريب بين الدولتين، لم ينل مشروع التقسيم سوى أكثرية ضئيلة عند ما عرض امام الجمعية العمومية، إذ بلغ عدد المخالفين للمشروع الممتنعين عن التصويت دار الوكالة اليهودية فى القدس و قد نسفها العرب يوم ١١/٣/١٩٤٨

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٣٦

٣٢ صوتاً، و من بينهم مندوبو ثلاث دول كبرى هي فرنسة و بريطانية و الهند الذين تعمدوا التغيب عن الاجتماع. و قبل ان تباشر الجمعية العمومية فى التصويت على التقسيم استمعت الى الخطباء من مؤيدين و معارضين .. و كالعادة وقف مندوبا جنوب إمريكا غرانادوس و فابرفات يدافعان عن وجهة نظر الوكالة اليهودية بكل حماسة و اخلاص، بينما لم يظهر مندوبو روسية السوفياتية و الولايات المتحدة و جميع المدافعين عن المشروع أى اندفاع أو تحمس لتأييده بل أعلنوا أسفهم لاضطرارهم الى اللجوء الى مشروع التقسيم كحل أخير للقضية الفلسطينية ..

اما خطاب ظفر الله خان فقد كان بليغا مؤثرا، إذ قال موجها حديثه الى الدول الغربية: «لا تنسوا انكم ستحتاجون فى المستقبل الى حلفاء و أصدقاء فى الشرق الأوسط، و لهذا أرجو ان لا تخسروا ما لكم من رأس مال فى تلك البلاد ..» ثم أضاف يسأل الدول الغربية و خاصة الولايات المتحدة: «ما الغاية من إنشاء دولة يهودية؟ أ هي من باب الدافع الانسانى؟ اذا كان ذلك، فلماذا أفقلم أبواب حدودكم فى وجه اليهودى الذى لا ملجأ له؟ و لماذا تصرون إذن على اسكانهم فى فلسطين، بل و مساعدتهم على إقامة دولة لهم .. حتى يصبح ذلك اليهودى الذى كان بالأمس بلا مأوى يحكم العربى الفلسطينى ..؟» و أخيرا أنهى وزير الخارجية الباكستانى خطابه بالتهكم على الحجج و الأسباب التى بررت بها الدول الكبرى إقرار مشروع التقسيم.

مناورات صهيونية لإقرار التقسيم

جاء فيما كتبه ليلنتال عن التقسيم قوله (الصفحة ٦٧): و ننتقل الآن الى المناورات التى رافقت التصويت على المشروع. فقد كان الاقتراح النهائى قد حدد موعده فى يوم ٢٦ تشرين الثانى، على ان تسبقه جلسة للاستماع الى المناقشات الأخيرة، لكن الوفود فوجئت و بدون

سابق انذار نبأ الغاء جلسة المناقشة و تأجيل موعد الاقتراع .. و قد جاء التأجيل بعد ان تأكد الصهيونيون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٣٧

انهم بحاجة الى مزيد من الأصوات لتأمين الأكتريه المطلوبه .. و هكذا اغتتم قادة الصهيونية و الوكالة اليهودية هذه الفرصة لبذل أقصى ما فى وسعهم من مساع و اتصالات فى أروقه الأمم المتحدة ..

و يفهم مما يذكره ليلنتال (الصفحة ٦٧) ان إغراء الصهيونيين لم يحدث تأثيرا لدى مندوبى بعض الدول مثل مندوب ليبيريا، و هايتى، و اليونان، و سيام، و مندوب الفلبين الجنرال كارلوس رومولو، الذى طعن الصهيونية طعنة نجلاء عند ما هاجم التقسيم بعنف و قال: «ان من حق كل شعب ان يقرر مصيره السياسى، و ان يحافظ على أراضيه و كيانه من أى اعتداء، و ان مشكله مشردى يهود أوربه لا علاقة لهم البتة بانشاء دولة يهودية مستقلة فى فلسطين».

لكن الصهاينة استعانوا بأقطاب الحكومه الأمريكية و رجالها و على رأسهم الرئيس ترومان نفسه فضغطوا على الحكومات و انتزعوا منها أصواتها، الا الحكومه اليونانية.

و حينما أرف وقت التصويت فى يوم ٢٨ تشرين الأول، جرت مناورات أخرى فتأجلت الجلسة لمدة ٢٤ ساعه أخرى، حتى اذا ما حل صباح ٢٩ تشرين الثانى طرح قرار التقسيم على التصويت بعد بضع مناورات برلمانية فأقر بأكتريه ٣٤ صوتا ضد ١٢ صوتا، و امتناع عشرة عن التصويت مع تغيب مندوب واحد. و قد علقت جريدة نيويورك تايمس فى مقال افتتاحى لها على القرار بقولها ان إقامة دولة سياسيه على أسس و معتقدات دينيه فقط لأمر ليس فيه من الحكمة شىء. و كذلك اعترفت صحف أخرى بان نتيجة هذا القرار قد يهدد السلام و الأمن فى العالم. و يعلق ليلنتال على نتيجة هذا القرار بقوله:

و منذ تلك اللحظه دق الأسفين الأول بين الغرب و العالم العربى الاسلامى .. ثم يضيف الى هذا قوله (الصفحة ٧٩): «و قد كان مشروع تقسيم فلسطين القضية الأولى و الوحيدة التى جمعت بين الولايات المتحدة و الاتحاد السوفياتى فى صف واحد، و جعلت بينهما نوعا من الانسجام منذ أنشئت هيئه الأمم»، و يقول ليلنتال: «و يجدر بنا الاعتراف هنا ان الحكومه الأمريكية قد برهنت بوقوفها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٣٨

مع السياسة الروسية فى صف واحد على جهلها التام بالأساليب السوفياتيه ..

دعونا نتساءل لماذا كان الكرملين يسمح بل يشجع هجرة اليهود اللاجئيين الى اسرائيل من الدول الشريه الواقعة تحت نفوذه؟ لما ذا كان الكرملين يسمح بتجمع (٣٠) ألف مهاجر يهودى فى موانئ البحر الأسود استعدادا لتسفيرهم الى فلسطين؟ اذا كان هذا العمل لا يخدم الأغراض السوفياتيه و يتفق و خططهم المرسومه نحو الشرق الأوسط ..؟

و يجدر بنا هنا ان نورد ما ذكره مترجم كتاب ليلنتال المذكور الى العربية فى مقدمه الكتاب المترجم حول تأثير اليهود الصهاينه و مناوراتهم الجهنميه.

و هو يذكر ما يأتى نقلا عن المرحوم الأمير عادل أرسلان الذى كان عضوا فى الوفد السورى الذى حضر جلسة التصويت على التقسيم. فهو يقول:

«و كان المفروض ان تبلغ هذه الأصوات ثلثى أعضاء الهيئه، فقد كان ممثلو الدول العربية مطمئنين الى تأييد ثمانى عشرة دولة من الأمم المتحدة بحيث يستحيل ان يحظى مشروع التقسيم بأغلبه الثلثين المطلوبه. و كان الصهاينه و من ورائهم إمريكا يدركون هذا الأمر و يعرفون أن لا مناص لهم من زحزحه بعض مؤيدى العرب عن موقفهم و حملهم بشتى الطرق و الوسائل للتصويت على مشروع التقسيم. و بالفعل تمكنا بمناوراتهم و اتصالاتهم الواسعه و وسائلهم المغريه من حمل مندوبى هايتى، و ليبيريا، و سيام، للتصويت على المشروع بعد ان كان هؤلاء قد صرحوا أنهم سيقفون عند التصويت الى جانب الدول العربية لوجهه قضيتهم و عدالتها. و قد فوجئ المندوبون العرب. فى جلسة الاقتراع التاريخيه عند ما وقف مندوب هايتى و قال و الدمع فى عينيه انه ما زال شخصيا عند رأيه الخاص

في معارضته مشروع التقسيم لكنه بصفته ممثلاً لحكومة هايتي لا يسعه الا ان ينزل عند أوامرها بالموافقة على المشروع. و تفصيل هذا التغيير المفاجيء هو ان موسى شاريت قصد قبل جلسة الاقتراع الى الفندق الذي كان ينزل فيه مندوب هايتي، و اتفق انه في تلك اللحظة كان يستقبل أحد العرب الفلسطينيين السيد عوني الدجاني الذي جاء يشكره على موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٣٩

موقفه من قضية فلسطين، و دخل شاريت دون أن يأبه للسيد الدجاني فقد ظنه سكرتيراً لمندوب هايتي. ثم بدأ الكلام عارضا مبلغ اربعين ألف دولار على المندوب لقاء تأييده للمشروع. فرفض مندوب هايتي العرض بأباء، و أغلظ القول لشاريت الذي انسحب و هو يردد: سوف تندم و ستري ان حكومتك ستؤيد التقسيم، و هذا ما حدث بالفعل ...

و لا شك ان الدوائر الصهيونية كانت تبذل بسخاء في أمريكا و غيرها، من أجل ترويج مصالحها و إرشاء أكبر الشخصيات و أهمها عند الحاجة. فيقول لينتال (الص ١٢٥) «ان المكافآت المالية التي كان ينثرها زعماء الصهيونية كان لها أكبر أثر و أشد دافع للسانة الأمريكية في مضاعفة جهودهم من أجل الصهيونية و أغراضها. ففي عهد الرئيس ترومان كان باركلي نائب الرئيس و غيره من المسؤولين في الحكومة و أعضاء الكونغرس يتسابقون على إلقاء الخطب و المحاضرات لتأييد الحركة الصهيونية لقاء أجور باهظة .. فان باركلي كان مثلاً يتقاضى (١٥٠٠) دولار عن كل خطبة يلقيها .. و هكذا كانت الصهيونية تشتري بالمال تأييد الساسة النافذين سواء في البيت الأبيض أو في دوائر واشنطن الرسمية. و بهذه الوسيلة استطاع زعماءها و أنصارها مع ما لديهم من نفوذ و دهاء ان يمسكوا الحبل من طرفيه و ينتهجوا سياسة مزدوجة لارشاء الحزبين القويين: الديمقراطى و الجمهورى ..»

دير ياسين و أخواتها

يقول المستر لورانس غريز و ولد في (ادفع دولاراً تقتل عربياً) «إن هيئة الأمم المتحدة عينت بالاتفاق مع بريطانيا العظمى يوم ١٥ مايس موعداً لانتهاء الانتداب البريطانى و إقامة دولة اسرائيل المستقلة على اساس من التقسيم الجغرافى العجيب الذى اقترحه لجنة الأمم المتحدة .. فاستغلت هذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٤٠

العصابات اليهودية و أخذت تعد العدة للاستفادة منه الى اقصى حد ممكن حينما تجلو بريطانيا و تصبح فلسطين بلا حكومة .. و لم يكن هذا بشيء جديد على الارهابيين اليهود، على ما يقول غريز و ولد، لأنهم كانوا خارجين على العدالة منذ ١٩٤٤ و كان عندهم سلاح بل لقد كانت عندهم مصفحات، و خبرة كبيرة فى صناعة القتل. و فى اواخر ١٩٤٨ وضعوا خطة للعمل .. و كانت لعصابتى شتيرن و الأرغون آراؤهما فى هذا الشأن. فاعتزمتا ترويع العرب، من طريق شن حملات على القرى الزراعية العربية و اكراههم على التخلي عنها الى اليهود. و الواقع ان هذه الخطة، التى عرفت فى الأوساط غير الرسمية باسم «عملية الذعر»، درست أحسن درس و نفذت بأشد حماساً.

فلم ينتصف شهر مايس حتى كان نصف مليون عربى ممن نجوا من المذابح المتعاقبة يفرون بأنفسهم .. لأنه كان على اليهود ان يذبخوا سكان بضع قرى ليس غير، ثم تتولى محطة اذاعتهم الباقى. و تفصيل ذلك ان الراديو اليهودى كان يتباهى بتدمير القرى العربية و ذبح سكانها ذبحاً جماعياً ثم يحذر العرب قائلاً:

ان عليهم ان يدركوا حين يرون دبابات اسرائيل و جندها فى الطريق اليهم ان المصير نفسه ينتظر قريتهم.

.. و كانت قرية دير ياسين التابعة للقدس أول نصر أحرزته عصابة الأرغون فى الصباح الباكر من ٩ نيسان ١٩٤٨ حين كان المزارعون العرب و أفراد أسرهم ينصبون خيامهم فى سوق القرية، اقتحمت دبابتان من طراز شيرمان طرق دير ياسين الضيقة و سحقتا فلاحين متعبين. و كان يصحب الدبابتين قوة من اليهود يبلغ عددها (٥٠٠) رجل مزودين بمدافع التومى و الأسلحة الأوتوماتيكية. و لقد

صرحت القلة القليلة الباقية على قيد الحياة من ابناء دير ياسين- ومعظمها من النساء اللواتى سلبن كل ما عندهن و مزقت أثوابهن تمزيقا، و اللواتى استعرضهن اليهود فى شوارع تل أبيب فى سيارات كبيرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٤١

قبل ان يسلموهن بالرغم منهن الى الصليب الأحمر الدولى - أقول لقد صرحت هذه القلة القليلة ان الدبابتين اقتحمتا سوق القرية و اطلقتا النار على الأهلين المحتشدين فى الساحة.

و بعد أن أطلقت الدبابتان نيرانهما تعقب الجنود الاسرائيليون أهل القرية الفارين بأنفسهم و قتلوهم فى غير ما استبقاء بينما كانوا يهربون و يختبئون و فى دير ياسين تكررت مشاهدات أريحا القديمة التى وصفها الكتاب المقدس بقوله «و قتلوا كل من فى المدينة من رجل و امرأة، و من طفل و شيخ، و حتى البقر و الغنم و الحمير». و كانت بعض الفظائع التى تلت تتطلب شيئا من الخيال.

فقد جمع الغزاة خمسا و عشرين امرأة حاملًا- و وضعوهن فى صف طويل و اطلقوا عليهن النيران. ثم انهم بقروا بطونهن بالمدى أو بالحرايب، و أخرجوا الأجنه منها نصف إخراج. و قطع الأطفال إربا إربا أمام أعين آبائهم الذين ما زالوا على قيد الحياة. و خصى الصبية الصغار قبل ان يقتلوا. و انتزعت الحلى و الخواتم من أجساد القتلى. و تبرت أصابع الضحايا الذين وجد المعتدون عسرا فى انتزاع خواتمهم ..»

الشهيد عبد القادر الحسينى قائد منظمة (الجهاد المقدس) استشهد فى معركة القسطل فى ٨ / ٤ / ١٩٤٨.

و يقول غريز و ولد كذلك: «و طلب جاك دو رينيه مندوب الصليب الأحمر الدولى الاذن من الوكالة اليهودية فى الدخول الى دير ياسين. و لكن الوكالة لم تسمح بذلك الا- بعد انقضاء ٢٨ ساعة لكى تتيح للعصابة اليهودية فرصة تستطيع خلالها إخفاء معالم الجريمة. و هكذا ألقى نحو من مئتي جثته من جثث القتلى فى بئر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٤٢

عتيقه، و غطيت بالقذر و الأوساخ. و لكن الرائحة النتنة فضحتهم، و تمكن المندوب البلجيكي من ان يحصى الجثث بعد اخراجها من البئر، بيد أن كثيرا من الأجساد لم تكن كاملة. و تحدث دو رينيه فى شىء من الاشمزاز عن الأشياء التى شاهدها و روى كيف أنه وجد فتاة عربية فى السادس من عمرها ما تزال حية تحت ركام من الجثث، و كيف أنه حملها إلى المستشفى، و علق على هذا بقوله «كان ذلك بكل بساطة شيئا فظيعا».

ثم يضيف غريز و ولد الى ذلك قوله (الصفحة ٤٨): «و لم تكن دير ياسين غير بداية و استهلال. ففي اليوم الرابع عشر من نيسان تكرر المشهد فى قرية ناصر الدين (القرية من طبرية). و فى الخامس من مايس هاجم أفراد الهاغانا (جيش اسرائيل الرسمى) عددا من القرى القائمة على ضفاف الأردن قرب القرية المعروفة بيت الخورى. و فى هذا الهجوم قتل مئات من العرب و جرح ما يزيد على ألف و مائتين. و مثل بالضحايا، رجالات و نساء و أطفالا، قبل الموت و بعده. و قطعت رؤوس عدد من الرجال لأنهم أبدوا بعض المقاومة. و فى ٦ و ٧ و ١٣ مايس شن اليهود هجمات جديدة على قرى عربية أخرى. ففي الزيتون جمع أهل القرية كلهم فى المسجد، ثم نسف المسجد بالديناميت على رؤوس من فيه. و فى بيت دراس طبّق اليهود الخطة التى طبقوها فى دير ياسين نفسها»

و يختم المستر غريز و ولد قصته المؤلمة بقوله: «إن لائحة الفظائع اليهودية المماثلة طويلة جدا، لكنها كلها تنهج نفس النهج. و هى تفسر لنا كيف استطاعت قوى من الارهابيين و الهاغانا صغيرة نسبيا أن تخرج نحوا من ٩٠٠، ٠٠٠ عربى من الأرض التى حرثوها و عمروها لأنفسهم منذ الاف السنين.

لقد نجحت «عملية الذعر» نجاحا عظيما جدا من وجهة النظر الصهيونية، و لعل واضعها كان فخورا بها!! و لكن المهم حقا هو أن اسرائيل أصبحت دولة مستقلة فى ١٥ مايس، و ان الرئيس ترومان كسب السباق الى الاعتراف بها، و كسبه بمراحل واسعة».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٤٣

مولد الدولة الاسرائيلية

يقول ألفريد ليلنتال في (ثمن اسرائيل الص ٩٢): و فيما كان موعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين يوشك ان يحل، كانت المعارك الدامية في الأرض المقدسة تزداد عنفا و شدة، و كان الرأي العام في أمريكا، حتى الجمعية العمومية نفسها، يزداد هياجا و اندفاعا في تأييد الصهيونية ... و لعل أبلغ دليل على تحيز الجمعية العمومية هو رفضها السماح للدكتور ماغنس بالمشول امام الأعضاء ليدلى بوجهة نظر اليهود غير الصهيونيين في القضية، و سماحها فقط للوكالة اليهودية بالتحدث باسم «الشعب اليهودي».

و بعد ذلك يتطرق المستر ليلنتال الى كيفية اعتراف الولايات المتحدة باسرائيل حتى قبل مولدها، فيقول: فقد أعلن وايزمن قبل أيام معدودة من البريطانيين يفتشون العرب في باب العمود من القدس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٤٤

جلاء قوات الانتداب البريطانية ما نصه: «لقد تمكنت من توطيد علاقتنا بأصدقائنا في واشنطن و تأكدت انه سيتم الاعتراف بالدولة اليهودية في اللحظة التي يعلن فيها عن انشائها..» و في ١٣ أيار ١٩٤٨ كتب رسالة خاصة الى ترومان يطلب فيها ان تعترف الولايات المتحدة حالا بالحكومة الموقته للدولة اليهودية الجديدة. و في هذه الأثناء كانت الجيوش العربية تستعد للزحف على الأرض المقدسة ..

و لكن في صباح ١٤ أيار ١٩٤٨ تمكن كلارد كليفورد مستشار الرئيس الأمريكي الخاص - الذي كان على اتصال مستمر بزعماء الحزب الديمقراطي و قادة الصهيونية - من إقناع رئيسه ترومان بوجود القيام بعمل فوري لانقاذ الحزب الديمقراطي من هزيمة محققة في الانتخابات المقبلة .. و هكذا اختلى ترومان طيلة يوم ١٤ أيار بمستشاريه المقربين، كما اجتمع الى فرانك غولدمان رئيس مؤسسة «بناي بريث» الصهيونية التي ينتمى اليها صديق ترومان الحميم و شريكه اليهودي القديم أدى جاكسون، كما أبرق سول بلوم عضو الكونغرس (اليهودي) الى ترومان يقول: ان على الولايات المتحدة ان تعترف بالدولة اليهودية الجديدة، و بذلك تساعد على منع نفوذ السوفيات من التغلغل الى فلسطين و الشرق الأوسط ..

و في حوالي الساعة الحادية عشرة و النصف من قبل ظهر ذلك اليوم استدعى البيت الأبيضياهو أپشتاين (و كان في ذلك الوقت يمثل الوكالة اليهودية في واشنطن) و أبلغه ان حكومة الولايات المتحدة قررت ان تعترف اعترافا واقعيا بدولة اسرائيل فور إعلانها، بشرط ان توجه الدولة الجديدة كتابا تطلب الاعتراف بها. فأجاب اپشتاين ان الدولة الجديدة لا يسعها ارسال مثل هذا الكتاب قبل مولدها و وعد بان يتصل بتل أبيب و يبلغها رغبة الرئيس ترومان ..

و يتابع ليلنتال سرد القصة فيقول: «جرت كل هذه التطورات الخطيرة في جو بالغ من الكتمان، بل ان البيت الأبيض قرر إبقاء قرار الاعتراف في طي الكتمان و خاصة عن ناظر الخارجية مارشال أو أي شخص آخر من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٤٥

موظفي الخارجية، لتحاشي أي معارضة قد يثيرها مارشال، و لأن نايلز و كليفورد كانا يخشيان ان يعمد ترومان الى تأجيل الاعتراف». و في الساعة السادسة تماما حسب توقيت واشنطن (الساعة ١٢ حسب توقيت القاهرة) أعلن نأ نهاية الانتداب على فلسطين .. و في السادسة و الدقيقة الواحدة أعلن قيام دولة اسرائيل الجديدة. و في السادسة و إحدى عشرة دقيقة تم اعتراف الولايات المتحدة بالدولة الجديدة .. و لكن الذي حدث انه بعد ٢٤ ساعة من عزم الرئيس على اتخاذ مثل هذا القرار تلقت نظارة الخارجية الأمريكية برقية من الحكومة الموقته لدولة اسرائيل تطلب الاعتراف بها. و هكذا ارتفع في سماء فلسطين عند الساعة الثانية عشرة و الدقيقة الواحدة أول علم لدولة اسرائيل، كما ارتفع في نفس الوقت نفس العلم في واشنطن على بناية الوكالة اليهودية سابقا.

جنديان بريطانيان تخلفا عن الرحيل و بقيا في فلسطين فالتحقا بالجهاد ضد الصهاينة و اسم الجالس جون، و اسم الواقف ميك.

ثم يعلق ليلنتال على هذا كله بقوله:

و عند إعلان مولد اسرائيل رقص الشعب فى شوارع تل ابيب و واشنطن و نيويورك و غيرها من المدن .. و مع ذلك فان الفرح و الاستبشار لم يعما جميع الأنحاء .. فقد كتبت صحيفة «غازيت، بوست» تهكم على قرارات ليك سكسيس قائلة: لقد كان الوفد الأمريكى موضع سخريه باقى الوفود فى هيئة الأمم، و ان قرار الرئيس ترومان الفورى بالاعتراف باسرائيل قد ترك حلفاءنا فى دوامة من الظلام و الحيرة ..

كما وضع نظارة الخارجية فى فوضى ظاهرة .. اما صحيفة «رثشموند تايمس»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٤٦

فقد أشارت الى الأصوات اليهودية التى يرجو كسبها الحزب الديمقراطى الحاكم فى الانتخابات القادمة من جراء ذلك .. بينما هاجمت صحيفة «بوست ديسپاتش» فى مدينة سان لويس السياسة التى اتبعها البيت الأبيض و العوامل التى حدثت به لسلوك هذا المسلك ضاربا عرض الحائط بالمصالح الدولية فى سبيل كسب أصوات اليهود.

تدخل الجيوش العربية

كانت المقاومة العنيفة التى أظهرها العرب فى فلسطين بعد قرار التقسيم قد أدت بمجلس الأمن الى ان يصدر قرارا بدعوة العرب و اليهود الى التهادن و تعيين لجنة مشرفة على تنفيذه قوامها قناصل امريكا، و بلجيكا، و فرنسة، فى القدس. لكن الطريقة التى أخلى بها الانكليز البلاد، لتمكين اليهود فيها، و الارهاب الذى صارت تستخدمه العصابات اليهودية لتخويف العرب و تشريدهم، قد حدث بالشعب العربى فى كل مكان بان يطالب حكوماته بوجود التدخل فى الأمر و الحيلولة دون مبادرة اليهود الى الاستيلاء على فلسطين كلها من دون التقيد بحدود التقسيم.

و قد اجتمعت الدول العربية فى جامعة الدول العربية فقررت ذلك. و حينما غادر المندوب السامى البريطانى ميناء حيفا، فى منتصف ليلة ١٥ مايس ١٩٤٨، معلنا نهاية الانتداب شرعت الجيوش العربية فى الزحف على فلسطين من الشمال و الشرق و الجنوب. فسيطر الجيش المصرى، و فى معيته بعض سرايا من السعوديين، مع متطوعين من السودان و ليبيا و مصر، على القسم الجنوبى من فلسطين بكامله عدا بعض المستعمرات اليهودية التى عزلت. و سار الجيش العراقى بعد ان احتل مستعمرة الجسر و استولى على مشروع كهرياء روتبورغ فى خطين، يتجه أحدهما الى نابلس فقلقيلية فثانائية على البحر، و يتجه الثانى فى اتجاه مرج ابن عامر، فالعفولة، فجنين. و كانت أفواج من الفلسطينيين فى القاطع الشمالى و القاطع الغربى تؤلف ستارا أمام الكتائب العراقية الأمامية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٤٧

اما الجيش السورى فقد احتل سمخ و سيطر على عبر اليرموك من جسر بنات يعقوب باتجاه طبرية، ثم احتلت مشمار هايردن. و احتلت القوات اللبنانية الناقورة و بعض المواقع العسكرية على الحدود حتى أخذت تسيطر على الجليل الغربى. و احتلت القوات الأردنية أريحا ثم استولت بعد قتال عنيف على القدس القديمة و طهرت الحى اليهودى فيها فجعلته ركاما. كما طهرت أيضا المنطقة الممتدة بين رام الله و جسر اللبى. و حينما احتلت القوات الأردنية القدس القديمة أصبحت القدس الجديدة تحت سيطرة مدافعها. و بالتعاون مع المناضلين الفلسطينيين قاتلت فى باب الواد و اللطرون فسيطرت على طريق القدس الرملة. ثم رابطت حول اللد و الرملة. و لم يكدمضى اسبوعان حتى كانت الجيوش العربية تسيطر على المناطق المخصصة للعرب فى قرار التقسيم باستثناء يافا و قسم من الجليل الغربى، و توشك ان تحدد بتل ابيب.

إشارة

يفرد الكاتب اليهودى الصهيونى جون كيمشى فصلا خاصا لحرب فلسطين (الفصل ١٨)، يتبسط فيه فى وصف معركة القدس نفسها. و هو و ان كان محشوا بالمغالطات و التحيز فاننا لم نجد بأسا من ايراد شىء منه هنا توخيا للاطلاع على وجهات النظر المختلفة. فهو يقول: و بينما كان الجيش الأردنى فى كيشر على وشك أن يبدأ سباقه الى حيفا، كان الملك عبد الله يتسلم من قائد جيوشه الانكليزى (كذا) فى القدس نداءات الملك عبد الله بن الحسين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٤٨

مستعجلة تطلب امدادات عاجلة. و يقول كيمشى ان الملك عبد الله كان يهमे القدس أكثر مما يهमे الاستيلاء على ميناء حيفا. بينما كان الانكليز يرون ان استيلاءه على حيفا شيئا عمليا أكثر، لكن جاذبية القدس فى العالم العربى تفوق أية جاذبية أخرى و لذلك لم يتردد عبد الله. فسيق الجيش الذى كان من المقرر ان يزحف على حيفا نحو القدس .. و أصبح من الواضح ان اتجاها جديدا فى الحرب أخذ يتبلور. فقد أخذ عبد الله و اليهود معا يبذلون جهدهم كله فى الاستيلاء على القدس. و كان العرب مستولين على معظم المدينة القديمة فى داخل الأسوار، بينما كان اليهود متمسكين بمعظم المدينة فى خارجها. و كان فى أيدي العرب كذلك التلال المحيطة بالمدينة و الضواحي من جهات ثلاث، و قد نجحوا فى قطع الطريق الوحيد الذى يربط القدس باليهودية و دولة اسرائيل باستيلائهم على منطقة اللطرون. و على هذا فقد اضطر اليهود الى ان يخوضوا قتال شوارع فى داخل المدينة، و ان يقاتلوا فى الوقت نفسه فى اللطرون لفتح الطريق من أجل أن يجيئوا بالرجال و الامدادات الى المدافعين المحصورين بضيق.

و قد كان الجيش الأردنى قبل ١٥ أيار قد نجح فى اعادة الاستيلاء على منطقة الشيخ جراح من المدينة الجديدة، و بذلك عزل جبل الزيتون عن بقية المدينة اليهودية. و كانت محلة اليهود فى المدينة القديمة فى أشد حالات الحصار، و على وشك أن تستسلم. و كان غلوب پاشا فى تلك الأثناء هو الذى يفرض استراتيجية الحرب الفلسطينية، فثبت الجيش العربى فى اللطرون و اصبح على استعداد للقتال. لكن بن غوريون عزم على الاستماتة فى فتح الطريق. فتحشد لواء جديد هو (السابع المدرع) بسرعة فى نعان .. و بعد تأخيرات و معوقات كثيرة شن هجومه المنتظر فى الثانية بعد منتصف الليل ففشل فيه، و تراجع الكثير من جنوده فلم يستول على اللطرون. و هنا يأخذ كيمشى بالدفاع عن هذا الفشل و يفسره بتفسيرات سخيفة من جملته ان الجيش العربى الأردنى وصلته امدادات كثيرة، و ان مدير العمليات العسكرية الكولونيل الشاب أيكال اللون لم يكن متفائلا منذ البداية لأن اللواء قد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٤٩

سيق على عجل تنفيذ الأوامر بن غوريون المستعجلة، لأنه أراد الطريق الى القدس ان يفتح قبل ان يحدث ما يجمد الحدود على حالتها بقرار من هيئة الأمم.

لكن الاستغاثات من يهود القدس أخذت تتوالى، لأن يهود المدينة القديمة قد نفذت أقواتهم و معداتهم. و كان الشبان عازمين على الدفاع حتى النهاية، لكن الكبار لم يعد بوسعهم ان يفعلوا ذلك فأرادوا الاستسلام. و كان الهجوم على اللطرون آخر أمل فى معالجة الموقف، و حينما فشل الهجوم انقطع الأمل فى إغاثة المدينة القديمة. فاستسلم اليهود فيها، و كان عددهم حوالى اربعمائة يهودى أغلبهم من الشبية و أزواجهم و أطفالهم فأخذوا الى الأسر. لكنهم عوملوا أحسن معاملة من قبل آسريهم رجال الجيش العربى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٥٠

و كان استسلام المدينة القديمة و الاستغاثات الواردة من قائد المدينة الحديثة قد حفز بن غوريون و مشاوريه السياسيين على العمل. فطلب الى لواء اللطرون ان يحاول محاولة أخرى. و تقرر ان يعطى المدفعين اللذين كانا يعملان ضد السوريين، و ان تضاف لهما ثلاثة مدافع من قياس ست بوصات مع أقل من عشرين قذيفة. لكن القائد الاسرائيلى كان بحاجة الى جنود جدد- فان كتيبة واحدة من البالماخ عدتها (٦٠٠) مدرّب كان يمكنها ان تعالج الموقف ...

و حينما أدرك بن غوريون ان الاستيلاء على اللطرون لم يكن من العمليات السهلة كما كان يعتقد البعض من مشاوريه أمرت جماعة من شباب البالماخ بالزحف على القدس عبر الجبال الوعرة لاسعاف الحامية المحصورة. و كانت المعدات فى القدس على وشك ان تنفذ.

لكن المدافعين اليهود صمدوا فى المدينة القديمة، مع انه لم يعد عندهم الا مقدار يسير من الماء و شىء قليل من الطعام. و قد تعرض السكان المدنيون الى قصف متواصل من المدفعية. و تبادل الطرفان المتقاتلان الاستيلاء ست مرات على مستعمرة رامات راشيل فى الطرف الجنوبى من القدس. و كانت البنوك و الأديرة و الكنائس قد أصبحت نقاطا مهمة للدفاع. لكن العائق الحقيقى الذى وقف أمام هجمات الجيش الأردنى هو قوة المدافعين الشبان التى ظلت تحارب من دون استجمام، ليس منذ الخامس عشر من مايس فقط بل منذ سبعة أشهر صعبة أيضا- أى منذ كانون الأول ١٩٤٧- و لم يثبت هؤلاء فى مكانهم فقط و لكنهم أيضا استولوا على مناطق استراتيجية مثل القطمون و البقاع و ثكنات اللبى التى كانت فى أيدى القوات العربية. على ان التحمل الانسانى أخذ يخضع للضغط المتواصل. و قد علم بن غوريون بذلك، و مع هذا فقد أمر بالضغط على اللطرون.

غير أن الجيش الأردنى فى اللطرون ظل متمسكا فى مكانه بقوة و عناد. و مع هذا فقد ساعد هجوم الاسرائيليين على اللطرون فى انقاذ القدس، لأن مدفعية الجيش الأردنى مع رجاله و سياراته المصفحة نقلت من ميدان المعركة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٥١

فى القدس نفسها الى اللطرون. و على هذا الوضع تجمدت الحدود بالتدريج عندما دنت ساعات الهدنة الأولى. و كان مقاتلو الطرفين قد أخذت الحرب منهم مأخذها.

و يذكر كيمشى بعد ذلك ان العرب فى العواصم العربية استشاطوا غضبا لاعلان الهدنة الأولى لأنهم كانوا مخدوعين بالانتصارات الوهمية التى كانت تعلن عليهم يومذاك. و بعد ان يذكر (الصفحة ٢٦٠-٢٦٥) ما جرى فى مجلس الأمن و أوساط الأمم المتحدة من مناورات، و تمديد أمد الهدنة التى استفادت منها اسرائيل فائدة جلى بشراء السلاح من الجيش البريطانى المنسحب و جيكوسلوفاكية، و تهريب الطائرات و الطيارين من الولايات المتحدة و انكلترة، و تجنيد المأجورين المرتزقة و المتطوعين من العالمين الغربى و الشرقى معا، يقول:

ان اتفاقا غير رسمى قد حصل بين البريطانيين و الأمريكان من أجل خطة منقحة للسير بموجبه، و هى ان تقبل بريطانيا بقيام الدولة الاسرائيلية (كذا) و وجودها، على ان تقبل الولايات المتحدة لقاء ذلك بان تخصص النقب للعرب.

و هنا يذكر كيمشى ان ما كنىل وزير الدولة البريطانى قال له ان القتال فى فلسطين يعتبر شيئا ضروريا، لأن سفك الدماء لا بد من ان يقع بين الطرفين حتى يقتنع العرب بأن الدولة الاسرائيلية قد أصبحت شيئا موجودا بالضرورة، و حتى يقتنع اليهود بأنهم لا يستطيعون الا بالكاد الدفاع عن الحدود المخصصة لهم. و هكذا بدأت الجولة الثانية.

و كان اليهود يأملون فى الجولة الثانية ان يستخلصوا الأراضى الفلسطينية فى الشمال و يفتحوا الطريق الى القدس فى الوسط و بذلك يجبرون الجيش الأردنى على الانسحاب من شمالى القدس و غربها .. و قد حدث فى هذه الأثناء ان أمر غلوب باشا بسحب الجيش من اللد و الرملة اللتين كانتا تحتويان على ستين ألف نسمة فى ضمنهم عدد كبير من اللاجئين العرب. فاعتنم اليهود هذه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٥٢

الفرصة و استولوا عليهما بثلاثة ألوية (٦٠٠٠ مقاتل).

ثم يقول كيمشى: و حينما أخذت الجيوش الاسرائيلية بالكشف عن خططها، و عندما أخذت المواقع العربية تنهار، أصبحت القيادة الاسرائيلية شديدة الثقة بانها ستفتح الطريق فى هذه المرة الى القدس و تخلص الجليل الشمالى من العرب. لكن هذا لم يحصل أيضا

لأن الهدنة الثانية قد وقعت. و هنا يذكر كيمشى ان مفتى القدس أخذ يناوىء الملك عبد الله و يقود معارضة أخذت الشكل الارهابى المألوف. و لذلك أبقى قسم من الجيش الأردنى فى البلاد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٥٣

الأردنية، و لم يبق لدى غلوب باشا سوى (٣٠٠٠) مقاتل يدير بهم جبهته الممتدة الى ثلاثين ميلا بين القدس و اللطرون، و يحمى القدس القديمة ضد أى هجوم قد يحدث. و يعود كيمشى للتعرض بالملك عبد الله من جديد فيقول انه كان على علم بأن اعتباره بين الدول العربية كان منوطا بجيشه، و لذلك كان هذا الجيش أعز على نفسه من أية قطعة أخرى من فلسطين. و كان يفضل ان يسحبه بهدوء و سكينه على ان يتركه معرضا للانحجار او التقلص بسبب الحرب.

غير ان كيمشى يصرح ان انسحاب الجيش الأردنى لم يساعد اليهود على الاستفادة من قواتهم فى جهات أخرى، بل ساعد العرب على الحيلولة دون نفوذ الجيش الاسرائيلى الى طريق القدس، و لكن بالكاد. فحينما أعلنت الهدنة الثانية- بعد تسعة أيام فقط- كانت القوات الاسرائيلية على بعد (٤٠٠) ياردة فقط عن الطريق.

ثم يقول كيمشى فى ختام الفصل: لكن الصورة العامة فى فلسطين كانت تدل على مقدار غير يسير من انتكاس العرب فيها. فقد استطاع الجيش الاسرائيلى خلال الأيام التسعة ان يحتل ألف كيلومتر مربع من الأراضى التى كانت فى أيدى العرب، فجعلت اسرائيل مسيطرة على (١٣٠٠) كيلومتر مربع من الأراضى المخصصة للعرب بموجب قرار التقسيم، و تركت فى أيدى العرب (٣٣٠) كيلومترا مربعا من الأراضى المخصصة لليهود. و قد احتلت اسرائيل خلال أيام القتال كلها- البالغة ٣٨ يوما- أربع عشرة بلدة عربية و (٢٠١) قرية من مجموع (٢١٩) قرية عربية. يضاف الى ذلك ان (١١٢) قرية أخرى من القرى الواقعة فى القسم العربى قد تم احتلالها أيضا. و كان العرب قد احتلوا أربعة عشر موقعا يهوديا، من ضمنها محلة اليهود فى القدس القديمة (انتهى).

لكن الكولونيل عبد الله التل قائد معركة القدس يذكر عن هذه المعركة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٥٤

فى مذاكراته . فيقول تحت عنوان (سوء الحالة و خطورتها فى القدس بعد ١٤-٥-٤٨): استطاعت لجنة الهدنة القنصلية التى عينها مجلس الأمن لتعمل على ايجاد هدنة فى القدس، أن تحصل على موافقة العرب و اليهود على تمديد تلك الهدنة التى رتبها المندوب السامى، و لا سيما بعد ان فشلت مساعى وفد الصليب الأحمر الدولى لاعتبار القدس مدينه مفتوحة. و اتفق الطرفان مع لجنة الهدنة على ان يحتل اليهود ما كان يعرف بمنطقة السلام (C) حول العمارة الروسية (المسكوبية) على ان يحتل العرب منطقتى السلام (A) و (B) اى منطقة الكولونية الألمانية و ما حولها و منطقة جمعية الشبان المسيحيين.

غير ان الهدنة الجديدة لم تكد تعقد و يغادر الجنود البريطانيون القدس فى ١٤-٥-٤٨ حتى شرع اليهود- خرقا للهدنة- فى احتلال ما بأيدى العرب و ما خصص لهم من مناطق. و كان الدفاع عن القدس العربية موكولا لجيش الانقاذ و للجهاد المقدس، و لم يكن الفريقان على استعداد عسكري كاف، و لم يكن الناس يعرفون انه لم تكن من خطة الجيش العربى الاردنى او القيادة العربية العامة تجنب احتلال القدس. و هكذا احتل اليهود تحت ستار الهدنة و خرقا لها أهم المناطق الاستراتيجية خارج السور و هى: معسكر النبي، معسكر العلمين، دير ابوطور، النبي داود، المسكوبية، المستشفى الايطالى، نوتردام، المصراة، باب العمود، سعد و سعيد، الشيخ جراح. و لم يبق للعرب خارج السور الا- باب الساهرة و وادى الجوز. و كان العرب كلما احتجوا للجنة الهدنة و للصليب الأحمر على خرق اليهود للهدنة أجاب اليهود بان الجماعات اليهودية المنشقة هى المسؤولة عن ذلك، و لا حول لهم فى منعها!

و تحت عنوان (اليهود يحاولون اقتحام القدس القديمة) يقول الكولونيل التل: و قد تم كل ما سبق ذكره خلال ثلاثة أيام فقط هى يوم

١٥ و ١٦ و ١٧ أيار ١٩٤٨، ففيتها ساءت الحالة لدرجة أصبح معها جميع سكان القدس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٥٥

العربية مهددين بالفناء لأن اليهود لم يكتفوا بما احتلوه من مواقع استراتيجية بل أخذوا يهاجمون الأبواب الرئيسية للقدس القديمة و هي: باب العمود، و باب الخليل، و الباب الجديد و باب النبي داود، محاولين اقتحام المدينة القديمة التي احتشد فيها أكثر من ستين ألف عربي نرح أكثرهم من الأحياء العربية في القدس الجديدة. و في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث كان العرب في القدس يتوقعون دخول اليهود من أحد الأبواب للفتك بهم و تدمير المقدسات العالمية.

ولكن بطولته جنود الانقاذ و الجهاد المقدس و شرطة القدس استطاعت بقيادة المجاهد الكبير أحمد حلمي باشا، و القائد خالد الحسيني، و الرئيس فاضل عبد الله صد اليهود عن الأسوار في تلك الفترة الحرجة بالرغم من نقص الذخيرة و الفوضى التي دبت في صفوف العرب نتيجة هجمات اليهود المتواصلة و تأخر الجيش الأردني عن الوصول الى القدس.

و لذلك لم يكن أمام الهيئات العربية في القدس غير التوجه الى عمان للاستنجاد بالملك عبد الله. فذهبت الوفود في كل يوم من الأيام الثلاثة المذكورة الى عمان و شرحت لجلالته خطورة الحالة، و ذكرنه بقبر والده و بالصخرة و الحرم الشريف و كنيسة القيامة، و في كل مرة كان جلالته يظهر اهتمامه و اضطرابه و يعد بارسال النجدة. و لا شك في ان السبب الذي أخر جلالته عن ارسال النجدة كان الفريق غلوب الذي أسقط القدس من حسابه، و وضع خطة توزيع الجيش العربي بفلسطين على أساس ان القدس ستصبح يهودية، و تعليماته الى الكتيبة السادسة أكبر دليل على ذلك.

و تحت عنوان (الزحف على القدس و انقاذها ١٧-٥-٤٨) يقول: و لكن الله سبحانه و تعالى أراد حماية القدس القديمة فألهم جلالة الملك جرأة خارقة فخالف أمر غلوب، و أصدر موافقته الهاتفية لى ظهر يوم الاثنين ١٧-٥-٤٨ بارسال سرية واحدة الى القدس. فأرسلتها فوراً، ثم وافق جلالته على حركتي مع بقية سرايا الكتيبة الى القدس، و خاصة بعد ان أقنعته بأن سرية واحدة لا تكفي لحماية أحد الأبواب .. و لم تمض ليلة ١٧-١٨-٥-٤٨ حتى كانت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٥٦

الكتيبة السادسة قد أخلت مراكزها في الخان الأحمر، و جسر النبي، و أريحا و انتقلت الى القدس.

و يذكر الكولونيل عبد الله بعد ذلك ان غلوب باشا لم يوافق على حركة الجيش الأردني الى القدس، ثم يشرح توزيعه لقواته على مختلف أجزاء المدينة، و محاصرة الحي اليهودي و صد هجمات اليهود عن الأبواب، و يأتي بعد ذلك الى ذكر انذار اليهود بالتسليم، و قصف الحي اليهودي في القدس القديمة، و تعاون القوات العربية الأخرى معه. كما يشرح كيفية انقاذ حي الأرمن، و معركة باب النبي داود يوم ٢٤-٥-٤٨ التي صد فيها اليهود و خسروا ستين قتيلاً، و يأتي بعد ذلك الى ذكر قتال الشوارع و عمليات التدمير التي قام بها العرب في الحي اليهودي من القدس القديمة. و يذكر في هذه الأثناء شيئاً عن الحي اليهودي هذا فيقول:

تبلغ مساحة الحي اليهودي حوالي ربع مساحة القدس القديمة. و هو عبارة عن منازل قديمة بنيت قبل أكثر من ألف سنة الا القليل منها، و ان أغلب منازل الحي وقف اسلامي يعود الى أسر مسلمة. و كان يقطن الحي اليهودي حوالي (١٨٠٠) يهودي، بينهم كثير من المحاربين و أغلبهم من الهاغانا و بعضهم من عصاباتي الأرغون و شتيرن، اما المدنيون فأغلبهم من اليهود الشرقيين المتدينين. و قبل انتهاء الانتداب كان الجيش البريطاني يحاصر الحي من جميع الجهات ليقف حائلاً بين العرب و اليهود. و كان الانكليز يمونون اليهود المحاصرين طوال الأشهر الثلاثة التي سبقت جلاء الانكليز .. و لذا فقد كان اليهود يدخلون الذخائر و الأسلحة مع قوافل المؤن التي كانت تصل الى القدس القديمة تحت حراسة الانكليز دون ان يسمح للعرب بتفتيشها.

ثم يذكر السيد التل ان الزعيم لاش قائد الفرقة الانكليزية في الجيش الأردني كان يرفض وضع خطة موحدة لتعاون قوات الجيش في القدس، و ان ضباط المدفعية الانكليز كانوا يتجنبون قصف الأهداف المطلوبة، و انه تمكن من إدخال المدرعات الى شوارع القدس القديمة، و ان مندوب الصليب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٥٧

الأحمر كروفوازية الفرنسية كان يساعد اليهود، و ان اليهود قد اعتصموا في كنائسهم و حصونها. و يكتب السيد التل عن اعتصام اليهود المحاربين في الكنيس اليهودى الكبير أو «قدس الأقداس» Horuva فيقول ان يوم الجمعة ٢٧-٤٨ كان يوما أسود على يهود القدس القديمة، ففيه ضيقنا الخناق عليهم فانكشمت خطوطهم الدفاعية حتى وصلت الى الكنيس الكبير و هو أكبر و أقدم كنيس يهودى فى فلسطين، و قد بنى قبل أكثر من مائتى عام، و حينما أنبأنى الرئيس موسى قائد القوات التى تحاصر الحى اليهودى و تهاجمه بان التدمير و الزحف قد وصل الى الكنيس الكبير الذى امتلأ بالمحاربين اليهود أخبرت الرئيس ان ينتظر و لا يسمح بالتعرض للمقدسات ريثما أتمكن من تبليغ انذارى لليهود ..

فاضطرت لاصدار الأمر الى القوة باتخاذ الاجراءات التى تجدها ضرورية لتطهير المنطقة بما فيها اليهود المستحكمين بالكنيس. و لما لم يجد قائد القوة بدا من نسفه فقد أوعز لفرقة التدمير بذلك و تمت العملية و قضى على المحاربين المتعصبين من اليهود تحت الأنقاض.

و بعد ان يصف الكولونيل التل كيفية استسلام اليهود فى القدس القديمة و أسرهم، يدون ملاحظات عامة عن هذه المعركة الخطيرة نورد فيما يأتى اهمها:

١- كانت تلك المعركة أهم معركة خاضتها الجيوش العربية فى حرب فلسطين لأنها أتت بنصر تاريخى لا تنمحي آثاره، فقد كانت السبب فى بقاء القدس القديمة و ما جاورها من الأحياء فى أيدي العرب حتى يومنا هذا (أى الى ان استولى اليهود على الضفة الغربية كلها من الأردن فى نكبة ٥ حزيران ١٩٦٧).

٢- قتل فى تلك المعركة ما يزيد على (٣٠٠) يهودى من المحاربين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٥٨

المتعصبين، بينهم (١٣٦) من عصابة الأرغوت، و جرح (٨٠) وجدناهم فى المستشفى و كانت جراح نصفهم خطيرة.

٣- أخذنا من اليهود (٣٤٠) أسيرا و هو العدد المماثل تقريبا لما أخذناه من مستعمرة كفار عصيون، و بذا يكون هذا جميع الأسرى اليهود لدى الجيش العربى و هم المجموعة الوحيدة لدى الجيوش العربية.

٤- دمر الحى اليهودى و لم يبق فيه مكان الا أصيب بأضرار فادحة مما يجعل عودة اليهود اليه أمرا مستحيلا.

٥- طهرت القدس المقدسة من اليهود و لم يبق بها يهودى واحد و ذلك لأول مرة منذ الف عام.

٦- ظهر ان اليهود المتعصبين يقاومون كثيرا و يحسنون الدفاع. و انى أشهد بان يهود القدس القديمة قد صبروا و احتملوا مرارة الحرب الى آخر حد.

٧- كان لهذه المعركة نتائج خطيرة بعيدة المدى، فقد حفظت القدس المقدسة عربية و جعلت منها من الوجهة الحربية دعامة للجناحين: الجناح الأيمن نابلس و الجناح الأيسر منطقة الخليل. و لو لا معركة القدس القديمة لما بقيت الضفة الغربية بأيدي العرب، إذ لو أن القلب و هو القدس سقط- لا سمح الله- فان اليهود كانوا ينزلون الى أريحا فى وادى الأردن و يقطعون اتصال الأردن بالضفة الغربية فتنهار الجبهة كلها. (و هذا ما حصل مع الأسف فى ٥ حزيران ١٩٦٧).

مقتل الوسيط الدولى الكونت برنادوت

كانت الهيئة العامة للأمم المتحدة قد قررت قبيل انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين فى ١٥ مايس ١٩٤٨ تعيين وسيط مفوض من هيئة الأمم يختاره ممثلو الدول الكبرى. و لم يتم الاتفاق على شخص هذا الوسيط الا بعد ان زحفت جيوش الدول العربية الى فلسطين بخمسة أيام، حيث تم الاتفاق على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٥٩

تعيين الكونت برنادوت السويدي. و يقول جون كيمشى (الصفحة ٢٥٨) ان الانكليز هم الذين تولوا ترشيحه و دعمه، ليبرهن على انه كان مسيرا من قبلهم. و يذكر ان الكونت كتب في مذكراته ان أول من زاره عند وصوله الى باريس مقر اجتماع الأمم المتحدة في تلك السنة في يوم ٢٥ ميس كان المستر أشلي كلارك القائم بالأعمال البريطاني في باريس. و قد أخبره «بان الحكومة البريطانية لم تكن مستعدة في ذلك الوقت لتتخذ أية خطوات معادية للعرب». ثم يقول كيمشى: و قد قيل له في الحقيقة ان الحكومة البريطانية كانت لا تزال تقدم الأسلحة للعرب، و ان الضباط البريطانيين الذين كانوا قد عيّنوا مدرين يقومون بدور فعال في الحرب كذلك. حتى و لو لم تكن الدوائر البريطانية ميالة الى قبول الاقتراح الأمريكي باعتبار ما قامت به اندول العريية خرقا لوثيقة الأمم المتحدة و قرارها في التقسيم.

الكونت برنادوت الوسيط الدولي الذي قتله الصهيونيون في القدس بتاريخ ١٧ / ٩ / ١٩٤٨

و لم يكن ممثلو الحكومة البريطانية بطيئين في الوقت نفسه في أن يبينوا للكونت بحذر الخطوط التي يمكن ان يسير عليها في وساطته حتى تكون مثمرة و حتى يستطيع التمتع بالتأييد البريطاني في العواصم العربية على الأقل. فان الحكومة البريطانية كانت تريد إجراء تعديل في خطة التقسيم التي قررتها الأمم المتحدة بان يعطى القسم الجنوبي من النقب الى عبد الله و ليس الى اليهود، و ان يأخذ اليهود الجليل الغربي عوضا عن ذلك. و ان يأخذ عبد الله مدينة القدس بأكملها أيضا.

و قد وصل الكونت برنادوت قبيل هدنة الحادي عشر من حزيران

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٦٠

الى مقره في رودس، فكان مساعده الدكتور بنتش قد أحضر له قرار التقسيم.

و حينما زار فلسطين و البلاد العربية هو و مرافقه قوبلوا بالشك و الازدراء من العرب و الاسرائيليين معا، فقد كان العرب لا يثقون بأى شىء يصدر من الأمم المتحدة التي يرون أنها هي السبب في جميع ما وقع في فلسطين من بلايا و اضطرابات. لكن هذا لم يمنع الرؤساء العرب من معاملة بعثة برنادوت بأكثر ما يكون من الود و الضيافة التقليدية المعروفة عنهم، اما اليهود في تل أبيب و سائر أنحاء اسرائيل فقد استثارهم وجود برنادوت و المراقبين الذين جاءوا في معيته .. و ظلوا خلال الأيام التي أخذت تنتهي فيها هدنة الأسابيع الأربعة ينتظرون بقلق مقترحات الكونت الجديدة. و قد عرفت هذه في نهاية الأسبوع الثالث من أسابيع الهدنة، أى في بداية تموز ١٩٤٨.

و اذا كان الاسرائيليون يشكون في تعاطف الكونت مع العرب فقد أزالته هذه الشكوك المقترحات الجديدة التي لم تكن تختلف عما اقترحه عليه البريطانيون بصورة غير رسمية. فقد اقترح ان توضع القدس كلها- القسم العربي و اليهودي- تحت حكم الملك عبد الله. على ان تحتفظ اسرائيل في مقابل ذلك بالجليل الغربي. و لم يكن قد اقترح ذلك أحد من قبل. فقد كانت هناك مقترحات حول تدويل المدينة المقدسة، و لكن الآن اى بعد سبعة و عشرين يوما من الهجمات غير المجدية على المدينة اليهودية، و بعد جميع ما عاناه يهود القدس من حصار يأتي الكونت بكل برود فيقترح ان يقدم لعبد الله ما فشل في الحصول عليه في قوة السلاح (كذا). و لم يكن ذلك غلطة خطيرة أثرت على وضع الكونت في اسرائيل فقط، و انما كان ايضا خطأ سياسيا بالنسبة لعلاقاته بالعرب. فقد أثار بهذا شهية الملك عبد الله، الذي اعتبر الاقتراح تأييدا من هيئة الأمم المتحدة لادعائه (بملوكية) القدس جميعها. فأزعج ذلك المصريين و السوريين الذين لم يكونوا يريدون ان يستحوذ عبد الله على القدس. و الحقيقة ان هذا المقترح الاستثنائي قد جعل استئناف القتال شيئا مؤكدا في نهاية الهدنة لأن القدس قد تبدل وضعها خلال مدة «وقف اطلاق النار» من كونها جبهة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٦١

منسية الى اعتبارها أهم جبهة في فلسطين.

هذا و يلاحظ ان جون كيمشى الصهيوني لم يذكر في كتابته هذه شيئا عن مقتل الكونت برنادوت الا باشارة عابرة، لان العمل الشنيع

هذا يعتبر و صمه عار على كل دولة تقع فيها هذه الجريمة النكراء المدبرة، و استهتارا بجميع القيم الانسانية و الأعراف الديبلوماسية، لا سيما و ان القتل لم يكن يناوىء اسرائيل في الحقيقة كما يفهم من مغالطات كيمشى، و انما كانت أول فقره من مقترحاته تدعو العرب الى الاعتراف بأن اسرائيل اصبحت حقيقة واقعه.

على أننا لاحظنا في كتاب (جندى بين العرب) لمؤلفه غلوب پاشا في فلسطين، انه يصف هذا الحادث الأليم بشيء غير يسير من الدقة. فهو يقول (الصفحة ١٨١): «كان برنادوت قد طار في صباح الجمعة الموافق ١٧ أيلول ١٩٤٨ من مطار دمشق و نزل في قلنديه، شمالي القدس. و استقل سيارته الى الرملة للمداولة مع لاش (قائد فرقة الجيش الاردنى). و في خلال الحديث أشير الى حصول ازدياد في نشاط القناصة في القدس. و قد طلب اليه لاش بان يقبل باستصحاب سيارة مصفحة من سيارات الجيش العربى الاردنى لحمايته.

كما اقترح عليه أحد مراقبى الأمم المتحدة بأن يؤجل زيارته الى القدس في ذلك اليوم. فرفض ذلك و هو يقول «لا يمكن ان نسمح لأنفسنا بان يعيقها الخوف عن عملها». فصحبت الكونت سيارة مصفحة من الرملة الى القدس، حيث عبر الى المنطقة اليهودية .. و تغدى في دار «الواى أيم سى أى» في القدس مع جماعته و عدد من مراقبى هيئة الأمم المتحدة. و بعد الغداء استقل السيارة فسارت به مع سيارتين أخريين الى دار الحكومة، أى المسكن السابق للمندوب السامى البريطانى. و بعد تفقد الدار و الحديقة المحيطة بها، و مشاهدة المدينة من أعلاها، عادت الجماعة الى القدس. و بينما كانت السيارات تسير موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٤٢ في محلة القطمون اعترضت طريقها فجأة سيارة جيب كانت تقف في منتصف الطريق. و حينما وصلت اليها سيارات الكونت و جماعته تظاهر سائق الجيب بمعالجة جهاز التبديل فيها، و صار يسوق سيارته الى الخلف و الأمام، حتى وقف أخيرا في منتصف الطريق أيضا. و كان في سيارة الجيب أربعة رجال يرتدون ألبسة الجيش الاسرائيلى المعروفة. كما كانت قافلة الكونت تتألف من ثلاث سيارات تقل موظفين فى الأمم المتحدة و ضابط ارتباط إسرائيلى.

و لم تكن ترافق هذه السيارات أية حماية اسرائيلية، كما لم يكن أحد من جماعة الكونت يحمل السلاح. و قد قفز ثلاثة من ركاب سيارة الجيب اليهودية الى الخارج و ساروا نحو قافلة هيئة الأمم المتحدة التى وجدت نفسها مجبرة على التوقف لأن السيارة اليهودية سدت الطريق فى وجهها. و كان الكونت برنادوت فى السيارة الثالثة أو الأخيرة، فمشى اليه أحد الاسرائيليين من جهة بينما سار الاثنان الآخران من الجهة الأخرى و ذهبوا الى السيارة الثالثة رأسا، بينما بقى السائق فى سيارة الجيب نفسها. و قصد الاسرائيلى المنفرد شباك السيارة القريب من الكونت، فظن ركابها انه جندى يهودى جاء يسأل عن الرخص التى تسمح لهم بالمرور و أخذوا يخرجونها من جيوبهم. و فجأة أدخل الجندى الاسرائيلى فوهه مسدس أوتوماتيكى من الشباك فأطلق صليبه منه على الكونت و أخرى على الكولونيل سيرو الفرنسى، الذى كان يجلس فى جانب الكونت. و سحب الاسرائيليان الآخران مسدسيهما الأوتوماتيكين فأطلقا منهما النار على عجلات السيارات و أجهزة التبريد (الرادياتور)، ليمنعها عن التعقيب على ما يظهر. و بعد ذلك قفز الثلاثة الى سيارتهم الجيب التى اختفت عن الأنظار بكل سرعتها.

و قد شوهدت سيارة نقل ملأى بالجند الاسرائيلى، واقفة على بعد أربعين ياردة من مكان الحادث. و عرف فيما بعد ان القتلة كانوا ينتظرون فى سيارتهم قبل وصول برنادوت بساعة على الأقل. و قد أصيب الكونت بست طلقات مرت إحداها فى القلب فقضت على حياته فى الحال. أما الكولونيل سيرو فقد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٤٣

أصيب بسبع عشرة إطلاقه. و أرسل القتلة الذين كانوا ينتمون الى عصابة شتيرن اليهودية الارهابية الكتاب التالى الى الصحف: «بالرغم من أن جميع مراقبى هيئة الأمم المتحدة هم فى نظرنا أفراد قوات احتلال أجنبية، لا يحق لها ان تكون موجودة فى بلادنا، فان مقتل الكولونيل سيرو الفرنسى كان سببه غلطة مميته: فقد ظن رجالنا ان الضابط الذى كان يجلس الى جنب الكونت برنادوت كان الجاسوس البريطانى المعادى للسامية الجنرال لوندستروم». و كان الجنرال لوندستروم من ضباط الجيش السويدى و رئيسا لمراقبى

الكونت برنادوت نفسه.

و يقول كلوب و قد نقل جثمان الكونت الى حيفا فى يوم ١٨ أيلول، فمر موكبه بمواقعنا باللطرون فحياه حرس شرف من الجيش العربى الأردنى لآخر مرة .. و قد انتظرنا بقلق بالغ ما يمكن ان يحصل بعد هذا الحادث الأليم. فقد كان الكونت ممثلاً لهيئة الأمم المتحدة، و قريباً من أقارب ملك السويد، و رجلاً كرس حياته للأعمال الخيرية و الانسانية. و كنا نعتقد جازمين بأن هيئة الأمم سوف تنزل عقوبة قاسية بالذين قتلوا ممثلها مثل هذه القتل الشنيع. و حينما مرت الأيام و لم يحصل شىء، بدأنا ندرى ببطء مقدار العجز الذى تتصف به هيئة الأمم المتحدة. و لم تفرض أية عقوبة على ما نعلم، و الحقيقة أنه نادراً ما صدر اى انتقاد من الجهات التى يعينها الأمر».

اما الكولونيل عبد الله التل، قائد معركة القدس، فيقول (الص ٣٤٨):

و فيما يتعلق بالكونت برنادوت أخذ اليهود يهاجمونه علناً و يتهمونه بالوقوف فى طريق تكوين اسرائيل، و ذلك قبل تنفيذ أمر اغتياله ببضعة اسابيع. و كانت التهم التى توجه له عجيبة متناقضة، لانه كان- و اليهود يعرفون- من أكثر العاملين على خلق دوله اسرائيل و حمايتها .. و لما كانت العصابات اليهودية جزءاً لا يتجزأ من كيان اليهود لأنها أسهمت الى حد كبير فى بناء ذلك الكيان فقد تغاضت السلطات اليهودية عن أعمال العصابات الاجرامية و لا تزال تشرف اشرافاً كلياً على أعمال الاجرام السياسى. و قد نجحت فى ذلك لأن هذا الاجرام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٦٤

خدم أغراضها و أخاف أمريكا و بريطانيا و معظم الدول الغربية ..

و كان برنادوت يقوم باحدى جولاته العادية، و حينما وصل الى القدس بعد ظهر الجمعة ١٧ - ٩ - ٤٨ قدم الجيش الأردنى الحراسه اللازمة له ابتداء من مطار قلنديه حتى الحدود العربية الاسرائيلية (ماندلبوم). و من الحدود اليهودية سار برنادوت و أركان حربه الى دار الحكومة، و بعد أن أنهى بعض الأعمال هناك عاد الى الأحياء اليهودية فى الرابعة و النصف بعد الظهر. و فى أحد شوارع اليهود اعترض طريق سيارته بعض المسلحين من اليهود. فأوقفت سيارة برنادوت و تقدم اليها اليهود. و بكل سهولة و طمأنينة أطلقوا النار على صدر الكونت، و على رأس سيرو الذى كان راكباً بجانب الكونت فى المقعد الخلفى، و لم يعتدوا على رئيس المراقبين الأمريكى الكولونيل بيجلى الذى كان بجانب السائق .. و قد أسف العرب لمقتله لأنهم عرفوا فيه طيبة القلب، و سمو الأخلاق، بالرغم من مشاريعه لحل قضية فلسطين، تلك المشاريع التى لم يخل واحد منها من ايجاد الدولة اليهودية. اما الكولونيل الفرنسى سيرو فقد أحزن موته جميع سكان القدس العرب لأنهم عرفوه فى الهدنتين الأولى و الثانية، يوم كان يتجول على المراكز الأمامية البعيدة مخاطراً بنفسه فى سبيل القيام بواجبه على أحسن وجه. و قد اغتاله اليهود لأنهم اعتقدوا أنه كان صديقاً للعرب.

اما السلطات اليهودية فقد تظاهرت بالأسف العميق و أو عزت للصحف بأن تدعى الحزن و تستنكر الجريمة البشعة، و وعدت بالقاء القبض على الجناة.

و من أجل تضليل الرأى العام العالمى. جمعت السلطات اليهودية أكثر من مائة شخص و حققت معهم صورياً ثم تركتهم بعد ان لم تجد ما يدينهم كما هو المعتاد. مع ان الجناة معروفون لليهود و للعرب على السواء، و هم أفراد عصابة شتى و لم تحاسبهم الحكومة لأنها كانت الموعزة بتنفيذ ما وقع.

و يؤيد ما جاء فى أقوال الكولونيل عبد الله التل، عن برنادوت و سعيه فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٦٥

كل مشاريعه لايجاد الدولة اليهودية فى فلسطين، قول الكاتب الأمريكى الصهيونى جوزيف دونر فى كتابه (جمهورية اسرائيل). فهو يقول عن تقريره و مقتله (الص ١٠٨) و قد أصبح هذا التقرير شهادته التى أدين بها، لأن إرهابى «جبهة أرض الآباء» التابعة لعصابة

شتيرن على ما يتضح قد قتلوه في ١٧ أيلول. وقد أحزنت وفاته العالم كله، و شجبت العمل الحكومة الاسرائيلية (كذا) فاعتبرته جريمة نكراء و عملا من أعمال الخيانة للجيش الاسرائيلي، و تحديا لسلطة الأمم المتحدة. (و هذه مغالطة من المؤلف لا يؤيدها الواقع الذي وصفه المستر غلوب في الفقرات التي اقتبسناها من كتابه).

فان أبرز ما يميز تقرير برنادوت عن توصياته السابقة اعترافه الذي لا يقبل التأويل بالدولة اليهودية. و يدل على ان كاتبه قد تأثر تأثرا عميقا بالمجهود الحربي الذي بذله اليهود. و لم يكن هناك ما يدل على ان العرب سيعترفون بالدولة الاسرائيلية، لكن تفاول برنادوت كان مبينا كما يتضح على فناعته بان العناصر المتعلقة في العالم العربي كانت قد بدأت تدرك بأن اسرائيل قد وجدت لتبقى. و كان برنادوت نفسه رجلا واقعيا. فحينما أصبح يلمس بان الواقع قد تبدل، لم يتردد في تغيير رأيه هو نفسه. و منذ ان كسب اليهود الحرب كان هو قد بدّل الموقف الذي كان قد اتخذه في مقترحات ٢٧ حزيران و كدّس مؤازرته من دون تحفظ للدولة الاسرائيلية. على ان معالجة الأمر بهذا الأسلوب تنطوي على نقاط ضعف فيها. فهي تقلل من تأثير النظرة الأخلاقية و من أهمية الأحكام الدولية غير المتحيزة. حيث انها تعود بالبشرية الى القاعدة القديمة المخطرة التي تقول: الحق للقوة. لكن الخطأ لا ينطوي كله في برنادوت نفسه، لأن سياسته كانت تنعكس فيها الأحوال العالمية الجارية يومذاك، موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٦٦ و العجز الأساسي الذي كانت تتصف به هيئة الأمم المتحدة في فرض أحكامها.

فما قاله برنادوت في تقريره الى عالمنا هذا كان يفهم منه «ان واقع الحال هو ان الاستيلاء و الاندحار في الحرب لا يزالان هما القوى المكونة للواقع السياسي و كل شيء آخر ما هو الاستار من الدخان».

مقتل الملك عبد الله في المسجد الأقصى

لقد أدت الحوادث الأليمة التي وقعت في فلسطين على أثر قرار هيئة الأمم المتحدة القاضي بتقسيم فلسطين الى حصول هزات و تطورات كثيرة في العالم العربي، الذي يبدو انه استفاق على واقعه المؤلم وضعفه البارز تجاه الأطماع الأمبريالية و المناورات الدولية العنيفة فوجد نفسه متخلفا عن الركب الحضاري، و أموره مسلمة في أيدي اناس تتلاعب بهم المصالح الاستعمارية، و تسيرهم الأطماع الشخصية لدرجة غير يسيرة. و من أهم هذه التطورات و أبرزها ما أدى الى اغتيال الكثير من الشخصيات العربية البارزة، و حصول انقلابات و تبدلات حكومية كثيرة. و لقد سجل المستر غلوب في كتابه (جندى بين العرب)، في معرض ما كتبه عن اغتيال الملك عبد الله، عددا من هذه الحوادث. فهو يقول: و بعد مقتل الملك نشرت إحدى الجرائد القاهرية قائمة بالشخصيات العربية التي لقيت مصرعها خلال السنوات الخمس المنحصرة بين سنتي ١٩٤٦ و ١٩٥١. و هي تحتوى على ملكين: هما عبد الله ملك الأردن و الامام يحيى ملك اليمن، و على رئيس جمهورية واحد هو حسنى الزعيم رئيس الجمهورية السورية، و أربع رؤساء وزراء هم: أحمد ماهر باشا، و النقراشى باشا، من رؤساء الوزارة في مصر و محسن البرازى السورى، و رياض الصلح اللبناني، و على قائد عام عسكري واحد هو سامى الحناوى السورى، مع رئيس الأخوان المسلمين فى مصر الشيخ حسن البنا، و وزير واحد هو أمين عثمان المصرى، و عدد من مديرى الشرطة و القضاة. و حصلت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٦٧

محاولات غير ناجحة أخرى للقتل استهدفت عددا آخر من رؤساء الوزارة، و الوزراء و غيرهم من الشخصيات المرموقة. و لا شك ان اغتيال الملك عبد الله فى القدس كان أبرز هذه الحوادث و أهمها. و يصف المستر غلوب فى كتابه جندى بين العرب الحادث فيقول:

«.. و كان من المقرر فى يوم الخميس ١٩ تموز ١٩٥١ ان يحضر الملك استعراضا للقوة الجوية الأردنية، فقد كان تواقا جدا الى خلق قوة جوية للأردن. إذ كان من المعتقد أن اسرائيل كانت تملك مائتى طائرة.. و فى ذلك الصباح تسلم الملك كتابا غفلا من التوقيع

جاء فيه انه سيقتل هو و أنا- أى غلوب- و كنت قد أعلمت بان أذهب الى القصر و اصطحب الملك الى المطار، و حينما وصلت الى هناك سلمنى ذلك الكتاب .. و مع ان الاستعراض كان بمقياس صغير جدا، فانه كان على أحسن ما يكون، و كان الملك بادی الانشراح. و قد تغدينا فى المطار، ثم طرنا الى القدس حيث كان يريد ان يبيت فيها. و كان جلالته شغوفاً بالقدس و يرغب على الدوام فى ان يصلى فى الشيخ شحادة حسن فائق الانصارى شيخ الحرم القدسى مسجدها أيام الجمع. و فى صباح الجمعة استقل السيارة الى نابلس ليقضى الوقت فيها حتى يحين موعد الصلاة فى المسجد الأقصى عند الظهر. و هناك شرب القهوة مع سليمان بك طوقان رئيس البلدية و جلس يتحدث لمدة ساعة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٦٨

و عند ذاك نظر سليمان بك الى الساعة و خاطب الملك يقول ان الوقت لا يتسع لعودة جلالته الى القدس و الصلاة فيها، ثم اقترح عليه ان يؤدى صلاة الجمعة هذه المرة فى جامع نابلس. لكن الملك لم يوافق، و أجاب يقول: ان العرب تقول ان المكتوب على الجبين لا بد من ان تراه العين.

و قد كنت منذ ان اغتيل رياض الصلح قبل ثلاثة أيام أشعر بتوتر و قلق.

فكلف الكولونيل حابس المجالى بمرافقة الملك، و أخبرته بان يكون حذرا و لا سيما عند الصلاة فى الجامع الأقصى. و خطر فى بالى بأن أخابر مدير شرطة القدس فأحته أيضا، على ان يكون حذرا بصورة خاصة فى أثناء الصلاة فى المسجد، لكننى عدلت عن ذلك و قلت لئنفسى إنهم كلهم يعرفون واجبهم».

و يتابع المستر غلوب سرد القصة فيقول: «و قد دخل الملك الى الساحة الكبرى التابعة للمسجد الأقصى فى القدس قبيل الثانية عشرة بقليل، فكانت محتشدة بألاف لا تعد و لا تحصى من الناس كما هو المعتاد فى صلاة الجمعة.

ففتح الناس مسيرا ضيقا سار فيه الملك، و الجمع المكتظ يضايقه من كل جانب.

و كان هو يهوى التحدث مع رعاياه، فوقف عدة مرات ليكلم الذين عرفهم من الناس، و لذلك أحاط به الكولونيل حابس و جماعة من المرافقين ليحاولوا صدّ الناس عنه، لكن الملك التفت اليه بتأثر و خاطبه بقوله: لا تحبسنى يا حابس.

و حينما اقترب الملك من باب المسجد الأقصى حاول حابس و جماعته ان يحيطوا بالملك من جديد، فكرر قوله له: لا تحبسنى يا حابس. و تجاوز الملك العتبة بعد ذلك و من خلفه الحاشية بأجمعها، فدنا منه شيخ المسجد الوقور بلحيته البيضاء الطويلة و حاول تقبيل يده. و فى تلك اللحظة بالذات خرج رجل من وراء الباب الكبرى فوجد نفسه قريبا من الملك، و على بعد ياردة واحدة منه. فأخرج مسدسه و أطلق منه إطلاقاً صوبها نحو رأسه. فدخلت من خلف أذنه ثم خرجت من عينه. و عند ذاك سقط ميتا الى الأمام على ساحة المسجد، و راحت عمامته البيضاء تتدحرج فوق الأرض المبلطة بالرخام.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٦٩

و قد أخذ القاتل يطلق النار من مسدسه يمنة و يسرة من دون هدى، حتى خف اليه رجال الحاشية فقتلوه بدوره».

و بعد ان يصف غلوب كيفية سماعه للخبر و دعوته الى مكتب رئيس الوزراء، سمير الرفاعى، حيث وجده مع الوزراء بكون بدموع غزيرة، و بعد ان يذكر استدعاء الجيش لمحافظة عمان و القدس التى نهبت فيها بعض المخازن قبل حضور الجيش، يقول انه علم فيما بعد ان رئيس الوزراء كان قد تبّه الملك قبل يوم اغتياله و رجا منه ان يكون حذرا فاجابه الملك عبد الله بقوله: «انى أو من بالله فيده حياتى».

و يعلق المستر غلوب على الحادث بقوله «لقد ثبت ان اغتيال الملك قد وقع بتحريض من أقارب مفتى القدس السابق الحاج أمين الحسينى. و قد حوكم المتهمون فى محكمة خاصة فحكم على أربعة منهم بالاعدام، و كان القاتل الفعلى قد قتله مرافقوا الملك عند وقوع الحادث. و اتهم المدعى العام كذلك عبد الله التل بكونه كان من المحرضين الثانويين على الاغتيال، و لا يخفى انه كان يعمل

مع المفتى فى مصر. و قد دعيت لأدلى بشهادتى عن عبد الله التل و خدماته فحكم عليه بالاعدام غيايبا. و حينما نشر خبر هذا الحكم عقد عبد الله التل مؤتمرا صحفيا فى القاهرة اتهمنى فيه بأنى قد لفتت التهمة ضده. حيث قال «لو كان القتل غلوب باشا لكنت أنا قاتله، اما الملك عبد الله فلا».

و من الكتاب الغربيين الذين يشيرون الى مقتل الملك عبد الله فى القدس كذلك الكاتب الايطالى فرانسيسكو غابريلى، استاذ العربية فى جامعه روما و الخير فى الشؤون العربية و الاسلاميه، فى كتابه (البعث العربى)، الذى ترجمه الى الانكليزية المستر لوفيت أدوردز. فهو يقول (الص ١٢٩): موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٧٠

«.. ان سياسة الدولة الهاشمية الأخرى، المملكة الأردنية، كان يسيطر عليها الى حين موته المفجع فى القدس الملك عبد الله، آخر من بقى فى الميدان من أيام ثورة الحسين و لورانس العربية. و كان العربى الوحيد الذى حصل على شىء ما من الحرب مع اسرائيل المولودة حديثا و ليس من الكثير ان نحسب ان النزاع العربى-الاسرائيلى لو كان منحصر بالاردن لكان وجد وسيلة للتوافق بين الطرفين بمرور الزمن .. و قد استمر عبد الله، فى المملكة الأردنية المتوسعة، يعلق آماله على وحدة الهلال الخصيب الذى خرج أبوه من موطنه فى البادية من أجله. و هذا ما يمس الاقليمية السورية و اللبنانية بعض المساس و يمس المتطرفين المناوئين لليهود بامكان اتفاق مع اسرائيل. فانهى أمر ذلك الملك عبد الله يغادر المسجد الأقصى بعد صلاة الجمعة، و قد اخذت هذه الصورة قبيل اغتياله فى مناسبة مماثلة بتاريخ ٢٠ / ٧ / ١٩٥١

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٧١

كله باغتياله فى القدس يوم ٢٠ حزيران ١٩٥١، الذى تم على يد رجل من أتباع مفتى القدس أمين الحسينى ..»

تدويل القدس

كان آخر عمل قام به الوسيط الدولى الكونت برنادوت قبل ان يغتاله اليهود هو أنه أعد تقريرا وضع فيه مقترحات جديدة، و رفعه الى سكرتير هيئة الأمم لمتحدة التى كانت منعقدة فى باريس يومذاك. و بعد ذلك بست ساعات وقع حادث الاغتيال فى القدس، و الظاهر ان العصابات اليهودية كانت قد اطلعت على ما جاء فى المقترحات الجديدة فلم يرقها ما جاء فيها، و لا سيما ما يختص منها باخراج النقب من أيديهم و بتدويل منطقة القدس. و كانت جميع قرارات هيئة الأمم المتحدة حول فلسطين تقضى بتدويل القدس، لكن الفكرة من أساسها لم تنفذ لان اليهود لم يقبلوا بها من جهة، و لأن المملكة الأردنية لم تتنازل عن حقها فى المدينة المقدسة و ما حولها من جهة أخرى. و على هذا الأساس بقيت القدس الى يوم النكسة العربية المريعة (٥ حزيران ١٩٦٧) مقسمة الى قسمين: القدس الجديدة و يحتلها اليهود فيعتبرونها عاصمتهم، مع ان معظم أحيائها قبل الكارثة كانت عربية و معظم القرى حولها و الملحقة بها عربية، و ٩٨٪ من أملاكها و أراضيها تعود للعرب، و القدس القديمة التى صارت جزءا من المملكة الأردنية الهاشمية، و هى على صغر مساحتها و ضآلة أملاكها تمتاز بوجود المقدسات الاسلامية و المسيحية فيها، و لا سيما المسجد الأقصى و كنيسة القيامة .

و الظاهر ان الأسباب التى دعت المملكة الأردنية الى التمسك بالقدس تختص بسلامة المملكة نفسها، و أهمية الأماكن المقدسة فى نظرها. و تورد فيما يأتى ما كتبه المستر غلوب فى الموضوع، و هو يبين وجهة النظر الأردنية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٧٢

يومذاك بطبيعة الحال. فقد كتب يقول فى كتابه (جندى مع العرب) (الص ٢٩١):

«.. كانت من المشاكل الحساسة خلال السنين الممتدة من ١٩٤٨ الى ١٩٥١ مشكلة تدويل القدس. فقد صرفت لجنة الوصاية العائدة لهيئة الأمم المتحدة أشهرها طويلة فى وضع دستور دقيق للمدينة المدولة. لكن المشروع، مثل غيره من مشاريع هيئة الأمم المتحدة، ولد ميتا بسبب عدم وجود قوات دولية تعمل على تنفيذه بالقوة. و قد وافقت اسرائيل على تدويل الأماكن المقدسة فقط، لأنها كانت فى

أيدي المملكة الأردنية بطبيعة الحال. اما من الناحية العملية فان المدينة القديمة المسورة كانت هي الحصن المنيع الذي ساعد العرب على التمسك بالقدس. و لذلك فان تجريد هذا القسم من السلاح، دون القسم اليهودي، سيكون بطبيعة الحال في صالح اسرائيل لدرجة كبيرة، من الناحية العسكرية.

لقد كانت القدس مدولة حقا في مشروع التقسيم الذي وضعته هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧، لكنها كانت يومذاك جزيرة في وسط منطقة عربية من كل جانب من غير ان يكون لها اتصال طبيعي باسرائيل. فبشكلها ذاك كانت الأردن ترحب بتدويلها أيضا. لكن اسرائيل منذ ذلك الوقت قد ربطت القدس بالسهل الساحلي عن طريق ممر واسع عملت على فتحه. و لذلك أصبحت اية خطة توضع لتدويل القدس بحالتها التي توصلها الى اسرائيل شيئا مخطرا يهدد سلامة الأردن.

فلو نظرنا الى القدس من ناحية مقطعها العرضي، نجد انها تقع في قمة الهضبة التي تكونها الجبال الفلسطينية. اذ تنخفض البلاد المحيطة بها من الشرق انخفاضا يبلغ (٤٠٠٠) قدم الى قعر وادي الأردن. على أنها من الجهة الغربية ليست كذلك. و هناك جبال أخرى تبلغ في علوها علو القدس نفسها في حدودها الغربية. و لذلك فاذا ما سحبت كل من الأردن و اسرائيل جيوشها من المدينة نفسها تصبح اسرائيل في غرب المدينة و في نفس مستواها المرتفع،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٧٣

فتستطيع و الحالة هذا ان تنقُص عليها في أي يوم كان خلال دقائق معدودة فتحلتها. بينما تكون الأردن من ناحية أخرى بعيدة عنها و في مستوى ينخفض عن مستواها بمقدار ألفي قدم في انحدار شديد الهبوط في الوقت نفسه. اما بالنسبة لمشروع ١٩٤٧ فيكون الجيش الاسرائيلي بعيدا عنها جد البعد في السهل الساحلي.

غير ان هذه الاعتبارات العسكرية البحتة لم تكن كل شيء في الموضوع.

فقد أريد للقدس بموجب الدستور الذي وضعته هيئة الأمم المتحدة بان يحكمها مجلس منتخب يعين من فوقه حاكم يتبع لهيئة الأمم المتحدة. و قد سبق لليهود ان تكونت لهم في المنطقة أكثرية عددية من السكان، و بهذا تستطيع السيطرة على شؤون المدينة ثم يقول غلوب: و بالنظر للعداء المستحكم بين العنصرين يكون من السهل علينا ان ندرك بان الأقلية العربية لا بد من ان تصبح في وضع صعب بالنسبة لمجلس المدينة. فالى جانب طغيان الأكثرية اليهودية على العرب تستطيع من نواح أخرى ان تضغط عليهم بأساليب و طرق تضطرهم الى بيع ما يملكون و الرحيل الى خارج المنطقة، حيث يستطيعون السكن بحرية في عمان أو غيرها.

و هكذا يبدو لنا ان القدس سرعان ما تكون تحت رحمة اليهود الكلية بالتدرج. اما من الناحية العسكرية فان مثل هذا الوضع كان سيؤدي الى الكارثة. فاذا ما استطاع الجيش الاسرائيلي من تثبيت أقدامه في القدس يمكنه عندئذ بسهولة ان يزحف الى أريحا و الأردن فيمنع المناطق العربية في الضفة الغربية عن الاتصال بالبلاد الكائنة عبر الأردن. و ليس هذا فقط و انما ينقطع اتصال منطقة الخليل أيضا بمنطقة نابلس.

و كثيرا ما كان يبدو رفض اسرائيل لخطة التدويل شيئا غريبا في نظرنا على هذا الأساس. لكن هذا الرفض لا بد من ان يكون قد حدث آتيا و أملتة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٧٤

الاعتبارات العاطفية. فقد تكونت اسرائيل و جعلت عاصمتها «مدينة داود».

لكن اليهود لو كانوا يريدون ان ينقلوا عاصمتهم موقتا الى تل أبيب، و يتنازلوا عن القدس الى هيئة الأمم، لكان بوسعهم أن يجيروا الجيش العربي الأردني على التخلي عن المدينة المقدسة. و عندما يتم ذلك كان بوسع الاسرائيليين ان يعودوا بكل سهولة الى حيث يريدون. و من حسن الحظ انهم لم يفعلوا ذلك.

(و مع هذا فقد تحقق لهم ما يريدون بكل أسف في نكسة حزيران ١٩٦٧).

ثم يتابع غلوب فيقول: و كان من المؤلم في هذه المشكلة ان جميع البلاد العربية الأخرى كانت تطالب بالتأميم، على خطأ أو صواب. و قد وقفت الأردن في هذه القضية مع اسرائيل في رفض التدويل ضد سائر أجزاء العالم العربي. و كان من الصعب في الأمر ان يتناسى المرء ان البلاد العربية الأخرى كانت تواقفه الى قبول أى حل كان لمشكلة القدس لتحول دون استيلاء الملك عبد الله عليها..»

و تعليقا على ما يذكره المستر غلوب عن موقف الدول العربية تجاه التدويل و مطالبتهم به ضد الملك عبد الله، نقول ان الاستاذ اكرم زعيتري في (القضية الفلسطينية الص ٢٤٨) يتطرق الى رأى الدول العربية في هذا الشأن و يقول انها ترى انه ما دام معظم مدينة القدس لم يكن بيد العرب، بل هو محتل من قبل اليهود، فان التدويل يمنع اليهود من اتخاذها عاصمة لهم، و يمكن عشرات الألوف من العرب الذين اضطروا الى النزوح عنها و عن القرى العربية المحتلة من العودة اليها، و يمكنهم من استرداد أملاكهم و بيوتهم، و هى معظم مدينة القدس و قراها.

القدس في ١٩٦٠

إشارة

و آخر ما عثرنا عليه من المراجع الغربية التى يأتى فيها ذكر القدس و ما فيها هو كتاب بعنوان (الأردن الحديث) لكتابه القاضى الانكليزى المستر جيرالد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٧٥

سپارو . فقد زار هذا المؤلف، الذى كتب عدة كتب أخرى، المملكة الأردنية عدة مرات فكتب عنها كتابا تغطي فيه اللهجة السياحية. و هو يدون فى الكتاب اشياء و معلومات كثيرة عن هذه المملكة الفتية، و من جملتها ما يختص بالأماكن الدينية و الأثرية التى يمكن ان يزورها السائح فى يومنا هذا.

و قد كتب عن القدس يقول: لقد لفت نظرى من جديد خلال زيارتى الأخيرة للأردن أهمية الأماكن التى يمكن ان تزار فى أنحاء الأردن جميعها ..

فليس هناك بلاد أخرى فى العالم يمكنها ان تقدم للزائر مثل هذه المناظر و الأماكن المبهجة الخلافة. ففي القدس وحدها يستطيع المرء أن يرى لأول مرة الهيكل، و الساحة التى طرد منها المسيح المرابين من اليهود، و الدرجات التى نزل منها هؤلاء هاربين الى الشارع فى أسفلها، و الشارع نفسه، و هو إذ يرى هذه يكون قد رأى التاريخ بعينه ينشر أمامه من جديد، و يدرك صدق ما جاء فى العهد الجديد بطريقة حديثه بالمرء، و مقنعه خلافة.

و لا شك ان القدس و ما يجاورها تكوّن المركز الرئيسى للسياحة فى الأردن.

و قد تأسست على ما نعلم منذ أزمانه ما قبل التاريخ، و هى تذكر فى الانجيل لأول مرة باسم «سالم». و قد استولى عليها النبی داود، فى سنة ١٠٠٠ ق.م، فاتخذها عاصمة له، ثم جاء سليمان من بعده فشىد الهيكل فوق جبل مارا (الصحيح موريا). و كان ابراهيم قد أعد نفسه فوق هذا الجبل ليضحى بابنه اسحق قربانا للرب، و هنا بالذات شاد داود المذبح، الذى شىد سليمان الهيكل فى مكانه بعد ذلك. و لم يكن هذا هو الهيكل الذى عرفه السيد المسيح، و انما عرف الهيكل الذى بناه هيروود، و قد تنبأ بخرابه فتحققت النبوءة على أيدى الرومان فى سنة ٧٠ م. و عمد الامبراطور هديران الذى أعاد بناء القدس كمدينة و ثنية فى سنة ١٣٥ م الى تشييد معبد جديد كرسه لكبير آلهة الرومان جوبيتر، فى موقع هيكل سليمان نفسه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٧٦

و حينما جاءت الى القدس الملكة هيلنا والدة قسطنطين أول امبراطور مسيحي فى روما فى أوائل القرن الرابع، هدمت جميع أماكن

العبادة الوثنية بما فيها معبد هديران الكائن فوق جبل مارا. وقد تركت خرائب مارا بعدئذ فأصبحت في النهاية مزبلة للمدينة المقدسة. و بقيت على حالها تلك حتى قدم العرب الى القدس في أوائل القرن السابع، و تعتبر الصخرة الموجودة في قمة مارا مقدسة عند المسلمين لسببين: اولهما انها كانت الموقع الذي ضحى فيه ابراهيم الذي يقده المسلمون و يعتبرونه خليل الله و أول مسلم على وجه الأرض و ثانيهما انها ذكرت في القرآن بكونها ذات صلة بأسراء النبي محمد الى القدس و معرجه منها الى السماء، و يمكن زيارة قبة الصخرة يوميا من الساعة ٨ الى الساعة ١١ صباحا، و من الساعة ١ الى الساعة ٣٠-٢ بعد الظهر بشرط الحصول على رخصة خاصة يسهل استحصالها. ثم يقول المستر سيارو: و في نفس الوقت الذي يزور فيه الزائر قبة الصخرة يتحتم عليه ان يسير على طول «طريق الأحزان»، و هو الطريق الذي سلكه السيد المسيح و هو يحمل الصليب الذي صلب عليه (صليب الصلوت). و قد قسم هذا الطريق الى أربع عشرة محطة يمثل الزائر في كل منها دورا من الأدوار. ففي الساعة الثالثة من كل يوم جمعة بعد الظهر يخرج موكب فرانسيسكاني، يحتوى على الحجاج و السواح، فيقتفى خطوات السيد المسيح و يقف للصلاة في كل واحدة من هذه المحطات. و يعتبر طريق الآلام أكثر من مذكّر للمشاعر من ساعات المسيح الأخيرة، لأنه يمثل المسيحية و هي حية متجسدة امام الناظر الذي تبدو له الأحجار نفسها و كأنها تتكلم فتقص عليه تاريخها الحافل بالذكريات.

و المكان الآخر الذي يمكن ان يزوره الزائر في القدس هو كنيسة الضريح المقدس، أو كنيسة القيامة. و كان موقع هذه الكنيسة يقع في خارج أسوار المدينة على عهد السيد المسيح، و يضم المكان الذي صلب فيه و حديقه يوسف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٧٧

أريماثيا التي قبر فيها. و كان المسيحيون الأولون يتعبدون سرا في هذه الأماكن و يحيط بالضريح المقدس، كما يحيط بسائر الأماكن المقدسة في القدس، جو مؤثر يستحيل و صفه بالكلمات.

شيء عن قبة الصخرة

و يخصص المستر سيارو في كتابه صفحات عدة لا يراد موجز مفيد عن قبة الصخرة و الأدوار التي مرت بها. و في هذا الموجز اشياء لم يرد ذكرها فيما اقتبسناه قبل هذا. فهو يقول:

لقبة الصخرة في القدس أهمية فائقة عند المسلمين و النصرارى على سواء.

فهى مهمة عند النصرارى لأن الصليبيين جعلوا من مبناها كنيسة مسيحية بديعة سموها «المعبد الربانى»، و تزداد أهميتها عند المسلمين حتى أكثر من هذا لأن تاريخ القبة نفسها هو في قسم كبير منه تاريخ نشوء الاسلام و انتشاره عبر العصور.

و تعد قبة الصخرة، التي تأتي في الدرجة الأولى من الأهمية، أقدم مثل يوجد اليوم لفن العمارة العربية. و هى تقع على نشوء من الأرض يبلغ ارتفاعه اثني عشر قدما، فى بقعة واسعة من منطقة الحرم. و يعلو هذا الارتفاع فوق أسس صخرية لا بد من ان تكون قد بنيت عبر القرون الطويلة من تاريخها.

و يصل اليها الزائر من كل جهة عن طريق مراق عريضة و درجات تعلوها عقود رشيقة يسميها الناس «الموازين».

ثم يأخذ المستر سيارو بوصف مبنى القبة كلها من حيث العمارة و الزينة و التصميم و ما أشبهه، مما يكاد يشبه ما مر اقتباسه قبل هذا من الوصف. و مما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٧٨

يذكره فى هذه المناسبة ان أولباجلبى الرحالة التركي الذى زار القدس سنة ١٦٧١ يقول ان سقف المبنى لجميل كان من صنع الصناع الهنود، و يدون اسماء خمسة منهم: بهزاد من كلكتا، و مانى، و شاه قولى، و ولى خان، و أغارضا .. و يذكر سيارو بعد ذلك ان أحد المؤرخين القدماء من العرب ذكر ان العمل فى بناء القبة عهد الى اثنين من الموظفين موثوق بهما، و هما: رجاء ابن حياة بن جود

الكندي من علماء بيسان الكبار، ويزيد بن سلام المقدسي.

كما ذكر ان القبة حينما تم بناؤها بقي من المبلغ المخصص لها مقدار مائة ألف دينار فقدمه عبد الملك هدية الى الشخصين المكلفين بالاشراف على البناء، لكنهما رفضا قبوله و هما يقولان: اننا نفضل ان نقدم مالنا و حلى أزواجنا بدل أن نأخذ هذا المبلغ. و من الأحسن صرف المبلغ على تحسين زينته و الابداع فيها. و عند ذاك صدر الأمر باذابة الذهب و إكساء القبة به. و كذلك أمر الخليفة بتغطيتها أيضا بطبقة من الشعر، و الصوف، و الجلد، لحماية ذهب القبة من جور الأحوال الجوية. و يستشهد أيضا بأقوال بعض مؤلفي الغرب عن جمال القبة و مبناها، و منهم البروفسور هايتير لويس الذي يقول في كتابه (أماكن القدس المقدسة):

و لا شك ان هذا المسجد من أجمل المباني في العالم، و يمكن ان يقال اضافته الى ذلك أنه من أجمل الأبنية التي عرفت في التاريخ. و يذكر جيمس فيرغوسن أيضا في كتابه (رسالة عن طوبوغرافية القدس القديمة): ان مسجد قبة الصخرة جميل فوق العادة فقد زرت كثيرا من القصور و الأبنية الجميلة في الهند و أورپه و سائر بلاد العالم فلم أجد بناء فيها يضارع قبة الصخرة في روعته و سنائه. حيث ان تناسق الألوان فيه و امتزاجها الرائع في جنباته لم أر مثله قط في أية بناية أخرى. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٧٩

و بعد ان يشير سيارو الى كتابه اسم عبد الملك بالخط الكوفي على المبنى يذكر ان البناء حينما تم ابتهج به المسلمون اى ابتهاج، و أخذوا يجلونه للغاية فخصص يوم الاثنين و الخميس من كل اسبوع لتنظيفه و العناية به، و كان يقوم بهذا العمل خدام خاصون كانوا قبل أن يبدأوا بعملهم هذا يستحمون و يلبسون ملابسهم الجميلة. و كانوا يعطرون الماء الذي يستعملونه في التنظيف بعطر الورد و المستكى و الزعفران. و لم تقل العناية بالقبة عبر القرون .. و يورد سيارو هنا ما يذكره مؤلف آخر، هو هارى أمرسون فوسديك، عن القبة و أهميتها الدينية في كتابه (حجة الى فلسطين). فهو يقول: و يعتبر هذا المكان أنسب الأمكنة و أليقها للعبادة على الاطلاق على ما يظهر. فهو محتشم و جميل، هذبت من نسبه و أبعاده السنون و الأيام، و أصبح زجاجه الملون على درجة غير يسيرة من الروعة و البهاء، و صار تنسيقه يملأ العين بالرضا و الطمأنينة، و جوه ملطفا بالسكينة و الوقار، و ذكرياته لا تجارى .. و لذلك فهو مكان طيعي للعبادة و الصلاة.

و قد كان لمسجد القبة تاريخ متغير عبر القرون. و من حسن الحظ ان كل أسرة حاكمة كان فيها من يهتم و يحافظ عليه. و بعد ان يذكر سيارو التعميرات التي أدخلت في مختلف العهود، يقول ان جامع قبة الصخرة أصبح كنيسة مسيحية في أيام الصليبيين (١٠٩٩-١١٨٧) بعد اجراء بعض التبديلات، و ان المؤرخ العربى الهراوى حينما زار القدس في ١١٧٣ يذكر بالاضافة الى ذلك انه كانت هناك صورة لسليمان بن داود على الجدار المقابل لباب المغارة فيما وراء الصخرة، و كان في شمال المبنى عدد من الدور خصص للقسان مبنا على أعمدة جميلة. و في أيام الصليبيين الأولى في القدس كانت الصخرة تحظى بالكثير من التقديس و صار من المعتاد عندهم ان يأخذوا كسرا منها الى القسطنطينية و صقلية على سبيل التذكار و التبرك. و كانت هذه القطع تباع هناك موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٨٠

بما يعادلها من الذهب، و بهذا صارت تدر على القسس و المطارنة بالأموال الطائلة، لكن العادة أبطلت خوفا من ان ينتهى أمر الصخرة كلها بهذه العملية.

و لانقاذها من العبث عمد ملوك الصليبيين الى تغطيتها بالرخام و تشييد مشبك جميل من الحديد حولها الذى لا يزال باقيا حتى اليوم. و بعد ان يتبسط سيارو في ذكر التعميرات و العناية التي تمت على يد الفاطميين و صلاح الدين و من جاء بعده من الأيوبيين، الذين كانوا كلهم يقومون بتنظيف الجامع و كنسه على سبيل التبرك، يأتي على ذكر ما فعله سلاطين المماليك أيضا. ثم يتطرق إلى أوقاف القبة و اعتمادها عليها، فيقول (الص ١٣٨) ان أمر المحافظة الدائمة على قبة الصخرة و مبناها قد أثير في أيام الملك الأشرف برزباى سنة ١٤٣٢ فعهد الى ممثله في القدس الأمير أركاس الجلبانى بشراء عدد من القرى و كثير من الأملاك فخصص ريعها لادامة القبة و

صيانتها.

و قد نقش عمله هذا على الجدار الشمالي للمبنى.

ثم يقول ان القدس وقعت في أيدي الأتراك سنة ١٥١٧، و يأخذ بالإشارة الى ما قام به سلاطين بني عثمان من أعمال الصيانة و التحسين في مبنى القبة الى حد القرن التاسع عشر الذي شهد، على ما يقول، اهتماما خاصا بالقبة أبداه اربعة من السلاطين: السلطان محمود ١٨١٧، و السلطان عبد المجيد ١٨٥٣، و السلطان عبد العزيز ١٨٧٤، و السلطان عبد الحميد ١٨٧٦. و يذكر بعد ذلك قوله: و لا يعرف مقدار الترميم الذي جرى في أيام عبد الحميد الثاني، لكنه هو الذي جاء بالسجاد الايراني الفاخر الذي يراه الزائر اليوم في المسجد، و صرف عليه مبالغ طائلة. و كذلك صرف على الشمعدان الكبير الذي كان معلقا فوق الصخرة، ثم نقل الى المسجد الاقصى في سنة ١٩٥١. ثم انه أمر بنقش سورة ياسين من القرآن الكريم حول القسم الأعلى من الجدار الخارجي سنة ١٨٧٥ و قد خط الكتابة الخطاط التركي الشهير محمد شفيق، بعد ان تم انتقاؤه للعمل من بين عدد من المتنافسين. اما قطع البلاط القاشاني الذي كتبت موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٨١

عليه هذه السورة المباركة من القرآن فقد جرى بها من ولاية قاشان في ايران.

و كان آخر ما تم في عهد الأتراك الاستعدادات التي أجريت في سنة ١٨٩٨ تمهيدا لزيارة الامبراطور الألماني القيصر و لهلم و زوجته القيصره أغوستا فيكتورية. فقد أمر السلطان عبد الحميد بفتح فتحة خاصة في الجدار الموجود بين برج السور و باب يافا في القدس، و كان البرج المذكور يعرف بقلعة أو برج داود، حتى يمكن للضيفين الملكيين ان يدخلوا بمراسيم فخمة الى القدس و بعد ان يتطرق المستر سيارو الى تاريخ تزيين قبة الصخرة و مبناها بالبلاط القاشاني بالتفصيل، خلال مدة اربعمائة سنة من الحكم العثماني، يختم مبحثه بما طرأ على قبة الصخرة في السنوات الأخيرة. فهو يقول ان أخرج الأوقات التي مرت على قبة الصخرة هي الأيام التي أعقبت قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب و اليهود سنة ١٩٤٨. فقد حصل قتال عنيف في القدس، وقع خلاله ضرر كبير في الأبنية، و لم يسلم المسجد المشهور (مسجد القبة) منه. إذ وقعت قنابل اليهود عدة مرات في منطقة المسجد، كما وقع عدد غير قليل منها على المبنى نفسه فسبب اضرارا غير يسيرة. فأضافت هذه الأضرار شيئا جديدا إلى حالة التضعع التي كانت قد آلت اليها القبة من قبل، و سببت كثيرا من القلق في نفوس المعنيين بها. و تشير السجلات الحكومية الى ان القنابل قد أصابت منطقة القبة في ما لا يقل عن ثلاث عشرة مناسبة، و قد وقع أكبر عدد منها في يوم ١٦ تموز و هو اليوم الذي سبق يوم الهدنة الثانية. فقد أصابت المنطقة في ذلك اليوم ستون قبلة، و لم تصب المبنى منها الا واحدة فقط. لكنها أحدثت ضررا بليغا في السقف الخشبي. و حينما قصفت المنطقة قصفا عنيفا في يوم ٢٣ أيلول ١٩٤٨ تكسر عدد كبير من زجاج الشبايك في الجهة الشمالية الغربية، و حصلت أضرار بالغه في ثلاثة عشر شباك، و أضرار طفيفة في تسعة أخرى، كما قتل رجل واحد كان يصلي في المسجد. ثم سقط من جديد عدد من القنابل في يوم ١٠ تشرين الأول فهدم جزءا من الجدار الشمالي الغربي، و أحدث أضرارا بالسلم المؤدى الى المرتفع الذي يقوم عليه المسجد نفسه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٨٢

القدس في عام ١٩٦٩

و كان من النتائج الخطيرة التي أعقبت خلق الدولة الاسرائيلية في قسم غير يسير من فلسطين العربية، و تمادى الغرب و امريكا على الأخص في تقويتها و دعمها بدافع من عصبية الصليبية و مصالحه الاستعمارية، ان اعتدت هذه الدولة على الضفة الغربية من الأردن في يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ و احتلتها كلها.

و كان من جملة ما احتلته القدس القديمة و ما فيها من الأماكن الاسلامية و المسيحية المقدسة. و بهذا اصبحت فلسطين كلها تروح

تحت نير من الاحتلال الاسرائيلي، برغم قرارات مجلس الأمن الدولي التي أوجبت على اسرائيل الانسحاب الى ما وراء الحدود القديمة.

و خير ما يدل على الحالة في القدس الى ما قبل أشهر قليلة فقط التقرير الذي كتبه صحفى أمريكى يدعى توم فيلدينغ عما شاهده بنفسه في المدينة المقدسة فهو يقول:

«.. انها لحماقة ان تدعى ان العرب فى القطاع الشرقى من مدينة القدس، و فى أى مكان آخر من الضفة الغربية المحتلة، لا يعانون ظروفًا صعبةً.

و الهدف من تقريرى هذا هو تشخيص طبيعة المأساة، و ما تعنيه بالنسبة للسكان الذين يتأثرون بالتغيرات التى طرأت منذ عام ١٩٦٧ .. فأت أينما تذهب تجد ما يدل على الاضطراب و الغليان، و هو يختفى وراء الظواهر التى تشاهدها لأول وهلة. و لا يظهر هذا الغليان الا عندما تقع حادثه مهمه أو يحصل حادث ذو بال.

ثم يقول: و لقد اضطرب العالم الاسلامى بشكل لم يسبق له مثيل من قبل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٨٣

بعد حادث الحرق للمسجد الأقصى .. و كان هناك المسجد الاسلامى الأعلى فى القدس الذى يشرف على الشؤون الاسلاميه فى أيام الانتداب البريطانى.

فألغت اسرائيل هذا المجلس و عوضت عنه بلجنه تضم تسعة أعضاء محولين بادره شؤون المسلمين معظمها .. بموجب القانون الذى أصدرته فى ١٩٦٩ (على ان يكون ثلاثة من أعضاء اللجنه من غير المسلمين) .. و يحق لهذه اللجنه تعيين قضاء للمحاكم الشرعيه الاسلاميه. و حيث ان الاسلام لا يعترف بتعيينات تصدر عن جهه غير مسلمه فان سلطة القضاء الذين تعينهم اللجنه الاسرائيليه هى موضع شك المحاكم الشرعيه. فنتج عن ذلك كثير من الخلط و الارتباك بين أعضاء اللجنه حول الاجراءات و القرارات التى تتخذها. ثم يقول المستر فيلدينغ ان أعمال تدمير المنازل فى القدس القديمه مستمره، فهناك على ما يصرح به كولييك محافظ المدينه اليهودى مشاريع لبناء وحدات سكنيه لا يواءم ألف مستوطن يهودى داخل المدينه المسوره .. و يوجد كذلك فى المدينه القديمه (باص) مصمم بصوره خاصه على شكل بيضوى لتسهيل مروره فى الشوارع الضيقه و تحت المباني التى تعلو طريق السيارات الممتد بين بوابة يافا و حائط المبكى، و يمر الباص كل عشرين دقيقه من بطريقه الأرمن، لكن هذه الخدمه قابلها العرب باشمزاز و لم يؤيدوها، و لذلك فان الباصات فى أغلب الأحيان ينقصها العدد الكافى من الركاب .. و هذه بلا شك ظاهره تجلب انتباه السياح اليها بقدر ما يجلبه الندب و البكاء عند حائط المبكى نفسه. و مع هذا فان تسيير خط الباص يعتبر خطوه غير مباشره لتقويه قبضه الاسرائيليين على القدس بقسميها القديم و الحديث.

و قد تمكن الاضراب العربى الذى أعلن فى ١٥ مايس ١٩٦٩، فى القسم الشرقى من القدس، من اغلاق المحلات التجاريه كافة ابتداء من الساعه الثامنه و النصف صباحا .. الا أن العربات المملأى بالشرطه أرغمت أصحاب المحلات التى تقع فى خارج السور على فتح محلاتهم، و سجلت أسماء المتباطئين منهم .. لكن الذين كانت تقع محلاتهم فى داخل المدينه القديمه أغلق ٩٥٪

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٨٤

منهم محلاتهم طوال اليوم. و كان الذى حدا بالذين عادوا الى فتح محلاتهم هو أنهم تذكروا إضرابا سابقا فقد خلاله خمسه عشر محلا تجاريا جميع ما كان فيها على سبيل العقوبه .. و لهذا يبدو ان قمع الاضرابات على هذه الشاكلة أصبح ظاهره اعتياديه متكرره فى عهد الاحتلال الاسرائيلى .. و قد استمر تطبيق قانون ضريبه الدخل، و الضرائب المفروضه على الأعمال، على كل شخص يسكن فى القدس الشرقيه، كما تعرض ثلاثة فنادق هى: فندق سنت جورج، و فندق القصر الوطنى، و فندق الحجاج، الى اجراءات صارمه فى ١٥ نيسان ١٩٦٩. و قيل ان وكالات السياحه فى القدس الشرقيه قد توقفت عن العمل و أعطى لها بدلا عن ذلك عنوان يقع فى القدس

الغربية، و عن طريق هذا العنوان فقط يتم تنظيم الرحلات السياحية و ترتيبات السكن.

و يقول عن السيارات: ان أصحاب السيارات، عدا الذين يسكنون منهم فى القدس الشرقية، يرغمون على تعليق لوحة تسجيل إضافية فى سيارتهم تحمل حرفا عبريا يدل على المدينة المسجلين و المقيمين فيها. و يعد هذا جزءا من تدابير الأمن المتخذة للسيطرة على شؤون السفر و التنقل بين مختلف المناطق العسكرية. و فى حالة زيارة العرب لأقاربهم أو ذهابهم لتولى بعض الأعمال الاعتيادية، فان ذلك يتطلب الحصول على تصاريحات خاصة. و يشتمل العرب من هذه الحالة باعتبارها تشريعا ممقوتا يشابه القانون النازى الألمانى الذى كان يفرض على اليهود ان يحملوا نجمة صفراء اللون خاصة بهم.

و بعد ان يورد توم فيلدينغ أرقاما و إحصاءات عن المنازل و القرى العربية المهدمه، و لا سيما حول القدس، يتطرق الى ذكر المحاكم الشرعية فى القدس فيقول: و تضغط الحكومة الاسرائيلية على محكمة القدس الشرعية و الأوقاف و على القاضى نفسه لابقائهم خاضعين لسيطرة وزارة الشؤون الدينية .. و قد سبعت الحكومة صلاحية قاضى يافا بحيث شملت القدس لأن هذا الأخير يميل الى الاعتراف بالسيطرة الاسرائيلية، و ان اسرائيل ترفض قبول الأحكام الصادرة عن قاضى القدس نفسه و كذلك فان محكمة الروم الأورثودكس لا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٨٥

يعترف بها، فتفضل أحكام المحكمة العليا الاسرائيلية عليها.

و قد صرح لى اناس كثيرون عن اعتقادهم بوجود خطة إسرائيلية متقنة للقضاء على وجوه المجتمع العربى و زعمائه فى القدس و غيرها بالتدرج. و قد طبقت هذه الخطة على المتقنين و الطلبة و الأساتذة و الأطباء و الممرضات و الأعيان المحليين، و جميع من له خبرة فى الادارة و الخدمة المدنية الخ ...

و آخر ما يورده فيلدينغ عن ما يعانىه سكان القدس من مضايقات قصة شخص يدعى نعيم عشاب، ألقى القبض عليه أول مرة فى ٧ كانون الثانى ١٩٦٨ فى أحد شوارع القدس فضرب و أهين علنا من قبل رجال الأمن الاسرائيليين ... و نرف الدم منه بنتيجة ذلك .. ثم وضع فى زنزانه صغيرة مظلمة فى سجن دامون. و لم توجه له أية تهمة، كما لم يسبق له ان اتهم بشىء ثم أفرج عنه فى أيار ١٩٦٨ و وضع تحت الاقامة الجبرية فى بيته، بشرط ان يثبت وجوده فيه مرتين فى اليوم الواحد، و ان لا يترك الدار من غروب الشمس الى شروقها، و لا يغادر القدس مطلقا. و استمر على هذه الحالة ستة أشهر كان خلالها هو و زوجته يتعرضان الى تعديات كثيرة ثم منع من زيارة اخته و زوجته لمدة سنة، كما منع من زيارة والد زوجته المسن المريض الساكن فى الضفة الشرقية. و ألقى القبض على السيد عشاب للمرة الثانية فى ٣٠ تشرين الأول ١٩٦٨ و هو ما زال فى التوقيف حتى كتابة هذه السطور ..»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٨٦

فهرست الموضوعات

الموضوع الصفحة

القدس فى المراجع الغربية ٧

اسم القدس و موقعها ٨

القدس فى دائرة المعارف الاسلاميه ١٤

القدس فى دائرة المعارف البريطانية ٢١

الاناء الذهب ٣٣

من التاريخ القديم ٤٢

- هجرة ابراهيم (ع) الى فلسطين ٤٤
خروج اليهود من مصر الى فلسطين ٤٧
كيف استولى داود على القدس ٤٨
سليمان الحكيم ٥١
ملكة سبأ في القدس ٥٦
حياة السبي ٦٧
العودة الى اورشليم ٦٩
القدس في حكم اليونانيين ٧١
المكابيون و ظهور السيد المسيح ٧٤
صلب السيد المسيح ٧٧
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٨٧
تدمير القدس على ايدي الرومان ٨٣
بعد تدمير القدس ٩٠
استنتاجات اساسية ٩١
استيلاء العرب على بيت المقدس ٩٨
المسجد الاقصى ١٠٢
شكل مسجد الظاهر ١٠٩
تكوين جامع المهدي ١١٠
المسجد الاقصى الاموي ١١٢
قبة الصخرة ١١٣
وصف كريسويل لقبة الصخرة ١٢٣
القدس و الحروب الصليبية ١٣٠
مملكة القدس الصليبية ١٣٥
كيف استرد صلاح الدين القدس ١٣٦
الحروب الصليبية في مراجع اخرى ١٤٠
رحلة بنيامين ١٤٧
رحلة الى القدس ١٥٢
الاماكن المسيحية المقدسة ١٥٥
زيارة اماكن اخرى ١٦٠
القدس في العهد العثماني ١٦٢
القدس في الحرب العالمية الاول ١٧٠
الجنرال النبي ١٧٧
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٥، ص: ٢٨٨

- مشكلات ادارية و غير ادارية ١٧٩
 وعد بلفور ١٨٥
 صك الانتداب ١٩٠
 تنفيذ الانتداب ١٩٤
 رئاسة البلدية ١٩٨
 حائط المبكى ٢٠١
 بلفور فى القدس ٢٠٨
 الكفاح العربى ٢١١
 مفتى القدس ٢٢١
 القدس فى الحرب العالميه الثانيه ٢٢٦
 تخلى بريطانيا عن فلسطين ٢٣٠
 تقسيم فلسطين ٢٣٣
 مناورات صهيونيه لاقرار التقسيم ٢٣٦
 دير ياسين و اخواتها ٢٣٩
 مولد اسرائيل ٢٤٣
 تدخل الجيوش العربيه ٢٤٦
 معركة القدس ٢٤٧
 مقتل الكونت برنادوت ٢٥٨
 مقتل الملك عبد الله ٢٦٦
 تدويل القدس ٢٧١
 القدس فى سنه ١٩٦٠ ٢٧٤
 شىء عن قبه الصخره ٢٧٧
 القدس فى عام ١٩٦٩ ٢٨٢

الجزء السادس

الجزء الاول من قسم النجف الاشرف

[مقدمه من دارالتعارف

بسم الله الرحمن الرحيم ما كدنا ننتهى من طبع (المدخل العام الى موسوعه العتبات المقدسه) حتى تهيأت لنا مواد الجزء الأول من (قسم النجف) من موسوعه العتبات المقدسه، و ليس معنى هذا اننا سنؤجل تأليف الأقسام الأخرى من العتبات حتى تنتهى أجزاء (قسم النجف) التى لم نعرف كم سيكون عددها، و إنما الطريقة التى اتبعناها فى تأليف (موسوعه العتبات المقدسه) هى اننا قسمنا الموسوعه إلى أقسام بقدر عدد العتبات، و خصصنا لكل عتبه قسماً تزيد أجزاءه و تنقص تبعاً لمواده و اتساع بحوثه، فكلما ينتهى تأليف أى جزء من أى قسم من أقسام العتبات بادرننا إلى طبعه و نشره، و لو لا هذا لكنا انتظرنا الفراغ من تأليف الجزء الأول من (قسم مكه المكرمه)

و بدأنا العمل به بعد صدور (المدخل الى الموسوعة) و لكننا لم نتقيد بالترتيب و لا بالعتبة حسب أهميتها، و إنما يعنينا من الأمر المبادرة بطبع أى جزء من أى قسم ينتهى العمل منه قبل غيره.

و لقد تم هذا الجزء من (قسم النجف) من موسوعة العتبات المقدسة قبل أى جزء آخر و ستمشى فيه مشيتنا فى باقى الأقسام دون أن نربط عملاً بعمل و نقيد عتبه بأخرى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٦

و إن الذين عملوا فى تأليف هذا الجزء من (قسم النجف) كانوا أكبر عدداً و كانت مواد بحوثهم أكثر مما احتوى عليها هذا الجزء فاضطررنا للاكتفاء بهذا القدر حذراً من التضخم الذى قد يجعل الجزء الأول يتجاوز الحد المألوف من حيث عدد الصفحات، و قد أجلنا ما زيد من بحوث الكتاب و المؤلفين الآخرين لنشره مع غيره فى الجزء الثانى من (قسم النجف) من الموسوعة.

و هنا لا بد لنا من الإشارة- و قد أصبح عملنا هذا عملاً تاريخياً- الى بعض من مدد إلينا يد المساعدة على اختلاف أنواعها فى سبيل تكامل هذه الموسوعة و إخراجها الى حيز العمل و على الأخص أساتذة جامعة بغداد و الأفاضل الذين أسهموا فى العمل معنا فى التأليف و المؤازرة، و نتقدم بالشكر الى الدكتور فيصل الوائلى مدير الآثار العامة الذى سهل لنا الحصول على بعض الصور لبعض العتبات المقدسة مما قد عز حصولنا على أمثالها، و للخطيب السيد جواد شبر- فضلاً عن إسهامه فى التأليف- و الحاج زيد الكاظمى النائب بمجلس الأمة فى الكويت، و الدكتور على الحلبي رئيس صحة الحلة السابق، و الأستاذ محمد جواد جلال، و الدكتور احمد ثامر رئيس صحة لواء كربلاء، و المحامى غالب الحاج فليح، و الحاج محمد على الشاوى، و الشيخ عبد الغفار الانصارى، و الاستاذ جعفر الحائرى، و الاستاذ حمدى آل حمدى، و السيد محمد العضاض و الاستاذ على الخليلى، و الحاج عبد الله المسقطى، و عبد اللطيف الكاظمى، و الدكتور صادق على، و الحاج ابراهيم المطوع الذين كان لهم أثر محمود فى مساعدة هذا المشروع بمختلف أنواع المساعدات أديبة كانت أم مادية راجين من الله أن يأخذ بأيدينا و يكثر من مؤازرينا لنستطيع أن نقطع أطول مسافة ممكنة من هذا الطريق الشائك الطويل.

دار التعارف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٧

النجف قديماً [للدكتور مصطفى جواد]

إشارة

بحث يتناول منطقة النجف القديمة و بقعتها و ما يحيط بها من المناطق التاريخية القريبة منها، و الأديرة المجاورة لها منذ أول معرفة التاريخ بها.

كتبه الدكتور مصطفى جواد خريج جامعة السوربون فى التاريخ العربى و الاستاذ بجامعة بغداد- كلية التربية و العضو بالمجمع العلمى العراقى، و العضو بالمجمع العلمى العربى بدمشق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٩

النجف قديماً

النجف اسم عربى و معناه «المنجوف» كالعديد بمعنى المعدود، قال ابن فارس؟ «النون و الجيم و الفاء: أصلان صحيحان أحدهما يدل على تبسط فى شىء مكان أو غيره، و الآخر يدل على استخراج شىء، فالأول النجف: مكان مستطيل منقاد و لا يعلوه الماء و الجمع

نجاف، و يقال: هي بطون من الأرض في أسافلها سهولة تنقاد في الأرض لها أودية تنصب الى لين من الارض، و يقال لابط الكثيب نجفة الأرض.

و من الباب النجيف من السهام: العريض، و نجفت السهم: بريته، كذلك و أصلحته، و سهم منجوف و نجيف و غار منجوف واسع ...» و قال الجوهرى فى الصحاح: «النجف و النجفة بالتحريك: مكان لا- يعلوه الماء مستطيل منقاد و الجمع نجاف ...» و أورد بعد ذلك كبعض ما نقلنا آنفا، و قال الزمخشري فى اساس البلاغة: «و فى بطن الوادى نجفة و نجف و هى مكان مستطيل كالجدار لا يعلوه الماء»، و جاء فى لسان العرب «النجفة أرض مستديرة مشرفة و الجمع نجف و نجاف ... ابن سيده: النجف و النجاف شئ يكون فى بطن الوادى، شبيه بنجاف الغيظ جدا و ليس بجذ عريض، له طول منقاد من بين معوج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٠

و مستقيم الماء، و قد يكون فى بطن الارض ... و النجفة شبه التل ... و قال الليث: النجفة تكون فى بطن الوادى شبه جدار ليس بعريض ... ابن الاعرابى النجفة: المسناة، و النجف التل. قال الازهرى: و النجفة التى بظهر الكوفة و هى كالمسناة تمنع ماء السيل ان يعلو منازل الكوفة و مقابرها»، و قال الفيروز آبادى فى القاموس: «النجف محركة، و بهاء (النجفة) مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد، و يكون فى بطن الوادى، و قد يكون بطن من الأرض جمعه نجاف أو هى ارض مستديرة مشرفة على ما حولها، و النجف محركة: التل ..

و المسناة و مسناة بظاهر الكوفة تمنع ماء السيل ان يعلو مقابرها و منازلها».

و قال المطرزي فى المغرب: النجف بفتحيتين كالمسناة بظاهر الكوفة على فرسخين منها يمنع ماء السيل ان يعلو منازلها و مقابرها ، و منه قول القدورى: كان الاسود اذا حج قصر من النجف و علقمه من القادسية».

و قال ياقوت فى معجم البلدان: «النجف بالتحريك ... و هو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء ان يعلو الكوفة و مقابرها، و بالقرب من هذا الموضع قبر امير المؤمنين على بن ابي طالب- رضى الله عنه- و قد ذكرته الشعراء فى اشعارها ...» و قال ابو الفداء فى وصف الحيرة: «و الحيرة مدينة جاهلية كثيرة الانهار و هى عن الكوفة على نحو فرسخ ... و الحيرة على موضع يقال له النجف زعم الاوائل ان بحر فارس كان يتصل به، و بينها اليوم مسافة بعيدة» .

و فذلكه الاقوال ان النجف انما سمي بهذا الاسم لانه يعنى أرضا عالية معلومة تشبه المسناة تصد الماء عما جاورها و ينجفها الماء من جوانبها ايام السيول و لكنه لا يعلوها فهى كالنجد و السد، و تغلب على شكلها الاستطالة دون الاستدارة التى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١١

أشار اليها بعض اللغويين، لانها ضد الاستطالة، و لان صفة النجف الحالية فى استطالة ارضه تؤيد ذلك، و أما الاستدارة التى ظنها بعض اللغويين فى «النجف» فهى مستندة الى استدارة قطعة تكون فى النجف اتفاقا لا- دوما و تسمى «الرحا» جاء فى لسان العرب «و الرحا: قطعة من النجفة مشرفة على ما حولها تعظم نحو ميل و الجمع ارحاء، و قيل: الارحاء قطع من الارض غلاظ دون الجبال تستدير و ترتفع عما حولها، ابن الاعرابى: الرحا من الارض مكان مستدير غليظ يكون بين رمال. قال ابن شميل: الرحا القارة الضخمة الغليظة و إنما رحاها استدارتها و غلظها و اشرافها على ما حولها و انها أكمة مستديرة مشرفة و لا تنقاد على وجه الارض و لا تنبت بقلا و لا شجرا، و قال الكميت:

إذا ما القف ذو الرحين أبدى محاسنه و أفرخت الوكور».

و قال الفيروز آبادى فى القاموس: «الرحا: الصدر ... و قطعة من النجفة مشرفة تعظم نحو ميل».

و مما يؤيد ارتفاع ارض النجف ما ذكره ابو الفرج الاصفهاني ان حنينا الحيرى المغنى القائل:

أنا حنين و منزلى النجف و ما نديمى إلا الفتى القصف

لما حج هشام بن عبد الملك سلك طريق الفرات- و أحسبه جاء من الرصافة- فوقف له حنين بظهر الكوفة و معه عود و زامر له و عليه قلنسوة طويلة، فقال هشام: من هذا؟ فقيل: هذا حنين الحيرى. فأمر به فحمل فى محمل على جمل و عديله زامره و سير به أمامه و هو يتغنى، فلم يزل هشام يستعيده حتى نزل من النجف فأمر له بمائتى دينار . فقلوه «حتى نزل من النجف» يدل على انه موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٢

نزل من أرض عالية كائنا ارتفاعها ما كان .

و سميت هذه الأرض المتعادية التى منها النجف «النجاف» و كأنه جمع النجفة، و هى التى تلى الصحراء و يقابلها مما يلى الفرات «الملطاط» قال ابن قتيبة: «و كانت العرب تقول: ادلع البر لسانه فى الريف فما كان يلى الفرات منه فهو الملطاط و ما كان يلى البطن منه فهو النجاف» و قال ياقوت: «اللسان من أرض العراق فى كتابه الفتوح .. و اللسان لسان البر الذى أدلعه فى الريف عليه الكوفة اليوم و الحيرة قبل اليوم، قالوا: لما أراد سعد تمصير الكوفة أشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب باللسان. و ظهر الكوفة يقال له اللسان و هو فيما بين النهريين الى العين: عين بنى الجراء، و كانت العرب تقول: أدلع البر لسانه فى الريف، فما كان يلى الفرات منه فهو الملطاط و ما كان يلى البطن منه فهو النجاف قال عدى بن زيد.

ويح أم دار حللنا بهابين الثوية و المردمه

برية غرست فى السواد كغرس المضيفة فى اللهمزه

لسان لعربة ذو ولفة تولغ فى الريف بالهندمه»

و قال السهيلي فى وصف دومة الحيرة: «ودومة بضم الدال ... و دومة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٣

بالضم أخرى و هى عند الحيرة و يقال لما حولها النجف». و قال القعقاع بن عمرو:

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة و اخرى بأباج النجاف الكوائن

و قيل ان النجف كان قريبا من البحر و ذكر ابن الديبى فى تاريخه أن عبد الجبار بن معية العلوي قال: «خرج قوم من أهل الكوفة يطلبون الأحجار الغرويه يجمعونها لأيام الزيارات و المعيشة بها، و بالكوفة من يعمل ذلك الى اليوم و أبعدها فى الطلب الى النجف و ساروا فيه حتى خافوا التيه فوجدوا ساجه كأنها سكان مركب عتيقه و إذا عليها كتابه، فجاؤوا بها الى الكوفة، فقرأها فاذا عليها مكتوب: سبحان مجرى القوارب، و خالق الكواكب، المبتلى بالشدة امتحانا، و المجازى بالاحسان إحسانا، ركب فى البحر فى طلب الغنى ففاتتى الغنى و كسر بى، فأفلت على هذه الساجه، و قاسيت أهوال البحر و أمواجه، و مكثت عليها سبعة أيام ثم ضعفت عن مسكها فكتبت قصتى بمديه كانت معى فى خريطتى فرحم الله عبدا وقعت هذه الساجه إليه فبكى لى، و امتنع عن مثل حالى».

و على ذكر قرب النجف من البحر و دعوى صحة قصة الفريق المذكور ينبغى توجيه ذلك أو نفيه، فكيف كان البحر يبلغ النجف، أو يتصل بأرضه المطمئنة و فى أخبار الحيرة فى صدر الاسلام ما يؤيد وجود البحر هناك، فقد ذكر الشريف المرتضى التحاور بن خالد بن الوليد و عبد المسيح بن بقبيلة الغسانى، قال له خالد فيما قال: «كم أتى لك؟ قال: خمسون و ثلاثمائة سنة، قال: فما أدركت؟

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٤

قال: أدركت سفن البحر فى السماوة فى هذا الجرف، و رأيت المرأة تخرج من الحيرة و تضع مكنلها على رأسها لا تزود إلا رغيفا حتى تأتى الشام ثم قد أصبحت خرابا يبابا و ذلك دأب الله فى العباد و البلاد .

قال ابن واضح فى كتابه البلدان فى الكلام على الكوفة: «و الحيرة منها على ثلاثة أميال، و الحيرة على النجف و النجف كان ساحل بحر الملح و كان فى قديم الدهر يبلغ الحيرة و هى منازل آل بقبيلة و غيرهم .

و أريد بالبحر أحيانا الفرات نفسه، جاء فى لسان العرب فى مادة ب ح ر و قال عدى بن زيد:

و تذكر رب الخورتق إذا أشرف يوما و للهوى تذكر

سره ماله و كثرة ما يملكك و البحر معرضا و السدير

أراد بالبحر ههنا الفرات لأن رب الخورتق كان يشرف على الفرات».

و قال ياقوت في كلامه على الحيرة: «زعموا أن بحر فارس كان يتصل بالنجف».

و قال المسعودي: «و قد كان الفرات لأكثر من مائة ينتهى الى بلاد الحيرة و نهرها بين الى هذا الوقت فيصب في البحر الحبشى فى الموضوع المعروف بالنجف فى هذا الوقت، و كانت تتقدم هناك سفن الصين و الهند ترد الى ملوك الحيرة، و قد ذكر ما قلنا عبد المسيح بن عمرو بن بقليلة الغسانى حين خاطب خاله بن الوليد فى أيام أبى بكر بن أبى قحافة- رضى الله عنه- حين قال له: ما تذكر؟ قال:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٥

«أذكر سفن الصين وراء هذه الحصون، فلما انقطع الماء عن ذلك الموضوع انتقل البحر برا فصار من البحر فى هذا الوقت على مسيرة أيام كثيرة و من رأى النجف و أشرف عليه تبين له ما وصفنا .

و سيأتى قول اسحاق بن ابراهيم الموصلى:

حفّت ببر و بحر من جوانبها فالبرّ فى طرف و البحر فى طرف

و لكننا لا نعد ذلك تصديقا لوجود بحر حقيقى، و إنما نفهم أن الفرات كان يسيح ماؤه فى تلك البطاح و يرفده الخندق الذى شقه سابور ذو الأكتاف (٣١٠- ٣٨٠ م) فى غربى الفرات بين أعالي العراق الغربية و أسافله، و ترفده كذلك الاودية التى تأتى من النجاد الغربية من صحراء السماوة القديمة من شمالى جزيرة العرب، فتكون بطائح واسعة ترى كأنها البحر و كان من بقاياها «بحر الشنافية» و «بحر النجف» المعروف الاسم حتى اليوم ، و لا يبعد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٦

اتصال هذه البطائح ببحر فارس، كما نقل ياقوت من زعم الناس فى مادة الحيرة من معجم البلدان، قال: «الحيرة بالكسر ثم السكون مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف، زعموا أن بحر فارس كان يتصل به» فخندق سابور كان واسعاً و عميقاً و يتصل ببحر فارس فى الخليج المعروف اليوم بخور عبد الله، لأنه إنما حفره و وسّعه ليحمى بلاده من هجمات العرب الخاطفة و لا خصاب الأرض للأعراب الموالىن له.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٧

و هذا الماء المختلط المتبطح مذكور الحبر فى السيرة، فقد جاء فى أخبار عرض النبى صلى الله عليه و سلم نفسه على القبائل أن المثنى بن حارثة الشيبانى قال له صلى الله عليه و سلم: «قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش .. و إنا إنما نزلنا بين صريين اليمامة و السماوة» فقال النبى صلى الله عليه و سلم. «ما هذان الصريان؟» فقال: «أنهار كسرى و مياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور و عذره غير مقبول و إما ما كان مياه العرب فذنبه مغفور و عذره مقبول» و جاء فى الفائق للزمخشري «لما أحضر (النبى) بنى شيبان و كلم سراتهم قال له المثنى بن حارثة: إنا نزلنا بين صيرتين اليمامة و الشامامة، فقال صلى الله عليه و سلم: و ما هاتان الصيرتان؟ فقال: انهار كسرى و مياه العرب، نزلنا بينها» قال الزمخشري: «الصيرة: فعله من صار يصير و هى الماء الذى يصير اليه الناس و يحضرونه، و يقال للحاضرة مسيرة و قد صاروا إذا حضروا الماء ، و قال ابن الأثير المبارك: «فى حديث عرض نفسه صلى الله عليه و سلم على القبائل: و إنما نزلنا الصريين: اليمامة و الشامامة. هما تثنية صرى و هو الماء المجتمع، و يروى الصيرين و سيجىء فى موضعه». ثم قال:

«و فى حديث عرضه على القبائل، قال له المثنى: إنا نزلنا بين صيرين اليمامة و الشامامة، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما هذان

الصيران؟ فقال: مياه العرب و أنهار كسرى» قال المبارك: «الصير: الماء الذى يحضره الناس و قد صار القوم يصيرون إذا حضروا الماء، و يروى بن صيرتين و هى فعلة منه ...»

و إذ ذكرنا السبب فى حفر سابور ذى الاكتاف الخندق العظيم المنسوب اليه نذكر ما يؤيده من تاريخ الطبرى من أخبار هجوم العرب على أطراف المملكة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٨

الساسانية و توغلهم فيها و إمعانهم فى أقطارها.

قال أبو جعفر الطبرى فى أخبار ملوك الفرس الساسانيين تحت عنوان «سابور ذو الأكتاف»: «ثم ولد سابور بن هرمز بن نرسى بن بهرام ... مملكا بوصية أبيه هرمز له بالملك، فاستبشر الناس بولادته و بثوا خبره فى الآفاق و كتبوا الكتب و وجهوا به البرد الى الآفاق و الأطراف، و تقلد الوزراء و الكتاب الأعمال التى كانوا يعملونها فى ملك أبيه، و لم يزالوا على ذلك حتى فشا خبرهم و شاع فى أطراف مملكة الفرس أنه كان لا ملك لهم (كذا) و أن أهلها إنما يتلومون صبيا فى المهد لا يدرون ما هو كائن من أمره، فطمعت فى مملكتهم الترك و الروم، و كانت بلاد العرب أدنى البلاد الى فارس و كانوا من أحوج الأمم الى تناول شىء من معاشهم و بلادهم لسوء حالهم و شظف عيشهم فسار جمع عظيم منهم فى البحر من ناحية عبد القيس و البحرين و كاظمة حتى أناخوا على إيران شهر و سواحل أردشير خره و أسياف فارس و غلبوا أهلها على مواشيهم و حروثهم و معاشهم و أكثروا الفساد فى تلك البلاد، فمكتوا على ذلك من أمرهم حينئذ لا يغزوهم أحد من الفرس لعقدهم تاج الملك على طفل من الأطفال و قلة هيبة الناس له حتى تحرك سابور و ترعرع ... حتى تمت له ست عشرة سنة و أطاق حمل السلاح و ركوب الخيل و اشتد عظمه ... ثم انتخب الف فارس من صناديد جنده و أبطالهم و تقدم اليهم فى المضى لأمره و نهاهم عن الابقاء على من لقوا من العرب و العرجة على إصابته مال ثم سار بهم فأوقع بمن انتجع بلاد فارس من العرب و هم غارون و قتل منهم أبحر القتل و أسر أعنف الأسر و هرب بقيةهم ثم قطع البحر فى أصحابه فورد الخط و استقرى بلاد البحرين يقتل أهلها و لا يقبل فداء و لا يعرج على غنيمته ثم مضى على وجهه فورد هجر و بها ناس من اعراب تميم و بكر بن وائل و عبد القيس فأفشى فيهم القتل و سفك فيهم من الدماء سفكا سالت كسيل المطر حتى كان الهارب منهم يرى أنه لن ينجيه منه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٩

غار و لا- جبل و لا جزيرة فى بحر ثم عطف الى بلاد عبد القيس فأباد أهلها الا من هرب منهم فلحق بالرمال ثم أتى اليمامة فقتل بها مثل تلك المقتلة، و لم يمر بماء من مياه العرب إلا غوره و لا جب من جبابهم، إلا طمته ثم أتى قرب المدينة فقتل من وجد هنالك من العرب و أسر ثم عطف نحو بلاد بكر و تغلب فيما بين مملكة فارس و مناظر الروم بأرض الشام فقتل من وجد بها من العرب و سبى و طم مياههم و انه أسكن من بنى تغلب من البحرين دارين و اسمهما هيج و الخط، و من كان عبد القيس و طوائف من بنى تميم هجر و من كان من بكر بن وائل كرمان و هم الذين يدعون بكر أبان، و من كان منهم من بنى حنظلة بالرملي من بلاد الأهواز و انه أمر فبنيت بأرض السواد مدينة فسمها بزرج سابور و هى الأنبار ...»

و ذكر الطبرى بعد ذلك تملك لليانوس (يوليانس) فى المملكة الرومية و حشده جموعا من الروم و الخزر و من كان فى مملكته من العرب ليقاتل بهم سابور و جنود فارس، و قال: «و انتهزت العرب بذلك السبب الفرصة من الانتقام من سابور و ما كان من قتله العرب، و اجتمع فى عسكر لليانوس من العرب مائة الف و سبعون ألف مقاتل، فوجههم مع رجل من بطارقة الروم بعثه على مقدمته يسمى يوسانوس ... و إن من كان فى عسكر لليانوس من العرب سألوه ان يأذن لهم فى محاربة سابور، فأجابهم الى ما سألوه، فرحفوا الى سابور فقاتلوه ففضوا جمعه و قتلوا منهم مقتلة عظيمة و هرب سابور فيمن بقى من جنده و احتوى لليانوس على مدينة طيسبون (المدائن) محلة سابور، و ظفر ببوت اموال سابور و خزائنه فيها، و ذكر بعد ذلك استرداد سابور مدينة طيسبون و هزمه لجيوش ملك

الروم ثم قال: وإن سابور ضرى بقتل العرب و نزع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٠

أكتاف رؤسائهم إلى ان هلك و كان ذلك سبب تسميتهم إياه ذا الاكتاف.

و ذكر بعض اهل الاخبار ان سابور بعد ان اتخن في العرب و أجلاهم عن النواحي التي كانوا صاروا اليها مما قرب من نواحي فارس و البحرين و اليمامة ثم هبط الى الشام».

و قال الطبرى: ثم استصلح (سابور) العرب و أسكن ببعض قبائل تغلب و عبد القيس و بكر بن وائل كرمان و توج و الأهواز ... و هلك في عهد سابور عامله على ضاحية مضر و ربيعة امرؤ القيس البدء بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر فاستعمل سابور على عمله ابنه عمرو بن امرىء القيس».

خندق سابور ذى الاكتاف «كرى سعدة»

قال ياقوت الحموى : و خندق سابور فى برية الكوفة، حفره سابور بينه و بين العرب خوفا من شرهم، قالوا: كانت هيت و عانات مضافة إلى طسوج الأنبار، فلما ملك انوشروان (٥٣١-٥٧٩ م) بلغه أن طوائف من الاعراب يغيرون على ما قرب من السواد الى البادية، فامر بتجديد سور مدينته تعرف بالنسر كان سابور ذو الاكتاف بناها و جعلها مسلحة تحفظ ما قرب البادية و أمر بحفر خندق من هيت يشق طف البادية الى كاظمة مما يلي البصرة و ينفذ إلى البحر و بنى عليه المناظر و الجواسق و نظمه بالمسالح ليكون ذلك مانعا لأهل البادية من السواد، فخرجت هيت و عانات بسبب ذلك الخندق، من طسوج شاه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢١

فيروز لأن عانات كانت قرى مضمومة الى هيت». و قال فى المشترك:

«و خندق سابور فى برية الكوفة، كان سابور ذو الاكتاف أمر بحفره ليكون مانعا للعرب من العيث فى أرض السواد».

و قال صفى الدين بن عبد الحق فى مرصد الاطلاع: «و خندق سابور فى برية الكوفة، حفره سابور ملك الفرس بينه و بين العرب من هيشه يشق طف البادية الى كاظمة مما يلي البصرة الى البحر و بنى عليه المناظر و الجواسق و نظمه بالمسالح». و هذا يعنى أنه كان متصلا بما يسمى خور عبد الله.

و قال ياقوت أيضا: «و الطف أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن على رضى الله عنه- و هى أرض بادية قريبة من الريف، فيها عدة عيون ماء جارية منها الصيد و القططانة و الرهيمه و عين جمل و ذواتها و هى عيون كانت للموكلين بالمسالح التى كانت وراء خندق سابور الذى حفره بينه و بين العرب و غيرهم، و ذلك أن سابو و أقطعهم أرضا يعتملونها من غير أن يلزمهم خراجا، فلما كان يوم ذى قار و نصر الله العرب بنبيه صلى الله عليه و سلم غلبت العرب على طائفه من تلك العيون، و بقى بعضها فى أيدي الأعاجم»

و قال البلاذرى: «قالوا: كانت عيون الطف من عين الصيد و القططانة و عين جمل و ذواتها للموكلين بالمسالح التى وراء السواد و هى عيون خندق سابور الذى حفره بينه و بين العرب الموكلين بمسالح الخندق و غيرهم، و ذلك ان سابور

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٢

أقطعهم أرضا فاعتملوها من غير ان يلزمهم لها خراجا، فلما كان يوم ذى قار و نصر الله العرب بنبيه- صلى الله عليه و سلم- غلبت العرب على طائفه من تلك العيون و بقى فى أيدي الأعاجم بعضها ثم لما قدم المسلمون الحيرة هربت الأعاجم بعد أن طمست عامه ما فى أيديهم منها و بقى الذى فى أيدي العرب فاسلموا عليه و صار ما عمروه من الأرضين عشريا .

ولا- يزال تحقيق خندق سابور واضحا فى غربى النجف و موضع الحيرة و كربلا و يعرف «بكرى سعدة» و لا تزال قائمة من مسالح

سابور ذي الاكتاف مسلحة عظيمة تعرف (بحصن الأخضر) و هو مشيد في أرض بسيطة بين تلال و أطلال متعادية، و كأن الأرض التي أنشئ فيها كانت السهل الوحيد المؤدى الى بلاد السواد لمن يقصدها من الفرسان، و كان الحصن هذا هو الذى حاصر خالد بن الوليد جنوده و حاميته، قال البلاذرى: «قالوا و أتى خالد بن الوليد رجل دله على سوقة يجتمع فيها كلب و بكر بن وائل و طوائف من قضاة فوق الأنبار فوجه اليها المثنى بن حارثة فأغار عليها فأصاب ما فيها و قتل و سبى ثم أتى خالد عين التمر فألصق بحصنها و كانت مسلحة للأعاجم عظيمة، فخرج أهل الحصن فقاتلوا ثم لزموا حصنهم فحاصرهم خالد و المسلمون حتى سألوا الأمان، فأبى أن يؤمنهم و افتتح الحصن عنوة و قتل و سبى، و وجد فى كنيسة هناك جماعة سياهم؟؟؟»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٣

النجف مصحة قديمة

و كان النجف و لا يزال كذلك طيب المناخ، عذى الأرض و الهواء مصحة للأجسام العليله، و منجاة من الأمراض الوبيلة، و قد أيد ذلك الاختبار و الأخبار و الأشعار، و من ذلك قول اسحاق بن ابراهيم الموصلى:

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف نحى دارا لسعدى ثم ننصرف

لم ينزل الناس من سهل و لا جبل أصفى هواء و لا أعذى من النجف

حفت ببرّ و بحر من جوانبها فالبرّ فى طرف و البحر فى طرف

و ما يزال نسيم من يمانية يأتيك منها برّيا روضة أنف

كأن تربته مسك يفوح به أو عنبر دافه العطار فى صدف

و قال الجاحظ: «هرب رجل من الطاعون الى النجف أيام شريح، فكتب اليه شريح: أما بعد فان الفرار لن يبعد أجلا و لن يكثر رزقا و إن المقام لن يقرب أجلا و لن يقلل رزقا و إن النجف من ذى قدره لقريب.»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٤

و كان هذا فضولا من شريح- رحمه الله- فلو أتبع قوله لم يستشف مريض و لا استوصف الأطباء، و لا شرب الدواء لدفع الأدواء، و لا أحسن السكن و الغذاء، و من أجل صفاء الماء و الهواء و عذابة الأرض بنى المناذرة قصرهم المشهور «الخورتق» قرب النجف، قال ياقوت الحموى: «الخورتق». الذى عليه أهل الأثر و الاخبار أن الخورتق قصر كان بطهر الحيرة و قد اختلفوا فى بانيه فقال الهيثم بن عدى: الذى أمر ببناء الخورتق النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن الحارث بن لخم ... ملك ثمانين سنة و بنى الخورتق فى ستين سنة بناه له رجل من الروم يقال له سنمار ... و كان النعمان هذا قد غزا الشام مرارا و كان من أشد الملوك بأسا، فبينما هو ذات يوم جالس فى مجلسه فى الخورتق فأشرف على (النجف) و ما يليه من البساتين و النخل و الجنان و الانهار مما يلى المغرب و على الفرات مما يلى المشرق و الخورتق مقابل الفرات يدور عليه على عاقول كالخندق فأعجبه ما رأى من الخضرة و النور و الانهار فقال لوزيره:

أرأيت مثل هذا المنظر و حسنه؟ فقال: لا و الله أيها الملك ما رأيت مثله لو كان يدوم. فقال: فما الذى يدوم؟ قال: ما عند الله فى

الآخرة. قال: فبم ينال ذلك؟ قال: بترك هذه الدنيا و عبادة الله و التماس ما عنده. فترك ملكه فى ليلة و لبس المسوح و خرج مختفيا

هاربا لا يعلم به أحد و لم يقف الناس على خبره الى الآن.» ثم ظهر تخليه من الملك و لحاقه بالنسك فى الجبال و الفلوات فما رؤى

بعد ذلك و يقال إن وزيره صحبه و مضى معه، و فى ذلك يقول عدى بن زيد:

و تبين رب الخورتق إذ أشرف يوما و للهدى تفكير

سره ما رأى و كثرة ما يملك و البحر معرضا و السدير

فارعوى قلبه و قال فما غبطة حى الى الممات يصير؟

ثم بعد الفلاح و الملك و الإمرة و ارتهم هناك القبور

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٥ ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا و الدبور

و قال ابن الكلبي: صاحب الخورنق و الذى أمر ببنائه بهرام جور بن يزدجرد بن سابور ذى الاكتاف و ذلك أن يزدجرد كان لا يبقى له ولد و كان لحق ابنه بهرام جور فى صغره علة تشبه الاستسقاء فسأل عن منزل مرى، صحيح من الادواء و الأسقام لبعث بهرام اليه خوفا عليه من العلة فأشار عليه أطباؤه أن يخرج من بلده الى أرض العرب و يسقى أبوال الابل و ألبانها فأنفذه الى النعمان و أمره أن يبني له قصرا مثله على شكل بناء الخورنق فبناه له و أنزله إياه و عالجه حتى برأ من مرضه ثم استأذن أباه فى المقام عند النعمان فأذن له فلم يزل عنده نازلا قصره الخورنق حتى صار رجلا و مات أبوه فكان من أمره فى طلب الملك حتى ظفر بما هو متعارف مشهور.» و ذكر كريستنسن فى كتابه (إيران فى عهد الساسانيين) فى كلامه على سيرة يزدجرد و أبنائه، قال: «و المؤكد ان بهرام كان يعيش فى قصر الخورنق بالحيرة و هو القصر الذى ينسب بناؤه الى النعمان اللخمى و لكن تاريخه يرجع بغير شك الى تاريخ أقدم زمانا.» و تطرق هذا المؤلف فى الصفحة ٤٤٢ الى بناء سنمار للخورنق.

و ذكر أبو بكر أحمد بن مروان المالكي، بسنده عن هرون بن عنترة عن أبيه قال: «دخلت على على بن أبى طالب -رضى الله عنه- بالخورنق و عليه قطيفة و هو يردد من البرد فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك و لأهل بيتك فى هذا المال نصيبا و أنت تفعل بنفسك هذا؟ فقال: انى و الله لا أرز أمن أموالكم شيئا و هذه القطيفة التى أخرجتها من بيتى (أو قال) من المدينة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٦

النجف و الحيرة

الحيرة المدينة العربية المشهورة فى تاريخ العرب و جغرافية بلادهم أنشئت فى منطقة النجف و كان ينبغى أن تضاف اليه فىقال «حيرة النجف» الا أن العادة جرت بتعريف الغامر بالعامر فأضيف النجف الى الحيرة فقليل «النجف الحارى» أى النجف الحيرى، قال ياقوت: و لبعض أهل الكوفة:

و با (النجف الحارى) ان زرت أهلها مهملات ما عليهن سائس

خرجن بحب اللهو فى غير ريبة عفاف باغى اللهو منهن آيس

يردن اذا ما الشمس لم يخش حرّها ظلال بساتين جناهن يابس

إذا الحر آذاهن لذن بفيئه كما لاذ بالظل الطباء الكوانس

لهن اذا ما استعرضتهن عشية على ضفة النهر المليح مجالس

يفوح عليك المسك منه و ان تقف تحدث و ليست بينهن و ساوس

و لكن نقيات من اللؤم و الخنا إذا ابتزغن أبشارهن الملايس .

و يؤيد ذلك أن ياقوت الحموى قال فى ذكر الحيرة «... مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف»، و أن

حيننا الحيرى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٧

المغنى الذى ذكرناه آنفا افتخر بأن منزله «النجف» فى بيته المقدم ذكره:

أنا حنين و منزلى النجف و ما نديمى إلا الفتى القصف

و قال بعده:

أقرع بالكأس ثغر باطية مترعة تارة و أغترف
و العيش غصن و منزلى خصب لم تغذنى شقوة و لا عنف
أما قول البحترى:

آمق الكوفة أرضا و أرى نجف الحيرة) أرضاها وطن
فقد جرى فيه على العادة التي ذكرنا آنفا، و الحقيقة أن الحيرة هي (حيرة النجف) كما ألمعنا اليه من قبل.

مباني منطقة النجف و مآثرها

١- الأ- كيراج. قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: «أكيراج: بالضم ثم الفتح و ياء ساكنة وراء و ألف مهملة ... و هي في الأصل القباب الصغار، قال الخالدي: الاكيراج رستاق نزه بأرض الكوفة، و الاكيراج بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلالى لهم، يقال لواحداهما (كرج) بالقرب منها ديران يقال لأحدهما (دير مر عبدا) و للآخر (دير حنة) و هو وضع بظهر الكوفة ...» و قال أبو عبيد البكري: في معجم ما استعجم: «الأ- كيراج: بضم أوله تصغير أكراج بالراء و الحاء: موضع بالحيرة، و موضع أيضا آخر بالبليخ يقال له الأكيراج- و إياه يعنى -الأول- عن الحكمى بقوله: (يا دير حنة من ذات الأكيراج) موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٨ و سيأتي ذكره في باب الديارات».

٢- الغريان، قال ياقوت الحموي: «الغريان: تشيئة الغرى و هو المطلى بالغراء ... و الغرى نصب كان يذبح عليه العتائر، و الغريان طربالان و هما بنا آن كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر على بن أبي طالب- رضى الله عنه- ... بناهما المنذر بن امرىء القيس بن ماء السماء و كان السبب في ذلك أنه كان له نديمان من بنى أسد يقال لأحدهما خالد بن نضلة و الآخر عمر بن سعود فثملا فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه فامر و هو سكران فحفر لهما حفيرتان في ظهر الكوفة و دفنهما حينين، فلما أصبح استدعاهما، فأخبر بالذى أمضاه فيهما، فغمه ذلك و قصد حفرتهما و أمر ببناء طربالين عليها و هما صومعتان، فقال المنذر:

ما أنا بملك إن خالف الناس أمرى: لا يمر أحد من وفود العرب إلا بينهما، و جعل لهما في السنة يوم بؤس و يوم نعيم، يذبح في يوم بؤسه كل ما يلقاه، و يغرى بدمه الطربالين، فان رفعت له الوحش طلبتها الخيل و إن رفع طائر أرسل عليه الجوارح حتى يذبح ما يعن و يطليان بدمه. و لبث بذلك برهة من دهره و سمي أحد اليومين (يوم البؤس) و هو اليوم الذى يقتل فيه ما ظهر له من انسان و غيره، و سمي الآخر (يوم النعيم) يحسن فيه الى كل من يلقى من الناس و يحملهم و يخلع عليهم ... و جدت بخط أبى بكر السراج ... مر معن بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٠

زائدة بالغريين فرأى أحدهما و قد شعث و هدم فأنشأ يقول:

لو كان شيء له أن لا يبىد على طول الزمان لما باد الغريان

ففرق الدهر و الأيام بينهما و كل إلف إلى بين و هجران

٣- دير الحريق، قال ياقوت: «سمى بذلك لأنه أحرق في موضعه قوم ثم دفن فيه قوم من أهل من أحرقه هناك و عمل ديورا ... و جدته بخط ابن حمدون بالخاء المعجم- في الشعر و الترجمة ... و هو بالحيرة قديم و فيه يقول الثروانى:

دير الحريق فيبعة المزعوق بين الغدير فقبة الشنيق

أشهى الى من الصراة و دورها عند الصباح و من رحي البطريق

فاغدوا بناكر من ذخائر عتبة الخمار من صافى الدنان رحيق

يا صاح و اجتنب الملام أما ترى سمجا ملامك لى و أنت صديقى

و قال ابن فضل الله العمري: «دير الحريق قديم، هو بالحيرة، بناه النعمان بن المنذر على ولد كان له، عدى عليه و أحرقه فيه، و الى جانبه قبة تعرف بقبة السنيق و تعرف بقبة غصين و هما راهبان نسبتا إليهما و هما بديعتا البناء، و فى الدير و فيها يقول الثروانى:

دير الحريق و قبة السنيق مغنى لحلف مدامة و فسوق

وطن لفرقة شرقت بدمعتى و لرحلتى عنه غصت بريقى

حكى حمزة بن أبى سلامة قال: كان الثروانى جارى بالكوفة و كان كثير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣١

الامام بالديرة فباكرنى فى يوم شعانين و قال لى: اعزم بنا اليوم على الشرب فى دير الحريق لأنه يوم سيقصده فيه خلق، ولى به صديق من رهبانه ظريف، مليح القلاية جيد الشراب فهلم ننزه أعيننا فيما نراه من الجوارى و الغلمان ثم نعدل الى قلاية صديقنا فنشرب على سطحها المشرف على الرياض، فخرجنا فرأينا من النساء و الوصائف و الولدان فى الحلى و الحلل ما لم أر مثله قط، فلم يزل يعبث و يتعرض و يقبل و يعانق- و كان معروفا بذلك فما أحد ينكر عليه فعلة إلى بعد الظهر، ثم أتينا قلاية صديقه الراهب، فلقية بالاكرام و الترحيب، فدخلنا قلايته فما رأينا أنظف من آلتها و لا أنضر من بستانها، ثم قدم لنا شيئا من طعامه، فأصينا منه ثم سعدنا سطحها و جلسنا نظر الى منظر يبهر حسنا و جمالا- من رياض و غدران و طير تصفر، و نحن نشرب حتى ثملنا و نمنا هناك، و غدونا على الكوفة، فقلت له: تترك هذا اليوم مع حسنه عاطلا- من حلى شعرك؟ فقال: لا و الله و لقد عملت فى ليلتى هذه، هذه الأبيات ثم أنشدنى:

خرجنا فى شعانين النصارى و شيعنا صليب الجائليق

فلم أر منظرا أحلى بعينى من المتقينات على الطريق

حملنا الخوص و الزيتون حتى بلغن به الى (دير الحريق)

أكلناهن باللحظات عشقاو أضمرنا لهن على الفسوق

٤- دير الاسكون ، قال ياقوت: «هو بالحيرة- ركب على النجف و فيه قلالى و هياكل و فيه رهبان يضيفون من ورد عليهم و عليه سور عال حصين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٢

و عليه باب حديد و منه يهبط الى غدير بالحيرة، أرضه رضراض و رمل أبيض و له مشرعة تقابل الحيرة لها ماء إذا انقطع النهر كان منها شرب أهل الحيرة...»

و نقل ابن فضل الله العمري وصفه من كتاب «ديارات الحيرة» و ظهر أن ياقوتا الحموى نقل من المرجع نفسه و زاد العمري قوله: «قال- يعنى مصنف ديارات الحيرة:- و اليه تجتمع النصارى فى أعيادهم و فى كل يوم جمعة بعد صلاة الجمعة فاذا كان يوم الشعانين أتوه من كل ناحية مع شمائيسهم بصلبهم و أعلامهم فاذا استتموا فيه و فى القصر الأبيض و العلالى المدائنة خرج أسقفهم بهم الى مكان يعرف بقبيبات الشعانين (و هى قباب على ميل من ناحية طريق الشام) فأقام بهم فيها يومهم ذلك الى آخره و لكل منهم يومئذ شأن يغبنيه».

٥- دير حنة، قال ياقوت الحموى: «هو دير قديم بالحيرة منذ أيام بناء المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع، تقابله منارة عالية كالمرقب تسمى القائم لبنى أوس بن عمرو بن عامر، و فيه يقول الثروانى:

يا دير حنة عند القائم الساقى الى الخورتق من دير ابن براق

ليس السلو و إن أصبحت ممتنعاً من بغيته فيك من شكلى و أخلاقى

سقى لعافيك من عاف معالمه قفر و ما فيك مثل الوشم من باق

و دير حنة بالأكيراح الذى قيل فيه: «يا دير حنة من ذات الأكيراح» هذا أيضا بظاهر الكوفة و الحيرة، لا أدري أهو هذا المذكور هنا أم غيره و قد ذكر شاهده فى الأكيراح». و قد كان قال فى الأكيراح: ... بالقرب منها ديران يقال لأحدهما (دير مر عبدا) و للآخر (دير حنة) و هو موضع بظاهر الكوفة كثير البساتين و الرياض، و فيه يقول أبو نواس:

((١)) «١: ٣١٢»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٣ يا دير حنة من ذات الأكيراح من يصح عنك فاني لست بالصاحي

يعتاده كل مجفو مفارقة من الدهان عليه سحق أمساح

فى فتيه لم يدع منهم تخوفهم وقوع ما حذروه غير أشباح

لا يدلون الى ماء بباطية إلا اغترافا من الغدران بالراح

قرأت بخط أبى سعيد السكرى (حدثنى أبو جعفر أحمد بن أبى الهيثم البجلي قال رأيت الأكيراح و هو على سبعة فراسخ من الحيرة مما يلى مغرب الشمس من الحيرة و فيه ديارت فيها عيون و آبار محفورة يدخلها الماء) ... و قال بكر بن خارجة:

دع البساتين من آس و تفاح و اقصد الى الشيخ من ذات الأكيراح

الى الدساكر فالدير المقابلها لى الأكيراح أو دير ابن وضاح

منازل لم أزل حيننا الازمهالزوم عاد الى اللذات رواح

و قال ابن فضل الله العمري: «دير حنة بالحيرة من بناء نوح، هكذا نقلته و لا أعرف من هو، و إلى جانبه قائم، حكى أحمد بن عمر الكوفى، قال:

كان بالكوفة رجل أديب ضعيف الحال مهما وقع فى يده من شىء أتى به الى دير حنة فيشرب فيه حتى يسكر، ثم ينصرف الى أهله و يقول: يعجبني من الغراب بكوره فى طلب الرزق و ربما بات به و يقول:

تطاول ليلك بالزاويه و كان المبيت بها عافيه

و من تحت رأسك آجره و جنبك ملقى على باريه

و ذلك خير من الانصراف فتحكم فيك بنو الزانية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٤ و تصبح إماما رهين السجون و إما قتيلا على ساقيه

قال: فوجد و الله بعد أيام قتيلا على ساقيه و هو القائل:

ما لذة العيش عندى غير واحدة هى البكور الى بعض المواخير

لخامل الذكر مأمون بوائقه سهل القياد من الفره المدايير

حتى يحل على دير ابن كافره من النصارى ببيع الخمر مشهور

كانما عقد الزنار فوق نقاو اعتم فوق دجى الظلماء بالنور

و فيه قال الثروانى:

يومى بهيكل دير حنة لم يزل غر السحاب تجود فيه و تمرع

متجوش طورا و طورا شاهرايىض السيوف و داره يتدرع

و كذلك قال فيه بكر بن خارجة الكوفى:

ألا سقى الخورتق من محل طريف الروض معشوق أنيق!

أقمت بدير حنته زمانا بسكر فى الصبوح و فى الغبوق

و منا لابس اكليل زهرو مختضب السوالف بالخلوق

كأن رياضه حسنا و نوراسحائب ذهبت بسنا البروق

كأن تقاطر الأشجار فيه إذا غسق الظلام قطار نوق

و ماذا شئت من در الأقاخي هناك و من يواقيت الشقيق

و قد ذكر دير حنة أبو الفرج الأصفهاني و قال «ذكره أبو نواس في شعره يعنى في قوله: يا دير حنة من ذات الأ-كيراح .. قال: و

الأكيراح بلد نزه كثير البساتين و الرياض و المياه، قال و بالحيرة أيضا موضع يقال له الأكيراح فيه دير،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٥

و الأكيراح قباب صغار يسكنها الرهبان، يقال للواحد منها الكرح» .

٦- دير ابن مزعوق، قال الشابشتي: «و هذا الدير بالحيرة في وسطها و هو دير كثير الرهبان، حسن العماره، أحد المتنزهاة المقصودة و

الأماكن الموصوفة، و لمحمد بن عبد الرحمن الثرواني فيه:

هل لك في مار فاثون و في دير ابن مزعوق غير مختصر

و نسأل الأرض عن منابتها و عهدا بالربيع و المطر

يا لك طيبا و شم رائحة كالمسك يأتي بنفحة السحر

في شرب خمر و سمع محسنة تلهيك بين اللسان و الوتر

و الثرواني هذا كوفى من المطبوعين في الشعر و المنهمكين في البطالات و المتطرحين في الحانات و المدمنين لشرب الخمر، و

المغرقين في اتباع المرد، لا يعرف شيئا غير ذلك، و لا يوجد شيء من الدنيا إلا فيه و كان آخر أمره أن أصيب في حانه خمار بين

زقى خمر و هو ميت ...

و قال ياقوت في معجم البلدان: «دير المزعوق و يقال دير ابن المزعوق، و هو قديم بظاهر الحيرة، قال محمد بن عبد الرحمن الثرواني:

قلت له و النجوم طالعة في ليلة الفصح أول السحر

هل لك في مار فاثون و في دير ابن مزعوق غير مقتصر؟

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٦ يفيض منه النسيم عن طرق الشام و ربح الندى عن المدر

و نسأل الأرض عن بشاشتها و عهدا بالربيع و المطر

في شرب خمر و صدع محسنة تلهيك بين اللسان و الوتر»

و أورد ابن فضل الله العمري ذكره قال: «دير ابن مزعوق هو بالحيرة قريب دير الحريق، في أنزه البقاع زهرا، و رقيق هواء و تدفق ماء،

و تشوق اليه الثرواني من بغداد فقال:

دير الحريق و بيعه المزعوق بين الغدير و قبه الشنيق

أشهى إلى من الصراة و طيبها عند الصباح من رحي البطريق

يا صاح فاجتنب الملام أما ترى سمجا ملامك لى و أنت صديقى

و قد ذكره أبو الفرج و أنشد للثرواني فيه و في (دير فاثون) قوله: قلت له و النجوم جانحة ...» و ذكر الأبيات المكتوبة آنفا ثم قال: و

دير فاثون أسفل النجف و دير ابن مزعوق بحذاء قصر عبد المسيح بأعلى النجف و فيه يقول الثرواني:

تقرّ بفضل عينك لى بوصل و فعلك لى مقرّ بالجحود

تشككنى و أعلم أنّ هذا هو بين التعطف و الصدود

و قال أيضا:

كزّ الشراب على نشوان مصطبح قد هب يشربها والديك لم يصح

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٧ و الليل في عسكر جمّ بوارقه من النجوم وضوء الصّبح لم يلح

و العيش لا عيش إلا أن تباكرها صهباء تقتل هم النفس بالفرح

حتى يظل الذي قد بات يشربها ولا براح به يختال كالمرح

٧- دير مارت مريم، قال ياقوت في معجم البلدان: «دير مارت مريم:

دير قديم من بناء آل المنذر بنواحي الحيرة بين الخورتق و السدير و بين قصر أبي الخصيب مشرف على النجف و فيه يقول الثرواني:

بمارت مريم الكبرى و ظلّ فنائها فقف

فقصر أبي الخصيب المشرف المرخي على النجف

فأكناف الخورتق و السدير ملاعب السلف

الى النخل المكمم و الحمام فوقه الهتف

و قال ابن فضل الله العمري: «دير مارت مريم: هو بالحيرة من بناء المنذر و هما ديران متقابلان و بينهما مدرجة الحاج و طريق السابله

الى القادسيه و هما مشرفان على النجف و من أراد الخورتق عدل عن جادتها ذات اليسار و من شعر الثرواني فيها:

دع الأيام تفعل ما أرادت إذا جادت بندمان و كأس

و مارت مريم و الصحن فيه حدّيقتان من ورد و آس

و ظبي في لواحظ مقلتيه نعاس من فتور لا نعاس

و خل لا يحول عن التصابي ذكور للمودة غير ناسي

و محتضن لطنبور فصيح يغنيني بشعر أبي نواس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٨

و قد ذكره أبو الفرج و قال: كان قس يقال له يحيى بن حماد و يقال له يوشع ، تألفه الفتيان و يشربون على سطحه و في قلايته على

قراءة النصراري و ضرب النواقيس و فيه قال بكر بن خارجة أو غيره:

بتنا بمارت مريم سقيا لمارت مريم

و لقسها يحيى المهينم بعد نوم النوم

و ليوشع و لخمرة حمراء مثل العندم

و لفتية حفوا به يعصون لوم اللوم

يسقيهم ظبي أغن لطيف غلق المعصم

يرمي بعينيه القلوب كمثل رمى الأسهم»

و قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي: «لما خرجت مع الواثق الى النجف درنا بالحيرة و مررنا بدياراتها فرأيت دير مريم بالحيرة فأعجبني

موقعه و حسن بنائه فقلت:

نعم المحل لمن يسعى للذته دير لمريم فوق الظهر معمور

ظل ظليل و ماء غير ذي أسن و قاصرات كأمثال الدمى حور

فقال الواثق: لا نصطبح و الله غدا إلا فيه، و أمر أن يعدّ فيه ما يصلح من الليل، و باكرناه فاصطبحت فيه على هذا الصوت، و أمر بمال

ففرقه على أهل ذلك الدير، و أمر لي بجائزة .

٨- دير حنة الكبير، قال ياقوت و قد نقلنا قوله آنفا: «و دير حنة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٩

بالأكيراح الذى قيل فيه: يا دير حنة من ذات الأكيراح. هذا أيضا بظاهر الكوفة و الحيرة و لا أدرى أهو هذا المذكور هنا أم غيره، و قد ذكر شاهده فى الأكيراح». قلنا: ذكره ابن فضل الله باسم (دير حنة الكبير) قال: «قال الخالدى هو بالحيرة فى الأكيراح، غير دير حنة الذى قدمنا ذكره، يقال إنه بنى حين بنيت الحيرة، و كان من أنزه الديره لكثرة بساتينه و تدفق مياهه.

حكى جحظة عن بعض أهل الحيرة قال: اجتاز عمر بن الفرج الرخجى منصرفا من الحج فتلقيناه و أعظمناه و سرنا معه فلما اجتاز بدير حنة سألنا عنه، فعرفناه به، فقال: من ذا الذى يقول: يا دير حنة من ذات الأكيراح!! فقال له الحسين بن هشام الحيرى: هذا لأبى نواس أفتحب أن أنشدك لشاعرنا الثروانى شيئا يقرب من هذا المعنى فى هذا الدير؟ قال: قل. فأنشده:

على الريحان و الراح و أيام الأكيراح
و إبريق كطير الماء فى لجة ضحاح
سلام يسكر الصاحى و ما فيه فتى صاحى
و من لى فيه بالسكرة عن وجه ابن وضاح
غزال صيغ من فتنه أبدان و أرواح
إذا راح الى البيعة فى أثواب أمساح
ففى كفيه إفسادى و فى كفيه إصلاحى

قال: فاستحسن الأبيات و أمر كاتبها معه يكتبها و خلع على الحسين بن هشام و أجازها.

«و حكى جحظة قال: زرت ابراهيم بن المدبر- و كان بالكوفة- فأكرمنى و أنس لى و أقمت عنده ثلاثة أشهر، فجرى يوما ذكر دير حنة، فقال ابن المدبر، و الله إنى لأحب أن أراه و أشرب فيه، فقد ذكر لى حسنه، فأين هو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٤٠

من الحيرة؟ فدلّه إسحاق بن الحسين العلوى عليه و قال له: فى هذه الأيام ينبغى أن يقصد لأنها أيام ربيع و رياض معتمّة بالزهر و الغدران و البادية بقربه فلن نعدم اعرابيا فصيحيا يطير الينا و نحن فيه فيهدى إلينا بيض نعام و يجنى لنا الكمأة. فتقدم ابن المدبر الى غلماناه باعداد ما يحتاج اليه، و خرج و خرجت حتى وافيناه، فاذا هو حسن البناء و الرياض محدقة به و نهر الحيرة الذى يقال له الغدير بقرب منه، فضربت لنا خيام عنده و خرج إلينا رهبانه و حملوا إلينا مما عندهم من التحف و اللطف، فأكلنا و جلسنا نشرب، و غنيتته بشعر أبى نواس المتقدم، فبينما نحن كذلك إذ اجتاز بنا غلام حسن عارضه كأنه بدر على غصن، معه مصحف من مصاحف النصارى، كامل العقل ساهر اللحظ و اللفظ، فشرب ابن المدبر على وجهه رطلا و سقاه قدحا و استأذنه الغلام فى النهوض و قال: معى مصحف لا تتم للرهبان صلاة إلا بحضوره و هذا وقت صلاتهم و قد ضربوا الناقوس منذ ساعة. و أخذ عليه العهد فى الرجوع إليه و أمر له بمائة دينار و عملت شعرا صنعت فيه صوتا فما زال صوته طول مقامه و هو...» و ذكر الأبيات ثم قال: «و أقمنا بمكاننا ثلاثة أيام ثم عدنا الى الكوفة و قد عملت فى تلك الأيام و غنيت فيه:

و بالحيرة لى يوم و يوم بالأكيراح
إذا عزّ بنا الماء مزجنا الراح بالراح

و حكى الربيع عن بعض أهل الحيرة قال: كان فى دير حنة خمار يقال له مرعبدا موصوف بجودة الخمر و نظافة الآنية و ملاحه الحانه، فحكى مرعبدا قال: ما شعرت يوما و قد فتحت حانوتى و جلست الى جانب الهيكل الا بثلاثة فوارس قد اقبلوا من طريق السماوة فى البر، حتى وقفوا على و هم مثلثمون بعمائم الخز و عليهم حلل من القصب، فسلموا على و أسفر أحدهم و قال: أنت مرعبدا و هذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٤١

دير حنة؟ قلت: نعم. قال، قد وصفت لنا بجودة الشراب و النظافة فاسقني رطلا. فبادرت فغسلت يدي ثم نقرت الدنان و نظرت أصفها فبزلته، فشرب و مسح يده و فمه بالمنديل ثم قال اسقني آخر. فغسلت يدي و تركت ذلك الدن و ذلك القدح و المنديل و نقرت دنا آخر. فلما رضيت صفاره بزلت منه رطلا في قدح و أخذت منديلا جديدا فناولته اياه فشرب كالأول، ثم قال: اسقني رطلا آخر فسقنيه في غير ذلك القدح و غير ذلك المنديل، فشرب و مسح يده و فمه و قال لي: بارك الله فيك فما اطيب شرابك و انظفك و أحسن أدبك، و ما كان رايبى ان أشرب اكثر من ثلاثه ارطال فلما رأيت نظافتك دعنتى نفسى الى شرب رابع فهاته. فناولته اياه على تلك السبيل، فشرب و قال: و لو لا اسباب تمنع من بيتك لكان حبيبا الى جلوسى يومى هذا فيه، و ولى منصرفا فى الطريق الذى بدا منه و رمى الى احد الراكبين اللذين كان معه بكيس، فقلت: و حق النصرانية لا قبلته حتى أعرف الرجل. فقال: هذا الوليد بن يزيد بن عبد الملك و صفت له فأقبل من دمشق حتى شرب شرابك و رأى ديرك و الحيرة. ثم انصرف فحللت الكيس فاذا هو اربعمائة دينار.)

٩- دير هند الصغرى، قال الشابشتى: «بنت هند هذا الدير بالحيرة و ترهبت فيه و سكتته دهرا طويلا ثم عميت. و هذا الدير من اعظم ديارات الحيرة و أعمرها و هو بين الخندق و خضراء بكر، و لما قدم الحجاج الكوفة، سنة أربع و سبعين قيل له: ان بين الحيرة و الكوفة ديورا لهند بنت النعمان و هى فيه و من رأيها و عقلها، فانظر اليها فانها بقيه، فركب و الناس معه حتى اتى الدير. فقيل لها: هذا الامير الحجاج بالباب، فاطلعت من ناحية الدير. فقال لها، يا هند ما اعجب ما رأيت؟ قالت: خروج مثلى الى مثلك فلا تغتر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٤٢

يا حجاج بالدنيا، فانا أصبحنا و نحن كما قال النابغة:

رأيتك من تعقد له جل ذمه من الناس يا من سرحه حيث أربعا

و لم نمس الا- و نحن اذل الناس و قل ما انا امتلا الا انكفا. فانصرف الحجاج مغضبا و بعث اليها من يخرجها من الدير و يستأديها الخراج فاخرجت مع ثلاث جوار من اهلها، فقالت احداهن فى خروجها:

خارجات يسقن من دير هند مذعنات بذله و هو ان

ليت شعرى أ أول الحشر هذا أم محا الدهر غيره الفتيان؟

فشد فتى من أهل الكوفة على فرسه فاستنقذهن من أشرط الحجاج و تغيب فبلغ الحجاج شعرها و فعل الفتى، فقال: ان اتانى فهو آمن و ان ظفر نابه قتلناه، فأتاه الفتى. فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال! الغيرة. فوصله و خلاه و كان سعد بن ابى وقاص حين فتح العراق اتى هند الى ديرها، فخرجت اليه، فاکرمها و عرض عليها نفسه فى حوائجها، فقالت: سأحييك بتحية كانت املاكتنا تحيا بها ... ثم جاءها المغيرة بن شعبه لما ولاه معاوية الكوفة فاستاذن عليها. فقيل لها: أمير هذه المدرة بالباب. فقالت: قولوا له: من اولاد جبلة بن الأيهم أنت؟ قال: لا. قالت فمن ولد المنذر بن ماء السماء؟ قال: لا.

قالت فمن أنت؟ قال المغيرة بن شعبه الثقفى. قالت فما حاجتك؟ قال:

جتتك خاطبا. قالت: لو جتتنى لجمال او حال لاجبتك و لكن أردت أن تتشرف بى فى محافل العرب فتقول: نكحت بنت النعمان بن المنذر و الافاى خمر فى اجتماع أعور و عمياء؟ فبعث اليها قال: كيف كان امركم؟ قالت:

سأختصر لك الجواب: أمسينا مساء و ليس فى الارض عربى الا و هو يرغب الينا و يرهبنا ثم اصبحنا و ليس احد الا و نحن نرغب اليه و نرهبه. قال: فما كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٤٣

ابوك يقول فى ثقيف. قالت اختصم اليه رجلا من منهم فى شىء أحدهما ينتمى الى اباد و الآخر الى بكر بن هوازن فقضى به للايادى و قال:

ان ثقيفا لم تكن هوازناو لم تناسب عامرا و مازنا

فقال المغيرة: أما نحن فمن يكر بن هوازن فليقل ابوك ما شاء.»

و قال ياقوت؛ «بالحيرة يقارب خطه بنى عبد الله بن دارم بالكوفة مما يلي الخندق في موضع نزه و هو دير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحرقة. قال هشام الكلبي: كان كسرى قد غضب على النعمان بن المنذر فحبسه فاعطت بنته هند عهدا لله ان رده الله الى ملكه ان تبني ديرا تسكنه حتى تموت فخلى كسرى عن أبيها النعمان فبنت الدير و أقامت به الى أن ماتت و دفنت فيه، و هى التى دخل عليها خالد بن الوليد لما فتح الحيرة، فسلمت عليه، فقال لها لما عرفها: اسلمى حتى ازوجك رجلا شريفا مسلما. فقالت: أما الدين فلا رغبة لى فى غير دين ابائى، و أما التزويج فلو كانت فى بقية لما رغبت فيه فكيف و انا عجوز هرمة اترقب المنية بين اليوم و الغد. فقال: سلينى حاجة، فقالت:

هؤلاء النصارى الذين فى ذمتكم تحفظونهم. قال: هذا فرض علينا اوصانا به نبينا محمد- ص- قالت: مالى حاجة غير هذا فانى ساكنة فى هذا الدير الذى بنيته ملاصقا لهذه الاعظم البالية من اهلى حتى الحق بهم. فامر لها بمعونته و مال و كسوة. قالت: أنا فى غنى عنه، لى عبدان يزرعان مزرعة لى اتقوت بما يخرج منها و يمسك الرمح و قد اعتددت بقولك فعلا و بعرضك نقدا. فقال لها: اخبرينى بشىء ادركت. قالت ما طلعت الشمس بين الخورنق و السدير الا على ما هو تحت حكمنا، فما امسى المساء حتى صرنا خولا لغيرنا. ثم أنشأت تقول:

فيينا نسوس الناس و الامر امرنا اذا نحن فيهم سوقه نتنصف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٤٤ فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا و تصرف

تم قالت: اسمع منى دعاء كنا ندعو به لاملا كنا (شكرتك يد افتقرت بعد غنى و لا- ملكتك يد استغنت بعد فقر، و اصاب الله بمعروفك مواضعه و لا ازال عن كريم نعمة الا جعلك سببا لردها اليه، و لا جعل لك الى لثيم حاجة).

فتركها و خرج، فجاء النصارى و قالوا: ما صنع بك الأمير؟ فقالت:

صان لى ذمتى و اكرم وجهى انما يكرم الكريم الكريم

و قد اكثر الشعراء من ذكر هذا الدير فقال الامير معن بن زائدة الشيبانى و كان منزله قريبا منه:

الا ليت شعرى هل ابين ليلة لى دير هند و الحبيب قريب

فنقضى لبانات و نلقى أحبه و يورق غصن للسور رطيب

و هند هذه صاحبة القصة مع المغيرة بن شعبه». قال ابن فضل الله العمري:

«دير هند و هى بنت النعمان بن المنذر، بناه ابوها له لتعبد فيه فلما فرغ خرجت من قصر ابيها تريده فأقامت فى الطريق سنة تضرب المضارب فى نزه و صيد و المسافة بين قصر أبيها و بينه نحو الفرسخ، و شق لها بشر بن مروان نهرا من الفرات و لم يزل النهر يجرى حتى خرب الدير، و حكى ان النعمان كان يصلى و يتقرب فيه و أنه علق فى هيكله خمسمائة قنديل من ذهب و فضة، و كانت أدهانها فى أعياده من زنبق و بان و ما شاكلهما من الادهان، و يوقد فيه من العود الهندى و العنبر شيئا بجل عن الوصف. و فيما حكى الكلبي ان النعمان دخله فى بعض اعياده فرأى امرأة تأخذ قربانا أخذت بقلبه، فدعا الراهب الذى قربها و سأله عنها، فقال: هى امرأة حكم بن عمرو اللخمى، فلما انصرف النعمان دعا عدى بن زيد كاتبه و أوقفه على الخبر و قال له: كيف الحيلة؟ فقال له:

إذا كان بكرة غد و حضر الناس الباب فابدأه فى الاذن و أحلسه معك على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٤٥

سريرك. ففعل النعمان ذلك و أذن للناس بعده. فجعلوا يتعجبون و انصرفوا.

فقال النعمان لعدى بن زيد: قد فعلت ما أشرت به فمه؟ قال: اذا أصبحت فاكسه و احمله ففعل ثم قال اجعل حوائج العرب اليه. ففعل

ثم قال النعمان لعدي بن زيد: قد طال هذا. قال: اذا اصبحت فان عندك عشر نسوة فطلق أبغضهن اليك، ثم قل له: قد طابت نفسى لك بما لم تطب به لولد ولا أخ. وقد طلقت لك فلانة فتزوجها. ففعل ذلك و خرج و هو لابس من حلال النعمان ولديه ما حملة عليه. فجلس و حكم بين العرب و عدى بن زيد بالباب جالس: فقال له اللخمي: ما أدري ما اكافىء به الملك فعل معي و فعل؟ فقال عدى: ما أقدرك على مكافأته. قال: و ما هو؟ قال: طلق امرأتك كما طلق لك امرأته قال: قد فعلت. فانفذها الى النعمان و فى ذلك يقول:

علقتها حره حوراء ناعمة كأنها البدر فى داج من الظلم

ما فى البرية من أنثى تعادلها إلا التى أخذ النعمان من حكم

رقد ذكره ابو الفرج و قال: هند بنت النعمان صاحبة هذا الدير هى الحرقة و هى التى دخلت على خالد بن الوليد». و ذكر مختصر الخبر ثم قال: «و هذا الدير يقارب دير بنى عبد الله بن دارم بالكوفة مما يلى الخندق». و ذكر بعد ذلك ما ذكره الشاشتى فى كتابه الديارات.

١٠- دير هند الكبرى، قال ياقوت: «و هو ايضا بالحيرة، بنته هند أم عمرو بن هند و هى هند بنت الحارث ابن عمرو بن حجر آكل المرار الكندى و كان فى صدره مكتوبا: بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك و أم الملك عمرو بن المنذر، أمة المسيح و أم عبده و بنت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٤٦

عبيده و فى ملك ملك الاملاك خسرو أنوشروان فى زمن مار افريم الاسقف، فالاله الذى بنت له هذا الدير يغفر خطيئتها و يترحم عليها و على ولدها و يقبل بها و بقومها الى أمانة الحق و يكون الله معها و مع ولدها الدهر الداهر. حدث عبد الله بن مالك الخزاعى قال «دخلت مع يحيى بن خالد لما خرجنا مع الرشيد الى الحيرة و قد قصدناها لنتنزه بها و نرى آثار المنذر، فدخل دير هند الأصغر فرأى آثار قبر النعمان و قبرها الى جنبه ثم خرج الى دير هند الكبرى و هو على طرف النجف، فرأى فى جانب حائطه شيئا مكتوبا فدعا بسلم و أمره بقراءته و كان فيه مكتوبا :

ان بنى المنذر عام انقضوا بحيث شاد البيعة الراهب

تنفح بالمسك ذفاريهم و عنبر يقطبه القاطب

و القز و الكتان أنوابهم لم يجب الصوف لهم جائب

و العز و الملك لهم راهن و قهوة ناجورها ساكب

أضحوا و ما يرجوهم طالب خيرا و لا يرهيبهم راهب

كأنهم كانوا به لعبة سار الى اين بها الراكب؟

فاصبحوا فى طبقات الثرى بعد نعيم لهم راتب

شر البقايا من بقى بعدهم قل و ذل جده خائب

قال: فبكى حتى جرت دموعه على لحيته و قال: نعم هذه سبيل الدنيا».

١١- دير اللج قال ياقوت: «هو بالحيرة بناه النعمان بن المنذر أبو قابوس فى ايام مملكته و لم يكن فى ديارات الحيرة احسن بناء منه و لا أنزه موضعا و فيه قيل:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٤٧ سقى الله دير اللج غيثا فانه على بعده منى الى حبيب

قريب الى قلبى بعيد محله و كم من بعيد الدار و هو قريب

يهيج ذكراه غزال يحله أغن سحور المقلتين ربيب

إذا رجّع الانجيل و اهتر مائداتذكر محزون و حنّ غريب
و هاج لقلبي عند ترجيع صوت- ته بلابل اسقام به و وجيب
و فيه يقول إسماعيل بن عمار الأسدي:

ما أنس سعدة و الزرقاء يومها باللج شرقية فوق الدكاكين
و ذكره جرير فقال- نقلته من خط ابن أخي الشافعي و قال هو بظاهر الحيرة-
يا رب عائدة بالغور لو شهدت عزّت عليها بدير اللج شكوانا
إن العيون التي في طرفها مرض قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به و هن أضعف خلق الله أركاننا
يا رب غابطنا لو كان يطلبكم لاقى مباعده منكم و حرمانا»

و قال ابن فضل الله العمري: «دير اللج هو بالحيرة مما بناه النعمان بن المنذر و هو من أنزه دياراتها و أحسنها بناء، لما يطيف به من
البساتين، و كان النعمان يأتيه يتعبد فيه و يستشفى به في مرضه و فيه قيل:

يا ليلتي أطيب بها ليلة لو لم يكن قصّرها الطيب
بتنا (بدير اللج) في حانة شرايها في الكأس مكبوب
يديرها ظبي هضيم الحشايجبه الشبان و الشيب
حتى إذا ما الخمر مالت بناجرت أمور و أعاجيب
فما ترى ظنك في شادن بات إلى جانبه ذيب
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٤٨

و قد ذكره أبو الفرج فقال: كان النعمان يركب كل أحد إليه و في كل عيد معه أهل بيته خاصة من آل المنذر و من ينادمه من أهل
دينه عليه جلال الديباج المذهبة و على رؤوسهم أكاليل الذهب و في أوساطهم الزنانير المحلاة بالذهب المفصّصة بالجواهر و بين
أيديهم أعلام فوقها صلبان الذهب فاذا قضوا صلاتهم انصرف إلى مستشرفه على النجب فيشرب بقيه يومه إلى أن يمسي، و خلع و
وصل و حمل، و كان ذلك أحسن منظر و أشرفه و أنشد فيه قول الشاعر: سقى الله دير اللج خيرا فانه ...» و ذكر بيتين مما ذكره
ياقوت من الشعر فيه

١٢- دير بنى علقمة أو دير علقمة، قال ياقوت: «دير علقمة بالحيرة، منسوب إلى علقمة بن عدى بن الرميك ابن ثوب بن أسس بن
ربي بن نمارة بن لخم، و فيه يقول عدى بن زيد العبادي:

نادمت في الدير بنى علقما عطيتهم مشموله عندما
كأن ريح المسك من كأسها إذا مزجناها بماء السما
علقم ما بالك لم تأتنا أما اشتهيت اليوم أن تنعما
من سرّه العيش و لذاته فليجعل الراح له سلّما»

و ذكره ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار بأخصر مما ذكره ياقوت.

١٣- دير حنظلة، قال ياقوت: «دير حنظلة آخر و هو بالحيرة منسوب إلى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك بن ربي بن نمارة
بن لخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أد، و فيه يقول الشاعر:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٤٩ بساحة الحيرة دير حنظلة عليه أذيال السرور مسبله
أحييت فيه ليلة مقبله و كأسنا بين الندامى معمله

و الراح فيها مثل نار مشعله و كلنا منتقد ما خوِّله

فما يزال عاصيا من عدله مبادرا قبل تلاقى أجله!

و ذكره ابن فضل الله العمري قال: «دير حنظلة هو بالحيرة على نحو فرسخ منها إلى المشرق و موضعه حسن لما فيه من جنينات رهبانه و أشجارهم و ما يلبسه الربيع من الرياض، و أنشد الخالدي فيه لغيره شعرا منه.

طرقتك سعدى بين شطى بارق نفسى الفداء لطيفها من طارق

يا دير حنظلة المهيج فى الهوى هل تستطيع صلاح قلب العاشق

و قد ذكره أبو الفرج الأصفهاني و أنشد لبعض الشعراء فيه رجزا منه:

بساحة الحيرة دير حنظلة « و ذكر بيتين من الأبيات التى ذكرها ياقوت.

١٤- ديارات الأساقف، قال الشاشتى: «هذه الديارات بالنجف بظاهر الكوفة و هو أول الحيرة و هو اما قباب او قصور تسمى ديارات الأساقف و بحفرتها نهر يعرف بالغدير، عن يمينه قصر ابى الخصيب مولى أبى جعفر و عن شماله السدير و بين ذلك الديارات. و قصر أبى الخصيب هذا أحد متزهات الدنيا و هو مشرف على النجف و على ذلك الظهر، و يصعد من أسفله على درجة طولها خمسون مرقاة إلى سطح حسن و مجلس فيشرف الناظر على النجف و الحيرة من ذلك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٥٠

الموضع ثم يصعد منه على درجة أخرى طولها خمسون مرقاة الى سطح فسيح و مجلس عجيب. و أبو الخصيب هذا مولى أبى جعفر المنصور و حاجبه. و السدير قصر عظيم من أبنية ملوك لخم فى قديم الزمان و ما بقى الآن منه فهو ديارات و بيع للنصارى، و لعلى بن محمد الحمانى العلوى يذكر هذه المواضع .

كم وقفه لك بالخورتولا توازى بالمواقف!؟

بين الغدير الى السدير إلى ديارات الأساقف

فمدارج الرهبان فى أطمار خائفة و خائف

دمن كان رياضهايكسين أعلام المطارف

و كأنما غدرا نها فيها عشور فى مصاحف

و كأنما أنوارها تهتز بالريح العواصف

طرر الوصائف يلتقين [بها] إلى طرر الوصائف

تلقى أوائلها أو اخرها بألوان الزخارف

بحرية شتواتها بيرية فيها المصايف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٥١ وردية الحصباء كافورية فيها المشارف

ثم انبرت سحا (كباكية) بأربعة ذوارف «

باتت سواريتها تمخض فى رواعدها القواصف

فكأن لمع بروقها فى الجو أسياف المثاقف

فكأنما أنوارها تهترى الدرر العواصف طرر الوصائف يلتقين

بها إلى طرر الوصائف دافعتها عن دجنها

بالغلب و البيض الغطارف يعبق يوم البأس شرا

بين فى يوم المعارف سمح بحر المال وقا

فون في يوم المتالف وها لأيام الشباب
و ما لبسن من الزخارف و زوالهنّ بما عرفت
من المناكر و المعارف أيام ذكرك في دوا
وين الصبا صدر الصحائف وها لأيامي و أيام
النقيات المراشف و الغارسات البان قص
بانا على كذب الروادف و الجاعلات البدر ما

بين الحواجب و السوالف موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٥٢ أيام يظهرن الخلاف بغير نيات المخالف
وقف النعيم على الصباو زللت عن تلك المواقف

١٥- قبة الشنيق، قال الشابشتي: و هي من الأبنية القديمة بالحيرة، على طريق الحاج و بازائها قباب يقال لها السكورة، جميعها
للنصارى، فيخرجون يوم عيدهم من السكورة الى القبة في أحسن زى عليهم الصلبان، بأيديهم المجامر و الشمامسة و القسان معهم
يقدمون (على نغم واحد متفق من الألحان) و يتبعهم خلق كثير من متطربي المسلمين و أهل البطالة الى أن يبلغوا قبة الشنيق فيتقربون
و يتعمدون ثم يعودون بمثل تلك الحال فهو منظر مليح، و لبعض الشعراء فيه:

و النصارى مشددين الزنانير عليهم كل حلبي وثيق
يتمشين من قباب الشعانين الى صحن قبة الشنيق
يا خليلي فلا تعنفني يوم ترى اللهو فيه بالتحقيق
و لبكر بن خارجه:

يا خليلي عرجا بي الى الحيرة كم كم تراقبان النجوم؟! موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٥٣ و اسقياني من بيت ييجوم راحا قهوة لا
تماكسا ييجوما

حانة حشوها طباء ملاح هيجوا بالدلال قلبا سقيما
و إذا ما سقيتmani شرا باخندريسا معتقا مختوما
فاقصدوا قبة الشنيق و ظيباسكن الدير قد سباني رخيما
عقد زناره توصل بالقلب و أمسى بين الحشا مخزوما «

و قال ابن فضل الله العمري: «قبة الشنيق و هي من الأبنية القديمة بالحيرة على طريق الحاج و بازائها قباب يقال لها السكورة جميعها
للنصارى و عيد الشعانين بها نزه يخرج فيه النصارى من السكورة الى القبة في أحسن زى، عليهم الصلبان و بأيديهم...» و ذكر ما يشبه
قول الشابشتي ما عدا الشعر فلم يذكر منه شيئا. و قد قدمنا ذكر هذه القبة في الكلام على دير الحريق و دير ابن مزعوق.

١٦- دير عبد المسيح، قال ياقوت في معجم البلدان: «دير عبد المسيح بن عمرو بن ببيعة الغساني، و سمي ببيعة لأنه خرج على قومه في
حلتين خضراوين فقالوا: ما هذا الابقية، و كان أحد المعمرين، يقال إنه عمر ثلاثمائة و خمسين سنة (كذا) و هذا الدير بظاهر الحيرة
بموضع يقال له الجزعة، و عبد المسيح هو الذي لقي خالد بن الوليد- رضى الله عنه- لما غزا الحيرة و قاتل الفرس فرموه من
حصونهم الثلاثة: حصون آل ببيعة، بالخزف المدور، و كان يخرج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٥٤

قدام الخيل ففتر منه، فقال له ضرار بن الأزور: هذا من كيدهم، فبعث خالد رجلا يستدعي رجلا منهم عاقلا، فجاءه عبد المسيح بن
عمرو و جرى له معه ما هو مذكور مشهور. قال: و بقي عبد المسيح في ذلك الدير بعد ما صالح المسلمين على مائة ألف حتى مات و
خرب الدير مدة فظهر فيه أزج معقود من حجارة، فظنوه كثرنا ففتحوه فاذا فيه سرير رخام عليه رجل ميت و عند رأسه لوح فيه مكتوب

«أنا عبد المسيح بن عمرو بن بقليلة:

حلبت الدهر أشطره حياتي و نلت من المنى فوق المزيد

فكافحت الأمور و كافحتني فلم أخضع لمعضلة كؤود

و كدت أنال في الشرف الثرياو لكن لا سبيل الى الخلود»

و ذكره ابن فضل الله العمري، قال: دير عبد المسيح و هو بالحيرة بناه عبد المسيح بن عمرو بن بقليلة، و يقال إنه عمر دهرًا طويلا و

لحق خالد بن الوليد حين فتح الحيرة و له معه خبر طويل، و حكى بعض أهل الكلام قال: قرأت على حائطه مكتوبا.

رأيت الدهر للانسان ضداو لا ينجي من الدهر الخلود

و لا تنجي من الآجال أرض يحل بها و لا قصر مشيد

و حكى آخر قال: قرأت على حائطه أيضا:

هذي منازل أقوام عهدتهم في خفض عيش خصيب ماله خطر

دارت عليهم صروف الدهر فانتقلوا إلى القبور فلا عين و لا بصر

و قد ذكره الأصفهاني في أخبار لا حاجة فيها ... و ذكر عنه ما يشبه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٥٥

الذي في معجم البلدان فدل ذلك على أن ياقوتا نقل كلام أبي الفرج الاصفهاني و لم ينسبه اليه إلا أن ابن فضل الله لم يذكر البيت

الثاني.

١٧- دير العذارى، ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان قال: «و بالحيرة أيضا دير العذارى»، و لم يزد على ذلك.

١٨- حانة عون بالحيرة، قال ابن فضل الله العمري: «حانات الحيرة و هي أربع حانات، حانة عون. و كان عون ظريفا طيب الشراب

نظيف الثياب، و كان فتيان الكوفة يشربون في حانوته و لا يختارون عليه أحدا و شرب عنده ليلة أبو الهندي الشاعر حتى طلع الفجر و

صاحت الديوك على أنه يصبح يوم شك، فليل إنه من رمضان، فقال:

شربت الخمر في رمضان حتى رأيت البدر للشعري شريكا

فقال أخي: الديوك مناديات فقلت له: و ما يدري الديوكا

١٩- حافة دومة، قال ابن فضل الله: «حانة دومة و عن أبي عبيدة قال:

مرّ الأقيسر بخماره في الحيرة يقال لها دومة فنزل عندها و اشترى منها شرابا ثم قال لها: جودي لي الشراب حتى أجود لك المديح

ففعلت فأنشأ يقول:

ألا يا دوم دام لك النعيم و أسمر ملء كفك مستقيم

شديد الأسر ينبض حالباه يحمّ كأنه رجل سقيم

يرويه الشراب فيزدهيه و ينفخ فيه شيطان رجيم

قال: فظنت الخماره أن هذا مدح. فسرت به و زادت في الشراب و قالت:

ما قال أحد في أحسن من هذا».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٥٦

٢٠- حانة جابر، قال ابن الصلصال: كان أبو نواس يأتي الكوفة يزورني و كان يأتي بيت خمار بالحيرة يقال له جابر، لطيف الخلقه

نظيف الآله، يعتق الشراب سنين، فقدم علينا مرة و قد نهاه الأمين عن الشراب، فسأل عنى فقيل:

هو بالحيرة، فوفاني و في يدي شيء من شراب جابر عجيب الحسن و الرائحة، فقال لي: يا أبا جعفر لا يجتمع هذا و الهم في صدر

واحد، و كان شديد العجب بضرب الطنبور، و كان اذا جاءني جمعت له ضراب الطنابير، و كانت الكوفة معدنهم، و كان يسكر في الليلة الواحدة سكرات، فوجهت فجمعت له منهم جماعة و أحضرته شيئا من ذلك الشراب، فقال لي: ألم تعلم ما حدث علي؟ قلت: و ما هو؟ قال: نهاني أمير المؤمنين عن الشراب و توعدني عليه. ثم أنشدني قصيدته التي فيها:

أيها الرائحان باللوم لومالا أذوق المدام إلا شميما
الى أن انتهى الى قوله:

فكأنى و ما أحسن منها قعدى يحسن التحكيما
كل عن حملة السلاح الى الحرب فأوصى المطيق أن لا يقيما
فقلت له: أقم معنا كما حكيت من نقل القعديّة. قال: أفلعل. و صرنا الى حانة جابر، فقلت شعرا ذكرت فيه ما قاله لي و أنشدته إياه و هو قولي:

غبيت عليك محاسن الخمر أم غيرتك نوابب الدهر؟

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٥٧ فصرفت وجهك عن معتقة تفتت عن درر و عن شذر

يسعى بها ذو غنة غنج متكحل اللحظات بالسحر

و نسيت قولك حين تمزجها فتريك مثل كواكب النسر

«لا تحسبن عقار خايبة و الهم يجتمعان في صدر».

فقال: هاتها في كذا و كذا من أم الأمين. و مديده فأخذ القدح و شرب معنا ثم شخص الى الأمين فقال له: أين كنت؟ قال: عند صديقي الكوفي.

و حدثه الحديث. قال: فما صنعت حين أنشدك الشعر؟ قال: شربت و الله يا امير المؤمنين. قال: أحسنت و أجملت، فاشخص حتى تحمل إلى صديقك هذا. فقدم إلى فحملني اليه، فلم أزل معه حتى قتل.»

٢١- حانة شهلاء، و كانت يهودية من أهل الحيرة و حكى أن الأقيشر كان يألفها و كان يشرب في دارها، فجاءه شرطى فدق الباب. فقال: اسقني و أنت آمن. فقال: و الله ما آمنك، و هذا النقب بالباب فأنا أسقيك منه، فوضع له أنبوب قصب في النقب فصب فيه النبيذ من داخل و الشرطى يشرب من خارج فقال الأقيشر:

سأل الشرطى أن نسقيه فسقيناها بأنبوب القصب

إنما لقحتنا خايبة فاذا ما مزجت كان العجب

لبن أصفر صاف طعمه ينزع الباسور من عجب الذنب

إنما نشرب من أموالنا فأسألوا الشرطى ما هذا الغضب

و الذى رواه صاحب الأغاني الأصفهاني فيه خلاف، قال: «شرب الأقيشر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٥٨

في بيت خمار بالحيرة فجاءه الشرط لياخذوه فتحرز منهم و أغلق بابه و قال:

لست أشرب فما سبيلكم علي؟ قالوا: قد رأينا العس في كفك و أنت تشرب.

قال: انما شربت من لبن لقعحة لصاحب الدار، فلم يبرحوا حتى أخذوا منه درهمين، فقال: إنما لقحتنا باطية» ... الأبيات.

أشهر القصور المحيطة بالنجف

و من قصور الحيرة العذيب و الصنبر بناهما امرؤ القيس بن النعمان بقرب الفرات للنزهة و قد ذهب حمزة الاصفهاني الى ان البناء الذي عمر الصنبر هو سنمار و روى قتله على يد الملك امرىء القيس خلافا لما هو مشهور عن قتل سنمار الحورنق. و ذكر البيت الآتي:

ليت شعري متى تخب به الناقة نحو العذيب و الصنبر

و لم يذكر ياقوت هذين القصرين بل قال في مادة عذيب: «هو ماء بين القادسية و المغيثة و قيل: هو واد لبني تميم و هو من منازل حاج الكوفة و قيل هو حد السواد، و كان بين العذيب و القادسية مسلحة للفرس و قد اكثر الشعراء من ذكرها .

٢- القصر الابيض، قال ياقوت: «هو من قصور الحيرة، و في مادة لحيان من معجم البلدان: هو أبيض النعمان. و ذكر قول حاتم الطائي.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٥٩ و مازلت اسعى بين خص و داره و لحيان حتى خفت أن اتصرا

فعلى رواية ياقوت يكون القصر الابيض و ابيض النعمان و لحيان قصرا واحدا بعينه، و جاء فى رواية مؤلف كتاب الأغاني ان صاحب القصر الابيض هو جابر بن شمعون أسقف الحيرة احد بنى اوس بن قلام و قد اتاه الملك النعمان مع عدى بن زيد و طلب منه مالا يستعين به على امره عند كسرى فاضافهما ثلاثة ايام و أعطى النعمان ثمانين الف درهم. فقال النعمان للاسقف.
لا جرم لا جرى لى درهم الا على يدك ان ملكت .

٣- قصر الغرس، قال عنه ياقوت هو أحد قصور الحيرة الاربعة و لم يزد على ذلك.

٤- قصر الزوراء أو الزوراء. دار بناها النعمان بن المنذر بالحيرة، و نسب بعضهم بناءها الى المنذر الثالث ابن امرىء قيس الثالث و فيها يقول النابغة الذبياني.

و أنت ربيع ينعش الناس سيبه و سيف اعيرته المنية قاطع

و تسقى إذا ما شئت غير مصدر بزوراء فى اكنافها المسك كارع

و قال بعضهم إن ابا جعفر المنصور هدم الزوراء.

٥ قصر العدسين: كان بالكوفة- قبل تأسيسها- فى طرف الحيرة و هو لبني عماد بن عبد المسيح بن قيس الكلبي و قد سمو العدسين نسبة الى أمهم عدسة بنت مالك بن عامر بن عرف الكلبي، و هذا القصر أول ما فتح المسلمون لما غزوا العراق. على ما قاله بن الكلبي فى جمهرة النسب.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٦٠

٦- قصر ابن مازن و قصر الطين و قصر بنى بقليلة و ذكر ان عبد المسيح بن بقليلة لما بنى قصره بالحيرة قال:

لقد بنيت للحدثان قصر الوان المرء تنفعه الحصون

طويل الرأس أقعس مشمخرا لانواع الرياح به انين

٧- قصر مقاتل او قصر بنى مقاتل، كان من قصور تلك النواحي، و فيه يقول ابن طخماء الاسدي:

كان لم يكن بالقصر قصر مقاتل و زورة ظل ناعم و صديق

و إني و ان كانوا نصارى احبهم و يشثاق قلبى نحوهم و يتوق

٨- القصور الحمر: المع إليها أبو الفرج الاصفهاني فى كتابه الاغانى، قال:

أتى أبو زيد الطائي الى الوليد بن عقبه فى سنة مجده فاعطاه ما بين القصور الحمر من الشام الى القصور الحمر من الحيرة و جعله له حمى» .

٩- دومة الحيرة، كان فيها حصن و هو حصن الاكيدر السكونى الكندى صاحب دومة الجندل القريبة من المدينة، أجلاه عمر الخطاب- رض- من دومة فيمن أجلاه من غير المسلمين الى الحيرة فنزل فى موضع منها قرب عين التمر و بنى به منازل سماها (دومة) و قيل دوما باسم حصنه بوادى القرى و عرفت بدومة الحيرة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٦١

النجف في الشعر العربي القديم

قال القعقاع بن عمر في ذكر حرب العرب أيام الحيرة بقيادة خالد بن الوليد وغير ذلك من الحروب :

سقى الله قتلى بالفرات مقيمته وأخرى باثجاج النجاف الكوائف

فنحن وطئنا بالكواظم هرمزاو بالثنى قرنى قارن بالجوارف

و يوم احطنا بالقصور تتابعت على الحيرة الروحاء احدى المصارف

حططناهم منها وقد كاد عرشهم يميل بهم فعل الجبان المخالف

رмина عليهم بالقبول وقد رأواغبوق المنايا حول تلك المخارف

صبيحة قالوا نحن قوم تنزلواالى الريف من ارض العذيب المضائف

ف قوله «النجاف» يريد به جمع النجفة و هي ارض النجف بعينها، وقد ذكرنا أبيات حنين الحيرى المغنى التى، قالها يصف الحيرة و

منزله بها و بعض حاناتها و لعلها حانة شهلاء اليهودية و كان هو نصرانيا، و يذكر النجف و يعتبره منزلا له لطيب هوائه و فضل روائه، و

وفارة غذائه و غزارة مائه.

و ذكر أبو الفرج الاصفهاني بروايته و سنده عن حماد بن اسحاق بن ابراهيم الموصلى عن ابيه اسحاق قال: ما وصلنى احد من الخلفاء

قط بمثل ما وصلنى به الواثق و لقد انحدرت معه الى (النجف) فقلت له: يا امير المؤمنين قد قلت فى النجف قصيدة. فقال: هاتها.

فأنشدته:

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف نحى دارا لسعدى ثم ننصرف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٦٢

حتى اتيت على قولى:

لم ينزل الناس فى سهل و لا جبل أصفى هواء و لا أعذى من (النجف)

حفت بير و بحر من جوانبها فالبر فى طرف و البحر فى طرف

و ما يزال نسيم من يمانية أتيك منها برىا روضة أنف

فقال: صدقت يا اسحاق هي كذلك ثم انشدته حتى اتيت على قولى فى مدحه:

لا يحسب الجود يفنى ما له أبداو لا يرى بذل ما يحوى من السرف

و مضيت حتى اتممتها، فطرب و قال أحسنت و الله يا أبا محمد و كنانى يومئذ، و أمر لى بمائة الف درهم و انحدر الى الصالحية و

ذكر ياقوت القصيدة التى نقل منها، و هي:

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف نحى دارا لسعدى ثم ننصرف

و ابك المعاهد من سعدى و جارتها ففى البكاء شفاء الهائم الدنف

أشكو الى الله يا سعدى هوى كبد حرى عليك متى ما تذكرى تجف

أهيم و جدا بسعدى و هي تصرمنى هذا لعمر ك شكل غير مؤتلف

دع عنك سعدى فسعدى عنك نازحه و اكفف هواك وعد القول فى لطف

ما إن رأى الناس فى سهل و لا جبل أصفى هواء و لا اعذى من النجف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٦٣ كأن ثرته مسك يفوح به أو عنبر دافه العطار فى صدف

حفت ببر و بحر من جوانبها فالبر في طرف و البحر في طرف
و بين ذاك بساتين تسيح بهانهر يجيش مجارى سيله القصف
و ما يزال نسيم من أيامنا يأتيك منه بر يا روضة أنف
تلقاك منه قبيل الصبح رائحة تشفى السقيم إذا أشفى على التلف
لوحله مدنفا يرجو الشفاء به إذا شفاه من الاسقام و الدنف
يؤتى الخليفة منه كلما طلعت شمس النهار بانواع من التحف
و الصيد منه قريب ان همت به يأتيك مؤتلفا في زى مختلف
فيا له منزلا طابت مساكنه بخير من حاز بيت العز و الشرف
خليفة و اتق بالله همته تقوى الاله بحق الله معترف
و قد قدمنا نقل أبيات بعض أهل الكوفة التي مطلعها:
و بالنجف الحارى إن زرت أهله مها مهملات ما عليهن سائس
و قال على بن محمد العلوى الحمائى الكوفى و قد ذكرنا شعره فى أسفه على أيام ديارات الأساقف آنفا، و هذه الابيات مما ذكره
ياقوت الحموى:

فيا أسفى على (النجف) المعرى و أودية منورة الاقاحى
و ما بسط الخورتق من رياض مفجرة بافنية فساح
و وا أسفا على القناص تغدو خرائطها على مجرى الوشاح
و مما حبره أبو دلامة من الشعر للعباس بن محمد عم المنصور و أنشده إياه:
قف بالديار و اى الدهر لم تقف على المنازل بين الظهر و (النجف)
و ما وفوفك فى اطلال منزلة لولا الذى استدرجت من قلبك الكلف
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٦٤ إن كنت أصبحت مشغوبا بساكنها فلا و ربك لا تشفيك من شغف
دع ذا و قل فى الذى قد فاز من مضر بالمكرات و عز غير مقترف
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٦٥

**النجف فى المراجع العربية* كته الدكتور حسين على محفوظ دكتوراه الدولة من جامعة طهران و المفتش الاختصاصى بوزارة التربية سابقا و
الاستاذ فى كلية الاداب بجامعة بغداد اليوم**

إشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٦٧

النجف فى الحديث

* فى اخبار ابراهيم الخليل - عليه السلام - خرج من بابل على حمار له - و معه ابن اخيه لوط - يسوق غنما، و يحمل دلوا على عاتقه.
حتى نزل «بانتيا» - و كان طولها اثنى عشر فرسخا - و كانوا يزلزلون فى كل ليلة. فلما بات ابراهيم عندهم لم يزلزلوا. فقال لهم شيخ -
بات عنده ابراهيم عليه السلام - و الله، ما دفع عنكم الا بشيخ بات عندى. فإنى رأيتك كثير الصلاة. فجاؤوه و عرضوا عليه المقام عندهم،

و بذلوا له البذول، فقال: إنما خرجت مهاجرا الى ربي، و خرج حتى أتى (النجف). فلما رآها، رجع ادراجه - أي من حيث مضى - فتباشروا و ظنوا أنه رغب فيما بذلوا له، فقال لهم: لمن تلك الأرض - يعني (النجف)؟ قالوا: هي لنا، قال: فتبيعونها؟ قالوا: هي لك - فوالله ما تنبت شيئا. فقال: لا أحبها إلا شراء. فدفعت إليهم غنيمات كن معه بها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٦٨

فقال: أكره أن آخذها بغير ثمن. فصنعوا ما صنع اهل بيت المقدس بصاحبهم، و هبوا له أرضهم. فلما نزلت بها البركة رجعوا عليه. و ذكر ابراهيم - عليه السلام - انه يحشر من ولده من ذلك الموضع سبعون ألف شهيد .

* رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال لعلي - عليه السلام: ... ثم أرض كوفان فشرفها بقبرك يا علي. فقال: يا رسول الله، أقبر بكوفان العراق؟ فقال: نعم - يا علي تقبر بظاهرها قتلا بين الغريين و الذكوات البيض .

* اشترى أمير المؤمنين علي - عليه السلام - ما بين الخورنق و إلى الحيرة إلى الكوفة من الدهاقين بأربعين ألف درهم، و أشهد علي شرائه .. فقبل له:

يا أمير المؤمنين تشتري هذا بهذا المال و ليس تنبض خمطا؟ فقال: سمعت من رسول الله - صلى الله عليه و سلم - يقول: كوفان يرد أولها علي آخرها. يحشر من ظهرها سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب و اشتهدت أن يحشروا في ملكي .

* إن أمير المؤمنين - عليه السلام - لما حضرته وفاته، قال للحسن و الحسين - عليهما السلام - إذا أنا مت فاحملاني علي سرير، ثم أخرجاني. و احملا مؤخر السرير فانكما تكفيان مقدمه. ثم أتيا بي الغريين فانكما ستران صحرة*

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٦٩

بيضاء، فاحترفوا فيها. فانكما تجدان فيها شيئا فادفناني فيه ..

* أمير المؤمنين: إذا مت فادفوني في هذا الظهر، في قبر أخوي هود و صالح .

* أمير المؤمنين: وادى السلام؛ و انها البقعة من جنة عدن .

* عن حبة العربي، قال: خرجت مع أمير المؤمنين إلى الظهر، فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب الأقسام. فقامت بقيامه حتى أعيتت، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أولا، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت و جمعت ردائي، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنني قد أشفقت عليك من طول القيام، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه. فقال: يا حبة؛ إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته قال: قلت يا أمير المؤمنين، و انهم لكذلك؟ قال: نعم؛ لو كشف لك لرأيتهم حلقا حلقا محتبين، يتحدثون. فقلت: أجسام، أم أرواح؟ فقال: أرواح ..

* أمير المؤمنين: في صفة القائم؛ كأنني به قد عبر من وادي السلام إلى مسجد السهلة، علي فرس محجل له شمراخ يزهو، و يدعو .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٧٠

الأصبغ بن نباتة؛ قال: خرج أمير المؤمنين إلى ظهر الكوفة، فلحقناه؛ فقال: سلوني قبل أن تفقدوني؛ فقد ملئت الجوانح مني علما؛ كنت اذا سألت أعطيت، و اذا أسكت أبديت ثم مسح بيده علي بطنه، و قال: أعلاه علم، و أسفله ثقل. ثم مرّ حتى أتى الغريين، فلحقناه - و هو مستقلق على الأرض بجسده، ليس تحته ثوب - فقال له قنبر: يا أمير المؤمنين ألا ابسط تحتك ثوبي؟ قال: لا. هل هي الأتربة مؤمن، و من أحتمته في مجلسه، فقال الأصبغ: تربة المؤمن قد عرفناها كانت أو تكون. فما من أحتمته بمجلسه؟

فقال: يا ابن نباتة؛ لو كشف لكم لأفئتم أرواح المؤمنين في هذه حلقا حلقا؛ يتراورون، و يتحدثون. ان في هذا الظهر روح كل مؤمن . * اشترى أمير المؤمنين ما بين الخورنق إلى الحيرة إلى الكوفة. و في حديث ما بين النجف إلى الحيرة إلى الكوفة من الدهاقين بأربعين ألف درهم .

* قال أمير المؤمنين - صلوات الله عليه: أول بقعة عبد الله عليها؛ ظهر الكوفة. لما أمر الله الملائكة ان يسجدوا لآدم، سجدوا علي ظهر

الكوفة .

* روى ان أمير المؤمنين نظر الى ظهر الكوفة؛ فقال: ما أحسن منظرك و أطيب قعرك، اللهم اجعل قبرى بها .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٧١

عن أحمد بن جابر؛ قال: نظر أمير المؤمنين الى ظهر الكوفة، فقال:

ما أحسن ظهرك، و أطيب قعرك، اللهم اجعل قبرى بها .

* ان أمير المؤمنين - عليه السلام - أمر ابنه الحسن أن يحفر له أربعة قبور، في أربعة مواضع؛ في المسجد، و في الرحبة، و في الغرى، و في دار جعدة بن هبيرة. و انما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره .

* عن أبي مطر؛ قال: لما ضرب ابن ملجم الفاسق - لعنه الله - أمير المؤمنين عليه السلام - قال له الحسن: أقتله؟ قال: لا، و لكن احبسه، فاذا مت فاقتلوه. فاذا مت فادفوني في هذا الظهر، في قبر أخوى هود و صالح .

* عن الحسين الخلال عن جده، قال: قلنا للحسن بن على - عليهما السلام:

أين دفنتم أمير المؤمنين - صلوات الله عليه؟ فقال خرجنا به ليلا، حتى مررنا على مسجد الأشعث، حتى خرجنا الى ظهر ناحية الغرى .

* عن حسين الخلال عن جده، قال: قلت للحسن بن على - عليهما السلام:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٧٢

أين دفنتم أمير المؤمنين - عليه السلام؟ قال: خرجنا ليلا، حتى مررنا به على مسجد الأشعث، حتى خرجنا الى الظهر بجانب الغرى .

* عن الحسين بن الخلال عن جده، قال: قلت للحسين بن على - صلوات الله عليهما - أين دفنتم أمير المؤمنين - عليه السلام -؟ قال: خرجنا به ليلا، حتى مررنا به على مسجد الأشعث، حتى خرجنا الى ظهر ناحية الغرى .

* ان زين العابدين - عليه السلام - ورد الى الكوفة، و دخل مسجدها - و به ابو حمزة الثمالي، و كان من زهاد أهل الكوفة و مشايخها - فصلى ركعتين.

قال ابو حمزة: فما سمعت أطيب من لهجته. فدنوت منه لأسمع ما يقول.

فسمعته يقول: إلهي؛ ان كان قد عصيتك، فاني قد أطعتك في أحب الأشياء اليك؛ الاقرار بوحدايتك، منّا منك على، لا منّا مني عليك ... ثم نهض.

قال أبو حمزة: فنتبعته الى مناخ الكوفة، فوجدت عبدا أسود - معه نجيب و ناقه - فقلت: يا أسود من الرجل؟ فقال: أو تخفى عليك شمائله. هو على بن الحسين. قال أبو حمزة: فأكبت على قدميه أقبلهما فرفع رأسى بيده.

و قال: لا يا أبا حمزة. انما يكون السجود لله - عز و جل -

قلت: يا ابن رسول الله ما أقدمك الينا؟ قال: ما رأيت. و لو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه، و لو حبوا. هل لك أن تزور معى قبر جدى على بن أبى طالب - عليه السلام؟ قلت: أجل فسرت فى ظل ناقته يحدثنى حتى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٧٣

أتينا الغريين. و هى بقعة بيضاء تلمع نورا. فنزل عن ناقته، و مرغ خديه عليها، و قال: يا أبا حمزة هذا قبر جدى على بن أبى طالب - عليه السلام - .

* قال أبو جعفر (الباقر) عليه السلام: مضى أبى على بن الحسين - عليه السلام - الى قبر أمير المؤمنين - عليه السلام - بالمجاز. و هو من ناحية الكوفة، فوقف عليه ثم بكى، و قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا أمين الله فى أرضه، و حجته على عباده .

* قال محمد بن على (الباقر) .. خرج (على بن الحسين) سلام الله عليه - متوجها الى العراق لزيارة أمير المؤمنين - و أنا معه - و ليس معنا ذو روح الا الناقتين. فلما انتهى الى النجف؛ من بلاد الكوفة، و صار الى مكان منه.

فبكى حتى اخضلت لحيته بدموعه .

* عن الثمالي، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام في حديث حدث به؛ انه كان في وصية أمير المؤمنين - عليه السلام - ان أخرجوني الى الظهر، فاذا تصوبت أقدامكم، فاستقبلتكم ريح، فادفوني، و هو أول طور سينا ففعلوا ذلك .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٧٤

عن جابر بن يزيد، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر - عليه السلام - أين دفن أمير المؤمنين؟ قال: دفن بناحية الغريين .

* عن أبي جعفر محمد بن علي: قبره بالغري؛ و هو علي بن ابي طالب ..

* عبد الله بن عبيد بن زيد؛ قال: رأيت جعفر بن محمد، و عبد الله بن الحسن - بالغري - عند قبر أمير المؤمنين - عليه السلام - فاذن عبد الله و أقام الصلاة و صلى مع جعفر بن محمد، و سمعت جعفر يقول هذا قبر أمير المؤمنين .

* قال الباقر عليه السلام، دفن أمير المؤمنين - عليه السلام - بناحية الغريين .

* عن صفوان بن مهران، عن جعفر بن محمد - صلوات الله عليه - قال:

سار و أنا معه من القادسية، حتى أشرف على النجف، فقال: هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح. فقال: «سأوى الى جبل يعصمني من الماء» .. ثم قال أعدل بنا، فعدلت. فلم يزل سائرا حتى أتى الغري، فوقف على القبر، فساق السلام من آدم على بنى نبي عليه السلام و أنا أسوق معه حتى وصل السلام الى النبي ثم خر على القبر فسلم عليه، و علا نحيبه .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٧٥

عن الاسكاف، عن أبي جعفر [الباقر] قال، قال أمير المؤمنين - عليه السلام - في قول الله - عز و جل: «وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَ مَعِينٍ» قال: الربوة؛ الكوفة. و القرار؛ المسجد. و المعين؛ الفرات.

* روى صفوان بن مهران الجمال؛ عن الصادق جعفر بن محمد - عليهما السلام - قال: سار - و أنا معه - في القادسية، حتى أشرف على النجف؛ فقال:

هذا هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح - عليه السلام - فقال: «سأوى الى جبل يعصمني من الماء» .. ثم قال - عليه السلام - أعدل بنا، فعدلت به.

فلم يزل سائرا حتى أتى الغري. فوقف على القبر، فساق السلام من آدم على بنى نبي عليهم السلام - و أنا أسوق السلام معه، حتى وصل السلام الى النبي - صلى الله عليه و آله و سلم - ثم خر على القبر، فسلم عليه، و علا نحيبه .

* عن ابي عبد الله [الصادق] - عليه السلام - وادى السلام ... بين وادي النجف و الكوفة .

* قال الصادق - عليه السلام: الربوة؛ نجف الكوفة. و المعين؛ الفرات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٧٦

ابو عبد الله [الصادق]: اذا أردت جانب النجف؛ فزر عظام آدم، و بدن نوح، و جسم علي بن ابي طالب - عليه السلام .

* ابو عبد الله [الصادق]: الغري؛ و هو قطعة من الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليما، و قدس عليه عيسى تقديسا، و اتخذ عليه ابراهيم خليلا، و اتخذ عليه محمد حبيبا، و جعله للنبيين مسكنا، و الله - ما سكن فيه أحد - بعد آبائه الطيبين؛ آدم، و نوح - أكرم من أمير المؤمنين عليه السلام .

* قال عبد الله بن طلحة الهندي؛ دخلت على أبي عبد الله [الصادق] عليه السلام، فذكر حديثا فحدثناه، قال فمضينا معه - يعني أبا عبد الله - حتى انتهينا الى الغري. قال، فأتى موضعا فصلى ...

* قال الصادق - عليه السلام: أحب لكل مؤمن، ان يتختم بخمسة خواتيم؛ بالياقوت ... و بالعقيق .. و بالفيروزج ... و بالحديد الصيني. و ما يظهر الله بالدرات البيض بالغريين .

* عن صفوان الجمال، قال: كنت أنا، و عامر، و عبد الله بن جذاعة الأزدي عند أبي عبد الله [الصادق - عليه السلام- قال، فقال له عامر: جعلت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٧٧

فداك؛ ان الناس يزعمون أن أمير المؤمنين - عليه السلام- دفن بالرحبة. قال: موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ٦؛ ص ٧٧
قال: فأين دفن؟ قال: انه لما مات احتمله الحسن - عليه السلام- فأتى به ظهر الكوفة، قريبا من النجف، يسره عن الغرى، يمنة عن الحيرة، فدفنه بين ذكوات بيض، قال: فلما كان بعد ذهبت الى الموضع .

* عن ابي عبد الله [الصادق - عليه السلام- انه سمعه يقول: لما قبض أمير المؤمنين - عليه السلام- أخرجته الحسن و الحسين، و رجلان آخران؛ حتى اذا خرجوا من الكوفة، تركوها عن ايمانهم، ثم أخذوا فى الجبانة، حتى مروا به الى الغرى، فدفنوه، و سواوا قبره، فانصرفوا .

* عن أبي عبد الله [الصادق - ع- قال: ان النجف كان جبلا، و هو الذى قال ابن نوح. «سأوى الى جبل يعصمنى من الماء» و لم يكن على وجه الارض أعظم منه ... و صار بعد ذلك بحرا عظيما. و كان يسمى ذلك البحر (بحرنى) ثم جف بعد ذلك. فقيل (نى جف) فسمى (نيجف). ثم صار الناس - بعد ذلك- يسمونه (نجف) لأنه كان أخف على ألسنتهم .

* حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن ثعلب الكلبي، قال؛ قال ابو عبد الله (الصادق): كأنى بالقائم على ظهر النجف، لبس درع رسول الله تتقلص عليه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٧٨

ثم ينتفض بها فتستدير عليه، ثم يغشى بثوب استبرق، ثم يركب فرسا له أبلق، بين عينيه شمراخ، ينتفض به حتى لا- يبقى اهل له الا اتاهم بين ذلك الشمراخ، حتى تكون آية له، ثم ينشر رايه رسول الله، و هى المغلبة؛ عودها من عهد غرس الله، و سيرها من نصر الله، لا يهوى بها الى شىء الا اهلكته .

* (قال ابو عبد الله (الصادق) عليه السلام): لما مات امير المؤمنين حملة الحسن - عليه السلام- فأتى به ظهر الكوفة، قريبا من النجف، يسره عن الغرى، يمنة عن الحيرة، فدفنه بين ذكوات بيض .

* عن يزيد عمرو بن طلحة، قال؛ قال ابو عبد الله (الصادق): و هو بالحيرة اما تريد ما وعدتك؟ قال؛ قلت: بلى، يعنى الذهاب الى قبر امير المؤمنين - عليه السلام- قال: فركب و ركب اسمعيل ابنه معه، و ركبت معهم.

حتى اذا جاز الثوبه - و كان بين الحيرة و النجف عند ذكوات بيض - نزل، و نزل اسمعيل و نزلت معهم. فصلى و صلى اسمعيل، و صليت .

* [وصف ابو عبد الله (الصادق) موضع قبر أمير المؤمنين لصفوان الجمال قال: اذا انتهيت الى الغرى؛ ظهر الكوفة؛ فاجعله ظهرك، و توجه خلف النجف، و تيامن قليلا. فاذا انتهيت الى الذكوات البيض، و الثنية أمامه؛ فذلك قبر أمير المؤمنين - عليه السلام .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٧٩

قال أبو عبد الله [الصادق - ع- انك؛ إذا أتيت الغرى، رأيت قبرين؛ قبرا كبيرا، و قبرا صغيرا. فأما الكبير؛ فقبر أمير المؤمنين. و أما الصغير؛ فرأس الحسين بن على - عليه السلام .

* عن أبي عبد الله [الصادق - عليه السلام؛ قال: انى لما كنت بالحيرة عند أبي العباس. كنت آتى قبر أمير المؤمنين - عليه السلام- ليلا. و هو بناحية النجف، الى جانب غرى النعمان .

* عن أبي عبد الله [الصادق عليه السلام: أخذ نوح التابوت (تابوت فيه عظام آدم) فدفنه بالغرى .

* عن سليمان بن نهيك؛ عن أبي عبد الله - عليه السلام- فى قول الله - عز و جل- «وَ أَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَ مَعِينٍ». قال:

الربوة؛ نجف الكوفة.

و المعين؛ الفرات .

* حدثنا صفوان بن مهران الجمال، قال: حملت جعفر بن محمد بن علي؛ (الصادق) - عليهم السلام - فلما انتهيت الى النجف، قال: يا صفوان،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٨٠

تياسر حتى تجوز الحيرة، فتأتى القائم. قال: فبلغت الموضع الذى وصف لى فنزل، فتوضأ. ثم تقدم هو و عبد الله بن الحسن فصليا عند قبر. فلما قضيا صلاتهما، قلت: جعلت فداك، اى موضع هذا؟ قال: هذا القبر الذى يأتية الناس هناك .

* عن أبى الفرج السندى، قال كنت مع ابى عبد الله، جعفر بن محمد (الصادق) حين تقدم الى الحيرة؛ فقال ليلة: أسرجوا لى البغل. فركب - وأنا معه - حتى انتهينا الى الظهر، فنزل فصلى ركعتين، ثم تنحى فصلى ركعتين، ثم تنحى فصلى ركعتين. فقلت: جعلت فداك - رأيتك تصلى فى ثلاثة مواضع. فقال: أما الأول؛ فموضع قبر أمير المؤمنين - عليه السلام - و الثانى؛ موضع رأس الحسين - عليه السلام - و الثالث؛ موضع منبر القائم

* عن معلى بن خنيس، قال: كنت - مع أبى عبد الله (الصادق) بالحيرة.

فقال لهم: افرشوا لى فى الصحراء ... قل لهم يسرجوا لى البغل و الحمار ...

فقال لى: أمامك. فجننا حتى صرنا الى الغريين فقال لى: ها هما، قلت:

نعم. قال: خذ يسره. قال: فمضينا حتى انتهينا الى موضع. فقال لى:

انزل. و نزل و قال لى: هذا قبر أمير المؤمنين - عليه السلام .

* عن أبى عبد الله (الصادق) قال: إنه لما مات (أمير المؤمنين عليه السلام)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٨١

احتمله الحسن، فأتى به ظهر الكوفة قريبا من النجف، يسره عن الغرى، يمنه عن الحيرة. فدفنه بين ذكوات البيض .

* عن عبد الله بن سنان، قال: أتانى عمر بن يزيد، فقال لى: اركب.

فركبت - معه - فمضينا، حتى أتينا حفص الكناسى، فاستخرجته، فركب معنا. ثم مضينا الى الغرى، فانتبهنا الى قبر، فقال: انزلوا. هذا قبر أمير المؤمنين - عليه السلام فقلنا: من أين علمت؟ فقال: أتيت مع أبى عبد الله (الصادق) - ع - حيث كان بالحيرة؛ غير مرة، و خبرنى أنه قبره .

* عن أبى بصير، قال: قلت لأبى عبد الله (الصادق) - عليه السلام - أين دفن أمير المؤمنين - عليه السلام؟ - قال: دفن فى قبر أبى نوح. قلت:

و أين قبر نوح؟. قال: ذلك فى ظهر الكوفة .

* عن أبى عبد الله (الصادق) - عليه السلام - قال: ان الى جانب كوفان قبرا ما أتاه مكروب قط، فصلى عنده ركعتين، أو أربع ركعات؛ الا نفس الله عنه كربته، و قضى حاجته .. قلت: فقبر أمير المؤمنين - عليه السلام - قال برأسه نعم .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٨٢

حدثنا عمر بن عبد الله بن طلحة الهندى، عن أبىه؛ قال: قلت لأبى عبد الله (الصادق) فذكر حديثا، فحدثنا، قال: فمضينا معه - يعنى أبى عبد الله - حتى انتهينا الى الغرى، فأتى موضعا، فصلى. ثم قال لاسماعيل:

قم فصل .

* عن أبى عبد الله (الصادق) - ع - قال: قبر على بالغرى، ما بين صدر نوح، و مفرق رأسه؛ مما يلى القبلة .

* عن محمد بن محمد الفضل - ابن بنت داود الرقي - قال؛ قال الصادق - ع - أربع بقاع ضجت الى الله - تعالى - أيام الطوفان: البيت المعمور؛ فرفعه الله، والغرى، و كربلاء، و طوس .

* عن اسحاق بن حريز؛ عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام - قال: انى لما كنت بالحيرة - عند أبي العباس - كنت آتى قبر أمير المؤمنين ليلا، و هو بناحية نجف الحيرة، الى جانب غرى النعمان، فأصلى عنده صلاة، و أنصرف قبل الفجر .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٨٣

عن المفضل بن عمر الجعفي، عن ابي عبد الله [الصادق - عليه السلام]:

الغرى .. هو قطعة من الجبل، الذى كلم الله عليه موسى تكليما، و قدس عليه عيسى تقديسا، و اتخذ عليه ابراهيم خليلا، و اتخذ محمدا عليه حبيبا، و جعله للنبيين مسكنا. و الله ما سكن فيه بعد أبويه الطيبين؛ آدم و نوح أكرم من أمير المؤمنين على - عليه السلام - و إذا زرت جانب النجف: فزر عظام آدم؛ و بدن نوح، و جسم على بن أبي طالب - عليه السلام - فانك زائر للأنبياء الأولين، و محمد خاتم النبيين، و عليا سيد الوصيين؛ فان زائرته تفتح له أبواب السماء عند دعوته؛ فلا تكن عن الخير نواما .

* عن المفضل بن عمر الجعفي؛ قال: دخلت على على بن أبي عبد الله [الصادق - عليه السلام] - فقلت له: إنى أشتاق إلى الغرى، فقال: فما شوقك اليه؟

فقلت له: إنى أحب أن أزور أمير المؤمنين - عليه السلام .. قال: فإذا أردت أن تزور قبر أمير المؤمنين - ع - فاعلم انك زائر عظام آدم، و بدن نوح، و جسد على بن أبي طالب - عليه السلام .

* عن أبي عبد الله [الصادق - عليه السلام]: لما قبض أمير المؤمنين - عليه السلام - أخرجه الحسن و الحسين و رجالان آخران، حتى اذا خرجوا من الكوفة، و تركوها عن أيماهم، ثم اخذوا فى الجبانة، حتى مروا به الى الغرى، و دفنوه، و سووا قبره و انصرفوا .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٨٤

صفوان الجمال؛ قال: خرجت مع الصادق - عليه السلام - من المدينة أريد الكوفة، فلما جزنا باب الحيرة، قال: يا صفوان. قلت: لبيك يا ابن رسول الله. قال: تخرج المطايا الى القائم، وجد الطريق الى الغرى قال صفوان:

فلما صرنا الى قائم الغرى، أخرج رشأ معه دقيقا؛ قد عمل من الكنبار، ثم تبعد من القائم مغربا خطى كثيرة، ثم مد ذلك الرشأ حتى انتهى الى آخره، فوقف ثم ضرب بيده إلى الأرض فأخرج منها كفا من تراب فشمه مليا، ثم أقبل يمشى، حتى وقف على موضع القبر الآن، ثم ضرب بيده المباركة الى التربة، فقبض منها قبضة، ثم شهق شهقة حتى ظننت أنه فارق الدنيا. فلما أفاق قال: ها هنا - و الله - مشهد أمير المؤمنين - عليه السلام .

* عن محمد بن مسلم، قال: مضينا إلى الحيرة، فاستأذنا، و دخلنا الى أبي عبد الله [الصادق - عليه السلام] - فجلسنا إليه، و سألناه عن قبر أمير المؤمنين - عليه السلام - فقال: اذا خرجتم، فجزتم الثوية، و القائم، و صرتم من النجف على غلوة أو غلوتين؛ رأيتم ذكوات بيضا، بينهما قبر جرفه السيل، فذاك قبر أمير المؤمنين - عليه السلام .

* عن الحسن بن الجهم بن بكير، قال: ذكرت لأبى الحسن [الكاظم - عليه السلام] - يحيى بن موسى، و تعرضه لمن يأتى قبر أمير المؤمنين - عليه السلام - و انه كان ينزل موضعا، كان يقال له الثوية، ينتزه اليه. ألا و قبر أمير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٨٥

المؤمنين - عليه السلام - فوق ذلك قليلا .

* عن أيوب بن نوح، قال: كتبت الى أبي الحسن؛ موسى بن جعفر - عليه السلام - فى زيارة قبر أمير المؤمنين - ع - فكتب - ع - زره بالغرى .

* أحمد بن محمد بن أبي نصر ... قال: و سألته [- الرضا عليه السلام عن قبر أمير المؤمنين - عليه السلام - فقال: ما سمعت عن

أشياحك؟ فقلت له:

حدثنا صفوان بن مهران عن جدك انه دفن بنجف الكوفة .

* احمد بن محمد بن ابى نصر؛ قال: سألت الرضا عليه السلام، فقلت: أين موضع قبر أمير المؤمنين - عليه السلام - فقال: الغرى .

* ذكر ابن همام فى الأنوار ان [الرضا] أمر شيعته بزيارة [أمير المؤمنين و دل على انه بالغرين، بظاهر الكوفة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٨٦

روى عن ابن عباس؛ انه قال: الغرى؛ قطعة من الجبل الذى كلم الله - جل شأنه - عليه موسى تكليما، و قدس عليه عيسى تقديسا، و

اتخذ عليه ابراهيم خليلا، و اتخذ محمدا - صلى الله عليه و سلم - حبيبا، و جعله للنبيين مسكنا .

* قالت [ام كلثوم بنت على - عليه السلام : خرجت أشيع جنازة أبى، حتى اذا كنا بظهر الغرى، ركز المقدم، فوضعنا المؤخر. ثم برز

الحسن بالبردة التى نشف بها رسول الله و فاطمة فنشفت بها أمير المؤمنين .

* أبو حمزة الثمالى؛ قال: أتينا الذكوات البيض، فقال [زيد بن على هذا قبر على بن أبى طالب .

* اذا أتيت الغرى بظهر الكوفة، فاغتسل، و امش على سكون و وقار، حتى تأتى أمير المؤمنين - عليه السلام .

* فى قبره عظام آدم - عليه السلام - و جسد نوح - عليه السلام - و أمير المؤمنين . فمن زاره؛ فقد زار آدم و نوحا و أمير المؤمنين .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٨٧

عن عبد الله بن سنان، قال: أتانى عمر بن يزيد، فقال لى: اركب، فركبت معه. فمضينا، حتى أتينا منزل حفص الكناسى، فاستخرجته،

فركب معنا. ثم مضينا، حتى أتينا الغرى، فانتبهنا إلى قبر. فقالوا:

انزلوا، هذا قبر أمير المؤمنين. فقلنا: من أين علمت؟ فقال: أتيت مع أبى عبد الله [الصادق - عليه السلام - حيث كان بالحيرة غير مرة، و

خبرنى أنه قبره .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٨٨

النجف فى الشعر

السيد ابراهيم الطباطبائى

فاهتر فى مرح عطف الغرى به لا غرو ان هز عطفه الحمى مرحا * و نازعين عن الأوطان قد قطعوا

متن المهامه حتى بارحوا النجفا *

فلولاك ما حنّ الغرى لدجلة نزوعا و لا اشتاقت لبغداد جلق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٨٩ تركت فى النجف الأعلى لصحتكم صحبا و أهلا و أوطانا و جيرانا

الشيخ ابراهيم العاملى ١٢٨٤ هـ

و أنحت جانب الغروى شوقا يجاذبها لما تبغى هواها

*

أسكن الشام و من و اليتهم فى النجف الأعلى و طف كربلا

الشيخ ابراهيم العاملي ١٢١٤ هـ

إذا هب النسيم من الغرى فلا تسأل عن الصبّ الشجى

ابراهيم الوائلى

منتدى العلم فى الغريين أخفى الموت رمز الفخار من أعضائه

ابن أبى الحديد

يا برق إن جئت الغرى فقل له أترآك تعلم من بأرضك مودع
فيك ابن عمران الكلّيم و بعده عيسى يقفيه و أحمد يتبع
بل فيك جبريل و ميكال و اسرافيل و الملائم المقدس أجمع
فيك الامام المرتضى فيك الوصى المجتبى فيك البطين الأنزع
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٩٠ عج بالغرى على ضريح حوله ناد لأملاك السماء و محفل
فمستبح و مقدس و ممجدو معظم و مكبر و مهلل
و الثم ثراه المسك طيبا و استلم عيدانه قبلا فهن المندل
و انظر الى الدعوات تسعد عنده و جنود وحي الله كيف تنزل
و النور يلمع و النواظر شخص السن خرس و البصائر ذهل
و اغضض و غضّ فثم سرّ أعجم دقت معانيه و أمر مشكل
و قل السلام عليك يا مولى الورى نسا به نطق الكتاب المنزل

ابن حماد

صلى الإله على على ذى العلى ما نال طيرا أو علا أغصانا
و سقى المدينة و البقيع و مشهداحل الغرى الطهر من كوفانا
و سقى قبورا بالطفوف منيرة و سقى قبورا ضمنت بغدانا
و سقى مقابر (سر من را) و الذى من طوس أصبح ثاويا نوقانا

ابن مدلل

زر بالغرى العالم الزباني علم الهدى و دعائم الايمان
و قل السلام عليك يا خير الورى يا أيها النبأ العظيم الشان

يا من على الأعراف يعرف فضله يا قاسم الجنات و النيران
 نار تكون قسيمها يا عدتي أنا آمن منها على جثمانى
 و أنا فضيفك و الجنان لى القرى إذ أنت أنت مورّد الضيفان
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٩١

أبو أسحاق الصابى كتب إلى عضد الدولة، و فد خرج إلى الزيارة:

توجهت نحو (المشهد) العلم الفرد على اليمن و التوفيق و الطائر السعد
 تزور أمير المؤمنين فيا له و يا لك من مجد منيخ على مجد
 فلم يرفوق الأرض مثلك زائرا و لا تحتها مثل المزور إلى اللحد
 مددت الى كوفان عارض نعمه يصوب بلا برق يروع بلا رعد
 و تابعت أهليها ندى بمثوبة فرحت إلى فوز و راحوا إلى رقد

أبو الحسن بن شاه كوثر

بشرى لمن سكنوا كوفان و النجفا و جاورا المرتضى أعلى الورى شرفا
 أحمد الصافى النجفى فى لباسه العربى

أحمد الصافى النجفى «وادي طوى»

صدق الذى سماك فى (وادي طوى) يا دار بل وادي طوى و عراء
 جلست على الأنهار بلدان الورى فعلام أنت جلست فى الصحراء؟
 ان الغرى بلدة تليق أن تسكنها الشيوخ و العجائز
 فصادرات بلدتى مشائخ و واردات بلدتى جنائز
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٩٢

البحرى

أفق الكوفة أرضا و أرى نجف الحيرة أرضاها وطن

بعض الشعراء

حكمة أورثناها جابر عن امام صادق القول و فى

لوصى طاب في تربته فهو كالمسك تراب النجف

*

تسح سحائب الرضوان سحا كجود يديه ينسجم انسجاما
ولا زالت رواء المزن تهدي الى النجف التحية والسلاما

*

سألتك بالاله و بالنبي و بالمدفون في أرض الغرى

بعض الكوفيين

و بالنجف الحارى ان زرت أهله مها مهملات ما عليهن سانس

السيد جعفر الحلبي

الى ان اغاثنا الحميدية التي علا ماؤها سهل الغرين و الهضبا
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٩٣ نزلوا في حمى الوصى فأوحش منزل كم زها ببشرهم الهش
بشرهم شمسنا إذا الدهر أعطش ليت شعري أكان للنجف الأش
رف ام للفيحاء أجلى شحوبا زهت الأرض و الغياث أتاها
و الغرى ازدهى بغرة طه أدركت فيهم الملوك مناها
فتعاطت على اختلاف هواها ضربا هذه و تلك ضربيا
* ففي الغرى لى بنو عمومة و جوههم ريحانتى و راحى
لا اجتدى المزن إذا ما سلمت أيديهم الوكف بالسماح
فجمرة العرب بطون هاشم و هم سراة حيتها اللقاح

*

يا طول ليلى بالغرى كأنه قتل الصباح - فلم يقم - بعمود
وقفت سوارى النجم فيه فخلتها بدنا هوين بمنهج مسدود
او حملت همى فأثقل خطوها فكانها مصفودة بقيود وكفت على كل الجهات أكفه
فجرى السماح خلالها و الجودلا سيما النجف الشريف فأهله
لعلاه تبدى بالدعا و تعيد *

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٩٤ فهنا أنا بالغرى ولى فؤاديسير وراء ظعنك حيث سارا

*

أنخها بالغرى فلست تلقى سوى دار الحمى للعلم دارا

*

بكر النعى إلى الغرى فراعنابل راع جانب حيدر بيكور

فترى الأنام لهول ما قد قاله من عاثر رعبا و من مذعور

*

من خفرات الشام محجوبة الى الغريين أت زائره

*

أهلا فقد لاحت لنا البشائر و أصبح الغرى و هو زاهر

*

يا برق خذ نبأ نكابد ثقله سينوء فيك فلم تطق لتقله

يا برق إنى بالغرى موله يا برق ان جئت الغرى فقل له

(أتراك تدرى من بأرضك مودع) *

هل كان فى النجف الأعلى سواه فتى تضىء غرته فى حسنها النجفا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٩٥ حسنت كف العلى إذ كنت خاتمها فانت زينتها يا درة النجف

*

أمير زها وادى السلام بوجهه و قد كان حيا ووجهه يتهلل

*

بكى الحمى لعلى و الذين به إذ ليس غير على للأنام حمى

*

يا أمر النجف الأعلى أجد نظرابسيد علوى عالم علم

*

إذا ما أتى نحو الغرى بريدكم أبادره عجلان و القلب ذاهل

*

خلاصة شكواى ان الغرى لبعذك كالرسم عافى الأثر

الشيخ جعفر النقدي

خفقت على ذكر الغرى ضلوعه فغدت تسيل على الخدود دموعه

و الى ربوع العلم بات فؤاده يشكو الغرام، و أين منه ربوعه

يا منزلا قد أبعدته يد النوى حياك من غيث السماء مريعه

بين الضلوع هواك سر كامن لولا الدموع الجاريات تذيعه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٩٦ انى لينعشنى بربعك صيفه و شتاؤه و خريفه و ربيعه

يا حبذا شمس السماء غروبها بحماك و البدر المنير طلوعه

أدرت مهاد العلم ان وليدها بلغ الفظام من السلو رضيعه؟

يا جيرة الذكوات أذكى بعدكم قلبا لقربكم شجاه ولوعه

الشيخ جواد الشيبى

تعريسه الركب بالوادى من النجف هل رجعه لك من بعد النوى القذف
غادرت دينار وجى عنك منصرفا فى موسم الوجد للأشجان و الكلف

*

يا رمله الذكوات البيض لاوسمت إلا تراك غوادى الرجز و الوطف
الشيخ جواد الشيبى

نور الامامة سرنا من أشعته على هدى عن جبين الصبح منكشف
و انت يا قبه الاسلام لو لجأت اليك مطروده الأقدار لم تخف

*

لجيرة النجف الأعلى بجانحتى مغنى كما يتمنى القلب مأهول
أنزلتهم فيه مقروين ينهلهم دمع اذا شحت الانواء مبذول
بيوت علم عليها أينما ضربت ستر من العفة البيضاء مسدول
فجر الأدلاء من ضلت بصيرته فأنتم فى دياجيتها قناديل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٩٧ براكم الله أرواحا مقدسة من معدن اللطف و الباقي تماثيل

آراؤكم لا السيوف البيض قام بهالله فى الأرض تكبير و تهليل
أعلت منار الهدى فى كل مملكة هذه العمائم لا تلك الأكاليل
كأنكم و المعالى من فرائسكم أسد، و أقلامكم من حولكم غيل
دافعتم عن سنا القرآن فالتجأت توراتهم لهدها و الأناجيل

الحسين بن الحجاج

يا صاحب القبة البيض على النجف من زار قبرك و اشتشفى لديك شفى
زوروا أبا الحسن الهادى لعلكم تحظون بالأجر و الإقبال و الزلف
زوروا لمن تسمع النجوى لديه فمن يزره بالقبر ملهوبا لديه كفى
إذا وصلت فأحرم قبل تدخله مليا واسع سعيًا حوله و طف
حتى إذا طفت سبعا حول قبه تأمل الباب تلقا وجهه فقف
و قل سلام من الله السلام على أهل السلام و أهل العلم و الشرف
انى أتيتك يا مولاي من بلدى مستمسكا من حبال الحق بالطرف
راج بأنك يا مولاي تشفع لى و تسقيني رحيقا شافى اللف
لأنك العروة الوثقى فمن علق بها يدها فلن يشقى و لم يخف
و إن اسماءك الحسنى إذا تليت على مريض شفى من سقمه الدنف
لأن شأنك شأن غير منتقص و أن نورك نور غير منكسف

و إنك الآيئة الكبرى التي ظهرت للعازفين بأنواع من الطرف
هذى ملائكة الرحمن دائمة يهبطن نحوك بالألطف و التحف
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٩٨

حميد فرج الله «وادي السلام»

وقفت و قد هالني الموقف فجفت على شفتي الأحرف
أجلت النواظر في بقعة مداها على البعد لا يعرف
تصورت كم ضمّ هذا الأديم جموعا من الناس لا توصف
فكم من ملوك أقاموا القصور فعاثوا القصور و ما زخرفوا
و كم عالم ضم هذا الثرى و كم شاعر حسّه مرهف
و كم من فتى حط في رسمه و من غادة قدها أهيف
و كم من صحيح طواه الفناء يوارى الى جنبه مدنف
عوالم قد و وريت ها هنا و جيل على آخر يرصف
تأملت لم كل هذى الحشود إلى مستقر هنا تزحف
و ما السر في نقل أجدائها اليه و في تربه تقذف
فتطوى المسافات عبر الحدود و يأتي الغرى بها الموجف
و هذى الملايين مرّ القرون كأن الغرى لها متحف
تأملت حتى كأنى سكرت و ما لامست شفتي القرقف
فصوت في مسمعى هاتف بذكر إمام الهدى يهتف
و لاحت على خاطري صورته و عنوانها النجف الأشرف
تشع بأفاقها قبه علت شرفا، دونها الأوطف
تعالت لتحضن وادي السلام و تدرك من جاء يستعطف
و مدت على الراقدين الظلال كأم على صبية تعكف
سمت باسم حيدرته رفعة و جلت عن الوصف إذ توصف
فأضحى الغرى بها غادة و كل موال بها يكلف
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٩٩ تسير الجموع الى تربة لعسجد حصائه ترشف
فمن جاور المرتضى حيدر ابيوم الجزاء غدا ينصف

دعبل

سلام بالغداة و بالعشى على جدث بأكناف الغرى
و لا زالت عزالى النوء تزجى اليه صباية المزن الروى

ألا يا حبذا ترب بنجدو قبر ضم أوصال الوصي
وصى محمد- بأبي و أمى -و أكرم من مشى بعد التبي
لئن حجوا إلى البلد القصى فحجى ما حيت إلى على

الراجز

أهل عرفت الدار بالغريين وصاليات ككما يؤثفين

فريد المزركى

و علىّ البطل الامام و من و ارى غرائب فضله النجف

الشريف الرضى

سقى الله المدينة من محل لباب الماء و النطف العذاب
و جاد على البقيع و ساكنيه رخيّ الذيل ملآن الوطاب
و أعلام الغرى و ما استباحت معالمها من الحسب اللباب
و قبرا بالطوف يضم شلواقضى ظمأ إلى برد الشراب
و سامرا و بغدادا و طوساهطول الودق منخرق العباب
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٠٠ قورا تنطف العبرات فيها كما نطف الصبير على الروابى
صلاة الله تخفق كل يوم على تلك المعالم و القباب

الصاحب بن عباد

يا زائرين اجتمعوا جموعا و كلهم قد أزمعوا الرجوعا
إذا حللتم تربة المدينة بخير أرض و بخير طينه
فأبلغوا محمد الزكيا عنى السلام طيبا زكيا
حتى إذا عدتم الى الغرى فسلموا منى على الوصى
و بعد بالبقيع فى خير وطن أهدوا سلامى نحو مولاي الحسن
و أبلغوا القتلى بأرض الطفّ تحيتى ألفين بعد ألف
ثمّة عودوا ببقيع الفرقند نحو على بن الحسين سيدى
و باقر العلم أخوا الذخائر و معدن العلياء و المفاجر
و كنز علم الله فى الخلائق جعفر الصادق اتقى صادق

فبلغوهم من سلامى النامى ما لا يزول مدة الايام
حتى اذا عدتم الى بغداد بمشهد الزكاء و الرضوان
فبلغوا منى سلاما دائبا سلام من يرى الولاء واجبا
و اصلوا السير و زوروا طوسانحو على ذى العلى بن موسى
حيوه عنى ما أصاء كوكب و ما أقام يذبل و كبكب
و سلموا بعد على محمد بأرض بغداد زكى المشهد
و اعتمروا عسكر سامراء اهدوا سلامى أحسن الاهداء
نحو على الطاهر المطهرو الحسن المحسن نسل حيدر
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٠١ و صرت فى الغرى فى خير وطن سلم على خير الورى أبى الحسن

السيد صادق الفحام

خلع الربيع على الغرى مطارفا جددا يطرز و شيها النواب

السيد صالح بحر العلوم

ليس فى و سعى الخروج على سنة السلف
نحن نهوى و عينان فى حنا الشرف
و ستغتنى جفان على مقرع الشغف
و كفانى شهادة ان متواى فى النجف

طالب الحاج فليح

لك من بنى النجف الشريف تحية الخل الودود
لى فى حمى وادى السلام احبة تحت الصعيد

عامر بن وائلة الليثى

ألا طرقتنا بالغريرين بعدما كللنا على شحط المزار جنوب
أتوك يقودون المنايا و انماهدتها بأولانا إليك ذنوب
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٠٢

عباس الخليلي

من قصيدة قالها عند عودته الى النجف لاول مرة بعد فراره من المشنقة في ثورة النجف.
 قبلت منك بعيني الارض لا بفمي وجف دمعي فرواك الحشا بدمي
 عفرت بالترب وجهي اذ سجدت ضحي فتاب للسعي رأسي فيك عن قدمي
 و كاد ينطق طرفي بالسلام على ارض العراق فهذي ادمعي كلمي
 ما الدمع ما اللفظ الا لؤلؤ رطب خلطت منتشرا منه بمنتظم
 ارخصت درا غلا من ذا و ذاك على معالم للعلي و العز و الكرم
 رضعت فيك لبان المجد من صغرفلست حتى الردى عنه بمنفطم
 ما الرافدان و ان ساغا بعدبهمايردان غليلي منك بالشبم
 ضحيت انسان عيني بالبكاء على ثرى كفاه دم القتلى عن الديم
 كم من كمى تردى فيك ثوب ردى و كم أبى بسهم النائبات رمى
 و كم طريد مضى و الويل رائدهفانتابه الحتف فى الآجام و الأكم
 قد شردتنى منك الحادثات و قدردتنى اليوم، فلتنبئك عن هممى
 انا الذى هدّ ركنا من عداك كماقد شاد للمجد ركنا غير منهدم
 جدنا بأنفسنا نحى حماك فلانرضى لك الذل ان قيل العراق (حمى)
 متى تربى لك الايام مثلى من ان خانه السيف يوما قام بالقلم
 يا حسنها ساعة ردت اليك فتى ما كان يرجو اليك العود فى الحلم

السيد عباس شبر

قالت لى ابنة القريض و الظرف اذن فهيا بى الى ارض النجف
 إن اشف من دائى فتلك رغبتى و ان أمت فمدفنى فى تربتى
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٠٣ فسرت من يومى بها الى النجف لعلنى انقذها من التلف

الشيخ عباس الملاعلى

سلام على وادى الغرى على البعدو ان كان لا يغنى السلام و لا يجدى
 سلام مشوق قرح البين جفنه و جرعه صاب الصباية و الوجد
 حليف غرام كلما هبت الصباصبا قلبه و ازداد و قدا على و قد
 و إن مر ذكر السفح ظلت سوافحاسحائب جفنيه دماء على الخد
 تنازعه فى كل حين نوازع من الشوق حتى لا يعيد و لا يبدي
 يقلب طرفيه إذا الليل جنه كأن و كلت منه المحاجر بالسهد
 و يذكر اياما تقضت بحاجرو ناعم عيش راق فى سالف العهد

عبد الباقي العمري

بنا من بنات الماء للكوفة الغراسبوح سرت ليلا فسبحان من أسرى
تمد جناحا من قوادمه الصباتروم بأكناف الغرى لها و كرا
*

ولما سرينا للغرى عشية لمن قد ثوى فيه احتراماً و تبيلاً
ربطنا بأخفاف المطى ثغورنا فأشبعت البيداء لثما و تقيلاً
*

عجبت لسكان أرض الغرى بظل الوصى استظلوا و ناموا
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٠٤ طرنا إلى النجف الأعلى بأجنحة ريفها يصدع الأفلاك بالزجل
على مطا كل و جناء مناسمها أحق من و جنه الحسنة بالقبل
حتى أنخنا بأعتاب الأمير أبى الغز الميامين مولانا الامام: على
فرصع اللثم بالأفواه ساحته و كللتها بدرّ أدمع المقل
و شام برق التجلى كل ذى نظر باثمد من ثرى الاعتاب مكتحل
عجبت لسكان الغرى و خوفهم من الأسد الضارى إذا جاء مقبلا
ليلثم أعتابا تحط ببابها ملائكة السبع السماوات أرحلا
و فى سوحهم كم قد أناخت تواضعاً قساورة الغاب الربوبى كل كلا
و هم فى حمى فيه الوجود قد احتمى و مغناه كم أغنى عديما و مرملا
و قد أغلقوا باب المدينة دونه و ذلك باب ما رأيناه مقفلا
فمرغ خدا فى ثرى باب حطه و ردّ و قد أخفى الزئير مهرولا
فلو عرفوا حق الولاء لحيدرلما منعوا عنه مواليه لا و لا
*

قمر من النجف المعلى مذبداً أهدى الى ابصارنا تنويرا
*

قالوا استخار الغرى تولى يرقب فيه مقابر النجف
*

فان جهلت علاه سل عنه أهل الغرى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٠٥ قف بالمطى إذا جئت العشى الى ارض الغرى على باب الوصى على
و زر و صلّ و سلم و ابك و ادع و سل به لك الخير يا موسى الكليم ولى

الشيخ عبد الحسين الحلى تحية النجف بيوم العيد

حى اوطانى اذا سعدت بالتحايا الغر اوطان

و اصيحابا عهدتهم و هم فى الله اخوان
 لهم فى كل مكرمة أثر بالفضل ملآن
 كيف يخفى فضلهم و له بينهم من لطفه شان
 الشيخ عبد الحسين الحلى
 (يا خليلي) انت لى و كفى بك عمن لى قد كانوا
 انت فى مرآك منشرح لى و من ذكراك سلوان
 لك ودى لا ارتياب به ما وراء الحس برهان
 اعرب (الراعى) (لهاتفه) عن مزايا بك تزدان
 و معان للكمال غدت هى روح و هو جثمان
 انما (الراعى و هاتفه) لشتات الفضل ديوان
 و هما سفر فان فكهت نفس من يهوى فلسطين
 لك يولى العيد بهجته و هى أطفاف و احسان
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٠٦ فاستق الاقداح فيه اذاصح ان اليوم نشوان
 و خذ الافراح منه و ماهو الا بك جذلان
 و استمعها من فمى نغماللتهانى هى ألحان
 لك اهديها محبرة و عليها الود عنوان
 كعقود الدر فصلها ببيع الصنع مرجان
 كل عقد لا توازنه دلة تهدى و فنجان

عبد الحسين العاملى

عج بالغرى و حول كعبة فخره احرم وطف و انشق تزوع نشره
 و أشربه لثرى الوصى و قبره هذا ثرى حط الاثير لقدره)
 (و لعزه هام الثريا يخضع)

الشيخ عبد الحسين الحويزى

سعدت فى الغرى أرفع دارنشرت بالعلوم فيها الصحائف
 قلم الفن قال للوح ارخ دار رشد بها حوى العدل هاتف)

عبد الحميد السيد

أبناء الغرى اليكموها تفوق بلفظها نظم ابن هانى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٠٧ خريده يومها زفت اليكم تجلت في عقود من جمان

عبد الرزاق محى الدين

أرض الغرى و قد اردت نشيدا حسبى فخارك مبديا و معيدا
و بحسب كل فم و كل يراعه حصباء قاعك لؤلؤا منضودا

الشيخ عبد الغنى الخضرى

رابطة العلم بكم قد ازدهت و النجف الأشرف فيكم ازدهر

*

أحبائى يا من بالغريين خيموا و فى ظلها حطوا الرحال عن الركب
همت بعدكم عينى فلو تبصرونها حسبتهم بان العين ضرب من السحب

*

على سماء الفضل لاحت ذكافأشرقفت فيها ربوع النجف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٠٨

الشيخ عبد المنعم الفرطوسى «وادي السلام»

على الذكوات البيض من جانب الوادى قفا ساعه و استنطقا الأثر البادى

فكم فيه معنى لا يفى ببيانه لسان فصيح أو براعه نقاد

و كم عبره خرسا بها نطق البلى فأفصح تبياننا على غير معتاد

*

خليلى ما هذا البيان فأننى أرى الصخرة الصماء تعرب كالشادى

و ذى صفحة الوادى ينم عبيرها بما قد حوته من زهور و أورد

و كم ربوة للرمل ماج أديمها بالألاء ثغر قد تناثر فى الوادى

و لحد على حافاته قد تعطفت حنايا ضلوع من قوائم أجساد

وقفت عليه و الأسى يبعث الأسى فهاجت بنفسى زفرة ذات إيقاد

و قد جلل الوادى الرهيب و ما به بروعه. إجلال لها أثر بادى

هنالك لو شاهدت أروع منظر بروعه شعرى تردى و انشادى

سكون عميق قد تخلل بينه صدى صحيحة يعتاد ترديدها الحادى

و قد جثمت تلك التماثيل حوله و مالت أعاليها خشوعا كأجساد

و كم بعثرت من حول هاتيك كومة تراحم فى طياتها أى أضداد

و كم حفرة قد أدرجوا في قرارها مواهب أفاذ و أخلاق أمجاد
 فيا صفحة الوادي و أنت سجله أتدرين كم مرت قرون على الوادي؟
 و كم قد تلاشت في ثراه مفارق و كم طويت فيه أكاليل أسياد
 و كم صولجان قد تداعى كيانه به و عروش دكها الزمن العادي
 و رب لسان مفصح عاد أخرساو خاتته للتعبير قوة إيجاد
 و كان محالا عنده الصمت فاغتندى لسلطانه الجبار أطوع منقاد
 فهل طويت منه الفصاحة في الثرى و هل أخدمت في أثرها روعة النادي
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٠٩ سلام على الوادي على ذكواته و من حل فيه من ضيوف و وفاد
 على تربة منها الصبا قد تعطرت فرائحها الفياح يعبق كالغادي
 على صفحة الوادي و موجة رمله و آمال آباء و أحلام أولاد
 و قارورة من أدمع قد تكسرت لأم رؤوم فوق زهرة أكباد
 و يا تربة وادي السلام قرارها و من حبها في كل قلب هوى بادي
 سقاك الحيا من تربة قد ترعرعت على حبها نفسى بساعة ميلادي
 علقت بها طول الحيا و إننى سأبعث مقرونا بها يوم ميعادي

عبيد الله الحسيني

يا طيب نفع النسيم في سحر عرج على طيبه بتغليس
 و زر بقيعا تجد هناك به رسما من الدين جد مطموس
 و اغزهما بالغرى رازمة تثلم إضحاكها بتعبيس

الشيخ علي بازي

قد أزهرت كوفان و ارتاح النجف بمقدم الشهم الهمام ذى الشرف
 أهلا به من قادم مكرم قلبي له قبل اللسان قد هتف

السيد علي خان الشيرازي

يا صاح هذا المشهد الأقدس قرت به الأعين و الأنفس
 و النجف الأشرف بانت لنا أعلامه و المعهد الأقدس
 و القبة البيضاء قد أشرقت ينجاب عن لثلاثها الحندس
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١١٠

الشيخ على الشرقى وادى النجف

اللطيف غُبش صفحة الوادى المنور بالشقائق
 و الرمل موج السبائك بالشذا الفواح عابق
 و الدار عالية البناقوراء كاملة المرافق
 وضح الطريق لها و زالت عن شرائعها المزالت
 الشيخ على الشرقى
 فيها مفاتيح لأبواب الرجا و بها مغالِق
 و لها مجاز ينتهى بالسالكين الى حقائق
 حُضن الخورنق فرخهاأم العذيب و اخت بارق
 وطنى المفدى أى سرفى ثراك الطهر عالق
 أمن الثرى هذى الدمى و من الورى هذى الغرائق
 و من التراب و ما التراب؟ خلقت أورااد الحدائق
 لله فىك عناية جعلتك مخلوقا و خالق
 مرّت بصخرتك القرون سريعه مرّ الدقائق
 ملأى بكل طريفه من كل معجزة و خارق
 زاهى الحدود منيعة بينى المدارس و الخنادق
 ساع لرفعة شعبه بلد المنابر و المشانق
 و لواؤه القومى فوق شعاره الوطنى خافق
 العزّ وضاء المنارة لا مع و العزم صادق
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١١١ تاج الجزيرة قبسة سطعت على خير المفارق
 الحق تحت رواقهاو النبل ممدود السراقد
 أين اللواحق يا غرى فانت أنت أبو السوابق
 يا لمعة النجف المعلّى لا تجهمك الطوارق

وادى السلام

سل الحجر الصوان و الاثر العادى خليلى كم جبل قد احتضن الوادى
 فيا صيحة الاجيال فيه إذا دعت ملايين آباء ملايين أولاد
 ثلاثون جيلا قد ثوت فى قرارة تراحم فى عرب و فرس و أكراد
 ففى الخمسة الاشبار دكت مدائن و قد طويت فى حفرة ألف بغداد
 عبرت على الوادى و سفت عجاياة فكم من بلاد فى الغبار و كم ناد
 و أبقيت لم أنفض عن الرأس ترابه لأرفع تكريما على الرأس أجدادى

خليلي هجسا و اتنادا بخطوكم فلم تطأوا إلّا مراقد رقّاد
 فما الربوات البيض في أيمن الحمى و فد خشعت ألاً نضائد اكباد
 و هل رادع للناس عن كسر قلة إذا عرفوها من ضلوع و أعضاء
 لقد هبطت روادنا خير منزل سماء لأرواح و أرضاً لأجساد
 و جئنا لقوم يضربون قبابهم على رائح عن حيهم و على الغادى
 قباب عليها استهزأ الدهر ما بهاسوى الحجر المدفون و الحجر البادى
 ألا ايها الركب المجمع في الحمى إلى أين مسرى ظعنكم و من الحادى
 اعقباك يا دنيا قميص و طمرة بحفرة أرض من خرابات زهاد
 فذو الزهو خلى الزهو عنه و قد ثوى و ظلت على الغبرا سيادة أسياد
 فكم من هموم في التراب و همء و كم طويت فيه شمائل أمجاد
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١١٢ ثوت كومه للترب من حول كومه معلمة: هذا الزعيم و ذا الهادى
 طلبت ابن عباد فألفيت صخره و قد رقت هذا ضريح ابن عباد
 غدا تنبت الأجساد عشا على الثرى فهل تطلع الأرواح مطلع أوراد
 و هل لعبت بالراقدين حلومهم بأطياف أفرح و أطياف أنكاد
 و ما هذه الأجساد من بعد نزعها سوى قفص خال و قد أفلت الشادى
 مضت نشأة الأرحام في ظلماتها و أضوا منها نشأتى بعد ميلادى
 ولى نشأة أعلى و أجلى فاننى بتهيئة فى النشأتين و اعداد
 طباع الفتى فردوسه أو جحيمه و فى طى أخلاقى نشورى و ميعادى

قفص البلبل

و ما بلد ضمنى سجنه و لكنه قفص البلبل
 ترف جناحاه لم يستطع مطارا فيفحص بالأرجل
 لقد أقفلوا باب آماله فحام على بابه المقفل
 خفوق الحشى و خفوق الجناح تحير مهما يطر يفشل
 مروع يلوذ بجنب الشقيق و ما راعه غير صوت الخلى
 تنفض لو لا سقيط الندى ينوش جناحيه لم تبلل
 ثقيل على غصن الياسمين خفيف على صهوة الشمال
 و ما اشتاق الا خميل الورود و شوق الخطيب الى المحفل
 فعين إلى الزمر الرائحات و عين إلى سربها المقبل
 أبى المرء الا التماس الشقاء و عن منهج الغى لم يعدل
 فما رحمته يدا قانص و ناشته قاسية الأنمل
 لقد نازعوه بملك الفضا فأصبح وقفا على المنزل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١١٣ دعوه ليحيا حياة السعيد فلا هو يبلو ولا يتلى
 ينام فيحلم بالسانحات و يصحو فيصبح بالجدول
 يناوله الزهر غض الطعام هنيئا و يكرع في السلسل
 أتعرف ماذا يقول الهزارو ما ترجمت نعمة الموصلي
 قد استنصت الزمر الصادحات و رتل في وحيه المنزل
 تعالي فيبى عبرة للضعيف و لا حظ في العيش للأعزل
 سأملاً جيلي الذي عشت فيه حنينا إلى جيلك المقبل
 لقد كنت مثلك يا سانحات أروح و أغدو على المنهل
 فلا تأمنى إن أم السلام عقيم إلى الآن لم تحبل
 و هيهات هيهات يخلو الزمان فيما معاوية أو على
 هل الفضل يا أرض للزارعين يعود أم الفضل للمنجل
 و يا سهم ان صدتنى جارحاشكرتك إذ لم تصب مقتلى
 أرى الناس معرضة للشقاء و انى من السجن فى معزل
 و لا تعدلوا لهم آخرفان البلية من أول
 و هل حظ من يوسف سجنه و هل قدح الغمد بالمنصل
 *

بلدى رؤوس كلها أرأيت مزرعة البصل؟

على بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي

يا راكبا يفلئ الفلاة بجسرة زيافة كالكوكب السيار
 حرف براها السير حتى أصبحت كيراعة أنحى عليها البارى
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١١٤ عزج على أرض الغرى وقف بهو الشم ثراه وزره خير مزار
 و اخلع بمشهده الشريف معظماتعظيم بيت الله ذى الأستار
 و قل السلام عليك يا خير الورى و أبا الهداة السادة الأبرار

السيد على نقى النقوى اللكنوى الهندى

نجف و ما أدارك ما نجف للناس و الأملاك معتكف
 حرم إذا لاذ الطريد به يرعاه عن صرف الردى كنف
 و حديقه تزهو الورى طربا إذ فاح طيبا روضها الأنف
 روض سقاه فضل بارئه بصيب هاطلة لها وطف
 فتهدلت أغصانه و غدت افناؤه اللاجين تكتنف

و أت لها الأثمار مونة برضا المهيمن حيث تقتطف

*

المجد خيم في مرابعه و على فناه طنب الشرف
و به الهدى ألقى عصاه فلاحول له عنه و منصرف
العلم أودعه الإله به كمصون در ضمّه الصدف
ذا شيخنا الطوسي شيد به لربوع شرع المصطفى شرف
فهو الذي. اتخذ الغرى له مأوى به العلياء تعتكف
فتهافتوا السراج حكمته مثل الفراش اليه تزدلف * وقتهم الأبناء ضامنة
تجديد ما قد شاده السلف موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١١٥

الفرزدق

و ليلة بتنا بالغريين ضافناعن الزاد ممشوق الذراعين أطلس

الشيخ قاسم محى الدين

فما و حقك ما طابت مجالسنا من يوم فارقتنا يا درة النجف

كاظم الأزرى

يا آل بيت الله كل من ابتلى لم ينج الا فيكم أهل الولا
لكم كأبراج السموات العلى حفر بطيبة و الغرى و كربلا

الكميت

فيا ليت شعرى هل أبصرنّ بالنجف الدهر حضارها

مان الموسوس

اقفر مغنى الديار بالنجف و حلت عما عهدت من لطف
طويت عنها الرضى مذممة لما انطوى غض عيشها الأنف
حللت عن سكرة الصباية من خوف إلهى بمعرك قذف
سئمت ورد الصبا فقد ييست منى بنات الخدود و الخزف

سلوت عن نهدي نسين إلى حسن قوام و اللخط في وطف
يمددن حبل الصبا لمن ألفت رجلاه فيه المجون و الدنف
و مدنف عاد في النحول من الوجد إلى مثل رقة الألف
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١١٦ يشارك الطير في النحب و لا يشركه في النحول و القصف
و مسمعات نهكن أعظمه فهو من الضيم غير منتصف
مفتخرات بالجور عجا كما يفخر أهل السفاه بالجنف
و قهوة من نتاج قطر بل تخطف عقل الفتى بلا عنف
ترجع شرح الشباب للخرف الفاني و تدنى الفتى من الشغف

المجاشعي

اهل عرفت الدار بالغيرين لم يبق من آى بها يحلين
غير خطام و رماد كنفين و صاليات ككما يؤثفين

الشيخ محسن الخضرى قال، متشوقا - و هو خارج النجف - لمجلس أحيابه:

سرت نسمات الشيخ و هنا فنبهت أخوا كلف لم تألف النوم عيناه
وهبت علينا من حمى الضال نفحة سرت بجنانحى خافق من حواياه
فما نسمات الجزع تحمل رياه على حين أنستنا الحمى و خزاماه
تثنى بذاك العطف عن كل نبعة فعهدى بخوط البان غضا تمناه
و مرى بنا أزكى من المسك نفحة تفوح بأدنى المأزمين و أقصاه
و عوجى على الرضراض من رمل عالج فقد برزت للمدلجين نعماه
إذا الشيخ و القيصوم فيه تعانقاو فاحت بدياك العبير ثناياه
فدونك يا أرواح نجد شميمه و لا تحرمينا ويك من طيب رياه
و فى الجانب الغربى من أيمن الحمى صفاء يفديته الحمى بصفايه
بنفسى هم من نازلين بمغناه و بى أنتم من راشدين و قد تاهوا
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١١٧ فى أخوى ودى القديمين لاطفاخميلته الغنا و عوجا بمغناه
فثمة قتلى نشوة فى صعيده و يا أبى ذاك الصعيد و قتلاه
و يا صاحبى الأطينين تبوءا مقاما إلى جنب الفرات عهدناه
عهدناه مرهوب الجناب ممنعابشهم فمن موسى و من طور سيناه؟

*

وقعت بين كربلا و الغريين فما كان موقعا أحلاه

*

على الذكوات البيض من أيمن الحمى أقيما بنعش زلزل الأرض و السما

*

أرح العيس على رمل الحمى إنه رضراض درّ النجف
و استلم قدس ضريح قد سما مثل أفلاك السما فى الشرف

*

أمحلقا للكرخ من وادى الحمى كيما يزور به الأمير نصيفا

*

سقينا لأكناف الغرى فانها نعم المقيم لمن أراد مقيلا
و أنا الفداء لحضرة القدس التى عكف الوصى بها فعادت غيلا
حامى النزىل و لست أعرف منزلاً أحمى و أمنع من حماه نزيلا
و بنفسى الحى المقيم ببابه إذ كان ظلا للاله ظليلا
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١١٨ الثابتين و قد تزايل غيرهم فهم الجبال الشم جيلا جيلا
ثبتوا كما ثبت الألى من قومهم كرما فساجلت الفروع أصولا

*

و مقيم فى ثنيات الحمى عندما أزمعت القوم الرحيل

محمد بن أمير الحاج

الله أكبر لاح قرص الشمس فى أرض الغرى؟

أم قبة الفلك الذى فيها أضاء المشتري

أم طور سيناء الكليم به كيدر نير

بل قبة النبأ العظيم وزير طه الأطهر

محمد توفيق البلاغى

سلام على من شرف القبة الغرافطابت به نظما و طابت به نثرا

سلام على وادى الغرى أقله اذا ضاع عرفا يملأ البر و البحر

السيد محمد جمال الهاشمى

ودعت صحبى و تركت أهلى و نحو فارس شددت رحلى

قصدتها و دمعتى منهلها و نار حزنى فى الحشا مشتعلا

حتى دخلت أرض كرمشاه فى قلب يرف فى سماء النجف

موسوعة العتبات المقدسة، ج٦، ص: ١١٩ أرف عن النجف الأشرف لكم آية الشكر فى موقفى
و أختم أنشودتى بالذى بدأت: عن النجف الأشرف

*

ايه أرض الغرى يا شعلهالحق و يا غابه الليوث الكماء
يا منار الاسلام يا قبه الدين و يا مركز الهدى و الهداء

*

ان تاريخك المضمخ بالمجدتسامى بالفضل و الاكرام
سوف يبقى الزمان يرنولعلياه بعين الاجلال و الاعظام
نم مهنى براحه و سلام فى حمى حيدر (بدار السلام)

الشيخ محمد جواد الجزائرى

و ضيم الغريان غاب العراق و فارق ليث العرين العرينا

الشيخ محمد حسن حيدر

يا بلبل النجف الغريد فيه الاغرد كما غرد الأطيار فى الزهر
يهزنى شعرك الراقى فاحسبه من نعمة الغيد او من نعمة الوتر

*

يا جيرة الحى من وادى الغرى الأهل فيكم من يحيينى فيحيينى
موسوعة العتبات المقدسة، ج٦، ص: ١٢٠ هل فيك ما فى من و د يهيج على وادى الغرى) و أكرم فى أهاليه

محمد بن الحسين – البهاء العاملى

يا ربح اذا أتيت أهل النجف فالشم عنى ترابها ثم قف
و اذكر خبرى لدى عريب نزلوا واديه و قص قصتى و انصرف

محمد الخليلي «وادي السلام»

حى وادى السلام وادى الأمان بلغت فيه ساكنوه الأمانى
جاور المرقد الشريف فنال الفضل من دون سائر الوديان
و انتمى للغرى فازداد فخرا و تسامى علا على كيان
فتراه و القلب يرتاح فيه مثل روض بزهره مزدان

فكان القبور فيه قصور و كأن السموم نفع الجنان
و كأن الحصباء فيه درار نثرت فوق تربة الزعفران
ليت شعري و كل قبر سواه مكمد للفؤاد بالأحزان
كيف أمسى وادى السلام و أضحى يتسلى فيه عن الأشجان
فأجبنى عن سرّ هذا المعنى عن طريق المعقول و الوجدان

السيد محمد سعيد الحبوبى

فاحد من ركب إذا الركب حدافيه يوما، و أفم ما إن أقام
يؤمن نجدا إذا ما أنجداو إذا أتهم فالمسرى تهام
و هو إن يشهد فأّم المشهداو سلام لك من دار السلام
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٢١ إن ثوى جسمى فحلّ النجفاففؤادى عندهم لم يظعن
أين من حلّوا بجمع و الصفامن مقيم بالغرّى الأيمن

*

يوم تزويج بدور و شمس بزغت ليلا و باتت بزّغا
واصلت نورا بمرآة النفوس أدركت أمنا و نالت مبتغى
هزمت من سعدها جيش النحوس و بها ثوب النحوس انصبغا
فشدا القمرى لا بل هلهلابمثنانى السابغات الهتف
ملأت بالبشر أقطار الملافرحة البشر بأرض النجف

*

و لو أننى فاوضت ذا الطرس بعضه لأحرقه حتى و هى و أبيدا
و لم تقو عيسى أن تقوم بحمله و لو مسخت أخفافهن حديدا
و لو سخرت شم الجبال النقلة و حملنه لانهلن منه صعيدا
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٢٢ ألا فليطب بالكرخ عيش أحبتي فما ذقت عيشا بالغرّى رغيدا
و أشرب عذب الماء رنقا كأنما سقانى ضريعا صدكم و صديدا
و من شقوتى ان يحكم البين بينناو يا شد ما أشقى الزمان سعيدا

*

فما الخطب أغرى بالغرّين زفرة به ارتجلت رجع النواج نواحيه

*

و جاد سحاب العفو مرقد صالح لدى الذكوات البيض من أيمن الوادى

الشيخ محمد السماوى

ألم على ذكوات النجف ولاحظ بط فكك تلكك الطرف
هواء نقيا تحف النفوس بطيب هدايا له أو تحف
و تربا زكيا يود الفؤاد يلاصقه من وراء الشغف
و عرفا ذكيا يغير الكبا إذا الأنف ناشقه و ائتنف
*

و عج بالحمى لترى رمله النقى و ما رق فيه ورف
ترى الدر منتثرا بالرمال ينظمه الريح صفا فصفا
إذا باكرته السما بالحياحسبت مدار النجوم انقصف
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٢٣ ترى مشرق النهر من حوله على جانب الغرب منه انعطف
كما طرح السيف فى روضة فأومض افرنده و استشف
ترى الطير بين الورى آمنا يغرد للمرء فيما استخف
إذا ما تأملت تغريده ظننت هناك عروسا تزف
فأين يتاه بمن لم يعج بتلك الجنان و تلك الغرف
أيختار ربعا سوى ربعها فيلقى اللآلى و يجبى الصدف
*

و إخوان صدق رقيقى الطباع تكاد طباعهم ترتشف
كماه كرام يرون الشرف بفرط الشجاعة أو بالسرف
يؤلفهم جامع من و لاعلى إذا ما القبيل اختلف
كأن الجماهير حول الضريح حجيج بمكة ذات الشرف
كأن صفوفهم فى الصلاة أكاليل در بتاج تصف
كأن العلوم إذا دارسوا بحار بأفكارهم تغترف
سل الصحن كم فيه من لاند يقول على له: لا تخف
و كم فيه من مستقيل يقال له قد عفا الله عما سلف
و كم فيه من ذاكر ربه تقرب بالمرتضى فازدلف

محمد بن عبد الوهاب الهمداني امام الحرمين

مذ شيخنا الراضى الصفى فقيه أهل النجف
شاق إلى جوار ربّه المنيع الكنف
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٢٤ نودى من جانبه نداء مشتاق خفى
أيتها النفس ارجعى لربك المعطى الوفى
راضية بعيشة مرضية فى شرف

*

مذ أسد الله الهمام السرى سليل ساقى الناس من كوثر

اجرى إلى الغرى ماء مرى قد أرخوه جاء ماء الغرى

١٢٨٨

الشيخ محمد على اليعقوبى

و يشكر ك الحمى و بنوه طراعلى ما كان منك و ما يكون

*

فأهلاً به من زائر خير بلدة تحف به سكانها و ترحب

*

من التبر صيغت لكم قبة يقدمها النجف الأزهر

مصغرة الشكل عن قبة ثوى تحتها العالم الأكبر

*

يقدم سكان الغريين قبة من التبر تهدي للمليك المبجل

و لا عجب ان طاولت قبة السمافاها هى تحكى قبة المرتضى على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٢٥ أبا المجد حسب المجد فخرا بأنه يكتيك فيه حاضر الناس و البادى

ورثت المزاي الغر عن خير أسرة و أنجب آباء و أطيب أجداد

نشرت بحى مذ أقمت بجوها علوم ابن عباس و فضل ابن عباد

تركنا الذى يروى قديما و شاقنا حديث الرضا يروى بصحة إسناد

حننت لأكناف الغرى و كم بهالوصلك حنت من قلوب و أكباد

و كم لك من إخوان صدق قد استوى على النأى خافى شوقهم لك و البادى

تحن لأوطار بناديك قد خلت إذ الفضل كل الفضل فى ذلك النادى

ليالى فيها نظم الحب شملكم كما انتظمت أسماط در بأجباد

و غصت نوادى العلم فيكم كأنها مناهل و راد و نجعة رواد

يجارى أبو يحيى الجواد أبا الرضالدى حلبة كان المجلى بها الهادى

و قد كنت فارقت الحمى تاركا به منابت فيها طاب غرسى و ميلادى

و جاورت بالفيحاء شرقى بابل بدور هدى شعت بعلم و إرشاد

قضيت بها أيام أنس كأنها بآل معز الدين أيام أعياد

على أننى فيها أتوق إلى الحمى فجسمى فى واد و قلبى فى وادى

بعثت بإنشائى إليك و ليتنى أراك على قرب لتسمع إنشادى

و مالى فضل إن رددت تحية بدأت بها- مولاي- فالفضل للبادى

*

أحبه قلبي بأرض الغرى سقى عهدكم مستهل المزن
على القرب أهواكم و البعادو فى السر أذكركم و العلن
حنيني اليك أبا أحمد حنين أخى غربه للوطن
فيا ساكنا بحمى المرتضى و ما لك إلا فؤادى سكن
موسوعه العتبات المقدسه، ج ٦، ص: ١٢٦ أهل لبثه لى بتلك الربوع سقاها ملث الغمام الهتن
عسى أجتلى منك وجهها سناه يفوق الهلال إذا الليل جن
و لم أنس تلك الليالى القصار تقضت بقربك طول الزمن
ليالى فيها اجتديت الزمان فجادبها برهه ثم من
*

هتف الغرى و أهله بحياته و استبشر القاصى بها و الدانى

*

و النجف الأعلى و ناهيك به من بلد ليس يضاهيه بلد

*

ضيف على وادى الغرى كريم أنى يقوم بحقه التكريم

*

و كان إراكه طابت أصولا سقتها الكاظميه و الغرى

*

مدينة الغرى حين أزهرت معاهد العلم بها كالأزهر

شادوا بها مدرسه أهليه فأسست مذ أرخوا باسم الغرى

١٣٤٤ هـ

*

حزت يا هاشم أسنى رتبه لم يحزها أبدا من قد سلف

موسوعه العتبات المقدسه، ج ٦، ص: ١٢٧ دارك الخلد غدا إذ أرخا شدت للزوار دارا بالنجف

١٣٥٠ هـ

السيد محمد القزويني

لا يبعد القوم الذين عن الحمى اتخذوا لدى الجلى سواه بديلا

من فر يوم الزحف عنه فاننا فيه اتخذنا منزلا و مقيلا

حتى إذا حمى الوطيس و لم نجد الا طعينا بالحمى و جديلا

لذنا بمرقد من تطوف بجنبه زمر الملائك بكره و أصيلا

مستصرخين بقبر ذى البأس الذى عند الصريخ يرد عزرائيلا

أتره يندبه القصي فيكشف الكرب الجلى و لا يجير نزيلا

فسيؤمن المتخلفين و ينجد المترحلين مخافة و ذهولا
و يكون اعلانا لديه رتبة من لم يفارق ربه المأهولا

*

ان حامى الجار لما شخصت نحوه الأبصار تهى بانسجام
و تهافتنا على تربته مستجيرين كأفراخ الحمام
و تساقطنا على مرقد كظماء سقطت يوم أوام
و تصارخنا بمثواه ضحى صرخة الرضع من قبل الفطام
كشف الغمة عن أشياعه و دعا أن نزيلي لا يضام
و انتضى العصب الذى يرهبه ملك. الموت لدى الحرب الزوام
فاتخذنا جنه من بأسه نتقى فيها من الجن السهام
و على نار الوباء أمطرنا سحب عفو أخدمت منها الضرام
و غداة اضطرت صيرها بالحما بردا علينا و سلام
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٢٨

الشيخ محمد الكرمى من قصيدة طويلة

اما الغرى و طيب اوقاتي به و جميل ذكراه فلست بناسى
بلد حسوت به السعادة عكس مافى هجرتى عنه ارانى حاسى
بلد عهدت به القداسة ثرة و أناسه فى الخلق خير أناس
بلد به مثوى الوصى و مفزع للخائفين و كعبة للناس
هو ملتقى النزعات ندوة درسهاو مجال كل مقدس و سياسى
كم ناهضته الحادثات بقسوة لتحط منه فكان طودا راسى
لم أنأ عنه لغيره عفوا و لارجحت قصد سواه باستيناسى
او لم يكن رحب الفناء و أرضه مثوى أجائى و مسقط راسى

محمد مهدي الجواهرى «بين النجف و أميركا»

أمريك يا ابنة كولمبس لحبك وقع على الأنفس
صبوت اليك و أين الفرات و أهله من بحرك الأطلس
حننا و لو كان فى وسعنا سعيينا إليك على الأروس
إذا أنس الصب ذكر الحبيب فى غير ذكرك لم آنس
هو اجس تدنى إليك المنى و لو لا المنى قط لم أهجس
وانى و قلبى ذاك الرقيق أحن إلى صخر ك الأملس

هوى لى لو بالدرارى صبت و لو بالعواصف لم تهمس

محمد مهدي الجواهرى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٢٩ اذا كان من ثمر للمنى ففى غير أرضك لم يغرس

و كم قائل ما اصطلى فى الهوى بنارى و قد غره ملمسى

أليس سواها نفيس يرام فقلت: هوأى مع الأنفس

أحباى حتى م يصبو لكم معاف و يذكركم من نسى

ألا هل أتاكم بأنى متى يدر كأس حبكم احتس

وانى كالليل بادی الهموم و أنى كالنجم لم أنعس

ولى قلب حرّ عصى الزمام فان راضه حبكم يسلس

و كم ليلة بت فى عزله و من طيب ذكراكم مجلسى

و بلدة ذل تميت الشعور فمنطيقها الحر كالأخرس

أحب بلادى لو لم أخف بها شرّ ذى الغدره الأشرس

يجاذب قلبى اليها الهوى و يأبى المقام بها معطسى

جفونى و لا ذنب إلا الإباء و إن طاب من بينهم مغرسى

و قالوا تناسى و لا حنئو هل بلبل حنّ للمحبس

المنصور بالله محمد بن يحيى بن حميد الدين الحسنى اليمانى، امام اليمن

هبت لنا نسמת الشوق من نجفاحت لها صافنات الخيل و الإبل

السيد محمود الجبوى

رسل الثقافة فى الغرى تبنواشوق النفوس طفا على بسماها

طبت عواطفها على أفواهاها ما تطبع الحسنا فى مرآتها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٣٠ انا إن اوافك بالتحية إنها باسم الغرى و باسم رابطة الغرى

*

زرت الغرى و ما أجلك زائراً أرضاً تتيه على سماء المشتري

*

و انشر على النجف المقدس روعة كانت ترف على منى و المشعر

اصيل النجف

نشرت أشعتها على الآفاق صفراء ساعة آذنت بفراق

تهتز خافقه أمام مغيبها أبها صبا به قلبك الخفاق؟
و يروعها أن سوف يخفى نورها وجبينها المتدفق الإشراق
فتبيت بعد جلالها و جمالها عن أعين النظر خلف رواق
و ترى السما لوداعها تبكي دما فتريك كيف مدامع العشاق
*

بنت الطبيعة ما أجلك طلعة غزاء دام أمامها إطراقى
زدت الطبيعة روعة فعلقتها و صرفت نحو جمالها أشواقى
و على الجهات قريها و بعيدا حسن يقابل مثله و يلاقى
الافق مكسو بأجمل حلة تصبى القلوب بوشيا البراق
و الارض فى هضباتها و سهولها فتانه، و بمائها الرقراق
و الرمل موج السنأ، أرأيت ماناطته أيد الغيد فى الأعناق
و الغيم ذهبّت الأشعة لونه فبدا منى الأرواح و الأحداق
و الطير عائدة إلى أعشاشها و فراخها فى ألفه و وفاق
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٣١ جدلى بما نالته من رزق فما برحت تجل مقسم الأرزاق
و بكل ما يبدو لعينك فتنه ما للهيام بحسنا من واق
قد أيقظت فى النفس راقد جها و أعادت الآمال للإبراق
سحرت نهى المتأملين و ما ثنى عنها العيون تخالف الأذواق
كل يرى فيها مباح قلبه و مناه فالسالى أخو المشتاق
*

ما كان أجمله أمامك مشهدا يا نفس فاض بحسنه الدفاق
ينسى المقيم كل ما يشكوه من أيام هجر أو زمان فراق
تتسابق الأحلام فيه فشاهدى مجرى الصواهل كل يوم سباق
و تمتعى بسياحة فكرية فى الأرض زاهية و فى الآفاق
جلّ الذى ملأ الوجود محاسنا شهدت بدقه حكمة الخلاق
هى ساعة غمرت باشتات الرؤى و زهت ليعبدها الخيال الراقى
هذا يؤمل أن يتم زمانها قرب الحبيب بقبله و عناق
و لذاتها يشتاها هذا، و ذا يشتاها لمدامه و لساقى
و يريد لها للهو ذا، أما أنا فأريدها لتزين جوّ عراقى
يا عين لا يغمضك عنها انها ستغيب عنك و أى حسن باقى

الشيخ ملا مهدي النراقى

ألا قل لسكان ارض الغرى هنيئا لكم فى الجنان الخلود

أفيضوا علينا من الماء فيضافنحن عطاشى و أنتم ورود

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٣٢

السيد موسى الطالقانى

شمس تشعشع فى الغرى و تلمع أم قبه فيها البطين الأنزع

*

و بوادى الغرى اى إمام هو دون الأنام نفس الرسول

*

فأله يا ساكنى ارض الغرى بمن تناهبت جسمه الأسقام و العلل

ناء تنادمه الذكرى بقربكم فيثنى و هو من ذكراكم ثمل

واهى القوى لم يطق حمل الرداء و قدعجبت كيف لعبء الوجد يحتمل

يهزه الشوق إن ناحت على فن بنت الأراكه أو قد حنت الإبل

يزوره الطيف لكن ليس يدركه حتى يدل عليه الوجد و الوجل

*

تذكرت الغرى و ساكنيه فهاج الشوق و اشتعل الغليل

غداة نفر اذ حنت نياقى و قد سرت الطعائن و الحمول

و طوحت الحداء و هاج صحبى و ساق العيس سائقها العجول

فناديت الحداء- و ما أجابوا- إلى ارض الحمى تالله ميلوا

فما رقت قلوبهم لصب نحيل الجسم رق له العذول

فمال القلب يقطع كل فج إليهم و الغرام له دليل

و هم الطرف يتبعه فحالت سيول الدمع و انقطع السبيل

على ارض الغرى سلام صب بشعر الوجد يمضغه الرحيل

و تلفظه التلاع الى حضيض و للأوعار تقذفه السهول موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٣٣ بيت الليل محتضنا جواه و بين ضلوعه

داء دخيل

و كم ليل قطعت به الفيافى ولى من عزمى العضب الصقيل

بكل فتى أسيل الخد مهما فقدنا البدر فهو له بديل

يجاذبنا السرى أنضاء سقم نحافا و النعاس بنا يميل

نميل على الرحال تخال أنا نشاوى و الشمال لنا شمول

نمر على الربوع و ما تمت سوى أنا بمربعها نزول

تحيينا المنازل إن نزلناو تحيا من مدامعنا الطلول

ألا من مبلغ الأحباب عنى بأنى ذلك المضمنى العليل

على عهد الغرام أقام قلبى و أقسم للقيامه لا يحول

*

نشرت على يد السرور لواءا لبست من بشر اى فيك رداء
يا زائرا أرض الغرى و هاجراروض الرصانة فيه و الزوراءا

السيد نصر الله الحائرى

و ردّت له ثالثا فى الغرى- ترى قبّه ألبسوها نضارا

*

رأيت الغريين بالتبر لابقان من الدم أمسى ممارا

*

أيا ساكنى أرض الغرى و حقكم فؤادى مذ غبتم يقلب فى جمر
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٣٤ أيا ساكنى وادى الغرى الممتع عليكم سلام من مشوق ملوع

*

بالله ريح الصبان جزت فى وادى النجف

فأقر السلام أحبة أنوارهم تجلو السدف

و قل المتيم بعدكم أودى به فرط الأسف

متذكرا عصرا مضى معكم بهاتيك الغرف

أحسن بها غرفا غدت مأوى المعانى و الشرف

غرفا زهى ورد العلى فيها فلذ لمن قطف

در النجف

لو لم تكن بحر جود ما قذفت لنا بدره فى السنا أزرت بكىوان
قد أصبحت يا أبا الإفضال معربة عن صفو ودك فى سر و إعلان

الشيخ يعقوب الحاج جعفر النجفى الحلى

تغربت عن ارض الغرى فلم تكن تقر عيونى او تطيب حياتى

حبست ركابى عندها اليوم بعدما أذبت عليها النفس بالزفرات

مواطن آبائى بها و أحببى و فيها مغانى أسرتى و سراتى

فمن تربها أصلى و مبدأ نشأتى و أرجو بها مثنواى بعد وفاتى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٣٥

النجف في التاريخ

تاريخ الرسل والملوك

إشارة

كان النعمان .. قد غزا الشام مرارا .. فذكر .. أنه جلس يوما في مجلسه من الخورنق فأشرف منه على النجف و ما يليه من البساتين و النخل و الجنان و الانهار، مما يلي المغرب، و على الفرات مما يلي المشرق. و هو على متن النجف في يوم من أيام الربيع فأعجبه ما رأى من الخضرة و النور و الانهار.

* جمع تبع الجنود و سار حتى نزل الحيرة و قرب من الفرات فأذاه البق، فأمر الحارث بن عمرو أن يشق له نهرا الى النجف، ففعل و هو نهر الحيرة، فنزل عليه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٣٦

سنة ١٢ هـ

لما أصاب خالد ابن الآزابه على فم فرات بادقلى قصد للحيرة، و استلحق أصحابه، و سار حتى ينزل بين الخورنق و النجف، فقدم خالد الخورنق و قد قطع الآزابه الفرات هاربا من غير قتال، و انما حداه على الهرب ان الخبر وقع اليه بموت اردشير و بمصاب ابنه، و كان عسكره بين الغريين و القصر الأبيض. و لما تنام أصحاب خالد اليه بالخورنق خرج من العسكر حتى يعسكر بموضع عسكر الآزابه بين الغريين و القصر الأبيض

سنة ١٣ هـ

بعث المثنى - بعد الجسر - فيمن يليه من الممدين فتوافوا إليه في جمع عظيم .. و كتب إلى عصمة و من معه .. و طلع عصمة على النجف و من سلك معه طريقه

سنة ١٤ هـ

لما فصل رستم من ساباط، لقيه جابان على القنطرة فشكا إليه و قال: ألا ترى ما أرى؟ فقال له رستم أما أنا فأقاد بخشاش و زمام و لا أجد بدا من الانقياد.

و أمر الجالنوس حتى قدم الحيرة فمضى و اضطرب فسطاطه بالنجف

* لما فصل رستم و أمر الجالنوس بالتقدم الى الحيرة أمره أن يصيب له رجلا من العرب .. فلما انتهى الى النجف سرحا به الى رستم موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٣٧

ثم انصب إلى المطاط فعسكر مما يلي الفرات بحيال اهل النجف، بحيال الخورنق إلى الغريين

* لما اطمأن رستم أمر الجالنوس أن يسير من النجف فساد في المقدمات فنزل فيما بين النجف و السيلحين و ارتحل رستم فنزل النجف

* فلما نزل رستم النجف عادت عليه الرؤيا فرأى ذلك الملك و معه النبي (ص) .

* و جعلت السرايا تطوف و رستم بالنجف، و الجالنوس بين النجف و السيلحين .

* أما عمرو .. فخرج حتى تلقى عمر فسأله عن طليحة فقال: لا علم لى به.

فلما انتهى إلى النجف من قبل الجوف قال له قيس ما تريد؟ قال: أريد أن اغير على ادنى عسكرهم .

* و خرج الذى كان بالنجف و الذى كان فى ذى الحجاب فاتبعه الذى كان فى الجالنوس فكان اولهم لحاقا به الجالنوسى، ثم الحاجبى، ثم النجفى .

* كان عمر قد عهد إلى سعد- حين بعثه إلى فارس- ألا يمر بماء من المياه بذى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٣٨

قوة .. إلّا أشخصه. فلما دنا رستم و نزل النجف بعث سعد الطلائع و أمرهم أن يصيبوا رجلا ليسأله عن اهل فارس فخرجت الطلائع بعد اختلاف ... و لا يشعرون بفصولهم من النجف .

* لما نزل رستم النجف بعث منها عينا إلى عسكر المسلمين .

* لحق [زهره] بالقوم و الجالنوس فى آخرهم يحميهم فشاولة زهره فاختلفا ضربتين، فقتله زهره و أخذ سلبه. و قتلوا ما بين الخزاره إلى السيلحين إلى النجف. و أمسوا فرجعوا فباتوا بالقادسيه

سنة ٥٥١ هـ

عن عبيد الله بن الحرّ الجعفى قال: و الله انى لواقف عند باب السرى بن ابى وقاص حين مرّوا بحجر و أصحابه ... فمضوا بهم حتى انتهوا بهم إلى الغريين .

سنة ٥٦٧ هـ

عن سديد بن غفلة؛ قال: بينا أنا أسير بظهر النجف اذ لحقنى رجل فطعننى بمخصره من خلفى

* ثم انى لفى المسجد الاعظم اذ دخل رجل معتم يتصفح وجوه الخلق ..

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٣٩

قلت: معاشر همدان أنا اشهد بالله لقد ادركنى هذا بظهر النجف فقصصت عليهم قصته .

سنة ٥٢٠ هـ

قال سالم زنبيل: لما صرنا إلى النجف قال لى يوسف انطلق فائتنى بطارق .

سنة ٥١٤٤ هـ

لما قدم بعبد الله بن حسن و أهله مقيدىن فأشرف بهم على النجف قال لأهله:

أما ترون فى هذه القرية من يمنعنا من هذا الطاغية؟ قال: فلقية ابناحى؛ الحسن و علىّ مشتملين على سيفين. فقالا له: قد جئناك يا ابن رسول الله فمرنا بالذى تريد. قال: قد قضيتما ما عليكما و لن تغنيا فى هؤلاء شيئا فانصرفا .

سنة ٥١٤٥ هـ

حدثنا ابن ابى الكرام؛ قال بعثنى عيسى برأس محمد و بعث محمد مائة من الجند. قال: فجئنا حتى اذا أشرفنا على النجف كبرنا

سنة ٢٢٦ هـ

و فيها؛ حج محمد المنتصر و حجّت معه جدّته شجاع؛ أم المتوكل فشيعهما المتوكل إلى النجف
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٤٠

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم

سنة ٣٧٢ هـ

توفى [فنا خسرو بن الحسن بن بويه، عضد الدولة] في آخر يوم الاثنين من شوال هذه السنة. و أخفى خبره، و دفن في دار المملكة إلى
أن خرجت السنة، و تقررت قواعد المملكة. ثم أظهرت وفاته، و حمل إلى مشهد على عليه السلام .

سنة ٢٧٩ هـ

توفى عصر يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة من هذه السنة، شرف الدولة بن عضد الدولة، و حمل إلى المشهد بالكوفة فدفن في تربة
عضد الدولة.

سنة ٣٩٧ هـ

ان فخر الملك ابا غالب قصد [ابا العباس ابن واصل، فاستجار ابن واصل بحسان بن ثمال الخفاجي، فصيّره إلى مشهد على - عليه
السلام- فتصدق هناك بصدقات كثيرة، و سار من المشهد قاصدا بدر بن حسنويه.

سنة ٤٠٥ هـ

توفى في هذه السنة [بدر بن حسنويه بن الحسين ابو النجم الكردي من اهل الجبل و حمل إلى مشهد أمير المؤمنين على - عليه
السلام- فدفن به .

سنة ٤١٨ هـ

لما أحس [الحسين بن على بن الحسين، ابو القاسم المغربي الوزير] بالموت كتب كتابا إلى من يصل إليه من الامراء و الرؤساء الذين
من ديار بكر و الكوفة؛

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٤١

يعرفهم ان حظية له توفيت و ان تابوتها يجتاز بهم إلى مشهد أمير المؤمنين على - عليه السلام- و خاطبهم في المراعاة لمن يصحبه و
يخفره، و كان قصده أن لا يتعرض أحد لتابوته و ان ينطوى خبره، فتم له ذلك. و توفى في رمضان بميفارقين ..
و حمل إلى مشهد أمير المؤمنين على - عليه السلام- فدفن هناك

سنة ٤٤٢ هـ

من الحوادث فيها، أنه ندب ابو محمد النسوي للعبور، و ضبط البلد. ثم اجتمع العامة من اهل الكرخ و القلائين و باب الشعير و باب

البصرة- على كلمة واحدة؛ في انه متى عبر النسوى أحرقوا أسواقهم وانصرفوا عن البلد. فصار أهل الكرخ إلى باب نهر القلائين فصلوا فيه، و أذنوا في المشهد (حتى على خير العمل) و أهل القلائين بالعتيقة و المسجد بالبزازين (بالصلاة خير من النوم) و اختلطوا و اصطلحوا، و خرجوا إلى زيارة المشهدين مشهد على و الحسين ..

سنة ٤٦٠ هـ

توفى فقيه الشيعة ابو جعفر الطوسي بمشهد أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام

سنة ٤٧٩ هـ

يتم [السلطان ابو الفتح ملك شاه الى مشهد على- عليه السلام- فأطلق لمن فيه ثلثمائة دينار. و تقدم باستخراج نهر من الفرات يطرح الماء الى النجف فبدىء فيه و عمل له الطاهر نقيب العلويين المقيم هناك سماطا كبيرا.

سنة ٤٨٠ هـ

توفى في ذى القعدة من هذه السنة، محمد بن هلال المحسن بن ابراهيم؛ ابو موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٤٢ الحسن الصابى، الملقب بغرس النعمة. و دفن في داره بشارع ابن عوف، ثم نقل إلى مشهد على- عليه السلام-

سنة ٥١٣ هـ

ورد الخبر بأن ديبس بن مزيد كسر المنبر الذى فى مشهد على- عليه السلام- و الذى فى مشهد الحسين. و قال لاتقام- هاهنا- جمعة و لا يخطب لأحد .

سنة ٥١٥ هـ

دخلت العرب- من نهبان- فيد، فكسروا أبوابها، و أخذوا ما كان لأهلها. فعمل موفق الخادم الخاتونى لهم أبوابا من حديد، و حملها على اثني عشر جملا، و أنفذ الصنائع لتنقية العين و المصنع، و كانت العرب طمّوها و اغترم- على ذلك- مالا كثيرا. و تولى ذلك نقيب مشهد أمير المؤمنين على- عليه السلام-

الكامل فى التاريخ

إشارة

قيل أوحى الله الى برخيا بن حنيا يأمره، أن يقول لبخت نصر ليغزو العرب، فيقتل مقاتلتهم ... فأبتدأ بمن فى بلاده من تجار العرب، فأخذهم و بنى لهم حرّان بالنجف، حبسهم فيه و وكلّ بهم

سنة ١٤ هـ

أغار سواد بن مالك التميمي - بعد مسير الوفد إلى يزد جرد - على النجاف و الفراض، فاستاق ثلاثمائة دابة، من بغل، و حمار، و ثور و أوقرها سمكا، و صبح العسكر فقسمه سعد بين الناس، و هذا يوم الحيتان .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٤٣

لما نزل رستم بالنجف، رأى كأن ملكا نزل من السماء - و معه النبي - صلعم - و عمر فأخذ الملك سلاح أهل فارس، فختمه ثم دفعه إلى النبي - صلعم - فدفعه النبي - صلعم - إلى عمر. فأصبح رستم حزينا. و أرسل سعد السرايا، و رستم بالنجف، و الجالينوس بين النجف و السيلحين .

ليلة الهريز سنة ١٤

.. لحق [زهره بن الحويّ التميمي المنهزمين، و الجالينوس يجمعهم فقتله زهره، و أخذ سلبه. و قتلوا ما بين الخراة الى السيلحين الى النجف .

سنة ١٢٠ هـ

قدم [يوسف بن عمر الثقفي الكوفي في جمادى الآخرة سنة عشرين و مائة فنزل النجف .

سنة ٣٧٢ هـ

في هذه السنة، في شوال، ... مات [عضد الدولة] ثامن شوال ببغداد، و حمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي - ع - فدفن به .

سنة ٣٧٩ هـ

في هذه السنة، مستهل جمادى الآخرة، توفي الملك شرف الدولة؛ ابو الفوارس شير زيل بن عضد الدولة مستسقيا، و حمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي - ع - فدفن به .

سنة ٣٨١ هـ

هرب الوزير المغربي الى مشهد أمير المؤمنين علي (ع) [و] سار من مشهد علي (ع) الى العزيز بمصر .

سنة ٤٠٠ هـ

فيها، مرض أبو محمد بن سهلان فاشد مرضه، فنذر إن عوفى، بنى سورا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٤٤

على مشهد أمير المؤمنين علي - عم - فعوفى؛ فأمر ببناء سور عليه. فبنى في هذه السنة. تولى بناءه أبو اسحاق الارجاني .

سنة ٤٠٣ هـ

في هذه السنة، خامس جماد الآخرة، توفي بهاء الدولة أبو نصر ابن عضد الدولة بن بويه - و هو الملك حينئذ بالعراق - .. و كان موته بأرجان، و حمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي - عم - فدفن عند أبيه عضد الدولة .

سنة ٤٠٥ هـ

فى هذه السنة، قتل بدر بن حسنويه أمير الجبل .. فأمر [الحسين بن مسعود الكردى بتجهيزه، و حمله إلى مشهد على - عم - ليدفن فيه، ففعل ذلك

سنة ٤٠٦ هـ

فيها، قبض سلطان الدولة على نايبه بالعراق و وزيره فخر الملك أبى غالب، و قتل سلخ ربيع الأول .. و لما مات نقل إلى مشهد أمير المؤمنين على - عم - فدفن هناك .

سنة ٤٢٢ هـ

اعترض أهل باب البصرة قوما من قم أرادوا زيارة مشهد على و الحسين - عم - فقتلوا منهم ثلاثة نفر .

سنة ٤٤٦ هـ

القائم - و هو بناء من آجر و كلس ... قيل انه كان علما تهتدى به السفن لما كان البحر يجيء الى النجف .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٤٥

سنة ٤٥٥ هـ

توفى [المرتضى أبو الفتح أسامة] نقيب العلويين بمشهد أمير المؤمنين على - عم - فى رجب سنة ٧٢ [٤] هـ .

سنة ٤٧٩ هـ

مضى السلطان [ملكشاه و نظام الملك إلى الصيد فى البرية فرارا المشهدين؛ مشهد أمير المؤمنين على، و مشهد الحسين - عم - و دخل السلطان البر، فاصطاد شيئا كثيرا من الغزلان، و أمر ببناء منارة القرون بالسيعى .

سنة ٥٣٣ هـ

فى هذه السنة، فى صفر، توفى الوزير شرف الدين أنو شروان بن خالد ..
بيغداد. و حضر جنازته وزير الخليفة فمن دونه و دفن فى داره ثم نقل الى الكوفة، فدفن فى مشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام .

سنة ٥٩٠ هـ

فى هذه السنة، كانت زلزلة فى ربيع الأول - بالجزيرة و العراق و كثير من البلاد - سقطت منها الجبانة التى عند مشهد أمير المؤمنين على - عم - .

فرحة الغرى

في سنة خمس و خمسمائة [٥٠٥ هـ] توجه الخليفة المقتفى مشيعا للحجاج إلى النجف .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٤٦

الخليفة الناصر لدين الله، زار [أمير المؤمنين مرارا .

* ذكر ابن طحال؛ ان الرشيد بنى على [قبر أمير المؤمنين بنيانا بأجر أبيض، أصغر من هذا الضريح- اليوم- من كل جانب بذراع. و لما كشفنا الضريح الشريف وجدناه مبنا عليه تربة و جصا. و أمر الرشيد أن يبنى عليه قبة، فبنيت من طين أحمر، و طرح على رأسها جرة خضراء. و هي في الخزانة اليوم .

* زار الخليفة المستعصم [أمير المؤمنين و فرق الأموال الجليله عنده .

* الخليفة المستنصر [زار أمير المؤمنين ، و عمل الضريح الشريف و بالغ فيه

* زيارة يوم الغدير ... هي اليوم الثامن عشر من ذى الحجة. يجتمع بمشهد أمير المؤمنين- عليه السلام- جموع عديده تتجاوز حد الاحصاء و العد .

* جاء جعفر بن محمد، و محمد بن علي بن الحسين؛ هذا الموضع من قبر أمير المؤمنين علي. و لم يكن إذ ذاك- القبر و ما كان إلا الأرض. حتى جاء محمد بن زيد الداعي فأظهر القبر .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٤٧

محمد بن زيد بن الحسن بن محمد، تقدم بطبرستان ... بنى المشهد الشريف الغروي أيام المعتضد .

* عضد الدولة؛ تولى عماره [مشهد أمير المؤمنين ، و أرسل الأموال.

و تاريخ فراغها مكتوب على حائط القبه، مما يلي الرأس الكريم؛ قدر قامه عن الأرض .

* كنت في النجف ليلة الأربعاء ١٣ ذى الحجة سنة ٥٩٧هـ، و نحن متوجهون نحو الكوفة، بعد أن فارقت الحاج بأرض النجف .

* كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الطاهرين، الغروي، و الحائري في شهر جمادى الأولى في سنة ٣٧١ هـ ... و توجه الى المشهد الغروي يوم الاثنين ثانى يوم وروده، و زار الحرم الشريف، و طرح في الصندوق دراهم. فأصاب كل واحد منهم واحد و عشرون درهما. و كان عدد العلويين ألفا و سبعمائة اسم.

و فرق على المجاورين و غيرهم خمسمائة ألف درهم، و على المترددين خمسمائة ألف درهم، و على الناحية ألف درهم، و على الفقهاء و الفقراء ثلاثة آلاف درهم، و على المرتبين من الخازن و البواب على يد أبي الحسن العلوي و على يد أبي القاسم بن أبي عائد و أبي بكر بن سيار .

* لو أخذنا في ذكر من زار [مشهد أمير المؤمنين و عمره، و تقرب الى الله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٤٨

- تعالى- بذلك من الملوك، و العظماء، و الوزراء، و الادباء، و القضاة، و الفقهاء، و المحدثين [و] النبلاء؛ لأطلنا فيه .

* لقد أحسن الصاحب عطا ملك بن محمد الجويني؛ صاحب ديوان الدولة الايلخانية حيث عمل الرباط. و كان وضع أساسه من سنة ٦٧٦هـ، و ابتداء تحقق الحفر للقناة إليه سنة ٢ [٧] ٦. و أجرى الماء في النجف، في شهر رجب سنة ٦٧٦هـ. و قد كان سنجر بن ملكشاه أجهد في ذلك من قبل، فلم يتفق ...

و آثار البناء باقية .

* سنة ٢٧٣هـ؛ ركب داود [العباسي .. في الليل الى علي بن مصعب بن جابر؛ فسأله أن يعمل على القبر صندوقا .. و عمر الصندوق عليه.

قال أبو الحسن [علي بن الحسن بن الحاج: رأينا هذا الصندوق .. لطيفا، و ذلك من قبل أن يبنى عليه الحائط الذي بناه حسن بن زيد .

* محمد بن علي بن رحيم الشيباني، قال: مضيت أنا و والدي علي بن رحيم، و عمي حسين بن رحيم- و أنا صبي صغير- في سنة نيف

و ستين و مائتين بالليل معنا جماعة؛ متخفين إلى الغرى؛ لزيارة قبر مولانا أمير المؤمنين - عليه السلام - فلما جئنا إلى القبر - و كان يومئذ قبراً حوله حجارة سنده، و لا بناء عنده و ليس فى طريقه غير قائم الغرى - .

* كمال الدين، شرف المعالى بن غياث المعالى القمى؛ قال: دخلت الى حضرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٤٩

مولانا أمير المؤمنين على بن أبى طالب - عليه السلام - فزرتة، و تحولت الى موضع المسألة، و دعوت و توسلت فتعلق مسمار من الضريح المقدس - صلوات الله على مشرفه - فى قبائى .

* كان إيلغازى أميراً بالحلة، و كان قد اتفق انه أنفذ سرية إلى العرب، فلما رجعت السرية نزلوا حول سور المشهد الأشرف المقدس الغروى .

* عمران بن شاهين من أمراء العراق - عصى على عضد الدولة فطلب طلباً حثيثاً؛ فهرب منه إلى المشهد منخفياً .

* فى سنة احدى و خمسمائة [٥٠١] بيع الخبز بالمشهد الشريف الغروى كل رطل بقراط. بقى أربعين يوماً؛ فمضى القوم من الضر على وجوههم إلى القرى.

و كان من القوم رجل يقال له أبو البقاء بن سويقة. و كان له من العمر مائة و عشرين، فلم يبق من القوم سواه؛ فأضر به الحال .

الجامع المختصر

سنة ٥٩٧ هـ

توفى فى شهر رمضان من السنة المذكورة، أبو على عبد الحميد بن عبد الله بن اسامه بن أحمد بن على بن محمد بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، النسابة الكوفى ..، و حمل إلى مشهد على - ع - فدفن هناك .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٥٠

سنة ٦٠٢ هـ

توفى بتستر، فى ثانى جمادى الآخرة، الأمير مجير الدين طاشتكين المستنجدى أمير الحاج و زعيم بلاد خوزستان .. و حمل تابوته الى الكوفة، فدفن بمشهد على - ع - بوصية منه .

سنة ٦٠٥ هـ

توفى يوم الجمعة ثانى المحرم، أبو الحسين و رام بن أبى فراس الحللى [شيخ زاهد متعبد .. فعظم فى أعين الناس و صار تقصده الأكابر للتبرك به و حمل الى الكوفة فدفن بمشهد على - عليه السلام - .

* توفى فى يوم الأحد ثالث عشرى ذى الحجة، أبو الحسن على بن محمد بن الضحاك، كاتب ديوان المقاطعات .. و حمل إلى الكوفة فدفن فى مشهد على - ع - .

سنة ٦٠٦ هـ

فى ليلة الاربعاء ثالث جمادى الأولى، صلى فى جامع القصر الشريف على اخت مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم القمى، نائب الوزارة، و حضر الصلاة عليها هو و ولده، و جميع أبواب الدولة، و القضاة، و العدول، و الفقهاء، و الصوفية، و وجوه الناس .. و

حملت إلى مشهد على -ع- فدفنت هناك

الحوادث الجامعة

سنة ٦٣٤ هـ

و فيها، قصد الخليفة مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام - في ثالث

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٥١

رجب. فلما عاد أبرز ثلاثة آلاف دينار إلى أبي عبد الله الحسين بن الأقساسي نقيب الطالبين. و أمره أن يفرقها على العلويين المقيمين في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، و الحسين، و موسى بن جعفر عليهم السلام .

سنة ٦٤١ هـ

و فيها، خلع على أمير الحاج مجاهد الدين أبي الميا من ابيك المستنصرى المعروف بالدويدار الصغير ... و خرجت والدته الخليفة المستعصم بالله منحدره في شبارة الخليفة إلى درزيجان متوجهة الى الحج. و خرج الخليفة لأجل و داعها. فلما نزل السرادق نثر عليه الشرابي ذهابا كثيرا .. ثم توجه إلى الكوفة و دخل جامعها، و قصد مشهد أمير المؤمنين - عليه السلام - و زوره محمد بن كتيلة العلوى. فلما توجه الحاج، ودع الخليفة والدته و عاد إلى بغداد .

سنة ٦٤٣ هـ

و فيها، تقدم الخليفة بإرسال طيور من الحمام الى أربع جهات لتصنف أربعة أصناف، منها: مشهد حذيفة بن اليمان بالمدائن، و مشهد العسكري بسر من رأى، و مشهد على بالكوفة، و القادسية .

سنة ٦٤٥ هـ

و فيها، قلد تاج الدين الحسن بن المختار نقابة الطالبين فعين على ولده علم الدين اسماعيل فى نقابة مشهد أمير المؤمنين عليه السلام .

سنة ٦٤٨ هـ

و فيها، توفى عبد الغنى بن فاخر مهتر الفراشين بدار الخليفة .. و كان متمهوسا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٥٢

لحديث الجن؛ يزعم أنه يستحضرهم و ينفذ فيهم امره. قال الشيخ تاج الدين على بن انجب المعروف بابن الساعى، رحمه الله: «قال لى مرة ان جنيا اسمه شمردل تمرد على، و خالف أمرى و انى تألمت منه الى ملك الجن فأمر بحبسه». فقلت: «و أين ذلك الحبس؟» فقال: فى النجف .

سنة ٦٤٩ هـ

و فيها، توفى جلال الدين عبد الله بن المختار العلوى الكوفى .. و كان يحضر عند الخليفة الناصر فى رمى البندق، و الفتوة، و لعب

الحمام. و كان يفتى فيه، و يرجع الى قوله. و لم يزل على ذلك إلى ايام الخليفة المستنصر بالله، فأشار عليه أن يلبس سراويل الفتوة، من أمير المؤمنين على - عليه السلام - و أفتى بجواز ذلك، فتوجه الخليفة إلى المشهد، و لبس السراويل عند الضريح الشريف. و كان هو النقيب في ذلك .

سنة ٦٥٣ هـ

و فيها، زاد الفرات فغرقت عانء و الحديثء، و هيت، و الحلء و أعمالها، و الكوفة، و أعمالها، و أحاط الماء بجامعها، و بلغ النجف .

سنة ٦٦٤ هـ

و فيها، توفي السيد النقيب الطاهر رضى الدين على بن طاووس، و حمل إلى مشهد جده على بن أبى طالب - عليه السلام .

سنة ٦٧٢ هـ

فى منتصف ذى القعدة، توفي الملك عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابورى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٥٣
بيغداد ... تولى شحنكية واسط و البصرة .. دفن فى مشهد على - عليه السلام

سنة ٦٧٣ هـ

و فيها، توفي السيد جمال الدين محمد بن طاووس بالحله، و دفن عند جده أمير المؤمنين على بن أبى طالب - عليه السلام .

سنة ٦٧٤ هـ

و فيها، سقط ركن الدين بن النقيب محى الدين بن حيدر نقيب الموصل بفرسه الى دجلة ببغداد، و كان مجتازا على الجسر. فأصعد إلى مشهد على - عليه السلام - فدفن هناك .

سنة ٦٩٦ هـ

فى المحرم، سار السلطان عازان يريد العراق .. ثم توجه الى الحلء و قصد مشهد على - عليه السلام - فزار ضريحه الشريف، و أمر للعلوين بشىء كثير

دوحة الوزراء

سنة ١١٥٣ هـ

خلال هذه السنة أرسل الشاه [نادر شاه هدايا مالية جسيمة و تحفا ثمينة إلى المراقد المقدسة .. و الخليفة الرابع على المرتضى - كرم الله وجهه - .

سنة ١١٥٦ هـ

من بعد الحوادث الحربية. الشاه أعلن الهدنة من قبله، و سافر الى زيارة العتبات المقدسة، و أمر بتعمير مرقد الخليفة الرابع. كما و أمر أن تطلّى القبّة بالذهب .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٥٤

سنة ١١٦٠ هـ

قد أعلنت البشائر للخاص و العام فى المملكتين .. و قد تلاقى الوفدان [العثمانى و الايرانى و تبادلوا التحية و التسليم. غير أن الوفد الايرانى توقف فى بغداد ثمانية ايام للاستراحة، و لزيادة العتبات المقدسة .

سنة ١٢٣٤ هـ

حدوث اضطرابات فى النجف الأشرف، أورى زنادها المتولى عباس الحداد؛ و ذلك بتحريضه قبيلتى الشمرت و الزكرت بعضها على بعض ليتخلص بذلك من دفع ما فى ذمته من الأموال الأميرية .

تاريخ العراق بين احتلالين

ان الأمير سيف الدين البتكيجى التمس ان يرسل معه مائة من المغول الى النجف؛ لمحافظه مشهد أمير المؤمنين على-رض- و أهليه، و من جاوره [سنة ٦٥٦ هـ].

* توفى السيد النقيب الطاهر رضى الدين على بن طاووس، و حمل إلى مشهد جده على بن ابي طالب .

و المترجم من العلماء المشاهير .. كان بينه و بين الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى و اخيه و ابنه صداقة متأكدة. أقام ببغداد نحو من ١٥ سنة ثم رجع إلى الحلّة، ثم سكن المشهد الشريف برهة، ثم عاد فى دولة المغول إلى بغداد، الى ان توفى فى ٥ ذى القعدة [سنة ٦٦٤ هـ]

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٥٥

سنة ٦٦٦ هـ أمر علاء الدين؛ صاحب الديوان ببناء رباط بمشهد الامام على-رض- ليسكنه المقيمون المجاورون هناك. و وقف عليه وقوفا كثيرة و أدر لمن يسكنه ما يحتاج إليه .

* فى منتصف ذى القعدة [سنة ٦٧٢ هـ] توفى الملك عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابورى ببغداد. و كان شيخا جوادا مواصلا لكل من يسترفده.

و اشتهر ذكره بالكرم.

تولى شحنكية واسط و البصرة. و كان حسن السيرة، عظيم الناموس. و دفن فى مشهد على-رض- .

* صاحب علاء الدين الجوينى ... من عماراته انه أجرى نهرا من قصبه الأنبار الى النجف الأشرف. و صرف له مبالغ وافرة قدرها بمائة الف دينار ذهباً؛ فتأسست عمارات و قرى فى جانبه، و عددها مائة و خمسون قرية؛ فانقلبت تلك الأراضي القاحلة إلى مزارع متصلة.

و الظاهر ان النهر المذكور هو المعروف اليوم ب (كرى سعده) كما انه اسس رباطا فى النجف .

* السلطان الشيخ حسين الجلايرى [المتوفى فى شهر رجب سنة ٧٥٧]: فى كلشن خلفا؛ انه اقام عمارات نفيسة و جميلة فى بغداد و النجف الأشرف .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٥٦

الأمير قاسم بن السلطان حسن [المتوفى سنة ٧٦٩هـ]. توفى الأمير قاسم أخو السلطان اويس بمرض الدق، فأجريت له مراسم الحداد فنقل الى النجف الأشرف و دفن بجوار والده الشيخ حسن الايلكاني، و كان قد ولد في جمادى الاولى سنة ٧٤٨هـ. و مقبرتهم موجودة داخل الصحن. عثر عليها في الأيام الأخيرة، فأعيدت الى ما كانت عليه .

* تيمور لنك .. خطا إلى اصبهان، و عراق العجم، و الرى، و فارس و كرمان؛ فملكك جميعها من بنى المظفر اليزدى بعد حروب هلك فيها ملوكها، و بادت جموعها.

و شد أحمد ببغداد عزائمها، و جمع عساكره، و أخذ في الاستعداد ثم عدل إلى مصانعه و مهاداته، فلم يغن ذلك عنه. و ما زال تيمور يخادعه بالملاطفة و المراسلة إلى أن فتر عزمه، و افترت عساكره، فنهض إليه يغذ السير في غفلة منه حتى انتهى إلى دجلة، و سبق النذير إلى أحمد فأسرى بغلس ليلة و حمل ما أقلته الرواحل من أمواله و ذخائره، و حرق سفن دجلة، و مر بنهر الحلة فقطعه، و صبح مشهد على - رض - و وافى تيمور و عساكره دجلة في ١١ شوال سنة ٧٩٥هـ. و لم يجد السفن، فاقتحم بعساكره النهر و دخل بغداد، و استولى عليها، و بعث العساكر في اتباع أحمد. فساروا الى الحلة - و قد قطع جسرهما - فحاضوا النهر عندها، و ادركو أحمد بمشهد على - رض - و استولوا على أثقاله و رواحله، ففكر عليهم في جموعه، و استماتوا. و قتل الأمير الذى فى اتباعه، و رجع بقية التتر عنهم، و نجا أحمد الى الرجة من تخوم الشام .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٥٧

عزيز بن اردشير الاسترابادى [مؤلف «بزم و رزم» فى الفارسية] .. كان فى صباه جاء إلى بغداد، و قضى شبابه فيها. و لما ورد تيمور بغداد فى ٢٠ شوال سنة ٧٩٥هـ، و ضبطها؛ فز المؤلف و السلطان أحمد إلى انحاء المشهد (النجف الأشرف). و قد وافى المشهد ثلثة منهم فقبضوا على المؤلف، و جاؤا به إلى الحلة، و سلموه إلى ميران شاه؛ ابن الأمير تيمور، فعطف عليه، و لطف بحياته، فبقى مدة عنده .

* و على كل؛ نجا السلطان أحمد من تلك المملكة، و ان اعوانه كل واحد منهم سلك ناحية. ففرقوا فى الصحارى شذر مذر، فاختلفوا فيها .. الخ .. فكان مع القوم من ضرب الى جهة النجف .

* ان فتح بغداد - كان بعد محاصرة دامت اربعين يوما - يوم السبت ٧ ذى القعدة لسنة ٨٠٣هـ، و قتل خلق لا يحصى، و اتخذت من رؤوسهم منارات.

و خرج منها فى العشرة الاولى من ذى الحجّة؛ إلا انه لم يصل إلى العلماء منه ضرر.

و من هناك زار مشهد الإمام موسى الكاظم - رض -، و مضى الى الحلة فزار مشهد على - رض - و قضى نحو عشرين يوما تثبينا للسطوة و السيطرة على تلك الأنحاء، و على واسط، و تجمع اليه علماء العراق و آذربايجان و غيرهم. و كانت مجالسه مشغولة بالمنظرات العلمية، و ما مائل .

* و أما فضل الله الاسترابادى [المقتول سنة ٨٠٤هـ]؛ فانه جاور النجف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٥٨

مدة عشرين سنة .. فلل كانت له علاقة بالاسماعيلية، و هم يترددون إلى مشهد الإمام على - رض - فاتصل بهم؟ .

* قبيلة خفاجة .. و هم يسكنون بنواحي الكوفة. قال ابن بطوطة: «سافرت - من النجف إلى البصرة - دفعة كبيرة من عرب خفاجة. و هم أهل تلك البلاد، و لهم شوكة عظيمة، و بأس شديد. و لا سبيل للسفر فى تلك الأقطار إلا فى صحبتهم» .

* المشعشع [سنة ٨٤٤هـ] .. حروبه فى الحويزة و الجزائر و واسط، و استيلاؤه على النجف الأشرف .

* المولى على المشعشع - فى الغياثى أن مير على كيوان خرج بالحجاج يوم السبت غرة ذى القعدة لسنة ٨٥٧هـ؛ فخرج عليهم المولى

المشعشع ونهب أموالهم و دوابهم و جمالهم، و أخذ المحمل و الآية المذهبة، و قماش المحمل، و نجا أناس قلائل كانوا قد دخلوا المشهد. و حاصروا السادة في حطيم المشهد، فأرسلوا يتضرعون إليه فطلب منهم القناديل و السيوف. و كانت خزانة الحضرة منذ سبعمائة سنة تجمع فيها سيوف الصحابة و السلاطين فكلما مات السلطان أو خليفة بالعراق يحمل سيفه إليها. فأرسلوا إليه مائة و خمسين سيفاً، و اثني عشر قنديلاً؛ ستة منها ذهباً، و ستة فضةً.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٥٩

فأرسلوا من بغداد عسكرياً لمحاربتهم يقدمهم دوه بيك، و انضم إليه بسطام حاكم الحلة بأجواد عسكرياً بغداد .

* و بتاريخ خامس الشهر دخل السلطان على الحلة و نقل أموالها و أموال المشهدين إلى البصرة .. و رحل يوم الأحد ٢٣ ذى القعدة إلى المشهد الغروي و الحائري.

فتفتحوا له الابواب، و دخل فأخذ ما تبقى من القناديل، و السيوف، و روتق المشاهد جميعها من الطوس و الاعتاب الفضية و الستور و الزوالى و غير ذلك و دخل بالفرس إلى داخل الضريح، و أمر بكسر الصندوق، و احرقه؛ فكسر و أحرق و نقل اهل المشهدين من السادات و غيرهم بيوتهم .

* سنة ٨٥٩ هـ- في هذه الأيام وصلت أخبار المشعشع الى بير بوداق بشيراز؛ فأرسل سيدى على مع جماعة نواكر (ضباط و أعوان) الى بغداد، فدخلها في ٣ ربيع الأول سنة ٨٥٨ هـ.

و بعد ذلك أرسل بير بوداق جماعة عساكر من شيراز الى بغداد، و مقدمهم أمير شيخ شى لله، و حسين شاه المهردار، و عمه سورغان، و على كرز الدين، و شيخ ينكى اوغلى. و أمر أن يتوجه سيدى على، و يعمر الحلة و المشهدين، فدخل بغداد في ٢ جمادى الأولى سنة ٨٥٩ هـ.

* على بن محمد بن فلاح [المشعشع مات سنة ٨٦٣ هـ .. و كان منفوراً من الجميع بسبب ما قام به من إهانة العتبات الشريفة في النجف و في كربلاء، و القتل و التخريب و النهب، ففى المجلس الثامن من مجالس المؤمنين: أثار المولى موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٦٠

على المذكور على عراق العرب، و انتهب المشاهد المقدسة، و تجاسر على العتبات بوقاحة، و استولى عليها .

* الشاه اسماعيل - استولى على [بغداد] سنة ٩١٤ هـ بواسطة قائده لا لا حسين .. و عقب ذلك جاء الشاه الى بغداد .. و بعد ذلك ذهب لزيارة مشهد الحسين و مشهد الامام على - رض - .

* ثم رجع الى الحلة .. و منها ذهب الى النجف الأشرف للزيارة - أيضاً- و قدم للحضرة هدايا جزيلة، و نوادر فاخرة، و أكرم سكان المدينة المشرفة و أنعم عليهم بوافر العطايا .

* السلطان سليمان - تجول .. فى ٢٨ جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ فى أنحاء عديدة من العراق؛ قضاها فى زيارة المراقدة المباركة فى الكاظمية، و كربلاء، و النجف

* فى سفر الوالى [إياس باشا .. و الى بغداد؛ سنة ٩٥٣ هـ] مر بالنجف لزيارة مشهد الامام على - رض - .

* فى النجف تكية للبكتاشية .. لا شك أنها ترجع فى القدم الى مثل تكية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٦١

كربلاء، إلا أننا لا نقطع فى تاريخها لما قبل الفتح الثمانى .. و كان فى النجف فى تكية البكتاشية الحاج السيد أحمد ويرانى سلطان؛ و هذا معتبر عند البكتاشية و الكاكائية معا. ناله الظهور و رفع الى السماء و صار أسداً. و لا تزال قلنسوته فى هذه التكية موضوعاً على دكة يزورونها و يبدون لها غاية الاحترام و الخضوع.

فهو من أكابر شيوخ البكتاشية، و لم يعين تاريخه. و لا شك انه سابق للتاريخ العثمانى بل ان تاريخ الحروفية يتحقق فى تأريخ فضل

الله الحروفى مؤسس الحروفية، لازم الخلوة، والطريقة؛ فى حضرة الامام على- فى النجف- مدة طويلة. فلا ريب أنهم يرجعون فى طريقتهم اليه، و هى لا تختلف عن البكتاشية بوجه .

* طريقة البكتاشية- .. مؤسسها الأصلى الحاج بكتاش ولى، المتوفى سنة ٧٣٨ هـ .. و بدخول العثمانيين تأسست فى العراق، فاتخذت جملة تكايا .. فى النجف و كربلا و غيرهما .

* قتل القزلباشية- ان الدولة [العثمانية] أرادت أن تقطع دابر القزلباشية؛ إذ علمت ان قد جاء أكثر من ثلثمائة منهم منهم من النجف الى الكاظمية فأمر بقتلهم و ذلك قبل الفتح [سنة ١٠٤٨ هـ]، واعطا، الامان و كذا قتل نحو ألف، ثم قتل نحو أربعمائه .

* كان كنج عثمان من الشجعان الأبطال، و هو من أتباع ابازه باشا المشهورين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٦٢

فجعل على جيش تولى رئاسته، و أرسل لفتح الأنحاء العربية. و هذا لاقى القزلباش أى الايرانيين أو الشيعة منهم بسيفه فدمرهم. و فتح قصبه كربلاء، و ذهب منها الى النجف [سنة ١٠٤٩ هـ] و كانت بلدة معمورة فاستولى عليها، و منها اكتسح الحلة، و ضبط الرماحية.

و من ثم حط ركابه فى كربلاء. الا انه اهتم غاية الاهتمام بالبلدان و البقاع التى استولى عليها و راعى حسن ادارتها .

* الوزير حسين باشا .. معروف ب «حسين باشا السلحدار». عزم [سنة ١٠٨٢ هـ] على زيارة المشهدين ترويا للنفس ثم عاد الى بغداد .

* الوزير قبالان مصطفى باشا كان .. صافى القلب. له ميل عظيم الى زيارة الأولياء. و فى شعبان [سنة ١٠٨٨ هـ] ذهب لزيارة الإمام

الحسين- رض- و الإمام على- رض- ففضى بضعة أيام ثم، عاد .

* الشيخ سلمان بن عباس الخزعلي؛ لم يذعن بل ضبط مقاطعات (الرماحية) و (خالد كبشه) و (حسكه) و (بنى مالك) و (نهر الشاه) حتى انه لم يكتف بكل ذلك بل استولى على النجف الأشرف [سنة ١١١٢ هـ] .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٦٣

فى شوال [سنة ١١١٦ هـ] ذهب الوزير [حسن باشا] لزيارة كربلاء و النجف. و فى طريقه مرّ بنهر الشاه .

* لما أتم الوزير [حسن باشا] أعماله [سنة ١١١٨ هـ] عاد لزيارة الإمام على- رض- و منها جاء الى بغداد .

* توجه [و الى البصرة] الوزير حسن باشا سنة ١١٢٦ هـ الى زيارة الإمام على- رض- و فى هذه المرة جدد صندوق ضريحه. و لما تم، حضر القاضى و المفتى و النقيب، فأجرى الاحتفال المهيب، و رفع الصندوق العتيق، فوضع مكانه الجديد، فغطاه بالستار، و وضع له يوسف عزيز المولوى صاحب قويم تاريخا باللغة التركية، و كان فى جملة من حضر الاحتفال .. ان النص المنقول عن قويم الفرج يعين ان الوزير حسن باشا هو الذى عمل [الصندوق] .

و ممن أرخه الحاج محمد جواد بن عواد. و فيه اشارة الى انه جدده الوالى، و لم يقل اصلحه، بل الشعر يشير الى أنه من عمله .

* [فى سنة ١١٥١ هـ] أخبر الوزير [أحمد باشا] بأن الأمير سعدون [أمير المنتفق جمع نحو عشرة آلاف مقاتل فنزل بين النجف و الكوفة، و تغلب على بعض القرى، و منع الزرع من الانتفاع] .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٦٤

سنة ١١٥٣ هـ- أرسل نادر شاه مع أحد أمرائه هدايا؛ نقودا و افره الى ...

العتبات المقدسة المباركة، و تحفا سنية. و لما وردت بغداد كتب الوزير بها دفترا و سلم ما يخص العتبات بواسطة السفير الإيراني، فأوصلها إلى محلها، و أكرم السفير .

* [سنة ١١٥٤] .. قطاع الطرق عاشوا .. و عطلوا الأسفار من محل الى آخر .. اطلع الوزير على ذلك، فعزم على تخريب هذه القرى [التى اتفقت هذه العشائر مع بعض المفسدين من أهلها] فجهز عليها سرية بقيادة سليمان باشا الكتخدا. و هذا فرق جيشه، و نبه أن يقتل

جميع رجالها و تنهب أموالها؛ عدا كربلاء، و الحلة، و الغرى .

* فى سنة ١١٥٥ هـ بدأ نادر شاه بتذهيب القبة و الايوان و المئذنتين لمشهد الإمام على - رض - و تم ذلك فى سنة ١١٥٦ هـ. فبذل أموالا كثيرة و قدم للخزانة الغروية تحفا نفيسة. ورد فى تاريخ جهانكشاي نادري، و فى بستان السياحة، و للسيد حسين بن مير رشيد، و للسيد نصر الله الحائري و غيرهما قصائد .

* أرسل [نادر شاه رسولا الى أحمد باشا، فى الصلح مع الدولة العثمانية ..

فقبل الوزير، و أرسل اليه كلا من محمد باشا الكتخدا السابق، و سليمان باشا، و ولى أفندى كاتب الديوان.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٦٥

وصل هؤلاء الى الشاه، و أسسوا الصلح بين الطرفين، على أن يعود الى مملكته، و تعرض القضية على الدولة العثمانية. و حينئذ عزم على زيارة العتبات؛ فذهب أولا الى النجف الأشرف لمشاهدة القبة المذهبة - و كان أمر بنائها - و منها ذهب الى كربلاء. و من هناك كتب الى الوزير أحمد باشا أن يرسل إليه عالما؛ بأمل التوفيق و التأليف بين السنة و الشيعة؛ فأرسل إليه الوزير الشيخ عبد الله السويدي. فحضر يوم الأربعاء ٢٤ شوال سنة ١١٥٦ هـ.

أوضح ذلك فى كتابه (النفحة المسكية فى الرحلة المكية). ذكر نص محضر العلماء لمختلف الأقطار. و نشرت المذاكرات فى (حديقة الزوراء)، و فى كتاب (الحجج القطعية لاتفاق الفرق الاسلامية). و طبعت مرارا، و آخرها طبعة الأستاذ محب الدين الخطيب. كما نقلت الى اللغة التركية و طبعت. و لخص الاستاذ عبد الحميد السباعى تلك المذاكرات باسم (السيوف العراقية)؛ أملاها الشيخ محمد سعيد السويدي ابن الشيخ عبد الله السويدي سنة ١١٨٨ هـ فحكى ما جرى و عندى مخطوطتها.

* و فى جهانكشاي نادري للاستاذ مهدي منشىء نادر شاه نص المحضر بالفارسية و نسخته وضعت فى خزانة الامام فى النجف، و أذيعت فى مختلف البلدان .

* [أشهر من عرف من الأسرات و الافراد فى العلم آل الطريحي فى النجف [فى القرن الثانى عشر] و لا تزال بقاياهم .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٦٦

بناء سور النجف - [فى ١٢٠٣ هـ] كان بناء سور النجف بأمر الوزير سليمان باشا - كما فى المجموعة المخطوطة عندى .

* فى شهر شوال [سنة ١٢٠٤ هـ] جرى تجديد شباك ضريح الأمام على فعمل من الفضة أرسله محمد خان بن حسن خان القجارى؛ و يسمى اقا محمد خان مؤسس دولة القجارية .

* سور النجف القديم

* كان الوزير يخشى من الوهابيين أن ينصرفوا الى النجف؛ فيوقعوا فيه ما أوقعوا فى كربلاء. و لذا راعى الحيطه فى نقل الخزانة التى فى النجف إلى الامام موسى الكاظم - رض - و عهد بأمر ذلك الى الحاج محمد سعيد بك الدفترى.

فقام بما يجب و عاد الى بغداد [سنة ١٢١٦ هـ].

* لبث على باشا فى الهندية .. و أبقي فى النجف عسكر الموصل، مع مقدار من العقيليين .

* رحل الوزير [على باشا سنة ١٢١٨ هـ] الى جهة الشامية و منها نزل قرب المشهد (النجف). و هناك رتب جموعا من عثمانيين و كرد و عرب و جعلهم تحت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٦٧

قيادة فارس الجرباء، و أمرهم بالذهاب إلى جبل شمر. و فى هذه الاثناء اعلم فارس الجرباء بان جمع الوهابيين وافى إلى هذه الجهات فأغار فارس بجموعه نحوهم بقصد الظفر بهم. فلم يروا أثرالهم، و قضاوا ليلتهم قرب قصر الأخيضر فوق شفاثا.

و بيناهم فى استطلاع الأخبار؛ اذ جاءت الانباء بأنهم وصلوا إلى غربى المشهد الى القطقانة (قطقانه) فقاموا من ساعتهم فأغاروا عليهم، و لم يصلوا إلا وقت المغرب فوجدوا أثرا و لكنهم لم يعثروا عليهم، و عادوا بيأس؛ لأنهم علموا مؤخرا ان الوهابيين رجعوا إلى

ديارهم .

* [سنة ١٢٢٠ هـ] سار سعود بجيوشه، و نازل المشهد، و فرق جيشه عليه من كل جهة، و أمرهم ان يتسوروا الجدار على أهله. فلما قربوا منه فاذا دونه خندق عريض عميق، فلم يقدرُوا على الوصول إليه و جرت بينه و بينهم مناوشة و قتال و رمى من السور و البروج؛ فقتل من جيش سعود عدة قتلى فرجعوا عنه .

* زييد و الخزاعل و سائر العشائر لم يؤدوا الرسوم الأميرية. و كذا عشائر الجرباء، و الظفير، و الرولة. فعاثت [سنة ١٢٢٩ هـ] بالقرى و القصبات المجاورة لها مثل الحلة و كربلاء و النجف، فضج الناس من كل صوت .

* جهز داود [الدفتري جيشه و سار من بغداد. بتاريخ ١٤ ذى القعدة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٦٨

[سنة ١٢٢٩ هـ] نحو الحلة و كانت آتئذ كربلاء و النجف مزدحمة بالعشائر فى كافة انحائها و حواليتها. و ان كثرتها كانت تعادل أضعاف الجيش فلم يبال بكثرتهم و مكث فى الحلة بضعة ايام للاستراحة فذاع أمره فاستولى الرعب على العربان النازلة فى تلك الجهات .. و تفرقت دون أن يجرّد سيفا. و انما ارسل مقدارا من الجيش لتخليص الزوار المحصورين فجاء بهم الى الحلة ثم ذهبوا الى النجف، و منها عادوا الى الحلة. ثم توجهوا الى بغداد دون ان ينالهم خوف او يصيبهم ضرر

* مضى الوزير [سعيد باشا سنة ١٢٣٠ هـ] الى جليحة لتحصيل الميرى.

و فى طريقه زار النجف و كربلاء .

* طمعت قبيلة الظفير [فى سنة ١٢٣٣ هـ] فى وقعة يحيى اغا الخازن، و كذا سائر العشائر فى قطع الطرق، و تجاوزت على زوار العتبات. حتى ان وكيل متولى اوقاف النجف عباس الحداد تمكن من اشعال نيران الفتنة بين حيين من أحياء النجف؛ و هما الشمرت و الزكرت فأدى الأمر الى هلاك الكثيرين. و كذا فى انحاء الخزاعل امتنع شيوخ جليحة و عفك عن اداء الميرى، فحاول الوزير عبثا فى دعوتهم فم يحيبوا و أصروا على عنادهم.

و على هذا أرسل من أغوات الداخل صالح اغا الكردى مع بيرق أو بيرقين من الخيالة لاتخاذ الوسائل الناجحة لالقاء القبض على عباس الحداد أو قتله و اذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٦٩

لم يتيسر فيجب عليه أن يراعى المصلحة بالتزام من يناوئه باغرائهم عليه أو ما مائل.

و أرسل محمد الكهية بقوة عظيمة على الصقور، و على عشائر جليحة و عفك لأجل تأديبهم ...

و أما صالح أغا فلم يتيسر له القبض على عباس الحداد حيا فانتهاز الفرصة و قتله مع على ديبس الشقى المشهور، و أرسل برأسيهما الى الوزير. فزال الفتنة بين الزكرت و الشمرت فى النجف، و هدأ الأهلون. و ان الباقيين أذعنوا و خلدوا للسكينة. و حينئذ نصب عليهم وكيل متول محمد طاهر جلى من أقارب السادن (الكليدار) الأسبق، و زال النزاع .

* كتب الوزير [محمد نجيب سنة ١٢٦٠ هـ] بخبر [محمد بن شبل العجمى مقدّم البائية] الى استنبول بأن اهل كربلاء و النجف و علماءها لم يقبلوه فجىء به الى بغداد .

* غلت الأسعار [سنة ١٢٦٨ هـ] بالحسين (كربلاء)، و المشهد النجف

* الوزير السردار الاكرم عمر باشا؛ سنة ١٢٧٤ هـ] لم يصبه فتور و صار يبعث بالجيوش متواليا لاسكان الفتنة. و استمر فى أخذ الجنديّة من الحلة و النجف و كربلاء و ما جاورها من الأنحاء الفراتية .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٧٠

[ورد ناصر الدين شاه بغداد يوم الاثنين ٢٨ شعبان سنة ١٢٨٧ هـ] و دامت سياحة الشاه نحو ثلاثة اشهر؛ فى خلالها زار العتبات فى

النجف و كربلاء و سامراء .

* و فى الموصل و البصره و النجف ظهر علماء .

* [سنه ١٢٩٨ هـ] انتشر الوباء فى بغداد. و امتد إلى النجف و الهندية، و الى ايران فى أنحاء مراغه، و ازداد فى العراق .

* [سنه ١٢٩٩ هـ] تحول قائمقام سوق الشيوخ إلى قائمقامية النجف؛ و هو فتاح بك، و قائمقام النجف فتاح بك الآخر صار فى سوق الشيوخ .

* لواء كربلاء؛ و أفضيته [سنه ١٣٠٢ هـ] النجف، و الهندية .

* فى ايام [الوالى سرى باشا ١٣٠٧-١٣٠٨ هـ] كان فى كربلاء و النجف كثيرون يدعون أنهم من تبعه ايران، فاعطى الأمر بلزوم مراعاة الحيطه فى التحقيق و الثبوت من هذه الأمور .

موسوعة العتبات المقدسه، ج ٦، ص: ١٧١

أناب [و الى بغداد الحاج حسن باشا سنه ١٣١٠ هـ] فضيله عزيز بك القاضى، عنه. و تجول فى أنحاء كربلاء و النجف .

* وقع فى النجف [سنه ١٣٢٧ هـ] فتن بين الزكرت و الشمرت و طالت الحروب بينهما فصاروا مضرب المثل. و كان يعد من المسيبين لهذه الحروب السيد مهدي آل السيد سلمان؛ من الزكرت، و كان أبوه رئيسا .

* السيد مهدي السيد سلمان

[الوالى حسين ناظم باشا سنه ١٣٠٨ هـ]

جعل باكوره أعماله اثر و روده بغداد بنحو اسبوع مهمه العشائر و دفع غوائلها فحصل على فتاوى من العلماء فى لزوم تأديب من يستحل الغزو المحرم .. و أخذ فتاوى من علماء الشيعة فأفتوا بانه يجب منع العشائر من هذه الأعمال بالنصائح و الوعظ، فان أبوا فحينئذ يركن الى التهديد و التخويف، و لما جاز التنكيل بهم. و من بين هؤلاء العلماء: الشيخ كاظم الخراسانى من النجف، و الشيخ عبد الله المازندراني من النجف .. فكان لهذه الفتاوى اثرها .

علاقة المجتهدين من الايرانيين المقيمين فى النجف و كربلاء بايران كبيرة جدا

موسوعة العتبات المقدسه، ج ٦، ص: ١٧٢

النجف فى الرحلات و الادلة

رحلة ابن جبير سنه ٥٨٠ هـ

و أصبحنا بالنجف؛ و هو بظهر الكوفة كأنه حدّ بينها و بين الصحراء.

و هو صلب من الأرض منفسح متّسع للعين فيه مراد استحسان و انشراح .

و فى غربى المدينه [الكوفة] على مقدار فرسخ منها المشهد الشهير الشان المنسوب لعلّى بن أبى طالب-رض- و حيث بركت ناقته و هو محمول عليها مسجى ميتا على ما يذكر. و يقال ان قبره فيه .. و فى هذا المشهد بناء حفيل على ما ذكر لنا لأنالم نشاهده بسبب ان وقت المقام بالكوفة ضاق عن ذلك؛ لأنالم نبت فيها سوى ليله .

موسوعة العتبات المقدسه، ج ٦، ص: ١٧٣

الاشارات الى معرفة الزيارات

باطنة النجف؛ مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضه- وعنده جماعة من العلويين والأشرف .

رحلة ابن بطوطة

نزلنا مدينة مشهد على بن أبي طالب- رضى الله عنه- بالنجف و هي مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة. من أحسن مدن العراق و أكثرها ناسا، و أتقنها بناء. و لها أسواق حسنة نظيفة.

دخلناها من باب الحضرة فاستقبلنا سوق البقالين و الطباخين و الخبازين، ثم سوق الفاكهة، ثم سوق الخياطين، و القسارية، ثم سوق العطارين، ثم باب الحضرة- حيث القبر .. قبر علي بن أبي طالب- عليه السلام- و بإزائه المدارس، و الزوايا، و الخواتق؛ معمورة أحسن عمارة، و حيطانها بالقاشاني- و هو شبه الزليج عندنا، لكن لونه أشرق، و نقشه أحسن.

ذكر الروضة و القبور التي بها

و يدخل- من باب الحضرة- إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة و الصوفية من الشيعة. و لكل وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز و اللحم و التمر مرتين في اليوم.

و من تلك المدرسة يدخل الى باب القبّة. و على بابها الحجاب و النقباء و الطواشيه.

فعندما يصل الزائر، يقوم اليه أحدهم أو جميعهم- و ذلك على قدر الزائر فيقفون معه على العتبة، و يستأذنون له، و يقولون: عن أمركم- يا أمير المؤمنين- هذا العبد الضعيف، يستأذن على دخوله للروضة العلية، فان أذنتم له، و إلّا رجع. و إن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٧٤

لم يكن أهلا لذلك؛ فأنتم أهل المكارم و السترة. ثم يأمرونه بتقبيل العتبة- و هي من الفضة، و كذلك العضادتان- ثم يدخل القبّة. و هي مفروشة بأنواع البسط من الحرير و سواه، و بها قناديل الذهب و الفضة؛ منها الكبار و الصغار.

و في وسط القبّة مسطبة مربعة، مكسوة بالخشب؛ عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكّمة العمل؛ مسمرّة بمسامير الفضة، قد غلبت على الخشب؛ بحيث لا يظهر منه شيء. و ارتفاعها دون القامة، و فوقها ثلاثة من القبور .. أحدها قبر آدم- عليه الصلاة و السلام- و الثاني

قبر نوح- عليه الصلاة و السلام- و الثالث قبر علي- رضى الله تعالى عنه.

و بين القبور طسوت ذهب و فضة؛ فيها ماء الورد و المسك و أنواع الطيب.

يغمس الزائر يده في ذلك، و يدهن به وجهه تبركا.

و للقبّة باب آخر عتبتة- أيضا- من الفضة، و عليه ستور من الحرير الملون.

يفضى الى مسجد- مفروش بالبسط الحسان- مستورة حيطانه و سقفه بستور الحرير.

و له أربعة أبواب عتباتها فضة، و عليها ستور الحرير.

و أهل هذه المدينة كلهم رافضية. و هذه الروضة ظهرت لها كرامات ..

فمنها ان في ليلة السابع و العشرين من رجب- و تسمى عندهم ليلة المحيا- يؤتى إلى تلك الروضة بكل مقعد من العراقيين، و خراسان، و بلاد فارس، و الروم.

فيجتمع منهم الثلاثون و الأربعون و نحو ذلك. فاذا كان بعد العشاء الآخر جعلوا فوق الضريح المقدس و الناس ينظرون قيامهم- و هم ما بين مصلى، و ذاكر، و تال، و مشاهد للروضة- فاذا مضى من الليل نصفه أو ثلثاه، أو نحو ذلك قام الجميع أصحاب من غير سوء؛ و

هم يقولون: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، على ولي الله. وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من الثقات. ولم أحضر موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٧٥

تلك الليلة، لكنى رأيت بمدرسة الأضياف ثلاثة من الرجال؛ أحدهم من أرض الروم، والثاني من اصبهان، والثالث من خراسان وهم مقعدون. فاستخبرتهم عن شأنهم، فأخبروني أنهم لم يدركوا ليلة المحيا، وأنهم منتظرون أوانها من عام آخر. وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد، و يقيمون سوقا عظيمة مدة عشرة أيام.

و ليس بهذه المدينة مغرم، و لا مكاس، و لا وال. و إنما يحكم عليهم نقيب الأشراف. و أهلها تجار؛ يسافرون فى الأقطار. و هم أهل شجاعة و كرم، و لا يضام جارهم. صحبتهم - فى الأسفار - فحمدت صحبتهم.

و من الناس - فى بلاد العراق و غيرها - من يصيبه المرض فينذر للروضة نذرا إذا برىء، و منهم من يمرض رأسه، فيصنع رأسا من ذهب أو فضة و يأتى به الى الروضة، فيجعله النقيب فى الخزانة. و كذلك اليد و الرجل، و غيرهما من الأعضاء. و خزانة الروضة عظيمة فيها من الأموال ما لا يضبط لكثرتة.

ذكر نقيب الاشراف

و نقيب الأشراف مقدم من ملك العراق، و مكانه عنده مكين، و منزلته رفيعة. و له ترتيب الأمراء الكبار فى سفره. و له الأعلام و الأبطال. و تضرب الطبلخانة عند بابه مساء و صباحا.

و إليه حكم هذه المدينة، و لا- والى بها سواه، و لا مغرم فيها للسلطان و لا لغيره. و كان النقيب- فى عهد دخولى إليها- نظام الدين حسين بن تاج الدين الآوى؛ نسبة إلى بلدة آوة من عراق العجم، أهلها رافضة.

و كان قبله جماعة، يلى كل واحد منهم بعد صاحبه. منهم جلال الدين بن الفقيه. و منهم قوام الدين بن طاووس. و منهم ناصر الدين مطهر بن الشريف الصالح شمس الدين محمد الأوهري من عراق العجم. و هو الآن، بأرض الهند

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٧٦

من ندماء ملكها. و منهم أبو غرة بن سالم بن مهني بن جماز بن شيحة الحسينى المدنى.

و لما تحصلت لنا زيارة أمير المؤمنين على - عليه السلام - سافر الركب إلى بغداد، و سافرت إلى البصرة؛ صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة. و هم أهل تلك البلاد، و لهم شوكة عظيمة، و بأس شديد، و لا سبيل للسفر فى تلك الأقطار إلا فى صحبتهم. فاكترت جملا

على يد أمير تلك القافلة شامر بن دراج الخفاجى، و خرجنا من مشهد على - عليه السلام - فنزلنا الخورنق .

نزهة المجلس و منية الأديب الأنيس سنة ١١٣١ هـ

أتينا على أرض الأتيلة. و بينها و بين أرض النجف - مشهد على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) - نصف مرحلة .. فخرج إلينا أهل النجف بأنواع المأكول الطيب، و المشروب الهنيء، و المشموم الذكى، و لطائف التحف.

و بتنا تلك الليلة - يا صاح - بأكمل السرور، و أتم الأفراح. و التقى الخلان و الأصحاب، و اجتمع شمل الأحباب بالأحباب.

لئن عاد جمع الشمل فى ذلك الحمى غفرت لدهرى كل ذنب تقدا

و زال عنا بؤس السفر و المحن، و أعاد الله كل غريب إلى الوطن .. فلما أسفر وجه الصباح، باليمن و الفرح و النجاح؛ عن ثالث صفر،

المقرون بالخير و الظفر؛ دخلنا مشهد أمير المؤمنين، و يعسوب الدين؛ ليث بنى غالب، إمام المشارق و المغرب، أمير المؤمنين على

بن أبي طالب ... فتشرفنا بزيارة الإمام المؤيد بالنصر من ربه و الفتوح، و ضجيعيه الكريمين آدم و نوح. و قد عقدت عليهم قبة عظيمة، في زينة و سيمه و أول من عقد هذه القبة عبد الله بن حمدان موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٧٧

في دولة بنى العباس. ثم عمرها الملوكة من بعده. و بها من الذهب الإبريز، و الجواهر، و خالص اللجين، و أنواع الفرش الفاخر؛ ما يكل عنه قلم الحاصر.

و البلدة رعية أمينة، طيبة حصينة. سورها مكين. و هي جنه المتقين.

و أهلها سادة كرام؛ ملجأ الخاص و العام.

لا عيب فيهم سوى ان النزيل بهم يسلو عن الأهل و الأصحاب و الوطن .. فأقمنا- هناك- شهرا (تام)، في أرغد عيش مدام. و نزلت بدار العالم العامل التحرير الفاضل؛ مولانا الشيخ ابراهيم الخميسي. و اجتمعت بالولي الشهير، المجتهد الكبير، العابد الزاهد، بحر المعارف و الفوائد؛ تاج السادة الأكارم مولانا السيد هاشم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٧٨

و اجتمعت بالعالم العامل الفاضل، التقى النقى الكامل؛ الشيخ محمد يحيى الخميسي.

و اجتمعت بالفاضل الأديب، العاقل الكامل الأريب، الشاعر الماهر اللطيف، المؤنس الظريف، مولانا الشيخ يونس بن أنس- لا زالت أنوار الكمالات من أنوار كماله تقبس-

و اجتمعت بالسند السيد، المعتمد الأيد، الأمجد الأنجد، الأسعد الأصعد؛ مولانا السيد مراد، حاكم المشهد. و حصل لي منه الاكرام و القبول- أدامه الله (تعالى) بالرياسة و العز، ماهبت الدبور و القبول، و بلغه من دنياه و أخراه كل سول.

و اجتمعت بكثير من العلماء، و رثة الأنبياء الكرماء .

و سعدنا ثانيا [فتشرفنا بزيارته و ذلك من سعاده .

رحلة المنشيء البغدادي سنة ١٢٣٧ هـ

النجف- و من ذى الكفل إلى النجف أربعة فراسخ. و هو مزار حضرة الإمام على.

و في الطريق يعبر من نهر الهندية لمرات. و هذا النهر يأتي من نهر الفرات.

يذهب الى النجف. و في موطنين عليه قناطر.

و ان النجف في محل مرتفع. و هو قلعة محكمة، فيها نحو ألفي بيت من العرب و العجم. و هواؤها في غايه اللطف و الجودة؛ و لا سيما لياليها.

و ماء الآبار في النجف ملح جدا. و لا تصل الجبال إلى الماء إلا بعد عشرين لفة؛ ليصل الدلو إلى الماء .

و حاكم كربلاء، و النجف؛ يقال له و كيل المتولى .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٧٩

رحلات عبد الوهاب عزام سنة ١٣٤٩ هـ

برحنا كربلاء- و الساعة خمس من المساء- قاصدين النجف الأشرف.

فناوحنا الجنوب منحرفين قليلا إلى الشرق؛ في بيدااء جرداء. فبلغنا النجف، و الساعة سبع. و النجف؛ مدينة مسورة. بنى سورها- أيام ثورة الوهابيين الأولى- خيفة على المدينة من عاديتهم. نزلنا في دار النائب الوجيه عبد الرزاق آل شمس، فاستقبلنا- هناك- حاكم البلد (القائمقام) و كثير من العلماء و الفضلاء. ثم سرنا إلى مشهد الإمام على، و المسجد إحدى آيات البناء عظمة و أبهة و نظاما. فيه فناء عظيم، تحيط به أبنية كثيرة ريفية؛ فيها معاهد للدرس، و مساكن للطلاب و العلماء. و قد حدثت أن طلاب العلم في النجف يزيدون على عشرة آلاف. و لا عجب؛ فهو مشهد تهفو لذكراه أفئدة المسلمين عامة، و لا سيما الشيعة منهم.

يحيط الفناء بمسجد عظيم، يزيغ البصر في جلاله و أبهته. مقدم المسجد كله و المنارتان الشامختان على جانبيه- كل هذا مغشى بصفائح الذهب الخالص. و لكن أنى للداخل- إلى حضرة أمير المؤمنين على- أن يعبا بالذهب و الزخرف. دخلنا إلى المشهد العظيم، و للناس حوله جوار بالدعاء و القراءة، فأطفنا به في عشية من جلال الموقف، و رهبة الذكرى. و لم يمنعني روعة المقام من تسريح الطرف في القبة الهائلة، تبهر الأبصار في حلل من البلور و الذهب. تتدلى منها المصاييح تترى بالتيجان المعلقة هنالك. و قد رأينا تاجين أحدهما فوق المرقد موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٨٠

الشريف، و هو تاج الشاه اسماعيل. و الآخر في زاوية من القبة؛ يقال إنه تاج نادر شاه، و يقال إنه تاج أحد ملوك الهند. و في هذه القبة يقول بعض الناس :

قبة المرتضى على إذا مافصلوها أقول بالتفضيل

هي باء مقلوبة فوق تلك النقطة المستحيلة التأويل

ثم خرجنا إلى الرواق المحيط بالقبة، فمررنا بحجرة فيها قبر محمد شاه القاجارى، عليه صفيحة من المرمر مزينة بنقوش، و صورة ملكين ذوى أجنحة يحملان بينهما تاجا.

ثم خرجنا إلى الصحن، فخرجنا على حجرة في جانب منها مقصورة؛ أخبرنا أن فيها قبر الشيخ كاظم اليزدى، و ابنه، و قبر أمير رامبور. و رأينا صورة الشيخ كاظم (السيد كاظم اليزدى) و صورة ابنه معلقتين على سياج المقصورة.

ثم توجهنا إلى مدرسة الشيخ كاظم اليزدى (السيد كاظم)، و هبطنا بعض السرايب هناك؛ فاذا طبقات ثلاث أو أربع تحت الأرض ينزل إليها نحو خمسين درجة. و كل طبقة تستمد الهواء من كوة صاعدة إلى ظهر الأرض.

السيد كاظم اليزدى

و في السرايب آبار مفضية إلى قنوات تتشعب تحت المدينة من مجرى واحد. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٨١

و السرايب- كما رأينا- أعجوبة ناطقة بذكاء أهل النجف و نشاطهم وجددهم. و هي مأواهم في الصيف لا محيص لهم منها. فان النجف الأشرف في صحراء جرداء شديدة الحر. فاذا متع النهار هبط الناس جميعا إلى هذه السرايب فيجدون بلدا آخر بارد الهواء و قد حدثنا أن المقيم في السرايب يحتاج أحيانا إلى اتقاء بردها بالغطاء بينما الحر على ظهر الأرض يأخذ بأكظام الناس. ثم شرفنا بزيارة العلامة المحقق و المجتهد الكبير السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء. و هو أحد مجتهدين ثلاثة في النجف؛ هو عربى، و الآخرا إيرانيان.

فلما استقر بنا المجلس في الطبقة الثانية من داره شرع يحدثنا فعاتب الأستاذ أحمد أمين على ما كتبه عن الشيعة في كتاب «فجر الاسلام» و لامة بما كتب غير راجع إلى أمهات كتب الشيعة. و تلك يقظة من اخواننا جديرة بالاعجاب و الثناء، شاهدة باطلاعهم على كل ما يكتب في العالم الاسلامى.

ثم حدث عن سفره إلى مصر منذ زمن بعيد، و ما قال فيها من الشعر.

ثم اقترح عليه بعض الحاضرين أن يشهدنا درسا من دروسه، و أحوال عليه فأجاب الدعوة إكراما لضيوفه، جزاه الله خير الجزاء.

الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء

جلس الأستاذ العلامة على كرسى، و أحاط به طلابه- و كلهم رجال تلوح عليهم سن الأربعين أو ما يقرب منها، و كلهم وقور فى سمته و بڑته- تكلم فى مسألة من علم الكلام، مسألة واجب الوجود، ثم ثنى بتفسير الآية: «و لا توتوا السفهاء أموالكم ..» و الطلبة- فى أثناء ذلك-

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٨٢

يسألون و يجادلون قد رفعوا الكلفة بينهم و بين شيخهم. و قد سمعنا المعجب من بيان الأستاذ، و غزارة علمه- على قصر الوقت-

ثم نزلنا الى المكتبة، فاطلنا على نوادير الكتب المخطوطة. و وددنا لو اتسع الوقت لنقضى اللبنة من هذه المكتبة المعمورة.

ثم رجعنا إلى الأستاذ فشكرناه و ودعناه فرحين بما أتيح لنا من السرور و الفائدة بلقائه و شهود مجلسه .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٨٣

دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥ - ١٩٣٦ (قضاء النجف الأشرف)

النجف، بلدة واسعة قائمة على رابية مرتفعة فوق أرض رملية فسيحة.

تطل من الجهتين الشمالية و الشرقية على مخيم واسع من القباب و القبور التى تعد بمئات الألوف، يدعى «وادي السلام».

و تطل من الجهة الغربية على بحر النجف الناشف، و يشاهد القادم من مسافة بعيدة مرقد الامام على بن ابى طالب- عليه السلام-

تتجلى فوقه قبة فخمة كأنها قطعة من الذهب الإبريز تناطح السماء علوا و تفاخرها سما

و هى أرض عريضة قديمة كانت مصيدا أو متنزها للمناذرة. و بعد انقراض تلك الدولة و دخول المسلمين فى العراق، و دفن الامام

على- ع فيها ابتداء عمرانها على عهد الرشيد إثر معجزة ظهرت له فأقام قبة بيضاء، على القبر الشريف، بعد ان كان مخفيا اتقاء له من

تعرض الخوارج، و وضع عليه قنديلا من الفيروزج المرصع بالجواهر النفيسة. و عظم شأنها فى القرن الرابع للهجرة النبوية لما زارها

عضد الدولة البويهى فى جمادى الأولى من سنة ٣٧١ للهجرة (٩٨١ م) و بذل أموالا طائلة لتشييد العمارة الجسيمة حول المشهد

المشرف.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٨٤

ثم انتقل إليها ارباب الصنائع و الحرف و ابتدأت تتقدم عمرانها فى القرن المذكور، فقصدها طلاب العلم و المعرفة، و أصبحت كعبة

القصاد، و منهل العلماء، و هى- اليوم- فى العراق كالأزهر فى مصر؛ يخرج منها فى كل سنة عدد كبير من دعاة الدين و رجال الفضل

و العلم الغزير.

هواء صيفها حار يابس، و فى الشتاء بارد قارس، و عندما تشتد الحرارة فى الصيف يلتجىء سكانها إلى سرايب منحوتة نحتا بديعا

يبلغ متوسط عمق الواحد منها عشرين مترا. و قد يخرج بعضهم الى المزارع و البساتين التى تبعد عن المدينة ميلا واحدا، أو إلى جسر

الكوفة؛ الذى يبعد عنها سبعة أميال طلبا لنقاوة الهواء. و قد أحصت الحكومة نفوسها أخيرا فكانوا ٤٦٠٦٤ نسمة.

شوارعها مستقيمة و فسيحة- الا البعض منها- و عمارتها جليله و مرتفعة، و أسواقها عريضة و منتظمة، و لا سيما السوق الكبير الذى

يبتدىء من سور المدينة الشرقى و ينتهى عند الصحن الشريف، و لاستقامته فان الواقف على سور البلدة يرى داخل الحضرة الشريفة

بكل سهولة.

و هي على بعد ٤٨ ميلا من شرقي كربلاء، و فيها من المدارس الحكومية ثلاث، و من الأهلية ثلاث، و من العلمية الروحية العدد الكبير، و من المساجد الشيء الكثير. و في اكثر بيوتها مقابر خصوصية للعلماء و أهل الوجاهة و الثراء. و الذى يؤسف له كثيرا بعد البلدة عن الفرات، و الماء ركن من اركان الحياة- بلا ريب. و قد حفرت للنجف ترع و جداول كثيرة لا يصل الماء اليها غير ان ما يجرى فيه منه لا يسد حاجة الأهلين فضلا عن الزائرين فى كل عام. فقد دلت الاحصاءات الرسمية على ان متوسط عدد الزائرين للنجف فى المواسم المخصوصة يتجاوز نصف مليون نسمة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٨٥

و فى التاريخ اساطير كثيرة، و روايات غريبة عن المساعى التى بذلها الايرانيون و رجال الثراء لإرواء سكان القرى تكاد تخرج عن المعقول.

و اخيرا- اى فى عام ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م ربطت الكوفة بانابيب كانت أحسن وسيلة لتأمين هذه الغاية.

و البلدة محاطة بسور فخم تصدعت بعض قطع منه بعد ثورة ١٩٢٠ م. و كان لها أسوار عديدة تهدمت فلم يبق غير سورها الحالى، الذى شاده الصدر الاعظم نظام الدولة محمد حسين خان العلاف، وزير فتح على شاه (ال) قاجادى، فى عام ١٢٣٢ هـ / ١٨١٦ م. و لهذا السور أربعة ابواب تسمى بأسماء مختلفة، فالذى يؤدى الى الكوفة يسمى الباب الكبير، و الذى الى جانبه- و منه يخرج الناس الى كربلا- يدعى الباب الصغير أما المؤدى الى البركة و مزارع النجف فيسمى باب الثلمة.

و يسمى الباب الرابع باب الحويش- بالتصغير- او باب اشتايبه اى الطايبه، و قد وضع هذا السور على هيئة حربية تصد الهاجمين على النجف و الواقف على مرتفع ينظر الى هذا السور يلحمه على هيئة أسد رابض يطوقه خندق وضع لهذه الغاية. و للنجف أسماء؛ منها: النجف، و المشهد، و الغرى، و سميت بالنجف لأنها مرتفعة و النجف- لغه- طف الوادى، و حاشيته المرتفعة، و سميت بالمشهد لأن فيها مرقد الامام على بن ابي طالب- ع- و مشهده، و هو لفظ العامة للروضه.

أما سبب تسميتها بالغرى فحكاية تاريخية لطيفة ينقلها المؤرخون فى كتبهم و يذكرها الحموى فى معجمه .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٨٦

و كانت هذه البقعة تعرف عند رجال البلدان بالذكوات البيض. و الذكوات البيض هذه هى جبل الديك فى محلة المشراق، و جبل شريشفيان فى محلة العمارة، و جبل باب الكبير، و آخر رابع.

و هى تبعد عن الثوية بثلاثة كيلومترات. و قد اختصت الثوية بمقابر قريش، و لكنها درست و لم يبق منها الا قبر كميل بن زياد؛ أحد المشاهير من دعاء أهل البيت ... و يتوسط مدينة النجف الأشرف مشهد الامام على بن ابي طالب عليه السلام. و هو وسط صحن عظيم مستطيل تتجلى فيه العظمة بأجلى مظاهرها، كما تتجلى فيه بداعة الفن، و نفاسه النقش، و جمال الريازة.

و يتقوم من طبقتين يبلغ ارتفاعهما زهاء ٣٥ مترا. و يبلغ طول هذا الصحن ٨٢ مترا، و عرضه ٧٧ مترا. و فى كل ضلع من هذه الاضلاع ١٤ إيوانا، و فى كل إيوان غرفة هى مقبرة احد المشاهير.

و فى الطبقة الثانية عدد من الأواوين و الغرف بعدد الأواوين و الغرف الموجودة فى الطبقة السفلى.

و الصحن على رحبه- مفروش بالرخام الابيض. و له خمسة أبواب. و جدرانه مغشاة بالآجر القاشانى الملون البديع. و على حواشى الجدران العليا تجد الآيات القرآنية مسطوره بأحرف عربية جميلة متداخلة تسر الناظرين اليها، و يحيط بالصحن بهو واسع يظلل من جهة الغرب فقط ساباط مرتفع تتوسطه سمايه مستديرة.

و يلى هذا الصحن من جهة الشرق إيوان واسع كبير، يبلغ ارتفاعه قراب أربعين مترا، كما يبلغ طوله ٤٥ مترا، و هو مسقف؛ سقفه مع جدرانه كلها مغشاة بقطع الذهب، و فى ركنيه مئذنتان مرتفعتان مغشأتان بالذهب الإبريز- أيضا- تؤثران فى النفوس أثرا بليغا، و قد

انفق على هذه التغطية السلطان نادر شاه و ذلك فى عام ١١٥٦ هـ - ١٧٤٣ م

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٨٧

ومن هذا الرواق الجزئي يدخل إلى الرواق الكلي المسقف، و جدران هذا الرواق الأخير مغطاة بقطع المرايا ذات الأشكال الهندسية البديعة و التخاريف المزوقة المختلفة.

ولهذا الرواق أربعة ابواب متقابلة، بابان منهما فضيان، يدعى احدهما الباب الكبير، و يسمى الثاني باب المراد، و بابان من خشب الساج، أحدهما مغلق و الآخر مفتوح يسميان باب الرحمة.

و يلي كل ما تقدم- الحضرة المقدسة؛ ذات الهيبة و الجلال، و الروعة الكريمة، و اللاكئة الثمينة. كما علفت فيها الثريات التي توقد فيها الشموع طول الليل.

و جدران هذه الحضرة مغطاة بالفسيفساء اللطيفة، و الرخام الايتالي البديع و قطع المرايا المختلفة الاشكال و الحجم، و المصاييح الكهربائية العديدة.

كما ان ارضها مفروشة بالرخام الازرق اللطيف، و فيها اربعة ابواب من الفضة، و خامسة من البرنز.

و يتوسط هذه الحضرة- المرقد الغروي المطهر يحيط به مشبكان؛ أحدهما من الفضة الناصعة البياض، و هو الخارجي، و الآخر من الحديد الفولاذي، و هو الداخلي.

و تعلق المشبك الأول كتابات من القرآن مع ابيات من الشعر لابن ابي الحديد. و في كل ركن من اركانه الأربعة رمانة من الذهب الخالص، يبلغ قطرها زهاء النصف متر.

و و يتوسط المشبك الحديدي الداخلي مصطبة من الخشب المرصع بالعاج و المنقوش عليه بعض الآيات القرآنية، و تحتها المرقد الشريف.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٨٨

و فوق الضريح قنديل معلق بسلسلة من الذهب الخالص، مرصع بأثمان الأحجار اليتيمة. و من جملتها؛ ماسه يبالغ في ثمنها كثيرا و تعلق الحضرة قبة جسيمة مغطاة بالذهب الابريز، و مرتفعة الى علو شاهق، و الظاهر أنها ارفع قباب آل البيت جميعا، و قد غشيت هذه القبة بالذهب في عام ١١٥٦ هـ- و أنفق على تغشيتها السلطان نادر شاه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٨٩

و في التاريخ النجفي ان عدد القباب التي شيدت على قبر الأمير- عليه السلام- بلغ ثمان، أولها قبة الرشيد- التي ألمعنا اليها في صدر هذا الفصل- و آخرها القبة الحالية التي غشاها بالذهب نادر شاه في سنة ١١٥٦ هـ.

الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦

مرقد الامام علي بن ابي طالب-ع- و جامع هذا المرقد العظيم في النجف الأشرف، و القادم إلى النجف يشاهد من مسافة بعيدة- القبة الذهبية الفخمة، تناطح السماء علوا، و في ركنيها مئذنتين مرتفعتين مصفحتين بقطع الذهب، و صحن جامع النجف كبير جدا، و فخيم من حيث الهندسة، و البناء، و النقوش، و المرصعات، و للجامع خزانات و أقبية مترعة بتحف و طرف ثمينه محفوظة فيها تعد من أندر تحف العالم و أثنها، و لا تفتح هذه الكنوز إلا قليلا

و مما يظهر للسائح جليا هو كون النجف معهد علم و أدب و دراسة للأمم الاسلامية، كجامع الأزهر في مصر، فقد أخرجت من العلماء و الجهابذة ما يعد بالألوف.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٩٠

و فيها عدد غير قليل من المدارس العلمية:

كمدرسة الصدر، و مدرسة الشيخ مهدي، و مدرسة القوام، و المدرسة السلمية، و مدرسة الاير [و] اني، و مدرسة القزويني، و مدرسة البادكوبي، و مدرسة الهندي، و مدرسة الشرياني، و مدرسة الحاج ميرزا حسين الخليلي، و مدرسة الآخوند، و مدرسة البخاري، و مدرسة السيد كاظم اليزدي.

و غيرها في الصبحن الأشرف كثير. و اكثر هذه المدرس مبنية بشكل شرقي غريب صرفت عليها بدر الأموال حتى صارت كعبة القصاد من مختلف انحاء العالم،

الجوامع و المساجد

جامع الانصاري، مسجد بيت الأمير، تكيه البكتاشية، جامع الترك، جامع الجواهرى، جامع حسينية السيد هاشم، جامع حسينية الصحن، مسجد الحنانه، جامع الخضراء، جامع الامام زين العابدين، جامع الامام زين العابدين حوالى النجف، مسجد الششترلي، جامع الطريحي، جامع الطوسي، جامع و مرقد سيدنا على بن ابي طالب، جامع عمران، جامع الغرى، جامع كاشف الغطاء، جامع كميل، جامع المهدي، مسجد مقام المهدي، جامع الهندي، مرقد هود و مصالح.

الدليل الجغرافى العراقى

النجف- المدينة الرئيسية فى اللواء [لواء كربلاء] بعد كربلاء، و هى مقدسة- أيضا- لوجود مشهد الإمام على -ع- فيها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٩١

نفوسها (٨٨٨٠٩) نسمة، تقع على بعد ٧٥ كيلومترا من كربلاء شرقا.

كانت مصيفا للمناذرة ملوك الحيرة و بعد دفن الإمام على (ع) فيها توسع عمرانها و انتقلت إليها الحركة العلمية فنبغ فيها عدد من العلماء و الأدباء و الشعراء و فيها اليوم مدرسة دينية كبرى، يتخرج فيها عدد كبير من رجال العلم و الدين .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٩٢

النجف فى المراجع الغربية* ترجمه و كتبه جعفر الخياط

إشارة

الحائز على درجة استاذ علوم M. SC. من جامعة كليفورنيا و مدير التعليم الثانوى، و المفتش الاختصاصى، فى وزارة التربية سابقا و مدير التعليم المهنى العام حالا

*

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٩٣

النجف فى كتابات الغربيين

مقدمة

كانت النجف و لم تزل، منذ أن قبرت في ترابها الذكي رفات الأمام أبي الحسن الطاهرة، من المراكز الدينية المقدسة التي ترنو إليها أبصار المسلمين في مشارق الأرض و مغاربها و يقصدها الزوار من كل حدب و صوب. و لم يكن زوارها في كثير من الأحيان من المسلمين و الشرقيين فقط، و انما كان يزورها بين حين و آخر أناس من غير المسلمين ممن كانت تدفعهم الى شد الرحال في البلاد و التطويح في الآفاق عوامل شتى منها: السياحة و حب الاستطلاع، أو الدراسة و التتبع، أو المجازفة و التمرس بالأخطار، أو التجارة و المصالح المادية. على ان هذه المصالح و الغايات كان لا بد من ان تتطور بمرور الزمن فتصبح باحتلال الانكليز للبلاد في أعقاب الحرب العالمية الأولى مصالح و اغراضا سياسية و اقتصادية، لأن السلطات المحتلة التي كانت تريد تثبيت أقدامها في العراق و جعله مرتبطا بعجلة الأمبراطورية البريطانية المترامية الأطراف سرعان ما ارتطمت سفينتها بصخرة النجف السماء للدور القيادي الذي ظلت تلعبه في العراق و العالم الاسلامي في مختلف العصور و الأدوار. و يعزى هذا الدور الذي تضطلع به النجف بطبيعة الحال الى وجود العلماء الأعلام فيها و حرصهم الشديد على رعايته

موسوعة العتبات المقدسة، ج٦، ص: ١٩٤

المسلمين و خيرهم، و الى الوعي المتوثب الذي لم تطفئ جذوته أو يخمد أواره ما بين سكان هذه العتبة المقدسة في كل عصر او زمن، و في شتى الظروف و الأحوال.

و لذلك يلاحظ ان عددا غير يسير من الغربيين الذين زاروا النجف، أو مروا بها، أو الذين تصدوا للكتابة عن تاريخ المسلمين و معالجة شؤونهم، قد البحث و التفصيل. و سأحاول أو عالجوا شؤونها بشيء غير يسير من البحث و التفصيل. و سأحاول في بحثي هذا أن اجمع ما يتيسر لي العثور عليه فيما كتبه الغربيون عنها مقتبسا، بطبيعة الحال، ما يجمع بين الطرافة و الفائدة التاريخية في الغالب.

النجف قبل سنة ١٥٠٠ م

و على هذا فأن أقدم ذكر للنجف في كتابات الغربيين يرد في عدد من الكتب الانكليزية المعروفة التي تستند في معظم ما تورده على المراجع العربية في الأعم الأغلب. و من أهم هذه الكتب كتاب (شيعة الهند) لمؤلفه الدكتور جون هو ليستر. فهو يذكر خلال بحثه عن الاسماعيليه و أئمتهم ان الأمام الحسين ابن أحمد بن عبد الله المستور (او المكتوم) كان مقره السرى في السلمية بالقرب من دمشق، و قد زار في سنة ٢٩٦ للهجرة قبر الامام على عليه السلام في النجف الأشرف. و هناك اتصل بأبي القاسم الحسن بن فرح بن حوشب أحد الشيعة الامامية المعروفين، الذين كانوا على اتصال دائم بالأمام الحسن العسكري عليه السلام. و اتصل في النجف أيضا بعلي بن الفضل فأقنعهما بالذهاب الى اليمن و العمل على نشر الدعوة الاسماعيلية فيها. و من أهم الكتب كذلك كتاب (بلدان الخلافة موسوعة العتبات المقدسة، ج٦، ص: ١٩٥)

الشرقية) الذي ألفه البحاثة المعروف كي لسترايج في ١٩٠٥ و أعيد طبعه في ١٩٣٠. فهو يبدأ بالقول ان النجف فيها مشهد الامام على الذي يقده الشيعة، و انها ما تزال مدينة عامرة حتى اليوم. و يتطرق بعد هذا الى رواية المستوفى المعروفة عن كيفية دفن الامام و إخفاء القبر عن الأمويين، و عثور هارون الرشيد عليه حينما خرج للصيد في ظاهر الكوفة، ثم يشير الى رواية ابن حوقل عن الأمير الحمداني أبي الهيجاء الذي حكم الموصل في سنة ٩٠٤، و يورد قول المستوفى عنه بأنه «ابتنى على القبر قبّة» عظيمة مرتفعة الأركان من كل جانب لها ابواب، و سترها بفاخر الستور و فرشها بثمان الحصر السامانية، و جعل عليها حصارا منيعا». و يضيف الى ذلك ما ذكره المستوفى من ان عضد الدولة البويهى قد شيد الضريح في سنة ٩٧٧، و قامت حوله من بعد ذلك بلدة صغيرة يبلغ محيطها ٢٥٠٠ خطوة. ثم يورد ما ذكره ابن الأثير من خبر دفن عضد الدولة فيها تنفيذا لما جاء في وصيته، و دفن ابنه شرف الدولة و بهاء الدولة من

بعده كذلك .. وهو يقول ايضا ان ملكشاه السلجوقي قد زار المشهد مع وزيره نظام الملك في ١٠٨٦، و ان السلطان غازان الايلخاني بنى فيه مبنى خاصا للسادة سمي «دار السيادة»، و شيد فيه تكية خاصة للصوفية «خانقاه».

و يورد لسترنج بالاضافة الى ذلك وصف ابن بطوطة لمدينة النجف التي زارها في ١٣٢٦ م فأعجب بها و اعتبرها «مدينة حسنة». على أنه من الملاحظ ان المستر (ريتشارد كوك) صاحب كتاب (بغداد مدينة السلام) يذكر ان البويهيين الذين خلفوا معز الدولة كانوا أقل ميلا الى الشيعة و منهم عضد الدولة الذي ذهب في ذلك الى حد فرض الجزية عليهم موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٩٦

و مساواتهم بغير المسلمين في ذلك. و يقول كذلك انه عمد الى اضطهاد أغنى شيعي من شيعة بغداد في ايامه، و هو ابو القاسم محمد الذي كان دخله السنوي يقدر بمليون و نصف المليون من الدراهم. فقد غرمه في يوم من الأيام مليون دينار ذهب، و غرمه من بعده البويهيون الآخرون مثل هذه المبالغ أيضا.

و يستند كاتب البحث الموجز عن النجف في (دائرة المعارف الاسلامية) على النبذة التي كتبها (لسترنج)، فيورد الروايات و الاقتباسات نفسها. ثم يرد ذكر النجف في كتاب (تاريخ ايران) الذي كتبه السريسي سايكس بالانكليزية، و لا سيما في الجزء الثاني منه. فقد جاء فيه ان الأيلخان الكبير غازان خان حينما انتقل الى دار البقاء سنة ١٣١٥ خلفه في الحكم أخوه محمد خدابنده الملقب بلقب «أولجايتو». و كان السلطان محمد أحد أخوة ثلاثة ولدوا لأرغون خان من زوجته المسيحية، و قد أنشأته أمه على ديانتها و سمته نقولا بعد ان أجرت له مراسيم التعميد المعتادة. لكنه اعتنق الديانة الاسلامية حينما تقدم به العمر بتأثير من زوجته، و أصبح محبا للمناقشات الدينية التي صار يعقد مجالس كثيرة من اجلها. و قد أسمعته أعداء الدين الحنيف في يوم من الايام ان الاسلام يبيح للمسلم التزوج بأمه او اخته او ابنته فارتعدت فرائضه، و صدق ما قيل له حينما هبت من بعد ذلك بالصدفة عاصفة رعديّة شديدة قتل فيها عدد من رجال حاشيته و حسب حدوثها دليلا على غضب السماء عليه لأنه اعتنق الديانة الاسلامية. ثم أخذت تحدثه نفسه بترك الاسلام و العودة الى التمسك بديانة المغول القديمة، لكنه قصد النجف الاشرف في تلك الأثناء لزيارة الضريح المطهر فيها، فحلم في احدى الليالي حلما اطمأنت به نفسه و قرر اعتناق المذهب الجعفري على أثره. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٩٧

و مما يذكره (سايكس) عن السلطان خدا بنده أيضا انه انشأ في سنة ١٣٠٥ م مدينة السلطانية على بعد مئة ميل من غرب قزوین، فكانت أهم مدينة مهدها الايلخانيون المغول في ايران و غيرها. و قد كان في نيته ان يحقق بذلك مشروعاً ظل يحوم في مخيلته ردحا من الزمن، و هو مشروع نقل رفات الامامين على و الحسين عليهما السلام من النجف و كربلا الى المدينة الجديدة هذه. و لذلك أنشأ فيها عتبة محكمة البناء بشكل مثنى تقوم فوق كل زاوية من زواياها مثذنه رشيقة عالية، و تحيط هذه المآذن كلها بقبة ضخمة جميلة يبلغ طول قطرها اربعة و ثمانين قدما. غير ان أمنيته لم تتحقق بطبيعة الحال و أصبح المرقد المذكور مدفنا فخما له بعد ان توفي في سنة ١٣١٦. و مما يذكر من الحوادث التي جرت في ايامه ما يورده ريتشارد كوك في (بغداد مدينة السلام من ان السيد تاج الدين محمد نقيب بغداد يومذاك اتهمه السادة فيها بتهم خطيرة، منها تهم اخلاقية شائنة و تهمة بقتل عدة أشخاص معروفين و جمع اموال و فيرة تقدر بثلاث مئة الف قطعة ذهب بطرق غير مشروعة. و قد سلم على أثر ذلك الى اهل النجف الأشرف لمعاقبته و الاقتصاص منه، فأخذوه الى شاطئ الفرات و ظلوا يضربونه حتى قضى غير مأسوف عليه.

و ما دنا في بحث الايلخانيين لا بد من ان نورد هنا ما يذكره المستر كوك كذلك عن مشروع يختص بايصال الماء الى ما يقرب من النجف. فهو يقول ان الطاغية هولاکو حينما مات في ٨ شباط ١٢٦٥ م خلفه في الحكم ابنه أباقا (جدّ اولجايتو الا على) فأقر في حكم بغداد المؤرخ علاء الدين شقيق رشيد الدين وزير هولاکو و مؤلف كتاب (جامع التواريخ) المشهور. و في ايام علاء الدين هذا انتعشت الحالة في بغداد و العراق اجمع، و حفر نهر جديد يستمد

ماء من الفرات و يمر بالكوفة و النجف على حد قوله. و يعتقد المستر كوك ان هذا النهر هو الفرع الغربى الحالى نفسه. و يتكرر ذكر النجف مرات عديدة اخرى فى كتاب (شيعة الهند)، فى معرض البحث عن اهتمام الملوك المنتميين الى الأسر الشيعية الحاكمة، التى حكمت الدكن، و كشمير، و أورده، برجال الدين و العتبات المقدسة و بذلهم السخى من اجل ذلك. فمما ورد فى هذا الشأن ان فيروز و أحمد الاول من ملوك المملكة البهمنية فى الدكن كانا ميالين جد الميل الى العناية بالسادة و رجال الدين الذين كانوا يردون عليهما من النجف و كربلا، و ان الامير احمد أوقف على عهد اخيه فيروز (١٣٩٧) مقاطعة خانة بور و ما جاورها على تعمير العتبتين المقدستين المذكورتين و صيانتهم الدائمة.

و قد ورد فى الكتاب نفسه عن يوسف عادل شاه مؤسس المملكة العادل شاهية فى بيجابور سنة ١٤٨٩ انه مرض فى احدى حملاته العسكرية التى كان يجردها لتوطيد حكمه فى المملكة، و حينما شفى من مرضه بعث بمبلغ ستين الف روبية ليوزع على السادة و رجال الدين فى النجف و كربلا و المدينة. و المعروف عن يوسف عادل شاه انه حينما استتب له الامر فى بيجابور، عقد اجتماعا حافلا شعبيا ذات يوم و أعلن فيه تمسكه بالمذهب الجعفرى - الاثنى عشرى على ملامن الناس. و طلب الى رجال الدين و أشراف البلد من امثال المرزا جهانكير و حيدر بك و السيد أحمد الهروى، و هم من رجال الشيعة المعروفين هناك، ان يعملوا على نشر هذه العقيدة لأنه نذر ان يفعل ذلك بعد ان رأى النبى الكريم (ص) فى المنام فأمره بذلك. ثم ارتقى المنبر بأمر منه سيد من سادات النجف يدعى نقيب خان فأذن فى الناس، و أدخل فى ضمن الاذان الشهادة بأن «عليا ولى الله»، و قرأ الخطبة باسم الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام. فكان اول عاهل هندى يجرأ على اجراء المراسيم الدينية هذه بصورة علنية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ١٩٩

النجف فى أوائل القرن السادس عشر

و فى سنة ١٥٠٧ استولى الشاه اسماعيل الصفوى على بغداد فأصبح العراق معظمه خاضعا ليران. و يشير المستر ستيفن لونكريك فى كتابه (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) الى ان دخول العراق فى حوزة العرش الشيعى الجديد جاء بالشاه مسرعا لزيارة العتبات المقدسة فى الفرات، فزار النجف و أصلح نهرا من الأنهر بقربها فسماه باسمه. و لا شك انه يقصد بهذا ما كان يعرف يومذاك بنهر الشاه، و هو النهر الذى أمر الشاه اسماعيل بحفره من الفرات و اىصال مائه بقناة خاصة تمتد تحت سطح الارض الى النجف لارتفاع موقعها عن مستوى الفرات. ثم يضيف لونكريك قوله ان السنين المنحصرة ما بين زيارة الشاه اسماعيل و وفاته فى ١٥٢٤ كانت تأثيرات العتبات المقدسة القوية خلالها تؤيد الحكم الجديد، فتقاطر التجار الايرانيون على بغداد و جذب نفوذ الصفويين الدينى حتى العشائر النهريّة المتمردة اليهم .

و فى اواخر ١٥٣٤ استطاع السلطان سليمان القانونى ان يسترد العراق من الايرانيين و يعمل على اصلاح الاحوال فيه، فزار كربلا و النجف قبل عودته الى استانبول. و يقول المستر لونكريك فى هذا الشأن ان السلطان سليمان اهتم اهتماما خاصا بزيارة العتبات المقدسة فى الفرات الاوسط، و تقصّيد ان يفعل فيها اكثر مما فعله الشاه الصفوى من الخيرات. و لذلك أصلح جدول الحسينية فى كربلا و وسعه، ثم زار قبر الامام على فى النجف و رجع الى بغداد. و هذه بلا شك الزيارة التى تقول بعض الروايات فيها ان رجلا من رجال حاشيته الكبار حينما شاهد القبة المباركة من بعيد ترجل عن فرسه، و حينما سأله السلطان عن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٠٠

السبب أجابه بأنه ترجل إجلا لخليفة من الخلفاء الراشدين الاربعة. فما كان من السلطان الا ان يترجل هو ايضا بعد ان تردد فى ذلك و استخار القرآن الكريم فاذا به يلاحظ فى الصفحة التى فتحها الآية الكريمة (فاخلع نعليك انك فى الوادى المقدس طوى). و تروى هذه الرواية عن السلطان مراد كذلك حينما زار النجف الأشرف.

بدء اتصال النجف بالغرب

و حينما تطورت الاحوال في اوربه بعد ذلك، و اتسع نطاق النهضة الحديثه فيها، بتأثير الكثير من العوامل و المؤثرات المعروفة في التاريخ اتجهت الانظار الى الشرق و راح البحارة البرتغاليون و التجار البنادقه يمخرون عباب البحار و يطوحون في البرارى و القفار للوصول الى الهند و ما حولها من البلاد. و لم ينته القرن السادس عشر للميلاد حتى أخذ عدد غير يسير من الاوروبيين، و لا سيما البنادقه، يتجهون الى هذه الجهات بقصد المتاجر و التبشير و يمرون بالنجف، او يتلبثون في الزبير. و كانت النجف بحكم موقعها الكائن على حدود البادية، و مركزها الدينى و الاجتماعى الفريد فى بابها، تقع فى طريق الكثير من القوافل التى تأتى من الغرب عن طريق حلب و تستهوى الكثير من المسافرين فى تلك الايام فيمرون بها او يتوقفون فيها مدة الزمن. و يبدو مما جاء فى كتابات عدد من الرحالة الاوروبيين يومذاك ان القوافل التى كانت تسير بين حلب و اصفهان كان بوسعها ان تسلك خمسة طرق عامه معروفه، غير الطريقين اللذين كانا يمران بالأناضول فيرطان بين استانبول (او ازمير) و اصفهان .

موسوعة العتبات المقدسه، ج ٦، ص: ٢٠١

و قد كان اول هذه الطرق يبدأ بحلب، و يقع الى يسار المتجه فى الاتجاه الشمالى الشرقى، لكنه يمر بديار بكر و تبريز. و كان الطريق الثانى يتجه من حلب الى الشرق رأسا فيحاذى بلاد ما بين النهرين، و يمر بالموصل فهمذان. اما الطريق الثالث فقد كان ينحرف اكثر من ذلك نحو الجنوب، و يجتاز بادية صغيرة ثم يمر بعان و النجف و بغداد و البصرة. و كان الطريق الرابع يقع الى يمين الذهاب الى الجنوب الشرقى فيمر بالنجف و بغداد ايضا، و كان هناك طريق خاص يخترق البادية الكبيرة بطولها نحو البصرة، و كانت القوافل التى تسلكه تمر بالنجف احيانا، لكنه لم يكن يسلك الامرء واحده فى السنه اى حينما كان يقطعه تجار تركيه و مصر لشراء الإبل. و لا شك ان هذه الطرق هى التى كان يسلكها الرحالون الغربيون الذين أخذ تواردهم على هذه الجهات يكثر بحلول القرن السابع عشر، و لا سيما بعد أن ثبت البرتغاليون أقدامهم الاستعمارية فى الخليج بأنشائهم قلعه هرمز العظيمة فى ١٥٩٧

الرحالة تكسيرا فى النجف

و من أشهر الرحالة الذين زاروا النجف فى تلك السنين الخوالى الرحالة البرتغالى بيدرو تكسيرا الذى كتب رحلته بالبرتغالية فى وصف الخليج و البصرة و النجف و كربلا و بغداد وعان. و قد ترجمت هذه الرحلة الى الانكليزية و طبعت فى لندن سنة ١٩٠٢. و كان تكسيرا قد وصل الى البصرة من الخليج فى يوم ٦ آب ١٦٠٤، و بعد أن أقام فيها مدة تناهز الشهر غادرها متوجها الى بغداد مع قافلة من القوافل عن طريق البادية و بعد أن غادر البصرة بسبعة أيام وصل الى موقع فى البادية موسوعة العتبات المقدسه، ج ٦، ص:

٢٠٢

يسمى «عيون السيد»، و هو يقول أنهم وجدوا فى هذا الموقع آثار بلدة قديمة كبيرة مع عدد من النخيل و بعض الشجيرات. و بعد أن تركت قافلته (عيون السيد) و تابعت السير ثلاثة أيام أخرى بانت لهم من بعيد بحيرة واسعة الأرجاء متكونه من مياه الفرات فى وسط البادية، و لا يخفى انها «بحر النجف» على حد تعبير الناس فى يومنا هذا.

و بعد مسيرة يومين مرت فى اثناهما القافلة بأما كن تتوفر فيها المياه الغزيرة و تمتد من حولها حقول الشعير و القمح و القطن و الخضراوات كما يقول تكسيرا، بانت لهم مدينة النجف من بعيد و كأنها تطل من موقعها العالى على بحر النجف نفسه. ثم وصلت القافلة الى مكان فى رأس البحيرة و نزلت فى موقع مناسب يقرب منه، فاستضافها هناك رجل يقال له الشيخ علاوى، و قد أصبح

صديقا حميما لتكسيرا على ما يظهر لانه يسميه «صديقي العظيم». و في هذه المرحلة يصف بحر النجف بقوله انه يستمد ماءه من الفرات، و لذلك يلاحظ ازدياد مقاديره في مواسم الطغيان، و ليس لهذه البحيرة شكل معين لكنها تمتد بطولها حتى يبلغ محيطها خمسة و ثلاثين الى أربعين فرسخا. و هناك فيما يقرب من منتصفها ممر ضحل تستطيع الحيوانات اجتيازه خوضا في المواسم التي يقل فيها ماء البحر، و يقول كذلك ان هذه البحيرة كانت شديدة الملوحة، و لذلك كان يستخرج منها الملح الذي يباع في بغداد و المناطق المجاورة، و مع ملوحتها هذه كان يكثر فيها السمك بحجمه و أنواعه المختلفة، و لهذا يسميها الناس هناك بحيرة الرهيمه.

و قد وصلت قافلة تكسيرا الى النجف مساء السبت ١٨ أيلول (٢٣ ربيع الثاني ١٠١٣) فقصدت خانا من الخانات الكبيرة التي كانت تشبه في شكلها و منظرها العام الصوامع الموجودة في البلاد الاوربية على حد قوله. و بعد ان يأتي في رحلته على الجوانب التاريخية المعروفة للمكان و كيفية دفن الامام عليه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٠٣

السلام في هذه البقعة يأخذ بوصف الروضة المقدسة و بنائها و زخرفتها، لكنه لا يشير الى القباب و المآذن بشيء و انما يذكر ان البلدة كلها كانت تبدو فيها إمارات الخراب و الاهمال بوضوح. فبعد ان كانت تحتوي على ستة آلاف الى سبعة آلاف دار مبنية بأتقان في الغالب أصبحت حينما زارها لا يزيد عدد بيوتها على الست مئة فقط. و قد علم من بعض الناس ان أهملها و انحطاط شأنها كان قد حصل بعد وفاة الشاه طهماسب الصفوي (توفي في ١٥٧٦ م أو ٩٨٤ هـ) الذي كان يرعاها و يعنى بشأنها عناية كبيرة.

و يقول أيضا ان البلدة كانت محاطة بسور امتدت اليه يد الأهمال كذلك، فاصبحت تلاحظ فيه الثغرات في عدة أماكنه، و قد كانت البلدة تستقى ماءها من الآبار كما هو معروف، لكنه لم يكن عذبا يستسيغه الشارب، و لذلك كان على الذين يريدون الماء العذب الفرات ان يأتوا به من جدول خاص كان السلطان سليم قد حفره لا يصل الماء من الفرات الى البلدة بواسطته، لكنه لم يصل الا الى مسافة عنها بالنظر لارتفاع موقعها. على ان (تكسيرا) يقول انهم لم يستطيعوا استساغة هذا الماء ايضا حينما وصلوا اليه لأنه كان كدرا متعفنا.

و يقول كذلك ان البلدة كانت بها حاجة ماسة الى الكثير من الأشياء المهمة كالخشب و الأغنام و الدجاج و الحنطة و الشعير و الفاكهة و الخضراوات، و لذلك كان يؤتى بها من الخارج على الدوام. و على هذا كان طعام السكان معظمهم ينحصر في التمر و الحليب و خبز الحنطة و الشعير. و مع ان بحيرة النجف يتيسر فيها السمك فان سكان البلدة لم يكونوا يستفيدون منه الا بمقدار قليل.

و مما يذكره عن النجف في تلك الأيام أيضا ان اهاليها ذوو و سحنة بيضاء في الغالب، و أنهم يحرمون الاختلاط بالنصارى و اليهود. و يقول كذلك ان آثار الأسواق العامرة المبنية بالطابوق كانت ما تزال شاخصة للعيان، و ان الروضة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٠٤

الحيدرية كان فيها الكثير من النفائس الثمينة و منها ثلاث ثريات من الذهب المطعم بالأحجار الكريمة. و كان عدد من الأمراء المسلمين و الملوك قد أهدوها الى الحضرة المطهرة. و ليس من المستبعد ان تكون معالم العمران في الاسواق و غيرها، التي يشير اليها هذا الرحالة، ناشئة عما كانت عليه حالة النجف في ١٣٢٥ م حينما زارها الرحالة المغربي المشهور ابن بطوطة فوجدها مكتظة بالسكان و على أحسن ما يكون عمراننا و ازدهارا، و وجد أسواقها جميلة نظيفة. فقد كان فيها من جهة باب الحضرة الخارجية أسواق للعطارين و الطباخين و القصابين و الخياطين، فضلا عن «القيصرية» و أسواق العطور و الفواكه.

ثم يتطرق (تكسيرا) في رحلته الى ذكر الحكم في البلاد و يقول ان النجف كانت تخضع في تلك الأيام الى الأتراك الذين كان يدفع لهم أميرها العربي شيئا من الأتاوى. و لعله يقصد بذلك ناصر المهنا أمير جشم الذي يقول عنه أنه كان يقيم بالقرب من كربلاء. و يذكر كذلك ان النجف كانت فيها حامية عسكرية قوامها خمسون جنديا من الأتراك، و أن هؤلاء لم يكونوا موجودين في البلدة يوم زارها هو لأنهم كانوا قد سحبوا الى بغداد بسبب الحرب التي كانت ناشئة مع الايرانيين، و لذلك كان السكان أحرارا فيما يفعلون،

حتى ان قسما منهم كان يرتكب الكثير من أعمال العنف و التعدى على الناس من دون خوف أو حياء. و يلاحظ ان المستر لونكريك يتطرق فى كتابه الى ذلك الشىء نفسه عن نوع الحكم هذا. فهو يقول «.. غير ان قوات البادية التى يهمنها أمرها أكثر من هذا كانت لا تخرج عن كونها حلفين بدويين يمر من مناطقيهما المسافرين من الخليج الى حلب بعدة مراحل من طريقهم. فكان المير ناصر موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٠٥

المهتأ فى ١٦٠٤ (١٠١٣ هـ) «ملك» القسم الجنوبى الممتد من النجف الى الفلوجة. و كانت بلدة النجف، ذات العصبية الدينية الدائمة، التى أفقدها انقطاع الخيرات عنها منذ موت الشاه طهماسب، معترفه بسلطة حاكم البادية هذا. و كانت كربلاء، و هى اوسع و اكثر حركة و ليست بأقل من اختها تعصبا، مركز ديرته الخاصة. و كان يلقى المسافرين - من بغداد الى الفلوجة، على بضعة أميال من العاصمة- و كلاؤه الذين يقبضون «الخواوة» له. و قد اعترف ناصر بولائه للسلطان. و من المحتمل ان شيئا من الهدايا التى كانت تقدم الى الباشا فى بغداد بين حين و آخر كانت تذكره بوجود مثل هذا «العبد الحقير».

غير ان أوتو قراطيه فى البادية، و جمعه للخواوة، و الشدائد التى كان يصادفها المسافرين المازون بديرته، و إرهابه للزوار كانت تقص لنا قصة أخرى، و كانت الحاميات التركيه الصغيرة ترابط كالعاده فى العتبات المقدسة، غير ان مكثهم فيها لم يكن الا بسماع من الشيخ نفسه.»

تعليق على اقوال تكسيرا

و تعليقا على ما يذكره الرحالة تكسيرا عن مشكلة ماء النجف و صعوبة الحصول عليه فى تلك الأيام، و عن الخراب الذى أصابها بسبب ذلك، لا أرى بدا من الاشارة هنا الى ان المرحوم يعقوب سر كيس كان قد نشر فى العدد الثانى من مجلة الاعتدال النجفية للسنة ١٩٣٧ عريضة قديمة كان و الى بغداد سنان باشا جيغا لزاده قد رفعها فى أوائل القرن السادس عشر للميلاد الى السلطان مراد الثالث يذكر فيها له ما يقاسيه سكان النجف من قلة الماء الصالح للشرب و شرائها الحمل منه بخمس او ست بارات، و يخبره بأن الكثيرين من النجفيين يومذاك قد اضطروا الى الجلاء عن بلدتهم المقدسة لهذا السبب. و يذكر الوالى فى العريضة قوله «.. و بعد ان كان فى النجف ثلاثة آلاف دار عامرة لم يبق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٠٦

منها الا- عشرها و شربه الماء الأجاج و أكله خبز الشعير، مفضلا هذه الحالة على الجلاء. فليس فى النجف الا الخطيب، و الامام، و الفراش، و الخدام، و الموظفون و قليل غيرهم. و من اسباب الهجرة ان هذه القصبه بعيدة عما هو معمور، و ان الاعراب المجاورين لها عتاء، و ان سورها قديم أكثره قد تهدم فأصبح كل أحد بوسعه دخولها من حيث أراد. فلا أمن من دخول الأعراب اليها على حين غرة، و من غارتهم على القناديل الذهب و الفضة و غيرها من التحف و النفائس ..» و قد ناشد سنان باشا السلطان بان ينقذ النجف من محنتها بحفر نهر خاص لها كما أنقذ السلطان سليمان القانونى مدينة كربلا بحفره جدول الحسينية من قبل. و قد ذكر له بهذه المناسبة ان الخبراء و المهندسين بينوا له ان النهر يمكن حفره بسهولة، و انه سيروى عددا كبيرا من المزارع و الحقول التى يمكن ان تنتج فى ثلاث سنوات محصولا يفيض على النفقات.

على ان تشبثات الباشا المذكور لم تكن مثمرة على ما يظهر لان مشكلة ماء النجف بقيت مستعصية الى سنة ١٦٨٢. و من جملة المستندات التاريخية التى تشير الى ذلك الحجّة الشرعية التى نشرها يعقوب سر كيس فى المقال المشار اليه آنفا، و هى مؤرخة بتاريخ ١١ شعبان ١٠٩٣ هـ (١٦٨٢) م. فقد ورد فيها ما يلى: «اما بعد ... فقد حضر مجلس الشرع الخطير شيخو النهر الشهير المسمى النهر الشاهى الآخذ من مراد (أى الفرات فى التعبير التركى) و حضر سكان قصبه الامام على كرم الله وجهه بأسرهم فقالوا بدون جبر و لا إكراه:

«كانت أراضي هذا النهر قد غدت بمثابة الموات بمرور الأيام و السنين لعدم عناية الحكام السالفين و قلة رغبتهم في امور الخير، و لتسلط أهل البوادي على رعايا هذا النهر فأشرف على الخراب و تضرر أهله و كانوا على أهبة الهجرة.

فقام و الى بغداد ابراهيم باشا بتطهيره و حفره من صدره إلى مدينة الكوفة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٠٧

و المسافة بينهما اثنتا عشرة ساعة فجاء بأهاليه النازحة عنه و أسكنهم محالهم و قطع دابر أهل التعدي. و قد أنفق على ذلك اثني عشر ألف غرش و خمسة و أربعين غرشاً فنجى قصبه رابع الخلفاء على بن أبي طالب كرم الله وجهه من محنة الظم العظيمة، و ذلك بتقريب الماء اليهم فكانوا في رفاهية.

و سكان قصبه الامام على هم مشغولون صباحا و مساء بالدعاء للسكان.»

شهود الحال: السيد عبد الرسول أفندي متولى قصبه الامام على، السيد منصور أفندي بن السيد حسين كتمونه، خطيب الجامع ملا حسين، الكلیدار ملا محمود بن ملا طاهر، الشيخ ابراهيم بن فرج الله، الحاج ابراهيم بن خير الله، الخادم ملا حسين أفندي، المؤذن ملا على رضا، محمد جلي بن على جلي، السيد محمد كمال الدين، ملا .. بن ملا على، ملا على بن ملا محمود، الخادم الحاج حسن، السيد ابراهيم بن كمال الدين، و غيرهم» و لم يذكرهم.

النجف بين الصفويين و العثمانيين

و في ١٦١٩ استأثر بالسلطة في بغداد بكر الصوباشي و طردوا اليها يوسف باشا، ثم أخذ يساوم البادشاه في الباب العالي على تعيينه واليا فيها.

و اتصل بالشاه في ايران فساومه على الشيء نفسه ليفك عنه الحصار الذي ضربته على بغداد الجيوش التركية. و سرعان ما التقت جيوش الدولتين على أبوابها، و بعد كثير من المناورات السياسية و العسكرية و عدد من الوقائع استطاع الصفويون الاستيلاء على بغداد في ليلة ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٦٢٣، فعاد احتلالهم للعراق، و وضعت الحاميات الايرانية في النجف و كربلا- و غيرهما، من مدن الفرات الأوسط.

و في خلال حكم الايرانيين للعراق هذا مر بالنجف و كربلا، قادما من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٠٨

البصرة الى بغداد، الرحالة البرتغالي ديلا فاله . و هو يقول ان النجف كانت في أيدي (القرل باش) أي الايرانيين بعد ان كانت في ايدي الاتراك الذين يحكمون بغداد، و هو لا يذكر شيئا في رحلته يمكن ان يدون عن النجف و انما يشير الى بحر النجف فيسميه (البحيرة الكلدانية)، و يذكر انه مر مما يقرب من النجف في ٢٦ حزيران ١٦٢٥ فلم يجد للكوفة وجودا. و يشير كذلك الى سيطرة المير ناصر المهنا على المدينتين المقدستين، و يذكر ابنا له يسمى أبا طالب.

و لم يثن ذلك الاحتلال من عزم العثمانيين، فقد كان طموح البلاط العثماني ملحا في استعادة بغداد منذ اللحظة التي أضيقت منهم على حد قول المستر لونكريك في (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث). و عهد بتحقيق ذلك الى حافظ أحمد باشا الذي كان قد أشغل الصدارة العظمى من قبل. و حينما سارت الجيوش العثمانية الى العراق من جديد في ١٦٢٥ كان اول اصطدام لها مع جيش الصفويين في موسم من مواسم زيارة النجف و مما يكتبه لونكريك في هذا الشأن قوله «... و قضى الوزير الرئيس الصيف في المعسكر، حيث و ردت أنباء تفيد ان جند حامية بغداد الايرانية رخص لهم في زيارة النجف بمناسبة احدى الزيارات الكبرى، فظلت بغداد مفتقرة الى معظم المدافعين عنها و بناء على هذه الأخبار أرسل الياس باشا، بحركبكي الأناضول، مع قوة خفيفة ليقطع طريق بغداد- النجف و يمنع المدافعين عن الرجوع. ففشلت المحاولة، غير انه مما لا- شك فيه ان ذلك العمل أضاف الى ضعف ثبات

الاييرانيين فى الفرات و طرد حاميتهم منه مدة من الزمن.»

و قد أعقت ذلك وقائع و اشتباكات كثيرة اشترك فى بعضها الشاه عباس موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٠٩
بنفسه فآلت الى فشل الحملة التركية فى مهمتها من جديد. و كانت قد تخللت ذلك كله اتصالات عدة بين الفريقين المتناحرين
للوصول الى حل نهائى للنزاع المرير، فكانت النجف من أهم مواضيع البحث و المناقشة فى هذه المفاوضات.
فيذكر لونكريك عن المفاوضات النهائية قوله «.. و بعد مضى اسبوعين اقترح الشاه، عودا على بدء الدخول فى مفاوضات فبعث حافظ
أحمد رئيس مرافقيه و جماعة من الضباط الآخرين الى المعسكر الايراني، ثم عادوا مع سفير الشاه فجدد الايراني ادعاه ببغداد، و فى
جلسة متأخرة جلسوها قبل إبقاء بغداد على الترك اذا ما أعطى النجف فى مكانها. فكان جواب الوزير العثماني «ان كل حجر من
النجف يعادل عنده الف انسان، و ما بغداد الاحماها» و لم يجد بحث لتوافق نفعا فى تقريب وجهات النظر..» و هكذا بقيت بغداد، و
العتبات المقدسة، بأيدي الايرانيين حتى تسنى للسلطان مراد الرابع ان يفتحها بنفسه و يتقبل خضوعها فى يوم عيد الميلاد من سنة
١٦٣٨ على حد قول المستر (لونكريك)

الرحالة الفرنسى تافيرنيه فى النجف

و بعد عشرين يوما من هذا التاريخ كان الرحالة الفرنسى الشهير المسيو جان بابتيست تافيرنيه نازلا فى منزل من منازل السفر فى البادية
يبعد عن حلب بمسافة عشرين يوما، فى طريقه الى البصرة. و هناك علم من ثلاثة أعراب نزلوا فى المنزل نفسه انهم كانوا قد أرسلوا
الى حلب و غيرها من المدن بأخبار استيلاء السلطان مراد على بغداد. و قد مر هذا الرحالة فى اثناء رحلته هذه بالنجف الأشرف، و كان
آخر منزل له فى البادية قبل وصوله اليها موقعا يعتقد انه (خان
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢١٠)

العطشان) الذى يصفه وصفا تفصيليا طريقا يشير فيه الى انه يبعد عن الفرات بمسافة تزيد على العشرين فرسخا، و هو يقول ان قافلته و
اصلت السير من هناك فى اتجاه شمالى شرقى لمدة خمسة ايام وصلت بعدها الى «بلدة صغيرة كانت تدعى سابقا الكوفة و الآن
تعرف بمشهد على»، و لا شك انه يخلط بقوله هذا بين النجف و الكوفة. و هو يذكر شيئا عن الضريح المطهر و يقول بانه كانت
تشاهد من حوله أربعة شمعدانات مضاءة، و قناديل مدلاة من السقف، من دون ان يشير الى كونه استطاع الدخول الى الحضرة أم لا، و
فيما عدا القناديل و الشمعدانات التى كانت تضاء فى الليل و النهار، كان هناك قارئان يتلوان القرآن الكريم على الدوام.
ثم يتطرق الى ماء الشرب فى البلدة فيقول انه ماء غير عذب يستقيه الناس من آبار أربع موجودة فيها، و يشير كذلك الى وجود قناة
جافة يظن ان الشاه عباس الصفوى كان قد مدها من الفرات الى النجف، و الأصح فى كثير من المراجع ان القناة المذكورة كان الشاه
اسماعيل الصفوى قد أمر بحفرها فى بادية الأمر غير ان الشاه عباس أمر بتطهيرها، و يقول المسيو تافيرنيه ايضا ان الطعام كان شحيحا
فى البلدة، و انه لم يجد فيها غير شىء قليل من التمر و العنب و اللوز مما كان يباع بأسعار عالية. و مما يذكره كذلك ان الزوار حينما
كان يكثر وجودهم فى مواسم الزيارات كان الشيخ يوزع عليهم عند الحاجة الرز المطبوخ بالماء و الملح، و المضاف اليه شىء قليل
من السمن.

و يشير تافيرنيه الى موضوع يتطرق اليه عدد غير يسير من المؤرخين الأجانب و الرحالة الآخرين، و هو موضوع منع الزوار الايرانيين
من زيارة النجف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢١١

و غيرها من العتبات المقدسة فى العراق من قبل الشاه عباس الصفوى. لأن الزوار كان لا بد لهم من ان يمروا ببغداد قبل الوصول الى
النجف، و هناك كان يترتب على كل منهم ان يدفع رسما قدره ثمانية قروش. و كان هذا الرسم فى نظر الشاه تحديا و إهانة لرعيته و

حكومته، و لذلك عمد الى تعميم ضريح الامام الرضا عليه السلام فى مشهد خراسان ليكتفى الايرانيون بزيارته و ينصرفوا عن زيارة العتبات الاخرى، و قد اقتدى به ملوك ايران الذين جاءوا من بعده أيضا فى كثير من الظروف و الأحيان و يقول السر بيرسى سايكس فى (تاريخ ايران) ان عبقرية الشاه عباس و براعته قد ظهرت فى اضطراره بمهمة توحيد القبائل و الأقوام المختلفة التى كانت تسكن ايران. و قد فعل ذلك فى الغالب عن طريق تشجيع فكرة أن مشهد الامام الرضا هو فى الحقيقة المركز القومى الذى يجب ان يقصده الزوار الأيرانيون، و انه فخر العالم الشيعى و محط آماله. و ليقرن القول بالعمل كان يكثر الزيارة هو نفسه لهذه العتبة المقدسة. و قد قطع فى إحدى زيارته المسافة الطويلة الممتدة بين إصفهان و المشهد (٨٠٠ ميل) مشيا على الأقدام. و كان يقوم بمهمة إسراج آلاف الشموع التى كانت تضىء الروضة المقدسة و تنظيفها.

و من بين الهدايا التى قدمها الشاه عباس هذا للمرقد الشريف قوسه الذى يحمل اسمه، و هو هدية لا يقدرها الأيرانيون حق قدرها على ما يقول سايكس. و قد كان يزور النجف أيضا و يتولى كنس الحضرة المطهرة التى تعود لجده الأكبر. و يورد تافيرنيه كذلك، فى معرض وصفه الحاله فى بغداد، قوله (.. و تجارة المدينة رائجة، و لكنها ليست بما كانت عليه فى أيام ملك إيران. لأنه عندما استولى عليها الترك اغتالوا كثيرا من أثرياء التجار، و مع ذلك فان الناس ما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢١٢

زالوا يتوافدون على بغداد من كل حدب و صوب. و لا أدري أكان ذلك للتجارة أم للعبادة، فان شيعة على يعتقدون ان عليا عاش فى بغداد. ان كل من يرغب فى الحج الى مكة برا عليه ان يمر ببغداد، و على كل حاج ان يدفع الى باشا بغداد أربعة قروش.»

فى أواسط القرن السابع عشر

و مما تذكره بعض المراجع الأجنبية ان السلطان مراد حينما تم له فتح بغداد كتب أمانا لسكان النجف على يد أحد قواده بإشارة من الشيخ مدليج، لأن الفتح كانت قد أعقبته فى بغداد و ما جاورها فوضوية غير يسيرة قتل خلالها مئات عديدة من الناس. و مدليج هذا هو الذى ورد ذكره فى رحلة الاب (يا سيفيك الكبوشى) الفرنسى (الصفحة ٢٣٩) حينما غادر حلب متوجها الى بغداد فى ٢٨ حزيران ١٦٢٨ (٢٤ شوال ١٠٣٧)، و يسميه فيها ملك العرب و المعروف ان هذا الامير العربى هو ابن أبى ريشة أمير البادية الذى ظل مسيطرا على نواحي بغداد و الموصل ردحا طويلا من الزمن فى تلك الأيام. هذا و قد ورد فى بعض المخطوطات التركية ان السلطان مراد نفسه رحل من بغداد يوم الاثنين ١٨ رمضان ٩٤١ هـ لزيارة الأمامين على و الحسين عليهما السلام و بصحبته السرعسكر و الباشوات و الأغوات جميعهم .

و هناك رحالة آخرون مرّوا فى هذا العهد بالنجف فى أثناء رحلتهم من حلب الى بغداد فايران، من دون أن يذكروا شيئا مهما عنهما فى رحلاتهم. و من هؤلاء (بيترو ديلا فاله) الرحالة الإيطالى الذى تزوج امرأة مسيحية من بغداد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢١٣

(أشير اليه من قبل)، و الأب الكرملى الفرنسى فيليب (١٦٢٩) و المسيو تيفنو الذى تتضمن رحلته وصف شاهد عيان لاستيلاء السلطان مراد على بغداد فى ١٦٣٨.

و يرد ذكر النجف بعد هذا فيما كتبه (لونكريك) أيضا فى اثناء وصفه (لخاصكى محمد باشا) الذى انتهت مدة ولايته ببغداد فى منتصف صيف ١٦٥٩ (١٠٧٠ هـ)، و لبعض الولاة الآخرين. فهو يذكره بقوله: .. «و كان خاصكى محمد، و هو المتدين من الطراز القديم، قد بعث بالذهب الى المدينة لتزيين القبّة، ثم أضاف منارة الى مشهد النجف، و قول بثناء أعظم عندما هدم كنيسة نصارى ليشيد فى موقعها جامعا.» و هو يقصد بذلك جامع الخاصكى المعروف اليوم ببغداد. و فى خريف ١٦٦٧ (١٠٧٨ هـ) جرد و الى بغداد (قره مصطفى باشا) حملة كبيرة على البصرة لتأديب حسين باشا أفراسياب و ارجاعها الى حظيرة الحكم العثمانى. فكان سيره بطريق

الفرات، و حينما وصل الى الحلة تأخر فيها عن الجيش و توجه منها الى النجف الأشرف لزياره الأمام عليه السلام مع البعض من امرائه و قادة جيشه، ثم تابع سيره فلاحق بالجيش الزاحف. و فى أواسط عام ١٦٧١ (١٠٨٢ هـ) قصد الوالى (حسين باشا) السلحدار النجف، و كربلاء لأداء الزيارة و الترويح عن النفس، ثم عاد الى بغداد بعد أيام قلائل. و كذلك فعل الوالى قبالان مصطفى باشا سنة ١٦٧٧ (شعبان ١٠٨٨ هـ)، و قد اشتهر بولعه فى زيارة الأئمة و الأولياء و بتشييده لجامع القبلاية المعروف ببغداد.

و يقول (لونكريك) كذلك ان الاشهر الاولى من القرن الثامن عشر ظهرت فيها عناصر جديدة للفوضى فى العراق بحدوث فيضانات عظيمة فى الفرات الأوسط و الجنوبى، لأن ذلك أدى الى انعزال البلدان و المراكز المهمة و من جملتها النجف الأشرف. فاستغلت لقبائل هذا الوضع وهب رؤساؤها للأفادة مما حدث. و كان أهم هؤلاء سلمان بن عباس شيخ الخزاعل الذى استولى على الرماحية موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢١٤

و كبشه، و حسكه، و منطقة نهر الشاه، ثم استولى على النجف كذلك. و المعروف فى المراجع الاخرى ان الحكومة لم تستطع الوقوف فى وجهه و تخليص العتبة المقدسة من شره حتى حينما عمدت الى سد نهر ذياب عن القبائل المنضوية تحت لوائه.

النجف و مسلمو الهند

ان مما يمكن ان يذكر هنا من كتابات الغربيين مما له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالنجف الأشرف، و سائر العتبات المقدسة، ما يتطرق اليه بالتفصيل الدكتور جون هولستر مؤلف كتاب (شيعة الهند) من البحث عن ظهور مملكة (أوده) الشيعية فى شمال الهند، و توالى حكامهم و ملوكهم على الحكم فى لكانا.

فقد استقامت هذه المملكة من سنة ١٧٢٢ (١١٣٥ هـ) الى ١٨٥٦ (١٢٧٣ هـ) حين عمد الانكليز الى تنحيتهم عن الحكم، فكانت حلقة الوصل ما بين الامبراطورية المغولية و وضع الشيعة فى الهند و الباكستان فى يومنا هذا.

و يأتى المؤلف فى بحثه هذا على الأعمال التى قام بها كل واحد من نوابى هذه المملكة الذين ظلوا يعترفون بالتابعة الى الامبراطور المغولى فى دلهى حتى تولى النواب غازى الدين حيدر فتتوج ملكا فى مملكة (أوده) يوم ٢٩ تشرين الثانى ١٨١٩.

و مما جاء فى هذا الكتاب عن ملوك و نوابى (أوده) جميعهم تعلقهم بالمذهب الشيعى و صرفهم الباذخ على الطقوس و مظاهر العبادة، و على إقامة الشعائر الدينية و مساعدة السادة و العلماء. و يذكر المؤلف عن عساف الدولة مثلا (١٧٧٥) أنه كان مبذرا تمام التبذير، و انه كان يصرف على الشعائر و المراسيم فى شهر محرم من كل سنة خمسة أو ستة لكات من الروبيات. و كان يصرف ما يكاد يساوى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢١٥

هذا المبلغ فى كل سنة أيضا على تعمير المساجد و الحسينيات (إمام باره) و تجهيزها و يذكر عن باهو بكم زوجة شجاع الدولة أنها بعثت تجلب شيئا كافيا من تراب كربلاء و النجف ليفرش فى قبرها حينما تدفن فيه، و قد تم ذلك بالفعل و صرف على بناء هذا القبر مبلغ يناهز ثلاثة ألكاك من الروبيات، و ظل ألف رجل من القراء يقرأون القرآن الكريم حوله خلال الليل كله لعدة أيام. و يتطرق المؤلف كذلك الى ذكر الحسينيات الثلاث المشهورة فى لكانا فيقول انها كلها تستحق الزيارة و المشاهدة، و ان كل واحدة منها تختلف عن الاخرى و تسمى أحداها «شاه نجف» لأن الملك غازى الدين حيدر بناها بحيث يكون الضريح الموجود فيها مشابها لضريح الأمام عليه السلام فى النجف. و يشير الدكتور (هولستر) كذلك الى مجالس التعزية التى تقام فى محرم الحرام و غيره و يقول ان إقامة هذه المجالس قد تتجاوز مدتها الايام العشرة الاولى من هذا الشهر، و ان البعض من ملوك (أوده)، مثل ناصر الدين (١٨٢٧) كانوا يقيمون هذه المجالس لمدة أربعين يوما من كل سنة.

على ان أهم ما يذكر في كتاب (شيعة الهند) مما يختص ببحثنا هذا منشأ وقف (أوده) الذي توزع وارداته في كل سنة على مستحقيه في النجف و كربلاء.

فيقول المؤلف ان ملوك (أوده) كانوا قد وضعوا للاستثمار في قروض حكومية مبلغا يقدر بثلاثة ملايين و نصف المليون باون استرليني، ليصرف على أفراد أسرهم و متعلقهم. و ظل نسل هؤلاء يتقاضون ربح ذلك المبلغ بالنسبة الأصلية بحيث يبلغ مجموعه في كل سنة شيئا يزيد على اربعة عشر لكا من الروبيات.

و قد كان البعض من مستحقي هذا الوقف متعودين على توزيع بعض المبالغ في العتبات المقدسة الموجودة في مكه و المدينة و كربلاء و النجف الأشرف، و نظرا لان قسما منهم لم يخلف وريثا أو وصية خاصة في هذا الشأن فقد ظل ما يستحقونه يبعث كله الى العتبات المذكورة.

و تورد المس (غير تروديل) سكرتيرة دار الاعتماد البريطاني ببغداد، في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢١٦

تقريرها عن الادارة المدنية في العراق أيام الاحتلال البريطاني (١٩١٤-١٩٢٠)، تفصيلات اخرى في هذا الموضوع. فهي تقول انهم قد تعرفوا بالنجف و كربلاء و مركز زعمائها الروحانيين قبل الحرب بمدة طويلة لان الحكومة الهندية في ١٨٤٩ كانت لها علاقة بهاتين المدينتين فيما يختص بوقف (أوده) فقد كان (غازي الدين حيدر) ملك أوده. قد أوقف مبلغا قدره (٠،٠٠٠، ١٢١) روبيه في السنة لتصرف صدقات الى مستحقيها في المدينتين المقدستين. فرجعت حكومة الهند، التي ورثت مسؤوليات، شركة الهند الشرقية، نفسها في موقف الناظر على هذا الوقف. و كان توزيع هذا المبلغ في كل سنة يثير عدة مشاكل، لكنه انتظم في ١٩١٠ باجراء ترتيبات خاصة اصبح التوزيع فيها يجرى عن طريق لجنتين خيريتين، واحده منهما في كل من النجف و كربلاء، و تتألف كل منهما من مجتهدين و أناس محترمين آخرين، بعد ان يحول المقيم البريطاني في بغداد المبلغ لهما رأسا.

على ان السر أرنولد ويلسن يورد في كتابه (بين النهريين ١٩١٧-١٩٢٠)، الذي ستأتي الاشارة اليه بالتفصيل في مرافيع قادمة، عن هذا الموضوع رواية اخرى تختلف عن الروايتين المذكورتين في أعلاه. فهو يقول ان الانكليز ما ان دخلوا بغداد في آذار ١٩١٧ حتى لفت نظر السر بيرسي كوكس من جهات ذات تأثير و نفوذ في النجف و كربلاء الى ان واردات وقف (أوده) لم توزع منذ ان أعلنت الحرب العامة، و طلب منه ان يتخذ الاجراءات العاجلة ليستأنف تحويل المبالغ التي كانت تحول في أثناء السلم عن طريق الفئصل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢١٧

العام البريطاني في بغداد. و كان منشأ هذا الوقف ان اللورد (أمهرست)، حاكم الهند العام، كان قد استقرض مبلغا جسيما من ملك (أوده) بمناسبة الضائقة المالية التي حصلت بنشوب الحرب في بورما سنة ١٨٢٥. و كان القرض بقيمة عشرة ملايين روبيه، لكن ملك (أوده) قد اشترط بدلا من تسديده اليه ان تقوم حكومة الهند بصرف الربح المستحق عليه الى الأبد، بنسبة ٥٪، على جهات خاصة منها بعض الناس و الطبقات في النجف و كربلاء. و قد حصلت بعد ذلك تعقيدات كثيرة بسبب غموض الوقفية و الشروط المدرجة فيها و خشى الاتراك من ان تتخذ مدفوعات هذا الوقف لاغراض تخريبية تتجاوز حدود الوقفية.

ثم نشأت صعوبات اخرى في كيفية توزيع هذه المبالغ التي كانت تثير الضغائن و الأحقاد في كثير من الاحيان. على ان واجب اتخاذ ترتيبات مناسبة وقع على عاتق النواب محمد حسين خان في الغالب، فبرهن في هذا الشأن على كونه رجلا حكيما كثير التعاون مع الموظفين لا داريين المتعاقبين، و دبر توزيع هذه الهبات بأقل ما يمكن من الاحتكاك و التصادم.

النجف بين نادر شاه و العثمانيين

و حينما ظهر اسم (نادر قلي خان) أو نادر شاه فيما بعد، على مسرح الحوادث الجارية في العراق و إيران في أواسط القرن الثامن عشر،

صار اسم النجف الأشرف يتردد في كل فرصة أو مناسبة. فقد اصطدم مع الدولة العثمانية ما بين سنتي ١٧٣١ و ١٧٤٦ اصطدامات متكررة عنيفة، و حاصر بغداد و الموصل حصارات طويلة مخيفة، و نازل الجيوش التركية على أسوار بغداد و الموصل و في ميادين القتال الأناضولية و العراقية الأخرى و كان يعقب تلك الاصطدامات و الحروب كلها مفاوضات و مطالب كانت تدور معظمها حول الحدود المشتركة بين البلدين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢١٨

من جهة، و حول الاستيلاء على النجف و كربلاء و الاعتراف بالمذهب الجعفري مذهباً خامساً من جهة أخرى. و توجد تفصيلات هذه الحوادث في كتابي السريسي سايكس عن تاريخ إيران، و المستر لونكريك عن تاريخ العراق الحديث، المار ذكرهما، و كتاب الدكتور لوكهارت عن حياة نادر شاه نفسه.

و أهم ما حدث من المطالب و المفاوضات في هذا الشأن ما حدث على أثر انتصاره في معركة (بغاوند) بالقرب من قارص، و قضائه على (عبد الله باشا كوير يللي) و جيشه فيقول (لونكريك) في هذا الشأن .. «فتحرك الى ارضروم، و سار السفراء فوق العادة بين الفريقين، فاشتط نادر بمطاليه و طلب الدية زيادة على معاهدة بغداد السابقة، و لذلك لم يتوصل الطرفان الى نتيجة ما مدة أشهر عديدة ... و قد أوضح في الاحتفال الذي أجرى لذلك اصلاحاته المهمة التي أشار اليها من قبل في كتاباته الى البلاط التركي. فأعلن تمسك الشيعة بالعقائد الدينية الأصلية و انضمامهم اليها باسم المذهب الخامس و هو المذهب الجعفري.

و قد كان يرمى بذلك الى تسهيل معاملاته مع تركية و إيجاد أهمية لاسرته السنية، ثم تم توحيد العناصر التركمانية و الكردية و الافغانية التي في جيشه ليعادل بها العناصر الشيعية التي فيه و ما زالت مقيمة على ميلها الى الصفويين.» و كان ذلك في سنة ١٧٣٦ و حينما عاد نادر شاه مرة أخرى الى العراق و حاصر الموصل في ١٧٤٣ لم يستطع الاستيلاء عليها بعد ان قصفها و حاصرها مدة تناهز الأربعين يوماً و لذلك اضطر لعقد الصلح مع و اليها (الحاج حسين باشا الجليلي) بشروط خفيفة، و الى ان يعود الى بغداد فيديم محاصرته لها، ثم توجه من هناك الى النجف الأشرف لأداء واجب الزيارة و طلب منها الى و الي بغداد (أحمد باشا) الذي كان واقفاً موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢١٩

في وجهه طوال هذه المدة، أن يبعث اليه بوفد من العلماء السنة للبحث في قضية التوفيق بين الفريقين المسلمين. فندب اليه (الشيخ عبد الله السويدي) و ذهب الى النجف و جرت فيها مناظرات و مناقشات في عدة جلسات ترأسها الشاه نفسه. و يقول (لونكريك) ان المناقشات الطويلة مع العلماء في النجف لم تثمر شيئاً. و في الأخير اضطر الشاه و قد انتبه لاستفحال السخط و الفتنة في بلاده و للاستعدادات التركية في الشمال، الى عبور الحدود و الرجوع من دون ان يضرب ضربة ما أو يوقع على شيء من العهود. و تقول بعض المراجع الاخرى، و منها الدكتور لوكهارت في كتابه عن نادر شاه، ان محضر المناظرات قد حفظت نسخة فارسية منه في خزنة الأمام عليه السلام في النجف.

ثم جرت حروب أخرى بين الشاه و الاتراك في أرمينية و أذربايجان، فأحرز انتصاراً جديداً عليهم في صيف ١٧٤٥ (١١٥٨ هـ) و يذكر (لونكريك) في هذا الشأن أنه أعقب هذا الانتصار بشروط صلح لا تطاق. فقد طلب الاعتراف بالمذهب الجعفري، و تسليم (وان) و كردستان و العراق بأجمعه و في ضمنه العتبات المقدسة. ثم تنازل عن قسم من ذلك، لكنه أصر على المطالبة بالنجف و كربلاء. و كان نادر شاه قد بعث في ١٧٤٠ (١١٥٣ هـ) بهدايا نفيسة الى العتبات المقدسة في كربلاء و النجف و سامراء، و الى مرقد الامام الاعظم في بغداد.

و قد أمر بتذهيب القبّة و الأيوان، و المآذن، في النجف سنة ١٧٤٢، و لم ينته العمل فيها الا في ١٧٤٣، و هي السنة التي عقدت المناظرة فيها- المناظرة بين العلماء- و مما يجدر ذكره في هذه المناسبة ان الترجمة الفرنسية (المطبوعة سنة ١٧٨٠) لرحلة الرحالة الالمانى (نيبور) فيها حاشية تنص على انه ورد في (جهانكشاي نادري) لمحمد مهدي خان المنقول الى الالمانية بان الشاه أنفق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٢٠

مبالغ طائلة على تغليف القبة بالذهب. و ان السور قد أمرت بترميمه الامبراطورة (كوهر شاه بكم) فأنفق عليه مبلغ يناهز المئة الف نادري، أو ما يساوي حوالى ستين الف و ست مئة «أيكو» ألمانى. و أنها أهدت مبخرة مرصعة بالاحجار الكريمة، و إناء من الذهب الخالص ليحرق فيه البخور فى الروضة المقدسة .

على اننى لا- بد لى من ان اذكر هنا إتماما للبحث حقيقته موقف نادر شاه من جميع ما تفاوض به مع الاتراك عن النجف و المذهب الجعفرى و ما أشبه. إذ يظهر مما يذكره (سايكس) فى كتابه عن تاريخ إيران، و النبذة الاخيرة المقتبسة من (لونكريك) فى البحث، ان نادر شاه لم يكن مخلصا فى إنفاقه على الروضة الحيدرية و العناية بها، و لا فى الدعوة الى اعتراف السنة بالمذهب الجعفرى، و إنما اتخذ ذلك وسيلة لثبيت عرشه و مركزه فى إيران الشيعية بعد ان اغتصبه من الصفويين. و يذهب سايكس الى أبعد من هذا فيقول انه حينما طلب اليه ان يقبل العرش الأيرانى (بعد ان خلع آخر الملوك الصفوية) سنة ١٧٣٦ (١١٤٨ هـ) اشترط فى قبوله إياه على القادة و الوجوه، بعد ان رفض الطلب عدة مرات، ان تبادر الامه الايرانية الى نبد العقيدة الشيعية التى أدخلها مؤسس الدولة الصفوية الى ايران و تعود الى العقيدة السنية. و يذكر كذلك ان المجتهد الاكبر الذى كان حاضرا فى حفلة التتويج نهض محتجا فى الحال، و أشار عليه بان يحصر جهوده فى شؤون الحكم و غيرها من الشؤون الدنيوية، لكن موته المفاجيء أخرس المعارضة التى كان يمكن ان تصدر من زملائه. و يستنتج سايكس من ذلك ان التبدل المطلوب فى العقيدة قد صودق عليه فى ذلك الجمع الحافل بصورة رسمية فقط و لأجل ان يجعل نادر شاه هذا التبدل الجديد للعقيدة شيئا مستساغا أعلن عن عزمه على ان يضيف الى المذاهب السنية الأربعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٢١

مذهبا خامسا هو المذهب الجعفرى نفسه. و قد كان يؤمل من ذلك بطبيعة الحال أن ينسى الأيرانيون ما قامت به الاسرة الصفوية المالكة من اعمال. و ربما كانت تداعب أطماعه كذلك أحلام السيطرة على العالم الاسلامى و توحيدته فى امبراطورية إسلامية واحدة تضم فى حظيرتها الممتلكات العثمانية كلها أيضا.

يضاف الى ذلك ما نجده فيما كتبه سايكس فى مناسبة اخرى من ان نادر شاه وافق فى المفاوضات التى اعقبت انتصاره على كوير يلى باشا فى بغاوند على التخلي عن مطالبته بالاعتراف بالمذهب الجديد، و عقد الصلح بالشروط التى كان قد تم الاتفاق عليها بين الدولتين فى أيام السلطان مراد من قبل.

و يضيف الى ذلك كله ما يكاد يكون غريبا جد الغرابة. فهو يقول فى أثناء تجليله لشخصية نادر بانه لما كان قد نشأ سنيا فى عقيدته فقد أظهر عداء شديدا لرجال الدين الشيعية، و صادر الأموال الطائلة التى كانت ترد اليهم. و قد حاول توحيد المسلمين بالغاء المذهب الجعفرى لكنه فشل فشلا ذريعا فى مسعاها.

ثم راح يحلم بابتداع ديانة جديدة، و من أجل هذا أمر بأن يترجم له توراة اليهود و انجيل المسيحيين (العهد الجديد).

و فى ربيع ١٧٦٤ تبرع على دست الحكم فى ولاية بغداد الوالى عمر باشا بعد ان اشترك فى مؤامرة قتل فيها سلفه على باشا الذى كان مملوكا من أصل فارسى. و فى أيام هذا الباشا ساءت العلاقة مع ايران التى كان على رأسها الوصى كريم خان زند، و ازدادت التعرضات بالزوار الأيرانيون و فرضت الرسوم الفادحة عليهم، حتى انقطع سيل الزوار على النجف و غيرها من العتبات. و فى هذا الشأن يقول (لونكريك) «.. غير ان أسباب الاحتكاك و التصادم كانت تعمل طى الخفاء. فقد أثارت منذ سنين خلت حفيظة الأيرانيين المعاملات القاسية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٢٢

التي كان يعامل بها زوار العتبات المقدسة فى الفرات .. و كانت العتبات نفسها قد وصلت أخطار السفر فيها الى الأوج بالتعديات المزعجة و التكاليف الجشعة التى كانت تفرض على الزوار.» فكانت هذه من أهم الأسباب التى أدت الى التصادم بين البلدين

المتجاورين، لأن كريم خان جرد في الأخير حملة قوية على البصرة في ١٧٧٥ بقيادة أخيه صادق خان بعد ان بعث يهدد عمر باشا باحتلال العراق و يطالب برأسه ثمنا لتعدياته المتكررة على زوار النجف و سائر العتبات على حد قول السر بيرسى.

مشاهدات الرحالة نيبور في النجف

على أن أهم ما يرد ذكر النجف فيه من كتابات الغربيين خلال تلك السنين ما كتبه الرحالة الالمانى الشهير كارستن نيبور في رحلته التى كتبها على أثر تجواله فى البلاد العربية و سائر انحاء الامبراطورية العثمانية آنذاك. فقد جاء الى العراق عن طريق الخليج سنة ١٧٦٥، بمناسبة اشتراكه فى بعثة استكشافية علمية جهزها فردريك ملك الدانيمارك و بعث بها الى هذه الجهات. و قد وصل البصرة فى خريف تلك السنة، و توجه منها الى الحلة فى احدى السفن الصغيرة بالطريق النهري. غير انه ما وصل (لملوم)، التى كان يقيم فيها شيخ الخزاعل حتى ارتأى ان يترك السفينة و يسلك الطريق التى تذهب من لموم الى النجف الاشرف ماراً (بالرماحية) و بعد مسيرة سبع ساعات و نصف على ظهور الخيل وصل (نيبور) و جماعته الى (الرماحية) التى يقول عنها انها بلدة تحتل رقعة كبيرة من الارض، و تضم فى داخل أسوارها العالية المبنية باللبن ما يقرب من اربع مئة بيت. و قد شاهد فيها جامعا يؤمه الناس للصلوة، و حماما عاما بحال موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٢٣

جيدة جدا، و للبرهنة على ازدهار الحالة الاقتصادية فيها يشير الى ان شيخ الخزاعل كان يتقاضى رسوما كمركية طفيفة على البضائع التى كانت ترد اليها.

و قد توجه من الرماحية الى النجف، التى يطلق اسم «مشهد على» عليها لا غيره فى يوم ٢٢ كانون الأول فوصل اليه مع خادمه و أحد (الملالى) بعد مسيرة سبع ساعات على ظهور الخيل، خلال حقول و مزارع معمورة. و يذكر فى رحلته أنه صادف فى طريقه ما بين الرماحية و النجف أربع جنازات تنقل للدفن فى وادى السلام، و هو يورد بالمناسبة احصاء عن عدد الجنازات التى كانت تصل اليها من مختلف الأنحاء، فيقول إنه كان يتجاوز الألفين فى السنة أى بمعدل سبع جنازات فى اليوم الواحد. و يضيف الى ذلك قوله ان الذين كانوا يريدون الدفن بالقرب من الروضة المقدسة كان عليهم أن يدفعوا مبالغ كبيرة من المال، و ان الذين يدفعون مبالغ معتدلة كان يسمح لهم بالدفن فى داخل أسوار البلدة. أما الذين كانوا يدفعون مبالغ زهيدة فقد كانوا يدفنون موتاهم فى خارج السور، و هؤلاء كان يتراوح ما يدفعونه عن الجنازة الواحدة بين أربعة و ثمانية «ستوفرات». و كانت ستون ستوفر تعادل «تالير» ألمانى واحد، و التالير يساوى ثلاثة ماركات.

و بعد أن أتى (نيبور) على ذكر الروضة و الجامع و تعلق الشيعة المنتشرين فى البلاد الاسلامية كلها بهذه البقعة المقدسة، يقول انها تقع فى منطقة مجدبة لا يتيسر فيها الماء بسهولة. ثم يشير الى ان الماء الذى كان الناس يحتاجونه للطبخ و الاغتسال كانوا يستقونه من قنوات خاصة تمتد فى باطن الأرض، لكن الماء الصالح للشرب كان يؤتى به محملا على ظهور الحمير من مسافة ثلاث ساعات. و مما يذكره عن عمران البلدة ان جهة من جهاتها يكثر فيها الكلس، الذى كان يحرق للحصول على مادة البناء منه، و ان الخشب كان يندر وجوده و يرتفع ثمنه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٢٤

فيها. و لذلك كانت البيوت تشيد كلها بالطابوق و الجص و تعقد سقوفها على شكل قب و عقود، فتكون متينة البنيان عادة. و يشير كذلك الى وجود منطقة منخفضة متسعة الأرجاء فى خارج البلدة، يكسوها الملح، كان يسميها الناس «بحر النجف» و هو الاسم الحالى نفسه بطبيعة الحال.

و مما يتطرق اليه نيبور عن طبقات السكان قوله ان بعض سكانها كانوا من أهل السنة، و إن العلاقة بين أهل السنة و الشيعة فى النجف و كربلا كانت علاقة حسنة الى حد غير يسير. على انه يقول من جهة أخرى ان الشيعة كان لا بد لهم من ان يلتزموا جانب الهدوء لثلا

يغضب عليهم الباشا في بغداد فيعمد الى منع الزوار الإيرانيين من زيارة العتبات المقدسة، أو يفرض أتاوى باهظة عليهم. و يقدر (نيبور) عدد الزوار الذين كانوا يقصدون العتبتين المقدستين في المشهدين يومذاك بحوالى خمسة آلاف زائر في السنة. و مع ان العدد يبدو قليلا للقارىء في يومنا هذا، فانه غير بعيد عن الحقيقة بالنسبة لظروف السفر الشاقة و غيرها في تلك الأيام الخالية. و مما يذكره (نيبور) في هذا الشأن كذلك ان الزيارة ليس لها أيام معينة كما هي الحالة في الحج الى مكة المكرمة، و مع هذا فان الشيعة يعتقدون بأن دعاءهم تزداد الاستجابة له في أوقات و ايام خاصة. و لذلك فهم يؤدون الزيارة في أيام رمضان المبارك، و العاشر من محرم الحرام، و السابع و العشرين من رجب، و غير ذلك.

و لم يفت (نيبور)، و هو الرجل العالم المدقق، ان يرسم مخططا خاصا لمشهد على كما يسميه يشير فيه الى معالم البلدة المهمة و شكلها العام فهو يشير قبل كل شىء الى أنها كانت في تلك الأيام محاطة بسور غير عامر يمكن الدخول الى البلدة من عدة فجوات فيه، و ان هذا السور كان فيه بابان كبيران هما «باب المشهد» و «باب النهر» و باب ثالث يسمى «باب الشام» لكنه يقول ان الباب الأخير كانت قد سدت فتحته بجدار خاص من دون ان يذكر السبب في ذلك. و يضيف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٢٥

الى هذا قوله ان الشكل الخارجى للبلدة يشبه شكل مدينة القدس، و ان سعتها تقارب سعة القدس أيضا. و يقول كذلك ان النجف كان فيها، عدا الجامع الكبير المشيد حول الضريح المطهر، ثلاثة جوامع صغيرة أخرى. و قد عمد (نيبور) الى تخطيط رسم خارجى عام للجامع الكبير، كما يسميه، و هو يذكر ان سقفه قد صرفت مبالغ طائلة على تزيينه و طليه بالذهب بحيث لا يمكن ان يوجد مبنى آخر في العالم أجمع يضاهيه بكلفه تسقيفه الباهظة. و لا شك انه يقصد بذلك القبة العظمى المذهبة التى يقول ان نادر شاه الطاغية قد أنفق تلك المبالغ عليها ليكفر بها عن الأعمال الشريرة التى ارتكبتها فى إيران. فقد بلغت كلفه لوحه النحاس المربعة بالذهب مبلغا يزيد تومان ذهب واحد (عشر تاليرات ألمانية). و هو يشيد كذلك بالمنظر الأخاذ الذى يبين للناظر الى القبة المذهبة، و لا سيما حينما تسقط أشعة الشمس عليها، او حينما تبين للرائى من بعد ستة أميال ألمانية على حد قوله. و مما يذكره بالمناسبة ان القبة كان يعلو قممها «كف على» بدلا من الهلال الذى كان يشاهد فوق القباب الموجودة فى الجوامع التركية عادة.

و يستمر فى وصف المظاهر الخارجية فيقول ان الجامع الكبير هذا كان محاطا بساحة واسعة يقام فيها السوق كل يوم. و كان هناك بين يدي الباب الكبرى شمعدان كبير جدا يحمل عددا كبيرا من الأضواء. و قد كانت تطل على هذه الساحة من جميع الجهات بيوت السادة و الخدم التابعين للحضرة المطهرة، الذين كان يتجاوز عددهم المئة على ما قيل له.

اما بالنسبة لداخلية الحضرة و زينة جدرانها و سقوفها فهو يقول انه لم يستطع التقرب كثيرا من الجامع و الدنو منه بحيث يشاهد شيئا منها بنفسه. لأنه كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٢٦

يخشى ان يجبر، لو فعل ذلك، على اعتناق الاسلام جريا على العادة التى كانت متبعة مع غير المسلمين فى هذا الشأن، و لم يكن يرغب ان يكلفه حب الاستطلاع مثل هذا الثمن الغالى على حد قوله. على انه يذكر ان (الملم) رفيقه فى السفر، و عددا من شيعة النجف، قد أكدوا له ان الحضرة كان فيها أشياء ثمينة جدا ينبهر بها الناظرون. فقد كان هناك عدا القبة المذهبة و الآيات القرآنية المطعمة بالمينا و كتابات كثيرة مكتوبة بحروف من ذهب، و عدد غير قليل من (الشمعدانات) الفضية و الشمعدانات الذهبية المطعمة بالأحجار الكريمة. و يشير ما خاصة إلى بصورة قيل له عن خنجر من الطراز الهندى كان معلقا فى شباك الضريح المطهر، فإنه كان مرصعا بأحجار كريمة نادرة لا تقدر بثمن. و قد قيل له ان أحد أسلاف (أورنك زيب) أميراطور المغول فى الهند كان قد أهدها على سبيل التبرك قبل بضع مئات من السنين. لكن الملاحظ فى التاريخ ان أورنك زيب (و هو شاه جهان) نفسه تولى الحكم فى ١٦٥٩ و

توفي في ١٧٠٧، و ان امبراطورية المغول قد أسسها (بابير شاه) في الهند سنة ١٥٢٩. و لم يغفل نيبور عن الإشارة في رحلته الى انه كان من المعتاد في كل سنة ان يوفد و الي بغداد رجلا من كبار ضباطه الى النجف الأشرف للتحقق من وجود هذه الأعلام النفيسة و التحف الثمينة التي كان يؤتمن عليها الكليدار، و يسأل عنها الباشا الوالي كذلك.

نيبور في الكوفة

و يظهر من رحلته نيبور انه كان قد قصد الكوفة أيضا و زار معالمها خلال مدة وجوده في النجف. فانه يشير الى أهمية الكوفة القديمة في تاريخ الاسلام، و يقول انها كانت خالية من السكان تقريبا حينما زارها. و قد شاهد في طريقه ليها مجرى كرى سعده الجاف، الذي يعتقد انه (اليلاكوباس) الذي حفره سكان العراق الأقدمون. لكن الذي لفت نظره بطبيعة الحال مسجد الكوفة لذي قتل فيه الأمام عليه السلام. و هو يقول ان هذا الجامع الكبير لم يبق منه موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٢٧

شيء يذكر سوى الجدران، و بعض المعالم المشهورة، و قد عمد الى رسم مخطط خاص له نشره في الرحلة و أشار فيه الى الاسماء كما استقاها من الدليل النجفي الذي كان بصحبته.

و من المواقع التي يشير اليها في الجامع باب الفيل، و السفينة، (و السقاخانه) و الموقع الذي كان الأمامان الحسن و الحسين عليهما السلام يصليان فيه، و المحراب الذي كان يصلى أزاءه الأمام موسى الكاظم عليه السلام. كما يشير الى الاعمدة الدالة على مقامات الأنبياء عيسى و موسى و ابراهيم الخليل، و الموضع الذي من عادة الأمام السجاد عليه السلام ان يصلى فيه، و المكان الذي شيد فيه نوح أول بيت له بعد مغادرته السفينة على ما يعتقد، و مقام الأمام الصادق عليه السلام، و ضريحى مسلم بن عقيل و هانى بن عروة. و قد علم نيبور من الكتابة التي كانت منقوشة على البناء المشيد فوق قبرى مسلم بن عقيل و هانى ان (محمد بن محمود الرازى) و (أبا المحاسن بن أحمد التبريزى) هما اللذان شيدها سنة ٦٨١ للهجرة.

و مما يذكره أيضا ان السيدة عادلة خاتون بنت أحمد باشا الحاج حسن باشا، و زوجته الوالى سليمان باشا أبى ليله، و كانت قد توفيت قبل وصول (نيبور) ببضع سنوات فقط، هي التي شيدت جدران مسجد الكوفة من ناحية الشمال الغربى، و هي التي أنشأت على حسابها الخاص بناية صغيرة ذات قبة قرب الجامع تخليدا لذكرى النبى نوح عليه السلام. و قد زار (نيبور) جامع السهلة أيضا؛ و هو يقول ان الدليل قص عليه قصة تختص بالجامع لم يفهم شيئا منها.

و قد غادر (نيبور) النجف في يوم ٢٥ كانون الأول ١٧٦٥ متوجها الى الكفل بعد ان بقى فيها ثلاثة أيام. و آخر ما يذكره في هذا الشأن ان (مشهد على) لم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٢٨

يصل اليه أى أوربى قبله هو. و لا شك انه مخطيء في قوله هذا لأن الرحلات المطبوعة تشير الى ان عددا من الرحالين الأوربيين قد زاروا النجف قبله أو مروا بها، و أهمهم تكسيرا البرتغالى ٦ آب (١٦٠٤) و (بيترو ديلافاله) الأيطالى (١٦١٩) و تافيرنييه الفرنسى (١٦٣٩). لكنه في الحقيقة كان أحسن من كتب عنها، و ان المعلومات التي أوردها كانت أوسع مما كتبه غيره كما يلاحظ مما أوردها في هذا البحث.

هجمات الوهابيين

و في الربع الأخير من القرن الثامن عشر انتشرت الدعوة الوهابية في نجد و ما جاورها من الأصقاع المتاخمة للعراق، و صار الوهابيون

بما عرف عنهم من عنف و تعصب يهاجمون المناطق المطلقة على البادية من هذه البلاد بين حين و آخر خلال مدة طويلة من الزمن. و كان نصيب النجف و كربلاء، بحكم موقعهما القريب من البادية و صبغتهما الدينية المعروفة و ما فيهما من قب و نفائس، شيئاً غير يسير من هجماتهم المدمرة و غزواتهم الصاعقة العنيفة.

و كان أعنف ماشنه الوهابيون من غزوات على العراق الغزوة التي هاجموا فيها مدينة كربلا في يوم الغدير من سنة ١٢١٦ للهجرة، المصادف لليوم الثاني من نيسان ١٠٨١ حينما كان معظم سكانها يؤدون الزيارة في النجف. و يقول المستر (لونكريك) في هذا الشأن ان وصول الكهية المتأخر الى كربلا لم يجدها نفعا و لكنه قصد النجف بعد ذلك و نقل ما كان في خزيتها من نفائس و تحف الى بغداد خوفاً من ان يعود الوهابيون اليها فينهبوها كما فعلوا في غزوتهم لكربلا، و الكهية المقصود في هذه الرواية هو على باشا كهية و الى بغداد المملوك سليمان باشا الكبير. و تقول مراجع أخرى ان الوالي أمر بنقل النفائس التي كانت موجودة في خزنة النجف الى خزنة الامام موسى الكاظم عليه السلام، و عهد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٢٩

بذلك الى الحاج محمد سعيد بك الدفترى. و أمر كذلك بتعزيز حامية النجف فأبقيت فيها ثلث من عسكر الموصل و شردمه من العقيليين.

و بعد هذا الحادث بستين أى في ١٨٠٣ م (١٢١٨ هـ)، هاجم الوهابيون النجف، و شنوا عليها غزوة عنيفة. و يقول المستر لونكريك في هذا الشأن ان الغزو الوهابي للنجف في الأيام الأخيرة من تلك السنة كان بقوة أشد من القوى الاعتيادية، و ان قبه على بن أبى طالب بقيت ثابتة الأركان في داخل سورها المنيع و حينما خفت اليها قوات على باشا الكهية عاد الغزاة من حيث أتوا و اختفوا عن الانظار. و المعروف في المراجع النجفية الموثوقة ان الوهابيين حينما وصلوا الى البلدة وجدوا أبواب السور مغلقة، و من بقى فيها من السكان قد تهيأوا للدفاع عنها حتى النفس الاخير. و قد تولى هذا الدفاع و الاشراف عليه سماحة الشيخ جعفر كاشف الغطاء بنفسه، و اشترك فيه عدد من العلماء و الاعلام و غيرهم.

و في ربيع ١٨٠٦ هاجم الوهابيون العراق من عدة جهات من جملتها النجف كذلك. و مما يذكر لونكريك بهذه المناسبة ان جماعاتهم الغازية ظلت تغزو قرى الحدود من الطف و لكن سور النجف القديم من غير ان تنال نجاحا في غزواتهم. و كان سكان البلدان من الزبير الى السماوة مع حلفائهم من القبائل يصدون هجماتهم بسهولة. و قد أوشكوا ان ينجحوا في غارتهم المفاجئة على النجف الاشراف لو لا أن عاجلهم النجفيون من السور فكسروهم شر كسرة. و يؤيد ذلك ما جاء في (تاريخ العراق بين احتلالين) من ان سعودا سار بجيشه الى المشهد و أحاط بها ثم أمر رجاله بتسور السور

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٣٠

و مهاجمة البلد. لكن وجود الخندق العميق حوله حال دون نجاحهم في ذلك.

و قد جرت مناوشات عنيفة و قتال بين الطرفين و رمى الوهابيون من السور و أبراجه فقتل عدد غير يسير منهم فردوا على أعقابهم .

و قد كانت الهجمات الوهابية المتكررة على النجف هذه و استدامة الخطر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٣١

الناجم عنها، سببا مهما من الاسباب التي أدت الى انتظام سكانها في جماعات و أحزاب تستهدف تنظيم الدفاع عن البلدة و العمل على صد الخطر الوهابي عنها.

و كانت اهم هذه الجماعات جماعتي الزكرت و الشمرت المعروفتين. و قد تطورت الاحوال بين هاتين الجماعتين بمرور الزمن و اشتد النزاع بينهما زمنا طويلا. و الى ذلك يشير (لونكريك) إشارة مختصرة يفهم منها ان هذا النزاع العريق في القدم قد اشتد في أيام الوالي سعيد باشا (١٨١٥) حتى انقلب الى عراك عنلى. و تطور الى أكثر من هذا بعد ذلك حتى تحدى فيه عباس الحداد رئيس

الزكرت الحكومة، و ظلم الناس و اعتدى عليهم، فاضطر داود باشا في السنة الثانية من حكمه (١٨١٨ أو ١٢٣٤) الى تجريد قوة خاصة لتأديبه. و يقول صاحب دوحه الوزراء ان صالح أغا الاندروني انتدب لهذا العمل و كلف بأن يأتي بعباس الحداد حيا، غير انه تعذر عليه ذلك فقتله في معركة جرت بينه و بين الجيش التركي و قتل صاحبه (دييس) معه، ثم جرى برأسيهما الى بغداد فانتهدت الفتنة بين الزكرت و الشمرت. و يؤيد ذلك في مذكراته التي كتبها بالفرنسية تاجر أرمني من أهالي استانبول كان مقيما ببغداد آنذاك يدعى أو انيس مراديان .

النجف في ١٨٢٤-١٨٥٢

و في سنة ١٨٢٤ (١٢٤٠ هـ) مر المسيو فونتانييه ، نائب القنصل الفرنسي في البصرة يومذاك، ببغداد و زار و اليها داود باشا. و قد كتب في وصفها ما يشير به الى النجف كذلك؛ فهو يقول «.. إن بغداد و قد مرت بها في ١٨٢٤ لم تكن بغداد الموصوفة في الف ليلة و ليلة و إنما لها طابعها الشرقي، فانها اصبحت مجمعا للمسلمين نظرا لوجود ضريح الأمام علي على مسافة منها، و لا شك ان وجوده موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٣٢

يدعو شيعته الى زيارته و القدوم اليه .. و يقال ان مئة الف اجنبي يمرون سنويا بمدينته (أى ببغداد) للذهاب الى زيارة ضريح الامام علي. و هذا الازدحام يجعل من أية نقطة في البروسطا تجاريا كبيرا» و لا بد من الاشارة بهذه المناسبة هنا الى السائح الفرنسي أدريين دوبريه كان قد مر ببغداد أيضا في ١٨٠٧ و أقام فيها مدة من الزمن فوصف أشياء كثيرة فيها بالتفصيل. و كان من جملة ما أشار اليه قوله ان عدد الزوار الذين كانوا يمرون ببغداد سنويا في طريقهم الى الزيارة في النجف و كربلاء كان يتراوح بين خمسة عشر الف و عشرين الف نسمة، و كان مرورهم من بغداد بهذا الشكل يؤثر على تجارتها و مصنوعات طبيعتها الحال . غير ان هذه الاحوال لا بد من أن تكون قد تبدلت حينما داهم بغداد و العراق الأوسط و الجنوبي بأجمعه الطاعون الكبير في ١٨٣١، فدمرها و قضى على معالم الحياة فيها.

فتسنى لعلی رضا باشا علی أثره القضاء علی داود باشا و تنحية الممالیک عن الحكم الی الابد. و قد زار بغداد هذه الفترة الرهيبة، أى في ١٨٣٤، الرحالة الانكليزي المستر بيلي فريزر فشهد آثار الخراب فيها و وصف في رحلته الطاعون و ما خلفه في أرجائها و صفا مخيفا . و مما يقوله فريزر في الرحلة عن زوار العتبات المقدسة ان الطرق ما بين بغداد و بينها قد سدت في وجوههم، و انهم صاروا يتعرضون للسلب و النهب بكثرة و بصورة مؤسفة. و هو يقول كذلك ان الكثيرين منهم كانوا يجازفون بالسفر اليها فيعودون الى بغداد بعد أيام معدودة و قد سلبوا الى حد العري، و من دون ان يتسنى لهم الوصول الى العتبات. و يشير إشارة عابرة الى انقطاع جبل الامن في النجف نفسها في أيام داود باشا و اضطراره الى سوق الجيش عليها. و لا شك أنه يقصد بذلك عصيان عباس الحداد و قتله مما أتينا على ذكره قبيل هذا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٣٣

و حينما تولى الحكم في بغداد نجيب باشا (١٨٤٢) كانت الخطة التي انتهجها في تصريف شؤون البلاد تستهدف القضاء على العشائر من دون رحمة و تفكيك كيائها بقدر المستطاع؛ و لذلك عرفت أيامه بالحملات العشائرية المتتالية، و قد سار في احدى حملاته هذه الى النجف كذلك فقمع اضطرابا كان ناشبا فيها على حد قول المستر (لونكريك)، و كان ذلك في عام ١٨٤٥. على اننا لاحظنا ان بعض المراجع العربية عن مثل (ماضى النجف و حاضرها) تجعل سير نجيب باشا لقمع الاضطرابات في النجف سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢)، أى بعد ان انتهى من تنكيه بكربلاء و سكانها. لكن (لونكريك) يعود فيذكر حادثه مماثل في النجف يومذاك لم تكن أحسن مما كانت في كربلاء، لان فريقيها المتخاصمين، و هما الزكرت و الشمرت، لم يعبا بالبasha و لا بالسلطان، و كان كل شيء في المدينة يتم بموجب فتاوى المجتهدين النافذة و رغبات الرؤساء و قد أدى نزاع اعتيادي في البلدة سنة ١٨٥٢ الى ثورة فخفت القوات التركية اليها؛

و بعد عراقك شديد في الشوارع دام يوماً واحداً تمكن الاتراك من انزال العقاب بالبلدة. و وقع مثل هذا الحادث في ١٨٥٤ كذلك، حينما بعث الوالي نامق باشا ضابطاً من قبله فدخل البلدة بالرغم من قوة الفريقين الموحدة.

النجف في رحلة لوفتس

و في ١٨٥٣ زار النجف رحاله انكليزي يدعى لوفتس، و قد كان عضواً من أعضاء لجنة الحدود التي تجولت في منطقة الحدود العراقية الأيرانية في ١٨٤٩ فعملت على تثبيتها. و في سفره ثانية الى العراق لأغراض علمية آتارية تجول في البلاد فكتب رحلته المعروفة في وصف الموصل فبغداد فالفرات الأوسط فالبصرة فعرbstان. و قد جاء الى النجف الأشرف في صيف ١٨٥٣ من الحلة و في موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٣٤

معينه درويش باشا متصرف الحلة و طاهر بك الحاكم العسكري فيها، مع ثلثة من الجنود الاتراك. و لذلك نراه يذكر شيئاً عن الكوفة التي وصل اليها من الكفل قبل وصوله الى النجف بطبيعة الحال. فيورد عدداً من الروايات عنها، منها، أن موقع الكوفة كان هو الموضع الذي نزل فيه جبرائيل الى الأرض فصلى لله عز و جل، و منه انبتقت مياه الطوفان الطاغية على عهد نوح عليه السلام فاستقل فلكه هرباً منها. و يزعم العرب بالأضافة الى ذلك ان الحيرة حينما أغوت حواء نفيت الى هذا المكان عقوبة لها؛ و من هذا نشأت فكرة اتصاف أهالي الكوفة بالمكر و الخداع. و بعد ذلك يأتي على ذكر الكوفة في أيام العرب، و أهمية الخط الكوفي، و مقتل الإمام عليه السلام فيها من قبل الخوارج؛ ثم يشير الى أنها لم يبق منها في وقت زيارته لها (أى في ١٨٥٣) سوى عدد من التلول و بقايا جدار من جدرانها مع أنها كانت تمتد على ما يقال الى ما يقرب من كربلاء (مسافة ٤٥ ميلاً).

و حينما ينتقل الى ذكر النجف يقول انها أسست على أنقاض مدينة الحيرة القديمة، التي نشأت الأسر العربية المالكة المعروفة فيها، و لا شك أنه يشير بذلك الى المناذرة. و كانت الحيرة على حد قوله قد التجأ اليها خلال القرن الثالث للميلاد كثيرون من النصارى اليعاقبة هرباً من الاضطهاد و الفوضى التي انتابت أحوال الكنيسة. و بهذه الوسيلة اعتنق ملك الحيرة و رعاياه الديانة المسيحية قبيل مولد النبي محمد (ص). و يتطرق الى فتح خالد بن الوليد للحيرة و يقول انها فتحت بسهولة بعد قتل ملكها في المعركة، و بذلك فرضت عليها الجزية التي كان مقدارها (٧٠٠٠) قطعة ذهب في السنة. و تعد الحيرة أول بلد فتحه المسلمون خارج الجزيرة العربية؛ كما تعد الجزية التي فرضت عليها أول جزية فرضوها على أي بلد من البلاد الأجنبية.

و يصف لوفتس موقع النجف الجيولوجي و شكلها العام كذلك فيقول انها تقع فوق هضبة من الحجر الرملي الميال الى اللون الاحمر، و ترتفع الى أربعين قدماً

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٣٥

فوق السهول المحيطة بها. و قد وجد أسوارها عامرة ممتازة، يحيط بها خندق عميق خال من الماء. ثم يتطرق الى بحر النجف فيقول انه يمتد نحو الجنوب الشرقي الى مسافة أربعين ميلاً، و ينشأ من نهايته السفلى نهران يقال لهما: شط الخفيف (Khufif) و شط العطشان. و حينما يطغى الفرات طغيانه السنوي المألوف يفيض الى بحر النجف فتصبح المسافة الممتدة بينه و بين السماوة كلها قطعة واحدة من المياه، يطلق عليها «خور الله» أما ماء هذا البحر فيكون عذبا صالحاً للشرب حينما تصب فيه مياه الفرات، و يصبح ملحا أجاجاً حينما تنقطع عنه، و عند ذلك يضطر الاهالي الى جلب الماء من الكوفة.

و يبدو مما كتبه لوفتس انه دخل الصحن الشريف بمعية درويش باشا و طاهر بك؛ و بحراسة من الجنود الاتراك المدججين بالسلاح. و هو يقول في هذا الشأن انه كان من النادر ان تسنح لاي مسيحي الفرصة للدخول الى أماكن عبادة المسلمين و لا سيما في مكان مقدس مثل مشهد الامام علي. و حينما أبدى فكرة الدخول الى طاهر بك وجد تشجيعاً منه على ذلك. و لما مرت جماعتهم بالسوق المؤدى الى الصحن كان الناس على عاداتهم الشرقية ينهضون للتحية؛ فيردونها لدرويش و طاهر لكنهم كانوا ينظرون شزراً الى

(الأفرنج). وقد تجمع حشد من الناس وراءهم، وحينما قاربوا باب الصحن كانت النظرات التهديدية و الهمسات الخافتة تدل على انهم كانوا أناسا غير مرغوب فيهم. لكن الجند اصطف في مدخل الصحن فاجتازوا من بينهم دون تردد. و يقول لوفتس انه لا- يمكن ان يصف الشعور الذى يخالج الناظر الى جميع ما كان فى داخل الجامع من زينة فى البناء و تناسق فى الالوان، لان ما يراه كان لا بد من ان يولد انطباعا خالدا فى نفسه. و يصف شكل الصحن الشريف و الضريح المطهر الموجود فى وسطه، مشيرا الى زينة القاشانى المحتوية على الرسوم المتناسقة للطيور و الأوراق النباتية و الكتابات المذهبة ثم يذكر ان أركاننا ثلاثة من اركان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٣٦

الصحن كانت تقوم فوقها مآذن ثلاث كسيت الاثنتان الأماميتان منها بالآجر المغلف بالذهب الذى يكلف تذهيب الواحدة منه مبلغ تومان واحد، أو ما يعادل باونين استرلينيين. و هذه مع القبة كانت تؤلف منظرا فخما يعجز عنه الوصف. و كانت القبة الكبرى المكسوة بالذهب و هى تتوهج فى نور الشمس تبدو للرائى من بعيد و كأنها تل من الذهب يقوم من البرارى الممتدة من حوله. كما كانت توجد بين يدى الضريح المطهر بركة من النحاس تزيد فى جمالها أشعة الشمس المتراقصة فوق سطحها الصقيل اللماع الذى يكاد يحاكي سطح القبة نفسه فى بهائه و تلالؤه. و لم يدخل لوفتس الى الحضرة، لكنه يذكر ان داخلتها كانت على النمط نفسه من البهاء و الرونق الاخاذ. لأنه علم ان أرضيتها كانت مبلطة بقطع منتظمة من الأبريز المصفى، و ان عددا غير يسير من الأعلق الفنية المهداة من المسلمين المؤمنين كانت تزين الداخل كله.

و يذكر كذلك ان الصحن كانت تباع فيه أشياء و حاجات كثيرة، فيقارن ذلك بالمعبد فى بيت المقدس الذى دخل اليه المسيح قبل ثمانية عشر قرنا فوجد الناس يبيعون فيه الثيران و الأغنام، و الصرافين يتاجرون بالعملة. و قد لفتت نظره على الأخص طيور الحمام الكثيرة كذلك.

و يقول لوفتس انه حينما خرج مع جماعته بعد مدة غير طويلة لاحظ فى السوق ان الوجوه كانت مكهفرة و الجو مكهربا، فأدرك السبب الذى حدا بظاهر بك الى أن يأتى بالجند المسلح معه.

و لقدسية النجف هذه كان يقصدها الزوار الشيعة من جميع الانحاء على حد قوله، و على هؤلاء كانت تعيش البلدة بأجمعها. و هو يقدر معدل عدد الزوار الذين كانوا يفدون عليها فى كل سنة بمقدار (٨٠، ٠٠٠) شخص، كما يقدر عدد الجنائز التى كان يؤتى بها للدفن بشيء يتراوح بين (٥٠٠٠) و (٨٠٠٠) جنازة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٣٧

فى السنة و كانت الجثث تنقل من بعيد على ما يقول بصناديق مغلقة باللباد الخشن، و تحمل على ظهور البغال، و لذلك كانت كل قافلة تصل الى بغداد من ايران على الأخص لا بد من ان يكون من بين أحمالها عدد من هذه الصناديق التى كان منظرها مألوفاً فى الطرق المؤدية الى النجف.

و كانت الأجور التى تفرض على دفن الجنائز تتراوح ما بين عشرة توامين و متتى تومان (خمسة الى مئة باون استرليني)، و اكثر من ذلك أحيانا. و كثيرا ما كانت الجنائز تتكسد خارج السور مدة من الزمن حتى يتم الانفاق على الأجرة التى يتحتم على الاقارب دفعها.

ثم يذكر ان توارد الزوار على النجف بكثرة قد أغناها غناء غير يسير فى تلك الأيام، كما يستدل من التوسع التى طرأ عليها فى تلك السنين و السور الجديد الذى أنشئ لها. و كذلك يشير الى انه وجد أن نهرا كان يحفر لا يصل الماء الى البلدة من الفرات، و حل مشكلته، و الى فضول أهالى النجف و تجمعهم حول الأجانب القادمين من الخارج الى حد أن البعض منهم كان يأتى بأهله و نسائه

للتفرج عليهم.

في أواسط القرن التاسع عشر

و مما يذكره ريتشارد كوك صاحب كتاب (بغداد مدينة السلام) عن النجف في هذه الحقبة من السنين ان الحكومة التركية مدت شبكة التلغراف اليها فربطتها و كربلاء بخط الفرات التلغرافي. و كانت قد تعاقدت في ١٨٥٧ مع الحكومة البريطانية على قيام المهندسين الانكليز بانشاء خط تلغرافي على نفقة الحكومة التركية. و بعد أربع سنوات ربطت بغداد بالعالم الخارجى بواسطة الخطوط التلغرافية، ثم أضيفت خطوط اخرى في السنوات التي أعقبت تلك موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٣٨

المدّة ما بين بغداد و الخليج عن طريق الفاو، و ما بينها و بين خانقين. و كان الفاو يمر بطريق الفرات، فمد فرع منه الى النجف و كربلاء

و قد زار بغداد في ١٨٥٥، أى في عهد الوالى كوزلكلى رشيد باشا، سائح المانى مشهور و مستشرق يجيد العربية و قواعدها، يدعى (بيترمان) فأقام فيها مدّة تناهز الخمسة أشهر، و كتب كثيرا عما شاهده فيها فضمنه رحلته التي طبعها بالالمانية في لا ييزيغ سنة ١٨٦٤. و هو يذكر فيها ان زوار النجف و غيرها من العتبات المقدسة كانوا يتواردون من إيران الى بغداد باستمرار، و قد بلغ عددهم في تلك السنة حوالى ستين ألف زائر كما يستنتج من عدد التذاكر التي أصدرتها السلطات التي كانت مسؤولة عن الحجر الصحى يومذاك في خانقين.

و في ١٨٦٩ (١٢٨٦ هـ) تعين فى ولاية بغداد الوالى المصلح مدحت باشا، فعمل على تجديد الولاية و حكومتها و ادخال الحياة العصرية الى البلاد. غير أنه اصطدم بأشياء كثيرة كانت تحول دون اقتران الكثير من أعماله بالنجاح الذى يعود بالمنفعة على البلاد، فقد كانت العقبة الكبرى فى طريقه هذا عدم تيسر المال اللازم لمشاريعه، و لذلك فكر فى جمعه بطرق و وسائل شتى. فكان من جملة ما فكر به فى هذا الشأن ان يبيع التحف و النفائس الموجودة فى خزانه النجف و غيرها من العتبات المقدسة، غير انه لم يستطع تحقيق ذلك بطبيعة الحال. و يقول المستر لونكريك فى هذا المقام انه لم يكن قادرا على تحقيق مشروع كان عزيزا عليه، و هو بيع خزائن النجف و إنفاق مبالغها على الأشغال العامة. و يمكن ان نذكر بالمناسبة ما ورد فى المراجع العربية عن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٣٩

بعض محاولاته المماثلة فى الاصلاح. فقد أعلنت الحكومة التركية على عهده فى أوائل محرم الحرام سنة ١٢٨٧ اعلانا يمنع فيه اخراج مواكب العزاء الحسينية المعتادة و يحدّد نطاقها. و حينما قدم الى بغداد ناصر الدين شاه فى طريقه لزيارة النجف و سائر العتبات سنة ١٨٧٠ (٢٨ شعبان ١٢٨٧) مكث فى العراق حوالى ثلاثة أشهر، و قد جرت خلال هذه المدّة مفاوضات بينه و بين مدحت باشا حول الكثير من المسائل التي كانت معلقة بين البلدين. فكانت من جملة النقاط التي تم الاتفاق عليها قضية نقل الجثث من مسافات بعيدة و دفنها فى النجف الأشرف.

فقد اشترط فى ذلك، دفعا للمحاذير الصحية، ان لا يسمح بنقل الجثث للدفن الا بعد ان تكون قد قبرت فى مواطنها أولا و مرت عليها هناك سنة واحدة على الأقل .

و بمناسبة ذكر الجنائز و الزوار أرى من المناسب ان أثبت هنا ما ذكرته الرحالة الفرنسية المعروفة مدام (ديولا فوا) فى رحلتها، و كانت قد جاءت الى العراق فى ولاية تقى الدين باشا الثانية على العراق سنة ١٨٨١ (١٢٩٩ هـ) مع زوجها عالم الآثار الفرنسى الميسيو (مارسيل ديولا فوا). فهى تقول عن الجنائز «... و فى حوالى الغروب ظهرت من بعيد بناية كبيرة من الآجر هى خان كبير شيده المحسنون بجهودهم و مالهم، و فيه بضع حجر واسعة معدة لاستراحة زوار العتبات المقدسة ... و لما كان الجو باردا لم نر بدا من اختيار إحدى تلك الحجر للتزول فيها، و لكننا ما كدنا نترجل من جيانا حتى علت الى أنوفنا عفونة أو شكت ان تزكمتها، و لفتت

نظري أشياء مركومة بعضها فوق بعض فتقدمت منها أتحصها، و ما كدت أمد يدي حتى ارتدت إليّ و كأنها قد مسها تيار كهربائي و اضطربت أشد الاضطراب، فقد كانت هذه الأشياء المحترمة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٤٠

المركومة جث موتى بعضها قد لفت في بساط أو سجاد و حزمت بحبال و بعضها في توابيت خشب يبدو من بين شقوقها اللحم الناشف المسود لهؤلاء الموتى، و على أثر هذا خرجنا سريعا تاركين هذا الخان الغريب و نزلنا في محل يبعد عنه كثيرا لنقضى فيه ليلتنا .. و على رغم ابتعادنا عن الخان بمسافة ليست قليلة كانت رائحة العفونة تضايقنا كلما هب النسيم من جانبه .. و الواقع ان دفن الموتى في النجف و سائر المراقد المقدسة أصبح عادة لفريق من المسلمين منذ أوائل عهد الأسلام ..

و تقول عن الزوار أنهم كانوا يتواردون من إيران على بغداد في طريقهم إلى الكاظمية و النجف، و كانوا عند دخولهم إليها من بابها الشرقي يتعرضون الى الكثير من عبث الأطفال و هرجهم، و الى الرمي بالحجارة في أغلب الأحيان. و مع جميع الأذى الذى كان يصيبهم من ذلك كانوا لا يفكرون في يوم من الأيام بتقديم الشكوى الى السلطات التركية أو اقامه أية دعوى في المحاكم، لأنهم كانوا؟؟؟ أنهم لا يحصلون على نتيجة ملموسة يتجنبون المصاعب بها. فالمسؤولون الأتراك كانوا يشجعون هذه الأعمال على حد قولها، و كانت كل شكوى تقدم من الزوار اليهم تقابل بالهزء و السخرية.

جون بيترز في النجف

على ان أهم من كتب عن النجف من الغربيين في تلك السنين الاستاذ الأمر بكى (جون بيترز) رئيس بعثة بنسلفانيا للتنقيب عن الآثار القديمة في نقر (منطقة عفج)، الذى زارها في سنة ١٨٩٠. فقد جاء الى النجف من السماوة موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٤١ بعد أن كتب منها الى (شاؤول) الصراف اليهودى في الحلة بتدبير شؤونه المالية و موافاته فيها. و هو يروى قبل أن يذهب الى النجف حادثا يتعلق بوضع الزوار فى الطرق العامة فى تلك الأيام. فبينما كان المستر بيترز يزور قائمقام السماوة خليل بك فى دائرته الرسمية إذ دخل عليهما رجل من زوار الهنود و هو نصف عارى، و أخذ يشكو بتوسل و خضوع ما فعل به رجال الأمن «الضابطية»، فقد مسكوه فى قارعة الطريق و سلبوا منه جميع ما كان عنده من مال و معظم ألبسته و حاجاته.

و نظرا لمخاطر الطريق البرى ما بين السماوة و النجف قرر المستر (بيترز) أن يسلك الطريق النهري برغم ما فيه من متاعب و صعوبات. فاستأجر طراداً من السماوة و استقلها مع خدمه و جماعته، و بعد أن سارت بهم فى الفرات بضع ساعات سلكوا طريق شط العطشان حتى وصلوا الى الشنافية. و من هناك دخلوا بحر النجف، و بعد ساعات عشر وصلوا الى جزيرة صغيرة فى وسطه يقال لها «أم الرغلات» و فيها شاهدوا عددا من الزوارق كانت تقل الكثيرين من الزوار الايرانيين الذين نزلوا للمبيت. ثم أقلعوا منها قاصدين ساحل البحر المذكور حيث كانت توجد مزرعة صديقه الحاج (طرفه) شيخ مشايخ (عفج) و من هناك دخلوا جدول المشرب، ثم نزلوا بعد ساعات فى أبى صخير.

و حينما ركبوا الدواب و توجهوا الى النجف مروا فى طريقهم بخرائب مدينتين كان اسم إحداهما «طعيرزات»، و هى على ما يعتقد موقع الحيرة القديمة. و يفهم من كتابات بيترز ان النجف كانت تسد أبوابها عند الغروب، و لذلك أجهدوا أنفسهم فى السير لثلا يتأخروا فى الوصول إليها فتوصد أبوابها فى وجوههم. لكن المكارى طمنهم من هذه الناحية لأنهم كان بوسعهم أن يدخلوا الى النجف من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٤٢

ثلثة يعرفها فى السور فيما لو تأخروا فى الوصول على أنهم لم يضطروا الى ذلك فى الأخير، لأنهم وجدوا عند وصولهم ان الأبواب كانت ما تزال مفتحة و علموا من شاؤول الصراف، الذى كان ينتظرهم عند الباب، بأنه كان قد عرف بوصولهم الى أبى صخير و رجا

القائم مقام بأن يوعز ببقاء الأبواب مفتحة حتى يتم وصولهم الى النجف.

و أول ما يدونه بيترز عنها انه كان يتوقع ان يلاقى صعوبة في الدخول اليها و التجول في انحاءها، بالنظر لما قرأه عنها و عن تعصب أهلها في رحلة لوفتس (المار ذكرها). لكنه وجد ان الأمر بعكس ما كان ينتظر، لانه استطاع التجول في البلدة بكل حرية و تمكن من تصوير مناظر عدة من بينها منظر الجامع الكبير نفسه.

و كان في معيته شخصان أرمنيان يدعيان: (آرتين) و (نوريان)، و قد استطاع خدامه العرب إدخالهما معهم الى داخل الصحن و الحضرة المطهرة كذلك، أحدهما بصفة زائر إيراني و الآخر بصفة تركي من استانبول. ثم قص عليه (نوريان) جميع ما شاهدته في الداخل. إذ قال له انه اجبر على تقبيل السلسلة الكبيرة و جانبي الباب الكبير. و حينما دخل الى الصحن المحاط بالاروقة ألقى الجدران مزينة بالقاشاني، و المرايا المنزلة بالفضة. و وجد أن مئذنتين كانتا مكسوتين بالذهب من علو قامة واحدة الى القمة، كما وجد الضريح في الداخل تعلوه القبة الكبرى المذهبة بذهب يأخذ بالابصار. و بعد ان خلع هو و من كان معه أحذيتهم دخلوا الى الحضرة المطهرة يصحبهم عدد من الجنود، و يتقدمهم سيد بعمامة خضراء. ثم يصف الزينة الفاخرة و القاشاني و الفضة و المرايا التي كانت تدل كلها على فخامة بربوية على حد تعبيره. و تأتي كذلك كيفية اداء الزيارة وراء المزور و مسك الشباك، لكنه يقول انه كان على درجة متناهية من الاضطراب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٤٣

و الخوف من افتراس أمره. و لذلك لم يستطع ملاحظة جميع ما كان يريد ان يلاحظه بالتمام، و كذلك كان الآخرون و من أجل هذا عزم على الدخول الى الزيارة في اليوم الثاني، لكنه صادف في السوق رجلا من تجار بغداد يعرفه تمام المعرفة فخشى من ان يشي به فلم يفعل.

و يقول (بيترز) أنه وجد النجف مدينة مزدهرة، يتراوح عدد نفوسها ما بين العشرين و الثلاثين ألف نسمة و قد ألغها محاطة بسور متداع، مشرف على السقوط. و كانت البيوت، مثل السور، مبنية بالطابوق المستمد من خرائب الكوفة، و لذلك كانت الحمير تشاهد و هي تنقل هذا الطابوق يوميا من الكوفة الى النجف. و كان ماء النجف أحسن ماء شربه (بيترز) في هذه البلاد! و قد كان يؤتى به اليها بقناة تمر من تحت الأرض. على انه يقول ان طعم الماء المستقى من الآبار كان يغلب فيه طعم الكلس.

و بعد ان يشير الى المساحة الكبيرة التي كانت تحتلها القبور فوق الهضبة الرملية في خارج السور، يأتي على ذكر الجنائز ايضا و نقلها من مسافات بعيدة فيقول ان النجفيين مع كثرة ما يرد الى بلدتهم من الجنائز على الدوام فانهم لا تتسرب اليهم عدوى الامراض، كما لوحظ بالفعل في أثناء انتشار الهیضة في العراق سنة ١٨٧٩. و يعلل ذلك بحصول نوع من المناعة عندهم مستندا في ذلك على أقوال الاطباء. و هذا قول غير صحيح من الناحية العلمية بطبيعة الحال، لكن (بيترز) معذور فيه لان نظرية العدوى و الميكروبات العلمية لم تكن قد اكتشفت في تلك الفترة من الزمن.

و لما كان (بيترز) عالما من علماء الآثار القديمة فانه يعتقد بان العرب في المنطقة الجنوبية يعيشون عيشة تشبه عيشة البابليين قبل أربعة آلاف سنة في كثير من الاشياء. و يقارن بين الطقوس الدينية القديمة و الحالية، و بين ما يلاحظ في الوقت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٤٤

الحاضر من نقل الموتى و دفن جثثهم في الاماكن المقدسة، و من وجود (الاكشاك) في أبواب الصحن لبيع الكثير من الحاجات و اللوازم، و ما كان يحصل في أبواب معبد (بيل) في (نقر) من قبل.

و قد زار (بيترز) الكوفة أيضا. و هو يقول ان الرحالة الذين جاءوا اليها في بداية القرن التاسع عشر يشيرون الى وجود الكثير من آثار البلدة العربية القديمة فيها لكنها لم يبق منها حينما زار ما هو سوى بعض التلول و الاساسات لان طابوقها قد نقل كله للاستفادة منه في بناء أبنية النجف نفسها. و يذكر في كتابه ان هناك في غربي الكوفة نهرا مندرسا كبيرا يسمى «كري سعده».

و يروى الخرافة التي تروى عن تسميته بهذا الاسم، و هي ان تاجرا غنيا من تجار البصرة كان قد أحب امرأة جميلة اسمها «سعد» من أهالي المنطقة الكائنة ما بين هيت وعانة في شمال البلاد. و كانت هذه المرأة تهوى ضفاف الانهر المظلمة، فاشترطت عليه حينما خطبها من أهلها ان تنقل الى البصرة في طريق النهر الذي يمر بالاماكن التي يجللها الظل. فما كان منه إلا أن يحفر لها هذا النهر و يغرس الاشجار على ضفافه. و يعتقد ببيتز ان «كرى سعد» هو الجدول الكبير الذي حفره (نبوخذ نصر) فمده من موقع يقرب من هيت الى الخليج ليحيى به مساحات شاسعة من الارض الموات.

و قد توجه بعد ذلك الى كربلاء، بعد ان دفع أجور الخان و قيمة أكواز الماء التي شرب فيها لانها قد تنجست بعد ان استعملها فاقتضى كسرهما و الاستغناء عنها. و في خان الحماد الذي نزل ليستريح فيه وجد رجلا من أهالي النجف يصطحب عددا من الزوار الأيرانيين معه. فعلم منه ان خزائن النجف التي لا تقدر بثمن كانت تتألف في الحقيقة من خمس خزائن: واحدة للجواهر الثمينة و الأعلاق النفيسة، و اخرى للأموال، و ثالثة للسجاد و الطنافس، و رابعة للأسلحة الفاخرة، و خامسة لأنواع «البهارات».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٤٥

في أوائل القرن العشرين

و في اوائل القرن العشرين جاءت الى هذه البلاد سائحة انكليزية تدعى المسز (رولاند ويلكنس) فلفت نظرها حينما كانت في طريقها من بغداد الى الحلّة لزيارة أطلال بابل سفر الزوار الايرانيين بجماعات و قوافل خاصة. فهي تقول في كتابها عن الرحلة الى هذه الجماعات انها مرت في طريقها الى بابل بجماعات الزوار الايرانيين الذين كانوا في طريقهم لزيارة الامام الحسين في كربلاء، و الامام على في النجف. و كان الكثيرون منهم يأتون من بلادهم مشيا على الاقدام، لكن بعضهم كان يركب البغال و يحمل معه فوق ظهورها حاجاته القليلة في اخراج سفريه خاصة. و تقول كذلك ان هؤلاء الزوار كانوا يأتون معهم بالجناز مشدودة بصورة مستعرضة فوق أظهر الحمير؛ لان أمنيّة المؤمن الحق هنا ان لا يقتصر في أيام حياته على زيارة الأئمة فقط بل يطمح أيضا في أيام حياته على زيارة الأئمة فقط بل يطمح ايضا في ان تقبر رفاته بسلام بعد الموت في الارض المقدسة التي استشهد فيها الحسين و أبوه عليهما السلام.

و في تقرير عسكري مكتوم، أعدته رئاسة الاركان البريطانية العامه في ١٩١١، عن المنطقة الممتدة من بغداد الى الخليج، يرد ذكر النجف بتفصيلات تفيد الاغراض العسكرية عنها. فقد ورد فيه ان النجف، أو مشهد على، بلدة يبلغ عدد نفوسها زهاء (١٢٠٠٠) نسمة منهم عدد من الهنود المسلمين. و تصل اليها حوالي ستة آلاف جثة في السنة لتدفن في مقابرها نظرا لقدسيتها المكان و يرد في التقرير كذلك انها تقع على مسافة ثلاثين ميلا عن الحلّة، و تقوم على هضبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٤٦

من الحجر الرملي ترتفع عن السهول المحيطة بها بحوالي مئة و خمسين قدما (؟) و هي محاطة بأسوار يبلغ ارتفاعها خمسة و عشرين قدما، و سمكها خمسة الى ستة أقدام، من دون ان يحيط بها أى خندق، و يكون محيط الاسوار كله شكلا مربعا تقريبا، يضم في داخله كتلة كبيرة من البيوت المتحاشكة. و ماؤها قليل يؤتى بالعذب منه بقرب من الجلد من فرع الهندية (الفرات) الكائن على بعد أربعة أميال عن البلدة، و يعتبر ماء الآبار ماء أجاجا. و تعتمد البلدة في حاصلاتها على قبائل بني حسن (؟). و توجد فيها حامية عسكرية تتكون من فوج واحد.

أما طريق بغداد- النجف فقد كانت الأزواد وفيرة فيه على ما يرد في هذا التقرير و يبلغ عدد الزوار الذين يمرون فيه ما يزيد على الالفى زائر في اليوم خلال موسم الزيارة الذي يمتد لاربعة أشهر في السنة على ما يقول. و في التقرير بعض التفصيلات عن الطريق الممتد ما بين النجف و كربلاء، و لا سيما عن الخانات المعروفة فهناك منزل خان النخيلة الذي يقول انه يتألف من ثلاثة خانات و ستة مقاهي، و آبار عذبة للماء، و عدد من الاكواخ البسيطة من دون ان تكون فيه بيوت. و كان منزل خان الحماد يتألف من عشرة

خانات و مئة بيت و عدد من الآبار التي يصلح ماؤها للشرب. أما منزل خان المصلى فكانت فيه ثلاثة خانات و ستة مقاهى من دون بيوت.

و فى اليوم السادس من اذار ١٩١١ كانت المس (غير تروود بيل) تتجول فى البادية على مقربة من النجف فى طريقها الى بغداد. و كانت المس (بيل) هذه، التى أصبحت فيما بعد سكرتيرة دار الاعتماد البريطانى فى بغداد و تحكمت بمقادير العراق مدة من الزمن، قد تجولت كثيرا فى نجد و سوريا و بادية الشام و العراق فكتبت كثيرا عن جولاتها هذه و مما جاء فى رسائلها المعروفة عن جولاتها موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٤٧

فى هذه الجهة أنها بينما كانت فى طريقها الى النجف فى هذا التاريخ خطر ببالها ان تستقضى آثار اللخمين فى تلك الجهات و تشهد الكهوف الغربية التى قيل لها انها موجودة فى الاجراف المحيطة ببحر النجف من بعض الجهات، فاصطحبت معها الى هناك الشيخ سلمان أحد شيوخ بنى حسن. لكنها لا تذكر شيئا عما عثرت عليه فى هذا الشأن.

و فى يوم ٧ مارت ١٩١١ وصلت الى النجف بعد ان مرت فى قسم من طريقها بقاع بحر النجف الجاف. و هى تصف فى رسالتها المؤرخة ١٠/٣/١٩١١ البلدة بكونها بلدة مسورة تقوم على حافة الجرف المرتفع بجنب البحر الجاف، و تشير الى القبّة و المآذن و المقابر و قد سية البلد من دون أن تذكر شيئا يستحق التدوين. لكنها تقول انها نصبت خيامها خارج البلدة فى الجهة الخالية من القبور، و ذهبت لزيارة القائم مقام التركى الذى أمر مدير الشرطة بان يرافقها للتجول فيها. و حينما عادت الى خيمتها زارها عدد من المعممين و الرجال الرسميين على حد قولها. و لاجل المحافظة على مخيمها فى الليل وضع ثلاثون جنديا لحراستها غير انها لم يرقها ذلك فاحتجت بشدة و انسحب الجند. و هى تذكر فى هذا الشأن ان الحراسة كان لا بد منها نظرا للحوادث الكثيرة التى كانت تحدث خلال الليل فى منطقة القبور. لأن بعض الناس، و منهم أفراد القبائل، كانوا يأتون بالجنائز و يحاولون دفنها تحت جناح الظلام تهربا من الليرات العشر التى كانت تفرضها سلطات البلدة رسوما للدفينة و كانت الدورية تطلق عليهم النار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٤٨

بسبب ذلك فيردون عليها بالمثل. و قد سمعت هى و جماعتها إطلاق النار فى تلك الليلة مع ما صحبتها من صراخ النساء و عويلهن عن بعد ثم خرجت فى اليوم الثانى مع رجل من «الضابطية» لمشاهدة خرائب الخورتق فلم تجد فيها على ما تقول سوى بعض التلول، لكنها سرها ان تشهد الموقع و ما يحيط به.

و قد مرت المس بيل بالنجف مرة أخرى يوم ١٣ آذار ١٩١٤، حينما كانت عائدة من نجد فى طريقها الى بغداد. و لا تذكر شيئا هنا عن النجف لكنها تقول انها حينما خرجت من حائل كان بوها ان تسلك طريق الحج القديم اليها غير أنها علمت أنه لم يكن طريقا آمنا فعدلت عن رأيها فسلكت الطريق الآخر و هو الطريق الغربى.

و فى صبيحة ٢٧ نيسان ١٩١٢ زار النجف الأشرف الاستاذ النمساوى ألواموسيل لدراسة الأحوال الطبوغرافية فى المنطقة كلها، فكتب شيئا عن البلدة و ما شاهده فيها. و قد دخلها من الباب الشمالية فألقى فيها سوقا كبيرة تمتد فى اتجاه جنوبى حتى تصل الى الجامع الكبير، و هو يقول ان المنطقة الواقعة فى غرب السوق كانت تعود الى الشمرت و المنطقة الواقعة الى الشرق منها كانت لفريق الزكرت. و علم فى البلدة ان أبرز رجل و أقوى شخصية فيها كان كليدار الحضرة المطهرة السيد جواد. و مما يذكره كذلك أن الاتراك كانوا قد شيدوا فى النجف ثكنتين عسكريتين واحدة منهما فى البلدة نفسها و أخرى فى الضاحية الجنوبية الشرقية التى تسمى (الحويش) على حد تعبيره. و كان فى الثكنتين معا حينما زارها المسيو (موسيل) حوالى (٢٥٠) جنديا راجلا و بغالا من قوات الدررك (الجندرمة).

اما البلدية فقد بنيت بنايتها فيما يقرب من الباب الشمالى الغربى. و حينما استقل «الترامواى» و ذهب الى الكوفة شاهد المدافن على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٤٩

جهتى الخط، و هو يقول بالمناسبة ان المجلس البلدى فى النجف هو الذى بنى خط الترامواى على حساب البلدية نفسها فى سنة ١٩٠٩

وقد كتب المقيم البريطاني في بغداد سنة ١٩١٢ عن انتعاش الروح الوطنية في العراق بين مختلف الطبقات، و انتشار فكرة القومية العربية في بغداد و النجف و غيرهما فهو يقول ان الذي يلفت النظر هو الحرية المتزايدة التي أخذ يعرب عن نفسه فيها الشعور المعادى للاتحاد و الترقى و للأتراك هنا، حيث كان هذا يعد خيانة عظمى من قبل. و يذكر كذلك ان الأبن الأكبر للكليدار في النجف و عبد الرحمن الباجه جى كانا يرحبان بتشكيل حزب جديد يدافع عن مصالح العرب. و يقول المستر (فيليب آيرلاند) كذلك في كتابه عن العراق (الذي سنشير اليه كثيرا بعد هذا) ان مؤتمرا عربيا عقد في المحمرة خلال شهر مارت ١٩١٣، فحضره شيخ الحمرة نفسه، و شيخ الكويت، و السيد طالب النقيب، و موظف تركى كبير. فدار البحث فيه حول مستقبل العراق و الحكومة الموجودة فيه، فتم الاتفاق على قيام الرؤوساء المذكورين ببذل الجهود لتحقيق مطالب العراق فى الاستقلال. ثم أوفد الرسل الى النجف و كربلا لاستمداد التأييد منهما و تهيئه الناس للحركة، كما أخبر القوميون العرب فى بغداد و استانبول و سوريه و مصر و غيرها بقرارات هذا المؤتمر.

النجف فى أيام الحرب العالمية الأولى

و فى خلال ١٩١٤ تطورت الأحوال فى العالم تطورا جذريا و اعلنت الحرب العامة الأولى ما بين الحلفاء و الدول المركزية. فانحازت الدولة العثمانية التى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٥٠

كان العراق بولاياته الثلاث ينضوى تحت لوائها، الى جانب الدول المركزية و على هذا الأساس أعلنت بريطانيا العظمى الحرب عليها فى ٢٩ تشرين الأول ١٩١٤، و فى اليوم السادس من تشرين الثانى نزلت القوات البريطانية التى كانت محتشدة فى البحرين الى البر فى مصب شط العرب و تقدمت لاحتلال البصرة فدخلت اليها فى الثانى و العشرين منه. و تلت ذلك عدة معارك محلية بين الجيشين العثمانى و البريطانى، و كان أهم هذه المعارك ما جرى فى موقعة الشعبيه التى وقعت فى يوم ١٢ نيسان ١٩١٥.

و كانت قد اشتركت مع الجيش العثمانى فى القتال قوات المجاهدين الذين هبوا للجهاد من النجف و غيرها بقيادة المغفور له محمد سعيد الحبوبى بعد ان أفتى هو و غيره من العلماء الاعلام به انتصارا للإسلام و على اثر هذه المعركة التى اندحرت فيها القوات العثمانية اندحارا شنيعا انتحر بسببه قائدها سليمان عسكرى باشا، حدثت تطورات مهمة فى أنحاء العراق كافة و من جملتها النجف. و قد شرحت هذا الموضوع بأسهاب، تتطرق فيه الى ما وقع فى النجف أيضا، المس (غير ترودييل) فى تقرير رسمى مفصل رفع الى الحكومة البريطانية عن الوضع العام فى العراق خلال سننى الاحتلال البريطانى التى انتهت ببداية عهد الانتداب على العراق فى صيف ١٩٢٠.

فهى تقول ان الحكومة العثمانية كانت قبل دستور ١٩٠٨ تعترف بأن المدن المقدسة تختلف اختلافا بينا عن سائر ممتلكاتها، و لذلك فقد منحتها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٥١

يعض الامتيازات التى كان أهمها إعفاء سكانها من الخدمة العسكرية. و بعد موقعة الشعبيه التجأ عدد من الفارين من الخدمة العسكرية الى النجف الاشرف، فأعلن الأتراك عن عزمهم على إعادة الفارين الى الخدمة و هددوا بفرض التجنيد على السكان الأصليين فيها كذلك. و قد علم بالإضافة الى هذا ان الأتراك كانوا قد قرروا مصادرة محتويات «الخزائن» الموجودة فى العتبة المقدسة للاتفاق على شؤون الجهاد منها. و راحوا يجبرون الشبان على الخدمة فى الجيش، و من أجل هذا فتشوا البيوت خلال الليل، و تعرضوا بالنساء بحجة ان الرجال كانوا يتخفون بزى النساء للتهرب من الجندية. ثم فرضوا «بدلات» باهظة للأعفاء منها، فهب الناس و استحكموا فى الشوارع

و الدور، ثم وضعوا القوات المدافعة في صحن العتبة المقدسة. فوجه الأتراك مدافعهم نحو الثوار و أنزلوا أضراراً بالمآذن سهواً او على سبيل التقصد. و عند ذاك طير السيد كاظم اليزدي برقية احتجاج الى استانبول، فكان جوابها اليه انه يجب ان ينصرف الى مهنته كدرويش متعبد و ان لا يتعرض لشؤون الحكومة و قد تلا ذلك قتال دام ثلاثة أيام استسلم بعدها الجنود الأتراك للأهلين الثائرين فجردهم الرعاع من سلاحهم.

ثم نهبت بنايات الحكومة و أحرقت، و هذه بيت القائمقام التركي و طرد هو نفسه.

السيد كاظم اليزدي

و تعود المس بيل فتذكر ان النجف صار يحكمها بعد حوادث نيسان هذه الشيوخ الأربعة: سيد مهدي السيد سلمان (الحويش)، و الحاج عطية أبو كلل (العمارة) و كاظم صبي (البراق)، و الحاج سعد الحاج راضي (المشراق)، بأنفسهم و بمشورة السيد كاظم اليزدي الذي كان يمثله عندهم ابنه السيد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٥٢

محمد . و لذلك تأزم الوضع على الأتراك في الفرات بحيث عمدت السلطات التركية الى تغيير سياستها و الالتجاء الى المسالمة و الصلح.

فتألفت لجنة من الوجهاء لتسوية الأمور، و تم الاتفاق على ان يعود القائمقام الى وظيفته في النجف مع حرس هزيل للحماية. على ان السطوة في البلد بقيت في أيدي الثوار، لأن القائمقام أصبح ألعوبة في أيدي الشيوخ المذكورين و لأن الناس أخذوا يهزأون بحراسه علنا في الشوارع.

الحاج عطية أبو كلل

غير ان التهذئة هذه لم تكن إلا نصراً أجوف للأتراك على حد تعبير (المس بيل) لانها ما لبثت قليلاً حتى أخذ الحاج عطية، بمؤازرة السيد كاظم اليزدي، يتصل سرا برئيس الحكام السياسيين المرتبط بقوات الاحتلال . و قد عرض عليه استعداد النجف و القبائل المحيطة بها للانضمام الى الأنكليز لقاء احترامهم للعتبة المقدسة و عدم التعرض بها. و كان رد رئيس الحكام السياسيين على ذلك أنه أشار عليهم بالاطلاع على البيانات التي كانت السلطات البريطانية قد أذاعتها على الملأ عند أول نشوب الحرب و ادعت فيها بأنها لم تكن في خصام مع العرب و لا مع المسلمين. و ذكّرهم كذلك بالمعاملة الحسنة التي لقيها من الأنكليز رجال الدين الذين وقعوا في أيديهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٥٣

و بعد ذلك تسنى للأنكليز ان يثاروا لأنفسهم عن الاندحار الشنيع الذي أصابهم على يد خليل باشا في سلمان باك، و حصار الكوت الذي استسلم فيه بعض الشيوخ الذين حكموا النجف برهه من الزمن و يرى كاظم صبي الأول من اليمين (الجالسين) الجنرال (طاونزند) مع قواته المحاصرة في ٢٩ نيسان ١٩١٦، فاسترد الجنرال مود الكوت في نهاية ١٩١٦ و تم له احتلال بغداد في ١١ آب ١٩١٧. و على أثر ذلك بعث علماء النجف و كربلاء، على ما ترويه المس بيل في تقريرها هذا، برقية تهنئة الى صاحب الجلالة البريطانية فأجابهم عليها معترفا بتسليمها و مبدياً ان رغبته الخالصة هي انتعاش العراق و سكانه و المحافظة على عتباته المقدسة و استعادته الى رخائه القديم. و لا شك أنها تعنى بذلك بعض المعممين الذين كان يسيئهم تصرّف الأتراك و موظفيهم المتعجرفين، او الذين كانوا يمالئون الأنكليز فصاروا يعرفون بعد ذلك بعلماء «الحفيز» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٥٤

ثم تشير الى ان مكتب رئيس الحكام السياسيين في بغداد قد ازدحم في الايام القلائل الاولى من أيام الاحتلال بالزوار من جميع الطبقات بدون ان يستثنى منهم حتى أبناء الاسر المسلمة البارزة. و في اثر وجهاء بغداد جاء شيوخ القبائل الصغيرة المجاورة لزيارته

متعجبين من انهيار العهد القديم المفاجيء و مستبشرين دوام العهد الجديد. و كان من بين الاوائل الذين قدموا من الاماكن البعيدة (محمد على كموثة) من كربلاء و الحاج (عطية أبو كلل) من النجف، و أعقبهما بعد ذلك بقليل شيوخ بلدة النجف الآخرون. فعينت لهم المخصصات، و رجعوا الى أهلهم مخولين بالمحافظة على الأمن حتى يكون بإمكان السلطة المحتلة معالجة شؤون المدينتين المقدستين بصورة مباشرة.

زيارة السر رونالد ستورز للنجف

و بينما كان الوضع الحكومى فى النجف على مثل هذا زار بغداد رجل من رجال الانكليز الذين كان يتألف منهم «المكتب العربى» فى القاهرة، المشرف على شؤون الاستخبارات البريطانية الخاصة بالبلاد العربية جمعاء، و هو (السر رونالد ستورز) الذى تعين فيما بعد حاكما فى القدس بمعينة (هربرت صموئيل) المندوب السامى الصهيونى فى فلسطين بعد احتلال الانكليز لها. و أصبح بعد ذلك حاكما عاما فى قبرص حينما نفى اليها الملك حسين على أثر ابعاده عن الحجاز، و فى روديسيا الشمالية كذلك. و كان الجنرال ستورز، و هو ملم بالعربية تمام الالمام، قد زار النجف فى ١٩ مايس ١٩١٧ قادمًا من كربلاء- فاتصل ببعض وجوهها و علمائها، و دون فى كتابه المعروف أشياء مهمة عنها فى هذا الدور.

فهو يبدأ بوصف الطريق ما بين كربلاء و النجف و يقول انه كان طريقا سهلا،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٥٥

و بعد ان تجاوز منتصفه مع صحبه بانث له من بعيد القبة المذهبة و هى تتوهج بلمعانها فى نور الشمس. و حينما وصل اليها بعد الظهر خرج الألوف لاستقباله على ما يزعم، لا سيما و قد كانت الاسواق مغلقة بمناسبة حلول يوم المبعث .

و قد مر بعد ذلك فى السوق المؤدية الى العتبة المقدسة، و من هناك توجه الى دار السيد عباس الكليدار. و يأتى على وصف البيت فيخص بالذكر منه السرداب الكبير الذى تنخفض الحرارة فيه بمقدار عشر درجات عن الخارج. و حينما صعد وقت الغروب الى سطح الدار القريبة من الحضرة المطهرة شاهد منه القبة و المآذن و برج الساعة فى الصحن عن قرب، و صور مناظر عدة من هناك على ضوء الشمس الغاربة، ثم استراح حتى دقت الساعة مشيرة الى الثانية عشرة غروبية. و قد تذكر حينذاك ساعة كيمبرج او «بيك بين» المشهورة. و بعد ان مل من مقابلة اعضاء المجلس البلدى و كبار الشيوخ على حد تعبيره ذهب الى الفراش فى التاسعة و النصف.

و قد استدعى اليه فى صباح اليوم الثانى (٢٠ أيار) تجار الحرير و السجاد، ثم احضر فتاح الفتال الذى نفحه بعشر روبيات برغم عدم براعته فى مهنته. و تحدث مدة من الزمن مع الشيخ هادى أحد شيوخ الجعارة فأنبه على ما كان يسمع عنه من تهريبه الطعام و الأوراق بواسطة عشائره الى ابن رشيد حليف الأتراك فى نجد، و هو يقول أنه فاتح شيوخ العشائر الآخريين بالموضوع نفسه و هددهم. و قد توجه الى الكوفة على أثر هذا فقصد مع جماعته دار علوان الحاج سعدون شيخ بنى حسن الذى يسيطر على الطريق الممتد من النجف الى المسيب على حد تعبيره. و قد حرضه خلال حديثه معه هناك على مهاجمة ابن رشيد و نهب العشرة آلاف جمل التى يملكها فتعهد هو و من كان معه من الشيوخ الآخريين على تنفيذ ذلك ..؟

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٥٦

و بعد تناول الغداء مروا بجامع الكوفة و شاهدوا ما فيه من آثار و مواقع مهمة، و فى معيتهم السيد عباس الكليدار، ثم عادوا الى النجف ليرتاحوا فى السرداب البارد. و فى الساعة الخامسة من عصر ذلك اليوم توجه السر (رونالد ستورز) مع رفيقه المستر (غاريت)، لزيارة العلامة الاكبر السيد كاظم اليزدى الذى يمتد نفوذه من العراق الى اصفهان. و يذكر ستورز فى هذا الشأن ان الانكليز لم يكونوا مطمئنين من موقف السيد تجاههم، و انه كان قد رفض مبلغ المئتى باون الذى قدم اليه على سبيل الهدية من قبل. و كان المستر غاريت الذى رافقه فى السفارة من بغداد قد طلب اليه فى هذه المرة ايضا ان يتحايل على السيد اليزدى فيقدم له رزمة بألف باون

هدية من الحكومة. فاستثقل هذه المهمة الصعبة، و كلف السر (رونالد ستورز) نفسه بان يتولى المهمة عنه، فقبل بتحفظ. و دس الرزمة في جيبه ثم توجهها الى دار السيد، و هناك انتظر برهة من الزمن في خارج حجرته ريثما يخبر بحضورهما. فخرج لهما، و اذا به رجلا متقدما في السن يلبس «زبونا» أبيض و يعتمر بعمه سوداء و قد تخضبت لحيته و أظافره بحنه حمراء لماعة. فحياهما من بعيد و أجلسهما على الحصيصة بجنبه خارج الحجره. و يقول (ستورز) بعد ان تبحر في وجه السيد انه أدرك في الحال السر في شهرته و نفوذه. فهناك قوة في سيمائه الواضحة و عينيه الرماديتين المتعبتين، و سلطان في وجوده و حديثه الخافت مما لم يجد له مثيلا في أى مكان آخر من بلاد المسلمين.

و يذكر كذلك أنه بعد أن أثنى عليه و على مواقفه المشرفة، أخذ يسأله عما إذا كان هناك أى شىء يريدان ان يفعله الأنكليز له فبادره بقوله «حافظوا على العتبات الشريفه، حافظوا على العتبات الشريفه». فاعتبر (ستورز) أنه يقصد بذلك المحافظة على العتبات و من فيها من جماعة العلماء و المجتهدين بوجه عام. ثم عاجله السيد بجمله اخرى طلب اليه فيها ان لا يعينوا في المدن الشيعية إلا الموظفين من أبناء الشيعة، و ان يطلقوا سراح بعض الشيعة الذين كانوا معتقلين و منهم موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٥٧

الدكتور مظفر بك، و ان يعينوا المرزا محمد (و هو المحامى محمد أحمد الموجود حاليا في البصرة) قائمقاما في النجف . و في هذه المرحلة بدا السيد اليزدى للسر (رونالد) و كأنه قد نزل من عليائه بعض الشىء، لأنه أنعم عليه كما يقول بجمله ثناء أعقبها بكلمة فارسية خاطب بها عالما آخر كان موجودا في مجلسه، و قد علم بعد ذلك أنه قال له ان الاتراك لو كانوا يسلكون مثل هذا السلوك لما أضعوا تعلق العرب بهم مطلقا. فما كان من السر رونالد الا ان يعده بنقل توجيهاته و مشورته هذه الى السر بيرسى كوكس في بغداد. و بعد تردد و إحجام طلب الى السيد ان يختلى به وحده لمدة ثلاث دقائق فقط، ثم ذكره بوجود عدد لا يحصى من الفقراء الذين كانوا ينظرون اليه في اعاشتهم على الدوام، و استرحم منه بأن يمد يد المساعدة للأنكليز في هذا الشأن. و حينما مد (ستورز) يده لتقديم رزمة الباونات الى السيد في هذه الاثناء دفع السيد الرزمة برفق مقرون بالعزم الاكيد و هو يعتذر عن قبولها. فلم يجد (ستورز) من اللياقة الألاح على تقديمها، و عمد الى فتح موضوع الشريف معه. و هو يقول ان السيد كان من المعجبين (بالشريف) و المؤيدين له. و بعد ساعة انقضت على هذا المنوال عزم السر (رونالد) على توديع السيد و العودة الى المنزل، غير انه قبل ان يفعل ذلك حاول تقديم الألف باون مرة ثانية اليه، لكنه رفضها من جديد بكل مجاملة و أدب. و هو يعتقد ان الشىء المهم الذى كان يعبا به السيد هو الأنفة و الأباء لا المال، و انه لا بد ان يخضع في الاخير بطريقة مناسبة حينما يكون الدافع لذلك شيئا لا مطعن فيه. و هذا موقف بعيد تمام البعد عما يحدث في مصر و الحجاز في ظروف مماثلة على حد تعبيره.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٥٨

و حينما عاد ستورز بعد ذلك الى منزل مضيفه السيد عباس الكليدار طلب اليه ان يشاركه في تناول العشاء و يضحى بأداب المجاملة التى تدعوه الى الوقوف في خدمة الضيف في أثناء تناول الطعام و هو يذكر باعجاب ان السيد عباس وقف بعد ذلك للعناية بتقديم العشاء للسواق أيضا على المائدة نفسها. ثم آوى الى فراشه بعد مدة و قضى ليله خالية من النسيم تماما فوق السطح، و قد تسنى له خلالها ان يعجب بالهدوء التام و الصمت الغريب الذى كان يلف النجف ما بين الساعة الثانية و الرابعة بعد منتصف الليل و قبيل الفجر كذلك.

و قد غادر السر (رونالد) النجف صباح اليوم الثانى (٢١ أيار ١٩١٧) بعد أن وزع حوالى مئة و خمسين روبية على الخدم فيها. فمر عند خروجه منها الى طريق كربلاء بالمقابر التى يدفع فيها الناس ستين باونا لقاء السماح لهم بدفن مرتاهم و هو يقول انه سرّ تمام السرور لانه ابتعد عن ضيق لبيوت الى كانت تحتشه بالخمسين الف نسمة من سكانها المحصورين بين جدرانها الضيقة من دون ان تنهيا الفرصة لأن يقع نظرهم على أى نبات أخضر أو تشم أنوفهم الهواء النقى.

النجف في أيام الاحتلال البريطاني

لقد كان قدوم السر رونالد ستورز الى النجف في وقت لم يكن قد تشكل فيها أى نوع من أنواع الحكومة الجديدة بعد احتلال بغداد سوى التخويل الذى خولت به سلطات الاحتلال شيوخ البلد من أمثال الحاج عطية أبى كلل و جماعته بالمحافظة على الامن و السكينة، كما تشير اليه المس بيل فى تقريرها المذكور آنفا.

و قد بقى الوضع على هذا المنوال حتى تعين حميد خان و كيلا حكوميا لإدارة النجف فى حزيران ١٩١٧، أى فى نفس الوقت الذى عين فيه للكوفة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٥٩

رجل مسيحي من أهالى بغداد ذو خبرة إدارية يدعى سر كيس أفندى . و تقول المس بيل ايضا ان النقص فى المواد الغذائية التى كانت متيسرة فى النجف قد أدى فى تشرين الاول ١٩١٧ الى حدوث اصطدام محلى فان أحد شيوخ عنزة الرحل، حلفاء الانكليز فى بادية الشام، جاء يحمل كتابا من الحاكم السياسى المسؤول عن حدود البادية الكولونيل (ليجمن) الى (حميد خان) يوصيه فيه بمساعدة الشيخ العزى على اكتيال مقدار غير يسير من الحبوب. فسمح حميد خان

للشيخ بشراء ما يحتاجه، لكن الخبر ما كاد يشيع فى البلدة حتى قفزت الاسعار و ارتفع مستواها فى السوق و من سوء الحظ ان (فهد بك بن هذال) شيخ مشايخ عنزة الشرقية بعث فى اليوم الثانى الفا و مئتي بعير لبتاع اصحابها الحبوب من أسواق النجف ايضا برخص موقعة منه. فكان هذا اكثر مما كان بوسع البلدة ان تجهزه للبادية، فهب الأهالى مجتمعين صاخبين. و اخذوا يتصيدون من كان داخل البلدة من افراد عنزة، و فى ١-٢ تشرين الثانى نظموا مظاهرة صاخبة حول مخيمهم. و هناك وقع شجار تبودلت فيه بعض العيارات النارية بين الفريقين، و قتل بعير من الأباعر، ثم نهبت ثلاث بندقيات و حاجات كثيرة اخرى. و لم يستطع (حميد خان) المسؤول، الذى لم تكن تدعم سلطته الحكومية اية قوة، معالجة الموقف أو منع الاصطدام .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٦٠

و قد ورد فى كتاب (بين النهرين - أنواع الولاء) الذى كتبه السر (أرنولد ويلسن) و كيل الحاكم الملكى العام فى تلك الأيام عن نتيجة هذا الحادث ان حميد خان لم تكن تحت تصرفه اية قوة تمكنه من توطيد الأمن و السيطرة على الموقف، و لذلك طلب من الحاكم الملكى العام قبول استقالته. فما كان من الحاكم العام (و هو السر بيرسى كوكس) الا أن يقترح على القائد العام للقوات المحتلة يومذاك تعيين ضابط بريطانى فى تلك المنطقة. و يؤيد ذلك ما كتبه السر بيرسى نفسه فى الخلاصة التى كتبها عن المس بيل و نشرت فى رسائلها المشهورة. فهو يقول «و مع أن كربلا لم تسبب لنا مشكلة خطيرة فان النجب التى كانت فريسة فى أيدي شيوخ البلد المحليين، قد بقيت شوكة فى جانبنا مدة من الزمن ..» و لذلك قمت بجولة فى المنطقة خلال كانون الأول ١٩١٧ لأكون فى وضع يؤهلنى لتقديم المشورة الى القائد العام للقوات المحتلة بالنسبة لمختلف النقاط الادارية التى تجعل من مرابطة مفرزات خاصة من الجيش فيها شيئا ناجحا.

و كان من غير المرغوب فيه بطبيعة الحال، و مما لا- يأتلف مع بياناتنا السابقة، أن نبادر الى وضع قطع من الجيش فى الأماكن المقدسة نفسها. و هذا الوضع بالذات هو الذى جعل من الصعب علينا أن نسيطر سيطرة تامة على النجف التى كانت العناصر الخارجة على النظام و القانون فيها خاضعة لتأثير الدعاية التركية الالمانية و استثارتها المستمرة. و قد وجدت الدلائل الواضحة على هذه الاستتارة ما بين أوراق العدو التى وقعت فى أيدي قواتنا فى الرمادى وهيت بعيد ذلك.

و على هذا فقد تعين الكابتن (بلفور) الذى كان يتقن العربية لاشتغاله السابق فى السودان، حاكما سياسيا فى المنطقة للاطلاع على

الأوضاع فيها، فمر بالنجف موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٦١

من دون أن يكون معه أحد لحراسته سوى البعض من شيوخ المنطقة نفسها.

و هناك اتخذ الترتيبات اللازمة لحل مشكلة النزاع الذي حدث مع عترة بعد فرض الدية و التعويضات على شيوخ البلد في النجف: ثم غادرها لاستئناف جولته في تلك الأثناء بعد أن أبقى حميد خان في منصبه بصفه معاون له. و حينما عاد الكابتن بلفور بعد يومين الى النجف وجد ان الشروط المتفق عليها لم تنفذ.

و مما جاء في تقرير (المس بيل) في هذا الشأن ان الكابتن بلفور حينما عاد الى النجف بعد أيام قلائل لم يحضر لمقابلته الا اثنان من شيوخ البلد فقط، و هما الحاج عطية و كاظم صبي، فأدت المحاولة للضغط على هذين الشيخين الى وقوع شغب في البلدة أثاره الحاج عطية نفسه بصورة سريه. فصمد بلفور لما حدث و ظل في مكانه حتى عندما هو جمت الدائرة الحكومية التي كان فيها ثلاث مرات متواليات من المتجمهرين، لكنه قبل بعد ذلك أن يترك الدائرة بحماية الكليدار الى بيت الكليدار نفسه الواقع على مسافة من دوائر الحكومة. و لم يتوقف الشغب حتى بعد أن نهبت الدائرة المذكورة نفسها. و في أواخر النهار وقعت اضطرابات مماثلة في الكوفة، حيث دعا الوكيل الحكومي هناك الشيوخ المحليين فسيطر على الموقف بسرعة، و وقعت مثلها في أبي صخير أيضا، فنهبت الدائرة فيها و جردت من كل شيء. و مع هذا كله فقد بقي (الكابتن) من دون قوة عسكرية توازره أو تحميه، فالتجأ الى المجتهد الأكبر السيد كاظم اليزدي طالبا المعونة. فدعى الحاج عطية و كاظم صبي بإشارة منه، و صدر الأمر بالعفو عنهما فعادت البلدة الى أحوالها الاعتيادية.

ثورة النجف

أما ما حدث بعد ذلك في النجف فان السر (أرنولد ويلسن) و (المس غير ترود بيل) يتفقان تمام الاتفاق فيما يذكرانه، في كتابيهما المشار اليهما، عنه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٦٢

من ناحية التفصيلات و الأشخاص و غير ذلك. فقد جعل (الكابتن بلفور) محل إقامته في الكوفة، غير أن العناية الكبرى التي كانت تتطلبها الشؤون الزراعية في المنطقة، و ضرورة حسم الامور بالقوة في كثير من الأحيان، جعلت من غير الممكن إبقاء بلفور معتمدا فقط على حسن نية الشيوخ، و السادة الملاكين، تجاهه في الوقت الذي كان يتعرض فيه الى موقف (عطية أبي كلل) العدائي تجاهه على حد تعبير (أرنولد ويلسن) و لذلك زار الحاكم الملكي العام (السر بيرسي كوكس) منطقة الفرات كلها في أوائل كانون الأول ١٩١٧، و بإشارة منه وضعت مفرزات عسكرية صغيرة في مختلف النقاط الكائنة على النهر و ليس في النجف نفسها. لأن هذه البلدة بنفسها البالغة (٤٠، ٠٠٠) نسمة كانت تستدعي وضع عدد كبير فيها من الجنود، و قد تكهن من يعينهم الامر بأن وجود قوة مختلطة في الكوفة التي تبعد بمسافة سبعة أميال عنها سيكون له التأثير المهدىء المطلوب بصورة غير مباشرة على ما تقوله (المس بيل) و قد قابل (السر بيرسي كوكس) خلال جولته شيوخ النجف في الكوفة، عدا الحاج عطية الذي تجنب الحضور خوفا من الإيقاع به. على أنه تشبث بمقابلته حينما قام بزيارة قصيرة الى النجف، لكنه أفهم في هذه المرة أنه يجب أن يأتي الى بغداد من أجل ذلك.

و بينما كانت الخيالة الهندية التي وضعت في الكوفة تقوم بإجراء تمرينات عسكرية في السهل الواقع خارج النجف، يوم ١٢ كانون الثاني ١٩١٨، أطلقت النار عليها عصابة تتألف من مئة و خمسين رجلا من أتباع عطية من سور البلدة فقتلت خيالا واحدا و جرحت آخر. ثم أطلقت النار مدة من الزمن على طائرة بريطانية كانت محلقة في جو النجف، و نهبت دوائر الحكومة فيها فاضطر حميد خان و موظفوه الذين كانوا كلهم من العراقيين الى أن يفرؤا الى الكوفة. فزحفت الخيالة من دون أن تطلق الرصاص على المدينة المقدسة فطوقتها، و عند ذاك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٦٣

أوصل الضابط قائد هذه القوة، الذي صادف أن كان موجوداً في النجف حينذاك، سالماً إلى خارج باب السور بواسطة شيخ محله المشراق الحاج سعد. ثم قام الحاج سعد هذا والسيد مهدي السيد سلمان وهو أقر شيوخ البلد على الإطلاق على ما تقول (المس بيل)، وآخرون أقل أهمية منهما، بزيارة الكابتن بلفور في الكوفة يوم ١٤ كانون الثاني فأعيد الجميع إلى النجف بعد أن طلب إليهم أن يعملوا على المحافظة على الأمن والسكينة. وفي اليوم التالي أذعن كاظم صبي لأمر حضوره بين يدي الحاكم السياسي في الكوفة، فوجد الحاج عطية نفسه وحيداً في الميدان ففر إلى الشيخ عجمي السعدون الذي كان قد بقي على ولائه للأتراك وقد لازم استيطان البادية. وبعد هذا فرضت غرامة خمس مئة بندييه وخمسين ألف روبية بالنقد على النجف، فدفعت المبلغ وسلمت البنادق في اليوم الأول من شباط وهو اليوم المعين لها. وفي اليوم ذاته أشغل (الكابتن مارشال) معاون الحاكم السياسي الجديد مع شردمة قليلة من الحرس الخان الذي كان الحاج عطية أبو كلل قد بناه ليقوم فيه هو نفسه في خارج الباب الشرقي للنجف مباشرة.

وكان الكابتن مارشال قد نقل إلى النجف من الكاظمية التي أبدى فيها موجودية خلال الأشهر العشرة التي اشتغل فيها، كما كان له إمام غير يسير باللغة الفارسية وشؤون العتبات المقدسة على حد تعبير (أرنولد ويلسن) وتقول (المس بيل) عن هذه الفترة من تاريخ النجف أن أول تدبير وأهمه كان من الضروري أن يتخذ لتأمين الحالة في البلدة هو إعادة تشكيل الشرطة فيها. لأن قوة الشرطة التي جندت إلى هذا التاريخ في النجف كان أفرادها من أهالي البلدة نفسها، وكانوا يماثلون شيوخها في كثير من الأحيان. ولذلك أرسل من بغداد والكوت عدد من أفراد الشرطة الشيعة ليعملوا فيها، وجند عدد آخر من خارج النجف. ثم قطعت المخصصات التي كانت تمنح إلى شيوخ البلدة حينما كانوا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٦٤

موكلين عن سلطات الاحتلال فيها، وكان ذلك بإشارة من الكابتن (مارشال) نفسه. وتقول (المس بيل) كذلك: إن جباية رسوم البلدية، التي كانت غير منتظمة للغاية لعدة سنين خلت، قد وضعت في هذه الفترة على أسس قويمه. وشرع بتنظيف البلدة التي كانت بحالة صحية مزريه. وما انتهى كانون الثاني ١٩١٨ حتى كان الكابتن مارشال منهمكاً في حل مشكلة الماء العذب وتوفيره للبلدة بمقادير كافية.

لكن النجف على ما يبدو كانت تغلى في تلك الأثناء، بعد ما ترامي إلى أهلها من عجره رجال الاحتلال البريطاني وتصرفاتهم البعيدة عن العدل والإنصاف. وكانت تتهياً فيها يوماً بعد يوم عوامل الثورة العارمة ووسائلها الدافعة، وتنتشر بين شبانها روحية الاستقلال في الحكم والشعور القومي الذي بدأت تباشيره تغزو هذه الجهات. غير أن (المس بيل)، التي يؤيدها في رأيها (أرنولد ويلسن) بطبيعة الحال، تحلل هذا الوضع على غير حقيقته وتحاول حصر الحركة في نطاقها المحلي الضيق.

فهى تقول إن الحكومة الصالحة التي جاءت بالكثير من المنافع إلى البلدة لم تكن مقبولة عند الجميع. فإن رعايا البلدة من العشائر، وحتى بعض السادة من صغار الشأن الذين وجدوا انتفاعاً من التصيد في الماء العكر، كانوا يحملون شعوراً عدائياً مستتراً تجاهها. لكن التجار وطبقة الرأي العام الفقيرة، وسماحة السيد كاظم اليزدي وأتباعه، ارتاحوا ارتياحاً صريحاً بكسر النير الذي كان قد وضعه في رقابهم شيوخ البلدة من قبل وبالعودة إلى الحالة الاعتيادية الرتيبة. ثم تحاول المس بيل وضع ما سيحدث بعيد هذه الفترة بقلب آخر، وتعزو إلى أسباب غير الأسباب الحقيقية. ولذلك نجدها تشير إلى أن التسوية النهائية لوضع النجف المضطرب قد صادفت تأخراً آخر، لأن الدسائس التركيه في المنطقة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٦٥

نشطت إلى العمل أكثر من نشاطها السابق. فعندما استولت الفرقة الخامسة عشرة البريطانية على (هيت) وغزت (عانة) وقع في أيدي رجالها ضابط ارتباط ألماني كانت في حوزته أوراق ومستندات كثيرة. وقد دلت هذه المستندات على أنه كانت توجد في النجف لجنة خاصة لإشعال ثورة إسلامية فيها، وجعلها مركزاً لخلق الاضطرابات والقتال بين العشائر. وكان مئة أو أكثر من رجال الدين

مشركين فيها، لكنها لم تكن تضم أناسا ذوى أهمية من الدرجة الاولى.

و تروى كذلك ان رئيس هذه اللجنة كان شخصا من اسرة بحر العلوم العلوية، و كان هذا نشطا فى الدعوة الى الجهاد ضد الانكليز الى أن سقطت بغداد بأيديهم. و قد عرفت الخطة تمام المعرفة، لأنها كانت ترمى الى استغلال التدابير الفعالة التى يمكن أن تتخذها الحكومة البريطانية ضد البلدة المقدسة و اتخاذها مادة صالحة للدعاية التركية الألمانية فى المستقبل.

ثم تستمر فى هذا التحليل فتقول ان شيوخ البلدة. الذين جردوا من الامتيازات التى ساءوا استعمالها. كانوا بطبيعتهم الحال حقا خصبا لتلك الدعاية.

و هناك ما يحمل على الاعتقاد بأن مؤامرة خاصة كانت قد حيكت لقتل الحكام السياسيين الذين كانوا يعملون فى الفرات الأوسط. أما مقدار اشتراك ضابط الاستخبارات الألماني فى هذا العمل، الذى تسميه جريمة، فقد كان شيئا غير أكيد.

و هى ترى ان الانفجار الذى وقع فى النجف كان من المحتمل أن يكون قد حصل قبل أوانه، أى قبل أن توضع الخطة وضعا تاما له. فكانت النتيجة ان الإدارة البريطانية قد خسرت حاكما سياسيا واحدا فقط فى هذه الجهات. فقد قتل (الكابتن مارشال) معاون الحاكم السياسى فى داره الواقعة خارج البلدة على يد عصابة متكونة من اثني عشر قاتلا فى فجر يوم ١٧ مارت. و تقول

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٦٦

(المس بيل) ان اثنين من القتلة كانا من أولاد الحاج سعد، و ثلاثة من الشرطة المسرحين، و كان الرئيس «شقايا» مأجورا. ثم تذكر ان المحركين الأساسيين للمؤامرة كانا الحاج سعد و كاظم صبي.

على ان المراجع المحليه، التى يؤيدها (السر أرنولد ويلسن) فى روايته للحادث من دون ذكر الأسماء، تقول ان العصابة التى تطوعت لقتل الكابتن مارشال و إعلان الثورة كانت برأسه الحاج نجم البقال. و المعروف إنه كان رجلا من الأخيار حفزه الى الإقدام على هذا العمل الخطير تدينه و شعوره الوطنى.

و قد لبس هو و جماعته لباس «الشبانة» فى ليلة الحادث و انسلوا من كوة فى سور البلدة تقع فى محلة المشراق. ثم كمنوا فى المقبرة حتى الفجر، و بعد ذلك دخلوا البناية التى كان الكابتن يسكن فيها و هى (خان عطية) بخدعة و قتلوه كما قتلوا طبيبا ارلنديا كان معه. و قتل من المهاجمين رجل واحد و جرح آخر فحملا. بعد انتهاء المعركة. و مما يقوله (ويلسن) ان (الكابتن بلفور) وصل على أثر ذلك من الكوفة الى النجف، و مع انه جوبه بنيران حامية من ثوار البلدة فقد استطاع أن يدخلها فيخرج معه بعد ذلك نصف قوة الشرطة التى كانت مرابطة فى الداخل بعد أن قتل اثنان من المجموع و التجأ الباقون الى دار السيد مهدى السيد سلمان.

و تزعم (المس بيل) ان رأى العام فى بغداد و كربلا و الحلة و الكاظمية قد أجمع على استنكار ما قام به أولئك الثوار فى النجف. و بقيت العشائر كلها محافظة على الهدوء عدا شيخين صغيرين معروفين بتمردهما على القوانين كانا مشتركين بالمؤامرة كما ظهر فيما بعد. غير أنه ليس هناك شك بأن العشائر كانت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٦٧

كلها ترمق النجف باهتمام، و ان أى تدابير فعالة كانت ستتخذ ضد المدينة المقدسة كانت ستثير شيئا لا يستهان به من النقمة و الغضب. لكن الخطر الرئيسى فى رأى (المس بيل) كان ينطوى فى عكس ذلك، لأن التقصير فى الاقتصاص من قتلة ضابط بريطانى كان سيضع أرواح جميع زملائه تحت رحمة أناس مثل الحاج سعد الحاج راضى الذين كان يحرضهم الذهب التركى. و لا أدرى كيف توفق (المس بيل) بين قولها هذا و بين اعتماد الإنكليز على الحاج سعد و زملائه فى تمشية أمور البلد عند انسحاب الترك منها. فبادر القائد العام لقوات الاحتلال البريطانى فى العراق، الجنرال (مارشال)، الى العمل السريع الحاسم على حد تعبير ويلسن فقد سيق الى النجف فى الحال لواء كامل من الجيش البريطانى فحاصرها بقيادة الجنرال (ساندرز) حصارا تاما.

ثم أعلنت على الملأ الشروط المؤدية الى رفع الحصار عنها. و كانت الشروط كالآتى:

(١) تسليم المحرضين على مهاجمة الكابتن مارشال و المشتركين في قتله من دون قيد أو شرط.

(٢) دفع غرامة عينية من السلاح قدرها ألف بندقية.

(٣) دفع غرامة نقدية قدرها خمسون ألف روبية.

(٤) نفى مائة شخص الى الهند و اعتبارهم أسرى حرب

(٥) و الى أن تنفذ هذه الشروط بحذافيرها تحاصر البلدة حصارا تاما، و يقطع الماء و الطعام عنها.

و يضيف (أرنولد ويلسن) الى هذا القول ان العلماء الشيعة في ايران و العراق كله قد اتصلوا بأقرب الموظفين البريطانيين اليهم و أبدوا

لهم تخوفهم من النعمة و السخط العام على هذه التدبير. و عبرت الحكومة الإيرانية نفسها للوزير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٦٨

البريطاني المفوض لديها عن مخاوفها من أن تؤدي أخبار هذه الحركة الى قيام رجال الدين في بلادها بما يتكون من نتيجة وضع
مخطر في البلاد. ثم وصلت الى القائد العام برقيات، من حكومة الهند في كلكتا و وزارة الهند في لندن، تدل على التخوف الذي كان
يساور المسؤولين مما قد تؤدي اليه مثل هذه التدابير الحاسمة.

و في اليوم السابع من نيسان احتل الجيش أكوام التراب المجاورة لمحلة الحويش، لأنها كانت تسيطر على البلدة سيطرة تامة، و أخلى
من بقي من الموظفين في داخل البلدة عنها. و في خلال الأيام القلائل التالية استولى الجنود على جميع الحصون التي كانت موجودة
في السور. و في أثناء سير هذه الحركات لم تطلق إطلاقاً واحدة على البلدة نفسها كما يؤكد السر (أرنولد ويلسن) و (المس بيل) في
كتابيهما، و حوفظ على علاقات ودية مستديمة مع المجتهد الأكبر السيد كاظم اليزدي.

و في العاشر من نيسان ١٩١٨ بدأ استسلام القتلة (كما يزعم) و الرجال الذين ادخلت اسمائهم في قائمة المشتبه بهم. و لم يحل اليوم
الاول من مايس حتى كان (١٠٢) من مجموع (١١٠) اشخاص في قبضة الجيش المحاصر و هوجم الحاج عطية من قبل عنزة الموالين
للانكليز فسلم نفسه في السماوة قبل نهاية نيسان، و في ٤ مايس رفع الحصار عن النجف. ثم عين ضباط ثلاثة من ذوى الكفاية و
الاهلية لمحاكمة القتلة، و جرت المحاكمة باللغة العربية كما تزعم (المس بيل) فحكم على ثلاثة عشر شخصا بالاعدام، و أبدل القائد
العام الحكم على احدهم الى السجن المؤبد. كما حكم على خمسة بالسجن المؤبد كذلك، و على اثنين بالسجن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٦٩

لمدة أقصر، يضاف الى ذلك ان مائة شخص مشتبه بهم سفروا الى الهند كأسرى حرب. و تم تنفيذ حكم الاعدام بحق المحكوم
عليهم في الكوفة في اليوم الثلاثين من مايس.

و مما تذكره المس بيل ان اجتماعا قد عقد بعد ظهر اليوم نفسه في دار كليدار النجف، قدمت فيه الى الحاكم السياسي الكابتن بلفور
جماعة و قالت انها تمثل رجال الدين و الأهالي و شيوخ المحلات «سيف شرف» على سبيل الهدية .

و بعد عشرة أيام قام القائد العام بزيارة رسمية للبلدة فذبحت له الذبائح عند دخوله من بابها بصورة لم يسبق لها مثيل منذ زيارة ناصر
الدين شاه ملك ايران، ثم جرت حفلة استقبال في بيت الكليدار حضرها العلماء و الوجوه و الشيوخ على ما تزعم (المس بيل) و في
الخطاب الذي ألقاه القائد العام بهذه المناسبة أوعز الحاكم السياسي بتأسيس دائرة «بلدية» تتولى شؤون البلد و تنظيمه، و وعد بالعمل
على تحسين مياه الشرب. و قد حضر هذه الحفلة السر (ارنولد ويلسن) نفسه كذلك. و هو يقول في كتابه ان الكليدار تكلم فيها مبديا
ارتياحه و ارتياح الناس المتناهي لأنقاذهم من ايدي «الأشرار». و حينما قدم السيف للكابتن بلفور الحاكم السياسي ناشده ان يدافع به
عن حرية البلدة و سكانها في المستقبل كما فعل في السابق. و يذكر ويلسن كذلك ان الكليدار قدم له هو ايضا خاتما فخما من
الذهب و مفتاحا من الفضة.

و المعروف بين المطلعين من الناس، و في بعض المراجع المحلية، ان الذين تم تنفيذ حكم الاعدام فيهم هم: كريم، و أحمد، و

محسن، اولاد الحاج سعد الحاج راضى، و رابعهم عبدهم سعيد، و عباس على الرماحى، و علوان على الرماحى،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٧٠

و كاظم صبي، و جودى ناجى، و مجيد بن مهدي الحاج دعييل، و الحاج نجم، و محسن ابو غنيم. اما المنفيون من أهل النجف فقد كان من بينهم الشيخ محمد جواد الجزائرى و السيد محمد على بحر العلوم، و سعد الحاج راضى و الحاج عطية ابو كلل و اولاده و أقاربه. و قد تدخل الشيخ خزعل شيخ المحمرة بأمر الشيخ الجزائرى و السيد بحر العلوم فأغفيا من النفي و أقاما فى المحمرة برعايته. عباس الخليلى فى اول معركة من معارك الاستقلال (ثورة النجف الاولى) و هو الوحيد الذى نجا من حبل المشنقة و قد حكم عليه بالاعدام غيايا

و لا شك ان معظم العراقيين، و النجفيين خاصة، يعتقدون ان ثورة النجف هذه كانت حركة وطنية مهدت الأمر لاندلاع نيران الثورة العراقية المعروفة فى ١٩٢٠، التى استحصلت للعراق استعلاله و حكمه الوطنى. و هذا كما لا يخفى مغاير لبعض ما يفهم من لهجة (المس بيل)، و (أرنولد ويلسن)، و غيرهما بطبيعة الحال. و تكاد المس بيل تعترف فيما كتبه بان هذه الثورة كانت مقدمة لثورة العشرين المعروفة، و لكن بلهجتها المعهودة. فهى تقول بعد سرد الحوادث المذكورة أن كربلا و النجف بقيتا تكوّنان قبلة مزدوجة للفران السياسى الذى كانت تسهل اثارته برد الفعل للحوادث التى تقع فى ايران او بما يحدث من الأحداث فى العراق نفسه. ثم تضيف الى ذلك قولها: و لم تعر القبائل المجاورة التى كانت مشغولة بزراعتها التفاتا لما وقع، برغم أنه فى شتاء ١٩١٨ - ١٩١٩ دبر المجتهدون المتحركون اثاره بعضها كما سيدكر فيما بعد. بالاضافة الى قولها الذى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٧١

اشرنا اليه من قبل و اعترافها بكون هذه الثورة ربما كانت تكون ذات قيمة لو جاءت فى وقتها المناسب اذ تقول عن ثورة النجف «.. ان الانفجار الذى وقع فى النجف كان من المحتمل ان يكون قد حصل قبل أو انه - أى قبل ان توضع الخطه وضعا تاما له-».

التفكير بتأسيس حكم وطنى فى البلاد

و بعد هذه الحوادث المثيرة التى برهنت فيها النجف للانكليز على صلابه عودها وقوة شكيمتها، حدثت تطورات خطيرة فى احوال العراق و السياسة العالمية. فقد انتهت الحرب ما بين بريطانيا العظمى و الامبراطورية العثمانية.

و أعلنت الهدنة بينهما فى ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨. و فى ٨ تشرين الثانى ١٩١٨ أعلن فى العراق التصريح الانكليزى-الفرنسى الذى وعد فيه الانكليز و الفرنسيون بتأسيس «حكومات و ادارات وطنية حرة تنتخب وفق رغائب الأمة و تستمد سلطتها منها» للاقوام و البلاد المنسلخة عن الدولة العثمانية و حكمها الجائر. و فى ١١ تشرين الثانى ١٩١٨ سمحت السلطات المحتلة بأن تنشر فى العراق بنود الرئيس ويلسن الأربعة عشر، التى كانت الدول الحليفة و المركزية قد اتفقت على اتخاذها أسسا لعقد الصلح فيما بين الفريقين المتحاربين. فما كان من الجنرال (مارشال) القائد العام لقوات الاحتلال البريطانى فى العراق بعد أن أعلنت الهدنة إلا أن يدعو على عجل وجهاء بغداد و رجالها المعروفين فيلقى عليهم خطابا طبع نسخ كثيرة منه بالعربية و الانكليزية، و وزعت فى جميع انحاء المناطق المحتلة. و قد اشار الجنرال (مارشال) فى خطابه هذا الى بيان سلفه الجنرال (مود) الذى اذاع فيه بعد احتلال بغداد بأن الانكليز قد جاءوا «محررين لا فاتحين». ثم أعلن على الملأ رفع القيود الكثيرة التى كانت تقتضيها ظروف الحرب و القضاء على العدو. و من جملة ما رفعت عنه القيود بمقتضى هذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٧٢

الخطاب نقل الجنائز من مختلف الجهات و دفنها فى مدافن النجف و كربلا بشروط مناسبة على حد قول (أرنولد ويلسن و فتح الطرق للزوار الذين يقصدون العتبات المقدسة فى ايام الزيارات المعتادة.

وقد أدت هذه التطورات الخطيرة، و الوعود الرسمية المهمة، الى حدوث نشاط سياسى فعال فى اندية بغداد و محافظها السياسية فتأثرت به جهات البلاد الاخرى، و لا سيما النجف و الفرات الاوسط كله، الى درجة لا يستهان بها، و تقول (المس بيل) فى تقريرها المشار اليه ان التصريح الانكليزى الفرنسى الذى صدر بعد الهدنة كان له وقع مهم بين العراقيين. فان بعضهم كان يعتبره دالا على عدم تأكد مذيعة من المستقبل، و ذهب البعض الآخر الى نقيض ذلك و أخذ يفسر الرغبة التى اعرب عنها الحلفاء بتصريحهم فى تأسيس حكومة وطنية فى العراق بأنه اعتراف بمقدرة العرب على الاضطلاع بمسؤولية الادارة الوطنية من دون مساعدة او سيطرة. و ما مر اسبوع على نشر التصريح فى بغداد، حيث تكون الاطماع السياسية على درجة كبيرة من التطور بالنسبة لجهات العراق الاخرى، حتى كانت فكرة تنصيب امير عربى فى العراق موضع بحث فى كل مكان و قد صادفت قبولا عاما فى الاوساط المسلمة.

وقد وصلت الى الجهات المسؤولة ببغداد فى هذه الاثناء (٣٠ تشرين الثانى) تعليمات من لندن يطلب فيها ان تقوم السلطات المحتلة باجراء استفتاء عام فى العراق، لأن الحكومة البريطانية كانت تتجه نيتها الى «قضية تأسيس أحسن شكل للحكومة فيه». و طلب ان يكون الاستفتاء على النقاط التالية!

١- هل يفضل العراقيون تأسيس دولة عربية واحدة تستهدى بارشادات بريطانية، و تمتد من حدود ولاية الموصل الشمالية الى الخليج؟
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٧٣

٢- و فى هذه الحالة، هل يرون ان الدولة الجديدة يجب ان يكون على رأسها امير عربى؟

٣- و اذا كان الامر كذلك، من هو الذى يفضلون نصبه رئيسا للدولة؟

و حينما صرح السر (ارنولد ويلسن) وكيل الحاكم الملكى العام، بالأمر و اتخذ ما يلزم لاجراء الاستفتاء فى البلاد اصدر تعليمات خاصة الى الحكام السياسيين فى الالوية بأن يتأكدوا من الحصول على نتائج تكون مطابقة لمقترحاته التى كانت تعارض فى تشكيل حكم وطنى فى البلاد، كما كان يريد البعض من رجال الإنكليز. و لذلك اتخذت السلطات الإنكليزية جميع التدابير و الاحتياطات للتأثير على النتائج الحقيقية فى جميع المناطق. فكان لها ما أرادت فى مناطق كثيرة، لكنها لم تستطع الحصول على ما كانت نريده بسهولة من النجف و كربلا- و الكاظمية و بغداد. و يقول الدكتور فيليب (آيرلاند) الأميركيكى فى كتابه (العراق- دراسة فى تطوره السياسى) فى هذا الشأن ان سير الاستفتاء فى المدن المقدسة مثل النجف و كربلا و الكاظمية، و فى بغداد، لم يكن سهلا كما ان نتائجه لم تكن على الوجه المطلوب. فقد مر فى النجف بمراحل ثلاث بالنسبة لموظفى الحكومة المسؤولين عن سيره. إذ استبان لأول وهلة بأنه سوف لا يجابه صعوبة كبيرة. و لما كان وكيل الحاكم الملكى العام يدرك أهمية النجف الاستراتيجية، فقد واجه بنفسه الأشراف الذين كانوا يمثلون جال الدين و شيوخ العشائر و أوضح لهم ان المطلوب منهم الإجابة على أسئلة ثلاثة لا غير. فكانت النتيجة الاعتراف بتفضيل الحماية البريطانية على البلاد الممتدة من الموصل الى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٧٤

الخليج من دون تعيين أمير. ثم يقول آيرلاند انه بعد مرور يومين على هذا الاجتماع وصل الى النجف من بغداد رجل شيعى ذو شهرة محلية و حرض الوجهاء على عدم إرسال العريضة الأصلية. و عندما علمت السلطات بالأمر اتصلت بالوجهاء البارزين و منهم (السيد كاظم اليزدى)، و بمساعدته توصلت الى «نتائج ناجحة» و نظمت سلسلة تتألف من أربع عشرة مضبطة استحصلت من بعض الأشخاص و الجماعات. و قد طولب فى بعضها بالحماية البريطانية و بتعيين أمير على رأس الدولة عندما تكون البلاد مستعدة لذلك. على انه طولب بعدة مضابط أخرى بحكومة عربية يرأسها أمير من دون أن يذكر شىء عن بريطانية العظمى مطلقا (انتهى قول آيرلاند).

و تقول (المس بيل) فى مذكرة قدمتها الى الجهة المختصة عن «الحكم الذاتى» فى العراق فى شباط ١٩١٩ (يوجد نصه فى ملحقات الجزء الثانى من كتاب ويلسن)، «.. ان أحد الشبان الشيعة فى بغداد زار النجف بعد يومين بحجة الأشغال الخاصة، و شرع بتنفيذ خطة موضوعة لإقناع أهالى النجف و الشامية بالعدول عن التوقيع على المضبطة المتفق عليها. و كان مثير هذه الفتنة رجلا ذا شهرة غير قليلة

ككاتب و أديب، كما كان مستخدماً عندنا في دائرة الشرطة فأخرج منها بسبب خشونته قبل ما يقارب السنة . و لما كان هو نفسه قد وقع بعد ذلك على إحدى مضابط بغداد التي تفضل الشيخ كاظم الدجيلي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٧٥

استمرار السيطرة البريطانية فان توقيعه مع الجهة المقابلة لا قيمة له. و عند وصوله الى النجف ادعى بأنه «وكيل سرى»، من وكلاء الحكومة فحكم عليه حاكم الشامية السياسي من أجل هذا بالحبس لمدة اسبوعين أعيد بعدهما الى بغداد.

و بنتيجة النشاط الذي أبداه لم ترسل المضبطة الأصلية من النجف و الشامية، و إنما أرسلت بدلا عنها سلسلة من المضابط تختلف عمليا عن المضبطة الأولى.»

و يبدو من هذا كله ان الإنكليز لم يستطيعوا الحصول على النتيجة التي كانوا يريدونها من النجف، و إنما استحصلوا تواقيع الخائفين و الممالئين لهم بأساليبهم المعهودة. و يؤيد هذا ما تذكره (المس بيل) من ان النجف و منطقة الشامية، التي تعد النجف تبعاً لها في الادارة يومذاك، كان الرأي العام فيهما له عدة أوجه لكنه كان من الممكن أن يستتج من كل ذلك ان الناس هناك كانت تفضل تنصيب أمير مسلم يستظل بالحماية البريطانية. و قد ذكرت أسرة شريف مكة بهذه المناسبة. و يعترف الكابتن بلفور الحاكم السياسي لمنطقة الشامية في تقريره الإداري المقدم الى الجهات المختصة في ١٩١٩ بأنه قد وجد من الضروري أن يضغط رسمياً على (النجف) قبل أن تستحصل من وجهاتها المضابط المرغوب فيها.

وحدة الصف الوطني

و الظاهر ان إجراء الاستفتاء العام في هذه المنطقة، و محاولة الإنكليز الحصول على نتائج مصطنعة تتفق و أغراضهم الاستعمارية، كان نقطة الانطلاق التي بدأت منها الحركة الوطنية في بغداد و النجف، و غيرهما من معقل النضال ضد الاحتلال البريطاني الغاشم، بالانتشار و التوسع. و كانت أولى ثمار هذه الحركة اتفاق الكلمة بين السنة و الشيعة في جميع أنحاء العراق على العمل المشترك ضد موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٧٦

السلطات المحتلة، و السعي للحصول على الاستقلال التام للبلاد و تكوين حكومة وطنية فيها و مما يرويه المستر (فيليب آيرلاند) في كتابه المشار اليه ان هذا «التحالف قد ظهرت أولى بوادره في صيف ١٩١٩ حينما حضر رجال السنة الحفلات التأسيسيتين اللتين أقيمتا بمناسبة وفاة المجتهد الشيعي الأكبر «السيد محمد كاظم اليزدي». و يذكر كذلك ان «الهوة» التي كانت تفصل بين الطائفتين قد ملئت بفضل الجهود الحثيثة التي بذلها الزعماء، الوطنيون، و من أبرزهم الزعيمان الشيعيان السيد محمد الصدر، و جعفر أبو التمن. ثم ينتهي الى القول بأن التوافق الذي حصل بين الطائفتين قد وسع مجال العمل للحركة الوطنية و زاد في قوتها، فأدى ذلك الى أن تنطوى تحت لوائها العشائر الشيعية و الجماهير التي تقطن المدن و الأرياف التي كان تعصبها يتعالى و يخمد بمشيتها رجال الدين التي تكاد تكون غير محدودة عليهم .. و قد وجد الوطنيون في المدن المقدسة و بغداد ان المناطق التي تقطنها قبائل الفرات الأوسط و الأسفل، و هي شيعية في الغالب، كانت أخصب تربة يبذرون فيها بذور دعايتهم السياسية- الدينية، بالإضافة الى الدعاية التي كانت تبث بين قبائل بني تميم و العزة و القبائل المحيطة ببغداد و بعقوبة .

و هكذا تقدم سير الحركة الوطنية في البلاد، و تعاظمت شعلتها المتوسعة، حتى تهيأ الجو لاندلاع نيران الثورة العراقية المعروفة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠.

و قد كان للنجف القدح المعلى في تهيئة الظروف للثورة بطبيعتها الحال، بالنظر للنفوذ الديني و الاجتماعي الذي كانت تتمتع به ما بين القبائل الفراتية التي قدحت في زنادها، و لما كان يتوفر فيها من نخبة ممتازة من الشباب المثقف الذي كان يدرك معنى الوطنية الحققة و الاستقلال التام تمام الادراك و نظراً لأن العلماء الاعلام كانوا في مقدمة المكافحين من أجل الاستقلال التام للبلاد، و المناضلين

ضد التسلط الأجنبي الغاشم، فاننا نجد في كتابات عدد غير يسير من الانكليز وغيرهم أنهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٧٧

يحاولون الحط من قيمة الثورة و جعلها مدفوعة بدوافع ليس فيها غير التعصب الديني الضيق. غير أنى لاحظت ان المستر (فيليب آيرلاند) (الأميركي) يعلل هذه النقطة تعليلا بارعا و يجلوها بأحسن وجه. فهو يقول انه ليس من المستغرب أن نرى في بلاد توجد فيها الاختلافات الدينية و الطائفية بجانب الاختلافات العنصرية و القومية، و يطغى فيها التعصب الديني، و يفتقر وضعها العام إلى إحلال الولاء للدولة في محل الإنقياد للسلطة الدينية، بأن تكتسب الوطنية، التي نشأت كحركة سياسية يؤازرها الناس من مختلف الطبقات، صبغة دينية فتحظى بتعصيد الطبقة الروحانية و رجال الدين. فقد تذكر رجال الدين بأن الأمجاد العربية الغابرة في دمشق و مصر و شمالي أفريقيا و في مدينة العباسيين العتيده قد بلغت أوجها في الأيام التي كان يسود فيها الإسلام، و عندما كان الخليفة رئيسا للدولة و حاميا للمسلمين. و لذلك فان الوطنية كانت تعنى في عرفهم، و لا سيما في عرف علماء الشيعة، تأسيس دولة إسلامية من جديد يكون للطبقة الروحانية فيها مركز شرعي مسيطر. و يعنى ذلك بلا ريب وجود دولة متحررة من رق التأثيرات الغربية الملوثة، و مطهرة من رجس الميول و الانجاهات العلمانية. و الواقع ان تقارب الاستقلال السياسي و الديني، و تعاون السياسيين مع زعماء الدين، كانا يشبهان التوافق الذي جرى بعد الحرب بين الطائفتين السنية و الشيعية. و معنى هذا بوجه عام توحيد النواحي السياسية و الدينية من الحركة الوطنية في عمل واحد.

أما أرنولد ويلسن، و كيل الحاكم الملكي العام الذي يعتبر المسؤول الأول عن التصرفات الشائنة التي أدت الى الثورة، فيعكس ذلك و يقول ان رجال الدين في النجف و كربلا و الكاظمية كانوا باستثناء البعض منهم يقاومون علنا موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٧٨

تشكيل حكومة دنيوية منظمة من أى نوع كان على الرغم من ازدياد وارداتهم ازديادا كبيرا بعودة الزوار الى التوارد على العتبات المقدسة من جميع أنحاء العراق و إيران بمقياس لم يسبق له مثل من قبل. فقد بلغ عدد الزوار الذين زاروا النجف و كربلا في يوم العيد الأضحى (١٩٢٠) حوالي الخمسين ألف .

و لا شك ان ما يقصده ويلسن بالحكومة الدنيوية الحكومة التي يريد تشكيلها هو بإشرافه و إشراف زملائه تأميننا لمصالح بريطانية الاستعمارية في البلاد. هذا و هو يستبعد على العلماء الأعلام الإهتمام بشؤون البلاد و سكانها، و التمسك بالروح الوطنية التي يقف منها الدين الحنيف موقفا مشجعا، و كأن كل ما يجب أن يهتموا به في نظره هو ازدياد الواردات و جمع الثروة و النظر الى الأمور بالمنظار المادى وحده.

نذر الثورة

ان جميع المراجع المذكورة تشير الى أن زعماء الحركة الوطنية في النجف الأشرف و الفرات الأوسط كانوا على اتصال بأقطاب الحركة «الشريفية» التي نشطت للعمل بعد تنصيب الملك فيصل على رأس الدولة العربية في سورية و قد كان معظم هؤلاء من الضباط العراقيين الذين حاربوا في صفوف الجيش العربي الذي تشكل في الحجاز بعد إعلان الثورة العربية في ٩ شعبان ١٩١٦. فيقول (المستر آيرلاند) ان سلسلة من الرسائل مؤرخة في ٢٣ رجب (١٢ نيسان ١٩٢٠) و معنونة الى ملك سورية (فيصل) و ملك العراق (عبد الله) وقعت في أيدي السلطات البريطانية يومذاك. و كانت تنطوي على تهنئة للأميرين على انتخابهما، و ترحيب (بعبد الله) من رعاياه المواليين. و قد كان الموقعون عليها شيوخ و سادة الشامية و السماوة و الرميثة (بنى حليم) و قبائل المنتفك، و وجهاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٧٩

و سادة النجف و الكوفة و الحلة. ثم ينهى الموضوع بقوله ان كل واحد من الموقعين، إلا اثنين منهم، كان ممن قاموا بدور رئيسي في

ثورة ١٩٢٠ .

و لا يخفى ان ذكر (عبد الله ملك العراق) يشير الى قيام الضباط العراقيين، الذين اشتركوا في حملة فيصل بن الحسين على سورية، بإعلان عبد الله في الشام ملكا على العراق بعد أن نودي بأخيه فيصل ملكا في سورية.

اما المس بيل فتقول في هذا الشأن ان اول تأثير للدعاية الشريفة المنبثقة من سورية و بغداد قد ظهر في منطقة الشامية، حيث يكون تأثير المدن المقدسة الديني على أشده ... و ان الشعور بعدم الاستقرار هناك قد ادى الى استقالة اعضاء المجلس المحلي الذي تشكل حديثا. ثم تقول ان العنصر الديني الشيعي في المدن المقدسة كان منهماكا في حبك الدساس قبل ان تبدأ الحركات و القلاقل العلنية في بغداد. و ان وفاة (السيد كاظم اليزدي) قد ادت الى انتقال السلطة الدينية في العالم الشيعي الى ايدي المرزا محمد تقى الشيرازي المتقدم في السن الذي كان يصرف أموره في جميع الشؤون ابنه المرزا محمد رضا. و كان هذا الابن رجلا سياسيا فعالا لا يستقر على حال ... ثم تعدد الحوادث التي كانت تعتبر نذرا لوقوع الثورة فتقول في جملة ما تقوله عن ذلك ان الحاكم السياسي في الديوانية كتب في احد تقاريره ان جثة احد افراد الشبان لم يسمح بدفنها في النجف على الأصول الشيعية المعروفة، و ان الاستقالات من خدمة الحكومة أخذت تزداد يوما بعد يوم. و بعد ان نودي بملكية الأمير عبد الله في دمشق في اليوم التاسع من مارت ١٩٢٠ طلب الى شيوخ جميع القبائل ان توقع على وثيقة يطلب فيها منه ان يتوجه لتسلم مملكته.

و لا شك ان (المس بيل) كانت في وضع يمكنها من الإحاطة بجميع ما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٨٠

يحدث، و لا- سيما في المدن المقدسة التي كانت توليها عناية خاصة و ترقب سير الأمور فيها بعين بصيرة. و كثيرا ما كانت تزور النجف على الأخص و تتفقد الاحوال و الاتجاهات فيها لتكون الاستخبارات التي تجمعها كاملة عندها من جميع الوجوه. فقد زارتها في الأيام الأخيرة من سنة ١٩١٩ قادمة من منطقة الشامية مع الحاكم السياسي (نوربري) و معاونه (الكابتن مان). و لذلك نجدها تكتب عن النجف في رسالتها المؤرخة في ٤ كانون الثاني ١٩٢٠ بأنها فرحت لأن منزلتها في هذه المدينة المقدسة أصبحت تعلقو و يزداد شأنها.

فقد كانت من قبل لا يمكنها ان تواجه المجتهدين و رجال الدين الكبار على حد تعبيرها و لا تطمع في ذلك، لأنهم لا يجيزون ان تقع عيونهم على امرأة سافرة.

غير انها في هذه المرة استطاعت ان تواجه مجتهدا من الصنف الاول كما تزعم، و كان من العلماء العرب لا الايرانيين، بعد ان طلب اليها من تلقاء نفسه ان تأتي الى مقابله. و هي تقول ان النجف مع كونها غامضة متعصبة فان المرء ينجذب اليها انجذابا غريبا يشوبه الاحجام، بجمالها و عمق غورها الذي لا يسبر.

في ايام الثورة العراقية سنة ١٩٢٠

و حينما وقعت الواقعة الاولى من وقائع ثورة ١٩٢٠ في الرميثة يوم ٣٠ حزيران على ايدي الظوالم، نرى المستر (فيليب آيرلاند) يشير الى ان القلاقل المحلية هذه هي التي أشعلت نيران الثورة الكبرى فحاصرت القبيلة بأجمعها حامية الرميثة و دواثرها الحكومية بإيعاز من النجف و الكوفة. و يعطف على ذلك قوله في صفحة اخرى: و في الثلاثين من تموز ظهر (السيد هادي المكوتر) في منطقة السماوة قادمًا من النجف و ركز نفسه في الخضر، و المزعوم انه كان موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٨١

مزودا بمبالغ جسيمة من الذهب ... و قد انضم اليه عدد آخر من السادة و رجال الدين و راحوا يبشرون في الغراف و الشطرة و الخضر بالجهاد الذي أعلن في كربلا- في السادس من آب . و يستند (آيرلاند) في ذلك على تقرير الملازم (ب هيات) معاون الحاكم السياسي في الرميثة المؤرخ في ١٠ آب، و على مذكرة (الميجر ديلي) الحاكم السياسي في الديوانية التي قدمها الى المراجع المختصة

في ٢٦ آب حول نشوب القلاقل في الرميثة. اما (السرارنولد ويلسن) فيؤيد تحريك الوطنيين في النجف (للظوالم) في الرميثة على الثورة، و يضيف الى ذلك قوله ان الظوالم قد تشجعوا بالتطمينات التي بذلت لهم بأن شروط الانتداب كانت تحظر على البريطانيين استعمال القوة العسكرية ضدهم، و ان جميع هذه القوات تقريبا كانت قد سحبت الى الهند و ايران .
اما سير الحوادث في الكوفة و النجف نفسها فيذكر ويلسن ان الحاكم السياسي (الميجر نوربري) قد دبر تهدئة الحال فيها خلال ايام الثورة الأولى.

و قد ساعده على ذلك انه كان قد ادخر كثيرا من الأرزاق و الأقوات التي حصل عليها محليا، فساعد هذا السلطات العسكرية على حرية العمل و المحافظة على السكينة. كما يقول ان (الميجر نوربري) و (الكابتن مان) كانا محبوبين في المنطقة، و ان عشائر الشامية كانت قد بقيت هادئة لو لا الانتكاسات التي أصيب بها الانكليز في الحلة و الرميثة و السماوة. و لا شك انه يقصد من ذكره الحلة في هذا الشأن موقعة (الرارنجية) المشهورة. ثم يقول ان الاعمال التأديبية التي جرت في النجف على أثر مقتل الكابتن مارشال معاون الحاكم السياسي فيها كانت لا تزال تأثيراتها القمعية في الناس سارية المفعول. و لهذا قوبل اعتقال موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٨٢

المرزا محمد رضا نجل المرزا الشيرازي في كربلا يوم ٢٢ حزيران بيروود، و هدوء لم تكن تنتظره السلطات الإنكليزية نفسها من أهالي النجف. على انه يذكر أيضا أن الميجر (نوربري) دبر مقابلة لرؤساء (آل فتله) في مضيف الشيخ مجبل الفرعون في اليوم الأول من تموز ١٩٢٠ لتهدئتهم، لكن المقابلة لم تكن مثمرة على ما يقول و كانت مقرونة بتجمعات و حركات معادية من بعض الأشخاص. و في يوم ٥ تموز اجتمع (الكابتن مان) بالشيخ (مرزوق شيخ (العوبد) المجاورة لأم البعور (الشامية)، من دون أن يكون هذا الاجتماع مفيدا أيضا. على أنه يذكر في هذه الأثناء قولاً للسيد علوان الياسري يعتقد أنه كان معبرا عن شعور الكثيرين في تلك الجهات فقد خاطبه السيد علوان قائلاً «لقد قدمتم الاستقلال لنا، و نحن لم نطلبه و لم نكن نحلم بشيء مثله حتى أدخلتم فكرته في رؤوسنا. و قد عشنا مئات السنين في حالة بعيدة جد البعد عنه، و حينما جئنا نطلب الاستقلال منكم الآن أخذتم تسوقوننا الى السجون.» و لا ندري ما هو نصيب هذه الرواية من الصحة!

ثم يأتي ويلسن في كتابه على ذكر الحالة العشائرية بالتفصيل، و يتطرق الى قيام شيوخ (آل فتله) بالتأثير على عشائر بني حسن و آل شبل و جرهم الى جانبهم بالمال، فقد تسلم منهم الشيخ علوان الحاج سعدون مبلغ ألف باون .
لكن الإنكليز بادروا الى دفع ألفى باون الى آل شبل بواسطة شيوخ الخزاعل
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٨٣

ليحافظوا على السكينة. على ان كفة الثوار قد رجحت في الأخير بتدخل السيد (نور الياسري) بنفوذه العريض و ثروته الطائلة فبدأت عشائر آل فتله محاصرة الكوفة في ١٣ تموز، و تم احكام الحصار عليها في يوم ٢٠. ثم قتل (الكابتن مان) بعد يومين و هو يدافع عنها، و لم يرفع الحصار إلا- في ١٧ تشرين الأول أي بعد مدة تناهز الثلاثة أشهر، و مما يرويه ويلسن عن هذا الحصار ان الحامية التي اضطرت الى أكل الرز و لحم الخيل في الأسابيع الثلاثة الأخيرة من أيامه قتل منها خمسة و عشرون شخصا و جرح سبعة و عشرون لأنها كانت تتعرض لقصف المدفعية من الثوار أحيانا، بواسطة المدفع (عيار ١٨) الذي غنموه من الإنكليز بقايا حطام (فاير فلاي) التي دمرها الثوار بالمدفع الذي غنموه في معركة (الرارنجية)

يوم ٢٤ تموز ١٩٢٠. و قد استطاع الثوار تدمير الزورق المسلح «فاير فلاي» الذي كان يعود للإنكليز بواسطة هذا المدفع أيضا. و يشي كذلك على «الشبانة» الذين كان معظم جنود الحامية في الكوفة منهم، لأنهم صمدوا لضغط الثوار الحربي و المعنوي، و احتقار الناس و ازدراؤهم بهم. ثم يشير الى منع الذين ماتوا منهم في خدمة الإدارة البريطانية من الدفن، و إجبار زوجاتهم في كثير من الأحيان على تركهم و العودة الى آبائهم، و اضطهاد آبائهم و أقاربهم في الشوارع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٨٤

والطرقا. وقد لاذ علماء النجف الكبار، وعلى رأسهم المجتهد الأكبر السيد كاظم اليزدي، بالصمت الوجل كما يزعم لكن رجال الدين الصغار شاركوا قادة الحركة الوطنية في تحريض الجماهير على الثورة، وناشدها باسم الدين والقومية العمل على استئصال شأفة الاحتلال العسكري والقضاء على آخر أثر من آثاره.

ومن أهم ما يذكره ويلسن عن النجف في هذا الشأن انها، وهي كائنة على بعد أميال قليلة عن الكوفة، قد تجمع فيها حوالي مئة و سبعين أسيرا بريطانيا من اسرى الحرب، و كان حوالي ثمانين أسيرا منهم ينتمي الى «كتيبة ما نشستر». و كان هؤلاء قد تم أسرهم في يوم ٢٤ تموز، و ورد أول خبر الى السلطات البريطانية عن مصيرهم من حميد خان الذي كان قد تعين منذ شهر كانون الأول ١٩١٧ وكيلا- عن الإدارة البريطانية فيما بين النهرين في النجف. و هنا يعزو الفضل في المعاملة الحسنة التي عومل الأسرى بها الى ما بذله حميد خان من جهود في سبيلهم. لأن حميد خان كما يروي بقي صامدا في النجف برغم تحذيرات أصدقائه و تهديد أعدائه. و قد أخبر السلطات البريطانية بأن الاسرى لم تعاملهم القبائل النائرة معاملة حسنة، و أجبرتهم على السير على الأقدام من الكوفة الى أبي صخير و هم حفاة عراة تقريبا. على ان قسما منهم كان قد احتجز في النجف ثم نقل بعد ذلك الى الخارج بالنظر للموقف العدائي الذي كان يقفه الأهلون منهم. و مع هذا فقد جمعوا كلهم في النجف مرة ثانية، و هناك لم يدخر حميد خان وسعا في السهر عليهم و تأمين راحتهم، و اعدا وجوه البلد و أعيانه بالتعويض عن كل ما يصرفونه عليهم من مال و نقود بعد أن تستقر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٨٥

الامور و تهدأ الأحوال. و مما يدل على المعاملة الحسنة التي عومل الأسرى بها على على هذا الأساس الحالة الصحية الجيدة التي كانوا يتمتعون بها حينما تم إطلاق سراحهم فيما بعد، و لم يصب أحد منهم بسوء سوى موت أحدهم في أيام الأسر. و هنا ينبى ويلسن لتنفيذ ما يذكره السر (أيلمر هولدين)، قائد القوات البريطانية في أثناء الثورة، في كتابه (الثورة العراقية) عن سوء معاملة العرب في العراق للاسرى الإنكليز. فهو يقول في ذلك ان العرب و الأ-كراد لم تعرف عنهم حوادث قسوة و تمثيل تلفت النظر الا- حينما كان الأتراك يوجهونهم الى ذلك. و هو يتذكر ان شيئا ذا بال قد ورد من هذا القبيل في تقارير الاستخبارات التي مرت عليه .
الحاج محسن شلاش

تهدئة الأحوال

و الملاحظ فيما يكتبه ويلسن عن الثورة تهجمه على العلماء و رجال الدين،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٨٦

و المرارة التي تتخلل سطوره تجاههم. و هذا شيء منتظر بطبيعة الحال، و يعد من قبل المدح لهم لأنه يبرهن على أنهم قاموا بواجبهم خير قيام في توعية الناس و توجيههم في شؤون دنياهم و دينهم، و تحريرهم من السيطرة الأجنبية. و آخر ما نذكره هنا من أقواله هذه قوله «ان استفحال أمر العلماء، و تدخل رجال الدين في الشؤون العامة، قد استطاع الملوك المسلمون في إيران و العراق و تركيا على السواء إيقافه عند حده في كثير من الأحوال و المناسبات خلال السنين الأخيرة (كتب الكتاب في ١٩٣١). و ان الفوضيئة و التحريكات الدينية التي حصلت خلال أشهر الثورة العراقية قد بلغت حدا من الشدة و الإنتشار بحيث كان يمكن بوجودها أن تكتسح العراق عصابات المتعصبين الغلاة، التي لا- يقل تطرفها عن تطرف الوهابيين الذين ظهروا في أواسط الجزيرة العربية، لو تهيأت لها شخصيئة قوية مثل شخصيئة (حمدان قرمط) الذي ظهر في الكوفة خلال القرن العاشر للميلاد.»

و لا- شك ان الثورة العراقية هذه قد لقت الإنكليز درسا قاسيا في حكم الشعوب و معاملتهم، و كادت ان تخرج العراق من قبضة أيديهم لو تسنى لها ان تستقيم مدة أطول. لكنها انتهت بعد مدة تناهز بضعة شهور، و لم يكن بوسع الحكومة أن تأخذ ناحية الامور

بأيديها إلا في ربيع ١٩٢١ كما يقول (المستر آيرلاند). و يعقب على هذا بقوله ان النهاية ربما كانت قد حلت بأعجل مما وقع لو لم يصدر رجال الدين في النجف، المتصلبون في مناوءتهم للانكليز، على ان تجرى المفاوضات عن طريقهم فقط. و مما يدل على تدخلهم هذا ما لاحظته الحكام السياسيون في مناطق الديوانية و المنتفك من وصول رسالتين اليهم، واحدة من الفرات الأوسط و أخرى من الغراف، و قد سبكت اثنتاهما بنفس الجملة و عين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٨٧

اللغة. و كان فيهما طلب بوجوب تأسيس حكومة دينية وفقا لقواعد المذهب الشيعي كما يقول الحاكم السياسي الذي كتب التقرير الأداري عن المنتفك سنة ١٩١٩

و يعود (المستر آيرلاند) فيقول في مناسبة أخرى ان مهمة تهدئة البلاد بعد الثورة كانت أهم مهمة في نظر العراقيين و الموظفين البريطانيين معا. و ان السر (بيرسي كوكس) كان قد ترك فكرة تأديب العشائر بشدة، على أنه كان يعتقد اعتقادا جازما بأنهم يجب أن يجبروا على الخضوع حتى اذا تطلب الأمر استعمال القوة. و لذلك وقف بعزم و صلابه، كما وقف من قبله ويلسن، في وجه الطلبات المتكررة التي كانت تأتي من رؤساء الدين في النجف و كربلا- بجعلهم وسطاء لدى القبائل التي طلبت هي نفسها ان تكون المفاوضات عن طريق المجتهد الأكبر الذي لا يلقون السلاح إلا بإشارة من عنده. و يذكر في الحاشية كذلك ان أهم الشيوخ الذين طلبوا هذا الطلب هو عبد الواحد الحاج سكر و مرزوق العواد.

ثم ينهي الموضوع بقوله: و برفض الاعتراف بمطالب رجال الدين الشيعة ضرب السر (بيرسي كوكس) ضربته الأولى بالنيابة عن الحكومة الجديدة التي كانت قوة الحل و العقد التي يتولاها العلماء بأيديهم تكون عقبه كأداء في طريق تأسيسها. على ان نصف البلاد كانت في حالة ثورة فعلية حينما عاد كوكس لتهدئة الحال على ما يقول آيرلاند. فقد كانت في قبضة الثوار كربلا و النجف و طويريج و الرميثة و هيت و قسم كبير من وادي الفرات بما فيه القسم الأوسط من خطوط السكك، فضلا عن مناطق غيرها في أنحاء العراق الأخرى.

و حينما تألفت الحكومة الموقته برأسه النقيب (السيد عبد الرحمن الكيلاني)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٨٨

في ١١ تشرين الثاني ١٩٢٠ عملت على تهدئة الأحوال و إعادة المياه الى مجاريها الطبيعية في البلاد، فأعيد الوطنيون المنفيون و منهم بعض النجفيين، و وصل عدد من الضباط العراقيين الذين كانوا في سورية. ثم قويت الدعاية لتنصيب أحد أنجال الشريف على رأس الدولة العراقية المقبلة، و رجحت كفة الأمير فيصل على أخيه عبد الله في الأوساط الإنكليزية و العراقية، و لا سيما بعد أن حنتت فرنسة بالجهود فزحفت جيوشها على سورية و قوضت ملكية فيصل فيها على الوجه المعروف.

مجىء الأمير فيصل

لقد وصل فيصل الى البصرة في ٢٣ حزيران ١٩٢١، و بعد أسابيع ثلاثة نادى به مجلس الوزراء بالاجماع ملكا على العراق. و حينما كان في طريقه الى بغداد من البصرة مر بالمدين الفراتية المعروفة (بالقطار) و نزل في الحلة فاستقبل فيها استقبالا حافلا، و منها توجه الى النجف و في صحبته (المستر كورنواليس) الذي جاء معه من الخارج و (المستر فيلبي) الذي ذهب من بغداد لاستقباله ممثلا عن المندوب السامي. و قد جاء في كتاب المستر فيلبي الموسوم (الأيام العربية) عن هذه السفارة قوله: و في اليوم التالي أقلتنا السيارات الى النجف لنكون ضيوفا على رجال الدين الشيعة في تلك المدينة المتعصبة، حيث يرقد آدم و على تحت الطوق الأرضية العميقة و من فوقها الضريحان السامقان. و هنا أيضا كرمنا تكريما ملكيا و بتنا ليلة واحدة. و قد ابتعدت أنا و (كورنواليس) عن فيصل بكل تبصر لنفسح المجال له بالتعامل مع المتعصبين بطريقته الخاصة هو- إذ كان يتحتم عليه هنا على الأقل ان يبذل كل ما بوسعه ليفند الإنطباع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٨٩

العام القائل بأنه مرشح الحكومة المسيحية للعرش . لكن الدكتور (آيرلاند) يذكر عن سفره فيصل هذه الى النجف ان العلماء فيها كانوا متحفزين إذا لم يكونوا قد اتخذوا موقفا عدائيا تجاهه .

وقد وصل الأمير فيصل الى بغداد في ٢٩ حزيران متأثرا بعض التأثير من الاستقبال الفاتر الذي قوبل به في بعض المناطق الفراتية على حد تعبير المستر آيرلاند . غير ان الحماس في الترحيب به كان معيدا للاطمئنان في العاصمة حيث حياها عند وصوله المندوب السامي و موظفوه و جمهور هائل من وجهاء العراقيين . كما ان الجماهير المحتشدة الهاتفة التي غصت بها العاصمة المزدانة بالألوان الشريفة، الأخضر، و الأحمر، و الأسود، و الأبيض، كانت تعطي دليلا إضافيا على ان المدينة قد قبلت به . و ان الاحتفال العظيم الذي قامت به الكاظمية كان احتفاء شائقا يضاهاى احتفاء بغداد به من قبل . و يعمد (آيرلاند) بعد ذلك الى وصف السلوك الذي سلكه فيصل عند اتصاله بالناس فيقول: .. و ان وقاره البسيط و ظرفه الشخصي و حديثه الفصيح، الصميمي المنعم بالحكمة، قد تضافر كله في أن يحصل له على ثقة الناس به و تأييد الطوائف التي كان يتصل بها كلها، أي المسيحية و اليهودية و السنية و الشيعية برغم ان استقباله في النجف و كربلا كان استقبالا مكبوتا يلفت النظر .

بداية الحكم الوطني

لقد سر المندوب السامي و فيصل معا حينما قرر مجلس الوزراء بالإجماع، في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٩٠

يوم ١١ تموز ١٩٢١، المناداة «بسمو الأمير فيصل ملكا على العراق، على أن تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون.» لكنهما كانا متفقين على ان الحالة ما زالت تدعو الى إجراء استفتاء عام يثبت للعالم بأن الشعب قد أعطى رأيه الحقيقي لفيصل، على ما يقول آيرلاند .. و عند البدء بإجراء الاستفتاء لم تأل المراجع المختصة جهدا في التأكد من الحصول على النتائج المطلوبة. و قد أبدى المتصرفون و المشاورون البريطانيون في معظم الألوية آراءهم في القرار المتخذ من قبل المجلس. أما في الألوية الأخرى، مثل لواء كربلا، فقد كان المشاور البريطاني أو الموظفون الحكوميون الذين يعتمد عليهم هم الذين يدعون الى عقد الاجتماع. و قد تم الاستفتاء بهدوء، إذ وقعت الصيغة الرسمية من دون إضافة شيء عليها في النجف أو كربلا بفضل الحذق و المثابرة الذين أبداهما المتصرف بينما أضيفت بعض الجمل التي تشترط استمرار الانتداب الانكليزي في أماكن أخرى .

و مع هذا كله فقد كانت نتيجة الاستفتاء على تنصيب الأمير فيصل ملكا في العراق أن حصل فيصل على ٩٦٪ من أصوات الشعب على ما يذكره (آيرلاند) و غيره من كتاب الغرب الذين كتبوا في الموضوع. و على هذا الأساس تمت مراسيم التتويج في يوم ٢٣ آب ١٩٢١، و هو اليوم الذي اختاره بنفسه، لأنه كان يصادف يوم «عيد الغدير» عند الشيعة، أي يوم مناداة النبي محمد بالإمام على أمير المؤمنين و خليفته من بعده على حد تعبير آيرلاند .

و قد ترتب على الدولة الجديدة التي ظهرت للوجود بتتويج الملك فيصل ملكا على رأسها، ان تنظم علاقتها بالدولة المنتدبة (بريطانيا العظمى) بمعاهدة تعقد بين الطرفين فتحل في محل صك الإنتداب. غير ان لائحة المعاهدة التي نظمها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٩١

الانكليز و طالبوا بالتصديق عليها قد تضمنت في تضاعيفها معظم القيود التي يفرضها على العراق صك الانتداب نفسه. فتكونت بهذا السبب في البلاد المعارضة، التي كانت تحظى بالمؤازرة و التأييد من الملك نفسه. و قد كان الرأي العام النجفي، و على رأسه العلماء، يؤيد هذه المعارضة و يعمل على رفض المعاهدة التي أقرها مجلس الوزراء في يوم ٢٥ حزيران ١٩٢٢ بشرط أن يصادق عليها المجلس التأسيسي عند التمام. و مما يدل في اشتراك النجف الفعلي في هذه المعارضة ان علماءها انتهزوا فرصة اعتداء الوهابيين

المتكرر على الحدود العراقية، و أبرقوا الى سماحة الشيخ مهدي الخالصي في الكاظمية بالدعوة الى عقد مؤتمر في كربلا يحضره رؤساء العشائر وقادة الرأي العام في البلاد لوضع خطة موحدة تستهدف دفع الخطر الوهابي عنها. و يذهب المستر (آيرلاند) الى ان الوطنيين و العلماء قد انتهزوا فرصة انعقاد المؤتمر في يومي ١٢ و ١٣ نيسان ١٩٢٢ ف عقدوا اجتماعات عدة لوضع خطة خاصة لتنظيم الحركة الوطنية بوجه عام. و لذلك نجده يقول ان جلسات المؤتمر الرسمية برغم أنها لم تؤد إلا الى نتائج قليلة لا تخرج عن تقديم العرائض فان الاجتماعات الخاصة التي عقدت كانت أكثر إنتاجا. فقد نتج عن هذه الاجتماعات تنظيم الكثير من الحركات المتأخرة . و حينما صدرت الإرادة الملكية في ١٩ تشرين الأول ١٩٢٢ بأن تبدأ انتخابات المجلس التأسيسي في يوم ٢٤ تشرين الأول كان رد الفعل بعيدا كل البعد عما كان يتوقعه المعنيون بالامر على ما يقول (آيرلاند) «فقد اتفق العلماء و الوطنيون و مجموع الشيعة في معارضة تنفيذها، و أقنع علماء النجف و الكاظمية باصدار الفتاوى في أوائل تشرين الثاني في تحريم أى اشتراك كان في الانتخابات. و قد صدرت الفتاوى من علماء النجف و الكاظمية مجتمعا في ٨ تشرين الثاني، ثم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٩٢

أعقبتها فتاوى اخرى أصدرها العلماء على انفراد. و على هذا الأساس استقالت اللجان الانتخابية في النجف و كربلا و الحلة و الكوفة، و أعلن الموظفون في الكاظمية عن فشلهم في تأليفها»

ف بذلت جميع المساعي لاسترضاء العلماء و لكنها لم تنجح، لأن الفتاوى أعيد إصدارها في حزيران ١٩٢٣ و قد ذهبت المحافل البريطانية الرسمية الى ان العلاج الوحيد للمشكلة هو اتخاذ الاجراءات الشديدة ضد رجال الدين أنفسهم، لأن الفرصة لا يمكن أن تسنح لإلقاء الرعب في نفوس الجماهير بحيث يمكن للانتخابات أن تسير في مجراها الطبيعي إلا باسكاتهم. و كان رئيس الوزراء (عبد المحسن السعدون) يرتأى هذا الرأي أيضا، إلا ان الملك فيصل اتمادى في أمه بأن يسترضى العلماء بالطرق الأخرى. على انه حينما حصلت اصطدامات في ٢١ حزيران بين الشرطة و سكان الكاظمية وجد الوزراء، بتحريض مستشاريهم الانكليز، ضرورة لاتخاذ إجراءات صارمة للتأثير لهيئة الحكومة. فأمر مجلس الوزراء بعد حصوله على موافقة الملك فيصل الذي تلکأ فيها، باعتقال الشيخ مهدي الخالصي و نجليه حسن، و على، مع ابن أخيه و إبعادهم الى خارج العراق.

ف نظمت على أثر ذلك مظاهرة احتجاجية في الحال، و قد قام بها رؤساء الدين في النجف، ثم ترك البلاد الى إيران جماعة مؤلفة من تسعة علماء مهمين مع خمسة و عشرين من أتباعهم إظهارا للسخط و احتجاجا على هاتم . و الظاهر ان هذه التدابير التعسفية لم تؤد الى حل المشكل، و إنما أدت الى اضطراب الوزارة السعدونية الى تقديم استقالتها في النهاية. و برغم ان تبدل الوزارة في مثل هذا الوقت الحرج كان شيئا مقلقا على ما يروي المستر (آيرلاند) فانه هيا فرصة مناسبة للملق باسترضاء الشيعة الذي كان متلهفا اليه. و لا يعرف كيف حصل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٩٣

هذا «الاسترضاء» الذي يشير اليه (آيرلاند)، و لكن المعروف ان الوزارة الجديدة التي ألفها جعفر العسكري كان من بين أعضائها الحاج محسن شلاش و هو نجفي الأصل كما لا يخفى و محمد حسن أبو المعالي و هو من كربلا.

النجف فيما كتبه توماس لايل

لقد كتب عن النجف في هذه الفترة اناس آخرون من الانكليز، و تطرقوا الى شؤون الحياة الاخرى فيها غير الشؤون السياسية التي أتينا على شيء كثير منها حتى الآن. و من هؤلاء رجل استعماري ينتمي الى مدرسة (أرنولد ويلسن) و كيل الحاكم الملكي الذي أدت تصرفاته الطائشة الى اندلاع نيران الثورة العراقية في ١٩٢٠، و هو المستر (أو الكابتن) (توماس لايل) و كان (لايل) هذا قد جاء مع الحملة البريطانية من الهند و أشغل وظيفة معاون حاكم سياسي في قزلباط (السعدية) و الشامية و النجف منذ ١٩١٨ الى ١٩٢١، ثم

اشتغل معاونا لمدير الطابو في بغداد و حاكما في محاكمها المدنية بعد ذلك. و قد كتب كتابا عن العراق باسم (دخائل العراق) ، لكنه يفرد فيه فصلا خاصا للنجف و العتبات الشيعية المقدسة و يبحث في معظم صفحاته عن الشيعة و معتقداتهم و أحوالهم الاجتماعية بوجه عام. و لم أجد بين الكتب الانكليزية التي كتبت عن العراق كتابا مثل هذا مشحونا بالظعن و السب و إيراد المثالب، و المغالطات و سوء الفهم للكثير من أحوال العراق بوجه عام و أحوال الشيعة و معتقداتهم بوجه خاص. و يستبان من تحامله الذي سأذكر شيئا منه إنه رجل موتور من العراقيين، لا- سيما و قد كتب كتابه في أعقاب الثورة العراقية التي اندلعت نيرانها من النجف و ما يحيط بها من مناطق الفرات الأوسط فأربكت خطط الانكليز موسوعة العتبات المقدسة، ج٦، ص: ٢٩٤

الأميرالية و أسقطت ويلسن و جماعته المنتمين الى «مدرسة الهند» الاستعمارية البريطانية.

و مما يدل على ما جاء في الكتاب قوله في المقدمة «.. و لما كنت مقتنعا اقتناعا جازما، من تتبعي الشخصي، ان العقيدة الاسلامية هي عقيدة غير تقدمية، مثبتة للهيم، و مدمرة لأية غريزة من غرائز المواطنة الحقة، و الأمانى الوطنية، فقد جهدت ان أبرهن في الكتاب على ان المسلمين و الشيعة منهم غير صالحين بالكلية للحكم الذاتي- و سيقون كذلك مدة من الزمن- الحكم الذاتى الذى لا يرغب فيه المسلم إلا- لكونه وسيلة من وسائل التهرب من حكم النظام و القانون» و لا شك ان التطورات التي حصلت في البلاد الاسلامية كلها منذ ذلك التاريخ حتى اليوم تكفى للبرهنه على سخف هذا الرأى و هو يعتقد ان وجود عتبات الشيعة الأربع في العراق- أى النجف، و كربلا، و الكاظمية، و سامراء- يجعل من قسماته و أوصافه المميزة شيئا فريدا في بابه، و يعتبر مفتاحا لمعرفة أوجه الضعف و القوة في سكانه. و لذلك فهو يحصر مباحث كتابه معظمها في هذه العتبات و عقائد سكانها. لكنه مع جميع ما يحاول إيراده من مثالب لا يستطيع طمس الحقائق الناصعة في كثير من الأحيان و المناسبات.

و يبدأ (لايل) بوصف النجف و معالمها، فيذكر ان عدد نفوسها يقدر بخمسة و أدبعين ألف نسمة، و لما كان محيط سورها الخارجى يقل عن ثلاثة أميال في

موسوعة العتبات المقدسة، ج٦، ص: ٢٩٥

طوله فان أحوال النفوس المحتشدة في داخله خير للمرء ان يتصورها من ان يحاول وصفها بالعيان. و يبلغ عدد الزوار الذين يمرون من أبوابها في بعض الأعياد الكبرى حوالى مئة و عشرين ألف شخص. و هو يشبه النجف في موسم الزيارات باسفنجة كبيرة تمتص جميع هذا العدد من الزوار، و تقذفهم الى الخارج بعد أربعة أو خمسة أيام و هم فارغى الجيوب ليجدوا طريقهم بوسيلة من الوسائل الى إيران و الهند و الحجاز أو فلسطين على حد تعبيره. ثم يقول ان سكان النجف يجب ان يقسموا الى طبقتين بارزتين، طبقه رجال الدين المحترفين و طبقه العوام الاعتياديين. و يعتبر النجف كلها جامعة دينية واحدة يبلغ عدد طلابها حوالى (٦٠٠٠) طالب. و النجفى الاعتيادى في نظره نتاج محيطه المشحون بالتعصب، و قد يكون غنيا لكنه لا بد له من أن يتظاهر بالفقر، و ينظر الى الزوار و البدو الذين يأتون للاكتيال و كأنهم فرائس شرعيون له. أما التاجر النجفى فهو من طراز التجار فى القرون الغابرة، حينما كانت البضاعة تشحن بواسطة القوافل و تمر بأخطار لا حصر لها فلا يعرف ربحها أو خسارتها إلا بعد عدد من السنين، و يكون أقل ربح لهم منها بنسبة مئة بالمئة. و يعتبر الزائر الايرانى المتشعب بالروح الدينية، و البدوى الذى يذهله حتى منظر البيوت، تحت رحمته على الدوام. و من عاداته انه يحتفظ بتكة الدهن ثلاثين سنة فى سردابه بأمل أن يرتفع سعرها قرشا واحدا.

والدين فى رأى المستر (لايل) يتخلل حياة المجتمع النجفى من جميع نواحيه.

فهو ينظم (نفسولوجية) الناس فيه، و يسيطر على أفكارهم و أعمالهم، و ينساب أبدا و دوما مع التيارات الخفية المتخللة فى عقلمهم الباطن. و بوسع المرء مهما ابتعد عنهم أن يسمع «نوطته» المدوية فى قلب ذاتيتهم واضحة جلية . ثم يأتى

موسوعة العتبات المقدسة، ج٦، ص: ٢٩٦

على وصف رجال الدين، و الحياة العلمية بتفصيلاتها و أحوالها المعروفة للجميع، بعد أن يعترف بأنها أقدس المدن الشيعية و مقر

أعظم المجتهدين و أكبرهم على الدوام. كما يقارن ما بين الاجتهاد الموجود عند الشيعة و الالتزام بالنصوص الدينية الأصلية لدى المذاهب السنية الأربعة، و يتطرق الى نفوذ المجتهدين و منزلتهم الكبيرة في العالم الاسلامي. و مما يذكره للبرهنة على هذا النفوذ الواسع قصة المجتهد الأكبر العلامة المرزا حسن الشيرازي الذي افتى بتحريم انحصار التبغ و إعطاء امتيازه الى شركة روسية كافرة على حد تعبيره في أواخر القرن الماضي في إيران. و يذكر كيف ان تلك الفتوى قد أدت الى إبطال الامتياز و تعويض الشركة الأجنبية عن خسارتها. و يعقب على هذه القصة بقوله ان عالما من علماء السنة لا يستطيع ان يفعل ذلك. و يشير كذلك الى ان من حسنات الاجتهاد ان يسمح العلماء الشيعة بتناول الكحول المحرمة عند الضرورة و عند اعتباره دواء شافيا للمرضى في بعض الحالات. ثم يعدد شروط الاجتهاد التفصيلية التي ينقلها عن كتاب لقس من المبشرين يدعى (أدورد سيل).

و لا ينسى المستر (لايل) الاشارة الى وادي السلام الممتد خارج السور، الذي يرقد في أرجائه رقدتهم الأبدية الكثيرون من الملوك و الوزراء و الوجهاء و التجار، و الأغنياء و الفقراء. و يشير الى القراء الذين يقرأون القرآن على الكثير من القبور لينيروا ظلمتها الموحشة ببركتهم و روحانيتهم، فيقول ان الزائر لو ادى لسلام في أمسيات الخميس من كل اسبوع يجد حوالى ألفى قارئ من هؤلاء القراء الذين يحصلون على قوتهم من هذه المهنة المصطبغة بالتقى و الورع. و لا يحصل هؤلاء على الكثير من هذه المهنة، و لذلك فانهم يتقاضون أيضا حصتهم من الصدقات التي يفرقها المجتهد الأكبر على المحتاجين من الناس عادة.

و يأتي بعد ذلك على الطرق الضيقة و البيوت المحتشدة في رقعة صغيرة من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٩٧

الأرض. و أهم ما يذكره عنها ما يشير به الى السرايب النجفية المعروفة التي يقول ان المزية الفريدة في النجف وجود طبقه واحدة منها في كل بيت على الأقل، و قد توجد في بيوتها الكبيرة ثلاث أو أربع أو خمس طبقات من هذه السرايب أيضا. و مزية هذه السرايب من الناحية العملية في رأيه ان المرء يتحتم عليه لبس المعطف حينما ينزل الى ما تحت الطبقتين أو الثلاث منها، بينما تكون درجة حرارة الخارج في حدود ال (١٢٥) بالمقياس الفهرنهايتي. و تتصل كثير من الدور بعضها ببعض عن طريق هذه السرايب فتكون وسيلة للجرائم التي تقف مخيلة الرجل المتمدن مشدوهة مرتجفة تجاهها على ما يقول . و يتطرق المستر (لايل) كذلك الى وجود بئر واحدة في كل بيت يبلغ عمقها مئة قدم، و فيها ماء أجاج يتسبب عنه الزحار (ديزانتري) أحيانا.

و مع جميع المغالطات و المثالب التي يوردها المستر لايل حينما يبحث عن الشخصية النجفية، و علاقته الشيعة بالسنة، و جرائم المجتمع، و المتعة و الطلاق و القضايا الجنسية، و وضع الانكليز في العراق مع حقهم بالبقاء فيه، فان الحقائق الناصعة عن الصوم و الالتزام بطقوس الحزن على الإمام الحسين في محرم، و شخصية الإمام على عليه السلام، لم يستطع بكل ما عنده من تعصب و تحيز أن يطمسها أو يحجب نورها عن نظر القارئ.

فقد كان الإمام على في نظره ألمع الأئمة المسلمين و أعظمهم بمراحل. «و قال انه قد عرف في شبابه و كهولته بالكثير من المآثر و أعمال البطولة التي تخلد شجاعته الفائقة في التاريخ و تبرر لقب «الأسد» الذي لقبه به النبي الكريم، كما عرف في شيخوخته بورعه و زهده و دماثة خلقه. و لا يسع المرء غير المتعصب إلا ان يعجب بشخصيته الملهمة المحبوبة للغاية، لما عرف عنه من إخلاص تام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٩٨

و تفان متناه لمعلمه و سيده النبي محمد. و قد أدى قتله بالطريقة التي قتل فيها الى انتشار شهرته و ذبوع صيته في الخافقين». و قد كتب لايل في كتابه حوالى عشرين صفحة عن محرم الحرام و استشهاد الامام الحسين فيه، و مراسيم اللطم و الضرب بالقامة و السلاسل إحياء لذكراه و حزنا عليه مما يجري في النجف كل سنة. و هو يقول في هذا الشأن ان الحياة العاطفية المتطرفة عند العرب و المسلمين تجد متنفسها الكامل خلال الأيام العشرة الأولى من محرم. و إن يوم عاشوراء يعد من أقدس الأيام عند المسلمين لأن الله عز و جل خلق فيه آدم و حواء، و العرش و السماء، و جهنم و يوم الحساب، و لوح القدر و القلم و المعاد و الموت. و مما يذكره عن ليلة

شهد فيها موكبا من مواكب «اللطمية» قوله «.. ان السكوت التام الذى كان يخيم على الجموع المحتشدة، و السماء الاستوائية العميقة التى كانت تحيط بكل شىء، و ملاعبة النسيم لسعفات النخيل من وراء المحتفلين، و الصوت الصياني الرقيق المرتفع بالحداء المنطوى على قصة يشعر بفيجعتها المتناهية كل من يستمع اليها، قد رسمت كلها فى مخيلتى صورة ليس من الممكن لى أن أنساها قط». و يصف جماعات «اللطامة» فيعجب بجماعة خدام الحضرة المتكونة كلها من السادة، و التى كانت تحتوى على ما يقرب من مئتين و خمسين شخصا. و يقول عن صوت اللدم على الصدور انه صوت فريد فى بابه و مفعم بالخوف الممزوج بحب الاستطلاع. و قد سمعه فى ليلة من الليالى الهادئة و هو فى مكان يقع على بعد ثلاثة أميال من النجف.

أما «التشايه» فيقول عنها إنها تمثل يوم عاشوراء، و تعتبر شيئا موقرا جدا بعد جميع ما يحدث قبلها. لكنها تكون كثيرة الواقعية فى بعض فصولها، لأن الجمهور يسلك كما لو كان كل ما يجرى أمامه معركة حقيقية تقع بين يديه. و لذلك موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٢٩٩

فان الذى يقوم بدور يزيد لا بد من أن تكون له أعصاب من حديد لأن الجمهور يصبح مخيفا بتهديداته. و يأخذ بعد هذا بوصف جميع ما يحدث كما هو معروف لدى الجميع فى هذه البلاد.

و فى إحدى المناسبات دعا كليدار النجف المستر (لايل) ليصطحبه الى الصحن فيشهد معه دخول موكب الساده و خدام الحضرة اليه، و كان ذلك فى العاشرة و النصف من مساء اليوم التاسع من محرم الحرام. فجلسوا ينتظرون فى الساحة الخالية من وجود أى نوع من أنواع الضياء فى كل مكان، عدا النجوم التى كان يبدو بعضها متلألئا فى كبد السماء الصافية الخالية من القمر. و بعد الصمت الذى ظل مخيما على الجميع مدة من الزمن دخل الموكب تتخلله أربعة مشاعل ضخمة، تحيط بكل منها جماعة من السادة المعروفين لديه. و قد كانوا من جميع الطبقات و الأعمار على حد قوله، من الأولاد الصغار الى الرجال الملتحين و المسنين الذين أحتت ظهورهم السنين. كما كانوا عراة الى المحزم مع العمائم الخضرة التى كانت تجلج رؤوسهم. ثم نهض فجأة صبى لا يتجاوز عمره الثلاث عشرة سنة و ارتقى المنبر فأخذ يقرأ قصة الحسين الشهيد بلهجة فصيحة أعجبت المستر (لايل) و لذلك نجده يقول انه كان يعتقد على الدوام ان العربية لغة موسيقية ترتاح لها الآذان، و ان هذا الصبى لا بد من أنه كان قد اختير لجمال صوته و إجادته فى القراءة. و كان الرائي يلحظ فى النور المختلط بدخان المشاعل مئات الأذرع ترتفع الى السماء و تهبط أكفها لادمة الصدور العارية بحماسة ظاهرة حزنا على الحسين و توجعا للامام الشهيد، بينما ترتفع أسوات النسوة المولولات من فوق الجمع المحتشد. و يبدو ان المستر (لايل) قد تحسس بهذا المنظر، لأنه يعلق عليه بقوله: «و لم يكن هناك أى نوع من الوحشية أو الهمجية، و لم يندم الضبط بين الناس، فشعرت و ما زلت أشعر بأنى توصلت فى تلك اللحظة الى جميع ما هو حسن و ممتلىء بالحيوية فى الاسلام، و أيقنت بأن الورع الكامن فى أولئك موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٠٠

الناس و الحماسة الدينية المتدفقة منهم يمكنهما أن يهزا العالم هزا فيما لو وجها فى الطرق الصالحة و السبل القويمه. و لا غرو فلهؤلاء الناس عبقرية فطرية فى الدين».

ثم يقول المستر لايل بعد ذلك ان المجتهد الأ-كبر نفسه قد أخبره و هو آسف فى لحظة من لحظات ثقته به بأن هذه المراسيم و الطقوس، بجميع ما فيها من تطرف فى إظهار الحزن و الأسى، هى أشياء محرمة تحريما تاما، و إنه لا يستطيع السيطرة على الناس فيها. فأهون على المرء أن يصد موج البحر الطامى من أن يكبح جماح عاطفة أساسية فى الجنس البشرى مثل عاطفة التبعد لله و التفانى فى سبيله. و هذه هى القاعدة الأساسية التى تستند عليها جميع الطقوس التى تجرى فى محرم، مع ان أحدا من المشتركين بها لا يحمل أية فكرة عن ماهية هذا الشعور. و يعقب على ذلك قائلا- فى مكان آخر: ان الكثيرين من العرب، و لا سيما الصبيان منهم، هم أصدق معرفة بالديانة الحققة من مئات (الانكلوساكسونيين) الذين يحضرون صلاة الأحد فى الكنائس و يشتركون فى طقوسها. لأن كل عربى يعلم تمام العلم بأن التدين يعنى احتمال شىء غير يسير من التقشف الذى تحتمله الألوف المؤلفه ببهجة و سرور. لكن هؤلاء الناس

كما قلت يتصفون بعقريه طبيعیه في شؤون الدين. و نحن لا نستطيع الاهتداء الى لمحات من القواعد الأساسية للشخصية العربية و أهميتها المادية إلا في محرم و رمضان .

أما رمضان فيتطرق الى ذكره في كتابه بما يقرب من عشرين صفحة أيضا.

فيشرح فيها أهمية الصيام عند المسلمين، و يورد عددا من الآيات الكريمة النازلة به مترجمه الى الانكليزيه، ثم يقارن هذا الصيام بصيام المسيحيين فيذكر أنه يختلف تمام الاختلاف عن فكرة الصوم التي تتمسك بها الكنيسة الكاثوليكية، و يكاد يستخف بها. و يتطرق بعد ذلك الى ما في صيام المسلمين من صعوبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٠١

و مشاق بسبب الامتناع عن تناول كل شيء خلال ساعات النهار. و هنا يفند ما يذهب اليه بعض الأوربيين الذين عاشوا في الشرق مدة من الزمن من ان الصيام عند المسلمين عبارة عن مظاهر فارغة لا غير لأن الناس يسمح لهم بأكل ما يشتهون خلال الليل. فيقول ان مثل هذا الاتهام المفعم بالجهل و التعصب لا يمكن أن يصدر ممن يكلف نفسه قليلا في تفهم أحوال الناس الذين يعيش بين ظهرانهم و يتعاطف معهم. و يستشهد في ذلك بأكثر حجج عن العرب و بلادهم، الرحالة الانكليزي المشهور (ريتشارد برتون). و يستمد على إيراد الكثير من البراهين و المناقشات مما لا- يتسع المجال لذكره، لكنه يعلق على ما يقوله المستشرق المعروف (مارغليوث) (بأن المتعبدين الذين يصومون رمضان في سورية و مصر هم في العادة الفقراء المتعودون على الجوع و التقشف) و يقول ان الشيوخ في العراق لا- يقلون عن فلاحهم تمسكا بمرضان و مراعاة لشعائره الحكيمه. ثم يعجب المستر (لايل) كيف يستطيع الخاص و العام الامتناع عن التدخين بالاضافة الى الامتناع عن الأكل من دون تدمير ملحوظ. فيصف كيفية فتح المقاهي في النجف وقت الافطار و تقاطر الناس عليها لتناول الشاي من دون جلبه أو حدة ظاهرة أو تدمير يذكر في الحصول عليه، سوى ذكر البسمله أو الحمدله و سائر الجمل المناسبة. و هو يقول ان كرامة العربي الحقيقية و عزة النفس الأصلية يمكن ان تلاحظ هنا. و لذلك نراه يشير الى ان هذا الصيام ينطوي على الكثير من ضبط النفس و كبت الشهوات، و يستخف بمن يقول ان حوادث الاحتكاك و المشاحنات تزداد بين الناس خلال الشهر الفضيل لأنه لم يلحظ ذلك حينما كان يشتغل حاكما في محاكم بغداد المدنية، و قد يكون الأمر بعكس ذلك على حد تعبيره.

و قبل ان ينهي المستر لايل ما يكتبه عن رمضان يتطرق الى عيد الفطر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٠٢

و مرسيمه، فيقول إنه شاهد تمتع الناس بهذا العيد في البادية و المدن، و في البواخر، فكان يتمنى على الدوام ان يكون هو نفسه أحد المتمتعين به. ثم يأخذ بوصف مظاهره المختلفة في النجف، و زيارة الناس بعضهم لبعض من أجل المعايدة، و ما أشبهه. غير انه يعمد بعد ذلك الى تحليل النظام الاسلامي بوجه عام، و يزعم في ذلك انه نظام جاف ضيق الأفق، لا يعترف بالابداع و التقدم، فيربط أتباعه بقانونية تقتل فيهم كل أمل و تقضي على أي مجهود يبذلونه في مهده. و مع هذا يبقى الاسلام الخصم الألد للمسيحية على حد تعبيره، و لا سيما في البلاد الأفريقية التي تشترك فيها الديانتان في منافسة حادة يكون فيها الاسلام هو المجلي في الوقت الحاضر. ثم يخلص الى القول بأنه لا يستطيع أن يصدق بأن المسؤولين عن السياسة البريطانية في العراق يجهلون حقيقة النظام الاسلامي الذي يتصوره هو في البلاد الاسلامية عامة و بين العرب على الأخص، و يستغرب كيف يفكر المسؤولون في منح الحكم الذاتي للعرب و هم الذين لا يمكن أن يضطلعوا بذلك إلا بعد مئة سنة. و هنا أيضا أقول ان ما حصل في البلاد العربية منذ أن كتب (لايل) هذا الكتاب حتى اليوم يبرهن على جهله في هذه الأمور و خطئه في حكمه المتحيز.

و حينما يبحث عن مستقبل العراق، و علاقته ببريطانية يعالج الموضوع بصورة «تجارية» و بحساب الربح و الفائدة. و لذلك نراه يدعو الى وضعه تحت «الحماية» البريطانية و إبعاد الداعين الى الوحدة العربية، لأن حكم سنة واحدة في العهد الفيصلي قد أدى على زعمه

الى نقص كبير فى الواردات و إزدياد فى التفسخ و الفساد. و هذا أيضا حكم لا سند له من الصحة لأن حكم السنة الواحدة من العهد موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٠٣

الفىصلى التى يشير إليها لم يكن حكما وطنيا إلا بشيء من المظاهر، و انما كان حكما إنكليزيا يسأل عنه الانكليز فى الدرجة الاولى. و يدعو كذلك الى تقوية الأقليات، و الالتفات الى الأقلية اليهودية التى لم يقدر وضعها و أهميتها فى هذه البلاد و مع ان اليهود هم العنصر التقدّمى فى جميع البلاد على ما يزعم، و هم الجماعة المسيطرة على شؤون المال و التجارة. و من الغريب انه يولى هذه الأقلية عناية خاصة فى عدة مناسبات مع أنه غير يهودى. و لا- غرو فإن المستر (لايل) هو مثال الاستعمارى البريطانى الذى أدى تصرفه و تصرف أمثاله الى نشوب الثورة العراقية التى كان للجحف فيها قسط أوفر من الجهود التى يخلدها التاريخ بمداد الفخر و الإعجاب.

موقف النجف الى ١٩٣٢

و إذا عدنا الى مجرى الحوادث فى العراق، و تقصينا ما أسهمت فيه النجف منها، نجد ان قيام الوزارة السعدونية، التى كان يحرضها الإنكليز، بمضايقة العلماء فى النجف و الكاظمية قد أدى الى هجرة بعضهم الى إيران و منهم المرحومان العلامة النائينى، و الحجة السيد أبو الحسن احتجاجا على نفي العلامة المرحوم الشيخ مهدي الخالصى بسبب معارضته فى إجراء الانتخابات للمجلس التأسيسى. و حينما استقالت الوزارة المذكورة على أثر ذلك، و تشكلت وزارة جعفر العسكري الأولى أراد الملك فيصل أن يسترضى الشيعة على ما يقول (آيرلانند) و لذلك نجد ان المستر (لونكريك) صاحب كتاب (أربعة قرون...) يذكر فى كتابه الآخر عن العراق الموسوم (العراق بين ١٩٠٠-١٩٥٠) ان الملك فيصل زار النجف و كربلا- زيارة رسمية فى كانون الأول ١٩٢٣، فلقبت زيارته الى تلك المناطق نجاحا باهرا. و الظاهر إنه ذهب الى هناك ليمهد الى إجراء الانتخابات موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٠٤ و جمع المجلس التأسيسى الذى كانت مهمته التصديق على المعاهدة و وضع الدستور.

و قد تم ذلك بالفعل فى وجه معارضة قوية. و يقول المستر (لونكريك) فى كتابه المشار اليه ان الوزارة العسكرية حينما استقالت بعد حل المجلس ألف الوزارة فى ٢ آب ١٩٢٤ ياسين الهاشمى فأشغل وزارة المعارف فى وزارته السياسى النجفى المثقف الشيخ محمد رضا الشيبى. لكن المعروف ان الاستاذ الشيبى استقال بعد عدة أشهر احتجاجا على منح الوزارة الهاشمية امتياز النفط للشركة الإنكليزية بشروط مجحفة للعراق. و مما يذكره (لونكريك) عن هذه الفترة كذلك (١٩٢٤) ان الحالة فى كردستان كانت غير مستقرة، بينما كان المسؤولون فى الحكومة البريطانية منهمكين فى المفاوضات مع تركية حول قضية الموصل و إنهاء مشكلة الحدود بين البلدين. و قد عمد الشيخ محمود فى تلك الأثناء الى الإتصال بالأتراك و الاستعانة ببعض ضباطهم الذين انضموا اليه فى السليمانية، و الى إيفاد أناس خاصين الى كركوك لتحريض التركمان على مناصرتهم فى حركته، و الى النجف و كربلا بطلب العون و المساعدة. و قد كانت سنة ١٩٢٧ مفعمة بالنشاط العام الذى كانت تديره الأحزاب المعارضة النشطة، مثل حزب الشعب برأسه ياسين الهاشمى و الحزب الوطنى الذى كان يرأسه جعفر أبو التمن و حزب النهضة برأسه أمين الجرججى، فى مقابل الحزب الممالىء للانكليز الذى كان يرأسه عبد المحسن السعدون، و هو حزب التقدم. و قد أدى هذا النشاط الى تخوف رئيس الوزراء جعفر العسكري من تقديم المعاهدة، التى عقدها مع الانكليز فى أواخر هذه السنة، على المجلس النيابى و قيامه بتقديم استقالته فى أيام ١٩٢٨.

على ان المستر (لونكريك) يذكر عن هذه السنة فى كتابه الثانى عن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٠٥

العراق إنها تتميز بثلاثة أمور ذات أهمية سياسية خاصة. أولها ظهور العنصر الشيعى، من دون دلالات مسبقة، كقوة سياسية على مسرح الحوادث فى البلاد.

و قد كان لا بد لهذه القوة من أن تظهر للوجود بعد أن زال عن الشيعة كابوس المضايقات التركية، و قل تأثير السلبية المزمنة التى

كانت تتصف بها قيادة العلماء لهم في ١٩٢٣، و ظهور طبقة منهم تطالب بالاشتراك في حياة البلاد العامة و هي لا تقل عن غيرها في الوطنية و الثروة و الذكاء بشيء. و لم تعد هذه الطبقة تكنفى بالأقلية الشحيحة التي تعين في الحكومة من أبنائها و لا بالكرسى الوزاري الوحيد المقنن لها. و كان بوسعها أن تعتمد في نشاطها السياسي هذا على طبقة مثقفة بدأت تأخذ بالنمو، و كتلة عشائرية قوية تتركز في الفرات الأوسط، و مجموعة غنية طموحة نهمة في الاستحواذ على الأراضي الزراعية و التوسع بها من سادة المنطقة و على ما بقي من نفوذ العلماء و المجتهدين في المدن المقدسة و هو شيء لا يستهان به.

و في هذا الجو المشحون بالانقسامات و الاختلافات وقعت حادثه مؤسفة، في أوائل ١٩٢٧، كانت بداية مناسبة لسلسلة من الحوادث الأخرى التي كهربت الجو و استنفدت الكثير من جهد المسؤولين في الأوساط الوزارية. فقد نشر أحد المدرسين (يشير الى كتاب النصولي عن تاريخ العرب) كتابا اعتبر منافيا للعقائد الشيعية، فانقسمت الأوساط السياسية في عشية و صحاها الى فريقين متنازعين، و عقدت الاجتماعات الصاخبة في بغداد و النجف و سائر المدن المقدسة للمطالبة بحقوق الشيعة. ثم ظهر للوجود من جديد حزب النهضة، الذي لم يعرف له نشاط ملموس منذ ١٩٢٢، بقيادة شيعية خالصة. و حينما عرضت الحكومة على المجلس النيابي «لائحة قانون الدفاع الوطني» في هذه الأثناء تضاعفت المعارضة الشيعة للحكومة بمناسبتها. و استقال في الحال الوزير الذي يمثلهم في الوزارة السيد عبد المهدي، ثم انضم اليهم الأكراد خوفا من التجنيد الاجباري الذي كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٠٦

يتهددهم. فاستبدل السيد عبد المهدي بأمين زكي في المعارف، و عين السيد علوان الياسري وزيرا للري و الزراعة. على ان رئيس الوزراء عمد الى تأجيل المجلس النيابي لينقذ وزارته، لكن هذا التدبير لم يؤد إلا الى انتقال النشاط السياسي الرئيسي من بغداد الى الفرات الأوسط. و قوطع وزير المالية حينما قام بجولة الى النجف و ما حولها، و استطاع الملك فيصل بكل ما عنده من سخاء و لباقة معالجة حادث وقع في الكاظمية في اليوم العاشر من محرم ما بين الجنود و المشتركين بالعزاء الحسيني المعتاد. ثم أخذ حزب النهضة يشنع بالوزيرين الشيعيين المشتركين في الوزارة و يندد بتعاونهما مع الحكومة، و عمد الى تنظيم المظاهرات في النجف و كربلا و كتابة المقالات الرنانة في صحفه، فأدى ذلك بياسين الهاشمي و كيل رئيس الوزراء الى سدها. و حينما اعترضت المقامات العليا عليه قدم استقالته من الوزارة، و حذا حذوه رشيد عالي الكيلاني .

و حينما تشكلت الوزارة السعدونية الثالثة في ١٤ كانون الثاني ١٩٢٨ للعمل على تصديق معاهدة ١٩٢٧ و إمرارها من المجلس، بعد أن عقدها جعفر العسكري رئيس الوزارة السابقة مع الانكليز، كان من بين أعضائها الصراف النجفي محسن شلاش على تعبير (لونكريك) و مما يذكر عن الحاج محسن في هذه الوزارة أنه كان مسؤولا عن عقد امتياز أصفر لاستثمار اللطيفية، حينما كان وزيرا للمالية من قبل. و لما كان هذا الامتياز مجحفا للجانب العراقي تجاه الانكليز أصحاب الامتياز، و مبنا على أغلاط فنية غير يسيرة، فقد طلبت المعارضة (جلسة ١٧ أيلول في المجلس النيابي) حينما عرض على المجلس من قبل هذه الوزارة إقالته و رفع الحصانة عنه تمهيدا لسوقه الى المحاكمة فلم ينفذ الطلب.

و بعد أن استقالت الوزارة السعدونية الثالثة في كانون الثاني ١٩٢٩ تألفت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٠٧

الوزارة التي تليها من بين أعضاء حزب التقدم أيضا برآسة توفيق السويدي، فبقى فيها الحاج محسن شلاش في منصبه أيضا على ما يذكر (لونكريك) و آخر ما يورد هذا المؤلف كذلك عن الحاج محسن اشتراكه في وزارة نوري السعيد السابعة في تشرين الأول سنة ١٩٤٢ و إشغاله منصب الوزير في وزارة الاقتصاد، و هنا يسميه بالتاجر النجفي.

و يتطرق المستر (لونكريك) في نهاية الفترة التي انتهت بدخول العراق الى عصبة الأمم في ١٩٣٢ الى تامين عام للتقدم الذي حصل في العراق، فيذكر في جملة ما يعدده في هذا الشأن ان محاولات و تجارب أجريت في الأشهر الأخيرة من هذه الفترة لفتح طريق النجف الى المدينة. ثم يعاود ذكر هذه النقطة بعد ذلك و يقول ان السير في طريق النجف- المدينة قد ازداد و توسعت أهميته في ١٩٣٥- ٣٧ (١). و يذكر في مناسبة اخرى كذلك ان الحجاج ظلوا يسافرون من النجف الى البلاد المقدسة عبر البلاد النجدية سنة ١٩٣٧.

و حينما يستطرد في تميمه للحالة الاجتماعية و السياسية التي كانت تسود العراق في ذلك التاريخ (١٩٣٢) يأتي على ذكر الطوائف و الطبقات الدينية، و يتعرض على غير عادته في المؤلفات الأخرى الى النجف و تأثيراتها الدينية و غير الدينية على الوضع العام في البلاد، و كأنه يأبى الا- أن يبرهن على مشاركته لزملائه الانكليز الآخرين الذين كانوا يسيرون العراق يوم نشبت الثورة العراقية في موتوريتهم من النجف و علمائها و استغلالهم للنعرات الطائفية المقيتة في كل فرصة أو مناسبة. فيبدأ بالقول ان إدارة أمه من الأمم، و صلاح أحوالهم السياسية، لا يتفقان مع وجود ثقافات و حضارات مختلفة متباعدة بين طبقات موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٠٨

السكان، أو قنوع الولاء، أو مستويات متباعدة في التطور الاجتماعي. لكن العراق فيه أفليات غير مندمجة في أكثرية السكان، و تباين بارز في تطور الطبقات الاجتماعية و مستوياته ثم يتعرض الى وجود الأكراد و أوضاعهم، و وجود الآثوريين و اليزيديين و الإيرانيين و ما أشبهه و بقائهم محافظين على كياناتهم المتباينة. كما يشير الى الاختلافات الموجودة بين الطوائف المسيحية المختلفة و يخلص منها الى القول بأن اختلافاتها لا يمكن أن تقارن بالاختلاف التاريخي العميق الموجود بين السنة و الشيعة الذي كان أبدا و درما و ما زال يفرق الوحدة السياسية في البلاد و يملؤها مرارة و انشقاقا. و لئن أصبحت القيادة الشيعية في ١٩٣٢ و ما بعدها أقل تعصبا و ابتعادا عن العراق، فإن علماء النجف ظلوا يحتفظون بالكثير من السلطة و النفوذ و بقيت الشيعية هي القوة الموحدة لكتلة كبيرة من السكان دائمة التذمر و الهياج، و الفكرة التي تسمو على ولاء العشائر و إخلاصهم. و كثيرا ما كانت الشيعية في الفرات، و هي تقترن بالابتعاد عن المركزية القريب من الفوضوية، منبعا رئيسيا لمشاكل الحكومة و مصاعبها.

و في معرض البحث عن وزارة رشيد عالي الكيلاني التي تشكلت في ٢٠ مارت ١٩٣٣، على أثر استقاله وزارة ناجي شوكت الضعيفة، و ما قوبلت به في الأوساط السياسية، يقول ان الحكومة الجديدة قوبلت بالترحاب لأنها اعتبرت ممثلة للأخاء لوطني في البلاد. لكنها سرعان ما خسرت مؤازرة الوطنيين لأن منهاجها لم يتضمن شيئا عن إعادة النظر بنصوص المعاهدة الجديدة التي عقدها نوري السعيد مع بريطانيا العظمى في ١٩٣٢. و لذلك أذاع أولئك الوطنيون بيانا في حزيران يهاجمون فيه الوزارة، و ظهرت للحكومة دلائل على ان هذا السخط في محافل النجف و الفرات الأوسط المنخرفة يمكن أن يكتسب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٠٩

طابعا طائفيًا، و بالتأكيد على المطالب الشيعية يمكن أن يعد خطرا على الأمن العام. و بذلك نشأ في البلاد من جديد وضع يريد فيه عنصر واحد من العناصر السياسية في الدولة إجبار حكومة وطنية مؤتلفة على تلبية مطالبه. على ان موقف الوزارة الأخائية هذه قد أنقذ بوقوع حركة الآثوريين في الشمال، و وقوف البلاد بسببها صفا واحدا وراء الحكومة لكنها سقطت بوفاء الملك فيصل الأول في أيلول ١٩٣٣.

في عهد الملك غازي

و بعد أن يأتي المستر (لونكريك) على وصف ما حصل في الوزارات المختلفة التي تولت الحكم في عهد الملك غازي، يشير الى كيفية انتهاز على جودة فرصة وجوده في الديوان الملكي و تسلمه رأسه الوزارة في ٢٨ آب ١٩٣٤. و يتطرق الى قيامه بحل المجلس

النيابي و إتيانه بمجلس جديد محشو بمرشحيه و أصحابه، خال من الشخصيات التي تنطق بإسم العشائر، و لا يمثل فيه الشيعة تمثيلا عادلا.

و على هذا الأساس نشطت المعارضة و العناصر المناوئة للوزارة الى مهاجمتها و بث الدعاية السيئة ضدها. و يقول المستر (لونكريك) ان الدعاية كانت موجهة الى الأكراد فى الشمال، و القبائل التي تسيطر عليها (النجف) بصورة اعتيادية فى الفرات، حيث يوجد الشيوخ السياسيون من أمثال شيخ آل قتلئ عبد الواحد الحاج سكر الذى كان من غير المعقول عدم انتخابه للمجلس النيابي. و قد كان مع عبد الواحد رجال من مثل السيد محسن أبى طيخ، و علوان الياصرى و غيرهما. على ان طائفة أخرى من الشيوخ لم تكن أقل منها حركة و تمردا، و لا- أقل اندفاعا للمطالبة «بحقوق الشيعة» أخذت تتقرب الى الحكومة و تنشده الحصول على المنافع منها. و من دون القيام بحركات عنف صريحة أخذت عشائر الديوانية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣١٠

و الحللة تعقد الاجتماعات، و «تهوس الهوسات» و تتجاهر بحمل السلاح. ثم جرت اتصالات بعلماء النجف، و لا سيما بالشيخ محمد حسين كاشف الغطاء العلامة العربى الأكبر على حد قوله، لتوحيد الكلمة.

و مع جميع البرقيات التي قدمت الى الملك، و المثل بين يديه فى كانون الثانى ١٩٣٥، لم تحصل أية نتيجة. و قد جاهد على جودة فى إعادة الأمور الى نصابها من جميع الوجوه، لكنه لم يفلح فى البقاء فى الحكم و استقال فى ٢٣ شباط ١٩٣٥.

الشيخ محمد الحسين - كاشف الغطاء

و قد بذلت الجهود لتشكيل وزارة إخوانية، من دون حل المجلس الذى جاء به على جودة، فلم تثمر شيئا. و لذلك شكل جميل المدفعى وزارة جديدة، غير انه لم يحظ بالتأييد الشعبى و لا بمؤازرة الملك و لم يستطع حل أية مشكلة من المشاكل و إنما نشط العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الى العمل مع شيوخ العشائر اللاندين به فاستطاع تنظيم قائمة غير معتدلة بمطالب الشيعة تحمل العشرات و المئات من التواقيع. و فى الأخير اضطر المدفعى الى تقديم استقالته بعد ان لم تستقم وزارته فى الحكم أكثر من ثلاثة عشر يوما لا غير. و عند ذاك تألفت وزارة إخوانية برأسه ياسين الهاشمى، فى ١٧ مارت ١٩٣٥، من دون قيد أو شرط. و كان ممن اشترك فيها الوزير النجفى المعروف الاستاذ محمد رضا الشيبى.

و مع ان تشكيل الوزارة الإخائية قد أرضى عبد الواحد الحاج سكر و جماعته الذين عادوا الى حالتهم الاعتيادية، فانها أقلقنا مناوئيه من الشيوخ من أمثال (خوام العبد العباس. و جماعته. فألح هؤلاء الشيوخ على الشيخ محمد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣١١

حسين كاشف الغطاء، و أكثروا تردهم على النجف التي صار يتسرب اليها الدس السياسى من بغداد أيضا، حتى تكهرب الجو فى الفرات الأوسط معظمه.

و يقول المستر (لونكريك) ان الوضع فى النجف و ما يحيط بها صار يذكر المرء بالوضع الذى كان سائدا فيها قبيل ثورة ١٩٢٠، حينما استثيرت الدعاية ضد الانكليز، و ان تاريخ المناطق الفراتية تلك فى ١٩٣٥ و ١٩٣٦ يعتبر تكرارا بنطاق أضيق لتاريخها فى سنة ١٩٢٠ نفسها. فلم تجد الحكومة بدا من اللجوء الى الحزم و القوة، فسيقت القطعات الى الفرات الأوسط و رابطت مفرزة من الجيش فى النجف بالذات بعد أن استعانت الحكومة بالشيخ محمد حسين فى بذل ما عنده من نفوذ لتهدئة الحال فلم يتوفق فى مسعاه. و لذلك اصطدم الجيش الذى كان يقوده بكر صدقى بالشيخ خوام فقضى على الحركة التي كان يترعمها بسهولة.

موقف النجف من حركات العشائر ١٩٣٥

على ان التطوات السياسية التي وقعت فى العراق خلال هذه الفترة، و كان مسرحها النجف و سائر أنحاء الفرات الأوسط و الجنوبى،

فأدت الى ثورة ١٩٣٥ يحللها الكابتن (ا. د. ماكدونالد) ضابط الاستخبارات البريطانى المسؤول فى تلك الأيام تحليلاً يلقى ضوءاً غير يسير على ما جريات الأحوال يومذاك برغم تفسيراته الخاصة التى تعبر عن وجهة النظر البريطانية المعروفة. فقد ألقى موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣١٢

محاضرة عن الموضوع فى لجمعية الآسيوية الملكية فى لندن يوم ٢ تشرين الأول ١٩٣٥، و نشرت بتفصيلاتها فى عدد كانون الثانى ١٩٣٦ من مجلتها.

و يبدأ الكابتن (ماكدونالد) محاضرتة بشرح التدخل السافر الذى كانت تقوم به الحكومة فى الانتخابات النيابية، و تعيين النواب تعييناً كيفياً فى الغالب.

ثم يذكر ان على جودة حينما تولى رأسه الوزارة جاء بمجلس فيه الكثير من أعوانه و مرديه حتى من المناطق العشائرية المعروفة فى لوائى الديوانية و المنتفك، و أبعد الرؤساء من أهالى المناطق المذكورة عنه. و كان ممن شطب اسمه من قائمة لواء الديوانية عبد الواحد سكر شيخ مشايخ آل فتلة و قد أدى ذلك الى التذمر الشديد، و استفحال أمر المعارضة التى استغلت هذه الفرصة فى الفرات الأوسط لأغراضها، بزعامه حزب الأخاء الوطنى وقادته من أمثال ياسين الهاشمى و رشيد على الكيلانى و حكيم سليمان.

أما ما يختص من ذلك بالنجف و الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، فيذكر ماكدونالد أنه كان من الواضح ان عبد الواحد لم يكن يأمل الحصول على الكثير من التجاوب المحلى إذا اقتصر فى دعوته على تعديل الحكومة فقط (حكومة جميل المدفعى). و لذلك حجب نياته الحقيقية عن الناس و أظهر نفسه بمظهر البطل المدافع عن «حقوق الشيعة» فى البلاد، فتقمص بذلك دوراً يمكن أن يؤمن له مؤازرة واسعة و تجاوباً بعيد الانتشار. على أنه لم يظفر بمؤازرة العشائر المطلقة فى ذلك لأن أربعين بالمئة فقط خفت لمؤازرتة، و أحجم ستون بالمئة منهم عن الانحياز اليه لأنهم كانوا يعتقدون ان حكومة المدفعى أقل شراً من الحكومة الإخائية. لكن هؤلاء اضطروا الى مجاراة عبد الواحد فى دعوته الى موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣١٣

تحسين الأحوال فى مناطق القبائل الشيعية، بدلا من تأييده هو بالذات و لذلك التجأوا الى العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، للاسترشاد و طلب المشورة.

و هكذا تجزأت الكتلة العشائرية فى الفرات الأوسط الى مجموعتين: مجموعة نشطة فعالة يتزعمها عبد الواحد تريد الإتيان بحكومة إخائية عن طريق الإخلال بالأمن، و مجموعة ثانية أكبر من الاولى و على جانب أكبر من عدم السياسة و التدبير. و قد ربطت هذه نفسها بالشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، و هى عازمة على الحيلولة بذلك دون قيام عبد الواحد باستغلال البركات التى تسبغها عليهم الدعوة العتيبة الشيعية من أجل تحسين مركزه على حسابهم.

و يتابع الكابتن (ماكدونالد) شرحه للموضوع بقوله ان الأحوال فى الجنوب كانت تمر خلال هذه الفترة من شىء الى أسوأ، و ما أن تسلمت وزارة المدفعى الجديدة زمام الحكم حتى اندفعت جماعة عبد الواحد الى القيام بأعمال و إن كانت غير منافية للنظام فى الظاهر إلا أنها مع ذلك كانت تعتبر غير قانونية على وجه التأكيد. فقد بادر أبناء عشائر (آل فتلة) الى قطع طريق المشخاب الفرعى بتعطيل القناطر عن العمل، و سدوا طريق الديوانية- النجف ...

و لذلك سيق قسم من الجيش الى الجنوب، فنقلت ثلاثة أفواج الى المنطقة التى تأثرت بهذه الحركة، و توجه فوج منها الى النجف نفسها.

و فى أثناء هذه التطورات لم يسمح للشيخ محمد حسين فى النجف بالبقاء فى معزل عن العمل. فقد كان موقفه صعباً فى الحقيقة، لأنه كان يتعرض من جهة الى ضغط القبائل غير الإخائية التى كانت تطالبه بأن يظهر بصراحة حقيقة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣١٤

تغطرس عبد الواحد و ادعائه لنفسه ببطولة القضية الشيعية، و كان يتعرض من جهة أخرى الى ضغط عبد الواحد نفسه، الذى كان و هو

ينشد جعل مركزه منيعا تجاه خصومه، و يطالب الشيخ بأن يساعده فيما يبذله من جهود مرعومة لإنصاف الشيعة و دعم قضيتهم العامة و لم يكن يهتم العلامة الكبير كثيرا أن تكون هذه الوزارة متربعة في دست الحكم أو تلك، غير انه كان من المهم الحيوى لنفوذ و سمعته ان العشائر اذا ما تحركت مطالبة بالقيادة الدينية فان هذه القيادة يجب ان يكون زمامها بيده. و هو بطبيعة الحال لم يكن ينطلى عليه الدافع الحقيقي الذى كان يدفع عبد الواحد الى العمل، لكن كثيرا من المؤازرة التى كانت تقدم بدافع الاعتقاد بأن القضية الشيعية كانت رائده فى عمله. و كان الشيخ كاشف الغطاء علاوة على ذلك يكره الظهور بمظهر غير العابىء بهذه الناحية من القضية كلها فيجازف بسمعته بينهم و يثير انتقادهم له. و لم يكن هناك شىء بالنسبة لوجهة نظره أكثر ابتعادا عن رغبته الحقيقية من أن يكون مجبرا بتأثير المصالح الدنيوية العائدة لرؤساء العشائر، على مناوئة مجموعة لا يستهان بها من أفراد القبائل أنفسهم. و لذلك حاول، بشىء من النجاح، أن يبقى مسيرا لجميع الفئات و يظل غير ملزم بشىء تجاه أى أحد منهم، حاصرا أحاديثه و أقواله فى مجال التوافه من الأمور، و مقتصرنا فى أعماله على تنظيم قائمة رسمية بالمطالب الشيعية.

و حينما كانت تقرر هذه المطالب كانت تنشر بصورة خاصة و تشيع بين الناس، و لكنها لم تقدم بصورة رسمية مطلقا الى أن تسلمت حكومة الإخاء الحكم. و عندما تم تقديمها كانت خاليا من تواقيع عبد الواحد عليها، و بعض الرؤساء المنضوين تحت لوائه و ليس كلهم

ثم يعود الكابتن (ماكدونالد) الى البحث فى «المطالب الشيعية» على ما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣١٥

يسمياها، فيقول ان ظلمات الشيعة الحقيقية أو الموجودة فى مخيلة الكثيرين منهم كانت تشغل العناصر المتحمسة بالأحوال السياسية فى الفرات الأوسط و المدن المقدسة و فى مقدمتها النجف منذ عدة سنين، فأخذت تصبح وسيلة بالية فى أيدى الساسة البغداديين. و قد نوقشت عدة مرات من قبل خلال السنين الفائتة، و رسمت، ثم قدمت فى بعض المناسبات و هى تحمل مطالب كانت تتراوح بين الأشياء المستحيلة و الأشياء المعقولة العادلة. أما المطالب التى وضعها الشيخ محمد حسين فى النجف فقد تكون أشد اعتدالا مما قدم منها حتى لأن . فقد كانت تنص على أن يكون عدد الأعضاء الشيعة فى البرلمان متناسبا مع عدد الشيعة من سكان البلاد. و طالبت بتعيين الحكام العدلين بعدد كاف منهم، و بحرية الانتخاب فى المناطق الشيعية، و حرية الصحافة فى البلاد أجمع، و فيما عدا ما كان فيها من المطالب المتطرفة التى تطالب بتخفيض الضرائب كانت تحتوى أيضا على فقرات لم يكن بوسع أية حكومة تعطف عطفًا صادقًا على «القضية الشيعية» أن تمنحها لا عاجلا و لا بمرور الزمن.

و ينتقد (ماكدونالد) بعد ذلك تصرف الوزارة المدفعية مشككا بجدوى سوقها للجيش بالطريقة التى حصلت فأدت الى سقوطها. و يعود الى تدخل الشيخ محمد حسين فيقول ان التوفيق لم يحالف تلك الوزارة فيما بذلته من جهود فى أثناء مفاوضاتها له، برغم ان الشيخ لم تكن تسيطر عليه بأى حال من الأحوال فكرة معاداة الحكومة القائمة بالذات، و إنما كان يهتم بصورة خاصة بنجاح القضية الشيعية على حد قوله، التى كان بوسع وزارة جميل المدفعية نفسها ان تحلها بقدر ما يمكن حلها عن طريق أية وزارة إخوانية يمكن أن تأتي من بعدها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣١٦

و بعد أن جاءت وزارة ياسين الهاشمي الإخوانية الى الحكم هدأت الأحوال فى منطقة (آل فتل)، لكنها اضطرت فى منطقة خوام و جماعته. و لذلك عمدت الحكومة الى مفاوضة العلامة كاشف الغطاء، و الاستعانة به لتهدئة الحال.

و يذهب (ماكدونالد) الى ان الشيخ نفسه لم يكن يريد لدرجة ما أن يشترك فى النزاع منذ البداية، لأنه لم يكن يرغب فى التورط بالشؤون الطائفية ما لم يحصل على إجماع قبائلى يؤيده. يضاف الى ذلك إنه كان من الفطنة بحيث يمكنه أن يلاحظ ان هذه العشائر التى وافق أن يكون ناطقا باسمها، بينا يكون بوسع رؤسائها أن يتلاعبوا بعواطف أتباعهم السذج بالتحمس الظاهري للدفاع عن حقوق

الشيعة و المطالبة بإنصافهم، فإنهم كانوا في الحقيقة بعيدين عن ذلك كل البعد لأن الذي كان يشغل بالهم هو الشيخ عبد الواحد و الحكومة الاخائية و توقع إعادة النظر في قضايا الأراضي المتنازع عليها بينهم. و إذا كان موقف الشيخ محمد حسين و هو يرأس العشائر الموالية للحكومة يعد موقفا غير صريح له في شهر مارت، فإن عدم ارتياحه في موقفه الجديد قد تضاعف و هو يرأس مجموعة من العشائر منوثة للحكومة من دون أن تكون متماسكة فيما بينها أو متفقه على رأى، و هى تضج ملحة عليه بوجوب وضع نفسه في موضع عدائي لا يلين تجاه جماعة عبد الواحد القوية، و وزارة كانت تدل جميع الدلائل على كونها وزارة قوية. لكنه تردد و راوغ كالعادة و تكلم بكلام حسن مع الحكومة، و هو يرمى بذلك الى أن يبدد الشك الذي كان يخامرها تجاهه و يجعلها تعتقد بأنه غير عازم على إثارة الضغائن الدينية . بينما راح يكلم رؤساء القبائل بكلمات التقوى و الورع العامة، و يشجعهم بأن يجعلوا قضية المطالب الشيعة في مقدمة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣١٧

الأشياء التي تخطر بالهم، لكنه بذل عناية خاصة في عدم إلزام نفسه بشيء من قبيل التحريض الصريح على الإخلال بالأمن. و قد صدر تحريض كثير على الثورة من النجف في أواخر نيسان و أوائل مايس، على ما يقول (ماكدونالد) و مع ان الشيخ محمد حسين المضغوط عليه الى أقصى ما يمكن أن تتحملة قابلية رجل الدين المسلم في الإبهام و الغموض، كان لا بد من أن يكون هو المسؤول عن شيء منه فان معظم اللوم عن ذلك التحريض كان يجب أن يلقي على عاتق رجال الطبقة الدينية الأقل بروزا منه بالنسبة للنشاط الكثير الذي كان يبدو منهم. و هناك أدلة كثيرة تدعو الى الشك كذلك في تسرب التشجيع غير اليسير من بغداد الى الجنوب مرة ثانية، و لكنه صار يصدر هذه المرة من جهات غير إخائية. و مع ان هذا التأثير الهدام كان كله شيئا أقل قوة و عزمًا من التحريض السياسي الذي أدى الى اقتلاع الوزارتين السابقتين عن كرسى الحكم، فقد كان له شيء من التأثير بلا ريب، و كان من شأنه أن يزيد في حراجه الجو المتوتر الذي كان سائدا في البلاد.

هذا و الملاحظ في هذا البحث، و فيما لم نشأ أن نثبته هنا بالتفصيل من أقوال ماكدونالد، إنه يعتقد ان العراق الشيعي هو عشائري في نظرتة و اتجاهه و ان الروحية التي تنحو منحى شيعيا طائفا على حد تعبيره تسير يدا بيد مع اتجاه رجال العشائر الإقطاعي، و مناوئته لمفهوم الحكومة المركزية و تأييده التلقائي لكل شيء يبشر بحلول حكم عشائري لا مركزي أو يشير اليه من بعيد. و يرى ان الفكرتين الشيعية و العشائرية محبوبتان في مخيلة رجال العشائر بحيث لا يمكن التفريق بينهما لحد ما. و لا شك ان رأى رجل الاستخبارات البريطانية هذا فيه الكثير من التجنى الذي قد يحمل على تقصد خاص في كيفية سرد الحقائق و طريقة عرض ما يسميه «القضية الشيعية» و «المطالب الشيعية» و غير ذلك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣١٨

مما نجده مؤكدا عليه أبدا و دوما في جميع ما يكتبه الإنكليز الذين عاشوا في هذه البلاد تقريبا، و لا سيما أولئك الذين شهدوا نيران الثورة العراقية تندلع في ١٩٢٠ من النجف و سائر أنحاء الفرات الأوسط فتفسد على رجال الاستعمار البريطاني أحلامهم و تقلب خططهم الجهنمية رأسا على عقب. و لا نرى سببا لمثل هذا الموقف سوى الموتورية الشديدة من رجال الدين الذين قادوا الثورة العراقية لانقاذ البلاد من ربة الاستعمار.

تعليق و توضيح

هذا و قبل أن ننتقل من موضوع حركات ١٩٣٥ و ١٩٣٦ التي جرت في النجف و الفرات الأوسط، لا بد من أن نثبت هنا بعض النقاط التوضيحية خدمة للحقيقة و التاريخ. فإننا نرى في المراجع المحلية عن هذه الفترة ان الوزارة المدفعية الثالثة قد جاء تشكيلها اضطراريا، لأن الاخائيين لم يقبلوا بتشكيل الوزارة بعد فشل وزارة علي جوده الأيوبي و سقوطها إلا بحل المجلس النيابي الذي جاء به الأخير. و

كان هذا الشرط ضد رغبة الملك. و حينما تشكلت تلك الوزارة في ٤ مارس ١٩٣٥ لم تبذل مجهودا كبيرا لحل المشكل، وإنما اكتفت بإيفاد السيد عبد العزيز القصاب وزير الداخلية لدرس الأحوال في لواء الديوانية فعاد منها بعد ان لم يفلح في إقناع عبد الواحد و جماعته بالكف عما أقدموا عليه. ثم أوفدت الحاج عبد الحسين جلبي وزير المعارف الى النجف ليتصل برجال الدين و يوسطهم لدى رؤساء القبائل بالتعاون مع الحكومة لكنه قوبل في النجف الأشرف بالجفاء و البرود، و عاد بخفي حنين . و على أثر هذا عازمت الحكومة على التذرع بالقوة و سوق الجيش لتأديب «المتمردين»، و كانت هذه فكرة جميل المدفعي منذ أن كان عضوا في الوزارة الأيوبية التي تولت الحكم قبل هذه الوزارة.

فقد صرح على جودة لصاحب (تاريخ الوزارت العراقية) إنه كان من رأيه أن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣١٩

لا يساق الجيش، و ان تقتصر الحكومة على قيام الشرطة بضبط المراكز المهمة و تحافظ على الأمن. لكن وزير الدفاع جميل المدفعي كان يصر على تجريد حملة تأديبية الى النجف و الفرات الأوسط لإخضاع القبائل بالقوة. و قد عمد الى تنفيذ فكرته حينما تولى الرئاسة بعد ذلك، غير أنه لم يتوفق في مسعاه لأن الملك غازي كان من رأيه حقن دماء العراقيين و حل الأمور بصورة سلمية. و لذلك اضطر المدفعي لتقديم استقالته بعد أن بقيت وزارته في الحكم ثلاثة عشر يوما لا غير.

و كان الملك قد وقف هذا الموقف لأنه تسلم من عبد الواحد الحاج سكر ثلاث برقيات متتالية، في ١١ و ١٣ و ١٤ مارس ١٩٣٥ يعرض فيها إخلاصه و إخلاص قبائله للعرش و يدافع عن نفسه بما يراه صالحا، فاقنع بأن حركة العشائر لم تكن إلا حركة سلمية لا يقصد بها تعكير الأمن. و تسلم بريقة أخرى من سماحة الشيخ كاشف الغطاء في يوم ١٤ منه يشير بها على الملك بتوقيف الحركات. و تسلم بريقة غيرها، عن طريق رئيس الديوان، في يوم ١٣ مارس من العلامتين الشيخ عبد الكريم الجزائري و الشيخ محمد جواد صاحب الجواهر في النجف يستنكران فيها سياسة الارهاب التي اتبعتها الحكومة في حل المشكل. و هاك نص برقيتهما التي تجلو الكثير من التقاط:

«إخلاصا للعرش الهاشمي، و أداء للوظيفة الدينية، و حقنا للدماء، نلفت نظر صاحب الجلالة للحالة الحاضرة فإنها سيئة جدا و إذا بقيت الحكومة على الاصرار في سياسة الارهاب تكون أسوأ. لقد خاطبنا وزير الداخلية في ذلك فلم نر منه ما يوجب الطمأنينة، و لم تنزل البرقيات تردنا من أطراف العراق تطلب منا المداخلة في إصلاح الأمر. نرجو تبليغ الأمر الى صاحب الجلالة و لفت نظره نحو هذه الشدة التي تستعملها الحكومة مع أمه مخلصه للعرش و البلاد بدون مبرر شرعي و بدون ذنب سوى مطالبتها بتطبيق القانون الأساسي ..»
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٢٠

و حينما تشكلت وزارة ياسين الهاشمي الاخائية في ١٧ مارس ١٩٣٥، تطورت الأمور من جديد على النحو المذكور من قبل و تحرك الشيخ خوام و جماعته ضدها. و لأجل أن يسبغوا على الحركة شكلا غير شكلها الأصلي تظاهروا بعلاقتها بالشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في النجف، لكن سماحته لم يكن ميالا الى استعمال العنف من لدن الحكومة و التمرد على القوانين و الأنظمة من لدن الناس. و لذلك أصدر «بلاغا للناس» بتاريخ ١٢ محرم الحرام ١٣٥٤ يدعو فيه قبائل الفرات و زعماءها الى المحافظة على الأمن و عدم القيام بأى حركة يخشى منها اختلال النظام. و قد حذرهم من الانقياد الى الأحزاب، و الاستماع الى رجالها، لأن الأحزاب هي التي أهلكت العباد على حد قوله، و خربت البلاد و جرت الولايات على هذه الأمة البائسة و المملكة العراقية الفتية، و لأن الأحزاب على ما يقول مطايا يركبها شياطين معدودون فيعبرون بها الى مقاصدهم الشخصية و منافعهم الذاتية .

و قد اشترك في وزارة ياسين الاخائية الشخصية النجفية المعروفة في عالم العلم و الأدب على ما يقول (لونكريك) في كتابه الأخير، الاستاذ محمد رضا الشيببي، فأشغل وزارة المعارف. لكن الشيببي اضطر الى تقديم استقالته منها في ١٥ أيلول ١٩٣٥، لأنه لم يلق التأييد في مجلس الوزراء «بكثير من الآراء و المقترحات التي سبق له أن اقترحها بشؤون المعارف»، فقبلت استقالته و اسند منصبه الى

صادق البصام.

و بعد أن تولت وزارة حكمة سليمان الحكم على أثر الانقلاب العسكري

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٢١

الذي تزعمه الفريق بكر صدقي، هلك الكثيرون من الناس و تأملوا خيرا فيها.

و حينما حاول رئيس الوزارة الجديدة حل المشاكل القائمة في الفرات الأوسط لم يتوفق فيها كل التوفيق، و اضطر الى سوق الجيوش و استعمال الشدة كذلك.

و يقول المستر (لونكريك) في هذا الشأن ان تخبط (حكيمه) في حل المشاكل الفراتية التي بقيت غير محلولة من قبل كان شيئا واضحا. فقد كان عليه أن يسترضى الناقمين من دون المس بحقوقهم، و يعفو عن المحكومين من دون إظهار شيء من الضعف، و يحافظ على الأمن من دون استعمال العنف الذي لا يستسيغه أحد. فأقدم على ذلك كله بكل ما كان عنده من حسنة و براءة في معاملته الناس، لكنه أخفق إخفاقا معروفا في النتيجة. لأن خميرة المصالح الذاتية، و الانقسامات الدائمة، التي كانت تصطبغ بها الحياة الاعتيادية في النجف و أوساط الفرات العشائرية و الدينية، لم يمكن التخفيف من حدتها. ثم يأتي بعد ذلك على وصف اصطدام العشائر بالحكومة و اضطرارها لتأديبهم و نفي عدد من رؤسائهم المعروفين. و يعرج من هناك الى ذكر الاختلاف الذي حصل بين أعضاء الوزارة الحكيمية، و التقدمية التي كانت تتصف بها جماعة كامل الجادرجي التي يقول (لونكريك) ان وجودها شجع العمال على القيام بإضرابات خطيرة في مختلف الأماكن و المؤسسات، و من جملتهم عمال الحياكة في النجف نفسها و قد انتخب في عهد هذه الوزارة الأستاذ محمد رضا الشيببي رئيسا لمجلس لأعيان.

فرايا ستارك تكتب عن النجف

و في ١٩٣٧ زارت النجف الكاتبة الإنكليزية القديرة، و الموظفة في الاستخبارات البريطانية، المس (فرايا ستارك) و بقيت فيها اسبوعا واحدا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٢٢

ضيفا على القائ مقام الذي أنزلها في جناح الضيافة الموجود في نادي الموظفين. و قد كتبت فصلا خاصا عن النجف ضمنته ملاحظاتها عنها في كتابها الموسوم (صور بغدادية).

و تبدأ ملاحظاتها بما شاهدته في الكوفة. فهي تستهل الفصل بوصف جلسة مسائية على شاطئ الفرات، مع رئيس البلدية و سبعة من «الأفندية». و كان ذلك في أوائل ربيع الأول بعد أن انتهى صفر، الشهر الثاني من شهرى الحزن المعتادين في كل سنة، و لذلك تقول إنها شاهدت و هي جالسة من بعيد شعلات من النار طافية في النهر، و قد كانت تنساب منحدره مع تياره حتى تختفى.

و ترمى هذه في النهر في نهاية موسم العزاء (نهاية شهر صفر) لتأخذ معها أحزان السنة و تفرج الكربة عن الناس. و هذه على ما تقول عادة قديمة ترجع بقدمها الى تاريخ هذه البلاد العريق في القدم. ثم تشير بالمناسبة الى أن «الأفندية» الذين شاهدوا معها النار الطافية، لمحوا هلال الشهر الجديد (هلال ربيع الأول) و أخذ كل منهم يتمنى الخير و الموفقية لصاحبه من دون أن يشعروا بأن ما فعلوه يعتبر من قبيل عبادة القمر أو التبرك به. و ليس من المستغرب أن يحصل مثل هذا، فتبقى هذه الوثنية، في بلاد لا تبعد كثيرا عن قبر «الكفل» و «برج بابل» اللذين يدلان على ذلك العالم الغابر.

و لكن المرء حينما يعبر جسر الكوفة المستند على الزوارق ينتقل من العالم البابلي الى عالم الإسلام على حد تعبيرها. و هي ترى ان الحيرة توجد مدفونة تحت الرمال ما بين النجف و الكوفة، و ان التلال الرملية المحيطة بالكوفة تحوى في باطنها خرائب كوفة العرب الفاتحين الأولى. و بعد أن تشير (فرايا ستارك) الى جامع الكوفة الكبير و غيره من معالم البلد تقول ان (قصر الإمارة) هدمه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٢٣

عبد الملك بن مروان الأموي، لأنه بينما كان جالسا فيه ذات يوم سمع عجوزا من الاعراب يقول «ستكون الخامس». و حينما سأله عما كان يقوله هذا أجابه يقول: «عندما جئت لأول مرة الى الكوفة رأيت رأس الحسين (ع) بين يدي قاتله عبيد الله هنا. فذهبت وعدت ثانية اليها بعد مدة فشهدت رأس عبيد الله في نفس المكان بين يدي المختار بن يوسف الذي قتله. و بعد أن خرجت منها وعدت مرة أخرى ألفت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير. ثم ذهبت فعدت هذه المرة، و ها إنى أرى الآن بين يديك رأس مصعب». و لذلك خرج عبد الملك من الكوفة و أمر بهدم قصر الإمارة الذي تشاهد خرائبه الآن بجنب دار الإمام عليه السلام و قد كان الامام على هنا يعمل للخير و يتمسك بالامور المثلى على حد تعبيرها، فأفنى نفسه و هو مريض الفؤاد ما بين أهل الكوفة المتلونين. و على مسافة غير بعيدة من هذه البقعة جمع ابنه الحسين الى جهة البادية و ظل يتجول حتى نزل في كربلاء، فقتل قتله فظيعة مع أهل بيته بعد أن منع عنهم الماء. و قصة قتله هذه من القصص القليلة التي تقول (فرايا ستارك) إنها لا تستطيع قراءتها من دون أن يتنابها البكاء. و تقول أيضا ان التاريخ قد توقف في كربلاء و النجف منذ يوم مقتله ذاك، لأن الناس أخذوا يعيشون فيهما على ذكرى الكراهية لأعداء الحسين .

و قد أخذت النجف محل الكوفة، على ما ترى. و مع ان سكانها قد استقروا و تمدنوا فإنها لا تزال تعد من مدن البادية، المحاطة بسور خاص ترتفع هي في داخله فوق هضبة واطئة من الأرض كأنها تاج يعلوه ذهب القبة المتألئىء. و ما زال بدءا عنزة و شمر يقصدونها من رمال النفود البعيدة للتزود منها، بينما تسلك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٢٤

السيارات الطريق الممتدة منها الى مكة، و هي طريق الحج المسماة بإسم زبيدة و يرتفع (بفرايا ستارك) الخيال فيخترق نظرها الأفق البعيد مع الطريق التي تتضح معالمها لعيون الايمان على حد تعبيرها، و لذلك نجدها تقول ان المرء لا يسعه سوى أن ينحني خاشعا أمام زهد الانسان و ورعه و تعجب كيف ان الساسة الانكليز يعتقدون بأنهم يستطيعون السيطرة على قلوب الناس بالوسائل المادية وحدها

و قد دبر القائم مقام لها مواجهة العلامة الأكبر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، الذي كان آباؤه لخمسة أظهر من زعماء الدين. و لما كانت زيارتها للشيخ و هي امرأه شيئا يلفت النظر، فقد دبرت الزيارة في أقل الأوقات تعرضا لأنظار الناس.

فجاء الشيخ هادي، نسيخ الكتب، لبلقى نظرة عليها أولا، و بعد أن بعث أخبارا مناسبة عنها قادها مع خادمها خلال طرق و درابين متعرجة الى دار غير كبيرة يعيش فيها الشيخ مع أهله عيشة بسيطة كما كان يعيش المسلمون الأقدمون من قبل. و بعد أن تأتي على وصف الشيخ- الذي كانت لحيته مخضبة بالحناء- و وقاره و ذكائه تقول إنها فهمت من حديثها معه بأنه كان يعرف (المس بيل) و السر (بيرسى كوكس)، و يعتبر الذين جاءوا بعدهما من الانكليز أقل منهما شخصية و قدرا. و حينما تطرق الى الحديث معها عن العالم الشرقي، أخبرها برأيه عن بريطانية و الاسلام بقوله «إنه لا يوجد الآن بيننا و بين الانكليز سوى الصداقة لو لا الأخطاء التي ارتكبت ضد إخواننا العرب في فلسطين. و ما زالت هذه الظلامه موجودة فإننا لا يمكن أن تحل المحبة و لا السلام بيننا من البحر المتوسط الى الهند. و أمل أن تبني هذا الى حكومتك، و تقولى لهم ان ما بلعبون به هناك هو ليس أراضي فلسطين وحدها، و إنما يلعبون بالعالم الاسلامي كله الذي يقدر ينصف امبراطوريتهم و يتشوقون الى الابقاء على صداقته لهم».

و لما كان رأيه هذا يتفق تمام الاتفاق مع رأيها هي في هذه المسألة الدقيقة كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٢٥

يسرها أن تعد الشيخ بأن تبذل جهدها في نقله أمانة الى الجهات المختصة.

ثم رارت بعض المدارس، و معالم البلدة الاخرى، بما فيها (المغتسل) الذي كان يقوم بتغسيل الموتى فيه رجل واحته بسر زهيد للجنة

الواحدة. وقد تجولت ما بين القبور في بعض الأمسيات كذلك، وأمضت أمسية واحدة منها في التفرج على ما يجري عند الباب الكبير المؤدى الى الصحن فكانت من أجمل الأمسيات التي قضتها في حياتها كلها. و كان ذلك من غرفة تعود للشرطة و تطل شبابيكها على باب الصحن و قسم من السوق. و بعد أن تصف ما شاهدته هناك و في الداخل نقول إنها خرجت تقطع السوق الذي امتلأ بالأضوية، و هي تشعر بحبها للعالم بأجمعه. و بينما هي كذلك لاحظت في دكان بائع أحذية رجلا كان يرمقها بنظرات شرزاء ممتلئة بالحقد و الكراهية، فتأثرت أشد التأثر لأنها يحز في نفسها أن يكرهها أحد من دون سبب. و هي تقول: «ان ذلك الرجل لو كان بوسعه ان يخترق جسمها الانكليزي بنظره الى أعماق قلبها لوجد ان ما كان بمتلىء به هو الاحترام الودى لعنته المقدسة بالذات التي تعلق أرواح الناس كما تعلق قبعة النجف المذهبة فوق أفق البادية، فتجذبهم اليها من بعيد» و تنهى الفصل بوصف جماعة من فقراء الأفغان كانوا يعيشون على الكفاف، و يحصلون على قوتهم من حياكة بيوت الشعر، ثم ينتزع كل منهم فلسا واحدا من وارده الشحيح بين حين و آخر فيعطيه للانفاق على العتبة. و تعلق على ذلك بكل إكبار و إجلال قائلة: «من تكون نحن لنتنقد عقيدة تعطى مثل هذا المقدار يا ثرى؟»

النجف في السنين الأخيرة

هذا و لم أعرث فيما كتبه الغربيون عن العراق ما بين هذه الفترة و سنة ١٩٥٨ على شىء يذكره عن النجف سوى بعض الاحصاءات و المعلومات العابرة. فقد كتب (لونكريك) في (١٩٥٠ - ١٩٥٠) ان مديرية الآثار القديمة قامت موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٢٦ بالتقيب في خرائب الحيرة الكائنة في منطقة النجف - الكوفة سنة ١٩٤٥.

و قد درست في السنة نفسها مديرية السكك الحديد العامه قضية مد خط خاص للسكك ما بين كربلا و النجف و الكوفة، لكن ذلك لم يثمر شيئا. و يذكر كذلك ان (توفيق السويدى) أدخل معه في الوزارة التي شكلها يوم ٢٣ شباط ١٩٤٦ المتصرف النجفى سعد صالح المعادى لصالح جبر. ثم يذكر عن الفترة نفسها ان الجو المتوتر المفعم بالتذمر و الخطر الذي كان يخيم فوق النجف و غيرها من المدن المقدسة لم يؤد الى وقوع اضطرابات مكشوفة يعبأ بها. و يعلق بالاضافة الى ذلك على إحصاء النفوس الذي جرى في العراق سنة ١٩٤٧ فيقول ان أكبر كثافة في السكان بالنسبة للألوية العراقية المختلفة تلاحظ في لواء الحلة الذي تبلغ كثافة النفوس فيه (٤٩) نسمة في الكيلومتر المربع، و يأتي بعده لواء كربلا الذي تبلغ كثافة نفوسه (٤٦) نسمة في الكيلومتر المربع الواحد.

و في خلال البحث عن التطورات التي حصلت في المجتمع العراقى و أحواله ما بين تشكيل الحكم الوطنى في البلاد و ١٩٥٠، يذكر (لونكريك) و ستوكس في كتابهما عن العراق ان مراكز النفوس و المواصلات الموجودة خارج بغداد و الموصل و البصرة بقيت منحصرة على الأغلب في كربلا و النجف و الحلة و كركوك و السلیمانیه و اربيل. و ظلت النجف و كربلا و الكاظمية و سامرا هي المراكز الكبيرة التي يؤمها الزوار الشيعة بأعداد كبيرة، و لا سيما من إيران. و يذكر ان كذلك من جملة الطرق المهمة في البلاد طريق بغداد - كربلا - النجف، و الطريق ما بين هذه المدن و الحلة. ثم يتطرقان الى النواحي الدينية في البلاد فيشيران الى ان العلوم الاسلاميه، مع جميع ما حصل من تأثير التربية الحديثة موسوعة العتبات المقدسة، ج ٦، ص: ٣٢٧

و قوتها في الناس، بقيت تدرس في المدارس الدينية العائدة لأهل السنة و الشيعة معا. و ان النجف ما زالت الجامعة الدينية القديمة مزدهرة فيها، و ما زال طلبتها يطبعون مؤلفاتهم الدينية على النمط الذي ظل متبعا فيها منذ قرون عدة.

و في أواخر ١٩٥٨ (أى بعد ثورة ١٤ تموز) ظهر الى عالم المطبوعات كتاب أمريكى عن العراق، في ضمن سلسلة من المطبوعات تطبع عن حضارات الأمم و أحوالها المختلفة في العالم. و قد بحث مؤلف الكتاب، جورج هاريس، عن سكان العراق و مجتمعه و حضارته الحديثة من نواحيها المختلفة. فوردت في الكتاب، الذى يعد دراسة حديثة فريدة في بابها، إشارات غير قليلة الى النجف

وجدت من المناسب أن أختتم هذا البحث الشامل بها. فقد ورد في موضوع السكان في مدن العراق المختلفة ان هجرة واسعة النطاق من القرى العراقية الى المدن تقوم الآن على قدم و ساق، و إن المدن التي يحصل فيها التوسع بهذه الطريقة هي البصرة و بغداد و كركوك و النجف . و ورد في بحث القوميات المختلفة ان النجف و الكاظمية فيها حوالى ألف أفغانى شيعى، و هم على صلة وثيقة بالجاليات الايرانية من حيث اللغة و ما أشبهه. و يذكر المؤلف في بحث الحج و الزيارة ان الشيعة يجيزون إنابة أشخاص آخرين للحج عنهم عند الضرورة ، و قد يعترضون عنه بالزيارة الى النجف (حيث يدفن الامام على) أو كربلا. و لا شك ان المؤلف غير مصيب في هذا القول لأن الشيعة يعتبرون الحج من أركان الاسلام مثل سائر المسلمين كما يذكر المؤلف نفسه في الص ٥٣ من نفس الكتاب. و يقول المؤلف في موضع آخر ان النجف التي تعد مركزا للثقافة

موسوعة العتبات المقدسة، ج٦، ص: ٣٢٨

الشيعة و التعلم في العالم الاسلامى كله قد ساعدت خلال الأزمات السياسية التي حصلت في الحقبة التي نالت فيها البلاد استقلالها بعد الحرب العامة الأولى، على تلقين طلبتها الروح الوطنية أهمية التراث العربى الخالد. و في أثناء البحث عن الحركة الأدبية يقول «ان النجف خلال الحرب العالمية الأولى و ما بعدها كانت قد غرست في طبقة جديدة من الشعراء فكرة الوطنية الحديثة و الروح القومية التي تؤكد على التمسك بالتراث العربى المعروف. و قد أنتجت هذه المدرسة العربية الحديثة شعرا متشعبا بالشعور الوطنى المتسامى.

و كان لمفاخر الحضارة العربية و مآثر العرب التاريخية القدح المعلى في تفكير اولئك الشعراء، و نادرا ما كانوا يلتفتون الى موارد الثقافة الأخرى أو يحاولون استخدام أساليب جديدة في تطوير أفكارهم أو تغيير المواضيع التي يحصرون تفكيرهم فيها. و مع هذا فقد كان الجمهور و ما يزال يقدر هذا الشعر حق قدره و يعمل على حفظه و التغنى به». ثم يقول عن الشعر العراقى خلال الحرب العالمية الثانية و ما بعدها إنه دخل في طور جديد من اطواره فإن الاتجاهات الأدبية القديمة الموجودة في النجف و بغداد لم تعد مسيطرة على لب الشعراء و الكتاب الشأن. لأن الطبقات المتعلمة أخذت تتعرض بازدياد الى الآراء و الأفكار الجديدة التي جاءت اليهم من أوربه و أمريكا بصورة مباشرة و غير مباشرة، عن طريق السيل المتدفق على البلاد من الكتب و النشرات المطبوعة في مصر و لبنان.

الجزء السابع

[الجزء الثانى من قسم النجف]

إشارة

موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف ٧

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣

موسوعة العتبات المقدسة ٧ الجزء الثانى من قسم النجف

تأليف جعفر الخليلى منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت- لبنان ص. ب ٧١٢٠

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٤

جميع الحقوق محفوظة و مسجلة الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت- شارع المطار- قرب كليئة

الهندسة- ملك الاعلمى- ص. ب: ٧١٢٠

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٥

[كلمة دار التعارف]

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين

لم نزل نعتقد ان القسم الخاص بتاريخ النجف من موسوعة العتبات المقدسة لن يقل عن عشرة اجزاء نأمل ان نأتي فيها على تاريخ هذه العتبة منذ اول دخول اسمها سجل التاريخ حتى هذا اليوم، متوخين في ذلك الاحاطة التامة بجميع ما يتعلق بهذه العتبة من جميع وجوهها التاريخية و العمرانية، و الاجتماعية، و العلمية، و الادبية، و السياسية في غربلة يفرضها الاسلوب الحديث، و العقلية العلمية، و لما كان مثل هذا المشروع لن يتم على وجهه الكامل، و الوجه القريب من الكمال على الاقل، الا على ايدي المتخصصين من ارباب العلم، و المعرفة، فقد وضعنا لكل قسم و لكل جزء تخطيطا هو اشبه بتخطيط البناء و تصاميم المشاريع ثم نظنا كل جانب بأهل الخبرة و الاطلاع و ارباب الاختصاص.

و على هذه الطريقة اتمنا الجزء الاول من (قسم النجف) و هذا هو الجزء الثاني الذي تمت مسوداته قبل غيره من الاجزاء الخاصة بالاقسام الاخرى، و لما كنا قد التزمنا بطبع اى جزء يفرغ مؤلفوه من تأليفه دون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٦

مراعاة اى ترتيب آخر، فقد تقدمنا بطبع هذا الجزء على ان نلحق به الاجزاء الاخرى حتى نبلغ الجزء العاشر الذي نظن اننا سنستوفى به كل تاريخ النجف وفق الخطة الموسومة للتأليف.

و الجزء الثاني هذا كما يرى القارىء يشتمل على معلومات ثقافية تخص تاريخ الدراسة، و نوعها، و طريقتها، و مراحلها، و الكتب الخاصة بها، ثم المدارس و هندستها و سكانها و طريقة معيشة هؤلاء السكان من الطلاب منذ اول تاريخها حتى هذا اليوم، و ما جرى عليها من تطور فى البناء و الهيكل و الوقف، ثم مكاتب النجف التى كسبت كتبها فى كثير من الازمان شهرة كبيرة من حيث انفرادها و انحصارها بها، و قدم نسخها، و بهذا الجزء تم الحصول على معلومات وافية كافية عن تاريخ الجانب المهم من الثقافة النجفية فى دراستها، و مدارسها، و مكباتها.

اما الادب النجفى و طريقتة، و لونه، و طابعه، و الادباء النجفيون، و نشأتهم، و امزجتهم الادبية، مما يمثل جانبا آخر من الثقافة فقد خصص له مكان آخر فى احد الاجزاء الاخرى، و لا نبتغى من وراء هذا المسعى الا ان نكون قد وفقنا فى وضع لبنه و لو كانت صغيرة فى بناء هذا الصرح العظيم؛ صرح العتبات المقدسة الشامخ بالمجد و العظمة، و يخيل إلينا اننا قد وضعنا او على الاقل بدأنا نضع هذه اللبنة سائلين الله ان يأخذ بايدينا الى النهاية.

بغداد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٧

[الدراسة و تاريخها فى النجف كتبه السيد محمد بحر العلوم]

[إشارة]

خريج كلية الفقه و العضو الادارى لجمعية الرابطة العلمية و جمعية منتدى النشر فى النجف الاشرف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٩

تمهيد

«انا مدينة العلم و على بابها»

«الحديث الشريف»

تشرفت النجف بمرقد مثال العلم و المعرفة الامام أمير المؤمنين على عليه السلام الانسان الذى قال فيه رسول الله (ص) الحديث الشريف «انا مدينة العلم، و على بابها».

و كان الحرى بهذه المدينة المقدسة ان تصبح بعد زمان محظا لانظار العالم الاسلامى يهاجر اليها المئات من طلاب الفضيلة للتعلم، و الاشتغال العلمى، و توجه اليها نفوس الملايين من المسلمين فى اقطار العالم الاسلامى كافة، ينظرون اليها بعين ملؤها التعظيم، و الاجلال، و التقديس، و تكون يوما ما مقرا للافتاء، و التقليد، و مركزا للمرجعية الكبرى التى تدير شؤون الشيعة فى العالم الاسلامى.

و برزت النجف الاشرف على مسرح التاريخ كجامعة علمية دينية لها جذورها القديمة، و لها تراثها الاصيل الخاص، و الذى يمثل الفقه و الاصول، و ان لم تعدم جوانب المعرفة الاخرى، و الثقافة العامة، و خاصة الادب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٠

العربى فلقد اسهمت فيه هذه المدينة اسهاما كبيرا يتجلى ذلك فى الكتب الكثيرة التى اصدرتها فى ميدان النثر و الشعر.

و حتى اصبحت النجف الاشرف بثروتها الادبية مصدرا ثرا فى دنيا الادب يفرض نفسه على التراث الادبى الاصيل بكل فخر و اعتزاز. و من أجل ان نصل الى تحديد تاريخى للبنية الاولى لحياة هذه الجامعة العلمية، لا بد ان نستعرض تاريخ هذه المدينة المقدسة العلمى، لننتهى الى ما نصبو اليه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١١

النجف قبل الشيخ الطوسى

يدور سؤال على الشفاه: ما ذا كانت النجف الاشرف قبل هجرة الشيخ الطوسى اليها من الناحية العلمية؟ و يبدو هنا اتجاهاً:

احدهما- يذهب الى وجود حركة علمية فى هذه المدينة المقدسة.

و ثانيهما- ان النجف كانت قاحلة علميا، و عند هجرة الشيخ الطوسى اليها أوجد فيها حركة علمية.

و عند استعراضنا لمثبتات الداهيين الى القول بوجود حركة علمية قبل الشيخ الطوسى نراها تتلخص بما يلى:

١- أورد السيد ابن طاووس - و هو من المختصين بتاريخ النجف -

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٢

بان عضد الدولة زار المشهد العلوى الطاهر عام ٣٧١ هـ، و تصدق، و اعطى الناس على اختلاف طبقاتهم، و كان نصيب الفقراء و الفقهاء ثلاثة آلاف درهم.

٢- صدور إجازات علمية من النجف الاشرف قبل ورود الشيخ الطوسى اليها.

منها: ما نقلته المصادر بان من مشائخ الشيخ الصدوق، محمد بن على بن الفضل الكوفى، سمع منه سنة ٣٥٤ هـ، عند وروده الى الكوفة و هو فى طريقه الى الحج، و كان سماعه بمشهد امير المؤمنين» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٣

و منها: ما ذكره النجاشى فى ترجمة الحسين بن احمد بن المغيرة ابى عبد الله البوشنجى ما نصه:

«كان عراقيا مضطرب المذهب، و كان ثقة فيما يرويه، له كتاب (عمل السلطان) أجازنا بروايته ابو عبد الله (الحسين بن جعفر بن محمد المخزومى الخزاز المعروف) بابن الخمرى الشيخ الصالح بمشهد مولانا امير المؤمنين (ع) سنة اربعمائه».

٣- ورد ذكر لبعض البيوت العلمية التي لمعت في النجف في القرن الرابع الخامس كآل شهر يار ، و آل الطحال ، و غيرهما . و قد جمعت هذه البيوت بين الفضيلة و خدمة الروضة الحيدرية .

٤- النقابة في النجف: و هذا المركز اقرب الى الروحي من غيره، و لقد ذكرت الكتب المختصة ان عددا من الاعلام تولوا نقابة المشهد .

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٤

منهم السيد شريف الدين محمد المعروف بابن السدره ، اقام في النجف عام ٣٠٨ هـ، حتى توفي فيه، و كذلك ناصر الدين مطهر بن رضى الدين محمد بن الحسين ، و قد تولي نقابة المشهدين العلوي و الحسيني)، بالاضافة الى الكوفة اشهرها .

٥- علماء نسبو الى النجف قبل عهد الشيخ الطوسي، منهم:

آ- احمد بن عبد الله الغروي، يروي عن ابان بن عثمان من اصحاب الامام الصادق (ع) .

ب- شرف الدين بن علي النجفي، وصفه الشيخ الطوسي بقوله: « كان صالحا فاضلا » .

ج- عبد الله بن احمد بن شهر يار، ابو طاهر: كان معاصرا للشيخ المفيد، يروي عنه ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، و النجاشي في كتاب الامامة .

د- احمد بن شهر يار، ابو نصر الخازن للحضرة الغروية، كان من رجال العلم و حملة الحديث، معاصرا للشيخ الطوسي .

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٥

و غير هؤلاء كثيرون لو حاولنا تتبع تراجمهم .

٦- و ذهب البعض بأن الشاعر الحسين بن احمد المعروف بابن الحجاج اراد بهذا البيت:

و قل سلام من الله السلام على أهل السلام؛ و اهل العلم و الشرف

الاشارة لأهل العلم الساكنين في النجف الاشرف، و المجاورين لقبر الإمام على عليه السلام و ذلك عند زيارته للنجف في اواخر القرن الرابع الهجري، و انشد قصيدته المشهورة:

يا صاحب القبة البيضاء على النجف من زار قبرك و استشفى لديك شفى

هذه هي أهم مقومات الداهيين الى القول بأن الهيئة العلمية في النجف كانت قبل هجرة الشيخ الطوسي .

و من هذه المقومات انسابت الافكار في التحديد التاريخي لتأسيس الجامعة النجفية، و تكاد تنحصر في اتجاهين:

الاول- انها تأسست على يد الشيخ المفيد - استاذ الشيخ الطوسي -

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٦

و ذلك عندما انتقل اليها من بغداد، او (عند نفيه منها على حد تعبير بعض المترجمين) من قبل السلطة المسؤولة، و ذلك بسبب ما حصل هناك من الاختلافات و الثورات الطائفية، فاختار الشيخ النجف الاشرف .

و يرى البعض ان انتقال الشيخ المفيد الى النجف كان برغبة من البويهيين الذين يؤيدون المذهب الشيعي، و لقد حدثتنا المصادر: بان في ايام عضد الدولة نشطت الحركة العلمية في بغداد و غيرها، و كان نصيب النجف الاشرف كبيرا، فقد كان يرغب في تأسيس حركة مناهضة للحركة العلمية في بغداد، بدافع العقيدة، و لذا أخذ يبذل الأموال الطائلة في تشييد مرقد الامام على عليه السلام، و الاهتمام بالعلماء الذين فيها .

و نقلت المصادر: بأن عضد الدولة كان يحترم الشيخ المفيد الى حد كان يحمله على زيارته في داره . و لعل هذا الاحترام للشيخ، و الاتصال الاكيد به من قبل الوزير عضد الدولة هو الذى دفع باصحاب هذا الاحتمال الى نسبة تأسيس الجامعة النجفية الى الشيخ المفيد .

و هذا الرأى، و هو نسبة تأسيس الجامعة النجفية الى الشيخ المفيد، يبقى مفتقرا الى الدعم التاريخى، فالذى نقرأه فى ثنايا التاريخ لم يشعرنا من قريب او بعيد بأن الشيخ المفيد انتقل الى النجف كمهاجر اليها سواء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٧

بمحض اختياره، او بطلب من عضد الدولة، او بنفى من قبل الدولة.

و القول الاخير خاصة- و هو موضوع النفى- بعيد كل البعد، لأن الشيخ المفيد عاش فى عهد البويهيين، محترما كل الاحترام، و مقدرًا كل التقدير. و لقد نقلت لنا الروايات بأن «يوم وفاته كان مشهورا، و شيعه ثمانون الفا من الرفضه و الشيعة».

اما فى حياته فقد كانت ملوك الاطراف تعتقد به لكثرة الميل الى الشيعة فى ذلك الزمان، و كان يحضر مجلسه خلق عظيم من العلماء من جميع الطوائف و الملل».

و قال الياضى: «و كان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة و العظمة فى الدولة البويهية».

و اذا كان الامر بهذه المثابة من الاحترام و التقدير فكيف نحتمل ان الشيخ المفيد نفى من بغداد؟ بالاضافة الى اننا لم نعر على مصدر تاريخى يدعم هذا القول، و لهذا فليس بالامكان اخذه بنظر الاعتبار.

الثانى- ان تأسيس الجامعة ينتهى الى أبعد من هذا. فهناك من يعتقد ان النجف فى واقعها امتداد الى معهد الكوفة العلمى، و الذى شيد اركانه الإمام على عليه السلام، و بلغ أوجه فى عهد الامام الصادق (ع).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٨

فلقد اعتبرت مدرسته من ابرز المدارس العلمية فى الكوفة، و كان رواه ابى عبد الله عليه السلام اربعة آلاف أو يزيدون.

يقول الحسن الوشاء: «إنى ادركت فى هذا المسجد- و يعنى مسجد الكوفة- تسعمائة شيخ كل يقول: حدثنى جعفر بن محمد عليه السلام».

و كان فى طليعة اولئك الذين اخذوا عنه العلم: ابو حنيفة النعمان بن ثابت، و مالك بن أنس، و سفيان الثورى، و ايوب السجستاني، و محمد بن اسحاق بن يسار،- صاحب المغازى و السير-، و ابان بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٩

تغلب، و زراره بن أعين، و المفضل بن عمر، و هشام بن الحكم، و جابر الجعفى، و جابر بن حيان، و غيرهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٠

و لما كانت الكوفة مركزا كبيرا لتلامذة أهل البيت عليهم السلام، فلا بد لهم ان يتخذوا من مرقد الامام، و هو العتبة المقدسة مقرا لهم، خاصة عندما تبدلت ظروف الكوفة. فلقد تفرق على اثرها علماء الكوفة، و انتقل بعضهم الى بغداد، و انتقل البعض الآخر الى النجف الاشرف متخذًا من جوار هذا المرقد الطاهر مركزا له للعبادة، و التحصيل العلمى.

و هذا الرأى الذاهب الى القول بأن الجامعة النجفية امتداد الى مدرسة الكوفة مستبعد لأمرين:

الاول- ان مرقد الامام على عليه السلام لم ينكشف أمره الا فى عهد هارون الرشيد- الخليفة العباسى- فى حدود سنة ١٧٠ هـ، و جاء فى بعض المصادر؛ و بعد سنة ١٨٠ هـ جاوره الناس. و هناك رواية تقول:

ان داود بن على العباسى المتوفى عام ١٣٣ هـ اكتشف قبر الامام، و عمل له صندوقا، و عندما وقف العباسيون ضد العلويين هجر القبر الشريف، و عفى أثر ذلك الصندوق، و انطمس رسمه، حتى جاء عصر الرشيد فأظهره.

و فى هذه الحال، لم يظهر لنا من ثنايا التاريخ بأن النجف قد سكنت من قبل احد، اللهم الا ان ندعى بأن النجف و الكوفة واحدة، و هذا ما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢١

يكذبه الوجدان، فليس - على ما نعتقد - من يوحد بين هذين البلدين.

الثاني - ان هذا الافتراض بأن النجف ضمت بعض الاعلام بعد انتقالهم من الكوفة يبقى محتاجا الى دليل يدعمه، و لا دليل لدينا لذلك.

* بعد هذا كله: فإننا لا نستطيع ان نخفى كل هذا، كما لا نقبل كل ذاك، و انما المرجح ان نذهب الى حد وسط، و هو ان النجف قبل هجرة الشيخ الطوسي في عام ٤٤٩ هـ كانت فيها جذور علمية، و تضم بعض رجالات الفضل و العلم، اتخذوا من النجف الاشرف بعد ظهور القبر فيه مقرا لهم.

و يدعم رأينا هذا شيخنا اغا بزرك الطهراني اذ يقول: اننى اذهب الى القول بأن النجف كانت مأوى للعلماء، و ناديا للمعارف، قبل هجرة الشيخ إليها و ان هذا الموضع المقدس اصبح ملجأ للشيعة منذ انشئت فيه العمارة الاولى على مرقد الامام أمير المؤمنين عليه السلام، لكن حيث لم تأمن الشيعة على نفوسها من تحكيمات الامويين و العباسيين، و لم يستطيعوا بث علومهم، و رواياتهم كان الفقهاء و المحدثون لا يتجاهرون بشيء مما عندهم، و كانوا متبديدين حتى عصر الشيخ الطوسي، و الى ايامه، و بعد هجرته، انتظم الوضع الدراسي، و تشكلت الحلقات، كما لا يخفى على من راجع (امالي الشيخ الطوسي) الذي كان يمليه على تلامذته.

و كذلك يرى الدكتور مصطفى جواد: بأن في النجف اعلاما بثوا العلم قبل الشيخ الطوسي، و يصعب التصديق، بأن الشيخ اول من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٢

جعل النجف مركزا علميا.

و كيفما كان فوجود بعض الاعلام لم ينهض دليلا على حركة علمية في النجف قبل هجرة الشيخ الطوسي.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٣

من هو الطوسي؟

هو الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي. - نسبة الى طوس من مدن خراسان - المعروف بشيخ الطائفة. من رجالات العلم و جهابذته المبرزين.

ولد في طوس في شهر رمضان عام ٣٨٥ هـ، و هاجر الى العراق، و حط رحله ببغداد عام ٤٠٨، و هو في الثالثة و العشرين من عمره.

و كان الاستاذ المبرز، و الشيخ المطلق للشيعة يومذاك محمد بن محمد ابن النعمان العكبري البغدادي، المعروف بالشيخ المفيد، كما عرف ببعض المصادر (بابن المعلم).

صورة خيالية لشيخ الطائفة الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

و عند وصول الشيخ الطوسي الى بغداد لازم الشيخ المفيد، و تلمذ عليه، و بقي معه حتى سنة ٤١٣، حيث لبى علم الطائفة الشيخ المفيد نداء ربه،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٤

فانتقلت الزعامة المطلقة الى أجل تلامذته علم الهدى الشريف المرتضى على ابن الحسين الموسوي، و بطبيعة الاستمرارية لازم الشيخ الطوسي استاذ علم الهدى السيد المرتضى، و استفاد من علمه و ملازمته. و كان موضع عناية و اهتمام كبير لدى استاذة الشريف بحيث تميز عن سائر تلامذته، و بقي ملازما له طيلة ثلاث و عشرين سنة.

قال السيد علي خان: «و كان (السيد المرتضى) يدرس في علوم كثيرة و يجري على تلامذته رزقا، فكان للشيخ أبي جعفر الطوسي

ايام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٥

قراءته عليه كل شهر اثنا عشر دينارا، و للقاضي ابن البراج كل شهر ثمانية دنانير» .

و في عام ٤٣٦ هـ استجاب السيد المعظم الى دعوة ربه، و عند ذاك كان المرشح الوحيد لمركز الزعامة الدينية الشيخ الطوسي، فأصبح علما للشيعة، و كانت داره في كرخ بغداد مأوى الامة، يقصدونها للاستفادة من هذا الزعيم العلمي الكبير. و التف حوله عدد كبير من اهل الفضل و العلم للتلمذة عليه، و الانتهاال من نمير فضله، حتى حددت المصادر بأن عدد تلاميذه بلغ ثلاثمائة مجتهد من اعلام الشيعة، و من اهل السنة ما لا يحصى كثرة .

و باتساع أفق هذه الشخصية العلمية، و ما بلغ به من العظمة و المنزلة جعل له القائم بأمر الله العباسي ، كرسيا للكلام، و الافادة. و هذا التقدير من الخليفة العباسي يومذاك كان له كبير الاهمية، إذ لم يسمح به إلا لمن بلغ في العلم مرتبة سامية يتميز بها على اقرانه، و لم يكن في بغداد في عهده من يفوقه قدرا، و يعلوه مكانة، و يفضل عليه علما.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٦

لذا كان هو المتعين لهذا الشرف .

و لعنا في سبيل الاستشهاد على عظمة الشيخ نذكر نصين يعكسان لنا مدى ما يتمتع به من المكانة و المنزلة عند الامة.

١- قال ابن تغري بردي : «ابو جعفر الطوسي، فقيه الامامية الرافضة و عالمهم، و هو صاحب التفسير الكبير، و هو عشرون مجلدا، و له تصانيف اخر. مات بمشهد على ... كان رافضيا، قوى التشيع» .

٢- و قال الدكتور محمود محمد الخضيرى: «... رجل واحد يقال له (الشيخ الطوسي) مع ان مدينه (طوس) التي ينتسب اليها لا تعتمد في شهرتها و مجدها على غيره- على كثرة من أنجبت على طول تاريخها المديد- من مشاهير الرجال، في عالم العلوم و الآداب و السياسة و الحرب، و وفرة من ينتسب اليها قبل الشيخ و بعده من الشيوخ و العلماء ذلك لانه- في الحقيقة- رجل فذ بين علماء الاسلام، رفعت مؤلفاته الكثيرة العدد و جهوده العلمية المثمرة الى مرتبة عالية ممتازة، لا ينافسه فيها أحد، فاستحق بذلك أن يمنحه مواطنوه هذا اللقب تشريفا له بين جميع من ينتسبون الى مدينتهم- ذات المجد التليد- و استحق الشيخ عند الشيعة لقباً آخر يزيد عن اللقب الأول

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٧

في مغزاه، و يعبر بفصاحة- لا- مثل لها- عن جميل تقديرهم اياه، و يعين منزلته بين جميع الطائفة الاثني عشرية، و ذلك اذ يلقبونه (شيخ الطائفة)، و اذا اطلق أحد هذين اللقبين أو كلاهما على شخص لم ينصرف ذهن العارفين إلى شخص سواه ...» .

هذان النسان القديم و الحديث يمكن ان نعرف منهما المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها شيخنا العظيم عند المسلمين،

لقد بلغت منزلة الشيخ في بغداد أوجها بين علماء العصر من جميع الطوائف و بلغ قبول اهل السنة له ان اعتبره بعض مؤرخيهم من اعلام السنة على نحو ما فعل السبكي ، إذ عده من علماء الشافعية فقال:

«... أبو جعفر الطوسي، فقيه الشيعة، و مصنفهم، كان ينتمى الى المذهب الشافعي ..» .

و هذا حذو السبكي الحاج خليفة ، فقد نقل في كتابه (كشف

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٨

الظنون) عبارة السبكي.

و هذه النسبة اذ ابعدا السبكي عن الاشتباه و الغلط فما نفسرها الا بمدى المكانة التي يتمتع بها الشيخ الطوسي في نفوس الاعلام من المسلمين، حتى ذهب الظن بالبعض انه شافعي، او معتزلي، او اى شىء آخر.

و الحقيقة التي لا غبار فيها ان الشيخ من اركان المذهب الجعفرى.

و انه حاز الثقة التامة من طبقات الشيعة جمعاء في رواية الحديث و تحليله .

العاصفة الطائفية و تأثيرها على الشيخ:

و ما كادت السنة ٤٤٩ هـ تشرف على الانتهاء، حتى هبت عاصفة هوجاء خطيرة المغزى، عميقة الجذور، هددت بغداد بالفناء. تلك هي حوادث الطائفية الرعناء الدامية.

و لم تكن هذه العاصفة وليدة تلك الايام و انما بلغت ذروتها في هذا العهد، و خاصة عندما قطعت الخطبة للقائم العباسى ببغداد، و خطب للمستنصر الفاطمى على منابر بغداد و العراق كله، فكتب القائم بأمر الله الى طغرلبك السلجوقى فى الباطن يستنهضه الى المسير الى العراق، و كان بناوحى

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٩

خراسان، فدخلها سنة ٤٤٧ هـ . و تقوض حكم البويهيين بدخوله، و توليه الحكم من قبل القائم العباسى.

فمنذ وروده الى بغداد اخذ يشن حملة شعواء على الشيعة، و يقسو عليهم و قد عز على هذا السفاح الاهوج ان يزدهر المذهب الجعفرى، و ينتشر فقر ان يعمل جادا فى بعث التفرقة الطائفية بين المسلمين، او فى الحقيقة يؤجج لهيها من جديد، فالمصادر التاريخية تؤكد وقوع الحوادث الدامية بين الشيعة و السنة، و قد استمرت من عام ٤٤١ هـ الى دخول طغرلبك ٤٤٧ هـ فهى مثلا بين شدة و ضعف.

حتى اذا بلغت سنة ٤٤٨ هـ قال ابن تغرى بردى «و فيها أقيم الاذان» فى مشهد موسى بن جعفر. و مساجد الكرخ ب «الصلاة خير من النوم» على رغم انف الشيعة و ازيل ما كانوا يقولونه فى الاذان من «حى على خير العمل» .

و اشتد هذا الجو المتأزم بالطائفية على مرور الايام، و انقلب الى حوادث دامية، فقد ذكر لنا ابن الجوزى صورة من هذه الحوادث فى سنة

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣٠

٤٤٨ هـ فيقول:

«و فى هذه السنة اقيم الاذان فى المشهد بمقابر قريش، و مشهد العقبة و مساجد الكرخ ب «الصلاة خير من النوم» و ازيل ما كانوا يستعملونه فى الاذان «حى على خير العمل» و دخل الى الكرخ (و هو معقل الشيعة) منشدو اهل السنة من باب البصرة فأنشدوا الاشعار فى مدح الصحابة، و تقدم رئيس الرؤساء الى ابن النسوى بقتل ابى عبد الله الجلاب (شيخ البزازين) بباب الطاق لما كان يتظاهر به من الغلو فى الرفض فقتل و صلب على باب دكانه» .

و اذا فالتنة الطائفية بلغت ذروتها، و لم يسلم منها كل شيعى سكن بغداد و كان نصيب الشيخ الطوسى منها كبيرا باعتباره الشخصية الشيعية الاولى، و علمهم المبرز، فقد «كسبت دار ابى جعفر الطوسى (و يصفه ابن الجوزى ب (متكلم الشيعة). بالكرخ. و أخذ ما وجد من دفاتره، و كرسى كان يجلس عليه للكلام، و أخرج الى الكرخ، و أضيف اليه ثلاث سناجق بيض - و هو اللواء-، كان الزوار من اهل الكرخ قديما يحملونها معهم، اذا قصدوا زيارة الكوفة، فاحرق الجميع. و هرب ابو جعفر الطوسى، و نهبت داره ...» .

اما ابن حجر العسقلانى: فيوضح السبب الذى دعا الى هذا الهجوم

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣١

المعاكس على شيخ الطائفة بعد ان كان معززا مكرما، بحيث يبلغ الامر به ان تحرق كتبه، و تنهب داره، و يحدث ما حدث، و يقول: «قال ابن النجار: احرقت كتب الطوسى عدة نوب بمحضر من الناس فى رحبة جامع النصر، و استتر هو خوفا على نفسه، بسبب ما يظهر من (انتقاص السلف) ...» .

و لعلنا وضعنا اصابعنا على الاسباب الرئيسية لهذه الحوادث الدامية من خلال ما عرضناه من نصوص تاريخية توضح لنا معالم المشكلة،

و التي ذهب ضحيتها عدد كبير من المسلمين. بفعل تلك الطائفة الرعناء، و التعصب المخزى الاعمى الفظيع.

الشيخ الطوسي يهاجر الى النجف:

و من جراء هذه الحوادث المؤلمة، و الخطر المحقق، اختار الشيخ الطوسي - رحمه الله - النجف مقرا له، و مركزا لحركته العلمية. فالنجف الاشرف تمتعت بميزات خاصة فضلت على بقية المدن العراقية، فهي تضم مرقد امام العلم و الفضيلة، امير المؤمنين عليه السلام، و فيها تربة قابلة للنمو العلمي و ذلك لوجود بعض الاعلام الذين سبقوا شيخنا الراحل من اتخاذ النجف مركزا لهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٣٢

بالاضافة الى ان النجف تنكئ على الكوفة، و هذه المدينة علوية في ذاتها و هي و ان وقفت في فترة ضد آل البيت عليهم السلام، الا أنها عادت الى رشدتها بعد زمان، و اصبحت موثلا للشيعة، و مركزا للتوايين، و منطلقا للثورات العلوية.

و اذا كان هذا الجانب متوفرا في مدينة الامام على (ع)، فلا بد ان يكون هو المفضل لدى الشيخ الجليل، الذي اضطرته المشاكل الطائفية، و حوادثها الدامية الى ان يصمم على ترك بغداد.

و انتقل الى النجف الاشرف عام ٤٤٩ هـ، و حظ رحله فيها، و من الطبيعي ان يظهر دور جديد في حياته العلمية. خاصة اذا لاحظنا انه عند هجرته الى مدينة النجف قد انصرف عن كثير من المشاغل، و انصرفه انصرافا كاملا الى البحث الامر الذي ساعده كل المساعدة على انجاز دوره العلمي العظيم، الذي ارتفع به الى مستوى المؤسسين.

و دبت في النجف حركة علمية نشيطة بفضل شيخنا الراحل، و توطدت اركانها بمرور الزمن، حتى برزت مظاهر الحياة العلمية المرتبة و واضحة للعيان. و اصبحت الجامعة تضم عددا من طلاب المعرفة لا يستهان بهم، و اخذت تتكاثر يوما بعد يوم.

بين حوزتين علميتين:

و لقد ذكرت كتب الرجال ان تلامذة الشيخ الطوسي بلغوا من الشيعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٣٣

فقط ثلاثمائة، اما من السنة فلا يحصى .

و هذا العدد الذي تكاد المصادر تجمع عليه نراها عند تعداد اسمائهم لا تصل بهم الى اكثر من ستة و ثلاثين اسما.

و لا بد ان نتساءل عن هذا العدد من الطلاب و المحصلين، هل هم من اركان حوزته العلمية في بغداد، و قد انتقلوا معه الى النجف، أو انهم نشأوا في النجف، و نمت الحوزة بهم على عهده بالتدريج، بحيث برز فيها العنصر المشهدي - نسبة الى المشهد العلوي -.

و رجحت بعض المصادر الاصولية: ان الشيخ عند هجرته الى النجف انفصل عن حوزته التي أسسها ببغداد، و أنشأ في مهجره النجف حوزة جديدة. و تستند في دعواها الى عدة مبررات. نلخصها بما يلي:

اولا- ان مؤرخي هجرة الشيخ الطوسي الى النجف لم يشيروا إطلاقا إلى أن تلامذة الشيخ في بغداد رافقوه، أو التحقوا به فور هجرته الى النجف.

ثانيا- ان قائمة تلامذة الشيخ التي يذكرها مؤرخوه نجد انهم لم يشيروا الى مكان التلمذة إلا بالنسبة الى شخصين جاء النص على انهما تلمذا على الشيخ في النجف، و هما الحسين بن المظفر بن علي الحمداني، و الحسن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٣٤

ابن الحسين بن الحسن بن بابويه القمي.

ثالثاً- و مما يعزز احتمال حداثة الحوزة الدور الذي اداه ابن الشيخ المعروف بابي علي ، فقد تزعم الحوزة بعد أبيه. و من المظنون انه كان في دور الطفولة او أوائل الشباب حين هجرة والده، ذلك لانعدام تأريخ ولادته، و وفاته، و لكن الثابت تاريخياً انه كان حياً في سنة ٥١٥ هـ، اي انه عاش بعد هجرة الشيخ قرابة سبعين عاماً، و يذكر عن تحصيله انه كان شريكاً في الدرس عند أبيه مع الحسن بن الحسين القمي، الذي ارجح كونه من الطبقة المتأخرة، كما يقال عنه ان أباه أجازته سنة ٤٥٥ هـ، أي قبل وفاته بخمسين سنة، و هو يتفق مع حداثة تحصيله.

فاذا عرفنا أنه خلف أباه في التدريس و الزعامة العلمية للحوزة في النجف، بالرغم من كونه من تلامذته المتأخرين في اغلب الظن استطعنا ان نقدر المستوى العلمي العام لهذه الحوزة، و يتضاعف الاحتمال في كونها حديثة التكون.

و الصورة التي تكتمل لدينا على هذا الاساس هي: ان الشيخ الطوسي

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣٥

بهجرته الى النجف انفصل عن حوزته الأساسية في بغداد، و انشأ حوزة جديدة حوله في النجف، و تفرغ في مهجره للبحث و تنمية العلم .

و اذا عدنا فألقينا نظرة على هذا النص الذي يذكره المؤرخون بأن تلامذة الشيخ من الشيعة بلغوا ثلاثمائة، و من السنة ما لا يحصى كثرة، فمن المؤسف جدا ان هذا العدد الكبير من التلاميذ لم يصل لنا من اسمائهم الا ما يربو على الثلاثين و ان الشيخ منتج الدين بن بابويه القمي و المتوفى بعد عصر الشيخ بقليل، لم يستطع الوقوف على اسمائهم، فلم يذكر منهم في كتابه الفهرست، المطبوع في آخر البحار إلا ستة و عشرين اسماً، و زاد عليهم العلامة السيد محمد مهدي بحر العلوم في (الفوائد الرجالية) اربعة.

فتمت عدتهم ٣٠، و هؤلاء معروفون ذكرتهم مقدمات كتب الشيخ المطبوعة.

و اضاف شيخنا اغا بزرك الطهراني لهذا الثبوت اسماء ستة، فأصبح العدد ستة و ثلاثين، و قال بعد ذلك: «و هؤلاء ستة و ثلاثون عالماً من تلاميذ الشيخ الطوسي المعروفين.

و ان كنا لا نستطيع القطع بأن هذه المجموعة من التلاميذ تمثل بحق الحوزة

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣٦

النجفية او البغدادية

و لا شك ان الحوزة العلمية التي اسسها الشيخ الطوسي في النجف الاشرف كانت فتحاً كبيراً، و في الوقت نفسه كانت نواة للجامعة العلمية التي عاشت الاجيال.

و لكنها في الوقت نفسه لم تتمكن ان ترقى الى مستوى التفاعل المبدع مع التطور الذي انجزه الشيخ الطوسي في الفكر العلمي، و ذلك لحداثة هذه الحوزة. و ان كانت هذه الهجرة الى النجف قد هيأت له الفرصة للقيام بدوره العلمي العظيم لما اتاحت له من تفرغ تام لهذه الناحية المهمة.

و كان لا بد لهذه الحوزة الفتية ان يمر عليها زمان حتى تصل الى مستوى من التفاعل العلمي و النضج الفكري لقبول افكار الشيخ و آرائه العلمية، و توأكب ابداعه بوعى و تفتح .

و من هذا التاريخ تدخل النجف المرحلة العلمية المنتظمة، و تستمر بين شدة و ضعف، فتقطع اشواطاً بعيدة في مسيرتها الجامعية، و هي تسجل لمؤسستها دور القيادة و الزعامة بكل تقدير و اقبال.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣٧

أدوار الجامعة النجفية خلال مسيرتها العلمية

إشارة

فى خلال هذه المسيرة الطويلة- و التى تكاد تدق أبواب الألف عام- تمر هذه الجامعة بأدوار يمكننا أن نحصرها بثلاثة أدوار مهمة نعرضها بإيجاز.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣٨

الدور الأول لجامعة النجف

إشارة

و يبدأ هذا الدور بانتقال الشيخ الطوسى - رحمه الله- الى النجف، حيث وجد فى هذه التربة الطيبة قابلية تامة للغرس و الاستثمار، فأسس هيئة علمية منظمة ذات حلقات، و نظما خاصة من حيث التدريس، و قد ظهر اثر ذلك فى كتابه المسمى (امالى الشيخ الطوسى) الذى كان يمليه على تلامذته .

و كان من أجمع ما يذكر فى هذا الصدد تنسيقه للدراسة العلمية فى اقسامها الثلاثة: الفقه، و الحديث، و الاصول. فقد وضع فى هذه العلوم مؤلفات كانت موضع اهتمام الاعلام المبرزين من الفقهاء و الاصوليين.

ففى نطاق الفقه كان كتاب (المبسوط) يمثل مدى «التطور العظيم فى البحث الفقهي على صعيد التطبيق بالشكل الذى يوازي التطور الاصولي على صعيد النظريات».

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣٩

و كانت «مساهمة الشيخ فى الاصول- مثلا- مجرد استمرار للخط و انما كانت تعبر عن تطور جديد كجزء من تطور شامل فى التفكير الفقهي العلمى له. أتيح لهذا الفقيه الرائد ان يحققه. فكان كتاب (العدة) تعبيراً عن الجانب الاصولي من التطور» .

و الى جانب هذين العاملين، قام الشيخ الطوسى بعمل مهم و على مستوى واسع النطاق فى جمع الاحاديث المنقولة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام، و ذلك ب «دمج المجاميع الصغيرة فى موسوعات كبيرة، فما انتهى ذلك حتى حصل الفكر العلمى الامامى على مصادر اربعة موسعة للحديث» .

و كان نصيب الشيخ الطوسى من هذه الاصول اصليين كبيرين هما:

كتاب (التهذيب)، و كتاب (الاستبصار) فى ثلاثة مجلدات .

و لم يكن هذا كل تراث الشيخ الطوسى - رحمه الله- فالى جانب التراث الاصولي و الفقهي الضخم خلف تراثا رائعا فى التفسير، فقد وضع (التيان) فى عشرة مجلدات، و كان هذا النتاج الكبير يعرب عن مستوى واسع و عميق كما يدل على احاطة و شمول فى آفاق المعرفة. و قد كانت الحاجة ملحة لهذا الجانب لافتقار المكتبة الامامية اليه، و لذا اعتبر ظهور هذه الموسوعة التفسيرية الى حيز الامكان فتحا كبيرا.

و فى علم الرجال، و تحقيق درجاتهم العلمية، و جمع الشتات عنهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٤٠

و تميز طبقاتهم من عهد الرسول الاعظم (ص) الى ما بعد عهد الائمة عليهم السلام وضع كتاب الرجال). و قد سد هذا الكتاب فراغا فى مجال الجرح و التعديل و تميز طبقات الاعلام و المحدثين، و اصبح مصدرا اولاً للمشتغلين فى هذا الحقل.

و في ذكر اصحاب الكتب و الاصول، خلف للمكتبة الاسلامية كتابه (الفهرست) و هو يحتوى على تسعمائة اسم من اسماء المصنفين و هو- في الحقيقة- من الآثار الثمينه الخالده، و قد اصبح موضع اعتماد علماء الاماميه و غيرهم في هذا المصمار، لانه ضبط لتاريخ العلوم عند الشيعة حتى تاريخ تأليفه.

و الى هذا الصف العلمى اضاف فى مجموعه مؤلفاته القيمه ما كتبه فى اصول العقائد، و معرفه الله تعالى، و صفاته، و توحيده، و عدله، و النبوه، و الامامه و كل ما يعود الاخلال به بالضرر على ما حصل له من المعرفه.

مثل كتاب (الاقتصاد) فى اصول العقائد، و كتاب (تلخيص الشافى) و (المفصح فى الامامه) و كتاب (الغيبه) فى امامه الحجه المهدي محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام.

موسوعه العتبات المقدسه، ج٧، ص: ٤١

بالاضافه الى المؤلفات الاخرى، و فى مواضيع مختلفه، كلها تدل على اطلاع شيخنا الرائد فى آفاق المعرفه، و لقد احدثها بعض المصادر فبلغت ٤٧ مؤلفا فى جوانب متعدده .

و اذا اعتبر الشيخ الطوسى - رحمه الله - فى مجموع مؤلفاته المتنوعه موسوعيا، فهو من جانب آخر يعتبر مختصا بالفقه و الاصول. و لم يكن تصنيفه فى الفقه المتمثل فى كتابه (المبسوط) ثم، فى الحديث (التهديب و الاستبصار)، ثم فى الفقه المقارن ككتاب (الخلاف) الى غيرها من مؤلفاته الفقيهيه، الا مثلا للتطور العظيم الذى نهجه الشيخ فى بحثه الفقهي.

و لقد عرض فى بحوثه الفقيهيه منهج الفقهاء من الشيعة القدماء الذين مثلوا المرحله البدائيه من التفكير الفقهي، و هو ما يمكن ان نطلق عليها بمنهج الاخباريين، الذين يجمدون على اخذ الاحكام من الاحاديث، و الروايات، و اتباع النصوص، و انصرفهم عن التفريع، و التوسع فى التطبيق، كما فى كتابى (التهديب و الاستبصار).

كما عرض منهج الفقهاء الشيعة الاصوليين الذين يفكرون بذهنيه اصوليه و يمارسون التفريع الفقهي فى نطاق واسع، و ذلك فى كتاب- (المبسوط).

و الحقيقة ان «الفارق الكيفى بين اتجاهات العلم التى انطلقت من هذا التطور الجديد و اتجاهاته قبل ذلك يسمح لنا باعتبار الشيخ الطوسى حدا

موسوعه العتبات المقدسه، ج٧، ص: ٤٢

فاصلا بين عصرين من عصور العلم، بين العصر العلمى التمهيدى، و العصر العلمى الكامل. فقد وضع هذا الشيخ الرائد حدا للعصر التمهيدى، و بدأ به عصر العلم الذى اصبح فيه الفقه و الاصول علما له دقته، و صناعته، و ذهنيته العلميه الخاصه» .

و بعد هذا فقد استمر شيخنا الرائد فى جهاده العلمى، و العمل الدائب فى تنظيم الوضع الدراسى، حتى خطا على عهده الشريف خطوات سريعه بحيث اصبحت الحوزه العلميه الفتيه فى النجف تربو على المئات من رواد الفضيله و العلم، و الطلبة الناشئين، و المؤلفه- على حد رأى بعض المصادر- من اولاده، و بعض اصحابه، و مجاورى القبر الشريف، و ابناء البلاد القريبه منها كالحله و نحوها، و نمت الحوزه على عهده بالتدريج، و برز فيها العنصر المشهدى- نسبة الى المشهد العلوى- و العنصر الحلى، و تسرب التيار العلمى منها الى الحله.

بعد الشيخ الطوسى:

و فى عام ٤٦١ هـ لبنى الشيخ الطوسى - باني مجد الجامعه النجفيه- نداء ربه، و قد منيت الجامعه بخسارة كبيره، و لكن نموها العلمى لم يقف بوفاه الرائد الكبير بل تحدثنا المصادر: بأن ولده الحسن بن محمد بن الحسن المعروف بابى على الطوسى قام بدور كبير فى اداره دفعه الجامعه، و زعامه حوزتها.

و كان ابو على من ابرز تلامذة والده شيخ الطائفة، و اكثر قابلية من سائر تلامذة الشيخ لتحمل اعباء المسؤولية لأدارة شؤون الجامعة، و استمرار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٤٣

الحركة العلمية فيها زمانا ليس بالقصير، و هي تؤدي عملها العلمي بصورة امتدادية للشيخ الراحل.

و قد وصفته المصادر بعبارات الاجلال و التكريم، مما تدل على مكانته الكبيرة في الجامعة النجفية، فمثلا يقول ابن حجر: «ثم صار فقيه الشيعة و امامهم بمشهد على رضى الله عنه، و هو فى نفسه صدوق، مات فى حدود الخمسمائة، و كان متدينا، كافا عن السب». و تحدث عنه الشيخ اغا بزرك فقال: «و قد خلف اباه على العلم و العمل و تقدم على العلماء فى النجف، و كانت الرحلة اليه و المعول عليه فى التدريس و الفتيا، و لقاء الحديث و غير ذلك، و كان من مشاهير رجال العلم، و كبار رواة الحديث، و ثقاتهم، و قد بلغ من علو الشأن، و سمو المكانة أن لقب ب «المفيد الثانى» .

و الى جانب ما أفاد من والده شيخ الطائفة من الناحية العلمية كذلك عدّ من مشائخه: ابو الحسن محمد بن الحسين المعروف بابن الصقال. و حمزة ابو يعلى سلار بن عبد العزيز، و غيرهم.

كما انه كان شريكا فى الدرس مع الشيخ أبى الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن على الرازى، و الشيخ ابى محمد الحسن بن الحسين بن بابويه القمى، و الشيخ ابى عبد الله محمد بن هبة الله الوراق الطرابلسى، عند قراءة كتاب «التبيان» على والده الشيخ الطوسى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٤٤

و قد تخرج عليه كثير من حملة العلم و الحديث من الفريقين، و حاز المرجعية عند الطائفتين، لذلك كثرت الروايات عنه، و انتهت الطرق اليه، و قد ذكر مترجموه كثيرا من تلامذته، فقد ذكر الشيخ منتجب الدين بن بابويه أربعة عشر رجلا، و اضاف الشيخ اغا بزرك الطهرانى ستة عشر شخصا، كما ذكر ابن حجر العسقلانى فى (لسان الميزان) ثلاثة اشخاص من العامة، فيكون المجموع اربعة و ثلاثين شخصا .

و فى طليعة هذه المجموعة:

- ١- على بن شهر اشوب المازندراني السروى، والد صاحب (المناقب) و (المعالم).
- ٢- الشيخ الفقيه الصالح أبو عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن على ابن طحال المقدادى.
- ٣- المؤلف الفقيه الثقة عماد الدين محمد بن ابى القاسم بن على الطبرى الاملى الكحى.
- ٤- الشيخ الفاضل ابو طالب حمزة بن محمد بن أحمد بن شهر يار الخازن.
- ٥- ابو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى صاحب تفسير (مجمع البيان).
- ٦- الشيخ محمد بن منصور الحلى الشهير بابن ادريس، قال فى (الرياض):

على المشهور من أن ابن أدريس يروى عن أبى على هذا تارة بلا واسطة، و تارة مع الواسطة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٤٥

٧- ابو على محمد بن الفضل الطبرسى.

و الذين ذكرهم ابن حجر العسقلانى هم:

٨- ابو الفضل بن عطاف.

٩- محمد بن محمد النسفى.

١٠- هبة الله السقطى.

و لم يكن ذكر هؤلاء من بين المجموعة الكبيرة من تلامذة ابى على الطوسى الا لغرض اعطاء نماذج عن المستوى الفكرى لطلاب

هذه الشخصية.

و قد ترك اثرا قيما علميا هو (شرح النهاية) و هو شرح لكتاب والده النهاية في الفقه.

و توفي الشيخ ابو علي بعد سنة ٥١٥ هـ، فقد كان حيا في هذا التاريخ كما يظهر في مواضع من اسانيد كتاب (بشارة المصطفى).

و ما ان انتقل الشيخ ابو علي الى رحمة ربه، حتى تقدم ولده ابو نصر محمد بن ابى علي الحسن بن ابى جعفر محمد بن الحسن الطوسى. الى تزعم الجامعة النجفية، و كان اهلا لهذا التزعم. فقد نقل عنه الشيخ اغا بزرك الطهرانى قائلا: «كان الشيخ أبو نصر محمد من أعظم العلماء، و اكابر الفقهاء، و افاضل الحجج و اثبات الرواة و ثقاتهم، فقد قام مقام والده في النجف، و انتقلت اليه الرياسة و المرجعية، و تقاطر عليه طلاب العلم من شتى النواحي» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٤٦

و قال ابن العماد الحنبلى فى حوادث سنة: ٥٤٠ هـ.. «فيها توفي أبو الحسن محمد بن الحسن ابى علي بن ابى جعفر الطوسى، شيخ الشيعة، و عالمهم، و ابن شيخهم و عالمهم رحلت اليه طوائف الشيعة من كل جانب الى العراق، و حملوا اليه، و كان ورعا عالما كثير الزهد، و اثنى عليه السمعاني، و قال العماد الطبرى: لو جازت على غير الانبياء صلاة صليت عليه» .

ثم فى هذه الفترة قام الاعلام من اسرة آل الخازن فى دعم الجامعة النجفية، حتى انتهى الدور الى الموفق الخازن، على بن حمزة بن محمد بن احمد بن شهريار، و وصفته المصادر بانه «اشهر خزنة الحرم العلوى، ضم الى سدانة الحرم السبق فى العلوم الدينية و كانت الرحلة اليه سنة ٥٧٢ حين كثر اهل العلم، و رواد الحديث، و كان المعول عليه فى ادارة رحى العلم بعد شيخ الطائفة الشيخ الطوسى - قدس سره - و هو العاقد لحلقات الحديث و المتكفل بالقائه، و كان عالما فاضلا و كان من رجال القرن السادس» .

و استمرت الجامعة النجفية فى حركتها العلمية من بعد الشيخ الرائد شيخ الطائفة حتى اطل عهد ابن ادريس، و قد موج الحركة العلمية فى الحلة و نشطت الى حد كبير.

و كان عهد هذا المجدد ايذانا بانتقال الحركة العلمية الى الحلة، و قد تكاملت عناصر هذا الانتقال فى اوائل القرن السابع الهجرى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٤٧

بين الطوسى و ابن ادريس

و محمد بن احمد بن ادريس الحلوى، من مشائخ الفقهاء فى الحلة، و سبط الشيخ الطوسى، توفي سنة ٥٩٨ هـ.

وصفه ابن داود : بأنه شيخ الفقهاء بالحلة متقنا فى العلوم» .

كما وصفه الحر العاملى : «و قد اثنى عليه علماءنا المتأخرون، و اعتمدوا على كتابه، و على ما رواه فى آخره من كتب المتقدمين و اصولهم» .

و قالت بعض المصادر: «... و كان فقيها اصوليا بحثا، و مجتهدا صرفا، و هو أول من فتح باب الطعن على الشيخ (الطوسى)، و الافكل من كان فى عصر الشيخ او من بعده، انما كان يحدو حدوه غالبا الى ان انتهت النوبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٤٨

اليه» .

و هذه الفقرة تلقى لنا ضوءا على ما قام به هذا الشيخ المجدد بالنسبة لآراء الشيخ الطوسى و افكاره، التى كادت تسيطر على الجامعة العلمية فى النجف طيلة مائة عام او اكثر، و تعيقها عن التجديد، و التفاعل الفكرى.

فاننا نجد بعض المصادر ترى ان المائة عام التى عاشتها الحوزة العلمية بعد الشيخ المؤسس، و الى حد ما كان عامل التقليد فيها واضحا جليا و من جراء ذلك تحملت الجامعة اعباء الوراثة العلمية، و فى خلالها كانت هالة من التقديس و الاحترام تحوط آراء و افكار

الشيخ الطوسي الرائد. بحيث كان من الصعب على احد ان ينالها بالاعتراض و النقاش، او يخضعها للتحجيص و التدقيق. و حتى ان اكثر الفقهاء الذين نشأوا بعد الشيخ كانوا يتبعونه في الفتوى تقليدا له لكثرة اعتقادهم فيه، و حسن ظنهم به .
و قد وضع الحمصي - و هو ممن عاصر تلك الفترة- هذه الحقيقة بقوله:
«و لم يبق للامامية مفت على التحقيق، بل كلهم حاك» .

و الحقيقة اننا على رغم ما نجده في بعض المصادر بان الفترة التي تلت وفاة الشيخ الطوسي من انشط الجهود بالنسبة للحركة العلمية في الجامعة النجفية، و ان الوضع الدراسي قد بلغ أوجه و شدة عنفوانه في عصر ابي موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٤٩
على الطوسي، و ولده ابي نصر، و ابن شهريار.

و لكن في الوقت نفسه لم تتمكن المصادر من اعطائنا صورة واضحة من ملامح هذه الفترة بما يتعلق بازدهار الحركة الفكرية في الجامعة النجفية، و تكاد تكون مظلمة، و الركون العلمى فيها اقرب الى الواقع من غيره.

بالاضافة الى ان المصادر تحجم عن ذكر وضع الحركة العلمية في النجف بعد ابن شهريار الخازن، و في نفس الوقت نرى نجم ابن ادريس قد لمع في الحلّة و برز بعنف على مسرح النقد لآراء الشيخ الرائد، و كان هذا البروز الدفعي الجريء قد حول الانظار الى الحركة العلمية التي تدور رحاها في الحلّة، و حتى تكاملت عناصر الانتقال في عهد المحقق الحلي ، و ذلك في اوائل القرن السابع.
«و هذه الحقيقة بالرغم من تأكيد جملة من علمائنا لها تدعو الى التساؤل و الاستغراب، لان الحركة الثورية التي قام بها الشيخ في دنيا الفقه و الاصول، و المنجزات العظيمة التي حققها في هذه المجالات كان من المفروض و المترقب ان تكون قوة دافعة للعلم، و ان تفتح لمن يخلف الشيخ من العلماء آفاقا رحبية للابداع و التجديد و مواصلة السير في الطريق الذي بدأه الشيخ. فكيف و لم تأخذ افكاره و تجديده مفعولها الطبيعي في الدفع و الاغراء بمواصلة
موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٥٠
السير!» .

و تشير بعض المصادر الاصولية الى عدة اسباب من المحتمل ان تفسر الموقف، نلخصها بما يلي:

١- ان الشيخ الطوسي بهجرته الى النجف انفصل عن حوزته الاساسية و انشأ حوزة جديدة حوله في النجف، و تفرغ في مهجره للبحث و تنمية العلم، و كان من الطبيعي ان لا ترقى الحوزة العلمية الى مستوى التفاعل المبدع مع التطور الذي انجزه الشيخ الطوسي في الفكر العلمى لحدائتها، و لهذا لم يتسرب الابداع الفقهي العلمى من الشيخ الى تلك الحوزة التي كان ينتج و يبدع بعيدا عنها، و لكي يتحقق ذلك التفاعل الفكرى الخلاق كان لا بد ان يشتد ساعد الحوزة الفتية حتى تصل الى المستوى من التفاعل من الناحية العلمية فسادت فترة ركود ظاهرى بانتظار بلوغ الحوزة الفتية الى ذلك المستوى.

٢- أسند جماعة من العلماء ذلك الركود الى ما حظى به الشيخ من تقدير عظيم في نفوس تلامذته رفعه في أنظارهم عن مستوى النقد، و جعل من آرائه و نظرياته شيئا مقدسا لا يمكن ان ينال باعتراض، او يخضع لتحجيص.

و قد بلغ من استفحال تلك النزعة التقديسية في نفوس الاصحاب أننا تجد فيهم من يتحدث عن رؤيا لأمير المؤمنين (ع) شهد فيها الامام بصره كل ما ذكره الشيخ الطوسي في كتابه الفقهي «النهاية»!! و هو يشهد عن مدى تغلغل النفوذ الفكرى الروحى للشيخ في اعماق نفوسهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٥١

٣- و السبب الاخير يمكن ان يستنتج من حقيقتين تاريخيتين:

إحداهما: ان نمو الفكر العلمى و الاصولى لدى الشيعة لم يكن منفصلا عن العوامل الخارجية التي كانت تساعد على تنمية الفكر و

البحث العلمي، و من تلك العوامل عامل الفكر السنّي، لان البحث الاصولي في النطاق السنّي، و نمو هذا البحث وفقا لاصول المذهب السنّي كان حافزا باستمرار للمفكرين من فقهاء الامامية لدراسة تلك البحوث السنّي في الاطار الامامي، و وضع النظريات التي تتفق معه في كل ما يثيره البحث السنّي من مسائل و مشاكل، و الاعتراض على الحلول المقترحة لها من قبل الآخرين.

ثانيتها: ان التفكير الاصولي السنّي كان قد بدأ ينضب في القرن الخامس و السادس و يستنفد قدرته على التجديد، و يتجه الى التقليد و الاجترار حتى ادى ذلك الى سد باب الاجتهاد رسميا.

و اذا جمعنا بين هاتين الحقيقتين، و عرفنا ان التفكير الاصولي السنّي الذي يشكل عامل اثاره للتفكير الاصولي الشيعي، كان قد اخذ بالانكماش، و منى بالعقم، استطعنا ان نستنتج بأن التفكير العلمي لدى فقهاءنا الامامية قد فقد احد المثيرات المحركة له. الامر الذي يمكن ان نعتبره عاملا مساعدا في توقف النمو العلمي».

و كيفما كان فان ابن ادریس فتح باب النقاش على مصراعيه، و حمل بكل ما اوتى من مقدره علمية على آراء جده لامه الشيخ الطوسي و بكل عنف.

و كان ذلك سببا لحملة شديدة عليه من قبل بعض الاعلام امثال العلامة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٥٢

الحلي الذي وصفه بأنه شاب مترف عفى الله عنه. و نقده غيره نقدا لاذعا، كما رمى بقله الادب.

و مع هذا فان الحملات القاسية التي شنّها ابن ادریس على آراء الشيخ الرائد «كانت بداية خروج الفكر العلمي عن دور التوقف النسبي على يد هذا الفقيه المبدع، إذ بث في الفكر العلمي روحا جديدة، و كان كتابه الفقهي «السرائر» إيذانا ببلوغ الفكر العلمي في مدرسة الشيخ الى مستوى التفاعل مع افكار الشيخ و نقدها و تمحيصها».

من النجف الى الحلّة:

و لكن بوادر النشاط العلمي، او التفتح الذهني للتفاعل مع آراء الشيخ بدت تبرز بأجلى مظاهرها في اوائل القرن السابع الهجري، و خاصة على مسرح التفكير الحلي، و الذي عبر عن اتساع كبير في الذهنية العلمية التي يتمتع بها الحلويون في تلك الفترة، و يمكن ان تكون طليعتها متجلية في الشيخ ابن ادریس، ثم المحقق الحلي، ثم العلامة الحلي. و امثالهم الكثيرين ممن حملوا راية العلم في الحلّة، و اسسوا لها مجدا شامخا.

و اذا كان عهد ابن ادریس إيذانا بانتقال الحركة العلمية الى الحلّة، ففي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٥٣

عهد المحقق الحلي انتقل المركز العلمي الى الحلّة تماما، و اصبح مجلس المحقق- كما تحدده بعض المصادر- يضم قرابة اربعمائة مجتهد .

و استمر التأجج العلمي ينير آفاق مدينة ابن ادریس طوال قرون ثلاثة، و دام حتى اواخر القرن العاشر الهجري، فقد عادت المركزية العلمية الى النجف، و بقيت في الحلّة حركة علمية بسيطة مفتقرة الى شيء من الدفع و التوسع.

و في خلال هذه المدة ضمت الحلّة بيوتات كبيرة علمية، و اعلاما فذة عرفوا بالفضيلة و الاجتهاد، امثال: آل ادریس، و آل شيخ ورام، و آل فهد، و آل طاووس و آل نما، و بني سعيد، و بني المطير، و بني معية و غيرهم من البيوتات العلمية .

و يعترضنا هنا سؤال و هو:

- عند انتقال المركز العلمي من النجف الى الحلّة، ففي خلال هذه الفترة هل بقيت النجف خالية من حركة علمية، و قاحلة من اعلام

فضلاء؟

و الجواب: ان ثمة حركة علمية بقيت فيها. و دليلنا على ذلك:

١- ان الفاضل الرضى الاسترآبادى ألف كتابه شرح الكافية فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٥٤

هذه الفترة فى النجف حينما أشار هو فى كتابه المذكور بأنه من بركات الحضرة العلوية المقدسة و ذلك عام ٦٨٣ هـ .

٢- تحدث ابن بطوطة - ضمن زيارته للنجف خلال عام ٧٢٧هـ- عن مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة و الصوفية من الشيعة- على حد

تعبيره- .

٣- فى هذه الفترة بنيت مدارس ثلاث لطلاب العلم و المهاجرين فى النجف.

الاولى: بناها السلطان محمد خدابنده، او ابنه ابو سعيد . فى القرن الثامن.

الثانية: بناها المقداد السيورى فى القرن التاسع.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٥٥

الثالثة: بناها الشيخ ملا عبد الله فى القرن العاشر.

و لو كانت النجف خالية من حركة علمية فى هذه الفترة، لما شيدت فيها هذه المدارس العلمية.

كما ان المصادر الرجالية: تؤكد على وجود طبقة من الاعلام فى النجف ضمن فترة الانتقال. نعرض عن ذكرهم لضيق المقام.

و ان هؤلاء تعهدوا الجامعة النجفية فى خلال هذه الفترة فى ادارة دفتها و ان كانت الزعامة العلمية كانت قد انتقلت الى الحلة.

و فى صدد تحديد الاسباب التى دعت الى انتقال الحركة العلمية و زعامتها الى الحلة، ذكرت بعض المصادر ما يلى:

١- لما اصاب طلاب العلم و علماءها من الاذى لقله المياه فى النجف.

٢- هجوم الاعراب المتكرر على النجف، حيث ذاق النجفيون آنذاك الامرين من هؤلاء الاعراب.

٣- غلاء النجف.

٤- انتقال زعيم الحركة العلمية العلامة الشيخ ابن ادريس صاحب السرائر الى الحلة، لانه كان حلياً .

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٥٦

ان هذه الاسباب قد تكون وجيهة من جهة، و لكنها من جهة أخرى قد يعوزها الدليل فمثلا لم يتأكد لدينا ان ابن ادريس كان من

طلاب الجامعة النجفية، ثم انتقل الى الحلة بعدها، و الظاهر ان ثقافته العلمية حلية صرفه.

نعم ذكرت المصادر انه روى عن ابي على الطوسى، او ولده ابي نصر، و ان جده لامة الشيخ الطوسى، لكن المصادر لم تذكر لنا انه

تلمذ فى المدرسة النجفية.

و لم نقتنع بأن الاسباب التى دعت الى انتقال الحوزة العلمية هى هذه النقاط التى تقدمت، انما الذى يصلح للاعتقاد هو ان الحلة نبغ

فيها ابن ادريس و أضرابه، و كانت من قبله تدار فيها حركة علمية، و عند ظهور ابن ادريس موج الحركة و وجه الانظار اليه بحملاته

القاسية على شيخ الطائفة الطوسى، و المشتغلون يتبعون المبرز فى عصره و قد حقق ابن ادريس هذه التبعية بنوعه و لهذا اثر على

حركة الجامعة النجفية و ان لم يشلها تماما.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٥٧

الدور الثانى للجامعة النجفية

و يمكن ان يكون النصف الاخير من القرن العاشر الهجرى هو العهد الذى استعادت فيه النجف مركزها العلمى، بعد ان فازت الحلة بزعامه المركز العلمى مدة ثلاثة قرون.

و لقد حددت بعض المصادر زمن عودة الحياة العلميه بعهد المقدس الاربيللى ، يقول السيد حسن الصدر فى هذا الصدد: «ثم عادت الرحلة الى النجف فى زمن المقدس الاربيللى، فقوى ذلك، و اشتد الناس اليه من اطراف البلاد، و صارت من اعظم مراكز العلم» . و نقلت بعض المصادر: ان السبب فى عودة الهيئه العلميه الى النجف «ان سحبت المياه اليها، و اهتم بايصالها كثير من السلاطين و العلماء

موسوعة العتبات المقدسه، ج٧، ص: ٥٨

و غيرهم. فقد قام صاحب عطاء الملك بن محمد الجوينى سنه ٦٧٦ هـ بحفر نهر التاجيه ثم جاء بعده الشاه اسماعيل الاول الى النجف فأمر بحفر نهر الشاه سنه ٩١٤ هـ، و تلاه الشاه طهماسب الصفوى ، فأمر بحفر الطهماسيه نسبة اليه سنه ٩٨٠ هـ، ثم حفر الشاه عباس عند موسوعة العتبات المقدسه، ج٧، ص: ٥٩

و فوده الى النجف نهر المكريه سنه ١٠٣٢ هـ. هذا بالاضافه الى الاحتياطات التى عملت «كبناء الاسوار» لتقليل اثر الاعراب التخريبي، و الى ما قامت به الحكومه من الأعمال لغرض تقليل ذلك، أو ابادته، و كان هذا الانتقال فى بحر القرن التاسع بعد ان لبثت فى الحله ما يقارب ثلاثة قرون» .

و ليس من البعيد ان يكون عامل توفير المياه و الامن فى النجف سببا لعودة الحياة العلميه فى الجامعه النجفيه بعد ان رحلت عنها ثلاثة قرون.

و لكن الذى يخال لنا هو ان الدوافع الرئيسيه لبعث الحياة الفكرية او تنشيطها فى هذه الجامعه يعود الى عامل سياسى و طائفى دفع الى بعث الحركة العلميه فى النجف.

ذلك ان السلطه الجلائريه، و الايلخانيه- و التى حكمتا بغداد زمانا ليس بالقصير- كانتا على قصد فى احياء الحركة العلميه فى الجامعه النجفيه و جعلها قوة دفاعيه للشيعة، و مركزا مهما يقابل بغداد.

موسوعة العتبات المقدسه، ج٧، ص: ٦٠

ففى بغداد حركة علميه سنيه تدار من قبل السلطه الحاكمه حينذاك فى العهد العباسى، ذات عروق و إصالة، و السلطتان المتقدمتا الذكر هما القوه المقابله للخلافه، كما كان الامر فى عهد البويهيين.

و لهذا كان لهاتين السلطتين اثر فى دعم جامعته النجف، و اهتمامهم بها كمصدر للأشعاع العلمى المعبر عن علم اهل البيت عليهم السلام.

و ذهبت بعض المصادر الى ان المده التى عاشتها الجامعه النجفيه فى دورها الثانى هو من عام ٧٥٠- ١١٥٠ هـ. غير ان الدلائل تشير الى ان العهد بدأ فى عهد المقدس الاربيللى) الذى هو فى القرن العاشر. و حتى نهاية القرن الثانى عشر حيث انتقلت الى كربلا- كما سيمر علينا-.

المظاهر العلميه لهذا العهد:

اما المظاهر العلميه لهذا العهد فتتلخص بما يلى:

أولا- استمرار النمو العلمى فى مجالاته: الفقهي و الاصولى:

ففى البحث الفقهي تمثل بكتاب «مدارك الاحكام» للسيد محمد بن على الموسوى و قد جاء هذا الكتاب فى شرح شرايع الاسلام فى ثلاث مجلدات فرغ منه سنه ٩٩٨ هـ، و هو من احسن الكتب الاستدلاليه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٦١

صفحة من كتاب (المعالم) في الأصول و عليه حواش و تعليقات لبعض العلماء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٦٢

و في البحث الاصولي تمثل بكتاب «المعالم» الذي وضعه جمال الدين الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني ، و قد وصفته الكتب المختصة: «بانه «مثل المستوى العالي لعلم الاصول في عصره بتعبير سهل، و تنظيم جديد، الامر الذي جعل لهذا الكتاب شأنًا كبيرًا في عالم البحوث الاصولية، و حتى اصبح كتابًا دراسيًا في هذا العلم تناوله المعلقون بالتعليق و التوضيح و النقد» .

و قد طبع هذا الكتاب عدة طبعات في ايران.

و أهم تلك التعليقات على المعالم هو كتاب «هداية المسترشدين» للشيخ محمد تقى الاصفهاني الذي بحث كتاب المعالم في مؤلف يعادله باكثر من عشر مرات.

و اصبح هذان الكتابان من الكتب الدراسية في الجامعة النجفية، و لم تكن حصيلة هذا الدور هذين الكتابين في مجال البحث الفقهي و الاصولي فحسب. فهناك عدد كبير من الكتب التي وضعت في هذين المجالين لا يتسع المقام لذكرها.

ثانياً- و في هذا الدور برز نشاط فكري عميق، و نتاج علمي قيم نذكر منه:

في المنطق- ألف الملا- عبد الله النجفي كتابا اسمه «الحاشية» و اصبح من الكتب الدراسية في الجامعة في علم المنطق. و قد طبع الكتاب عدة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٦٣

طبعات.

في فقه القرآن و الحديث- الف الشيخ فخر الدين الطريحي كتابا اسمه «مجمع البحرين» و قد طبع عدة طبعات في ايران.

في آيات الاحكام- ألف الشيخ أحمد بن اسماعيل الجزائري كتابا اسمه «آيات الاحكام» طبع في ايران.

في التفسير- ألف الشيخ ابو الحسن الفتونى العاملى النجفى كتابا اسمه «مرآة الانوار» طبع في ايران.

و في العقائد و الامامة- الف الشيخ المتقدم الذكر كتابا اسمه (ضياء العالمين) يقع في ثلاثة أجزاء ضخام لم يكتب أوسع منه في هذا البحث.

توجد نسخة بخطه الكريم في مكتبة آل الجواهرى، لا زال مخطوطا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٦٤

في علم الرجال- ألف الشيخ حسن بن العباس بن الشيخ محمد على البلاغى كتابا اسمه «تنقيح المقال في علم الرجال» . موسوعة

العتبات المقدسة ؛ ج ٧ ؛ ص ٦٤

فه إلى كثير من الكتب الادبية. و هذه الثروة الفكرية المتنوعة كان لها اكبر الاثر في بلورة الذهنية في الجامعة النجفية في هذا الدور.

الحركة الإخبارية و مظاهرها:

ثالثاً- الحركة الاخبارية:

ظهرت في اوائل القرن الحادى عشر على يد المرحوم الميرزا محمد امين الاسترابادى ، و استفحل امر هذه الحركة بعده، و بخاصة في اواخر القرن الحادى عشر، و خلال القرن الثانى عشر الهجرى.

و كان اثر هذه الحركة «ان صدمت علم الاصول، و عارضت نموه،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٦٥

و عرضته لحملة قوية» جمده زمانا، و ان لم يتوقف نهائيا، و كان على الجامعة النجفية باعتبارها المركز العلمي العام للشيعة ان تتلقى هذه الصدمة بكل صبر.

و لا بد ان نتساءل عن طبيعة هذه الحركة و بواعثها:

و بالرغم من ان المحدث الاستربادي كان هو رائد الحركة الاخبارية فقد حاول ان يرجع بتاريخ هذه الحركة إلى عصر الأئمة و ان يثبت لها جذورا عميقة في تاريخ الفقه الامامي لكي تكتسب طابعا من الشرعية و الاحترام.

فهو يقول: ان الاتجاه الاخباري كان هو الاتجاه السائد بين فقهاء الامامية إلى عصر الكليني و الصدوق و غيرهما. من ممثلي هذا الاتجاه، و لم يتزعزع هذا الاتجاه إلا في أواخر القرن الرابع و بعده حين بدأ جماعة من علماء الامامية ينحرفون عن الخط الاخباري، و يعتمدون على العقل في استنباطهم و يربطون البحث الفقهي بعلم الاصول تأثرا بالطريقة السنية في الاستنباط ثم اخذ هذا الانحراف بالتوسع و الانتشار.

ان البواعث النفسية التي دفعت الاخباريين و على رأسهم المحدث الاستربادي الى مقاومة علم الاصول ساعدت على نجاح هذه المقاومة نذكر منها ما يلي:

١- عدم استيعاب ذهنية الأخباريين لفكرة العناصر المشتركة في عملية الاستنباط، فقد جعلهم ذلك يتخيلون أن ربط الاستنباط بالعناصر المشتركة و القواعد الاصولية يؤدي الى الابتعاد عن النصوص الشرعية و التقليل من أهميتها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٦٦

٢- سبق السنة تاريخيا الى البحث الأصولي، و التصنيف الموسع فيه، فقد اكسب هذا علم الاصول إطارا سنيا في نظر هؤلاء الثائرين عليه، فاحذوا ينظرون اليه بوصفه نتاجا للمذهب السني.

٣- و مما أكد في ذهن هؤلاء الاطار السني لعلم الاصول ان ابن الجنيدي - و هو من رواد الاجتهاد، و واضع بذور علم الاصول في الفقه الامامي - كان يتفق مع اكثر المذاهب الفقهية السنية في القول بالقياس.

٤- و ساعد على إيمان الاخباريين بالاطار السني لعلم الاصول تسرب اصطلاحات من البحث الاصولي السني الى الاصوليين الاماميين و قبولهم بها بعد تطويرها، و إعطائها المدلول الذي يتفق مع وجهة النظر الامامية.

و مثال ذلك كلمة «الاجتهاد» اذ اخذها علماءنا الاماميون من الفقه السني و طوروا معناها، فترأى للأخباريين الذين لم يدركوا التحول الجوهرى في مدلول المصطلح ان علم الاصول عند اصحابنا يتبنى نفس الاتجاهات العامة في الفكر العلمي السني، و لهذا شجوا الاجتهاد، و عارضوا في جوازه المحققين من اصحابه.

٥- و كان الدور الذي يلعبه العقل في علم الاصول مثيرا آخر للأخباريين على هذا العلم نتيجة لاتجاههم ضد الاخذ بالعقل.

٦- و لعل أنجح الاساليب التي اتخذها المحدث الاستربادي و أصحابه لاثارة الرأى العام الشيعي ضد علم الاصول هو استغلال حداثة علم الاصول لضربه، فهو علم لم ينشأ في النطاق الإمامي إلا بعد الغيبة، و هذا يعنى أن اصحاب الأئمة و فقهاء مدرستهم مضوا بدون علم اصول، و لم يكونوا بحاجة اليه. و ما دام فقهاء تلامذة الأئمة - من قبيل زرارة بن أعين،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٦٧

و محمد بن مسلم، و محمد بن ابي عمير، و يونس بن عبد الرحمن و غيرهم - كانوا في غنى عن علم الاصول في فقههم، فلا ضرورة للتورط فيما لم يتورطوا فيه، و لا معنى للقول بتوقف الاستنباط و الفقه على علم الاصول .

و اذا كانت البواعث للحملات التي شنها الاخباريون قد اوجزت هنا بما تقدم، فما هي طبيعة الحركة الاخبارية؟.

فالاخبارية تقول بمنع الاجتهاد في الاحكام الشرعية، و تعمل بالاخبار الواردة عن النبي (ص) و عن اهل بيته، و ترى ان ما في كتب الاخبار المعروفة الاربعة عند الشيعة قطعي السند، او موثوق بصدوره، فلا حاجة الى البحث عن سندها، كما ترى عدم الحاجة الى تعلم

أصول الفقه، و تسقط من أدلته دليل الاجماع، و دليل العقل، و تقتصر على القرآن، و الخبر، فلذلك عرفت بالاخبارية أو الاخباريين، و ترى جواز تقليد الفقيه الميت ابتداء خلافا للأصولية، و غيرها من الفوارق الثابتة بينهما.

و لقد حصرت بعض المصادر الفروق بين الاصوليين و الاخباريين في اربعين فرقا، و قالت مصادر اخرى: ان المهم منها تسعة و عشرون، و ان البقية ترجع إليها و هي: ان الاصوليين يقولون:

١- إن المجتهدين يوجبون الاجتهاد عينا أو تخيرا، و الاخباريون يحرمونه و يوجبون الأخذ بالرواية عن المعصوم عليه السلام.

٢- يقول الاصوليون ان الادلة عندنا أربعة: الكتاب، و السنة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٦٨

و الاجماع، و دليل العقل، و الاخباريون لا يقولون إلا بالأولين، بل بعضهم يقتصر على الثاني.

٣- إنهم يجوزون العمل بالظنون في نفس الحكم الشرعي، و الاخباريون لا يقولون إلا على العلم إلا أن العلم عندهم قطعي واقعي، و عادى أصلى و هو ما وصل عن المعصوم عليه السلام ثابتا، و لم يجز فيه الخطأ عادة.

٤- إنهم ينوعون الأحاديث الى الاربعة المشهورة، و الاخباريون إلى صحيح و ضعيف.

٥- إنهم يفسرون الاربعة بما ذكروه، و الاخباريون يفسرون الصحيح بالمحفوظ بالقرائن التي توجب العلم بالصدور عن المعصوم عليه السلام، و الضعيف بما عدا ذلك.

٦- إنهم يحصرون الرعية حينئذ في صنفين: مجتهد، و مقلد، و الاخباريون يقولون الرعية كلها مقلدة للمعصوم عليه السلام، و لا يجوز لهم الرجوع الى المجتهد بغير حديث صحيح صريح.

٧- إنهم يوجبون تحصيل الاجتهاد في زمان غيبة الامام عليه السلام و الأخذ عن المعصوم عليه السلام في زمن حضوره، و الاخباريون يوجبون الأخذ عنه مطلقا و ان كان بالواسطة.

٨- إنهم لا يجوزون لأحد الفتيا و لا سائر الامور الحسبية إلا مع الاجتهاد، و الاخباريون يجوزونها للرواة عن المعصومين عليهم السلام المطلعين على أحكامهم.

٩- إنهم يقولون: ان المجتهد المطلق عالم بجميع أحكام الدين بالملكة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٦٩

و الاخباريون يقولون: لا عالم بجميع أحكام الله الا المعصوم عليه السلام.

١٠- إنهم يشترطون في درجة الاستنباط علوما شتى أهمها عندهم علم اصول الفقه، و الاخباريون لا يشترطون الا المعرفة باصطلاحات أهل بيت العصمة عليهم السلام مع معرفة كون الخبر غير معارض بمثله، و لا يجوزون الرجوع الى الأصول المأخوذة عن كتب العامة.

١١- إنهم يعملون في مقام الترجيح بين الأخبار المتعارضة بكل ما أوجب الظن الاجتهادي، و الاخباريون لا يعملون الا بالمرجحات المنصوصة عن الائمة عليهم السلام.

١٢- إنهم يعملون بجميع ظواهر الألفاظ المظنونة الدالة عندهم من الكتاب و السنة، و بالعمومات و الاطلاقات المستفادة منهما بحكم المظنة مثل عموم «أوفوا بالعقود» و قوله (ص): «لا ضرر و لا ضرار في الاسلام». و امثال ذلك فيجعلونها قواعد كلية يرجعون إليها في موارد الشكوك. و الاخباريون لا يعملون إلا بما هو مقطوع الدلالة عندهم من الايات المحكمة، و الأحاديث الصريحة غير المشتبهة حالها و إن كانت من جملة العمومات.

١٣- ان الغالب منهم يقولون بقاعدة التسامح في أدلة السنن و الكراهة و الاخباريون لا يفرقون بين الاحكام الخمسة.

١٤- ان اغلبهم لا يجوزون تقليد الميت، و لكن الاخباريين يجوزونه،

١٥- انهم يجوزون الاخذ بظاهر الكتاب، بل يرجحونه على ظاهر الخبر و الاخباريون لا يجوزون الأخذ الا بما ورد تفسيره عنهم عليهم

السلام.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٧٠

١٦- إنهم يعتقدون بكون المجتهد مثابا و إن أخطأ، و الاخباريون يقولون: بل هو مأثوم مطلقا إذا حكم فى شىء بغير خبر صحيح صريح.

١٧- إنهم يعملون باصالة الاباحة أو البراءة فيما لا نص فيه، و الاخباريون يأخذون بطريقة الاحتياط.

١٨- إنهم لا يجوزون أخذ العقائد من القرآن و اخبار الاحاد بخلاف الاحكام الفرعية. و الاخباريون يقولون بعكس ذلك.

١٩- إنهم يجوزون الاختلاف فى الاحكام الاجتهادية. و لا- يخطئون من يقول بخلاف الواقع فى المسائل الفرعية، و الاخباريون لا يجوزون ذلك و يفسقون من قال بالخلاف، و ان وافق اعتقاده بمقتضى اجتهاده.

٢٠- إنهم لا يجوزون الرجوع الى غير المعصوم عليه السلام فيما خفى نضه و الاخباريون يجوزون طلب الحديث و لو من عامى.

٢١- إنهم لا يجوزون المصير الى القول الشاذ الذى لا قائل به، و ان كان عليه دليل واضح، و الاخباريون يتبعون الدليل دون القائل.

٢٢- إنهم لا يطلقون الثقة إلا على الامامى العادل الضابط، و الاخباريون يكتفون فى الوثاقة بالمأمونية من الكذب.

٢٣- إنهم يقولون بوجوب إطاعة المجتهد مثل الامام عليه السلام، و الاخباريون لا يوجبونها.

٢٤- إنهم يرجحون الدليل باصالة البراءة، بخلاف الاخباريين.

٢٥- إن اكثرهم يجوزون العمل بالاجماع المنقول و لو كان فى كلمات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٧١

المتأخرين من الفقهاء بل و من غيرهم اذا كان موثقا. بخلاف الأخباريين.

٢٦- إنهم لا يلتفتون فى الاجماع المحقق الى مخالفة معلوم النسب، و الاخباريون لا- يفرقون بين معلوم النسب و مجهوله و يقولون بعدم تحقق مثل ذلك فالاتفاق الذى نقطع بدخول قول المعصوم عليه السلام فيه، فلا حجية للاجماع عندهم مطلقا.

٢٧- إنهم لا يعتقدون بصحة الكتب الاربعه: (الكافى، و من لا يحضره الفقيه و الاستبصار و التهذيب) لان فيها الصحيح و الموثق و الحسن، و الضعيف. بخلاف الاخباريين فانهم يرون أن جميع ما فيها صحيح.

٢٨- إنهم يجوزون العمل بالاستصحاب مطلقا، و الاخباريون لا يجوزونه الا فيما دلت عليه النصوص.

٢٩- إنهم لا يجوزون تأخير البيان عن وقت الحاجة لقبه، و الاخباريون بعضهم يجوزه مثل الفاضل الاسترابادى فى الفوائد المدنية المطبوع .

و كانت هذه الحركة احدى مظاهر هذا الدور، و لقد اخذت مأخذاها عند الفريقين: الاصوليين منهم، و الاخباريين بحيث انتقلت الى دور المناظرات العلمية، و الطعن على الفريق الاخر، و كانت حصيلة هذا الصراع الفكرى بين الاصوليين و الاخباريين مجموعة من التأليف القيمة، و الموسوعات الضخمة فى الفقه و الاصول و غيرهما من جوانب المعرفة المختصة بها جامعة النجف. و كان لها فى اتجاه الدرس و تطويره شأن مشهود.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٧٢

مركز الجامعة فى نهاية هذا الدور:

و رغم هذا كله فالجامعة النجفية استمرت فى اداء رسالتها، حتى اواخر القرن الحادى عشر للهجرة فقد قلت الهجرة إليها، و وفود الطلاب، و ما ان اطل القرن الثانى عشر حتى بدت فيه مظاهر الضمور، ثم ما كادت تمر عليها فترة حتى انتقلت منها الى كربلا. و لو حاولنا ان نتقصى الاسباب التى دعت لهذا الانتقال، فنرى ان بعض المصادر تعزوها الى سببين خارجيين، و بعض المصادر ترجعها

الى ثلاثة اسباب داخلية، و هي:

الاسباب الخارجية:

أولاً- تصادم المملكتين الصفوية، و العثمانية، و الصراع الدامي،- و خاصة في العراق مما ترك الناس في انكماش شديد عن الهجرة الى العراق.

ثانياً- ضغط الدولة العثمانية على العلماء و رجال الدين بعد استيلائهم على العراق، على العكس مما كان عليه الصفويون من تقدير العلم، و احترام رجاله .

اما الاسباب الداخلية:

١- ما اصاب النجفيين من الوباء الذي انتشر آنذاك.

٢- ما اصاب النجفيين من الازى بسبب حادثة المشعشين ،

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٧٣

و هجومهم على النجف.

٣- انتقال زعيم الحركة العلمية الشيخ احمد بن فهد الحلي الى كربلا .

هذه العوامل المتعددة الخارجية منها، و الداخلية هي التي سببت انتقال المركز العلمي الى كربلا، و رغم هذا كله فان النجف لم تعدم فيها الحركة العلمية، و انما بقيت تواكب حركتها رغم ان الزعامة العلمية قد انتقلت الى كربلا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٧٤

من النجف الى كربلا:

و كيفما كانت الاسباب و الدواعي في نقل الحركة العلمية الى كربلا من عام ١١٥٠ هـ الى ١٢١٢ هـ فقد كانت الحركة العلمية فيها قد نضجت، و قد تجلى هذا النضج و التعميق في مدرسة الاستاذ الوحيد البهبهاني الاصولي و كذلك برز في نتاج العلامة الشيخ يوسف البحراني الفقهى، و الذي ظهر في كتابه الحدائق الذي يقع في عدة مجلدات و طبع عدة طبعات.

غير ان مدرسة الوحيد البهبهاني قد «افتتحت عصرا جديدا في تاريخ العلم، و التي اكسبت الفكر العلمي في العصر الثاني الاستعداد للانتقال الى عصر ثالث» .

و عاشت المدرسة قرابة السبعين عاما و هي تكاد تفتح افاقا جديدة في الكيان العلمي الكربلائي، كان له صدى حافل بالاكبار و التقدير.

و من الجدير ان نستمع الى مصدر يحدثنا عن اثر هذه المدرسة العلمية

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٧٥

و مدى ما نالته من اتساع في القابليات الفكرية الرائعة، يقول المصدر:

«و قد قدر للاتجاه الاخباري في القرن الثاني عشر ان يتخذ من كربلاء نقطة ارتكاز له، و بهذا عاصر ولادة مدرسة جديدة في الفقه و الاصول، نشأت في كربلاء أيضا على يد رائدها المجدد الكبير محمد باقر البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ، و قد نصبت هذه المدرسة الجديدة نفسها لمقاومة الحركة الاخبارية، و تأييد علم الاصول، حتى تضاعف الاتجاه الاخباري، و قد قامت هذه المدرسة الى صف ذلك بتسمية الفكر العلمي، و الارتفاع بعلم الاصول الى مستوى أعلى، حتى ان بالامكان القول بان ظهور هذه المدرسة و جهودها المتضافرة التي بذلها البهبهاني و تلامذة مدرسته المحققون الكبار قد كان حدا فاصلا بين عصرين من تاريخ الفكر العلمي في الفقه و الاصول.

وقد يكون هذا الدور الإيجابي الذي قامت به هذه المدرسة فافتتحت بذلك عصرا جديدا في تاريخ العلم متأثرا بعدة عوامل:

١- عامل رد الفعل الذي أوجدته الحركة الاخبارية، وبخاصة حين جمعها مكان واحد ككربلاء بالحوزة الاصولية، الأمر الذي يؤدي بطبيعته الى شدة الاحتكاك و تضاعف رد الفعل.

٢- ان الحاجة الى وضع موسوعات جديدة في الحديث كانت قد أشبعت و لم يبق بعد وضع الوسائل، و الوافي، و البحار إلا ان يواصل العلم نشاطه الفكري مستفيدا من تلك الموسوعات في عمليات الاستنباط.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٧٦

٣- ان الاتجاه الفلسفي في التفكير الذي كان السيد حسين الخونساري المتوفى ١٠٩٨ هـ قد وضع إحدى بذوره الأساسية زود الفكر العلمي بطاقة جديدة للنمو، و فتح مجالا جديدا للابداع، و كانت مدرسة البهبهاني هي الوارثة لهذا الاتجاه.

٤- عامل المكان: فان مدرسة الوحيد البهبهاني، نشأت على مقربة من المركز الرئيسي للحوزة- و هو النجف- فكان قريبا المكاني هذا من المركز سببا لاستمرارها و مواصلة وجودها عبر طبقات متعاقبة من الاساتذة و التلامذة، الامر الذي جعل بإمكانها ان تضاعف خبرتها باستمرار، و تضيف خبرة طبقة من رجالها الى خبرة الطبقة التي سبقتها، حتى استطاعت ان تقفز بالعلم قفزة كبيرة و تعطيه ملامح عصر جديد. و بهذا كانت مدرسة البهبهاني تمتاز عن المدارس العديدة التي كانت تقوم هنا و هناك بعيدا عن المركز و تتلاشى بموت رائدها» .

اما بصدد الكشف عن حصيلة هذه الفترة العلمية في كربلاء فيكفي ان تشير الى:

١- كتاب الحدائق- للمرحوم الشيخ يوسف البحراني و قد وقع الكتاب في عدة مجلدات، و تحدثت عنه المصادر المختصة بانه كتاب جليل لم يصنف مثله جمع فيه جميع الاقوال و الاخبار الواردة عن الائمة الاطهار، الا انه طاب ثراه لميله الى الاخبارية كان قليل التعلق بالاستدلال بالادلة الاصولية التي هي امهات الاحكام الفقهية، و عمد الادلة الشرعية .

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٧٧

٢- كتاب الرياض- للسيد علي بن محمد الطباطبائي ، و قد وصف بأنه «في غاية الجودة جدا بحيث لم يسبق له مثيل، ذكر فيه جميع ما وصل اليه من الأدلة و الاقوال على نهج عسر على من سواه بل استحال .

٣- كتاب الفصول- للشيخ محمد حسين بن عبد الرحيم الحائري ، و قد وصفه الخونساري بقوله: و كتابه هذا من احسن ما كتب في اصول الفقه و اجمعها للتحقيق و التدقيق و اشملها لكل فكر عميق، و قد تداولته جميع ايدى الطلبة في هذا الزمان و تقبلته القبول الحسن في جميع البلدان .

و لسنا بصدد ان نحصى حصيلة هذه الفترة لندل القارىء على مدى القابلية العلمية التي تمتع بها قادة الفكر و العلم في كربلاء ضمن هذه الفترة، انما نرسم له ملامح هذه الفترة من خلال النتائج المبرز فيها. و يكفي ان نرى ان للوحيد البهبهاني، و هو استاذ هذه الفترة و رائدها ما يقرب من ستين كتابا في الفقه و الاصول، و العقائد، و الرجال .

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٧٨

الدور الثالث للجامعة النجفية

إشارة

و يمكن ان نطلق على هذا الدور «عصر الكمال العلمي» و هو العصر الذي افتتحت في تاريخ العلم المدرسة الجديدة التي ظهرت في اواخر القرن الثاني عشر على يد الاستاذ الوحيد البهبهاني، و بدأت تبنى للعلم عصره الثالث بما قدمته من جهود متظاهرة في الميدانين

الأصولى و الفقهى.

و قد تمثلت تلك الجهود فى افكار و بحوث رائد المدرسه الاستاذ الوحيد و اقطاب مدرسته الذين واصلوا عمل الرائد حوالى نصف قرن حتى استكمل العصر الثالث خصائصه العامه و وصل الى القمه .

و عادت النجف الى ميدانها العلمى كمرکز أول- من بعد هذه الفتره- للحركه العلميه التى تمثل مدرسه الوحيد البهبهانى على يد تلميذه السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائى. بعد ان عاشت زمانا و هى تتفاعل بتأثيرات المدرسه الفكرية فى كربلا. و لنا ان نسمى هذا العصر بعصر النهضه العلميه لكثرة من نبغ فيه من

موسوعة العتبات المقدسه، ج٧، ص: ٧٩

الفحول الكبار و العلماء، و لكثرة تهافت الناس على العلم فيه، و ازدياد الطلاب .

و لعل من أهم الخطوات التى منى بها هذا العصر، و على يد زعيم الجامعه النجفيه السيد بحر العلوم تنظيمه للقضايا و المشاكل التى تقتضيها طبيعة المجتمع، كما يقتضيها سير الزعامه الدينيه فى النجف.

فمثلا ركز الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ للتقليد و الفتوى حتى قيل: إنه اجاز لاهله و ذويه الرجوع فى التقليد للشيخ جعفر الكبير تمشيا مع التنظيم و التركيز.

كما عين الشيخ حسين نجف المتوفى سنة ١٢٥١ هـ للامامه و المحراب، فكان يقيم الجماعة فى «الجامع الهندى» و يؤمه الناس - على اختلاف طبقاتهم- بارشاد من السيد بحر العلوم.

اما فى القضاء و الخصومات، فقد خص لها الشيخ شريف محى الدين فكان يرشد اليه فى ذلك، علما منه بمهارته فى القضاء، و تثبته فى الدين، و سعه صدره لتلقى الدعاوى و المخاصمات.

و اضطلع هو- باعباء التدريس، و الزعامه الكبرى، و اداره شؤونها العامه و الخاصه .

و كان هذا التقسيم منه لأدارة شؤون النجف العامه يدل على وعى كبير فى الذهنيه القيادية الدينيه، و التى تبرز عصره بطابع يختلف عن

موسوعة العتبات المقدسه، ج٧، ص: ٨٠

العصور السابقه من حيث النضج و الوعى.

و كانت مظاهر هذا الدور بارزه جليه فى مجالى الفقه و الاصول الى جانب بقيه العلوم التى دلت النجف على اختصاصها بها. بالاضافه الى الطابع الادبى.

ففى حقل الفقه: نرى انه تطور فى هذا الدور تطورا محسوسا لما دخله من عنصرى البحث و النقد، و لما تحلى به من قابليه النقض و الابرام، و التعمق و التحليل، و خاصه فى ملاحظه الروايات من حيث السند و الدلاله، و الفحص عن مدى وثوقها عند الماضين من العلماء الاعلام، و عرض المسائل الفقيهيه حسب الأدله الاجتهاديه و الفقيهيه،

فالتجربه العلميه التى عاشتها جامعه النجف فى دورها الثالث فى حقل الفقه كان لها الاثر الكبير فى ابراز عطاء ناضج يدل على سعه فى الافق، و وفره فى الاطلاع، و لذا وصف «بدور التكامل و النضج».

اما فى حقل الاصول: فقد يكون من الواقع ان يطلق على هذا الدور «دور الكمال العلمى» فان المرحله الجديده التى دخلها علم الاصول كان «نتيجه افكار و بحوث رائد المدرسه الاستاذ الوحيد البهبهانى، و اقطاب مدرسته الذين واصلوا عمل الرائد حوالى نصف قرن حتى استكمل العصر الثالث خصائصه العامه و وصل الى القمه».

و ما ان بلغ العهد بالمحقق الانصارى الشيخ مرتضى، حتى اعتبر رائدا لأرقى مرحله من مراحل الدور الثالث التى يتمثل فيها الفكر العلمى منذ

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٨١

اكثر من مئة سنة حتى اليوم .

و عندما اطل القرن الرابع عشر الهجرى لمع اسم المجدد الشيخ ملا محمد كاظم الخراسانى الذى فتح آفاقا جديدة للعلم، و قدر له و لمن خلفه كالميرزا حسين النائينى، و الشيخ محمد حسين الاصفهانى، و الشيخ اقا ضياء العراقى و غيرهم من اقطاب هذه المدرسه ان يرتفعوا الى القمة العلمية، و التى خلفت تراثا ضخما تستنير به الاجيال.

و الى جانب هذين العلمين الرئيسيين فقد قدمت الجامعة النجفية عطاء ثرا فى مختلف العلوم سواء أكان لها مساس فى علومنا الفقهية و الاصولية او لها صلة بطبيعة النجف الادبية.

الزعيم الروحانى المجدد الشيخ ملا محمد كاظم الاخوند الخراسانى

و لقد سبب ازدهار الجامعة النجفية الى كثرة المدارس الدينية فى هذا الدور، و التى نصطلح عليها فى عصرنا الحديث بالاقسام الداخلية لطلاب العلوم بالاضافة الى كونها مقرات للتدريس و البحث.

و تكاثر المدارس يدل على ازدياد الهجرة الى طلب العلم، و خاصة من البلاد النائية. و نتيجة لهذا التوسع فى تكاثر الهجرة الى النجف اتسعت

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٨٢

الاقسام الداخلية لتضم الطلاب المتغربين عن بلادهم، و تحافظ عليهم، و تهىء لهم المأوى و الرواتب، و المجال الاوسع فى حياتهم الدراسية .

و رغم تعرض النجف لهزات قوية و عنيفة فى دورها الاخير سواء الخارجية منها أو الداخلية، أضف اليها الظروف الخاصة التى اظهرت قادة النجف من العلماء الاعلام بالموقف القيادى للزعامة السياسية و الدينية، و من أجل مظاهر تلكم المواقف المشهورة ثورة العشرين، ظلت سياسة البلد تدار من قبل رجال العلم و مجتهدى النجف و علمائها بزعامة الامام الميرزا محمد تقى الشيرازى.

و تاريخ العراق السياسى يذكر هذه الحقيقة بكل اكبار، و يؤكد على ان القيادة السياسية العامة كانت تلقى عصا ترحالها بيد اهل العلم بين آونة و اخرى، و كما هو الآن- من موقف الامام السيد محسن الحكيم.

و كانت هذه الهزات التى مرت الاشارة اليها عاملا فى تقليص نفوذ الجامعة او امتداد زعامتها تبعا للتيارات السياسية.

و ثمة عامل آخر كان له اثر فى تقليص نفوذ هذا المركز العلمى، و هو انتقال المرجعية من النجف فى بعض الاحيان، و فى فترات و جيزة، و تنقلها بين كربلاء، و الكاظمية، و قم، و غيرها.

و لكن رغم هذه الفترات القصار التى كانت تتناوب بين النجف و المدن الاخرى و تنقل عنها المرجعية العامة فى عهد قصير، و على فترات متباعدة ظل هذا العهد محافظا على طابعه العلمى، لا يتخلله ضعف أو وهن،

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٨٣

فقد ادى رسالته العلمية على الوجه الاكمل.

و لقد قدر عدد المهاجرين و طلاب العلم فى هذه الجامعة فى دورها الاخير بحوالى خمسة آلاف طالب من مختلف الاقطار الاسلامية: كالهند، و باكستان، و ايران و افغانستان، و تركيا و التبت، و بعض الدول الافريقية، و لبنان، و سوريا، و الاحساء و الخليج، و غيرها من الاقطار الاسلامية.

و الدراسة فى الجامعة النجفية مجانية من حين تأسيسها حتى يومنا هذا، و بالاضافة الى ذلك تقوم (المرجعية الدينية العامة) و هى التى تمثل المرجع الاعلى للشريعة بتعيين رواتب شهرية لطلاب العلوم على اختلاف طبقاتهم، و تخص المهاجرين منهم بزيادة نظرا لعدم وجود اى مورد آخر لهم فى هذا البلد.

و تعتمد في مواردها المالية على الحقوق الشرعية من الاموال التي يدفعها المؤمنون من مختلف الاقطار، و على بعض التبرعات من المحسنين، و ليس لهذه الجهات الدينية أى مورد حكومى، و لا علاقة لها بالحكومات على اختلافها فى شؤونها الخاصة و العامة، مادية او غيرها.

معالم النهضة العلمية لهذا الدور:

إشارة

اما بالنسبة لأبراز معالم النهضة العلمية لهذا الدور فيمكن تقسيم نتاجها الى عدة مراتب، حسب التسلسل الزمنى للمؤلفين - مع غض النظر عن اعتباراتهم العلمية.

و لقد حصل هذا الدور على مجموعة نفيسة فى مختلف العلوم و لكننا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٨٤

صفحة من كتاب (المكاسب) للشيخ الأنصارى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٨٥

تبعاً لاختصاصنا فى هذا البحث بالفقه و الاصول، فسنقصر عليهما بحثنا

[يمكن تقسيم نتاجها الى عدة مراتب

المرتبة الأولى:

و تكاد تكون حافلة بالنتاج الفقهي، و أهم هذه الحصيلة العلمية هي:

١- كتاب (المصاييح) للسيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي المتوفى ١٢١٢ هـ، و هو ما زال مخطوطاً و يقع فى ثلاث مجلدات.

٢- كتاب (مفتاح الكرامة) للسيد محمد جواد بن السيد محمد الحسينى العاملى النجفى المتوفى سنة ١٢٢٦ هـ، طبع بمصر و دمشق، يقع فى ثمانى مجلدات.

٣- كتاب (كشف الغطاء) للشيخ جعفر بن الشيخ خضر الجناجى المعروف بكاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ، مطبوع بايران فى مجلد واحد.

٤- كتاب (مقابس الانوار) للشيخ أسد الله التستري المتوفى سنة ١٢٣٤ هـ طبع بايران فى مجلد واحد.

٥- كتاب (مستند الاحكام) للمولى احمد بن المولى محمد مهدي التراقي الكاشانى المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ، طبع بايران فى مجلدين.

المرتبة الثانية:

١- كتاب (جواهر الكلام) للشيخ محمد حسن بن الشيخ محمد باقر النجفى، المعروف بصاحب الجواهر، المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ، و هو كتاب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٨٦

صفحة من كتاب (جواهر الكلام) فى الفقه للشيخ محمد حسن صاحب الجواهر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٨٧

فقه استدلالى، طبع عدة مرات فى ست مجلدات.

- ٢- كتاب (المكاسب) في الفقه- للشيخ مرتضى الانصارى المتوفى سنة ١٢٨١ هـ، طبع بايران في مجلد واحد.
- ٣- كتاب (الرسائل) في الاصول- للشيخ مرتضى الانصارى طبع بايران في مجلده واحد.
- ٤- كتاب (البرهان القاطع) في الفقه للسيد على بن السيد رضا بحر العلوم المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ، طبع بايران في ثلاث مجلدات.

المرتبة الثالثة:

- ١- كتاب (هداية الانام) في الفقه للشيخ محمد حسين الكاظمي النجفي المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ طبع منه في النجف ثلاث مجلدات، و اصله في سبع و عشرين مجلدا شرح فيها كتاب (شرائع الاسلام) للمحقق الحلي.
- ٢- كتاب (مصباح الفقيه) للشيخ آغا رضا بن محمد هادي الهمداني المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ طبع في ثلاث مجلدات جزء آن في النجف، و الثالث في ايران.
- ٣- كتاب (حاشية على رسائل الانصارى) في الاصول- للشيخ آغا رضا الهمداني، طبع في ايران في مجلد واحد.
- ٤- كتاب (بلغة الفقيه) في الفقه- للسيد محمد بن السيد محمد تقي ابن السيد رضا بحر العلوم، المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ، طبع عدة طبقات في ايران في مجلد واحد.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٨٨
- صفحة من كتاب (كفاية الأصول) للملا الشيخ محمد كاظم الاخوند الخراساني
- موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٨٩
- ٥- كتاب (كفاية الاصول) في الاصول- للشيخ محمد كاظم الخراساني المتوفى سنة ١٣٣١ هـ، طبع عدة طبقات في النجف و بغداد و ايران يقع في جزئين.
- ٦- كتاب (العروة الوثقى) و ملحقاتها للمرحوم السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ، طبع عدة طبقات. في بغداد، و النجف، و ايران.

المرتبة الرابعة:

- و لقد تجلى نتاج هذا الدور في حقل الفقه و الاصول بالشروح الكثيرة لكتابي «العروة الوثقى» في الفقه، و «كفاية الاصول» في اصول الفقه.
- ففي الفقه: اصيحت «العروة الوثقى» مصدرا للبحوث و التعليقات فيما بعد و حتى عصرنا الحاضر. و قد سجلت المصادر ما يزيد على العشرين شرحا لهذا الكتاب.
- و هذا الكتاب صار المحور للدراسة الخارجية (البحث الخارج) من حين ظهوره. و في طليعة هذه الحصيلة من شروح هذا الكتاب (مستمسك العروة الوثقى) للامام السيد محسن الحكيم، و قد طبع من هذا الكتاب حتى الآن اثنا عشر مجلدا، و يعتبر الكتاب الشرح الاول للعروة. و للبحث الخارج الذي يدور عليه التدريس اليوم.
- اما بالنسبة للأصول، فقد اصيحت «كفاية الاصول» هي القاعدة و الاساس لبحوث الباحثين و المدرسين، و لعل في مقدمه النتاج العلمي، و الذي هو في مقام الشرح و التعليق بحوث الميرزا حسين النائيني الاصولية
- موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٩٠
- و الذي خلف تراثا ضخما من بحوث اصولية مركزة على اقلام تلامذته و الذين عليهم مدار الهيئة العلمية في الجامعة النجفية حتى الآن، امثال الامامين السيد ابي القاسم الخوئي، و الشيخ حسين الحلي، و غيرهما من اقطاب هذه المدرسة الفكرية العلمية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٩١

أسلوب الدراسة في الجامعة النجفية

إشارة

لا يختلف أسلوب الدراسة في جامعة النجف كثيرا عن سائر الجامعات الإسلامية القديمة في نوعية التدريس، إنما تمتاز هذه الجامعة بطريقة تحصيل ملكة الاجتهاد في الفقه الذي تختص الامامية بفتح بابه.

وثمة اختلاف آخر: هو ان الطالب الديني في مرحلة دراسته في هذه الجامعة لا يفكر بان ينال شهادة، او يجتاز عقبه امتحان رسمي ليحظى بوظيفة، إنما يفكر و يطلب العلم لنفسه.

و من مميزات هذه الدراسة، ان الطالب حر في اختيار المدرس و لم يسع المدرس التخلف بوجه- اذا كانت لديه فرصة من الوقت- و لم يكن هذا الدافع خوف السلطة الزمنية، و ضغطها على المدرس بالتخلف عن الاستجابة للتدريس إنما هي طبيعة النجف الاشرف مبنية على هذا النهج، فهو باستجابته يليى دعوة الواجب الديني فقط. و التدريس في الجامعة النجفية بكل اقسامه مجاني لا يأخذ عليه المدرس اجرا، و لا يتقاضى في سبيله راتبا، إنما عمله خالص لوجه الله سبحانه.

و تمر على الطالب ثلاث مراحل ليصل الى غايته المنشودة مرتبة (الاجتهاد).

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٩٢

اولا- الدراسات التمهيديّة، او مرحلة (المقدمات) .

ثانيا- الدراسات الوسطى، او مرحلة (السطوح) .

ثالثا- الدراسات العليا، او مرحلة (بحث الخارج) .

مراحل الدراسة:

المرحلة الاولى: دراسة المقدمات

و في هذه المرحلة تكون الدراسة فردية على الاكثر، و ان كان من الممكن ان يشترك عدد من الطلاب في درس من دروس هذه المرحلة، كما تتوفر للطلاب حرية اختيار المدرس بالكتاب الذي يروم درسه، و في اى مكان او زمان يتفق عليه الاستاذ و التلميذ. و للطلاب حرية النقاش مع استاذهم، و لكنه محدد بالقدر الذي يسعه افق الطالب و تفكيره، و الغرض من هذه الحرية التوجيه و التمرين على قوة الملاحظة.

و مدة الدرس اليومى من نصف ساعة الى ساعة حسبما يناسب الاستاذ و التلميذ و الكتاب.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٩٣

اما المواد المقررة للتدريس في هذه المرحلة فهي:

النحو و الصرف- و كتبهما: الاجرومية لمؤلفها عبد الله بن هشام، و قطر الندى لابن هشام، و شروح الفية ابن مالك، لابن الناظم، او ابن عقيل، و ابن هشام، و الاشموني

و قد يستعاض عن الاجرومية، و قطر الندى بكتاب النحو الواضح.

و يعتمد الطلاب الايرانيون على كتاب جامع المقدمات، و صرف مير.

و لغاية التوسع يتبعون كتاب السيوطى فى العربية، و شرح الرضى، و الجامى.

و لغرض التوسع فى العربية يدرس كتاب مغنى اللبيب لابن هشام و شذور الذهب لابن هشام، و الكتاب لسيويه، و غيرهم.

البلاغة و المعاني و البيان- و كتبها:

المطول- للتفتازاني.

المختصر- للتفتازاني اختصر فيه تلخيص المفتاح.

جواهر البلاغة- للسيد احمد الهاشمي.

المنطق- و كتبه: حاشية ملا- عبد الله النجفي، و الشمسية لقطب الدين الرازي، و المنطق للشيخ محمد رضا المظفر، و ربما توسع الطالب فيدرس شرح المطالع.

اصول الفقه: و كتبه- المعالم للشيخ حسن بن زين الدين الشهيد الثاني و اصول المظفر الجزء آن الاولان منه، و اصول الاستنباط للسيد على نقى الحيدري، و كتاب المعالم الجديدة للسيد محمد باقر الصدر، الذي صدر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٩٤

صفحة من (العروة الوثقى) و عليها شرح الإمام السيد محسن الحكيم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٩٥

حديثا .

الفقه: و كتبه- تبصرة العلامة الحلبي، مختصر النافع، للمحقق الحلبي شرائع الاسلام للمحقق الحلبي، و قد تدرس بعض الرسائل العملية كالعروة الوثقى للسيد كاظم الطباطبائي، و وسيلة النجاة للسيد ابي الحسن الاصفهاني، و منهاج الصالحين للسيد محسن الحكيم الطباطبائي.

و ربما ينضم الى هذا كله دراسة علم الكلام، و العلوم الرياضية، و بعض العلوم الادبية: كعلوم العروض، و القافية، و البديع، و النصوص الادبية، و هذا كله حسب رغبة الطالب، و استعداده في المشاركة بهذه المعارف و ما الى ذلك. و مدة هذه المرحلة من ثلاث الى خمس سنوات.

المرحلة الثانية: دراسة السطوح:

و هي دراسة متن الكتب الموضوعية في الفقه الاستدلالي، و اصول الفقه و يتبع فيها محاكمة الآراء و مناقشتها بحرية كاملة، و على الأكثر تجرى هذه المرحلة على اسلوب الحلقات، حيث يجتمع أكثر من طالب واحد في مجلس احد المدرسين المعروفين و يختلف عدد الطلاب في كل حلقة حسب اختلاف المدرس و تفوقه في اسلوب التدريس، و سعة اطلاعه، كما ان الحرية مطلقة للطلاب في اختيار الكتاب و الدرس.

و اهم الكتب المقررة لهذه المرحلة هي:

في الفقه: (شرح اللمعة الدمشقية) للمرحوم زين الدين الشهيد الثاني،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٩٦

و المكاسب للمرحوم الشيخ مرتضى الانصاري، و قد يدرس كتاب (رياض العلماء) للسيد علي الطباطبائي، و كتاب (مسالك الافهام) لزين الدين العامل الشهير بالشهيد الثاني.

في الاصول: القوانين- للقمي، الفصول للحائري، كفاية الاصول للشيخ محمد كاظم الخراساني، رسائل الشيخ مرتضى الانصاري، الجزء الثالث من اصول الشيخ محمد رضا المظفر، و للتوسع يقرأ الطالب الاصول العامة- دراسة للأصول مقارنة- للسيد محمد تقى الحكيم- طبع حديثا .

و هناك مراجع اخرى اوسع دائرة و بحثا لا يستغنى عنها الطالب الباحث و اذا انتهى الطالب من هذه المرحلة باتقان استحق أن يسمى (مراهقا) .

و لما كانت كتب السطوح كلها استدلالية فان دراستها و الاستفادة منها توسع ذهن الطالب، و تمنحه مقدرة خاصة لإقامة الدليل، اورد البراهين و الدعاوى.

و قد ينضم الى هذه المرحلة دراسة علم الكلام، و الحكمه، و الفلسفة الالهية، و التفسير و الحديث، و اصول الحديث، و احوال الرواة. و مدة مرحلة (السطوح) عادة من ثلاث الى ست سنوات، و قد تزيد احيانا عن ذلك.

المرحلة الثالثة - بحيث الخارج:

و هي المرحلة التي يحضر فيها الطالب دروس كبار العلماء المجتهدين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٩٧

في الفقه و الاصول، و هذه هي آخر مراحل الدراسة التي قد يوفق فيها الى بلوغ درجة الاجتهاد و هي اعلى درجة، و بها امتياز هذه الجامعة الاسلامية في اسلوب التدريس و في حرية المناقشة و الرأي، و في درجتها العلمية العالية.

تتكون هذه المرحلة عادة في دورات يتولاها كبار العلماء المجتهدين، و يتدىء المدرس منهم بدورة بحوث أصولية، او فقهية يلقيها بشكل محاضرات يومية فيشرح المسألة شرحا وافيا بعرض الاقوال من مختلف المذاهب الاسلامية، و مناقشة الآراء فيها، و أدلتها المختلفة، و يختار ما ينتهي اليه رأيه مع الدليل، و لكل مدرس طريقة خاصة في اسلوب البحث، و سعة المنهج، و الاسس العلمية التي يعتمدها.

و هذه الدورات لا تكون الا جماعية يحضر فيها عدد كبير، و جم غفير من الطلاب و ذلك تبعاً لشهرة المدرس في تفوقه العلمي، و دقة منهجه، و اسلوب تدريسه، و قد سميت هذه المرحلة (بحث الخارج) نظرا الى ان التدريس فيها لا يعتمد على رأى خاص، و لا على كتاب معين الا ما قد يتخذ على سبيل تسهيل المراجعة على الطلاب او التحضير قبل الدرس.

و للطلاب في هذه الدورات كامل الحرية في المناقشة، و ابداء الرأي في اثناء المحاضرة و بعدها، و قد يكون كثير من طلابها مراهقين للاجتهاد في انفسهم.

و ميزة هذه الدورات عمق البحث و دقته، و سعة أفقه، و الحرية الكاملة في نقد الآراء و مناقشتها مهما كان صاحبها، و بهذا الاسلوب يغذى الطلاب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٩٨

ليتمكنوا من الاعتماد على آرائهم، و الثقة بنفوسهم حيث يرجع اليهم الناس، و تقلدهم الامه في امورها.

الى هذا النهج الدراسي يعزى السر في تطور الدراسات الفقهية و الاصولية في جامعة النجف على مر القرون، و من يقرأ كتابا في الفقه و اصوله لاحد اعلام القرنين الرابع و الخامس مثلا، ثم يقرأ كتابا فيها لأحد اعلام هذا القرن يلمس مدى التطور الذي بلغه البحث في هذا الشأن.

و الطلاب الذين في حلقات الدروس الخارجية، يحضرون عدة سنوات، او دورة كاملة في الفقه او الاصول، ثم يعرضون كتاباتهم، و تقاريراتهم على الاستاذ، و اذا ما حازت الرضا و القبول يمنحه الاستاذ شهادة كتابية، يقال لها (اجازة الاجتهاد) و عندما يحصل الطالب على هذه الاجازة يصبح (مجازا) و في ذلك الوقت يكون قد بلغ مقام الاجتهاد، و قد صار باصطلاح العلماء (مجتهدا).

و قد قسمت بعض المصادر درس الخارج الى ثلاث مراتب:

- ادناها: ان يحضر قوم فرغوا من السطوح درسا يسير على عناوين كتاب من كتب التدريس، و يتعهد الاستاذ ببيان مطلب الكتاب بايضاح من دون تقييد بعبارة الكتاب، و يضيف الى مطالب الكتاب المناقشات التي ناقش العلماء فيها صاحب الكتاب و قد يقبلها و قد يرددها، و قد يضيف اليها مناقشات أخرى، و هو في الوقت نفسه يحاول تصحيح ما في الكتاب، الا اذا كان فساده بمكان من الوضوح، و ذلك لان الطلاب اعتادوا الايمان بما في الكتاب، ثم بما يقوله الاستاذ.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٩٩

و أوسطها: ما مر باضافة ما فى كتب التدريس الاخرى، او ما فى بعض الكتب المهمة مثلا: يكون عنوان الدرس الجزء الثانى من الكفاية، فيتعهد الاستاذ ببيان ما فيها، مع ما فى الرسائل، مع ما فى تقارير درس (النائىنى) مثلا، ثم يحاكم آراءهم، ثم يختار. و أعلاها: و هو المرتبة الاخيرى، و ذلك بأن يشرع الاستاذ فى مسائل العلم على نهج خاص به، ترتيبا و تبويبا، و تحقيقا، و تنميحا، فانه يحرر المسألة من تلقاء نفسه، و يشير الى جهاتها و أقوالها بحسب ما يراه من استحقاقها للايجاز و الاطناب، و يذكر النظريات و يلغى الادلة الضعيفة، و يناقش باقى الادلة، و ينتهى الى رأى جديد، و مطلب واضح قد يختلف مع كثير من آراء متقدميه . و للمجتهد الحق فى ان يصنف فى احكام الدين كتابا يسمى ب (الرسالة) طبقا لاجتهاده- أى بحثه و استنباطه- او ان يكتب الحواشى، و يصادق على رسائل العلماء السابقين، و يفتى فى الاختلافات و الاشتباهات و الاشكالات التى تفرض لاتباع المذهب- اى المقلدين- بمعنى انه يبدي رأيا و حكما يأخذ به المقلدون فيعملون بمقتضاه.

كما انه يخلف اساتذته فى التدريس الخارجى، و يتسنى مرجعية المسلمين فى التقليد و ادارة الشؤون العلمية، و الاجتماعيه، و الاقتصادية لجامعة النجف، و باقى الحوزات العلمية الدينية فى العتبات المقدسة، بعد تأهيله لذلك بواسطة الشهرة الساحقة للطلبة من اهل العلم، او شهادة اثنين عادلين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٠٠

من كبار العلماء فى حقه.

و الشىء الذى يجب ان نشير اليه قبل ختام هذا الفصل هو (لغة التدريس) و التدريس بصورة عامة فى النجف الاشرف باللغة العربية، و باللغة الفصحى طبعاً، و هذه اللغة تتماشى فى كل مراحل التدريس.

اما الطلاب الاجانب: كالإيرانيين، و الافغانين، و الهنود، و التبتين و النكر، و غيرهم، فانهم يتلقون الدروس السطحية باللغة العربية، ثم يترجمها اساتذتهم بلغاتهم.

اما دروس الخارج فالطابع العربى هو البارز عليها، اللهم الا بعض الشواهد، او شرح المصطلحات، زيادة للتوضيح، فقد تكون غير اللغة العربية لها مجال فى هذا الموضوع.

أشهر الكتب الدراسية فى جامعة النجف

لم تقتصر الجامعة النجفية على كتاب محدود يدرسه الطالب فى علم من العلوم، فلطالب ان يتوسع و يقرأ و يدرس اى كتاب شاء، و يرغب فيه، و يستطيع ان يفهمه و ينسجم معه. و لكن هناك كتب مشهورة فى نطاق الحوزة العلمية تداول عليها المشتغلون و المحصلون، فأصبحت بحكم التداول و الاستمرارية هى المعروفة دون غيرها، و لشهرتها نذكرها:

فى النحو:

١- كتاب (قطر الندى، وبل الصدى) لمؤلفه عبد الله بن يوسف ابن احمد بن هشام المتوفى سنة ٧٦١ هـ، من ائمة العربية، طبع عدة مرات.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٠١

و هذا الكتاب يدرسه الطالب فى المرحلة الاولى من تعليمه، و هو يلم بجميع ابواب النحو بصورة مختصرة.

٢- كتاب (الفيء ابن مالك) ارجوزة فى النحو فى الف بيت ناظمها محمد بن عبد الله بن مالك الطائى المتوفى ٦٧٢ هـ، احد ائمة النحو طبع، و لقد شرحها جمع من ائمة النحو كابن هشام، و الاشمونى، و ابن عقيل، و ابن الناظم بدر الدين محمد المتوفى سنة ٦٨٦ هـ، و يتميز شرحه بغزارة المادة، و تعقيد العبارة، و اختارته الجامعة النجفية لثروته العلمية لانه يوسع ذهن الطالب.

٣- كتاب (مغنى اللبيب) لمؤلفه ابن هشام- صاحب كتاب قطر الندى- المتقدم الذكر و هو كتاب واسع الجوانب يقع في مجلدين اشبه بالقاموس للمصطلحات النحوية، و هذا الكتاب يدرسه الطالب في المرحلة الاخيرة لدراسته النحوية بغية التوسع في البلاغة:

١- (المختصر) لمؤلفه مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى المتوفى سنة ٧٩١ هـ من ائمة العربية، و البيان، و المنطق، اختصر بهذا الكتاب تلخيص المفتاح،

و اغلب الطلاب يكتفون بهذا الكتاب عن (المطول) لانه اخصر. طبع عدة طبعات.

٢- (جواهر البلاغة) لمؤلفه السيد احمد بن ابراهيم الهاشمى من رجال القرن الرابع عشر الهجرى، وضع هذا الكتاب بصورة مبسطة ليسهل تناوله على الطلاب. و قد بحث في البلاغة، و المعانى و البيان، و البديع.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٠٢

صفحة من كتاب (ألفية ابن مالك) فى النحو لمحمد بن مالك الجيانى الأندلسى الشافعى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ و الشرح لولده بدر الدين و قد اخترنا هذه النسخة التى يعود تأريخها الى ما قبل ٤٠٠ سنة على سبيل النموذج للكتب القديمة، و الكتاب مطبوع عدة طبعات.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٠٣

فى المنطق:

١- كتاب (الحاشية فى المنطق) لمؤلفها الملا عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدى، المتوفى سنة ٩٨١ هـ، من المختصين بعلم المنطق طبع فى طهران.

٢- كتاب (المنطق) للشيخ محمد رضا المظفر- عميد كلية الفقه فى النجف الاشرف سابقا- يقع فى ثلاثة اجزاء؛ كتبه لطلاب الكلية و عند طبعه تداولته ايدى طلاب الجامعة باعتباره اسلس عبارة، و اكثر اختصارا من الحاشية و قد طبع مرتين فى النجف و بغداد. فى الفقه:

١- (مختصر النافع) لابي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلبي المعروف بالمحقق الحلبي، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ. طبع هذا الكتاب ثلاث طبعات واحدة منها فى القاهرة قدمه احمد حسن الباقورى وزير الاوقاف السابق للعربية المتحدة، يقع فى مجلد واحد. يتميز بعبارة بسيطة من غير تعقيد لخص فيه كتاب «شرائع الاسلام فى مسائل الحلال و الحرام» الذى يعتبر متنا من المتون الحية الى الآن. و هو مرتب على اربعة اقسام: العبادات، و العقود، و الايقاعات، و الاحكام.

٢- كتاب (شرائع الاسلام فى مسائل الحلال و الحرام) لنفس المؤلف المتقدم الذكر، و هو يقع فى مجلدين، فقه استدلالى طبع فى ايران، و فى بيروت.

٣- كتاب (الروضة البهية فى شرح اللمعة الدمشقية) لمؤلفه زين الدين

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٠٤

صفحة من كتاب (شرائع الإسلام) فى الفقه المحقق ابي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلبي

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٠٥

ابن نور الدين على بن احمد العاملى الجيعى المعروف بالشهيد الثانى المقتول سنة ٩٦٥ هـ، يقع فى مجلدين شرح المؤلف اللمعة الدمشقية للشهيد الاول محمد بن الشيخ جمال الدين بن مكى النبطى العاملى الجزينى المقتول سنة ٧٨٦ هـ.

و الكتاب من المصادر الفقهية الاستدلالية الرائعة. طبع عدة طبعات و آخرها فى مصر.

٤- (المكاسب) للمجدد الشيخ مرتضى بن محمد امين التستري الانصارى المتوفى سنة ١٢٨١ هـ، و هو كتاب فقه استدلالى جليل فى

نواحي المعاملات طبع الكتاب عدة طبعات في ايران و بغداد.

و مراتب هذه الكتب حسب التسلسل المذكور فالطالب يبدأ في المختصر و عند اتمامه ينتقل الى الشرائع، ثم إلى اللعة، ثم إلى المكاسب، و بذلك يكون قد اكمل دورة فقهية كاملة.

في اصول الفقه:

١- كتاب (معالم الاصول) الشيخ حسن بن زين الدين الشهيد الثاني المتوفى سنة ١٠١١ هـ، حوى الكتاب ابواب الاصول بصورة مختصرة، و قد طبع عدة طبعات في ايران، و يدرسه الطالب عند ما يبدأ في علم الاصول و يقع في مجلد واحد.

٢- كتاب (قوانين الاصول) للميرزا ابى القاسم بن محمد حسن الجيلانى القمى المتوفى سنة ١٢٣١ هـ، تناول فيه أبواب الاصول بصورة تفصيلية و يقع في مجلد كبير طبع بايران. و يأتي بالمرتبة الثانية للطالب المبتدىء.

٣- كتاب (كفاية الاصول) للمحقق الشيخ الملا محمد كاظم الخراسانى

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٠٦

الشهير بالاخوند المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ. يقع في ثلاثة أجزاء، و وصف كتابه بانه صار كتابا نهائيا لمدرسة الاصول لما حوى من تحقيق و تدقيق فكرى عال في علم الاصول. طبع في ايران و بغداد عدة طبعات.

٤- كتاب (الرسائل) للشيخ مرتضى الانصارى المتوفى سنة ١٢٨١ هـ من اهم الكتب الاصولية يقع في مجلد واحد عبر بحق عن الفكر العلمى الذى تمثل في هذه المرحلة من النضج الذهنى، و العمق و السعة.

و هذان الكتابان (الكفاية و الرسائل) بالمرتبة الاخيرة يتناولهما الطالب الدينى فاذا اكملهما فقد اكمل دورة اصولية عامة.

٥- (اصول المظفر) لمؤلفه الشيخ محمد رضا المظفر المتوفى سنة ١٣٨٣ هـ يقع في ثلاثة اجزاء و هى محاضرات القاها مؤلفها على طلاب كلية الفقه فى النجف الاشرف بصورة منظمة تناول فيها بحوث الاصول باسلوب خال من التعقيد، و عندما صدر الى عالم الظهور، اخذ طلاب الجامعة النجفية بدراسته للميزات التى يتمتع به.

هذه هى اشهر الكتب المقررة للتدريس فى الجامعة النجفية، و عند ما نذكر هذه الكتب فليس معناه ان هذه المجموعة هى الاول و الآخر، انما هناك عدد من المؤلفات القيمة فى جميع العلوم التى مر ذكرها، و لكنها اما ليست بالمستوى الفكرى للجامعة، او انها غير متعارفة لعمق بحوثها و عدم تمكن الطالب من استيعابها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٠٧

محلات الدراسة فى النجف

لم تتقيد جامعة النجف بمحل واحد للدراسة، انما نراها تتخذ من الجوامع و المدارس (الاقسام الداخلية) و الصحن الشريف مكانا للتدريس. و من أجل تنوير الباحث نعطي صورة موجزة عن هذه المرافق التدريسية:

آ- الصحن الشريف:

لم يكن اتخاذ الصحن الشريف الحيدرى مكانا للتدريس حديثا، انما يرجع تاريخه الى العهد البويهى، حينما بناه عضد الدولة البويهى فبنى غرفا للصحن،

و لقد اعتاد طلاب العلم ان يعقدوا فى هذه الغرف و الايوانات الحلقات التدريسية، و ربما تعدى الى ساحة الصحن نفسه .

ب- الجوامع (المساجد):

فى النجف جوامع كثيرة قديمة العهد، منتشرة هنا و هناك، و لقد اتخذ طلاب العلوم الدينية من بعضها مركزا للتدريس و البحث، و نأتى على ذكر اهمها:

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٠٨

١- مسجد عمران: وهو المسجد المنسوب الى عمران بن شاهين ، و هو من اقدم المساجد النجفية، و ابعدها صيتا، و يمكن ان ندعى انه كان من قديم الزمان مركزا للتدريس فهو يقع فى مدخل الصحن الحيدرى من جانب باب الطوسى، و يرجع عهده الى اواسط القرن الرابع الهجرى. و يعقد الآن فيه بحث الامام السيد محسن الحكيم.

٢- مسجد الخضراء: و ينسبه البراقى الى على بن المظفر، و هو من المساجد القديمة البعيدة العهد، و موقعه شرقى الصحن بالقرب من الجهة الشمالية، و له باب من الصحن الحيدرى، كما له باب من الشارع العام.

و قد اتخذ مقرا للتدريس و البحث، و يعقد فيه الآن بحث الامام السيد ابى القاسم الخوئى.

٣- مسجد الشيخ الطوسى: و هو من المساجد القديمة، كان دارا لشيخ الطائفة أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى، و بعد وفاته عام ٤٦٠ أوصى ان يجعل مسجدا من بعده، و يعتبر هذا الجامع مركزا للعلم و التحصيل فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٠٩

كل ادواره، و يقع فى محلة المشراق من الجهة الشمالية من الصحن فى اول شارع الطوسى اليوم، و بازائه مقبرة السيد محمد مهدى بحر العلوم.

٤- مسجد الهندى : و اسس هذا المسجد فى اوائل القرن الثالث عشر الهجرى فى عصر الشيخ حسين نجف الكبير، و من حين تأسيسه اتخذ طلاب العلوم الدينية مركزا للدرس، يجتمع فيه اكثر اهل العلم، و تعقد فيه عشرات الحلقات لفضلاء العصر. بالاضافة الى بحث الامام السيد محمود الشاهرودى و يقع فى آخر سوق البزازين الواقع قبلة الصحن الشريف، و له باب اليوم على شارع الرسول.

٥- مسجد الشيخ مرتضى: و لم يكن هذا المسجد بالمرتبة الاولى غير انه من حين تعميره حتى الآن اتخذ محلا للتدريس و التحصيل، فلقد اسس- بايعاز من الشيخ مرتضى الانصارى المتوفى سنة ١٢٨١ هـ، و قد اتخذ الامام السيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى مركزا لدرسه، ثم اتخذ الامام السيد عبد الهادى الشيرازى مقرا لبحثه، و اليوم يلقى فيه الامام الخمينى درسه.

هذه هى المساجد التى كانت، و ما زالت مركزا للتدريس، و الابحاث الخارجية المهمة، و هناك عدد من المساجد غير رئيسية قد اتخذت للبحوث الصغيرة، كمسجد الرأس الذى يقع فى الصحن الحيدرى تحت الطاق، و مسجد الصاغة و الذى يقع فى آخر سوق الصاغة من السوق الكبير، كذلك مسجد آل الجواهرى، و الذى يقع فى محلة العمارة و كذلك مسجد العلامة

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١١٠

الشيرازى المتوفى سنة ١٣١٢ هـ، و كان محلا لدرس الزعيم الروحانى السيد ميرزا محمد حسن الشيرازى قبل هجرته إلى سامراء، الى غير ذلك من المساجد الكثيرة التى تعقد فيها الحلقات الخاصة للدرس.

ج- المدارس:

و هذا مرفق ثالث، اتخذ منه المدرسون مقرا لحلقاتهم الدراسية، و ان كثيرا من هذه المدارس اليوم تعتبر بمثابة قاعات للمحاضرات و التدريسات الى جانب كونها اقساما داخلية و منازل للطلاب من الغرباء او الذين لم تتوفر لهم فى بيوتهم غرف للمطالعة و الدرس.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١١١

اهم المصادر التى اعتمدها الكاتب

١- فرحة الغرى

٢- الكنى و الالقاب

٣- رجال العلامة الحلى

- ٤- رجال الماقتاني
- ٥- من لا يحضره الفقيه
- ٦- رجال النجاشي
- ٧- ماضي النجف و حاضرها
- ٨- تاريخ الكوفة للبراقى
- ٩- يتيمه الدهر للثعالبي
- ١٠- الاعلام للزركلبي
- ١١- حديث الجامعة النجفية
- ١٢- رجال الطوسى
- ١٣- خصال الصدوق
- ١٤- البدايه و النهايه لابن كثير
- ١٥- مرآة الجنان
- ١٦- الصادق - للمظفر
- ١٧- الامام الصادق و المذاهب الاربعه للشيخ اسد حيدر
- ١٨- نزاهة القلوب للمستوفى
- موسوعة العتبات المقدسه، ج ٧، ص: ١١٢
- ١٩- تفسير التبيان للشيخ الطوسى
- ٢٠- نظرات فى الذريعه- للدكتور مصطفى جواد
- ٢١- دمية القصر
- ٢٢- الدرجات الرفيعة
- ٢٣- تاريخ الخلفاء للسيوطى
- ٢٤- النجوم الزاهرة لابن تغرى
- ٢٥- طبقات الشافعية للسبكي
- ٢٦- كشف الظنون
- ٢٧- المنتظم لابن الجوزى
- ٢٨- لسان الميزان لابن حجر
- ٢٩- المعالم الجديدة للسيد محمد باقر الصدر
- ٣٠- تلخيص الشافى - المقدمة
- ٣١- الذريعه الى تصانيف الشيعة للشيخ اغا بزرك
- ٣٢- شذرات الذهب فى اخبار من ذهب
- ٣٣- رجال ابن داود
- ٣٤- أمل الآمل
- ٣٥- روضات الجنات

- ٣٦- بغية الوعاة
 ٣٧- رحلة ابن بطوطة
 ٣٨- تاريخ العراق بين احتلالين
 ٣٩- تحفة العالم للسيد جعفر بحر العلوم
 ٤٠- دليل القضاء الشرعي للسيد محمد صادق بحر العلوم
 ٤١- تاريخ الشعشعيني
 ٤٢- رجال السيد بحر العلوم
 ٤٣- جامعة النجف في عصرها الحاضر للشيخ محمد تقي الفقيه
 موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١١٣

مدارس النجف القديمة والحديثة كتب محمد الخليلي عضو جمعية الرابطة العلمية في النجف الاشرف

إشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١١٥

مدارس النجف القديمة والحديثة

لا يستبعد ان يكون تاريخ قيام المدارس في النجف يتبدى مع تاريخ الدراسة و ان لم تكن لهذه المدارس بناءً خاصة تسمى باسمها، و يكفي في ذلك أن يكون اجتماع بقصد تلقي الدرس، و الوعظ، و المناقشة، و الانشاد، و هذا ما كان يحدث في الاسواق كسوق عكاظ، و سائر اسواق العرب، و مسجد النبي في الحجاز، و كسوق المربد في البصرة و مسجد علي في الكوفة، و قد اشتهر هذا المسجد في الكوفة على غرار شهرة مسجد النبي في المدينة، بما استمع فيه المستمعون من آراء و افكار، و خطب، و موعظة، و درس، و ما أخرج من الفحول في مختلف العلوم، و الفنون، و على هذا كان قيام أول مدرسة نجفية مرتبطا بقيام اول دراسة للعلوم اللسانية و العقلية و الروحية في النجف و تأريخ هذه المدرسة قديم جدا، فكم من معاهد أدبية توارثت الحركة الفكرية معهدا بعد معهد مثل (عاقولا) الواقعة حول الكوفة او هي الكوفة في الزمن القديم.

لقد كانت (عاقولا) مدرسة سريانية، و بقيت الى عهد الرومان في العراق و قد انتقلت اليها دراسات يونانية، و لما اندرست (عاقولا) نهضت الحيرة. فكانت واجهة كبرى للادب، ترى فيها الكثير من الافكار المبتوثة
 موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١١٦

بين العاصمة الحيرة و ما حولها من الديارات، و انتقل ما في الحيرة الى الكوفة ثم انتقل ما في الكوفة الى النجف .
 و أول ما نزل عليّ (ع) في العراق نزل الكوفة، و نزل مسجدها لا قصورها كما فعل غيره من الولاة، و قد اتخذ مسجد الكوفة مصلى له، و معبدا و مدرسة يدرس و يخطب و يقضى فيه بين الناس، و قد تخرج من هذه (المدرسة) المدرسة العلوية أو مدرسة الكوفة الكبرى امثال (ابي الاسود الدؤلي) و (عبد الله بن عباس) حبر الأمة، و قد قام بعد علي (ع) في التعهد بمدرسته اولاده و احفاده حتى جاء دور الامام الصادق (ع) و على قلة استيطان الامام الصادق (ع) بالكوفة فقد تخرج عليه علماء كثيرون حتى ألف الحافظ ابو العباس ابن عقدة الهمداني الكوفي كتابا في اسماء الرجال الذين رووا الحديث عن الامام الصادق فذكر ترجمته أربعة آلاف شيخ .
 و اذا عرفنا سعة العلوم الاسلامية في الكوفة و شهرتها بالفنون الادبية اتضح لنا قيمة مدرسة الكوفة التي انتقلت الى النجف و انتقل

معها ما حملت الكوفة من الافكار المتبلورة بالدراسات السريانية والعربية والروحية الاسلامية وهى وان لم تكن مدارس على نمط هذا العصر من حيث البناء والمكان فهى مدارس على نمط عصرها من حيث الاجتماع فى المساجد او الساحات او الاسواق والاستماع والمناقشة والمباهلة الادبية والقراءة والكتابة.

أما متى بنيت هذه المدارس بمثل هذه الهياكل المشتملة على الغرف والابهاء لسكنى الطلاب فليس من وسيلة الى تعيينه تعينا مضبوطا ذلك. لان هذه

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١١٧

المدارس لم تكد تشيد ويقف عليها الواقفون بعض الاوقاف للانفاق عليها ثم يمر عليها بعض الزمن ويتقدم العهد حتى تتلف الاوقاف، او يستبد بها البعض، فلم يعد هنالك من ينفق عليها وتهدم ولا يعود لها اثر او بعض أثر، ثم تذوب بين البيوت وتصبح من الاملاك المشاعة بين الناس فلا يعرف عنها أحد شيئا !!

وهناك عدة ادلة يستنبط منها القارىء ان عددا كبيرا من المدارس كان قد شيد فى النجف ثم اضمحل.

يقول ابن بطوطة الذى زار النجف فى سنة ٧٣٧هـ، وهو يصف الاسواق «... ثم سوق العطارين ثم باب الحضرة حيث القبر الذى يزعمون (كذا) انه قبر علي عليه السلام وبيازاته المدارس والزوايا، والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشانى وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه اشرق ونقشه أحسن».

ثم يقول: «و يدخل من باب الحضرة الى (مدرسة عظيمة) يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر مرتين فى اليوم، ومن تلك (المدرسة) يدخل الى باب القبة ... الخ».

وليس من شك ان عددا من المدارس كان قد شيد فى النجف ثم اندثر باندثار البيوت ولم يصلنا من اخبار هذه المدارس إلا ذكرها عرضا وفى اثناء الرحلات كما ورد فى رحلة ابن بطوطة، وكما ذكر زين العابدين الشيروانى فى عرض ذكره لما أسسه السلطان محمد خدابنده، وابنه ابو سعيد، من أبنية و عمارات فى النجف وقد عد من تلك العمارات احدى المدارس، وغير

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١١٨

ذلك مما وجد مشروحا على هوامش الكتب من اسماء المدارس، ونحن نثبت هنا ما وقفنا عليه بطريق التتبع والبحث فى الكتب وما وقفنا عليه بطريق السماع الموثوق بصحته، أو ما وقفنا عليه بطريق المشاهدة والعيان من المدارس القديمة التى لم يبق لها اليوم غير الاسم، و المدارس التى لم تزل قائمة، او المدارس الحديثة التى لم يتطرق لها بعد تأريخ النجف الثقافى الحديث.

الحياة المدرسية لسكان المدارس الدينية

لكل مدرسة من مدارس النجف الدينية القديمة منها والحديثة انظمة خاصة تعينها صيغة الوقف، لان جميع هذه المدارس قد شيدت من الموقوفات التى وقفها العلماء، او المحسنون على طلاب الدين، و لكل مدرسة شروط خاصة يقبل بموجبها اسكان الطلاب فى غرفها.

و أغلب سكان هذه المدارس من الغرباء الذين يؤمون النجف بقصد الدراسة و وصول مرتبة الاجتهاد وقد يقضون فيها عشرات السنين حتى يبلغوا المرام و يعودوا الى بلدانهم مزودين بالاجازات التى يمنحها لهم اساتذتهم من المراجع الروحانية الكبرى.

ومنذ الف سنة و النجف مزدحمة بالطلاب الذين يأتون اليها من مختلف الاصقاع، كالهند، و التبت، و الافغان، و بلوچستان، و تركستان، و قفقاسية، و ايران، و افريقيا الشرقية، و لبنان فضلا عن المدن العراقية.

و حين يقبل الطالب فى المدرسة يعطى غرفة فيها و تكون هذه الغرف فى بعض المدارس مفروشة و مجهزة بالكهرباء و ذات منح نقدية تمنح للطالب فى كل شهر او فى كل موسم، و موائد تقام على حساب المدرسة فى اوقات

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١١٩

معينة وذلك تبعاً لمكانية المدرسة، و اوقافها، و ازمانها اذ ان عددا من المدارس ليس لها مثل هذه الامتيازات و لا بعضها.

يقول السماوي في (عنوان الشرف) عن هذه المدارس:

فبعضها تكون ذات راتب ينفق في الشهر لكل طالب

و بعضها في الجمعيات تجلومائده و الباقيات تخلو

الشيخ احمد الطرفي أحد أساتذة مدرسة الجامعة في النجف

و لبعض الطلاب في مختلف المدارس مخصصات يومية من الخبز يتناولها من الخباز، و راتب شهري تدفعه له المراجع الدينية كلا

حسب مؤهلاته، و حسب امكان المرجع الديني الذي يساعده.

الشيخ نزيه محمد البعلبكي من طلاب بعلبك في النجف

و البعض من هؤلاء الطلاب يأتون النجف و هم مزودون بجميع ما يحتاجون اليه فيستأجرون بيوتا مستقلة و يأتون معهم بعائلاتهم و

اطفالهم و يعيشون عيشة لا تشوبها شائبة من الاحتياج بفضل امكانية ذويهم، و آبائهم الذين ينفقون عليهم بسخاء، و يمطرونهم

بالحوالات فلا يحتاج مثل هؤلاء سكنى المدارس إلا اذا قصد منهم أحد الانعزال عن

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٢٠

البيت تهربا من ضوضاء الاطفال و زيارات العائلات، و ان اغلب الذين ينزلون البيوت المستقلة و ينفقون على انفسهم انفاق الموسرين

هم الطلاب الايرانيون و الترك و الازربايجانيون.

الشيخ غلام محمد التبتى من طلاب التبت في النجف

و الطالب في المدرسة لا يفيد غير السكن للانصراف الى الدرس حين لا يتسنى له محل آخر يضمن مثل هذا السكن الهادى المعد

للبحث و الدرس و التمتع، و معظم طلاب هذه المدارس هم من الذين لم يتزوجوا بعد، و لم تخل هذه المدارس من طلاب نجفيين

الى جانب الطلاب الغرباء ممن لا طاقة له على توفير مثل هذا الجو في بيته سواء كان متزوجا او غير متزوج، لان معظم المدارس لا

تفرق بين الطالب الغريب و غير الغريب، على ان هنالك مدارس خاصة ببلد معين كمدرسة (الايروانى) الخاصة بالترك من الطلاب و

مدرسة (العاملين) الخاصة بالطلاب اللبنانيين على الاكثر، و مدرسة (الهندي) الخاصة بالطلاب الهنود.

السيد جود السيد محمود الجوادى من طلاب الباروك في النجف

أما الدروس فيتلقاها الطالب في خارج المدرسة في اكثر الاحيان و في الاماكن التي يتخذ منها الاستاذ محلا للدرس كالصحن

الشريف، او الجوامع، او المساجد، فالطالب حر في اختيار استاذة، و اخذ الدروس داخل المدرسة او خارجها، لأن الدراسة في هذه

المدارس ليست على مستوى واحد لتتألف منها صفوف، فالمدرسة ذات الغرف الستين مثلا

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٢١

قد يسكنها ستون طالبا و كل منهم في مراحل مختلفة و مستويات متباينة من الدرس و التمتع.

السيد باقر النقوى الهندي من طلاب الهند في النجف

و لكل طالب مفتاح يفتح به باب المدرسة متى جاء، و حين يغلق باب الحرم في المشهد المقدس ليلا يكون الطلاب غالبا قد أموا

مدارسهم، و ترى معظم الغرف في هذه المدارس مضاءة الى وقت متأخر من الليل.

الشيخ خليل الشيخ جليل مشكينى من الطلاب الأذربايجانيين في النجف

و الطالب الغريب هو الذى يعد بنفسه طعامه في غرفته، و غالبا ما يكون هذا الطعام مؤلفا من الخبز، و التمر، و اللبن، و قد روى الراوون

روايات كثيرة عن عدد من كبار العلماء النابغين الذين عاشوا في مثل هذه المدارس على الخبز وحده، و كثير منهم من كان يطوى

اليوم و اليومين دون ان يحصل على قوت يومه ملتذا بالصبر، و الفناء فيما هو فيه من التتبع. و لقد القى الدكتور زكى مبارك خطابا مرة فى جمعية الرابطة العلمية فى النجف مشيرا الى مثل هؤلاء الطلاب، و قال انه سبق له ان عاش نظير عيش الطلاب النجفيين، لانه لم يكن لديه ما يشتري به الرغيف الحار، فكان يكسر كسر الخبز اليابس بيديه، و أقسم فى خطابه ان هذه الكسر قد جرحت مرة اصابعه، و هو يعالج كسرهما فسال منها الدم و مع ذلك فقد كان يمشى فى الدرس و المطالعة كما مشى طلاب النجف منذ مئات السنين حتى موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٢٢

الآن !!

و لطلاب العلم و سكان هذه المدارس عطلة يومية فى الاسبوع و عطل أخرى فى مواسم زيارات العتبات المقدسة فيقضون فيها هذه العطل بأنواع من الالعاب البريئة، و اكثر مساح متزهاتهم تكون فى الكوفة بين البساتين اذ يصحبون معهم بعض القطع من السجاد او البسط الخفيفة و ديوانا أو ديوانين من الشعر و يفتشون البساتين و الحدائق و ينصبون (سماور) الشاي و يفتحون ديوان الشعر و يبدوون بالتقفية، و فى الصيف ينتحون بعيدا عن الناس و يتزلون النهر سابحين، و بين هؤلاء الطلاب عدد غير قليل من مهرة السباحين. الشيخ حسن الأوحدي من طلاب الأفغان فى النجف

و لم تقتصر رياضة ارواحهم على تقفية الشعر بل يعمدون الى نظم الشعر و دخول المباراة و حل الاحاجى الشعرية و الفكرية كما لم تقتصر رياضة ابدانهم على السباحة، و انما يعمدون الى ترويض ابدانهم بكل صنوف الرياضة من ركض و قفز و غير ذلك من الرياضات البريئة و كل هذا يفعلونه بعيدا عن انظار الطبقات الاخرى.

الشيخ فضل الله كريمي من طلاب طهران فى النجف

و من امتع الرياضات عندهم زيارة المراقد المقدسة مشيا على الاقدام فكانوا يقطعون الطريق بين النجف و كربلا فى ليلتين و لا يزيد متاعهم على أربعة او خمسة ارغفة من الخبز و شىء من التمر.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٢٣

و فى كربلا يحل بعضهم ضيفا على بعض اصدقائه من طلاب المدارس هناك كما يحل هذا البعض من طلاب كربلا ضيوفا عليهم عند زيارتهم النجف.

و فى امسية كل يوم ثلاثاء يقصد جمع غير قليل من هؤلاء الطلبة كما يقصد غيرهم مسجد الكوفة و مسجد السهلة و هما على مسافة تسعة كيلومترات فيسهمون فى اداء طقوس من الصلاة و الادعية بقصد الاستتابة ثم ليغيروا بذلك الجو الخائق الذى يحيط بهم و لينشطوا من عقال هذا الدرس الذى لا ينتهى.

الشيخ أحمد القوجاني من طلاب قوجان فى النجف

و فى الاعراس العامة، و مجالس الفاتحة التى تقام للشخصيات الكبيرة و المآتم الحسينية مجال واسع للتنفيس عن انفسهم سواء باسهامهم فى نظم الشعر تهنئة أو تعزية لوجه الشعر و للتسلية و المباراة ليس غير، او بحضورهم هذه المجالس العامة ليستمتعوا بما يسمعون أو بمن يجدون من رفاقهم الذين تلهيهم دروسهم عن الالتقاء بهم فى غير هذه المناسبات.

و هكذا كانت بالاجمال حياة هذه الطبقة من طلاب العلم، و سكان المدارس، و لم تزل تجرى على هذه الوتيرة مع شىء من الفروق القليلة.

الشيخ على كوراني من الطلاب السوريين فى النجف

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٢٤

لقد روعى في هندسة المدارس العلمية في النجف طبيعة البلد فكان لا بد من حساب (للسراييب) في اغلب ابنيه المدارس و تقوم هذه السراييب في جهة واحدة من عمارة المدرسة او جهتين او الجهات الثلاث او الجهات الاربع من العمارة ينزل اليها بواسطة سلالم، و تسمى بالسراييب الفوقانية في مصطلح النجفيين، و في بعض المدارس الاخرى سراييب تقام تحت السراييب الفوقانية و هي ما تسمى بالسراييب (نيم سن) و الكلمة فارسيه معناها الشيخ غلام على الأصفهاني من طلاب اصفهان في النجف

منتصف (السن) و السن طبقه من الرمل المتحجر ينحت فيه الناحت سردابا آخر، و هنالك من السراييب ما هو أعمق من (النيم سن) و يسمى بسرداب (السن) و يخفر (السن) أو (للنيم سن) في وسط المدرسة حفيرة على هيئة متوازي الاضلاع بقطر مترين أو أقل من ذلك و في عمق عشرين مترا أو أقل من ذلك لينفذ هذا الحفر من متوازي الاضلاع الى وسط السرداب بقصد اىصال النور و سحب الماء البارد الى الاعلى كما تحيط بالسراييب من اطراف اعاليها شباييك لنفوذ النور و الهواء، فضلا عن عدد من المنافذ السيد سجاد على نكري من الطلاب النكريين في النجف

الهوائيه المتصله من اعلى سطح العمارة بالسراييب الفوقانية و هي التي تسمى (بالبخاريات) ثم تبنى هذه السراييب في الغالب بالآجر و تزخرف و قد تترك سراييب السن على حالها و هي منحوتة من طبقه السن التي تشبه الصخور
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٢٥

أو تزين جدرانها بالآجر و قد تزين الجدران و ارض السراييب بالكاشاني كما هو الحال في مدرسة السيد كاظم اليزدي. و كثيرا ما تفتح في السراييب منافذ تتصل ببئر المدرسة اذ المفروض ان يكون في كل بيت و في كل عمارة بئر ماء تتصل بالبئر المجاورة لها و هذه تتصل ببئر أخرى. و هكذا حتى تتجمع المياه في بئر كبيرة تستمد مياهها من نهر الفرات عن طريق قناة تجلب الماء من مناطق تسمى (بابو فشيكه) و قد قيل ان هندسة بناء السراييب في البيوت و في المدارس قد انتقلت الى النجف من مدينة شوشتر لان طبيعتها تحاكي طبيعة النجف و تأريخ حفر السراييب في شوشتر قديم جدا و على اننا لا نعرف مبلغ صحة هذه الرواية في انتقال تصميم السراييب الى النجف من شوشتر فلسنا نستبعد ذلك.

الشيخ جعفر الهندي من طلاب الهند المشالية في النجف و يتحول السكن في الصيف في وسط البيت او وسط المدرسة الى هذه السراييب و تتم فيها المطالعة و تناول طعام الغداء و القيلولة و قد تسمى في بعض ليالى الصيف عند اجتياح العواصف الرملية المدينة ملاذا للطلاب يقضون فيها الليل نياما.

الشيخ محمد التقوى من طلاب كنياد في النجف و حين يراد بناء المدرسة تقام في كل ركن من اركانها القواعد الاساسية في اعماق مناسبة من السرداب و تقام اساطين و اعمدة ترتفع من الاعماق حتى تبلغ سطح

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٢٦
الدار فتوصل هنالك بين اسطوانة و اخرى بطبقات تبنى بالاجر و يتألف من هذه الطبقات المتصل بعضها ببعض سقف السرداب و قد تعمل في هذا السقف من الزخرفة و الاشكال الهندسية بالآجر ما يستلفت النظر.

و هنا يأتي دور الطابق الارضى او الطابق الاول كما يسميه البعض بعد ان يكون السرداب قد تم بناؤه. و الدور الاول او الطابق الاول الذي يقوم على اسس السرداب عبارة عن عدة غرف تقام في الجوانب الاربعه اذ ان اغلب المدارس تكون مربعة الشكل او مستطيلة، تاركه وسط المدرسة فارغا لتؤلف صحنا واسعا كثيرا ما اقيم في وسطه حوض ماء كبير، و تبنى الغرف غرفة الى جنب غرفة حتى تستوعب الجهات الاربع و تكون مساحة كل غرفة تتراوح بين ٢-٥، ٢ مترا مربعا او ٢-٣ مترا مربعا و امام كل غرفة ايوان صغير في الغالب و هو مسقف بسقف مسنم و مزين بزخرفة من الآجر او الكاشاني فيستقل كل طالب بغرفة من هذه الغرف و ايوانها المستقل.

و على هذه الوتيرة يجرى بناء الطابق الثاني فوق الطابق الاول مع فارق بسيط تقتضيه المصلحة و هو ان الغرف من الطابق الثاني تكون

بدون أوابين لان هذه الاواوين من الاعلى تتحول الى ممر عام يخترقه الطالب فى طريقه الى غرفته.

و من الطابق الثانى يرقى الطالب بواسطة السلالم الى سطح المدرسة الواسع.

هذه بالاجمال هندسة المدارس التى دخلت النجف مع دخول الصفويين.

أما المدارس التى بنيت اخيرا و فى السنين القريية فقد تغيرت هندسة البناء فيها تغييرا كبيرا كما تبدلت مواد البناء و لم يعد الآجر و

الجبص و الخشب هو المقوم الاول فى البناء و انما صار للسمنت و (الكونكريت) و الحديد الاهمية

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٢٧

الكبرى فى تشييد المدرسة و زاد عدد الطوابق من طابقين الى ثلاثة او اربعة، و تبنى هذه الغرف متصلة بعضها ببعض فى الجهات

الاربع كما هو الحال فى البناء القديم و لكن كثرة الشبايك و النوافذ من اهم مميزات المدارس العلمية الحديثة.

و قد روعى فى تصاميم المدارس الجديدة بناء قاعة للدرس و المحاضرات و بناء مكتبة خاصة، و تخصيص مسجد للصلاة بالاضافة

الى الحمامات و المغاسل الحديثة مما لم يكن لها وجود فى ابنة المدارس القديمة.

أما المدارس الحكومية فلها طراز خاص يختلف عن طراز المدارس الدينية فهى لا تلتزم بالبناء فى جميع اطراف الساحة و انما تتخذ

جانبا واحدا تبنى فيه الغرف متقابلة على الغالب يفصل الصفين المتقابلين ممر عريض و هكذا يكون الطابق الثانى، او أنها تبنى صفا

واحدا من الغرف و تقيم الطابق الثانى على نسقه و تخص جوانب من البناء لقاعة المحاضرات و المختبرات و تبعد عنها المغاسل فى

جانب آخر من المدرسة و فضلا عن هذا فان هندسة البناء فى المدارس الحكومية للعلوم الحديثة ليست متقاربة فى التصميم مثل هذا

التقارب الملحوظ فى هندسة المدارس الدينية حتى ليكاد يكون لكل مدرسة عصرية شبه تصميم مستقل يفرضه موقع المدرسة و

حاجتها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٢٨

ما قبل القرن العاشر الهجرى

١- مدرسة المقداد السيورى (السليمية)

تقع هذه المدرسة فى سوق المشراق احدى محلات النجف الاشرف مقابل مسجد الصاعغة المعروف. و يقول الشيخ جعفر محبوبه «ان

الذى يظهر من خطوط بعض طلابها على بعض كتبهم المخطوطة انها كانت مسكونة بالطلاب الدينيين فى اوائل القرن التاسع الهجرى

فقد شوهد على كتاب (مصباح المتهدج) المخطوط للشيخ الطوسى و كان عند المغفور له المرزا حسين النايثنى ما نصه: «كان الفراغ

من نسخه يوم السبت ١٢ جمادى الاولى سنة ٨٣٢ على يد الفقير الى رحمة ربه و شفاعته عبد الوهاب بن محمد بن جعفر بن محمد

بن على بن السيورى الاسدى بالمشهد الشريف الغروى على ساكنه السلام و ذلك فى مدرسة المقداد السيورى».

الشيخ غلام عباس الزنكبارى من طلاب افريقيا الشرقية فى النجف

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٢٩

و هذه المدرسة باقية حتى اليوم و قد تغير اسمها و صارت تعرف اليوم باسم المدرسة السليمية نسبة الى بانيها الثانى (سليم خان

الشيرازى) فإنها تهدمت بالاهمال فعمرها هذا المحسن سنة ١٢٥٠ فنسبت اليه» اه.

الشيخ احمد محمود طراد من الطلاب العاملين (جبل عامل)

و قد دخلناها فوجدناها مدرسة صغيرة لا تتجاوز مساحتها (١٠٠) مترمربع، و شاهدنا ستة حوانيت قد اقتطعت منها ليصرف ريعها على

ما تحتاجه من كهرباء و ماء و اجور خادم، و اصلاحات اخرى. و المنقول انه كان لها اوقاف ما لبثت اغتصبت و قد كتب على بابها الخارجى بالقاشانى انها عمرت (اصلحت) بهمة السيد ابى القاسم (الوكيل السابق) فى سنة ١٣٤٠ هـ و هذا هو آخر ترميم لها. أما غرفها فعشر و أما عدد طلابها فائنا عشر و كلهم من المهاجرين الواردين من الخارج.

الشيخ على أيوب العارفى من طلاب الأفغان الشمالى

و السيورى البانى الأول لهذه المدرسة هو الشيخ جمال الدين ابو عبد الله المقداد بن عبد الله ابن محمد بن الحسين بن محمد السيورى الاسدى الحلى الفحص صاحب كتاب (كنز العرفان) فى فقه القرآن و هو من أجل تلامذة الشهيد الاول و فخر المحققين. و قد توفى سنة ٨٢٨ فى عام الفراغ

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٣٠

من بناء المدرسة و عليه فإن هذه المدرسة التى بقيت حتى اليوم و ان كانت قد تغيرت معالمها عدة مرات لتعتبر من أقدم مدارس النجف.

مدرسة الشيخ عبد الله

تعتبر مدرسة الشيخ عبد الله من أقدم المدارس التى وصلنا خبرها و التى يعود تاريخ وجودها الى منتصف القرن العاشر الهجرى و قد عرفت بكونها معهدا مهما يقصده طلاب العلم من كل مكان و يتلقون فيه علومهم و الشيخ عبد الله هذا هو المعروف بالملا و صاحب (الحاشية) فى المنطق و هو الكتاب الذى تجيء قراءته بعد الفراغ من الفية ابن مالك فى سلسلة الدروس القديمة.

السيد محمد الحسينى من طلاب سيستان فى النجف

و الشيخ عبد الله هو ابن شهاب الدين اليزدى و هو جد اسرة الملالي و هى أسرة نشأ فيها غير واحد من العلماء و كان منهم من جمع بين حكومة النجف و سدانة الحرم المقدس. و قد كان الشيخ ملا عبد الله من ألمع العلماء و قد كانت مدرسته اشهر مدرسة علمية عرفت فى زمانها، أما موقعها فقد كان فى محلة المشراق. و يقول الشيخ جعفر محبوبه عن هذه المدرسة ان بعض المتبعين للآثار من النجفيين قد عينوا موقعها من هذه المحلة و هى الآن دار لبعض السادة الاشراف و كانت معرسا لاهل العلم فى أيام المقدس الاردبيلي (رض) و من كان بعده من العلماء .

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٣١

أما كيفية بناء هذه المدرسة و ما قبلها من المدارس فأغلب الظن انها تختلف عن ابنية المدارس التى استحدثت بعدها لما قد دخل بعد ذلك على المدارس من هندسة جديدة و ريادة خاصة جاء بها الصفويون لان اغلب البيوت كانت تتألف من طابق واحد قبل القرن العاشر الهجرى و ان اكثر سقوفها كانت عبارة عن طبقات معقودة تملأ أعالي زواياها من السطح بالتراب، و تفتح فى وسط سطح الغرفة فتحة صغيرة لينزل النور منها و ذلك لقلّة الشبايك و الكوى. و ليس من البعيد ان يكون بناء المدارس يومذاك فيما يشابه هذه

الابنية و لم يزل فى النجف بيت يرجع تاريخه الى القرن الرابع السيد على نقى قاضى يور من طلاب اردبيل فى النجف

الهجرى و الى العصر البويهى على ما يروى الراوون و هذا البيت واقع فى شارع آل الحلو من محلة العمارة و كان ذات يوم مقرا للمطبعة العلوية و قد سكنه بعد ذلك آل الجزائرى، و هو جد محكم بحيث قد يتعذر قبول رجوعه الى ذلك التأريخ على رغم ان هندسة بنائه من حيث القبة و السقوف متصفة بالصفات المتعارفة فى ذلك العصر.

الشيخ غلام حيدر كلكى من طلاب الباكستان فى النجف

و حين جاء الصفويون و وسعوا بناء الصحن الشريف و أقاموا أول مدرسة حديثة فى الصحن تغيرت هندسة المدارس منذ ذلك الحين

كما بدأت تتغير هندسة البيوت تبعاً لذلك التغيير.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٣٢

ما بعد القرن العاشر الهجري حتى اليوم مدرسة الصحن الشريف الأولى أو المدرسة الغروية

إشارة

مدرسة الصحن الشريف الأولى و المدرسة الغروية يغلب على الظن انهما اسمان لمدرسة واحدة و قد تأسست في اوائل القرن الحادي عشر الهجري و قبل مدرسة الصحن الكبرى و كان ابتداء تخطيطها مع تخطيط الصحن الشريف الاول. و ينسبها (البراقى) الى الشاه عباس الصفوى الاول، و موقعها في الجهة الشماليه من الصحن و بابها من الايوان الثاني بعد الايوان الاول من الصحن الشريف. و قال الشيخ جعفر محبوبه «و قد ايد هذا حصول بعض المخطوطات المعتمده التي خطها بعض طلابها بايديهم على كتبهم بعد اكمال نسخها مثل كتابه الشيخ يوسف بن عبد الحسين النجفي الشهير (بالصليباوى) سنة ١٠٦٩ على أحد كتبه، و مثل الشيخ ابراهيم بن عبد الله بن موسى المغربي في استنساخه لكتاب (مشيخة الاستبصار) في نفس السنه و نفس المدرسه و رأيت ايضا نسخه من الاستبصار في آخرها ما نصه:

كتبه فرج الله فياض الجزائري النجفي سنة ١٠٤٣ في المدرسة الرواقية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٣٣

بكنف القبة الغروية و الظاهر انها هي هذه المدرسه» .

و هكذا بقيت هذه المدرسه عامرة بطلابها الى سنة ١٢٨٦ هـ حيث عينتها الحكومه التركيّه مدرسة خاصة بطلاب العلوم الدينيه الذين يعفون بعد الامتحان من خدمه الجنديه حسب قانونهم العسكري.

الشيخ حكيمه الموصلى من طلاب العراق الشمالى (الموصل)

و لم تزل هكذا حتى اوائل القرن الرابع عشر فقد استغنت عنها الحكومه و هجرت فتهدمت جدرانها و اغلق بابها و جعلت مخزنا لبعض اثاث الصحن، و لوازم خدام الحرم الى ان تولى تعميرها السيد هاشم زينى فعمرها من جديد و ذلك في سنة ١٣٥٠ هـ و جعلها دار ضيافه و منزلا- للزوار الذين يفتدون الى زيارة النجف، و ليس لهم مأوى، و خرجت بذلك عن صفتها المدرسيه الى ما يسمى دار ضيافه.

السيد عبد الكريم ابو شامه من طلاب العراق الجنوبي (الحيرة)

و جاء عنها في ارجوزه (الساوى) بعد ذكر مدرسة الصحن الكبرى قوله:

ثم التي في الجانب الشمالى و بابها في الصحن ذى العلالى

و هذه صيرت الآن محل للزائرين حين وفد العلم قل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٣٤

و قد ارخ بناءها الجديد الشيخ محمد على اليعقوبى بقوله:

حزت يا هاشم زيبى رتبة لم يحزها ابدا من قد سلف

دارك الخلد غدا إذ ارخوا(شدت للزوار دارا بالنجف)

و ارخها السيد مهدي الاعرجي بقوله:

رئيس نحاة الندى هاشم الم تراعه اراهه مستينا

فمذ شاد ارخت (دار النوال بناها على الفتح للزائرينا)

١٣٥٠ هـ

مدرسة الصحن الكبرى

هذه اول مدرسة شيدت على طراز من الهندسة المعمارية الصفوية من حيث بناء الغرف و تزيينها بالكاشاني و هي البناية التي يتألف اليوم منها صحن الامام على بن ابي طالب (ع). و قد كان هذا الصحن اصغر مساحة يوم تصدى لبنائه الشاه عباس الصفوي الاول في اوائل القرن الحادي عشر، و حين زار النجف الشاه صفي حفيد الشاه عباس الاول الصفوي قام بشراء مساحات اخرى من الارض و هدم الجدران و وسع بها مساحة الصحن، ثم بناه في طابقين فخمين فبنى في كل ضلع من ضلعي الصحن الشرقي و الشمالي خمس عشرة غرفة، و امام كل غرفة ايوان زينه بالكاشاني. اما الضلع الغربي و الجنوبي فقد بنى في كل منهما اربع عشرة غرفة و امام كل غرفة ايوانا على نفس

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٣٥

الطراز من الضلعين الشرقي و الشمالي ثم اقام الطابق الثاني على الطابق الاول بنفس الطراز و النقوش الكاشانية و كل هذه الاضلاع قد قامت على ارتفاع واحد و مستوى واحد و قد خص الطابق بطلاب العلم. و كان تأسيس هذا البناء يرجع الى سنة ١٠٤٢ هجرية و قد تناقل الناس الاحاديث عن كثير من الطلاب الذين سكنوا هذه الغرف و كانوا من المتفوقين في العلوم.

يقول الشيخ السماوي عن مدرسة الصحن هذه في ارجوزته:

و في الغري لذوى العلوم مدارس معلومة الوسوم

مشيدة في حجرات و غرف من اربع الجهات صفا فوق صف

و من ثلاث و اثنتين و جهة او حجرات افردت للترفة

اشهرها (مدرسة الصحن) السني قد بنيت للدارسين اذ بنى

ثم ما لبثت ان توسعت حركة المدارس في النجف فانتقل الطلاب من مدرسة الصحن و تركت الغرف في هذه المدرسة خالية يشغل بعضها اليوم من لهم ارتباط بخدمة الصحن الشريف.

مدرسة الصدر

هذه المدرسة من المدارس الواسعة و موقعها في السوق الكبير و هو السوق الطويل المستقيم المتصل بالصحن الشريف ابتداء و بباب البلد القديمة و هي المسماء (ساحة الامام) اليوم انتهاء، و تعد من المدارس القديمة و تحتوى على ما يزيد على (٣٠) غرفة في طابق واحد و مساحتها مع ملحقاتها من

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٣٦

مساجدها و مقبرة مؤسسها و مطبخها الواسع المعد للطبخ في بعض المناسبات العامة تربو على (٩٠٠) مترمربع.

أسسها المحسن الكبير الصدر الاعظم نظام الدولة الحاج محمد حسين خان العلاف الاصفهاني وزير السلطان فتح على شاه القاجارى

بعد اكمال بناء سور النجف (السادس) و هو الاخير و ذلك في سنة ١٢٢٦ هـ و قد احصيت مصاريف بنائها مع بناء السور في ذلك العصر فكانت (٩٤) ألف تومان أشرفي، و الاشرفي يساوي يومذاك وزن الليرة الذهبية العثمانية. و هذه المدرسة منذ ذلك اليوم حتى هذه الساعة مزدحمة بطلاب العلوم الدينية و فضلاء المحصلين. و كان قد اوقف لها مؤسسها موقوفات تقوم ببعض مقتضيات سكانها، و خصص للطلاب اطعاما مستمرا في ليال معينة من الاسبوع و الشهر و السنة. و الصدر هذا هو جد الاسرة المعروفة في النجف (بآل نظام الدولة) و قد آل بعض جوانب هذه المدرسة اليوم الى الانهدام فتبرع لاصلاحها بعض ذوى الخير على يد الحاج الشيخ نصر الله الخلخالي و قد شرع بهدم جانب من مدرسة الصدر موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٣٧

الجانب الشمالي منها على ان يشرع بالجانب الآخر بعد اتمام بناء هذا الجانب و هكذا حتى يتم تشييدها من جديد.

مدرسة المعتمد أو مدرسة الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء

موقعها في محلة العمارة و بجنبها من جهة القبلة المسجد المعروف بمسجد الشيخ موسى، و في جهة الشرق مقبرة الشيخ الكبير الشيخ جعفر صاحب كتاب (كشف الغطاء) و ابناؤه الاعلام. ان ساحة هذه المدرسة و المسجد و المقبرة كلها من موقوفات (امان الله خان) و هو أحد الامراء الايرانيين و قد وقفها على الشيخ الكبير في الثلث الاول من القرن الثالث عشر ليعمل بها ما شاء فاقطع الشيخ منها للمدرسة ما يربو على ٨٠٠ مترمربع لبناء المدرسة.

قال صاحب ماضى النجف: «حدثني المعمر الحافظ العالم السيد عبد الحسن الدزفولي عن العلامة السيد حسين آل بحر العلوم (رض) ان معتمد الدولة و هو المحسن الكبير (عباسقلی خان) وزير محمد شاه القاجارى المتوفى في ايران سنة ١٢٤٩ هـ بعث بأموال كثيرة على يد العلامة الشيخ مهدي بن الشيخ على آل كاشف الغطاء ليعمل صندوقا فضا على قبر امير المؤمنين عليه السلام، فعمله و زاد من المال شىء فبنى به هذه المدرسة» على هذه الساحة الموقوفة على الشيخ الكبير، و المعروف ان الذى بنى هذه المدرسة هو الشيخ موسى بن الشيخ جعفر الكبير على ما عرفنا و اخذت هذه المدرسة بحظ وافر من العمران و كانت زاوية بأهل الفضل حتى اوائل القرن الرابع عشر، ثم تهدمت لقلّة العناية بها و سقطت سقوف غرفها، و سد بابها و أصبحت غير صالحة للسكن حتى تصدى لها الامام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء و جدد عمارتها و هى اليوم آهلة بالسكان من طلاب العلم، و صارت

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٣٨

تسمى بمدرسة الامام كاشف الغطاء و هى من جهة القبلة ذات طابقين في كل طابق خمس غرف و امام كل غرفة ايوان في الطابق الارضى و ممر عريض امام غرف الطابق الثانى، أما عكس القبلة فغرفتان كبيرتان و فوقهما السطح، و فى الغرب على الارض غرفتان و اربع غرف فوقهما فيكون المجموع (٢٦) غرفة. اما جانب الشرق و منه شروع الباب ففى يسار الباب غرفة واحدة لادارة المدرسة و تقابل الباب غرفة كبيرة للمطالعة و فى داخلها المكتبة العظيمة العامرة و هى مدفن الشيخ على والد الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، و قد اتخذ منها الامام دارا للمكتبة.

أما عدد طلابها فيقارب الثلاثين طالبا و معيشتهم كسائر طلاب العلم فى النجف يقوم بها العلماء الاعلام.

جانب من مدرسة كاشف الغطاء و يرى الإمام و الى جانبه السيد جعفر بحر العلوم، و الشيخ محمد جواد الجزائرى، و الشيخ قاسم محيى الدين

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٣٩

و كان الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء قد اتخذ جانبا من هذه المدرسة ديوانا يجلس فيه للناس صباحا و مساء و فى أيام

الصيف كان صحن المدرسة يفرش بالسجاد و يجلس الشيخ فيجلس رواد مجلسه و زواره في صف على طول اضلاع الساحة و من جهاتها الاربعة.

و من هذه المدرسة صدرت كل الفتاوى السياسية، و الشرعية، و الرسائل الادبية التي كتبها الشيخ، و لذلك كان لهذه المدرسة تاريخ حافل في صفحات تاريخ العراق السياسي فضلا عن التاريخ الديني، و قد اعتاد الامام كاشف الغطاء ان يشير الى هذه المدرسة في كل ما كان يصدر منه من فتاوى و رسائل فيقول: صدر من مدرستنا بتاريخ كذا ...

المدرسة المهدية

تقع هذه المدرسة في محلة المشراق احدى محلات النجف مقابل مقبرة الحجة السيد مهدي بحر العلوم و شيخ الطائفة الشيخ الطوسي مجاورة لمدرسة (القوام).

أسسها و شيدها الشيخ مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر الكبير صاحب (كشف الغطاء) في عام ١٢٨٤ هـ بأموال كثيرة ارسلت اليه من بلدة (قره داغ) في آذربيجان كما بنى مثلها في كربلا و هما معروفتان باسمه.

ان ارض هذه المدرسة البالغة مساحتها ما يقارب (٧٠٠) مترمربع كانت في السابق مركزا (سرايا) لسادن الروضة. و حاكم البلد يومذاك و هو الملا يوسف الشهير، و لما توفي باعها ورثته للشيخ محمد بن الشيخ علي كاشف الغطاء فبناها دارين، و بعد وفاته بيعتا على الشيخ عبد الحسين الطهراني

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٤٠

ثم اشتراها منه الشيخ مهدي كاشف الغطاء المذكور سنة ١٢٨٤. و في نفس السنة بناها مدرسة ذات طابقين و عدد غرفها ٢٢ غرفة يسكنها نحو ٣٠ طالبا

و في سنة ١٣٦٥ هـ اشرفت على الانهدام فتولى الاهتمام بينهاها الشيخ محمد علي ابن الشيخ عبد الكريم آل كاشف الغطاء، و اعاد تعميرها بمساعدة السيد ابي الحسن الاصفهاني فعادت مأهولة بأهل العلم. و قد اخرجت هذه المدرسة عددا من فحول أهل العلم و الادب. و من طلبتها الشيخ صالح الجعفري و هو أحد اساطين الشعر و الادب اليوم.

مدرسة القوام

مدرسة شهيرة عامرة مساحتها (٧٠٠) مترمربع تقع في محلة المشراق مجاورة للمدرسة المهدية و مقابلة لمقبرة العلمين شيخ الطائفة الطوسي و السيد بحر العلوم. و تعرف ايضا بالمدرسة الفتحية نسبة الى بانيها (فتح علي خان الشيرازي) قوام الملك و قد تم بناؤها سنة ١٣٠٠ هـ. و كانت تحتوى على ٢٦ غرفة، في صف واحد غير ان «طرف الشمال» منها الذي كان ذا طابقين قد آل الى الانهدام فتصدى لتعميره الشيخ نصر الله الخلخالي على نفقته و نفقة بعض المحسنين و هو اليوم مشغول بتشبيدها لحياتها من جديد.

و قد كانت لها الى زمن قريب اوقاف كثيرة تصرف على طلابها شهريا و سنويا، و كانت في جانبها ساحة يلج اليها الداخل من ممر باب المدرسة و قد اعدت هذه الساحة للطبخ و الطهي في بعض المناسبات و خصوصا في ليالي رمضان و المحرم. و قد انقطع واردها اليوم فانقطع الاطعام، و رأينا على جبهة بابها ابياتا عربية و مطعمه بالفارسية و فيها ثلاثة تواريخ عن تأسيس هذه المدرسة منها:

موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ٧؛ ص ١٤١

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٤١ يا من بنى هذا الاساس المتين إنا فتحنا لك فتحا ميين

بعهد خاقان فلک بارکاه ناصر دین خسرو ایران زمين
تاج السلاطين سراج الملوك و العروة الوثقى و حبل المتين .. الخ
سألت عن تأريخ هذا البناء فقبل لى أضف الى: «العين شين»

مدرسة الايروانى

مدرسة شهيرة معروفة واقعة فى محلة العمارة بجنب دار الزعيم الروحانى السيد ابى الحسن الاصفهاني، و هى ذات طابقين تشتمل على تسع عشرة غرفة و فى جنب بابها فى الطرف الشمالى مقبرة مؤسسها الحاج مهدي الايروانى الذى شادها على يد الشيخ ملا محمد الايروانى على ارض مساحتها نحو (٣٠٠) مترمربع. و قد كمل بناؤها فى سنة ١٣٠٧ هـ ثم أوقفها بأمر الشيخ الايروانى و جعل توليتها بيد الفاضل، ثم من بعده بيد انجاله و اولاده على التعاقب. و عدد طلابها ٢٤ طالبا جلهم من الاتراك. و قد خصها لسكنى الطلاب الاتراك فقط و لا سيما أهل (ايروان) و ذلك لسبب حادث وقع أمام الباذل على بنائها، و هو ان هذا الباذل كان عند الشيخ الايروانى حين جاءه طالب تركى و شكاه اليه ما لقي من معاملة طلاب المدرسة التى يسكنها حتى طردوه منها. و هنا هاجت اريحية هذا المحسن و فى الحال أمر بشراء هذه الدار و بناها مدرسة للاتراك.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٤٢

أما معيشة طلابها فهى مما تنفقه عليهم المراجع الروحانية من رواتب و خبز و احيانا مما يصل لوكيل المدرسة من الحقوق الشرعية لانفاقها على سكانها من الطلاب الاتراك. أما عدد طلابها فهم عشرون طالبا فى الوقت الحاضر. و قد كانت لهذه المدرسة شهرة فى احدى معارك الزكرت و الشمرت اذ كان كاظم صبي قد اتخذ منها قلعة احتمى بها فى المعركة و هاجم منها آل السيد سلمان فى مذبحه دارت الدائرة فيها على الشوافع من انصار آل السيد سلمان.

مدرسة المرزا حسن الشيرازى

شيدت هذه المدرسة على ارض لا تزيد مساحتها على (١٢٠) مترا مربعا و بناها المرجع الروحانى الكبير السيد مرزا حسن الشيرازى نزيل سامراء و ذلك سنة ١٣١٠ هـ. و قد انفق على بنائها أحد أثرياء الهند و المقلدين للسيد الشيرازى، و هى واقعة بجنب (باب الطوسى) من ابواب الصحن الحيدرى الشريف من جهة الشمال و المتصلة من جهة الجنوب بجدار الصحن. و المدرسة صغيرة ذات طابقين بنيت فى الطابق الثانى منها ثمان غرف يسكنها عدد من طلبة العلوم الدينية و فى الطابق الارضى شيدت مقبرة الامام الشيرازى و فيها حوض وسيع بنى خصيصا لوضوء المصلين و الزائرين الذين يفدون للزيارة من باب الطوسى.

مدرسة الحاج مرزا حسين الخليلى الكبرى

مدرسة واسعة الساحة تبلغ مساحتها (٦٠٠) مترمربع و موقعها فى رأس شارع السلام فى محلة العمارة، و فى جوار مرقد الشيخ خضر شلال.

و تعرف عند العامة بمدرسة القطب لان مؤسسها الحاج ميرزا حسين الخليلى

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٤٣

كان قد اشتراها من صاحبها السيد على القطب، و كانت قيصرية في ايام القطب يشغل حوانيتها الخياطون. و قد اشتراها الشيخ الخليلي بمال معتمد السلطنة (امير بنج) و قد كمل تشييدها سنة ١٣١٦ هـ و في نفس السنة اجريت وقفيته. و قد شاهدت في بعض المجاميع الخطية تاريخا لعام تكميل تعميرها لم يذكر فيه اسم المؤرخ الناظم و هو:

دار علوم لذوى التحصيل عمرها الحسين ذو التبجيل

قد قيل لما كملت ارخ (لهامعهد علم شاده الخليلي)

١٣١٦ هـ

و في جهة الجنوب الشرقي من المدرسة عمر امير تومان صمصام الملك العراقي المقبرة الشهيرة باسم مقبرة الخليلي، و هي المقبرة التي دفن فيها ايضا هذا المعمر الى جانب الشيخ الخليلي، ثم شاد الجهات الثلاث الاخر من المدرسة مجد الدولة جهان كير خان. و هي ذات طابقين من جهاتها الاربع و عدد غرفها (٥٠) غرفة مبنية بالكاشاني و في هندسة سداسية، و فيها سرداب يدور حول جهاتها الاربع.

جانب من مدرسة الخليلي الكبرى

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٤٤

أما باب المدرسة فهو من جهة الشمال الشرقي على الشارع المعروف بشارع السلام.

و قد استخرجت من الجانب الشرقي ثمانية دكاكين وفتت على مصاريفها الضرورية من كهرباء و ماء و اجور خدم، و عدد طلابها اليوم (٨٥) طالبا.

و قد انشئت فيها مكتبة عامرة للطلاب فيها من الكتب القيمة ما يربو على (١٠٠٠) كتاب و كانت لهذه المدرسة مكانة مرموقة في المجتمع اذ كانت عامرة بالفضلاء و العلماء المبرزين يوم كان مؤسسها الخليلي المرجع الروحاني الكبير، و لا تزال تضم نخبة من الفضلاء و الادباء و هم يصدرن من هذه المدرسة سلسلة شهرية بعنوان (مختارات اسلامية) تتضمن فلسفة الفكرة الاسلامية و البحوث الدينية باقلام كتابهم و يشرف عليها السيد عبد الكريم القزويني. و لهذه المدرسة تاريخ حافل في مختلف القضايا الدينية و السياسية فقد كانت محل اجتماع العلماء كلما كان يجد ما يستوجب ذلك. و قد احتفل بها العلماء سنة ١٢٢٧ في ٢ رجب عند خلع محمد على شاه القاجاري و نصب ابنه أحمد شاه مكانه. و اشترك في هذا الاحتفال الايرانيون و العثمانيون فكان احتفالا تاريخيا مشهودا.

و قد كان وقفها في ١٧ ذى القعدة سنة ١٣١٦ كما يحكيه صك الوقفية المختوم بخواتيم علماء عصره كالاخوند الملا محمد كاظم الخراساني، و السيد محمد كاظم اليزدي، و الشيخ محمد طه نجف، و غيرهم من مشاهير العلماء و قد اخرجت هذه المدرسة اعلاما في الفقه و الشعر و الادب و كانت لهم شهرة كبيرة منهم الشيخ محسن شرارة، و عباس الخليلي، و احمد الصافي النجفي، و محمد علي الحوماني

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٤٥

مدرسة البخاري

تقع في محلة الحويش ملاصقة لمدرسة الاخوند الكبرى و تبلغ مساحتها (٣٠٠) مترمربع قام بتعميرها محمد يوسف البخاري و هو من اصحاب الوزير (خان ميرزا) و قد بنيت على يد الشيخ كاظم البخاري، و فرغ من تشييدها سنة ١٣١٩ هـ. ثم آلت الى الانهدام حتى كادت تغلق، فتداركها الحاج غلام الكويتي الشيرازي، و وصى بأن تبني من ثلثه بعد وفاته. و هكذا فعل ورثته و اعانهم على اكمالها بعض المحسنين الآخرين فكمل بناؤها من اطرافها الثلاثة عدا الطرف الشمالي منها و هي تحتوى اليوم على (١٩) غرفة من طابقين، و

في الطرف الآخر من الجنوب قاعة للاجتماع و الدرس و فيها مكتبة صغيرة خاصة بالطلاب و هي جديدة الانشاء. اما تجديد بنائها فقد تم سنة ١٣٨٠ هـ. و عدد طلابها (٤٠) طالبا اذ يسكن في كل غرفة طالبان او ثلاثة لان بعضهم يحضرون في الغرفة للدرس و المطالعة فقط، و يذهبون ليلا الى دورهم الخاصة. و المدرسة هذه مبنية من الحديد و الكونكريت اليوم و على الطراز الحديث من هندسة المدارس الجديدة.

مدرسة الشرياني

من المدارس الشهيرة في النجف الاشرف لما ضمت من الفضلاء و العلماء البارزين في الحوزة العلمية، و هي واقعة في محلة الحويش في آخر الشارع من مدرسة السيد محمد كاظم اليزدي و المعروف سابقا (بشارع الهنود).
و كان الشيخ محمد المعروف بالفاضل الشرياني قد اختطها في سنة ١٣٢٠ هـ، ثم شادها من تبرعات أصحابه و مقلديه التجار الاتراك في ابان زعامته
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٤٦
الدينية، و هي ذات طبقه واحدة لا تتجاوز غرفها العشرين غرفة و قد اصبحت لتقدم عهدا شبه متداعية و تحتاج الى ترميم و مع ذلك فانها لم تزال مسكونة من قبل عدد من الطلاب.

مدرسة الخراساني الكبرى

مدرسة واسعة ذات مكانة في المجتمع العلمي لما ضمت من أهل العلم و الفضل، تقع في محلة الحويش و في الشارع المبتدى بالساحة المعروفة (بفضوة الحويش) و المنتهى بباب سور البلد القديم المسمى (بباب السقائين) مساحتها (٧٣٠) مترا مربعا ذات طابقين و غرفها (٤٨) غرفة، و كلها معمورة بالطلاب و عددهم يناهز (١٠٠) طالب و في كل غرفة طالبان يسكنها احدهما نهارا للتدريس و البحث و الثاني ليلا للمطالعة و النوم، و في الطابق الثاني من الشرق مكتبة عامرة تقدر كتبها بنحو (٢٠٠٠) كتاب مع بعض المخطوطات الاثرية القيمة.

و في زواياها الاربع ساحات صغار فيها عدد من الغرف الصغيرة و جدرانها محلاة بالقاشاني الثمين، و قد اسست سنة ١٣٢١ هـ و كان المنفق على عمارتها الوزير الكبير للسلطان عبد الاحد البخاري بأمر من الملا كاظم الخراساني المرجع العام في عصره و المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ.

و قد أرخ بناء هذه المدرسة بعض شعراء عصره كما هو مكتوب على بابها بقوله:

مدرسة (الكاظم) قد أرخوا (اساسها على التقى و الرشاد) ١٣٢١ هـ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٤٧

مدرسة الاخوند الكبرى و قد جللها السواد بمناسبة يوم عاشوراء

و كان من اشهر طلاب هذه المدرسة في العقد الرابع من هذا القرن هو السيد ابو القاسم الخونساري العالم الكبير في الفلك و الرياضيات و كان جميع الطلاب يقصدونه لتلقى العلوم الرياضية منه، و كان يتلقى على ما نقل الناقلون عددا كبيرا من الرسائل من مختلف الجهات يسألونه فيها عن حل بعض المسائل الرياضية و قد وضع قاعدة سهلة لمعرفة قابلية القسمة على العدد ٧.
و قد ادر كناه كهلا لا يقل تضلعه بالرياضيات عن تضلعه بالفقه و الاصول.

و من اشهر طلاب هذه المدرسة السيد كاظم و هو ممن حصل على شهادة الدكتوراه فى القانون من السوربون و جاء الى النجف للحصول على شهادة الاجتهاد، فاستعانت به المدرسة العلوية فى النجف لتدريس الفرنسية و كان من انبغ اساتذة الفقه. موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٤٨

مدرسة الخليلي الصغرى

مدرسة صغيرة مساحتها (٢٣٠) مترا ذات طابقين و عدد غرفها (١٨) غرفة محكمة البناء عدا الجانب الغربى منها فانه لا غرف فيه. و لكل غرفة من الغرف السفلية فى الطابق الاول ايوان صغير. اما الغرف العلويات فأمامها ممر مسقف، و عند مدخل المدرسة غرفة صغيرة و هى مقبرة البازل لتعميرها بأمر الحاج مرزا حسين الخليلي و هو المرزا محمد على خان الكركاني. و موقعها فى محلة العمارة فى الشارع الذى يبتدىء بدار الامام الشيخ محمد رضا آل ياسين و ينتهى بدار الامام السيد محسن الحكيم. و يجاورها من طرف الشرق الخانقاه الذى كان قد عمره السيد محمد كاظم اليزدى و وقفه للزائرين. و قد شيد اليوم مدرسة بعد ان انتفت الفائدة المطلوبة منه بسبب كثرة الفنادق و المساكن. و قد كان ابتداء تأسيس هذه المدرسة سنة ١٣٢٢ هـ و كانت التولية بيد أولاد الشيخ الخليلي على التعاقب. و اليوم يتولاها نجله الشيخ محمود الخليلي و قد انشئت فيها مكتبة صغيرة لاستفادة الطلاب على قدر حاجة الدرس و البحث و المطالعة. و قد ارخ عام تأسيسها بعض شعراء عصره بقوله:

و بيت معارف شاد الخليلي لاهل العلم اذ كان العميدا
و لما تم حط الفضل فيه فأرخنا (لاهل الفضل شيدا)
١٣٢٢ هـ

و كان من فحول طلابها الشيخ حسين الزين العاملى و الشيخ حسين مروء، موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٤٩ و هو شيخ بلغ الاجتهاد و مع ذلك ظل ملازما سكنى هذه المدرسة.

مدرسة القزويني

تقع هذه المدرسة فى محلة العمارة و فى سفح التل المعروف (بالطمه) و بالقرب من مسجد (الهندي) الشهير و الذى يذكره المعمرون فى النجف ان هذا التل مجموع من الاتربة التى نقلت من الصحن الشريف عند بنائه و تعميره و القيت هنا حتى صارت تلا و بقيت حيث هى و قد سميت بالطمه.

و هذه المدرسة اسست على ارض مساحتها تزيد على (٣٠٠) متر مربع و ذلك فى سنة ١٣٢٤ هـ و كان البازل على تعميرها الحاج محمد آغا الامين القزويني- و هو من البيت المشهور باسم (الكرورى) و كانت ارضها قبل ذلك خانا للمسافرين و الزوار و قيل انها كانت مفخرا للكيزان.

و هى مؤلفة من طابقين، فى الطابق الاول منها (١٥) غرفة أقيمت على سقف السرايب الممتدة فى اطراف العمارة دون ان يكون لها ايوان امامها كسائر المدارس. و الطابق الثانى الاعلى و فيه (١٨) غرفة و امام هذه ممر يحوطها من جميع جهاتها الاربع و قد عمر الجانب الجنوبي منها الذى كان قد اشرف على الانهدام محسن من أهل الكويت، و احدث فى وسط هذا الجانب و مقابل باب

المدرسة مكتبة رأينا فيها ما يناهز (٧٠٠) كتاب، و كان تاريخ تجديد بنائها من قبل هذا المحسن الكويتي في سنة ١٣٨٤. و قد وقف عليها الباذل اراضى زراعية في ايران ليصرف ريعها سنويا على الطلاب و بعض حاجياتها الضرورية و في نية بعض تجار قزوين الذين زاروا النجف ان يجددوا ترميم باقى جهاتها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٥٠

مدرسة البادكوبى

مدرسة عامرة بطلاب العلوم فى محلة المشراق و فى الشارع المنتهى شرقا بساحة الامام مقابل مدرسة الغرى الاهلية و الممتد الى الغرب حتى ينتهى بالثلثة فى طرف العمارة و هو المسمى (بشارع زين العابدين) و بازائها من جهة الغرب مسجد كبير شيده معمر المدرسة الحاج على نقى البادكوبى فى حدود سنة ١٣٢٥ هـ عندما زار النجف و مكث فيها مدة تقارب السنة.

و هى ذات طابق واحد و غرفها لا تتجاوز ٢٨ غرفة. و فى جنبها الشرقى ساحة صغيرة بمساحة (١٠٠) مترمربع بنيت فيها ثمان غرف اخرى فى طابقين و لها طريق واسع يوصلها بهذه المدرسة. و كل هذه الغرف يسكنها طلاب بخاريون من أهل بخارى و بادكوبيون اتراك من قفقاسية على الاغلب و عددهم اكثر من عشرين طالبا.

و فى سنة ١٣٨٣ هـ هدمت الحكومة المحلية ما يقارب النصف من هذه المدرسة عندما احدثت شارع (زين العابدين) المذكور و لم يبق من غرفها اليوم سوى (١٦) غرفة يسكنها مثل هذا العدد من الطلاب بعد ان بنى للمدرسة جدار حاجز عن الشارع. و قد بقيت هذه المدرسة على قدمها من حيث البناء.

مدرسة الآخوند الوسطى

تقع هذه المدرسة فى محلة البراق على شارع (الصادق) الحديث و الممتد من شارع دورة الصحن الى خارج البلد من (ساحة الامام على) و يفتح بابها من شارع آل الاعسم و هى من المدارس العامرة بأهل العلم معبدة الساحة

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٥١

بالرخام و منقوشة الجدران بالكاشى مساحتها (٤٢٠) مترا مربعا ذات طابقين و عدد غرفها (٣٦) غرفة و طلابها حوالى ٦٠ طالبا و لها سرداب تحت الطبقة الاولى و فيه ثلاثة حمامات و لها مكتبة فى الطابق الثانى و عدد كتبها نحو (١٣٠٠) كتاب. و قد سميت الوسطى لانها متوسطة المساحة بين المدرسة الكبرى و الصغرى. و هذه المدارس الثلاث للزعيم الملا كاظم الخراسانى عمرها و قام بمصاريفها الوزير البخارى (استان قلى بك) وزير السلطان البخارى عبد الاحد الذى عمر مدرسة السيد محمد كاظم اليزدى. اما سنة تأسيسها و ترميمها فهى سنة ١٣٢٦ هـ و قد ارخ ذلك الشيخ ابراهيم اطيماش بقوله و هو مكتوب على بابها بالكاشانى:

هذى مدينة علم و باب سر العوالم
للعلم شيدت فأرخ لمعدن العلم كاظم

١٣٢٦

و قد اكتسبت هذه المدرسة شهرة كبيرة بمن سكنها من رجال العلم و بمن خرجت من العلماء و المجتهدين، و قلما توفرت الشروط الكاملة للطلاب المجدين كما توفرت لطلاب هذه المدرسة. و من طلابها الذين سكنوها و درسوا فيها كان الشيخ نصر الله الخلخالى القائم اليوم بالانفاق على اكثر المدارس الدينية و طلابها فى النجف.

مدرسة السيد كاظم اليزدى

هذه المدرسة من اشهر المدارس فى النجف الاشرف عماره، و زخرفه، و فخامه، تقع فى محله الحويش و فى الشارع الواقع بين شارع الرسول فى الشرق و سوق الحويش فى الغرب و قد بنيت بناء بديعا و فى هندسه رائعه

موسوعة العتبات المقدسه، ج٧، ص: ١٥٢

كانت فى وقتها و لا تزال حتى اليوم مضرب المثل. ارضها مبلطه بالرخام الصقيل و جدرانها مكسوه بالحجر الكاشانى البديع. و فيها من فن الهندسه و الريازة ما جعلها محط انظار السواح و الزائرين، و تحتوى على (٨٠) غرفه فى طابقين. و امام كل غرفه ايوان صغير كهندسه سائر المدارس المشيده فى النجف الاشرف منذ العصر الصفوى، و لها عدة سراديب محكمه جميله بارده الهواء. و ارض هذه السراديب و الجدران مكسوه بالحجر الكاشانى، و تعتبر هذه السراديب المبنية طابقا فوق طابق من اغرب العمارات و افخمها تحت الارض. يزورها فى كل سنه عدد من السواح فيعجبون بهذه العمارة القائمه تحت الارض. أسسها و عمرها بأمر الامام السيد محمد كاظم اليزدى الوزير البخارى (استان قلى) الذى عمر مدرسه الاخوند الوسطى على ارض مساحتها (٧٥٠) مترا مربعا. و قد ابتداء بتعميرها سنه ١٣٢٥ هـ و اكمل بناءها فى سنه ١٣٢٧ هـ و عند ما كمل تشييدها فضل من الاموال التى ارسلها الوزير المذكور لتعميرها مبلغ كبير اشترى به نصفاً من حمامين، و أحد عشر دكانا و فندقا من سوق الخلدالى بقضاء الكوفه، كما ابتيعت لها أيضا سبعة حوانيت اخرى ركن من أركان مدرسه اليزدى

موسوعة العتبات المقدسه، ج٧، ص: ١٥٣

و خان هو الآن معمل لاستخراج الدبس من التمور مع ساحة كبيره خلف هذا المعمل فى سوق الكوفه المتوسط. و قد اوقفت كلها عليها على ان تصرف وارداتها فى شؤون المدرسه من ماء و كهرباء و ما تحتاجه من الاصلاحات. و قد كان المباشر لتعميرها و الساعى فى ادارتها و تنظيمها السيد محمد اليزدى نجل الحجه السيد محمد كاظم اليزدى، و قد اسس فيها بعد اكمالها مكتبه عامره بالمصادر المهمه و بعدد من المخطوطات القيمه.

و قد أرخ بناءها بعد الاكمال بعض الادباء و كتب التاريخ بالكاشانى على جبهه الباب و هو:

قد ابهج المصطفى و عترته بذنا و قالوا شيدت دعائنا

يا طالبى فقهنا و حكمتنادونكم هذه معالمنا

مدارس الدين ارخوا (لكم جددها للعلوم كاظمنا)

و قال الشيخ على المازندراني مؤرخا ايضا:

أسسها بحر العلوم و التقى محمد الكاظم من آل طبا

و فى بيوت اذن الله اتى تأريخها (لكن بحذف ما ابتدا)

أى بحذف الواو التى ابتدأت بها الآيه، فان التأريخ يزيد مع الواو سته بحساب الجمل لدى المؤرخين و لذلك اشار المؤرخ الى حذف الواو ليصح التأريخ.

و من سكان هذه المدرسه شيخ جاء النجف طالبا للعلم من ايران و هو

موسوعة العتبات المقدسه، ج٧، ص: ١٥٤

شاب لم يبلغ الثامنة عشره فمكث فى النجف ستين سنه و لم ينل الاجتهاد.

و قد توفى فى اوائل العقد الرابع من هذا القرن و كان مضرب المثل للمتأخرين فى الدراسه.

مدرسة الهندي

مدرسة اقيمت على ارض مساحتها (٦٠٠) مترمربع في محلة المشراق بجنب دور اسره آل كموه خدمه الروضة الحيدرية الشهيرة، مدخلها في دريبه ضيقه طويله يقع بابها في آخرها و هي مؤلفه من طبقه واحده و مجموع غرفها (٢٢) غرفه. و طرفها الجنوبي متصل بمدرسة القوام المتقدمه الذكر.

و قد آلت الى الانهدام فأصلحها الامام السيد محسن الحكيم قريبا و انما عرفت بمدرسة الهندي لان المحسن ناصر علي خان أحد أهالي (لاهور) من ملحقات بنجاب الهنديه كان قد اشتراها و شيدها مدرسة للهنود سنه ١٣٢٨ هـ و عدد طلابها اليوم لا يتجاوز (٣٨) طالبا.

مدرسة الآخوند الصغرى

موقعها في محلة البراق. و في الشارع المشهور بشارع (صد توماني) و هي صغيرة مساحة ارضها (٢١٠) امتار مربعه ذات طبقه واحده و فيها (١٢) غرفه فقط، امام كل غرفه ايوان صغير و عدد طلابها (٢٠) طالبا اكثرهم افغانيون. عمرها و شاد بناءها الحاج فيض الله البخاري خازندار الوزير خان ميرزا و قد كمل تعميرها في عام ١٣٢٨ هـ.

موسوعة العتبات المقدسه، ج٧، ص: ١٥٥

مدرسة السيد عبد الله الشيرازي

تقع هذه المدرسه في الجاده الخامسه من شارع الرسول الاعظم في محله الجديده احدى محلات النجف الحديثه مساحتها (٧٢٥) مترا مربعا و تحتوى على (٢٤) غرفه؛ و هي ذات طابقين من جهه الجنوب فقط و عدد طلابها (٣٠) طالبا و فيها مكتبه على رغم صغرها تكفي طلابها. و موقع هذه المكتبه في الطابق العلوى و لا يتجاوز عدد كتبها فعلا (٨٠٠) كتاب و هي خاصه بالطلاب لغرض الدرس و المطالع، و لها نظام داخلي خاص بسير طلابها.

أسسها و سعى في تعميرها السيد عبد الله الشيرازي عام ١٣٧٢ هـ من تبرعات المحسنين و ذوى الشراء من محبي الخير و لا- سيما الايرانيين. أما نفقات طلابها و معيشتهم فيجربها المؤسس نفسه و بعض المراجع العاليه من العلماء في النجف الاشراف.

مدرسة البروجردى الكبرى

تقع هذه المدرسه التي تضافر على هندستها و بنائها ابداع الفن الايراني و الفن الهندي في محلة البراق و في الشارع المتوسط بين سوق التجار و شارع الدوره المحيط بالصحن الشريف في الطرف الشرقي من الصحن. و مساحتها (٧٠٠) مترمربع ذات اربعه طوابق. اما الطابق الاول فهو السرداب الواسع و المحتوى جانب منه على ثلاثه حمامات صيفيه. و اما غرفها فعددها اثنتان و ستون غرفه و كلها في الطابق الثاني و الثالث و الرابع دون ان يكون لكل غرفه ايوان كغيرها من المدارس الاخرى. و عند مدخل المدرسه ساحة صغيره في طابقين. اما العلوى ففيه عدد من الغرف و الطابق الارضى فيه

موسوعة العتبات المقدسه، ج٧، ص: ١٥٦

أحد أركان مدرسة البروجردى و ترى صورته معلقة فى الطابق الثانى

غرف للخدم و مداخل للسرداب و سلم للطبقة الثانى و كل غرفة مؤتثة بالسجاد الايرانى الذى حيك خصيصا لها فى ايران، و لها فى الطابق الاول قاعة محاضرات كبيرة، و صالة للصلاة و البحث و التدريس كما ان لها فى الطابق الثانى مكتبة عامرة منظمة احسن تنظيم و حافلة بالكتب القيمة العلمية و الفقهية و بعض المخطوطات القديمة، و عدد كتبها نحو (٨٠٠٠) كتاب.

و عدد طلابها (٦٠) طالبا يسكن كل طالب فى غرفة واحدة و يشترط فى قبوله فيها ان يكون من متوسطى الدراسة الدينية و بشهادة يحملها من أحد الاعلام، و ان يكون مجردا من العائلة. و هؤلاء الطلاب كانوا يتقاضون مرتبا شهريا كل بحسب درجته العلمية فى زمن مؤسس المدرسة الامام السيد حسين البروجردى. و يعين اليوم السيد أحمد الخونسارى القاطن بطهران لكل طالب موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٥٧

من طلابها دينارا واحدا فى كل شهر، و تدفع المراجع العالیه من العلماء مخصصات اخرى لهؤلاء الطلاب.

و قد كان تأسيسها سنة ١٣٧٣ هـ. و المباشر المشرف على بنائها هو الشيخ نصر الله الخلقى، و هو نفسه المتولى عليها الآن بالاشتراك مع السيد محمد حسن البروجردى نجل الامام البروجردى فيقومان بتنظيم امورها و ادارة شؤونها. و قد ارخ عام اكمالها الشيخ محمد تقى الجواهرى ذاكرا اسم المؤسس و المباشر اذ قال:

و جامعة بجنب الطهر شيدت لترعاها من الكرار عين

فأرخها (على التقوى بناء بنصر الله اسسها حسين)

و أرخها السيد موسى بحر العلوم بقوله و قد كتبت بالحجر الكاشانى داخلا

هذه مدرسة شيدت لمن طلب العلم و من ادى فروضه

اسسته يد أعلى مرجع زاده الله من الجاه عريضه

للحسين بن على اجرها جبر الله به الحق مهيضه

و عن الصادق قد ارختها (طلب العلم كما جاء فريضه)

و أرخها السيد محمد الحلى بقوله:

و عظيم قد سمت اعماله فغدت تجلب للناس الرشادا

كيف لا يسمو لدى الله و قدشاد للعلم و للدين العمادا

سيد عم البرايا نفعه فلذا عظمه الناس و سادا

ان يفخر بالفخر تاريخى (له فحسين معهد التدريس شادا)

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٥٨

مدرسة العالمين

تقع هذه المدرسة فى محله الجديدة التى حدثت فى جانب خان المخضرات و قد اسست على ارض مساحتها (١٥٠٠) متر مربع تحتوى على (٤٠) غرفة؛ منها سبع عشرة غرفة على جانبى مسلک باب المدرسة فى شرقها و غربها.

و فيما بين كل صفين من الغرف صالون وسيع، ثم بعد هذه المجموعة ساحة كبيرة؛ و فى مقابل هذين الجناحين من الغرف المذكورة بنيت حديثا غرف اخرى و عددها ٢٣ غرفة غير انها لم تسكن بعد اذ لم تكمل تماما.

و فى هذا البناء الجديد ايوانان واسعان شمالي و جنوبى، و قاعة كبيرة تحتها سرداب بمساحة (٢٠٠) متر مربع، كما بنيت فيه مكتبة و

صالون للمطالعة و غرفة لادارة المدرسة.

اما طلابها فعلا فعددهم (٢٦) طالبا و اكثرهم عامليون من جبل عامل بلبنان.

و كان الساعى فى انشائها و صاحب الفكرة الاولى هو الشيخ محمد تقى الفقيه العاملى، فانه بعد استشارة اخوانه العاملين و موافقتهم على شد ازره رفعوا ذلك الى السيد محسن الحكيم، فأقرهم عليه و تبرع لهم اولاً بمبلغ (١٥٠٠) دينار حين شرع فى بنائها بعد شراء الارض سنة ١٣٧٧ هـ.

ثم ذهب فريق من العاملين فى وفد الى الكويت و جمعوا لها من تبرعات المحسنين هناك مبلغا وافرا ساعدهم على تشييدها و ما زالوا يسعون فى اكمالها.

و متوليها اليوم هو صاحب الفكرة المؤسس الشيخ الفقيه و وكيله فى النجف هو الشيخ العسيلي. أما نفقات هؤلاء الطلاب فهى من المراجع الدينية و بعضها من اهلهم فى جبل عامل.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٥٩

المدرسة الطاهرية

مدرسة كبيرة الساحة تبلغ مساحة ارضها (٣٠٠٠) مترمربع تقع فى الجادة (١٣) من شارع الرسول الاعظم و هى فى ركن تحيط بجوانبها الاربعة جادات واسعة.

اسسها السيد عبد الله الشيرازى بعد اشادة مدرسته الاولى و كان ذلك فى عام ١٣٧٧ و بنى فيها حتى الآن (١٤) غرفة و اسكن فيها ١٤ طالبا و لا يزال يجد فى اكمالها. و قد اسمها (بالطاهرية) نسبة الى جده السيد طاهر الشيرازى.

مدرسة البروجردى الصغيرة

تقع هذه المدرسة المشيدة على ارض مساحتها (٣٥٠) مترا مربعا فى رأس سوق العمارة الصغير. الذى ينتهى بشارع دورة الصحن مقابل باب الصحن المسمى (بالباب السلطاني) نسبة الى السلطان ناصر الدين شاه القاجارى الذى فتحه عند زيارته للنجف الاشرف و قد كانت دارا معروفة باسم (بيت القاضى) ذات طابقين تشبه فى هندستها مدرسة البروجردى الكبرى و عدد غرفها (٢٠) غرفة و طلابها اربعون طالبا. و فى كل غرفة يسكن اثنان من الطلاب، و قد تبرع بشراء ارضها و تعميرها السيد هاشم البهبهاني بأمر من الامام الحاج آغا حسين البروجردى، كما عين لكل طالب فيها دينارا واحدا شهريا مشروطا فى نظامها الداخلى ان لا يكون الطالب رب عائلة أو رب دار فى البلد. و قد كان اكثر سكانها من الباكستانيين. ثم عين السيد هاشم لكل غرفة من غرفها سجادة ايرانية على قدر مساحة الغرفة. و جعل المتولى عليها الشيخ نصر الله الخلخالى. و قد كان تأسيسها فى عام ١٣٧٨ هـ و أرخها الخطيب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٦٠

السيد على الهاشمى بقوله. و قد كتب التأريخ بالحجر الكاشانى على الجبهة المقابلة للداخل:

معهد علم بالغرى شاده الهاشمى هاشم بن أحمد

باسم فقيه العصر موئل الورى سيدنا (الحسين) فخر المقتدى

نادى به رائد ارباب الهدى ارخ (لقد شيد خير معهد)

مدرسة الرحاوى

تقع هذه المدرسة فى محلة الجديدة فى الركن الذى هو عند ملتقى شارع المدينة و شارع الهاتف؛ مساحتها (١٠٠٠) مترمربع و بابها من جانب الشمال من شارع المدينة.

اسسها صاحبها الحاج عباس محسن ناجى الرحاوى النجفى سنة ١٣٧٨ هـ باسم الحسينية أولا، ثم رجح له ان يبنى فيها غرضا لطلاب العلوم لتكون اكثر نفعاً و اعم فائدة فبناها فى طابق واحد و جعل فى جانبيها الشرقى و الغربى اثنتى عشرة غرفة اسكن فيها ما يزيد على العشرين طالبا. ثم ابنتى فى الجنوب حسينية بمساحة (٢٠٠) مترمربع و خصها باقامة ماتم الحسين فى الاوقات المناسبة على ان تكون فى عين الوقت قاعة محاضرات و مصلى للطلاب.

ثم عتین لها اوقافا يصرف ريعها فى حاجاتها الضرورية و ان اوقافها هذه:

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٦١

ستة حوانيت من خارجها مع دار صغيرة فى جانبها.

و يشرف عليها اليوم نفس مؤسسها الحاج عباس و لها وقفية و نظام للمتولى و للطلاب.

مدرسة الجوهرجى

اسس الحاج محمد صالح الجوهرجى فى محلة المناخة فى شارع المدينة فى النجف الاشرف مسجدا واسعا كبيرا و بجنبه حسينية ثم اخرج منها (١٢) دكانا و بنى فى جوارها حماما للرجال باسم (حمام الكوثر) و جعل هذه المنشآت كلها وقفا للمسجد و الحسينية غير انه رأى اخيرا ان الانفع و الاصلاح للوقف و ادامته و منعا لتضرر المجاورين من وجود الحمام و تسرب مياهه الى اسس دورهم ان يزيل الحمام و يضيف مساحته الى الحسينية مع قسم من ارض ملكه المجاور و هكذا فعل و اعاد بناء المسجد بأقوى مما كان و جعله حرما و جعل الساحة (حسينية) و حرم المسجد صفحة من الطابق الثانى و المكتبة فى مدرسة الجوهرجى

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٦٢

هذا واقع فى الطابق السفلى من الساحة، و شيد على القسم الباقي المحيط بالمسجد و الحسينية من الجهات الاربع خمسين حانوتا و بنى فى الطابق العلوى فوق الحوانيت المذكورة مدرسة لطلاب العلوم الدينية تتألف من اثنتين و خمسين غرفة و كلها اليوم مسكونة بالطلاب و قد بنى لهم حماما عصريا فى الطابق الثالث ثم وقف جميع هذه المنشآت وقفا خيرا يصرف واردها على لوازم المسجد، و الحسينية، و المدرسة، و المكتبة، و المقبرة، فى اجور ماء، و كهرباء و خادم، و قراءة قرآن، و امامة المسجد و ما تحتاج المكتبة من راتب الناظر و الامين الى غير ذلك.

و قد أرخ عمارة مسجدها محمد جواد مطر بايات مكتوبة بالكاشانى على جبهة بابه و هى:

صالح ما اسس مسجدا هنا إلا و فى الجنة بيتا أسسا

فقلت فى التاريخ (زده انه لمسجد على التقى تأسسا)

٣- سنة ١٣٨٢ هـ

مدرسة جامعة النجف الدينية

اسست هذه المدرسة في محله (حي السعد) احدى محلات النجف الواقعة على طريق (الكوفة و النجف) و شيدت على ارض مساحتها (٥٠٠٠) متر مربع و قد شرع في بنائها في سنة ١٣٧٦ هـ و استمر التعمير حتى سنة ١٣٨٢ هـ.

و قد كانت فكرة تأسيسها و القيام بتنفيذ هذا المشروع تعود للسيد محمد اسولموى الشهير (بكلانتر)، اما الباذل على تعميرها فهو المحسن الحاج

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٦٣

محمد تقى اتفاق الطهراني و قد انفق عليها من خالص ماله و ليس من الحقوق الشرعية و ارسد لها مبلغ (١٥٠) الف دينار عراقى، اما ما انفق عليها من الضروريات و الكماليات بعد اكمالها فقد كان كثيرا جدا، و قد اشترت ارض المدرسة، و عمرت و سجلت بالطابو باسم المباشر السيد محمد كلانتر.

اما نفقاتها الحالية و نفقات طلابها فانها تجرى من نفس المؤسس و من بعض تبرعات المحسنين، و فى نية المؤسس ان يوقف لها و لا عاشة طلابها موقوفات من املاك و اراض زراعية تدر عليها و عليهم سنويا ما يضمن لها و لهم سد الحاجة كما عين للطلاب نظرا لبعدها عن الصحن و حوزات التدريس فى داخل البلد سيارة ذات (٢٤) مقعدا تحمل الطلاب من المدرسة الى الصحن ثم تعود بهم الى مدرستهم كل يوم صباحا و عصرا و ليلا.

و هذه المدرسة تحتوى على (٢٠٨) غرف للسكن قائمة فى ثلاثة طوابق عدا الطابق الارضى الذى هو عبارة عن سردابين يقعان تحت بناية العمارة، و ثلاثة سرايب واسعة اخرى تقع تحت صالوناتها و فيها مرافق واسعة للطبخ و الغسيل.

اما الطابق الاول فمنه مدخل المدرسة و على يمين الداخل الى المدرسة شيدت مكتبة بمساحة (٢٢٥) مترا مربعا فى طابقين. و قد وضعت قماطر الكتب فى الطابق العلوى، و اما المساحة السفلى فهى للمطالعين يجلسون على كراس و مناخذ خاصة اعدت لراحتهم، و على يسار الداخل يقع مسجد الجامعة البالغة مساحته (٢٢٥) مترا مربعا اعد لاداء الصلوات الخمس و التدريس، و البحث و الحفلات الدينية الخاصة، و بجانب هذا المسجد غرفة لقلم الجامعة تقع تحتها مقبرة خاصة للمؤسس و عائلته و للمتولى الفعلى السيد محمد كلانتر وحده.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٦٤

أحد أركان مدرسة الجامعة

و فى وسط المدرسة ساحة كبيرة و فى جانبها رديفان من الغرف يفصل بينهما صالون كبير و مثله فى الجانب الغربى من الساحة كما ترى فى الجانب الشمالى و الجنوبى غرف امامها ايوانان كبيران مسقفان، و مجموع غرف الطابق الاول (٦٢) غرفة و فيه ثمانية حمامات و اثنتا عشرة مغسلة أما الطابق الثانى فيشتمل على (٥٤) غرفة و ثلاث قاعات للتدريس تقع فى الجهة الغربية منها، و فى جهتي هذا الطابق الغربية و الشرقية صالونان كبيران بين رديفين من الغرف كالتابع الاول و فيه ثمانى حمامات و اثنتا عشرة مغساة.

اما الطابق الثالث و فيه (٩٢) غرفة و صالونان كبيران فى الشرق و الغرب يتصلان ايضا بين رديفين من الغرف كالتابع و فيه ايضا ايوانان و سيعان شمالا و جنوبا و ثالث دائرى مسقف فى جهة الشمال.

و المتولى لامورها هو السيد محمد كلانتر بالوكالة عن مؤسسها و متوليها الاصلى و المدرسة مقيده بأنظمة الامتحانات و يمنح الناجح منهم بدرجة الامتياز زيادة فى راتبه و مخصصاته و تعتبر هذه المدرسة اليوم افخم و اوسع مدرسة بنيت فى تاريخ مدارس النجف.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٦٥

مدرسة متقنة البناء اسست على ارض مساحتها (١٩٠٠) مترمربع تقع في مقدمة محلة حي السعد من المدينة و في ركن يجعل جانبها الجنوبي على الشارع الرئيسي بين الكوفة و النجف و الجانب الغربي على طريق كربلاء و منه طريق بابها و قد شيدت في طابقين عدا الطابق السفلي المشتمل على سردابين كبيرين مجهزين بعدد كبير من المراوح الكهربائية مبالغه في راحة الطلاب صيفا. اما الطابق الاول الذي منه طريق الباب فانه يشتمل على ساحة كبيرة تحيط بها خمسون غرفة و في اطراف الساحة و زواياها عشرة حمامات، و مطبخان، و عدد من المغاسل ثم قاعة كبيرة للمحاضرات و قاعة اخرى للحفلات، و فيها مسجد لاداء الصلوات الخمس يقع في الركن الذي يفصل إحدى جهات مدرسة عبد العزيز البغدادي

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٦٦

بين شارع الكوفة و شارع كربلاء، و تحته مقبرة خصصها مؤسسها و واقفها الحاج عبد العزيز البغدادي بنفسه و أهل بيته و بجانب هذا المصلى محل للوضوء.

و في الطابق الثاني العلوي اثنتان و خمسون غرفة و عشرة حمامات و مغاسل و مطابخ على غرار الطابق الاول فيكون مجموع غرفها (١٠٢) غرفة و كلها عامرة بالطلاب الفضلاء. و قد جهزها مؤسسها بالفرش و الاثاث الكامل من المكيفات الهوائية الاتوماتيكية و تبريد الماء و المراوح.

و تحيط بهذه المدرسة حديقتان جانبيتان غربا و جنوبا كما شيد بجانبها دار سكنى للقائم بادارتها و لزائريها من آل (البغدادي) و اصدقائه، و اخوانه.

و هي مشرفة على الحديقة، و بعد ان تم بناء هذه المدرسة قرر مؤسسها وقف عمارة كبيرة بشارع الرشيد، في بغداد عليها. و قد افتتحها بحفلة كبيرة حضرها الامام السيد محسن الحكيم كما حضرها وفود من انحاء العراق و كان ذلك في يوم ٢٨ جمادى الثانية سنة ١٣٨٣ هـ و قد جعل توليتها لنفسه ما دام حيا و من بعده لولده كامل و جعل ابنه رؤوفا و عبد الجبار، ناظرين عليه.

و قد أرخ سنة انتهاء تعميرها بعض الشعراء بقوله:

عبد العزيز عندما أسسها مدرسة دينية و شيدا

رام له الحكيم ان يعظم في الدنيا و في اخراه ان يخلدا

فبلدة الغرى ارخنا (بهاعزيز بغداد اقام معهدا)

سنة ١٣٨٣ هـ

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٦٧

مدرسة الافغانيين

مدرسة حديثة البناء واقعة في محلة (الجديدة) اختصت بالافغانيين و البلوجيين البربر، و هي واقعة في وسط الدور التي يسكنها الافغانيون و البربر على الغالب و خلف حديقة (غازي) الكبيرة كانت ارضها البالغة مساحتها (٤٠٠) مترمربع ملكا للحاج الشيخ حسن الافغاني، فوقفها على ان تكون مدرسة دينية للطلاب منهم فعمروها بما جمعه من تبرعات المحسنين منهم و من غيرهم و شرعوا في بنائها سنة ١٣٨٤ هـ و شيدوا فيها سبع غرف في الجانب الجنوبي منها بعد ان سورها و هي في الطابق الاول السفلى فقط و بنوا امام كل غرفة ايوانا صغيرا على طراز هندسة المدارس الدينية في النجف. و اسكنوا فيها سبعة طلاب من الافغانيين و البلوجيين اما المتولى لشؤونها الداخلية و الخارجية اليوم فهو السيد عوض الافغاني و الشيخ محمد الرحمانى الافغانى الخراسانى و هما يبذلان المساعى لتعمير جوانبها الاخرى بناء على شدة الحاجة لسكنى الطلاب الافغانيين.

مدرسة اليزدي الثانية

تقع هذه المدرسة الجديدة في محلة العمارة متصلة من الغرب بمدرسة الخليلي الصغرى و من الجنوب بمدرسة الخليلي الكبرى، و كانت هذه المدرسة منذ خمسين عاما (خانقاها) بناه العلامة السيد كاظم اليزدي للزائرين يوم لم يكن في النجف الاشراف فنادق او أماكن عامه تسع الوافدين اليها، فاشترى الارض و هي دار لبعض العلويين و شيدها (خانقاها) بماله، و ببعض الحقوق الشرعية التي تنطبق على مثل هذه المشاريع.

و لما رأى نجله السيد أسد اليزدي ان هذا الخان قد اصبح عاطلا و لا

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٦٨

فائدة فيه اليوم بسبب كثرة الفنادق و المساكن للوافدين و الزوار رجح في نظره ان يشيد هذا الخان المسمى بخان الوقف مدرسة لطلاب العلوم الدينية الذين هم اليوم في حاجة ماسة الى مساكن، فعرض الفكرة على السيد الحكيم و استفتاه في جواز هذا التصرف و التغيير. فامضى رأيه و ساعده بمبلغ لاخراج الفكرة الى حيز العمل. و قد كملت اليوم بهيكلها العام و هي مدرسة جميلة ذات طابقيين شيدت على ارض مساحتها (٦٠٠) متر مربع و عدد غرفها (٥١) غرفة منها (٢٥) في الطابق الاول المقام على سرداب كبير و (٢٦) غرفة في الطابق الثاني و في الطابق الاول قاعة محاضرات كبيرة و هي التي يطلق عليها اسم (المدرس)، و في الجنوب الشرقي منها أربعة حمامات صيفية و مغاسل و امام الغرف كلها في كلا الطابقيين ممر بعرض مترين و نصف متر مسقف بالحديد و الآجر و قائم على أعمدة من الكونكريت و الاسمنت، و الحديد، و هي مدورة الشكل و قد زينت دورتها من اعالي السقف الدائر بالآيات القرآنية مكتوبة بالكاشاني الملون البديع. و قد شرع في بنائها سنة ١٣٨٤ هـ و حتى اليوم و العمل لم يزل مستمرا فيها.

و قد كان لهذا (الخان) المذكور اوقاف تصرف وارداتها عليه فرجعت كلها الى المدرسة و هي عبارة عن اربعة دكاكين، و دارين، و فندق صغير، و كلها متصلة بنفس المدرسة و تصرف ايجاراتها على المقتضيات اللازمة من ماء و كهرباء و اجور خادم و ما الى ذلك من ضرورياتها.

و قد ارخ عام الابتداء في تميمها السيد موسى بحر العلوم بقوله:

بشرى بها مدرسة عائده على هواة العلم بالفائدة

اسسها (الكاظم) من حلمه بنية راسخة القاعدة

ثنى بها مدرسة فاغدت في حسنها الثانية الواحدة

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٦٩ فأصبحت عيدا لمن هاجروا للعلم و السكنى بها المائدة

وعدها الدهر بتأريخه من حسنات السيد الخالدة)

مدارس تحت الانشاء

أ- مدرسة الحكيم:

واقعة في محلة المشراق قرب الساحة الكبيرة المعروفة (بفضوة المشراق) البالغة مساحة أرضها (٧١٤) مترا مربعا اشتراها الامام الحكيم ليشيدها مدرسة و هي عبارة عن دارين احدهما دار أمين شمسه و مساحتها (٤٨٤) مترا مربعا و الثانية دار لطيف (ابو اصيغ) و مساحتها (٢٣٠) مترا مربعا و سوف يشرع بتعميرها قريبا ان لم يكن قد بوشر بتعميرها الآن.

ب- مدرسة الكلباسي

دار اشتراها الشيخ محمد علي الكلباسي النجفي بماله و بسعيه من تبرعات المحسنين من ايرانيين وغيرهم، اشتراها من الاخوين التغليين الشيخ عبد الحسين و الشيخ عبد العزيز و هي واقعة على شارع دورة الصحن الشريف و متصلة من جانبها الغربي بمدرسة البروجردى الصغيرة و يفصل بينها و بين سوق العمارة دار واحدة و مساحتها (١٤٧) مترا مربعا و قد هدمت الدار ليشرع في تعميمها.

ج- و لا يستبعد ان تشاد عدة مدارس كبيرة في الربع القرن المقبل بناء على هذه الحركة النشطة البادية في تأسيس هذا العدد من المدارس خلال ربع القرن الماضي.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٧٠

نموذج لكيفية إجراء وقف المدارس الدينية في النجف

هذه صورة للوثيقة التي تم بها وقف مدرسة (عبد العزيز البغدادي كنموذج لكيفية وقف المدارس الدينية و قد كانت صيغة الوقف تجرى في السنين السابقة دونما حاجة لتصديقها في المحاكم، اما اليوم فان المراسيم تتطلب تسجيل الوقف و تصديقه من قبل المحاكم الشرعية على هذه الوثيقة:

العدد ١٧-١٩٦٤ بسم الله الرحمن الرحيم

ان قاضى محكمة شرعية النجف الشيخ حسن الشميساوى المأذون بالقضاء باسم الشعب سجل ما هو آت:

قدم المستدعى الحاج عبد العزيز الحاج طاهر الحاج كاظم البغدادي عريضة لهذه المحكمة مؤرخة في ٥-٣-٦٤ تتضمن ما يلي: استنادا الى الحجة الوقفية الصادرة من المحكمة الشرعية الجعفرية ببغداد في ١٩-٣-١٩٦٢ المرقمة ٦١ اساس ٥٥-٩٦٢ المتضمنة ايقافه قطعة الارض المرقمة ٤٠٤-١٥٠٥ البالغة مساحتها الف و تسعمائة متر مربع الكائنة في مدينة النجف الاشرف بحى السعد وقفا خيريا على ان يشيد عليها بناء و محدثات حسب

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٧١

رغبته و تكون جميعها وقفا خيريا وفق الشروط التي يشترطها عند اكمالها و ايقافها و حيث قام بالبناء و فرغ من تعميمها و هي تتكون من مدرسة مشيدة من طابقين تحتوى على ما يزيد على مئة غرفة و مكتبة و عشرة حمامات، و دورات مياه، و ساحه و مطبخين و تحيط بها حديقتان جانبيتان على طريق الكوفة و طريق كربلا، و مصلى يقع في الزاوية التي تربط شارع الكوفة و شارع كربلا، و تحته مقبرة و بجانب المصلى محل للوضوء، كما شيدت على الارض المذكورة دار في الجهة الشمالية، تحتوى على غرف و مرافق صحية و بجانبها حديقة، و قد اوقف جميع ذلك خيريا وفق الشروط الآتية:

على ان يكون اسم المدرسة- مدرسة عبد العزيز البغدادي الدينية الخيرية و ان الشروط هي:

ان تكون المدرسة وقفا للاغراض الآتية:

أ- مدرسة للعلوم الشرعية الاسلامية. و للعلوم التي لا تتعارض مع الاحكام الاسلامية.

ب- إقامة الاحتفالات الدينية بواسطة ذكرى مواليد الائمة الاطهار، و وفياتهم، و ذكرى وفاة الصديقة الزهراء، و مولدها، و اقامة عزاء الحسين، ثم بالمناسبات المعروفة و غيرها من الاغراض الدينية، كحفلات عقود الزواج، و اقامة الفواتح، و كل حفلة و اجتماع لا يتعارض مع الاغراض الدينية.

ج- لاسكان طلاب العلوم الدينية، و العلوم المشروعة سواء كان الطالب يدرس في المدرسة نفسها ام في غيرها من المدارس الدينية في النجف الاشرف اذا توفرت في الطالب الشروط الآتية:

اولا- ان يكون الطالب متمتعا بالاهلية الشرعية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٧٢

ثانيا- ان يكون حسن السلوك و السيرة و سالما من الامراض المعدية.

ثالثا- ان لا يسبب الضرر للمدرسة او للطلاب المقيمين فيها.

رابعا- ان يتجنب البحث في الامور غير المشروعة لا سيما المتعلقة منها بالامور السياسية او العقائدية التي لا تتفق و العقيدة الاسلامية.

صفحة من مدرسة البغدادي و قد جللت بالسواد بمناسبة أيام عاشوراء

خامسا- لا يجوز استصحاب النساء و اسكانهم في المدرسة بأي حال من الاحوال.

سادسا- ان يأذن له المتولي بالسكن او من يوكله المتولي.

سابعا- ان يستمر الطالب على الدراسة او التدريس في المدرسة او في غيرها كما تقدم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٧٣

ثامنا- يجوز للمتولي او وكيله اخراج من أخل باحدى الشروط المذكورة او اذا اعتقد بان وجوده مضر غير صالح.

تاسعا- للمتولي ان يشترط في قبول الطالب شروطا اخرى تقتضيها مصلحة المدرسة.

٢- يكون المصلي وقفا عاما للمسلمين لاقامة الصلاة و تلاوة القرآن الكريم.

٣- اوقف المقبرة لدفن آل البغدادي على الوجه الآتي:

اولا- لدفنه و دفن زوجاته و اولاده ذكورا و اناثا و زوجاتهم و دفن الذكور من اولاد اولاده الذكور منهم دون الاناث.

ثانيا- لدفن شقيقاته و دفن الذكور من اولادهم دون اولاد اولادهم.

ثالثا- لدفن اولاد عمه الحاج صالح و اولاد الحاج حسن و اولاد عمه محمد على ذكورا و اناثا و دفن اولاد اولادهم. و للواقف في

حياته ان يأذن بدفن من يشاء و ليس للمتولي بعده ذلك.

رابعا- لقد اوقف الدار لسكنى المتولى و الزائرين لمقرقد الامام على عليه السلام من اولاده و اولاد عمومته و شقيقاته ما تعاقبوا و

تناسلوا طيلة مكثهم في مدينة النجف الاشرف بقصد الزيارة و يستثنى من هذا الشرط المتولى و وكيله اذ لهما الاقامة فيها حيث رغبوا

دون تحديد مدة و للمتولى ايجار الدار المذكورة اذا وجد في ذلك نفعا و يصرف بدل ايجارها على صيانة الاعيان الموقوفة كما

تقدم اولاد و على ما يلزم من المصروفات على المدرسة و مرافقها ثانيا، و للمتولى ان يأذن في اسكانها من يشاء.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٧٤

خامسا- لقد جعل المكتبة وقفا خيريا عاما على المسلمين للمطالعة و تدار من قبل المتولى او من ينيبه المتولى لادارتها و للمتولى ان

يشرع لها نظاما خاصا لادارتها و مسك سجلاتها و المحافظة عليها و تعيين من يقوم بالخدمة فيها.

سادسا- لقد جعل التولية بيده ما دام حيا و من بعده تكون التولية لولده كامل و يكون كل من ولديه رؤوف و عبد الجبار ناظرين

عليه، و مشرفين على اعمال المتولى المتعلقة بتطبيق هذه الوقفية، و للواقف ان يعين شخصا او اكثر بالاضافة الى المشار اليهم بصفة

المتولى او الناظر كما له الحق في عزلهم مدة توليته، و بقائه على قيد الحياة، و على المتولى من بعده و الناظرين ان يعين كل واحد

منهم من يخلفه بعد وفاته، مع وجوب مراعاة الشروط الآتية:

أ- ان يكون من يخلف المتولى و الناظرين متمتعا بالاهلية الشرعية و معروفا بالتقوى و الصلاح و حسن الادارة.

ب- ان يكون من ذكور اولاد الواقف ثم الذكور من اولاد الذكور من اولاد اولاده ما تعاقبوا او تناسلوا طبقة بعد طبقة.

ج- اذا فقد الذكر من اولاد اولاده الذكور منهم تكون التولية و النظارة للذكور في اولاد الذكور من اولاد جده الحاج كاظم، ما

تعاقبوا و تناسلوا طبقة بعد طبقة.

د- اذا فقد من يصلح للتولية او النظارة كما تقدم تكون التولية و النظارة للذكور من بناته طبقه بعد طبقه.

ه- اذا فقد من يصلح للتولية كما فى البند (د) تكون التولية و النظارة للذكر من اولاد اناث جده الحاج كاظم طبقه بعد طبقه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٧٥

و- اذا فقد من يصلح للتولية و النظارة كما تقدم فعلى المتولى الاخير و الناظرين ان يجتمعوا و بعد اليأس من وجود من يصلح للتولية او للنظارة من ذريته و ذرية جده كما تقدم ان يعينوا بالاتفاق ثلاثة من صلحاء المسلمين الجعفرين القادرين على ادارة العين الموقوفة و يكون احدهم متوليا و الآخران ناظرين عليه، و تسرى بحقهم شروط التعيين كما تقدم، و على كل واحد منهم ان يعين فى حياته من يخلفه متوليا كان او ناظرا.

ز- اذا فقد المتولى أو أحد الناظرين فان كان قد عين من يخلفه قام مقامه حتى زوال العذر فان استمر فقدان اهليته حتى الموت استقر مكانه.

ح- اذا كان من فقد الاهلية لم يعين من يخلفه بعد وفاته عينه الآخران الناظران او المتولى الناظر و قام مقام فاقده الاهلية حتى زوال العذر و ان استمر حتى الموت استقر مقامه كما تقدم.

ط- اذا فقد شخص من الناظرين و المتولى الاهلية عين الشخص الثالث ناظرا كان او متوليا من يقوم مقامهما حتى زوال العذر فان استمر العذر حتى الموت استقر مقامهما.

ي- تسرى احكام الفقرتين السابقتين (ح. ط) على من كان من الناظرين او المتولى دون ان يعين من يخلفه فيكون بيد الباقي كما تقدم.

ك- اذا مات المتولى و الناظران دون ان يعين أحد منهم من يخلفه عين المرجع الدينى من علماء الشيعة الامامية الاثنى عشرية من يخلفهم متوليا و ناظرين و وجب على واحد منهم ان يعين من يخلفه كما تقدم مع وجوب مراعاة شروط هذه الوقفية فى شروط التعيين

ل- اذا وقع خصام بين المتولى و الناظرين انفسهما وجب عليهم الرجوع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٧٦

الى من يتفقون عليه من علماء الجعفرية المشهورين ليحكم بينهم و يكون حكمه الفصل فى النزاع و لا- فرق بين ان يكون النزاع و الخصام ناشئا بينهم بسبب الاختلاف فى التعيين او فى تطبيق الشروط لهذه الوقفية.

(م) اذا فقد من يصلح للتولية و عهد بها الى احد العلماء كما فى الفقرة (و) ثم وجد من يصلح لها من ذرية الواقف كانت التولية له، و هكذا اذا وجد اكثر من واحد عين منهم الناظران وفق شروط هذه الوقفية.

ن- لا يجوز للمتولى و الناظرين حصر التولية أو النظارة فى ذريتهم و مخالفة شروط هذه الوقفية فى التعيين كما فى الفقرات ا ب ج د ه و.

و على هذا تم اجراء صيغة الوقف بتاريخ ٢١ شوال سنة ١٣٨٣ الموافق ٥-٣-٦٣ و طلب تسجيل ذلك وفق الاصول كما ابرز اعلاما صادرا من محكمة شرعية بغداد الجعفرية و هى حجة بعدد ٦١ و عدد الاساس ٥٥ و تاريخ ١٧-٣-٦٢ تتضمن ايقافه قطعة الارض المرقمة ٤٠٤-١٥٠٥ الواقعة فى محله حى السعد فى النجف الاشرف، و البالغة مساحتها ١٩٠٠ متر مربع الموقوفة من قبله وقفا خيريا لانشاء مدرسة دينية عليها، و كذلك ابرز سند طابو بعدد ٨٧ و تاريخ آذار ٩٦٢ و يتضمن كون قطعة الارض المنوه عنها اعلاه وقفا خيريا من قبل العراقي الحاج عبد العزيز بن طاهر البغدادي كما اجرى الكشف على الملك المذكور من قبل الخبراء، و مهندس الطابو، تحت اشراف المحكمة، و قد ظهر بعد التطبيق ان الواقف قد شيد على الارض المذكورة بناية متخذة مدرسة تتألف من طابقين الاول يحتوى على خمسين غرفة، و مسجد، و قاعة للمحاضرات، و مكتبة، و سردابين، و مقبرة، تحت المسجد، و مطبخ و عشر حمامات، و مرافق صحية اخرى، و ساحة كبيرة، فى وسط المدرسة، و توجد كذلك دار

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٧٧

ملاصقة للمدرسة تتألف من اربع غرف فى السفلى و سرداب و (هولين)، و مرافق صحية، و غرفتين، و (هول) فى الطابق العلوى و حديقة محيطة بالعمارة من جوانبها الثلاثة و قد ثبتت منشآت الملك و طبعت على الخارطة و السند من قبل مهندسى الطابو، و قد اجرى الواقف امام المحكمة و بحضور الشاهدين الموقعين ادناه صيغته الوقف على المنشآت المذكورة آنفا، و على الوجه المبين اعلاه، و نزع يده من ملكية المنشآت المذكورة و تسلمها بصفته متوليا عليها و نظمت هذه الحجة الشرعية، و سجلت تحريرا فى ٣-٥-١٩٦٤.

القاضى حسن الشميساوى

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٧٨

المدارس الحديثة

إشارة

ابتدأت فكرة فتح المدارس الحديثة و تلقى الدروس العصرية لأول مرة مع ابتداء القرن الرابع عشر الهجرى و لا نعرف قبل هذا التاريخ مدارس مقيدة بنظام الصفوف، و الامتحانات و الحصول على الشهادات التى تعين نوع التخصص، و تحدد درجاته، و كل ما نعرف ان اغلب العلوم الرياضية، و الاجتماعية و الفلسفية، كانت مما يعنى بها الكثير من طلاب العلوم الدينية الى جانب عنايتهم بالعلوم الدينية، و لكن الاقبال على ذلك و تلقيه كان اختياريا، و لم يكن له شأن كشأن العلوم الاخرى، و العلوم الادبية، حتى انبثق فجر القرن الرابع عشر الهجرى فكانت أول مدرسة نظامية فتحت فى النجف هى المدرسة الرشدية العثمانية.

المدرسة الرشدية العثمانية

هى مدرسة ابتدائية للعلوم العصرية فى النجف و كانت تقع فى البناية المتصلة بدائرة بريد النجف اليوم و التى كانت سرايا للحكومة فى السابق، و كانت تسمى باسم المدرسة الرشدية و قد تأسست فى نحو سنة ١٣٠٠ هـ و كان الاقبال عليها محدودا، و مقتصر على ابناء الذوات فقد كان الشائع بين

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٧٩

الناس ان جميع المتسبين لها من الطلاب ستجندهم الحكومة، و تستخدمهم ضباطا، و على رغم قدم هذه المدرسة فلم تكن تستطيع ان تقف الى جانب (المدرسة العلوية) التى تأسست بعدها بعدة سنين من حيث الدروس، و الاهمية، اذ لم تزد صفوف المدرسة الرشدية على ستة صفوف، و بقيت هذه المدرسة حتى قيام ثورة النجف فى وجه الحكومة التركية فى اثناء الحرب العظمى الاولى فنهبت رحلاتها و كتبها فى ضمن ما نهب للحكومة التركية من اثاث، و اسباب، و اندثرت.

المدرسة العلوية

و فى خلال السنوات الاولى من الربع الاول للقرن الرابع عشر الهجرى كان قد تسرب الوعى الجديد الى النجف، و التفت المدرسون

الى ما يقتضيه العصر من وسائل جديدة لاعداد النشء اعدادا يضمن له حياة جديدة به كانسان و سرعان ما جالت فكرة فتح مدرسة عصرية لتدريس العلوم الحديثة و اللغات الحية في صفوف تبدأ من الصف الاول الابتدائي الى نهاية الدراسة الاعدادية (الثانوية) على ان يجرى التفكير بعد ذلك في الاستمرار لكي تكون هذه المدرسة كلية على قدر ما يتسع المجال و تساعد الظروف و كان من أهم العناصر التي فكرت بهذا:

الشيخ محمد تقى الخليلي نجل الحاج ميرزا حسين الخليلي و الميرزا مهدي و الميرزا أحمد الخراساني نجلا الملا كاظم الاخوند، و السيد ابو القاسم الكاشاني الزعيم السياسي الايراني و السيد مهدي اللاهيجاني و الشيخ محمد المحلاتي، و الشيخ اسحق الرشتي و غيرهم.

و قد حصل هؤلاء على فتوى من الحاج ميرزا حسين الخليلي، و الملا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٨٠

كاظم الأخوند بانفاق الحقوق الشرعية على هذه المدرسة، ففتحت المدرسة باسم (المدرسة العلوية) لأول مرة في البيت الواقع في منتهى سوق الحويش، و تناول منهاج المدرسة جميع الدروس الحديثة من رياضيات، و اجتماعيات، بالاضافة الى اللغة الفرنسية و الانكليزية و التركية و الفارسية و العربية.

و استعانت هذه المدرسة ببعض الشيوخ من طلاب الدين و كان من بينهم بعض من درسوا في السوربون و جاءوا الى النجف ليتخصصوا في الفقه، و منهم من اكمل دراسته في الهند و في طهران و جاء الى النجف منتهجا الطريق الروحاني، و كان اول افتتاح هذه المدرسة سنة ١٣٢٥ هـ و استطاعت كما خططت لنفسها ان تكمل المرحلتين الدراسة الابتدائية و الثانوية و قد تخرج منها عدد ذوو ملكات و مواهب ملحوظة، و لكن وقوع الحرب العظمى الاولى و ما اعقبها من حوادث قد شتت هيئتها المؤسسة، ثم التحق مدرسوها باهلهم و اغلقت صفوفها العليا، ثم الصفوف الاخرى، و لم يبق منها غير صفين اوليين يديرهما بعض المعلمين الذين كانوا يتقاضون ثمن اتعابهم من اجور الطلاب، ثم استعان هؤلاء بوزارة المعارف الايرانية ثم قامت بعد ذلك الحكومة الايرانية بكل نفقاتها و اعتبرت مدرسة ايرانية رسمية، و هي اليوم ابتدائية و متوسطة. و عدد طلابها نحو ٨٠٠ طالب، و تعتبر اقدم مدرسة عصرية تأسست في النجف، و يقول الاستاذ عبد الله الفياض: «و كانت المدرسة العلوية فضلا عن مهمتها الثقافية بمثابة ناد ثقافي و سياسى اتخذ منه المشتغلون بالحركة الدستورية الايرانية مقرا لاعمالهم» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٨١

المدرسة المرتضوية

اسسها الميرزا عبد الرحيم (بلبله بادكوبه) و كان الميرزا عبد الرحيم على ما قيل من جملة الاعضاء المؤسسين للمدرسة (العلوية) ثم اختلف مع الاعضاء و اسس لنفسه مدرسة باسم المدرسة (المرتضوية) و اتخذ الدار المسماة بدار آل الفاضلي في محلة المشراق محلا للمدرسة و قد انضم اليه بعض الشخصيات التركية اشهرهم كان الشيخ ابو القاسم الماقداني من العلماء و كان ذلك في نحو سنة ١٣٢٧ هـ و قد استطاع هو الآخر ان يحصل على فتاوى العلماء بوجوب مساعدة هذه المدرسة. و لكن هذه المدرسة لم تستطع اللحاق بالمدرسة العلوية لعدم توفر المدرسين الكفاء لها و حين وقعت الحرب العظمى كان الميرزا عبد الرحيم يجوب الهند في الحث على مساعدة المدرسة و المكتبة التي اقامها بجانب المدرسة فحجز هناك باعتباره قفقاسيا و من رعايا الروس و أغلقت المدرسة، و كانت روسيا ترعى المدرسة المرتضوية و كان القنصل الروسى في النجف و هو ابو القاسم الشيرواني يتفقد هذه المدرسة و يطلب لها من الحكومة العثمانية امتيازات خاصة.

مدرسة الغرى الأهلية

لم تكن في النجف من المدارس الحديثة غير مدرسة ابتدائية واحدة باسم المدرسة الاميرية، و غير بقية مدرسة لم يبق منها غير الاسم و هي المدرسة (العلوية) ذات الصيت الكبير في ستيها الاولى نقول لم تكن هناك مدارس عندما فكر البعض في تأسيس مدرسة ليلية لمكافحة الامية ثم تأسيس مدرسة نهائية للصغار، فقد تألف جمع من الفضلاء و التجار و اسسوا مدرسة باسم مدرسة (الغرى) ثم ما لبثوا ان اتخذوا من القلعة التركية الواقعة الى اليمين من

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٨٢

الداخل من باب النجف الكبيرة و عند بداية محلة المشراق محلا لها و قد تأسست هذه المدرسة في سنة ١٣٤٠ هـ و اخذت مكانة مرموقة بين المدارس الابتدائية، و اسدت الى الاميين من الكبار في تدريساتها الليلية افضالا كبيرة، و بعد سنين عجزت الهيئة الادارية عن مواصلة العمل في هذه المدرسة فطلبت الحاقها بوزارة المعارف فألحقت بها و اصبحت ضمن المدارس الابتدائية الرسمية، و هي اليوم مدرسة ابتدائية ليلية و لها فضل السبق في مكافحة الامية في مدينة النجف.

مدارس منتدى النشر

و هذه اول جمعية دينية فكرت في تطوير الدراسة الدينية، و ادخال نظام الصفوف و الامتحانات في دراسة النجف، و هي (جمعية منتدى النشر) التي اسسها رهط من شيوخ الدين و فضلاء النجف لغرض الاخذ بالعلوم الحديثة إلزاميا الى جانب الاخذ بالعلوم الدينية، و جمعية منتدى النشر كانت ابعد غاية و اوسع غرضا من التعليم كما تدل عليها انظمتها و الاغراض العلمية و الثقافية التي انشئت لاجل تحقيقها، و لكنها اعطت جانب الدراسة اهمية كبيرة بعد ذلك و عنيت بها عناية جد فائقة، و حاولت أن تقوم بمشروع خطير ربما كان هو الاول من نوعه في تأريخ العراق، و هو فتح صفوف لتدريس خطباء المنابر، و اعدادهم اعدادا منهجيا صالحا، و قد شرعت فعلا بفتح صف لهذا الفن و بوشر بالتدريس ثم جوبهت بموجة من المعارضة الشديدة من قبل الخطباء الذين كانوا يابون الخضوع لمثل هذه القيود حتى استحالت تلك المعارضة الى مظاهرات و احتجاجات ما لبثت ان عصفت

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٨٣

بالفكرة و اغلق هذا الصف .

و بقى (المنتدى) يمشى في سائر الدروس و ييدا نحو عشر سنوات حتى استطاع ان يضع أول حجر في هذا الصرح الذي يعود له الفضل الاكبر في تطوير الدراسة و جعل العلوم الدينية تمشى جنبا الى جنب مع العلوم العصرية و قد قطع اليوم المنتدى اشواطا كبيرة في جميع مراحل الدراسة الابتدائية، و الثانوية، و الجامعية، و اصبحت له بنايات حديثة مستقلة و حظى من جانب المراجع الدينية بالتأييد الكامل و قد اصبح عدد طلابه في جميع مراحل الدراسة في زيادة مستمرة.

اما الناهض الاكبر بهذه المشاريع التي آتت اكلها اليوم فهو الشيخ محمد رضا المظفر و قد كان من العلماء المجاهدين و يعتبر مثالا للتضحية و الجهاد.

مدرسة المنتدى الابتدائية

وهي ابتدائية كاملة تأسست في سنة ١٩٤٩ و عدد طلابها يتجاوز الثلاثمائة طالب و تحمل اسم (مدرسة منتدى النشر الابتدائية الاهلية) وهي تعنى بالدروس الحديثه، و اللغة العربية، الى جانب الثقافة الدينية على مستوى المدارس الابتدائية و تحل هذه المدرسة احدى الدور الواسعة بالايجار.

مدرسة المنتدى الثانوية

وهي ثانوية كاملة الصفوف تأسست سنة ١٩٦١ م و تضم نحو ٢٥٠ طالبا
موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٨٤

و تحمل اسم (ثانوية منتدى النشر الاهلية المسائية) و تعنى بالاضافة الى المنهج المقرر للمدارس للثانوية الرسمية بدراسة شىء من الفقه و العقائد الاسلاميه و المنطق. و قد انشئت لها بناية خاصة جديدة مجهزة بالمختبرات و كل المقتضيات اللازمة للمدارس الحديثه.

كلية الفقه

وهي كلية تمنح خريجيها شهادة (البكالوريوس) في اللغة العربية و علوم الشريعة، و قد أجزت فتحها من وزارة التربية بتاريخ ٣٠-١١-١٩٥٨ و في تاريخ ٢٩-١٢-١٩٦٢ اعتبرت جامعة بغداد شهادتها شهادة جامعية اولية، و في ٩-٧-٩٦٣ صادق مجلس الوزراء على قرار الجامعة، و قرر تعيين خريجيها بالدرجة التي يعين بها خريجو كليات جامعة بغداد و تضم الآن اكثر من ٢٠٠ طالب مقسمين على خمس شعب، و يقوم بمهمة التدريس فيها عدد من العلماء و الاساتذة بالاضافة الى ثمانية محاضرين، ستة منهم بدرجة (دكتوراه). و في جامعة بغداد اليوم عشرة طلاب من خريجي كلية الفقه لدراسة (الماجستير) كما تضم أحد صفوف كلية الفقه في أثناء الامتحان موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٨٥

جامعة القاهرة عددا آخر من خريجي هذه الكلية لنيل الماستر و التخصص.

و تشغل كلية (الفقه) اليوم احدى بنايات جمعية منتدى النشر. و قد حصلت الجمعية على مساحات واسعة من الارض في طريق الكوفة لتشييد عليها الجامعة، و بذلك سيستغنى منتدى النشر عن ايفاد طلابه في المستقبل بعض أساتذة كلية الفقه و الطلاب، و يرى بينهم المؤسس الحجج (المظفر) و فياض، و الايرواني، و الحكيم، و بحر العلوم للتخصص، و يكون لجمعية منتدى النشر الفضل في تأسيس اول جامعة في النجف و تصدر جمعية المنتدى مجلة باسم مجلة النجف، و يصدر طلابها مجلة اخرى خاصة بهم.

مدرسة جمعية التحرير الثقافي

لقد شعر جمع من الافاضل ان النجف لا تستطيع ان تستغنى بمدرسة
موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٨٦

واحدة او اثنتين من المدارس التي تجمع بين العلوم الدينية و الثقافة العربية، و العلوم العصرية الحديثه، و رأوا من الحزم ان يعنوا بهذه الناحية ضمن ما يعنون به من خدمات ثقافية ادبية عامة، فتقدموا بطلب اذن بتأسيس جمعية باسم (جمعية التحرير الثقافي) و في سنة

١٩٤٥ حصل هؤلاء المؤسسون على الاذن بتأسيس هذه الجمعية، و في سنة ١٩٤٦ اى بعد تأسيس الجمعية بسنة واحدة فتحت اول مدرسة ابتدائية لهذا الغرض، ثم استطاعت الجمعية ان تحصل على قطعة ارض ما لبثت ان شيدت عليها جانبا خصته بادارة شؤون الجمعية، و جانبا اتخذت منه مدرسة جهزت باحدث الاثاث و اللوازم المدرسية. و وسائل الايضاح، و هى اليوم تضم ستة صفوف، و عدد طلابها نحو ٣٠٠ طالب و هم فى ازدياد سنة بعد اخرى.

و قد كانت للجمعية مجلة باسم (النشاط الثقافى) كانت وسيلة تبشير نشطة للاغراض الثقافية و خدمة الشعر و الادب و قد نالت هذه المدرسة و المجلة عطف الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء و تأييده مدة حياته.

صورة تاريخية للاحتفال بتدشين مدرسة جمعية التحرير الثقافى و يرى الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء مستندا الى الجدار و بجانبه الشيخ محمد جواد الجزائرى، و سيد العراقين، و الشيخ حبيب العادلى و السيد محمد الرفيعى و يرى بين الواقفين الأستاذ محمد صالح الجعفرى، و فى مقدمة الجالسين يرى الشيخ عبد الغنى الخضرى معتمد الجمعية

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٨٧

المدرسة الأميرية و المدارس الرسمية

و فى ايام الاحتلال البريطانى للعراق كانت اول مدرسة فتحت هى المدرسة الابتدائية الاميرية التى فتحتها نظارة المعارف يومذاك و كان مكانها خارج السور و فى احد الخانات من الشارع المتصل بالباب المسماة (باب الولاية الكبيرة) و كان ذلك فى نحو سنة ١٣٣٥ هـ و حين قامت ثورة العراق الكبرى اغلقت المدرسة و عادت بعد الثورة فاتخذت محل المدرسة (العلوية) الاول فى منتهى سوق الحويش باسم المدرسة الابتدائية الاميرية، ثم توسعت حركة المدارس الاميرية، و كلما ضاقت مدرسة بالطلاب فتحت مدرسة جديدة فى مختلف المحلات و اصبحت تسمى باسماء مختلفة تميزا لها.

و تعتبر (المدرسة الثانوية) اول مدرسة ثانوية فتحت فى العراق بعد بغداد و الموصل و البصرة، و لم تكن لهذه المدارس ابنية خاصة، فكانت تستأجر البيوت الصالحة نسيا لاتخاذها مدارس و حين وضعت وزارة المعارف تخطيطا لبناء المدارس العراقية شرعت تبني فى النجف بنايات خاصة لكل مدرسة من هذه المدارس، و تضم النجف اليوم و حتى هذا التاريخ من المدارس الاعدادية ما يلى:

١- اعدادية النجف للبنين، و عدد طلابها يزيد على ٨٠٠ طالب (محلّة

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٨٨

(الجديدة).

٢- ثانوية النجف للبنات، و عدد طالباتها يقارب ٥٠٠ طالبة (محلّة الجديدة).

٣- ثانوية نقابة المعلمين المسائية. (الجديدة)

اما المدارس المتوسطة فهى:

١- متوسطة الخورنق، و تضم نحو ٨٠٠ طالب (البراق).

٢- متوسطة السدير، و طلابها اكثر من ٣٥٥ طالبا (الجديدة).

٣- متوسطة الجمهورية، و تضم نحو ٤٠٠ طالب (الجمهورية).

٤- متوسطة الاحرار، و طلابها اكثر من ٤٠٠ طالب (الجمهورية).

- ٥- متوسطة الكندي، و طلابها اكثر من ٢٠٠ طالب (حي السعد).
- ٦- مدرسة صناعة النجف، و يزيد طلابها على ١٥٠ طالبا (الجديدة).
- ٧- متوسطة النجف للبنات، و عدد طالباتها اكثر من ٥٠٠ طالبة (محلّة الجديدة).
- ٨- متوسطة حي الامير للبنات، و عدد طالباتها اكثر من ٧٠ طالبة (حي السعد).
- ٩- متوسطة نقابة المعلمين المسائية، (البراق).

المدارس الابتدائية الرسمية للبنين

- ١- مدرسة الغفاري الابتدائية، الجديدة
- ٢- مدرسة التهذيب الابتدائية، الجديدة.
- ٣- مدرسة الامير الابتدائية، الجديدة.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٨٩
- ٤- مدرسة الطالبيّة الابتدائية، المشراق.
- ٥- مدرسة الرسول الابتدائية، الميدان.
- ٦- مدرسة المعرفة الابتدائية، (الميدان)
- ٧- مدرسة النعمان الابتدائية، (الميدان)
- ٨- مدرسة الصادق الابتدائية، (المشراق)
- ٩- مدرسة فلسطين الابتدائية، الجمهورية.
- ١٠- مدرسة الحيدرية الابتدائية، الجديدة.
- ١١- مدرسة الاستقلال الابتدائية، الجديدة.
- ١٢- مدرسة الفتوة الابتدائية، الجديدة.
- ١٣- مدرسة النضال الابتدائية، الجديدة.
- ١٤- مدرسة المستنصرية الابتدائية، الجديدة.
- ١٥- مدرسة الثورة الابتدائية، حي السعد.
- ١٦- مدرسة الاسكان الابتدائية، حي السعد.
- ١٧- مدرسة الوثبة الابتدائية، الجديدة.
- ١٨- مدرسة الشعب الابتدائية، الشوافع.
- ١٩- مدرسة البحر الابتدائية، البحر.
- ٢٠- مدرسة التوحيد المسائية الابتدائية، المشراق.
- ٢١- مدرسة التضامن المسائية الابتدائية، الجديدة.
- ٢٢- مدرسة الكرامة المسائية الابتدائية، الجمهورية.
- ٢٣- مدرسة النبراس المسائية الابتدائية، الجديدة.
- ٢٤- مدرسة الرشيد الابتدائية، (الجمهورية).

- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ١٩٠
- ٢٥- مدرسة وادي السلام الابتدائية، العمارة.
- ٢٦- مدرسة الوحدة الابتدائية، حي السعد.
- ٢٧- مدرسة التقدم الابتدائية، الجديدة.
- ٢٨- مدرسة المحمدية الابتدائية، الحويش.
- ٢٩- مدرسة الاماني الابتدائية، الحويش.
- ٣٠- مدرسة القادسية الابتدائية، الجمهورية.
- ٣١- مدرسة الجنائن الابتدائية، العمارة.
- ٣٢- مدرسة الغدير الابتدائية، المشراق.
- ٣٣- مدرسة الجهاد الابتدائية، الجديدة.
- ٣٤- مدرسة القاسم الابتدائية، الحويش.
- ٣٥- مدرسة جنين الابتدائية، الجمهورية.

أسماء مدارس البنات الابتدائية في النجف

- ١- مدرسة العصمة الابتدائية، المشراق.
- ٢- مدرسة الجزائر الابتدائية، العمارة.
- ٣- مدرسة سكينه الابتدائية، العمارة.
- ٤- مدرسة السعادة الابتدائية، الحويش.
- ٥- مدرسة الحرية الابتدائية، الحويش.
- ٦- مدرسة النهضة الابتدائية، الجمهورية.
- ٧- مدرسة الفضيلة الابتدائية، حي السعد.
- ٨- مدرسة الوطن الابتدائية، الجديدة.
- ٩- مدرسة الرسالة الابتدائية، الجديدة.
- ١٠- مدرسة أم الشهيد الابتدائية، -حي السعد- الحنانة.
- ١١- مدرسة الفراقذ الابتدائية، حي السعد- الاسكان.
- ١٢- مدرسة العرفان الابتدائية، الجديدة.
- ١٣- مدرسة القدوة المسائية الابتدائية، المشراق.
- ١٤- مدرسة المكاسب المسائية الابتدائية، الجديدة.
- ١٥- مدرسة الكمال الابتدائية، الحويش.
- ١٦- مدرسة الخنساء الابتدائية، المشراق.
- ١٧- مدرسة الزهراء الابتدائية، الجديدة.

- ١٨- مدرسة الحوراء الابتدائية، الجديدة.
- ١٩- مدرسة الرباب الابتدائية، الجديدة.
- ٢٠- مدرسة العفة الابتدائية، الجمهورية.
- ٢١- مدرسة الرياض الابتدائية، الجديدة.
- ٢٢- روضة اطفال النجف (مختلطة من البنين و البنات)، الجديدة.

عدد طلاب المدارس الدينية و المدارس المدنية

كان عدد طلاب المدارس الدينية في مد و جزر طوال الالف سنة السابقة تبعاً للحوادث و الاحوال السياسية و غير السياسية، فقد كان عدد طلاب العلوم الدينية قبل الحرب العظمى الاولى و في ايام الملا محمد كاظم الاخوند لا يقل عن ١٠ آلاف طالب، بينما هبط هذا العدد في ايام الحرب الى اقل من الف طالب على ما يقدر المطلعون، اما اليوم فيقدر اولو الخبرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٩٢

من الواقفين على ميزانية الانفاق في النجف بأن عدد طلاب العلوم الدينية لا يقل عن ٥ آلاف طالب.

اما طلاب المدارس المدنية في مدينة النجف فهم نحو ٢٦ الف طالب الى حد كتابة هذه السطور و في ضمنهم طلاب الابتدائية و المتوسطة و الثانوية من البنين و البنات، و هذا الاحصاء مستخلص من مستوصف المعارف في النجف و على اساس تلقيح الطلاب و قد اعتمدناه توخياً لصحة الاحصاء.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٩٣

اهم المصادر التي اعتمدها الكاتب

- ١- رحلة ابن بطوطة
 - ٢- الاحلام للشيخ علي الشرقي
 - ٣- حديث الجامعة النجفية محمد رضا شمس الدين
 - ٤- عنوان الشرف للشيخ محمد السماوي
 - ٥- ماضي النجف و حاضرها
 - ٦- الحصون المنيعة للشيخ علي آل كاشف الغطاء (مخطوط)
 - ٧- هكذا عرفتهم لجعفر الخليلي
 - ٨- جريدة الهاتف لجعفر الخليلي
 - ٩- محكمة شرعية النجف
 - ١٠- طبابة مدارس النجف
 - ١١- دراسة و تتبعات خاصة.
 - ١٢- مجلة الاعتدال
 - ١٣- مجلة العلم للسيد هبة الدين الحسيني
- موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٩٤

١٤- مجلة النشاط الثقافي

١٥- جريدة الراعي

١٦- تنقيح المقال في احوال الرجال

١٧- مجلة لغة العرب

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٩٥

مكتبات النجف القديمة والحديثة كتبه جعفر الخليلي**اشارة**

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٩٧

خزائن الكتب القديمة والمكتبات التاريخية

علاقة الثقافة بالكتاب و المكتبات كعلاقة الزراعة بالارض و الماء فكما ان الزرع لا يكون الا حيث تكون الارض و يكون الماء فان الثقافة و الحضارة لا تكونان الا حيث يكون الكتاب و تكون المكتبة، و تاريخ المكتبة و خزائن الكتب يرافق تاريخ الكتابة على وجه التقريب، و الكتاب كان و لم يزل الوسيلة الكبرى لنشر الثقافة و تيسير حياة الانسان و تهذيبه، و صقل افكاره، و اعداده للحياة اعدادا يكفل له استغلال ثمرات الطبيعة، و كنوزها لمنفعته و منفعة المجموع العام من المخلوقات، فهو خلاصة تجاربه، و تاريخ حياته، و قانون عيشه، و سلوكه في دنياه، و قد فهم الانسان قيمة الكتاب في حياته منذ ان اكتشف الكتابة و سخرها لاغراضه، و صار يعنى بالكتب و جمعها و ادخارها، و تكوين الخزائن الخاصة بها على قدر ما تستدعيه ثقافته المكتسبة في كل عصر من عصوره. و قد كشف المنقبون و علماء الآثار عن عدد جد كبير من هذه الخزائن، يرجع تاريخها الى ازمان بعيدة تجاوزت اربعة آلاف سنة!! حينما كانت هذه الكتب تكتب بالحفر على الطين غير المطبوخ او الاجر المطبوخ، فكان كل كتاب عبارة عن لوح او اكثر من اللوح المكتوبة، ثم بدأت تكتب

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٩٨

على البردي، و كانت هذه الخزائن او المكتبات معروفة، و موضع عناية خاصة من الملوك. و فيما ترك القدماء و على الاخص سكان العراق الاقدمين، و ما ترك الفرس، و المصريون، و الاغريق، و الرومان، و الهنود، و الصينيون نعرف مبلغ ما حظيت به المكتبات من الاهتمام، و قد دل التاريخ على ان عناية السومريين و البابليين و الآشوريين بصورة خاصة قد سبقت اية عناية اخرى في التاريخ القديم بالمكتبات، فالمعروف عن الآشوريين انهم كانوا كثيرى الاهتمام بتعلم القراءة و الكتابة على الاجر، و كان ملوكهم يعنون عناية خاصة بتعليم اولادهم القراءة و الكتابة على الآجر.

يقول الدكتور جيمس هنرى بريستد: ان (آشور بانيبال) حفيد سنحاريب و آخر ملوك الآشوريين كان يباهى بأن اباه الملك لم يقتصر في تهذيبه و تعليمه منظر عام للتنقيبات التي أجريت بتل حرم و عثر فيها على أكبر خزائن للكتب يرجع تاريخها الى ابتداء الألف الثاني قبل الميلاد

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ١٩٩

و هو صغير على استخدام وسائل الحرب و انما علمه الكتابة على الاجر و خرجه في علوم زمانه. و قد وجد الأثريون في مكتبة (اشور بانيبال) في نينوى اثنين و عشرين الف آجره بقيت مطروحة على ارض المكتبة مدة الفين و

خمسماية سنة، حتى نقلت الى المتحف البريطاني حيث لا تزال محفوظة، و هي في مواضيع مختلفة ما بين دينية، و علمية، و ادبية، جمعت و نسقت بأمر الامبراطور و هي اول مكتبة منظمة وجدت في آسيا فيما نعلم .

و بين عامى ١٩٥٩ - ١٩٦٠ عثرت التنقيبات الاثرية العراقية فى سهل (شهرزور) على مجموعة من ألواح الطين المنقوشة بالخط المسمارى باللغتين البابلية و السومرية يرجع تاريخها الى منتصف الالف الثانى قبل الميلاد، و قد اسفرت الدراسة عن ان هذه الالواح من اهم اصناف النصوص الكتابية فى العراق القديم.

يقول الدكتور طه باقر «و العادة ان مثل هذه الاصناف المهمة من النصوص لا يعثر عليها فى الغالب الا فى خزانات الكتب» .

و أجرت مديرية الآثار العراقية تنقيبات واسعة لعدة مواسم منذ سنة ١٩٤٥ فى (تل حرمل) الواقع فيما يسمى (بتل محمد) اليوم بالقرب من بغداد، فظهر ان اسمها (شاذويه) و معناها (خزانة الكتب)، و ان هذا الموقع بمثابة (اكاديمية) او جامعة تحتوى على عدة آلاف من الواح الطين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٠٠

التي تعد فى عداد الكتب، و هي فى مختلف اصناف العلوم و المعرفة، و ان من بين هذه الالواح ما يحتوى على اصول شريعة سبقت شريعة حمورابى الشهيرة بنحو قرنين من الزمان و هذا و غيره مما يدل على ان تاريخ المكتبات قديم، و ان نصيب العراق القديم منها كان نصيبا كبيرا جدا.

و قد اورد كوركيس عواد فى كتابه (خزائن الكتب القديمة فى العراق) اوسع دراسة عن المكتبات العراقية فيما قبل الميلاد و بعده و فيما قبل الاسلام و بعده، حتى العصور الاخيرة كان منها دراسة عن خزانة (نقر) التي احتوت على آلاف من الالواح فى مختلف العلوم الرياضية، و الطب، و الفلك، و التاريخ، و خزانة (دريهم) بالقرب من (نفر) و خزانة مدينة ادب الواقعة هى الاخرى بالقرب من نفر و التي تم الكشف عليها فى غرفة واسعة تكدست فى ارضها الالواح، و خزانة (سپار) و قد قيل ان عدد الالواح الطينية المكتوبة التي عثروا عليها فى سپار و التي تعتبر بمثابة الكتب كان يتراوح بين ٤٠،٠٠٠ - ٥٠،٠٠٠ لوحة، و خزانة (الجمجمة) بالقرب من مدينة الحلة، و خزانة (كيش) الواقعة بالقرب من الحلة ايضا، و خزانة (تلو) الواقعة فى الضفة الشرقية من شط الحى و التي يرجع تاريخها الى ٤٥٠٠ سنة و قد وجدوا فيها ما لا يقل عن ٣٥ الف لوح من الكتب، و خزانة (الوركاء) فى جنوبى العراق، و خزانة (نوزى) بالقرب من كركوك، و خزانة (المدائن) عاصمة الفرس الساسانيين فى العراق .

و حين غزا الاسكندر بلاد ايران عثر على خزائن من الكتب فى (اصطخر)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٠١

العاصمة فاستنسخها و احرقها، و مع ذلك فقد عثر فى اوائل القرن الرابع للهجرة على مخابىء غاصة بالكتب الفارسية باللغة الفهلوية القديمة .

و قد بلغ من العناية بالكتب و المكتبات ان كان يخصها اصحابها باهتمام كبير للمحافظة عليها من الرطوبة و الارضة، او اية حالة من حالات التلف، و قد روى ابن النديم فى الفهرست: «قال ابو معشر فى كتاب اختلاف الزيجات، ان ملوك الفرس بلغ من عنايتهم بصيانة العلوم و حرصهم على بقائها على وجه الدهر، و اشفاقهم عليها من احداث الجو، و آفات الارض ان اختاروا لها من المكاتب اصبرها على الاحداث، و ابقاها على الدهر، و ابعدها من التعفن و الدروس لحاء شجر الخدنك، و لحاؤه يسمى التوز، و بهم اقتدى اهل الهند و الصين و من يليهم من الامم فى رقيم طين يتضمن قوانين تسبق شريعة حمورابى بقرنين و قد اكتشف فى تل حرمل و هو جانب من كتاب من كتب تلك العصور

ذلك، فلما حصلوا لمستودع علومهم اجود ما وجدوه فى العالم من المكاتب، طلبوا لها من بقاع الارض اصلحها تربة، و اقلها عفونة، فكانت اصفهان، و لما كان قبل زماننا هذا بسنين كثيرة تهدمت من هذه المصنعة ناحية فظهروا فيها على أزج معقود من طين الشقيق،

فوجدوا فيه كتباً كثيرة من كتب الاوائل مكتوبة كلها في لحاء التوز مودعة اصناف علوم الاوائل بالكتابة

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٠٢

الفارسية القديمة» .

وقال ابن النديم «اخبرني الثقة انه انهار في سنة ٣٥٠ هجرية أزع آخر لم يعرف مكانه لانه قدر في سطحه انه مصمت الى ان انهار و انكشف عن هذه الكتب الكثيرة» وقال ابن النديم انه رأى هو نفسه ان ابا الفضل ابن العميد قد انفذ في سنة نيف و اربعين كتباً منقطعة اصيبت باصفهان في سور المدينة في صناديق و كانت باليونانية.

و كان كسرى انوشروان قد اسس (بجنديسابور) - و هي المدينة التي بناها سابور مدرسه للطب - مكتبة حفلت بعدد كبير من الكتب باللغات اليونانية، و الفارسية، و السريانية.

جاء في الجزء الاول من (ضحى الاسلام) منقولاً عن طيفور «قال يحيى بن الحسن اني (بالرقه) بين يدي محمد بن طاهر بن الحسين على بركة اذ دعوت بغلام له فكلمته بالفارسية فدخل العتابي - و كان حاضراً في كلامنا - فتكلم معي بالفارسية فقلت له: ابا عمرو، ما لك و هذه الرطانة؟

قال فقال لي: قدمت بلدتكم هذه ثلاث قدمات، و كتبت كتب العجم التي في الخزانة (بمرو) و كانت الكتب سقطت الى ما هنالك مع (يزدجرد) فهي قائمة الى الساعة» .

و كانت للكتب منزلة سامية في اليونان فكان في مكاتب اهل الادب (بأثينة) مؤلفات هوميروس و سائر مشاهير الشعراء القدماء مخطوطة على

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٠٣

دروج مستطيلة من ورق البردي يبلغ طول الواحد منها مائة و خمسين او مائة و ستين قدماً، فكان الاثيني المتعلم، يجلس امام الدرج و يطالع كما كان يفعل المصري قبله بزم طويل و فضلاً عن الكتب التي كانت تحفظ في المكاتب اخذ الكتاب ينشرون كتباً اخرى و تعتبر المكتبة اليونانية من اقدم مكتبات العالم القديم اذ يرجع تاريخها الى القرن السادس قبل الميلاد .

خارطة منقولة عن رقيم طيني تصور خريطة العالم و يرجع هذا الكتاب الى القرن السادس ق. م

و يقول بروكلمن «ان الجزيرة و العراق كانا منذ ايام الاسكندر متأثرين بالحضارة اليونانية و كان في الاديار السريانية كثير من الكتب المترجمة لا في الآداب النصرانية وحدها بل كان من ذلك ايضا تراجم لمؤلفات ارسطو، و جالينوس، و بقراط، اذ كان هؤلاء محور الدائرة العلمية في ذلك العصر» .

و هنالك عدد غير قليل من المكتبات القديمة في مختلف هذه الجهات مما يشير اليها المؤرخون كمكتبة القسطنطينية التي انشئت سنة ٣٣٦ ميلادية و غيرها و كانت مكتبة الاسكندرية من اشهر المكتبات الوارد ذكرها في

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٠٤

التاريخ و قد اسسها الملك بطليموس سوتير، و جلب لها من نفائس الكتب و ذخائر القرائح الشيء الكثير، و يقول المؤرخان (لوجيل) و (اميان مارسيليان) انه كان بمكتبة الاسكندرية سبعماية الف مجلد في العلوم المختلفة و قد احترقت هذه المكتبة عند هجوم قيصر الرومان عليها ثم تجدد تأسيسها، ثم تلاشت مرة اخرى في نحو السنة (٢٩٠) ق. م ثم اعيدت مرة اخرى في اوائل القرن السادس الميلادي و عند الفتوح الاسلامية وقع المتتبعون و الباحثون عن الكتب على طائفة من الكتب اليونانية، و السريانية، و الفارسية، دلت على وجود عدد من المكتبات العامرة، و كان للسريان فيما بين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم السريانية، و اليونانية، اشهرها مدرسة الرها، و قنسرين، و نصيبين. و كانت هذه المدارس تتبعها مكتبات و كانت الديارات المسيحية في العراق خاصة مشحونة بالكتب في مختلف العلوم، فقد كان لكل دير من الديارات المشهورة مكتبة عامرة و هذا ما كانت تفضي به انظمة الديارات،

و من اشهر خزائن الكتب فى هذه الديارات خزانه (دير متى)، و كان لدير متى هذا الواقع بالقرب من الموصل خزانه حافله بالكتب ازدادت اهميتها فى المائه السابعة للميلاد، و خزانه دير ميخائيل الواقع فى اعلى الموصل، و خزانه (دير مار بهنام)، و قد اسست هذه الاديره فى القرن الرابع الميلادى، و هنالك خزانه دير (الربان هرمزد) الذى اسسه هرمزد الراهب الفارسى النسطورى فى المائه السابعة للميلاد و قد اجتمع فى خزانه هذا الدير شىء كثير من المصنفات الموضوعه باللغه الآراميه و غيرها من خزائن الكتب الملحقه بالديارات .

موسوعه العتبات المقدسه، ج٧، ص: ٢٠٥

و ان الكثير من هذه المكتبات القديمه التى استعرضناها هنا قد صارت بعد الفتوحات الاسلاميه نواه للمكتبات الاسلاميه حتى اذا مر قرنان او اكثر قليلا- كانت المكتبات الاسلاميه افخم، و اكبر، و اوسع، من ايه مكتبات اخرى فى عصرها، و عن طريق المكتبات الاسلاميه انبعثت حركه قيام المكتبات بصورة واسعه فى جميع الاقطار، و كان للمكتبه الاسلاميه شأن كبير فى فتح باب الثقافه لاول مره فى وجه العالم.

موسوعه العتبات المقدسه، ج٧، ص: ٢٠٦

المكتبات الاسلاميه القديمه فى العراق

و حين ابتدأت الفتوح الاسلاميه و توغل الاسلام فى العراق و بلاد الشام، و اقبل سكان البلدان المفتوحه يدخلون فى الاسلام، و يقبلون على تفهم التعاليم الاسلاميه، و تتبع نصوص الايات القرانيه، اشتدت الحاجه الى معرفه اللغه العربيه، و قواعدها، و التعمق فى التفسير، و ضبط الكلمات و لهجتها، بسبب ابتعاد العرب عن الجزيره و بسبب هذا الاختلاط الحاصل بين العرب و بين الشعوب الداخلة فى الاسلام، و زادت حاجه الاعاجم الى التمعن فى اللغه العربيه. و آدابها، كلما اتسعت رقعته الاسلام، و تغلغت التعاليم الاسلاميه فى الاوساط، لعلاقه هذا الادب بنصوص الشريعه و تعاليمها، و لعل الدين الاسلامى هو الدين الوحيد الذى لا يمكن الاحاطه به و معرفه اتجاهاته و مراسيمه عن غير طريق الادب.

و كان المسلمون عند فتحهم العراق قد اتخذوا من موقع البصره و الكوفه مقرا لهم، فابتدأت حركه مدارس اللغه، و الادب، و الشعر، و التفسير، و تدوين اللغه العربيه، و ضبطها فى هذين البلدين، و قد كان لنزول الامام على (ع) مدينه الكوفه شأن كبير فى انعاش الحركه الادبيه فى الكوفه، و البصره، بالنظر لتفرده بين الخلفاء الراشدين، و ائمه الآداب العربيه،

موسوعه العتبات المقدسه، ج٧، ص: ٢٠٧

بزعامه الادب و ما عرف به من الملكات، كملكه الخطابه، و ملكه الشعر، و ملكه الانشاء، و الفقه، و استنباط الاحكام، و راحت البصره و الكوفه تلتفان من عرب الباديه الكلمات، و تعنى بضبطها، و تدوينها، و قد حدث بين هاتين المدينتين من التنافس فى المدارس، و التتبع، ما ادى الى الاختلاف فى كثير من القواعد العربيه، و كان ابو الاسود الدؤلى قد وضع حينذاك قواعد علم النحو فزاد الاختلاف بين البلدين فى تطبيق هذه القواعد، و ادى الى اتجاهين معاكسين فى طرق دراسه الادب و التفسير، مما استوعب اسفارا كثيره فى مباني الكلم، و مفردات اللغه، و قواعد النحو، و ذكر ابن النديم فى الفهرست ما شاهده بعينه فى عرض كلامه فى خزانه كتب اطلعه عليها احد جماعى الكتب فكان فى جمله ما فيها قمطر كبير فيه نحو ٣٠٠ رطل جلود فلجان، و صكاك، و قرطاس مصرى، و ورق صينى، و ورق تهامى، و جلود ادم، و ورق خراسانى، و بينها اربع اوراق قال: «احسبها من ورق الصين ترجمتها: هذه فيها كلام فى الفاعل و المفعول من ابى الاسود رحمه الله عليه بخط يحيى بن يعمر، و تحت هذا الخط بخط عتيق: هذا خط علان النحوى و تحته: هذا خط النضر بن شميل، ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر»

فالذين نقلوا اللغه و أساليبها عن القبائل و اثبتوها فى الكتب، و صيروها علما؛ هم اهل البصره و الكوفه و كان أكثر المشتغلين فى جمع

اللغة و آدابها، هم العجم لحاجتهم الى ذلك اكثر من العرب.

أما اقدم الذين عنوا بجمع مفردات اللغة و الادب، و اشهر العلماء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٠٨

القراء و ائمة الادب فقد كان عمرو بن العلاء التميمي في الكوفة، و تعتبر مكتبته اول مكتبة اسلامية عربية في الكوفة، و قد توفي في منتصف القرن الثاني للهجرة، و قد درس عليه عدد من اشهر ائمة الادب و اللغة، اما مكتبته فقد روى المؤرخون عنها انها كانت تملأ بيته الى قرب السقف و مع ذلك فقد قال هو:

«ما انتهى اليكم مما قالت العرب الاقله، و لو جاءكم و افرا لجاءكم علم و شعر كثير» .

و اشتهرت البصرة و الكوفة بما اخرجتا في القرن الثاني و ما بعده من علماء افاض، كان لكل منهم شأن كبير في عالم التأليف و العلم، و الشعر، و الادب، كالخليل بن احمد، و عبد الله بن المقفع، و الاصمعي، و ابو عبيدة، و سيويه، و الكسائي، و غيرهم فكثرت الكتب، و كثرت المكتبات في هذين البلدين، و حين قامت دولة العباسيين و اتخذت بغداد عاصمة لها، كثرت الى جانب كتب التفاسير، و الرواية، و اللغة، و الادب، كتب الترجمة من الفارسية و اليونانية، و نشطت حركة التأليف و الترجمة، و عظمت صناعة الورق، و تبع ذلك ظهور حرفه الوراقه، و وجود أمكنة للوراقين، تتخذ مباءة للعلماء و الأدباء يتزودون منها العلم و المعرفة، فبدأ وجود المكتبات يكثر و يزخر بالكتب بحيث أدى سقوط رف من الكتب على رأس الجاحظ فمات.

و قد بلغ من العناية بالكتب و المكتبات، ان عدد ابن النديم في الفهرست طائفة من اسماء الخطاطين، و الناسخين، و الوراقين، و مجلدى الكتب،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٠٩

و مذهبها في العراق، و قد عنى كوركيس عواد في كتابه (خزائن الكتب القديمة في العراق) فأورد بحثا كافيا عن الوراقه و الوراقين و صناعة الكتب و مادتها.

و لقد قيل ان أكثر هذه المكتبات التي قامت ببغداد كان يتجاوز عدد مجلداتها مئات الالوف، و تجاوز بعضها مليون مجلد. اعظمها كان للخلفاء العباسيين، و اصبحت المكتبات التي تضم الواحدة عشرات الالوف من المجلدات كثيرة، و تعد بالعشرات للامراء، و الوزراء. و العلماء، من المسلمين و غير المسلمين و العرب، و غير العرب، و اصبحت اقتناء الكتب من علامات الحضارة، يتسابق اليها اصحاب الاموال، و طلاب الشهرة، و ان كانوا من غير اهل العلم، و انما يتفاخرون باقتنائها و يبالغون في اتقان خطها، و تزيين جلودها و زخرفتها، و يتنافسون في استخدام النساخ الماهرين في ذلك.

و يضيف جرجي زيدان الى هذا فيقول: «على ان هذه الخزائن - خزائن الكتب - كان بعضها خاصا باصحابه او من يأذنون لهم من اصدقائهم في الاطلاع عليها، و بعضها كان عاما انشئ لخدمة طلاب الاستفادة من الادباء و غيرهم، و اكثر المكتبات العامة انشأها الخلفاء او غيرهم من الملوك مثل بيت الحكمة» .

و (بيت الحكمة) هذا اكبر مكتبة عرفت في عصرها على ما روى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢١٠

المؤرخون و قد تسمى (بخزانة الحكمة) و الغريب في امر هذه المكتبة ان ما نقل عنها في الكتب لم يكن كافيا ليلقى عليها ضوء الا من حيث منشؤها، و انما من حيث ماهيتها، ا كانت هي معهدا؟ ام مرصدا؟ ام مدرسة؟

ام مكتبة؟ و كل ما قال عنها المؤرخون لم يتجاوز الاحتمالات و الاستنتاجات، سوى انها من المتفق عليه انها اكبر مكتبة اذا كانت مكتبة في عصرها، تزخر بمختلف العلوم، و ان منشؤها على اغلب الظن انه هرون الرشيد، و قد كان لخزانة الحكمة رئيس و موظفون، و كان فيها كتاب و مترجمون ينقلون الكتب الفارسية و اليونانية الى العربية و هي اول مكتبة اسلامية، عربية، عامة، في التاريخ.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢١١

دور الكتب العامة في العصور العباسية ببغداد

و بلغ ازدهار العلم و الادب في بغداد القمة في العصر العباسي، و قد وجه العباسيون عناية كبرى الى الكتب و المكتبات، و لا سيما المأمون منهم، فتأسست مكتبات عامة يرتادها العلماء، و المؤلفون، و الادباء، في كثير من المحلات العامة، و في المدارس، و المساجد، فضلا عن المكتبات الخاصة التي كان يمتلكها البعض، و يقصرها على نفسه، و اهل بيته، و قد بلغ من الاهتمام بالمكتبات ان صار لكل خليفة من الخلفاء العباسيين مكتبة عرفت باسمه في بغداد، و انا نورد هنا عرضا باسماء دور العلم ببغداد و هي دور الكتب العامة في العصور العباسية، دون الخاصة منقولة من (دليل خارطة بغداد المفصل) للدكتور مصطفى جواد، و الدكتور احمد سوسة:

- ١- بيت الحكمة او دار الحكمة بالجانب الغربي.
- ٢- دار العلم السابورية بين السورين بالجانب الغربي من بغداد.
- ٣- دار علم الشريف المرتضى بالجانب الغربي
- ٤- دار علم حبشي بن معز الدولة.
- ٥- دار علم غرس النعمة بن الصابي بالجانب الغربي
موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢١٢
- ٦- دار علم ابن العلقمي بالجانب الشرقي.
- ٧- دار علم ابن المارستانيه بالجانب الشرقي
- ٨- دار علم المدرسة النظامية بالجانب الشرقي.
- ٩- دار علم دار المسناة بالجانب الشرقي.
- ١٠- دار علم المدرسة المستنصرية بالجانب الشرقي.
- ١١- دار علم الشريف الزيدي بالجانب الشرقي.
- ١٢- دار علم السيدة زمردة خاتون في تربتها بجوار معروف الكرخي بالجانب الغربي.
- ١٣- دار علم رباط المأمونية بالجانب الشرقي
- ١٤- دار علم (التربة السلجوقية) بالجانب الغربي.
- ١٥- دار علم (الرباط السلجوقي) بالجانب الغربي.
- ١٦- دار علم مشهد ابي حنيفة بالجانب الشرقي.
- ١٧- دار علم المدرسة البشيرية بالجانب الغربي.
- ١٨- دار علم الناصرية بالنظامية بالجانب الشرقي.
- ١٩- دار علم ابن القصاب بالجانب الشرقي .

و يقول المؤلفان: «و لم نذكر دور العلم الخاصة اى خزائن كتب الافراد التي لا تنتفع بعلمها العامة من الامة فانها لم تبلغ ان تسمى دور علم».

و كل مكتبة من هذه المكتبات العامة حوت آفا مؤلفه من الكتب النفيسة العامة، و النادرة الخاصة، فما ورد عن مكتبة الوزير ابن العلقمي مثلا

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢١٣

قول ابن الطقطقي:

«حدثني ولده شرف الدين ابو القاسم علي - ح - (اي ابن الوزير العلقمي) قال اشتملت خزانه والده على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب» و جاء في حوادث سنة ٦٤٤ من كتاب الحوادث «و فيها فتحت دار الكتب التي أنشأها الوزير مؤيد الدين بن العلقمي في داره و نقل اليها كتبها في انواع العلوم» و جاء في آخر كتاب (الموشح) للمرزباني ص ٣٨١ «و نقلته من نسخة الوزير محمد بن العلقمي و عليها خطه، و هي بخط الناسخ محمد بن علي يعرف بالنقاش» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢١٤

مكتبات النجف القديمة

ذهب بعض المؤرخين الى ان تاريخ النجف العلمي يبدأ مع ابتداء السكن اي منذ القرن الثاني الهجري او بعده على الاقل، بدليل ظهور بعض الاجازات العلمية بالاجتهاد التي يرجع تاريخها الى القرن الرابع، و بدليل وجود خزانه للكتب في النجف كان ممن عنى بها عضد الدولة البويهى المتوفى سنة ٣٧٢ هـ و بدليل ما استنتج البعض من احتكاك النجف بالكوفة منذ أول تمصير النجف و سكانها، و من هؤلاء الشيخ علي الشرفي الذي يقول: «ففي القرن الثاني للهجرة بدأت العمارة و التشييد لمدينة النجف تدريجيا، فانقلت المدرسة من الكوفة اليها، و بقيت الكوفة تصب في بحر النجف، و من بداية القرن الثالث للهجرة ظهرت شخصيات علمية في النجف، مثل شرف الدين ابن علي النجفي، و احمد بن عبد الله الغروي، و ابن شهریار.

و قد يدل علي وفرة طلاب العلم في النجف كثرة ما بذله عضد الدولة في القرن الرابع علي علماء النجف و فقهاءها» .

اما الامر الذي لا شبهة فيه فهو ان تاريخ النجف العلمي قد بدأ في منتصف

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢١٥

القرن الخامس الهجري، علي اثر هجرة الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن ابن علي بن الحسن الطوسي المعروف (بشيخ الطائفة)، فقد كان الشيخ الطوسي قد انفرد بزعامه الشيعة في بغداد بعد وفاة الشريف السيد المرتضى، و كان للشيخ الطوسي مكان مرموق في الاوساط العلمية، و كان له كرسى للبحث و الدرس، و كانت داره في الكرخ مأوى الرواد و المتبعين من رجال العلم و التأليف، و قد بلغ من العظمة و الرفعة العلمية ان صارت عدة تلاميذه الذين يحضرون بحته و كلهم من المجتهدين نحو (٣٠٠) مجتهد!! و حين حدوث الفتنة بين الشيعة و السنة و استفحال امرها في ايام طغرل بك اول ملوك السلجوقيين الذي ورد بغداد سنة ٤٤٧ هجرية، و الذي شن علي الشيعة حملة شعواء هاجر الشيخ الطوسي الي النجف بعد ان نهب بيته و أحرقت كتبه.

قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٩: «و في صفر من هذه السنة كبست دار ابي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ، و اخذ ما وجد من دفاتره و كرسى كان يجلس عليه للكلام، و اخرج الي الكرخ و اضيف اليه ثلاثة سناجيق بيض كان الزوار من اهل الكرخ قديما يحملونها معهم اذا قصدوا زيارة الكوفة فاحرق الجميع» .

و كانت للشيعة ببغداد مكتبة انشأها (ابو نصر سابور ابن اردشير) وزير بهاء الدولة البويهى، سنة ٣٨١ هـ بين السورين في الكرخ، و كانت هذه المكتبة أهم المكتبات علي الاطلاق بالنظر لما كانت تحتوي عليه من كتب

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢١٦

قيمة منفردة، فقد جمع لها هذا الوزير الكتب من مختلف الجهات و الاماكن من العراق، و فارس، و الهند، و الصين، و الروم علي ما ذكر محمد كرد علي .

و قد جاء في المنتظم: ان محتوياتها لم تقل عن عشرة آلاف مجلد، و كان فيها مائة مصحف بخطوط بني مقله، و قد ضمت نوادر الكتب و اعلاقتها، و من ذلك نسخة من ديوان عدى بن زيد، الي مئات من الكتب التي انفردت بها هذه المكتبة السابورية التي قد

تسمى (بدار العلم) ايضا.

و كانت هذه الدار موثلاً للعلماء و الباحثين يترددون اليها للدرس و المناظرة و المباحثة و من اشهر روادها كان الشاعر الفيلسوف ابو العلاء المعري فقد طالما ذكرها و ذكر بعض القائمين على امرها، و آثر الاقامة بها يوم كان ببغداد .

و كان جماعة من العلماء يهدون مؤلفاتهم لهذه الخزانة و كان اكثرها بخطوط المؤلفين انفسهم، قال ياقوت الحموي: «و بها خزائن الكتب التي اوقفها الوزير ابو نصر سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة و لم يكن في الدنيا احسن كتبها منها، كانت كلها بخطوط الائمة المعتمدة و اصولهم المحررة» .

و كان يشرف على هذه المكتبة و يتعهدا عدد من كبار الرجال و ائمة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢١٧

العصر، و قد اورد التاريخ اسم الشريف المرتضى ضمن المعنيين بهذه المكتبة، و قد اكثر المؤرخون من ذكر هذه المكتبة، و ما تحتوى عليه من نفائس المخطوطات، التي مثلت اكبر مجموعة من مختلف الثقافات، و قد امر طغرلبك باحراقها ، فضاعت بذلك ثروة لا تعوض من العالم الاسلامي، و العالم العربي، و العالم الشيعي خاصة، فكان لا بد اذن من ان تتجه الفكرة بعد انتقال الشيخ الطوسي الى النجف و اتخاذها مركزا علميا، الى التعويض عن تلك الخسارة الجسيمة التي سببها احراق المكتبة السابورية، فكان هذا مبدأ انتعاش المكتبة التي يسميها البعض (بالمكتبة العلوية) و البعض (بالمكتبة الحيدرية) و البعض الآخر (بمكتبة الصحن الشريف) في النجف، و هي المكتبة التي قيل ان تاريخ تأسيسها يرجع الى القرن الثالث او ما بعده على الظن القريب.

و بانتقال الشيخ الطوسي إمام الشيعة في عصره الى النجف انتقل النتاج الفكري من جميع المدن الاسلامية الشيعية لغرض التلمذة على منبر النجف، و هاجر الجمع الغفير من سائر الاقطار الشيعية، بالادب و مواعين الأدب على حد تعبير الشيخ على الشرقي، فأوجدوا في النجف حركة فكرية تمتاز عن الحركة الفكرية في أمهات المدن العراقية، و كانت المكتبات و ما بدأت تجمع من الكتب النادرة، من أعظم أحداث الثقافة، و اهم ما تتميز به النجف، حتى لقد ندر ان يكون هنالك عالم ديني دون أن تكون له مكتبة خاصة، تحتوى على الكثير او القليل من نوادر الكتب الخطية الفريدة.

يقول الدكتور صالح احمد العلي «... و بدأت العناية الشعبية و الرسمية

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢١٨

في حفظ التراث و منعه من التسرب، و قامت محاولات متعددة لجمع المخطوطات و صيانتها في مكتبات عامة موحدة يتاح للراغبين فيها القراءة و البحث، و اظهر تلك المحاولات هي التي قام بها نفر من (الغيورين) و العلماء في النجف و البصرة لهذا الغرض» .

و لقد بلغ من شأن الكتاب و حتى الكتاب (العادي) ان يتقبله البزاز، و البقال، و غيرهما، رهينة عن مبلغ ربما تجاوز ثمنه اضعافا مضاعفة، و كثيرون اولئك الذين رهنوا مكتباتهم كلها أو بعضها في الأجيال- الماضية للخروج من ضائقة مالية كبرى .. و انحصرت الثروة الكبيرة- ان جاز ان تسمى ثروة- عند هذه الطبقة من أهل العلم، و البحث، و الدرس بالكتب، فراجت تجارتها، و راح يطوف تجار الكتب في أغلب الأقطار الاسلامية كالهند، و ايران، و يجمعون الكتب النادرة الفريدة و غير الفريدة، من المخطوطات القديمة فيأتون بها الى النجف و يزفون البشارة الى هواة الكتب، و العلماء، و الأدباء، بما احتوى عليه تطوافهم من نفائس الكتب، و نوادرها قبل وصول الصناديق، أو قبل فتحها، فيستعد الشراؤون للشراء، قبل وصول البضاعة بأيام، و من الذين عرفوا بمثل هذه التجارة في الحقبة الأخيرة كان آل الدشتي، و آل زاهد، و آل العاملي، و آل الشيخ صادق الكتبي، و كان هذا أشهرهم.

و قد التزم الوراثة حين يموت المورث من أصحاب الكتب و الخزائن بالمحافظة على المخلفات من هذه الكتب، و رعايتها، فلا يفرطون فيها إذا كان الوارثون من أهل العلم و المعرفة ما لم تكن هنالك حالة اضطرارية ترغمهم على اقتسام

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢١٩

هذه الكتب، او يبيعها، فاذا ما اضطروا لبيع كتبهم نزلوا بها الى سوق (المزاد) و سوق (المزاد) هذا سوق خاص بالكتب، يقام في كل يوم خميس، و يوم جمعة، من كل اسبوع، و هما اليومان اللذان تعطل فيهما الدراسة في النجف، فينتهز باعة الكتب هذه الفرصة، و ينزلون بالكتب التي يعهد اليهم ببيعها الى السوق، و تبدأ المزايمة من قبل الاساتذة و شيوخ العلم، و الهواة، و الطلاب، و لم يزل هذا السوق قائما منذ العصور القديمة حتى اليوم،

و عرفت النجف في عصرها الاخير جماعة من العلماء عدوا حججا في معرفة الكتب النادرة من المخطوطات و قيمتها، و قد كسب هؤلاء من الشهرة ما استدعى ان يذكرهم التاريخ الحديث كخبراء بالكتب، و مؤلفيها، خبرة ابن النديم، و قد ادرك جيلنا منهم الشيخ علي كاشف الغطاء، و الشيخ محمد السماوي، و السيد جعفر بحر العلوم، و الشيخ عبد الحسين الحلبي، من المتوفين، و من مشاهير اهل الخبرة من الاحياء اليوم الشيخ اغا بزرك، و الشيخ محمد رضا فرج الله.

و في يوم (المزاد) تتجه الانظار كلها الى الخبراء الذين يعرفون قيمة الكتب النادرة و المخطوطات، و خطاطيها، فينافسونهم في شراء الكتب التي يحاول هؤلاء الخبراء شراءها، لذلك كثيرا ما اضطروا هؤلاء الخبراء للاستعانة ببعض لشراء الكتب التي يبيعونها لهم، و هم يجلسون عن كتب منهم خوفا من منافسة الجهلة التي قد تسبب ارتفاع ثمن الكتاب اكثر من ثمنه المتعارف.

و يقول جرجي زيدان «و في النجف عادة قديمة لا توجد في سواها من بلاد العراق و هي انه في كل نهار خميس، و جمعة، تقوم سوق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٢٠

تعرض فيها الكتب، و تباع في المزايمة، فمنها ما يباع بثمن بخس و هو ثمين، و منها ما يباع بثمن غال و هو لا يساوي فلسا، و ما ذلك الا من جهل البعض و دراية البعض الآخر و ذكائهم في مشتري المصنفات» .

و كثيرا ما تعرض في سوق (المزاد) هذا رزم من اوراق و كتب و كراريس مشدود بعضها الى بعض، فينزلها من (يدلّل) بالكتب و ينادى عليها في ميدان البيع باسم (الصفقة) و ينادى عليها بصوت عال قائلا: «انها صفقة لا تباع الا جملة واحدة على كل عيب شرعي» و كثيرا ما يعثر المشترون في هذه (الصفقات) على نفائس لا تثنى من الموثيق التاريخية، و الكتب المفقودة، و النصوص الضائعة.

و لم يكن الانتقال في العصور السابقة من بلد الى آخر خصوصا اذا كانت المسافة شاسعة بالامر الهين اليسير، لذلك فان الكثير ممن يكون قد انهى دراسته، و راهق الاجتهاد، و ازمع النية على العودة الى بلده، انزل كتبه الى سوق المزاد، و باعها، او انه وقفها على طلاب العلم و المعاهد فصار الكتاب الذي يدخل النجف لا يخرج منها الا نادرا و في حالات استثنائية، فتوسعت مكتبة النجف و صارت المخطوطات النادرة، سواء من المصاحف الفنية، او الكتب التاريخية، او الدينية، و الادبية، و الكراريس في زيادة مستمرة جعلت مكتبات البيوت، و المكتبات العامة، تزخر بها و تنمو يوما بعد يوم.

يقول جرجي زيدان عن مكتبات بغداد «هي ام المكتبات الا ان كتب النجف اقدم خطأ و اندر وجودا، و اتقن كتابة، و موضوعاتها مختلفة» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٢١

و تاريخ المكتبات النجفية، لم يعرف مكتبة عاشت اكثر من ١٠٠ - ١٥٠ سنة باستثناء (المكتبة العلوية) فقد تموت المكتبة بموت صاحبها، و تبعث في مكان آخر بانبعث شخص جديد، و كم تألفت مكتبات ذات صبغة عامة، حوت مئات الكتب الموقوفة، ثم ما لبثت ان زالت من الوجود، او استحالت الى مكتبات خاصة.

يقول الشيخ علي الشرقي: و من النوادر ان شيئا من شيوخ الادب يظهر انه كان رقيق الدين، عرض على شراء كتب مخطوطة، كانت عليها شارة التحيس، فقلت له كيف تبيع الوقف المحبس؟ فقال اني لا اري الملكية في الكتاب، لان المؤلف يريد بث المعرفة و اشاعة افكاره، و ما ملكية الكتاب الا استيعابه قراءة فقط، و عليه فالكتاب لا يملك، اما الثمن المبذول فهو عوض عن قراءته فقط، و لما كانت

القاعدة الفقهية القائلة (لا وقف الا في ملك) فمن الغلط ان يقال هذا الكتاب وقف.

وقريب من هذا الرأي ما ذهب اليه جماعة من ذوى الفضل اثاروا و تسبيلا للمنفعة في كتبهم لكل من يريد الاستفادة بقراءتها، قائلين: ان غلة الكتاب قراءته، و زكاة تلك الغلة اعارته، و يعاكس هذا الرأي من يوصد باب مكتبته في وجوه الطلاب، شحة و ضنة، و كثير اولئك الذين يقبضون على الكتب قبضة الشحيح.

و يقول الشرقى: «اتفق لى و أنا صبى ان الج على ضنين بالكتب، مكتبته التى صفت فيها الكتب النفيسة وراء ابواب الزجاج، و كانت المكتبة مفروشة بالطنافس، و السجاد الايرانى الممتاز، فوجدت صاحب المكتبة جالسا على طراحة فى زاوية تلك المكتبة، و هو كفيف البصر، و الى جانبه قارىء يتلو عليه ما يريد تلاوته، و بينا انا اطارحه الحديث رفعت يدى، موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٢٢

فاصطدمت بباب الخزانة، و عندما سمع نقرها اضطرب انزعاجا، و استفهم بارتباك، و لم تهدأ روعته حتى عرف انها الصدفة و لم يحدث شىء...!!»

و يتابع الشرقى حديثه فيقول: «و يدور الزمن، و يموت ذلك الجماعة للكتب، و يهيم وارثه بحمل ما فى المكتبة الى معرض الكتب للبيع فيستعين بى. و برفيق لى لنعرفه بالمهم من تلك النفائس، و تميمها و عند دخولى المكتبة دهشت حين وجدت شعثاء، موحشة، قد فارقت رونقها، و كان التراب فراشها و الغبرة تعلق خزاناتها، و مد لنا حصير جلسنا فوقة، و كان رفيقى لا يعلم بما يخالجنى، و بينا نحن منهمكون باستعراض بعض الكتب المبوثة فى تلك المزبلة لا المكتبة، اذا برجة تهز الغرفة، فحولت بصرى و وجدت احد الورثة قد وضع سلما خشبيا و صعد عليه واضعا يده وراء النضدة من الكتب، يدفعها لتطيح على الارض لانه تعب من تناولها كتابا كتابا، فتذكرت ذلك الكفيف و فرته من نقره الباب، و كيف اربكته، و قلت من لى به لسمع و يشاهد ما فعله هذا العايب البطر» .

لذلك فليس اليوم اثر، و لا بعض اثر للمكتبات العامة التى الحقت بالمدارس الدينية العلمية قديما.

اما المكتبات الخاصة فكم بالاولى ان تزول من الوجود، بعد زمن قصير، حين يكون الوارثون لها مضطرين لبيعها، او مهملين لرعايتها، و على هذا فما كان من المكتبات فى القرون الاخيرة كالرابع عشر و الثالث عشر مثلا هو غير ما كان فى القرن الثانى عشر و الحادى عشر و ما قبل ذلك.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٢٣

و ما كان يملكه آل (الملاى) مثلا من نفائس المخطوطات فى اوائل القرن الثالث عشر هو اليوم من ممتلكات طوائف كثيرة من اهل العلم فى النجف و هو يؤلف جزءا من مكتبات لم يكن لها اى وجود قبل هذا القرن، و هذا ما جعل من الصعب على المؤرخين ان يعرضوا لتاريخ هذا العدد الهائل من المكتبات التى كانت تنشأ فى جيل و تزول فى جيل آخر، لقله المراجع التى يعول عليها المؤرخ و مع ذلك فاننا سنعرض هنا كل ما وسعنا أن نستخلصه من المصادر المثبتة، او الذى حققناه بأنفسنا مما يدخل ضمن معلوماتنا الخاصة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٢٤

المكتبة العلوية

إشارة

و قد تسمى بالمكتبة (الحيدرية) او (الخزانة الغروية) او (الخزانة العلوية) او (مكتبة الصحن) و هذا اسم اطلق عليها مؤخرا، و لم يعرف بالضبط مقر هذه الخزانة او المكتبة القديم، فقد طرأت على المرقد الشريف و ما يحيط به من بناء تطورات كثيرة، ذكر التاريخ كيفية

تطور بعضها و اغفل بعضها الآخر، لذلك لم يعرف قبل القرن الثامن اكثر من ان خزانه كانت للكتب خصت بالحضرة العلوية، و ان هذه الخزانه يرجع تاريخها الى القرن الرابع إن لم يكن اقدم من ذلك، و ان عضد الدولة البويهى المتوفى سنة ٣٧٢ هـ ٩٨٢ م كان من المعنيين بها، و ان شهرتها بسبب ما وقفه عليها الملوك، و الامراء، من المخطوطات بدأت تتسع باتساع رقعة النجف، و اهميتها العلمية، خصوصا بعد منتصف القرن الخامس الذى شرع فيه طلاب العلم يقصدون النجف من مختلف الجهات و الاقطار.

يقول الشيخ على الشرقى: «ان الجاليات و الرواد الهابطين على المدرسة النجفية من بلاد ايران، و الهند، و اذربايجان، و ماوراء النهر، و القوقاز، و عامله، و الخليج، و بعض نواحي اليمن، كانوا يقدون على النجف بثرواتهم المادية، و الادبية، و اهمها امهات الكتب المخطوطة من كتب الفلسفة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٢٥

و الرياضيات، و الادب، و الفلك، و التاريخ، و المسالك، و الممالك، و قد كان رواد العلم و طلابه يسكنون على الاغلب المدرسة العلوية الكبرى (الصحن) و منهم المقيم فى غيرها من المدارس، و الدور الخاصة، و كان لهم نقيب ينظم شؤونهم، و كانت فى المدرسة العلوية- اى الصحن الشريف- خزانه كتب نفيسة تجمعت مما يحمله المهاجرون، و كانوا بعد ما يترودون بزداد العلم و يعتزمون العودة الى اوطانهم، يتركون ما حملوه من نفائس الكتب و ما الفوه من رسائل و اطروحات فى خزانه المدرسة العلوية محبسة على طلابها» .

و فى المنتصف الثانى من القرن الثامن الهجرى نرى نشاطا منقطع النظير يعم الاوساط فى جمع الكتب و شرائها، و جلبها الى النجف، و وقفها على (المكتبة العلوية)، كما لو كان تأسيس هذه المكتبة يبتدىء لاول مرة، و السبب فى ذلك هو ان حريقا قد شب فى المشهد العلوى، بسبب النار التى اندلعت من احد القناديل المعلقة و تسربت الى الاخشاب، ثم اتصلت بهذه المكتبة فأحرقتها، و كان ذلك فى سنة ٧٥٥ هجرية ١٣٥٤ ميلادية على ما روى ابن عنبه المتوفى سنة ٨٢٨ هـ اذ قال: «و قد كان بالمشهد الشريف الغروى مصحف فى ثلاثة مجلدات بخط امير المؤمنين عليه السلام احترق حين احترق المشهد سنة خمس و خمسين و سبعمائة» .

و قد ضمن الشيخ محمد السماوى ارجوزته هذه الواقعة، مؤرخا وقوع الحريق و قيام بناء المشهد من جديد، اذ قال عن المشهد يصفه قبل ان يحترق:

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٢٦ و وضعوا التبر به و الفضة معززين و استهانوا القصة
ثم قال:

و اكثروا الساج هناك فاحترق بضوء قنديل به قد اعتلق
فى عام خمسة و خمسين ورامثاته السبع على ما حررا
فقام فى بناء ذاك الدائراويس بن الحسن الجلائرى
و اعتاض من اخشابه الرخاماها كالا منحوتة ضخاما
موصوفة على اعتدال سمت فى حسن شكل و بديع نحت
ثم يقول:

رأيت منها قطعاً رواقى فى جوف سرداب من الرواق

و من هنا تأسست (المكتبة العلوية) من جديد و قد قام بتأسيسها السيد صدر الدين بن شرف الدين بن محمود بن الحسن بن خليفة الكفى المعروف بالآوى، مستعينا بفخر المحققين ابى طالب محمد بن الحسن الحلى، المتوفى سنة ٧٧١ هـ و سميت (بالخزانه العلوية) و ذلك سنة ٧٦٠ هـ.

و حين مات (الآوى) اوصى ابن اخيه بأن يشتري بثلثه من الميراث الكتب و يقفها على (الخزانه العلوية)، و فى خلال خمس سنوات

من تأسيس هذه المكتبة تكاملت كتبها المهمة و عادت لها تلك الاهمية السابقة، بما يتبع لها من الكتب النادرة التي تم شراؤها من بغداد خاصة، فقد صادف ان اصيبت بغداد بقحط شديد من جراء قلة الغلة، فاضطر الكثير من ارباب موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج٧؛ ص ٢٢٦

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٢٧

المكتبات ببغداد الى بيع كتبهم، و كان اكثر المشتريين من النجف.

و قد ذكر الواعون من النجفيين في اوائل القرن الحالي انهم قد رأوا على رفوف (الخزانة العلوية) عشرات الالوف من الكتب بما فيها من نسخ القرآن الاثرية، و كتب الادعية و الاوراد .

يقول الشيخ محمد السماوي عن تأسيس هذه المكتبة.

و تم في خمس سنين تهيئته في سنة الستين و السبع مئة

بعزمه (الصدر الكفي الآوي) و (الفخر) ذي التحقيق في الفتاوى

و خزنا كتبنا به لا تحصي لا سيما (الآوي) حين أوصى

لابن اخيه في شراء الصحف من ثلثه و جعلها في الوقف

و كانت الكتب بذلك الزمن تحصل للمبتاع في ادنى الثمن

لان بغداد اصيبت بغلافصيرت كتب العلوم ما كلا

و استبدلت كتبهم بالغلة اهل (الغريين) و اهل (الحلة)

و قد تواترت الروايات عن كثرة الكتب التي كانت تضمها المكتبة العلوية، و عما كانت تحتوي عليه من المخطوطات التي انحصرت بها دون مكتبات العالم الاسلامي، و خصوصا المصاحف الثمينة المزركشة، و المكتوبة بالذهب، و بأقلام مشاهير الكتاب في عصورهم، مما اعتبرت من الاعلاق الثمينة مما كان يهديها الملوك، و الامراء، و على الاخص ملوك ايران.

و يظهر من استعراضنا لتاريخ النجف الثقافي ان كان لهذه المكتبة من

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٢٨

الموكلين و الامناء، و القائمين برعايتها في مختلف الازمنة، من يرجع اليهم فضل المحافظة عليها طوال السنين الماضية، و قد تسرب الاهمال اليها و فترت المراقبة، و الرعاية، منذ اواخر القرن الثالث عشر الهجري فامتدت الايدي اليها بالسرقة من جهة، و عاثت الارضة بكتبها من جهة اخرى، حتى لم يبق منها اليوم غير الاسم اذ لا تتجاوز كتبها اليوم المئات و هي محصورة محصورة في خزانه مقفلة لا تفتح الا للزائرين الاجانب و للخاصة.

و كان الشيخ كاظم الدجيلي قد زار هذه الخزانه في سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م فذكرها قائلا: «ان الكتب الموجودة في خزانه الامير تقسم الى ثلاثة اقسام، قسم لصقت اوراقه بعضها ببعض من الرطوبة، و قسم اكلته الارضة و تمزقت اوراقه، و قسم بين ناقص و تام» و يعلق كوركيس عواد على الدجيلي قائلا:

«و في هذا القول على ما فيه من اسراف دليل على ما اصاب كتب الخزانه من محن». و لقد قام في السنين الاخيرة باستعراض هذه المكتبة و التحقيق في كتبها جماعة من اهل الخبرة و سجلوا بعض كتبها النادرة، و نشر البعض منهم تحقيقه في المجالات، و الصحف، و الكتب، و لم يزل بعض التحقيق عما تحتوي عليه هذه المكتبة من المخطوطات النفيسة و النادرة مخطوطا في مجاميع اولئك المحققين، و كان من اشهر من عرف من المتأخرين بالتحقيق في كتب هذه المكتبة، الشيخ علي آل كاشف الغطاء، صاحب كتاب (الحصون المنيعه) المخطوط، و صاحب كتاب (نهج الصواب في المكاتب و الكتابه، و الكتاب) المخطوط، كما عرف به أيضا الشيخ

محمد السماوي، و السيد

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٢٩

هبة الدين الحسيني، و السيد جعفر بحر العلوم، و الشيخ اغا بزرك، و الشيخ على الشرقى، و الشيخ كاظم الدجيلي، و الشيخ محمد رضا فرج الله، و الشيخ جعفر محبوبه، و كوركيس عواد. و التحقيق الذي قام به الشيخ جعفر محبوبه بنفسه، و الذي اورده في كتابه (ماضى النجف و حاضرها) معتمدا على (نهج الصواب) و ما استعرضه من الكتب المخطوطة التي انفق من اجلها وقتا طويلا. في الفحص و التفتيش، ليعتبر من اهم المصادر الموثوقة في معرفه هذه المكتبة في تاريخها الاخير، كما يعتبر تحقيق كوركيس عواد، الذي لخصه من امهات الكتب، و استقاه من المصادر الموثوقة عن هذه المكتبة، و الذي اورده في كتابه (خزائن الكتب القديمة في العراق) من اهم المراجع التاريخية و اننا و نحن نعرض لاسماء النادر مما بقى من هذه المكتبة نعتمد هذه المصادر كلها، ثم ما استطعنا ان نقف عليه نحن ممن عرفنا من أهل الخبرة الثقا الذين ادركناهم.

أهم مخطوطات المكتبة العلوية

إشارة

يقول كوركيس عواد و بالرغم مما حل بهذه الخزائن العظيمة الشأن من موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٣٠

رزايا و ملمات في خلال مئات السنين، فانها ما زالت الى يومنا هذا تحوى كتبا عديدة بينها العتيق، و الفريد، و النفيس، لا سيما المصاحف الثمينة، و قد وصف بعض الباحثين جملة من هذه الاسفار و لا يسعنا ذكرها هنا كلها بل نذكر منها اقدمها و اشهرها.

المصاحف

فمن المصاحف:

- ١- مصحف قديم جدا مكتوب على الرق بالخط الكوفي، و تنسب كتابته الى الامام على (ع).
 - ٢- مصحف قديم جدا مكتوب على الرق بالخط الكوفي و تنسب كتابته الى الامام الحسن (ع) بن الامام على بن ابي طالب (ع) و كلا هذين المصحفين من انفس الآثار الخطية في هذه الخزائن و أثنى عليها و اقدمها عهدا. صفحة من القرآن المنسوب خطه للإمام على (ع)
 - ٣- مصحف بالخط الكوفي كتب سنة احدى و ثلثمائة ٩١٣ م.
 - ٤- عدة مصاحف ثمينة لاشهر الخطاطين محلاة بالذهب، و هي من هدايا سلاطين الشيعة و وزراءهم في مختلف العصور، و هي مختلفة الخطوط ففيها الكوفي، و الاندلسي، و اليماني، و احدها بخط ياقوت المستعصمي، و الآخر بخط احمد النيريزي.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٣١
- ٥- و بين هذه المصاحف قطعة من مصحف بقطع سفينه، مكتوب على رق بخط كوفي، و كتب في آخره: «تم سنة اربعين من الهجرة، كتبه على بن (ابو طالب)».
 - ٦- و هنالك ما يقرب من اربعمائة مصحف بخطوط مختلفة، و يرجع خط البعض منها الى سنة اربعمائة الهجرية، و اغلبها خطوط تعتبر آية في الفن و الابداع، و غاية في الزخرفة و الجمال و التلوين،

المخطوطات

و من المخطوطات:

- ١- كتاب قوى الاغذية- و لعله من مؤلفات حنين بن اسحق، و هي نسخة قديمة جدا، كتبها محمد بن يوسف الوراق بخط كوفي.
- ٢- المسائل الشيرازية- تأليف الشيخ ابن علي الحسن بن عبد الغفار (الفارسي النحوي) نقلت على نسخة المصنف، و عليها اجازة بخط المصنف
موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٣٢
كما يلي:
«قرأ علي ابو غالب احمد بن سابور هذا الكتاب و كتب الحسن بن احمد الفارسي سنة ٣٦٣ هـ» و هي من كتب السيد جلال الدين عبد الله بن شرفشاه لحسيني، وقفها سنة ٨١٠ هجرية .
- ٣- شرح مقصورة ابن دريد لابن خالويه و قد قرئت على شارحها ابن خالويه و عليها اجازة بخطه، و قد قرأها عليه ابو الحسن السلامي و عليه صورة قراءته و هذا نصها:
«بلغت قراءة علي ابى عبد الله محمد بن عبيد الله العجمي حرسه الله، و فرغت منها ليلة السبت لخمس بقين من شعبان سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م)، و كتب سلامة بن محمد بن حرب و حسينا الله وحده» و هي من موقوفات السيد صدر الدين بن السيد شرف الدين مجدد المكتبة العلوية يرجع تاريخ وقفها الى سنة ٧٧٥ م.
- ٤- شرح شعر النابغة، و مقصورة ابن دريد، و قصائد للاعشى، و امرئ القيس، قطعة صغيرة منه كتبت في نحو المائة الخامسة للهجرة.
- ٥- شرح ديوان المتنبى لابن العتايقي، بخط الشارح سنة ٧٨١ هـ - ١٣٧٤ م، و يقول الشيخ جعفر محبوبه: «وقفت على الجزء الثاني منه و هو بخطه، و في هذا المخزن من مؤلفات هذا الشيخ المتنوعة في سائر الفنون ما يقرب من ثلاثين مؤلفا و قد فرغ من تأليف بعضها سنة ٨٨٧ هـ».
- ٦- كتاب المعبر في الحكمة، لابي البركات هبة الله بن علي بن ملكا
موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٣٣
البغدادي، طبيب المستنجد بالله (قطعة منه كتبت في بغداد سنة ٥٣٨ هـ ١١٤٣ م).
- ٧- الجزء الثاني من التبيان في تفسير القرآن: لابي جعفر محمد بن الحسن ابن علي الطوسي، المتوفى في النجف سنة ٤٦٠ هـ ١٠٦٧ م، كتب في سنة ٥٧٦ هـ ١١٨٠ م، كتبه محمد بن محمد و صححه في التاريخ المذكور علي ابن يحيى، و هو من موقوفات السيد جلال الدين عبد الله بن شرفشاه الحسيني وقفه في العاشرة من شعبان سنة ٨١٠ هـ .
و يقول الشيخ جعفر محبوبه الذي تتبع هذه الكتب بنفسه، و وقف عليها في الخزانة العلوية: ان هناك اوراقا كثيرة مبعثرة من هذا التفسير و لا يبعد ان تتألف منها نسخة تامة.
- ٨- معجم الادباء: لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م الجزء الاول منه بخط المؤلف ياقوت، و قال الشيخ جعفر محبوبه: توجد اوراق مبعثرة منه كثيرة، و يعلق كوركيس عواد على هذه النسخة الفريدة المكتوبة بخط ياقوت نفسه فيقول:
«في سنة ١٩٠٧ م نشر المستشرق الشهير مرجليوت (D.S.Margoliouth) الجزء الاول من معجم الادباء، ثم اعاد طبعه مصححا في سنة ١٩٢٣، و قد ذكر هذا الناشر انه لم يعثر الا على نسخة خطية واحدة من هذا الجزء محفوظة في خزانه بادليان باكسفورد، و هي نسخة حديثه الخط، كثيرة التصحيف، و التحريف، كتبت في نحو المائة السابعة عشرة للميلاد، فما
موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٣٤
انفس نسخة الخزانة الغروية و ما أعظمها شأنا».
- ٩- كتاب في اللغة: (علي غرار فقه اللغة للثعالبي، كتب في حلب سنة ٦٤٠ هـ ١٢٤٢ م و ليس عليه اسم مؤلفه).

- ١٠- الاسرار الخفية، للعلامة الحلبي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ ١٣٢٥ م وهي وهي كتاب في المنطق، والطبيعي، والالهى من العلوم، يقع في ثلاثة اجزاء و بخط المؤلف.
- ١١- التقريب: لابي حيان اثير الدين محمد بن يوسف الاندلسي النحوي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ ١٣٤٤ م مكتوب بخط المؤلف الاندلسي.
- ١٢- شرح كتاب الايلاقي في الطب: لابن العتايقي الحلبي من ابناء المائة الثامنة للهجرة، وقد كتبه شارحه سنة ٧٥٥ هـ ١٣٥٤ م في المشهد الغروي، ويقول كوركيس عواد: وفي خزائنه هذا المشهد من تصانيف ابن العتايقي نحو ثلاثين كتابا، ويقول صاحب كتاب (ماضى النجف و حاضرها) فيما رآه هو في هذه الخزائنه: ان هناك كتبا كثيرة في الطب وغيره، وبعضها مقطوعة الاول و الاخر لم يعرف اسم الكتاب و المؤلف.
- نموذج من خط ياقوت المستعصمي
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٣٥
- ١٣- التصريح في شرح التلويح الى اسرار التنقيح، في الطب لابن العتايقي الجزء الثاني كتبه شارحه بخطه في سنة ٧٧٢ هـ - ١٣٧٠ م في المشهد الغروي .
- ١٤- شرح الملخص لعلي بن عمر الكاثير القزويني، الجزء الثاني وقف سنة ٧٧٩ هـ ١٣٧٤ م.
- ١٥- شرح صفوة المعارف في الهيئة لابن العتايقي و هي بخط الشارح كتبها سنة ٧٨٧ هـ ١٣٨٥ م في المشهد الغروي.
- ١٦- (الشهدة شرح تعريب الزبدة) في الهيئة لابن العتايقي، و هي بخط الشارح.
- ١٧- نهاية الاقدام في علم الكلام: لفخر الدين الرازي كتبت في حدود السبعمائه.
- ١٨- كتاب الملتقط، للزمخشري في اللغة، و هو بخط قديم و مختار من كتابه المحكم.
- ١٩- كتاب تقريب المقرب في النحو لابن عصفور.
- ٢٠- كتاب المباحثات، للشيخ الرئيس، كتبت النسخة سنة ٧١٨ هـ و هي من موقوفات صدر الدين الأوى.
- و هناك كتب اخرى لمؤلفين للعرفين و في ازمنة مختلفة منها كتب لابن كمنه اليهودى البغدادي بخطه و قد كتبت في حدود ٦٧٠ هـ - ١٢٧١ م
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٣٦
- و قد ذكر هذه الخزائنه عدد من المؤرخين و المتبعين الذين شهدوا كتبها، و نقلوا ظنها، و اشاروا الى قيمتها.
- يقول الشيخ جعفر محبوبه في (ماضى النجف و حاضرها) عن هذه الخزائنه: انه قد ذكرها السيد على بن طاووس في كتاب (الطرائف) فانه ذكر فيه كتابا لاحمد بن حنبل في مناقب اهل البيت (ع) و هو من جمله كتب (المخزن العلوى) و في (رياض العلماء) المخطوط قال في ترجمه الشيخ ابراهيم الكفعمي ما لفظه: «و سماعى انه ورد المشهد الغروي و اقام و طالع في كتب الخزائنه الغرويه، و من تلك الكتب الف كتبه الكثيره في انواع العلوم و من تلك الكتب مؤلفاته».
- و اضاف محبوبه: «و توجد في خزائنه السيد عيسى العطار ببغداد بعض الكتب الثمينه مستنسخه على كتب هذا المخزن».
- و ذكر الشيخ على حفيد صاحب المعالم في كتابه (الدر النضيد) كتاب (الانوار الالهيه في الحكمة الشرعيه) تأليف السيد على النيلي النجفي و اطال في وصفه، و هو من جمله كتب هذا المخزن.
- و آخر من ذكر هذا المخزن على روايه (ماضى النجف و حاضرها) هو السيد عبد اللطيف الشوشترى في كتابه (تحفة العالم) المطبوع في بمبي فانه جاء الى النجف في حدود ١٢٠٠ هجرية و اجتمع بأعلام النجف في عصره كالسيد بحر العلوم، و الشيخ جعفر كاشف الغطاء، و السيد محمد زيني و غيرهم و ذكر منهم الملا محمود بن الملا صالح الكليدار و قال:
- «اطلعت على كتب الامير (ع) و فيها من نفائس العلوم المختلفه التي لم توجد في خزائن السلاطين».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٣٧

و يبدو مما ورد في (تحفة العالم) ان (المكتبة العلوية) الى اوائل القرن الثالث عشر الهجرى بل الى ما بعد هذا التاريخ كانت لم تزل على روعتها، و ضخامتها و احتوائها على عدة آلاف من الكتب و يؤيد هذه الفكرة ما رواه المعمرون ممن ادركهم جيلنا بأنهم قد شاهدوا عشرات الالوف من الكتب مصفوفة في الرفوف كما اشرنا الى ذلك قبلا.

وقد وردت في تاريخ هذه المكتبة أسماء عدد ممن تولوا الاشراف على هذه الكتب و رعايتها، مما يدل على شدة الاهتمام بها في العصور السابقة، و من اشهر من ورد ذكره من خزنة هذه المكتبة:

١- يحيى بن عليان: كان من كبار علماء عصره، و قد ورد ذكره في (فرحة الغرى) .

٢- محمد بن احمد بن شهريار: يقول كوركيس عواد: وقفنا على ذكره في اول كتاب الصحيفة السجادية في قول القائل: «حدثنا السيد الاجل نجم الدين بهاء الشرف ابو الحسن محمد بن الحسن بن احمد بن علي ابن محمد بن عمر بن يحيى العلوى الحسينى رحمه الله، قال: اخبرنا الشيخ سعيد ابو عبد الله محمد بن احمد بن شهريار الخازن لخزانة امير المؤمنين على بن ابي طالب (ع) في شهر ربيع الاول من سنة ست عشرة و خمسمائة ١١٢٢ م قراءة عليه و انا اسمع قال ..».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٣٨

٣- و يقول الشيخ جعفر محبوبه: «و كان في اوائل القرن العاشر و الحادى عشر رجال العلم يترددون الى هذا المخزن للمطالعة و الاستنساخ فرأيت بعض الكتب المستعارة من هذا المخزن و عليها اسم المستعير و المعير، و يظهر من بعضها ان هناك غرفتين احدهما صغيرة و الاخرى كبيرة، فيها الكتب و عليها قيم معلوم، و فى يده اعارتها، و اصلاحها، منهم محمد جعفر الكيشوان و هو آخرهم».

٤- و من الذين وردت اسماءهم كخزنة و قيمين على المكتبة العلوية فى الصحن الشريف كان محمد حسين الكتابدار و قد افاد هذا من هذه الخزانة فقد ذكر بعض الاعلام فى كتاب (عمدة الطالب) انه رآه بخط محمد حسين (الكتابدار) و قد فرغ من كتابته سنة ١٠٩٥ هـ - ١٦٨٣ م و عليه حواش بخطه، و قد عرف بأنه من العلماء فى الانساب.

هذا كل ما بقى اليوم من تلك المكتبة الزاخرة بالآلاف من الكتب القديمة، و لو لم يهتم بها الشيخ محمد السماوى الذى عنى بما بقى منها ثم السيد محمد الرفيعى يوم كان نائبا لسادن الروضة الحيدرية قبل ما يقرب من ثلاثين سنة، و يجمعها فى احدى غرف الصحن بمعرفة الشيخ محمد السماوى و تصنيفه لها، لذهبت هذه البقية من المصاحف و الكتب التى اوردنا اسماءها و غيرها ضياعا، فكان للشيوخ محمد السماوى فضل كبير على هذه المكتبة.

و لقد سمعنا من الامام السيد محسن الامين و نحن فى حديث عن (المكتبة العلوية) قال: ان تأليف موسوعة (ايعان الشيعة) كان يتطلب منى ان ازور الكثير من المكتبات العامة و الخاصة سواء فى لبنان، او سوريا، او

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٣٩

العراق، او ايران، و اقلب المخطوطات خاصة بحثا عن تراجم الرجال، و قد وجدت فى عدد كبير من هذه المكتبات و لا سيما مكتبات النجف نسخة او اكثر من الكتب الموقوفة على (خزانة الصحن) ..

و سعنا هذا القول من الشيخ محمد السماوى عن كتب هذه المكتبة، و كيفية امتداد الايدى اليها حتى صار كثير من كتبها الموقوفة من ممتلكات الكثير من المكتبات الخاصة.

و يقول الشيخ على الشرقى عن هذه المكتبة: لم يبق اليوم الا ما يقارب الاربعماية نسخة و قد وقفت بنفسى على كتاب فى علم المنطق كان فى بيت احد الفضلاء من النجفيين، كتب على ظهره ما نصه:

«هذا كتاب من كتب الخزانة العلوية» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٤٠

المكتبات العامة قديما و حديثا

إشارة

ولم يحدثنا تاريخ النجف بعد (الخزانة العلوية) عن المكتبات العامة القديمة او المكتبات الشخصية الا حديثا عرضيا، مقتضبا لا يكاد ينقع غلة، ذلك لان تاريخ المكتبات العامة في النجف ذو اتصال مباشر بتاريخ المدارس الدينية، فحيث وجدت المدرسة الدينية ووجد ساكنوها من الطلاب، وجدت في الغالب المكتبة العامة فيها، فيرجع اليها طلابها او غير طلابها، يستعيرون منها الكتب الموقوفة عليها، ثم لا يمر بعض الزمن حتى تزول المدرسة من الوجود، فتزول المكتبة معها اما بسبب تقادم عهدها، وانهدامها، او انعدام موارد الانفاق عليها، فتقوم مدرسة اخرى، و مكتبة و اخرى، في محل آخر من النجف، ثم تزول هذه من الوجود كما زالت مدارس من قبل، ونحن اليوم اذ نستعرض تاريخ المدارس الدينية الحاضرة، و تاريخ مكتباتها العامة، فلن نجد بينها مدرسة معمورة يرجع تاريخها الى القرن الثاني عشر، فاين ذهبت المدارس التي اسسها الملوك، و الامراء، و التجار، ما ورد ذكرها في التاريخ عرضا.

يقول ابن بطوطة في الثلث الاول من القرن الثامن الهجري حين يمر بالنجف عن مرقد الامام علي (ع): «و بازائه المدارس، و الزوايا، موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٤١

و الخوانق، معمورة احسن عمارة» ثم يقول: «و يدخل من باب الحضرة الى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة و الصوفية من الشيعة» و هو يقصد الصحن الشريف الذي كان قد اتخذ مدرسة، و ما من شك ان لكل مدرسة أو لاغلب هذه المدارس كانت مكتبة من المكتبات العامة، و قد ذهبت بذهابها، و لم يبق لهذه المكتبات من ذكر الا ما يعثر عليه في حاشية على كتاب او وثائق تاريخية تشير الى مكتبة من تلك المكتبات، او كلمة وقف تعين المكتبة التي وقفت عليها الكتب، و من ذلك ما رواه الشيخ جعفر محبوبه قال: «و من حسن الصدق اني وقفت على كتاب (مصباح المتجهد) للشيخ الطوسي (ره) مخطوط عند الشيخ الامام العلامة الميرزا محمد حسين النائيني دام علاه و في آخره ما نصه:

«كان الفراغ من نسخه يوم السبت ثاني عشر من جمادى الاولى سنة ٨٣٢ على يد الفقير الى رحمة ربه و شفاعته عبد الوهاب بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن السيوري الاسدي عفى عنه بالمشهد الشريف الغروي، على ساكنه السلام، و ذلك في مدرسة المقداد السيوري».

اما ما هو موجود من المكتبات العامة في المدارس اليوم، فهو في الغالب بقيه من مكنتات كانت ذات شأن في الماضي القريب، و لكن المستعيرين لكتبها من غير الامنيين قد عبثوا بها و بددوها، و من هذه المكتبات لم يبق موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٤٢

الا اسمها، او التي بقيت فيها بعض الكتب، او المكتبات المستحدثة الجديدة و التي بدأ يتكاثر عددها في السنوات الاخيرة، و من اهم هذه المكتبات العامة التي عرفت بها النجف في الماضي و الحاضر هي:

مكتبة الملالي

و هي مكتبة منسوبة لآل (الملّا) او الملالي كما هو المشهور، الذين جمع بعضهم بين النقابة و الحكومة، و الزعامة الروحانية، و سدانة الروضة الحيدرية، مدة ثلاثة قرون، و قد انحدر من هذه الاسرة عدد من اكابر العلماء، و الفقهاء الذين كان لهم صيت في البحث، و الدرس، و التأليف، و ان كتاب (الحاشية على تهذيب المنطق) هو من بعض مؤلفات جدهم الملّا عبد الله بن شهاب الدين اليزدي

المتوفى سنة ٩٨١ هـ والمعروف بالشهاب آبادي، والذي لا يزال كتابه هذا و منذ اربعة قرون و هو يدرس في المدارس العلمية، و قد كانت للملا عبد الله مدرسة في النجف باسمه، و قد ورد ذكر لكثير من اسماء كتبها، و ازدهارها بالعلم، في عرض المرور بتراجم رجالات هذه الاسرة، و من الذين أشار الى ذلك السيد حسن الصدر في (تكملة الأمل) و السيد محسن الامين في (ايعان الشيعة)، و الشيخ اغا بزرك، و الشيخ محمد السماوي الذي يقول عن هذه الاسرة في ارجوزته التي يستعرض بها سدنة الروضة الحيدرية فيقول:

و منهم الحماة آل الملائم مكثر و النوال حتى ملأ
مثل الفتى المحسن يوم الجود و ذى الصلاح و التقى محمود ..

و لا يبعد ان تكون كتب هذه المدرسة من انفس الكتب و ائمنها بالنظر لما تعاقب على رعايتها من رجالات هذه الاسرة من العلماء، و الفقهاء،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٤٣

و الشعراء، الذين لو جمع ما قيل فيهم من الشعر لألف دواوين واسعة، و هي اقدم مكتبة عامة لا قدم مدرسة وصل لنا خبرها، و ليس اليوم لهذه المكتبة اثر او بعض اثر.

مكتبة مدرسة الصدر

و مكتبة الصدر كانت ذات يوم اشهر مكتبة من المكتبات العامة في النجف فهي مكتبة أسسها الحاج محمد حسين خان الصدر الاعظم الذي كان رئيسا للوزارة الايرانية في ايام فتحعلي شاه القاجاري، و ذلك حوالي النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري، و قد اسس هذه المكتبة ليستعين بها طلاب المدرسة الدينية التي كان قد بناها (الصدر) عند مدخل السوق الكبير، و قد بذل الصدر الكثير من المال لشراء اهم المصادر الخطية و المطبوعة من الكتب، و على الرغم من تخصيص المبالغ الكافية للانفاق على هذه المدرسة و مكتبتها، و طلابها، و وقف عدد من الحوانيت لانفاق ريعها على كل ما ينقصها، فقد بدأت هذه الكتب تستل من المكتبة يوما بعد يوم حتى لم يبق اليوم ما يعتد به و خصوصا المخطوطات، و الكتب الاثرية، التي كان عددها في هذه المدرسة كبيرا حتى الربع الاول من القرن الرابع عشر الهجري. على انها اول مكتبة عامة انشئت كما كانت مدرسة الصدر اول مدرسة دينية انشئت بعد مدرسة الصحن الشريف و قد افاد كثير من العلماء و الطلاب من هذه المكتبة في حينها.

مكتبة الإمام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء

هي المكتبة التي اسسها الشيخ علي آل الشيخ محمد رضا آل الشيخ موسى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٤٤

كاشف الغطاء، و لم تكن يوم تأسست مكتبة عامة، موقوفة للمطالعة كما هي الآن، و انما كانت مكتبة خاصة يمتلكها الشيخ علي والد المرجعين الدينين الشيخ احمد كاشف الغطاء، و الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، و يرجع تاريخ اول تأسيسها الى اواخر القرن الثالث عشر الهجري، فقد شبت مع الشيخ علي رغبة ملحة في البحث عن الكتب النادرة و جمعها، و استنساخها، و كانت لآل كاشف الغطاء و لا سيما لجدهم الشيخ جعفر الكبير مكتبة كانت من اندر المكتبات، و اوسعها جمعا للكتب المخطوطة، كما سيجيء الحديث عنها في بحث المكتبات الخاصة، و الكثير من هذه الكتب كانت فريدة في بابها و قد جمعها الشيخ جعفر الكبير من مختلف الاقطار الاسلامية إما بطريق الشراء او مما كان يهدى اليه، ثم انتقلت هذه المكتبة الا القليل منها الى ابنه الشيخ موسى بطريق الوراثة و

منه الى اخيه الشيخ على، وقد تسرب من ذلك القليل شىء الى البيوت، و من هذا القليل المتسرب ما قد وصل شراء و إرثا الى الشيخ على آل الشيخ محمد رضا والد الامامين الشيخ احمد و الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، فكان هذا بمثابة النواة و المحفز للشيخ على على الاهتمام بالكتب النادرة اكثر، مما ضاعف هوايته، و ولعه، فى اقتناء الكتب النادرة و قد اشتد هذا الولوج عند الشيخ على حتى دفع به الى التجوال و التطواف فى ايران و الهند و الحجاز بحثا عن الكتب و شرائها و استنساخها.

جانب من مكتبة الامام كاشف الغطاء

جاء فى كتاب (هكذا عرفتهم) عن الشيخ على و مكتبته: «و هنالك شىء

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٤٥

آخر له قيمته فى شهرة الشيخ على ثم فى نشأة ولديه- الشيخ احمد الذى صار بعد ذلك مرجعا من اكبر المراجع الدينية، و زعيما كاد ينفرد بزعامة الشيعة وحده، ثم تلاه اخوه الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الذى صار هو الآخر من اكبر الزعماء الروحانيين بعد اخيه- الا- و هو المكتبة فقد كان للشيخ على كاشف الغطاء مكتبا انفردت بالكثير من الكتب العربية المفقودة، و ضمت مئات من الكتب النادرة التى بذل الشىء الكثير للحصول عليها، و كانت تعتبر المكتبة الاولى فى الشرق من حيث جمعها للنادر و المفقود من الكتب، و على الرغم مما بيع منها بعد وفاته، فهى اليوم لا تزال فى عداد المكتبات المهمة و ان كان مجموعها لا يزيد على بضعة آلاف كتاب جمعها بشق الانفس كما يقولون، و لقد روى فيما روى عن حرصه فى اقتناء الكتب: انه بينما كان منهمكا مرة فى استنساخ كتاب خطى فى احد الجوامع باسطنبول اذ جاءه احد الضباط للقبض عليه بناء على امر السلطان عبد الحميد الثانى متهما إياه بالتواطؤ مع (ابى الهدى) فى تدبير مؤامرة سياسية نمت عليها قصيدة نسب نظمها الى ابى الهدى، و ابو الهدى هذا كان من اقرب المقربين الى السلطان عبد الحميد، و لكن الشيخ على قال للضابط:

- كل من حدثك بانى سأترك عمل استنساخ هذا الكتاب قبل ان اصل الى نهاية الفصل الذى يستلزم الانتهاء من استنساخه نحو ساعة، او اكثر، فلا تصدق ذلك.

و هكذا اضطر الضابط بداعى الاحترام الى الانتظار حتى يتم الشيخ نقل هذا الفصل من الكتاب! و لقد كان الشيخ يجمع كتبه على هذا النحو من الحرص و الاستماتة حتى اتم جمع تلك المكتبة النفيسة الثمينة» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٤٦

و عن هذه المكتبة يقول جرجى زيدان «و مكتبة الشيخ على بن الشيخ محمد رضا الجعفرى كاشف الغطاء و هى مكتبة قديمة حوت امهات الكتب، و يتيمات المصنفات، فى نفايس العلوم، و الفنون، و اكثرها مكتوب فى العصور الخالية، و من محتوياتها كتاب (مقاييس اللغة) الذى يطبع اليوم فى مصر و (الطراز) للسيد على خان فى اللغة و (المجمل) لابن فارس، و غيرها و هى اكبر مكتبة فى النجف» .

و كان الشيخ على من الهمة و النشاط بحيث لم يفتر عن الاستنساخ و الكتابة و التعليق على الكتب و تدوين الوثائق التاريخية و هو فى اقصى حدود الشيخوخة، حتى استطاع ان يجمع هذا الكنز الثمين من الكتب النادرة التى انفردت بها مكتبته.

يقول الشيخ على الشرقى «و لعشاق الكتب نوادر كثيرة فى وادى غرامهم هذا، منها انى دخلت على احد هؤلاء الغلاة فى هذا المذهب، و هو الشيخ على آل كاشف الغطاء فى مكتبته الصغرى التى اقتصرت على ما ورّقه بيده، و نسخه بخطه، فوجدته جالسا على الارض، و امامه طاولة صغيرة عليها كتاب مفتوح و محبرة، و قد شد على عضده مساطر خفيفة من الخشب شدا محكما يمنع الرعشة التى فى يده، لانه شيخ وهنت قواه، و قد شارف على التسعين من عمره، و كان لابسا ثوبا سميكاً خصص للكتابة، تراه مخططا بالوان، و الوان من مسح القلم، و رذاذه، و كان فى يده قلم من الخيزران

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٤٧

القوى، و كان مشغولا بالنسخ فسألته عن عمر ذلك الثوب قال: بأن عمره يناهز السبعين و هو عندى اطيب من الغلالة التى يصفها الشاعر بقوله:

كاذيال خود اقبلت فى غلالة مصبغة و البعض اقصر من بعض»

و حين توفى الشيخ على تولى المكتبة الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء و قد بيعت بضع مخطوطات منها بعد وفاة الشيخ على، ثم نالت هذه المكتبة من عناية الامام كاشف الغطاء الشىء الكثير، و هو الذى اخرجها من حيز الملكية الخاصة، الى المنفعة العامة، و اضاف اليها كتبه الخاصة و افرد لها مكانا فى مدرسته الواقعة بمحلة العمارة بجوار مقابر آل كاشف الغطاء و عين لها مشرفا، و اصبحت منذ ذلك اليوم و حتى هذا اليوم مرتادا للباحثين و المؤلفين، و الزائرين، الذين يؤمون النجف و هى مسماء باسم الامام كاشف الغطاء لانه هو الذى وقفها و جعلها وقفا للعموم.

و من هذه الرسالة التى اجاب بها الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الشاعر القروى المتشعب شعره بالروح الوطنية حين كتب للامام بانه سيهدى ديوانه لهذه المكتبة نعرف مدى اعتزاز الامام بالكتب النفيسة ثم نعرف نظرتة لهذه المكتبة او نظرة الناس لها على الاصح.

لقد كتب الامام كاشف الغطاء الى رشيد سليم الخورى الشاعر القروى يقول:

«أطلت علينا منك يوما سحابة بدا برقها يعلو و أبطا رشاشها

فلا غيمها يصحو فيأس طامع و لا ودقها يهيمى فتروى عطاشها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٤٨

عزيزى الشاعر القروى، بل شاعر الدنيا، بل شاعر الملاء الاعلى، أ فليست هذه الدرر التى تنظمها فى سلك العروض، و القوافى، و الحكم التى ترسلها آيات باهرات فى قوالب الفاظ، تملك القلوب و تسحر الالباب، أ ليست هى وحي الملاء الاعلى، و عالم المثال، بل المثل العليا؟ أ ليست هى الحكمة المتدلية من ارواح الازليئة، و الواح الاحدية، (و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا) فاذا الشاعر القروى هو الشاعر النبوى، و الثائر العلوى، اتانى كتاب، نعم كان قد اتانى كتاب منك، و ما هو بكتاب، بل هو على ايجازه، و اعجازه، كتائب، كتائب عوارف، و سحائب معارف، بل عواطف، تعدنا فيه بارسال ديوانك ليس لنا بل لعامة ادباء النجف، و ان شئت فقل لادباء الدنيا فان (مكتبتنا العامة) هى للدنيا بل و للآخرة.

نعم و ما احلى المواعيد و الامانى كما قال الشاعر: (امانى من ليلى حسان كانما) الخ .. نعم ثملنا او سكرنا بوعدك قبل ان نشرب الخمر، او قبل ان نراها، او كما قال العارف للصوفى، او كما فرض ابن الفارض (سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرم) فنحن كما فى الكلام الدارج: نشكرك سلفا سواء وفيت، او نفيت، و بررت بوعدك، أم ابيت، فان كتابك يكفيننا عن ديوانك، نجعله غرة ديواننا، و طرة عنواننا، و نحفظ به كما تحتفظ الملوكة بخزائنها، و الارض بمعادنها، فاسلم للعروبة و العبقريئة و الاسلام، و السلام، و لايبك الروحى».

صدر من مدرستنا العلمية ٩ رجب الأصم ١٣٧٣ هـ محمد حسين آل كاشف الغطاء

و المكتبة تحتوى اليوم على عشرة آلاف مجلد يبلغ عدد المخطوط منها نحو (٢١٠٠) مجلد و بين هذه المخطوطات كتاب (الحصون المنيعه) فى طبقات الشيعة، بخط مؤلفه الشيخ على كاشف الغطاء، مؤسس هذه المكتبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٤٩

الاول، و هو فى تسعة مجلدات، يعد من اكبر و اهم المصادر لتراجم الرجال، و احوالهم، و قد اعتمده كل المؤلفين الذين عنوا بتاريخ الادب الحديث، و تاريخ البيوتات النجفية، و قد سأل منا مرة الامام محمد الحسين ما اذا كنا نستطيع الاشراف على تصنيفه، و تبويبه، لتتولى إخراج كلة او استخراج مواضع مستقلة منه، فعظم علينا الأمر و تهيئناه. و من اشهر ما احتوت عليه هذه المكتبة من

المخطوطات هو:

- ١- (سلوة العارفين و انس المشتاقين) لمحمد بن الملك الطبرى مخطوط يرجع تاريخه الى ٤٥٩ هجرية.
- ٢- الانوار النبوية فى صحاح الاخبار المصطفوية) للحسن بن محمد الصاغانى مخطوط يرجع خطه الى سنة ٦٩٢ هجرية.
- ٣- (المعرفة فى اصول الحديث) للحاكم ابن عبد الله صاحب المستدرک، مخطوط يرجع تاريخه الى سنة ٤٢٥ هجرية.
- هذه حاشية كتبها الشيخ البهائى على المصحف المنسوب خطه للامام على (ع) و الموجود بخزانة الامام الرضا (ع) ٤- (شرح الشاطبية) لمؤلفه محمد بن مهدي مخطوط سنة ٧٠٠ ه تقريباً.
- ٥- (انوار اليقين فى امامة امير المؤمنين) لمؤلفه المنصور بالله امير المؤمنين الحسن بن محمد بن احمد بن يحيى بن يحيى الهادى الى الحق احد امراء اليمن و قد فرغ من تأليفه سنة ١١٠٨ هجرية.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٥٠
- ٦- (النهاية) لابن الاثير فى باطن مدينة الموصل سنة ٦٠٥ ه و عليها خط المؤلف.
- ٧- (نسمه السحر فى ذكر من تشيع و شعر) لضياء الدين بن يوسف ابن يحيى احد ائمة الزيدية (جزآن).
- ٨- الايمان من كتاب (الكافي) للكلينى مخطوط سنة ٧٠٨ ه.
- ٩- (مناقب امير المؤمنين) لاحمد بن اسماعيل بن يوسف القزوينى مخطوط سنة ٨٠٥ ه.
- ١٠- (شرح المعالم) فى اصول الدين لمؤلفه فخر الدين الرازى مخطوط سنة ٨٠١ ه.
- ١١- (تحفة الازهار) للسيد ضامن بن شدم.

و هنالك عدد كبير من قواميس اللغة (كجوهرة القاموس) ليحيى بن شفيح القزوينى، و من التفاسير (كالوجيز فى تفسير القرآن العزيز) للشيخ على العاملى، و الدواوين الشعرية كديوان (الساعاتى) و (شرح ديوان المتنبى) لابن جنى المخطوط سنة ٧٠٠ ه و (شرح ديوان المتنبى) للواحدى المخطوط سنة ٧٥٠ ه و عشرات المصاحف المخطوطة بالخطوط الفنية مما تنفرد بها مكتبة الامام كاشف الغطاء.

مكتبة حسينية الشوشترية

من اقدم مكتبات النجف العامة فى العصر الاخير الموقوفة لجميع المطالعين بدون تخصيص، و قد اسسها الحاج ميرزا على محمد النجف آبادى، و كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٥١

النجف آبادى هذا من رجال العلم الاتقياء، و قد اسسها فى اواخر القرن الثالث عشر الهجرى، و وقفها للجميع، و حين بنى التاجر المعروف الحاج محمد رضا الشوشترى (حسينية الشوشترية) فى سنة ١٣١٩ هجرية (بعقد السلام) من محلة العمارة نقلت هذه جانب من مكتبة الحسينية الشوشترية

المكتبة بناء على وصية صاحبها الواقف، الى هذه (الحسينية)، و كان عددها يومذاك نحو (٢٠٠٠) كتاب و اصبحت منذ ذلك اليوم تعرف بمكتبة (الشوشترية) ثم بدأت تتسع بما كان يضيف اليها بعض المحسنين من الكتب و بما كان يوصى الموصون بنقل كتبهم اليها و وقفها عليها، بعد موتهم، و من هذه الكتب كانت كتب السيد محمد رضا النجفى الحلى، فقد نقلت كتبه بعد وفاته من الحلة الى النجف، و قد اجرى عليها الميرزا حسين النائينى المرجع الروحانى صيغة الوقف بخطه على ما روى الشيخ جعفر محبوبه .

و من هذه الكتب التى ضمت اليها، كانت بقية الكتب الخاصة بالمكتبة المرتضوية العامة، التى كان قد اسسها الحاج ميرزا عبد الرحيم (بلبله بادكوبه) و منها كتب الشيخ جواد الزنجانى، و منذ مدة و المكتبة محدودة ليس لها من الموارد ما يضمن لها الاتساع غير بيت

سكن كان قد وقفه مؤسسها (النجف آبادي) لانفاق ثمن ايجاره عليها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٥٢

و في هذه المكتبة التي تحتوى على عشرة آلاف نسخة من الكتب اليوم عدد من المخطوطات النفيسة، و اغلبها مستنسخة من نسخها الاصلية و بخط مؤسسها (النجف آبادي) فقد كان رجلا، عالما، فاضلا، و يبلغ عدد مخطوطاتها نحو (١٠٠٠) كتاب.

و من نواذر كتبها:

- ١- كتاب ضياء العالمين
- ٢- كتاب انوار التوحيد
- ٣- كتاب الصوارم الحاسمة.
- ٤- تلقيح المناظر- تأليف ابن الهيثم، و هو من كبار علماء الفلسفة و العلوم الرياضية.
- ٥- تهذيب الأحكام لمؤلفه محمد بن الحسن الطوسى.
- ٦- نتائج الافكار لزين الدين بن على بن احمد العاملى مخطوط بسنة ٩٥٠ هجرية.
- ٧- شرح الياقوت مخطوط بسنة ٧٨٧ هـ.

مكتبة مدرسة القوام

و من المكتبات العامة: المكتبة التي تأسست مع مدرسة القوام الواقعة فى مجلة المشراق و بجوار مقبرة الطوسى، و التي بنيت بنفقة فتح على خان الشيرازى فى اوائل القرن الرابع عشر الهجرى و قد تناقل اخبار كتبها العلماء و الفضلاء، و كان لمكتبتها فضل فى تسهيل مهمة الطلاب و جلهم كان من فحول العلماء و هى الاخرى لم يعد لها ذكر اليوم و قد آلت كتبها الى الضياع و التلف.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٥٣

مكتبة مدرستي الخليلي

و للحاج ميرزا حسين الخليلي مدرستان احدهما تسمى بمدرسة الخليلي الكبرى، و هى واقعة عند (راس عقد السلام) من محلة العمارة، و الثانية تسمى بمدرسة الخليلي الصغرى و هى واقعة فى الشارع الذى يلى (عقد السلام) المذكور، و قد عنى الحاج ميرزا حسين الخليلي ايام زعامته الدينية بمكتبة هاتين المدرستين فضم اليهما كتبه الخاصة ثم حمل بعض الجهات على شراء بعض الكتب و وقفها عليهما، و قد اسهم فى شراء هذه الكتب عدد من التجار، و الامراء، و اهل الفضل، كان منهم (معتمد السلطنة محمد حسين خان امير نيچ) و (امير تومان) و اكثر من خصصها بالعبارة بعد وفاة الحاج ميرزا حسين ابنه الشيخ محمد الخليلي، و قد كسبت المكتبتان فى وقتها شهرة كبيرة بما احتوتا عليه من المصادر المهمة فى التاريخ، و العلوم، و الفقه المخطوطة و المطبوعة، مراعاة لطبيعة الوقف الذى وقفه الحاج ميرزا حسين الخليلي الذى قصر سكنى هذه المدرسة على طلاب مراحل دراسة (الخارج)، فكان لا بد ان تكون كتب هاتين المدرستين من كتب الاختصاص العالى فى مختلف العلوم، و كان تأسيس هاتين المكتبتين فى زمن متقارب لا يتجاوز الخمس الاول من القرن الرابع عشر الهجرى، و ما كان قد طرأ على مكتبات المدارس الدينية فى النجف من الضياع قد طرأ على هاتين المكتبتين فاختلف الكثير من كتبهما و تلف البعض لكثرة الاستعمال، و لم يبق الا عدد قليل لا يتجاوز اليوم (٢٠٠٠) كتاب عددا.

مكتبة مدرستي الاخوند

و للشيخ محمد كاظم الخراساني المشهور (بالاخوند) ثلاث مدارس
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٥٤

بناها في ايام زعامته الروحية في نحو الربع الاول من القرن الرابع عشر الهجري، و لما كان الشيخ (الآخوند) اكبر مرجع روحاني فقد
عنى عناية خاصة بأسلوب التدريس و تغيير طرق البحث، خصوصا في علم (الاصول) فقد اكتظت المدارس و دور البحث بعدد
الطلاب من جميع الاقطار الاسلامية و اصبحت الحاجة الى الكتب اكثر من اى وقت آخر بسبب الاقبال على الدرس، و حضور بحث
(الآخوند) خاصة، فاهتم الآخوند اهتماما كبيرا بمكتبة المدرسة الكبرى الواقعة عند نهاية (فضوة الحويش الصغرى) من محلة الحويش،
و مكتبة المدرسة الوسطى الواقعة في شارع (آل الاعسم) و القاموسى من محلة البراق، حتى لقد ضاقت الغرف المخصصة للكتب في
هاتين المدرستين، و قد امتازت مكتبة المدرسة الكبرى بانها حوت جميع الكتب و المصادر التي يحتاج اليها الطالب من اول دراسته
المبتدئية حتى آخر مراحل التدريس، و قد احتوت على كثير من النسخ المكررة بقصد تسهيل الاستعارة، و المطالعة لأكثر عدد من
طلاب العلم، اما مكتبة المدرسة الوسطى فعلى انها اقل عددا من المكتبة الاولى فقد كانت تضم الكتب النادرة للدراسات العليا على
غرار مكتبتى مدرستي الخليلي و ان حال المكتبتين اليوم بسبب فقدان العناية و مرور الزمن، كحال مكتبات المدارس الاخرى من
التلف و فقدان الكتب المهمة و مع ذلك فان مكتبة المدرسة الكبرى لا يقل عددها عن (٢٠٠٠) كتاب و بضمنها المخطوطات النادرة
المهمة.

مكتبة مدرسة اليزدى

و هي مكتبة انشئت في نحو الثلث الاول من القرن الرابع عشر الهجري، بعد انتهاء بناء المدرسة الكبيرة الفخمة التي بناها السيد محمد
كاظم اليزدى في الشارع المسمى اليوم باسم مدرسة اليزدى، من سوق الحويش، و ميزة
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٥٥

هذه المكتبة ليس في وفرة كتبها و ما تضم من المصادر التي يحتاج اليها طلاب العلم فحسب، و انما لادن ما طرأ على كتبها من
طوارئ الفقدان و التلف كان اقل من مكتبات المدارس الاخرى، و السبب ان هذه المكتبة كانت موضع عناية خلفه السيد على
اليزدى، و قد كان من المراجع الروحانيين بعد ابيه، ثم موضع عناية اولاده و احفاده حتى اليوم، و لما كان انفراد السيد محمد كاظم
اليزدى بالزعامة الروحية الشيعية انفرادا قل نظيره في التاريخ، فقد سهّل ذلك تأسيس اكبر مكتبة بالنسبة لمكتبات المدارس في افخم
مدرسة في يومها و هي اليوم احدى مكتبات المدارس المهمة في النجف.

المكتبة المرتضوية

و من اهم المكتبات العامة التي نسقت تنسيقا عصريا في برامج منتظمة كانت (المكتبة المرتضوية) التي تأسست في نحو الربع الاول
من القرن الرابع عشر الهجري، و قد اسسها الميرزا عبد الرحيم (بلبله بادكوبه) و هو رجل من افاضل العلم جاء النجف من
(بادكوبه) بالقفقاس، فأسس مدرسة عصرية للعلوم الحديثة في قبال المدرسة (العلوية) باسم (المدرسة المرتضوية) و الى جانبها اسس
مكتبة عامرة بجميع صنوف الكتب في الدار الواسعة المعروفة بدار (آل الفاضلي) في محلة المشراق، و قد امتازت هذه الكتب بما كان

يصلها من المجلات و الصحف من جميع الانحاء الى ما كانت تحتوى عليه من امهات الكتب، و على ان الانفاق عليها كان من اهل الفضل و من المحسنين، فقد قيل يومها ان لروسيا يدا في معونتها لان تكاليفها كانت جد كبيرة، و عدد كتبها تجاوز عشرة آلاف نسخة، على ما يذكر الذين ادركوها، و كانت المكتبة مكتظة بروادها صباحا و عصرًا، و حين وقعت الحرب العظمى الاولى، كان مؤسسها الحاج عبد الرحيم في

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٥٦

الهند، فالزم بالاقامة الجبرية في بمبي، و انقطعت النفقات، و قد تصدى الشيخ ابو القاسم الماقمقاني لحفظ كيان المدرسة و المكتبة زمنا، و لكن سوء الاحوال قد قضى على المشروع، و اغلقت المدرسة و المكتبة، و باقتراح من الشيخ ابى القاسم نقلت بعض كتب هذه المكتبة الى مكتبة حسينية (الشوشترية) و نقل البعض الاخرى الى مكتبات المدارس الاخرى و ختم بذلك تاريخ احدث مكتبة عامة تأسست على الانظمة الجديدة في النجف.

مكتبة الرابطة

تأسست مكتبة الرابطة لأول مرة في البيت التابع لمدرسة آل الخليلي بعقد السلام، مع تأسيس جمعية الرابطة العلمية، ثم انتقل مركز الجمعية و انتقلت المكتبة معه الى بيت آل العاملي المتصل بمقبرة آل الخليلي، و هنا ازدهرت المكتبة و الف القراءة ارتيادها، و لقيت من السلطات الرسمية تشجيعا ماديا، استطاعت ان تستعين به في شراء بعض المصادر المهمة كدائرة المعارف الانكليزية، و دائرة معارف البستاني، و دائرة معارف القرن العشرين لفريد و جدي، و اهم المراجع التاريخية، و اللغوية و حين بنت جمعية الرابطة بنايتها خلف السور مما يلي محلة البراق، خصصت لمكتبتها جانبا منها و ناطت الاشراف عليها باحد اعضائها، و لقد تم تأسيسها في نحو السنة ١٣٥١ هجرية، و ليس فيها من المخطوطات الا القليل مما اهدى اليها، و يبلغ مجموع كتبها نحو ٣٥٠٠ مجلد.

مكتبة الامام أمير المؤمنين

شعر الشيخ عبد الحسين الاميني حين شرع بتأليف موسوعته (الغدير) بنقص كبير في عدد المصادر المطبوعة، و المخطوطة، لمن يريد ان يقدم

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٥٧

على اصدار موسوعة، كاملة، مهما كان نوعها و موضوعها، و ذلك اما لانعدام هذه المصادر في المكتبات العامة في النجف، او لقلتها بحيث يتعذر تتبعها من قبل قارئ واحد، و لمدة طويلة، و هذا ما دعاه الى ان يطوف بعدد كبير من المكتبات في كثير من الاقطار الاسلامية بحثا عن تلك المصادر التي كثيرا ما ورد ذكرها في بطون الكتب و الفهارس، دون ان يتسنى العثور عليها بسهولة، حتى استطاع ان يجمع لموسوعته كل هذه المادة، و من هنا انبثقت في نفسه فكرة القيام بتأسيس مكتبة واسعة يجمع فيها اكبر عدد ممكن جانب من طوابق مدرسة الامام

من امهات الكتب المخطوطة، و المطبوعة، ليسهل بذلك مهمة الدارسين، و المتتبعين، و المؤلفين، و يوفر عليهم المشاق التي كابدها هو حين اضطره تأليف موسوعة الغدير الى التجوال و التطواف، بكثير من المدن التي عرفت بخزائن كتبها، و قد ساعدته على انجاز هذا المشروع الخطير شخصيته، فاستعان بعدد من اهل الفضل، و الاحسان، و المعرفة، من ايران، و ما هي الا جولة حتى قامت في النجف مكتبة تعد من اكبر المكتبات العلمية الاسلامية من حيث الكيفية، ثم ما لبث ان اشترى لها بيتا بتلك المساعدات عند منتهى

سوق الحويش، وهدمه و شاد منه خزانه على احدث هندسة لحفظ الكتب، وقاعة منظمة للقراءة، و المطالعة، ثم اشترى لها بيوتا اخرى ستدخل ضمن هذه المكتبة، و على ان عمر هذه المكتبة لم يزد اليوم على ثلاثين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٥٨

سنة الا قليلا، فقد حوت نحو ٣٠ الف كتاب تغني الكثير من المتبعين عن طلب المزيد لما جمعت من نوادر الكتب المطبوعة، اما المخطوطة فهي في حدود (٣٦٠٠) كتاب و قد تأسست سنة ١٣٥٣ و الكتب لا تزال منذ اول تأسيسها حتى اليوم في زيادة مطردة.

اما محتوياتها من المصاحف النفيسة الفنية فهي من نوادر المخطوطات المذهبة التي قل نظيرها في المتاحف الفنية، و قد جمعت من مختلف المتاحف من بيوت الامراء، و الاكابر، في ايران، و الهند، على سبيل الهدية، و غير هذا فان لمخطوطاتها من الكتب القديمة النفيسة (كمفاتيح الغيب) و هو تفسير الامام ابي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي البكري الطبرستاني الشافعي المعروف بفخر الدين الرازي المتوفى عام ٥٦٦ هـ و الذي اكمل تفسيره نجم الدين القمولى، و شهاب الدين الخويي، و هو مطبوع

احدى قاعات المطالعة في مكتبة الامام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٥٩

و لكن النسخة الخطية في مكتبة الامام تعتبر من انفس الآثار بين الكتب المخطوطة.

و من اهم مخطوطاتها:

- ١- من لا يحضره الفقيه و يرجع خطه الى ٩٨١.
- ٢- غرر الحكم و درر الكلم يعود الى سنة ٧٤٠ هـ.
- ٣- التبيان للشيخ الطوسي، يرجع تاريخ خطه الى سنة ٥٥٠ هـ.
- ٤- الكشاف للزمخشري مخطوط بسنة ٧٣٦ هـ.
- ٥- صحاح اللغة للجوهري يرجع خطه الى سنة ٧١٣ هـ.

مكتبة المنتدى

تأسست مع تأسيس جمعية منتدى النشر و نمت بذرتها اول ما نمت في بيت السيد موسى آل بحر العلوم في محلة المشراق و ذلك في نحو سنة ١٣٥٤ هجرية و حين انتقلت جمعية المنتدى الى بيت (البانو) في شارع (الصد تومان) كانت المكتبة في ابان ازدهارها و نمت اكثر في البيت الواقع بشارع آل دوش حتى انتقلت اخيرا الى بناية جمعية المنتدى الجديدة الملتصقة بالصحن الشريف من جانب السوق الكبير، و نواة هذه المكتبة قد تألفت من مجموعة الكتب التي تبرع بها أعضاء الجمعية و لم يزد مجموعها على (٣٠٠٠) كتاب و كلها مطبوعة و ليس فيها من المخطوطات الا القليل الذي لا يزيد على ٥٠ كتابا اهمها (المختلف) للعلامة الحلبي، و (الكفاية) للزيوارى، و (المفاتيح) للكاشاني.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٦٠

المكتبة العامة

و هي المكتبة التي اسستها وزارة المعارف في سنة ١٣٥٥ هجرية ثم التحقت بعد ذلك بالادارة المحلية و هي واقعة في مدخل مدينة النجف و خلف حديقة (ابو كشكول) في بناية بنتها الادارة المحلية خصيصا لها.

اما كتب هذه المكتبة فلا تزيد على ٩٠٠٠ مجلده و كلها من الكتب المطبوعة و المصادر التي تقتضيها المراجعات العامة من تاريخ، و لغة، و ادب.

مكتبة جمعية التحرير

هي اليوم في بناية (جمعية التحرير الثقافي) الواقعة في جهة السور من محلة العمارة شمالا و قد استستها الجمعية لتكون مرجعا لطلابها، فعنت اكثر ما عنت بالمصادر الضرورية للغة، و الادب، و التاريخ، و كان تأسيسها سنة ١٣٥٦ هجرية و هي السنة التي تأسست فيها جمعية التحرير في النجف، و تحتوي على ١٢٥٥ كتابا بينها عدد من المخطوطات القديمة و هي كسائر المكتبات العامة مفتوحة الابواب في وجوه مرتادها من القراء و المطالعين.

مكتبة حنوش

مؤسس هذه المكتبة هو الحاج كاظم حسون آل حنوش و على ان الحاج كاظم رجل امي لا يعرف القراءة و الكتابة فقد كان محبا للعلم و اهله، و حين هاجر من النجف الى البصرة اقام في بيته مكتبة ما لبثت ان عمرت بطائفة من الكتب الجليلة و المراجع المهمة في مختلف العلوم و قد كان يوصي باعة الكتب بأن يحجزوا له من كل ما يرد اليهم من الكتب الجليلة نسخة موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٦١

فيدفع بها للتجليد، ثم يصرفها الى جانب كتبه، و قد قال لنا و هو في البصرة انه انما يفعل ذلك لكي يبنى له مقبرة في النجف و الى جانبها يقيم مكتبة عامة يقفها على القراء بقصد الاستثابة، او الكفارة عن عمر قضاة محروما من فضيلة القراءة و الكتابة، و هكذا قامت مكتبة حنوش الى جانب قبره في محلة البراق. و قد تأسست سنة ١٣٧٠ هجرية، اما عدد كتبها فهو نحو ٣٠٠٠ كتاب في مواضيع مختلفة و ليس فيها من المخطوطات الا بضعة كتب او اقل من ذلك و لم تعدم هذه المكتبة عددا من القراء يقصدونها في كل يوم.

مكتبة الشيخ آغا بزرك

الشيخ آغا بزرك صاحب موسوعة (الذريعة الى تصانيف الشيعة) من تلامذة الامام الشيرازي بسامراء، و من الباحثين و المتبعين، و قد تملكته رغبة البحث عن الكتب منذ بداية اشتغاله بطلب العلم، و منذ ذلك الحين و هو يفكر ان يضع قاموسا واسعا باسماء جميع الكتب المصنفة من قبل الشيعة من اول تاريخهم حتى اليوم فابتدأ يعد لهذه الرغبة عدتها و شرع منذ منتصف القرن الرابع عشر الهجري بوضع اساس هذه المكتبة بسامراء حيث كان يقيم، و حين اتخذ النجف مسكنا نقل مكتبته إليها، و اولها كل عناية ممكنة لا مثاله، و قد تيسر له جمع الكتب من مختلف الجهات و على الاخص من مصر و ايران، حتى أصبحت مكتبته اليوم من المكتبات المرموقة لما تجتمع فيها من نفائس الكتب المطبوعة و المخطوطة التي يرجع لها الفضل بعد ملكاته العلمية في مده بهذا الفيض الذي الف به هذه الموسوعة الكبيرة الخطيرة التي صدر منها اليوم نحو بضعة عشر مجلدا ضخما، في خزائن مثبتة في الجدران و في قماطر مستقلة، و مصنفة، تصنيفا جيدا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٦٢

بعض القماطر من مكتبة الشيخ آغا بزرك

وان مجموع مكتبة الشيخ آغا بزرك هو (٥٠٠٠) مجلد، و من هذا المجموع:

١٠٠ نسخة من المخطوطات النادرة و اهم هذه المخطوطات هو:

- ١- مناهل الضرب للسيد جعفر النشابى الاعرجى.
 - ٢- (مصباح السيد ابن طاووس) فى الادعية.
 - ٣- (مصباح الشيخ الطوسى) فى الادعية.
 - ٤- (آداب المناظرة) للعضدى.
 - ٥- (ابواب الجنان) للمولى محمد رفيع القزوينى.
 - ٦- (اثبات الواجبات الجلالية) للمولى جلال الدين الدوانى.
 - ٧- (احكام اهل الآخرة) للسيد الشريف المرتضى.
 - ٨- (اخلاق ناصرى)- فارسى- للشيخ نصير الدين الطوسى.
 - ٩- (ارشاد الاذهان) للعلامة الحلى.
 - ١٠- (بعض المباحث فى علم الكلام) للسيد الشريف المرتضى.
- و منذ عشر سنوات وقف الشيخ آغا بزرك مكتبته هذه على طلاب العلم فى النجف و اخرجها من ملكيته الخاصة الى الملكية العامة و ذلك فى سنة ١٣٧٥ هجرية، و عدت منذ ذلك الحين فى عداد المكتبات العامة، و هى فى بيته الواقع فى الشارع الثانى من الجديدة فى النجف.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٦٣

مكتبة الامام الحكيم

تعتبر مكتبة الحكيم اوسع المكتبات العامة فى النجف تنظيماً، و انتشاراً، و محتوى، و ذلك بفضل العناية الفائقة التى اولاها اياها الامام السيد محسن الحكيم بناء على ما لمس من شدة الحاجة للكتاب و المكتبات عند الطلاب و القراء و المتبعين الذين زاد عددهم فى السنين الاخيرة، فقد اتسعت حركة الدراسة فى هذه السنين اتساعاً لم تعد المكتبات الموجودة فى النجف تكفى لسد الحاجة.

ثم ان النجف لم تكن وحدها التى اثارت اهتمام الامام الحكيم و انما رأى ان يشمل النشاط فى تأسيس المكتبات اكبر عدد من المدن و بأقصى الاستطاعة فخطا الخطوة الاولى فى شراء الدور المجاورة للمسجد الهندى عند باب القبلة من الصحن الشريف فى موقع يعتبر من اهم المواقع المناسبة لقيام مكتبة عامة عليها، و هدم هذه الدور، و شيد منها مكتبة راعى فيها كل مقتضيات

الطابق الاعلى من مكتبة الامام الحكيم

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٦٤

التى تضمن لها الاتساع و لمرتابها حرية العمل من المطالعة، و النقل، و الاستنساخ، ثم شجع افتتاح الفروع لها حتى بلغ عدد فروعها اليوم ستين فرعاً ألحق أغلبها بالحسينيات، و المساجد فى المراكز و المدن العراقية المهمة، كما اصبح لها فى خارج العراق ثمانية فروع و كلها تستمد المعونة من الامام الحكيم.

تأسست مكتبة الحكيم فى سنة ١٣٧٧ هـ و تألفت نواتها من كتب الحكيم الخاصة اولاً، ثم شرع بالبذل فى شراء الكتب بنشاط منقطع النظر بحيث صار مجموع كتبها لا يقل عن (١٥٠٠٠) مجلد من الكتب المطبوعة و نحو (٢٥٠٠) من الكتب المخطوطة و بينها عدد غير قليل من الكتب النفيسة النادرة و عمرها لم يزد على بضع سنوات !!..

و الى جانب الكتب المخطوطة النادرة فان مكتبة الحكيم تضم عددا من المصاحف المخطوطة بأقلام اشهر الخطاطين، و الرسامين المعروفين بهندسة الزركشة الفنية و التلوين فى القرون الماضية و على الاخص فى القرن الحادى عشر، و الثانى عشر، و الثالث عشر الهجرى، مما تعتبر من آيات الفن الخالدة.

و هنالك ميزة ذات أهمية كبرى امتازت بها هذه المكتبة العامة التى لم يسبقها اليها سابق و هى انها قد عنيت عناية مخصوصة بتاريخ النجف العلمى و الثقافى، و المؤلفين النجفيين على اختلاف نزعاتهم فجمعت كل ما خص النجف، و كل ما انتج المؤلفون النجفيون من مطبوع و مخطوط فى جناح خاص منها و بذلك سهلت للباحثين، و المتتبعين مهمة جد خطيرة و اغنت المؤرخين و الدارسين عن بذل الجهود الشاقة فى ملاحقة اى موضوع يتعلق بالتراجم و الكتب و المواضيع ذات العلاقة بالمؤلفات النجفية و المؤلفين النجفيين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٦٥

اما اهم مخطوطات هذه المكتبة فتتلخص فيما يلى:

- ١- (المبسوط) للشيخ الطوسى المتوفى سنة ٤٦٠ هجرية و هو بخط على بن الحسين الوارانى و يرجع خطه الى سنة ٥٨٦ هجرية.
 - ٢- (اجوبة المسائل) للشيخ ابن ادريس المتوفى سنة ٥٩٨ هجرية و هو بخط جعفر بن احمد بن الحسين الحائرى و قد املاه عليه ابن ادريس فى سنة ٥٨٨ هـ.
 - ٣- (منتهى المطلب فى تحقيق المذهب) للعلامة الحلى المتوفى سنة ٧٢٦ هجرية و هو مخطوط بخط المؤلف، و (المختلف) و هو الآخر من مؤلفات العلامة الحلى و مخطوط بخطه فى سنة ٦٩٩ هـ و فى مجلدين، و (نهج الحق و كشف الصدق) للعلامة الحلى مخطوط فى سنة ٧٣٤، و منتهى (السؤال) للعلامة الحلى مخطوط سنة ٦٩٧ هـ.
 - ٤- (نهج البلاغة) للشريف الرضى المتوفى سنة ٤٠٦ هـ بخط الحسين ابن اردشير الطبرى سنة ٦٧٧ و عليه اجازة يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلى الحلى بنفس التاريخ.
 - ٥- (شرح شواهد المفصل) للفاضل مظهر الدين محمد مخطوط سنة ٧٧٢ هـ.
 - ٦- (مختصر خلاف الشيخ الطوسى) مخطوط سنة ٦٩٩ هـ.
 - ٧- (عصرة المنجود) فى علم الكلام لعلى بن يونس البياضى العاملى مخطوط سنة ٨٣٤ هـ.
- و تحتوى مكتبة الحكيم على ٤٥٠ مخطوطا من كتب الشيخ محمد السماوى
موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٦٦
- المخطوطة و هى اليوم فى نمو مطرد، و يشرف عليها موظفون دائميون، و يجد فيها زوارها كل التسهيلات الممكنة للتزود من كتبها.

مكتبة البروجردى

هذه المكتبة من تأسيسات الامام الحاج آغا حسين البروجردى، الذى اسس المدرسة الجديدة المعروفة باسم (مدرسة البروجردى) و الواقعة خلف السوق الكبير من اليمين عند الخروج من باب الصحن الكبير و قد الحقت بها هذه المكتبة ليستعين بها طلابها فى المراجعة و التتبع، و اكثر كتبها كأغلب مكتبات المدارس العامة تعنى بالفقه، و الاصول، و علم الكلام، و الرجال، بالاضافة الى مئات المراجع التاريخية و الادبية و تحتوى اليوم على ٨٠٠٠ مجلد لامهات الكتب و بينها ٢٠٠ كتاب من المخطوطات القديمة فى التفسير و الحديث و الفقه، و على كثرة عدد طلاب هذه المدرسة فان هذه المكتبة كافية لاغراضهم العلمية و اغراض المراجعين لها من الخارج و قد كمل تأسيس المكتبة كمكتبة تامة فى نحو سنة ١٣٧٨ هـ و اشترت لها اخيرا كتب مكتبة النورى و ضمت اليها.

مكتبة جامعة النجف

هي المكتبة الملحقة بمدرسة (جامعة النجف)، الواقعة عند مفترق جانب من مكتبة (جامعة النجف) التي اسسها الحاج محمد اتفاق موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٦٧

النجف و كربلاء، و طريق النجف و الكوفة، على وجه التقريب، و قد بنيت هذه المكتبة وفق تصميم خاص، انفق عليه المحسن الحاج محمد اتفاق كجزء من بناء المدرسة، و مدها بمبلغ جسيم تم به شراء نحو خمسة آلاف مجلد من اهم المصادر و امهات الكتب و قد تم تأسيسها مع تأسيس المدرسة و ذلك سنة ١٣٨١ هجرية و هي تحتوى اليوم على ٨٠٠٠ مجلد و فى ضمنها ٤٠٠ كتاب مخطوط، و تعتبر من اغنى مكتبات المدارس العامة فى النجف، لتوفر المصادر المطلوبة للتحقيق، و للسيد محمد (كلانتر) الفضل الكبير فى تحقيق فكرة هذه المكتبة الى جانب تحقيق قيام هذه المدرسة.

مكتبات أخرى

و هناك مكتبات عامه اخرى تابعة للمدارس الدينية فى النجف اعرضنا عن ذكرها لقله كتبها و اقتصارها على مواضيع قليلة و اغلبها فى الفقه و الحديث كمكتبة مدرسة الحاج محمد صالح الجوهرجى و غيرها.

جانب من مكتبة مدرسة الجوهرجى

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٦٨

مكتبات النجف الخاصة قديما و حديثا**إشارة**

و مكتبات النجف الخاصة التى يمتلكها اصحابها فى بيوتهم، هى كالمكتبات العامة الملحقة بالمدارس، و المؤسسات، لا يكاد يمر على وفاة مؤسسها بعض زمن حتى تزول من الوجود بالطرق التى اشرنا اليها من قبل، لذلك كان من النادر ان نسمع باسم مكتبة يرجع تاريخها إلى ١٥٠ سنة فقد عاش فى النجف ألوف من العلماء و الباحثين و رجال الادب فى مختلف القرون، و كان لكل واحد منهم فى الغالب مكتبة كبيرة او صغيرة، و لم يبق اليوم حتى اسمها فى الوجود، لذلك فاننا لن نستطيع ان نأتى الا على مقروآتنا و معلوماتنا الشخصية و على بعض المصادر المطبوعة و المخطوطة عن تأريخ النجف الاخير.

مكتبة الرحيم

هى اقدم ما وصل الينا من اخبار المكتبات الخاصة التى تألفت فى اواخر القرن التاسع الهجرى و قد اسسها الشيخ عبد الرحيم و هو جد الاسرة المعروفة باسمه، و قال عنها الشيخ جعفر محبوبة: ان مكتبتها كانت تضم كتبا نفيسة كثيرة، و قد تلفت و لم يبق منها شىء و قد

اجيز الشيخ الرحيم من الامام

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٦٩

الكركي اجازة علمية قال عنها الشيخ جعفر: انه وقف عليها و قال ان العلم انقطع عن هذه الاسرة و لم يبق منهم احد.

مكتبة آل الطريحي

و آل الطريحي من اقدم الاسر العلمية فى النجف، و ليس من شك ان كانت لبعض علمائهم مكتبات خاصة، غير ان اشهر هذه المكتبات التى جاء ذكرها فى تراجم الاسر و فى تاريخ المكتبات هى مكتبة الشيخ فخر الدين الطريحي، التى لم يبق اليوم الا ذكرها فقد تنقلت كتبها من مكان الى مكان و لم يبق منها شىء.

روى الشيخ جعفر محبوبه عن هذه المكتبة ان انقاضا منها لم تزل موجودة و هى مبعثرة متفرقة فى ذريته ثم قال: «و حدثنى بعض الاعلام انه رأى بعينه فى سرداب فى دار الشيخ نعمه الطريحي (ره) ما يقرب من ثلاثة أحمال أوراقا مبعثرة قد أتلها المطر فنقلت و أليت فى البحر و هو (ره) كان قد رتب بعض الاوراق فكملت عنده بعض الكتب منها» و كان تأسيسها فى طلائع القرن الحادى عشر الهجرى

مكتبة الجزائرى

و الجزائرى هذا هو الشيخ احمد جد الاسرة الجزائرية الشهيرة، و هى اسرة علمية اشتهرت مكتبة جدهم بما كانت تضم من الكتب الخطية النادرة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٧٠

و على الاخص فى الفقه، و الحديث، و الرجال، و من الحواشى التى وجدت، و الاجازات التى كتبت على صفحات بعض الكتب القديمة يستدل على نفاسة تلك المخطوطات، و قد تأسست هذه المكتبة فى اواخر القرن الحادى عشر الهجرى و تعتبر من اقدم المكتبات الخاصة التى وصلتنا اخبارها، و بعد وفاة الشيخ احمد انتقلت هذه المكتبة وراثه الى اولاده ثم توزعت، و كان لدى الزعيم الروحانى الشيخ عبد الكريم الجزائرى و لدى اخيه الشيخ محمد جواد الجزائرى عدد من هذه الكتب الموروثة.

مكتبة السيد عبد العزيز

هو جد اسرة آل الصافى المعروفة فى النجف و قد كانت له مكتبة زاخرة بأنفس المخطوطات المجلدة و المذهبة، تعد بالالوف، و اشار اليها الشيخ جعفر فى ماضى النجف و حاضرها، و جاء فى (نهج الصواب) ان السيد عبد العزيز قد وقفها على اولاده و انها قد تفرقت بعد ذلك و تلفت، و اتت على اغلبها الارضة حتى القيت جملة منها فى البحر، و فى الآبار، و قد رأينا نحن بعض هذه الكتب و عليها اشارة الوقف فى بيت السيد محمد رضا الصافى احد احفاد السيد عبد العزيز، اما تأسيس هذه المكتبة فقد كان فى منتصف القرن الثانى عشر.

مكتبة آل بحر العلوم

و هذه المكتبة من اقدم مكتبات النجف الخاصة التى وصلت اليها اخبارها ايضا فقد اقتناها الزعيم الروحانى الكبير السيد محمد مهدى

بحر العلوم جد الاسرة العلمية الكبيرة المعروفة باسمه في النجف، و ان انفراده بالزعامة

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٧١

الروحية الواسعة جاء نتيجة لتبحره في عدد من العلوم و المعارف بالاضافة الى تبحره في الفقه و الحديث، و اللاهوت، و قد تواترت الاخبار عنه بأنه قلما وجد كتاب في العربية و الفارسية دون ان تكون نسخة لديه منه، و قد قيل ان مكتبته نفسها مثلت هذا البحر من العلوم كما مثله هو، و جاء في (المستدرک) عن السيد محمد مهدي انه: «قد اذعن له جميع علماء عصره و من تأخر عنه، بعلو المقام، و الرياسة في العلوم النقلية، و العقلية، و سائر الكمالات النفسانية و جاء في (ماضى النجف و حاضرها) ان مكتبته كانت مشتملة على نفائس المخطوطات، و كلها محلاة بالذهب، و مجدولة، جيدة الخط و القرطاس، و لم يوجد فيها مطبوع، و انتقلت بعده الى ولده السيد رضا، و بعد وفاته انتقلت الى اولاده السيد محمد تقى، و السيد حسين، و السيد على، و قد جمع اكثرها السيد على آل بحر العلوم صاحب (البرهان القاطع) و كان تأسيس هذه المكتبة في نحو الثلث الاخير من القرن الثاني عشر الهجرى.

مكتبة آل القزويني

من اشهر المكتبات الخاصة بآل القزويني كانت مكتبة جدهم السيد احمد الكبير، و قد حوت هذه المكتبة من النفائس ما اشار اليها غير واحد في ذكر الكتب، و المكتبات، و كل كتبها كان من المخطوطات النادرة، و المنحصر بعضها بهذه المكتبة، و لا يبعد ان تكون لهذه المكتبة آثارها في نشأة عدد من علماء هذا البيت.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٧٢

اما تأسيسها ففي حدود الثلث الاخير من القرن الثاني عشر و قد انتقلت هذه المكتبة النفيسة بعد وفاة السيد احمد الى اولاده، و توزعت عليهم.

و قد نقل الشيخ على كاشف الغطاء: انه يملك في مكتبته نفائس من كتبها، و قد جمع السيد مهدي القزويني بعد ذلك على ما روى الشيخ جعفر محبوبه نقلا عن (نهج الصواب) كثيرا من الكتب العلمية، و الادبية، و كتب النسب، حين اقامة السيد مهدي في النجف، فضاهاى بها اشهر مكتبات النجف، و اوسعها، و فيها مؤلفات من سائر الفنون و قد احتوت على ما ينيف على ألف مجلد من الكتب المخطوطة الجيدة، و جملة منها بخطوط مؤلفيها، و قد انتقلت اليه بالارث من ابيه السيد حسن، و من كتب عمه السيد باقر، و زادها اولاده من بعده، و هي اليوم متفرقة عند احفاده في النجف و الحلّة .

مكتبة الشيخ جعفر الكبير

هو صاحب كتاب (كشف الغطاء) الذي لقب الاسرة باسمه، و قد كان شيخ الفقهاء، قال عن كتابه الشيخ الانصارى على ما روى الرواة ان من اتقن القواعد الاصولية التي اودعها الشيخ جعفر في (كشفه) فهو عندي مجتهد، و جاء في (مستدرک الوسائل) للميرزا حسن النورى عنه «فان نظرت الى علمه فكتابه (كشف الغطاء) الذي ألفه في سفره ينبئك عن امر عظيم، و مقام على في مراتب العلوم الدينية اصولا- و فروعاً» و في اسفاره الطويلة في الحجاز و في ايران استطاع ان يجمع اندر الكتب و انفسها، و امتازت مكتبته بكونها حوت نسخا فريدة انحصرت بها دون المكتبات الاخرى فكانت هي و مكتبة السيد بحر العلوم، باعتبارهما معاصرتين لبعضهما، مضرب

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٧٣

المثل، بيد ان المخطوطات القديمة النادرة في مكتبة الشيخ جعفر كانت اكثر من المخطوطات النادرة في مكتبة بحر العلوم بسبب

الاسفار التي قام بها الشيخ جعفر و دأبه في البحث عن الكتب في جميع مظانها في تلك الاسفار و اقتنائها لها. و كان تأسيس هذه المكتبة في اواخر القرن الثاني عشر الهجرى، و حين توفي مؤسسها انحصرت هذه المكتبة بابنه الكبير ثم بأخيه الشيخ على في قصة سنأتى بخلاصتها في تاريخ مكتبة الشيخ على آل الشيخ محمد رضا الشيخ هادى الشيخ عباس كاشف الغطاء.

مكتبة آل محى الدين

هى مكتبة الشيخ محمد بن الشيخ يوسف محى الدين احد علماء هذه الاسرة؛ و كانت عنده كتب عدت بالالوف. و قد أشار اليها الشيخ على كاشف الغطاء و عدها من المكتبات المهمة بما كانت تحتوى عليه من نفائس الكتب. و حينما مات بيعت هذه الكتب و قد رأيت انا البعض منها فى مكتبة الشيخ قاسم محى الدين و قد كتب عليها الشيخ قاسم انه اشتراها من بعض من وجدها عنده لان عليها حواشى بخط الشيخ محمد الشيخ يوسف، و كان تأسيس هذه المكتبة فى اواخر القرن الثاني عشر الهجرى.

مكتبة الشيخ محمد باقر الأصفهاني

قال الشيخ جعفر محبوبه نقلا عن (نهج الصواب): جمع هذا الشيخ كتباً نفيسة فى سائر الفنون و كان يشتريها بأغلى القيم، و استنسخ جملة كثيرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٧٤

منها، و هو من عشاق الكتب و الحريصين عليها و قد استأجر لها داراً خاصة، و عين عليها قتيماً، و اباح المطالعة و الاستنساخ لكل من اراد، فكانت مكتبته عامه نافعة لسائر المحصلين، و المستفيدين، ثم لما اراد الرجوع الى وطنه اصفهان باع جملة منها فى النجف، و جملة منها فى كربلاء، و حمل ما اختار منها الى اصفهان على ما روى الشيخ على كاشف الغطاء.

و يستنتج من ترجمته الواردة فى (اعلام الزركلى) بتعيين وفاته فى سنة ١٣١٣ هجرية ان تأسيس مكتبته كان بعد منتصف القرن الثالث عشر الهجرى.

مكتبة السيد احمد هلاله

هذا السيد من وجهاء سادات القبائل فى البطائح، و كانت له فى النجف دور و املاك، و قد عرف بهويته الكتب، و اقتنائها، و قد كان ينفق على شراء الكتب كثيراً، و المروى عن كتبه انها كانت من النفائس النادرة، و جلها من الكتب المخطوطة، و قد شاهد بعض كتبه هذه الشيخ على كاشف الغطاء على ما روى فى كتابه (نهج الصواب)، و كان تأسيسها فى اوائل القرن الثالث عشر و لم يبق اليوم منها غير ذكرها فى بعض حواشى الكتب و التراجم.

مكتبة السيد ميرزا الاصفهاني

و قال الشيخ جعفر محبوبه: نقلا عن (نهج الصواب) للشيخ على كاشف الغطاء ان السيد ميرزا الاصفهاني كان من عشاق الكتب و ممن صبا الى جمعها و اقتنائها، و ان لم يكن من اهل الانتفاع بها، و كان حريصاً على كل كتاب فى اى علم و اى لغة، ا كان ملكاً او وقفاً،

و بعد وفاته بيعت هذه الكتب

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٧٥

و ظهر ان جملة منها من موقوفات مدرسة (چهار باغ) في اصفهان، و قد احتوت مكتبته على جملة من المخطوطات القديمة، و بعضها بخط مؤلفيها، او عليها اجازة منهم، و كان فيها (النهاية) لابن الاثير قرئت على مؤلفها، و عليها اجازة منه و هي النسخة التي تضمها الآن مكتبة الامام كاشف الغطاء، و قد مر ذكرها، و لم نجد للسيد ميرزا الاصفهاني ترجمة فيما تحت ايدينا من المصادر لتعيين تاريخا لتأسيس مكتبته، و لكن المظنون من ترتيب ذكره في (نهج الصواب) انه في حدود اوائل القرن الثالث عشر الهجري.

مكتبة الحاج ملا علي الخليلي

و كان الحاج ملا- علي الخليلي مملقا، و زاهدا في المال، و متقشفا غاية التقشف، في ملبسه، و مأكله، و قد ورثت زوجته من ابيها اطيانا، و ثروة، فهي ابنة السيد محمد الرحاوي الذي قامت معركة الزگرت و الشمرت بسبب مقتل اخيه السيد محمود، فوضعت كل ثروتها تحت نفوذ زوجها الحاج ملا علي و لكن زوجها لم تمتد يده اليها لزهده، و نسكه المعروف، غير انه استعان ببعض المال منها في شراء الكتب، و بذلك تألفت مكتبته الكبرى.

و قد كانت هذه المكتبة تمتاز على المكتبات الاخرى في عصرها بما كانت تضم من كتب الرجال، و التراجم، حتى لقد قيل ان كثيرا من كتب الرجال التي ورد ذكرها في بطون التواريخ و التي اعتبرت مفقودة كانت لديه منها نسخة، اذا لم تكن النسخة الاصلية نفسها، و لذلك اعتبرت مؤلفاته في

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٧٦

الرجال من ادق، و اصح ما اؤلف في هذا الباب، و قد روى بعض افراد اسرة الخليلي ان الكتب التي تخص علم الرجال، او تراجم احوالهم و سيرتهم، و على الاخص رجال الحديث، و الرواية، كانت وحدها تتجاوز الف كتاب!!! و هناك نحو الف كتاب آخر في سائر العلوم كان قد وقف الجميع باستئذان زوجته على طلاب العلم فوزعت بعد وفاته على المدارس الدينية و طلاب العلم . اما مؤلفاته فقد انتقلت الى ورثته و لم يزل بعضها عند احفاده و منها بعض مؤلفاته و حواشيه على الاسفار في بعض المكتبات الخاصة في النجف و منها احد مؤلفاته في الرجال و غيره في مكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء. و كان تأسيس مكتبة الحاج ملا علي في حدود العشرات الاولى من القرن الثالث عشر الهجري.

مكتبة السيد علي بحر العلوم

هو حفيد السيد محمد مهدي بحر العلوم، و قد رويت عن مكتبته روايات كثيرة لان جل مكتبة جده قد آلت اليه قبل بيعها، و لانه اضاف اليها ما استطاع ان يجمع من الكتب النفيسة النادرة. و قد روى عنه انه كان سخيا يبذل المال في سبيل اقتناء الكتب، و الحق ان هذا السخاء في شراء الكتب صفة لازمت اعضاء هذه الاسرة في مختلف العصور حتى تكاد لا تجد بيتا من بيوت هذه الاسرة حتى هذه الساعة و لم تصف الكتب في رفوفها

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٧٧

الى السقف مما سنشير الى المهم منها في هذا الحقل، و عند وفاة السيد علي بيعت هذه الكتب. و تفرقت و قد اشترى طائفة من كتبها الشيخ علي آل كاشف الغطاء كما احتفظ بعدد من مخطوطاتها بعض الورثة من اسرة بحر العلوم، و قد تأسست مكتبة السيد علي في

منتصف القرن الثالث عشر الهجرى.

مكتبة آل نظام الدولة

بين آل نظام الدولة- الذين بنى جدهم السور المحيط بمدينة النجف لحفظها من الغارات، و بنى مدرسة الصدر التي مر ذكر مكتبتها- عدد من العلماء، و الفضلاء و الادباء، و الذين عنوا بالكتب و اقتنائها، و كان على محمد خان الملقب بنظام الدولة من اشهر اعضاء اسرته اعتزازا بالكتب لفضله و طول باعه فى العلوم الادبية، و قد جمع من الكتب التي جلبها من مختلف الاقطار العربية منها و الفارسية عددا بلغ عشرين ألف كتاب، و اغلبها مخطوط بخط مؤلفيها فى العصور القديمة، و قد قيل انه كان يوفد رسلا الى جهات بعيدة ليجمعوا له الكتب النادرة، و يشتروها بأعلى الاسعار حتى الف هذه المكتبة الزاخرة بما ندر من الكتب و التي انحصرت بعض نسخها بمكتبته وحده، و كان تأسيسها فى نحو القرن الثالث عشر الهجرى و قد نقل الواقفون عليها: انها كانت كلها مجلدة تجليدا فنيا، و المستنسخة منها كانت بخطوط عدد من الخطاطين المشهورين فى عصرهم، و حين توفى نظام الدولة فى نحو سنة ١٢٧٦ هجرية انتقلت هذه المكتبة الى اولاده، ثم صارت بعد ذلك فى حوزة الحاج على آغا من احفاده و عند موت الحاج على آغا كان وصيه الشيخ عبد الله المازندراني- و هو احد المراجع الدينية- و كان الشيخ على آل كاشف الغطاء ناظرا فى الوصية، و يقول الشيخ عبد العزيز الجواهرى: و حين توفى الحاج على آغا كنت انا من شهود (مزاد) هذه

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٧٨

الكتب، و بين هذه الكتب كانت نوادر من المخطوطات النفيسة، كان منها (طراز اللغة) تأليف السيد على خان المدنى الشيرازى و كان فى مجلدين و هو يجمع بين لغة القاموس و القرآن الكريم و الحديث، و التفسير، و الامثال، بعبارات مختصرة، و لكنها وافية كافية، و كان قد وصل فى تأليفه الى باب (القاف) و (الصاد) من كلمة (قمص)، و قد طبعت نسخة من هذا الكتاب قبل سبعين سنة طبعا حجريا فى الهند، و رأيت نسختين خطيتين منها احدهما فى هذا (المزاد) و الثانية فى مكتبة مدرسة (الصدر) بطهران، و كانت قد انتهت بحرف (الزاي و الراء) ثم رأيت كتاب (صحاح الجوهري) فى مجلدين، و اغلب الظن انه بخط ياقوت المستعصمى فاشترت انا هذين المجلدين، ثم رأيت كتاب (الحدائق الوردية فى تاريخ الأئمة الزيدية) كذلك رأيت (تاريخ قم) الذى الف بالعربية و قدم للصاحب بن عباد فى القرن الرابع الهجرى، و المعروف ان هذه النسخة فريدة و قد انحصرت فى هذه المكتبة .

و اشترى الشيخ على كاشف الغطاء عشرات من كتب آل نظام الدولة فى (المزاد) و تنافس معه فى الشراء عدد من اصحاب المكتبات و هواة الكتب لذلك تناثرت هذه الكتب و توزعت فى أغلب البيوت- و قالت لنا ابنة الحاج على آغا: ان اباهما كان قد اوصى لامها بكتابين مخطوطين، احدهما لسعدى الشيرازى و الثانى لحافظ الشيرازى، و ترك هذين الكتابين فى خزانه الشيخ عبد الله المازندراني بصفة امانة و قال لزوجته: لقد تركت لك هاتين النسختين

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٧٩

على سبيل الهدية و الهبة، و ارجو ان لا تفرطى بهما، فهما نسختان عديمتا النظير من حيث الفن، و التخطيط، و التلوين، و الاخراج. و قد تولى بيع هاتين النسختين التاجر الحاج محمد رضا الشوشترى فى النجف بمائة ليرة ذهباً و باعهما المشتري ببغداد بعد اسبوعين فقط بألف ليرة ذهباً و اخرجهما هذا المشتري الى اوربا.

و كانت للحاج ملا- باقر الشوشتری مكتبة نفيسة أسسها في نحو الثلث الاخير من القرن الثالث عشر الهجري و كانت تحتوى على ٣٠٠٠ كتاب، و معظمها كان من الكتب المخطوطة النادرة التي انفردت هذه المكتبة بالحصول عليها بين المكتبات المعروفة بجمع النادر الفريد، و من اهم هذه الكتب:

١- نسخة من زبور داود يرجع تاريخ خطها الى اوائل القرن الرابع الهجري.

٢- نسخة من (شرح الصحيفة السجادية) قديمة.

٣- نسخة من كتاب (كشف اللثام في شرح شرايع الاسلام) للفاضل الهندي، و هي بخطه.

و ان اغلب كتب هذه المكتبة قد انتقلت بعد ذلك من النجف الى بمبي و قد تلفت، بسبب الرطوبة و انعدمت من الوجود على ما نقلوا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٨٠

مكتبة الخونساري

اسس هذه المكتبة الشيخ آقا محمد علي الخونساري في نحو الثلث الاخير من القرن الثالث عشر الهجري، و كانت تحتوى على عدد كبير من نفائس المخطوطات النادرة التي أفنى عمره في جمعها سنين طويلة، و كان فيها على ما نقلوا، ما لم يوجد في غيرها من المكتبات من النسخ و الكثير منها مخطوط بخطوط قديمة، منها (سلوة الغريب) و (رحلة السيد علي خان المدني الشيرازي) إلى مكة و الهند، و هي التي اكتسبت شهرة كبيرة في عالم الكتب بالنظر لاهمية بحوثها و قد انتقلت وراثته الى أولاده، و كان لها فهرست بأسماء جميع محتوياتها، و لم يبق لها أثر اليوم.

مكتبة النوري

و النوري هذا هو الحاج ميرزا حسين النوري من ابناء القرن الثالث عشر الهجري، و من ابرز العلماء و اكثرهم انتاجا، و اوسعهم اطلاعا بالحديث، و علم الرجال، و السير، لذلك كثرت مؤلفاته في مختلف المواضيع، و ان مثل هذه الوفرة من المعرفة و التأليف كان لا بد له من مؤونه و افره من الكتب بجميع اصنافها و ابوابها،

يقول خير الدين الزركلي في (الاعلام) عنه انه: «فقيه امامي ولد في قرية (يالو) من قرى (نور) احدي «كور طبرستان» و توفي في الغري (بالكوفة)، و من كتبه (نفس الرحمن في فضائل سلمان)، و (دار السلام) في الاحلام، مجلدان جمع فيهما ما يتناقله الناس في ذلك، و (مستدرك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٨١

الوسائل) في الفقه ثلاثة أجزاء و (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الارباب، و (معالم العبر). و (جنة المأوى) و (الفيض القدسي في احوال المجلسي) و (كشف الاستار) و (اللؤلؤ و المرجان) في نقد قراءة التعازي و تحية الزائر في الزيارات و له كتب اخرى و رسائل بالفارسية طبع اكثرها .

و اتسعت دائرة مكتبة النوري اتساعا لفت اليه الانظار فقد بلغ من شغفه باقتناء الكتب و استنساخها و جمعها من مختلف الاقطار، ان رويت عنه قصص كثيرة و اصبح هو بفضل علمه، و احاطته الواسعة، و مكتبته بفضل جمعها المصادر و الكتب النادرة، مرجعين مهمين للبحوث، و الدراسة، و التتبع بجميع صنوفه.

جاء في الاحلام للشيخ على الشرقى ص ٦٠: «و من نوادر هؤلاء الصرعى في حب الكتب كان الشيخ الجليل (النورى) و كان قد اعياه الطلب لكتاب، و صدفة عشر عليه في السوق، و قد عرضته امرأه للبيع، و صادف فراغ كيسه من النقود، فوقف وسط السوق بالقرب من تلك المرأة، و امسك بيده على الكتاب حرصا، و صار لا يستطيع ان ينقل خطوة، و كانت عليه عباءة ثمينه فخلعها و دفع بها للمنادى في المزاد فباعها هذا بثمان بخس، و سلم للمرأة ثمن الكتاب و مشى في السوق، و الطريق، بدون عباءة، و هى مشية لا تناسب و امثاله من رجال الفضيحة و لكنه كان مزهوا بها لامتلاكه الكتاب».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٨٢

و المروى ان هذا الكتاب الذى عشر عليه الميرزا النورى هو اصل من الاصول الاربعماية المخطوطة التى ملك منها فى مكتبته اجزاء كان هو اول من حصل عليها.

و يقول الشيخ عبد العزيز الجواهرى: ان من جملة الكتب النادرة الفريدة التى زخرت بها مكتبته و التى اشار اليها الميرزا النورى نفسه فى خاتمة كتابه (مستدرک الوسائل) هو كتاب: (الاشعثيات) او (الجعفریات) لاسماعيل ابن الامام موسى بن جعفر الصادق (ع) و يعتبر من اهم الكتب، و لما كان الراوى لمضامين هذا الكتاب هو محمد بن محمد الاشعث فقد سمي (بالاشعثيات) ثم كتاب (مسائل على بن جعفر) و كتاب (سليم بن قيس) و بعض الكتب النادرة التى لم يستطع الحصول عليها (المجلسى) لاعتمادها فى تأليف موسوعته (بحار الأنوار)، و الحر العاملى لاعتمادها فى تأليف كتابه.

(وسائل الشيعة) ثم نسخة من (رياض العلماء) الوحيدة التى يمتلكها اليوم اقا محمد باقر بن اقا نجفى باصفهان، و اغلب هذه الكتب- على ما قال الجواهرى- اما ان تكون قد احترقت او تبعتت باستثناء بعض النسخ التى انتقلت الى مكتبة الشيخ فضل الله النورى اما الواقع الذى نعرفه نحن فانه لم يتلف منها الى القليل، و قد ابيتعت اخيرا و ضمت الى مكتبة البروجردى كما مر الحديث عنها.

و يضيف على هذا جرجى زيدان قائلا: «و كان فى النجف خزانه تسمى مكتبة الشيخ ميرزا حسين النورى و كان فيها من جلائل المصنفات فى العلوم و الفنون شىء كثير، و كلها خطية نادرة، الا انها كانت عزيزة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٨٣

المنال كأكثر كتب النجف، ثم تفرقت فى النجف بعد موت صاحبها منذ نحو عشر سنين، و كان له ثلاث مكاتب: هذه التى كانت فى النجف، و الثانية كانت فى طهران، و الثالثة فى هندستان. و الميرزا النورى صاحب تأليف شتى اكثرها طبع فى ايران» و يعتبر تاريخ تأسيس هذه المكتبة فى حدود الربع الاخير من القرن الثالث عشر الهجرى.

مكتبة السيد محمد بحر العلوم

و نواة مكتبة السيد محمد تكونت هى الاخرى من مكتبة جده السيد محمد مهدي بحر العلوم التى آلت اليه بعض كتبها شراء من مخلفات عمه، ثم عنى بها عناية فائقة فأضاف اليها عددا كبيرا من المطبوعات و المخطوطات النادرة و يقول جرجى زيدان عنه: «مكتبة السيد محمد بحر العلوم الطبائى فيها كتب نفيسة الخط، بينها جملة من الكتب القديمة، منها ديوان الشريف الرضى كتب فى عهد مؤلفه و فيه من الاشعار اكثر مما فى النسخة المطبوعة» و مما حوت مكتبة السيد محمد من النسخ النادرة نسخة فريدة من كتاب (بحر الانساب) لاحد علماء القرن التاسع عشر الهجرى و نقل الشيخ جعفر محبوبه عن (نهج الصواب) لمؤلفه الشيخ على كاشف الغطاء و قد اعتمده (محبوبه) فى جل ما نقل فى (ماضى النجف و حاضرها) عن مكاتب النجف؛ ان من محتويات مكتبة السيد محمد بحر العلوم (المجسطى) و (الدرجات الرفيعة) للسيد على خان، و قال عن (بحر الانساب) ان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٨٤

هذا الكتاب قد بيع بعد وفاة السيد محمد و تناقلته الايدي حتى انقطع خبره:

و المروى عن السيد محمد انه لم يترك كتابا نفيسا يعرض للبيع دون ان يتلقفه، و حتى بعد ان كف بصره فان همته فى جمع الكتب النادرة لم تصب بفتور، و حين توفى السيد محمد بيعت كتبه فى المزاد العلنى، و يقول صاحب (نهج الصواب) على رواية الشيخ محبوبه انه شاهد مزاد هذه الكتب العلنى فى الصحن الشريف و قد دام ثلاثة شهور!! و هذا دليل على سعه هذه المكتبة و ما كانت تحتوى عليه من الكتب و كان تاريخ تأسيس هذه المكتبة فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى.

مكتبة شيخ الشريعة

هو المرجع الدينى الذى تولى زعامه الثورة العراقية الكبرى بعد الميرزا الشيرازى و بصفته استاذا من كبار اساتذة البحث و الدرس فضلا عن كونه مرجعا من المراجع الدينية الكبيرة عند الشيعة فكان من الطبيعى ان تكون له مكتبة واسعة يستمد منها العون فى سعه الخبرة و الاطلاع و المناقشة

لذلك عنى بجمع الكتب عناية كبيرة، و جلبها من مختلف الجهات الاسلاميه شراء و قد شهدنا مكتبته هذه فى بيته الواقع فى شارع (الصد تومان) من محله البراق فى النجف، و لم يكن بمقدورنا فى ذلك اليوم ان نتفهم قيمتها، و قد حوت هذه المكتبة عددا كبيرا من الكتب القديمة المخطوطة النادرة فى مختلف العلوم، و على الاخص فى الفقه و الرجال و الحديث و الاداب باللغتين الفارسيه و العربيه، و كان تأسيس هذه المكتبة فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى و كان من بين كتبها الفريده كتاب (جامع الرواة) فى تراجم طائفة كبيرة من مشاهير أهل الحديث و الرواية، و تمتاز

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٨٥

هذه النسخه بكونها جامعه لحواشى و تعليقات من قبل عدد من كبار العلماء المتقدمين بخطوطهم، و قد قيل: ان هذه النسخه صارت من ممتلكات السيد حسن الصدر فى الكاظمين.

و كتاب (لسان الخواص) تأليف رضى الدين محمد بن الحسن، من علماء القرن الحادى عشر الهجرى، و هو مصنف على الحروف الأبجديه، و لم يعثر المتبعون على غير حرف (الالف) منه، و هو فى شرح و تفسير المصطلحات و الكلمات العلميه. و المنقول أنه انفس بحث فى موضوعه على ما نقل (الجواهرى) و لم يؤلف له نظير للان.

و بالنظر لوجود قسم من اسره شيخ الشريعة و هى الاسره التجاريه الثريه فى الهند، و المعروفة (بالنمازيه)، فقد سهل على (شيخ الشريعة) أن يحصل على اكبر عدد من الكتب المطبوعه فى الهند، او المخطوطة شراء، و قد بيعت كتب هذه المكتبة و لم يبق منها الا بعض الشىء عند اولاده و منهم الشيخ حسن المتوفى حديثا و الشيخ محمد الشريعة و هو من المراجع الدينية فى الباكستان اليوم.

مكتبات القرن الثالث عشر الأخرى

إشارة

و هنالك عدد من مكتبات البيوت التى وردت اسمائها فى بعض الكتب و على الاخص فى كتاب (نهج الصواب فى المكاتب و الكتابة و الكتاب) للشيخ على كاشف الغطاء، و قد نقل عنه الشيخ جعفر محبوبه فى كتابه ماضى النجف و حاضرها المكتبات التالية:

أ- كتب بيت العبودي

و هذا البيت معروف بآل الشيخ مشهد، قال الشيخ على كاشف الغطاء
موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٨٦

«اننى وقفت على جملة من كتبهم فوجدتها فى غاية الجودة، و لكن اخنى عليها الدهر فاتفها، فانها مبعثرة تلعب بها صبيانهم، و اطفالهم، و قد استنقذت جملة منها و احيتها، و حفظتها من التلف و هى موجودة فى خزنة كتبى».

ب- كتب بيت المشهد

و هم غير بيت الشيخ مشهد- و كانت لاهل هذا البيت كتب كثيرة نفيسة لم يزل بعضها موجودا حتى اليوم فى ايدى بعض احفادهم.

ج- كتب بيت نجف

و قد كانت عند اهل هذا البيت كتب كثيرة جيدة تلفت و لا يوجد منها الا القليل.

د- كتب السيد حسن الحكيم

و كانت عند هذا السيد كتب كثيرة تفرقت بعد وفاته و لا يوجد منها شىء .

مكتبة الشيخ على آل الشيخ محمد رضا الشيخ هادى الشيخ عباس

نواة هذه المكتبة التى يملكها الشيخ على آل كاشف الغطاء اليوم هى القسم الكبير من مكتبة الشيخ جعفر الكبير جد الاسرة المعروفة
بآل كاشف الغطاء، نسبة لكتاب الشيخ المسمى (بكشف الغطاء) و المكتبة واقعة
موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٨٧
فى بيت آل كاشف الغطاء القديم، الواقع فى شارعهم من محلة العمارة فى النجف.
جانب من مكتبة الشيخ على كاشف الغطاء

فحين توفى الشيخ جعفر آلت المكتبة الى ولده الشيخ موسى كاشف الغطاء، حتى اذا قضى هذا انتقل معظمها الى اخيه الشيخ على، و
كان الشيخ على قد تزوج بأمرأتين احدهما من آل دحيل و قد انجبت له الشيخ مهدى، و الثانية و هى المدعوة (بخزنه) و هى عمه
(وادى) رئيس قبيلة (زيد) و قد انجبت له الشيخ حبيب، و الشيخ عباس، و جاء فى رواية الرواة انه حين توفى الشيخ على كان ولده
حبيب و عباس طفلين صغيرين، و عند القيام بتقسيم الارث رفضت (خزنه) قبول اى ارث غير كتب زوجها، على ما يتناقل الرواة
فاجيبت الى طلبها، و انحصر الارث عندها بمعظم كتب تلك المكتبة، و احتفظت بها فى صناديق خشبية حتى اذا كبر الصبيان و بلغا
رشدتهما، قالت لهما الام على ما تواترت عليه الرواية:

- إننى لم اتزوج أبابكمما إلا لعلمه!! لذلك لم أقبل منه ميراثا غير مناهل هذا العلم فان كنتما نجيين فدونكما هذا المنهل و انهلا منه، و

قد نهلا فعلا، و كانت هذه الصناديق هي المنهل و الاساس لمكتبة الشيخ عباس

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٨٨

ثم لابنه الشيخ هادي، و قد عنى بها الشيخ هادي بالنظر لمنزلته العلمية عناية كبيرة و اشترى كل ما وسعه ان يشتري من الكتب المطبوعة، و المخطوطة حتى نمت و صارت تنافس مكتبة الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فيما ضمت من نوادر الكتب، و اصبحت تسمى باسم الشيخ هادي كمؤسسة جديدة، بناء على ما اضاف اليها من الكتب، و حين توفي الشيخ هادي آلت المكتبة الى خلفه الشيخ محمد رضا، ثم انتقلت بعد وفاته الى حفيده الشيخ على آل كاشف الغطاء و قد توسعت اليوم اكثر بما اضاف اليها الشيخ على من الكتب و ما اولاهها من رعاية و اهتمام.

و يشير (دليل الجمهورية العراقية) الى مكتبة الشيخ على فيقول:

«اسسها في النجف جده الشيخ هادي آل كاشف الغطاء في مطلع القرن العشرين فيها (٥٠٠٠) مجلد في مختلف الموضوعات الدينية، و الأدبية، و التاريخية، و اللغوية، بينها (٦٠٠) مخطوطة فيها نوادر مختلفة منها: تحفة الازهار للسيد ضامن بن شد قم (٣ اجزاء) ..

و لا شك ان هذا العدد من الكتب المطبوعة و المخطوطة و تاريخ التأسيس الذي اورده (الدليل) كان تقريبا. و الواقع أن تأسيسها الجديد على يد الشيخ هادي كان في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، و أن مجموع كتبها اليوم هو (٨٠٠٠) مجلدة، و أما المخطوطات فهي ألف كتاب، و هي في زيادة مطردة منذ ان آلت وراثتها الى الشيخ على.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٨٩

و عرفت هذه المكتبة بكونها أول مكتبة اهتمت الى جانب اهتمامها بالكتب القديمة و المخطوطة بالكتب الحديثة، و لكثرة اهتمام مؤسسها و على الاخص الشيخ محمد رضا في حياة ابيه ان كان يطلب كل كتاب جديد تصدره المطابع من مصر رأسا، و لا يبعد ان يكون دخول الكتب الجديدة الى هذه المكتبة ايام الشيخ هادي كان قبل دخولها الى اية مكتبة من مكتبات البيوت الخاصة في معظم الاقطار العربية ما عدا مصر. و قد امتازت هذه المكتبة بهذه الظاهرة الى جانب امتيازها بوفرة الكتب النادرة النفيسة.

جاء في جريدة الهاتف من العدد ٤٦٢ عن الشيخ على حفيد الشيخ هادي الذي آلت اليه المكتبة بعد وفاة جده الشيخ هادي و ابيه الشيخ محمد رضا، يوم كان الشيخ على طالبا في المدرسة الابتدائية.

«و كان يتحفي باعداد مجلة المقطف كلما وصلت الى ابيه، و بكتاب او كتابين مما كان يصل اليهم بين آونة و اخرى من الكتب الحديثة التي كانت المكتبات المصرية تجريها في حسابهم، و ترسلها بناء على طلباتهم، فكنت اقرأ هذه الكتب و المجلات و أعيدها اليهم عن طريق الشيخ على مصحوبة بالشكر مع الاعجاب برجل من الروحانيين يعنى مثل هذه العناية بقراءة هذه الكتب، تلك العناية التي لم تترك كتابا جديدا فيما يتعلق بالادب، و الاجتماع و التاريخ يمر دون الوقوف على زبدته و الاحاطة بموضوعه على قدر الامكان» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٩٠

و جاء في نفس الجريدة بعد ذلك: «و لقد علمت فيما بعد ان هنالك ناحية اخرى تستحق الاعجاب، و هي ان للشيخ محمد رضا، و ابيه الشيخ هادي، مكتبة نفيسة تحوي أندر الكتب و انفسها من مخطوطة و مطبوعة، كادت تنفرد بها هذه المكتبة دون المكتبات الاخرى»

و يقول جرجي زيدان «ان عند الشيخ هادي بن الشيخ عباس آل كاشف الغطاء خزانه فيها من النفائس و الاعلاق ما لا شبيه له في العراق» .

و الحق انها كما قال جرجي زيدان فان فيها من النفائس و نوادر الكتب العدد الكثير مما لا يوجد في غيرها من المكتبات الشهيرة و

من هذه المحتويات:

– الجزء الخامس من (حقائق التأويل في متشابه التنزيل)، و هو النسخة الخطية الوحيدة من تفسير السيد الشريف الرضى المنقولة عن نسخة فريدة بمكتبة (المشهد الرضوى) بخراسان، و قد قامت جمعية منتدى النشر في النجف بطبعها مشروحة شرحا وافية بقلم الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء، و بمقدمة غاية في الاهمية عن الشريف الرضى بقلم الشيخ عبد الحسين الحلبي لم تزل مرجعا تاريخيا في حياة الشريف الرضى و سيرته و أدبه و لم يعثر الباحثون للآن على بقية اجزاء هذا الكتاب.

٢- كتاب (الاستبصار) للشيخ الطوسي و هو الجزء الاول و قد خط في حياته.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٩١

٣- شرح (صدور مقالات اقليدس) لابن الهيثم.

٤- (شرح ما لا يحضره الفقيه) للمجلسي، الجزء الاول.

٥- ديوان (القيراطي).

٦- (الخلافة) للشيخ الطوسي و منه نسخة في مكتبة الامام الحكيم.

٧- (رجال الخليلي) تأليف الحاج ملا علي الخليلي في علم (الرجال) و تراجمهم.

٨- رجال (اللاهجي) للملا محسن فيض.

٩- (درة التاج) في الهندسة.

١٠- (غاية المرام) للصيمري.

١١- كتاب (عن نبوخذ نصر) مكتوب على رق الغزال و مخطوط قبل الاسلام.

١٢- (نثر الدرر) للوزير الآبي، و يقول الشيخ جعفر محبوبه ان هذا الكتاب قد اخذه محمد امين الخانجي المصري عند مجيئه النجف

ليطبعه في مصر فلما وصل محله راجع الشيخ بضياح الكتاب ثم اضاف الشيخ جعفر قائلا (هكذا فليكن الامين)

١٣- (تذكرة العين) لعلي بن عيسى و لهذا الكتاب قصة ملخصها ان هذه النسخة فريدة و هي مفقودة و قد جاءنا من جامعة (مشيغن)

عن

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٩٢

طريق المهندس حسن الرفيعي بأن نبحت عن هذه النسخة في مخطوطات النجف و ان ندفع في شرائها اي ثمن يفرضه صاحبها او

الاذن باستنساخها لقاء مبلغ يساوي ١٠٠ باون، و قد اخبرنا الشيخ محمد السماوي بأن هذه النسخة موجودة في مكتبة الشيخ هادي

الشيخ عباس و حين اتصلنا بالشيخ علمنا بأن محمد امين الخانجي قد استعارها بموجب وصل لكي يطبقها على نسخة زعم انها

موجودة بمكتبة دار الكتب بمصر و حين طولب بعد ذلك بها قال انه فقدها !!..

مكتبة السيد محمد باقر الأصفهاني الرشتي

هو ابن الزعيم الروحاني السيد اسد الله الاصفهاني الرشتي، المدفون بباب القبلة من الصحن الشريف و الذي انفق على مد النجف

بالماء العذب من نهر الفرات، و قد ارسل ابنه السيد محمد باقر الى النجف لتحصيل العلم، و ما لبث ان تقدم و اصبح من العلماء و

شغف باقتناء الكتب شغفا عظيما، و ساعد على نمو هذا الشغف ما كان لايه باصفهان و لجده الشهير السيد محمد باقر من كتب طالما

اتخذ منها العلماء مراجع للبحث مما كان يعرفها الحفيد، ثم ساعد اكثر في ان تضم مكتبته اجل الكتب، و انفسها، و اغلاها، و اندرها

وجودا ما كان عليه من سعة الحال و الثروة الطائلة فقد كانت له املاك و اطيان و مزارع واسعة باصفهان، ترسل وارداتها كلها اليه بعد

وفاة ابيه، و كان بيته خلف بيت آل زيني و بجانب بيت الجواهرى الكبير، و قد اصبح ندوة علمية اديبة فى هذه المكتبة العامرة، و كان من روادها الشيخ عبد الكريم الجزائرى، و السيد جعفر الحلى، و الشيخ جواد الشيبى،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٩٣

و الشيخ هادى الشيخ عباس، و كثيرا ما اشير الى هذه الندوة التى كانت تعقد فى هذه المكتبة الكبيرة من داره الواسعة. و حين سافر السيد محمد باقر الى اصفهان نقل بعض هذه الكتب التى حملتها بضعة بغال، و خزن الكتب الاخرى فى سرداب كبير بنيت عليها الأبواب و الشباييك بعد ان غمروها بمسحوق التبغ لمكافحة الارضة، و حين توفى اخرجت هذه الكتب من السرداب و بيعت و توزعت على بيوت النجف شراء، و يقدر العارفون عدد كتب هذه المكتبة ببضعة الاف كتاب و اغلبها من المخطوطات النادرة.

أما تأسيسها فكان فى طليعة القرن الرابع عشر الهجرى

مكتبة السماوى

لم يعرف التاريخ عالما فى العصور المتأخرة احاط بالكتب القديمة و توارىخها، و مواضيعها، و قيمة الكتب الاثرية و نفاستها، كالشيخ محمد السماوى، خصوصا فيما يتعلق بالشعر، و الشعراء، و دوواينهم، فهو فى عصورنا المتأخرة كمحمد بن اسحق صاحب الفهرست فى عصره، فقد كان السماوى مرجعا فذا فى تميم الكتب القديمة، و مظان وجودها، بل كان (فهرست) يحتاجه المؤلفون لمعرفة بحوثهم، و مواضيعها، حين يريدون الاحاطة التامة بما يبحثون عنه، و قد جاءته هذه الملكة من افناء عمره الطويل فى جمع الكتب، و المخطوطات بصورة خاصة، و للكتاب فى نفسه منزلة ما حاكها شىء معزة، و حبا، و تقديسا، و لقد روى الراون عنه على سبيل الفكاهة قوله: انه عمل قاضيا اكثر من ثلاثين سنة و كان يجنب نفسه الاتصال بغير اصدقائه الخالص، المنتقين، و كان يرفض قبول اية موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٩٤

هدية من اى شخص، حتى و ان لم تكن له حاجة فى المحكمة، حذرا من ان تشوب حكمه شائبة من العواطف، لقد قال: لقد حاول الكثير اغرائى بشتى الطرق فلم يفلحوا لانهم لم يكتشفوا نقطة الضعف فى نفسى، و لو عرفوا قيمة الكتب عندى، و منزلتها فى نفسى، لافسدوا الى برشوة الكتب كل احكامى !!!

و قد ضمت مكتبة السماوى اندر النسخ من الكتب القديمة الثمينة و منها المخطوطة بخطوط اصحابها، و حين اشترى فى شارع آل الشكرى بمحلة العمارة داره، خص الطابق الثانى بهذه الكتب، و وفر لنفسه مكانا فسيحا للمراجعة و العمل، و قد استخدم عددا غير قليل من الخطاطين فى استنساخ بعض الكتب التى لم يستطع ان يظفر بها شراء، لتكون فى مكتبته نسخة منها كما استعان بعدد من الذين يتق بهم لمعاونته فى استخراج ما كان يريد من المواضيع، من بين هذه الخزائن، اما الكتب النادرة المنحصرة بمكتبته، و الاثيرة عنده، فقد كان ينقلها بخطه، و لشدة خوفه على تلك الكتب الفريدة و حرصه عليها، تعلم التجليد و اشترى الادوات اللازمة و راح يجالدها بيديه تجليدا لا نظن انه كان يقل جودة عن تجليد المجلدين. اما المطبوعات فقد كان يملك منها اعز الكتب المطبوعة فى خارج العراق، (بليدن) او غيرها. و كل مطبوعات بولاق على وجه التقريب، و قد رأينا مكتبته هذه و أفدنا منها، و الذى لم يرها يستطيع ان يتبين قيمتها مما ترك السماوى من مؤلفات يحتاج كل واحد الى مئات المراجع و المصادر، و من مؤلفاته هذه:

١- (الطليعة فى شعراء الشيعة) و هو فى ثلاثة مجلدات.

٢- (ابصار العين فى أحوال انصار الحسين).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٩٥

- ٣- (شجرة الرياض).
 ٤- (ثمرة الشجرة في مدح العترة المطهرة).
 ٥- (قرط السمع).
 ٦- أ (عنوان الشرف في وشى النجف)- ب- (مجالى اللطف بارض الطف)- ج- (صدا الفؤاد الى حمى الكاظم و الجواد) د- (وشائج السراء فى شأن سامراء) و كل هذه الاجزاء الاربعه منظومه بالشعر و مؤرخه جميع حوادث تواريخها بالشعر ايضا، و عدد آخر من مؤلفاته المخطوطه الداله على كثرة المصادر التى يمتلكها.
 و بلغت مكتبة السماوى من سمعة انفرادها بالنفائس ان صارت مقصد الزائرين من جميع الجهات. و قد عدها جرجى زيدان فى ضمن مكتبات السماوة سهوا، و قال عنها انها تجمع طائفة حسنة من المخطوطات و اكثرها فى علم الفلك و الرياضيات.
 و من اهم ما احتوت عليه مكتبة السماوى من المخطوطات:
 ١- (نسخة من المجسطى) منقولة عن نسخة المصنف
 ٢- (شرح التذكرة) للسيد الشريف الجرجانى صاحب كتاب التعريفات
 ٣- (التحفة الشاهية)
 ٤- (المدخل) لكوشيار و قد كتب سنة ٨٠٠هـ.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٩٦
 ٥- (شرح الجغمينى) لجمال الدين التركمانى و قد خط فى نحو سنة ثمانمائه هجرية.
 ٦- (كتاب التفهم) لليرونى.
 ٧- (كتاب الامكنة) للغدة، صاحب الاصمعى.
 ٨- (نشوة السلافة) و هو ذيل على سلافة العصر، للشيخ محمد على آل بشاره النجفى و هذه النسخة فريدة و خاصة بهذه المكتبة.
 ٩- (تفسير نهج البيان) لمحمد بن الحسن الشيبانى و قد صنفه للمستظهر العباسى.
 ١٠- (ذيل الفصح) لابن فارس فى اللغة.
 و من الدواوين عدد كبير و الكثير منها منحصر بهذه المكتبة و اهمها:
 ١- ديوان السيد على خان صاحب (السلافة).
 ٢- (ديوان السيد المرتضى) و هو فى اربعة مجلدات.
 ٣- (ديوان عبد المحسن الصورى)
 ٤- (ديوان صردر) و قد طبع
 ٥- (ديوان الابله البغدادي)
 ٦- (ديوان الغزى)
 ٧- ديوان (السرى الرفاء) و غير ذلك من الدواوين الكثيرة .
 موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٢٩٧
 اما تأسيس المكتبة فقد كان فى طليعة القرن الرابع عشر، و حين توفى السماوى انحصرت الوراثة بابنته فعرضت المكتبة للبيع فتزاحم و تنافس على شراء كتبها عدد من الافاضل و ارباب الخزانات الخاصة، و قد ابتاعت مكتبة الامام الحكيم منها نحو ٤٥٠ كتابا من المخطوطات، و مئات من الكتب المطبوعة، و كان عدد كتب مكتبة السماوى نحو (٦٠٠٠) كتاب.
 اما الدواوين الشعرية فان اغلبها قد انتقل شراء الى مكتبة الشيخ محمد على يعقوبى و الشيخ محمد رضا فرج الله، و المحامى صادق

كمونه و صالح الجعفرى، و هكذا انتهت حياة هذه المكتبة كما قد انتهت و تنتهى حياة المكتبات العامة و الخاصة فى النجف.

مكتبة السيد جعفر بحر العلوم

و هذه مكتبة اخرى من مكتبات النجف الخاصة المنسوبة لآل بحر العلوم، و قد جمعها السيد جعفر مما استطاع ان يحصل عليه من كتب آله المتقدمين، و مما اشتراه من (المزاد)، و قد ساعده على اتساع مكتبته ما هو فيه من سعة العيش، و الرفاه، حتى استطاع ان يضم الى مكتبته عيون الكتب القديمة و الحديثة، و قد أصبحت له خبرة بالكتب النفيسة، فكان يحرص على الاحتفاظ بها، و من اهم ما احتوت عليه مكتبته كما اوردها الشيخ جعفر محبوبه كتاب (محبوب القلوب) لقطب الدين محمد الديلمى، اللاهجى، و هو مرتب على مقدمة فى حقيقة الفلسفة، و منشئها، و مبدأ سائر العلوم، و وصف عظماء و حكماء اليونانيين، و الفرس، و الهند، و سائر البلاد، و ثلاث مقالات: الاولى فى احوال الحكماء من لدن آدم الى بداية الاسلام، و الثانية فى احوال المتفلسفين من الاسلام، و علماء الكلام ممن يهتم الاعتناء بهم،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٩٨

و بشأنهم، و بكلامهم، و نقل مقالاتهم البديعة، و مآثرهم البهية، و قد ذيلها بأحوال عرفاء مشائخ الصوفية الموحدين، و الثالثة فى احوال الأئمة (ع) و ذيلها بذكر بعض المشاهير من العلماء، و خاتمة فى احوال المؤلف، و قد علق على الكتاب حواشى نفيسة، و النسخة مخطوطة فى سنة ١٠٧٨ قريبا من زمن المؤلف، و هو غير مطبوع، و المطبوع منه مقالة واحدة، و من محتويات مكتبة السيد جعفر كتاب (مآثر ملوك فارس) لصاحب حبيب السير، و سلاسل الحديد فى تقييد ابن ابى الحديد للشيخ يوسف البحرانى، صاحب (الحدائق)، و حاشية على (اربعين الشيخ البهائى) و هو اكبر من الاربعين بثلاث مرات، للسيد عبد الله حفيد السيد نعمه الله الجزائرى الشوشترى .

و كانت مكتبة السيد جعفر تعتبر رابع مكتبة مهمة فى وقتها بعد مكتبتى آل كاشف الغطاء و الشيخ محمد السماوى، و قد تأسست فى الثلث الأول من القرن الرابع عشر ثم صارت فى حوزة ابنه السيد هاشم بحر العلوم بعد وفاة ابيه.

مكتبة السيد هاشم بحر العلوم

تأسست مكتبة السيد هاشم بحر العلوم فى حياة ابيه السيد جعفر، و بدأت هواية جمع الكتب تظهر فيه قبل منتصف القرن الرابع عشر، و قد اضاف الى كتب ابيه طائفة من المخطوطات النادرة، و قد عرف فى الاوساط بهذه النزعة فراح يعرض عليه الوارثون ما يرثونه من المخطوطات، و قد صار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٢٩٩

حضور السيد هاشم (المزاد العلنى) من كل اسبوع من قبيل الفروض الواجبة و الذى مكّنه من الحصول على النفائس هو ما كان يسخر به من المال فقد كان فى يسر وسعة اكثر من غيره من الهواة، و على ان مجموع كتب مكتبته ليس كبيرا، و لكنها تضم نسخا نادرة ذات قيمة و هى تبلغ نحو ٤٠٠٠ كتاب حسب الجرد الذى قامت به لجنة منتدبة بعد وفاته و قد اخرج السيد هاشم هذه المكتبة من حوزة الملكية الخاصة، و وقفها للجميع، و لكنها لم تزل لليوم و هى فى بيته محبوسة لم ير وجهها النور على رغم كونها وقفا للجميع، اذ لم يتيسر لزوجته ان تخرجها للناس بعد.

مكتبة الشيخ فرج الله

من اهم مكتبات النجف الخاصة تأتي مكتبة الشيخ محمد رضا فرج الله، و هو من العلماء الذين يكاد الكتاب لا يسقط من بين ايديهم، وقد وعى و لاييه الشيخ طاهر فرج الله مكتبة عامرة بالكتب، فانتقلت هواية اقتناء الكتب و تتبعها بالوراثة اليه مع انتقال المكتبة، و صار ينفق كل ما يقدر عليه على اقتناء الكتب النادرة و البحث عنها في جميع المظان فقلما خلا (مزاد) للكتب من حضوره و على انه سموح كل السماح للذين ينافسونه في زيادة الثمن بحيث كثيرا ما يترك الكتاب للمنافس حين يراه متهالكا عليه و ينسحب خلافا لاغلب من يحضرون المزاد الذين لا يتركون الكتاب و خصوصا اذا كان نفيسا ان يفلت من بين ايديهم، فقد حوت مكتبة طائفة من اهم الكتب المطبوعة النادرة مما كادت تنفرد به بين عدد كبير من المكتبات و معظمها من الطبقات الاولى التي تم طبعها في اوروبا و مصر، اضافة الى عدد من المخطوطات النادرة الثمينة و قد تأسست هذه المكتبة قبل منتصف القرن الرابع عشر الهجري، و حين بنى الشيخ محمد رضا بيته في الشارع الفاصل

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣٠٠

بين محلة الحويش و البراق النافذ الى السور افرد لمكتبته هذا مكانا خاصا بها، و مجاورا لديوانه، و نقلها اليه، ثم اشتد نشاطه في اقتناء الكتب، فأصبحت مكتبته اليوم بما تحتوى عليه، من المكتبات المهمة التي افسحت لها بين تاريخ الكتب في النجف مكانا مرموقا. و تحتوى مكتبة فرج الله على ٨٠٠٠ مجلد، اما عدد المخطوطة فيها فلا تقل عن ١٦٠ مخطوطة، و جلها من النفائس. و بخطوط يرجع بعضها الى عصر مؤلفيها و من اشهر هذه المخطوطات:

١- شرح (جمع الجوامع) في الاصول، للعراقي، من مخطوطات سنة ٨٠٠ هجرية

٢- (شرح نهج المسترشدين) للعميدى

طرف من مكتبة الشيخ محمد رضا فرج الله

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣٠١

٣- (ربيع الابرار) للزمخشري.

٤- (ديوان عبد المحسن الصوري) و هو نسخة نفيسة منقولة عن ديوان الصوري الاصيل

٥- نسخة (السحر فيمن تشيع و شعر) و من هذا الكتاب نسخة في مكتبة الامام كاشف الغطاء.

٦- (شرح نهج البلاغة) للراوندى، و غير ذلك من مصادر خطية و وثائق ذات أهمية كبرى عن تأريخ قبائل الجنوب كان قد جمعها الشيخ طاهر ثم زاد عليها الشيخ محمد رضا فرج الله و قد مكّنه من جمعها و شرح وقائعها كونه يجمع بين الرياستين الرياسة الروحية و رياسة قبائل (الاحلاف) فكان اعرف من غيره بتاريخ تلك القبائل.

مكتبة يعقوبى

و يعقوبى هذا شيخ الخطباء البحاثة الشيخ محمد على بن الشيخ يعقوب الحلبي، و كان ابوه ابرز خطباء المنابر الحسينية في الحلة، فجمع اكثر مما يستطيع احد ان يجمع من آثار السلف من نصوص ادبية، و شعر منقول على اللسان، و قد نشأ ابنه الشيخ محمد على على سجيته، و كانت وظيفته الخطابية بالاضافة الى ملكاته الادبية تتطلب مثل هذا الانهماك منه، فتألفت لديه مكتبة من المخطوطات التي يعود الفضل اليه وحده في جمعها، و حين انتقل الى النجف نقل هذه المكتبة معه، و لم يكن بيته الواقع في احد الازقة الضيقة من حدود محلة الحويش و البراق، ليساعده على صف كتبه فخرننها في صناديق و اكياس الى جانب ما تيسر له من الرفوف، و عند انتقاله

الى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٣٠٢

الى بيته الاخير فى شارع آل الاعسم فى محلة البراق هيا لها مكانا خاصا، و اقتصرت صناديقه على الكراريس، و النصوص الادبية و الشعرية التى حصل عليها فى بيوت الاسر القديمة، و تعتبر مكتبته هذه اثنى مكتبة شعرية لاحتوائها على عدد جد كبير من الشعر الضائع للشعراء المغمورين و غير المغمورين، و انحصرت عنده دواوين ذات قيمة كبيرة حرص عليها زمنا طويلا حتى تناول حرصه هذا بعض الادباء فى مقالات نشرها فى جريدة (الهاتف) النجفية عن صندوقه، و آخذوه على حرصه، و حملوا عليه طالبين فتح هذه الصناديق و اخراج كنوزها الى عالم الطباعة، و ما زال به الادباء يضايقونه فيما ينشرون عنه فى جريدة (الهاتف) حتى اندفع يخرج من صندوقه هذا بعض التراجم و بعض الشعر الضائع و ينشره فى الهاتف.

تقول النشرة التى أصدرتها جمعية الرابطة الادبية «و اغلب تلك الدواوين المخطوطة التى تضمها مكتبة يعقوبى كان قد سهر الليالى الطوال فى جمعها من مظانها و بذل من الجهد الشىء الكثير فى تدقيقها، و تنسيقها، و تبويبها، و التعليق عليها، و ترجمة اعلامها، و سرد الحوادث التاريخية المذكورة فيها» .

و حين بيعت كتب الشيخ محمد السماوى كان نصيب يعقوبى من الدواوين المخطوطة كبيرا من الشراء، اما عدد كتبه فلم يتجاوز (٣٥٠٠) كتاب، و المخطوط لا يقل عن (٥٠٠) و جلّه بين نادر و يتيم ليس له نظير، و اغلب محتويات هذه المكتبة مصادر أدبية، و مجاميع و دواوين شعرية و يعتبر تأسيسها قبيل منتصف القرن الرابع عشر الهجرى، و هى الآن بعد وفاة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٣٠٣

يعقوبى تحت حوزة ابنه الشيخ موسى يعقوبى.

و من اهم ما اشتملت عليه مكتبته من المخطوطات التى تم طبعتها بعد تلك الحملة من جريدة الهاتف هى:

١- (البابليات) و هى موسوعة ادبية تاريخية تقع فى اربعة اجزاء تبحث عن شعراء الحلة و ادبائها منذ أول تمصير الحلة حتى اليوم و قد طبعت سنة ١٣٧٠ هـ.

٢- (الجعفریات) و هى مجموعة شعرية للميرزا جعفر القزوينى و قد طبعت سنة ١٣٦٩ هـ

٣- (ديوان الشيخ عبد الحسين شكر) و قد طبع سنة ١٣٧٤ هـ

٤- (ديوان الشيخ عباس الملا على) و قد طبع سنة ١٣٧٤ هـ

٥- (ديوان الشيخ يعقوب) و قد طبع سنة ١٣٨٢ هـ

٦- (ديوان الشيخ محمد حسن ابى المحاسن) و قد طبع سنة ١٣٨٣ هـ

٧- (ديوان الشيخ صالح الكواز) و قد طبع سنة ١٣٨٤ هـ

٨- (ديوان الحاج حسن القيم) الحلى و قد طبع سنة ١٣٨٥ هـ .

و كان اكبر الفضل فى بعث هذه الدواوين التى لم يمتلكها احد كاملة غير مكتبة يعقوبى يعود الى توفيق الفكيكى الذى آخذها على حرصه فى تلك المقالات التى كتبها عن (صندوق يعقوبى) فى جريدة الهاتف.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٣٠٤

اما الدواوين و المجاميع الشعرية التى لم تزل مخطوطة فى مكتبة يعقوبى فهى كثيرة جدا، و منها:

١- (ديوان الشيخ ميرزا رشيد الهندى)

٢- (ديوان سبط ابن التعاوىذى) و فيه من القصائد اليتيمة على ما روى الراوون شىء غير قليل.

٣- (ديوان السيد صادق الفحام)

٤- (ديوان الشيخ على الناصر).

مكتبة السيد محمد صادق بحر العلوم

و من المكتبات الكبيرة و الجليله بين مكتبات النجف الخاصه هي مكتبة السيد محمد صادق بحر العلوم الذي ولع بجمع الكتب ولعا يستلقت النظر لعاملين مهمين، الاول بداعي بيته و وراثته، و الثاني بداعي ملازمته للشيخ محمد السماوي فقد كان يلازمه ملازمه الظل، و بدأ يعنى بجمع الكتب قبل منتصف القرن الرابع عشر و ينبرى لاستنساخ ايه نسخه من اى كتاب قديم لا يستطيع شراءه من صاحبه حتى لقد اكتظت اليوم مكتبته بأنفس الكتب المطبوعه و الخطيه و بينها عدد من النسخ القليله الوجود.

و يبلغ عدد الكتب فى مكتبة السيد محمد صادق نحو ١٥٠٠٠ نسخه اما المخطوطات فلا تقل عن ١٠٠ نسخه و من اهمها (الوسيط) للميرزا محمد الاسترابادى فى الرجال، و (الفرقة الناجية) للحلى و (طرائف) للسيد

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣٠٥

ابن طاووس و (منظومه السيد مهدي القزويني) الحلى فى الاصول.

صفحة من مكتبة السيد صادق بحر العلوم

مكتبة السيد صادق كمونه

شب ولعه بالكتب مع شبابه و هو طالب فى كلية الحقوق، ثم ما لبث ان ولع بتتبع القضايا المعقدة من التاريخ الى جانب تتبع القضايا القانونية، و ساقه هذا التتبع الى ان يبحث عن طائفة من الكتب الخاصه و المخطوطات منها حتى جمع مكتبة من انفس المكتبات من حيث مطبوعاتها، و مخطوطاتها،

جاء فى دليل الجمهورية العراقية عن مكتبة السيد صادق قوله: «أنشأها فى بغداد سنة ١٩٣٥ م فيها من الكتب المختارة ما قد تنفرد به عن غيرها، و تدور موضوعاتها على الفقه، و الفلسفة، و التصوف، و الادب، و التاريخ، و التراجم، و فيها مجموعة قيمة من المخطوطات» .

و الحقيقة ان هذه المكتبة قد تأسست فى النجف و لم تنقل الى بغداد الا

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣٠٦

اخيرا حين انتقل السيد صادق كمونه الى بغداد و اتخذها سكنا، و قد تأسست بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجرى بقليل و تحتوى هذه المكتبة على (٨٠٠٠) كتاب منها نحو (٢٠٠٠) كتاب فى القانون و الشرائع، و الباقي فى مختلف العلوم و المواضيع، و نحو (٤٠٠) مخطوطة و فى ضمنها عشرات من الكتب المكتوبة بخط مؤلفيها.

و من هذه الكتب النادرة و التى ليس لبعضها نظير فى المكتبات الاخرى:

١- (كتاب المباحثات) للشيخ الرئيس ابن سينا، و هى مجموعة المسائل التى سألها عنها تلميذه (بهمن يار).

٢- (كتاب المنطق و خلاصة الحكمة) لنجم الدين النخجوانى الفيلسوف و هى نسخة فريدة لم يعثر لها على نظير على ما نعلم.

٣- كتاب (التعليق العراقى) لسديد الدين محمود الحمصى الرازى فى عقيدة الشيعة، و هى نسخة يتيمة على ما نعلم.

٤- (كتاب المسائل الشيرازية) او (الشيرازيات) لابي على الفارسى النحوى فى الادب و هى زيادة على النسخة الموجودة فى المكتبة العلوية.

٥- (النفحة العنبرية) في انساب خير البرية لمحمد ابن ابى الفتوح اليماني.

٦- (ديوان عبد المحسن الصوري) و هي امّ النسخ المنقول عنها شعر الصوري، و اغلب الظن انها النسخة التي اشتراها صادق كمونة من مكتبة السماوى.

٧- (كتاب الصاهل و الشاعج) لابي العلاء المعرى، و يغلب على ظننا

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣٠٧

ان نسخته فريدة.

٨- (دمية القصر) للباخرزى، و هي نسخة مخطوطة كاملة تزيد تراجمها على النسخة المطبوعة بنحو ٢٥٠ ترجمة.

٩- (المستنصرات) من نظم عبد الحميد بن ابى الحديد و بخطه، يمدح بها المستنصر العباسى و يحذره من غز و التتر على البلاد الاسلاميه، و عليها تقريظ لنتيب اشرف العراق و المهم فى الامر ان عليها حاشية بخط محمد بن العلقمى الوزير و توقيعه يشير الى ان هذه النسخة من ممتلكاته.

١٠- (ديوان المشعشى) للسيد على خان بن السيد خلف بن السيد مطلب المشعشى الحويزى.

و قد حوت مكتبة كمونة نسحا غير قليلة من كتب السماوى التي اشترت و ضمت اليها.

مكتبة البلاغى

محمد على البلاغى صاحب مجلة الاعتدال النجفية، كان اول عمل مستقل به هو فتح مكتبة لبيع الكتب، و لربما كان عمله هذا هو الذى بعث فى نفسه هواية اقتناء الكتب، و لقد ساعد على توسع هذه الهواية فى نفسه ما كان قد سمع او رأى من قيمة هذه الكتب عند الشيخ جواد البلاغى احد علماء هذه الاسرة الافذاذ، فقد كان الشيخ جواد يملك مكتبة و ان لم تكن كبيرة عددا، و لكنها كانت ذات قيمة كبيرة معنى، و نمت هذه الهواية اكثر عند محمد على البلاغى فى ايام اصداره مجلة الاعتدال فقد كانت تصل اليه بعض الكتب و الدواوين على سبيل الهدية، و من كل هذا تألفت النواة الاولى

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣٠٨

لمكتبة البلاغى ثم راح يبحث عن المصادر المطبوعة و المخطوطات القديمة و يقتنيها و يجمعها فى مكتبته. موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج٧؛ ص ٣٠٨

ع اول تأسيس هذه المكتبة الى الأوائل المنتصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى، و يبلغ مجموع كتبها (؟؟؟)، اما المخطوطات منها فتقدر ب (٥٠٠) مخطوطة، من ؟؟؟ الاتقان فى علوم القرآن) لجلال الدين السيوطى و (الشفاء) للقاضى عباس المالى و غيرهما.

مكتبة يوسف عبد الله شهب

و هي مكتبة تضم عددا كبيرا قيل انه يزيد على (١٠، ٠٠٠) مجلدة و كلها من الكتب الحديثه و هو يعمل فى تجارة اصناف مختلفة و لكنه شديد الولع بالكتب و كثير السخاء فى شرائها و بيته واقع فى الشارع الثانى من الجديدة و عمر مكتبته اليوم لا يزيد على ربع قرن و هي فى نمو مستمر،

مكتبة فخر الدين

هي مكتبة الحاج عبد الزهرة فخر الدين تجمع بين طائفة من امهات الكتب العصرية فلا يكاد يصل كتاب الى النجف الا و يكتنيه، و قد عرف بهذه الهواية، و صارت؟؟؟ عليه الكتب من الباعة، و كم يتفق ان يحضر المزاد و يخرج منه بعدد من الحمالين و قد حملوا اغلب كتب المزاد، و قد اعد في بيته محلا وافيا لهذه الكتب، و الذى علمناه هو ان عدد كتب هذه المكتبة يتراوح بين (١٠) آلاف و (١٢) الف كتاب و بينها عدد غير قليل من المخطوطات، و يعتبر تأسيس هذه المكتبة حديثا و فى حدود طلائع المنتصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى الحالى، و ميزة هذه المكتبة موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣٠٩ انها من اكثر المكتبات احتواء على احدث ما تنتجه المطابع العربية.

مكتبات الخطباء

و من اهم مكتبات النجف الخاصة: مكتبات خطباء المنابر الحسينية الذين تلزمهم مهمتهم كخطباء الاحاطة بالتاريخ، و الشعر، و الادب، و اللغة، احاطة لا- يمكن ان تتيسر بدون مكتبة زاخرة بالمصادر المهمة من امهات الكتب، و قد رأينا من هذه المكتبات الخاصة بالخطباء مكتبة الخطيب السيد جواد شبر، و هى نموذج لما تحتوى عليه مثل هذه المكتبات، فهى مكتبة غنية بالنفائس من المعاجم و التراجم، و كل المجاميع، و الدواوين، و الكتب التاريخية و دوائر المعارف، و الموسوعات، بينما لم يزد عددها على (٢٥٠٠) كتاب، و من نفائس مخطوطاتها عدد من كتب السيد عبد لله شبر و هو الجد الأكبر لهذه الاسرة، و تعتبر مؤلفاته من النوادر.

إحدى واجهات مكتبة الخطيب السيد جواد شبر

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣١٠

القيمة، و قد طبع للسيد عبد الله شبر بعض الكتب فى السنوات الاخيرة كان آخرها كتاب جليل فى (الاخلاق) و بقيت مخطوطاته- و الغالب منها انها بخط المؤلف نفسه- عند بعض ابناء الاسرة و قد رأينا طائفة منها فى مكتبة السيد عباس شبر فى البصرة و فى ضمنها مذكرات يومية غاية فى الاهمية بخط السيد عبد الله شبر نفسه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣١١

أمثال لمكتبات أخر

و كانت فى النجف مكتبات اخرى لم يعن احد بدرسها على رغم قرب العهد بها مع ان قسما منها لا يقل شأنها عن المكتبات المهمة من حيث نوعية الكتب و قيمتها العلمية و التاريخية، و لربما كان السبب فى عدم ذكرها من قبل المؤرخين، هو صعوبة إحصائها إذ ما من بيت من بيوت أهل العلم و ليس فيه مكتبة كبرت ام صغرت و الا تيان على ذكرها قد يقارب المستحيل، و نحن هنا نذكر اشهر هذه المكتبات على سبيل المثل و ليس على سبيل الحصر.

١- مكتبة آل الشيخ راضى (القرن الثالث عشر) و هى مكتبة تعتبر من اعمر المكتبات و أزخرها بالكتب العلمية، و هى اليوم موزعة فى بيوت هذه الاسرة و لعلها المكتبة الوحيدة التى لم يفرط فيها الوارثون بالبيع و التلف و مع ذلك فهى مشتتة بين افراد الاسرة.

٢- مكتبة الشيخ الانصارى (القرن الثالث عشر) و قد بيعت بعده و توزعت و لم تبق اليوم منها بقية.

٣- مكتبة السيد محمد الهندي- (القرن الثالث عشر)- و قد ورثها بعده اولاده ثم تفرقت و تألفت من اكثرها مكتبة السيد صادق

الهندي.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٣١٢

٤- مكتبة الحاج ميرزا حسين الخليلي (القرن الرابع عشر) وقد توزعت بعده بين ورثته و اقتنى اكثرها ابنه الشيخ محمد الخليلي و وهب قسما منها لمكتبتى مدرستى الخليلي.

٥- مكتبة الآخوند (القرن الرابع عشر) و قد توزعت بعد وفاته و لم يبق منها الا عدد عند اولاده.

٦- مكتبة الشيخ عبد الله المازندراني (القرن الرابع عشر) و قد بيعت بعد وفاته و لم يبق منها شيء يذكر.

٧- مكتبة السيد محمد سعيد الحبوبى - (القرن الرابع عشر) و هى من المكتبات المعروفة فى وقتها و لم يبق اليوم منها الا عدد فى بيوت (الاسرة).

٨- مكتبة اليزدى- و كانت مكتبة فخمة اسسها السيد كاظم اليزدى ثم أسس ابنه السيد محمد لنفسه مكتبة مستقلة كانت تزخر بالفنائس من الكتب النادرة و كانت تستلفت النظر فى وقتها بين مكتبات العلماء فى (القرن الرابع عشر).

٩- مكتبة المايقانى- (القرن الرابع عشر) و تمتد جذورها الى القرن الثالث عشر فقد أسسها الشيخ حسن المايقانى ثم انتقلت الى الشيخ عبد الله و هى الآن فى حوزة الشيخ محى الدين المايقانى.

١٠- مكتبة آل حرز- (القرن الرابع عشر) و قد انتقلت الى حفيده و هى تضم عددا كبيرا فى التفسير و الحديث.

١١- مكتبة آل مظفر- (القرن الرابع عشر) و قد انتقلت نواتها من الشيخ عبد النبى الى الشيخ محمد حسن مظفر و كانت تخص جميع الأخوة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٣١٣

من آل مظفر ثم تجزأت.

١٢- مكتبة الجزائرى- (القرن الرابع عشر) و هى بقايا مما احتفظ بها الشيخ عبد الكريم الجزائرى و أخوه الشيخ محمد جواد و ليس لها بعدهما كيان مستقل.

١٣- مكتبة الشيبى- (القرن الرابع عشر) أسسها الشيخ جواد الشيبى و قد انتقلت من النجف الى بغداد على أثر انتقال الأسرة و صارت باسم الشيخ محمد رضا الشيبى، و هى من اهم مكتبات بغداد الخاصة اليوم.

١٤- مكتبة آل الجواهرى- (القرن الرابع عشر) و قد كانت مكتبة فخمة يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر ثم توزعت و انتشرت هنا و هناك و لم يبق ما يسمى بالمكتبة الا عند الشيخ عبد الرسول الجواهرى.

١٥- مكتبة هبة الدين الحسينى الشهرستانى- (القرن الرابع عشر) أسسها فى النجف ثم نقلها الى كربلاء و حين سكن بغداد نقلها الى بغداد، و كانت من المكتبات المذكورة.

١٦- مكتبة الشيخ عبد الحسين الحلى- (القرن الرابع عشر) و قد باعها و باع داره حين أعوز و لم يفزط بكرامته، و كانت تضم أمهات الكتب الأدبية و اللغوية بوجه خاص.

١٧- مكتبة البلاغى- و هى مكتبة الشيخ جواد البلاغى، و قد كانت على قلته عدد كتبها مكتبة جامعة لأهم مصادر الشريعة و كتب المذاهب و النحل.

١٨- مكتبة آل الصافى- (القرن الرابع عشر) و هى مكتبة السيد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٣١٤

محمد رضا الصافى و السيد أمين الصافى و لم يبق منها الا ما احتفظ بها السيد أمين و قد نقل بعضها الى البحرين.

١٩- مكتبة الشيخ قاسم محى الدين- (القرن الرابع عشر) و قد اضطر الى بيعها و انفاق ثمنها على معالجته و كانت مكتبة تحتوى على

عدد قليل من المخطوطات و الكتب القديمة في مختلف العلوم الدينية.

٢٠- مكتبة الشرقى - (القرن الرابع عشر) و قد ورث بعضها الشيخ على الشرقى، من ابيه الشيخ جعفر الشرقى و أضاف إليها و وسعها، و حين انتقل الى بغداد نقلها معه.

٢١- مكتبة السيد على شبر - (القرن الرابع عشر) و لآل شبر في النجف عدة مكتبات نقلت الى خارج النجف بانتقال أصحابها و اشهر هذه المكتبات و اوسعها هي مكتبة السيد على شبر و هي تضم طائفة من كتب الفقه النادرة، و الحديث و التفسير.

٢٢- مكتبة السيد محمد البغدادي (القرن الرابع عشر) و تعتبر اليوم من المكتبات المذكورة بما تحتوى عليه من المخطوطات النادرة في الحديث و الفقه و التفسير.

٢٣- مكتبة السيد على السيد هادي بحر العلوم (القرن الرابع عشر) و كانت من أوسع المكتبات تجمع بين الحديث و القديم و فيها عدد من المخطوطات النادرة و قد اضطرته الظروف الى بيعها فباعها و لم يبق منها الا بقية اتخذ منها خلفه السيد محمد نواة و لم تلبث ان اصبحت اليوم مكتبة مذكورة.

٢٤- مكتبة المقرم - (القرن الرابع عشر) و هو السيد عبد الرزاق المقرم، و تعد اليوم من المكتبات المحترمة و فيها عدد من الكتب القديمة

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣١٥

المهمة بالإضافة الى أمهات الكتب الحديثة.

٢٥- مكتبة الهمداني - (القرن الرابع عشر) و هي الآن من المكتبات الخاصة لا يفوتها العد اذا عدت المكتبات.

٢٦- مكتبة الجعفرى - و هي مكتبة صالح الجعفرى، مكتبة ثمينه جمع فيها الجعفرى اهم المصادر و المراجع بالإضافة الى النسخ النادرة من الكتب المطبوعه و المخطوطه و بصفته من شعراء النجف المعروفين فقد اهتم بجمع عدد من الدواوين و المجاميع الشعرية التي يقل نظائرها في المكتبات الاخرى، و قد اشترى قسما من كتب الشيخ السماوى عند عرضها للبيع كما قد مر.

٢٧- و لكل مدرسة رسمية حديثة مكتبة صغيرة لا يزيد مجموعها على محتويات دولاب او دولابين من الكتب لمراجعة المعلمين كما هو الحال في جميع المدارس الرسمية في العراق، كذلك هو الحال في اغلب المدارس الدينية فان فيها بعض القماطر المحتوية على بعض الكتب النافعة، و بالاجمال فان النجف بمكتباتها تعتبر أهم مرجع في البحوث العلمية بمختلف مواضيعها و هي تحتوى على عدد غير قليل من الكتب النادرة و الفريدة بين الكتب التي ضاعت اصولها و انحصرت بنسخ معينه ربما لم تملكها مكتبة غير مكتبات النجف.

يقول صاحب جريدة (كل شىء) البغدادية انه زار في اثناء مروره بالمانيا الديمقراطية البروفسور (هارفر) استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة (ليزيج) و حين جاء حديث الكتب و المكتبات قال البروفسور (هارفر) عن مكتبات النجف ما يلي و بهذا النص:

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣١٦

«ما زال النجف الاشرف منطلق الاشعاع الفكرى العربى، و ما زالت كنوزه الفكرية و الادبية و الثقافية تبث الانوار في الافكار، و الخير في النفوس، و ما زالت مكتباته تعج بانفس الاسفار مما جعلها دائما في مقدمة المكتبات العالمية» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣١٧

نموذج من نماذج وقف المكتبات و هو كيفية وقف مكتبة الشيخ آغا بزرك

بسم الله الرحمن الرحيم و به تفتى

الحمد لله الواقف على خطرات الضمائر، و المطلع على خفايا السرائر، و العالم بما زبر في كافة الدفاتر، و الصلاة و السلام على من أوحى اليه كتاب الاسلام، الناسخ لما أنزل قبله على الأنام، و على أوصيائه المعصومين عن جميع الآثام، حفظه شرعه و كتابه الى يوم القيام.

و بعد: فلما و افانى التحريض من أولادى الكرام، و بلغنى التأكيد عنهم بابقاء كنى فى مقبرتى فى النجف الأشرف لانتفاع عموم الفضلاء و الأعلام، و دعانى ترغيب الشرع الشريف الى تقديم الصدقة الجارية النافعة لأهل الاسلام.

اغتنمت الفرصة و استخرت الله جلًا جلاله، و أجريت صيغة الوقف على كافة ما تحويه مكتبتى فى النجف، المؤسسة بعد نزولى اليها من سامراء فى سنة ١٣٥٤ هـ ما عدا المطبوعات من (الذريعة) و (طبقات أعلام الشيعة) فانها تباع و تصرف قيمتها فى طبع بقية أجزاءهما، و ما عدا ما كتبه بقلمى من تصانيفى و غيرها، مما سبق منى وقفها خاصة لخصوص أهل الفضل من أولادى الذكور، لانتفاعهم بها، و إقدامهم على طبعها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٣١٨

و قد جعلت تولية هذه الكتب و نظارتها لصهرى الحاج الشيخ حسين، و السيد مهدي المدرسى، و أولادى الذكور القاطنين فى طهران، و أولادهم، و هم الذين يقومون بإدارة المقبرة التى هى محل تلك الكتب، و يبذلون مصروفاتها و لو فرض و العياد بالله انقراض هؤلاء أو عدم قيام أحد منهم ببذل مصروفات المكتبة فلتنقل الكتب الى (مكتبة أمير المؤمنين «ع» العامة) التى أسسها الشيخ العلامة الأمينى قبل سنين، و رغبنى فى ذلك من يوم تأسيسها.

و على أى فهذه الكتب موقوفة ما بقيت أعيانها إلى أن يظهر الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه، و يعمل فيها بما أراد الله تعالى، و من بدله بعد ما سمعه فائمه عليه. و كان وقوع صيغة الوقف، و قبض المتولى، فى يوم الجمعة الخامس و العشرين من شهر ذى الحجة الحرام من سنة خمس و سبعين و ثلاثمائة و ألف، و ذلك بعد مضى شهر تام على يوم دحو الأرض من تلك السنة، و بعد مضى ثلاثة أشهر و ثلاثة أيام من إنشاء وصيتى الرسمية المؤرخة يوم الخميس الحادى و العشرين من شهر الصيام من السنة المذكورة و قد حررت ذلك بيدي المرتعشة فى دارى فى النجف الأشرف و أنا:

بسم الله تعالى

اعترف شيخنا المعظم دام ظله بما رقمه بخطه الشريف لدى عبد الله ابن السيد محمد طاهر الشيرازى

ختم

بسمه تعالى

اعترف شيخنا العلامة أدام الله أيامه بما فى الورقة لدى الاحقر حمد رضا الطبسى

ختم

بسم الله الرحمن الرحيم

اعترف شيخنا المعظم أمد الله ظل وجوده بما حرره بقلمه الشريف

حرره حسين الشيخ مشكور طاب ثراه

الفانى آغا بزرك الطهرانى عفى منه

ختم

بسم الله تعالى اعترف شيخنا العلامة أدام الله أيامه بما فى الورقة لدى الاحقر ابراهيم الحسينى الشيرازى الاصطهباناتى الشهير بميرزا

ختم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٣١٩

اهم المصادر التي اعتمدها الكاتب

- ١- العصور القديمة- لجيمس هنرى بريستد
- ٢- مجلة سومر ج ١- ٢ مديريه الآثار العامه
- ٣- خزائن الكتب القديمة فى العراق لكوركيس عواد
- ٤- ما أخذ الشعر العربى من الفارسيه، و ما أخذ الشعر الفارسى من العربيه- محاضرة لجعفر الخليلي.
- ٥- الفهرست لابن النديم
- ٦- تاريخ بغداد
- ٧- دائرة المعارف البريطانيه
- ٨- نامه آستانه قدس بالفارسيه (مجلة)
- ٩- دائرة معارف القرن العشرين- لمحمد فريد وجدى
- ١٠- ضحى الاسلام- احمد امين
- ١١- المزهر
- ١٢- وفيات الاعيان
- ١٣- تاريخ التمدن الاسلامى
- ١٤- دليل خارطة بغداد المفصل للدكتور مصطفى جواد و الدكتور احمد نسيم سوسه
- ١٥- الاحلام، للشيخ على الشرقى
- ١٦- حياه الشيخ الطوسى
- ١٧- خطط الشام
- ١٨- ابو العلاء و ما اليه، لعبد العزيز الميمنى (اخرجه كوركيس عواد)
- موسوعة العتبات المقدسه، ج ٧، ص: ٣٢٠
- ١٩- رسائل ابى العلاء المعرى
- ٢٠- معجم البلدان
- ٢١- المستدرک على الكشاف- عبد الله الجبورى
- ٢٢- تاريخ آداب اللغة العربيه- لجرى زيدان
- ٢٣- عمده الطالب فى انساب آل ابى طالب لابن عنبه
- ٢٤- عنوان الشرف فى وشى النجف- للشيخ محمد السماوى
- ٢٥- مجلة لغة العرب ٣- ٤، ١٩١٤ (اخرجه كوركيس عواد)
- ٢٦- ماضى النجف و حاضرها، للشيخ جعفر محبوبه
- ٢٧- الذريعه الى تصانيف الشيعة، للشيخ اغا بزرك
- ٢٨- الحصون المنيعه- للشيخ على آل كاشف الغطاء (مخطوط)
- ٢٩- نهج الصواب- للشيخ على آل كاشف الغطاء (مخطوط)
- ٣٠- رحله ابن بطوطه- ج- ١

- ٣١- هكذا عرفتهم- لجعفر الخليلي
 ٣٢- الكنى و الالقاب
 ٣٣- الاعلام، للزرکلى
 ٣٤- اعيان الشيعة- للسيد محسن الامين
 ٣٥- دار السلام- للميرزا حسين النورى
 ٣٦- كتابخانهای ايران- بالفارسيه- للشيخ عبد العزيز الجواهرى
 ٣٧- دليل الجمهوريه العراقيه- لسنة ١٩٦٠
 ٣٨- حقائق التأويل، للسيد الشريف الرضى ج- ٥
 ٣٩- لمحات من حياة الشيخ اليعقوبى
 ٤٠- مجله (الرساله)
 ٤١- جريده (البلد)
 ٤٢- جريده (كل شىء)
 ٤٣- جريده (الهاتف)
 موسوعه العتبات المقدسه، ج٧، ص: ٣٢١

فهرست الجزء الثانى من قسم النجف

- الموضوع الصفحة
 كلمه دار التعارف ٥
 النجف قبل الشيخ الطوسى ١١
 من هو الطوسى؟ ٢٣
 العاصفه الطائفية و تأثيرها على الشيخ ٢٨
 الشيخ الطوسى يهاجر الى النجف ٣١
 ادوار الجامعة النجفيه
 الدور الاول ٣٨
 بعد الشيخ الطوسى ٤٢
 بين الطوسى و ابن ادريس ٤٧
 من النجف الى الحله ٥٢
 الدور الثانى ٥٧
 المظاهر العلميه لهذا العهد ٦٠
 الحركة الاخباريه و مظاهرها ٦٤
 الدور الثالث ٧٨
 معالم النهضه العلميه ٨٣
 اسباب الدراسة فى الجامعة النجفيه ٩١

- مراحل الدراسة ٩٢
 اشهر الكتب الدراسية ١٠٠
 مدارس النجف القديمة و الحديثة
 الحياة المدرسية ١١٨
 هندسة المدارس الدينية ١٢٤
 مدرسة المقداد ١٢٨
 مدرسة الشيخ عبد الله ١٣٠
 مدرسة الصحن الشريف الاولى ١٣٢
 مدرسة الصحن الشريف الكبرى ١٣٤
 مدرسة الصدر ١٣٥
 مدرسة المعتمد ١٣٧
 المدرسة المهدية ١٣٩
 مدرسة القوام ١٤٠
 مدرسة الايرواني ١٤١
 مدرسة الميرزا حسن الشيرازي ١٤٢
 مدرسة الخليلي الكبرى ١٤٢
 مدرسة البخاري ١٤٥
 موسوعة العتبات المقدسة، ج٧، ص: ٣٢٢
 مدرسة الشرياني ١٤٥
 مدرسة الخراساني الكبرى ١٤٦
 مدرسة الخليلي الصغرى ١٤٨
 مدرسة القزويني ١٤٩
 مدرسة البادكوبي ١٥٠
 مدرسة الآخوند الوسطي ١٥٠
 مدرسة السيد كاظم اليزدي ١٥١
 مدرسة الهندي ١٥٤
 مدرسة الاخوند الصغرى ١٥٤
 مدرسة السيد عبد الله الشيرازي ١٥٥
 مدرسة البروجردي الكبرى ١٥٥
 مدرسة العامليين ١٥٨
 المدرسة الطاهرية ١٥٩
 مدرسة البروجردي الصغرى ١٥٩
 مدرسة الرجباوي ١٦٠

- مدرسة الجوهرجي ١٦١
 مدرسة جامعة النجف ١٦٢
 مدرسة عبد العزيز البغدادي ١٦٥
 مدرسة الافغانيين ١٦٧
 مدرسة اليزدي الثانية ١٦٧
 مدارس تحت الانشاء ١٦٩
 نموذج لاجراء وقف المدارس ١٧٠
 المدارس الحديثه
 المدرسة الرشديه العثمانية ١٧٨
 المدرسة العلوية الايرانية ١٧٩
 المدرسة المرتضوية ١٨١
 مدرسة الغري الاهلية ١٨١
 مدارس منتدى النشر ١٨٢
 مدرسة جمعية التحرير الثقافى ١٨٥
 المدرسة الاميرية و المدارس الرسمية
 المدارس الرسمية ١٨٧
 عدد طلاب المدارس ١٩١
 مكتبات النجف القديمة و الحديثه
 خزائن الكتب القديمة ١٩٧
 المكتبات الاسلاميه القديمه فى العراق ٢٠٦
 دور الكتب العامه فى العصور العباسيه ٢١١
 مكتبات النجف القديمه ٢١٤
 المكتبة العلوية ٢٢٤
 اهم مخطوطات المكتبة العلوية ٢٢٩
 المكتبات العامه قديما و حديثا
 مكتبة الملالي ٢٤٢
 مكتبة الصدر ٢٤٣
 مكتبة الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ٢٤٣
 مكتبة الحسينيه الشوشترية ٢٥٠
 مكتبة مدرسة القوام ٢٥٢
 مكتبة مدرستي الخليلي ٢٥٣
 مكتبة مدرستي الآخوند ٢٥٣
 مكتبة مدرسة اليزدي ٢٥٤

- مكتبة المرتضوية ٢٥٥
 مكتبة الرابطة ٢٥٦
 مكتبة الامام امير المؤمنين ٢٥٦
 مكتبة المنتدى ٢٥٩
 المكتبة العامة ٢٦٠
 مكتبة جمعية التحرير ٢٦٠
 مكتبة حنوش ٢٦٠
 مكتبة الشيخ آغا بزرك ٢٦١
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٧، ص: ٣٢٣
 مكتبة الحكيم ٢٦٣
 مكتبة البروجردى ٢٦٦
 مكتبة جامعة النجف ٢٦٦
 مكتبات النجف الخاصة
 مكتبة الرحيم ٢٦٨
 مكتبة آل الطريحي ٢٦٩
 مكتبة الجزائرى ٢٦٩
 مكتبة السيد عبد العزيز ٢٧٠
 مكتبة آل بحر العلوم ٢٧٠
 مكتبة آل القزوينى ٢٧١
 مكتبة الشيخ جعفر الكبير ٢٧٢
 مكتبة آل محى الدين ٢٧٣
 مكتبة الشيخ محمد باقر الاصفهانى ٢٧٣
 مكتبة السيد احمد هلاله ٢٧٤
 مكتبة السيد ميرزا الاصفهانى ٢٧٤
 مكتبة الحاج ملا على الخليلى ٢٧٥
 مكتبة السيد على بحر العلوم ٢٧٦
 مكتبة آل نظام الدولة ٢٧٧
 مكتبة الحاج ملا باقر ٢٧٩
 مكتبة الخونسارى ٢٨٠
 مكتبة النورى ٢٨٠
 مكتبة السيد محمد بحر العلوم ٢٨٣
 مكتبة شيخ الشريعة ٢٨٤
 مكتبات القرن الثالث عشر

مكتبة الشيخ على آل الشيخ محمد رضا ٢٨٦ الشيخ هادي

مكتبة السيد محمد باقر الاصفهاني ٢٩٢

مكتبة السماوي ٢٩٣

مكتبة السيد جعفر بحر العلوم ٢٩٧

مكتبة السيد هاشم بحر العلوم ٢٩٨

مكتبة الشيخ محمد رضا فرج الله ٢٩٩

مكتبة اليعقوبي ٣٠١

مكتبة السيد محمد صادق بحر العلوم ٣٠٤

مكتبة البلاغي ٣٠٧

مكتبة يوسف شهاب ٣٠٨

مكتبة فخر الدين ٣٠٨

مكتبات الخطباء ٣٠٩

امثال لمكتبات اخر ٣١١

نموذج لوقف المكتبات ٣١٧

الجزء الثامن

[مقدمة الناشر]

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

هذا هو الجزء الاول من (قسم كربلا) من موسوعة العتبات المقدسة، و يغلب على الظن انه سيكون الجزء الاول لعشرة اجزاء يتم فيها عرض تاريخ كربلا عرضا كاملا يتناول هذه المدينة في مختلف عصورها و منذ ابتداء نشأتها حتى هذا اليوم، و هي اجزاء نرجو ان تكون مستوفية كل الشروط المطلوبة لتكون مصدرا علميا، متقنا، و مرجعا يصح الركون اليه في تتبع كل شىء يتعلق بهذه المدينة. من حيث تاريخها العلمى، و الثقافى، و الادبى، و السياسى، و العمرانى، و الاجتماعى فقد هيأنا كل المقتضيات العلمىة اللازمة للمضى فى هذا المشروع الى النهاية، و قد انضمت الينا طائفة من ارباب الاختصاص و فى ضمنهم عدد غير قليل من اساتذة جامعة بغداد، و ارباب الفضل من الاساتذة و الكتاب الاخرين، و لم يزل العاملون من المتخصصين يزداد عددهم فى الانضمام الينا يوما بعد يوم لاجرا ما يتيسر من اجزاء كل عتبة من العتبات، اما الشىء غير المضمون فى عملنا هذا فهو الزمن، اذ لا ندرى كم يتطلب عملنا هذا من الوقت و الى كم سيمدنا الله بعونه من حيث فسحه المجال لنخرج اكبر عدد من الاجزاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٦

عن كل عتبة من العتبات حتى تكون لكل عتبة موسوعة كاملة مستقلة.

و نحن حين قسمنا المواضيع على الكتاب المتخصصين لم نلزم انفسنا بمراعاة الترتيب فى اجراء هذه الاجزاء حسب مكانة العتبة، و انما التزمنا بطبع اى جزء يتم تأليفه من هذه الاجزاء، و لو كنا راعينا الترتيب لظللنا الى حد هذا اليوم و نحن ننتظر صدور الجزء الاول من (مكة المكرمة) الذى لم تتم مسودته الى حين هذا اليوم، مع ان التصدى لكتابته قد سبق الاجزاء الاخرى و تهيأت صورته و وثائقه و

صور (المدينة المنورة) و وثائقها قبل ان تنهيا صور العتبات الاخرى، بينما قد جهرت مسودات عتبة الكاظمين التي ستمثل للطبع بعد الفراغ من طبع هذا الجزء، و لم تجهز مسودات العتبات الاخرى.

و الجزء الاول من قسم كربلا يشمل عرضا لاسم كربلا و ما يحيط بها من المواقع، و معانيها، و صفاتها، و ما ورد باختصار عن كربلا في بطون اهم الكتب التاريخية القديمة و الحديثة، العربية منها، و الغربية، بحيث يصبح مرآة تعكس في ذهن القارئ ما يتطلبه العلم الصحيح، و الثقافة الحديثة عن هذه المدينة العريقة. فهو على هذا بمثابة التعريف لهذه المدينة الذي لا يستغنى عنه الباحث و القارئ، و الذي يقتضيه التأليف الحديث ليسهل بعد ذلك تتبع مواضيع كربلا الاخرى في اجزائها الاخرى و تفهمها لكل قارئ.

بغداد دار التعارف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٧

كربلاء قديما كتبه الدكتور مصطفى جواد

إشارة

خريج جامعة السوربون في التاريخ العربي
و الاستاذ بجامعة بغداد- كلية التربية
و العضو بالمجمع العلمي العراقي- و المجمع العلمي العربي بدمشق
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٩

كربلاء قديما

معنى كربلاء:

قال ياقوت الحموي: «... فأما اشتقاقه فالكربلة رخاوة في القدمين، يقال: جاء يمشى مكربلا، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضوع رخوة، فسميت بذلك. و يقال: كربلت الحنطة إذا هزرتها و نقيتها و ينشد في صفة الحنطة:

يحملن حمراء رسوبا للثقل قد غربلت و كربلت من القصل

فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقاة من الحصى و الدغل فسميت بذلك. و الكربل اسم نبت الحماض، قال أبو و جزء السعدي يصف عهد الهودج:

و تامر كربل و عميم دفلى عليها و الندى سبط يمور

فيجوز أن يكون هذا الصنف من النبت يكثر نباته هناك فسمى به».

و ذكر السيد العلامة هبة الدين الشهرستاني أن «كربلاء» منحوتة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٠

من كلمتي «كور بابل» بمعنى مجموعة قرى بابلية، و قال الأب اللغوي أنستاس الكرملى: «و الذي نذكره فيما قرأناه في بعض كتب الباحثين أن كربلاء منحوتة من كلمتين من (كرب) و (إل) أي حرم الله أو مقدس الله».

قلنا: إن رجوع الأعلام الأعجمية إلى أصول عربية كان ديدنا لعلماء اللغة العربية منذ القديم، فقلما اعترفوا بأنّ علما من الأعلام أصله أعجمي، دون أسماء الجنس فانهم اعترفوا بعجمتها و سموها «المعربات»، لأن الذين يعرفون اللغة الفارسية كثير، و لأنهم يدرون أصول المعربات على التحقيق و التأكيد، و كان الذي يسهل عليهم اجتيال الأعلام و غيرها إلى اللغة العربية كونها مشابهة و موازنة لكلمات

عربية، كما مرّ في «كربلاء» و الكربلاء و الكربل، فهم قالوا بعروبة تلك الأعلام الأعجمية ثم حاروا في تخريجها اللغوي فبعثهم ذلك على التكلف. كما فعلوا في كربلاء و غيرها من الأعلام الأعجمية.

و أنا أرى محاولة ياقوت الحموي ردّ «كربلاء» الى الأصول العربية غير مجدية، و لا- يصح الاعتماد عليها، لأنها من بابه الظن و التخمين، و الرغبة الجامحة العارمة في إرادة جعل العربية مصدرا لسائر أسماء الأمكنة و البقاع، مع أن موقع كربلاء خارج عن جزيرة العرب، و أن في العراق كثيرا من البلدان ليست أسماؤها عربية كبغداد و صرورا و جوخا و بابل و كوش و بعقوبا، و أن التاريخ لم ينص على عروبة اسم «كربلاء» فقد كانت معروفة قبل الفتح العربي للعراق و قبل سكنى العرب هناك و قد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١١

ذكرها بعض العرب الذين رافقوا خالد بن الوليد القائد العربي المشهور في غزوته لغربي العراق سنة ١٢ هجرية ٦٣٤ م. قال ياقوت الحموي: «و نزل خالد عند فتحه الحيرة كربلاء فشكا إليه عبد الله بن و شيمه النصرى الذبان: فقال رجل من أشجع في ذلك:

لقد حبست في كربلاء مطيتي و في العين حتى عاد غنا سمينها

إذا رحلت من منزل رجعت له لعمرى و ايها إننى لأهينها

و يمنعها من ماء كل شريعته رفاق من الذبان زرق عيونها

و من أقدم الشعر الذي ذكرت فيه كربلاء قول معن بن أوس المزني من مخضرمي الجاهلية و الاسلام و عمّر حتى أدرك عصر عبد الله بن الزبير و صار مصاحبا له، و قد كفّ بصره في آخر عمره. و ذكر ياقوت الحموي هذا الشعر في «النوائح» من معجمه للبلدان. و «المعبر» و ذكره قبله أبو الفرج الاصبهاني في ترجمته معن من الاغانى «١٢: ٦٣ دار الكتب» و قال و هي قصيدة طويلة:

إذا هي حلت كربلاء فلعلعافجوز العذيب دونها فالنوائحا

فبان نواها من نواك فطاواعت مع الشائنين الشائيات الكواشحا

توهمت ربعا بالمعبر واضحاأبت قرّاته اليوم إلا تراوحا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٢ أرّبت عليه رادة حضرمية و مرتجز كأنّ فيه المصابحا

فقولا لليلى هل تعوض نادياله رجعة قال الطلاق ممازحا

فان هي قالت لا تقولا لها بلى ألا تتقين الجاريات الذوابحا

و قال الطبرى في حوادث سنة ١٢: «و خروج خالد بن الوليد في عمل عياض بن غنم ليقضى ما بينه و بينه و لاغائته فسلك الفلوجة حتى نزل بكربلاء و على مسلحتها عاصم بن عمرو، و على مقدمته خالد الأقرع بن حابس، لأن المثنى بن حارثة كان على ثغر من الثغور التي على المدائن، فكانوا يغاورون أهل فارس و ينتهون إلى شاطيء دجلة قبل خروج خالد من الحيرة و بعد خروجه في إغاثة عياض ... و أقام خالد على كربلاء أياما و شكا اليه عبد الله بن و شيمه الذباب، فقال له خالد: اصبر فاني إنما أريد أن استفترغ المسالحو التي أمر بها عياض فنسكنها العرب فتأمن جنود المسلمين أن يؤتوا من خلفهم و تجيئنا العرب آمنه غير متعتة، و بذلك أمرنا الخليفة و رأيه يعدل نجدة الأمة. و قال رجل من أشجع فيما شكا ابن و شيمه:

لقد حبست في كربلاء مطيتى ...» الأبيات.

و قال ياقوت الحموي في كلامه على الكوفة: «قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: لما فرغ سعد بن أبى وقاص من وقعة رستم بالقادسية و ضمن أرباب القرى ما عليهم بعث من أحصاهم و لم يسمهم حتى يرى عمر فيهم رأيه، و كان الدهاقين ناصحوا المسلمين، و دلوهم على عورات فارس، و أهدوا لهم و أقاموا لهم الأسواق. ثم توجه سعد نحو المدائن الى يزدجرد و قدم خالد بن عرفطة حليف بنى زهرة بن كلاب، فلم يقدر عليه سعد حتى فتح خالد ساباط المدائن، ثم توجه الى المدائن فلم يجد معابر فدلوه على مخاضة عند قرية الصيادين أسفل المدائن فأخاضوها الخيل حتى عبروا،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٣

و هرب يزدجرد الى اصطخر، فأخذ خالد كربلاء عنوة و سبى أهلها، فقسما سعد بين أصحابه، و نزل كل قوم فى الناحية التى خرج سهمه فأحيوها، فكتب بذلك سعد الى عمر، فكتب اليه عمر أن حوّلهم. فحوّلهم الى سوق حكمه و يقال الى كويشة ابن عمر دون الكوفة...».

و لقائل أن يقول إن العرب أوطنوا تلك البقاع قبل الفتح العربى، فدولة المناذرة بالحيرة و نواحيها كانت معاصرة للدولة الساسانية الفارسية و فى حمايتها و خدمتها، و الجواب أن المؤرخين لم يذكروا لهم إنشاء قرية سميت بهذا الاسم - أعنى كربلاء غير أن وزن كربلاء الحق بالأوزان العربية و نقل «فعللا» إلى «فعللاء» فى الشعر حسب. فالأول موازن لجحججى و قرقرى و قهقرى و الثانى موازن لعقرباء و حرملاء، زيد همزة كما زيد برنساء.

أما قول الأب اللغوى أنستاس ما معناه أن كربلاء منحوتة من «كرب» و «إل» فهو داخل فى الامكان، لأن هذه البقاع قد سكنها الساميون و إذا فسرنا «كرب» بالعربية ايضا دل على معنى «القرب» فقد قالت العرب: «كرب يكرب كربا أى دنا» و قالت «كرب فلان يفعل و كرب أن يفعل أى كاد يفعل، و كاد تفيد القرب، قال ابن مقبل يصف ناقته:

فبعثتها تقص المقاصر بعدما كربت حياة النار للمتتور

و قال أبو زيد الأسلمى:

سقاها ذوو الأرحام سجلا على الظماو قد كربت أعناقها أن تقطعا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٤

و جاء فى لسان العرب «كرب الأمر كربوا: دنا» ... قال عبد القيس بن خفاف البرجمى:

أبئى إن أباك كارب يومه فاذا دعيت الى المكارم فاعجل

... و كل شىء دنا فقد كرب، و قد كرب أن يكون و كرب يكون ...

و كربت الشمس للمغيب: دنت، و كربت الشمس للغروب، و كربت الجارية أن تدرى، و فى الحديث: فاذا استغنى أو كرب استعفّ. قال أبو عبيد: كرب أى دنا من ذلك و قرب، و كل دان قريب فهو كارب.

«فى حديث رقيقه: أبيض الغلام أو كرب أى قارب الايفاع». فكرب البابلية قرية من العربية.

و إذا فسرنا «إل» كان معناه «الاله» عند الساميين أيضا، و دخول تفسير التسمية فى الامكان لا يعنى أنها هى التسمية الحقيقية لا غيرها، لأن اللغة و التاريخ متعاونان دائما فهى تؤيده عند احتياجه اليها و هو يؤيدها عند احتياجها إليه، فهل ورد فى التاريخ أن موضع كربلاء كان «حرم إله» قوم من الأقسام الذين سكنوا العراق؟ أو مقدس إله لهم؟ لا يجيبنا التاريخ عن ذلك و من الأسماء المضافة إلى «ال» بابل و أربل و بابل.

و من العجيب أن لفظ «كرب» تطوّر معناه فى اللغة العبرية، قال بعض الأدباء الامريكيين: «مما يصور لنا فكرة عن سوء أسلوب الحياة أن نجد الكلمة العبرية (كرب Karab) - و معناها يقترب - تعنى فى الوقت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٥

نفسه (يقاتل و يحارب) و من هنا كانت كلمة (كرب Kerab) بمعنى معركة». لذلك يمكن القول بتطوّر الاسم «كربلاء» من الحقيقة الى المجاز و بذلك لا يجب الالتزام بأصل معناه بل يجوز، و مما قدمنا يفهم أن «كربلاء» مقصور فى الأصل و أن الهمزة أدخلت عليها لضرورة الشعر الذى نقلناه آنفا و هو قول عبد الله بن وثيمة أو غيره «لقد حبست فى كربلاء مطيتى» فلو قال فى «كربلاء» لم يستقم وزن البيت، و مد المقصور من ضرائر الشعر المعروفة و هو اثقل من قصر الممدود.

و على حسابان «كربلاء» من الأسماء السامية الآرامية أو البابلية، تكون القرية من القرى القديمة الزمان كبابل و إربيل، و كيف لا و هى

من ناحية «نينوى» الجنوبيّة! قال ياقوت الحمويّ: «نينوى بكسر أوله و سكون ثانيه و فتح النون و الواو بوزن طيطوى ... و بسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين، رضى الله عنه».

و قال فى كتب له آخر: «نينوى موضعان: بكسر النون و ياء ساكنة و نون أخرى مفتوحة و واو و ألف مماله؛ نينوى بلد قديم كان مقابل مدينة الموصل. «و نينوى كورة كانت بأرض بابل منها كربلاء التي قتل بها الحسين بن عليّ - عليهما السلام-». و نينوى من الأسماء الآشورية.

و لا نشك فى أن نينوى السفلى سميت باسم نينوى العليا احدى عواصم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٦

الدولة الآشورية المشهورة فى التاريخ، سميت إمّا لمعارضتها و إمّا لادامة ذكراها، على عادة الناس فى تسمية البلدة التي ينشئونها بعد المهاجرة من بلادهم و الجلاء عنها و يسمونها باسم بلدتهم التي هاجروا منها. و هذا معروف قديما و حديثا، و هو من أجمل ضروب الوفاء، و إن كان لغير الأحياء.

و نقل بعض الفضلاء قول أحد الباحثين فى تاريخ كربلاء القديم و هو «كل ما يمكن أن يقال عن تاريخها القديم أنها كانت من أمّهات مدن طسوج النهرين الواقعة على ضفاف نهر بالاكوباس (الفرات القديم) و على أرضها معبد للعبادة و الصلاة، كما يستدل من الأسماء التي عرفت بها قديما كعمورا، ماريا، صفورا، و قد كثرت حولها المقابر، كما عثر على جثث موتى داخل أوان خزفية يعود تاريخها إلى قبل العهد المسيحي، و أما الأقوام التي سكنوها فكانوا يعولون على الزراعة لخصوبة تربتها و غزارة مائها لكثرة العيون التي كانت منتشرة فى أرجائها». و من المعلوم أن كربلاء ليست على ضفة الفرات و لا على ضفافه، فالقائل لو قال «كورة كربلاء» لكان القول علميا.

و مما يدل على قدم كربلاء أيضا و وجودها قبل الفتح الاسلامي ما ذكره الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي سعيد التيمي قال: «اقلنا مع علي (ع) من صفين فنزلنا كربلاء، فلما انتصف النهار عطش القوم» و روى بعد ذلك بسنده أيضا عنه قال: «أقبلت من الأنبار مع عليّ نريد الكوفة و عليّ فى الناس، فبينما نحن نسير على شاطئ الفرات إذ لجج فى الصحراء فتبعه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٧

ناس من أصحابه و أخذ ناس على شاطئ الماء، فكنت ممن أخذ مع عليّ حتى توسط الصحراء، فقال الناس: يا أمير المؤمنين إنا نخاف العطش، قال: إن الله سيسقيكم، و راهب قريب منا، فجاء عليّ الى مكانه فقال: احفروا ها هنا فحفرنا، و كنت فيمن حفر، حتى نزلنا- يعنى عرض لنا حجر- فقال علي: ارفعوا هذا الحجر، فأعانونا عليه حتى رفعناه، فاذا عين باردة طيبة، فشربنا ثم سرنا ليلا او نحو ذلك، فعطشنا فقال بعض القوم: لو رجعنا فشربنا. فرجع ناس و كنت فيمن رجع، فالتمسناها فلم نقدر عليها، فأتينا الراهب فقلنا: أين العين التي ها هنا؟

قال: أيه عين؟ قلنا: التي شربنا منها و استقينا و التمسناها فلم نقدر عليها. فقال الراهب: لا يستخرجها إلا نبي أو وصي. ثم ذكر الخطيب بسنده إلى إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني أن «أبا سعيد التيمي متروك الحديث و غير ثقة».

و المهم من هذا الحديث أن الامام عليا-ع- مرّ بكربلاء و لجج فى الصحراء قبل سنة أربعين الهجرية، و لم يذكر أحد من المؤرخين إنشاء مدينة باسم كربلاء فى أثناء تلك السنين الأربعين، و هذا مرادنا بقولنا إنها غير إسلامية، و قد أشرنا الى مثل هذا المعنى آنفا. و هذا الخبر نقلناه لتأييده و تأكيده.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٨

و من المواضع التي عرفها العرب قديما قرب كربلا «الطف» قال ياقوت الحموي: «الطف بالفتح و الفاء مشددة و هو فى اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق ... و قال أبو سعيد: سمي الطف لأنه مشرف على العراق من أطف على الشيء بمعنى أطل، و الطف طف الفرات أى الشاطيء و الطف أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن على - رضى الله عنه - و هى أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية منها الصيد و القططانة و الرهيمه و عين جمل
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٩

و ذوابها، و هى عيون كانت للموكلين بالمسالح التى كانت وراء خندق سابور الذى حفره بينه و بين العرب و غيرهم و ذلك أن سابور أقطعهم أرضها يعتملونها من غير أن يلزمهم خراجا، فلما كان يوم ذى قار و نصر الله العرب بنبيّه - صلى الله عليه و آله و سلم - غلبت العرب على طائفه من تلك العيون و بقى بعضها فى أيدي الأعاجم ثم لما قدم المسلمون الحيرة هربت الأعاجم بعد ما طمّت عامه ما كان فى أيديها منها، و بقى ما فى أيدي العرب فأسلموا عليه و صار ما عمروه من الأرض عشرا، و لما انقضى أمر القادسية و المدائن وقع ما جلا عنه الأعاجم من أرض تلك العيون الى المسلمين و أقطعوه فصارت عشريه أيضا، و قال الأقيشر الأسدى من قصيده:

انى يذكر نى هندا و جارتها بالطف صوت حمامات على نيق

بنات ماء معا بيض جآجئها حمر مناقرها صفر الحماليق

أيدي السقاء بهن الدهر معمله كأنما لونها رجع المخاريق

أفنى تلالدى و ما جمعت من نشب قرع القواقيز أفواه الأباريق

و كان مجرى عيون الطف و أعراضها مجرى أعراض المدينة و قرى نجد و كانت صدقتها الى عمال المدينة، فلما ولى إسحاق بن ابراهيم بن مصعب السواد للمتوكل ضمها الى ما فى يده فتولى عماله عشرا و صيرها سواديه، فهى على ذلك الى اليوم ثم استخرجت فيها عيون اسلامية يجرى ما عمر بها من الأرضين هذا المجرى ... قال أبو دهب الجمحى يرثى الحسين بن على - رضى الله عنه - و من قتل معه بالطف:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٠ مررت على آيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلت

فلا يبعد الله الديار و أهلهاو إن أصبحت منهم برغمى تخلت

ألا إن قتلى الطف من آل هاشم أذلت رقاب المسلمين فذلت

و كانوا غيائنا ثم أضحوا رزية ألا عظمت تلك الرزايا و جلّت

و جا فارس الأشقين بعد برأسه و قد نهلت منه الرماح و علّت

و قال أيضا:

تبيت سكارى من أمية نوماو بالطف قتلى ما ينام حميمها

و ما أفسد الاسلام إلا عصابة تأمر نوكاها فدام نعيمها

فصارت قناه الدين فى كف ظالم إذا اعوج منها جانب لا يقيمها

قصر مقاتل

قال ياقوت: «قصر مقاتل؛ قصر كان بين عين التمر و الشام، و قال السكونى: هو قرب القططانة و سلام ثم القريات و هو منسوب الى مقاتل ابن حسان بن ثعلبة بن اوس بن ابراهيم بن أيوب بن مجروف بن عامر بن غضية ابن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم. قال ابن الكلبي: لا أعرف فى العرب الجاهلية من اسمه ابراهيم بن أيوب غيرهما و انما سميا بذلك للنصرانية و حربته - يعنى القصر - عيسى بن على بن عبد الله ثم جدّد عمارته فهو له ...» و قال ياقوت: «النسوخ ... قال السكونى: و عن يسار القادسية فى شريقها على بضعة عشر

ميلا عين عليها قرية لولد عيسى بن علي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢١

ابن عبد الله بن العباس يقال لها النسوخ من ورائها خفان». و أخبار قصر مقاتل كثيرة في كتب الأدب و كتب التاريخ و ذكره كثير ايضا في الشعر قال عبيد الله بن الحرّ الجعفي:

و بالقصر ماجزّ بتموني فلم أخم و لم أك وقافا و لا طائشا فشل

و بارزت أقواما بقصر مقاتل و ضاربت أبطالاً و نازلت من نزل

فلا بصره أمي و لا كوفه أبي و لا أنا يثيني عن الرحلة الكسل

فلا تحسبني ابن الزبير كناعس إذا حلّ أغفى أو يقال له ارتحل

فان لم أزر ك الخيل تردى عوابسافرسانها حولي فما أنا بالبطل

و قال طخيم بن أبي الطخماء الأسدي يمدح قوما من أهل الحيرة من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ثم من رهط عدّي بن زيد العبادي:

كأن لم يكن يوم بزورة صالح و بالقصر ظلّ دائم و صديق

و لم أرد البطحاء يمزج ماءها شراب من البرّوقتين عتيق

معى كل فضفاض القميص كأنه إذا ما سرت فيه المدام فتيق

بنو السمط و الحداء كل سميدع له في العروق الصالحات عروق

و إني و إن كانوا نصارى أحبهم و يرتاح قلبي نحوهم و يتوق

الحائر

جاء في معجم البلدان عدّة معان للحائر أهمها قول الأصمعي: «يقال

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٢

للموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف حائر و جمعه حوران .. قال أبو القاسم علي بن حمزة البصري رادا علي ثعلب في الفصيح:

هو الحائر إلا أنه لا جمع له. لأنه اسم لموضع قبر الحسين بن علي -رضي الله عنه- ...

ثم ذكر أن كربلاء تسمّى الحير بلا اضافة. فالحائر اسم عربي و كانت أرض كربلاء من مساكن العرب منذ الجاهلية، و لذلك سميت

أكبر مدينة في هذا الصقع «عين التمر» و هذا الاسم المركب الاضافي يحتوي على اسمين عربيين خالصي العروبة فهل كانت تسمية

الحائر قبل الاسلام؟ و قد ذكر ياقوت في معجم البلدان أيضا «يوم حائر ملهم» قال: «و يوم حائر ملهم أيضا على حنيفة و يشكر» فهذا

الحائر كان في جزيرة العرب، فيجوز فيه الأمران أعني أنه سمى في الجاهلية بالحائر و أنه سمى في الاسلام بهذا الاسم. و قد أطل

الكلام مؤلف «تاريخ كربلاء» على الحائر و سمى كتابه «تاريخ كربلاء و حائر الحسين عليه السلام» و قال: هو بحث علمي تحليلي

واسع عن الحائر المقدس و تاريخه في اللغة و التاريخ و الفقه و الحديث و ثم تاريخ عمارته و هدمه من الصدر الأول الى العصر

الحاضر قال: «و قد نعتت كربلاء منذ الصدر الأول في كل من التاريخ و الحديث بأسماء عديدة مختلفة ورد منها في الحديث باسم

كربلاء و الفاخرية و نينوى و عمورا و شاطيء الفرات و شط الفرات. و ورد منها في الرواية و التاريخ أيضا باسم مارية و النوايس و

الطف و طف الفرات و مشهد الحسين و الحائر و الحير الى غير ذلك من الاسماء المختلفة الكثيرة إلا أن أهم هذه الأسماء في الدين

هو الحائر لما أحيط بهذا الاسم من الحرمة و التقديس أو أنيط به من أعمال و أحكام في الرواية و الفقه إلى يومنا هذا ..» و أعاد هذه

القمشة الغربية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٣

بعد صفحة واحدة- ص ١٢- قال: «و لهذه البقعة التي جرت عليها أعظم مأساة تاريخية أسماء مختلفة كما يحدثنا التاريخ، كانت تطلق عليها هذه الأسماء دون أي فرق أو تمييز (كذا)، فكان يطلق عليها كما سبق اسم الفاخريّة و نينوى و ماريّة و عمورا و النوايس و شط الفرات و شاطيء الفرات و الطف و طف الفرات و الحائر و الحير و مشهد الحسين و كربلاء و لم يكن الاسم الأخير غير أحد تلك الأسماء المختلفة الكثيرة... فتغلب بمرور الزمن على غيره من الاسماء شيوعا و انتشارا في العرف و التاريخ حتى أصبح الآن هو الوريث الوحيد لها...». ثم قال في الصفحة ٥١ «لم يرد في التاريخ أو الحديث ذكر لكربلاء باسم الحائر أو الحير من قبل وقعة الطف او أثناء هذه الوقعة أو بعدها بزمن يسير إذ أن الأحاديث النبوية المنبئة بقتل الحسين- عليه السلام- بأرض العراق تضمنت كل الأسماء عدا اسم الحائر فمنها ما ورد فيه اسم كربلاء و اسم نينوى و الطف و أرض الطف و شط الفرات و شاطيء الفرات و لا واحد منها ورد فيه اسم الحائر او الحير مع أنها جاءت بأسماء هذه الأرض كلها».

و قد ذكرنا أن الحائر اسم عربي و أن العرب سكنوا هذه البلاد منذ عصور الجاهلية، فلا بد من أن يكون معروفا قبل استشهاد الحسين- ع- لأن هذه التسمية هي و الحير و الحيرة من أصل واحد، و قد قال ياقوت في كلامه على «الحيرة»- و أكثره مذكور في تاريخ الطبري:- «و في بعض أخبار أهل السير: سار أردشير الى الأردن و ملك النبط

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٤

و قد اختلفوا عليه و شاغبه ملك من ملوك النبط يقال له بابا فاستعان كل واحد منهما بمن يليه من العرب ليقاتل بهم آلاف فبنى الأردن و حيرا فأنزله من أعانه من العرب فسمى ذلك الحير الحيرة كما تسمى القيعه من القاع و أنزل بابا من أعانه من الأعراب الأنبار و خندق عليهم .. و قال أبو المنذر هشام بن محمد: كان بدء نزول العرب أرض العراق و ثبوتهم بها و اتخاذهم الحيرة و الأنبار أن الله أوحى الى يوحنا... أن ائت بختنصر فمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم و لا أبواب و أن يطأ بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلهم و يستبيح أموالهم و أعلمهم كفرهم بي، و اتخذهم آلهة دونى و تكذبيهم أنبياءى و رسلى. فأقبل يوحنا من نجران حتى قدم على بختنصر و هو ببابل فأخبره بما أوحى إليه، و ذلك في زمن معد بن عدنان، فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب فجمع من ظفر به منهم و بنى لهم حيرا على النجف و حصنه ثم جعلهم فيه و وكل بهم حرسا و حفظة ثم نادى فى الناس بالغزو، فتأهبوا لذلك، و انتشر الخبر فيمن يليهم من العرب، فخرجت اليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين، فاستشار بختنصر فيهم يوحنا فقال: خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضهم اليك رجوع منهم عما كانوا عليه، فأقبل منهم و احسن إليهم. فأنزلهم بختنصر السواد على شاطيء الفرات و ابتنوا موضع عسكرهم فسموا الأنبار، و خلى عن أهل الحير فابتنوا فى موضعه و سموها الحيرة لأنه كان حيرا مبنيا، و ما زالوا كذلك مدة حياة بختنصر، فلما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٥

مات انضموا إلى أهل الأنبار و بقى الحير خرابا زمانا طويلا لا تطلع عليه طاعة من بلاد العرب، و أهل الأنبار و من انضم إليهم من أهل الحيرة من قبائل العرب بمكانهم. و كان بنو معد نزولا بتهماء و ما والاها من البلاد ففرقتهم حروب وقعت بينهم فخرجوا يطلبون المتسع و الريف فيما يليهم من بلاد اليمن و مشارف الشام و أقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين و بها قبائل من الأزدي كانوا نزلوها من زمان عمرو بن عامر ماء السماء .. و كان من اجتماع القبائل بالبحرين و تحالفهم و تعاقدهم أزمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الاسكندر و فرّق البلدان عند قتله دارا إلى أن ظهر أردشير على ملوك الطوائف و هزمهم و دان له الناس و ضبط الملك فتطلعت أنفس من كان فى البحرين من العرب الى ريف العراق و طمعوا فى غلبة الأعاجم مما يلي بلاد العرب و مشاركتهم فيه و اغتتموا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف فاجمع رؤسائهم على المسير الى العراق و وطن جماعة ممن كان معهم أنفسهم على ذلك ... ثم قدمت قبائل تنوع على الأوردوانيين (و هم ملوك الطوائف) فأنزلوهم الحيرة التي كان قد بناها بختنصر و الأنبار و أقاموا يدينون للعجم إلى أن

قدمها تبع أبو كرب فخلّف بها من لم تكن له نهضة فانضموا إلى الحيرة و اختلطوا بهم ... فصار في الحيرة من جميع القبائل من مذبح و حمير و طيء و كلب و تميم، و نزل كثير من تنوخ الأنبار و الحيرة إلى طف الفرات و غربيته إلا- أنهم كانوا بادية يسكنون المظال و خيم الشعر و لا ينزلون بيوت المدر، و كانت منازلهم بين الأنبار و الحيرة فكانوا يسمون عرب الضاحية، فكان أول من ملك منهم في زمن ملوك الطوائف مالك بن فهم أبو جذيمة الأبرش

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٦

و كان منزله مما يلي الأنبار ثم مات فملك ابنه جذيمة الأبرش بن مالك ابن فهم، و كان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأيا و أبعدهم مغارا و أشدهم نكايه و أظهرهم حزما و هو أول من اجتمع له الملك بأرض العرب و غزا بالجيوش، و كان به برص و كانت العرب لا تنسبه إليه إعظاما له و اجلالا، فكانوا يقولون جذيمة الوضاح و جذيمة الأبرش، و كانت دار مملكته الحيرة و الأنبار و بقة و هيت و عين التمر و اطراف البر الى الغمير الى القطقطانة و ما وراء ذلك، تجبى اليه من هذه الأعمال الأموال و تفد عليه الوفود .. و نستدل بهذا الخبر على إمكان كون «الحائر» من وضع العرب في أيام الجاهلية، لأنه لا- صلة لاشتقاقه بالقتل و لا- بالفتك و لا بالاستشهاد و لا بالدفن حتى يكون ظهوره مشروطا بأحد هذه المعاني، فينتفى كونه جاهليا.

أما التسمية بشط الفرات و بشاطيء الفرات فهي عامة لا خاصة فلا يجب اختصاصها بكربلاء و الحائر و إنما سبيلها سبيل التحديد الشعري كقول الشاعر «و قد مات عطشانا بشط فرات»، لأن الشاعر لا يستطيع دوما التعيين الجغرافي المحقق لالتزامه بالوزن و القافية. و أما «مارية» فلم يذكرها صاحب معجم البلدان، إلا بكونها اسما لكنيسة بأرض الحبشة، و إنما ذكر «نهر ماري» قال: «بكسر الراء و سكون الياء، بين بغداد و النعمانية، مخرجه من الفرات و عليه قرى كثيرة منها همينا و فمه عند النيل من أعمال بابل».

عين التمر

كانت عين التمر اكبر مدينة في منطقة كربلاء، و هي من المدن المشرفة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٧

على صحراء السماوة، قال ياقوت الحموي: «و بادية السماوة التي هي بين الكوفة و الشام قفري أظنها مسماة بهذا الماء، يعني ماء بالبادية كانت أم النعمان سميت به و هو مستبعد، و الصحيح ما ذكره أبو المنذر و نقله ياقوت في أول المادة و هو «إنما سميت السماوة لأنها أرض مستوية لا حجر بها»

و قال ياقوت في عين التمر: «بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا منهما يجلب القسب و التمر الى سائر البلاد و هو بها كثير جدا و هي على طرف البرية و هي قديمة، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة ١٢ للهجرة، و كان فتحها عنوة فسبى نساءها و قتل رجالها فمن ذلك السبي والدة محمد بن سيرين او سيرين اسم أمه، و عمران بن أبان مولى عثمان بن عفان. فيه يقول عبيد الله بن الحر الجعفي في وقعة كانت بينه و بين أصحاب مصعب:

ألا هل أتى الفتیان بالمصر أننى أسرت بعين التمر أروع ماجدا

و فرقت بين الخيل لما تواقفت بطعن امرىء قد قام من كان قاعدا

و قال البلاذري: «ثم أتى خالد عين التمر فالصق بحصنها، و كان فيه مسلحة للأعاجم عظيمة، فخرج أهل الحصن فقاتلوا ثم لزموا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٨

حصنهم فحاصرهم خالد و المسلمون حتى سألوا الأمان، فأبى أن يؤمنهم و افتتح الحصن عنوة و قتل و سبى و وجد في كنيسة هناك جماعة سباهم، فكان من ذلك السبي حمدان بن أبان بن خالد النمري ... و سيرين أبو محمد ابن سيرين و اخوته ... و نصير أبو موسى بن نصير صاحب المغرب ...

وقد قيل إن خالدا صالح أهل حصن عين التمر وأن هذا السبي وجد في كنيسته ببعض الطسوج ... عن الشعبي قال: صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة وأهل عين التمر وكتب بذلك إلى أبي بكر فأجازه. قال يحيى بن آدم: فقلت للحسن بن صالح: أفأهل عين التمر مثل أهل الحيرة إنما هو شيء عليهم وليس على أرضيهم شيء؟ فقال: نعم. قالوا: وكان هلال بن عقبة بن قيس بن البشر النمرى على النمر به قاسط بعين التمر. فجمع لخالد وقاتله فظفر به (خالد) فقتله وصلبه. وقال ابن الكلبي: كان على النمر يومئذ عقبة بن قيس بن البشر بنفسه. قالوا: وانتقض ببشير بن سعد الأنصارى جرحه فمات فدفن بعين التمر ودفن إلى جنبه عمير بن رثاب ... وكان أصابه سهم بعين التمر فاستشهد.

وقال الطبري راويا: «قالوا: ولما فرغ خالد من الأنبار واستحكمت له استخلف على الأنبار الزبرقان بن بدر وقصد لعين التمر وبها يومئذ (مهران بن بهرام جوبين) في جمع عظيم من العجم وعفة بن أبي عقبة في جمع عظيم من العرب: من النمر وتغلب وإياد ومن لأفهم فلما سمعوا بخالد قال عقبة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالد.

قال: صدقت لعمري، لأنتم أعلم بقتال العرب وانكم لمتلنا في قتال

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٩

العجم. فخدعه واتقى به وقال: دونكموهم وإن احتجتم إلينا أعناكم.

فلما مضى نحو خالد قالت له الأعاجم: ما حملك على أن تقول هذا القول لهذا الكلب؟ فقال: دعوني فاني لم أرد إلا ما هو خير لكم وشر لهم، إنه قد جاءكم من قتل ملوككم وفل حذكم فاتقيته بهم فان كانت لهم على خالد فهي لكم وإن كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن أقوىاء وهم مضعفون، فاعترفوا له بفضل الرأي.

فلزم مهران العين - يعني عين التمر - ونزل عقبة لخالد على الطريق وعلى ميمنته بجير بن فلان ... وعلى ميسرته الهذيل بن عمران، وبين عقبة وبين مهران روحة أو غدوة، ومهران في الحصن في رابطة فارس، وعقبة على طريق الكرخ كالخفير، فقدم عليه خالد وهو في بقيته جنده، فعبي خالد جنده وقال لمجنبيه: اكفونا ما عنده فاني حامل، وكل بنفسه حوامي، ثم حمل، وعقبة يقيم صفوفه، فاحتضنه فأخذه أسيرا، وانهمز صفه من غير قتال، فأكثروا فيهم الأسر، وهرب بجير والهذيل، وأتبعهم المسلمون. ولما جاء الخبر مهران هرب في جنده وتركوا الحصن.

ولما انتهت فلال عقبة من العرب والعجم إلى الحصن اقتحموه واعتصموا به، وأقبل خالد في الناس حتى ينزل على الحصن ومعه عقبة أسيرا وعمرو بن الصعق، وهم يرجون أن يكون خالد كمن يغير من العرب.

فلما رأوه يحاولهم سألوهم الأمان، فأبى إلا على حكمه، فسلسوا له به، فلما فتحوا دفعهم إلى المسلمين فصاروا مساكاً، وأمر خالد بعقبة وكان خفير القوم فضربت عنقه ليؤس الأسراء من الحياة. ولما رآه الأسراء مطروحا على الجسر يشوا من الحياة، ثم دعا بعمرو بن الصعق فضرب عنقه وضرب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٠

أعناق أهل الحصن أجمعين وسبي كل ما حوى حصنهم وغنم ما فيه، ووجد في بيعتهم أربعين غلاما يتعلمون الانجيل عليهم باب مغلق فكسره عنهم وقال: ما أنتم؟ قالوا: رهن. فقسّمهم في أهل البلاد منهم أبو زياد مولى ثقيف ونصير أبو موسى بن نصير ..

وذكر أبو الفرج الأصبهاني أن سابور الثاني الساساني الملقب بذى الاكتاف حاصر مدينة الحضرة بين دجلة والفرات على الآثار وافتتحها وسبي النضيرة ابنة ملكها وأخرب المدينة واحتمل النضيرة فأعرس بها بعين التمر، واختياره لعين التمر دليل على أن فيها بنيانا ملوكيا يصلح لأن يكون موضعا للفرس، وما أخرى حصن الأخيضر بذلك فانه حصن ملوكي حقا، غير أن ياقوتا الحموي ذكر أن صاحب الخبر هو سابور ابن اردشير المعروف بسابور الجنود لا سابور ذو الاكتاف وهو سابور ابن هرمز وقال ياقوت: «إنما ذكرت ذلك لأن بعضهم يغلط ويروى أنه ذو الأكتاف». والذي أيدته التواريخ الأخرى وعضده علم الآثار أن سابور بن اردشير هو الذي

افتتح مدينة الحضر و أخربها، فهو الذى سبى ابنه ملكها و أعرس بها بعين التمر، و هذا يرفع تاريخ حصن الأخيضر الى القرن الثالث للميلاد بدلا من القرن الرابع للميلاد. و قد خربت عين التمر و بقى حصنها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣١

شفانا

و من قرى عين التمر المعروفة قرية «شفانا» و قد نقلنا آنفا قول ياقوت فى معجمه فى الكلام على عين التمر «بقربها موضع يقال له شفانا منهما يجلب القسب و التمر الى سائر البلاد» و لا تزال شفانا عامرة قرب حصن الأخيضر مشهورة بقسبها و تمرها و رمانها و عيونها المعدنية، و اسمها يدل على أصل كلمة آرامية لا عربية.

و مما يستغرب أن بعض المتطفلين على مائدة الجغرافية العراقية القديمة استبدل باسم شفانا اسم «عين التمر» و صارت شفانا تسمى «عين التمر» رسميا و هذا تخليط ما بعده تخليط، فكلتا البلديتين لهما وجود تاريخى خاص، و لكل منهما تاريخ خاص بها، و قد خرجت عين التمر و بقيت شفانا و ستبقى الى ما شاء الله و من العامة من يسميها «شثانة» على سبيل الابدال، و بها يضرب المثل فى فساد الصحة بها، فالعامة يقولون «يريد من شثانة عافية». فشفانا غير عين التمر و عين التمر غير شفانا فالتغاير و التباين جد مبينين.

الغاضرية

ذكرها ياقوت الحموى قال: «الغاضرية بعد الألف ضاد معجمة:

منسوبة إلى غاضرة من بنى أسد و هى قرية من نواحي الكوفة قريبة من «كربلا» و هذا الوصف يدل على أن الغاضرية أنشئت بعد انتقال قبيلة بنى أسد الى العراق فى صدر الاسلام، فليست الغاضرية قديمة التاريخ جاهلية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٢

نينوى

قدمنا فى الكلام على كربلاء قول ياقوت الحموى: «و بسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التى قتل بها الحسين (رضى الله عنه)».

و زعم الأستاذ فيردهوفر Ferd Hoefer أن أسترابون Strabon الجغرافى اليونانى المولود فى أواسط القرن الأول قبل الميلاد ذكر فى كتابه «وصف ما بين النهرين: آشورية و بابل و كلديّة» ذكر نينوى ثانية غير نينوى الشمالية فان صحّ زعمه كانت نينوى الجنوبية هى المقصود ذكرها.

و قد سكن نينوى أبو القاسم حميد بن زياد بن حماد الآتى ذكره و كانت على نهر العلقمى.

نهر العلقمى

قال ابن الطقطقى فى ترجمة الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى: «هو أسدى أصلهم من النيل. و قيل لجده العلقمى لأنه حفر النهر المسمى بالعلقمى، و هو الذى برز الأمر الشريف السلطانى بحفره و سمى القازانى» و قال الدكتور أحمد سوسة فى الكلام على نهر المحدود: «و الذى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٣

نراه في هذا الصدد هو أن نهر محدود هذا لم يكن إلا- أحد الأنهر التي فتحت في زمن العرب على ضفتي نهر الفرات، و لعله كان يأخذ من الضفة اليمنى من الفرات أما نهر الملك حيث نجد آثارا لسدّ قديم على نهر الفرات في ذلك المكان، ثم يتصل بنهر كرى سعده القديم في القسم الذي يمتد بين كربلاء و الكوفة، و يغلب على الظن أن نهر (محدود) هذا هو النهر نفسه الذي سمي باسم العلقمي و الذي ذكر قدامه (٨٨٠ م) أنه كان يأخذ من جنوب الأنبار ثم يجري في الاتجاه الجنوبي الغربي فيمر بكربلاء و يصب في الفرات في منطقة الكوفة، و قد جاء ذكر العلقمي أيضا في كتاب تواريخ السلجوقيين للاصفهاني حيث أيد في هذا المصدر أن جدول العلقمي كان يمرّ بالمشهدين أي كربلاء و النجف و قد أجرى تطهيره و ترميمه .. و يرجح أن آثار النهر القديم التي نشاهدها غربي مدينة المسيب الحالية تمثل بقايا نهر العلقمي المذكور» .

قلت: الذي ورد في زبده النصره و نخبة العصره، اختصار البنداري و الأصل لعماد الدين الاصفهاني خاصا بنهر العلقمي هو قوله في حوادث سنة ٤٧٩ هـ: «و وصل عماد الدولة سرهنك ساوتكين الى واسط و منها الى النيل في شهر رمضان وزار المشهدين الشريفيين و أطلق بهما للأشرف مالا جزيلا و أسقط خفارة الحاج و حفر العلقمي و كان خرابا دهرًا» .

و قال ابن الفوطي في ترجمته و سماه «أبا نصر ساوتكين سرهنك»:

«ذكره ابن الهمداني في تاريخه و قال: و في شوال سنة ست و سبعين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٤

و أربعمائه وصل عماد الدولة سرهنك ساوتكين الى بغداد و خرج لاستقباله الوزير ظهير الدين أبو شجاع وزير المقتدى وزار المشهد المقدس و حفر العلقمي و استدعاه المقتدى و خلع عليه» ..

و السبب في حفر العلقمي هو أن أبا الحارث ألب أرسلان البساسيري القائد الناصر على بني العباس الذي خطب بالعراق باسم الفاطميين سنة ٤٥١ كان عازما على حفره فلم تسعفه الأقدار، فقام ساوتكين بحفره دفنا لذكرى البساسيري، قال ابو الفرج بن الجوزي في حوادث سنة ٤٥١ «و في بكرة الثلاثاء رابع هذا الشهر (صفر) خرج البساسيري الى زيارة المشهد بالكوفة على أن ينحدر من هناك الى واسط، و استصحب معه غلة في زورق ليرتب العمال في حفر النهر المعروف بالعلقمي و يجريه الى المشهد بالحائر و فاءا بنذر كان عليه» .

و قد ذكرنا آنفا أن نينوى كانت قرية على العلقمي فقد جاء في ترجمة حميد بن زياد بن حماد أبي القاسم الدهقان أنه كان «كوفيا و سكن سورا و انتقل الى نينوى قرية على العلقمي الى جنب الحائر- على صاحبه السلام- و كان ثقة و جها فيهم سمع الكتب و صنف كتابه الجامع في أنواع الشرائع، كتاب الخمس، كتاب الدعاء، كتاب الرجال، كتاب من روى عن الصادق، و كتاب الفرائض، كتاب الدلائل، كتاب ذم من خالف الحق و أهله، كتاب فضل العلم و العلماء، كتاب الثلاث و الأربع، كتاب النوادر،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٥

و هو كتاب كبير (قال النجاشي): أخبرنا أحمد بن علي بن نوح قال حدثنا الحسين بن علي بن سفيان قال قرأت على حميد بن زياد كتابه: كتاب الدعاء.

و أخبرنا الحسين بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن جعفر بن سفيان عن حميد بكتبه، قال أبو المفضل الشيباني: أجازنا سنة عشر و ثلاثمائه. و قال أبو الحسن علي بن حاتم: لقيته سنة ست و ثلاثمائه و سمعت منه كتاب الرجال قراءة و أجاز لنا كتبه. و مات حميد سنة عشر و ثلاثمائه» و قال أبو علي:

«حميد بن زياد من أهل نينوى قرية الى جنب الحائر- على ساكنه السلام:-

ثقة كثير التصانيف، روى الأصول اكثرها، له كتب كثيرة على عدد كتب الأصول.» و ذكره الشيخ عبد الله الماقياني في كتابه باسم «حميد ابن زياد النينوي ... بنونين مفتوحتين. بينهما ياء مثناة من تحت ساكنة و بعدهما واو و ياء نسبة الى نينوى: موضع قرب كربلاء أو هي هي ..» و قال في آخر الترجمة: «و علق الشهيد الثاني- رح- عليه أن بخط السيد في كتاب النجاشي (سنة عشرين و ثلاثمائه)»

يعنى تاريخ وفاته.

و ذكر الأب أنستاس مارى الكرملى، أن الملك أرغون بن أباكو بن هولاكو لما قهر عمه أحمد تكدار بن هولاكو سنة ٦٨٣ بذل سعيًا محمودًا فى حفر نهر جديد يخرج من الفرات و يدفع ماءه فى سهل كربلاء . و المعروف المشهور فى التواريخ أن الذى أمر بكرى العلقمى هو السلطان محمود غازان، كما مرّ نقله آنفاً من كتاب تاريخ ابن الطقطقى، و يؤيده الأب أنستاس موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٦

نفسه فقد قال فى ترجمه غازان: «و فى حين زحفه غازان الثالثة على ديار الشام عبر الفرات الى الحلّة فى ١٠ جمادى الثانية من سنة ٨٠٢ (٣٠ كانون الثانى سنة ١٤٠٣) و فى اليوم السادس من عبوره الفرات ذهب لزيارة قتيل كربلاء، و عيّن للسادة المقيمين بجوار التربة ثلاثة آلاف من الخبز فى اليوم الواحد من ريع الأرضين التى كان يسقيها النهر الأعلى الذى حفره غازان و كان شقّه من الفرات الى مشهد الحسين ناقلاً ماء زلالاً إلى بلدة مدفن الحسين. و قال (دوسون) فى كتابه تاريخ المغول:

أمر غازان فحفر فى أرض الحلّة نهراً يأخذ ماءه من الفرات و يدفعه الى مرقد الحسين و يروى سهل كربلاء اليابس القفر و ما جرى الماء الا و فرش عليها بساطاً أخضر كله محاسن و لبست الأرضون ثياباً سندسية سداها مختلف النبات و لحمتها ألوان الأشجار و كانت غلتها تزيد فى السنة على مائة ألف طغار من الحبوب تفوق حبوب بغداد حسناً و جوهراً، و أمر غازان أن يوزع كل سنة مقدار وافر من الحنطة على السادة الفقراء الذين كانوا يأوون الى المرقد و عددهم كان هناك عديداً و يسمى ذلك النهر (نهر غازان الأعلى) أو (النهر الغازانى الأعلى) تمييزاً له عن النهر الذى كراه هو أيضاً و يأخذ ماءه من الفرات و ينزل به الى مرقد السيد أبى الوفاء، و كان الباعث على شق هذا النهر أنه ذهب يوماً يتصيد فأفضى به الصيد الى السهل القفر الذى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٧

فيه مرقد هذا السيد و أراد حينئذ أن يورد دوابه و خيله فلم يجد ثمّة ماء فألقى على نفسه أن يجلب الماء الى ذلك الوطن و يسقى أراضيه ففعل و سمي هذا النهر (نهر غازان الاسفل) أو النهر الأسفل الغازانى؛ و كأنه لم يكتف بهذين النهرين فحفر نهراً ثالثاً فى الطرف الشرقى من بادية كربلاء و اشتهر باسم (نهر غازان) و أوقف غلّات تلك الأنهر و ريعها لمرقد أبى الوفاء، و لأوقاف شنب. توفى غازان فى الرى سنة ٧٠٣هـ - ١٣٠٣ م .

و قال الغياثى فى ترجمه غازان: «و من آثاره نهر أخرجه من الفرات ...

و عمل عليه كثيراً من العمارة و سمي بالنهر الغازانى و شق من الفرات الى مشهد أبى الوفاء» و قال لسترنج: «كان الطسوجان اللذان بين منقسم الفرات الأسفل و نهر سورا إلى شرقهما و عمود الفرات الى غربهما يعرفان بطسوج الفلوجة العليا و الفلوجة السفلى و فى أسفلهما يمر النهر بمدينة القنطرة و يضم نهر البداء ثم ينتهى الى الكوفة فى الجانب الغربى من الفرات تجاه الجسر. و فى جنوب الكوفة كانت مياه هذا النهر تنصب فى البطائح من فروع صغيرة له، و النهر القديم سماه قدامة و المسعودى (نهر العلقمى) و هو على ما يظهر يطابق نهر الهندية الحالى الذى ينشطر اليوم من الفرات فى أسفل المسيب و كان يمر بخرائب الكوفة القديمة ثم يلتقى بعمود الفرات الحالى بعد أن يجرى بين أهوار البطائح التى كانت فى العصر العباسى».

و قول لسترنج يعتمد على الظن و التخمين فانه لم يقدم العراق و لا- زار موضعا من مواضعه فكان يعتمد على الخرائط على تحقيق المواضع و تطبيقها. و نهر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٨

الهندية يتجه نحو الجنوب مع أن المفهوم من نهر العلقمى أنه يتجه أولاً نحو كربلاء و يجوز أن تكون وجهته بعد ذلك نحو الجنوب كما نقلنا قبلاً. فينبغى البحث عن مجراه المندفن على حسب ذلك الوصف.

و كون جد الوزير مؤيد الدين بن العلقمى الحافر لنهر العلقمى، كما ذكر ابن الطقطقى و نقلناه فى هذا البحث يوجب أن يسمّى «نهر

العلقمى» اى نهر الرجل «العلقمى» لا النهر العلقمى، لأن العلقمى صار اسما لرجل معين فوجبت الاضافة اليه عند إرادة تسمية النهر.

العقر

العقر قال ياقوت الحموى: «العقر بفتح أوله و سكون ثانيه ... منها عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة و قد روى أن الحسين -رضى الله عنه- لما انتهى الى كربلاء و أحاطت به خيل عبيد الله بن زياد قال: ما اسم تلك القريه؟- و أشار إلى العقر- فقيل له: اسمها العقر. فقال: نعوذ بالله من العقر، فما اسم هذه الأرض التى نحن فيها؟ قالوا: كربلاء. قال:

أرض كرب و بلاء. و أراد الخروج فمنع حتى كان ما كان. قتل عنده- يعنى العقر- يزيد بن المهلب بن أبى صفره فى سنة ١٠٢؛ و كان خلع طاعة بنى مروان و دعا إلى نفسه و أطاعه أهل البصرة و الأهواز و فارس و واسط، و خرج فى مائة و عشرين ألفا، فندب له يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة فواقعه فى العقر من أرض بابل، فأجلت الحرب عن قتل يزيد بن المهلب».

و قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: «كان يقال: ضحى بنو حرب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٩

بالدين يوم كربلاء و ضحى بنو مروان بالمروءة يوم العقر، فيوم كربلاء يوم الحسين بن على بن أبى طالب و أصحابه، و يوم العقر يوم قتل يزيد بن المهلب و أصحابه» و قال أبو الفرج الاصبهانى و قد أسند الخبر الى حفص الأموى قال: «كنت أختلف الى كثير أترؤى شعره، فو الله إنى لعنده يوما إذ وقف عليه واقف فقال: قتل آل المهلب بالعقر، فقال:

ما أجلّ الخطب! ضحى آل أبى سفيان بالدين يوم الطفّ، و ضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر. ثم انتضحت عيناه باكيا. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فدعا به، فلما دخل عليه قال: عليك لعنة الله، أترائية و عصبية؟

و جعل يضحك منه». و نقل هذا الخبر ابن خلكان فى وفيات الأعيان و جاء فيه «و أسبلت عيناه بالدموع» بدلا من انتضحت عيناه، ثم نقل ابن خلكان فى ترجمة يزيد بن المهلب ما هذا نصه «قال الكلبي: نشأت و الناس يقولون ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء و بالكرم يوم العقر».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٤٠

اهم مصادر البحث التى اعتمدها الكاتب

- ١- معجم البلدان
- ٢- كتاب نهضة الحسين
- ٣- مجلة لغة العرب
- ٤- الصحاح
- ٥- الكامل للمبرد
- ٦- تاريخ الطبرى
- ٧- لسان العرب
- ٨- تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء
- ٩- تاريخ بغداد لابن النجار
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٤١
- ١٠- المؤرخون و الشعر

- ١١- المشترك وضعاً و المفترق صقعا
- ١٢- مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلا
- ١٣- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
- ١٤- بغية النبلاء في تاريخ كربلاء
- ١٥- احسن التقاسيم
- ١٦- فتوح البلدان
- ١٧- الاغانى
- ١٨- التاريخ الفخرى
- ١٩- وادى الفرات و مشروع بحيرة الحبانية
- ٢٠- زبدة النصره
- ٢١- تلخيص معجم الالقاب
- ٢٢- المنتظم
- ٢٣- رجال النجاشى
- ٢٤- رجال ابى على
- ٢٥- تنقيح المقال
- ٢٦- الفوز بالمراد فى تاريخ بغداد
- ٢٧- التاريخ الغياثى
- موسوعة العتبات المقدسه، ج ٨، ص: ٤٢
- ٢٨- بلدان الخلافة الشرقية
- ٢٩- الوفيات

٣٠-٥١ Chaldei Anyrie Medie Babylonie p

موسوعة العتبات المقدسه، ج ٨، ص: ٤٣

عرض تاريخى مجمل لمصرع الامام الحسين فى عرسه كربلاء كتبه الدكتور حسين أمين

إشارة

استاذ التاريخ الاسلامى بجامعة بغداد الحائز على درجة دكتوراه الشرف الاولى من جامعة الاسكندرية

موسوعة العتبات المقدسه، ج ٨، ص: ٤٥

عرض تاريخى مجمل لمصرع ابى عبد الله الحسين (ع)

كانت كربلاء من مراكز التجمعات الإسلامية و ميدانا من ميادين الجهاد فى الفتوحات الأولى، و قد فتحت كربلاء اثر الانتصارات الرائعة التى أحرزها المسلمون بعد معاركهم الخالدة فى البويب و القادسية و أضحت بلدة من بلاد الإسلام يعمها الايمان و تنتشر فى ارجائها العقيدة الاسلامية.

وقد شيد المسلمون الفاتحون مدينة الكوفة، لتكون مركزهم في العراق و مكان الوالى الذى يعينه الخليفة، و بذلك أضحت الكوفة المعسكر الكبير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٤٦

و القاعدة التى ينطلق منها المسلمون نحو الشرق، و بمرور الزمن أصبحت للكوفة مكانة مهمة فى مجال السياسة و الحرب، و فى مجال الحياة الاجتماعية و الثقافية، و غدت كربلاء مكانا لقلّة من الناس امتهنوا الزراعة فى المناطق القريبة من موارد المياه.

و كتب لهذه الأرض، أرض كربلاء، أن تشهد أروع حدث فى تاريخ المسلمين، و اعنف وقعه بين قوى الخير و قوى الشر، أجل شهدت تلك الأرض وقائع حربية أدمت القلوب و أفزعت النفوس و أدت نتائجها الى تصدع وحدة المسلمين، ففى رجب سنة ٦٠ ه توفى معاوية بن أبى سفيان، و كان على مكة عمرو بن سعيد بن العاص و لم يكن ليزيد بن معاوية حين ولى إلا بيعه النفر الذين أبوا على معاوية الأجابه الى بيعته و الفراغ من أمرهم فكتب الى الوليد بن عتبة: «من يزيد أمير المؤمنين الى الوليد ابن عتبة أما بعد فان معاوية كان عبدا من عباد الله اكرمه الله و استخلفه و خوله و مكّن له فعاش بقدر و مات بأجل فرحمه الله فقد عاش محمودا و مات برا تقيا و السلام؛ و كتب له أيضا أما بعد فخذ حسينا و عبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير بالبيعة أخذنا شديدا ليست فيه رحضة حتى يبايعوا و السلام.»

و عندما أحسّ الحسين (ع) بضغط الأمويين عليه فى طلب البيعة ليزيد خرج من المدينة الى مكة حيث دخلها ليلة الجمعة لثلاث مضيّن من شعبان و نزل شعب على فاقبل أهل مكة و من كان بها من المعتمرين و أهل الآفاق بختلفون اليه و يجتمعون عنده.

و كانت الأخبار بوفاء معاوية قد تنقلت الى مختلف الأمصار و بلغ أهل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٤٧

الكوفة ذلك الخبر كما علموا امتناع الحسين عن بيعة يزيد بن معاوية و نزوله مكة، فاجتمع كبار أهل الكوفة فى منزل سليمان بن سرد الخزاعى بالكوفة فذكروا وفاة معاوية و خطبهم سليمان بن سرد و قال لهم: إن حسينا قد خرج من مكة و انتم شيعته، و شيعه أبيه، فان كنتم تعلمون انكم ناصروه و مجاهدو عدوه فاكثبوا اليه و ان خفتم الفشل و الوهن فلا تغزوه، قالوا: لا بل نقاتل عدوه و نقتل أنفسنا دونه، فكتبوا اليه: بسم الله الرحمن الرحيم للحسين ابن على عليهما السلام من سليمان بن سرد و المسيب بن نجبة و رفاعه بن شداد البجلي و حبيب بن مظاهر و شيعته المؤمنين المسلمين من أهل الكوفة سلام عليك. فانا نحمد اليك الله الذى لا إله الا هو، أما بعد فالحمد لله الذى قصم عدوك الجبار العنيد الذى اعتدى على هذه الأمة فابترها أمرها و انتزعها حقوقها و غضبها فيئها و تأمر عليها بغير رضا منها ثم قتل خيارها و استبقى شرارها و جعل ما؟؟؟ ل الله دولة بين جابرتها و اغنيائها فبعدا له كما بعدت ثمود و انه ليس علينا امام فاقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الحق، و النعمان بن بشير فى قصر الأماره لسننا نجتمع معه فى جمعه و لا عيد و قد حبسنا أنفسنا عليك و لو اقبلت الينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام.

و قد أرسل الكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمدانى و عبد الله بن وال، و اوصلاه الى الحسين (ع) فى العاشر من رمضان سنة ٦٠ ه، و صار أهل الكوفة يتابعون بايفاد الرسل الى الامام الحسين مزودين بالكتب و يلحون على الحسين بالمجىء و مما جاء فى بعض رسائلهم: «ان الناس ينتظرونك لا رأى لهم غيرك فالعجل العجل ثم العجل العجل و السلام» و من رساله بعث بها شيبث بن ربعى و حجار بن أبحر و يزيد بن الحارث و يزيد بن رويم و عروه بن قيس و عمرو بن الحجاج الزبيدى و محمد بن عمير بن عطارد التميمى:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٤٨

«أما بعد فقد اخضر الجناب و أينعت الثمار فاذا شئت فاقبل على جند لك مجند و السلام.» و قد روى الطبرى ان أهل الكوفة كتبوا الى الحسين ان معك مائة ألف.

و كتب الحسين الى أهل الكوفة (بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين ابن على الى الملاء من المؤمنين المسلمين، أما بعد فقد فهمت

كل الذي اقتصصتم و قد بعث اليكم بأخي و ابن عمي و ثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل و أمرته أن يكتب إلي بحالكم و أمركم و رأيكم فان كتب الي انه قد اجتمع رأي ملائكم و ذوى الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم و قرأت في كتبكم فاني اقدم اليكم و شيكا ان شاء الله فلعمري ما الامام الا العامل بالكتاب القائم بالقسط الدائن بالحق الحابس نفسه على ذات الله و السلام».

و توجه مسلم بن عقيل نحو الكوفة، تلبية لأمر الحسين بن علي (ع) لما وصلها نزل في الدار التي تعرف بدار المختار بن أبي عبيد ثم عرفت بدار المسيب، و صار الناس يختلفون اليه، يتعرفون عليه و يتلو عليهم كتاب الامام الحسين (ع) حتى بلغ عدد الذين بايعوه ثمانية عشر ألفا، و كان على الكوفة و قنذاك النعمان بن بشير، و يبدو أن يزيد بن معاوية لم يكن ليرتاح اليه لذا فانه اصدر أوامره بتولية عبيد الله بن زياد ولاية الكوفة، فاتبع عبيد الله هذا غاية الشدة في تثبيت دعائم حكمه و توسل بوسائل مختلفة من العنف و الأجراء و الرشوة و التهديد. كما فرض احكاما و قوانين قسرية من أجل الحفاظ على ولاية الكوفة و إفساد خطط أهلها من أن ينجحوا في مطلبهم و غايتهم، و لما أحس مسلم بن عقيل بقدم ابن زياد و اتباعه تلك الأساليب العنيفة تحول الى دار هاني بن عروة المرادي و هو من أشرف الكوفة و طلب منه أن يستضيفه و يجيره، و كان مسلم بن عقيل قد أرسل الى ابن عمه الحسين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٤٩

(ع) يخبره بأن أهل الكوفة قد بايعوه و طلب منه أن يعجل في القدوم. و شدد ابن زياد الخناق على أهل الكوفة و طارد أصحاب مسلم بن عقيل حتى بقي وحده و وقع أخيرا في قبضة عبيد الله بن زياد فأمر بقطع رأسه كما أمر بقتل هاني بن عروة المرادي، و هكذا سال الدم الزكي فوق مسلم بن عقيل شهيدا من اجل الفكرة السامية و ذهب هاني بن عروة شهيدا من اجل الحفاظ على الوفاء بالعهد، و كان ذلك بداية الأعمال التعسفية التي لم تشهد الكوفة لها مثيلا في التاريخ:

و قدم الحسين (ع) أرض العراق و نزل ذات عرق فلما بلغ الحاجر كتب الى أهل الكوفة مع قيس بن مسهر الصيداوي، يعرفهم قدومه و يأمرهم في الجد بأمرهم، و لما انتهى قيس الى القادسية أخذه الحصين فبعث به الى ابن زياد فقال له ابن زياد صعد القصر فسب الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي!! فصعد قيس فحمد الله و اثني عليه ثم قال: ان هذا الحسين ابن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله (ص) و أنا رسوله اليكم و قد فارقت بالحاجر فأجيبوه ثم لعن ابن زياد و أباه و استغفر لعلي فأمر به ابن زياد فرمى من أعلى القصر فتقطع و مات.

ثم مر الحسين بزورود حيث التقى بزهير بن القين البجلي و كان عثمانيا.

و صار من أنصار الأمام الحسين و لازمه حتى قتل معه. و جاء للأمام الحسين عليه السلام خبر مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل و هو في الثعلبية ثم انتقل الى زباله و فيها أبلغ بمقتل اخيه من الرضا عبد الله بن يقطر و كان (ع) قد أوفده الى مسلم بن عقيل.

و جمع الأمام أنصاره و من انضم اليه من العرب فخطبهم و ابلغهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٥٠

مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل و قال لهم: قد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف ليس عليه منا ذمام؛ فتنفروا يمينا و شمالا و لم يبق معه (ع) الا أصحابه المخلصون الذين جاوا معه من المدينة و نفر يسير ممن انضموا إليه، أولئك الذين بقوا على العهد و استرخصوا النفس دفاعا عن المبادئ السامية و المثل العليا.

و لما علم عبيد الله بن زياد بوجهة الأمام الحسين (ع) اتخذ احتياطات عسكرية مختلفة و حاول جاهدا مراقبه تحركات الأمام الحسين (ع) و كان قد أرسل الى حراسه البر فائدا من قواده (الحر بن يزيد الرياحي) و التقى بركب الحسين (ع) في (شرف) و كانت مهمة الحر على ما يبدو قطع الطريق على الحسين و عدم مفارقتة حتى يأتي به الى الكوفة. و لما أحس الحسين بخذلان شيعته و بالاجراءات التعسفية التي اتبعها عبيد الله بن زياد في الكوفة و أهلها و بما ينتويه ضده و ضد أنصاره أمر أصحابه بالأنصراف نحو الحجاز و لكن القائد الأموي (الحر بن يزيد) منعهم من ذلك، فقال له الحسين (ع): ما الذي تريد؟ قال الحر: أريد أن أنطلق بك الى الأمير عبيد الله

بن زياد. قال الحسين إذن و الله لا- أتبعك. قال الحر: إذن و الله لا أدعك. و كثر الجدل بينهما فقال الحر: إننى لم أؤمر بقتالك و إنما أمرت أن لا أفارقك حتى اقدمك الكوفة، فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة، و لا تردك الى الحجاز حتى اكتب الى الأمير عبيد الله، فلعل الله أن يأتى بأمر يرزقنا فيه العافية و لا أبتلى بشيء من أمرك، فسار الحسين متياسرا من طريق العذيب و الحر بن يزيد يسايره، و خطب الإمام الحسين (ع) فى الناس، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: «أيها الناس إن رسول الله (ص) قال من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله (ص) يعمل فى عباد الله بالإثم و العدوان فلم يغير ما عليه بفعل و لا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٥١

قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله الا- و أنا أحق من غيرى، و قد اتنى كتبكم و رسلكم ببيعتكم و أنكم لا- تسلمونى و لا تدخلونى فان بقيتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم و انا الحسين بن على بن فاطمة بنت رسول الله (ص)، نفسى مع أنفسكم، و أهلى مع أهلكم، فلکم فى أسوء، و إن لم تفعلوا و نقضتم عهدى، و خلعتم بيعتى، فلعمرى ما هى لكم بنكير و المغرور من اغتربكم، فحظكم أخطأتم، و نصيبكم ضيعتم، و من نكث فانما ينكث على نفسه، و سيغنى الله عنكم و السلام» فقال له الحر: انى اذكرك الله فى نفسك فانى أشهد لئن قاتلت لتقتلن، فقال له الحسين: «أبالموت تخوفنى؟ و هل يعدونكم الخطب ان تقتلونى، و ما أدرى ما أقول لك، و لكنى اقول كما قال أخو الأوس لأبن عمه و هو يريد نصره رسول الله (ص) فخوفه ابن عمه اين تذهب فانك مقتول، فقال:

سأمضى و ما بالموت عار على الفتى اذا ما نوى خيرا و جاهد مسلما

و آسى الرجال الصالحين بنفسه و خالف مبتورا و فارق مجرما

فان عشت لم أندم و ان مت لم ألم كفى بك ذلا أن تعيش و ترغما»

و سار الإمام الحسين بأصحابه حتى بلغ عذيب الهجانات، و الحر بن يزيد ملازما له، ثم وصل قصر بنى مقاتل، و كلما أراد الحسين (ع) أن يتياسر ليميل نحو البادية رده الحر بن يزيد نحو الكوفة حتى انتهى (ع) الى نينوى فنزل بها. و فى الثانى من محرم الحرام سنة احدى و ستين وصل (ع) مكانا قريبا من الفرات اسمه كربلاء.

و فى اليوم التالى من نزول الإمام الحسين (ع) كربلاء قدم عمر بن سعد من الكوفة فى اربعة الاف و كان سبب مسيره اليه ان عبيد الله بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٥٢

زيد كان قد بعثه على أربعة آلاف الى (دستبى) و كان الديلم قد خرجوا إليها و غلبوا عليها و كتب له عهده على الرى فعسكر بالناس فى (حمّام أعين)، فلما كان من أمر الحسين ما كان، دعا ابن زياد عمر بن سعد و قال له: سر الى الحسين فاذا فرغنا مما بيننا و بينه سرت الى عملك، فاستعفاه. فقال: نعم على ان ترد عهدنا، فلما قال له ذلك، قال: أمهلنى اليوم حتى انظر فاستشار نصحاءه، فكلهم نهاه، و اتاه حمزة بن المغيرة، و هو بن اخته، فقال: انشدك الله يا خالى أن لا تسير الى الحسين فتأثم، و تقطع رحمك، فو الله لأن تخرج من دنياك و مالك و سلطان الأرض،- لو كان لك- خير من أن تلقى الله بدم الحسين. فقال:

أفعل، و بات ليلته مفكرا فى امره و تمثّله قائلا:

أترك ملك الرى و الرى منيتى أم ارجع مذموما بقتل حسين

و فى قتله النار التى ليس دونها حجاب و ملك الرى قره عين

و كان ابن سعد على ما يبدو من الأخبار التاريخية مترددا فى تنفيذ المهمة التى عهدت اليه و لكنه فضل أخيرا منازل الإمام الحسين (ع) و محاربتة و إستجابة أوامر أسياده عبيد الله بن زياد، و يزيد بن معاوية و غيرهما من الذين ناصبوا الحسين العدا.

و تقابل الإمام الحسين و عمر بن سعد أكثر من مرة و عرض الإمام الحسين ان يعود الى الحجاز، فكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد فى ذلك، ينصحه الموافقة على ذلك، و بدت امارات الموافقة على عبيد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٥٣

الله بن زياد و لكن (شمر بن ذى الجوشن) قال لعبيد الله بن زياد: «و الله لئن رحل من بلادك و لم يضع يده فى يدك ليكونن اولى بالقوة و العزة، و لتكونن اولى بالضعف و العجز، فلا تعطه هذه المنزلة، و لكن لينزل على حكمك هو و اصحابه فان عاقبت فكنت ولى العقوبة و ان عفوت كان ذلك لك و الله لقد بلغنى ان الحسين و عمر يتحدثان عامه الليل بين العسكرين» فقال ابن زياد: نعم ما رأيت، أخرج بهذا الكتاب الى عمر فليعرض على الحسين و أصحابه النزول على حكمى فان فعلوا فليبعث بهم الى سلماوان أبوا فليقاتلهم و ان فعل فاسمع له و اطع و ان أبى فانت الأمير عليه و على الناس و اضرب عنقه و ابعث الى برأسه.

و كتب ابن زياد رسالة الى عمر بن سعد يستهجن تصرفاته و سياسته تجاه الحسين (ع) و اخيرا قال له فى الرسالة: «فان نزل الحسين و أصحابه على الحكم و استسلموا فابعث بهم الى سلما و ان أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم و تمثل بهم فانهم لذلك مستحقون، فان قتل الحسين فأوطىء الخيل صدره و ظهره، فانه عاق، شاق، قاطع، ظلوم، فان انت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع، و إن أنت أبيت فاعتزل جندنا و خل بين شمر و بين العسكر و السلام».

و جاء الشمر الى عمر بن سعد و ابلغه برسالة الامير عبيد الله بن زياد و قرأها و تبين فحواها، فركب عمر بن سعد مع نفر من اصحابه و اتجه صوب مضارب الامام الحسين (ع) عشية الخميس لتسع مضين من المحرم، و رأى العباس بن على بن أبى طالب قدوم اهل الكوفة، فقال للامام الحسين (ع): أتاك القوم. فنهض الحسين (ع) و قال:

يا عباس اركب بنفسى أنت يا أخى حتى تلقاهم فتقول لهم، مالكم؟ و ما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٥٤

بدا لكم؟ و تسألهم عما جاء بهم، فأتاهم العباس فاستقبلهم فى نحو من عشرين فارسا، فيهم زهير بن القين و حبيب بن مظاهر، فقال لهم العباس:

ما بدا لكم و ما تريدون. قالوا: جاء امر الأمير بأن نعرض عليكم ان تنزلوا على حكمه او ننازلكم. قال: فلا تعجلوا حتى ارجع الى ابى عبد الله فاعرض عليه ما ذكرتم. فوقف القوم و قالوا القه فأعلمه ذلك ثم القنا بما يقول. فانصرف العباس (ع) راجعا يركض الى الحسين يخبره بالخبر و وقف اصحابه يخاطبون القوم، فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين:

كلم القوم إن شئت و إن شئت كلمتهم. فقال له زهير: أنت بدأت بهذا فكن انت تكلمهم. فقال حبيب بن مظاهر، اما و الله لبئس القوم عند الله غدا قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه عليه السلام و عترته و اهل بيته (ص)، و عباد اهل هذا المصر المجتهدين بالاسحار و الذاكرين الله كثيرا. فقال له عزرة بن قيس: إنك لتزكى نفسك ما استطعت. فقال له زهير: يا عزرة إن الله قد زكاها و هداها، فاتق الله يا عزرة فإنى لك من الناصحين، انشدك الله يا عزرة ان تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية؛ قال: يا زهير ما كنت عندنا من شيعه اهل هذا البيت إنما كنت عثمانيا. قال: أفلست تستدل بموقفى هذا أنى منهم، اما و الله ما كتبت إليه كتابا قط، و لا ارسلت إليه رسولا قط، و لا وعدته نصرتى قط، و لكن الطريق جمع بينى و بينه، فلما رأيت ذكرت رسول الله (ص) و مكانه منه، و عرفت ما يقدم عليه من عدوه و حزبكم، فرأيت أن أنصره، و ان اكون فى حزبه، و ان أجعل نفسى دون نفسه حفظا لما ضيعتم من حق الله و حق رسوله عليه السلام.

و أقبل العباس (ع) يركض حتى انتهى إليهم، فقال: يا هؤلاء إن أبى عبد الله يسألكم ان تنصرفوا هذه العشي حتى ينظر فى هذا الأمر فان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٥٥

هذا أمر لم يحر بينكم و بينه فيه منطلق، فإذا اصبحنا التقينا إن شاء الله فإما رضيناها فأتينا بالأمر الذى تسألونه و تسومونه أو كرهنا فرددناه.

و يبدو ان الامام الحسين كان قد ايقن ان الامويين ليسوا بتاركيه و انهم لا يضمرون له و لاصحابه إلا الشر، فاراد كسب تلك الليلة ليوصى اهله و ذويه، و يتشاور مع اصحابه، و ليتفرغ فيها خالصا صادقا يدعو الله عز و جل، فقد قال الحسين (ع) لأخيه العباس: ارجع إليهم فان استطعت أن تؤخرهم الى غدوة و تدفعهم عند العشيء لعننا نصلي لربنا الليلة و ندعوه و نستغفره، فهو يعلم أنى قد كنت أحب الصلاة له و تلاوة كتابه و كثرة الدعاء و الاستغفار.

و قال عمر بن سعد: ما ترى يا شمر؟ قال: ما ترى أنت؟ أنت الأمير و الرأي رأيك. قال: قد اردت ألا أكون، ثم اقبل على قومه فقال: ماذا ترون؟ فقال عمرو بن الحجاج: سبحان الله، و الله لو كانوا من الديلم ثم سألوك هذه المنزلة لكان ينبغي لك ان تجيهم إليها، و قال قيس بن الأشعث: أجبهم الى ما سألوك فلعمري ليصبحنك بالقتال غدوة؛ فقال: و الله لو اعلم ان يفعلوا ما اخرجتهم العشيء.

و جمع الامام الحسين (ع) اهل بيته و ذويه و انصاره فى تلك الليلة الاخيرة من حياة البطل الامام الحسين (ع) و حياة اولئك الأفاضل الذين وقفوا المواقف الرائعة التى دلت على سمو فى النفس و ثبات فى المبدأ و علو فى الهممة. فوقف الامام الحسين (ع) و قال فى اصحابه: «أثنى على الله تبارك و تعالى احسن الثناء، و أحمده على السراء و الضراء، اللهم إني أحمذك على أن اكرمتنا بالنبوة، و علمتنا القرآن، و فقهتنا فى الدين، و جعلت لنا اسماعا و ابصارا و افئدة، و لم تجعلنا من المشركين، اما بعد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٥٦

فإني لا أعلم اصحابا أولى و لا خيرا من اصحابي، و لا أهل بيت أبرّ و لا اوصل من اهل بيتي، فجزاكم الله عنى جميعا خيرا، ألا و إنى أظن يومنا من هؤلاء الاعداء غدا، ألا و إنى قد رأيت لكم فانطلقوا جميعا فى حلّ ليس عليكم من ذمام، هذا ليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيتي ثم تفرقوا فى سوادكم و مدائنكم حتى يفرج الله فان القوم إنما يطلبوننى و لو قد اصابونى لهوا عن طلب غيرى».

فأجابته أخوته و ابناؤه و ابناء أخوته و ابناء عبد الله بن جعفر، و كل الذين كانوا معه: لم نفعل هذا لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبدا. بدأهم بهذا القول العباس بن على، و قال مسلم بن عوسجة الأسدى: انحن نتخلى عنك؟ و لم نعدر الى الله فى اداء حقك؟ اما و الله لا- أفارقك حتى اكسر فى صدورهم رمحى، و اضربهم بسيفى، ما ثبت قائمه بيدي، و الله لو لم يكن معى سلاحى لقدفتهم بالحجارة دونك حتى اموت معك، و تكلم أصحابه بنحو ذلك، و كانت مواقفهم رائعة دلت على صدق و اخلاص و ثبات على المبدأ.

و كان على بن الحسين تلك العشيء مريضا، تمرضه عمته زينب فسمع اباه فى خباته و عنده (حوي) مولى ابى ذر الغفارى يعالج سيفه و يقول:

يا دهر أف لك من خليل كم لك بالإشراق و الأصيل

من صاحب أو طالب قتيل و الدهر لا يقنع بالبديل

و انما الأمر الى الجليل و كل حى سالك سبيلى

فأعادها مرتين أو ثلاثا فعرف على ما أراد، و لزم السكوت، و سمعته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٥٧

زينب بنت على أخته، فلم تملك نفسها أن و ثبت تجر ثوبها حتى انتهت اليه و نادى و اثكلاه! ليت الموت أعد منى الحياة، اليوم ماتت أمى فاطمة، و على أبى، و حسن أخى، يا خليفة الماضى و ثمال الباقي.

فنظر اليها الحسين و قال: «يا أخية لا يذهبن حلمك الشيطان» و قالت: بابى انت و أمى استقتلت نفسى لنفسك، أفتغصبك نفسك اغتصابا فذلك أفرح لقلبي، و أشد على نفسى، ثم لطمت وجهها و شقت جيها و خرّت مغشية عليها، فقام اليها الحسين فصب الماء

على وجهها وقال:

«اتقى الله و تعزى بعزاء الله و اعلمى ان أهل الأرض يموتون، و أهل السماء لا- يبقون، و ان كل شىء هالك إلا وجه الله، أبى خير منى، و أمى خير منى، و اخى خير منى، ولى و لهم و لكل مسلم برسول الله أسوة» فعزاها بهذا، و قال لها «يا أخيه أنى اقسام عليك فابرى قسمى» لا تشقى علىّ جيبا، و لا تخمشى علىّ وجهها، و لا تدعى علىّ بالويل و الثبور ان أنا هلكت».

و طلب الأمام الحسين من أصحابه أن يقربوا البيوت و أن يدخلوا الاطناب بعضها فى بعض و يكونوا بين يدى البيوت فيستقبلون القوم من وجه واحد و البيوت على ايمانهم و عن شمائلهم و من ورائهم، فلما امسوا قاموا الليل كله يصلون و يستغفرون و يتضرعون و يدعون.

و اشرفت شمس العاشر من المحرم فى ذلك اليوم الأليم من تاريخ الأنسانية، وقف الحسين و معه اثنان و ثلاثون فارسا، و اربعون راجلا، فجعل (ع) زهير بن القين فى ميمنة أصحابه، و حبيب بن مظاهر فى ميسرتهم، و أعطى رايته لأخيه العباس، و جعلوا البيوت فى ظهورهم و أمر بحطب و قصب فالقى فى مكان منخفض من ورائهم كأنه ساقية عملوه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٥٨

فى ساعة من الليل لثلا يؤتوا من ورائهم و اضرم نارا فنفعهم ذلك.

و وقف جيش الأمويين بقيادة عمر بن سعد و جعل على ربع أهل المدينة عبد الله بن زهير الأزدى و على ربع ربيعة و كندة قيس بن الأشعث بن قيس، و على ربع مذحج و اسد عبد الرحمن ابن أبى سبرة الجعفى. و على ربع تميم و همدان الحر بن يزيد الرياحى. و جعل عمر بن سعد على ميمنة عمرو بن الحجاج الزبيدى، و على ميسرته شمر بن ذى الجوشن، و على الخيل عروة بن قيس الأحمس، و على الرجال شبت بن ربعى اليربوعى التميمى و اعطى الراية دريدا مولاه.

و ركب الحسين فرسه، و وضع مصحفا بين يديه و استقبل القوم رافعا يديه قائلا: «اللهم انت ثقتى فى كل كرب، و رجائى فى كل شدة، و انت لى فى كل أمر نزل بى ثقته و عدة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، و تقل فيه الحيلة، و يخذل فيه الصديق، و يشمت به العدو، انزلته بك، و شكوته اليك، رغبة اليك عن سواك ففرجته، و كشفته، و كفيته، فانت ولى كل نعمة، و صاحب كل حسنة، و منتهى كل رغبة» فلما رأى أصحاب عمر، النار تلتهب فى القصب، نادى شمر الحسين: تعجلت النار فى الدنيا قبل القيامة!! فعرفه الحسين (ع) فقال: أنت أولى بها صلياً، ثم ركب الحسين (ع) راحلته و تقدم الى الناس و نادى بصوت عال يسمعه كل الناس فقال: «أيها الناس أسمعوا قولى و لا تعجلونى، حتى أعظكم بما يجب لكم على، و حتى اعتذر اليكم من مقدمى عليكم، فان قبلتم عذرى، و صدقتم قولى، و انصفتمونى، كنتم بذلك أسعد، و لم يكن لكم على سبيل، و ان لم تقبلوا منى العذر فاجمعوا أمركم، و شركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، ثم افضوا لى و لا تنظرون، ان ولى الله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٥٩

الذى نزل الكتاب و هو يتولى الصالحين» فلما سمعت اخواته قوله بكين، و صحن، و ارتفعت اصواتهن، فارسل اليهن أخاه العباس، و ابنه عليا ليسكتاهن، ثم عاد يواصل قوله: «أما بعد فأنسبونى، فانظروا من أنا ثم راجعوا أنفسكم فعاتبوها و انظروا هل يصلح و يحل لكم قتلى و انتهاك حرمتى؟ أأنت ابن بنت نبيكم و ابن وصيه؟ و ابن عمه؟ و أول المؤمنين بالله و المصدق لرسوله؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبى؟ أو ليس جعفر الشهيد الطيار فى الجنة عمى؟ اولم يبلغكم قول مستفيض ان رسول الله (ص) قال لى و لأخى: انتما سيدا شباب أهل الجنة، و قره عين أهل السنة، فان صدقتمونى بما أقول، و ما أقول هو الحق، و الله ما تعمدت كذبا مذ علمت ان الله يمقت عليه، و ان كذبتمونى فان فيكم من ان سألتموه عن ذلك أخبركم. سلوا جابر بن عبد الله، أو أبا سعيد الخدرى، أو سهل بن سعد، أو زيد بن أرقم، يخبروكم انهم سمعوه من رسول الله (ص). أما فى هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمى؟» فقال شمر هو يعبد الله على حرف ان كان يدرى ما يقول. فقال له حبيب بن مظاهر:

والله انى أراك تعبد الله على سبعين حرفا و ان الله قد طبع على قلبك فلا تدرى ما يقول. ثم واصل الحسين قوله «فان كنتم فى شك مما أقول، أو تشكّون انى ابن بنت نبيكم، فوالله ما بين المشرق و المغرب ابن بنت نبي غيرى منكم و لا- من غيركم، أخبرونى أتطلبوننى بقتيل منكم قتلته، أو بمال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحه».

تلك كانت مقالة الحسين و محاورته مع الذين وقفوا أمامه، فقد كان (ع) ينطق بالحق المبين و لم يحر احدهم جوابا، فنادى (ع) يا شيب بن ربعى، و يا حجار بن ابجر، و يا قيس بن الأشعث، و يا زيد بن الحارث، ألم تكتبوا الى فى القدوم عليكم؟ فانكر القوم و لكنه (ع) قال لهم بلسان طلق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٦٠

ينطق بالحق: بلى و الله لقد فعلتم.

و قد أحسّ (ع) حقا بخذلان أهل الكوفة له، و انقلاب معظمهم عليه، و يشس من معاونتهم و نصرتهم، قال: ايها الناس إذ كرهتمونى فدعونى أنصرف الى مأمنى من الأرض، فقال له قيس بن الأشعث:

أولا- تنزل على حكم ابن عمك- يعنى ابن زياد- فانك لن ترى أبا ما تحب؟ فقال له الإمام الحسين (ع) «أنت أخو أخيك أتريد ان يطلبك بنو هاشم باكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا و الله و لا اعطيهم بيدي اعطاء الذليل، و لا أقر إقرار العبد، عباد الله انى عدت بربى و ربكم ان ترجمونى، اعوذ بربى و ربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب» ثم اناخ راحلته و نزل عنها.

و هزت الشهامة العربية زهير بن القين، فخرج على فرس له بسلاحه، فقال: «يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار، ان حقا على المسلم نصيحة المسلم و نحن حتى الآن أخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا و بينكم السيف و انتم للنصيحة منا أهل، فاذا وقع السيف انقطعت العصمة، و كنا نحن أمه و انتم أمه، ان الله قد ابتلانا و اياكم بذرية نبيه محمد (ص) لينظر ما نحن و انتم عاملون، انا ندعوكم الى نصرهم و خذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد فانكم لا تدركون منهما إلا بسوء عمر سلطانهما كله ليسملان أعينكم، و يقطعان أيديكم، و أرجلكم، و يمثلان بكم، و يرفعانكم على جذوع النخل، و يقتلان أمثالكم و قراءكم امثال حجر بن عدى و اصحابه، و هانى بن عروة و اشباهه».

و يبدو ان كلمات ذلك الرجل لم تجد مكانا فى قلوب اولئك الذين أعمت ابصارهم الأموال. التى كان يغدقها عليهم عبيد الله بن زياد و الى الكوفة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٦١

من قبل الأمويين، فلم ينتبهوا الى تلك الأقوال الماثورة التى اندفعت من صدر ذلك المؤمن العظيم، ذلك لانهم صم، أغلقت آذانهم فهم لا يسمعون و لا يفقهون حديثا.

و زحف عمر بن سعد نحو الحسين (ع)، فأوقفه الحر بن يزيد و قال له: «أصلحك الله أمقاتل انت هذا الرجل؟» قال له «أى و الله قتالا أيسره أن تسقط الرؤوس و تطيح الأيدي». قال الحر: أفما لكم فى واحدة من الخصال التى عرض عليكم رضا؟ فقال عمر بن سعد: «و الله لو كان الأمر الى لفعلت و لكن أميرك قد أبى ذلك» و أقبل الحر بن يزيد يدنو نحو الحسين (ع) قليلا قليلا و اخذته رعدة، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس: و الله ان أمرك لمريب، و الله ما رأيت منك فى موقف قط مثل ما أراه الآن، و لو قيل من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك، فقال له: «انى و الله أخير نفسى بين الجنة و النار و لا أختار مع الجنة شيئا، و لو قطعت، و حرقت» ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين فقال له: «جعلنى الله فداك يا ابن رسول الله انا صاحبك الذى حبستك عن الرجوع، و سايرتك فى الطريق، و جعجت بك فى هذا المكان، و الله الذى لا إله إلا هو ما ظننت ان القوم يردون عليك ما عرضت عليهم ابداء، و لا يبلغون منك هذه المنزلة ابداء، فقلت فى نفسى: لا أبالى ان أطيع القوم فى بعض أمرهم، و لا يرون أنى خرجت من طاعتهم، و اما هم فيقبلون بعض ما تدعوهم اليه، و الله لو ظننت انهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك، و إنى قد جئتكم تائبا مما كان منى، و الى ربى، مواسيا

لك بنفسي حتى أموت بين يديك، افتري لى فى ذلك توبة؟» و تقدم الحر أمام أصحابه ثم قال «ايها القوم ألا تقبلون من الحسين خصلة من هذه الخصال التى عرض عليكم فيعافىكم الله من حربه و قتاله». فقال عمر: لقد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٦٢

حرصت لو وجدت الى ذلك سيلا- فقال الحر: «يا أهل الكوفة لامكم الهبل و العبر . دعوتموه حتى اذا أتاكم اسلمتموه، و زعمتم انكم قاتلو انفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه؟ امسكتم بنفسه، و احطتم به.

و منعمتوه من التوجه فى بلاد الله العريضة حتى يأمن و يأمن أهل بيته. فأصبح كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً و لا يدفع عنها ضرراً، و منعمتوه و من معه عن ماء الفرات الجارى، يشربه اليهودى و النصرانى و المجوسى، و يتمرغ فيه خنازير السواد و كلابه، و ها هو و أهله قد صرعهم العطش، بشما خلفتم محمداً فى ذريته. لاسقاكم الله يوم الظمأ ان لم تتوبوا و تنزعوا عما انتم عليه» فرموه بالنبل فرجع الحر حتى وقف أمام الحسين، ثم قدم عمر بن سعد برايته و أخذ سهماً فرمى به و قال: «اشهدوا لى انى أول رام» ثم رمى الناس، و برز يسار مولى زياد، و سالم مولى عبيد الله و طلبا البراز فخرج اليهما من انصار الحسين عبد الله بن عمير الكلبي و كان قد أتى الحسين من الكوفة و سارت معه امرأته فقالا له: من انت؟ فانتسب لهما فقالا: لا نعرفك ليخرج الينا زهير بن القين، أو حبيب بن مظاهر، أو برير بن خضير، و كان يسار أمام سالم فقال له الكلبي: يا ابن الزانية و بك رغبة عن مبارزة أحد من الناس و لا يخرج اليك الآ و هو خير منك.

ثم حمل عليه فضربه بسيفه حتى برد فاشتغل به يضربه فحمل عليه سالم فلم يأبه له حتى غشيه فضربه فاتقاه الكلبي بيده فطار أصابع كفه اليسرى، ثم مال عليه الكلبي فضربه حتى قتله، و أخذت امرأته عموداً و كانت تسمى (أم وهب) و اقبلت نحو زوجها و هى تقول: فداك أبى و أمى: قاتل دون الطيبين ذرية محمد، فردها نحو النساء فامتعت و قالت: لن أدعك دون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٦٣

أن أموت معك فناداها الحسين فقال: «جزيتم من أهل بيت خير الرجعى رحمك الله ليس الجهاد الى النساء» فرجعت. و زحفت ميمنة الأمويين بقيادة عمرو بن الحجاج فلما اقتربوا من معسكر الحسين جثوا على الركب و اشرعوا الرماح نحوهم، و لم تقدم خيلهم على الرماح فذهبت الخيل لترجع فرشقوهم بالنبل فصرعوا منهم رجالاً و جرحوا آخرين، و تقدم رجل منهم يقال له، ابن حوزة، فقال: أفيكم الحسين؟ فلم يجبه أحد. فقالها ثلاثاً فقالوا: نعم فما حاجتك؟ قال يا حسين ابشر بالنار، قال له الإمام الحسين (ع) «كذبت بل أقدم على رب رحيم و شفيع مطاع، فمن انت؟» قال: ابن حوزة: فرفع الحسين يديه فقال «اللهم حزه إلى النار» فغضب ابن حوزة فاقحم فرسه فى نهر بينهما، فتعلقت قدمه بالركاب، و جالت به الفرس فسقط عنها فانقطعت فخذه و ساقه و قدمه و بقى جنبه الآخر متعلقاً بالركاب يضرب به كل حجر و شجر حتى مات، و كان مسروق بن وائل الحضرمى قد خرج معهم فقال: لعلى أصيب رأس الحسين فأصيب به منزلة عند ابن زياد، فلما رأى ما صنع الله بابن (حوزة) بدعاء الحسين، رجع، و قال: لقد رأيت فى أهل هذا البيت شيئاً لا أقاتلهم أبداً، و نشب القتال و خرج يزيد ابن معقل حليف عبد القيس فقال يا برير بن خضير، كيف ترى الله صنع بك؟ قال: و الله لقد صنع بى خيراً و صنع بك شراً فقال: كذبت و قبل اليوم ما كنت كذاباً و انا أشهد انك من الضالين، فقال له ابن خضير: هل لك ان ابا هلك ان يلعن الله الكاذب و يقتل المبطل ثم أخرج أبارزك، فخرجا فتباها: ان يلعن الله الكاذب و يقتل المحق المبطل، ثم تبارزا فاختلفا ضربتین، فضرب يزيد بن معقل، برير بن خضير فلم يضره شيئاً و ضربه ابن خضير ضربة قادت المغفر و بلغت الدماغ فسقط و السيف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٦٤

فى رأسه، فحمل عليه رضى بن منقذ العبدى فاعتقت ابن خضير فاعتركا ساعة، ثم ان ابن خضير قعد على صدره فحمل كعب بن جابر الأزدى عليه بالرمح فوضعه فى ظهره حتى غيب السنان فيه فلما وجد مس الرمح نزل عن رضى فعرض أنفه و قطع طرفه، و اقبل اليه

كعب بن جابر فضربه بسيفه حتى قتله، وقام رضى ينفذ التراب عن قبائه، فلما رجع كعب قالت له امرأته: أعنت على ابن فاطمة و قتلت بريرا سيد القراء لا- أكلمك ابداء، و خرج عمرو بن قرظة الأنصارى و قاتل دون الحسين فاستشهد، و قاتل الحر بن يزيد قتالا شديدا، و ممن برز للحر من الأمويين يزيد بن سفيان فقتله الحر. و قاتل نافع بن هلال مع الحسين و انتصر على غريمه مزاحم بن حريث و قتله، و أخذ عمرو بن الحجاج يحرض أهل الكوفة على مقاتلة الإمام الحسين و يحثهم على قتال انصاره. ثم حمل عمرو بن الحجاج على معسكر الحسين من نحو الفرات فتمكن من قتل بطل من ابطال انصار الحسين (مسلم بن عوسجة الأسدي) و انصرف عمرو، و مسلم صريع فمشى الحسين إليه و به رمق فقال: «رحمك الله يا مسلم منهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر) و دنا حبيب بن مظاهر من مسلم و قال «عز على مصرعك، ابشر بالجنة و لولا أنى أعلم اننى فى اترك، لاحق بك، لأحبت ان توصينى حتى احفظك بما أنت له أهل» فقال مسلم: «أوصيك بهذا رحمك الله- و أوما بيده نحو الحسين- أن تموت دونه» فقال: افعل. و مات مسلم بن عوسجة الاسدى شهيدا من أجل المبادئ السامية و من أجل ان تسود الكلمة الحق فى ربوع الأنسانية، و يتشدد القتلة المارقون و يتباهون بقتلهم مسلم بن عوسجة، فيستيقظ ضمير واحد منهم هو (شيث بن ربيع) فيقول لهم «ثكلتكم امهاتكم انما تقتلون انفسكم بايديكم و تذلون انفسكم لغيركم، أتفرحون بقتل مثل مسلم بن عوسجة؟

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٦٥

اما و الذى اسلمت له لرب موقف قد رأيت فى المسلمين فلقد رأيت يوم سلق أذربيجان قتل ستة من المشركين قبل أن تنام خيول المسلمين افيقتل مثله و تفرحون؟».

و همت ميسرة الأمويين بقيادة شمر بن ذى الجوشن، و هاجموا الحسين ابن على (ع) و انصاره من كل جانب، و برز لهم نصير من انصار الحسين الذين بذلوا انفسهم من أجل أن تحيا كلمة الله دفاعا عن الحق و العدل و ذلكم هو عبد الله بن عمير الكلبى و فتك برجلين من زمرة شمر بن ذى الجوشن، فتصدى له هانىء بن بشيت الحضرمى، و بكير بن حى التيمى من تيم الله ابن ثعلبة، و قتلاه بعد ان قاتل قتالا شديدا، و جاهد جهادا عظيما، و كان مثالا رائعا فى الثبات على المبدأ و الفداء بالنفس من اجل المثل الانسانية السامية. و وقف انصار الحسين جميعا مواقف رائعة و كانوا اثنين و ثلاثين فارسا و كانوا كالنور العالية فى انقضاضها على صفوف الأعداء. و كأنها الأسود المنقضة على الفلول الفزعة الخائفة، فما هجمت تلك العصبه المؤمنة على جناح إلا كشفتها، فوقعوا الرعب و الجزع فى قلوب جيش الامويين، حتى بعث عروة بن قيس و كان يقود خيل الكوفة من قبل الأمويين، الى عمر بن سعد، يقول: الا ترى ما تلقى خيلى هذا اليوم من هذه العدة اليسيرة ابعث اليهم الرجال و الرماة، فقال لشيث بن ربيع: الا تقدم اليهم؟ فقال شيث: سبحان الله شيخ مضر و اهل المصر عامة تبعته فى الرماة لم نجد لهذا غيرى؟ و لم يزلوا يرون من شيث الكراهة للقتال حتى انه كان يقول فى اماره مصعب «لا يعطى الله أهل هذا المصر خيرا أبدا و لا يسددهم لرشد، ألا تعجبون إنا قاتلنا مع على بن ابى طالب و مع ابنه الحسن آل ابى سفيان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٦٦

خمس سنين ثم عدونا على ابنه و هو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية. و ابن سمية الزانية، ضلال يالك من ضلال!» فلما قال شيث ذلك، دعا عمر بن سعد الحصين بن نمير، فبعث مع المجففة و خمسمائة من المرامية فلما دنوا من الحسين و اصحابه، رشقوهم بالنبل فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم و صاروا رجاله كلهم، و قاتل الحر بن يزيد راجلا قتالا شديدا، فقاتلوهم الى أن انتصف النهار أشد قتال و لم يتمكنوا من اتيانهم إلا من وجه واحد، لاجتماع مضاربهم، فلما رأى ذلك عمر بن سعد، ارسل رجلا- يقوضون البيوت عن أيانهم و شمائلهم ليحيطوا بهم، فكان نفر من اصحاب الحسين الثلاثة و الأربعة يتخللون البيوت فيقتلون الرجل و هو يقوض و يتهب و يرمونه من قريب أو يعقرونه فأمر بها عمر بن سعد فأحرقت، فقال لهم الأمام الحسين (ع) دعوهم فليحرقوها، فانهم اذا أحرقوها لا يستطيعون ان يجوزوا اليكم منها فكان كذلك.

ومشت امرأة عبد الله بن عمير الكلبي الى زوجها الذي استشهد في المعركة، و جلست عند رأسه تمسح التراب عن وجهه و تقول: هنيئا لك الجنة، فلمحها شمر بن ذى الجوشن و امتلأ قلبه غيظا، فأمر غلاما اسمه رستم بأن يضرب رأسها بالعمود، فنفذ رغبة القائد الأهوج، فضربها بالعمود فشدخ رأسها فماتت مكانها.

و حمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين و نادى علىّ بالنار حتى احرق هذا البيت على أهله فصاحت النساء و خرجن و صاح به الحسين (ع) انت تحرق بيتي على اهلى احرقك الله بالنار، فقال حميد بن مسلم، لشمر:

ان هذا لا يصلح، تعذب بعذاب الله و تقتل الولدان و النساء، و الله ان فى قتل الرجال لما يرضى به أميرك، فلم يقبل منه، فجاءه شيب بن ربعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٦٧

فنهاه فانتهى، و ذهب لينصرف و حمل عليه زهير بن القين فى عشرة فكشفهم عن البيوت، و قتلوا ابا عزة الضبابى و كان من اصحاب شمر، و عطف الناس عليهم فكثروهم، و كانوا اذا قتل منهم الرجل و الرجالن يبين فيهم لقتلهم، و اذا قتل فى بنى أمية لا يبين فيهم لكثرتهم، و لما حضرت الصلاة قال ابو تمامة الصائدى للحسين: نفسى لنفسك الفداء أرى هؤلاء قد اقتربوا منك و الله لا تقتل حتى أقتل دونك و أحب ان ألقى ربي و قد صليت هذه الصلاة التى قد دنا وقتها فرفع الحسين رأسه و قال: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها، ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلى، ففعلوا، و قال الحصين بن نمير لهم: انها لا تقبل. فقال له حبيب بن مظاهر: زعمت ان لا- تقبل الصلاة من آل رسول لله (ص) و تقبل منك يا حمار فحمل عليه الحصين و خرج اليه حبيب ابن مظاهر، فضرب وجه فرسه بالسيف فشب فسقط عنه الحصين فاستنقذه اصحابه، و قاتل حبيب بن مظاهر قتالا شديدا و اظهر من البطولات الرائعة ما جعلته فى طبقة الشجعان الميامين. و تبارز مع بديل بن حريم التيمى، و انتصر حبيب و قتله و حمل عليه رجل آخر من تميم قطعنه فوقع، و حاول القيام فوجه اليه الحصين بن نمير ضربه على رأسه بالسيف، فوقع ثانية و نزل اليه التيمى فاحتر رأسه، فقال له الحصين: انا شريكك فى قتله، فقال التيمى: لا و الله، فقال له الحصين: أعطني اعلقه فى عنق فرسى كيما يرى الناس انى شركت فى قتله ثم خذه و امض به الى ابن زياد فلا حاجة لى فيما تعطاه، ففعل و جال به فى الناس ثم دفعه اليهم، فلما رجعوا الى الكوفة أخذ الرأس و جعله فى عنق فرسه ثم اقبل به الى ابن زياد فى القصر و رآه القاسم بن حبيب بن مظاهر و اقبل مع الفارس لا يفارقه فارتاب به الرجل فسأله عن حاله، فأخبره و طلب الرأس ليدفنه، فقال: ان الأمير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٦٨

لا يرضى ان يدفن و أرجو أن يتبين الأمير، فقال له القاسم بن حبيب:

لكن الله لا يشيك إلا أسوأ الثواب، و لم يزل يطلب غرة قاتل ابيه حتى كان زمان مصعب، و غزا مصعب باضمرا، دخل القاسم عسكره فاذا قاتل ابيه فى فسطاطه فدخل عليه نصف النهار فقتله.

و لما علم الحسين (ع) باستشهاد حبيب بن مظاهر، قال (ع) احتسب حماة أصحابى. و قاتل الحر بن يزيد و زهير بن القين قتالا اثبتا فيه مروءتهما و شجاعتهما و دفاعهما عن المثل السامية، و هجمت عصبه من الرجالة على الحر بن يزيد و قتلوه، و وقع شهيدا و هو يدافع عن قصد شريف و غاية نبيلة.

و تتجلى فى ذلك اليوم بطولات نادرة و تضحيات فذة، و ضرب كل اصحاب الحسين (ع) امثلة رائعة فى الشجاعة و الفداء، و هذا نافع بن هلال البجلي قد كتب اسمه فوق نبله و كانت مسمومة فقتل بها اثني عشر رجلا من جيش عمر بن سعد سوى من جرح حتى كسرت عضدها و أخذ أسيرا، فأخذه شمر بن ذى الجوشن فأتى به عمر بن سعد و الدم يسيل على وجهه و هو يقول له: «لقد قتلت منكم اثني عشر رجلا سوى من جرحت، و لو بقيت لى عضد و ساعد، ما أسرتمونى» فانتضى شمر سيفه ليقته فقال له نافع: و الله لو كنت من المسلمين لعظم عليك ان تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذى جعل مناينا على يدى شرار خلقه، فقتله شمر حقدا و غدرا، و

راح نافع شهيد الفكرة الإسلامية السامية و المثل العليا النبيلة.

و هذا عابس بن ابى شبيب الشاكرى، نزل الى ميدان المعركة طالبا البراز، فلم يجسر احد من الأعداء على التقدم أو الخروج لمبارزته لشجاعته و عظيم بلائه فى سوح القتال، و لما وجد عمر بن سعد ذلك التردد و الخوف موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٦٩

من عساكره، اصدر اوامره بأن يرموه بالحجارة، يرموه من كل جانب، فلما رأى عابس ذلك،لقى درعه و مغفره و حمل على الناس فهزمهم أمامه، ثم رجعوا عليه و ضيقوا عليه الخناق و الضرب الشديد حتى وقع شهيدا كريما فى ارض المعركة. و تقدم أصحاب الحسين (ع) بطلا اثر بطل شهيد و تساقط ابناء البيت الطاهر و الأصحاب الكرام، و اشتد العطش بالحسين (ع) فدنا من الفرات ليشرب فرماه (حصين بن نمير) بسهم فوق فى فمه، فجعل يتلقى الدم بيده ثم رمى به الى السماء، ثم حمد الله و اثنى عليه ثم قال «اللهم انى اشكو اليك ما يصنع ببن بنت نبيك، اللهم احصهم عددا، و اقتلهم بددا، و لا تبق منهم احدا» و قيل ان الذى رماه رجل من بنى أبان بن دارم فمكث ذلك الرجل يسيرا ثم صب الله عليه الظمأ فجعل لا يروى فكان يروح عنه و يبرد له الماء فيه السكر، و عساس فيها اللبن و يقول: اسقونى، فيعطى القلة أو العس فيشربه، فاذا شربه اضطجع هنيهة ثم يقول: اسقونى، قتلنى الظمأ، فما لبث الا يسيرا حتى انقادت بطنه انقداد بطن البعير.

ثم باغت شمر بن ذى الجوشن مع رجاله الذين امتلأت قلوبهم بالحقد و اتسمت بالقسوة، اجل باغتوا الحسين (ع) و كان شمر يحرض رجاله على قتل الحسين، و كان (ع) كلما تقدم اليهم انكشفوا عنه و تراجعوا، ثم احاطوا بالحسين و قد حاول (بحر بن كعب بن تيم الله بن ثعلبة) ان يهوى بسيفه على الحسين (ع) فاتقى الضربة غلام من أهل الحسين (ع) بيده فاطنهما الى الجلدة فنادى الغلام يا أماه فاعتنقه الحسين (ع) و قال له:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٧٠

يا ابن اخى اصبر على ما نزل بك فان الله يلحقك بأبائك الطاهرين الصالحين برسول الله (ص) و حمزة و جعفر و الحسن (ع) و قال الحسين (ع) «اللهم أمسك عنهم قطر السماء، و امنعهم بركات الأرض، اللهم فان متعتهم الى حين، ففرقهم فرقا، و اجعلهم طرائق قديدا، و لا ترض عنهم الولاة ابداء، فانهم دعونا لينصرونا فغدوا علينا فقتلونا».

و لما رأى العباس بن على بن ابى طالب (ع) كثرة القتلى فى اهله و انصاره و اشتداد الحرب و ضراوتها، طلب من اخوته من أمه و هم عبد الله و جعفر و عثمان ان يتقدموا الى القتال دفاعا عن المبادئ السامية و ذودا عن اخيه الامام الحسين (ع) فقاتلوا قتالا شديدا و استشهدوا عليهم السلام جميعا و نالوا رضا الله و رسوله و الأئمة الطاهرين، و اشتد العطش بالامام الحسين (ع) و ركب يريد الفرات و بين يديه العباس فاعترضته خيل عمر بن سعد و كان فيهم رجل من بنى دارم فقال لعصابتة: و يلکم حولوا بينه و بين الفرات و لا تمكنوه من الماء، فقال الحسين (ع): اللهم اظمأه؛ فغضب الدارمى، و رماه بسهم فاثبتته فى حنكه. فانتزع الحسين (ع) السهم و بسط يده تحت حنكه فامتلات راحته من الدم، فرمى به، ثم قال: اللهم انى اشكو إليك ما يفعل ببن بنت نبيك، ثم رجع الى مكانه و قد اشتد به العطش، و احاط القوم بالعباس، فاقتطعوه عنه، فجعل يقاتلهم بشجاعة نادرة، و كان (ع) ينزل عليهم بسيفه فيتفرقون خوفا و فرعا، و باغته (زيد ابن ورقاء) بضربة غادرة على يمينه فقطعها، فأخذ (ع) السيف بشماله و حمل على المعتدين و هو يرتجز:-

و الله ان قطعتم يمينى انى احامى دائما عن دينى

و عن امام صادق اليقين نجل النبى الطاهر الامين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٧١

و ضربه حكيم بن الطفيل على شماله فقطعها، و حمل عليه من المعتدين وحش لثيم فضربه بعمود من حديد، فوقع شهيدا عزيزا كريما و كان مثلا من الأمثلة الصادقة للجهاد فى سبيل الله و الدفاع عن المبادئ الاسلامية السامية و الوفاء بالعهد لأخيه الحسين (ع)، و حزن

الامام الحسين حزنا شديدا لمقتل اخيه العباس و بكى بكاء أليما، و كان العباس بن علي (ع) حامل الراية في وقعة الطف، مشهورا بالشجاعة و سيما جميلا و كان يقال له قمر بنى هاشم، يركب الفرس المطهم و رجلاه تخطان في الارض.

و استعد الإمام الحسين للنزال الأخير، و وقف (ع) امام شراذم الأمويين و لكعة أهل الكوفة من الخونة المارقين وقفه الأسد الهصور يزود عن حياض الدين و يدافع عن المثل العليا و يضرب للأسانية مثلا صادقا للثبات على المبدأ و الصمود من أجل الحق .. أجل وقف الأمام الحق وقفه رجل بنى هاشم العزيز الأجل ... و تكاثرت حوله الأعداء و صار يقاتل قتال الصناديد الأبطال، ينقض على هذا و يطارد ذاك و يضرب بسيفه من قرب منه و صار شمر بن ذى الجوشن يحرض على قتله، و التشديد في الضرب، و هو ينادى «و يحكم ماذا تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم امهاتكم» فحمل اولئك المرتزقة من عبيد المال و ضعفاء النفس و المتقلبين و الانتهازيين، أجل حملوا على الحسين (ع) من كل جانب، و وجه زرعة بن شريك التميمي ضربه من سيفه على كفه اليسرى فقطعها، و ضربه آخر على عاتقه فكبا منها لوجهه، ثم ابتعدوا عنه و هو (ع) يقوم و يكبو، و حمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس النخعي قطعنه بالرمح، فوقع الأمام صريعا، و بدر إليه خولى بن يزيد الأصبحي فتزل من فرسه ليحتر رأسه، فضعف و أرعد، فقال له سنان: فتّ الله في عضدك و نزل اليه فذبحه و احتزّ رأسه ثم دفع به الى خولى بن يزيد، ثم تهالك الجناء على سلب ما كان على الحسين، فسلب قميصه اسحق بن حيوة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٧٢

الحضرمي، و اخذ سراويله بحر بن كعب، كما سلب قطيفته قيس بن الأشعث، و كانت من الخز، و استحوذ على عمامته أخنس بن مرثد الحضرمي، و سيطر على نعليه الأسود الأودي، و أخذ سيفه رجل من دارم، و مال الرعاع على الفرش، و الحلل، و الأبل، فانتهبوا كما نهبوا ثقاله و متاعه و سلبوا نساءه حتى كانت المرأة لتتازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيؤخذ منها.

و علا الضجيج في ارض المعركة ان الحسين قد قتل فبلغ ذلك الضجيج مسمع رجل من انصار الحسين كان مشخنا بالجراح ذلكم هو البطل سويد ابن المطاع الذي قاتل طيلة يومه و وقع من شدة نزفه فتحركت في عروقه حمم الحياة، و تعاضمت أمامه النتائج، أيعيش و قد قتل الحسين، و ها هو يسمع الأراذل يهزجون بقتل الحسين، فتلمس سيفه فلم يعثر عليه، فقد سلبه الجناء، و ظل يفتش عن شيء يجاهد به، فوقعت يده على سكين له، فوثب و ثبّه بطل يزأر زئير الأسد، فذعر الجبناء فهاجمهم سويد بن المطاع فوقع بهم طعنا ساعة من النهار، فتعاون عليه رجلا: عروة بن المطان الثعلبي، و زيد بن رقاد التغلبي، فهاجماه و قتلاه، و كان آخر من قتل من انصار الحسين في ذلك اليوم. و وجد بالحسين ثلاث و ثلاثون طعنة و اربع و ثلاثون ضربة غير الرمية، و كان عدة من قتل من اصحاب الحسين اثنين و سبعين رجلا و كان عمر الحسين يوم استشهد خمسا و خمسين سنة و قيل احدى و ستين و كان قتله يوم العاشر من المحرم سنة احدى و ستين من الهجرة بعد صلاة الظهر، و حمل رأسه الشريف الى عبيد الله بن زياد مع خولى بن يزيد الأصبحي، و حميد بن مسلم الأزدي، و أمر عمر بن سعد برؤوس أصحاب الحسين و أهل بيته فقطعت و كانوا اثنين و سبعين رأسا، و سرح بها مع شمر بن ذى الجوشن، و قيس بن الأشعث، و عمرو ابن الحجاج، و عروة بن قيس، ليقدموا بها على ابن زياد. و ذكر نقاة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٧٣

المؤرخين ان الرؤوس حملت على أطراف الرماح. و اقام عمر بن سعد يومين بعد مقتل الحسين ثم رحل الى الكوفة، و لما بعد عن موقع المعركة خرج قوم من بنى اسد كانوا نزولا بالغازية الى الحسين و اصحابه فصلوا عليهم، و دفنوا الحسين حيث قبره الآن، و دفنوا ابنه علي بن الحسين عند رجله، و حفروا للشهداء من أهل بيته و أصحابه الكرام الذين استشهدوا معه في المعركة مما يلي رجلى الحسين، و جمعوهم فدفنوهم جميعا معا، و دفنوا العباس بن علي في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاضرية.

و هكذا كانت النهاية المؤلمة، للأمام الحسين (ع) و صحبه الكرام الذين ضربوا ارواح الامثلة في الثبات على المبدأ، و سمو النفس، و انطوت بذلك صفحة من صفحات الجهاد ستظل مشرقة أبدا ذكرى لكل مجاهد أصيل، و عبرة لكل شهيم نبيل.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٧٤

مراجع البحث

- ١- ابو مخنف: مقتل الحسين
 - ٢- الطبرى: تاريخ الرسل و الملوك
 - ٣- ابن قتيبة: الامامة و السياسة
 - ٤- المسعودى: مروج الذهب
 - ٥- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ
 - ٦- ابن كثير: البداية و النهاية
 - ٧- ابن عنبة: عمدة الطالب
 - ٨- الاصفهاني: مقاتل الطالبين
 - ٩- ابن حجر: الاصابة فى معرفة الصحابة
 - ١٠- الشيخ المفيد: الارشاد
 - ١١- ابن عبد ربه: العقد الفريد:
 - ١٢- عماد زاده: قمر بنى هاشم
 - ١٣- محسن العاملى: لواعج الاشجان، اعيان الشيعة.
 - ١٤- الخونسارى: روضات الجنات
 - ١٥- محمد السماوى: ابصار العين فى انصار الحسين
 - ١٦- ابن طاووس: اللهوف فى قتلى الطفوف
 - ١٧- الشهرستانى: نهضة الحسين
 - ١٨- الطوسى: رجال الطوسى
 - ١٩- الدينورى: الاخبار الطوال
 - ٢٠- القندوزى الحنفى: ينابيع المودة
 - ٢١- سبط بن الجوزى: تذكرة الخواص
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٧٥

كربلاء فى المراجع العربية كتبه الدكتور حسين على محفوظ

اشارة

دكتوراه الدولة من جامعة طهران
و المفتش الاختصاصى بوزارة التربية سابقا
و الاستاذ فى كلية الآداب بجامعة بغداد اليوم
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٧٧

كربلاء في الحديث

قال أبو عبد الله (الصادق عليه السلام): ((شاطِئِ الوَادِ الْأَيْمَنِ؛ الذي ذكره الله - تعالى - في القرآن هو الفرات. و البُقْعَةُ الْمُبَارَكَةُ هي كربلاء .

* أبو عبد الله الصادق - عليه السلام: ... إذا صار (زائر الحسين)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٧٨

في الحائر كتبه الله من المصلحين المنتجبين .

* عن أبي بصير؛ قال سمعت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام:

من أحب ان يكون مسكنه الجنة، و مأواه الجنة فلا يدع زيارة المظلوم.

قلت: من هو؟ قال: الحسين بن علي صاحب كربلاء. من أتاه شوقاً إليه، و حباً لرسول الله، و حباً لفاطمة، و حباً لأمير المؤمنين (صلوات الله عليهم أجمعين) أقعده الله على موائد الجنة يأكل معهم و الناس في - الحساب .

* عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال: ان الحسين صاحب كربلاء قتل مظلوماً مكروباً عطشاناً لهفاناً. و حق على الله - عز و جل - ان لا يأتيه لهفان، و لا مكروب، و لا مذنب، و لا مغموم، و لا عطشان، و لا ذو عاهة - ثم دعا عنده و تقرب بالحسين (عليه السلام) إلى الله (عز و جل) إلا نفس الله كربته، و أعطاه مسألته، و غفر ذنوبه، و مدّ في عمره، و بسط في رزقه، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

* قال الصادق (ع): أربع بقاع ضجت إلى الله - أيام الطوفان - البيت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٧٩

المعمور؛ فرفعه الله، و الغرى، و كربلاء، و طوس .

* عن أبي جعفر (ع) قال:

خلق الله - تبارك و تعالى - ارض كربلاء ... و قدسها و بارك عليها.

عليها. فما زالت قبل خلق الله الخلق مقدسة مباركة، و لا تزال كذلك، حتى يجعلها الله أفضل ارض في الجنة و أفضل منزل و مسكن؛ يسكن الله فيه أوليائه في الجنة .

* قال علي بن الحسين (ع): اتخذ الله ارض كربلاء حرماً آمناً مباركاً ..

و انه اذا زلزل الله - تبارك و تعالى - الأرض و سيرها رفعت - كما هي بتربتها - نورانية صافية، فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنة، و أفضل مسكن في الجنة. لا يسكنها الا النبيون و المرسلون (أو قال: أولو العزم من الرسل).

فانها لتزهر بين رياض الجنة؛ كما يزهر الكوكب الدرى بين الكواكب لأهل الأرض. يغشى نورها أبصار أهل الجنة جميعاً، و هي تنادى: أنا ارض الله المقدسة الطيبة المباركة؛ التي تضمنت سيد الشهداء، و سيد شباب أهل الجنة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٨٠

قال أبو جعفر (الباقر) - ع: الغاضرية ... اكرم ارض الله عليه.

و لو لا ذلك ما استودع الله فيها اوليائه و أبناء نبيّه؛ فزوروا قبورنا بالغازرية .

* قال أبو عبد الله (الصادق) (ع): الغاضرية من تربة بيت المقدس .

* أبو عبد الله (الصادق) (ع): زوروا كربلاء و لا تقطعوه؛ فإن خير اولاد الأنبياء ضمنته ..

* أبو عبد الله (الصادق) (ع): ... ان كربلاء، و ماء الفرات اول ارض و اول ماء قدس الله - تبارك و تعالى - و بارك عليها ..

* أبو عبد الله (الصادق) (ع): ان الله اتخذ كربلاء حرماً آمناً مباركاً ..

* مؤضع قبر الحسين بن علي (صلوات الله عليهما) - منذ يوم دفن فيه -

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٨١

روضه من رياض الجنة .

* موضع قبر الحسين ترعه من ترع الجنة .

* ابو الحسن على بن محمد (الهادي) (ع): ... ان لله - تبارك و تعالي - بقاعا يحب أن يدعى فيها؛ فيستجيب لمن دعاه، و الحير منها .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٨٢

كربلاء في التواريخ

تاريخ الرسل و الملوك

سنة ٦٠ هـ

أقبل حسين بن علي بكتاب مسلم بن عقيل كان موجهها إليه حتى إذا كان بينه و بين القادسيه ثلاثه أميال لقيه الحر بن يزيد التيمي: فقال له: أين تريد؟

قال: أريد هذا المصر. قال له: ارجع؛ فاني لم أدع لك خلفي خيرا أرجوه.

فهم أن يرجع - و كان معه اخوه مسلم بن عقيل: فقالوا: و الله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل. فقال: لا خير في الحياة بعدكم. فسار فلقيته أوائل خيل عبيد الله فلما رأى ذلك، عدل إلى كربلاء، فأسند ظهره إلى قصيائه و خلا، كي لا يقاتل إلّا من وجه واحد. فنزل و ضرب أبنيته و كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٨٣

أصحابه خمسه و أربعين فارسا و مائه راجل .

* ان ابن زياد أمر بأخذ ما بين و اقصه إلى طريق الشام إلى طريق البصره، فلا يدعون أحدا يلج، و لا أحدا يخرج. فأقبل الحسين و لا يشعر بشيء حتى لقي الأعراب فسألهم، فقالوا: لا و الله ما ندري. غير أنا لا نستطيع أن نلج و لا نخرج.

فانطلق يسير نحو طريق الشام نحو يزيد فلقيته الخيول بكربلاء، فنزل يناشدهم الله و الاسلام .

سنة ١٣٢ هـ

سار حميد (بن قحطبه) حتى نزل كربلاء .

* أجمع القواد على الحسن بن قحطبه فولّوه الأمر، و بايعوه. فقام بالأمر و تولّاه، و أمر بإحصاء ما في عسكر ابن هبيرة. و وكل بذلك رجلا من أهل خراسان يكنى أبا النصر في مائتي فارس. و أمر بحمل الغنائم في السفن إلى الكوفه. ثم ارتحل الحسن بالجنود حتى نزل كربلاء .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٨٤

سنة ١٩٣ هـ

بعث الرشيد الى ابن ابي داود، و الذين يخدمون قبر الحسين بن علي في الحائر ... فأتى بهم فنظر إليه الحسن بن راشد، و قال: مالك؟ قال:

بعث إليّ هذا الرجل - يعنى الرشيد - فأحضرنى . و لست آمنه على نفسى .

قال له: فاذا دخلت عليه، فسألك. فقل له: الحسن بن راشد وضعنى فى ذلك الموضع. فلما دخل عليه. قال هذا القول، قال: ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن، أحضروه .. فلما حضر، قال: ما حملك على ان صيرت هذا الرجل فى الحير (- الحائر) قال: رحم الله من صيره فى الحير، أمرتنى أم موسى ان اصيره فيه، و ان اجرى عليه فى كل شهر ثلاثين درهما. فقال: ردّوه إلى الحير، و أجروا عليه ما أجرته أم موسى .
و أم موسى هى أم المهدي ابنه يزيد بن منصور .

سنة ٢٦٤ هـ

.. كان سليمان بن جامع «و هو عامل من قبل قائد الزنج» وّجّه إلى عمير بن عمّار خليفته بالطفّ، حين توجّه إلى ابن حبيب ..

سنة ٢٦٨ هـ

مالك بن اخت القلوص (- احمد بن موسى بن سعيد) .. وّجّه إلى البطيحة رجلين من أهل قرية بسمى، يعرف أحدهما بالريان، و الآخر الآخر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٨٥

الخليل؛ كانا مقيمين بعسكر الخيث (صاحب الزنج) فنهض الخليل و الرّيان، و جمعا جماعة من اهل الطفّ و أتيا قرية بسمى فأقاما بها يحملان السمك من البطيحة أوّلا أولا إلى عسكر الخيث ..

* المنتخب من كتاب ذيل المذيل.

ولد الحسين (ع) عليا الأكبر. قتل مع أبيه بالطفّ .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٨٦

المنتظم فى تاريخ الملوك و الأمم

سنة ٣٩٨ هـ

احمد بن ابراهيم، ابو العباس الضبى. توفى فى صفر هذه السنة، و كان أوصى أن يدفن فى مشهد كربلاء. و بعث ابنه إلى ابي بكر الخوارزمى شيخ الحنفيين يسأله أن يبتاع له تربة يدفن بها، و يقوم بأمره. فبذل للشريف أبى أحمد والد الرضى خمسمائة دينار مغربية ثمن تربة، فقال: هذا رجل لجأ إلى جوار جدى فلا آخذ لتربته ثمنا. و أخرج التابوت من بغداد و شيعة بنفسه، و معه الاشراف و الفقهاء، و صلوا عليه بمسجد براثا. و أصحبه خمسين رجلا من رجاله بابه .

سنة ٤٠٧ هـ

فى شهر ربيع الأول؛ احترق مشهد الحسين (عليه السلام) و الأروقة. و كان السبب أن القوام أشعلوا شمعتين كبيرتين، فسقطتا فى جوف الليل موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٨٧ على التأزير، فأحرقناه، و تعدت النار .
* و فى ربيع الآخر؛ خلع على ابى محمد الحسن بن الفضل الرامهرمزى خلع الوزارة، من قبل سلطان الدولة. و هو الذى بنى سور الحائر بمشهد الحسين ..

سنة ٤٧٩ هـ

فى ذى الحجة؛ قدم السلطان ابو الفتح ملك شاه الى بغداد .. وزار مشهد الحسين (عليه السلام) و أمر بعمارة سورة .

سنة ٥٠١ هـ

صدقه بن منصور بن ديبس بن على بن مزيد، ابو الحسن، الأسدى؛ الملقب ب «سيف الدولة». كان كريما ذا ذمام، عفيفا من الزناء و الفواحش؛ كأن عليه رقيبا من الصيانة. و لم يتزوج على زوجته قط، و لا تسرى. و قيل إنه لم يشرب مسكرا و لا سمع غناء، و لا قصد التسوق فى طعام، و لا صادر أحدا من أصحابه. و كان تاريخ العرب و الأماجد كرما و وفاء. و كانت داره ببغداد حرم الخائفين. فلما خرج سرخاب الحاجب عن موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٨٨ طاعة السلطان محمد، التجأ إليه فأجاره. ثم طلبه السلطان فلم يسلمه، فجاء السلطان محاربا له .. فى هذه السنة. و هو ابن خمس و خمسين سنة.
و كانت امارته اثنتين و عشرين سنة- غير أيام- و حمل فدفن فى مشهد الحسين (عليه السلام) .

سنة ٥١٣ هـ

ورد الخبر بأن ديبس بن مزيد، كسر المنبر- الذى فى مشهد على (عليه السلام)، و الذى فى مشهد الحسين (عليه السلام)- و قال: لا تقام ها هنا جمعة، و لا يخطب لأحد .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٨٩

الكامل فى التاريخ

سنة ١٣ هـ

لم يبق إلا غلام يدعى يزيد جرد؛ من ولد شهريار بن كسرى و أمه من اهل بادوريا. فأرسلوا إليها، و طلبوه منها- و كانت قد أنزلته أيام شيرى ..

حين جمعهن فقتل الذكور، و أرسلته إلى أخواله. فلما سألوها عنه، دلتهم عليه- فجاؤا به، فملكوه- و هو ابن اخدى و عشرين سنة. و اجتمعوا عليه فاطمت فارس و استوثقوا، و تبارى المرازبة فى طاعته و معونته؛ فسَمى الجنود لكل مسلحة و ثغر، فسَمى جند الحيرة، و الأبله، و الأنبار، و غير ذلك.

و بلغ ذلك من أمرهم المثنى و المسلمين، فكتبوا إلى عمر بن الخطاب بما ينتظرون من أهل السواد، فلم يصل الكتاب الى عمر، حتى كفر اهل السواد من كان له عهد و من لم يكن له عهد. فخرج المثنى حتى نزل بذى قار و نزل الناس بالطف فى عسكر واحد .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٩٠

سنة ١٤ هـ

استغاث اهل السواد إلى يزيد جرد، و أعلموه ان العرب قد نزلوا القادسية، و لا- يبقى على فعلهم شىء، و قد أخرجوا ما بينهم و بين الفرات، و نهبوا الدواب و الأطعمة. و إن أبطأ الغياث أعطيناهم بأيدينا. و كتب- إليه بذلك- الذين لهم الضياع بالطف، و هيجوه على إرسال الجنود .

سنة ٤٠ هـ

فى هذه السنة خرج عبد الله بن عباس من البصرة ... و استدعى أخواله من بنى هلال بن عامر فاجتمعت معه قيس كلها فحمل مالا، و قال: هذه أرزاقنا اجتمعت فتبعه أهل البصرة فلحقوه بالطف يريدون أخذ المال.

فقاتل قيس: و الله لا- يوصل إليه- و فينا عين تطرف- فقال صبرة بن شيمان الحداني: يا معشر الازد؛ ان قيسا اخواننا، و جيراننا، و أعواننا على العدو. و ان الذى يصيبكم من هذا المال لقليل، و هم لكم خير من المال. فأطاعوه فانصرفوا .

* تزوج (أمير المؤمنين على بن ابى طالب- ع م-) بعدها (أى؛ فاطمة بنت رسول الله- صلعم-) أمّ البنين بنت حرام الكلابية فولدت له العباس، و جعفر، و عبد الله، و عثمان. قتلوا- مع الحسين- بالطف .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٩١

سنة ٦١ هـ

موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج ٨؛ ص ٩١

ل رأس جالوت ذلك الزمان: ما مررت بكر بلاء الأ و أنا اركض دابتي حتى اخلف المكان لأننا كنا نتحدث ان ولد نبى يقتل بذلك المكان.

فكنت: اخاف، فلما قتل الحسين أمنت، فكنت أسير و لا أركض

* خرج المختار الى الحجاز، فلقية ابن العرق وراء و اقصه .. فقال المختار ..

انّ الفتنة أُرعدت و أبرقت، و كان قد ابتعث. فاذا سمعت بمكان قد ظهرت به فى عصابة من المسلمين، أطلب بدم الشهيد المظلوم

المقتول بالطف؛ سيد المسلمين، و ابن بنت سيد المرسلين، و ابن سيدها الحسين بن علي؛ فو ربك لاقتلن بقتله عدّة من قتل على دم يحيى بن زكرياء ...

سنة ٤٨ هـ

لما مات معاوية، و قتل الحسين بن علي؛ لم يكن عبيد الله (بن الحرّ الجعفي) فيمن حضر قتله. تغيب عن ذلك تعمدًا. فلما قتل جعل ابن زياد يتفقد الأشراف من أهل الكوفة فلم ير عبيد الله بن الحرّ. ثم جاءه بعد أيام- حتى دخل عليه. فقال له: اين كنت يا ابن الحرّ؟ قال: كنت مريضًا. قال:

مريض القلب، أم مريض البدن؟ فقال: أما قلبي؛ فلم يمرض. و أما بدني؛ فلقد منّ الله عليّ بالعافية.

فقال ابن زياد: كذبت. و لكنك كنت مع عدونا. فقال: لو كنت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٩٢

معه، لرأى مكاني. و غفل عنه ابن زياد، فخرج، فركب فرسه. ثم طلبه ابن زياد، فقالوا: ركب الساعة. فقال عليّ به. فأحضر الشرط خلفه.

فقالوا: أجب الأمير. فقال: أبلغوه عنى: انى لا آتية طائعا أبدا.

ثم أجرى فرسه و أتى منزل أحمد بن زياد الطائي، فاجتمع إليه أصحابه، ثم خرج حتى أتى كربلاء، فنظر إلى مصارع الحسين و من قتل معه، فاستغفر لهم، ثم مضى إلى المدائن، و قال فى ذلك:

يقول أمير غادر و ابن غادرألا كنت قاتلت الحسين ابن فاطمه

و نفسى على خذلانه و اعتراله و بيعه هذا الناكث العهد لائمه

فيا ندمى أن لا اكون نصرته الا كل نفس لا تسدد نادمه

و انى؛ لأننى لم اكن من حماته لذو حسرة ما إن تفارق لازمه

سقى الله أرواح الذين تبادرواالى نصره سقيا من الغيث دائمه

وقفت على اجداثهم و مجالهم فكاد الحشا ينقض و العين ساجمه

لعمرى لقد كانوا مصاليت فى الوغى سراعا الى الهيجا حماة خضارمه

تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم بأسيافهم آساد غيل ضراغمه

فان يقتلوا فكل نفس تقيه على الأرض قد أضحت لذلك و اجمه

و ما ان رأى الراؤون أفضل منهم لدى الموت سادات و زهرا قماقمه

أتقتلهم ظلما و ترجو و دادنا فذع خطه ليست لنا بملائمه

لعمرى لقد راغمتونا بقتلهم فكم ناقم منا عليكم و ناقمه

أهمّ مرارا أن اسير بجحفل الى فئه زاغت عن الحق ظالمه

فكفوا و إلّا ددتكم فى كتائب أشدّ عليكم من زحوف الديالمه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٩٣

و أقام ابن الحرّ بمنزله على شاطئ الفرات إلى أن مات يزيد ..

سنة ١٢٢ هـ

في هذه السنة قتل زيد بن علي بن الحسين (بن علي بن ابي طالب عليهم السلام) ... و سار ابنه يحيى نحو كربلاء، فنزل بينوى على سابق مولى بشر ابن عبد الملك بن بشر .

سنة ٢٣٦ هـ

في هذه السنة؛ أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي (عم) و هدم ما حوله من المنازل و الدور. و ان يبذر و يسقى موضع قبره. و ان يمنع الناس من إتيانه.

فنادى بالناس - في تلك الناحية: من وجدناه عند قبره - بعد ثلاثة - حبسناه في المطبق. فهرب الناس و تركوا زيارته، و خرب و زرع. و كان المتوكل شديد البغض لعلي بن ابي طالب (عم) و لأهل بيته. و كان يقصد من يبلغه عنه انه يتولى عليا و أهله بأخذ المال و الدم. و كان من جملة ندمائه عبادة المخنث. و كان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدّة و يكشف رأسه و هو أصلع. و يرقص بين يدي المتوكل و المغنون يغنون:

قد أقبل الأصلع البطين خليفه المسلمين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٩٤

يحكى بذلك عليا (عم)؛ و المتوكل يشرب و يضحك. ففعل ذلك يوما و المنتصر حاضر. فأوما إلى عبادة يتهدده، فسكت خوفا منه. فقال المتوكل:

ما حالك؟ فقام، و أخبره. فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين ان الذي يحكيه هذا الكاتب، و يضحك منه الناس هو ابن عمك، و شيخ أهل بيتك، و به فخرك. فكل أنت لحمه إذا شئت، و لا تطعم هذا الكلب و أمثاله منه.

فقال المتوكل للمغنين: غنوا جميعا:

غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في حر، أمه ..

سنة ٢٩٤ هـ

في هذه السنة من المحرم ارتحل زكرويه من نهر المثنية يريد الحاج، فبلغ السلطان، و أقام ينتظرهم. فبلغت القافلة الاولى و اقصة سابع المحرم. فأنذرهم أهلها، و أخبروهم بقرب القرامطة، فارتحلوا لساعتهم. و سار القرامطة إلى و اقصة، فسألوا أهلها عن الحاج فأخبروهم أنهم ساروا. فاتهمهم زكرويه فقتل العلاف، و أحرق العلف، و تحصن أهل و اقصة في حصنهم. فحصرهم أياما ثم ارتحل عنهم نحو زبالة. و أغار - في طريقه - على جماعة من بنى أسد. و وصلت العساكر المنفذة من بغداد إلى عيون الطف .

* لما توفي القدّاح قام بعده ابنه أحمد مقامه، و صحبه انسان يقال له

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٩٥

رستم بن الحسين بن حوشب بن داذان النجاري؛ من أهل الكوفة. فكانا يقصدان المشاهد. و كان باليمن رجل اسمه محمد بن الفضل كثير المال و العشيرة من أهل الجند، يتشيع فجاء إلى مشهد الحسين بن علي يزوره فرآه أحمد بن رستم يبكي كثيرا. فلما خرج اجتمع به احمد و طمع فيه لما رأى من بكائه. و ألقى إليه مذهبه، فقبله، و سيّر معه النجار إلى اليمن .

سنة ٣٩٨ هـ

و فيها؛ توفي ابو العباس احمد بن ابراهيم الضبي وزير مجد الدولة بروجرد .. و أوصى ان يدفن بمشهد الحسين (عم) فقييل للشريف أبي أحمد والد الشريف الرضى أن يبيعه بخمس مائة دينار موضع قبره. فقال: من يريد جوار جدى لا يباع. و أمر أن يعمل له قبر. و سير معه من أصحابه خمسين رجلا، فدفنه بالمشهد .

سنة ٤٠٠ هـ

و فيها؛ توفي النقيب أبو أحمد الموسوى، والد الرضى - بعد أن أضرب - و وقف بعض أملاكه على البرّ. و صلى عليه ابنه الأ-كبر المرتضى. و دفن بداره. ثم نقل إلى مشهد الحسين (عم) .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٩٦

سنة ٤٠٧ هـ

فى هذه السنة- فى ربيع الأول- احترقت قبة مشهد الحسين، و الأروقة.
و كان سببه انهم أشعلوا شمعتين كبيرتين، فسقطتا فى الليل على التأزير فاحترق.
و تعدّت النار .

سنة ٤٢٢ هـ

اعترض اهل باب البصرة قوما من قم أرادوا زيارة مشهد على و الحسين (عم) فقتلوا منهم ثلاثة نفر .
* زار (الملك جلال الدولة ابو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه) مرّة مشهدى على و الحسين (عم) و كان يمشى حافيا قبل أن يصل إلى كل مشهد منهما نحو فرسخ؛ يفعل ذلك تدينا .

سنة ٤٣٦ هـ

مضى (الملك ابو كالجار) إلى زيارة المشهدين بالكوفة و كربلا .

سنة ٤٧٩ هـ

مضى السلطان (ملكشاه) و نظام الملك إلى الصيد فى البرية، فزارا
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٩٧

المشهدين؛ مشهد أمير المؤمنين علي، و مشهد الحسين (عم).

سنة ٤٨٩ هـ

و فيها؛ أغارت خفاجه على بلد سيف الدولة صدقة بن مزيد، فأرسل في أثرهم عسكريا مقدّمه ابن عمه قريش بن بدران بن ديبس بن مزيد، فأسرته خفاجه، و أطلقوه. و قصدوا مشهد الحسين بن علي (عم) فتظاهروا فيه بالفساد و المنكر. فوجه إليهم (صدقة) جيشا فكبسوهم. و قتلوا منهم خلقا كثيرا في المشهد؛ حتى عند الضريح. و ألقى رجل منهم نفسه و هو على فرسه من على السور، فسلم هو و الفرس .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٩٨

الجامع المختصر في عنوان التواريخ و عيون السير

سنة ٥٩٧ هـ

ابو هاشم بن المختار نقيب مشهد الحسين - عليه السلام - كان صالحا دينًا ذا عبادة، توفي في هذه السنة - رح - .

سنة ٦٠٠ هـ

ابو الفتوح، نصر بن علي بن منصور؛ النحوي الحلبي؛ المعروف بابن الخازن. كان حافظا للقرآن المجيد، عارفا بالنحو و اللغة العربية. قدم بغداد و استوطنها مدة. و قرأ على ابن عبيدة و غيره. و سمع الحديث على ابي الفرج بن كليب و غيره. و لم يبلغ أوان الرواية. توفي شابا بالحلة في ثالث عشر من جمادى الآخرة من سنة ستمائة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٩٩

و دفن في مشهد الحسين - عليه السلام - .

سنة ٦٠٤ هـ

فلك الدين آقسنقر بن عبد الله التركي الوزير؛ مملوك نصير الدين ناصر ابن مهدي العلوي.

توفي يوم الأحد خامس عشر جمادى الاولى من سنة اربع و ستمائة.

و صلى عليه بالمدرسة النظامية، و شيعة خلق كثير، و حمل إلى مشهد الحسين - عليه السلام - فدفن هناك .

مختصر أخبار الخلفاء

أمر (المتوكل) بهدم قبر الحسين السبط و أهل بيته فهدمت كلها، و في ذلك يقول الشاعر:

تالله ان كانت امية قد اتت في قتل ابن نبيها مظلوما
فلقد آتاه بنو ابيه مثله هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على ان لا يكونوا شاركوافي قتله فتبعوه رميما
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٠٠

الحوادث الجامعة

سنة ٦٣٤ هـ

و فيها؛ قصد الخليفة (المستنصر بالله) مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام - في ثالث رجب. فلما عاد، أبرز ثلاثة آلاف دينار إلى ابي عبد الله الحسين بن الاقساسى نقيب الطالبين و أمره أن يفرقها على العلويين المقيمين في مشهد أمير المؤمنين على بن ابي طالب، و الحسين، و موسى ابن جعفر عليهم السلام .

سنة ٦٣٥ هـ

و فيها، توفي الأمير شرف الدين على بن الأمير جمال الدين قشتمر.
أمه إيران خاتون ابنة ابي طاهر ملك المر .. كان شابا جميلا كريما شجاعا.
قد أُمّر، و أضيف إليه عدة من المماليك، و رفع وراءه سيفان، و توفر اقطاعه، فاخرمته المنية في عنفوان شبابه، و دفن عند والدته - بمشهد
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٠١
الحسين عليه السلام .

سنة ٦٣٧ هـ

و فيها، توفي الأمير جمال الدين قشتمر الناصري، ببغداد. و حمل إلى مشهد الحسين عليه السلام، فدفن هناك، و في تربة له فيها زوجته و ولده.
و كان حسن السيرة، شجاعا كريما جوادا متعففا، ذا هممة عالية، كثير المعروف و البر. و كان عمره نحو من سبعين سنة.
كان اولاً لقطب الدين سنجر الناصري، و انتقل منه الى الخليفة الناصر لدين الله، فأسكنه في البدرية، ثم جعله (سرخيل) جماعة من المماليك، و سلم اليه اصطبله الخاص، و نقله الى الدار المنسوبة الى بنفشه مجاورة باب الغربية، ثم خوطب بالامارة. و زوج بابنة الامير بهاء الدين ارغش المستنجدى .

سنة ٦٤٦ هـ

وفيهما، توفي جمال الدين أبو الحسن علي بن يحيى بن المخرمي، المعروف بالمخرمي، شاب فاضل أديب، حافظ للقرآن المجيد. كان ينوب أخاه فخر الدين المبارك بن المخرمي الى أن عزل و وكل بهما. فلما أفرج عنهما تشاغل جمال الدين بالعلم و زيارة اصحابه و اخوانه، و ألف كتابا مختصرا سماه «نتائج الأفكار» .. أوصى أن يدفن في تل قريب من مشهد
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٠٢

الحسين عليه السلام، و أن يكون تابوته مكشوفاً ليس عليه غطاء و لا ثوب، و لا يقرأ بين يديه قراء الألقان بل جماعة فقراء يقرأون تلاوة و جماعة يسبحون الله تعالى و يهللون و يحمّدونه .

سنة ٦٥٣ هـ

توفي أمين الدين كافر الخادم الظاهري، و كان كثير الخير و الصدقات و المواصلات. حج مرارا كثيرة و تولى دار التشريفات. و كان قريبا من اقبال الشرابي حاكما في دولته. و دفن في مشهد الحسين عليه السلام .

سنة ٦٩٦ هـ

في المحرم، سار السلطان غازان يريد العراق ... ثم توجه إلى بغداد ثم توجه إلى الحلة و قصد مشهد علي - عليه السلام - فزار ضريحه الشريف و أمر للعلويين بشيء كثير. ثم قصد مشهد الحسين - عليه السلام - و فعل مثل ذلك .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٠٣

منتخب المختار «تاريخ علماء بغداد»

ابو اليمن السكيني:

ريحان بن عبد الله الحبشي السكيني، ابو اليمن، و كناه ابن الظاهري ابا الطيب. الخادم؛ شهاب الدين؛ عتيق محمد بن محمد بن سكينه. سمع من ابي محمد عبد العزيز بن محمود بن الاخضر جزء الأنصاري، و من أبي العباس احمد بن يحيى بن بركة بن الديقي، و احمد بن علي الغزنوي، و يحيى بن ابراهيم الكرخي، و سليمان بن الموصلی و غيرهم.
و حدث. سمع منه الحافظ الدمياطي بمنزله شرقي بغداد، و ذكره في معجمه.

توفي ببغداد، في تاسع ربيع الآخر سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) و صلى عليه بجامع القصر، و حمل إلى مشهد الحسين عليه السلام فدفن به .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٠٤

الفخري

كان المتوكل شديد الانحراف عن آل علي (عليه السلام) و فعل من حرث قبر الحسين (عليه السلام) ما فعل، و أبي الله إلا أن يتم نوره .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٠٥

تاريخ العراق بين احتلالين

سنة ٦٦٢ هـ

ابن الدواتدر، شرع فى بيع ماله من الغنم و البقر و الجواميس و غير ذلك.
و اقترض من الاكابر و التجار مالا كثيرا، و استعار خيولا و آلات السفر، و أظهر أنه يريد الخروج إلى الصيد، و زيارة المشاهد، و أخذ والدته، و قصد مشهد الحسين (ع) ثم توجه إلى الشام، فتأخر عنه جماعة ممن صحبه من الجند لعجزهم .

سنة ٧٦٣ هـ

(توفى) شمس الدين محمد بن عيسى بن كرك، و هو مروانى بغدادى ثم مصرى حنبلى ...
ولى مشيخة الزاوية التى بجوار المشهد الحسينى، و أخرى بالقرب من
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٠٦
الدكة ..

سنة ٧٩٦ هـ

ميران شاه ابن الأمير تيمور .. عبر الفرات، و سار يتعقب أثر السلطان احمد (الجلالىرى) .. و هذا مال إلى طريق الشام فسلكه خائفا و
جلا ..
عثر عليهم القوم فى صحراء كربلاء؛ فلم ينج هو و أعوانه إلا بشقّ الأنفس .. و على كل نجا السلطان أحمد من تلك المهلكة، و ان
اعوانه و كل واحد منهم سلك ناحية. فتفرقوا فى الصحارى شذر مذر فاختفوا فيها .

سنة ٧٩٧ هـ

أما السلطان أحمد؛ فإنه لما هرب على طريق مشهد الحسين (رضه) صل إلى الرحبة، فأكرمه نعيم و أنزله فى بيوته، ثم تحول إلى حلب
..

سنة ٨٢٢ هـ

قبيلة خفاجة؛ من قبائل العراق القديمة. مواطنها فى انحاء المنتفق، فى قضاء الشطرة، و تفرق منها جماعات كبيرة و صغيرة فى جهات
اخرى كالحلة و كربلاء و بغداد و ديالى ..
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٠٧

سنة ٨٤١ هـ

ابن فهد الحلبي:

هو الشيخ العلامة أحمد بن محمد بن فهد الحلبي الأسدي. وله شهرة كبيرة و مكانة بين علماء الشيعة؛ سواء في الأصول، أو في الفروع، أو في التصوف. أخذ عن الشيخ مقداد السيوري، و عن الشيخ فخر الدين أحمد بن المتوج البحراني، و علي بن الخازن الحائري، و السيد بهاء الدين أبي القاسم علي بن عبد الحميد النيلي النسابة النقيب؛ صاحب كتاب الأنوار الالهية.

و روى عنه الشيخ علي بن هلال الجزائري، و الشيخ عبد الشفيق بن فياض الأسدي الحلبي، و السيد محمد بن فلاح المشعشع. و من تصانيفه:

١- المهذب البارع إلى شرح النافع.

٢- كتاب المقتصر.

٣- شرح الارشاد.

٤- الموجز الحاوي.

٥- عدة الداعي.

٦- استخراج الحوادث المستقبلية من كلام أمير المؤمنين ..

توفي سنة ٨٤١ هـ و هو ابن ٥٨ سنة. و قال آخرون ولد سنة ٧٥٧ هـ و قبره في كربلاء، و لا يزال معروفاً.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٠٨

سنة ٨٥٧ هـ

بتاريخ خامس الشهر (ذى القعدة) دخل السلطان علي (المشعشع) الحلبي، و نقل أموالها و أموال المشهدين إلى البصرة. و أحرق الحلبي و خربها.

و قتل من بقي فيها من الناس، و مكث فيها ١٨ يوماً.

و رحل يوم الأحد ٢٣ ذى القعدة إلى المشهد الغروي و الحائري، ففتحوا له الأبواب و دخل فأخذ ما تبقى من القناديل و السيوف و رونق المشاهد جميعها من الطوس، و الاعتاب الفضية، و الستور، و الزوالي، و غير ذلك. و دخل بالفرس إلى داخل الضريح، و أمر بكسر الصندوق و احراقه فكسر و أحرق. و نقل أهل المشهدين من السادات و غيرهم بيوتهم .

سنة ٨٥٩ هـ

في هذه الأيام وصلت أخبار المشعشع إلى پير بوداق بشيراز فأرسل سيدي علي مع جماعة نواكر (ضباط و أعوان) إلى بغداد فدخلها في ٣ ربيع الأول سنة ٨٥٨ هـ، فمكث سيدي علي مدة من الزمان.

و بعد ذلك أرسل پير بوداق جماعة عساكر من شيراز إلى بغداد و مقدمهم أمير شيخ شى لله، و حسين شاه المهردار، و عمه سورغان، و علي كرز الدين، و شيخ ينكي اوغلي. و أمر أن يتوجه سيدي علي و يعمر الحلبي و المشهدين. فدخل بغداد في ٢ جمادى الأولى سنة

٨٥٩ هـ. و عند ذلك توجه (سيدي علي) إلى الحلبي يوم السبت ١٨ شعبان سنة ٨٥٩ هـ و عمر سوقها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٠٩

و عمر بها قلعة .

سنة ٨٦١ هـ

(وفاة المولى على المشعشع). كان منفورا من الجميع بسبب ما قام به من إهانة العتبات الشريفة في النجف وفي كربلاء، و القتل و التخريب و النهب. (قال) في المجلس الثامن من مجالس المؤمنين: ... أغار المولى على المذكور على عراق العرب، و انتهب المشاهد المقدسة، و تجاسر على العتبات بوقاحة، و استولى عليها .

سنة ٩١٤ هـ

بتاريخ ٢٥ جمادى الثانية سنة ٩١٤ هـ وافى الشاه اسماعيل بغداد.

و قد فرح به السواد الأعظم، و قدموا له الذبائح و احتفلوا بقدومه .. و فى اليوم التالى ذهب إلى زيارة كربلا المشرفة، و صنع الصندوق المذهب للحضرة، و وقف فيه اثني عشر قنديلا من ذهب، و فرش رواق الحضرة بأنواع المفروشات القيمة.

و اعتكف - هناك - ليلة ثم رجع فى اليوم التالى، متوجها إلى الحلة ..

و رجع إلى بغداد، و عين رواتب إلى خدام الأعتاب المقدسة، و أمر بجمع نجارين و مهندسين من أطراف الممالك ليصنعوا ستة صناديق منقوشة بنقوش

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١١٠

خطائية أو اسلمية (سليمية) فى غاية الاتقان و الإبداع، ليضعها على المراقد المشرفة، و يرفع الصناديق العتيقة ..

ثم عين بولاية بغداد (خليفة الخلفاء) و كان قبل هذا يدعى (خادم بيك) فلقبه بخليفة الخلفاء، و كناه بأبى منصور، و أوصاه بتمشية الأمور، و العناية بمراقد الأئمة .

* النهر الذى حفره عطا ملك الجوينى، و أجرى ماءه إلى النجف .. اندرس بمرور الأيام و تخرب، فلم يصل مأؤه. و لذا أمر الشاه (اسماعيل) بتجديد حفره و اتمامه فاشتهر ب (نهر الشاه). و أرصد ريعه لخدام المشهدين الشريفين و وقفه عليهم .

* و فى اليوم التالى (لفتح بغداد) ذهب الشاه لزيارة كربلاء المشرفة فأدى الزيارة، و أنعم على مجاورى الروضة المطهرة بإنعامات جزيلة. و أمر بعمل أنواع الزينة و الزركشة الذهبية، و بصنع الصندوق المذهب للحضرة، و ان ينقش ببدايع النقوش.

ووقف الشاه فى الحضرة ١٢ قنديلا من ذهب، و فرش رواق الحضرة بأنواع السجاد الثمين، و اعتكف ليلة هناك .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١١١

سنة ٩٤١ هـ

كان دخول السلطان (سليمان القانونى) بغداد، يوم الاثنين ٢٤ جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م.

ثم تجول السلطان فى ٢٨ جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ فى أنحاء عديدة من العراق قضاها فى زيارة المراقد المباركة فى الكاظمية، و كربلاء، و النجف ..

* نهر الحسينية: هذا النهر من أعظم أعمال السلطان (سليمان القانونى) كان يسمى باسمه «النهر السليمانى» و الآن يسمى بالحسينية.

أجراه إلى كربلا فأحياها. و لم يوفق السلاطين السابقون - أيام غازان و غيره، و منهم الشاه اسماعيل، و الشاه طهماسب.

و أعتقد أن السلطان كان يملك أكابر المهندسين، فتمكن من العمل، و تم المشروع على يده. و يقال: إن هندسته كانت فائقة تدل على خبرة و مقدرة ممن أحضرهم من المهندسين. و لا شك أنه كان اقرب لاستخدام أعظم المهندسين و هو من أعظم الملوك. و ليس لدينا ما يوضح الأعمال الهندسية، و وصف خطورة المشروع و الخطط التي قام بها رجاله، و لا علمنا عن هؤلاء المهندسين. و الأعمال تنسب الى السلطان وحده، و النهر بوضعه شاهد العظمة.

و الآن- كربلاء قائمة بدوامه، و العمارة المشهودة في كربلاء و الحياة الزراعية، و البساتين فيها قامت بسبب من هذا الاثر، فتجددت حياة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١١٢

اللواء ... و صار يعد من أعظم المشاريع الإصلاحية، بل كان حقيقة مشروعاً جليلاً في حياة البلد و ما جاوره من بقاع تصل مياهه اليها. ثم بعد مشروعه هذا بمدة طويلة، قامت (سدة الهندية) و اكتسبت شكلاً أعظم، و نتائج مهمة خصوصاً بعد اتخاذ الابواب و استخدام لوازم العمارة و الارواء الحديثة.

فعليه الآن عمارة اللواء، و قوام حياته.

و على ما حققه بعض المؤرخين أن المهندسين كانوا يرون أن كربلاء في محل عال و نهر الفرات منخفض عنها، فيستحيل إيصال الماء إليها. فكان إيصال الماء إليها يحتاج الى خبرة هندسية كاملة، فتمت في عهد هذا السلطان.

وعد صاحب كلشن خلفاً لذلك كرامة من كراماته و بركة من بركات توفيقه و إقباله. و أظن أنه يقصد بذلك التفاته لهذا المشروع و اهتمامه في انجازه ...

* السلطان بعد عودته من زيارة المراقد المباركة في النجف و كربلاء نصب (- الوالى سليمان باشا) والياً بلقب (بكلربكى) .

سنة ٩٦١ هـ

عبر (سیدی علی رئیس بغداد) الفرات من أمام قصبه المسیب فوصل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١١٣

الحائر (كربلا) و هنا زار حضرة الامام الحسين، و مشهد الشهداء، و الحر الشهيد، ثم مضى من جهة شفاثة (شفاثي) من طريق البر إلى المشهد (- النجف) .

بدخول العثمانيين تأسست في العراق (طريقة البكتاشية) فاتخذت جملة تكايا، فتمكنوا من تكوين طريقتهم في بغداد و الانحاء العراقية الأخرى.

فتكونت لهم .. تكايا أخرى في النجف و كربلا و غيرهما .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١١٤

فضولى البغدادى

سنة ٩٦٣ هـ

هو محمد بن سليمان، الملقب ب «فضولى». من عشيرة بيات؛ و هى بطن من أغز، قبيلة من الترك.

ولد- بالعراق- في العشر الآخر من القرن التاسع الهجري (ظ).

و لاقى حمامه في مدينة الشهيد المقدسة «كربلاء» بطاعون سنة ٩٦٣ هـ.

و دفن بها في مقبرة الدده، عند تكية البكتاشية، على خطى جنوبي صحن الروضة الحسينية تجاه باب القبلة.

شاعر مخضرم؛ أدرك الفرس و الترك في العراق، و نظم الشعر بالفارسية و التركية؛ عدّ عن العربية. و هو أديب ألمعي، كاتب حاذق، عالم جامع، صوفي عارف.

هذا- و قد قطن فضولى ببغداد، و أقام بها برهة، فنسب إليها،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١١٥

و عرف بالبغدادى. و عزم- في جلال السن- على الاعتزال و الزهادة، و آثر الانقطاع، و اختار زاوية الوحدة، و قنع بالكفاف. فاعتكف في كربلاء- التي سماها «أكسير الممالك» و قبع في كسر بيت، جوار قبر الحسين- عليه السلام- لا شغل له بغير العبادة. و يقال انه قلّد- في شيخوخته- تنوير المشهد الحسيني، و فوض إليه إسراج مصابيح. ترك فضولى نحو من عشرين كتابا و رسالة في الشعر و النثر؛ منها:

١- ترجمه أربعين حديثا، بالتركية.

٢- حديقة السعداء، بالتركية.

٣- ديوان فضولى، بالتركية.

٤- ديوان فضولى، بالفارسية.

٥- رند و زاهد، بالفارسية.

٦- شكايتنا معه، بالتركية.

٧- ليلي و مجنون، بالتركية.

٨- مطلع الاعتقاد، في علم الكلام بالعربية

سنة ٩٩١ هـ

في هذه السنة، عمر الوالى (الوند زاده على باشا) مرقد الحسين (رضى الله عنه) و جامعه . بأمر من السلطان مراد الثالث؛ عمر جامع الحسين (رضى الله عنه) سنة ٩٨٤ هـ، و مرقده المبارك سنة ٩٩١ هـ، و منارته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١١٦

سنة ٩٨٢ هـ .

* كلامى: كربلائى شاعر صوفى، كان في الخانقاه، في مشهد الحسين (رض) نزع نفسه إلى التطلع إلى العالم و مشاهدة الأقطار، يعرف ب (جهان دده).

و الظاهر أن آل الدده- في كربلاء الآن- ممن يمتون إليه. و الخانقاه لا يزال في ايديهم. و هم في الأصل من البكتاشية .

* كلامى: في كربلاء. منطوق بارع، و عارف و حيد في العالم .

* محيطى: من القضاء. ولد في جزيرة رودس، و درس العلوم عن بوستان زاده محمد چلبى. من الموالى العظام، تولى النيابة في الشام و أدرنة و الاستانة أمدا طويلا.

و قد تقلب في مناصب شرعية، حتى صار قاضى الفيلىق. و له وقوف على العلوم العربية، و شعر لطيف. و عين ابنه أحمد أفندى دفتريا

لبغداد سنة ٩٩٦ هـ. ذهب لزيارة مشهد الحسين (رض) و نظم قصيدة في الغزل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١١٧

قدمها للحضرة .

* في كربلاء (من تكايا البكتاشية) في صحن الامام الحسين (تكية الددوات) و هي تكية البكتاشية. و توليتها بيد (آل الدده) لا تزال موجودة.

و كانت بيد السيد الفاضل المرحوم حسين الدده مدة طويلة إلى ان توفي في صيف سنة ١٩٤٨ م؛ في خراسان في المشهد الرضوى. و يرجع عهدا إلى أول الفتح العثماني. و ان من مشاهيرها (كلامى) المعروف ب (جهان دده). و ان فضولى الشاعر ممن دفن فيها. و هناك مراقد آل الدده. و التولية منحصرة فيهم، و هم شيعه إمامية، و لا تعرف عنهم البكتاشية، و لا اعتناق طريقته، فهم اصولية. و هذه التكية من أقدم تكايا البكتاشية في العراق، و لم ينقطع اتصالها بالبكتاشية من الترك إلا بعد الحرب العامه الاولى لسنة ١٩١٤. و زاد الانقطاع بالغاء التكايا في الجمهورية التركية .

سنة ١٠٣٥ هـ

في خلال (حصار بغداد) .. تم الاستيلاء على الحلّة و كربلاء. كما أدى إلى حرب دامية قتل فيها الألوف ..

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١١٨

نظمى البغدادي .. شهد الحادثه، و كان قد فر أثناء سقوط بغداد، و ذهب مع أمه بصفه درويش إلى كربلاء و الحلّة و بقى هناك إلى ان اتصل بحافظ أحمد باشا .

سنة ١٠٤٩ هـ

نقيب سادات بغداد (السيد دراج) كان سادن حضرة الامام الحسين (رض) و كان من الأعيان المشهورين. و هو صاحب قوة و مكنه. فلما استولى شاه العجم (الشاه عباس) على بغداد أحسن الظن به، و اعتقد فيه الاعتقاد الجميل، فرعاه و أكرمه. فكان في مقام الخدمة، يفكر في العواقب، فلم يغفل أمر العثمانيين.

و كان في ذلك الحين أراد الشاه أن يقتل أهل السنة قتلا- عاما، فتوسط السيد دراج فقال له سأختار محبى آل على، و ما عداهم فاقتلهم. و بهذه الوسيلة أنقذ خلقا كثيرا من القتل.

و هذا العمل المشكور كله لم يمنع الوالى من الوقعة به بعله انه كان شيعيا معروفا بتشيعة، فلم يتحمل شهرته و مكانته، فاتخذ ذلك وسيلة للقضاء عليه (قتله)، و استولى على أمواله الوافرة في حين يدعى أنه درويش، فلم تردعه هذه الخدمة النبيلة، و لا- المكانة المقبولة.

أراد هذا الوالى ان يستقل بنفوذ العراق وحده، و ان تكون بغداد و الانحاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١١٩

العراقية خالصة للدولة العثمانية.

و قد جاء ذكر ذلك في تاريخ نعيما، و فى فذلكة كاتب جليبي، و فى خبر صحيح.

و الآن؛ من بقايا السيد دراج (أسرة نقيب كربلاء). و منهم النقيب الحالى؛ صديقنا السيد الفاضل حسن النقيب. و هو من الأخيار .

سنة ١٠٢٩ هـ

كان كنج عثمان من الشجعان الأبطال. و هو من أتباع ابازة باشا المشهورين، فجعل على جيش تولى رئاسته، و أرسل لفتح الأنحاء العربية. و هذا لاقى القزلباش اى الايرانيين، او الشيعة منهم بسيفه فدمرهم، و فتح قصبه كربلاء، و ذهب منها إلى النجف- و كانت بلدة معمورة- فاستولى عليها.

و منها اكتسح الحلء، و ضبط الرماحية. و من ثم حط ركابه فى كربلاء.

إلا انه اهتم غاية الاهتمام بالبلدان و البقاع التى استولى عليها، و راعى حسن إدارتها .

سنة ١٠٨٨ هـ

كان الوزير الحالى (قبلا ن مصطفى باشا) صافى القلب، له ميل عظيم الى زيارة الأولياء، و فى شعبان ذهب لزيارة الامام الحسين (رض)،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٢٠

و الامام على (رض) ففضى بضعة أيام. ثم عاد .

سنة ١١١٦ هـ

ذهب الوزير (حسن باشا، و يعرف هذا الوزير ب «حسن باشا الجديد») إلى زيارة سلمان الفارسى (رض) .. و فى شوال ذهب لزيارة كربلاء و النجف.

و فى طريقه مرّ بنهر الشاه .

سنة ١١١٨ هـ

أغار (الوزير حسن باشا) فى شعبان (على قبيلة شمر) .. و هذه الواقعة كانت السبب فى انفصال شمر طوقه (طوگه) و بعض العشائر مثل المسعود فتبدد شملهم فصاروا شذر مذر. فالمسعود استقروا فى اطراف المسيب و كربلاء .

سنة ١١٢٦ هـ

أبدى (الوزير حسن باشا) عزمه فى زيارة الامام الحسين (رض) فذهب وزار، خيم خارج البلدة مدة يومين. ثم توجه الى زيارة الامام على (رض) .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٢١

سنة ١١٢٧ هـ

فى هذه السنة عمر الوزير (حسن باشا) طارمة الحضرة الحسينية، و مدحه يوسف عزيز المولوى بقصيدة .
* عمر (الوزير حسن باشا) بعض المراقد المباركة، و بنى صدرا جديدا لنهر الحسينية فى كربلاء. و كان معروفا بالنهر السليمانى. و بنى
خانات بين كربلاء و بغداد، و عمر المندثر منها .

سنة ١١٥٢ هـ

آل قشعم سلكوا طريق النهب و الغارة، و شوشوا على الحكومة ..
و لما رأى الوزير (أحمد باشا) ذلك عزم على القضاء على غائلتهم. جعل جيشه قسمين؛ قسما منه تحت قيادة كتخداه سليمان باشا، و
كانت وجهته بلدة هيت، و الآخر تحت قيادته و توجه به من أنحاء كربلاء و أغاروا من الجانيين .

سنة ١١٥٤ هـ

العشائر اتفقت مع بعض المفسدين من أهل القرى و الضياع .. اطلع الوزير على ذلك فعزم على تخريب هذه القرى و إهلاك أهلها،
فجهز
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٢٢
عليها سرية بقيادة سليمان باشا الكتخدا. و هذا فرق جيشه و تبّه ان يقتل جميع رجالها و تنهب أموالها؛ عدا كربلاء و الحلّة و الغرى ..
* السيد نصر الله من أهل كربلاء، و أسرته لا تزال معروفة .. و هو أشهر من عرف بالأدب و الشعر .

سنة ١١٩٤ هـ

وصل (الوزير سليمان باشا) الى كربلاء، و حيثئذ رخص الشيخ ثوينيا (شيخ المنتفق) و أعاده مكرما. ثم زار مرقد الامام الحسين، و
توجه الى بغداد .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٢٣

غارة الوهابية على كربلاء

سنة ١٢١٦ هـ

فى هذه الاثناء ورد الخبر من شيخ المنتفق حمود الثامر أن سعود ابن الأمير عبد العزيز توجه الى هذه الأنحاء بجموع كثيرة العدد و
العديد. و لذا وجه الوزير كتخداه على باشا إلى جهة الهندية و نزل فى منزل الدورة مع جمع قليل. و كان فى انتظار بعض القبائل
لتوافيه.

و بينما هم في هذه الحالة إذ فاجأ سعود كربلاء، و تمكن من الدخول في المدينة فاغتنم الفرصة دون حيلة من أهل البلدة، فغنم منها أموالا كثيرة، و انتهب أمتعة لا تحصى. و في (عنوان المجد) لابن بشر الحنبلي:

«ان سعودا سار- في سنة ١٢١٦ هـ- بالجيش ... من حاضر نجد و باديها، و الجنوب، و الحجاز، و تهامة، و غير ذلك. و قصد أرض كربلاء، و نازل أهل بلد الحسين في ذى القعدة فحشد عليها قومه. تسوروا جدرانها، و دخلوها عنوة، و قتلوا غالب أهلها في الأسواق و البيوت، و هدموا القبّة الموضوعه بزعم من اعتقد فيها- على قبر الحسين. و اخذوا ما في القبّة، و ما حولها. و اخذوا النصيبه التي وضعوها على القبر و كانت مرصوفة بالزمرد و الياقوت. و أخذوا جميع ما وجدوا في البلد من أنواع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٢٤

الأموال و السلاح و اللباس و الفرش و الذهب و الفضة و المصاحف الثمينه، و غير ذلك مما يعجز عنه الحصر. و لم يلبثوا فيها إلّا ضحوه، و خرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الأموال، و قتل من أهلها نحو ألفى رجل.

ثم ان سعودا ارتحل منها على الماء المعروف بالابيض فجمع الغنائم، و عزل أحماسها و قسم باقيها بين جيشه غنيمه للراجل سهم، و للفارس سهمان. ثم ارتحل قافلا إلى وطنه».

و في مطالع السعود: «... صبح أرض كربلاء تسور سور البلدة؛ التي فيها مدفن الحسين (رض) .. فقتل عددا جما، و جمع من المال جمعا لما.

و أجرى دم القتلى في الزقاق ... ثم ثنى عنان العود إلى نجد ...»

و لما وصل خبر ذلك الى على باشا توجه نحوهم بقصد الانتقام، و لكنهم بعد أن حصلوا على الغنائم تركوا البلد، و ذهبوا إلى الأخيضر. و ان الباشا لبعض المقاصد، توقف في الحلة بضعة أيام. و عندئذ وصل سليم بك- صهر الوزير- متسلم البصرة المعزول بصحبة (عثمان طوبال أسهير) فورد المنزل المذكور، و تحرك من هناك فنزل الهندية، و صار يراقب جميع الأنحاء ...

و لبث على باشا في الهندية شهرين و نصف شهر. و بناء على أمر الوزير أبقى بيارق الخيالة في ذى الكفل (ع) و العقيلين في كربلا .. و أبقى في النجف عسكر الموصل مع مقدار من العقيلين. و بنى لكربلاء سورا منيعا، و اتخذ للحلة خندقا صعب الاجتياز.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٢٥

سنة ١٢١٨ هـ

كان في بغداد رجل أفغانى الأصل يدعى (ملا عثمان) عزم على قتل عبد العزيز السعود، فتوجه الى الدرعية؛ وصل إليها بصفة درويش ..

و قيل إن القاتل من أهل كربلاء .. و كان القتل في العشر الأواخر من رجب سنة ١٢١٨ هـ.

سنة ١٢٢٢ هـ

عشائر الجرباء و الظفير و الروله .. عاثت بالقرى و القصبات المجاورة لها؛ مثل الحلة، و كربلاء، و النجف. فضج الناس من كل صوب ...

و في هذه الأثناء اتفق ان أربعين ألف زائر من الايرانيين كانوا في قصبه كربلاء علمت بهم العشائر فتوجهت إليهم من كل صوب و صارت تنتظر خروجهم للوقيع بهم. و أحاطت بالمدينة من أطرافها فلم يجد الزوار طريقا للخروج.

بقى الزوار محصورين، و كان فيهم حرم الشاه (فتحعليشاه) و فى صحبتها بعض الخانات. و ان خدام الحضرة عرضوا الأمر مرارا على الوزير (سعيد باشا) فلم يصغ و لم يتخذ أى تدبير.

سنة ١٢٣٦ هـ

فى أوائل هذه السنة .. ظهر مرض لم يسم باسمه (قوليرا) أو الهواء موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٢٦ الأصفر، أو الهیضة .. سماه ابن سندب (الوباء) .. ثم جاء إلى الحلّة و كربلاء و مكث فى هذه الأماكن مددا تتراوح بين عشرة أيام و عشرين يوما.

سنة ١٢٤٢ هـ

(توفى الشيخ أحمد الإحسائي) و انتشار الشيخية فى العراق بين الشيعة كان بهمة زعميها السيد محمد كاظم الرشتي؛ و توفى سنة ١٢٥٩ هـ و لا يزال عقبه فى كربلاء.

الشيخ أحمد الإحسائي المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ و هى بريشة مصور فتحعلي شاه القاجارى الخاص

واقعة كربلاء

سنة ١٢٥٨ هـ

كان التغلب فى كربلاء قد استمر من أيام داود باشا، إلى آخر عهد على رضا باشا اللازم. و لما ورد محمد نجيب باشا و علم بذلك جهز جيشا فى ذى القعدة سنة ١٢٥٨ هـ فحاصر البلدة. و فى ١١ ذى الحجة سنة ١٢٥٨ هـ استولى عليها. و جاء تاريخ ذلك (غدیر دم) ... و فى أيام على باشا حاصرها، و خرج إليه سادات البلد، و علماؤهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٢٧

و تكفلوا له بزيادة الإيراد، فارتحل عنهم، و كان ذلك الوزير لا يبالي بعصيانهم، و مرامه الدراهم، و قد ادّوا له سبعين ألف قران، (المثل اثنين) عما يؤدونه إلى داود باشا، فرضى و تركهم.

السيد كاظم الرشتي المتوفى عام ١٢٥٩ هـ

و هذا الوزير محمد نجيب باشا حاصرها ثلاثة و عشرين يوما و يوم الجمعة التالى فى الثانى من عيد الأضحى جاء البشير إلى بغداد بفتحها عنوة (مينا) صورة الفتح. و كان قد تولى أمر العساكر فريق النظام كرد محمد باشا و بدأ يرمى الأطواب (المدافع) من جهة واحدة. فلم يستقر أحد يقابل الاطواب إلى ان ثلم ثلمة من سور البلد (من محلة باب النجف) و دخل العسكر من تلك الثلمة. فانهمز البرطازية عسكر البلد و خرجوا منه. و شردمة قليلة و أكثرها من أهل البلد دخلت حضرة العباس و بدأوا يرامون العساكر السلطانية. فوقف العساكر النظامية أمامهم، و رموهم دفعات بالتفكك (البنادق) فتساقط أكثر الذين فى الحضرة من الباغين من سكنة البلد و فقراء الناس، و نهب الجيش البلد مقدار أربع ساعات، و نادى منادى الأمان، و التجأ أكثر الناس إلى بيت السيد كاظم الرشتي المجتهد العالم

المخالف لأصول مذهب الشيعة و لقب مذهبه؛ ب (الكشفي)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٢٨

أو (پشت سري) كما ان مذهب الشيعة الذين هم أقدم منهم يسمى ب (البالاسرية) و هم الشيعة الأصولية، و كان بين الفريقين هؤلاء مقلدى السيد كاظم، و الشيعة الذين هم من مقلدى الشيخ محمد حسن البالاسري عداوة شديدة ظاهرة.

و الذى قتل من ولاية كربلاء مقدار أربعة آلاف نفس. و من العسكر مقدار خمسمائة نفر. و من بعد فتحها أمسكوا السيد ابراهيم الزعفرانى؛ و جاؤوا به إلى بغداد و السيد صالح من كبار البلد و كم واحد.

فالسيد صالح نفوه إلى كركوك، و ترجاه قونصلوص الانكليز. و ابن الزعفرانى بقى أياما قلائل فى بغداد، و تمرض بالدق و مات. و بعضهم عفا عنهم الوزير محمد نجيب باشا، و جعل عليهم واليا واحدا ..

و من هذا يعلم أشخاص الواقعة، و عواملها و من أهمها ضعف الحكومة و تسلط المتغلبين ..

و ذكر هذه الواقعة السيد عبد الغفار الأخرس .. و جاء ذكر (ها) ..

فى كتاب هداية الطالبين لكريم خان الكرمانى و بين ان الجيوش كانت تحترم بيوت الشيخية. و كل من التجأ إليهم كان آمنا على نفسه و ماله. و لم يقتل أحد من أصحاب السيد كاظم الرشتى مع ان الذين التجأوا إلى المشاهد قد قتلوا بلا رحمة. و يقول ان الباشا دخل بجواده فى المكان المقدس.

و فى تاريخ نبيل المعروف (نبيلى) من البهائية تفصيل و تعيين لوجهة نظرهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٢٩

و بين انها جرت فى ليلة عرفه من ذى الحجة سنة ١٢٥٨ هـ .. و فيها قتل ٩ آلاف شخص و سلب ما فى الجوامع من نفائس.

و جاء ان محمد شاه كان مريضا فلم يشأ رجال دولته إخباره، فلما علم حنق، و عزم على أخذ الثأر إلا أن التدخل السياسى من روسية و بريطانيا هدأه.

و فى كتاب قره العين فى تاريخ الجزيرة و العراق و بين النهرين تأليف محمد رشيد السعدى ان الواقعة جرت فى التاريخ المذكور. قال: جاهر أهل كربلاء بالعصيان، فأرسل و الى بغداد محمد نجيب باشا عليهم الجنود المظفرة العثمانية، فانتصروا على العصاة، و قتلوا رؤساءهم و عاد الأمن و السكينة».

و فى تاريخ الشاوى جاء تفصيل أيضا إلا أنه لم ينسبها للعصيان من الأهلين بل بين ان بنتا من شهزادات الدولة القجرية قد تعرض لها العصاة. و اختطفوها و فعلوا ما فعلوا بها. و فى نتيجة المخابرات السياسية اضطرت الدولة للقضاء على عصيان هؤلاء، اتخذت هذه

الحادثة وسيلة اندرهم الوالى ان يسلموا الأشقياء تنفيذًا للارادة السلطانية فأبوا. و من ثم ضربهم .. و الحال أن ما ذكره كان أيام داود باشا.

و عندى كتاب لأهل كربلا ذكروا فيه تفاصيل الواقعة أيام داود باشا.

و كان مبدأ العصيان سنة ١٢٤١ هـ و دام إلى المحرم سنة ١٢٤٢ و هو (اى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٣٠

الكتاب) المسمى (نزهة الاخوان فى واقعة بلد المقتول العطشان) ..

سنة ١٢٥٩ هـ

توفى السيد كاظم الرشتى فى ٩ ذى الحجة سنة ١٢٥٩ هـ. و عقائد الكشفية؛ هى عقائد الشيخية موسعة فى شرح المطالب .. و آل

الرشتي معروفون في كربلاء. و هم من ذرية السيد كاظم ..

سنة ١٢٦٠ هـ

كان ظهور الباب (على محمد الشيرازي) في ايران بتاريخ ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٦٠ .. وفي هذه السنة كان مقدمهم في بغداد محمد بن شبل العجمي .. كتب الوزير (محمد نجيب) بالخبره الى استنبول بأن اهل كربلاء و النجف و علماءها لم يقبلوه ..

سنة ١٢٦٢ هـ

العلامة السيد ابراهيم القزويني في كربلاء. توفي في الوباء في هذه السنة.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٣١

سنة ١٢٦٨ هـ

غلت الاسعار بالحسين (كربلاء) و المشهد (النجف) و الحلة.

سنة ١٢٧٤ هـ

استمر (الوالي؛ الوزير السردار الأكرم عمر باشا) في أخذ الجنديين من الحلة و النجف و كربلاء و ما جاورها من انحاء الفراتية ..
* و على اهل الحسين (كربلاء) جعل خمسين نفسا، و أخذ منهم بالبدلية.
ثم تحركوا بحركات فاسدة و قتلوا اثنين من أهل البلد؛ واحد من كربلاء و آخر نظام.
* فلما عاين أهل النجف ما فعل بأهل الحلة و أهل كربلاء أبانوا وجه الطاعة، و مسكوا ثلاثين نفسا بدلا عنهم .

سنة ١٢٧٨ هـ

نال (محمد نامق باشا) منصب بغداد للمرة الثانية .. و يعرف عندنا ب (نامق باشا الكبير). كان قد جاء قبل ذلك في قضية كربلاء لما أن فتحها
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٣٢
نجيب باشا ...

سنة ١٢٨٦ هـ

لم تظهر تشكيلات في (لواء كربلاء) .. أيام مدحت باشا ..

* علم الوالى (مدحت باشا) ان متصرف كربلاء اسماعيل باشا كان سىء الإدارة مرتشيا و كذا بعض الموظفين ممن على شاكلته، فذهب بنفسه إلى كربلاء، و أجرى التحقيق فثبت له ما كان قد عزى إلى المتصرف، فعزله فى الحال. و أمر بأخذه للمحاكمة، و نصب مكانه حافظ أفندى قائمقام كوستنديل سابقا.

* و فى أثناء مهمته- هناك- رأى أن هذه البلدة صغيرة و ضيقة نظرا للزحام الموجود فيها، فأمر بلزوم تشكيل محلة جديدة فيها و تنظيم خارطة بذلك، و ترتيبها بالوجه المطلوب على أن تباع العرصات إلى الأهلىن لكل من أراد أن يبنى دارا أو دكانا أو أى بناء. و ان تصرف المبالغ المستحصلة فى سبيل تنظيم طرقها .. و هذه المحلة هى المعروفة قديما بالمحلة الجديدة، و تعرف اليوم ب (العباسية). التفت الوالى الى هذه المهمة، و لم يؤخر العمل بها .. و كان قد أقام فى كربلاء خمسة أيام أو ستة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٣٣

عزل الاستاذ سليمان فائق من البصرة ... و نصب مكانه متصرف كربلاء حافظ باشا، و منح رتبة ميرميران أى أمير الأمراء.

سنة ١٢٨٧ هـ

زار (ناصر الدين شاه) العتبات فى النجف و كربلاء و سامراء .

سنة ١٣٠١ هـ

تجول الوالى (تقى الدين باشا آل المدرس) فى أنحاء الحلة و كربلاء .

سنة ١٣٠٢ هـ

بنيت قنطرة على نهر المسعودى الكبير الواقع فى جادة الحلة- كربلاء. و لها أهمية.

* ذهب إلى كربلاء محاسب الأوقاف عبد القادر، و معه سليمان فائق الشواف (صهر آل الشواف) و حرّروا موجودات الخزانة بمعرفة مجلس الإدارة. فوجدت أشياء نفيسة للغاية خمنت بمبلغ ينوف على ٢٢ ألف ليرة.

و يوجد مصحف شريف بخط زين العابدين (رض) كتابته كوفية على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٣٤

رق غزال، و مصحف آخر مذهب بنقش أبيض على قرطاس ترمه بالقطع الكبير، و بين أوراقه رق غزال لثلاثا يأتى خلل على صفحاته. و هما نفيسان للغاية، يقال إن قيمتهما تساوى نحو ألف ليرة.

المصحف المنسوب خطه للإمام على بن الحسين ابن على بن ابى طالب السجاد (ع)

و من جملة ما فى الخزانة شمعدانان كبيران معمولان من الذهب؛ أهداهما السلطان عبد المجيد. و كانا بقيمة (٢٥٠٠) ليرة و تاج بقيمة أربعين ألف قرش.

و وجدت سجادة نفيسة للغاية مزينة بلؤلؤ و ذهب.

و عند ختام تفتيش المعلقات و سائر النفائس اتخذ المحاسب دفترا ختمه السادن، ثم بوشر بتحرير النفائس التى فى مشهد العباس

(رض) فوجدت أشياء مهمة و نفيسة. و هي كثيرة فدونت و ختم دفترها كليدار العباس.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٣٥

لواء كربلاء و أفضيته النجف و الهندية، و نواحى مركز القضاء المسيب و الرحاليه، و شفاتا، و كان متصورا قلبها إلى قضاء لأهميتها .

سنة ١٣٠٤ هـ

جرى (الحج) فى هذه السنة من طريق كربلاء- الجبل (جبل شمر)

سنة ١٣٠٩ هـ

أجرى الاحتفال بشعرات الرسول (ص) و كسوة البيت المحرم فى بغداد و كربلاء. و قيلت الأشعار.

سنة ١٣٢٤ هـ

(عزل الوالى مجيد بك) و كان سبب عزله حركة كربلاء حينما وجه رشيد باشا ابن الاستاذ محمد فيضى الزهاوى و كيل المتصرف فوقع قتال بين العجم و بين الجند بسبب أخذ الرسوم.

سنة ١٣٢٥ هـ

كان حدث فى كربلاء قتل أربعين شخصا من الإيرانيين الأمر الذى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٣٦
دعا إلى توجيه منصب الولاية إلى (ابو بكر حازم بك و الى بغداد) فورها براتب ثلاثين ألف قرش.

سنة ١٣٢٦ هـ

افتتح مجلس المبعوثين (النواب) فى ٢٣ ذى القعدة سنة ١٣٢٦ هـ.
و هذه هى الدورة الأولى. و انتخب فيها عن كربلاء الحاج عبد المهدي الحافظ.
الزعيم السياسى و الشاعر عبد المهدي الحافظ المتوفى سنة ١٣٣٤

سنة ١٣٢٧ هـ

أودع الوالى (نجم الدين منلا) أعمال الولاية بالوكالة إلى الفريق الأول محمد فاضل باشا الداغستاني نهار السبت ٢٣ ربيع الآخر سنة
١٣٢٧ هـ .. ثم ان الوالى السابق توجه فى ذلك اليوم إلى كربلاء للزيارة و عاد يوم الاثنين فى ٢٥ منه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٣٧

سنة ١٣٢٩ هـ

ذهب الوالى (جمال بك) .. إلى كربلاء.

سنة ١٣٣٠ هـ

المبعوثين (للمرة الثانية) .. عن كربلاء:

١- فؤاد الدفترى البغدادى، والد معالى محمود صبحى الدفترى.

٢- نورى بك البغدادى رئيس تحرير القسم التركى فى جريدة الزهور البغدادية.

سنة ١٣٣٤ هـ

توفى عبد المهدي آل حافظ الكربلايى فى كربلاء .. فى ربيع الآخر ..

و كان مبعوث كربلاء الأسبق، ذكيا تعلم اللسان الافرنسى جيدا فأحسن القراءة و الكتابة فيه. و كان ذا سلطة و جرأة، و فى مقدمة القيام على مأمورى الحكومة فى كربلاء و اخراجهم منها بعد نهب أموالهم و اهانتهم حتى اعيدوا إليها بمظاهرة الولاية و سكنت الفتنة فى أثناء الحرب العامة الأولى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٣٨

كربلاء فى الجغرافيا

كتاب سمير الليالى

مدينة كربلاء؛ و هى مدينة على حافة البادية. و تحتوى على نحو ستة آلاف دار، و بينها و بين بغداد طريق شوسه. و فيها؛ استشهاد الحسين (رضى الله عنه) سنة ٦٠ للهجرة. و بها مقام بديع ينسب إليه. تؤمه الزوار؛ سيما الشيعة، من كل حدب. و أهلها خمسة عشر ألف شخص.

و على مقربة منها قلعة متينة من بقايا الأكاسرة، بناها النعمان بن المنذر.

و لها أربع قضاوات .

الثمار الشهية فى جغرافية المملكة العثمانية

كربلاء؛ و تسمى مشهد الحسين، و هى بلدة إلى جنوب غربى بغداد مكانها ٠،٠٠٠، ٦٥ نسمة. اشتهرت بأنها مقتل الحسين بن على بن أبى طالب.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٣٩

وفيها مقامه. و لذلك تعد من الأماكن المقدسة عند الشيعة، و فيها جامع على غاية الاتقان، في داخله مزار للحسين يؤمه كثيرون؛ و لا سيما في شهر محرم .

جغرافية العراق الثانوية

كربلاء؛ قصبه كربلاء؛ مركز اللواء المسمى باسمها. و تقع في طرف البادية. و هي - كالكجف - بعيدة عن شط الهندية؛ غير أنها تتصل به بجدول الحسينية الذي يستفيد الأهلون من مائه للشرب، و سقى مزارعهم و بساتينهم. و تحيط البساتين بالقصبه، و هي - على الغالب - منتشرة على جوانب جدول الحسينية.

و فيها، مرقد الامام حسين، و اخيه العباس. و هي في الدرجة الثانية من حيث الخطورة الدينية. فيؤمها الزوار من كل حدب و صوب لزيارة مرقدى الامام و أخيه، و التبرك بهما. و يقيم العلماء الأعلام و رجال الدين فيها.

و تتألف المدينة من قسمين؛ يزدحم القسم القديم منهما بالدور و المساكن، و هو ضيق الشوارع و الطرقات.

أما القسم الحديث - و قد خط في عهد مدحت باشا - فذو شوارع واسعة متوازية.

و اشتهرت كربلاء بصنع أواني البرنز و النحاس، و نسج الحرير.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٤٠

كربلاء في الرحلات

كتاب الاشارات إلى معرفة الزيارات

كربلاء؛ قرية بها جسد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب - رض - و رأسه بمصر؛ عمره ست و خمسون سنة، ولد بالمدينة. و عنده جماعة من أهله قتلوا - هناك - معه؛ مثل:

القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضه) و أبي بكر بن علي بن أبي طالب (رضه)، و العباس الأكبر، و عثمان، و جعفر، و عبد الله، و محمد الأصغر، و عليّ الأكبر، و عبد الله بن مسلم بن عقيل، و محمد بن عبد الله ابن جعفر (رضهم). و هناك جماعة من الأشراف (رضهم).

رحلة ابن بطوطة

و قد ورد ذكرها في قسم المراجع الغربية، من هذا الجزء فلا حاجة لذكرها مرة ثانية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٤١

نزّهة المجلس و منية الأديب الأنيس

لما أسفر الصباح عن وجه الهنا و الانسراح، رابع ربيع الأول عام ألف و مائة و أحد و ثلاثين، من هجرة النبي المرسل؛ توكلنا على الرب العلي، و رحلنا من مشهد على، قاصدين زيارة الشهيد المبلى، المدفون بكربلاء، الحسين بن علي - و من معه من الشهداء الصابرين (رضوان الله عليهم أجمعين).

ففي خامس الشهر المذكور؛ أتينا على موضع يقال له الخان الأخير، و مررنا في طريقنا بقبر النبي ذى الكفل (عليه السلام) فزرنا و بلغنا

المرام.

و فى سادس الشهر، دخلنا أرض الحائر، مشهد الحسين الطاهر (سلام الله عليه، و على أخيه، و على جدّه و أبيه، و أمه و بنيه، و سائر مواليه و محبيه:

لله ايام مضت بكرىلامحروسة من كل كرب و بلا
بمشهد الطهر الحسين ذى العلاو نسل خير الخلق من كل الملا
فحفنى بجوده تفضلاو نلت ما كنت له مؤملا
من زاره بالصدق فيه و الولايعود مجبورا بلا شك و لا ...
فاسمع لما قد قال ذو الفعل الحسن محمد الحرّ الأصيل ابن الحسن
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٤٢ قد أرخ المولد فى رجزه مفيدة جليلة و جيزه
فقال فى ذكر الحسين بن على نظما بديع القول كالصبح الجلى
و كيف لا و هو الامام الرحله نجل ثقاء قادة أجلة
خادم شرع المصطفى و المذهب الطيب ابن الطيب ابن الطيب
من ذكره فى العرب سار و العجم و الشام و الروم إلى أقصى إرم
بالفضل و التقوى مع العفاف و البر و الاحسان و اللطاف
عليه من رب العباد الرحمة تعمه و لجميع الأمة
فاسمع؛ فهذا قوله المفيد قد قال- و هو الفاضل المجيد:
«و اسمع و قيت صولة الحوادث نظمى تاريخ الإمام الثالث
روحي الفداء للحسين بن على ذى المجد و السؤدد و القدر العلى
مولده فى عام أربع مضت فى شهر شعبان لخمس انقضت
يوم الخميس سيدى قد ولد اقليل: بل السابع كان المولدا
و قيل: فى عام ثلاث فاعقل آخر يوم من ربيع الأول
يكنى بعبد الله و هو السبطلم يك مثله كريم قط
نسبه من أشرف الأنساب حسبه من أكرم الأحساب
نص عليه بالإمامة النبى فياله من فضل مجد عجب
و بعده بوه و أخوه و نال ذاك بعده بنوه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٤٣ خير الورى فى العلم و الزهاده و الفضل و الحلم و فى العباده

كرمه و جوده قد بلغاما لم يحط به مقام البلغا
و لذة الكرام فى الاطعام و لذة اللنام فى الطعام
فاق الورى فى الجود و السماحة و المجد و الكمال و الفصاحه
أولاده ست و قيل عشرو قيل تسع فانقدوه و ادروا
منهم؛ على بن الحسين الأكبر ثم على بن الحسين الأصغر
فالأول ابن بنت كسرى الملك و لم يكن فى دينه بالمشرك
و الثانى من لىلى الفتاة فاعرف بنت أبى مرة أعنى التقفى

و جعفر و الأم من قضاة كانت على نقل ما الجماعة
سكينة أخت لعبد الله فاحفظ و فكر لا تكن كاللاهي
من الرباب الحرة الأبيه بنت امرىء القيس الفتى الكلبيته
و فاطم و أمها فى القوم بنت لطلحة الشهر التيمي
قيل و من اخوتهم محمد على الأوسط و هو الأسعد
و ذاك زين العابدين الأشهر و زينب بنت الحسين يذكر
و قتله بكر بلاء اشتهر امضى شهيدا و بها قد قبرا
أمر يزيد و عبيد الله ابن زياد الخبيث اللاهي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٤٤ قاتله سنان و ابن سعد تعوضوا بنحسهم عن سعد
احدى و ستون بها حل البلا بقتله مع شهداء كربلا
فى عاشر المحرم المنحوس فى يوم سبت ما خلا من بوس
او يوم الاثنين و قيل الجمعه حل البلا به بتلك البقعه
و عمره سبع و خمسون سنه و بعدها مضى و حل مدفنه
عشر سنين اختص بالامامه بعد أخيه إذ مضى أمامه
صلى عليه الله ثم سلما و زاده من فضله و كرما
و النص فيه جاء بالامامه كما أتى لمن مضى أمامه
من ربه و جده و الوالدو من أخيه، ويل كل جاحد .. الخ

ثم قال: فتشرفت- و الحمد لله- بالزيارة، و لاح لى من جنابه الشريف اشاره؛ فإنى قصدته لحال، و ما كل ما يعلم يقال.
و قرت عينى بزيارة الشهيد على الأصغر، ابن مولانا الحسين الشهيد الأ-كبر، و زيارة سيدى الشهيد العباس بن على بن أبى طالب
(رضوان الله تعالى عليهم أجمعين).

و أما ضريح سيدى الحسين؛ فيه جملة قناديل من الورق المرصع و العين، ما يبهت العين. و من أنواع الجواهر الثمينه، ما يساوى خراج
مدينة. و أغلب ذلك من ملوك العجم.

و على رأسه الشريف؛ قناديل من الذهب الأحمر، يبلغ وزنه منين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٤٥

بل أكثر.

و قد عقدت عليه قبة ريفية السماك، متصلة بالأفلاك. و بناؤها عجيب، صنعة حكيم لبيب.

و قد أقمت شهرين، بمشهد مولاي الحسين؛ بلدة من كل المكاره جنه كأنها من رياض الجنة. نخيلها باسقات، و ماؤها عذب زلال من
شط الفرات.

و أقمارها مبدرة، و أنوارها مسفرة، و وجوه قطانها ضاحكة مستبشرة .

و قصورها كغرف من الجنان مصنوعة؛ فيها سرر مرفوعة، و أكواب موضوعه، و فواكهها مختلفة الألوان . و أطيورها تسبح الرحمن
على الأغصان. و بسايتها مشرقة بأنوار الورود و الزهور، و عرف ترابها كالمسك و لونه كالكاפור .

و أهلها كرام أمثال؛ ليس لهم فى عصرهم مماثل؛ لم تلق- فيهم- غير عزيز جليل، و رئيس صاحب خلق و خلق جميل، و عالم فاضل،
و ماجد عادل. يحبون الغريب، و يصلونه من برهم و برهم بأوفر نصيب.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٤٦

و لا تلتفت إلى قول ابن اياس فى نشق الأزهار؛ بأنهم من البخلاء الأشرار؛ فله خرق العادة، فانهم فوق ما أصف و زيادة:

هينون لينون أيسار ذوو كرم سواس مكرمة أبناء أيسار

ان يسألوا الحق يعطوه و ان خبروا فى الجهد أدرك منهم طيب أخبار

لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقواو لا يمارون إن ماروا باكثر

فيهم و منهم يعد المجد متلداو لا يعد ثنا خزي و لا عار

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى

و اجتمعت بالرئيس المعظم، و العظيم المفخم، ذى الشرف الباذخ و الفخر الوضاح، مولانا السيد حسين الكلیدار؛ يعنى «حامل المفتاح».

و بأخيه الشهم النجيب الكريم، النبيل العظيم؛ مولانا السيد مرتضى (حماء الله تعالى من حوادث القضا). و بالعالم العلامة، الحبر

النحرير الرحلة الفهامه، ذى الوصف الجميل و الذكر الحسن، مولانا الفاضل الملا أبو الحسن. فجمع بينى و بين الأمير المظفر، الشجاع

الغضنفر، البحر الغمطم، الأسد الغشمشم، بحر الاحسان و معدن الكرم؛ الأمير حسين اوغلى بيك ايشك اغاسى باشى حرم سلطان

العجم. و كان قد استأذن من السلطان فى ذلك العام، أن يسير إلى العراق لزيارة الأئمة أعلام الهدى و مصايح الظلام. موسوعة

العتبات المقدسة؛ ج ٨؛ ص ١٤٦

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٤٧

و هذا الأمير من أكابر امراء أصفهان. و هذا الخطاب الذى هو خطاب لرئيس الحجاب على أبواب حريم السلطان، فأشار على ذلك

الأمير المنصور المعان، بالمسير صحبته إلى دار السلطنة اصفهان؛ لكى يجمعنى بالشاه حسين السلطان فلما تبسم ثغر الصباح، و تغنى

القمرى على الأغصان و صاح، عن رابع جماد الأول، عام ألف و مائة و أحد و ثلاثين من هجرة النبى المكمل، رحلنا من كربلا مشهد

الحسين زين العباد، إلى دار الخلافة بغداد.

رحلة المنشيء البغدادي

كربلا:

من قرى بغداد قصبه كربلا. و فيها نحو خمسة آلاف بيت. و هناك روضة الحسين (عليه السلام).

و من بغداد إلى كربلا ١٥ فرسخا. و فى الطريق قد بنيت خمسة خانات، و يبعد فرسخين (خان الكهية). و الثانى يبعد عن بغداد أربعة

فراسخ، و هو (خان زاد). و يبعد ستة فراسخ عن بغداد خان البير، أو خان النصف. و يبعد ثمانية فراسخ خان المزراقجى. و عشرة

فراسخ المسيب على جانب من الفرات- و هناك نحو أربعمائه بيت- و منه يعبر جسر ممدود على الفرات، فيسار إلى كربلا بمسافة

خمسة فراسخ .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٤٨

نهر الحسينية:

و من الفرات يشق نهر يذهب إلى كربلا؛ يقال له (نهر الحسينية).

و فى كربلا، و لمسافة أربعة فراسخ بساتين، تمرها مشهور بالجودة.

رحلات عبد الوهاب عزام

أصبحنا يوم الثلاثاء نتجهز للسفر إلى كربلاء- ومعنا الأخ النجيب السيد عزيز سامي المفتش بوزارة المعارف- عبرنا دجلة خارجين من بغداد- و الساعة عشر من الصباح- و سرنا إلى الجنوب؛ فمررنا بقرية اسمها المحمودية ثم أخرى تسمى السكندرية، ثم ملنا قليلا إلى الغرب حتى بلغنا المسيب على شاطئ الفرات- و الساعة اثنتا عشرة.

و في المسيب، قابلنا من بها من رجال التعليم فساروا معنا إلى الهندية، حيث القناطر، التي تسمى (سدة الهندية)؛ قناطر على الفرات لحبس المياه و توفيرها للري. و هي شاهدة بما يبلغه العراق من الخصب و الرفاه حين تقام أمثالها في مواضع الحاجة من دجلة و الفرات.

فهناك يتشعب من الفرات أربع شعب عظيمة، اثنتان في الغرب إحداهما نهر الحلة، و اثنتان في الغرب إحداهما نهر كربلاء. عبرنا الفرات على قنطرة الهندية ميمين كربلاء. فاتجهنا نحو الشمال الغربي- و الساعة واحدة- مؤملين أن نبلغ غايتنا بعد نصف ساعة. و قد تحول الأحوال دون الآمال!

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٤٩

كان بعض الطريق وحلا، فارتطمت فيه بعض السيارات مرة بعد أخرى، ثم استقام لنا الطريق من بعد؛ فإذا حدائق كربلاء- و الساعة اثنتان و ربع- و في كربلاء نخيل و أشجار كثيرة مرت عليها السيارات نصف ساعة، حتى دخلنا البلد. فسرنا إلى المدرسة المتوسطة، حيث ألفتنا مديرها و معلمها منتظرين معدين كل وسائل الحفاوة و الإكرام.

استرحنا قليلا ثم يمينا المسجد المبارك- الذي به ضريح الحسين بن علي- (رضى الله عنهما) فرأينا مسجدا عظيما على نسق مسجد الكاظمة في بنائه و زينته.

و لجنا الباب إلى ساحه واسعة؛ فإذا إلى اليسار جماعة قد وقفوا صفوفًا يدقون صدورهم دقات موحدة موزونة، و أمامهم منبر عليه خطيب يتكلم عليهم. و إلى اليمين أبصرنا جماعة من النساء جالسات يولولن في الحين بعد الحين مستمعات إلى محدث آخر. و ذلك أن اليوم كان من أيام ذكرى مقتل الإمام علي بن ابي طالب . و قد دخلنا المسجد فإذا هو يدوي بالقارئ و الداعين. فررنا الضريح المبارك، و منعنا جلال الموقف أن نسرح أبصارنا في جمال المكان، و ما يأخذ الأبصار من زينته و حليته و روائه.

و بجانب المسجد مسجد آخر فيه ضريح العباس بن علي. و فيه سرداب يهبط فيه نحو عشر درجات إلى مكان مغطى بشبكة من الحديد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٥٠

يسمونه «المذبح»، و يقولون إن دم الحسين (رضى الله عنه) سال فيه حينما قتل في فاجعة كربلاء، و هناك زاوية يقال إنها مولد المسيح عيسى ابن مريم.

ثم هناك حجرة في ناحية من المسجد، دفن فيها من ملوك القاجاريين، آخرهم أحمد، و أبوه محمد علي، و جده مظفر الدين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٥١

كربلاء في الأدلة

دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥ - ١٩٣٦

من بين الألوية العراقية التي تمتاز بقدسيته، و بتاريخها الوضاء الحافل بجلائل الأمور، و عظام الحوادث في تاريخ هذا القطر، لواء

كربلاء ..

فقد أخبرتنا الأسفار التاريخية عن معارك خطيرة دارت رحاها في ربوع هذا اللواء؛ تجلت فيها الفضائل والمعجزات كما تجلى النبل والثبات على المبادئ المقدسة. وأخبرتنا- أيضا- عن مدن كبيرة، وحصون منيعة أنشئت في أرجائه لم يبق منها غير الأنقاض و لم يعرف عن تاريخها إلا النزر اليسير ...

قاعدة لواء كربلاء- اليوم- مدينة كربلاء المشهورة في التاريخ؛ التاريخ القديم، و التاريخ الحديث. و هي بلدة عرفت بهذا الاسم قبل الاسلام بزمن بعيد. و استيفاء البحث عن قدمها يكلف كثيرا من متاعب الاستقصاء و التنقيب؛ لعدم وجود منابع تاريخية وافية و موثوق بصحتها، يصح الركون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٥٢

إليها ...

و ان اطالة البحث في قدم كربلاء، و التوصل إلى معرفة تاريخها عن طريق التحليل اللفظي يعيب المؤرخ، فيجعله يتخبط في ديجور من التوهّمات و الاحتمالات الدينية و التاريخية. و قد لا يصل بها إلى نتيجة يقينية. و ربما كان في تلك الطلول و الخرائب المتفرقة ما يكشف لنا عن تاريخ كربلاء القديم الغامض، و لكن في المستقبل.

ثم جاء في الدليل بعد ذلك قوله:

هذا معظم ما لهذه الأرض من قيمة تاريخية تحفظها لها أسفار التاريخ القديم. و قد حصل كثير من التغيير و التبديل في مجرى الفرات و تقسيمه لمدنه و قراه.

و قد يمكن ضبط تعيين مواقع المدن المشهورة التي أنشأها البابليون، و من جاء بعدهم بتتبع الآثار و الحفريات التي لها علائم تعرف بالقرينة، و لكن ذلك يحتاج إلى مجهود كبير و وقت طويل.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٥٣

كربلاء في التاريخ الحديث

أما كربلاء- اليوم- فتبعد عن بغداد ٧٤ ميلا، و تربطها بها سكة حديدية ثابتة.

و هي مدينة واسعة جالسة على ضفة ترعة (الحسينية) اليسرى يحيط بها شجر النخيل الوارف، و تحفها البساتين المحتوية على أشجار الفواكه الباسقة المختلفة الصنوف. و هي- الى ذلك- ذات جادات واسعة،

و مؤسسات فخمة، و اسواق منتظمة، و مبان عامرة، و رياض و غياض كثيرة.

و تقسم كربلاء- من حيث العمران- إلى قسمين. يسمى الأول (كربلاء القديمة) و هو الذي أقيم على أنقاض كربلاء العريقة في القدم و الشهيرة في التاريخ، و يدعى الثاني (كربلاء الجديدة) و هو الذي خطط في عهد ولاية المصلح الكبير مدحت باشا في عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٧ م).

و بنى- بعد عام ١٣٠٠ للهجرة- على طراز يختلف عن الطراز القديم.

الا انه تهدم معظمه- مع الأسف- حيث أقيم على أرض سبخة تنز فيها المياه، فتأكل أسس الجدران.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٥٤

ولهذا السبب؛ يحيط بكربلاء- إلى اليوم- مستنقع كبير هو علّه وجود أمراض مزمنة في هذه المدينة، تجعل الأهلين صفر الوجوه، هزيلي الأجسام، معرضين للأمراض المختلفة.

و مع ان الحكومة لا تزال تبذل همما محمودة في سبيل دفنه، فان خطره لا يزال يفعل فعله في الأهلين .

و يؤم كربلا- في كل عام- الألوف المؤلفة من الزائرين لضريح سيد الشهداء الحسين بن علي (عليهما السلام)؛ و لا سيما في أيام الزيارات المخصوصة. فان معدل عدد الزوار لها يبلغ ٠٠٠، ٢٥٠ نسمة في كل موسم.

و قد هجم الوهابيون على عهد الدولة العثمانية على هذه المدينة المقدسة في عام ١٢١٦ للهجرة (١٨٠١ م) و هدوا أركان الحضرتين (حضرة الحسين و حضرة العباس) و نهبوا ما في الحضرة الحسينية من نفائس و مجوهرات ثمينة. و تدل التقارير على ان كنوز هذه الحضرة من ائمن الكنوز رغم ما سلب منها.

و لما قتل (ع) في العاشر من محرم الحرام لسنة ٦١ هجرية (٦٨٠ م) دفن في الحائر- الذي أشرنا إليها آنفا- و ضريحه- اليوم- مقام وسط صحن عظيم تتلأأ فيه القبة مع مآذنتيها المغشاتين بالذهب الابريز فتشع هيبه و جلالا.

و قد أنفق على هذه التغطية السلطان ناصر الدين شاه في عام ١٢٧٣ هـ- ١٨٥٧ م كما هو مكتوب على حائط القبة بسطر من ذهب. و يبلغ ارتفاع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٥٥

القبة من أسفلها إلى أعلاها ١٥ مترا.

و لما كانت حضرة الحسين (ع) و ما يحيط بها لا تختلف عن حضرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) إلا من حيث المساحة و عدد الغرف في الصحن، و لما كنا و صفنا حضرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) و صحنه و قبه و ما شاكل ذلك؛ فقد اقتصرنا في هذا البحث على وصف ضريح الحسين (ع) فقط.

ضريح الحسين؛ عبارة عن مصطبة من الخشب المرصع بالعاج يعلوها مشبكان احدهما من الفولاذ الثمين- و هو الداخلي- و الآخر من الفضة الناصعة البياض- و هو الخارجي-.

و تعلق الضريح الأواني الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة. و في كل ركن من اركانها رمانة من الذهب الخالص، يبلغ قطرها قراب النصف متر.

و يتصل بهذا المشبك الخارجي مشبك آخر لا يختلف عنه بمزية من مزايه، و لا يوجد اي حاجز بينهما الا انه يقصر بـمتر واحد من كل من جانبيه.

و قد رقد تحته علي بن الحسين؛ الذي استشهد- مع أبيه في يوم واحد فدفن إلى جنبه (ع).

و أمام هذا المشبك ساحة مقدسة تضم مراقد الشهداء الذين استشهدوا مع الامام.

و في زاوية من هذه الساحة مشبك من الفضة يتصل بالحائط. و يعرف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٥٦

- أيضا- بمراقد الشهداء، الذين استسلموا في حومة الوغى معه (ع).

و في صحن الحسين مئذنة منفردة؛ يقال لها (منارة العبد) و هي مغشاة بالقاشاني الملون. و يروى عن سبب انشائها في هذا المحل المنعزل؛ ان زنجيا كان يسكن الصحن، و يكتسب كسبا ضعيفا، فاقصد على نفسه حتى جمع ثروة مكنته من تشييد هذا الأثر الخالد له

و على مسافة قصيرة من صحن الحسين؛ يشاهد ضريح العباس بن علي ابن ابي طالب المقتول مع أخيه الحسين في يوم واحد- و هو- أيضا- وسط صحن كبير، لا يقل عن بقية صحون الأئمة من حيث هندسة البناء و ضخامته، و كثرة المجوهرات و المرصعات التي اعتاد المسلمون ان يزینوا بها المراقد المقدسة.

و على بعد ثلاثة أميال من غربى كربلا، مرقد الحر بن يزيد الرياحي الزعيم العراقي، الذي جاهد مع الحسين- ضد جيش يزيد بن معاوية.

وقبره بديع؛ تعلوه قبة من القاشاني الملون. و يزوره اكثر الذين يزورون كربلا. كما يقصده أكثر الأهلين؛ للنزهة والرفاهة لما يحيط به من البساتين و الجنان

و على باب قبة القبر كتابة نصها: «قد عمر هذا المكان بهمة أفا حسين خان شجاع السلطان في محرم ١٤ سنة ١٣٢٥ هجرية».

و كان أول من أظهر و شاد هذا القبر الشاه اسماعيل الصفوي، يوم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٥٧

دخل بغداد، و حكمها.

و على مسافة سبعة أميال من شرقي كربلا- بينها و بين المسيب- تشاهد قبة مزينة بالقاشاني - أيضا- تلك هي قبة عون بن عبد الله بن جعفر الطيار؛ و أمه زينب بنت علي، و قيل الخوصاء. يقصده الزائرون لكربلا. في اكثر لأوقات للزيارة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٥٨

الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦

مرقد الحسين بن علي (ع): يقوم ضريح الحسين (عليه السلام) وسط صحن عظيم في كربلاء؛ تتلأأ فيه القبة الذهبية، مع منذنتيها الابريزيتين.

أما الصحن؛ فمن أفخم الجوامع في العراق.

مرقد العباس بن علي (ع): و هو- أيضا- وسط صحن عظيم في كربلاء، لا يقل عن بقيه صحن الأئمة- عليهم السلام- من حيث هندسة البناء، و ضخامته، و قببه، و مآذنه، و مجوهراته، و مرصعته.

مرقد الامام عون: يقع على بعد ثمانية أميال، من شرقي مدينة كربلاء .

الدليل العام لتسجيل النفوس العام لسنة ١٩٥٧

مدينة كربلاء (مركز لواء كربلاء و ناحية الحسينية).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٥٩

الحدود الإدارية:

شرقا: نهر بليبل، و نهر فرحه، و مقاطعة ٤٣ الحسينية.

غربا: مقاطعة ٢٢ الحسينية، و مقاطعة ١٥ الحسينية.

شمالا: مقاطعة ٧ السلالمه، و مقاطعة ١٩ الحسينية.

جنوبا: نهاية حدود مقاطعة ٦١ الجزيرة، و شابات المطار الجنوبية .

الدليل الجغرافي العراقي

مدينة كربلاء (مركز اللواء) نفوسها (٦٠٨٠٤) نسمة. تقع على الضفة اليسرى لجدول الحسينية على مسافة ١٠٤ كيلومترات من بغداد؛ تقطع بالسيارة على جادة مبلطة. و طريقها يتفرع من طريق بغداد- الحلة العام، فيتجه إلى المسيب، حيث يعبر نهر الفرات، على جسر حديدي.

و قبل وصوله المدينة بقليل يدخل منطقة البساتين، فيسير محاذيا لجدول الحسينية، حتى يدخل المدينة.

و مدينة كربلاء؛ مدينة إسلامية، مقدسة، عريقة في القدم. تحيط بها البساتين الكثيفة؛ ذات أشجار الفواكه و النخيل. كان قد وسعها السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م)، ثم خططت من جديد، في ولاية مدحت باشا عام ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) و بعد الحرب العالمية الأولى - أنشئت فيها مبان عصريه، و شوارع عريضة،
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٦٠
و جففت اراضيها بانشاء مبزل لسحب المياه.
و في كربلاء؛ مرقد الحسين (ع) الذي استشهد في اليوم العاشر من المحرم، عام ٦١ هـ.
و الضريح مقام في وسط صحن واسع، فوقه قبة مغطاة بالذهب؛ ارتفاعها ٣٥ مترا. و في ركنيها مئذنتان مطليتان بالذهب - أيضا.
و قد جدد السلطان سليمان القانوني القبة مع مئذنتيها أثناء زيارته كربلاء عام ٩٤١ هـ.
و إلى جانب مرقد الحسين (ع) دفن ابنه علي - الذي قتل معه.
و على مسافة قليلة من غربى الصحن الحسيني مرقد أخيه العباس. و فوقه قبة من القاشاني الملون. و في جانبيها مئذنتان مطليتان بالذهب. و على بعد سبعة كيلومترات من كربلاء غربا- يقع قبر الحر بن يزيد، و كان قد استشهد مع الحسين (ع) و دفن حيث قتل.
و إلى الشرق من المدينة- على بعد ١٢ كيلومترا منها- يقع مرقد عون ابن عبد الله بن جعفر؛ و امه زينب بنت علي (ع). و كان عون قد قتل في هذا الموقع فدفن فيه.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٦١

أهم المصادر التي اعتمدها الكاتب

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- وسائل الشيعة.
- ٣- كامل الزيارات.
- ٤- بحار الأنوار.
- ٥- تاريخ الرسل و الملوك.
- ٦- المنتخب.
- ٧- المنتظم في تاريخ الملوك و الامم.
- ٨- الكامل في التاريخ.
- ٩- الجامع المختصر.
- ١٠- مختصر أخبار الخلفاء.
- ١١- الحوادث الجامعة.
- ١٢- منتخب المختار.
- ١٣- الفخرى لابن الطقطقى.
- ١٤- تاريخ العراق بين احتلالين.
- ١٥- فضولى البغدادى.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٦٢
- ١٦- سمير الليالى.

١٧- الثمار الشهية في جغرافية المملكة العثمانية.

١٨- جغرافية العراق الثانوية.

١٩- كتاب الاشارات إلى معرفة الزيارات.

٢٠- رحلة ابن بطوطة.

٢١- نزهة الجليس و منية الاديب الانيس.

٢٢- كتاب نشق الأزهار في عجائب الأمصار.

٢٣- رحلة المنشيء البغدادى.

٢٤- رحلات عبد الوهاب عزام.

٢٥- دليل المملكة العراقية.

٢٦- الدليل العراقى الرسمى.

٢٧- الدليل العام لتسجيل النفوس.

٢٨- الدليل الجغرافى العراقى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٦٣

مقتطفات عابرة مما ورد في المظان التاريخية والأدبية العامة عن كربلاء كتبه الدكتور صفاء خلوصى

إشارة

خريج جامعه لندن و الأستاذ بكلية التربية من جامعه بغداد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٦٥

كلمة

لم تشتهر مدينة في تاريخ العتبات المقدسة شهرة كربلاء فهي خالدة في تاريخنا السياسى و الأدبى، و هى الركيزة التى تدور حولها طائفة من القصص و القصائد التى تعرف «بأدب الطف» و تبدأ القصة بسنة ٦٠ هـ عندما مات معاوية و تولى ابنه يزيد الحكم فأصبحت الخلافة (الشوروية) ملكا (كسرويا) و هنا ظهرت المعارضة و كان على رأسها الحسين بن على الذى ابى ان يرضخ لغير الحق، و العدل، و شرعة الاسلام، و شايعة فى ذلك فريق من اهل الورع الذين اعتبروا البيعة ليزيد انتهاكا لحرمت الدين الحنيف، فلما طولب الحسين بمبايعة يزيد اخذ سمته الى مكة و كان هذا ايدانا منه برفض البيعة و البدء بصراع عنيف ضد الجور و الخروج على النهج اللاحب للاسلام، و كان معظم أنصار الحسين فى الكوفة فكاتبوه و توسلوا اليه للقدوم إلى الكوفة لمبايعته و استرداد حق ابيه السليب ففعل، و لكنه ما كاد يقترب من الكوفة حتى شعر بصدق ما قاله الفرزدق: بأن قلوبهم معه، و لكن سيوفهم مع بنى أمية، و كانت النتيجة أن بعث عبيد الله بن زياد عامل الامويين على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٦٦

الكوفة يومذاك بجند لمحاربتة و انتهى القتال غير المتكافىء بمصرع الحسين فى العاشر من محرم الحرام سنة ٦١ هـ؛ كما قد يرى القارىء فى مكان آخر من هذا الجزء؛ و من يومها غدت كربلاء نقطة تحول عظيمة فى تاريخ الاسلام و المسلمين؛ فلنقتطف إذن بعض ما تذكره المصادر و المظان على سبيل النموذج عن هذه المدينة التى يدل جزء اسمها على انها كانت كرباء، و بلاء بحق لا مريه

فيه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٦٧

معجم البلدان

يقول ياقوت الحموي- المتوفى سنة ٦٢٦ في «معجم البلدان»، مادة «كربلاء»: (كربلاء) بالمد و هو الموضوع الذى قتل فيه الحسين بن على رضى الله عنه فى طرف البرية عند الكوفة ...

كربلاء فى كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى

ورد ذكر كربلاء فى هذا الكتاب و هو من تراث القرن الرابع للهجرة- العاشر للميلاد (اذ ولد المقدسى سنة ٣٣٥ هـ - ٩٤٦ م و وضع كتابه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٦٨

هذا سنة ٣٧٥ هـ) و هو حين يذكر المشاهد فى العراق يقول «و المشاهد به كثيرة بكونا ولد ابراهيم، و أوقدت ناره، و بالكوفة بنى نوح سفينته و فار تنوره، و ثم آثارات سيدنا على و قبره؛ و قبر سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنهما بكربلا. خلف قصر ابن هبيرة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٦٩

كربلا فى كتب التاريخ العام

المسعودى و كربلاء

فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له: اين تريد يا ابن رسول الله؟ قال: اريد هذا المصر، فعرفه بقتل مسلم و ما كان من خبره، ثم قال: ارجع فانى لم ادع خلفى خيرا ارجوه لك، فهم بالرجوع فقال له اخوة مسلم: «و الله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا او نقتل كلنا، فقال الحسين: لا خير فى الحياة بعدكم، ثم سار حتى لقي خيل عبيد الله بن زياد عليها عمرو بن سعد بن ابى وقاص، فعدل إلى كربلاء- و هو فى مقدار خمسمائة فارس من اهل بيته و أصحابه نحو مائة رجل.

*** و لما قتل الحسين بن على رضى الله عنهما بكربلاء و حمل رأسه ابن زياد إلى يزيد خرجت بنت عقيل بن أبى طالب فى نساء من قومها حواسر حائرات لما قد ورد عليهن من قتل السادات، و هى تقول (من البسيط):

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٧٠ ماذا تقولون إن قال النبى لكم: ماذا فعلتم و أنتم آخر الأمم؟

بعترتى و بأهلى بعد مفتقدى نصف أسارى و نصف ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم أن تخلفونى بشر فى ذوى رحمى

*** و تتبع (المختار) قتله الحسين فقتلهم: قتل عمرو بن سعد بن ابى وقاص الزهرى، و هو الذى تولى حرب الحسين يوم كربلاء و قتله و من معه، فزاد ميل أهل الكوفة إليه و محبتهم له .

*** و كان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر و حاربه و تولى قتله من أهل الكوفة خاصة، لم يحضرهم شامى، و كان جميع من قتل مع الحسين فى يوم عاشوراء بكربلاء سبعة و ثمانين، منهم ابنه على بن الحسين الأكبر .

و وردت «كربلاء» ايضا فى المسعودى باسم «الطف» فكان مما قاله:

و فى قتيل «الطف» يقول سليمان بن قتة يرثيه على ما ذكره الزبير بن بكار فى كتاب «انساب قريش» من ابيات (من الطويل):

فان قتيل الطفّ من آل هاشم أذلّ رقابا من قريش فذلت

و ذكر «الطفوف» في حديثه عن الفرات اذ قال:

و اما الفرات فمبدؤه من بلاد قاليقلا من ثغور ارمينية ... ثم ينتهي الى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٧١

بالس و يمر بصفّين موضع حرب اهل العراق و أهل الشام ... و ينتهي الفرات إلى بلاد سوري، و قصر ابن هبيرة، و الكوفة، و الجامعين و أحمدآباد، و الفرس، و الطفوف .

و يقول في فصل خاص ب «ذكر ملوك الطوائف»: «اول ملوك الدنيا الاسكيا». و كانوا من ملوك الطوائف، و كانوا بأرض العراق مما يلي قصر ابن هبيرة و سقى الفرات و الجامعين و سورا و احمدآباد و النرس الى خبا و تل فحار و الطفوف و سائر ذلك الصقع .

كربلاء في «التنبيه و الاشراف» للمسعودي (ص ٢٦٣)

و دفن (الحسين بن علي) بكربلاء من ارض العراق و له سبع و خمسون سنة، و قتل معه من ولد ابيه ستة و هم العباس و جعفر و عثمان و محمد الاصغر و عبد الله و ابو بكر.

ابن الأثير و الطف

و اورد ابن الاثير لفظه «الطفّ» في بيت من الابيات التي نقلها في مجموعة حوادث سنة ٦١ ه التي نقلها بالحرف الواحد من تاريخ الطبرى و البيت من الطويل:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٧٢ لهم يجنب الطفّ ادنى قرابه من ابن زياد العبد ذى الحسب الوعل

كربلاء في (الفخرى) لابن الطقطقى

و لعل اكثر المؤرخين استفظاعا لمأساة الحسين هو محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى فقد كتب في كتابه «الفخرى في الآداب السلطانية و الدول الاسلامية» بأسلوب قوى عنيف جوانب من هذه الفاجعة فقال:

«هذه القضية لا احب بسط القول فيها استعظاما لها و استفظاعا، فانها قضية لم يجر في الاسلام اعظم فحشا منها؛ و لعمري ان قتل امير المؤمنين عليه السلام هو الطامة الكبرى؛ و لكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع و السبى او التمثيل ما تقشعر له الجلود، و اكتفيت ايضا عن بسط القول فيها بشهرتها فانها اشهر الطامات» ثم يسرد القصة بايجاز و لم يذكر كربلاء بل اكتفى بالقول: «فلما قرب من الكوفة علم بالحال و لقيه ناس فأخبروه بالخبر (اي مصرع مسلم بن عقيل و هانىء بن عروة) و حذروه فلم يرجع، و صمم على الوصول إلى الكوفة لامر هو اعلم به من الناس». ا ه

ابن عماد الحنبلى و كربلاء

و اورد اخبار كربلاء المؤرخ الفقيه ابو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى المتوفى سنة ١٠٩٨ ه في كتابه «شذرات الذهب في اخبار من ذهب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٧٣

في اخبار سنة احدى و ستين اذ قال: «استشهد فيها في يوم عاشوراء ابو عبد الله الحسين بن علي بن ابى طالب سبط رسول الله (ص) و

ريحانته بكر بلاء عن ست و خمسين سنة و من اسباب ذلك انه كان قد ابى من البيعة ليزيد بايع له ابوه الناس رابع اربعة عبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير و عبد الرحمن ابن ابى بكر فلما مات معاوية جاءت كتب أهل العراق إلى الحسين يسألونه القدوم عليهم فسار بجميع أهله حتى بلغ كربلاء موضعا بقرب الكوفة فعرض له عبيد الله بن زياد فقتلوه ... و اتفقوا على قتله يوم عاشوراء قيل يوم الجمعة و قيل السبت و قيل الأحد بموضع يقال له الطف و قتل معه إثنان و ثمانون رجلا».

كربلاء فى التوفيقات الالهاميه تأليف محمد مختار

جاء فى محرم (الاربعاء) ٦١ هـ الموافق لسنة ٣٩٧ قبطية و سنة ٦٨٠ ميلادية (١٠ تشرين الأول) ما يلى:
«فى ١٠ منه (اى محرم) كانت واقعة كربلاء قتل فيها سيدنا الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما، قتله الشمر بن ذى الجوشن و قتل معه من اخوته لابييه جعفر و عتيق و محمد و العباس الأ-كبر بنو على و ابن الحسين الأ-كبر المسمى عليا و هو غير على زين العابدين و غيرهم».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٧٤

كربلاء فى المراجع العراقية المتأخرة

دوحة الوزراء للشيخ رسول حاوى الكركولى

فى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة (١٢١٦ هـ - ١٨٠١ م) ظهر وباء الطاعون فى مدينه بغداد، و بدأ ينتشر و يسرى إلى ضواحيها و اطرافها، مما اضطر الوزير سليمان باشا إلى الهروب نحو مدينه الخالص و المكوث فيها ريشما ينجلي كابوس الطاعون عن بغداد.
و فى هذه الاثناء ورد اليه كتاب من حمود الثامر شيخ عشائر المنتفك يخبره ان (سعود بن عبد العزيز) و جموعا غفيرة من الوهابيين قد انحدروا نحو العراق، فأصدر امره الى على باشا بالسفر لصد غاراتهم، و نزولا على امر الوزير تحرك الموما اليه الى الدورة، و انتظر هناك ريشما التحقت به القوات المطلوبة كما التحقت به بعض العشائر.

و بينما كان يزعم مواصلة السفر وردت الانباء بأن الوهابيين هجموا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٧٥

على كربلاء و استولوا على مرافقها و نهبوا و قتلوا منها حوالى الألف نفس، فأوفد على باشا محمد بك الشاوى إلى الوزير ليخبره بهذه الحادثة، ثم سافر مسرعا نحو كربلاء على أمل أن يظفر بالوهابيين و ينتقم منهم، و ينقذ البلدة من قبضتهم.

الا- ان الاخبار وردته و هو حينئذ فى الحلة بأن الوهابيين بعد ما نهبوا و قتلوا خرجوا قبيل العصر نحو الاخضر، فتوقف على باشا فى الحلة لاسباب اضطرته الى هذا التوقف، و لعدم بقاء ما يدعو للسفر إلى كربلاء بعد هروب الوهابيين منها.

*** و من جهة أخرى وردت الاخبار بأن الطاعون اخذ يفتك بسكان بغداد فتكا ذريعا ... و هذه الاخبار المحزنة، قد اقلقت الحملة و اعدتها عن تنفيذ مهمتها، فاكتمى على باشا بارسال بعض القوات إلى كربلاء من باب الاحتياط، و قد التحق بهذه القوات متصرف بابان ابراهيم باشا و اتباعه أيضا.

هذا و قد نقلوا خزينة النجف الاشرف خوفا عليها من غارات الوهابيين و ضموها إلى خزينة موسى الكاظم رضى الله عنه.

*** و بعد مكوث على باشا فى الهنديه حوالى الشهرين و نصف الشهر وردته التعليمات بوجوب تقسيم القوات التى تحت ادارته و قيادته الى عدة اقسام، يقيم قسم منها فى ذى الكفل، و قسم فى كربلاء، و قسم فى الحلة و ان يتخذوا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٧٦

التحصينات في هذه الامكنة ثم يعود إلى بغداد، وقد فعل ما أمر به.

حديقة الزوراء للسويدي

ويحتل ذكر المراقد الشريفة، وبينها كربلاء إلى جانب مكانها في الكتب القديمة مكانا في كتب تاريخ العراق في العصور المتأخرة و من ذلك ما أورده عبد الرحمن السويدي (١٧٢٢-١٨٠٥ م) في كتاب: «حديقة الزوراء في سيرة الوزراء» اذ قال في فصل بيان زيارات الوالي حسن باشا لمشاهد الصلحاء و مراقد الشهداء الاولياء: «و في شوال هذه السنة (١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م) رفع اللواء بالمسير إلى كربلاء لزيارة سيد الشهداء، و إمام الصلحاء، و قرّة عين اهل السنّة، و سيد شباب اهل الجنة، ابي عبد الله الحسين، رضى الله عنه، و الى زيارة الليث الجسور و الشجاع الغيور، قاطع الانفاس، من كل ضال كالخناس، أبي الفضل العباس، فدخل كربلاء وزار أصحاب العباء و اطلقت المباخر، و ظهرت المفاجر، فأجزل على خدامها، و اجمل في فقرائها، و دعا بحصول المراد، و زوال الانكاد، و دعى له بما يروم، و أنجح سعيه بالقدوم؛ و بقي يوما واحدا لضيق القصبه باحزابه و أعوانه و أصحابه، ثم ارتحل قاصدا ارض الغرى و النجف» اه. و في هذه السنة (١١٥٣ هـ) ارسل نادر شاه .. مع رسول من خاناته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٧٧

و سفير من أصحابه و اغواته ... الى سيدنا امير المؤمنين على بن ابي طالب و ولده الحسين و إلى موسى الكاظم رضى الله عنهم دراهم لا تعد و لا تحصى

و في السنة الرابعة و الخمسين بعد المائة و الالف و عرت المسالك و خوّف منها السالك و ذلك ان رجالا تغصب من المارة أثقالهم و تأخذ أحمالهم و لم يعرفهم من اى قبيلة فيشكونهم إلى الوزير فيعاملهم بسوء الكيلة و لما كثر هذا الاختلال و دامت الطرق على هذا الحال أخبر الوزير بذلك فأرسل عيوننا و فرقهم في البوادي و القرى كى يستخبروا عن اولئك الارجاس فيريح بابادتهم الورى فبعد أيام قلائل جاءته العيون و اخبروه بأن هؤلاء الذين يقطعون السبل من عشائر متفرقة و قبائل غير متفقة قد حالفوا اهل القرى على ان يعطوهم مما ينهبونه و يواسوهم فيما يأخذونه على ان يؤوهم نهارا و لا- يذيعوا لهم اسرارا فحين سمع الدستور الغيور الشجاع الجسور بفعل أهل المخاليف و الضياع من ايوائهم اهل الفساد و مشاركتهم لهم في نهب المتاع ارسل سرّيه سرّيه و كتيبه عنترية مؤمرا عليها كتخدها سليمان باشا الى أولئك الارجاس على شرط ان يخدموا منهم الانفاس و يأخذوا الاموال و يتركوهم فى اسوأ حال، و لما خرج العسكر من بغداد فرقه أمير السريّة فى الاغوار و الانجاد و ارسل كل فرقة منهم الى قرية و اوصى كلا منهم ان يرى فى القتل و النهب رايه فنهبوا جميع القرى التى فى الجانب الغربى ما عدا الحلة و الغرى و كربلاء، و لكنهم نهبوا ما حولها من أخبية الاعراب .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٧٨

و يبدو ان عبد الله السويدي والد عبد الرحمن السويدي مؤلف كتاب «حديقة الزوراء» أصبح سنة ١١٤٥ هـ بأمر من الوالى أحمد باشا «مفتيا فى قصبتى المشهدين الشريفين مشهد الامام على بن ابي طالب و مشهد ولده الحسين رضى الله عنهما» و يروى كيف ان حصار نادر شاه لمدينة بغداد لم يبق عندهم غير ثلاث و زنات من الحنطة و يمضى ليقول: «فعملنا من تلك الحنطة متاعا و اعطينا الباقي لبعض أقاربنا و خرجنا إلى المرقدين المذكورين، ثم إننا لم نزل هناك مسرورين بقرب اولئك الأكابر، مغبوطين باولى الشرف الظاهر، فيينا نحن فى السرور و الفرح، و زوال الشرور و الترح و اذا بالخبر قد جاءنا من بغداد بأن الخارجى الخبيث قد عاد، فهرب والدى مع عسكر حمله ابن ديبس و مع متولى قصبه الحسين الى الموصل على طريق شفاثة و اودعنى و اودع سائر أهلى و اقاربى عند بعض السادة ...

و لساداتهم شيمه حسنة و اخلاق مستحسنة.»

كربلا في موجز تاريخ البلدان العراقية

و خلاصة ما ورد فيه عنها:

ان لواء كربلاء من بين اللوئية العراقية التي تمتاز بقدسيتهما و هو منحصر بين الوية الحلة و الدليم و الديوانية ... و قاعدة لواء كربلا اليوم مدينة كربلاء المشهورة في التاريخين: التاريخ القديم و التاريخ الحديث، و هي بلدة عرفت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٧٩

بهذا الاسم قبل الاسلام بزمن بعيد، بل الظاهر من الاخبار الدينية المتواترة ان هذا الاسم لهذه البقعة يرتقى إلى زمن آدم ابي البشر كما تؤيد ذلك اخبار الطوفان و غيرها ... و يحتمل ان تكون لفظه كربلا منحوتة من «كوربابل» العربية بمعنى مجموعة قرى بابلية كثيرة: منها نينوى القريبة من اراضى سدة الهندية و منها الغاضرية المشهورة بأراضى الحسينية او كربله- بتفخيم اللام- و هي القريبة من مدينة كربلا شرقا و جنوبا؛ ثم كربلا او عقر بابل و هي قرية في الشمال الغربي من الغاضرية و بأطلالها اثريات مهمة ثم النواويس التي كانت مقبرة عامة قبل الفتح الاسلامي ثم الحير و يقال لها الحاير، و في الروايات الروحية التخيرية بين القصر و التمام ان الحائر اسم لموضع فيه قبر الحسين (ع) و قد اختلف لسانها في تحديده، و هي اليوم موضع قبر الحسين (ع) الى رواق بقعته الشريفة او الى حدود الصحن الشريف و غير ذلك من القرى الكثيرة .

و يرى بعضهم ان اسم كربلا مركب من «كرب» اي حرم و (ايل) اي «الله» و معناهما «حرم الله» و هو لفظ آشوري يدل على ان هناك منسكا يسمى «حرم الله» و هذا و هم ظاهر.

و قرأت في رسالة مخطوطة للسيد الصدر احتمال كون كلمة «كربلا» مشتقة من الكربة بمعنى الرخاوة و لما كانت ارض هذا الموضع رخوة سميت كربلا- او من النقاوة من كربت الحنطة اذا هزيتها و نقيتها و لما كانت هذه الأرض منقاة من الحصى و الدغل سميت كربلا او ان اكربل نبت الحماض كان كثيرا نبتة في هذه الارض فسميت به و الا ظهر من هذه الوجوه الثاني

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٨٠

و الاوسط» اه.

و قد روى ان الحسين (ع) لما انتهى إلى كربلا و احاطت به خيل عبد الله ابن زياد قال: «ما اسم تلك القرية و اشار الى العقر فقيل له اسمها العقر فقال: نعوذ بالله من العقر، فما اسم هذه الارض التي نحن فيها قالوا:

كربلا فقال (ع) ارض كرب و بلاء و اراد الخروج منها فمنع حتى كان ما كان و قد سبق ان نزلها ابوه الامام علي بن ابي طالب (ع) في سفره إلى حرب صفين و شوهد فيها متأملا في ما بها من اطلال و آثار فسئل عن السبب فقال ان لهذه الأرض شأنًا عظيما فيها هنا محط ركابهم و ها هنا مهراق دمائهم، فسئل في ذلك فقال: «ثقل لآل محمد ينزلون ههنا» .

اما كربلا اليوم فتبعد عن بغداد ٧٤ ميلا و تربطها بها سكة حديد ثابتة و هي مدينة واسعة على ضفة ترعة «الحسينية» اليسرى يحيط بها شجر النخيل الوارف و بساتين أشجار الفواكه الباسقة المختلفة الصنوف.

و تقسم كربلا- من حيث العمران إلى قسمين يسمى الاول «كربلا- القديمة» و هو الذى اقيم على انقاض كربلا العريقة في القدم و الشهيرة في التاريخ و يدعى الثاني «كربلا الجديدة» و هو الذى خطط في عهد ولاية المصلح الكبير مدحت باشا في عام ١٢٨٥ هـ- ١٨٦٨ م و بنى بعد عام ١٣٠٠ هـ على طراز يختلف عن الطراز القديم الا انه تهدم معظمه- مع الاسف- حيث اقيم على ارض سبخة تنز

فيها المياه فتأكل اسس الجدران و لهذا السبب يحيط بكربلا إلى اليوم مستنقع كبير ... و يبلغ معدل عدد الزوار لها ٢٥٠,٠٠٠

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٨١

نسمه في كل موسم.

وقد هجم الوهابيون على هذه المدينة المقدسة عام ١٢١٦ هـ - ١٨٠١ م وهدموا اركان الحضرتين (حضرة الحسين و حضرة العباس) و نهبوا ما فى الحضرة الحسينية من نفائس و مجوهرات ثمينة، و تدل التقارير على ان كنوز هذه الحضرة من ائمن الكنوز رغم ما سلبه الغزاة منها ..

و ضريح الحسين اليوم مقام وسط صحن عظيم تتلأأ فيه القبّة مع منذنتيها المغشّاتين بالذهب الابريز فتشع هيبه و جلالا و قد انفق على هذه التغطية السلطان ناصر الدين شاه فى عام ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٦ م كما هو مكتوب على حائط القبّة بسطر من ذهب و يبلغ ارتفاع القبّة من أسفلها الى اعلاها ١٥ مترا.

و يرتقى تاريخ تأسيس الحضرة الى ايام قتل الحسين (ع) فقد جاء فى كامل الزيارة لابن قولويه - و هو من الكتب الخطية النفيسة - ما نصه:

«ان الذين دفنوا الحسين اقاموا رسما لقبره و نصبوا علما له و بناء لا يدرس اثره؛ و لعل المراد بقوله: ان الذين دفنوه بنو أسد، و قد خرب هذه البناية هارون الرشيد بدليل ما جاء فى كتاب «تسليّة الجالس و زينته المجالس» لمحمد بن أبى طالب - و هو من الكتب الخطية - و هذا نصه: «و كان قد بنى عليه مسجد و لم يزل كذلك بعد بنى امية، و فى زمن بنى العباس، إلا على زمن الرشيد، فانه خربه و قطع الصدره التى كانت نابتة عنده و كرب موضع القبر ثم أعيد على زمن المأمون و غيره الى ان حكم المتوكل فأمر بتخريب قبر الحسين و قبور أصحابه و كرب مواضعها و أجرى الماء عليها إلى ان قتل المتوكل و قام بالامر بعده ابنه المنتصر فعطف على آل ابى طالب و أحسن اليهم و فرق فيهم الأموال و اعاد القبور فى ايامه» و قد تهدمت بناية المنتصر هذه فى عام ٢٧٣ هـ - ٨٨٦ م كما فى آمال الاخطار للسيد ابن طاووس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٨٢

فقام صاحب طبرستان محمد بن زيد الراعى وجدد العمارة خلال المدة التى حكم فيها المعتضد و هى من عام ٢٧٩ الى ٢٨٩ هـ كما فى (فرحة الغرى) ثم جدد البناء عضد الدولة البويهى فاحترقت عمارته فى ١٤ ربيع الاول من سنة ٤٠٧ هـ - ١٠١٦ م فقام وزير الدولة الديلمى الحسن بن اسماعيل و جددها اما العمارة الموجودة الآن فقد شيدت فى عام ٧٦٧ هـ - ١٣٦٥ م كما هو مسطور فوق المحراب مما يلى الرأس فراجع.

و ضريح الحسين عبارة عن مصطبة من الخشب المرصع بالعاج يعلوها مشبكان احدهما من الفولاذ الثمين و هو الداخلى و الآخر من الفضه الناصعة البياض و هو الخارجى و تعلو الضريح الاوانى الذهبية المرصعة بالاحجار الكريمة و فى كل ركن من اركانه رمانة من الذهب الخالص يبلغ قطرها قرابة النصف متر.

و يتصل بهذا المشبك الخارجى، مشبك آخر لا يختلف عنه بمزيه من مزايه و لا يوجد أى حاجز بينهما الا انه يقصر بـ متر واحد من كل جانبيه

و قد رقد تحته على بن الحسين الذى استشهد مع ابيه فى يوم واحد فدفن إلى جنبه (ع).

و امام هذا المشبك ساحة مقدسة عند الشيعة لا يطأها أحد بقدميه لانهم يعتقدون بأنها مراقد الشهداء الذين استشهدوا مع الامام و فى زاوية من هذه الساحة مشبك من الفضه يتصل بالحائط و يعرف بمراقد الشهداء الذين استبسوا فى حومه الوغى معه (ع) أيضا.

و فى صحن الحسين مأذنة منفردة يقال لها منارة العبد و هى مغشاء بالقاشانى الملون و يروى عن سبب إنشائها فى هذا المحل المنعزل ان زنجيا كان يسكن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٨٣

الصحن و يكتسب كسبا ضعيفا فاقصد على نفسه حتى جمع ثروة مكنته من تشييد هذا الاثر الخالد له.

و على مسافة قصيرة من صحن الحسين يشاهد ضريح العباس بن على بن ابى طالب المقتول مع أخيه الحسين فى يوم واحد، و هو ايضا

وسط صحن كبير لا- يقل عن بقية صحن الائمة من حيث هندسة البناء و ضخامته و كثرة المجوهرات و المرصعات التي اعتاد المسلمون ان يزینوا بها المراقد المقدسة.

و على بعد ثلاثة أميال من غربی كربلا، مرقد الحر بن یزید الریاحی الزعیم العراقی الذی جاهد مع الحسین ضد جيش یزید بن معاویة و قبره بديع تعلوه قبة من القاشانی الملون و یزوره اکثر الذین یزورون كربلا كما یقصدہ أكثر الأهلین للنزهة و الرفاهة لما یحیط به من البساتین و الجنان و على باب قبة القبر كتابة نصها: (قد عمر هذا المكان بهمة أقا حسین خان شجاع السلطان فی محرم ١٤ سنة ٣٢٥ هـ) و كان اول من اظهر و شید هذا القبر الشاه اسماعیل الصفوی يوم دخل بغداد و حکمها.

و على مسافة سبعة أميال من شرقی كربلا، بینها و بین المسیب، تشهد قبة مزينة بالقاشانی ایضا تلك هی قبة عون بن عبد الله بن جعفر الطیار و امه زینب بنت علی (ع) و قبل الحفصاء یقصدہ الزائرون لكربلا فی اکثر الاوقات للزيارة و الثواب .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٨٤

كربلا فی المحاضرات من الاحتلال حتى الاستقلال لعبد الرحمن البزاز

یذكر المؤلف فی فصل الثورة العراقیة (ص ٢٩):

«و كان الحکام السیاسیون و معاونوهم فی الاقضية یتبعون سیاسة العنف ذاتها المتبعة فی بغداد؛ و تجلی ذلك فی كربلا و الحلّة و الدیوانیة و قبل ذلك اتبعت سیاسة القمع فی النجف».

و یتعرض میادین الثورة و عندما یتحدث عن «میدان الفرات» یقول:

«كانت مدینتنا النجف و كربلا- و هما المراكز الدینیان العظیمان فی العراق- قد اصبحتا من المراكز الاساسیة للشعور الوطنی و الحركة القومیة فی العراق.» (ص ٣٢).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٨٥

و فی مدینة كربلا كان شعور القلق و روح التحفز بادیة، و خاصة بعد ان نفت السلطات البریطانیة اثنی عشر شخصا من بینهم الشیخ محمد رضا نجل المجتهد الکبیر الشیرازی و قد نقل أولئك الاشخاص الی الحلّة و منها الی البصرة ثم الی جزیرة «هنجام» فی الخلیج؛ و بعد مراسلات طویلة بین بعض المجتهدین و السلطات البریطانیة كان الغرض منها حمل البریطانیین علی الرجوع عن سیاستهم التعسفیة، و التسلیم بحقوق العراقیین، نجد ان الشیخ الشیرازی قد افتی فتواه المشهورة التي نصت علی ان «مطالبه الحقوق واجبة علی العراقیین، و یجب علیهم ضمن مطالباتهم رعاية السلم و الامن» و یجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعیة اذا امتنع الانکلیز عن قبول مطالبهم.

و قد كان لهذه الفتوی اثرها فی نفوس أبناء القبائل خاصة، و كان رسل الثورة قد انتشروا فی الحاء الفرات الاوسط و اشاعوا مضمونها.» (ص ٣٣-٣٤).

و یعود ذکر كربلا مرة اخرى فی صدد كلامه عن «المیادین الاخری» اذ یقول:

«لم تقتصر الثورة علی الفرات و ان كان الفرات اعظم المیادین كما قلنا فقد استطاع دعاء الثورة فی بغداد و الکاظمیة و كربلا ان یثيروا الحماس ضد البریطانیین فقام نفر من شباب بغداد فی الثالث من شهر آب باشعال

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٨٦

النار فی مستودع الآلیة فأتلف جمیع الوقود و الذخیره و کاد هذا العمل یشل حركة النقلات البریطانیة فی جمیع انحاء العراق» (ص ٣٧).

و فی موضوع «اختیار الملك» و المرشحن للعرش الجدید یقول:

وقد رشح البعض «آغاخان» لعرش العراق، و هو ترشيح غريب فليس له رابطة دينية او جنسية مع العراق و العراقيين، و ليس له من الاتباع الا افراد، و ربما بعض الاقرباء الذين يسكنون كربلاء و بغداد (ص ٤٩).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٨٧

كربلاء في المراجع الاستشراقية تاريخ العرب الأدبي رينولد نكلسن

إشارة

من المحدثين الذين ذكروا «كربلاء» المستشرق رينولد نكلسن في كتابه «تاريخ العرب الأدبي». ففي الصفحة ١٩٦ يقول ما ترجمته:
ترعرع يزيد بدويا بكل غرائز و اذواق البدو- حب اللذة و كره التقى و عدم اكتراث استهتارى بقوانين الدين و قد تحدد مستهل حكمه بحادث قلما يتحدث عنه المسلمون حتى في الوقت الحاضر دون ان يشعروا بقشعريرة الفطاعة و الرعب، و هذه هي الحقائق باختصار: في خريف سنة ٦٨٠م غادر الحسين بن على مكة مع اسرته كافة و عدد من اصدقائه المخلصين، مدعيا بأحقية في الخلافة لانه سبط النبي (ص)، و قد اخذ سمته قاصدا الكوفة حيث كان يتوقع من اهليها الذين كانوا كلهم شيعة تقريبا ان ينصوا
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٨٨

تحت لوائه مؤيدين قضيته، غير انها كانت مخاطرة غير مأمونة؛ و كان الفرزدق الشاعر الذي يعرف طبيعة مواطنيه المتقلبة قد أخبر الحسين (ع) بأن قلوبهم معه و سيوفهم مع بنى أمية؛ غير ان تحذيره كان دون طائل و في الوقت ذاته بعث عبيد الله بن زياد عامل الكوفة الذي ارعب الثوار في المدينة بقطع رأس زعيمهم مسلم بن عقيل ابن عم الحسين (ع)، بعث بقوة من الفرسان لا يقاف زحف سيد الثائرين و كان مجال التراجع لا يزال مفتوحا أمامه غير ان اتباعه صرخوا ان لا بد من الثأر لدم مسلم فلم يسع الحسين (ع) ان يتردد فاتجه شمالا محاذيا الفرات و حط رحاله في كربلاء مع جماعته الصغيرة التي بلغت عدتها، بما فيها النساء و الاطفال، نحو من مائتي نسمة؛ و في هذا الموقف الذي لا رجاء فيه تقدم بعروض ربما كانت تقبل لو لم يقنع شمر بن ذى الجوشن، و هو اسم ملعون سىء الصيت الى الأبد، عبيد الله على الإصرار على التسليم بلا قيد أو شرط؛ فرفضت العروض وصف الحسين (ع) أصحابه- و هم زمرة صغيرة من الرجال و الصبيان- للمعركة ضد الجمع الحاشد الذي أحاط بهم.

ليس بمقدور جميع التفاصيل المرعبة التي انبثقت من الحزن و العاطفة العميقة ان تزيد من مأساة المشهد الأخير؛ و يبدو أن ضباط بنى أمية انفسهم أحجموا من ولوج بشاعة مجزرة عامة، و كانوا يأملون في أن يأخذوا سبط الرسول (ص) حيا؛ على ان الشمر لم يكن لديه أى تقييد أو تحرج من هذا النوع إذ غضب من التأخير و حث جنوده على الهجوم و سرعان ما انتهى الصراع غير المتكافئ: صرع الحسين (ع) و قد اخترقه سهم و قتل اشياعه الشجعان حوالياه عن آخرهم.

إن الروايات الاسلامية التي هي باستثناءات نادرة، معادية باتساق للأسرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٨٩

الاموية، يعتبرون الحسين (ع) شهيدا و يزيد قاتله ... و المسألة بالنسبة للمسلمين تقرره علاقة الامويين بالاسلام، فلا يمكنهم و قد خرقوا قوانينه و سخروا من مثله العليا، ان يكونوا غير طغاة و ما دامو طغاة فلا- يحق لهم قتل المؤمنين الذين يشقون عصا الطاعة في وجه سلطتهم الغاصبة! و عند التمهيص نجد ان ما يسمى بحكم التاريخ هو حكم الدين، و قضاء الاسلام الالهى، و على هذا الاساس فان الامويين قد ادنوا بحق .

و كان للامويين بالتأكيد سبب قوى لندمهم على يوم كربلاء، فقد منح الشيعة صرخة التجمع الا و هي: «الثأر للحسين!»- تلك الصرخة التي تلففتها جميع الجهات.

و اصبحت كربلاء بالنسبة للشيعة ما كانت عليه النهروان بالنسبة للخوارج و قد ذكرها الشاعر كثير عزة المتوفى سنة ١٠٥ هـ - ٧٢٣ م بقوله (من الوافر):

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
على و الثلاثة من بنيهم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبرو سبط غيبته كربلاء
و سبط لا تراه العين حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى عنهم زمانا برضوى عنده عسل و ماء
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٩٠

و خلال بضع سنوات من مصرع الحسين (ع) اصبح ضريحه في كربلاء محجا تشد اليه رحال الشيعة و عندما ثار (التوابون) سنة هـ - ٦٨٤ م قصدوها و رفعوا عقائرهم منتحيين بصوت واحد و بكوا و تضرعوا الى الله ان يغفر لهم لتكرهم لسبط الرسول (ص) في ساعة شدته و ضيقه و صاح زعيمهم: «رب ارحم الحسين، الشهيد بن الشهيد، المهدي بن المهدي، الصديق بن الصديق! رب! اشهد اننا اتباع دينهم و سبيلهم و اننا اعداء قاتليهم و احباء محبيهم». هنا تكمن نواة «التعازي» و المشاهد الدينية التي تمثل كل سنة في العاشر من محرم حيثما وجد الشيعة.

غير ان موسى الشيعة، الرجل الذي أراهم الطريق إلى النصر و لو انه لم يقدمهم اليه هو دون شك «المختار» .

و لقد أثر المصير المفجع للحسين في كربلاء على الشاعر الفرزدق تأثيرا عميقا فدعا مواطنيه ان يبرؤا ذمتهم كرجال فقال (من) فان غضبت العرب لابن سيدها و خيرها فاعلموا انه سيدوم عزها و تبقى هيبته و ان صبرت عليه و لم تتغير لم يزلها الله إلا ذلا الى آخر الدهر و انشد في ذلك:

فان انتم لم تتأروا لابن خيركم فالقوا السلاح و اغزلوا بالمغازل
و قد تقلبت الأحداث على كربلاء ... ففي سنة ١٨٠١ م نهب الوهابيون
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٩١

مشهد الامام الحسين (ع) و هو المكان الذي يعرف عادة بكربلاء أو مشهد الحسين ... المدينة القريبة من بغداد؛ فقتلوا خمسة آلاف شخص و حطموا قبة ضريح الحسين (ع) فتقديس جميع الشيعة لذلك الضريح كما يقول بركهارت Burckhardt كان سببا كافيا لاثارة غيظ الوهابيين ضده .

و قد أشار إلى ذلك الشيخ رسول حاوي الكركوكلي في كتابه: «دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد و الزوراء» تحت عنوان «ظهور و باء الطاعون و خروج الوزير من بغداد و هجوم الوهابيين على كربلاء»

كربلاء في «بلاد العرب» لمؤلفه دي جي هوكارث «By D.G. Hogarth Arabia»

و عندما تبعه «الضمير يعود على الامام علي (ع)» ولداه الحسن و الحسين في ظرف عشرين عاما الى القبر بالعنف بالنسبة لاحدهم ان لم يكن بالنسبة لكليهما دون ان يتمتع اي منهما بحقه، كان عبادة الاسرة كمجموعة ابطال امرا لا- مناص منه و قد دلت صفوف الحجاج التي تحج إلى مشهد علي في النجف و مشهد الحسين في كربلاء و العواطف التي ما تزال تؤججها التشابه في العاشر من محرم في العالم الاسلامي بأسره- كل هذه المظاهر استمرت لتدل على ان الموت ينفع القديس اكثر من كل ايام حياته مجتمعة (ص ٧٥).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٩٢

اما في الصفحة ١٠٢ من الكتاب ذاته فيشير المؤلف إلى هجمات الوهابية على كربلاء.

كربلاء في كتاب «الاسلام في القرون الوسطى» MEDIEVAL ISLAM A Study in Cultural Orientation لغوستاف فون كرونه باوم

ورد ذكر كربلاء في هذا الكتاب في الصفحتين ١٩١ و ١٩٣. إذ جاء في الصفحة ١٩١ ان ابن علي و حفيد الرسول (ص) قتل سنة ٦٨٠ م في كربلاء نتيجة ثورة غير موفقة ... و قد اقتبس فون كرونه باوم صفحة من كتاب مسرحية الخوارق عن الحسن و الحسين The Miracle Play of Hasan and Husain (لندن ١٨٧٩) ج ٢ ص ١٠١-١٠٢ تأليف السر. ل. پلي L.Pelly. حيث يصف الشمر نفسه و انه ما ولدته امه الا لقتل الحسين (ع) و يعلق فون كرونه باوم قائلاً: «بهذه الصورة اعيد تفسير حادث كربلاء كفضية ذات خطورة كونية و كمسرحية تذكرنا بعنف و قوة بموت المسيح (ع) (ص ١٩٣). اما ذكر الحسين (ع) فقد ورد في الصفحات ١٢٣، ١٩١-١٩٣ و ١٩٦ و ٢١٩ من الكتاب المذكور. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٩٣

فيليب حتى و كربلاء

و قد اورد الاستاذ فيليب حتى استاذ التاريخ الاسلامي في جامعة برنستن باميركا ذكر كربلاء في مواضع من كتابه المشهور History of the Arabs «تاريخ العرب» في الصفحات ١٨٣ و ١٩٠-١٩١ و ٤٤٠ من النسخة الانكليزية. ففي الصفحة ١٨٣ يقول ما ترجمته:

ان حشود الزوار التي ما تزال تتدفق إلى مشهد علي في النجف و مشهد ولده الحسين سيد القديسين و الشهداء عند الشيعة في كربلاء القريبة من النجف و المسرحية الدينية التي تمثل سنويا في العاشر من محرم في العالم الشيعي باسره، كل ذلك يشهد على ان الموت قد ينفع القديس اكثر من الحياة. و يشير في الصفحتين ١٩٠ و ١٩١ الى فاجعة كربلاء و نكتفي هنا بترجمة الجمل التي ورد فيها ذكر المدينة ففي الصفحة ١٩٠ و ما يليها يقول ما ترجمته:

في العاشر من محرم سنة ٦١ هـ (١٠ تشرين الاول ٦٨٠ م) احاط عمر ابن القائد الشهير سعد بن ابي وقاص على رأس ٤٠٠٠ مقاتل بالحسين و جماعته الصغيرة المؤلفة من مائتي نسمة في كربلاء، في ما يقرب من خمسة و عشرين ميلا شمال غربي الكوفة و بما انهم رفضوا الاستسلام فقد اعمل فيهم السيف و قد استشهد الحسين سبط الرسول بعد ان اصيب بعدة جروح و ارسل رأسه الى يزيد في دمشق، و اعيد الرأس بعد ذلك الى أخت الحسين و ابنه اللذين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٩٤

ذهبا معه الى دمشق (ابن حجر، ج ٢ ص ١٧) و دفن مع الجسم في كربلاء.

و قد اوجد المسلمون الشيعة احياء لذكرى استشهاد الحسين مراعاة مراسم الحزن في العشرة الاولى من محرم الحرام سنويا و وضعوا مسرحية عاطفية دينية تؤكد صراعه «البطولي» و آلامه و هذه المسرحية الدينية السنوية تمثل في فصلين يعرف الاول ب «عاشوراء» (اليوم العاشر) يمثل في الكاظمية (على مقربة من بغداد) احياء لذكرى المعركة و الفصل الثاني بعد العاشر من محرم باربعين يوما في كربلاء و عنوانه: «مرد الرأس».

لقد برهن دم الحسين اكثر من دم ابيه على انه الاساس الذي تقوم عليه العقيدة الشيعية فقد ولد التشيع في العاشر من محرم و منذ ذلك الوقت فصاعدا اصبحت الامامة في سلالة عليّ مبدءاً عقائدياً في المذهب الشيعي كرسالة محمد في الاسلام.

وقد منح (يوم كربلاء) الشيعة شعاراً في المعارك يتلخص في الثأر من أجل الحسين، و قد برهنت الايام فيما بعد على انه احد العوامل التي قوضت اسس الدولة الاموية.

اما في الصفحة ٤٤٠ فيشير إلى المتوكل و يقول: «و سرعان ما جاء المتوكل الذي استأنف سنة ٨٥٠ م عادة اضطهاد الشيعة القديمة فقد هدم ضريح عليّ في النجف و الضريح الأكثر قداسة في كربلاء و هو ضريح الحسين فأكتسب بذلك كراهية الشيعة الابدية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٩٥

كربلاء في المعاجم

لويس معلوف اليسوعي و كربلاء

يقول الاب لويس معلوف اليسوعي في المنجد في اللغة و الادب و العلوم (بيروت ١٩٥٦) في مادة «كربلاء» (ص ٤٥٣):

«لواء في العراق محصور بين الوية الحلّة و الدليم و الديوانية (٢٠٠، ٢١ كم) (٩٥١، ١٤٥) فيه قضاء النجف (و ناحيته الكوفة) و ناحيتان ملحقتان بمركز اللواء و هما الحسينية و عين تمر؛ و كربلاء مدينة في العراق (لواء كربلاء) (٣٥، ٠٠٠) يكرمون فيها مشهد الحسين بن علي و فاطمة و مقام المرز شفيح خان رئيس الفرقة الشيعية، و مقام السيد كاظم الرشتي صاحب الفرقة الكشفية، و مقام حسين علي شاه رئيس الطريقة الصوفية و مقام مؤمن دوده رئيس الطريقة البكتاشية؛ و يوم كربلاء وقع في العاشر من محرم ٦١ هـ الموافق للعاشر من تشرين الاول ٦٨٠ م فيه قتل الحسين بن علي.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٩٦

كربلاء في «قاموس الاسلام» A Dictionary of Islam

لم يزد توماس باتريك هيوز Thomas Patrick hughes في معجمه الموسوم ب «قاموس الاسلام» على الكلمات الآتية في مادة كربلاء.

كربلاء او مشهد الحسين: مدينة في العراق اشتهرت بمصرع الحسين و بكونها مثواه الاخير و مستقر ضريحه. تقع على مسافة خمسين ميلاً جنوب غربي بغداد و حوالي ستة أميال غربي الفرات .

كربلاء في معجم «لاروس» الفرنسي

و اكتفى «لاروس» في معجمه الفرنسي المشهور ببضع كلمات، اذ لم يزد على ان قال ما ترجمته:

«مدينة في العراق لا تبعد عن الفرات كثيراً. نفوسها ٠٠٠، ٦٥ نسمة و هي مقدسة عند الشيعة» .

كربلاء في «الموسوعة الاسلامية الموجزة» Shorter Encyclopaedia of Islam

في الطبعة الاخيرة للموسوعة الاسلامية الموجزة التي طبعت بالانكليزية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٩٧

يطلب من الاكاديمية الهولندية الملكية تحت اشراف ه. ا. ر. جب و جي ه. كرامرز سنة ١٩٦١ فى مادة «مشهد الحسين» (كربلاء) المعلومات الآتية نترجمها هنا لفائدة القراء:

مشهد الحسين موضع للحج غربى الفرات حوالى ٦٠ ميلا جنوب غربى بغداد على مشارف الصحراء (ياقوت، معجم البلدان، طبعه و ستيفيلد، ج ٤ ص ٢٤٩) و تقع بمواجهة قصر ابن هبيرة (الاصطخرى BGA ج ١ ص ٨٥، قارن البلاذرى، فتوح البلدان، طبعه دى غويه، ص ٢٨٧، المقدسى BGA، ج ٣ ص ١٢١) و من المحتمل ان اسم كربلاء مرتبط باللفظة الآرامية «كربلا» (سفر دانيال ٣، ٢١) و اللفظة الآشورية «كربلاوتو» (و هى نوع من لباس الرأس، راجع ج. جاكوب؛ «المكتبة التركية» ج ٩ ص ٣٥ الهامش رقم: ٢) و هى غير مذكورة فى تاريخ ما قبل العرب.

و يقال ان خالد بن الوليد، بعد ان استولى على الحيرة، اقام معسكره فى «كربلاء» (ياقوت، ٤-٢٥٠) و فى يوم عاشوراء (١٠ محرم) ٦١ هـ (١٠ تشرين الاول ٦٨٠ م) استشهد الامام الحسين بن على (ع) فى زحفه من مكة على العراق حيث كان مصمما على المطالبة بحقوقه فى الخلافة، فى سهل كربلاء فى منطقة نينوى (الطبرى: ٣-٢١٩٠؛ ياقوت: ٤-٨٧٠ و هى الآن على رأى ماسينيون «خيمة قاعة» و على رأى موسيل Musil: «إشان نينوى») فى معركة مع جيش عامل الكوفة و دفن فى الحائر (ياقوت: ٢-١٨٨ و ما يليها، الطبرى: ٣-٧٥٢). و سرعان ما أصبح الموضع الذى دفن فيه جثمان سبط الرسول (ص) المفصول عن رأسه (راجع فيما يتعلق بمصير الرأس الذى قطع و ارسل الى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٩٨

دمشق الى يزيد الأول، فان بيرشيم Festschrift ED Sachau Gewidm، برلين ١٩١٥ ص ٢٩٨-٣١٠) المعروف بقبر الحسين موضعا مشهورا للحجيج الشيعة (راجع مادة «شيعة»).

و فى فترة مبكرة لا تتجاوز سنة ٦٥ هـ-٦٨٤-٦٨٥ م نجد سليمان ابن صرد يذهب مع اتباعه الى ضريح الحسين (ع) حيث يقضى يوما و ليلة (الطبرى، طبعه دى غويه، ٢-٥٤٥ و ما يليها) و يذكر ابن الاثير (الكامل: طبعه تورنيرج ج ٥ ص ١٨٤؛ ج ٩ ص ٣٥٨) رحلات حج اخرى فى السنتين ١٢٢ هـ-٧٣٩-٧٤٠ م و ٤٣٦ هـ-١٠٤٤-١٠٤٥ م و اسبغت ام موسى، والدة الخليفة المهدي فى تاريخ مبكر خيراتها على رجال الدين القائمين على العناية بالضريح (الطبرى ٣-٧٥٢).

و قد هدم الخليفة المتوكل سنة ٢٣٦ هـ-٨٥٠-٨٥١ م الضريح و ملحقاته و امر بتسوية الارض و زراعتها و منع تحت طائلة العقاب الصارم زيارة العتبات المقدسة (الطبرى: ٣-١٤٠٧؛ حمد الله المستوفى: «نزهة القلوب» طبعه لسترانج، ص ٣٢) على ان ابن حوقل (طبعه دى غويه):

ص ١٦٦) يذكر حوالى سنة ٣٦٧ هـ-٩٧٧ م «مشهدا» عظيما و غرفة ذات قبة لها بابان من كل جانب و فى داخلها ضريح الحسين (ع) الذى كان كثيرا ما كان يتوافد عليه الزائرون فى زمانه. و قد دمر ضربه بن محمد الاسدى الذى هو فى الاصل من عين تمر و شيخ مشايخ مجموعة من القبائل، مشهد الحائر (كربلاء) مع عتبات مقدسة اخرى فأرسلت حملة تأديبية الى عين التمر سنة ٣٦٩ هـ-٩٧٩-٩٨٠ م فلاذ بالهرب الى الصحراء قبل وصولها (ابن مسكويه، «تجارب الامم»، طبعه اميدروز فى كتاب «كسوف الخلافة العباسية». (بالانكليزية) ج ٢ ص ٣٣٨، ٤١٤) و فى السنة ذاتها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ١٩٩

وضع عضد الدولة البويهى الشيعى العتبتين المقدستين: مشهد على (ع) (فى النجف) و مشهد الحسين (ع) (فى الحائر) تحت حمايته الخاصة (ابن الاثير: ٨-٥١٨؛ حمد الله المستوفى، نفس المصدر).

و قد اقام الحسن بن فضل المتوفى سنة ٤١٤ هـ-١٠٢٣-١٠٢٤ م سورا حول الضريح المبارك فى مشهد الحسين (ابن تغربردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، طبعه بوبر ١٤١، ١٢٣-٢ Popper على نحو ما صنع فى مشهد على (بالنجف) (ابن الاثير: ٩-١٥٤).

و في ربيع الاول سنة ٤٠٧هـ - آب - ايلول ١٠١٦ م نشب حريق هائل (بسبب سقوط شمعتين عن موضعهما) احوال القبّة (او البناء الرئيسي) و الاروقّة (او القاعات المفتوحة) الى رماد (ابن الاثير: ٩ - ٢٠٩).

و لم يغفل السلطان السلجوقي ملكشاه زيارة مشهدى على و الحسين (ع) بعد دخوله بغداد (ابن الاثير: ٩ - ١٠٣) و كانت هاتان العتبتان المقدستان يطلق عليهما في هذا الوقت «المشهدان» (البندارى الاصفهاني «تواريخ آل سلجوق» طبعه هوتسما، في مجموعة «منتجات من النصوص» ج ٢ ص ٧٧) على غرار المثنيات المعروفة و هي: العراقان، البصرتان، الحيرتان، المصران الخ ...

و قد زار غازان الايلخاني سنة ٧٠٣هـ - ١٣٠٣ م كربلاء و قدم هدايا سخية الى هذه العتبة المقدسة و يعود الفضل له او لأبيه «أرغون» في جلب الماء الى المنطقة بواسطة قنال يمتد الى الفرات (و هو نهر الحسينية الحديث) (ا. نولدكه: - Das Heiligtum Al Husains Zu Kerbela ' برلين، ١٩٠٩، ص ٤٠).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٠٠

و قد زار ابن بطوطه (طبعه دفر يميرى و سانكوييتي، ج ٢ ص ٩٩) كربلاء سنة ٧٢٧هـ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ م قادما اليها من الحلّة و يصفها بأنها مدينة صغيرة تقع بين بساتين النخيل و تستمد ماءها من الفرات و في وسطها الضريح المبارك و الى جنبه مدرسة كبيرة و «الزاوية» الشهيرة حيث يقيم الزوّار و لا يمكن الدخول الى المرقد الشريف الا بسماع القيم و الزوار يقبلون السياح الفضى المحيط به و فوقة المصاييح الذهبية و الفضية و على الابواب ستائر حرير و سكان المدينة منقسمون الى اولاد رخيک و اولاد فايز و كانت منازلهم المستمرة تلحق الضرر بالمدينة رغم انهم كانوا جميعا من الشيعة.

و يقدر حوالى الوقت ذاته حمد الله المستوفى محيط المدينة ب ٢٤٠٠ خطوة و يذكر هناك كذلك قبر الحرّ بن يزيد الذى كان اول من استشهد مقاتلا في سبيل الحسين بكربلاء.

و قد قام الشاه الصفوى اسماعيل الأول (المتوفى سنة ٩٣٠هـ - ١٩٣٤ م - بزيارة الى النجف و مشهد الحسين (ع).

و زار السلطان سليمان القانونى الضريحين سنة ٩٤١هـ - ١٩٣٤ م - ١٥٣٥ م و اصلح قنال مشهد الحسين (الحسينية) و احوال الحقول التى كانت مطمورة فى الرمال الى جنائن كرة اخرى؛ و قد بنيت «منارة العبد» (انظر فى ادناه) و التى كانت تسمى سابقا «أنكوشتى يار» سنة ٩٨٢هـ - ١٥٧٤ - ١٥٧٥ م، و أمر مراد الثالث و الى بغداد على باشا بن الوند سنة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٠١

٩٩١هـ - ١٥٨٣ م ان بينى او بالاحرى ان يرمم ضريح الحسين (ع) و بعيد احتلال بغداد سنة ١٦٢٣ م احرز عباس الكبير المشهدين و اضافهما الى الامبراطورية الايرانية وزار نادرشاه كربلاء سنة ١٧٤٣ م و على حين انه يعزى اليه تدهيب قبة مشهد الامام على (ع) فقد قيل عنه كذلك انه صادر أوقافا مخصصة لائمة كربلاء.

و يزداد الرخاء العظيم فى موضع الزيارة و العدد الضخم من القاطنين فيه بمناسبة زيارة عبد الكريم و هو احد المقربين الاثيرين عند نادر شاه؛ و قد قدمت رضية سلطان بيكوم ابنة الشاه حسين (١٦٩٤ - ١٧٢٢ م) ٢٠،٠٠٠ نادرية لاصلاح مسجد الحسين.

و قدّم مؤسس الاسرة القاجارية، أغا محمد خان، حوالى نهاية القرن الثامن عشر الغطاء الذهب للقبّة و المنارة فى مشهد الحسين (جاكوب فى كتاب ا. نولدكه، سبق ذكره، ص ٦٥، ه ٤).

و فى نيسان (ابريل) ١٨٠٢ و فى غياب الزوار الذين ذهبوا الى النجف دخل ١٢،٠٠٠ من الوهابيين بقيادة الشيخ سعود كربلاء فذبوحوا ما ينوف على الثلاثة آلاف منى سكانها هناك و نهبوا البيوت و الاسواق و حملوا معهم بصورة خاصة الصفائح النحاسية المذهبة و كنوزا اخرى من المشهد و حطموا الضريح غير ان التبرعات تدفقت بعد هذه الكارثة الى المشهد من العالم الشيعى بأسره.

و قد افلح نجيب باشا سنة ١٨٤٣ م، بعد احتلال الفرس الموقت لكربلاء، فى فرض السيطرة العثمانية على المدينة بقوة السلاح، و قد

هدمت الآن اسوار المدينة القديمة الحاضرة الى حد كبير و شرع الوالى مدحت باشا سنة ١٨٧١

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٠٢

بناء دوائر الحكومة التي بقيت غير كاملة و وسع السوق المجاور (مصادر تاريخ مشهد الحسين عند «ا. نولدكه» و قد سبق ذكره).
و كربلاء في الوقت الحاضر بسكانها الذين يربو عددهم على الخمسين الف نسمة- ثانی مدينة من حيث السعة و لعلها أغنى مدينة في العراق، و هي ليست مدينة برخائها الى العدد الهائل من الزوار الذين يزورون ضريح الحسين (ع) فحسب بل كذلك لحقيقة انها اهم نقطة انطلاق لقوافل الزوار الفرس الذاهبة الى النجف و مكة و بموقعها على حافة السهل الغربي فهي «ميناء صحراوي» مهم للتجارة مع القسم الداخلى لبلاد العرب.

و المدينة القديمة بشوارعها الملتوية محوطة بضواح عصرية؛ و حوالى نصف الى ثلاثة أرباع السكان من الايرانيين و ما تبقى من الشيعة العرب و اهم قبائلهم هم بنو سعد و السلالمة و الوزوم و الطهامزة، و الناصرية؛ و آل الدده أغناها: فقد كوفت لشقها نهر الحسينية بمقاطع واسعة من قبل السلطان سليم.

و لا- يطلق اسم «كربلاء» بصورة دقيقة أما على الجزء الشرقى من بساتين النخيل التي تحيط بالمدينة بنصف دائرة في جهتها الشرقية (موسل: «الفرات الأوسط»، ص ٤١) و تعرف المدينة نفسها «بالمشهد» او «مشهد الحسين».

و يقع ضريح الإمام الثالث في صحن مساحته ٣٥٤- ٢٧٠ قدما يحوطه عدد من الأواوين و الغرف و قد زينت اسواره بشريط زخرفى أزرق مستمر يقال انه يضم القرآن كله مكتوبا بحروف بيض على صفحة زرقاء، و مساحة البناية نفسها ١٥٦- ١٣٨ قدما و البناية الرئيسية المستطيلة التي يدخل اليها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٠٣

بطريق «القاعة الذهبية الخارجية» (الصورة عند گروه، صور تشخيصية جغرافية، اللوحة ٧٨، الصورة: ١٣٦) محاطة بممر مسقف (تسمى الآن ب «الجامع») ا. نولدكه، سبق ذكره، ص ٢٠) حيث يقوم الزوار بالطواف حول الضريح (فيها وزن **Reste Arab Heidentums**. ' ص ١٠٩- ١١٢) و فى وسط الصالة المركزية المقبية هو الضريح او (صندوق) الحسين (ع) و هو حوالى ٦ اقدام ارتفاعا و ١٢ قدما طولا و محاط بمشربية فضية يقف بازائها ضريح ثان اصغر منه و هو ضريح ابنه و رفيقه فى السلاح:

على الأكبر (المسعودى، التنبية و الإشراف، طبعة دى غويه فى **BGA** «المكتبة الجغرافية العربية»، ٨- ٣٠٣).

«ان الانطباع العام الذى يحصل عليه الانسان داخل المشهد لا يماثله الا ما يروى فى الأساطير، و ذلك عند الشفق او حتى أثناء النهار فهو معتم فى الداخلى دوما- فضوء العديد من المصاييح و الشموع حول المشربية الفضية ينعكس ألف مرة، و الف مرة أخرى من سطوح بلورية صغيرة لا عد لها و لا حصر فتحدث تأثيرا سحرى خارج نطاق احلام المخيلة ثم يفقد الضوء قوته فى سقف القبة فلا نجد الا بضع سطوح بلورية متألقه هنا و هناك كنجوم فى السماء» (ا. نولدكه، سبق ذكره).

«ثى. هونيكمان **E. Honigmann**»

و يزدان المشهد فى الواجهة القبلىة بزخرف فخم و ثمين و على جناحى المدخل منارتان و تشمخ المنارة الثالثة و هي «منارة العبد» امام المبانى فى الجهة الشرقية من الصحن؛ و تتراجع واجهة المبانى المحيطة بالصحن جنوبا حوالى ٥٠ قدما و فى هذه البقعة مسجد سنّى و تلاصق الصحن من الجهة الشمالية مدرسة كبيرة مساحة فنائها حوالى ٨٥ قدما مربعا مع مسجد خاص

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٠٤

بها وعدة محاريب (عن الوضع الحاضر للمشهد قارن ا. نولدكه، سبق ذكره، ص ٥- ٢٦ و عن تاريخه: ص ٣٥- ٥٠ و عن تاريخ هندسته المعمارية: ص ٥١- ٦٦).

و على مبعده نحو ٦٠٠ ياردة شمال شرقى مشهد الحسين (ع) ضريح شقيقه (اخيه لاييه) العباس و فى الطريق المفضى غربا خارج

المدينة بقعة خيمة الحسين (ع) (خيمكاه) و للباية المشادة هناك (المخطط عند نولدكه، ص ٧، و الصورة الفوتوغرافية عند غروته Grothe ، رقم اللوحة ٨٤ الصورة: ١٤٥) مخطط خيمة و على جانبى المدخل نسختان حجريتان لهودجين للجمال. و تمتد فى الهضبة الصحراوية (حماد) غربى المدينة أضرحة من المخلصين الشيعة و تقع فى شمالى بساتين كربلاء الضواحي و جنائن و حقول «البقيرة»، شمال غربى القرّة، جنوبى الغديرية (ياقوت: ٣-٧٦٨) و يذكر ياقوت بين الأماكن المجاورة «العقر» (٣-٦٩٥) و التوايح (٤-٨١٦).

و يربط خط حديدى فرعى يتفرع شمالى الحلة كربلاء بسكة حديد بغداد- البصرة، و تفضى طرق القوافل الى الحلة و النجف و لا يزال لمشهد الحسين سمعة احرار الدخول الى الجنة لأولئك الذين دفنوا فيه؛ لذلك فان الكثير من الزوار المسنين و الذين يعانون من سوء الصحة يذهبون الى هناك ليموتوا فى البقعة المقدسة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٠٥

كربلاء فى الأدب

إشارة

هذا باب يضيق به افخم المجلدات و اوسعها لكثرة ما طرقه فحول الشعراء نظما، و كثرة ما تناوله كبار العلماء نثرا فى الادعية و الابتهايلات، و يجد القارىء فى محل آخر من هذا الجزء نماذج لبعض ما ورد عن كربلاء فى الشعر مما دعانا الى الوقوف هنا و الاكتفاء بذكر جزء من قصيدة ابي فراس الحمدانى على سبيل الاستشهاد.

ابو فراس الحمدانى و كربلاء

و قد أوما أبو فراس الحمدانى الى كربلاء فى ميميته التى مطلعها (من البسيط):
الدين مخترم و الحق مهتضم و فى آل رسول الله مقتسم
الى ان يقول:

يا للرجال! اما لله متصف من الطغاة؟ اما للدين منتقم!

«بنو على» رعايا فى ديارهم و الامر تملكه النسوان و الخدم

لا يطغين «بنو العباس» ملكهموا «بنو على» مواليهم و ان زعموا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٠٦ قام النبى بها «يوم الغدير» لهم و الله يشهد و الاملاك و الامم

ثم ادعاها «بنو العباس» ارثهم و ما لهم قدم فيها و لا قدم

أأنتمو آله فيما ترون و فى اظفاركم من بنيه الطاهرين دم؟

يا عصبه شقيت، من بعد ما سعدت، و معشرا هلكوا من بعدما سلموا

لبس ما لقيت منهم و ان بليت بجانب «الطف» تلك الاعظم الرمم

و البيتان الاخيران يشيران الى حادثه امر المتوكل عام ٢٣٦ هـ بهدم قبر الحسين كما فى الطبرى، و مروج الذهب، و الفخرى- و الطف فى ياقوت:

٣-٥٣٩ واقع غربى الكوفة حيث كربلاء.

و الذى دفع ابا فراس الى نظم هذه القصيدة ان محمد بن سكرة الهاشمى كان عمل قصيدة يفاخر فيها ولد ابي طالب و ينتقص ولد

علی و يذكر فيها التحامل عليهم و اولها:

بنی علی! دعوا مقاتکم لا ینقض الدرّ وضع من وضعه

فلم یجبه ابو فراس تزّرها عن مناقضته، لسفاهة شعره، و قال فی أهل البيت - علیهم السلام - القصيدة التي اوردنا ابیاتا منها فی اعلاه .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٠٧

أهم المصادر العربية و الغربية لذكر الإمام الحسين و مدينة كربلاء

الطبری: طبعة دی غویه، الفهارس، ابن الاثير: الكامل؛ طبعة تورنبرغ، الفهارس،

الاصطخري BGA «المكتبة الجغرافية العربية» ١- ٨٥

ابن حوقل ١٦٦- ٢ BGA، المقدسي: ١٣٠- ٣ BGA؛ الادريسي: «نزهة المشتاق» ٤- ٦، ترجمة جوبيرت ١٥٨- ٢ Jaubert؛ ياقوت:

معجم البلدان، طبعة و ستيفيلد ٢- ١٨٩؛ ٣- ٦٩٥؛ ٤- ٢٤٩ و ما بعدها؛ المسعودي: «كتاب التنبيه» ٣٠٣- ٨ BGA؛ البكري، معجم، طبعة

و ستيفيلد، ص ١٦٢، ٤٥٦، ٤٧١، الزمخشري، المعجم الجغرافي، طبعة دی كريف De Grave ، ص

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٠٨

١٣٩؛ حمد الله المستوفى القزويني: «نزهة القلوب» طبعة لسترانج، ص ٣٢، الترجمة: ص ٣٩؛ ابن بطوطة، تحفة، طبعة ديفريميري

سانكوييني: ٢- ٩٩ و ما يليها؛

او. دپار

Umbstandliche und: O. Dapper EiGentliche Beschreibung Von Asia

R eisebeschreibung: نورمبرغ، ١٦٨١ ص ١٣٧، كارستن نيبور:

.Nach Arabien U. A. Umliegenden Landern, ii

كوبنهاغن، ١٧٧٨، ص ٢٥٤ و ما يليها؛ جي. ب. ل. جي روسو: «وصف لپاشوية بغداد» (بالفرنسية) باريس ١٨٠٩، ص ٧١ و ما يليها؛

J. Rich. جي. جي. ج:

Fundgruben Des Orients, iii

فيينا ١٨١٣، ص ٢٠٠؛ J. L. Burkhardt جي. ل.

Bemerkungen Uber Die Beduinen Und Wahaby

. فايما، ١٨٣١؛ ايم. في. ثيلمان:

M. V. Streifzuge Im Kaukasus, Thielmann In Persien Und In Der Asiatischen Turkei

لا اينزغ، ١٨٧٥، ص ٣٩٨- ٤٠١؛ و نولده Nolde:

Reise Nach Innerarabien «رحلة في بلاد العرب»

براونشفايك، ١٨٩٥، ص ١١٣ و ما يليها، ايم. في.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٠٩

اوبنهايم: ii، Vom Mittelmeer Zum Persischen Goif برلين ١٩٠٠.

ج. لسترانج: «بلاد الخلافة الشرقية» كمبرج ١٩٠٥ (اعادة طبع، ١٩٣٠) ص ٧٨ و ما يليها؛ ا. نولدكه: - Das Heiligtum Al

Husains ZuKerbela

برلين، ١٩٠٩ (- المكتبة التركية، طبعة: ج. جاكوب ١١، ص ٣٠- ٣٤، مصادر اخرى)؛

ه. كروثه

.Geographische Cha- rakter Bilder Aus Der Asiatisehe Turkei, i

لا- بيزغ، ١٩٠٩، لويس ماسينيون، «بعثة في بلاد ما بين النهرين» (بالفرنسية) (١٩٠٧-١٩٠٨) القاهرة، ١٩١٠ ص ٤٨ و ما يليها -) Mifao «مذكرات مطبوعة لاعضاء المؤسسة الفرنسية للحفريات الشرقية في القاهرة»، ٢٧) لامبيرتو فانوتيللي **Anatolia Meridionale E Mesopotamia**

روما، ١٩١١، ص ٣٦١-٣٦٣؛ كيرتود بيل:

G. L. Bell Amurath To Amurath

من آموراث الى آموراث لندن ١٩١١ ص ١١٦-١٥٩،

موسوعة العتبات المقدسة (١٤)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢١٠

ستيفن هيمسلي لونكر «اربعه عصور من العراق الحديث» (بالانكليزية) (او كسفورد، ١٩٢٥، الفهرس التفصيلي،

١. موسل A. Musil «الفرات الأوسط» (بالانكليزية) نيويورك ١٩٢٧ (-) الجمعية الجغرافية الاميركية، استكشافات و دراسات شرقية،

رقم ٣) د. م. دونالدسن: «الدين الشيعي» **The Shi'ite Religion** (بالانكليزية) لندن، ١٩٣٣ ص ٨٨ و ما يليها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢١١

كربلاء في الشعر جمعه و نسقه حسب الحروف الأبجدية فؤاد عباس**إشارة**

من خريجي الجامعة الأميركية ببيروت و المفتش الاختصاصي في وزارة التربية العراقية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢١٣

الشيخ ابراهيم الكفعمي ٨٤٠-٩٠٠

فاني به جار الشهيد بكر بلاسليل رسول الله خير مجير

*

اتيت الامام الهدى سيدى الى (الحائر) الجار للمستجير

ابن هانئ الأندلسي

٦٤- عجا لمنصلك المقلد كيف لم تسل النفوس عليك منه مسيلا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢١٤ ٧٤- سماء جدك ذا الفقار و انما سماء من عادت عزرائيلا

٧٥- و كأن به لم يبق وترا ضاعافي كربلاء و لا دما مطلولا ...

*

هو السيف سيف الصدق اما غراره فعضب و اما متنه فصقيل

يشيع له الا فرند دما كآتما تذكر يوم الطف فهو يسيل ...

**

و اولى بلوم من امية كلهاو ان جلّ أمر من ملام و لوم
اناس هم الداء الدفين الذى سرى الى رمم بالطف منكم و اعظم
هم قدحوا تلك الزناد التى ورت و لو لم تشب النار لم تتضرم ..

أبو تمام

و الهاشميون استقلت غيرهم من كربلاء بأعظم الأوتار
فشفاهم المختار منه و لم يكن فى دينه المختار بالمختار ...

أبو دهب الجمحى

تبيت سكارى من امية نوّماو بالطف قتلى ما ينام حميمها
و ما افسد الاسلام الا عصابة تأمر نو كاها فدام نعيمها ...
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢١٥

أبو فراس الحمدانى

يا عصبه شقيت من بعد ما سعدت و معشرا هلكوا من بعد ما سلموا
لبس ما لقيت منهم و ان بليت بجانب الطف تلك الاعظم الرمم

أبو محجن بن حبيب

أنى تسرت نحونا أم يوسف و من دون مسراها فياف مجاهل
الى فتية بالطف نيل سراتهم و غودر افراس لهم و رواحل
مررت على الانصار وسط رحالهم فقلت لهم: هل منكم اليوم قافل؟

السيد احمد الرشتى المقتول سنة ١٢٩٥

ان الذى قد حل عرصه كربلا بحر و منه اولو المكارم نعرف
السيد احمد الرشتى

الشيخ جابر الكاظمى

سناهم عمّ نورا كالدرارى فخصّ ضياؤه اهل السماء
و بغداد و سامرا فطوس فيثرب فالغرى فكربلاء
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢١٦ فمضى شبل حيدر لانتقام غير كاب- كلاً- و لا مرتاب
أمّ فى ركه الى ارض كرب و بلاء من (كربلاء) يباب
* و قال رحمه الله- حين افتتح جناب عماد الدولة بابا لرحم الحسين- ع-

باب فضل قد بناها للعباد ماجد للدولة العليا عماد
صاغها للحضرة القدس التي قد سمت رفعتها السبع الشداد
افرغت من نور قدس خالص لم يزل باق سناه بأثقاد
فحسبنا انه من فضة شابته في صفوها منه الفؤاد
و منها:

حضرة قد حوت السبط الذي ضاق في انعمه وسع المهاد
و حوت اصحابه الغر الألى ملكوا الفضل جميعا و الرشاد
ان ترم تاريخ باب اهديت من عماد الدولة السامى العماد
قل أيا (عبد الحسين) افخر فقدصرت تدعى (عبد) دون العباد
لا رأيت السوء دع أقصى العنابدا عنا تمل أقصى المراد
او ترم رشدا كما أرختها (فاعتمد باب عماد للرشاد) ...
١٢٨٠ - ١ - ١٢٧٩ هـ

الحسين بن علي أبو القاسم المغربي الوزير

إذا كنت مشتاقا إلى الطف تائقا إلى كربلا فانظر عراض المقطم
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢١٧ ترى من رجال المغربي عصابة مضرجة الأوساط و الصدر بالدم

السيد حيدر الحلي

يا تربة الطف المقدسة التي هالوا على ابن محمد بوغاءها
حيث تراك فلاطفته سحابة من كوثر الفردوس تحمل ماءها
و منها:

و لتفد خاتمة الرجاء طريده لأغر ينقع برده احشاءها
فحشى ابن فاطمة بعرضه كربلا بردت غليلا و هو كان رواءها
و منها:

إذ ألحق ابن طريد احمد فتنه ولدت قلوبهم بها شحناها
حشدت كتائبها على ابن محمد بالطف حيث تذكرت آباءها

*

سل بهم اما تسل كربلاذ واجهوا فيها البلا المكربا
يا أبى بالطف اشلاؤها تنسج فى الترب عليها الصبا ...

*

و لا مثل يوم الطف لوعه واجدو حرقة حران و حره مكمد

*

بنى الغالبيين الألى لست عالما أسمح فى طعن أكفك أم قرى!!

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢١٨ الى الآن لم تجمع بك الخيل وثبة كأنك لا تدرين بالطف ما جرى
و لا كدم في كربلا طاح منكم فذاك لأجفان الحمية أسهرا
كأنك يا اسياف غلمان هاشم نسيت غداة الطف ذاك المعفرا
*

اما لك في شمّ العرائن اسوة فتسلك ما سنّته منها الافاضل
و اجرؤا بأرض الغاضرية ابهر من الدم لم يبصر لهنّ سواحل
و لم ير يوم الطف اصبر منهم غداة بها للموت طافت جحافل

خضر عباس الصالحى

وقفت على نهر الحسينية الذى تدفق سلسالا خلال الربى الخضر
على ضفتيه ينبت الحب يناعيقطف منه العاشقون جنى الطهر
خضر عباس الصالحى

دعبل الخزاعى

فاما الممضات التى لست بالغامبالغها منى بكنه صفات
قبور بجنب النهر من ارض كربلا معرسهم فيها بشط فرات
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢١٩

رجل من اشجع

لقد حبست فى كربلاء مطيتى و فى العين حتى عاد غثا سمينها
اذا رحلت من منزل رجعت له لعمرى و أيها انى لأهينها
و يمنعها من ماء كل شريعته رفاق من الذبان زرق عيونها

رشيد الهاشمى

يا ابن النبى و ذاك جدك راقد حول الفرات على الصعيد الطاهر
و دم الحسين السبط مطلول على خد التراب بسيف ذاك الغادر
يستصر خانك لست منا ان تكن الهاك عنا لبس ثوب فاخر
السيد رشيد الهاشمى

سبط ابن التعاوىذى

و يوم الطف قام ليوم بدر بأخذ الثأر من آل النبى

سأهدى للأئمة من سلامى و غرّ مدائحى أزكى هدى

لطيفة و البقيع و كربلاء و سامرا و فيد و الغرى موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج ٨ ؛ ص ٢١٩
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٢٠ و زوراء العراق و ارض طوس سقاها الغيث من بلد قصي
فحيا الله من وارتته تلك القباب البيض من حبر نقى

سلمان هادى طعمه

يا كربلاء و أنت فخر قداسة يستوجب التعظيم و التبجيلا
يا موطن الاحرار منه تألفت سور الجهاد و فصلت تفصيلا
و بثورة العشرين دوت صرخة قد طيرت لب الدخيل ذهولا
اذ أصدر الليث (التقى) نداءه فتوى) تحاكي الصارم المصقولا
سلمان هادى طعمه*
هى صرخة الثوار كانت رعدة تركت صروح الاجنبى طولولا
هذى ماثر كربلاء و انها سفر يخلد فى الزمان طويلا

سليمان بن قتبه (قتبه؟)

مررت على ابيات آل محمد فلم ارها عهدي بها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار و أهلها و ان اصبحت من اهلها قد تخلت
و كانوا رجاء ثم صاروا رزية ألا عظمت تلك الرزايا و جلّت
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٢١ و ان قتيل الطف من آل هاشم أذلّ رقاب المسلمين فذلت

شبرمة بن الطفيل

كأن اباريق المدام عليهم إوز بأعلى الطف عوج الحناجر

الشريف الرضى

كربلا لا زلت كربا و بلا ما لقي عندك آل المصطفى
كم على تربك لثما صرعوا من دم سال و من دمع جرى

سقى الله المدينة من محلّ لباب المزن و النطف العذاب
و جاد على البقيع و ساكنيه رضى الذيل ملآن الوطاب
و اعلام الغرى و ما استباحت معالمها من الحسب اللباب
و قبر بالطفوف يضمّ شلواقضى ظمأ الى برد الشراب
و بغداد و سامرا و طوس مطول الودق منخرق العباب

قد قلت للركب الطلاع كأنهم ربد النسور على ذرى اطوادها

قف بي و لو لوث الازار فانماهي مهجة علق الهوى بفؤادها
 بالطف حيث غدا مرق دمائهاو مناخ أينقها ليوم جلادها
 القفر من اوراقها و الطير من طزاقها و الوحش من عؤادها
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٢٢ تجرى لها حب الدموع و انماحب القلوب يكن من امدادها

الصاحب بن عباد

يا كربلاء تحدّثي ببلائناو بكرنا إنّ الحديث يعاد

يا أيها الكوفيّ هذي غرّة في جبهة الدنيا لها أفراد
 و اذا سئلت لقصدها و مقرّها فالحير او كوفان او بغداد ...
 **

انا من شيعة الرضا سيد الناس حيدر
 يا تباريح كربلا ان نفسي محيره
 للذي نال سادتي من رزايا مشمّرة ...
 **

لهيب بقلبي حين اذكر كربلا فيهلكني بعد النحيب نحيب

طلّاع بن رزيك (الملك الصالح)

أيا نفس من بعد الحسين و قتله على الطفّ هل ارضى بطول حياتي
 *

هذا الحسين بكربلا ... ء ثوى و ليس له نصير
 فغدا بفتيته الكرا ... م الى مصارعهم يسير
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٢٣ حتى تلقّاهم بجنب الطفّ يوم قمطير ... *
 و اذا ذكرت من الحسين مصابه بالطفّ ضاقت بي له سعة الفضا
 *

يا تربة بالطفّ جادت فوقك الديم الهموعه
 و منها:

غدرت هناك و ما وفت مضر العراق و لا ربيعه
 شاع النفاق بكربلا فيهم و قالوا: نحن شيعة
 هيهات ساء صنيعهم فيها و ما عرفوا الصنيعة ...
 *

و إنّني لقتيل الطفّ مكثب اذ راحتى لبني اللخاء لم تطل
 *

بنى امية انى لست ذاكر كم اذ لى بذكر سواكم اكبر الشغل
 كفى الذى دخل الاسلام اذ فتكت ايمانكم ببني الزهراء من خلل
 منعتم من لذيذ الماء شاربهم ظلما و كم فيكم من شارب ثمل
 ابكيهم بدموع لو بها شربوا فى كربلاء كفتهم سورة الغلل
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٢٤ لهفى على عصب بالطف ظامية نالت من القتل فيهم اعظم المحن

*

يا راكبا قطع القرينا باليعس اذ تشكو البرينا
 بلغ رساله مؤمن تسعد بها دنيا و دنيا
 فى كربلاء ثوى ابن بنت رسول رب العالمينا
 قف بالضريح و ناده يا غايه المتوسلينا ...

*

يا بقعه بالطف حشوترا بها دنيا و دين
 اضحت كأصداف يصادف عندها الدر الثمين ...

و قال هذه القصيدة عندما أمر فى وزارته ان يستعمل فى طراز خاص برسم كسوة المشهدين الشريفين العلوى و الحسينى من الستور
 الديقى لاسباب الحرمين و عرضها هناك و قد أرصد من أمواله مبالغ طائلة لهذا الغرض و تحزى فيها أن تكون الستور فى غاية
 الحياكة و الابداع مع تطريز آيات قرآنية حولها، فلما تم عملها أرسلها مع نفر من خدمه و عبيده و جعل فيها قصيدة ذكر فيها عمله
 الذى تفرّد بشرفه و فخره و فاز دون ملوك الاسلام بجزيل ذخره و جميل ذكره:

هل الوجد إلاً زفرة و أنين أم الشوق إلاً صبوة و حنين؟
 و منها:

اذا عنّ لى تذكار سكان كربلا فما لفؤادى فى الضلوع سكون
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٢٥
 و منها:

ألا كل رزء بعد يوم بكر بلا و بعد مصاب ابن النبى يهون ...

عائكة بنت زيد زوجة الحسين - ع -

و حسينا فلا نسيت حسينا أقصدته أسنة الاعداء
 غادروه بكر بلا صربعالا سقى الغيث جانبى كربلاء

عبد الباقي العمري

هذا الكتاب المنتقى و المجتبى من نعت اهل البيت اصحاب العبا
 فى كل شعب من شعاب طيبة و لا بتيها طيبة تشعبا
 و فى بقيع الغرقد استراحت الأرواح اذ ذر عليها زربنا
 نسا؟؟؟ م هاتيك ام لطائم طيب شذاها ملاً المحصبا

تلطم وجه (الطفّ) بالكفّ على ما قد جرى فيه و ما تسرّبا
و منها:

حتى جرى بكربلاء ما جرى و سال حتى بلغ السيل الزبي
دم كسا خدّ الطفوف رونقايلوح فى توريده مشرّبا
شئوا بنو حرب على ابن سلمهم للحرب يوم الطف خيلا شزّبا
*

تبت يدا من فضّ فى خيزوره ثغرا أعار الدين ثغرا اشنبا
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٢٦ قد عزلوا عن الوجود رأس من لا يرتضى سوى المعالى منصبا
ابدت سما وجوده أهله و انجما من وقع سمر و ظبا
و رأسه الشريف شمسها التى تخيرت من كربلاء مغربا
*

فان ذكرت بالطفوف ما جرى على السحاب ذيل دمعى انسحبا

قضى نجبه فى كربلاء ابن حاشرو لن ينقضى نجبى عليه الى الحشر
قضى نجبه فى نينوى و بها ثوى فعطرّ منها الكائنات ترى القبر
قضى نجبه فى الطف من فوّه طفانجج كسا الآفاق بالحلل الحمر ...
*

ليت المحرّم ليله استهلاله سلخت عشيتها بنصل هلاله
شهر به شهر البلاء بكربلاءعضبا تأتق قينه بصقاله
قدر حرمة الجاهلية و اجترت عدوا بنو حرب على استحلاله ...
و قال مخمسا و الاصل لغيره:

على فقد من تبكى عليهم تهامه و تندبهم للحشر و النشر رامه
و من بهم أم القرى مستهامة لقد هتفت فى جنح ليل حمامه
صبيحته بالطف قامت ما تم موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٢٧ و ناحت بوادى كربلاء و عدّدت عليهم و فى نادى الغريين
غرّدت

و فى نعيمهم كم رجعت ثم ردّدت و قد ايقظت كل الهواجع إذ بدت
على فنن تنعى و انى نائم و كنت ارانى فى الموالاة سابقا
بزعمى و فيها لم أجد لى لاحقا أزعم انى فى و لا الآل صادقا
كذبت و ايم الله لو كنت عاشقالبت و طرفى بالمجرّة عائم
و اجريت دمعا لا يزال مسلسلا على ما دهى آل النبى بكربلا
لقد سبقت منى الحمامة بلبلو لو كنت ممن يدعى السبق فى الولا
لما سبقتنى بالبكاء الحمامم .. *

إذا رامت الاقلام تحرير ما جرى على آل طه فى قرارة حائر

تمنت عيون العين لو بسوادها مَدَّت بلا جزر مداد المحابر ...

و قال في وصف هلال قبة الحسين (ع):

على قبة السبط الحسين اذ انبرى هلال حكي الكف الخضيب و لا بدعا

على عقبه الليل ادبر ناكصا و اعطى قفاه بات يشبعه صفعا

و قال مهنتا و مؤرخا لما أنشأ جناب احمد شكرى بك افندى سليل حضرة المشير (محمد نجيب باشا) في قصبة كربلاء في صحن

حضرة سيد الشهداء الحوض و السلسيل و كان اتمام ذلك في يوم عاشوراء و طرح فيه قناطر من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٢٨

السكر فشرب الزوار و كانوا ألوفاً مؤلفه و قد امر بتحرير هذه الابيات فوق ذلك الحوض بالكاشي فتحررت بالخط الحسن:

احمد من انشأ هذا السيل و روق المنهل لابن السيل

ما هو الأ ذو العلى (احمد شكرى) له يستقصى (؟) جيلا فجيل

نجل محمد النجيب الذى فى الوزراء ما له من عدل

محافظ الزوراء فى حكمه بالعدل عن طرق الهدى لا يميل

مشير بغداد بأرائه معظم القدر الخطير الجليل

و فى مساعيه الحسان اقتدى مخدومه هذا النيه النيل

و يوم عاشورا غدا زائرا سليل ساقى الحوض نعم السليل

من أمه بضعة طه التى فى العالمين ما لها من مثل

و جدّه روح الوجود الذى تشرف الروح به جبرئيل

فشاهد الزوار تأوى الى مشهده الاعلى القبيل القبيل

فاترع الحوض لهم سكرامزاجه الكافور و الزنجبيل

حوض هو الكوثر فى عينه على حسين مثل دمعى يسيل

عذب فرات ذاك لكنّ ذاملح اجاج ماؤه مستحيل

صعده حزنى و وجدى و قد صوبه منى البكا و العويل

كأنه عين الحياة التى لاحظت الخضر بعمر طويل

مسلسلا يروى حديث الشفاعنه و قد صحّ شفاء العليل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٢٩ كم صادر عنه و كم واردمنه لقد برّد فيه الغليل

كالشهد فى الصحن حلا ذوقه فراته بلّ الصدى منه نيل

فى كل ثغر ساغ سلساله فشاع فى الرى و فى اردبيل

اجرى له وقفا و فى ما جرى قد نال اجرا و ثوبا جزيل

ورقّ لما راق تاريخه: لاحمد الحوض مع السلسيل ...

سنة ١٢٦٤ هـ.

عبد الحسين الحويزى

ايها السائل عن افق السما كيف ابدت حمرة بالشفق؟

و صحيح القول عندي انها حمرة من دمعها المنطلق
 لم تزل تبكى دما عينها الدم منه ترى (الطف) سقى ...
 الشيخ عبد الحسين الحويزى* و قال واصفا المصابيح المعلقة في منارة سيد الشهداء الحسين (ع):
 شاهدت ليلا مصابيح معلقة في الجو مملوءة الاجواء بالعلق
 قد احدثت بمقام السبط باكية حمر مدامعها لكن بلا حدق.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٣٠
 و قال في تشييد منارة الامام الحسين (ع):
 منارة السبط بأنوار الهدى ساطعة و الاق منها منجلي
 و كيف لا تسمو على الشهب علا و قد أعدت للحسين بن علي
 بفيصل الأول كان بدوها رخ (مناط ختمها بفيصل)
 سنة ١٣٤٨ هـ

شباك أبي الفضل (ع)

«عليّ» للعلي أوفى مواعيد بلا مطل
 بنى احسن شباك حديد جلّ عن مثل
 بايوان ابي الفضل على قاعدة العدل
 نعم أرخ (شباك بايوان ابي الفضل)
 سنة ١٣٤٧ هـ ...

عبد الغفار الأخرس

و قال مؤرخا عام تسخير كربلا و ذلك بأيام الوالي نجيب باشا سنة ١٢٥٨ هـ
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٣١ لقد خفقت في النحر ألوية النصر و كان انمحاق الشر في ذلك النحر
 و فتح عظيم يعلم الله انه ليستصغر الاخطار من نوب الدهر
 علت كلمات الله و هي عليه بحد العوالي و المهندة البتر ...!!
 تبلج دين الله بعد تقطب و لاحت اسارير العناية و البشر ...!!
 محا البغي صمصام الوزير كما محادجي الليل في اضوائه مطلع الفجر
 و كثر البلا في (كربلاء) فأصبحت مواقف للبلوى و وقفا على الضر
 غداة أبادت مفسدى اهل كربلا و كرت مواضيه بها أيما كرت
 فدانت و ما دانت لمن كان قبله من الوزراء السابقين الى الفخر
 و ما ادركوا منها مراما و لا منى و لا ظفروا منها بلب و لا قشر
 و حذرهم من قبل ذلك بطشه و أمهلهم شهرا و زاد على الشهر
 و عاملهم هذا الوزير بعدله!! و حاشاه من ظلم و حاشاه من جور!!
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٣٢ و أنذرهم بطشا شديدا و سطوة و بالغ بالرسل الكرام و بالندر

و لو يصبر القرم الوزير عليهم لقليل به عجز و ما قيل عن صبر
وصال عليهم عند ذلك صولةً و لا صولةً الضرغام بالبيض و السمر
و سار بجيش و الخميس عرمرم فكا لليل اذ يسرى و كالسيل اذ يجرى
من الترك لم تترك على الأرض مفسدا يعود بها نظم المفسد في نثر
و قد افسدوا شر الفساد بأرضهم الى ان أتاهم منه بالفتكة البكر
رمتهم بشهب الموت منه مدافع لها شرر في ظلمة الليل كالقصر
رأوا هول يوم الحشر في موقف الردى و هل تنكر الاحوال في موقف الحشر
فدمرهم تدمير عاد لبغيهم بصاعة لم تبق للقوم من أثر
ألم ترهم صرعى كأن دماءهم تسيل كما سالت معتقة الخمر
و كم فنة قد خامر البغي قلبها على انها صيدت باحولة الحصر
فراحت بها الاجساد و هى طريحة تداس على ذنب جنته لدى الوزر
فان مراد الله جار على الورى و لا بد ان يجرى و لا بد أن يجرى
تجول المنايا بينهم بجنودها بحيث مجال الحرب اضيق من شبر
تلاطم فيها الموج و الموج من دم تلاطم موج البحر فى لجة البحر
فلاذوا بقبر ابن النبى محمد فهل سرّ فى تدميرهم صاحب القبر
فان تركوا لا يترك السيف قتلهم و ان ظهروا باءوا بقاصم الظهر
سيول دم القتلى غداة أبادهم تسيل بهاتيكم الازقة و الجدر
و لا برحت ايامه الغرّة غرّة تضىء ضياء الشمس فى طلعة الظهر
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٣٣ و لا زال فى عيد جديد مؤرخا: «فقد جاء يوم العيد بالفتح و النصر»
١٢٥٨ هـ

*** و قال مخمسا ابيات عبد الباقي العمري : يشير إلى سفينة الماء:

و كانت تحلى قبل هذا تجملا و قد غذيت فيما أمر و ما حلا
اظن على فقد الشهيد (بكر بلا) (كساها الاسى ثوب الحداد و من حلى)
(تجملا بالصبر لاعجها أعرى)

الشيخ عبد الله العلابي

فيا كربلا كهف الالباء مجسما و يا كربلا كهف البطولة و العلا
و يا كربلا قد حزت نفسا نبيلة و صيرت بعد اليوم رمزا الى السما
و يا كربلا قد حزت مجدا مؤثلا و حزت فخارا ينقضى دونه المدى
فخار لعمرى سطرته ضحية فكان لمعنى المجد اعظم مجتلى
فللمسلم الاسمى شعار مقدس هما قبلتان للصلاة و للابا

الشيخ فليح حسون الكربلائي المتوفى ١٢٩٦

زهت كربلا لما حلت بأرضها فكل بلاد لست من أهلها قفر
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٣٤ تبا لساكن كربلا يا ليتها انقلبت او اصطلم الردى سكانها

كاظم الأزرى

افدى القروم الاولى سارت ركابهم و الموت خلفهم يسرى على الأثر
لله من فى مغانى كربلاء ثوى و عنده علم ما يأتى من القدر

*

سل كربلا كم حوت منهم هلال دجى كأنها فلكك للانجم الزهر ..

*

و اصفقة الدين لم تنفق بضاعته فى كربلاء و لم يربح سوى الضرر

*

لله صخرة وادى الطف ما صدعت الا جواهر كانت حليه الزمن
يهنيك يا كربلا و شى ظفرت به من صنعة اليمن لا من صنعة اليمن

*

لم تدر اى رزايا الطف تندبها ضربا على الهام ام سبيا على البدن

كثير عزة

الا ان الأئمة من قريش ولاة الحق اربعة سواء
على و الثلاثة من بنيهم الاسباط ليس بهم خفاء
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٣٥ فسبط سبط ايمان و بزّو سبط غيبته كربلاء
و سبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء ...

الكميت بن زيد الأسدى

و قتل بالطف غودر منهم بين غوغاء امه و طعام

الشيخ محسن أبو الحب

ما كنت إلا واحدا فى كربلا اضحى لأعين أهلها انسانا

*

(الطف) فيك تباشرت و رحابها أضحت بمقدمك الكريم ترحب
الشيخ محسن أبو الحب

الحاج محمد حسن أبو المحاسن

نعلل النفس بالوعد الذى وعدوا أنى و قد طال فى انجازه الامد

ان كان غير بعد العهد ودهم فودنا لهم باق كما عهدوا
 ما انصفونا سهرنا ليلنا لهم صباة و هم عن ليلنا رقدوا
 ابو المحاسن وزير المعارف العراقية الأسبق
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٣٦ تبكيهم مقلتي العبرى و لو سعدت بكت مصاب الألى فى كربلا فقدوا
 مصالت كسيوف الهند مرهفة فرنها كرم الاحساب و الصيد
 وافى بها الاسد الغضبان يقدمها اسدا فرائسها يوم الوغى أسد
 * و قال يشكر متصرف كربلاء (عبد اللطيف باشا) على إجرائه الماء فى جدول (الحسينية) سنة ١٣١٦ هـ و يؤرخ ذلك العام:
 هذا حمى الرمل و ذاك معهده فجع بنا نبته ما نجده
 يا ناعس الاجفان سهدت فتى كان لئيل العز قدما سهده
 لولا الهوى لاقيت منى أغلبا مستبسلا صعبا يكون مقوده
 أيدت بالحسن و سلطان الورى عبد الحميد) ربه مؤيده
 ولّى علينا عادلا منتصفا لكل مظلوم أتى يستنجه
 (عبد اللطيف) ذلك الشهم الذى يسترقد التيار من يسترده
 يا مدركا شأ و علا و سؤدد يفوت سبق الطالبين أمده
 طوبى لاهل كربلا فانهم فازوا بجحجاح كريم محتده
 جلوت اذ أجريت ماء نهرهم همومهم فليشكرن من يرده
 و كيف يعصيك الفرات بعد ما اصبح من فيض نداك مدده
 أجرى لنا عبد اللطيف منهلا كجوده أرخت (ساغ مورده)
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٣٧

الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء

اين الذين ببشرهم و بنشرهم يحيا الرجاء و تأرج الارجاء
 ضربوا بعرضه كربلاء خيامهم فأطل كرب فوقها و بلاء
 لله اى رزيه فى كربلا عظمت فهانت دونها الارزاء
 الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء

يا هل ترى مضرا درت ماذا لقت فى كربلا ابناؤها و بناتها
 خفرت لها ابناء حرب ذمة هتكت لهم ما بينها خفراتها
 جارت على تلك المنيعات التى تهوى النجوم لو انها جاراتها

الى ان دبت تسرى بسم نفاقهم الى كربلا رقص الافاعى النوافث
 فأخنت على آل النبى بوقعة بها عاث فى شمل الهدى كل عابث

الشيخ محمد على كونه

فواحزنى اذ لم اكن يوم كربلاقتيلا و لم ابلغ هناك مآربي
 فان غبت عن يوم الحسين فلم تغب بنو أسد أسد الهياج أقاربي
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٣٨ لله طائفة بعرضه كربلابفنائها طاف البقا بصفائها
 فئه اباء الضيم تدرى انهاورثت إباء الضيم من آباؤها ...
 عن كربلا و بلائها سل كربلاسل كربلا عن كربها و بلائها ...
 **

بكر الغمام فجاء عرصه كربلارضا بها نور الهدايه يغرب ...
 *** و قال فى بناء مرقد ابى الفضل العباس (ع) مؤرخا عنايه السلطان عبد المجيد خان بنائه:
 مثنوى، ابو الفضل عباس ثوى فيه مأوى تود الثريا ان تدانيه
 قصر مشيد و بيت عز جانبه من ان يساويه بيت او يضاويه
 عبد المجيد علا سلطانه شرفا و زاده بسطة فى الحكم باريه
 ارسى على الشرف الاعلى قواعد فجازت الفلك الاعلى اعاليه
 أنى يضاهى علا قل يا مؤرخه مأوى ابى الفضل و السلطان بانيه
 سنه ١٢٦٦ هـ

مرسى شاعر الطنطاوى

فى كربلاء ماتم لا تنتهى حتى يداهمنا الحمام صؤولا
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٣٩

مصعب بن الزبير (تمثلا)

و ان الألى بالطف من آل هاشم تأشوا فسؤا للكرام التأسيا

معن بن أوس المزنى

اذا هى حلت كربلاء فلعلعافجوز العذيب دونها فالنوايحا
 فبان نواها من نواك و طاوعت مع الشانئين الشانئات الكواشحا

مهدي الجواهرى

ابت سورة الاعراب الا وقيعه بها انتكص الاسلام رجعا الى الورا
 و نكس يوم الطف تاريخ امه مشى قبلها ذا صولة متبخترا
 مهدي الجواهرى**

و احسب لو لا أن بعد مسافة زوت عندما لاقى الحسين و ما جرى
 و لو لا ذحول قدمت فى معاشرتفاضوا بها فى الطف دينا مؤخرا

لزعزع يوم الطفّ عن مستقرّه وغيّر من تاريخه فتطوّرا ...

* و في اشارته إلى المؤتمر العراقي الشهير الذي انعقد في كربلاء في شعبان سنة ١٣٤٠ هـ و ضمّ سائر طبقات العراقيين على اختلافهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٤٠

للاجتماع و المداولة مع فيصل بن الحسين، قال الجواهري يذكر جهود علماء النجف و كربلاء و زعماء العشائر:

تذكر لعل اذكار العهود يراح به نفس رازح

غداة استضمّك في كربلاء و اياهم المجلس الفاسح

هم القحوا الامر حتى اذا تمخّض لم يجنه اللاقح

فيا جبر الله ذاك الكسيرو يا خسر الصفقة الرابع ...

**

فداء لمشواك عن مضجع تنوّر بالابلج الاروع

باعقب من نفحات الجنان روحا و من مسكها اضوع

ورعيا ليومك يوم الطفوف و سقيا لأرضك من مصرع

مهيار الديلمي

ابا حسن ان انكروا الحق واضحا على أنه و الله انكار عارف

سلام على الاسلام بعدك انهم يسومونه بالجور خطّة خاسف

و جدّدها بالطفّ بانك عصبه ابا حوا لذاك القرف حكّة قارف

**

بآل على صروف الزمان بسطن لسانی لدم الصروف

و ليس صديقي غير الحزين ليوم الحسين و غير الأسوف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٤١ هو الغصن كان كميننا فهبّ لدى كربلاء بريح عصفوف ...

**

خمد الجمر و وجدى بينى الزهراء ذاكي

يا ابنه الطاهر كم تقشر بالظلم عصاك غضب الله لخطب

ليلة الطفّ عراك يا قبورا بالغريين

الى الطفّ سقاك كل محلول عرى المرزم

محلوب السماك حامل من صلوات الله ما يرضى ثراك ...

**

و شهيد بالطف ابكى السماوات و كادت له تزول الجبال

يا غليلي له و قد حرّم الماء عليه و هو الشراب الحلال

قطعت وصله النبي بأن تقطع من آل بيته الاوصال

**

اضاليل ساقط مصابب الحسين و ما قبل ذاك و ما قد تلا

اعية لابس عارها وان خفى الثأر او حصلا
 فيوم السقيفة يا ابن النبي طرق يومك في كربلا
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٤٢

السيد موسى الطالقاني

يا نازلين بكربلا كم مهجة فيكم بفادحة الخطوب تصاب

هل نسيت السبط يا ابن المصطفى يوم الطفوف يشتكى حرّ الظما ما بين هاتيك الصفوف

جرّعه عن لذيد الماء كاسات الحتوف ثم داروا ببناات المصطفى كل بلاد

*

لست انساه طريحا في محاني كربلا في الثرى يبقى ثلاثا عاريا منجدلا

*

واصرعا بين اجراع الطفوف وزعت اعضاؤه بين السيوف
 قد كسا شمس الضحى برد الكسوف وارتدى البدر عليه بالسواد

*

كل واد ارى لهم فيه قبر الشهيد بالسم او لقتيل
 قد حوت طيبة من الطيبين الغزاز كي قوم و خير قبيل
 و بوادي الغرى اى امام هو دون الانام نفس الرسول
 و بأرض الطفوف اى قتيل عافر من دم الوريد غسيل
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٤٣

مير على أبو طيخ

يا ابن النبي لأنت ارفع جانباعن ان يلّم بوصف كنهكم فمى ...
 هلا شهدت الطف حين توازرت زمر الضلال على ابن فاطم ترمى
 من بعد ما صرعت اخاه سيوفهم فقضى ظما بضاف نهر العلقم (ى)

*

نزعت تخطّ بكل نفنفلها اديم الأرض مصحف
 تأبى مسايرة النسيم و من خفوق البرق تأنف
 يا خطفة الخف اقصرى ان صافحتك معالم الطف
 فبه ابن فاطم زاجرا طياره و به تعيف
 ليث اذا شام الظبايضا تغطرس أو تغطرف

*

تطوى الذميل على الرسيم وتفل ناصية الأديم
 تدع البروق وراءها وتجرّ ارسنة النسيم
 فالغرب شرق عندها والشرق غرب حين تومي
 قد شاقها وادي الطفوف فنكبت وادي الغميم
 تهفو لمعهد فتية هم نجدة الحى المضميم
 غرّ بها ليل الوجوه قوارع الصيد القروم
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٤٤

للحاج هاشم الكعبى المتوفى سنة ١٢٣١ هـ

و مطرحون تكاد من انوارهم يبدو لعينك باطن الاسرار
 نفست بهم ارض الطفوف فأصبحت تدعى بهم بمشارك الانوار
 لولا السقيفة و الذين تبرموا نقضا لحكم الواحد القهار
 فنفوا مقام نبيهم عن ربه و مضوا بنحلة بضعة المختار
 لم يلف سبط محمد فى كربلا يوما بهاجرة الظهيرة عارى
 تطأ الخيول جبينه و ضلوعه بسنابك الايراد و الاصدار
 كلا و لا راحت بنات محمد يشهرن فى الفلوات و الامصار
 حسرى تقاذفها السهول الى الربى و تلفها الانجاد بالاغوار

**

ان تكن كربلا فحيوا رباها و اطمئنا بنا نشم تراها
 و الثموا جوها الأنيق على ما كان فى القلب من حريق جواها
 و اغمروها بأحمر الدمع سقيافكرام الورى سقتها دماها
 بالله ان جئت الطفوف مبلغا عنى سلامه
 من بعد أن قبلت تربته و اكثرث التثامه
 و شفيت داء ك اذ مسحت بوجهك العالى رغامه
 و معارج الأفلاك حيث قيامها يتلو قيامه
 و سمعت اصوات الدعاء و قولهم: لهم الكرامه
 فاذكر له الشوق الملح و كيف هيمة (هيامه)
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٤٥ و اخبره ان الصب بعد لقاك لم يعرف منامه
 ما لذ برد العيش من ذكراه بعدك (و انصرامه)
 يشتاق برقا كلما استعلى عراقيا فشامه
 أنفاسه قيد الزفير و سجعه سجع الحمامه

*

تريد من الليالى طيب عيش و هل بعد الطفوف رجاء طيب؟

سقى الله الطفوف و ان تناءت سجال السحب مترعة الذنوب
فكم لى عندها من فرط وجدو حر جوى لاحشائى مذيىب
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٤٦

اهم المصادر التى اعتمدها الكاتب

- ١- تبیین المعانى فى شرح ديوان ابن هانى
- ٢- ديوان ابى تمام.
- ٣- معجم البلدان.
- ٤- ديوان ابى فراس.
- ٥- فتوح البلدان (البلاذرى).
- ٦- ديوان الشيخ جابر الكاظمى.
- ٧- ديوان السيد حيدر الحلى.
- ٨- ديوان دعبل الخزاعى.
- ٩- ديوان رشيد الهاشمى.
- ١٠- ديوان سبط ابن التعاوىذى.
- ١١- زهر الآداب.
- ١٢- لسان العرب.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٤٧
- ١٣- ديوان الشريف الرضى.
- ١٤- ديوان الصاحب بن عباد.
- ١٥- ديوان طلائع بن رزيك.
- ١٦- الترياق الفاروقى.
- ١٧- ديوان الحوىزى.
- ١٨- ديوان الاخرس.
- ١٩- سمو المعنى فى سمو الذات.
- ٢٠- ديوان الشيخ كاظم الازرى.
- ٢١- الاغانى.
- ٢٢- مروج الذهب.
- ٢٣- ديوان ابى المحاسن.
- ٢٤- مقتل الحسين للشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء.
- ٢٥- ديوان ابن كمونه.
- ٢٦- مسرح العين.
- ٢٧- انساب الاشراف.

٢٨- ديوان الجواهرى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٤٨

٢٩- ديوان مهيار الديلمى.

٣٠- ديوان السيد موسى الطالقانى.

٣١- ديوان (الانواء) للسيد مير على ابى طييح.

٣٢- ديوان الكعبى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٤٩

كربلاء فى المراجع الغربىء كته و ترجمه جعفر الخياط

اشاره

الحائز على درجة استاذ علوم M.S.C. من جامعه كليفورنيا و مدير التعليم الثانوى و المفتش الاختصاصى فى وزارة التربية سابقا و مدير التعليم المهنى العام حالا
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٥١

كربلاء فى المراجع الغربىء

اشاره

لن كانت النجف أول عتبة دينية يقدهسها العالم الإسلامى، بعد مكة و المدينة، و يقصدها الزوار من جميع أنحاء، فقد كانت كربلا و لم تزل تضاهى النجف فى ذلك و تعتبر فى مقدمه العتبات الإسلاميه المقدسه التى يؤمها الزوار من كل حدب و صوب. و لا غرو، فهى البقعة التى قبرت فيها رفات الإمام الشهيد الطاهره، و أهل بيته و صحبه المضحين الخالدين، و شهدت أروع معركة فى التاريخ جال فيها الباطل على الحق و سقط فى حومتها الشهداء من أجل المبدأ القويم.
و لم يقتصر زوار هذا البلد الأمين على المسلمين من ملوك و أمراء، و علماء و رحالين، أو فقراء و متعبدين، و إنما كان بينهم عدد من الباحثين و المستشرقين و السياح و الرحالين الذين جاءوا اليه من الغرب و قد استهوتهم قدسيته و بهرتهم
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٥٢
روحانيته، فاجتذبتهم أهميته الفريده فى بابها. و قد كان لا بد لهذا البلد الفذ فى وضعه و ماهيته من ان تخلده الكتب الغربيه و الشرقيه على السواء، و يستقصى أخباره مشاهير العلماء و المؤلفين. و لذلك سأحاول فى بحثى هذا أن أجمع أهم ما كتب من هذا القبيل، مما ينطوى على الطرافه و الأهميه التاريخيه فى الوقت نفسه، و يدل على ان واقعه الطف التى نشأت عنها كربلا فى وضعها هذا لم تكن فى الحقيقه سوى مأساه انسانيه عامه لا يقتصر الاهتمام بها على المسلمين و العرب و حدهم.

كربلا فى بداية عهدها

ان أول ما تجب الإشارة اليه فى هذا الشأن هو ما ورد عن كربلا فى (دائرة المعارف الإسلاميه) التى تلخص الخلاصه الوارده فيها أهم ما يختص بها و بالخير الحسينى المقدس فى مختلف العصور و الأدوار. و لا شك ان ما جاء فى هذه الخلاصه يستند على المراجع

العربية في الدرجة الأولى، مثل كتابات البلاذري، و المقدسي، و الاصطخري، و الطبري، و ياقوت، و المستوفى، و غيرهم. لكنه يستند إضافة الى ذلك، على ما كتبه الغربيون انفسهم من تحقيق خاص بهم كالمستشرق الالمانى المعروف نولدكه فى كتابه بالألمانية عن كربلا و مشهد الحسين عليه السلام، و المستشرق البحاثة لسترنج صاحب (بلدان الخلافة الشرقية) و غيرهما. و تبدأ هذه الخلاصة بالأشارة الى ان كربلا تقع فى جنوب غربى بغداد على حافة البادية، فى موقع يقابل قصر ابن هبيرة. ثم تشير الى ان اسم كربلا موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٥٣

نفسه قد تكون له صلة بالاسم الآرامى «كاربيلا» الوارد فى (سفر دانيال ٣، ٢١) أو بالاسم الآشورى «كاربلاتو» الذى يدل على اسم لباس من ألبسة الرأس. غير ان هذا الاسم لم يرد له ذكر قبل الفتح الإسلامى على كل حال. و من المعتقد ان خالد بن الوليد كان قد خيم فى موقع كربلا نفسه بعد ان احتل الحيرة فى أيام الفتح الإسلامى. و فى يوم عاشوراء (١٠ محرم سنة ٦١ هـ) او (١٠ تشرين الأول ٦٨٠ م)، بينما كان الحسين بن على فى طريقه من مكة إلى العراق، الذى كان يعترم إظهار حقه فيه، أجبر على النزول فى سهل كربلا الكائن فى منطقة «نينوى»، و هناك اضطر للاشتباك مع قوات الحاكم الأموى فى الكوفة فقتل و دفن فى الحير. و سرعان ما أصبح المكان الذى دفن فيه جسم سبط الرسول الكريم، بعد ان قطع رأسه، مزارا مهما من مزارات الشيعة.

و بالنظر لاختصار ما كان من أمر الحسين الشهيد و مقتله فى هذه الرواية، لا بد من ايراد ما يأتى على الموضوع بشيء من التفصيل. و خير ما يمكن الاستشهاد به فى هذا الشأن ما كتبه المؤرخ الهندى المسلم الشهير السيد أمير على بالانكليزية فى كتابه (مختصر تاريخ العرب). و كان السيد أمير على هذا عضوا فى مجلس شورى الملك بانكلترة، و مؤلفا لكتب عدة أخرى كتبها بالانكليزية عن الإسلام و تاريخه منها (روح الاسلام) و (القانون الاسلامى) و غير ذلك. فهو يقول عن موقعه كربلا و تحليلها ما يأتى:

«... و قد كان الصلح المعقود بين الحسن و معاوية ينص على الاعتراف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٥٤

بحق الحسين فى الخلافة، لكن معاوية نقض العهد و أخذ البيعة لابنه فحنق الحسين، و زاد فى حنقه فساد يزيد. و عندما طلب اليه أهل الكوفة ان يعاونهم على رفع نير بنى أمية و ينقذهم من استبدادهم لبي طلبهم فى الحال، و باستثناء عبد الله بن الزبير الذى شجعه على المسير ليزيحه عن طريقه و يخلو له الجو من بعده فقد حاول جميع أصدقائه ان يثوه عن عزمه و نصحوه ألا يأخذ بمواعيد العراقيين الذين و ان كانوا متصفين بالحماسة و شدة البأس الا أنهم قوم قلب يعوزهم الثبات و الحزم ... غير ان التأكيدات التى وردت اليه من أهل العراق قد حملته على الشخوص الى الكوفة، فاجتاز الصحراء دون ان يلقى أية مقاومة. و كان يصحبه جماعة من أهل بيته و أصحابه و أتباعه المخلصين و أطفاله و نسائه، فلما اقترب من حدود العراق لم ير أثرا لجيش الكوفة الذى وعده بالموت دونه. فرؤع لتلك المفاجأة و دخلت على قلبه الوحشة من مظهر البلد العدائى، و شم فى الجو رائحة الغدر و الخيانة فخيم مع جماعته الصغيرة فى الموقع المسمى الآن (كربلا) على مقربة من شاطئ الفرات الغربى. و لم يلبث أن تكشف له الغدر، و حسرت له الخديعة لثامها عن جيش يزيد بامر عبيد الله بن زياد بن أبيه. فحاصرت هذه القوة خيام الحسين عدة أيام، و سدت عليهم منافذ النجاة، كما حالت بين جماعته و بين الماء.

«لكن جنود عبيد الله لم يجرؤوا بالرغم من كل ذلك على الدنو من الحسين الذى كان قد اقترح على رئيسهم عمر بن سعد ثلاث خصال، و هى: ١- اما أن يتركه يرجع الى المدينة. ٢- أو أن يسيره إلى حدود الترك يقاتلهم حتى يموت. ٣- أو يسيره إلى يزيد. غير أن أوامر الطاغية ابن زياد كانت لا تقبل التأويل، و هى ان يحملوهم إلى الخليفة ليرى رأيه فيهم كمجرمين.

ثم عاد الحسين فعرض عليهم أن يبقوا على حياة الأطفال الابرياء و النساء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٥٥

الضعيفات و يقتلوه وحده فيضعوا حدا لهذا القتال غير المتكافىء، بيد أن الرحمة لم تتسع لها قلوبهم. و عندئذ ألح على أصحابه ان يتركوه وحده، فرفضوا ان يتخلوا عنه قائلين: «لا- خير في الحياة بعدك». و قد أحجم عن القتال رئيس من رؤساء جيش يزيد حينما تيقن ان الدائرة ستدور بلا ريب على ابن بنت الرسول، و ترك الجيش في ثلاثين من أتباعه.»

«و كان الحسين في كل التحام يقع يعقد له النصر على أعدائه، غير أن النبال كانت تحصد أصحابه من بعيد فيسقط الواحد تلو الآخر حتى قتلوا جميعا الا ابن بنت الرسول الذي تحامل على نفسه و يمم وجهه شطر النهر ليطفىء ظمأه، فسدوا اليه السهام و رموه بالنبل ليحولوا بينه و بين الماء. فعاد أدراجه إلى خيمته و أخذ بين يديه ابنه الرضيع فرشقه أحدهم بسهم قضى عليه في الحال. و على هذا النحو فتكوا بأولاده و اولاد أخيه و هم في أحضانه، و لما أرهقه الجزع و ألقى نفسه وحيدا خائر القوى حيال أعدائه خرج من خيمته فناولته إحدى النساء بعض الماء لكنه ما كاد يرفع الوعاء إلى شفثيه حتى سدوا اليه سهمًا ملاً فمه دما. فرفع يده إلى السماء يستمطر الرحمة على الأحياء و الأموات من جماعته، ثم نهض واقفا صادق البأس، ثابت الجنان، و حمل عليهم حملة مستميتة ففروا من أمامه. لكن الضعف كان قد بلغ منه منتهاه لكثرة ما نزع من دمه فسقط على الأرض، و في الحال هجموا عليه و احتزوا رأسه، ثم حملوه إلى قلعة الكوفة»

ثم يستشهد السيد أمير على بقول المؤرخ الانكليزي الأشهر غيبون Gibbon الذي يقول عن هذه الفاجعة: «.. إن مأساة الحسين المروعة»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٥٦

بالرغم من تقادم عهداها و تباين موطنها لا بد ان تثير العطف و الحنان في نفس أقل القراء إحساسا و أفساهم قلبا» و يعلق على ذلك بقوله إن مذبحة كربلاء قد هزت العالم الاسلامي هزا عنيفا و خلقت في فارس شعورا ساعد أحفاد العباس فيما بعد على استغلاله لمصلحتهم الشخصية و تقويض دعائم الدولة الأموية. و كان السخط قد بلغ منتهاه في المدينة، حتى اضطر يزيد الى ان يولى عليها عاملا خاصا لتهدئة خواطرها.

و يقول السير برسي سايكس في كتابه (تاريخ ايران)، عند استعراضه الموجز لموقعة كربلاء، ان الامام الحسين و عصبته القليلة المؤمنة عزم على الكفاح حتى الموت و قاتلوا ببطولة و بسالة ظلت تتحدى أعجابنا و اكبارنا عبر القرون حتى يومنا هذا. و يذكر في معرض وصفه «للتشاييه» التي تخرج في ايران مع مواكب العزاء الحسيني في يوم عاشوراء، أنه رأى بعينه ان شخصا كان يقوم بدور الشمر انقض عليه المشاهدون المتجمعون فأوسعوه ضربا و لكما و لم ينج الا- حين استطاع ان يفلت منهم و هو يرتجف خوفا و هلعا، و يلتجئ الى الحاكم العام طالبا حمايته و مخبرا اياه أنه طباخه الخاص. ثم يذكر انه سمع حوادث متعددة قد وقعت من هذا القبيل و قتل فيها من كان يقوم بدور الشمر.

أول من زار الضريح

و لقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية كذلك انه يلاحظ في أخبار سنة ٦٥ للهجرة (٦٨٤-٨٥ م) بعد ذلك ان سليمان بن صرد الخزاعي قد قصد المكان مع أتباعه لزيارة القبر المطهر، و أقام بالقرب منه نهارا و ليلة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٥٧

كما يلاحظ في أخبار سنتي ١٢٢ هـ (٧٣٩-٤٠ م) و ٤٣٦ هـ (١٠٤٤-٤٥) ان الزوار كانوا يتقاطرون على الضريح المقدس و يتبركون به. و يذكر نقلا- عن الطبري كذلك، ان خدم المشهد الحسيني كانوا يتسلمون الهبات الخيرية من أم موسى والدة المهدي الخليفة العباسي.

على ان الدكتور جون هولستر يروي في كتابه (شيعه الهند) خبرا مفاده ان أول من زار قبر الحسين، بعد مرور أربعين يوما على دفنه

كان الصحابي المعروف جابر بن عبد الله. و يقول كذلك ان إحدى الروايات الشيعية تنص على ان بعض المؤمنين المحبين لآل البيت كان قد أشر على مكان القبر المطهر بزرع شجرة (عنجاص) بالقرب منه. لكن هذه الشجرة قد اجتثت فيما بعد بأمر من الخليفة هارون الرشيد، و حرثت الأرض المحيطة بها. غير ان بعض النازلين على مقربة من الموقع بادروا الى وضع علامة غير ظاهرة فيه. ثم يذكر ان الضريح المقدس تعرض الى الكثير من التقلبات منذ ان أعاد عضد الدولة البويهى تشييد القبّة فوقه، و خصه بخزينة خاصة، و ان الجدول الموجود فى كربلا كان قد حفر فى ٩٥٧ للهجرة.

و يذكر الدكتور هولستر فى مكان آخر ايضا، أى فى معرض البحث عن شهاب الدين أحمد شاه ولى ملك الدكن (١٤٢٩ م)، ان سيدا بارزا من سادات كربلا يدعى ناصر الدين، زار هذا الملك فى الهند و تسلم منه مبلغا كبيرا من المال لانشاء قناة فى كربلا. و يورد فى هذه الاثناء قصة طريفة مفادها ان رجلا من أشرف الدكن تجاوز على هذا السيد و أنزله من موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٥٨

فوق فرسه بالقوة، لأنه شعر بأنه لم يقدر تقديرا كافيا عند زيارة السيد المشار اليها. فشكا السيد هذا الرجل الى الملك، فلم يكن منه الا ان يبعث عليه فيزجه بين أرجل الفيلة لتسحقه حتى يموت. ثم خاطب من كان حوله من الرجال بقوله ان الاهانة التى توجه لرجل من سلالة النبي الكريم لا بد من ان يقتص لها من فاعلها على هذه الشاكلة، و ان حماية الاسلام و رجاله لفرض على الجميع.

هدم المتوكل لقبر الحسين

و مما جاء فى دائرة المعارف الإسلامية أيضا ان المتوكل العباسى كان قد عمد فى ٢٣٦ هـ (٨٥٠-٨٥١) الى هدم الضريح المطهر فى كربلا- و ملحقاته، و زرعه بعد تسوية أرضه. ثم منع زيارة المكان و غيره من البقاع الشيعية المقدسة، و هدد الزوار بفرض عقوبات صارمة عليهم. على ان المعروف فى المراجع العربية ان الخليفة المتوكل هذا قد أمر بهدم قبر الحسين و مخره و حرثه أربع مرات متتاليات خلال مدة حكمه البالغ حوالى خمس عشرة سنة (٢٣٢-٢٤٧ هـ)، بعد ان كان الخليفة المأمون على ما يعتقد قد أمر بتعمير القبّة و توسيع الحير الذى كان قد هدم بايعاز من أبيه هارون الرشيد قبل ذلك. و كانت أول مرة هدم فيها المتوكل قبر الحسين الشهيد على أثر ذهاب إحدى جواريه المغنيات الى زيارة شعبان فى كربلا سنة ٢٣٢ هـ (٨٤٦ م).

و المرة الثانية سنة ٢٣٦ (٨٥٠ م) و هى المرة التى تشير اليها دائرة المعارف الإسلامية إشارتها هذه، أما المرة الثالثة ففى سنة ٢٣٧، اى فى السنة التالية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٥٩

بينما كانت المرة الرابعة فى سنة ٢٤٧، فقتل على أثرها بتدبير من ابنه الخليفة المنتصر لأنه كان تقيا ورعا يميل الى أهل البيت. و يقول السيد امير على فى كتابه المكتوب بالانكليزية المار ذكره ان المتوكل بلغ به كرهه لعلى بن ابى طالب و آل بيته ان هدم قبر الحسين فى كربلا و أمر بزرعه و سقيه، كما منع الناس من زيارته مهددا من يخالف أمره بأقصى العقوبات. و يلاحظ ان السيد أمير على يسمى المتوكل من أجل هذا، و غيره من الاعمال المنكرة، بنبيرون العرب.

هذا و المعروف فى المراجع العربية ان المتوكل كان يعهد بمهمة الهدم الى رجل من أصل يهودى اسمه ابراهيم الديزج، و الديزج كلمة فارسية تعنى الحمار الأدغم و قد ورد اسمه فى عدة مناسبات أخصها القصيدة العصماء التى نظمها الشاعر المعروف ابن الرومى فى رثاء العلويين الشهداء و هجاء العباسيين الذى تناول فيه المتوكل و هدمه للقبر المطهر، كما يلاحظ من الأبيات التالية:

أفى الحق ان يمسا خماسا و انتم يكاد اخوكم بطنه يتنعج

و تمشون مختالين فى حجراتكم ثقال الخطى أكفالكم تترجرج

وليدهم بادی الطوی و ولیدکم من الریف ریان العظام خدلج
تذودونهم عن حوضهم بسلاحهم و یشرع فیہ أرتبیل و أبلج
و قد الجمتهم خیفه القتل منکم و فی القوم حاج فی الحیازیم حوج
و لم تقنعوا حتی استتارت قبورهم کلابکم منها تهیم (و دیزج)
و ان دلت أعمال الهدم المتکررة هذه، و ما کان یبعها من تعمیر سریع
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٦٠

للقبر، علی شیء فانما تدل علی انحراف ظاهر فی عقلیه المتوکل من جهة، و مدى القوة فی عقیده الرأی العام المسلم الذی کان یأبى
یومذاك الا أن یخلد الحسین الشهید بتعمیر ضریحه و تقدیس تربته برغم جمیع ما کان بریده الغاشمون من اضطهاد و تنکیل.
و لذلك تقول دائرة المعارف الإسلامیة انه یلاحظ من اخبار سنة ٣٦٧ (٩٧٧ م) ان مشهدا کبیرا ذا قبة عالیة کان موجودا یومذاك
حول قبر الحسین، و ان الزوار کانوا یقصدونه بأعداد کبیرة فیدخلون الیه من الأبواب المختلفة الی کان یوجد واحد منها فی کل
جانب من جوانبه.

کربلاء فی ٣٦٩ - ٧٢٧ هـ

و قد جاء فی دائرة المعارف الإسلامیة بعد هذا ان حملة تأدییة خاصة سیقت فی ٣٦٩ (٩٧٩ - ٩٨٠ م) الی عین التمر (شفائه)
للاقتصاص من ضبة بن محمد الأسدی لأنه کان قد أغار مع بعض العشائر علی مشهد الحسین فی کربلا و غیره من الأماكن المقدسة
الاخری فنهبا و هدمها، فولی هاربا أمامها الی البادیة. و جاء فیها كذلك ان عضد الدولة البویهی قد وضع المشهدين المقدسين فی
کربلا و النجف خلال السنة نفسها تحت حمايته. و ضبة ابن محمد هذا کان یتزعم عصابة من اللصوص و قطاع الطرق فی أيام الطائع
للّه العباسی. و یتخذ عین التمر مقرا له، فاستطاع ان ینهب خزائن الحائر و نفائسه تلك السنة و یحدث بعض التخريبات فیہ. و فیما یلی
نص الخبر الذی أورده ابن الأثیر فی هذا الشأن: «.. و فی هذه السنة أرسل عضد الدولة سریة الی عین التمر و بها ضبة بن محمد
الأسدی، و کان یسلک سبیل اللصوص و قطاع الطرق، فلم یشرع الا و العساكر معه فترك أهله و ماله و نجا بنفسه فريدا، و أخذ ماله و
أهله و ملكت عین التمر. و کان قبل ذلك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٦١

قد نهب مشهد الحسین صلوات الله علیه فعوقب بهذا ..» و يبدو ان عضد الدولة قد أمر بعد هذه الحملة بتجديد الحائر و تعميره، حیث
ان ابن الأثیر یورد كذلك قوله ان عضد الدولة أصلح فی هذه السنة الطريق من بغداد الی مکة، و أطلق الصلوات لأهل البيوتات و
الشرف و الضعفاء المجاورين بمكة و المدينة، و فعل مثل ذلك فی مشهدي علی و الحسین علیهما السلام.
و مما ورد فی دائرة المعارف المذكورة كذلك ان الحسن بن الفضل المتوفى سنة ٤١٤ (١٠٢٣) شيد سورا حول الضريح المقدس فی
مشهد الحسین.

و ان حريقا هائلا حدث سنة ٤٠٧ (آب - أيلول ١٠١٦ م) علی أثر انقلاب شمعتين کبیرتين بالقرب من القبر المقدس، فتقوضت بذلك
القبه و الأروقة و استحالت الی رماد. و یلاحظ فی المراجع العربیة ان هذا الحریق قد وقع فی منتصف الليل قضاء و قدرا (ربیع الأول
٤٠٧) فی عهد القادر بالله العباسی. غیر ان الدكتور عبد الجواد الکليدار یميل الی الاعتقاد بأن هذا الحادث قد لا یكون وقع عفوا نظرا
لما عرف عنه من نزعات و میول متطرفة و بث روح البغضاء بین الطوائف الإسلامیة الدینیة الی کان یتحصلها من الفقهاء. هذا
بالإضافة الی الحوادث المریبة الی وقعت قبیل الحریق بین الطوائف الإسلامیة فی أفريقية فذهب ضحيتها عدد کبیر من الشیعة، و الفتن
الداخلیة من النمط نفسه الی أعقبت حدوث الحریق. و یتتد الدكتور الکليدار علی روايات ابن الجوزی و ابن الأثیر فی رأیه هذا.

و تورد دائرة المعارف الإسلامية خبر زيارة السلطان ملكشاه السلجوقي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٦٢

الى كربلا- و النجف سنة ٤٧٩ (١٠٨٦ م)، و زيارة الأيلخان غازان للضريح المقدس في كربلا سنة ٧٠٣ (١٣٠٣ م) و تقديمه هدايا كثيرة له .. و يرى كاتب البحث في هذا المرجع ان غازان خان أو أباه أرغون يعزى الى أحدهما سحب الماء الى منطقة كربلا بشق قناة من الفرات اليها. و لا شك انه يقصد بذلك شق جدول الحسينية الحالي. و تستند هذه الرواية على ما أورده المستشرق الألماني نولدكه في كتابه المشار اليه في صدر هذا المبحث.

و تشير أيضا الى زيارة الرحالة المغربي المعروف ابن بطوطة الى كربلا في ٧٢٧ (١٣٢٦-١٣٢٧ م) و تورد مضمون وصفه لها. و لزيادة التوضيح ندرج فيما يأتي نص الوصف الوارد في رحلة ابن بطوطة نفسها: «... ثم سافرنا الى مدينة كربلا مشهد الحسين بن علي عليهما السلام، و هي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل، و يسقيها ماء الفرات، و الروضة المقدسة داخلها و عليها مدرسة عظيمة و زاوية كريمة فيها الطعام للوارد و الصادر. و على باب الروضة الحجاب و القومة لا يدخل أحد الا عن اذنهم فيقبل العتبة الشريفة و هي من الفضة. و على الضريح قناديل الذهب و الفضة، و على الأبواب أستار الحرير. و أهل هذه المدينة طائفتان: أولاد زحيك، و أولاد فائر و بينهما القتال أبدا. و هم جميعا إمامية يرجعون الى أب واحد، و لأجل فتنتهم تخربت هذه المدينة.»

و مما جاء في دائرة المعارف الاسلامية علاوة على ذلك ان حمد الله المتوفى يذكر في حوالى التاريخ نفسه ان محيط كربلا كله كان يبلغ حوالى (٢٤٠٠) خطوة، و ان قبر الحر بن يزيد الرياحي الذى كان أول من سقط من الشهداء فى معركة كربلا دفاعا عن الحسين كان موجودا فى تلك الفترة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٦٣

الشاه اسماعيل فى كربلاء

و جاء كذلك ان الشاه اسماعيل الصفوى زار كربلا و النجف فى ٩٣٠ هـ (١٥٤٢ م)، لكن الملحوظ ان زيارته للعتبتين المقدستين فى الفرات الأوسط قد وقعت فى أثر سقوط بغداد بيد قائده المعروف لالا حسين فى ٩١٤ (١٥٠٨) و ليس فى سنة ٩٣٠. اذ يقول المستر لونكريك فى (اربعه قرون من تاريخ العراق الحديث) ان الشاه اسماعيل الذى كان يعجل بنصر بعد آخر بعث لالا حسين لفتحها فكان له ما أراد بسهولة. و بدأ خضعت بغداد فى أواخر سنة ١٥٠٨ و طويت صفحة أخرى من صفحاتها. ثم يقول بعد ذلك ان دخول العراق فى حوزة العرش الشيعى الجديد جاء بالشاه مسرعا لزيارة العتبات المقدسة ... و حينما زار العتبات المقدسة فى الفرات أصلح نهرا من الأنهر فسماه باسمه «نهر الشاه»، و شيد بناية فخمة على قبر موسى الكاظم.

و يلاحظ من جهة أخرى ان بعض المراجع العربية تشير الى ان الشاه اسماعيل الصفوى هذا حينما فتح بغداد فى ٩١٤ هـ ذهب فى اليوم الثانى لزيارة المشهد الحسينى، و أمر بتذهيب حواشى الضريح، ثم أهدى اثنى عشر قنديلا من الذهب. و هذا أول عهد إدخال الذهب على العمارة. ثم جاء الشاه إسماعيل الصفوى الثانى فى ٩٣٢ هـ. فأهدى شبكة بديعة الصنع من الفضة لتوضع على القبر. و لعل اشارة دائرة المعارف الإسلامية إلى مجيء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٦٤

الشاه اسماعيل فى سنة (٩٣٠) يقصد بها هذا الخبر.

على انه لا بد من ان يذكر قبل هذه النبذة شىء عن كربلا فى عهد التيموريين إتماما لتسلسل البحث الزمنى التاريخى. فقد جاء فى كتاب دونالدسن (عقيدة الشيعة)، نقلا عن كتاب هوارث فى تاريخ المغول، ان التيموريين لم يمنعوا الناس من زيارة مراقد الأئمة القريبة من بغداد، و ان أمراء المغول المتأخرين كان بينهم من سمي باسم حسن أو حسين، الأمر الذى كان يدل على تسامحهم تجاه

العتبات الشيعية و عطفهم عليها. ثم يذكر ان تيمور لنك حينما وصل إلى بغداد في يوم ١٣ آب ١٣٩٣ فتح الناس أبواب بغداد له، بعد ان كان السلطان احمد الجلائرى قد هرب إلى الحلة. فاضطر جنوده إلى تمشيط البلاد المجاورة للتفتيش عنه حتى عثروا عليه في النهاية، و اصطدموا به في سهل كربلا، و كان ذلك في يوم قاتظ شديد الحرارة، فلم يؤد الاشتباك إلى نتيجة حاسمة فيما عدا تمكن السلطان من الفرار. و قد خشى الرؤساء التيموريون من الهلاك عطشا، ففتشوا عن الماء حتى وصلوا الى ساحل الفرات في محل يقال له «مشهد» كان الحسين بن علي قد قتل فيه.

و هنا قبيل كل منهم عتبة المكان المقدس، و أدى المراسيم المعتادة التي كان من المألوف ان يؤديها الزوار. و هذا يدل على ان الفاتحين التيموريين لم يكونوا يضمرون أى عداة تجاه الشيعة، و غير ميالين إلى التعرض بأماكنهم المقدسة. و حتى حينما احتلت بغداد و نهبت للمرة الثانية، بعد ثمانى سنوات، من قبل التيموريين و جرت مذابح خالية من الرحمة بين سكانها لم يرد أى ذكر موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٦٥ لتخريب أو هدم أية عتبة من العتبات البعيدة عنها.

السلطان سليمان في كربلاء

و تشير دائرة المعارف الإسلامية أيضا الى زيارة السلطان سليمان القانوني للمشهدين المقدسين في كربلا و النجف سنة ٩٤١ للهجرة (١٥٣٤ م)، و قيامه بإصلاح جدول الحسينية بحيث استحالت الحقول المدفونة بالرمال إلى جنائن و بساتين من جديد. و يقول المستر لونكريك في كتابه (أربعة قرون ..) ان السلطان سليمان كانت عنايته الثانية أن يزور العتبات المقدسة في الفرات الأوسط، و يفعل هناك أكثر مما فعله الزائر الصفوى في العهد الأخير. فوجد مدينة كربلا المقدسة حائرة في حائرها بين المحل و الطغيان. إذ كان الفرات الفائض في الربيع يغمر الوهاد التي حول البلدة بأجمعها من دون ان تسلم منه العتبات نفسها. و عند هبوط النهر كانت عشرات الألوف من الزوار يعتمدون على الاستقاء من آبار شحيحة قدره. فرفع مستوى «روف السليمانية» - و هى سدة ما تزال تقوم بعملها حتى اليوم- لوقاية البلدة من الفيضان. ثم وسع الترع المعروفة بالحسينية و زاد فى عمقها لكي تأتى بالماء المستمر، و لتجعل الأراضي الخالية المغبرة حولها بساتين و حقولا يانعة للقمح. و صارت هذه الترع تنساب فى أرض كان الجميع يظنونها أعلى من النهر الأصلي. فاستبشر الجميع بالمعجزة و اقتسم الحسين الشهيد و السلطان القانوني جميع الثناء و الأعجاب. و بعد أن زار سليمان قبر الأمام على فى النجف رجع الى بغداد.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٦٦

منارة العبد

و تتطرق دائرة المعارف الإسلامية فى بحثها الموجز عن كربلا الى ذكر «منارة العبد» فتقول انها شيدت فى ٩٨٢ (١٥٧٤-١٥٧٥)، و انها كانت تسمى «انكوشتى يار»، و ان السلطان مراد الثالث أمر و الى بغداد على باشا و نذزاده فى ٩٩١ (١٥٨٣) بترميم الحائر و إعادة تعميمه. و منارة العبد هذه هى مأذنة مرجان (مشيد جامع مرجان فى بغداد) عبد السلطان أويس الجلائرى الذى تعين واليا على العراق فرفع راية العصيان ضده و استبد ببغداد حتى اضطر السلطان أويس أن يسير اليه من تبريز فيقضى على حركته.

و حينما فشلت الحركة التجأ الى كربلا مستجيرا بحرم الإمام الشهيد عليه السلام. فعلم أويس بذلك و صفح عنه ثم استدعاه اليه فأكرمه و أعاده إلى وظيفته واليا على العراق من جديد. و كان حينما استجار بالحرم المطهر قد نذر ان يبني مئذنة خاصة فى الصحن الحسينى الشريف اذا خرج ناجيا من الغمة، ففعل ذلك و بنى حولها مسجدا خاصا، ثم

أجرى لهما من أملا-كه في كربلا- و بغداد و عين التمر و الرحالية أوقافا يصرف واردها على المسجد و المأذنة، و أصبحت تلك الأملاك الموقوفة أوقافا حسينية منذ ذلك الوقت .

و قد تم ذلك كله في سنة ٧٦٧ للهجرة، غير ان الشاه طهماسب بن الشاه اسماعيل الصفوي أمر بترميمها و تحسينها في سنة ٩٨٢، و لا شك ان هذا التاريخ هو الذي توهم به كاتب الخلاصة الواردة في دائرة المعارف الإسلامية المنقوله أعلاه فاعتبره تاريخا لبداية تشييد المئذنة. و قد رأى أحد الفضلاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٦٧

ان يؤرخ هذا العمل الخيري بالأبيات التالية:

ثم تداعى ظاهر المنارة للعبد و استدعى له العمارة

فمد كفه لها طهماسب و عمرت بما لها يناسب

و أرخت ما بين عجم و عرب أنكشت يار» تعنى «خنصر الأحب»

و الكلمتان الأخيرتان تنطويان على تاريخ التعمير. و هذا ما يشير اليه صاحب البحث الوارد في أعلاه، و يعتبر خطأ انه الأسم الثانى للمنارة.

و قد ظلت هذه المئذنة قائمة في مؤخرة الحائر المقدس، وسط الجانب الشرقى من الصحن، حتى هدمت عن جهل و ضلال في عام ١٩٣٧ بحجة ميلانها الى الانهدام. و كانت مأذنة متينة البنيان يبلغ قطر قاعدتها حوالى عشرين مترا، و ترتفع إلى ما يناهز الأربعين، كما كانت مزينة بالفسيفساء النادر و القاشانى البديع .

كربلا في القرنين السابع و الثامن عشر

ان أهم ما يرد في المراجع الغربية عن كربلا في هذه الحقبة الطويلة مما يشير الى النزاع المحتدم بين العثمانيين، المستولين على العراق، و الإيرانيين الذين كانوا ينافسونهم فيه. و من أهم مظاهر هذا التنافس و التناحر مطالبة الايرانيين بالعتبات المقدسة في مختلف الفرص و المناسبات، و احتلال الشاه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٦٨

عباس الصفوى لبغداد، و محاصرتها من قبل نادر شاه ثلاث مرات، و استئثار القبائل العربية بالسيطرة على المناطق المحيطة بكربلا و النجف، و غير ذلك.

فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن الشاه عباس الصفوى ما ان تم له احتلال بغداد في ١٦٢٣ حتى سارع فى الاستحواذ على المشهدين المقدسين فى كربلا و النجف و الفوز بهما للدولة الإيرانية على حد تعبيرها. و تتطرق إلى ذكر نادر شاه بعد ذلك فتقول انه زار كربلا- فى ١٧٤٣، و بينما نجد ان هذا الشاه يعزى اليه الفضل فى تذهيب قبة الإمام على فى النجف فانه تعزى اليه من جهة أخرى مصادرة الأوقاف و الهبات الخيرية العائدة للامامين الشهيدين فى كربلا. على ان ازدهار كربلا و رفاهية سكانها الكثيرين كانا موضع رعاية عبد الكريم خان، أحد الشخصيات المقربة اليه. و تذكر هذه الخلاصة كذلك أن رضية سلطان بكم (زوجة نادر شاه) و ابنة الشاه حسين (١٦٩٤ - ١٧٢٢) أهدت مبلغ عشرين ألف نادري لترميم العتبة فى كربلا- و ترميم مسجدها. و ان آغا محمد خان مؤسس الدولة القاجارية فى إيران هو الذى صرف على تغليف قبة الإمام الحسين و منارتيه بالذهب، فى أواخر القرن الثامن عشر.

و تشير المراجع العربية الى أن الشاه عباس الصفوى كان قد أدخل تحسينات كثيرة على الحائر المقدس و تزيينه، كما يلاحظ من الأبيات التالية التى تؤرخ سنة فتحه لبغداد (١٠٣٢ هـ) على أثر حادثه الصوباشى المشهورة:

ثم أتى العباس فى الأملاك فصير الصندوق فى شباك

و زين القبة بالكاشاني و البهو في شأن يغيظ الشاني

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٦٩ و روق الرواق و الصحن نظم و استجلب الفراش من صنع العجم و أطلق الكف بفضل وافرلسادن الروضة و المجاور للثنتين و الثلاثين قفاً ألف فأرخوه (بالحسن صفا)

و مما يمكن ان يذكر بمناسبة استيلاء الشاه عباس على بغداد الخبر التالي الذي قد تكون له علاقة و لو غير مباشرة بكر بلا. إذ يشير المستر لونكريك في (أربعة قرون ..) الى ان كليدار كربلا (السيددراج) استطاع ان ينقذ حياة الكثيرين من سكان بغداد الذين تعرضوا للقتل في أثناء الفتح. فيقول «.. و قد صرفت فكره- عن نيته الوحشية بعدم إبقاء أى سنى حيا- التماسات كليدار كربلا. فقد فاز السيد من دون صعوبة بحفظ حياة الشيعة في بغداد، و عند تقديم قائمة بهم أدخل في عدادهم كثيرا من السنة ..» و مما عثرنا عليه في المراجع الانكليزية بالنسبة لكربلا في أواخر القرن السابع عشر ما أورده المستر لونكريك عن زيارة والى بغداد قبلان مصطفى باشا لها تيمنا و تبركا، و هو منشىء جامع القبلائية في بغداد. و هو يذكر كذلك ان فتنة كبيرة نشبت بين الجند الحكومى في حامية كربلا- فنهبت على أثرها المدينة المقدسة نهبا فظيعا، على عهد والى بغداد اسماعيل باشا (١٦٩٨) الذى كان حاكما سابقا في مصر. فأدى ذلك الى احتجاج الشاه لدى الباب العالى في استانبول، و تحويل الباشا المذكور الى وال بعد شهرين من حكمه فقط.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٧٠

و يرد ذكر كربلا فيما كتبه لونكريك عن محاصرة نادر شاه لبغداد عدة مرات، و مفاوضاته حول العتبات المقدسة في كربلا و النجف و مطالبته بهما (١٧٤٦) مما هو مذكور بشىء من التفصيل في الجزء الأول من (قسم النجف) من هذه الموسوعة. و مما يورده من الأخبار أيضا ان الفوضى ظلت ضاربة أطنابها في ضواحي كربلا و الحلة مدة من الزمن في أواخر القرن الثامن عشر حتى استطاع والى بغداد سليمان باشا ابو ليله من إعادة الأمن الى نصابه فيها. اما بالنسبة لآغا محمد خان القاجارى فان المراجع العربية تؤيد ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية من أنه صرف على تذهيب القبة و المآذن لأول مرة، بعد ان كانت مكسوة بالقاشاني الممتاز، و تزيد على ذلك بأنه صرف أيضا على توسيع الجانب الغربى من الصحن و جعله بالسعة التى هو عليه اليوم. و كان ذلك في أواخر أيام حياته، أى قبل الغارة الوهابية الكبيرة على كربلا بعشر سنوات.

هجوم الوهابيين

و كانت الغارات الوهابية التى شنت على كربلا. و الحدود العراقية بوجه عام، في نهاية القرن الثامن عشر و اوائل القرن التاسع عشر قد ذكرت في كثير من المراجع الغربية و الشرقية. على ان أهم من أشار إليها، او تطرق لها بالتفصيل، دائرة المعارف الإسلامية و المستر لونكريك في كتابه المعروف عن تاريخ العراق الحديث. فقد جاء في المرجع الأول قوله «.. و فى نيسان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٧١

١٨٠٢ هاجم كربلا، حينما كان معظم سكانها قد ذهبوا إلى الزيارة في النجف، اثنا عشر ألف وهاجى برأسه الأمير سعود فذبحوا فيها ما يزيد على ثلاثة آلاف من السكان و نهبوا البيوت و الاسواق و نفائس الضريح المقدس. و قد أخذوا على الأخص صفائح الذهب بعد أن اقتلعوها من مكانها، ثم هدموا الضريح المطهر. غير ان التبرعات قد انهالت بعد هذه النكبة الأليمة على العتبة المقدسة من جميع انحاء العالم الإسلامى.» غير ان المستر لونكريك يسهب في ذكر هذه النكبة و وصفها و يجعل وقوعها في ١٨٠١. و إظهارا للحقيقة على وجهها الأكمل لا بد

من إيراد روايته بنصها في هذا المجال. فهو يقول:

على أن الفاجعة الكبرى كانت على قاب قوسين أو أدنى، تلك الفاجعة التي دلت على منتهى القسوة والهمجية والطمع الأشعبي، واستعملت باسم الدين. فقد حدث في أوائل سنة ١٨٠١ ان تفشى الطاعون في بغداد، فاضطر الباشا (سليمان باشا الكبير) وحاشيته للالتجاء الى الخالص حيث ابتعد عن منطقة المرض. و ما استتب حاله هناك حتى فوجيء بنبا من المتفكك علم به أن القوات الوهابية تحركت للغزو الربيعي المعتاد. فأرسل الكهية إلى الهندية، إلا أنه ما كاد يغادر بغداد حتى وافت أخبار هجوم الوهابيين على كربلا و نهبهم إياها، و هي أقدس المدن الشيعية و أغناها.

إذ انتشر خبر اقتراب الوهابيين من كربلا- في عشية اليوم الثاني من نيسان عندما كان معظم سكان البلدة في النجف يقومون بأداء الزيارة، فسارع من كان في المدينة لاغلاق الأبواب. غير أن الوهابيين و قد قدروا بست مائة هجان و أربع مئة فارس نزلوا و قسموا قوتهم الى ثلاثة أقسام.

و من ظل أحد الخانات هاجموا أقرب باب من أبواب البلدة فتمكنوا من فتحه عنوة و دخلوا. فدهش السكان و أصبحوا يفرون على غير هدى بل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٧٢

كيف ما شاء خوفهم. اما الوهابيون الخشن فقد شقوا طريقهم الى الأضرحة المقدسة و أخذوا يخبونها. فاقتلعت القضب المعدنية و السياج ثم المرايا الجسيمة.

و نهبت النفائس و الحاجات الثمينة من هدايا الباشوات و ملوك الفرس و الأمراء، و كذلك سلبت زخارف الجدران و قلع ذهب السقوف و أخذت الشمعدانات و السجاد الفاخر و المعلقة الثمينة و الأبواب المرصعة، و جميع ما وجد من هذا الضرب فسحبت إلى الخارج. و قتل زيادة على هذه الأفاعيل قراب خمسين شخصا بالقرب من الضريح في الصحن. أما البلدة نفسها فقد عاث الغزاة المتوحشون فيها فسادا و تخريبا، و قتلوا من دون رحمة جميع من صادفوه كما سرقوا كل دار. و لم يرحموا الشيخ و لا الطفل، و لم يحترموا النساء و لا الرجال، فلم يسلم الكل من وحشيتهم و لا من أسرهم. و لقد قدر بعضهم عدد القتلى بألف نسمة، و قدر الآخرون خمسة أضعاف ذلك.

و لم يجد وصول الكهية إلى كربلا نفعاً. فقد جمع جيشه فيها و في الحلّة و الكفل و نقل خزائن النجف الأشرف إلى بغداد، ثم حصّن كربلا نفسها بسور خاص. و على هذا لم يقم بأى إنتقام للفعل الشنيع الأخيرة التي قام بها العدو الذي لا يدرك. و قد كان ذلك الحادث الأليم للباشا الشيخ في عمره هذا صدمة مميته. و انتشر الرعب و الفرع في جميع انحاء تركية و إيران. و بذلك رجع وحوش نجد الكواسر إلى مواطنهم ثقالا على ابلهم التي حملت بنفائس لا تثن.

و يقول لونكريك كذلك في إحدى الحواشي ان مرزا أبا طالب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٧٣

صاحب الرحلة المشهورة يلوم في هذا الحادث عمر آغا الذي لم يعمل شيئاً لحماية البلدة، و قد قتله سليمان باشا في الأخير. لكن الملاحظ في الرحلة المذكورة نفسها ان عمر آغا هرب إلى قرية قريبة من كربلا أول ما علم بالخطر فلم يدافع قط، مع ان الناس كانوا يتهمونه بمخابرة الوهابيين و التواطؤ معهم.

و من طريف ما يرويه المرزا أبو طالب في هذا الشأن أيضا (الصفحة ٣٩٩ من الترجمة الفرنسية) أنه لقي بكر بلا عمته المسماة «كربلائي بكم» و نسوة من حاشيتها، و كان الوهابيون قد سلبوهن كل ما يملكن فأعانهن هو نفسه بكل ما استطاع من المعونة. و يروى فيها كذلك ان الوهابيين قتلوا في هذا الحادث خمسة آلاف إنسان و جرحوا عشرة آلاف.

هذا و يذهب المستر ريتشارد كوك مؤلف كتاب (بغداد مدينة السلام) الى تأييد هذا الوصف عند ذكره للحادث بصورة موجزة لكنه

يضيف اليه قوله ان الحادث الأليم قد أحدث رعبا وقلقا في بغداد كلها، و سرعان ما انعكس ذلك في استانبول و إيران. ثم يقول: ان الإيرانيين في الحقيقة قد اشتد هياجهم بحيث ان فتح على شاه لم يمنعه عن التدخل السافر و سوق الجيوش الى العراق لهذا السبب، الا إرسال مبالغ طائلة من بغداد إليه في الوقت المناسب إرضاء لجشعه المسنون.

و هناك روايات كثيرة في المراجع العربية تؤيد هذا الوصف و تزيد عليه، لكن أهم ما نجد ضرورة لايراده من هذه الروايات ما جاء في (تاريخ كربلا المعلى الص ٢٠) من وصف للحادث، و اشارة تفصيلية إلى النفائس التي موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٧٤

نهبا الوهابيون فيه. إذ تقول الرواية «.. حتى إذا جاءت سنة ١٢١٦ للهجرة جهز الأمير سعود الوهابي جيشا عمر ما يتألف من عشرين ألف مقاتل و هجم بهم على مدينة كربلا ... فدخل المدينة بعد أن ضيق عليها و قاتل حاميتها و سكانها قتالا شديدا، و كان سور المدينة مركبا من أفلاك نخيل مرصوفة خلف حائط من طين. و قد ارتكب فيها من الفظائع ما لا يوصف حتى قيل انه قتل في ليلة واحدة عشرين ألف نسمة. و بعد أن أتم الأمير سعود مهمته التفت نحو خزائن القبر و كانت مشحونة بالأموال الوفيرة و كل شيء نفيس، فأخذ كل ما وجد فيها، و قيل انه فتح كنزا كان فيه جمعة جمعت من الزوار. و كان من جملة ما أخذه لؤلؤة كبيرة و عشرون سيفا محلاة جميعا بالذهب و مرصعة بالحجارة الكريمة، و أوان ذهبية و فضية و فيروز و ألماس».

«و قيل من جملة ما نهبه سعود أثاث الروضة و فرشها، منها أربعة آلاف شال كشمير و ألفا سيف فضة و كثير من البنادق و الأسلحة. و قد صارت كربلا بعد هذه الواقعة في حال يرثى لها، و قد عاد إليها بعد هذه الحادثة من نجا بنفسه فأصلح بعض خرابها و أعاد إليها العمران رويدا رويدا. و قد زارها في أوائل القرن التاسع عشر أحد ملوك الهند فأشفق على حالتها، و بنى فيها أسواقا حسنة و بيوتا قوراء أسكنها بعض من نكبوا. و بنى للبلدة سورا حصينا لصد هجمات الأعداء، و أقام حولها الأبراج و المعقل، و نصب له آلات الدفاع على الطراز القديم».

و لقد أرخ هذا الحادث المروع بالأبيات الآتية، المنقولة عن (مجالى اللطف الص ٤٢) :

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٧٥ فشد لا يثنى هواه الثانى و مزق الكتاب و المثانى

و هدم الشباك و الرواقا و استلب الحلى و الأعلقا

و قتل النساء و الأطفالا إذ لم يجد فى كربلا رجالا

لأنهم زاروا الغدير قصدا فأرخوه (بغدير) عدا

و مما يذكره لونكريك عن وفاة الوالى سليمان باشا الكبير الذى وقع هجوم الوهابيين على كربلا فى آخر أيامه قوله ان آخر الضربات التى ركس بعدها انزعاجه من الطاعون الذى كان قد أخرجه من بغداد، و الرعب الذى أصابه من فاجعة كربلا.

فى اوائل القرن التاسع عشر

و يذكر لونكريك عن أيام الوالى سليمان باشا الصغير (١٨٠٨-١٨١١) ان أخبارا وردت تنبىء بظهور قوة كبيرة من الوهابيين حوالى كربلا، فسببت هذه الأخبار المبالغ فيها هلعا و رعبا فى بغداد نفسها فتسلح أصحاب الدكاكين و التجار بأجمعهم. الا أن الوهابيين لم يعبروا الفرات، و كانت الحقيقة ان قسما منهم استولوا على شفاثة و غزوا القرى و المرزات الممتدة إلى الحلّة فى عبر فرع الهندية لكنهم رجعوا بمجرد وصول الباشا إلى الحلّة. ثم يشير فى معرض تهديدات الوهابيين المتكررة للعراق الى ان عصابة وهايبه سالبه يقودها عبد الله بن سعود، وصلت إلى ما يقرب من بغداد فى ١٨١٠. و كان الوكلاء الوهابيون يجوبون «الخوة» من الرعايا العراقيين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٧٦

فى مستنقعات كربلا عدة سنين خلت من هذا العهد.

و حينما نأتى إلى عهد الوالى سعيد باشا (ابن سليمان الكبير) الذى تولى الحكم فى بغداد سنة ١٨١٣ نجد المستر لونكريك يذكر فى (أربعة قرون ..) ان داود أفندى (الذى أصبح أشهر ولاية المماليك فى العراق بعد سعيد) تولى وظيفة الكهية و اضطلع فى سنتى ١٨١٣ و ١٨١٤ بسلسلة من الحملات التأديبية على عشائر دجلة و الفرات، فأعاد بذلك الشيخ شفلح الشلال الى رأسه زبيد و مر بالخزاعل فأرهبهم، ثم أزال الحصار القبائلى الذى كان يفرض على كربلا فى موسم الزيارات على حد قوله.

واقعة نجيب باشا

و أهم ما يرد عن كربلا فى المراجع الغربية بعد عهدى داود باشا و على رضا باشا الطويلين، الإشارة الى وقعة الوالى محمد نجيب باشا فى كربلا-الذى تولى الحكم فى بغداد سنة ١٨٤٢. فقد ورد فى دائرة المعارف الإسلامية التى أشرف على تحريرها و إعدادها المستشرقان الشهيران غيب Gibb و كرامرز Kramers، قولهما «.. و بعد إحتلال إيراني موقت لكربلا توفى الوالى نجيب باشا فى ١٨٤٣ الى فرض التابعية التركية على البلدة و الاعتراف بها بقوة السلاح. و كانت قد تهدمت معظم أجزاء السور فى هذه الحادثة.» ثم يعقب بإشارة عن كربلا فى عهد الوالى المصلح مدحت باشا فيقول إنه بدأ فى ١٨٧١ بتشيد الدوائر الحكومية فيها، لكنها بقيت غير تامة البناء، ثم وسع السوق فى البلدة.

على اننا لا بد من أن نصح ما ورد فى هذه النبذة فنقول إن كربلا لم تكن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٧٧

خاضعة لاحتلال إيراني موقت حينما زحف عليها نجيب باشا لفرض سيطرة الحكومة فيها. فان المراجع العربية و الغربية الأخرى تجمع كلها على أن كربلا فى ذلك العهد ظلت تتحكم فيها، و تتحدى حكومتها و حكومة الولاية فى بغداد، عصابات «اليرماز» التى سار لتأديبها قبل نجيب باشا الوالىان داود باشا و على رضا باشا كذلك. لكن المعروف فى هذه المرة أن أهالى كربلا حينما حاصرتهم الجيوش التركية و وقفوا يدافعون عن البلدة انضمت اليهم قوات «البرطاسية» الإيرانية بعددها المحدود. و كانت هذه القوة موكلة بحراسة القنصلية الإيرانية فى كربلا، و قد جرى بها باتفاق خاص بين حكومة بغداد و محمد شاه القاجارى لحماية الرعايا الايرانيين و مصالحهم من قبل.

و لعل وجود هذه القوة الأجنبية فى كربلا كان شبيها بوجود الزورق البريطانى المسلح فى دجلة و حرس السباه الهندى الذى كان موكلا بحراسة القنصلية البريطانية العامة فى بغداد منذ أواخر القرن الثامن عشر.

و خير من يوجز حادثة نجيب باشا هذه من المؤلفين الغربيين المستر لونكريك فى (أربعة قرون ..). فهو يقول «.. و فى ١٨٤٣ وقعت حادثة العقاب الشديد الذى أنزل بكربلا. و لو تطلعنا ببحثنا الى كربلا فى هذا العهد لرأينا أنها كانت منذ عدة سنوات ملجأ للهاربين الخبثاء من (ماردين) إلى (المحمرة) فكانت بذلك بعيدة» عن حكم الحكومة التركية تقريبا. فلم يتسن لداود باشا و لعللى رضا الدخول اليها. و آلت فى سنة ١٨٤٢ حكومتها الداخلية لى رؤساء العصابات من «اليرماز» الذين كان يخضع لسوء تصرفهم العالم لمجتهد و الحاكم الموجود على حد سواء. و قد ألزم نجيب باشا فى أواخر ١٨٤١ البلدة بقبول الحامية التركية و بقائها فيها، فرفضت و تبع ذلك الرفض

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٧٨

الحركات العسكرية، فدويع عن البلدة بكل حماسة، و أعقب العراك فى البساتين المجاورة حصار منتظم كانت نتيجته ان دخل الجند الأتراك البلدة، فارتكبوا فيها شاعات كثيرة سرعان ما بولغ بها. ففزع من ذلك الايرانيون و الدبلوماسيون فى استانبول «..

اما خلاصة ما جاء فى كثير من المراجع العربية عن هذا الحادث، و منها كتاب (العراق بين احتلالين)، فهو ان كربلا بمقتضى كونها بلدة مقدسة ذات مركز مرموق فى العالم الإسلامى، و حرمة يقدرها الناس فى شتى الظروف و المناسبات، كثيرا ما كانت تصبح ملاذا

للسقاة و الهارين و ملجأ للعصاة و الخارجين على القوانين، لأنها كانت حرماً آمناً يعصمهم من الأذى و يجعلهم فى منأى عن طائلة العقاب. و قد أدى ضعف الحكومة تجاهها خلال العشرينات و الثلاثينات من القرن التاسع عشر الى ان تتحكم بها عصابات الأشرار الأهلية الذين كان يسميهم الأتراک «يرماز»، و قد بلغ الأمر بهذه العصابات أنها صارت تعتدى على الزوار و سائر طبقات الناس، و تتحدى الحكومة الضعيفة. و أخذت تبتز الأموال و تصادر الأملاك و تنتهك الحرمات، حتى أنها تجرأت فى يوم من الأيام على أحد المجتهدين (السيد ابراهيم القزوينى) و هاجمت داره فى حلقة الليل فاخطفته و لم تطلق سراحه الا بعد أن أدى لها مبلغاً من المال يناهز الأربعة آلاف قران ايرانى من سكة محمد شاه. كما اختطف فى أيام داود باشا قبل ذلك بنتاً من بنات شاهزادات الأسرة القاجارية المالكة فى إيران، فأدى ذلك الى توتر العلاقات بين الدولتين الايرانية و العثمانية.

و بدلا من ان يستعين محمد نجيب باشا بالروية و العقل فى معالجة المشكل بادر إلى استعمال القوة. فقد جرد على البلدة المقدسة قوة كبيرة مجهز بالأسلحة الحديثة، و حاصرها لمدة خمسة و عشرين يوماً. فاتفقت فئات موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٧٩

الكريلائيين جميعها على الدفاع عن النفس بكل عزم و قوة، و لذلك لم يجد القائد التركى سعد الله باشا، أو كرد محمد باشا فى رواية أخرى، بدا من تسليط نيران مدافعه على السور من جهة باب النجف فحدثت ثغرة واسعة فيه. و عند ذلك تدفقت منها جموع المدافعين الى الخارج، و التحمت مع الجيش التركى فى معركة حامية الوطيس اشتركت فيها الى جانب الكريلائيين قوة منجدة من عشائر الفتلة و اليسار و المعدان. لكن الجيش التركى تغلب فى النهاية و دخلت قواته الى البلدة فى اليوم الثانى من أيام عيد الأضحى المبارك.

و حينما التجأ قسم من الناس و القوة المدافعة إلى صحن الامام العباس و حضرته المطهرة تبعتهم إليهما القوات التركيه، و لم تتورع عن قتل المئات من اللائذين بهذا المرقد المقدس. هذا مع أنها كانت قد أمّنت من لجأ الى بيوت الشيخية و بيت السيد كاظم الرشتى، رئيس الكشفيه، على ما يقال.

و المقول فى إحدى الروايات ان نجيب باشا نفسه انتهك حرمة المكان المقدس فدخل اليه و هو يمتطى سهوة جواده. و تقدر الروايات المعتدلة ان عدد القتلى بلغ أربعة آلاف نسمة من الأهالى، و خمس مئة من الجيش المهاجم. و على أثر ذلك قبض على السيد ابراهيم الزعفرانى رئيس العصاة و جىء به مكبلا الى بغداد ففضى نجه فيها بعد قليل، ثم طورد السيد عبد الوهاب آل طعمه سادن الروضتين حتى عفى عنه بشفاعه نقيب بغداد السيد على الكيلانى فسلم نفسه. و قبض كذلك على أشرف كربلا الآخرين بتهمة موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٨٠

التحريض على هذه الحركة و المقاومة، مثل السيد صالح الداماد و على كشمش و طعمه العبد و بعض السادة من آل نصر الله و النقيب .

بعض مظاهر التجديد

و مما ورد فى المراجع الغربية عن كربلا- فى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر الاشارة إلى ربطها بالعالم الخارجى بواسطة الخطوط التلغرافية لأول مرة فى تاريخها. فقد اتفقت الحكومة التركية فى ١٨٥٧، أى فى عهد والى بغداد السردار الأكرم عمر باشا، مع الحكومة البريطانية على إنشاء شبكة خاصة للخطوط التلغرافية فى العراق، على أن يتولى إنشاء المهندسون الانكليز و يمولها العثمانيون. و بعد أربع سنوات تم إيصال بغداد بالعالم الخارجى، و من بعد ذلك بسنوات قليلة مدت خطوط إضافية بين بغداد و الفاو فى الجنوب من جهة و بغداد و خانقين من جهة أخرى. و على هذا الأساس ارتبطت العاصمة العراقية بايران. و كان الخط التلغرافى الى الفاو يمر بطريق الفرات، فربط به خط تلغرافى فرعى يصل الى كربلا و النجف.

هذا و بعد ان أوصلنا مثل هذا البحث الى أيام الوالى المصلح مدحت باشا (١٨٧١)، الذى بنيت فى أيامه الدوائر الحكوميه فى كربلا و تم توسيع السوق فيها، لا بد لنا من ان نعود الى اكماله من ناحية أخرى بايراد ما كتبه الرحالون عنها بعد أن شدوا الرحال لزيارتها. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٨١

مشاهدات تكسيرا فى كربلاء

و أقدم ما يمكن ان نثبته هنا من هذا القبيل ما كتبه الرحالة البرتغالى المعروف بيدرو تكسيرا الذى قدر له أن يزور هذه المدينة المقدسة و يصل اليها فى سنة ١٦٠١. و كان هذا السنيور من الرحالة الذين طوحوا فى الآفاق، و زاروا المناطق التى خضعت للامبراطورية البرتغالية يومذاك ردحا من الزمن، و على الأخص منطقة الخليج و ما يحيط بها من الأمصار و البلاد. و قد أفلح فى إحدى رحلاته من جزيرة غوا Goa الهندية متوجها الى ايطاليا عن طريق الخليج و ما بين النهرين فحلب فقبرص. و كان قد سلك طريق البادية من البصرة إلى النجف الأشرف بعد ان مرّ بعيون السيد، و الرحبة، و الرهيمه، و غير ذلك. و مما يذكره عن النجف أنها كانت تخضع فى تلك الأيام الى الأتراك الذين كان يدفع لهم أميرها العربى غير شيئا يسير من الأتاوى. و هو يقصد بذلك ناصر المهنا- أمير جشعم- الذى يقول انه كان يقيم بالقرب من كربلا. و حينما ارتحلت قافلة (تكسيرا) و جماعته عن النجف توجهت إلى كربلا فوصلت إليها فى يوم الجمعة المصادف ٢٤ أيلول ١٦٠٤. و قد نزلت فى أحد الخانات العامرة التى كان بناؤها للزوار يعد من الأعمال الخيرية المبرورة. و يقول تكسيرا أن كربلا، التى يسميها مشهد الحسين، كانت بلدة تحتوى على أربعة آلاف بيت معظمها من البيوت الحقيمة. و كان سكانها من العرب، و بعض الايرانيين، و الأتراك، الذين كانوا يعينون للأشراف على المناطق المحيطة موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٨٢

بها كذلك. لكن الأتراك كلهم كانوا قد انسحبوا يومذاك الى بغداد بسبب الحرب مع الايرانيين فأدى ذلك الى رحيل العجم عنها أيضا لأنهم لم يعودوا يشعرون بالطمأنينة و الأمان. و قد كانت أسواقها مبنية بناء محكما بالطابوق، و ملأى بالحاجات و السلع التجارية لتردد الكثيرين من الناس عليها. و بعد ان يشير الى وجود الروضة الحسينية و توارد المسلمين لزيارتها من جميع الجهات يتطرق الى ذكر السقاة الذين كانوا يسقون الماء للناس فى سبيل الله و طلبا للأجر، أو إحياء لذكرى الامام الشهيد الذى قتل عطشانا فى هذه البقعة من الأرض. و يقول انهم كانوا يدورون بقربهم الجلدية المملأى بالماء، و هم يحملون بأيديهم طاسات النحاس الجميلة. ثم يشير الى تيسر الأرزاق و رخصها، و توفر المأكولات و الحبوب بكثرة مثل الحنطة و الرز و الشعير و الفواكه و الخضروات، و اللحم، موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٨٣

و إلى لطف الهواء فيها و كون الجو فيها أحسن منه فى جميع الأماكن التى أتى على ذكرها من قبل. و قد وجد فى كربلا عددا من الآبار العامة الحاوية على الماء العذب الجيد جدا و كثيرا من الأشجار، و بعض أنواع الفاكهة الأوربية على حد تعبيره. و كانت الأراضي فيها تسقى من جدول خاص يتفرع من الفرات الذى يبعد عن البلدة بثمانية فراسخ. و كان هناك بالإضافة إلى ذلك عدد كبير من الأغنام و الماشية التى شاهدها ترعى فى المراعى المحيطة بالبلدة. و فى نهايتها من جهة الفرات كانت هناك بركتان كبيرتان من الماء مربعتا الشكل، و هو يعتقد أنهما كانتا قد أنشئتتا للنزهة و التسلية، مستدلا على ذلك بما شاهده من أطلال بعض الأبنية و الملاجىء الموقته من حولهما.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٨٤

و لعلها مواقع الأمكنة و المخيمات التى كانت تنصب للزوار فى مواسم الزيارات الكبيرة.

و هنا يشير كذلك الى ان كربلا و النجف كانتا تخضعان يومذاك الى المير ناصر المهنا الذي يطلق على نفسه لقب «ملك» كما يشير الى أنه كان تابعا للأتراك الذين كانوا يغتصبون واردات الأراضي الممتدة في المنطقة كلها. و مع هذا فقد شاهد تكسيرا بنفسه الأعراب التابعين للمير ناصر يبيعون في وضح النهار: خيول، و ملابس، و أثاث، و أسلحة: اربعة و ثلاثين تركيا من رجال الحكومة التركية في كربلا بعد ان قتلوه و سلبوه ما يملكون. و هذا يدل بلا ريب على مقدار الفوضى التي كانت تضرب أطناها في تلك الجهات، و هو يعزو هذا الى انشغال الحكومة يومذاك بالحرب مع إيران.

و مما يذكره في هذه المناسبة أيضا أنه وجد في الخان الذي كان ينزل فيه أربعين (سگمانيا) مع ضابطهم الخاص، و (السگمانيون) هم من الجيش المحلي التابع للحكومة. و قد كان الناس يخشونهم لأنهم كانوا متعودين على التجاوز على الناس في كل فرصة أو مناسبة، و كانوا من دون وجدان أو ضبط على حد قوله.

و بعد إقامة ثمانية أيام في كربلا توجه تكسيرا الى بغداد مع القافلة في اليوم الثاني من تشرين الأول. فسلكت القافلة طريق الحسينية المعروف على ما يبدو و عبرت الفرات من مكان كان فيه خان حصين واسع الأرجاء بعد أن قضوا ليلتهم فيه. و قد تم العبور بعبارتين خاصتين تقاضى أصحابهما من أفراد القافلة «معدنا» واحدا عن الشخص الواحد أو الحمل الواحد، و هي عملة فضية تعادل في سعرها أحد عشر «ماقريدي» أو بنسا و نصفا. و قد استغرق عبور القافلة من طلوع الشمس حتى العاشرة زوايا قبل الظهر. و هو يقول

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٨٥

إنهم وجدوا في الجهة المقابلة، و هي جهة ما بين النهرين على حد تعبيره، خانا كبيرا آخر يقوم في موقع مناسب على الفرات فوق أنقاض مدينة قديمة كانت تسمى «المسيب» على ما يقول. و الظاهر ان بلدة المسيب كانت موجودة قبل ذلك التاريخ (١٦٠٤) و تهدمت، ثم عادت الى الوجود من جديد أو انتقلت الى مكان ثان. و قد كان يبدو للمناظر هناك بقايا سورها المحاط ببساتين و حقول يانعها تستمد ماءها من الفرات بواسطة (ماكنه خاصة تتألف من عدة قرب و تسحبها الثيران).

و تعليقا على ما اورده تكسيرا في وصفه لكربلا، و تطرقه خلال ذلك الى سيطرة المير ناصر المهنا عليها لا بد من أن نورد هنا النبذة التالية التي يذكرها المستر لونكريك في (أربعة قرون ..) في هذا الشأن. فهو يقول «.. غير ان قوات البادية التي يهمنها أمرها أكثر من هذا كانت لا تخرج عن كونها حلفين بدويين يمر من مناطقيهما المسافرين من الخليج الى حلب بعدة مراحل من طريقهم. فكان المير ناصر- أي ناصر بن مهنا- في ١٦٠٤ (١٠١٣ هـ) «ملك» القسم الجنوبي الممتد من النجف الى الفلوجة.

و كانت بلدة النجف .. معترفه بسلطة حاكم البادية هذا. كما كانت كربلا، و هي أوسع و أكثر حركة و ليست أقل من أختها تعصبا، عاصمته و مركز ديرته. و كان يلاقى المسافرين من بغداد الى الفلوجة، على بضعة أميال من العاصمة، و كلاؤه الذين يقبضون الأتاوة «الخاوة» له. و قد اعترف ناصر، و هو أحد أفراد سلالة من الشيوخ- موالى أو عنزة- مسيطرة في ذلك العهد بولائه للسلطان. و من المحتمل ان شيئا من الهدايا التي كان يرسل بها بين حين و آخر للباشا يذكره بهذا العبد الحقير! غير أن أوتوقراطيته في البادية،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٨٦

و جمعه للخاوة، و ارهابه للزوار كانت تقص لنا قصة أخرى. و كانت الحاميات التركية الصغيرة تقيم بحسب العادة في العتبات المقدسة، غير ان مكثهم هناك لم يكن الا بسماع من الشيخ. و في ١٦٠٤ كانت عاقبة هذه الحامية في كربلا و خيمه على ما قيل».

كربلاء في رحلة نيبور

و أشهر من زار كربلا- من الرحالين الأوربيين بعد تكسيرا الرحالة الألماني كارستن نيبور، الذي جاء إلى العراق عن طريق الخليج كذلك في سنة ١٧٦٥ بمناسبة اشتراكه في بعثة استكشافية علمية جهزها فردريك الخامس ملك الدانيمارك و بعث بها إلى بلاد العرب و سائر أنحاء الشرق الأدنى. و قد وصل إلى البصرة في خريف تلك السنة بأمل ان يتوجه منها الى حلب عن طريق بغداد،

فسلك طريق الفرات النهري و بعد أن مر بالقرنة، و المنصورية، و العرجة، و السماوة، و لملوم، و الرماحية، و وصل إلى النجف التي يسميها (مشهد على)، مع ملا من الملالي الفقراء كان قد استصحبه معه من البصرة.

ثم توجه إلى كربلا، أو (مشهد احسين) على حد تعبيره، عن طريق الحلة. ثم خرج من الحلة على ما يظهر عن طريق الطهمازية، لأنه يذكر ذلك بالذات و يقول انها قرية كبيرة محاطة بالكثير من النخيل و البساتين.

و قد وصل كربلا في أواخر أيام السنة الميلادية، و هو يوم ٢٧ كانون الأول ١٧٦٥ بعد ان استغرق في قطع المسافة بينها و بين الحلة حوالي سبع ساعات على ظهور الدواب. و يقارن نيور كربلا بالنجف من حيث كثرة النخيل موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٨٧ فيها و ازدياد عدد سكانها. لكنه يقول ان بيوتها لم تكن متينة البنيان لأنها كانت تبنى باللبن غير المشوي. و كانت البلدة على ما يظهر مما جاء في الرحلة محاطة بأسوار من اللبن المجفف بالشمس أيضا، كما كانت لها في هذه الأسوار خمسة أبواب، على أنه وجد الأسوار متهدمة كلها في تلك الأيام الغابرة.

و لا شك أن أهم ما لفت نظره في كربلا الروضة الحسينية المطهرة التي رسم لها رسما تقريبا خاصا استقى تفصيلاته من الدوران حولها و التقرب إليها، و من دخوله إليها في إحدى الأمسيات لفترة و جيزة بصحبة الملا البغدادي الذي كان معه بعد ان لبس عمامة تركية مناسبة في رأسه. و الظاهر أنه فعل ذلك في موسم أحد الأعياد و الزيارات المهمة، لأنه يقول ان أطراف الحضرة و الصحن كانت مضاء كلها، و كان لها بذلك منظر فريد في بابه نظرا للشباييك الكثيرة التي كانت موجودة فيها. و قد كان ذلك يكاد يكون غريبا في هذه البلاد التي كان يقل فيها زجاج النوافذ يومذاك. و مما يأتي على ذكره في هذه المناسبة ان الحضرة تقوم في ساحة كبيرة تحيط بها من أطرافها الأربعة مساكن السادة و العلماء على حد قوله، و لا شك أنه يقصد بذلك ساحة الصحن الكبيرة. و كان يوجد بين يدي الباب الكبرى شمعدان نحاسي ضخيم يحمل عددا من الأضوية، على شاكلة ما كان موجودا في مشهد الامام على. لكنه يقول أنه لم يلاحظ وجود الكثير من الذهب في الروضة الحسينية يومذاك، و لا سيما عندما يقارن ضريح الامام الحسين بضريح الامام على في هذا الشأن.

و يذكر نيور أيضا أن العباس بن علي عليهما السلام قد شيد له جامع كبير كذلك تقديرا لبطولته التي أبداه في يوم عاشوراء، و تضحيته بنفسه من أجل أخيه. و هنا يروي قصة العباس المعروفة في الموقعة التي قطعت فيها يده الكريمتان حينما اخترق حصار الاعداء الأحماء لمعسكر الامام الحسين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٨٨

و ذهب ليأتي بالماء إليه و إلى الاطفال و النساء، و يشير أيضا الى وجود مزار خاص خارج البلدة في أول الطريق المؤدى الى النجف، و يقول أنه شيد في الموضع الذي سقط فيه جواد الحسين براكبه الشهيد، و يضيف إلى ذلك ذكره لموقع المخيم «الخيمكاه» الذي يظن في وصف ما شاهده فيه. فهو يقول ان هذا الموقع قد أصبح حديقة غناء واسعة الأرجاء تقع في نهاية البلدة.

و تشاهد فيه بركة كبيرة من الماء، و موقع هذه البركة هو نفس الموقع الذي كان الإمام العباس قد حفر فيه لايجاد الماء فلم يعثر على شيء منه. و يروي نيور بالمناسبة ان الناس هناك كانوا يعتقدون بأن ظهور الماء في البركة بعد ذلك يعتبر من المعجزات. و قد أشار إلى وجود هذه البركة الكبيرة في الموقع نفسه الرحالة البرتغالي تكسيرا الذي زار كربلا في ١٦٠٤، أي قبل مجيء نيور إليها بمئة و ستين سنة، كما ذكر قبل هذا. و مما يذكره كذلك ان موقع المخيم كان يوجد بقربه مرقد غير كبير، دفن فيه القاسم بن الامام الحسن منظر عام لصحن و قبة العباس القديمة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٨٩

عليهما السلام و عدد من الشهداء الآخرين الذين سقطوا في معركة التضحية و البطولة يوم عاشوراء. و يسرد بالمناسبة قصة القاسم الشاب و عرسه المعروفة.

و يذكر بالاضافة إلى ذلك ان كربلا- كان يوجد فيها عادة عدد كبير من الاشرار، و لا- سيما من الانكشاريين المطرودين لسوء سلوكهم. و كثيرا ما كان هؤلاء يعتدون على الأهالي و الزوار الايرانيين على الأخص فيسيئون بذلك إلى سمعة الأتراك كما يقول. و لذلك كان وضعهم هذا يستوجب التحفظ و الاحتراز بالنسبة للسائح و غيره، لا سيما اذا كان من الشيعة. و يروى أن أحد هؤلاء حاول التعرض به هو نفسه لأنه كان يحسبه تاجرا أرمنيا، غير أنه تحاشاه حينما عرف أنه كان رجلا أوربيا. كما يروى أنه شاهد في أثناء إقامته بكربلا أناسا كانوا قد عادوا من متابعة السفر بعد ان نهبتهم خيالة الحكومة التي كان يفترض فيها حفظ الأمن و حماية الناس- حاميا حرامياها- و رأى أناسا غير هؤلاء كانوا قد عادوا من الخارج بعد أن سلبهم الأعراب جميع ما كانوا يملكون ...

و من طريف ما يتطرق إليه نيبور في رحلته إلى كربلا- كثرة طيور الحمام في الجوامع و عدم تحرش الناس بها، و وجود «الترب» و المسبحات المصنوعة من طين كربلا، و صور الأضرحة المطهرة، و البراق، و الكعبة، و سيف الإمام علي (ذو الفقار) و ما أشبهه. و هو يقول أن (الترب) كانت تصنع في معمل خاص تحتكر فيه العمل لنفسها أسرة من سادات كربلاء، و كانت هذه الأسرة تدفع مبلغا كبيرا من المال في كل سنة إلى والي بغداد لقاء هذا الامتياز. و قد طلب نيبور من صاحبه الملا البغدادي أن يشتري له عددا من الترب بحجومها و أشكالها المختلفة، فرسمها و نشر صورها في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٩٠

رحلته المطبوعة بالألمانية في بادىء الأمر. و هو يقول إنها كانت مصبوبة بأشكال جميلة، كما يقول انه اشترى ورقة ملفوفة يبلغ طولها ستة أقدام و عرضها ثمان بوصات، و قد كانت مرسومة فيها رسوم الكعبة المقدسة، و الحرم النبوي الشريف، و أضرحة الأئمة الأطهار، و غير ذلك من الصور الكثيرة التي تهم المسلمين بوجه عام و زوار العتبات المقدسة بصورة خاصة. و كانت كلها ملونة و مذهبة بطريقة تكاد تكون بدائية على حد قوله.

هذا و قد عاد نيبور الى الحلة ليتابع السفر منها الى بغداد. و كان في القافلة التي رجع معها ما يقرب من مئتي زائر من زوار العتبات، و هو يذكر بهذه المناسبة ان الطريق بين كربلا و بغداد كان يستغرق حوالي ست عشرة ساعة، و أن المسافة منها الى المسيب كانت تقطع بخمس ساعات، و كانت المسيب على حد قوله قرية على الفرات لها جسر يمتد فوق عدد من السفن. و كانت المسيب الى خان «بير النص» تقطع بأربع ساعات، و منه الى بغداد بسبع ساعات.

لوفتس في كربلاء

و قد زار النجف في ١٨٥٣ عالم من علماء الآثار الأنكليز يدعى (لوفتس) بعد ان كان قد زار العراق من قبل في ١٨٤٩ باعتباره عضوا دوليا في لجنة الحدود التي انتدبت لتعيين الحدود و تثبيتها ما بين العراق و ايران. و كانت زيارته هذه بمعية درويش باشا العضو التركي في لجنة الحدود الدولية و طاهر بك الحاكم العسكري في الحلة، مع ثلثة من الجنود الأتراك. و بعد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٩١

ان انتهى من زيارته للنجف توجه الى كربلا أيضا، بصحبة الشخصيات المذكورة نفسها. و هو يقول ان الطريق المباشر ما بين النجف و كربلا يمر بحواشى البادية، لكنه نادرا ما يستطرق خوفا من نهاية البدو. و يلاحظ المسافر فيه من الجهة الأخرى أهوار الهندية الممتدة على مد النظر. ثم يذكر ان مدخل كربلا أكثر جمالا من مدخل النجف، لوجود الكثير من بساتين النخيل حول المدينة و لأن الأبنية الكثيرة المبنية في خارج الأسوار توحى بشيء أكثر من الطمأنينة و الأمان بالنسبة لخطر القبائل البدوية.

و يوجد في ضواحي كربلا كذلك عدد من (الكور) المعدة لصنع الطابوق الذي يشبه طابوق بابل في الشكل و الحجم. و حينما وصل موكب (لوفتس) و جماعته في صباح أحد الأيام استقبل استقبالاً حافلا في مدخل كربلا. فقد خرج الحاكم و بصحبته

عدد من الموظفين و الوجهاء و المعممين بالعمائم الكبيرة المصنوعة بأنعم القماش من الموسلين و أدقه، و المزركشة بخيوط الذهب او غير المزركشة، لتقديم احتراماتهم. و على الطريقة الشرقية قال الجميع للضيوف ان بيوتهم و جميع ما يملكون تحت تصرف القادمين الكرام. و هو يقول ان هذه الأقوال جميعها ليست سوى مجاملات لا قيمة لها، أو «بوش» على حد قول العثمانيين.

و بهذا الالتفات الزائد دخل لوفتس و جماعته إلى كربلا خلال عاصفة من الغبار المثار من خيول المستقبلين و وسائل نقلهم، حتى نزلوا في السراي، حيث أعلن الحاكم الذي كان على علم مسبق بمجيء الضيوف بأنه سيتشرف بتناول طعام الافطار معهم بعد ان كان قد قدم القهوة و (الغلايين) و كانت أطعمه الافطار تتألف من الپلاو (الرز) و قليل من الخضروات المطبوخة بمختلف الأشكال، و صحن صغير من اللحم. و كان الطبخ جميعه مطبيا بعصير الليمون، لكنه كان مشبعا بأكثر مما يجب من السمن و الشحم بحيث موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٩٢

لا يمكن أن يستسيغه سوى الذين كان قد أخذ الجوع منهم مأخذه. و مع ذلك فقد أفرغت الصحون كلها حينما امتدت الأيدي لها. و أنهت الضيافة بتقديم كاسة كبيرة من (الشربت) سرعان ما أدخلت فيها ملاعق الخشب ذات الأشكال الغريبة. و بعد تناول الافطار خرجت جماعة المستر لوفتس تطوف في البلدة و تتجول، قاصدة قبر الإمام الحسين. لكنه يقول ان الأخبار في الشرق تنتقل بسرعة البرق. فقد وصلت الي كربلا أخبار زيارة لوفتس للنجف و دخوله و هو المسيحي إلى صحن الإمام عليه السلام فيها، بعد ان اصطفت في الباب الكبيرة ثلة الجنود التي كانت ترافقهم بأسلحتها، و لذلك وجدوا عند باب الصحن الحسيني الشريف تجمع عدد كبير من الرعاع المسلحين بصورة مخيفة. و كان على رأس هؤلاء درويش مسلح بشكل يلفت النظر على ما يقول، لأنه كان يترصد حركاتهم على ما يبدو منذ أول وصولهم إلى المدينة المقدسة. و لذلك لم يجد الجميع من الحكمة ان يحاولوا الدخول، لأنهم رأوا الجمهور المحتشد متهيئا للمقاومة. على أنهم كان بوسعهم، على حد قوله ان يحصلوا على فكرة كاملة عن داخلية الحير من البيوت المحيطة به. غير ان عددا من خدمهم المسيحيين استطاعوا الدخول مع بعض الخدم المسلمين إلى صحن الإمام الحسين، لكنهم سرعان ما اكتشف أمرهم فأخرجوا عنوة بعد ان ضربوا ضربا مبرحا. و يقول المستر لوفتس إنهم يجب ان يهأأوا على خروجهم غير مقتولين بمثل هذه السهولة. موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ٨؛ ص ٢٩٢

يعمد (لوفتس) في رحلته الى وصف موقعة كربلا و يشيد ببطولة لإمام عليه السلام، و أهل بيته و أنصاره الذين خروا صرعى معه و عددهم ثمان و سبعون شهيدا. كما يشير الى بقاء الإمام السجاد عليه السلام و تحدر موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٩٣

السادة الحاليين من نسله.

و يذكر بعد ذلك ان جامع الإمام الحسين عليه السلام كثير الشبه في تصميمه بمشهد الإمام على عليه السلام، لكنه لا يمكن ان يقارن به من حيث النظافة و الزينة و العمران. فان قبة الحسين وحدها مكسوة بالذهب في كربلا، و ان إحدى المنارات الثلاث تبدو متداعية و توشك على السقوط. و يعلل لوفتس ذلك بقوله ان هذا يعزى الى احتلال جنود داود باشا والى بغداد لكربلا بالقوة بعد أن أصبحت و كرا لعصابات «اليرماز» الذين ظلوا يعيشون فسادا فيها مدة من الزمن، و يتحدثون الأتراك في حكمهم. و لا شك أنه يقصد بذلك وقعة نجيب باشا، و ليس وقعة داود باشا، التي مر ذكرها بالتفصيل في هذا المبحث. و قد حصلت هذه الوقعة، التي يشير اليها بشيء طفيف من الاختلاف، سنة ١٨٤٣ أي بعد داود باشا بعدة سنين، و قبل مجيء لوفتس إلى كربلا بست سنين فقط (١٨٤٩).

لكن أهم ما يذكره في هذا الشأن ان طاهر بك، حاكم الحلة العسكري التركي الذي جاء لوفتس بحمايته لزيارة العتبات، كان أحد الضباط المشتركين في هذه الحملة المتصفة بالقسوة و العنف على ما يقول، و قد حصل على ترفيعه نتيجة ذلك. و قد روى طاهر للمستر لوفتس انه كان قد قتل بيده ثلاثة من اليرماز، بينما أخرج رجاله سبعين منهم من مخابثهم التي التجأوا اليها ما بين الأطفال و النساء فقتلوهم صبورا في أماكنهم ...

و هو يذكر كذلك عن هذا الحادث الفظيع ان علامات هذا الحصار كانت ما تزال ظاهرة للعيان في مختلف أنحاء كربلا. فقد تهدمت الدور المقابلة للسراى، و لم يعد تشييدها فبقيت دلائل واضحة للخراب و التهديم. و تعرضت المساجد إلى الخراب و التدمير بصورة خطيرة، فظلت آثار القنابل و الشظايا واضحة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٩٤

للعيان في قبابها، و جدران البلدة التي لم تسد الفجوات و الثقوب الحاصلة فيها.

و لم يسلم النخيل في البساتين من آثار القصف كذلك، فبقى عدد كبير منه تبدو الثقوب في جذوعه بارزة للمشاهدين، بينما احترق عدد آخر منه هنا و هناك و تجرد من سعفه.

و مما يشير إليه لوفتس كذلك ان دفن الجنائز التي كان يؤتى بها إلى كربلا كان أشبه ما يكون بما يحصل في مشهد على بوجه عام، لكن عددها لا يصل إلى العدد الذي يدفن منها في النجف. و الغريب في الأمر انه يقول ان عملية صورة لنقل الجنائز - منقولة من رحلة لوفتس ١٨٥٠ م

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٩٥

الدفن لا- يبذل فيها الاهتمام اللازم في كربلا، لأن الحفر لا تحفر بأعماق كافية، و انما تحفر بحيث لا تغطي الجثث المدفونة فيها الا بالكاد، و بسرعة تخلو من المراسيم. ثم يقول ان المقابر في الشرق أجمع يعنى بها بوجه عام، لكنه لم يجد هذه العناية المطلوبة في كربلا- فالقبور فيها مهدمة البنيان، و الكلاب يمكن ان تشاهد مع بنات آوى و هى تحفر فى داخلها، و تعبث بقطع من الأكفان و الجثث هنا و هناك . و مع جميع ما يلاحظ من مثل هذا العبث و الإهمال فان الجثث لا ينقطع ورودها إلى كربلا للدفن، لأن الرغبة في الدفن هنا فى التربة التى امتزج بها دم الإمام الشهيد تعد أمنية غالية من أمنيات المسلمين، و هذا الاعتبار يفوق أى اعتبار آخر عندهم. و يشير لوفتس إلى وجود مصلى صغير خارج أبواب كربلا يقال إنه كان قد أنشئ فى المكان الذى شاهد فيه الإمام على رؤيا معروفة فى خيمته.

و لذلك يطلق على هذا المصلى «خيمة على». و هو بناء إثنا عشرى الأضلاع له ستة مداخل، و محاط بشرفة لها سقف يستند على أعمدة. و حينما هم لوفتس و من معه بالدخول اليه طلب اليهم ان يخلعوا أحذيتهم قبل الدخول ففعلوا، لكن الضابط التركي الذى كان يصحبهم لم يلتفت إلى ذلك الطلب فدخل إلى المصلى بحدائه. و حينما اعترض عليه أحد الخدم الموجودين فيه أجابه يقول «إن حدائى لا يقل نظافة عن مصلاكم القدر»!!

ثم يذكر لوفتس ان أسواق كربلا كانت ممتلئة بأنواع الحبوب، و بالسلع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٩٦

التي كان يحملها الزوار إليها من جميع أنحاء العالم. و هى تشتهر بصناعة المصوغات المخرمة، و الحفر المتقن على الأصداف المستخرجة من مغاصات البحرين فى الخليج.

و قد غادر لوفتس كربلا إلى بغداد مباشرة عن طريق المسيب، لكنه يقول إنه خرج قبيل بزوغ الشمس و سقوط أشعتها الباهتة فى أول الأمر على القبة الذهبية، و قبة العباس المكسوة بالقاشانى الأزرق المعتم التى كانت لا تزال محاطة بغلالة خفيفة من الضباب. فكان لذلك منظر مؤثر فى نفسه.

كربلاء فى رحلة جون أشر

و قد زار كربلا فى سنة ١٨٦٤ المستر جون أشر، عضو الجمعية الجغرافية الملكية فى لندن، حينما مر بالعراق إلى إيران لزيارة آثار «تخت جمشيد» بالقرب من شيراز. و كان قد وصل إليها عن طريق المسيب التى عبر الفرات من فوق جسر المصنوع من الزوارق.

فوجد المسيب ذات سوق صغيرة يتيسر فيها الكثير مما يحتاجه الزوار والمسافرون، و على الأخص المأكولات التي تناول منها اللبن الخاثر (اليوغورت) و الزبد و الخبز الحار. و قبل الوصول إلى المدينة المقدسة مر فيها بين البساتين الممتدة على جانبي الحسينية. و هو يقول انه شاهد عددا من الكروود (التي يسميها مكائن رفع الماء) منصوبة على طول هذا الجدول من الجانبين. و كان المستر أشر قد بعث رسولا قبل وصوله يحمل كتب توصية إلى قائمقام كربلا، و لذلك فتح باب السور لقافلته عند أول وصولها بعد مغيب الشمس. فمرت ما بين أزقة البلدة الضيقة التي موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٩٧

كانت تضيء ظلمتها الفوانيس المعتمة التي بعثها القائمقام لتحمل أمامه.

و حينما وصلوا إلى داره استضافهم في بيته و أنزلهم في غرفة خربة تقع في إحدى زواياه.

و قد ألقى البلدة عندما تجول فيها خلال اليوم الثاني بلدة ذات حركة غير يسيرة و نشاط ملموس برغم عدم اتساعها، لأن أسواقها كانت تزدهم بالزوار الذين أتوا لزيارة ضريح الإمام الحسين عليه السلام.

و هنا نجده يسرد في الرحلة قصة الإمام الشهيد مع يزيد، و كيفية مجيئه الى كربلا في طريقه إلى الكوفة، و قتله ظلما و عدوانا من قبل عبيد الله بن زياد و أتباعه، و يأتي على ذكر الكثير من الحوادث التاريخية المعروفة بشيء غير قليل من الدقة و الانصاف نقلا عما كتبه المؤرخ (غيبون) في تاريخ الإسلام.

و يختم سرد القصة بقوله ان الشيعة من المسلمين يقيمون في كل سنة مراسيم العزاء الأليمة تخليدا لبطولة الحسين و استشهاده، فيسون أرواحهم فيها من شدة ما ينتابهم من الحزن و الأسى.

و الظاهر ان كربلا قد أعجبت هذا الرحالة، فهو يقول انه لم يجد فيها علامات الركود و الانحطاط التي شاهدها في البلاد التي مر بها خلال رحلته.

و قد كان كل شبر متيسر فيها من الأرض مشغولا بالبيوت المترصة، او التي كانت في مرحلة التشييد. و قد وجد فيها عددا من مسلمي الهند مقيما في بيوت قريية من الضريح المقدس، كما لاحظ بين الزوار كثيرا من الإيرانيين و الأفغانيين الذين تحملوا مشاق السفر البعيد من أجل التبرك بزيارة الإمام الشهيد. و على هذا يذكر ان البلدة بالنظر لقدسيتها لا يمكن ان يسمح للمسيحيين بالاقامة في داخل أسوارها. فكان من الصعب ان يسمح له و لحاشيته بالدخول في بعض الأماكن برغم وجود اثنين من قواسي القائمقام في صحبته. و لم يسلم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٩٨

من النظرات الشراء المخيفة حينما كان يمر بالأسواق و الطرق.

و حينما وصل إلى الفضة الممتدة بين يدي الباب الكبير للصحن الشريف للتفرج من بعيد استعجله القواسون خوفا من تجمع الناس و المتعصبين من حولهم، و وقوع ما لا تحمد عقباه. على أن أحد القواسين أخذهم إلى دار تاجر من التجار كان قد سكن بغداد ردحا من الزمن فاتصل بالمقيم البريطاني فيها لقضاء حاجة له. و لذلك رحب بهم في بيته حينما علم ان المستر (أشر) كان رجلا انكليزيا، و أخذهم إلى شباك من شبايك البيت يطل على الصحن الشريف و يتسنى لهم منه ان يلقوا نظرات مطمئنة على الجامع بأجمعه.

و يقول في وصف ما وجدته ان ساحة الصحن المحيط بالضريح المقدس، و المحاطة هي نفسها بالبيوت، لم تكن مبلطة. و ان جنائز المتنفذين من الشيعة و الموسرين الذين كان بوسعهم دفع الرسوم و المصاريف المطلوبة كانت تدفن فيه. فان ثمن هذا الامتياز يمكن أن يكلف مبلغا كبيرا جدا من المال في بعض الأحيان، و من الممكن في بعض الحالات دفن بعض الناس بالقرب من الضريح المطهر كذلك بعد دفع مبالغ باهظة. لكن المألوف على ما يقول هو ان تزور الجنائز التي يؤتى بها إلى كربلا و يطاف بها حول الضريح المقدس، ثم تؤخذ للدفن في أي مكان آخر من المقابر المعروفة في البلدة. و تجنبي الحكومة التركيبة صورة لقافلة الجنائز في طريقها إلى كربلاء منقولة من رحلة جون أشر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٢٩٩

ضريبة قليلة على الجنائز في باب البلدة، لكن محاولات كثيرة كانت تجرى بين حين و آخر للتهرب منها بطرق شتى. و هو يروى بعض القصص في هذا الشأن. لكنه يذكر بالمناسبة ان الجهات المسؤولة في باب المدينة لا تسمح بادخال عدد كبير من الجنائز الى البلدة مرة واحدة، لأنها تصل بأعداد كبيرة في بعض المواسم بحيث يؤدي دخولها الى انتشار الأمراض و ازدحام الطرق و الأزقة في داخل البلدة بها. فقد تصل في قافلة واحدة من إيران ألف جنازة في وقت واحد، و كل واحدة منها يكون في صحبتها شخص أو أكثر من أقارب المتوفى. و قد رأى المستر أشر في طريق عودته إلى بغداد قافلة لا يقل عدد المسافرين فيها عن مئة شخص، و كان قسم منهم يمتطي الخيول و قسم آخر يمتطي الأبل، و كانت النساء يحملن في (التخت روان) الذي يحمل على البغال. على ان قسما كبيرا منهم كان يسافر راجلا خلال سفرته الطويلة المتعبة.

و بعد ان يصف القبة و المنائر المذهبة، و الجدران و الأفاريز المزينة بالقاشاني

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٠٠

الجميل و غيره بالوصف المؤلف المعروف، يقول إنه ذهب لمشاهدة مرقد الإمام العباس عليه السلام كذلك. فشاهده من سطح أحد المنازل القريبة من الصحن، و هو يقول إنه كثير الشبه بمرقد الحسين عليه السلام. و يشير في وصفه الى ان الصحن الضيق المحيط بالحضرة كان غير مبلط، و كان يستعمل للدفن كذلك. على انه وجد صحن العباس مكتظا بالمعممين الذين كانوا يجلسون فيه للتسكع و تزجية الوقت، أو لأداء الصلاة على حد قوله. و لم يستطع في كلتا الحالتين معرفة شيء عن داخلية الحضرة.

الزعيم الروحاني المصلح السيد هبة الدين الحسيني

و حينما تجول في الأسواق الضيقة بعد ذلك و جدها محتشدة بالناس الى أقصى الحدود، و ألقى السلع المعروضة للبيع فيها لا تتجاوز حاجات الأعراب المحيطين بالبلدة و لوازمهم مثل الكفافي و الأعقل و العبي و ما أشبهه، الى جانب الأطعمة و المؤن. و لذلك كان الزوار يتسوقون ما يحتاجون إليه من أسواق بغداد عادة. على أنهم وجدوا أنواعا عدة من الأحجية و التعاويذ يصنعها الجوهريون في البلدة و يعرضونها للبيع إلى الزوار. و عندما اشترى القواس الذي كان بصحبة المستر (أشر) واحدة منها له انزعج البائع و استرجعها من القواس بغضب لاعتقاده بأن المسيحي لا ينبغي أن يحملها و في داخلها بعض آيات القرآن الكريم.

و قد تسنى للرحالة و جماعته ان يتجولوا بعد الظهر في البساتين الكائنة في خارج أسوار المدينة المقدسة، فوجد فيها سواقي المياه تخترق تربتها الخصبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٠١

بكثره. و هو يقول ان هذه البساتين تعتبر منتجعات مؤنسة لأهالي كربلا في أيام الصيف، فهم يخرجون اليها ليجلسوا في ظلها السمين و يتمتعوا بال «كيف» على حد قوله، الذي يميل اليه الشرقيون بوجه عام، و يشربوا القهوة و الشربت.

مدام ديولافوا في كربلاء

و في ولاية تقي الدين باشا الثانية في بغداد زارت العراق سنة ١٨٨١ (١٢٩٩ هـ) الرحالة المعروفة مدام (ديولافوا) مع زوجها المهندس المعماري و عالم الآثار الفرنسي مارسيل ديولافوا، قادمين من ايران فزارا من العتبات المقدسة الكاظمية و كربلاء، و كتبت في رحلتها شيئا عنهما. و قد ذهبت إلى كربلاء عن طريق الحلة خلال كانون الأول ١٨٨١، و بعد ان زارت مع زوجها و أصحابها آثار بابل توجهت إليها. و هي تقول ان كربلاء تعد من مراكز الشيعة المهمة، و ان فيها عددا من المدارس الدينية الكبيرة التي يقضى فيها طلبه العلم عشرين سنة أو أكثر في بعض الأحيان. و يلاحظ مما ورد في الرحلة ان الليل أدرك القافلة و المطر يتساقط عليها ما بين الحلة و كربلاء، فاضطرت الى النزول في قرية صغيرة تبعد عن الأهوار المحيطة بالطريق بمسافة لا تزيد على الكيلومترين. و هناك نزلت في

خان صغير يحيط به عدد من الدكاكين، و تثيره بعض الفوانيس النفطية. و لعلها تقصد أحد الخانات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٠٢

الموجودة في الطريق بين كربلا و النجف .

و قبيل ان تصل قافلة المدام (ديولافوا) في صبيحة اليوم الثاني الى كربلا، مرت في طريق زاهر تحفه البساتين و الحدائق، و تكتظ في جانبيه أشجار النخيل و الليمون. و كانت حركة المرور نشطة في هذا الطريق، كما كان الكثيرون من المارة نسوة يمتطين الدواب او يقطعن الطريق سيرا على الأقدام.

و حينما وصلت القافلة إلى باب البلدة القديمة، التي كانت تمتد بين يديها ساحة واسعة الأرجاء، لاحظت المدام ديولافوا وجود عدد غير يسير من الحجاجين الذين كانوا منهمكين في صقل أحجار القبور و الكتابة عليها بحيث تكون جاهزة للبيع إلى أصحاب الجنائز التي ترد بكثرة من الخارج للدفن في المدينة المقدسة. و كثيرا ما كان هؤلاء الحجاجون يحيطون بالجنائز الغرباء و يلحون عليهم في بيع ما عندهم من بضاعة إليهم. و بعد أن يتم الاتفاق على الثمن، كانت تكتب الأسماء على الأحجار فتؤخذ لتبنى فوق القبور.

و تقول المدام ان حراس الباب لم يسمحوا لها و لجماعتها بالدخول منه، بل أشاروا عليهم بالدخول من خلف السور و النزول في السيوت الحقيمة الكائنة في آخرها. و حينما ذهبوا في طريقهم إلى هناك مروا بالكثير من مخيمات الزوار الفقراء الذين لم يكونوا يستطيعون دفع الأجور اللازمة إلى أصحاب المنازل و الخانات. و قد اضطرت الى النزول في منزل قدر مظلم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٠٣

ذي حجر ضيقة، لأن البلدة كانت تزدحم بالزوار، و لأنها كانت تفضل الإبتعاد عنهم.

و ما ان استقر بها المقام في هذا المنزل حتى صعدت إلى سطحه لتطلع من فوقه إلى منظر البلدة الفريد على حد قولها، و لتشهد من بعيد قبة الضريح المقدس المكسوه بالذهب من الجهة اليسرى، و القبة المكسوة بالقاشاني الأزرق من الجهة الأخرى و كانت من صنع العهد الصفوي الأخير على ما تقول.

و يبدو مما تذكره في الرحلة انهم قد اتعظوا بالحادث الذي كان قد وقع لزوجها في الكاظمية من قبل، و لذلك كان من رأيهم ان يتأكدوا من كل ما يفعلونه و يعدوا خطة محكمة يتمكنون فيها من الدخول إلى الحضرة المطهرة التي يقدها الشيعة غاية التقديس. و من أجل هذا كله، و حرصا على تحقيق ما صرفوا الكثير من أجله و تجشموا المصاعب في سبيله، فقد جاء زوجها معه من بغداد بعدد من التوصيات إلى رجال الدين و المسؤولين الحكوميين في كربلا، و إلى عدد من وجوهها.

و كان أول ما فعلوه أنهم توجهوا إلى زيارة القنصل الإيراني في محله فوجدوه رجلا لطيفا رحب بهم و أحسن لقاءهم، ثم وعدهم بأن يبذل غاية جهده في تحقيق رغبتهم. و لذلك بادر في الحال الى استدعاء الكليدار للحضور عنده و عرض الأمر عليه. لكن الخادم الذي بعث به سرعان ما عاد إليه ليخبره بأن السيد الكليدار كان قد ترك البلدة منذ مدة «لتغيير الهواء» و الترويح عن النفس، و لا يؤمل رجوعه الا بعد أسبوع! غير ان هذا لم يفت في عضدهم بسهولة، لأن المسيو ديولافوا نفسه أخرج له كتاب التوصية الذي كان يحمله من الوالي في بغداد إلى رجال الحكومة في كربلا. فتشجع القنصل بذلك و ركب لمقابلته الكليدار بنفسه، و التداول معه في الموضوع العويص، و وعدهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٠٤

بأن يبعث لهم بالنتيجة.

و قد زارهم في عصر ذلك اليوم «جماعة من القراء و أصحاب العمائم»، و بعد أن هناؤهم بسلامة الوصول و رحبوا بهم تركوا الحديث إلى أحدهم.

فأخذ هذا يسهب و يطنب في القول، و يصف سرور القنصل الايراني لو شرفوه بالنزول في بيته، و مقدار الشرف الذي أصاب الكليدار

بتسلم التوصية من الباشا الوالى فى بغداد. ثم أفاض بحديثه عن جلال الضريح المقدس الذى زاره شاه إيران مشيا على الأقدام (كان ناصر الدين شاه قد زار العتبات قبل مجيء مدام ديولافوا)، و طلب اليهم ان يشكروا الله على هذه الفرصة الذهبية التى سنحت لهم فى المجيء إلى هذا المكان الذى لم يسمح لغيرهم من الأجانب قبل هذا به. و بعد اللتيا و التى عرض عليهم فقط أن يشاهد المشهد الشريف من سطح احد الدور القريبة اليه، بشرط ان يضعوا فوق رؤوسهم الطرايش التركية الحمراء دفعا للشك و الريبة بهم. غير ان المسيو ديولافوا اعتذر عن وضع الطربوش التركي فوق رأسه بأى حال من الأحوال، و هو الذى كان لا يكره أحدا بقدر ما يكره الأتراك أنفسهم على ما تقول زوجته المدام فى رحلتها.

فبدأ أن زوارهم قد اقتنعوا بوجهة نظره، و ضربوا لهم موعدا فى صباح اليوم التالى بأن يأخذوهم إلى الدار المجاورة. لكن اليوم التالى (٢٨ كانون الأول ١٨٨١) قد حل و لم يأت إليهم أحد فى الموعد المضروب، فخرجت المدام و زوجها للتفرج على البلدة. و هى تقول إنهم مروا بعدة مقابر متسعة، كانت تظللها الأشجار الكثيرة. و قد لاحظوا ان بعض المقابر هذه كانت للتجار. و سراء القوم، و هى مظلة بالأشجار و قريبة من حدود الصحن الشريف، و ان بعضها الآخر كان للفقراء و؟؟؟

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٠٥

و هو الذى يمتد إلى خارج البلدة. و تذكر كذلك أنهم كانوا يصادفون أصحاب العمائم من مختلف الأعمار أينما اتجهوا فى البلدة. و تضيف إلى ذلك قولها ان كربلا كانت عبارة عن جامعة دينية كبيرة يقصدها طلبة العلم من كل حدب و صوب فى أنحاء العالم الإسلامى، فيقضون معظم سنّ حياتهم فيها. و ان هؤلاء كانوا يعيشون على الهبات و التبرعات التى يقدمها الناس من مختلف الطبقات عن طيبة خاطر. ثم تتطرق إلى ما كان يقدم للحضرة المطهرة من أثاث فاخر و سجاجيد ثمينة، و أوان نفيسة ابتغاء مرضاة الله و الفوز بالثواب.

على ان الطريف فى الأمر، أنهم حينما عادوا إلى المنزل وجدوا بانتظارهم رجلا جاء يفاضهم بلبس الطربوش من جديد متجاهلا جميع ما سبق ان اتفقوا عليه من قبل. فضاق المسيو مارسيل ذرعا بهذا المطل و التملص، و قرر الرجوع فى الحال إلى بغداد، فعاد بخفى حنين.

زيارة جون بيترز لكربلاء

و فى ١٨٩٠ تسنى (لجون بيترز)، رئيس بعثة بنسلفانيا للتنقيب عن الآثار القديمة فى نقر (منطقة عفج)، ان يزور كربلا بعد ان زار النجف قادما من السماوة. و فى طريقه من النجف الى كربلا مر بخان كان يجرى بناؤه على نفقة رجل من المحسنين يدعى مرزا، و كان قد انتقل مؤخرا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٠٦

الى دار البقاء فدفن فى النجف. و فى حوالى الظهر وصلت قافلة بيترز الى خان الحماماد، و كان عبارة عن خمس خانات فى خان كبير واحد. و قد كان بوسعهم ان يشاهدوا من بعيد عبر أهوار الهندية بلدة الكفل، و برز نمود، على ما يقول. و حينما مالت الشمس إلى الغروب تابعوا السير إلى كربلا و لم يصلوا إليها الا قبيل الفجر، و كان سيرهم على ضوء القمر. و قد صادفوا فى الطريق عددا كبيرا من الزوار يركبون الحمير مثلهم، لأن البغال و الخيول كانت قد جمعتها الحكومة لأسباب لم يعرفها بيترز. و كان وصولهم قد تم حينما كان المؤذن يؤذن لصلاة الصبح فخف خادمه عباس، الذى أصبح متدينا فجأة، إلى الحضرة ليؤدى الفريضة. فاضطر خادمه الآخر، الأرمنى الذى دخل الحضرة فى النجف كذلك مع هذا الخادم، الى ان يرافقه إليها.

و يقول بيترز ان (نوريان) و هو اسم خادمه الأرمنى، يعتقد ان مشهد الحسين أكبر و أوسع من مشهد على بكثير، و فيه الكثير من أعمال الحفر الخشبي، لكنه لا- تكثر فيه الزينة بالذهب، و لا- تغلف مئثره بالذهب الا الى حد الحوض فقط. كما أخبره ان الصحن

الكبير كانت فيه منارةً ثالثةً مزينةً بالكاشى البديع، و هي من تشييد أحد العبيد المعتقين. و لا شك انه يقصد بذلك «منارة العبد» التي مر ذكرها في هذا البحث.

لكن الغريب في ما لاحظناه عن جون بيترز هذا انه مع كونه رئيسا للبعثة الأثرية التي جاءت للتنقيب، و برغم ما يؤمل منه من ثقافة و اطلاع واسع في الشؤون التاريخية، فقد وقع في عدد كبير من الأغلط الفظيعة بالنسبة لما كتبه في الرحلة. فهو يجهل ان العباس (ع) هو أخو الحسين عليه السلام، و يقول انه شيخ من شيوخ العرب القساء يشتهر بسرعه الغضب موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٠٧

و الشدة!! و يقول كذلك ان الحسين قتل من قبل جنود (معاوية) المنافس له على الخلافة!! و ان الجامع الكبير او المشهد الحسيني يوجد في داخله ضريح آخر يقال أنه لـأخيه (الحسن)!! الذي هو مدفون في الحقيقة في البقيع في المدينة. و لا شك ان مثل هذا الخلط و الخبط قد اعتمد فيه على أقوال خادمه الأرمني نوريان!!

ثم يذكر ان كربلا تقع على حافة السهل الرسوبى الخصب الذى يتصل بهضبة الجزيرة العربية. و يبلغ عدد نفوسها حوالى ستين ألف نسمة، و يبدو انها بلدة مزدهرة. اما القسم الجديد منها الذى انشئ خارج السور القديم فيه شوارع واسعة و أرضه منتظمة بحيث تبدو و لها مظهر أوربى حديث.

و مع أن اسوارها مهدمة قديمة فان أبوابها كانت لا تزال قائمة تجبى فيها المكوس و رسوم الدخول. و مما يذكره كذلك أنهم صادفوا في كربلا موجة حر شديدة من موجات منتصف الصيف بحيث بلغت درجة الحرارة فيها ١١٠ الى ١٢٠ درجة فهر نهايتية في الظل. و لم يستطيعوا مغادرة كربلا و الفرار من حرها لأن شأؤول الصراف الذى يدبر شؤونه المالية في الحلة لم يستطع تحويل المبالغ اللازمة له بالسرعة المطلوبة منذ أن فارقه في النجف من قبل. و هو يقول انه نظرا لشدة الحرارة كانت تعلق على الشباييك في البيوت العامرة طبقات من العاقول المنقع بالماء، لكن الليالى كانت طيبة بالنسبة له.

و يذكر بيترز بالنسبة لتحويل المبالغ في تلك الأيام انه حينما كان في السماوة صرف جميع ما عنده من مال، و لما كانت السماوة تخلو من وجود اليهود فيها فانه لم يستطع الحصول على المبالغ التي كان بأمس الحاجة لها، لان كل مكان يخلو من اليهود كان يتعذر تحويل المبالغ أو صرف الحوالات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٠٨

فيه، او استدائه اى مبلغ من المبالغ بسهولة. و لذلك كتب الى شأؤول الصراف في الحلة ليوافيه بالمال الكافى في النجف. و حينما عزم على السفر إلى كربلا فارقه شأؤول إلى الحلة ليدبر إرسال مبالغ أخرى له اليها، حيث لا يوجد يهودى في النجف أيضا و لا يمكن ان تصرف الحوالات فيها على هذا الأساس.

لكنه وجد التجار الإيرانيين مستعدين للبيع بالنسيئة، فترك النجف و هو مدين (١٥) باونا.

هذا و يشير بيترز أيضا إلى أن من الصناعات الخاصة بكربلا صناعة تزوير الآثار القديمة. و هو لا يتورع عن الاشارة في هذا المجال إلى ان الذى لم يستطع شراءه او الحصول عليه في كربلا- أو النجف «المشروبات الكحولية» التي قيل له ان بائعها يعاقب بقطع يده اليمنى. على انه يقول ان الموظفين الأتراك كان يوجد عندهم شىء كثير من العرق المحلى الذى يتناولونه برغم تعصب الأهلىن، لأن الأتراك يتبعون حافية التحريم الشرعى فقط الذى يحرم النبيذ المخمر لا المشروبات المقطرة!! يضاف إلى ذلك انهم كانوا يلتذون باغاضة الشيعة المتعصبين- و كان الشيعة في مقابل ذلك يكرهون الأتراك على حد قوله و يمقتونهم، و يرجون بأية دولة «كافرة» تستطيع إخراجهم من البلاد لأنهم يعتقدون أن الأوربيين برغم «كفرهم» يحكمون بشىء أكثر من العدل و يحسبون الحساب لتعصب الأهلىن.

و قد وجد بيترز الأغنام النجدية لأول مرة في كربلا، و هي الأغنام التي يكون لها صوف طويل جدا حيرى الملمس. و هذه تكاد تشبه

فى شكلها الماعز مع الاحتفاظ بسماء الخرفان البليدة، و ذنبها الدهنى الضخم أى الألية التى تتميز بها الأغنام الآسيوية. و آخر ما يذكره عند كتابته عن كربلا ان الزوار الإيرانيين يأتون عادة موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٠٩

إلى بغداد أولاً و منها يزورون الإمام موسى الكاظم القريب منها، ثم يقصدون كربلا و النجف. و من ثم يتوجهون إلى الرجة التى يذهبون منها، بحماية الأمير و كيل ابن رشيد فى نجد، إلى مكة المكرمة فيصلون إليها فى الوقت المعين للحج، فيؤدون فريضته خلال العيد الأضحى (قربان بيرم).

و من يعود حيا منهم إلى بلده يطلق عليه لقب (حاج)، أما الذين يقضون نحبهم خلال ذلك كله فيذهبون إلى الجنة رأسا. و أخيرا وصل العامل حمزه أحمد من الحلة و معه المال الذى دبره له شأؤول الصراف، فتحركوا نحو الحلة بواسطة الزوارق على حد قوله بعد ان أرسلوا خيولهم لتقطع الطريق خوفا فتنظرهم فى قرية الجمجمة الواقعة فى موقع بابل نفسها. و قد استقلوا الزوارق من ساحل هور السليمانية التى وصلوها بعد ساعة ركوب واحدة على ظهور الحمير. و هناك وجدوا صعوبة فى استكراء الزوارق لأن الرجال هربوا و اختفوا عن الأنظار حينما لاحظوهم من بعيد خوفا من ان يكونوا من رجال الحكومة الممقوتة.

زيارة المسى بيل قبل الحرب العظمى

و فى سنة ١٩٠٩ زارت المسى غير ترودييل،- المستشفة و الرحالة البريطانية المشهورة، التى أصبحت فيما بعد سكرتيرة دار الاعتماد البريطانى فى بغداد- كربلا قادمة إليها من حلب بطريق البادية، بعد ان مرت من حلب إلى التل الأحمر، فالبصرة، فهيت، فالأخضر، فوصلت فى ٣٠ مارت ١٩٠٩.

و بعد ان بقيت حوالى اثنى عشر يوما فى المدينة المقدسة رحلت إلى بابل عن طريق المسيب. و قد كتبت مشاهداتها فى هذه الجهات، فى ضمن ما كتبه عن رحلاتها الأخرى يومذاك، و نشرته فى كتابها القيم الموسوم (مراد إلى موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣١٠ مراد).

و تستهل كتابتها عن كربلا بالكتابة عن شؤون السفر فى تلك الأيام، و تقارن بين البادية و البحر فى هذا الشأن. ثم تبدأ بوصف ما كان يخالجهما حينما وصلت إليها، فتقول إنها وصلت الى عالم جديد عليها من أوجه كثيرة. فقد انتقلت من الجو المعروف فى شمالى سورية الى بلدة عريقة فى التقاليد الشرقية المتصلة بالأماكن المقدسة، التى ترتبط ارتباطا وثيقا بالانقسام و الانشقاق الكبير الذى حصل فى الإسلام. فقد كانت البقعة مسرحا للمأساة الأليمة التى وقعت فيها فأسفرت عن قتل الحسين بن على عليهما السلام. ثم نشأت حول الجامع، الذى يضم الضريح المطهر فى داخله، البلدة التى أصبحت بالنسبة لنصف المسلمين محجا لا يقل عن مكة فى أهميته.

و ليس الذى يتحدى المخيلة و يلح عليها بشدة هنا القبة المذهبة، و لا وجود الكثيرين من الإيرانيين بألبستهم الخضراء، و أوجههم العبوسة الكالحة، و لا ثروة هذه العتبة الشيعية التى سارت بذكرها الركبان. و انما يفعل ذلك الشعور بالوصول إلى هذه المناطق و الربوع التى شهدت تأسيس الامبراطورية الإسلامية، فبقيت ردحا طويلا من الزمن مقرا لعاهلها الأكبر، خليفة المسلمين و ظل الله فى أرضه. فعلى مسيرة يومين من هنا يقع ميدان القادسية الذى حطم فيه خالد بن الوليد (الصحيح هو سعد بن أبى وقاص) الدولة الساسانية حال اشتباكه بها و قضى عليها إلى الأبد. و بذلك تخطى بقدمه إلى هذه الجهات كسرى بأتباعه، و أقباله، و حلفائه العرب- أمراء المناذرة الذين كانت عاصمتهم من مراكز الحضارة العربية الأولى- الى ظل الماضى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣١١

المعتم، و اختفت من الوجود المدن. و القصور التي اشتهرت يومذاك مثل الحيرة، و الخورنق، و طيسفون، و غيرها من الأماكن التي نسي ذكرها و عفى حتى رسمها. و سقط ما شهدته الأزمنة القديمة من عظمة و أبهة و أمجاد كما تسقط جيوش الأحلام عند أول اصطدامها بجيوش الحقيقة و الايمان، التي ما زالت تسيطر في الميدان حتى هذه الساعة. و حل بعد ذلك يوم البأس و الحيوية فأضيفت به الاصقاع و الممالك واحدة بعد أخرى، و مصرت المدن الإسلامية العظمى مثل الكوفة، و واسط، و البصرة، و آخرها و أعظمها بغداد مدينة السلام.

لقد كانت هذه القصة هي التي خطرت ببالي - كما تقول المس بيل - و انفتحت صفحاتها بين يدي حينما كنت أقف فوق سطح دار من الدور المجاورة لأتفرج على الساحة المزينة بالقاشاني الجميل الفخم، التي يقوم في وسطها الضريح المقدس، و لا يسمح بالدخول فيها الا للمسلمين. و حينما رفعت ناظري و سرحت الطرف نحو الغرب لمحت من بعيد البادية التي كانت جيوش النبي الكريم قد عبرتها لتقضي بعزمها الشديد و إيمانها الأكيد على المدينة القديمة و تدك عروشها المشيدة. و ألفت إلى الشرق من ذلك الطريق الممتدة إلى بغداد عاصمة الإسلام الكبرى، التي قام فيها أحفاد أولئك الفاتحين بتنمية الفنون السلمية و تهذيبها تهديبا مقرونا بما لا يقل عما سبق من الشهرة و الصيت الحسن. و هكذا زحفت روحية الإسلام و شعلته الخالدة من أوعار البادية لتستولي على الأرض المثمرة.

ثم تقول عن أحوال كربلا- المحلية يومذاك، ان برتقالها كان من النوع الجيد، و قد تكدست في دكاينها أكوامه بجانب اكوام الليمون الحلو الأصفر بلونه. و لذلك كانت تشتري الكثير منه هنا و هناك فتأكله و هي تمشي في موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣١٢

الطريق لتروى غليلها الصدى الذي التهب سعيره حينما عبرت البادية الى هنا من حلب. و كانت تتكوم مع أكوام البرتقال و الليمون أكوام الورد الارجواني، الذي كان يأخذ منه المارة بين آن و آخر حفنات يشمونها في سيرهم. و حينما خيم الليل بظلامه في يوم من الأيام دعيت إلى وليمة عشاء فاخرة أكلت فيها القوزى المحشى بالفتق، و شربت الشربت بالملاعق الخشبية الكبيرة. ثم استمعت إلى ما قصه عليها الحاضرون من حديث السياسة و أحوالها في تلك الأيام كما تقول. و كان ذلك الحديث على ما يظهر يمت بصله إلى الروحية الجديدة التي انبعثت في أطراف الامبراطورية العثمانية و أجزاءها على أثر حصول الانقلاب العثماني (١٩٠٨) و اعلان المشروطة.

فقد حدثها أحد الحاضرين يقول ان الولايات العراقية لا يستسيغ فيها الناس وجود حكومة دستورية، لأن الملاكين رجعيون في قلوبهم كلهم، و قد جمعوا ما حصلوا عليه من ثروة و مال بالقوة و الغصب. و لذلك لا يمكن ان يتحملوا من يحاسبهم على ما امتلكوه بتلك الكيفية، و يكرهون ما يوجه اليهم من نقد و ملاحظات صريحة على صفحات الجرائد. يضاف إلى ذلك ان أكثرية موظفي الحكومة كانوا على شاكلة هؤلاء أيضا. و لا يخفى ان القضاء على الفساد بين هؤلاء كان يعنى جوهم بطبيعة الحال، ما لم تتخذ التدابير لزيادة رواتبهم في مقابل ذلك. فان الحاكم (القائمقام) مثلا كان يعين لمدة سنتين و نصف فقط، و كان يتقاضى خلال هذه المدة راتبا قدره خمس عشرة ليرة تركية في الشهر، و هذا المبلغ لم يكن من الممكن له ان يتعيش به هو و أسرته في ظروف ينبغي له ان يحافظ فيها على مركزه و منزلته. أضف إلى ذلك انه كان يتحتم عليه أن يدارى رؤوسه ليستفيد منهم في تجديد تعيينه حينما تنتهي المدة المضروبة له ... و لذلك فان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣١٣

(أحد عشر رجلا) من كل عشرة كانوا يقدمون على أخذ الرشوة على ما يقول المحدث!! و على كل فان اعلان الدستور لم يأت لنا الا بلبس الطربوش الأسود (لأن الأحمر كان قد انقطع وروده من النمسا في تلك الأيام لحصول إضرابات أدت إلى تعطيل معاملته)، و حرية الكلام، و إنشاء ثكنتين متينتين في بنائهما: واحدة في كربلا و أخرى في النجف، تخليدا لحلول عهد الحرية.

و كانت كربلا، على ما تقول المس بيل نقلا عن محدثيها، قد حصلت بحلول العهد الجديد على متصرف تروى عنه قصة غير مشرفة لسمعته، ذات تأثير شىء على مقدرته فى العمل فيها. فقد كان الرجل من المنتمين الى جماعة الأحرار، و كان قد بدأ حياته فى الوظيفة بتعيينه سكرتيرا للوالى فى بغداد. لكن أهالى بغداد كانوا قد اشتكوا منه خلال اشتغاله فيها لأنه شوهده فى يوم من أيام رمضان المبارك يجاهر بالافطار و يدخن على ملاء من الناس فى السوق فأقصى عن منصبه. و لما كان ينتمى الى جماعة الأحرار كان لا بد ان يحظى بمساعدة الكثيرين من ذوى الشخصيات المرموقة فى استانبول، و لذلك أعيد تعيينه متصرفا فى كربلا مؤخرا. على ان سمعته السابقة لم تفسح له المجال للاشتغال المثمر فى هذه البلدة المتعصبة، برغم أهمية الأعمال و الإصلاحات التى شرع فى تنفيذها. فبالنظر للجور الأعمى الذى كانت تمارسه الحكومة فى كربلا، و إهمال شؤون الرى فيها، أخذت الأمور تتدهور فيها يوما بعد يوم و ساءت أحوالها المالية بحيث أصبح من المتعذر جباية أى نوع من الضرائب منها. و كانت خزانه البلدة من جهة أخرى مرهقة برواتب المستخدمين الكثيرين، و المبالغ التقاعدية و غيرها التى كانت تدفع إلى الكثيرين من الناس على اختلاف طبقاتهم، و معظمهم من طبقة رجال الدين على ما تقول، و لذلك جوبه هذا المتصرف بمقاومة غير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣١٤

يسيرة حينما عمد إلى الاقتصاد بالنفقات، و قطع الرواتب عن مثل هؤلاء ليجد المال اللازم إلى تنفيذ بعض الإصلاحات و القيام ببعض الأعمال العمرانية.

و حينما انتهت مدة بقاء المس بيل فى كربلا كان فى نيته أن تتوجه إلى بابل عن طريق طويريج (الهندية)، لكنها تقول انها كانت تجهل استحالة ذلك لأن المسافة بين كربلا و طويريج كان يشغل معظمها هور الهندية الذى كانت تغذيه مياه الفيضان و «الكسرات» من فرع الحلة. فان المنطقة الكائنة فى غرب هذا الفرع، التى تقع فيها مدينة كربلا نفسها، ينخفض مستواها عن مستوى النهر، كما ان قاع النهر كانت ترتفع سنه بعد أخرى بتراكم الغرين المترسب فيه. و لذلك فكثيرا ما كانت المياه تفيض الى هور الهندية الذى تتوسع رقعته فى بعض السنين فيهدد كربلا- بالذات، حتى ان مياهه قد تسربت إلى شوارعها فعلا- فى سنه من السنين. فكان يترتب على الملاكين و أصحاب الأراضى فى هذه الحالة السهر على إنشاء الروف الواقى و السداد القوية لاتقاء خطر المياه، غير انهم كثيرا ما كانوا يهملون هذا الواجب فيشتد الخطر.

و قد حدث ذات يوم ان جاء أحد الهنود المسلمين و اشترى مساحات كبيرة من الأراضى التى تتعرض للفيضان هذا، و كان فى نيته ان يحافظ عليها بالسداد و يستثمرها كما يريد. فصرف مبالغ طائلة على ذلك و أوقف الخطر الزاحف على البلدة عند حده مدة من الزمن. لكنه عجز عنه فى النهاية و ترك المشروع المرهق، فتجدد الخطر لا سيما حينما وجد نفسه وحيدا فى الميدان من دون أن تتعاون معه الحكومة أو الجهات الأخرى و على الأخص العشائر المجاورة التى كانت تبذر تبذيرا مسرفا فى إستخدام الماء للسقى فيؤثر سوء تصرفها على توسع الهور. غير أن المتصرف أراد إجباره على الاستمرار فى العمل، لكنه لم يتمكن من ذلك نظرا لأن الرجل الهندى المسلم ذاك كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣١٥

يتمتع بالحماية البريطانية.

و لما كانت الحالة على هذا المنوال توجهت المس بيل الى بابل لمشاهدة آثارها، عن طريق المسيب التى وجدت فيها جسرا من الزوارق، و هى تقول انه كان أول جسر حصل لها شرف عبور نهر الفرات عليه.

المس بيل فى الأخيضر

و فى أوائل ١٩١١ تعود المس بيل فتأتى إلى ما يقرب من كربلا من جهة البادية، لتزور الأخيضر فتعمل على وصفه و رسم الخرائط

التفصيلية له.

وقد كان ذلك في عهد والي بغداد المشهور ناظم باشا كما يفهم مما جاء في رسائلها المعروفة. و كان مجيئها الى الاخضر من سورية بطريق الفرات أيضا، فمرت بكبيسة و هيت و الرمادي، و من هناك قصدت الرحالية و شفائه فوصلت اليه في ٢٨ شباط ١٩١١. و كانت قد جاءت يومذاك بكتاب توصية الى صخيل شيخ الزقاريط، إحدى قبائل شمر المقيمة بالقرب من القصر يومذاك. فخف اليها مسرعا و مرحبا ثم ساعدها في أثناء الاقامة في الاخضر ريثما تنتهي من مهمتها الأثرية على ما يظهر.

و هي تقول ان أفراد الزقاريط الذين جاء بهم صخيل للحراسة و المساعدة كانوا يقومون بخياطة ملابسهم بأنفسهم، و حينما سئلوا عن السبب أجابوا بأن نساءهم لا يفعلون شيئا سوى الجلوس و تزجية الوقت بالتوافه. و قد خرجت للصيد مع صخيل في يوم من الأيام فلاحظت على مسيرة ساعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣١٦

من الاخضر وجود «معمل» قديم للنجص و الملاط على ما تقول. و هي تعتقد أن النجص كان يؤتى به لتشييد الاخضر من هذا المعمل نفسه، و لذلك بادرت إلى تخطيطه و رسمه قبل ان تعود الى مخيمها. أما مقلع الأحجار التي شيد بها الاخضر فيقع على مسيرة ساعة في الجهة المقابلة. و تقول المس بيل ان الخارطة الدقيقة التي رسمتها للاخضر و موقعه تعتبر أول خارطة له. لكنها لا تتطرق في الرسائل الى تاريخ الاخضر و كيفية بنائه، و الظاهر انها اكتفت بما كتبه عنه في الكتب الأخرى.

و حينما غادرت موقع الاخضر متجهة الى بابل فبغداد مرت على مسيرة اربع ساعات منه بأول أثر من الآثار القديمة يقال له (مجده)، و هو برج مدور مشيد بالآجر تشييدا دقيقا. و هي تعتقد بأنه من الأبراج التي كانت مقامة لحراسة الطريق، يرجع تاريخه إلى القرن التاسع للميلاد. ثم مرت بخرائب (خان العطشان) الذي يقوم في وسط سهل منبسط كانت تنتشر فيه قطعان بني حسن و خيامهم، لأن قسما منهم كان يخيم على مقربة من الخان نفسه. و هي تقول إنه أثر جليل من الآثار القديمة، يعود تاريخ تشييده إلى القرن التاسع الميلادي أيضا، اي الى عهد الخلافة العباسية في سامراء على رأيها. و قد كان المنظر رائعا في نظرها حينما حل الليل و خيم الظلام فبانت نيران بني حسن منتشرة هنا و هناك في ذلك السهل الممرع الدال على جمال الربيع في البادية. و بعد ان تركت الخان في اليوم التالي مر ركبها بالمخيمات المتروكة التي كان الوفير المتساقط قبل شهر من ذلك الوقت قد خلف آثاره فيها. فقد شاهدت الكثير من جثث الأغنام و الحمير منتشرة حولها. و هي تقول ان الوفير يعد شيئا غير مألوف في تلك الجهات، و ان مدير ناحية شفائه كان قد قال لها حينما زارها في الاخضر بأن الناس حينما استيقظوا في الصباح هناك و وجدوا الأرض مكتسية به ظنوا أنه طحين منثور.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣١٧

و بعد ان أكملت رسم خارطة الخان و موقعه توجهت مع الركب نحو نقطة تقارب منتصف الطريق بين كربلا- و النجف بعد ان رخصت حراسها الزقاريط و استصحبت حراسا من رجال بني حسن. و بعد ساعات قليلة من المسير بان للركب برج بابل من بعيد، ثم اتضح لهم بعد ذلك فصار يبدو كأنه قائم في وسط بحر من النخيل المنتشر، و شاهدوا بعد قليل خان الحماد محاطا بالنخيل من بعيد، غير انهم اتجهوا نحو خان المصلى فخيموا على مقربة منه. و هي تقول إنه كان محاطا بعدد قليل من الدور و الآبار، و أنهم وجدوا هناك عددا من الجنود، و أمكنهم شراء الدجاج و معظم «وسائل الترف» الأخرى على حد قولها الذي تستدركه فتقول ان ذلك ينطبق على القادمين من البادية على الأقل.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣١٨

كربلاء في التقارير البريطانية قبل الحرب

وقد جاء في تقرير عسكري مكتوم، أعدته رأسه الأركان البريطانية العامة في ١٩١١، عن المنطقة الممتدة ما بين بغداد و الخليج، ان

كربلا تقع في سهل يبعد عشرين ميلا من جهة الغرب عن الفرات الذي تتصل به عن طريق جدول الحسينية. و تحتوى البلدة على خمسة آلاف بيت واسع حسن البناء، و ليس لها أسوار، لكنها تحاط بالجنان و البساتين التي يختبئ فيها عدد من البيوت. و تستمد ماءها، الذي ينقطع أحيانا، من الجدول المذكور. و حينما ينقطع الماء يستقى الماء العكر من الآبار.

و يبلغ عدد نفوس كربلا- حوالى ستين ألف نسمة، أكثريتها من العرب مع عدد غير يسير من الا-إيرانيين و الهنود المسلمين و بعض اليهود. أما الأتراك القليلون الموجودون في البلدة فهم موظفون. و لجامع الحسين، الذي يوجد فيه ضريحه أيضا، منزلة دينية عظيمة عند الايرانيين على الأخص. و لذلك يقصد هذه المدينة المقدسة على الدوام عدد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣١٩

كبير من الشيعة المتدينين من جميع أنحاء العالم.

و السوق في كربلا ممتلىء بالحاجات و السلع، و كثير الحركة و المشغولية لأن البلدة تعد مركزا لمنطقة زراعية مهمة. و قد أصبحت في الأيام الأخيرة مقرا لفرقة من فرق الرديف، و مركزا لمتصرفية تتبع بغداد. و يوجد فيها اليوم و كيل بريطاني يقوم بالأعمال القنصلية. و في هذا التقرير كذلك معلومات تفصيلية مفيدة عن الطريق ما بين بغداد و كربلا، الذي يبلغ طوله حوالى خمسة و ستين ميلا. و يذكر ان جدول الحسينية تبلغ سرعته الماء فيه ميلا واحدا في الساعة، و هو عميق يتراوح عرضه بين عشرين و خمس و عشرين قدما، و تتفرع منه عدة فروع لا- ينساب فيها الماء الا حينما يبلغ مقداره في الجدول الأصلي ٨- ١٢ قدما. و مما يذكر في تفصيلات الطريق بالنسبة للجهة القريبة من كربلا. ان قلعة مربع الشكل تسمى قلعة الشيخ ابراهيم تقع في الميل الثاني و الخمسين من بغداد، و الجانب الأيسر من الجدول، و يوجد حول هذه القلعة مئة كوخ من الطين او الخصاص.

في أيام الحرب العظمى

ان أهم من كتب من الغربيين عن كربلا في هذه الفترة هي المس غير تروود بيل، التي مرت الإشارة الى البعض من مؤلفاتها قبل هذا. و يأتي ذكر كربلا في هذا العهد ضمن ما كتبه في تقريرها المسهب عن العراق في فترة الحرب. و أول ما تشير به إلى كربلا هو في أثناء بحثها عن (العلماء و المدن المقدسة)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٢٠

بوجه عام، حيث تقول انها بنيت في موقع الحومة التي قاتل فيها الحسين عليه السلام، و فيها ضريحه المقدس و قبور عدد من أقاربه و أتباعه .. ثم تذكر أن معرفة البريطانيين بمجتهدى كربلا و النجف قد بدأت قبل الحرب العظمى بمدة طويلة. فقد كانت للحكومة الهندية منذ ١٨٤٩ علاقة خاصة بهاتين المدينتين لها اتصال بوقف أوده، لأن غازى الدين حيدر، ملك أوده، كان قد أوقف مبلغا قدره (١٢١، ٠٠٠) روبيه في السنة لتصرف صدقات إلى مستحقيها في المدينتين المقدستين فوجدت حكومة الهند، التي ورثت مسؤوليات شركة الهند الشرقية، نفسها في موقف الناظر على هذا الوقف.

و كان توزيع هذا المبلغ يثير في كل سنة عدة مشاكل لنا، لكنه انتظم في ١٩١٠ حين أجريت ترتيبات مقبولة خاصة، أصبح التوزيع فيها يجرى بواسطة لجنتين خيريتين، واحدة في كل مدينة، تتألف كل منهما من مجتهدين و أناس محترمين آخرين بعد أن يحول المقيم البريطاني في بغداد المبلغ لهما .

و تستمر المس بيل في بحثها فتقول ان الحكومة العثمانية كانت تعترف قبل دستور ١٩٠٨، بأن المدن المقدسة تختلف إختلافا بينا عن سائر ممتلكاتها فمنحتها بعض الامتيازات التي كان أهمها إعفاء سكانها من الخدمة العسكرية .. لكن مبدأ المساواة الذي كانت تنادي

به جمعية الاتحاد و الترقى كان يعنى زوال الامتيازات التي كانت تتمتع بها الرعايا غير العثمانية في البلاد، و صار يبدو حتى قبل الحرب ان الحكومة التركية كانت تظهر تجاهلا لوضع كربلا و النجف الخاص. و بعد موقعة الشعبة التجأ عدد من الفارين من الخدمة موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٢١

العسكرية اليهما، فأعلن الأتراك عن عزمهم على اعادتهم إلى الخدمة و هددوا بفرض التجنيد على جميع السكان. فثارت النجف ... و في حزيران ١٩١٥ بدأت الفتن و النزاعات العلنية في كربلا. و يبدو أن منشأها كان هجوما شنته على البلدة قبيلة بنى حسن المجاورة، التي كان بينها و بين سكان كربلاء عدااء مستحکم قديم لم تعمل الحكومة العثمانية شيئا لتسكينه جريا على سياسة «فرق تسد» التي كانت تلتجىء اليها. و في هذه المناسبة بالذات لم تجن الحكومة شيئا من المشاحنات التي ربما تكون قد استثارتها هي بالذات، لأن بنى حسن أحرقوا السراى و نهبوه، ثم هبت الغوغاء و طردت الحكومة فتولى شؤون البلد شيوخها و على رأسهم آل كمنونه. و وقعت الشيخ محمد على كمنونه حوادث مماثلة في الكوفة و الحلّة و طويريج، و في كل منها أجبر موظفو الحكومة و الحاميات التركية على الفرار. و على هذا أصبحت الحالة في الفرات خطيرة بحيث غيرت السلطات التركية سياستها و التجأت إلى المسالمة و الصلح .. و دبرت بالنسبة لكربلا وسيلة لاستعادتها و تعزيز مركزها فيها.

و تقول المس بيل بعد ذلك ان اتصلا بشأن كربلا جرى مع البريطانيين في أيلول ١٩١٥. و بعد شهر واحد أوجد الشيخ محمد على كمنونه، رئيس أسرة كمنونه زاده، علاقة خاصة بالسرى بيرسى كوكس الذى كان لا يزال موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٢٢

في الكوت حينذاك ، و بعد تبادل بعض الرسائل التمهيدية اقترح علينا ان نتعهد بتنصيبه حاكما وراثيا مستقلا فى ولاية مقدسة تمتد من سامراء إلى النجف. و قد كنا فى تلك الآونة منشغلين بالزحف الذى سبق معركة سلمان باك. و كان يبدو محتملا بأننا سرعان ما سوف نتصل إتصلا وثيقا بكربلا. فأرسل السرى بيرسى إلى محمد على ردا وديا و لكن لا لون له، مع هدية مالية صغيرة. و قد ترك الأمر على هذا الحال موقتا لأن انسحابنا من سلمان باك كان قد بدل الموقف السياسى العام بأجمعه. على اننا بقينا على اتصال تام بمحمد على، و واصلنا ارسال المال له من وقت الى آخر لأجل ان يساعده ذلك على الاحتفاظ باتباعه و التمسك بموقفه المسيطر فى كربلا.

ثم اتخذت السلطات العسكرية سياسة حرة فى السماح بمرور المواد الغذائية فى المناطق الفراتية لرفع الضيق و الضنك عنها. و بذلنا ما بوسعنا لارسال حوالات صغيرة من المال، و كل و كيل كان يمكن ارساله الى الناصرية كان يدفع له شىء من اموال (أوده) الوقفية لا يصله الى المدن المقدسة.

على أن الاتراك بذلوا فى نيسان ١٩١٦ جهدا ثانيا يقترن بمقدار أكثر من العزم و الشدة لاختضاع كربلا. فقد اتهموا فخر الدين كمنونه، أخا محمد على، بتحريض شيوخ (آل يسار) على مساعدة أهالى كربلا ضد بنى حسن فأحاطوا بداره و اعتقلوه. و على هذا ثارت ثائرة البلدة، و بعد اصطدام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٢٣

عنيف جرب الترك فى أثنائه مدافعهم ضد كربلا، و أنزلوا بعض الأضرار بالعتبات، ثم طردوا من البلدة و أسست إدارة محلية يرأسها الأخوان من آل كمنونه. و حذت حذو كربلا النجف و الحلّة فأقلت الزمام من أيدي الأتراك فى الفرات مرة ثانية. و أوفد الرسل من النجف إلى البصرة يحملون طلبا الى القبائل، و الى الدولة الإيرانية، يشرحون فيه ما كانت تعانيه كربلا. و كان بين الموقعين عليه عدد من المجتهدين المعروفين، فلم يقصر رئيس الحكام السياسيين (اى السرى بيرسى كوكس) فى نشر هذه الوثيقة بنطاق واسع .

و كان محمد على كمنونه، الذى استمر على تبادل الرسائل معنا، يكرر إعرابه عن مخاوفه من عودة الأتراك، كما ازداد قلق المدن المقدسة ازديادا شديدا من الأعمال الفظيعة التي وقعت فى الحلّة خلال تشرين الثانى ١٩١٦.

فقد اقترب من الحلة جنود من الأتراك يحملون عتادا و سلاحا الى عجمي السعدون (و كان مع الجانب التركي في الحرب)، و طلبوا المرور منها.

و حينما خرجت جماعة من الوجهاء للاتفاق على الشروط ألقى القبض عليهم، و شنت في اليوم الثاني عدد منهم. فنجا السيد محمد على القزويني رجل الدين الأقدم في الحلة من مثل هذا المصير بأعجوبة، ثم دخل الجنود البلدة فهدموا موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٢٤

و أحرقوا، و نهبوا و قتلوا، و تحدوا شعور المسلمين أكثر من ذلك بسبب نساء الأسر المحترمة و ارسالهن إلى بغداد و غيرها. و لا شك انها تقصد بالنبذة الأخيرة هذه ما سمي بوقعة عاكف، و هي ترويه بشيء غير يسير من التحريف المفيد لوجهة النظر البريطانية.

كربلاء في بداية الاحتلال

لقد احتل الانكليز بغداد في الحرب العظمى يوم ١١ مارت ١٩١٧، و أذاع الجنرال مود بيانه المشهور لأهاليها يقول فيه انه جاء محررا لا فاتحا.

و أول ما تقوله المس بيل في هذا الشأن ان «علماء» كربلا و النجف بعثوا برقية تهنئة الى صاحب الجلالة البريطانية في أثر ذلك، فأجابهم باعترافه بتسليمها و رغبته الخالصة في انتعاش العراق و سكانه و المحافظة على عتباته المقدسة، و استعادته لرخائه القديم. و لا شك انها تقصد بهؤلاء «العلماء» البعض من المعممين الذين كانوا يمالئون السلطة الغاشمة، و ما أدرانا ان البرقية المشار اليها ربما تكون قد أبرقت من قبل الموظفين الانكليز أنفسهم .

و تقول المس بيل كذلك ان مكتب رئيس الحكام السياسيين ازدحم في الأيام القلائل الأولى بالزوار من جميع الطبقات بدون ان يستثنى منهم أفراد الأيسر البارزة من المسلمين ... و في أثر وجهاء بغداد جاء شيوخ القبائل الصغيرة المجاورة، متعجبين بعض التعجب من انهيار العهد القديم المفاجيء و مستبشرين دوام العهد الجديد. و كان بين الأوائل الذين قدموا من الأماكن البعيدة محمد موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٢٥

على كمنونه من كربلا و الحاج عطية من النجف، و أعقبهما بعد ذلك بقليل شيوخ النجف الآخرون. فعينت للجميع المخصصات، ثم رجعوا لأهلهم مخولين بالمحافظة على الأمن حتى يكون بإمكاننا ان نعالج شؤون المدينتين بصورة مباشرة. و مما جاء فيما كتبه المس بيل ايضا في تقريرها المهم هذا عن كربلا قولها :

و كانت أهم قضايا الفرات قضية العشائر و المدينتين المقدستين. فقد رجع شيوخهما من بغداد و هم موكلون عنا وقتيا بتصريف شؤون الإدارة التي كانوا قد أسسوها عند إخراج الأتراك الأخير في ١٩١٧، بعد ان منحوا من أجل هذه الخدمة بعض المخصصات المالية. و كانت هذه الطريقة الوحيدة التي امكننا الالتجاء إليها، لأن تعيين ضابط بريطاني مع ما يكفيه من الحرس لم يكن ممكنا من الوجهة العسكرية. و قبل مضي عدة أسابيع اتضح بأن هذا الترتيب لم يكن شيئا مرضيا للمدينتين نفسيهما. فقد قيل ان آل كمنونه في كربلا كانوا يستخدمون مركزهم الممتاز في قضاء مآربهم الشخصية، فأثار ذلك عليهم سخط شيوخ البلدة الآخرين و أهمهم أسرة آل عواد التي كان يمثلها عبد الكريم العواد، الرجل الذي كانت عروبه أعرق بكثير من عروبه آل كمنونه الذين هم نصف إيرانيين في نسبهم نظرا لمصاهرتهم الأسرة القاجارية المالكة. و برغم ان آل كمنونه كانوا يعكرون بلا شك صفو الجو في رائحة النهار، يبدو انه لم يكن هناك ما يبرر ذلك التذمر الخطير تبريرا كافيا، لأن محمد على كان يصرف شؤون الإدارة بوجه عام تصريفا حسنا كما أنه كان يحافظ على الهدوء في البلدة. غير انه كانت هناك من وجهة النظر البريطانية اعتراضات أشد خطورة على الأخوين. فقد شرعا بتسيير قوافل كبيرة كانت

ترد من الشام و حلب في طلب المواد الغذائية، كما كانت القوات التركية العاملة في الفرات تتزود بصورة مستمرة من كربلا . و كان أهالي كبيسة، التي لم تكن داخله في ضمن منطقة احتلالنا، يلعبون دورا مهما في هذا المسعى. و عندما عقدنا في حزيران اتفاقية خاصة مع فهد بك شيخ مشايخ.

عزرة توقف نقل البضائع بطريق البادية لدرجة ما، لكن تجاهل آل كمنونه و إغضاءهم قد أديا الى إستئناف هذه التجارة بصورة تهريبية على طول الفرات عن طريق مناطق (آل مسعود) و الجنابيين الذين لم يتسن لفهد بك فرض سيطرته عليهم.

و قد كان من المستحيل ان يكون محمد على كمنونه جاهلا بما كان يجري من هذا القبيل، بل كانت هناك بينات كثيرة تدل على عكس ذلك. و أحسن ما يمكن ان يقال عن محمد على في هذا الشأن انه تجاهل وجود هذه الحركة بصورة إيجابية، بينما كان فخرى كمنونه مشتركا فعلا فيها. فقد كانت شرطة البلدة التي استخدمها محمد على باعتبارها مؤسسه تمثل الحكومة تستخدم في توصيل البضائع و الأرزاق المرسله للعدو الى خارج البلد بسلام، و كان اثنان من خدم آل كمنونه يوقعان الرخص المطلوبة عادة. و كانت أهم هذه الصادرات الأقمشة و الرز و القمح و القهوة. و في الوقت الذي كانت الأرباح الطائلة، المستحصلة من جباية الرسوم بمقدار باون واحد او حتى باونين عن كل بعير محمل، قد تكون كافية وحدها لتفسير سلوك آل كمنونه في هذا الشأن، فانه من المحتمل أيضا أنهم أخذوا يدركون ان أطماعهم الشخصية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٢٧

المزوقة لا يمكن ان تتبلور في ظل الحكم البريطاني فقرروا تلبية صوت العاطفة.

و مما لا شك فيه ان الاتراك كانوا يقومون بدعاية واسعة النطاق بين القبائل الفراتية و يبذلون الوعود بالاستقلال عندما يسترد العراق الى حكم الباب العالي. لكن تزويد الجيش التركي بما يريد كان لا يمكن ان يسمح به مهما كانت الأسباب التي أدت اليه.

فخر الدين كمنونه أو الشيخ فخرى و قد أخذت صورته هذه في منفاه (بهلادري) في الهند

و في يوم ٧ أيلول ١٩١٧ دعا السر بيرسى كوكس، الحاكم الملكي العام، فخرى كمنونه للحضور الى بغداد في اليوم التاسع منه. فانصاع للأمر، و عند حضوره شرح له اشتراكه الذي لا ريب فيه في المتاجرة مع العدو و تشجيعه لها، كما أفهم بأن وضعه هذا يجعل بقاءه في كربلا- لا يتفق مع المصلحة العسكرية، و انه سوف يؤخذ إلى الهند بصفة ضابط أسير من أسرى الحرب. فقبل طائعا بالقرار الذي يستبعد عدم تكهنه به من قبل. و في اليوم التالي تسلّم محمد على كمنونه أيضا دعوة شفهيّة بالحضور الى بغداد بواسطة ضابط استخبارات كربلا- فأعرب عن رغبته في السفر صبيحة اليوم التالي، لكنه سمع بخبر إعتقال فخرى فعديل عن ذلك برغم «الحظ و البخت» اللذين أعطاه إياهما ضابط الاستخبارات نفسه. و لذلك بعث له الحاكم الملكي العام برسالة خاصة شرح له فيها الأسباب التي دعت لاعتقال فخرى، و أضاف الى ذلك أنه بالنظر لما وقع فليس من المصلحة بشيء أن يبقى هو و كيلا- عن الحكومة، و من الضروري ان يعين في مكانه ضابط بريطاني

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٢٨

بصفة معاون حاكم سياسى. ثم أخبر بأنه اذا كان يفضل بالنسبة للظروف الراهنة ان يتعد عن كربلا فان الحكومة ستتخذ الترتيبات اللازمة لاقامته بصورة مريحة في أى مكان آخر من العراق يتم الاتفاق عليه.

و بعد شيء من التردد قرر الشيخ محمد على الاذعان للدعوة و جاء الى بغداد. و قد اقنعه في اتخاذ هذا القرار الشيخ حسين المازندراني، من مجتهدي كربلا البارزين، الذي ألح عليه بشدة و أشار عليه بأن لا يتمرد على أوامر الحاكم الملكي العام. و لم يكن الدور الذي لعبه السيد محمد كاظم اليزدي في النجف أقل استثارة للامتنان، حيث أنه رد على طلب تقدم به اليه محمد على كمنونه في توسط قضيته بأنه اعتزل عن العالم مند مدة.

و قد بين بصورة عرضية انه لم يكن ينوى الشيخ هادي كمنونه الافتاء بالجهدا صد الطيارات و السيارات، على انه وافق على ان يتوسط

بعدم اسناد منصب الكليدارية الى شخص من أسرة أخرى فأعطى المنصب الى حميد بن الشيخ محمد علي كمونة. وفي النهاية تعين معاون حاكم سياسى بريطانى فى كربلا، و اختار محمد علي كمونة الاقامة فى بغداد. وقد سر بتنحية الأخوين من آل كمونة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٢٩

كمونة رؤساء الدين سرورا بالغا، بعد ان كانوا مضطرين من أجل سلامتهم الى ان يحافظوا على علاقات ودية ظاهرية معهما برغم ان ازدياد سلطة الكمونييين كان مثيرا للقلق المفعم بالحسد بينهم. على ان الأسرة المذكورة لم يقض عليها بهذا الترتيب، لأن محمد علي ظل يتمتع بوارد أملاكه، و تعين ولده فى منصب الكليدارية كما تعين أخوه الشيخ هادى رئيسا للبلدية، غير ان محمد علي اكتشف فى خريف تلك السنة بأنه كان متمرسا فى بث الاشاعات المعادية، كما لوحظ ان الشيخ هادى كان يجنى أكثر من الأرباح المشروعة من منصبه. فألحق الأول بأخيه فى الهند، و حوكم الثانى أمام لجنة قضائية خاصة فوجد مذنبا ثم أعيد منصب الكليدارية فى الوقت نفسه الى أحد أفراد الأسرة التى كانت تشغله من قبل.

السر رونالد ستورز فى كربلاء

و فى هذه الأيام التى بدأ بها الاحتلال البريطانى للعراق بشكل مضطرب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٣٠

غير مستقر، و قبل أن يضطر الانكليز الى تنحية محمد علي كمونة عن كربلا كما يلاحظ من البحث السابق؛ زار بغداد قادما من القاهرة السر رونالد ستورز. و كان رونالد ستورز هذا من الاستعماريين الانكليز الذين كان يتألف منهم «المكتب العربى» فى القاهرة، و كانت بعهدة هذا المكتب شؤون الاستخبارات البريطانية التى دبرت فى جملة ما دبرت فى أيام الحرب العالمية الأولى قضية الاتصال بالشريف حسين فى مكة، و أوفدت لورنس لمساعدة قواته بعد إعلان الثورة العربية على الأتراك فى ١٩١٦ (٩ شعبان) و قد تقلب ستورز فى مناصب عدة، فكان منها حاكمية القدس فى أول عهد الاحتلال البريطانى لها و حاكمية قبرص التى نفى الملك الحسين بن على إليها خلال مدة وجوده فيها. فكتب كتابا مهما على شكل مذكرات يومية، ضمنه الكثير مما صادفه خلال مدة تقلبه فى الوظائف المختلفة و زياراته العديدة لكثير من البلاد، و من جملتها العراق.

و حينما زار العراق كان أهم ما فعله فى الأيام القلائل التى بقى فيها، أنه زار كربلا- و النجف بصحبة المستر غاربوت و المستر غولدسميث من كبار موظفى الاحتلال، و استصحب معه فى الطريق الى كربلا (١٧ مايس ١٩١٧) النواب خان صاحب محمد حسين خان، معاون الحاكم السياسى فيها، الذى كان يحمل معه فى السيارة على ما يذكر ستورز صندوقا كبيرا يحتوى على (٢٩، ٠٠٠) روبية . و قد اضطرتهم عاصفة شديدة من الغبار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٣١

صادفوها بالقرب من الاسكندرية الى المييت فى المسيب. و فيها زاره بعض شيوخ العشائر فى المنطقة، و الشيخ محمد علي كمونة مضيفه فى كربلا على ما يقول.

و قبل الوصول إلى المدينة المقدسة فى اليوم التالى استوقفهم فيما يقرب من مقام عون ذى القبة الزرقاء أحد الشيوخ العرب، و قدم هم فى خيمته الأنيقة شيئا من الشاي و القهوة الممتازة. و حينما وصل ركب السر روتالد إلى ما يقرب من البلدة استقبله الوجهاء و الأشراف ما بين صفوف النخيل المكتظة استقبالا حافلا، فنزل للسلام عليهم ثم انصرفوا فأثار انصرافهم فى عرباتهم و على ظهور الجياد غبارا متعاليا حجب عن ستورز و جماعته مناظر البساتين الخضراء العامرة بالنخيل و أشجار الليمون، و الكروم و شجيرات الدفلى الزاهرة. و قد كان ذلك كله مصحوبا بهتاف من جموع المتفرجين الزاخرة و زغاريد النساء. و بعد الوصول الى كربلا استقر بهم

المطاف في قصر آل كمونة الذي كان محاطا ببستانهم العامرة. وقد استقبلهم في باب البستان شقيق محمد علي كمونة، و ساروا الى القصر مخترقين المماشي المحفوفة بصفوف النخيل الباسقة، و شجيرات الدفلى الزاهرة، و أشجار المشمش و الكوجه. و كان جلوسهم في ظل الكروم التي كانت عرائشها غنية بأوراق الأعناب الغضة.

و بعد ان استراحوا، قدم لهم الغداء في مائدة كبيرة صفت فيها صحون الطعام الكثيرة مرة واحدة في البستان نفسها. و يقول ستورز انه أكل البامية اللذيذة في هذا الغداء لأول مرة في حياته، فكانت شيئا شهيا. و في حوالى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٣٢

الرابعة و النصف بعد الظهر أخذهم معاون الحاكم السياسى للتجوال في أسواق البلدة و التفرج على معالمها العامة. و سعدوا بعد ذلك فوق سطح «بيت اليزدي»، فشهد هناك قبة الحسين المذهبة، و المنارتين المذهبتين، و برج الساعة المذهب، مع اللقائى التي كانت تسرح و تمرح فوقها بحرية. كما شاهد الصحن المزين بأفخر أنواع القاشانى و أزهاه.

و قد زار ستورز في المساء عدد من الوجوه و الأشراف، فعلم منهم ان ثورة الشريف حسين في مكة كان قد رحب بها العالم الشيعى لأنها جاءت ضد الأتراك فضلا عن أنها كانت مشرفة للعرب. و يذكر في هذا الشأن ان مضيفهم محمد علي كمونة كان شخصا مكروها في كربلا، و لذلك لم يشأ أكبر عالمين مجتهدين في كربلا على ما يقول ان يزوره هو نفسه في بيته .

فقرر ان يذهب هو إلى زيارتهما في بيتهما في صباح اليوم التالى، أى في ١٩ مايس ١٩١٧. فزار أولا العلامة حسين المازندراني الذي يقول أنه أهم مجتهد في كربلا على الاطلاق. و كان رجلا مسنا رقيق الشمائل، يجلس عادة في مكتبته الصغيرة التي تضم حوالى أربع مئة كتاب أكثرها مخطوط.

و قد كانت براعته في العربية و الفارسية و الهندستانية تدهش المتحدث إليه، و علم من تحدث اليه أنه كان معجبا بالحسين شريف مكة و مؤيدا لحرخته.

و لما رأى الشيخ اهتمام السر رونالد بكتبه و مخطوطاته طلب ان يؤتى له بمفتاح

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٣٣

و أراه مكتبته الأخرى بفخر و اعتزاز. لكنه اعتذر عن تصويره بصورة غير مباشرة، بل قدم له نسخة جاهزة من تصويره بعد ان كتب عليها صيغة الاهداء بنفسه. و قد لاحظ السر رونالد ان بيت العلامة المازندراني مثل غيره من البيوت الأخرى كان يخلو من الكراسى، و ان الجميع كانوا يجلسون على الأرض و يتكئون بالحائط. هذا و قد ردت الزيارات له حتى من قبل المازندراني نفسه على ما يقول. و هو يذكر بالمناسبة ان الشيخ العلامة حينما يدخل لزيارة بيت من البيوت يكرر قوله «يا الله» بصوت مرتفع ثماني مرات قبل ان يصعد السلم ليشعر النساء بأنه قد حضر فيتوارين عن الأنظار ان وجدت واحدة منهن .

ثم زار المدرسة الإيرانية في كربلا فرأى الطلاب الصغار فيها يضعون أنواع العمام فوق رؤوسهم، و منها العمام الخضر (السيدات) على ما يقول، و بعد ان صور المناظر فيها عاد إلى منزله في بستان كمونة. و بعد أن تناول طعام الغداء مع جماعته غادر كربلا الى النجف، و هو يقول انه رأى خارج البلدة من جهة الغرب أربع قباب شذرية اللون، و من بينها قبة الحر .

الاستفتاء العام

و كانت هذه الفترة قد أعقبتها تطورات خطيرة في أحوال العراق و السياسة العالمية. فقد انتهت الحرب ما بين الدولة العثمانية و بريطانيا العظمى، و أعلنت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٣٤

الهدنة بينهما في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨. و في ٨ تشرين الثاني أعلن في العراق التصريح الانكليزي الفرنسي الذي وعد فيه الانكليز و

الفرنسيون بتشكيل «حكومات و إدارات وطنية حرة تنتخب وفق رغائب الأمة و تستمد سلطتها منها» للأقوام و البلاد المنسلخة عن الدولة العثمانية و حكمها المنهار.

و في ١١ تشرين الأول ١٩١٩ سمحت السلطات المحتلة بأن تنشر في العراق بنود الرئيس و يلسن الأربعة عشر، التي كانت الدول التابعة للفريقين المتحاربين قد اتفقت على اتخاذها اسسا لعقد الصلح فيما بينها.

و يبدو ان السلطات البريطانية أرادت بعد انتهاء الحرب مع الأتراك ان تعود بالبلاد الى حالة السلم، فدعا الجنرال مارشال القائد العام لقوات الاحتلال البريطاني في العراق على أثر اعلان الهدنة و جهاء بغداد و رجالها البارزين، فألقى فيهم خطابا أشار فيه الى بيان سلفه الجنرال مود الذي ذكر فيه ان الانكليز جاءوا «محررين لا- فاتحين». و أعلن رفع القيود التي كانت قد اقتضتها ظروف الحرب، و من جملتها إباحة نقل الجنائز من مختلف الجهات و دفنها في مدافن كربلا و النجف بشروط مناسبة على حد قول أرنولد و يلسن في كتابه المشار اليه من قبل.

و قد كان لا- بد من أن تؤدي هذه الوعود و التطورات التي حصلت في البلاد الى تنبه الأذهان بين الناس، و لا سيما في كربلا و النجف، و حصول نشاط سياسي فعال في الأوساط السياسية المختلفة. فقد أخذت الفئات جميعها و الطبقات التي يهملها وضع البلاد بعد ان خضعت الى دولة جديدة غير مسلمة، تفكر في التكتل و المطالبة بشكل من أشكال الحكم يؤمن للبلاد حقوقها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٣٥

المشروعة و يحقق ما كانت الجمعيات الوطنية في البلاد تطالب به السلطات التركية قبل الحرب. و كان لحركة الشريف حسين و ثورته العربية التي أعلنها مع أنجاله في الحجاز على الدولة العثمانية، سنة ١٩١٦، تأثير غير يسير على تهيئة الأفكار في هذا الشأن و دفع الشباب الوطني الى العمل المثمر، لا سيما و ان الثورة العربية في الحجاز كان قد اشترك عدد غير يسير من الضباط العراقيين فيها و اسهموا في حملة فيصل على الشام حتى أوصلوه الى عرشه فيها.

و في غمرة هذه الأحداث و التطورات صدرت أوامر الحكومة البريطانية في لندن بأن يقوم وكيل الحاكم الملكي العام في بغداد بالتعرف على آراء العراقيين في شكل الحكم الذي يريدونه، باجراء استفتاء عام حول النقاط التالية:

١- هل يفضل العراقيون تأسيس دولة عربية واحدة تستهدى بارشادات بريطانية، و تمتد حدودها من حدود ولاية الموصل الشمالية الى الخليج؟

٢- و في هذه الحالة، هل يرون ان الدولة الجديدة يجب أن يكون على رأسها أمير عربي؟

٣- و اذا كان الأمر كذلك، فمن هو الذي يفضلون نصبه رئيسا للدولة؟

لكن رجال الاحتلال البريطاني في العراق يومذاك، و على رأسهم أرنولد و يلسن و كيل الحاكم الملكي العام، كانوا غير ميالين الى تأسيس أى شكل من أشكال الحكم الوطني في العراق على ما يظهر. و لذلك بادروا الى اتخاذ التدابير اللازمة للحصول على نتائج استفتاءية تتفق و ما يرتأون، بالتأثير على الناس في كل منطقة من مناطق العراق عن طريق الحكام السياسيين البريطانيين الذين كانوا يعملون فيها، و بتزييف آراء الشعب و تحريفها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٣٦

و لما كانت العتبات المقدسة تعتبر ذات دور قيادي فعال في هذا الشأن، بالنظر لوجود العلماء فيها و للوعي المتوثب عند أبنائها، فقد صدرت تعليمات خاصة باستحصال نتائج مرضية للانكليز منها على الأخص.

غير ان مثل هذه النتائج «المرضية» لم يكن من السهل استحصالها من العتبات. و في هذا الشأن تقول المس بيل في تقريرها المشار اليه قبلا ان المجتهدين في كربلا و الكاظمية حرموا على المسلمين ان يصوتوا لغير تشكيل حكومة إسلامية، فبلغ الاختلاف حدا أوقف سير الاستفتاء. لكنها تشير بعد ذلك الى امكان استحصال بعض العرائض من الممالئين للانكليز، فتقول «.. و قدمت بعد ذلك عدة

عرائض يفضل فيها الموقعون عليها بقاء الإدارة البريطانية، و كان بين الموقعين عليها شيوخ و رجال ذوو مكانة في البلد .. و المعروف في هذا الشأن ان العلامة الأكبر المرزا محمد تقى الشيرازى أصدر في كربلا فتوى تنص على:

«ليس لأحد من المسلمين ان ينتخب و يختار غير المسلم للامارة و السلطنة على المسلمين. ٢٠ ربيع الثاني ١٣٣٧» و لذلك أخذ الكربلايون ينظمون مضابط تعبر عن حقيقة رأى الناس في حكم البلاد و تتفق مع مصلحتها، و لما وجدت السلطات البريطانية فيها انها لم تكن قادرة على تنفيذ ما تريد في هذا الشأن ألقت القبض على ستة من الوجهاء و أبعدهم، و هم عمر الحاج علوان، و عبد الكريم العواد، و السيد محمد على الطباطبائي، و محمد على أبو الحب، و السيد محمد مهدي المولى، و طليح الحسون. فاحتج المرزا محمد تقى على ذلك احتجاجا خطيا شديد اللهجة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٣٧

و تعود المس بيل فتعطي تفصيلات أكثر عن الموضوع في مذكرة سرية خاصة كتبها في شباط ١٩١٩، بعنوان «الحكم الذاتى في العراق» .

إذ تقول ان التحريكات بقيت مستمرة مدة من الزمن فأصابت نجاحها الجزئى الآخر في كربلا. فقد أصدر العالم الأكبر في البلده فتوى بتكفير أى شخص يرغب في تشكيل حكومة غير مسلمة. فتردد رجال البلد البارزون بسببها في الافصح عن رأيهم كتابه، في الوقت الذى كانوا يطمنون معاون الحاكم السياسى فيه بصورة شفهيّة عن موالاتهم لنا. اما العشائر التى لا يمكن تضليلها بسهولة فقد طالبت بابقاء الإدارة البريطانية من دون تعديل. ثم تستمر في تفصيل الوضع في كربلا بالنسبة للعمل ضد الاستفتاء بحيث تتجاوز على المرزا محمد تقى في لهجتها، الأمر الذى يعد موضع فخر له بطبيعة الحال. فهى تقول «.. و كان ابرز شخصية على الاطلاق في حركة كربلا ابن المرزا محمد تقى المتقدم فى السن. و كانت منزله محمد تقى فى العالم الشيعى لا تفوقها الا منزله محمد كاظم اليزدى، لكنه كان يكاد يكون خرفا بحيث يستولى عليه بالكلية ابنه محمد رضا الذى كان على اتصال بمشاغبي النجف.»

و يؤيد هذا كذلك الكاتب الأمريكى المستر فيليب آيرلاند، فى كتابه المعروف عن العراق باسم (العراق- دراسة فى تطوره السياسى)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٣٨

فهو يقول «.. على ان سير الاستفتاء فى المناطق الأخرى، و لا سيما فى المدن المقدسة مثل كربلا و النجف و الكاظمية، و فى بغداد، لم يكن سهلا كما ان نتائجه لم تكن مرضية على الوجه المطلوب .. و أما فى مدينه كربلا فقد أصدر المجتهدون فتاوى تجعل كل من يرغب فى حكومة غير مسلمة من الناس مارقا عن الدين. و بتأثير هذه الفتوى تردد سكان المدينه فى اعطاء أى رأى كان. و عندما نظموا المضبطة المطلوبة كانت فيها آراؤهم على غير ما ارتآه النجفيون. و من حسن الحظ ان خطوات الاستفتاء فى النجف كانت قد أصبحت قطعية و يتعذر النكوص عنها، بينما لم يحصل أى تقدم فى كربلا و لم يفصح أحد عن الآراء التى تكونت فيها رسميا.»

الامام الميرزا محمد تقى الشيرازى زعيم الثورة العراقية الكبرى

كربلاء تمهد للثورة العراقية

و كانت حركة الاستفتاء و مقاومتها بهذا المنوال سببا قويا فى تعاظم الحركة الوطنية، و توجيهها ضد السلطات الانكليزية المحتلة، و لا سيما فى كربلا- التى اضطر فيها الانكليز الى ابعاد عدد من رجالها البارزين. فقد تطورت الأحوال فى هذه المدينه المقدسة حتى استقطب فيها الكفاح الوطنى و قيادته، و على الأخص بعد ان توفى العلامة السيد كاظم اليزدى و أصبح حجة الإسلام المرزا محمد تقى الشيرازى المقيم فى كربلا هو المرجع الأعلى للشيعه. و بقى الحال على هذا المنوال الى ان اندلعت نيران الثورة العراقية فى ٣٠

حزيران

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٣٩

١٩٢٠، واضطلع بها رجال القبائل الفراتية التي كانت تتلقى الرأي والمشورة من كربلا و غيرها من المدن المقدسة في الدرجة الأولى. و تقول المس بيل في هذا الشأن (تقريرها المشار اليه قبلا) ان القلاقل و الاضطرابات العلنية قبل ان تحدث في بغداد كان العنصر الديني الشيعي في المدن المقدسة ينهمك في حبك الدسائس لها ضد السلطات الحاكمة. و ان وفاة السيد كاظم اليزدي قد أدت الى انتقال السلطة الدينية في العالم الشيعي الى أيدي المرزا محمد تقى المتقدم في السن، الذي كان يقوده في جميع شؤونه ابنه محمد رضا. و كان هذا رجلا سياسيا فعالا لا يستقر على حال، و معارضا للاتفاقية الإيرانية- البريطانية معارضة عنيدة مرة، و لذلك كرس جهوده و مساعيه لمناوأة الحكومة البريطانية في العراق. و مع انه لم تكن له منزلة دينية، و حتى لم يكن يعترف به كعالم، فانه كان يتمتع بالاحترام الذي كانت تعامل به أسرة المجتهد الأكبر في البلاد، و قد جعله تأثيره على أبيه مرجعا أعلى في الرأي كذلك. و في خريف ١٩١٩ أدى اكتشاف مؤامرة لقتل الضباط البريطانيين و الموظفين في كربلا الى توقيف بعض الأشخاص، لكن اولئك المشبوهين أطلق سراحهم بكفالة المرزا محمد تقى نفسه فعادوا الى سيرتهم الأولى في الحال. و شجع هذا الحادث على حبك الدسائس بدلا من إيقافها عند حدها.

و في أوائل مارت ١٩٢٠ قيل ان المرزا محمد تقى أصدر فتوى يحرم فيها توظيف المسلمين في الادارة البريطانية، فكتب الحاكم السياسي في الديوانية يقول ان جثة أحد أفراد الشبانة المقتولين لم يسمح بدفنها بموجب القواعد الشيعية المتبعة، و ان الاستقالات من خدمة الحكومة أخذت تزداد يوما بعد يوم. و بعد ان نودى بملكية الأمير عبد الله على العراق في دمشق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٤٠

يوم ٩ آذار طلب الى شيوخ جميع القبائل الفراتية ان توقع على وثيقة يطلب فيها منه ان يتوجه لتسلم مملكته. و المعتقد ان عريضة بهذا المعنى بعثت اليه من الشامية بالفعل. و حينما بلغت حركة بغداد الوطنية أشدها تضاعفت جهود الوطنيين في كربلا. فوصلت إلى القبائل و سكان المدن كتب لا يحصى عددها تحمل توابع المرزا محمد تقى، مفادها ان الوقت قد حان للقيام بحركة متناسقة واحدة تسير بموجب خطوط دستورية من أجل تشكيل حكومة مسلمة، و تدعوهم الى ارسال ممثلين عنهم في بغداد. و لذلك لم يكن يخلو الوضع من عوامل مهيجة تدعو إلى الثورة، لأن شيوخ منطقة الحلة البارزين كذلك صمدوا تجاه هذه التحريكات لكنهم أعربوا عن تخوفهم الشديد من ان الحالة اذا قدر لها ان تستمر على ما كانت عليه فلن يكون بوسعهم السيطرة على قبائلهم.

هذا و قد وجدت من المناسب ان أدرج فيما يأتي نص الكتاب الذي و زعت نسخه بعدد لا يحصى على ما تقول المس بيل نفسها:

الى إخواننا العراقيين

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته. اما بعد فان إخوانكم في بغداد و الكاظمة و كربلا و النجف، و غيرها من أنحاء العراق قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع و القيام بمظاهرات سلمية. و قد قامت جماعة كبيرة بتلك المظاهرات، مع المحافظة على الأمن طالين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق إن شاء الله بحكومة إسلامية. و ذلك بأن يرسل كل قطر أو ناحية الى عاصمة العراق وفدا للمطالبة بحقه متفقا مع الذين سيتوجهون من أنحاء العراق عن قريب إلى بغداد. فالواجب عليكم بل على جميع المسلمين الاتفاق مع إخوانكم على هذا المبدأ الشريف، و إياكم و الاخلال بالأمن و التخالف و التشاجر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٤١

بعضكم مع بعض، فان ذلك مضر بمقاصدكم و مضيع لحقوقكم التي صار الآن اوان حصولها في أيديكم. و أوصيكم بالمحافظة على جميع الملل و النحل التي في بلادكم في نفوسهم، و أموالهم، و أعراضهم، و لا تنالوا احدا منهم بسوء أبدا. وفقكم الله جميعا لما يرضيه، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

كربلا في ٩- ١٠ رمضان ١٣٣٨ الاحقر محمد تقى الحائري الشيرازي

و يبدو من ماجريات الأحوال في كربلاء، و مما عرف عن أخبار بغداد و النجف و القبائل في الفرات الأوسط، و من كتاب حجة الاسلام الشيرازي هذا، أن خطة ما قد وضعت لاضرام الثورة في الفرات الأوسط و غيره يتزعمها العلماء الأعلام في كربلاء و النجف و الكاظمية و على رأسهم العلامة الشيرازي، و ان ميثاقا خاصا قد تم التوصل اليه و تم توقيع شيوخ العشائر الفراتية عليه. كما يلاحظ ان حلقة الوصل بين مختلف الفئات التي الميرزا محمد رضا نجل الامام الميرزا محمد تقى الشيرازي كانت تعمل من أجل الثورة و تدبر شؤونها كان المرزا محمد رضا نجل الامام الشيرازي المقيم في كربلاء. و لذلك اضطرت السلطات البريطانية الغاشمة الى ملاحقته و اعتقاله عدة مرات.

و يؤيد هذا ما ورد في كتاب المستر أيرلاند الذي يقول ان الحركة الوطنية لم تتبلور الا تدريجيا في خلال ١٩١٩. فقد اشتدت التحريكات الدينية في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٤٢

العتبات المقدسة ضد البريطانيين و أصبحت أشد عداة لهم حينما تولى قيادتهما الميرزا محمد رضا بن الميرزا محمد تقى الشيرازي المجتهد الأكبر الجديد الذي كان خاضعا لتأثير ولده بالكلية، بعد ان بقيت تلك العتبات هادئة هدوءا نسبيا مدة حياة المجتهد الأكبر السيد كاظم اليزدي الذي كان يقبض المنح الكبيرة من «الادارة الملكية». و قد زعم البعض ان الميرزا محمد رضا كان على اتصال مع البلاشفة و الأتراك. فأوقف هو و المشتركون معه في أيلول ١٩١٩ بتهمة إثارة القلاقل، غير انه أطلق سراحه بكفالة أبيه. و يلاحظ من قول أيرلاند هذا انه استمد المعلومات من المصادر الانكليزية بطبيعة الحال بعد ان أدخل عليها شيئا من التحوير. و لذلك نجده يشير الى اتصال الميرزا محمد رضا بالبلاشفة و يعتبره زعما، بينما تعتبر التقارير الانكليزية ان ذلك كان شيئا أكيدا.

ثم يذكر المستر أيرلاند في مناسبة أخرى قوله ان هياج بغداد بينما كان يشتد و يتعاضم قبل وقوع الثورة العراقية، كان علماء الشيعة في المدن المقدسة يضاعفون جهودهم في اثاره القبائل و الناس في مراكز الأولوية، فنشرت المناشير الطويلة، و الرسائل و الوثائق التي كان يحمل قسم منها التوقيع المزور للمجتهد الأكبر الميرزا محمد تقى في كربلاء. و قد كانت هذه تناشد المؤمنين الصادقين ان يهبوا للدفاع عن بيضة الاسلام ضد الكفار، و تستحثهم على إرسال المندوبين الى بغداد لتشكيل حكومة إسلامية. و وقع عدد من الشيوخ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٤٣

على ميثاق يجمع القبائل على الثورة في وقت واحد .

و حينما يتابع أيرلاند وصف الحالة التي كانت عليها الأولوية الجنوبية قبل الثورة يقول: و يستبان بأن خطط الثورة كانت قد وضعت بصورة أكيدة في كربلاء في منتصف حزيران (١٩٢٠) عندما كانت جماعات من الوجهاء و شيوخ العشائر تؤدي واجب الزيارة هناك. و في اجتماع عشائري عقد بعد ذلك في الشوملي اتفق كبار شيوخ البلاد الكائنة ما بين الشنافية و الحلة على أن ينضوا تحت لواء السيد محمد الصدر و يوسف السويدي . و بذلك أصبحت القبائل و البلدان في حالة اضطراب متزايد نتيجة التحريضات المنبثة من بغداد و المدن المقدسة و سورية. فأخرج قطار عن سكتة في أوائل مايس، كما أخرجت قطارات أخرى على مقربة من الحلة في أوائل حزيران، و أخذ الموظفون العرب يستقيلون من خدمة الحكومة واحدا بعد آخر. ثم ازدادت الصعوبة في جباية الضرائب عن الحاصلات الشتوية. و في شطرة المنتفك نصح الكابتن ميد معاون الحاكم السياسي في ١٧ مايس بأنه اذا ما أصر على قياس المساحات المزروعة بالحبل أو السلسلة فسوف يجابه بقوة و عنف.

و قد أدى توقيف ستة من المشايخين في الحلة الى زوال التوتر الذي كان سائدا فيها، غير ان توقيف الميرزا محمد رضا في كربلاء و تسفيره الى هنجام مع تسعة آخرين منها في ٢٩ حزيران قد شددوا من خطورة الموقف في الفرات الأوسط كله. و لم يجد توقيف الحاج مخيف في الديوانية نفعا في ايقاف الوضع عن التدهور. فقد ظهرت امارات الاضطراب في كل مكان، و كان من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٤٤

الواضح ان الوضع قد أصبح لا يعوزه غير الشرارة لاشعال نار الثورة العارمة.

أما المس بيل فتكاد تؤيد ما جاء به آيرلاند في هذا الشأن لكنها تختلف عنه في الاسلوب الذى تتوخى منه الدس و الحط من شأن المشغتلين في الحركة الوطنية بطبيعة الحال. فهي تقول: «... و هناك أعلن خطيب له اتصال برجال بغداد ان البريطانيين سيجلون عن البلاد في عيد الفطر، كما نشرت معلومات مماثلة بين القبائل التى طلب اليها التعجيل باعلان الثورة و النهب (؟) و اتبعت في كربلا نفس الأساليب التعبوية مقرونه بالمساعي المضنية التى كانت تبذل من أجل الحصول على التوقيع للميثاق الذى ارتبطت به جميع العشائر العراقية و تعهدت بالوقوف صفا واحدا لنيل حقوقها. و كان الوضع يزداد حراجه بسرعة، و فى ٢٢ حزيران أوقف المرزا محمد رضا بن المجتهد الأكبر مع تسعة من أتباعه و أعوانه، بعد أن أوقف فى الحلة قبل بضعة أيام سته من الشخصيات غير البارزة .. و كان معظم العلماء قد رفضوا الاشتراك مع المرزا محمد رضا فى الحملة التى وضع خططها . و قد تسلمنا بعضا من كتب الاحتجاج أو التوسط له منهم، لكنه أطلق سراحه بتوسط الحكومة الايرانية بعد ان قضى حوالى الشهر فى المعتقل و سمح له بالسفر الى ايران.

و من المهم ان نذكر هنا ان المرزا محمد رضا قد ورد اسمه مذكورا فى برقية صدرت من البولشفيك فى رشت بأنه كان «يشغل للدعوة البولشفية فى كربلا». و المعروف فى المراجع العربية ان الذين اعتقلوا مع الميرزا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٤٥

محمد رضا فى كربلا كانوا: عبد الكريم العواد، و محمد شاه الهندى، و أحمد القنبر، و عمر الحاج علوان، و عثمان الحاج علوان، و السيد محمد على الطباطبائى، و السيد أحمد البيرو، و الشيخ كاظم أبو ذان، و عبد المهدي القنبر، و الشيخ هادى كموئه، و ابراهيم ابو والده.

و تقول المس بيل كذلك ان الدعاية الشديدة للثورة فى الوقت نفسه كانت تبث من كربلا و بغداد و تنتشر فى الديوانية عن طريق الشامية. و يبدو ان خطة معينة قد وضعت للثورة، حيث زار كربلا فى العيد الذى صادف وقوعه فى منتصف حزيران عدد كبير من الشيوخ و الوجهاء. و جرى فى أواخر حزيران اجتماع عشائرى فى الشوملى الكائن على الفرات فى شمال الدغارة حضره كبار الرؤساء من الحلة الى الشنافية فقرروا بالاجماع السير وراء السيد محمد الصدر و يوسف السويدي. و كان أكثر الأشخاص نشاطا فى تنفيذ الخطة فى الديوانية الحاج مخيف ... و يؤيد أرنولد ويلسن ، و كيل الحاكم الملكى العام الذى أدى سلوكه الخشن الى التعجيل باضرام نيران الثورة، جميع النقاط المارة فى هذا الشأن لكنه يعمد علاوة على ذلك الى تحليل وضع الامام الشيرازى بلهجة نابية لا يستغرب صدورها من مثله فى تلك الأيام، لأن العلامة الأكبر هو الذى تزعم الثورة فكانت وبالا على ويلسن و دولته المعظمة. ثم يعمد كذلك الى مدح المرزا محمد خان بهادر، معاون الحاكم السياسى فى كربلا خلال تلك الفترة العصية، و يشيد بذكره و تقدير مواقفه الصعبة فى كربلا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٤٦

فهو يقول «... و مع ان المشاكل و الصعوبات التى واجهناها فى النجف كانت مشاكل عظيمة، فان المشاكل و المصاعب التى ترتب علينا أن نواجهها فى كربلا كانت تساويها، اذا لم تكن تزيد عليها، حيث أقدمت الشرطة المحلية على اعتقال عشرة من الوجهاء فيها يوم ٢٢ حزيران بمساعدة المرزا محمد خان بهادر الذى كان يمثل الادارة المدنية فى معقل التعصب الدينى هذا.

و كان من بين المعتقلين ابن المجتهد الأكبر المرزا محمد تقى، الذى بذلت محاولات عدة لأحصل منه على انكار الوثائق المتعددة الموزعة بين العشائر بتوقيعه المزور فلم انجح. و قد كان هذا الرجل العجوز، على حد تعبير (غيبون) فى وصف البابا ليو التاسع، قديسا بسيطا ذا مزاج ميال جدا الى تضليل نفسه و العالم. و شخصيته و قوره كثيرا ما تتخذ باسم التقوى و التدن تدابير بعيدة جد البعد عن واقع الدين!! قد أبدى قبل عدة أشهر أقل ما يمكن من المجاملة لشاه ايران حينما قدم للزيارة فى كربلا، لما كان يدور فى مخيلته من ادعاءات دنيوية يعتقد أنها ملازمة لمركزه الدينى المرموق. على انه فى الحقيقة كان قد رفض التوقيع على فتوى تدعو أتباعه

المسلمين، الذين تدخل في ضمنهم عشائر الفرات و دجلة السفليين جميعها الى الجهاد في جانب الأتراك.

وقد رفض كذلك حتى إعلان حالة الدفاع رسميا بين أتباعه، و هي الحالة التي يصبح من واجب المسلم فيها ان يتخذ إجراءات الدفاع ضد أعداء الإسلام الروحيين او المدنيين، في حالة تعرضه لخطر الكفار. و مع هذا فحينما زور توقيع على الوثائق المذكورة لم تكن عنده الشجاعة الكافية، أو القناعة، لإعلان تنصله منها. و مع هذا لم يكتب له العيش بحيث يتسنى له ان يشهد الانتكاسات التي مسنى بها اتباعه المضللون (بفتح اللام) بعد ذلك بأشهر معدودة، لكن التحسس بالطائفة الذي كان هو و أصدقاؤه أبرز مفسريه و واضعى نهجه ظل إلى ما بعد عقد كامل من السنين مصدرا للحيرة و الارتباك اللذين كانت تتورط

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٤٧

بهما الحكومة الوطنية في العراق بين حين و آخر.

اما المرزا محمد خان بهادر، معتمد السلطات البريطانية المحتلة في كربلا، فبعد ان يشير و يلسن الى ثقافته و علمه و نشأته في بوشهر، و الى اشتغاله مع الانكليز في مقيمه الخليج و اشتراكه في مفاوضات عمان باشراف السير بيرسي كوكس، يقول انه كان عليه في موقفه الصعب ان يتحمل تأنيبات أبناء وطنه له و تهديدات الوطنيين الذين كانوا أكثر قوة في كربلا منهم في النجف. لأن أساليبهم كانت على جانب أكبر من الدهاء و المكر، و لأن المطبعة كانت مسخرة لهم على الدوام لتخرج صفحات طويلة عريضة من المنشورات و المطبوعات التي كانت تنشر ببراعة و تفنن.

فقد نشر أحد هذه المنشورات و هو يدق على وتر الصليبية، و يعرض الخطاب الذي خاطب به لويد جورج اللورد النسي فاتح فلسطين، معتبرا حملته فيه «آخر الحملات الصليبية و أعظمها شأنًا في التاريخ». كما ذكر شيئا كثيرا عن المذابح و الشناعات البربرية التي اقترفها الصليبيون الأولون، و دعا جميع المسلمين الى امتشاق الحسام ضد المحاولات الخبيثة التي تقوم بها الدول المسيحية في فلسطين أو سورية أو العراق للقضاء على الدين الإسلامي بالطرق و الأساليب المختلفة.. و قد كان لمثل هذه الاستفزازات بعض التأثير في كربلا، لكنها لم يلتفت لها في الأماكن الأخرى لأنها خرجت عن الحد المألوف. و يبدو ان البولشفية أيضا قد وجدوا ضالتهم الروحية لوقت ما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٤٨

في كربلا، فلم يدخلوا في برنامجهم تحرير القوميات و الشعوب المستعبدة فقط بل أدخلوا أيضا قضية القضاء على الملاكين و الاقطاعيين و أصحاب الحظوة و الامتياز في المجتمع. على أن التعريض الصريح بالأطماع العشائرية كان أكثر مما يتحمله القادة الوطنيون الذين سرعان ما أخذوا يتملصون من مثل هذا الحليف المخاطر برغم ما جاء به من مساعدات مالية غير يسيرة. و قد كان يعمل في كربلا- و كلاء عدة دول أخرى كذلك، و منها بعض الدول الحليفة، لكنهم لم يحرزوا نجاحا يذكر لأنهم كانت تعوزهم البراعة و المعرفة الكافية في استثمار الأموال الموضوعه تحت تصرفهم و استغلالها في المجالات و الأساليب الناجعة.

و يعود و يلسن الى المرزا محمد خان بهادر فيقول انه استطاع ان يسير في ذلك الخضم المتعالي من الأحداث على خط مستقيم. فمع انه كان على علم تام بأساليب المكر و الخديعة التي يعتبرها الديبلوماسيون الشرقيون شيئا معجبا فقد استطاع، كما فعل آغا حميد خان في النجف، ان يحصل على سمعة طيبة لدى الاصدقاء و الأعداء معا بالسلوك المشرف الذي لا يمكن أن ينسى طالما وجد على قيد الحياة أناس يمكنهم ان يعودوا بالذاكرة الى تلك الأيام المضطربة فيقبلوا صفحاتها. و لذلك كان انسحابه من كربلا شيئا يخلو من المضايقة، فأعقبه في ١٤ آب قطع الجدول الذي كان يأتي بالماء العذب إلى البلدة المقدسة. و لم يكن لهذه الخطوة أي تأثير يذكر على تطور الحوادث و سيرها، لكن الجنرال (هولدين) يذهب إلى القول بأن انقطاع الماء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٤٩

في هذا الجدول كانت له نتائج خطيرة ...

و في برقية مفصلة بعث بها السر أرنولد ويلسن هذا إلى الجهات المختصة في لندن، حينما استفسرت منه برقية (في ٥ آب) عن أسباب نشوب الثورة العراقية التي انفجرت في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، ذكر النقاط البارزة كلها. لكنه اضاف الى ذلك تأكيد على ان تأثيرات أجنبية غير يسيرة أخذت تعمل عملها في كربلا، و ان مبالغ طائلة قد وزعت فيها. و يقول بهذه المناسبة ان سبعة آلاف ليرة تركية ذهب قد وصلت الى أيدي المتطرفين في كربلا خلال شهرى مايس و حزيران.

و يضيف إلى ذلك قوله أيضا ان العشائر كانت قد حملت على الاعتقاد بأن الثورة هي جهاد مقدس، و ما يزال المجتهد الأكبر في كربلا- يدعو بكل نشاط إلى الجهاد في سبيل الله، و قد بعث بالمثلثات من الوكلاء و الرسل إلى جميع أنحاء الفرات الأوسط ليدعو الناس إلى الثورة .

و قبل الانتهاء من هذا البحث الخطير أرجو ان لا يفوت القارئ الكريم ان المسؤولين البريطانيين، مثل ويلسن و المس بيل و غيرهما، كانوا يحاولون فيما يكتبون و يزعمون الحط من قيمة الحركة الوطنية و رجالها بكل الوسائل
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٥٠

الممكنة. فقد كانوا تارة يعزونها إلى تحريكات أجنبية تركية أو بولشفية أو حتى حليفه، و تارة أخرى كانوا يعتبرونها حركة دينية يدفعها التعصب الديني الضيق و طمع العلماء الأعلام في الاستئثار بالسلطة لأنفسهم. و لا شك أنهم كانوا يستكثرون بذلك على البلاد بوجه عام ان يستيقظ فيها الروح الوطني و تنتعش في أبنائها القومية الحقنة فتهب للمطالبة باستقلالها و تحقيق آمالها بالتخلص من الاحتلال الأجنبي الذي أخذ يرهق كاهلها. كما كانوا يستبعدون ان يكون بين علماء الأمة و عقلائها من يتصدى لقيادتها و يرشدها الى السواء السبيل.

و لذلك نرى ويلسن و المس بيل يذكران بأن الفتاوى و المناشير التي كانت توزع بتوقيع الامام الشيرازي كانت تحمل تواقيعه المزورة. و لا- يخفى ما كان في هذا الافتراء من دس مقصود يتجاهلون فيه بأن قيادة الثورة كانت في يده، و ان النسخ الكثيرة التي كانت تستنسخ خطيا بعلم منه كانت تحمل اسمه الكريم في أسفلها و ليس توقيع المزور كما يدعون. و على كل فليس من المستغرب ان يصدر هذا و غيره من مثل هؤلاء لأن الثورة العراقية قلبت الخطط البريطانية رأسا على عقب و أفسدت على رجالها أحلامهم المزوقة، و آمالهم المعسولة.

بعد الثورة

و كانت الثورة العراقية التي مهدت لقيامها مدينة سيد الشهداء قد أثبتت للعراق موجوديته، و برهنت للرأى العام البريطاني و حكومته بأن هذه البلاد لا يمكن ان تدار كما تدار سائر المستعمرات. و لذلك قررت الحكومة البريطانية ان تعمل على تشكيل حكم وطني في العراق، بالشكل الذي تريده، فأعدت اليه السير بيرسى كوكس بعد ان كانت قد عينته سفيرا لها في ايران، و عهدت له بهذه المهمة الشاقة. و كان عليه منذ ان وطأت قدماه الأرض في العراق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٥١

من جديد أن يعمل على تهدئة الحال بالحسنى، و ينهى حالة الثورة في البلاد قبل أى شىء آخر. لكنه اصطدم في هذه المهمة بصخرة العلماء الذين آلى الثوار على أنفسهم في الفرات الأوسط ان لا- يلقوا السلاح إلا- برأيهم، و لا- يقطعوا بأمر من أمور الصلح قبل ان يعرضوه عليهم.

فكان موقف السير بيرسى كوكس في هذا الشأن كما يصفه كتاب المستر آيرلاند الذى أشرنا اليه من قبل. فهو يقول «... و كان السير بيرسى كوكس قد ترك فكرة تأديب القبائل بشدة، على أنه كان يعتقد اعتقادا جازما بأنهم يجب ان يجبروا على الخضوع حتى اذا تطلب الأمر إستعمال القوة من جديد و ليست هناك طريقة أخرى غيرها تجردهم من السلاح او تعيد سلطة الحكومة إلى نصابها. و

لذلك وقف بعزم و صلابه .. فى وجه الطلبات المتكررة التى كانت تأتى من رؤساء الدين فى كربلا و النجف بجعلهم وسطاء لدى القبائل التى طلبت هى نفسها ان تكون المفاوضات عن طريق المجتهد الأكبر الذى لا يلقون سلاحهم إلا بأشارة من عنده. و برفض الاعتراف بمطالب رجال الدين الشيعة، ضرب السر بيرسى كوكس ضربته الأولى بالنيابة عن الحكومة الجديدة التى كانت قوة الحل و العقد التى يمسكها العلماء بأيديهم تكون عقبه كأداء فى طريقة تشكيلها». و المعروف ان أهم الشيوخ الثائرين الذين كانوا يطالبون بمثل هذا هم عبد الواحد الحاج سكر شيخ مشايخ الفتله، و مرزوق العواد شيخ العوايد.

و يتابع المستر آيرلاند قوله فى هذا الشأن فيقول إنه وجد من الضرورى تأجيل اعلان العفو العام الذى طالب به مجلس وزراء الحكومة الموقته التى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٥٢

ألفها النقيب ليسهل أمر التهدة فى البلاد الى أن تقدم العشائر خضوعها و تحل القضايا السياسية الأخرى. على ان المندوب السامى (كوكس) وافق على اقتراح المجلس فى ٩ تشرين الثانى ١٩٢٠ باطلاق سراح ستة عشر مبعدا من المبعدين السياسيين الذين كانوا قد سفروا الى هنجام على عهد الادارة السابقة لقاء ضمانات معقولة. و لا شك ان هؤلاء كان بينهم عدد من الكربلايين و حينما تألفت الحكومة الموقته برأسه نقيب الأشراف السيد عبد الرحمن الكيلانى لم يكن بينها و لا وزير شيعى واحد (مع وجود وزير يهودى مهم هو ساسون حسقيل)، فشرع المندوب السامى بأن ذلك لا يسهل مهمته فى تهدة الفرات الأوسط و المدن المقدسة على ما يروى المستر آيرلاند.

و لهذا وجد ضرورة للتصلب أمام مجلس الوزراء فى تعيين الموظفين الشيعة فى الأماكن التى يكثر وجودهم فيها على الأقل. «و بعد تقنيات لا يستهان بها وجد مكان السيد محمد مهدي الطباطبائى اول وزير معارف فى الحكومة العراقية فى مجلس الوزراء لوزير شيعى، فنيطت وزارة التربية بالسيد محمد مهدي الطباطبائى الكربلايى». و بذلك يكون اول وزير استوزر من الشيعة فى العراق، وزير من هذه المدينة المقدسة.

و إتماما لمشروع تشكيل نوع من أنواع الحكم الوطنى فى العراق قررت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٥٣

الحكومة البريطانية، بعد مؤتمر عقد فى القاهرة برأسه المستر تشرشل و حضور السر بيرسى كوكس، و المس بيل، و ساسون حسقيل، و جعفر العسكرى من العراق، ان تسمح للأمير فيصل بن الحسين شريف مكة بأن يرشح نفسه لعرش العراق، و حملته طراة بريطانية الى البصرة فوصل اليها فى ٢٣ حزيران ١٩٢١، و بعد اسابيع ثلاثة نادى به مجلس وزراء الحكومة الموقته ملكا على العراق بالاجماع. غير انه برغم الاستقبال الحافل الذى استقبل به فى البصرة لاحظ وجود فتور واضح فى استقباله فى محطات القطار الكائنه على طول الطريق ما بين البصرة و بغداد. «.. اما كربلا فان القائممقام الهندي، الذى كانت عقيدته ضعيفة فى الحكم الذاتى للعرب، كان قد ترك البلدة قبل وصول فيصل إليها بيوم واحد من دون ان يستدل منه على الموقف الرسمى بالنسبة للاستقبال. على أنه عاد الى كربلا بعد التداول مع المندوب السامى و حاول ان يهيه استقبالاً لائقاً لكن ذلك لم يكن بدافع الرغبة الشخصية. و لذلك بقى العلماء مبتعدين بصورة تلفت النظر. و كان العلماء فى النجف متحفظين اذا لم يكونوا قد اتخذوا موقفا عدائيا تجاهه». و يقول آيرلاند كذلك:

ان فتور الحماس فى الاستقبال و عدم اتخاذ الاستعدادات الكافية فى مناطق الفرات الأوسط و الجنوبى كان يعزى إلى ميل مستشار الداخلية الانكليزى يومذاك (المستر فيلبى)، الذى كان مسؤولاً عن اجراء هذه الترتيبات، الى الجمهوريه و عدم ميله الى الشريف و أبنائه. و يستند فى ذلك على خلاصة تاريخية كان السر بيرسى كوكس قد كتبها لرسائل المس بيل المعروفة عند نشرها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٥٤

و حينما أجرى الاستفتاء العام فى البلاد لانتخاب الأمير فيصل ملكا على العراق، كما قرر مجلس الوزراء فى ١١ تموز، و نجح فيه بنسبة

٩٦٪ كان لواء كربلا كله من المصوتين على تنصيبه في الملكية. إذ يقول المستر آيرلاند «.. اما في الأولوية الأخرى فقد تم الاستفتاء بهدوء. فقد وقعت الصيغة الرسمية من دون إضافة شيء عليها في كربلا و النجف، و ذلك بفضل الحدق و المثابرة اللذين أبداهما المتصرف» .

الموظفون الانكليزي في كربلاء

و بانتهاء عهد الاحتلال و تشكيل الحكم الوطني الذي وضع أسسه الملك فيصل الأول بالاشتراك مع الانكليز يجدر بنا هنا ان نورد أسماء الموظفين الانكليز الذين اشتغلوا في كربلا خلال تلك المدة منقولة عن القائمة التفصيلية الموجودة في ضمن ملحقات كتاب السر أرنولد ويلسن المشار اليه من قبل .

فقد عين الميجر أيج سي (بولي) معاون حاكم سياسي في كربلا بتاريخ ١٥-٩-٩١٧ نقلا من بغداد، و بقي فيها حتى نقل الى بوشهر. ثم عين الكابتن ن. أ. (بري) في الوظيفة نفسها بتاريخ ٥-٥-٩١٨، و بقي فيها حتى نقل الى البحرين. و قد حل في محله بعد ذلك الميجر دبليو جي (بوفيل) الذي تعين بتاريخ ٥-١١-٩١٨، و استمر في وظيفته هذه حتى نقل إلى طويريج بتاريخ ٧-٩-٩١٩. ثم أشغل هذه الوظيفة بعد ذلك الميرزا محمد خان بهادر منذ ١٤-٩-١٩ حتى نقل الى بغداد بتاريخ ١٥-٨-٩٢٠. و كان محمد سروار خان رسلدار الهندي يشتغل في معية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٥٥

معاون الحاكم السياسي في كربلا منذ ٢٤-١-٩١٩ حتى ١٢-٩-١٩ حين نقل إلى الكاظمة.

و قد اشتغل في كربلا عدد من الموظفين الانكليز في الدوائر غير السياسية كذلك. فقد عين اللفتنانت سي أي روبي معاون ضابط رى بتاريخ ١-٤-١٩ و ظل يشتغل في وظيفته هذه حتى نقل الى المسيب، فتعين بعده المستر أي آيس (منزيس) في ٢٣-٦-١٩ نقلا من المسيب أيضا. و في ٢٧-٣-١٩ تعين الدكتور مرسيدي جراحا مدنيا في كربلا، و ظل فيها حتى نقل الى بغداد في ٢٢-٨-٩٢٠. هذا و قد وجدت بين الأسماء الانكليزية أسماء بعض الموظفين العراقيين كذلك. و منهم الشيخ محمد فاضل الذي عين نائبا في المحكمة الشرعية الجعفرية بتاريخ ٦-١-٩٢٠.

مؤتمر كربلاء

و ما ان تسنم الملك فيصل الأول العرش في بغداد حتى نشأت قضية تحديد العلاقات بين العراق و بريطانيا العظمى بشكل معاهدة ترسم فيها الخطوط العريضة لهذه العلاقات و تنظيمها. و كان من رأى بريطانية ان تكون هذه المعاهدة وسيلة لتبديل الانتداب الذي منحت له عصبه الأمم، و تنظيم علاقاتها التي تؤمن مصالحها في العراق بأقل كلفة ممكنة. و لذلك استقر رأيا على ان تضمن المعاهدة في جملة ما تضمنه معظم بنود الانتداب التي تؤمن موقفها تجاه العصبه في هذا الشأن. و قد علم الرأى العام العراقي، و المحافل الوطنية، بهذه القيود فثارت ثائرة المعارضة و العلماء في العتبات المقدسة، و أخذت الحركة الوطنية تنظم صفوفها لمقاومة المعارضة و الحيلولة دون عقدها و التوقيع عليها.

فحدثت في هذه الأثناء اعتداءات الاخوان الوهابيين المتكررة على حدود

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٥٦

العراق الجنوبية بصورة أثارت الرعب و الفزع بين طبقات السكان في الأولوية الوسطى و الجنوبية من العراق على الأخص. و عقدت اجتماعات في النجف تقرر على أثرها ان يطالب العلامة الأكبر الشيخ مهدي الخالصي في الكاظمة بعقد مؤتمر عراقي عام في كربلا

يدعى اليه نخبة من وجوه الناس و شيوخ العشائر العراقية كافة في يوم ١١ نيسان ١٩٢٢. فتم ذلك بعد ان أوجست السلطات العراقية و البريطانية خيفة منه، و حاولت عرقلته من بعيد. لكن قادة الحركة الوطنية استغلوا هذا الاجتماع فعمدوا الى المذاكرة في توحيد الجهود من أجل العمل على استحصال الحقوق المشروعة للبلاد و عدم تصديق المعاهدة بالشكل الذي كان يريد الانكليز، و معظم أعضاء الوزارة النقيبية يومذاك.

و يقول المستر آيرلاند في هذا الشأن «.. و قد رحب بالاجتماع العظيم الذي اجتمع فيه الوطنيون، أهل السنة و الشيعة، من جميع أنحاء العراق في كربلا بتاريخ ١٢ و ١٣ نيسان ١٩٢٢. و قد دعا الى عقده الشيخ مهدي الخالصى، و الغرض الظاهري منه النظر في التدابير الدفاعية اللازمة لصد الوهابيين الذين أحدثت غاراتهم في أوائل مارت هياجا عاما و انفعالا عصيبا في جميع أنحاء العراق. فاعتبر هذا الاجتماع أعظم أهمية من المجلس التأسيسي المرتقب لأنه اجتمع برغبة الأمة من دون تأثير الحكومة عليه. و برغم ان جلسات الاجتماع الرسمية لم تؤد الا الى نتائج قليلة الأهمية لا تتعدى تقديم العرائض المعتدلة التي حلت محل المطالب المتطرفة الأصلية، فان الاجتماعات الخاصة التي عقدت بمناسبة كانت أكثر جدوى و انتاجا.

فقد نتج عن هذه الاجتماعات تنظيم الكثير من الحركات التي وقعت بعد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٥٧

ذلك «.. و قد استند المستر آيرلاند في نبذته هذه على ما جاء في جريدة الأوقات البغدادية (عدد ١٧ نيسان ١٩٢٢) التي كانت تصدر بالانكليزية حينئذ، و تمثل وجهة نظر السلطات المحتلة.

الإمام الشيخ مهدي الخالصى

و يذكر المستر لونكريك صاحب كتاب (اربعة قرون ..) في كتابه المهم الثاني الموسوم (العراق بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠) أن المداولة في المعاهدة بينما كانت تجرى في اوائل ١٩٢٢ في مجلس الوزراء، كانت طبقات الرأي العام قد اتضح موقفها تجاهها. فقد أخذ الوطنيون المتطرفون، و من ضمنهم علماء الشيعة و المؤيدون البارزون للملك و حتى المتصلون به اتصالا- وثيقا، ينادون عاليا ضد عبودية الانتداب و يطالبون بالجلء البريطاني التام.

و طالب الوطنيون المعتدلون، الذين كان الملك يشاركهم الرأي، بالغاء الانتداب و عقد معاهدة صداقة بين الفريقين على أسس متساوية، و استمرار العون البريطاني للعراق. و أصبح الاختلاف في الرأي أكثر وضوحا و تخصصا بعد ان دعا الى عقد مؤتمر في كربلا خلال نيسان ١٩٢٢، للاحتجاج على غارات الاخوان في الظاهر، الشيخ مهدي الخالصى أحد علماء الشيعة المنصرين موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٥٨

الى الاشتغال في السياسة. و كانت الأحزاب المعتدلة تنظر بعدم ارتياح إلى هذا المؤتمر الذي اجتمع فيه مئتان من وجهاء الشيعة و علمائهم و شيوخ عشائرهم.

و برغم القرارات غير المجدية التي اتخذها في النهاية، فقد وُحد المؤتمر المجتمعين و جمعهم حول معارضة المعاهدة و العمل على مناوئتها.

و المعروف في المراجع العربية ان المؤتمر عقد أول جلساته في دار الامام الشيرازي، ثم عقد الجلسات الأخرى في مختلف الأماكن، و كانت آخر جلسة له الجلسة التي عقدت في صحن الحائر الحسيني المطهر فكان اجتماعا حضره حوالي مئتي ألف نسمة على ما يروى. و قد خطب المغفور له الحاج جعفر ابو التمن في هذه الجلسة خطبة أتى فيها على أغراض المؤتمر و خلاصة ما توصل اليه. ثم نظمت (مضبطة) أدرجت فيها جميع المطالب و رفعت الى الملك فيصل، ثم قدمت نسخ منها إلى العلماء البارزين. و كانت الحكومة توجس خيفة من هذا الاجتماع، فانتدبت وزير الداخلية توفيق الخالدي لمراقبته عن كثب و موافاة الملك و الحكومة بما يدور فيه.

معارضة المجلس التأسيسي و انتخابه

و كان مجلس الوزراء قد صادق في ٢٥ حزيران ١٩٢٢ على عقد أول معاهدة عراقية بريطانية برغم معارضة الوطنيين لها. و ما ان أعلنت على الملأ حتى بادرت الحكومة الى اتخاذ ما يلزم لانتخاب المجلس التأسيسي، فصدرت الإرادة باتخاذ ما يلزم لبدء الانتخابات في ٢٤ تشرين الأول. و يقول المستر آيرلاند ان رد الفعل لذلك كان بعيدا كل البعد عما كان يتوقعه المعنيون بالأمر مقدما. فقد اتحد العلماء و الوطنيون و الشيعة في معارضة تنفيذها،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٥٩

و أقنع العلماء في كربلا و النجف و الكاظمية .. باصدار الفتاوى في أوائل تشرين الثاني لتحريم الاشتراك في الانتخابات. و كان تأثير الفتاوى المباشر ان وقف إجراء الانتخابات في المراكز الشيعية. فقد استقالت اللجان الانتخابية في كربلا و النجف و الحلة و الكوفة، و أعلن الموظفون في الكاظمية عن فشلهم في تأليف اللجان المذكورة.

ثم يستطرد آيرلاند و يقول بعد ذلك ان المساعي بذلت لاسترضاء العلماء، لكنها لم تنجح و أعيد اصدار الفتاوى في حزيران ١٩٢٣. و قد ذهبت المحافل البريطانية الرسمية الى ان العلاج الوحيد للمشكلة هو اتخاذ الاجراءات المشددة ضد رجال الدين أنفسهم. لأن الفرصة لا يمكن أن تسنح، لالقاء الرعب في نفوس الدهماء بحيث يمكن للانتخابات ان تجرى من دون معارضة فعالة، إلا باسكاتهم. و كان رئيس الوزراء (السعدون) يترأى هذا الرأي لكن الملك فيصل تهادى في أمله بأن يسترضى العلماء بطرق أخرى. غير أنه يبدو ان الانكليز كانوا قد أصروا على رأيهم فأزرتهم الوزارة و رئيسها في ذلك، و تم سوق المغفور له الشيخ مهدي الخالصى إلى الخارج.

و لذلك يقول المستر آيرلاند ان مظاهرة احتجاجية قد نظمت في الحال، و قد قام بها رؤساء الدين في النجف، ثم غادر البلاد الى ايران جماعة مؤلفة من تسعة علماء مهمين مع خمسة و عشرين من أتباعهم مشيرين بذلك الى سحقهم - و مع ان الحكومة كانت تستكر عمل هؤلاء العلماء فانها أبدت لهم جميع التسهيلات لتعجل في رحيلهم. و بينى آيرلاند معلوماته هذه على «تقرير إداري» كتبه أحد الموظفين الانكليز في ١٩٢٣-٢٤. و المعروف ان عددا من رجال الدين الذين غادروا العراق كانوا من كربلا نفسها، و منهم آية الله السيد الكاشاني الذي اشتهر في مناوئة الانكليز على عهد مصدق في إيران.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٦٠

و يعرف كذلك في هذا الشأن ان متصرف كربلا في ذلك الوقت كان السيد مولود مخلص الذي سهل خروج العلماء تنفيذاً لأوامر الحكومة.

و حينما حاولت الحكومة البدء بالانتخابات من جديد في ١٢ تموز ١٩٢٣ لم تنجح كذلك بسبب رفض الشيعة تشكيل اللجان الانتخابية على ما يقول آيرلاند. و لذلك استقالت وزارة عبد المحسن السعدون، فألف الوزارة الجديدة جعفر باشا العسكري. و يقول آيرلاند ان الملك اتخذ تشكيل هذه الوزارة فرصة لاسترضاء الشيعة. و لا ندرى كيف تم هذا الاسترضاء، لكن المعروف ان هذه الوزارة، التي تشكلت في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٣، كانت تضم بين وزرائها الثمانية وزيرين شيعيين من لواء كربلا- هما المرحومان الحاج محسن شلاش (للمالية) من النجف و الحاج محمد حسن ابو المحاسن (للمعارف) من كربلا الذي استوزر السيد أبو القاسم الكاشاني الزعيم الديني السياسي بعد تشكيلها بمدة. و مع جميع هذه المشاكل فقد انتهى التسجيل و تمت الانتخابات في ٢٥ شباط ١٩٢٤، و دعى المجلس التأسيسي إلى الاجتماع في ٤ آذار. و كان يمثل لواء كربلا فيه مندوب واحد فقط هو عمر الحاج علوان.

و قد عرضت المعاهدة على هذا المجلس للتصديق تنفيذاً للشرط الذي كان قد اشترطه مجلس الوزراء الذي صادق عليها من قبل، فلم تتم المصادقة الا بكثير من الصعوبة و المشقة نظراً للمقاومة العنيفة التي أبدتها الشعب في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٦١

بغداد، و الرأي العام القوى الذي أخاف المندوبين. و كان عدد الموافقين ٣٧ مندوبا، و عدد المستنكفين ثمانية، و عدد المخالفين أربعة و عشرين و منهم مندوب كربلا عمر الحاج علوان.

دونالدسون في كربلاء

هذا و قد تسنى للدكتور دوايت دونالدسون في ١٩٢٨ ان يزور العتبات الشيعية المقدسة في العراق كلها، و كربلا منها على الأخص، إتماما لمشروعه في كتابة مؤلف خاص عن عقائد الشيعة و تاريخهم. و كان قد سلخ ستة عشر عاما من عمره، قضاها في مشهد الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، يبحث و ينقب لهذا الغرض. فأخرج في ١٩٣٣ كتابا ضخما سماه «عقيدة الشيعة»، و كتب فيه فصلا كبيرا عن كربلاء، و آخر عن الامام الحسين عليه السلام.

و مع ما في هذا الكتاب من مبالغات و أغلاط غير متفقهة مع الواقع، و مع أنه يحاول اعتبار الكثير من الخرافات و الغرائب التي تعب في جمعها كأنها جزء من العقائد الإسلامية الشيعية فقد آثرت ان أورد هنا انطباعات المؤلف عن كربلاء، و بعض ما توصل الي معرفته عن المعتقدات الاسلامية عند الشيعة.

فقد تحرك دونالدسون من بغداد في فجر يوم من أيام الصيف الحارة، و حينما وصل اليها في الصباح المبكر جلس في مقهى كان يستطيع أن يرى منه تزيينات القاشاني و زخرفته الدقيقة فوق مدخل الصحن الحسيني الشريف،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٦٢

و المناثر. و قد لاحظ في هذا المدخل على ما يقول السلسلة الحديد التي تعتبر حاجزا يتحتم على «الكافر النجس» عدم تخطيه. و يقول في هذا الشأن كذلك ان زيارة الزائر لهذا الضريح، و هو يؤمن بنبوة محمد و يعتقد بامامة الحسين المنزلة من الله، تعتبر عملا في غلة الأهمية لأنه يؤهله للتمتع بامتيازات مثل عدم سقوط سقف منزله عليه قط!!، و بقائه في حرز حريز عن الغرق و الحريق و التعرض للحيوانات الوحشية المفترسة (؟). اما غير المسلم فان تخطيه الى ما وراء السلسلة المانعة فيه انتهاك يمكن ان يعاقب عليه بالموت على أيدي الجماهير الساخطة، لأن مثل هذا العمل يعتبر تدنيسا للبقعة المقدسة المحيطة بالضريح.

و يلاحظ في الكتاب ان دونالدسن يتحسّر و يتحرّق لأنه لا يستطيع الدخول إلى مثل هذا المكان المقدس، مع السهولة التي جاء بها من بغداد الى كربلا. ثم يقارن نفسه في هذا الشأن بالزوار الذين وجدهم في نفس المقهى الذي كان جالسا فيه، و قد خرجوا من الحمام و هم عراة الا من الوزرة الحمراء التي كانوا يتزرون بها، و أخذوا يرتشفون شايهم بهدوء و سكينه قبل ان يرتدوا ملابسهم و يهرعون إلى الزيارة.

و حينما دقت ساعة الصحن في برجها الخاص معلنة الثالثة غروبية تمشى من المقهى الى السلسلة الحاجزة و أخذ يحرق بتشوق و اهتمام فيما هو موجود في الداخل. و قد تمنى ان يكون قادرا على الدخول الى فناء الصحن الشريف على الأقل ليقضى فيه يوما كاملا يدرس خلاله الزخارف و الكتابات المنتشرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٦٣

في كل مكان. ثم يعمد إلى الاشارة الى جميع النقاط الواردة في كتاب (بلدان الخلافة الشرقية) للمستشرق المعروف لسترانج نقلا عن المؤلفين العرب مثل المسعودي و المستوفى و الطبري و من أشبهه، مما أتينا على ذكره في صدر هذا المبحث بصدد الاشارة الى ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية عن كربلا.

و بينما كان دونالدسون في موقفه هذا، و هو يتأمل المواقع التاريخية التي يستوحياها الواقف في هذا المكان، طرق سمعه ما يشبه الغناء الترتيلي على ما يقول. و اذا به يرى عندما التفت قافلة من الزوار يتقدمها دليل خاص، و ما ان وصلوا حتى أخذوا يكررون ما كان

يرتله الدليل بين يديهم. ثم يتطرق إلى مجيء الزوار من الأماكن النائبة، و ما يتحملونه من المشاق و المصاعب في المسافات البعيدة التي يستغرقون في قطعها على ظهور البغال مدة تتراوح ما بين أربعة الى ثمانية أسابيع في بعض الأحيان. و مما لفت نظره بين اولئك الزوار وجود عدد من عجائز النساء، او الجدات اللواتي تتحقق أمنيات حياتهن بهذه الزيارة.

و يقول الدكتور دونالدسون كذلك إن أناسا كثيرين لا- يستطيعون ان يدركوا أهمية الزيارة و عظم شأنها عند هؤلاء الزوار. فهم يتوقون اليها في جميع الفرص و المناسبات التي تعرض لهم في أيام حياتهم كلها، و يتسمعون إلى قصة الحسين و مقتله المفجع حتى في حفلات الختان و الزواج و ماتم الوفاة.

و بهذه الوسيلة يقفون على أهمية البركات العجيبة التي يعدهم الأئمة الأطهار بها حينما يقومون بواجب الزيارة لقبر الامام الشهيد. و يسمعون منذ نعومة أظفارهم ان ضريح الحسين المطهر يحف به أربعة آلاف ملك، يكون آناء موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٦٤

الليل و أطراف النهار، و يخفون لاستقبال كل زائر من الزوار، حتى و لو كان في أطراف الحدود. و اذا ما ابتلى بمرض من الأمراض ينبرون لمساعدته، ثم يذهبون الى أبعد من ذلك فيحيطون بقبره و يستغفرون له ذنوبه عندما يموت.

و قد قيل لهم ان الله سبحانه عز و جل هو المسؤول عن تدبير حاجات الزوار المادية جميعها، و أنه هو يغفر ذنوبهم لمدة أربعين عاما. و لذلك يأتي أغلبهم إلى الزيارة و ليس في جيبه سوى دراهم معدودة، مع علمه بمقدار ما يتطلبه سفره من مال خلال مدة مكثه في كربلا و عودته الى بلاده بعد ذلك. ثم يورد اقوالا و خرافات كثيرة في هذا الشأن فيبالغ بها و بأهميتها العقائدية بلهجة غير مستبعدة من رجل مبشر مثله يتسقط المثالب و النواقص و خرافات العوام فيفسرها كما يريد.

و بعد ما يأتي عليه من سرد قصة الحسين في كربلا و الموقعة التي استشهد فيها مع الشهداء من آل بيته و صحبه، و بعد ان يشيد بطولته أخيه العباس، مستندا على رواية الدينوري في (الأخبار الطوال)، يعود فيقول ان حقبة تنيف على الألف سنة قد مرت على تلك الموقعة المفجعة في كربلا- و الزوار ما زالوا يتوافدون عليها بعشرات الألوف في كل سنة من العراق و إيران و سائر أنحاء العالم الإسلامي لزيارة الضريح المقدس فيها. و كثيرا ما يحملون معهم رفات الموتى من أعزائهم و أقاربهم، أو الذين يوصون قبل الموت بدفنهم في هذا المكان المقدس. و يوجد إلى يمين الداخل الى الحضرة الحسينية المطهرة سلم يؤدي الى سرداب أرضى متسع ربما يبلغ طوله متتى ياردة. و يؤتى بالجنث في صناديق، و ما يقبل للدفن منها هنا يكسد في هذا المدفن الفسيح.

و هناك ترتيب للدفن يشبه هذا في حضرة العباس كذلك، و قد قيل للدكتور دونالدسون ان الدفن في هذين المكانين لا يسمح به ما لم يدفع عن كل جنازة مبلغ خمس مئة روبية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٦٥

و يذكر دونالدسون ان قبة العباس حينما شاهدها كانت غير مذهبة، و يعزو ذلك الى قصة يرويها عن نادر شاه الذي أمر بتشييدها. فقد شاهد هذا الشاه في الطيف رجلا ظن أنه الامام أبو الفضل العباس، و سمعه يقول:

«بما أني أصغر من أخي الحسين، و أني بمثابة التراب العالق بقدمي سيدي الأكبر، فلا بد من ان تميزوا الفرق بين السيد و العبد عند تشييد القبتين».

على انه يذكر كذلك ان (حضرة) العباس يوجد فيها عدد كبير من السجاد الايراني الفاخر الذي كان قد أهدها التجار و الموسرون بعد ان حيكّت أسماؤهم في أطرافه. و هناك ثريات ذهب و فضة معلقة في داخل القبة الكبرى، أما القبر فهو محاط بشباك فضة بسيط على حد قوله. و في داخل الشباك توجد فوق القبر العمامة التي كان يعتم بها العباس في يوم المعركة و السيف الذي قاتل به قبل ان يستشهد كما تؤيد الروايات المختلفة. و أخيرا يشير الى أن أغلبية الشيعة يخشون القسم الكاذب بأبي الفضل العباس و يهابونه جدا.

اما قبر الامام الحسين الموجود تحت القبة المكسوة بالذهب فيحيط به شبكاك، أحدهما مصنوع من الذهب و هو الداخلي و الثاني

مصنوع صنعا متقنا من الفضة. وقد أهدى الشباك الفضة ناصر الدين شاه الذى يوجد اسمه منقوشا فى إحدى زواياه. و كثيرا ما يأتى الزوار بالهدايا على شكل دراهم أو مصوغات ثمينة فيرمونها فى داخل الشباك. و يحصل ذلك على الأخص حينما يندرون من أجل الحصول على مساعدة الامام فى تحقيق رغباتهم، و عند ذاك يرمون هداياهم فى داخل الشباك الذهب. و يفتح هذان الشباكان بين حين و آخر، فتجمع النذور و الهدايا و تحسب بصورة رسمية قبل ان تباع فتدخل أقيامها فى مدخولات العتبة المقدسة. و يتم فتح الشباكين بمراسيم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٦٦

خاصة عادة يحضرها ممثل خاص عن الحكومة.

و لقد قص على شاهد عيان، اسعده الحظ ذات يوم بمشاهدة هذه المراسيم.

كيفية وقوع هذه العملية. فقد انتخب اثنان من الملايئة الأخير بالقرعة لهذا العمل، و أول ما فعلاه انهما بادرا الى الاستحمام و التطهر فى خزان الماء البارد الموجود فى الصحن. ثم لف جسماهما بقماش أبيض نظيف يشبه قماش الأكفان، و عقد بعقد محكمة حول رقبته كل منهما و معصمه و رسغه لئلا يتمكن من إخفاء شئ مما قد تحدثه نفسه بأخذه من المصوغات الثمينة التى يكلف بجمعها من الداخل. ثم انبطح كل منهما على الأرض بحيث يتمكن من الدخول إلى داخل الشباك مشيا على الأربع. فشرع كل منهما بتنظيف المصوغات التى عثر عليها فى الداخل من الغبار، الذى اهتم اهتماما خاصا بجمعه و عدم التفريط به لانه هو بدوره يعتبر شيئا ثمينا كذلك. و بعد ما يقرب من ثلاث ساعات قضاها كل منهما فى الكنس و التنظيف. فضلا عن جمع الهدايا و تصنيفها، خرجا بما جمعا منها و من الغبار المقدس الذى اهما اهتماما خالصا بجمعه على حدة. و قد أخذت المصوغات على اختلاف أنواعها إلى خزينة العتبة، باعتبارها جزءا مهما من دخلها الاعتيادى، لكن الرجلين أخذ كل منهما ما استطاع ان يجمعه من الغبار ليوزعه على صرر صغيرة من القماش تكون جاهزة للبيع إلى الزوار المتلهفين اليها لأنهم يعتقدون بأن شيئا قليلا منه اذا دفن مع الشخص المتوفى يضمن له غفران ذنوبه بأجمعها.

هذا و قد عمد دونالدسون فى كتابه الى تدوين أشياء كثيرة عن الحسين .

بالاضافة إلى ما كتبه عن كربلا و الحائر المقدس. فقد كتب عن أهل البيت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٦٧

و موقف بنى أمية منهم، و عن معاوية و الامام الحسن عليه السلام، ثم كتب عن الحسين و موقفه من يزيد، و عن موقعة كربلا- و البطولات التى أبدت فيها إزاء الفظاعات و الأعمال الدنيئة التى اقترفها أعداؤه و أعداء الاسلام.

و مع ان جميع ما جاء فى هذا الفصل لا يخرج عما جاء فيما كتبه المؤرخون العرب مثل المسعودى و الدينورى و زيدان و ما أشبهه، فقد آثرت ان أذكر هنا بعض النقاط التى يؤكد عليها دونالدسن. فهو يذكر، بمناسبة تفكير معاوية فى جعل الخلافة ملكا وراثيا عضوضا، ان أول من اقترح عليه هذه الفكرة و زينها له مساعده المقتدر، على ما يقول دونالدسون، المغيرة بن شعبة الذى كان أول مسلم من المسلمين اشتغل بتزوير النقود و تزييفها. و لذلك بادر معاوية إلى إجراء الترتيبات اللازمة لأخذ البيعة لابنه يزيد قبل ان يموت.

و يذكر كذلك ان الامام الشهيد كان أول رجل من بنى هاشم علقت جثته المطهرة للملأ، و احتز رأسه الشريف فحمل الى دمشق. ثم يقول: ان الذين أسهموا فى قتل الحسين كانوا كلهم من الكوفة، و لم يكن بينهم و لا رجل واحد من سورية. و ان الذين استشهدوا فى عاشوراء معه كان عددهم سبعة و ثمانين، و كان من بينهم ابنه على الأكبر، و أبناء الامام الحسن عبد الله و القاسم و أبو بكر، و إخوانه العباس، و عبد الله، و جعفر، و عثمان، و محمد الصغير. أما سائر الشهداء فقد كان بينهم أربعة من الأنصار، بينما كان الباقيون من مختلف القبائل العربية المعروفة.

وقد وجدت في جثة الامام الشهيد بعد وفاته ثلاث و ثلاثون طعنه رمح، و أربع و ثلاثون طعنه سيف.

«التربة» الحسينية

وقد كانت التربة الحسينية و ما تزال تلفت نظر الكثيرين من الغربيين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٦٨

و غيرهم حينما يزورون كربلا، او يعرفون على المجتمعات الشيعية في كل مكان. و لعل أول من أشار اليها و الى استعمالها في الصلاة من الغربيين الرحالة الالمانى كارستن نيبور حينما زار كربلا سنة ١٧٦٥ كما ورد في صدر هذا البحث فقد ذكر ان التربة كانت تصنع في معمل خاص تحتكر العمل فيه لنفسها أسرة من سادات كربلا، و كانت هذه الأسرة تدفع مبلغا كبيرا من المال في كل سنة الى والى بغداد لقاء الامتيازات. على ان الدكتور دونالدسون لاحظ في سوق كربلا حينما زارها عدة دكاكين فيها المئات من التربة، و قيل له ان التربة لا يصح بيعها بيعا لأن أحد الأئمة كان قد قال بأن من يبيع.

التربة التي تقدست بدم الحسين الشهيد كمن يبيع اللحم المجتث من جسمه لكنه لاحظ ان سائق سيارته حينما اشترى علبة شخاط و دفع عشرين فلسا أعطى عددا من هذه التربة لتسديد ما بقى له من الحساب. و هو يقول ان باعة التربة المتجولين يأتون و في ايديهم صوانى مملوءة بها فيحاولون تقديمها لمن يتوسمون فيه الكرم من الزوار على سبيل الهدية، و يقولون له أنهم يقبضون منه الثمن يوم القيامة. و بهذه الطريقة يحصلون على اكراميات غير يسيرة من المال. كما يشير الى ان التجار الهنود يدبرون شراءها بسعر ثلاث روبيات للمئة تربة، و ان هناك سرايب في عدة أمكنة من كربلا تكون ملأى بها في العادة.

و المفروض ان يؤخذ الطين الذي تصنع منه التربة من المكان الذي صرع فيه الحسين عليه السلام. و ما يستعمل من هذا الطين يذهب في الغالب لصنع المسبحات الحسينية السود، التي تتألف من أربع و ثلاثين خرزة. و هذه يستعملها المؤمن المتدين في لحظات فراغه و عبادته للتسبيح، فيكرر ذكر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٦٩

«الله أكبر» اربعا و ثلاثين مرة و «شكرا لله» و «سبحان الله» بمقدار ثلاث و ثلاثين مرة لكل منهما. و من حسن حظ الشيعى الذى يقضى نجه ان يتهيا له من يضع في رقبته قلادة من هذا الطين المقدس، و خاتما منه في إصبع يده اليمنى، و «زنادى» في كل من ذراعيه، و صرة من التراب المكنوس من حول القبر في كفه الأيمن. و من المستحب له ان يكون الكفن الذى يكفن به قد كتبت عليه بعض الآيات القرآنية بهذا الطين أيضا. ثم يستمد دونالدسون في ذكر فوائد التربة و أهميتها الشفائية، مستندا على ما جاء في كتاب «تحفة الزائر» للعلامة المجلسى الذى ينقل فيه أقوالا كثيرة عن الامامين موسى الكاظم و على الرضا عليهما السلام في هذا الشأن.

و يذكر الدكتور هولستر في كتابه (شيعه الهند) المار ذكره أن تربة كربلا يقدسها الشيعة دون غيرها من تربة العتبات المقدسة الأخرى. فهم يتمنون الدفن فيها و التبرك بها. و يروى بالمناسبة ان (باهو بكم) أرملة شجاع الدولة أحد ملوك أوده المعروفين (تسنم الملك في ١٧٥٣ م) كانت قد أحضرت لنفسها مقدارا من تراب كربلا قبل ان يتوفاها الله لأجل أن يفرش في قبرها عندما تدفن فيه، فتم لها ذلك و ظل ألف قارىء من القراء يقرأون القرآن على قبرها من المساء حتى الصباح عدة أيام. و يروى كذلك عن الخوجات الاسماعيلية في الهند ان الفرد منهم قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة عند الموت يقطرون له و يرطبون شفثيه بشيء من الماء الذى تحل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٧٠

فيه التربة المستوردة من كربلا، ثم يرشون على وجهه و عنقه و صدره مثل هذا الماء كذلك ليجنبوه الألم الذى قد يعانیه في سكرات الموت على يقولون.

محرم الحرام

و من النادر ان نجد أحدا من الكتاب الغربيين يهمل التطرق إلى ذكر محرم الحرام و ما يجرى خلاله في البلاد الشيعية، حينما يكتب عن كربلا و غيرها من العتبات الشيعية المقدسة او يأتي على ذكر الحسين عليه السلام. و معظم ما يذكر في هذا الشأن بطبيعة الحال يدور حول إحياء الذكرى السنوية لاستشهاد الامام و أهل بيته و صحبه في يوم عاشوراء، و الطقوس او المراسيم المتخذة في إقامة العزاء و «السبايا» و ما أشبهه. و كثيرا ما يشير الغربيون في كتاباتهم هذه الى «التشابه» فيسمنونها «المسرحية الأليمة» او التمثيلية العاطفية، فيتحسسون بها تحسسا عميقا في الغالب.

ف نجد مثلا ان السر بيرسى سايكس مؤلف كتاب (تاريخ إيران) يقول بعد تفصيل فاجعة الحسين و استشهاده عليه السلام «.. ان هذه الفاجعة كانت أساسا لتمثيل «المسرحية الأليمة» سنويا، ليس في ايران التي تعتبر العقيدة الشيعية مذهبا رسميا فيها فقط، بل في كثير من البلاد الآسيوية التي يتيسر فيها وجود المسلمين الشيعة أيضا. و قد شاهدت هذه المأساة تمثل أمامي مرات عديدة، و لذلك يمكنني ان اعترف و أقر بأن الاستماع الى و لولة النساء الصارخة و مشاهدة الحزن الذي يغشى الرجال كلهم يؤثر تأثيرا موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٧١

عميقا في المرء بحيث لا يسعه الا ان يصب نغمته على الشمر و يزيد بن معاوية، بقدر ما يصبه سائر الناس الحاضرين. و الحقيقة أن هذه المسرحية الأليمة تدل على قوة عاطفية جامحة تمتلىء بالحزن و الأسى الذي لا يمكن ان يقدر بسهولة، و ان المناظر التي شهدتها بأم رأسي ستبقى غير منسية في مخيلتي ما دمت على قيد الحياة».

و قد كتب عن هذه المأساة كذلك، و محرم الحرام بوجه عام، المستر توماس لايل الذي اشتغل في العراق معاونا للحاكم السياسي في الشامية و النجف في ١٩١٨-٢١ و معاونا لمدير الطابو في بغداد و حاكما في محاكمها المدنية، في كتابه (دخائل العراق) ما يقرب من عشرين صفحة. و هو يقول بعد ان شهد مواكب العزاء و لطم اللاطمين فيها «.. و لم يكن هناك أى نوع من الوحشية أو الهمجية، و لم ينعدم الضبط بين الناس، فشعرت و ما زلت أشعر بأنني توصلت في تلك اللحظة الى جميع ما هو حسن و ممتلىء بالحوية في الإسلام، و أيقنت بأن الورع الكامن في أولئك الناس و الحماسة المتدفقة منهم بوسعهما أن يهزّ العالم هزّا فيما لو وجهها توجيها صالحا و انتهجا السبل القويمه. و لا غرو فلهؤلاء الناس عبقرية فطرية في شؤون الدين».

على اننى لاحظت ان الدكتور هولستر صاحب كتاب تاريخ الشيعة في الهند قد أفرد فصلا خاصا فيه عن محرم الحرام و أهميته الدينية مع مراسيم العزاء التي تقام خلاله في الهند بمختلف الوسائل و الأشكال. فهو يقول ان موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٧٢

مقتل الحسين في كربلا برغم كونه قد وقع قبل مدة تزيد على ثلاثة عشر قرنا فان فجيعة كانت واضحة جلية لكل شيعي، و كثيرين غيرهم، بواسطة المراسيم و الاحتفالات الدينية التي تقام سنويا في محرم الحرام.

و يقول كذلك ان شهر محرم له أهميته عند كل مسلم. فقد كان حتى قبل عهد النبي محمد يعرف بالمهرجان السنوي الذي كان يقام فيه. و ان اليوم العاشر منه، الذي يسمى بيوم عاشوراء، كان يعرف بكونه اليوم الذي تسقط فيه أول مطرة في السنة، و الذي خلق فيه آدم و حواء، و السماء التاسعة، و منحت فيه الرسالة المقدسة لأرواح العشرة آلاف رسول. و في الوقت الذي يكون فيه اليوم العاشر يمثل هذه الأهمية و غيرها لجميع المسلمين، فإن محرم كما يعرفه الشيعة ينطوي على العشرة الأولى من الشهر كله و أهمها اليوم العاشر نفسه.

و قد كان معز الدولة البويهى، في أيام تفوق البويهيين و حكمهم في بغداد.

هو الذي أدخل عادة إحياء الذكرى المؤلمة للحوادث التي وقعت في محرم، و عين فترة الحداد. فكانت بموجب ذلك تغلق الأسواق،

و يعطل القصابون أعمالهم، و يتوقف الطباخون عن الطبخ، و تفرغ الأحواض و الصهاريج مما فيها من الماء، و توضع الجرار مغلقة بالبلاد في الشوارع و الطرق. و كانت النساء يمشين بشعور منثورة، و أوجه مسودة، و ملابس ممزقة، يلطمن الخدود و يولولن حزنا على الحسين الشهيد. و كانت تقرأ في ذلك اليوم المراثي و المناجات كذلك.

اما دونالدسون فيقول في هذا الشأن: ان عادة إعلان الحداد العام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٧٣

خلال العشرة الأولى من محرم الحرام كانت أعظم ابتداء ابتدعه معز الدولة البويهى. و كان هذا الأمر قد أصدره في ٩٦٣ للهجرة، فحتم فيه على الناس إحياء الذكرى السنوية لمقتل الحسين. و قد استمرت هذه العادة منذ ذلك الوقت، و أصبحت أشهر العادات و أبعدها صيتا بين العادات و الأعراف الشيعية المألوفة. اما بالنسبة للموكب العام الذى ينظم في اليوم العاشر من محرم بقصد إظهار الولاء لآل البيت فقد عمد الذين يعلنون الحداد فيه الى أشبع الطرق و أكثرها استتارة للثناء فى إهراق دمائهم و تشويه أجسامهم.

ثم يعود هوليستر و يقول إن احياء مراسيم محرم و طقوسه قد انتشرت بانتشار الشيعة فى البلاد. و يمكن ان تلاحظ فى الهند على الأخص فى (لكناو) حيث لا يزال شىء من البهاء و الرونق، اللذين كانت تعرف بهما أيام ملوك (أوده) الاولين، محتفظا به حتى اليوم مع ان البذخ الذى كان يبدو من النوايين، الذين صرف أحدهم فى سنة من السنين على مراسيم محرم و حفلاته الدينية ثلاث مئة ألف باون، قد انتهى أمره و أصبح نسيا منسيا. و مع ذلك فان الهبات و الأوقاف التى اوقفها محمد على شاه هناك تجعل المراسيم المقامة فى محرم اليوم مفعمة بالحوية و النشاط منذ أول ابتدائها فى مساء اليوم الذى يتقدم أول يوم منه. و لا بد من ان نذكر هنا المناسبة ان هوليستر يذكر فى موضع آخر من كتابه ان عساف الدولة ملك أوده (تولى فى ١٧٧٥) قد صرف على مراسيم العزاء خلال شهر محرم فى إحدى السنين ستة ألكاك رويية .

و يصف الدكتور هوليستر فى فصله عن محرم الحرام كيفية احتفال المسلمين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٧٤

فى الهند خلال أيام الحداد العشرة من محرم، ثم يعدد أنواع هذه الاحتفالات و أشكالها فيبدأ بوصف مجالس التعزية التى تقرأ فيها قصة مقتل الحسين بصورة متسلسلة موزعة على عشرة أيام، مبتدئة بدعوة أهل الكوفة للإمام عليه السلام و منتهية باستشهاده المفجع. و هو يقول ان اليومين الأولين يروى فيهما للمحتفلين المحتشدين تهيؤ الحسين للسفر و زيارة المقربين له، و مذاكراته معهم، و المشورات التى قدمت له، ثم سفره و وصوله الى كربلا- و تروى فى اليوم الثالث اخبار المخيم الذى خيم فيه الحسين و أصحابه، و ترده ما بينه و بين النهر، و مذاكرة بنى أسد حول دفن القتلى الذين يمكن ان يخرؤا صرعى فى ساحة القتال.

اما فى اليومين الخامس و السادس فتقص على المحتفلين فيهما مصاعب الامام و صحبه، و البطولة التى أبداها على الأ-كبر قبل استشهاده. و فى اليوم السابع تروى قصة القاسم بن الحسن و بطولته فى القتال، علاوة على قصة زواجه بانه عمه الحسين. و يخصص اليوم الثامن و التاسع لأخبار العباس عليه السلام و أصحاب الحسين الاثني و السبعين، بينما تروى فى اليوم العاشر الظروف الأليمة و الشكل الفظيع الذى قتل فيه الامام الشهيد، و هو بيت القصيد فى مجالس التعزية كلها.

و مما يذكره هوليستر ان هذه «المجالس» كما يسميها الهنود المسلمون لا تقام فى المساجد و الجوامع التى تخصص للصلاة فقط، و إنما تقام عادة فى أماكن خاصة او «حسينيات» يطلق على الواحدة منها فى الهند «امام باره». و هذه تخصص لمجالس التعزية وحدها فى الغالب أيضا. و يذكر بالمناسبة ان إحدى (الامام بارات) هذه قد بنيت فى جلال بور بمبالغ جمعت من حاكة البلد و نساجيه بعد ان فرضوا على كل قطعة من منتجاتهم مبلغ «بيزة»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٧٥

واحدة. و يقال ان (الامام باره) الكبرى التى شيدت فى (هوگلى) بالبغال كانت قد كلفت لكين من الرويات. و هناك فى (لكناو)

ثلاث (امام بارات) كان ملوك أوده محمد على شاه، و عساف الدولة، و غازي الدين حيدر، قد شيدها بصورة تدعو للاعجاب، و يطلق على التي شيدها غازي الدين «شاه نجف» لأنها تضم بين جدرانها «ضريحا» يعتبر تقليدا لضريح الامام على في النجف. و على الشاكلة نفسها توجد في شاه جهانپور (امام بارة) فيها «ضريح» يعتبر تقليدا لضريح الحسين عليه السلام كذلك ثم يصف هولستر ما يسمى في الهند «التعزية» و يعتبرها من أبرز ما يلفت النظر في احتفالات الحداد في الهند في أثناء محرم. و الظاهر ان كلمة «تعزية» تطلق في شمال الهند على الهيكل المصغر لقبر الحسين، الذي يحمل مع مواكب العزاء الحسيني في يوم عاشوراء. و تطلق على هذا في جنوب الهند كلمة «تابوت». و قد نشأت عادة حمل هذه الهياكل المصغرة في مواكب العزاء، على ما يقال، منذ أيام تيمور لنك (سنة ١٤٠٥ م) الذي جاء بمثل هذا الهيكل الى الهند من كربلا نفسها.

و تصنع هذه «التعازي»، على اختلاف حجومها و مظاهر الزينة فيها، فوق هيكل من الخيزران فتحمل على أكتاف الرجال الذين يكونون عادة من الهندوس المستأجرين. و تزين بأنواع الزينة و الزخارف من الخارج، و قد يعمد الأثرياء و الموسرون الى انشائها من الخشب المغلف بالعاج، او الأبنوس او الفضة. و مما يذكر في هذا الشأن ان أحد ملوك أوده كان قد أوصى في انكلترة بصنع «تعزية» مثل هذه من النحاس الأصفر و الزجاج الأخضر.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٧٦

و قد شاهد هولستر بنفسه «تعزية» كبيرة من هذا النوع يبلغ ارتفاعها عشرين قدما و لها أربعة طوابق. و لا تحمل مثل هذه «التعزية» الكبيرة عادة، و انما توضع و تزين في أماكن خاصة للتبرك بها. و قد تحمل «التعزية» بشكل هيكل حصان يعلوه سرج من دون خيال ليمثل حصان الامام الشهيد المسمى «دلدل».

و يتوسع هولستر في وصف هذه التعزيات و زينتها و كيفية التبرك بها و حملها في المواكب و ما أشبهه. ثم يأتي كذلك على ذكر الأعلام التي ترفع بالتفصيل من حيث الشكل و اللون و الرأس، و يقول ان شيعه لكنا و محظوظون لأن عندهم بين ظهرانيهم نفس «البنجة» او الكف المعدنية التي كانت تعلق علم الحسين في كربلا. و هي محفوظة في «درگاه» شيد خصيصا لها. أما كيفية أخذها الى الهند فيذكر قصة تروى عنها، و هي ان أحد الحجاج الهنود في مكة رأى في الطيف ذات ليلة «عباس على» حامل لواء الحسين عليه السلام، فدلّه على المكان الذي توجد مدفونه فيه في كربلا نفسها.

و حينما ذهب الحاج الهندي الى ذلك المكان وجد «البنجة» عينها فجاء بها الى النواب عساف الدولة عاهل (لكناو) يومذاك، فعمد هذا إلى تشييد مزار خاص لها و عهد بسدانتها الى الحاج المحظوظ الذي جاء بها من كربلا بلد الحسين. و بعد مدة من الزمن تمرض سعادت على خان و شفى فشيده على أثر ذلك دركاها أجمل للبنجة المقدسة. و يأتي الناس في اليوم الخامس من محرم إلى هذا المزار كل سنة ليلمسوا البنجة بأعلامهم. و يقدر ان الأعلام التي يوتي بها لهذا الغرض كانت تبلغ في الأيام السالفة حوالي أربعين أو خمسين ألف علم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٧٧

و مما يشير اليه بالتفصيل كذلك المراني التي تلقى في مواكب العزاء التي يقول عنها انها تكون عبارة عن قطع أدبية رائعة في بعض الأحيان. و يشير من بينها الى مريثة (المير أنيس) على الاخص، التي يقول انها مع ما فيها من طول و اغراق في الغلو و المبالغة قطعة أدبية بليغة تثير أعماق العواطف و أقوى الأحاسيس حينما تقرأ خلال الأيام العشرة كلها. و تنطوي بين تضاعيفها على قوة بالغة في الوصف لا بد لأقوى الرجال من أن تدمع عيناه عند سماعها.

المرجع الديني السيد أبو الحسن الأصفهاني اما في يوم عاشوراء فتستعد مواكب العزاء للخروج منذ الصباح الباكر في الهند، و بعد مراسيم مختصرة ترفع «التعزية» العائدة لكل موكب من مكانها في (الامام بارة) مع الأعلام و تؤخذ مشيا على الأقدام إلى حيث تدفن في أماكن يطلق على كل منها «كربلا»، الزعيم الديني المصلح السيد محسن الأمين اما في (بومبي) فتؤخذ إلى البحر و ترمى فيه. لكن

(التعزيات) الثمينه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٧٨

و الكبيرة تعود بها المواكب الى مكانها الأول حيث تحفظ للسنين المقبلة.

و يسير الموكب سيرا بطيئا في العادة، و على خط معين، لكنه يتوقف عن السير بين حين و آخر لالقاء المراثى و قراءتها. و يقوم عدد كبير من الناس خلال السير بالطم على الصدور و التنادى بجملة «يا حسين، يا حسين» بين حين و آخر، بينما يقوم آخرون بضرب ظهورهم يمنة و يسرة بسلاسل الحديد أو الخشب ذى المسامير الحادة فيخرجون الدم منها. و يذكر هولستر أن نظام (حيدر آباد) كان قد أصدر في ١٩٢٧ فرمانا يمنع فيه الضرب على الصدور أو الظهور بالسلاسل و المسامير خلال محرم في ممتلكاته. ثم يقول ان الكثيرين من الشيعة في الهند و غيرها يستهجنون هذه العادة برغم عقيدتهم الراسخة بالحسين ضجيج كربلا .

و قد تمسح الدموع التي تذرف خلال محرم بالقطن أحيانا، و يجمع هذا القطن بالذات من قبل الشخص الحزين نفسه أو شخص مختص آخر.

و المعروف عن هذا القطن انه مفيد لشفاء بعض الأمراض و الأوجاع (٤).

و من طريف ما يذكره هولستر عن جميع هذه المآتم و الاحتفالات العزائية التي تقام في الهند خلال محرم، ان عددا غير يسير من أهل السنة و الهندوس يشاركون فيها و يعتقدون بها كذلك. و المقول هناك ان الطبقات الدنيا من الهندوس في مقاطعة (بيهار) يعبدون الحسن و الحسين بالفعل و يعتبرونهما في صف الآلهة، و ان النساء و الرجال من بين الطبقات العليا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٧٩

كذلك (مثل الكياشتا و الأغاروالا و الراجيوت) يندرون من أجل الحصول على النسل و الأولاد ان يقوموا ببعض الأدوار في مواكب محرم لعدة سنين؛ و خلال مدة حياتهم كلها في بعض الأحيان. و هؤلاء يمتنعون خلال محرم عن تناول الملح، و الطعام الحيواني، و يهجرون جميع وسائل الترف.

و تعتبر مختلف طبقات الهندوس في بارودا «التعزيات» التي تحمل في مواكب العزاء أشياء مقدسة، و هم يمارسون بعض الحركات للتبرك بها مثل المرور من تحتها أو رمي أنفسهم على الأرض في طريقها.

و لقد روى أحد الصحفيين ان الهندوس في جنوب الهند من جميع الطبقات، عدا البراهمة، يطلقون على كل علم من أعلام محرم «بير»، و لهذا صار يدعى علم الأمام على «لال صاحب». كما يعرف عن النساء العقيمات هناك انهن يرمين أنفسهن أمام أعلام محرم و يندرن الندور لها من أجل الحصول على الأولاد. و حينما يرزقن بهم يطلقون عليهم أسماء مثل (هوسانا) أو حسينا او فاطمة، او فقيرا، أو ما أشبه. و قد كان من المعروف في بارودا ان الرئيس، أو (الفيكوار) الهندوسى يرعى مراسيم العزاء في محرم بنفسه، و ان المهرجا الهندوسى في (غواليور) يقود المواكب كل سنة في عاصمته. و يقال ان منشأ هذا هو ان المهرجا كان قد مرض قبل خمسين او ستين سنة، فرأى ذات ليلة من ليالى مرضه الأمام الحسين في المنام فقيل له انه سوف يشفى و يبلى من مرضه في الحال اذا ما أقام مجلسا من مجالس التعزية في محرم باسم الحسين عليه السلام، و وزع الصدقات فيه. و قد فعل ذلك فشفى بأذن الله، فبقيت العادة حتى يومنا هذا، لكن المهرجا الحالى من نسله صار يكتفى اليوم بركوب حصان فاره يتقدم به موكب العزاء في يوم عاشوراء. و تقوم خزينة الدولة هناك بتسديد مصاريف الموكب.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٨٠

و قبل ان أنهى البحث عن محرم و عاشوراء لا بد لى من أن أشير هنا الى ان الكاتبة الانكليزية القديرة (فراياستارك) كانت قد كتبت فصلا صغيرا عن عاشوراء في كتابها المعروف بأسم «صور بغدادية». و تبدأ هذا الفصل بقولها ان الشيعة في جميع أنحاء العالم الإسلامى يحيون ذكرى الحسين و مقتله و يعلنون الحداد عليه في عشرة محرم الأولى كلها، حتى يصل بهم مد الأحران البطيء الذى

يستولى على أنفسهم الى أوجه بمواكب العزاء التي تخرج في اليوم الأخير حامله النعش بجثته «المذبوحة». ثم تشير الى مواكب العزاء، و «السبايا» التي تمثل فيها وقائع معركة كربلا كلها. و هي تقول ان هذه المواكب التي تقام في بغداد و المدن المقدسة يعرف مجيئها من بعيد بصوت اللدم على الصدور العارية. ثم تأخذ بوصف مجلس تعزية للنساء في الكويت أخذت اليه بصورة متكررة. و تنتهي من الفصل بالأشارة الى ان الأطفال الإيرانيين الموجودين في الكويت يؤخذون الى (الملا) في اليوم العاشر من محرم ليمرر تحت ذقونهم امرارا رمزيا سكينه الكبيرة، دلالة على فروض التضحية و الفداء. ثم تعقب على ذلك قائلة و هكذا تمر الحقيقة الناصعة من الميثولوجيا الى الديانة الحققة، و من الديانة الى التصوف. و من المفيد ان نجدهم يتمسكون اليوم بهذه الطقوس البسيطة التي تدل على أول يوم فتحنا فيه أعيننا للوجود في هذا العالم، لئلا ننسى الأخوة الإنسانية.

و في فصلها الكبير عن النجف الذي كتبه في هذا الكتاب تأتي المس فرايا ستارك على ذكر كربلا و الحسين كذلك، فتقول: «... و على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٨١

مسافة غير بعيدة من هذه البقعة جمع ابنه الحسين الى جهة البادية و ظل يتجول حتى نزل في كربلا .. و هناك نصب مخيمه، بينما أحاط به أعداؤه و مناوئوه و منعوا موارد الماء عنه. و ما تزال تفصيلات تلك الوقائع واضحة جلية في أفكار الناس في يومنا هذا كما كانت قبل (١٢٥٧) سنة. و ليس من الممكن لمن يزور هذه المدن المقدسة ان يستفيد كثيرا من زيارته ما لم يقف على شيء من هذه القصة لأن مأساة الحسين تتغلغل في كل شيء حتى تصل الى الأسس. و هي من القصص القليلة التي لا يستطيع قراءتها قط من دون ان يتتأني البكاء». ثم تقول ان التاريخ قد توقف في كربلا و النجف منذ ان وقعت تلك الفاجعة، لأن الناس أخذوا يعيشون فيهما على ذكرى الكراهية لأعداء الحسين المظلوم.

و في ١٩٤٣ كتب المستر سيتون لويد، خبير الآثار القديمة في بغداد لعدة سنوات، كتابه الموجز تاريخ العراق من أقدم العصور إلى يومنا هذا و نشره باسم «الرافدان». و قد حلل في عدد من صفحات كتابه تحليلا بارعا موقف الامام على من معاوية، و خرج منه الى مقتل الحسين في كربلا.

و هو يقول ان الفظاعة التي اقترفت في المعركة و الفرع الذي أصاب المسلمين بقتله يكونان أسس «المسرحية الأليمة» التي تثير الطوائف الشيعية في العالم الإسلامي كله الى حد الحنق الديني في عشرة عاشوراء من كل سنة. فقد أحيط بالحسين و أتباعه، و غلبته كثرة الأعداء غلبة تامة، و مع أنه كان بوسعه ان يهرب فيعود الى المدينة غير ان عقيدته الصادقة بعدالة قضيته دفعته الى ان يسير فيما أقدم عليه قدما الى الأمام. و في الليلة التي سبقت يوم المعركة عزمت عصبته الصغيرة على الصمود فعمدت إلى القيام بعمل دراماتيكي موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٨٢

طويل بحفر خندق عريض من وراء المخيم، و ملئه بحزم الحطب الملتهب ليحول دون تقيهم فيها. و في صباح اليوم التالي قاد الحسين، و هو يمسك باحدى يديه القرآن و السيف بيده الأخرى، عصبته المستشهدة الى الموت المحتم.

و لم يفعل جند يزيد أكثر من ان يحيطوا بهم من بعيد و يمطرونهم بوابل من نبالهم فسقطوا واحدا بعد آخر حتى بقي الحسين فريدا لوحده. و كان من الممكن ان يستبقى هو نفسه، لكن ذلك لم يكن هو المطلوب في ذلك اليوم التاريخي المشهور. فقد تجمع ثلاثة و ثلاثون من أتباع بنى أمية و تضافروا بأسلحتهم فصوبوها إليه، و ديست جثته المتخنة بالجراح ثم احتر رأسه فأخذ إلى الكوفة .

ثم يقول المستر لويد ان من بقي على قيد الحياة من أسرة الامام على عليه السلام قد أطلق سراهم يزيد و سمح لهم بالعودة إلى مكة (الصحيح انهم عادوا الى المدينة). و ما زال آلهم و المتحدرين من نسلهم موضع احترام المسلمين و تبجيلهم حتى يومنا هذا. لكن الأئمة من آل البيت و هم على، و الحسن، و الحسين، و التسعة من أولادهم يقدسهم الشيعة و يعتبرونهم هم الخلفاء المحققين الوحيدين. و تعد قبورهم في الفرات الأوسط و خراسان نماذج بديعة للفن الإسلامي الرفيع، كما يعد كل واحد منها محجا للزوار

الشيعة.

ثم يأسف لأن جمال هذا الفن لا يمكن ان يتمتع به غير المسلمين، فيقول انه من المؤسف المفجع حقا ان يبقى جمال المسجدين المقدسين في كربلا- و النجف محجوبا إلى الأبد عن أعين الناس من غير المسلمين. و يستشهد في هذا الشأن بما كانت قد قالته (المس بيل) من قبل في نفس المآل خلال وصفها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٨٣

لكربلا الذي أوردناه في ضمن هذا البحث من قبل بصدد مجيئها إليها في ١٩٠٩. و يعقب لويد على ملاحظات المس بيل هذه بقوله: «.. ان ثلاثين سنة قد مرت على ما كتبه هي، و في هذا اليوم أجد نفسى منهمكا في تأسيس متحفين صغيرين في كربلا و النجف ليضمما بين جدرانهما بعض النفائس التي تأتي المس بيل على ذكرها حتى يكون من الممكن في النهاية ان يشارك الشيعة في التمتع بهذا الجمال الفنى غير المسلمين أيضا.»

كربلاء في دائرتي المعارف البريطانية و الاسلامية

و تصف قبل ما يقرب من ثلاثين سنة وصفا مقتضبا دائرة المعارف- البريطانية المعروفة كربلا .. فتقول انها بلدة من بلدان العراق الشهيرة تقع على درجة ٣٢ و ٤٠ ثانية شمالا، و ٤٤ ثانية شرقا، و تبعد عن بغداد بمسافة ستين ميلا في اتجاه جنوبى غربى و عن فرع الهندية من الفرات بعشرين ميلا، على حاشية بادية الشام. و قد بلغ عدد نفوسها في ١٩٣٥ (٦٥،٠٠٠) نسمة. و سكانها كلهم من المسلمين الشيعة تقريبا، و هي كالنجف لا يمكن أن يقيم فيها غير المسلمين من الناس. و يتفرع إليها من موقع يقع في شمال الحلة فرع خط سكة حديد بغداد- البصرة. و البلدة هي عاصمة لواء كربلا الذي يسمى بأسمها. و يبلغ عدد النفوس فيه كله (احصاء ١٩٣٥) ٢٩٠، ١٢٤ نسمة. و لا يخفى ان الاحصاء الأخير الذي جرى في هذه السنة (١٩٦٦) قد بلغ عدد نفوس المدينة وحدها فيه (٣٠١، ٨٣) نسمة، و عدد نفوس اللواء كله (٦٩٢، ٣٣٩) نسمة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٨٤

ثم يقول: و تعد كربلا من المراكز الدينية المقدسة التي يقصدها الشيعة للزيارة من أنحاء العالم الإسلامى كله، و تأتي في القداسة بعد مكة و النجف.

و يزورها الزوار من جميع الطبقات، كما يأتى إليها بالجنائز للدفن باعتبارها طريقا آمنا الى الجنة. و لما كانت في مثل هذا الوضع بالنسبة للزوار، و لكونها ميناء من موانئ البادية في الوقت نفسه، فان حركة تجارية غير يسيرة تنشط فيها عادة. و تتألف صادراتها في الدرجة الأولى من التمور و الجلود و الصوف و السلع الدينية. و تشتري كربلا لقاء ذلك بضائع مابخستر و السجاد و الشموع و التوابل و القهوة و الشاي. كما تعد الأراضي المحيطة بها من الأراضي الخصبة التي يسهل ارواؤها، و هناك مساحة غير قليلة منها مزروعة ببساتين النخيل و غيرها من الأشجار المثمرة.

و للقسم الخارجى الحديث منها شوارع واسعة نسيبا، لكن قسمها القديم الذي كان الأتراك قد هدموا أسواره في ١٨٤٣ تتعرج فيه الطرق و الأزقة الضيقة تعرجا غير يسير كما هي الحال في المدن الشرقية معظمها.

و في موقع هذا القسم من كربلا كان يزيد قد جرد جيشا لقتل الحسين بن على شهيد المسلمين سنة ٦٨٠ م. و تحيط المدينة اليوم بضريحه المقدس الذي تعلوه قبة مكسوة بالذهب و ثلاث منائر مذهبة كذلك. (الظاهر ان هذه الخلاصة قد كتبت قبل ان تهدم المنارة الثالثة و هي منارة العبد التي لم تكن مذهبة كذلك كما بينا قبل هذا).

و كربلا، مثل النجف، تدخلها واردات دينية كثيرة جدا لكنها لما كانت واقعة على حافة السهل الرسوبى الواسع فانها لا تعتبر مركزا لتبادل السلع الذي تجد طريقها إلى البادية فقط و انما يمكن ان تزرع فيها المحاصيل الزراعية بنجاح تام أيضا. و بالإضافة الى كونها

مرکز دینیا مرموقا هی نفسها فانها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٨٥

تعد مرکزاً مهماً كذلك يقع في طريق الزوار الذاهبين الى النجف والحجاج إلى مكة المكرمة في الحجاز.

أما دائرة المعارف الإسلامية التي مرت الاشارة اليها بكثرة في صدر هذا البحث فهي تصف كربلا في عهدا الأخير وصفا موجزا أيضا. إذ تقول ان كربلا التي يبلغ عدد نفوسها ما يزيد على الخمسين ألف نسمة، تعد أغنى المدن العراقية وأكثرها ازدهارا. ويعزى ازدهارها لا إلى تقاطر العدد الكبير من الزوار عليها لزيارة قبر الحسين فيها فقط، بل لأنها أهم نقطة يمر منها المسافرون الى النجف و مكة المكرمة كذلك. وهي بحكم موقعها على حافة السهل الرسوبي الفسيح تعد ميناء صحراويا مهما للتجارة مع داخلية الجزيرة العربية. ولعل هذه النبذة مستفاه من دائرة المعارف البريطانية كما يظهر من فحواها.

ثم تقول ان القسم القديم من البلدة، وما فيه من أزقة و طرق متموجة متعرجة يحاط بضاحية حديثة. ومع وجود عدد غير قليل من الايرانيين بين سكانها فان أغلبية السكان هم من العرب الشيعة. وأهم العشائر التي ينتمى اليها هؤلاء بنو سعد، و السلالمة، و الوزون، و الطهامزة، و النصاروة. و تعد أسرة آل الددة أغنى أسرة فيها، لأن السلطان سليم (الصحيح هو السلطان سليمان) كان قد أقطعهم مقاطعات واسعة الأرجاء حولها مكافأة لهم على اشرافهم على حفر نهر الحسينية و تعميمه.

و تطلق كلمة كربلا بمعناها الضيق على القسم الواقع الى الشرق من بساتين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٨٦

النخيل التي تحيط بالمدينة على شكل نصف دائري، أما البلدة نفسها فتسمى المشهد، او مشهد الحسين

و تقع الحضرة في صحن تبلغ مساحته ٣٥٤* ٢٧٠ قدما، و يحاط هذا الصحن بحجر و اووين متعددة. و يلاحظ ان جدرانته مزينة بنطاق متواصل من الزينة التي يقال انها تنطوى على آيات القرآن الكريم جميعها مكتوبة بالأبيض فوق أرضية زرقاء و تشغل الحضرة نفسها مساحة قدرها ١٥٦* ١٣٨ قدما. و يحاط الفناء الأساسى المستطيل الذى يكون الدخول اليه من الفناء المذهب الخارجى برواق مقبب يسمى الآن الرواق العجمى، و فيه يطوف الزوار حول الضريح المقدس الذى يبلغ ارتفاع صندوقه ست أقدام و طوله اثنتا عشر قدما. و هو محاط بمشربية من الفضة، يقوم بجنبها ضريح ثان أصغر فى حجمه، هو ضريح ابنه و رفيقه فى السلاح (على الأكبر).

هذا و ان الانطباع العام الذى تولده داخلية الحضرة فى نفس الداخل اليها عند الأصيل لا بد من ان يعد انطباعا مؤثرا خلافا، لأن ضوء المصابيح و الشموع التي لا يحصى عددها من حول الشباك الفضة ينعكس ألف مرة، و ألف أخرى، من السطوح البلورية الصغيرة التي لا- عد لها فيولد تأثيرا سحرى لا- تدركه أحلام الخيال. و يتناقص لآلاء هذه الانعكاسات، كما يقل سطوع الأنوار المنعكسة بالتدريج، كلما ارتفعت أشعتها إلى أعلى القبة فيقتصر الاشعاع و الانعكاس على عدد قليل من البلورات التي ينعكس عنها الضوء هنا و هناك فيلتصع فى الجو المعتم كما تلتصع النجوم فى كبد السماء .

و يزين الحير من جهة القبلة بزينه خلافة عالية الثمن. كما تقوم منارتان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٨٧

من جهتي المدخل فتعلوان فى السماء بين يدي القبة، اما المنارة الثالثة، و هى منارة العبد، فتقوم بين يدي الأبنية فى الجهة الشرقية من الصحن. و تتراجع الجدران المحيطة بالصحن من الجهة الجنوبية بمسافة تناهز الخمسين قدما.

و لا شك ان هذا الوصف يسبق التعديلات التي أدخلت على الصحن سنة ١٩٣٧ فأدت الى قلع منارة العبد و توسيع الصحن نفسه.

و جاء فى دائرة المعارف هذه كذلك ان البقعة هذه يوجد فيها مسجد لأهل السنة. و فى لصق الصحن من الجهة الشمالية توجد مدرسة كبيرة تبلغ مساحتها حوالى (٨٥) قدما مربعا، و لهذه المدرسة مسجدها الخاص. و على بعد ست مائة ياردة من شمالى شرقى الروضة الحسينية يقوم ضريح أخيه العباس بن على، و على الطريق المؤدى إلى خارج البلدة من جهة الغرب يقع موقع المخيم الذى

نصب فيه الحسين مخيمه الأصلي، أي (الخيمكاه). و اتخذ البناية المشادة فيه شكل خيمة من الخيم، و على جهتي المدخل منها صورتان حجرتان لسروج الابل.

و في الهضبة الصحراوية، الحماد، الممتدة في غرب البلدة تقوم مقابرها و مدافنها الكبيرة. و في شمال البساتين المحيطة بكر بلا تقع ضاحية البقير و حقولها و بساتينها، كما تقع في شمالها الغربي ضاحية القرء، و في جنوبها ضاحية الغاضرية و بساتينها. و من بين الأماكن القريبة التي يأتي على ذكرها ياقوت الحموي: العقر، و النوايح.

نتف متفرقة

هذا و لم أعثر على كتب غربية أخرى، غير ما ذكرت، تشير الى كربلا بشيء يلفت النظر أو يستحق التدوين، لا سيما بالنسبة للسنوات العشرين الأخيرة. على اني وجدت بعض النتف و الأخبار في كتاب لونكريك الموسوم موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٨٨

(العراق بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠) الذي أشرت اليه من قبل، و في كتاب أمريكي ظهر في ١٩٥٨ لمؤلف يدعى جورج هاريس تحت عنوان (العراق - سكانه و مجتمعه و حضارته).

فقد جاء في كتاب لونكريك ان خط سكة الحديد ما بين بغداد و البصرة قد أعيد فتحه بعد انتهاء الحرب العامة الأولى في نيسان ١٩٢١، و بعد ذلك بمدة و جيزة انشئ الفرع الممتد من المسيب و السدة الى كربلا.

و جاء في موضع آخر من الكتاب نفسه عن كربلا ان مظاهرات قد حصلت فيها سنة ١٩٢٧، و هي السنة التي نشر فيها كتاب النصولي عن تاريخ الاسلام و العرب الذي اعتقد ان بعض ما جاء فيه كان منافيا لآراء الشيعة و معتقداتهم على حد قوله. و كانت تلك المظاهرات قد تمت بتحريض من حزب النهضة الشيعي الذي كان يرأسه الحاج أمين الجرجنجي. على ان هذا التحريض لم يكن سببه حادثه كتاب النصولي وحدها، و انما حدثت حوادث سياسية أخرى كان يعارض فيها الحزب المذكور. و هاك ما يقوله المؤلف بالنص:

«.. ثم أخذ حزب النهضة يشنع بالوزيرين الشيعيين المشتركين في الوزارة و يندد بتعاونهما مع الحكومة، و عمد الى تنظيم المظاهرات في كربلا، و النجف، و كتابة المقالات الرنانة في صحفه، فأدى ذلك بياسين الهاشمي و كيل رئيس الوزراء الى سدها. و حينما اعترضت المقامات العليا عليه قدم استقالته من الوزارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٨٩

و هذا حدوه رشيد عالي الكيلاني».

و حينما يعمد المستر لونكريك في كتابه هذا إلى تحليل احوال العراق الاجتماعية و تقدمه، نراه يحلل تكاثف النفوس و احتشادهم في مختلف الأماكن و يذكر كربلا بالمناسبة مستندا على إحصاء ١٩٤٧. فقد ظهر بنتيجة هذا الاحصاء ان كثافة النفوس في كربلا تبلغ (٤٦) نسمة في الكيلومتر المربع الواحد، بينما تبلغ الكثافة في الحلة (٤٩) و هي اكثر المدن العراقية كثافة في السكان، و (٤٠) في بغداد. و يتطرق إلى الموضوع نفسه فيؤيد ما أوردناه هنا المستر هاريس.

و يعمد المستر هاريس كذلك الى تحليل إحصاء النفوس من نواح أخرى علاوة على هذا، فيأتي ذكر كربلا فيه. فهو يذكر ان الأجانب الموجودين في العراق بلغ عددهم في هذا الاحصاء (٨٢٨، ٧٣) نسمة أي حوالي واحد و نصف بالمئة من سكان العراق. و هم يتركزون غالبا في بغداد التي يوجد فيها (٢٠٤، ٢٩) منهم، و كربلا التي يوجد فيها (٦٧٠، ٢١) منهم، و البصرة التي يوجد فيها (١٢، ٠١٢) منهم.

ثم يتطرق إلى عدد البدو الموجودين في العراق، فيرد اسم كربلا بالمناسبة أيضا. فهو يذكر بالاستناد الى احصاء ١٩٤٧ ان عدد سكان

البدو في العراق يبلغ حوالي (٢٥٠،٠٠٠) نسمة، و ان نصف هؤلاء تابعون للواء كربلاء و لا- شك انه يعنى بذلك قبائل عترة التي يعيش قسم كبير منها في منطقة شفاعة و الأخيضر. اما النصف الآخر فيتبع الى بعض الألوية الأخرى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٩٠
على الوجه الآتي:

لواء الموصل ٧٠،٠٠٠، لواء المنتفك ٣٠،٠٠٠، لواء الدليم ٢٥،٠٠٠.

اما من النواحي الأخرى فيقول المستر هاريس ان رجال الدين الشيعة، و لا- سيما في كربلاء و النجف و مناطق الفرات الأوسط التي يحيط بهما كان يتكون منهم جهاز قيادة يستطيع تحريك المعارضة و توجيهها ضد سياسة الحكومة و مشاريعها في عهد الانتداب و ما بعده.

و في معرض البحث عن المرأة العراقية و مستواها الاجتماعي يتطرق هاريس الى ذكر الحجاب و الاختلاط بين المرأة و الرجل في المجتمع العراقي و مقدار انتشارهما في المدن و المناطق الريفية، و يقول ان الحجاب و انزال المرأة معروفان في المدن على الاخص مع ان دخول المدينة الغربية الى البلاد قد ادى الى اختفائهما تقريبا من بين نساء الطبقتين الوسطى و الراقية في بغداد. موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ٨؛ ص ٣٩٠

يعود فيشير الى ان انزال المرأة عن الرجل في المجتمعات ما زال هو القاعدة العامة في مراكز الألوية، و يحصل التشدد به على الأخص في كربلاء و النجف حيث يندر ان تسير المرأة غير متحجبة فيهما.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٩١

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

كربلاء قديما

كربلاء قديما ٩

الطف ١٨

قصر مقاتل ٢٠

الحائر ٢١

عين التمر ٢٦

شفاعة ٣١

الغاضرية ٣١

نينوى ٣٢

نهر العلقمي ٣٢

العقر ٣٨

عرض تاريخي مجمل لمصرع الحسين (ع)

مصرع ابي عبد الله الحسين (ع) ٤٥

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٩٢

الموضوع / الصفحة كربلاء في المراجع العربية

- كربلا في الحديث ٧٧
- كربلا في تاريخ الرسل و الملوك ٨٢
- كربلا في تاريخ المنتظم ٨٦
- كربلا في الكامل ٨٩
- كربلا في الجامع المختصر ٩٨
- في مختصر اخبار الخلفاء ٩٩
- في الحوادث الجامعة ١٠٠
- كربلا في منتخب المختار ١٠٣
- في تاريخ العراق بين احتلالين ١٠٥
- كربلا في الجغرافيا ١٣٨
- كربلا في الرحلات ١٤٠
- كربلا في الأدلة ١٥١
- ما ورد في المظان التاريخية
- كلمة ١٦٥
- كربلا في معجم البلدان ١٦٧
- كربلا في احسن التقاسيم ١٦٧
- المسعودي و كربلا ١٦٩
- ابن الاثير و الطف ١٧١
- كربلا في الفخرى ١٧٢
- ابن عماد الحنبلي و كربلا ١٧٢
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٩٣
- الموضوع الصفحة كربلا في التوفيقات الالهامية ١٧٣
- في دوحه الوزراء ١٧٤
- كربلا في حديقه الزوراء ١٧٦
- في موجز تاريخ البلدان العراقية ١٧٨
- كربلا في المحاضرات ١٨٤
- كربلا في المراجع الاستشراقية ١٨٧
- كربلا في المعاجم ١٩٥
- كربلا و ابو فراس الحمداني ٢٠٥
- اهم المصادر العربية و الغربية لذكر كربلا و الحسين (ع) ٢٠٧
- كربلا في الشعر
- الشيخ ابراهيم الكفعمي ٢١٣
- ابن هانيء الاندلسي ٢١٣

- ابو تمام ٢١٤
 ابو دهبيل الجمحي ٢١٤
 ابو فراس الحمداني ٢١٥
 ابو محجن بن حبيب ٢١٥
 السيد احمد الرشتي ٢١٥
 الشيخ جابر الكاظمي ٢١٥
 الحسين المغربي الوزير ٢١٦
 السيد حيدر الحلبي ٢١٧
 خضر عباس الصالحي ٢١٨
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٩٤
 الموضوع الصفحة رشيد الهاشمي ٢١٩
 سبط ابن التعاويذي ٢١٩
 سلمان هادي الطعمة ٢٢٠
 سليمان بن قتته ٢٢٠
 شبرمة بن الطفيل ٢٢١
 الشريف الرضي ٢٢١
 الصاحب بن عباد ٢٢٢
 طلائع بن رزيك (الملك الصالح) ٢٢٢
 عائكة بنت زيد ٢٢٥
 عبد الباقي العمري ٢٢٥
 عبد الحسين الحويزي ٢٢٩
 عبد الغفار الاخرس ٢٣٠
 عبد الله العلاليلي ٢٣٣
 فليح حسون ٢٣٣
 كاظم الازري ٢٣٤
 كثير عزة ٢٣٤
 الكميث بن زيد الاسدي ٢٣٥
 محسن ابو الحب ٢٣٥
 محمد حسن ابو المحاسن ٢٣٥
 محمد الحسين كاشف الغطاء ٢٣٧
 محمد علي كمونه ٢٣٧
 مرسى شاکر الطنطاوي ٢٣٨
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٩٥

الموضوع الصفحة مصعب بن الزبير ٢٣٩

معن بن اوس المزني ٢٣٩

مهدي الجواهري ٢٣٩

مهيار الديلمي ٢٤٠

موسى الطالقاني ٢٤٢

مير على ابو طيخ ٢٤٣

هاشم الكعبي ٢٤٤

كربلا في المراجع الغربية

كربلا في المراجع الغربية ٢٥١

اول من زار ضريح الحسين (ع) ٢٥٦

هدم المتوكل لقبر الحسين ٢٥٨

كربلاء في ٣٦٩-٧٢٧ هـ ٢٦٠

الشاه اسماعيل في كربلا ٢٦٣

السلطان سليمان في كربلا ٢٦٥

منارة العبد ٢٦٦

كربلا في القرن السابع عشر و الثامن عشر ٢٦٧

هجوم الوهابيين ٢٧٠

كربلا في اوائل القرن التاسع عشر ٢٧٥

واقعة نجيب باشا ٢٧٦

بعض مظاهر التجديد ٢٨٠

مشاهدات (تكسيرا) في كربلا ٢٨١

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص: ٣٩٦

الموضوع الصفحة كربلا في رحلة نيبور ٢٨٦

(لوفتس في كربلا) ٢٩٠

كربلا في رحلة (جون أشر) ٢٩٦

(مدام ديولافوا) في كربلا ٣٠١

الموظفون الانكليز في كربلا ٣٥٤

مؤتمر كربلا ٣٥٥

معارضة المجلس التأسيسي و انتخابه ٣٥٨

دونالدسون في كربلاء ٣٦١

التربة الحسينية ٣٦٧

محرم الحرام ٣٧٠

كربلا في دائرة المعارف ٣٨٣

البريطانية و الاسلامية نتف متفرقة ٣٨٧

الجزء التاسع

[المقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين

فى هذا الجزء من قسم الكاظمين نكون قد اصدرنا ستة اجزاء من موسوعة العتبات المقدسة اختص جزء منها (بالمدخل) و جزء (بمكة المكرمة) و جز آن (بالنجف) و جزء (بكر بلا) و نحن ماضون فى نشر كل جزء يتم تأليفه حتى ينتهى العمل كله من تاريخ عتبة واحدة او ينتهى معظم العمل فى بعض العتبات اذا شاء الله ذلك، اما انتهاء العمل من تاريخ العتبات كلها فأمر يتجاوز حدود المعقول، ذلك لان مثل هذا العمل يتطلب عمرا طويلا و جهودا متواصلة ليس من السهل توفيرها بأقل من ربع قرن على الأقل، فالأمل كله معقود على من يجىء بعدنا ليواصل العمل على هذه الطريقة، مستعينا بعدد من الأساتذة المتخصصين حتى ينجز العمل كله، و حتى يضع لهذه العتبات تاريخا صحيحا مستخلصا من الحوادث و الوقائع الصحيحة المجردة من شوائب الروايات و هو التاريخ الذى ظلت المكتبة الاسلامية العربية فى أمس الحاجة اليه منذ قيام هذه العتبات حتى اليوم.

و انه لما يسرنا كل السرور ان نكون قد وفقنا فى هذه المدة القصيرة الى ان نقطع مرحلة ربما كانت طويلة اذا ما قيست بوفرة الانتاج، و عورة الطريق، حتى لقد أصبحت الأجزاء التى صدرت من هذه الموسوعة موضع اهتمام من لدن عدد غير قليل من الجامعات الغربية المحترمة اضافة الى الجامعات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٦

الاسلامية، و هى اليوم تحتل من مكاتب ٢٥ جامعة كبيرة مقاما محترما من قسم الاستشراق.

و مما زاد نشاطنا فى تأليف هذه الموسوعة و المضى فى تأليفها بجد مستمر هو انضمام عدد آخر من كبار اساتذة الجامعات و حملة الاقلام من ارباب الاختصاص الى حظيرتنا و المشاركة معنا فى تأليف و تصنيف و ترجمة البحوث التى يستلزمها تأليف هذه الاجراء. و اننا لتتوقع ان يكون عدد اجزاء قسم الكاظمين عشرة اجزاء اى بما يقارب ان يكون عشرة امثال هذا الجزء، و كل ما نرجوه هو ان يزيد الله من توفيقنا، و يبارك عملنا الذى من ورائه لم نبتغ غير الخدمة الخالصة للعلم الخالص، و للحقيقة التى كادت تضع بسبب ما احاط بتاريخ هذه العتبات من غموض آنا، و مبالغات آنا آخر، و غمط للواقع بحيث اساء البعض منها الى التاريخ الاسلامى العام، و التاريخ العربى الخاص اساء آت غير مغتفرة، و الله من وراء القصد.

بغداد دار التعارف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٧

الكاظمية قديما بحث يتناول منطقة مدينة الكاظمين و ما يحاذيها و يجاورها من المدافن و المساجد قبل تمصيرها

إشارة

كتبه الدكتور مصطفى جواد خريج جامعة السوربون بباريس فى التاريخ العربى و الاستاذ بجامعة بغداد و عضو المجمع العلمى العراقى

بيغداد و المجمع العلمى العربى بدمشق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٩

الكازمية قديما

الكازمية منسوبة إلى لقب الامام موسى بن جعفر الصادق العلوي الحسيني، الملقب بالكاظم (ع)، وقد عرفت بهذه التسمية في عصرنا هذا، و كانت تعرف عند العامة بالكاظم على تقدير «بلدة الكاظم» و بالكاظمين على تقدير «بلدة الكاظمين» و عرفت قديما بالمشهد الكاظمي و بمشهد موسى ابن جعفر-ع- و بمقبرة قريش، و من المؤرخين من يريد الاعمام و الابهام فيسميه «مشهد باب التبن» لقرب مقبرة قريش من مقبرة باب التبن الواقعة- كانت- في شرقي مقابر قريش و سنأتي على ذكرها مع المواضع الخاصة بها القريبه منها. كانت أرض مقابر قريش أى دائرة الكازمية الحالية من الأرضين القديمة المسكونة التابعة لدولة الكشيين الذين جاؤوا في أواسط القرن الخامس عشر قبل الميلاد من الجبال الشمالية الشرقية من منطقة لورستان في ايران يقودهم زعيم لهم اسمه «كندش» فاحتلوا مدينة بابل و قارضين دولة بابل الأولى المعروفة باسم «الأمورية»، و اتخذوها مركزا لتنظيم أمورهم و تركيز سيطرتهم موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٠

و سلطانهم و تثبيت اداراتهم لأواسط ما يسمى بعد ذلك «العراق» و جنوبيه و قد ذكرت الكتابات التاريخية المسمارية أن عدده ملوكهم الذين حكموا في هذه البلاد «٧٦» سنة و سبعون ملكا حكموا «٥٧٦» سنة قمرية. و قد تعلم الكشيون اللغة البابلية السامية مع انهم كانوا من الآريين، و كتبوا بها و استعملوا ايضا اللغة السومرية الآرية فضلا عن لغتهم الكشية في جملة من أخبارهم و اقتبسوا الحضارة البابلية و اعتدوا بها، و كانت لهم اتصالات دولية واسعة بالملوك الميثانيين و الملوك الحثيين و الفراعنة بمصر و الشعوب المجاورة لهم فازدهرت التجارة في عصورهم و عم الرخاء البلاد في عهود العظماء من ملوكهم و كان منهم الملك «كاريكالزو» و هو الذى شيد للدولة عاصمة جديدة اطلق عليها اسمه المذكور و تعرف اطلالها و تلها العظيم اليوم بعقرقوف، و هذا التل هو بقية زقورة المدينة، و قد استحاتت مديرية الآثار العامة في المدينة لقي أثرية نفيسة من مصوغات و أوان من الفخار و كتابات يشاهدها الزائر معروضة في القاعة البابلية من المتحف العراقي، و لم نقف على اسم منطقة الكازمية في عصر الكشيين و لا- في عصور من حكموا قبلهم كالأكديين الساميين و البابليين و لا في عصر من حكموا بعدهم كالكلدانيين و الاخمينيين الايرانيين، و إنما نستطيع أن نذكر اسما لها يشبه الأسماء اليونانية و هو «قطربل» و هذا يدل على أن الاسم كان معروفا في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد و هو القرن الذى أنشئت فيه دولة السلوقيين اليونانيين بعد وفاة الاسكندر المقدوني، و قد دلت الاستحاتت القديمة على وجود نقود يونانية في تلك المنطقة مخلوطة مع نقود غيرها و ذلك يدل على أن أحد سكان هذه المنطقة في العهود الاسلامية عثر عليها في أثناء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١١

حفر أسس لداره أو لعمارة أخرى من العمارات، ففي سنة «٦٤٧» ه أمر الخليفة المستعصم بالله أمر بعمارة مشهد الامام موسى بن جعفر-ع- في مقابر قريش المذكورة. فلما شرع الفعل و البناء في ذلك وجدوا برنية أى بستوفة فيها ألف درهم قديمة منها يونانية عليها صور و منها ضرب بغداد و منها ما هو ضرب واسط، فعرضت على الخليفة. المذكور آنفا فأمر أن تصرف في عمارة المشهد فاشترها الناس بأوفر الأثمان و أهدى منها إلى الأكابر، فنقدوا إلى المشهد أضعاف ما كان حمل اليهم منها .

و وجدت دراهم يونانية أيضا في مقبرة الشهداء الآتى ذكرها من بعد و كانت في الغرب الجنوبي من مقابر قريش، و على صلة بمقابر باب حرب من الغرب فقد جاء في الكتاب الذى نقلنا منه خبر العثور على الدراهم اليونانية و غيرها في أخبار سنة ٦٤١ أن ميتا حمل الى مقبرة الشهداء ليدفن فيها فلما حفر الحفار قبرا له فوجد في الحفر جرة مملوءة دراهم يونانية و دراهم اسلامية مما ضرب بالمدينة المنورة فأحضرها الى المحتسب ببغداد فحملها المحتسب الى دار الوزير نصير الدين أحمد بن الناقد وزير الخليفة المستعصم بالله فأمره بالمضى الى المقبرة و اعتبار الحفر أى فتشه فحضر و حضر حول القبر فوجدوا جرة أخرى كان بها نحو عشرة آلاف درهم .

و كانت المنطقة التى فيها مقابر قريش تعرف في أيام الساسانيين بطسوج قطربل أى كورة قطربل و كانت تروى من نهر يتفرع من الجانب الأيمن من دجلة و يعرف بنهر دجيل و لا يزال عقيقه و مجارى شعبه و شاخاته ظاهرة بين البلدة المعروفة باسم «بلد» و بغداد،

و كان نهر يفصل بين طسوج قطربل و طسوج بادوريا في الجنوب يعرف بنهر الصراة يتخلج من نهر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٢

عتيق يأخذ ماءه من الفرات و عرف في أيام الساسانيين باسم نهر رفيل و في أيام العباسيين و بعدهم باسم نهر عيسى بن علي عم أبي جعفر المنصور.

و مقبرة الشهداء التي ورد ذكرها آنفا هي على المشهور مقبرة الشهداء المسلمين الذين حاربوا الخوارج قرب أرض الكاظمية فأثختهم الجراح و ماتوا فدفنوا هناك أعنى في غربي الكاظمية الجنوبي سنة ٣٧ هـ.

و قيل بل حملوا من ساحة الوغى في وقعة النهروان و هم مرتثون فأدر كهم الموت في ذلك الموضع، قال الخطيب البغدادي:

«و بالقرب من القبر المنسوب الى هشام (بن عروة بن الزبير بن العوام) بالجانب الغربي قبور جماعة تعرف بقبور الشهداء لم أزل أسمع العامة تذكر أنها قبور قوم من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كانوا شهدوا معه قتال الخوارج بالنهروان و ارتثوا في الوقعة ثم لما رجعوا أدر كهم الموت مدينة الكاظمين من الطائفة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٣

في ذلك الموضع فدفنهم على هناك و قيل ان فيهم من له صحبة و قد كان حمزة بن محمد بن طاهر ينكر أيضا ما اشتهر عند العامة من ذلك و سمعته يزعم أن لا أصل له و الله اعلم».

قلنا: إن اعتداد الخطيب البغدادي لحمزة بن محمد بن طاهر من المنكرين يشير الى غيره ممن يلقي الكلام على عواهنه، فقد ذكر الخطيب في تاريخه قبل ذلك في الكلام مسجد العتيقة المعروف قديما و حديثا بمسجد المنطقة القائم المعمور اليوم بين بغداد و الكاظمية ما هذا نصه: «قال الشيخ أبو بكر: و في سوق العتيقة مسجد تغشاه الشيعة و تزوره و تعظمه، و تزعم أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى في ذلك الموضع و لم أر أحدا من أهل العلم يثبت أن عليا دخل بغداد و لا روى لنا شيء غير ما أخبرنا به القاضي ابو عبد الله الحسين بن علي الصيمري قال أنبأنا أحمد بن محمد بن علي الصيرفي أنبأنا القاضي محمد بن عمر الجعابي الحافظ- و ذكر بغداد- فقال: يقال إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب اجتاز بها إلى النهروان راجعا منه و أنه صلى في مواضع منها فان صح ذلك فقد دخلها من كان معه من الصحابة.

قال الشيخ أبو بكر و المحفوظ أن عليا سلك طريق المدائن في ذهاب النهروان و في رجوعه و الله أعلم. حدثني أبو الفضل عيسى بن أحمد بن عثمان الهمداني قال سمعت أبا الحسن بن زرقويه يقول: كنت يوما عند أبي بكر الجعابي فجاءه قوم من الشيعة فسلموا عليه و دفعوا إليه صرة فيها دراهم ثم قالوا له: أيها القاضي إنك قد جمعت أسماء محدثي بغداد و ذكرت من قدم إليها و أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد وردها فمسألك أن تذكره في كتابك. فقال: نعم يا غلام هات الكتاب. فجيء به، فكتب فيه (و أمير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٤

المؤمنين علي بن أبي طالب يقال إنه قدمها) قال ابن زرقويه: فلما انصرف القوم قلت له: أيها القاضي هذا الذي ألحقته في الكتاب من ذكره؟ فقال:

هؤلاء الذين رأيتهم، أو كما قال:

قلنا: و زاد الخطيب و غيره توهين ما ذكره الشيعة من مرور الامام علي بن أبي طالب بهذه المواضع و نفى دخوله بغداد في العصر الذي كانت فيه قرية من القرى المشهورة المسكونة، و هؤلاء المنكرون كانوا من القرون المتأخرة بالنسبة الى وقعة النهروان، فلا حق لهم في انكار ذلك من غير رجوع الى التواريخ المعتمدة و الأخبار المسندة، و من يقرأ أخبار وقعة النهروان في تاريخ الطبري محمد بن جرير يعلم أن جيش الامام علي-ع- قد وطىء هذه الأرض القريبة من أرض الكاظمين، و سنذكر من غير تاريخ الطبري أن الامام عليا-ع- مرّ بقرية تعرف بقطفنا باسمها الأرامي الدال على قطف الثمار و هي التي صارت محلّة من محال بغداد الغربية أيام بني

العباس و وصفها ياقوت في معجم البلدان و ذكرها غيره.

[اخبار وقعة الخوارج]

قال الطبري في حوادث سنة ٣٧ و هو يروي أخبار وقعة الخوارج:

«و أرسل عدى بن حاتم الطائي إلى سعد بن مسعود الثقفي عامل على المدائن يحذره أمرهم- يعني أمر الخوارج- فحذر و أخذ أبواب المدائن و خرج في الخيل و استخلف بها ابن أخيه المختار بن أبي عبيد و سار في طلبهم، فأخبر عبد الله بن وهب الراسبي خبره فرأباً طريقه و سار على بغداد و لحقهم سعد بن مسعود الثقفي بالكرخ في خمسمائة فارس عند المساء، فانصرف إليهم عبد الله في ثلاثين فارسا فاقتتلوا ساعة، و امتنع القوم منهم، و قال أصحاب سعد لسعد: ما تريد من قتال هؤلاء و لم يأتك أمر؟ خلهم فليذهبوا و اكتب الي أمير المؤمنين فان أمرك بتابعهم اتبعتمهم و إن كفاكم غيرك كان في ذلك عافية لك. فأبى عليهم فلما جن الليل خرج عبد الله بن وهب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٥

الراسبي فعبر دجلة إلى أرض جوخا و سار إلى النهروان فوصل إلى أصحابه و قد أيسوا منه و قالوا: إن هلك و لنا الأمر زيد بن حصين أو حرقوص ابن زهير، و سار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم فردهم أهلهم كرها... قال ابو مخنف حدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله ابن عون قال: لما أراد على المسير إلى أهل النهر من الأنبار قدم قيس بن سعد بن عبادة و أمره أن يأتي المدائن فينزلها حتى يأمره بأمره، ثم جاء مقبلا إليهم و وافا قيس سعد بن مسعود الثقفي بالنهر و بعث إلى أهل النار:

ارفعوا إلينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم أنا تارككم و كاف عنكم حتى ألقى أهل الشام فلعل الله يقلب قلوبكم و يردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم... قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أيمن عن زيد بن وهب أن عليا أتى أهل النهر فوقف عليهم فقال: أيتها العصابة التي أخرجها- عداوة- المرار و اللجاجة، و صدّها عن الحق الهوى، و طمح بها النزق، و أصبحت في اللبس و الخطب العظيم، إنني نذير لكم ان تصبحوا تلفكم الأمة غدا صرعى بأثناء هذا النهر و باهضام هذا الغائط» .

و إذا استخلصنا هذا الخبر نستطيع أن نقول إن الخوارج في هربهم من الكوفة أرادوا التوجه إلى المدائن أيام كانت من مدن العراق الكبيرة الحصينة ليتخذوها معقلا، فمنعوا من دخولها فارتفعوا نحو الشمال و مروا ببغداد حين كانت قرية من القرى المشهورة على دجلة في أرض الصالحية الحالية من غربى بغداد، و تعقبهم قائدان من قواد الامام على-ع- و عامل من عماله هو سعد بن مسعود الثقفي فلحق بهم في الكرخ أيام كانت قرية كبيرة محصنة كما يدل عليها اسمها، و كانت بين أرض الشالحيّة و الفلاحات من الجانب الغربى، و الشالحيّة مجاورة لأرض العتيقة المعروفة بقرية «سونايا» قديما و فى عهد الامام على-ع- و قبله و بعده حتى عصر العباسيين فقد سمّوها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٦

«العتيقة» لأنها أقدم زما و وجودا من مدينة السلام التي أنشأها أبو جعفر المنصور فى شمالها الغربى، و كان قريبا من الشالحيّة موضع مقبرة الشهداء المذكورة آنفا، و نستخلص أيضا أن جيش سعد بن مسعود الثقفي و عصابة الخوارج اقتتلوا ساعة قرب الكرخ، و لم يكن بد من أن تكون بين الفريقين جراحات مثنخة فيهم أدت الى موت عدة فرسان من جنود الامام على فدفنوا هناك، و تسمّوا الشهداء، و نستخلص بعد ذلك أن الخوارج قد هرب معظمهم من نواحي الكرخ متجهين إلى الشرق بعد عبورهم دجلة و بقى عبد الله بن وهب الراسبي مع الباقيين من الثلاثين فارسا الذين حاربوا جنود الامام على-ع- فلما أطلّ عليه الليل لحق بأصحابه عابرا دجلة أيضا قرب أرض الكاظمية، ثم اتجه نحو طريق بعقوبا و التقى القوم عند فم النهروان وقعت وقعة النهروان قبل عبور الخوارج النهروان. و نستخلص أخيرا أن الامام عليا-ع- فى تعقبه الخوارج سلك طريق الأنبار و أقام فيها و قدم عليه بها قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى

الأنصاري ثم انحدر الامام -ع- من الأنبار نحو الخوارج و هذا معناه أنه سلك طريق الفلوجة فبغداد ليعبر دجلة إلى نواحي النهروان من المعبر المشهور عند قصر سابور قرب موضع مدرسة الكرخ الثانوية الحالية و هو المعبر الذي عبرت منه سرية خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ و لكن من الشرق الى الغرب لا من الغرب الى الشرق كما فعل الامام علي -ع- . و في أثناء قدوم علي بغداد و نواحيها، و فراغه من حرب الخوارج مّر بقريه «قطفنا» التي قدمنا ذكرها و مظنة خبرها، قال مؤلف كتاب إثبات الوصية: «و روى أنه -ع- اجتاز في طريقه إلى الشام ببادوريا فخرج أهل قريه منها يقال لها قطفنا فشكوا إليه ثقل الوضائع في الخراج و أنها مخالفة لسائر وضائع السواد بالعراق، فقال لهم و بالنبطية «و غرار و طاموغزريا» ، يعنى (رب جحش صغير خير من حمار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٧

كبير) فكانوا كلموه بالنبطية فأجابهم بكلامهم ثم قال لهم: أنتم تبيعون ثماركم بضعف ما يبيعها غيركم من أهل السواد» . و بعد نقلنا هذه النصوص التاريخية الواضحة تتهدى في درك الباطل و البطلان أقوال من أنكر قدوم الامام علي -ع- بغداد و نواحيها و صلى في براثا إحدى القرى المجاورة لها و دخل حماما هناك فاستحم فيه، و بطل أيضا إنكار ياقوت الحموي في الكلام على براثا من معجم البلدان، و بقي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٨

الاختلاف في الموضوع الذي استحم فيه و صلى أهو براثا على التحقيق أم سونايا المعروفة بعد ذلك المعروفة بعد ذلك باسم العتيقة؟ و إنّا ذاكرون مختلف الأقوال فيما يلي السطر.

براثا و مسجدها

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: «براثا بالثاء المثناة و القصر ..

و كانت قبل بناء بغداد قرية يزعمون أنّ عليا مّر بها لما خرج لقتال الحرورية بالنهروان و صلى في موضع من الجامع ... و ذكر انه دخل حماما كان في هذه القرية و قيل: بل الحمام التي دخلها كانت بالعتيقة: محله ببغداد خربت» و قال قبل ذلك «براثا ... محله كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ و جنوبي باب محوّل و كان لها جامع مفرد تصلى فيه الشيعة و قد خرب عن آخره و كذلك المحله و لم يبق لها أثر (أى سنة ٦٢٥ هـ) فأما الجامع فأدركت بقايا من حيطانه و قد خربت في عصرنا و استعملت في الأبنية ...»

و في هذا الخبر تمييز من جامع براثا و موضعه و من موضع العتيقة و سوقها اللذين قدمنا الكلام عليهما آنفا نقلا عن تاريخ الخطيب و تعيين الموضع الجامع بأنه كان في قبلي الكرخ، و قد ذكرنا تعيين الكرخ سابقا بأنه كان بين موضع الشالحيه و الفلاحات، فجامع براثا كان في غربى هذه المواضع، و قال الخطيب البغدادي: «و كان في الموضع المعروف ببراثا مسجد يجتمع فيه قوم مّمن ينتسب إلى التشيع و يقصدونه للصلاة و الجلوس فيه فرجع الى المقتدر بالله أن الرافضة يجتمعون في ذلك المسجد لسبب الصحابة و الخروج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٩

عن الطاعة فأمر بكبسه يوم جمعه وقت الصلاة فكبس و أخذ من وجد فيه فعوقبوا و حبسوا حبسا طويلا و هدم المسجد حتى سوى بالأرض و عفى رسمه و وصل بالمقبرة التي تليه و مكث خرابا إلى سنة ثمان و عشرين و ثلاثمائة فأمر الأمير بجكم باعادة بنائه و توسعته و إحكامه فبنى بالحصّ و الآجر و سقف بالساج المنقوش و وسع فيه بعض ما يليه اسما مما ابتاع له من املاك الناس و كتب في صدره اسم (الخليفة) الراضى (بالله) و كان الناس ينتابونه للصلاة فيه و التبرك به، ثم أمر المتقى لله بعد نصب منبر فيه كان بمسجد مدينة المنصور معطلا مخبوءا في خزانه المسجد عليه اسم هارون الرشيد، فنصب في قبلة المسجد و تقدم الى أحمد بن الفضل بن عبد الملك الهاشمي - و كان الامام في جامع الرصافة- بالخروج إليه و الصلاة بالناس فيه الجمعة، فخرج و خرج الناس من جانبي مدينة السلام حتى حضروا هذه في هذه المسجد و كثر الجمع هناك و حضر صاحب الشرطة فأقيمت صلاة الجمعة فيه يوم الجمعة

لثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة تسع وعشرين و ثلاثمائة، و توالى صلاة الجمعة فيه و صار من مساجد الحضرة (يعنى بغداد) و أفرد أبو الحسن أحمد بن الفضل الهاشمي بامامته و أخرجت الصلاة بمسجد جامع الرصافة عن يده» و قال الخطيب بعد ذلك: «فأدرت صلاة الجمعة و هي تقام ببغداد في مسجد المدينة (يعنى مدينة المنصور) و مسجد الرصافة، و مسجد دار الخلافة (يعنى مسجد سوسق الغزل) و مسجد برائا، و مسجد قطيعة أم جعفر و تعرف بقطيعة الرقيق، و مسجد الحربية، و لم تزل على هذا إلى أن خرجت بغداد سنة إحدى و خمسين و اربعمائه تم تعطلت في مسجد برائا فلم تكن تصلى فيه». و جاء في أخبار سنة «٤٢٠ هـ» ما يفيد أن الشيعة كانوا مسيطرين على جامع برائا في ذلك العصر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٠

و قد وهم ياقوت الحموي في خبر كبس جامع برائا في معجم البلدان و قال: «فكبسه الراضى بالله و أخذ من وجدته فيه و حبسهم و هدمه حتى سوى بالأرض و انتهى الشيعة خبره الى بجكم الماكانى أمير الأمراء ببغداد فأمر بإعادة بنائه و توسيعه و إحكامه و كتب فى صدره اسم الراضى، و لم تزل الصلاة تقام فيه الى بعد الخمسين و اربعمائه تم تعطلت الى الآن». إن ياقوتا جعل الكبس باسم الراضى مع أنه كان بأمر المقتدر كما نقلنا من تاريخ الخطيب البغدادي. و قد اتيد ابن عبد الحق البغدادي قول الخطيب فى كتابه مراصد الاطلاع.

مسجد العتيقة و مشهدها «المنطقة»

ذكرنا اختلاف المؤرخين و الرواة فى الموضع الذى صلى فيه الامام على -ع- و استحم فيه، و قد ذكرنا تاريخ أحد الموضعين، و هو برائا، أما الموضع الثانى فهو مشهد العتيقة و مسجدها و هو المعروف قديما و حديثا باسم «المنطقة» و كانت قرية تعرف قديما باسم سونايا الارامى قال ابن عبد الحق البغدادي فى مراصد الاطلاع: «سونايا، بضم أوله بعد الواو الساكنة و بعد الألف ياء مثناة من تحت و ألف مقصورة، قرية قديمة كانت ببغداد ينسب العنب الأسود اليها الذى يتقدم و يبكر على سائر العنب مجناه، و لما عمرت بغداد صارت محللة من محالها و هي (العتيقة) و بها مشهد لعلى بن أبى طالب -ع- يعرف بمشهد «المنطقة» فى هذا النص تصريح باسم المنطقة المعروف المتعارف حتى فى هذه الأيام، و هو نص يدحض الى أبد الأبد قول من يسمي مسجد المنطقة «بجامع برائا».

و لا تمام ذكر النصوص المويده لما قدمنا نقل ما ذكره ابن عبد الحق و غيره قال ابن عبد الحق: فى مراصده: «العتيقة بفتح أوله و كسر ثانيه: محله ببغداد بالجانب الغربى ما بين طاق المرانى الى باب الشعير و ما اتصل به من شاطئ دجلة و إليها تنسب القنطرة العليا التى على الصّراء، و سميت العتيقة لأنها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢١

كانت قبل بناء بغداد قرية يقال لها سونايا و إليها ينسب العنب الأسود، و مساكن هذه القرية مكان هذه المحلة». فتأمل توحيد ابن عبد الحق بين ما سماها سونايا و ذكر فيها «مشهد المنطقة» القائم حتى اليوم و إن كان مجددا و بين العتيقة، و لكنه حين ذكر جامع برائا ميّزه عن العتيقة و سونايا أوضح التمييز قال: «برائا بالثاء المثناة و القصر: محله كانت فى طرف بغداد فى قبلى الكرخ و بنى بها جامع كانت تجتمع به الشيعة و يسبون الصحابة فيه فأخذ الراضى من وجد فيه و هدمه ثم أعاده بجكم و وسعه و كتب اسم الراضى فى صدره و أقيمت به الجمعة الى ما بعد الخمسين و اربعمائه ثم قطعت منه و خرب، و آثاره باقية الى الآن».

بقى إلى ما بعد سنة سبعمائة الهجرية أى البرهه التى ألف ابن عبد الحميد الكتاب لأنه توفى سنة ٧٣٩ هـ. و قد اختصر ابن عبد الحميد كلام ياقوت على هذا المسجد و قد نقلناه آنفا و وهم مثله فى اسم الخليفة الذى هدمه و هو المقتدر بالله كما نقلنا من تاريخ البغدادي لا- الراضى بالله، و أفاد ابن عبد الحق ان آثار الجامع كانت باقية فى القرن الثانى للهجرة و لكنها آثار لا عمارة قائمة كاملة المرافق المسجدية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٢

مقابر قريش

قدمنا في أول هذا البحث أن داره الكاظمية كانت تعرف بمقابر قريش و نذكر أن السبب في تسميتها بهذا الاسم هو أن أبا جعفر المنصور بعد أن أنشأ مدينته المعروفة بمدينة السلام تفاقولا بسلامه دولته من الخطر و الضرر، سنة ١٤٥ هـ أصابه الزمان بوفاء ابنه جعفر الأكبر الذي حقق باسمه كنيته و كانت الوفاة سنة «١٥٠» هـ فاتخذ مقبرة جديدة في أرض داره الكاظمية الحالية و سماها «مقبرة قريش» أو «مقابر قريش» بالجمع، و هذا الاسم يدل على أن الموتى الذين كانوا يدفنون فيها كانوا من قريش خاصة كالعباسيين و العلويين، و لكن هذا الشرط لم يحافظ عليه بعد ذلك. و قد دفن أبو جعفر جعفرا المقدم ذكره فيها ثم دفن فيها أبو يوسف القاضي الأنصاري سنة ١٨٢ هـ. و لم يكن قرشيا كما هو معلوم، ثم دفن فيها الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق -ع- سنة ١٨٣ هـ و بعد ذلك بعدة سنين دفن إلى جنبه الامام محمد الجواد حفيده سنة ٢١٩ هـ، قال الخطيب البغدادي:

«بالجانب الغربي في أعلى المدينة مقابر قريش دفن فيها موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب و جماعة من الأفاضل معه ...

سمعت الحسن بن ابراهيم أبا علي الخلال يقول: ما همنى أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به الا سهل الله تعالى لى ما أحب» ثم أسند الى محمد بن خلف و كيع قال: «و كان أول من دفن فى مقابر قريش جعفر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٣

الأكبر بن المنصور» ثم قال الخطيب: «سمعت بعض شيوخنا يقول:

مقابر قريش كانت قديما تعرف بمقبرة الشونيزى الصغير، و المقبرة التى وراء التوتة تعرف بمقبرة الشونيزى الكبير، و كان أخوان يقال لكل واحد منهما الشونيزى، فدفن كل واحد منهما فى إحدى هاتين المقبرتين و نسبت المقبرة إليه . أما الشونيزية الحقيقية فهى المعروفة اليوم بمقبرة الشيخ جنيد البغدادي الصوفى غربى قبر معروف الكرخى .

و أثر التخليط واضح على هذا الخبر، فلم يرد ذكر الشونيزى الصغير إلا فيه، و لو كانت مقابر قريش تعرف بمقبرة الشونيزى الصغير لقليل إنها كانت مقبرة قبل اتخاذ المنصور لها، بالتحقيق و التأكيد، و لورد ذكرها فى الأقل فى خبر وفاء جعفر الأكبر و قيل إنه دفن فى مقبرة الشونيزى الصغير التى عرفت بعد ذلك بمقبرة قريش أو مقابر قريش، ثم يقال: كيف يدفن الأخوان متباعدا قبرا هذا التباعدا؟ هذا و قد ذكر ياقوت الحموى و مؤلف المراسد أن المنصور هو الذى جعل أرض مقابر قريش مقبرة، قال فى المراسد: «مقابر قريش ببغداد مقبرة و محللة فيها خلق كثير و عليها سور، بين مقبرة الامام أحمد و الحريم الطاهرى و بها مشهد قبر موسى بن جعفر و ابن ابنه الجواد، و كان أول من دفن فيها جعفر الأكبر ابن المنصور و جعلها المنصور مقبرة لما ابنتى مدينته».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٤

و قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان: «مقابر قريش ببغداد و هى مقبرة مشهورة و محللة فيها خلق كثير و عليها سور، بين الحربية و مقبرة أحمد ابن حنبل -رض- و الحريم الطاهرى و بينها و بين دجلة شوط فرس جيد و هى التى فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الامام الحسين بن على بن أبى طالب، و كان أول من دفن فيها جعفر الأكبر بن المنصور أمير المؤمنين فى سنة (١٥٠ هـ) و كان المنصور أول من جعلها مقبرة لما ابنتى مدينته سنة ١٤٩». و قال فى قريش من معجم البلدان أيضا: «و هى عدة مواضع سميت بأصحابها منها مقابر قريش ببغداد و هى مقابر باب التبن التى فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق و ابن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين الشهيد بكر بلاء بن على بن أبى طالب -رضى الله عنهم- فنسب إلى قريش القبيلة».

قلنا: وفي تسمية ياقوت مقابر قريش بمقابر باب التبن تسامح بل تهاون، فالمقبرتان مختلفتان وإن كانتا متجاورتين، فهو يقول في باب التبن:

«باب التبن بلفظ التبن الذي تأكله الدواب- اسم محله كانت ببغداد على الخندق بازاء قطيعة ام جعفر، و هي الآن خراب صحراء يزرع فيها و بها قبر عبد الله ابن أحمد بن حنبل- رضى الله عنه- دفن هناك، بوصية منه و ذاك أنه قال: قد صحّ عندي أنّ بالقطيعة نبيا مدفونا و لأن أكون في جوار نبي أحب إليّ من أن أكون في جوار أبي. و بصلق هذا الموضع مقابر قريش التي فيها قبر موسى الكاظم ابن جعفر الصادق و ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الامام الحسين بن الامام علي بن ابي طالب- رضى الله عنهم- و يعرف قبره بمشهد باب التبن، مضاف إلى هذا الموضع و هو الآن محله عامرة و ذات سور مفردة».

فقوله و يعرف قبره بمشهد باب التبن جدير بأن يضاف اليه: «عند من يريد أن يغمض اسمه من المغمضين. المدلسين، فقبر عبد الله بن أحمد ابن حنبل أولى أن يسمى تلك التسمية لأنه كان في تلك المقبرة نفسها و أما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٥

قبر الامام موسى فهو المعروف بمشهد الامام موسى بن جعفر و بالمشهد الكاظمي كما ذكرنا من قبل.

المواقع المجاورة لمقابر قريش قديما

ذكرنا أن منطقة الكاظمية كانت قديما من نواحي عرقوف التي كانت تسمى في عصور الدولة الكشيية «دوركاريكالزو» و قد سماها الآراميون «عرقوف» قال ياقوت في معجم البلدان: «عرقوف هو عقر أضيف اليه فصار مركبا مثل حضر موت و بعلبك ... و هي من نواحي دجيل بينها و بين بغداد أربعة فراسخ و إلى جانبها تل عظيم من تراب يرى من خمسة فراسخ كأنه قلعة عظيمة لا يدري ما هو، إلا أن ابن الفقيه ذكر أنه مقبرة الملوك الكيانيين و هم ملوك كانوا قبل آل ساسان من النبط و إياه عنى أبو نواس بقوله:

إليك رمت بالقوم هوج كأنما جماجمها تحت الرحال قبور

رحلن بنا من عرقوف و قد بدامن الصبح مفتون الأديم شهير

فما نجدت بالماء حتى رأيتها مع الشمس في عيني أباغ ثغور

و قد ذكر أهل السير أن هذه القرية سميت بعرقوف بن طهمورث الملك ...

و كان زيد بن وديعه (الجلبي) قد قدم العراق في خلافة عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- فنزل بعرقوف. سمعت أن ابن أبي قتيبة يقول: ما أخذ ملك الروم أحدا من أهل بغداد إلا سأله عن تلّ عرقوف فان قال له:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٦

اته بحاله قال: لا بد أن أطأه. فصار ولده (أى ولد زيد بن وديعه) بها يقال لهم بنو عبد الواحد بن بشير بن محمد بن موسى بن سعد بن زيد بن وديعه، و ليس بالمدينة منهم أحد، و شهد زيد بن وديعه بدرا واحدا».

و لم ننقل أخبار عرقوف القديمة في معجم البلدان اعتمادا على صحتها، فلا صلة لعرقوف بالكيانيين و لا الملك المزعوم أنه عرقوف بن طهمورث، و الصحيح ما ذكرناه من تاريخها في أول هذا البحث و كثرنا بعضه في صدر الكلام على هذا الموضع هنا.

أسلفنا من القول أن المنطقة القائمة في عصرنا بين الكاظمية و بغداد كان يعرف موضعه باسم «سونايا» الآرامي، و سمي في أول قدوم المنصور منطقة بغداد «العتيقة» و نقلنا من مرصد الاطلاع أنّ في سونايا أى مشهدا منسوباً إلى الامام عليّ بن أبي طالب-ع- يعرف بمشهد المنطقة، و لا يزال هذا الاسم هو الغالب على هذا المسجد الشيعي المقدس، و أظهرنا خطأ من سماه «مسجد براتا» لأن ذلك المسجد كان في جهة قبلة الكرخ و قد زال منذ عصور، و مسجد المنطقة في شرقي الكرخ الشمالي، و قد ذكر ياقوت الحموي سونايا و العتيقة في معجمه قال: «سونايا بضمّ أوله و بعد الواو الساكنة نون و بعد الألف ياء ياء مثناة من تحت و ألف مقصورة: قرية قديمة

كانت ببغداد ينسب إليها العنب الأسود الذي يتقدم و يبكر على سائر العنب مجناه، و لما عمرت بغداد دخلت هذه القرية في العمارة، و صارت محلّة تعرف بالعتيقة و بها مشهد لعليّ بن أبي طالب- رضی الله عنه- و قد درست الآن». يعنى المحلّة.

آخر صورة لبهو جامع برائنا اليوم

ثم قال: «العتيقة، بفتح أوله و كسر ثانيه بلفظ ضد الجديدة: محلّة ببغداد في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٧

الجانب الغربي ما بين طاق الحراني إلى باب الشعير و ما اتصل به من شاطيء دجلة، و سميت العتيقة، لأنها كانت قبل عمارة بغداد قرية يقال لها سونيا و هي التي ينسب إليها العنب الأسود. و كانت منازل هذه القرية في مكان هذه المحلّة و ما حولها مزارع و بساتين».

قطربل

قال ياقوت الحمويّ: «قطربل بالضم ثم السكون ثم فتح الراء و باء موحدة مشدّدة مضمومة و لام، و قد روى بفتح أوله و طائه، و أما الباء فمشدّدة مضمومة في روايتين و هي كلمة أعجميّة: اسم قرية من بغداد و عكبرا ... و قيل هو اسم المسوّج طساسيج ببغداد أي كوره، فما كان شرقيّ (نهر) الصراء فهو بادوريا، و ما كان غربيّها فهو قطربل» و كان قبل ذلك قد قال إنها قرية كما نقلناه و اتبعه قوله: «ينسب إليها الخمر، و ما زالت منتزها للبطالين و حانئ للخمارين و قد أكثر الشواء من ذكرها ...

قال البيّغاء يذكر قطربل و هي شماليّ بغداد و كلواذا و هي جنوبيّها:

كم للصبابة و الصبا من منزل ما بين كلواذا إلى قطربل

جادته من ديم المدام سحابة أغنته عن صوب الحيا المتهلل

غيث إذا ما الراح أو مض برقه فرعوده حتّ الثقل الأول

نطقت مواقع صوبه بسحابة تهيمى على كرب الفؤاد فتجللى

راضعت فيه الكأس أهيف ينثنى نحوى بجيد رشا و عيني مغزل

فأتى و قد نقش الشعاع بنانه بممّوج من نسجها و مبقّل

و كسا الخضاب بها بنانا ياله لو أنه من وقته لم ينصل

و قال جمظة البرمكى:

قد أسرفت في العذل مشغولة بعذل مشغول عن العذل

تقول هل أقصرت عن باطل أعرضه عن دينك الأول

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٨ فقلت ما أحسبني مقصرا ما أعصرت راح بقطربل

و ما استدار الصدغ في ناعم مورّد كاللهب المشعل

قالت فأين الملتقى بعد ذاقلت: بين الدنّ و الميزل

و قال ياقوت في المشترك و ضعا المختلف صقعا: «قطربل موضعان، كفتح القاف و سكون الطاء و فتح الراء و تشديد الباء الموحدة و ضمّها و لام، قطربل: قرية مشهورة بين بغداد و عكرا، كانت مجمعا للخلفاء و مألفا لأهل القصف و الشعراء و قد أكثروا فيها الشعر». و لقطربل ذكر حسن في كتاب الديارات للشابسيّ.

و قد كرّر ياقوت كون «قطربل» بين بغداد و عكبرا. و هو عندي و هم من اعتماد على ما أنا ناقله من كتاب مراصد الاطلاع لأن عكبرا كانت في الجانب الشرقي من دجلة و قطربل في الجانب الغربي و بعد القرن السادس تحوّل مجرى دجلة نحو الشرق عدّة كيلومترات فصارت عكبرا في الجانب الغربي، فكان الصواب ان يقول إنها كانت بين بغداد و المزرفة. و قد ذكرنا و هم ياقوت في عقرقوف قال

ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع: «قطربل ...

قال (ياقوت): قرية بين بغداد و عكبرا. قلت: بين بغداد و المزرقة لأن عكبرا من الجانب الشرقي و هي في الغربي و بينها فراسخ و اليها ينسب الطسوج الذي هي فيه فيقال: طسوج قطربل و ما فوق الصراة من أسافل سقى الدجيل فهو من طسوج قطربل و هي شمالي بغداد، يضاف اليها الخمر و الحانات و هي الآن سنة ٧٣٩ خراب.

المزرقة

قال ياقوت في معجم البلدان: «المزرقة بالفتح ثم السكون وراء مفتوحة وفاء: قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة بينها و بين بغداد ثلاثة فراسخ و إليها ينسب الرمان المزرقي، كان فيها قديما، فأما اليوم فليس بها بستان البتة و لا رمان و لا غيره و هي قرية قريبة من قطربل ...»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٩

مقبرة الشهداء

بسطنا القول آنفا في موضع مقبرة الشهداء و السبب في تسميتها بهذا الاسم و ذكرها ياقوت في معجم الأدياء و لم يعرف سبب التسمية، قال: «مقابر الشهداء ببغداد، إذا خرجت من قنطرة باب حرب فهي نحو القبلة عن يسار الطريق، لا أدري لم سميت قال أبو الفرج بن الجوزي في ترجمته السمرقندي المتوفى سنة ٥٣٦ هـ انه دفن في مقبرة الشهداء» و ذكر إنكار ابن الجوزي لحقيقتها و جاء في مختصر مناقب بغداد «و أما المقبرة التي يقال إنها مقبرة الشهداء فوق قبر أحمد بن حنبل فان العوام يقولون: هؤلاء جماعة كانوا مع علي - عليه السلام - في قتال الخوارج بالنهروان و ماتوا هناك. و هذا شيء لا أصل له» و قد نقلنا مثل ذلك من قبل عن تاريخ الخطيب و فندناه تفنيدا مبينا، إلا أن الراجح هو أن أولئك استشهدوا قبل وقعة النهروان بقليل و كانت الوقعة بينهم و بين الخوارج قرب أرض الكاظمية و في نواحيها و منها مقبرة الشهداء المذكورين، غير أن مقبرتهم و مقبرة باب حرب و غيرها قد زالت و لم يبق لها أثر.

قبر هشام بن عمرو بن الزبير

قال الخطيب البغدادي: «كان المشهور عندنا أن قبر هشام بن عروة في الجانب الغربي وراء الخندق أعلى مقابر باب حرب، و هو ظاهر معروف هناك و عليه لوح منقوش فيه أنه قبر هشام مع ما أخبرنا به الحسن بن علي الجوهري (عن أبي الحسين بن المنادي) قال: أبو المنذر هشام بن عروة ابن الزبير بن العوام القرشي، مات أيام خلافة أبي جعفر في سنة ست و أربعين و مائة و دفن بالجانب الغربي خارج السور نحو باب قطربل» ثم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٠

المدخل الرئيسي الجامع براثا اليوم

روى عن بعض الشيوخ أنه «سمع أبا الحسين أحمد ابن عبد الله بن الخضر ينكر أن يكون قبر هشام ابن عروة بن الزبير هو المشهور بالجانب الغربي قال: هذا قبر هشام بن عروة المروزي صاحب ابن المبارك و إنما قبر هشام بن عروة ابن الزبير بالخيزرانية من الجانب الشرقي ... و نرى أن قول أحمد بن عبد الله بن الخضر هو الصواب، إلا أننا لا نعرف في أصحاب ابن المبارك من يسمى هشام بن عروة و لا نعلم أيضا روى العلم عن أحد سمي هشاما و اسم ابيه عروة سوى هشام بن عروة بن الزبير بن العوام و الله أعلم».

و قد نقلنا هذه الأخبار لأن فيها ذكرا لباب قطربل خاصة و لقب هشام الزبيرى على أضعف الروايات، و المراد بالسور المذكور فيها هو

سور مدينة المنصور المعروفة بمدينة السلام. وفيها ميل ناس الى التزوير في تسمية القبور، و ميل ناس آخرين إلى التساهل في تحقيق التاريخ و التسامح في ذكر الاخبار.

قطفتنا

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: «قطفتنا بالفتح ثم الضمّ و الفاء ساكنة و تاء مثناة من فوق و القصر، كلمة أعجمية لا أصل لها في العربية في علمي و هي محلّة كبيرة ذات اسواق بالجانب الغربي من بغداد مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي- رض- و بينها و بين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣١

دجلة أقل من ميل و هي مشرفة على نهر عيسى إلا أن العماره متصله الى دجلة بينهما القريّة: محلّة معروفه، ينسب اليها جماعة...» و ذكر ابن عبد الحق البغدادي موجز هذا القول في كتابه مرصد الاطلاع، و كلاهما لم يذكر عن قدمها و كونها قرية عتيقة، كما نقلنا من كتاب- اثبات الوصية- شيئا.

براثا و مسجدها

ذكرنا آنفا أن براثا كانت قرية في جهة قبله الكرخ و أن مسجدها هناك و أن لا صلة لمسجد براثا بمسجد المنطقة المعروف باسم هذا قديما و حديثا.

و يسمى مسجد العتيقة و مشهد العتيقة، و قد جاء في كشف الغمة في معرفة الأئمة لعلی ابن عيسى الكردي الأربلي ما هذا نصه خاصا ببراثا «و عن علی ابن الحسين عن آبائه-ع- قال: لما رجع علی-ع- من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء فقال للناس: إنها الزوراء فسيروا و جنبوا عنها، فان الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة فلما أتى موضعا من أرضها قال: ما هذه الأرض؟ قيل أرض بخرأ فقال: أرض سباخ جنبوا و يمّوا، فلما أتى يمنة السواد إذا هو براهب في صومعه، فقال له يا راهب أ أنزل هاهنا؟ فقال له منارتا جامع براثا الحديثان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٢

الراهب: لا تنزل بجيشك هذه الأرض. قال: و لم: قال: لأنه لا ينزلها إلا نبي أو وصي نبي بجيشه يقاتل في سبيل الله- عز و جل- هكذا نجد في كتبنا. فقال له أمير المؤمنين-ع-: فأنا وصي سيد الأنبياء و سيد الأوصياء. فقال له الراهب: فأنت إذن أصلع قريش وصي محمد.

قال له أمير المؤمنين-ع-: أنا ذلك. فنزل الراهب إليه فقال: خذ علي شرائع الاسلام إنني وجدت في الانجيل نعتك فانك تنزل أرض براثا بيت مريم و أرض عيسى. فقال له أمير المؤمنين: قف و لا تخبرنا بشيء. ثم.

أتى موضعا فقال: الكزوا هذا. فلكزه برجله فانجست عين خزاره فقال: هذه عين مريم التي أنبعث لها. ثم قال: اكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعا. فكشفوا فإذا بصخرة بيضاء. فقال علي: على هذه الصخرة وضعت مريم عيسى من عاتقها وصلت هاهنا. فنصب أمير المؤمنين الصخرة و صلى عليها، و أقام هناك أربعة أيام يتم الصلاة و جعل الحرم في خيمه من الموضع (كذا) ثم قال: أرض براثا هذه بيت مريم-ع- هذا الموضع المقدس صلى فيه الأنبياء. قال أبو جعفر محمد بن علي-ع-: و لقد وجدنا أنه صلى فيه ابراهيم قبل عيسى-ع- قال بهاء الدين الأربلي بعد ذلك:

«قلت: أرض براثا هذه عند باب محول على قدر ميل أو أكثر من ذلك من بغداد و جامع براثا هناك و هو خراب و حيطانه باقية الا شيء منها (كذا)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٣

دخلته وصليت فيه و تبرّكت به». و هذا الجبر من أخبار الملاحم و أمرها معروف و ربما أريد بموضع مريم و عيسى دير من الديارات التي يذكران فيها .

بناورا

بناورا قرية قديمة كانت من قرى الجانب الغربى من دجلة قال ياقوت فى الكلام على قطيعة الربيع من معجم البلدان: «... و كانت قطيعة الربيع بالكرخ مزارع الناس من قرية يقال لها بناورا من أعمال بادوريا». قلت: و هى غير بناورا التي ذكر بعض المعلقين على معجم البلدان أنها من نواحي الكوفة من ناحية نهر قورا قرب بلدة سورا بينها نحو من فرسخ. و ذكر ابن عبد الحق أنها تحت الحلة المزيدية. و لا بناورا الأخرى.

ورثال

قال ياقوت: «و رثال بالفتح ثم السكون و ثاء مثله و آخره لام: اسم الموضع الذى بنيت فيه قطيعة الربيع و سويقه غالب قبل بناء بغداد». و كان قال فى الكلام على نهر القلائين جمع قلاء للذى يقلى السمك و غيره و هى محلّه كبيرة ببغداد فى شرقى الكرخ ... و كان مكانه (كذا) أى النهر قبل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٤

عمارة بغداد قرية يقال لها ورثال و فى غريبه الشونيزيه: مقبرة الصالحين ببغداد ..».

الشونيزيه

قال ياقوت: «الشونيزية بالضمّ ثم نون مكسورة و ياء مثناة من تحت ساكنة و زاي و آخره ياء النسبة: مقبرة ببغداد بالجانب الغربى دفن فيها كثير من الصالحين منهم الجنيد و جعفر الخلدى و رويم و سمنون المحبّ و هناك خانقاه للصوفية». و ذكرها ابن عبد الحق فى اختصاره لمعجم البلدان و زاد على قول ياقوت أن فيها مسجد الجنيد و ذكر الخانقاه أيضا يعنى المتعبّد المتعبّد الصوفى المعروف عند العراقيين بالرباط و فى العصر الحديث بالتكية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٥

عرض جامع لحياة الامامين الجوادين كتبه جعفر الخليلي مؤلف موسوعة العتبات المقدسة

اشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٧

الامامان موسى الكاظم و محمد الجواد

اشارة

يقول الشاعر:

لذ إن دهتك الرزاياو الدهر عيشك نكد

بكاظم الغيظ (موسى) و بالجواد (محمد) و الكاظمية هي مدفن الامام موسى الكاظم و حفيده الامام محمد الجواد و قد شملت صفة كظم الغيظ الحفيد فسميا بالكاظمين، كما شملت صفة الجواد الجد فسميا بالجوادين، و لذلك يقول الشاعر فيهما ما خاب من أم جوادا فهل يخيب من أم جوادين؟

الامام موسى الكاظم

إشارة

هو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد، بن علي بن ابي طالب (ع) و هو الامام السابع عند الشيعة الامامية ولد بالابواء و هو منزل بين مكة و المدينة في اليوم السابع من صفر سنة ١٢٨ هـ المصادف ٧٤٥ م فأولم ابوه الامام الصادق بعد ولادته و اطعم الناس موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٨

ثلاثا و قيل كانت ولادته يوم الثلاثاء و قبل طلوع الشمس من سنة ١٢٩ هـ

و امه أم ولد يقال لها (حميدة) بنت صاعد (المغربية) و قيل (الاندلسية) و كانت حميدة الصفات حتى وصفت باللؤلؤة، و وصفت (بالمصفاة) و قال عنها الامام الصادق: ان حميدة مصفاة من الادناس كسبيكة الذهب.

و كانت للامام موسى بن جعفر القاب متعددة يعرف بها كالصابر، و العبد الصالح، و الامين، و النفس الزكية، و الزاهر، و الوفي، و زين المجتهدين، و لكن صفة (الكاظم) كانت اشهر صفاته حتى لقد التصقت باسمه كجزء متمم فعرف بموسى الكاظم، و كظم الرجل غيظه اذا اجترعه، و فى التنزيل:

«و الكاظمين الغيظ» و قد فسره ثعلب فقال: يعنى الحابسين الغيظ لا يجازون عليه، و قال الزجاج: معناه: أعدت الجنة للذين جرى ذكركم، و للذين يكظمون الغيظ، و روى عن النبي (ص) انه قال: ما من جرعة يتجرعها الانسان اعظم أجرا من جرعة غيظ فى الله عز و جل، و فى الحديث، من كظم غيظا فله كذا و كذا، و كظم الغيظ: تجرعه، و احتمال سببه، و الصبر عليه .

و قد سمي بالكاظم لكثرة كظمه الغيظ، و صبره على ما لقي من الظلم و الاذى و الجبوس.

و قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي فى (مطالب السؤل عن مناقب الرسول) عن الكاظم: «و لفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدين عليه دعى كاظما، فكان يجازى المسىء باحسانه اليه، و يقابل الجافى عليه بعفوه عنه، و كان اذا بلغه عن احد انه يؤذيه ارسل اليه بالذهب و التحف و قال ابن الاثير و كان يلقب بالكاظم لانه كان يحسن إلى من يسىء اليه و كان هذا عادته أبدا موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٩

مثل من حلمه

و رويت عن حلمه و عن مجازاته المسيئين اليه بالاحسان روايات كثيرة فى بطون التاريخ، و من هذه الروايات ما اثبتته ابو الفرج الاصفهاني قال:

ان رجلا من آل عمر بن الخطاب كان يشتم على بن ابي طالب اذا رأى موسى بن جعفر، و يؤذيه اذا لقيه، فقال له بعض مواليه و شيعته:

دعنا نقتله، فقال:

لا. ثم مضى راكبا حتى قصده فى مزرعة له فتواطأ بها بحماره متعمدا، فخرج اليه الرجل زاجرا، ولكنه لم يصغ اليه بل قصده حتى بلغ منزله، و نزل عنده، و بدأ يلاطفه و يضاحكه ثم سأله بعد ذلك:

- كم تظن قد لحق بك من الخسارة بسبب تواطؤ حمارى لمزرعتك؟

قال- (و هو يريد المغالاة فى الضرر) مائة درهم

قال- و كم ترجو ان تريح لو كانت قد سلمت مواطىء الحمار من الضرر؟

قال- لا ادرى ...

قال- انما سألتك كم ترجو؟

قال- مائة درهم اخرى

فأخرج له ثلاثمائة دينار (لا درهم) و وهبها له، فقام الرجل و قبل رأسه، و منذ ذلك الحين صار الامام الكاظم لا يدخل المسجد حتى يثب ذلك العمرى و يسلم عليه و يقول: «اللّٰه اعلم حيث يجعل رسالته»

و تقول الرواية: و لقد وثب اصحابه عليه لاثمين- اى على العمرى- و معنيين على عمله هذا فكان يشاتمهم و يقف فى وجوههم

و قال موسى لمن كان يريد ان يجزى الاساءة بالاساءة:

«ايما كان خيرا ما اردتم انتم او ما اريد انا؟»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٤٠

صفات الامامة و صفات الكاظم العامة

و للامامة عند الشيعة صفات لا- يمكن للامام ان يكون اماما دونها، و هى صفات الانسان الكامل التى ترفع قدره حتى تجعله فوق مستوى الناس من حيث التقوى، و العدل، و الامانة، و حب الخير، و اسداء المعروف، و البعد عن كل خلق شائن، اضافة إلى غزارة العلم وسعة الاطلاع لكى يصلح ان يكون قدوة فى دنيا الناس، و لقد اوتى الامام الكاظم كل الصفات التى اوتيتها آباؤه الأئمة من قبله. قال الشيخ المفيد فى (الارشاد) و كان موسى بن جعفر عليه السلام أجل ولد ابى عبد الله (يعنى الامام الصادق) قدرا، و أعظمهم محلا، و أبعدهم فى الناس صيتا، و كان اعبد أهل زمانه، و اورعهم، و أجلبهم و أفقههم

و قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعى: هو الامام الكبير القدر، العظيم الشأن الكثير التهجد، الجاد فى الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات المشهور بالكرامات يبيت الليل ساجدا و قائما، و يقطع النهار متقصدا و صائما

و قال ابن شهر آشوب: كان افقه اهل زمانه، و احفظهم لكتاب الله، و كان اجل الناس شأنا، و اعلاهم فى الدين مكانا، و افصحهم لسانا، و اشجعهم جنانا قد خصه الله بشرف الولاية، و حاز إرث النبوة، و بؤء محل الخلافة، سليل النبوة و عقيد الخلافة، و روى انه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم فسجد سجدة فى اول الليل و سمع و هو يقول فى سجوده:

«الهي عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك، يا اهل التقوى، و يا اهل المغفرة» و جعل يرددتها حتى اصبح

و قد بلغ من رقة الحاشية و التواضع حتى اصبح حديث اهل زمانه على الرغم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٤١

مما كان يحوطه من الوقار الذى يفرض احترامه على الناس عفوا، هذا الوقار و التواضع الذى يعود اليه بعض تخوف هرون الرشيد من اقبال الناس عليه.

قيل ان الرشيد لما حج لقيه موسى بن جعفر على بغلة، فقال له الفضل بن الربيع:- ما هذه الدابة التي تلقيت عليها امير المؤمنين؟ فأنت ان طلبت عليها لم تدرك، و ان طلبت لم تفت؟
قال- انها تطأأت عن خيلاء الخيل، و ارتفعت عن ذلة العير، و خير الامور اوسطها
و روى انه مر برجل من اهل السواد، دميم المنظر، فسلم عليه و نزل عنده
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٤٢
و حادثه طويلا، ثم عرض عليه نفسه في القيام بحاجة إن عرضت،
فقبل له يا ابن رسول الله، اتزل إلى هذا ثم تسأله عن حوائجه و هو اليك احوج؟
(اي احوج ان ينزل اليك) فقال: عبد من عبيد الله، واخ في كتاب الله، و جار في بلاد الله، يجمعنا و اياه خير الالباء: آدم، و افضل الاديان الاسلام، و لعل الدهر يرد من حاجتنا اليه فيرانا بعد الزهو عليه متواضعين بين يديه ثم قال
نواصل من لا يستحق وصالنا مخافة أن نبقي بغير صديق

سجية الكرم

و الكرم سجية ما عرف بها بيت في العرب كبيت هاشم و آل عبد المطلب و قد ورث الامام موسى بن جعفر فيما ورث الشيء الكثير من هذه السجية حتى روى التاريخ الاعاجيب عن كرمه، و قيل ما رد قاصدا خائبا، يقول ابن خلكان عنه: و كان سخيا كريما، و كان يصير الصرر ثلثماية دينار و اربعمائة دينار و مائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة و يوزج الزركلى ما يستخلصه من كتب التاريخ فيقول كان من سادات بنى هاشم و من اعبد اهل زمانه، و أحد كبار العلماء الاجواد
و اهدى له مرة عبد (مملوك) عسيده، فاشتره و اشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار و اعتقه، و وهب المزرعة له
و يقول الخطيب: و كانت صراره بين الثلثماية إلى المائتين دينار فكانت صرار موسى مثلا و قال الشيخ المفيد في (الارشاد): و لم ير في زمانه اسخى منه و لا اكرم نفسا و عشرة، و كان اسخاهم كفا، و اكرمهم نفسا، و كان اوصل الناس لاهله و رحمه، و كان يتفقد فقراء المدينة بالليل فيحمل اليهم الزبيل فيه العين
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٤٣

(الذهب) و الورق (الفضة) و الادقة (الطحين) و التمر، فيوصل اليهم ذلك و لا يعلمون من اي جهة هو،
و في عمدة الطالب: كان موسى الكاظم عظيم الفضل رابط الجأش، واسع العطاء، و كان يضرب المثل بصرار موسى، و كان اهله يقولون: «عجبا لمن جاءته صرة موسى فشكا القلة»
و روى الخطيب في (تاريخ بغداد) و المفيد في (الارشاد) بسنديهما عن محمد بن عبد الله البكري قال: قدمت المدينة اطلب بها دينا فأعياني، فقلت، لو ذهبت إلى ابي الحسن موسى بن جعفر فشكوت ذلك اليه، فاتيته في صنيعته ثم سألتني عن حاجتي فذكرت له قصتي، فدخل فلم يقم الا يسيرا حتى خرج الى فقال لغلامة: اذهب ثم مدّ يده فدفع الي صرة فيها ثلثمائة دينار ثم قام فولى و قمت فركبت دابتي و انصرفت

ثم روى الخطيب في (تاريخ بغداد) عن عيسى بن محمد بن مغيث القرظي قال: زرعت بطيخا و قثاء و قرعا في موضع بالجوانية على بئر يقال لها (ام عظام) فلما قرب الخير و استوعب الزرع بغتنى الجراد فأتى على الزرع كله، و كنت غرمت على الزرع و في ثمن جملين مائة و عشرين دينارا، فبينما انا جالس إذ طلع موسى بن جعفر بن محمد فسلم ثم قال: أئيس حالك؟ فقلت: اصبحت كالصريم بغتنى الجراد فاكل زرعى، قال و كم غرمت فيه، قلت مائة و عشرين دينارا، مع ثمن الجملين، فقال: يا عرفه، زن لابي المغيث مائة و خمسين

دينارا فزيرحك ثلاثين دينارا و الجملين

باب الحوائج

و لكثرة هباته و عطاياه و قضائه حاجات الناس و حل مشكلاتهم صار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٤٤

يقصده المحتاجون من جميع الاطراف و استوى فى ذلك شيعة و غير شيعة و بصفه الامام الذى يوجب مذهب الشيعة الامامية الرجوع اليه فى امور دينهم و الائتمام به و دفع الاحماس من الاموال التى تفيض حتى تبلغ حدود التخسيس اليه فقد كان ما يصل اليه من هذه الاموال كثيرا و من مختلف الاقطار فكان ينفقه كله بسخاء على الفقراء و المحتاجين و يحل به عقده الههم لدى المهمومين و يفرج كرب المكروبين فضلا عما كان يستخدم من جاهه و مكانته من النفوذ لا زالة الغمة عن البيوت و الاسر المنكوبة، و لذلك سمي (باب الحوائج) و ظلت هذه الصفة ترافقه حتى اليوم اذ يزور ضريحه المكروبون، و البرمون السائمون و هم يطوفون بضريحه و يدعون الله عند قبره و هم مفعمون بالايمان بانهم قد طرقوا (باب الحوائج) و ان الله سيقضى حاجاتهم و يستجيب دعاءهم و يخرجون من ضريحه و قد اطمأنت نفوسهم، و سكنت خواطرهم و ازال ايمانهم كل قلق يساورهم.

مذهبه فى الحياة

هذا الامام الذى عرف بالعبد الصالح لكثرة صلواته و طول عبادته و قضاء جانب كبير من ليله بذكر الله كان الى جانب ذلك مثلا اعلى لما ينبغى ان تكون عليه حياة الانسان فى دنيا ليس من حيث التواضع و الرقة و اللطف و انما من حيث الأكل و الملبس و التمتع بما احل له من دنياه، و يتجلى كل هذا فى سيرته و فيما ترك من آثار اديبه، فقد جاء فى احد مواعظه و ارشاداته قوله.

«اجعلوا لانفسكم حظا من الدنيا باعطائها ما تشتهى من الحلال، و ما لا يثلم المروءة و ما لا سرف فيه، و استعينوا بذلك على امور الدين فانه روى ليس منا من ترك دنياه لدينه، او ترك دينه لدنياه».

و فى قول الامام زبده ما تتطلبه الحضارة و المدينة فى القرن العشرين و ليس من شك ان المقصود بالدين هو المعاملة، المعاملة مع

الله، و مع الناس،

و كان الامام الكاظم انيقا فى ملبسه، جميل الثياب، و قد روى عبد الله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٤٥

بن جعفر الحميرى عن والده الامام الثامن على بن موسى الرضا قال:

انه قال:

قال لى ابى (ابى الكاظم) ما تقول فى اللباس الحسن؟

فقلت- (يقول الرضا) بلغنى ان الحسن (ع)- الحسن بن على بن ابى طالب (ع)- كان يلبس (ابى يلبس اللباس الجيد الحسن).

فقال لى- إلبس، و تجمل، فأن على بن الحسين كان يلبس الجبة الخبز بخمسماية درهم، و المطرف الخبز بخمسين دينارا فيشتو فيه، فاذا

خرج الشتاء باعه و تصدق بثمانه،

و تلا هذه الاية:

(قل من حرم زينته الله التى اخرج لعباده و الطيبات من الرزق)

و من فلسفته فى الحياة: الواقعية و البعد عن التزمى و الانكماش على النفس و وحب استقبال ما تأتى به الظروف باطمئنان وسعة صدر و ارتياح قوله:

كثرة الهم تورث الهرم.

و قوله: التدبير نصف العيش، و التودد الى الناس نصف العقل

و سمع مرة رجلا يتمنى الموت فقال له:

- هل بينك و بين الله قرابة يحاييك بها؟

قال- لا

قال- فهل لك حسنات قدمتها تزيد على سيئاتك؟

قال- لا

قال- فأنت اذن تتمنى هلاك الابد

و اكثر ما يتجلى مذهبه الواقعى فى الحياة فأنما يتجلى فى قوله:

اجتهدوا فى ان يكون زمانكم اربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، و ساعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٤٦

لأمر المعاش، و ساعة لمعاشرة الاخوان و الثقات الذين يعزفونكم عيوبكم و يخلصون لكم فى الباطن، و ساعة تخلون فيها للذاتكم فى غير محرم،

و قوله اياك و الضجر، و الكسل، فأنهما يمنعان حظك من الدنيا و الآخرة.

و قوله:

لا تحدثوا انفسكم بفقر، و لا بطول عمر، فانه من حدث نفسه بالفقر بخل. و من حدثها بطول العمر حرص،

جعلوا لانفسكم حظا من الدنيا باعطائها ما تشتهى من الحلال

و من وصيته التى يقول فيها: «ان قول الله هل جزاء الاحسان الا الاحسان، جرى فى المؤمن و الكافر و البر و الفاجر» و من وصيته هذه تعرف مدى افقه الواسع الذى يستوى عنده المؤمن و الكافر فى ميادين المعروف و هى فلسفة انسانية يتمثل فيه سمو الروح بابهى صوره

العلم و الحكمة و الادب

و كان من بعض مظاهر العظمة عند الامام موسى بن جعفر انه كان عالما و كان حكيما و كان اديبا، و قد نقل المؤرخون الشىء الكثير من آثاره الدالة على سعة علمه، و عمق حكمته، و رفعة ادبه، و قد ترك من المواعظ و الحكم، و الوصايا ما يضرب به المثل، و قد توسم فيه الامام ابو حنيفة هذا النبوغ و علو الكعب و هو لم يزل بعد غلاما: فقد روى الحسن بن على بن شعبة عن ابى حنيفة انه قال: جججت فى ايام ابى عبد الله الصادق (ابى الامام موسى الكاظم) فلما اتيت المدينة دخلت داره فجلست فى (الدهلير) انتظر اذنه، اذ خرج صبى فقلت:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٤٧

- يا غلام .. اين يضع الغريب الغائط من بلدكم؟ (و كان ابو حنيفة يسأل عن الخلاء طبعاً لقضاء حاجته)

فقال الغلام- على رسلك ... ثم جلس مستندا إلى الحائط ثم قال:

- توق شطوط الانهار، و مساقط الثمار، وافنية المساجد، و قارعة الطريق و توار خلف جدار، و شل ثوبك، و لا تستقبل القبلة، و لا تستدبرها، وضع حيث شئت،

يقول ابو حنيفة- فاعجبني ما سمعت من الصبي فقلت له:

- ما اسمك؟

فقال- انا موسى بن جعفر

ان صيبا مهما بلغ من النضج لا- يمكنه ان يحدد الموضوع هذا التحديد الفقهي الجامع ما لم يكن فوق مستوى اقرانه من الفطنة و الذكاء و الاحاطة الكافية بالفقه و الشريعة، و على ان الادلة على علم الامام الكاظم و حكمته و ادبه كثيرة و ماثورة في بطون امهات الكتب التاريخية و الفقهية و التراجم فان وصيته لهشام بن الحكم كافية لضرب المثل عن مدى هذه الملكات في نشأة هذه الشخصية الفذة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٤٨

فمن بعض وصية الامام الكاظم لهشام بن الحكم على ما جاء في كتاب (تحف العقول) للحسن بن علي بن شعبة قوله:
يا هشام لو كان في يدك جوزة و قال الناس في يدك لؤلؤة ما كان ينفحك و انت تعلم انها جوزة؟ و لو كان في يدك لؤلؤة و قال الناس انها جوزة فما ضرك و انت تعلم انها لؤلؤة؟

ما من عبد الا و ملك آخذ بناصيته فلا يتواضع الا رفعه الله، و لا يتعظم الا وضعه الله،

ان لله على الناس حجتين، حجة ظاهرة، و حجة باطنة، فاما الظاهرة فالرسل و الانبياء و الائمة، و اما الباطنة، فالعقول، ان كان يغنيك ما يكفيك فادنى ما في الدنيا يغنيك، و ان كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغنيك، لا تمنحوا الجهال الحكمة فتظلموها، و لا تمنعوا اهلها فتظلموهم.

لا دين لمن لا مروءة له، و لا مروءة لمن لا عقل له،

ان العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه، و لا يسأل من يخاف منعه، و لا يعد ما لا يقدر عليه، و لا يرجو ما يعنف برجائه، و لا يتقدم على ما يخاف العجز عنه.

الغضب، مفتاح الشر، و أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا، و ان خالطت الناس فان استطعت ان لا تخالط احدا منهم الا من كانت يدك عليه العليا فافعل.

عليك بالرفق، فان الرفق يمن، و الخرق شؤم، ان الرفق و البر، و حسن الخلق يعمر الديار، و يزيد في الرزق.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٤٩

قول الله: هل جزاء الاحسان الا الاحسان جرى في المؤمن و الكافر و البر و الفاجر، فمن صنع اليه معروف فعليه ان يكافىء به، و ليست المكافأة ان تصنع كما صنع حتى ترى فضلك، فان صنعت كما صنع فله الفضل بالابتداء.

ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنا استزاد منه، و ان عمل سيئا استغفر الله منه و تاب اليه.

اياك و مخالطة الناس و الانس بهم الا ان تجد منهم عاقلا و مأونا فأنس به و اهرب من سائرهم كهربيك من السباع الضارية.

من اكرمه الله بثلاثة فقد لطف به: عقل يكفيه مؤونة هواه، و علم يكفيه مؤونة جهله، و غنى يكفيه مخافة الفقر، الخ ..

قوة الحجّة و سرعة البديهة

و مما اشتهر به الامام موسى بن جعفر هو قوة الحجّة، و سرعة البديهة و الجرأة في معرض المناظرة و المحاججة يفرغها في اسلوب

بعيد كل البعد عن التبجح و المكابرة و الاستظهار و قد روى الراوون و المؤرخون عنه مواقف تثير الاعجاب، و لا سيما مع هرون الرشيد، فلقد سأله الرشيد مرة:

- كيف صرتم ذرية لرسول الله و أنتم بنو علي، و انما ينتسب الرجل لجدته لأبيه دون جدته لأمه، (و طلب الرشيد أن يأتيه بحجة من كتاب الله على ما ذكرت الرواية).

فقال الكاظم- بسم الله الرحمن الرحيم (و من ذريته داود، و سليمان، و أيوب، و يوسف، و موسى، و هارون، و كذلك نجزي المحسنين، و زكريا و يحيى و عيسى) و سأل الكاظم الرشيد:

- فمن هو ابو عيسى؟

قال الرشيد: ليس لعيسى أب

قال الكاظم- و انما ألحق بذراري الأنبياء من قبل امه، فلماذا لا نلحق بذرية النبي من قبل أمنا فاطمة؟ ثم قال الكاظم: و قال الله عز و جل:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٥٠

(فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و ابناكم و نساءنا و نساءكم و انفسنا و انفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) و هو يشير بذلك الى المباهلة التي ضمت عليا و فاطمة في صف النبي كما تذكر الروايات عن يوم المباهلة.

ثم قال الكاظم للرشيد: لو نشر رسول الله، و خطب اليك كريمتك، أكنت تزوجه؟

قال الرشيد- نعم، و افتخر بذلك على العرب و العجم.

قال الامام: اما انا فان النبي لا يخطب مني و لا ازوجه لانه و لدنا و لم يلدكم.

و ذكر ايضا ان هرون الرشيد حين حج و أتى قبر النبي زائرا و حوله قريش و أفناء القبائل و معه موسى بن جعفر فوقف هرون مسلما على قبر النبي و قال:

- السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم

و في هذا السلام و معه موسى بن جعفر و هذه الكثرة من قريش و افناء القبائل لا- يخلو من بعض التحدى لموسى بن جعفر أو المفاخرة، فدنى موسى من قبر النبي و قال:

- السلام عليك يا أبت

و هنا تغير وجه هرون الرشيد و قال:

هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقا

يقول ابن الاثير و هو يستعرض شخصية الامام موسى بن جعفر و جرأته:

«و لما كان محبوسا- أى الامام الكاظم بسجن الرشيد- بعث الى الرشيد برسالة انه: لن ينقضى عنى يوم من البلاء الا و ينقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى ينقضيا جميعا الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٥١

جسه و قتله

لم يقل خوف بنى العباس من العلويين عن خوف بنى امية ان لم يزد به مراتب فقد كانت للعلويين (شعبية) قلما حظى بها قوم كما حظى العلويون، و كان من ولاء الناس لهم ان عرض الألوفا انفسهم للقتل و السجن و التشرذم بسبب محبتهم و ولائهم لآل البيت، و

كان خوف الأمويين و العباسيين من العلويين هو ان ينتزع العلويون الملك و الحكم منهم لذلك بالغوا فى قتل النباغ و النابهين منهم، حتى لقد تناول ابو الفرج الأصفهاني فى كتابه (مقاتل الطالبين) ترجمه اكثر من مائتى شخصيه من الشخصيات العلويه النابهة التى جمعت بين عدد من الفضائل التى لم تستطع كل بنى امية و كل بنى العباس ان يجمعوا بعضها، ممن قتلوا صابرين، هذا عدا المئات الذين فات ابا الفرج ذكرهم، و عدا الذين تم قتلهم و البطش بهم بعد ابي الفرج الأصفهاني.

و الاجيال التى مرت لم يخل تاريخها من وجود شخصيات علوية تتجمع فيها الفضائل من جميع اطرافها لذلك كان الخوف يلزم الامويين و العباسيين دائما من ظهور علوى جديد تتوفر فيه كل مقتضيات الزعامه، اذا ما قضى على اى نابه منهم.

يقول عباس محمود العقاد «و انك لتنحدر مع اعقاب الذرية فى الطالبين ابناء على و الزهراء مائة سنه و مائتى سنه و أربعمائه سنه ثم يبرز لك رجل من رجالها فيخيل اليك ان هذا الزمن الطويل لم يبعد قط بين الفرع و أصله فى الخصال و العادات كأنما هو بعد ايام معدودات لا بعد المئات وراء المئات من السنين، و لا تلبث ان تهتف عجباً: ان هذه الصفات صفات علوية لا شك فيها ..» .

و اذا علمنا ان هذه الثورات القائمة فى وجه بنى أمية قد قام بها العلويون و اشيعهم و اتباعهم لكى يردوا الحق الى نصابه و يقضوا على حكم الفردية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٥٢

المشتعلة التى صيرت من الخلافة الشورية ملكية غير محدودة بحدود فى البطش و القتل و سلب اموال الناس، ثم صارت النتيجة ان يتولى بنو العباس هذا الحكم هان علينا ان نعلم لم يملك الخوف بنى العباس كل هذا التملك؟

و لم يحاذر بنو العباس من العلويين؟ و لم يتعقبون النابه و النابهة منهم؟

يقول السيد احمد صقر فى مقدمه شرحه و تحقيقه (لمقاتل الطالبين):

«و لا يعرف التاريخ اسره كأسره أبى طالب بلغت الغاية من شرف الارومه، و طيب النجاد ضل عنها حقها (الى ان يقول) و قد اسرف خصوم هذه الاسره الطاهره فى محاربتها، و أذاقوها ضروب النكال، و صبوا عليها صنوف العذاب، و لم يرقبوا فيها إلا و لا ذمه، و لم يرعوا لها حقاً و لا حرمة .. الخ» .

فمن الطبيعى - و قد كان هذا شأن موسى بن جعفر - ان يتخوف منه العباسيون على خلافتهم و يحسبون لمقامه و مكانته و (شعبيته) ألف حساب، لذلك ارسل عليه المهدي فى ايام خلافته فجىء به من المدينة و زجه فى السجن دون أن يكون هنالك ما يستدعى ذلك غير الخوف المجرد، و مكث فى السجن مدة طويله الى ان اطمأن منه المهدي و اطلقه، و حكى الربيع قال رأيت المهدي يصلى

فى بهو له فى ليلة مقمرة فما أدرى أهو أحسن، أم البهو ام القمر ام ثيابه؟ قال فقراً (فى صلاته) هذه الآية:

(فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض و تقطعوا أرحامكم).

قال فأتى صلاته و التفت الى و قال يا ربيع قلت لبيك يا أمير المؤمنين، قال على بموسى و قام الى صلاته فقلت فى نفسى من موسى اهو ابنه او موسى بن جعفر و كان محبوسا عندى، قال الربيع: و جعلت افكر و قلت ما هو الا موسى بن جعفر، فاحضرته، قال: فقطع

صلاته و قال: يا موسى انى قرأت هذه الآية (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الارض

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٥٣

و تقطعوا ارحامكم). فخفت ان اكون قد قطعت رحمك فوثق لى انك لا تخرج على. قال فقال: نعم فوثق له و خلاه .

و يروى بعض المؤرخين هذه الحكايه عن الرشيد و يزعمون ان الرشيد قد رأى فى الحلم الامام على بن ابي طالب و قرأ عليه هذه الآية فحين استيقظ أمر باطلاق سراحه و اعادته الى المدينة، و ليس هنالك ما يؤيد موثقاً حبس الرشيد للامام موسى بن جعفر غير

الحبس الذى سنورده هنا و هو الحبس الذى قتل فيه الامام الكاظم مسموماً.

و لما آل الحكم الى هرون الرشيد و بلغه عن مكانه الامام موسى بن جعفر و احتفاف شيعته به، و جلال مقامه من حيث العلم و الادب

و سمو الخلق و الكرم خشيه و تخوف منه، و قد اورد بعض المؤرخين ان يحيى بن برمك قد استخدم بعض العيون و كان منهم على بن اسماعيل ابن اخى الامام موسى الكاظم و اغراه بالمال ثم جلبه من المدينة على ان يشى بعمه الامام الكاظم، و هذه الأخبار مردودة و غير مقبولة عقلا لا سيما حين نتابع هذه الوشاية فلا نجد لها تزييد على ان على بن اسماعيل قد نقل للرشيده بأن الأموال تنقل الى الامام الكاظم من المشرق و المغرب، و ان له بيوت اموال و انه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فسامها (اليسيرة) الى غير ذلك. و ان الرشيده قد أثابه على هذه الرواية بمائتي ألف درهم فلم يتمتع بهذا المال بل مات قبل ان يتسلمه.

و يكذب العقل هذه الرواية لانتفاء الوشاية فيها فان كل ما قاله على بن اسماعيل - اذا صح انه قد قال شيئا - لم يزد ان لم ينقص عما كان يعرفه الرشيده و جميع الناس عن الامام الكاظم و كرمه و ما كان يحمل اليه من اموال و ما كان ينفق منه على المعوزين و المحتاجين فليس فى الأمر ما يستدعى ان يسمى وشاية و ان يثاب الرجل عليه لأهمية هذه الوشاية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٥٤

و الواقع الذى ليس فيه من شك هو ان الرشيده قد خاف من الامام موسى كما خاف المهدي من قبل، و خاف من مغبة الأمر و عاقبته لو انه اصدر امره بالقبض عليه و جلبه من المدينة الى بغداد،

و لربما قد خاف الله ان انزل بالامام الكاظم البلاء، لذلك حين حج فى تلك السنة بدأ بقبر النبي صلى الله عليه و آله و قال: «يا رسول الله انى اعتذر اليك من شىء اريد ان افعله، اريد ان احبس موسى بن جعفر فانه يريد التشتت بين امتك و سفك دمائها» ثم أمر به فأخذ من المسجد فأدخل اليه، و هناك قيده، و اخرج من داره بغلين عليهما قبتان مستورتان و جعل الامام الكاظم فى احدهما و وجه مع كل قبة خيلا، فأخذوا بواحدة على طريق البصرة، و الاخرى على طريق الكوفة ليعمى على الناس و كان موسى فى التى مضت الى البصرة، و امر الرسول ان يسلم موسى الكاظم الى عيسى ابن جعفر بن المنصور، و كان على البصرة حينئذ فمضى به فحبسه عيسى عنده سنة كاملة، و يبدو ان عيسى لم يطق ان يحتمل اماما عرف عن صفته كل شىء ان يحبس عنده سنة كاملة بدون ذنب فكتب الى الرشيده أن:

«خذه منى و سلمه الى من شئت، و الاخليت سبيله، فقد اجتهدت ان آخذ عليه حجة فما قدرت على ذلك، حتى انى لا تسمع عليه اذا دعا لعله يدعو على او عليك فما اسمعه يدعو الا لنفسه، و يسأل الله الرحمة و المغفرة» .

فوجه الرشيده من تسلمه منه و حبسه عند الفضل بن الربيع ببغداد ،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٥٥

فبقى الامام الكاظم فى حبس الفضل مدة طويلة.

و يقول ابو الفرج الأصفهاني: «و اراده الرشيده على شىء من امره فأبى» اى طلب منه ان يقتل الامام الكاظم بكيفية ما فأبى الفضل ذلك، فكتب الرشيده للفضل ان ينقله من حبسه الى حبس الفضل بن يحيى، فتسلمه الفضل منه، و اراد الرشيده ذلك منه فلم يفعله على ما ذكر ابو الفرج .

و بلغ الرشيده و كان الرشيده حينذاك (بالرقعة): ان الامام الكاظم يلقي رعاية من لدن الفضل بن يحيى و انه فى سعة و رفاهية، فأنفذ (مسرورا) الخادم الى بغداد على البريد، و امره ان يدخل من فوره على موسى ليعرف له خبره، فان كان الأمر كما قد بلغه اوصل كتابا منه الى العباس بن محمد و أمره بامثاله، و اوصل كتابا منه الى السندي بن شاهك يأمره بطاعة العباس ابن محمد .

و يقول ابو الفرج الأصفهاني: فقدم مسرور و نزل دار (الفضل بن يحيى) لا يدري أحد ما يريد، ثم دخل على موسى بن جعفر فوجده على ما بلغ الرشيده من الرفاهية و الاستقرار، فمضى من فوره الى العباس بن محمد، و السندي بن شاهك، و اوصل الكتابين اليهما، فلم يلبث حتى رأى الناس خروج الرسول يركض الى الفضل بن يحيى ركضا، فركب الفضل معه و خرج مشدوها دهشا حتى دخل على العباس، فدعا العباس بالسياط و وجه بذلك اليه (السندي) و امر الفضل فجرد من ثيابه ثم ضربه مائة سوط، و خرج متغير اللون

بخلاف ما دخل و ذهب قوته، و جعل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٥٦

يسلم على الناس يمينا و شمالا على ما جاء في (مقاتل الطالبين).

و كتب مسرور بالخبر الى الرشيد، فأمر بتسليم موسى الى السندي بن شاهك و تولت حبسه اخت السندي بن شاهك، و كانت تتدين، فحككت عنه «انه كان اذا صلى العتمة، حمد الله و مجده، و دعاه الى ان يزول الليل، ثم يقوم فيصلي، حتى يصلي الصبح، ثم يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم يقعد الى ارتفاع الضحى، ثم يرقد، و يستيقظ قبل الزوال، ثم يتوضأ و يصلي، حتى يصلي العصر، ثم يذكر الله حتى يصلي المغرب، ثم يصلي ما بين المغرب و العتمة، فكان هذا دأبه الى ان مات» .

و قال ابن الأثير عن اخت السندي بن شاهك: «و كانت اذا رآته قالت:

خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل الصالح».

وفاته

و بقى في الحبوس اربع سنوات ثم تولى السندي قتله في سم جعله في طعام قدم اليه؛ و يقال انه جعله في رطب، فأكله و أحس بالسم و لبث ثلاثا بعده موعوكا منه ثم مات في اليوم الثالث و لعل ما أخر قتله طوال هذه المدة هو عدم حصول المناسبة التي تضمن ركود الاحاسيس و هياج الناس، و حدوث الثورة، و مع ان القتل قد وقع في الوقت المناسب مما رآته السلطة فقد دل على خوف الرشيد من الرأي العام ما قامت به حكومته من اخذ التدابير و السعى للبرهنة على ان الكاظم قد مات موته طبيعية، اذ ما كاد يتوفى (الكاظم) حتى ادخل السندي بن شاهك عليه الفقهاء و وجوه اهل بغداد و فيهم الهيثم بن عدى و غيره فنظروا اليه ليتحققوا بأنفسهم ان لا اثر به من جراح، و لا خمش و قد اشهدهم على انه مات حتف انفه فشهدوا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٥٧

على ذلك و لكن من منهم كان يستطيع ان ينفي قتله بالسم و نفى القتل بالسم في هذا العصر ليس من اختصاص كل احد.

و في تاريخ الدول الاسلامية: «و كان الرشيد بالرقه فامر بقتله فقتل قتلا خفيا، ثم ادخلوا عليه جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه اظهارا أنه مات حتف انفه صلوات الله عليه و سلامه» .

و روى انه لما حضرته الوفاة طلب من السندي ان يحضر له مولى كان ينزل عند دار العباس بن محمد في مشرعة القصب ليتولى غسله و تكفينه ففعل ذلك، قال السندي: و كنت قد سألته ان يأذن لي في ان اكفنه فأبى، و قال: «إنا اهل بيت مهور نساينا، و حج ضرورتنا، و اكفان موتانا، من طاهر اموالنا، و عندى كفى» .

و يستدل من هذا انه كان يحمل كفته معه منذ ان قبض عليه في المدينة، او انه قد هيأه بعد ذلك و في اثناء حبسه، و قد تولى مولاه غسله و تكفينه، و دفن في مقابر قریش التي سميت (بالكاظمية) بعد ذلك نسبة له و أصبحت من أهم المدن الاسلامية المقدسة اليوم. و قال البعض ان جنازته قد وضعت على الجسر قبل دفنها ليراها الناس و يؤمنوا بوفاته و كونه مات موته طبيعية.

و كانت وفاته يوم الجمعة ببغداد لخمس او لست بقين من رجب من سنة ١٨٣ هـ المصادف ٧٩٩ م و قال المسعودي: و قبض موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ببغداد مسموما لخمس عشرة سنة خلت من ملك الرشيد سنة ست و ثمانين و مائة و هو ابن اربع و خمسين سنة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٥٨

و اختلف البعض من غير الامامية الاثني عشرية في موته فقالوا: لا ندرى أ مات الامام الكاظم ام لم يم، و يقال لهؤلاء (الممطورة) و

قد سماهم بذلك على بن اسماعيل بن الامام جعفر الصادق فقال ما انتم الا كلاب ممطورة و منهم من توقف عليه و قال انه لم يمت، و انه غاب و سيخرج من بعد الغيبة و يقال لهؤلاء (الوقفية) .
و قد قيل انه نودى على الامام موسى بن جعفر يوم وفاته: «هذا موسى بن جعفر الذي ترعم الرافضة انه لا يموت فانظروا اليه فنظروا» قاصدين بذلك (الوقفية).

اولاده

و اختلف المؤرخون في عدد اولاده من الذكور و الاناث، و المشهور انهم سبعة و ثلاثون ما بين ذكر و انثى و هم:
الذكور: على الرضا، ابراهيم، القاسم، العباس، لأمهات اولاد.
اسماعيل، جعفر، هارون، الحسن، لام ولد.
احمد، محمد، لام ولد.
عبد الله، اسحاق، عبيد الله، زيد، الحسن، الفضل، الحسين، سليمان، لامهات اولاد.
الاناث: فاطمة الكبرى، فاطمة الصغرى، رقية، حكيمة، ام ايها، رقية الصغرى، ام جعفر، لبابة، زينب، خديجة، عليّة، آمنه، حسنة، بريهة، عائشة، ام سلمة، ميمونة، ام كلثوم، لامهات اولاد .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٥٩

نصوص الادعية و الزيارة

يتجاوز زوار المراقد المقدسة الملايين في مواسم معينة من السنة فضلا عن الزيارات الاعتيادية التي يغص بها الحرم المقدس في كل يوم منذ الصباح الباكر حتى ما يقرب من منتصف الليل، و من هذه المراقد التي تزار طوال ايام السنة دون استثناء هو مرقد الكاظمين .
و ليس لهذه الزيارات التي يقوم بها الزوار من المواطنين و الاجانب من مختلف الأقطار الإسلامية فروض و التزامات، و كل ما في الأمر هو أن يصلى الزائر و يدعو الى الله بأن يغفر له و أن يحقق أمانيه الدنيوية و الاخروية بلغته الخاصة و بأسلوبه كما يفعل الانسان في المساجد و الجوامع بعد كل صلاة باعتبارها بقاعا مقدسة ينصرف فيها الانسان بكل قلبه الى ربه، على ان هنالك من زار المراقد المقدسة من الاولياء و العلماء و البلغاء فنقل الناقلون عنهم أقوالهم و ادعيتهم ثم ما لبثت هذه الأقوال ان صارت نصوصا بدأ الزائرون يجدون فيها خير تعبير عن ولائهم للأمة مستشفعين بقدسيه هذا المرقد الى الله بأن يمنحهم عفوه و يتوب عليهم، و قد كثرت هذه النصوص لكثرة من زار هذه المراقد من العلماء البلغاء الذين زاروا العتبات المقدسة و قد حفظ البعض شيئا مما كان يدعو به هؤلاء البلغاء الصالحون و هذا مثل لبعض ما يستحسن الزائر تلاوته عند زيارة الإمام موسى بن جعفر اذ يقف امام المرقد و يقول:
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٦٠

«اللهم صلّ على محمد و اهل بيته، و صلّ على موسى بن جعفر وصيّ الابرار، و إمام الأخيار، و عيبة الأنوار، و وارث السكينة و الوقار، و الحكم و الآثار، الذي كان يحيى الليل بالسهر الى السحر بمواصله الاستغفار، حليف السجدة الطويلة، و الدموع الغزيرة، و المناجاة الكثيرة، و الضراعات المتصلة، و مقرّ النهي و العدل، و الخير و الفضل، و الندى و البذل، و مألّف البلوى و الصبر، و المضطهد بالظلم، و المقبور بالجور، و المعدّب في قعر السجون، و ظلم المطامير، ذى الساق المرضوض بحلق القيود، و الجنازة المنادى عليها بذل الاستخفاف، و الوارد على جدّه المصطفى، و أبيه المرتضى، و أمه سيده النساء، بارث مغصوب، و ولاء مسلوب، و أمر مغلوب، و دم

مطلوب، و سمّ مشروب، اللهم و كما صبر على غليظ المحن، و تجرّع غصص الكرب، و استسلم لرضاك، و أخلص الطاعة لك، و محض الخشوع، و استشعر الخضوع، و عادى البدعة و أهلها، و لم يلحقه فى شىء من أوامرك و نواهيك لومة لائم صلّ عليه صلاة نامية منيفة زاكية توجب له بها شفاعه أمم من خلقك، و قرون من براياك، و بلغه عنّا تحية و سلاما و آتنا من لدنك فى موالاته فضلا و إحسانا، و مغفرة و رضوانا انك ذو الفضل العظيم و التجاوز العظيم، برحمتك يا أرحم الراحمين» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٦١

الامام محمد الجواد

إشارة

هو الامام محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب (ع) و هو حفيد الامام موسى بن جعفر و الامام التاسع عند الشيعة الامامية الاثني عشرية. ولد فى المدينة ليلة الجمعة فى ١٩ رمضان او للنصف منه او ١٠ رجب يوم الجمعة، و يدل عليه ما فى مصباح المتعجب: قال ابن عياش: خرج على يد الشيخ الكبير ابى القاسم رضى الله عنه: «اللهم أنى أسألك بالمولودين فى رجب: محمد بن على الثانى و ابنه على بن محمد المنتجب الدعاء» قال:

و ذكر ابن عياش انه كان يوم العاشر من رجب مولد ابى جعفر الثانى أ ه .

اما ابن خلكان فيقول ان ولادته كانت يوم الثلاثاء خامس شهر رمضان و قيل فى منتصفه و ذلك فى سنة ١٩٥ هـ ٨١٠ م. و فى تعليق للزركلى على (نزهة الجليس) القائل ان ولادته كانت سنة خمس و سبعين و مائة ان ذلك قد يكون من خطأ النسخ او الطبع، لان كثيرا ممن ترجموه ذكروا انه عاش خمسا و عشرين سنة، و اورد بعضهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٦٢

وفاته سنة ٢١٩ هـ .

و امه ام ولد و يقال لها شيكئة و كانت (نوبية)، و قيل إنها من اهل (مارية القبطية) و تكنى بأم الحسن، و مما كنى به الامام محمد بن على و عرف به من الصفات و الأسماء هو (ابو جعفر الثانى) لان جده الامام (محمد الباقر) كان يكنى بأبى جعفر الأول، و على هذا سمى الذيبلى محمد ابن وهبان الكتاب الذى ألفه فى سيرته: «اخبار أبى جعفر الثانى» و من أشهر ألقابه المرتضى، و القانع، و المنتجب، و التقى، و الجواد، و قد تغلب شهرته بالجواد على سائر القابه حتى شارك جده موسى الكاظم فى هذا اللقب فأطلق عليهما لقب (الجوادين) و (الكاظمين) كما مر من قبل.

ملكاته العلمية و مذهبه فى الحياة

المعروف عن العلويين انهم كانوا واقعيين فى حياتهم الخاصة و العامة، و قد ترك لهم الامام على بن ابى طالب قاعدة ساروا عليها و حثوا شيعتهم على تفهمها و السير على اسسها و هى: «إعمل لندياك كأنك تعيش أبدا و اعمل لآخرتك كأنك تموت غدا» فكانوا يلبسون أحسن اللباس و يدعون إلى التلذذ بالحلال من رزق الله، و يوصون بالترفيه على انفسهم و عيالهم و اشراك الآخرين فى نعمتهم، فى حين ينغمسون غاية الانغماس فى عبادة الله و التبحر فى العلم و الفقه و الأدب، و قد كانوا يغالون فى تنشئة اولادهم و

تعليمهم حتى كثرت الشواهد على نبوغ هؤلاء الأولاد و احتلالهم مكانة مرموقة في عالم الشعر و الأدب و الفقه و الحكمة، و قد ظهرت هذه الملكات في اولاد الأئمة بأجلى صورها و هم لم يزالوا أطفالا لم يبلغوا الحلم، و كان من هؤلاء الامام محمد الجواد، قال الطبرسي في (اعلام الوري).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٦٣

كان الامام محمد الجواد قد بلغ في وقته من الفضل و العلم و الحكم و الآداب مع صغر سنه ما لم يساوه فيها أحد من ذوى الاسنان من السادة و غيرهم، و قد نقل عن اتساع دائرة فقهه و احاطته بالاحكام و عمق تفكيره العجائب و الغرائب. فلقد كان أفضل أهل زمانه علما و عملا، و ورعا، و عبادة، و سخاء، و في جميع صفات الفضل .

و قد دلت آثاره التي تركها في الأقوال و المواعظ على عمق ما كان يملك من مواهب الأدب و الحكمة، و قد روى الرواة الشيء الكثير من الحكم و الآداب و الأدعية التي تصور اتجاهاته و تعبر عن غور معرفته، و من هذه ما جرى على اللسان مجرى الأمثال قوله:

من اطاع هواه اعطى عدوه مناه.

و من هجر المداراة قاربه المكروه.

و من عمل على غير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح.

و من لم يعرف الموارد أعيته المصادر.

و من انتقاد الى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرّض نفسه للهلكة و العاقبة المتعبة، لا تستقال لراكب الشهوات عشرة.

كفى بالمرأ خيانه أن يكون امينا للخونه.

عزّ المؤمن غناه عن الناس.

لا يغرك سخط من رضاه الجور.

قال المفيد: و كان المأمون قد شغف بأبي جعفر عليه السلام لما رأى من فضله مع صغر سنه و بلوغه في العلم و الحكمة و الأدب، و كمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ اهل زمانه.

و كان الى جانب ذلك يرتدى أفخر الثياب و اغلاها، و قد روى الصدوق عن علي بن مهزيار قال:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٦٤

«رأيت أبا جعفر الثاني (الجواد) يصلى الفريضة و غيرها في جبة خزّ طاروى و كسانى جبة خز، و ذكر انه لبسها على بدنه و صلى فيها، و أمرنى بالصلاة فيها»

و روى الكليني في (الكافي) عن ابي جعفر- و قال السيد محسن الأمين ان الظاهر ان الكليني اراد بأبي جعفر (الجواد)- انه قال: انا معشر آل محمد، نلبس الخز و اليمنة .

استدعاء المأمون لابي جعفر و عزمه على تزويجه ابنته ام الفضل

و بعد وفاة الامام على بن موسى الرضا (ع) بخراسان، دعا المأمون ابا جعفر من المدينة الى بغداد و كان الامام يقيم (بصرى) و هى ضاحية من ضواحي المدينة لا تبعد عن المدينة الا قليلا، و يستدل مما ورد في الاخبار ان الامام موسى بن جعفر هو الذى انشأها و بنى فيها قصرا.

و قد استقبله المأمون استقبالا فائقا و قربه اليه و انزله بالقرب من داره، و عزم على ان يزوجه ابنته (ام الفضل) لما كان قد شغف به مما بلغه عن علمه و أدبه و ذكائه و هو فى سن مبكرة، فبلغ ذلك الوجوه من العباسيين فشق عليهم ان يخطو المأمون خطوة اخرى فى

تقريب العلويين الى الحكم و كان المأمون قد خطا الخطوة الأولى حين جعل الامام على بن موسى الرضا (ع) وليا للعهد، و كتب له ذلك العهد التاريخي المشهور الذي كانت الخلافة العباسية ستنقل اليه لو لم يسموه، و يتوفى مسموما على بعض الروايات حتى قال في ذلك دعبل الخزاعي:

بأووا بقتل (الرضا) من بعد بيعته و أبصروا بعض يوم رشدهم و عموا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٦٥

و اجتمع العباسيون على ما جاء في (الارشاد) و على ما جاء في (تحف العقول) عند المأمون و معهم أهل بيته الادنون و قالوا للمأمون: ننشدك الله يا أمير المؤمنين ان تقف عند هذا الحد فلا تقدم على تزويج (الجواد) من ابنتك «لانا نخاف ان تخرج به عنا أمرا قد ملكناه الله، و تنزع منّا عزّا قد ألبسناه الله، فقد عرفت ما بيننا و بين هؤلاء القوم (آل على) قديما و حديثا، و ما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم و التصغير بهم، و قد كنا في وهلة من عملك مع (الرضا) ما عملت حتى كفانا الله المهم من ذلك، فالله الله ان تردنا الى غمّ قد انحسر عنا، و اصرف رأيك عن ابن (الرضا) و اعدل الى من تراه من اهل بيتك يصلح لذلك دون غيرهم». و الوارد في (الارشاد) للشيخ المفيد، و في (تحف العقول) لابن شعبه الحلبي و ما لخصه السيد الأمين في أعيان الشيعة: انه قال المأمون:

صورة حديثه لمنظر داخلي لضريح الامامين موسى بن جعفر و محمد الجواد (ع)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٦٦

«اما ما بينكم و بين آل ابي طالب فأنتم السبب فيه، و لو انصفتم القوم لكانوا اولى بكم، و اما ما كان يفعله من قبلي بهم، فقد كان قاطعا للرحم، و اعوذ بالله من ذلك، و و الله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف (الرضا) و لقد سألته ان يقوم بالأمر و أنزعه عن نفسي فأبى، و كان امر الله مقدورا، و اما ابو جعفر محمد بن على، فو الله لا قبلت من واحد منكم في امره شيئا، فقد اخترته لتبريزه على اهل الفضل في العلم و الفضل مع صغر سنه، و الاعجوبة فيه بذلك، و انا ارجو ان يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلموا ان الرأي ما رأيت فيه».

فقالوا: يا امير المؤمنين أتزوج ابنتك و قره عينك صبيا لم يتفقه في دين الله، و لا يعرف حلاله من حرامه، و لا فرضه من سنته؟ ان هذا الفتى و ان راقك منه هديه، فانه صبي لا معرفة له، و لا فقه فأمهله ليتأدب و يتفقه ثم اصنع ما تراه.

و لكي يروا المأمون صواب رأيهم و خطأ رأيه و يحولوا بينه و بين تزويجه ابنته من الجواد، طلبوا من المأمون ان يسمح لهم بامتحان الجواد بمحضر منه ليتأكد بنفسه خطأه- و الفقه يوم ذاك هو عنوان ثقافة العالم الخبير و لم يكن بإمكان احد ان يتفقه و يتعمق ما لم يمر بمراحل طويلة من الاحاطة التامة باللغة و الأدب و كان العلويون- كما قد مرّ- يبالغون في تعليم اولادهم فنون العلم و الفروسيه، و استعمال السيف الى جانب تمرينهم و ترويضهم في عبادة الله و طاعته و التمسك بدينه و عدم التفريط في اوامره و نواهيه- فوافق المأمون و قال لهم شأنكم و ذاك متى اردتم.

نموذج من عمق تبحره في الفقه و العلم و مدى غوره

فاجتمع هذا الرهط من العباسيين في يوم كانوا قد عينوه للاجتماع و فوضوا ليحيى بن اكرم، و كان يومذاك قاضي القضاة ببغداد القيام بامتحان الامام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٦٧

الجواد، و كان يحيى طويل الباع في الفقه و ما يمكن ان يتوصل اليه التشريع من التصور و مدى الاحكام، و امر المأمون أن يفرش

لأبي جعفر دست و يجعل له فيه مسورتان ، ففعلوا ذلك، و خرج ابو جعفر، و قد بالغ اصحاب الرواية و الاخبار فى صغر سنه فى هذا الوقت و هو أمر يناقض بلوغه المرحلة التى تؤهله للزواج- و الواقع انه كان شابا، و جلس بين المسورتين، و جلس يحيى بن أكثم بين يديه، و قام الناس فى مراتبهم و المأمون جالس فى دست متصل بدست ابى جعفر، فقال قائل القوم:

- يا امير المؤمنين، هذا القاضى إن أذنت له ان يسأل أبا جعفر.

فأقبل يحيى بن أكثم و قال للجواد: أتأذن لى فى مسألة؟

قال أبو جعفر: سل إن شئت ...

قال يحيى: ما تقول يا أبا جعفر اصلحك الله فى مجرم قتل صيدا؟

قال ابو جعفر: أقتله فى حل او حرم؟ عالما كان المحرم ام جاهلا؟

قتله عمدا ام خطأ؟ حرًا كان المحرم ام عبدا؟ صغيرا كان ام كبيرا؟ مبتدئا بالقتل ام معيدا؟ أمن ذوات الطير كان الصيد ام من غيره؟ و من صغار الصيد كان ام من كباره؟ مصرا على ما فعل او نادما؟ افى الليل كان قتله للصيد فى او كارها ام نهارا و عيانا؟ محرما كان بالعمرة اذ قتله او بالحج كان محرما؟

و لقد دلت هذه الأسئلة على مبلغ تنوع الاحكام و مدى احاطة الجواد و تغلغه فى التشريع، و قد تحدث مؤرخو هذا الخبر عن حيرة القاضى و ذهوله حتى لقد بان العجز على وجهه و التلجلج على لسانه و ارفض الجمع ذاهلين.

و لقد سأل المأمون بعد ذلك ابا جعفر ان يفصل له الوجوه الشرعية فيما ذكر، فقال ابو جعفر:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٦٨

١- ان المحرم اذا قتل صيدا فى الحل و كان الصيد من ذوات الطير، و كان من كبارها فعليه شاء.

٢- فاذا اصابه فى الحرم فعليه الجزاء مضاعفا.

٣- فاذا قتل فرخا فى الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، و ليست عليه القيمة لانه ليس فى الحرم.

٤- و اذا قتله فى الحرم فعليه الحمل و قيمة الفرخ.

٥- و ان كان من الوحش و كان حمار وحش فعليه بقره.

٦- و إن كان نعامه فعليه بدنه ، فان لم يقدر فاطعام ستين مسكينا، فان لم يقدر فليصم ثمانية عشر يوما.

٧- و ان كان بقره فعليه بقره، فان لم يقدر فليطعم ثلاثين مسكينا، فان لم يقدر فليصم تسعة أيام.

٨- و ان كان ظبيا فعليه شاء، فان لم يقدر فليطعم عشرة مساكين، فان لم يجد فليصم ثلاثة أيام.

٩- فان قتل شيئا من ذلك فى الحرم فعليه الجزاء مضاعفا هديا بالغ الكعبة

١٠- و إذا اصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه، و كان احرامه بالحج نحره بمنى، حيث ينحر الناس.

١١- و ان كان احرامه بالعمرة نحره بمكة فى فناء الكعبة و يتصدق بمثل ثمنه حتى يكون مضاعفا.

١٢- و كذلك اذا اصاب ارنبا او ثعلبا فعليه شاء، و يتصدق بمثل ثمن شاء.

١٣- و ان قتل حماما من حمام الحرم فعليه درهم يتصدق به و درهم يشتري به علفا لحمام الحرم، و فى الفرخ نصف درهم، و فى

البيضة ربع درهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٦٩

١٤- و كل ما اتى به المحرم بجهالة او خطأ فلا شىء عليه الا الصيد فان عليه فيه الفداء- أكان بجهالة ام بعلم، و بخطأ كان ام بعمد.

١٥- و جزاء الصيد على العالم و الجاهل سواء و فى العمدة له المأثم، و هو موضوع عنه فى الخطأ.

١٦- و الكفارة على الحرّ فى نفسه، و على السيد فى عبده.

١٧- والصغير لا كفارة عليه، و هي على الكبير واجبة.

١٨- و النادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة، و المصبر يجب عليه العقاب فى الآخرة.

١٩- و ان دل على الصيد و هو محرم، و قتل الصيد فعليه فيه الفداء، و ان اصابه ليلا فى او كارها خطأ فلا شىء عليه ان لم يتصيد.

٢٠- فإن تصيد بليل فعليه فيه الفداء؟

و اعجب المأمون بسعة اطلاع الامام (الجواد) و زاد تعلقه به و أمر أن تكتب هذه الأحكام فكتبت.

و مما ورد: ان المأمون طلب من الامام الجواد ان يوجهه هو ليحيى بن أكثم بعض الأسئلة الفقهية، فقال يحيى بن أكثم لأبى جعفر:

- سل فان عرفت جواب ما تسألنى عنه و إلّا استفدته منك؛

فقال ابو جعفر: أخبرنى عن رجل نظر الى امرأة فى أول النهار فكان نظره اليها حراما عليه؟

فلما ارتفع النهار حلّت له

فلما زالت الشمس (اى عند الظهر) حرمت عليه.

فلما كان وقت العصر حلّت له.

فلما غربت الشمس حرمت عليه.

فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلت له.

فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه.

فلما طلع الفجر حلت له.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٧٠

فما حال هذه المرأة؟ و بماذا حلّت له؟ و حرمت عليه؟

فقال يحيى بن أكثم: و الله ما أهتدى الى جواب هذا السؤال و لا اعرف الوجه فيه فان رأيت أن تفيدنا به؟

فقال ابو جعفر: هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبى (نظرة مريبة) فى أول النهار فكان نظره اليها حراما عليه.

فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له.

فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه.

فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت.

فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه .

فلما كان وقت العشاء الآخرة كَفَّرَ عن الظهار فحلّت له.

فلما كان فى نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه.

و لما كان عند الفجر راجعها فحلت له.

و فى (تحف العقول) رواية اخرى يستدل منها مبلغ عمق (الجواد) فى الفقه و حسن استخلاصه الاحكام الشرعية و استخدام العقل فى

تلك الاحكام فقد روى ان يحيى بن اكثم قد سأل أبا جعفر عن رجل نكح امرأة على زنا أحل له ان يتزوجها فقال الجواد:

- يدعها حتى يستبرئها من نطفته و نطفة غيره، إذ لا يؤمن منها ان تكون قد أحدثت مع غيره حدثا كما أحدثت معه ثم يتزوجها اذا

اراد، فانما مثلها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٧١

مثل نخلة أكل رجل منها حراما، ثم اشتراها فأكل منها حلالا.

و قال ابن خلكان عن ابى جعفر: «و كان يروى مسندا عن آبائه الى على ابن ابى طالب رضى الله عنه، إنه قال (أى الإمام على بن أبى

طالب على ما روى أبو جعفر) بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن، فقال و هو يوصيني: يا على ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، يا على:

عليك بالدلجة فان الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار، يا على اغد باسم الله فان الله بارك لأمتي في بكورها». و كان يقول: «من استفاد أخوا في الله فقد استفاد بيتا في الجنة» .

زواجه من ام الفضل

و مما روى ان المأمون حين هم بتزويج الجواد ابنته قال له: أتخطب يا ابا جعفر؟ قال: نعم. قال له المأمون- إخطب- فقد رضيتك لنفسى و انا مزوجك (ام الفضل) ابنتى و ان رغم قوم لذلك. فقال ابو جعفر- الحمد لله إقرارا بنعمته و لا إله الا الله اخلاصا لوحدانته، و صلى الله على محمد سيد بريته، و الاصفياء من عترته، اما بعد، فقد كان من فضل الله على الانام أن اغناهم بالحلال عن الحرام فقال سبحانه: «وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ، وَإِمَائِكُمْ، إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

ثم ان محمد بن على بن موسى (يعنى نفسه) يخطب أم الفضل بنت عبد الله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٧٢

المأمون، و قد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله و سلم، و هو خمسمائة درهم جيادا، فهل زوجته يا أمير المؤمنين على الصداق المذكور؟

قال المأمون: نعم قد زوجتك يا ابا جعفر ام الفضل ابنتى على الصداق المذكور .

و روى السيد محسن الأمين نقلا عن (تحف العقول) قال:

فأولم المأمون الولائم و اجاز الناس على مراتبهم اهل الخاصة، و اهل العامة، و الاشراف و العمال، و اوصل الى كل طبقة برا على ما تستحقه .

و اورد الكثير من الرواه و المؤرخين اوصافا مسهبة عن هذه الولائم و ما دارت فيها من اطباق الفضة و قد حوت ببنادق مسك و زعفران معجون فى اجواف تلك البنادق و فيها رقايع مكتوبة بأموال جزيلة، و عطايا سنينة و اقطاعات فنثرت على القوم من الخاصة الى غير ذلك من الأبهة التى حاطت هذه الولائم.

و يضيف بعض المؤرخين الى اعجاب المأمون بشخصية الامام و مكانته الذى حمله على تزويجه ابنته مقتضيات سياسية فى تقريب العلويين الى العباسيين و ازالة ما علق فى قلوب شيعة العلويين من الكره و البغض للعباسيين الذى اولده العباسيون و لا سيما المنصور بما عامل به العلويين من قساوة

و يقول الدكتور احمد فريد الرفاعى عن المأمون:

و كان سياسيا فذاً فى تزوجه من بوران بنت الحسن بن سهل ليكتسب الحزب الفارسى، و فى تزويجه على بن موسى الرضا (ام حبيب)

و محمد ابن على بن موسى ابنته (أم الفضل) ليكتسب الحزب العلوى راميا بذلك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٧٣

كله الى ضمان تأييد الاحزاب له، عارفا لنفسيات الجمهور و امزجة الجماعات .

رجوعه إلى المدينة و وفاته

و رجع الامام (الجواد) بعد زواجه الى المدينة و معه زوجته (ام الفضل) و جاء على ما ذكر الشيخ المفيد: انه لما توجه قاصا المدينة صار الى شارع باب الكوفة و معه الناس يشيعونه حتى انتهى الى دار (المسيب) عند مغيب الشمس فنزل و دخل المسجد و صلى فيه، ثم توجه الى الحج، و بعد اداء الحج توجه الى المدينة مستوطنا.

و حين توفي المأمون و خلفه اخوه المعتصم فى الخلافة ارسل يستدعى الجواد الى العراق، و يختلف المؤرخون فى سبب دعوته و يفسر البعض هذا الاستدعاء بالحذر من التفاف الشيعة حول (الجواد) و الخشية من انتقال الخلافة الى العلويين، و يقول المسعودى فى (اثبات الوصية) ان المعتصم بن هرون، و جعفر بن المأمون لم يزالا بعد قدوم الجواد الى بغداد و استيطانه فيها يعدان العدة و يعملان الحيلة فى قتله و كان ذلك سنة ٢٢٠ هجرية.

و يقول ابن الأثير «و فى هذه السنة اى ٢٢٠ هجرية توفي محمد بن على ابن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على عليه السلام ببغداد و كان قدمها و معه امرأته ام الفضل ابنة المأمون فدفن بها عند جده موسى ابن جعفر، و هو احد الأئمة عند الامامية، و صلى عليه الواثق، و كان عمره خمسا و عشرين سنة، و كانت وفاته فى ذى الحجة، و قيل فى سبب موته غير ذلك».

موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ٩؛ ص ٧٣

ابن خلكان فيقول عنه: «هو أحد الأئمة الاثني عشر ايضا، قدم الى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٧٤

بغداد وافدا على المعتصم و معه امرأته (ام الفضل) بنت المأمون فتوفى بها و حملت امرأته الى قصر عمها المعتصم فجعلت مع الحرم

و اضاف ابن خلكان يقول: و توفي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذى الحجة فى سنة عشرين و مائتين و قيل تسعة عشرة و مائتين هـ، و هناك من يقول ان وفاته كانت يوم السبت من اواخر ذى القعدة من سنة ٢٢٠ هـ ٨٣٥ م

و خلف الامام الجواد اربعة اولادهم:

على الهادى، و هو الامام العاشر عند الشيعة الاثني عشرية، و موسى بن محمد، و فاطمة، و إمامة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٧٥

الكاظمين فى الشعر جمعه و نسقه حسب الحروف الابجدية فؤاد عباس من خريجي الجامعة الاميركية ببغروت و المفتش الاختصاصى فى وزارة التربية العراقية

اشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٧٧

الشيخ جابر الكاظمي

قال فى تعمير حضرة الجوادين (ع)

فقل لمن قصد الزوراء معتمدا قطع الفدافد يطوى كل بيداء

ان صرت غربى بغداد و شمت سنا(الوادى المقدس) مأوى كل آلاء

قل للمنيين رشدا من مؤرخه نادوا المهيمن هذا طور سيناء

*** و قال مؤرخا عام تزخرف ايوان (باب المراد) من الحضرة الكاظمية بالزجاج:

و ايوان صفا مرآه حتى على الافلاك فضّل بالضياء

(١) هذه امثال لعدد من الشعراء فى مختلف العصور ممن ورد ذكر الكاظمين فى شعرهم لمناسبة ما و قد عنى الكاتب بجمعها و تنسيقها كنماذج مختلفة للشعر العربى فى الاغراض المختلفة من الكاظمين، و ليس للاختيار، و لا للاحصاء اى شأن فى هذا الجمع و التنسيق و الأستخلاص، و لما كنا قد اتبعنا عرض اسماء الشعراء فى الجزء الاول من قسم النجف، و الجزء الاول من قسم كربلا، و الجزء الاول من قسم مكة المكرمة حسب الحروف الهجائية، فقد اتبع الكاتب هنا نفس الطريقة التى اتبعها فى تقديم المقدار الكافى من الشعر الذى يضمن تكوين فكرة كاملة عن الوان النهج المتبع فى ذكر الكاظمية و الكاظمين فى الشعر مرتبا على الحروف الهجائية. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٧٨ و فى مرآته التكوين طرا تراعى للعيون بلا غطاء

فزخرفه و زينته كرام سموا بعلائهم قمم العلاء

لموسى و الجواد السبط سبطى رسول الله خير الانبياء

و أقصى الوجد زال فأرّخوه أراه شبه مرآة السماء)

١٢٨٨-١٢٨٤ هـ

*** و قال فى باب الحرم الكاظمى مؤرخا تفضيضا:

باب لبابى اله العرش قد فتحاو فيه نهج الورى و الحق قد وضحا

من فضة صيغ و دت ان تذهبه شمس النهار فيحمى (؟) المنحا

فى عهد (عبد العزيز) المرتقى لذرى عزّ به الدين بالاعزاز قد لقحا

و عهد (ناصر دين الله) قد نصرت به الهداة فزند الرشد قد قدحا

بمتمهى الرشد ناد (؟) يا مؤرخه باب لباب اله العرش قد فتحا)

١٢٨٤ ١٨٢٠ +٤

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٧٩

السيد حيدر الحلى

قال يمدح صحن الامامين الكاظمين و المتولى لتعميره و البازل له. و هى طويلة اخترنا منها ما له صلة بالوصف و التاريخ:

حزت بالكاظمين شأنا كبيرا فابق يا صحن أهلا معمورا

لك فخر المحارة انفلقت عن درّتين استقلتا الشمس نورا

و هما قبتان ليست لكل منهما قبة السماء نظيرا

صاغ كلتيهما بقدرته الصائغ من نوره و قال: أنيرا

حول كلّ منارتان من التبريجلى سناهما الديقورا

كبرت كلّ قبة بهما شأنافأبدت عليهما التكبرا

كعروس بدت بقرطى نضار فملت قلب مجتليها سرورا

بوركت من منائر قد اقيمت عمدا تحمل العظيم الخطيرا

أنت بيت برفعه أذن الله ل (فرهاد) فاستهلّ سروراو بعصر سلطانه (ناصر الدين) فاخلق بأن يباهى العصورا

يا مقبل العثار تهنيك بشري تركت جدّ حاسديك عثورا
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٨٠ من رأى قبل ذا كعمك عمّا ليس تغنى عنه الملوك نقيرا
 قد كسا هذه المقاصير وشيا فيسكى وشيا ويحيى قصورا

سعد قرط مسامع الدهر انشادك تسمع من شئت حتى الصخورا
 و على (بلدة الجوادين) عزج بالقوافي مهنيًا و بشيرا
 قل لها لا يرحت فردوس أنس فيك تلقى الناس الهنا و الجبورا
 ما نزلنا حماك الّا وجدنا بلدا طيبا و ربّا غفورا
 و امامين ينقدان من النار لمن فيهما غدا مستجيرا
 طبت اهلا و تربة و هواء كم نشقنا بجوه كافورا

دعبل الخزاعي

من تائيته المشهورة :
 قبور بكوفان و اخرى بطيبه و اخرى بفتح نالها صلواتي
 و اخرى بأرض الجوزجان محلها و قبر بباخرمي لدى الغربات
 و قبر ب (بغداد) لنفس زكية نضمها الرحمن في الغرفات
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٨١

الشريف الرضي

ولى قبران (بالزوراء) أشفى بقربهما نزاعى و اكتبابى
 أقود إليهما نفسى و اهدى سلاما لا يحيد عن الجواب
 لقاؤهما يطهر من جنانى و يدرأ عن ردائى كلّ عاب

الشيخ صالح التميمي

قال يمدح الامامين موسى الكاظم و محمد الجواد عليهما السلام:
 اذا ضلّ حاديها الطريق بدا له سنا بارق (بالكرخ) يهدى الى الرشد
 سنانور (موسى) و الجواد (محمد) سناء يعيد البرء للأعين الرمد
 هما شرعا من لجة العلم موردا جداوله للناس أحلى من الشهد

صالح القزوينى البغدادي المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ

فى مدح الامامين الكاظمين (ع) و قد خمّسها الحاج محمد على كتمونة الاسدى الكربلايى و اكتفينا هنا فى ذكر الاصل دون
 التخميس:

اقول لركب حيث بانوا و يمموا سراعا الى الزوراء عوجوا و ألممو

إذا جئتم من جانب الكرخ غزبوا إلى الطور حيث النور يبدو و يكتفون
 قفوا حيث نار الطور اشرق نورها و لاح سناها و الظلام مخيم
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٨٢ و حيث تراءت نار (موسى) فادلجوا إليه مع السارين و الليل مظلم
 قفوا بى اذا ما جئتم ذروة الحمى على قبر (موسى) و (الجواد) و سلموا

عبد الباقي العمري

قال مهنتا بها حضرة ذى المدد الدائم أبى الرضا و جدّ القائم الامام الهمام موسى الكاظم (ع) بقدم الستر الشريف النبوى و الرواق
 المنيف المرتضوى و اتحاف مرقد الانور بقطعة من ذلك الازار الازهر: .
 وافتك يا (موسى بن جعفر) تحفة منها يلوح لنا الطراز الاول
 رقمت على العنوان من ديباجه ديباجه الشرف الذى لا يجهل
 كم جاورت قبرا لجدك فاكتست مجدا له الحط السماك الاعزل
 و تقدست اذ جللت جدنا ثوى فى لحده المدثر المزمّل
 فاشتاقت ستر العرش لو بمحلها يوما على تلك الحظيرة يسبل
 اعطيت ما لم يحظ يعقوب به اذ جاءه بشذا القميص الشمال
 طوبى لكم من وارثين فقد غدت آثار جدكم اليكم تنقل
 شملتكم معه (العبا) بحياته و مماته استاره لك تشمل

لما به ساروا و اعلام لهم خفقت بأثواب الجلالة ترفل
 شاموا السنا من (قتبيك) و عنده وجدوا منار هدى يشب و يشعل
 فتهافتوا مثل الفراش و احدقوا فغشاهم النور القديم الاول
 قد سبحوا لما أتوك و كبروا اذ شاهدوا منك الضريح و هللوا
 فاقبل هديّة امه الهادى التى منك الاغاثة فى الشدائد تسأل
 بضجيع حضرتك (الجواد محمد) و حفيدها هذا الامام الافضل
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٨٣

و قال لما زار مع المفتش راشدا فندى الوارد من الاستانة الى بغداد حضرة الامام موسى الكاظم (ع):
 وافى من الروم يبغى (راشد) رشد الى طريق هدى سعي على الراس
 و يرتجى العفو من مولاه ملتجئا بالكاظم الغيظ و العافى عن الناس
 و جاء فى الترياق الفاروقى لعبد الباقي العمري ما يلى:

فى وصف حضرة الامامين الكاظمين و حظيرة الهمامين الجوادين و ما احتوت عليه من محاسن المعلمات و القناديل الزاهيات و نفائس
 السراقات عليهما اسنى التسليمات:

حضرة (الكاظمين) منها المرايا قد حك قلب صب اهل الطفوف
 صبغتها يد التجلى بكف كبرت عن تشبيهها بالكفوف
 وروت عن غدیر خم صفاء فترأت لطرفى المطروف

صور الكائنات فوجا بفوج سباحات في موجهها المكفوف
 من قناديل عسجد زينوها بصفوف تلوح إثر صفوف
 رسم تعليقها الانيق تبدى كسطور منضودة من حروف
 روضة للصدور فيها ورود بكفّ الالفاظ ذات قطوف
 قد اظلت شمسا بغير كسوف و اقلت بدرا بغير خسوف
 و طوت (كاظما) و لقت (جوادا) فازدهت بالمطوى و الملفوف
 شرفت فيهما و ما كل ظرف حاز تشريفه من المظروف

و هي لما على السماء انافت بهما قلت: يا سما المجد نوفي
 لا تلمنى على وقوفى باب تتمنى الاملاك فيه وقوفى
 هو باب مجرب ذو خواص كان منها اغائه الملهوف
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٨٤ ملجأ العاجزين كهف اليتامى مروء المرملين مأوى الضيوف
 أنا عنه حيا و ميتا بدنياى و أخرى لست بالمصروف
 فليمنى من شاء انى موال رافل من ولائهم بشغوف
 و يقول عبد الباقي العمرى فى مورد آخر:
 خلعنا نفوسا قبل خلع نعالناغداه حللنا مرقدا منك مانوسا
 و ليس علينا من جناح بجعلها لأنك بالوادى المقدس يا (موسى)

زر حضرة، مجمع البحرين ساحتها بان عن (قبتها) سره القدر
 تر (ابن جعفر) موسى فى حظيرته موسى) و لكن له من نفسه (خضر)
 *** و قال عبد الباقي العمرى حين تشرف بزيارة مقام الكاظمين الهمامين الجوادين و شاهد فى سماء مشهدهما تجاه مرقديهما ثريا
 من البلور ساطعة بالنور معلقة فى سلسلة، و سرادقات من الديباج مظلة، لهما و عليهما مجللة:
 مقام الكاظمين سماء مجدحوت شمسي علا بدرى كمال
 بمنطقة بمنطقة افتخار مسردقة بديباج الجلال
 امام الفرقدين بها الثرياتضىء ضحى و تشرق فى الليالى
 محلقة بسلسلة عراها معلقة بعننين الهلال
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٨٥
 و كان فى قصبه الكاظمين فى أثناء موسم الزيارة فى رجب الاصم من شهور عام ١٢٦٩ هـ فقال:
 زيارة الكاظمين فى رجب تنقد يوم اللقا من اللهب
 تعدل حجا و وقفه بمنى و عمره كلها بلا نصب
 إى و أبى لا يخاف هول غدمن حازها فى الزمان إى و أبى
 من شاهد الفرقدين قبلهما فى سفطى قبتين من ذهب؟؟
 *** و قال عبد الباقي مؤرخا عام تعمير مرقد ابناء حضرة سيدنا الامام الكاظم (ع) الذى عمره سليم باشا الفريق:

فريق جند النصر سمح اليدين اعنى سليم القلب من كل رين
 آثاره انوارها قد بدت باهرة تزهر بالقبتين
 إذ شاد ما كان بها دائرأفأشرق في حضرة التيرين
 شلبي جناب الكاظم المرتجى سلاله السبط الامام الحسين
 عتره طه المصطفى احمد اشرف من صلى الى القبلتين
 لما رأى تعميرها واجبا بل انما شاهده فرض عين
 بنى بطوع لهما مرقد ابذله التبر و نقد اللجين
 جزاه ربي عنهما خير ماجزى به مستوجب الحسينين
 بعون اصحاب العبا أرخوا: «شاد سليم مرقد الفرقدين»
 ١٢٦٤ هـ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٨٦

عبد الغفار الاخرس

وقال يمدح الامام الهمام حضرة موسى الكاظم سليل النبوة و أبا المكارم و ذلك حين ورد اليه ستر جدّه جناب سيّد المرسلين من
 خير السلاطين :

يا امام الهدى و يا صفوة الله و يا من هدى هداه العبادايا بن بنت الرسول يا بن على
 حتى هذا النادى و هذا المنادى قد أتينا بثوب جدك نسعى
 و اتيناك سيدى و فادافأتيناك راجلين احتراماً
 و احتشاماً و هيبه و انقياداً تهادى به إليك جميعاً
 و به كانت المطايا تهادى طالبات (موسى بن جعفر) فيه
 و كذا القدوة الامام (الجواد) من نبى قد شرف العرش لَمّا
 أن ترقى بالله سبعا شداد اشرف في ثياب قبر نبى
 عطرت في ورودها بغدادا (كاظم) الغيظ سالم الصدر عاف
 ما حوى قط صدره الاحفاد اقد وقفنا لدى علاك و القينا ... الى بابك الرفيع القيادة
 موطن تنزل الملائك فيه و مقام يسرّ فيه الفؤادا
 أيها الطاهر الزكى اغثنا و أذلنا الاسعاف و الاسعادا
 و (على) أتاك يا ابن على كى ينال المنى بكم و المرادا
 فعليك السلام يا خيرة الخلق سلام يبقى و يأبى النفاذا
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٨٧

الشيخ عبد المحسن الكاظمي

تقول (رباب) لا تسؤك نوى المنى فقد يتدانى بالمنى السبب النزر
 و ليس سواء من خطبت و انما على قدر ذات الحسن يشترط المهر

فقلت لها قد مسنا الضرّ فاسلكي الى النفع نهجا دونه يقف الضر
فقلت و ثغر (الكاظمية) باسم لك البشر لا تجزع فقد قرب البشر

*** قال يخاطب عبد الله بن الحسين

لقريش بغداد مضيء جوهاو لهاشم النجف الاغر منير
الكاظمون الغيظ والعافون من اجدادك الغر الكرام حضور
قد جاهدوا في الله حق جهادهو مضوا كراما و الرداء طهور
الشيخ عبد المحسن الكاظمي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٨٨

محمد بن عبيد الله (سبط ابن التعاويذي) ٥١٩ هـ - ٥٨٤ هـ

قال يعاتب فخر الدين محمد بن المختار العلوي نقيب مشهد الكوفة على ساكنه أفضل السلام و كان وعده بوعد و لم ينجزه و اتفق
بمقيب وعده اياه عزل الوزير:

يا سمى النبى يابن على قاتل الشرك - و البتول الطهور

أنت تسمو على البرية طرابمحل عال و بيت كبير

عنكم يؤخذ الوفاء و منكم يجتدى الناس كل خير و خير

كيف اخلفتي و ما الخلف للميعاد ... من عادة الموالى الصدورو لقد كان لائقا بك ان تحمل ... ضعفيه عند عزل الوزير

فاخو الفضل من يساعد فى الشدة ... لا فى الرخاء و الميسورو متى ما استمر خلفك للوعد و لم تعتذر عن التأخير

صرت من جملة النواصب لا آكل غير الجري و الجرجيرو تغسلت و اكتحلت ثلاثا

و طبخت الحبوب فى عاشورو طويت الاحزان فيه و لم أبد سرورا فى يوم عيد الغدير

و تبدلت من مبيتى فى (مشهد موسى) بجامع المنصورو تطهرت من اناء يهودى و فضلته على الخنزير

و رآنى أهل التشيع فى الكرخ بتاسومة و ذيل قصيرزائرا قبر (مصعب) بعد ما كنت أوالى دفين (قبر النذور)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٨٩ و تخيرت أن يكون الزبيرى رفيقى فى العرض يوم النشورو ترانى فى الحشر (فاطمة) الطهر

و كفى فى كفه المبتورو تكون المسؤول عن مؤمن ألقيته أنت فى سواء السعير

الشيخ محسن أبو الحب

قال رايا السيد محمد آل شديد

مضيت فأوريت القلوب بشعلة من الحزن لا تخبو و لا هو يخمد

لقد خسرتك (الكاظمية) واعظا خطيبا له فن الخطابة يعهد

ألا يا قاصد (الزوراء) عرج لتحظى بالامان و بالامانى

و حث الركب ان تبغى (؟) نجاحا على (الغربى) من تلك المغانى

فطف واسع و حج بها و لب (؟) و سلم فى جنانك و اللسان

و نعليك اخلعن و اخضع خشوعا اذا لاحت لديك (القبتان)

فتحتهما لعمر ك نار (موسى) أضاءت حين نودى لن ترانى

فتلك النار نور الله فيها و نور (محمد) متقاربان

الشيخ محسن أبو الحب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٩٠

السيد موسى الطالقاني

و ب (بغداد) قد ثوى سيد الكونين (موسى) أسير كفّ الذحول كاظما غيظه يريد رضا الله فيلقى الردى بصبر جميل

عابد زاهد تقى نقى غوث داع و غيث عام محيل

قد اصاب (الرشيد) فى قتله الغنى و قد ضل عن سواء السبيل

و الى جنبه ثوى من بنيه خير شبل له و خير سليل

مهيار الديلمي

قال يرثى صاحب عميد الجيوش ابا على بن استاذ هرمز، الذى نشر الأمن و كف الأذى عن اهل الفضل، و اخاف العصاة و الشقاة ...

و بموته عمت الفجيعة و دفن فى المشهد بباب التبن على صاحبه السلام:

فتحوا ضريحك فى مساكن تربه جاورتها فختمت طيب ختام

و نزلت فى (مضر)- و قومك غيرهم- بعد الممات بأشرف الاقوام

أنى التفت فأنت فى حرزين من حرمى شهيد سيد و إمام

اصبحت منهم بالنزول عليهم يا رحب ما بوئت من إكرام

فاذا تزخرت الجنان بهم غدا صاحبتهم فدخلتموا بسلام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٩١

الكاظمية فى المراجع العربية كتبه الدكتور حسين على محفوظ دكتوراه الدولة من جامعة طهران و المفتش الاختصاصى بوزارة

التربية سابقا و الأستاذ بكلية الآداب فى جامعة بغداد اليوم

إشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٩٣

الكاظمية فى التواريخ

الكامل فى التاريخ

سنة ١٨٣ هـ

فيها، مات موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب، ببغداد، فى حبس الرشيد.

و جاء فى الكامل انه تولت حبسه اخت السندى ابن شاهك. و كانت تتدين. فحككت عنه؛ انه كان اذا صلى العتمة، حمد الله، و مجده،

و دعاه، الى ان يزول الليل. ثم يقوم فيصلي، حتى يصلي الصبح. ثم يذكر الله - تعالى - حتى تطلع الشمس. ثم يقعد الى ارتفاع الضحى.

ثم يرقد و يستيقظ - قبل الزوال - ثم يتوضأ، و يصلي، حتى يصلي العصر.

ثم يذكر الله حتى يصلي المغرب. ثم يصلي المغرب، ثم يصلي ما بين المغرب و العتمة. فكان هذا دأبه الى ان مات.

و كانت - اذا رأته - قالت: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل الصالح.

و كان يلقب «الكاظم»، لأنه كان يحسن الى من يسىء اليه. كان هذا عادته أبدا ... الخ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٩٤

سنة ٢١٩ هـ

في هذه السنة توفي ببغداد الجواد؛ محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي (ع م). توفي ببغداد .. فدفن بها عند جده موسى بن جعفر. و هو احد الأئمة - عند الامامية - و صلى عليه الواثق و كان عمره خمسا و عشرين سنة. و كانت وفاته في ذى الحجة .

سنة ٣١٢ هـ

كان المحسن بن الوزير بن الفرات مختفيا .. عند حماته حزانة - و هى والده الفضل بن جعفر بن الفرات - و كانت تأخذه كل يوم إلى المقبرة، و تعود به إلى المنازل التى يثق بأهلها عشاء؛ و هو فى زى امرأة - فمضت يوما إلى مقابر قريش و ادركها الليل، فبعد عليها الطريق. فأشارت عليها امرأة معها ان تقصد امرأة صالحة تعرفها بالخير تختفى عندها. فأخذت المحسن و قصدت تلك المرأة. و قالت لها معنا صبيئة بكر نريد بيتا نكون فيه. فأمرتهم بالدخول إلى دارها و سلمت اليهم قبة فى الدار .

سنة ٣٦٧ هـ

فيها، زادت دجلة زيادة عظيمة، و غرقت كثيرا من الجانب الشرقى ببغداد. و غرقت ايضا مقابر بباب التبن بالجانب الغربى منها. و بلغت السفينة باجرة وافر، و اشرف الناس على الهلاك. ثم نقص الماء فأمنوا .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٩٥

سنة ٤٠٦ هـ

فيها، توفي الشريف الرضى، محمد بن الحسين بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر، ابو الحسن؛ صاحب الديوان المشهور. و شهد جنازته الناس كافة. و لم يشهدا اخوه (الشريف المرتضى)؛ لأنه لم يستطع ان ينظر الى جنازته. فأقام بالمشهد (الكاظمية) إلى ان اعاده الوزير فخر الملك إلى داره .

سنة ٤٢٢ هـ

اعترض اهل باب البصرة قوما من (قم) أرادوا زيارة مشهد على، و الحسين - عم - فقتلوا منهم ثلاثة نفر. و امتنعت زيارة مشهد موسى بن جعفر .

سنة ٤٢٥ هـ

سار (الملك العزيز) متخفيا، فقصده نصر الدولة بن مروان، فتوفى عنده بميفارقين، و حمل إلى بغداد، و دفن عند ابيه بمقابر قريش، في مشهد باب التبن. سنة احدى و اربعين .

سنة ٤٢٦ هـ

فيها، نقل تابوت جلال الدولة، من داره إلى مشهد باب التبن، إلى تربة له هناك .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٩٦

سنة ٤٢٣ هـ

في هذه السنة، في صفر، تجددت الفتنة، ببغداد، بين السنة و الشيعة.
و عظمت اضعاف ما كانت قديما ..

و كان سبب هذه الفتنة، ان اهل الكرخ شرعوا في عمل باب السماكين.

و أهل العلاتين في عمل ما بقى من باب مسعود. ففرغ اهل الكرخ، و عملوا أبراجا، كتبوا عليها بالذهب (محمد و على خير البشر). و انكر السنة ذلك.

و ادعوا ان المكتوب: (محمد و على خير البشر. فمن رضى فقد شكر، و من أبى فقد كفر). و أنكر أهل الكرخ الزيادة. و قالوا: ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا، فيما نكتبه على مساجدنا. فأرسل الخليفة القائم بأمر الله ابا تمام نقيب العباسيين، و نقيب العلويين و هو عدنان بن الرضى؛ لكشف الحال و انهاءه. فكتبنا بتصديق قول الكرخيين. فأمر حينئذ- الخليفة و نواب الرحيم بكف القتال، فلم يقبلوا و انتدب ابن المذهب القاضى، و الزهيرى و غيرهما من الحنابلة اصحاب عبد الصمد يحمل العامة على الاغراق بالفتنة فأمسك نواب ملك الرحيم عن كفهم؛ غيظا من رئيس الرؤساء لميله إلى الحنابلة، و منع هؤلاء السنة من حمل الماء من دجلة إلى الكرخ .. و تشدد رئيس الرؤساء على الشيعة، فمحووا خير البشر، و كتبوا (عليهما السلام). فقالت السنة؛ لا نرضى إلا ان يقلع الآجر الذى عليه (محمد و على) و ان لا يؤذن (حى على خير العمل)، و امتنع الشيعة من ذلك.

و دام القتال إلى ٣ ربيع الأول. و قتل فيه رجل هاشمى من السنة، فحملة أهله على نعش، و طافوا به فى الحربية، و باب البصرة، و ساير محال السنة.

و استنفروا الناس للأخذ بثاره. ثم دفنوه عند احمد بن حنبل. و قد اجتمع معهم خلق كثير، أضعاف ما تقدم.

فلما رجعوا من دفنه، قصدوا مشهد باب التبن، فاغلق بابه. فنقبوا فى سورها و تهددوا البواب، فخافهم، و فتح الباب. فدخلوا و نهبوا ما

فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٩٧

المشهد من قناديل، و محاريب ذهب و فضة، و ستور و غير ذلك. و نهبوا ما فى التراب و الدور.

فلما كان الغد؛ كثر الجمع، فقصداوا المشهد، و احرقوا جميع التراب و الازاج، و احترق ضريح موسى، و ضريح ابن ابنه محمد بن على الجواد، و القبتان الساج، اللتان عليهما. و احترق ما يقابلهما، و يجاورهما من قبور ملوك بنى بويه؛ معز الدولة، و جلال الدولة.

و من قبور الوزراء و الرؤساء، و قبر جعفر ابن ابى جعفر المنصور، و قبر الأمين محمد بن الرشيد، و قبر أمه زبيدة.

و جرى من الامر الفظيع ما لم يجر فى الدنيا مثله.

فلما كان الغد، خامس الشهر، عادوا و حفروا قبر موسى بن جعفر، و محمد بن على؛ لينقلوهما إلى مقبرة احمد بن حنبل، فحال الهدم بينهم و بين معرفة القبر، فجاء الحفر إلى جانبه.

شيخ الطائفة الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسى

و سمع ابو تمام، نقيب العباسيين و غيره من الهاشمين السنة- الخبر، فجاؤوا، و منعوا عن ذلك ...

و لما انتهى خبر احراق المشهد إلى نور الدولة ديبس بن مزيد، عظم عليه و اشتد، و بلغ منه كل مبلغ- لانه و اهل بيته، و سائر اعماله؛ من النيل.

و تلك الولاية كلهم شيعة- فقطعت فى اعمال خطبة الامام القائم بأمر الله،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٩٨

فروسل فى ذلك و عوتب، فاعتذر بأن اهل ولايته شيعة، و اتفقوا على ذلك.

فلم يمكنه ان يشق عليهم. كما ان الخليفة لم يمكنه كف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا .

سنة ٤٤٩ هـ

فيها، نهبت دار ابى جعفر الطوسى بالكرخ؛ و هو فقيه الامامية. و أخذ ما فيها. و كان قد فارقتها إلى المشهد الغربى .

سنة ٤٦٦ هـ

فى هذه السنة، غرق الجانب الشرقى، و بعض الغربى من بغداد .. و غرق من الجانب الغربى مقبرة احمد، و مشهد باب التين، و تهدم سور. فأطلق شرف الدولة الف دينار؛ تصرف فى عمارته .

سنة ٥٠٢ هـ

فى هذه السنة، فى شعبان، اصطالح عامة بغداد السنة و الشيعة و خرج الشيعة ليلئ النصف منه إلى مشهد موسى بن جعفر و غيره، فلم يعترضهم أحد من السنة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٩٩

سنة ٥١٧ هـ

عاد الخليفة (المسترشد بالله) الى بغداد، فدخلها يوم عاشوراء، من هذه السنة. و لما عاد الخليفة إلى بغداد، ثار العامة بها، و نهبوا مشهد باب التبن، و قلعوا أبوابه، فأنكر الخليفة ذلك، و أمر أمير الحاج بالركوب إلى المشهد، و تأديب من فعل ذلك، و أخذ ما نهب، ففعل و أعاد البعض، و خفى الباقي عليه .

سنة ٥٩٣ هـ

في جمادى الآخرة، توفى قاضى القضاة، ابو طالب على ابن البخارى، ببغداد، و دفن بتربته، فى مشهد باب التبن .

سنة ٦١٤ هـ

فيها، زادت دجلة زيادة عظيمة، لم يشاهد فى قديم الزمان مثلها ...
أما الجانب الغربى؛ فتهدم اكثر القرية، و نهر عيسى، و الشطيات، و خربت البساتين و مشهد باب التبن، و مقبرة أحمد بن حنبل، و الحريم الطاهرى

الجامع المختصر**سنة ٥٩٧ هـ**

ابو الفتح، صدقة بن أبى الرضا محمد بن احمد بن صدقة؛ الملقب
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٠٠
ظهير الدين. من بيت أهل تقدم، و وزارة، و ولاية. تولى نيابة الوزارة فى الأيام الناصرية .. فى ١٥ المحرم من سنة ٥٨٠. و كان قبل نيابة الوزارة يتولى حجابة باب النبوى الشريف، ثم رتب مشرفا بالديوان العزيز، فى جمادى الآخرة، من سنة ٥٩٧، فمرض عقيب ذلك، و توفى، فى ليلة الجمعة حادى عشرى رجب من سنة ٩٧ المذكورة. و دفن بمقابر قريش بباب التبن .

سنة ٥٩٨ هـ

ابو منصور، محمد بن محمد المبارك، الكرخى؛ المنشد. شيخ حافظ للقرآن المجيد. قرأه بالقراآت. و كان حسن القراءة، جيد الأداء، طيب الصوت، شجيه. و كان يتشيع، و ينشد فى المواسم بالمشاهد المقدسة، و يعظ فى الأعزبة. توفى فى حادى عشر المحرم من سنة ٥٩٨ المذكورة. و دفن بمشهد موسى بن جعفر - عليهما السلام .

* ابو الحسن، على بن ابى عبد الله محمد بن ابى الحسن على بن ابى نصر محمد بن الحسين بن ابراهيم بن يعيش؛ سبط قاضى القضاة ابى الحسن على ابن محمد الدامغانى .. مولده ... يوم الاثنين، مستهل شعبان، من سنة ٥١٩. و توفى فى يوم السبت حادى عشر صفر،

من سنة ٩٨ المذكورة.

و دفن في مشهد موسى بن جعفر-ع-.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٠١

سنة ٥٩٩ هـ

ابو البدر بن حيدر. شاب عنده فضل، و تميز، و كتابة، كان يتولى ديوان التركات الحشريه . توفي في عاشر شهر رمضان، من سنة ٥٩٩ هـ المذكورة؛ من مرض ايام قلائل. و صلى عليه بالمدرسة النظامية، و دفن بمشهد موسى بن جعفر-عليهما السلام-. بلغني انه كان يقول: قد عينت على فلان و فلان، و يعد مشايخ ارباب الأموال، الذين لا وارث لهم سوى بيت المال، فمات هو شابا، و بقي اولئك بعده .

* ابو الفضل، أحمد بن علي بن هبة الله بن محمد بن علي؛ ابن البخارى.

كان شابا جميلا؛ من بيت معروف بالولايات و القضاء و العدالة و الرواية ..

استنابه والده في القضاء و الحكم بحريم دار الخلافة المعظمة، و ما يليها ...

و لم يزل على ذلك إلى أن توفي والده في جمادى الأولى، من سنة ٥٩٣، فانعزل بوفاته، و لزم منزله؛ إلى أن ولى اقضى القضاء شرقا و غربا، و خلع عليه .. ثم عزل في اواخر ذى الحجة من سنة ٥٩٥ فلزم منزله، إلى ان توفي في يوم الاربعاء ٤ ذى الحجة من سنة ٥٩٩ .. و صلى عليه بالمدرسة النظامية، و دفن - عند ابيه- في تربة لهم بمشهد موسى بن جعفر-عليهما السلام- .

سنة ٦٠٠ هـ

الرضي بن حبشى؛ كاتب المخزن المعمور. كان كاتباً ضابطاً، متواضعا،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٠٢

حسن الكتابة. كانت وفاته، في يوم الاربعاء ١٣ جمادى الأولى، من سنة ٦٠٠ و صلى عليه بالنظامية. و دفن في مشهد موسى بن جعفر-ع-.

* ابو اسحاق، خليل بن محمود بن خليل التبريزي؛ أحد أمناء الحكم، بمدينة السلام. شيخ خير ولد ببغداد. و لاه قاضى القضاء، أبو الحسن ابن الدامغانى أمينا على أموال الأيتام، و لم يزل على ذلك، إلى أن توفي، في ليلة الجمعة، ١٥ ذى الحجة، من سنة ٦٠٠، و دفن بمقبرة مشهد موسى بن جعفر-ع-.

سنة ٦٠١ هـ

في ليلة النصف من شعبان؛ هبت ريح شديدة، و معها غبرة و قتره- و الناس قاصدون المشهد الكاظمي (على ساكنيه السلام) و مقبرة احمد (رض)؛ فقصدوا المشهد، و ازدحموا في بابه الأول، و ركب بعضهم بعضا، فاختنق- في ذلك الزحام- سبعة عشر رجلا، و امرأتان، و قيل:

تسعة عشر رجلا، و امرأة، و صبى، و صبوية.

و ذهب من الناس - عمائم و مداسات كثيرة. و انكشف الأمر بين المغرب و العشاء. و قد هلك المذكورون، و تفقدتهم الناس. فمن عرف أحدا من الهلكى أخذه. و دفنوا فى تلك الليلة. و بقى منهم جماعة لم يعرفوا، كانوا من السواد، فدفنهم الناس. و غرق - فى تلك الحال - أيضا، عدة سفن، كانت مصعدة و منحدره فى دجلة، و غرق فيها خلق كثير .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٠٣

ابو على، الحسن بن محمد بن عبدوس؛ شاعر من اهل واسط. قدم بغداد، و استوطنها .. و هو احد شعراء الديوان العزيز .. كانت وفاته ... فى يوم الجمعة خامس صفر، من سنة ٦٠١. و صلى عليه بالمدرسة النظامية، و دفن فى مشهد موسى بن جعفر - عليهما السلام - .

سنة ٦٠٢ هـ

ابو شجاع؛ الذهبى، المعروف بالخوص. شيخ من ساكنى الغلة .

كان - أولا - ذهبيا، ثم ضمن دار الذهب. و كان تاجرا. توفى فى يوم الأربعاء، رابع شهر ربيع الأول، من سنة ٦٠٢. و دفن فى مقبرة المشهد الكاظمى - على ساكنيه السلام - .

* ابنه ارغش، مقطع دقوقا، و زوجة الأمير جمال الدين قشتمر الناصرى.

توفيت، هذه السنة؛ بمرض السل. و كان سبب مرضها - فيما ظهر - ان زوجها قشتمر؛ وقع بينه و بين الوزير ناصر بن مهدي ما اقتضى ان رأى سيده الامام الناصر الدين الله - رض - ايفاده إلى رام هرمر، و اقطاعه اياها، فمرضت لفراقه. فلما بلغها انه قد تزوج بابنة ابى طاهر، اشتد حزنها و تزايد مرضها. و كان له منها ابن صغير اسمه محمد، و لقبه قطب الدين.

فكانت تبكى الليل و النهار؛ شوقا إليه، و تأسفا عليه. و كانت - اذا سليت عنه - لا تسلى، و أيست من عوده، و اجتماعها به. و بلغنى؛ انها امتنعت من الطعام و الشراب، حتى ماتت - رح - و فتح لها جامع القصر الشريف، و حضر جماعة الأمراء، و الأعيان، و الأكابر؛ للصلاة عليها. و دفنت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٠٤

فى تربة لها بمشهد موسى بن جعفر - ع - .

* جارية المسكين ابى الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم، القمى؛ كاتب ديوان الانشاء - يومئذ - و ام أولاده.

توفيت فى ثامن صفر من سنة ٦٠٢. و صلى عليها بالمدرسة النظامية، و دفنت فى تربة لهم بالمشهد الكاظمى - على ساكنيه السلام - و شيع جنازتها خلق كثير .

سنة ٦٠٤ هـ

ابو منصور، احمد بن على بن هبة الله، ابن (الصاحب)؛ الملقب بالريب، اخو استاذ الدار العزیزة - يومئذ - .

توفى يوم الأحد ٩ المحرم، و صلى عليه فى جامع القصر الشريف. و دفن بمشهد موسى بن جعفر - على ساكنيه السلام - و كان عمره نحو من خمسين سنة. و قد روى شيئا من الحديث .

* أبو محمد، الحسين بن يحيى بن عماره؛ كاتب نهر عيسى. شيخ من اعيان الكتاب؛ عنده فضل و معرفة بالكتابة.

توفى فى خامس عشرى شهر ربيع الأول (سنة ٦٠٤) و دفن فى مشهد موسى بن جعفر - عليهما السلام - .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٠٥

ابو القاسم، الحسن بن نصر بن علي بن احمد بن محمد بن الناقد؛ صدر المخزن المعمور. من بيت معروف بالولايات، و التقدم، و الرياسة. ربي في ظل الخدمة الشريفة الناصرية، و شمله انعامها طفلا، و يافعا، و محتلما، فسمما قدره، و تولى الولايات، و تنقل في الخدمات ..

توفى والده، في ١٨ جمادى الآخرة، من سنة ٥٩٢. و كان يتولى صدرية المخزن المعمور، فجعل عوضه .. إلى أن عزل عنه، يوم الخميس ١٤ جمادى الأولى سنة ٥٩٨ ... و لم يستخدم بعد ذلك، إلى أن توفى، في ليلة الأربعاء ٩ شهر رمضان، من سنة ٦٠٤ .. و دفن في تربة لهم، في مشهد موسى بن جعفر-ع-.

سنة ٦٠٥ هـ

ابو الفوارس، نصر بن ناصر بن ليث بن مكي؛ الكاتب، المدائني، انتقل إلى بغداد. و أقام بها، و استوطن، و تقدم في خدمة الديوان العزيز» و علت مرتبته ... ثم تولى صدرية المخزن المعمور ..

كانت وفاته في ليلة الأربعاء، ٩ شعبان، من سنة ٦٠٥؛ عن مرض ايام قلائل. و صلى عليه، في جامع القصر الشريف، و حضر جنازته جميع ارباب الدولة، و وجوه الناس كافة، و دفن في حضرة موسى بن جعفر-عليهما السلام- و كان الجمع وافرا جدا .

* ابو جعفر، المبارك بن علي بن أحمد بن محمد بن الناقد. اخو ابي طالب نصر .. تولى حجة باب النوبي الشريف بعد ابن اخيه القاسم الحسن بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٠٦

نصر، في يوم الاربعاء ١٨ جمادى الآخرة، من سنة ٥٩٢ .. توفى في شهر رمضان، من سنة ٦٠٥ .. و دفن في مشهد موسى بن جعفر-ع-.

سنة ٦٠٦ هـ

في يوم الخميس حادى عشر (ربيع الأول) عزل عز الدين عدنان بن المعمر بن المختار الكوفي، عن نقابة مشهد موسى بن جعفر-ع-.

مختصر اخبار الخلفاء

كانت ايام (الناصر) غرة في وجه الدهر .. و كان يتشيع، و يميل إلى مذهب الإمامية؛ بخلاف آباءه. و قد جعل مشهد الامام موسى الكاظم- عليه السلام و الرضوان- أمنا لمن لاذ به. فكان الناس يلتجئون إليه، في حاجاتهم، و مهماتهم، و جرائمهم؛ فيقضى الناصر لهم حوائجهم، و يسعفهم فيما أهمهم، و يعفو عن جرائمهم .

في فرحة الغرى

و الذى بنى مشهد الكرخ، سباهى الحاجب؛ مولى شرف الدولة ابي الفوارس عضد الدولة. و بنى قنطرة الياصرية، و وقف دباهى على المارستان، و سد شق الخالص، و حفر ذنابة دجيل، و ساق الماء إل موسى بن جعفر-عليهما السلام- .

في الفخرى

حدث عن (الوزير مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم برز القمي)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٠٧

مملوكه بدر الدين اياز؛ قال: طلب ليلة - من الليالي - حلاوة النبات، فعمل في الحال منها صحون كثيرة، و حضرت بين يديه في ذلك الليل.

فقال لي: يا آياز؛ تقدر تدخر هذه الحلاوة لي موفرة إلى يوم القيامة؟

فقلت: يا مولانا، وكيف يكون ذلك؟ وهل يمكن هذا؟

قال: نعم؛ تمضى في هذه الساعة - إلى مشهد موسى و الجواد (عليهما السلام)، و تضع هذه الأصحن، قدام أيتام العلويين. فانها تدخر لي موفرة إلى يوم القيامة. قال: آيار، فقلت: السمع و الطاعة، و مضيت - و كان نصف الليل - إلى المشهد، و فتحت الأبواب، و أنبعت الصبيان الأيتام، و وضعت الأصحن بين يديهم، و رجعت .

* لم يجر في أيام (الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله) .. سوى احتراق القبة الشريفة، بمشهد موسى و الجواد - عليهما السلام - فشرع الظاهر في عمارتها، فمات، و لم تفرغ، فتممها المستنصر .

الحوادث الجامعة

سنة ٥٦٣٤ هـ

فيها، قصد الخليفة (المستنصر بالله) مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام - في ثالث رجب. فلما عاد، أبرز ثلاثة آلاف دينار إلى أبي عبد الله الحسين بن الأقساسي؛ نقيب الطالبين، و أمره أن يفرقها على العلويين المقيمين في مشهد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب، و الحسين، و موسى ابن جعفر - عليهم السلام - .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٠٨

سنة ٥٦٣٥ هـ

في ربيع الآخر، تقدم إلى المدرسين، و الفقهاء، و مشايخ الربط، و الصوفية، و أرباب الدولة من الصدور و الأمراء؛ بحضور جامع القصر؛ لأجل الصلاة على ابنه بدر الدين لؤلؤ؛ صاحب الموصل؛ زوجة الأمير علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير. و صلى عليها في القبلة. و شيع الكل جنازتها، إلى المشهد الكاظمي. و دفنت في الايوان المقابل للداخل إلى مصف الحضرة المقدسة - في ضريح مفرد .

سنة ٥٦٣٧ هـ

فيها، توفي ابو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم؛ المعروف بابن الاثير، الجزري الأصل، الموصلى الدار.

كان كاتباً عالماً متفناً في علم الكتابة مقتدراً على الإنشاء. ورد إلى بغداد مرارا في رسائل من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل؛ منها في هذه السنة.

فمرض ببغداد، و مات و دفن في صحن مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام - كان مولده سنة ٥٥٨ .

سنة ٥٦١ هـ

فيها، تقدم الخليفة (المستنصر بالله) إلى جمال الدين عبد الرحمن ابن الجوزي المحتسب؛ بمنع الناس من قراءة المقتل، في يوم عاشوراء، و الانشاد في سائر المحالّ بجانبى بغداد سوى مشهد موسى بن جعفر - عليهما السلام - .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٠٩

سنة ٥٦١ هـ

في سابع عشرى رجب المبارك، قصد الخليفة (المستعصم) زيارة مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام - و كان يوما مطيرا. و نزل عن مركوبه من باب سور المشهد .

سنة ٥٦٣ هـ

الوزير نصير الدين، ابى الأزهر، أحمد بن الناقد .. عرض له اسهال، فتوفى ليلة الجمعة سادس ربيع الأول من السنة، فدفن في مشهد موسى ابن جعفر - عليه السلام - في تربة اتخذها لنفسه .
* و فيها، توفى خواجه حسين بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز في دار مجاور داره. و انقضى عمره على ذلك، و دفن في مشهد موسى ابن جعفر - عليه السلام - .
* في ليلة الجمعة، حادى عشر شهر رمضان؛ نقل مؤيد الدين أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز؛ القمى الوزير، من مدفنه بمقبرة الزرادين بالمأمونية، إلى تربة؛ كان أنشأها بالمشهد الكاظمى، و وقف عليها وقوفا. و ذلك بعد ثلاث عشرة سنة و أحد عشر شهرا .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١١٠

سنة ٥٦٦ هـ

في شوال، تواترت الغيوث حتى امتلأت البوابع، و استجد عوضها و امتلأت أيضا. و تعطل على الناس معظم أشغالهم. و كان ذلك عاما ببغداد، و تستر، و اربل، و الموصل، و غير ذلك من البلاد.
و دام حتى منع الناس عن الزرع، و غرقت القرى، و هدمت الدور، و امتلأت الزابات، و تجمر الماء بدجلة، و زادت زيادة عظيمة؛ غرقت الشطانيات بالجانب الغربى من بغداد.

و من فتحه انفتحت - فوق قبر احمد بن حنبل - غرق منها محلة الحريية، و الكرخ، و المارستان، و الخلد، و دار بختيار، و السوق بأسره - من رباط الخلاطية إلى القنطرة - و قطعة من محلة قطفتا، و الشيخ بأسره، و الجنبشة (٤)، و وقع قطعة من جامع فخر الدولة الحسن بن المطلب، و قطعة من سور المشهد الكاظمى - على ساكنه السلام - و جامع الحريية بأسره. و انتقل الناس من مساكنهم القريبة

من دجلة الى المواضع العالية ..

و لم تبلغ هذه الزيادة تلك التي كانت سنة ٦١٤ .

* ثم زادت (دجلة) في ذى الحجة، زيادة مفرطة أعظم من الأولى ...

أما الجانب الغربى فغرق بأسره .. و أما المشهد الكاظمى - على ساكنه السلام - فإنه هدم سور و دوره، فأقام على الضريحين الشريفين؛ بحيث لم يبين من الرمامين سوى رؤوسها .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١١١

سنة ٦٤٧ هـ

فيها، نقل فخر الدولة الحسن بن المطلب، من مدفنه بالايوان، الذى فى جامعه على شاطىء دجلة، حيث وقع حائطه - إلى مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام - تولى نقله النواب الذين ينظرون فى وقوفه. و ارادوا نقله إلى موضع فى الجامع، فلم يجوز الفقهاء ذلك. و ذلك بعد نيف و ستين سنة من موته .

* و فيها، أمر الخليفة بعمارة سور مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام - فلما شرعوا فى ذلك، وجدوا برنية، فيها ألفا درهم قديمة؛ منها يونانية عليها صور، و منها ضرب بغداد، سنة نيف و ثلاثين و مائة، و منها ما هو ضرب واسط، يقارب هذا التاريخ. فعرضت على الخليفة، فأمر أن تصرف فى عمارة المشهد، فاشترها الناس بأوفر الأثمان، و أهدى منها إلى الأكابر، فنفذوا إلى المشهد أضعاف ما كان حمل إليهم .

* و فى حادى عشر ذى القعدة، امر الخليفة بحمل مشدتين إلى مشهد موسى ابن جعفر - عليه السلام - و تعليقهما على القبتين الشريفتين، ثم تقدم بازالتهماء، فى خامس عشرى الشهر المذكور .

سنة ٦٤٨ هـ

فيها، توفى عبد الغنى بن فاخر، مهتر الفراشين بدار الخليفة ...

و بنى تربة فى المشهد الكاظمى - على ساكنه السلام - و عمل ضريحا و صندوقا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١١٢

و جعل فى التربة فرشا، و ربعة، و قناديل، و خادما. و وقف أملاكه على التربة و الخادم، و من يختار القعود - هناك - من معتقيه و مقرىء و فراش

سنة ٦٥٠ هـ

فى شوال توفى علاء الدين الطبرسى الظاهرى، المعروف بالدويدار الكبير. كان دويدار الخليفة الظاهر، و كان حظيا عنده.

و دفن فى مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام - فى الايوان المقابل لباب الدخول - عند زوجته ابنة بدر الدين؛ صاحب الموصل .

سنة ٦٥٦ هـ

توفى الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي، في مستهل جمادى الآخرة، و دفن في مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام -

سنة ٦٦٣ هـ

فيها، توفى جمال الدين ابو الحسن علي بن برز القمي، المعروف بأميران؛ و هو ابن أخى الوزير مؤيد الدين القمي. و دفن في تربة عمه، بمشهد (موسى بن جعفر) - عليه السلام - .

سنة ٦٧٢ هـ

توفى .. خواجه نصير الدين أبو جعفر محمد بن الطوسي، في ثامن عشر موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١١٣
ذى الحجة، و دفن في مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام - في سرداب قديم البناء، خال من دفن. قيل: إنه كان قد عمل للخليفة الناصر لدين الله ..
كان مولده سنة ٥٩٧ هـ .
و فيها، ظهر جراد كثير؛ أكل الغلات، و سائر الزروع، و خصوص النخل، و ورق الأشجار، في الحلّة، و الكوفة، و بغداد .

سنة ٦٧٤ هـ

و فيها، عزل أمين الدين مبارك الهندى الجوهري، من نقابة مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام - و عين في النقابة نجم الدين على ابن الموسوى.

و لما كان مبارك نقيبا المذكور نقيبا، قال فيه بعض الشعراء:

رأيت في النوم امام الهدى موسى حليف الهم و الوجد

يقول ما تنكبني نكبة إلا من الهند أو السند

تحكم (السندى) في مهجتي و حكم (الهندى) في ولدى

فلعن الله على من به تحكم السندى و الهندى

سنة ٦٧٧ هـ

فيها، رأى الناس فى الليلة التاسعة من شهر رمضان - بظاهر بغداد - نورا متصلا بالسماء، و فى صبحتها.

قال بعضهم: انه رأى قبرا فيه أحد أولاد الحسن «بمحلة الهروية»،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١١٤

فانهال الناس لزيارته. ثم شرعوا فى عمارته. و تواتر بعد ذلك اخبار العوام برؤية المنامات، و كثرة الظواهر. و تحدّثوا بقيام الزمنى و

المرضى، وفتح أعين الأضرءاء. و نقل قوم عن قوم أشياء لا أصل لها غير أهوية العوام. و بطل الناس من معاشهم و أشغالهم بسبب ذلك. فتقدم صاحب الديوان بنقل كل من يوجد له قبر إلى مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام - ففعلوا ذلك، و سكن العوام .

سنة ٦٨٨ هـ

فيها، تقدم الملك شرف الدين السمناني؛ صاحب ديوان العراق، بإعادة الزين - عميد بغداد - إلى التمتع، بعد أن استوفى ما عليه من بقايا الضمان بالضرب و العذاب. ثم عزم الملك على التوجه إلى الاردو المعظم، فقصده سعد الدولة المشرف عليه - مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام - و زار ضريحه الشريف، و أخذ المصحف متفائلاً - به، فخرج له: «يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم و اعدناكم جانب الطور الأيمن، و نزلنا عليكم المن و السلوى»؛ فاستبشر بذلك، و أطلق للعلويين و القوام مائة دينار. فلما وصلوا إلى حضرة السلطان، عزل الملك شرف الدين و رتب سعد الدولة .

سنة ٦٩٣ هـ

توفي النقيب غياث الدين، عبد الكريم؛ ابن طاووس، في مشهد موسى ابن جعفر، و قد حمل إلى جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١١٥

سنة ٦٩٤ هـ

فخر الدين مظفر بن الطراح، صدر واسط و البصرة .. ناب عن الملك فخر الدين منوچهر بن ملك همدان، في واسط .. آلت حاله إلى القتل.
و دفنت جثته في مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام - و كان قد تجاوز في العمر ستين سنة .

تاريخ بغداد

عمر أبو أحمد الموسوي مسجد (قطيعة ام جعفر من الجانب الغربي) ..
كبره، و بناه .. و استأذن الطائع لله، في أن يجعله مسجدا، يصلى فيه في أيام الجمع .. فأذن في ذلك، و صار جامعاً يصلى فيه الجمع.
فأدركت صلاة الجمعة، و هي تقام ببغداد، في مسجد المدينة، و مسجد الرصافة، و مسجد دار الخلافة، و مسجد براكا، و مسجد قطيعة ام جعفر ..
و مسجد الحربية. و لم تزل على هذا، إلى أن خرجت من بغداد، في سنة ٤٥١ هـ .

* بالجانب الغربي - في أعلى المدينة - مقابر قريش، دفن بها موسى بن جعفر .. و جماعة من الأفاضل معه .. و كان أول من دفن في مقابر قريش؛ جعفر الأ-كبر بن المنصور .. و كذلك (دفن) .. جماعة من العلماء و المحدثين و الفقهاء بمقبرة باب التبن. و هي على

الخدق، بازاء قطيعة أم جعفر .

موسوعة العتبات المقدسة، ج٩، ص: ١١٦

المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم

سنة ٣٥٣ هـ

عمل في عاشوراء .. تعطيل الأسواق، و إقامة النوح. فلما أضحى النهار- يومئذ- وقعت فتنة عظيمة، في قطيعة ام جعفر، و طريق مقابر قريش؛ بين السنة و الشيعة. و نهب الناس بعضهم بعضا، و وقعت بينهم جراحات .

سنة ٣٥٤ هـ

في هذه السنة، عمل يوم عيد غدیر خم ببغداد .. اشعال النار في ليلته و ضرب الدبادب و البوقات، و بكور الناس إلى مقابر قريش .

سنة ٣٥٥ هـ

توفي (محمد بن عمر بن سلم بن البراء بن سبرة بن سبار، ابو بكر) قاضى الموصل .. ابن الجعابي .. صلى عليه في جامع المنصور، و حمل إلى مقابر قريش، فدفن بها .

سنة ٣٥٨ هـ

في ذى الحجة، نقل الأمير عز الدولة معز الدولة، من داره، إلى تربة بنيت له في مقابر قريش .
موسوعة العتبات المقدسة، ج٩، ص: ١١٧

سنة ٣٦٧ هـ

في شهر رمضان، تاهت زيارة دجلة، حتى انتهت إلى إحدى و عشرين ذراعا ...
و انفجر بثق من الخندق، غرق مقابر باب التبن، و قطيعة أم جعفر.
و خرج سكان الدور الشارعة على دجلة منها. و غار الماء من آبارها و بلايعها.
و انهم الناس نفوسهم خوفا من غرق البلد كله، ثم نقص الماء .

سنة ٣٧٣ هـ

فى يوم عاشوراء- و هو عاشر المحرم- اظهرت وفاة عضد الدولة و حمل تابوته إلى المشهد الغربى، و دفن فى تربة بنيت له هناك، و كتب على قبره فى ملبن ساج: هذا قبر عضد الدولة، و تاج الملة، ابى شجاع، ابن ركن الدولة. أحب مجاورة هذا الامام التقى؛ بطمعه فى الخلاص، يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها. و الحمد لله و صلى الله على محمد و عترته الطاهرة .

سنة ٣٩٣ هـ

منع (عميد الجيوش) اهل الكرخ، و باب الطاق- فى عاشوراء- من النوح فى المشاهد، و تعليق المسوح فى الأسواق .

سنة ٤٠٢ هـ

فخر الملك أذن لأهل الكرخ، و باب الطاق؛ فى عمل عاشوراء، فعلقوا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١١٨

المسوح، و اقاموا النياحة فى المشاهد .

و فى رجب، و شعبان، و رمضان؛ و اصل فخر الملك الصدقات، و الحمول إلى المشاهد بمقابر قريش، و الحائر، و الكوفة، و فرق الثياب، و التمور، و النفقات؛ فى العيد على الضعفاء .

سنة ٤٠٨ هـ

توفى، فى شوال؛ شباشى الحاجب؛ ابو طاهر المشطب- مولى شرف الدولة ابى الفوارس ابن عضد الدولة- السعيد ذو العضدين، المناصح.

سدّ بئق الخالص، و حفر ذنابة دجيل، و ساق الماء منها إلى مقابر قريش ...

سنة ٤٣٦ هـ

فى سادس رمضان؛ نقل تابوت جلال الدولة، و بنته الكبرى، من دار المملكة، إلى تربة لهم فى مقابر قريش .

سنة ٤٤٣ هـ

فى اول صفر، تجددت الفتنة بين السنة و الشيعة .. فلما كان يوم الأربعاء، لسبع بقين من صفر؛ اجتمع من اهل السنة عدد يفوت الاحصاء .. و استنفر البلد. و نقب مشهد باب التبن، و نهب ما فيه، و اخرج جماعة من القبور، فأحرقوا؛ مثل العوفى و الناشى، و الجذوعى. و نقل من المكان جماعة موتى،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١١٩

فدفنوا فى مقابر شتى، و طرح النار فى التراب القديمة و الحديثة. و احترق الضريحان و القبستان الساج.

و حفروا أحد الضريحين، ليخرجوا من فيه، و يدفنوه بقبر أحمد.
فبادر النقيب و الناس، فمنعوهم .. و أظهر اهل الكرخ الحزن، و قعدوا فى الأسواق للعزاء، و علقوا المسوح على الدكاكين ..

سنة ٤٤٨ هـ

فى هذه السنة، أقيم الأذان، فى المشهد، بمقابر قريش، و مشهد العتيقة، و مساجد الكرخ ب (الصلاة خير من التوم). و ازيل ما كانوا يستعملونه فى الأذان (حى على خير العمل). و قلع جميع ما كان على ابواب الدور و الدروب من (محمد و على خير البشر).
* (سبب اسلام هلال بن المحسن، الصابى الذى توفى فى هذه السنة) قال: رأيت فى المنام سنة ٣٩٩ رسول الله- صلى الله عليه و سلم .. فانتبهت، و دخلت إلى الحمام، و جئت إلى المشهد، وصلت فيه، و زال عنى الشك.
فبعث إلى فخر الملك .

سنة ٤٥٠ هـ

عبر قريش (بن بدران) ليلة الاربعاء، التاسع من ذى الحجة، الى الجانب الغربى، و ضرب خيمة بقرب جامع المنصور. و حمل الخليفة إلى المشهد بمقابر قريش. و قال له: تبيت فيها. فامتنع، و قال: هؤلاء العلويون،
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٢٠
الذين بها، يعادوننى .. فالزم الدخول، و بات ليلته فى بعض الترب.
و حضر- من الغد- جماعة من اصحاب البساسيرى، و أصحاب قريش، فتسلموه من موضعه، و أقعدوه فى هودج على جمل، و سيروه إلى الأنبار ..

سنة ٤٥١ هـ

و لما عاد القائم من الحديثه .. اشرف- فى بعض الأيام على البنائين و النجارين فى الدار- فرأى فيهم روز جاريا فأمر الخادم بإخراجه .. فسئل الخليفة عن السبب، فقال: ان هذا الروز جارى بعينه أسمعنا- عند خروجنا من الدار- الكلام الشنيع. و بعثنا بذلك إلى المكان الذى نزلناه من مشهد باب التبن.
و لم يكفه ذلك، حتى نقب السقف فاذا أنا بغباره و تبعا الى عقروقوف .

سنة ٤٦٦ هـ

غرقت مقابر قريش، و مقبرة أحمد بن حنبل، و دخل الماء شبابيك المارستان العضدى، فوقف فيه .
* و فى اول يوم من شوال؛ حضر الموكب النقيان، و الأشراف، و القضاء، و الشهود. فنهض بعض المتفقهة، و أورد أخبارا فى مدح الصحابة. و قال ما بال الجنائز تمنع من ذكر الصحابة عليها بمقابر قريش، و ربع الكرخ- و السنة ظاهرة، و يد أمير المؤمنين قاهرة- فطولع بما قال. فخرج التوقيع بما معناه: أنهى ما ارتكب بمقابر قريش من إجمال ذكر صاحبي رسول الله- صلى الله عليه و سلم، و

رضى عنهما- و تورطهم فى هذه الجهالة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٢١

و استمرارهم على هذه الضلالة، التى استوجبوا بها النكال، و استحقوا عظيم الخزي و الوبال.

و انما يتوجه العتب فى ذلك، نحو نقيب الطالبين. و لولا ما تدرّج به من جلباب الحكم، و اسباب يتوخاها، لتقدم فى فرضه ما يرتدع به الجهال.

فليؤجر باظهار شغل السنة، فى مقابر باب التبن، و ربع الكرخ، من ذكر الصحابة على الجنائز، و حثهم على الجمعة و الجماعة، و التثويب بالصلاة خير من النوم، و ذكر الصحابة على مساجدهم و محاربهم اسوة بمساجد السنة، و التقدم بمكاتبة ابن مزيد ليجرى على هذه السيرة، فى بلاده. و ليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة، أو يصيبهم عذاب عظيم .

سنة ٥١٧ هـ

لما عاد الخليفة، من حرب ديبس؛ ثار العوام ببغداد، فقصدوا مشهد مقابر قريش، و نهبوا ما فيه، و قلعوا شبائكه. و أخذوا ما فيه من الودائع و الذخائر.

و جاء العلويون يشكون هذه الحال إلى الديوان؛ فأنهى ذلك. فخرج توقيع الخليفة- بعد أن اطلق فى النهب- بانكار ما جرى، و تقدم إلى «نظر» الخادم بالركوب إلى المشهد، و تأديب الجناة. ففعل ذلك، و ردّ بعض ما أخذ .

سنة ٥٥٢ هـ

توفى فى ليلة الجمعة، ثالث عشرين، من جمادى الأولى، من هذه السنة؛ على بن صدقة؛ ابو القاسم؛ الوزير، و صلى عليه فى جامع القصر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٢٢

- قبل صلاة الجمعة- و قبر بمشهد باب التبن .

سنة ٥٥٤ هـ

و غرقت مقبرة الامام أحمد، و غيرها من الأماكن و المقابر. و انخسفت القبور المبنية، و خرج الموتى على رأس الماء. و اسكر المشهد و الحرية، و كانت آية عجيبة .

سنة ٥٥٨ هـ

توفى، يوم الاثنين، تاسع عشر رجب، محمد بن عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم، ابو عبد الله ابن الانبارى؛ الملقب بسديد الدولة؛ كاتب الأنشاء. و صلى عليه يوم الثلاثاء، بجامع القصر. و حضر الوزير، و غيره من أرباب الدولة. و دفن بمشهد باب التبن .

سنة ٥٦٢ هـ

توفى، فى ذى القعدة، من هذه السنة؛ محمد بن الحسن بن محمد بن على بن حمدول؛ أبو المعالى، الكاتب؛ (مصنف) كتاب التذكرة و دفن بمقابر قريش .

سنة ٥٦٩ هـ

فى يوم الأحد، عاشر رمضان؛ زاد (دجلة) على كل زيادة تقدمت. و اسكرت الحربىء، و المشهد. و وقع اكثر سور المشهد، و نبغ من موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٢٣
داخله الماء، فرمى الدور، و الترب ..

مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان**سنة ٥٧٥ هـ**

فيها، توفى محمد بن محمد بن عبد الكريم؛ ابو الفرج؛ ابن الانبارى؛ كاتب الانشاء بديوان الخليفة. ولد سنة ٥٠٧ هـ. ناب فى الديوان، من حين مات والده سديد الدولة، سنة ٥٥٨ إلى هذه السنة. و كانت وفاته فى ذى القعدة. و صلى عليه بجامع القصر، و دفن عند والده بمقابر قريش
* و فيها، توفى ابن العطار؛ صاحب المخزن و نائب الوزارة. و اسمه منصور بن نصر بن الحسين ابو بكر. و يلقب بظهير الدين ...
كان مسيئا إلى الخلق الخاص و العام و العسكر و الرعيء؛ و خصوصا إلى اهل المختارة، و الكرخ، و مشهد موسى بن جعفر. و قطع ارزاقهم، و بدد شملهم .

سنة ٥٩٧ هـ

فيها، استتاب الخليفة نصير الدين ناصر بن مهدي (من اهل مشهد موسى بن جعفر) فى الوزارة .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٢٤
و فيها، توفى .. (ابو الفرج) عبد الرحمن .. ابن الجوزى .. و قام الناصر العلوى الموسوى، من اهل مشهد موسى بن جعفر- عليه السلام- فأنشد:

الدهر عن طمع يغرّ و يخدع و زخارف الدنيا الدنية تطمع
... الأبيات

سنة ٦٠٨ هـ

فيها، أمر الخليفة أن يقرأ مسند الإمام احمد بن حنبل - بمشهد موسى بن جعفر - بحضرة صفى الدين محمد بن معد الموسوي، باجازه عن الخليفة ..

و اول ما قرأ منه مسند ابى بكر الصديق - رضى الله عنه - و حديث فذك، و ما جرى فيها .

سنة ٦١٣ هـ

فيها، توفى يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد، اربع مرات؛ أبو جعفر العلوي، الحسنى، البصرى. و يعرف بابن ابى زيد. ولى نقابة الطالبين بالبصرة.

و كانت وفاته ببغداد - فى رمضان - و دفن بمقابر قریش .

سنة ٦١٥ هـ

فيها، توفى نجاح بن عبد الله الشرابى؛ شرابى الخليفة .. مملوك الامام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٢٥

الناصر .. و تصدق عنه الخليفة من مال نجاح بعشرة آلاف دينار، على المشاهد. و بعث بمثلها إلى مكة و المدينة ..

سنة ٦٢٢ هـ

فيها، توفى الإمام الناصر لدين الله، ابو العباس أحمد بن الامام المستضىء بالله.

ولد فى رجب سنة ٥٥٣، و بويع بالخلافة غرة ذى القعدة، سنة ٥٧٥ ..

و كانت وفاته ليلة الأحد، سلخ رمضان عن تسع و ستين سنة. و كانت خلافته سبعا و اربعين سنة إلا شهورا ... و كان قد عمل له

ضريحا عند موسى بن جعفر فأمر الظاهر بحمله إلى الرصافة .

منتخب المختار

ذو الفقار بن محمد بن اشرف بن ابى جعفر محمد بن ابى الصمصام بن الحسن بن احمد بن حميدان بن اسماعيل بن يوسف بن

موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ... ابو جعفر .. العلوى الحسنى؛ الملقب شرف الدين .. الشافعى .. مدرس

المستنصرى .. توفى يوم الجمعة ٢٧ من شعبان، سنة ٦٨٥. و دفن عند والده بالمشهد الكاظمى. و شيعه قاضى القضاء و الجماعة إلى

مدفنه . موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ٩؛ ص ١٢٥

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٢٦

محمد بن محمد بن محمود بن النجيب؛ الواسطى، الشرقى، ابو البدر .. الشافعى المعدل؛ كمال الدين؛ نزيل بغداد .. توفى فى ليلة

الجمعة ٣ ذى الحجة سنة ٦٨١ هـ .. و دفن بمشهد باب التبن بمقابر قریش .

دوحة الوزراء فى تاريخ وقائع بغداد الزوراء

سنة ١١٥٣ هـ

خلال هذه السنة، أرسل الشاه (نادر شاه) هدايا مالية جسيمة، و تحفا ثمينة، إلى المراقد المقدسة؛ مرقد .. على المرتضى - كرم الله وجهه- و سيد الشهداء الامام الحسين، و الإمام موسى الكاظم .

سنة ١١٦٤ هـ

أخذ يتوارد على بغداد؛ بقصد الحج و الزيارة الكثير من الإيرانيين و لا سيما أهالي خراسان و اصفهان .

سنة ١٢١٦ هـ

و قد نقلوا خزينة النجف الأشرف خوفا عليها من غارات الوهابيين .
و ضموها إلى خزينة موسى الكاظم - رضى الله عنه- و قد انتدب لنقلها الدفترى الحاج محمد سعيد بيك. و اخبروا الحكومة الايرانية بما حدث، و بما اتخذ من الاجراءات .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٢٧

سنة ١٢٢٩ هـ

لم تتخذ الحكومة أى اجراء، لإعادة الأمن إلى نصابه. فزاد سكوتها المتمردين تجاسرا، و اقتربوا من مدينة الكاظمية، و الجانب الغربى من بغداد.
و من غريب الاتفاق مجيء ما يقرب من الأربعين ألف زائر من الديار الإيرانية فى تلك الظروف المحفوفة بالمخاطر لزيارة العتبات المقدسة. و تحرش الثوار بهم. مما اضطرهم إلى التكتل و المكوث فى العتبات المقدسة؛ فى شبه حصار؛ لعدم تمكنهم من التنقل من بلد إلى بلد.
و كان بين هؤلاء الزوار حرم حاكم ايران، و عياله- مع جماعة من رؤساء الحكومة الايرانية، و خوانينها، و جوهها.
و لما ضاق عليهم الأمر، اتصلوا بالحكومة المحلية، و بالوزير مباشرة لإيجاد مخرج لهم، و لتأمين نقلهم، و عودتهم- بعد أداء الزيارة. و عندئذ فقط، تحرك الوزير، و رأى من الضرورى اتخاذ اجراء فورى؛ لضبط النظام، و إعادة الأمن إلى هذه الأمكنة؛ التى يرتادها الأجانب، من كل مكان للزيارة. و قرر- بعد التداول- مع جماعته؛ أن يعهد بمعالجة هذه الأوضاع، إلى داود أفندى الدفترى السابق. و عينه قائدا على حملة عسكرية قوية .

مختصر مطالع السعود بطيب اخبار الوالى داود

سنة ١٢٠١ هـ

رجع سليمان بن شاوى إلى الخابور، و انضم إليه كل مفسد و مغرور.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٢٨

و صاروا يغيرون و يغزون حول بغداد، و يلتجئون إلى الغابات. فلما بلغ الوزير ذلك، أرسل إليهم عسكريا يقوده محمود؟؟؟ بك ابن نمر بك، و خالد آغا كتحدا البوايين. فالتقوا مع عرب ابن شاوى ... و قد طمع ابن شاوى فى محاصرة بغداد. فكّر عليها بكله و كليله. و هجم على شريعة الكاظم، و غنم أموالا- و خيلا.. فقامت عرب نجد المعروفون ب (عقيل) و صدّوه عن بغداد .. و حفظوا الجانب الغربى منها .

تاريخ العراق بين احتلالين

سنة ٦٥٦ هـ

بتاريخ ٥ صفر سنة ٦٥٦ هـ استولى المغول على بغداد ... و قد احرقت اكثر المواقع الشريفة، فى هذه الوقعة؛ كجامع الخليفة، و مشهد موسى (و) الجواد، و مراقد الخلفاء .

سنة ٨٠٣ هـ

فتح تيمور بغداد- كان بعد محاصرة دامت أربعين يوما- يوم السبت ٧ ذى القعدة لسنة ٨٠٣ هـ .. و خرج منها فى العشرة الأولى من ذى الحجة ..

لم يصل إلى العلماء منه ضرر .. و من هناك زار مشهد الامام موسى الكاظم- رض- و مضى إلى الحلّة، فزار مشهد الامام على- رض- و قضى نحو عشرين يوما؛ تثبيتا للسطو و السيطرة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٢٩

سنة ٨٣٦ هـ

كان الأمير اسبان قد اكتسح كافة أنحاء بغداد .. و جاء فى نصف ميل إلى سور بغداد، يوم الخميس ١٨ شعبان سنة ٨٣٦ هـ .. و أخذ البلد. و جاؤوا إلى بيت شاه محمد فوجدوه مغلقا، فضربوا الباب بالدبابيس، و كسروه فهرب شاه محمد، و نزل فى سفينة، و مضى إلى الجانب الغربى، و توجه راجلا إلى مشهد الامام موسى الكاظم، و صحبه ولده شاه بوداق، و محمود الحمال. و كان السيد الجوسقى فى المشهد، فأعطاه حمارا، ركبه إلى الدجيل .

سنة ٩١٤ هـ

باشر (الشاه اسماعيل) تعمير مشهد الامام موسى الكاظم-ع- فى هذا التاريخ. و أحال ذلك إلى أمير الديوان خادم بيك .

* فى هذه السنة، شرع فى بناء حضرة الامام موسى الكاظم- رض- و فوض حكومة بغداد، إلى أمير الديوان، خادم بيك، و عاد هو

إلى إيران ..

و بعد ان استولى الشاه على الديار، تشرف بزيارة المشاهد المقدسة لحضرات الأئمة الأطهار .. و عين لها حفاظا، و مؤذنين، و خداما. و قدم أنواع القناديل من ذهب و فضة، و المفروشات اللاتقة، و الصناديق. و أنعم بالذهب و الفضة على سائر الناس ...

سنة ٩٤١ هـ

كان دخول السلطان (سليمان القانوني) بغداد، يوم الاثنين ٢٤ جمادى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٣٠

الأولى، سنة ٩٤١ هـ .. ثم تجول السلطان في ٢٨ جمادى الأولى، سنة ٩٤١ هـ في أنحاء عديدة من العراق، قضاها في زيارة المراقد المباركة، في الكاظمية، و كربلاء، و النجف .

* ثم ان السلطان زار مرقدى الامامين؛ موسى الكاظم، و محمد الجواد.

و رتب لخدام الحضرات وظائف من خزانه بغداد.

و كان الشاه اسماعيل بدأ بعمارة الحضرة و الجامع، فلم يتمها، فأصدر فرمانه بتكميلهما.

و في هذا، و في (كلشن خلفا)، ما يؤيد أن الجامع و الحضرة قد بنيا و لم تتم عمارتهما . فأتى السلطان سليمان ذلك، بل لم يتم كل ما هنالك. فان المنارة لم تكمل إلا في سنة ٩٧٨ هـ ايام السلطان سليم الثاني .. و كان ناظم تاريخ بناء المنارة الشاعر فضلى بن فضولى البغدادي:

و جاء في كتاب (تاريخ كاظمين) الفارسي؛ ذكر ما جرى من تعميرات تالية؛ منها: أن الشاه عباس الكبير، أمر سنة ١٠٣٣ هـ بعمل

ضريح من فولاذ لحفظ الصناديق من الخاتم. كما أنه حدث غرق، ببغداد، و الكاظمية سنة ١٠٤٢ هـ؛ فتضععت جدران الحضرة

الكاظمية. فأمر الشاه صفى بترميم ما اختل تعميره، و اودع القيام بذلك إلى قزاق خان أمير الأمراء السابق في شيروان.

و في سنة ١٠٤٥ هـ، أجريت بأمره- أيضا- بعض الاصلاحات و الترميمات، في سلم المنارة، و بعض التعميرات في المواطن الأخرى المختلفة.

و جاء فيه أيضا، ان الجيش العثماني- عندما اكتسح بغداد- نهب ما في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٣١

الحضرة من قناديل فضية و مرصعة و بعض المزينات .

سنة ٩٧٨ هـ

في هذه السنة تمت منارة هذا الجامع و بذلك تم بناؤه في سنة ٩٧٨ هـ.

و كان في ٦ ربيع الثاني سنة ٩٢٦ قد أتم عمارة المشهد، الشاه اسماعيل الصفوى.

و لم يتعين لنا تاريخ بناء الجامع و اتمامه أيام السلطان سليمان. و لقد استمر إلى أيام السلطان سليم، فتمت منارته أيام هذا الأخير. ينطق تاريخها بذلك بلسان الشاعر فضلى ابن الشاعر فضولى البغدادي. و ما جاء في تاريخ مساجد بغداد مغلوط في التاريخ، و في الأعلام و

الألغاز ... و جاء التاريخ (بالتركية):

اولدى» بوجانغزنا مناره تمام» في بناء المنارة سنة ٩٧٨ هـ .

سنة ١٠٣٤ هـ

جاءت الأخبار، بأن العجم خرجوا من بغداد، و ذهب اكثرهم لزيارة الامام على - رض - و على هذا سير (مراد باشا، كان والى حلب، فمُنح منصب ديار بكر برتبة الوزارة) قائدا على حملة تبلغ خمسة عشر ألفا لتكون كمقدمة للجيش - إلى الحلة - و الكاظمية؛ ليحاصر بغداد، و ليمنع اتصال العجم بها .

سنة ١٠٤٨ هـ

قتل القزلباشية: ان الدولة أرادت ان تقطع دابر القزلباشية؛ اذ علمت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٣٢

أن قد جاء اكثر من ثلثمائة منهم، مى النجف إلى الكاظمية، فأمر بقتلهم، و ذلك قبل الفتح، و إعطاء الأمان. و كذا قتل نحو ألف، ثم قتل نحو أربعمائه .

سنة ١١٦٢ هـ

ربح سليمان باشا المعركة فى الحلة، و طوق بغداد، حتى جاء إلى الكاظمية، فوصل إلى الشريعة البيضاء، و تبعد عن بغداد نحو ساعتين .

* ان والى بغداد اتخذ سلوكا رديئا نحو سكان العراق - لا سيما زوار العتبات و ساكنيها من القزلباشية .. و استمر فى ظلمه و قسوته أكثر؛ بحيث انه قبض على جماعة من سكان الكاظمية، و عذبهم بالضرب بالعصى، فأدى ذلك إلى وفاة واحد منهم. و لما جاء هذا الخبر إلى الشاه، لم يهدأ و لا قرّ له قرار، فأرسل أخاه محمد صادق خان الزندى، و أحد أبناء عمه (نظر على خان) و كانت لهم اليد الطولى فى قيادة الجيش، و حسن ادارته - ففوض إليهما أمر الاستيلاء على البصرة .

سنة ١٢٢١ هـ

ارسل الشاه سفيرا آخر يؤكد فيه لزوم توجيه إيالة الكرد الى عبد الرحمن باشا بعد عودة سليمان الفخرى بنحو شهرين . و فى الأثناء كان أحد التجار الإيرانيين متوطنا قصبه الكاظمية، فطلب مرة مواجهة الوزير، و أخبره أن شاه إيران يزيد على توجيه إيالة الكرد إلى عبد الرحمن باشا، طلب مبلغ مائتين و خمسين ألف تومان، يريدونها من بغداد مع هدايا كثيرة. و ان هذا السفير - إن اعيد خاليا - فسوف تضبط

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٣٣

ديار الكرد قسرا، بواسطة أمير سنه. و عبد الرحمن باشا. و لم يكتف - حيثئذ - بهذا، بل سوف يهدد بغداد، فتكون عرضة للأخطار. و قال أخبره بذلك أحد أقاربه!؟ .

سنة ١٢٢٩ هـ

صار عشائر الجزيرة و الشامية يتعرضون بالمارء، فازداد البغى و العتو من كل صوب.
و من هؤلاء زييد و الخزاعل، و سائر العشائر .. و كذا عشائر الجرباء، و الظفير، و الرولة. فعاثت بالقرى و القصبات المجاورة لها .. لحد ان النهب و السلب وصل إلى القصبات المجاورة؛ مثل الكاظمية، و حوالى الكرخ؛ فصار الناس فى خوف على نفوسهم و أموالهم .

سنة ١٢٤٧ هـ

قاسم باشا جاء بفيلقه إلى محل قريب من الكاظمية، فصارت تسمع أصوات المدافع من هناك .

(محاصرة بغداد)

(سور الجانب الغربى تهدم بسبب طغيان دجلة) .. و حينئذ، وظف عسكر عقيل مع سليمان أغا الخازن، لمحافظة باب الكاظمية .
ان هزيمة سليمان الغنام مما بعث النشاط و الأمل فى البغداديين. و لذا
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٣٤
تأهبوا للهجوم على فيلق الكاظمية- و كانت تحت قيادة الحاج أبى بكر، و بسبب ما شوهد من مستنقعات اضطروا إلى العودة، و كانوا بقيادة الملا حسين .

سنة ١٢٨٦ هـ

(التشكيلات الادارية، ايام مدحت باشا) قضاء الكاظمية (من) أفضية لواء بغداد
*** احصاء بغداد، و فى ضمنها الكاظمية .

سنة ١٢٨٧ هـ

ترامواى الكاظمية

الكاظمية أشبه بالمحلة من محلات بغداد. لا تبعد كثيرا عن بغداد ...
و الناس هناك بين زائر، و صاحب شغل، أو مقيم. و الاتصال ببغداد دائم بلا انقطاع ...
من جراء هذا ... تكونت شركة الترامواى، فصارت تباع السهام بكثرة.
و فى عشرة أيام، او اثنى عشر، بلغت ٧٨٤ حصه، لما حصل من تشويق و اقبال، ثم استمر بيع الأسهم.
تم الانشاء، و للوالى (مدحت باشا) الفخر فى ذلك ..
و فى نيسان سنة ١٩٤١ م، صدر حكم بتصفيه شركة ترامواى بغداد- الكاظمية .. كانت اسست بتشويق من الوالى، و تأمين الحكومه، و جعلت كل حصه ٢٥٠ قرشا، على أن تكون ٦٠٠٠ حصه. فيكون رأس مالها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٣٥

٥٠٠، ٥٠٠، ١ قرش ... كان هذا من أجل اعمال مدحت باشا، و لذلك حصل منه الربح، و سهّل على الزوّار فكان عملا نافعا .. مدّوا السكّة لمسافة ٧ كيلومترات بين بغداد و الكاظمية. رتبت شركة أسهم (آبونيم). و كانت تجر بالخيول لا- بالبخار أو الكهرباء. فتم انشاؤها في تلك السنة ..

و قامت هذه المؤسسة بكل ما تحويه، بمبلغ ١٨ ألف ليرة. و لم تصرف سهامها جميعها، و إنما صرف نحو ألف سهم منها. بلغ ربح المشروع في السنة ١٨٪ أو ٢٠٪ فصرف بعضه لأرباب الحصص، و البعض الآخر، جعل تسديدا للدين، في نهاية كل سنة. فبلغت شركة الترامواي خمسة آلاف حصّة .

سنة ١٢٩٩ هـ

ابو الفضل ميرزا، من أبناء الملوك في إيران. اختار الكاظمية محل إقامة له. و ذهب في هذه السنة إلى الحجّ .

سنة ١٣٠٩ هـ

وصل الحاج حسن رفيق باشا؛ والى بغداد، يوم الاثنين ١٩ المحرم سنة ١٣٠٩ هـ. و كان وكيل الوالى نصرت باشا المشير المرافق السلطاني .. و .. أتم الزيارة في الكاظمية .

سنة ١٣١٧ هـ

وضع الحجر الأساسى لبناء سراى الكاظمية، و أجريت المراسم، يوم السبت ٢٤ رجب سنة ١٣١٨ هـ، حضره الوالى نامق باشا، و المشير أحمد فيضى باشا، و حاكم الشرع كمال الدين بك .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٣٦

سنة ١٣٢٨ هـ

أخذ الوالى حسين (ناظم باشا) فتاوى من علماء الشيعة لمنع الغزو و هو عادة جاهلية فأفتوا بأنه يجب منع العشائر من هذه الأعمال؛ بالنصائح و الوعظ، فان أبوا- فحينئذ- يركن إلى التهديد و التخويف. و إلّا جاز التنكيل بهم. و من بين هؤلاء العلماء:
الشيخ كاظم الخراساني؛ من النجف.
و الشيخ عبد الله المازندراني، من النجف.
و السيد محمد القزويني؛ من الحلة.
و الشيخ محمد حسين؛ من كربلاء.
و الشيخ محمد باقر؛ من كربلاء.

و السيد اسماعيل الصدر؛ من الكاظمية.

الزعيم الروحاني الكبير الشيخ ملا كاظم الخراساني (الاخوند)

فكان لهذه الفتاوى أثرها ...

* و من أعمال الوالي ناظم باشا ... كان يأمل أن يقوم .. بتشغيل ترامواي الكاظمية- بغداد بالكهرباء .

سنة ١٣٣٤ هـ

وصل إلى بغداد، وكيل رئيس القيادة العامة و ناظر الحرية؛ أنور باشا بقطار خاص، في ١٧ رجب سنة ١٣٣٤ هـ. و في ١٨ مايس سنة ١٩١٦، فأجريت له المراسم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٣٧

و صلى الجمعة في حضره الشيخ عبد القادر الكيلاني، و أهدى لجامعه مصحفا غلافه ذهب مرصع بالجواهر و الدرّة اليتيمه .. للأعظمية و الكاظمية، و قدم لكل منهما مصحفا بعد أن زارهما .

سنة ١٣٣٥ هـ

ان الحكومة سحبت عاكف بك (قائمقام الخيالة، بعد حادثه الحلة ١٧ المحرم سنة ١٣٣٥ هـ) و بعثت عبد المجيد بك القائمقام. و هذا طيب خاطر الأهلين ... فكان .. خير مرهم لتسكين الحالة. و كان في شعبة التجنيد، و ادارة المستشفى في الكاظمية .

الامام النائر

في سنة ١٣٣٢ هـ داهمت الجيوش الانكليزية العراق من جهة البصرة، فاستغاثوا بالزعيم الديني الكبير السيد مهدي الحيدري كما استغاثوا بغيره من العلماء الاعلام، و ابرقوا لهم من مختلف الاطراف يطلبون منهم ان ينهضوا بالأمر، و يعلنوا الجهاد و النفير العام، و هذا نص احدى البرقيات التي ارسلها الى الكاظمية رؤساء البصرة و زعمائها:

«تغر البصرة، الكفار محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى على باقي بلاد الاسلام، ساعدونا بالعشائر بالدفاع».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٣٨

فاستجاب العلماء، و في طليعتهم السيد مهدي الحيدري، و اصدر فتواه بوجوب الدفاع، و محاربة الغزاة المعتدين، دعا الى الاجتماع العام في الصحن الكاظمي الشريف عدة مرات فكان الصحن يزدحم على رحبه بالناس، فيرقى المنبر بنفسه و يدعوهم إلى الجهاد، و يخبرهم بأنه خارج بنفسه و اولاده و جماعة من اسرته، و اصحابه الى محاربة الانكليز، و ابرق بعد ذلك الى علماء النجف و كربلا و سامراء يخبرهم بعزمه، و جاء من علماء النجف الى الكاظمية قبل حركته الى ميدان الحرب حجج الاسلام: شيخ الشريعة الاصفهاني، و السيد مصطفى الكاشاني، و السيد علي الداماد، و غيرهم من العلماء، و جرت في الكاظمية مفاوضات حول الخطط و التصاميم ثم تواردت على الكاظمية وفود العلماء الزاحفين نحو المعركة من النجف الأشرف و كربلاء، و كانت البلدة- الكاظمين - تستقبل كل واحد منهم بمنتهى الترحاب و التكريم، و تودعه بمثل ذلك.

الامام السيد مهدي السيد حيدر

اما الامام الميرزا محمد تقى الشيرازى فانه لما بلغته- و هو فى سامراء- فتوى السيد مهدي الحيدرى و عزمه على الجهاد بنفسه ارسل معه ولده الأ-كبر المجاهد الميرزا محمد رضا على سبيل التأييد و ابرق الى جميع انحاء العراق يبلغهم و جوب التضامن مع العلماء الاعلام، و كان الامام السيد كاظم اليزدى قد ارسل ولده الأكبر السيد محمد، و اما المجاهد الكبير السيد محمد سعيد الجوبى و جماعة من علماء النجف فقد توجهوا من النجف الى ساحات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٣٩

القتال و معهم عدد غفير من المجاهدين .

و فى عصر يوم الثلاثاء- الثانى عشر من محرم الحرام سنة ١٣٣٣ هـ تحرك السيد مهدي الحيدرى من الكاظمين و تحرك الامام الشيخ مهدي الخالصى و جموع غفيرة من الرؤساء و الزعماء و فى طليعتهم الشيخ عبد الحميد الكلدار و خرجت البلدة بأسرها لتشيع ركب الجهاد الزاحف.

و قد امر العلماء ان يسير الناس جميعا إلى بغداد فى ركاب السيد مهدي الحيدرى و تحت لوائه و كانت الهتافات الشعبية تتعالى من الجماهير التى احتشدت فى كل مكان فمرة تردد بلغتها الدارجة:

سيد مهدي ركن الدين

نمشى للجهاد اوياه

و اندوس العده بحذاه

و اخرى تهتف:

حجة الاسلام طالع للجهاد

محضن بموسى بن جعفر و الجواد

بهذا الشكل من الأبهة و الجلالة وصل الموكب الكبير بمجاهديه و مودعيه الى ساحل النهر فى بغداد حيث اعدت لهم هناك السفن و المراكب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٤٠

ثم سارت بهم متجهة نحو (العمارة).

و كانت الحرب قائمة فى ذلك الوقت فى القرنه و هى القلب، فقصد السيد مهدي بجموعه الغفيرة من المجاهدين المسلحين ساحة الحرب، و فى أثناء الطريق صادف اندحار الجيش العثماني و انسحابه بعد سقوط (القرنة) بيد الانكليز و طلب من السيد مهدي ان يرجع بجموعه الى العمارة و لكن السيد مهدي أبى و أمر المجاهدين بالاستعداد للهجوم و قد رابط بجموعه فى منطقة (القرنة) و هى القلب، اما الجناح الأيمن و هو (الشعبية) فقد رابط فيها المجاهدان الكبيران السيد محمد سعيد الجوبى و الشيخ باقر حيدر و اما الجناح الأيسر و كان (الحويزه) فقد كان يرابط فيه الامام الشيخ مهدي الخالصى و معه ولده الكبير الشيخ محمد الخالصى، و الشيخ جعفر الشيخ راضى، و السيد محمد اليزدى.

المجاهد الكبير الامام السيد محمد سعيد الجوبى

و تقدمت صفوف (القلب) و نزلت تحت قيادة السيد مهدي موضعا يسمى (حريه) و هى ارض وعرة و كانت على مقربة من الجيش الانكليزى،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٤١

و عند الصباح التقى الجيشان جيش المجاهدين و الجيش الانكليزى الذى كانت تخوض سفنه نهر دجلة مصعدة و كان جيشه يقطع زاحفا تلك الأرض الوعرة تسنده المدافع و المعدات الحربية فاحتدم القتال فى ذلك اليوم من قبل طلوع الشمس إلى ما بعد زوالها و

كان السيد مهدي ينفخ من روحه الحماس في نفوس المجاهدين و يثير نخوتهم و كان يتقلد سيفه، و يحمل قرآنه، و يحض المجاهدين على الصمود في وجه العدو الزاحف، و اتخذوا من نهر قديم كان يقطع الطريق حصنا يهاجمون منه العدو و هو على مقربة منهم و الجيش العثماني في المؤخرة بعيد عن المجاهدين قليلا، ثم يلوذون بالنهر مدافعين حتى تم لهم ان يهزموا الجيش الانكليزي و يضطروه الى الانسحاب بعد ان تكبد خسائر جسيمة في الأرواح و السلاح و المعدات، و تحطمت له باخرة حربية، و قتل من جنوده ما يناهز الالف او الالفين على اختلاف الروايتين، و جرح منهم اكثر من ذلك، اما من قتل من جيش المسلمين فلم يتجاوز عددهم الأربعة عشر قتيلًا، و اما الجرحى فلم يبلغوا الخمسين .

و تعرف هذه الواقعة بواقعة يوم الاربعاء لانها صادفت يوم الاربعاء ٥ ربيع الاول ١٣٣٣ و تعرف ايضا بمحاربة (الروطة) لانها كانت قريبة من نهر هناك يسمى (نهر الروطة).

يقول الدكتور عبد الله فياض في كتابه (الثورة العراقية الكبرى) «و قد نجح المجاهدون الذين كان يقودهم- اي الامام السيد مهدي الحيدري- في دحر الجيش البريطاني في معركة الروطة في ٥ ربيع الأول ١٣٣٣ هـ» .

*** لم يلبث السيد مهدي بعد رجوعه من ساحة الجهاد قليلا حتى ثارت فتنة عمياء بين الحكومة العثمانية و بين مشايخ كربلا كادت ان تهلك البلاد و العباد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٤٢

و سبب هذه الفتنة امران: احدهما: ضغط الحكومة على الاهلين و تعسفها في الحكم، و ثانيهما: محاولة بعض زعماء كربلاء التمرد على السلطة الحاكمة، و قد ارسل خليل باشا قوة كبيرة و اسلحة كثيرة و امر القوة بمهاجمة المدينة المقدسة، فاستغاث اهل كربلا بالامام السيد مهدي فاضطلع السيد مهدي بتلك المهمة و ارسل الى القائد العام جماعة من الوجوه و في مقدمتهم كليدار الكاظمية الشيخ عبد الحميد، و نظام الس؟؟؟

و في تلك الآونة ورد إلى زيارة السيد ناظر الحربية العام (انور باشا) و قدم له التعظيم و التبجيل و الاحترام و فاوضه السيد حول اطفاء الفتنة في كربلاء بالطرق السلمية دون اللجوء إلى القوة و العنف فأجابه انور باشا الى ذلك و استقر الرأي على ان المشكلة لا يمكن حلها الا اذا تصدى السيد بنفسه، فتوجه السيد من الكاظمية الى كربلاء بعد ان صحب معه اولاده و جماعة من العلماء و الزعماء و الوجوه كالشيخ عبد الكريم الجزائري، و الميرزا محمد رضا الشيرازي و الشيخ عبد الحميد الكليدار و رهم؟؟؟ و من الحكومة عبد الحليم بك مدير الشعبة العربية و موظف آخر، و دل؟؟؟ كربلاء صبيحة اليوم السابع و العشرين من شهر رجب سنة ١٣٣٤ و هو م؟؟؟ المبعث النبوي الشريف .

*** و كم للسيد احمد الحيدري من المواقف الدالة على صلابته في الحق و خشونته في ذات الله منها موقفه مع جماعة من العلماء في حماية مرقد الشريف المرتضى حتى اضطرت الحكومة القائمة الى الرضوخ و التسليم و ترك القبر الشريف على مكانه المعلوم دون اي تعديل او تغيير.

و منها موقفه القوي في منع رجال السلطة من التصرف غير المشروع بمسجد (باب الدروازه) في الكاظمية الذي لا يزال قائما .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٤٣

الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠

(كتب اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا، في اليوم الثاني من تشرين الثاني سنة ١٩١٧ «وعد بلفور»، إلى اللورد روتشيلد زعيم القضية الصهيونية).. و لم يقف العراقيون بجهودهم لخدمة العراق و الوقوف امام البريطانيين و سياستهم فحسب، بل راحوا يعملون لخدمة البلاد العربية أجمع، و العرب كافة، لتخليصهم من الاستعمار .. و كان علماء الدين في النجف الأشرف، و الكاظمية، و كربلاء، و زعماء عشائر الفرات الأوسط هم الذين يحملون هذا الروح القومي العام .

*** على أثر بيان اذاعة المسيو بيشون؛ وزير خارجية فرنسا، في مجلس النواب الفرنسي. لم يسع رجال الدين، و زعماء العشائر، إلّا ان يجتمعوا، في دار آية الله الشيخ محمد مهدي الخالصي - قدس الله سره - في الكاظمية. و قرروا الاحتجاج على بيان الوزير. فنظموا احتجاجا رفعوه إلى حكومة فرنسا، و بقيه الحكومات للدول العظمى، و وقعوا عليه، و هذا هو الاحتجاج:

«ان الخطاب الذي ألقاه مؤخرا مسيو بيشون ناظر خارجية فرنسا، في مجلس النواب الفرنسي، و الذي أظهر فيه أن للأمم الفرنسية حقوقا في سوريا و لبنان و فلسطين نشأت عن التقاليد التاريخية. و ان هذه الحقوق قائمة- أيضا- على آمال، و رغائب السكان، الذين هم زبائن فرنسا- منذ زمن طويل- و ان المعاهدات السابقة التي وردت بها هذه الحقوق، و ما زالت كما كانت عليه. و ان يكون مؤتمر السلم القول الفصل.

فنحن - العراقيين - بصفتنا عربا، و يهنا ما يهنا سوريا و لبنان و فلسطين؛ لا نعتقد بأن للأمم من الأمم - في بلادنا العربية - حقوقا قديمة و لا حديثة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٤٤

و لم تكن الصلات التجارية المؤسسة على حرية التجارة بين الشعوب وفقا لقوانين حقوق الدول - سببا يكسب البلاد المتاجرة حق الأرحية في البلاد على أهلها، و التصرف بحريتهم الوطنية، و استقلالهم الذاتي. و لما كانت كل تصريحات رجال الدول العظمى - و نخص منهم بالذكر رئيس الولايات المتحدة المشهور - تفيد أن غاية الحرب الكبرى هي تحرير الشعوب، و نسخ كل سياسة دولية يقصد منها تقييد حرية الأمم، و اتخاذ شكل لها يخالف ارادتها؛ فنحن - كأمة قامت تطالب باستقلالها، و تهرق دماء ابنائها، و تضحي زهرة شبانها على مجازر الظلم في سبيل استقلالها، و قامت تنتصر للحلفاء ايام كانت الحرب غير باسمه لهم - و على الخصوص في الساحات الشرقية - نأبى كل معاهدة عقدت بشأننا من هذا القبيل بين دولة نعتقد أننا محونا بدماء أبنائنا كل معاهدة، او اتفاق، أو مفاوضة، جرت بدون معرفتنا.

هذا؛ و ليست الأمة العربية أقل مجدا تاريخيا، أو حضارة زاهرة، أو جدارة بالاستقلال؛ من الأمم اليونانية، و السريية، و البلقانية، و الرومانية، و الجبلية، و غيرها من الدول؛ التي أجمع الخلفاء - في أشد أزمت السياسة الدولية - على اجابة مطالبيها الاستقلالية. و لم تبذل تلك الدول أكثر مما بذلنا و لا كانت - عند استقلالها - أعظم رقيا منا.

فنحن - بناء على ما أوردناه من الحقائق المعروفة بالبدهة لدى مقامكم المعظم، و استنادا على بيانات، و وعود رجال الدول العظمى العلنية، التي اتخذناها، و اتخذها العالم بأجمعه سندا - نحتج على البيانات التي أوردتها ناظر خارجية فرنسا المحترم، و نطلب باسم الحرية و الانسانية؛ اللتين دعناكم لتحرير اليونان؛ اعترافا بحضارتها القديمة، و مجدها الغابر، ان تعضدونا في هذا الأمر الحيوي؛ لأن تاريخنا من الحضارة، و العظمة، و المجد؛ ما يدعوكم لنجدتنا و معاضدتنا؛ في طلب حقوقنا الطبيعية؛ التي يرمز اليها علمنا العربي الذي نستظل بظله الآن فرحين، و بالختام اقبلوا فائق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٤٥

احتراماتنا .»

*** في يوم الأربعاء، الموافق ٢٥ ربيع الثاني ١٣٣٧ هـ؛ اجتمع علماء و أشراف و وجوه مدينة الكاظمية، و وقعوا على المضبطة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم: بناء على الحرية التي منحتنا إياها الدولتان المفخمتان بريطانيا وفرنسا، وحيث اننا ممثلو جمهور كبير من الأمة العربية العراقية المسلمة؛ فإننا نطلب أن تكون للعراق- الممتدة أراضيه في شمالي الموصل إلى الخليج- حكومة عربية إسلامية، يرأسها ملك عربي مسلم؛ هو أحد أنجال جلاله الملك حسين؛ على ان يكون مقيدا بمجلس تشريعي وطني. و الله ولي التوفيق».

وقد وشح العريضة بتوقيعه آية الله الشيخ مهدي الخالصي- رضوان الله عليه- كما وقع في صدرها من رجالات الدين: آية الله السيد حسن الصدر، و العلامة السيد محمد مهدي الصدر، و العلامة الشيخ ابراهيم السلمي، و العلامة السيد (مهدي) بن السيد احمد آل السيد حيدر، و العلامة الشيخ عبد الحسين آل ياسين- رضوان الله عليهم أجمعين-.

الامام الشيخ مهدي الخالصي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٤٦

بعد أن اسندت رأسه الثورة الروحية الى الامام آية الله (ميرزا محمد تقى الشيرازي) أسس مجلسا من كبار العلماء العاملين للمشورة، فكانوا- و الحق يقال- ساعده الأيمن، و لسانه الذرب، و عونته في الشدائد و الصعاب، و هم:

الشيخ مهدي الخالصي،

و السيد ابو القاسم الكاشاني،

و السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني،

و مرزا أحمد الخراساني،

و الشيخ محمد رضا الشيرازي .

[صدور الرسائل من آية الله الشيرازي الى جميع الجهات]

بعد ان وثق آية الله الشيرازي بصدق عزائم القوم، و حرصهم الشديد على القضية، أصدر كتابا إلى جميع الجهات؛ طالبا من كل جهة ان تنتخب ممثلين عنها، يذهبون إلى بغداد؛ لمواجهة الحاكم العام، و مطالبته بتحقيق آمال الشعب و رغباته بتأسيس حكومة وطنية، و برفع الظلم و الحيف، عن الأمة العراقية المضطهدة، و ها هو ذا نص كتاب سماحته:

«إلى إخواننا العراقيين؛ السلام عليكم جميعا و رحمة الله و بركاته:

(أما بعد) فإن اخوانكم المسلمين، في بغداد، و الكاظمية، و النجف، و كربلاء، و غيرها من أنحاء العراق؛ قد اتفقوا فيما بينهم بمظاهرات سلمية. و قد قام جماعة كثيرة بتلك المظاهرات- مع المحافظة على الأمانة- بوجه واحد، طالبين حقوقهم المشروعة، المنتجة لاستقلال العراق- ان شاء الله تعالى- بحكومة إسلامية. و لقد بلغتنا احساساتكم الاسلامية، و تنبهاتكم الوطنية.

و الواجب عليكم، بل على جميع المسلمين، الاتفاق مع اخوانهم بهذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٤٧

القصد الشريف. و ان يرسل كل قطر و ناحية بمقصده، إلى عاصمة العراق بغداد، للطلب بحقه، مع الذين سيتوجهون من أنحاء العراق- عن قريب- إلى بغداد.

و إياكم، و الإخلال بالأمن، و التخالف، و التشاجر؛ بعضكم مع بعض؛ فان ذلك مضر بمقاصدكم الاسلامية، و مضيع لحقوقكم، التي صار- الآن- أوان حصولها بأيديكم.

و أوصيكم بالمحافظة على جميع الملل و النحل- التي في بلادكم- في نفوسهم، و أموالهم، و أعراضهم، و لا تناولوا واحدا منهم بسوء. وفقكم الله جميعا لمرضيه، و السلام عليكم جميعا، و رحمة الله و بركاته.

الأحقر- محمد تقى الحائرى الشيرازى

و لم تصل صور هذا الكتاب، إلى جميع المدن، بجميع النواحي، و يقع بين أيدي الزعماء، و الرؤساء، و الوجوه، و الأعيان، و سائر طبقات الناس؛ حتى فعل فعله المطلوب، و أثار القلوب بحماس إلى تلبية نداء المجتهد الأ-كبر، فانتخب سكان كل بلدة جماعة يمثلونهم، و وقعوا على مضابط التوكيل حسب الاصول .

*** ألقى أحد الشبان (فى الحفلة التى أقيمت فى جامع الحيدر خانة فى بغداد، ليلة ٦ رمضان ١٣٣٨ هـ- ٢٤ أيار ١٩٢٠) قبضت السلطة، من أجل ذلك عليه، يوم ٧ رمضان .. فاعتنم البغداديون هذه الفرصة، و اعتبروا نفى هذا الشاب أول تعدد من السلطة البريطانية على البلاد، فأقفلت المخازن و الحوانيت احتجاجا على هذا العمل .. و اقيمت مظاهرة كبرى فى بغداد، اشتركت فيها جماهير غفيرة من الكاظميين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٤٨

و بعد ان سارت المظاهرة فى الشارع دخل المتظاهرون جامع الحيدر خانة، و ألقى احدهم خطابا وطنيا حماسيا، طلب فى آخره ان ينتخبوا خمسة عشر شخصا ليمثلوهم، و يظهروا شعورهم فى عرض مطالبهم على السلطة البريطانية، اجابه لفتوى الامام الشيرازى، و اسوة باخوانهم الفراتيين.

و على اثر انتهاء الخطيب .. انتخب الحاضرون ..: محمد جعفر او التمن، السيد ابو القاسم الكاشانى، الشيخ أحمد الظاهر، السيد محمد الصدر، السيد عبد الكريم السيد حيدر، يوسف السويدى، فؤاد الدفترى، عبد الوهاب النائب، سعيد النقشبندى، السيد محمد مصطفى الخليل، رفعت الجادرجى، على البزركان، احمد الشيخ داود، عبد الرحمن الحيدرى، ياسين الخضرى .

*** اجتمع المندوبون .. و تذاكروا بالأمر .. فقرروا ارسال عريضة إلى الحاكم الملكى العام، يطلبون فيها تعيين وقت للاجتماع به، و بعد ان رفعت العريضة عين لهم يوم ١٤ رمضان، الموافق ٢٠ تموز موعدا لعقد هذا الاجتماع، بعد ان دعا عشرين رجلا من وجوه بغداد و الكاظمية ليحضروا الاجتماع ايضا، و هم: السيد جعفر عطيفة، عبد الحسين الحلبي، محمود الاطرقجى، محمود الاسترابادى، عبد الكريم الحلبي ... و فى اليوم المقرر ..

فى الساعة العاشرة زوالية .. اجتمع المندوبون و المدعوون فى دائرة الحاكم الملكى العام .. و اقفلت المخازن و الحوانيت فى بغداد و الكاظمية، و وقف الناس صفوفًا امام دار الحاكم الملكى العام .

*** و بعد أن القى خطاب الحاكم العام- الذى كان .. و عودا و وعيدا- قام السيد محمد .. الصدر ... و قال معقبا على الخطاب:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٤٩

«ان الحركة القائمية- الآن- فى البلاد، هى حركة سلمية، لا يقصد منها اثاره القلاقل، و جل مطلبنا؛ هو تأليف حكومة وطنية، تؤلف على حسب تصريحات الحلفاء، و فى مقدمتهم بريطانيا و فرنسا، فى تصريحهما الذى أذاعته فى ٨ تشرين الثانى ١٩١٨، و عملا بمقررات مؤتمر سان ريمو.

و قد انتدبتنا الأمة للمفاوضة معكم بهذا الأمر، و هى تنتظر بفارغ الصبر تحقيق ذلك، و طلب الاسراع فى تنفيذ هذه القرارات؛ لتطمئن قلوب الأمة. أما طلبنا- اليوم- فهو عقد مؤتمر وطنى- يمثل الأمة؛ ينتخب اعضاؤه من كافة أهالى البلاد العراقية؛ وفقا لأصول تأليف الحكومة.

فيقتضى أن تمنح الحرية فى المخابرات، بين سائر أنحاء هذا القطر، و تطلق الحرية للصحافة. و ان الذى أوردته شفها قد تقرر بين أعضاء الوفد، و كتب و وقع عليه الجميع.

و هنا قام يوسف السويدى، و سلم المضبطة (مذكرة مندوبى الكاظمية و بغداد). و هذا هو نص المذكرة:

«إلى سعادة الحاكم الملكى العام المحترم:

تعلمون ان الشعب قد انتدبنا بمظاهرة، التي أقامها ليلة ٧ رمضان، الموافق ٢٦ مايو؛ للنيابة عنه في مطالبة السلطة المحتلة، و مفاوضة رجالها بشأن تنفيذ ثلاثة مطالب جوهرية، يرى جمهور الشعب، و معظم قادة آرائه- اليوم- ضرورة تطبيقها، و تنفيذها حالا، و هي:

اولا- الاسراع في تأليف مؤتمر يمثل الأمة العراقية، ليعين مصيرها؛ فيقرر شكل إدارتها في الداخل، و نوع علاقتها بالخارج.

ثانيا- منح الحرية للمطبوعات؛ ليتمكن الشعب من الافصاح عن رغائبه و افكاره.

ثالثا- رفع الحواجز الموضوعه، في طريق البريد و البرق، بين انحاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٥٠

القطر أولاً و بينه و بين الاقطار المجاورة له و الممالك الأخرى ثانيا؛ ليتمكن الناس هنا من التفاهم مع بعضهم، و من الاطلاع على سير السياسة الراهنة في العالم. فبصفتنا نوابا عن أهالي بغداد و الكاظمية، نطلب إليكم ان تصادقوا حالا على تنفيذ هذه المطالب، المذكورة، و لا يغرب عن بال سعادتك ما في قبول هذه المطالب، و احلالها محل الاجراء و التنفيذ، من صيانة الأمن، و حفظ النظام و السلام العام.

و إننا ننتهز هذه الفرصة، فنقدم إلى سعادتك فائق الإحترام و الاكبار» ...

و بعد ان تسلم الحاكم الملكي العام المذكورة .. نشر في يوم ٤ شوال ١٣٣٨- ٢١ حزيران ١٩٢٠: ... ان حكومه جلاله ملك بريطانيا قد قررت ..

تكليف السير برسي كوكس بتنفيذ هذه المهمة .. في موسم الخريف ..

بعد ان رأى مندوبو بغداد و الكاظمية ان تأجيل المؤتمر إلى الخريف حتى يعود السير برسي كوكس ما هو إلّا تخدير للأعصاب و ملهأة للرأى العام ..

قرروا ان يكتبوا كتابا إلى حاكم بغداد السياسى و العسكرى، يردون به على فكرة التأجيل. و فعلا كتبوه و وقعوه و قدموه ... و على ذلك ابتكرت سلطة الاحتلال فكرة جديدة .. فعمدت على تأليف جمعية الشورى، و مركزها في بغداد، و ذلك قبل تأسيس المؤتمر .. فكتب حاكم بغداد السياسى إلى جماعة من سكان الكاظمية و بغداد يعلمهم بذلك .

و قد ارسل الحاكم الملكي العام جدولاً بأسماء أعضاء المجلس على ان يكون حاكم بغداد العسكرى رئيساً، و معاونه نائباً.

عارض سكان بغداد و الكاظمية هذا التعيين الذى ساءهم، و قطع فيهم كل أمل بوفاء السلطة البريطانية بعهدتها لتأليف حكومة وطنية، الأمر الذى أدى بتصلب الوطنيين الشديد. و عندما ضاقت السلطة المحتلة ذرعا ..

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٥١

استعانت بسياسة القوة و الشدة، فأمرت بإلقاء القبض على أربعة من مندوبى بغداد و الكاظمية .. و فى فجر يوم ٢٧ ذى القعدة ١٣٣٨ ١٣ آب ١٩٢٠ هاجمت الشرطة دور المذكورين .. تمكن السويدي أن يهرب الى الكاظمية، حيث اعتصم هناك فى دار المرحوم السيد حسن الصدر ..

[حول حركات فى بغداد]

ان حركات بغداد كانت تسير وراء قيادة فراتية، و ان اول حركة من هذه الحركات قد ولدت فى الكاظمية من قبل آية الله السيد ابى القاسم الكاشانى لقد عمل الكاشانى فى مدينة الكاظمية من وقت بعيد، قبل ان تصبغ بغداد بلون الثورة، ضد السلطة البريطانية المحتلة. فقد كان يطبع المنشورات فى الكاظمية، و توزع سرّياً بتوقيع «الجمعية الاسلامية العربية» فأقضى مضجع السلطة العسكرية المحتلة. فبشت العيون و الجواسيس لمعرفة اعضاء الجمعية، فعاد كل هؤلاء بخفى حنين، لا- يعرفون عن الجمعية إلا التواريخ التى كانت تحملها

المنشورات، و هي؛ الرئيس:

السيد ابو القاسم الكاشاني. السكرتير: الشيخ جواد الزنجاني .

* قر رأى (رؤساء المواكب الحسينية، و هم عادة يكونون رؤساء المحلات و متفدى الكلمة) ان يرجو (آية الله الشيخ مهدي الخالصي) ليعود إلى الكاظمية (من كربلاء) فيقود حركة الثورة في بغداد فأرسلوا إليه الكتاب التالي:
« ٢ صفر ١٣٣٨

شيخنا و مولانا، حضرة حجة الاسلام الشيخ مهدي الخالصي دامت بركاته:

بعد اهداء التحيات الفاتحة، و تقديم الاحترامات اللاتقة، و السؤال

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٥٢

عن تلك الذات الشريفة. نصدع حضرتكم بأن طال الفراق، و اشتعل لهيب الأشواق. و غير خفي على سعادتكم ان تمام أنسنا إليكم، و دفع الاحزان و الاشجان بزيارتكم.

و الناس- ايضا- مشتاقون إلى قدوم حضرتكم خصوصا رؤساء الأنصار؛ ليكمل الشعار المنوط بوجودكم الشريف، فالمأمول من الطافكم القدوم إلى الكاظمية، لتأييد هذه الهيئة المحترمة، الباذلة أنفسهم لاقامة شعائر الدين.

و من المعلوم من سماحتكم و اخلاقكم الحميدة، الاجابة. و السلام عليكم و على أعتاب حضرة آية الله روهي فداه و رحمة الله و بركاته».

الفقيه إلى الله- السيد ابو القاسم الكاشاني

خادم زوار الحسين، على الحاج محمد.

خادم زوار الحسين، ياس.

خادم زوار الحسين، السيد جابر.

خادم زوار الحسين، عبد الباقي.

خادم زوار الحسين، أمين كنعان.

خادم زوار الحسين، الحاج مجيد كصيد .

(كتب محمد جعفر ابو التمن إلى ميرزا محمد تقى الشيرازي، في ٧ رمضان سنة ١٣٣٨) و قد تفضل .. الشيرازي .. فأجاب عن هذه الرسالة ...

«... بعد السلام عليكم: لا يخفاك؛ وصلنا كتابك المشتمل على بيان الحركة الاسلامية، في بغداد ... فسرنا اتحاد كلمة الأمة البغداديّة، و اندفاع علمائها، و وجوهها، و أعيانها؛ إلى المطالبة بحقوق الأمة المشروعة، و مقاصدها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٥٣

المقدسة ... و اننا نوصيكم؛ ان تراعوا في مجتمعاتكم قواعد الدين الحنيف، و الشرع الشريف، فتظهروا أنفسكم دائما بمظهر الأمة المتينة الجديرة بالاستقلال التام المنزه عن الوصاية الذميمة. و أن تحفظوا حقوق مواطنيكم الكتابيين، الداخلين في ذمة الاسلام، و ان تستمروا على رعاية الأجانب الغرباء، و تصونوا نفوسهم، و أموالهم، و اعراضهم؛ محترمين كرامة شعائرهم الدينية؛ كما أوصانا بذلك نبينا الأكرم- صلى الله عليه و آله- و السلام عليكم، و على العلماء، و الأشراف، و الأعيان ..»

و عند ما وصل هذا الكتاب إلى ابى التمن، اتصل مع زعماء الكاظمية، و اخبرهم أن يدعوا الناس إلى اجتماع فى الصحن الكاظمي الشريف ...

و فى اليوم المحدد، تواردت من بغداد عشرات الالوف الى الكاظمية؛ يتقدمهم رجال الدين و الوجوه. بعد ان اغلقت الحوانيت، و

خانات التجارة. و كذلك الكاظميون اجتمعوا في الصحن عن بكره ابيهم. فضاقت الصحن الشريف بالمجتمعين الكاظميين و البغداديين؛ على سعة ساحاته ..

كما امتلأ الطابق الثاني «السور» فقرأ السيد باقر السيد أحمد .. الرسالة الكريمة بصوته الجمهوري اكثر من مرة، تنقلا من ساحة إلى اخرى ...

و كان المجتمعون يقاطعون الكتاب بالتكبير و التهليل .. و في اليوم الثاني ذهب- من بغداد الى الكاظمية- رؤساء الطوائف المسيحية و اليهودية، و على رأسهم البطاركة، و القسس، و الرهبان، و الحاخاميون؛ حيث قابلوا علماء الكاظمية، و شكروهم .. كما انهم اعلنوا انضمامهم إلى الثورة ...

و في اليوم التالي، أرسل علماء الكاظمية السيد محمد الصدر إلى بغداد لإعادة الزيارة للبطاركة و الحاخاميين، و اخبارهم بأن علماء الكاظمية قد كتبوا إلى .. الشيرازي .. ما عرضه أمس .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٥٤

عند ما وصلت انباء تهيج الرأي العام في النجف الأشرف، و الفرات الأوسط- الى الكاظمية- و كانت يومذاك عاصمة الشعور الوطني، و توجيه الرأي العام في منطقته بغداد؛ هاجت الجماهير و ماجت. و عرضوا عن الاستفتاء سائرين وراء علماء الكاظمية. فلم ير علماء الكاظمية بدا من الإلتجاء إلى وطن الثورة .. و هذه رسالة من العلامة الشيخ محمد الخالصي الى ميرزا محمد تقي الشيرازي؛ تعبر عن هذه الاحاسيس و العواطف ...

«... ثم لا- يخفى على حضرتمكم؛ وقوع الهرج و المرج في بلادنا، من طرف مسألة الانتخاب. حتى ان جملة من اهالي بلادنا كتبوا الاعلانات و وضعوها في الاسواق و الطرقات. و كان حاصلها؛ انا لا نريد هذه الحكومة، و نريد رئيسا علينا من عنصرنا؛ رجلا عربيا ... فالرجاء ... أن تبنوا تكليفنا. و بماذا نتكلم، و ماذا نفعل.

و المرجو ان يكون بكتاب موجه إلى عموم المسلمين ..».

العلامة الشيخ محمد الخالصي

* (اجتمع الزعماء مع عبد الواحد الحاج سكر. و بعد المداولة، قرروا تنفيذ عدة قضايا ..) و أرسلوا .. إلى مندوبي الكاظمية و بغداد: .. حيث انكم نواب الأمة، و ممثلوها، و ان سياستكم تقضى بالمواظبة على العمل السلمى، و المطالبة الأدبية البحتة؛ فقد رأينا أن نخبركم بأن صبرنا قد عيل.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٥٥

و ها إننا مستعدون للقيام بوجه السلطة ...

*** كان السيد عبد المهدي (المنتفكي) قد ذهب إلى بغداد، و اجتمع- في الكاظمية- مع آية الله الشيخ مهدي الخالصي، و جماعة آخرين من رجال الكاظمية و بغداد. فوجدهم على جانب عظيم من التهيؤ لطلب الاستقلال.

و كان ذلك في عام ١٩٢٢. و لما كان السيد عبد المهدي ممن ينشدون هذه الغاية .. فقد زاد ايمانه بوجود الجهاد .. فاتصل مع رسل النجف الأشرف، و زعماء الثورة في الشامية و أبي صخير.

ثم أشار عليه الامام الخالصي و أصحاب السيد ..

ببغداد .. أن يعود إلى لواء المنتفك ليفتح العشائر بوجود الثورة.

ترك السيد عبد المهدي الكاظمية؛ قاصدا الناصرية يوم ٢٣ رمضان .

السيد عبد المهدي المنتفكي

* غادر الشيخ رحوم (الظالمى) النجف .. فجمع الرؤساء و الشيوخ ..

ثم سلمهم نسخة من فتوى ... الشيرازى. و بعد ذلك سلم إلى المرحومين شعلان (ابو الحون) و (غثيث الحرچان) كتاب آية الله الشيرازى: «... أما بعد؛ فإن اخوانكم المسلمين فى بغداد، و الكاظمية، و النجف، و كربلاء، و غيرها من أنحاء العراق، قد اتفقوا- فيما بينهم- على الاحتجاج، بمظاهرات سلمية...» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٥٦

و لم يقف الأمر عند الطبقة الروحانية و العلمية فى النجف الأشرف، و كربلاء، و الكاظمية على الأئمة المجتهدين فحسب، بل ان العلماء و الفقهاء ..

قد عملوا الشىء الكثير .. كما ان المنابر الحسينية قد قامت بواجبها أحسن قيام .. و الشعر- و هو لغة العاطفة- و قد قام بواجباته فى الثورة أحسن قيام ..

كما ... كانت لاقلام الأدباء حصه فى هياج الرأى العام، و اثاره الشعور ..

و من هؤلاء .. السيد محمد عبد الحسين .. و سلمان الصفوانى .. الذى لازم آية الله الخالصى- رحمه الله عليه بالكاظمية .

*** عندما انتهت الثورة ... و تشكلت الوزارة النقيية، تحت ظل الانتداب ..

فى الوقت الذى اتفق فيه العراقيون- و على رأسهم الأئمة المجتهدون، و بقيه رجال الدين، و زعماء العشائر- على انتخاب فيصل بن الحسين ملكا.

و ارسلوا الشيخ محمد رضا الشيبى- فى أثناء الثورة- إلى مكة المكرمة؛ لمقابلة الملك حسين، و تقديم المضابط إلى جلالته؛ ملتجئين إرسال ولده فيصل إلى العراق.

و بعد ذلك اجتمع رجال الدين، و زعماء العشائر فى الكاظمية، بدار آية الله الشيخ مهدي الخالصى- قدس الله سره- و بعد أن تداولوا بالأمر مليا، برعاية الخالصى، و بحثوا نوايا الانكليز للطنع بالأغراض الوطنية، و التنكر لمبادئ الثورة العراقية. فقر رأيهم أن يبرقوا إلى الملك حسين طالبين فى برقياتهم إرسال نجله الأمير فيصل؛ ليكون ملكا على العراق؛ مقيدا بمجلس نيابى.

وصلت الأخبار إلى الدوائر المسؤولة، فأوعزت إلى دوائر البرق بعدم استلام هذه البرقيات ... و أحس الزعماء بوجود لعبة بريطانية جديدة ..

فاجتمعوا مرة أخرى فى دار الامام الخالصى- رضوان الله عليه- و بعد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٥٧

أن درسوا الموضوع قرروا رفع احتجاج إلى المندوب السامى. غير ان الخالصى.

أوقفهم و أخذ الأمر على عهده، و رأى ان يكتب إلى نورى السعيد ..

فكتب إليه .. (فى ١٠ شعبان ١٣٣٩) .. و عندما سلم رسول الخالصى الكتاب .. تلقى .. «... انه لا يوجد ادنى مانع ..» و عند وصول الرسالة أمر الزعماء و الرؤساء بإرسال برقياتهم، فأرسلت المئات منها، فالألوف ..

*** ان الذين كانوا عيون الانكليز و جواسيسهم، و الساخطين على الثورة و الثوار؛ هم الذين يحكمون، و ينعمون بنتائج الثورة .. فتذمر الاحرار من هذا الحال .. و قد اجتمع الزعماء و الاحرار عند العلماء الاعلام؛ و ذلك فى دار .. الشيخ مهدي الخالصى بالكاظمية .. و لم يسمع الانكليز بذلك الا و ضاقوا ذرعا، فألقوا القبض على الامام الشيخ مهدي الخالصى، و بعض العلماء من أعوانه، و الزعماء،

و الأحرار، و نفوهم إلى خارج العراق .. ،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٥٨

تاريخ مساجد بغداد و آثارها

جامع الكاظمية

.. إن هذا الجامع؛ رحب الفناء، مشيد الأرجاء، رصين البناء. قد زخرفه الشيعة أتم الزخرفة، و زينوه بأبدع النقوش.

و فيه قبر الامام موسى الكاظم، و الإمام محمد الجواد. و عليهما قبة عظيمة، غشى سطحها بالذهب. و ترى الشيعة يطوفون حولهما طواف الحجيج بالكعبة المعظمة. و لهم مواسم للزيارة. يجتمع منهم هنالك الالوف المؤلفه. و يحضرون لها من بلاد شاسعة. و كانت هذه المقبرة تسمى مقابر قريش. فلما توفى موسى الكاظم - رحمه الله - دفن خارج القبة؛ قبة جعفر بن أبي جعفر المنصور. و ذلك لخمس بقين من رجب سنة ١٨٣ من الهجرة.

ثم وسع المحل بموت الأمين محمد بن هرون الرشيد، و أمه زبيدة بنت جعفر. و بنى على قبرى موسى و محمد مشهد؛ علقت فيه القناديل، و أنواع الآلات ..

و لما استولى الشاه اسماعيل الصفوى على العراق، سنة ٩١٤هـ؛ نقض

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٥٩

المشهد و القبة. و أعاد بناءها على وضع بديع. و غشيت الجدران بالذهب الخالص داخلا و خارجا. و علقت النفائس و التحف، و لما تم ذلك حسبما أمر؛ كتب على جدرانها ما نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بانشاء هذه العمارة الشريفة سلطان سلاطين العالم، ظل الله على جميع بنى آدم، ناصر دين جده الأحمدى، رافع أعلام الطريق المحمدى، ابو المظفر الشاه اسماعيل بن الشاه حيدر بن جنيد الصفوى الموسوى - خلد الله تعالى ألوية الدين المبين بملكه و سلطانه، و أيده لهدم قواعد اهل الضلال بحجته و برهانه - و حرر ذلك، فى سادس شهر ربيع الثانى سنة ست و عشرين و تسعمائة الهلالية».

و يقال: ان كثيرا من المباني، التى أمر بانشائها و عمارتها لم تكمل. و انه مات سنة ثلاثين و تسعمائة.

فلما استرد العراق السلطان العادل الغازى سليم خان العثمانى، و جاء بنفسه الى بغداد و ذلك سنة ٩٤١ هـ أمر حينئذ باكمال تلك العمارة. و أنشأ حولها جامعا عظيما تقام فيه الجمع و الجماعات. و هو - إلى اليوم - على رصانته و وضعه.

و بنى منارة فى الركن الذى بين الشرق و الشمال. و هى أول منارة شيدت هناك. و تحتها - عند باب الدرج الأسفل، على ارتفاع قامه عن الأرض - صخرة منقوش فيها بحروف بارزة أبيات باللغة التركية .

و فى صحن جامع الكاظمية، حجرة صغيرة. فيها قبر ابراهيم، و قبر أخيه جعفر؛ ابنى موسى الكاظم. و قد عمرها سليم باشا الفريق. و شاد القبة التى عليها. و ذكر ذلك عبد الباقي الفاروقى بأبيات نذكر منها شطر التاريخ، و هو قوله: «شاد سليم مرقد الفرقدين» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٦٠

و فى سنة ثلاثمائة و الف؛ استأذن من الحكومة العثمانية «فرهاد ميرزا»، أحد اكابر الفرس؛ أن يجدد سور الجامع، المشهد. و ان ينشئ بعض العمارات. فأذنت له، فبنى السور كله بالحجر الكاشانى الملون، و فرش الساحة بالمرمر، و عمق الأسراب؛ التى هى مدفن أموات الشيعة. و كتب على السور سورة العاديات، و القدر، و الضحى، و الحاقة، و بعض الأخبار، نحو ما يعزى إلى النبى - صلى الله عليه و سلم، انه قال: «مثل أهل بيتى كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، و من تخلف عنها غرق» .

و كتب - من جهة - تاريخ العمارة، و هذا نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم. وقع الفراغ من هذا الصحن؛ بأمر من قصد بعمله وجه المنان، و بلوغ غرفات الجنان؛ الجناب المستطاب الأشرف الأمجد؛ معتمد الدولة فرهاد ميرزا - أدامه الله تعالى، و أعز إجلاله و إقباله، بجاه محمد و آلّه الطاهرين - سنة ثمان و تسعين بعد المائة و الألف من الهجرة النبوية المقدسة على صاحبها آلاف التحية و الثناء» .

وقد اتصل بهذا الجامع و الصحن جامع الامام أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم، صاحب أبي حنيفة، وقبره عن شمال مصلاه، و عليه قبة كبيرة.

والجامع تقام فيه الجمع، و الأعياد، و الصلوات، و هو رصين البناء، قويم الأرجاء .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٦١

بغداد مدينة السلام

أشهر المساجد القديمة (في الجانب الغربي) مسجد الكاظمين. و هو المسجد المشتمل على ضريح الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق، و حفيده.

محمد الجواد- عليهم الرضوان- و هو مسجد واسع الأكناف، واقع في وسط بلدة الكاظمين، التي تقابل بلدة الأعظمية. و يربط بينهما جسر عائم على دجلة. و بينها و بين الجانب الغربي من بغداد- اليوم- نحو ثلاثة أميال.

و لا يعلم بالضبط التاريخ الذي أقيم فيه هذا المسجد؛ غير ان المؤرخين يذكرون أن الخليفة الطائع (٣٦٣- ٣٨١) صلى الجمعة إماماً، في هذا المسجد أكثر من مرة.

وقد ذكر ابن جبير هذا المسجد، في جملة المشاهد التي زارها. و قد ذكر المؤرخون أن النار قد التهمت هذا المسجد سنة ٦٢٢- في خلافة الظاهر بالله- فأسرع الخليفة إلى إعادة بنائه. و لكن المنية عاجلته، فأتمه ابنه المستنصر و عند حصار المغول لبغداد، سنة ٦٥٦؛ أصيب هذا المسجد بتدمير كبير. و لكن هولاكو أمر- بعد ذلك- بإصلاح ما دمر. و قد أصيب بالغرق عدة مرات. و لكنه استمر ثابتاً. و يقوم- اليوم- على هذين الضريحين مسجد؛ واسع الأكناف؛ رفعت قبابه في السماء، و زينت بضروب من الزينة. و أحيطت بأربع مآذن شوامخ. و قد غشى كل ذلك بصفائح من النحاس، مطلية بالذهب؛ تظهر للناظر على مسافة أميال من بغداد؛ يكاد لمعانها يأخذ الأبصار.

و زينت سائر جدران المسجد بالقاشاني الجميل. أما داخل المسجد، فيقصر الوصف عما فيه من ضروب الزينة، و صنوف الفن .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٦٢

تاريخ الامامين الكاظمين - عليهما السلام و روضتهما الشريفه

إشارة

الظاهر أن قبور (جعفر بن ابي جعفر المنصور .. و محمد الأمين بن هرون الرشيد .. و الست زبيدة بنت جعفر .. زوجة هرون الرشيد) .. و غيرهم، من الهاشميين و القرشيين، هي في قبلة الامام موسى بن جعفر- عليه السلام- ..

و تسمية الشونيزي بمقابر قريش كانت لهذه المناسبة، أى مناسبة دفن الهاشميين و غيرهم، من قريش، فيها .

* أما البقعة الخاصة بالامامين - عليهما السلام- فقد نقل عن كتاب (الدر النظيم)؛ للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم العاملي؛ تلميذ المحقق الحلبي ..

«ان الامام موسى بن جعفر- عليه السلام- ابتاع البقعة التي دفن فيها، لنفسه، قبل وفاته» ... و لما توفي الامام محمد الجواد- عليه السلام- كان مدفنه عند جده الامام موسى بن جعفر- عليه السلام- و في مقبرته الخاصة، خلف ظهره.

و بنيت على قبريهما بنية، و سميت البقعة ب (الكاظمين) من باب التغليب.

و كان الزائرون من الشيعة يزورون الامامين - عليهما السلام - من مسجد كان هناك؛ يعرف بمسجد باب التين، أو من وراء حجاب آخر؛ خوفا من ذوى الأغراض و الأمراض.

و كانت قطيعة للسيدة زبيدة بنت جعفر؛ زوجة الرشيد، قريبة من هذه المقبرة؛ تسكنها جماعة من الشيعة. فاتخذ قوم منهم السكنى حول بنية الامامين، يحترفون غسل الأموات، و حفر القبور، و غير ذلك من المهمات.

و جاورهم غيرهم من الشيعة لتأمين راحة زوار الامامين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٦٣

و فى قليل من الزمن، أصبحت مقابر قريش، و حوالها، شبه قرية من قرى بغداد. و وضع - على القبرين الشريفين - ضريحان، بعد قلع البنية و تجديدها. و كان الضريحان منفصلين عن بعضهما.

و لما كان زمن الديالمه، و ارتفع الخوف و الحذر عن الزائرين، و كثر الازدحام، من الشيعة؛ لزيارة الامامين عليهما السلام - كثرت البيوت حول بقعتهما المباركة.

و فى سنة ٣٣٦، أمر معز الدولة؛ السلطان ابو الحسين، أحمد بن بويه، بقلع العمارة المبنية على القبرين، و رفع الضريحين المذكورين، و بنى عمارة جليلة فى مكانها. و وضع على القبرين الشريفين ضريحا خشيا من الساج، جميل الشكل، حسن الطراز. و تعلو العمارة قبتان بديعتان؛ إحداهما؛ لمولانا الكاظم - عليه السلام - و الثانية لمولانا الجواد. و امام العمارة القائمة صحن واسع، رفيع الجدران، محكم البنيان.

و زين داخل العمارة بالترينيات، و علق فيها المعلقات، و الأضوية، و غير ذلك؛ مما يزيد فى حسنها، و روعتها.

و أنزل ثلاثة من الجنود الديالمه، و غيرهم، مقابل المشهد المبارك؛ للخدمة، و للمحافظة أولا، و لتأمين الزائرين ثانيا.

فكان الناس يقصدون الزيارة أفواجا أفواجا، و هم آمنون على أنفسهم و أموالهم. و كثرت المجاورة، حول المشهد الشريف. و صار الإمامان - عليهما السلام - ملجأ للخائفين، و كعبة للطائفين.

و كان معز الدولة - مع وزرائه، و أعيان دولته - يزور الامامين - عليهما السلام - فى كل خميس. و كان يبيت - مع هؤلاء - ليلة الجمعة، فى بيت فخم؛ كان اتخذه حول المشهد، ثم يرتحل نهار الجمعة - بعد تجديد الزيارة - إلى محل الحكم.

و فى سنة ٣٥٢، أمر بإقامة العزاء، لسيد الشهداء الحسين بن على - عليهما السلام - فى شهر محرم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٦٤

و أمر الناس ببغداد أن يغلقوا دكاكينهم - فى اليوم العاشر منه - و يطلوا الأسواق، و البيع و الشراء. و أن يظهروا النياحة. و يلبسوا قبايا - يحملونها - بالمسوح. و أن يخرج الرجال و النساء لاطمى الصدور و الوجوه.

و كانوا - بهذه الحالة - يأتون مشهد الإمامين - عليهما السلام - يعزونها، بالحسين - عليه السلام -.

و بقيت هذه السنة فى العراق مدة الحكم البويهى، و العزاء الحسينى؛ الذى يقام اليوم، من آثار تلك السنة الكريمة ..

* و فى سنة ٣٦٩، بنى (عضد الدولة) سورا حول أبنية المشهد الكاظمى.

و زاد فى تعمير داخل المشهد و خارجه. و أضاف إلى الترينيات، و الأضوية، و غيرها؛ أضعافا مضاعفة.

و فتح المارستان العضدى؛ فى غربى بغداد؛ بين الكرخ و الكاظمية؛ سنة ٣٧١، و نقل إليه جميع ما يحتاجه من الأدوات و الآلات و غيرها. و ذلك؛ تسهلا للكرخيين، و الزائرين .

و فى سنة ٣٧٧، أوصل الماء إلى الكاظمية - مشهد الامامين؛ موسى و الجواد عليهما السلام - أبو طاهر، سعيد الحاجب، مولى شرف الدولة بن عضد الدولة؛ بحفره نهرا كبيرا، ساقه من دجيل، إلى داخل صحن المشهد. و أصبح مجاورو المشهد و الزائرون غير

محتاجين إلى نقل الماء من بغداد، ولا إلى حفر الآبار. وكثرت الهجرة إلى المشهد المقدس، من بغداد، و نواحيها، وزادت البيوت هناك .

* وفي سنة ٤٤١؛ منعت الشيعة- في الكرخ، و مشهد الكاظمين من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٦٥

النوح، و العزاء على الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء، و عن قول: «حى على خير العمل» من الأذان. و ذلك في أيام وزارة رئيس الرؤساء، أبى القاسم بن مسلمة؛ الذى كان شديد التعصب على الشيعة.

و استوزر للخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٣٧ هـ.

و قامت- فى أيامه- فن عديده بين الشيعة و السنة. و من جملتها الفتنة القائمة بعد هذا المنع (سنة ٤٤٣)، التى قتل فيها خلق كثير، من الطرفين، و تلفت أموال كثيرة .

* و فى سنة ٤٤٥، عادت الفتنة، و حصل قتال شديد بين الفريقين، و بقى الأذان على حاله، فى الكرخ و مشهد الكاظمين .

* و منذ وقوع الحريق، و التهديم، و الخراب؛ فى المشهد المقدس؛ أخذ ابو الحارث ارسلان بن عبد الله؛ المعروف بالبساسيرى- القائد العظيم للجيش التركى- فى تعميره؛ بين آونه و أخرى. و استعان بابى نصر فيروز ابن ابى كليجار المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه؛ الملقب ب (الملك الرحيم)؛ فنصبت- على القبر الشريفين- صندوقان من الساج، أفخم من الصندوقين الأولين و عمر الصحن الشريف، و المئذنتان. و اعيدت الزينة للقبة الشريفه، و داخل المشهد. إلى غير ذلك، من الخدمات المشكوره.

و ذلك فى سنة ٤٤٤. و قيل إن إتمام هذا التعمير كان سنة ٤٤٥ .

* و فى سنة ٤٩٠، قام مجد الملك، أبو الفضل، الأسعد بن موسى القمى؛ أحد وزراء بركياروق بن ملكشاه السلجوقى. و عمر المشهد الكاظمى الشريف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٦٦

- على مشرفيه الصلاة و السلام- و بنى الروضة المقدسة، ببناء محكم الاساس، و زين الجدران بالقاشانى، و وضع صندوقين من الساج، على القبرين الشريفين.

و عمر مسجدا شمال الروضة، و مئذنتين رفيعتين- حول الروضة المقدسة- و بيتا وسيعا كثير الغرف؛ لراحة زوار الإمامين- عليهما السلام-.

و بقى هذا التعمير- الذى قام به مجد الملك، لم يمد احد إليه يدا بسوء.

و بواسطته كثرت البيوت و العمارات حول المشهد المقدس، إلى سنة ٥١٧. وقع حرب بين الخليفة المسترشد بالله، و بين ديبس بن صدقة.

و كان ديبس- قبل نشوب الحرب- أودع بعض نسائه فى مشهد الكاظمين- عليهما السلام- ...

[طغيان دجلة فى سنة ٥٦٩]

و فى سنة ٥٦٩، طغى شط دجلة طغيانا عظيما. و زاد الماء زيادة لم يسبق بمثلها، و نبع الماء فى البلاليع.

و خربت بيوت كثيرة ببغداد. و دخل الماء إلى البيمارستان الذى- كان بناه عضد الدولة- بين الكرخ و الكاظمية- و دخلت السفن من الشباييك.

لأن الماء قلعتها من أساسها.

و سرى الماء إلى الكاظمية، حتى دخل الصحن الشريف، و منه إلى الروضة المقدسة. و هدم بعض الأبنية، ثم نقص الماء، و زال الخطر

* و فى سنة ٥٧٥، قام بالخلافة بعد (المستضىء) ولده الناصر لدين الله. و كان من المواليين للأئمة المعصومين ..

و أول ما بدأ بالمشهد الكاظمى الأنور، و تدارك ما أتلفته يد الغير، من تدمير، و زينة للصندوق الشريف، و الرواق، و المآذن. و وسع الصحن.

و زاد فى الحجرات. و كل ذلك؛ بمراقبة وزيره السعيد، مؤيد الدين،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٦٧

محمد بن محمد؛ القمى - رحمه الله-. و جعل المشهد المبارك؟ أمنا لمن لاذ به. فكان الناس يلتجئون إليه فى حاجاتهم، و مهماتهم و جرائمهم؛ فيقضى الناصر لهم حوائجهم، و يعفو عن جرائمهم .

* و فى سنة ٦٠٤، فى شهر رمضان؛ أمر الناصر ببناء دور؛ فى المحال ببغداد- و من جملتها؛ الكاظمية- ليفطر فيها الفقراء، و سميت «دور الضيافة» يطبخ فيها اللحم الضأن و الخبز الجيد.

و جعل فى كل دار؛ من يوثق بأمانته؛ يعطى كل انسان قدحا مملوءا من الطيبخ؛ و اللحم، و مقدارا من الخبز. فكان كل ليلة يفطر- فى هذه الدور- خلق من الناس، لا يحصى عددهم.

و فى أيامه؛ بنى سور حول بلدة الكاظمية؛ لأن سور الصحن لم يكن كافيا لرد الأيدى الفاسدة عن الروضة المنورة. و أحكم ليكون سدا لطغيان الماء .

* و فى سنة ٦٠٨؛ اتخذت حجرات الصحن الشريف الكاظمى مدرسة للعلوم الدينية و العربية؛ بأمر الخليفة الناصر. و من كتب السنة؛ أمر بقراءة مسند الامام أحمد بن حنبل - رضى الله عنه- على صفى الدين؛ محمد بن معد الموسوى الفقيه الإمامى.

و وقف جماعة من الفقهاء و العلماء كتبا كثيرة على هذه المدرسة، و أجرى الخليفة أرزاقا لطلابها.

و من آثار الناصر لدين الله؛ أنه بنى دارا للأيتام، تحاذى الصحن الشريف، تصلها الأرزاق من ناحيته الخاصة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٦٨

و فى سنة ٦١٤، زادت دجلة زيادة عظيمة .. و وصل الماء إلى المشهد الكاظمى، و عم الغريق الدور و البيوت، و تلاشى السور الجديد، و سور الصحن، و داخل الروضة، و تهدمت الحيطان، و خربت الجدران. و بعد أن أغار الماء، جدد الخليفة الناصر البناء .

و كانت وفاة الناصر .. آخر ليلة من شهر رمضان سنة ٦٢٢. و قام بالأمر ولده الظاهر .. و فى أيامه، وقع حريق عظيم فى مشهد الكاظمين - عليهما السلام- فاحترق الأثاث، و الفرش، و المصاحف، و الكتب.

و سرت النار إلى الصندوق، و الضريح، و القببة الشريفة. فأمر الخليفة وزيره مؤيد الدين القمى؛ بتعمير المشهد المقدس. و فى أثناء التعمير مات الخليفة.

و ذلك سنة ٦٢٣.

و قام- بعده- ولده المستنصر .. فأكمل التعمير بأروع مما كان. و الصندوق الساج المستنصرى باق إلى يومنا هذا، فى المتحف العراقى.

لأن الشاه اسماعيل الصفوى- بعد أن جاء بصندوقى الخاتم المرصعين بالعاج، و نصبهما على قبرى الإمامين (عليهما السلام)- أرسل هذا الصندوق إلى المدائن، و نصب على قبر سلمان الفارسى؛ صاحب رسول الله- صلى الله عليه و آله و سلم- و عند تأسيس دار الآثار العراقى، نقل من المدائن إليها.

و على هذا الصندوق؛ كتابات لطيفة. و فيه من حسن الفن و دقائقه مالا يوصف؛ من تذهيب و تحسين. و فى كتائبه اسم المستنصر

بالله، و تاريخه سنة ٦٢٤.

و للمستنصر خدمات أخرى للروضة الشريفة الكاظمية؛ من قناديل ذهب، و فضة، و شمعدانات، و معلقات، و ستائر، و غيرها .

* لما فتح هولاءكو خان بغداد، أحرقت معظم محلات البلد من البيوت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٦٩

و الأسواق. و وصلت النار إلى مشهد الكاظمين - عليهما السلام - و عثت فيه.

و لما ولى علاء الدين عطا ملك الجويني العراق، سنة ٦٥٧، من قبل السلطان هولاءكو خان؛ قام بترميم المشهد الشريف، و زين

الجدران من داخل الروضة و خارجها، و الرواق، و الصحن؛ بالقشاني النفيس، و زاد في الزينة و المعلقات و غيرها .

* و في سنة ٧٦٥، حصل طغيان عظيم بدجلة. و عم الغرق بغداد. و هدمت الدور، و الأسواق. و عث الماء في مشهد الكاظمين. و

حصلت من ذلك أضرار كثيرة، بقيت على حالها. حتى جاء السلطان اويس بن الحسن الجلايري سنة ٧٦٩؛ فقام في ترميم ما كان

يحتاج إلى التعمير، و ترميم ما كان يحتاج إلى الترميم .

و عمّ الرواق و الصحن. و بنى هناك رباطاً؛ لاستراحة الزائرين. و وضع صندوقين من الخاتم على المرقدين الأنورين، عليهما النقوش

الجميلة، و الكتائب الجليلة، من الآيات القرآنية و غيرها.

و كذلك؛ زين الروضة الشريفة بالقشاني البديع. و بنى قبتين و منارتين رفيعتين. و بذل الأموال الكثيرة لخدام الروضة، و لفقراء

الساكين في موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٧٠

المشهد. و بنى لهم بعض البيوت، و أصلح في المشهد ما يحتاج إلى الإصلاح من الدور .

* و في سنة ٧٧٦، زادت دجلة زيادة عثت ببغداد عثاً لم يترك في دور محلاتها، و دكاكين أسواقها إلا القليل.

و هلك تحت الانهدام خلق كثير، لا يحصى عددهم، و غرق المشهد الشريف. و انهدمت بعض بنايته، و تشوق ما بقى منها. و خربت

دور كثيرة من المجاورين. فقام بتعمير ما انهدم. و اصلاح ما بقى؛ وجيه الدين اسماعيل بن الأمير زكريا الوزير، الذي حكم العراق،

من قبل السلطان اويس - يومئذ - و خدم الروضة المقدسة، و سائر المشهد الشريف؛ بخدمات مشكورة .

* و في سنة ٩٢٦؛ قام في تجديد عمارة المشهد الشريف الشاه اسماعيل الصفوي، و قلع جميع البناء من أساسه.

و بنى الروضة و الرواق، و الصحن الأقدس؛ ببناء مشيد، جاد في إحكامه الأساسي و في تزويقه.

و بنى القبتين الشريفتين بطرز جميل، و زينهما بالقشاني الملون. و عوّض المنارتين بأربع منائر. و زين الجدران - داخلها و خارجها -

بالقشاني الملون.

و بنى الجامع المعروف - اليوم - بالجامع الصفوي، في شمال الروضة المطهرة. و وسع الصحن، و بنى فيه حجرات لأهل العلم و

الزائرين. و فضض أبواب الروضة بصفائح من الفضة الخالصة.

و نصب على القبرين الشريفين صندوقين؛ من النوع المعروف بالخاتم،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٧١

و علق على سقف الروضة القناديل و المعلقات و فرش الروضة و رواقها بالفرش الثمين.

و كان إكمال هذه الخدمات، سنة ٩٣٥؛ على يد أخيه السلطان محمد خدابنده - الذي كان يحكم العراق يومئذ - و هذا التاريخ، كتب

في الكتيبة التي داخل الروضة المنورة.

و كان إنعام الشاه اسماعيل الصفوي على السدنة، و المعتكفين، و الخدمة، و المؤذنين كثيراً؛ يتجدد عليهم مدة أيامه .

و في سنة ٩٤١، استرد العراق - من أيدي الفرس - السلطان سليمان العثماني (القانوني) أمر ببناء المنبر الموجود اليوم في الجامع

الصفوي ، .

*** و في سنة ٩٧٨، ورد ولده السلطان سليم الثاني بغداد. و بعد زيارته الكاظمية، أكمل بناء المنارة الواقعة ما بين المشرق و الشمال .
* و في سنة ١٠٣٢، زار الشاه عباس الصفوى الكبير العتبات العالیه.

و هي المرة الثانية لزيارته. أمر بأن يصنع للكاظمين - عليهما السلام - ضريح من الفولاذ؛ لحفظ صندوقى الخاتم ... فصنع، و وضع على الصندوقين الكريمين.

و علق بعض النفائس و المعلقات فى الروضة، و زين الرواق، و الروضة بشيء من الزينة فوق ما كان لها .

* و في سنة ١٠٤٢، زادت دجلة زيادة هائلة، و عبث الماء ببغداد، و الكاظمية. و حصلت أضرار كثيرة. فأمر الشاه صفى الصفوى؛
بترميم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٧٢

الروضة، و الرواق، و الصحن، و ارجاع الزينة لها .

* و في سنة ١٠٤٥، أمر الشاه صفى المزبور، بإحكام المنائر - التى فى المشهد الكريم - و أحدث أربع منائر صغيرة، فى زوايا سطح الروضة المقدسة .

[محاصرة بغداد فى سنة ١٠٤٧]

و فى سنة ١٠٤٧، دخل السلطان مراد الرابع بن السلطان أحمد الأول بغداد - بعد أن حاصرها أربعين يوماً - فنهب الجنود و العساكر البلدة.

و دخلوا المحلات، و قتلوا من وجدوه أمامهم من الناس. و ازدحموا على مشهد الكاظمين - عليهما السلام - و نهبوا قناديل الذهب و الفضه، و جميع ما كان فى الروضة المقدسة من النفائس و الستائر و غيرها .

* و فى سنة ١١١١ أو سنة ١١١٢، جدّد الوزير حسن باشا سقف الروضة شريفه، و عمل فيها بعض الترميمات .

* و فى سنة ١١١٥؛ فى أيام الشاه سلطان حسين الصفوى ... فى جمادى الثانية من هذه السنة، حج بيت الله الحرام محمود آقا التاجر - و معه الشباك لحرم الكاظمين - عليهما السلام - و كان معه من أهل حرم السلطان و أعيان الدولة و غيرهم زهاء عشرة آلاف. الحجاج منهم ثلاثة آلاف

و فى سنة ١٢١١، أمر السلطان محمد شاه الأول؛ رأس الدولة القاجارية، و أول ملوكهم .. بتذهيب القبتين الكريمتين، و رؤوس المنائر الشريفة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٧٣

و أضاف إليها ثلاث منائر اخرى، على طرز المنارة، التى بناها السلطان سليم العثمانى. و أمر بتذهيب الايوان الصغير الذى فى طريق الرواق الجنوبى.

و أمر بفرش الرواق و الروضة بالمرمر الأبيض الجذاب. و عمر من الصحن ما هدمته أيدي الحوادث. و زاد فى سعته بابتياح بعض البيوتات المجاورة له، من الجنوب و الغرب .

* و فى سنة ١٢٣١، قام السلطان فتحعلى شاه القاجارى بشيء من التعمير؛ داخل الروضة المنورة. و غشى الجدران بقطع المرايا الصغيرة لإكمال زينتها.

و نقش باطن القبتين بالنقوش الجميلة؛ بالمينا، و ماء الذهب، و أنواع الأصباغ الخلاصة.

و فى مجموعة .. السيد على الصدر .. ان الزخرف الذى داخل القبة من المرايا و النقوش، هو من الميرزا شفيح، وزير الشاه محمد

المزبور .

* و في سنة ١٢٥٥، غشى الوزير معتمد الدولة منوچهر خان، ايوان الروضة المقابل للجنوب بوجهه، بالذهب الابريز. و زين صدره بأسماء الأئمة الاثني عشر- عليهم السلام- ثم عمل الصفة الشرقية (طارمة باب المراد)، و بعد هذه أقيمت الصفة الجنوبية (طارمة القبلة) .

* و في سنة ١٢٨٢، تغشى الايوان الشرقي بالذهب، من فاضل قبة العسكريين- عليهم السلام- بأمر ناصر الدين شاه القاجارى. و ذلك قبل زيارته العتبات العالیه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٧٤

و كذلك رمت السقوف، و المرايا، و النقوش- التي عليها- داخل الروضة. و زينت جدران الرواق الخارجية بالقاشانى .

* و في سنة ١٢٨٣، أمر السلطان ناصر الدين المذكور، بنصب ضريح فضى، على الضريح الفولادى. و ذهب جملة من كتابات الروضة الشريفة، و اماكن من الرواق الأقدس، و ترميم ما يحتاج إلى الترميم منها .

* و في سنة ١٢٧٨، زار السلطان المزبور؛ ناصر الدين شاه العتبات المقدسة؛ فقبل عن لسانه فى تاريخ زيارته، أو هو قال مؤرخا: «تشرفنا بالزيارة» ١٢٨٧ و كانت الروضة الشريفة، تحتاج إلى شىء من الاصلاح، فأمر بذلك، و أنعم على العلماء، و السادن، و الخدمة، المبالغ الطائلة ..

* و في سنة ١٢٩٣؛ ابتدأ اعتماد الدولة فرهاد ميرزا بن العباس ميرزا ابن فتحعلى شاه القاجارى عم السلطان ناصر الدين شاه، ببناء الصحن الكاظمى الأنور، و تجديد عمارته. فقلع البنيان السابق من أساسه، و ابتاع جملة من البيوت المجاورة بأثمان باهظة، و أضافها إلى سعة الصحن، و طوله و عرضه. و فى ابتداء هذا التعمير يقول .. امام الحرمين الميرزا محمد آل داود الهمدانى، رحمه الله:

لما بنى سبط ملوك الفرس صحنا يضىء نوره للكرسى

لنور عرش الله موسى الكاظم و سبطه الجواد ذى المكارم

فاق على الفردوس و القصورقلت مؤرخا (رياض النور)

و قد أنشأ بدل الصحن القديم صحنا مشيدا، رفيع البنيان، محكم الأساس و الأركان. و أنشأ فى اطرافه الحجرات الجميلة، و الأواوين البديعة؛

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٧٥

فوقانية و تحتانية. و الجميع مزدانة بالقاشانى.

و نظم السرايب التى فى الصحن؛ لدفن الأموات، و فرش الصحن بالصخور التمينة؟؟؟، التى جلبها من ايران، و نصب ساعتين كبيرتين فى الصحن- أيضا- ... و فى تاريخ انتهاء عمارة الصحن الشريف، يقول الميرزا محمد المذكور:

صحن موسى حظيرة القدس فاق طور الكليم فى سعد

يا لها من بتيه شهدت كعبة، انها منى الوفد

حرم فاق حسنه إرماليس فيه ذكرى سوى الحمد

صرح هامان خز من خجل مذ بناه (فرهاد) ذو المجد

قلت لما شاد البنا أرخ هو صحن كجنه الخلد»

و فى سنة ١٢٩٩، جدد المرحوم فرهاد ميرزا تذهيب المآذن المقدسة.

و وكل المرحوم الحاج عبد الهادى الاسترابادى؛ أحد أعيان البلد فى ذلك.

و كان إتمام خدمات فرهاد ميرزا، سنة ١٣٠١. و قد أجاد المرحوم الشيخ صادق الأعسم؛ فى قوله مؤرخا ذلك العام؛ يخاطب

الإمامين - عليهما السلام:-

خذنا بيدى (فرهاد) فى يوم حشره فقد تم عن سرّ بتاريخه (خذنا)

. ١٣٠١

* فى المجموعه .. «الحقيئه» للسيد .. على الصدر: البازل لفضه الضريح الكاظمى، الموجود- الآن- الحاجه سلطان بيكم بنت المرحوم مشير الملك الشيرازى؛ على يد المرحوم الميرزا كاظم الطباطبائى، الأصبهاني، التاجر.

موسوعة العتبات المقدسه، ج ٩، ص: ١٧٦

و الذى صاغ هذا الضريح ثلاثه من الصاغة؛ السيد محسن بن السيد هاشم آل ابى الورد الكاظمى، و السيد محمد على الصائغ الكاظمى، و الميرزا محمد الشيرازى النجفى ... و أما النجار؛ الذى صنع الخشب، الذى تحت فضه الضريح؛ فكان الحاج محمد على النجار رحمه الله.

أما مقدار فضه هذا الضريح، فهو مائتان و خمسون ألفا مثقال و ربع مثقال. و كانت مصارفه من الصياغه و النجاره، و غير ذلك حتى نصبه خمسين ألف تومان. عدده ثمانيه عشر شباكا.

و كان نصبه فى اليوم السادس، من شهر جمادى الأولى سنه ١٣٢٤.

فى زمان الكليدار المرحوم، الشيخ عبد الحميد بن الشيخ طالب». . موسوعة العتبات المقدسه؛ ج ٩؛ ص ١٧٧

موسوعة العتبات المقدسه، ج ٩، ص: ١٧٧

الكاظمية فى الموسوعات و المراجع العامة

احسن الوديعه

كاظمين - مدينه الخير و السرور، و بلده طيبه و رب غفور. كثيره البساتين و الأشجار، وافر الفواكه و الثمار. رخيصة الأسعار. صحيحه الهواء، عذبه الماء، قليله الداء، جيده التربئه، رافعه الهم و الكربه.

ليس فيها حرّ يؤذى فى القيظ، و لا يبرد يؤذى فى الشتاء.

معدن الشيعة و الأبرار، و مركز العلماء و الأخيار. فيها أسواق كثيره؛ سوقها الكبير، ليس لها فى العراق نظير؛ معروفه بسوق الاسترابادى.

اسسها بيت الاسترابادى، بعد سنه ١٣٣٩ هـ، مقابله لباب القبلة من صحن الكاظمين. و كان محل هذا السوق قبلا خانا و خلفه- الى ان

ينتهى الى آخر السوق- بستانا خلفه خان المرحوم السيد صالح الجراغچى. و كان من أشرف سدنه الكاظمين- ع- فلما نقل مركز

السكه الحديدية فى هذا الموضع الحالى، صار الخان سوقا. و كان مركز السكه الحديدية- الممتده إلى بغداد سابقا- قرب سراى

الحكومة الحالى، الواقع على طريق الأعظميه، و قرب تل الأحمر؛ مقبره الكاظمين- ع-.

و أما بيت الاسترابادى؛ فمن البيوتات الكبيره فى الكاظمين. و هم بيت نجابه تقيم العزاء الحسينى، فى أيام محرم و صفر. و يطعمون

الطعام

موسوعة العتبات المقدسه، ج ٩، ص: ١٧٨

فى هذه الأيام، للساده و العلماء و سائر طبقات أهل البلده؛ من ثلث آبائهم.

و كان جدهم الكبير الحاج عبد الهادى الاسترابادى، المعروف بالورع و الايمان، هو الذى سعى فى عمارة الصحن الكاظمى.

و فيها- أيضا- حمامات كثيره:

احداها- حمام الدرنازه، و هو أقدمها.

و الثاني - حمام الأمير، واقع، في محلة القطانة، قرب العلاوي.

و الثالث - حمام الميرزا هادي، واقع خلف صحن الكاظمين، من الجانب الغربي.

و الرابع - حمام الجرموقة. بناه شيخنا العلامة الشيخ مهدي الجرموقي - رض - في ايام تركيا - قبل حادثه المشروطة. و كان دائرا برهه من الزمان، لكنه خرب و اساسه باق حتى اليوم.

الخامس - حمام الملوكي، الواقع مقابل مدرسة المرحوم الخالصى.

بنى سنة ١٣٤٩ و اليوم دائر.

و في هذه البلدة؛ مساجد كثيرة، و خانات غفيرة. و في دورها سرايب تحت الأرض ..

و من هذه البلدة إلى بغداد طريقان؛ احدهما من الجانب الغربي، و فيها السكة الحديدية .. و الثاني من الجانب الشرقي، الواقع على طريق تل الأحمر ..

أخذت هذه البلدة في الرقي، و اجتمعت الشيعة من جميع الأقطار يوما فيوما و قطنوا في جواره، و لاذوا بقبره، و استفاؤوا بأشعة أنواره، و بنوا دورا لأنفسهم.

قال في ص ٣٠٧، س ٩، من كتاب رياض السياحة؛ المطبوع في طهران .. سنة ١٣٣٨ هـ ما ترجمته: «الكاظمين؛ قصبه تفتح القلب،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٧٩

و مكان يمد الروح. على فرسخ من بغداد. جوانبها الأربعة واسعة، على الضفة الغربية من الشط. اكثر فواكهها .. غاية في الجودة و لا سيما تمرها ..

و تشتمل على حوالي ثلاثة آلاف دار. .

اعيان الشيعة

الكاظمية - أو بلد الكاظمين (عليهما السلام) بلد كبير، كثير الخيرات. و هي التي كان يقال لها مقابر قريش، و باب التبن. و لما دفن الإمامان موسى بن جعفر؛ الكاظم، و حفيده محمد بن علي الجواد - عليهما السلام - صارت حضرتهما مزارا. و سكن الناس في جوارهما. حتى صارت بلدة كبيرة. و جميع أهلها شيعة. و خرج منها كثير من اعظم العلماء .

تاريخ الشيعة

الكاظمية - مرقد الامامين موسى الكاظم، و حفيده محمد الجواد - عليهما السلام - و كانت تعرف بمقبرة قريش قبل أن يقبرا فيها. و اتخذت مقبرة بعد سكنى بغداد. و تمصرت بعد أن تشرفت بجسديهما الطاهرين.

و صارت مسكنا للشيعة، شأن البلاد المقدسة، التي يرغب الشيعة بسكناها لجوار ضرائح الأئمة من أهل البيت؛ لأنهم يرون ان في مجاورة و زيارة تلك المشاهد الكريمة فضلا - عند الله تعالى - و جاءت من طرقهم أحاديث جمه تدلهم على ذلك الفضل.

و سكنها الشيعة، ايام بنى العباس، و تمصرت من ذلك العهد؛ كما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٨٠

هو الشأن في غيرها من مراقد الأئمة من اهل البيت. و قد منيت كما منى سواها من مدن العراق الشيعة بشيء من زلازل السياسة المذهبية زمن بنى العباس و آل عثمان. غير ان الشيعة في بغداد كانوا اشد محنة و بلاء من شيعة الكاظمية. و كثيرا ما تسلم من تلك

المعارك الدموية المذهبية في بغداد أيام العباسيين و العثمانيين على قربها من بغداد.

نعم، حادثة عام ٤٤٣؛ التي وقعت بين الشيعة و السنة ببغداد. و التي قال عنها ابن الاثير: و جرى من الأمر الفظيع ما لم يجر مثله فى الدنيا ..

تطايير شررها العظيم، حتى بلغ الكاظمية، فأحرق قبر الامامين - عليهما السلام- فكأنما أبت الناس إلا ان تقتدى بالرشيد، و المتوكل فى الجراء على القباب الرفيعة لأهل البيت. و قد يمنع العباسيون الشيعة؛ فى محلات بغداد الشيعية، كمحلّة الكرخ، و المختارة، و غيرهما، عن قراءة مقتل الحسين - عليه السلام- و اظهار شعائر الحزن عليه، و قد يحدث الشغب و الاضطراب من جراء ذلك المنع، إلا انهم قد يرخصون ذلك فى مشهد الامامين - عليهما السلام- كما فعل ذلك المستعصم آخر ملوكهم ... عام ٦٤١ و ٦٤٨ و ٦٥٣. و كانت لها أمثال أيام الملوك من أسلافه كما جرى على تلك السيرة آل عثمان فى بعض السنين.

و ما زالت، و لم تزال - شأن غيرها من البلاد المقدسة- موردا من موارد العلم الجعفرى. و نبغ فيها من العلماء الجم الغفير؛ ممن كان منهلا لعلوم اهل البيت، و مصدرا لأهل الفضل، و مقصدا لطلاب العلم ... و لكل من هؤلاء الأعلام ذرية من اهل العلم؛ أصبحت أسرا واسعة، تحتفظ بكرامتها. و هى ما تزال تقطن بلد الكاظمية.

و هى غير ناضبة من الأدب. و قد نبغ فيها شعراء عديدون؛ أمثال

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٨١

الشيخ جابر (الكاظمى) الطائر الصيت، و عبد المحسن الكاظمى؛ الذى قطن مصر؛ و سارت الركبان مغنية بشعره. و افتخرت الصحف بنشره.

و فيها اليوم حركة أدبية محمودة .

زهر الربيع

قبر (أبو يوسف) لم يكن معروفا. و فى عشر السبعين بعد الألف، حفروا حفرا متصلا بفناء الروضة الموسوية- على مشرفها السلام- فظهر قبر عليه صخرة، فيها اسم (أبو يوسف)، فبنوا عليه بنيانا، مجاور القبة المقدسة .

نزهة الالباء فى طبقات الابداء

أبو معاوية، شيبان بن عبد الرحمن التميمى، النحوى. توفى ببغداد، سنة ١٦٤، .. و دفن فى مقابر قريش بباب التبن .

معجم الأدباء

على بن عبد الله بن وصيف الناشىء .. كان يعمل الصفر، و يخزّمه.

و له فيه صنعة بديعة .. و من عمله قنديل بالمشهد، بمقابر قريش، غاية فى حسنه

الفتح القسى فى الفتح القدسى

وصل يوم الاثنين، سادس عشر ربيع الأول (سنة ٥٨٦ هـ) رسول

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٨٢

دار الخلافة .. و هو الشريف فخر الدين نقيب مشهد باب التبن بمدينة السلام.

فتلقاه السلطان (صلاح الدين الأيوبي) بالاحترام و الاكرام، و احتفل لوصوله، و استقبله لقبوله ..

وفيات الاعيان

معز الدولة .. عم عضد الدولة، أحد ملوك الديلم، و كان صاحب العراق و الأهواز .. كانت مدة ملكه العراق احدى و عشرين سنة و أحد عشر شهرا.

توفى يوم الاثنين ١٧ شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٦، ببغداد، و دفن في داره، ثم نقل إلى مشهد بنى له في مقابر قريش .

* ابو عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن جعفر بن محمد؛ ابن الحجاج، الكاتب الشاعر المشهور. توفى يوم الثلاثاء ٢٧ من جمادى الآخرة، سنة ٣٩١، بالنيل. و حمل إلى بغداد، رحمه الله تعالى، و دفن عند مشهد موسى بن جعفر - رضى الله عنه - و أوصى أن يدفن عند رجليه، و أن يكتب على قبره: «و كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد» .

* ابو الحسن سرى بن المغلس، السقطى؛ أحد رجال الطريقة، و أرباب الحقيقة. و كانت وفاته سنة إحدى و خمسين. و قيل: يوم الأربعاء، لست خلون من شهر رمضان، بعد الفجر سنة ست و خمسين، و قيل ٢٥٧،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٨٣

ببغداد. و دفن بالشونيزية .. وراء المحلة المعروفة بالتوتة .. و .. مقابر قريش كانت قديما تعرف بمقابر الشونيزى، و المقبرة التى وراء التوتة تعرف بمقبرة الشونيزى الكبير .

* ابو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صيفى، التميمى، الملقب شهاب الدين، المعروف بحيص بيص، الشاعر المشهور.

كانت وفاته ليلة الأربعاء، ٦ شعبان سنة ٥٧٤، ببغداد، و دفن من الغد فى الجانب الغربى، فى مقابر قريش .

* ابو الحسن على بن عبد الله بن وصيف، المعروف بالناشئ الأصغر، الحلاء، الشاعر المشهور. و هو من الشعراء المحسنين. توفى سنة ٣٦٦. و قيل: انه توفى يوم الاربعاء لخمس خلون من صفر، سنة خمس و ستين. ،

* ابو القاسم على بن اسحاق بن خلف، البغدادى، المعروف بالزاهى، الشاعر المشهور. ولد يوم الاثنين، لعشر ليال بقين من صفر، سنة ٣١٨.

و توفى يوم الأربعاء، لعشر بقين من جمادى الآخرة، سنة ٣٥٢ ببغداد.

و دفن فى مقابر قريش .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٨٤

ابو طالب، يحيى بن ابى الفرج سعيد بن أبى القاسم هبة الله بن على بن فرغلى بن زبادة؛ الشيبانى، الكاتب، المنشئ الواسطى الأصل، البغدادى المولد و الدار و الوفاة. كان من الأعيان الأمثال، و الصدور الأفاضل، انتهت إليه المعرفة بأموال الكتابة و الانشاء و الحساب.

ولد يوم الثلاثاء ٢٥ من صفر، سنة ٥٢٢. و توفى ليلة الجمعة، ٢٧ من ذى الحجة، سنة ٥٩٤، و صلى عليه بجامع القصر، و دفن بالجانب الغربى، بمشهد الإمام موسى بن جعفر - رضى الله عنهما - .

* ابو يوسف يعقوب بن صابر بن بركات بن عمار بن عمان بن على بن الحسين بن على بن حوثره، الحرانى الأصل، البغدادى المولد و الدار، المنجيقى، الملقب نجم الدين، الشاعر المشهور.

توفى .. فى ليلة ٢٨ من صفر، سنة ٦٢٦، ببغداد. و دفن يوم الجمعة، غربيها بالمقبرة الجديدة، بباب المشهد المعروف بموسى بن جعفر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٨٥

رحلة ابن جبير

عدّ ابن جبير قبر موسى بن جعفر من مشاهد الجانب الغربي المعروفة في بغداد، و محلاتها؛ التي (كل محلّة منها مدينة مستقلة). «و في الطريق الى باب البصرة مشهد حفيل البنيان داخله قبر متع السنام، عليه مكتوب: هذا قبر عون و معين، من اولاد امير المؤمنين على بن ابى طالب (ع)، و في الجانب الغربي ايضا قبر موسى بن جعفر، رضى الله عنه، الى مشاهد كثيرة ممن لم تحضرنا تسميته من الأولياء الصالحين و السلف الكريم رضى الله عن جميعهم».

الاشارات إلى معرفة الزيارات

و أشار ابو الحسن على بن أبى بكر الهروى إلى قبر الامام الكاظم، و الامام الجواد، و الأشراف؛ في مقابر قريش ببغداد .

رحلة ابن بطوطة

«و في هذا الجانب (الغربي، من بغداد) قبر موسى الكاظم .. و إلى موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٨٦ جانبه قبر الجواد. و القبران داخل الروضة؛ عليهما دكانة ملبسة بالخشب، عليه ألواح الفضة ..»

رحلة المنشيء البغدادي

في الجانب الغربي من بغداد؛ مرقد الامام موسى الكاظم، و الامام محمد .. (الجواد)، و أبى يوسف القاضى الحنفى. و من بغداد البها مسافة فرسخ. و هناك نحو ثلاثة آلاف بيت، من العرب و العجم. كلهم شيعة أخبارية المذهب .

رحلة اديب الملك سنة ١٢٧٣ هـ

في الكاظمين ١٠٠٠ بيت غير ان اهلها لا يتوسدون مخدة الراحة .. و السارقون لا يعدّون .. فيها خمسة رباطات (خانات)، و أربعة حمامات، حدائقها كثيرة، و نخيلها أكثر من القول و البيان. صحن الكاظمين المبارك ١٣٠ ذراعا .. و الامام موسى، و الامام (الجواد) مدفونان في ضريح واحد من الفولاذ .. القبّة واحدة، و لكنها في الخارج إثنان. و هما من الذهب. و فيها أربع منارات كبيرة، طول كل واحدة ٥٠ ذراعا. و أربع منارات صغيرة. مذهبة من النصف إلى الأعلى. و كل ما كان من الجواهر؛ فهو في محله، خلف رأس الامام مسجد كبير جدا، إحدى ابوابه من وسط القبّة المطهرة. و قد صنع القبّة المطهرة- أيضا- سلاطين الصفوية .. و ابوانان مباركان واحد في طرف القبلة، و الآخر في طرف المشرق. يأتي كل سبت- من دار السلام بغداد- نحو ألفين او ثلاثة آلاف امرأة و رجل يزورونها .. من بغداد القديمة إلى الكاظمين عليهما السلام اكثر من فرسخ واحد .

رحلة ناصر الدين شاه سنة ١٢٨٧

اول آثار العمران، التي شاهدها منائر الكاظمين و بقاعها .. جاء اهالي الكاظمة لاستقبالي، و كانت النسوة يلهلن .. ترجلت قبل باب الصحن و خرج الشيخ طالب الكليدار، و جمع من الخدام. طرفا القبلة المطهرة، و الايوان، و العمود، و السقف، صنعت بجودة، و الكاشي جيد جدًا.

و يعنون الآن بتذهيب الايوانات من فاضل ذهب قبة العسكريين - عليهما السلام - لم يكن فرش الروضة و الرواق جيدا. فأمرت ان تقاس، و ان يجلب لها من زوالي فراحان. و كانت الجدران حول الصحن تحتاج إلى الترميم.

و قلت للشيخ أخى المرحوم الشيخ عبد الحسين (الطهراني) أن يحسب نفقة ذلك .. ذهب محيط القبة .. من الشاه محمد الشهيد. و بناء القبة الأصلي صنعه الشاه اسماعيل الصفوي، تزجيج وسط القبة من ميرزا شفيح الصدر الأعظم للخاقان المغفور له. الكاظمان في ضريح فولاذ واحد، كبير جدًا. و الصندوقان الفضة في وسط الضريح الجديد بينهما فاصل صغير.

ازار الروضة من الكاشي المعرق الممتاز جدًا، الذي يمكن أن يعدّ من الجواهر .. دعا السيد صادق علماء الكاظمة. و كان يعرف بهم ..

و أسماء العلماء و الوجوه الذين كانوا حاضرين هم:

الشيخ محمد حسن ياسين. الشيخ حسن الشوشتري. الاقا السيد احمد.

الاقاميرزا اسماعيل، امام الجماعة. الاقا الشيخ محمد بن الاقا الشيخ محمد علي.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٨٨

الاقا الشيخ صالح، امام الجماعة. الاقا السيد محمد بن السيد محسن. الحاج ميرزا باقر. الاقا ميرزا محمد الهمداني. الاقا الشيخ مهدي الشيخ عبد الغفار.

الاقا الشيخ محمد بن المرحوم سيد العلماء. الاقا السيد ابو الحسن، صهر الشيخ محمد حسن القزويني. و خدام الكاظمين. الشيخ طالب الكليدار. الشيخ حسن بن الكليدار. الشيخ جواد؛ رئيس الخدام. الشيخ سلمان بن الكشيك. الحاج محمد هادي چراغچي باشي. الشيخ محمد مؤذن باشي. الشيخ هادي قابوچي باشي. الشيخ محمد؛ اخو الكليدار. الخدام ٧٠ شخصا ...

رحلات عبد الوهاب عزام

قصدا الكاظمة، و هي على مقربة من بغداد؛ غربي دجلة. و بها مسجد الإمام الكاظم، و الإمام الجواد. بلغنا المسجد المبارك؛ فلما دخلنا، بهرنا مرآه جمالا و زينة. رأينا فناء واسعاً، يحيط به أبنية، فيها مكاتب و مدارس. و يحيط الفناء بمسجد رائع. يواجه القدام باب جميل، قد غشيت عليها بصفائح الذهب، و ارتفعت من فوقه ظلّة عظيمة من الخشب. ينهض بها عمودان رفيعان، يغشيهما البلور.

و قد لاحت - فوق المسجد، و على جانبيه - قبة و منارتان في حلة من الذهب الوهاج.

وقفنا عند الباب، فدعونا. ثم اجتزنا العتبة، فاذا قباب صغيرة، حول القبة الكبيرة، في لآء من البلور، و الذهب، و الفضة، يحسر الطرف دون تأملها. و ليس يفي الوصف بهذه المشاهد الجميلة ..

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٨٩

الكاظمة في الادلة و كتب الجغرافية دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥ - ١٩٣٦ ان عدد سكان [الكاظمة] الذين يسكنون المنازل، هم:

٤٧٧٩٥

الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦

جامع الكاظمين:

جامع عظيم، فخم، رحب الفناء، مشيد الأرجاء، رصين البناء؛ مزخرف بأتم الزخرفة، و مزين بأبدع النقوش. وفيه قبر الامام موسى الكاظم، و الامام محمد الجواد- عليهما السلام- تعلوهما قبتان عظيمتان، غشى سطحاهما بالذهب الخالص. اعتنى فيه الملوكة، فعلقوا فيه النفائس داخلا و خارجا. و شيّدوا المآذن الذهبية الوهاجة، التي تخب الألباب. يؤمه عشرات الألوف من الزوار؛ سنويا .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٩٠

بعد تأسيس الحكم الوطني- في العراق- سعى بعض المتمولين لإنشاء المعامل. و قد كانت فاتحتها .. معمل فتاح باشا بالكاظمية، لنسج الأقمشة و جدل الغزل. ،.. الذي يزود العراق، و الممالك المجاورة له بالأقمشة الصيفية، و الشتوية؛ القطنية منها، و الصوفية. و التي صارت تضاهى بشكلها و متانتها أحسن الأقمشة الأوربية. كما ان هذا المعمل يزود الجيش و الشرطة، و طلاب المدارس العراقية قاطبة .

دليل تاريخي على مواطن الآثار في العراق مرقد موسى الكاظم

هذا المرقد، الكثير الزخرف، قائم في مقابر قريش- في اصطلاح الخطط البغدادية. و قد سمي أولاً؛ (قبر موسى)، ثم (مشهد موسى)، ثم (المشهد الكاظمي)؛ نسبة إلى لقب الإمام المذكور.

ثم أسست حوله قرية، فنسبت إلى اللقب، و قيل لها الكاظمية. و هي بهذا الاسم معروفة اليوم.

صمم هذا البناء- و هو التربة، ذات الأروقة، التي يصح عليها أن تعد من الآثار. و قد تم بناؤها في سنة ٩٢٦ هـ- ١٥١٥ م كما جاء في نص الكتابة التي في كاشي بابها الشرقي.

و قد اضيفت إليها طرقات، و أكشاك، و مآذن صغيرة و كبيرة، و زخرف أكثرها بالزخارف الزجاج، و المعدن الوهاج؛ على الطريقة الفارسية الحديثة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٩١

و عشر- تحت صندوق الروضة- على صندوق؛ مرضع بالعاج؛ يع؟؟ آية من آيات الفن. و هو من آثار الشاه اسماعيل الصفوي؛ المتوفى سنة ٩٣٠ هـ- ١٥٢٣ م .

اطلس بغداد

مدينة الكاظمية

عدد المحلات ٥

مساحة اراضي المحلات / ١٢ / اولك / ١٤٤٩ / دونم

مساحة المزارع المجاورة للمحلات / ١٢ / اولك / ١٠٩٢٧ / دونم

مساحة نهري دجلة و الخر / ١٣ / اولك / ٩٢٣ / دونم

مجموع المساحة / ١٢ / اولك / ١٣٣٠٠ / دونم

عدد النفوس «العراقيون» ٤٢٢٧٢

«الأجانب» ٦٤٠٤

مجموع عدد النفوس ٤٨٦٧٦

عدد الدور و القصور ٤٢٦٤

عدد الاكواخ و الصرائف ٩٧٩

معدل الكثافة ٤، ٣ لكل دونم عراقي ...

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٩٢

المساحات و السكان

لمحلات الكاظمية و ضواحيها

(١) أحصى عدد سكان هذه المنطقة الريفية ضمن المحلات المجاورة.

(٢) احصى عدد سكان هذه المنطقة ضمن محلة العطيفية.

(٣) تبلغ مساحة نهري دجلة و الخر- ضمن حدود الكاظمية- (٩٢٣) دونما و (١٣) اولك و بهذا يكون مجموع مساحة هذا القسم من

العاصمة (٣٠٠ و ١٣) دونم، و (١٢) اولكا.

(٤) بلغ عدد الأجانب في هذه المحلات (٦٤٠٤) نسمة. منهم (٣٣٥٧) من الذكور، و (٣٠٤٧) من الإناث.

و بذلك يكون مجموع عدد نفوس المحلات المذكورة (٤٨٦٧٦) نسمة، منهم (٢٤٣٦٣) من الذكور، و ما تبقى و هو (٢٤٣١٣) من

الاناث.

و قد دلّ الإحصاء على أن حوالي (٩١٣٠) يقرأون و يكتبون. أي نسبة الذين يقرأون و يكتبون تبلغ (١٩) في المائة من السكان .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٩٣

الدليل العام لتسجيل النفوس العام لسنة ١٩٥٧

قصبه الكاظمية «مركز قضاء الكاظمية»:

شرقا: نهر دجلة.

غربا: أراضي الغرابية؛ الفاصلة بين مركز شرطة الكاظمية و مركز شرطة الهور.

شمالا: أراضي التاجية، الفاصلة بين مركز شرطة الكاظمية، و مركز شرطة التاجي.

جنوبا: منطقة الباغات، و أراضي العكيدات؛ الفاصلة بين مركز شرطة الكاظمية و مركز شرطة الوشاش ..

دليل خارطة بغداد المفصل

خرج المنصور بنفسه يرتاد له موضعا يسكنه و يبني فيه مدينة له، و لعياله و لأهله، و لجنده .. ثم أرسل جماعة من الحكماء .. فاختروا

له مدينته التي تسمى «مدينة المنصور». و هي بالجانب الغربي، قريبة من مشهد موسى و الجواد- عليهما السلام- .. و في هذا النص ما

نستدل به على أن مدينة المنصور كانت قريبة من مقابر قريش التي دفن فيها الإمامان المذكوران ..

* و من اهم المواضيع التاريخية في هذه المنطقة؛ المشهد الكاظمي. فهو زيادة على قدسيته- أهم مرجع خططي في تاريخ بغداد

الغربية؛ لمحافظةه على موقعه الأصلي؛ لمدة أكثر من الف و مائة و خمسين عاما.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٩٤

و كان المنصور أول من جعل هذا الموضع مقبرة، لما ابنتى مدينته.

و أول من دفن فيها كان ابنه جعفر الأكبر. فقد توفى سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م).

ثم صارت تدعى بالكاظمية؛ نسبة إلى الامام موسى الكاظم. و دفن معه حفيده محمد الجواد-ع- فالأول دفن فيها فى سنة ١٨٣ هـ (٧٩٩ م)، و الثانى فى ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م).

و كانت تعرف هذه المقبرة بمقابر قريش. كما كانت تسمى أحيانا «مقبرة الشونيزى الصغيرة»؛ لتمييزها عن مقبرة الشونيزى الكبير.

التي دفن فيها الشيخ جنيد. و لا يزال القسم الغربى من صحن المشهد يسمى «صحن قريش» إلى اليوم. و يروى المؤرخون أن زبيدة- زوجة هرون الرشيد، و قد توفيت فى سنة ٢١٦ هـ (٨٣١ م)- و ابنها الخليفة الأمين، دفنا فى هذه المقبرة أيضا.

و دفن فيها- أيضا- الأميران البويهان؛ معز الدولة، و قد توفى سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م)، و جلال الدولة، المتوفى سنة ٤٣٥ هـ (١٠٤٤ م).

و كان قد دفن فيها- قبلا- القاضى أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الكوفى؛ صاحب كتاب الخراج، المتوفى سنة ١٨٢ هـ (٧٩٨ م).

و الإمام ابو يوسف من أصحاب الإمام أبى حنيفة. و قد تولى القضاء فى بغداد سنة ١٦٦ هـ. فكان أول من دعى قاضى القضاء فى الإسلام.

و لا يزال قبره ملاصقا لسور المشهد الكاظمى من جهة الشرق.

و قد احتوت هذه المقبرة على قبور كثير من الوزراء، و الأعيان، و السادة، و العلماء. فمن أبناء الامام يوسف بن جعفر ابو شجعة موسى ابن ابراهيم. كان متعبدا صالحا ورعا فاضلا، راويا للحديث. قال مؤلف غاية الاختصار: «توفى أبو شجعة - ببغداد- و قبره بمقابر قريش، مجاورا لأبيه وجده- عليهما السلام- فحصدت عن قبره، فدللت عليه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٩٥

و إذا موضعه فى دهليز حجرة صغيرة ملك مبارك الجوهرى الهندى».

قال: «و أبوه الامام إبراهيم المرتضى. كان سيدا أميرا، جليلا عالما، فاضلا. روى الحديث عن آبائه- عليهم السلام- مضى،

إلى اليمن، و تغلب عليها- فى أيام أبى السرايا. و يقال إنه ظهر داعيا إلى أخيه الرضا- عليه السلام- فبلغ المأمون ذلك، فشفعه؟؟؟ فيه و تركه.

توفى فى بغداد. و قبره بمقابر قريش عند أبيه- عليهم السلام- فى تربة مفردة معروفة- قدس الله روحه و ضريحه-».

و الظاهر أن لقب ابراهيم (المرتضى) التبس باسم الشريف المرتضى علم الهدى، على بن الحسين أخى الشريف الرضى؛ المدفونين فى حائر كربلاء؛ عند جدتهما الإمام الحسين بن على. فظن بعضهم أن قبر ابراهيم هو قبر المرتضى علم الهدى، أو قبر ابن المرتضى الآتى ذكره.

و ممن دفن فى مقبرة الامام موسى بن جعفر «ابن المرتضى» ابو الحسن على بن المرتضى بن على العلوى الحسنى؛ المعروف بالأمير السيد.

قال محب الدين ابن النجار: «ولد جده بنيسابور، و كذلك والده المرتضى. و نشأ باصفهان، ثم قدم بغداد. و ولد له على هذا بها. و قرأ الفقه على مذهب أبى حنيفة، حتى برع فيه و فى الخلاف. و قرأ الأدب، و حصل منه طرفا صالحا. و سمع الحديث. ثم ولى التدريس بجامع السلطان (ملكشاه فى محلة المخرم قرب دار السلطنة السلجوقية) و انتهت إليه رياسة أصحاب الرأى. و كان عالما بالمذهب، متدينا زاهدا فى الرتب، و الولايات المنيفة، كريم النفس. كانت داره مجمعا لأهل العلم و الأدب. و كان يكتب خطا مليحا. و له كتب

كثيرة أصول، بخطوط العلماء، أسمع .. و حدث باليسير .. مولده .. في ليلة الثلاثاء ١٢ ربيع الآخر، سنة ٥٢١، ببغداد بدرج الشاكرية .. توفي .. في ليلة الجمعة لثمانى عشرة ليلة خلت من رجب، سنة ٥٨٨، و دفن من الغد بمقابر قريش .. و كان فى الشمال الشرقى من مشهد الكاظمين مقبرة تدعى مقبرة باب موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٩٦

التبن. تقع فى القطيعة الزبيدية. و كان قد دفن فيها عبد الله بن احمد بن حنبل، فى سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م)؛ بوصية منه. إلا ان توغل نهر دجلة- فى الجانب الغربى من هذه المنطقه- و فيضان المياه أديا إلى انهيار قبره فى الماء. و كان ذلك، فى حدود منتصف القرن الثامن عشر الميلادى، قبيل زيارة نبيهر لبغداد ..

الدليل الجغرافى العراقى

و يقع فى الجانب الغربى من دجلة، شمال غربى الكرخ. و يتكون من مدينة الكاظمية، و من مدينة المنصور و ما يجاورها من مزارع و بساتين.

و يرتبط هذا القسم بجانب الأعظمية بجسر حديث؛ يعرف بجسر الأئمة.

و اهم ما فى هذا القسم بلدة الكاظمية. و هى احدى المدن المقدسة فى العراق. يقع وسطها المشهد الكاظمى، الذى يضم ضريحى الامامين؛ موسى الكاظم، و محمد الجواد- عليهما السلام-.

و يقال: ان المنصور كان اول من جعل هذا الموضع مقبرة، لما ابنتى مدينته المدورة، فى جواره. و ان اول من دفن فيها كان ابنه جعفر الأكبر.

ثم صارت تدعى بالكاظمية؛ نسبة إلى الامامين الكاظم و الجواد (ع)؛ اللذين دفنا فيها، فى سنة ١٨٣، سنة ٢٢٠ هـ (٧٩٩ و ٨٣٥ م) على التوالى.

و كانت هذه التربة، تسمى قبل ذلك «مقابر قريش» .

* مشهد الكاظمية- و هو يقع فى الكاظمية، فى شمال غربى بغداد.

و يعد هذا المشهد من أهم المواضع التاريخية ..

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٩٧

الموسوعة الإحصائية عن التقسيمات الادارية فى الجمهورية العراقية

الكاظمية (نفوسها) ١٢٦٤٤٣

مركز القضاء ٩٣٦٧٦

فى تقويم العراق

تألف الفوج العراقى الأول (موسى الكاظم)، فى بغداد، فى ٢٨ تموز، سنة ١٩٢١. و انتقل الى الكاظمين، فى ١٧ آب. ثم انتقل من ٧ إلى ٩ تشرين الأول، من الكاظمين إلى الحلبة؛ حيث حل محل الحامية البريطانية، و فى سده الهندية. و منحه جلاله الملك فيصل، حين مغادرته الحلبة لقب «فوج الكاظم» .

و تألف فوج المشاة العراقى الثانى، فى ١٠ آب، سنة ١٩٢١، و توجه إلى الكاظمين، فى ٧ تشرين الثانى، سنة ١٩٢١ .

و تألفت «البطرية الجبلية الأولى» في بغداد، في ١٢ تشرين الأول، سنة ١٩٢١، و توجهت إلى الكاظمين، في ١٢ تشرين الثاني .
و تألفت البطرية الجبلية الثانية، في الكاظمين، في ١ كانون الثاني، سنة ١٩٢٢ .
و تألف القسم الطبي، في بغداد، في تموز، سنة ١٩٢١، و أرسل منه
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٩٨
مفرزات، إلى الموصل، و الحلّة، و الكاظمين.
* تأسست الكشافة في بغداد، في زمن الحكومة التركية؛ سنة ١٩١٥ و قد انتشرت في أنحاء العراق سنة ١٩١٦ .. و بعد ان تقدم
المنخرطون في سلك الكشافة .. اقامت نظارة المعارف احتفالا للكشافة سنة ١٩١٩ ..
و على اثر احتفال الكشافة الأول، انتشرت حركة الكشافة في بغداد .. حيث تألفت فرقة دار المعلمين، الكاظمية، السريان .. و أخيرا
اقامت نظارة المعارف احتفالا ثانيا للكشافة، سنة ١٩٢٠ .
*** قدرت نفوس بغداد ب ٢٠٠،٠٠٠ نسمة .. و الكاظمية ب ١٥،٠٠٠ .

جغرافية العراق الثانوية

تقع قصبه الكاظمية، في شمالي مدينة بغداد؛ على ضفة دجلة اليمنى، و بعيدة عنها.
و تحيط بها البساتين، من جميع الجهات. و فيها مرقد الإمامين موسى الكاظم، و محمد الجواد؛ اللذان يحيط بهما صحن واسع، مستطيل
الشكل.
و زينت جدرانها بالكاشي المزخرف البديع.
و فوق المرقدين قبتان مذهبتان، في أطرافهما أربع مآذن عالية، مغطاة بصفائح ذهبية.
و بناء الحضرة من أفخم الأبنية المشيدة على الطراز الفارسي، بالعواميد الخشبية العالية، و السقوف المزخرفة المطعمة. أما الجدران؛
فمزينة بالكاشي المزخرف.
و يؤم القصبه الزوار، من جميع الأنحاء؛ لزيارة الإمامين، و التبرك
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ١٩٩
بمرقديهما. و قد جاورها العلماء الأعلام، و رجال الدين الكرام. و تعد القصبه من المراكز الدينية الخطيرة. و تتصل ببغداد بخط ترام
..
(و نفوسها ٢٨،٠٠٠).

العراق قديما و حديثا قضاء الكاظمية

الكاظمية- و يسميها البعض «الكاظم»، و «الكاظمين»؛ إحدى المدن المقدسة في العراق.
تحيط بثلاث جهات منها البساتين الكثيرة، ذات الأشجار المختلفة، و النخيل الوارف. و تجاورها من الجهة الرابعة مستنقعات و مدايح.
و كور عديدة للطابق ... تبعد عن بغداد شمالا خمسة كيلومترات. و كانت تربطها بها سكة ترام ... رفعت عام ١٩٤٦ م ...
أما شوارعها الحديثة؛ فعريضة مزفتة، و فنادقها الحادثة أنيقة. فهي تجمع بين القديم و الجديد ...
و تدل إحصاءات سنة ١٩٤٧ .. أن عدد نفوس قضاء الكاظمية كانت (١١٥،٧٦٠) نسمة ..
و يروي حمد الله المستوفى .. أن الكاظمية بلدة قائمة بنفسها يقدر محيطها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٠٠

بسة آلاف خطوة، و في وسطها قبر الإمامين ..

يقع المشهد الكاظمي في وسط مدينة الكاظمية. و يحيط به سور ضخمة مستطيل؛ طوله ١٢٣ مترا، و عرضه ١١٨ مترا. و له تسعة ابواب ذوات أسماء خاصة لدى الأهليين .

و في كل من ضلعيه الكبيرين ٢٥ إيوانا، و في ضلعه الشرقي ٢٣ إيوانا.

(و) لقضاء الكاظمية ناحيتان؛ هما:

١- ناحية الطارمية.

٢- ناحية أبي غريب ..

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٠١

الكاظمية في المراجع الغربية كتبه و ترجمه من مختلف المصادر الغربية جعفر الخياط الحائز على درجة استاذ علوم .s .m . من جامعة كليفورنيا و مدير التعليم الثانوي و المفتش الاختصاصي في وزارة التربية سابقا و مدير التعليم المهني العام حالا ١٩٦٧

إشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٠٣

الكاظمية في المراجع الغربية

مقدمة

يعد المشهد الكاظمي في مقدمة العتبات المقدسة التي يقصدها المسلمون للزيارة و التبرك، و يتعبد فيها الزوار للأجر و الثواب. و لم يكتب لهذا المشهد المطهر بأن تحظى تربته الزكية بمثل هذا التقديس و الاعتبار إلا لكونها تضم بين طياتها رفات الامامين الكاظمين، الذين جاهدا في سبيل العقيدة الحقّة و الدين القويم، و حملا مشعل الامامة المضطهدة عاليا في أحلك الاوقات و أصعبها. و لئن شاء الله العليّ القدير أن يلاقى الامامان الكاظمان ما تنوء به الكواهل من العنت و الاضطهاد، و يلاحقا في كل مكان او بلد، فقد كتب لهما في الوقت نفسه ان يخلدا في قلوب الناس الى الابد و يقدسهما المسلمون الى يوم الدين.

و لذلك فليس من المستغرب ان يقصد هذا المشهد القاصدون من غير المسلمين ايضا، فيزور الكاظمية الرحالون و المستشرقون، و يمر فيها التجار و المسافرين، و يتطرق الى ذكرها الكتاب و الباحثون و رجال السياسة من الغربيين الذين كانت و لم تزال تجتذبهم هذه البلاد بما فيها من مزايا و كنوز.

و قد تكون الكاظمية اكثر حفا من سائر المدن المقدسة في هذا الشأن،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٠٤

لموقعها القريب من بغداد مدينة الخلفاء و اتصالها الوثيق بتاريخ العباسيين و حضارتهم.

و قد كتب عن الكاظمية عدد غير يسير من المؤرخين الغربيين، كما أشار اليها او تطرق الى ذكرها في مختلف المناسبات عدد آخر غيرهم، و لذلك سنحاول في بحثنا هذا أن نورد أهم ما كتب في هذا الشأن و لا سيما ما تكون له قيمة تاريخية أو أهمية انسانية حضارية في الأعم الأغلب، الى جانب ما كتبه الموظفون الانكليزي في ايام احتلالهم للعراق، و في خلال كفاح العراقيين لتكوين الحكم الوطني في البلاد.

الكاظمية في بداية عهدها

أن أهم ما كتب عن الكاظمية في أول أمرها ما كتبه المستشرق الانكليزي المعروف غي لسترنج في كتابه (بغداد في عهد الخلافة العباسية).

فقد أفرد في كتابه القيم هذا، الذي يبحث فيه عن خطط بغداد في بداية عهدها بالتفصيل، فصلا خاصا (الفصل الثاني عشر) بعنوان «براثا، والمحول، والكاظمين». و مما جاء فيه قوله :

و تقع شمال مقبرة الشهداء في باب حرب، و أمام ضفة النهر، مقبرة قريش الكبرى، و كان يعرف قسمها الشرقي على الأغلب بمقابر «باب التبن»، و كانت تتصل بقطيعة الزبيدية الواقعة بالقرب من هذا الموضع.

و كان المنصور أول من جعلها مقبرة حينما ابنتى مدينته، و أول من دفن فيها كان ابنه جعفر الأكبر الذي توفي سنة ١٥٠ (٧٦٧ م). و لم يمض زمن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٠٥

طويل عليها حتى صارت تدعى بالكاظمية و ما زالت تعرف بهذا الاسم، نسبة الى الأمامين المدفونين فيها. و كان بالقرب منها قبر زبيدة أرملة هارون الرشيد، و قبر ابنها الخليفة الأمين، و كان يقع بجوارها كذلك قبرا الأميرين البويهيين معز الدولة المتوفى سنة ٣٥٦ (٩٦٧ م) و جلال الدولة المتوفى سنة ٤٣٥ (١٠٤٤ م).

اما الأمامان اللذان نسبت اليهما الكاظمية فهما موسى الكاظم حفيد حفيد الحسين بن علي بن أبي طالب، و محمد الجواد أو التقى حفيد موسى الكاظم الذي سبق ذكره. و أولهما هو سابع أئمة الشيعة، و ثانيهما تاسعهم.

و كان مقتل موسى على يد هارون الرشيد سنة ١٨٦ (٨٠٢ م)، و يقال ان محمدا التقى توفي مسموما في سنة ٢١٩ (٨٣٩ م) في عهد خلافة المعتصم.

و قد تذكر الكاظمية أحيانا بانها قائمة في الشونيزية، فتكون مرادفة لمقابر قريش. و يروى الخطيب (مؤرخ بغداد) قائلا «.. سمعت بعض شيوخنا يقول ان مقابر قريش كانت قديما تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير.

فقد كان هناك اخوان يقال لكل منهما الشونيزي، و دفن واحد منهما في إحدى هاتين المقبرتين فنسبت المقبرة اليه».

و قد عرفت المقابر الشمالية في بغداد الغربية بعد ذلك بمقابر «باب التبن»، غير انه يظهر من موقع باب التبن ان هذا الاسم كان قد أطلق بوجه الأجمال على القسم الشرقي منها فقط .

و لا يعلم من هو الذي قام بتشييد الكاظمية أولا، غير ان ياقوت يصفها في سنة ٦٢٣ (١٢٢٦ م) بقوله «.. و هي مقبرة مشهورة و محللة فيها خلق كثير و عليها سور»، و تقع دورها في هذا التاريخ على مسافة من دجلة تقدر بألف ياردة تقريبا. و يروى المؤرخ الايراني حمد الله المستوفى الذي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٠٦

جاء بعد ياقوت بقرن، ان الكاظمية كانت بلدة قائمة بنفسها و كان محيطها يقدر بستة الاف خطوة، و كان في وسطها ضريحا الأمامين الكاظمين. و قد أصبحت في عهدها الأولى مركزا للشيعة في أثناء الخلاف الذي حصل بينهم و بين أهل السنة. و في خلال المنازعات التي أعقبت ذلك هوجمت الكاظمية و نهبت، غير ان أمراء آل بويه كانوا من جهة أخرى يقدمون الهدايا لهذه العتبة المقدسة على الدوام. و المقول أن الخليفة الطائع، الذي حكم من ٣٦٣ الى ٣٨١ (٩٧٤-٩٩١ م)، كان قد أم صلاة الجمعة في جامع الكاظمين أكثر من مرة.

و قد نهبت الكاظمية و أحرقت في سنة ٤٤٣ (١٠٥١ م)، ثم أعيد بناؤها بعد مدة و جيزة لأن الملحوظ ان ملكشاه السلجوقي قد زارها

سنة ٤٧٩

(١٠٨٩ م)، و ان الرحالة ابن جبير ذكرها باكبار و اجلال خلال وصفه لبغداد. و قد التهب النار قبّة الأمامين سنة ٦٢٢ (١٢٢٥ م)، في خلال حكم الخليفة الظاهر القصير الأمد، فبدأ الخليفة بأعادة تعميرها غير ان المنية عاجلته في السنة التالية، فأتم المستنصر الذي تولى الخلافة بعده عمل أبيه.

على أن اعظم ما حل بالكاظمية من نهب و تدمير ما حصل في فتنه سنة ٤٤٣ (١٠٥١ م)، فورد بالمناسبة ذكر قبر زبيدة و قبر ابنها الخليفة الأمين للمرة الأولى بأنهما كانا قائمين فيما يقرب من هاتين الترتين الشيعيتين. و المعروف ان الأمين، بعد ان قطع رأسه و بعث به الى المأمون في خراسان، قد دفنت جثته فوراً في بستان قريب من باب الحديد على خندق طاهر.

و أبعدت زبيدة مع أحفادها أبناء الأمين في أول الأمر، الى الهمانية في منحدر دجلة، و لكنه سمح لهم أخيراً بالعودة الى بغداد حيث توفيت زبيدة سنة ٢١٦ (٨٣١ م) أي بعد الحصار العظيم بنحو سبع عشرة سنة و قبل وفاة المأمون بسنتين. و قد جاء في الطبري ذكر وفاتها، لكنه لم يتطرق الى موضع دفنها، غير اننا نذكر ان قطعة زبيدة التي أقامت حاشيتها فيها، تقع عند موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٠٧

باب التبن تماما و تتصل بالكاظمية. و لذلك فمن المرجح ان تكون قد دفنت في هذه المقبرة.

و حدث في سنة ٤٤٣ (١٠٥١ م) خلاف بين السنة و الشيعة في بغداد الغريبة، على باب في الكرخ اراد الشيعة نقش كتابة عليها لم يوافق أهل السنة على ما جاء فيها. و قتل زعيمهم خلال النزاع فدفن في اليوم الثاني في مقبرة الشهداء عند قبر ابن حنبل، و تجددت الاضطرابات في هذا اليوم مرة أخرى فقصد أصحابه مشهد الكاظمين و نهوا ما فيه من قناديل و محاريب ذهب و فضة و ستور و غير ذلك. و لما كان الغد قصدوا المشهد ثانية و أشعلوا النار فيه فاحترقت قبابه المصنوعة من خشب الصاج، و امتد لهيب النار أيضا الى موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٠٨

القبرين المجاورين للأميرين البويهيين معز الدولة و جلال الدولة. و حينما استنفدت النار؟؟؟ هذين القبرين التهمت قبر جعفر بن الخليفة المنصور و قبر الأمين مع قبر أمه زبيدة، و كانت الجموع تقوم بأعمال وحشية مرعبة في الوقت نفسه. و يعد ابن الأثير الذي يصف لنا هذا الحادث بأسهاب أول مؤرخ يعين موضع قبر زبيدة، و لما لم يكن هناك سبب يدعونا الى الشك في هذه المعلومات فيمكننا ان نقول ان قبر زبيدة كان موجودا بالقرب من الكاظمين في منتصف القرن الخامس (الحادي عشر الميلادي). و لا ريب في ان ذلك يقضى على الزعم الشائع الآن بأن قبر زبيدة هو البناء الحديث القائم بالقرب من قبر معروف الكرخي على بعد ثلاثة أميال جنوبي الكاظمية ..

و آخر ما يورده لسترنج في هذا الشأن كذلك ما يشير الى وجود قبر مشهور آخر في مقابر قريش، و هو قبر عبد الله بن أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٩٠ (٩٠٣ م). فهو يقول ان عبد الله هذا كان قد أوصى بأن يدفن هنا أي في المقبرة التي وراء باب التبن و ليس بالقرب من قبر أبيه لأنه كان يقول: (صح عندي ان بالقطيعة نبيا مدفونا، و لأن أكون في جوار نبي أحب الى من ان أكون في جوار أبي). و على هذا فقد كان قبره ما بين الكاظمية و قطيعة زبيدة، و قد ظل قائما الى حين قيام ياقوت بتدوين كتابه في القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي) و لو انه كان متهدما معظمه.

و يشير لسترنج في موضع آخر من كتابه هذا (الفصل الرابع و العشرون) الى ما أصاب المشهد الكاظمي من حريق و تدمير في أثناء استيلاء هولاء على بغداد. فيقول ان فتح هولاء بغداد أعقبه نهبا و أبحاثها لمدة أربعين يوما و ان النيران التي اندلعت السنيتها بهذه المناسبة التهمت ما جاء أمامها و خربت جامع الخليفة و مشهد الأمام موسى الكاظم، مع قبور الخلفاء في الرصافة.

و في كتابه الآخر (بلدان الخلافة الشرقية) يشير لسترنج كذلك الى ان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٠٩

المقابر الشمالية التي كانت تقع ما وراء محلة الحربية من بغداد الغربية في عهد العباسيين، اشتهرت مؤخرا بأسم الكاظمين و سميت بهذا الأسم نسبة الى اثنين من أئمة الشيعة العظام.

و يؤيد ذلك أيضا ما جاء في كتاب (الرافدان) لمؤلفه المستر سيتون لويد، الذي عمل خبيرا لمديرية الآثار القديمة في العراق مدة طويلة من الزمن. فهو يقول بعد الإشارة الى نشوء القسم الشرقي من بغداد في بادىء الأمر، ان مقبرتين قد دشتتا فيهما: أحدهما في موقع مقبرة زردشيه قديمة تسمى الأعظمية في يومنا هذا، و الأخرى في شمال المدينة المدورة حيث تحوط جامع الكاظمين اليوم بضريحى اثنين من الأئمة الأثنى عشر. ثم يشير الى ان الخليفة المنصور نفسه قضى نجه بعد الانتهاء من تشييد بغداد، و لثلا يتسنى لأى عدو من أعدائه العبث برفاته فى يوم من الايام حفر له مئة قبر ثم دفن سرا فى قبر آخر غيرها. و يقول لويد فى مناسبة أخرى ان المنصور حينما عزم على أنشاء بغداد انتخب لها بعد مداوات متطاولة مع مشاوريه، و مع الفلاحين النازلين فى دورة من دورات دجلة على مقربة من جنوبى الكاظمية الحديثه.

الكاظمية فيما كتبه دونالدسون و ريشارد كوك

إشارة

و يأتى الدكتور دوايت دونالدسون فى كتابه (عقيدة الشيعة) الذى سبقت الإشارة اليه بكثرة فى هذه الموسوعة، على الكثير مما يلقى الضوء على الكاظمية فى بداية عهدهما كذلك. فقد زارها مع زوجته فى ١٩٢٨، و هو يقول ان كل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢١٠

من يصل الى بغداد من الشمال أو الغرب لا- بد من أن يجتذبه منظر المآذن المذهبة الأربع فى الكاظمية التى يوجد فيها المشهد الكاظمى المشهور فى العالم الإسلامى.

ثم يقول عن المشهد المطهر نفسه ان البيان بشكله الحالى يرجع بتاريخه الى بداية القرن السادس عشر، و قد أبقي بحاله ممتازة من العمران حتى اليوم. و هو يمثل التجديد الذى كان قد أمر بأجرائه الشاه اسماعيل الصفوى (١٥٠٢-١٥٢٤)، برغم التزيينات التى أدخلها فيه السلطان سليمان القانونى حينما فتح بغداد سنة ١٥٣٤ و مكث فيها أربعة أشهر قام خلالها بزيارة العتبات الشيعية المقدسة. على أن الألواح او الصفائح الذهب التى كسيت بها القبتان كان قد صرف عليها فى ١٧٩٦ أغا محمد خان أول شاهات الأسرة القاجارية المالكة. و فى سنة ١٨٧٠ أمر ناصر الدين شاه بأصلاح هذه الصفائح فى المآذن و إحدى القبتين. و يستد دونالدسون فى قوله هذا على ما جاء فى دائرة المعارف الاسلاميه.

سقف المدخل لضريح الامامين الكاظمين

ثم يتابع دونالدسون بحثه فى تاريخ المشهد الكاظمى فيقول أنه يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار ان الامامين الكاظمين المدفونين فى هذا المشهد قد توفيا فى بداية القرن الثامن للميلاد، و أنه يلاحظ من هذا ان سبع مئة سنة كانت موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢١١ قد مرت على الضريحين المطهرين قبل ان يقوم الشاه اسماعيل الصفوى بتجديدهما. و كان الامامان عليهما السلام قد عاشا فى ايام بغداد الأولى حينما كانت أسوار مدينة المنصور المدورة لا تزال قائمة فى الجانب الغربى من دجلة. و كانت هناك مدافن فى شمالها و شمالها الغربى تسمى بأسماء مختلفة: مقبرة باب الشام، و مقبرة العباسيين، و مقبرة باب التبن، و قد دفن الامامان الكاظمان فى غرب مقبرة باب التبن مباشرة. و لكن المنطقة الشمالية كلها أصبحت تسمى مقبرة قريش بوجه عام حينما كتب ياقوت كتابه المعروف. هذا

و يذكر دونالدسون كذلك ان الشيعة يدعون بأن الأمامين قد قتلوا بالسم، بأمر من الخليفين الحاكمين. لكنه من المهم ان يذكر أيضا بالنسبة لوفاء الأمام الجواد ان مراسيم الدفن و الفاتحة كان قد قرأها على روحه الطاهرة ممثل عن الأسرة المالكة، و هذا من شأنه ان يميز الأمام عليه السلام باعتباره من الشخصيات المهمة. و يستند دونالدسون في روايته هذه على خبر يرويه الكليني في كتابه (اصول الكافي الص ٢٠٣).

اما ما يختص بزيارة الضريحين المقدسين في المشهد الكاظمي المطهر، و الوقت الذي بدأ فيه الناس بها، فيقول دونالدسون ان المعلومات الوحيدة المتيسرة بشأنها هي ما يروى عن ما قاله الأمام الرضا عليه السلام لأتباعه عن كيفية زيارة قبر والده الأمام الكاظم في الظروف التي كانت السلطات الحكومية في بغداد تمنع الناس فيها عن الزيارة. فقد أشار عليهم بتأدية واجب الزيارة، و الصلاة عليه، من وراء سور المشهد المطهر او في المساجد المجاورة له. و قد أخبرهم أن ذلك يعادل زيارة قبر الأمام الحسين في كربلاء، أو ضريح الأمام علي في النجف. و ما يستنتج من هذا هو ان نوعا من أنواع البناء حول الضريح المطهر كان قائما في ذلك الوقت المبكر من تاريخ المشهد المقدس، و أن سورا كان يقوم من حوله. و المعروف ان هناك رواية مماثلة أخرى تروى عن الأمام علي الهادي الذي بدأت أمامته بعد ذلك، في أواخر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢١٢

خلافة المعتصم. أذ يروى عنه أنه أوصى بالتوصيات التالية من أجل زيارة الضريح المقدس:

«فأذا أردت زيارة قبر موسى بن جعفر و قبر محمد بن علي بن موسى فعليك أولا أن تستحم و تطهر نفسك، و أن تتضمخ بالطيب و تلبس البستك النظيفة، و عليك بعد ذلك ان تقول ما يأتي عند قبر الأمام موسى:

السلام عليك يا صديق الله

السلام عليك يا دليل الله

السلام عليك يا نور الله

ايها النور الذي ينير الظلمة في أنحاء الأرض

جتتك زائرا، معترفا بحقك

كارها لأعدائك، و مصادقا لأصدقائك

فتشفع لي عند ربك.

[كيف كان الوضعية في زمان البويهيين في بغداد]

و حينما تسنى للبويهيين ان يأخذوا زمام السلطة في بغداد بأيديهم، أعلنوا اعتبار العشرة الأولى من شهر محرم الحرام من أيام الحزن و الحداد على الحسين عليه السلام، و كثيرا ما كانوا يتحفون المشهد الكاظمي بالهدايا و الهبات.

و يروى عن الخليفة الطائع أنه كان يوم المصلين في جامع الكاظمية أيام الجمع و لذلك يلاحظ ان المشهد الكاظمي قد أصبح له شأن يذكر في ظل البويهيين.

و يقول دونالدسون ان هذه الفترة بالذات ألفت فيها الكتب الشيعية الأربعة، التي تحتوى على معظم عقائد الشيعة و تقاليدهم. فقد توفي الكليني في بغداد سنة ٩٣٩ م بعد الأنتهاء من تأليف كتابه العظيم (الكافي في أصول الدين). و كان ابن بابويه قد جاء الى بغداد من خراسان في ٩٦٦ فكرس وقته كله للكتابة و التعليم، حتى أصبح كتاب (من لا يحضره الفقيه) الذي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢١٣

ألفه من أعظم كتب الشيعة في الفقه والعقائد. و بعد ان توفي ابن بابويه بستة عشر عاما قدم الطوسي الى بغداد من خراسان كذلك، و فيها كتب الكتابين الآخرين من كتب الشيعة الكبيرة الأربعة، و هما كتاب (تهذيب الأحكام) و كتاب (الاستبصار).

على ان هذا الدور الذي استطاع فيه الشيعة ان يمارسوا عباداتهم و طقوسهم بحرية، تحت ظل البويهيين، لم يمر بسلام عليهم في بغداد. فقد هوجموا سنة ١٠٥١ في الكرخ، و هوجم المشهد الكاظمي فنهب و أحرق كما مر ذكره فيما كتبه لسترنج عن الموضوع. لكن هذا الحادث الأليم لم يمر عليه سوى مدة و جيزة حتى حل سلاطين الأتراك السلجوقيين في محل البويهيين الفرس في الاستئثار بالسلطة، و عزل الخليفة عن شؤون الدولة و مهامها الجسيمة.

غير ان السلجوقيين هؤلاء لم يصدر منهم ما يسىء الى المشهد الكاظمي بشيء، و حينما زاره السلطان ملكشاه في سنة ١٠٨٦ كانت الأضرار التي لحقت به من جراء مهاجمته قبل خمسة و ثلاثين عاما قد توفيت على ما يبدو.

و قبل ان تنقضى مئة عام على هذا الحادث، قدر للمشهد الكاظمي المطهر ان تشب فيه النيران من جديد فتزل به أضرارا فادحة. و قد اعتبر هذا شيئا بالغ الأهمية بحيث أصبح أمر إعادة تعميره المشهد المهمة الكبير الوحيدة التي اضطلع بها الخليفة الظاهر خلال مدة حكمه القصيرة، كما يذكر ابن الطقطقي في (الفخرى). و كان ابن الطقطقي هذا قد خلف يومذاك والده في الأشراف على شؤون العتبات الشيعية القريبة من بغداد. و يقول الدكتور دونالدسون ان هذا مع أنه يدل على تمتع الأقلية الشيعية في بغداد بشيء من الحقوق في نطاق ضيق، فأن مقرهم لم يعد له وجود في بغداد نفسها و انما انتقل الى الحلة و أعصيت أهمية أكبر الى النجف و كربلاء باعتبارهما من مراكز الزيارة المهمة.

و تعليقا على ما يذكره دونالدسون حول التعميرات التي أجريت في المشهد الكاظمي بأمر من أقا محمد شاه القاجاري نقول ان المراجع العربية (العراق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢١٤

بين احتلالين) تذكر ان العمل بدأ بها في سنة ١٢٠٧ هـ، و كان يتضمن أتمام ما كان الصفويون قد بدأوا به من قبل. و تشمل هذه التعميرات على إنشاء المنائر الكبرى الثلاث، و كانت الرابعة قد شيدت في عهد السلطان سليم العثماني كما مر سابقا. و من تلك الأعمال كذلك تأسيس صحن واسع يحيط بالحرم من جهاته الشرقية و الجنوبية و الغربية، و تخطيط الصحن بحيث اتخذ شكله الحالي. و قد استمرت التحسينات و التعميرات في ايام فتح على شاه كذلك بعد ان توفي أقا محمد شاه، فنقش باطن القبتين بماء الذهب و الميناء و قطع الزجاج الملون. على أن أبرز أعمال هذا الشاه كان عمله في تذهيب القبتين و المنائر الصغار الأربعة، و كان ذلك في سنة ١٢١١ للهجرة.

اما المستر ريتشارد كوك فيورد في كتابه (بغداد مدينة السلام) كثيرا مما يختص بتاريخ الكاظمية و أحوالها، مما يقارب بوجه العموم ما يورده المؤرخون الغربيون الآخرون. فهو يقول عن نشوء الكاظمية، في معرض بحثه عن خطط بغداد، ان مقبرة كبيرة كانت قد اتخذت في خارج باب التبن فكان من اول من دفن فيها جعفر بن الخليفة المنصور. و قد أصبحت هذه المقبرة فيما بعد مدفنا لأمامين من أئمة الشيعة، و تسامت فوق ضريحها عتبة الكاظمية الفخمة، التي لا تزال من ابرز المعالم في يومنا هذا .. و استدعت كثرة العبور و التنقل بين جانبي المدينة أنشاء جسرين آخرين من الزوارق: أحدهما في الشمال و الآخر في الجنوب، و صار الجسر الشمالي يربط القسم الشمالي من ربض الحربية، أي الزبيدية و باب التبن، بالقسم الشمالي من الرصافة. و يمثل هذا الجسر اليوم على وجه التقريب الجسر الذي يربط الأعظمية بالكاظمية.

اما الآخر فقد كان يربط الكرخ بالقسم الجنوبي من المخرم، و يمثله تقريبا موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢١٥

هذا اليوم معبر القطار (اي الجسر الحديد في الصرافية الذي أنشئ بعد كتابه ريتشارد كوك لكتابه).

ثم يقول في موقع آخر .. و في هذه المقبرة الكائنة في خارج باب التبن، ربض بغداد الغربية، دفن في سنة ٨٠٢ موسى الكاظم سليل

الحسين من الظهر الرابع و شهيد كربلاء الذي يقدسه الشيعة باعتباره الامام السابع من ائمتهم و قد كانت وفاته تعزى الى الحبس الذي فرضه عليه هارون الرشيد بعد ان صار يخشى نفوذه و تأثيره فى الناس. و بعد ثلاثين سنة دفن حفيده محمد التقي تاسع امام، فى البقعة نفسها فأصبحت تسمى فى النهاية «الكاظمين». و دفن هنا أيضا القاضى الحنفى المشهور أبو يوسف معتمد الرشيد و موضع ثقته، و ما زال قبره قائما هناك حتى اليوم. و بانحطاط بغداد الغريبة فى السنين المتأخرة، و تقلص حجمها. بطل استعمال المقبرة للدفن فنشأ ربض مستقل حول ضريحى الامامين له اسواقه و اسواره. و من المحتمل ان تكون زبيدة زوجة هارون الرشيد قد دفنت هنا، و كذلك ابنا الخليفة الامين السىء الطالع، لكن قبورهم قد اختفت وقت الاحتلال المغولى فى القرن الثالث عشر الذى دمر المشهد الكاظمى فيه تدميرا غير يسير .. و أخيرا فأن أحد المؤرخين فى القرن الثالث عشر، و هو ابن الأثير، يذكر بالفعل ان زبيدة كانت قد دفنت فى الكاظمية صراحة، مع انه الوحيد فى ايراد هذا الخبر.

و يشير المستر كوك كذلك (الصفحة ١٠٨)، عند بحثه عن البويهيين و تشيعهم الى ان معز الدولة قد دفن بعد موته فى الكاظمية، و كان متطرفا فى تشيعه بحيث كان يفكر عند دخوله الى بغداد فى عزل الخليفة العباسى لكنه عدل عن ذلك برأى من مشاوريه السياسيين- كما يشير فى موضع آخر الى ان الخليفة الطائع العباسى كانت له ميول شيعية قوية، حتى انه كان فى بعض موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢١٦

المناسبات يؤم الناس فى صلاة الجمعة فى جامع الكاظمية. و حينما يأتى المستر كوك على أخبار سنة ١٠٥١ للميلاد (فى الصفح ١١٤) يقول انها عرفت فى تاريخ بغداد بوقوع شغب فيها ما بين السنة و الشيعة بسبب كتابة خاصة كان يراد كتابتها على احد الابواب فى الكرخ فاعتبرها اهل السنة شيئا و ثنيا فى لهجته. و قتل فى اثناء النزاع رئيس من رؤسائهم، فاغتمت انصاره فرصة تشيع الجنازة فى اليوم الثانى فى مقبرة باب حرب و جددوا النزاع فهاجمت الجموع الكاظمية و احتلت المشهد المقدس، و بعد أن نهبوا الذهب و النفائس جميعها اضرموا النار فى البناء. فلحقت اضرار واسعة بجميع القبور المجاورة بما فيها قبر زبيدة و ابنها الخليفة الامين.

و يتطرق كذلك (الصفحة ١٣٢ و ١٣٣) الى وصف الرحالة ابن جبير لبغداد، ثم يذكر الحريق الشهير الذى وقع فى الكاظمية فدمر قبتى الامامين عليهما السلام فى عهد الخليفة الظاهر الذى أسرع فى المباشرة بأعادة البناء المقدس فى عهده. و يقول المستر كوك كذلك ان جامع قمريه المشهور فى الكرخ، و الذى كان يعرف بأن أصح قبله توجد فيه، كان قد بنى فى ذلك الوقت أيضا.

الكاظمية فى عهد المغول

و حينما شاخت دولة العباسيين و أخذ نجمهم بالأفول قيض الله لدولتهم جموع المغول المتوحشة، فزحفت على بغداد أم البلاد بجيش عرطوم يكتسح الأخضر و الياض، و على رأسه هولاء حفيد جنكيز خان. فلم تسلم الكاظمية مما أصاب بغداد من سلب و نهب و تدمير عند فتحها بالطريقة الأثيمة المعروفة. و يقول المستشرق لسترنج فى (بغداد فى عهد الخلافة العباسية) أن هولاء أمر بنهب الكاظمية و أضرار النار فيها فى أثناء حصار المغول لبغداد سنة ٦٥٦ (١٢٥٨ م)، غير أنها أعيد تشييدها فى الحال.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢١٧

و حينما ألف صاحب المراسد كتابه سنة ٧٠٠ (١٣٠٠ م) كان الجامع الكبير ما زال قائما على مقربة من دجلة برغم ان القسم الأعظم منه كان قد تهدم من جراء ما أصابه من الغرق مرتين متتاليتين.

اما دونالدسون فيشير الى التدمير الذى أصاب الكاظمية كذلك عند استيلاء المغول على بغداد، مستندا على ما جاء فى كتاب هاورث فى تاريخهم .

فهو يقول ان المغول حينما جاؤوا الى بغداد بجموعهم الكاسحة سنة ١٢٥٨ أنزلوا الدمار التام فيها و ما حولها. على ان المقول هو ان

تفاهما كان قد حصل حول عدم التعرض للعتبات الشيعية المقدسة بشيء، لكن الحقيقة ان الكاظمية كانت العتبة الوحيدة التي أصيبت بالخراب و التدمير في هذه الأثناء. وقد يعزى السبب في ذلك الى تدمير القسم الغربي من بغداد قبل غيره. وربما كان قد حصل، خلال المدة التي ضرب فيها الحصار حول أسوار بغداد الشرقية بعد ذلك، أن وفدا شيعيا وصل من الحلة فتوفى في اجراء ترتيب خاص معه يحافظ فيه على سلامة كربلاء- و النجف، و على كل فالمعروف ان بغداد قد دمرها المغول تدميرا كاملا، و أن الضريحين في الكاظمية قد أضرمت النار فيهما، فهلك في أثناء ذلك جميع سكان بغداد تقريبا الذي كان يبلغ عددهم حوالي ثمان مئة ألف نسمة على ما يقول المؤرخ رشيد الدين. و يقال ان الغنائم التي غنمها المهاجمون المتوحشون منها كانت عظيمة بحيث ان الكرج و التتار في الجيش المغولي كانت تنوء كواهلهم بحمل الذهب و الفضة و الأحجار الكريمة و غير ذلك من النفائس التي حملوها منها. و قد أثرى أولئك الجنود بحيث صاروا يطعمون سروج خيولهم و بغالهم و حتى لوازمهم الاعتيادية بالأحجار الكريمة و الذهب و اللؤلؤ.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢١٨

و قبيل انتهاء حكم المغول من أحفاد هولوكو- الذي دام اثنتين و ثمانين سنة- زار الرحالة المستوفى بغداد (١٣٣٩) و ذكر انه شاهد ضريحي الأمام الكاظم و حفيده الجواد عليهما السلام، ثم أشار الى ان الكاظمية كانت ضاحية مستقلة نفسها من ضواحي بغداد، يبلغ طول محيطها حوالي ستة آلاف خطوة، و عدد سكانها حوالي ستة آلاف نسمة.

و يذهب ريتشارد كوك الى تأييد ما مر ذكره حول تدمير الكاظمية عند استيلاء الجموع المغولية المتوحشة على بغداد. فيقول ان الخراب النهائي الذي أصاب مدينة الخلفاء، قد تم بحريق كبير انتشر انتشارا سريعا في تلك الفوضى فدمر الأبنية الرئيسية. اما في الضواحي فقد دمر المشهد الكاظمي، و جامع الرصافة، و قبور الخلفاء في الرصافة، و معظم البيوت و المخازن.

و يذكر كذلك ان شيعه الحلة بعثوا الى هولوكو خلال الحصار و فدا يسترحم عدم التعرض بالعتبات الشيعية المقدسة، فما كان منه ألا أن بعث مع الوفد ابن أخيه الى الحلة و تم الاتفاق معه فيها على أن يربط مئة مغولي في كل من النجف و كربلاء للمحافظة على المشاهد المقدسة.

و يروي في موضع آخر عن حكم غازان خان في العراق ان ايامه عرفت بتفشي الطاعون بنوعيه: الأسود و الاحمر، و بحصول فيضان هائل في بغداد أحدث أضرارا محلية فادحة و استحال به المشهد الكاظمي، الذي كان قد أعيد بناؤه من عهد قريب، الى انقاض متهدمة.

و تعليقا على ما جاء عن المشهد الكاظمي في عهد المغول نقول انه ورد في المراجع العربية ان الامير قره طاي وصل الى بغداد بعد ان احتلها المغول فعين عماد الدين عمر بن محمد القزويني نائبا عنه، و عين القزويني بدوره

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢١٩

شهاب الدين علي بن عبد الله صدرا في الوقوف، و تقدم اليه بعمارة جامع الخليفة و مشهد موسى و الجواد .

و يذكر كذلك ان السلطان اويس الجلائري قام في ٧٦٩ هجرية بتعمير المشهد الكاظمي فبنى قبتين و منارتين، و أمر وضع صندوقين من الرخام الجيد على القبرين الشريفين، و زين الحرم بالطابوق الكاشاني الذي كتبت عليه سور من القرآن المجيد، كما عمّر الرواق و رباطا كان في الصحن، و أمر بأطلاق الأموال للخدام و السدنة .. و في يوم السبت السابع من ذي القعدة سنة ٨٠٣ دخل تيمور بغداد فاتحا لها للمرة الثانية بعد محاصرة دامت اربعين يوما و خرج منها في العشرة الأولى من ذي الحجة، و من هناك زار مشهد الأمام الكاظم و مضى الى الحلة .

على ان دونالدسون يذكر ان تيمور لنك حينما هاجم بغداد سنة ١٣٩٣ دمرها تدميرا فظيلا أصاب الكاظمية شيء غير يسير منه، و بعد أن أقام فيها ثلاثة أشهر غادرها هاربا من الروائح الكريهة التي تتصاعد من جثث الضحايا المتكدسة في كل مكان. غير أنه أمر قبل أن يغادر بغداد بتعميرها و إزالة معالم الخراب الذي حل فيها، لكن الكاظمية لم يصبها شيء من هذا التعمير و التجديد. و قد بقيت على

تلك الحال خلال المدة التي حكمت العراق فيها القبائل التركمانية المتنازعة من بعده (الجلالريون و قبائل الخروف الأسود و الخروف الأبيض) حتى تسنى للشاه اسماعيل الصفوى ان ينتزع بغداد منها فى أواخر ١٥٠٨، و لم ينته هذا الشاه من تجديد المشهد الكاظمى و إعادة تعميره الا فى ١٥١٩. و بذلك أخذ هذا المشهد المطهر الشكل الذى نراه فيه اليوم بوجه عام.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٢٠

و المعروف فى بعض المراجع العربية ان استعمال لقب (كاظمى) لمن كان يسكن الكاظمية قد بدأ على الأرجح فى أخريات؟؟؟ القرن السابع و أوائل القرن الثامن للهجرة. إذ يشير الشيخ محمد حسن آل ياسين فى مقال له عن الكاظمية (مجلة الاقلام عدد ٢، ١٩٦٤) ان الحسن بن داود ذكر فى ترجمة السيد عبد الكريم بن طاووس أنه حلى المنشأ بغدادى التحصيل كاظمى الخاتمة.

الأمام الكاظم

ان أهم من يتطرق الى البحث فى حياة الأمام الكاظم عليه السلام فى المراجع الغربية الدكتور دونالدسون المار ذكره قبل هذا فى كتابه (عقيدة الشيعة)، و الدكتور جون هو ليستر فى كتابه (شيعة الهند) الذى سبقت الإشارة اليه فى أجزاء هذه الموسوعة الأخرى، و دائرة المعارف الإسلامية فى طبعها الكبيرة غير المختصرة، و المستر كانون سيل فى كتابه (الأثنا عشرية او أئمة الشيعة الإثنا عشر).

و قد أفرد دونالدسون فصلاً بأكمله، هو الفصل الرابع عشر، لحياة الأمام موسى الكاظم. و هو يقول فيه ان الأمام عليه السلام كان قد ولد فى أثناء النزاع الذى كان محتدماً بين الأمويين و العباسيين، و كان قد بلغ الرابعة من عمره حينما تولى الخلافة ابو العباس السفاح و أصبح أول خليفة عباسى يتولى السلطة فى الأمبراطورية الاسلامية. و ظل يعيش مدة عشرين عاماً فى كنف والده الأمام جعفر الصادق عليه السلام، الذى توفى مسموماً

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٢١

قبل انتهاء حكم المنصور الطويلة بعشر سنوات. و قد امتدت امامته خلال السنوات العشر التى بقيت من عهد الخليفة المنصور، و استطالت بعد ذلك فشملت السنوات العشر التى تولى فيها المهدي، و السنة و بضعة الأشهر التى تولى خلالها الهادى، و حوالى اثنتى عشرة سنة من حكم الخليفة هارون الرشيد. و بذلك بلغ مجموع المدة التى تولى فيها الإمامة ثلاثاً و ثلاثين سنة، فكانت أطول من إمامة والده الصادق (ع) بثمان سنوات.

و كانت والدته السيدة حميدة بربرية الأصل مثل الخيزران زوجة الخليفة المهدي ذات النفوذ المعروف، و يستند دونالدسون فى قوله هذا على ما جاء فى (بحار الأنوار، الجزء التاسع) للعلامة المجلسى الذى ينقل بدوره عن (أصول الكافى) للكلىنى. على ان هناك من يدعى ان والده الأمام الكاظم كانت من الأندلس التى تعرف نساؤها بكونهن أجمل نساء الأسبان. و يقول دونالدسون ان المؤرخ اليعقوبى لا- يحاول الجزم بشيء فى هذا الشأن، غير انه يذكر أنها كانت أم ولد، و هذا ما كان يميزها عن زوجات و إماء الإمام الصادق الأخريات. و قد نشأ الأمام فى بيت أبيه مع ستة أخوة آخرين و تسع أخوات. و كان أخوه الأكبر اسماعيل قد عين ليخلف والده فى الإمامة، غير انه مات فى حياة والده فأربك ذلك وضع الشيعة يومذاك بأجمعه.

فقد اختلفوا فيما بينهم حول الشخص الذى يجب ان يحل فى محله فى استخلاف والده، فقال بعضهم ان اسماعيل كان آخر أمام من الأئمة (اي السابع) و انكروا وفاته برغم اعترافهم باختفائه و صاروا ينتظرون ظهوره فى يوم من الأيام. بينما سلم آخرون بموته و أخذوا يعتقدون بتسلسل الإمامة من نسله هو. و لذلك عرف اولئك الذين يعتقدون بانتهاء الإمامة بالأمام السابع اسماعيل بأسم «السبعية».

اما الشيعة الأثنا عشرية فيعتقدون بأن الأمام الصادق عليه السلام كان قد عين ابنه الأكبر اسماعيل ليخلفه فى الإمامة حقيقة، غير انه اضطر الى تغييره لأنه كان مدمناً على شرب الخمر. ثم عين فى مكانه ابنه الرابع الإمام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٢٢

موسى الكاظم . و يقول دونالدسون ان النزاع الذى نشأ عن هذا الاختلاف بين الشيعة قد أدى الى حصول انقسام بارز بينهم، و ظهرت عدة فرق و نحل على أثره. و يفصل هذا كله الشهرستانى فى كتابه (الملل و النحل)، كما يوجد بحث مفصل عن فرق الأسمايلية من وجهة نظر الأثنى عشرية فى الفصل التاسع من كتاب (تبصرة العوام) للسيد مرتضى علم الهدى المتوفى سنة ٤٣٦ (١٠٤٤ م).

و هناك ثلاث و عشرون معجزة تنسب الى الأمام الكاظم على ما يقول؟؟؟
دونالدسون، و قد حصلت أولها فيما جرى بينه و بين أخيه الأكبر عبد الله.

فقد سارع هذا الى الادعاء بالأمامة حالما توفى والدهما الأمام الصادق، لكن الأمام الكاظم طلب ان تشعل النار فى كومه كبيرة من الأخشاب بحضور أخيه عبد الله و جمع كبير من الاصدقاء و الاتباع. و بادرا الى الوقوف فى وسط النار المشتعلة من دون ان يصاب بشىء من الأذى او تحترق ملابسه.

ثم تحدى أخاه عبد الله ان يفعل مثله اذا كان محققا فى ادعائه بالأمامة، لكن عبد الله سرعان ما امتنع لونه و غادر الاجتماع .
و يقول دونالدسون ان الأمام الكاظم كان يشارك أباه فى حياته الانعزالية المنصرفة الى الدراسة و شؤون العبادة و الدين حينما عاش فى المدينة المنورة.

و استمر على تلك الحالة حتى بعد ان توفى والده و تولى زمام الأمامة من بعده. و كان على علم تام بان كل خليفة من الخلفاء العباسيين فى بغداد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٢٣

كان يتربص به الفرص و يتسقط عنه الأخبار لثلاث تبدر منه أية بادرة يشم منها رائحة الانحراف عن الولاء لهم. كما كان يدرك- و لا سيما بعد ان علم بوفاء والده مسموما بتدبير من الخليفة المنصور- ماذا ستكون عاقبته فيما لو صدر منه شىء من هذا القبيل. على ان ذلك القلق الاعتيادى لم يؤثر فى حياة الأمام البيهقي على ما يبدو، لأنه استطاع ان يعيل عائلة كبيرة هناك تتألف من ثمانية عشر ابنا و ثلاث و عشرين بنتا. و هنا يورد دونالدسون رواية عن المؤرخ اليعقوبى يقول فيها ان الأمام عليه السلام أمر بأن لا تزوج أية واحدة من بناته، و قد تم ذلك بالفعل و لم تتزوج منهن سوى أم سلمة التى كان زواجها فى مصر.

اما سجايا الأمام و خصاله فقد كان أبرز ما فيه صبره و اعتدال مزاجه حتى سمي «الكاظم» او «كاظم الغيظ»، كما سمي «العبد الصالح» أيضا لكثرة تعبه و انصرافه الى أمور الدين. كما عرف بالسخاء الذى اطلال فى وصفه التاريخ.

و قد يكون هذا السخاء هو الذى أثار ريبة الخليفة المهدي تجاهه فأدى به الى استدعائه الى بغداد و توقيفه فيها.

و يقول دونالدسون بعد ان يروى كيفية جلب هرون للأمام موسى بن جعفر من الحجاز و حبسه: و حدث بعد سجن الأمام هذا ان ظهر للرشيد فى المنام عبد حبشى أسود و فى يده حربة حادة، فقال له «أطلق سراح موسى بن جعفر من السجن فى هذه الساعة، و إلا سأذبحك بهذه الحربة.» فما كان من الرشيد الا ان يستدعى الخزاعى أمر الحراس فى القصر و يطلب اليه ان يذهب فيطلق سراح الأمام فى الحال، و يعطيه ثلاثين ألف درهم، ففعل.

و قد قدر للأمام الكاظم ان يسجنه الرشيد مرة أخرى ، و كان ذلك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٢٤

على أثر وشاية من أقارب الأمام نفسه. فقد أخبر الرشيد بأن الناس أخذوا يدفعون الخمس الى الأمام، و انه كان يعد العدة للأنتقاض عليه. و تكرر نقل هذا الخبر الى الرشيد عدة مرات حتى قلق و اضطرب. فقصد الحج فى مكة تلك السنة، و حينما زار المدينة أمر بتوقيف الأمام، ثم جرى به الى بغداد محمولا فى محفة و أودع السجن فيها بعهدة السندی بن شاهك.

و يقول دونالدسون ان هذه الرواية تتفق مع ما ذكره العلامة المجلسى الذى ذكر ان الرشيد أخذ الأمام الكاظم من المدينة قبل انتهاء شوال سنة ١٧٧ بعشرة أيام، و بعد ذلك توجه الى مكة و عاد الى بغداد عن طريق البصرة فسلم الأمام الى أميرها عيسى بن أبى جعفر

ليودعه في سجنه. ثم أخذه بعد ذلك الى بغداد و سجنه في سجن السندی بن شاهك. و يذكر المجلسي كذلك أن الأمام توفي في سجنه و دفن في مقابر قریش. اما كتاب الفخرى فيضيف الى ذلك قوله ان الرشيد كان في الرقة فبعث يطلب منها قتل الأمام عليه السلام. و بعد ذلك جاءوا الى الكرخ بعدد من الرجال المعروفين ليشهدوا على ملأ من الناس بأن الأمام قضى نحبه بحاله طبيعياً. و يؤيد اليعقوبي هذه الرواية كذلك مع شيء أكثر من التفصيل.

تعليقات على أقوال دونالدسون

إشارة

يلاحظ مما أورده دونالدسون من الأخبار و الروايات عن حياة الأمام الكاظم ان معظم ما جاء به يستند على ما هو مدون في المراجع العربية بطبيعة الحال. غير ان هذه الروايات تحتاج الى الكثير من التعليق و التوضيح.

فقد ذكر دونالدسون نقلاً عن اليعقوبي ان الأمام الكاظم أوصى بعدم تزويج بناته فنفذت الوصية فيما عدا زواج أم سلمة التي تزوجت في مصر.

و لا بد لنا هنا من أن نضيف الى ذلك ان ام سلمة تزوجت من القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد، فجرى في هذا بينه و بين أهله شيء شديد حتى حلف انه ما كشف لها كنفها، و انه ما أراد الا ان يحج بها. غير ان هذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٢٥

بأجمعه يبدو غير منطبق على الواقع لأن وصية الأمام لم تنص على منع بناته منعا باتا من الزواج، و انما جعلت ذلك منوطاً بالأمام الرضا (ع). فقد جاء فيها «.. و ان أراد رجل منهم ان يزوج اخته فليس له ان يزوجه الا بأذنه فإنه أعرف بمناكح قومه ..» يضاف الى ذلك ان رواية اليعقوبي في هذا الخصوص لم يذكرها سواه.

و تجمع الروايات العربية و الأجنبية على ان الأمام الكاظم كان أعبد أهل زمانه، و لذلك لقب بالعبد الصالح و بزين المجتهدين. و كل هذه المراجع تشير الى كثرة سجوده الذي أفضى الى توسع ثغفات جبينه بحيث كان يكلف غلامه بقص اللحم الزائد من جبينه و عرنيه أنفه، و تذكر بصورة خاصة السجود الطويلة التي كان يسجدها و منها سجدة استغرقت الليل بطوله على ما أشار إليها دونالدسون، و هي التي سمع يردد فيها و هو يبكي بخشوع قوله عليه السلام «الهي عظم الذنب عندي، فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى و أهل المغفرة». و قد كان يقضى مدة بقائه في السجن بالصلاة و التعب، حتى قال حينما سيق اليه يوماً «اللهم انى طالما كنت أسألك ان تفرغنى لعبادتك، و قد استجبت منى فلك الحمد». و علم هارون الرشيد بذلك فكان يقول «أما ان هذا من رهبان بنى هاشم».

اما ذرية الأمام الكاظم فقد اختلف في عددها الرواة اختلافاً كبيراً على ما يلاحظ في المراجع جميعها. غير ان الملحوظ هو ان عدد البنين و البنات كان شيئاً غير قليل (٣٧ او أكثر). و من البنين الأمام الرضا (ع) و اسماعيل، و ابراهيم الأكبر، و ابراهيم الأصغر، و صالح، و شرف الدين، و جعفر، و عبد الله، و عبيد الله، و هارون، و حمزة و أحمد، و محمد، و القاسم، و زيد و حسين. اما البنات فمنهن آمنه و فاطمة (الملقبه بمعصومة و المدفونة بقم في ايران) و فاطمة الصغرى و أم عبد الله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٢٦

و قسيمة و لبابة و أم جعفر و أم سلمة و أمامة و كلثم و امينة الكبرى و رمله و حكيمه و عائشة و اسماء و زينب و علية . و قد كان من الطبيعي في تلك الظروف و الأحوال ان يحصل التصادم ما بين الرشيد و الأمام الكاظم لما بين الشخصيتين من اختلاف في الميول و الاتجاهات، و تناقض في النزعات و الأهواء. فقد كان الرشيد رجلاً دنيوياً، مغتراً بالسلطة الزائفة التي ورثها عن أسلاف

اغتصبوها من العلويين، مولعا بالغناء والقيان و شرب الخمر على غير ما يقتضيه مركزه و منزلته، معتادا على مظاهر الأبهة و البذخ، و مجبولا- على الأسراف و التبذير. و كان الأمام الكاظم على النقيض من ذلك، فقد نشأ في البيت النبوي الطاهر المجلوب على الخير و المكرمات، و رضع لبان العلم و التقوى فانصرف الى الزهد و التبعد و إشاعة الفضيلة بين الناس. و كان الرشيد يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة، و يحرص على الملك و السطوة، فيرتاب من منافسيه و أنداده، بينما كان الأمام قواما صواما يعمل للآخرة و يعاف الحياة الدنيا، صلبا في مبادئه، مستهينا بالسطوة و الملك، لا يخشى في الحق لومة لائم، و لا يداجي في دينه. و لذلك فليس من المستغرب ان يعيش الرشيد أيامه و لياليه و هو يضم الحقد للعلويين الذين تتمثل فيهم المعارضة بطبيعتها، و يحمل لزعيمهم و أمام المسلمين غير المنازع كل كره و ضغينة. و ليس من غير الطبيعي ان يعمد الى مراقبة الأمام في حركاته و سكناته، و يتسقط عنه الأخبار أو يسمع اللوشايات.

و قد كانت حصيلة ذلك كله، بطبيعة الحال، ان الرشيد أخذ يصب على العلويين و ابلا من العذاب الأليم، و يسوقهم الى القبور و السجون،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٢٧

ثم يطاردهم حتى يهربوا هائمين على وجوههم خائفين و جلين. «.. و زاد هارون على اسلافه في إرهاب العلويين فدفنهم و هم أحياء، و أشاع في بيوتهم الثكل و الحزن و الحداد، و استعمل جميع امكانياته للبطش بهم، ففرض عليهم الاقامة الإجبارية في بغداد، و جعلهم تحت المراقبة، و لم يسمح للاتصال بهم، و حرمهم من جميع حقوقهم الطبيعية. و كان أبغض شئ عليه ان يرى عميد العلويين و سيدهم الإمام موسى (ع) في دعة و اطمئنان و أمان فلم يرقه ذلك من دون ان ينكل به، فدفعه لؤمه و عداؤه الموروث الى سجن الأمام (ع) و حرمان الأمة الإسلامية من الاستفادة بعلومه و نصائحه و توجيهاته.»

و قد كانت للإمام الكاظم عليه السلام مواقف عدة مع الرشيد توضح هذا الحقد، و تدل على مقدار الاختلاف بين الشخصيتين، و ما أدى اليه من عزم الرشيد على إيداعه السجن و التخلص منه بطريقة يندى منها جبين الانسانية خجلا. و من هذه المواقف موقف اشار اليه دونالدسون عن التقاء الأمام و الرشيد حول ضريح الرسول الأعظم، و هو ما يذكره جميع المؤرخين و قد ورد ذكره في هذا الجزء من سيرة الامام الكاظم.

[شهادة الإمام موسى الكاظم (ع)]

و حين توفي الامام مسموما بسجن السندی بن شاهك عمد هذا الى القاء جثة الامام فوق جسر الرصافة تحوطها الشرطة و تريها للرائح و الغادى من الناس، بعد ان أوعز للمنادين بأن يجوبوا الأزقة و الشوارع و ينادوا فيها بأعلى صوتهم «هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرفضة أنه لا يموت فانظروا اليه ميتا». و قد بقى الحدث على مثل هذه الحالة أياما ثلاثة من دون أن يوارى التراب.

و في زحمة هذه «التمثيلية» المحزنة سمع سليمان بن أبي جعفر المنصور من قصره المطل على دجلة لغط الناس و ضوضاءهم، و رأى بغداد قد ماجت و اضطربت، فسأل عن الخبر و أخبر بجلية الأمر. فتارت نخوته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٢٨

و تدفقت عاطفته، ثم استولت عليه موجة من الغيظ صاح على أثرها بولده «انزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم، فأن مانعكم فاضربوهم و خرّقوا ما عليهم من سواد.»

و قد قام سليمان بن أبي جعفر نفسه بتجهيز الأمام من عنده، فغسله و كفنه، و لفه بحبرة كتبت عليها آيات القرآن الكريم بأجمعها، و قد كلفت ألفين و خمس مئة دينار. و هرعت بغداد الى تشييع الأمام عن بكره أبيها، فكان يوم التشييع يوما مشهودا حافلا خرج فيه

الصالح و الطالح و البر و الفاجر. و سار الموكب الحزين يجوب الشوارع وراء النعش يتقدمه الرشيد نفسه و هو واجم حزين، يترحم على الأمام و يظهر البراءة من دمه، و من خلفه البرامكة و كبار الموظفين و المسؤولين من رجال الحكم و معهم سليمان ابن أبي جعفر حافي القدمين. و كان من خير ما قيل من الشعر في هذا الخطب الجلل الآتيه:

قد قلت للرجل المولى غسله هلا أظعت و كنت من نصحاءه

جبّه ماء ك ثم غسله بما أذرت عيون المجد عند بكائه

و أزل أفاويه الحنوط و نَحْهاعنه و حنطه بطيب ثنائه

و مر الملائكة الكرام بحمله كرما ألت تراهم بأزائه

لا توه أعناق الرجال بحمله يكفى الذى حملوه من نعمائه

و كانت الجماهير و هى تسير الى محله باب التبن حيث تقع مقابر قريش، تتسابق الى حمل النعش و تبرك به، حتى أوصلته الى حيث حفر له القبر.

و قد أنزله فى مقره الأخير سليمان ابن أبي جعفر المنصور أيضا و هو مذهب اللب، و بعد الانتهاء من مراسيم الدفن أقبلت عليه الناس تعزيه و تواسيه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٢٩

و وقف يشكرهم و يتقبل العزاء . و هكذا انتقل الأمام موسى الكاظم الى دار الخلود، و أصبح قاتلوه سبه للأجيال.

الأمام الكاظم فى كتاب هو ليستر

و يفرد الدكتور جون هو ليستر فى كتابه (شيعه الهند) المشار اليه من قبل فصلا صغيرا عن الأمام الكاظم. و هو يستند فى كثير مما أورده على كتاب دونالدسون، و لذلك نجد معظم ما فيه مطابقا لما أورده دونالدسون.

على أنه يذكر أشياء أخرى لا- بد من الإشارة إليها هنا. فهو يبدأ الفصل بقوله ان وفاة الأمام الصادق أتاحت الفرصه لحصول أعظم انقسام فى العالم الشيعى. ثم يستمر فى شرح تكون الأسماعيليه و عقائدهم. لكنه يقول بالاستناد الى ما وجدته فى كتاب الأمير مأمور، أحد امراء الهند المسلمين، فى كتابه (مناقشات حول أصل الخلفاء الفاطميين) ، ان هذا الانقسام الذى حصل قد ساد على منوال قومي تقريبا. فقد قبل الأيرانيون بالأجماع بأمامه موسى الكاظم (ع)، بينما التزم الشيعه فى البلاد العربيه و البلاد الواقعة فى غربها بتابعيه اسماعيل. و كانت الأسرة الصفويه المالكة التى نشأت فى ايران خلال القرن السادس عشر تنتسب فى أصلها اليه. و يذكر خلال بحثه عن ثورات العلويين فى تلك الأيام أن أحدهم استطاع الفرار الى مصر فالمغرب بمساعدة من صاحب البريد حتى وصل الى طنجه فوضع فيها الأسس لنشوء أسرة الأدارسة. و يشير هو ليستر كذلك الى حصول انقسام فى صفوف الشيعه بعد وفاة الكاظم أيضا، فادعى بعضهم ان سلسله الأمامه قد انقطعت بوفاة و صاروا يطلقون على أنفسهم اسم «الموسويه». موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٣٠

بينما ادعى البعض الآخر بان الأمام عليه السلام قد اختفى، و انه لا بد من ظهوره فى آخر الزمان.

الأمام الجواد

إشارة

أن خير المراجع الانكليزية التى تبحث فى حياة الأمام محمد الجواد، ضجيج جده الكاظم فى مقابر قريش، هو أيضا كتاب دونالدسون

الذي يخصص فصلا خاصا (الفصل السابع عشر ص ١٨٨-١٩٧) عنه.

وهو يبدأ الفصل المسهب بالبحث في وضع المأمون ودخوله المظفر الى بغداد، و بالأشارة الى قول الشيعة بأنه هو الذي سم الإمام الرضا بعد ان قربه اليه وعينه وليا للعهد، و الى كونه هو الذي أمر بقتل وزيره الفضل ابن سهل، ثم يخلص من ذلك الى القول بأنه مع ذلك كله قد بقي على تقديره الأول للشيعة و ميله اليهم، حتى بعد ان استبدل اللون الأخضر باللون الأسود العباسي. و قد كان موقفه ذلك شيئا بالغ الأهمية بالنسبة لحياء الأمام الجواد على حد قوله. و يقول دونالدسون ان المأمون فعل ما فعل، و استبدل الأخضر بالأسود، ضد رغبته الشخصية لأن ذلك كان ضرورة سياسية بالنسبة اليه في تلك المرحلة من مراحل خلافته و حكمه. فلم يستمر على تعيين الشخصيات الشيعية المرموقة في المناصب المهمة فقط، و انما ظل يشمل أسرة الأمام المتوفى بفضل و عطفه علنا. فقد انتخب أخا من أخوان الرضا عليه السلام و عينه أميرا للحج، و لم تمض على ذلك غير فترة قصيرة حتى زوج ابنته أم الفضل الى الأمام الجواد. و يقول دونالدسون- مستندا على اليعقوبي- أنه أنعم على الزوج النبيل بمئة ألف درهم في هذه المناسبة، و صرح بأنه يريد ان يتشرف بأن يكون جدا في نسب يمت الى رسول الله و الأمام على بن ابي طالب بصله.

و قد كان الأمام الجواد- المسمى بالتقى أيضا- في التاسعة (او السابعة على قول البعض) من عمره حينما توفي والده الأمام الرضا. و كان يعيش

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٣١

في المدينة يومذاك، فكان الكثيرون من الشيعة يلاحظون صغر سنه و يشكون في كونه أصبح اماما بعد والده. على ان عددا من المتعلمين و الرجال المرموقين كانوا يأتون سنويا الى الحج من جميع الجهات فيتأثرون تأثرا بالغا بشخصيته و مواهبه و تتبدد شكوكهم في صحة أمامته. و يقول دونالدسون ان الكليني يذكر ان المتولى امتحن الإمام الفتى امتحانا استطال عدة أيام، و قد أجاب فيه على ثلاثين ألف سؤال إجابة كانت موضع اعجاب الجميع .

و لم يكن الجواد عليه السلام ابن الرضا من زوجته ام حيب بنت المأمون، و انما كانت أمه جارية اختلفت الرواة في اسمها و أصلها. فيقول الكليني انها كانت تسمى حبيبة، و انها من أصل نوبى، لكن المرجع نفسه يذكر ايضا آخرين كانوا يقولون انها كانت تدعى خيزران، و انها كانت بنتا رومية الأصل. و هناك رواية ثالثة تذكرها بعض المراجع، مؤداها انها كانت من بيت مريم القبطية زوجة الرسول (ص) و أم ابنه ابراهيم .

و يقول دونالدسون كذلك ان القصة التي يرويها الشيعة عن أول لقاء جرى بين المأمون و الجواد عليه السلام، هي قصة طريفة للغاية. فالظاهر ان الأمام الجواد كان قد قدم الى بغداد بعد وفاة والده بمدة قصيرة، و بينما كان المأمون خارجا للصيد مع حاشيته و بزاته مر بقريه كان عدد من الأولاد يلعبون في طريقها، و كان من بينهم الجواد و هو في الحادية عشرة من عمره تقريبا. و حينما دنا موكب المأمون منهم عجل الأولاد بالفرار و اختفوا عن الأنظار، عدا الجواد الذي ظل واقفا لا يريم. فلفت ذلك نظر المأمون و وقف يتمعن فيه، ثم سأله «ما الذي أخرجك عن الفرار يا ولدي؟»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٣٢

فأجاب الفتى السيد يقول «لم يكن الطريق ضيقا يا أمير المؤمنين بحيث أخشى ان يتعذر عليك المرور، و لم اقترب ذنبا يخيفني، ثم فكرت بانك لا تنزل الأذى بمن لم يرتكب أى خطأ.» فسر الخليفة جد السرور،

و بعد ذلك الحادث بزمن غير طويل جمع المأمون مجمعا حافلا دعى اليه حشدا من العلماء و الفقهاء و وجوه البلد و أعيانه، و اخذ يناقش الأمام الجواد بحضورهم و طلب توجيه الاسئلة اليه، فكان ما أبداه من علم و سداد رأى خلال الاجتماع الذي امتد الى أيام عدة موضع دهشة للجميع.

و هناك أعلن المأمون رسميا انه سيزوج الامام بابنته و يهبه مهرا كبيرا.

والمقول ان الأمام نكس رأسه حياء و خجلا، فمات العباسيون الحساد بغيظهم.

و على هذه الشاكلة كان المأمون يبدي اهتمامه الدائم، و رعايته البالغة للشيعة، و قد جعل ابن الأمام الرضا الراحل فى عهديته و حمايته الخاصة.

و كان الفتى النبيل يأتى بين حين و حين الى القصر الملكى للدراسة و التحدث الى العلماء الذين كان يصادفهم فيه. و يأسف دونالدسون لتأكيد الرواة على المعجزات فى حياة الجواد (ع) و أهملهم ذكر الحوادث التى كانت تدل على عقله الراجح و علمه الغزير. فمن المؤسف مثلا، على ما يقول دونالدسون ان يقرأ المرء شهادة يحيى بن أكتهم بأمامة الجواد بعد مناقشته و مساجلته فيجد جل ما يذكر عنها ان ابن أكتهم حينما سأل الأمام، بعد الاعتذار عن استقامته و صراحتة، «من هو الأمام؟» فيكون الجواب «انا» و حينما سأله يقول «ما هو الدليل؟» أجابت العصا قائلة «ان سيدى هذا هو أمام العصر و حجة الله فى أرضه».

و بعد مرور سنة على زواج الأمام سمح له الخليفة، و لزوجته الشابة، بالذهاب الى المدينة المنورة و الأقامة فيها. و قد كان هذا التدبير موضع قبول العباسيين بأجمعهم، لأنهم كانوا يكرهون ما كان يتمتع به الأمام موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٣٣

من أرجحية و رعاية فى بغداد. فعاش فى المدينة عيشة بسيطة، كما كان يعيش الأئمة الأطهار من قبله، لمدة ثلاث سنوات و هو يقابل من كان يفد عليه و يعطف على الفقراء بسخاء، و يتمتع عن التدخل فى الشؤون العامة.

و قد كانت حياته الزوجية مع ابنة الخليفة زينب، التى صارت تعرف فيما بعد بأم الفضل، حياة غير سعيدة على ما يذكر الرواة لأنها «لم تكن تبعث على العشرة الطيبة و الحب المتبادل الذى يجب ان يتوافر بين الزوج و زوجته فى العادة. فقد كانت زوجته تحاول إثارة والدها عليه و تكتب له رسائل مشحونة بالذم و الحط من قدر زوجها، زاعمة انه كان يقضى الوقت كله مع إمانه و جواريه- فانبها لاتهامها بهذه التهم.» و المعروف ان الجواد كان قد عاد من المدينة الى بغداد مع زوجته ليحضرا عرس الخليفة الذى اشتهر ببذخه و روعته، حينما زفت اليه ابنة الحسن بن سهل التى كانت فى الثامنة عشرة من عمرها. فكان هذا العرس فرصة مناسبة للأمام يشاهد فيها مثل هذا الحفل الباذخ على ما يقول دونالدسون، لان الزوج السامى كانت تنثر عليه حبات اللؤلؤ بغزارة بدلا من حبات الريح؟؟؟

التى تنثر فى حفلات الزواج الاعتيادى. و كانت حبات اللؤلؤ هذه تلتقط لتقدم الى الزوجة التى كانت تتشح هى الأخرى برداء من اللؤلؤ المتلألئ خلعته عليها السيدة زبيدة أرملة الرشيد. و قد أضيئت غرفة العرس بشموع من العنبر الغالى، و لأجل ان يعبر والد الزوج، و هو أغنى رجل بين المتنفذين فى بغداد يومذاك، عن تقديره للالتفات السامى الذى حظى به وزع مبالغ خيالية طائلة الى جميع الناس من حوله. و صارت كرات المسك تنثر ما بين المحتفلين المحتشدين فيتسابقون الى الفوز بها. و كان مكتوبا فى كل منها اسم مقاطعة من المقاطعات أو جارية أو فرس أصيلة أو أية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٣٤

جائزة ثمينة أخرى يحظى بها من يفوز بالكرة. و قد نقل دونالدسون هذا الخبر عن كتاب (الخلافة، تقدمها و انحطاطها و سقوطها) للمستشرق البريطانى السر موير .

[مشكلات بين الامام الجواد (ع) و ام الفضل]

و من المشكلات التى حدثت بعد ذلك بين الأمام الجواد و أم الفضل مشكلة ورطت الأسرة المالكة توريطا غير يسير. ففى رواية تنسب الى السيدة حكيمة أخت الإمام الرضا ان أم الفضل جاءتها ذات يوم فقالت لها ان امرأة بارعة الحسن و الجمال دخلت عليها فى يوم من الأيام و أخبرتها بأنها كانت من زوجات الأمام أيضا. فغضبت أم الفضل لذلك و حزن أشد الحزن حتى قامت فى ليلتها تلك

و ذهبت شاكيةً لأبيها المأمون، و أخبرته بأن زوجها لم يلحق بعمله ذاك الأهانة بها هي وحدها فقط و انما أساء به أيضا الى أبيها و الى الأسرة العباسية المالكة أيضا. و صادف في تلك الليلة ان المأمون كان مخمورا بحيث أخذ حسامه و امتطى جواده ثم ذهب مع مرافقيه في الحال الى دار الإمام عليه السلام. و هناك وجده مستغرقا في نومه، فما كان من المأمون الا ان استل حسامه و ضرب به الأمام عدة ضربات حتى أيقن المرافقون انه قطع الامام الى عدة قطع. لكن المأمون حينما أحس على نفسه في صباح اليوم التالي ندم على فعلته المتسرعة، و بعث يستفسر عن صحة الأمام، فرجع اليه الرسول يقول انه رأى الأمام بنفسه يؤدي صلاة الصبح كالمعتاد. على انه بعث يحقق عن التفاصيل ثانية فعلم ان الأمام ذكر لأهله و المحيطين به ان الرداء الخاص الذي كان يلبسه هو الذي انقذه و حماه. و لأجل ان يعبر الخليفة عن خجله و أسفه لما وقع أهدي الجواد الذي امتطاه في تلك الليلة الى الأمام مع الحسام الذي انتضاه. ثم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٣٥

قالت أم الفضل ان المأمون التفت اليها بالأضافة الى ذلك و أنبها تأنيبا شديدا، فأخبرها بأنها ذا ما عادت تشكو زوجها اليه مرة أخرى فإنه سوف يرفض مواجهتها طول عمرها .

و يقول دونالدسون ان السنوات الثمان التي قضاها الجواد في بغداد كان ينشغل فيها بالوعظ و التدريس. و قد رويت عنه أقوال و أحاديث ماثورة كثيرة خلال هذه المدة، التي وقع المأمون خلالها تحت تأثير المعتزلة و لا سيما رئيسهم القاضي أحمد بن أبي دؤاد. و اضطر بموجب هذا الى ان يعلن مبدأ «خلق القرآن» على رؤس الأَشهاد، و كان ذلك في سنة ٢١٢ (٨٢٧ م). و لقد روى في هذا الشأن أن المأمون كان قد اطلع على كتاب أرسل اليه من كابل بعنوان «العقل الخالد»، و كان مجمل ما فيه منافيا لأصول الدين لأنه ينص على ان العقل هو المصدر الوحيد للأديان.

و مع جميع ما أصاب أهل السنة من محن خلال هذه الفترة التي كان المعتزلة الأحرار فيها أشداء في معاملتهم، على ما يقول دونالدسون، فإن العلويين كانوا يعاملون خلالها بمنتهى الاعتبار و التقدير، و لم يمس الأمام الجواد بشيء من قبيل الأزعاج أو التوقيف في أيام المأمون. و قد يعزى ذلك الى «التقية» التي كان يلجأ اليها الشيعة في الشدائد.

غير ان المأمون اضطر الى مغادرة بغداد في سنة ٢١٥ (٨٣٥ م) على رأس حملته الكبرى التي قادها ضد الامبراطور ثيوفيلس البيزنطي. و يذكر دونالدسون ان السبب المباشر لهذه الحملة يكتنفه الغموض. على ان المعروف في هذا الشأن ان الامبراطور البيزنطي كان يمد يد المساعدة حينذاك الى الثائر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٣٦

بابك الحزمي، و أنه شجع هجرة الأيرانيين النصاري بالآلاف من ممتلكات الخليفة العباسي . و يرى البعض ان سبب الحملة يعزى الى ان الامبراطور رفض السماح للفيلسوف ليو السالونيكى بقبول دعوة المأمون لزيارة بغداد. و على كل فقد دامت الحرب سنتين كاملتين، و توفي المأمون . فجاء في بلدة تقع بالقرب من طرسوس في كيليكية. و هناك في طرسوس أشعلت الشموع و أحرق البخور تقليدا لما كان يفعله المسيحيون في تلك الأيام، حينما صلى المصلون على جنازة المأمون قبل الدفن، و كان ذلك بوصية منه على قول دونالدسون.

و بعد ان توفي المأمون عاد الجواد مع أسرته الى المدينة، و لم يمكث فيها الا سنة و بضعة أشهر حتى استدعاه المعتصم، الخليفة الجديد، و طلب اليه العودة مع أسرته الى بغداد. و كان ذلك في بداية السنة التي توفي فيها الأمام، أي سنة ٢٢٠ (٨٣٥ م). و مع أنه ليس هناك ما يدل على ان العلاقة الحسنه بين الأمام و المعتصم كانت مفقودة، فان الكتب التي يتداولها الشيعة في يومنا هذا تدل على ان الأمام عليه السلام قد سمته زوجته أم الفضل بتحريض من المعتصم نفسه. غير ان الأتفاق في تفاصيل هذه الأخبار معدوم، فيقول البعض ان زوجته سلمته منديلا مسموما في أثناء وجوده بالفراش، بينما يقول البعض الآخر أنها اطعمته عنبا مسموما. و يقول غير هؤلاء ان المعتصم نفسه بعث الى الأمام شربة مسمومة ليسقيه أياها خادم من خدامه، بينما يقول آخرون ان الخليفة دعاه الى بيته فمزج

له السم بالطعام.

و قد دفنت جثته في مقابر قريش الى جنب ضريح جده الكاظم،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٣٧

و صلى عليه الواثق بن الخليفة المعتصم.

اما الدكتور هولستر فيورد في كتابه (شيعه الهند) عن الامام الجواد معظم ما يذكره دونالدسون و يستند عليه، لكنه يذكر بالأضافة الى ذلك أشياء كثيرة أخرى. فيشير مثلا الى ما يذكره السيد أمير على في كتابه (روح الاسلام) من أن بعض الروايات تقول أيضا ان أم الجواد عليه السلام كان أسمها سبيكة أو ريحانة.

و يقول كذلك ان الامام الرضا (ع) حينما ترك المدينة و توجه الى مرو أخذ معه ابنه الصغير محمدا، و طاف محمد في مكة حول الكعبة على كتفي خادمه، و كان ذلك في سنة ٢٠٠ للهجرة. و يبدو ان الرضا عليه السلام تابع سفره الى مرو بينما عاد ابنه الى المدينة لانه الرضا حينما توفي في خراسان كان الجواد موجودا في المدينة و هو في الرابعة من عمره. و كان الواقفية يزعمون الرضا عليه السلام و يلحون عليه بالتصريح عن سيخلفه في الامامة لأنه لم يكن له ولد، و لكنه حينما ولد له محمد صار يجيهم بأنه الامام من بعده. و حينما كانوا يعترضون على كونه حدثا صغير السن كان يشير الى الآية الكريمة التي نزلت عن عيسى بن مريم: «قال أنى عبد الله، آتاني الكتاب، و جعلني نبيا» و لذلك لم يكن صغر سن الجواد ليحول دون توليه الامامة. و مع كل هذا لم يقتنع الواقفية بهذا الجواب، و صاروا يعتقدون بأن الامامة تنتهي بالامام على بن موسى الرضا نفسه. اما سيرة الجواد فلا يختلف ما يورده هولستر عما يورده دونالدسون، سوى أنه يزيد عليه بقوله أنه توفي مسموما في بغداد و هو في الخامسة و العشرين من عمره الشريف.

الشاه اسماعيل و سليمان القانوني في الكاظمية

كان من أمنيات الشاه اسماعيل، مؤسس الأسرة الصفوية المالكة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٣٨

في إيران، حينما سيطر على بلاده و تغلب على العثمانيين في عدد من الوقائع الحربية ان يفتح بغداد، و يستولي على العتبات الشيعية المحيطة بها فيلحقها بأيران. و يقول المستر ستيفن لونكريك في (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) الذي كثرت الإشارة اليه في هذه الموسوعة من قبل ان الشاه الذي كان يعجل بنصر بعد آخر بعث بقائده (لالا حسين) لفتح بغداد فكان له ما أراد بسهولة، و خضعت له في ١٥٠٨ .. و قد أفضى دخول العراق في حوزة العرش الشيعي الجديد الى مجيء الشاه مسرعا لزيارة العتبات المقدسة، فوصل الى بغداد و هدم ما كان فيها من قبور أئمة السنة .. ثم زار العتبات المقدسة في الفرات و أصلح نهرا من الأنهر فسماه بأسمه «نهر الشاه» و شيد قبة فخمة على قبر الامام موسى الكاظم .

و الملاحظ في المراجع العربية ان الكاظمية عادت فأصبح لها شأن يذكر في هذا العهد، و أجريت تنظيمات غير يسيرة فيها. إذ يشير الشيخ محمد حسن آل ياسين، في مقال له (مجلة الاقلام، عدت ٢- ١٩٦٤) ان الكاظمية دخلت في أوائل القرن العاشر الهجري عهدا جديدا من الشأن و الاستقلال الإداري الداخلي، و أصبحت مدينة لها كيانها و دورها في الشؤون العامة. و بدأت المقدمات التمهيديّة لهذا العهد الجديد في سنة ٩١٤ هـ، و هي سنة احتلال الشاه اسماعيل الصفوي بغداد و سيطرته على العراق. موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ٩؛ ص ٢٣٨

د زار الكاظمية و أمر بتشكيل إدارة خاصة في البلدة و محكمة شرعية يرأسها قاض يحمل لقب «شيخ الإسلام» إضافة الى أمره بتشيد المشهد الكاظمي تشيدا رائعا فخما و تعيين الرواتب لخدام المشهد و المسؤولين عنه.

و يقول الشيخ آل ياسين في بحث آخر له عن المشهد الكاظمي (مجلة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٣٩

سومر ج ١ و ٢ سنة ١٩٦٣) ان عهد التركمان قد انتهى فى يوم ٢٥ جمادى الثانية ٩١٤ هـ بدخول الشاه اسماعيل الصفوى الى بغداد. و بعد مرور فترة من الزمن على بقائه فى العراق مضى الى زيارة المشهد الكاظمى، فأنعم على من كان هناك بأنواع الأنعام، و عين الرواتب لخدم المشهد، و أصدر أمره بقلع عمارة المشهد من أساسها و تجديدها تجديدا يشمل توسيع الروضة، و تبليط الأروقة بالرخام، و صنع صندوقين خشبيين يوضعان على القبر الشريفين، و تزيين الحرم و أطرافه الخارجيه بالطابوق الكاشانى ذى الآيات القرآنية و الكتابات التاريخية، كما أمر بأن تكون المآذن أربعا بعد ان كانت اثنتين و بتشييد مسجد كبير فى الجهة الشماليه للحرم متصل به. و أحال أمر تنفيذ ذلك الى أمير الديوان خادم بيك، و عاد الى إيران.

و يقول كذلك، و أمر بتقديم ما يحتاجه المشهد من فرش و قناديل - و كان منها الفضى و الذهبى، و عين للمشهد عددا من الحفاظ و المؤذنين و الخدم .. و بدأ العمل على قدم و ساق، فتم تشييد هيكل الحرم و روضته و أروقتة - و هو الهيكل القائم اليوم - و القبتين و الصندوقين و المسجد، و بلغت المآذن الكبيرة الأربع ارتفاعا يعلو عن سطح الحرم بمقدار ذراع، كما تم صنع الكاشانى و وضعه فى محله المقدر، كذلك وضع الرخام فى موضعه، و لم يبق شىء مما أمر به الا و قد نفذ منه - ما وسعه الوقت - بأمانه و أخلاص. الجامع الصفوى فى الكاظمين كما هو منذ العهد الصفوى.

و لكن العهد الصفوى لم يدم طويلا، بل سرعان ما أزاله السلطان سليمان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٤٠

القانونى الذى دخل بغداد فاتحا فى يوم الاثنين الرابع و العشرين من جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ، و لكنه لما زار الكاظمية بعد برهه من الزمن أمر بأبقاء أوضاعها على ما كانت عليه و بأكمال بعض ما لم يتم من عمارة المشهد، و أقر رواتب خدام المشهد و سدنته . و يؤيد المستر لونكريك عناية السلطان سليمان بالعتبات السنية و الشيعية معا، و يشير بشىء من الأطناب الى ما فعله فى كربلاء على الأخص مما سبق أن أشرنا اليه من قبل فى الجزء الأول من قسم كربلاء فى هذه الموسوعة (الصفحة ٢٦٥).

و فى المراجع العربية الأخرى ان السلطان سليمان القانونى دخل بغداد فى يوم الاثنين ٢٤ جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ، و فى ٢٨ منه تجول فى أطراف بغداد و زار المشهد الكاظمى. و حينما زار ضريح الأمامين الكاظمين أمر بدفع رواتب الخدم من خزانه بغداد، و أصدر فرمانا باتمام النواقص الطفيفة التى لم تنجز فى أيام الصفويين. و فى سنة ٩٧٨ هـ تم بناء المنارة الواقعة فى شمال شرقى الحرم المطهر، بعد ان كانت أسس المنائر الأربع الكبرى قد بوشر بنائها فى عهد الصفويين و ارتفع بناؤها الى ما فوق سطح الحرم بقليل. و قد أكمل البناء بأمر من السلطان سليم الثانى و كان الانتهاء منه فى عهد مراد باشا والى بغداد .. و قد أمرت والدته السلطان سليم ببناء بركة للمشهد الكاظمى فى هذه السنة أيضا.

اما المستر كوك فيذكر فى (بغداد مدينة السلام) علاوة على ذلك أن الشاه اسماعيل بدأ بتشييد منزل كبير للزوار الإيرانيين فى الكاظمية، و بعد ان زار العتبات فى النجف و كربلاء عاد الى إيران و خلف وراءه إبراهيم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٤١

خان الذى كان أول حاكم إيرانى يعين فى بغداد. و يشير كوك أيضا الى ان السلطان سليمان القانونى حينما أخذ بغداد من الإيرانيين أجرى إصلاحات كثيرة، و عمر العتبات المقدسة، ثم زار المشهد الكاظمى، و جامع أبى حنيفة و مرقد معروف الكرخى.

السلطان مراد فى الكاظمية

و يأتى ذكر الكاظمية بعد ذلك بصورة غير مباشرة حينما يصف مؤرخ العراق الحديث المستر لونكريك فى (اربعه قرون ..) ما جرى فى بغداد عندما توفى السلطان مراد الرابع فى فتح بغداد و استرجاعها من الصفويين فى أواخر سنة ١٦٣٨. فيقول «.. على ان حادثة

مفجعة حدثت فجددت المشاهد الدموية، في المعسكر و في المدينة. فقد احترق مخزن البارود في بغداد و انفجر فجأة، فسبب أضرارا و ضياع نفوس كثيرة .. فأمر مراد بذبح جميع الأيرانيين اينما وجدوا و كان الكثير منهم قد التجأ الى المعسكر العثماني. فقتل الجميع، و كان بين المقتولين ثلاث مئة زائر كانوا قد عبروا في تلك الأيام لزيارة الكاظمين . على ان المراجع العربية تذكر بالنسبة للسلطان مراد نفسه انه زار المراقد و المشاهد المقدسة قبل ان يعود الى استانبول بعد انتهاء حملته على بغداد، فزار المشهد الكاظمي يوم ١٢ رمضان ١٠٤٨ هـ. لكن جنوده حينما قاموا بالمذبحة التي أمر بها هاجموا الكاظمية و نهبوا أشياء كثيرة منها. و كان من جملة ما نهبوا قناديل كثيرة من الذهب و الفضة و جميع ما كان في الروضة مما خف حمله و غلا ثمنه.

في النصف الثاني من القرن السابع عشر

و في عهد محمد باشا الخاصكي ببغداد (١٦٥٦) ثارت الجيوش المحلية موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٤٢ عليه لبلأته و سوء تصرفه، على ما يقول لونكريك ، فاضطر الى الهرب من بغداد و اللجوء الى الكاظمية التي مكث فيها حتى هدأت الفتنة و عاد الى مقره منها. و قد زار بغداد في عهد الوالي قره مصطفى باشا (١٦٦٤) الرحالة الفرنسي المعروف (المسيو ثيفنو و مكث أسبوعا واحدا فيها. فذكر في رحلته ان نساء بغداد كان من عاداتهن المفضلة ان يقصدن زيارة الأمام موسى الكاظم في أيام الجمع، الذي يقع ضريحه على مسيرة ساعة في البر. ثم يقول و يبدو ان المنطقة المجاورة للكاظمية كان يكثر فيها وجود السباع التي تروى قصص كثيرة عن مهاجمتها للقوافل و التجائها للبيساتين.

في عهد نادر شاه

و حينما تسنى لنادر شاه ان يغتصب الحكم من الأسرة الصفوية المالكة في ايران اصطدم مرات عديدة بالدولة العثمانية، فحاصر في بعضها بغداد ثلاث مرات متتاليات غير انه لم يستطع الاستيلاء عليها. و في كل مرة كان يتفاوض فيها لأنهاء النزاع المحتمل بين الطرفين كان يرد ذكر الكاظمية في المفاوضات لأن نادر شاه كان يطالب بالعتبات الشيعية المقدسة. و قد وجه الى أحمد باشا والي بغداد في خريف ١٧٣٢ الرسالة التالية في إحدى المرات:

«ليكن معلوما لديكم، يا باشا بغداد، اننا نطالب بحق لا نزاع فيه في زيارة قبور الأئمة على و الحسين و المهدي و موسى الكاظم .. و نحن سائرون موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٤٣

حالا على رأس جيشنا المظفر لتنتسم هواء سهول بغداد العليل، و نستريح في ظل أسوارها.»

الرحالة نيبور في الكاظمية

و لقد زار بغداد في سنة ١٧٦٥ الرحالة الألماني المشهور كارستن نيبور، في رحلة علمية الى بلاد العرب جهزها ملك الدانيمارك، و أقام في البصرة و بغداد و غيرهما مدة من الزمن فكتب في رحلته الكبيرة شيئا غير يسير عن العراق و تاريخه. و قد ذكر في خلال كتابته هذه شيئا عن الكاظمية وجدنا من المناسب أدراجه هنا نقلا عن ترجمة الدكتور مصطفى جواد لها في مجلة سومر (ج ١ و ٢ سنة ١٩٦٤). فقد قال: ... و في شمال بغداد الغربي، على ثلاثة أرباع الساعة سيرا، غربي دجلة قرية كبيرة تسمى (الكاظم). و هناك مسجد

كبير مع تربتين لأمامين من أئمة الشيعة هما الأمام موسى الكاظم (أى الصبور) و حفيده محمد الجواد. و هذا المسجد الأسلامى مدعاة للفخر فان قبته الشاهقتين و المنارة كانت قد زينت ظواهرها على الطراز الأسلامى بحجارة مطلية و هى اليوم فى تكسر مستمر، و موضع هذا المسجد ليس بمنفسح الأطراف كما هو حال مشهد على و مشهد الحسين فأن المنازل و الدور قائمة على حفافيه و حياله. و قد قتل موسى بن جعفر سنة ١٨٥ (الصحيح ١٨٣) ه بأمر من الخليفة القائم (كذا) يومئذ لأنه تدخل فى أمور تستوجب التهمة، و هى ان جماعه كبيرة من شيعة العلويين اجتمعوا فى دار، فلذلك تراه الشيعة «شهيد الشهداء» و يزورونه زيارات مختلفة للتعبد لديه. و سكان قرية الكاظم هم من الشيعة على التقريب، و اذا لم يكن لأصحاب هذا المذهب و أتباعه حرية فى الأعلان بمذهبهم و واجباته موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٤٤

ببغداد نفسها يزور هذا المسجد كل يوم ناس كثير منهم من أهل بغداد و ان أكثر الشيعة الذين لا يستطيعون نقل موتاهم الى مشهد على لعجزهم عن الأنفاق أو غير ذلك يدفنونهم فى مقبرة موسى الكاظم، و فى هذا ما يكسب المشهد أموالا وفيرة. ان بغداد التى أنشأها الخليفة المنصور كانت فى غربى دجلة، و لا شك فى أنها كانت فى الموضع المذكور آنفا، أعنى القسم الشمالى من الربض الحالى، بالقرب من تربة موسى الكاظم. و فى شرق النهر كانت قد بنيت قلعة و أنشئ روض الا انه لم يبق منها الا قرية (المعظم) التى بأزاء قرية (الكاظم) على التقريب مع انحراف قليل على مسافة كيلو مترين من بغداد الحالية.

أواخر القرن الثامن عشر

و فى ١٧٨٦ ثار الحاج سليمان باشا الشاوى، شيخ مشايخ العبيد المقيم ببغداد، على الوالى سليمان باشا الكبير فأقلق الباشوية مدة من الزمن و تغلب على الجيوش الحكومية بعشائه فحاصر بغداد و نزل بالقرب من الكاظمة أياما عديدة، و صار يهدد بغداد منها. و فى هذه المناسبة يذكر المستر لونكريك فى (أربعة قرون ..) قوله: .. ثم ضغط (العبيد) و من يتبعهم بالتضييق على بغداد بعد ان سكروا بخمرة الظفر، حتى استدعى ذلك تنظيم أمور الدفاع و التحصن .. و بقيت الفوضوية مستفحلة - و الأمن مفقودا لحد لم تتمكن الحكومة فيه من المحافظة على الكاظمة و الكرخ الا بشق الأنفس .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٤٥

النصف الأول من القرن التاسع عشر

و تذكر الكاظمة فى هذا الدور فى رحلة الرحالة الانكليزى كيرپورتر، و هو عالم آثارى و رسام بارع، الذى مر ببغداد فى طريقه الى إيران سنة ١٨١٨ (فى عهد الوالى داود باشا) و نزل ضيفا على القنصلية الانكليزية فيها .. فقد ذكر نبذة قصيرة عنها فى رحلته المطبوعة سنة ١٨٢٢، يقول فيها ان المدينة الجديدة الواقعة على الساحل الشرقى لدجلة (يقصد جانب الرصافة) توجد فى مقابلها محلة تقع فيها قلعة الطيور (قوشلر قلعة سى)،
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٤٦

و فى شمالها مرقد الأمام موسى الكاظم أحد الأئمة الأثنى عشر الذى يعرف بكظمه للغيظ و قد استشهد بالسيف (كذا)، ثم دفن الى جنبه بعد ذلك حفيده الأمام التاسع محمد التقى.

و يقول كذلك ان الكاظمة سكنها عدد كبير من الشيعة، بعد ان نهب الوهايون العتبات المقدسة فى الفرات الأوسط سنة ١٨٠١، و اصبحت مدينة مقدسة كبيرة ترتفع فى وسطها قباب جوامعها المذهبة و تلمع ما بين بساتين النخيل المحيطة بها، و يقصدها الزوار بأعداد كبيرة.

و حينما شق والى بغداد داود باشا عصا الطاعة على الدولة العثمانية، و تحداها في امور و أحوال كثيرة، قررت تنحيته بالقوة، و سيرت جيشا تأديبيا عليه سنة ١٨٣١ بقيادة على رضا باشا (اللاظ) فأزاحته عن الولاية بعد مقاومة غير يسيره، فكان آخر الولاة المماليك في بغداد. و كان على رضا باشا قد انتدب من الموصل قبل زحفه على بغداد متسلما عنه قاسم باشا العمري متصرف الموصل، فوقف هذا مع ثلثه من الجيش في الكاظمية قبل ان يدخل بغداد. و يقول لونكريك في (اربعة قرون ..) ان الأخبار وصلت الى عاصمة الولاية المحاصرة تفيد بوصول قاسم باشا الى الكاظمية مع سليمان غنام العقيلي (الذي رافق على رضا من استانبول) و الشيخ صفوك. و فيها قرئ الفرمان بعزل داود على الملاء و رجع الجميع لأوامر الپادشاه، ثم ارسل عشرون و كيلا الى بغداد. فحدث بنتيجة ذلك أول هياج قام به رعا محلة باب الشيخ الذين ساروا الى السراي و أحرقوا بابا من أبوابه.

و على أثر النكبات المتتالية المفجعة التي حلت ببغداد سنة ١٨٣١، يوم داهمها الطاعون المبيد و أغرقها فيضان دجلة المخيف، في الوقت الذي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٤٧

كانت تحاصرها جيوش على رضا باشا التي سيقت لتنحية داود باشا عن الحكم، زار بغداد قادما من إيران الرحالة الانكليزي جيمس بيلي فريزر، و كان ذلك في تشرين الثاني ١٨٣٤.

و قد تنسى؟؟؟ له أن يزور الكاظمية في يوم ١٧ كانون الأول فيذكر شيئا عنها في رحلته، و قد آثرنا ايراد ما ذكره عنها هنا برغم ما فيه من بعض الأغلاط التاريخية التي لا تخفى على القارئ. فهو يقول: .. و قد ركبنا في المساء الى الكاظمية، و هي قرية تقع على بعد أميال ثلاثة من شمال بغداد، حيث يوجد ضريح الأمام موسى الكاظم إمام الشيعة الذي قطع رأسه (كذا) هارون الرشيد على ما اعتقد. و كان قد حبس في جب لا يزال يرى الى يومنا هذا، و هرب منه بمعجزة على ما يقال. و يزعم آخرون ان رأسه قد قطع بأمر من الخليفة، و مع هذا يمكن ان يشاهد في بعض الأحيان حتى في هذه الأيام جالسا في مكانه القديم في الجب. و الظاهر ان هذا المزار واسع جدا، و له قبتان مطليتان بالذهب و اربع منارات رشيقة. و قد طليت القبتان من قبل نادر شاه (كذا)، الذي يبدو انه التجأ الى هذا الأسلوب في تزيين قبور الأئمة و الاولياء تكفيرا عن شناعاته. و هذا مزار عظيم يقصده الزوار المسلمون بكثرة- أي ان جميع الذين يزورون كربلا- لا بد من ان يأتوا لزيارة هذا المكان أيضا. و هو مثل سائر الأماكن الشبيهة به يزدهر بما ينفقه هؤلاء الزوار فيه، و يمتلئ بالمتشردين و المنبوذين الذين يلوذون بحمايته.

و لم أحاول الدخول فيه لأنني قد رأيت الكفاية من مثل هذه الأشياء، و أريد ان أتحاشى اللغظ الذي يثار حينما يحاول الأجانب زيارته أيضا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٤٨

فيلكس جونز في الكاظمية

و في ربيع سنة ١٨٥٠ قام الكوماندو جيمس فيلكس جونز بسياحات جغرافية للمسح و الاستقصاء العلمي في المنطقة الواقعة غربي دجلة في شمال بغداد، و كتب عنها مذكرة بعنوان (تبعات في جوار سور الميدين، و في المنطقة الواقعة على مجرى دجلة القديم، و تثبيت موقع أويس القديمة).

فرفعت هذه المذكرة الى الحكومة البريطانية في الهند خلال شباط ١٨٥١.

و طبعت في سلسلة المختارات الجديدة من سجلات حكومة بومبي، المجلد الثالث و الأربعون لسنة ١٨٥٧.

و في خلال هذه الأعمال مر جونز بالكاظمية فكتب يقول عنها: ..

و بعد ان خرجنا من بغداد و اجتزنا اسوارها المتهدمة (في جانب الكرخ) سرنا في طريق لا بأس به مدة خمسين دقيقة فوصلنا الى

الكاظمية. التي كانت قبابها المطلية بالذهب و منائرها الرشيقة تكون منظرا خلابا و هي ترتفع في الأفق البعيد، و تتلأأ ما بين بساتين النخيل الخاشعة من حولها.

على ان ذلك المنظر سرعان ما تبين حقيقته حينما يدنو الناظر اليه من البلدة فيجد ذلك المشهد الجميل محاطا بمجموعة متراصه من البيوت الحقيرة المتهدمة، المبنية بالطين و الطابوق المفتت. و يسكن البلدة سكانها العرب مع عدد غير يسير من الإيرانيين، و الهنود الشيعة المنفيين من بلادهم لاسباب سياسية او المقيمين للعبادة و التبرك. و يزور الضريح المقدس في هذه البلدة كل سنة عدد هائل من الزوار الذين يتواردون عليه من أنحاء العالم الإسلامي كله، و حيثما يقدر الأمام على و ذريته. و لذلك يجتمع هنا خليط عجيب غريب يجمع بين مظاهر الثراء و الأبهة و مبادئ الفقر و الشحاذة، كما يجمع (١)

Jones. Commander J. Felix- Reserhes in the Vicinity of the Medion Wall of Zenopbon.
Alongthe Old Cou??? se of the Rive Tigris. iDiscovery of Ancient Opis

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٤٩

بين ملابس الحرير و الأسمال أو الخرق البالية. و من المحظور على النصارى و اليهود التقرب من المشهد المقدس، غير اننا استطعنا أن نشاهد ما يعجب من الأشياء، و ما يجعل المرء يأسف على عدم مشاهدته الكثير من أمثال هذا المبنى الجميل الضخم في بلاد يمكن ان يبنى فيها على طرازه.

فقد وجدنا الصحن المربع المحيط بالحضرة مزدانا بزينة الموزاييك الغنية بالقيم الفنية، و الجدران مزوقة بالآيات القرآنية و الجمل الدينية المكتوبة بالأحرف العربية الجميلة. و لما كنا و نحن نمز بالبلدة المقدسة في عشية يوم النوروز فقد كان من الممكن للمرء أن يشاهد في كل مكان امارات الفرح و الحبور ترتسم على وجوه الناس و تمتزج بتعايير العبادة و الخشوع الظاهرة عليهم. و قد كان ذلك يبدو على شىء غير يسير من الروعة حينما كانت الشمس المائلة الى المغرب ترسل أشعتها الأخيرة الباهتة على المنائر و القباب المذهبة فتلوح للرائى كالنجوم المتلألئة التي تجتذب الزوار اليها من بعيد.

هذا و قد مررنا في طريقنا بأناس قادمين من كل حدب و صوب، و منتمين الى كل عنصر و عرق، فمن سكان التيب و كشمير و الأفغان و إيران، جانب من صحن الامامين الكاظمين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٥٠

الى المغول و العرب المواطنين. و كانوا يغذون السير- و هم- راكبين أو راجلين ليصلوا الى مبتغاهم فيستطيعوا إداء الزيارة في صباح اليوم التالى من دون تأخير. كما مررنا بآخرين كانوا قد فرشوا سجادهم أو عباءاتهم.

على قارعة للطريق، و أخذوا يؤدون الصلاة بكل نشاط و إخلاص. و قد كانوا، و هم يستقبلون القبلة للقيام بهذا الواجب الدينى المفروض، تبدو في وجوههم شتى المشاعر و الأحاسيس و مختلف المخائل و السمات. و من الممكن ان يقال أنه لا يوجد أى مكان آخر في العالم يجتمع فيه مثل هذا الخليط من الناس و هذا الاختلاف فى المشاعر و التعبير. على ان تقاسيم وجه العربى المعبرة، اذا ما ضمت الى لباسه الجذاب و حدة نظره و استقلال شخصيته، مع سلاحه المطروح الى جانبه، لتدل كلها على مخائل عرق ممتاز متفوق حتى عندما يلاحظ فى حالات الانحناء و السجود.

و بعد ان يتعد المرء قليلا عن البلدة تبدأ منطقة التاجى التي تمتد البادية من حولها الى جنب بساتين النخيل التي لا تمتد عن ساحل النهر الى أبعد من ثلاث مئة يارده. و تأتي بعد ذلك مستنقعات عقروق المتكونة من فيضان الفرات الذى يبعد عنها بمسافة خمسين ميلا، و يتصل بدجلة عن طريقها. فتحاط الكاظمية و بساتينها على هذه الشاكلة بالماء من جميع الأطراف، و تصبح و كأنها جزيرة فى وسط بحر متلاطم بالأمواج.

الكاظمية في رحلة ناهولت

و في سنة ١٨٦٦-٦٧ جاء الى العراق الرحالة الهولندي لكلاما ناهولت (نيجهولت)، و مكث في بغداد مدة من الزمن درس فيها الكثير من شؤونها و أحوال مجتمعها، فكتب رحلته القيمة التي ترجمت الى الانكليزية. و كان مما كتبه في هذه الرحلة نبذة و جيزة عن الكاظمية آثرنا ان نوردنا هنا نقلا عن الترجمة العربية التي اضطلع بها الأستاذ مير بصري. فهو يقول: .. و كانت من الزيارات الممتعة التي قمت بها زيارة الكاظمية، موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٥١

و هي بلدة صغيرة أقامها أخلاص الشيعة حول جامع الأمام موسى على مسافة فرسخ من بغداد. و لأجل الذهاب الى الكاظمية، نخرج من السوق الكبير الى شاطيء دجلة الأيمن و نصعد عدة دقائق الى منحى النهر حيث نطل على منظر جميل لمدينة بغداد. و بعد مسيرة نصف ساعة على الشاطيء نصل الى غابة صغيرة رائعة من النخيل. و نلتقى في كل دقيقة بالعرب و العجم و الهنود، مما يضيف على الطريق حركة عظيمة. و يمتطىء أكثرهم ظهور الحمير، و هذه الدواب تكرر قرب قصر أخى شاه إيران حيث يقف عدد كبير منها. و هذه الحمير من جنس ممتاز أصله من جزيرة العرب (لعله يقصد الحمير الحساوية المعروفة) و تتفوق بكل صفاتها على حمير أوربة. و هي بيضاء اللون تسير كالخيل. فاذا ما تركنا الغابة التي أشرت إليها، أدرنا ظهورنا الى دجلة و لاحت لنا في البعد قبتان ذهبتان لجامع الأمام موسى الأكبر. و لا تمر نصف ساعة حتى نصل الى أولى منازل الكاظمية. و الكاظمية بلدة صغيرة حسنة البناء، فيها سوق كامل التجهيز.

و الشيعة هنا شديدو التعصب. و قد تحملت سيلا من الشتائم لمجرد تقربى من ابواب السور الذى يحيط بالبناء الواسع الذى يقوم المسجد العظيم فى داخله. و ابواب السور مغلقة بالسلاسل التي يقبلها المؤمنون باحترام عند الدخول و الخروج. و مما سمح لى برؤيته ظهر لى ان هذا الأثر المقدس يتألف من المسجد الذى تزينه منارة جميلة فى كل ركن من أركانه الأربعة و من مشتملات واسعة تضم المساكن و المدارس و حجر الدرس للملالي و تلاميذهم. و يقال أن داخل المسجد جميل جدا، و لكن محاولة الدخول تؤدي مؤكدا الى القتل فى الحال. و مع اننى وقفت على مسافة بعيدة، فان أحد ابناء الشعب رأى ان وقوفى قد طال فى رأيه فأخذ يسبنى و يهددنى حتى رأيت الأفضل ان انسحب. و قد عدت من هذه الزيارة بنفس الطريق الذى سلكته فى الذهاب. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٥٢

أصلاحات مدحت باشا فى الكاظمية

و تذكر الكاظمية فى المراجع الغربية بعد هذا بمناسبة البحث فى اصلاحات مدحت باشا فى بغداد و ما حولها. فيقول ريتشارد كوك فى كتابه عن بغداد ان روحية الأصلاح المتوثبة التي كانت تتجلى فى مدحت باشا قد كانت السبب فى إدخال أحدث المبتدعات الى المدينة، و هي فكرة أنشاء خط (الترامواى) فقد كانت شدة الازدحام فى تنقل الزوار بين بغداد و الكاظمية قد جعلت تيسير وسائل نقل كافية شيئا أساسيا، فأنشأت الحكومة خط «ترامواى» يسحب بالخيول. و لم يكن المشروع ناجحا من الناحية المالية، و لذلك نقلت عهده الى شركة محلية ظلت تديره الى يومنا هذا. و كان هذا الخط فى عهد مدحت نفسه ينظر اليه باعتزاز و فخر و يعتبر من أحدث المشاريع فى الشرق.

لكنه بقى منذ يومه ذاك محافظا على وضعه من دون ان يصيبه أى تحسن ففقد شهرته المذكورة و سمعته. و قد كانت فكرة كهرته تراود مخيلة الكثيرين بين حين و آخر لكنها لم يمكن ان تتبلور و توضع فى موضع التطبيق. اما لونكريك فيشير الى ترامواى الكاظمية إشارة عابرة، فى ضمن الأعمال و الأصلاحات التي تحققت فى عهد الوالى المصلح مدحت

باشا.

فهو يقول عنه أنه أكمل ما بدأ بتشييده نامق باشا من الأبنية العامة و أضاف إليها شيئاً كثيراً. كما ان أصدر جريدة في أيامه و تأسيس المعامل العسكرية، و بناء مستشفى و دار للعجزة و ميثمة و عدة مدارس، و مدّ خط ترامواى الى الكاظمية كانت كلها، مع الروح التجديدية التي دلت عليها، قد نورت بغداد و بعثت حياة التجدد و الأحياء فيها (انتهى قول لونكريك).

و الحقيقة ان ما اصاب الكاظمية من اصلاحات مدحت باشا لم يقتصر على مشروع الترامواى الذى انشئ لتسهيل أمور الزوار. فقد أصلح

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٥٣

الجهاز الحكومى فيها أيضا بألغاء طريقة الالتزام و الأصول الاقطاعية فى الحكم، و عين موظفين أداريين فيها يتناولون رواتبهم من خزينة الدولة، كما جعل الكاظمية قضاءا يديره قائمقام خاص بعد ان أضاف الى حدود البلدة الأدرية المقاطعات المجاورة. و حينما عزم ناصر الدين شاه القاجارى ملك إيران على زيارة الكاظمية و سائر العتبات المقدسة فى العراق سنة ١٨٧٠ قامت الحكومة بأدخال بعض التحسينات و الاصلاحات فى طرق الكاظمية و مرافقها البارزة تمهيدا لهذه الزيارة السامية .

اما خط الترامواى الذى يشير اليه ريتشارد كوك و لو نكريك فقد مدت سكتة الى مسافة سبع كيلومترات، و حينما وجدت الحكومة انه مشروع غير رابح يومذاك ماليا شجعت تشكيل شركة أهلية لأدارته تتكون مالتها من ستة آلاف سهم بيعت معظمها بسرعة لأن مدحت تولى تشجيعها و تصريفها بنفسه، و كانت قيمة الحصص الواحدة مئتين و خمسين قرشا. و يقول المطلعون اليوم انه طلب الى الحاج عبد الهادى الاسترابادى، و هو من أبرز وجوه الكاظمية و تجارها فى تلك الأيام، ان يبدأ بتشكيل هذه الشركة ففعل ذلك بالاشتراك مع على چلبى و آخرين، على انه انسحب من الشركة بعد ذلك. و قد نجحت نجاحا غير يسير، حتى بلغت نسبة ارباحها ١٨ و ٢٠٪ فى بعض السنين. و استمرت فى عملها هذا الى ما قبل سنوات حينما تضائل شأنها و قلت أهميتها بشيوع استعمال السيارات الحديثة فانحلت.

و لأجل ان نعطي القارىء الكريم فكرة واضحة عن هذا الترامواى، و كيفية سيره فى تلك الأيام الخالية، نستشهد بما كتبه الرحالة الفرنسية المدام ديولافوا عنه حينما استقلت إحدى عرباته مع زوجها لزيارة الكاظمية سنة ١٨٨٦. فهى تقول:

.. و فى هذا اليوم ركبنا الترامواى ليوصلنا الى الكاظمية بفترة ربع ساعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٥٤

أو عشرين دقيقة على أبعد احتمال، و لكنه لم يكد يقطع نصف الطريق حتى توقف عن السير و هبط السائق من العربة و رجا منا ان نترك الترامواى.

و سألت عن سبب هذا التوقف فقول لى أن أرض منعطف الطريق الضيق الذى بلغناه قد خسفت، و اذا كان لا بد من ان يتابع الترامواى سيره فلا محالة أنه سيسقط .. و لقد وضعوا هنا عددا من الحمالين لدفع حافلة الترامواى و نقلها الى الجهة الأخرى بعد ان يتركها الركاب. و هذه العملية تتم فى دقائق ثقيلة و بجهد جهيد يبذله اولئك المساكين.

و بعد ان عادت المدام ديولافوا من زيارتها للكاظمية بالترامواى نفسه نجدها تقول: و بعد مدة من الانتظار تحرك الترامواى ينهب الأرض نهبا، و لما كانت هذه آخر مرة يقود السائق فيها العربة فى هذا اليوم أخذ يلهب ظهر الجياد بالسوط بقساوة و ضراوة ليزيد من سرعتها فيصل الى منزله فى أقرب فرصة من دون ان يفكر بعواقب عمله المخاطر لا سيما و الحافلة كانت مكتظة بالركاب الذين كانوا من طبقات مختلفة و أديان شتى، و كانوا كالسمك الطرى الذى يوضع فى الأناء لشيء، يرتفعون و يهبطون وفقا لسير الحافلة و اهترازها .. و قد زاد السائق من الهاب ظهر الجياد بسوطه، و كانت سرعة الحافلة تزيد بنسبة ذلك، و لم يعمل على تخفيف السرعة حتى عند وصولنا الى الطرق و الأزقة الضيقة التي كانت حركة مرور الناس فيها على أشدها. و مررنا فى أحد الأزقة الضيقة تلك بعدد من

الحمير التي كانت تحمل السمك .. فذعرت الحمير من الترامواي و رمت أحمالها على الأرض و أخذ أصحابها يسبون و يلعنون السائق .. و الواقع ان ذلك كان مشهدا تمثيلا رائعا .

ترمواي الكاظمين (احدى عربات السكّة) التي لم يبق منها اليوم لا عين و لا اثر
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٥٥

زيارة مدام ديولافوا

إشارة

وقد زارت بغداد في ولاية تقي الدين باشا الثانية سنة ١٨٨١ (١٢٢٩) ه الرحالة الفرنسية المعروفة مدام ديولافوا، مع زوجها المهندس المعماري و عالم الآثار الفرنسي مارسيل ديولافوا، قادمين من إيران. فزارا من العتبات المقدسة الكاظمية و كربلا، و كتبت في رحلتها المطبوعة شيئا غير يسير عنهما.

و حينما عقدت المدام النية على زيارة الكاظمية مع زوجها استصحبا معهما رجلا من رجال القنصلية الفرنسية في بغداد التي كانا يقيمان فيها و ركبا الترامواي الذي أوردنا وصفها له في الفقرة السابقة من هذا البحث- و كان الترامواي يمر في قسم من طريقه من بين البساتين الياضعة. و لذلك نجد المدام تطنب في وصف المناظر و جمالها، و تقول ان ما بقي من أشجار تلك البساتين كان له منظر خلاب جميل أخذ بمجامع قلبها، و ان رائحتها الزكية العطرة جعلتها كالمنتشية، و كم تأسفت على أنها قطعت هذا الطريق و هي راكبة في هذه الحافلة و حرمت نفسها من التمتع بذلك المنظر (الص ٩١ من الترجمة العربية). ثم تصف المناظر المذهبة رؤوسها الأربع التي كانت تبين عن بعد من بين قمم النخيل السامقة، و تشبه القبتين المتألفتين بقبة المشهد الذي زارته (في قم) بأيران.

و أول ما تذكره عن بلدة الكاظمية انها وجدت أزقتها أنظف من أزقة بغداد. ثم تقول انها وصلت مع مرافقيها الى الساحة الكبيرة الممتدة بين يدي الباب المؤدية الى المشهد الكاظمي، و كانت محاطة بدكاكين تمتلىء بالكثير من الخضروات و الفواكه و أكوام البطيخ و الرقي و الكلم. و ما اقتربوا من الباب حتى تجمهر الناس حولهم و منعوهم من الدخول لكونهم
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٥٦

غير مسلمين، إذ لا يجوز للنصارى و غيرهم من غير المسلمين الدخول الى هذا المشهد الشريف. فكان النقاش الذي أعقب ذلك. ما بين المتجمهرين و مرافقيهم من رجال القنصلية، أن يؤدي الى ما لا تحمد عقباه. و لذلك فقد عادوا من دون ان يشاهدوا كثيرا من داخلية المشهد المطهر.

غير انها تقول بالنسبة لما شاهدته من الخارج: .. و في أثناء تلك الحوادث التي كان زوجي مارسيل يتحمل فيها ضربات و الفاظ ذلك الجمع المتجمهر الحائق لم أفوت الفرصة من يدي، فاستغللت فرصة انشغال الجمهور و أخذت أتطلع من شق باب المرقد الذي كانت مفتوحة على النصف فاستطعت أن الاحظ بعض مرافقه و الباب الذي كان مجازه ينتهي بصحن جميل واسع. و أمام هذا الباب كان يقع رواق طويل تحيط به من الجوانب أعمدة ضيقة مزينة بقطع من المرايا على أشكال هندسية .. و في زوايا البناية أربع منائر مرتفعة مطلية أعاليها بالذهب، اما بقية اقسامها فهي من الكاشي الأخضر (لعلها تقصد الأزرق). و في جوانب القبتين كانت تترأى لى أبراج صغيرة شبيهة الى حد بعيد بمحلات الرقابة في أعالي القلاع البحرية ..

و ما ان نجونا من حلقة ذلك الجمهور المحتشد و ابتعدنا عنه حتى أخذنا نتجول في أطراف المرقد، و نتفرج على جدرانها من الخارج متحررين من كل قيد أو خوف. ثم كان ان تشجعنا قليلا فأخذنا ننظر خلال فتحات الأبواب و استطعنا ان نرى ما يحتويه البناء. فكان

هناك الى جانب المرقد و المسجد الحاج عبد الهادي الاسترابادى

كبير تجار الكاظمين فى عصره

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٥٧

مدرسه و بضع خانات (لعلها تقصد الحجر) و حمامات أنشئت خصيصا للزوار المصلين.

ثم يقول: و مسجد الكاظمين هذا أنشئ فى العهود الإسلامية الأولى بصورة بسيطة ساذجة، لكن الشيعة أضافوا اليه قسما من المرافق كما زينوا جدرانها بنقوش و فسيفساء وفقا للفن المعماري الإسلامي منذ قريب بحيث ما زال الملاط نديا، و ما زال قسم من تلك الجدران لم يتم عمله حتى الآن، مع ان أقساما من القبة المذهبة تبدو متهدمة تشوه المنظر الجذاب .

و نقول تعقيبا على قول المدام ديولافوا هذا ان بعض الإضافات و التعميرات قد أجريت فى المشهد الكاظمى فى أيام مدحت (١٨٦٩- ٧١) أى قبل مجيء المدام بعشر سنوات. و قد تم ذلك على نفقة (فرهاد مرزا) القاجارى عم ناصر الدين شاه، الذى أوكل العمل فيها الى الحاج عبد الهادي الاسترابادى فتم بناء سور محكم جديد بعد ان كان من اللبن، كما شيدت الحجر المحيطة بالصحن و الساعات الكبيرة فيه و السرايب المعدة للدفن، فضلا عن بعض الإصلاحات الأخرى. و لذلك يلاحظ اليوم ان فرهاد مرزا دفن فى الصحن الشريف الى يمين الداخل اليه من باب المراد فى غرفة خاصة به.

هذا و تذكر المدام ديولافوا علاوة على ذلك أنهم حاولوا التلمص من الجمهور الذى التف حولهم فى الكاظمية بكل وسيلة لأن أحد الصحفيين الأنكليزي كان قبل مدة قليلة قد دخل فى نزاع مع بعض الأهلين فيها فقتل و قطع جسمه إربا إربا بالسكين. و مع ان القنصل الانكليزى فى بغداد كان قد اهدى لمعرفة القاتل، و مع انه كانت لديه أدلة كثيرة تثبت جريمته، فإنه لم يفلح فى إدانته عند المسؤولين فى هذه البلاد.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٥٨

و تذكر كذلك أنهم تعرفوا فى بغداد على مهندس أجنبى يدعى المسيو موكل. فزودهم بتوضيحات كافية عن المشهد الكاظمى المقدس بعد ان حدثوه بما رأوه. و لم يستطع هو أيضا الدخول الى داخل المشهد المطهر فى مبدأ الأمر لكونه نصرانيا، لكن الساعة الكبيرة فى الصحن توقف دقاقتها الكبير فى يوم من الأيام فاستدعى هو لأصلاحها. فحمل أدواته الهندسية، و آلة تصويره الدقيقة فى الوقت نفسه، و التقط عدة صور من فوق السطح و الجوانب.

احدى منائر ضريح الكاظمين الذهبية الشامخة امام باب المراد، و تظهر الساعة خلفها.

و تقول أيضا ان قوافل الزوار الذين كانوا يقدون من الخارج لزيارة الأمامين الكاظمين عليهما السلام كانوا يمرون بمدينة بغداد فيلاحقهم أطفال الشوارع و يسمعونهم أقوالا بذيئة.

ثم يهجمون على لوازمهم المحملة فوق ظهور الحيوانات فيسرقون منها ما يسرقون و يهربون فيختفون فى الدرابين و الأزقة الضيقة. و قد يرمونهم بالحجارة من بعيد فينزلون بهم الأذى. و مع كل هذا فلا يستطيع الزوار المساكين عمل شىء سوى ان يسكتوا و يتحملوا الإهانات من دون ان يفكروا بالشكاية لدى السلطات الحكومية التركية لأنهم يعلمون ان ذلك لا يمكن ان تكون له نتيجة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٥٩

مجدية. «فالمسؤولون الأتراك فى الواقع يشجعون تلك الحوادث او تحدث بوحى منهم، و ان كل شكوى من هذا القبيل تقابل بسخرية و استهزاء» على حد قول المدام ديولافوا.

[ورود السر ارنت ألفرد و اليس الى بغداد]

و في سنة ١٨٨٨ جاء الى بغداد عن طريق الخليج عالم من علماء الآثار البريطانيين يدعى السر ارنست ألفرد و اليس. ج (١٨٥٧-١٩٣٥)، و أقام فيها أشهراً عدة. و كان السر و اليس هذا قد جاء لدراسة الآثار القديمة في العراق، و الحصول على ما يمكن الحصول عليه منها بمختلف الطرق و الوسائل، فتوفى في مهمته تلك الى حد بعيد. و قد كتب عن رحلته هذه شيئاً غير يسير عن تاريخ بغداد و آثارها، و لخص ما كتبه بعض الرحالين الآخرين عنها، فضمنه في مجلديه اللذين نشرهما سنة ١٩٢٠ بعنوان «على ضفاف النيل و دجلة». و يتناول المجلدان خبرة السر و اليس معظمها في العراق و مصر من الناحية الأثرية، ما بين سنتي ١٨٨٦ و ١٩١٣.

و قد تسنى للسر و اليس، خلال مدة وجوده في بغداد، أن يزور الكاظمية و يكتب شيئاً عنها. و كان ذهابه الى هناك بصحبة القبطان بتر روث، ربان الباخرة المسلحة «كوميت» التابعة الى البحرية الهندية و الموضوعه تحت تصرف القنصلية البريطانية العامة في بغداد بترتيب مع الحكومة العثمانية يستند على امتياز خاص كانت تتمتع به يومذاك. و لأجل ان تسهل زيارتهم لهذه المدينة المقدسة أخذوا كتاب توصية من المستر تويدي، أحد رجال القنصلية، الى صديق له في الكاظمية يدعى محمد حسين مرزا (الصفوى). و كان هذا أميراً من أمراء الفرس يقيم في جوار الأمامين الكاظمين. و قد استقلوا الى الكاظمية «الترامواي» الذي كان قد أنشأه مدحت باشا، على ما مر ذكره.

و يقول السر و اليس انهم حينما مروا بالسوق في طريقهم الى باب المشهد موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٦٠ الكاظمي المقدس كانت نظرات الناس اليهم نظرات غير مريحة، و ان أصحاب الدكاكين رفضوا بيعهم الأشياء التذكارية التي حاولوا شراءها منهم. و كانت من جملتها بعض الآثار المزيفة و الأختام الأسطوانية التي كان يصنعها اليهود على ما علم من بعض الناس. و قد اشتد الموقف العدائي تجاههم في السوق بحيث اقترح عليهم دليلهم متابعة السير، حتى وصلوا الى باب المشهد الذي أبطأوا السير بقربه و ظلوا يشاهدون ما في الداخل من فتحة الباب. فأعجب السر و اليس جد الأعجاب بالمنائر و القبتين المذهبتين، و بالقاشاني الزاهي الذي كانت تزين به أسوار الصحن و الروضة المقدسة طارمة القبلة و تظهر فيها براءة صناعة الكاشاني في العهد الصفوي و قد عز اليوم الحصول على امثاله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٦١

في الوسط، و هو يعتقد ان الزينة و الألوان كانت شيئاً رائعا لم ير مثلها من قبل.

و يشير كذلك الى وجود الساعة الكبيرة في الصحن، و الى أنها كانت تدور حولها قصص مضحكة. ثم يذكر في الحاشية ان هذه الساعة كانت قد توقفت ذات يوم فاقتضى ان يؤتى لها بشخص له معرفة خاصة بتصليحها، لكنه كان مهندساً فرنسياً لم يمكن السماح له بالدخول الى الصحن الشريف لأنه كان نصرانياً بطبيعة الحال. غير ان رجلاً من خدم الروضة المقدسة تذكر ان النبي الكريم عليه السلام كان قد سمح يوماً بأن يدخل الى المسجد حمار محمل بالآجر، و على هذا القياس يمكن ان يسمح لهذا المهندس الفرنسي بالدخول الى الصحن الشريف لتصليح الساعة الدقاقة. فتم ذلك و أصلحت الساعة. و مما يجدر ذكره هنا ان المهندس المذكور هو المسيو موجيل الذي تشير اليه المدام ديولافوا في رحلتها الفرنسية التي اشترنا اليها في هذا المبحث، و ذكرنا شيئاً عما جاء في رحلتها الى الكاظمية. فهي تشير الى ان المسيو موجيل نفسه قد روى لها انه قام بتصليح الساعة. فتسنى له بهذه الوسيلة ان يأخذ بعض الصور. و مما يذكره السر و اليس ان المرزا الصفوي أخذهم الى بيته، فصعدوا الى السطح، و من هناك تسنى لهم ان يروا الصحن المقدس و واجهه المشهد.

و هو يقول ان الأمير الصفوي هذا قد حدثهم كثيراً عن النفائس الموجودة في خزانه المشهد الكاظمي، و منها ستارة نفيسة جداً مرصعة بالأحجار الكريمة من الحجم الكبير. فتذكروا بمناسبة حديثه هذا ما تذكره قصص (ألف ليلة و ليلة) عن الجواهر التي كانت توجد مكدسة في الكهوف.

و قد اقترح الأمير الصفوي على ضيوفه ان يزوروا مرقد أقبال الدولة، النواب الهندي الذي أقام في الكاظمية بعد نفيه من بلاده الى

العراق. ففعلوا ذلك، وقدمت لهم القهوة و الحلوى المصنوعة من أوراق الورد. و عملوا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٦٢

مما دار في الحديث حوله هناك مع قيم المقبرة، و الدليل الذي كان يرافقه، ان الناس كانوا يعتقدون بان صاحب القبر كان موجودا في المحل الذي زاروه و لو لم يستطيعوا رؤيته، و ان القيم أكد لهم انه معنى بشؤونه و لا يستطيع الالتقاء بهم شخصيا!! كما علموا من الدليل ان الله عز و جل يستجيب لكل دعاء يتلى في هذا المرقد، و ان البركة ستسبغ عليهم بسبب زيارتهم لهذا المكان. و حينما مروا بالسوق في طريق عودتهم الى بغداد احتشد وراءهم الناس، و ظل هذا الحشد يتكاثر حتى وصلوا الى ساحل النهر الذي كانت تنتظرهم فيه قفة خاصة أقلتهم الى الباخرة كوميت، فوصلوا اليها سالمين. بعد ان ظل القوم يرشقونهم بالحجارة.

نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين

هذا و قد زار الكاظمية عدد من السواح الأجانب فيما بين مجيء المدام ديولافوا و نهاية القرن التاسع عشر، مثل بيترز و كاوبر و بينديه، غير أنهم لم يذكروا شيئا يستحق النشر عنها: لكننا لاحظنا ان بعض المراجع العربية تشير الى أن جسرا عائنا بين الكاظمية و الأعظمية قد شيد في ١٨٨٤ (١٣٠٢ هـ) بأمر من قائد الفيلق العسكري السادس المشير هدايت باشا، فتم بذلك ربط الكاظمية بالجانب الشرقي من بغداد أيضا بعد أن كانت قد ربطت بالجانب الغربي بواسطة خط الترامواي. و ان سراي الكاظمية قد وضع حجره الأساسي في يوم ٢٤ رجب ١٣١٨ (١٩٠٠ م) في إحتفال حضره الوالي نامق باشا، و المشير أحمد فيضي باشا، و قاضي الشرع كمال الدين بك. و تذكر الكاظمية في كتاب المستر ريتشارد كوك من جديد بصدد تطرقه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٦٣

الى موقف الاتحاديين، بعد توليهم الحكم في تركيه، من الأنكليز و الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها على العموم. فهو يقول ان حكومة الثورة التركية قد اعترضت على عدد من الامتيازات البريطانية و زورق البحرية الهندية المسلح الذي كان يرسو في أسفلها على الدوام، و حتى على حجم الأراضي المتسعة التي كانت تحيط بها. و لذلك وجدت الحجج المبررة في صيف ١٩١٠ لتهديم مكاتب شركة لنج (بيت اللنج (و شركة عبد العلي الهندي) الشركة الهندية البريطانية ببغداد (باعتبار أنها كانت ماثلة الى الانهدام و يخشى من خطرها على ارواح الناس فتملصت السلطات المسؤولة بذلك عن دفع التعويضات اللازمة لهما. و في أيلول من السنة نفسها هدمت الممتلكات الهندية البريطانية في الكاظمية لأسباب مماثلة كذلك.

اما المستر ستيفن ه. لونكريك فيقول في كتابه الثاني) العراق بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠ (عن الفترة التي سبقت الحرب العالمية ان اتصال البريطانيين بالعراق قد ازداد توثقا و اتساعا، و ان المصالح الهندية البريطانية لم تقل أهميتها. فقد استمرت مكاتب البريد البريطانية التي كانت تعمل بموجب شروط الامتيازات الأجنبية على عملها برغم استياء الموظفين الأتراك منها، و ظل وكلاء الزوار الهنود في الكاظمية و سامراء يخدمون أبناء بلادهم الذين يزورون العتبات المقدسة مع جميع ما كانوا يصادفونه من عراقيل رسمية.

أعلان الجهاد في الكاظمية

و حينما نشبت الحرب العالمية الأولى، و اشتبكت الدولتان البريطانية و العثمانية في حرب ضروس بينهما، جردت بريطانيا حملة عسكرية على العراق تمكنت من النزول في الفواو يوم ٦ تشرين الثاني ١٩١٤. و قدر للكاظمية ان تلعب دورها المشرف في مقاومة

الانكليز المحتلين، بصفتها مدينة من موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٦٤

المدن المقدسة التي ينظر إليها العالم الاسلامي بكل تقدير وتقديس، منذ تلك الأيام. فقد أعلن الجهاد فيها ضد المحتلين غير المسلمين، وأصبحت مركزا لتجمع المجاهدين وسوقهم إلى ميادين القتال في الشعيبة ومزيرعة وخوزستان. وقد شعر بأهمية ذلك الانكليز أنفسهم فأشار الى ما حصل في هذا الشأن على الأخص أرنولد ويلسن، وكيل الحاكم الملكي العام في العراق على عهد الاحتلال في كتابه المشهور (ما بين النهريين ١٩١٤ - ١٩١٧) فقد قال بصدد البحث عن اصطدام الأتراك ببريطانية لأول مرة ان الحكومة العثمانية بذلت جهدا كبيرا لتجعل من القتال الذي جرى حربا مقدسة ضد الكفار، فأثمرت جهودها وأتت أكلها في كانون الثاني ١٩١٥. إذ أعلن الجهاد في المدن المقدسة والجوامع المنتشرة في سورية والعراق، وراح وكلاء العلماء ينشرون الدعوة بين القبائل وسكان المدن ويهيون بالناس للنهوض من أجل الذب عن حياض الدين والعقيدة. وكان التأثير على أشده ما بين القبائل الشيعية في الجنوب، وبدأت الجموع تلتف حول القوة التركية في الشعيبة.

والمعروف عن الكاظمية في هذا الشأن ان حركة المجاهدين ضد الانكليز قد بدأت فيها خلال الحرب العامة الأولى. وقد أصدر العلماء أمرا بوجوب الدفاع عن كل مسلم، وأبرقوا بهذا المضمون الى العشائر المحيطة بالبصرة، ثم توالى الاجتماعات في الصحن الشريف منذ العشرين من ذي الحجة الى ١٢ محرم الحرام سنة ١٣٣٢، وألقيت الخطب المثيرة، وتشكلت على اثر ذلك في اواخر ذي الحجة ١٣٣٣ جمعية باسم «الجمعية الأرشادية» برآسة قائم مقام الكاظمية يومئذ محمد أمين أفندي وعضوية جملة من الفضلاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٦٥

و الأشراف لغرض جمع التبرعات النقدية والعينية للمجاهدين.

و خرج السيد مهدي قاصدا ساحة الحرب، وبصحبه الشيخ مهدي الخالصي و الشيخ عبد الحميد الكلدار، و جماعة من المجاهدين، و خرجت البلدة بأسرها لتشجيع ركب الجهاد الزاحف. ثم تواردت على الكاظمية وفود العلماء الزاحفين نحو المعركة من النجف الأشرف و كربلاء، و كانت البلدة تستقبل كل واحد منهم بمنتهى الترحاب. و فيما يلي أسماء جماعة من هؤلاء الأعلام:

شيخ الشريعة الأصفهاني، السيد علي الداماد، السيد مصطفى الكاشاني، الشيخ جعفر عبد الحسن النجفي، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، الشيخ عبد الكريم الجزائري، الشيخ حسن علي القطيفي. السيد محمد ابن السيد كاظم اليزدي. المرزا محمد نجل الآخذ الخراساني. المرزا محمد رضا الشيرازي. الشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضي.

الامام شيخ الشريعة الذي خلف الامام الشيرازي في الثورة العراقية.

و في أواخر صفر ١٣٣٣ خلت الكاظمية من شبابها، و لم يبق فيها غير العجزة و النساء و الأطفال، و جميع رجالها بين جندي في صفوف الجيش النظامي أو مجاهد في ساحات القتال. حتى أنفذ الله أمره و تراجع الغائبون زرافات و وحدانا. و عاد السيد مهدي السيد حيدر الى الكاظمية في ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٣ بعد ان أبلى هو و من معه بلاء حسنا .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٦٦

و يقول ارنولد ويلسن عن انتهاء موقعة الشعيبة باندهار الأتراك و عودة المجاهدين ان المجاهدين المتطوعين الذين تجمعوا في الشعيبة قد تفرقوا بعد ذلك، و لم يظهروا ثانية في ميدان الحرب. و قد وضعت معاملة الأتراك لسكان العتبات المقدسة بعد ذلك حدا لأمكان عودة الحماسة الدينية الى التفجر مرة أخرى في تلك الجهات .

الميرزا محمد الاخوند

أنسحاب الأتراك من بغداد

و من غرائب الصدف ان تشهد الكاظمية آخر يوم من أيام الأتراك العثمانيين في بغداد كذلك فيكون جلاؤهم عن مدينة الخلفاء

العتيدة من الكاظمية نفسها بعد ان حكموها حكما مفعما بالمآسى و الأحداث أربعة قرون متتالية. و بذلك تسنى لبغداد ان تقلب صفحة جديدة من تاريخها الحافل لتبدأ تاريخا جديدا تتطلع فيه إلى حياة عصرية سعيدة تبنى فيها كبناء الأبوّة الأمجاد. و خير من يصف يوم الأتراك الأخير هذا من المراجع الغربية المستر ريتشارد كوك في (بغداد مدينة السلام). فهو يقول ان ليلة اليوم العاشر من شهر مارث ١٩١٧ كانت ليلة ليلاء في تاريخ مدينة السلام. ففي مجلس حربى عقد فى مخيم الخربحث خليل باشا مع قواده قضية الصمود فى الدفاع عن بغداد أو الانسحاب منها. و كانت البرقيات الملحة أخذت تترى عليه من أنور باشا فى استانبول بوجوب الثبات فى وجه العدو المتقدم، لكن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٦٧

قادة الجبهة فى الميدان كانوا يضعون نصب أعينهم الاعتبارات العسكرية الصرفة و يشيرون الى عدم كفاية القوات الموضوعه تحت تصرفهم لمقاومة الهجوم البريطانى الجازم، و النتائج المرعبة التى يمكن ان تؤدى إليها الهزيمة المفاجئة أو التقهقر غير المنتظم عن طريق المدينة نفسها. فطالبوا بالانسحاب العاجل خلال الليل الى نقطة تقع على خط السكة الحديد، حيث يكون بوسعهم الاتصال بقاعدتهم فى سامراء و حيث تستطيع القوات المنهكة ان تستريح و يعاد تشكيلها من جديد. و لذلك طلب خليل باشا المذاكرة مع رئيس أركانه حتى يكون قادرا على اصدار حكم قطعى فى الموضوع، و انسحب معه الى غرفة ثانية. فعاد الى قادة جنده بعد عشر دقائق و صادق على الانسحاب. و فى الساعة الثامنة من مساء اليوم نفسه صدرت الأوامر الى الجيش بالتقهقر الى نقطة تقع على بعد أحد عشر ميلا من شمال الكاظمية على دجلة، و الى الفلوجة على الفرات. ثم أبرق خليل باشا البرقية التالية الى استانبول:

«فى وجه هذا الهجوم الذى ظل العدو يشنه خلال ثلاثة أشهر من دون انقطاع، بقوات متفوقة فى العدد و عتاد متمسر بكثرة، أجد ان الفيلق الثامن عشر يكاد يكون عاجزا عن الحركة و ان معنوياته من قائده الى أصغر جندى فيه باتت محطمة. و انى لمقتنع بأن الجيش اذا ما اشتبك مع العدو بكامل قواته غدا فان بغداد سوف نخسرها و قواتنا كلها مع ما يعود لها من مدافع سوف تقع فى الأسر. و إدراكا منى لضرورة ايقاف العمليات، و اعادة المعنويات و القوة المادية الى الجيش فى مبعده عن العدو، أجد نفسى مجبرا على اتخاذ القرار المؤلم بالتخلى عن بغداد و الانسحاب منها».

و عند ذاك ركب خليل باشا و ضباط ركنه الى محطة الكاظمية و استقلوا القطار منها إلى سامراء. و تم بعد ذلك مباشرة تدمير النقاط العسكرية المهمة القريبة من المدينة، بما فيها محطة اللاسلكى القوية الجديدة) التى نقلت فى آخر برقية لها الى برلين خبر الانسحاب نفسه (، و باب الطلسم التاريخيه،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٦٨

التي نسفت بما فيها من ذخيرة و بارود. و كان المنظر فى محطة الكاظمية بحالة من الفوضى لا يمكن وصفها. فقد داهمت وحدات الجيش المتراجعة من الميدان ما كان ينتظر التحميل فى المحطة نفسها من احمال الذخيرة الكبيرة، و الطائرات المدمرة، و الجرحى من الجنود. و مما زاد فى الفوضى العامة التى كانت تضرب أطنابها فى كل مكان أن عاصفه هو جاء مفاجئة من العواصف الترابية، المعروفة فى بلاد ما بين النهرين، قد هبت على الجميع فزادت فى الطين بله و الحالة سوءا. و كان مما سببته هذه العاصفة كذلك انقطاع جسر بغداد الذى سحبت جارياته الى الشاطئ الشرقى و أتلفت كلها. و فى منتصف الليل غادر بغداد قائدها العسكرى. و فى معيته شرطة المدينة و الموظفون، بعد ان نقل ما يمكن نقله من السجلات الرسمية، و أتلف ما يمكن إتلافه منها. و لم يكتشف البريطانيون هذا الجلاء الا بعد ان كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل.

السر رونالد ستورز فى الكاظمية

و قد زار بغداد قادمًا من القاهرة، فى هذه الأيام التى بدأ بها الاحتلال البريطانى للعراق بشكل مضطرب غير مستقر، السر رونالد ستورز.

و كان السر رونالد هذا من الاستعماريين الانكليز الذين كان يتألف منهم «المكتب العربي» في القاهرة. و قد تقلب في مناصب عدة، فكان منها حاكمية القدس في أول عهد الاحتلال البريطاني لها و حاكمية قبرص التي نفى اليها الملك حسين بن علي خلال مدة وجوده فيها. فكتب كتابا مهما على شكل مذكرات يومية، ضمنه الكثير مما صادفه خلال مدة تقلبه في الوظائف المختلفة و زيارته العديدة لكثير من البلاد، و من جملتها العراق.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٦٩

و من جملة المدن التي زارها عند مجيئه إلى العراق العتبات المقدسة، و منها الكاظمية التي قصدها من بغداد بمعية المستر ويليام مارشال معاون الحاكم السياسي فيها يوم ١١ ايس ١٩١٧. فقد توجه اليها في صباح هذا اليوم، عن طريق الكرخ الذي كان لا بد له من أن يعبر اليه عن طريق الجسر القديم، لكنه وجده مقطوعا على ما يقول و لم يستطع العبور الا في حوالي الساعة الثانية عشرة و ثلث. و حينما وصل اليها خف الى مقابله و السلام عليه في دائرة الحاكم السياسي (الشيخ حميد الكليدار)، و السيد جعفر عفيفه رئيس البلدية، و حسين الصراف. و هو يقول ان الشيخ حميد الكليدار كان قبل الاحتلال مسلما متعصبا جند ألفا و خمس مئة مجاهد ضد الانكليز عند أول نزولهم إلى البر في منطقة البصرة.

و يقصد بذلك بطبيعة الحال سير المجاهدين المتطوعين من الكاظمية الى الشعية بتأثير فتاوى العلماء الأعلام كما مر ذكره ثم يذكر ان (الشيخ حميد) أخذ يطنب في حب الناس للانكليز في كل مكان، فأجابه ستورز بأنه مسرور لذلك و انه يعتبر ما كان سمعه في القاهرة عن خصومة المجتهدين للانكليز و شاية لا أساس لها من الصحة. فرد عليه الشيخ يقول من دون تلكؤ ان أولئك القلة من المضللين (بفتح اللام) قد بدلوا رأيهم حالما أدركوا حقيقة السياسة الالمانية و ما كانت تنطوي عليه من فظاعة. و يلاحظ ان السر رونالد يصف حسين الصراف بالمشخ الذكي البشوش. هذا و يقدر نفوس منطقة الكاظمية يومذاك بخمس و عشرين ألف نسمة، و نفوس البلدة بخمسة عشر ألف، ثم يقول ان سكان الكاظمية كلهم عرب في الحقيقة لكنهم تجنسوا الحاج حسين الصراف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٧٠

بالجنسية الايرانية تهريا من الخضوع للخدمة العسكرية.

و ذهب السر رونالد بعد ذلك مع الجميع. مخترقا الأزقة الضيقة التي تعجب من نظافتها، الى دار من دور أحد الوجهاء حيث تسنى له ان يتفرج على القباب و المنائر المذهبة التي تعلق ضريحي الامامين الكاظمين. و لقد أخرج جمالها في الحقيقة لسانه الذرب بخجل و تعجب- على ما يقول- و هي التي كان سطحها الذهبي الخالص يتقبل أشعة الشمس فتعكس عليه انعكاسا غنيا غير قابل للوصف. و قد أخذ من هناك التصاوير بأربعة أفلام للمناظر الفريدة في بابها.

و من هناك توجه لزيارة السيد مهدي السيد حيدر المجتهد الشيعي الأكبر في بيته، و السيد حسن السيد هادي الصدر. و هو يقول عن السيد الصدر انه رجل ذكي نبيه متقدم في السن، له لحية بيضاء طويلة، و حالما علم أن لي بعض الالمام بالعربية أخذ يرشقني بسيل من بيانه المتدفق، بادئا بفضائل السفر الخمس. ثم راح يخوض في حديث ممتع عن السياسة، و كانت له معرفة واسعة بجرائد مصر و شخصياتها. و قد قضيت معه عشرين دقيقة طلبت خلالها فنجانا ثانيا من القهوة. و يقول ستورز كذلك انه علم من معاون الحاكم السياسي المستر مارشال ان السيد حسن الصدر كان أعظم سكان الكاظمية نفوذا في البلد.

الكاظمية في تقارير الحكام السياسيين

كان الكابتن ويليام مارشال معاون الحاكم السياسي الذي زار السر رونالد ستورز الكاظمية في عهده قد نقل الى النجف الأشرف، بعد ان حصلت له الخبرة الممتازة في ادارة العتبات الشيعية على ما يقول المسؤولون الانكليز في ذلك العهد، فتعين في مكانه الكابتن ريد. و كان من عادة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٧١

الحكام السياسيين تقديم تقارير، أو يوميات شهرية، الى مراجعهم المختصة يتطرقون فيها الى جميع الشؤون الإدارية في منطقتهم. و قد عثرت على تقرير من مثل هذا قدمه الكابتن ريد عن منطقة الكاظمية الى مرجعه رئيس الحكام السياسيين في بغداد، يتضمن يومياته في شهر تشرين الثاني من سنة ١٩١٨، فأثرنا تلخيص ما جاء فيه هنا على سبيل المثال و الدلالة مستلماً من بين مجموعة كبيرة من تقارير مماثلة مطبوعة بالانكليزية عن مناطق ولاية بغداد كلها للشهر نفسه.

و يستهل الكابتن ريد تقريره هذا بذكر شيء عن العشائر و يقول أن أفخاذ شمر التي ذكرها في تقريره السابق قد رحلت في طريقها الى الجنوب في بداية الشهر، و ان قبيلة الشعر ما تزال متمادية في العتب بالأمن الى حد أنها أطلقت النار عليه حينما زار مع جماعته منطقة أبي غريب في الرابع و العشرين من الشهر، فأعلن عصيانها و هو يأمل جلبها الى الطاعة في القريب العاجل. ثم يأتي على ذكر حوادث الأمن و النظام في المنطقة و يذكر ان حادثه القتل التي وقعت في الشهر الماضي قد أحالها الى الحاكم العسكري في بغداد، و ان حادثه أخرى قد وقعت و قتل فيها رجل من بنى تميم يدعى ابراهيم بن كاظم عن ثأر قديم فعين الشيخ حسن السهيل للبت فيها عن طريق الفصل. و هنا أيضا يشير الى اقتراح عرب الشقراى (الخيم) للجرائم.

و يأتي بعد ذلك على ذكر «الشبانة» او الجنود المرتزقة الذين كانوا تحت تصرفه، و يقول ان المئة الذين كانوا عنده منهم قد أعاد النظر فيهم بقصد خلق قوة فعالة من بينهم فأخرج العاجزين منهم و أبقى النشطين فقط حتى أنزلهم إلى حد الأربعين. ثم يذكر ان الانخراط في هذا المسلك بطيء لأن الناس يخجلون من ذلك، و لا سيما بنى تميم الذين كان يعول عليهم في هذا الشأن. موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٧٢

أما بالنسبة للشؤون الزراعية فيذكر الحاكم السياسي في التقرير أنه كان هناك شيء من الحركة و عدم الاستقرار بين الفلاحين في منطقة أبي غريب لأنهم مدينون للحكومة، و هم غير واثقين مما ستفعله تجاههم. على ان هذا قد عولج بتأخير استيفاء سلفه البذور التي كانت قد سلفت لهم في العام الماضي. و يذكر كذلك ان جدول اليوسفية الجديد قد جلب اليه عدد من فلاحى هذه الجهات. و جاء في التقرير هذا عن الواردات و شؤونها ان قاسم أفندى، مأمور أبي غريب، قد فصل من الوظيفة و أعطيت الفرصة الى حسن أفندى ليحل في محله. و قد وجد معاون الحاكم السياسي من الضرورى ان يوقف دفع مبالغ كبيرة من سلفات البذور فى أبي غريب، و هو يظن ان السر اكيل سيدركون ان الحكومة لا بد من ان تدفع لهم هذه السلف على أية حال و عليهم ان يستقروا فى أرضهم فيعملوا جهدهم للحصول على حاصل جيد منها.

و يذكر فى التقرير ان أراضي منطقة التاجى كانت يومذاك موضع نزاع بين دائرة الأوقاف و بعض الملاكين فى الكاظمية و كربلا، فأحيلت قضيتهم الى بغداد. و لكن معاون الحاكم السياسي قد علم فى الوقت نفسه ان جميل أفندى و كيل الأوقاف قد توصل إلى اتفاق و دى مع الجهة المقابلة.

اما عن البلدية فيقول أنها كانت مدينة حوالى عشرة آلاف رويية.

و قد قدمت اقتراحات عن إنارة البلدة بالكهرباء، و المؤمل ان توضع تلك المقترحات فى موضع التنفيذ فى القريب العاجل. و بالنسبة لشؤون الرى و السداد فان التقرير يذكر ان جدول أبي غريب قد فتح فى فى الخامس و العشرين من الشهر، و ان الترتيبات اللازمة قد اتخذت لوضع المحافظة على السداد فى عهده الشيوخ الذين تقدم لهم المساعدات اللازمة عن الحكومة. و سوف يشرف على الأعمال بأجمعها مأمور عام و مساعدان فقط.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٧٣

و مما جاء فى التقرير عن الناحية الصحية ان الترتيب الذى كان جاريا يومذاك بحضور طبيب زائر ثلاث مرات فى الاسبوع لمدة ساعتين فى كل مرة كان شيئا غير واف بالمرام. فان العودة الى السماح بنقل الجنائز، و بدأ الناس بالتنقل من أجل الزيارة، و ما يترتب

على هذين الأمرين من ازدياد الفرصة لانتشار العدوى بالأمراض المختلفة، تجعل من الضروري وجود طبيب متفرغ للعمل على الدوام في الكاظمية.

هذا و هناك نقاط متفرقة أخرى يتطرق إليها هذا التقرير الشهري، منها أن زيارة صفر في كربلا قد حل أوانها في يوم ٢٢ من الشهر (ت ٢) فذهبت جموع غفيرة من أهالي الكاظمية الى هناك، و لم يعد عدد كبير منهم الى حد اليوم الذي كتب فيه التقرير. و منها ان توقيع الهدنة مع ألمانية، و نشر البيان الانكليزي الفرنسي، قد نبه الأذهان بين الناس الذين صارت السياسة العربية تستأثر بالكثير من تفكيرهم و اهتمامهم.

المس بيل في الكاظمية

لقد زارت المس بيل غير ترود بيل، سكرتيرة دار الاعتماد البريطاني في بغداد، الكاظمية عدة مرات فكتبت عن زيارتها هذه أشياء مهمة في رسائلها المعروفة. و أول رسالته من رسائلها التي تذكر فيها الكاظمية رسالتها المؤرخة في ٢١ أيلول ١٩١٧. فهي تقول: «خرجت بعد ظهر يوم من أيام هذا الاسبوع، فذهبت و الجنرال كوبي الى الكاظمية الكائنة على بعد ميلين او ثلاثة من بغداد، و هي بلدة شيعية فيها مسجد مقدس للغاية. و أتذكر الآن كيف أني، حينما كنت هنا موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٧٤ آخر مرة سنة ١٩٠٩، مرتت مرورا مسرعا بباب المسجد و أقيت نظرة جانبية خاطفة على ما في داخل الصحن. اما اليوم فقد كرمتنا السادة أصحاب العمائم و رافقونا عند دخولنا من الباب إلى حافة الصحن. و فيما عدا تمتعنا بامتياز لم يكن له مثل من قبل في دخولنا هذا، لم نجد شيئا كثير الأهمية لأن كل ما شاهدناه لم يكن الا أسوأ ما ينتجه العمل الحديث من أشياء بشعة سفسافة، قد تقفح فيها القاشاني الذي بنى قبل ثلاثين سنة عن الجدران.

و مع هذا فقد قوبلت بحفاوة في كل مكان لأنني لم أذهب الى أي مكان آخر منذ قدومي الى بغداد». و الملاحظ في هذا القول ان انطباع المس بيل السوء عن عمارة المشهد الكاظمي في هذه الرسالة يناقض ما كتبه عندما شاهدت المشهدين العلوي و الحسيني من قبل. فقد أعجبتها الألوان و الزخارف هناك فضلا عن الفن الاسلامي المتجلى في أجزاء العمارة جميعها، و لا يحفى ان ما يلاحظ في المشهد الكاظمي لا يختلف كثيرا عما يلاحظ في المشاهد المقدسة الأخرى. هذا و قد زارت المس بيل الكاظمية مرة أخرى في آذار ١٩٢٠، فكتبت عن تلك الزيارة في رسالتها المؤرخة في الرابع عشر من الشهر نفسه ما يدل على اهمية هذه المدينة المقدسة و رجال الدين فيها. فهي تقول:

«سررت لأن سفري الى البصرة لم يكن في هذا الاسبوع لأنني أصبت ببرد شديد. و أشعر كأن صدري قد أصبح قطعة صلبة واحدة. و لم يتحسن حالي حينما قصدت الكاظمية يوم أمس و عدت منها في وقت متأخر من النهار، و لكن الزيارة كانت لها فائدة جلى .. فمن المشاكل التي تواجهنا هنا صعوبة الاتصال بالشيعية، و لا أقصد بهؤلاء العشائر منهم لأننا على اتصال وثيق بهم كلهم، و انما أقصد سكان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٧٥

المدن المقدسة المتطرفين في التدين و على الأخص المجتهدين قادة الرأي العام الديني الذين يمكنهم ان يحلوا و يعقدوا بكلمة واحدة مستمدة من سلطة تستند على اتقانهم التام لضروب المعرفة القديمة التي لا تمت الى الشؤون الانسانية بصله مطلقا، و لا تكون ذات فائدة لأي فرع من فروع المسعى الانساني (كذا). و هم يجلسون هناك في جو مفعم بامارات القدم وفد تراكم فيه غبار القرون بطبقات كثيفة لا يستطيع المرء ان يتبين شيئا خلاله، و لا يستطيعون ذلك هم أيضا. و يكون هؤلاء في الأعم الأغلب شديدي العداة لنا، و مثل هذا الشعور تجاهنا لا يمكن تغييره لأننا يصعب علينا الاتصال بهم. ان كلامي هذا ينطبق بوجه خاص على المتطرفين منهم، فهناك عدد قليل من هؤلاء لنا علاقات ودية بهم. و قد كنت الى وقت متأخر جدا بعيدة جد البعد عنهم لأن تقاليدهم تمنعهم من النظر

الى امرأة غير متحجبة، كما تمنعني تقاليدى عن التلّفح بالحجاب- واعتقد اننى مصيبة فى ذلك لأن تحجى يعد اعترافا صريحا بالضعف التى تجعل اتصالنا فى غير نصابه منذ البداية.

وليس من المفيد كذلك ان نكوّن صداقات عن طريق النساء، لأن نساءهم اذا كان من المسموح لهن بقبول زيارتى فانهن يتحجن بحضورى أيضا كما لو كنت رجلا من الرجال. و على هذا ترون اننى أبدا أشد أنوثته تجاه جنس الرجال، و أشد رجولة تجاه الجنس الآخر.

الشيخ كاظم الدجيلي

و هناك مجموعة من هؤلاء الذوات فى الكاظمية، المدينة المقدسة الواقعة على بعد ثمانية أميال من بغداد، المتطرفة فى ايمانها بالوحدة الاسلامية و المتشددة فى مناوأة الانكليز. و فى مقدمة هؤلاء اسرة الصدر التى قد تكون أبرز أسرة عرفت بالتعليم الدينى فى العالم الشيعى كله. و قد وقعت سلسلة من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٧٦

الحوادث أدت بهم إلى محاولة الاتصال بى فأبدت لهم أنهم اذا كانوا يريدوننى ان أزورهم فسيسرنى التشرف بذلك .. و أخيرا ذهبت يوم أمس و فى صحبتى رجل شيعى متقدم من شيعه بغداد كنت أعرفه جيدا، و اعتقد انه حر التفكير فى الباطن. فسرنا فى أزقة الكاظمية المتعرجة الضيقة، حتى وقفنا أمام مدخل صغير مظلم، ثم قادنى صاحبى خلال خمسين ياردة من ممر طويل قاتم الظلمة أوصلنا الى بيت السيد فى النهاية. و كان البيت قديما، يرجع الى مئة سنة على الأقل فى أول عهده، تشاهد فيه المشابك الخشبية الجميلة التى تقادم عهدها و هى تحجب الديوان فى الطابق الأعلى. كما كانت الغرف كلها تفتح أبوابها من فناء الدار، الذى كان عبارة عن بركة من السكون و الهدوء معزولة عن الشارع بخمسين ياردة من المبانى السرية التى مررنا من تحتها عند الدخول.

و كان نجل السيد حسن. السيد محمد، يقف فى الشرفة للترحيب بنا و قد تسربل بلباس أسود. و بانى فى وجهه لحيه سوداء، تنتصب على رأسه من فوقها عمه نيلية قاتمة اللون من العمامة التى تعرف بها طبقة المجتهدين.

و كان السيد حسن و هو يجلس فى الداخل شخصية مهيبه قوية بلحيته البيضاء المتدلّية الى منتصف الصدر، و عمامته التى كانت تبدو أكبر من عمامة السيد محمد. و قد جلست على السجادة الى جنبه، و بعد أن تبادلنا التحايا الرسمية بدأ يتكلم بلهجة العلماء، أو لغة الكتب التى لا يسمعها المرء على لسان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٧٧

سائر الناس. و عند المجتهدين أشياء كثيرة يقولونها فى العادة، فان الكلام جزء من صنعهم، و لا شك ان ذلك يوفر على الزائر شيئا كثيرا من العناء.

فتكلمنا عن أسرة الصدر بجميع فروعها، فى ايران و سورية و العراق، و عن الكتب و مجموعاتها العربية فى القاهرة و لندن و باريس و روما. انه يملك قوائم الكتب فى المكتبات جميعها. و تطرقنا بعد ذلك الى طقس سامراء الذى شرح لى بأنه أحسن من طقس بغداد بكثير لأن سامراء تقع فى المنطقه المناخية الثالثة فى عرف الجغرافيين. و كان يتحدث بعنف و قوة بحيث كانت عمامته ترحف نازلة إلى الأمام باستمرار حتى تصل إلى حاجبيه، الأمر الذى كان يضطره الى دفعها الى وراء بعصية. و قد كان يخالجنى، و أنا فى موقفى هذا، شعور جاد بأنه لم يتسن لامرأة غيرى من قبل مطلقا ان تدعى لتناول القهوة مع عالم مجتهد و تستمع الى حديثه، و كنت حريصة فى الحقيقة على ان أترك انطبعا حسنا عنده.

و لذلك قلت له بعد ثلاثة أرباع الساعة بأننى أخشى أن أكون قد أزعجتته، و طلبت منه ان يأذن لى بالخروج فرد على يقول فى الحال «كلا- كلا- لقد خصصنا بعد ظهر اليوم هذا لك». و عند ذاك تأكدت بأن زيارتى كانت ناجحة فمكثت ساعة أخرى. لكننى استخدمت الساعة الأخرى هذه بمقدار أكبر من الاطمئنان و الثقة. فقلت له أريد أن أحدثكم عن سوريه، و نقلت له جميع ما كنت

أعرف عنها أى الى آخر برقية تلقيناها عن قرب تتويج فيصل ملكا عليها. فاستفسر منى باهتمام مفاجيء قائلا:

«على سورية كلها الى حد البحر؟» فأجبت قائلة «كلا فان الفرنسيين سيقون فى بيروت»، و هنا رد على يقول «ان هذا شىء غير حسن إذن» ثم أخذنا نبحت فى الأمر من جميع نواحيه. و انتقلنا بعد ذلك إلى التحدث عن البولشفية، فاتفق معى على أنها بنت الفقر و الجوع ثم قال «لكن العالم كله أصبح فقيرا جائعا منذ وقوع الحرب». و قد قلت على أثر ذلك بأننى يبدو لى ان البولشفية تنطوى فكرتها على تهديم كل شىء و بناء أشياء جديدة فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٧٨

مكانه، و أخشى ان يكون البولشفيك جاهلين بفن البناء. فأيدنى فى قولى هذا.

و حينما تملمت مبدية الرغبة فى انهاء الزيارة بدرنى السيد يقول «من المعلوم جيدا أنك أعلم امرأة فى زمانك، و اذا كان هذا القول يحتاج الى دليل فهو أنك ترغبين فى التردد على العلماء و أنديتهم. و هذا هو سبب مجيئك عندنا اليوم.» فأبدت شكرى الجزيل على هذا الامتياز، و خرجت مودعة بسيل من الدعوات بالعودة فى أى وقت أشاء .. و فى طريقى الى البيت ذهبت لأعود فرانك بلفور الذى كان قد لزم الفراش لحمى أصابته، فسمعت منه خبر تتويج فيصل ملكا على سورية و عبد الله ملكا على العراق .. و قد كتبت المس بيل فى رساله أخرى، مؤرخه بتاريخ ٢٣ أيار ١٩٢٠، ما شاهدته فى الكاظمية حينما ذهبت اليها بمناسبة وصول أحمد شاه، آخر ملوك القاجار فى ايران، لزيارة الامامين الكاظمين عليهما السلام. فهى تقول :

«و فى صباح اليوم الثانى ركبت مع فرانك بلفور و الميجر هاى الى الكاظمية لمشاهدة الشاه الذى جاء للزيارة فيها .. و حينما وصلنا الى هناك نظرت إلى ما فى داخل الصحن الشريف من خلال باب الجامع الكبير فوجدت فى فناء الصحن الذى لا يسمح لنا بالدخول اليه أنه كان ممتلئا بصفوف خدام المشهد الكاظمى الذين كانوا يلبسون العمام الخضر، و جماعات العلماء ذوى العمام البيض و السود و الأردية الطويلة. فكان المنظر يبدو و كأنه صورة من الصور الدينية التى ينتجها (جتايل بلينى) و قد جاء الشاه بزورق بخارى، و لذلك ركبنا قبل ان يصل الى ضفة النهر حيث ألفينا السيد جعفر عتيقة رئيس البلدية (الذى كان والدى قد شرب الشاي عنده فى مناسبة سابقة) و اثنين من الوجهاء فى انتظاره. فانتظرنا هناك فى ظل النخيل، مقابل بلدة الأعظمية. و كان النهر ينساب مستائيا بلونيه الأزرق و الفضى،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٧٩

و الهواء كأنه عسجد مذاب، و بساتين الأعظمية و دورها تلتمع و تتلألأ فى الضفة المقابلة من حول منارة المرقد السننى المرتفعة الى السماء. فكان ذلك منظرا مبهجا ما أليقه للزيارة الملكية» ..

اما الرسالة الأخرى التى كتبتها المس بيل عن الكاظمية فكانت بتاريخ ٤ كانون الأول ١٩٢٠، و قد ذكرت فيها زيارتها للأميرة الإيرانية (بانو عظمى) ابنة ناصر الدين شاه. فهى تقول فيها:

«ركبت بعد ظهر أمس الى الكاظمية لأزور أميرة إيرانية متقدمة فى السن تلقب (بانو عظمى)، و هى ابنة ناصر الدين شاه .. فقد جاءت الى الكاظمية لاداء الزيارة و استأجرت دارا صغيرة تنزل فيها. و هناك وجدتها فى غرفة صغيرة تطل على صحن الدار، و قد فرشت بالسجاد و علق فى الستائر لتدفئتها. و أكمل أثارها ب «منقلة» فحم فى الوسط و قفص فيه ببغاء.

و كانت الأميرة ممتددة على حشيه مفروشة على الأرض، و متكئة على عدد من الوسائد، كما كانت تغطى بلحاف سميك. و كان ما يمكن رؤيته من جسمها متشحا بالسواد الى حد الحاجبين من فوق و الذقن من أسفل الوجه.

و جل ما بقى غير مغطى منها يدان طليقتان و وجه دقيق القسمات تزينه عينان وسيعتان تحداقان من وراء النظارات. و قد كانت هذه الأميرة جميلة جدا فى يوم من الأيام على ما يبدو، و لا غرو فان نساء القاجار يشتهرن بجمالهن. و كانت و هى ممتددة بحالتها تلك تتكلم بلهجة فارسية شيقة، سريعة عذبة و خافته كأنها خيال الصوت المسحور. ان أولائى الأميرات القاجاريات اللواتى يأتين الى هنا

بين حين و آخر، للزيارة في الغالب، جذابات الى آخر حد، انهن سيدات عظيمات، لكنني أحببت بانو عظمى من دونهن».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٨٠

و آخر رسالة تذكر فيها المس بيل الكاظمية هي رسالتها (١) المؤرخة في ١٣ شباط ١٩٢٤. فقد ذكرت فيها جولتها حول الكاظمية للتفتيش عز منزل قيل لها ان صاحبه كان يحبب في تمثالا أثريا من التماثيل الآشورية، فاهتدت بعد تجوال غير يسير الى دار خربة كانت تعود الى اقبال الدولة.

و كان التمثال شبيها بتمثال سميراميس الذي كان قد اكتشف في مدينة آشور الأثرية من قبل، غير أنه كان قد جيء به من بابل على ما ترامى اليها. فنقلته الى المتحف على ما يفهم من الرسالة.

الحركة الوطنية في الكاظمية

لم تكن الكاظمية أقل اندفاعا في مكافحة الأجنبي المحتل، و تنمية الحركة الوطنية المناضلة في البلاد، من شقيقاتها العتبات المقدسة الأخرى في العراق. فقد بدأت بذلك منذ ان تطوع علماءها الأعلام، و شبانها المتحمسون، للجهاد ضد الانكليز عند أول نزولهم الى البر في البصرة كما مر ذكره في بحث سابق. و حينما تم احتلال بغداد و أعقب فترته حدوث تطورات خطيرة في أحوال العراق و السياسة العالمية، و بعد ان انتهت الحرب ما بين الدولة العثمانية و بريطانيا العظمى و أعلنت الهدنة بينهما في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨، بادر الانكليز في ٨ تشرين الثاني الى اعلان التصريح الانكليزي الفرنسي الذي وعدت فيه الدولتان بتشكيل «حكومات و إدارات وطنية حرة تنتخب وفق رغائب الأمة و تستمد سلطتها منها» للأقوام و البلاد المنسلخة عن الدولة العثمانية و حكمها المنهار. ثم سمحت السلطات المحتلة في يوم ١١ تشرين الأول ١٩١٩ بأن تنشر في العراق بنود الرئيس ويلسن الأربع عشرة، التي كانت الدول التابعة للفريقين المتحاربين قد اتفقت على اتخاذها أساسا لعقد الصلح فيما بينها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٨١

و قد كان يبدو من ذلك ان السلطات البريطانية كانت عازمة على ان تعود بالبلاد الى حالة السلم، بعد الحرب الطاحنة التي كلفت الفريقين خسائر فادحة، فدعا الجنرال مارشال القائد العام لقوات الاحتلال البريطاني في العراق (الذي تعين بعد الجنرال مود) على أثر اعلان الهدنة و جهاء بغداد بغداد و رجالها البارزين، فألقى فيهم خطابا أشار فيه إلى بيان سلفه الجنرال مود الذي ذكر فيه ان الانكليز جاءوا «محررين لا- فاتحين». و أعلن رفع القيود التي كانت قد اقتضتها ظروف الحرب، و من جملة اباحة نقل أجنائز من مختلف الجهات و دفنها في العتبات بشروط مناسبة على حد قول ارنولد ويلسن في كتابه المشار اليه قبلا.

و كان من الطبيعي ان تؤدي هذه الوعود و التطورات التي حصلت في البلاد إلى تنبه أذهان الناس و أفكارهم، و لا سيما في بغداد و الكاظمية، و حصول نشاط سياسي فعال في الأوساط السياسية المختلفة. و لذلك راح المعنيون بالأمر، بعد ان خضعت البلاد إلى دولة جديدة غير مسلمة، يعملون على التكتل و التنظيم من أجل المطالبة بتشكيل حكم وطني في البلاد. و كان لحركة الشريف حسين و ثورته العربية التي أعلنها مع أنجاله في الحجاز سنة ١٩١٦ تأثير غير يسير على تهيئة الأفكار في هذا الشأن، و دفع الشباب الوطني الى العمل المثمر.

و في غمرة هذه التطورات و الأحداث صدرت أوامر الحكومة البريطانية في لندن بأن يقوم و كيل الحاكم الملكي العام (ويلسن) في بغداد باستمراج رأى العراقيين في نوع الحكم الذي يريدونه، باجراء استفتاء عام تعرض فيه النقاط التالية:

١- هل يفضل أهالي العراق تأسيس دولة عربية واحدة تستهدى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٨٢

يارشادات بريطانية العظمى، و تمتد حدودها من حدود ولاية الموصل الشمالية الى الخليج؟

٢- وفي هذه الحالة، هل يرون ان الدولة الجديدة يجب ان يكون على رأسها أمير عربي؟

٣- من هو الذى يفضلون نصبه رئيسا للدولة؟

ولما كان رجال الاحتلال البريطانى فى تلك الأيام، و على رأسهم ارنولد ويلسن، غير مؤمنين بوجوب تشكيل أى نوع من أنواع الحكم الوطنى فى العراق فقد اتخذوا التدابير اللازمة لاستحصال نتائج من الناس تتفق و ما يريدون، و أصدروا الأوامر اللازمة للحكام السياسيين و معاونيهم بالتأثير على الناس بمختلف الوسائل و تزييف المضابط المقدمة أو تحريفها عند الحاجة. لكن هذه الأساليب لم تنطل على الوطنيين و رجال الدين فى العتبات المقدسة التى أخذت دورا قياديا فعالا فى هذا الشأن. فنظمت المقاومة فيها، و أصدرت الفتاوى و من جملتها فتوى الإمام الشيرازى التى ندرجها فيما يأتى:

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس لأحد من المسلمين ان ينتخب او يختار غير المسلم للامارة و السلطنة على المسلمين. الأحرار

٢٠ ربيع الثانى ١٣٣٧ محمد تقى الحائرى الشيرازى

و قد كان لهذا الموقف تأثيره على سير الاستفتاء، و تعقد الأمور فى الكاظمين و كربلا على الأخص بحيث اضطرت السلطات الى استعمال أساليب القمع و الاكراه. و تقول المس بيل فى تقريرها المسهب (الص ١٢٣ من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٨٣

الترجمة العربية عن العراق فى فترة الحرب «.. ان المجتهدين فى الكاظمية و كربلا حرموا على المسلمين التصويت لغير تشكيل حكومة إسلامية، فبلغ الاختلاف حدا أوقف سير الاستفتاء. و قدمت بعد ذلك عدة عرائض يفضل فيها الموقعون عليها بقاء الادارة البريطانية، و كان بين الموقعين عليها شيوخ و رجال ذوو مكانة فى البلد..» و لا شك أنها تعنى بالعرائض الأخيرة التى استحصلت بالاكراه أو التى وقع عليها الممالئون للسلطة المحتلة.

و فى مذكرة سرية خاصة، كتبت فى شباط ١٩١٩، بعنوان الحكم الذاتى فى العراق تعزو المس غير تروى بيل الحركة المناوئة ضد الاستفتاء الذى كان يريد الانكليز الى «.. أن العرب الذين كانوا منخرطين فى سلك الخدمتين التركيتين المدنية و العسكرية، و الذين كانوا قد رحلوا مع الأتراك بعد الاحتلال، و أعضاء جمعية الاتحاد و الترقى الفعالين، و غيرهم ممن لم يجازفوا بالبقاء فى بغداد بسبب نزعتهم التركيه المعروفة- عادوا و كلهم من الموصل فى أوائل تشرين الثانى و أخذوا لتوهم يبثون الدعاية المناوئة للبريطانيين. و يبدو ان نفوذهم المباشر كان منحصرا فى بغداد و الكاظمية..»

و تشير فى مكان آخر من هذه المذكرة الى ان المقاومة فى الكاظمية كانت عنيفة، فتقول: «.. و قد وصلت قصص مبالغ فيها عما كان يجرى فى النجف و كربلا الى أهالى الكاظمية المدينة الشيعية المقدسة الثالثة حيث كان الشعور الوطنى آخذا فى الطغيان. و هناك أدلة تثبت ان الكاظمية كان يشتغل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٨٤

فيها و كلاء من استانبول بعد أن وجدوا فيها مادة تناسب أغراضهم. و لذلك فعندما طلب الى بلدة الكاظمية ان تعطى رأيا حول النقاط الثلاث التى مر ذكرها هدد العلماء أى شخص يصوت للاحتلال البريطانى بالمروق عن الدين و الطرد من الجوامع. و بالرغم من التحريم الوشيك صمد عدد من المواطنين البارزين و الشيوخ المحليين، و لم تكن شجاعتهم تلك شيئا هينا.

و قد أخذت المضبطة المناوئة للبريطانيين الى الجامع الأكبر فى الليل فكسب لها عدد من المحججين عنها، لكن الفصاحة و البيان المتناهى لم يغيرا من رأى رئيس البلدية (السيد جعفر عتيقة)، الذى يعد أبرز تجار البلدة فى الوقت نفسه، و اشتغاله فى تهئية مضبطة مقابلة فى صالح الحكم البريطانى.

فقد استحصل لها توافيق التجار الآخرين و معظم الشيوخ المحليين و رعايا الهند البريطانيين. و ينتمى الأخيرون الى أسر كانت تقيم فى

الكاظمية منذ مدة طويلة و تتمتع بسمعة طيبة. و اذا ما اعتبر هؤلاء من الأجنب بالنسبة لوجهة النظر العراقية فان العلماء الايرانيين الذين أصدروا الفتوى لا يمكن ان يتملصوا من نقد كهذا أيضا « (انتهى). و نترك التعليق على مثل هذا المنطق الى رأى القارىء و حصافته. على اننا لا بد من أن ندرج فيما يأتى نص المضبطة الوطنية التى قدمها الكاظميون، و هى تدل على وطنيتهم و جهادهم الحق من اجل استقلال هذه البلاد و حصولها على حقوقها المشروعة:

السيد جعفر عتيقة فى الوسط

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

بناء على الحرية التى منحتنا إياها الدول العظمى، و فى مقدمتها الدولتان الفخيمتان انكلترة و فرنسة، و حيث اننا ممثلو جمهور كبير من الأمة العربية العراقية المسلمة فاننا نطلب ان تكون للعراق الممتدة أراضيه من شمال الموصل الى الخليج حكومة عربية إسلامية يرأسها ملك عربى مسلم هو أحد أنجال الملك حسين، على ان يكون مقيدا بمجلس تشريعى وطنى، و الله ولى التوفيق.

حرر يوم الاربعاء ٥ ربيع الثانى ١٣٣٧ التوقيع: محمد مهدى

الصدر، الشيخ ابراهيم السلماسى، الشيخ مهدى الخالصى، عبد الحسين آل الشيخ ياسين، أحمد آل السيد حيدر، السيد حسن الصدر، و توقيع كثيرة أخرى بحيث يكون المجموع ١٤٣ توقيعاً. (مضبطة الكاظمية رقم ٨ «الكاظمية»).

و يؤيد ما جاء عن هذا الموقف الوطنى الذى وقفته الكاظمية الكاتب الأمريكى فيليب آيرلاند فى كتابه المعروف عن العراق باسم (العراق- دراسه فى تطوره السياسى). فهو يقول: «.. على ان سير الاستفتاء فى المناطق الأخرى، و لا سيما فى المدن المقدسة مثل الكاظمية و النجف و كربلاء و فى بغداد لم يكن سهلاً و لم تكن نتائجه مرضية كما يجب .. و كان الشعور المعادى لبريطانية فى الكاظمية شعوراً قويا جدا. فقد هدد العلماء جميع من يصوت للاحتلال البريطانى بالمروق عن الدين و الطرد من الجوامع، غير أنه أمكن ايجاد جماعة من السكان استطاعت تنظيم مضبطة أجل فيها النظر بأمر الحماية الى ما بعد مؤتمر الصلح (انتهى).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٨٦

و لا يخفى ان المعارضة التى أبداها الوطنيون ضد الاستفتاء المزيف الذى كان يريده الانكليز قد عملت على تقوية الروح الوطنية بين الناس و توعيتهم فى شؤون البلاد و مستقبلها. و قوى شأن هذه المعارضة بالتدريج، و على الأخص بعد ان أذيع قبول بريطانيا الانتداب على العراق فى ٣ مايس.

(فقد أثار ذلك فى الوطنيين نشاطا جديدا)، و عملوا على تكوين جبهة متحدة من الطائفتين المسلمتين الشيعية و السنية، و بانت نذر هذا التقارب لأول مرة فى صيف ١٩١٩ عندما حضر السنة فى بغداد اجتماعين دينيين لتأيين المجتهد السيد كاظم اليزدى. لكن الأهمية السياسية لهذا التقارب لم تظهر بصورة جلية الا فى شهر رمضان الذى بدأ فى ١٩ مايس ١٩٢٠. حيث أخذت حفلات المولد تقام فى الجوامع الشيعية و السنية بالتناوب .. و كانت فى بعض الاحيان تعقب قراءة المولد، التى هى من المراسيم السنية البحتة قراءة «التعزية» التى هى من المراسيم الشيعية التى تقرأ فى تأيين الحسين و تقديس استشهاده.

لكن الطابع البارز على هذه الحفلات الدينية كان فى جميع الحالات القاء الخطب السياسية و انشاد الشعر الوطنى متلوا بالمراسيم الدينية المعتادة .. و لا شك ان الكاظمية كان لها القدح المعلى فى ذلك، حيث ان عددا من هذه الاجتماعات و حفلات المولد التى تشير اليها المس بيل قد عقد فى المشهد الكاظمى، كما ان قادة الحركة الوطنية هذه كان فى مقدمتهم السيد محمد الصدر الكاظمى مولدا و نشأة. و تشهد بذلك المس بيل كذلك، حيث تقول «.. و كان قادة الحركة و منظمو حفلات المولد رجالا تختلف منزلتهم الاجتماعية و قابلياتهم، و كان أكفأهم و أبرزهم قدرة رجلا شيعيان هما السيد محمد الصدر المنسوب إلى اسرة دينية معروفة فى

الكاظمية، و جعفر ابو التمن و هو تاجر من تجار الشيعة في بغداد. كما كان من أبرز السنة في هذا الشأن يوسف افندى السويدي و الشيخ أحمد الداود و علي افندى البزركان».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٨٧

و حينما أراد الوطنيون اتخاذ تدابير فعالة للحصول على استقلال البلاد و حقوقها المشروعة في تأليف حكومة وطنية» ... تألفت لجنة من خمسة عشر عضواً، انتخبوا أنفسهم بأنفسهم و تسموا باسم المندوبين عن بغداد و الكاظمية من أجل مقاومة الانتداب، و طلبوا مواجهة الحاكم الملكي العام ليعرضوا عليه آراءهم «. على ما تقول المس بيل . لكن الحقيقة ان الذي انتخب اللجنة المشار إليها هو الجمهور الذي احتشد في الاجتماع الشعبي المنعقد في جامع الحيدر خانة، و لم ينتخب أعضاؤها أنفسهم كما تزعم سكرتيرة دار الاعتماد البريطاني. و كان من بين هؤلاء اثنان من الكاظمية هما محمد الصدر و السيد أبو القاسم. و قد دفع هؤلاء المندوبون مذكرة خاصة يطالبون فيها: (١) بتأليف مؤتمر يمثل العراقيين و يقرر مصير البلاد و (٢) بمنح الحرية في الكتابة و الخطابة (٣) برفع القيود المفروضة على وسائل الاتصال بالخارج. و جاء فيها ايضا قول «.. فبصفتنا نوابا عن أهالي بغداد و الكاظمية نطلب إليكم ان تصادقوا حالا على تنفيذ هذه المطالب الثلاثة بكل سرعة ممكنة..»

الكاظمية و الثورة العراقية

و هكذا يلاحظ مما مرّ ان الكاظمية قد اشتركت بعلمائها و رجالها، و الرأي العام فيها، اشتراكا فعليا في إشعال نار الثورة و التمهيد لها. و يقول المستر آيرلاند في كتابه الذي مرت الأشارة اليه من قبل في هذا الشأن «.. و بينا كان هياج بغداد يتعاظم كان علماء الشيعة في المدن المقدسة يضاعفون جهودهم في إثارة القبائل و مراكز الألوية. فنشرت المناشير الطويلة و الرسائل و الوثائق التي كان يحمل قسم منها توقيع المجتهد الأكبر الميرزا محمد تقي.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٨٨

و كانت هذه تناشد المؤمنين الصادقين الدفاع عن بيضة الإسلام ضد الكفار و تستحثهم على إرسال المندوبين الى بغداد لتشكيل حكومة إسلامية. و وقع عدد من الشيوخ على ميثاق يجمع القبائل فيه على الثورة في وقت واحد» و إظهارا للدور الذي قامت به الكاظمية في هذا الشأن نورد فيما يأتي نص الكتاب الذي وجهه قائد الثورة الأكبر حجة الإسلام المرزا محمد تقي:

الى اخواننا العراقيين

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته. اما بعد فان إخوانكم في بغداد و الكاظمية و النجف و كربلا قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع و القيام بمظاهرات سلمية. و قد قامت جماعة كبيرة بتلك المظاهرات مع المحافظة على الأمن طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق ان شاء الله بحكومة اسلامية، و ذلك بأن يرسل كل قطر و ناحية الى عاصمة العراق و فدا للمطالبة بحقه متفقا مع الذين سيتوجهون من أنحاء العراق عن قريب الى بغداد. فالواجب عليكم بل على جميع المسلمين الاتفاق مع إخوانكم على هذا المبدأ الشريف، و اياكم و الإخلال بالأمن و التخالف؟ و التشاجر، فان ذلك مضر بمقاصدكم و مضيع لحقوقكم التي صار الآن أوان حصولها بأيديكم. و أوصيكم بالمحافظة على جميع الملل و النحل التي في بلادنا في نفوسهم و أموالهم و أعراضهم، و لا تنالوا أحدا منهم بسوء. و فقتنا الله جميعا لما يرضيه، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

٩- ١٠ رمضان ١٣٣٨ الأحرر محمد تقي الحائري الشيرازي

هذا و قد لاحظنا في بعض المراجع العربية التي دونت أخبار الثورة العراقية ان الكاظمية لعبت دورا فعالا قبل الثورة و بعدها، و ان الذي نشط

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٨٩

لهذا العمل فيها على الأخص الشيخ مهدي الخالصي و السيد أبي القاسم الكاشاني، بعد ان توجه السيد الصدر الى جهات الثورة الأخرى. و يعتقد الشيخ فريق المزهري الفرعون مؤلف (الحقائق الناصعة) ان أول حركة من الحركات الثورية التي وقعت في منطقة بغداد كانت في الكاظمية و ليس في بغداد نفسها، و قد تم ذلك على يد آية الله السيد الكاشاني الذي كان مقيما في الكاظمية. فهو يقول:

«لقد عمل الكاشاني في مدينة الكاظمية من وقت بعيد قبل ان تصبغ بغداد بلون الثورة ضد السلطة البريطانية المحتلة، فقد كان يطبع المنشورات في الكاظمية و توزع سرا بتوقيع (الجمعية الإسلامية العربية) فأقض مضجع السلطة العسكرية المحتلة بذلك، فبثت العيون و الجواسيس لمعرفة أعضاء الجمعية فعاد كل هؤلاء بخفي حنين .. و الكاشاني هذا و هو الذي قام بأعمال جبارة خلال الثورة و قبلها .. لم يكن الا غصنا من شجرة الافتاء في النجف الأشرف، و فذا من الأفاضل الذين جمعهم رابطة الجهاد من العلماء و الزعماء في الفرات الأوسط من أجل الحصول على الاستقلال قبل ان تتوارد فكرة الثورة في رؤوس سكان بغداد، و عندما وجدت القيادة الروحية عنده الاخلاص و قوة التفكير و سداد الرأي وجه الى الكاظمية ليث الدعوة للثورة هناك» (انتهى).

و الظاهر ان المغفور له الشيخ مهدي الخالصي كان قد انتقل الى كربلا خلال المدة التي كان الكاشاني يشتغل في الكاظمية من أجل الثورة فيها، فنقل العبء على الكاشاني و سبر له وفدا من مواكب العزاء يرجوه فيه العودة للعمل على قيادة الثورة في منطقته بغداد فتم له ذلك. و المعروف ان السيد الكاشاني قد ظل يكافح الانكليز و يعمل على إحباط خططهم حتى اضطر إلى الهجرة من العراق الى ايران مع عدد آخر من العلماء احتجاجا على تسفير الشيخ مهدي الخالصي الى الخارج في سنة ١٩٢٣، بعد ان أصره

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٩٠

على معارضة عملية الانتخاب للمجلس التأسيسي. و ظل يعمل على مناوئة الانكليز في ايران كذلك حتى اشهر أمره على عهد مصدق في الغاء امتياز شركة النفط الانكليزية الايرانية.

الكاظمية و فيصل الأول

كانت الثورة العراقية قد أحدثت التأثير المطلوب لدى الرأي العام البريطاني فاضطرت الجهات المختصة في بريطانيا الى التعجيل بتشكيل نوع من أنواع الحكم الوطني في العراق تضمن فيه مصالحها، و تنفذ بواسطته شروط الانتداب الذي ألقى على عاتق بريطانيا العظمى في عصبة الأمم الأمم. فتقرر في اجتماع عقد في القاهرة برأسه المستر تشرشل السماح للأمير فيصل الذي قوضت فرنسة عرشه في سورية، بأن يرشح نفسه لعرش العراق.

فتوجه فيصل الى العراق و وصل البصرة في ٢٣ حزيران ١٩٢١، و بعد اسابيع ثلاثة نادى به مجلس وزراء الحكومة الموقتة المنعقد برأسه السيد عبد الرحمن النقيب ملكا على العراق بالاجماع. و حينما وصل إلى بغداد استقبل استقبالاً حافلاً، برغم الفتور الذي لاحظته عند مروره بمحطات القطار ما بين البصرة و بغداد. و احتفت به الكاظمية عندما زارها في اليوم الثاني.

و يقول المستر آيرلاند في هذا الشأن: «.. غير ان الحماسة في الترحيب كانت معيدة للاطمئنان في العاصمة حيث حياه عند وصوله المندوب السامي و موظفوه مع جمهور كبير هائل من وجهاء العراقيين و سراهم، و كانت الجماهير المحتشدة الهاتفة التي غصت بها العاصمة المزدانة بالألوان الشريفة الأخضر و الأحمر و الأسود و الأبيض، تقدم دليلا إضافيا بأن المدينة تقبل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٩١

به. كما ان الاحتفاء العظيم الذي قابلته به الكاظمية، عندما ذهب اليها في اليوم التالي لتأدية الصلاة في الجامع المقدس وفقا لتعاليم المذهب الشيعي، كان احتفاء شائقا لا يقل عما حدث في بغداد نفسها» (انتهى).

و حينما جرت عملية الاستفتاء العام في البلاد حول قبولها بتنصيب فيصل على العراق و قفت الكاظمية موقفا وطنيا اشترطت فيه، على

لسان مجتهدها وزعيمها الأكبر الشيخ مهدي الخالصي، تحرر العراق من الحكم الأجنبي عند التنصيب بخلاف ما كان يريده الانكليز بطبيعة الحال. و يقول المستر آيرلاند في هذا الخصوص: «... ومع ذلك فان الحكومة لم تستطع السير في طريقها تماما. فان المضبطة الرسمية لم تلق قبولا عند الشيعة في منطقة بغداد، فقد كتب الشيخ مهدي الخالصي أحد علماء الشيعة الكبار المضبطة بصيغة تنطوي على اصرار شديد على التحرر من الحكم الأجنبي، و تشكل حزب خاص ليشير الناس من اجل ذلك. و في اجتماع عام عقد ببغداد في ٢٨ تموز، للتصديق على المضبطة الرسمية ظاهريا، قدمت مضبطة محوَّرة فصدوق عليها من دون صوت مخالف. و عرض هذا الشكل المحور منها على مصوتى بغداد في ٢٩ تموز فكانت النتيجة أن سته و ستين ممثلا من مجموع ممثلى بغداد البالغ عددهم الثمانين جعلوا قبول ملوكية فيصل منوطا بنقطين هما: ان يكون العراق مستقلا عن السيادة الأجنبية، و ان يجتمع المجلس التأسيسي خلال ثلاثة أشهر» (انتهى).

المعارضة في الكاظمية

و حينما سار الحكم الوطني سيرا لا يكفل الشرط الذي اشترطته الكاظمية على لسان زعيمها الخالصي، و أصبح خاضعا للسيادة الأجنبية منذ البداية رفعت الكاظمية لواء المعارضة و تمادت في موقفها المناوئ للتسلط الأجنبي،
موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٩٢

المدافع عن القضايا الوطنية بوجه عام، مدة طويلة من الزمن خلال حكم الملك فيصل الأول. فقد اقتضى بتربع فيصل على دست الحكم في بغداد ان تنظم علاقة العراق ببريطانية عن طريق معاهدة تعقد بين الطرفين و أرادت بريطانيا ان تضمن هذه المعاهدة جميع النقاط الواردة في صك الانتداب علاوة على نقاط الاستغلال الأخرى. غير ان الوطنيين في البلاد، و الكاظميون في مقدمتهم، كانوا يعارضون هذا طبيعة الحال، و يأبون ان يكبل العراق بقيود جائرة عند أول تشكيل الحكم الوطني فيه. و كان الملك فيصل يؤيد من طرف خفي موقف الوطنيين في هذه المعارضة، و يتصل سرا بهم.

و قد حدث في تلك الظروف ان تفاقمت غارات الوهابيين على الحدود العراقية خلال شهر مارث ١٩٢٢ و انتشر الرعب و الفرع بين طبقات السكان في الألوية الوسطى و الجنوبية من العراق. فعقدت إجتماعات في النجف تقرر فيها ان يطالب العلامة الخالصي في الكاظمية بعقد مؤتمر عراقي عام في كربلا يدعى اليه نخبة من وجوه الناس و شيوخ العشائر العراقية كافة في يومى ١٢ و ١٣ نيسان ١٩٢٢. فتم ذلك، و استغل زعماء الحركة الوطنية هذا الاجتماع فعمدوا الى المذاكرة في توحيد الجهود من أجل العمل على استحصال الحقوق المشروعة للبلاد و عدم تصديق المعاهدة بالشكل الذى يريده الانكليز. و قد كان من المعروف لدى الساسة المطلعين ان الملك فيصلا يشجع تلك الحركة و يعمل على تقويتها. إذ يقول المستر آيرلاند :

«... و لم يكن احجام الملك البين، و وزرائه، عن تصديق المعاهدة على علاقتها خاليا من التأثير الذى كان يحدثه الشعور المتزايد المناوئ للانتداب، الذى كان يغذيه الوطنيون بحذق و مهارة، و يميل الملك لتأييدهم فيه دعما لموقفه.

و قد رحب الجميع بعقد الاجتماع الكبير الذى اجتمع فيه الوطنيون السنة و الشيعة من جميع أنحاء العراق في كربلا بتاريخ ١٢ و ١٣ نيسان ١٩٢٢،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٩٣

بعد ان دعا الى عقده الشيخ مهدي الخالصي و الغرض الظاهري منه النظر في اتخاذ التدابير الدفاعية اللازمة لصد الوهابيين «...». و جريا على الخطأ التى رسمت بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر شنت حملة واسعة النطاق فى الجرائد و غيرها ضد المعاهدة، و فى هذه الأثناء صرح المستر تشرشل (٢٣ مايس ١٩٢٢) فى مجلس العموم البريطانى ان الملك و الحكومة العراقية لم يرفضا الانتداب فاضاف تصريحه خطبا جديدا الى اللهيب المندلع. و لذلك يقول آيرلاند «... ففى اجتماع عقد فى الكاظمية وضع منهج جديد لعقد اجتماعات

أخرى فى الجوامع و تقديم العرائض و البرقيات الى الحكومة البريطانية و جميع الحكومات الأجنبية الأخرى. و قد أجريت الترتيبات لعقد اجتماع كبير فى جامع الحيدر خانة و صدر عدد خاص من جريدة الاستقلال لحث الناس على الحضور فيه. الا أن إجراء عاجلا اتخذته الملك فيصل حال دون وقوع الاضطرابات فى الجامع. لكن لجنة خاصة انتخبت لتتصل بالملك فتقدم له احتجاجها على تصريح المستر تشرشل.

و كتبت برقيات احتجاج الى الدول الأجنبية بلغت كلفتها (١٥٠٠) رويية او (١١٥) باونا، و لكن ابراقها منع من المندوب السامى. «
و قد أدت هذه المعارضة، التى كانت الكاظمية نشطة فيها، و تأييد الملك فيصل لها، الى استقالة وزارة النقيب، و شاع فى الأندية و المحافل أن الملك سيكلف الوطنيين بتأليف وزارة يرأسها السيد محمد الصدر. ثم أصدر الصدر من مقره فى الكاظمية منشورا الى الشعب يشير فيه على الناس بأن يثابروا على المطالبة بالاستقلال التام، و رفض الانتداب البريطانى بجميع الوسائل المشروعة .. و فكر الحزبان السياسيان الوطنيان، الحزب الوطنى و حزب النهضة، بأن الفرصة قد حانت لهما ليرميا بثقلهما فى الاحتجاج ضد الانتداب. و فى جلسه مشتركة عقدت فى ٢٠ و ٢١ آب برأسه السيد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٩٤

محمد الصدر نظم الحزبان احتجاجا قدم للملك.»

و كان أهم ما تضمنه هذا الاحتجاج فى نظر المستر آيرلاند: اولاً:

الكف عن اتباع السياسة المتبعة يومذاك و عدم تدخل الانكليز فى الشؤون الادارية للبلاد ثانياً: تأليف وزارة من الأكفاء المخلصين الذين تظمن اليهم البلاد ثالثاً: عدم عقد أية معاهدة أو اجراء أية مفاوضات قبل تأليف المجلس التأسيسى.
غير ان الأزمه قد انحلت بعد اصطدام الملك بالمندوب السامى و تراجع عن الاتصال بالوطنيين و تشجيعهم، و لا سيما بعد ان دبرت مظاهرة سلمية يوم عيد التتويج (٢٣ آب) أهين فيها المندوب السامى حينما صادف مروره من بين المتظاهرين لهتهئه الملك. فألف النقيب وزارة جديدة فى أثر ذلك.

معارضة الكاظمية للمجلس التأسيسى

كانت المضبطة التى نظمها الشيخ مهدي الخالصى فى الكاظمية بتأييد انتخاب فيصل للملكية فى العراق قد اشترطت: (١) ان يكون العراق مستقلا عن السيادة الأجنبية. و (٢) ان يجتمع المجلس التأسيسى فى البلاد خلال ثلاثة أشهر. غير أن تنفيذ النقطة الأولى لم يكن شيئاً ممكناً فى تلك الأيام، و حينما أظف الوقت لتنفيذ النقطة الثانية، و صدرت الارادة الملكية فى ١٩ تشرين الأول ١٩٢٢ بأن تبدأ انتخابات المجلس التأسيسى فى ٢٤ تشرين الأول بدل العلامة الخالصى موقفه من هذا المجلس و أصبح معارضا لتشكيله بطبيعه الحال. و من الغريب أن يتجاهل المستر آيرلاند فى كتابه الأسباب التى أدت الى هذا التبدل فى الموقف الوطنى حين يقول فيه:

«.. على أنه عندما صدرت الارادة الملكية بأن تبدأ انتخابات المجلس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٩٥

التأسيسى، بعد تأخير سنتين، كان رد الفعل بعيدا كل البعد عما كان يتوقعه المعنيون بالأمر مقدما. فقد اتحد العلماء و الوطنيين و الشيعة فى معارضة تنفيذها. و أقنع علماء الكاظمية و النجف، بما فيهم الشيخ مهدي الخالصى الذى كان يدعو بقوة مع الوطنيين لتشكيل المجلس التأسيسى، باصدار الفتاوى فى أوائل تشرين الثانى لتحريم الانتخابات. و كان تأثير الفتاوى المباشر أن وقف إجراء الانتخابات فى المراكز الشيعية. فقد استقالت اللجان الانتخابية فى النجف، و كربلا، و الحلة و الكوفة، و أعلن الموظفون فى الكاظمية عن فشلهم فى تأليف اللجان المذكورة» (انتهى).

و ندرج فيما يأتى نص واحدة من هذه الفتاوى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الى كافة أخواننا المؤمنين المتدينين المتمسكين بشريعة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين. لا يخفى على كل ذى لب انه قد صدر منا الحكم بحرمة الانتخاب وأعلننا الى كافة المؤمنين، وكتبنا ان الداخل فيه والمساعد عليه كمن حارب الله ورسوله وأوليائه صلوات الله عليهم أجمعين. وقد بلغنا ان بعض ذوى الأغراض والأمراض الذين لا خلاق لهم فى الاسلام ربما يلقي فى قلوب المتدينين أننا قد سكتنا عن ذلك، فلا يدخل بذلك فى قلب أحد شك ولا شبهة. ولىعلم ان حكم الله تعالى لا يتغير وان الجهة التى دعتنا الى التحريم لم تتبدل. والآن كما كان ولم نسكت عن ذلك، ونعلن جديدا انه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر المساعدة على الأمر والدخول فيه، وان المساعد عليه معاد لله ورسوله صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، أعاذ الله المسلمين عن ذلك والسلام على اتبع الهدى. ٢٢٨ ج ٢، ١٣٤١.

ومع هذا فقد بذلت مساع جديدة لاسترضاء العلماء ولكنها لم تنجح، فأعيد إصدار الفتاوى فى حزيران ١٩٢٣. ولذلك نجد المستر آيرلاند يقول:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٩٦

«.. وقد ذهبت الدوائر البريطانية الرسمية الى ان العلاج الوحيد للمشكلة هو اتخاذ الاجراءات المشددة ضد علماء الدين أنفسهم. لأن الفرصة لا يمكن ان تسنح للقاء الرعب فى نفوس الدهماء بحيث يمكن للانتخابات أن تستمر من دون معارضة فعالة الا باسكاتهم. و كان رئيس الوزراء (عبد المحسن السعدون) يرتأى هذا الرأى، إلا ان الملك فىصلا تمادى فى أمله بأن يسترضى العلماء بطرق أخرى. على أنه عندما حصلت اصطدامات فى ٢١ حزيران بين الشرطة وسكان الكاظمية حول إصاق الفتاوى على باب الجامع، ونظمت المظاهرات على أثرها ضد الحكومة، ولعب فيها الشيخ مهدي الخالصى وأسرته دورا بارزا، وجد الوزراء بتحريض من مستشاريهم الانكليز ضرورة لاتخاذ اجراءات صارمة للتأثير ليهية الحكومة.

فأمر مجلس الوزراء، بعد حصوله على موافقة صاحب الجلالة الملك الذى تلكأ فيها وهو يزور البصرة يومذاك، بأن يعتقل الشيخ مهدي الخالصى ونجله الشيخ حسن والشيخ على مع ابن أخيه، وكلهم من رعايا ايران ويعدوا جميعا الى الخارج بموجب المرسوم الصادر فى ٩ حزيران فى تخويل الحكومة حق إبعاد غير العراقيين بسبب تجاوزهم السياسى. فنظمت على أثر ذلك مظاهرة احتجاجية فى الحال، وقد قام بها رؤساء الدين فى النجف، ثم غادرت البلاد الى ايران جماعة مؤلفة من تسعة علماء مهمين مع خمسة وعشرين من أتباعهم ليعبروا عن سخطهم. ومع أن الحكومة كانت تستنكر عمل هؤلاء العلماء فانها أبدت لهم جميع التسهيلات لتعجل فى رحيلهم» (انتهى).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٩٧

هذا وقد لاحظنا ان مرجعا من المراجع العربية يقول فى هذا الشأن ما يأتى:

.. ولما شعرت الوزارة ان العالم الكاظمى الكبير الشيخ مهدي الخالصى هو الذى يرأس الهيئات القائمة بمقاطعة الانتخابات، والضغط على الدوائر العليا للحد من التدخل البريطانى فى شؤون العراق الداخلى، قررت اخراجه من العراق مهما كلف الأمر يساعدها على ذلك رئيس بلدية الكاظمية السيد جعفر عتيقه ومعاون شرطتها عبد الرزاق الفضلى. وقد أخرج الامام وصحبه الى ايران فى يوم ٢٨ حزيران ١٩٢٣. ولما هم زملاؤه فى النجف و كربلا- الاحتجاج على هذا النفى أوعزت الى متصرف لواء كربلا- مولود مخلص فأخرجهم من البلاد أيضا، ونشرت الوزارة بيانا مليئا بالمغالطات لتبرير هذا العمل (انتهى).

فأقدمت الحكومة بعد ذلك على اجراء الانتخابات من جديد، ولكن العراقيين كانت ما تزال قائمة بسبب امتناع الشيعة عن تشكيل اللجان الانتخابية فى مناطقهم، والخوف من الجندية، واستقالة وزارة السعدون وحينما شكل جعفر باشا العسكرى الوزارة بعد السعدون وجدت الفرصة للملك، على ما يقول آيرلاند، بأن يسترضى الشيعة. فانتخب المجلس ودعى للاجتماع فى ٤ مارت ١٩٢٣.

و بذلك انتقلت المعارضة الى المجلس و خارجه، و خفت صوتها في الكاظمية مدة من الزمن.

حادث ١٩٢٧

لقد حدث في عهد الوزارة العسكرية الثانية (وزارة جعفر باشا العسكري) ان وقعت حادثه مؤسفة في الكاظمية في يوم عاشوراء (١٠ تموز ١٩٢٧)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٩٨

بين البعض من جنود الجيش العراقي المتمتعين بالعطلة و الكاظميين المشتركين في مواكب العزاء الحسيني التي تقام في مثل هذا اليوم الفضيل في العتبات المقدسة و غيرها كل سنة. و يقول المستر لوبكريك في كتابه الثاني عن العراق .. و قد قوطع وزير المالية (ياسين الهاشمي) خلال الجولة التي مر فيها بالنجف، و تطلب الحادث المؤسف الذي وقع في الكاظمية، بين جنود الجيش العراقي و المتعبدين الشيعة، في يوم ١٠ محرم المحظر على الدوام جميع الحذق و السخاء الذي كان عند الملك للحيلولة دون تطوره أو حصول عواقب خطيرة بسببه. و كان الوزيران الشيعيان (عبد الحسين جليبي و علوان الياصري) المشتركان في الوزارة موضع سخط حزب النهضة في ذلك الوقت ..»

و المعروف عن هذا الحادث ان الجماهير الغفيرة التي كانت محتشدة في يوم عاشوراء في الصحن الكاظمي الشريف كان بينها عدد من جنود الجيش العراقي الذين جاءوا للفرجة. و قد حدث من جراء الازدحام الشديد ان حصل تدافع و خلاف بينهم و بين بعض الكاظميين، فتطور ذلك الى نزاع و تصادم. و في خلال ذلك عمد أحد الضباط الحاضرين الى اطلاق عدة طلقات من مسدسه للتخويف، غير انها سمعت في نيابة وزارة الدفاع على ما يقال، و خفت ثلثه من الجند الذي كان مرابطا فيها الى التوجه الى الكاظمية لانجاد الجنود الذين سرى نأ اهانتهم و الاعتداء عليهم كما قيل في الحال. لكن أحد موظفي جسر الأعظمية أدرك الخطر في ذلك حالا، و بادر إلى قطعه فورا فانتهى الحادث بسلام. و قد أصدرت وزارة الداخلية بيانا مقتضبا على أثر ذلك لتوضيح الأمر و تهدئة الخواطر.

و يقول البيان :

وقع نزاع طفيف في ١٠ محرم في الكاظمية بين امرأة و صبي نشأ عن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٢٩٩

حيلولة بينهما و بين مشاهدة المواكب، فأدى الى مشاجرة و مضاربات مؤسفة بين الرعاع و الجنود الذين حضروا المآتم حسب العادة غير مسلحين.

و قد أسفر ذلك عن أربع حوادث وفاة أحداها من الجند و ثلاث من الأهلين، مع ثمان و أربعين حادثه جرح، أربعون من الجند و واحدة من الشرطة و سبع من الأهلين. و قد أعيدت السكينة حالا من قبل الشرطة.

صحفي أمريكي في الكاظمية

و في ١٩٢٨ زار بغداد صحفي أمريكي يدعى روبرت كيسى، بعد ان زار عددا غير يسير من مدن البلاد العربية الأخرى. فكتب عن سفرته هذه كتابا بلهجة صحفية فيها الكثير من الخلط و تشويه الحقائق. و قد أفرد في هذا الكتاب فصلا خاصا بالكاظمية عنوانه (شعلة الاسلام)، فبدأه بمقدمة موجزة عن ظهور الدعوة الاسلامية بشكل مفاجيء في العالم و انتشارها في البلاد العربية و ما جاورها انتشارا سريعا لا يكاد يصدق. و هو يقول بالمناسبة ان جيوش محمد اندفعت الى الاستيلاء على الجزيرة العربية كلها كما يندفع و باء الجراد

في البلاد (كذا)، بعد ان ضمنت لأفرادها الغنيمة فيما لو ظلوا على قيد الحياة و الجنة في حالة الاستشهاد. ثم يتطرق الى اختلاف المسلمين فيما بينهم بعد ان انتقل النبي الأعظم الى دار الخلود، و نشوء الفرق الإسلامية على النحو المعروف. و يخلص من هذا الى تمسك الشيعة بآل البيت، و تقديس الأئمة الاثني عشر من أبناء علي عليه السلام.

و هو يرى ان الخلافة الأموية في دمشق كان من الممكن لها ان تبقى المسيطر الوحيد في الميدان على مر الأيام لو لا مقتل الامام علي و ابنه الحسين بصورة مفاجئة، و تخليدهما بهذه الطريقة في قلوب اتباعهما و عقولهم. فقد أدى ذلك الى نشوء عتبات مقدسة حول مدفيهما، و مدفن الأئمة الباقين من أبنائهما، موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٠٠

و صار الزوار يقصدون هذه العتبات في كل عصر او زمان.

ثم يقول ان بغداد ظهرت الى الوجود في عهد العباسيين، و ان الاسلام هو الذي جعل منها عاصمة للرومانتيكية، و أنشأ فوقها المجد الحضاري الذي يكلؤها اليوم من عيون العالم الناقدة بنقاب وردى اللون. و يذكر كذلك ان المدن المقدسة كلها تقع بالقرب من بغداد، و يمكن ان تعتبر الكاظمية بقبابها المذهبة ضاحية من ضواحي مدينة الخلفاء العتيدة. و هذه قد لا تضاهي في شهرتها العظيمة النجف التي يقبر الامام علي في تربتها، أو سامراء بكلفها السرى الذي اختفى فيه آخر الأئمة عن الأنظار، أو كربلا التي ظل الحسين الشهيد يرزح فيها تحت وطأة العطش. انها تعرف عند الشيعة بكونها البقعة التي دفن فيها امامان من الأئمة الذين عاشوا قبل اختفاء الحجة المهدي.

و المقول، على ما يذكر هو، ان زيارة باب المشهد الكاظمي المطعم بالميناء الزرقاء تعتبر ضمانا ضد آلام الوضع عند النساء، و بوعد مثل هذا ربما تكون هذه الزيارة قد اقترنت بالقدرة الالهية على التنبؤ بجنس الأطفال قبل الولادة او التأثير في مصير العرق و مستقبله. و لا ندرى من اين جاء المستر كيسى بمثل هذا الخلط!!

و ينتقل المستر كيسى بعد ذلك الى القول بأن الكاظمية يصل اليها الناس بأقدم خط ترامواي و أغربه في العالم. فان قضبانه التي تسير عليها الحافلات من الخشب (كذا) لا-الحديد، و أنها صفت فوق الأرض كما تسلمها المهندسون من البائع. و تعتمد السكة على بركات الله و عنايته، التي يجب ان يحظى بها زوار العتبات المقدسة على الدوام، أكثر من اعتمادها على أية قاعدة من من القواعد الهندسية المعروفة في مد السكك. اما العربات التي يحشر فيها الزوار الى الكاظمية في الذهاب و الاياب فتشبه عربات الحصان الواحد التي كان يشيع وجودها في المدن الأمريكية قديما .. و اذا ما وجدت في خرائب بابل، او تحت طاق كسرى الكبير، فلا يمكن ان يعتبرها الرائي شيئاً في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٠١

غير محله. اما الزوار فهم، بخلاف الركاب في أى مكان آخر في العالم، لا يجدون سبباً للاعتراض على كيفية سير مثل هذه العربات العجيبة .

و يقول كيسى عن البلدة نفسها أنها، لو لا المشهد الشريف الفاخر فيها، تشبه بغداد القديمة التي ظلت على حالتها ما بين انهيار الخلافة العباسية و احتلال الانكليز لها. فأزقتها ضيقة، ملاءى بالقدارة و الأوساخ، و جدران الكثير من بيوتها قديمة متداعية. و أسواقها تبدو فيها آثار القرون البالية، و أمارات الاهمال و التسيب، حيث يعرض السجاد الفاخر فيها فوق ساحات موحلة، و توجد الكلاب الميتة إلى جنب باعة العطور. و يتقاطر الزوار في أزقتها الضيقة بأعداد كبيرة .. و هم بين امرأة محجبة تدعو الله ليوفق أطفالها و يرعاهم بعين عنايته، او شيخ طويل القامة يلتمس الله ان يرزقه بنسل صالح، او متعصب يلوذ بقبرى الامامين بأمل ان يحظى منهما بمعجزة. على ان على ان المرء لا بد ان ينتابه العجب حينما يرى ان الغربي لا يستغرب وجوده في مثل هذه البقعة التي تؤمن بالقول القائل بأن الشرق شرق، و ان الغربي يجب ان لا-يرحب به. و يبدو على الزوار المتشجين بالأردية السوداء، و هم يمرون من تحت الأقواس الزرقاء، كأنهم يعتزون و يفخرون حينما يرون حتى الكافر الضال معجباً بجمال المشهد و حسن تشييده.

تقرير عن تقدم العراق ١٩٢٠ - ١٩٣١

و في التقرير الخاص الذي قدمته حكومته صاحب الجلالة البريطانية موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٠٢ الى عصبه الأمم في ١٩٣١، عن تقدمه خلال الفترة المنحصرة بين ١٩٢٠ و هذه السنة يرد ذكر الكاظمية و سائر العتبات في صدد التطرق الى الأحوال الصحية في البلاد و علاقتها بنقل الجنائز. فقد جاء «.. ان نقل الجنائز للدفن في كربلا و النجف و سامراء و الكاظمية كان لا بد من تنظيمه و الاشراف عليه. و هذه المدن هي العتبات المقدسة الأربع في العراق التي يؤمل أي شيعي ان يدفن في إحداها. فمن مجموع العشرين ألف جنازة التي تدفن في كل سنة في هذه المدن تأتي حوالي (١٢٠٠٠) من الخارج، و معظم هذه من ايران. و قد كان هذا النقل يراقب بدقه في عهد الأتراك، كما كانت تجبي الرسوم في الحدود على الجنائز التي كانت ترد من خارج البلاد. فأوقف هذا الترتيب خلال الحرب العامه، و ما حل عام ١٩٢٠ حتى كان عدد كبير من الجنائز بانتظار الترخيص للدخول الى العراق، بينما كان عدد آخر يهرب كالمعتاد. فنقح نظام السيطرة القديم و أعيد النظر فيه فصدر (قانون نقل الجنائز) في ١٩٢٤. و منذ ذلك الحين سار العمل في هذا المجال دون ان يعكره شيء، و من غير ان يترتب على ذلك حصول أي خطر على الصحة العامة.

فرايا ستارك في الكاظمية

و قد تسنى للكاتبه الانكليزية القديرة المس فرايا ستارك ان تزور الكاظمية، و تدخل الى الحضرة المطهرة محجبه كما يتحجب المسلمات، في ١٩٣١ فتكتب عنها فصلا بعنوان «زيارة الى المشهد الكاظمي» في كتابها) صور بغدادية . و هي تقول في مقدمه هذا الفصل أنها ذهبت إلى الكاظمية لأول مرة كسائحه يرافقها رجل متيقظ من أفراد الشرطة العراقيه، و لم تستطع رؤيته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٠٣

شيء منها لأن الناس قد تجمهروا من حولها بحاله كان يخشى منها. و لذلك قالت لصديقها نوري (و لا ندري أي نوري تقصد) أنها تود ان تزور هذا المشهد المقدس بشكل لا يلفت الأنظار اليها، فان النصارى لا يسمح لهم بالدخول الى داخل المشهد مطلقا، و تود ان يكون ذهابها هذه المرة في أمسية من أمسيات رمضان المبارك لان المشهد المقدس يبقى مفتوحا فيها الى ساعه متأخره من الليل، و ان حلول العتمه يسهل الكثير من الأمور.

و قد كان لنوري أصدقاء من الشيعة في المدينة المقدسة يوافقون على أخذها الى داخل الروضه، فتم الاتفاق على أن تذهب إليهم مع اثنتين من أخواته بواسطة الترامواي مع سائر الزوار.

و في مساء أحد الأيام جاءها نوري بشده من الألبسة السوداء تحتوى على عباءة من عباءات النساء المعروفه، و قطعة صغيرة من الشيفون الأسود تسمى «بوشى» لتتقنع بها. و في (دربونه) قريه من الدرايين لبست فرايا ستارك العباءة و تقنعت بالبوشى، ثم خرجت و كأنها امرأة بغدادية متحجبه على ما تقول، ثم استقلت سيارة أجرة بصحبه نوري متوجهة الى دار في أحد الأزقة. و هناك وجدت أخته متهيأتين لمرافقتها، و بعد بعض الوصايا و التمنيات توجه النسوة الثلاث مع خادمة تحمل الفانوس أمامهن الى ترامواي الكاظمية.

و بعد ان تصف فرايا ستارك الترامواي و عرباته، و من كان فيها من النسوة، تقول «.. و بعد ان تركنا ضاحية الكرخ، مدينة المنصور القديمة، خرجنا إلى العراء و اصبحنا تحت النجوم و من حولنا صفوف النخيل و بسايتها بأشباحها المتحركة. و ما هي إلا فترة قصيرة حتى بانت لنا فجأة قمم المنائر المذهبه الأربع في المدينة المقدسة و كأنها واقفة لوحدها في الفضاء الرحيب، ما بين الأضواء التي تبقى مشعله في ليالي رمضان كلها، كما بانت من بينها القبتان المغمورتان بالأضواء المنعكسه عليهما. و قد كان للسماء العميقة الممتدة من وراء البناء نصف المضاء و العربه الممتلئه بالزوار و هم في تجردهم المعتم،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٠٤

منظر تجلله مهابة غريبة. اما الظلمة المحيطة بذلك المنظر كله فقد أخفت جميع البشاعة و القذاره اللتين كثيرا ما نجدهما يقتربان من حول الجمال في الشرق. و حينما توقفت العربى نزلنا من الترام البالى، و بعد شىء من الصعوبة اهتدينا فى الأخير الى بيت أصدقائنا الشيعة».

ثم تتابع الوصف و تقول: «.. و هنا خطونا الى داخل القرن العشرين.

فقد كان رب الدار مهندسا سافر الى مصر و غيرها من البلاد، و درس أخوه الحقوق فى الاسكندرية، اما زوجته التى تقرر ان ترافقنا الى داخل المشهد الكاظمى فقد صفت شعرها فى جمه حديثه و وضعت لباسا فرنسيا صغيرا للرأس تحت قناعها. و قد صرحوا لى فى الحقيقة بأنهم لا- تخالجهم أية ربييه مما سنقدم عليه اذا ما حافظت انا على السكوت و لذت بالصمت، لثلا تفضحنى لهجتى فى الحديث. فقد سبق لهم ان رافقوا بعض المسيحيين الى داخل الحضرة من قبل لكنهم لم يأخذوا أى أوربى الى هناك. مع ان عددا من الأوربيات كن قد دخلن فى وقت أو آخر . و بعد ان شربنا القهوة و تناولنا بعض الحلوى توجهنا إلى مبتغانا مع خادم يحمل الفانوس بين أيدينا لنكتشف على ضوءه الحفر التى كانت تبين فاعره فاها فى الطريق، لأننا تركنا القرن العشرين وراءنا فى البيت من جديد و أخذنا نسير من تحت بيوت مظلمة معلقة فى الأسواق غير المضاءة. و كانت تحدى بنا عند مرورنا أشباح معتمه تقعد القرفصاء هنا و هناك الى جانب الدكاكين، و فى أيديها مسيحات تعبت بخرزها أصابعها الكسلة. و أخيرا وصلنا الى باب الظليلة و مجازها العالى الذى كانت عدة أوجه حاسده خلال النهار قد منعت تقدمنا منه قبل هذا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٠٥

و قد عبرنا المجاز من تحت السلسله ذات العرى، التى يلمسها الزوار لتمنحهم البركه، الى الصحن الكبير المحيط بالحضرة فبدأ لى متسعا جد الاتساع: فان البرج الجبار كله كان يبدو معلقا فى أعماق السماء المظلمة من فوقه. و كانت تحيط بجوانبه الثلاثة أروقه تزين واجهاتها بالقاشانى المورد، كما كانت الأضواء من فوقه و الضوء المنبعث من برج الساعة تشع نورا غسقىا مبهجا يغمر الأشباح المتجلبية بالعباءات و هى تروح و تغدو فى طريقها. و كان هناك فى إحدى الزوايا عدد من الناس يقرأون الصحف، و لا غرو فان المدن المقدسة و الجوامع على الأخص تعتبر أماكن عظيمة تفرخ فيها الفتنة و الشغب. و يبدو فناء الصحن على درجه من الاتساع بحيث ان أعدادا كبيرة من الناس يمكنها ان تتمشى فى أرجائه من دون أن يلاحظ الازدحام فيه.

ثم أتينا بعد ذلك الى ايوان مذهب يستند سقفه على أعمده خشبيه رشيقة، توجد فيه الباب الخارجى للروضه المقدسه بالذات. فأخذ أحديتنا رجل كان يجثم هناك، و أضافها الى سائر الأحذية المرتبه فى صفوف متتابعه.

و حينما وقفنا على الباب بالقرب من ستاره كثيفه راح السيد المعمم بعمامة احدى زوايا صحن الامامين الكاظميين و تتجلى فيها روعه الفن الكاشانى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٠٦

خضراء يرتل الدعاء لنا، و يستأذن بابتها نيابه عنا للدخول الى الروضه المطهره، بصوت عذب لم أسمع بشىء أكثر تأثيرا منه. ثم انتهى بالله و الله اكبر و أوما لنا بالدخول.

و أول ما صادفناه بعد الدخول رواق مسقف بمقر نصات من قطع المرايا المشعه فى العتمه، و مرايا غيرها مثبتة فى اطارات رخيصة تدور من حولها.

ثم أتينا على ستاره أخرى مسدلة لتغطى بابا مزدوجا مرتفعا جدا، و مغلفا بفضه مطروقه، و تنتشر فيه هنا و هناك نماذج من «كف العباس»، و منها دخلنا إلى الحضرة المحيطة بالضريح المقدس. فكانت عبارة عن بهو له سقف كثير الارتفاع و بابان يتعامدان على بعضهما، و تتدلى فيه ثريات زجاجيه عديده. أما الجدران فقد كانت مزينة بزخرفه عربيه ملونه فوق أرضيه سوداء. و كانت الأرض

مفروشة بسجاد منحط النوعية.

و كان الضريح يقوم في الوسط داخل قفص ثلاثي، يتعرض الخارجي الفضي منه الى الصقل و التلميع الدائم بأيدى الزوار و تقبيلهم و هم يطوفون من حوله بمواكب لا نهاية لها. و قد قدرت ارتفاعه بعشرة أقدام، و لاحظت الزينة و هي تخفف من تربيع حواشيه العليا، و من حولها كلها الأعلام الخضراء الصغيرة المنسوبة الى العلويين.

و إذا ما وقف المرء بجانب الشباك و ضغط بوجهه على العوارض الفضية فيه، ثم نظر الى ما في داخله يجد من شباك حديد آخر، و من خلال صندوق من الزجاج، القبرين الخشبيين اللذين تقبر فيهما رفات الامامين الكاظمين.

و لأجل ان يفعل الناس ذلك يسرون اليه طول الطريق من افغانستان، و الهند، و أبعد الأيالات في ايران. و لذلك وجدت هناك أناسا ملتحين، و وجوها مغولية، خالية من الشعر، الى جانب الإيرانيين النحيفين و شيعة العراق متبسطة الوجوه. و قد كان يجلس أمام الشمعدان العظيم المقام فوق الأرض، بتجرد تام، زوار ذوو عمائم كبيرة يرتلون الآيات الكريمة و يتمايلون برفق و هدوء. و في زاوية من الزوايا كان النساء بأحجبتهن السوداء يمدمن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٠٧

سوية و هن يجلسن على الأرض. فتبعت السيد ضاغطة يدي على العوارض و متحركة ببطء من اليمين الى اليسار حول الضريح. و كانت بجانبى امرأة تبكى و تنتحب بيأس. و تقبل الفضة الصقيلة، ثم تضغط بيديها على كل كعبرة في الشباك يمكن ان تصل اليها بيديها. و على هذه الشاكلة تقوم آلاف بل ملايين مثل هذه الأيدي بلمس هذا المعدن الأصم فتصقله بآمالها و صلواتها، مدفوعة بعقيدة البشر التي يرثي لحالها.

و قد كان الجو نفسه في تلك الغرفة متكهربا بالعاطفة و الأحاسيس و ليس بوسع المرء ان يقف هناك من دون ان يشعر بذلك الجو و يتحسس به، و بكمال تلك العاطفة الكلي، و قسوتها القديمة المنطوية وراء ذلك على الهدوء التام في أثناء الصلوات التي تؤديها تلك الشخوص الواقفة بأيد مبتهله و أوجه ضائعة في غيبوبة و ذهول. و أنى لأحسب ان الأجنبي الذي يكتشف وجوده في تلك البقعة يندر ان يصل سالما الى الباب الخارجي، الذي يأتي بعده السوق. و كانت صديقتي الصغيرة ترتجف بين يدي و تستعجل في زيارتها باستعجال معيب. و لذلك لم يكن هذا الجو قميئا حتى بالشرقي الآخذ بأسباب الغرب (المتغرب)، انه الشرق القديم الذي لا ينسجم مع جميع ما نأتى به و نفعله. و لا بد من ان يستقل احد الفريقين فيه، هم أو نحن، و لهم الحق في قتلنا اذا ما اكتشفوا وجودنا فيه، هنا حيث يكون هذا القانون هو السائد.

و حينما وصلنا الى الجانب الأبعد عن الباب الذي دخلنا منه، أخذ السيد يرتل دعاء آخر بينما كنا نقف الى جنبه بأيد مبتهله. و هنا أيضا لاحظت جمال الكلمات، و عاطفة الورع و التدين، و قد أحاطت بي من جميع الجهات فأنتنتى بأننى كنت غريبة عن هذا المحيط، و على كل فليس هناك سوى لهجة واحدة للعقيدة يلهج بها البشر جميعا على سواء.

ثم شققنا طريقنا ببطء على طول الضلع الرابع. و من حسن الحظ أننا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٠٨

كنا نساء كلنا، و لم يكن يترتب علينا ان نشكر السيد. لكن مضيفتنا فعلت ذلك بينما انسللنا نحن من الايوان الى محل (الكيشوان) الذي يتفوق على المسؤول عن حفظ المعاطف في أوتيل سافوى بلندن، لأنه أعاد لنا أحذيتنا كلها من دون أن نشير عليه بشيء، مع انه لم يستطع رؤية شيء من عندنا سوى خيالننا التي لا شكل له و الجوارب القطن التي كنت قد تعمدت ان أتركها تهدل الى الرسخ لأجل ان أجعل التخفى يبدو شيئا حقيقيا يشبه ما تفعله نسوة بغداد.

و بينما كنا نقف هناك جاء أحد السقاء و هو يحمل جرتة المنبله معلقة في كتفه، و يمسك بيده كاسه صفراء. و أخذ ينادى بقوله «ماء، ماء للطريق، الماء الذي منع عن الحسين الشهيد في كربلا»، فدفعت له أربع آنات كما فعلت الباقيات من صوحيباتي، و بقيت

حائرة فيما اذا كنت قد رتكت خطأ من الأخطاء الفاضحة باراقة الماء الذي قدم لى على الأرض، لأن الطاسة التي يشرب بها الجميع لا بد من ان تكون قد شرب بها المريض و المقعد و غيره بحيث يكون الشرب بها شيئاً غير مغر. لكن أحدا لم يعلق بشيء على ما فعلت. ثم خرجنا من البقعة المقدسة مارين بالمجاز العالى من تحت السلسلة الى السوق المظلم. و قد عدنا بالترام الذى سار بنا على ضوء النجوم النيرة، بعد أن ألقينا نظرة أخيرة على القبتين المذهبتين عندما كانت المنارات الأربع تسطع بنورها الوهاج و ترتفع فى سماء منتصف الليل».

و هكذا استطاعت الكاتبة الانكليزية فرايا ستارك ان تدخل الى روضة الامامين المطهرين متخفية بزى امرأة مسلمة من نساء الكاظمة أو بغداد، فى صحبة أسرة من الأسر الشيعية المسلمة.

فاجعة الكاظمة فى ١٩٣٥

و فى معرض البحث عن الوزارة الهاشمية الثانية (ياسين الهاشمى) و تعداد أعمالها، و الحوادث التي وقعت فى أيامها، يتطرق المستر لونكريك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٠٩

فى (العراق بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠ الى حادثة مؤسفة وقعت فى الكاظمة فذهبت ضحيتها أرواح بريئة، و كان ذلك ناتجا عن تحريكات حزبية لا تستهدف الصالح العام على ما قيل يومذاك. لكنه يقول: «... و قد وقعت حادثة فى الكاظمة أريقت فيها الدماء على أثر اصطدام وقع بين الشرطة و جمهور كبير من الناس خرجوا يتظاهرون احتجاجا على نبش مقبرة من المقابر، و لم يكن لها معنى سياسى فأمكن تسويتها من دون ان يتسع تأثيرها.» على أن المفهوم من الأخبار المدونة فى المراجع العربية ان وزارة ياسين الهاشمى الثانية بينما كانت منهمكة فى تهدئة الأحوال فى الفرات الأوسط، بعد ان ساءت على عهد وزارة على جودت الأيوبى من قبل، وقعت حادثة مؤسفة فى يوم ٢٣ مارث ١٩٣٥ فكان لها أسوأ الأثر فى النفوس. و خلاصة هذه الحادثة ان الحكومة كانت تقوم بتشيد دائرة جديدة للبرق و البريد فى بلد الكاظمة، على أرض مقبرة قديمة مهجورة كانت قد انتخت لها من قبل.

و حينما تألفت الوزارة الجديدة استغل البعض سخط الكاظميين على هذا العمل الصادر من الحكومة، و حرّض على تنظيم مظاهرة خرجت فى ذلك اليوم و قصدت المبنى الجديد فأخذت بتهديم ما بنى منه و أشعلت النار فيه.

فأدى ذلك الى اصطدام المتظاهرين بالشرطة، فاتصل القائمقام شاكر سليم فى الحال بمتصرف بغداد عبد الرزاق حلمى الذى توجه فورا الى محل الحادث و فى صحبته مدير شرطة بغداد وجيه يونس. و قد استصحبا معهما سيارات مصفحة تقل عددا من أفراد الشرطة كذلك، و حينما وصلا الى الكاظمة لم يستطيعا معالجة الموقف بالحكمة و التعقل و عمدا الى استعمال الرشاشات بكل تهور لتفريق المتظاهرين. فأسفر الاصطدام بين الأهلين و الشرطة عن وقوع عدد من القتلى و الجرحى بطبيعته الحال. و كان عددهم ثلاثة عشر قتيلا و ما يزيد على الثمانين جريحا. و هناك رواية أخرى تقول ان هذا العدد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣١٠

من القتلى و الجرحى قد سقط قبل وصول المتصرف و مدير الشرطة الى الكاظمة لأن القائمقام فشل فى معالجة الموقف منذ البداية. غير ان البيان الآتى يذكر رقما آخر عن القتلى و الجرحى المذكورين:

بيان رسمى

وقع حادث مؤسف فى قصبه الكاظمة صباح أمس (٢٣ الجارى) و تلخص المعلومات الآتية الى الآن حول الحادث بما يلى:

كانت المقبرة الواقعة قرب المغيسل قد هجرت منذ مدة و بوشر الدفن في مقبرة جديدة أخرى، الا أنه صباح أمس راجع بعض وجوه الكاظمية قائم مقام القضاء مبينين عدم ملائمة المقبرة الجديدة فوعدهم بتلبية طلبهم.

ولكن بعد خروجهم تجمهر قسم غير قليل من الناس حول المقبرة القديمة و باشروا بهدم دائرة البريد التي بوشر بنائها بالقرب من المقبرة القديمة منذ أشهر، و لما جاءت الشرطة و طلبت منهم الكف و التفرق قابلوها بالرمى بالحجارة، ثم أوقد المتجمهرون النار في البناء المذكور. و لما أنذرتهم الشرطة باستعمال القوة اذا لم يتفرقوا أجابوها بطلقات نارياً، و استعمال أسلحة جارحة أدت الى جرح أحد المفوضين و استمروا على اطلاق النار على الشرطة.

و قد اطلقت الشرطة طلقة في القضاء بغية إنذارهم، و لكنهم رغم ذلك استمروا على اطلاق الرصاص على الشرطة مما اضطرها الى استعمال السلاح لتفريقهم. فوقع بسبب هذه الحادثة من المتجمهرين سبعة قتلى و تسعة جرحى، و من الشرطة قتيل شرطي واحد، و جرح أربعة اثنان منهم مفوضان و اثنان شرطيان ثم تفرق المتجمهرون و أعيد الأمن الى نصابه. و انتشرت دوريات الشرطة لمحافظة الأمن، و التحقيق جار لمعرفة الأسباب التي أدت الى هذه الحادثة المؤسفة. ٢٤-٣-١٩٣٥

و تمهيدا لاجراء التحقيق عمدت الشرطة الى توقيف البعض من أشرف الكاظمية و وجوها بتهمة التحريض على تنظيم المظاهرات، و استمر توقيفهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣١١

ثلاثة أشهر حكم بنتيجتها على سبعة من الموقوفين بالحبس الشديد المؤبد (يوم ٢٢ حزيران ١٩٣٥) و أفرج عن الباقين: غير ان الحكومة أصدرت في ٤ أيلول ١٩٣٥ عفوا خاصا عن المحكومين لتهدئة الخواطر و انتهت الفتنة.

حوادث الرميثة

و يستطرد المستر لونكريك في كتابه (العراق بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠) في سرد ما وقع على عهد الوزارة الهاشمية الثانية عام ١٩٣٥ فيذكر ما يأتي:

.. لقد وقعت أول حركة ثورية في مايس، و كان قد قام بها بنو زريح بالقرب من الرميثة مركز الحركات و الزعازع التقليدي. فوجود عوامل الاختلاف المشوب بالانتقام على الأراضي بين العشائر، و تشجيع بعض الساسة غير المقيمين في المنطقة، أدى توقيف رجل روحاني من رجال الدين الى وقوع حركة ثورية. فقطع خط سكة الحديد، و تم الاستيلاء على دائرة حكومية، و طلب العون و النجدة من سائر القبائل. لكن الحكومة بادرت الى العمل السريع في هذه المرة. فقد قصفت الثوار قوات عسكرية يقودها بكر صدقي و شنتت شملهم، ثم ألقت القبض على خوام العبد العباس قائدهم، و دخلت الرميثة .. لكن الحركة انتشرت في الجنوب، فتارت بعض قبائل سوق الشيوخ و قطعه سكة الحديد في تل لحم، و أحرقت سجلات الحكومة في عكيكه، ثم تغلبت على الشرطة في معركة ضارية.

الشيخ احمد اسد الله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣١٢

اما علاقة هذه الحركات بالكاظمية فهي ان الرجل الروحاني المشار اليه، الذي قبضت عليه سلطات الديوانية و أوقفته كان رجلا من أهالي الكاظمية يدعى الشيخ أحمد أسد الله، و كان يقيم في الرميثة يومذاك .

و قد تم إلقاء القبض عليه بحجة أنه كان يحرض القبائل على العصيان و شق عصا الطاعة ضد الحكومة. فاستفز هذا العمل قبائل الرميثة و غيرها، و حسبت ان الحكومة أقدمت على هذا العمل بتحريض من الشيوخ الموالين لها، و استغل هذا الاستياء الشيخ خوام العبد العباس فأعلن الثورة و العصيان كما جاء في نبذة المستر لونكريك المقتبسة أعلاه.

الكاظمية في حوادث ١٩٤١

وقد عثرنا على اسم الكاظمية في عدد من المراجع الغربية، خلال بحثها في الحوادث التي وقعت في العراق سنة ١٩٤١ فأدت الى احتلال الجيوش البريطانية للكثير من المناطق العراقية و استخدامها لأغراض عسكرية لم يكن للعراق فيها ناقة و لا جمل طول أيام الحرب العالمية الثانية. فقد التجأ على أثر الحركة التي قام بها الجيش العراقي الوصي على عرش العراق الى عمه الأمير عبد الله. في الأردن، و في معيته عدد من ساسة العراق و أعوان ذلك العهد، فاتفق الأمير عبد الله على مساعدة الجيوش البريطانية التي سيقته لانجاد الحباينة التي حاصرها الجيش العراقي. و انتدب لهذه المهمة لواء من ألوية الجيش العربي في الأردن بقيادة كلوب باشا (ابو حنيك) فزحف على العراق مع جيوش بريطانية أخرى و أنجحت الحباينة فكك الحصار عنها و أخذت الجيوش البريطانية دور المبادأة بعد ذلك و راحت تعد العدة للزحف على بغداد و استرجاعها لاعادة الوصي اليها. غير ان الجيش العراقي كسر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣١٣

ضفاف الأنهر و أغرق مساحات شاسعة من الأرض لاعاقه تقدم الانكليز، فارتأى كلوب باشا مهاجمة بغداد من الشمال بعد اجتياز الجزيرة من الفلوجة الى حيث تمتد سكة حديد بغداد- الموصل من شمال الكاظمية. فتم له ذلك و وصل الى خان المشاهدة فصار يهدد العهد الذي كان قائما في بغداد يومذاك من الجهة الشمالية.

و يقول لونكريك (الص ٢٩٤) في (العراق بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠) ان ثلثة من الجيش العربي (الاردني) عبرت الجزيرة، و قطعت خط القطار الصاعد الى الموصل فيما يقرب من سامراء ثم عادت. و عبرت الى دجلة مرة ثانية مع قوات أخرى فاحتلت المشاهدة، ثم توجهت جنوبا في اتجاه بغداد. و قد صادفت هذه القوة مقاومة من العدو بالقرب من التاجي، فاتخذت لها موقعا بين معامل الطابوق القريبة من الكاظمية. و قد ألقى القبض في الطريق العام على متصرف بغداد (جلال خالد) و أطلق سراحه فأعيد الى أهله.

على ان هذه الحركات، و الاشتباكات العنيفة التي شهدتها منطقة الكاظمية بالقرب من معامل الطابوق يأتي عليها بالتفصيل كلوب باشا في كتابه الموسوم «قصة الجيش العربي». و خلاصة ما في هذه الصفحات ان ثلثة من الجيش العربي التي كان يقودها كلوب باشا رافقت لواء ال (هاوسس هولد) الذي عبر الجزيرة ما بين الفرات و دجلة من قرب الرمادي و تقدمته فاحتلت المسافة المحيطة بخان المشاهدة و قطعت سكة حديد بغداد- الموصل الى ضفة دجلة. ثم زحفت القوة بكاملها جنوبا في اتجاه بغداد فلقبت مقاومة عنيفة من الجيش العراقي بالقرب من التاجي، فاضطرت الى التوقف هناك و استحكمت في وسط معامل الطابوق في الكاظمية مدة من الزمن، بعد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣١٤

ان أخفقت في هجومين عامين شنتهما على القوات العراقية المدفعة. و يبدأ المستر كلوب بوصف الزحف قائلا- «.. و من محطة المشاهدة تقدم الرتل بسرعة نحو الجنوب على طول الطريق المؤدى الى بغداد. و كان يمتد على بعد عدة مئات من اليرادات يمينا خط سكة حديد بغداد- الموصل فوق سدة واطئة. و على بعد ميل واحد من اليسار كانت تمتد ضفاف دجلة المكسوة ببساتين النخيل. و في الأفق الممتد أمامنا كانت تلوح لنا من بعيد منائر و قباب الجامع الأكبر المذهبة في الكاظمية، ضاحية بغداد الشمالية». و يقول في مكان آخر «.. و كان رتل الهاوس هولد كافلري قد شن هجوما مركزا وقت الفجر فتقدم ثلاثة أميال. اما الآن فقد أوقف تقدمه بالمقاومة العنيفة التي أبداها العدو في منطقة معامل طابوق الكاظمية، و بذلك فشل في هجومه الثاني».

بعد حوادث ١٩٤١

هذا و لم نعثر في المراجع الغربية على ذكر يستحق التدوين للكاظمية بعد سنة ١٩٤١، الا في بعض التنف التي تذكر عرضا. فقد جاء

في كتاب لونكريك (العراق بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠) ان شغبا سببه في الكاظمية حزب التحرر الوطني غير المجاز فأدى الى الاصطدام بالشرطة، على عهد الوزارة السعيدية التاسعة التي ألفها نوري السعيد في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٦.

و المعروف ان هذه الوزارة قد تألفت على أثر إرغام أرشد العمري على الاستقالة بعد ان فشل في تسيير دفء البلاد، و خاب في معالجة الوضع الراهن يومذاك بحكمه و تعقل. و قد عمد نوري السعيد الى حل مجلس النواب الذي جاء به سلفه في نفس اليوم الذي تولى فيها أعمال وزارته و اتخذ ما يلزم لاجراء انتخابات جديدة. لكن الانتخابات سرعان ما أخذت تقاومها بعض الفئات،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣١٥

و منها الأحزاب الشيوعية غير المجازة، و الجماعات التي تشايعها مثل جماعة التحرر الوطني التي يشير اليها لونكريك فيسميها حزبا. و حينما تولت الحكم وزارة السيد الصدر في يوم ٢٩ كانون الثاني سنة ١٩٤٨، على أثر الحوادث التي أعقبت تصديق معاهدة بورتسموث و سقوط وزارة صالح جبر بسببها، عمدت الوزارة الجديدة الى إلغاء المعاهدة التي لم يمر على تصديقها الا أيام معدودة، و حلت مجلس النواب، ثم اتخذت تدابير أخرى مهمة أخرى. غير ان هذه الوزارة اصطدمت بمشاكل و صعوبات لم تفسح لها المجال التام للعمل، و حينما بدأت عملية الانتخابات للمجلس النيابي الجديد، التي قرر مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة يوم ٢١-٣-٤٨ البدء بها، وقعت حوادث مؤسفة عديدة في عدة جهات و منها الكاظمية.

و يقول المستر لونكريك في هذا الصدد «.. و قد اجتمع المجلس في يوم ٢٦ حزيران، بعد انتخابات بذلت فيها الأحزاب المجازة و غير المجازة أقصى الجهود، فكانت سببا في وقوع معارك شوارع في الكاظمية و بغداد و السليمانية. فحصل حزب الاستقلال على أربعة مقاعد، و الحزب الوطني الديمقراطي على مقعدين، و حزب الأحرار على مقعد واحد فقط.» و تذكر بعض المراجع العربية ان حادث الكاظمية كادت تقع فيه مجزرة بين الأهلين لولا لطف الله و عنايته، و ان حوادث مؤسفة قد وقعت في الصورة و العمارة أيضا، و ان ما وقع في بغداد قد أدى الى مقتل سبعة أشخاص و جرح سبعة و أربعين في جانب الكرخ من جماعة الحاج مظهر الشاوي التي كانت تساند شاعر الوادي.

و جاء في كتاب (العراق لمؤلفيه المستر لونكريك و المستر فرانك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣١٦

ستوكس ١٩٥٨)، خلال البحث عن سكان العراق و طبقاتهم، قول المؤلفين «.. لكن علماء النجف و الكاظمية و كربلا و سامراء لم يعودوا يكونون العائق غير الموالى للحكومة المنظمة كما كان بوسعهم ان يكونوا في أوائل العشرينات من القرن الحالي.» و لا يخفى ان هذه وجهة نظر البريطانيين الذين شهدوا اندلاع نيران الثورة العراقية التي لعب فيها العلماء الأعلام دورا قياديا أدى إلى إرباك الخطط الانكليزية و قلبها رأسا على عقب، كما سبق ان بينا في مبحثي النجف و كربلا من هذه الموسوعة.

و يتطرق الكتاب نفسه (كتاب لونكريك و ستوكس) الى ذكر الكاظمية في مناسبة أخرى (الص ١٣٢) و يقول «.. و ما زالت النجف، و الكاظمية و كربلا، و سامراء، مراكز كبرى للزيارة يقصدها الزوار الشيعة من كل مكان في العالم الإسلامي، و لا سيما من ايران ..» هذا و قد عثرنا على ذكر للكاظمية كذلك في كتاب امريكي ظهر في ١٩٥٨ بعنوان (العراق، سكانه و مجتمعه و حضارته) لمؤلفه المستر جورج هاريس . فهو يقول (الص ٣٨): «.. و ان معظم هؤلاء الفلاحين لا يتميزون بشيء عن عرب خوزستان الواقعة في ايران، و يعمل على تقوية الرابطة الموجودة بين الطرفين وجود عتبات شيعية مقدسة في العراق مثل النجف، و الكاظمية، و كربلا، و سامراء.» و يذكر المستر هاريس في مكان آخر من كتابه هذا ايضا، اي في معرض التطرق الى ذكر الأجانب الموجودين في العراق (الص ٤٥)، ان حوالى الف شيعي أفغانى يعيشون في المدينتين المقدستين الكاظمية و النجف، و ان هؤلاء يتصلون اتصالا وثيقا بالجالية الإيرانية من حيث اللغة و العقيدة.» و يأتي في بحث شؤون الزوار على موضوع يلاحظ ذكره و تكراره على الدوام في المراجع الغربية، موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣١٧

لا- سيما المراجع الانكليزية التي كتبت في عهد الاحتلال الانكليزي الأول و ما بعده. و هو «.. ان توارد الزوار بكثرة من ايران على الكاظمية، و النجف، و كربلا و سامراء، و كان يتيح للسلطات السنية خلال عقود عدة من السنين الفرصة لمضايقة الشيعة بطرق تختلف ما بين الابتزاز و وضع العراقيل في متطلبات الحجر الصحي و التأشيرة على الجوازات و ما أشبه. و كان الزوار الشيعة على طول الطرق الممتدة بين المدن يتعرضون الى تعسف أصحاب الخانات و الحمالين، و حتى العاملين حول العتبات المقدسة نفسها. و قد تركت هذه المضايقات العامة و الخاصة أثرها السيء من المرارة و الحقد في النفوس». و الغريب في الأمر اننا لاحظنا ان من جملة المشتغلين مع مؤلف الكتاب هذا، و المساعدين له في جمع المعلومات رجل عراقي مسلم يدعى مختار العاني.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣١٨

فهرست

صفحة لكاظمية قديما

الكاظمية قديما ٩

براثا و مسجدها ١٨

مسجد العتيقة و مشهدها (المنطقة) ٢٠

مقابر قريش ٢٢

المواضع المجاورة لمقابر قريش قديما ٢٥

قطربل ٢٧

المزرفة ٢٨

مقبرة الشهداء ٢٩

قبر هشام بن عمرو بن الزبير ٢٩

قطفتا ٣٠

براثا و مسجدها ٣١

بناورا ٣٣

ورثال ٣٣

الشونيزية ٣٤

حياة الإمامين الجوادين

الإمام موسى الكاظم ٣٧

مثل من حلمه ٣٩

صفات الإمامة و صفات الكاظم العامة ٤٠

سجية الكرم ٤٢

باب الحوائج ٤٣

مذهبه في الحياة ٤٤

العلم و الحكمة و الأدب ٤٦

قوة الحجّة و سرعة البديهة ٤٩

- حبسه و قتله ٥١
- وفاته ٥٦
- أولاده ٥٨
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣١٩
- نصوص الأدعية و الزيارة ٥٩
- الامام محمد الجواد ٦١
- ملكاته العلمية و مذهبه في الحياة ٦٢
- استدعاء المأمون لأبي جعفر ٦٤
- نموذج من عمق تبحره ٦٦
- زواجه من أم الفضل ٧١
- رجوعه الى المدينة و وفاته ٧٣
- الكاظمية في الشعر ٧٥
- الكاظمية في المراجع العربية
- الكاظمية في تاريخ الكامل ٩٣
- في الجامع المختصر ٩٩
- في مختصر أخبار الخلفاء في فرحة الغرى. و في الفخرى ١٠٦
- الحوادث الجامعة ١٠٧
- في تاريخ بغداد ١١٥
- في المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ١١٦
- في مرآة الزمان ١٢٣
- في منتخب المختار ١٢٥
- في دوحه الوزراء ١٢٦
- في مختصر مطالع السعود ١٢٧
- في تاريخ العراق بين احتلالين ١٢٨
- في الحقائق الناصعة ١٤٣
- الكاظمية في التواريخ البغدادية ١٥٨
- بغداد مدينة السلام ١٦١
- تاريخ الامامين الكاظمين ١٦٢
- الكاظمية في الموسوعات العامة ١٧١
- الكاظمية في الرحلات ١٨٥
- الكاظمية في الأدلة الجغرافية ١٨٩
- الكاظمية في المراجع الغربية
- الكاظمية في المراجع الغربية ٢٠٣

- الكاظمية في بداية عهدها ٢٠٤
- الكاظمية فيما كتبه دونالدسون و ريشارد كوك ٢٠٩
- الكاظمية في عهد المغول ٢١٦
- الإمام الكاظم ٢٢٠
- تعليقات على أقوال دونالدسون ٢٢٤
- الامام الكاظم في كتاب هولستر ٢٢٩ موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج ٩ ؛ ص ٣١٩
- مام الجواد ٢٣٠
- الشاه اسماعيل و سليمان القانوني في الكاظمية ٢٣٧
- السلطان مراد في الكاظمية ٢٤١
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ٩، ص: ٣٢٠
- في النصف الثاني من القرن السابع عشر ٢٤١
- في عهد نادر شاه ٢٤٢
- الرحالة نيبور ٢٤٣
- اواخر القرن الثامن عشر ٢٤٤
- النصف الأول من القرن التاسع عشر ٢٤٥
- فيليكس جونز في الكاظمية ٢٤٨
- اصلاحات مدحت باشا في الكاظمية ٢٥٢
- زيارة مدام ديولافوا ٢٥٥
- نهاية القرن التاسع عشر ٢٦٢
- اعلان الجهاد في الكاظمية ٢٦٣
- انسحاب الأتراك من بغداد ٢٦٦
- السر رونالدستورز ٢٦٨
- الكاظمية في تقارير الحكام السياسيين ٢٧٠
- المس بيل في الكاظمية ٢٧٣
- الحركة الوطنية في الكاظمية ٢٨٠
- الكاظمية و الثورة العراقية ٢٨٧
- الكاظمية و فيصل الأول ٢٩٠
- المعارضة في الكاظمية ٢٩١
- معارضة الكاظمية للمجلس التأسيسي ٢٩٤
- حادث ١٩٢٧ ٢٩٧
- صحفي امريكي في الكاظمية ٢٩٩
- تقرير عن تقدم العراق ١٩٢٠ - ١٩٣١ ٣٠١
- فرايا ستارك في الكاظمية ٣٠٢

فاجعة الكاظمية في ٣٠٨ ١٩٣٥

بيان رسمي ٣٠٩

حوادث الرميثة ٣١١

الكاظمية في حوادث ١٩٤١-٣١٢

بعد حوادث ١٩٤١ ٣١٤

الجزء العاشر

[القسم الأول]

إشارة

السلك الناظم لدفناء مشهد الكاظم
كتبه المرحوم الدكتور مصطفى جواد
خريج جامعة السوربون بباريس المتخصص في التاريخ العربي و عضو المجمع العلمي العراقي ببغداد و المجمع العلمي العربي بدمشق
و المتوفى بعيد الانتهاء من كتابة هذا البحث
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٧

كلمة التصدير

كان المقتضى أن يخرج هذا الجزء، و الجزء الأول من المدينة المنورة قبل سنة أو سنتين من هذا التاريخ حسب ما ألف متبوعو سلسلة
موسوعة العتبات المقدسة التي التزمنا أن نعد منها جزئين كاملين في كل سنة على قدر الامكان، و لكن الظروف- و للظروف أحكامها
كما يقولون- و التي لا يستطيع أحد أن يتحكم فيها و يجعل الالتزام ممكنا في كل وقت و بصورة متقنة كاملة كما يتوقع القراء هي
التي حالت بيننا و بين صدور هذين الجزئين في الموعد المقرر المنتظر، فلقد اشتد عارض المرض لأحد كبار عمداء التأليف في هذه
الموسوعة و هو العلامة الفذ الدكتور مصطفى جواد فحال اضطراره للسفر إلى خارج العراق بقصد المعالجة دون مواصلة بحثه، و كان
هذا القسم من بحثه من الأهمية بحيث لا يجوز تجاوزه إلى غيره من البحوث، و لكن الخوف بدأ يشتد على صحته يوما بعد يوم، فرأينا
أن يكون ختام حياته الغالية المثمرة المفيدة بشيء يكون من أعلى- ان لم يكن أعلى على الاطلاق- ما جادت به ملكاته العلمية، و ما
توصلت إليه بحوثه العميقة في جذور التاريخ.

و لقد أصابت الظروف بما وضعت من عراقيل في تأخير إعداد هذين الجزئين، إذ مكنت الدكتور مصطفى جواد من الحصول على
فترة استجمام نسبية ربما كانت بمثابة صحوة موت طويلة استطاع فيها أن يكمل ما بدأ به من تحقيق عن المشاهير الذين كان لهم شأن
ملحوظ في التاريخ ممن قبروا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٨

في مقابر الكاظمين و التعريف بهم و عرض نبذ من ترجمة حياتهم و ذلك خلال سبعة قرون تبدأ من القرن الثاني الهجري و تنتهي
بالقرن الثامن، على أن يواصل- لو مد في عمره- عرض هذه التراجم في الجزء الثالث من قسم الكاظمين حتى ينتهي به في القرن
الرابع عشر الهجري، و هو القرن الحالي و لكن مشيئة الله التي لا راد لها اقتضت ان توتره برحمته فيودع هذه الدار بعد أن ملأها بأثمن
الذكريات من مجهوده العلمي و الأدبي واقفا من هذه التراجم عند القرن الثامن الهجري.

وميزة هذه التراجم التي كتبها الدكتور مصطفى جواد في هذا الجزء و هو على فراش الموت هي أنها خلاصة لبحوث مغربلة منخولة من الحوادث التاريخية التي انطمس بعضها و لم يعرف التاريخ شيئاً عنها لو لا عثور المرحوم الدكتور مصطفى جواد على وثائق مهمة و لو لا استنتاجات أخرجها من بين العروض الضمنية في بحوث- لا شك أن بعضها قد غاب عن ذهن أكثر العلماء و الباحثين- إن لم يكن كلهم- حتى اجتمع لدينا من هذا المجهود: هذا القدر الكبير من التراجم التي ستصبح بعد نشر هذا الجزء مصدراً مهماً آخر و مرجعاً للمحققين و المؤرخين.

تغمد الله الفقيد برحمته و أثابه على ما قدم من خدمات جليئة للعلم و العرفان، و طاب ثراه.

بغداد دار التعارف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٩

السلك الناظم لدفنائه مشهد الكاظم و هو في سير دفنائه المشهد الكاظمي من الأعيان القسم الأول

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم و صلواته على نبيه الصادق الأمين و سلامه على آله الطيبين الطاهرين و رضوانه عن صحابته الأكرمين و بعد فهذه تراجم لثلة من الأعيان من وزراء و علماء و متصرفين و أدباء و شعراء و كتاب و محدثين من الأعيان دفنوا في مشهد الإمام موسى بن جعفر- عليهما السلام- و قفت على سيرهم في أثناء مطالعتي كتب التاريخ فوددت أن أجمعهم هنا ذاكراً لهم فيه على حسب سني الوفاة، و لم أقتصر في الترجمة على قول واحد و لا- مرجع واحد ما اتسع لي المجال لاستقصاء الأحوال، و قد التزمت بإيراد أقوال المؤرخين و الأدباء بنصوصها لأنني لم أرد إلا الجمع المتقضى و الذكر المستقصى، و ذلك أضمن للأمانة في النقل و أحوى للفوائد أروى لأوام الباحث، و هذا هو القسم الأول من بحث الجزء الثاني من موسوعة العتبات المقدسة، فإن يسير الله و أطال في العمر و أدام الصحة اجتهدت في جمع تراجم القسم الثاني للجزء الثالث من موسوعة العتبات المقدسة لقسم الكاظمين و إلا فالعمل مفتوح المجال لكل من يقوم به من الأدباء الفضلاء من أسرة موسوعة العتبات المقدسة القلمية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٠

و مما يجب أن نذكره قبل ذكر الأعيان المدفونين في مقبرة مشهد الإمام موسى بن جعفر- عليه السلام- هو أن مدفنه لم يعرف باسم المشهد إلا بعد وفاته سنة ١٨٣ و دفنه فيه و لذلك لا يصح أن يقال لمن دفنوا في مقابر قريش قبل ذلك التاريخ إنهم مدفونون في المشهد و الصحيح أنهم مدفونون في مقابر قريش. فالمدفونون في المشهد يبدأ تاريخهم من بعد وفاة الإمام و لو بيوم أو يومين أو ثلاثة أيام.

مصطفى جواد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١١

دفنائه المشهد الكاظمي الذين دفنوا في الكاظمين بعد دفن الإمام

القرن الثاني الهجري سنة ١٨٥

١- و أبو اسحاق إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني من أهل المدينة، قال الخطيب البغدادي: «كان قد نزل بغداد و أقام بها إلى حين وفاته و لم يزل ببغداد من عقبه جماعة يروون العلم حتى انقرضوا بآخرة» و ذكر الشيوخ الذين روى

عنهم ثم قال: و ابراهيم ابن سعد من أكثر أهل المدينة حديثاً في زمانه: و روى عن بعضهم أن الإمام أحمد بن حنبل قال له: كف عن حديث إبراهيم بن سعد ثم حدث عنه بعد. قال الراوى: قلت لم؟ قال: لا أدري إبراهيم ثقة. و روى عن آخر قال: إبراهيم بن سعد صدوق من أهل المدينة و أبوه كان من جلة المسلمين و كان على قضاء المدينة. قلت: و ما الذى يغنيه عنه كون أبيه من جلة المسلمين و الحديث فى كونه صادق الرواية أو كاذبها؟ و نقل الخطيب أن إبراهيم بن سعد الزهرى قدم العراق سنة ١٨٤ هـ و أتاه بعض أصحاب الحديث ليسمع منه أحاديث فسمعه يتغنى. فقال: لقد كنت حريصاً على أن أسمع منك فأما الآن فلا سمعت منك حديثاً أبداً. فقال إبراهيم: إذن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٢

لا أفقد إلا شخصك، على و على إن حدثت ببغداد ما أقمت حديثاً حتى أغنى قبله. و شاعت هذه عنه ببغداد فبلغت الرشيد فدعا به فسأله عن حديث المخزومية التى قطعها النبي (ص) - فى سرقة الحلوى، فدعا بعود فقال الرشيد: أعود المجرم؟ قال: لا و لكن عود الطرب. فتبسم، ففهمها إبراهيم بن سعد فقال: لعله بلغك يا أمير المؤمنين حديث السفية الذى آذاني بالأمس و أجزاني إلى أن حلفت؟ قال: نعم. و دعا الرشيد بعود فغنى:

يا أم طلحة إن البين قد أفداقل الشواء لئن كان الرحيل غداً

فقال الرشيد: من كان من فقهاؤكم يكره السماع؟ قال: من ربطه الله. قال: فهل بلغك عن مالك بن أنس فى هذا شىء؟ قال: لا و الله إلا- أن أبى أخبرنى أنهم اجتمعوا فى مدعاة كانت فى بنى يربوع و هم يومئذ جلة و مالك أقلها من فقهه و قدره و معهم دفوف و معازف و عيدان يغنون و يلعبون و مع مالك دف مربع و هو يغنيهم:

سليمى أجمعت بينافأين لقاؤنا أينا؟

و قد قالت لأتراب لها زهر تلاقينا

تعالين فقد طاب لنا العيش تعالينا

فضحك الرشيد و وصله بمال عظيم، و قال الخطيب قبل ذلك: أكرمه الرشيد و أظهر بزه و سئل عن الغناء فأفتى بتحليله. ثم روى الخطيب أن إبراهيم الزهرى توفى سنة ١٨٤ أو سنة ١٨٥ أو سنة ١٨٣ على رواية ضعيفة عن خمس و سبعين و دفن فى مقابر باب التبن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٣

القرن الثالث الهجرى

سنة «٢٠٧» هـ

٢- يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب -- عليهم السلام- ذكره الخطيب البغدادي قال: «سكن بغداد و حدث عن أبيه و روى عنه على بن حفص بن عمر العيسى. أخبرنا على بن محمد بن عيسى البزاز فيما أذن أن نرويه عنه، حدثنا محمد بن عمر بن سالم الحافظ قال: يحيى بن الحسين بن زيد بن على ابن الحسين بن على قالوا: كان ببغداد و مات يوم الأربعاء لأربع خلون من شهر ربيع الآخر من سنة سبع و مائتين و دفن فى مقابر قریش ببغداد و صلى عليه عبد الله بن هارون (المأمون) و دخل قبره.»

و قال السيد ابن عنبه فى الكلام على عقب الحسين ذى الدمعة: «أما يحيى أبو الحسين ابن ذى الدمعة و فى ولده البيت و العدد فأعقب من سبعة رجال «و جاء فى هامش العمدة: «و كانت وفاة يحيى بن الحسين هذا فى سبع أو تسع و مائتين ببغداد و صلى عليه المأمون.»

وقد أيد السبع أى سنة ٢٠٧ ما فى تاريخ الخطيب، كما أوضح الخطأ الوارد فيه ما ورد فى هامش طبعه بمبى للكتاب المذكور.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٤

سنة «٢١٠» هـ

٣- وفى سنة عشر و مئتين قتل المأمون إبراهيم بن محمد المعروف بابن عائشة ثم أمر بصلبه على الجسر الأسفل ثم أنزل و دفن فى مقابر قريش، قال أحمد بن أبى طاهر طيفور الكاتب المؤرخ: «لما كان سنة عشر و مئتين أخذ إبراهيم بن عائشة و مالك بن شاهى و أصحابهم يوم السبت لست خلون من صفر، و أمر المأمون بحبسهم (فى المطبق) و كان مقتل ابن عائشة و محمد ابن إبراهيم الأفريقى و أصحابهم ليلة الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، و صلبوا يوم الثلاثاء و صلب البغوارى معهم ليلة بقيت من رجب، و كان سبب حبسهم أنهم كانوا يدعون إلى ابراهيم بن المهدي ... قال القاسم بن سعيد فقلت للفضل، بلغنا أن ابن عائشة شتم المأمون فى وجهه تلك الليلة و أن ذلك دعاه إلى قتله. فقال: لا و لا كلمة واحدة البتة» .

و قال هذا المؤرخ نفسه: «قال ابن شبانة: أقام المأمون إبراهيم بن عائشة فى الشمس ثلاثة أيام على باب المأمون و ضربه يوم الثلاثاء بالسياط و حبسه فى المطبق، و ضرب مالك بن شاهى و أصحابه و كتبوا للمأمون تسمية من دخل معهم فى هذا الأمر من القواد و غيرهم فلم يعرض لهم المأمون، و كانوا قد اتعدوا أن يعطفوا الجسر إذا خرج الجند يستقبلون نصر بن شيبث، فغمز بهم فأخذوا و دخل نصر وحده، لم يستقبله أحد ... قال عياش بن الهيثم: لما كان فى ليلة المطبق حضرت فى واسط من القوم فرآنى المأمون، فقال: يا بائع العساكر يا صديق عيسى بن أبى خالد، تأخر إلى الساعة؟

ما أملكه صدقة و قتلنى الله إن أقتلك. فاخفيت منه، ثم قلت: إن لم يرنى فذاك أسرع لذكرك، فظهرت له و قد خرج من الطاقات فنظر إلى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٥

فقال: أدن. فدنوت. فقال: من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير (منها) و ليكفر و الكفارة أصلح من قتلك، و لا تعد،

قال ابن شبانة: و فى سنة عشر و مئتين قتل إبراهيم بن عائشة و من كان محبوبا معه و فيهم رجل يقال له أبو مسمار من شطار بغداد و رجل آخر لم يسمه، و كان السبب فى قتلهم بعد حبسهم أن أهل المطبق رفع عليهم أنهم يريدون أن يشغبوا و أن ينقبوا السجن، و كانوا قبل ذلك بيوم قد سدوا باب السجن من داخل فلم يدعوا أحدا يدخل عليهم، فلما كان الليل و سمعوا شغبهم و أصواتهم و بلغ أمير المؤمنين (المأمون) خبرهم ركب إليهم و دعا بهؤلاء الأربعة فضرب أعناقهم، فلما كان بالغداه صلبهم على الجسر الأسفل و ذلك فيما ذكر محمد بن الهيثم بن شبانة فى ليلة الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، و لما كان من غد يوم الأربعاء أنزل إبراهيم ابن عائشة فكفن و صلى عليه و دفن فى مقابر قريش، و أنزل الأفريقى فدفن فى مقابر الخيزران من الجانب الشرقى و ترك الباقيون على حالهم. و قد ذكروا أن ابن عائشة و أصحابه كانوا دسوا من أحرق سوق العطارين و الصيارفة و الصفارين و الفزائين و أصحاب الراهدار و بعض الزياتين و ذلك ليلة السبت ليلة بقيت من جمادى الأولى، و قبل ذلك أو بعده أحرقوا أصحاب الحطب فى البغيين و قال بعضهم ليلة الجمعة لأربع خلون من رجب و قال بعضهم قبل ذلك. و قال القاسم بن سعيد سمعت الفضل بن مروان يقول: كان أبو اسحاق المعتصم بالله فى الليلة التى ركب المأمون فيها لقتل ابن عائشة عليلا.

قال: فبعث المأمون إلى أبى اسحاق: إبعث إلى بكاتبك الفضل و ليكن معه جميع قوادك و جنديك. فركبت أناوهم جميعا معى و قلت: ليس هو إلى شىء أحوج منه إلى شمع، و كان فى خزانه أبى اسحاق يومئذ سبع مئة شمعة، فحملتها معى و رفعت إلى كل واحد

من الرجاله عشرا يحملها ثم دخلنا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٦

المدينة فلم نصل إلى المأمون من كثرة الناس. فقلت له: بلغني أن حميدا كان أول من لحق به. فقال: لا. وجاء اسحاق بن إبراهيم فلم يصل من الزحام و كان شاربا- يعنى اسحاق- كان يشرب عنده تلك الليلة عمير الباذغيسي، و كان المأمون أيضا شاربا و لم يكن بالمتلىء. قال: فوقفت في طريقه في المدينة، فلما انصرف بعد قتل ابن عائشة فبلغ إلى موضعي نزلت عن دابتي. فقال: من هذا؟ قلت: الفضل جعلني الله فداء أمير المؤمنين. فقال: أركب معك القواد و الجند؟ قلت: نعم. قال: و معك الشمع؟ قلت: نعم. فأمرت حينئذ بعض من يقرب مني أن يقف ثلاث مئة رجل من الرجال مع كل واحد منهم شمعة على باب خراسان. ففعلوا، فلما انتهى إليهم قال: ما هذا. قلت: الشمع الذي سألتني عنه أمير المؤمنين قال: بارك الله عليك. ثم قال لي: خلف جميع من معك ها هنا. و فيهم الأفشين و أشناس، و تقدم إليهم أن يقفوا- يعنى في المدينة- على ظهور دوابهم و يفوقوا قشهم فان تحرك شيء أتوا عليه قال الفضل فامرتهم بذلك ثم قال امض إلى أخي فاقتره السلام و قل له: قد قتل الله عدوا لك من حاله و أمره. و من قبل ذلك قد أمرني بالمقام في المدينة ثم قال: لهذا غيرك، فحينئذ أمرني أن أخلف من معي هناك مستعدين، ثم بكر هو على ابن اسحاق فخبره الخبر و قال له: قام الفضل بما نحتاج إليه. فكان أبو اسحاق بعد ذلك لا يخلى خزائنه من خمسة آلاف شمعة عدّة ... قال:

و لما ركب المأمون في الليلة التي قتل فيها إبراهيم بن عائشة و الأفريقي و أصحابه التفت فإذا هو بعبد الرحمن بن اسحاق فقال له: جزاك الله خيرا فأنت و الله للसार و الغار و الخير و الشرّ و الشدة و الرخاء لا كالمنتفخ الأعفاج، الكثير اللجاج لا يمت بتقديم حرمة و لا بحديث خدمه أكثر من كان في الفتنة شاطرا و في السلامة مقامرا. قال: و إذا عياش بن القاسم صاحب الجسر قد طلع،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٧

فقال له: يا ابن اللخناء يحضر الحاكم ضرب الأعناق و صاحب الشرطة مشغول بمجالسة الفساق ... و استقبله الجعفرى الملقب بكلب الجنة و معه لحاف قد تترس به و عصا قد أخذها من حطب البقال، فقال: ما هذا؟ فقال:

يا سيدى لم يحضرني غير لحافى فجعلته مجننا و عصا وجدتها مع حطب البقال فاختلستها منه. فقال: لله أبوك فقد جدت بنفسك و أسرعت إلى إمامك.

و أمر له بعشرين ألف درهم ... قال ابن مسعود القتات: لما قتل المأمون ابن عائشة و أصحابه تمثل بشعر مسلم بن الوليد فقال:

«أنا النار في أحجارها مستكئة فان كنت ممن يقدح النار فاقدح»

سنة ٢١٦ هـ

إشارة

٤- و أمة العزيز زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور، ذكرها الخطيب البغدادي قال: «زوجة هارون الرشيد و أم ولده الأمين، كانت معروفة بالخير و الافضال على أهل العلم و البرّ للفقراء و المساكين و لها آثار كثيرة في طريق مكة من مصانع حفرتها و برك أحدثتها و كذلك بمكة و المدينة، و ليس في بنات هاشم عباسية ولدت خليفه إلا هي، و يقال إنها ولدت في حياة المنصور فكان المنصور يرقصها و هى صغيرة فيقول لها:

أنت زبيدة و أنت زبيدة، فغلب ذلك على اسمها» ثم روى أنها ماتت ببغداد في جمادى الأولى سنة ست عشرة- يعنى و مائتين- و لزبيدة ترجمة حسنة في وفيات الاعيان لابن خلكان و قد علمنا انها دفنت في مقابر قریش مما ذكره عز الدين ابن الأثير في فتنة سنة «٤٤٣» بين الامامية و الحنابلة قال:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٨

و احترق ضريح موسى و ضريح ابن ابنه محمد بن على الجواد و القبتان الساج اللتان عليهما و احترق ما يقابلهما و يجاورهما من قبور

ملوك بني بويه:

معز الدولة و جلال الدولة و من قبور الوزراء و الرؤساء و قبر جعفر بن أبي جعفر المنصور و قبر الأمين محمد بن الرشيد و قبر أمه زبيدة» .

إبراهيم المرتضى ابن موسى الكاظم - ع -

٥- قال ابن الطقطقى فى كتابه الأنساب المطبوع باسم غاية الاختصار فى أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار المنحول لتاج الدين بن زهرة الحلبي و قد ذكر السيد إبراهيم بن الإمام موسى - ع - : « كان سيدا أميرا جليلا عالما فاضلا، روى الحديث عن آبائه عليهم السلام. مضى إلى اليمن و تغلب عليها فى أيام أبي السرايا و يقال إنه ظهر داعيا إلى أخيه الرضا - عليه السلام - فبلغ المأمون ذلك فشفعه فيه و تركه. توفى ببغداد و قبره بمقابر قريش عند أبيه - عليهم السلام - فى تربة مفردة معروفة - قدس الله روحه و نور ضريحه - » .

قال جمال الدين القفطى فى ترجمة عبد الله بن سهل النوبختى: «و كان المأمون قد رأى آل أمير المؤمنين على بن أبى طالب متخشين مختفين من خوف المنصور و من جاء بعده من بنى العباس و رأى العوام قد خفيت عنهم أمورهم بالاختفاء فظنوا بهم ما يظنونهم بالأنبياء و يتفوهون فى صفتهم بما يخرجهم عن الشريعة من التعالى فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل ثم أفكر أنه إذا فعل هذا بالعوام زادهم إغراء فنظر فى هذا الأمر نظرا دقيقا و قال:

لو ظهروا للناس و رأوا فسق الفاسق منهم و ظلم الظالم لسقطوا من أعينهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٩

و لا نقلب شكرهم لهم ذمّا ثم قال: إذا أمرناهم بالظهور خافوا و استتروا و ظنوا بنا سوءا و إنما رأى أن نقدّم أحدهم و يظهر لهم إماما فإذا هذا أنسوا و ظهروا و أظهروا ما عندهم من الحركات الموجودة فى الآدميين، فيتحقّق العوام حالهم و ما هم عليه مما خفى بالاختفاء فإذا تحقق ذلك أزلت من أقمته ورددت الأمر إلى حالته الأولى، و قوى هذا الرأى عنده و كتم باطنه عن خواصه و أظهر للفضل بن سهل أنه يريد أن يقيم إماما من آل أمير المؤمنين على - صلوات الله عليه - و أفكر هو و هو فيمن يصلح فوق اجتماعهما على الرضا فأخذ الفضل بن سهل فى تقرير ذلك و ترتيبه و هو لا يعلم باطن الأمر، و أخذ فى اختيار وقت لبيعة الرضا فاختر طالع السرطان و فيه المشتري. قال عبد الله بن سهل بن نوبخت هذا: أردت أن أعلم نية المأمون فى هذه البيعة و أن باطنه كظاهرة أم لا، لأن الأمر عظيم، فأنفذت إليه قبل العقد رقعة مع ثقة من خدمه - و كان يجيء فى مهم أمره - و قلت له إن هذه البيعة فى الوقت الذى اختاره ذو الرئاستين لا تتم بل تنقص لأن المشتري و إن كان فى الطالع فى بيت شرف فان السرطان برج منقلب و فى الرابع و هو بيت العاقبة المريخ و هو نحس و قد أغفل ذو الرئاستين هذا. فكتب إلى «قد وقفت على ذلك أحسن الله جزاءك فاحذر كل الحذر أن تتبه ذا الرئاستين على هذا فإنه إن زال عن رأيه علمت أنك أنت المتبه له». فهم ذو الرئاستين بذلك، فما زلت أصوب رأيه الأول خوفا من اتهام المأمون لى و ما أغفلت أمرى حتى مضى أمر البيعة فسلمت من المأمون». و قال ابن الفوطى «المرتضى أبو أحمد إبراهيم بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد (الباقر) العلوى العابد كان من العباد الزهاد، العلماء الأفراد، و كان يترنم دائما بهذه الأبيات:

لا تغبطن إذا الدنيا تزخر بها و لا للذة وقت عجلت فرحا

فالدهر أسرع شىء فى قلبه و فعله بين للخلق قد وضحا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٠ كشارب عسلا فيه منيته فكم تقلد سيفا من به ذبحا

٦- قال ابن الطقطقى فى كتابه المذكور المغير الاسم: «كان صالحا متعبدا ورعا فاضلا يروى الحديث. قال: رأيت له كتابا فى سلسلة الذهب يروى عن المؤلف و المخالف، كان يقول: أخبرنى أبى إبراهيم قال حدثنى أبى موسى الكاظم قال حدثنى الإمام الصادق جعفر بن محمد قال حدثنى أبى محمد الباقر قال حدثنى أبى زين العابدين قال حدثنى أبى الامام شهيد كربلا قال حدثنى أبى أمير المؤمنين على بن أبى طالب- عليهم السلام- قال حدثنى رسول الله- صلى الله عليه و (آله) و سلم قال حدثنى جبرائيل عن الله تعالى أنه قال: لا إله إلا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى و من دخل حصنى أمن من عذابى» توفى أبو سبحة ببغداد و قبره بمقابر قريش مجاورا لأبيه و جده- عليهما السلام- فحصدت عن قبره فدللت عليه و إذا موضعه فى دهليز حجرة صغيرة ملكك مبارك الجوهري الهندي» .

و مبارك الهندي هو أمير الدين الجوهري نقيب مشهد الامام موسى بن جعفر-ع- جاء فى تاريخ الحوادث فى حوادث سنة ٦٧٤هـ و فيها عزل أمين الدين مبارك الهندي الجوهري من نقابة مشهد موسى بن جعفر-ع- و عين فى النقابة نجم الدين على بن الموسوى، و لما كان مبارك المذكور نقيبا قال فيه بعض الشعراء:

رأيت فى النوم إمام الهدى موسى حليف الهم و الوجد

يقول ما تنكبني نكبة إلا من الهند أو السند

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢١ تحكم السندى فى مهجتي و حكم الهندي فى ولدى

فلعن الله على من به تحكم السندى و الهندي

و قال السيد ابن عنبه: «و أما ابراهيم المرتضى بن موسى الكاظم و هو الأصغر، و أمه أم ولد نوبية اسمها نجية قال الشيخ أبو الحسن العمري:

ظهر باليمن أيام أبى السرايا. و قال أبو نصر البخارى: إن ابراهيم الأكبر ظهر باليمن و هو أحد أئمة الزيدية و قد عرفت حاله و أن لم يعقب. و أعقب إبراهيم المرتضى ابن الكاظم من رجلين موسى أبى سبحة و جعفر

أما موسى أبو سبحة ابن المرتضى فله أعقاب و انتشار و البيت و العدد فى ولده أعقب من ثمانية رجال؛ أربعة مقلون و أربعة مكثرون .

سنة ٢٥٣ هـ

(٧)- و أبو العباس محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب أبو العباس الخزاعى بالولاء، ذكره الخطيب البغدادي فى تاريخ بغداد قال:

«كان شيخا فاضلا و أدبيا شاعرا ... و كان مألفا لأهل العلم و الأدب و قد أسند حديثا عن أبى الصلت الهروى» و قال: «ولى إمارة بغداد أيام المتوكل.

و هو أمير ابن أمير ابن أمير» و أسند إليه حديثا و ذكر أنه قال فى إسناده:

«كنت واقفا على رأس أبى و عنده أحمد بن محمد بن حنبل و إسحاق بن راهويه و أبو الصلت الهروى فقال أبى: ليحدثنى كل رجل منكم بحديث.

فقال أبو الصلت: حدثنى على بن موسى الرضا- و كان و الله رضا كما سمى- عن أبىه موسى بن جعفر عن أبىه جعفر بن محمد عن أبىه محمد بن على عن أبىه على بن الحسين عن أبىه الحسين بن على عن أبىه على قال قال

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٢

رسول الله - ص: الإيمان قول و عمل. فقال بعضهم: ما هذا الاسناد؟! فقال له أبي: هذا سعوط المجانين إذا سعط به المجنون برأ. ثم قال الخطيب:

«أخبرني أبو القاسم الأزهرى أخبرنا أحمد بن إبراهيم حدثنا إبراهيم بن محمد ابن عرفه قال: و في هذه السنة - يعنى سنة ٢٥٣- لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة انكسف القمر فى أول الليل حتى ذهب أكثره فلما انتصف الليل مات محمد بن عبد الله بن طاهر و كان به خراج فى حلقه فاشتد فعولج بالفتائل ... و دفن فى مقابر قريش».

و قال الطبرى فى حوادث هذه السنة: «و ليلة أربع عشرة من ذى القعدة منها انخسف القمر فغرق كله أو غاب أكثره و مات محمد بن عبد الله بن طاهر مع إنتهاء خسوفه فيما ذكر و كانت علتة التى مات فيها قروحا أصابته فى حلقه و رأسه فذبحته و ذكر أن القروح التى كانت فى حلقه و رأسه كانت تدخل فيها الفتائل».

سنة ٢٨٨ هـ

٨- و فى شهر ربيع الأول من سنة ٢٨٨ توفى أبو على بشر بن موسى ابن صالح الأسدى المحدث. ولد سنة «١٩٠» ببغداد و نشأ بها و طلب الحديث فسمع من روح بن عبادة حديثا واحدا و من حفص بن عمر العدنى حديثا واحدا و سمع كثيرا من هوذة بن خليفة و الحسن بن موسى الأشيب و أبى نعيم و على بن الجعد و الأصمعى و غيرهم و كان آباؤه من أهل البيوتات و الفضل و الرئاسة و النبيل، قال أبو الفرج بن الجوزى: «و كان هو فى نفسه ثقة أمينا عاقلا ركيئا و كان أحمد بن حنبل يكرمه» و نقل بسنده قوله: ضعفت و من جاز الثمانين يضعف و ينكر منه كل ما كان يعرف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٣ و يمشى كالأسير مقيدا تادانى خطاه فى الحديد و يرسف قال ابن الجوزى بعد ذلك: «توفى بشر فى ربيع الأول من هذه السنة - يعنى سنة ٢٨٨- و صلى عليه محمد بن هارون بن العباس الهاشمى صاحب الصلاة و دفن فى مقبرة باب التبن و كان الجمع كثيرا».

سنة ٢٩٧ هـ

٩- و قال عريب بن سعد القرطبي فى وفيات سنة ٢٩٧: «و فى شوال منها توفى محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر المعروف بالصناديقى و دفن فى مقابر قريش و صلى عليه القاضى أحمد بن اسحاق بن البهلولى» و ذكره الخطيب فىمن روى الحديث النبوى بنسب النيسابورى و قال: «دفن إلى جنب عمه محمد بن عبد الله بن طاهر» و لم يذكر الموضع فى الترجمة هذه و إنما ذكره فى ترجمته عمه محمد بن عبد الله بن طاهر و قد ذكرناها آنفا.

سنة ٣٠٠ هـ

١٠- و قال عريب فى حوادث هذه السنة: «و فى شوال من هذا العام توفى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر و كان أكثر الناس أدبا و جلاله و فهما و مروءة و هو ابن إحدى و ثمانين سنة و صلى عليه أحمد بن عبد الصمد الهاشمى و دفن فى مقابر قريش» و لعبيد الله الطاهرى هذا ترجمة و أخبار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٤

حسنه ذكرها أبو الحسن على بن محمد الشابشتى و ذكرها الخطيب البغدادى و قال فيما قال: «ولى إمارة بغداد و حدث عن أبى الصلت الهروى و الزبير ابن بكار و روى عنه محمد بن يحيى الصولى و عمر بن الحسن الأشنانى و أبو القاسم الطبرانى و كان فاضلا أديبا شاعرا فصيحاً» و كان مما روى عن أبى الصلت عن الامام الرضا - ع - قول النبى (ص): «أسرع الذنوب كفران النعم» و قوله:

«الايمان عقد بالقلب و نطق باللسان و عمل بالأركان».

و ذكر أن مولده كان سنة ٢٢٣ و لم يذكر أنه دفن بمقابر قريش. و ذكر ابن خلكان أنه ألف كتاب «الإشارة في أخبار الشعراء» و كتاب «الرئاسة في السياسة الملوكية» و كتاب «مراسلاته لعبد الله بن المعتز» و كتاب «البراعة و الفصاحة» ثم قال: «و كانت وفاته ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاثمائة ببغداد و دفن بمقابر قريش - رحم -». .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٥

القرن الرابع الهجري

سنة ٣٠٤ هـ

١١- و قال عريب القرطبي في حوادث سنة ٣٠٤: «و في المحرم من هذه السنة توفي عبد العزيز بن طاهر بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن طاهر و كان عبدا صالحا حسن المذهب كثير الخير و دفن في مقابر قريش، و صلى عليه مطهر بن طاهر» .

سنة ٣٠٥ هـ

و في ذي الحجة من سنة ٣٠٥ توفي أبو موسى سليمان بن محمد بن أحمد المعروف بالحامض النحوي، قال أبو الفرج بن الجوزي: «كان من علماء الكوفيين، أخذ عن ثعلب و صحبه أربعين سنة و هو المقدم من أصحابه و الذي جلس بعده في مجلسه و صنف كتبا منها غريب الحديث و خلق الانسان و الوحوش و النبات. يروى عنه أبو عمر الزاهد و كان ديناً صالحاً و توفي في ذي الحجة من هذه السنة - يعني سنة ٣٠٥ - و دفن بباب التين» .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٦

سنة ٣١٧ هـ

١٣- و في سنة ٣١٧ توفي عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان ابن سابور بن شاهنشاه أبو القاسم ابن بنت أحمد بن منيع أي سبطه. ترجمه الخطيب و ذكر ما خلاصته أنه «بغوى الأصل. ولد ببغداد و نشأ فيها و طلب الحديث النبوي و سمع عليه بن الجعد و طبقتة من الشيوخ المحدثين و روى عنه يحيى بن محمد بن صاعد و جماعة من طبقتة من الرواة» قال الخطيب: «و كان ثقة ثبتا مكثرا فهما عارفا» و روى بسنده إليه أنه قال:

«رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام إلا أني لم أسمع منه شيئا و شهدت جنازته» و قال: «ولدت سنة ثلاث عشرة و مئتين» و قال ابن شاذان: و مات في ليلة الفطر من سنة سبع عشرة و ثلاث مئة سنة و أربع سنين. و نقل الخطيب رواية أخرى بأن مولده سنة ٢١٤ و أول ما كتب الحديث سنة ٢٢٥. ثم قال:

«أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق أخبرنا إسماعيل بن علي الخطيب قال:

توفي أبو القاسم عبد الله بن محمد بن منيع الوراق ليلة الفطر من سنة سبع عشرة و ثلاث مئة و دفن يوم الفطر و قد أستكمل مئة سنة و ثلاث سنين و شهرا واحدا. قلت: و دفن في مقبرة باب التين» .

سنة ٣١٧ هـ

١٤- و أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور ابن شاهنشاه ابن بنت أحمد بن منيع، ذكره لخطيب البغدادي

قال:

«بغوى الأصل ولد ببغداد» و ذكر أن مولده بها كان سنة ٢١٤ و أنه روى الحديث بعد سماعه إياه على الشيوخ المشهورين الذين أدركهم و كان ثقةً ثبتاً مكثراً و ذكر أنه حكى عن نفسه قال: «كنت أوردُ فسألت جدّي احمد بن منيع أن يمضى إلى سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى يسأله أن يعطينى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٧

الجزء الأول من المغازى عن أبيه عن ابن اسحاق حتى أوقفه عليه، فجاء معى و سأله فأعطاني الجزء الأول فأخذته و طفت به فأول ما بدأت بأبى عبد لله المغلّس و أريته الكتاب و أعلمته أنى أريد أن أقرأ المغازى على سعيد الأموى فدفع إلى عشرين ديناراً و قال: اكتب لى منه نسخة. ثم طفت بعده بقيه يومى فلم أزل آخذ من عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير و أكثر و أقل إلى أن حصل معى فى ذلك اليوم مائتا دينار، فكتبت نسخاً لأصحابها بشىء يسير من ذلك و قرأتها لهم و استفضلت الباقي». ثم روى الخطيب بسنده عن إسماعيل بن على الخطيبى قال: توفى أبو القاسم عبد الله بن محمد بن منيع الوراق ليلة الفطر من سنة سبع عشرة و ثلاثمائة و دفن يوم الفطر و قد استكمل مائة سنة و ثلاث سنين و شهراً واحداً» قال الخطيب: «و دفن فى مقبرة باب التبن» .

سنة ٣٥٢ هـ

١٥- و ذكر محمد بن عبد الملك الهمداني فى حوادث سنة ٣٥٢ وفاة أبى محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم ابن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة الأزدي المهلبى وزير معز الدولة أحمد ابن بويه، بعد خروجه فى جمادى الآخرة لفتح عمان، و نقل قول أبى حيان التوحيدى إن المهلبى «كان يطرب على اصطناع الرجال كما يطرب سامع الغناء على الستائر و يرتاح لذلك كما يرتاح مدير الكأس على العشاء و قال:

لأ-كوننّ فى دولة الديلم أول مذكور إذ فاتنى أن أكون فى دولة بنى العباس- رح- آخر مذكور» و نقل قول التنوخى: «شاهدت المهلبى و قد اشترى له ورد بألف دينار فى ثلاثة أيام فشرّب عليه و أنهبه» ثم قال المؤرخ: «و دفن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٨

المهلبى بالنوبختية بمقابر قريش» .

و لأبى محمد المهلبى أخبار تاريخية فى تجارب الأمم لمسكويه قال فى آخرها فى حوادث سنة ٣٥٢: «و منها خرج الوزير أبو محمد المهلبى و معه الجيش لفتح عمان و ذلك يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الآخرة فانحدر و بلغ إلى هلتا من فم البحر و اعتلّ، فكنت أسمع من طبيبه فيروز بأنه مسموم لا محالة و كنت أسأله عمّن سمّه فلا يصرح باسمه إلى أن كان بعد ذلك بمدة، و انقضت تلك الأيام فذاكرته بذلك، فقال: كان خرج معه فرج الخادم و كان أستاذ داره و المستولى على خاص أمره و معه جماعة من الخدم يطيعونه و كان قد فارق نعمة ضخمة و خرج من خيش و ثلج و تنعم إلى حرّ شديد و شقاء كثير، و توجه إلى عمان فواطأ الخدم على سمّه و قتله و الراحة من ذلك السفر و ظنّوا أنهم يسلمون و يعودون إلى نعمهم، ثم ذكر أنه مات محمولاً على شبه محفة عائداً إلى بغداد، و كانت وفاته بزواطا .

و ترجم له ياقوت فى معجم الأدباء إلا أن أوائل ترجمته سقطت من النسخة المطبوعة، و نقل ياقوت من تاريخ هلال ابن الصابى شيئاً من مكارمه و قول هلال: «اللهم أنت جدّ الرحمة و الرضوان عليه إنك العلىّ تحب معالى الأمور و أشرافها و تبغض سفاسفها» قال هلال: «و حدث إبراهيم ابن هلال- يعنى جدّه- قال: كان أبو محمد المهلبى يناصف العشرة أوقات خلوته و يبسطنا فى المزح إلى أبعد غاية فإذا جلس للعمل كان امرءاً و قورا و مهيباً و محذورا، آخذاً فى الجدّ الذى لا يتخونه نقص و لا يتداخله ضعف» . و لم يذكر ياقوت مدفنه، و ترجم له ابن خلكان، و ذكر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٩

أن استيزار معز الدولة له في سنة ٣٣٩ و أنه كان من ارتفاع القدر و اتساع الصدر و علو الهمة و فيض الكف على ما هو مشهور به و كان في غاية الأدب و المحبة لأهله، و كان قبل اتصاله بمعز الدولة في شدة عظيمة من الضرورة و الضائقة» ثم قال: «و كانت محاسن الوزير المهلبى كثيرة و كانت ولادته ليلة الثلاثاء لأربعين بقين من المحرم سنة إحدى و تسعين و مائتين بالبصرة و توفى يوم السبت لست بقين من شعبان من سنة اثنتين و خمسين و ثلاثمائة ... و دفن بمقابر قريش في مقبرة النوبختية-رح-».

و قال ابن النجار: «الحسن بن محمد بن هارون أبو محمد المهلبى، كاتب معز الدولة أبى الحسن أحمد بن بويه، و كان من ولد المهلب بن أبى صفرة و كان ينوب أبا جعفر الصيمرى وزير معز الدولة ببغداد فلما مات الصيمرى قلده معز الدولة الوزارة مكانه و خلع عليه و قرّبه و أدناه و تخصص به و تمكنت منزلته عنده. حدث أبو عبد الله الصوفى قال: كنت أنا و أبو محمد المهلبى بسيراف في أيام حدائته و صلحكته فأنشدنى لنفسه و قد مسّته إضافة:

ألا موت يباع فاشتره فهذا العيش مالا خير فيه؟

ألا رحم المهيمن روح ميت تفضل بالوفاء على أخيه

ثم وردت بعد سنين كثيرة فألفيته بها وزيرا مالكا للأموال فكتبت إليه:

قصدت إلى الوزير بلا احتشام ذكره زمانا قد نسيه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٠ زمانا كان ينشدنى و قيذا «ألا موت يباع فاشتره»

فوقع على ظهر ورقتى المتضمنة هذه الأبيات:

رقّ الزمان لفاقتى ورثى لطول تحرقى

فأنالنى ما أشتهى و أدال مما بقى (كذا)

فلأغفرن له الكثير من الذنوب السبق

حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرقى

و وصلنى و أحسن إلى و أغنانى. و من شعر الوزير المهلبى:

قال لى من أحبّ و البين قد جلّه و فى مهجتى لهيب الحريق

ما الذى فى الطريق خلفى (قل لى) قلت أبكى عليك طول الطريق

و له:

أعطيتنى للهوى بى خاتما اسمك مكتوب على فضّه

ما روّعتنى زفرات الهوى إلا تروّحت إلى مصه

و له:

يا هلالا يبدو فتهتاح نفسى و هزارا يشدو فيزداد عشقى

زعم الناس أن رّقك ملكى كذب الناس أنت مالك رقى

مولده بالبصرة في يوم الثلاثاء لأربع ليال بقين من المحرم سنة إحدى و تسعين و مائتين، و ذكر أبو القاسم التنوخى أنه توفى في شعبان سنة اثنتين و خمسين و ثلاثمائة بزواطا- رحمه الله تعالى- و حمل تابوته إلى بغداد فدفن بمقابر قريش و كانت مدة وزارته ثلاث عشرة سنة و ثلاثة أشهر» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣١

و فضل قصة المهلبى أبو اسحاق الحصرى أحسن تفصيل مع أنه مغربى قال بعد ذكر اشعار فى مدح المهلبى الوزير: «و المدح فى أبى محمد المهلبى كثير و إنما يؤخذ من كل شىء ما اختير، و كان قبل تعلقه بحبال السلطان سائحا فى الأرض على طريق الفقر و التصوف قال أبو على الصوفى كنت معه فى بعض أوقاته، أماشيه فى بعض طرقاته، فضجر لضيق الحال، فقال:

الأ- موت يباع فاشتره- و ذكر البيتين المذكورين آنفا- قال: فاشترت له رطل لحم و طبخته له، ثم تصرّف بنا الدهر، و بلغ المهلبى مبلغه فاجتزت بالبصرة فاجتزت (كذا) بمسماران فاذا أنا بشطيان و حرّاقات و ربازب و طيارات فى عدّة و عدد، فقلت لمن هذا؟ فقيل للوزير أبى محمد المهلبى فنعتوا لى صاحبى، فتوصلت إليه حتى رأيته، فكتبت رقعةً و احتلت حتى دخلت فسلمت و جلست، حتى إذا خلا المجلس دفعت إليه الرقعةً و فيها «ألا قل للوزير بلا احتشام» (و ذكر البيتين الآخرين باختلاف يسير) فنظر إلى و قال نعم، و نهض و أنهضنى معه فى مجلس أنسه و جعل يذكر لى كيف توافت حاله، و قدم الطعام فأطعمنا (كذا) و أقبل ثلاثة من غلمان على رأس أحدهم ثلاث بدر، و مع آخر تخوت ثياب رقيقةً و مع آخر طيب و بخور و أقبلت بغلةً رائحةً بسرج ثقيل، فقال لى: يا أبا على تفضل بقبول هذه و لا تتأخر عن حاجة تعرض لك فشكرته و انصرفت، فلما هممت بالخروج من الباب استردنى و أنشدنى بديها: رق الزمان لفاقتى- و ذكر الأبيات الأخرى-» ثم قال الحصرى: «و لما مات المهلبى وجد عليه أحمد بن بويه وجدا شديدا و لم يستوزر أحدا بعده و بلغ منه أبو الفضل العباس بن الحسين بن فاخر بعد المهلبى مبلغا عاليا للمصاهرة التى كانت بينه و بين المهلبى و لأنه كان يخلفه فى الدواوين فكان يخطب درجةً المهلبى فى الوزارة فلم يبلغها» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٢

و ترجم له ابن شاکر فى فوات الوفيات مع أنه مترجم له فى الوفيات قال: «كان كاتب معز الدولة بن بويه و لما مات الصيمرى قلده معز الدولة الوزارة مكانه و قرّبه و أدناه و اختصّ به و عظم جاهه عنده و كان يدبّر أمر الوزارة للمطيع (العباسى) من غير تسميته الوزارة ثم جدّدت له الخلع من دار الخلافة بالسواد و السيف و المنطقه و لقبه المطيع بالوزارة و دبّر الدولتين و كان ظريفا نظيفا قد أخذ من الأدب بحظ وافر و له همه كبرى و صدر واسع و كان جامعا لخلال الرياسة صبورا على الشدائد. و كان أبو الفرج الاصبهانى و سخا فى ثوبه و نفسه و فعله فواكل الوزير المهلبى على مائدته، و قدمت سكباجة وافقت من أبى الفرج سعة فندرت من فمه قطعة بلغم وقعت فى وسط الصحن، فقال المهلبى: ارفعوا هذا و هاتوا من هذا اللون فى غير هذا الصحن. و لم يبين فى وجهه استكراه و لا داخل أبا الفرج حياء و لا انقباض. و كان من ظرف الوزير المهلبى إذا أراد أكل شىء من أرز بلبن و هرائس و حلوى رقيق وقف إلى جانبه الأيمن غلام معه نحو من ثلاثين ملعقة زجاجا مجرودا يأخذ الملعقة من الغلام الذى على يمينه و يأكل بها لقمه واحدة ثم يدفعها إلى الغلام الذى على يساره لئلا يعيد الملعقة إلى فيه مرة ثانية. و لما كثر على الوزير استمرار ما يجرى من أبى الفرج جعل له مائدتين إحداهما كبرى عامة و الأخرى لطيفة خاصة يؤاكلة عليها من يدعوها إليها ...

و كان قبل وزارته قد سافر مرة و لقى فى سفره مشقة شديدة و انتهى اللحم فلم يقدر عليه و كان معه رفيق يقال له أبو عبد الله الصوفى فقال له المهلبى ارتجالا شعرا:

ألا موت يباع فاشتره فهذا العيش ما لا خير فيه

إذا أبصرت قبرا من بعيد وددت لو أننى مما يليه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٣ ألا موت لذيد الطعم يأتى يخلصنى من الموت الكرىه

ألا رحم المهيمن نفس حرّ تصدق بالوفاء على أخيه

فلما سمع هذه الأبيات اشترى له لحما بدرهم و طبخه و أطعمه و تفارقا و تقلبت الأحوال بالمهلبى و ولى الوزارة و ضاقت الأحوال برقيقه الصوفى فقصدته و كتب إليه شعرا: ألا قل للوزير فدته نفسى ... فلما قرأ الأبيات تذكره و أمر له فى الحال بسبعمائة درهم و وقع له فى رقعة (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة) ثم دعاه و خلع عليه و قلده

عملا يليق به. و لما ترقى به الحال قال:

رق الزمان لفاقتي ... قال أبو اسحاق الصابى: كنت يوما عند الوزير المهلبى و قد أخذ ورقة و كتب فيها. فقلت بديها:
له يد أبدعت جودا بنائلها و منطق دره فى الطرس ينتثر
فحاتم كامن فى بطن راحته و فى أناملها سحبان يستتر
و من شعره- رح-:

الجود طبعى و لكن ليس لى مال و كيف يصنع من بالقرض يحتال؟
فهاك حظى فخذ منك تذكرة إلى اتساع فلى فى الغيب آمال
و منه أيضا عفى عنه:

أتانى فى قميص اللادى يسعى ... و منه أيضا- رح-:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٤ تطوى بأوتارها الهموم كما تطوى دجى الليل بالمصايح
ثم تغنت فخلتها سمحت بروحها خلعة على روحى

و كان أبو النجيب سداد بن إبراهيم الجزرى الواعظ الملقب بالطاهر كثير الملازمة للوزير المهلبى فاتفق أن غسل ثيابه فأنفذ الوزير
يدعوه فاعتذر قلم يقبل و ألح فى استدعائه فكتب إليه شعرا:

عبدك تحت الحبل عريان كأنه لا كان شيطان

... فأنفذ إليه جبة و قميصا و عمامة و سراويل و خمسمائة درهم و قال:

أنفذت إليك ما تلبسه و ما تدفعه إلى خياط فإن كنت غسلت التكة و إلا عرفنى لأنفذ إليك عوضها. و من شعر الوزير المهلبى:
تصارمت الأحضان لما هجرتنى فما نلتقى إلا ولى عبرة تجرى

و طول ياقوت ترجمته و كانت وفاته سنة اثنتين و خمسين و ثلاثمائة بطريق واسط و حمل الى بغداد- رحمه الله تعالى- .

سنة ٣٥٢ أو بعد سنة «٣٦٠» هـ

١٦- و أبو القاسم على بن اسحاق بن خلف البغدادى المعروف بالزاهى الشاعر البارع، ترجم له الخطيب البغدادى قال: «على بن
اسحاق بن خلف أبو الحسن الشاعر المعروف بالزاهى، حسن الشعر فى التشبيهات و غيرها و أحسب شعره قليلا، أنشدنا التنوخى قال
أنشدنا محمد بن عبيد الله بن حمدان الكاتب النصيبى قال أنشدنى على بن إسحاق بن خلف الزاهى البغدادى القطان لنفسه- و كان
دكانه فى قطيعة الربيع:-

قم نهنيء عاشقين أصبحا مصطلحين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٥ جمعا بعد فراق فجعا منه و بين

ثم عادا فى سرور من صدور آمنين

فهم روح و لكن ركبت فى جسدين

قال لى التنوخى: مات الزاهى بعد سنة ستين و ثلاثمائة» .

و اختصر ترجمته من تاريخ الخطيب أبو الفرج بن الجوزى و أورد فى البيت الرابع «بدنين» مكان جسدين ، و ترجمه له ابن خلكان
قال:

«كان وصافا محسنا كثير الملح» و قال: «و ذكره عميد الدولة أبو سعيد ابن عبد الرحيم بن عبد الرحيم فى طبقات الشعراء و قال: ولد
يوم الاثنين لعشر ليال بقين من صفر سنة ثمانى عشرة و ثلاثمائة و توفى يوم الاربعاء لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين و

خمسين و ثلاثمائة ببغداد و دفن في مقابر قريش و شعره في أربعة أجزاء و أكثر شعره في أهل البيت و مدح سيف الدولة و الوزير المهلبى و غيرهما من رؤساء وقته و قال في جميع الفنون، و له: صدودك في الهوى هتك استتارى و عاونه البكاء على اشتهاى و لم أخلع عذارى فيك إلا لماعاينت من حسن العذار و كم أبصرت من حسن و لكن عليك لشقوتى وقع اختيارى و له في تشبيه البنفسج:

و لا زورديّة أوفت بزرقها بين الرياض على زرق اليواقيت كأنها فوق طاقات صففن لها أوائل النار فى أطراف كبريت و من محاسن شعره قوله:

و مدامه كضياؤها فى كأسهانور على فلك الانامل بازغ
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٦ رقت و غاب عن الزجاجه لطفها فكأنما الابريق منها فارغ
و من محاسن شعره قوله:

و بيض بالحاظ العيون كأنما هززن سيوفا و انتضين خناجرا
تصدّين لى يوما بمنعرج اللوى فغادرن قلبى بالتصير غادرا
سفرن بدورا و انتقبن أهله و مسن غصونا و التفتن جآذرا
و أطلعن فى الأجياد بالدرّ أنجما جعلن لحبات القلوب ضرائرا

و هذا تقسيم عجيب و لقد استعمله جماعة من الشعراء لكنهم ما أتوا به على هذه الصورة فانه أبدع فيه ... و قيل توفى الزاهى بعد سنه ستين و ثلاثمائة رحمه الله تعالى، و الزاهى بفتح الزاى و كسر الهاء بعد الألف قال السمعاني: هذه النسبة الى قرية من قرى نيسابور و نسب إليها جماعة ثم قال: و أما أبو الحسن على بن اسحاق بن خلف الشاعر البغدادي المعروف بالزاهى فلا أدري ينسب إلى هذه القرية أم لا؟ غير أنه بغدادي و كان حسن الشعر». و جاء فى الهامش «قوله- يعنى السمعاني- أبو الحسن الخ مع ما قال فى أول الترجمة إنه أبو القاسم فليظن» قلت: القول الثانى هو للسمعاني و يجوز أن كانت له كنيان فهذا مألوف و منهم من كانت له أربع كنى.

و أورد له ابن شهر اشوب مقطعات من شعره فى مديح آل البيت منها قوله فى مدح الإمام على -ع-:
مفقه الأمة و القاضى الذى أحاط من علم الهدى ما لم يحط
و النبأ الأعظم و الحجّة و المصباح و المحنّة فى الخطب الورط
حبل إلى الله و باب الحطة الفاتح بالرشد مغاليق الخطط
و القدم الصدق الذى سيط به قلب امرىء بالخطوات لم يسط
و نهر طالوت و جنب الله و العين التى بنورها العقل خلط
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٧ الأذن الواعية الصماء عن كل خنا يغلط فيه من غلط
حسن مآب عند ذى العرش و من لو لا اياديه لكنا نختبئ
و له من هذا الضرب غرر يستطيع الهوى الرجوع إليها

١٧- و أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سالم بن البراء بن سبرة بن التميمي المعروف بابن الجعابي القاضي المؤلف، المحدث، ولد ببغداد لست ليال أو لسبع ماضين من صفر سنة ٢٨٤ هـ و كان يسكن بعض سكك باب البصرة من المحلات المجاورة لمدينة المنصور بالجانب الغربي من بغداد و أقبل على سماع الحديث عن شيوخ عصره المشاهير و كان ذا حافظه قويه جدا، و برع في علم الحديث، روى الخطيب عن بعضهم أنه كان «إماما في المعرفة بعلل الحديث و ثقات الرجال من معتليهم و ضعفائهم و أسمائهم و أنسابهم و كناههم و مواليدهم و أوقات وفاتهم و مذاهبهم و ما يعطن به على كل واحد و ما يوصف من السداد، و كان آخر عمره قد انتهى هذا العلم إليه حتى لم يبق من يتقدمه فيه في الدنيا» و كان قال: «كان أحد الحفاظ الموجودين (كذا) صحب أبا العباس بن عقده و عنه أخذ الحفظ و له تصانيف كثيرة في الأبواب و الشيوخ و معرفة الإخوة و الأخوات و تواريخ الأمصار و كان كثير الغرائب و مذهبه في التشيع معروف». ثم قال الخطيب: «سألت أبا بكر البرقاني عن ابن الجعابي فقال حدثنا عنه الدارقطني و كان صاحب غرائب، و مذهبه معروف في التشيع. قلت: قد طعن عليه في حديثه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٨

و سماعه. فقال: ما سمعت فيه إلا خيرا» و قد كان الخطيب قال: «حدثني أبو الفضل عيسى بن أحمد بن عثمان الهمداني قال سمعت أبا الحسن بن زرقويه يقول: كنت يوما عند أبي بكر الجعابي فجاءه قوم من الشيعة فسلموا عليه و دفعوا إليه صرة فيها دراهم ثم قالوا: أيها القاضي إنك جمعت أسماء محدثي بغداد و ذكرت من قدم إليها، و أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد وردها فنسألك أن تذكره في كتابك. فقال: نعم يا غلام هات الكتاب، فجاء به، فكتب فيه: و أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، يقال إنه قدمها. قال ابن زرقويه: فلما انصرف القوم قلت له: أيها القاضي هذا الذي ألحقته في الكتاب من ذكره؟ فقال: هؤلاء الذين رأيتهم. أو كما قال» .

و ذكر الخطيب أن ابن الجعابي قلم قضاء الموصل فلم يحمده في ولايته، ثم قال: «حدثني الحسن بن أحمد بن عبد الله الصوفي قال قال لنا علي بن أحمد بن عمر المقرئ: مات أبو بكر بن الجعابي الحافظ يوم ... من رجب سنة خمس و خمسين و ثلاثمائة و دفن من غد. حدثني الأزهرى أن ابن الجعابي لما مات صلى عليه في جامع المنصور و حمل إلى مقابر قریش فدفن بها، قال: و كانت سكينه نائحة الرفضه تنوح على جنازته، و كان أوصى بأن تحرق كتبه فأحرق جميعها و أحرق معها كتب للناس كانت عنده، قال الأزهرى: فحدثني أبو الحسين بن البواب قال: كان لي عند ابن الجعابي مائة و خمسون جزءا فذهبت في جملة ما أحرق». و اختصر أبو الفرج بن الجوزي ما ذكره الخطيب و أورده في تاريخه و فيه التصريح

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٩

بأنه دفن في مقابر قریش، و اختصر الترجمة قبله تاج الاسلام السمعاني و لكنه لم يذكر مدفنه . و ترجم له في كتب أخرى. و منها كتاب الفهرست للطوسي «ص ١٥١ طبعة النجف» ..

سنة ٣٦٢

١٨- و في سنة «٣٦٢» هـ توفيت السيدة «زينه بنت الوزير أبي محمد الحسن بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ابن أبي صفرة. و كانت زوجة العباس بن الحسين الشيرازي وزير عز الدولة بختيار بن معز الدولة البويهى قال أبو اسحاق المصري: «كان العباس تزوج زينه بنت المهلب، و كانت قد بلغت بها الحال إلى أن اتخذت الجوارى الأتراك حجابا في زي الرجال على ما جرى به رسم السلطان و كان لها كتاب من النساء مثل سلمى النوبختية و عائشة بنت نصر القشورى حاجب المقتدر و غيرهما من القهارمة و من تتصرف في الأعمال تصرف الرجال. و كان لها كرم و جود في الأموال، فلما قبض على زوجها أبي الفضل بعد وزارته الثانية لبختيار بن أحمد، و قد صارت الوزارة لمحمد بن بقيه اختفت زينه ابنة الحسن و سائر أسبابها، فجعلت عليها العيون

في كل مكان، واستقصى على أبي الفضل زوجها وسلم إلى محمد بن عمر بن يحيى بن طاهر العلوي فخرج به من بغداد إلى الكوفة فأقام عنده مدة يسيرة ثم مات ودفن هناك في النجف بجوار قبر علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - . ولم يزل يختار يطلب زينة وأسبابها فعثر على أكثر أسبابها فلم يجد له موضعاً، وكان سبب اختفائها منه أنه راسلها في حين القبض على أبي الفضل وأعلمها أنه موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٠

بسومه الترك لها (كذا) ليتزوج بها. فردت أقبح ردّ وأنكرت ذلك فكان ذلك سبب اختفائها، وكان لها من الذخائر والودائع في أيدي جماعة مما كان يغني كثيراً من الناس، فلما بلغ بها الأمر طمع كل واحد فيما في يده والغدر به. ولما كان بعد اليأس من وجودها ظهر بظاهر الخلد بقرب محلة تعرف بالتستيرين فرد محمل فيه امرأة في أخلاقه وعند رأسها رقعة مكتوب فيها (زينة بنت الحسن بن محمد المهلبى الوزير) فاشتهر ذلك عند الخاصة والعامة ووافى القاضي أبو تمام الحسن بن محمد الهاشمي المعروف بالزبيني فاحتملها لداره وتولى من أمرها ما يجب لمثلها ودفنها في مقابر قريش وقد كانت تحت ولديه أبي الحسن وأبي القاسم . وذكر مسكويه خبر القبض على أبي الفضل الشيرازي ووفاته سنة ٣٦٢ وقد نقلنا في الحاشية بعض ذلك ثم قال: «و قبل ذلك توفيت زينة بنت أبي محمد المهلبى - رح - وقد كان أخوها أبو الغنائم تقدمها وأكثر أهلها وانقضت الجماعة ثم تتبعهم جميع من اشترك في دم أبي الفضل قتلا من غير أن طال بهم الأعمار و سندر ذلك في موضعه إن شاء الله» .

سنة ٣٦٥ هـ

١٩- وأبو الحسين علي بن عبد الله بن وصيف الملقب بالناشئ و عند بعض المؤرخين بالناشئ الأصغر لوجود شاعر أديب عاش قبله و لقب بالناشئ فجعلوه «الأكبر» قال السمعاني في «الناشئ» من الأنساب وإنما قيل له الناشئ لأنه نشأ في فن الشعر والمشهور بهذه النسبة علي بن عبد الله الناشئ شاعر مشهور كان في زمن المقتدر والقاهر والراضي وهو بغدادى سكن مصر. هكذا ذكر أبو نصر بن ماکولا و تفادى عز الدين بن الأثير من موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤١

التحقيق فقال: الناشئ بفتح النون و بعد الألف شين معجمة. عرف - بهذا علي بن عبيد الله ابن الناشئ (كذا) الشاعر كان في زمن المقتدر والقاهر والراضي و بعدهم» . وقد وهم ابن ماکولا في ذكره أن علي بن عبد الله الناشئ سكن مصر وإنما قصد إليها مادحا مسترفدا، فالذى سكن مصر هو الناشئ الأكبر، ذكره المسعودى غير مرة. قال مرة في الكلام على العروض: «وقد صنف أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ الكاتب الأنبارى على الخليل بن أحمد (ما خرج فيه) عن تقليد العرب إلى باب التعسف والنظر و نصب العلل على أوضاع الجدل، كان ذلك له لازما ولما أورده كاسرا و للناشئ أشعار كثيرة حسان منها قصيدة واحدة نحو من أربعة آلاف بيت قافية واحدة نونية منصوبة يذكر فيها أهل الآراء والنحل والمذاهب والملل و أشعار كثيرة و مصنفات واسعة في أنواع من العلوم، فمما جورى فيه قوله حين سار من العراق إلى مصر - و بها كانت وفاته و ذلك في سنة ثلاث و تسعين و مائتين على حسب ما قدمنا ذكره - ...» و كان المسعودى ذكره في الكلام على نسب يونان و دعوى يعقوب بن اسحق الكندى أن يونان أخ لقحطان قال: «وقد رد عليه أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ في قصيدة طويلة» .

وقال ابن خلكان: أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ الأنبارى المعروف بابن شرشير الشاعر، كان من الشعراء المجيدين و هو من طبقة ابن الرومى و البحترى و أنظارهما و هو الناشئ الأكبر و سيأتى ذكر الناشئ الأصغر إن شاء الله تعالى» . ثم قال: «أبو الحسن علي بن عبد الله بن وصيف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٢

المعروف بالناشئ الأصغر الحلاء الشاعر المشهور و هو من الشعراء المحسنين ...

و الحلاء بفتح الحاء المهملة و تشديد اللام ألف و إنما قيل له ذلك لأنه كان يعمل حلية من النحاس». و قال ياقوت ناقلا: قول بعضهم: «و كان يعمل الصفر و يخزّمه و له فيه صنعة بديعة و من عمله قنديل بالمشهد بمقابر قريش مربع غاية في حسنه» .

قال ابن عبد الرحيم في كتابه الذي ضمّنه تراجم الشعراء نقلا عن الخالغ الحسين بن محمد الأديب الشاعر: «حدثني الناشيء قال: كان جدى و صيف مملوكا و كان عبد الله: أبى، عطارا فى الحضرة بالجانب الشرقى و كنت لما نشأت معه فى دكانه كان ابن الرومى يجلس عندنا و أنا لا أعرفه، و كان يلبس الدراعة، و ثيابه و سخة، و انقطع عَنّا مدة، فسألت عنه أبى و قلت:

ما فعل ذلك الشيخ الوسخ الثياب الذى كان يجلس إلينا؟ فقال: ويحك ذاك ابن الرومى و قد مات. فندمت أن لم أكن أخذت عنه شيئا و لا عرفته فى حال حضوره . و تشاغل بال صنعة عن طلب العلم ثم لقيت ثعلبا و لم أخذ عنه إلا أبياتا و هى:

إن أخوا الاخوان من يسعى معك و من يضمر نفسه لينفعك

قال الخالغ: و كان الناشيء قليل البضاعة فى الأدب قووما بالكلام و الجدل. يعتقد الامامة و يناظر عليها بأجود عبارة فاستنفذ عمره فى مديح أهل البيت حتى عرف بهم و أشعاره فيهم لا- تحصى كثرة و مدح مع ذلك الراضى بالله و له معه أخبار و قصد كافورا الأخشيدى بمصر و امتدحه و امتدح ابن حنزابه و كان ينادمه و طرأ إلى البريديين بالبصرة و إلى الفضل بن العميد بأرجان و عضد الدولة بفارس و كان مولده على ما خبرنى به سنة ٢٧١ و مات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٣

يوم الاثنين لخمس خلون من صفر سنة ٣٦٥ و كنت حينئذ بالرئى فورد كتاب ابن بقيه إلى ابن العميد بخبره و قيل إنه- يعنى ابن بقيه الوزير- تبع جنازته ماشيا و أهل الدولة كلهم و دفن فى مقابر قريش . و قبره هناك معروف و لم يخلف عقبا و لا علمت أنه تزوج قط و كان يميل إلى الأحداث (كذا) و لا يشرب النبيذ و له فى المجون و الولع طبقة عالية و عنه أخذ مجان باب الطاق كلهم هذه الطريقة و كان يخلط بجدله و مناظراته هزلا مستملحا و مجونا مستطابا يعتمد به إخجال خصمه و كسر حدّه و له فى ذلك أخبار مشهورة و كانت له جارية سوداء تخدمه ... حدثني الناشيء قال: أدخلنى ابن رائق على الراضى بالله و كنت مدّاحا لابن رائق و نافقا عليه فلما وصلت إلى الراضى قال لى: أنت الناشيء الرافضى؟ فقلت: خادم أمير المؤمنين الشيعى.

فقال: من أى الشيعة؟ قلت: شيعة بنى هاشم. فقال: هذا خبث جبلّه.

فقلت: مع طهارة مولد. فقال: هات ما معك. فأنشده، فأمر أن يخلع على عشر قطع ثيابا و أعطى أربعة آلاف درهم، فأخرج لى ذلك و تسلمته و عدت إلى حضرته فقبلت الأرض و شكرته و قلت: أنا ممن يلبس الطيلسان فقال: هاهنا طيلاس عدتيه أعطوه منها طيلسانا و أضيفوا إليها عمامة خزّ، ففعلوا فقال أنشدنى من شعرك فى بنى هاشم، فأنشده:

بنى العباس إن لكم دماء أراقتها أمية بالدحول

فليس بهاشمى من يوالى أمية و اللعين أبا زبيل

فقال: ما بينك و بين أبى زبيل؟ فقلت: أمير المؤمنين أعلم. فتبسم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٤

و قال: انصرف. قال الخالغ: و شاهدت العمامة و الطيلسان معه و بقيا عنده إلى أن مات. و كان أبو الحسن الناشيء شيخا طويلا جسيما عظيم الخلقه عريض الألواح موفر القوّة، جهورى الصوت، عمّر نيفا و تسعين سنة، لم تضطرب أسنانه و لا- قلع سنّا منها و لا- من أضرّاسه» .

و قال ابن خلكان: «و للناشيء فى أهل البيت قصائد كثيرة و كان متكلما بارعا أخذ الكلام عن ابى سهل اسماعيل بن على بن نوبخت و كان من كبار الشيعة و له تصانيف كثيرة» ثم قال: «قال أبو بكر الخوارزمى: أنشدنى أبو الحسن الناشيء بحلب لنفسه و هو مليح جدا:

إذا أنا عاتبت الملوک فانما أخط بأقلامی علی الماء أحرفا

و هبه ارعوی بعد العتاب ألم تكن مودته طبعاً فصارت تكلفاً؟!»

و قال الخالع: حدثنی أبو الحسن الناشئ قال: كنت بالكوفة فی سنة ٣٢٥ و أنا أملی شعری فی المسجد الجامع و الناس یكتبونه عنی و

كان المتنبی إذ ذاك یحضر معهم و هو بعد لم یعرف و لم یلقب بالمتنبی فأملت القصیده التي أولها:

بآل محمد عرف الصواب و فی أبياتهم نزل الكتاب

و قلت فیها:

كأن سنان ذبله ضمیر فلیس عن القلوب له ذهاب

و صارمه کببعته بخم مقاصدها من الخلق الرقاب

فلمحته یكتب هذین البیتین و منها أخذ ما أنشدتمونی الآن من قوله:

كأن الهام فی الهیجا عیون و قد طبعت سیوفك من رقاد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٥ و قد صعت الأسنه من هموم فما یخطرن إلا فی فؤاد

و قد ذكر ابن خلكان هذا الخبر إلا أنه ذكر أن المتنبی كان صبیا، و من تجاوز عمره عشرين سنة لا یعد صبیا، و ذكر قول من قال إنه

توفی سنة ٣٦٦ هـ، و القول الأول أشهر و أظهر منه.

و قال الخالع: كنت مع والدی فی سنة ٣٤٦ و أنا صبی فی مجلس الكبودی فی المسجد الذی بین الوراقین و الصاغه و هو غاص

بالناس و إذا رجل قد وافی و علیه مرقعه و فی یده سطيحه و ركوه و معه عكاز و هو أشعث، فسلم علی الجماعه بصوت یرفعه ثم قال:

أنا رسول فاطمه الزهراء- صلوات الله علیها-. فقالوا: مرحبا بك و أهلاً. و رفعوه. فقال: أتعرفون لی أحمد المزوقه النائح؟ فقالوا: ها هو

جالس. فقال: رأیت مولاتنا- علیها السلام- فی النوم، فقالت لی: امض إلى بغداد و اطلبه و قل له: نح علی ابنی بشعر الناشئ الذی

یقول فیه:

بنی أحمد قلبی لكم یتقطع بمثل مصابی فیکم لیس یسمع

و كان الناشئ حاضراً فلطم لطمًا عظیمًا علی وجهه، و تبعه المزوقه و الناس کلهم، و كان أشد الناس فی ذلك الناشئ ثم المزوقه ثم

ناحوا بهذه القصیده فی ذلك الیوم إلى أن صلی الناس الظهر و تقوض المجلس، و جهدوا بالرجل أن یقبل شیئا منهم، فقال: و الله لو

أعطیت الدنیا ما أخذتها فانتی لا أرى أن أكون رسول مولاتنی-ع- ثم أخذ عن ذلك عوضاً. و انصرف و لم یقبل شیئا ..

قال: و من هذه القصیده- و هی بضعة عشر بیتاً:-

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٦ عجبت لكم تفنون قتلاً بسیفكم و یسطو علیکم من لكم كان یخضع

كأن رسول الله أوصی بقتلكم و أجسامکم فی كل أرض توزع

و ذكر ابن حجر مختصر هذه الترجمة و نقل من تاریخ ابن النجار أن وفاته كانت سنة ٣٦٦ و أنه مات فجأة. و أورد له ابن شهر اشوب

مقطعات من شعره فی مدح آل البيت-ع-.

سنة ٣٦٨

٢٠- و فی سنة ٣٦٨ توفی ببغداد الشیخ الفقیه أبو القاسم جعفر بن محمد ابن موسی المعروف بابن قولویه الملقب بالصدوق أحياناً

البغدادی، و دفن فی مقابر قریش بالقرب من مدفن الامام الجواد-ع- قال الخونساری:

«هو من ثقات أصحابنا الامامیة و نبلائهم فی الفقه و الحدیث، یروی عن الشیخ أبی جعفر الكلینی و عن أبی نفسه الراویة الجلیل

محمد بن قولویه الذی هو من مشایخ الكشی و خيار أصحاب سعد بن عبد الله القمی، كما فی الرجال، و كان من كبار شیخنا المفید

و المدفون أيضا في جنبه بالقرب من حضرة- مولانا الجواد- ع- كما في البحار عن خط الشهيد و اطلعت على الأثر منهما أيضا هناك في الرواق الأول الشرقي المتصل بالحضرة الكاظمية- زادها الله شرفا و تعظيما. و في رياض العلماء أن قبره الآن بقم المحروسة معروف.

ثم ذكر أن كل ما يوصف به من جميل وثقة و فقه فهو فوقه، و له تصانيف ذكرناها في كتابنا الكبير. و في فهرست الشيخ (الطوسي) بعد ذكره و توثيقه أن له تصانيف كثيرة على عدد كتب الفقه، إلى أن قال: و له كتاب جامع الزيارات، و كأن المراد به هو ما يعبر عنه في زماننا هذا بكامل الزيارات، و يرمز له في نسخ البحار بلفظه (مل) و الغالب عليه أخبار الفضيلة دون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٧

الهيئات و الآداب، و له أيضا كتاب فهرست ما كان يرويه من الكتب و الأصول، و مات- رح- سنة ثمان و ستين و ثلاثمائة و قيل إن تاريخ وفاته:

(رحم الله الودود) فليتأمل. . و جاء في الكنى و الألقاب «و أما ابن قولويه الذى دفن بقم و له مقبرة معروفة قرب الشيخان الكبير فهو والد هذا الشيخ الجليل محمد بن جعفر»، و تناوله لسان الميزان كجميع رواة الشيعة لأنهم شيعة و جاء فيه أنه «أبو القاسم السهمي» و أنه من كبار الشيعة و علمائهم المشهورين، و قال «متهم» و قال: «و ذكره الطوسي و ابن النجاشي و على ابن الحكم فى شيوخ الشيعة و تلمذ له المفيد و بالغ فى إطرائه و حدث عنه الحسين بن عبد الله الغضائرى و محمد بن سليم الصابونى. سمع منه بمصر، مات سنة ثمان و ستين و ثلاثمائة» .

سنة ٣٧٨ هـ

٢١- و أبو الحسن محمد بن أحمد بن داود بن على، قال أبو العباس ابن أحمد النجاشي: «شيخ هذه الطائفة و عالمها و شيخ القميين فى وقته و فقيهم، حكى أبو عبد الله الحسين بن عبد الله أنه لم ير أحفظ منه و لا أفقه و لا أعرف بالحديث ... ورد بغداد و أقام بها. حدث و صنف كتبا:

كتاب المزار. كتاب الذخائر. كتاب البيان عن حقيقة الصيام. كتاب الرد على المظهر الرخصة فى المسكر. كتاب الممدوحين و المذمومين. كتاب الرسالة فى عمل السلطان. كتاب العلل. كتاب فى عمل شهر رمضان. كتاب صلاة الفرج و أدعتها. كتاب السبحة. كتاب الحديثين المختلفين. كتاب الرد على ابن قولويه فى الصيام. حدثنا عنه جماعة أصحابنا- رح- بكتبه منهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٨

أبو العباس بن نوح و محمد بن محمد و الحسين بن عبد الله فى آخرين. و مات أبو الحسن بن داود سنة ثمان و سبعين و ثلاثمائة و دفن بمقابر قريش». قال مصطفى جواد: هو غير ابن داود الحلبي المتأخر تلميذ العلامة ابن مطهر الحلبي.

سنة ٣٩١ هـ

٢٢- و أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج الكاتب الشاعر، ذكره ابن خلكان قال: «الشاعر المشهور ذو المجون و الخلاعة و السخف فى شعره، كان فرد زمانه فى فنه فانه لم يسبقه إلى تلك الطريقة مع عذوبة ألفاظه و سلامة شعره من التكلف و مدح الملوك و الأمراء و الوزراء و الرؤساء، و ديوانه كبير أكثر ما يوجد فى عشر مجلدات و الغالب عليه الهزل و له أيضا فى الجد أشياء حسنة و تولى حسيه بغداد و أقام بها مدة و يقال إنه عزل بأبى سعيد الاصطخرى الفقيه الشافعي ... و يقال إنه فى الشعر فى درجة امرئ القيس و إنه لم يكن بينهما مثلهما لأن كل واحد منهما مخترع طريقة ... و توفى يوم الثلاثاء السابع و العشرين من جمادى الآخر سنة إحدى و تسعين و ثلاثمائة بالنيل و حمل إلى بغداد- رح- و دفن عند مشهد موسى بن جعفر- ع-

أوصى أن يدفن عند رجليه و أن يكتب على قبره (و كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) و كان من كبار الشيعة الغالين في موالاة أهل البيت».

و ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر و أورد له كثيرا من شعره بعد أن ذكر أنه من سحره الشعر و عجائب العصر و أنه فرد زمانه في فنه الذي اشتهر به

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٩

و أنه لم يسبق إلى طريقته. و لم يلحق شأوه في نمطه، و لم ير كاقتراده على ما يريد من المعاني التي تقع في طرزه مع سلاسة الألفاظ و عدوبتها، و انتظامها في سلك الملاحه و البلاغه و إن كانت مفصحة عن السخافة، مشوبة بلغات الخلديين و المكدين و أهل الشطارة. و ترجم له ياقوت الحموي و نقل أكثر كلام الثعالبي و أفرد جملة من شعره، و ذكر ترجمته الخطيب البغدادي قال: «أكثر قوله في الفحش و السخف و قد سرد أبو الحسن الموسوي المعروف بالرضي من شعره في المديح و الغزل و غيرهما ما جانب السخف فكان شعرا حسنا متخيرا جيدا» و أورد له مقطوعتين و ذكره أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه قال: «و كانت إليه حسبه بغداد في أيام عز الدولة فاستخلف عليها ستة أنفس كلهم لا خير فيه ثم تشاغل بالشعر و تفرد بالسخف الذي يدل على خساسة النفس، فحصل الأموال به و صار ممن يتقى لسانه، و حمل إليه صاحب مصر عن مديح مدحه به ألف دينار مغربيّة...» و أورد له شيئا من شعره.

و قد نقلنا آنفا ما ذكره ابن سعيد المغربي من أنه رأى قبره في المشهد الكاظمي على طريق الزوّار فسأل عنه فقيل له: هذا قبر الحسين بن الحجاج الشاعر و حقق مراده من وصيته أن تكتب على قبره الآية الكريمة «و كَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ»، و له في مناقب آل أبي طالب شعر «٢؛ ٣٤٤».

و ذكره قاضي قضاء الشافعية عز الدين عبد العزيز بن جماعة المتوفى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٥٠

سنة ٧٦٧ هـ في كتابه في تراجم الأدباء و ذكر بعض ما نقلناه من التواريخ الأخرى و قال: «قيل إنه كان غاليا في التشيع و ما قدمناه من نظمه يقتضى أنه لم يكن غاليا فيه، توفي بالنيل في الثالث و العشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى و تسعين و ثلاثمائة ثم حمل إلى بغداد و دفن عند مشهد موسى بن جعفر». و من شعره ما غنته عجيبة المغنية المصرية و كانت مغنية الملك الكامل ابن الملك العادل الأيوبي، و هو:

رفقا عليّ فما أبقيت من رمقى لا تأملى لي بأن أبقى و لا تثقى

هيهات أين البقا من موجد كمدعليك صب بنار الشوق محترق

يا سائلى عن دمي لا تطلبوا أحدا بعدى فان دمي المسفوك في عنقى

إنى حملت على نفسى لشقوتها مثل الجبال من البلوى فلم تطق

فمن رأى ليت شعرى مثل موقفنا يوم النوى أبحرا تجرى من الحدق

يا أمرى في دموعى بعد ما فنت بأن أصون و أحمى ما عساه بقى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٥١

القرن الخامس الهجرى سنة ٤٠١ هـ

٢٣- وأبو علي الحسن بن أبي جعفر أستاذ هرمز الملقب عميد الجيوش ولد سنة «٣٥٠» و كان أبوه من حجاب عضد الدولة و جعل ابنه أبا علي الحسن برسم خدمة ابنه صمصام الدولة فخدمه و خدم بهاء الدولة و ولاه هذا تدبير العراق و قال أبو الفرج بن الجوزي بعد ذكر ما قدمناه: «فقدم سنة اثنتين و تسعين و ثلاثمائة و الفتن كثيرة و الدعار قد انتشروا فقتل و أغرق خلقا كثيرا و أقام الهيبة و منع أهل الكرخ يوم عاشوراء من النياحة و تعليق المسوح و أهل باب البصرة من زيارة قبر مصعب بن الزبير، و أعطى بعض غلمانته صيتية فضة فيها دنانير و قال: خذها علي رأسك و سر من النجمي إلى المأصر الأعلى فان اعترض معترض فأعطه إياها و اعرف الموضع الذي أخذت منك فيه. فجاءه و قد انتصف الليل و قال: قد مشيت البلد جميعه فلم يلقني أحد. و أدخل الرخجي علي عميد الجيوش سبعين مجلدة جزا و منديلا كبيرا فيه مال و قال: مات نصراني من أهل مصر و خلف هذا و ليس له وارث. فقال عميد الجيوش: من حكم الاستظهار أن يترك هذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٥٢

(المال) بحاله فان حضر وارث و إلا أخذ، فقال الرخجي : يحمل إلى خزانه مولانا إلى أن يبين الحال. فقال: لا يجوز أن يدخل خزانه السلطان ما لم يصح استحقاقه. فكتب من بمصر باستحقاق تلك التركة، فجاء أخو الميت و أوصل الكتاب من مصر بأنه أخو المتوفى، فصادف عميد الجيوش واقفا علي روشن داره. يصلي الفجر، فظنه نقيبا فدفع إليه الكتاب و سأله إيصاله إلى صاحب الخبر ، فقضى له حاجته. فدخل صاحب الخبر إلى عميد الجيوش ضاحكا و قال: يا مولانا قد صرفت عنك اليوم نفعا و مرفقا فان السوادى قال لى عند قضاء حاجته: بأى شىء أخدم النقيب الذى أوصل كتابي إليك؟ فقلت: ويحك هذا عميد الجيوش. فقال لى: هذا الذى تهابه ملوك الأطراف، فلما كان بعد مده ورد كتاب ابن القمى أبى عبد الله التاجر من مصر علي عميد الجيوش يعرفه أن ذلك الرجل (النصراني) حضر فى مجمع من التجار و حكى القصة، فضج الناس بالدعاء و قالوا: ليتنا كنا فى جواره و ظلله. ففرح عميد الجيوش و قال: قد أحسن (الرجل) المكافأة. بقى عميد الجيوش واليا علي العراق ثمانى سنين و سبعة أشهر و أحد عشر يوما، و هو الذى يقول فيه البغاء كما ذكرنا فى ترجمته:

سألت زمانى بمن أستغيث فقال استغث بعميد الجيوش

و توفى فى هذه السنه عن إحدى و خمسين سنه و تولى أبو الحسن الرضى أمره و دفن فى مقابر قريش. و أوجز هذه الترجمة ابن الفوطى فى تاريخه للألقاب و ذكره عز الدين ابن الأثير فى كامله مرارا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٥٣

سنة ٤١٣ هـ

٢٤- و أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر ابن النعمان بن سعيد بن جبير بن وهيب بن هلال بن أوس بن سعيد بن سنان ابن عبد الدار الحارثي القحطاني الملقب بالمفيد، قال أبو العباس النجاشي:

«شيخنا و أستاذنا- رضى الله عنه- فضله أشهر من أن يوصف فى الفقه و الكلام و الرواية و الثقة و العلم له كتب» و ذكر له أكثر من «١٦٧» كتابا من تأليفه بين كبير و صغير و قال: «مات- رح- ليلة الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة و أربعمائه. و كان مولده يوم الحادى عشر من ذى القعدة سنة ست و ثلاثين و ثلاثمائة و صلى عليه الشريف المرتضى أبو القاسم على بن الحسين بميدان الاشنان و ضاق على الناس مع كبره و دفن فى داره سنين و نقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيد أبى جعفر- عليه السلام- و قيل مولده سنه ثمان و ثلاثين و ثلاثمائة.»

و ترجم له الخطيب ترجمة خصم حاقد نقل منها قوله «أبو عبد الله المعروف بابن المعلم، شيخ الرافضة و المتعلم على مذاهبهم صنف كتبا كثيرة..» و لم يشر إلى نقل رفاتة إلى مقابر قريش، و ترجم له أبو الفرج بن الجوزي قال: «أبو عبد الله المعروف بابن المعلم شيخ

الامامية و عالمها صنف على مذهبهم و من أصحابه المرتضى و كان لابن المعلم مجلس نظر بداره بدرج رباح يحضره كافة العلماء، و كانت له منزلة عند أمراء الأطراف يميلهم إلى مذهبه، توفي في هذه السنة و رثاه المرتضى ...» و ذكر ابن الجوزي شيئا من أخباره» و كذلك فعل ابن الأثير في حوادث سنة ٣٩٢ هـ و حوادث

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٥٤

سنة ٣٩٨ هـ ثم ذكر وفاته سنة ٤١٣ قال: «و فيها توفي أبو عبد الله بن المعلم فقيه الامامية و رثاه المرتضى» و ترجمه صلاح الدين الصفدي في كتابه للتراجم .

و ترجم له ابن الفوطي في لقب المفيد قال: «المفيد أبو بكر (كذا) محمد بن محمد بن النعمان الحارثي الفقيه الأصولي، يروي عن والده و له تصانيف منها كتاب نهج البيان في حقيقة الايمان، رواه عبد الله بن جعفر ابن محمد بن موسى بن ابن جعفر بن محمد بن أحمد العباس الدوريسي عن جده أبي جعفر محمد بن موسى عن جده أبي عبد الله عن المصنف، و من تصنيف المفيد الرسالة المقنعة في شرائع الاسلام و وجوه القضايا و الأحكام و كتاب شرح المتعة، و كتاب الاشراف في عامة فرائض الاسلام على مذهب آل الرسول- عليه الصلاة و السلام، و كتاب مختصر أحكام النساء في شرائع الدين» و لم يذكر له تاريخ مولد و لا تاريخ وفاة و هو أمر عجاب من ابن الفوطي المؤرخ. و تناوله ميزان الاعتدال للذهبي و لسانه لابن حجر العسقلاني كسائر علماء الشيعة الامامية و روايتهم، جاء في اللسان «محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد عالم الرافضة أبو عبد الله بن المعلم صاحب التصانيف البديعة و هي مائتا تصنيف طعن فيها على السلف، له صولة عظيمة بسبب عضد الدولة شيعة ثمانون ألف رافضي. مات سنة ثلاث عشرة و أربعمائة» ثم نقل، طعن الخطيب البغدادي عليه و قال ابن حجر:

«قلت: كان كثير التقشف و التخشع و الاكباب على العلم تخرج به جماعة و برع في المقالة الامامية حتى كان يقال: على كل إمام منة، و كان أبوه معلما بواسط و ولد بها و قتل بعكبراء و يقال إن عضد الدولة كان يزوره في داره و يعودو إذا مرض و قال الشريف أبو يعلى الجعفري- و كان تزوج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٥٥

بنت المفيد:- ما كان المفيد ينام الليل إلا هجعة ثم يقوم يصلي أو يطالع أو يدرس أو يتلو القرآن .

و جاء في روضات الجنات أنه نقل إلى مقابر قریش بالقرب من جانب رجلى سيدنا و إمامنا أبي جعفر الجواد إلى جانب قبر شيخنا الصدوق أبي القاسم جعفر بن قولويه . و كان الطوسي في كتابه: «من جملة متكلمي الامامية انتهت إليه رئاسة الامامية في وقته و كان مقدا في العلم و صناعة الكلام، و كان فقيها متقدما فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة. حاضر الجواب و له قريب من مائتي مصنف كبار و صغار و فهرست كتبه معروف ...

و كان يوم وفاته عظيما لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه و كثرة البكاء من المخالف و الموافق» .

و ذكره ابن شهر آشوب في معالم العلماء و قال فيما قال: «قرأ على جعفر بن قولويه و على أبي القاسم على بن محمد الرقاء و على أبي الحبشي البلخي» و ذكر جملة من كتبه، و نقل الخونساري ما ذكره ابن كثير الدمشقي في ترجمته في البداية و النهاية و هو من المؤرخين المتعصبين تعصبا أعمى و هو: «توفي في سنة ثلاث عشرة و أربعمائة عالم الشيعة و إمام الرافضة صاحب التصانيف الكثيرة المعروف بالمفيد و بابن المعلم البارع في الكلام و الجدل و الفقه و كان يناظر كل عقيدة بالجلالة و العظمة في الدولة البويهية و كان كثير الصدقات عظيم الخشوع كثير الصلوات و النوم و الصوم خشن اللباس و كان عضد الدولة ربما زار الشيخ المفيد و كان شيخا ربعا نحيفا أسمر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٥٦

عاش ستا و سبعين سنة و له أكثر من مائتي مصنف و كان يوم وفاته مشهودا و شيعة ثمانون ألفا من الرافضة و الشيعة» . ثم قال: «و قد

نسب صاحب مجالس المؤمنين ما نقله صاحب التعليقات عن تاريخ ابن كثير الشامي إلى تاريخ الياضي المشهور، نعم إنما نقل عن ابن كثير المذكور أنه قال في ترجمة شيخنا المنظور: كان شيخ الروافض محاميا عنهم، متعصبا في حقهم و كانت ملوك الأقطار يعتقدون له لأن كثيرا من أهل ذلك الزمان كانوا مائلين إلى مذهب الامامية، و كان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء من جميع الطوائف و الملل و من جملة تلامذته الشريف المرتضى و قد رثاه بعد وفاته، بقصيدة غراء. إلى أن قال: «و لما أن بلغ نعيه إلى الشيخ أبي القاسم الخفاف المعروف فرح بموته كثيرا و أمر بتزيين داره و جلس فيها للتهنئة له بهذا الأمر و قال: الآن طاب الموت» .

قال مصطفى جواد جامع هذه الأخبار و التراجم إن أبا القاسم بن النقيب هو عبيد الله بن عبد الله بن الحسين قال الخطيب البغدادي: «و بلغني أنه جلس للتهنئة لما مات ابن المعلم شيخ الرافضة و قال: ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم ... سألت ابن النقيب عن مولده فقال:

ولدت في سنة خمس و ثلاثمائة ... و مات ابن النقيب في يوم الجمعة سلخ شعبان من سنة خمس عشرة و أربعمئة» و نقل ترجمته الخطيب له بنصها أبو الفرج بن الجوزي، و هذا مثال شنيع للعداوة المذهبية في ذلك العصر.

قال النجاشي: «محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن جبير بن وهيب بن هلال ... شيخنا و أستاذنا- رضى الله عنه، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه و الكلام و الرواية و الثقة و العلم،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٥٧

له كتب ... مات رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة و أربعمئة، و كان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة ست و ثلاثين و ثلاثمائة ... و قيل مولده سنة ثمان و ثلاثين و ثلاثمائة ...

و صلى عليه الشريف المرتضى أبو القاسم على بن الحسين بميدان الأشتان و ضاق على الناس مع كبره و دفن في داره سنين و نقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيد أبي جعفر- عليه السلام- .

سنة ٤٢١

٢٥- و في سنة ٤٢١ توفي أبو الحسن على بن عبد العزيز بن إبراهيم ابن بيان المعروف بابن حاجب النعمان و قال أبو الفرج ابن الجوزي: «كان كاتب القادر بالله، ولد سنة أربعين و ثلاثمائة و ذكر أنه سمع من أبي بكر النجار و (أبي بكر) الشافعي و ابن مقسم، و كان أبوه يخدم أبا عمر المهلبى في أيام وزارته و كتب هو للطائع لله ثم كتب بعده للقادر (بالله) في شوال سنة ست و ثمانين (و ثلاثمائة) فكتب للخليفين أربعين سنة و كان له لسان و بلاغة و توفي في رجب من هذه السنة و دفن ببركة زلزل ثم نقل تابوته إلى مقابر قريش و دفن بها في سنة خمس و عشرين (و أربعمئة)» .

و قال ابن الأثير في حوادث سنة ٤٢١ مختصرا قول ابن الجوزي: «و فيها توفي أبو الحسن ابن حاجب النعمان و مولده سنة أربعين و ثلاثمائة، و كان خصيصا بالقادر بالله حاكما في دولته كلها و كتب له و للطائع أربعين سنة».

قال الخطيب البغدادي: «على بن عبد العزيز بن إبراهيم بن بيان بن داود أبو الحسن المعروف بابن حاجب النعمان، كاتب القادر بالله، ذكر أنه سمع من أحمد بن سلمان النجاد و أبي بكر الشافعي و أبي بكر بن مقسم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٥٨

المقرىء و محمد بن جعفر بن الهيثم الأنباري و كان له لسان و عارضة و بلاغة، و لم يكن في دينه بذاك، أخبرنا البرقاني قال أنشدنا الرئيس أبو الحسن على بن عبد العزيز قال أنشدنا أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد قال أنشدنا هلال بن العلاء الرقي لنفسه:

سيبلى لسان كان يعرب لفظه فيا ليته في وقفه العرض يسلم

و ما ينفع الاعراب إن لم يكن تقى و ما ضرّ ذا تقوى لسان معجم

سمعت التنوخي يقول: ولد أبو الحسن ابن حاجب النعمان في سنة أربعين و ثلاثمائة و مات يوم الجمعة الثاني عشر من رجب سنة إحدى و عشرين و أربعمائة و دفن في داره ببركة زلزل ثم نقل تابوته إلى مقابر قريش فدفن بها في ليلة الجمعة الخامس و العشرين من ذي القعدة سنة خمس و عشرين و أربعمائة».

وقال ياقوت الحموي: «على بن عبد العزيز بن ابراهيم بن بيان ابن حاجب النعمان أبو الحسن، قد ذكرت معنى تسميتهم بحاجب النعمان في ترجمة أبيه، و كان أبو الحسن هذا من الفصحاء البلغاء و قد صنف كتباً و أنشأ رسائل و له ديوان شعر كبير الحجم و كان أبوه يكتب لأبي محمد المهلبى وزير معز الدولة، و كتب أبو الحسن للطائع لله ثم للقادر بالله بعده في شوال سنة ٣٨٦ و خوطب برئيس الرؤساء و خدم خليفتين أربعين سنة و مولده سنة (٣٤٠) و مات في رجب سنة ٤٢٣ (كذا) و ولى ابنه أبو الفضل موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٥٩

مكانه فلم يسدّ مسدّه فعزل بعد شهور. و حدث ابن نصر قال حدثني أبو الفتح أحمد بن عيسى الشاعر المعروف بحمدين. قال: لما قبض القادر بالله على أبي الحسن ابن حاجب النعمان و استكتب أبا العلاء بن تريك، و هن النظر و قلّ رونقه، و اتفق أن دخل يوماً إلى الديوان فوجد على مخاده قطعة من عذرة يابسة فانخذل و تلاشى أمره فقبض عليه و أعيد أبو الحسن إلى رتبته و كانت بينى و بين أبي العلاء من قبل مماظة في بعض الأمور فامتدحت أبا الحسن بقصيدة أولها:

زمت ركائبهم فاستشعر التلغا حتى بلغت منها إلى قولى:

يا من إذا ما رآه الدهر سالمه و ظلّ معتذرا مما جنى و هفا

قد رام غيرك هذا الطرف يركبه فما استطاع له جريا بلى و قفا

لم يرجع الطرف عنه من تبظرمه حتى رأينا على دست له طرفا

فدفع إلى صورة عنقاء فضة مذهبه كانت بين يديه فيها طيب و قال:

خذ هذه الطرفة فانها أطرف من طرفتك. و قرأت في المفاوضة: حدثني الوزير أبو العباس عيسى بن ماسرجيس قال: كنت أخلف الوزارة ببغداد مشاركا لأبي الحسن على بن عبد العزيز ابن حاجب النعمان فدعاني يوماً إلى داره ببركة زلزل و تجمل و احتشد و دعا بكل من يشار إليه بحذق في الغناء من رجال و إماء مثل عليّة الخاقانية و غيرها من نظرائها فى الوقت و حضر القاضى أبو بكر ابن الأزرق نسيبه و انتقلنا من الطعام إلى مجلس الشراب فلما دارت الكأس أدوارا قال لى: ما أراك تحلف على القاضى ليشرب معنا، و يساعدا و إن كان لا يشرب إلا قارصا. قلت: أنا غريب محتشم له، و أمره بك أمسّ و أنت به أخصّ. قال: فاستدعى فلانا و قال: امض إلى إسحاق الواسطى و استدع منه قارصا و تولّ خدمة القاضى - أيّده الله - و غاب ساعة ثم أتى و معه خماسية فيها من الشراب الصريفينى الذى بين أيدينا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٦٠

إلّا أن، على رأسها كاغدة و ختما و سطرا فيه مكتوب (قارص من دكان إسحاق الواسطى). قال: فتأمله القاضى و أبصر الخط و الختم، ثم أمر فسقى رطلا، فلما شربه و استوفاه قال للغلام: ويلك ما هذا؟ قال: يا سيدى هذا قارص. قال: لا بل و الله الخالص. ثم تئى و ثلث. فاضطرب أمر القاضى علينا و أنشأ يقول:

ألا فاسقنى الصهباء من حلب الكرم و لا تسقنى خمرا بعلمك أو علمى

أليست لها أسماء شتى كثيرة ألا فاسقنيها و اكن عن ذلك الاسم

فكان كلما أتاه بالقدح سأله فيقول تارة: مدام. و تارة: خندريس.

و هو يشرب، فاذا قال له: خمر. حرد و استخفّ به. فيتوارى بالقدح ساعة ثم يعيده و يقول: هذه قهوة. فيشرب به. فلم يشرب القاضى

إلا بمقدار ستة أسماء أو سبعة من أسماء الخمر حتى تبطح في المجلس و لَفَّ في طيلسان أزرق عليه و حمل إلى داره» .

سنة ٤٢٧ هـ

٢٦- و فخر الدولة أبو حرب كرشاسف بن مرداويج بن ليالشير الديلمي الاصفهسلار ، قال ابن الفوطي: «ذكره الرئيس أبو الحسين ابن الصابي في تاريخه و قال: كان من الاصفهسلارية الشجعان و تحت يده جماعة ينفذهم في المهمات، و كان حسن المعاملة، مشفقا على أصحابه، مفضلا عليهم، محسنا إليهم، و توفي سنة سبع و عشرين و أربعمائه، و عمل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٦١

الديلم له عزاء اجتمع فيه ما ينيف على ألف إنسان و دفن بباب قبة الديلم بالمشهد» . يعنى مشهد الامام موسى بن جعفر-ع- بمقابر قريش و قد ذكر هذه القبة ابن الفوطي في ترجمته معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه في الترجمة ١٣٢٨ من الجزء الخامس.

سنة ٤٢٣ هـ

٢٧- و أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن جعفر بن هارون المعروف بابن أبي الشيخ، قال أبو الفرج بن الجوزي؛ «حدث علي محمد ابن المظفر و كان ثقة من الشهود المعتدلين. أخبرنا القزاز أخبرنا الخطيب قال: سمعت ابن أبي شيخ يقول: ولدت يوم السبت للنصف من ربيع الآخر سنة ست و خمسين (و ثلاثمائة) و سمعت من ابن مالك القطيعي جميع مسند أحمد بن حنبل و سمعت من ابن المظفر شيئا كثيرا. و ذكر أنه كتب الشيء الكثير من الحديث و لكن ذهب كتبه. و مات في ليلة الثلاثاء السادس عشر من جمادى الأولى من سنة ثلاث و ثلاثين و أربعمائه و دفن في صبيحة تلك الليلة بمقابر قريش» .

سنة ٤٢٥ هـ

قال عز الدين ابن الأثير في حوادث سنة ٤١٦: «ذكر وفاة مشرف الدولة و ملك أخيه جلال الدولة: في هذه السنة في ربيع الأول توفي الملك مشرف الدولة أبو علي ابن بهاء الدولة (ابن عضد الدولة) بمرض حاد و عمره ثلاث و عشرون سنة و ثلاثة أشهر و ملكه خمس سنين و خمسة و عشرون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٦٢

يوما ... و لما توفي خطب ببغداد بعد موته لأخيه أبي طاهر جلال الدولة و هو بالبصرة و طلب إلى بغداد فلم يصعد إليها و إنما بلغ إلى واسط و أقام بها فقطعت خطبته و خطب لابن أخيه الملك أبي كاليجار ابن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة في شوال و هو حينئذ صاحب خوزستان و الحرب بينه و بين عمه أبي الفوارس صاحب كرمان بفارس فلما سمع جلال الدولة بذلك أصعد إلى بغداد فانحدر عسكرها ليردوه عنها فلقوه بالسيب من أعمال النهروان فردوه فلم يرجع فرموه بالنشاب و نهبوا بعض خزائنه فعاد إلى البصرة و أرسلوا إلى الملك أبي كاليجار ليصعد إلى بغداد ليملكوه، فوعدهم الاصعاد و لم يمكنه لأجل صاحب كرمان. و لما أصعد جلال الدولة كان وزيره أبا سعد ابن ماكولا و قال بعد ذلك في سنة ٤١٧: «في هذه السنة كثر تسلط الأتراك ببغداد فأكثر مصادرات الناس و أخذوا الأموال ... و دخل في الطمع العامة و العيارون ... فلما رأى القواد و عقلاء الجند أن الملك أبا كاليجار لا يصل إليهم و أن البلاد قد خربت و طمع فيها المجاورون من العرب و الأكراد راسلوا جلال الدولة في الحضور إلى بغداد فحضر على ما ذكره سنة ثمان عشرة و أربع مئة». ثم ذكر في حوادث السنة المذكورة الخطبة ببغداد لجلال الدولة و إصعاده إليها و دخوله دار المملكة البويهية بالمخزم أي الايلوازية بعد زيارته مشهد الامام موسى بن جعفر-ع- و ذكر شغب الأتراك عليه سنة ٤١٩ ثم النزاع بينه و بين أبي كاليجار على واسط و الأهواز سنة (٤٢٠) ثم الحرب بين جيشيهما سنة ٤٢١ ثم استيلاءه على البصرة ثم وثوب الجنود عليه و إخراجهم

إياه من بغداد سنة ٤٢٣ ثم عوده إلى دار المملكة وإخراجه منها وإعادته إليها سنة ٤٢٤ ثم وثوب الجند عليه سنة ٤٢٧ ثم تلقيه بملك الملوك «شاهنشاه» سنة ٤٢٩ ثم ملكه البصرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٦٣

سنة ٤٣١ وشغب الأتراك عليه سنة ٤٣٢ ثم الوحشة بينه وبين الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٣٥ ثم وفاته سنة ٤٣٥ قال: «ذكر وفاة جلال الدولة وملك أبي كاليجار: في هذه السنة في سادس شعبان توفي الملك جلال الدولة أبو طاهر ابن بهاء الدولة ابن عضد الدولة ابن بويه ببغداد وكان مرضه ورما في كبده، وبقي عدة أيام مريضا وتوفي. وكان مولده سنة ثلاث وثمانين و ثلاثمائة و ملكه ببغداد ست عشرة سنة و أحد عشر شهرا و دفن بداره و من علم سيرته و ضعفه و استيلاء الجند و النواب عليه و دوام ملكه إلى هذه الغاية علم أن الله على كل شيء قدير يؤتى الملك من يشاء و ينزعه ممن يشاء، و كان يزور الصالحين و يقرب منهم و زار مرة مشهد على و الحسين - عليهما السلام - و كان يمشى حافيا قبل أن يصل إلى كل مشهد منها نحو فرسخ، يفعل ذلك تدينا.» و لما توفي كان ولده الأكبر الملك العزيز أبو منصور بواسط على عادته فكاتبه الأجناد بالطاعة و شرطوا عليه تعجيل ما جرت به العادة من حق البيعة فترددت المراسلات بينهما في مقداره و تأخيره لفقده، و بلغ موته إلى الملك أبي كاليجار ابن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة فكاتب القواد و الأجناد و رغبتهم في المال و كثرته و تعجيله فمالوا إليه و عدلوا عن الملك العزيز و أما الملك العزيز فانه أصعد إلى بغداد لما قرب الملك أبو كاليجار منها على ما نذكره سنة ست و ثلاثين (و أربع مائة) عازما على قصد بغداد و معه عسكره فلما بلغ النعمانية غدر به عسكره و رجعوا إلى واسط و خطبوا لأبي كاليجار» تم قال في حوادث سنة ٤٣٦: «و فيها نقل تابوت جلال الدولة من داره إلى مشهد باب التبن إلى تربة له هناك»، و قد عجب ابن الأثير مما لا يعجب منه.

و جاء في النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة في حوادث سنة ٤٣٥ «و فيها توفي السلطان أبو طاهر جلال الدولة ابن بهاء الدولة فيروز ابن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٦٤

عضد الدولة بويه (كذا) ابن ركن الدولة الحسن بن بويه. ولد سنة ثلاث و ثمانين و ثلاث مئة و كان ملكا محببا للرعية، حسن السيرة و كان يحب الصالحين و لقي في سلطنته من الأتراك شدائد و مات ليلة الجمعة خامس شعبان و غسّله أبو القاسم ابن شاهين الواعظ و ابو محمد عبد القادر بن السماك و دفن بداره في دار المملكة في بيت كان دفن فيه عضد الدولة و بهاء الدولة قبل نقلهما إلى الكوفة (في مشهد على - ع-) ثم نقل بعد سنة إلى مقابر قريش، و كان عمره لما مات إحدى و خمسين سنة و شهرا، و مدة ولايته على بغداد ست عشرة سنة و أحد عشر شهرا و لما مات كان ابنه الملقب بالملك العزيز بواسط، فكتب إليه الخليفة القائم بأمر الله يعزّيه فيه. قلت: و جلال الدولة هذا أحسن بنى بويه حالا إن لم يكن رافضيا على قاعدتهم النجسة»، و كان ابن تغرى بردى مؤرخا عاميا جاهلا متعصبا فلا تستغرب منه هذه الجمل الدالة على رقاعة. فان جلال الدولة إن كان أحسن بنى بويه حالا لم يضّرّه أن يكون على مذهب فلان.

سنة ٤٤١

قال ابن الأثير في وفاة جلال الدولة بن بهاء الدولة ابن عضد الدولة سنة ٤٣٥: «و لما توفي كان ولده الأكبر الملك العزيز أبو منصور بواسط على عادته فكاتبه الأجناد بالطاعة و شرطوا عليه تعجيل ما جرت به العادة من حق البيعة فترددت المراسلات بينهما في مقداره و تأخيره لفقده، فبلغ موته إلى الملك أبي كاليجار ابن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة فكاتب القواد و الأجناد فرغبتهم في المال و كثرته و تعجيله فمالوا إليه و عدلوا عن الملك العزيز. و أما الملك العزيز فانه أصعد إلى بغداد لما قرب الملك أبو كاليجار منها، على ما نذكره سنة ست و ثلاثين (و أربع مائة) عازما على قصد بغداد و معه عسكره فلما بلغ النعمانية غدر به عسكره و رجعوا إلى واسط و خطبوا لأبي كاليجار، فلما رأى ذلك مضى إلى نور الدولة ديبس بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٦٥

فريد لأنه بلغه ميل جند بغداد إلى أبي كاليجار و سار من عند دبيس إلى قرداشا ابن المقلد (العقيلي) فاجتمع به بقرية خصه من أعمال بغداد و سار معه إلى الموصل ثم فارقه و قصد أبا الشوك (الكردي) لأنه حموه، فلما وصل إلى أبي الشوك غدر به و ألزمه بطلاق ابنته، ففقل و سار عنه إلى إبراهيم ينال أخى طغربك، و تنقلت به الأحوال حتى قدم بغداد فى نفر يسير عازما على استمالة العسكر و أخذ الملك فثار به أصحاب الملك أبى كاليجار فقتل بعض من عنده و سار هو مختفيا فقصد نصر الدولة ابن مروان فتوفى عنده بميا فارقين و حمل إلى بغداد و دفن عند أبيه بمقابر قريش فى مشهد باب التبن سنة إحدى و أربعين (و أربع مئة) و قد ذكر الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى أنه آخر ملوك بنى بويه و ليس كذلك...» و ذكره ابن الفوطى مرتين و هو: «عز الدولة العزيز أبو منصور ابن جلال الدولة أبى طاهر ابن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه الديلمى» قال: «ذكره أبو الحسن ابن الصابى فى تاريخه و قال: ولى الامارة بعد أبيه و أقام يسيرا ثم هرب من ابن عمه عز الملوك أبى كاليجار ابن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة ابن عضد الدولة فكانت ولايته خمس سنين و قد تأدب و اشتغل و كان جميل الصورة يؤثر الدعء و الرفاهية و كان مولده سنة أربع مئة و توفى سنة إحدى و أربعين و أربع مئة و عليه انقراض ملكهم» ثم قال: «الملك العزيز أبو منصور خسرو فيروز ابن جلال الدولة. صاحب واسط. ذكره الحافظ محب الدين محمد ابن النجار فى تاريخه و قال: ولاه أبوه واسط فأقام بها مدة حياته و أثر بها آثارا حسنة و غرس بها بستانا بديعا على دجلة و كان مستترا بعمارتة و كان مشغولا باللهو و القصف و الخلاعة و له شعر حسن قد دونه و روى عنه جماعة من الأدباء و كان كثير المطالعة لكتب الأب...». و ذكره الباخري فى دمية القصر و الصفدى فى الواقى و ابن جماعة فى معجم الأدباء و تأليفه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٦٦

سنة ٤٧٨ هـ

إشارة

٢٨- و أبو سعد محمد بن على بن المطلب الكاتب، قال البندارى نقلا من تاريخ السمعانى لبغداد: «أحد الرؤساء ذكروا الذهلى فقال: توفى الرئيس أبو سعد بن المطلب فى يوم الأحد الثانى و العشرين من ربيع الآخر سنة ثمان و سبعين و أربعمئة و دفن فى مقابر قريش». و قال أبو الفرج ابن الجوزى فى حوادث سنة ٤٧٨ هـ «محمد بن على بن المطلب أبو سعد، كان قد قرأ النحو و اللغء و السير و الآداب و أخبار الأوائى و قال شعرا كثيرا إلا أنه كان كثير الهجو ثم قال عن ذلك و أكثر الصوم و الصلاة الصدقة و روى الحديث عن ابن بشران و ابن شاذان و غيرهما و غسل مسودات شعره و أحرق بعضها بالنار و توفى فى هذه السنة و هو ابن ست و ثمانين سنة». و ذكر العماد الاصفهانى فى المزيدة و جاء فى الجزء المطبوع ببغداد:

«أبو سعد محمد بن على بن عبد المطلب، كان فى عهد الوزير ابن المطلب وزير الامام المستظهر - رضى الله عنه - متصرفا و كان هجاما على الهجاء و الكبراء»، و لم يذكر العماد تاريخ مولد و لا تاريخ وفاة، و قال الذهلى فى تاريخه فى وفيات سنة ٤٧٨: «محمد بن على بن محمد بن المطلب أبو سعد الكرمانى الكاتب والد صاحب الوزير أبى المعالى هبة الله، قدم أبوه من كرمان و ولد هو ببغداد و نظر فى الأدب و أخبار الأوائى و سمع من أبى الحسين ابن بشران و أبى على ابن شاذان، روى عنه يحيى البناء و شجاع الذهلى و كان شاعرا هجاء بليغ الفحش مقدما فى ذلك، عزل لهجوه فقال:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٦٧

منظر عام لمقر الامامين الكاظمين بالقبتين و المنائر الذهبية و فى باحته عدة مدافن للمشاهير

عزلت و ما خنت فيما وليت و غيرى يخون و لا يعزل

و هذا يدل على أن من يولّى و يعزل لا يعقل

و من شعره:

يا حسرتى مات حظى من قلوبكم وللحظوظ كما للناس آجال
تصرم العمر لم نحظى بقربكم كم تحت هذى القبور الدرس آمال
قال هبة الله السقطى: كنت أجمع بأبى سعد كثيرا فقل أن انفصلت
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٦٨

عنه إلا- بنادرة أو شعر و لم تزل الحال به إلى أن تاب و ألهم الصوم و الصلاة و الصدقات. و غسل مسودات شعره قبل موته- رح-
مات فى ربيع الآخر و له أربع و ثمانون سنة» .

و ذكره الصفدى فى تاريخه للأشخاص قال: «محمد بن على بن محمد ابن المطلب الكرمانى أبو سعد الكاتب والد الوزير أبى المعالى
هبة الله، كان والده من كرمان و ولد هو ببغداد و قرأ طرفا صالحا من الأدب و أخبار الأوائى و سمع الحديث .. و حدث باليسير. روى
عنه أبو البركات بن السقطى و يحيى بن الحسن بن أحمد بن البناء و سمع منه أبو عبد الله الحميدى و أبو غالب الدهلى و كان كاتباً
سديدا مليح الشعر إلا أنه ثلثه كثير الهجاء دقيق الفكر، قال ابن النجار شبهه هجوه بهجو ابن الرومى و جحظةً و من شعره: عزلت و ما
خنت فيما وليت .. و ذكر البيتين المنقولين آنفا و كتب إلى الوزير أبى نصر بن جهير:

هبنى كما زعم الواشون لا زعموا أخطأت حاشى أو زلت بى القدم
و هبك ضاق عليك العذر من حرج لم أجنه أبيض العفو و الكرم؟
ما أنصفتنى فى حكم الهوى أذن تصغى لوأش و عن عذرى بها صمم
و من شعره:

يا حسرتا مات حظى من قلوبكم ... و ذكر البيتين الآخرين» .

و اختصر ابن شاکر الكتبى ترجمته من كتاب الوافى بالوفيات و ضمّنها كتابه فوات الوفيات على حساب عاداته فى الاغارة على الوافى
فى أكثر تراجمه إلا أنى وجدت فرقا بين الترجمتين فى الفوات «إن مت شوقا
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٦٩

و لم أبلغ بكم أملى» بدلا من «تصرم العمر لم نحظى بقربكم» و لم يذكر القصيدة الصفدى سنة وفاته و لا مدفنه و ذلك يدل على
نقصان النسخة المنشورة فقد قال ابن شاکر «توفى سنة ثمان و سبعين و أربعمائه و دفن بمقابر قريش- رح-» .
و قال العماد الاصفهانى: «أنشدنى مجد الدين ابن المطلب بدمشق لأبى سعد ابن المطلب:

تتايركم للنمل فيها مدارج و فى قدركم للعنكبوت مناسج
و عندكم للضيف يوم يزورك حوالات سوء كلها و سفاتج
إذا سهل الاذن العسير و رفعت ستورك فانظرنى بما أنا خارج
و سيات بيت العنكبوت و جوسق منيف إذا لم تقض فيه حوائج

المردوستى

٢٩- و فى سنة ٤٧٨ توفى أبو عبد الله الحسين بن على المردوستى الحاجب و دفن فى مقابر قريش قال ابن الجوزى: «كان رئيس
زمانه و كان قد خدم فى زمن بنى بويه و بقى إلى زمان المقتدى و ارتفع أمره حتى كانت ملوك الأَطراف تكتب إليه (عبده و
خادمه). و كان كامل المروءة لا يسعى إلا فى مكرمة، و كان كثير البرّ و الصدقة و الصوم و التهجد حفر لنفسه قبرا و أعد كفنا قبل

وفاته بخمسين سنة و توفي عن خمس و تسعين سنة و دفن بمقبرة باب التين». و قال شمس الدين الذهبي في وفيات السنة المذكورة
آنفا:

الحسن بن علي بن أبي نزار الحاجب الصدر أبو عبد الله المردوستي، حاجب
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٧٠

باب النوبى، محمود السيرة، دین خير متعبد مات في ذى القعدة و له أربع و تسعون سنة، لم يرو شيئا» .

سنة ٤٩٠

قال أبو الفرج ابن الجوزى في وفيات سنة ٤٩٠: «المعمر بن محمد ابن المعمر بن أحمد بن محمد أبو القاسم (كذا) الحسينى الطاهر ذو
المناقب نقيب الطالبين و كان جميل الصورة، كريم الأخلاق، كثير التبعيد لا يحفظ عنه أنه آذى مخلوقا ولا شتم حاجبا و سمع
الحديث و رواه و توفي بداره بالكركخ بنهر البزازين ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الأول و حمل من الغد إلى جامع المنصور فصلى عليه
ثم حمل إلى مشهد مقابر قريش فدفن به، و مات عن اثنتين و سبعين سنة، ولى النقابة منها اثنتين و ثلاثين سنة و ثلاثة أشهر و تولى
مكانه ابنه أبو الفتوح حيدرة و لقب بالرضى ذى الفخرين، و رثاه أبو عبد الله بن عطية بأبيات منها:

هل ينفعن من المنون حذار أم للامام من الردى أنصار؟

هيئات ما دون الحمام إذا دناوزر و لا يسطاع منه حذار

نفذ القضاء على الورى من عادل في حكمه و جرت به الأقدار

مالى أرى الآمال تخدع بالمنى عدة تطول و تقصر الأعمار

و الناس فى شغل و قد أفناهم ليل يكر عليهم و نهار

و يد المنية شنة مبسوطه فى كل أنملة لها أظفار (كذا)

لو كان يدفع بطشها عن مهجة و يرد حتفا معقل و جدار

لغدت ربيعة ذا المناقب و اشترت حبا له طول البقاء نزار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٧١ خربت ذرا المجد المنيف و أصبحت عرصات ربع المجد و هى قفار

و خلا مقام النسك من تسيحه و بكت على صلواته الأسحار»

و ذكره ابن تغرى بردى فى وفيات السنة المذكورة بإيجاز و قال: «كان من كبار الشيعة» .

سنة ٥٥٠هـ

٣١- و أبو طالب علي بن محمد بن المحسن بن يحيى بن جعفر بن علي ابن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين بن علي ابن أبي طالب العلوى الحسينى نقيب المشهد الكاظمى، قال محب الدين محمد بن النجار: «سمع القاضى أبا الحسين
محمد بن علي ابن المهتدى و غيره و حدث باليسير. روى عنه أبو القاسم المبارك بن محمد بن الحسين بن البزورى و أبو طاهر
السلفى و كتب عنه أبو عبد الله الحسين بن محمد البلخى و نقلت نسبة بخطه. أخبرنا عتيق بن الحسن الأنصارى بالقاهرة أنبأنا أبو طاهر
أحمد ابن محمد السلفى أنبأنا أبو طالب علي بن محمد بن المحسن نقيب المشهد بيغداد- و أسنده إلى حكيم بن حزام- قال قال
رسول الله- ص:- البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا و بينا رزق بركة بينهما و إن كذبا و كتما محق بركة بينهما. و أنبأنا عتيق بن
الحسن أن السلفى أخبره أنه سأل أبا طالب النقيب عن مولده فذكر أنه سنة ثلاث و أربعمائه و أنه سمع من ابن قشيش و آخرين.

قرأت فى كتاب أبي غالب شجاع بن فارس الدهلى بخطه قال» مات الشريف أبو طالب علي بن المحسن العلوى نقيب المشهد بمقابر

قريش في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٧٢

يوم الاربعاء تاسع عشر المحرم سنة خمسمائة و قد جاوز المائة سنة من عمره» .

و ذكره ابن عنبه في كتابه أنساب الطالبين قال: «و من ولد يحيى الصوفى ابن جعفر الكذاب أبو الفتح أحمد بن محمد بن المحسن بن يحيى الصوفى المذكور و هو النسابة المعروف بابن المحسن الرضوى و له أخ اسمه (على) و يكنى أبا القاسم كان فاضلا دينا و يحفظ القرآن و يرمى بالنصب أعقب بمصر»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٧٣

القرن السادس الهجرى

سنة ٥٠٢ هـ

٣٢- و المرتضى أبو الفتح و قيل أبو الفتوح حيدرة بن المعمر الحسينى العبيدلى النقيب قدمنا ذكر أبيه النقيب المعمر بن أحمد بن محمد، قال ابن الفوطى: «ذكره تاج الاسلام السمعانى فى كتاب المذيل (على تاريخ الخطيب) و قال: رأيت عند ابن أخيه أبى الحسين عبيد الله بن الطاهر مصحفا بخطه المليح و كان راغبا فى الخير و أهله و سمعت أبا الحسن على بن أحمد ابن مكى البزاز بالنهروان يقول: توفى النقيب فى العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنين و خمسمائة و دفن بمقابر قريش عند أمه و أخيه» . و قال أبو الفرج بن الجوزى فى وفيات سنة ٥٠١ من تاريخه: «حيدرة بن أبى الغنائم المعمر بن عبيد الله أبو الفتوح العلوى نقيب الطالبين و كان عفيفا متشاغلا بالعلوم غزير الأدب، مليح الصورة، توفى فى هذه السنة و عمره ثمان و ثلاثون سنة و مدة ولاية النقابة اثنتا عشرة سنة و ثلاثة أشهر و ولى بعده أخوه أبو الحسن على» . و ذكره ابن النجار فى ترجمه أخيه على ابن المعمر بن محمد قال: «ولى على هذا النقابة على الطالبين ببغداد بعد وفاة أخيه أبى الفتوح حيدرة بن المعمر سنة ٥٠٢ هـ .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٧٤

بعد سنة ٥٠٦ هـ

إشارة

٣٣- و أبو الفضل على بن ناصر بن محمد بن الحسن بن أحمد القاسم ابن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن جعفر بن محمد ابن الحنفية ابن على بن أبى طالب العلوى المحمدى، ذكره السمعانى فى «المحمدى» من الانساب نسبتة إلى جده محمد بن الحنفية- رض- قال: «من أهل بغداد نقيب مشهد باب التبن و كان يسكن الكرخ، له معرفة بالأنساب، سمع أبا محمد الحسن بن على الجوهري و غيره، روى لى عنه أبو المعمر المبارك بن أحمد الأنصارى و أبو طالب بن خضير الصيرفى، و كانت ولادته سنة إحدى و أربعين و أربعمائه، و توفى بعد سنة ست و خمسمائة فان أبا بكر ابن فولاذ الطيورى سمع منه فى هذه السنة» . و ذكر أكثر هذه الترجمة عز الدين ابن الأثير فى اللباب، و إذ كان اللباب مختصرا للأنساب و ليس فى كلام ابن الأثير زيادة و لا استدراك لم نجد حاجة إلى نقل كلامه لأنه يكون تكرارا بلا مسوغ و لا باعث.

أحمد بن على بن ناصر

٣٤- و ابنه أبو جعفر أحمد بن علي بن ناصر ابن أبي الفضل العلوي المحمدي، قال جمال الدين محمد بن سعيد المعروف بابن الديبشي المؤرخ:

«من ولد محمد بن علي بن أبي طالب- عليه السلام- المعروف بابن الحنفية، كان أبو جعفر نقيب العلويين بالكرخ و أبوه نقيب العلويين المحمديين بمشهد موسى بن جعفر- عليهما السلام- فيما ذكر أبو بكر (المبارك) ابن كامل وقال: سمع أبو جعفر من أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الطيوري و روى عنه و سمعت منه. و أخرج حديثاً عنه في معجم شيوخه»
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٧٥

سنة ٥٠٧ هـ

٣٥- و في سنة ٥٠٧ توفي أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن علي بن الحسن ابن عبيد الله أبو نصر الساجي المقدسي. قال ابن الجوزي: «ولد سنة خمس و أربعين و أربعمائه و تفقه على أبي اسحق الشيرازي مدة و سمع من أصحاب المخلص و الكتاني و رحل في طلب الحديث إلى بيت المقدس و أصبهان- و خراسان و الجبال و قرأ على عبد الله الأنصاري الحديث و حصل الكثير منه و كان حافظاً عارفاً بالحديث معرفة جيدة خصوصاً المتون و كان حسن القراءة و الخط، صحيح النقل، و ما زال يسمع و يستفيد إلى أن مات كان فيه ظلف نفس، و قناعة و صبر على الفقر، و صدق و أمانة، و ورع، حدثنا عنه أشياخنا و كلهم وصفه بالثقة و الورع و قد طعن فيه محمد بن طاهر المقدسي و المقدسي أحق بالطعن و أين الثريا من الثرى. توفي المؤتمن يوم السبت ثامن عشر صفر» و قد جاء في نسخة من المنتظم أنه دفن بمقبرة باب حرب، و ورد في هامش النسخة ص «صوابه باب التبن». يعني المشهد الكاظمي.

سنة ٥١٥ هـ

قال محب الدين محمد بن النجار: «علي بن ناصر بن محمد بن الحسن ابن أحمد بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب أبو الفضل العلوي المحمدي، نقيب مشهد باب التبن. هكذا رأيت نسبه بخط محمد بن علي بن فولاذ الطبري و هكذا ذكره السلفي في معجم شيوخه. كان يسكن بالكرخ و له معرفة بالأنساب، سمع أبا محمد الحسن بن علي الجوهري و حدث باليسير، روى عنه أبو المعمر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٧٦

الأنصاري و أبو طالب بن خضير و أبو طاهر السلفي ... قرأت بخط محمد ابن ناصر اليزدي: قال سألت المحمدي فقال: ولدت سنة ثلاث و أربعين و أربعمائه. و قرأت بخط أبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنطاطي قال:

توفي الشريف أبو الفضل المحمدي في يوم الخميس ثالث شوال سنة خمس عشرة و خمسمائة و دفن يوم الجمعة بمقابر قريش بعد أن صلى عليه بباب دار الطاهر بنهر البزازين و حضرت ذلك و مضيت معه إلى قبره».

و ذكر السمعاني في «المحمدي» من الأنساب، قال: «هذه النسبة إلى محمد بن الحنفية بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رض- و المنتسب إليه أبو الفضل علي بن ناصر بن محمد بن الحسين (كذا) بن أحمد بن القاسم ابن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن جعفر بن محمد ابن الحنفية ابن علي بن أبي طالب المحمدي، من أهل بغداد، نقيب مشهد باب التبن و كان يسكن الكرخ، و له معرفة بالأنساب، سمع أبا محمد الحسن بن علي الجوهري و غيره و روى لي عنه أبو المعمر المبارك بن أحمد الأنصاري، و أبو طالب ابن خضير الصيرفي، و كانت ولادته سنة إحدى و أربعين و أربع مئة و توفي بعد سنة ست و خمس مئة فان أبا بكر ابن فولاذ الطيوري (كذا) سمع منه في هذه السنة».

و ذكر ابن عنبه جدّه الحسن بن أحمد، قال في ذكر ابن الشريف النقيب الأخباري أبي الحسن أحمد بن القاسم بن محمد: «من ولده

أبو محمد الحسن بن أبي الحسن أحمد المذكور و هو السيد الجليل النقيب المحمدي كان يخلف السيد المرتضى على النقابة ببغداد، له عقب يعرفون ببني النقيب المحمدي كانوا أهل جلالة و علم و رواية و نسب ثم انقرضوا. و لم موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٧٧

يعرف المشارف على طبعه عمدة الطالب النجفية شيئا من ترجمه أبي الفضل علي بن ناصر هذا ليلقه على قول ابن عنبه «له عقب يعرفون ببني النقيب المحمدي...».

سنة ٥١٨ هـ

قال محب الدين محمد ابن النجار: «علي بن نصر بن سعيد بن سعد أبو تراب الكاتب ... ولد بعكبرا و نشأ بها و دخل بغداد في صباه و قرأ الأدب على أبي القاسم ابن برهان النحوي ثم انحدر إلى البصرة و صار كاتباً لنقيب الطالبين بها و أقام هناك مدة ثم عاد إلى بغداد سنة تسعين و أربع مئة و نزل بالكرخ و ولي الكتابة لنقيب الطالبين إلى حين وفاته و كان كاتباً حاذقاً، روى عنه ولده (علي) شيئا من شعره. أخبرني شهاب الحاتمي بهراء أنشدنا أبو سعيد ابن السمعاني قال: أنشدني علي بن علي (بن نصر) بن سعد الكاتب قال: أنشدني أبي لنفسه:

حالي بحمد الله حال جيد لكنه من كل حظ عاطل

ما قلت للأيام قول معاتب و الرزق يدفع راحتي و يماطل

إلا و قالت لي مقالة واعظ: الرزق مقسوم و حرصك باطل

أخبرني الحاتمي قال: سمعت أبا سعيد ابن السمعاني يقول: سألت علي بن علي بن سعد الكاتب عن مولد (أبيه)، فقال: في محرم سنة ثمان و عشرين و أربع مئة و توفي في العشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة و خمس مئة و دفن بمشهد باب التبن. و ذكره ياقوت الحموي موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ١٠-١؛ ص ٧٨

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٧٨

بما يشبه كلام ابن النجار و الظاهر أنه نقله استملاء منه لأنهما كانا متصادقين، و قد وقع في طبعه مرغوليوث الأولى» ثم رجع إلى بغداد سنة ٤٩٠ و أقام بالكرخ و الصواب (سنة ٤٩٠) فقد سقط الصفر، و جاء في قول ياقوت «و كان من أهل الأدب و الفضل ... و ابنه علي بن علي بن نصر بن سعد أبو الحسن ابن أبي تراب كان كاتب نقيب الطالبين أيضا و كان شاعرا ولد بالبصرة سنة ٤٨٢ ...» - و ذكره العماد الأصفهاني بمثل ما نقلناه و أحال بترجمته على تاريخ السمعاني «ذيل تاريخ بغداد» و ذكر له ما عدا الأبيات الثلاثة آنفا بيتين في الحكمة فيهما جناس ناقص و في الأول تصحيف و هما:

لا بد من آماله طمع إلى الدنيا موفرا ماله

فان أعماله تورطه حين يراها في الحشر أعمى له

سنة ٥٣٧ هـ

إشارة

٣٦- و في سنة «٥٣٥» على أرجح الأقوال دفن في مقابر قريش جمال الملك أبو القاسم علي بن أفلح العبسي الشاعر الكاتب و لكن ابن الجوزي ذكره في وفيات سنة ٥٣٣ قال:

«علي بن أفلح أبو القاسم الكاتب، كان فيه فضل حسن و له شعر مليح إلا أنه كان متجرنا كثير الهجو و كان قد خلع عليه المسترشد بالله و لقبه جمال الملك و أعطاه أربع آدر في درب الشاكرية و كان هو قد اشترى دورا إلى جانبها فهدم الكل و أنشأ دارا كبيرة و

أعطاه الخليفة خمسمائة دينار و أطلق له مائة جذع و مائتي ألف آجرة و أجرى له إدرارا في كل سنة، فظهر انه يكاتب ديبسا- يعنى الأمير ديبس بن صدقة صاحب الحلة- و سبب ذلك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٧٩

أنه كان فى المسجد الذى يحاذى دار السماك رجل يقال له مكى يصلى بالناس و يقرىء القرآن فكان إذا جاء رسول ديبس أقام عند ذلك الامام بزى الفقراء فاطلع على ذلك بواب ابن أفلح، و اتفق أن ابن أفلح غضب على بوابه فضربه ، فاستشفع بالناس عليه فلم يرده، فمضى و أطلع صاحب الشرطة على ذلك فكبس المسجد و أخذ الجاسوس، و هرب ابن أفلح و إمام المسجد، و أمر المسترشد بنقض داره و كان قد غرم عليها (عشرين) ألف دينار، كان طولها ستين ذراعا فى أربعين، و قد أجريت بالذهب و عملت فيها الصور و فيها الحمام العجيب، فيه بيت مستراح فيه يشون- يعنى حنفيه- إن فركه الانسان يمينا خرج الماء حارا و إن فركه شمالا خرج باردا و كان على أبواب الدار مكتوب شعر (كذا):

إن عجب الزوّار من ظاهرى فباطنى لو علموا أعجب

شيدنى من كفه مزنة يخجل منها العارض الصيب

و دبت روضة أخلاقه فى رياضها نورها مذهب

صدر كسا صدرى من نوره شمسا على الأيام لا تغرب

و كان على الطرز مكتوب شعر (كذا):

و من المروءة للفتى ما عاش دار فاخره

فاقنع من الدنيا بها و اعمل لدار الآخرة

هاتيك وافية بما وعدت و هذى ساحره

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٨٠

و كان على الحيرى مكتوب شعر (كذا):

و ناد كأن جنان الخلود أعارته من حسنهما رونقا

و أعطته من حادثات الزمان أن لا تلم به موثقا

فأضحى يتيه على كل ما بنى مغربا كان أو مشرقا

تظل الوفود به عكفاو تمسى الضيوف له طرقا

بقيت له يا جمال الملوک و الفضل مهما أردت البقا

و سالمه فيك ريب الزمان و وقيت منه الذى يتقى

قال ابن الجوزى: و قد رأيت أنا هذه الدار بعد أن نقضوها ثم ظهر أن ابن أفلح مضى إلى تكريت فاستجار ببهروز الخادم ثم آل الأمر إلى أن عفى عنه .

و قال العماد الأصبهانى الكاتب: «جمال الملك أبو القاسم على بن أفلح العيسى الشاعر، من أهل بغداد، و أصله من الحلة السيفية ، شاعر سائر الشعر، طائر الذكر، مرهوب الشبا، حديد السنان، شديد الهجاء بذى اللسان، إذا اتضح له المعنى فى هجو أحد لم يبال به أكان محسنا أم مسيئا، عدوا أو وليا و قل من أحسن إليه إلا جازاه بالقبيح، و جراه بالذم الصريح، و كان من جملة منعوشى العم الشهيد عزيز الدين فانه نوه بذكره و تبه على قدره و جذب بضع فضله و آواه إلى ريع ظلّه، و ولّى اشغاله جماعة من أقاربه و أهله حتى عرفوا و شرفوا و أثروا و اكتفوا، على أنه لم ينج مع ذلك من قوارصه، و كان يحتمله لفضائله و خصائصه، و لما نقلنى والدى من أصفهان إلى بغداد، حين نبا، بعد النكبة، بنا الوطن، و ضاق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٨١

العطن و لم نجد الأمن و السلامة، و اليمن و الكرامة إلا في ظل الدار العزيزة النبوية الامامية المقتفوية، فسكننا مدينة السلام و اتخذناها دار المقام و ذلك في سنة أربع و ثلاثين و خمسمائة، و قد بلغت سنّي خمس عشرة سنة و كان هذا ابن أفلح يجتمع بوالدى و يقصد نحوه و بيته شجوه، و توفى بعد ذلك بستين أو ثلاث. و طالعت ما جمع من شعره و هو قليل، لأن الخليفة نفذ و أخذ من بيته أشعاره كلها، و كتبت منه قصيدتين في مدح عمى فأثبتتهما و لم ألغ منهما شيئاً، إحداهما ما مدحه به و أنشده بأصفهان:

هاتيك دجلة رد و هذا النيل ما بعد ذين لحائم تعليل

... و القصيدة الأخرى مدحه بها و يعرض بذكر جماعة من أعدائه نصره الله عليهم و ذلك في سنة ست عشرة و خمسمائة و هي عندي أحسن من الأولى:

إلى متى يجحد للبلوى و تجهده قد بان ما كان يخفيه و يجحده

و له قصائد قد سارت، من جملتها:

ما بعد حلوان للمشتاق سلوان عزّ العزاء و بان الصبر إذ بانوا

... و من سياراته:

هذه الخيف و هاتيك منى فترقق أيها الحادى بنا

و له:

أخى لم تزل فى كل لأواء منعشى فخذ لى بتأرى من لحاظ يرناقشى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٨٢

... و كان هذا ابن أفلح فظيع المنظر كما وصفه سديد الدولة ابن الأنبار فى قوله:

يا فتى أفلح و إن لم يكن قطّ أفلحا

لك وجه مشوّه أسود قدّ من رحى

و كان هكذا ذكره قمر الدولة ابن دوّاس:

هذا ابن أفلح كاتب متفرد بصفاته

أقلامه من غيره و دواته من ذاته

... و له فى بعض وزراء عصره و كان نحيفا دقيقا:

لولا السواد و ذقنه ما بان فى وقت السلام

كرريق دجلة كلّه ريش و باقيه عظام» .

و ذكر له أشعارا أخرى.

و ترجم له محب الدين ابن النجار البغدادى قال: «على بن أفلح بن محمد أبو القاسم البغدادى، كاتب أديب فاضل، عالم كامل، شاعر مجيد، مترسل بليغ، له ديوانا شعر و رسائل و يكتب خطا حسنا و قد أكثر القول فى الغزل و المديح و سائر الفنون فأحسن ثم تعدى إلى هجو الناس و الثلب لأعراضهم و الوقيعه فيهم، بأكثر من ذلك حتى أوجب له مقتا من الناس و خاف من جماعة من الصدور فخرج من بغداد هاربا إلى الشام و اتصل بملوكها و استشفع بهم إلى الديوان فى رده إلى وطنه، فشفعوا فيه إلى الامام المسترشد بالله فأجابهم إلى ذلك و قبله فعاد إلى بغداد و أقام بها إلى حين وفاته.

أنبأنا أبو الغنائم سعيد بن حمزة بن أحمد بن سارح الكاتب قال: سمعت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٨٣

أبا القاسم ابن أفلح ينشد والدى لنفسه بدارنا:

ما بعد حلوان للمشتاق سلوان عن العراق و بان الصبر مذ بانوا
دعنى و تسكاب دمعى من مدامعه فللشؤون ولى من بعدهم شأن
ما العيش من بعدهم مما ألدّ به أتى يلدّ بعير النوم و سنان؟
هم الحياة و قد باتوا الغداة فهل يصح بعد ذهاب النفس جثمان؟
يا صاحبى أقلّ من ملامك ما فان لو مكمما ظلم و عدوان
أين الشجى من خلّى ما أحب و لاهاجت له بنوى الأحباب أشجان؟!

... أنبأنا أبو البركات الزيدى عن أبى الفرج صدقة بن الحسين ابن الحداد الفقيه قال: و فى يوم الخميس ثانى شعبان من سنة خمس و ثلاثين و خمسمائة توفى أبو القاسم ابن أفلح الشاعر. و ذكر غير صدقة أنه دفن بمقابر قريش و كان مولده فى سنة ثلاث و أربعين و أربعمائة.

و قال ابن خلكان: «جمال الدين أبو القاسم على بن أفلح العيسى الشاعر المشهور، كان شاعرا ظريفا حسن المديح، كثير الهجاء مدح الخلفاء فمن دونهم من أرباب المراتب و جاب البلاد و لقي أكابرها و رؤساءها. رأيت ديوانه فى مجلّد وسط و قد جمعه بنفسه و عمل له خطبته و قفاه و ذكر عدد ما فى كل قافية من بيت و اعتنى بأمره و هدّبه، نقلت منه ... و له نوادر كثيرة و توفى سنة خمس و قيل ست و قيل سبع و ثلاثين و خمسمائة-رح- و عمره أربع و ستون سنة و ثلاثة أشهر و أربعة عشر يوما، و كانت وفاته ببغداد و دفن بالجانب الغربى بمقابر قريش ...» .
و كان ابن خلكان قد ذكر قبل ذلك فى ترجمة الأمير سيف الدولة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٨٤

و كان ابن خلكان قد ذكر قبل ذلك فى ترجمة أمير سيف الدولة أبى الحسن صدقة بن منصور الأسدى الناشرى مؤسس الحلة أن أبا الحسن (كذا) على بن أفلح الشاعر المشهور كان كاتباً بين يديه فى شببته ثم ذكر ابن خلكان أن ابن أفلح كان ممن أنكروا دعوى الحريرى لانشائه المقامات و أن من الأدباء من ينسب إليه هجوه فى قوله:

شيخ لنا من ربيعة الفرس ينتف عثونه من الهوس

أنطقه الله بالمشان كما رماه وسط الديوان بالخرس

ثم ذكر له أبياتا كتب بها إلى ابن التلميذ الطيب بعد أن نقه من المرض و هو يعالجه بشكو جوعه و قد نهاه عن استعمال الغذاء إلا بأمره، و أبيات ابن التلميذ فى الجواب عنها، و قال ابن الجوزى فى حوادث سنة ٥١٧:

«و فى محرم هذه السنة نقضت دار على بن أفلح و كان المسترشد قد أكرمه و لقبه جمال الملك، فظهر أنه عين لديس فتقدم بنقض داره فهرب، و سنذكر حاله عند وفاته فى زمان المقتفى إن شاء الله تعالى». و ذكر ذلك ابن الأثير فى حوادث السنة المذكورة مقرّونا بعزل نقيب العلويين على بن المعمر و لكن ابن الأثير لم يذكر اسم النقيب و هو شىء عجيب. ثم ذكر ابن الأثير فى وفيات سنة ٥٣٥ و جاء فيه اسمه «على بن أفلح بن أفلح».

و الزيادة من النساخ المسّاخ.

و تابع سبط ابن الجوزى جدّه فى ذكره على بن أفلح فى وفيات سنة ٥٣٣ و فى أقواله زيادة فائدة فقد ذكر أنه الخليفة المسترشد بالله رتب لابن أفلح راتباً، و ذكر أن أفلح صوّر فيها فنون الصور، و ذلك أمر ذو بال

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٨٥

فى تاريخ الحضارة الاسلاميّة، و قد اشتهر اختلاف العلماء فى جواز تصوير الحيوان دون الأشجار و الجماد.

و ترجم له ابن تغرى بردى فى وفيات سنة ٥٣٣ ترجمه حسنه موجزه جامعه ، و ذكره نصر الله ابن الأثير قال: «و وقفت على كتاب يقال له مقدمه ابن أفلح البغدادي قد قصرها على تفصيل أقسام علم الفصاحة و البلاغه، و للعراقيين بها عناية و هم و امقون لها و مكبون عليها و لما تأملتھا وجدتها قشورا لا- لب تحتها لأن غاية ما عند الرجل أن يقول: و أما الفصاحة فانها كقول النابغه مثلا أو كقول الأعشى أو غيرهما. ثم يذكر بيتا من الشعر أو أبياتا، و ما بهذا تعرف حقيقة الفصاحة حتى إذا وردت فى كلام عرفنا أنه فصيح بما عرفنا من حقيقتها الموجودة فيه و كذلك يقول فى غير الفصاحة.

و من أعجب ما وجدته فى كتابه أنه قال: أما المعانى المبتدعة فليس للعرب منها شيء و إنما اختص بها المحدثون ثم ذكر للمحدثين معانى و قال: هذا المعنى لفلان و هو غريب. و هذا القول لفلان و هو غريب و تلك الأقوال التى خص قائلها بأنهم ابتدعوها قد سبقوا إليها فإيا أن يكون غير عارف بالمعنى الغريب و إيا أنه لم يقف على أقوال الناظمين و الناثرين و لا- تبخر فيها حتى عرف ما قاله المتقدم مما قاله المتأخر...» .

و ذكر العماد الأصفهاني لابن أفلح عدة أشعار فى المدح و الهجاء فى كتابه «نصرة الفترة و عصره الفطرة» فى تاريخ بنى سجلوق ، و أورد له ابن الجوزى شعرا و نثرا مفيدين جدا فى دراسة أدبه ، و ورد ذكره فى موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٨٦

كتابه صيد الخاطر «ص ٣٠٨» و ذكر له هندوشاه الصحبى فى تاريخه الفارسى تجارب السلف «ص ٢٩٧» أبياتا بالعربية. و ورد ذكره فى عيون الأنباء «١: ٢٧٤» لابن أبى أصيبعة و مختصر الدول «ص ٣٦٥» لابن العبرى، و نشرت دراسة موجزة لأدبه فى مجلته الغرى النجفية» مج ٧ ج ١، ٢» و درس تاريخ أدبه الدكتور على جواد الطاهر فى كتابه الشعر العربى فى العراق و بلاد العجم فى العصر السلجوقى» ج ١ ص ١٨٨-١٩٣» و هى دراسة بارعة.

أبى الضوء العلوى

٣٧- و الشريف أبو محمد الحسن بن محمد بن أبى الضوء العلوى الحسنى ذكره العماد الأصفهاني قال بعد ذكر اسمه على النحو الذى نقلناه: «نقيب مشهد باب التبن، توفى سنة ٥٣٧هـ، له فى مدح الطاهر النقيب :

من لى بايناس الرقاد النافر فايت أنعم بالخيال الزائر؟
و لقد أبيت النوم إلا أنه سبب إلى وصل الحبيب الهاجر
أشتاق علوه أن يمر خيالها بالعين بعض مروره بالخاطر
نذرت دمي فوفت و لم أعلم به أن الوفاء سجيء من غادر
فوقفت أجنح بين دمع واقع إثر الخليط و بين لب طائر
حيران لا الكمد العنيف بغائب عنى و لا الجلد الضعيف بحاضر
أشكو اهضام الغانيات تجلدى بصدودهن و ليس لى من ناصر
و لو أن ضيما كان غير صباية للجأت منه إلى جناب الطاهر
و له يرثيه:

قربانى إن لم يكن لكما عقر إلى عقر قبره فاعقرانى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٨٧ و انضحا من دمي عليه فقد كان دمي من نداه لو تعلمان

و ذكره عز الدين بن جماعة الكنانى فى كتابه تاريخ الأدباء و قال:

«هو الحسن بن محمد بن على بن أبى الضوء العلوى الحسنى البغدادي، أديب فاضل، ولد يوم الخميس السادس من رجب سنة اثنتين

و ثمانين و أربعمائه و توفى فى شعبان سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة-رح- و أورد الآيات المذكورة و فيها زيادة هى:

برزت فلم أخذل هناك بعاذل و لقد أرانى لا أعان بعاذل

عمر وجود على اللها لعفاته و يجير من صرف الزمان الجائر

و أورد ابن خلكان فى ترجمة المهلب بن أبى صفرة مرثية زياد بن جابر ابن عبد القيس الأعجم لابنه المغيرة بن المهلب المتوفى سنة

٨٢ هـ و هى حائية رائعة و قال «و قد أخذ بعض الشعراء معنى البيت الثالث و الرابع فقال:

إحملانى إن لم يكن لكما عقر... (و ذكر البيتين) ثم قال: «و صاحب هذين البيتين هو الشريف أبو محمد الحسن بن محمد بن على

ابن أبى الضوء العلوى الحسينى نقيب مشهد باب التبن ببغداد و هما من جملة قصيدة يرثى بها النقيب الطاهر والد عبد الله ذكر ذلك

العماد الكاتب فى الخريدة» .

سنة ٥٤١ هـ

٣٨- و فى سنة ٥٤١ توفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن السلال الوراق، قال السمعانى فى الأنساب: «السلال هذه

النسبة إلى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٨٨

عمل السلّة و بيعها و هو شىء يعمل من الحلفاء و لعل بعض أجداد المنتسب إليه كان يعملها. و أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد

بن أحمد ابن السلال الوراق، من أهل كرخ ببغداد و كان له دكان عند باب النوبى يبيع فيه الحبر و يكتب الرقاع، و كان شيخا مسننا

جلدا، غير أنه كان متشيعا، قليل الصلاة - على ما قيل - سمعت أبا الفضل محمد بن ناصر الحافظ يقول:

كنت أمشى إلى صلاة الجمعة و قد أغلقوا باب النوبى و ضاق الوقت و أبو عبد الله ابن السلال قاعد على دكانه، فارغ البال ما على قلبه

من صلاة الجمعة شىء. سمع أبا جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة و أبا الغنائم عبد الصمد بن على ابن المأمون و أبا الحسن جابر بن

بشر المحبوبي و تفرد بالرواية عن أبى على محمد بن وشاح الزينبى و أبى بكر أحمد بن محمد بن سياوش الكازرونى. كتبت عنه و

كنت أقرأ على باب دكانه بباب النوبى و كان عسرا سىء الأخلاق، كنا نسأله أن يدخل المسجد لنقرأ عليه فما كان يجيب إلى ذلك

فكنا نقرأ على باب دكانه بالشارع و يقف أصحابنا و أقف أنا فى بعض الأوقات و فى بعضها يجلسنى بين يديه، و الله تعالى يرحمنا و

إياه و يتجاوز عنا و عنه. و كانت ولادته فى شهر رمضان سنة ٤٤٧ بالكرخ و توفى فى جمادى الأولى سنة ٥٤١ و دفن بمقابر قريش

بالقرب من قبر أبى يوسف القاضى».

و ذكره ابن الجوزى فى وفيات سنة ٥٤١ بما لا يخرج عن أقوال السمعانى و زاد أنه تفرد بالرواية عن أبى الحسن ابن البيضاوى و أنه

سمع منه قال:

«و كان شيخنا ابن ناصر لا يرضى عنه فى باب الدين و قال شيخنا أبو بكر (محمد) بن عبد الباقي كذلك» و كان السمعانى قد ذكره

فى «الخبار» من أنسابه قال: «و شيخنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن السلال

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٨٩

الخبار، شيخ مسن يبيع الحبر عند باب النوبى ببغداد» و ذكر شيوخته و قال:

«و كان يتشيع و كنا نقرأ عليه فى دكانه و كنا نقول له أبو عبد الله الحبرى» و ذكر مولده ثم ذكره فى «الحبرى» من الأنساب أيضا قال:

«و أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن السلال الوراق، شيخ مسن من أهل الكرخ، كان يبيع الحبر عند باب النوبى و كنت

أكتب عنه ... و قد ذكرته فى ترجمة الخبر».

سنة ٥٤٤ هـ

٣٩- و أبو الحسين عبيد الله بن أبي الحق علي بن المعمر بن محمد بن المعمر بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن علي ابن عبيد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب-ع- العلوي الحسيني: قال محب الدين بن النجار هو «أخو أبي عبد الله أحمد الذي قدمنا ذكره و كان الأسنّ و كان أبوهما وجدتهما نقيبى الطالبين ببغداد و سيأتى ذكرهما إن شاء الله، كان أبو الحسين هذا متأدبا حسن الطريقة أدرکه أجله شابا و قد روى عنه ابن السمعاني أناشيد علقها عنه و كان أسنّ منه، أخبرنا شهاب الحاتمي بهراء قال أنشدنا أبو سعيد ابن السمعاني قال أنشدني أبو الحسين عبيد الله بن علي بن المعمر لأبى تمام:

ألا يا خليلي اللذين كلاهما مليك عند النائبات نجيب

أعينا على ظبي جعلت نصيبه و ما لى فيه ما حيت نصيب

بلغنى أن أبا الحسين النقيب أبى الحسن ولد فى شعبان سنة تسع و خمسمائة أخبرنى الحاتمي قال أنبأنا ابن السمعاني قال: عبيد الله (؟؟؟) بن المعمر كان حسن الأخلاق و الصجبة متوددا لطيفا متواضعا، سمع بقراءتى الحديث

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٩٠

و عقلت عنه أبياتا من الشعر، مات يوم الاثنين تاسع صفر سنة أربع و أربعين و خمسمائة و دفن فى مقابر قريش» .

سنة ٥٤٥ هـ

٤٠- و غرس الدولة أبو نصر محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، و ذكره ابن خلكان فى ترجمة أخيه بهاء الدين أبى المعالى محمد بن الحسن بن حمدون، قال: «و أخوه أبو نصر محمد بن الحسن الملقب غرس الدولة، كان من العمال و ممن يعتقد فى أهل الخبر و الصلاح و يرغب فى صحبتهم، ولد فى صفر سنة ثمان و ثمانين و أربعمائة و توفى فى ذى الحجة سنة خمس و أربعين و خمسمائة ببغداد و دفن بمقابر قريش و كان والدهما من شيوخ الكتاب و العارفين بقواعد التصرف و الحساب و له تصنيف فى معرفة الأعمال، و عمّر طويلا و توفى يوم السبت عاشر جمادى الأولى سنة ست و أربعين و خمسمائة- رحمهم الله تعالى أجمعين-» .

و قال ابن الفوطى: «غرس الدولة أبو نصر محمد بن الحسن بن علي ابن حمدون البغدادي المنشىء، أخو صاحب بهاء الدين أبى المعالى محمد و كان ينوب فى ديوان الرسائل عن سديد الدولة (محمد بن عبد الكريم) ابن الأنبارى و كتب فى الديوان من سنة ثلاث عشرة و خمسمائة إلى أن مات و ذكره أبو سعد ابن السمعاني و قال: سمع أبا عبد الله الحسين بن علي ابن البشرى، كتبت عنه بإفاده شيخنا أبى الحسن علي بن أحمد اليزدى، قال:

و سألته عن مولده فقال: ولدت فى صفر سنة ثمان و ثمانين و أربعمائة، و ذكر أحمد. صالح بن شافع فى تاريخه أنه توفى فى ذى الحجة سنة خمس و أربعين و خمسمائة» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٩١

سنة ٥٤٧ هـ

٤١- قال ابن الجوزى فى وفيات سنة ٥٤٧: «محمد بن هبة الله بن محمد بن علي بن المطلب الكرمانى أبو عبد الله ابن الوزير أبى المعالى، سمع ثابتا و أبا غالب البقال و ابن نبهان و ابن ثابت و غيرهم، و حدث ببعض مسموعاته و كان ظاهر الكياسة، حسن الأخلاق، و توفى ليلة الجمعة رابع عشرى المحرم و دفن فى مقابر قريش بالحضرة» .

سنة ٥٥٢ هـ

٤٢- و أبو القاسم علي بن صدقة بن علي بن صدقة الوزير الملقب قوام الدين، قال ابن الديبشي: «ولاه الامام المقتفى لأمر الله صدرية المخزن المعمور في جمادى الأولى سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة ثم استوزره في يوم السبت ثالث عشر جمادى الأولى سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة و خلع عليه و ركب إلى الديوان العزيز و معه أرباب المناصب و الولاة و لم يزل على ذلك إلى أن عزل في سنة أربع و أربعين و خمسمائة و قد سمع شيئاً من الحديث من أبي غالب أحمد بن الحسن بن البناء و غيره و ما أعلم أنه حدث بشيء لأن الرواية لم تظهر عنه. توفي يوم الجمعة ثالث عشرى و قيل خامس عشرى جمادى الأولى سنة اثنتين و خمسين و صلى عليه في اليوم المذكور بجامع القصر الشريف، و دفن بالمشهد بالجانب العربى بحضرة الإمام موسى بن جعفر -عليهما السلام - و ترجم له بايجاز محلّ أبو الفرج بن الجوزى و قال: «صلى عليه في جامع القصر قبل صلاة الجمعة و قبر بمشهد باب موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٩٢»

التبن» و ذكر في حوادث التاريخ عدة أخبار، فكأنه استغنى بها عند ذكرها في الترجمة. و ترجم له ابن الفوطى في الملقبين بقوام الدين قال «قوام الدين أبو القاسم علي بن صدقة بن علي بن صدقة البغدادي الوزير، ذكره الحافظ محب الدين أبو عبد الله بن النجار في تاريخه و قال: «هو ابن أخي الوزير جلال الدين أبي الحسن بن صدقة و قال: ولاه الإمام المقتفى النظر بالمخزن في جمادى الأولى سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة و لم يزل على ولايته إلى أن عزل سنة أربع و أربعين و كان قد سمع الحديث من أبي غالب أحمد بن الحسن بن البناء و غيره و توفي في جمادى الأولى سنة اثنتين و خمسين و خمسمائة». و ترجمه ثانية في الملقبين بالمؤتمن و نسي الترجمة الأولى قال:

«مؤتمن الدولة قوام الدين أبو القاسم علي بن صدقة البغدادي، ذكره شيخنا جمال الدين أبو الفضل بن المهنا العبيدلى في كتاب وزراء الزوراء و قال:

كان مؤتمن الدولة قوام الدين من بيت مشهور في الوزارة، خدم صدرا بالمخزن و نقل إلى الوزارة يوم السبت ثالث عشر جمادى الأولى سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة بتقدم السلطان أبي الفتح مسعود بن ملكشاه ثم إن الخليفة تقدم إلى أستاذ الدار و مفتن الخادم أن يصيرا إلى الديوان و يقبضا على مؤتمن الدولة، فقبضا عليه و حمل ماشيا إلى الدار أستاذ الدار، و كان سبب ذلك أنه كان كثير الميل إلى أعوان السلطان مسعود و إشارته إلى الخليفة أن لا يجند، و صادره و عفا عنه و كانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة اثنتين و خمسين و خمسمائة عن نيف و ستين سنة».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٩٣

و ذكره ابن الطقطقى قال: «بيته مشهور بالوزارة معروف بالرياسة و كان مؤتمن الدولة حسن الصورة و الخلق، لكن لا علم عنده بقوانين الوزارة، و كان كثير التعبد و الصدقة، استوزره الخليفة المقتفى بامر الله، قالوا: كان هذا مؤتمن الدولة الوزير قليل الاشتغال بالعلم و كان ضعيف القراءة في الكتب، و كان قد أدمن في قراءة جزء واحد من أجزاء القرآن و في كتاب واحد من كتب الأدب، فكان لا يزال الجزء المذكور و الكتاب بين يديه يقرأ فيها قراءة جيدة، فخفى على الناس حاله مدة وزارته، فلما مات ظهر ذلك و لم يكن له من السيرة ما يؤثر».

سنة ٥٥٨ هـ

٤٣- و سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن عبد القاهر بن زيد بن رفاعه الشيباني ابن الأنبارى الكاتب الرئيسى، قال ابن الديبشي بعد ذكر اسمه على النحو الذى نقلناه:

«كاتب الانشاء بالديوان العزيز -مجده الله- كاتب فاضل له معرفة حسنة بالأدب و له ترسل و شعر جيد، أقام بديوان الانشاء المعمور مستخدما فيه أكثر من خمسين سنة و ناب في ديوان المجلس عن الوزارة في بعض الأزمنة و نصد في الرسائل إلى الشام و خراسان

مرارا، و كان مقدما مأمونا، محمود المصادر و الموارد، له الرأى الصائب، و التدبير الحسن، و السفارة الحميدة، و كانت بينه و بين أبى محمد القاسم بن على الحريرى البصرى مكاتبات و رسائل هى موجودة مدونة حسنة الألفاظ و المعانى،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٩٤

سمع شيئا من الحديث فى شبابه لا صوته من أبى محمد عبد الله ابن أحمد السمرقندى و أبى القاسم هبة الله بن محمد بن الحسين و روى عن أبى عبد الله محمد بن أحمد الخياط الدمشقى، و أبى عبد الله محمد بن نصر القيسرانى شيئا من شعرهما. سمع منه أبو الفضل أحمد بن صالح بن شافع و الشريف على بن أحمد الزيدى و أبو الفرج المبارك بن عبد الله بن النور و عبد المحسن بن خطلخ الأميرى المعروف بطغدى و غيرهم. أخبرنا أبو الفرج المبارك بن عبد الله بن محمد المعدل إذنا قال قرىء على سديد الدولة أبى عبد الله محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم الأنبارى و أنا أسمع - و أسنده الى أبى هريرة - قال قال رسول الله - ص: - إن الله عز و جل يرضى لكم ثلاثا و يكره لكم ثلاثا: يرضى لكم أن تعبدوه و لا تشركوا به شيئا و أن تعتصموا بحبل الله و لا تفرقوا و أن تناصخوا من و لاه الله أمركم، و يكره لكم قيل و قال و كثرة السؤال و إضاعة المال .. سمعت أبا الفتح أحمد بن على بن الحسن الواعظ يقول: كتب سديد الدولة أبو عبد الله ابن الأنبارى إلى بعضهم و سمعته منه عقيب مرض لحقه: وهب الله له عافية غير (غافية) و سلامة من الأدواء سالمة ما رقت الشمائل و رقت الشمائل. و ذكر صدقة بن الحسين الناسخ فى تاريخه أن سديد الدولة ابن الأنبارى توفى ما بين الظهر و العصر من يوم الاثنين تاسع عشر رجب سنة ثمان و خمسين و خمسمائة، و صلى عليه يوم الثلاثاء يجمع القصر الشريف و حضر الصلاة عليه الوزير يحيى بن هبيرة، و أرباب المناصب و دفن بالجانب الغربى بالمشهد - يعنى مشهد الإمام موسى - رحمه الله - و كان من مشايخ الدولة القدماء و كان دون التسعين بسنة أو سنتين و كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٩٥

فيه فضل و أدب. و قال غيره: مولده يوم الاثنين سادس ذى القعدة سنة سبعين و أربعمائة - رحمه الله و إيانا .»

و ذكره أبو الفرج بن الجوزى قال: «كان شيئا مريح الشيبه طريف الصورة فيه فضل و أدب و انفرد بإنشاء المكاتبات، و بعث رسولا إلى سنجر و غيره من السلاطين و خدم الخلفاء و السلاطين من سنة ثلاث و خمسمائة حتى قارب التسعين ثم توفى يوم الاثنين تاسع عشر رجب و صلى عليه يوم الثلاثاء يجمع القصر و حضر الوزير و غيره من أرباب الدولة و دفن بمشهد باب التبن .»

و ذكر أحمد بن يوسف الأزق الفارقى جدّه إبراهيم بن عبد الكريم الأنبارى قال فى حوادث سنة ٤٥٥ «قيل و قد كان ورد إلى ميافارقين الأجل أبو الفضل إبراهيم بن عبد الكريم بن الأنبارى و كان ناظرا فى ولاية شرف الدولة قرواش (العقيلى) و انفصل عنه و قصد نظام الدين (نصر بن نصر الدولة المروانى) و أقام عنده مدة فلما سار الوزير فخر الدولة (ابن جهير) إلى الخليفة (القاسم بأمر الله) استوزره نظام الدين و استقر فى الوزارة و كان كافيا ذا رأى و عقل و سداد .» ثم قال الفارقى فى حوادث سنة ٤٥٨: «قيل و فى سنة ثمان و خمسين و أربعمائة مات الوزير أبو الفضل إبراهيم بن الأنبارى و دفن عند مشهد على - ع - فى الجبل فى أزع عمله له فى غربى المسجد و لى ولده أبو طاهر سلامة الوزارة .» و كان للوزير المذكور أخ اسمه أبو الغنائم و يلقب بالشديد و له ولدان الأكبر أبو القاسم و الأصغر أبو سعد و لابن أخيه ولد هو أبو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٩٦

عبد الله محمد بن السديد و أنا أحسبه سديد الدولة بن الأنبارى فقد ذكرنا أن مولده سنة «٤٧٠» و السنة التى ورد فيها ذكر هؤلاء الأبناء هى سنة «٤٨٨» و فى سنة «٤٨٩» قتل صبيرا الوزير أبو طاهر سلامة ابن الأنبارى و طيف برأس الوزير و ابنه و أخيه بالمدينة ثم دفنت الأبدان و الرؤوس فى قبر، قال الفارقى: و بقى النور ينزل على ذلك القبر فى الليل مدة طويلة و كان يراه جميع الناس، و كان حدثنى بهذا الحديث الأجل السعيد مؤيد الدين سديد الدولة أبو عبد الله محمد الأنبارى قال:

لما سلّمت أخت جبى عمى و ابنه أبا القاسم إلى السلطان بقيت و ابن عمى أبو سعد عندها أياما ثم خرجنا من خرتبرت و نفّدت معنا

من أوصلنا إلى ماردين فدخلنا إلى ماردين و أخذنا الأمير الجالستري و كان واليا بماردين فأقمنا عنده ثم جهزنا و نزلنا إلى نصيبين فأقمنا بها مدة و نزلنا إلى بغداد و خدمت بديوان الخليفة و لقت بسديد الدولة و نفذت في سنة اثنتين و تسعين و أربعمئة إلى ميافارقين و استحضرت جثه أبي و رأسه و رأس عمي و ابنه إلى بغداد و بنيت على ذلك تربة بمشهد باب التبن في مقابر قريش بالجانب الغربي من بغداد عند موسى بن جعفر - رحمه الله عليهما - و دفنت الجميع هناك و بقيت أتردد في خدمة المستظهر و كيل الدار مدة ينفذني في الرسائل إلى الجهات و بقيت كذلك إلى سنة سبع و خمسمئة.

و تلقب بمؤيد الدين و ناب في الوزارة للمسترشد و للمقتفي و دعي للوزارة في أيام المسترشد و أيام المقتفي و لم يتولها و ترقى إلى أعلى المنازل، و بقي في ديوان الانشاء مدة ولاية المسترشد و المستظهر و المقتفي و في أيام المستنجد توفي في شعبان سنة ثمان و خمسين و خمسمئة - رضي الله عنه -.

و ذكره الصلاح الصفدي قال: «سديد الدولة الشيباني المعروف بابن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٩٧

الأنباري كاتب الانشاء بالديوان العزيز، أقام بديوان الانشاء خمسين سنة و ناب في الوزارة و نفذ رسولا إلى ملوك الشام و بينه و بين الحريري صاحب المقامات رسائل مدونه، عاش نيغا و ثمانين سنة، سمع و روى و كان رائق الخط و اللفظ مدحه الغزى و الأرجاني و القيسراني. توفي سنة ثمان و خمسين و خمسمئة، و ذكر أبو بكر عبيد الله بن علي المارستاني أنه سمع من أبي عبد الله أحمد بن محمد الخياط الدمشقي و مؤيد الدين الطغرائي ديواني شعرهما و أنه قرأهما عليه، ذكر ذلك محب الدين ابن النجار في ذيله ... و من شعر سديد الدولة:

يا قلب إلام لا يفيد النصح دع مزحك كم هوى جناه المزح

ما جارحه منك خلاها جرح ما تشعر بالخمار حتى تصحو

و خرج مع المسترشد لما سافر إلى لقاء مسعود (السلجوقي) و أسر و ترسل عن الخليفة إلى الملوك و من شعره أيضا:

لا تياسن إذا حويت فضيلة من العلم من نيل المرام الأبعدينا ترى الابريز يلقي في الثرى

إذ صار تاجا فوق مفرق أصيد و من شعره أيضا:

يا ابن الكرام نداء من أخی ثقة تطويه نحوك أشواق و تنشره

ما اختار بعدك لكن للزمان يدعلى خلاف الذي يهواه تجبره

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٩٨

و من شعره:

إن قدم الصاحب ذا ثروء و عاف ذا فقر و إفلاس

فأله لم يدع إلى بيته سوى المياسير من الناس

قال مصطفى جواد: و سديد الدولة ابن الأنباري من أقدم من نظم على وزن (الدوبيت) الفارسي إن لم يكن أقدمهم.

قال العماد الأصفهاني الكاتب: «الأجل سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن الأنباري منشاء دار الخلافة، من بيت السؤدد و الفضل و هو شيخ الدولة، كتب لخمسة من الخلفاء و توفي في الأيام المستجديئة، سنة ٥٥٨ و ولى ولده (محمد بن محمد بن عبد الكريم) مكانه، و كان غزير الفضل، رائق الخط و اللفظ، و لمكان فضيلته لم يخل ديوان من مدحه كالغزى و الأرجاني، فاضل مفضال، منشاء بالحقيقة لا بالأفكار. عارف بنقد الشعر و جهابذته، و كل ما زيف على محك انتقاده، أذن الدهر بكساده، و كنت أهابه من أن أستشده فأثبت شيئا من رباعياته الخالبة للخلب السالبة للب فمنها: يا قلب إلام النصح» و ذكر الرباعي الذي قدمنا نقله ثم

قال: «و قال:

الدهر يعوقني عن الالمام مع ما أنى إلى التلاقي ظامى
لا تأخذنى يما جنت أيامى ما ذنب السهم حين يخطى الرامى؟
وقال:

يا ريح تحملى من المهجور شكواه إلى المعسكر المنصور
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٩٩ قولى لمعذبى شبيه الحورما أنت عن الجواب بالمعذور «
و أورد له العماد الكاتب غير ذلك مما لا يتجاوز فى قافيته البيتين.
و تكلم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى على «الدوبيت» قال:

«و هذا الاسم من كلمتين إحداهما فارسية و هى دو بمعنى اثنين، و الأخرى بيت العربية، و سموه كذلك لأنه لا يكون أكثر من بيتين،
و قد أخذه أدباء العرب عن الفرس و يعرف عندهم بالرباعى ... و لا يعرف أول من استعمل هذا النوع فى العربية و لكن نشأته كانت
فى بغداد و لا ندرى كيف يعدّه ابن خلدون من شعر عامتها، فإذا دخلها اللحن خرجت عن هذه الأسماء إلى أسماء أخرى ... و نحن
نرجح أن هذا النوع لم يكن فى العربية قبل القرن السابع، لأننا لم نجد فى شعر أحد قبل ذلك و لا وجدنا إشارة إليه و لم نجد
للشعراء ولعا به إلا فى أواخر تلك المائة و ما بعدها. و الرباعى يعد من المخترعات الحديثة فى اللغة الفارسية، لأن أول من وضعه أبو
سعيد بن الخير المتوفى سنة ٤٦٥ و بعضهم يقول إنه كان موجودا قبل ذلك و لا يرجع اختراعه إلى تاريخ معين غير أن ممن عرفوا
بنظمه أبا جعفر رودكى الشاعر المتوفى سنة ٣٠٢ حتى أفتن فيه الخيام و أجاده فاشتهر بما نظمه فيه شهرة بعيدة لأنه ضمّنه أفكارا سامية
و انتقادات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٠٠

مرّة ثم أقبل الأدباء عليه من بعده. و قد عارضها فى العربية سديد الدين الأنبارى كما ذكر صاحب خلاصة الأثر (٤: ٣٩٠) و لم يقع لنا
شئ من رباعيته.»

قلنا: و قد وهم المحجى فى اللقب فهو سديد الدولة لا سديد الدين، و قد وصل إلينا من رباعيته شئ كما قرأت، و كانت وفاة الروذكى
سنة ٣٢٩ لا سنة ٣٠٢ كما قال الرافعى -رح-

و وهم ابن خلكان فى ترجمة الصاحب أبى القاسم اسماعيل بن عباد الطالقانى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ قال: «و كان الصاحب قد صنع
لأصحابه دعوة و أعرض عن غيرهم فعمل سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الأنبارى: «إن ندب الصاحب ذا ثروة» و
ذكر البيتين المقدم ذكرهما مع إن سديد الدولة توفى سنة «٥٥٨» فكيف يكون الصاحب ابن عباد هو الصاحب الذى عناه ابن
الأنبارى؟ ذلك محال. و ذكره ابن الأثير قال: «كان فاضلا أدبيا تقدم كثيرا عند الخلفاء و السلاطين.

و ذكره ابن العماد الحنبلى فى تاريخه و قال: «الكاتب البليغ ...

كان ذا رأى و حزم و عقل عاش نيفا و ثمانين سنة و كانت رسائله بديعة المعانى، متينة المباني، عذبة المجانى و مدحه الشعراء.» و
ذكر ما هو معروف من سيرته و مقدم ذكره فى هذه السيرة، و قال ابن الطقطقى فى تاريخه فى ترجمة الوزير أبى على الحسن بن على
ابن صدقة: «كان الوزير ابن صدقة يوما جالسا فى دست الوزراء فدخل عليه سديد الدولة ابن الأنبارى كاتب الانشاء و فى كمه أبيات
قد هجا فيها الوزير، فسقطت الرقعة من كمه فمدّ الوزير يده سريعا و تناولها فكان فيها من جملة أبيات:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٠١ أنت الذى كونه فسادفى عالم الكون و الفساد

فلما رآها سديد الدولة فى يد الوزير سقطت قوته خوفا و خجلا، فلما قرأها الوزير فطن القصيدة و صرف الهجو عن نفسه إلى سديد
الدولة و قال: أعرف هذه الأبيات و من جملتها:

و لقبوه السديد جهلا و هو برىء من السداد

و نظم الوزير هذا البيت في الحال، فاستحى السديد ابن الأنباري و أمسك عن الجواب». و لسديد الدولة ابن الأنباري أخبار في حوادث زمانه لأنه كان يقوم بسفارة بين الخلفاء و الملوك و الأمراء.

سنة ٥٤١ هـ

٤٤- و أبو الحسن علي بن هبة الله بن علي بن سهلان البجع، قال محب الدين ابن النجار بعد ذكر اسمه: «كان ذا مال و ضياع و نعمة و افره، سمع أبا بكر محمد بن الحسين المزرقى و أبا نصر غالب بن أحمد ابن محمد الأدمى القارىء و أبا طاهر الخباز الدينورى الشاعر و حدث باليسير سمع منه أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن الخشاب و القاضى أبو المحاسن عمر بن علي القرشى. أخبرنى أبو الحسن محمد بن المحسن بن هبة الله بن محمد الواعظ لفظا و إذنا، أنشدنا أبو الحسن علي بن هبة الله ابن علي بن سهلان، أنشدنا الخباز الدينورى لنفسه:

و مشمر الأذيال فى ممروجه متتوج تاجا من العقيان موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٠٢ بالجاشريه ظل يهتف سحره و يصيح من طرب إلى الندمان

هتبا إلى شرب الصبوح فانها الصبوحكم لا للصلاة أذاني

طلعت كؤوس الراح فى أيديهم مثل النجوم و غبن فى الأبدان

قرأت بخط القاضى أبى المحاسن عمر بن علي القرشى قال: سألته- يعنى أبا الحسن بن سهلان- عن مولده فقال: فى رجب سنة إحدى و ثمانين و أربعمائه، و توفى يوم الجمعة رابع عشرى ذى الحجة سنة إحدى و ستين و خمسمائه. و ذكر أبو الفضل بن شافع و فاته كذلك ثم قال: و دفن بمقابر قريش، و أخبرنى أبو المحاسن الدمشقى أنه قرأ عليه شيئا و ما كان اهلا لذلك- سامحنا الله و إياه. هكذا رأيت بخطه .

سنة ٥٤١ هـ

٤٥- «و فى سنة ٥٤١ توفى شمس المعالى أبو الفضائل محمد بن الحسين بن تركان، ذكره ابن الديبى فى تاريخه قال: «من أهل واسط، من بيت أهل كتابه و رياسته، سكن أبو عبد الله (والده) و ابنه أبو الفضائل بغداد إلى أن توفيا بها. و أبو الفضائل كان خصيصا بالوزير أبى المظفر يحيى بن محمد ابن هبيرة، قريبا منه، لم يزل فى خدمته و صحبته حتى توفى- أعنى الوزير- و قد سمع كثيرا مما قرىء فى مجلس الوزير من أبى الوقت (عبد الأول) السجزي و غيره، توفى شابا. قال أحمد ابن شافع فيما قرأت بخطه: توفى أبو الفضائل ابن تركان يوم الاثنين ثانى عشر شعبان سنة إحدى و ستين و خمسمائه و دفن عند أبيه بالمشهد بمقابر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٠٣

قريش».

و ذكر ابن رجب البغدادي أن أبا الفضائل المذكور كان حاجب الوزير ابن هبيرة .

سنة ٥٤٢ هـ

٤٦- و بهاء الدين أبو المعالى محمد بن الحسن بن محمود بن علي بن حمدون الكاتب، ذكره ابن الديبى فى تاريخ بغداد المذيل قال: «محمد ابن الحسن بن محمد بن علي ابن حمدون أبو المعالى بن أبى سعد الكاتب، شيخ فاضل له معرفة حسنة بالأدب و الكتابة، من بيت مشهور بالرئاسة و الفضل هو و أبوه و أخواه أبو نصر و أبو المظفر. و أبو المعالى هذا جمع كتابا حسنا سماه «التذكرة» يحتوى على فنون من العلم أجاد فيه و أحسن جمعه. و كان له تقدم فى أيام الامام المستنجد بالله- رضى الله عنه- و اختصاص بخدمته و ولى

ديوان العرض مدّة، ثم ديوان الزمام في سنة ثمان و خمسين و خمسمائة، و روى عنه إنشادا، سنذكره في ترجمته إن شاء الله. سمع أبا القاسم إسماعيل بن الفضل الجرجاني و غيره و حدّث عنهم، سمع منه ولده أبو سعد و أحمد بن طارق القرشي (الكركي) و أبو المعالي أحمد بن يحيى بن هبة الله و أبو العباس أحمد بن الحسن العاقولي و غيرهم، قرأت على الأجل أبي سعد الحسن بن محمد بن الحسن بن علي ابن حمدون قلت له: أخبرك والدك أبو المعالي محمد بن الحسن قراءة عليه و أنت تسمع. فأقرّ به، قال أنبأنا أبو القاسم إسماعيل بن الفضل ابن اسماعيل التميمي الجرجاني، قدم علينا بغداد، قراءة عليه و أنا أسمع في صفر سنة عشر و خمسمائة بالمسجد المعين المقابل لباب النوبي المحروس -

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٠٤

و أسنده إلى ابن عباس - قال: أمرنا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بأسباغ الوضوء و نها - و لا أقول نهاكم - أن نأكل الصدقة و لا ننزى حمارا على فرس. مولده في رجب سنة خمس و تسعين و أربعمائة.

ذكر صدقه بن الحسين الناسخ في تاريخه أن أبا المعالي ابن حمدون توفي يوم الثلاثاء حادى عشر ذى القعدة سنة اثنتين و ستين و خمسمائة، و قال أبو الفضل بن شافع مثل ذلك و دفن بمقابر قريش .»

و ذكره جمال الدين أبو الفرج بن الجوزى في وفيات سنة «٥٦٢» قال: «محمد بن الحسن بن محمد بن علي ابن حمدون أبو المعالي الكاتب، كانت له فصاحة و ولى ديوان الزمام مدة، و صنف كتابا سماه التذكرة و توفي في ذى القعدة من هذه السنة و دفن بمقابر قريش» و قد كان قال في حوادث سنة ٥٥٨: «و في ربيع الأول قبض على صاحب الديوان ابن جعفر و حمل إلى دار أستاذ الدار و كل به و جعل ابن حمدون صاحب الديوان .»

و ترجم له ابن خلكان ترجمه حسنة و ذكر ما يؤكد أنه سجن و توفي مظلوما لهفوة لم يتعمدها و كيف يتعمد الانسان ما يجلب عليه البلاء و الفناء؟

قال بعد ذكر اسمه: «الملقب كافي الكفاءة بهاء الدين البغدادى، كان فاضلا ذا معرفة تامه بالأدب و الكتابه، من بيت مشهور بالرئاسة و الفضل هو و أبوه و أخواه أبو نصر و أبو المظفر. سمع أبو المعالي من أبي القاسم إسماعيل بن الفضل الجرجاني و غيره، و صنف كتاب التذكرة و هو من أحسن المجاميع، يشتمل على التاريخ و الأدب و النوادر و الأشعار و لم يجمع أحد من المتأخرين مثله، و هو مشهور بأيدي الناس، كثير الوجود،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٠٥

و هو من الكتب الممتعة. ذكره العماد الأصبهاني في كتاب الخريدة فقال:

كان عارض العسكر المقتفوى ثم صار صاحب ديوان الزمام المستنجدى، و هو كلف باقتناء الحمد، و ابتناء المجد، و فيه فضل و نبل، و له على أهل الأدب ظل، و ألف كتابا سماه التذكرة جمع فيه الغث و السمين، او المعرفة و النكرة، فوقف الامام المستنجد على حكايات ذكرها نقلا من التواريخ توهم في الدولة غضاضة، و يعتقد للعرض بالقدح فيها عراضه، فأخذ من دست منصبه و حبس، و لم يزل في نضبه إلى أن رمس، و ذلك في أوائل سنة اثنتين و ستين و خمسمائة، و أنشدني لنفسه لغزا في دوحه الخيش:

و مرسله معقوده دون قصدها مقيدة تجرى حبيس طليقها

تمرّ حفيف الريح و هي مقيمة و تسرى و قد سدّت عليها طريقها

لها من سليمان النبي وراثه و قد عزيت نحو النييط عروقها

إذا صدق النوء السماكى أمحلت و تمطر و الجوزاء دال حريقها

تحيتها إحدى الطبائع إنّه لذلك كانت كل روح صديقها

و أورد له أيضا:

و حاشى معاليك أن تسترادو حاشى نوالك أن يقتضى

و لكنما أستريد الحظوظو إن أمرتنى النهى بالرضا

و أورد له أيضا:

يا خفيف الرأس و العقل معاو ثقيل الروح أيضا و البدن

تدعى أنك مثلى طيب طيب أنت و لكن بلبن

انتهى كلام العماد. و قال غيره: إنه سمع الحديث كثيرا و روى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٠٦

عن الامام المستنجد قول أبى حفص الشطرنجى فى جاريه حواء:

حمدت إلهى إذ بليت بحبها على حول يغنى عن النظر الشزر

نظرت إليها و الرقيب يخالنى نظرت إليه فاسترحت من العذر

و هذا من المعانى النادرة العجيبة. و كانت ولادة ابن حمدون المذكور فى رجب سنة خمس و تسعين و أربعمائه، و توفى يوم الثلاثاء

حادى عشر ذى القعدة سنة اثنتين و ستين و خمسمائه و دفن يوم الأربعاء بمقابر قريش ببغداد، و أخوه أبو نصر محمد بن الحسن

الملقب عز الدولة كان من العمال و ممن يعتقد فى أهل الخير و الصلاح و يرغب فى صحبتهم. ولد فى سنة ثمان و ثمانين و أربعمائه

و توفى فى ذى الحجة سنة خمس و أربعين و خمسمائه ببغداد و دفن بمقابر قريش و كان والدهما من شيوخ الكتاب العارفين بقواعد

التصرف و الحساب و له تصنيف فى معرفة الأعمال و عمر طويلا- و توفى يوم السبت عاشر جمادى الأولى سنة ست و أربعين و

خمسمائه- رحمهم الله تعالى- أجمعين».

و ذكره ابن الأثير فى حوادث سنة «٥٦٢» قال: «و فيها توفى أبو المعالى محمد بن الحسن ابن حمدون الكاتب ببغداد و كان على

ديوان الزمام، فقبض عليه فمات محبوسا» و قال ابن الفوطى: «كافى الدولة بهاء الدين أبو الفضل محمد بن الحسن ابن حمدون

البغدادي العارض.

تقدم ذكره فى باب الباء».

و ترجم له ابن تغرى بردى نقلا من وفيات ابن خلكان و قال فى كتاب تذكرة ابن حمدون: «وقفت عليه و هو فى غاية الحسن» و عزا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٠٧

إلى ابن خلكان أنه ذكر أن وفاته كانت سنة «٥٧٥» ه و ليس ذلك بصحيح. و خلط ابن العماد الحنبلى فى ترجمته تخليطا عجيبا فهو

بعد أن ذكر وفاته فى سنة ٥٦٢ ه و قال: «و فيها محمد بن الحسن ابن حمدون صاحب التذكرة الحمدونية. و لاه المستنجد ديوان الزمام

و وقف المستنجد على كتابه فوجد فيه حكايات توهم غضاضة من الدولة فأخذ من دست منصبه و حبس إلى أن رمس». قال فى

حوادث سنة «٦٠٨» ناقلا- من كتاب العبر فى خبر من عبر للذهبي و مكمل- و معقبا: «و فيها ابن حمدون صاحب التذكرة أبو سعد

الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد ابن حمدون البغدادي، كاتب الانشاء للدولة قاله فى العبر فكناه بأبى سعد و جزم بوفاته فى

هذه السنة قال ابن خلكان: أبو المعالى محمد بن محمد بن على ابن حمدون الكاتب الملقب كافي الكفاءة بهاء

الدين البغدادي» و استمر فى استخلاص كلام ابن خلكان فى ترجمه والد أبى سعد لا ترجمه أبى سعد، و كان السبب فى خلطه بين

ترجمة الابن و الوالد نسبه الذهبى كتاب التذكرة إلى ابن مؤلفها أبى سعد الحسن المذكور، ثم قال ابن العماد فى آخر تخليطه:

«انتهى ما أورده ابن خلكان ملخصا فانظر التناقض بين كلامه و كلام العبر؟ و فى الحقيقة أننا لم نجد تناقضا بل وجدنا غلطا فى نسبة

التذكرة.

و كتاب التذكرة الحمدونية من الكتب الجامعة الرائقة و أجزاءه و مجلداته مفرقة فى خزائن الكتب الخطية فى العالمين كخزائن

استانبول، و طبع منها فصل في القاهرة، و لم يعثر عليها كاملة في خزائنه واحده و لا أظنها كاملة الوجود مع تصريح ابن خلكان بأنها كانت في أيدي الناس بعصره.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٠٨

سنة «٥٦٨» هـ

٤٧- و يزدن التركي الأمير القائد قال ابن الجوزي: «كان من كبار الأمراء و تحكّم في هذه الدولة و تجرّد للتعبّ فانشر بسببه الرفض تأذى أهل السنّة، فمرض أياما بقيام الدم و توفي في ذي الحجة من هذه السنّة و دفن في داره بباب العامة ثم نقل إلى مقابر قريش». و قال عز الدين بن الأثير في حوادث سنة «٥٥٨» هـ تحت عنوان «ذكر إجلاء بني أسد من العراق» ما هذا نصه «في هذه السنّة أمر الخليفة المستنجد الله باهلاك بني أسد أهل الحلة المزيدية لما ظهر من فسادهم و لما كان في نفس الخليفة منهم من مساعدتهم السلطان محمدا (السلجوقي) لما حاصر بغداد فأمر يزدن بن قماج بقتالهم و إجلائهم من البلاد، و كانوا بنسطين؟؟؟ في البطائح و اللوير فلا يقدر عليهم، فتوجه يزدن إليهم و جمع عساكر كثيرة من فارس و راجل و أرسل إلى ابن معروف مقدم المنتفق و هو بأرض البصرة، فجاء في خلق كثير، و حصرهم و سكر عنهم الماء و صابرههم مدّة، فأرسل الخليفة يعتب على يزدن و يعجزه و ينسبه إلى موافقتهم في التشيع- و كان يزدن يتشيع- فجّد هو و ابن معروف في تالهم؟؟؟ و التضيق عليهم و سدّ مسالكهم في الماء، فاستسلموا حينئذ نقلت منهم أربعة آلاف قتيل و نودى فيمن بقي: من وجد بعد هذا في الحلة المزيدية فقد حلّ دمه. ففرقوا في البلاد و لم يبق منهم بالعراق من يعرف و سلّمت بطائحهم إلى ابن معروف و بلادهم». و ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٦٢ وفاة قماج المسترشدي والد الأمير يزدن قال:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٠٩

«و هو من أكابر الأمراء ببغداد» و ذكره ابن الأثير في خبر الائتمار بالخليفة المستنجد و قتله بالحمام سنة ٥٦٦ قال: «قيل إن الخليفة (المستنجد) كتب إلى وزيره مع طبيبه ابن صفيّة يأمره بالقبض على أستاذ الدار و قطب الدين (قيماز المقتفوي) و صلبهما فاجتمع ابن صفيّة باستاذ الدار و أعطاه خط الخليفة- يعني أمره المحرّر- فقال له: تعود و تقول إنني أوصلت الخط إلى الوزير. ففعل ذلك و أحضر أستاذ الدار قطب الدين و يزدن و أخاه تنامش و عرض الخط عليهم، فاتفقوا على قتل الخليفة، فدخل إليه يزدن و قيماز العميدين فحملاه إلى الحمام و هو يستغيث و ألقياه و أغلقا الباب عليه و هو يصيح إلى أن مات رح-».

و ذكر وفاة الأمير يزدن عز الدين ابن الأثير في النسخة الأولى من- كتابه و منها نصف محفوظ بدار الكتب الوطنية بباريس و هو ينتهي بسنة ٦٢١، قال فيها: «و فيها- يعني سنة ٥٦٨- توفي الأمير يزدن و هو من كبار أمراء بغداد و كان يتشيع فوقع بسببه فتنة بين السنّة و الشيعة بواسطة لأن الشيعة جلسوا للعزاء و أظهر السنّة الشماتة به. فأل الامر إلى القتال فقتل بينهم جماعة و لما مات أقطع أخوه تنامش ما كان لأخيه و هي مدينة واسط و لقب علاء الدين». و هذا قتال شنيع آخر للعداوة المذهبية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١١٠

و ذكره أبو المظفر يوسف المعروف بسبط ابن الجوزي في ترجمته صدقه بن وزير الواسطي سنة «٥٥٧ هـ» و قبله جدّه أبو الفرج بن الجوزي قال:- «و بنى صدقه رباطا و اجتمع في رباطه جماعة فمرض و مات يوم الخميس ثامن عشرى ذي القعدة و صلّى عليه في ميدان الخيل داخل السور و دفن في رباطه بقراح القاضي، و بنى يزدن في رباطه منارة و تعصّب لهم لأجل ما كان يميل اليه (صدقه) في التشيع فصار رباطه مقصودا بالفتوح و فيه دفن». و ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٦٨ هـ خروجه إلى حرب بني حزن المفسدين بالعراق و كانت له دار مشهورة .

و العجيب في أمر هؤلاء المماليك الأتراك أن أكثرهم يميلون إلى التشيع بعد تقدّمهم في السن مع أن أكثرهم كانوا مماليك للخلفاء

العباسيين منذ صباهم، منهم الأمير مجير الدين طاشتكين بن عبد الله المستنجدى الذى كان أمير الحاج أكثر من ثلاثين سنة، و توفى سنة ٦٠٦ و حملت جثته إلى مشهد الامام على بن أبى طالب-ع- و سيأتى من تراجمهم ما يؤيد قولى هذا. و نحن لم نقل وفاة الأمير يزدن من الكامل المطبوع الطبعة المشتهرة فى العالمين لأن فيها نقصا فقد سقطت منها وفاة الأمير المذكور و التصق بقية الجزء بحادثه أخرى، كما يأتى «و فيها خرج برجم الايوائى فى موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١١١

جمع من التركمان فى حياة ايلدكز و تطرّق أعمال همذان و نهب الدينور و استباح الحريم و سمع ايلدكز الخبر و هو بنقچوان فسار مجدا فيمن خف من عسكره فقصدته فهرب برجم إلى أن قارب بغداد و تبعه ايلدكز فظن الخليفة (المستضىء بأمر الله) أنها حيلة ليصل إلى بغداد فجاءه، فشرع فى جمع العساكر و عمل السور فأرسل إلى ايلدكز الخلع و الألقاب الكبيرة، فاعتذر أنه لم يقصد إلا كفّ فساد هؤلاء و لم يتعد قنطرة خانقين و عاد و فيها توفى الأمير يزدن و هو من أكابر أمراء بغداد.»

سنة «٥٧١» هـ

٤٨- و أبو تراب على بن على بن الحسن النيسابورى الأصل الواسطى المولد، البغدادي الدار الفقيه الشافعى، قال ابن الديبى بعد ذكر اسمه على النحو الذى ذكرته: «أحد الشهود المعدّلين، ولد بواسط و قدم بغداد و استوطنها و تفقه بها على مذهب الشافعى و صارت له معرفة حسنة بالمذهب و أعاد بالمدرسة النظامية الدروس لمدرسيها مدة و أقام بها فى الصلوات و شهد عند قاضى القضاة أبى طالب روح بن أحمد بن الحديدى فى يوم الأحد خامس عشر ربيع الآخر سنة سبع و ستين و خمسمائة، و كان يكتب خطا حسنا و زكاه العدلان أبو جعفر محمد بن عبد الواحد ابن الصباغ و أبو جعفر هارون بن محمد بن المهتدى بالله و توفى يوم الخميس ثالث عشرين رجب سنة إحدى و سبعين و خمسمائة و دفن بالجانب الغربى بمقابر قريش» و أوجز السبكى ترجمته و طوى اسم أبيه قال: «على ابن الحسن النيسابورى أبو تراب، من فقهاء واسط أصله نيسابورى،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١١٢

استوطن بغداد و كان فقيها عارفا بالمذهب، كتب الخط المليح، توفى فى رجب سنة إحدى و سبعين و خمسمائة.»

سنة «٥٧٤» هـ

٤٩- و شهاب الدين أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صيفى التيمى المعروف بحيص بيص الشاعر المشهور، ذكره أبو الفرج ابن الجوزى فى وفيات سنة ٥٧٤ من تاريخه قال: «سمع شيئا من الحديث و مدح الأكابر و تقدم عندهم على الشعراء» و ذكر شيئا من شعره، و ذكره العماد الأصفهاني فى الخريدة فقد قال تحت عنوان باب فى محاسن الشعراء: «و أفضلهم الأمير الهمام شهاب الدين أبو الفوارس سعد بن محمد بن الصيفى التيمى، من ولد أكثم بن الصيفى، ذو الجزالة و البسالة و الأصالة، جزل الشعر فحله، قد علا محله، و غلا- فضله و أطاعه و عر الكلام و سهله» و ذكر شيئا من نثره ثم قال: «و له ابتداءات حسنة مخترعة، و مخالص مستطرفة مبتدعة» و ذكر شيئا منها و قال: «و له فى عمى العزيز مدائح من جملتها قطعة كتبها إليه باصفهان فى قحط» و أورد كثيرا من شعره يشبه اختيارا من ديوانه، على حسب حروف الهجاء.

و ترجم له ابن خلكان فى تاريخه قال: «كان فقيها شافعى المذهب، تفقه بالرئى على القاضى محمد بن عبد الكريم الوزان و تكلم على مسائل الخلاف إلا- أنه غلب عليه الأدب و نظم الشعر و أجاد فيه مع جزالة لفظ و له رسائل فصيحة بليغة. ذكره الحافظ أبو سعيد السمعانى فى كتاب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١١٣

الذيل (ذيل تاريخ بغداد) و حدث بشيء من مسموعاته و قرىء عليه ديوانه و رسائله و أخذ الناس عنه أدبا و فضلا كثيرا و كان من أخبر الناس بأشعار العرب و اختلاف لغاتهم و يقال إنه كان فيه تعظيم و كان لا يخاطب أحدا إلا بالكلام العربي». و قال تاج الدين السبكي: «كان يلقب بالحيص بيص و معناهما الشدة و الاختلاط قيل إنه رأى الناس في شدة و حركة فقال: ما للناس في حيص بيص؟ فلزمه ذلك لقباً. تفقه بالرئى على القاضى محمد بن عبد الدائم الوزان و سمع الحديث من أبى طالب الحسين بن محمد الزينبي و غيره. قال بعضهم: كان صدرا في كل علم. مناظرا محججا ينصر مذهب الجمهور و يتكلم في مسائل الخلاف، فصيحاً بليغاً، يتبادى في لغته و يلبس زى أمراء العرب و يتقلد بسيفين و يعقد القاف ت له ديوان شعر مشهور. «توفى الحيص بيص سنة أربع و خمسين و خمسائة». و كان ابن خلكان قال قبل السبكي: «و إنما قيل له حيص بيص لأنه رأى الناس يوماً في حركة مزعجة و أمر شديد فقال:

ما للناس في حيص بيص. فبقى عليه هذا اللقب و معنى هاتين الكلمتين الشدة و الاختلاط، يقول العرب: وقع الناس في حيص بيص أى شدة و اختلاط».

و قال عز الدين بن جماعة في كتاب الأدباء: «قال ابن النجار إن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١١٤

جد الحيص بيص لأبيه سعدا فارق بنى تميم قومه و نزل كرخ بغداد و ولد له به ابنه محمد و ابن ابنه سعد، و طلب الحيص بيص العلم و هو ابن ثلاث عشرة سنة و سافر إلى الرئى و قرأ المذهب و الخلاف هناك على رئيسها ابن عبد الكريم الوزان الشافعى و ناظر في مسائل الخلاف و سمع الحديث و كانت له معرفة تامة بالأدب و اللغة، و له باع في النظم و النثر مع فصاحة بارعة تامة و حسن خط، فاق بذلك شعراء عصره، و له ديوان، و كان وافر الحرمة عند الخاص و العام، و مدح الخلفاء و الملوك و لقب بملك الشعراء، و كان يلبس القباء و العمامة و يتزيا بزئى العرب العرباء و يتقعر في كلامه، و سئل عن مولده فقال: أنا أعيش جزافاً. و كان له أخ يلقب ب (هرج مرج) و لهما أخت لقبها مجان بغداد (بدخل خرج) و سبب تلقيه بالحيص بيص أنه قال لبعض أصدقائه باصبهان في جملة عبارات عامية في جمع من الناس: وقعت معك في حيص بيص أى شدة و تلا ذلك بالأبيات المتقدمة في ذم الزمان فلقب بالحيص بيص و صار لا يعرف إلا به». و الأبيات التي أشار إليها هي:

لئن أصبحت بينكم مضاعاً أبيع الفضل مجاناً رخيصة

و عاقنى الزمان عن المعالى فصرت إلى حباله قنينة

فانى سوف أوقعكم بأسى و إن طال المدى في حيص بيصا

ثم قال ابن جماعة نقلاً من تاريخ ابن النجار: «و ذكر الحيص بيص في شعره أنه كان من بنى تميم فبلغ ذلك (هبء الله) ابن الفضل الشاعر فمضى إلى أبيه و كان طوايقياً، فحكى له قول ولده، فقال:

و الله ما عرفت أنى من بنى تميم حتى أخبرنى بذلك ولدى، فعمل فيه ابن الفضل أبياتاً أنشدتها:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١١٥ كم تبادى و كم تطيل الطراير ما فيك شعرة من تميم

فكل الضب و اقرظ الحنظل اليابس و اشرب ما شئت بول الظليم

ليس ذا وجه من يضيف و لا يقرى و لا يدفع الأذى عن حريم

و يقال إنه لما بلغته هذه الأبيات عمل:

لا تضع من عظيم قدر و إن كنت مشاراً إليك بالتعظيم

فالشريف الكريم ينقص قدر بالتعدى على الشريف الكريم

ولع الخمر بالعقول رمى الخمر بتنجيسها و بالتحريم

و روى أنه كان يزعم أنه من ولد الأ-كثم بن صيفى و لم يترك الحيص بيص عقباً... ولد الحيص بيص فى سنة اثنتين و تسعين و أربعمائه و توفى فى ليلة الخامس أو السادس من شعبان سنة أربع و سبعين و خمسمائة ببغداد و دفن بمقابر قريش - رح - . و ذكر ابن خلكان أن وفاته كانت ليلة سادس شعبان من السنة المذكورة قال: «و دفن من الغد بالجانب الغربى فى مقابر قريش - رح - و كان إذا سئل عن عمره يقول: أنا أعيش فى الدنيا جزافاً لأنه كان لا يحفظ مولده. و كان يزعم أنه من ولد أكثم بن صيفى حكيم العرب، و لم يترك أبو الفوارس (الحيص بيص) عقباً» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١١٦

و قال ياقوت الحموى: «سعد بن محمد بن سعد بن الصيفى التميمى شهاب الدين أبو الفوارس المعروف يحيص بيص، الفقيه الأديب الشاعر، كان من أعلم الناس بأخبار العرب و لغاتهم و أشعارهم، أخذ عنه الحافظ أبو سعد السمعانى و قرأ عليه ديوان شعره و ديوان رسائله و ذكره فى مذيّل (تاريخ مدينة السلام و أثنى عليه و أخذ الناس عنه علماً و أدباً كثيراً و كان لا يخاطب أحداً إلا بكلام معرب، و إنما قيل له حيص بيص لأنه رأى الناس يوماً فى أمر شديد فقال: ما للناس فى حيص بيص؟ فبقى عليه هذا اللقب. مات ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة ٥٧٤ .. و حدث نصر الله بن مجلى قال: رأيت فى المنام على بن أبى طالب - رضى - فقلت يا أمير المؤمنين تفتحون مكة فتقولون: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطف ماتم؟ فقال: أما سمعت أبيات ابن الصيفى فى هذا؟ فقلت: لا. فقال: اسمعها منه. فلما استيقظت بادرت إلى دار الحيص بيص. فخرج إلى، فذكرت له الرؤيا، فأجهش بالبكاء، و حلف بالله أنه ما سمعها منه أحد و أنه نظمها فى ليلته هذه ثم أنشدنى:

ملكنا فكان العفو منّا سجيةً فلما ملكتم سال بالدم أبطح

و حللتهم قتل الأسارى و طالماغدونا عن الأسرى نعف و نصفح

فحسبكم هذا التفاوت بينناو كل إناء بالذى فيه ينضح»

و كان الحيص بيص يميل إلى الدولة السلجوقية و يمدح سلاطينها و وزراءها و كبراءها و يمدح بنى مزيد أصحاب الحلّة و هم ما هم فى مقاومة الخلافة العباسية و استمداد السلطة من السلجوقيين، فلما مات السلطان المستبد الجائر الفاتك مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى سنة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١١٧

«٥٤٧» هبّ الخليفة الهمام المقتفى لأمر الله للانتقام و التأديب قال أبو الفرج بن الجوزى و نقله سبطه أيضاً: «و قبض على الحيص بيص الشاعر و أخذ من بيته حافياً ماشياً مهاناً و حمل إلى حبس اللصوص» و قال سبطه: «و فيها توفى السلطان مسعود و وصل الخبر إلى بغداد فقبض الخليفة على جماعة كانوا ينتمون إلى الأعاجم و يتسمّحون فى حق الخلافة بما لا يليق على المنابر و غيرها مثل أبى النجيب السهرودى و الحيص بيص الشاعر. و أهينا. و أخرج أبو النجيب إلى باب النبوى و ضرب سبع درر وردّ إلى الحبس».

و ذكره السبط فى وفيات سنة «٥٧٤» قال: «و فيها توفى الحيص بيص الشاعر و كان شاعراً فاضلاً مدح الخلفاء و الوزراء و الأكابر و ما خرج عليه هذا الاسم إلا أنه لقي الناس فى شدة و اختلاط فقال: ما للناس فى حيص بيص فلقب به . و قال ابن الديبى و هو من أقدم المترجمين له كياقوت الحموى: «و قد كان فاضلاً عالماً له معرفة حسنة باللغّة العربية و أشعار العرب. و قد تفقه على مذهب الشافعى - رح - و تكلم فى مسائل الخلاف، ذكره تاج الاسلام أبو سعد ابن السمعانى فى تاريخه و قال: كان حسن الشعر فصيحاً، بلغنى أنه تفقه على القاضى محمد بن عبد الكريم ابن الوزان بالرى، و ذكرناه نحن لأن وفاته تأخرت عن وفاته، قلت: و قد سمع الحديث ببغداد من الشريف أبى طالب الحسين بن محمد الزينبى و بواسط من المجد محمد بن محمد بن جمهور و غيرهما، و له ديوان شعر، أحسن القول فيه و أجاد، و رسائل فصيحةً بليغةً جيدة الرصف تامّة المعانى، حدّث بشىء من مسموعاته و قرىء عليه ديوانه و رسائله و أخذ الناس عنه أدباً و فضلاً كثيراً و أدر كنه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١١٨

و لم يقدر لى به اجتماع فكتبت عنه عن جماعة سمعوا منه. أنشدنى أبو العباس أحمد بن هبة الله بن العلاء الأديب لفظا من حفظه قال أنشدنى أبو الفوارس سعد بن محمد ابن الصيفى لنفسه:

أجّب أهل الأمر والنهى زورتى وأغشى امرءا فى بيته و هو عاطل

و إنى لسمح بالسلام لأشعث و عند الهمام القيل بالردّ باخل

و ما ذاك من كبر و لكن سجيّة تعارض تبيها عندهم و تساجل

و أنشد أبو المعالى صاعد بن على بن محمد قال أنشدنى أبو الفوارس ابن الصيفى لنفسه:

علمى بسابقة المقدور ألزمنى صمتى و صبرى فلم أحرص و لم أسل

لو نيل بالقول مطلوب لما حرم الرؤيا الكليم و كان الحظ للجبل

و حكمه العقل إن عزّت و إن شرفت جهالة عند حكم الرزق و الأجل

مدح ابن الصيفى الأئمة الخلفاء الراشدين - رضى - و الوزراء و الأكابر و اكتسب بالشعر وفرا و ذكرا، و توفى ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة أربع و سبعين و خمسمائة و دفن يوم الأربعاء بالجانب الغربى بمقابر قريش و لا عقب له .

و ترجم له الصلاح الصفدى فى تاريخه للرجال ، و لم يذكر شيئا يخرج عما نقلناه بغرابه أو طرافه أو زيادة مطلقة، و ذكره ابن العماد الحنبلى فى تاريخه و قال «قال ابن شهبه فى تاريخ اسلام: «و ستموا ابنه هرج مرج و ابنته دخل خرج». و هذا باطل فقد أجمع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١١٩

المؤرخون على أنه لم يعقب، و ذكرنا أن اللقب الأول أطلق على أخيه و الثانى على أخته.

و ترجم له محمد باقر الخونسارى فى تاريخه و لم يذكر شيئا لم يذكره من سبقه من المؤرخين سوى قوله: «و بالبال الفاتر أن حيص بيص الشاعر من شعراء الشيعة الامامية الحقّة و مذكور فى بعض التراجم المعترّبة و غيرها أيضا بهذه الصفة و لعل فى مدفنه الشريف و أنبائه السابقة إيماء إلى ذلك فليأمل و ليلاحظ». قلت: إن قول الخونسارى بكون الحيص بيص إماميا مستبعد فقد نقل هو نفسه ككثير من المؤرخين أنه كان فقيها شافعيًا و تفقه على فقيه شافعى كبير و تكلم على مسائل الخلاف ثم غلب عليه الأدب. أمّا أنه دفن فى مقابر قريش فليس فيه دليل على إماميته فقد دفن عشرات من أهل السنة فى هذه المقبرة خصوصا فى عصور بنى العباس الأخيرة التى منها عصر الحيص بيص. و هؤلاء الدفناء المتأخرون فى مقابر قريش دفنوا هناك إمّا لشدة حبهم لأهل البيت و إمّا لأن أهلهم أرادوا تشريفهم بذلك و إمّا لتقليدهم أئمة زمانهم من الخلفاء العباسيين كالخليفة الناصر لدين الله فانه كان يحبّ العلويين و قدّمهم و استعملهم فى دولته فوجد فيهم عنصرا صالحا لتأييد الدولة و رعاية مصالحها حتى استمر ذلك فى الدولة العباسية إلى آخر أيامها. و كان الحيص بيص يحبّ العلويين و قد ذكر له ابن شهر آشوب فى كتابه المناقب قوله:

قوم إذا أخذ المديح قصائد أخذوه عن طاها و عن ياسين

و إذا عصى أمر الممالك خادم نفذت أوامرهم على جبرين

و وهم قبل الخونسارى من ذكر فى لسان الميزان أن الحيص بيص كان إمامى المذهب فقد جاء فيه بعد ذكر ما هو معروف: «و ذكر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٢٠

عبد الباقي بن رزين الحلبي - و كان من رؤوس الأمامية - أن المذكور - يعنى الحيص بيص - كان مقدما فى عدة علوم و كان لزم الحلة و مدح آل مزيد ثم دخل بغداد و مدح الخليفة و كان إمامى المذهب. و قال ابن النجار: تفقه أيضا على أسعد الميهنى و تكلم على مسائل الخلاف و ناظرهم فى الأدب و مهر فى النظم و النثر و خدم الخلفاء بالمدح و كان وقورا وافر الحرمة ... كان يقول: ما عرفت أنى من بنى تميم حتى أخبرتنى أمى بذاك فى سفره». و من أجل هذا الوهم ترجم له ابن حجر فى اللسان.

و ذكره ابن الأثير في وفيات سنة ٥٧٤ من الكامل قال: «و كان قد سمع الحديث و مدح الخلفاء و السلاطين و الأكابر و شعره مشهور فمناه قوله:

كلما أوسعت حلمي جاهلاً أوسع الفحش له فحش المقال (كذا)

و إذا شارده فهت بهاسبت مّر النعامي و الشمال

لا تلمني في شقائي بالعلارغد العيش لربات الجمال

سيف عزّ زانه رونقه فهو بالطبع غنيّ عن صقال.

و ذكر أبو شامة أن الحيص بيص قصد سيف الدين غازي بن زكي و امتدحه بقصيدة من جيد شعره فأجازه عليها بألف دينار سوى الاقامة و التعهد مدة مقامه بالموصل و سوى الخلع و الثياب و أول تلك القصيدة:

إلام يراك المجد في زيّ شاعرو قد نحلت شوقاً فروع المنابر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٢١

و ذكر أنه مدح الوزير جمال الدين الاصفهاني المشهور بقصيدة غراء أولها:

يا للصورام و الرماح الذّبل نصرا و من أنجدتما لم يخذل

و مدح زين الدين علي بن بكتكين التركي و الي الموصل ثم إربل فقال له: أنا لا أدري ما تقول لكن أعلم أنك تريد شيئاً. فأمر له بخمسائة دينار و أعطاه فرسا و خلعة و ثيابا يكون مجموع ذلك ألف دينار .

و ترجم له ابن تغري بردي بما هو موجز ما قدمنا نقله و أورد له قوله:

لم ألق مستكبرا إلا تحوّل لي عند اللقاء له الكبر الذي فيه

و لا حلالى من الدنيا و لذتها إلا مقابلتى للتيه بالتيه

و قال في ترجمة زعيم الدين يحيى بن جعفر أبي الفضل صاحب المخزن المتوفى سنة «٥٧٠هـ»: «و قال العماد الكاتب: جلس يوماً في ديوان الوزارة فقام شهاب الدين ابن الصيفي فأنشده:

لكل زمان من أمائل أهله برامكة يمتارهم كل معسر

أبو الفضل يحيى مثل يحيى بن خالديدا و أبوه جعفر مثل جعفر

و ذكر ابن خلكان ناقلاً- أنه كان بين جلال الدين بن جمال الدين الاصفهاني الكاتب البليغ مكاتبات قال: «و لو لا خوف الاطالة لذكرت بعض رسائله، و في جملة ما ذكره (مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن الأثير في رسائل جلال الدين الاصفهاني) أن

حيص بيص كتب اليه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٢٢

على يد رجل عليه دين رساله مختصرة». ثم قال في ترجمة أبي القاسم هبة الله بن الفضل ابن القطان البغدادي الشاعر المقدم ذكره استطرادا في هذا المجموع: «و له مع حيص بيص ماجريات، فمن ذلك أن الحيص بيص خرج ليلة من دار الوزير شرف الدين أبي الحسن علي بن طراد الزينبي فنبح عليه جرو كلب، و كان متقلدا سيفاً فوكزه بعقب السيف فمات، فبلغ ذلك ابن الفضل المذكور فنظم أبياتاً و ضمّنها بيتين لبعض العرب قتل أخوه ابنا له فقدّم إليه ليقاد منه فألقى السيف من يده و أنشدهما و البيتان المذكوران يوجدان في الباب الأول من كتاب الحماسة. ثم إن ابن الفضل المذكور عمل الأبيات في ورقة و علقها في عنق كلبه لها أجر و رتب معها من يطردها و أولادها إلى باب الوزير كالمستغيثة، فأخذت الورقة من عنقها و عرضت على الوزير فإذا فيها:

يا أهل بغداد إن الحيص بيص أتى بفعله أكسبته الخزي في البلد

هو الجريء الذي أبدى تشاجعه على جرى ضعيف البطش و الجلد

و ليس فى يده مال يديه بهو لم يكن ببواء منه فى القود
فأنشدت جعدة من بعد ما احتسبت دم الأيلق عند الواحد الصمد
أقول للنفس تأساءا و تعزية إحدى يدى أصابتى و لم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخى حين أدعوه و ذا ولدى
و هذا التضمين فى غاية الحسن و لم أسمع مثله مع كثرة ما يستعمل الشعراء التضمين فى أشعارهم إلا ما أنشدنى الشيخ مهذب الدين
أبو طالب محمد المعروف بابن الخيمى ...» ثم قال: «و حضر ليلة الحيص
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٢٣

بيص و ابن الفضل المذكور على السماط عند الوزير فى شهر رمضان فأخذ ابن الفضل قطاء مشوية و قدمها إلى الحيص بيص» فقال
الحيص بيص للوزير: يا مولانا هذا الرجل يؤذنى. فقال الوزير كيف ذلك؟ قال:
لأنه يشير إلى قول الشاعر:

تميم بطرق اللؤم أهدي من القطاو لو سلكت سبل المكارم ضلت

و كان الحيص بيص تميميا كما تقدم فى ترجمته .. و دخل ابن الفضل المذكور يوما على الوزير المذكور الزينبي و عنده الحيص
بيص فقال:

قد عملت بيتين و لا يمكن أن يعمل لها ثالث لأننى قد استوفيت المعنى فيها. فقال له الوزير: هاتها. فأنشده:

زار الخيال بخيلا مثل مرسله فما شفانى منه الضمّ و القبل

ما زارنى قط إلا كى يواقفنى على الرقاد فينفيه و يرتحل

فالتفت الوزير الى الحيص بيص و قال له: ما تقول فى دعواه؟ فقال إن أعادهما سمع الوزير لهما ثالثا، فقال له الوزير: أعدهما.
فأعادهما، فوقف الحيص بيص لحظة ثم أنشد:

و ما درى أن نومي حيلة نصبت لطيفه حين أعيأ اليقظة الحيل

ثم قال ابن خلكان فى ترجمة الوزير ابن هبيرة: «و كانت عوائدهم فى بغداد فى شهر رمضان أن الأعيان يحضرون سماط الخليفة عند
الوزير و هم يسمون السماط (الطبق) و كان الحيص بيص من جملة من يحضر الطبق، و كانت نفسه أبيتة و همته عربية، و إذا أحضروا
الطبق تخطاه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٢٤

و قعد فوّه من أرباب المراتب جماعة ليس فيهم فضل فيجد فى نفسه لذلك مشقة عظيمة فكتب إلى الوزير عون الدين (ابن هبيرة)
يستعفيه من الحضور:

يا باذل المال فى عدم و فى سعة و مطعم الزاد فى صبح و فى غسق

و حاشر الناس أغنتهم فواضله إلى مزيد من النعماء مندق

فى كل بيت خوان من مكارمه يميّهم و هو يدعوهم إلى الطبق

فاض النوال فلولا خوف مفعمة من بأس عدلك نادى الناس بالغرق

و كل أرض بها صوب و ساكبة حتى الوغى من نجيع الخيل و العرق

صن منكبي عن زحام ان مضيت له تمكّن الطعن من عقلى و من خلقى

فان رضيت به فالذل منقصة فكم تكلفته حملا فلم أطق

أنا المريض بأحداثى و سورتهاو ليس غير أبائى حافظ رمقى

وهبه لي كعطاياك التي كثرت فالجود بالعزّ فوق الجود بالورق
إن اصفرار مجنّ الشمس من حزن على علاها لمرماها من الأفق
و إن توهم قوم أنه حمق فربّما اشتبه التوقير بالحمق

و أهدى إلى الوزير عون الدين دواة بلور مرصعة بمرجان و في مجلسه جماعة منهم الحيص بيص فقال الوزير: يحسن أن يقال في هذه
الدواة شيء من الشعر، فقال بعض الحاضرين - و كان ضريرا و لم أقف على اسمه:-

ألين لداود الحديد كرامه يقدره في السرد كيف يريد
و لان لك البلور و هو حجارة و معطفه صعب المرام شديد
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٢٥

فقال الحيص بيص: إنما وصفت صانع الدواء و لم تصفها. فقال الوزير: من غير غير. فقال الحيص بيص:

صيغت دواتك من يوميك فاشتبهاعلى الأنام ببلور و مرجان
فيوم سلمك مبيض بفيض ندى و يوم حربك قان «بالدم القاني»

قال ابن خلكان: «ثم وجدت البيتين الأولين في كتاب الجنان تأليف القاضي الرشيد أحمد بن الزبير الغساني المذكور في أوائل هذا
الكتاب و نسبهما القاضي الرشيد إلى أحمد بن قاسم الصقلي قاضي مصر»

و نقل ابن خلكان سيرة الوزير ابن هبيرة قول مؤلفها: «و مدحه جماعة من أمثال الشعراء عصره منهم أبو الفوارس سعد بن محمد
المعروف بابن صيفي الملقب حيص بيص المقدم ذكره و له فيه مدائح منتخبة فمن ذلك قوله:

يهز حديث الجود ساكن عطفه كما هز شرب الحى صهباء قرقف
و يرسو إذا طاشت صبا القوم و اغتدت صعاب الدّرا من زعزع الخطب ترجف
صروم الدنيا هاجر كلّ سببه و لكنه بالمجد صبّ مكلف
يضيق بأدنى العار ذرعا و صدره بأهوال ما يدنى من الحمد نفنّف
إذا قيل عون الدين يحيى تألق ال غمام و ماس السّمهرى المثقّف»

و قال الحيص بيص يمدح الأمير عنتر بن أبي العسكر الكردي الجاواني :

إذا قلقت بيض السيوف ظمأه سقاها فرواها من الهام عنتر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٢٦ و لم أرد العبسي لكن سمّيه و من هو أولى بالثناء و أجدر

فان فخرت عبس بفارس رعبافان بنى الجاوان أعلى و أفخر

فتى هو للعافى من الجود موردو للخائف الجانى من الخوف مصدر

و فيه يقول:

و إنى و أمسيت سيد دارم أناضل عن أحسابهم و أقارع

لمثن على الجاوان من أجل عنتر ثناء إذا كتّمته فهو ذائع

فتى الحى أمّا عذره فهو ضيق لعاف و أمّا جوده فهو واسع

مرير القوى نيطت حمائل سيفه إلى باسل تثنى عليه الوقائع

و ذكر العماد الاصفهاني الوزير كمال الدين محمد بن علي الخازن الرازي و قال: و مدحه الأمير ابن الصيفي المعروف يحيص بيص
قوله:

الحمد لله الذى نصر العلى بعد التجادل بالوزير الفاضل

و أمات نفس الجور لما أن نشت فينا بعاطفة الكريم العادل
و أضاء ليل الحظ بعد ظلامه بأغرّ فضفاض الرداء حلا حل
و أعاد نقص المجد فضلا كاملا لما تحلى بالكمال الكامل
حامى ذمار الجار قبل صريخه مولى مكارمه بغير مسائل
جبل احتمال أو رياح عزيمة بالحزم من أفعاله و النائل

قال: و كانت وزارته فى أوائل سنة ثلاث و ثلاثين (و خمسمائة) ببغداد

ثم قال فى ذكر الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبي: «ممدوح الأمير جمال الدين سعد بن الصيفى المعروف بحيص بيص و له فيه
قلائد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٢٧

فرائد و مقطوعات و قصائد و له فيه:

و أخلاف مجد موجفين إلى العلالهم من قصى حيثما انتسبوا رهط
و ذكر الوزير مؤيد الدين المرزبان بن عبيد الله قال: «و لحيص بيص يمدحه، أنشدنى لنفسه:
أضاء الليل من زمن و خطيسار و الوزير المرزبان
و أنشدنى فيه لنفسه:

و خاطر من حديث المجد ساورنى و الليل أسحم نائى الصبح غريب

و ذكر رئيس الدين أبا تغلب بن حماد السهروردى قال: «و هو من ممدوحى الأمير أبى الفوارس المعروف بحيص بيص، أنشدنى
لنفسه فيه فى أول لقائه له:

و لما تلاقينا و للشوق سورة ترد جياذ القول و هى بطاء

... و أنشدنى لنفسه فيه يهنئه بالعيد و يصف العيد:

أقول له و الزهر ينفض عطفه و زينته معسولة و شمائله

و ذكر جمال الدين أبا جعفر محمد بن على الاصبهانى المعروف بالجواد الاصفهانى المقدم ذكره آنفا قال: «و ممن وفد إليه الأمير أبو
الفوارس سعد ابن محمد بن الصيفى المعروف بحيص بيص، و أنشدنى لنفسه فيه قصيدة أوردت منها:

يا للصورم و الرماح الذبل نصرا و من أنجدتما لم يخذل

...». و قال ابن حجر: «و من شعره ما أنشده ابن النجار عن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٢٨

قيصر بن مظفر عنه قال أنشدنا ابن الصيفى لنفسه:

إذا قيل الكريم أخو العطايا و بدال الرغائب و النوال

فاكرم منه ذو أنف أبى يصون الوجه عن ذل السؤال»

و قال ابن الديبى فى ترجمة المستضىء بأمر الله العباسى: «مدحه أبو الفوارس سعد بن محمد بن الصيفى المعروف بحيص بيص يوم
ولايته بما أنشدنا أبو شجاع زاهر بن رستم المقرئ عنه:

أقول و قد تولى الأمر حبرا إمام لم يزل بزا تقيا

و فاض الجود و الاحسان حتى حسبتهما عابا أو أتيا

سألنا الله يعطينا إماما نسر به فأعطانا نبيا

و قال ابن الفوطى فى ترجمه عز الدولة أبى المكارم جعفر بن المطلب:

«كان أستاذ الدار فى أيام المسترشد بالله و هو الذى مدحه الحيص بيص بقصيدته التى أولها:

لمن الخيل كأمثال السعالى عاديات تتمطى بالرجال

ما عجات بغطاريف و غى جلبوا الموت بأطراف العوالى»

و قال فى ترجمه عز الدين أبى الفضل عبد السلام بن عبد الغنى المعدل البغدادى المتوفى سنة ٦٧٣هـ: «أنشد فى مذاكرة (للحيص بيص):

لا خير فى مثر بلا شاكر فإنما المال هو الشكر

أحجار سوء جعلت آله و سرها النفع أو الضر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٢٩ يصيب من يبذلها أجره و للذى يحرزها الوزر

و قال فى ترجمه عز الدولة على بن هبة الله بن محمد بن على ابن المطلب ناقلا: «كان عز الدولة يعمل للوزارة و تسمو نفسه إليها فلما مات جلال الدين ابن صدقه وزير المسترشد و تعدها الأمر و لم تطل حياته و كان شابا لا يصلح سنّ مثله لها اتفق أن عز الدولة كان (ذات يوم) إلى جانب الوزير ابن صدقه فدخل شهاب الدين الحيص بيص فأنشده قصيده منها:

ظلت تعنّفنى شيبى فقلت لها الشيب أجدر شىء بالذى أسل

فالتفت الوزير إلى عز الدولة و قال: أترأه يروم الوزارة حتى قال هذا؟

و كانت وفاته فى تاسع عشر رجب سنة ثلاث و عشرين و خمسمائة».

و قال محب الدين ابن النجار فى ترجمه أبى منصور الفضل بن أحمد المسترشد بالله العباسى راويا بسنده: «لما عاد الشاعر المعروف بالحيص بيص إلى بغداد، و كان قد هجا الخليفة المسترشد بالله - طالبا لدمامه أنشده من شعره فيه:

ثبت ركابى عن ديبس بن مزيد مناسمها ممّا تغدّ دوامى

فرارا من اللؤم المظاهر بالخناو سوء ارتحال بعد سوء مقام

ليخصب ربعى بعد طول محوله بأبيض و ضاح الجبين إمام

فان يشمل الطول العميم برأفة بلفظ أمان أو بعقد ذمام

فإن القوافى فى البيان صريحة تناضل عن أحسابكم و تحامى

فخرج لفظ الخليفة نثرا لا- نظما «سرعة العفو عن كبائر المجرم استحقاق للعفو عنه». و قال ابن الفوطى فى ترجمه مظفر الدين أبى منصور

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٣٠

يرنقش بن عبد الله البازدار التركى الأمير: «و مدحه الأمير شهاب الدين الحيص بيص من قصيدة يصف فرسه:

مظفر الدين إن فاق الرجال فقد فاق الجياد بيوم الطرد أشهبه

تعلم السبق منه فى مناقبه من فرط مراح يجريه و يركبه

يرنقش كسليمان بأشهبه إذا غدا و رخاء الريح مركبه

و ذكر ابن جماعة الكنانى فى تاريخه للأدباء أن الشيخ رشيد الدين أبا العباس أحمد بن المفرج بن على بن مسلمة الدمشقى قال:

كتب إلى الأديب أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد ابن الصيفى التميمى المعروف بحيص بيص (إجازة) بجميع ما صح و يصح

عنده من الروايات و الأشعار و ما يندرج تحت الرواية فمن شعره:

صاحب شرار الناس تسطو به يوما على بعض شرار الزمان

فالرمح لا يهرب أنبويه إلا إذا ركب فيه السنان

مذ سافر القلب من صدرى اليه هوى ما عاد بعد و لم أسمع له خبرا

هو المسىء اختيارا إذ نوى سفراو قد رأى طالعا فى العقرب القمر

و ذلك أن المنجمين يرون أن الرجل إذا سافر و القمر فى العقرب أنه لا يرجع ... و من شعره ما قال فى أبى منصور موهوب بن أحمد

الجوالقى و المغربى المعبر بهجوما:

كل الذنوب ببلدتى مغفورة إلا اللذين تعاظما أن يغفرا

كون الجوالقى فيها ملقيا أدبا و كون المغربى معبرا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٣١ ... أصارنى معدما جفاكم و كنت من قبل ذا يسار

ولى افتقار إلى لقاكم فعن يمين إلى يسار

... و من كان علم النفس مما يسره فانى امرؤ قد طال ما ساءنى علمى

و لم أر فى الأشياء و الحظ شاهد بما أدعى شيئا أضّر من الفهم

إذا شوركت فى حال بدون فلا يغشاك عار أو نفور

تشارك بالحياة بغير حلف أرسطاليس و الكلب العقور

منه الدون فى الرقاب حبال محصدا كأجل الحباق

غير أن التحقيق مرد و هذا ألم دائم مع الدهر باق

فاذا أخفق الرجاء من الدون فأكرم بذاك من إخفاق

سورة السم فى التعز أولى من شفاء بالذل فى الترياق

اضطرار الحر الكريم إلى الدون و إن جاد غاية الاسراف

لا يشين المجد المنيف و لا ينقص قدر الشريف فى الأشراف

هل يعاب العطار يوما إذا أصبح فى حاجة إلى الكفاف؟

لا تلبس الدهر على غرة فما لموت الحى من بد

و لا يخادعك طويل البقا فتحسب الطول من الخلد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٣٢ ينفد ما كان له آخر ما أقرب المهدي من اللحد!

و قال ابن رجب فى ترجمة الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة من ذيل طبقات الحنابلة: «و قد مدحه الشعراء فأكثروا و قيل إنه رزق

الشعراء مالم يرزقه أحد و من أكابره الحيص بيص و ابن بختيار الأبله و ابن التعاويذى و العماد الكاتب و أبو على بن أبى قيراط و

منصور النمرى و خلق كثير ..

و من قول الحيص بيص:

يفل غرب الرزايا و هي باسله و يوسع الجار نصرا و هو مخذول
 و يشهد الهول بساما و قد دمعت شوس العيون فدم القوم إحفيل
 و يتقى مثلما ترجى فواضله و جوده فهو مرهوب و مأمول
 عار من العار كاس من مناقبه كأنه مرهف الحدين مسلول
 سهل المكارم صعب في حفيظته فأسه و الندى مرّ و معسول
 قالى الدنا و صنبوان العلى كلف فالعار و المجد مقطوع و موصول
 الملك يحيى لدى قول و معترك إذا تشابه مقطوع و مفلول
 جواد مجد له فى فخره شبه و فيه من واضح العلياء تحجيل

و أخبار الحيص بيص كثيرة و ذكر المؤرخون له نوادر غريبة فى التفاسح و التقرع و التكلف و مع وجود الغرابة فى ألفاظ شعره فهو قد تشدق و تفاسح و تكلف فى ثره، و ذلك أسلوب على تبيان معرفته غريب اللغه كان مستثقلا مصدوفا عنه فلم نجد حاجة إلى ذكر نوادره فى التفاسح و لا تكلفه فى الكتابه و إغرابه فى اللغه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٣٣

سنة «٥٧٥» هـ

٥٠- و أبو الفرج محمد بن محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم الأنبارى ابن سديد الدولة المقدم ذكره، ذكره ابن الديبى قال: «كاتب الانشاء المعمور، من بيت مشهور بالفضل و الكتابه و قد تقدم ذكر أبيه- و أبو الفرج هذا تولّى ديوان الانشاء بعد وفاة أبيه و ذلك فى رجب سنة ثمان و خمسين و خمسمائة إلى حين وفاته، و ناب فى ديوان المجلس مدة يسيرة و كان مقدما ذا حشمة و جاه، سمع (الحديث) مع أبيه من أبى محمد عبد الله بن أحمد بن السمرقندى و حدث عنه. ذكره القاضى أبو المحاسن الدمشقى فى معجم شيوخه الذين سمع منهم، قال عبيد الله بن على المارستانى: و مولد أبى الفرج بن الأنبارى فى سنة سبع و خمسمائة و توفى يوم الجمعة السادس من ذى القعدة سنة خمس و سبعين و خمسمائة، و صلى عليه بجامع القصر الشريف و دفن بالجانب الغربى بمقابر قريش عند أبيه - رحمه الله و ايانا -».

و أرخ سبط ابن الجوزى فى وفيات سنة «٥٧٥» بما لا يخرج عما ذكرناه من كتاب ابن الديبى، و زاد عليه قوله: «و كان فاضلا عاقلا عفيفا». و قال صلاح الدين الصفدى: «صاحب ديوان الانشاء ببغداد، ناب فى الوزارة و كتب الانشاء سبعة عشر عاما و أشهرها و كان ناقص الفضيلة ظاهر القصور فى الترسل و إنما روعى لأجل والده سديد الدولة محمد بن عبد الكريم و سيأتى ذكر سديد الدولة» و ذكره هندوشاه الصحابى فى أخبار الوزير شرف الدين أحمد بن البلدى على عهد الخليفة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٣٤

المستنجد بالله . و قال ابن الديبى فى خبر استيزاز ابن البلدى «و جاء الوزير فى الموكب إلى محاذى التاج و عبر فى الماء إلى دار الخلافة المعظمة شيد الله قواعدها بالعز- و حضر أستاذ الدار العزيزة أبو الفرج (عضد الدين محمد بن عبد الله) و صاحب المخزن و قاضى القضاء و حاجب الباب و كاتب الانشاء أبو الفرج بن الأنبارى» .

سنة ٥٧٧

٥١- و أبو جعفر محمد بن محمد بن هبة الله بن محمد بن على بن المطلب أبو جعفر بن أبى عبد الله ابن الوزير أبى المعالى ابن أبى سعد قال ابن الديبى:

«من بيت أهل رئاسة و تقدّم، سمع أبا الفوارس محمد بن علي بن الكرخي و حدث عنه. سمع منه جماعة من أصحابنا منهم أبو القاسم تميم بن أحمد ابن البندينجي و أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج الحصري و أبو الحسن علي بن المبارك بن (عبد) الوارث و غيرهم. بلغني أنه توفي فجأة في ليلة الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة سبع و سبعين و خمسمائة، و دفن صبيحة تلك الليلة بمقابر قريش - رحمه الله و ايانا-» .

سنة «٥٨١» هـ

٥٢- و مجد الدين أبو طالب عبد الله بن أحمد بن علي بن المعمر أبو طالب ابن أبي عبد الله العلوي الحسيني البغدادي النقيب قال ابن الفوطي في التلخيص: «ذكره أبو الفتوح عبد السلام بن يوسف التنوخي في كتابه أنموذج الأعيان من تأليفه و قال: كان مجد الدين يتولى النقابة على الطالبين و أنشدني لنفسه ما يكتب على قوس بندقة:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٣٥ حملتني راحة في جودها للخلق راحة

فأنا أهل بنبلي و هي أهل للسماحة

توفي رجب سنة إحدى و ثمانين و خمسمائة .

و ترجم له الصفدي في كتابه الحافل للتراجم قال: «نقيب الطالبين ببغداد بعد وفاة والده. و لم يزل على ولايته إلى أن توفي سنة إحدى و ثمانين و خمسمائة و كان شابا سريرا فاضلا أديبا شاعرا مترسلا من شعره مما يكتب على قوس بندقة و ذكر البيتين إلا أن نصه «فأنا للفتك أهل» .

و ذكر أبياتا أخرى في قوس البندقة و ذلك يدل على و لعه بها. و ذكره شمس الدين الذهبي في وفيات سنة ٥٨١ و قال: «ولى النقابة بعد أبيه و له شعر جيد» .

قال مصطفى جواد: دفن النقيب أبو طالب عبد الله في مشهد الامام موسى بن جعفر -ع- صرح بذلك من ذكر أن ابنه النقيب أبا الحسن علي بن عبد الله المتوفى سنة ٥٩٥ كما سيأتي دفن عند أبيه في المشهد المذكور .

٥٣- و أبو الحسن علي بن المرتضى بن علي بن محمد بن الداعي بن زيد بن حمزة بن علي بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسن ابن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب العلوي الحسنى الاصبهاني الأصل. البغدادي المولد و الدار، يعرف بالأمير السيد. قال ابن الديبشي:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٣٦

«كانت له معرفة بالفقه على مذهب أبي حنيفة، درس بجامع السلطان مدّة، و كان من أعيان الناس و أمثالهم، سمع شيئا من الحديث من أبي سعد أحمد بن محمد ابن البغدادي و غيره، سمع منه القاضي عمر القرشي و روى عنه في معجمه. أنبأنا أبو المحاسن عمر بن علي القرشي قال أنبأنا أبو الحسن علي بن المرتضى العلوي - و أسنده إلى أبي هريرة - قال قال رسول الله -ص-: أكثروا ذكر هادم اللذات: الموت». سألت الأمير السيد أبا الحسن العلوي عن مولده، فقال: في ليلة الثلاثاء ثاني عشر ربيع الآخر سنة إحدى و عشرين و خمسمائة ببغداد قلت: و توفي ليلة الجمعة ثاني عشر رجب سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة و دفن يوم الجمعة بمقابر قريش» .

و ذكره محب الدين ابن النجار و قال: «ولد جده بنيسابور و كذلك والده المرتضى و نشأ باصبهان ثم قدم بغداد و ولد له على هذا بها و قرأ الفقه على مذهب أبي حنيفة حتى برع فيه و في الخلاف و قرأ الأدب و حصل منه طرفا صالحا و سمع الحديث ثم ولى التدريس بجامع السلطان و انتهت إليه رئاسة أصحاب الرأي - يعنى الحنيفة - و كان عالما بالمذهب، متدينا زاهدا في الرتب و الولايات، المنيفة، كريم النفس، كانت داره مجمعا لأهل العلم و الأدب و كان يكتب خطا مليحا و له كتب كثيرة أصول بخطوط العلماء، سمع أبا سعد أحمد بن محمد ابن البغدادي و أبا الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأموي و أبا منصور محمد بن عبد الملك ابن خيرون و موهوب

بن أحمد ابن الجواليقي و أبا الحسن سعد الخير بن محمد بن؟؟؟

و أبا اسحاق ابراهيم بن محمد بن نبهان الغنوي الرقي و أبا الفضل محمد بن ناصر و غيرهم و حدث باليسير. سمع منه القاضي أبو

المحاسن عمر بن موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ١٠-١؛ ص ١٣٧

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٣٧

على القرشي. و عمّر حتى أدركناه. و لم يتفق لنا منه سماع. قرأت في الخريدة لأبي عبد الله الكاتب بخطه للأمير السيد علي ابن

المرتضى

صن حاضر الوقت عن تضييعه ثقة أن لا بقاء لمخلوق على الدوم

و هبك أنك باق بعده أبدا(فلن يعود إلينا عين ذا اليوم)

*** و له أيضا:

..... و لا تجزع لآت و اغنم لنفسك خطها

في البين من قبل الفوات قرأت بخط القاضي أبي المحاسن القرشي قال: سألته- يعنى الأمير السيد علي بن المرتضى عن مولده فقال:

في ليلة الثلاثاء ثاني عشر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين و خمسمائة ببغداد بدرب الشاكرية. توفي الأمير السيد علي بن المرتضى في

ليلة الجمعة لثمانى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة. و دفن من الغد بمقابر قريش .»

و قال ابن الفوطي: «ذكره عماد الدين الكاتب في الخريدة و قال: «كان والده من اصفهان في خدمة الخاتون جهة المقتفى (فاطمة بنت

محمد ابن ملكشاه)، و تفقه ولده هنا على مذهب أبي حنيفة و وجب الكرامة الكلية من الخليفة و أهل الرتب الشريفة و المناصب

المنيفة. فلم يمل إلا إلى العلم و نشره، و لم يرغب إلا في الفقه المؤذن برفع قدره .»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٣٨

و ذكره ابن الأثير في وفيات سنة «٥٨٨» من الكامل. و ذكره زكي الدين المنذرى في تاريخه للرجال قال في وفيات سنة ٥٨٨: «و في

ليلة الثاني عشر من رجب توفي الشريف الأجل الفقيه أبو الحسن علي ابن الشريف أبي الحسين المرتضى ... المعروف بالأمير السيد و

دفن من الغد بمقابر قريش » و ذكر أموراً من سيرته كنا نقلناها من كتب غيره.

و من المستغرب أن محيي الدين القرشي لم يترجم له في كتاب «الجواهر المضية في طبقات الحنيفة». و سيأتي ذكر ابنه أبي محمد

الحسن بن علي ابن المرتضى في وفيات سنة «٦٣٠».

سنة «٥٨٩» هـ

٥٤- و أبو منصور عبد الله بن محمد بن علي بن هبة الله بن عبد السلام ابن عبد الله بن يحيى الكاتب، ذكره ابن الديبى قال: «من

بيت أهل كتابة و رواية، سمع أبا القاسم علي بن أحمد بن بيان و أبا علي محمد بن سعيد بن نبهان و أبا القاسم هبة الله بن محمد بن

الحصين و جدّه أبا الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام و أبا القاسم إسماعيل بن أحمد ابن السمرقندى و حدّث عنهم. سمع منه

القاضي عمر القرشي و أحمد بن طارق (الكركي) و عبد العزيز بن الأخضر (الجنابدى) و قال لى ابن الأخضر: سمعت منه و من أبيه و

من جدّه. قلت: و قد أجاز لى. أنبأنا أبو منصور عبد الله ابن محمد ابن عبد السلام- و أخبرنى عنه أبو محمد عبد العزيز بن أبى نصر

(ابن الأخضر) البزاز قراءة- و أسنده إلى جرير بن عبد الله البجلي- قال: كنا جلوساً عند رسول الله- ص- فطلع القمر ليلة البدر، فقال

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٣٩

رسول الله- ص:- أما إنكم ترون ربكم- عزّ و جل- كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان قدرتم أن لا تغلبوا على ركعتين

قبل طلوع الفجر». ولد أبو منصور ابن عبد السلام فى سنة ست و خمسمائة و توفى يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأول سنة تسع و

ثمانين و خمسمائة و دفن بالمشهد بالجانب الغربى .»

سنة «٥٩٠» هـ

٥٥- قال ابن النجار: «على بن يحيى بن على بن إسماعيل أبو المكارم الكاتب المعروف بالريب، من أولاد الكتبة و أرباب الولايات، أخذت له إجازة و هو طفل من مشايخ اصبهان ... و تفرد بالاجازة عنهم و عن أبى على الحداد و غانم بن محمد البرجى و قرىء عليه كثيرا بالاجازة عن هؤلاء، و لم يكن الحديث من شأنه، ذكر لى عنه أنه أول ما ظهرت له الاجازة و قصده أصحاب الحديث للسمع منه أنكرك ذلك و قال: ما سمعت شيئا من الحديث، فقليل له: هذه إجازة أخذها لك بعض جيرانك. فقال: ما رأيت أحدا أكثر فضولا من أخذها و ما دعاه إلى هذا؟»

أخبرنى أبو الفتوح نصر بن محمد ابن الحصرى الحافظ بقراءتى عليه بمكة قال: قرأت على أبى المكارم على بن يحيى بن على بن اسماعيل الكاتب ..

سألت شيخنا أبا الفتوح عن أبى المكارم فقال: كان جليلا لا بأس به.

بلغنى أن أبا المكارم بن اسماعيل ولد فى سنة خمس مئة و توفى يوم السبت لثلاث خلون من ذى الحجة سنة تسعين و خمس مئة و دفن بمقابر قريش .»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٤٠

و قال شمس الدين الذهبى فى وفيات سنة ٥٩٠: «على بن يحيى ابن اسماعيل أبو المكارم البغدادى الكاتب، له إجازات عالية، روى بالاجازة ... و مولده بعد الخمسمائة و توفى فى ذى الحجة .»

سنة «٥٩١» هـ

٥٦- قال محب الدين محمد ابن النجار: «على بن حسان بن سالم بن على ابن مسافر أبو الحسن الكاتب. شاعر مليح حسن الشعر، مدح الخلفاء و الأكابر فأكثر، أنشدنى له أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر القطيعى (قال أنشدنى على بن حسان بن مسافر الكاتب لنفسه من قصيدة:

زار و ثغر (الصباح) مبتسم فجرا و عقد النجوم منفصم

و البدر فى ربة الغروب لما يستنجد الليل و هو منهزم

و الجوّ فى حلة معبرة لها من البرق مومضا علم

و الأرض قد أصبحت مزخرقة و أزينت نشر روضها فغم

و البان مياسة معافقه و السحب تبكى و الزهر يتسم

و الورد قد فتقت لطائمه هيمه ثغر جوها شيم

قد سل سيفا على الشقائق فاحتز من رؤوسها القمم

إن شابته لونه غلائلهاما كل قان مضرج عنم

فقل لمن راقه معصرهالا يزدريك الهوى فذاك دم

و اصفر وجه النهار من وجل كمدنف مل قلبه السئم

و أطرق النرجس المضاعف إجلالا كطرف فى جفنه سقم

و عاد شمل المنثور حين زها الورد من العجب و هو منتظم

و افتر ثغر الأفاق من جذل و الجدول الغمر ظلّ يلتطم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٤١ و غنت الورق في الغصون فيالله تلك الألحان و النغم

أصنع من معبد و أفصح من قسّ فهنّ النواطق العجم

و أنشدني أبو الحسن القطيعي أنشدني أبو علي ابن مسافر لنفسه:

خيّم في جفن عيني السهرلما استسّرت بدورهم و سروا

قوم حمت بيضهم و قد ظعنوابيض عراض و سمرهم سمر

كم قربوا حسرة ببعدهم و كم فؤاد لما سروا أسروا

لم أجمل الصبر يوم بينهم و الصبر في ساعة الهوى صبر

يا جيرة العمر قد تصرّم في حزني و شوقى اليكم العمر

كأنّ عيني عين و أدمعها جداول في الخدود تنحدر

و في حدوج الغادين بدر دجي و غصن بان مهفهف نضر

قلبي كناس في لحظ مقلته ظبي جلاها الفتور و الحور

مقرطق ساحر اللحاظ (و قد) زار فليلي جميعه سحر

أجفان عينيه للصوارم أجفان و سلّ الصوارم النظر

أغارني خصره السقام و لم يشف غليلي رضابه الخصر

لم أرو من خمره بفيه و من أين و سمر القناله خفر

أخفرت حق الذمام يا قمرأيّسره في تمامه الخفر

أفتيت في قتل عاشق دنف شاب و ما شاب صفوه الكدر

يا حبذا العيش حين نغدو الى اللهو على غزه و نبتكر

في جنح ليل من الشيبه لم يبد لنا من صباحه نذر

أيام صبح المشيب لم يبد إشراقا و ليل الشباب معتكر

أخبرني القطيعي أنه سأل ابن مسافر عن مولده فقال: سنه أربع و أربعين و خمسمائة. أنبأنا أبو سعد الحسن بن محمد بن حمدون و

نقلته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٤٢

من خطه قال: مات علي بن مسافر الشاعر ليلة يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة إحدى و تسعين و خمسمائة و دفن في هذا

اليوم بمقابر قريش بالجانب الغربي».

سنه «٥٩١» هـ

٥٧- و أبو الفتح مسعود بن جابر بن أبي الكرم بن أبي الفوارس الحاجب، ذكره زكي الدين المنذرى في تاريخه قال في وفيات سنه

٥٩١ هـ: «و في الثامن و العشرين من رجب توفي الشيخ الأجل أبو الفتح مسعود بن جابر بن أبي الكرم بن أبي الفوارس الحاجب ببغداد

و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام -».

سنه «٥٩٢» هـ

٥٨- و أبو فراس يحيى بن علي بن طراد بن الحسين بن محمد بن سلمان بن سعيد البغدادي الحريمي المعروف بابن كرسا ، ذكره المنذرى بهذه التسمية و قال فى وفيات سنة ٥٩٢: «و فى ليلة مستهل شهر رمضان توفى الشيخ أبو فراس يحيى بن علي ... ببغداد و دفن من الغد بمقابر قريش، سمع من أبى القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين و حدث، و مولده سنة ثلاث عشرة و خمسمائة». و جاء فى مختصر الذهبى لتاريخ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٤٣

ابن الديبى: «يحيى بن علي بن طراد ابن حسين بن كرسا أبو فراس قال: أنبأنا ابن الحصين قراءة، فذكر حديثا، ولد سنة ثلاث عشرة و خمسمائة و توفى فى رمضان سنة اثنتين و تسعين (و خمسمائة) قلت: روى عنه ابن خليل». و ذكره الذهبى فى تاريخ الاسلام فى وفيات السنة المذكورة آنفا، كذكر المنذرى إياه .

سنة «٥٩٣» هـ

٥٩- و عماد الدين أبو طالب علي بن هبة الله بن محمد ابن البخارى قاضى القضاة و نائب الوزارة، ذكره ابن الديبى فى تاريخه قال: «أبو طالب بن أبى الحسن ابن أبى البركات، من بيت معروف بالعدالة و الفقه، و على هذا تفقه فى صباه على أبى القاسم بن فضلان، و سافر عن بغداد إلى بلاد الروم لأن أباه كان قد خرج عن بغداد و أقام هناك و تولى القضاء فى بعض بلادها و أقام عند أبيه إلى أن توفى، و تولى القضاء بالموضع الذى كان به. و عزل بعد سنتين، فخرج إلى الشام ثم عاد إلى بغداد بعد عشرين سنة من سفره عنها، و كان قدومه إليها فى ذى الحجة سنة إحدى و ثمانين و خمسمائة و ولى أفضى القضاء بها فى صفر سنة اثنتين و خمسمائة، و تقدم إلى الشهود بمدينة السلام بالشهادة عنده و عليه فيما يسجله و أن يسجل عن الخدمة الشريفة الامامية الناصرية- أعز الله أنصارها-. فسمع البينة و أسجل و قبل شهودا و لم يزل أمره يتزايد و حالته تنمو إلى أن توفى قاضى القضاة أبو الحسن ابن الدامغانى فى آخر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٤٤

ذى القعدة سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة فتولى قضاء القضاة فى سلخ ذى الحجة من السنة المذكورة. و فى شهر ربيع الأول سنة أربع و ثمانين استناب فى الوزارة و حضر الديوان العزيز و معه الحجاب و الولاية، و لم يزل على ولايته لقضاء القضاة و نيابة الديوان، إلى أن عزل عن النيابة بالديوان العزيز خاصة فى أوائل شعبان سنة أربع المذكورة ثم عزل عن قضاء القضاة فى ربيع شهر رمضان من السنة أيضا فلزم منزله إلى أن أعيد متوليا لقضاء القضاة فى يوم الاثنين خامس عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع و ثمانين و خمسمائة فكان على ذلك إلى أن وصل نعى الوزير أبى الفضل محمد بن علي ابن القصاب من همدان فى ربيع عشر شعبان سنة اثنتين و تسعين و خمسمائة فاستناب فى الوزارة فى خامس عشر شعبان المذكور.

فركب إلى الديوان العزيز على عادته المتقدمة. و لبث فى ذلك جامعا بين قضاء القضاة و النيابة بالديوان العزيز إلى أن عزل عن النيابة خاصة فى شوال من السنة المذكورة و بقى على القضاء إلى أن توفى. و كان فقيها مناظرا حسن الكلام فى المسائل، مطلعا على العلوم الشرعية، قد سمع الحديث من أبى الوقت السجزي و غيره و ما أعلم أنه حدث بشيء لاستغراق وقته بغير ذلك. مولده فى سنة ثمان و ثلاثين و خمسمائة و توفى ليلة الثلاثاء ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة و صلى عليه يوم الثلاثاء بجامع القصر الشريف و دفن بالجانب الغربى بمشهد الامام موسى بن جعفر- عليهما السلام -.

و ذكره زكى الدين المنذرى فى وفيات سنة ٥٩٣ قال: «و فى ليلة الثالث و العشرين من جمادى الآخرة توفى الوزير الأجل قاضى القضاة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٤٥

أبو طالب علي ابن القاضى أبى الحسن علي ابن الشيخ الأجل أبى البركات هبة الله بن أبى نصر محمد بن علي بن أحمد بن البخارى

بيغداد و دفن في الغد بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام - و مولده في سنة ثمان و ثلاثين و خمسمائة. تفقه على مذهب الامام الشافعي - رضى - على الامام ابي القاسم يحيى بن علي المعروف بابن فضلان « و أوجز سيرته و لكنه ذكر أباه و جدّه. و ذكره ابن الفوطى في الملقبين بعماد الدين في تاريخه للألقاب و نقل من تاريخ ابن النجار قوله: «كان فقيها فاضلا، حسن المناظرة، و فيه دهاء و حسن تدبير و معرفة بالأمر» و أوجز تاج الدين السبكي ترجمته في طبقاته الكبرى و في إيجاز و فائدة هي «و قرىء عهده بالجوامع» و هذا يدل على أن عهود قضاء القضاء كانت تقرأ في الجوامع أى المساجد العامة الجامعة. و قال عبد الرحمن الاربلى في قضاء الناصر لدين الله:

«فأما فضاته فأبو الحسن الدامغانى ثم توفى فقلد أبو طالب على بن البخارى ثم عزله و قلّد أباً جعفر محمد بن جعفر العباسى ثم عزله و أعاد أبو طالب البخارى إلى أن توفى» و قال في ذكر وزرائه فيما قال: «و استوزر أباً المظفر عبيد الله بن يونس إلى أن خرج مع العسكر لقتال طغرل و حصل في أسره فاستناب قاضى القضاء على بن البخارى ثم عزله». و يرى الباحث مثل ذلك في مختصر التاريخ لظهير الدين الكازرونى .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٤٦

و جاء في مرآة الزمان في حوادث سنة «٥٩٠ هـ ما هذا نصه «قال محمد القادسى: و فيها أهدر الخليفة الطيور العتق و أمر بذبحها و محو أثرها و عمد إلى فراخ ذبح آباؤها و أمهاتها و استفرخ الأولاد و أرسلها إلى المشاهد لتطير إلى بغداد و فوض أمرها إلى قاضى القضاء ابن البخارى و يوسف العقاب مقدّم الفتیان ...» و ذكره ابن تغرى بردى في ثبت الوفيات الذى اعتاد تضمينه تاريخه نقلا عن الذهبى ، و ترجم له الذهبى في تاريخ الاسلام و قال في رجوعه إلى بغداد: «فأكرم مورده و زيد في احترامه».

و قال عز الدين ابن الأثير في وفيات سنة ٥٩٣ هـ: «و في جمادى الآخرة توفى قاضى القضاء أبو طالب على بن (على بن) البخارى ببغداد و دفن بترتبه في مشهد باب التبن»، و قال تاج الدين أبو طالب على بن أنجب المعروف بابن الساعى: «و لما عزل قاضى القضاء أبو طالب على بن على ابن البخارى عن قضاء القضاء في يوم الجمعة رابع شهر رمضان من سنة أربع و ثمانين و خمسمائة قلّد فخر الدين أبو الحسن (محمد بن جعفر العباسى) هذا قضاء القضاء في اليوم المذكور» ثم قال في ترجمه أبى زكريا يحيى بن عمر ابن بهليقا الطحان: «شهد عند قاضى القضاء أبى طالب على بن البخارى في ولايته الثانية يوم الخميس سابع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة» ثم قال في ترجمه ابنه أبى الفضل أحمد: «شهد أحمد هذا عند أبيه قاضى القضاء أبى طالب على في ولايته الثانية في يوم الأحد تاسع عشرى جمادى الأولى من سنة تسع و ثمانين و خمس مئة». ثم قال في ترجمه أبى العباس أحمد بن على الهاشمى المعروف بابن الغريق: «شهد عند قاضى القضاء أبى طالب على بن على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٤٧

ابن البخارى في ولايته الثانية يوم السبت سادس عشر شعبان من سنة تسعين و خمسمائة» و قال في ترجمه أبى المعالى أحمد بن أحمد الشهرابانى:

«شهد عند قاضى القضاء أبى طالب على بن على ابن البخارى في ولايته الثانية يوم الاثنين سادس عشرى شعبان من سنة أربع و ثمانين و خمسمائة» ثم ذكر في كتابه أنه كان أفضى القضاء سنة ٥٨٠ هـ . و ترجمه تاج الدين السبكي قال: «على بن على بن هبة الله بن محمد بن على ابن البخارى أبو طالب ابن ابى الحسن بن أبى البركات، من أولاد المحدثين.

ولد ببغداد و تفقه بها على أبى القاسم بن فضلان و سمع الحديث من أبى الوقت و غيره و خرج من بغداد إلى بلاد الروم ثم عاد إلى بغداد و ولاه الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين و خوطب بأفضى القضاء و لم يزل على ذلك إلى أن توفى قاضى القضاء أبو الحسن الدامغانى فقلد ابن البخارى قاضى القضاء و خلع عليه و قرىء عهده بالجوامع و ناب في الوزارة.

توفى سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة هذا كلام ابن النجار ...»

و ترجمه ابن العماد فى تاريخه فى وفيات سنة ٥٩٣ قال: «و فيها قاضى القضاة أبو طالب على بن على بن هبة الله بن محمد ابن البخارى البغدادى الشافعى سمع من أبى الوقت و ولى القضاة سنة اثنتين و ثمانين ثم عزل ثم أعيد سنة تسع و ثمانين». و قد أخذ ابن العماد هذه الترجمة من كتاب العبر فى خبر من عبر للذهبي «٤: ٢٨٢»
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٤٨

سنة «٥٩٤» هـ

٦٠- و قوام الدين أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن على بن على الواسطى ثم البغدادى المعروف بابن زبادة الحاجب الكاتب، ذكره ابن الفوطى نقلا- من معجم الأدباء قال: «إليه انتهت الكتابة فى زمانه و عليه يعتمد فى الإنشاء، و الحساب مع فنون كان قيما بها من الفقه و الأصول و الأدب قرأ على ابن الجوالقى و سمع الحديث من أبى الحسن على بن عبد السلام الكاتب، و كان حسن العبارة، تولى أعمالا جليلة منها النظر بديوان واسط و البصرة و الحلة و ولى حجة باب النبى و لم يزل على ذلك إلى أن توفى المستضىء بأمر الله فى سلخ شوال سنة خمس و سبعين و خمسمائة، و لما قتل مجد الدين هبة الله بن الصاحب أستاذ الدار رتب مكانه سنة ثلاث و ثمانين، و له رسائل مدونة و أشعار صحيحة و كانت وفاته فى ذى الحجة سنة أربع و تسعين و خمسمائة. و مولده فى صفر سنة اثنتين و عشرين و خمسمائة».

و قال ياقوت الحموى: «ابن زبادة الشيبانى الواسطى ثم البغدادى، كان كاتباً أديبا شاعرا، شاركا فى الفقه و الكلام و الرياضى، أخذ الأدب عن أبى منصور الجوالقى و غيره و ولى النظر بديوان البصرة ثم بواسط و الحلة ثم قلند النظر فى المظالم و رتب حاجبا بباب النبى».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٤٩

ثم قال: «و من شعره:

إنى لتعجبني الفتاة إذا رأت أن المروءة فى الهوى سلطان
لا كالتى وصلت و أكبر همها فى خدرها النقصان و الرجحان
و كذاك شمس الأفق برج علوها حمل و برج هبوطها الميزان
*** و قال:

إن كنت تسعى للسعادة فاستقم تنل المراد و تغد أول من سما
ألف الكتابة و هو بعض حروفها لما استقام على الجميع تقدما
*** و قال:

لا أقول الله يظلمنى كيف أشكو غير متهم؟
نفسى فيما أوتيت قنعت و تمطت فى العلى همى
و لبست الصبر سابعه فهى من فرقى إلى قدمى
*** و قال:

باضطراب الزمان ترتفع الأندال فيه حتى يعم البلاء
و كذا الماء ساكنا فاذا حرّك ثارت من قعره الأقداء
و ذكره زكى الدين المنذرى فى وفيات سنة «٥٩٤» قال: «و فى ليلة السابع و العشرين من ذى الحجة توفى الشيخ الأجل الفاضل أبو طالب يحيى بن أبى الفرج سعيد بن أبى القاسم هبة الله بن على المعروف بابن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٥٠

زيادة الواسطي الأصل البغدادي المولد الكاتب. ببغداد و دفن من الغد بمشهد الامام موسى بن جعفر -عليهما السلام- ثم قال: «و حدث بواسط و بغداد و كان أحد الفضلاء بالعراق و انتهى اليه التقدم في الكتابة و الانشاء مع ما ضم اليه من الفقه و الكلام و الأصول و الحساب و الشعر».

و جاء في المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الديبشي «يحيى بن سعيد بن هبة الله بن علي بن علي بن زبادة أبو طالب بن أبي الفرج الكاتب المنشئ الواسطي الأصل البغدادي انتهت إليه الرئاسة في الكتابة و الانشاء و كان فقيها أصوليا سمع أبا الحسن بن عبد السلام و أبا القاسم ابن الصباغ و خدم في عدة جهات. قرأت عليه أخيركم عبد الله بن محمد. فذكر حديثا و أنشدنا قال أنشدنا القاضي أبو بكر أحمد بن محمد الأرجاني سنة ثمان و ثلاثين و خمسمائة لنفسه :

و مقسومة العينين من دهش التوى و قد راعها باليعس رجع حذاء

تجيب بإحدى مقلتيها تحيتي و أخرى تراعى أعين الرقباء

رأت حولها الواشين طافوا فغيضت لهم دمعا و استعصمت بخباء

فلما بكت عيني غداة و داعهم و قد روعتني فرقة القرناء

بدت في محياها خيالات أدمعي فغاروا و ظنوا أن بكت لبكائي

ولد أبو طالب بن زبادة في سنة اثنتين و عشرين و خمسمائة. و توفي في ذي الحجة سنة أربع و تسعين (و خمسمائة). قلت: روى عنه ابن خليل».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٥١

و ذكره ابن خلكان في تاريخه و أورد مكان علي الثاني من أجداده «قزغلي»، و قال في لقبه «قيل عميد الدين» و قد ذكرنا في غير هذا المجموع أن الدولة العباسية في أواخر عهدها كانت تغير ألقاب موظفيها بتغيير وظائفهم. قال ابن خلكان: «كان من الأعيان الأمثال، و الصدور الأفاضل، انتهت إليه المعرفة بأمر الكتابة و الانشاء و الحساب مع مشاركته في الفقه و علم الكلام و الأصول و غير ذلك و له النظم الجيد و جالس أبا منصور بن الجواليقي و قرأ عليه و علي من بعده و سمع الحديث من جماعة و خدم الديوان من صباه إلى أن توفي عدة خدمات، و كان مليح العبارة في الانشاء، جيد الفكرة، حلو الترصيع، لطيف الإشارة، و كان الغالب عليه في رسائله العناية بالمعاني أكثر من طلب السجع و له رسائل بليغة و شعر رائق، و فضله أكبر من أن يذكر» إلى أن قال: «و قد نظر في المظالم ثم عزل عن ذلك في شهر ربيع الأول سنة سبع و سبعين (و خمسمائة) ثم أعيد إليه في جمادى الأولى سنة اثنتين و ثمانين فلما ضريح الامامين موسى بن جعفر و محمد الجواد (ع) يحيط بهما عدد من مدافن المشاهير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٥٢

قتل أستاذ الدار و هو مجد الدين أبو الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله بن محمد بن الحسن المعروف بابن الصاحب- و كان قتله يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة- ترتب ابن زبادة المذكور مكانه ثم عزل في سنة خمس و ثمانين و عاد إلى واسط فأقام بها إلى أن استدعى في شهر رمضان سنة اثنتين و تسعين و قد ديوان الانشاء في يوم الاثنين الثاني و العشرين من شهر رمضان ثم رد إليه النظر في ديوان المقاطعات فكان على ذلك إلى حين وفاته، و كان حسن السيرة محمود الطريقة، متدينا حدث بشيء يسير و كتب الناس عنه كثيرا من نظمه و نثره» و ذكر له شعرا نقلنا بعضه من معجم الأدباء، فمما لم نجده في المعجم قوله:

إنني لأعظم ما يلقونني جلدا إذا توسطت جوز الحادث النكد

كذلك الشمس لا تزداد قوتها إلا إذا حصلت في زبرة الأسد

و كتب الإمام المستنجد يهنئه بالعيد:

يا ماجدا جلّ قدرا أن نهنته لنا الهناء بظل منك ممدود
الدهر أنت و يوم العيد منك و مافى العرف أنا نهنى الدهر بالعيد «
ثم أورد له ابن خلكان:

لا تغبطنّ وزيراً للملوك و إن أناله الدهر منهم فوق همته
و اعلم بأنّ له يوماً تمور به الأرض الوقور كما مارت لهيبته
هارون و هو أخو موسى الشقيق له لو لا الوزارة لم يأخذ بلحيته «
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٥٣

ثم ذكر ابن خلكان روايه ابن زباده لأبيات القاضي الأرجاني، نقلا من أصل تاريخ ابن الديبشي و فيه أن الأرجاني أنشده إياها لما قدم بغداد سنة ٥٣٨ ثم قال: «و كتب إليه أبو الغنائم محمد بن علي المعروف بابن المعلم الهرثي الشاعر المقدم ذكره و قد عزل من نظر؟؟؟ واسط:

و لأنت إن لم يبلل الغيث الثرى تروى الورى بسماحك الهتان
لم يعزلوك عن البلاد لحالة تدعو إلى النقصان و الشنآن
بل مذ رأوا تيار جودك زاخرا حفظوا بلادهم من الطوفان

ثم قال ابن خلكان: قال ابن الديبشي المذكور: سألت أبا طالب ابن زباده عن مولده فقال: ولدت يوم الثلاثاء الخامس و العشرين من صفر سنة اثنتين و عشرين و خمسمائة. و توفى ليلة الجمعة السابع و العشرين من ذى الحجة سنة أربع و تسعين و خمسمائة و صلى عليه بجامع القصر و دفن بالجانب الغربى بمشهد الامام موسى بن جعفر- رضى الله عنهما- يعنى ببغداد». و ذكره الذهبى فى وفيات سنة ٥٩٤ من تاريخ الاسلام و ليس فى ذكره زيادة سوى بداعة التعبير فى قوله «و سارت برسائله المؤنقة الركبان».

و أرّخه قبله ابن الأثير فى وفيات سنة ٥٩٤ قال: كان عالما فاضلا له كتابة حسنة و كان رجلا عاقلا خيرا كثير النفع للناس و له شعر جيد «و كان قد قال فى حوادث سنة ٥٩٣: «و فيها ولى أبو طالب يحيى بن سعيد بن زباده ديوان الانشاء ببغداد و كان كاتباً مفلقا و له شعر جيد».

و ترجم له أبو شامة و المعروف أنه يعتمد على مرآة الزمان فى تراجم
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٥٤

العراقيين لهذه الحقبة، قال: «كانت وفاته فى ذى الحجة و دفن فى مقابر قريش» و لم يطبع أصل مرآة الزمان. و له ترجمة فى العسجد المسبوك لأبى الحسن الخزرجى و البداية و النهاية لابن كثير الدمشقى و النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى و قد ذكر أنه «جالس أبا منصور بن الجوالقى و درس عليه» قال: «و من شعره- و أحسن فيما قال- باضطراب الزمان ترتفع الأندال...» و ذكر البيتين المذكورين أنفا مع شعره و قال:

«قلت: و فى هذين البيتين شرح حال زماننا هذا- يعنى القرن التاسع بمصر- لكثرة من ترقى من الأوباش إلى الرتب السنية من كل طائفة ..»

و أوجز ترجمته ابن العماد الحنبلى و ورد اسمه استطرادا فى كتاب العميان للصفدى مصحفا إلى «ابن زيادة» بالياء، قال الصفدى فى ترجمة الخليفة الناصر لدين الله العباسى: «و لما صرف ابن زباده عن عمل كان يتولاه و لم يبين لابن زباده سبب عزله رفع إليه شعرا منه هذا البيت:

هب أن ذلك عن رضاك فمن ترى يدري مع الاعراض أنك راضى؟

فوقع له على رقعة (الاختيار صرفك و الاختبار صرفك، و ما عزلناك لخيانة و لا لجناية، و لكن للملك أسرار لا تطلع عليها العامة و لتعلمن نبأه بعد حين). و قال ابن الديلمي: «أنشدني أبو المفاخر بيان بن أحمد الواسطي قال أنشدنا الأجل أبو طالب بن زبادة الكاتب لنفسه:

كل ظلوم تزول دولته و ليس ما سنّ من أذى زائل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٥٥ كحيه خوف سمها قتلت و سمها بعد قتلها قاتل «

و ذكر ابن النجار في ترجمه أبي المكارم الفضل بن الحسن الحلبي نقلا من كتاب «أنموذج الأعيان لأبي الفتوح عبد السلام بن يوسف الدمشقي، قال «أنشدني أبو المكارم الحلبي أبياتا كتبها على ظهر مجلد استعاره من أبي طالب يحيى بن زبادة و كانا كلاهما متعطلين في شهر رمضان سنة خمس و ستين و خمسمائة:

هذا الكتاب لسيد الكتاب و المستقل بسائر الآداب

و المعتلى ذروات كل فضيلة غراء تخبر عن كريم نصاب

عزّ العلى لما تقمص بردهانوكى الرجال و ناقصو الأحساب

لا تياسنّ جمال دين محمّد من فرحة تأتي بغير حساب

و اصبر على البأساء صبر أخى حجي يسمو عن الأشكال و الأضراب

إن كان حجّيك الاسار لحكمة خفيت على الأبصار و الألباب

فالصول للعضب المهند كافل بمضائه فى مأزق و ضراب

و أورد له أبو شامة من الشعر:

قد سلوت الدنيا و لم يسلمها من عقلت فى آماله و الأراجى

و إذا ما صرفت وجهى عنها فذفونى فى بحرها العجاج

يستضيئون بى و أهلك وحدى فكأنى ذبالة فى سراج

و قال ضياء الدين ابن الأثير فيما عجب منه من الكتب: «و كذلك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٥٦

وجدت لابن زبادة البغدادى كتابا كتبه إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف المقدم ذكره فى سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة و ضمّنه فصولا تشتمل على أمور أنكرت عليه من ديوان الخلافة، فمن تلك الأمور التى أنكرت عليه أنه تلقب بالملك الناصر و ذلك لقب هو لأمر المؤمنين خاصة فانه الامام الناصر لدين الله. فلما وقفت على ذلك الكتاب وجدته كتابا حسنا قد أجاد فيه كل الاجادة و لم أجد فيه مغمزا إلا فى هذا الفصل الذى يتضمن حديث اللقب فانه لم يأت بكلام يناسب باقى الفصول المذكورة بل أتى فيه بكلام فيه غثائه كقوله: ما يستصلحه المولى فهو على عبده حرام. و شيئا من هذا النسق، و كان الأليق و الأحسن أن يحتج بحجة فيها روح و يذكر كلاما فيه ذلاقة و رشاقة، و حضر عندى فى بعض الأيام بعض إخوانى و جرى حديث ذلك، فسألنى عما كان ينبغى أن يكتب فى هذا الفصل فذكرت ما عندى و هو: قد علم أن للأنبياء و الخلفاء خصائص يختصون بها على حكم الانفراد، و ليس لأحد من الناس أن يشاركهم فيها مشاركة الأنداد، و قد أجرى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ذلك فى أشياء نصّ عليها بحكمة، و منها أنه نهى غيره أن يجمع بين كنيته و بين اسمه، و هذا مسوغ لأمر المؤمنين أن يختص بأمر يكون به مشهورا، و على غيره محظورا، و قد وسم نفسه بسمه نزلت عليه من السماء، و تميّزت به من بين المسميات و الأسماء، ثم استمرت عليها الأيام حتى خوطب بها من الحاضر و الباد، و رفعها الخطباء على المنابر فى أيام الجمع و مواسم الأعياد، و قد شاركته أنت غير مراقب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٥٧

لمزية التعظيم، ولا فارق بين فسحة التحليل و حرج التحريم، و الشرع و الأدب يحكمان عليك بأن تلقى ما فرط منك بالمناب، و لا تحوج فيه إلى التفرغ الذي هو أشد العتاب، و مثلك من عرف الحق فأمسكه بيده، و نسخ إغفال أمسه باستئناف التيقظ في غده، و الله قد رفع المؤاخذه عمن أتى الشيء خطأ لا عمدا، و قبل التوبة ممن أخذ على نفسه بالاخلاص عهدا، فانظر أيها المتأمل كيف جئت بالخبر النبوي و جعلته شاهدا على هذا الموضوع، و لا يمكن أن يحتج في مثل ذلك إلا بمثل هذا الاحتجاج، و ما أعلم كيف شد عن ابن زبادة أن يأتي به مع أنه كان كاتباً مفلقا ارتضى كتابته و لم أجد في متأخري العراقيين من يماثله في هذا الفن».

قلت: إن الكتاب الذي أشار إليه الضياء ابن الأثير، ذكر العماد الاصبهاني الكاتب قصته في كتابه الفتح القدسي و ذلك أن صلاح الدين لما فتح القدس سنة ٥٨٣ و أرسل بالبشارة إلى الخليفة الناصر لدين الله جنديا يعرف برشيد الدين البوشنجي فغضب الناصر عليه و اغتاز من هذا التهاون لأن تفاهة الرسول تدل على هوان المرسل اليه، فأمر أستاذ الدار قوام الدين يحيى بن زبادة أن يكتب إلى الملك صلاح الدين كتابا شديدا ذكروا بعضه و أشاروا إلى بعض آخر لشدته على صلاح الدين، قال العماد: «و وجد الأعداء حينئذ إلى السعاية طريقا، و طلبوا لشمل استسعاد بالخدمة تفريقا و اختلقوا أضاليل، و لفقوا أباطيل و قالوا:

هذا يزعم أنه يقبل الدولة و يغلب الصولة، و أنه ينعت بالملك الناصر، نعت الامام الناصر، و يدل بما له من القوة و العسكر فأشفق الديوان العزيز على السلطان من هذه، و برز الأمر المطاع بارسال أخي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٥٨

و نفاذه» ثم قال العماد في ذكر التذكرة التي بعث بها الناصر لدين الله إلى صلاح الدين: «و أحضر التذكرة. و قد جمعت المعرفة و النكرة. فقرأتها عليه بفصولها و خصوصها، و ألزمته حكماً عمومها و خصوصها، و وقفته على ظواهرها و نصوصها، و كانت في الكتب غلظة عدت من الكاتب غلظة و خيلت سقطه و جلبت سخطه، و قال- يعنى صلاح الدين- إن الامام أجل أن يأمر بهذه الألفاظ الفظاظ و الأسجاع الغلاظ. فقد أمكن إيداع هذه المعاني في أرق منها لفظاً و أرفق. و أوفى منها فضلا و أوفق. و معاذ الله (أن يحبط عملي و يهبط أملي) و امتعض و ارتمض، ثم أعرض عما عرض، و رجع إلى الاستعطف و انتجع بارق الاستسعا ف...»

قال أبو شامة: «وقفت على كتاب كتبه الصاحب قوام الدين ابن زبادة من الديوان العزيز ببغداد إلى صلاح الدين- و كان قوام الدين يومئذ أستاذ الدار العزيزة- يقول فيه: لو لا مكان صلاح الدين من الخدمة. و الشخ به، و المنافسة فيه لما جوهر بالعتاب، و لا رفع دونه الحجاب، بل كان يترك الأمر معه على اختلاله. و يدمل الجرح على اعتلاله، و قد ذكرت الأسباب التي أخذها الديوان العزيز عليه، و استغرب وقوعها من كماله، ليوعيها سمعه الكريم و يستورى فيها رأيه الأصيل، و ينصف في استماعها، و الاجابة عنها، غير عارج على الجدل، و لا- مؤتم بالمرء المذمومين عقلا و شرعا، بل يحمل قولى هذا على سبيل المماحضة و الانتصاح، و صدق النية في رأب التثاني و الاصلاح، فان اتخا الدواء المقر لا يتهم فيه الطبيب المجتلب للعافية، ثم ذكر من تلك الأمور: أن من انتفى من العراق بسبب من الأسباب لجأ إلى صلاح الدين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٥٩

فوجد عنده الاقبال عليه، و كان الأدب يوجب إبعاد من أبعد عنه و تقرب من قُرب إليه. ثم قال: و إن مما أضحكك بنغر الاستعبار ما انتهى عن العوام و أشباه الأنعام و طعام الشام من الخوض في المذاهب، و الانتهاء في التشيع إلى اختلاق كل كاذب، و منها ما جرى من سيف الاسلام بالحجاز من إزعاج الحجاج، و إرهاب تلك الفجاج و الاقدام على مناسك الله و شعائره، و إيقاد سعي الفتنة فيها و نوائره، و احتذاء السيرة القاسطة، و إحياء بدع القرامطة، ما نفر منه كل طبع. و مَجَّه كل سمع، فكيف جاز لصلاح الدين أن يرخى عنان أخيه، فيما يقرض سوابقه و أواخيه، و منها ما قضى الناس منه العجب، و فارق فيه الحزم و الأدب، و هو ما أوجب التلقب باللقب الذي استأثر به أمير المؤمنين» ثم قال: «و قد ساوق زمان الدولة العباسية- ثبتها الله- خوارج دُوخوا البلاد و أسرفوا في العناد، و جاسوا خلال الديار و أخافوا المسالك، و استضافوا الممالك، و اقتحموا من الشقاق أشق المهالك، فما انتهى أحدهم فيما احتقب و ارتكب، إلى

المشاركة في اللقب و من الحكم الذائعة في وجيز الكلام: الذي يصلح للمولى على العبد حرام. و منها مكاتبه كل طرف يتاخم أعمال الديوان من مواطن التركمان و الأكراد، و مراسلتهم و مهاداتهم و قرع أسماعهم بما يعود باستزال أقدامهم و فلّ عزائمهم و هم لا يعرفون إلا- أنهم رعية للعراق و خول للديوان، يرثون الطاعة خالفا عن سالف. ثم قال في آخر الكتاب: و هذا كله لا أقوله إنكارا لجلال مقامات صلاح الدين، و مشاهير مواقف جهاده في سبيل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٦٠

المؤمنين فانه- أدام الله علوه- رجل وقته، و نسيح وحده، و المرابي على من سلف من صنائع الدولة و على من يأتي من بعده، و هو الولي المخلص الذي عهد فوفى، و استكفى فكفى و طبّ فشفى، فكيف يجوز له بسعاده أن يهجن مساعيه الغرّ المجمله او يخرج من مكانته المكرمه المبجله، و يبطل حقوقه الثابته المسجله. ثم قال: فقد علم كل من نظر في التواريخ و الآثار، و نصحته بصيرته في التبصر و الاعتبار، أنّ هذا البيت العظيم ما زال يرفع ذوى الأقدار الخامله فيزرون عليه بطرا فيغار الله له منتصرا، و يعقبه عليهم إظفارا و ظفرا، كدأب آل طولون و آل سامان و آل بويه و آل سلجوق، و قرون بين ذلك كثيرة، فمن الذي زلزلوه فثبت، و من الذي حصدوه فثبت، و أى نار أوقدوها فخبث؟ ثم قال في آخره: اللهم قد بلغت و للرأى الصلاحى ما يزيد علوه إن شاء الله تعالى.»

و قال القلقشندى في ذكر ما كتب إلى من خلع الطاعة: «و من أحس الكتب المكتبة في هذا الباب ما كتب به قوام الدين يحيى بن زيادة وزير أمير المؤمنين الناصر لدين الله ببغداد إلى طغرل مقطع البصرة بأمر الخليفة له في ذلك و قد بلغه أنه نزع عنها قاصدا بعض الأطراف مفارقا لطاعة الخليفة عند ما طلب من ديوانه شىء من المال فأوجب ذلك اثنائه عن عزمه و توجهه إلى بغداد داخلا تحت الطاعة و مقابلته بالصفح و تلقيه بالقبول و هذه نسخته:

«أصدرت هذه الخدمة إلى الجناب الكريم الأميرى الاسفهلارى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٦١

الأجلّى الكبيرى السيدى العمادى الركنى الظهيرى المحترمى العزى الجمالى أمير الجيوش - أطل الله بقاءه و أدام علوه و نعمته- و أنا أدفع الأقوال المتواترة و الأحوال المتناصرة مستغربا لها، متعجبا منها كأنى أسمعها فى المنام و تخاطبني بها أضغاث أحلام، فلو لا أن الأيام صحائف العجائب، و لا يأنس بمتجدداتها إلا من حنكته التجارب، لم أصدق هذه الحركة المباركة (كذا) التى وقعت منه بسعاده، فانى ما أراها إلا- عثرة من جواد، و عورة على كماله، و إلا فمن يريد أن يدخل الزلل على ذلك الرأى السديد و العقل الراجح، و الفكر الصائب، الذى يعلم الآراء كيف تنير، و يعرف النجوم كيف تسير، و يهدى غيره فى المشكلات إلى صواب التدبير. و الفاتت لا كلام فيه غير أن العقل يقضى باستدراك الممكن و تلافيه، و بالانحراف عن الهوى إلى الرأى الصادق و الرجوع عن تأويل النفس إلى مراجعة الفكر الناضج فالعود إلى الحق أولى من التمدادى فى الباطل، و أحب أن تسمع ما أقول باذن و اعينه و قلب حاضر، و حوشى أن تستدفعه الكواذب عن تدبر الحقائق و عرفان النصائح فإن من القول ما برهانه لا يحتاج إلى شاهد من غيره. قبل كل شىء ما الذى أحوج إلى هذه الحال القبيحة السمعة و ركوب الخطر فى هذه الحركة و احتمال هذه المشاق و الانزعاج من غير أن تدعو إليه حاجة؟

هل هو إلا شىء جرت العادة بمثله و مطالبه ديوانه بما كان يندفع الأمر ببعضه كما جرت عادة الدواوين و خدام السلاطين؟ ثم إنه عمد- أدام الله نعمته- بأول خاطره و بادىء رأيه فى هذه الصلة من غير تثبت و لا روية. لم لم يراجع فكره الكريم و يقول لنفسه: إلى أين أمضى و لمن أخدم و على أى باب أقف و تحت أى لواء أسير و بأى غبار اكتحل و فضل من أطلب و على حكم من أنزل؟ بعد أن دببت فى عرصه الخلافة و دار النبوة و حصن المملكة؟ أنشأنى نعيمها صغيرا و قدمنى كبيرا و كنت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٦٢

مأمورا فجعلنى أميرا، و طار صيتى فى الدنيا و لم أكن شيئا مذكورا؟

فأنا خير من ملك أقصده، و أمثل من كل من أرجوه و استنجده، فأنزل من السماء إلى الحضيض، و أهدم ما بنى الانعام عندي في الزمن الطويل العريض؟ هذا هو المكروه الأعظم الذي تعوذ منه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حين قال: اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور. و من يكون حزين خلافته كيف يرضى أن يكون تابع إمارة؟

و لو لم يكن ما هجم عليه إلا- هذا لكفى. ثم لم لا- يلتفت في هذه الحال التي هو عليها التي صحبته بوفائها و يسمع خطابها بلسان حالها، ثم تقول له: يا عماد الدين أما هذه خيام الأنعام عليك، أما هذه الخيل المسومة تحتك؟ أما هذه ملابسه الفاخرة مفاضة عليك، أما هذه مماليكه حافة به؟ أليس الاصطناع رفع قدرك إلى المنزل التي ثقل عليك بعض الانحطاط عنها؟ و وهب لك الهمة التي آيت الضيم بها؟ ... » فهذان الكتابان يمثلان اسلوب ابن زبادة في الكتابة.

سنة ٥٩٥

٦١- و أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد بن علي بن المعمر العلوي الحسيني، قال ابن الديلمي بعد ذكر اسمه على النحو الذي ذكرته مع طي الكنى ما عدا كنيته: «هو أخو النقيب أبي الفضل محمد الذي قدمنا ذكره، و على هذا كان فيه فضل و يقول شعرا جيدا، كتب الناس عنه شيئا من شعره، و قد جالسته و سمع معنا من أبي الفرج عبد المنعم بن كليب و ما علقت عنه شيئا لأن ما سمعت منه جرى في مجلس السماع على سبيل المذاكرة. توفي يوم السبت تاسع عشر شعبان سنة خمس و تسعين و خمسمائة و دفن في اليوم المذكور عند أبيه بمشهد الامام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٦٣

موسى بن جعفر بالجانب الغربي».

و ذكره ابن الفوطي في تاريخه للألقاب بلقب «مجد الشرف» و ذكر أنه كان نقيباً قال: «مجد الشرف أبو الحسن علي ابن النقيب أبي طالب عبد الله بن أحمد بن علي بن المعمر الحسيني النقيب الطاهر، معرق في النقابة، ذكره الحافظ أبو عبد الله بن النجار و قال: كان أديبا فاضلا شاعرا كاتباً و جيهماً مقدماً متواضعا لطيف الأخلاق حسن الطريقة جميل السيرة، رأيت في مجلس شيخنا أبي الفرج بن كليب غير مرة يسمع منه الحديث و قد و خطه الشيب، روى عنه نجم الدين عبد السلام بن يوسف الدمشقي و كتب عنه شعره و توفي في شعبان سنة خمس و تسعين و خمسمائة».

و ذكره المنذرى في وفيات سنة ٥٩٥ و قال: «و دفن من يومه عند أبيه بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام - سمع من أبي الفرج عبد المنعم بن كليب و حدث بشيء من شعره و كان فاضلا و له شعر جيد».

سنة «٥٩٦» هـ

٦٢- و علوي بن عبد الله بن عبيد المعروف بالباز الأشهب الشاعر، ذكره ابن النجار قال: «من أهل الحلة السيفية، كان شاعرا محسنا من أرباب المعاني، متفننا في علم الأدب، مليح الايراد للشعر، قدم بغداد و مدح بها قاضي القضاة الشهرزوري و غيره و روى بها شيئا من شعره أنشدنا أبو الحسن القطيعي قال أنشدني علوي بن عبيد الحلبي لنفسه ببغداد:

سل البانة الغناء هل مطر الحمى و هل آن للورقاء أن تترنما؟

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٦٤ و هل عذبات الرند تبها الصبا لذكر الصبا قدما فقد كنّ نوما

و إن تكن الأيام قصت جناحها فقد طالما مدت بنانا و معصما

بكتها الغواصي رحمة فتنفت و أعطت رياض الحزن سرا مكتما

و شقت ثيابا كن ستراً لأمرها فلما رآها الأفحوان تبسما

خليلي هل من سامع ما أقوله فقد منع الجهال أن أتكلّم
عرفت المعاني قبل تعرف نفسها وما سرفت وجهها ولا فغرت فما
و أوردتها ماء البلاغة منطقفصارت بجيد الدهر عقدا منظما
و كانت تناجيني بألسن حالها فأدرك سرّ الوحي منها توهمًا
فما لليالي لا تقرّ بأنني خلقت لها منها بدورا و أنجما
و ربّ جهول قال لو كان صادقا لأمكنك الأيام أن يتقدّما
و لم يدر أنى لو أشاء حويتهاو لكن صرفت النفس عنها تكزّما
أبي الله أن ألقى بخيلا بمدحه و قد جعل الشكوى إلى المدح سلّما
إذا المرء لم يحكم على النفس قادر ايمت غير مأجور و يحيا مذمّما
فقد كنت لا أبغى سوى العز مطمعا و لا أرتضى ماء و لو بلغ الظما
و كنت متى مثلت للنفس حاجة أرى وجه إعراض و لو كن أينما
و أحسب أن الشيب غير حالتى و صير حلّ الغايات محرّما
رعى الله أياما عرفت بها الهوى عشية غازلت الغزال المنعّما
عشية بات الدهر طوع مطالبى و أيامه تجلو على التكرّما
فإن سلبت ما أكسبت من محاسن و أصبح دينارى من الحظ درهما
فقد ضمنت أبقار فكرى ردها إذا قابلت قاضى القضاء المعظما
فتى عطر الدنيا بأنفاس عدله و خط على وجه المحامد ميسما
بنى كآبيه بيت دين محمد علوا و لو لا رأيه لتهدّما
راه أمير المؤمنين مسدّ دافسدّ به ممّن بغى و تغرّما
أمولاي قال الدهر صمّ إن رأيته فصممت و أضحى الدهر و الناس صومًا
أخبرنى ابن القطيعى أنّ علوى بن عبيد الشاعر مات ببغداد فى يوم
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٦٥
الأحد لسبع خلون من ذى القعدة سنة ست و تسعين و خمسمائة و دفن بمقابر قريش.»

سنة «٥٩٧» هـ

إشارة

٦٣- و أبو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون أبو غالب الكاتب، ذكره ابن الديبى قال: «شيخ متصرف قد قرأ شيئا من الأدب و قال الشعر و سمع الحديث من القاضى أبى الفضل محمد بن عمر الأرموى و الشريف أبى المعمر المبارك بن عبد العزيز الأنصارى و أبى الفضل (الأرموى) و ابن ناصر و أبى بكر بن الزاغونى و حدّث بشيء من مسموعاته و رأيتة و لم أسمع منه. بلغنى أنّ مولده فى سابع عشرى محرم سنة ثلاث و عشرين و خمسمائة، و توفى فى يوم الجمعة تاسع عشرى جمادى الآخرة من سنة سبع و تسعين و خمسمائة و دفن بالمشهد بمقابر قريش - رحمه الله و إيانا و جميع المسلمين -».

و ذكره المنذرى فى وفيات السنة المذكورة قال: «و فى ليلة التاسع من جمادى الآخرة توفى الشيخ الأديب أبو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون الكاتب ببغداد و دفن من الغد بمقابر قريش، و مولده فى المحرم سنة ثلاث و عشرين و خمسمائة و

سمع من أبوي الفضل الأرموي وابن ناصر وأبي بكر محمد بن عبيد الله ابن الزاغوني والشريف أبي المعمر المبارك بن عبد العزيز الأنصاري وغيرهم وحدث وقرأ الأدب و قال الشعر و كان عارفاً بشعر العرب». و ذكره الذهبي في وفيات السنة المذكورة و قال: «و له شعر جيد و كان مكثراً من أشعار العرب».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٦٦

و ذكر الأستاذ المستشرق الكبير كارل بروكلمان الألمانى محمد بن المبارك هذا فى كلامه على مصادر معرفة الشعر الجاهلي، و عدّه مصنفاً لأشعار العرب مجهولاً- قال: «و جمع مصنف مجهول فيما عدا ذلك يسمى محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون مجموعة تحتوى على ألف قصيدة و ذلك فى بغداد سنة ٥٨٨-٥٨٩-١١٩٢-١١٩٣ و جعل عنوان هذه المجموعة «منتهى الطلب من أشعار العرب (انظر اقليد الخزانة ١٢٠) و قد بقيت ثلاثة من الأقسام العشرة لهذه المجموعة فى خزانه لاللى باستانبول ١٩٤١ و فى القاهرة ثانياً ٣: ٣٨٩-٩١ و انظر ايضا ٣: ٤٩٤ و راجع محمد حسين فى ج ر اس سنة ١٩٣٧ ص ٤٣٣-٤٥٢».

و التحقيق أنه ليس بمجهول و قد ذكر المنذرى أنه كان عارفاً بشعر العرب و قال الذهبي إنه كان مكثراً من أشعار العرب، و قد شرع الأستاذ المرجو له رحمه الله عز الدين علم الدين عضو المجمع العلمى العربى بدمشق فى إعداد بعض هذه المجموعة الشعرية النادرة للطبع و النشر إلا أن الموت عاجله و قطع عليه عمله

أبو الفتح ظهير الدين

٦٤- و أبو الفتح صدقة ابن أبي الرضا محمد بن أحمد بن صدقة الملقب بظهير الدين، ذكره ابن الساعى بهذه التسمية و هذا اللقب و قال:

«من بيت أهل تقدم و وزارة و ولاية، تولى نيابة الوزارة فى الأيام الناصرية بعد وفاة أبي المظفر (محمد بن هبة الله) ابن البخارى و ذلك فى خامس عشر المحرم من سنة ثمانين و خمسمائة و جلس بالديوان العزيز منفذاً للمراسم الشريفة الناصرية مجرياً للأمر على عواندها، فكان على ذلك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٦٧

إلى أن عزل فى يوم الثلاثاء ثالث عشر من شهر ربيع الآخر من السنة، و كان قبل نيابة الوزارة يتولى حجابة باب النبوي الشريف ثم رتب مشرفاً بالديوان العزيز فى جمادى الآخرة من سنة سبع و تسعين و خمسمائة، فمرض عقيب ذلك و توفى فى ليلة الجمعة حادى عشرى رجب من سنة سبع و تسعين (و خمسمائة) المذكورة و دفن بمقابر قريش بباب التبن - رحمه الله و إيانا».

و ترجم له قبله ابن الديبى إلا أنه لم يصرح بدفنه فى المشهد المذكور، قال فى ترجمته: «تقدم ذكرنا لأبيه و صدقة هذا من بيت أهل تقدم و وزارة و ولاية لأمر الديوان العزيز- مجده الله- تولى نيابة الوزارة فى أيام سيدنا و مولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الأنام الناصر لدين الله- خلد الله ملكه- بعد وفاة المتولى ذلك أبى المظفر ابن البخارى فى خامس عشر المحرم سنة ثمانين و خمسمائة و حضر الديوان العزيز مجرياً للأمر على قواعدها و لم يزل على ذلك إلى أن عزل فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى ربيع الآخر من السنة المذكورة ... و بعد عزله كان ملازماً لمنزله إلى أن ولى الاشراف بالديوان العزيز فى جمادى الآخرة سنة سبع و تسعين من هذه السنة».

سنة «٥٩٨» هـ

إشارة

٦٥- و أبو الحسن على بن محمد بن الحسين بن ابراهيم بن يعيش، ذكره ابن الديبى قال بعد ذكر اسمه: «سبط قاضى القضاة أبى

الحسن علي بن محمد الدماغاني (الحنفي). وقد تقدم ذكرنا لأبيه وجده وأخيه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٦٨

عبد الرحمن، علي هذا من أبي القاسم هبة الله بن محمد بن الحسين و أبي القاسم زاهر بن طاهر الشحامى، و أبي القاسم هبة الله بن أحمد الحريرى و القاضى أبى بكر محمد بن عبد الباقي الأنصارى و أبى البركات عبد الوهاب ابن المبارك الأنماطى و روى عنهم علي كره منه. سمع منه قبلنا القاضى عمر القرشى وغيره، و كتبت عنه. قرأت علي أبى الحسن علي بن محمد ابن علي بن يعيش، قلت: أخبركم أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد الكاتب قراءة عليه و أنت تسمع. فأقر به- و أسنده إلى أسامة ابن زيد- عن النبى- ص- أنه قال: لا يتوارث أهل ملتين و لا يرث مسلم كافرا و لا كافر مسلما. و قرأ: و الذين كفروا. سألت أبا الحسن ابن يعيش عن مولده فقال: ولدت يوم الاثنين وقت إسفار الصبح مستهل شعبان سنة تسع عشرة و خمسمائة. و توفى عشية السبت حادى عشر صفر سنة ثمان و تسعين و خمسمائة و دفن يوم الأحد ثانى عشرة بالجانب الغربى بمشهد الامام موسى بن جعفر- عليهما السلام- . و ذكره ابن النجار و قال فيما قال: «كتبت عنه و ذكر لى أنه من ولد أبى ذر الغفارى، فان نسبه كان مكتوبا عنده خرقة بعض أهله، و كان شيخا حسن الأخلاق متواضعا له أصول صحيحة، و سماعات بخط الحافظ، و كان كاتبا بباب طراد من دار الخلافة ثم عزل عن ذلك و كان يلعب بالحمام، و كان يسكن بالمأمونية مقابل الرباط. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن يعيش- ثم أسنده إلى أنس- قال: مرّ علينا النبى- ص- و نحن صبيان نلعب فقال: السلام عليكم يا صبيان أخبرنا أبو الحسن (ابن يعيش) الكاتب- و أسند إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه- أن النبى- ص- نهى عن بيع الولاء و عن هبته» و ذكر ابن النجار بعد ذلك رواية بيتين عنه و تاريخ ولادته فقال: «و توفى ليلة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٦٩

الأحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثمان و تسعين و خمسمائة و دفن من الغد بمقابر قريش.»

و ذكره زكى الدين المنذرى فى وفيات السنة المذكورة و قال فيما قال: «الأنبارى الأصل البغدادى الدار و دفن من الغد بمشهد الامام موسى بن جعفر- عليهما السلام-... و أبوه محمد أحد العدول ببغداد سمع من غير واحد وجده علي بن محمد أحد العدول ببغداد أيضا.»

و ترجم له ابن الساعى فى مختصره و روى بسنده عنه حديث عدم التوارث المذكور آنفا و قال: «و دفن فى مشهد موسى بن جعفر- عليهما السلام-» و ترجمته ضحلة، و قال الذهبى فى وفيات السنة المذكورة: «روى عنه ابن الديبشى و ابن خليل و الضياء و ابن عبد الدائم و آخرون و بالاجازة ابن أبى الخير و الفخر على» و له ترجمة فى كتب أخرى لا طائل فيها.

أبو البركات

٦٦- و أبو البركات محمد ابن القاضى أبى الحسن هبة الله بن محمد ابن الحسن المعروف بابن أبى الحديد المدائنى، ذكره ابن الديبشى قال:

«أبو البركات ابن شيخنا القاضى أبى الحسن ابن أبى المعالى يعرف بابن أبى الحديد من أهل المدائن، كان أبوه أبو الحسن يتولّى القضاء بها و سيأتى ذكره إن شاء الله فيمن اسمه هبة الله. و أبو البركات هذا كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٧٠

كاتباً ذكياً فهيماً تولّى عدة أشغال تتعلق بخدمة المخزن المعمور، و كان معنا بالمدرسة النظامية أيام نظرنا فى أوقافها. علقته عنه أناشيد و استشهادات كانت تقع بيننا حال المذاكرة منها ما أنشدنى بقرية من قرى دجيل لبعض المغاربة من حفظه:

و مهفهف صبغ الحياء بخده دمه فطلّ دمي بذاك طليقا

هذا يروق و ذا يراق و إنما هذا يروق صفاؤه ليريقا

توفى أبو البركات ابن أبي الحديد ليلة الثلاثاء حادى عشرى من صفر سنه ثمان و تسعين و خمسمائة، و صلينا عليه يوم الثلاثاء و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام - بالجانب الغربى .»

و ذكره المنذرى فى وفيات السنه المذكوره و وصفه بصفه «الشيخ» و لم يكن شيخا بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمه، و قال «و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام - حدث بأناشيد و كان ذكيا فهما كاتباً و والده أبو الحسين هبة الله كان قاضى المدائن و خطيبها و يأتى ذكره إن شاء الله تعالى .»

و ترجم له ابن الساعى فى السنه المقدم ذكرها و قال بعد ذكر اسمه:

«كاتب و قوف المدرسه النظاميه، كان فاضلا أديبا موصوفا بالذكاء، و كان عنده فضل غزير و كتابه ضبط تام و يقول الشعر. توفى شابا عن أربع و ثلاثين سنه فى حادى عشرى صفر من سنه ثمان و تسعين المذكوره» و علفت أنا على قول ابن الساعى حين نشرته: «هو أخو أبى حامد عز الدين عبد الحميد شارح نهج البلاغه و أخو القاضى موفق الدين أبى المعالى القاسم فهم من بيت مشهور بالعلم و الفضل .»

موسوعه العتبات المقدسه، ج ١٠-١، ص: ١٧١

ابن المبارك الكرخى

٦٧- و أبو منصور محمد بن محمد بن المبارك الكرخى المنشد، ذكره ابن الساعى فى وفيات سنه ٥٩٨ قال بعد ذكر اسمه على نحو ما نقلناه من كلامه: «شيخ، حافظ للقرآن المجيد، قرأه بالقراءات و كان حسن القراءة جيد الأداء طيب الصوت، شجيّه، و كان يتشيع و ينشد فى المواسم بالمشاهد المقدسه و يعظ فى الأعزیه، توفى فى حادى عشر المحرم من سنه ثمان و تسعين المذكوره و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام - .» و قال المنذرى فى وفيات السنه المذكوره بعد ذكر اسمه و تاريخ وفاته و وصفه بالمؤدب المغربى: «و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام - قرأ القرآن الكريم بشىء من القراءات ببغداد على أبى محمد الحسن بن على بن عبيده و بواسط على أبى بكر عبد الله بن منصور ابن الباقلى و غيرهما و سمع من أبى الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد و غيره .»

و ترجم له ابن الديبى ترجمه أحسن مما نقلناه آنفا قال: «محمد بن محمد بن المبارك الكرخى أبو منصور المقرئ المؤدب، كان يسكن الجانب الشرقى و له مكتب يعلم فيه الصبيان الخط، و كان حافظا للقرآن المجيد، حسن القراءة له، قرأ بشىء من القراءات على أبى محمد الحسن بن على ابن عبيده و بواسط على شيخنا أبى بكر بن عبد الله بن منصور ابن الباقلى و غيرهما، و كان ينشد الأشعار فى مدح أهل البيت عليهم السلام فى المشاهد و أوقات الزيارات. سمع شيئا من الحديث من أبى الفتح محمد ابن عبد الباقي بن سلمان و غيره، و لم يعن بالروايه و لا حدث بشىء .»

موسوعه العتبات المقدسه، ج ١٠-١، ص: ١٧٢

توفى يوم الخميس لاحدى عشره ليلة خلت من المحرم سنه ثمان و تسعين و خمسمائة و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر - ع - رحمه الله و إيانا .»

ابن ضاعن الزبيرى

٦٨- و أبو أحمد عبد الصمد بن ضاعن بن محمد بن محمود الزبيرى، ذكره ابن الديبى فى تاريخ رجال بغداد الذى اعتدنا النقل منه قال:

«عبد الصمد بن ظاعن بن محمد بن محمود الزبيرى أبو أحمد ابن شيخنا أبى محمد- وقد تقدم ذكره. سمع أبا الوقت السجزي و أبا الفتح المعروف بابن البطي و أبا محمد بن المادح و أبا زرعة المقدسى و غيرهم و ما أظنه حدث بشيء. و الله أعلم. توفى يوم الأحد حادى عشرى محرم سنة ثمان و تسعين و خمسمائة و دفن بالجانب الغربى بمشهد الامام موسى بن جعفر- عليهما السلام- رحمه الله و إيانا».

و ترجم له المندرى فى وفيات هذه السنة قال: «و فى الحادى و العشرين من المحرم توفى الشيخ أبو أحمد عبد الصمد بن أبى محمد ظاعن ابن أبى بكر محمد بن محمود بن الفرج القرشى الزبيرى البغدادى ببغداد و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر- عليهما السلام- سمع من أبى الوقت عبد الأول بن عيسى و أبى الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد و أبى محمد محمد بن أحمد بن المادح و أبى زرعة طاهر بن محمد المقدسى و غيرهم و قد تقدم ذكر أبيه». و ذكره الذهبى فى وفيات سنة ٥٩٨ بإيجاز قال:

«من أولاد الشيوخ روى» و ذكر شيوخا له.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٧٣

سنة «٥٩٩» هـ

إشارة

٦٩- و أبو الفضل أحمد بن على بن على بن هبة الله بن محمد بن على البخارى أفضى القضاء، ذكره ابن الديبى بهذه التسمية التى ذكرناها نقلا- من تاريخه و قال: «ابن قاضى القضاء أبى طالب بن أبى الحسن بن أبى البركات، من بيت قديم فى العدالة و القضاء معروف بالفقه و العلم و التقدم، و سيأتى ذكر أبيه و جده و أخيه عبد اللطيف، إن شاء الله فى مواضعهم من هذا الكتاب. شهد أحمد هذا عند أبيه فى ولايته الثانية يوم الأحد تاسع عشر جمادى الأولى سنة تسع و ثمانين و خمسمائة و زكاه العدلان أبو البقاء على بن كردى و أبو الحسن على بن المبارك بن جابر و استتابه والده فى القضاء و الحكم بحريم دار الخلافة المعظمة- شيدها الله بالعز- و ما يليها، و أذن له بسماع البينة و الاسجال عنه بالتاريخ، و تقدم إلى الشهود بالشهادة عنده و عليه فيما يسجله، فلم يزل على ذلك إلى أن توفى والده سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة، و انزل بوفاته إلى أن تولى أفضى القضاء بمدينه السلام و غيرها شرقا و غربا يوم الأربعاء ثامن عشر رجب سنة أربع و تسعين و خمسمائة و خلع عليه خلعة سوداء و سلم إليه عهد بذلك بمحضر من العدول و الفقهاء و الأعيان، و لاه ذلك شرف الدين أبو القاسم نصر بن على بن الناقد صاحب المخزن المعمور المتولى لأمر الديوان العزيز- مجده الله- بداره فركب و معه الشهود و الوكلاء و أتباع مجلس الحكم إلى داره بباب العامة المحروس و جلس و حكم و سمع البيتين و أسجل لم يزل على ذلك يحكم و يسجل عن الخدمة الشريفة الامامية الناصرية- أعز الله أنصارها و ضاعف اقتدارها- إلى أن ولى قاضى القضاء أبو الفضائل (القاسم بن) يحيى ابن الشهرزورى فى ثامن عشرى رمضان سنة خمس و تسعين و خمسمائة فتقدم إليه بالاسجال عنه فأجاب إلى ذلك ثم عزله فى ذى الحجة من السنة المذكورة فلزم منزله إلى أن توفى فى يوم الأربعاء رابع ذى الحجة سنة تسع و خمسمائة و صلى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٧٤

عليه بالمدرسة النظامية و دفن عند أبيه بمشهد الامام موسى بن جعفر- عليهما السلام -».

و ترجم له ابن الساعى بمثل ترجمة ابن الديبى و زاد عليه أنه «كان شابا جميلا» و أن الخلعة كان فيها «طرحه كحليته» و أنه دفن عند أبيه بتربة لهم بمشهد موسى بن جعفر- عليهما السلام -» و الغريب فى ترجمة ابن الساعى أنه مع موافقته لابن الديبى فى أن أبا الفضائل الشهرزورى أنابه فى الأسجال عنه سنة «٥٩٥» و عزله فى ذى الحجة من تلك السنة قال فى حوادث سنة ٥٩٩: «و فى ذى الحجة قلمد أحمد بن على ابن البخارى أفضى القضاء و خلع عليه و تقدم إلى الشهود بالحضور فى مجلسه و الشهادة عنده عليه و له

فيما يسجله عن الخدمة الشريفة الناصرية».

و يؤيد بطلان هذا الجزء قوله في حوادث سنة ٥٩٥: «و في ذى الحجة عزل أفضى القضاة أبو الفضل أحمد بن علي بن علي ابن البخارى عما كان إليه من الحكم و القضاء».

و ترجم له المنذرى بايجاز في وفيات سنة ٥٩٩ و وصفه بالقاضى الأجل أفضى القضاة و أكد دفته بمشهد الامام موسى بن جعفر عند أبيه ، و ذكره أبو شامة في تاريخه و أوجز سيرته أيضا و هو في العادة ينقل من مرآة الزمان و الجزء المطبوع من مرآة الزمان هو مختصرة، و في ترجمه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٧٥

أبي شامة قوله «و كان نرها عفيفا» و هذه صفة جميلة جليئة في تاريخ القضاة، و ذكره الذهبي في وفيات سنة ٥٩٩ و جاءت ترجمته عنده مختلطة الأخبار، فقد قال: «ناب عن والده في القضاء بالحريم و ولى بعد ذلك قضاء العراق سنة أربع و تسعين و عزل بعد سنة بأبى الفضائل القاسم بن يحيى الشهرزورى، توفى في ذى الحجة و لا أعلم له».

و بالمقابلة بين كلام الذهبى و كلام ابن الديبى يظهر بينهما فرق واضح و هو أنه ناب أشهرا عن ابن الشهرزورى، ثم عزله فقضاؤه كان وكالة لا- أصالة. و هم محى الدين القرشى فترجمه مع القضاة و الفقهاء و العلماء الحنفيين و أحسب السبب فى وهمه كونه منسوباً «ابن البخارى» لأن أكثر البخاريين و عامتهم كانوا على مذهب الامام أبى حنيفة- رضى- مع أن هذا النسب بخورى فجعله البغادة «بخاريا» كما تقدم.

و أبو الفرج المبارك بن أحمد بن إسماعيل البزاز البغدادي، ذكره المنذرى في وفيات سنة ٥٩٩ قال: «و فى ليلة الثانى عشر من شوال توفى الشيخ أبو الفرج المبارك بن أحمد بن اسماعيل البزاز البغدادي بها و دفن من الغد بجانب الغربى بالمشهد- على ساكنه أفضل السلام- يقال انه سمع من أبى محمد يحيى بن على ابن الطراح و حدث».

قال أبو شامة فى وفيات سنة ٥٩٩: «و فيها توفى القاضى أبو الفضل أحمد ابن قاضى القضاة أبى طالب على بن هبة الله بن محمد ابن البخارى استتابه أبوه فى القضاء بحريم دار الخلافة فلم يزل على ذلك حتى توفى والده فانعزل ثم ولى سنة أربع و تسعين فأقام حتى ولى ضياء الدين ابن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٧٦

الشهرزورى فى رمضان المبارك سنة خمس و تسعين و خمسمائة فأقره على حاله، ثم عزله فى ذى الحجة الحرام من السنة المذكورة، فلزم بيته إلى أن توفى فى ذى الحجة من هذه السنة و صلى عليه بالنظامية و دفن عند أبيه بمشهد موسى بن جعفر و كان نرها عفيفا».

أبو البدر بن حيدر

٧٠- و أبو البدر بن حيدر، ذكره ابن الساعى قال فى وفيات سنة ٥٩٩: «شاب عنده فضل و تميز و كتابة، كان يتولى ديوان التركات الحشرية، توفى فى عاشر رمضان من سنة تسع و تسعين المذكورة من مرض أيام قلائل و صلى عليه بالمدرسة النظامية و دفن بمشهد موسى بن جعفر- عليهما السلام- بلغنى أنه كان يقول دائما: قد عينت على فلان و فلان. و يعد مشايخ أرباب الأموال الذين لا وارث لهم سوى بيت المال، فمات هو شابا و بقى أولئك بعده».

سنة «٦٠٠» هـ

إشارة

٧١- و أبو القاسم أحمد بن على بن أحمد بن حراز المقرئ الخياط ترجم له ابن الديبى فى تاريخه لبغداد قال بعد ذكر هذه التسمية:

«من أهل الكرخ، كان يسكن بدرب رياح، سمع القاضي أبو بكر محمد ابن عبد الباقي الأنصاري و أبو منصور محمد بن عبد الرحمن بن محمد محمد القزاز و أبو عبد الله محمد بن محمد بن السلّال و أبو الفتح عبد الملك ابن أبي القاسم الكروخي و غيرهم. سمعنا منه، قرأت على أبي القاسم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٧٧

أحمد بن علي بن حراز بالكرخ قلت له: أخبركم القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي (بن) أبي طاهر البزاز قراءة عليه و أنت تسمع فأقرّ به- و أسنده إلى عائشة رضي الله عنها- أن رسول الله- ص- قال:

ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر. سألت أبا القاسم بن حراز عن مولده فقال: في سنة أربع و عشرين و خمسمائة. و توفي يوم الاثنين خامس ذي القعدة سنة ستمائة و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر عليهما السلام-».

و ترجم له المنذرى في وفيات سنة «٦٠٠» و أكد أنه دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر-ع- و قال في ضبط اسم جده و نعمت العادة ما فعل: «و حدث و لنا فيه إجازة. و حراز بضم الحاء المهملة و تشديد الراء المهملة و فتحها و بعد الألف زاي». و جاءت ترجمته مختصرة في مختصر تاريخ ابن الديبثي اختصار شمس الدين الذهبي و فيها زيادة هي قول الذهبي: «روى عنه النجيب عبد اللطيف و ابن النجار» و ذكره بإيجاز أيضا في تاريخ الاسلام.

ابن حبشى

٧٢- و الرضى بن حبشى، ذكره ابن الساعى في وفيات سنة «٦٠٠» قال: «الرضى بن حبشى، كاتب المخزن المعمور، كان كاتباً ضابطاً متواضعا حسن الكتابة، كانت وفاته في يوم الأربعاء ثالث عشرى جمادى الأولى من سنة ستمائة و صلى عليه بالنظامية و دفن في مشهد موسى بن جعفر-ع-».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٧٨

أبو اسحاق التبريزى

٧٣- و أبو اسحاق خليل بن محمود بن خليل التبريزى، ترجم له ابن الساعى في وفيات سنة «٦٠٠» قال: «أحد أمناء الحكم بمدينة السلام.

شيخ خير ولد ببغداد، ولاه قاضى القضاء أبو الحسن ابن الدامغانى أمينا على أموال الأيتام و لم يزل على ذلك إلى أن توفي في ليلة الجمعة خامس عشرى ذى الحجة من سنة ستمائة و دفن بمقبرة مشهد موسى بن جعفر-عليهما السلام-».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٧٩

القرن السابع الهجرى

سنة «٦٠١» هـ

إشارة

٧٤- و أبو عبد الله أحمد بن علي بن ثابت أبو عبد الله الكاتب يعرف بابن الدنبان و ينسب «الدنبانى» ترجم له ابن الديبثي في تاريخ بغداد قال: «أحمد بن علي بن ثابت أبو عبد الله الكاتب يعرف بابن الدنبان، من أهل باب الأزج المتصرفين بالسواد. وجد سماعه في

شئ يسير من القاضي أبي الفضل محمد بن عمر الأرموي. سمع منه آحاد الطلبة و لم يكن من أهل هذا الشأن و لا عرف به. توفي في بعض قرى السواد و حمل إلى بغداد و دفن بالمشهد بمقابر قريش يوم الجمعة العشرين من شوال سنة إحدى و ستمئة». و ذكره المنذري في وفيات هذه السنة و قال: «و في العشرين من شوال توفي الشيخ أبو عبد الله أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الأزجي الكاتب المعروف بابن الدنبان ببعض قرى السواد و حمل إلى بغداد فدفن بالمشهد: مقابر قويش» و ذكر سماعه و حديثه. و قال: «و الدنبان بضمّ الدال المهملة و سكون النون و باء موحدة مفتوحة و بعد الألف نون». و قال الذهبي في كتابه المشتبه:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٨٠

«و بدال يابسة مضمومة و نون موحدة أحمد بن علي بن ثابت الأزجي الدنباري . روى عن الأرموي. مات سنة ٦٠١» .

و ترجم له في تاريخ الاسلام في وفيات سنة «٦٠١» قال:

«أحمد ابن علي بن ثابت البغدادي الأزجي الكاتب أبو عبد الله الدنباري حدّث» ...

ابن عبدوس

٧٥- و أبو علي الحسن بن محمد بن عبدوس الشاعر، ذكره ابن الساعي في وفيات سنة «٦٠١» قال بعد التسمية: «شاعر من أهل واسط. قدم بغداد و استوطنها و كان أدبيا فاضلا ذا معرفة للنحو و اللغة و العربية و له شعر حسن و كان يورد المدائح في الهنات و هو أحد شعراء الديوان العزيز. أنشدت قطعا من شعره فمن ذلك قوله:

مراتع القلب بين الحضر و الحضرو نزهة العين بين الفتح و الحور
كم لي أكتّم وجدا قد عرفت به نعم عشقت و ما في العشق من خطر
من شاء فليدرع عذرا يعوذ به من الوشاء فاني غير معتذر

قل ما تشاء فاني غير سامعه لقد شككت مع البرهان في الخبر
فالعذل كالرقم فوق الماء صورته موهومة النفع بل محسوسة الضرر
فلو رأيت بعين من كلفت به عرفت يا عمرو ما أنكرت من عمر
مهفهفا من بني الأتراك لو طلعت بوجهه الشمس لم تحتج إلى القمر
أرق من دمعي الجارى لفرقته يكاد يجرح بالألحاظ و النظر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٨١ لو جمشته الأمانى راقدا لبدافى وجهه أثر من ذلك الأثر

و دعت فتداعى من مكّله ظل على الورد عن سحب من الخضر

و مدّ كفا شمنا من مقبلها نشر الرياض صباح الغيم و المطر

فقلت ما قال قيس يوم فرقته لبني فخاف بموسى صخرة الخضر (كذا)

ثم اعتنقنا فلو لا الدمع لالتهبت نار الصبابة بين الماء و الحجر

و كدت أثلّمه لو لا مراقبتى واشى الزفير و خوفى لفحة الوغر

فسرت تحملنى الآمال طائرة إلى الخليفة أهدى الشعر للسور

كانت وفاة ابن عبدوس الشاعر هذا في يوم الجمعة خامس صفر من سنة إحدى و ستمائة المذكورة و صلّى عليه بالمدرسة النظامية و دفن في مشهد موسى بن جعفر - عليهما السلام -.

و قال عز الدين ابن الأثير في حوادث سنة (٦٠١) ه: «و فيها في صفر توفي أبو علي الحسن بن محمد بن عبدوس الشاعر الواسطي و هو من الشعراء المجيدين و اجتمعت به بالموصل، وردها مادحا لصاحبها نور الدين أرسلان شاه و غيره من المقدمين و كان نعم الرجل،

حسن الصحبة و العشرة».

و ترجم له ابن الديبشي قال: «الحسن بن محمد بن عبدوس أبو علي شاب من أهل واسط. قدم بغداد و استوطنها إلى حين وفاته و كان فيه فضل و له معرفة بالنحو و اللغة العربية و قال الشعر الحسن و له مدائح كثيرة في المواقف المقدسة الأمامية الناصرية- خلد الله ملكها- سمعنا منه كثيرا من شعره حالة إيراده في المواسم و الهنئات. توفي ببغداد في ليلة الجمعة خامس صفر من سنة إحدى و ستمائة و صلى عليه يوم الجمعة بالمدرسة النظامية و دفن بالجانب الغربي بالمشهد بمقابر قريش- علي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٨٢

ساكنه السلام-». و ذكره ابن الفوطي في الملقين بقطب الدين و وهم في وفاته فعدها سنة «٦٠٠» و أعاد ذكره في الملقين بمظفر الدين و نسي أنه ذكره أول مرة مع أن مرجعه التاريخي واحد.

قال في الجزء الرابع: «قطب الدين الحسن بن محمد بن عبدوس الواسطي، ذكره محمد بن سعيد- يعني ابن الديبشي- و قال: استوطن بغداد و كان فيه أدب و له شعر و توفي في صفر سنة ستمائة» ثم قال في الجزء الخامس: «مظفر الدين أبو علي الحسن بن محمد بن عبدوس الواسطي المقرئ الأديب، ذكره ابن الديبشي في كتابه» إلى أن قال:

ناقلا: «و توفي ليلة الجمعة خامس صفر من سنة إحدى و ستمائة و دفن بمقابر قريش».

و ذكره القفطي في الانباه إلا أن النسخة المنشورة بمصر ساقطة منها ترجمته و ترجمه آخرين غيره قال السيوطي في تاريخ النحاة: «الحسن ابن محمد بن عبدوس- بضم العين- أبو علي الواسطي. قال القفطي:

سكن بغداد و قرأ الأدب على مصدق بن شبيب (الواسطي) و كتب الصحاح بخطه و مدح الناصر لدين الله بقصائد و صار من شعراء الديوان المختصين بالانشاد في التهاني و التعازي و كان فاضلا قيما بالأدب حسن المعاني مليح الايراد، ساكنا جميل الهيئة طيب الأخلاق، متوددا ظريفا. مات ليلة الجمعة خامس صفر سنة إحدى و ستمائة و جاوز الأربعين بقليل».

و ذكر ابن سعيد المغربي في كتابه «الغصون اليانعة في محاسن شعراء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٨٣

المئة السابعة- ص ١٢- شاعرا اسمه «العبدوسي محمد بن عبدوس الواسطي ذكره مع من توفي سنة «٦٠١» و أحسبه ما أراد إلا إياه و إنما سقط اسمه و بقي اسم أبيه فنسب إليه. و ترجم له محب الدين ابن النجار كما يدل عليه مختصر تاريخه الموسوم بالمستفاد من ذيل تاريخ بغداد لأحمد ابن أبيك الدمياطي قال: «الحسن بن محمد بن عبدوس أبو علي الشاعر من أهل واسط، سكن بغداد و مدح الامام الناصر لدين الله و كان فاضلا قيما بالأدب، جيد الشعر، حسن المعاني مليح الايراد، جميل الهيئة كيسا متواضعا. قرأت بخط أبي علي بن عبدوس قال: سئلت إجازة بيتين هما:

حباكم الله و أعياكم و لا عدا الوابل مغناكم

نحن عدمنا الصبر من بعدكم فكيف أنتم لا عدمناكم؟

قال فقلت:

قد كان لي كنز فأنفقته أفقرني الوجد و أغناكم

تشتاقكم عيني و قلبي فما أطيب رؤياكم و رياكم

أكاد من فرط و لوعى بكم أغرق في الذكرى فأنساكم

سكنتم القلب فلا توحشواربعاً حللتم فيه حاشاكم

إنني على البعد لراج بأن يجمعني الله و إياكم

*** و له:

لو شاح من باح بالهوى كتمه و كيف يخفى عواده سقمه؟

قالوا مريض الفؤاد قلت لهم والجسم ألقى بذلك التهمه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٨٤ فأوسعوني عدلا عدمتهم ما هكذا عاد سالم سلمه

نعم وإن ساءهم عشقت و مافى العشق عار عندى و لا نقمه

أهيف من شكله القضيبي و من شبّه بالغصن قدّه ظلمه

أحسن من ضمّه القباء فلو يستطيع من حبّه له التزمه

قد استوى سهمه و ناظره عذب فنفس أشقيتها نعمه

توفى أبو علي ابن عبدوس فى ليلة الجمعة لخمسة خلون من صفر سنة إحدى و ستمائة و دفن من الغد بمقابر قريش، و أظنه جاوز الأربعين بقليل - رحمه الله تعالى -.

و ذكره المنذرى فى وفيات سنة ٦٠١ قال: «فى ليلة الخامس من صفر توفى الأديب أبو علي ... بن عبدوس الواسطى نزيل بغداد الشاعر ببغداد و دفن من الغد بالمشهد بمقابر قريش، حدث بشيء من شعره و كان فاضلا عارفا بالنحو و اللغة و قال الشعر الحسن». و قال الذهبى فى وفيات تلك السنة: «الحسن بن محمد بن عبدوس الأديب أبو علي الواسطى الشاعر نزيل بغداد، نحوى فاضل لغوى له شعر جيد، مدح الكبار».

ابن أبي الحديد عبد اللطيف

٧٦- و عبد اللطيف بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد أبو محمد المدائنى المتفقه، ذكره ابن الديبى فى تاريخه قال بعد ذكر اسمه:

«من أهل المدائن، و هو ابن القاضى أبى الحسين قاضى المدائن، شاب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٨٥

تفقه على مذهب الشافعى - رضى الله عنه- و نظر فى علم الكلام و الأدب و كان فيه فضل و تميز، توفى ببغداد ليلة الأربعاء لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة إحدى و ستمائة، و صلى عليه بالجانب الغربى و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام- عند أخيه محمّد المقدم ذكره».

و ذكره المنذرى فى وفيات سنة «٦٠١» قال: «و فى ليلة الثامن من شهر ربيع الأول توفى الفقيه أبو محمد عبد اللطيف ابن القاضى أبى الحسين بن أبى المعالى هبة الله بن محمد بن محمد . و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر - ع- . تفقه على مذهب الامام الشافعى - رضى - و نظر فى علم الكلام و الأدب و كانت فيه فضيلة، و قد تقدّم ذكر أخيه أبى البركات محمد. و والدهما أبو الحسين هبة الله كان قاضى المدائن و خطيبها، و سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى».

و قال الذهبى فى وفيات سنة «٦٠١» ه: «عبد اللطيف ابن القاضى أبى الحسين هبة الله بن محمد ابن أبى الحديد الفقيه أبو محمد المدائنى الشافعى الأديب المتكلم، كان أبوه قاضى المدائن و خطيبها. توفى فى ربيع الأول و هو أخو محمد». و الذهبى ناقل من بعض الكتب و لعله التكملة و قد ذكر فيما نقل ما لا حاجة له فيه لأنه لم يذكر أخاه محمدا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٨٦

فى وفيات سنة ٥٩٨ من تاريخه فللقائل أن يقول: ما الباعث على ذكره أخاه محمدا؟

إشارة

٧٧- و أبو شجاع المعروف بالحنوص، الذهبي، ذكره ابن الساعي في وفيات سنة «٦٠٢» بهذه التسمية التي نقلتها من كتابه قال: «شيخ من ساكني الغلّة، كان أولا ذهبيا ثم ضمن دار الذهب، وكان تاجرا، توفي يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الأول من سنة اثنتين و ستمائة المذكورة و دفن في مقبرة المشهد الكاظمي على ساكنيه السلام».

جارية مكين الدين

٧٨- و جارية مكين الدين ابى الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم المقدادى القمي، كاتب ديوان الانشاء، ذكرها ابن الساعي في وفيات سنة «٦٠٢» و قال: «أم أولاده، توفيت في ثامن صفر من سنة اثنتين و ستمائة المذكورة، و صلى عليها بالمدرسة النظامية و دفنت في تربة لهم بالمشهد الكاظمي - على ساكنيه السلام- و شيع جنازتها خلق كثير».

ابنة الأمير أرغش

٧٩- و ابنة الأمير أرغش زوجة الأمير جمال الدين قشتمر التركي الناصري، ذكرها ابن الساعي في وفيات سنة «٦٠٢» و قال: «توفيت موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٨٧ في هذه السنة بمرض السل، و كان سبب مرضها فيما ظهر أن زوجها قشتمر المذكور وقع بينه و بين الوزير ناصر بن مهدي ما اقتضى أن رأى سيده الامام الناصر لدين الله - رضى الله عنه - إيفاده إلى رامهرمز و إقطاعه إياها، فمرضت لفراقه، فلما بلغها أنه قد تزوج بابنه أبى طاهر اشتد حزنها و تزايد مرضها و كان لها منه ابن صغير اسمه محمد و لقبه قطب الدين فكانت تبكي الليل و النهار شوقا إليه، و تأسفا عليه، و كانت إذا سليت عنه لا تسلي، و أيست من عوده و اجتماعها به، و بلغني أنها امتنعت من الطعام و الشراب حتى ماتت - رحمها الله تعالى - و فتح لها جامع القصر الشريف و حضر جماعة الأمراء و الأعيان و الأكابر للصلاة عليها، و دفنت في تربة لها بمشهد موسى بن جعفر - عليهما السلام».

و قد ذكر ابن الأثير الحرب بين طاهر اللرى و جيش الخليفة الناصر لدين الله و استنجد الأمير قشتمر بجماعة من ملوك الأطراف و لم يذكر توبة قشتمر و رجوعه إلى بغداد و دخوله في طاعة الناصر عودا على بدء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٨٨

لأن ابن الأثير كان منحرفا عن الناصر شديد البغض له إما لأمر ذاتية شخصية و إما مجاراة لبعض ملوك زمانه، و ذلك يدل على أنه كان مؤرخا غلب عليه الهوى و استبد به التحيز و العياذ بالله من ذلك لكل من يعانى التاريخ و يتعاطاه و يعالجه.

سنة «٦٠٤» هـ

إشارة

٨٠- و أبو الحسن على بن أبى بكر محمد بن على الجرجاني ثم البغدادي التاجر، ترجم له ابن الديبشي قال: «من ساكني دار الخلافة المكرمة - شيد الله قواعدها بالعز - بلغني أنه ولد بجرجان و قدم بغداد في صباه، و استوطنها إلى ان مات بها، كان أحد التجار المعروفين بكثرة الأسفار، دخل الشام و خراسان و ركب البحر و دخل الصين، و سمع ببغداد من أبى الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد المعروف بابن البطي و غيره، و يقال إنه حدث بدمشق عنه، فأما ببغداد ما أعلم أنه روى شيئا، و ما ظفرنا بسماعه في حياته لنكتب عنه، قال لى من سمعه يقول: مولدى في سنة تسع و عشرين و خمسمائة بجرجان. قلت: و توفي ببغداد في ليلة السبت سابع

عشرى رجب سنه أربع و ستمائة، و دفن يوم السبت بالجانب الغربى بمشهد الامام موسى بن جعفر -عليهما السلام- .
و ذكره محب الدين ابن النجار و قال: «من أهل جرجان، سافر الكثير و طاف البلاد فى طلبه الكسب ثم إنه قدم بغداد و استوطنها و كان يسكن بدار الخلافة، و كان من أعيان التجار، مكثرا من المال، سمع شيئا من الحديث من أبى الفضل أحمد بن سعيد الميهنى و أبى الفتح محمد

موسوعه العتبات المقدسه، ج ١٠-١، ص: ١٨٩

ابن عبد الباقي ابن البطي و غيرهما و حدث ببغداد و دمشق، علفت عنه شيئا من الأناشيد ببغداد فى مجلس شيخنا أبى أحمد (عبد الوهاب) ابن سكينه و كان شيخنا أبو أحمد . و كان شيخا متميزا ذا فهم و فضل و له معرفه بالأصول على مذهب الأشعرى، و أنس و فصاحة، و كان حسن الخلق و الخلق، مليح الشيبه، مهيبا و قورا. أنشدنا أبو الحسن على بن محمد بن على الجرجانى من حفظه أنشدنا أبو الفتح محمد بن محمد بن الأديب لنفسه من قصيده يمدح بها أبا الفضل يحيى بن عبد الله ابن جعفر صاحب المخزن:
لكل زمان من أمائل أهله برامكه يمتاحهم كل معسر

أبو الفضل يحيى مثل يحيى بن خالدندى و أبوه جعفر مثل جعفر

و ذكر مولده فى سنه ٥٢٩ و قال: «و توفى ليلة السبت السادس و العشرين من رجب سنه أربع و ستمائة و صلى عليه من الغد بالمدرسه النظامية و دفن بمقابر قریش .»

و ذكره المنذرى فى وفيات سنه «٦٠٤» قال: «و فى ليلة السابع و العشرين من رجب توفى الشيخ أبو الحسن على بن أبى بكر محمد بن على الجرجانى ... و دفن من الغد بمشهد الامام موسى بن جعفر -عليهما السلام- ... و كان أحد من عرف بكثرة الأسفار من التجار و دخل خراسان و ركب البحر و دخل الصين و له ترجمه موجزه فى تاريخ

موسوعه العتبات المقدسه، ج ١٠-١، ص: ١٩٠

الذهبي الكبير .

و ذكره ابن الساعى مره ثانية فى وفيات السنه المذكوره- أعنى سنه ٦٠٤- باسم «أبى محمد الحسن بن يحيى بن أحمد بن الحسن بن عماره الكاتب البغدادي» و قال: «أديب له شعر فمن ذلك قوله:

تهنّ بالعيد و إقباله يا منعش الخلق بافضاله

وابق منيع الجار فى نعمه ما غنى الليث بأشباله

إليك ياوى كل ذى حاجه أتاك يحيى ميت آماله

فكنزه كنت لاعدامه و خصبه كنت لا محاله

من كفلان الدين خير الورى فى جود كفيه و إجماله

مولى بمسعاها سما فخره و شيد المجد بأفعاله»

و قال بعد ذلك: «توفى ابن عماره هذا فى شهور سنه أربع و ستمائة المذكوره، و قد سبق ذكر وفاته .»

ابن الناقد

٨١- و شرف الدين أبو القاسم الحسن بن نصر بن على بن أحمد ابن الناقد، ترجم له ابن الديبى قال: «محمد ربي فى ظل الخدمه الشريفه المقدسه الاماميه الناصريه- خلّد الله ملكها- و شمله إنعامها طفلا و يافعا و محتلما، فسمما قدره، و شاع ذكره، و نفذ أمره، و تولّى الولايات، و تنقل فى الخدمات، فرتب حاجب باب النوبى المحروس .

فى يوم السبت ثالث المحرم من سنه ست و ثمانين و خمسمائة فلم يزل على ذلك إلى أن توفى والده فى ثامن عشر جمادى الآخرة

من سنة اثنتين و تسعين و خمسمائة، و كان يتولى صدرية المخزن فنقل إلى النظر بالمخزن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٩١

المعمور في هذا اليوم و لى الصدرية به و بأعماله. و في سنة أربع و تسعين و خمسمائة فوض إليه النظر في الدواوين جميعها و رسم لأرباب الولايات و النظائر المصير إليه و المراجعة له فكانت الأعمال كلها مردودة إليه ، و لى النظر في ديوان الزمام لأبى البدر (محمد) ابن أمسينا في داره، و قاضى القضاء أبا الفضائل (القاسم بن يحيى) ابن الشهرزورى و قرىء عهده عنده، و ركب إلى الديوان العزيز- مجده الله- في الأعياد و جلس للهناء و حضر بيباب الحجره الشريفه في المواسم التي كان يحضر فيها النواب عن ديوان المجلس ، و لم يزل ساميا، و أمره نافذا إلى صفر سنة سبع و تسعين و خمسمائة ففوض النظر في الأمور إلى ناصر بن مهدى، فركب إلى الديوان العزيز- مجده الله- نائبا عن الوزارة في الشهر و استقل الحسن بن الناقد بتولى المخزن المعمور إلى أن عزل عن ذلك يوم الخميس رابع عشر جمادى الأولى سنة ثمان و تسعين و خمسمائة و لم يستخدم إلى أن توفي في ليلة الأربعاء سابع شهر رمضان سنة أربع و ستمائة و دفن يوم الأربعاء بمشهد الامام بن جعفر- عليهما السلام- بالجانب الغربى و كان سمع شيئا من الحديث و لم يبلغ أوان الرواية لأنه توفي شابا» و ذكره المنذرى في وفيات سنة «٦٠٤» بإيجاز و قال: «دفن ... بتربة لهم بمشهد الامام موسى ابن جعفر- عليهما السلام- و قد سمع شيئا من الحديث توفي قبل أوان الرواية».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٩٢

و قال سبط ابن الجوزى في وفيات سنة «٦٠٤» ه: «و فيها توفي شرف الدين بن الناقد ابن قنبر و اسمه الحسن بن أبى طالب، و لاه الخليفة (الناصر) حجة الباب و ناب في الوزارة ثم و لاه صاحب المخزن فتجبر و طغى و بنى دارا في درب المطبخ و تناهى في بنائها و شرع في الظلم و الفسق و تجاهر به و مد عينه إلى أولاد الناس، و كان قبيح السيرة، فرفع أمره إلى الخليفة فأخذه أخذ عزيز مقتدر و قبض عليه، و استأصله و نقض داره إلى الأساس و حبسه فأخرج في رمضان ميتا فدفن بمشهد باب التبن» و ذكره الذهبى في تاريخه الكبير و نقل كلام سبط بن الجوزى و زاد عليه قوله «و قد سبه ابن النجار و بالغ في مقتته». و قد قدمنا ما يشير إلى أن ابن الساعى قد ترجم له ترجمه حسنة .

و ذكره أبو شامة في تاريخه بمثل ما جاء في مختصر مرآة الزمان، و قال في داره الأنيقة «فلم يكن ببغداد مثلها» و تصحف فيه مشهد باب التبن إلى مشهد باب البير.

ابن الصاحب

٨٢- و الريب أحمد بن على بن هبة الله ابن الصاحب، ذكره ابن الساعى في تاريخه المختصر في وفيات سنة «٦٠٤» قال بعد ذكر اسمه: «أخو أستاذ الدار العزيزة يومئذ، توفي يوم الأحد تاسع المحرم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٩٣

منها و صلى عليه في جامع القصر الشريف و دفن بمشهد موسى بن جعفر- على ساكنيه السلام- و كان عمره نحو من خمسين سنة و قد روى شيئا من الحديث». و ترجمه المنذرى في التكملة و الذهبى في تاريخ الاسلام.

ابن عمارة الكاتب

٨٣- و فخر الدين أبو محمد الحسن بن يحيى بن عمارة الكاتب، ترجم له ابن الديبشى قال: «بغدادى سكن واسط و عاد إلى بغداد و تولى الكتابة بمعاملة نهر عيسى. و قد كان سمع من الوزير أبى المظفر يحيى ابن هبيرة و أبى زرعة طاهر بن محمد المقدسى و غيرهما، و ما أظنه روى شيئا، لاشتغاله بغير ذلك، و كان فيه فضل و له شعر و ترسل.

توفي ببغداد ليلة الأحد خامس عشر ربيع الآخر سنة أربع و ستمائة و دفن يوم الأحد بالجانب الغربي بمشهد الامام موسى بن جعفر -
عليهما السلام -». و ذكره الزكي المنذرى فى وفيات سنة «٦٠٤» قال:

«و فى ليلة السادس و العشرين من شهر ربيع الآخر توفى الشيخ أبو محمد الحسن بن يحيى بن عمارة البغدادي الكاتب ببغداد و دفن
من الغد بمشهد موسى بن جعفر - عليهما السلام -» و ذكر ما ذكرناه الديشى، و قال ابن الساعى فى ترجمته: «شيخ من أعيان الكتاب،
عنده فضل و معرفة بالكتابة» و ذكر دفنه بالمشهد المذكور، و قال ابن الفوطى:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٩٤

فخر الدين ابو محمد الحسن بن يحيى بن عمارة البغدادي الكاتب « و أجز ترجمته مختصرا كلام ابن الديشى و مصرحا باسمه. و
كذلك فعل الذهبي فى تاريخه الكبير .

أبو الحسن بن علي الجرجاني

٨٤- قال زكى الدين المنذرى فى وفيات سنة ٦٠٤: «و فى ليلة السابع و العشرين من رجب توفى الشيخ أبو الحسن على بن أبى بكر
محمد بن علي الجرجاني المولد البغدادي الدار و الوفاة و دفن من الغد بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام - و مولده سنة
تسع و عشرين و خمس مئة. سمع ببغداد من أبى الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد و غيره بدمشق و كان أحد من عرف بكثرة
الأسفار من التجار و دخل خراسان و ركب البحر و دخل الصين.»
و قال شمس الدين الذهبي فى وفيات سنة ٦٠٤: «علي بن محمد ابن علي الجرجاني ثم البغدادي التاجر، حدث بدمشق عن أبى الفتح
ابن البطى و كان كثير الأسفار للتجارة. دخل الصين و غيرها و توفى فى رجب.»

سنة «٦٠٥»

٨٥- و قوام الدين أبو الفوارس نصر بن ناصر بن ليث بن مكى المدائنى الكاتب. ذكره المنذرى فى وفيات سنة «٦٠٥» ه قال: «و فى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٩٥

ليلة التاسع من شعبان توفى الشيخ الأجل القوام أبو الفوارس نصر بن ناصر بن ليث بن مكى المدائنى الكاتب ببغداد و دفن من الغد
بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام - كانت له معرفة بالأدب و قال الشعر و كتب الخط الحسن و كان صاحب المخزن
المعمور و تولى الوكالة للديوان العزيز و غير ذلك من الخدم.» و ذكره ابن الساعى فى وفيات سنة «٦٠٥» ه قال: «و تقدم فى خدمة
الديوان العزيز و علت منزلته و رتب مشرف دار التشريعات الشريفة المعمورة ثم الاشراف بالديوان المفرد ثم تولى صدرية المخزن و
خلع عليه فى دار الوزير ناصر بن مهدى و أضيف إليه النظر بأعمال السواد، و أشهد له بالوكالة الشريفة الناصرية و لم يزل فى علو من
شأنه، و إقبال من سلطانه إلى أن اخترتمه المنية شابا، و كان فيه فضل و كتابة و عنده أدب و يقول الشعر و يورد فى الهنئات مع
الشعراء قبل هذه الولايات فمن شعره ما نقلته من خط أبى سعد بن حمدون الكاتب و هو ما رثى به والده الامام الناصر لدين الله -
رضى الله عنهما - بقوله:

قلبي لوقع النأى و البين يضطرب و غاية البين أن الدمع ينسكب

دعه عسى دمه يطفى لحرقتة فملمة الماء منها يخمد اللهب

و هى طويلاً و قد ذكرتها فى مراثى الجهة السعيدة والده الامام الناصر لدين الله (زمرد خاتون) كاملة. كانت وفاة القوام أبى الفوارس
هذا فى ليلة الأربعاء تاسع شعبان من سنة خمس و ستمائة المذكورة عن مرض أيام قلائل و صلى عليه فى جامع القصر الشريف و
حضر جنازته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٩٦

جميع أرباب الدولة و وجوه الناس كافة و دفن في حضرة موسى بن جعفر - عليهما السلام - و كان الجمع و افرا جدا .
و ذكره ابن الأثير في حوادث سنة «٦٠٥» ه قال: «و فيه - يعنى صفرا - توفي القوام أبو الفوارس نصر بن ناصر بن مكى المدائنى صاحب
المخزن ببغداد و كان أدبيا فاضلا، كامل المروءة، يحب الأدب و أهله، و يحب الشعر و يحسن الجوائز عليه».

«٦٠٧» ه

إشارة

٨٦- و أبو الحسن على بن عبد الله بن شاذان أبى الأزاهر المقرئ بن البتتى ، ذكره ابن الديبى بهذه التسمية فى تاريخ بغداد و قال
«من ساكنى المحلة المعروفة بالأجمة، كان حافظا للقراء آن المجيد، حسن القراءة له، سريع التلاوة، ذكر لى أنه سمع شيئا من الحديث
و كان بالقراءة أكثر اشتغالا و له فى كثرة القراءة طبقة لم يدركها بعده أحد، و ذلك أنه قرأ على شيخنا أبى شجاع ابن المقرون فى
يوم واحد من طلوع الشمس إلى غروبها القرآن الكريم ثلاث مرات و قرأ فى المرة الرابعة إلى آخر سورة الطور، و ذلك يوم الخميس
ثامن رجب سنة ثمان و خمسين و خمسمائة بمشهد من جماعة من القراء و غيرهم و لم يخف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٩٧

شيئا من قراءته و لا فتر و ما سمعنا أن أحدا قبله بلغ هذه الغاية. توفي عصر نهار الأربعاء ثامن شهر رمضان سنة سبع و ستمائة و دفن
يوم الخميس تاسعه بالجانب الغربى بمشهد الامام موسى بن جعفر - ع - . و ذكره المنذرى فى وفيات سنة «٦٠٧» ه و كأنه نقل كلام
ابن الديبى ، و ترجم له جمال الدين أبو حامد محمد بن على المحمودى المعروف بابن الصابونى و نقل كلام ابن الديبى أيضا. ثلا
أنه ضبطه قبل الذهبى بقوله: «بضم الباء الموحدة و بعدها تاء مفتوحة معجمة باثنتين من فوقها و تاء مثلها مكسورة بعدها ياء آخر
الحروف معجمة باثنتين من تحتها». و أكد أنه دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام و قال: «هذا آخر كلام ابن الديبى».
و أوجز ترجمته الذهبى فى كتابه فى تاريخ القراء و المقرئين ، و أجاد ترجمته فى تاريخ الكبير قال: «على بن أبى الأزهر البغدادى
المعروف بابن البتتى - بضم الباء الموحدة - مقرئ فصيح سريع القراءة إلى الغاية لا يكاد يجارى». و ذكر كلام ابن الديبى بعد ذلك
ثم قال: «قال ابن النجار: أبو الحسن على بن عبد الله بن على بن إبراهيم بن يحيى بن ظاهر ابن يوسف بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان
القصار البتتى أحد القراء المجودين، سألته عن مولده فقال: ولدت سنة ثمان و ثلاثين و خمسمائة. و أجاز لى و سمع الحلية من يحيى
بن عبد الباقي الغزال و ذكر لى أنه قرأ فى اليوم ثلاث ختمات و الرابعة إلى الطور

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٩٨

إلى آخرها بمجمع كثير من القراء و أخذ خطوطهم بذلك و أنه لم يخل بالتشديدات و المدات و إفهام التلاوة على أبى شجاع بن
المقرون و ذكر أنه ختم فى شهر رمضان اثنتين و ستين ختمة. إلى أن قال: و كان حسن الأخلاق متوددا مجبا لأهل العلم متشيعا غالبا
فى التشيع».

كمشكين

٨٧- و أبو بكر قيصر بن كمشكين بن عبد الله مولى ابن صلايا الكاتب ذكره المنذرى فى وفيات سنة «٦٠٧» قال: «و فى العشرين من
جمادى الأولى توفي الشيخ الأصيل أبو بكر قيصر بن كمشكين بن عبد الله مولى ابن صلايا، الكاتب بتستر و دفن بها ثم نقل بعد
ذلك إلى بغداد و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام - سمع من أبى محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد ابن الخشاب
و عبد الله بن منصور ابن الموصلى، و فخر النساء شهدة شهدة بنت الإبرى و غيرهم و حدث».

و يفهم من كلام ابن الساعي أن قيصر هذا كان يعنى بجمع الأخبار فقد قال فى خبر قتل الأمير قشتمر الناصرى لزياد بن عبيد أمير خفاجة:

«قد ذكر هذه الواقعة الحاجب قيصر بن كمشكتين و من خطه نقلتها و الظاهر أن قتله لم يكن فى هذه السنة (أى سنة ٥٩٦) بل بعد ذلك» ثم قال فى خبر آخر: «قرأت بخط الحاجب قيصر بن كمشكتين: حدثنى يوسف بن سلام...» و ذكره غير تلك المراتين لمثل هذا الأمر و مما يهم المؤرخ منها قوله: «كنت فى بعض الأوقات فى خدمة الموكب الشريف المقتفوى و قد خرج للصيد فاشتد حر الشمس فنفذ الشمسية من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ١٩٩

ورائه لولده أبى أحمد و الأجل فاضل لترد عنه و هج الشمس، فرأيت الشمسية تظل الأمير أبى أحمد و الأجل فاضل» يعنى فاضلا على الصحيح.

سنة «٦٠٨» هـ

إشارة

٨٨- و تاج الدين أبو سعد الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون الأديب الكاتب، ذكره ياقوت الحموى فى معجمه لتراجم الأدباء و قد قال بعد ذكر تسميته: «قد تقدم ذكر أبيه صاحب الديوان بهاء الدين أبى المعالى و ذكر عمه أبى نصر محمد بن الحسن كاتب الانشاء مع أن ياقوتا لم يقدم فى معجمه للأدباء المحمدين، بل أخرهم إلى الميم فهو ناقل فى هذا غير عاقل لما نقل، و القسم الذى ضمّنه ياقوت ترجمتهما لا يزال غير منشور و لا معروف، ثم قال ياقوت: «و مولده فى صفر سنة ٥٤٧ و كان- رحمه الله- من الأدباء العلماء الذين شاهدناهم، زكى النفس، طاهر الأخلاق، عالى الهمة، حسن الصورة، مليح الشبيبة، ضخم الجثة، كث اللحية طويلها، طويل القامة، نظيف اللبسة، ظريف الشكل و هو مَمَّن صحبته فحمدت صحبته و شكرت أخلاقه، و كان قد ولى عدة ولايات عايتت منها النظر فى البيمارستان العضدى، و كانت هيبتة فيه و مكانته منه أعظم من مكانة أرباب الولايات الكبار لأن الناس يرونه بعين العلم و البيت القديم فى الرئاسة ثم ولى عند الضرورة كتابة السلّة بالديوان العزيز ببغداد برزق عشرة دنانير فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٠٠

الشهر. و سألته فقلت: هذا حمدون الذى تنسبون إليه أهو حمدون نديم المتوكل و من بعده من الخلفاء؟ فقال: لا نحن من آل سيف الدولة ابن حمدان بن حمدون من بنى تغلب. هذه صورة لفظه. و كان من المحبين للكتب و اقتنائها، و المبالغين فى تحصيلها و شرائها و حصل له من أصولها المتقنة، و أمهاتها المعينة، ما لم يحصل للكثير ثم تقاعد به الدهر و بطل عن العمل فرأيته يخرجها و يبيعها و عيناه تذرفان بالدموع كالمفارق لأهله الأعزاء، و المفجوع بأحبابه الأوداء. فقلت له: هوّن عليك أدام الله أيامك- فإن الدهر ذو دول و قد يصحب الزمان و يساعد، و ترجع دولة العز و تعاود، فتستخلف ما هو أحسن منها و أجود. فقال:

حسبك يا بنى هذه نتيجة خمسين سنة من العمر أفنقتها فى تحصيلها و هب أن المال يتيسر، و الأجل (أ) يتأخر؟ و هيهات فحينئذ لا أحصل من جمعها بعد ذلك إلا على الفراق، الذى ليس بعده تلاق، و أنشد بلسان الحال:

هب الدهر أَرْضَانِي و أَعْتَبَ صَرْفَهُ و أَعْتَبَ بِالْحَسَنِي و فَكَّ مِنَ الْأَسْرِ

فمن لى بأيام الشباب التى مضت و من لى بماقد مرّ فى البؤس من عمرى؟

ثم أدركته منيته و لم يدرك أمنيته... و كان مع اغتباطه بالكتب و منافسته و مناقشته فيها، جوادا باعارتها و لقد قال لى يوما و قد عجبت من مسارعة إلى إعارتها للطلبة: ما بخلت باعارة كتاب قط و لا أخذت عليه رهنا. و لا أعلم أنه مع ذلك فقد كتابا فى عاريه قط. فقلت:

الأعمال بالنيات و خلوص نيتك في إعارتها حفظها عليك» و قال قبل ذلك: «و كان حريصا على العلم فجمع من أخبار العلماء و صنف من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٠١

أخبار الشعراء و ألف كتابا لا يجسر على إظهارها خوفا مما طرق أباه مع شدة احتراز ، و بالجملة فعاش في زمن سوء و خليفه غشوم جائر، كان إذا تنفس خاف أن يكون على نفسه رقيب يؤدي به إلى العطب .

و هو كان آخر من بقى من هذا البيت القديم و الركن الدعيم و لم يخلف إلا ابنه مزوجه من ابن الدوامي و ما أظنها معقبه أيضا» ثم قال: و كتب بخطه الرائق الكتب الكثيرة الكبار و الصغار المروية و قابلها و صححها و سمعها على المشايخ فكان ممن لقي من المشايخ أبو بكر محمد بن عبيد الله الزاغوني و النقيب أبو جعفر أحمد بن محمد ابن العباسي المكي و أبو حامد محمد بن الربيع الغرناطي، مغربي قدم عليهم، و أبو المعالي محمد بن محمد ابن النحاس العطار و والده أبو المعالي بن حمدون و أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن سلمان المعروف بابن البطي، و جماعة بعدهم كثيرة كابن كليب الحراني و ابن بوش و غيرهم، و روى شيئا من مسموعاته يسيرا.

و كان مؤيد الدين محمد بن محمد القمي نائب الوزارة ببغداد قد خرج إلى ناحية خوزستان حيث عصى سنجر مملوك الخليفة بها حتى قبض عليه و عاد به و في صحبته عز الدين نجاح الشرايبي، فخرج الناس لتلقيه عند عودته في محرم سنة ٦٠٨، و كان عبلا ترفا معتادا للدعة و الراحة، ملازما لقعر داره، و كان الحرّ شديدا و الوقت صائفا، فلما انتهى إلى المدائن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٠٢

اشتد عليه الحرّ و تكاثف حتى أفضى به إلى التلف، فمات - رحمه الله - في الوقت المقدم ذكره بالمدائن بينه و بين بغداد سبعة فراسخ، فحمل إلى بغداد و دفن بمقبرة موسى بن جعفر بباب التبن - رحمه الله و رضى عنه - . و خروج تاج الدين ابن حمدون في الاستقبال الذي يشير إليه ياقوت ذكر عز الدين بن الأثير خبره قال في حوادث سنة «٦٠٧» قال: «ذكر عصيان سنجر مملوك الخليفة بخوزستان و مسير العساكر إليه». و كان سنجر أراد أن يستقل بخوزستان ثم التجأ إلى أتاك شيراز فتهدهده جيش الخليفة الناصر أجبره على تسليم الأمير المملوك العاصي فسلمه إليهم هو و أهله و ماله فعادوا به إلى بغداد كما حكى ابن الأثير قال: «و وصل الوزير - يعنى مؤيد الدين القمي - إلى بغداد في المحرم سنة ثمان و ستمائة هو و الشرايبي و العساكر و خرج أهل بغداد إلى تلقيهم فدخلوها و سنجر معهم راكبا على بغل باكاف و في رجله سلسلتان في يد كل جندي سلسلة، و بقى محبوسا إلى أن دخل صفر، فجمع الخلق الكثير من الأمراء و الأعيان إلى دار مؤيد الدين نائب الوزارة، فأحضر سنجر و قرّر بأمور نسبت إليه منكرة، فأقر بها. فقال مؤيد الدين للناس:

قد عرفتم ما تقتضيه السياسة من عقوبة هذا الرجل و قد عفا أمير المؤمنين عنه. و أمر بالخلع عليه فلبسها و عاد إلى داره، فعجب الناس من ذلك .

و في مرآة الزمان أن القضاء و الفقهاء أفتوا باراقه دم سنجر .

فانظر إلى عفو الناصر عن هذا الخارجى المشاق على عظم ذنبه و كبر شقاقه، فكيف يزنه ياقوت بأنه إذا تنفس الموظف في دولته أو غيره خاف أن يكون على نفسه رقيب يؤدي به إلى العطب؟

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٠٣

و ترجم له ابن الديبشي قال: «و أبو سعد هذا بقيته بيته و هو آخر من بقى من بنى حمدون، و قد كانوا جماعة كتابا فضلاء رواة للحديث» و ذكر شيوخا روى عنهم الحديث ثم قال: «و كتب بخطه و كان حسن الخط، صحيح النقل، وافر الهممة في الطلب، حصل الأصول و جمع الكتب الكثيرة، و علق في الوفيات و أحوال الشيوخ و جمع شعر جماعة من الشعراء المتأخرين و دونها و حدث بشيء

من مسموعاته و وقف جملة من كتبه على الطلبة و المستفيدين، سمع معنا الكثير و سمعنا منه» و روى عنه بسنده حديثا ثم قال: سألت أبا سعد بن حمدون عن مولده فقال:

ولدت في صفر سنة سبع و أربعين و خمسمائة و خرج لتلقى مؤيد الدين محمد بن محمد القمي نائب الوزارة لما قفل من خوزستان يوم الأحد العشرين من محرم سنة ثمان و ستمائة، فلما بلغ مدائن كسرى و بينها و بين بغداد سبعة فراسخ عرض له ألم أوجه حرّ الوقت و تزايد به فمات في بقية يومه و حمل من هناك في سفينة إلى بغداد و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام - بالجانب الغربي .»

و ترجم له المنذرى في وفيات سنة «٦٠٨» قال: «و في العشرين من المحرم توفى الشيخ الأجل أبو سعد الحسن ابن الشيخ الأجل الفاضل أبي المعالي محمد ابن الشيخ الأجل أبي سعد الحسن بن محمد ابن حمدون البغدادي الكاتب فجأة بشرقى المدائن و حمل إلى بغداد فدفن بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام » و ذكر ولادته و شيوخها من شيوخه و كتابته بخطه الكثير و جمعه الفوائد. و ذكره الذهبي في وفيات سنة ٦٠٨ و قال: «و هو ابن مصنف التذكرة.» و كان فاضلا بارعا مغرى بجمع الكتب ولى المارستان العضدى و تأدب على ابن العصار»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٠٤

و ذكره في وفيات سنة ٦٠٨ من العبر في خبر من غير قال: «و ابن حمدون صاحب التذكرة أبو سعد الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد ابن حمدون البغدادي كاتب الانشاء للدولة» و هذا وهم من الذهبي فوالده بهاء الدين محمد هو صاحب التذكرة و هو كاتب الانشاء للدولة.

و سبقه إلى ذلك أبو شامة فقد قال في وفيات سنة ٦٠٨: «و فيها توفى أبو سعد الحسن بن محمد بن الحسن و يلقب بتاج الدين، ابن حمدون، مصنف كتاب التذكرة، قرأ اللغة على أبي الحسن ابن العصار و سمع أبا الفتح ابن البطي و غيره و ولاه الخليفة المارستان العضدى و أغرى بجمع الكتب و الخطوط المنسوبة فجمع منها شيئا كثيرا و توفى بمدائن كسرى و حمل إلى مقابر قريش فدفن بها و كان فاضلا بارعا.» و قد ذكرنا تخطيط ابن العماد الحنبلي في ترجمته و اعتداده إياه و اباه رجلا واحدا .
و لم يخل ابن الأثير كامله من الإشارة الى وفاته و قال: «و هو ولد مصنف التذكرة و كان عالما.»

محمد بن يوسف النيسابورى

٨٩- و سعد الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبيد الله النيسابورى الأصل البغدادي المولد و الدار الكاتب المعروف بابن المنتجب ذكره ابن الديبى بهذه التسمية و قال: «كان أبوه مؤدبا و صوفيا بدرب زاخى، و محمد هذا كان يكتب خطا جيدا في غاية الجودة و الحسن و قد قرأ شيئا موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ١٠-١؛ ص ٢٠٤

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٠٥

من الأدب على أبي محمد الحسن بن على بن عبيدة الكرخي، و كان يورق للناس و تعلق في آخر عمره بخدمة البديرة المعمورة و علم بها الخط. توفى يوم الجمعة تاسع عشرى ذى الحجة سنة ثمان و ستمائة و صلى عليه عصر اليوم المذكور و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر - رحمه الله تعالى - و ايانا .»

و ذكره ابن الأثير في حوادث سنة «٦٠٨» قال: «و فيها في ذى الحجة توفى محمد بن يوسف بن محمد بن عبيد الله النيسابورى الكاتب الحسن الخط و كان يؤدى طريقة ابن البواب و كان فقيها حاسبا متكلم» و ذكره المنذرى في وفيات السنة المذكورة. في وفيات اليوم التاسع و العشرين من ذى الحجة و قال: «و دفن من يومه بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام -» و كتب خطا في غاية الجودة و كان يورق للناس و يعلم الخط.» و ذكره الذهبي في مختصره لتاريخ ابن الديبى و أضاف الى اختصاره فائدة قال: «صاحب الخط

المنسوب، كان (والده) مؤدبا صوفيا ببغداد فنشأ له محمد هذا و كتب الخط الفائق. قال ابن النجار:

سمعت جماعة يفضلونه على ابن البواب في قلم النسخ و كان أدبيا فاضلا له معرفة بالنحو و كان ضنينا بخطه جدا فيه بأو و كبر، كتب إلى مرة برقعة بخطه في حاجة سألتها ثم أرسل يطلب الورقة فامتعت من ردها، فألح علي كثيرا و ردّ الرسول مرارا حتى أضجرتني فرددتها عليه.

توفي شابا في ذى الحجة سنة ثمان و ستمائة». و ذكره في تاريخ الاسلام و ليس في كلامه زيادة على ما نقلنا سوى قوله «و كتب الخط المنسوب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٠٦

و كتب الناس عليه «و لقبه بسعد الدين» .

سنة «٦٠٩» هـ

٩٠- و أبو محمد عبد الله بن هبة الله بن أبي القاسم البزاز المعروف بابن الحلبي، ذكره ابن الديلمي في تاريخ بغداد قال: «أخو علي بن هبة الله بن الحلبي الذي يأتي ذكره، و كان لهما أخ أكبر منهما يكنى بأبي محمد و كان بكنيته معروفا و ربما سمي محمدا غير مكنى. و هذا عبد الله كان باسمه مشهورا لا بكنيته فوجد بعض الطلبة سماع جماعة على سبط الشيخ أبي محمد سبط الشيخ أبي منصور الحياطي ببعض كتب القراءات تصنيفه و فيهم (أبو محمد عبد الله بن هبة الله بن أبي القاسم البزاز) فسأل عنه فدلوه الى عبد الله فجاءه بالكتاب و أراه السماع فاعترف به و قال:

هذا اسمي و قد سمعت من الشيخ أبي محمد هذا و غيره و من غير الشيخ أبي محمد أيضا. و رؤى الكتاب، فسمعه عليه جماعة، ثم ظهر له سماع شيء آخر على أبي بكر بن الأشقر الدلال و الاسم فيه كما تقدم، فسمع عليه أيضا، و وجد له أيضا سماع من الأرموي مثل ذلك و سمع الناس منه مديدة و هو متقبل بالسماع متصدّ لذلك من غير إنكار حتى ردّ ذلك أبو نصر عبد الرحيم بن النفيس بن وهبان البزوري و قال: عبد الله الحلي ليس بأبي محمد عبد الله الذي سمع من أبي محمد سبط الشيخ أبي منصور و لا من ابن الأشقر و لا من غيرهما. و هذا لم يعرف بطلب و لا باشتغال بالعلم و إنما ذاك أخ كان له أكبر منه يكنى بأبي محمد و اسمه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٠٧

أيضا عبد الله كان أبي يذكره و يقول: كان رفيقنا في السماع من هؤلاء الشيوخ و توفي شابا و لم يرو شيئا. و أنكر على من سمع من عبد الله هذا. و بلغ عبد الله هذا القول، فلم يقبله و ترك جماعة السماع منه لهذا الالتباس و موضع الشبه. و كنت سمعت منه أحاديث عن أبي بكر ابن الأشقر (الدلال) فتركتها و نزلت عن السماع لها منه، على أنه كان مسنا لا يبعد سماعه من المذكورين، و لكن تركناه لمحل الخلاف:

و الله الموفق. و قد سمع من عبد الله هذا جماعة من الغرباء و سافروا قبل ظهور هذه القصة و الوقوف على التباسه بأخيه، و حصلوا على الغزّة من أمره، و الله الهادي إلى سبيل الصواب. توفي عبد الله بن الحلبي هذا يوم الأحد غرة محرم سنة تسع و ستمائة و بلغ من العمر خمسا و ثمانين سنة، على ما كان يذكر، و دفن في يومه بالجانب الغربي بالمشهد الشريف - على ساكنيه السلام -.

و ذكره المنذري في وفيات سنة «٦٠٩» قال: «في غرة المحرم توفي أبو محمد عبد الله بن هبة الله بن أبي القاسم البزاز المعروف بابن الحلبي ببغداد و دفن من يومه بالمشهد الشريف - على ساكنيه أفضل السلام - حدّث.» «و ذكر المنذري ما اقتضه ابن الديلمي فلا حاجة بنا إلى إعادته سوى قوله «كان أخوه يحفظ القرآن الكريم و قرأ على الشيخ أبي محمد القرآن الكريم بالروايات و كان هذا لا يحفظ القرآن.

و هو منسوب إلى الحلّة المزيديّة». و أوجز الذهبي ترجمته .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٠٨

و عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله بن وهبان الطاعن في ابن الحلي كان حنبلياً من أهل الحديثه ترجمه ابن الديبثي و ابن رجب.

سنة «٦١٠» هـ

٩١- و أبو البركات عمر بن أحمد بن محمد بن عمر العلوي الحسنى الزيدى نسباً، ذكره ابن الديبثي بهذا الاسم قال: «أخو أبي الحسن على الزيدى الزاهد الذى يأتى ذكره، و عمر هذا هو الأصغر. سمع من جماعة مع أخيه بافادته، منهم أبو بكر محمد بن عبيد الله بن نصر ابن الزاعونى و أبو الفضائل أحمد بن هبة الله ابن الواثق الهاشمى و أبو محمد محمد بن أحمد ابن المادح و أبو المظفر هبة الله بن أحمد بن الشبلى و أبو المعالى عمر بن على الصيرفى و أبو بكر هبة الله بن أحمد بن الحفار و أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن سلمان و أبو المعالى عمر و أبو العباس أحمد ابنا بتيمان و غيرهم. و كان سماعه فى كتب أخيه صحيحاً و أمّ بالناس فى المسجد المعروف بأخيه بدار دينار إلى حين وفاته، حدث بالكثير و سمعنا منه، و كان خيراً. قرأت على أبي البركات عمر بن أحمد بن محمد العلوى الزيدى من أصل سماعه- و أسنده الى محمد بن عمار ابن سعيد المؤذن أنه سمع أبا هريرة يذكر أن رسول الله- ص- قال: إن الله يحشر المؤذنين يوم القيامة أطول الناس أعناقاً بقولهم لا إله إلا الله- عز و جل-. سألت عمر الزيدى عن مولده فقال: فى صفر سنة ثلاث و أربعين و خمسمائة. و توفى فجأة بعد أن صلى العصر من يوم الاثنين العشرين من جمادى الأولى سنة عشر و ستمائة- و صلى عليه يوم الثلاثاء و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر- عليهما السلام- بالجانب الغربى- رحمه الله و إيانا».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٠٩

و ترجمه محب الدين ابن النجار و اختلطت ترجمته فى الجزء المحفوظ بدار الكتب الوطية بباريس بترجمه «عمر بن أحمد» آخر و بقى من الترجمة سند الحديث الذى رواه عنه ابن النجار المسند إلى أبى أمامه و نصه «حججت مع رسول الله- ص- حجة الوداع، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: ألا لعلكم أن لا ترونى بعد عامى هذا- ثلاث مرات-.

فقام إليه رجل طوال أشعث كأنه من أزد شنوءة. فقال: يا رسول الله فما الذى نفعل؟ قال: اعبدوا ربكم و صلوا خمسكم، و صوموا شهركم، و حجوا بيت ربكم، و أدوا زكاة طيبة بها أنفسكم تدخلوا جنة ربكم- عز و جل-» و قال ابن النجار بعيد ذلك: «سألت الشريف أبا البركات الزيدى عن مولده فقال: فى صفر سنة ثلاث و أربعين و خمسمائة. و توفى يوم الاثنين العشرين من جمادى الأولى سنة عشر و ستمائة، فجأة، بعد أن صلى بالناس إماماً صلاة العصر و دخل منزله فلحقه ألم بفؤاده فمات فى وقته، و صلى عليه من الغد بالمدرسة النظامية و دفن بمقابر قريش».

و ترجمه الزكى المنذرى فى وفيات سنة «٦١٠» قال: «و فى العشرين من جمادى الأولى توفى الشريف الأجل الصالح أبو البركات عمر ابن الشريف الأجل أبى العباس أحمد بن محمد بن عمر العلوى الحسينى الزيدى نسباً، فجأة، بعد أن صلى العصر ببغداد و دفن من الغد بمشهد الامام موسى بن جعفر- عليهما السلام». ثم ذكر شيوخه و قال: «و أمّ بالناس فى المسجد المعروف بأخيه بدر دينار إلى أن مات». و أوجز الذهبى ترجمته فلم نجد فيها ما يستحق النقل .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢١٠

سنة «٦١١» هـ

٩٢- و الشيخ فخر الدين أبو البدر نفيس بن هلال بن بدر الصوفى، ذكره المنذرى فى وفيات سنة «٦١١» قال: «و فى ليلة الرابع و العشرين من رجب توفى الشيخ الصالح نفيس بن هلال بن بدر الصوفى البغدادى بها و دفن من الغد بمشهد الامام موسى بن جعفر- عليهما السلام- و قد علت سنة صحب جماعة من الصوفية و خدمهم و كان كثير الحج و الزيارات و هو شيخ رباط الكاتبة شهده بنت

الأبرى و الناظر فى أمره الى حين وفاته». و ذكره الذهبى فى وفيات سنة «٦١١» و قال «صحب الكبار و حج مَرَات» و ذكر النفيس هذا سبط ابن الجوزى فى قصة عليها أثر التوليد و المجازفة ظاهر- و السبط من المؤرخين المزنين بالمجازفة قال فى حوادث سنة ٥٨٦: «و فيها توفى الكرخى نجم الصوفى و اسمه عبد الرشيد بن عبد الرزاق، كان يتفقه بدار الذهب و كان ورعا عاقلا عابدا، و كان ببغداد رجل يقال له النفيس الصوفى يضحك منه و يسخر به و كان يدخل على الخليفة فدخل يوما بمدرسة دار الذهب، فجعل يتمسخر، فقال له الكرخى:

اتق الله نحن نبحث فى العلم و أنت تهزل ما هذا موضعه. فدخل على الخليفة و بكى بين يديه، و قال: صيرنى الكرخى و عيرنى (كذا).

فغضب عليه الخليفة و أمر بصلبه، فأخرج و عليه ثوب أزرق من ثياب الصوفية إلى الرحبة و نصبوا له خشبة ليصلبوه فقال: دعونى أصلى ركعتين. فصلّى و صلّبوه، فجاء خادم من الخليفة فقال: لا تصلبوه. و قد مات الكرخى. فلعن الناس النفيس الصوفى، و بقى أياما لا يتجاسر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢١١

أن يظهر ببغداد». و ذكره ابن الفوطى فى الملقبين بفخر الدين و قال:

«كان كثير الحج ... و زيارات المشاهد و المقابر ... و كان مطبوعا دمث الأخلاق».

منتجب الدين

٩٣- و منتجب الدين أبو المرجى سالم بن أحمد بن سالم بن أبى الصقر النحوى العروضى، ذكره ابن الديبى بهذه التسمية و قال: «كانت له معرفة بالنحو و يقول الشعر و يعرف عروضه و أوزانه و له فى ذلك يد جيدة. سافر الكثير و لقى جماعة من الأدباء و أخذ عنهم و نظم أرجوزة فى النحو على الأبواب كلمحة أبى محمد بن الحريرى البصرى و مدح جماعة بقصائد من شعره. سمعنا منه قطعاً كثيرة من قوله و قصائد من مدحه، و لم يحصل الآن عندي منها شىء، و توفى يوم الأحد خامس ذى القعدة سنة إحدى عشرة و ستمائة، و صلى عليه فى هذا اليوم و حمل إلى الجانب الغربى فدفن بمشهد الامام موسى بن جعفر- رحمه الله».

و ترجم له ابن الفوطى فى الملقبين بالمنتجب قال ناقلاً: منتجب الدين أبو المرجى سالم بن أحمد بن سالم ابن أبى الصقر التميمى الأديب العروضى، ذكره ياقوت الحموى فى كتاب معجم الأدباء و قال:

هو أول شيخ قرأت عليه الأدب ببغداد، و كان قيما بعلوم العربية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢١٢

و العروض و القوافى، و كان تاجرا ذا ثروة حسنة مبخلاً، و كان قد قرأ النحو على وجيه الدين المبارك بن المبارك الواسطى و محب الدين أبى البقاء العكبرى، و له تصانيف منها كتاب فى صناعة الشعر، و أرجوزة فى النحو و له أشعار حسنة و كان قد سافر إلى خراسان. و ذكره ابن النجار و قال: سمع صحيح مسلم من شيخنا رضى الدين المؤيد بن محمد الطوسى. و توفى فى ذى القعدة سنة إحدى عشرة و ستمائة و قد جاوز الخمسين». و كان قد ترجم له مع الملقبين بعز الدين و نسى ذلك .

و بين هذه الترجمة و ترجمة ياقوت له فى المطبوع من معجم الأدباء فرق واضح قال: «شيخنا أبو المرجى ابن أبى الصقر التميمى الحاجب المعروف بالمنتجب النحوى العروضى البغدادى، كان أديبا فاضلا نحويا متفردا بالعروض، سمع صحيح مسلم من مؤيد الطوسى و كان محبوبا، حسن الأخلاق. قرأت عليه العربية و العروض ببغداد و له أرجوزة فى النحو و كتاب فى العروض و كتاب فى القوافى و كتاب فى صناعة الشعر و غير ذلك مات ببغداد يوم الأحد خامس ذى القعدة سنة ٦١١». فالمطبوع من معجم الأدباء باسم الجزء السابع مختصر على ما أحسب.

و ذكره المنذرى فى وفيات سنة ٦١١ و سماه كالتسمية المنقولة آنفا و قال فيما قاله: «و دفن من يومه بمشهد الامام موسى بن جعفر -عليهما السلام- ع- لقي جماعة من الأدباء و الشعراء و أخذ عنهم و كانت له معرفة بالنحو و العروض و مدح جماعة و حدث بشيء من شعره».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢١٣

و ترجم له القفطى مرتين لأنه نقل من مرجعين بينها بعض الاختلاف و قال فى الثانية: «من ساكنى درب القرنفلين ببغداد» و فى كلتا الترجمتين ذكر أنه دفن فى مشهد الامام موسى بن جعفر -ع- و ترجم له الصلاح الصفدى بترجمتين أيضا غير شاعر باتحاد الذاتية، و أوجز الذهبى ترجمته فى تاريخه .

و قال عز الدين ابن جماعة الكنانى: «أنشدنى الشيخ جمال الدين أبو العباس (بن محمد الظاهرى) و غيره إجازة عن أبى عبد الله محمد ابن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن (ابن النجار) البغدادى قال أنشدنى ياقوت الحموى بحلب قال أنشدنى أبو طالب إسماعيل بن الحسن الحسينى بمرور و قال أنشدنى سالم بن أبى الصقر بخوارزم:

يا ماجدا جل أن يهدى لمكرمة لأنه بالدنيا غير موصوف

إن قلت جد بعد دعوى التى سبقت من عفتى و إباى خفت تعنيفى

هب أننى بت لا أرجو ندى أحديوما فهل تبت عن إساءة معروف؟

و ذكر بعد ذلك موجز سيرة سالم بما لم يخرج عما ذكرناه منقولا من تواريخ أخرى. و ذكر السيوطى موجز سيرته و ورد فى كتابه بطبعة مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ بمصر «المنتخب» تصحيحا للمنتخب.

سنة «٦١٣» هـ

٩٤- و أبو السعادات محمد بن على بن أحمد ابن الناقد، ترجم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢١٤

له ابن الديبشى قال: «محمد بن على بن أحمد ابن الناقد أبو السعادات ابن أبى القاسم، كان أحد التجار و البزازين، سافر إلى الشام و أقام بدمشق و خراسان و ما وراء النهر و عاد و تولى وكالة الباب للجهة والده سيدنا و مولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الأمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين فى رجب سنة اثنتين و ثمانين و خمسمائة و خلع عليه و أضيف إليه بعد ذلك وكالة الأمير السيد الكبير ولد أمير المؤمنين - خلد الله ملكه- و النظر فى المظالم، و حسن حاله، و نبه قدره، إلا أنه عزل عن وكالة الأمير و المظالم و بقى على خدمة الباب الشريف إلى حين وفاتها (سنة ٥٩٩هـ) - قدس الله روحها- و جعلت إليه النظر فى أوقافها على الربط و المدارس و التربة و السبل و الصدقات، فكان على ذلك مدة حياته. و كان قد سمع من أبى الوقت السجزي جميع صحيح البخارى و من أبى الفتح محمد بن عبد الباقي بن سلمان جزءا من أمالى أحمد بن عطاء الروذراورى، و طلبت منه السماع بشيء من ذلك فوعد بذلك و سوّف حتى طال الوعد فتركته، و كذا سأله غيرى فوعده، و مات و ما روى شيئا، و أظنه كان يكره الرواية، و الله أعلم. سألت الوكيل أبا السعادات ابن الناقد عن مولده فقال: فى سنة أربع و أربعين و خمسمائة. فقلت: فى أى شهر؟ فقال: فى جمادى الآخرة منها.

و توفى فى يوم الثلاثاء الثامن و العشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة و ستمائة، و حضرت الصلاة عليه بعد صلاة الظهر من هذا اليوم بجامع القصر الشريف فى جمع كثير، و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر -رحمهما الله تعالى- بتربة له هناك». و ذكره زكى الدين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢١٥

المنذرى فى وفيات سنة ٦١٣ قال: «و فى الثامن و العشرين من جمادى الأولى توفى الشيخ الأجل أبو السعادات محمد بن أبى القاسم

على بن أحمد ابن الناقد البغدادي بها و دفن من يومه بمشهد الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام - بتربة له هناك » و اختصر ما ذكره ابن الديبشي، و أوجز الذهبي ترجمته و قال: «و لم يحدث و كان عسرا ممتعا» و كان الذهبي قد اختصر ترجمته من تاريخ ابن الديبشي و قال: «و مات و لم يحدث لامتناع منه و مماطله».

يحيى بن أبي طالب

٩٥- و أبو جعفر يحيى بن أبي طالب محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أبي زيد العلوي الحسنى البصرى النقيب الأديب الشاعر المعروف بابن أبي زيد، ذكره سبط ابن الجوزى فى وفيات سنة ٦١٣ قال: «و فيها توفي يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد - أربع مرات - أبو جعفر العلوي الحسنى البصرى، يعرف بابن أبي زيد، ولى نقابة الطالبين بالبصرة بعد أبيه مدة و قرأ علم الأدب على أبي محمد الأحمر الحماني بالبصرة و سمع الحديث من أبيه و غيره. و مولده فى سنة ٥٤٨ و قدم بغداد و مدح الامام الناصر بقصائد و كان رقيق الشعر مليح النظم، أجاز لى شعره و هو القائل:

هذا العقيق و هذا الجزع و البان فاحبس فلى فيه أوطار و أوطان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢١٦ آليت و الحر لا يلوى أليته أن لا تلذ بطيب النوم أجفان

يا حبذا شجر الجرعاء من شجرو حبذا روضه المخضّل و البان

إذا النسيم سرى مالت ذوائبه كأنما الغصن الممطور سكران

فللنسيم على الأغصان هينمة و للحمام على الأفنان ألحان

و بارق لاح و الظلماء داجية و النجم فى الأفق الغربى حيران

هذا يذكرنى هيفاء ضاحكة فلم أنم و عذابى هم و أحزان

كتمت حبك و الأجفان تظهره و ليس للحب عند العين كتمان

غادرت بالغدر فى الأحشاء نارجوى و مذ هجرت ففيض العين غدران

و كانت وفاته ببغداد فى رمضان و دفن بمقابر قريش». و نقل ابو شامة كلام السبط على عادته فى ذكر تراجم العراقيين و اختار ثلاثة أبيات من القصيدة المنقولة آنفا. و جاء عنده «هذا العذيب و هذا الرند و البان».

و ذكره كمال الدين المبارك ابن الشعار الموصلى فى معجم الشعراء المعاصرين له قال: «يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أبي زيد محمد بن أحمد بن عبيد الله بن علي - و يلقب باغر - ابن عبيد الله بن عبد الله بن الحسن ابن جعفر بن الحسن بن علي بن أبي طالب النقيب أبو جعفر ابن أبي طالب الحسنى، من أهل البصرة المعروف بابن أبي زيد كان من الشرفاء الفضلاء و الأعيان النبلاء، ولى نقابة الطالبين بالبصرة بعد أبيه مدة و كان ذا معرفة بالأدب و الأنساب و أيام العرب و أشعارها، و كان شاعرا مليح الشعر، رائق الكلام، حسن المقاصد، و كان على خاطره أكثر كتاب الأغاني و يذاكر به فى محاضراته لأنه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢١٧

عند باب الصحن من الكاظمين (ع) - شباك لاحدى المقابر القديمة و قد دفن فيها بعض الاعلام من المتقدمين و المتأخرين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢١٨

كان كثير الاعتناء به. ورد مدينة السلام و امتدح الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبا العباس أحمد بن الحسن - رضوان الله عليه - و توفي بها فى ليلة الخميس ثالث عشر رمضان سنة ثلاث عشرة و ستمائة و دفن يوم الخميس بجانبها الغربى بمقابر الامام موسى بن جعفر - عليه أفضل السلام - . و كانت ولادته فى ربيع الأول سنة ثمان و أربعين و خمسمائة.

أنشدنى أبو الحسن على بن محمد بن صدقة الخفاجى البغدادي قال أنشدنى نقيب البصرة أبو جعفر لنفسه يمدح الناصر لدين الله أبا العباس - رضوان الله عليه -:

يلوم على محبتك العذول و ليس للومه عندي قبول
 فطول في ملامك أو فقصر فاني لست أسمع ما تقول
 هوى عاشرته عشرين عاما تصرمه للومك مستحيل
 و كيف يطيق صبرا عنك صبريهيج غرامه ليل طويل
 و عين في محاجرها دموع و قلب في جوانحه غليل
 إذا جحد الحبيب هوى محب فان شهود لوعته عدول
 أمارات الهوى وضحت عليه جواه و التوله و النحول
 فيا من شيمتى و له عليه و شيمته التجنب و الذهول
 سأسلو و المحب له سلو إذا ما أفرط الحب الملول
 و أعتقد الولاء لهاشمى و فى لا يمل و لا يميل
 من القوم الذين لهم عهد كرام لا تخون و لا تحول
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢١٩ خيار الناس آخرهم إمام يشرفهم و أولهم رسول
 تسمى باسمه و حكاه هديا و ضمهما العمارة و القليل
 فما فى المرسلين له شبيه و لا فى الراشدين له عدل
 و منها:

أمير المؤمنين دعاء عبدهاه ظلّ دولتك الظليل
 أقام به و غصن العمر نضرو قد أودى و أنحله الذبول
 و إنى مثلما خبرت شيخ ضعيف البطش ممرض عليل
 فصير حسن رأيك لى و داء أسرّ به فقد أرف الرحيل
 و من أولى طوال العمر أولى بأن يولى و قد بقى القليل
 فكم لك من يد تجزيك عنها غدا فى الحشر فاطمة البتول
 تشييك بنت عمك من أبيها فانت لولدها بر وصول
 و جاد الروضة الزهراء جود سقته و قد تحمل سلسيل
 ففيا من بنى المنصور خرق أغرّ كأنه سيف صقيل
 *** و قال أيضا يمدحه:

ليهنك سمع لا يلائمه العذل و قلب قريح لا يمل و لا يسلو
 كأنّ علىّ الحبّ أمسى فريضة فليس لقلبي غيره أبدا شغل
 و إنى لأهوى الهجر ما كان أصله دلالة فلا الهجر ما عذب الوصل
 و أما اذا كان الصدود ملالة فأيسر ما همّ الحبيب به القتل
 بنفسى إذا سال العقيق شعباه إذا ابتسم النوار و اكتهل البقل
 و يا حبذا خضراء روح بن حاتم - و ما طمّ واديهما و أجرعها السهل
 فسلت علىّ جوّ العقيق عقائق من البرق لا نزر العهد و لا حفل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٢٠ و راح على خضراء روح بن حاتم كجود أبى العباس أيسره الوبل

إمام هدى من هاشم فى أرومة زكا الفرع لما طاب من تحته لأصل
كفيل بأرزاق العباد نيابة عن الله كل من يديه له كفل
*** وقال أيضا بمدحه:

ليلى بذى سلم أميرو الصبح فى يده أسير
عبًا كواكبه جيو... شا لا تحول و لا تسير
يا إخوتى من هاشم هل لى على ليلى نصير
نتمم و بين جوانحى داء ينم به الزفير
مالى و ما لبنات نعش لا أنام و لا تغور
أشكو الجوى و كأنها فى جوها درّ نثير
و النسر مقصوص القوادم لا يدبّ و لا يطير
لم أدر طال الليل أم جفنى بذى سلم قصير؟
و غريرة كالظبي يحسد طرفها الظبي الغرير
نشطت عقال صابتي بلوا حظ فيها فتور
سمراء تنعم لى بزورتها إذا رقد السّمير
حتى إذا خفق السّماك و غارك الشعري العبور
و هوت مع الفجر الكواكب مثلما تهوى الصقور
و علا السبات على الكلاب فلا نباح و لا هرير
جاءت كما اهتر القضيبي الغضّ و اضطرب العبير
بعدا لأيام الشباب فان أكثرها غرور
مالى و ما للهو و الاقتار يمنع و القتير؟!
من شاء يسأل عن قریش إننى بهم خبير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٢١ لهم النبوة و الخلافة و المنابر و الشّيرير

و لهم أبو العباس أحمد ناصر الدين الغيور
ملك يغار على أقاصى المسلمين و لا يغير
بنداه تبتسم الثغور و باسمه تحمى الثغور
تدعو أعاديه الثبور و حلمه الراسى ثبير

و ذكره الذهبى فى وفيات سنة ٦١٣ بايجاز و قال: سمع من أبيه و حدّث و عاش بضعا و ستين سنة و كان ذا معرفة بالنسب و الأدب و أيام العرب و له شعر رائق، توفى فى رمضان. روى شعرا.»

و قال صدر الدين على بن أبى الفرج البصرى الأديب مؤلف الحماسة البصريه فى ذكر خلافة الناصر: «أنشده يحيى بن محمد العلوى يوم ثالث البيعة:

و ليت و عام الناس أحمر ما حل فجدت و جاد الغيث فانقشع المحل
و كم لك من نعماء ليس بمدرك لها حاسب إلا إذا حسب الرمل»

و قال فى ذكر الخليفة المستنصر: «و لقد حضرت بين يدي سّدته الشريفة ليلا إلى نصفه و أنشدته ما أنشده نقيب البصرة ابن أبى زيد

الحسنى لما حضر بين يدي الامام الناصر لدين الله:
ليلتى هذه كليله موسى حين ناجى الاله فوق الطور
لم يكن خوفه كخوفى ولا سربلقيا الاله مثل سرورى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٢٢

سنة «٦١٦» هـ

٩٦- و أبو عبد الله محمد بن أبي العز منصور بن جميل أبو عبد الله الجبى الكاتب الشاعر، ذكره ابن الديبى فى تاريخ بغداد، قال:
«محمد بن أبي العز بن جميل أبو عبد الله ولد بقرية تعرف بجبا من نواحي هيت و قدم بغداد صبيا و استوطنها و قرأ بها القرآن الكريم
و الأدب و الفرائض و الحساب و سمع الحديث من جماعة منهم أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب ابن كليب و القاضي أبو الفتح
محمد بن أحمد ابن المندائى الواسطى لما قدمها و قال الشعر و مدح سيدنا و مولانا الامام- المفترض الطاعة على كافة الأنام الناصر
لدين الله أمير المؤمنين- خلد الله ملكه- بقصائد كثيرة و كان يوردها فى المواسم و الهنات، و خدم فى أشغال الديوان العزيز-
مجده الله- و نظر فى ديوان التركات الحشرية و تولى كتابته المخزن المعمور ثم ولى صدرية المخزن بعد عزل أبي الفتح ابن أبي
المظفر فى ليلة عاشر ذى القعدة سنة خمس و ستمائة مضافا إلى النظر بدجيل و طريق خراسان و الخالص و الخزانه و العقار و غير
ذلك من أعمال الحضرة و لم يزل على ذلك إلى أن عزل فى يوم السبت الثالث و العشرين من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة و
ستمائة. و توفى يوم السبت النصف من شعبان سنة ست عشرة و ستمائة و دفن بمقابر قريش».

و ذكره ياقوت الحموى قال: «محمد بن منصور بن جميل أبو عبد الله (ابن أبي) العز الكاتب، نحوى لغوى أديب من أفاضل العصر.
قدم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٢٣

بغداد فى صباه و قرأ الأدب و لازم مصدق بن شبيب (الواسطى) النحوى حتى برع فى النحو و اللغة و قرأ الفقه و الفرائض و الحساب و
قال الشعر و مدح الناصر فعرف و اشتهر و رتب كتابا فى ديوان التركات مدة ثم ولى نظره ثم ولى الصدرية بالمخزن ثم عزل و اعتقل
و أفرج عنه بعد مدة و رتب و كيلا للأمير عدة الدين ابن الناصر و كان كاتبا بليغا مليح الخط، غزير الفضل، متواضعا مليح الصورة،
طيب الأخلاق. مات فى شعبان سنة ٦١٦ هـ. و ذكره فى الكلام على «جبا» من معجم البلدان قال: «و جبا أيضا قرية قرب هيت قال أبو
عبد الله الديبى منها أبو عبد الله محمد بن أبي العز بن جميل» و اختصر ما ذكره ابن الديبى فى تاريخه. و ترجم له المنذرى فى
وفيات سنة ٦١٦ المذكورة قال: «و فى النصف من شعبان توفى الشيخ الأجل أبو عبد الله محمد بن أبي العز بن جميل الجبائى المولد
البغدادي الدار، ببغداد و دفن بمقابر قريش، قرأ القرآن الكريم و قرأ الأدب و الفرائض و الحساب» إلى أن قال «و تقلب فى خدمة
الديوان العزيز و هو منسوب إلى جبا قرية من نواحي هيت و هى بضم الجيم و تشديد الباء الموحدة و فتحها و ألف و هى مقصورة».

و ترجم له القفطى فى أحد كتبه قال: «محمد بن جميل- و جميل جده- و هو أشهر من أبيه و لا يعرف إلا به، و أبوه أبو العز ابن
جميل من أهل جبا قرية (قرب) هيت. دخل إلى بغداد فى أول عمره و قرأ على مشايخها المتأخرين، و تولى عدة خدم ديوانية فى أيام
الامام الناصر أحمد ابن المستضىء، منها صدرية المخزن، و صرف دفعات، و كان فيه فضل و أدب و له شعر، و كان يظن بنفسه
الكثير حتى لا يرى أحدا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٢٤

مثله، و قد كان أنشأ مقامات ظهر منها قطعة رأيتها فى جملة أجزاء أحضرت من بغداد إلى حلب للبيع و هى بخطه و كان خطا متوسطا
صحيح الوضع، فيه تلبس نطق ثابتة لا- تكاد تتغير، و شعره جيد مشهور مصنوع لا مطبوع، و كان ظالم النفس فيما يتولاه، و تولى

الترك الحشرية في أول أمره ثم تولّى عدالة المخزن (كذا) ثم توصل حتى تولى صاحب مخزن، وقال يوماً لبعض العاملين: خفّ عذابي فإنه أليم شديد. فقال له الرجل: فأذن أنت الله لا إله إلا هو. فخجل ولم يمنعه ذلك ولم يردعه عما أراد من ظلمه. وكان ببغداد تاجر يعرف بابن العينبرى وكان صديقاً له، فلما حضرته الوفاة سأله الحضور إليه، فلما حضر قال له: أنا طيب النفس بموتى فى زمان ولايتك ليكون جاهك (على) أطفالي و عيالى. فوعده بهم جميلاً، فلما مات حضر إلى تركته و باشرها فرأى فيها ... ألف دينار عينا، فأخذها وحملها إلى الامام الناصر وأصحابها مطالعة منه يقول فيها: مات ابن العنبر - ورث الله الشريعة أعمار الخلائق وقد حمل المملوك (يعنى نفسه) من المال الحلال الصالح للمخزن ... ألف دينار وهو فى عهدة تبعته دنيا وآخرة وسأله بعض التجار والغرباء العناية بشخص فى إيصال حقه اليه من المخزن فوعده ومطله وكان ذلك بعد ان تولى صاحب المخزن وكانت جامكته وهو عدل خمسة دنانير فى الشهر فلما ولى الصدرية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٢٥

قرّر له عشرة دنانير، فقال التاجر الشافع - وكان يدل عليه - فدفعت إليه فى كل يوم بدائق . قال له: كيف؟ قال: لأنك كنت عدلاً أقرب منك حالا اليوم. وأشار إلى أنه لما زيد رزقه و رفعت مرتبته بجبر يصير زيادةً وهى سدس درهم وهو الدائق أهمل جانب الله و باعه بذلك. و ما بعد عهده وأخجله الله و صرفه عن ذلك و سجن مدة ثم بعد ذلك أنعم عليه بأن جعل كاتباً فى باب دار الأمير عدة الدين أبى نصر (محمد) ولى العهد فأقام مدة و مات وهو على ذلك (بعد) ستة شهور سنة (ست) عشرة و ستمائة».

و ذكره ابن الفوطى فى الملقين بمجد الدين قال: «مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أبى العز منصور بن جميل الجبى صاحب المخزن، ذكره محب الدين ابن النجار فى تاريخه وقال: «ولد بالجبنة من أعمال هيت و قدم بغداد و قرأ بها الأدب حتى برع فى النحو و اللغوة و الحساب، و كان مقبول الشكل. مدح الامام الناصر و رتب كاتباً فى ديوان التركات ثم ولى صدرية المخزن سنة خمس و ستمائة. و كان كاتباً بليغاً مليح الخط، غزير الفضل، كتب شعره فى كتاب (نظم الدرر الناصعة) و توفى فى منتصف شعبان سنة ست عشرة و ستمائة».

و ذكره أبو شامة و فى ذكره فائدة، قال فى وفيات سنة ٦١٦ هـ:

«و فيها توفى ببغداد محمد بن جميل صاحب مخزن الخليفة و مولده بهيت و كان فاضلاً بارعاً، و قدم علينا بدمشق ابن ابنته (يعنى سبطه) و هو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٢٦

شاب فاضل يلقب فخر الدين له خط حسن و صورة جميلة و نزل عندنا بالمدرسة العزيزية ثم توجه إلى الحجاز مع جماعة فضلاء.» و جاؤوا».

و أرّخه الذهبى فى تاريخه بما هو موجز ما قيل قبله و قال فى إيجازه:

«مات كهلاً». و لم يخل الجلال السيوطى بغية الوعاة من ذكره بما يشبه ما ذكره به ياقوت.

و قال ابن الساعى فى حوادث سنة ٦٠٥: «و فى ليلة الأربعاء سابع ذى القعدة المذكور عزل عضد الدين أبو الفتوح ابن رئيس الرؤساء عن صدرية المخزن المعمور و حوّل من الدار التى كان يسكنها، و ولى عوضه مجد الدين أبو عبد الله محمد بن جميل و خلع عليه بالبدرية الشريفة و أنزل بالدار التى كان يسكنها ابن رئيس الرؤساء بالمسعودة و أعطى جميع ما كان وصل إليه من غلمان ابن ناصر و آلاته و كرائمه».

و من إنشاء مجد الدين ابن جميل توقيع كتبه بتفويض التدريس فى مدرسة الامام أبى حنيفة - رضى - إلى ضياء الدين أحمد بن مسعود التركستانى الفقيه المدرس الحنفى و النظر فى أوقاف المشهد سنة ٦٠٤ قال ابن الساعى: «و كتب توقيع من المخزن المعمور بإنشاء مجد الدين بن جميل كاتب المخزن المعمور يومئذ و من خطه نقلت و هذه نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله المعروف بفنون المعروف والكرم، الموصوف بصنوف الاحسان والنعم، المتفرد بالعظمة والكبرياء والقدم، الذي اختص الدار العزيزة- شيد الله بناها، و أشاد مجدها و علاها،- بالمحل الأعظم، والشرف الأقدم، و جمع لها شرف البيت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٢٧

العتيق ذى الحرم، إلى شرف بيت هاشم الذى هشم، جاعل هذه الأيام الزاهرة الناضرة، و الدولة القاهرة الناصرة، عقدا فى جيد مناقبها، و حليا يجول فى ترائبها،- أدامها الله تعالى ما انحدر لثام الصباح، و برح خفاء براح- أحمدته حمد معترف بتقصيره عن واجب حمدته، مغترف من بحر عجزه مع بذل وسعه و جهده، و أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، و هو الغنى عن شهادة عبده، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، الذى صدع بأمره، و جاء بالحق من عنده،- صلى الله عليه صلاة تتعدى إلى أدنى ولده، و أبعد حده حتى يصل عقبها إلى أقصى قضيته و نزاره و معده- و بعد فلما كان الأجل السيد الأوحى العالم ضياء الدين شمس الاسلام رضى الدولة، عز الشريعة علم الهدى رئيس الفريقين، تاج الملك، فخر العلماء أحمد بن مسعود التركستانى- أدام الله علوه- ممن أعرق فى الدين منسبه، و تحلى بعلوم الشريعة أدبه، و استوى فى الصحة مغيبه و مشهده، و شهد له بالأمانة لسانه و يده، و كشف الاختبار منه عفه و سدادا، و أبت مقاصده إلا- أناء و اقتصادا، رثى الاحسان إليه، و التعويل عليه فى التدريس بمشهد أبى حنيفة- رحمه الله عليه- و مدرسته، و أسند إليه النظر فى وقف ذلك أجمع لاستقبال حادى عشرى ذى القعدة سنة أربع و ستمائة الهلالية و ما بعده و بعدها، و أمر بتقوى الله- جلّت آلاؤه، و تقدست أسماؤه، التى هى أزكى قربات الأولياء، و أنمى خدمات النصحاء، و أبهى ما استشعره أرباب الولايات، و أدل الأدلة على سبل الصالحات، و فاعلها بثبوت القدم خليق، و بالتقدم جدير، قال الله تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. و أن يذكر الدرس على أكمل شرائط، و أجمل ضوابط، مواظبا على ذلك، سالكا فيه أوضح المسالك، مقدما عليه تلاوة القرآن المجيد، على عادة الختمات فى التبكر و الغدوات، متبعا ذلك بتمجيد آلاء الله و تعظيمها و الصلاة على نبيه-

صلى الله عليه صلاة يوضع أرج نسيمها، شافعا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٢٨

ذلك بالثناء على الخلفاء الراشدين- صلوات الله عليهم أجمعين- و الاعلان بالدعاء للمواقف الشريفة المقدسة النبوية الامامية الطاهرة الزكية، المعظمة المكرمة، الممجدة الناصرة لدين الله تعالى- لاه زالت منصوره الكتب و الكتاب، منشورة المناقب مسعودة الكواكب و المواكب مسودة الأهب مبيضة المواهب، ما خطب الى جموع الأكابر و علا فروع المنابر خطيب و خاطب، و أن يذكر بن الأصول فصلا يكون من سهام الشبه جنة، و لنصر اليقين مظنة، متبعا المذهب و مفرداته، و نكته و مشكلاته، ما ينتفع به المتوسط و المبتدى، و يتبينه و يستضىء به المنتهى، و ليذكر من المسائل الخلافية ما يكون داعيا إلى وفاق المعانى و العبارات، هاديا لشوارد الأفكار إلى موارد المنافسات، ناظما عقود التحقيق فى سلوك المحققات، مصوبا أسنة البديهة إلى نغز الأناء، معتصما فى جميع أمره بخشية الله و طاعته، مستشعرا ذلك فى علنه و سريرته. و المفروض له عن هذه الخدمة فى كل شهر للاستقبال المقدم ذكره من حاصل الوقف المذكور لسنة تسع و تسعين الخراجية و ما يجرى معها من هلاية و ما بعدها أسوة بما كان لعبد اللطيف ابن الكيال من الحنطة كيل البيع ثلاثون قفيزا و من العين الامامية عشرة دنانير، يتناول ذلك شهرا فشهرها مع الوجوب و الاستحقاق، للاستقبال المقدم ذكره، من حاصل الوقف المعين للسنة المبينة الخراجية و ما بعدها بموجب ما استؤمر فيه من المخزن المعمور- أجله الله تعالى- و إذن فليجر على عادته المذكورة، و قاعدته و لتكن صلواته و جماعته فى جامع القصر الشريف فى الصفة التى لأصحاب أبى حنيفة- رحمه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٢٩

الله عليه- و ليصرف حاصل الوقوف المذكورة فى سبلها بمقتضى شرط الواقف المذكور فى كتاب الوقفية من غير زيادة فيها و لا عدول عنها، و لا حذف شىء منها، عالما أنه مسؤول فى غده عن يومه و أمسه، و أن أفعال المرء صحيفة له فى رسمه، و ليبدل جهده

في عمارة الوقوف و استئنائها و استثمار حاصلها و ارتفاعها، مستخيرا من يستخدمه فيها من الأجلاد الأمانء، ذوى العفة و الفناء، متطلعا إلى حركاتهم و سكناتهم، مؤاخذا لهم على ما لعله يتصل به من فرطاتهم، لتكون الأحوال متسقة النظام و المال محروسا من الانثلام، و ليبتدى بعمارة المشهد و المدرسة المذكورين، و إصلاح فرشها و مصابيحها، و أخذ القوام بالمواظبة على الخدمة بها و إلزام المتفقهة بملازمة الدروس و تكرارها، و إتقان المحفوظات و أحكامها، و ليثبت ما بخزانة الكتب من المجلدات و غيرها، معارضا ذلك بفهرسته، متطلبا ما عساه قد شدّ منها، و ليأمر خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها و نفضها فى كل وقت، و مرمة شعثها و أن لا يخرج شيئا منها إلا- إلى ذى أمانه، مستظها بالرهن عن ذلك، و ليلتق هذه الموهبة بشكر يرتبطها و يدر أخلافها و اجتهاد يضبطها و يؤمن إخالفا، و ليعمل بالمحدود له فى هذا المثال، من غير توقف فيه بحال، إن شاء الله تعالى، و كتب لتسع بقين من ذى القعدة من سنة أربع و ستمائة، و حسبنا الله و نعم الوكيل، و صلى الله على سيدنا محمد نبيه و آله الطاهرين الأكرمين و سلم».

و قال العالم الفقيه القاضى الشيخ محمد بن طاهر السماوى- رح:-

«وجدت فى مجموعة شعر فيه مدائح للنبي- صلى الله عليه و آله و للأئمة- عليهم السلام- مدائح و مرث و فيها أن مجد الدين ابن جميل صاحب المخزن للناصر غضب عليه فحبسه فضاقت صدره فمدح أمير المؤمنين-

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٣٠

عليه السلام- بقصيدة ذات ليله فى المحرم و هى:

ألمت و هى حاسرة لثاموا قد ملأت ذوائها الظلاما
و أجزت أدمعا كالطلّ هبت لها ريح الصبا فجزت تواما
و قالت أقصدتك يد الليالى و كنت لخائف منها عصاما
و أعوزك اليسير و كنت فيناثمالا للأرامل و اليتامى
فقلت لها كذاك الدهر يجنى فقرى و ارقبى الشهر الحراما
فإنى سوف أدعو الله فيه و أجعل مدح حيدرة اماما
و أبعثها إليه منقحات يفوح الشيخ منها و الخزامى
تزور فتى كأن أبا قبيس تسنم منكبيه أو شماما
أغرّ له إذا ذكرت أيا دعاء و ابل يشفى الأواما
و أبلج لو ألم به ابن هند لأوسعه حياء و ابتساما
و لو رمق السماء و ليس فيها حيا لاستمطرت غيثا زكاما
و تلثم من تراب أبى تراب ترابا يبرىء الداء العقاما
فتحظى عنده و تؤوب عنه و قد فازت و أدركت المراما
بقصد أخى النبي و من حباه بأوصاف يفوق بها الأناما
و من أعطاه يوم غدیر خم صريح المجد و الشرف القدامى
و من ردّت ذكاء له فصلّى أداءا بعد ما كست الظلاما
و آثر بالطعام و قد توالى ثلاث لم يذق فيها طعاما
بقرص من شعير ليس يرضى سوى الملح الجريش له إداما
فردّ عليه ذاك القرص قرصا و زاد عليه فوق القرص جاما
أبا حسن و أنت فتى إذا مادعاه المستجير حمى و حامى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٣١ أزرتك يقطه غر القوافي فرني يا ابن فاطمة مناما
و بشرني بأنك لي مجيرو أنك ما نعي عن أن أضاما
و كيف يخاف حادثه الليالي فتى يعطيه حيدر دما
سقتك سحائب الرضوان سحاكفيض يديك ينسجم انسجاما

و نام فرأى أمير المؤمنين -ع- فتلاها عليه، فقال له: الساعة تخرج. فانتبه فرحا و جعل يجمع رحله. فسأله من كان معه، فقال:
الآن اخرج. فظنوا به الاختلال و تغير العقل، فطرق باب السجن و دعى إلى الناصر، فخرج و أخبره الرسول أنه وجده متهيئا للخروج
فلما مثل بين يديه قال: أخبرت أنك عند مجيء الرسول إليك كنت متهيئا للخروج. قال: نعم. و من أعلمك باطلاقك؟ قال: أمير
المؤمنين عليه السلام. و حكى له القصيدة. فقال الناصر: صدقت إنى رأيت أمير المؤمنين -ع- فى منامى فأمرنى باطلاقك فى هذه
الساعة و توعدنى إن تركتك للصبح. ثم أعطاه ألف دينار و أعاده فى محله من الديوان ورد إليه ما صادره عليه قال الشيخ محمد
السماوى: «أقول: و لم أف على ترجمه مجد الدين هذا و لعنى أف عليها فيما بعد». قال مصطفى جواد: من ذكرت ترجمته فى
معجم الأدباء لياقوت الحموى و بغية الوعاة للسيوطى فمن السهل الوقوف على ترجمته.

و لشرف الدين محمد بن عنين الشاعر الدمشقى المشهور فى مدح مجد الدين ابن جميل:
و قالوا غدت بغداد خلوا و ما بها جميل و لا من يرتجى لجميل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٣٢ و كيف استجازوا قول ذاك و قد حوت لنا الفضل شمس الدولة ابن جميل

سنة «٦١٧» هـ

إشارة

٩٧- و أبو الفتوح عبد اللطيف بن على بن على بن هبة الله بن محمد ابن البخارى القاضى، ذكره ابن الديبى فى تاريخه قال «من بيت
العدالة و القضاء و الولاية، تولى أولا القضاء بربع باب الأزج يوم الثلاثاء عاشر شوال سنة إحدى و ستمائة ثم ولى الحكم و القضاء
بجميع شرقى مدينة السلام فى يوم الاثنين عاشر شعبان سنة ثمان و ستمائة و أذن له فى الاسجال عن الخدمة الشريفة الامامية
الناصرية- أعز الله أنصارها و ضاعف اقتدارها- و تقدم إلى الشهود بحضور مجلسه و الشهادة عنده و عليه فيما يسجله و رد إليه النظر
فى دجيل من أعمال السواد، فحكم فى اليوم المذكور و سمع البينة و أسجل و لم يزل على ذلك إلى أن ولى صدرية المخزن
المعمور و النظر فى أعماله فى يوم السبت ثالث عشرى شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة و ستمائة و خلع عليه و ركب إلى المخزن
المعمور فى جمع كثير و ذلك مضافا إلى ما كان إليه من الأعمال بالسواد ثم أضيف إلى نظره واسط و البصرة و تكريت و الحلة
المزيدية، فكان على ولايته، و الأعمال المذكورة منوطه بنظره إلى أن عزل عن الجميع يوم الأربعاء ثانى جمادى الآخرة سنة أربع
عشرة و ستمائة ثم أعيد إليه النظر بالمخزن المعمور ليلة الخميس عاشر شعبان سنة خمس عشرة و ستمائة.

ثم توفى ليلة الجمعة ثالث عشرى ربيع الآخر سنة سبع عشرة و ستمائة و دفن بالمشهد (الكاظمى) عند أبيه « و ترجمه زكى الدين
المنذرى بما لا يخرج عما ذكره ابن الديبى و قال: «صلى عليه بجامع القصر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٣٣

الشريف أرباب الدولة و غيرهم و دفن من الغد بالمشهد عند أبيه».

و ذكره الذهبى فى المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الديبى و معنى ذلك أنه اختصر ما نقلناه آنفا، و قال فى تاريخ الاسلام فى
وفيات سنة ٦١٧: «عبد اللطيف ابن قاضى القضاء أبى طالب على بن هبة الله ابن البخارى القاضى أبو الفتوح البغدادى ولى القضاء
بالجانب الشرقى جميعه و ولى النظر بالمخزن المعمور و هو من بيت القضاء و الحشمة».

توفى في ربيع الآخر».

قال مصطفى جواد: يظهر لى أن بين وفاته و الحدث الذى أحدثته زوجه اشتياق صلة و أن ذلك الحدث أثر فى نفسه تأثيرا سيئا ربما أتى عليها، قال القفطى فى ترجمه أبى على مسيحي ابن أبى الخير العطار النبلى الأصل البغدادى المولد و المنشأ: «كان جاه أبيه (مسيحي) يستره فلما مات (سنة ٦٠٨) زال من كان يحترمه لأجله و لازم هو ما كان عليه من قلمه التحفظ فى أمر دينه و دنياه و اتفق أن كان على بعض مسرّاته إذ كبس فى ليلة الجمعة حادى عشر شهر ربيع الأول من سنة سبع عشرة و عنده امرأة من الخواطىء المسلمات تعرف بست شرف، فلما قبض عليه أقر جماعة من الخواطىء المسلمات كنّ يأتينه لأجل دنياه، من جملةهن امرأة تعرف ببنت الجيش الركابدار و اسمها اشتياق و كانت زوجة (عبد اللطيف) ابن البخارى صاحب المخزن أم أولاده، فخرجت الأوامر بالقبض على النساء اللواتى ذكرهنّ، فقبض عليهن و أودعهن سجن (الطرّارات) ثم رسم باهلاك ابن مسيحي، ففدى نفسه بستة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٣٤

آلاف دينار و أظهر فيها بيع ذخائره و كتب أبيه». فالحدث جرى فى اليوم الحادى عشر من شهر ربيع الأول وفاته حدثت فى الثالث و العشرين من شهر ربيع الآخر.

ابو الحسن نصير الدين

٩٨- و نصير الدين أبو الحسن ناصر بن مهدى العلوكى الحسنى المازندرانى الوزير، ذكره ابن الطقطقى فى تاريخه قال: هو مازندرانى المولود الأصل، رازى المنشأ، بغدادى التدبير و الوفاء، كان من كفاة الرجال و فضلائهم و أعيانهم، و ذوى الميزة منهم، اشتغل بالأدب فى صباه فحصل منها طرفا صالحا ثم تبصر بأمر الدواوين ففاق فيها.

و كان فى ابتداء أمره ينوب عن النقيب عز الدين المرتضى القمى نقيب بلاد العجم كلّها و منه استفاد قوانين الرئاسة. و كان عز الدين النقيب من أماجد العالم و عظماء السادات، فلما قتل النقيب عز الدين، قتله علاء الدين خوارزمشاه هرب ولده النقيب شرف الدين محمد و قصد مدينة السلام مستجيرا بالخليفة الناصر، و صحبته نائبه نصير الدين ابن مهدى. و كان (ابن مهدى) من عقلاء الرجال فاختبره الناصر فرآه عاقلا ليبيبا سديدا فصار يستشيره (كذا) سرا فيما يتعلق بملوك الأطراف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٣٥

فوجد عنده خبرة تامّة بأحوال السلاطين العجم و معرفة بأموهم و قواعدهم و أخلاق كل واحد منهم، فكان الناصر كلما استشار به فى شىء من ذلك يجده مصيبا عين الصواب فاستخلصه لنفسه و رتبه أولا- نقيب الطالبين ثم فوض إليه أمور الوزارة، فمكث فيها مدة تجرى أموره على أتم سداد، و كان كريما وصولا على الهمة شريف النفس. حدث عنه أنه كان يوما جالسا فى دست الوزارة و فى يده قطعة عود كبيرة، فرأى بعض الصدور الحاضرين و هو يلح بالنظر إليها. فقال: أتعجبك هذه؛ فدعا له. فوهبه إياها. و قام الرجل ليخرج، فلما بعد عن مجلس الوزير استدعاه بسرعة و قال له: أتريد أن تفضحنا و تصدق المثل فينا (بخره عريانا)؟! ثم أمر فخلع عليه و دفع إليه تخت ثياب و قال له: تبخر فى هذه الثياب.

و مدحه الأبهري الشاعر الأعجمى بقصيدة مشهورة فى العجم .. و أرسلها الأبهري صحبة بعض التجار مع بعض القفول و قال للتاجر: أوصلها إلى الوزير و إن قدرت أن لا تعلمه من قائلها فافعل فلما عرضت القصيدة على الوزير استحسناها و طلب التاجر و دفع إليه ألف دينار ذهبا و قال: هذه تسلمها إلى الأبهري و لا تعلمه ممّن هى.

و قبض الناصر عليه كارها لأموار اقتضت ذلك و كان القبض عليه فى سنة أربع و ستمائة، و نقل إلى دار الخلافة فأقام بها تحت الاستظهار على حالة الإكرام و المراعاة إلى أن مات تحت الاستظهار فى سنة سبع عشرة و ستمائة». و ذكره السيد ابن عنبه فى عقب

زيد بن الحسن -ع- قال:

«و منهم زيد بن حمزة بن محمد». من ولده الوزير أبو الحسن ناصر بن مهدي بن حمزة بن محمد بن حمزة (بن) مهدي بن الناصر بن زيد المذكور، الرازي المنشأ المازندراني المولد. ورد بغداد بعد قتل السيد النقيب عز الدين موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٣٦

يحيى بن محمد الذي كان نقيب الرى وقم و آمل - و هو من بنى عبد الله الباهر - و كان محمد بن النقيب المذكور معه، و كان الوزير ناصر فاضلا محتشما حسن الصورة، مهيبا فوضت إليه النقابة الطاهرية ثم فوضت إليه نيابة الوزارة فاستتاب في النقابة محمد بن يحيى النقيب المذكور ثم كملت له الوزارة و هو الأربعة الذين كملت لهم الوزارة في زمن الخليفة الناصر لدين الله، و لم يزل على جلالته في الوزارة و نفاذ أمره و تسلطه على السادة بالعراق إلى أن أحيط بداره ذات ليلة، فجزع لذلك و كتب كتابا ثبتا يحتوى على جميع ما يملكه من جميع الأشياء حتى حلى ثيابه و كتب في ظهره: إن العبد ورد هذا البلد و ليس له شيء يلبسه و يركبه و هذا المشتب في هذا الثبث إنما استفدته من الصدقات الإمامية و التمس أن يصاب في نفسه و أهله. فورد الجواب عليه: إننا لم ننقم عليك بما سترده و قد علمنا ما صار إليك من مالنا و تربيتنا و هو موفر عليك. و ذكر له أمرا اقتضى له أن يعزل. فسأل أن ينقل إلى دار الخلافة ليأمن من سعى الأعداء و تطرقهم إليه بشيء من الباطل، فنقل إلى هناك و بقى في داره مصونا إلى حين وفاته. و قد قيل في سبب عزله أقوال منها أن الخليفة الناصر ألقى إليه رقعة و لم يعلم صاحبها و فيها هذه الأبيات :

ألا مبلغ عنى الخليفة أحمد اتوق و قيت الشر ما أنت صانع
وزيرك هذا بين شيئين فيهما فعا لك يا خير البرية ضائع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٣٧ فان كان حقا من سلالة أحمد فهذا وزير في الخلافة طامع و إن كان فيما يدعى غير صادق فأضيع ما كانت لديه الصنائع

و منها أنه كان لا يوفى الملك صلاح الدين بن أيوب ما (له) من الألقاب. و كان صلاح الدين هو الذى أزال الدولة العبيدية من مصر و خطب للخليفة الناصر بالخلافة هناك فيقال إن بعض رسله إلى دار الخلافة لما أنهى ما جاء لأجله قال: عندي رسالة أمرت أن لا أؤديها إلا مشافهة في خلوة.

فلما خلا به قال: العبد يوسف بن أيوب يقبل الأرض و يقول: تعزل الوزير ابن مهدي و إلّا فعندى باب مقفل خلفه قريب من أربعين رجلا، أخرج واحدا منهم و أدعوه بالخلافة في ديار مصر و الشام. فكان هذا سبب عزل الوزير. و كان (نصير الدين) جبارا مهيبا وجد ذات يوم رقعة في دواته و استعبرها و لم يعلم من طرحها فإذا فيها شعر:

لا قاتل الله يزيدا و لامدت يد السوء إلى نعله

فانه قد كان ذا قدرة على اجتثاث العود من أصله

لكنه أبقى لنا مثلكم أحياء كى يعذر فى فعله

فقامت عليه القيامة، فاجتهد فلم يعرف من ألقاها. .

و قال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٩٢: «و فى شوال منها أثبت نصير الدين ناصر بن مهدي العلوى الرازي فى الوزارة» و الصحيح نيابة الوزارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٣٨

ألا تراه قال فى حوادث سنة ٦٠٤ فى خبر عزله: «كان هذا نصير الدين ناصر بن مهدي العلوى من أهل الرى من بيت كبير فقدم بغداد لما ملك مؤيد الدين ابن القصاب وزير الخليفة الرى و لقي من الخليفة قبولا فجعله نائب الوزارة ثم جعله وزيرا». ثم إن هذا مخالف للتاريخ قال ابن الساعى فى حوادث سنة ٥٩٧: «و فى تاسع عشر صفر خلع على نصير الدين أبى الحسن ناصر بن مهدي العلوى الرازي و ولى نيابة الوزارة و ركب إلى الديوان العزيز و جلس به و نفذ المراسم الشريفة الناصرية و وقع إلى الأطراف» و قال فى حوادث

السنة المذكورة: «و في خامس ذى القعدة خرج نصير الدين ناصر بن مهدي المذكور و خرج معه الأمير طاشتكين لاستعراض العساكر و كان على عزم التوجه إلى اليمن لمحاربة إسماعيل ابن سيف الاسلام طغديكين لأنه ادعى أنه أموي و سمى نفسه خليفة فأغناهم الله عن قصده و قصمه و طهر البلاد منه» .

و قال في حوادث سنة «٦٠٢»: «و في ثاني عشر جمادى الأولى منها أشهد الإمام الناصر لدين الله -رضي الله عنه- على نفسه الشريفة بالوكالة الجامعة للوزير نصير الدين ناصر بن مهدي، العدلين أبا منصور ابن الرزاز و أبا نصر بن زهير» و قال فيها: «و في ثامن ذى الحجة من السنة خلع على نائب الوزارة نصير الدين ناصر بن مهدي بباب الحجره الشريفة خلع الوزارة و خرج راكبا من هناك و جميع أرباب الدولة بين يديه رجاله و كذلك الأمراء إلى الديوان العزيز و جلس في دست الوزارة و كتب إنهاء و عرضه فبرز الجواب عنه على يد الأستاذ تاج الدين رشيق القادم الخاص فقرأه على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٣٩

الحاضرين و عاد إلى داره» ثم قال في سنة ٦٠٤: «و في يوم السبت ثاني عشرى جمادى الآخرة من سنة أربع و ستمائة المذكورة عزل الوزير نصير الدين أبو الحسن ناصر بن مهدي العلوي، حضر عنده ليلا من شافهه بالعزل و أغلق بابه و ضرب له الطبل في تلك الليلة بالرحبة جريا على عادته و احتيط على داره و أبوابه و كذلك دار ولده ركن الدين محمد المقدم، ذكر عزله (عن صدرية المخزن) ثم نقل هو و أولاده إلى دار بالصاغة من دار الخلافة المعظمة و نقل معه أمواله و أسبابه جميعها و جعل معه غلمان من رجال الدار العزيزة يحفظونه» .

و قال ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠٤ تحت عنوان (ذكر عزل الوزير نصير الدين وزير الخليفة) و قد نقلنا بعضه آنفا: «فلما كان في الثاني و العشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة عزل و أغلق بابه و كان سبب عزله أنه أساء السيرة مع أكابر مماليك الخليفة فمنهم أمير الحاج مظفر الدين سنقر وجه السبع فانه هرب من يديه إلى الشام سنة ثلاث و ستمائة، فارق الحاج بالمرجوم و أرسل يعتذر و يقول: إن الوزير يريد أن لا يبقى في خدمة الخليفة أحد من مماليكه و لا شك أنه يريد أن يدعى الخلافة. و قال الناس في ذلك فأكثروا و قالوا الشعر فمن ذلك قول بعضهم: ألا مبلغ عنى الخليفة أحمدا ...

عزله، و قيل في سبب ذلك غيره و لما عزل أرسل إلى الخليفة يقول: إننى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٤٠

قدمت إلى ها هنا و ليس لى دينار و لا درهم، و قد حصل لى من الأموال و الأعلاق النفيسة و غير ذلك ما يزيد على خمسمائة ألف دينار . و يسأل أن يؤخذ منه الجميع و يمكن من المقام بالمشهد أسوة ببعض العلويين، فأجابه (الخليفة الناصر: إننا ما أنعمنا عليك بشيء فنوينا إعادته و لو كان ملء الأرض ذهبا، و نفسك فى أمان الله و أماننا و لم يبلغنا عنك ما يستوجب به ذلك، غير أن الأعداء قد أكثروا فيك، فاختر لنفسك موضعا تنتقل إليه موقرا محترما. فاختر أن يكون تحت الاستظهار من جانب الخليفة لئلا يتمكن منه العدو فتذهب نفسه، ففعل به ذلك. و كان حسن السيرة قريبا إلى الناس حسن اللقاء لهم و الانبساط معهم، عفيفا عن أموالهم، غير ظالم لهم.

فلما قبض عاد أمير الحاج سنقر و عاد أيضا قشتمر» .

و قال سبط ابن الجوزى فى حوادث سنة ٦٠٢: «و فيها استوزر الخليفة نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي الحسنى و خلع عليه خلعة الوزارة: القميص و الدراعة و العمامة و خرج من باب الحجره فقدم له فرس من خيل الخليفة و بين يديه دواة فيها ألف مثقال ذهب و وراء المهد الأصفر و ألوية الحمد و طول النوبة و الكوسات تخفق و العهد منشور بين يديه و جميع أرباب الدولة مشاة بين يديه و ضربت الطبول و البوقات له بالرحبة فى أوقات الصلوات الثلاث: المغرب و العشاء و الفجر. فقال الناس: يا ليت شعرنا ماذا بقى الخليفة لنفسه» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٤١

و كانت صورة خطاب الوزير ابن المهدي الرسمية «المولى الوزير الأعظم، صاحب الكبير المعظم، العادل المؤيد المظفر، المجاهد نصير الدين صدر الاسلام، غرس الامام، شرف الأنام عضد الدولة مغيث الأمة، عماد الملك، اختيار بالخلافة المعظمة، مجتبي الأمة المكرمة، تاج الملوك. سيد صدور العالمين ملك وزراء الشرق والغرب غياث الوري نصير الدين أبو الحسن نصر بن مهدي، ظهير أمير المؤمنين و وليه المخلص في طاعته الموثوق به في صحة عقيدته» .

و قال أبو الفضائل محمد بن علي الحموي و العهدة عليه في تاريخه في حوادث سنة ٦١١: «سنة حادي عشرة و ستمائة كان قد تجهز خوارزم شاه إلى العراق و فيها وصلت رسل خوارزم شاه يطلب الدار ببغداد و الخطبة و أن يخاطب بمخاطبة السلجوقية، و يقال له في الخطبة (قسيم أمير المؤمنين) فما أجيب إلى ذلك، و أنكر عليه غاية الانكار، سبب عزل الخليفة لوزيره نصير الدين العلوي أنه كان قد سير ثلاثمائة جمل عليها قواصر التمر و أودع كل جمل ألف دينار، فتعرض لها بعض ولاة الخليفة و طلب شيئاً من ذلك التمر يأكله، فامتنعوا عليه من ذلك إلا أنه ألح عليهم، فأخذ جملين و فتح قوصرة تمر ففرقها على الجماعة وجد الذهب، ففتح الثانية فوجد كذلك فضبط الجميع و طالع به الخليفة، فأنكر ذلك عليه و عزله و نقله إلى دار الخليفة هو و أولاده بعد أن أخذ جميع الذي كان له فما وجد إلا القليل لأنه كان قد نقله إلى العجم و استوفينا قصته في البيان» .

و هذا الخبر مضطرب عليه سيما الكذب و يدل على أن هذا المؤرخ كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٤٢

عامياً بعيداً عن التعقل، ثم إن الخبر أشبه بأخبار العوام منه بأخبار المؤرخين الأثبات و الأخباريين الثقات. و ترجم له الذهبي بايجاز في تاريخه الكبير و ليس في ترجمته الموجزة فائدة زائدة نذكرها .

قيصر بن المظفر

٩٩- و أبو محمد قيصر بن المظفر بن يلدرك، ذكره المنذري في وفيات سنة ٦١٧ قال: «و في الثالث و العشرين من جمادى الأولى توفي الشيخ أبو محمد قيصر بن المظفر بن يلدرك ببغداد و دفن من الغد بمشهد باب التين» .
و ذكره الذهبي في تاريخه في السنة المذكورة قال: «قيصر بن مظفر بن يلدرك أبو محمد البغدادي، أديب فاضل أخباري مليح الخط، صحب أبا الفوارس سعد بن محمد حيص بيص و انقطع له و سمع منه الكثير و توفي في جمادى الأولى و له ثمان و ثمانون سنة» .
و قد اشتهر في هذا العصر كثير من الرجال باسم قيصر منهم قيصر بن عبد الله الناصري الأمير و قيصر العونى نسبة إلى الوزير عون الدين ابن هبيرة و قيصر بن فيوز البواب و قيصر بن عبد الله البدرى و غيرهم.

سنة ٦١٨ هـ

إشارة

١٠٠- و محمد بن مبشر بن أبي الفتوح نصر بن أبي يعلى بن أبي البشائر بن أبي يعلى بن مبشر، ذكره القفطى بهذه التسمية قال: «وكيل الباب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٤٣

العدوي . بغدادى كان فاضلاً متميزاً عالماً بعلوم الأوائل و الهندسة و الفلسفة و علم النجوم و الحساب و الفرائض و تولى وكالة الأمير عدة الدين أبي نصر محمد ابن الامام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد و توفي ببغداد و هو على منزلته و خدمته في يوم الاثنين رابع رجب سنة ثمانى عشرة و ستمائة و دفن بمشهد موسى بن جعفر» .

ابن حفنا

١٠١- و الشيخ أبو الفضل النفيس بن أبي البركات بن معالي البغدادي الزعيمي المعروف بابن حفنا ذكره ابن البرثي بدلالة وجوده في مختصر الذهبي للتاريخ المذكور و لم يعثر على القسم الذي فيه ترجمته من تاريخ ابن البرثي فلذلك نذكر الاختصار قال الذهبي: «النفيس بن أبي البركات بن معالي أبو الفضل المستخدم، سمع ابن البطي و ابن غبرة أنبأنا قال أنبأنا ابن غبرة و روى حديثا. توفي في صفر سنة ثمان عشرة و ستمائة.

قلت: روى عنه البرزالي و الضياء و عبد الصمد بن أبي الحبيش و قال في نسبه: ابن حفنى الزعيمي» .

و ذكره زكى الدين المنذرى في وفيات سنة ٦١٨ قال: «و في ليلة الرابع عشر من صفر توفي الشيخ الصالح أبو الفضل النفيس بن أبي البركات بن معالي البغدادي الزعيمي المعروف بابن حفنا ببغداد، و دفن من الغد بمشهد باب التبن سمع بالكوفة من أبي الحسن محمد بن محمد بن غبرة الحارثي و ببغداد من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد و غيره و حدث لنا منه إجازة.

و حفن بضم الحاء المهملة و سكون الفاء و فتح النون قيل كانت أمه من موالى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٤٤

زعيم الدين يحيى بن جعفر صاحب المخزن فنسب إليه و ربي مع أولاده و سمع معهم و قيل كان صاحباً لزعيم الدين». و ذكره الذهبي في وفيات سنة ٦١٨ قال: «النفيس بن أبي البركات بن معالي بن حفنى أبو الفضل الزعيمي البغدادي المستخدم. سمع أبا الحسن ابن غبرة و أبا الفتح بن البطي، روى عنه البرزالي، و الضياء و الشيخ عبد الصمد بن أبي الحبيش و الديثي و آخرون و كان رجلاً صالحاً. و حفنى بضم الحاء المهملة و فتح النون. توفي -رح- في رابع عشر صفر» .

على ابن نما الحلبي

١٠٢- و كافي الدين أبو عبد الله الحسين بن أبي القاسم على ابن نما الحلبي الكاتب الشاعر من أسرة من الحلبة المشهورة، ذكره المنذرى في وفيات سنة ٦١٨ قال: «و في الثاني و العشرين من شهر ربيع الأول توفي الشيخ الأديب أبو عبد الله الحسين بن أبي القاسم على بن نما الحلبي الكاتب ببغداد و دفن من يومه بالمشهد، و هو من أهل الحلة المزيديّة و سكن بغداد و خدم الأمراء و كان له ترسل و شعر. حدث بشيء من شعره و أخبر أن مولده في سنة ثلاث و ثلاثين و خمسمائة. و قال مرة أخرى: سنة تسع و عشرين و قال مرة أخرى: سنة أربع و ثلاثين و خمسمائة».

و ذكره ابن الديثي في «الحسينين» من تاريخه لبغداد قال: «الحسين ابن على بن نما أبو عبد الله بن أبي القاسم الكاتب، قدم بغداد و استوطنها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٤٥

و خدم مع الأمراء و كان له ترسل و شعر. سمعنا منه قطعاً من شعره. أنشدنا أبو عبد الله الحسين بن على ابن نما ببغداد لنفسه مبدأ قصيدة له:

نفى و قادات الكرب عن روح قلبه نسيم سرى من صوب رضوى و هصبه

فيا حبذا و انيه ضعفا إذا سرى يلاعب غصنا من أراك بقضبه

جرى روحه في روح قلبى فزاده اشتياقا إلى رياء الحبيب و قربه

أرى غصنا غصبا ثناه نسيمه ثنى مارنى عطفا لصوب مهبه

فأقلت قلبى من حبال وقده و طوقه روحا أريجا بقطبه (كذا)

دعاني داعي الشوق يوم تحملوا فليتيه يا ليتني لم ألبه
متى حن قلبي أن صبري فبرده بمعترك فيه المنايا و نصبه (كذا)
تمر خطوط الافتراق تمرّ داعينفا فتبا للفراق و خطبه
فوالهفتا إذ صار سهل فراقكم ببعدهم وعرا كقدس و شعبه»

و ذكر اختلاف أقواله في تاريخ مولده و قال: «و توفي ببغداد في ليلة الاثنين في عشرين ربيع الأول سنة ثمان عشرة و ستمائة و دفن يوم الاثنين» .

و ذكره ابن الفوطي في الملقين بالكافي قال: «كافي الدين أبو عبد الله الحسين بن علي ابن نما الحلبي الأديب، قدم بغداد و استوطنها و كان فاضلا أديبا له ديوان و شعر حسن في الفنون و كان مداحا و من شعره» و ذكر ثلاثة أبيات من التي ذكرناها و قال: ذكره ابن الديبشي و قال: سمعنا عليه شعره و توفي سنة ثمان عشرة و ستمائة» . و كان قال في ترجمة غرس الدين بدر الدولة من أبي الحسن علي بن أفسنقر الناصري الأمير: «كتب الأديب كافي الدين الحسين بن علي بن نما الحلبي على لسان غرس الدولة يذكر الصنع الذي أدركه مالك رقه سنة سبع و تسعين و خمسمائة»:

ملك الملوك أزلت عنى صدمة لليتم فانحرفت مصاحبة اللقا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٤٦ و بنيت لي ركني و كان مهذّما و نظمت لي شملتي و كان مفزقا

لم يبلغا أبواي في أمانيا بلغتنيها يا رفيع المرتقى

و ذكره عز الدين بن جماعة قال: «أنبأنا الشريف تاج الدين الغرافي عن أبي عبد الله بن محمد (ابن النجار) البغدادي قال أنشدنا أبو عبد الله ابن نما الكاتب لنفسه:

أو ميض برق بالأبيرق أو مضام ثغر غانية بليل قد أضأ؟

أسكنتم الأيام فياض الحياو كسوتهم الأحشاء ألهب الغضا

يا جامعي الأضداد لم لم تجمعوا سخطا ممضًا للفؤاد به الرضا؟

زمن الوصال تقوضت أيامه يا ليت دهر الهجر كان تقوؤضا

هو الحسين بن علي بن نما ابن حمدون الكاتب من أهل الحلّة السيفية له شعر و رسائل دونهما و الغالب عليهما ركاكة الألفاظ و قلة المعاني و كان رافضيا. ولد في ذي الحجة سنة تسع و عشرين و خمسمائة و توفي في شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة ببغداد» .

سنة ٥٦٢٠ هـ

إشارة

١٠٣- و الشريفة كاملية بنت محمد بن أحمد بن محمد بن عمر العلوية الزيدية، ذكرها المنذري في وفيات سنة «٦٢٠» قال: «و في الخامس و العشرين من المحرم توفيت الشريفة كاملية بنت محمد بن أحمد بن محمد ابن عمر العلوية الزيدية إبنة أخي الشريف أبي الحسن (علي بن أحمد) الزيدي ببغداد و دفنت بمشهد باب التبن سمعت بإفاده عمها من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد و حدثت» . و ذكرها ابن الديبشي في تاريخه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٤٧

بدلالة وجودها في المختصر قال: «كاملية بنت محمد بن أحمد العلوية سمعها عمها علي بن أحمد الزيدي من أبي الفتح ابن البطي. سمع منها الطلبة».

توفيت في محرم سنة عشرين و ستمائة» .

ابن السبيع

١٠٤- و الشريف أبو محمد قريش بن السبيع بن المهنا بن السبيع بن المهنا بن داود بن قاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - العلوي الحسيني المدني، ذكره المنذرى في وفيات سنة «٦٢٠» ه قال وقد ذكر اسمه ونسبه «و في ليلة الخامس والعشرين من ذى الحجة توفي الشريف أبو محمد قريش ... نزيل بغداد بها و دفن من الغد بمشهد باب التبن. و مولده بمدينة رسول الله - ص - في شعبان سنة إحدى وأربعين و خمسمائة و قيل سنة أربعين و قيل سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة.

قدم بغداد في صباه و سكنها إلى حين وفاته و طلب الحديث و سمع الكثير و قرأ على الشيوخ و كتب بخطه و سمع من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد و أبي طالب المبارك بن علي بن خضير الصيرفي و أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي و أبي الحسن علي بن أبي سعد الخباز و أبي بكر عبد الله ابن محمد بن أحمد بن النور و أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن الخشاب و جماعة سواهم من المتأخرين و حدث، و لنا منه إجازة كتب بها إلينا من بغداد سنة تسع عشرة و ستمائة». و ذكره ابن الديلمي في تاريخه بدلالة وجوده في مختصر تاريخه قال الذهبي: «قريش بن سبيع بن المهنا بن السبيع الحسيني

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٤٨

أبو محمد المدني قدم بغداد و سكنها و سمع ابن البطي و ابن النور و أبا محمد ابن الخشاب و المبارك بن خضير. قرأت عليه أخبركم ابن البطي. فذكر حديثا. ولد سنة إحدى و أربعين و خمسمائة بالمدينة، و توفي في ذى الحجة سنة عشرين و ستمائة ببغداد». و ترجم له جمال الدين محمد بن علي ابن الصابوني بعد ذكر اسمه و نسبه و جماعة من الشيوخ الذين روى عنهم:

«روى عنهم، أجاز لي غير مرة، مولده في شعبان سنة إحدى و أربعين و خمسمائة بمدينة الرسول - ص - و ذكر الحافظ أبو عبد الله عبد الله محمد ابن محمود ابن النجار - و من خطه نقلت: - أن مولده في سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة و توفي ليلة الخامس والعشرين من ذى الحجة سنة عشرين و ستمائة و دفن بالمشهد»، و ذكره الذهبي في تاريخه و قال فيما قال: «قدم بغداد و طلب و سمع الكثير و حصل و عنى بالحديث ... روى عنه الديلمي و ابن النجار و أهل بغداد و غيرهم، توفي في ذى الحجة». و ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة قال: «و جاء في أخبار علي - ع - التي رواها أبو عبد الله أحمد بن حنبل في كتاب فضائله، و هو روايتي عن قريش بن السبيع بن المهنا العلوي عن نقيب الطالبين أبي عبد الله ... بن المعمر». و ذكره الذهبي في وفيات سنة «٦٢٠» و لم يذكر فائدة جديدة لم يذكرها من قبله.

سنة ٦٢١ ه

١٠٥- و أبو المظفر قطب الدين محمد ابن الملك جمال الدين قشتمر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٤٩

ابن عبد الله الناصري البغدادي الأمير، ذكره ابن الفوطي قال: «ذكره لي الأمير فخر الدين أبو سعد بغدي ابن الأمير شرف الدين علي بن قشتمر و قال: كان عمي قطب الدين شابا و كان أعز الأولاد عند أبيه و أدبه و خرج مع والده إلى دقوقا و أحبه أهل تلك النواحي و مات بدقوقا في جمادى الأولى سنة إحدى و عشرين و ستمائة، و حمل إلى بغداد و دفن في تربته أنشأها بمشهد موسى بن جعفر - عليهما السلام -».

و قطب الدين هذا ابن ابنة ارغش التي تزوجها الأمير قشتمر فولدت له قطب الدين محمد و قد ذكرناها في وفيات سنة ٦٠٢ و ذكرنا أنها قتلت نفسها بالحزن و الأسى و الإمتناع عن الطعام و الشراب لمفارقة زوجها لها و يأسها من رجوعه - رحمة الله عليها -.

سنة ٦٢٢ هـ

١٠٦- و أبو القاسم ظفر ابن الشيخ أبي الحسن سالم بن علي بن سلامة ابن البيطار البغدادي الحريمي الحيواني المعروف بابن خضير، ذكره المنذرى فى وفيات سنة ٦٢٢ و قال «و فى الرابع من جمادى الآخرة توفى الشيخ أبو القاسم ظفر ... ببغداد و دفن من الغد بالجديدة من مشهد باب التبن.

سمع بإفاده أبيه من أبي القاسم سعيد بن أحمد ابن البناء و أبي الوقت عبد الأول ابن عيسى و أبي المظفر هبة الله بن أحمد بن محمد بن الشبلى و أبي المعالى محمد ابن محمد بن محمد اللحاس و غيرهم. و حدث و لنا منه إجازة كتب بها إلينا من بغداد. و سئل عن مولده فلم يحققه و ذكر ما يدل على أنه فى سنة ثمان و أربعين و خمسمائة تقريبا، و قد ذكر غير واحد من الثقات أنه سمع من أبي القاسم سعيد بن أحمد بن البناء (المذكور) و هذا يدل على أنه غلط فى تقريبه فى مولده فإن سعيد بن البناء توفى فى ذى الحجة سنة خمسين و خمسمائة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٥٠

و قد تقدم ذكر أخيه أبي الفضل شجاع بن سالم و والدهما أبو الحسن سالم سمع من غير واحد و حدث .

سنة ٦٢٣ هـ

إشارة

١٠٧- و أحمد بن عبد العزيز المعروف بالكزى، هكذا ذكره المنذرى و لم يبين إلى أى شىء أو أى إنسان أو أى بلد نسب، قال: «فى وفيات سنة ٦٢٣: «و فى السابع من المحرم توفى الشيخ أحمد بن عبد العزيز المعروف بالكزى ببغداد و دفن بمقابر قريش». قال مصطفى جواد: أحسبه (الكنزى) نسبة إلى «كنز» قال ياقوت فى معجم البلدان: «كنز بالكسر و تشديد ثانيه و فتحه و آخره راء: قرية قريبة من بغداد من نواحي دجيل قرب أوانا و كان الوزير على بن عيسى يقول: لعن الله أهل كنز و أهل نفر. و هما بالعراق. ينسب إليها من المتأخرين أبو الذخر خلف بن محمد بن خلف الكنزى المقرئ ...».

و ورد اسمه فى شرح نهج البلاغة لعز الدين بن أبى الحديد استطرادا «أحمد بن عبد العزيز الكنزى» قال ابن أبى الحديد: «كان له لسن و يشتغل بشىء يسير من كلام المعتزلة و يتشيع و عنده قحة و قد شدا طرفا من الأدب، و قد رأيت أنا هذا الشخص فى آخر عمره و هو شيخ يومئذ و الناس يختلفون إليه فى تعبير الرؤيا». قال ابن أبى الحديد هذا: «حدثنى من أتق به

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٥١

من أهل العلم حديثا، إن كان فيه بعض الكلمات العامية إلا أنه يتضمن ظرفا و لظفا و يتضمن أيضا أدبا، قال كان ببغداد فى صدر أيام الناصر لدين الله أبى العباس أحمد ابن المستضىء بالله واعظ مشهور بالحدق و معرفة الحديث و الرجال، و كان يجتمع إليه و تحت منبره خلق عظيم من عوام بغداد و من فضلائها أيضا، و كان مشتهرا بدم أهل الكلام و خصوصا المعتزلة و أهل النظر، على قاعدة الحشوية و مبغضى أرباب العلوم العقلية، و كان أيضا منحرفا عن الشيعة يرضى العامة بالميل عليهم، فاتفق قوم من رؤساء الشيعة على أن يضعوا عليه من بيكته و يسأله تحت منبره و يخجله و يفضحه بين الناس فى المجلس، و هذه عادة الوعاظ يقوم إليهم قوم فيسألونهم مسائل يتكلفون الجواب عنها، و سألوها عنم ينتدب لهذا فأشير عليهم بشخص كان ببغداد يعرف بأحمد بن عبد العزيز الكزى (الكنزى) ... فأحضروه و طلبوا إليه أن يعتمد ذلك فأجابهم، و جلس ذلك الواعظ فى يومه الذى جرت عاداته بالجلوس فيه، و اجتمع الناس عنده على طبقاتهم حتى امتلأت الدنيا بهم، و تكلم على عاداته فأطال، فلما مرّ فى ذكر صفات البارئ- سبحانه- فى أثناء الوعظ قام إليه الكزى فسأله أسئلة عقلية، على منهاج المتكلمين من المعتزلة، فلم يكن للواعظ عنها جواب نظرى و إنما دفعه بالخطابة

والجدل و سجع الألفاظ. و تردد الكلام بينهما، طويلاً، و قال الواعظ في آخر الكلام: أعين المعتزلة حول، و أصواتي في مسامعهم طبول، و كلامي في أفئدتهم نصول، يا من بالاعتزال يصول، و يحكك كم تحول و تجول، حول من لا- تدركه العقول، كم أقول و أقول: خلوا هذا الفضول؟. فارتج المجلس و صرخ الناس، و علت الأصوات، و طاب الواعظ و طرب، و خرج من هذا الفصل إلى غيره فشطح شطح الصوفية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٥٢

و قال: سلوني قبل أن تفقدوني. و كثرها، فقام إليه (أحمد بن عبد العزيز) الكزى فقال: يا سيدي ما سمعنا أنه قال هذه الكلمة إلا على بن أبي طالب- عليه السلام- و تمام الخير معلوم- و أراد الكزى بتمام الخبر قوله- عليه السلام-: لا يقولها بعدى إلا مدع. فقال الواعظ، و هو في نشوة طربه، و أراد إظهار فضله و معرفته برجال الحديث و الرواة: من على بن أبي طالب؟

أهو على بن أبي طالب بن المبارك النيسابوري أم على بن أبي طالب بن إسحاق المروزي أم على بن أبي طالب بن عثمان القيرواني أم على بن أبي طالب بن سليمان الرازي؟ و عدّ سبعة أو ثمانية من أصحاب الحديث كلهم على بن أبي طالب، فقام الكزى، و قام من يمين المجلس آخر، و من يسار المجلس ثالث انتدبوا له و بذلوا أنفسهم للحميّة و وطنوها على القتل. فقال الكزى:

أشا يا سيدي فلان الدين أشا، صاحب هذا القول هو على بن أبي طالب زوج فاطمة سيدة نساء العالمين- عليهما السلام- و إن كنت ما عرفته بعد بعينه فهو الشخص الذي لما آخى رسول الله- صلى الله عليه و آله- بين الأتباع و الأذنان آخى بينه و بين نفسه و أسجل على أنه نظيره و مماثله، فهل نقل في جهازكم أنتم من هذا شيء؟ أو نبت تحت حبكم من هذا شيء؟ فأراد الواعظ أن يكلمه، فصاح عليه القائم من الجانب الأيمن و قال:

يا سيدي فلان الدين محمد بن عبد الله كثير في الأسماء و لكن ليس فيهم من قال له رب العزة: ما ضلّ صاحبكم و ما غوى و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. و كذلك على بن أبي طالب كثير في الأسماء و لكن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٥٣

ليس فيهم من قال له صاحب الشريعة: أنت بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى:

و قد تلتقى الأسماء في الناس و الكنى كثيرا و لكن ميزوا في الخلائق

فالتفت إليه الواعظ ليكلمه فصاح عليه القائم من الجانب الأيسر و قال:

يا سيدي فلان الدين، حقك تجهله، أنت معذور في كونك لا تعرفه:

و إذا خفيت على الغيب فعاذري أن لا تراني مقلّة عمياء

فاضطرب المجلس و ماج كما يموج البحر و افتتن الناس و تواتبت العامة بعضها إلى بعض و تكشفت الرؤوس و مزقت الثياب و نزل الواعظ و احتمل حتى أدخل دارا أغلقت عليه بابها. و حضر أعوان السلطان فسكنوا الفتنة و صرفوا الناس إلى منازلهم و أشغالهم، و أنفذ الناصر لدين الله في آخر نهار ذلك اليوم فأخذ أحمد بن عبد العزيز الكزى و الرجلين اللذين قاما معه فحبسهم أياما لتطفأ نائرة الفتنة ثم أطلقهم. .

ابن المعوج

١٠٨- و أبو الحسن على بن محمد بن أبي نصر بن عبد الله بن الحسين ابن عبد الله بن السكن المعروف بابن المعوج البغدادي، قال الزكي المنذري في وفاة سنة ٦٢٣: «و في الخامس و العشرين من شهر ربيع الأول توفي الحاجب الأجل أبو الحسن على ابن الحاجب الأجل أبي سعد محمد بن أبي نصر بن عبد الله ابن السكن البغدادي المعروف بابن المعوج ببغداد و دفن بمشهد باب التين. و مولده في سنة ثمان و خمسين و خمسمائة و قيل إن مولده في أواخر ذى القعدة سنة سبع و خمسين و خمسمائة، سمع من عم أبيه عبد

اللّه محمد بن محمد بن علي ابن السكن و حدث و لنا منه إجازة كتب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٥٤

بها إلينا من بغداد في ذى الحجة سنة عشرين و ستمائة، و كان من حجاب الديوان العزيز و لديه فضل و أدب و هو من بيت مشهور بالرواية و الفضل و الرئاسة و التقدم، و والده أبو سعد محمد سمع من غير واحد و كان حاجب الحجاب». و ذكره ابن الفوطى فى الملقبين بغرس الدين و قال: «سمع من نسيبه محمد بن محمد بن علي ابن السكن» و قال: «ذكره العدل جمال الدين أبو عبد الله ابن الديبى فى تاريخه و قال: كان أحد حجاب الديوان ... سمعنا منه و سأله عن مولده فذكر أنه ولد سنة ثمان و خمسين و خمسمائة. و دفن بمقابر قريش».

أحمد بن أبى المظفر

١٠٩- و أبو العز أحمد بن أبى المظفر ابن أبى القاسم عبيد الله بن محمد ابن المعمّر بن جعفر البغدادي، ذكره المنذرى فى وفيات سنة «٦٢٣» قال: «و فى ليلة الرابع عشر من جمادى الآخرة توفى الشيخ الأجل أبو العز أحمد ابن الشيخ الأجل أبى المظفر ... ابن أبى القاسم عبيد الله بن محمد بن المعمر بن جعفر البغدادي، ببغداد و دفن بباب التبن، سمع من أبى طالب المبارك بن علي ابن خضير، و والده أبو المظفر تولى ديوان الزمام و عمه أبو الفضائل يحيى سمع من غير واحد و حدث و كان من أرباب المناصب و ولى نظر المخزن المعمور و ناب فى الوزارة».

سنة ٦٢٤ هـ

١١٠- و عميد الدين أبو الفرج الفتح بن عبد الله بن محمد بن علي بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٥٥

هبة الله بن عبد السلام الكاتب البغدادي، ذكره ابن الديبى فى أصل تاريخه و لكننا لم نجده بل وجدنا مختصر الترجمة فى مختصر تاريخه للذهبي، قال:

«الفتح بن عبد الله بن محمد بن علي بن هبة الله بن عبد السلام الكاتب أبو الفرج ابن أبى منصور بن أبى الفتح ابن أبى الحسن، من أهل بيت حديث و كلهم ثقات، سمع محمد بن أحمد الطرائفى و محمد بن علي بن الداية و أبا الفضل الأرموى و أبا منصور نشتكين و غيرهم، سمعنا منه. ولد يوم عاشوراء من سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة. قلت: روى عنه أبو عبد الله البرزالي و أبو الفتح بن الحاجب و القاضي شمس الدين ابن العماد و السيف أحمد بن عيسى و أبو اسحاق بن الواسطى و أبو الفرج بن الزين و أبو المعالى البرقوهي و عبد الرحمن المكبر البغدادي و جماعة كثيرة و كتب عنه أبو الفتح بن الحاجب و قال: شيخنا بقيه بيته، صارت إليه الرحلة من البلاد و تكاثر عليه الطلبة و كان من ذوى المناصب و الولايات و ترك الخدمة و قنع بالكفاف و أضرّ بأخرة و كان كثير الأمراض حتى أقعد و كان محققا لسماعاته إلا أنه لم يكن يحب الرواية لمرضه و اشتغاله بنفسه و كان كثير الذكر ذا هيبه و وقار، و كان يتوالى و لم يظهر لنا منه ما نكره بل كان يترحم على الصحابة و يلعن من يسبهم، و كان صحيح السماع ثقة، سمع جده و أبا القاسم بن أبى شريك و علي بن نور الهدى الحسين الديبى و أبا الكرم الشهرزورى و أبا الوقت. و ذكر الذين ذكرهم ابن البدينى و قال: توفى فى رابع عشر محرم سنة أربع و عشرين و ستمائة. قرأت ذلك كله بخط ابن الحاجب و عدّه الضياء محمد فى الشيوخ الذين أجازوا له، و شيوخ الفتح فى مشيخة جده أبو الفتح و أحمد بن محمد ابن الاخوة و ابن الداية و نور الهدى الزنبى و ابن الطرائفى و أحمد الميهنى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٥٦

و أبو الكرم الشهرزورى و نوشتكين و الأرموى و ابن الحاسب و سعيد البناء و أبو بكر الزاغونى و أبو الوقت و ابن خضير و ابن؟؟؟».

و ذكره المنذرى فى وفیات سنة ٦٢٤ قال: «و فى الثالث و العشرين من المحرم توفى الشيخ الأجل الأصيل أبو الفرج الفتح ابن الشيخ الأجل أبى منصور عبد الله ابن الشيخ الأجل أبى الفتح محمد ابن الشيخ الأجل أبى الحسن على ابن أبى غالب هبة الله بن عبد السلام الكاتب البغدادي بها و دفن بمشهد باب التبن». و ذكر مولده و شيوخه و قال: «و لنا منه إجازة كتب بها إلينا من بغداد غير مرة إحداهن فى ذى القعدة سنة ست عشرة و ستمائة.

و كان شيخا حسنا كاتباً أديبا بليغا و له شعر و تصرف فى الأعمال الديوانية و أضرّ فى آخر عمره و عمّر حتى انفرد بأكثر شيوخه و مروياته» و ذكره ابن الفوطى فى كتابه التلخيص و نعتة بالكاتب الناظر و بعميد الدين و قال: «ولى الأعمال الجليّة و سار فيها السيرة الجميلة». نقلا عن تاريخ ابن الديبى، و ذكره الخزرجى فى وفیات سنة ٦٢٤ و ذكر أنه لقب بعميد الدين و لم يذكر شيئا من نعوته الجميلة لم نذكره آنفا قبل الرجوع إلى كتابه . و ذكره ابن تغرى بردى و ابن العماد الحنبلى .

سنة ٦٢٥ هـ

١١١- و عفيف الدين أبو إبراهيم و أبو غلاب رسن بن يحيى بن رسن النيلي الصوفى، ذكره المنذرى فى وفیات سنة ٦٢٥ قال: «و فى ليلة الرابع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٥٧

من صفر توفى الشيخ أبو إبراهيم و يقال أبو الغلاب رسن بن يحيى بن رسن النيلي الكتبانى و قد تيف على الثمانين ببغداد و دفن بمشهد باب التبن، سمع من أبى الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد و أبى الفضل منوهر بن محمد بن تركانشاه و حدّث و لنا منه إجازة. و رسن بفتح الراء و فتح السين المهملتين و آخره نون. و هو منسوب إلى النيل بكسر النون و سكون الياء آخر الحروف و بعدها لام و هى بليدة قريبة من الحلّة المزيديّة ... و الكتانى بفتح الكاف و تشديد التاء ثالث الحروف و بعد الألف نون». و ذكره ابن الفوطى فى الملقبين بعفيف الدين و وصفه بالصوفى أيضا و قال: «ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب (ابن الساعى) فى تاريخه و قال:

«كان يعرف بصاحب الشيخ صدقة بن وزير الواسطى، و كان يتشيع روى شيئا من الحديث. و قال أبو عبد الله بن النجار فى تاريخه و قال (كذا) أبو الغلاب رسن من أهل النيل، سمع من الشيخ صدقة بن وزير من أبى الفتح محمد بن عبد الباقي ابن البطى، كتبت عنه و كان شيخا لا بأس به، و قفت له على كتاب يحتوى على أمثال الخاصة و العامة، و توفى فى صفر سنة خمس و عشرين و ستمائة» .

سنة ٦٢٦ هـ

١١٢- و نجم الدين أبو يوسف يعقوب بن صابر بن بركات بن عمار ابن على بن الحسين بن على بن حوثره القرشى الحرانى الأصل البغدادي المنجنيقى الأديب الشاعر، ذكره الزكى المنذرى فى وفیات سنة ٦٢٦ قال:

«و فى ليلة الثامن و العشرين من صفر توفى الأديب أبو يوسف يعقوب بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٥٨

صابر بن بركات بن عمار بن على بن الحسين بن على بن حوثره القرشى الحرانى الأصل البغدادي المولد و الدار المنجنيقى الشاعر، و مولده ببغداد فى الرابع من المحرم سنة أربع و خمسين و خمسمائة. سمع من أبى المظفر هبة الله ابن الحافظ أبى محمد عبد الله بن أحمد بن نصر ابن السمرقندى و غيره و له ديوان حسن، حدّث بشيء من شعره، كتبنا شيئا من شعره عن بعض أصحابه» .

و ذكره ابن خلكان و قال فيما قال بعد تلقيبه بنجم الدين: «توفى ابن صابر المذكور فى ليلة الثامن و العشرين من صفر سنة ست و

عشرين و ستمائة ببغداد و دفن يوم الجمعة غريبها بالمقبرة الجديدة باب المشهد المعروف بموسى بن جعفر - رضى الله عنهما- .
و ذكره ابن النجار فى تاريخ بغداد الموسوم بالمجدد، دل على ذلك مختصره المستفاد فقد جاء فيه « كان أديبا فاضلا مليح الشعر، لطيفه ذا معان مطبوعة و ألفاظ سهلة، سمع أبا المظفر هبة الله بن عبد الله ابن السمرقندى و حدث و كان حسن الأخلاق. أنشدنا يعقوب بن صابر الحرانى لنفسه:

كيف يسخو لعاشق بوصال باخل فى الكرى بطيف الخيال؟

علق القرط حين بلبل صدغيه بداج من فرعه كالليالى

فأينا الدجى و قد سحب البدر إليه من قرطه بهلال

و أنشدنا أيضا لنفسه:

شكوت منه إليه جوره فبكى و احمرّ من خجل و اصفرّ من خجل

فالورد و الياسمين الغض منغمس فى الطلّ بين البكا و العذر و العذل

مولده فى رابع المحرم سنة أربع و خمسين و خمسمائة ببغداد و توفى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٥٩

بها فى ليلة ثامن عشرى صفر سنة ست و عشرين و ستمائة و دفن بمقابر قریش» .

و قال ابن خلكان: « ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الديبى فى تاريخه الذى جعله ذيلًا لتاريخ الحافظ أبى سعد عبد الكريم بن السمعانى الذى ذيله على تاريخ بغداد تأليف الحافظ أبى بكر أحمد بن على ابن ثابت البغدادى ... فقال ابن الديبى: « كان يعقوب المذكور متقدما على أهل صناعته - يعنى صنعته المنجنيق و ما يتعلق به- و كان فيه فضل و يقول الشعر، سمع شيئا من الحديث من أبى المظفر ابن السمرقندى و أبى منصور ابن الشطرنجى، علقته عنه شيئا من شعره، و أنشدنى أبو يوسف يعقوب ابن صابر لنفسه:

قبلت و جنته فألفت جيده خجلا و مال بعطفه المياس

فانهل من خديه فوق عذاره عرق يحاكي الطلّ فوق الآس

فكأننى استقطرت ورد حدوده بتصاعد الزفرات من أنفاسى»

... و قال غير ابن الديبى: « كان ابن صابر المنجنيقى جنديا فى ابتداء أمره مقدما على المنجنيين بمدينة السلام ببغداد و لم يزل مغرى بآداب السيف و صناعة السلاح و الرياضة و اشتهر بذلك و لم يلحقه أحد من أهل زمانه فى درايته و فهمه لذلك، و صنف فيه كتابا سماه (عمدة السالك فى سياسة الممالك) لم يتمه و هو مليح فى معناه، يتضمن أحوال الحروب و تعبته و فتح الثغور و بناء المعقل و أحوال الفروسية و الهندسة و المصابرة على الحصار و القلاع و الرياضة الميدانية و الحيل الحربية و فنون العلاج بالسلاح و عمل أداة الحروب و الكفاح و صنوف الخيل و صفتها، و قد قسّم هذا الكتاب و رتبّه أبوابا كل باب منه يشتمل على فصول. و كان شيئا هشا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٦٠

مليحا لطيفا فكها طيب المحاورة، شريف النفس، متواضعا فيه تودد و بشر و سكون و هو مع ذلك شاعر مكثر مجيد ذو معان مبتكرة، يقصد الشعر و يعمل المقاطيع و جمع من شعره كتابا مختصرا سماه (مغانى المعانى) و مدح الخلفاء، و كانت له منزلة لطيفة عند الامام الناصر لدين الله أبى العباس أحمد خليفة العصر ذلك الوقت». ثم قال ابن خلكان: «و كانت أخبار فى حياته متواصلة إلينا و أشعاره تنقلها الرواة عنه، و يحكون وقائعه و ماجرياته و ما ينظم فى ذلك من الأشعار الراقية و المعانى البديعة، و لم يتفق لى رؤيته مع المجاورة و قرب الدار من الدار، لأنه كان ببغداد و نحن بمدينة إربل و هما متجاورتان لكن لكثرة اطلاعى على أخباره و ما يتفق له من النظم المنقول عنه فى وقته كأنى كنت معاشره و ما زلت مشغوبا بشعره مستعذبا أسلوبه و اجتمعت بخلق كثير من أصحابه و الناقلين عنه منهم صاحبنا الشيخ عفيف الدين أبو الحسن على بن عدلان المعروف بابن المترجم الموصلى فانه أنشدنى له شيئا كثيرا

فمن ذلك قوله:

كلفت بلعب المنجنيق و رميه لهدم الصياصى و افتتاح المرابط
و عدت إلى نظم القريض لشقوتى فلم أخل فى الحالين من قصد حائط
و أنشدنى عنه أيضا و ذكر أنه لم يسبق إليه:

لا تكن واثقا بمن كظم الغيظ اغتيالاً و خف غرار الغرور
فالظبي المرهفات أقتل ما كانت إذا غاض ماؤها فى الصدور

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٦١

و أنشدنى أيضا له فى جاريه سوداء كان يهواها و هى جارية حبشية:

و جارية من بنات الحبوش ذات جفون صحاح مراض
تعشقتها للتصابى فشبت غراما و لم أك بالشيب راضى
و كنت أعيرها بالسواد فصارت تعيرنى بالبياض
و أنشدنى عنه أيضا:

و جارية عبرت للطواف و عبرتها حذرا تدمع
فقلت ادخلى البيت لا تجزعى فيه الأمان لمن يجزع
سدانته لبنى شبيهة فقالت و من شبيهة أفرع

و أنشدنى عنه فى غلام يتعلم السباحة فى دجله و قد لبس تباناً أزرق و شدّ على ظهره شكوة منفوخة- كما جرت عادة من يتعلم
العوام- فقال فى ذلك:

يا للرجال شكيته من شكوة أضحت تعانق من أحب و أعشق
جمعت هوى كهوى إلا أنها تطفو و يثقلنى الغرام فأغرق
و يغيطانى التبان عند عناقه أردافه فهو العدو الأزرق

و قال صاحبنا الكمال (المبارك) بن الشعار الموصلى فى كتاب (عقود الجمان): أنشدنى ابن صابر لنفسه هذه الأبيات لكنه روى البيت
الثانى منها على صورة أخرى فقال:

حملت هوى كهوى فهى بوصله تطفو و يبكينى الغرام فأغرق

و هذا من المعانى النادرة فإن العرب إذا وصفت العدو بشدة العداوة قالت هو العدو الأزرق و قد جاء هذا فى كلامهم و أشعارهم
كثيرا ...

و أنشدنى عنه جماعة من الصوفية أضافهم فأكلوا جميع ما قدّمه لهم فكتب إلى شيخهم يذكر حاله معهم:

مولاي يا شيخ الرباط الذى أبان عن فضل و علياء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٦٢ إليك أشكو جور صوفية أتوا ضيوفى و أودائى

أتيتهم بالزاد مستأثرا و بت تشكو الجوع أحشائى

مشوا على الخبز و من عادة الزهاد أن يمشوا على الماء

و هم إلى الآن ضيوفى فجدلهم بخبز أو بحلواء

أولا فخذهم و اكفنيهم فما يحسن فى مثلهم رائى

و أنشدنى عنه فى الصوفية أيضا:

قد لبسوا الصوف لترك الصفامشاخ العصر لشرب العصير

الرقص و الشاهد من شأنهم شعر طويل تحت ذيل قصير

و أنشدني عنه أيضا و هو من المعاني المستطرفة:

قالوا تراه بلّ شعر عذاره و سباله مستهترا بزواله

فتسلّ عنه و خذ حبيبا غيره فأجبتهم لا زلت عبد وصاله

هل يحسن السلوان عن حبّ يرى ألا يفارقني بنتف سباله

و أنشدني له غير ابن عدلان و قال: لما كبر ابن صابر و ضعفت حرته صار إذا مشى يتوكأ على عصاه فقال في ذلك:

ألقيت عن يدي العصاز من الشبيبة للنزول

و حملتها لما دعاداعي المشيب إلى الرحيل

و كان ببغداد شخص يقال له ابن بشران و كان كثير الأراجيف فممنع من ذلك، ففعد على الطريق ينجم فقال فيه ابن صابر:

إن ابن بشران و لست ألومه من خيفة السلطان صار منجما

طبع المشوم على الفضول فلم يطق في الأرض إرجافا فأرجف في السما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٦٣

ثم ذكر له ابن خلكان قوله:

قالوا بياض الشيب نور ساطع يكسو الوجه مهابة و ضياء

حتى سرت و خطاته في مفرقي فوددت أن لا أفقد الظلماء

و عدلت أستبقى الشباب تعللا بخضابها فحضبتها سوداء

لو أن لحيه من يشيب صحيفة لمعاده ما اختارها بياضا

و أخبرني بعض الأدباء أن ابن صابر كتب إلى بعض الرؤساء ببغداد:

ما جئت أسألك المواهب مادحاني لما أوليتني لشكور

لكن أتيت عن المعالي مخبرالك أن سعيك عندها مشكور

و وقفت بالقاهرة على كراريس فيها شعره و قد أجاد في كل ما انظمه، و رأيت فيها البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من

الشعراء و لا يعرف قائلهما على الحقيقة و هما:

ألقيت في لظى فان أحرقتني فتيقن أن لست بالياقوت

جمع النسج كل من حاك لكن لبس داود ليس كالعنكبوت

فعمل ابن صابر جوابهما فقال:

أيها المدعى الفخار دع الفخر لذى الكبرياء و الجبروت

نسج داود لم يفد ليلة الغار و كان الفخار للعنكبوت

و بقاء السمند في لهب النار مزيل فضيلة الياقوت

و كذاك النعام يلتقم الجمر و ما الجمر للنعام بقوت

و ذكره مؤلف الحوادث في وفيات سنة «٦٢٦» قال: «و فيها توفي يعقوب بن صابر الحراني الأصل البغدادي المولد المنجنيقي، كان

شيخا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٦٤

فاضلا مقدا على أهل صناعته و عنده أدب و يقول الشعر، فمن شعره:

هل لمن يرتجى البقاء خلود و سوى الله كل حى يبىد؟
و الذى كان من تراب و إن عاش طويلا إلى التراب يعود
و مصير الأنام طرا إلى ما، صار فيه آباؤهم و الجدود
و منها:

أين حواء أين آدم إذ فاتهما الخلد و الثوا و الخلود؟
أين عاد بل أين جنه عاد إرم أين صالح و ثمود
و هى طويله آخرها:

لا الشقى الغوى من نوب الأيام ينجو و لا السعيد الرشيد
و متى سلّت المنايا سيوف الفمالي حصيدها و العبيد

و ذكر البيتين السابقين اللذين أولهما «كلفت بعلم المنجنيق و رميه» ثم قال: «و كان كثير الدخول على الوزير ناصر بن مهدي ثم صار
إذا جاء يجلس ظاهر الستر فقال:

قولوا لمولانا الوزير الذى أضع ودى و نوى هجرى
و صرت إن جئت إلى بابه أجلسنى فى ظاهر الستر
إن كان ذنبى أننى شاعر فاصفح فقد تبت من الشعر
ثم انقطع عنه مدة فلما دخل إليه أنكر عليه انقطاعه فقال:
و قالوا قد صددت و ملت عناقلت أبيت تكرار المحال
أنفت من الوداد إلى أناس رأوا حالى و لم يرثوا الحالى
ثم هجاه» و ذكر الأبيات التى نقلناها فى ترجمة الوزير ثم قال:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٦٥
«و له فى غلام ثقيل الروادف:

يقعه فى النهوض ردف قيامتى دونه تقوم
أفديه من مقعد مقيم عندى به المقعد المقيم
و له فى زامر:

و زامر بات نديما لنا ما بين سكران و مخمور
تقتلنا الخمر و نحيا به كأنه ينفخ فى الصور

و أنشد يوما قول القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى: ألقنى فى لظى فإن غيرتنى» و ذكر البيتين المنقولين آنفا، و جوابهما بأربعة
أبياته. و العجيب فى ترجمته أننا لم نجد من ذكر مدفنه غير ابن خلكان كما نقلنا من تاريخه آنفا من أنه «دفن غربى بغداد بالمقبرة
الجديدة بباب المشهد المعروف بموسى ابن جعفر رضى الله عنهما» .

و قد وهم عبد الحميد عبادة الكاتب- رحمه الله- فى مقال له بظنه أن القبر المجاور للحضرة الكاظمية اليوم من الشرق المنسوب إلى
القاضى أبى يوسف هو قبر «نجم الدين أبى يوسف يعقوب بن صابر المنجنيقى» معتمدا- كما ظننا- على تشابه الإسمين و الكنيتين
«أبى يوسف و أبى يوسف و يعقوب و يعقوب» قال فى مقاله المشار إليه و هو بعنوان «قبر الإمام أبى يوسف صاحب أبى حنيفة» ما
هذا نصه:

«شاع منذ أجيال عديدة وأيقنت الحكومة العثمانية وعلماؤها في العصور الغابرة والحاضرة مع مؤرخيها وكتابها أن القبر الذي في باب مشهد الإمام موسى بن جعفر -رضى- والواقع في مقابر قريش (وهي الكاظمية اليوم) هو قبر الإمام أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة -رضى- ولم تزل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٦٦

الحفاوة به والاحترام لقبره يزدادان مع الأيام، وقد كانت الهدايا من سلاطين آل عثمان تتوارد الواحدة تلو الأخرى، ويجدد مسجده كلما آل إلى الخراب، وتعنى دائرة الأوقاف بصرف ما يحتاج إليه مسجده من اللوازم وغيرها، بغيرة عظيمة بدعوى أن صاحب القبر هو الإمام أبو يوسف قاضى القضاة فى زمن الرشيد وصاحب أبى حنيفة. ولكنى قرأت فى الجزء الثانى من وفيات الأعيان ... فى ترجمة أبى يوسف يعقوب بن صابر الملقب بنجم الدين الشاعر ما خلاصته: وتوفى ابن صابر المذكور فى ليلة الثامن والعشرين من صفر سنة ست وستمائة ببغداد ودفن يوم الجمعة غربها بالمقبرة الجديدة بباب المشهد المعروف بموسى بن جعفر -رضى الله عنهما- إنتهى.» ولما راجعت ترجمة الإمام المشار إليه فى الكتاب نفسه وجدت ...

ما خلاصته: أن الإمام أبا يوسف توفى يوم الخميس أول وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة إثنين وثمانين ومائة ببغداد. إنتهى. ولم يعين محل دفنه. وقد أخبرنى بعض المعمرين أن قبرا بجنب قبر الست زبيدة تحت القبّة التى فى الشونيزى (مقبرة معروف الكرخى) ينسب للإمام أبى يوسف وزاد أنه رأى كتابه على جدار القبّة عند رأسه تشعر بدفنه هناك، وهذا أمر ثان لا بد من الركون إليه والتبصير فيه وهو أن زبيدة زوج الرشيد توفيت سنة (٢١٠) (كما فى) الوفيات: ١: ١٨٠، هذا فيما لو صح أن هذه القبّة وهذا القبر لها وهو أمر لا يتفق والتاريخ لأن ابن الأثير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٦٧

يقول (ص ٢١٤، ٢١٥): إنها دفنت فى مقابر قريش، وإن أبا يوسف توفى فهل كان دفنه تحت القبّة قبل دفن زبيدة أم كيف كان الأمر) ولذلك اضطربت من هذه الملاحظات لشدة وقعها فى نفسى (كذا) وقلت متعجبا:

كيف فاتت العلماء والمؤرخين هذه الحقيقة الناصعة وكيف أخذ الناس بتعظيم قبر دفين مقابر قريش أبى يوسف نجم الدين الشاعر واهمين (كذا) أنه قبر الإمام أبى يوسف تلميذ صاحب المذهب. هذا وقد راجعت كل ما لدى من كتب التراجم فرأيتها كلها تجرى على وجه واحد ضاربة صفحا عن ذكر محل دفنه، وقد رأيت فى الجزء الثانى من كتاب حماة الإسلام (ص ٨٥) تأليف المرحوم مصطفى بك نجيب المصرى المطبوع بمصر فى العشر الأخير من ذى الحجة سنة ١٣٤١ هـ ما نصه: وتوفى (أبو يوسف) سنة إثنين (كذا) وثمانين ومائة فعزى الإسلام بعضه بعضا بموته ومشى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٦٨

الرشيد فى جنازته وصلى عليه ودفنه فى مقبرة أهله فى مقابر قريش بكرخ بغداد بقرب زبيدة ومحمد الأمين. إنتهى. ففى قوله هذا خبط وخلط فى التاريخ إذ أنه يكذب من عدة وجوه بأدنى تأمل ويكذب من له أقل إلمام بالتاريخ فقوله: ودفنه فى مقبرة أهله بمقابر قريش بكرخ بغداد خلاف للواقع لأن مقابر قريش هى اليوم مشهد الإمام موسى بن جعفر -ع- (معجم ياقوت ج ٨ ص ١٠٧) أما كرخ بغداد فقال ياقوت عنه (ج ٧ ص ٢٣٤): فبين شرقها -كرخ بغداد- والقبلة محله باب البصرة، وقال ابن بطوطة فى رحلته: وفى الجانب الغربى من المشاهد قبر معروف الكرخى -رضى- وهو فى محلّه باب البصرة». واليوم بين مقابر قريش ومقبرة معروف أى باب البصرة الواقعة فى شرقى كرخ بغداد مسافة ساعة ونصف للراجل، وأغرب من ذلك قوله: بقرب زبيدة وزبيدة كانت فى الحياة لما توفى أبو يوسف كما ذكرنا آنفا، وقوله: ومحمد الأمين أى بقربه غلط فاحش أيضا لأن محمدا الأمين قتل سنة ١٩٨ و بين وفاة أبى يوسف ومحمد الأمين ست عشرة سنة، والصحيح فى مدفن أبى يوسف -رح- ما أسلفنا ذكره وحققنا عنه أى إنه لم يذكر له محل دفن معلوم. وبالختام أرجو من المؤرخين والباحثين أن يفيدونى بما لديهم من المعلومات فى هذا الباب على صفحات جرائد بلادنا

أو مجلاتها إظهاراً للحقيقة وخدمة للتاريخ والله ولي التوفيق» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٦٩

و أتبع الأب أنستانس هذه المقالة قوله ما هذا نصه «جاء في كتاب تاريخ المساجد لأستاذنا الآلوسى (محمود شكرى) فى ص ١٢٨، من نسختنا الخطية ما هذا حرفه: وقد اتصل بهذا المسجد والصحن (صحن الجوادين والكاظمين) مسجد الإمام الثانى أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم- عليهم الرحمة والرضوان- ومشهده فيه وعليه قبة كبيرة وفى جنب مشهده مسجد تقام فيها الصلوات وتؤدى الطاعات وهو مسجد رصين البناء قويم الأرجاء فيه روحانية وانشراح للصدور... وهذه العبارة تختلف عما جاء فى النسخة المطبوعة ص ١١٩ ولا- نعلم على أى كتاب أو مؤرخ اعتمد استاذنا المرحوم فى كلامه هذا مع ما بذلنا من الجهد فى الإهتمام إلى محله، و يخیل إلینا أن أستاذنا الآلوسى استند إلى التواتر والله أعلم». و كلام الأب أنستانس يدل على تأييده رأى عبد الحميد عبادة- رح- غير أنه بعد البحث عثر على مرجع تاريخى يصرفه عن رأيه هذا فاستتر بأضواء مستعار هو «ب م».

م» وقال فى موضع آخر ما هذا نصه تحت عنوان (قبر الإمام أبى يوسف) أيضا كأنه يخاطب نفسه «وقفت فى مجلتكم (٦: ٧٥٤) إلى ٧٥٧ على مقالة شائقة للكاتب الأديب عبد الحميد أفندى عبادة فوجدت صاحبها يتطلب أوثق المصادر وصولاً إلى أمينته، والخلة حسنة ممدوحة إذ قلما تجد رجالاً- يتحرون المصادر الصادقة، بل يبنون غالباً أحكامهم على قيل وقال، وقد لاحظت أن حضرة الفاضل لم يعثر على محل قبر الإمام أبى يوسف مع صرف جانب كبير من وقته لهذه الغاية وفى الآخر أنكر أن يكون قبره فى مقابر قريش أى فى الكاظمية. ولما كنت ممن أنضى رواحى البحث (كذا) فى مثل الموضوع الذى يعالجه الكاتب الألمعى بكلمتى هذه لأدله على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٧٠

تصنيف يحل المعضلة وهو الرحالة البشارى فقد قال فى تأليفه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) المطبوع فى ليدن سنة ١٩٠٦ فى ص ١٣٠ فى كلامه عن مشاهد العراق ما هذا حرفه: و بغداد قبر أبى يوسف فى مقبرة قريش.

و إذا اعترض الكاتب وقال: هذا الكلام يتعلق بأبى يوسف الشاعر. قلنا له: لم يتعرض المؤلف لذكر قبور الشعراء والفضلاء والكتاب و من جرى مجراهم، إنما تكلم على مشاهد الأئمة والصلحاء و من تزار قبورهم تبركاً، ولهذا لم يتعرض فى ذلك الفصل إلا لذكر من تستجاب دعوتهم ثم إن تعدادهم مع تسميتهم كاف لإظهار الحقيقة، ولهذا أظن أن المرحوم محمود شكرى الآلوسى كان قد استند إلى هذا المؤلف فى كلامه عن محل قبر أبى يوسف وأنه فى الكاظمية: مقابر قريش. و أنت تعلم أن البشارى حجه فيما يقول أولاً لأنه كان حياً فى المائة الرابعة للهجرة (المائة العاشرة للميلاد) ولأن أبى يوسف توفى فى أواخر المائة الثانية للهجرة أى سنة ١٨٢ هـ أو ٧٠٨ م فشهادته إذن من أحسن الشهادات لقدمها ولا سيما حين تعلم أن ابن خلكان هو من أبناء المائة السابعة للهجرة، أو الثالثة عشرة للميلاد، ثانياً لأن البشارى كان ثبتاً فيما يرويه ولا يلقى الكلام على عواهنه و كتابه خال من ذكر الخرافات والأوهام وأنواع الأضاليل والإفرنج يجلونه كل الإجلال ويعرفونه بالمقدسى، أما السلف فلا يعرفونه إلا بالبشارى وهو محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء أبو عبد الله البشارى المقدسى...» .

ثم كتب الأستاذ عبد الله مخلص من حيفا بفلسطين ما هذا نصه: «كنت تصفحت فى لغة العرب المحبوبة ما كتبه السيد عبد الحميد عبادة عن الشك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٧١

الذى خامره فى موضع قبر الإمام أبى يوسف صاحب أبى حنيفة و لم آبه كثيراً للتعليق على ما كتبه حتى جاء السيد ب. م. م فكتب فى الصفحة من مجلد السنة الحاضرة يثبت بشهادة البشارى المقدسى صاحب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم وجود قبر أبى يوسف فى مقبرة قريش. فتنبته إلى الثبوت من ذلك و رجعت إلى نسختين مخطوطتين من رحلة أبى الحسن الهروى المعروفة بالأشارات إلى

أماكن الزيارات ... فوجدت الهروي يقول ما نصه بالحرف: بغداد دار السلام و قبة الإسلام و مقر الإمام عليه السلام. بها الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام - عمره إثنان و ثمانون سنة و بها الإمام محمد بن علي بن موسى الجواد ولد بالمدينة، عاش سبعا و عشرين سنة و بها الإمام الأمين محمد بن الرشيد - رضى الله عنهم - و جماعة من الأشراف فى مقابر قريش و قبر أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبى حنيفة - رضى الله عنهما - ثم يذكر محللة الرصافة و من دفن بها من الخلفاء. و لا يخفى أن أبا الحسن الهروي توفى سنة ٤١١ هـ (١٢١٤ م) بعد أن طوف بالبلدان و بحث و تقصى، فشهادته تعتبر شهادة عيان بعد شهادة المقدسى الذى عدّه السيد ب. ب. م. شاهد عدل و هو كما قال .

قال مصطفى جواد: و ممن صرح من المؤرخين بدفن القاضى أبى يوسف فى مقابر قريش ابن الفوطى قال: «قاضى القضاء أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد الأنصارى، نزيل بغداد الحنفى ... ذكره القاضى أحمد بن كامل فى تاريخه و قال: هو قاضى موسى الهادى و هارون الرشيد ببغداد و لم يختلف يحيى بن معين و أحمد بن حنبل فى ثقته فى انتقاله و هو أول من خوطب بقاضى القضاء و كان استخلف ابنه يوسف على الجانب الغربى و كان يحفظ التفسير و المغازى و أيام العرب و الفقه، و كان على بن صالح موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٧٢

إذا حدث عن أبى يوسف يقول: حدثنى فقيه الفقهاء و قاضى القضاء و سيد العلماء أبو يوسف و كانت وفاته سنة إثنين و ثمانين و مائة و دفن بمقابر قريش، و مولده سنة ثلاث عشرة و مائة .

و الظاهر أن قبره لم يعن به و لا - رم فدرس و بقيت رخامة الشاهد فى ترابه قال السيد نعمه الله الجزائرى: «قبر أبى يوسف لم يكن معروفا و فى عشر السبعين بعد الألف حفروا حفرا متصلا بفناء الروضة الموسوية (الكاظمية) فظهر قبر عليه صخرة فيها اسم أبى يوسف فبنوا عليه بنيانا مجاورا للقبة المقدسة» .

قال مصطفى جواد: و كان دفن أبى يوسف بمقابر قريش قبل دفن الإمام موسى بن جعفر - ع - بسنة واحدة من حيث التعداد التاريخى لا العد المضبوط و لذلك لم نترجمه لأننا التزمنا ذكر من دفن هناك بعد دفنه - ع - . أما دعوى عبد الحميد عبادة - رح - فمع بطلانها فى علم الخطط فليس فيها معتمد و ذلك أن ابن خلكان صرح بأن أبى يوسف يعقوب المنجىقى دفن بالمقبرة الجديدة عند باب المشهد، و كان المشهد أيامئذ مسورا و كان قبر أبى يوسف على كل تقدير داخل المشهد.

سنة «٦٢٧» هـ

١١٣ - عضد الدين و أبو نصر المبارك بن الضحاك الأسدى أستاذ دار الخلافة، ذكره صلاح الدين الصفدى فى وفيات سنة «٦٢٧» من تاريخه الذى على الحوادث قال فيها: «و أستاذ دار الخليفة أبو نصر المبارك بن الضحاك ... له شعر حسن فمن شعره:

وقد كان حسن الظن جلّ بضاعتى فأذبنى هذا الزمان و أهله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٧٣ و أكثر من تلقى يسرّك قوله و لكن قليل من يسرّك فعله

و ما كل معروف و إن قلّ قدره يخف على عتق المروءة حملة

و دفن بمقابر قريش . و جاء ذكره فى كتاب الحوادث فى وفيات سنة «٦٢٧» قال مؤلفه: «و فيها توفى عضد الدين أبو نصر المبارك بن الضحاك. و كان شيخا دينا فاضلا أديبا و كان من المعتدلين بمدينة السلام و رتب ناظرا بديوان الجوالى و كتب فى ديوان الانشاء ثم نفذ رسولا إلى صاحب الشام فلما عاد رتب أستاذ دار الخلافة فكان على ذلك إلى أن توفى و كان له شعر حسن فمما نسب إليه ما رثى به بعض أصحابه و هو:

لئن مضى أحمد حميدا ما الموت فى أخذه حميد

أو بخلت مقلّة بدمع فهى على مثله تجود موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ١٠-١؛ ص ٢٧٣

ذكره ابن الفوطي في الملقبين بعضد الدين قال: «عضد الدين أبو نصر المبارك بن أبي الرضا محمد بن أبي الكرم هبة الله بن الضحاك الأسدي القرشي البغدادي المعدل أستاذ الدار. (هو) المبارك بن محمد بن هبة الله بن علي ابن محمد بن الحسن بن محمد بن القاسم بن أحمد بن محمد بن الضحاك بن عثمان بن الضحاك بن عبد الله بن خالد بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي. شهد عند قاضي القضاة محمد بن جعفر العباسي في شعبان سنة خمس وثمانين و خمسمائة و رتب ناظرا بديوان الجوالي و كتب في ديوان الانشاء و أنفذ رسولا إلى العادل محمد بن أيوب سنة خمس و ستمائة و لما عاد من الرسالة ولى أستاذه العادل في ربيع الآخر سنة ست و ستمائة فلم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٧٤

يزل على ذلك إلى حين وفاته ليلة الجمعة الخامس والعشرين من المحرم سنة سبع وعشرين و ستمائة. و مولده سنة اثنتين و خمسين و خمسمائة، و له شعر و رسائل» .

و كان لقبه بهاء الدين ثم بدل لما رفعت رتبته، قال ابن الساعي في حوادث سنة ٦٠٥: «و فيه (أى شهر ربيع الأول) خلع على رسولى الملك العادل و نفذ صحبتها العدل بهاء الدين أبو نصر المبارك ابن الضحاك و الأمير عماد الدين أربك الناصري» ، ثم قال فى حوادث ذى القعدة من السنة المذكورة: «و فى يوم الاثنين سادس عشرى وصل بهاء الدين أبو نصر المبارك ابن الضحاك و الأمير عماد الدين أربك من دمشق و تلقاهما حاجب الحجاب، و جماعة من الأعيان و دخلا و عليهما الخلع التى خلعهما عليهما العادل و قصد البدرية الشريفة» .

و قال فى حوادث سنة «٦٠٦» فى شهر ربيع الآخر: «و فى ليلة الخميس ثانى عشرى ولى بهاء الدين أبو نصر المبارك ابن الضحاك أستاذه الدار العزيزة و لقب عضد الدين و أسكن الدار المقابلة لباب الفردوس المحروس و ذلك بعد عزل أبى الفتح ابن رزين فى تلك الليلة و نقله عنها» ، ثم قال فى حوادث السنة المذكورة فى جمادى الآخرة منها: «و فيه نفذ عضد الدين أبو نصر المبارك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٧٥

إبن الضحاك أستاذ الدار العزيزة يومئذ رسولا إلى الملك العادل و صحبته الأمير نور الدين آقباش الناصري المعروف بالدويدار، و كان العادل إذ ذاك على سنجار محاصرا لها و أمرا أن يرخلاه عنها فمضيا و رخلاه و عادا فى يوم الأربعاء ثانى شهر رمضان» . و مما قدمنا يعلم أنه أرسل رسولا إلى الملك العادل الأيوبي مرتين.

و ذكره كمال الدين المبارك ابن الشعار الموصلى قال: «من بيت معروف بالكتابة و تولى الأعمال الديوانية، و كان من أعيان أهل بيته دينا و فضلا و معرفة و أدبا. شهد عند قاضي القضاة محمد بن جعفر البغدادي العباسي فى شعبان سنة خمس و ثمانين و خمسمائة و رتب ناظرا بديوان الجوالي ثم رتب أستاذ الدار العزيزة فى شهر ربيع الأول سنة ست و ستمائة، و لم يزل على ذلك إلى أن توفى فى ليلة الجمعة خامس عشر محرم سنة سبع و عشرين و ستمائة-رح- و صلى عليه بجامع القصر و حضر جماعة أرباب الدولة و غيرهم فصلوا عليه و حمل إلى مشهد موسى بن جعفر-عليهما السلام- فدفن فى تربة له هناك. أنشدت له بمدينة السلام هذه الأبيات، حكى لى أنه كتبها على بعض سطوح الحمام المعد للمهام و نقل الأخبار:

يا حجرة بنيت بأيمن طائرشيدت مبانيها بأحسن منظر

حفت بأطياف كأن حفيفهاريح الشمال تضمخت بالعنبر

وضعت لأصناف سوابق لم تكن لابن داود و لا الاسكندر

الله شادك نزهة المستبصرببقاء مولى خلقه المستنصر

مولى زكت أعرافه و جدوده فى الأطينين و فى المحل الأطهر

فغمامه من رحمة و عراضه من جنه و يمينه من كوثر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٧٦

و أنشدت له فى المعنى:

برج سما بحمامه حوماً (على الأبراج طرا

و حمامه سبق الرياح وفاتها برا و بحرا

و المبارك ابن الضحاك الأسدى هذا هو خال الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمى الشهير. و له أخبار كثيرة لأنه كان من شيوخ الدولة العباسية و أعيانها. و هو الذى درّب ابن العلقمى على شؤون الإدارة و السياسة و الوزارة. و إن لم يكن وزيراً. فانه كان مرشحاً للوزارة و لكن انقطاع أجله حال دون ذلك.

قال كمال الدين الشعار فى ترجمة الوزير نصير الدين أحمد بن الناقد و توكيل الخليفة المستنصر له: «و قال له أستاذ الدار أبو نصر المبارك ابن الضحاك و كانا قائمين بين يدي الشباك الشريف، و هو الذى قام بأمر البيعة لشيخوخته و ملاسته لأشغال الدار العزيزة: إن أمير المؤمنين قد وكل أبا الأزهر أحمد ابن محمد بن ابن الناقد فى كل ما يتجدد من بيع و إقرار و عتق و ابتياع...» .

سنة «٦٢٩» هـ

إشارة

١١٤- و أبو الحسن على بن إبراهيم بن على الهاشمى المعروف بابن العطار الشاعر، ذكره ابن النجار قال بعد تسميته و نسبه: «من أهل واسط، شاعر حسن القول، سكن بغداد إلى حين وفاته و كان من شعراء الديوان.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٧٧

فمن شعره قوله:

أتراه بعد قطيعة يتعطف بدر يميل به قوام أهيف؟

أنت البريء من الاساءة كلها عاذلى و أنا المحب المدنف

لا تلحنى فى حبه فتتيمى طبع و صبرى عن هواه تكلف

كيف اصطبارى عنه و القلب الذى هو عدتى (و الصبر) لا يتألف

دقت معانى العشق عن أفهامهم و استعذبوا فيه الملام و أسرفوا

جهلوا الذى ألقاه من حمل الهوى فيه و لذة عشقه لم يعرفوا

بلغنى أن مولده فى سنة ثلاث و سبعين و خمسمائة بواسط، و توفى ببغداد فى يوم الأربعاء عاشر ربيع الآخر سنة تسع و عشرين و ستمائة، و دفن فى الغد بمقابر قريش» .

عبد الله بن قيصر

١١٥- و أبو بكر عبد الله بن قيصر بن عبد الله الموصلائى، ذكره المنذرى فى وفيات سنة ٦٢٩ قال: «و فى الثامن من رجب توفى الشيخ أبو بكر عبد الله بن قيصر بن عبد الله الموصلائى الحاجب ببغداد و دفن من الغد بمشهد باب التبن، سمع من أبى الفتح عبيد الله بن عبد الله بن شاتيل و حدث» .

ابن الغبيرى

١١٦- و أبو السعود إسماعيل بن الحسن بن أحمد بن أحمد بن الحسن ابن عبد الكريم النهروانى المعروف بابن الغبيرى، ذكره

المنذرى فى وفیات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٧٨

السنة المذكورة قال: «و فى الحادى عشر من شعبان توفى الشيخ أبو السعود اسماعيل بن أبى محمد الحسن بن أبى السعود أحمد بن أحمد بن الحسن بن عبد الكريم النهروانى المعروف بابن الغبيرى ببغداد، و دفن من يومه بمشهد باب التبن، و مولده فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى و خمسين و خمسمائة باللوزية، سمع من عمه والده خديجة بنت أحمد بن الحسن بن عبد الكريم و حدث و هو من بيت رئاسة و تقدم. و الغبيرى: بضم الغين المعجمة و فتح الباء الواحدة و سكون الياء آخر الحروف و راء مهملة و ياء النسب» .

سنة ٦٣٠ هـ

١١٧- و الشريف أبو محمد الحسن بن على بن المرتضى بن على العلوى الحسينى المعروف بابن الأمير السيد ذكره المنذرى فى وفیات سنة «٦٣٠» هـ قال: «و فى الخامس و العشرين من شعبان توفى السيد الشريف أبو محمد الحسن ابن أبى الحسن على بن أبى الحسن المرتضى بن على العلوى الحسينى المعروف بابن الأمير السيد بالجوسق و حمل إلى مشهد موسى بن جعفر فدفن به من الغد. سمع من أبيه و حدث عن الحافظ أبى الفضل محمد بن ناصر السلامى بكتاب (الذرية الطاهرة) و الفوائد فى آخرها. و مولده فى الخامس و العشرين من ذى الحجة سنة أربع و أربعين و خمسمائة و قيل إنه آخر من حدث عن الحافظ أبى الفضل محمد بن ناصر بالسمع» . و ذكره الذهبى فىمن توفى سنة وفاة الحافظ عز الدين أبى الفتح عمر بن محمد المعروف بابن الحاجب- أعنى سنة ٦٣٠- قال «و ببغداد المسند أبو محمد الحسن ابن الأمير السيد على بن مرتضى العلوى الحسينى صاحب ابن ناصر».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٧٩

قال مصطفى جواد: و قد ذكرنا سيرة والده الأمير السيد على بن المرتضى فى وفیات سنة «٥٨٨» فالظاهر أنه دفن عنه أبيه فى مقابر قريش .

سنة ٦٣١ هـ

١١٨- و أبو محمد إسماعيل بن على بن إسماعيل بن باتكين البغدادي الجوهري المحدث، ذكره المنذرى فى وفیات سنة ٦٣١ قال: «و فى الرابع و العشرين من ذى القعدة توفى الشيخ الصالح أبو محمد إسماعيل بن على بن إسماعيل بن باتكين البغدادي الجوهري ببغداد و دفن من الغد بالمشهد غربى بغداد، و مولده فى الثانى عشر من ذى الحجة سنة إحدى و خمسين و خمسمائة سمع من أبوى القاسم: هبة الله بن الحسن الدقاق، و يحيى بن ثابت بن بندار و أبى الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد و أبى زرعة طاهر بن محمد بن طاهر و أبى المعالى عمر بن على بن نصر الصيرفى و القاضى أبى عبد الله محمد بن عبد الله اليبضاوى و أبى بكر أحمد بن المقرب و أبى المعمر عبد الله بن سعد الوزان المعروف بخزيفة و أبى الفضل وفاء بن أسعد التركى و شهدة الكاتبة و غيرهم، و حدث بالكثير و لنا منه إجازة كتب بها إلينا من بغداد غير مرة إحداهن فى ذى القعدة سنة عشرين و ستمائة» . و أوجز ابن الديبشى ترجمته قال:

«إسماعيل بن على بن باتكين الجوهري أبو محمد، سمع أبا القاسم هبة الله ابن الحسن الدقاق و أبا الفتح المعروف بابن البطى و يحيى بن ثابت و غيرهم و روى عنهم، سمع منه أصحابنا» . و ورد ذكره فى النجوم الزاهرة فى وفیات هذه السنة و شذرات الذهب . و قد تصحف فى الأول باتكن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٨٠

إلى «ماتكين» قال نقلا عن كتب الذهبى «و له ثمانون سنة» و قال الثانى «تفرّد بأشياء و كان صالحا ثقة» و صرح بنقله ذلك من العبر

للذهبي . و لم يذكر ابن الديبشي وفاته لأنه ختم سنى الوفيات قبل هذا التاريخ.

سنة ٦٣٤ هـ

١١٩- و أم عبد الله ياسمين بنت الشيخ سالم بن علي بن سلامة البغدادي الحربى المعروف بابن البيطار، ذكرها المنذرى فى وفيات سنة «٦٣٤» قال: «فى يوم عاشوراء توفيت الشيخة أم عبد الله ياسمين بنت الشيخ أبى الحسن سالم بن علي بن سلامة البغدادي الحربى المعروف بابن البيطار ببغداد و دفنت بمشهد باب التبن. سمعت من أبى المظفر هبة الله بن أحمد ابن محمد ابن الشبلى و حدثت. والدها أبو الحسن سالم سمع من جماعة و حدثت» و ذكر وفاتها أيضا ابن تغرى بردى و ابن العماد الحنبلى . و ترجم لها ابن الديبشى فى تاريخه بدلالة وجودها فى المختصر المحتاج إليه منه للذهبي قال: «ياسمين بنت سالم بن علي البيطار أم عبد الله. تقدم أبوها و أمها، قرأت عليها: أخبركم هبة الله الشبلى. فذكر حديثا، قلت: و أخوها ظفر مَر. كتب عنها عمر بن الحاجب و روى عنها عبد الرحمن بن الزين و علي بن بليان و إبراهيم بن الواسطى. توفيت بعد سنة أربع و ثلاثين و ستمائة» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٨١

و الظاهر لنا أن السيدة ياسمين هذه كانت حنبليّة لانتساب والدها إلى محلّة الحربيّة فإن هذه المحلّة و أكثر محال بغداد كانت يغلب على أهلها المذهب الحنبلى، و الذى نراه من شيوع المذهب الحنفى ببغداد و أكثر مدن العراق إنما حدث بعد استيلاء العثمانيين الحنفيين على البلاد.

سنة ٦٣٥ هـ

إشارة

١٢٠- و أبو علي محمد بن محمود بن يحيى بن محمد البغدادي الحمami ذكره المنذرى فى وفيات سنة ٦٣٥ قال: «و فى مستهل صفر توفى الشيخ أبو علي محمد بن محمود بن يحيى بن محمد البغدادي الحمami ببغداد و دفن بمشهد باب التبن، و مولده فى الثالث من المحرم سنة ثمان و خمسين و خمسمائة. سمع من أبى محمد عبد الله بن أحمد بن هبة الله الغرسى و حدثت، و أضرت فى آخر عمره و لنا منه إجازة» .

ابنة بدر الدين

١٢١- و ابنة بدر الدين لؤلؤ الأتابكى الملقب بالملك الرحيم ملك الموصل و ما حولها أيامئذ، ذكرها مؤلف كتاب الحوادث فى وفيات سنة ٦٣٥ قال:

«و فى ربيع الآخر تقدّم إلى المدرسين و الفقهاء، و مشايخ الربط و الصوفية و أرباب الدولة من الصدور و الأمراء بحضور جامع القصر لأجل الصلاة على ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، زوجة علاء الدين الطبرسى الدويدار الكبير و صلى عليها فى القبلة و شيع الكل جنازتها إلى المشهد الكاظمى و دفنت إلى جنب ولدها فى الايوان المقابل للدخل إلى مصف الحضرة المقدسة فى ضريح مفرد، قيل إنها كانت نفساء، عن نيف و عشرين سنة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٨٢

و مدة مقامها فى بغداد عشر سنين و عمل العزاء فى دار الأمير علاء الدين (المذكور) و حضر النقيب الطاهر الحسين ابن الأقساسى، و موكب الديوان و أقامه من العزاء، و نفذ المحتسب أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى إلى بدر الدين لؤلؤ ليقيمه من العزاء

(بالموصل)» .

و كانت ابنة بدر الدين لؤلؤ شيعية كوالدها بدر الدين، قال ابن دقماق في وفيات سنة ٦٥٧: «فيها مات الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ على فراشه بمرض أصابه بعد عوده من هولاءكو ... و دفن بها- يعنى الموصل- و نقل فيما بعد إلى مشهد الإمام على- رضى الله عنه- ... و كان يبعث في كل سنة إلى مشهد الإمام على بقنديل ذهب ألف دينار و شمعدان مطعم بالذهب و الفضة و ذلك أنه نذر في أوائل أمره أنه كلما عاش سنته و هو ملك الموصل يكون عليه للمشهد قنديل من ألف دينار و لم يزل على ذلك حتى مات فحكى أنه عد في المشهد من جهته أربعون قنديلا و أربعون شمعدانا و عليها اسمه و كان يبعث مع ذلك بالصدقة الكثيرة» .

سنة ٦٣٧ هـ

١٢٢- و ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الكاتب المنشيء الوزير الشهير ذكره ابن النجار في التاريخ المجدد لمدينة السلام استدلت على ذلك بوجود الموجز من سيرته في مختصر التاريخ المذكور، فقد جاء فيه «نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني أبو الفتح الكاتب المعروف بابن الأثير من أهل جزيرة ابن عمر، ولد بها في آخر شعبان سنة ثمان و خمسين و خمسمائة و قرأ الأدب و عانى البلاغة و الإنشاء و حاز قصب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٨٣

السبق في ذلك و صنف مصنفات في الأدب و ولي الوزارة للملك الأفضل على ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم سكن الموصل، و كان ذا لسان، و عارضة و فصاحة و بيان. قدم بغداد رسولا من الموصل و حدث ببغداد بكتاب المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، و من شعره قوله:

رضيت بما ترضى به لى محبة و قدت إليك النفس قود المسلم

و مثلك من كان الفؤاد شفيعه يكلمه عنى و لم أتكلم

قدم رسولا- في منتصف ربيع الآخر سنة سبع و ثلاثين و ستمائة فبقى أياما و مرض و توفى في تاسع عشر الشهر المذكور و دفن بمقابر قریش» و كتب في الهامش ما هذه صورته «قال الشيخ زكى الدين في وفياته: توفى ابن الأثير في أحد الجمادين من السنة، و قال: مولده في العشرين من شعبان سنة ثمان و خمسين و خمسمائة بجزيرة ابن عمر و كان يلقب ضياء الدين- رحمه الله». و جاء في حاشية على ترجمته في كتاب التكملة لزكى الدين المنذرى المذكور آنفا» قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن النجار في ذيله: توفى في تاسع عشر من ربيع الآخر و حدث بالمثل السائر» .

و ذكره زكى المنذرى في وفيات سنة ٦٣٧ قال: «و فى إحدى الجمادين توفى القاضى الأجل الفاضل أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني المجزرى المنعوت بالضيء المعروف بابن الأثير ببغداد، و له تصانيف مشهورة فى النظم و النثر منها المثل السائر فى أدب الكاتب و الشاعر و غير ذلك، و مولده بجزيرة ابن عمر فى العشرين من شعبان سنة ثمان و خمسين و خمسمائة و قد تقدم ذكر أخويه أبى السعادات المبارك و أبى الحسن على و كانا من الفضلاء المشهورين». و ترجم له مؤلف الحوادث

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٨٤

فى وفيات سنة ٦٣٧ قال: «و فيها توفى أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزرى الأصل الموصلى الدار، كان كاتباً عالماً فاضلاً متفناً فى علم الكتابة مقتدرًا على الإنشاء، ورد إلى بغداد مرارا فى رسائل من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل منها فى هذه السنة، فمرض ببغداد و مات و دفن فى صحن مشهد موسى بن جعفر- عليهما السلام- كان مولده سنة ثمان و

خمسين و خمسمائة» .

و أوجز ترجمته أبو شامة في وفيات سنة ٦٣٧ قال: «و فيها توفي الضياء ابن الأثير بالمزرقه من بغداد و هو مرسل إليها و هو صاحب المثل السائر و الوشى المرقوم و كان قد وزر للأفضل» . و فصل ترجمته ابن خلكان و قال فيما قال: «كان مولده بجزيرة ابن عمر و نشأ بها و انتقل مع والده إلى الموصل و بها اشتغل و حصل العلوم و حفظ كتاب الله الكريم و كثيرا من الأحاديث النبوية و طرفا صالحا من النحو و اللغة و علم البيان، و شيئا كثيرا من الأشعار حتى قال في أول كتابه الذي سماه (الوشى المرقوم) ما مثاله:

و كنت حفظت من الأشعار القديمة و المحدثه مالا أحصيه كثرة ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائين حبيب بن أوس - يعنى أبا تمام و أبا عبادة البحرى- و شعر أبي الطيب المتنبي فحفظت هذه الدواوين الثلاثة و كنت أكرر عليها، بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعانى و صار الادمان لى خلقا و طبعاً، و إنما ذكرت هذا الفصل فى معرض أن المنشىء ينبغى أن يجعل دأبه فى الترسل حل المنظوم و يعتمد عليه فى هذه الصناعة. و لما كملت لضيء الدين المذكور الأدوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين - تغمده الله برحمته- فى شهر ربيع الأول سنة سبع و ثمانين و خمسمائة فوصله القاضى الفاضل بخدمة صلاح الدين فى جمادى الآخرة من السنة، و أقام عنده إلى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٨٥

شوال من السنة ثم طلبه ولده الملك الأفضل نور الدين ... و حسنت حاله عنده، و لما توفي السلطان صلاح الدين استقل ولده الملك الأفضل بمملكة دمشق استقل ضياء الدين المذكور بالوزارة، وردت أمور الناس إليه و صار الإعتماد فى جميع الأحوال عليه. و لما أخذت دمشق من الملك الأفضل و انتقل إلى صرخد ... و كان ضياء الدين قد أساء العشرة مع أهلها فهتموا بقتله فأخرجه الحاجب محاسن بن عجم مستخفياً فى صندوق مقفل عليه ثم صار إليه و صحبه إلى مصر لما استدعى لنيابة ابن أخيه الملك المنصور ...

و لما قصد الملك العادل الديار المصرية و أخذها من ابن أخيه ... و تعوض الملك الأفضل البلاد الشرقية و خرج من مصر لم يخرج ضياء الدين فى خدمته لأنه خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه، فخرج منها مستترا و له فى كيفية خروجه مستخفياً رسالة طويلة شرح فيها حاله و هى موجودة فى ديوان رسائله ، و غاب عن مخدومه الملك الأفضل مديدة، و لما استقر الأفضل فى سميساط عاد إلى خدمته و أقام عنده مدة ثم فارقه فى ذى القعدة من سنة سبع و ستمائة و اتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر غازى صاحب حلب ... فلم يطل مقامه عنده و لا انتظم أمره و خرج مغاضباً و عاد إلى الموصل فلم يستقم حاله فورد إربل فلم يستقم حاله فسافر إلى سنجار ثم عاد إلى الموصل و اتخذها دار إقامته و استقر و كتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه ... و أتاكبه يومئذ الأمير بدر الدين أبو الفضائل (لؤلؤ) النورى و ذلك فى سنة ثمانى عشرة و ستمائة و لقد ترددت إلى الموصل من إربل أكثر من عشر مرّات و هو مقيم بها و كنت أود الاجتماع به لآخذ عنه شيئاً، لما كان بينه و بين الوالد-رح- من المودة الأكيدة فلم يتفق ذلك، ثم فارقت بلاد المشرق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٨٦

و انتقلت إلى الشام و أقمت به مقدار عشر سنين ثم انتقلت إلى الديار المصرية و هو فى قيد الحياة ثم بلغنى بعد ذلك خبر وفاته و أنا بالقاهرة ... و توفي فى إحدى الجمادين سنة سبع و ثلاثين و ستمائة ببغداد و قد توجه إليها رسولا من جهة صاحب الموصل و صلى عليه من الغد بجامع القصر و دفن بمقابر قریش فى الجانب الغربى بمشهد موسى بن جعفر- سلام الله عليهما- و قال أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادي فى تاريخ بغداد: توفي يوم الاثنين التاسع و العشرين من شهر ربيع الآخر من السنة و هو أخير لأنه صاحب هذا الفن و قد مات عندهم» و قال ابن خلكان أيضاً: «و لضيء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله و تحقيق نبه كتابه الذى سماه (المثل السائر فى أدب الكاتب و الشاعر) و هو فى مجلدين، جمع فيه فأوعب و لم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره و لما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه فوصل إلى بغداد منه نسخة فانتدب له الفقيه الأديب عز الدين أبو حامد عبد الحميد ابن هبة الله بن

محمد بن حسين ابن أبي الحديد المدائني و تصدى لمؤاخذته و الرد عليه و عنته و جمع هذه المؤاخذات في كتاب سماه (الفلك الدائر على المثل السائر) فلما أكمله وقف عليه لى أخوه موفق الدين أبو المعالى أحمد و يدعى القاسم أيضا فكتب إلى أخيه المذكور قوله:

المثل السائر يا سيدى صنت فيه الفلك الدائرا

لكن هذا فلك دائر تصير فيه المثل السائرا

... و له كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم و هو مع و جازته فى غاية الحسن و الإفادة و كتاب المعانى المخترعة فى صناعة الإنشاء و هو أيضا نهاية فى بابه و له مجموع اختار فيه شعر أبى تمام و البحرى و ديك الجن و المتنبى موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٨٧

و هو مجلد واحد كبير و حفظه مفيد، و قال أبو البركات (المبارك) ابن المستوفى فى تاريخ: نقلت من خطه فى آخر هذا الكتاب المختار ما مثاله:

تمتع به علقا نفيسا فانه اختيار كريم بالأمر حكيم

أطاعته أنواع البلاغة فاهتدى إلى الشعر من نهج إليه قويم

و له أيضا ديوان ترسل فى عدة مجلدات و المختار منه فى مجلد واحد ...

و له رسالة يصف فيها الديار المصرية و هى طويلة.

و لضياء الدين ترجمه فى أكثر كتب التاريخ التى استوعبت عصره، و لكننا لم نجد فيها فائدة من سيرته لم يذكرها ابن خلكان و قد عاصره معاصرة الشاب للشيخ، سوى قول الذهبى: «و كان بينه و بين أخيه عز الدين مقاطعة كلية». و قد عثر على النسخة الأولى من كتابه فى الإنشاء و قد و سمها باسم «الجامع الكبير فى صناعة المنظوم من الكلام و المنثور»، و قد حققته أنا و الدكتور الفاضل جميل سعيد و نشرناه بنفقات المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٥٦ م- ١٣٧٥ هـ و قد صدرنا الكتاب بتصدير أدبى حديث و كتبنا ترجمه المؤلف كتابة أدبية حديثة و ذكرنا سيرته الأدبية فجاء جميع ذلك فى سبع و ثلاثين صفحة وسطا. و لم يفتنا من سيرته إلا الإشارة إلى المقاطعة الكلية بينه و بين أخيه عز الدين.

سنة ٦٤٢ هـ

إشارة

١٢٣- و منتجب الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود بن أحمد الموصلى ثم البغدادى الشاعر، ذكره ابن الفوطى فى الملقبين بالمنتجب و ما أحسبه إلا منتجب الدين قال: «المنتجب أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود بن أحمد الموصلى ثم البغدادى الشاعر، ذكره شيخنا تاج الدين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٨٨

أبو طالب (ابن الساعى) فى تاريخه و قال: كان شيخا فاضلا عنده أدب و حكمه و كتابة حسنة و يقول شعرا جيدا و كان منقطعاً عن الناس، غالبا فى التشيع، و من شعره:

للصبر عاقبة ترجى و تنتظر فربما بالتانى يدرك الظفر

لا يبلغ المجد خوآر أخو ضرع و لا ينال الأمانى من به ضجر

و له أشعار كثيرة و كانت وفاته فى تاسع عشر شهر ربيع الأول سنة اثنتين و أربعين و ستمائة و دفن بالمشهد الكاظمى .

أحمد ابن الناقد

١٢٤- و نصير الدين أبو الأزهر أحمد ابن الناقد الوزير الأديب، ذكره مؤلف الحوادث في وفيات سنة ٦٤٢ من كتابه قال: «كان من أولاد التجار المعروفين، حفظ القرآن المجيد و أدأب نفسه في تحصيل الأدب و تجديد الخط، فلما توفي والده رد إليه ما كان يتولاه و هو وكالة أم الخليفة الناصر في وقوفها ثم عزل و رتب خواجه نور الدين ككسنقر الحلفي (كذا) ثم عزل فانقطع في بيته، فلما ولي الظاهر الخلافة أحضره و وكله لأولاده العشرة و كان بينهما رضاع و صحبة من الصغر، فلما توفي الظاهر و بويع ولده المستنصر بالله أحضره يوم مبايعته و أشهد له بوكالته، فبقى على ذلك إلى أن توفي أستاذ الدار (المبارك) ابن الضحاك في سنة سبع و عشرين و ستمائة فأضاف إليه أستاذية الدار فلم يزل على ذلك إلى أن قبض على الوزير مؤيد الدين القمي في سنة تسع و عشرين و ستمائة فنقل إلى الوزارة و الوكالة باقية عليه، و كان يركب في أيام الجمع و يحضر عند الخليفة و يفاوضه في الأمور، فعرض

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٨٩

له ألم المفاصل فعجز عن الركوب و الحركة و الكتابة و الجرى في الكلام و لم تتغير منزلته و لا- و هت حرمة ثم عرض له إسهال فتوفي ليلة الجمعة سادس ربيع الأول من السنة فدفن في مشهد موسى بن جعفر- عليهما السلام- في تربة اتخذها لنفسه و وجدوا في خزانته صندوقا مملوءا ذهباً و رقعة فيها مكتوب بخطه: هذا من فواضل أنعم مولانا و صدقاته و هو من استحقاق بيت المال، فأمر بحمله إلى دار التشرifiات فذكر أنه كان مائة ألف دينار. و كان حسن الطريقة، متدينا أدبيا يقول الشعر و ينشئ الرسائل و كان مولده في شوال سنة إحدى و سبعين و خمسمائة».

و ترجم له كمال الدين ابن الشعار الموصلی قال: «أحمد بن محمد بن علي بن أحمد ابن الناقد أبو الأزهر بن أبي السعادات البغدادي، أحد الأعيان الفضلاء و السادة النبلاء، من البيت المعروف بالتقدم و المكانة و التجارة و الأمانة، كان أبوه من التجار المعروفين و الأمانة المشهورين، سافر إلى الشام و خراسان و عاد إلى بغداد و تولى وكالة الجهة الشريفة و الدة الناصر لدين الله (زمرد خاتون) و تقلد أعمالاً جليلاً، منها النظر في المظالم و الوكالة و غير ذلك و كان له خمسة بنين كلهم فاضل جميل، فلما مات قام مقامه الأكبر من أولاده و هو أبو الأزهر فنظر فيما كان ينظر فيه أبوه من الأوقاف التي شرطت الواقفة لهم النظر فيها مدة ثم عزله الناصر لدين الله فلازم داره مواظباً على تلاوة القرآن المجيد إلى أن عيّن له على نيابة بعض الأمراء و النظر في حال جنده و إقطاعه، فكان على ذلك مدة ثم انفصل عنه و انقطع إلى منزله منعكفاً على قراءة كتاب الله تعالى، على أحسن قاعدة، و أجمل طريقة إلى أن مات الناصر لدين الله- رضی الله عنه- و بويع ولده الظاهر بأمر الله- رضی الله عنه- فاستدعاه لمبايعته ثم فوض إليه وكالة السيادة الأمراء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٩٠

من أولاده، فبقى على ذلك إلى أن توفي الظاهر- رضی- و بويع ولده المستنصر بالله- أعز الله أنصار دولته- فقربه و أدناه، و فضله على من سواه، و أحضره في يوم المبايعه و أحضر قاضي القضاة أبا صالح نصر بن عبد الرزاق (الجيلي) و قال له أستاذ الدار أبو نصر المبارك ابن الضحاك.

و كانا قائمين بين يدي الشباك الشريف، و هو الذي قام بأمر البيعة لشيخوخته و ملابسته لأشغال الدار العزيزة فقال له: إن أمير المؤمنين قد وكل أبا الأزهر أحمد ابن الناقد في كل ما يتجدد من بيع و إقرار و عتق و ابتياع. فقال قاضي القضاة: أهكذا يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. فقال له: ولّيتني ما ولّاني والدك رضوان الله عليه؟ فقال: نعم قد ولّيتك ما ولّاك والدي.

فزل و أثبت الوكالة الشريفة بالعلم و أشهد عليه بثبوتها عند سائر المعدلين.

ثم رد أمر الوكلاء بالأبواب الشريفة إليه مضافاً إلى الوكالة له و خلع عليه في ذلك اليوم، و لم يزل يرتقى و يزداد وجاهه في كل يوم إلى أن عزل الوزير أبو الحسن محمد بن محمد بن برز القمي عن نيابة الوزارة و ذلك في يوم السبت سابع عشر شوال من سنة تسع و عشرين و ستمائة فاستدعى أبو الأزهر إلى دار الخلافة و خلع عليه في موضع البستان خلعه جميلة سنيه، لنيابة الوزارة و قلّد سيفاً محليّ

بالذهب. و كان قد حاز من الأوصاف الحميدة في نفسه من الفضل الشائع و الدين الذائع و غزارة الأدب و توفر الحياء و العقل الرصين مع معرفة بالعلوم الأدبية و إتقان من الصناعتين الكتابة و الشعرية و تفننه في الانشاء و تصرفه في ذلك على حسب ما يشاء و ما يحفظ من صنوف الأشعار و نكت السير مع إحكامه للقرآن المجيد و تحصيله لفنون الأدب دراسة و بحثا، فانه نشأ عفيفا صبيانا عالي الهمة، شريف النفس لم يطلع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٩١

له على ريبه قط، لا- جرم حصل له ما لم يحصل لغيره و خدمته السعادة، و امتطى غارب السيادة، و انقاد لطاعته قلوب الأنام و امثل أمره الخاص و العام، و مدحه الشعراء، و اعترف بفضله الفضلاء، و أثنى عليه العلماء، و دعا له الصلحاء، و له نظم صحيح المعاني، جيد المباني، و من شعره ما قال و كتبه على بعض القصور الشريفة:-

لله من قصر الخلافة منزل من دونه ستر النبوة مرسل

و رواق ملك فيه أشرف بقعة ظلت تحار له العقول و تذهل

تغضى لعزته النواظر هيبة و يرد عنه طرفه المتأمل

حسدت مكانته النجوم فود لو أمسى يجاوره السماك الأعزل

و سما علوا أن تقبل تربه شفة فأضحى بالجباه يقبل

و له:

أبدا لشمس سعودك الاشراق يا موطننا شرفت به الآفاق

بل يأمن الجاني و يقترب المدى للراغبين و تبسط الأرزاق

و له في مثله:

و منزل تفخر القصور به لا زال يجرى بسعده القدر

إن القصور التي تحف به كواكب هو بينها قمر» .

و ترجم له ابن الطقطقي و في كلامه فائدة قال: «كان في ابتداء أمره و كيلا- للمستنصر فمكث مدة في الوكالة ثم انتقل منها إلى أستاذه الدار ثم منها إلى الوزارة فنهض بأعبائها نهوضا حسنا و قام بضبط المملكة قياما مرضيا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٩٢

و كان عظيم الأمانة، قوى السياسة شديد الهيبة على المتصرفين، حاسما لمواد الأطماع و الفساد، قيل إنه هجى بيتين فلما سمعهما استحسناهما و هما:

وزيرنا زاهد و الناس قد زهدوا فيه فكل عن اللذات منكمش

أيامه مثل شهر الصوم خالية من المعاصي و فيها الجوع و العطش

و ما زالت السعادة تخدمه إلى آخر عمره فمن جملة سعادته- و هو من الاتفاقات العجيبة ما حدث عنه و هو أنه قبل الوزارة عمل في بعض الأعياد سنبوسجا كثيرا و أحب أن يداعب بعض أصحابه فأمر أن يحشى سبعون سنبوسجة بحب قطن و نخالة و تجعل مفردة، و عمل سنبوسجا كثيرا كجاري العادة و ركب إلى دار الخليفة فطلب منه عمل شيء من السنبوسج فذكر أن عنده شيئا مفروغا. و أمر خادما له بإحضار ما عنده من السنبوسج، فمضى الخادم عن غير معرفة بذلك المحشو بحب القطن و مزج الجميع و وضعه في الأطباق ليحمله إلى دار الخليفة، فجاء الجوارى و الخدم و قالوا: أعطونا حصتنا من هذا. فأخذوا مائة سنبوسجة. و حمل الخادم الأطباق بما فيها إلى دار الخليفة، فلما حمل السنبوسج و صار بدار الخليفة و رجع ابن الناقد إلى داره سأل عن السنبوسج المحشو بحب القطن. فقالوا له: ما عرفنا بشيء من ذلك و فلان الخادم جاء و مزج الجميع و أخذه و مضى. فلم يشك أنه هالك و كادت تسقط قوته خوفا و

خجلا. فقال: أما تخلف منه شيء قط؟ قالوا: قد اقتطع الجوارى و الخدم منه حدود مائة سنوسجة.

فقال: أحضروها، فأحضرت و فتحت بين يديه فوجد السبعون سنوسجة المحشوة بحب القطن قد حصلت بأيدي الجوارى و الخدم فى

جملة ما أخذوه لأنفسهم، لم تشذ عنها واحدة إلى دار الخليفة. و مات نصير الدين فى سنة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٩٣

اثنين و أربعين و ستمائة فى خلافة المستعصم» .

و من سعادة هذا الوزير أننا نجد فى كل ترجمه من تراجمه فائدة جديدة قال الخزرجى و هو أو معتمده من عادته النقل من تواريخ

ابن الساعى، فى حوادث سنة ٦٤٢: «و فيها توفى الوزير الكبير ملك العراق أبو الأزهر نصير الدين أحمد بن محمد بن على بن أحمد

الناقد البغدادى و كان مولده فى الحادى عشر من شهر شوال سنة إحدى و سبعين و خمسمائة، و هو من أولاد التجار، نشأ فى الثروة و

الحشمة، و حفظ القرآن و اعتنى بالخط و تجويده و حصل طرفا صالحا من الأدب نحو و لغه و كان يقول الشعر و اشتغل بعلم الانشاء

و الرسائل، و كان مواظبا على تلاوة القرآن لا- سيما فى ليالى الجمع، و كان له رأى صائب و دين وافر، مليح الانشاء، حسن النظم،

حفظه للأشعار، و النكت و الأخبار، حسن الخط مهيب الشكل، عفيف النفس، وقورا ورعا. توفى فى سادس شهر ربيع الأول من السنة

المذكورة و نفذ جهازه من المخزن و فيه مائة و خمسون ظرفا من ماء الورد و أخرج عنه صدقة من البقر تسعون رأسا و من الخبز

خمسة عشر ألف رطل و من التمر مائة و خمسون قوصرة و شيع جنازته كافة الأمراء و ذوو المناصب و أرباب الدولة».

«و لما فتحت تركه الوزير نصير الدين أحمد ابن الناقد وجد فيها صندوق آبنوس فيه نيف و تسعوف ألف دينار، و فيه رقعة يذكر فيها

أن ذلك من فواضل معيشتة و ما أنعم عليه به فى الأيام المستنصرية و المستعصمية و أن ذلك حق من حقوق بيت مال المسلمين، لا

تستحق وراثته منه شيئا. فحمل إلى دار التشرىفات و أنعم على وراثته و أجريت لهم جرايات على المخزن» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٩٤

قلت الظاهر لى أنه كان له جوار و لم يخلف زوجة حرة و أنه كان عقيما حتى يصح هذا القول: أن ذلك حق من حقوق بيت مال

المسلمين لا- تستحق وراثته منه شيئا، فبيت المال كان يرث من لا- وارث له على مذهب الإمام الشافعى و هو آخر مذهب للدولة

العباسية. إلا أن خبرا ورد فى مرآة الزمان لا يترك للظاهر سييلا.

و ذكره ابن كثير الدمشقى فى حوادث سنة ٦٤٢ قال: «الوزير نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد بن على بن أحمد ابن الناقد

البغدادى وزير المستعصم و أبيه المستنصر، كان من أبناء التجار ثم توصل إلى أن صار وزيرا لهذين الخلفيتين و كان فاضلا بارعا

حافظا للقرآن كثير التأوه، نشأ فى حشمة باذخه و سعادة ثم كان فى وجاهة هائلة و قد أقعد فى آخر عمره و هو مع ذلك فى غاية

الإحترام و الإكرام و له أشعار حسنة كثيرة أورد منها ابن الساعى قطعة صالحة، توفى و قد جاوز الخمسين- رحمه الله-» .

و قال ابن دقماق فى حوادث السنة المذكورة: «و فيها مات الوزير نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد بن على ابن الناقد، أحد

أولاد التجار المشاهير و ذوى الثروة و اليسار ... و نشأ فى رياض الإشتغال بالكتابة ففوض إليه نظر أوقاف والده الإمام الناصر فى سنة

ثلاث عشرة و ستمائة و بقى مدة ثم صرف فى وكالة أولاد الإمام الظاهر ثم لما تولى الإمام المستنصر و لاه أستاذية الدار بعد

وفاء عضد الدين أبى نصر المبارك ابن الضحاك فى محرم سنة سبع و عشرين و ستمائة فقام بأمر الخدمة أحسن قيام ثم ولى الوزارة

فى سابع عشر شوال سنة تسع و عشرين و ستمائة و عرض له ألم فى مفاصله بعد خمس سنين من ولايته امتنع به عن القيام و الحركة، و

لم يزل مبيجلا- مكرما إلى حين وفاته فى ليلة الجمعة سادس ربيع الأول فتقدم إلى كبار الدولة و أعيان الأمراء و القضاة و مشايخ

الصوفية بالحضور إلى جامع القصر ثم غسل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٩٥

الوزير المذكور، و تولى غسله المدرس بالنظامية نجم الدين عبد الله البادرانى ثم حمل تابوته و بين يديه القراء و الحجاب و النواب و

الكتاب و الداودارية ثم صلى عليه أبو طالب الحسين بن المهدي نقيب النقباء ثم حملت الجنازة و أدخلت بالغربة المستجدة و جعلت في شبارة و شيعها كافة أرباب الدولة و الصدور و أستاذ الدار مؤيد الدين ابن العلقمي و دفن بترتبه بالمشهد الكاظمي، و كان أديبا فاضلا مترسلا، للرعايا حافظا، و للعلماء رافعا و كان صالحا عفيفا متواضعا دينا قارنا للقرآن - رحمه الله - .

و لهذا الوزير الكبير تراجم كثيرة منها في عقد الجمان للعيني و هي لا تختلف عن الترجمة التي ذكرها ابن كثير و في تجارب السلف لهندوشاه الصاحبى الكاتب الشاعر بالفارسيّة و فيها فائدة و هي أن ألقاب نصير الدين كانت كألقاب الوزير ناصر بن مهدي الملقب بنصير الدين أيضا و هي «المولى الوزير الأعظم الصاحب الكبير المعظم، العالم العادل المؤيد المظفر المنصور المجاهد نصير الدين صدر الاسلام غرس الامام عضد الدولة مغيث الأمة عماد الملك اختيار الخلافة المعظمة مجتبي الإمامة المكرمة تاج الملوك سيد صدور العالمين ملك وزراء الشرق و الغرب غياث الوري أبو الأزهر أحمد بن الناقد ظهير أمير المؤمنين و وليه المخلص في طاعته الموثوق به في صحة عقيدته» .

و جاء في مختصر مرآة الزمان خبر مشوّه خاص بالوزير أبي الأزهر ابن الناقد قال في سنة ٦٤٢: «و فيها توفى وزير الخليفة و تولّى خالي محيى الدين استاذ داره بعده» و هذا غامض و أراد به تولى خاله أستاذية دار الخلافة بعد وفاة الوزير و تلا ذلك بقوله: «و فيها توفى شهاب الدين أحمد بن الناقد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٩٦

وزير ... أولاده و صود روا و ذهب جاههم و أقاموا مدة إلى أن ولى المستنصر فاستوزر محمدا و لقبه مؤيد الدين و كان رجلا فاضلا صالحا عفيفا دينا قارنا للقرآن» فالأوصاف الأخيرة تخص الوزير ابن الناقد و ما قبلها من الكلام لا تظهر له صلة به فالمستنصر لم يستوزر محمدا من أبناء أرباب الدولة السابقين و لا لقبه مؤيد الدين، و إنما لقب اثنان بمؤيد الدين مؤيد الدين محمد القمي نائب الوزارة للناصر و الظاهر و المستنصر و مؤيد الدين محمد بن العلقمي فما هذا الكلام؟

هذا و قد ذكر ابن تغرى بردى كصاحب المرأة أن لقب الوزير هو «شهاب الدين» و ليس ذلك بصحيح و إنما كان لقبه «شمس الدين» فلما رفعت رتبته من أستاذية الدار إلى نيابة الوزارة جعل لقبه «نصير الدين» و هذا ثابت بما أورده مؤلف الحوادث من أخباره و ما ذكره هندوشاه في سيرته من كتابه تجارب السلف .

سنة ٦٤٣ هـ

١٢٥- و مؤيد الدين أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز المقدادى القمي الوزير، فقد ذكر مؤلف الحوادث نقله من مدفته إلى مشهد الكاظمية سنة «٦٤٣» قال في حوادث هذه السنة: «و في ليلة الجمعة حادى عشرى رمضان نقل مؤيد الدين أبو الحسن محمد بن عبد الكريم بن برز القمي الوزير من مدفته بمقبرة الزرادين بالمأمونية إلى تربة كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٩٧

أنشأها بالمشهد الكاظمي و وقف عليها و قوفا و ذلك بعد ثلاث عشرة سنة و أحد عشر شهرا»

قال مصطفى جواد: ذكر المؤرخ نفسه خبر القبض على مؤيد الدين القمي في حوادث سنة ٦٢٩ من كتابه هذا و معنى ذلك الخبر الأول أنه توفى في سنة القبض عليه و يؤيده ابن الطقطقى في تاريخه، و قد ذكره ابن الطقطقى قال: «وزارة مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز القمي، هو قمي الأصل و المولد، بغدادى المنشأ و الوفاة ينتسب إلى المقداد بن الأسود الكندى، كان - رحمه الله - بصيرا بأمور الملك خبيرا بأدوات الرئاسة، عالما بالقوانين، عارفا باصطلاح الدواوين، خبيرا بالحساب، ريان من فنون الأدب، حافظا لمحاسن الأشعار، راويا لطرائف الأخبار، و كان جلدا على ممارسة الأمور الديوانية، ملازما لها من الغدوة إلى العشيّة.

و كان في ابتداء أمره قد تعلق بسلاطين العجم و كان يلوذ ببعض وزراء العجم بأصفهان في حال صباه و لم يبلغ العشرين من عمره، و

كان ذلك الوزير قد ضجر من الكتاب الذين بين يديه و نسبهم إلى أنهم يخالفون تقدماته فأبعدهم عنه و استكتب القمى ظنا منه أنه لمجرد حداثة سنه لا يقدم على مخالفة ما يشير به. فمكث القمى يكتب بين يديه مدة، ففى بعض الأيام أحضرت بين يدي الوزير جملة من الثياب النسيج بعضها صحيح و بعضها مقطوع، فأحضر القمى بين يديه، ليثبت عددها و يحملها إلى الخزانة و كان الوزير يورد عليه كذا و كذا ثوبا صحاحا. فيكتب القمى كذا و كذا ثوبا و ما يكتب لفظة (صحاحا) فقال له الوزير: لم لا تكتب ما أقول لك؟ فقال: يا مولانا لا حاجة إلى ذكر الصحاح فإنى إذا وصلت إلى ذكر ثوب مقطوع ذكرت تحته أنه مقطوع، فتخصيص المقطوع بالذكر يدل على أن ما لم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٩٨

يوصف بالقطع صحيح. فقال الوزير، لا بل أكتب كما أقول. فراجع القمى، فحرد الوزير لذلك و ارتفع صوته و التف إلى الحاضرين و قال:

أنا عزلت الكتاب الكبار الذين كانوا عندي لأجل مخالفتهم و لجاجهم فيما أقوله و استكتبت هذا الصبى ظنا منى أن لحداثة سنه لا يكون عنده من التجروء و المخالفة ما عندهم، فإذا هو أشد مخالفة من أولئك. فخرج بعض خدم السلطان من بين يديه و كان جالسا قريبا من مجلس الوزير، و سأل عن كثرة الصياح و حرد الوزير، فعرف الخادم صورة ما جرى بين الوزير و القمى، فدخل و حكى للسلطان ما قيل، فقال له: أخرج و قل للوزير:

الحق ما اعتده الصبى الكاتب. فنبل القمى فى عيون الناس و علت منزلته و أنس القمى بهذا الخادم و صار الخادم يستشيريه و يسكن إليه و يأنس به.

فاتفق أن السلطان عيّن على هذا الخادم و على رجل آخر ليتوجها فى رساله إلى ديوان الخليفة، فالتمس الخادم أن يكون القمى صحبته. فأرسل صحبته فتوجهوا إلى بغداد و حضر الخادم و رفيقه عند الوزير ابن القصاب، فشافها بالرسالة و سمعا الجواب، و كان جوابا غير مطابق للرسالة و لكنه كان نوعا من المغالطة، فقع الخادم و رفيقه بذلك الجواب و ما تنبها على فساده و خرجا، فرجع القمى و وقف بين يدي الوزير و حادثه سرا و قال له: يا مولانا الجواب غير مطابق لما أنهاه المماليك. فقال له الوزير: صدقت و لكن دعهم على غباوتهم و لا تظنهم إلى ذلك. فقال السمع و الطاعة. ثم إن ابن القصاب كتب إلى الخليفة (الناصر لدين الله) يقول له: إنه قد وصل صحبته خادم السلطان فلان شاب قمى قد جرى من تنبهه كيت و كيت و مثل هذا يجب أن يسطنع و يحسن إليه و يستخدم. فكتب الخليفة إليه يأمره بأن لا يمكّنه من التوجه معهم. فعمل له حجة و قطع عنهم فتوجهوا و أقام القمى ببغداد فعين عليه فى كتابة الانشاء، فمكث على ذلك مدة ثم تولى الوزارة و تمكن فى الدولة تمكنا لم يتمكن مثله أحد من أمثاله، و كان أوحد زمانه فى كل شىء حسن، كثير البر و الخير و الصدقات. حدث عنه مملوكه بدر الدين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٢٩٩

أياز قال: طلبت ليلة من الليالى حلاوة النبات فعمل منها فى الحال صحون كثيرة و أحضرت بين يديه فى ذلك الليل، فقال لى: يا أياز تقدر تدّخر هذه الحلاوة لى موفرة إلى يوم القيامة؟ فقلت: يا مولانا و كيف يكون ذلك و هل يمكن هذا؟! قال: نعم تمضى هذه الساعة إلى مشهد موسى و الجواد- عليهما السلام- و تضع هذه الأصحن قدام أيتام العلويين فانها تدّخر لى موفرة إلى يوم القيامة. قال أياز. فقلت: السمع و الطاعة. و مضيت، و كان نصف الليل إلى المشهد و فتحت الأبواب و أنبته الصبيان الأيتام و وضعت الأصحن بين يديهم (كذا) و رجعت. و ما زال القمى على سداد من أمره، تولى الوزارة للناصر ثم للظاهر ثم للمستنصر حتى قبض عليه المستنصر و حبسه فى باطن دار الخلافة مدة فمرض و أخرج مريضا فمات- رح- سنة تسع و عشرين و ستمائة. .

و قال مؤلف الحوادث فى أخبار سنة ٦٢٩: «ذكر عزل الوزير مؤيد الدين القمى ... فى يوم السبت سابع عشر شوال تقدم إلى مؤيد الدين أبى طالب محمد بن أحمد ابن العلقمى مشرف دار التشرىفات يومئذ أن يحضر عند أستاذ الدار شمس الدين أبى الأزهر أحمد

بن الناقد و يتفقا على القبض على نائب الوزارة مؤيد الدين القمي. فجمع أستاذ الدار رجال النوبتين و أمرهم بالمبيت في دار الخلافة، و لم يشعر أحدا منهم بشيء، فلما أغلق بابا النوبى و العامة عيّن على جماعة مع ابن شجاع مقدم باب الأتراك بالقبض على القمي إذا فتح باب النوبى، و عين على جماعة مع حسن بن صالح المعمار للقبض على ولده (فخر الدين أبى الفضل أحمد) فى الساعة المعينة، و عيّن على جماعة للقبض على أخيه و جميع أصحابه و خواصه، فلما فتح باب النوبى خرج الجميع بالسيوف و هجموا عليه و على ولده و أخيه و جميع أصحابه فى ساعة واحدة فلم يفلت منهم صغير و لا كبير فأما هو و ولده

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٠٠

فنقلا ليلا إلى باطن دار الخلافة فحبسا هناك و أما أخوه و مماليكه و أصحابه فحملوا إلى الديوان .

و كان المؤرخ نفسه قال فى حوادث سنة ٦٢٨هـ: «و فى صفر دخل بعض الأتراك إلى دار الوزير مؤيد الدين القمي و طلب غفلة السترى و انتهى إلى مجلسه فلم يصادفه جالسا و كان بيده سيف مشهور و كان آخر النهار، و قد تقوّض الجماعة من الديوان فصاح عليهم خادم فتبادر الغلمان و أمسكوه و أنهى ذلك إلى مؤيد الدين فجلس و أحضر التركي بين يديه و سأله عما حملة على ذلك فلم يقل شيئا، فضرب ضربا مبرحا فذكر أن له مدة لم يصله شيء من معيشته و هو ملازم الخدمة و قد أضرب به ذلك فحملة فقره و حاجته و غيظه على ما فعل، فأمر بصلبه فصلب و حط بعد يومين» .

و ذكره هندوشاه الصحابى و ذكر أنه أنشأ مارستانا فى المشهد الكاظمى و زوّده و جهّزه بالأدوية و الأشربة و المعاجين و أنشأ مكتبا و دارا للقرآن لأيتام العلويين هناك و وقف على ذلك أوقافا و أحسن الثناء عليه و ذكر ابنه فخر الدين أحمد و أنه كان أديبا فاضلا و كان يتولى الشرطة و الاحتساب و كان قاسيا فى العقوبة ينتهى بها إلى قطع الأعضاء و لما نكب أبوه و حبس قال له: بخلك انسلقنا. يعنى أنه كان السبب فى تلك النكبة و حبس عز الدين عبد الحميد بن أبى الحميد لأنه كان مفتونا بتركى اسمه عثمان فبعث إليه بقصيده من السجن يقول فيها:

و قد تبت من الغي و قد ألق شيطاني

و قد ذكر ابنه فخر الدين أحمد كمال الدين ابن الفوطى قال: «فخر الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، القمي محتدا، البغدادى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٠١

مولدا، نائب الوزارة يعرف بخداوند زاده. ذكره شيخنا جمال الدين أبو الفضل أحمد بن مهنا الحسينى فى كتاب وزراء الزوراء (قال) ظهر من فخر الدين فى وزارة أبيه من القوة و الحرمة و النعمة ما جاوز فيه حد التأديب، و بلغ منه إلى الفطيع الغريب من قطع الأيدي و صلح الآذان و ازداد منه ذلك حتى ولى الشرطة و حجة باب النوبى، و كان ذا فطنة و ذكاء و دهاء و ناب عن والده حين تخلف عن الركوب إلى الترب. و فى سابع شوال سنة تسع و عشرين و ستمائة و كل به و بأبيه الوزير و نقلا إلى دار الخلافة و لم نقف لهما على أمر» .

و ترجم له الصفدى بما يخالف ما نقلنا بعض المخالفه قال: «محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز القمي الوزير مؤيد الدين أبو الحسن القمي البليغ الكاتب، قال ابن النجار: قدم بغداد صحبة الوزير ابن القصاب و كان به خصيصا فلما توفى قدم بغداد و قد سبقت له معرفة بالديوان و رتب ابن مهدي فى الوزارة و نقابة الطالبين اختص به أيضا و كانا جارين فى قم و لما مات أبو طالب ابن زبادة كاتب الإنشاء رتب القمي مكانه و لم يغير هياة القميص و الشربوش على قاعدة العجم ثم ناب أبو الوليد (محمد) ابن أمسينا فى الوزارة و عزل فى سنة ست و ستمائة فردت النيابة و أمور الديوان إلى القمي و نقل إلى دار الوزارة و لما ولى الظاهر الخلافة أقره على حاله و كذلك المستنصر قربه و رفع قدره و حكمه فى البلاد و العباد و لم يزل فى سعده إلى أن عزل و سجن هو و ابنه بدار الخلافة فمات الابن أولا و أبوه بعده فى سنة ثلاثين و ستمائة و كان كاتبا بليغا فاضلا كامل المعرفة بالإنشاء يكتب بالعربى و العجمى كيف

أراد و يحل المترجم المغلق و كان حسن الأخلاق مليح الوجه، تخافه الملوك و ترهبه الجابرة و له يد باسطة في النحو و اللغة و مشاركة في العلوم» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٠٢

و من إنشاء مؤيد الدين القمي عهد نقابة الطالبين الذي كتبه في تولية نقابتهم فخر الدين أبا الحسن محمد بن محمد ابن المختار الكوفي في السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٠٣ قال ابن الساعي: و هو بخط المكين أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي كاتب ديوان الانشاء المعمور حينئذ و من إنشائه و من خطه نقلت و هذه نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد عبد الله و خليفته الإمام المفترض الطاعة على سائر الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين إلى محمد بن محمد ابن المختار، حين وجده مرضى الخلائق، سوى الطرائق، محمود السجيا و الشيم، متمسكا من الديانة بأمتن سبب و أوثق معصم، سالكا في الزكاة و الرصانة لا حب جدد، و أقوم لقم، متحليا من التقى و الورع، بأحسن لباس و أبهى مدّرع، قد فاق بكفايته الأكفاء و برع، و استشرف إلى محامد الخلال، و محاسن الخصال كل مطلع، فقلّده نقابة العترة الكريمة العلوية، و الأسرة الجليلة الطالبيّة، بمدينة السلام، و سائر بلاد الإسلام، شرقا و غربا، و بعدا و قربا، مقدّرا فيه الاضطلاع بالأعباء، و القيام بحسن الإستخدام و الإستكفاء، و النهوض بتأدية شكر النعماء، و الله تعالى يقرن آراء أمير المؤمنين بالتأييد و التوفيق في كل ما ينتحيه للإسلام و المسلمین من المصالح، و يدني لى في كل ما يتغيه من منازم الدين كل بعيد نازح، إنه سميع مجيب، و ما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله، عليه توكل و إليه نيب، أمره بتقوى الله تعالى و استشعاره مراقبته في سزه و علانيته، فانهما الفريضة اللازمة، و السنّة القائمة، و اللباس الأحسن الأروع، و الحرز الأحسن الأمتع، و أفضل ما اعتقده المعتقدون، و دعا إليه الصالحون، و وزن به المرء مراجع لحظه، و مخارج لفظه، و مسارج خواطره، و مطارح نواظره، و أوضح سبل الرشاد، و خير الزاد ليوم المعاد، قال الله تعالى: وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى و قال سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ فتوبى لمن سمع قوله فاتبعه، و تجلبب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٠٣

لباس مراقبته و أدّرع، و اقتدى بكتابه، فاستخرج كنوز المرشد من عيابه، و اقتنى ذخائر ثوابه، فتوقى به أليم عقابه، أولئك الذين أنعم الله عليهم بالعقائد الصحائح، و أثقل موازين توفيقهم الرواجح، و هداهم بما كبت في قلوبهم من الإيمان إلى الجدد اللاحب و المنهج الواضح، فعمل في دنياه لأخراه، و قوم بالهدى بالجد في معاده جدواه، (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). * و أمره بأن يتأمل أحوال من فوض أمره من أهل بيته إليه، و عول في زعامته من ذوى الرحمة عليه، و يعتبر طرائقهم و يختبر شيمهم و خلائقهم، و ينزلهم منازلهم التي يستوجبونها بكرم العناصر، و يستحقونها بتباين المساعي و المآثر قال الله تعالى: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ فَلَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ رَشِيدًا الْمُنْهَج، متنكبا عن الطريق الأعوج، متحليا من الدين بما يناسب نسبه، و يلائم محتده الكريم و منصبه، يحق له من الإكرام، و خصه من الأنعام، و التودد و الإحترام، بما يرفع منزلته، و يحث على اكتساب فضيلة من تأخر عن غلوته ليشيع فيهم المناقب و الفضائل، و يسفروا عن المناظر المهيبه في النوادي و المحافل و يستضيفوا إلى شرف الأبوة فضل النبوة، و يتقلوا آثار من قال الله فيهم:

أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَ وَ النُّبُوَّةَ، فإنهم أغصان تلك الدوحة الشريفة، و الشجرة المباركة المنيفة، و أمره بأن يعاملهم برقق لا يشينه ضعف، و تهذيب لا يهجنه عنف، فمن بدت منه بادرة، أو عثرة نادرة أقالها، و ألحق جناح المياسرة أذيالها، و اتخذ له من التأنيب بما يجنبه أمثالها، قال الله و ليعفوا و ليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم. و قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: أقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم، فليس من كانت زلته بادرة، و خطيئته مبتكرة كمن كان في الغي مهوؤكا، و بعرا الاصرار عليه متمسكا، و من صادفه جاهلا بقدره، و نابذا مصلحته وراء ظهره و عرف خلوص دخلته و سلامة صدره، إلا أنه عن مصلحة شأنه غافل، و عن حلى

العلم الذي هو قيمة المرء عار عاطل، أيقظه من هجوع الاعترار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٠٤

بالأمل، و تبهه على أن النسب لا يغني بغير عمل، و النبي - صلى الله عليه و سلم - أوحى إليه: و أنذر عشيرتك الأقرين. و قال: يا بنى هاشم، يا بنى عبد المطلب إننى لا أغنى عنكم من الله شيئاً، إئتوني بأعمالكم و لا تأتوني بأنسابكم، إن أكرمكم عند الله أتقاكم. و من ألفاه منهم ذاهبا فى مجاهل الجهال، و سادرا فى مهاوى الضلال، و مشايعا فى احتقاب الأوزار، و هاتكا لأستار التصون و الاستتار، واجهه خاليا بالتقريع و التقييد، و زجره بالاخافه و الوعيد، فإن أنجع ذلك و أفاد، و رجع عن جهالته و عاد، و إلا قوم من ميده و اعوجاجه، و وقف به على سبيل الحق و منهاجه، و إن قرف أحدهم بجريمه أو رمى بجريرة فلا يعجل عليه بالمؤاخذه أو لا يسرع إليه بإجراء المقابلة، بل يتثبت إلى أن يقف بالبحث و الايضاح، على الحق المحض الصيراح، قال الله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ فان اتضح ما قرف به وزن بسببه، نظر فإن كان مما أوجب الله فيه حدا من الحدود أقامه، من غير تعدد على سلكه المحدود فيه و نظامه، قال الله سبحانه و تعالى: تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا. و قال

تعالى: وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ و قال سبحانه: وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

و لا يجرمه احتقابه الجرائم من نظر اعتناؤه، و لا إقامة حد الله فيه من ملاحظته و إرعائه، (فأهل) هذا النسب و إن تفاوتت أحوالهم، و تباينت أعمالهم، خصوا بالاصطفاء، و سُموا بالاجتباء، قال الله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير. و أمره بصرف همته إلى مصالح اليتامى و تخصيصهم من الإعناء، و تخويلهم من الارعاء بما ينسيهم ذلة اليتم و فقد الآباء، فمن كان منهم غنيا فيثمر ماله، و يهذب خلالمه، و ينفق عليه بالمعروف، لا شطط و لا تبذير، و لا تضيق و لا تقتير، فاذا بلغ الأشد و أنس منه الرشد، سلم ماله موفورا إليه، و أشهد بقبضه عليه، قال الله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٠٥

تعالى: وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ قَوْلِهِ: فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ و من كان فقيرا فليش عنان العناية إلى ما يعود بإصلاح أمره، و ليصرف همه إلى جبر كسره، إلى حين استوائه، و تهذب أنحائه، و ليدر عليه من الوقوف بالمعروف و ليكن به عطوفا، و له أبا رؤوفا، و أمره بالنظر فى أمر الأيامى بعين الاعتناء، و تزويجهن من الأضراب و الأكفاء، و تحصينهن بالاحصان لا بالمنع و النسيان فإن التناكح مدد الوجود و قوامه، و به يستتب أمره و يتسق نظامه، قال الله تعالى:

وَ أَنْكِحُوا الْيَتَامَىٰ مِنْكُمْ. و قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -:

تناكحوا تناسلوا أباه بكم الأمم يوم القيامة. و ليتوخ تطهير عقود نكاحهن من أدناس الالتباس، و ينزهها من أدران الأنجاس، قال الله تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا. و أمره بصونه هذا النسب الكريم، و البيت الماجد العظيم، من تنحل الأدياء، و انتماء الزنماء، فإن صادف من يدعى من ذلك ما لا يقوم البرهان على صحته، و لا تشهد الاستفاضه و الشيع بدحض حجته، صب عليه سوط التأديب، وردعه بزواجر التهذيب، فان كفه الرذع، و زجره المنع، و إلا و سمه بميسم يعرف به تنحله، و يشيع به كذبه و تقوله، قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: ملعون ملعون من انتسب إلى غير أبيه و ادعى إلى غير مواليه. هذا عهد أمير المؤمنين إليك، و حجته عليك، هداك به إلى طريق الرشاد، و حداك فى سبيل السداد، فاهتد بأنواره، و اتبع لرشيد آثاره، تظفر بمغانم الرشاد، و تفز فى المبدأ و المعاد، و الله ولى التوفيق، لأرشد جدّه و أقوم طريق، و كتب فى سادس عشر شهر ربيع الأول من سنة ثلاث و ستمائة و الحمد لله وحده و صلواته على سيدنا محمد النبى المصطفى و آله و سلامه، رب اختم بخير. صورة العلامة الشريفة تحت البسمله (الناصر لدين الله).

صورة خط الوزير نصير الدين أبى الحسن ناصر بن مهدي العلوى بين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٠٦

سطوره...». و لمكين الدين القمي أى مؤيد الدين فى آخر عمره منشور كتبه بأمر الخليفة الناصر فيه تجديد الفتوة، قال ابن الساعى: «قرأ المنشور عليهم (على رؤساء الفتيان) المكين أبو الحسن محمد بن محمد القمى كاتب ديوان الانشاء المعمور و هو من إنشائه و هذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، من المعلوم الذى لا يتمارى فى صحته، و لا يرتاب فى براهينه و أدلته، أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب- كرم الله وجهه- هو أصل الفتوة و منبعها، و منجم أوصافها الشريفة و مطلعها، و عنه تروى محاسنها و آدابها، و منه تشعبت قبائلها و أحزابها، و إليه دون غيره تنتسب الفتيان، و على منوال مؤاخاته النبوية الشريفة نسج الرفقاء و الاخوان، و أنه كان- عليه السلام- مع كمال فتوته، و وفور رجاحته يقيم حدود الشرع على اختلاف مراتبها، و يستوفى منها أصناف الجناة على تباين جناياتها أو مللها و نحلها و مذاهبها، غير مقصير عما أمر به الشرع المطهر و حرره، و لا مراقب فيما رتبته من الحدود و قرره، امتثالا لأمر الله تعالى فى إقامة حدوده، و حفظا لمناظمة الشرع و تقويم عموده، فانه عليه السلام فعل ذلك بمرأى من السلف الصالح و مسمع، و مشاهد من خيار الصحابة و مجمع، فلم يسمع أن أحدا من الأمة لاهمه، و لا طعن عليه طاعن فى حد أقامه، و حقيق بمن أورثه الله مقامه، و ناط به شرائع الإسلام و أحكامه، و انتمى إليه عليه السلام فى فتوته، و اقتفى شريف شيمه و كريم سجيته، أن يقتدى به عليه السلام فى أفعاله، و يحتذى فيما استرعاه الله تعالى واضح مثاله، غير ملوم فيما يأتيه من ذلك و لا معارض فتوة و لا شرعا فيما يورده و يصدره، و قد رسم- أعلى الله المراسم العلية، المقدسة النبوية الإمامية و زادها نفاذا معصودا بالصواب، و تأييدا ممتدا الأطناب محكم الأسباب- على كل من تشرف بالفتوة برفافة الخدمة الشريفة المقدسة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٠٧

المعظمة الممجدة المكرمة الطاهرة الزكية النبوية الإمامية، الناصرة لدين الله تعالى- شرف الله مقامها و أخلد أيامها، و أعلى كلمتها و نصر رايتها- أنه من قتل رفيق له نفسا نهى الله تعالى عن قتلها و حرّمه، و سفك دما حقه الشرع المطهر و عصمه، و صار بذلك ممن قال الله تعالى فى حقه، حيث ارتكب هذا المحرم، و احتقبت عظيم هذا المأثم: و من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها (الآية) أن ينزل عنه فى الحال فى جمع الفتيان عند تحققه لذلك و معرفته و يبادر إلى تغيير رفقته، مخرجا له بذلك عن دائرة الفتوة، التى كان متسما بها، مسقطا له من عداد الرفافة التى لم يقيم بواجبها:

ذلك لهم خزى فى الدنيا و لهم فى الآخرة عذاب عظيم. و أن كل فتى يحوى قاتلا و يخفيه، و يساعده على أمره و يؤويه، ينزل كبيره عنه و يغير رفاقته، و يتبرأ منه و أن من حوى ذا عيب فقد عاب و غوى و من آوى طريد الشرع فقد ضل و هوى، و النبى عليه السلام يقول: من آوى محدثا فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا. و لا حدث أكبر من قتل النفس عدوانا و ظلما، و لا ذنب أعظم منه وزرا و إثما، و أن الفتى متى قتل فتى من حزبه سقطت فتوته و وجب أن يؤخذ منه القصاص عملا بقوله: و كتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس و العين بالعين و الأنف بالأنف و الأذن بالأذن و السن بالسنّ و الجروح قصاص. و أن (من) قتل غير فتى عونا من الأعوان أو متعلقا بديوان فى بلد سيدنا و مولانا الإمام المفترض الطاعة على كافة الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين و خليفه رب العالمين فقد عيب هذا القاتل فى حرم صاحب الحزب بالقتل، فكأنما عيب على كبيره فسقطت فتوته بهذا السبب الواضح، و وجب أخذ القصاص منه عند كل فتى راجح، و ليعلم الرفقة الميمونة ذلك و ليعملوا بموجبه و ليجروا الأمر فى أمثال ذلك على مقتضى المأمورية، و ليقفوا عند المحدود فى هذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٠٨

المرسوم المطاع، و يقابلوه بالانقياد و الاتباع- إن شاء الله تعالى- و كتب فى تاسع صفر سنة أربع و ستمائة» .

و قال ابن الساعى: «و سلم إلى كل واحد من رؤساء الأحزاب منشور بهذا المثال فيه شهادة ثلاثين من العدول ثم كتب تحت كل

مرسوم و منشور ما هذه صورته». و الظاهر أنه من إنشاء مؤيد الدين القمي:

«قابل العبد ما تضمنه هذا المرسوم المطاع، و قابله بما يجب عليه من الانقياد و الإلتباع و الامثال و هو الذى يجب العمل به فتوة و شرعا، و هذا المعروف من سيرة الفتيان المحققين نقلا و قد ألزمت نفسى إجراء الأمر على ما تضمنه هذا المرسوم الأشرف فمتى جرى ما ينافى المأمورية، المحدود فيه كان الدرك لازما لى، و المؤاخذه مستحقة على ما يراه صاحب الحزب، ثبت الله دولته، و أعلى كلمته و كتب فلان بن فلان فى تاريخه» .

سنة ٦٤٧هـ

١٢٦- و فخر الدولة أبو المظفر الحسن بن هبة الله ابن المطلب الكرمانى ثم البغدادي الصوفى قال مؤلف الحوادث فى أخبار سنة ٦٤٧: «و فيها نقل فخر الدولة الحسن بن المطلب من مدفنه بالايوان الذى فى جامع على شاطيء دجلة، حيث وقع حائطه إلى مشهد موسى بن جعفر - عليهما السلام - تولى نقله النواب الذين ينظرون فى وقوفه و أرادو نقله إلى موضع فى الجامع فلم يجوز الفقهاء ذلك و ذلك بعد نيف و ستين سنة من موته» و كان المؤرخ قد ذكر أن سبب سقوط الحائط هو الغرق الذى حدث سنة ٦٤٦ فأصاب بغداد بما أصابها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٠٩

و قد ترجم له ابن الديبى فى تاريخه قال: «الحسن بن هبة الله بن محمد ابن على بن المطلب أبو المظفر الملقب فخر الدولة ابن الوزير أبى المعالى ابن أبى سعد. زاهد تارك للدخول فى أمور الدنيا و تولى الولايات، مشهور بالتقدم و الرئاسة، أحب طريقة الصوفية و التشبه بهم، فى ملبسه و أخلاقه، كثير الحج و المجاورة بمكة - شرفها الله تعالى - له آثار حسنة منها مدرسة للفقهاء الشافعية شرقى بغداد، مجاورة لعقد المصطنع و رباط للصوفية، مصافها، و مسجد متصل بذلك و جامع تصلى فيه الجمعة على دجلة بالجانب الغربى و رباط للنساء بقراح ابن رزين و غير ذلك من مواضع الخير، و وقف على ذلك من أملاكه ما يصرف فى عمارته، و مؤونته ما يكون فيه. سمع الحديث فى صباه من أبى الحسن على بن محمد بن العلاف و قرأ الأدب على أبى بكر ابن جوامرد القطان و امتنع فى كبره من الرواية فلم يسمع أحد منه إلا بجهد، و ذكرناه لأن وفاته تأخرت عن وفاته - يعنى وفاة أبى سعد السمعانى - و سمع منه بعده أبو الفضل بن صالح بن شافع و القاضى عمر بن على القرشى، و رأيتة و لم أقصد السماع منه. توفى فى ليلة الأربعاء العشرين من شوال سنة ثمان و سبعين و خمسمائة، و صلى عليه الخلق الكثير بجامع القصر و تقدم فى الصلاة عليه الخطيب أبو جعفر بن المهتدى و دفن بالجانب الغربى بالجامع الذى بناه على دجلة» .

و يحق لنا أن نسأل فنقول: إن كان أبو المظفر بن المطلب تاركا للدخول فى أمور الدنيا فكيف نال لقب «فخر الدولة» و هو من ألقاب الدنيا و أمورها الصميم؟ الظاهر أنه كان لقب تشريف من الدولة العباسية لأنه كان مستشارها، و أنه سعى فى خدمتها تطوعا و طلبا للأجر باعتبار أن خدمتها النزيهة خدمة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣١٠

للاسلام، و إضافة اللقب إلى «الدولة» ظهر أول مرة فى عصر بنى بويه الأول أعنى أواسط القرن الرابع للهجرة، و كان خاصا بأمرائها و استمر إلى أيام السلجوقيين فاستعمله سلاطينهم و من وازاهم من الأمراء، و لكن ظهر معه لأرباب الدولة لقب مضاف إلى الملك مثل «نظام الملك، و تاج الملك و بهاء الملك، و جمال الملك» و لما انتعشت الدولة العباسية على العهد الأخير أضيف لقب الدولة إلى رجالها و من تشرفوا بخدمتها من أمراء و كبراء كثقة الدولة على بن محمد الدريني و فخر الدولة الحسن بن المطلب، و عز الدولة أبى المكارم جعفر بن المطلب أستاذ دار الخلافة فى أيام المسترشد بالله و عز الدولة أبى جعفر الحسن بن عبد الله بن محمد ابن الكرخى الحاجب و كان خصيصا بخدمة الوزير أبى الفرج عضد الدين محمد بن عبد الله ابن رئيس الرؤساء و عز الدولة أبى الحسن على بن

هبة الله بن محمد بن المطلب أستاذ الدار على عهد المسترشد أيضا وقد توفي سنة ٥٢٣ هـ وعز الدولة أبي الثناء علي بن يلدرك ابن أرسلان البغدادي الكاتب التركي الأصل المتوفى سنة ٥١٥ هـ والأمير عز الدولة أبي المكارم محمد بن صدقة بن منصور الأسدي وعز الدولة أبي الخير مختار بن عبد الله المسترشد من أكابر رجال الدولة العباسية على عهد المسترشد بالله و كان في سنة «٥٤٠» من عهد المقتفى لأمر الله حيا و حائزا للقب .

و ممن ترجم لفخر الدولة ابن المطلب عز الدين ابن الأثير في تاريخه قال في حوادث سنة ٥٧٨: «و فيها مات فخر الدولة أبو المظفر بن هبة الله ابن المطلب، كان أبوه وزير الخليفة و أخوه أستاذ الدار، فتصوف هو من زمن الصبا و بنى مدرسه و رباطا ببغداد عند عقد المصطنع و بنى جامعا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣١١

بالجانب الغربي منها» و قد كان قال في حوادث سنة ٥٧٢: «في هذه السنة في جمادى الأولى أقيمت الصلاة في الجامع الذي بناه فخر الدولة ابن المطلب بقصر (بنى) المأمون بغربي بغداد». و جاء في مرجع آخر في ذكر المساجد الجامعة ببغداد «ثم مسجد بقصر عيسى عمره أبو المظفر الحسن بن هبة الله ابن المطلب و استأذن المضيء بأمر الله في عقد الجمعة فيه فأذن في ذلك بشرط فتوى الفقهاء بجواز ذلك فأجاز بعض الفقهاء فعقدت الجمعة فيه في أواخر سنة اثنتين و سبعين و خمسمائة ثم منع المستضيء من الصلاة فيه فلما ولي الناصر لدين الله سئل ذلك فأجاب فصلى فيه في أواخر ذى الحجة سنة خمس و سبعين و خمسمائة» .

و ذكر هذا الجامع سبط ابن الجوزي في ترجمه فخر الدولة قال في حوادث سنة ٥٧٨: «و فيها توفي الحسن بن هبة الله بن علي أستاذ فخر الدولة و كان فاضلا سديد الرأي، يستشار في الأمور الجسمية، و كان كثير الصدقات، دائم المعروف، مفيدا لأرباب البيوت، سخيا ذا مروءة ظاهرة، و له ببغداد آثار جميلة منها خانقاه المعروف بفخر الدولة غربي بغداد، غرم عليه أموالا كثيرة، و منها رباطه شرقي بغداد عند عقد المصطنع عند دار الذهب وقف عليه أوقافا كثيرة و كانت وفاته في شوال و دفن في خانقاهه غربي بغداد و له شباك يشرف على دجلة. قلت: و قد رأيت هذا الجامع في سنة ٦٤٥ و قد استولت دجلة عليه فأخربت الظاهر، و الظاهر أنها تخرب الباقي» .

و ذكره ابن الفوطى في الملقبين بفخر الدولة قال: «فخر الدولة أبو المظفر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣١٢

الحسن بن هبة الله ابن المطلب الكرمانى ثم البغدادي الوزير الصوفى، ذكره تاج الاسلام أبو سعد السمعاني و قال: كان من بيت الوزارة فأعرض عنها و جعل داره رباطا للصوفية و (مال) إلى التصوف و كان حسن السيرة، كثير الخير، سمع أبا الحسن علي بن محمد ابن العلاف و عمر المدرسة الفخرية بعقد المصطنع في المأمونية و جعل بها خزانه كتب جامعة لأنواع العلوم، و عمر داره رباطا و أوقف عليها الوقوف الجليلة و جاور، و إليه ينسب الجامع بقصر ابن المأمون بالجانب الغربي الذي جدده الوزير سعد الدين محمد بن علي الساوى . و توفي في شوال سنة ثمان و سبعين و خمسمائة و دفن إلى جانب الجامع و مولده سنة إحدى و تسعين و أربعمائة» .

و قال شهاب الدين إبراهيم بن أبي الدم الحموى القاضى المؤرخ في حوادث سنة ٥٧٥: «و فيها استدعى الإمام الناصر لدين الله فخر الدولة ابن المطلب و طلب منه أن يستوزره لعلمه و ورعه و كان المستجد و المستضيء طلباه للوزارة فامتنع فلما حضر بين يدي السدة الشريفة قبل الأرض و قال:

يا أمير المؤمنين، المملوك رجل شيخ ما يجوز له أن يفتح دكانا بعد العصر:

فقال له بهاء الدين صندل: أجب أمير المؤمنين. فقال له فخر الدولة:

ليس لك في إجابتي مصلحة لأننى قبلت بهذه الولاية ما كنت أتركك على ما بيدك من الاقطاع و الولايات بل كنت أجريك على قاعدة بلال الحبشى و أزيل عنك هذه الثياب و أمنعك من الركوب و بين يديك سيوف مشهورة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣١٣

احدى زوايا صحن الامامين و تتجلى فيها روعة الفن الكاشانى و ما بلغته هذه الصناعة من السمو و فيها مدافن عدد كبير من المشاهير الذين اختصت بهم بعض الغرف منها.

فضحك الامام الناصر و أعفاه و قال له: تشير علينا بمن يصلح. فقال:

هذا يصلح- و أشار إلى مجد الدين (هبة الله) ابن الصاحب - فضاق صدر مجد الدين و تألم. فقال الامام الناصر: ألا يرضيك قوله و الوزارة أرفع درجات أرباب الدول؟ فقال له: يا مولانا لا أبيع حضورى فى هذه الخدمة بالدنيا و ما فيها. و سأل أن يقرّ على خدمته. فأقره عليها. و قال لفخر الدولة:

تشير علينا بمن نوليه. فقال: إن رأى مولانا أن يولى سليمان بن جاورس نائب وزارة فرأيه أسمى و أعلى. فأمر الإمام الناصر بإحضار سليمان بن جاورس و يلقب بحسام الدين، فأحضر و خلع عليه و رتب نائب الوزارة فأقام كذلك شهرا.

و ذكره ابن جماعة الكنانى قال: «هو أبو المظفر ابن الوزير المستظهر بالله كان حسن السيرة، كثير الخير، و عرضت عليه الوزارة فلم يردّها،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣١٤

و زهد فى الدنيا و أحب طريقة التصوف و سلوك طريقهم فى ملبسه و أحواله، و أكثر الحج، و المجاورة بمكة، و أنفق أموالا فى وجوه البرّ و القربات، فعمل مدرسة لأصحاب الشافعى و رباطا للصوفية إلى جانبها، و مسجدا كبيرا متصلا بها، و جامعا كبيرا لصلاة الجمعة و غيرها بالجانب الغربى، و بنى فيه بيوتا للمجاورين من الفقراء و أجرى لهم الجرايات، و رباطا للنساء و وقف أكثر أملاكه و ضياعه على ذلك. و كان محترما معظما يقصده الناس فى منزله و لا يمضى هو إلى أحد. سمع الحديث فى صغره من أبى الحسن ابن العلاء و أبى على بن نبهان و غيرهما و حدث باليسير، بعد جهد و كان عسرا فى الرواية، و ممن روى عنه أبو سعد ابن السمعانى. مولده بعد التسعين و أربعمائه، و توفى فى الحادى و العشرين من شوال سنة ثمان و سبعين و خمسمائة و دفن فى الجامع الذى بناه بقصر عيسى - رح - و قال الكنانى قبل ذلك:

«أنبأنى عبد الرحمن بن أبى الفرج البغدادى عن أبى أحمد عبد الوهاب بن على الأمين قال أنشدنى فخر الدولة الحسن بن أبى المعالى هبة الله بن محمد بن على ابن المطلب.

قال العذول و قد رأى من مقلتي دمعا جرى يحكى الفرات و مده

ماذا البكاء و قد أباحك وصله إرفق بدمعك لست تأمن صده»

و ذكره الخزرجى فى العسجد المسبوك .

سنة ٥٤٨هـ

١٢٧- و فيها توفى عبد الغنى بن فاخر مهتر الفراشين بدار الخليفة، عبد الغنى بن فاخر مهتر الفراشين بدار الخليفة، ذكره مؤلف الحوادث

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣١٥

فى وفيات سنة «٤٤٨هـ» قال: «كان شيخا ظريفا لطيفا، خاليا من العلم، حسن الزى، مليح الملبوس، كثير التمتع، متشبه بالملوك فى ترتيب داره، و كانت داره تشتمل على عدّة حجر، فى كل حجره جارية و خادم، تسمى تلك الحجره باسم ذلك الخادم، و كانت نفقته فى الشهر زيادة عن مائة و خمسين دينارا، عدا ما يحتاج إليه سطح الطيور و هو نحو عشرين دينارا، و كان متهوسا بحديث الجن، يزعم أنه يستحضرهم، و ينفذ فيهم أمره، قال الشيخ تاج الدين على بن أنجب المعروف بابن الساعى - رحمه الله -:

قال لى مرة إن جنا إسمه شمردل تمرّد علىّ و خالف أمرى و إنى تألمت منه إلى ملك الجن فأمر بحبسه. فقلت: و أين ذلك الحبس؟

فقال: في النجف.

فكنت أسأله دائما عنه فيقول: هو على حاله في الحبس» قال: وشفعت فيه مرة ليطلقه فقال لي: أى شىء يعجبك منه حتى تشفع في إطلاقه فإنه وحش الصورة قدر أحق مؤذ؟ قلت: فيستتاب. قال: لا والله. و كنت أعجب منه كيف كان يقول ذلك بكليته مع دهاء كان عنده ومكر وعدم غفلة. ورأيت في حمام داره مخاد جلود كبارا وصغارا، فسألته عن ذلك. فقال: هذه أجعلها تحت كعبي وركبتي ورأسي إذا نمت لأجل تدليك جسمي.

ووقف داره على المارستان العضدي وبنى تربة في المشهد الكاظمي - على ساكنه السلام - وعمل ضريحا و صندوقا، وجعل في التربة فرشاً وربعا وقناديل وخداما، ووقف أملاكه على التربة والخدام ومن يختار القعود هناك من مقتفيه ومقرىء و فراش، و كان عمره نيفا وسبعين سنة» .

و ذكره الخزرجي في وفيات تلك السنة قال: «و مات الصلاح عبد الغنى ابن فاخر شيخ الفراشين بدار الخلافة، و كان شيخا ظريفا لطيفا مع خلوه من العلم، حسن الملبوس، ثاقب الرأي، كثير التمتع، يتشبه بالملوك في ترتيب داره، و كانت داره تشتمل على عدة حجر في كل حجرة جارية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣١٦

و خادمة ثم رتب لكل جارية شغلا فواحدة طعامية و شرابية و أخرى فراشية و أخرى غسالة و أخرى طبخة إلى غير ذلك و كان مهوسا بحديث الجن يزعم أنه يستحضرهم و يستخدمهم و ينفذ فيهم أمره، يقول ذلك بكلمة مع ذكاء و عدم غفلة، و كان على خاطره أشعار كثيرة و توفي سادس المحرم من السنة المذكورة و عمره نحو ثمانين سنة و الله أعلم» .

سنة ٦٥٠ هـ

١٢٨- و علاء الدين أبو شجاع الطبرس بن عبد الله التركي الظاهري الدواتي الأمير، ذكره ابن الفوطي في معجمه لذوى الألقاب قال: «ذكره شيخنا تاج الدين (ابن الساعي) في تاريخه و قال: اشتراه الإمام الظاهر بأمر الله و حصل له القرب و الاختصاص و لما بويع المستنصر بالله قرّبه و اجتباه و جعله يرسم حمل الدواة و أقره في المحرم سنة خمس و عشرين و ستمائة، و رغب فيه بدر الدين لؤلؤ أن يكون صهره، فأذن له في ذلك، و كان الصداق عشرين ألف دينار، و أقطع قوسان و تأثلت حاله، و كثر ماله، و كان حسن السيرة مع أصحابه و مماليكه، و كان حاصله في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، يخرج في الهبات و الصلاة و كانت وفاته في ليلة الجمعة سادس عشر شوال سنة خمسين و ستمائة و دفن في إيوان الحضرة بمشهد الامام موسى ابن جعفر و الجواد - عليهم السلام - إلى جانب زوجته بنت بدر الدين لؤلؤ و رثاه شيخنا عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد بأبيات أولها:

لا تأمن الدنيا و قدغدر الزمان بالطبرس» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣١٧

و قال مؤلف الحوادث في حوادث سنة ٦٥٠: «و في شوال توفي علاء الدين الطبرس الظاهري المعروف بالدويدار الكبير . كان دويدار الخليفة الظاهر، و كان حظيا عنده، ابتاعه من أياز مملوك الشرواني و زوجه ابنه قراطاش و حوّله فلما استخلف المستنصر قدّمه و قرّبه و زوجه ابنه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل و أعطاه ليلة دخوله (مائة ألف دينار) و أقطعه قوسان، و كان يحصل له منها من أملاكه استجدها حدود ثلاثمائة ألف دينار، و كان يحب العمارات و المتنزّهات فمما بناه داره التي بشرقي بغداد على شاطئ دجلة تجاه الرباط المعروف بدار الفلك و لم يكن ببغداد مثلها و عمل بها بستانا غرس فيه النخل و الشجر و النارنج و عمل له دولابا فاستحسنها الخليفة المستنصر فطلبها منه، فلم يسمح له بها، فلما توفي أخذها.

و كان علاء الدين جوادا كريما حسن السيرة، مواصلا لأرباب البيوت، و دفن في مشهد موسى بن جعفر - عليهما السلام - في الإيوان

المقابل لباب الدخول عند زوجته إبنة بدر الدين صاحب الموصل، ورثاه الشعراء فمما قاله عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد من أبيات:

بأبى الذى فقد الحياة و عوده لدن و غصن شبابه فينان
تبكيك دار الشط فهى كئيبة و الجسر و الشرقى و الميدان
أبكيك للأنس القديم و صحبه كانت و قد تفرق الاخوان
من زعزع الطود الأشم فدكت الأبراج منه و هدّت الأركان
فعليك من رضوان ربك رحمة يغدوك منه الروح و الريحان
و مما قاله:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣١٨ لا تأمن الدنيا و قدغدر الزمان بالطبرس

و رماه من بعد الميامن و السعود بيوم نحس

و كساه ثوبا من تراب بعد أثواب الدمقس

فاحبس عنان النفس فهى مقيمة فى شر حبس

واقنع من الدنيا بثوب لا يساوى نصف فلس

و تقدم بتأمير ولده شرف الدين (إسحاق) و ولد مجاهد الدين أبيك الدويدار الصغير (كشلوخان) و خلع عليهما» .

و ترجم له ابن تغرى بردى فى تاريخه للتراجم قال: «الطبرس بن عبد الله الظاهر، الأمير الكبير، علاء الدين، مولى الخليفة الظاهر ابن الخليفة الناصر البغدادى العباسى، ترقى حتى صار من أكابر الأمراء، و كان خصيصا عند المستنصر و زوجته بانبه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل و وهبه ليلة عرسه مائة ألف دينار، و قيل إنه كان يدخل له من إقطاعه كل سنة ثلاثمائة ألف دينار إلى أن توفى سنة خمسين و ستمائة و دفن بمشهد الكاظم و رثاه الشعراء و كان أميراً جليلاً شجاعاً مقداماً كريماً جواداً حسن السيرة فى الرعية- رحمه الله-» .

و نسى ابن تغرى بردى هذه الترجمة فكرر ترجمته فى باب الطاء أو عدّه رجلاً آخر قال: «طبرس بن عبد الله الأمير الكبير، علاء الدين الظاهري البغدادى التركي، اشتراه الخليفة الظاهر بأمر الله فحظى عنده و جعله داوآداره، و لما آلت الخلافة للمستنصر قدمه أيضاً و أدناه، و رفع قدره، فشاع ذكره، قال الخزرجى فى تاريخه المسمى بالعسجد المسبوك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣١٩

فى تاريخ دولة الإسلام و طبقات الخلفاء و الملوك : و زوجه لؤلؤ صاحب الموصل ابنته ...» .

قال مصطفى جواد: الذى فى العسجد المسبوك هو فى حوادث سنة (٦٥٠) قال: «و فيها مات الأمير علاء الدين الطبرس» لا طبرس، و قال بعد ذلك: «و كان جميل الصورة، كامل المحاسن، اشتراه الظاهر بأمر الله فحظى عنده و جعله دويداره، و لما أفضت الخلافة إلى المستنصر بالله قربه و أدناه و قدّمه على من سواه، فارتفع قدره، و شاع ذكره» فكل ما قال ابن تغرى بردى هو من تاريخ الخزرجى، و قال بعد ذلك: و زوجه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ابنته، و كان العقد فى دار الوزير بحضور قاضى القضاء على صداق مبلغه عشرون ألف دينار، و وهب له المستنصر بالله ليلة زفافه مائة ألف دينار ثم ألحقه بأكابر الزعماء و أرباب العمائم، و المشاد، و أقطعه قوسان، و كانت تعمل له فى كل سنة مائتى ألف دينار، و كان كريماً جواداً، خلع على مماليكه و خدمه فى عيد رمضان من سنة ست و عشرين (و ستمائة) ألفاً و سبعمائة خلعة، و كان وهاباً للخيل. قال ابن الخازن حدثنى ابن الأشقر كاتب ديوانه- و كان ثقة- أنه جمع عدة ما وهبه من الخيل منذ أنعم عليه بالأماره و ذلك فى سنة خمس و عشرين (و ستمائة) إلى سنة وفاته فبلغ تسعة آلاف و خمسمائة و نيفا و سبعين فرساً . و توفى عن مرض متناول يوم السادس عشر من شوال من السنة المذكورة، و صلى عليه فى الجامع خلق كثير

من الخاص والعام، و اشتد الزحام عند خروجهم فمات من الناس جماعة و دفن في إيوان الصحن من مشهد موسى بن جعفر و رثاه جماعة من الشعراء منهم عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد، و كان موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٢٠
 و كيله و صرفه قبل موته، فلما هلك رثاه بقصيدة يقول في أثنائها:
 بأبي علاء الدين فاضت نفسه لم تغنه الأنصار و الأعوان
 متخشع للموت قد غدرت به أيامه و زمانه الخوان
 ذهب طلاوة وجهه فكأنه ترب و كان كأنه عقيان
 بأبي الذي فقد الحياة و عوده لدن و غصن شبابه فينان
 من زعزع الطود الأشم فدكت الأبراج منه و هدّت الأركان؟
 أبكيك للأنس القديم و صحبة طالت و قد تتفرق الجيران
 و وراء ذلك منك إحسان مضى يذكي فليس وراءه إحسان
 و لئن هجرت قبيل موتك ناسيا عهدى فما من شأنى النسيان
 ما كان ذلك منك بل من معشر خانوك أو كذبوا على و مانوا
 طلبوا القطيعة بيننا و وددت لو تبقى و يبقى بيننا الهجران
 فعليك من رضوان ربك رحمة يغدوك منها الروح و الريحان» .

سنة ٦٥١ هـ

١٢٩- و الريب عبد الوهاب بن نصر الله ابن الخياط بدار التشريفات و بالمخزن في دار الخلافة، ذكره الخزرجي في وفيات سنة ٦٥١ قال: «و مات الريب عبد الوهاب بن نصر الله الخياط ، و كان عزبا لم يتزوج و لا تسرى مع حسن طريقة، و كان له دور فسيحة يتتابها الأضياف، و يصنع لهم الأتعمة و له طبق مبدول، و كانت حاله جميلة، و طريقته محمودة، و نفسه وسيعه، يفضل على قاصديه، و يحب سائليه. توفي في شهر رمضان عن نيف و خمسين
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٢١

سنة و دفن في مشهد موسى بن جعفر و شيعة خلق كثير و كان موصوفا بالمروءة، قيل إن إنسانا شكأ إليه فقرا فأعطاه مائة دينار، و ان رجلا- كان له دين على علوى مبلغه خمسون دينارا فألح عليه في الطلب و اراد أن يحبسه، فأدّى عنه المبلغ و قبض كتاب (الدين) و خزقه و لم يشعر العلوى، و لما اشتد به المرض و أحسّ بالموت أقرّ في ذمته لتيمة علوية بألف دينار، و ظهر له بعد موته أموال عظيمة عينا و ثيابا نفيسة و زر كشا ما يزيد على عشرين ألف دينار» .

سنة ٦٥٢ هـ

١٣٠- و مجد الدين أبو الفتح صدقة بن عبد الله ابن الناقد البغدادي الحاجب، ذكره ابن الفوطى في معجمه للالاقاب قال: «مجد الدين أبو الفتح صدقة بن عبد الله ابن الناقد البغدادي الحاجب، ذكره شيخنا تاج الدين على بن أنجب (ابن الساعى) في تاريخه و قال: و فى رجب سنة أربع و عشرين و ستمائة رتب مجد الدين حاجبا بالمخزن ثم ناب فى الوكالة فى وزارة عمه (نصير الدين ابن الناقد)، و فى سنة اثنتين و أربعين (و ستمائة) رتب و كيلا فى وقوف أم الناصر (زمرد خاتون) و حجّ متوليا فى السبيل المختص بها، و رتب و كيلا لباب عبر ابنة الإمام المستنصر بالله، و لم يزل على ذلك و أضيف إليه وكالة باب الحجره إلى أن توفي يوم الجمعة الخامس و

العشرين من ذى القعدة سنة أربع وخمسين وستمائة ودفن في تربة لهم بالمشهد (الكاظمي)).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٢٢

سنة ٦٥٦ هـ

إشارة

١٣١- و مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن محمد بن علي ابن العلقميّ الأسدي الوزير، ذكره مؤلف الحوادث في وفيات هذه السنة أعنى سنة ٦٥٦ قال: «ذكر من توفي الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي في جمادى الآخرة ببغداد و عمره ثلاث و ستون سنة، كان عالما فاضلا أديبا يحب العلماء و يسدى إليهم المعروف» و قال قبل ذلك: «توفي الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي في مستهل جمادى الآخرة و دفن في مشهد موسى بن جعفر - عليهما السلام - فأمر السلطان (هولاكو) أن يكون ابنه عز الدين أبو الفضل وزيرا بعده» .

و قال الخزرجي في وفيات سنة ٦٥٦: «و في هذه السنة توفي الوزير مؤيد الدين محمد بن محمد ابن العلقميّ البغدادي الرافضي و كان عالما فاضلا أديبا حسن المحاضرة دمث الأخلاق كريم الطباع خير النفس، كارها للظلم خيرا بتدبير الملك لم يباشر قلع بيت و لا استئصال مال، اشتغل بالنحو و علم الأدب في شبيبته بالحلة على عميد الرؤساء (هبة الله بن حامد) بن أيوب ثم قدم بغداد و قرأ على أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ثم انضم إلى خاله أستاذ دار الخلافة عضد الدين أبي نصر المبارك ابن الضحاك و كان شيخ الدولة فضلا و علما و رئاسة و تجربته فتخلق بأخلاقه و تأدب بآدابه، و استنابه في ديوان الأبيّة و شغله بعلم الانشاء إلى أن توفي خاله، فانقطع و لزم داره، و استمر شمس الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد أستاذ الدار فاستدعى مؤيد الدين إلى دار التشريفات و أمره بالتردد إليها في كل يوم و مشاركة النواب بها، فلما نقل أستاذ الدار أحمد بن الناقد إلى الوزارة نقل مؤيد الدين إلى أستاذية الدار فكان على ذلك إلى أن توفي الوزير أحمد ابن الناقد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٢٣

فانتقل مؤيد الدين إلى الوزارة و لم يزل على ذلك إلى أن انقضت الدولة العباسية و أقر في الدولة التتريّة على الوزارة و تغيرت أحواله و لم يتم له ما أراد و لم يظن أن التتر يبذلون السيف مطلقا فانه راح تحت السيف الرافضة و السنة و أمم لا يحصون و ذاق الهوان و الذل من التتر و ذلك في أول جمادى الآخرة من السنة المذكورة». و قال المؤرخ نفسه في ترجمته أبي المعالي القاسم بن أبي الحديد: «ثم استكتبه الوزير نصير الدين أحمد ابن الناقد بين يديه إلى آخر أيامه و لما عجز الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي أجراه على عادته في الكتابة بين يديه ثم جعله كاتب ديوان الانشاء» .

و القارىء يتعجب كل العجب من قول هذا المؤرخ «و لم يتم له ما أراد و لم يظن أن التتر يبذلون السيف مطلقا» كأن ابن العلقمي هو الذى أنشأ الدولة المغولية و ألهمها فكرة الفتوح مع أنها كانت تسير بفكرة الفتوح قبل مولد الوزير ابن العلقمي، و كيف لا يعلم أنهم يبذلون السيف و قد اشتهر بذلهم السيف في بلاد المسلمين منذ فتوحاتهم الأولى و اجتياحهم البلاد الإسلامية على عهد خوارزمشاه محمد بن تكش سنة ٦١٧ هـ.

و ما دخل ابن العلقمي في حركتهم؟ إنما اتهم بذلك لأنه كان شيعيا و لو كان غير شيعي ما اتهمه أحد، و اتهمه بأنه حرّض التتر على الاستيلاء على بغداد كاتهام من نفخ نفخة من فمه فنشأ إعصار شديد فيه نار فقيل له:

أنت المحدث لهذا الإعصار، و كل ما ظهر من الرجل أنه علم أن لا قبل للدولة العباسية بمقاومة الجيوش التتريّة فمال إلى المصانعة و المصالحة، فاتهموه و كانت العاقبة و خيمه جدا.

و قال الصفدي: «محمد بن محمد بن علي أبو طالب الوزير المدبر مؤيد الدين ابن العلقميّ البغدادي الرافضي وزير المستعصم ولي

الوزارة أربع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٢٤

عشرة سنة فأظهر الرفض قليلا، و كان وزيرا كافيا خبيرا بتدبير الملك و لم يزل ناصحا لأستاذه حتى وقع بينه و بين الدوادار (الصغير مجاهد الدين أيبك) لأنه كان يتغال في السنّة و عضده ابن الخليفة (أحمد ولى العهد) فحصل عنده من الضغن ما أوجب له أن سعى في دمار الإسلام و خراب بغداد (كذا) على ما هو مشهور لأنه ضعف جانبه و قويت شوكة الدوادار بحاشية الخليفة حتى قال في شعره:

وزير رضى من بأسه و انتقامه بطي رقاغ حشوها النظم و النثر

كما تسجع الورقاء و هى حمامة و ليس لها نهى يطاع و لا أمر

و أخذ يكاتب التتار إلى أن جرّ هولاءكو و جرّاه على أخذ بغداد و قرّر مع هولاءكو أمورا انعكست عليه (كذا) و ندم حيث لا ينفعه الندم و كان كثيرا ما يقول: و جرى القضاء بعكس ما أملتة، لأنه عومل بأنواع الهوان من أراذل التتر و المرتدّة، حكى أنه كان فى الديوان جالسا فدخل بعض التتار ممن لا له و جاهة راكبا فرسه فساق إلى أن وقف بفرسه على بساط الوزير و خاطبه بما أراد و بال الفرس على البساط و أصاب الرشاش ثياب الوزير و هو صابر لهذا الهوان، يظهر قوة النفس و أنه بلغ مراده . و قال له بعض أهل بغداد: يا مولانا أنت فعلت هذا جميعه و حميت الشيعة حمية لهم و قد قتل من الأشراف الفاطميين خلق لا يحصون و ارتكب من الفواحش مع نساءهم و افتضت بناتهم الأبيكار مما لا يعلمه إلا الله تعالى. فقال: بعد أن قتل الدوادار و من كان على مثل رأيه لا مبالاة بذلك. و لم تطل مدته حتى مات غمّا و غبنا فى أول سنة سبع و خمسين و ستمائة، مولده فى شهر ربيع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٢٥

الأول سنة إحدى و تسعين و خمسمائة ... اشتغل بالحلة على عميد الرؤساء (ابن أيوب) و عاد إلى بغداد و أقام عند خاله عضد الدين أبى نصر المبارك ابن الضحاك، و كان أستاذ الدار، و لما قبض على مؤيد الدين القمى و كان أستاذ الدار فوضت الاستاذ دارية إلى شمس الدين ابن الناقد ثم عزل و فوضت الاستاذ دارية إلى ابن العلقمى، فلما توفى المستنصر بالله و ولى الخلافة أمير المؤمنين المستعصم و توفى الوزير نصير الدين أبو الأزهر أحمد ابن الناقد وزير ابن العلقمى و كان قد سمع الحديث و اشتغل على أبى البقاء العكبرى و حكى أنه لما كان يكاتب التتار تحيل مرة إلى أن أخذ رجلا و حلق رأسه حلقا بليغا و كتب ما أراد عليه بوخز الابر كما يفعل بالوشم و نفّض عليه الكحل و تركه عنده إلى أن طلع شعره و غطى ما كتب، فجّهزه و قال:

إذا وصلت مرهم بحلق رأسك و دعهم يقرؤون ما فيه، و كان فى آخر الكلام قطعوا الورقة. فضربت رقبتة. و هذا غاية فى المكر و الخزى و الله أعلم .

قلت: بل المكر و الخزى اللذان بلغا الغاية هما صفتا من ابتدع هذه التهمة على ابن العلقمى، فليت شعرى من خبّر بهذا الفعل لو صحّ أ ابن العلقمى؟

أم الذى قطع رأسه أم المغول الذين إدعى فى الخبر أنّهم روسلوا؟ و ذلك من أهم أسرار دولتهم لو كان صحيحا، ولكنه خبر مفتعل مؤلّد مختلق، لأن الوزير كان يستطيع أن يوصل إليهم كتابه بغير تكلف لهذا العمل، لأنه كان وزيرا فلا يعترض رسوله أحد، بله أن طرق التسلّل كثيرة و طرائق الإيصال كثيرة و كيف يستجيز مسلم كابن العلقمى قطع رأس رسول مسلم و هو قطع محرّم لأنه قتل للنفس التى حرم الله.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٢٦

و قال ابن الطقطقى و هو من أنصف المؤرخين: «وزارة مؤيد الدين أبى طالب محمد بن أحمد ابن العلقمى، هو أسدى أصلهم من النيل و قيل لجده العلقمى لأنه حفر النهر المسمى بالعلقمى و هو الذى برز الأمر الشريف السلطانى بحفره و سمي القازانى. اشتغل فى صباه بالأدب ففاقه فيه و كتب خطا مليحا و ترسل ترسلا فصيحيا، و ضبط ضبطا صحيحا و كان رجلا فاضلا كاملا ليبيبا كريما وقورا

محباً للرئاسة كثير التجل، رئيساً متمسكاً لقوانين الرئاسة، خبيراً بأدوات السياسة، ليق الأعطاف بآلات الوزارة و كان يحب أهل الأدب، و يقرب أهل العلم، اقتنى كتباً كثيرة نفيسة. حدثني ولده شرف الدين أبو القاسم علي -رح- قال: اشتملت خزانه والدى على عشرة آلاف مجلد من نفاثس الكتب، و صنف الناس له الكتب، فممن صنف له الصاغانى اللغوى صنف له العباب و هو كتاب عظيم كبير فى لغة العرب و صنف له عز الدين عبد الحميد بن أبى الحديد كتاب شرح نهج البلاغه، يشتمل على عشرين مجلداً فأثابهما و أحسن جائزتهما. و كان ممدحاً مدحه الشعراء، و انتجعه الفضلاء، فممن مدحه كمال الدين ابن السبوقى بقصيدة من جملتها:

مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمى الوزير

و هذا بيت حسن جمع فيه بين لقبه و كنيته و اسمه و اسمه أبيه و صنعته.

و كان مؤيد الدين الوزير عفيفاً عن أموال الديوان و أموال الرعية متمتزا مترفعاً قيل إن بدر الدين صاحب الموصل أهدي إليه هدية تشتمل على كتب و ثياب و لطائف قيمتها عشرة آلاف دينار، فلما وصلت إلى الوزير حملها إلى خدمة الخليفة و قال: إن صاحب الموصل قد أهدي لى هذا و استحيت منه أن أردّه إليه، و قد حملته و أنا أسأل قبوله. فقبل ثم إنه أهدي إلى بدر الدين عوض هديته شيئاً من لطائف بغداد قيمته اثنا عشر ألف دينار و التمس منه أن لا يهدى إليه شيئاً بعد ذلك. و كان خواص الخليفة جميعهم يكرهونه و يحسدونه، و كان الخليفة (المستعصم) يعتقد فيه و يحبه، و كثروا عليه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٢٧

عنده، فكفّ يده عن أكثر الأمور، و نسهب الناس إلى أنه خامر و ليس ذلك بصحيح و من أقوى الأدلة على عدم مخامرته سلامته فى هذه الدولة فإن السلطان هولاءكو لما فتح بغداد و قتل الخليفة سلم البلد إلى الوزير و أحسن إليه و حكمه.

فلو كان قد خامر على الخليفة لما وقع الوثوق إليه. حدثني كمال الدين أحمد ابن الضحاك و هو ابن أخت الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى قال: لما نزل السلطان هولاءكو على بغداد أرسل يطلب الوزير إليه. قال: فبعث الخليفة فطلب الوزير فحضر عنده و أنا معه، فقال له الخليفة: قد أنفذ السلطان يطلبك و ينبغى أن تخرج إليه. فخرج الوزير من ذلك و قال: يا مولانا إذا خرجت فمن يدبر البلد و من يتولى المهام؟ فقال له الخليفة: لا بد أن تخرج فلما حضر بين يدي السلطان و سمع كلامه وقع بموقع الاستحسان. و كان الذى تولى تربيته فى الحضرة السلطانية الوزير السعيد نصير الدين محمد الطوسى -قدس الله روحه- فلما فتحت بغداد سلمت إليه و إلى على بهادر الشحنة، فمكث الوزير شهوراً ثم مرض و مات -رح- فى جمادى الأولى سنة ست و خمسين و ستمائة.

و ذكره ابن كثير الدمشقى و هو أشد المؤرخين تعصباً بأعمى على الشيعة و أكثرهم تخليطاً عليهم، و قد نشأ فى عصر كان قتل الشهيد الأول السعيد محمد بن مكى من أيسر الأمور على أهل الشام و الحكام قال و هو المسؤول بين يدي الله تعالى عما قال من زور المقال: «الوزير ابن العلقمى الرافضى محمد بن أحمد بن محمد بن على بن أبى طالب الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى وزير المستعصم البغدادى. خدم فى أيام المستنصر أستاذ دار الخلافة مدة طويلة ثم صار وزير المستعصم، و كان وزيراً شوما على نفسه و على الخليفة و على المسلمين مع أنه من الفضلاء فى الانشاء و الآداب، و كان رافضياً خبيثاً

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٢٨

ردى الطوية على الإسلام و أهله و قد حصل من التعظيم و الوجاهة فى أيام المستعصم ما لم يحصل لغيره من الوزراء ثم مالاً على الإسلام و أهله، الكفار أصحاب هولاءكو خان حتى فعل ما فعل بالإسلام و أهله ما فعل مما تقدم ذكره ثم حصل له بعد ذلك من الإهانة و الذل على أيدي التتار الذين مالهم و زال عنه ستر الله و ذاق الخزي فى هذه الحياة الدنيا و لعذاب الآخرة أشد. و قد رآته امرأة و هو فى الذل و الهوان و هو راكب فى أيام التتار برذونا و هو مرسم عليه (كذا) و سائق يسوق به و يضرب فرسه فوقفت إلى جانبه فقالت: يا ابن العلقمى هكذا كان بنو العباس يعاملونك؟ فوقعت كلمتها فى قلبه و انقطع فى داره إلى أن مات كمداً و غيبته و ضيقاً و قلّة و ذلّة فى مستهل جمادى الآخرة من هذه السنة (سنة ٦٥٦هـ) و له من العمر ثلاث و ستون سنة و دفن فى قبور الروافض (يعنى

مشهد الإمام موسى بن جعفر -ع- وقد سمع بأذنيه و رأى بعينه من الأهانة من التتار و المسلمين ما لا يحد و لا يوصف، و تولى بعده ولده الخبيث الوزارة ثم أخذه الله أخذ القرى و هى ظالمة، سريعا، و قد هجاه بعض الشعراء فقال:

يا فرقة الاسلام نوحوا و اندبوا أسفا على الاسلام و المستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه لابن الفرات فصار لابن العلقم»

قلت: ما كان أجهل هذا الشاعر السخيف القول الذى شغلته المقابلة البديعية عن الحقائق، فابن الفرات الوزير الذى مدحه و جعله أهلا للوزارة كان شيعيا أيضا و قد قتله المقتدر بالله و أعداؤه من أرباب الدولة العباسية ظلما و عدوانا، صبيرا و هو صائم بعد أن قتلوا ابنه و وضعوا رأسه بين يديه، أفكان جديرا بالوزارة و فعل به ذلك الفعل فكيف لم لو يكن بها قمينا؟.

و قال ابن كثير قبل ذلك فى حوادث سنة ٦٥٦ أيضا: «و كان قدوم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٢٩

هولاكو بجنوده كلها و كانوا نحوا من مائتى ألف مقاتل فى ثانى عشر المحرم من هذه السنة إلى بغداد و هو شديد الحق على الخليفة بسبب ما كان تقدم من الأمر الذى قدره الله و قضاه و هو أن هولاكو لما برز من همذان متوجها إلى العراق أشار الوزير ابن العلقمى على الخليفة أن يبعث إليه بهدايا ليكون ذلك مداراة له عما يريد من قصد بغداد و غيرها. قالوا: فخذل الخليفة عن ذلك داوآداره الصغير (مجاهد الدين أيبك الشركسى) و غيره و قالوا للخليفة: إن الوزير يريد بإرسال الهدايا إلى ملك التتار مصانعة عن نفسه و أهله. و أشاروا بأن يبعث إليه شيئا يسيرا. فأرسل الخليفة شيئا يسيرا، فاحتقره هولاكو خان و أرسل إلى الخليفة يطلب منه داوآداره المذكور و سليمان شاه (الأيوقى) فلم يبعثهما إليه و لا احتفل به حتى أذف قدومه و وصل إلى بغداد بجنود كثيرة فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية و الشرقية و جنود بغداد فى غاية القلّة و نهاية الذلّة لا يبلغون عشرة آلاف فارس و هم فى غاية الضعف، و بقية الجيوش كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم فى الأسواق و أبواب المساجد و أنشد فيهم الشعراء القصائد يرثون لهم و يحزنون على الاسلام و أهله، و ذلك كله عن رأى الوزير ابن العلقمى الرافضى فإنه كان وزير سوء، و ذلك أنه لما كان فى السنة الماضية كان بين أهل السنة و الرافضة حرب شديدة نهبت فيها الكرخ محلّة الرافضة حتى نهبت دور قرابات الوزير ابن العلقمى فاشتد حنقه من ذلك، فكان هذا مما هاجه على الاسلام و أهله حتى أضعف عسكر المسلمين و دبر على الإسلام و أهله ما كان سبب فساده مما وقع فى هذا الأمر الفظيع الذى لم يؤرخ مثله و لا أشنع منه منذ بنيت بغداد و إلى الآن، و لهذا كان الوزير هو أول من برز إلى التتار فى أهله و أصحابه و خدمه و حشمه فارا إليهم فاجتمع بالسلطان هولاكو خان- عليهم لعنة الله- ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج و المثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم و نصفه للخليفة فاحتاج الخليفة إلى أن خرج فى سبعمائة راكب من القضاء و الفقهاء و الصوفية و رؤوس الأمراء و الدولة و الأعيان فلما اقتربوا من مخيم هولاكو حججوا أولئك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٣٠

الذين مع الخليفة إلا- سبع أنفس، فخلص الخليفة إلى هولاكو بهؤلاء السبعة و أنزل الباقون عن دوابهم و نهبت مراكبهم و قتلوا عن آخرهم، و أحضر الخليفة بين يدي هولاكو خان فسأله عن أشياء كثيرة، فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الاهانة و الجبروت ثم عاد إلى بغداد و فى صحبته خواجه نصير الدين الطوسى و للوزير ابن العلقمى و غيرهما، و الخليفة تحت الحوطة و المصادرة، فأحضر من دار الخليفة شيئا كثيرا من الذهب و الحلى و المصاغ و الجواهر النفيسة، و قد أشار أولئك الملاء و الرافضة و غيرهم من المنافقين على هولاكو خان أن لا يصالح الخليفة و قال الوزير: متى وقع الصلح على المناصفة لاستمر هذا إلا عاما أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، و حسيّنوا له قتل الخليفة. فلما عاد الخليفة إلى هولاكو أمر بقتله، و يقال إن الذى أشار بقتله الوزير و نصير الدين الطوسى و كان النصير عند هولاكو قد استصحبه فى خدمته لما فتح قلاع الألموت و انتزعها من أيدي الإسماعيلية، و كان النصير وزيرا لشمس الشموس (الإسماعيلية) و لأبيه من قبله علاء الدين ابن جلال الدين، و كانوا ينتسبون إلى

نزار ابن المستنصر العبيدي، و انتخب هولاء كوخان النصير ليكون في خدمته كالوزير فلما قدم بغداد و أراد قتل الخليفة هون عليه هذان الوزيران قتله فقتلوه رفسا بأرجلهم و هو في جوالق لثلا يقع من دمه شيء إلى الأرض:

خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم. و قيل بل خنق و يقال: بل غرق و الله أعلم، فباؤوا بإثمه و إثم من كان معه من العلماء و الصلحاء و القضاة و الرؤساء و الأمراء من أولى الحل و العقد و ستأتى ترجمته في الوفيات .

و هاهنا إنتهى تخليط ابن الأثير، و من المؤرخين من امتد تخليطه إلى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٣١

ذكره ناقلا- غافلا- أن هولاء-كو قتل الوزير ابن العلقمى قال محب الدين العيني في حوادث سنة ٦٥٦ و وفياتها: «الوزير ابن العلقمى الرافضى- قبحه الله- و اسمه محمد بن أحمد بن على بن أبى طالب الوزير مؤيد الدين أبو طالب» و ذكر ما قال ابن كثير و قال: «هذا كله ذكره ابن كثير في تاريخه و قال بيبرس في تاريخه: و أما الوزير فهو مؤيد الدين ابن العلقمى فإن هلاوون استدعاه بين يديه و عنّفه على سوء سيرته و خبث سريرته و ممالأته على ولى نعمته و أمر بقتله جزاء بسوء فعله فتوسل و بذل الإلتزام بالأموال يحملها و إتاوة من العراق يحصلها. فلم يذعن لقبوله و لا أجابه إلى سوء فعله، بل قتله بين يديه صبورا و أوقعه الله في البئر التى احتفر و خانه فيما قدّر صرف القدر» .

قال مصطفى جواد: و نسبة بعض المؤرخين و من لفّ لفه تسريح الجنود إلى الوزير ابن العلقمى تهمة أخرى من هذه التهم الكثيرة الباطلة التى اتهم بها هذا الوزير فإن إدارة شؤون الجيش و التجنيد و إعطاء الأرزاق كانت بيدى مقدّم الجيش مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير خصم الوزير و عدوه و لا- شأن للوزير فيها و لا- نهى و لا- أمر فبأى وجه يتهم الرجل باقتلال عدة الجنود بالحل و التسريح؟ قال مؤلف الحوادث فى أخبار سنة ٦٥٠:

«و فيها فارق كثير من الجند بغداد لانقطاع أرزاقهم و لحقوا ببلاد الشام» . و كانت شؤونهم قبل ذلك متعلقة بمقدم الجيوش إقبال الشرابى الملقب بشرف الدين ثم توفى، فقد ذكر المؤرخ نفسه فى حوادث سنة ٦٤٠ ما عنوانه «ذكر وقعة الأتراك» قال: «و فى شعبان حضر جماعة المماليك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٣٢

الظاهرية و المستنصرية عند شرف الدين إقبال الشرابى للسلام على عاداتهم و طلبوا الزيادة فى معاشهم و بالغوا فى القول و ألخوا فى الطلب. فحرد عليهم و قال: ما نزيدكم بمجرد قولكم بل نزيد منكم من نزيد إذا أظهر خدمة يستحق بها. فنفروا على فورهم إلى ظاهر السور و تحالفوا على الاتفاق و التعاضد، فوقع التعيين على قبض جماعة من أشرارهم، فقبض منهم اثنان و امتنع الباقون و ركبوا جميعا و قصدوا باب البدرية و منعوا الناس من العبور، فخرج إليهم مقدم البدرية و قبح لهم هذا الفعل، فلم يلتفتوا إليه، فنفذ إليهم سنجر الياغر فسألهم عن سبب ذلك فقالوا: نريد أن يخرج أصحابنا و تزد معاشنا. فأنهى سنجر ذلك إلى الشرابى، فأعاد عليهم الجواب: أن المحبوسين ما نخرجهما و هم مماليكنا نعمل بهم ما نريد و معاشكم ما نزيدها فمن رضى بذلك يقعد و من لم يرض و أراد الخروج من البلد فنحن لا- نمنعه. و طال الخطاب فى ذلك إلى آخر النهار ثم مضوا و خرجوا إلى ظاهر البلد، فأقاموا هناك مظهرين للرحيل، فبقوا على ذلك أياما، فاجتمع بهم الشيخ السبتي الزاهد و عرفهم ما فى ذلك من الاثم و مخالفة الشرع. فاعتذروا و سألوه الشفاعة لهم و أن يحضر لهم خاتم الأمان ليدخلوا البلد، فحضر عند الشرابى و عرفه ذلك و سأله إجابة سؤالهم، فأخرج لهم خاتم الأمان مع الأمير شمس الدين قيران الظاهرى و الشيخ السبتي، فدخلوا و الشيخ راكب حماره بين أيديهم، و حضروا عند الشرابى معتذرين، فقبل عذرهم، و كانت مدة مقامهم بظهر السور سبعة أيام» .

فقضية الجند و قلّة معاشهم و مطالباتهم لم تكن فى أيام الوزير ابن العلقمى بل قبل وزارته، و لا شأن له فيها البتة كما ذكرنا آنفا.

و أما عزو التحريض على قتل العلماء و الفقهاء إلى ابن العلقمى فهو تهمة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٣٣

باطلة أيضاً، و أذكر لتفنيدها ما ذكره ابن الفوطى فى ترجمة القاضى فخر الدين أبى بكر عبد الله بن عبد الجليل الطهرانى قال: «و هو ممن كان يخرج الفقهاء إلى باب السور إلى مخيم السلطان هولاکو مع شهاب الدين الزنجانى ليقتلوا و توفى فى رجب سنة سبع و ستين و ستمائة و دفن بالخيزرانية

و جاء فى كتاب الاجازات من بحار الأنوار نقلا من خط الشيخ محمد ابن على الجبجى «مات الوزير السعيد العالم مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد العلقمى سنة ست و خمسين و ستمائة، استوزره المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين و كان قبله أستاذ الدار فى عهد المستنصر ثم استوزره السلطان هولاکو مزيل الدولة العباسية فلم تطل مدته حتى توفى إلى رحمة الله عام الواقعة سنة ست و خمسين و ستمائة ثانى جمادى الآخرة، و كان رحمه الله إمامى المذهب، صحيح الاعتقاد، رفيع الهمة محبا للعلماء و الزهاد كثير المبار و لأجله صنف عز الدين عبد الحميد بن أبى الحديد شرح النهج فى عشرين مجلدا و السبع العلويات و غيرها».

و قال الخونسارى فى ترجمة نصير الدين الطوسى: «و لما كان مؤيد الدين العلقمى الذى هو من أكابر الشيعة فى ذلك الزمان وزير المستعصم الخليفة العباسى فى بغداد أراد المحقق (الطوسى) دخول بغداد و معارضته بما اختلج بخاطره من ترويج المذهب الحق بمعاونة الوزير المذكور و أنشأ قصيدة عربية فى مدح المستعصم الخليفة، و كتب كتابا إلى العلقمى الوزير ليعرض القصيدة على الخليفة، و لما علم ابن العلقمى فضله و نبه و رشده خاف من قرب الخليفة أن تسقط منزلته عند المستعصم فكتب سرا الى المحتشم (الرئيس ناصر الدين الاسماعيلى) (حاكم قوهستان): إن نصير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٣٤

الدين الطوسى قد ابتدأ بارسال المراسلات و المكاتبات عند الخليفة فى مدحه و أرسلها حتى أعرضها عليه، و أراد الخروج من عندك و هذا لا يوافق رأى فلا تغفل عن هذا. فلما قرأ المحتشم كتابه حبس المحقق (الطوسى) و هذا ضد ما ذكره ابن الطقطقى من أن نصير الدين الطوسى هو الذى ثبت فضل مؤيد الدين ابن العلقمى و كفايته عند السلطان هولاکو، و هو يشبه الأخبار العامة التى لا تستند إلى وثيقة و لا إلى حقيقة. لأن التصديق به يوجب أن يكون نصير الدين الطوسى عدوا للوزير مؤيد الدين العلقمى فهو الذى منعه على زعمه من الاتصال بالخليفة المستعصم بالله و وشى به إلى حاكم قوهستان حتى حبسه فكيف يتركه سالما و يرى استيزاره عند فتح بغداد و هو يجرى يومئذ من بطانته مجرى الوزير؟

و قال مؤلف الحوادث فى أخبار سنة ٦٥٦هـ: «و أما السلطان هولاکو فإنه وصل إلى ظاهر بغداد فى ثانى عشر المحرم فى جيش لا يحصى عدده و لا ينفد مدده و قد أغلقت أبواب السور، فعرف بذلك ضعفهم عن لقائه، فأمر بحفر خندق فحفر و بنى بترابه سور محيط ببغداد و عمل له أبواب و رتب عليها أمراء المغول و شرعوا فى عمل ستائر للمناجيق، و نصبوا المناجيق و العرادات و استظهروا غاية الاستظهار و الناس يشاهدون ذلك من وراء السور و قد نصبوا أيضا عليه المناجيق إلا أنها لم تصح و لا حصل بها انتفاع ثم إن السلطان أمر بعقد جسر تحت بغداد ليمنع من ينحدر إلى واسط فعقد تحت قرية العقاب و لم يعلم أهل بغداد به فكانت السفن تصل إليه فيؤخذ من بها و يقتل، فقتل عنده خلق كثير. فلما كان اليوم الرابع عشر من المحرم خرج الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى إلى خدمة السلطان فى جماعة من مماليكه و أتباعه، و كانوا ينهون الناس عن الرمى بالشباب و يقولون: سوف يقع الصلح إن شاء الله فلا تحاربوا. هذا و عساكر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٣٥

المغول يبالغون فى الرمى و قد اجتمع منهم خلق كثير على برج العجمى الذى عن يمين باب سور الحلبه و نصبوا عليه المناجيق و واصلوا الرمى بالحجارة فهدموه و صعّدوا على السور فى اليوم الحادى و العشرين من المحرم و تمكنوا من البلد و أمسكوا عن الرمى، و عاد الوزير إلى بغداد يوم الأحد سابع عشرى المحرم و قال للخليفة: قد تقدم السلطان أن تخرج إليه.

فأخرج ولده الأوسط و هو أبو الفضل عبد الرحمن في الحال، فلم يقع الاقتناع به، فخرج الخليفة و الوزير في يوم الاثنين ثامن عشرى المحرم و معه جمع كثير، فلما صاروا ظاهر السور منعوا أصحابه من الوصول معه و أفردوا له خيمة و أسكن بها. و خرج مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير و شهاب الدين سليمان شاه و سائر الأمراء، في أول صفر و خرج ابن الخليفة الأكبر أبو العباس أحمد يوم الجمعة ثانى صفر ثم دخل الخليفة بغداد يوم الأحد رابع صفر و معه جماعة من أمراء المغول و خواجئة نصير الدين الطوسى و أخرج اليهم من الأموال و الجواهر و الحلى و الزركش و الثياب و أوانى الذهب و الفضة و الأعلاق النفسية جملة عظيمة ثم عاد مع الجماعة إلى ظاهر السور بقيه ذلك اليوم فأمر السلطان بقتله فقتل يوم الأربعاء رابع عشر صفر و لم يهرق دمه بل جعل في غرارة و رفس حتى مات و دفن و عفى أثر قبره و كان قد بلغ من العمر ستا و أربعين سنة و أربعة أشهر و كانت مدة خلافته خمس عشرة سنة و ثمانية أشهر و أياما، ثم قتل ولده أبو العباس أحمد و كان مولده سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة و له من الأولاد أبو الفضل محمد و رابعة و هى التى تزوج بها خواجئة هارون ابن الصاحب شمس الدين الجوينى و مولدها يوم عيد النحر سنة خمس و خمسين (و ستمائة) و أختها ست الملوك، ثم قتل ابن الخليفة الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن و مولده سنة ثلاث و ثلاثين (و ستمائة) و له من الأولاد أبو القاسم محمد و بنت واحدة. و أما ولد الخليفة الأصغر مبارك و أخواته فاطمة و خديجة و مريم فانهم لم يقتلوا بل أسروا، ثم عين على بعض الأمراء، فدخل بغداد و معه جماعة و نائب أستاذ الدار ابن الجوزى و جاؤوا إلى أعمام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٣٦

الخليفة و أنسابه الذين كانوا فى دار الصخر و دار الشجرة، و كانوا يطلبون واحدا بعد واحد فيخرج بأولاده و جواريه فيحمل إلى مقبرة الخلال التى تجاه المنطرة فيقتل، فقتلوا جميعا عن آخرهم ثم قتل مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير و أمير الحاج فلک الدين محمد بن علاء الدين الطبرس الدويدار الكبير و شهاب الدين سليمان شاه بن برجم و فلک الدين محمد بن قيران الظاهرى و قطب الدين سنجر البكلكى الذى كان شحنة بغداد و حج بالناس عدة سنين و عز الدين ألب قرا شحنة بغداد أيضا و محبى الدين (يوسف) ابن الجوزى أستاذ الدار و ولده جمال الدين عبد الرحمن و أخوه شرف الدين عبد الله و أخوه تاج الدين عبد الكريم و شيخ الشيوخ صدر الدين على بن النيار و شرف الدين بن عبد الله ابن أخيه، و بهاء الدين داود ابن المختار و النقيب الطاهر شمس الدين على بن المختار و شرف الدين محمد بن طاوس و تقى الدين بن عبد الرحمن بن الطبال و كيل الخليفة، و أمر بحمل رأس الدويدار (الصغير) و ابن الدويدار الكبير و سليمان شاه إلى الموصل فحملت، و علقت ظاهر سور البلد، و وضع السيف فى أهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر و ما زالوا فى قتل و نهب و أسر و تعذيب الناس بأنواع العذاب و استخراج الأموال منهم بأليم العقاب مدة أربعين يوما فقتلوا الرجال و النساء و الصبيان و الأطفال فلم يبق من أهل البلد و من التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل، ما عدا النصارى فإنهم عين لهم شحانى حرسوا بيوتهم و التجأ إليهم خلق كثير من المسلمين فسلموا عندهم، و كان ببغداد جماعة من التجار الذين يسافرون إلى خراسان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٣٧

و غيرها قد تعلقوا من قبل على أمراء المغول و كتب لهم فرامين فلما فتحت بغداد خرجوا إلى الأمراء و عادوا و معهم من يحرس بيوتهم، و التجأ أيضا إليهم جماعة من جيرانهم فسلموا و كذلك دار الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى فانه سلم بها خلق كثير و دار صاحب الديوان (فخر الدين ابن أحمد) ابن الدامغانى و دار حاجب الباب (تاج الدين على) ابن الدوامى، و ما عدا هذه الأماكن فإنه لم يسلم فيه أحد إلا- من كان فى الآبار و القنوات و أحرقت معظم البلد و جامع الخليفة و ما يجاوره و استولى الخراب على البلد، و كانت القتلى فى الدروب و الأسواق كالتلؤل، و وقعت الأمطار عليهم و وطئتهم الخيول فاستحالت صورهم و صاروا عبرة لمن يرى ثم نودى بالأمان فخرج من تخلف و قد تغيرت ألوانهم و ذهلت عقولهم لما شاهدوا من الأهوال التى لا يعبر عنها بلسان و هم كالموتى إذا خرجوا من القبور يوم النشور من الخوف و الجوع و البرد ... و قيل إن عدة القتلى ببغداد زادت عن ثمانمائة ألف نفس عدا من

ألقى من الأطفال في الوحول و من هلك في القنى و الآبار و سراديب الموتى جوعا و خوفا و وقع الوباء فيمن تخلف بعد القتل من شم روائح و شرب الماء الممتزج في الجيف و كان الناس يكثرون من شم البصل لقوة الجيفة و كثرة الذباب فإنه ملأ القضاء و كان يسقط على المطعومات فيفسدها و كان أهل الحلة و الكوفة و السيب يجلبون إلى بغداد الأطعمة فانتفع الناس بذلك و كانوا يتناعون بأثمانها الكتب النفيسة و الصفر المطعم من الأثاث بأوهى قيمة فاستغنى بهذا الوجه خلق كثير منهم. و رحل السلطان (هولاكو) من بغداد في جمادى الأولى عائدا إلى بلاده و مقر ملكه و فوض أمر بغداد إلى الأمير على بهادر و جعله شحنة بها و إلى الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى و صاحب الديوان فخر الدين ابن الدامغانى و نجم الدين أحمد بن عمران و هو من أهل باجسرا، كان يخدم في زمن الخليفة عاملا- فاتصل الآن ببعض الأمراء و حضر بين يدى السلطان و أنهى إليه من حال العراق ما أوجب تقديمه و تشريفه و تعيينه في (٢٢)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٣٨

الأعمال الشرقية و هى الخالص و طريق خراسان و البندنيجن و أن يتفق مع الوزير و صاحب الديوان فى الحكم و لقب (الملك) و نجم الدين عبد الغنى ابن الدرناوس و شرف الدين العلوى المعروف بالطويل. و كان تاج الدين على ابن الدوامى حاجب الباب قد خرج مع الوزير (ابن العلقمى) إلى حضرة السلطان فأمر له أن يكون صدر الأعمال الفراتية فلم تطل مدته و توفى فى ربيع الأول فجعل ولده مجد الدين حسين عوضه او حضر أفضى القضاء نظام الدين عبد المنعم البندنجى بين يدى السلطان فأمر بأن يقّر على القضاء، فلما عاد الوزير و الجماعة من خدمة السلطان قرروا حال البلاد و مهدوا قواعدها و عينوا بها الصدور و النظار و النواب فعينوا سراج الدين ابن البجلي فى الأعمال الواسطية و البصرية و نجم الدين بن المعين صدر الأعمال الحلية و الكوفية و فخر الدين المبارك ابن المخرمى صدر دجيل و المستنصرى و عز الدين عبد الحميد بن أبى الحديد كاتب السلّة فلم تطل أيامه فرتب عوضه ابن الجمل النصرانى، و عز الدين ابن الموسوى نائب الشرطة و الشيخ عبد الصمد بن أبى الجيش إمام مسجد قمريه خازن الديوان، و رتبوا فى جميع الأعمال نوابا و شرعوا فى عمارتها فتوفى الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى فى مستهل جمادى الآخرة و دفن فى مشهد موسى بن جعفر- عليه السلام- فأمر السلطان أن يكون ابنه عز الدين أبو الفضل وزيرا بعده، و وصل الأمير قراغا بعد ذلك إلى بغداد و عين عماد الدين عمر ابن محمد القزوينى نائبا عنه فكان يحضر الديوان مع الجماعة و كان ذا دين و مروءة و عين على شهاب الدين (على) بن عبد الله صدرا فى الوقوف و تقدم إليه بعمارة جامع الخليفة و كان قد أحرق كما ذكرنا ثم فتح المدارس و الربط، و أثبت الفقهاء و الصوفية و أدرّ عليهم الأخبار و المشاهرات و سلمت مفاتيح دار الخلافة إلى مجد الدين محمد بن الأثير و جعل أمر الفراشين موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٣٩

و البوابين إليه، و تقدم للجائليق بسكنى دار علاء الدين الطبرس الدويدار الكبير التى على شاطىء دجلة فسكنها، و دق الناقوس على أعلاها و استولى على در الفلك التى كانت رباطا للنساء تجاه هذه الدار المذكورة و على الرباط البشيرى المجاور لها و هدم الكتابة التى كانت على البابين و كتب عوضها بالسريانى «.

و مما نقلنا من الأخبار يظهر للقارىء أن الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى لم يكن السالم من القتل وحده حتى يتهم بالخيانة ذلك الاتهام الباطل، و إنما سلم معه و نال مرتبة فى الدولة المغولية «فخر الدين أحمد ابن الدامغانى» الحنفى الذى كان صاحب الديوان فى آخر أيام المستعصم، و تاج الدين على ابن الدوامى الذى كان حاجب باب النبوى للمستعصم بالله و نجم الدين أحمد ابن عمران الباجسرى أحد عمال الخليفة و الغالب على أهل باجسرى الحنبلية و أفضى القضاء عبد المنعم البندنجى الشافعى و سراج الدين ابن البجلي الشافعى و فخر الدين المبارك ابن المخرمى الحنبلى، و عز الدين عبد الحميد بن أبى الحديد الشافعى، و الشيخ عبد الصمد بن أبى الجيش الحنبلى المقرئ المشهور و ظهر أيضا أن جماعة من أعيان الشيعة الكبار و السادة منهم قتلوا فقد ذكر المؤرخ منهم بهاء الدين داود بن المختار العلوى و النقيب الطاهر شمس الدين على ابن المختار و شرف الدين محمد بن طاوس.

وقال ابن العبري في حوادث سنة ٦٥٥هـ: «و فيها في شهر شوال رحل هولاء عن حدود همذان نحو مدينة بغداد، وكان في أيام محاصرته قلاع الملاحدة قد سير رسولا إلى الخليفة المستعصم يطلب منه نجدة، فأراد أن يسير ولم يقدر ولم يمكنه الوزراء والأمرء وقالوا: إن هولاء رجل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٤٠

صاحب احتيال و خديعة و ليس محتاجا إلى نجدتنا و إنما غرضه إخلاء بغداد عن الرجال فيملكها بسهولة، فتقاعدوا بسبب هذا الخيال عن إرسال الرجال. و لما فتح هولاء تلك القلاع أرسل رسولا آخر إلى الخليفة و عاتبه على إهماله تسيير النجدة، فشاووا الوزير فيما يجب أن يفعلوه.

فقال: لا وجه غير إرضاء هذا الملك الجبار ببذل الأموال و الهدايا و التحف له و لخواصه. و عندما أخذوا في تجهيز ما يسيرونه من الجوهر و المرصعات و الثياب و الذهب و الفضة و المماليك و الجوارى و الخيل و البغال و الجمال قال الدويدار الصغير و أصحابه: إن الوزير إنما يدبر شأن نفسه مع التار و هو يروم تسليمنا إليهم فلا تمكنه من ذلك. فبطل الخليفة بهذا السبب تنفيذ الهدايا الكثيرة و اقتصر على شيء نزر لا قدر له. فغضب هولاء و قال: لا بد من مجيئه هو بنفسه أو يسير أحد ثلاثة نفر: إما الوزير و إما الدويدار و إما سليمان شاه. فتقدم الخليفة إليهم بالمضى فلم يركنوا إلى قوله، فسير غيرهم مثل ابن الجوزى و ابن محبى الدين فلم يجديا عنه. و أمر هولاء بايجونوين و سونجاق أنوين ليتوجها في مقدمته على طريق إربل و توجه هو على طريق حلوان. و خرج الدويدار (الصغير) و نزل بجانب باعقوبا و لما بلغه أن بايجونوين عبر دجلة و نزل بالجانب الغربى ظن أن هولاء قد نزل هناك، فرحل عن باعقوبا و نزل بحيال بايجو و لقي يزك المغول أميرا من أمراء الخليفة يقال له أيبك الحلبي فحملوه إلى هولاء فأمنه إن تكلم بالصحيح و طيب قلبه فصار يسير أمام العسكر و يهديهم و كتب كتابا إلى بعض أصحابه يقول لهم: ارحموا أرواحكم و اطلبوا الأمان لأن لا طاقة لكم بهذه الجيوش الكثيفة. فأجابوه بكتاب يقولون فيه: من يكون هولاء؟ و ما قدرته بيت عباس؟ من الله ملكهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٤١

و لا- يفلح من عاندهم و لو أراد هولاء الصلح لما داس أرض الخليفة و لما أفسد فيها و الآن إن كان يختار المصالحة فليعد إلى همذان و نحن نتوسل بالدويدار ليخضع لأمر المؤمنين متخشعا في هذا الأمر لعله يعفو عن هفوة هولاء. فلما عرض أيبك الكتاب على هولاء ضحك و استدل به على غباوتهم. ثم سمع الدويدار أن التار قد توجهوا نحو الأنبار فسار إليهم و لقي عسكر سونجاق نوين و كسرهم و هزمهم و فى هزيمتهم التقاهم بايجونوين فردّهم و هجموا جميعا على عسكر الدويدار فاقتتلوا قتالا شديدا و انجلت الحرب عن كسر الدويدار فقتل أكثر عسكره و نجا هو فى نفر قليل من أصحابه و دخل بغداد. و فى منتصف شهر المحرم من سنة ست و خمسين و ستمائة نزل هولاء بنفسه على باب بغداد و فى يوم و ليلة بنى المغول بالجانب الشرقى سببا أعنى سورا عاليا و بنى بوقا تيمور، و سونجاق نوين، و بايجونوين بالجانب الغربى كذلك و حفروا خندقا عميقا داخل السببا و نصبوا المنجنيقات بازاء سور بغداد من جميع الجوانب و رتبوا العزادات و آلات النفط و كان بدء القتال ثانى و عشرين محرم (كذا) فلما عين الخليفة العجز فى نفسه و الخذلان من أصحابه أرسل صاحب ديوانه (فخر الدين أحمد ابن الدامغانى) و (عبد الغنى) ابن الدرنوش إلى خدمة هولاء و معهم تحف نزره و قالوا: إن سيرنا الكثير يقول: قد هلعوا و خرعوا كثيرا. فقال هولاء: لم؟ ما جاء الدويدار سليمان شاه؟ فسير الخليفة الوزير (مؤيد الدين) ابن العلقمى و قال: أنت أحد الثلاثة و ها أنا قد سيرت، إليك الوزير و هو أكبرهم. فأجاب هولاء: إننى لما كنت مقيما بنواحي همذان طلبت أحد الثلاثة و الآن لم أقنع بواحد. و جدّ المغول بالقتال بازاء برج العجمى و بوقا تيمور من الجانب الغربى حيث المبقلة و سونجاق نوين و بايجو نوين من جانب البيمارستان العضدى و أمر هولاء الشيكنتجية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٤٢

ليكتبوا على السهام بالعربية: إن الأركاونية و العلويين و الدادنشمنديّة و بالجملة من ليس يقاتل فهو آمن على نفسه و حريمه و أمواله.

و كانوا يرمونها إلى المدينة و اشتد القتال على بغداد من جميع الجوانب إلى اليوم السادس و العشرين من محرم، ثم ملك المغول الأسوار و كان الابتداء من برج العجمي و احتفظ المغول الشط ليلا و نهارا مستيقظين لئلا ينحدر فيه أحد. و أمر هولاء أن يخرج إليه الدويدار و سليمان شاه و أما الخليفة إن اختار الخروج فليخرج و إلا فليزلم مكانه. فخرج الدويدار و سليمان شاه و معهما جماعة من الأكابر ثم عاد الدويدار من الطريق بحجة أنه يرجع و يمنع المقاتلين الكامنين بالدروب و الأزقة لئلا يقتلوا أحدا من المغول فرجع و خرج من الغد و قتل، و عامه أهل بغداد أرسلوا شرف الدين المراغي و شهاب الدين (محمودا) الزنكاني ليأخذ لهم الأمان. و لما رأى الخليفة أن لا بد من الخروج أراد أو لم يرد استأذن هولاء أن يحضر بين يديه، فأذن له و خرج رابع صفر و معه أولاده و أهله، فتقدم هولاء أن ينزلوه بباب كلواذا، و شرع العساكر في نهب بغداد و دخل (هولاء) بنفسه إلى بغداد ليشاهد دار الخليفة و تقدم باحضار الخليفة فأحضره و مثل بين يديه و قدم جواهر نفيسة و لآلىء و دررا معبأة في أطباق ففرق هولاء جميعها على الأمراء و عند المساء خرج إلى منزله و أمر الخليفة أن يفرز جميع النساء التي باشرهن هو و بنوه و يعزلهن عن غيرهن ففعل، فكنّ سبعمائة امرأة فأخرجهنّ و معهن ثلاثمائة خادم خصي . و بقي النهب يعمل إلى سبعة أيام ثم رفعوا السيف و بطلوا السبي.

و في رابع عشر صفر رحل هولاء من بغداد و في أول مرحلة قتل الخليفة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٤٣

المستعصم و ابنه الأوسط مع ستة نفر من الخصيان بالليل و قتل ابنه الأكبر و معه جماعة من الخواص على باب كلواذا، و فوض عمارة بغداد إلى صاحب الديوان (فخر الدين ابن الدماغاني) و الوزير (مؤيد الدين ابن العلقمي) و (عبد الغني) ابن الدرنوش. و أرسل بوقا تيمور إلى الحلّة ليمتحن أهلها هل هم على الطاعة أم لا؟ فتوجه نحوها و رحل عنها إلى مدينة واسط و قتل بها خلقا كثيرا أسبوعا ثم عاد إلى هولاء و هو بمقام سياه كوه و لما ملك هولاء (بن تولى خان) بغداد و رتب بها الشحاني و الولاء أنفذ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل إليه ابنه الملك الصالح اسماعيل و معه جماعة من عسكره نجدة له فأظهر له هولاء عبسه و قال: أنتم بعد في شك من أمرنا و مطلتم نفوسكم يوما بعد يوم و قدمتم رجلا و آخرتم أخرى لتنظروا من الظافر بصاحبه فلو انتصر الخليفة و خذلنا لكان محيئكم إليه لا- إلينا، قل لأبيك: لقد عجبنا منك تعجبا كيف ذهب عليك الصواب و عدل بك ذهنك عن سواء السبيل و اتخذت اليقين ظنا و قد لاح لك الصبح فلم تستصبح. فلما عاد الصالح إلى الموصل و بلغ أباه ما حمل من الرسالة الزاجرة أيقن بدر الدين أن المنيا قد كشرت عن أنيابها و ذلت نفسه و هلع هلعا شديدا و كاد يخسف بدره و يكسف نوره فانتبه من غفلته و أخرج جميع ما في خزانته من الأموال و اللآلىء و الجواهر و المحرمات من الثياب و صادر ذوى الثروة من رعاياه و أخذ حتى حلى حظاياه و الدرر من حلق أولاده و سار إلى طاعة هولاء بجمال همذان فأحسن هولاء قبوله و احترمه لكبر سنّه ورق له و جبر قلبه بالمواعيد الجميلة».

و كان هذا المؤرخ قد قال من قبل في ذكر الخليفة المستعصم بالله:

«و كان إذا تبه على ما ينبغي أن يفعله في أمر التتار إما المداراة و الدخول في طاعتهم و توخى مرضاتهم أو تجيش العساكر و ملتقاهم بتخوم خراسان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٤٤

قبل تمكنهم و استيلائهم على العراق فكان يقول: أنا بغداد تكفيني و لا- يستكثرونها لي اذا نزلت لهم عن باقى البلاد و لا- أيضا يهجمون علىّ و أنا بها و هى بيتي و دار مقامى. فهذه الخيالات الفاسدة و أمثالها عدلت به عن الصواب فأصيب بمكاره لم تخطر بباله

و قال رشيد الدين فضل الله الهمداني الوزير المؤرخ في تاريخه جامع التواريخ و نحن ننقل من الترجمة العربية التي ترجمها ثلاثة من المصريين و راجع الترجمة يحيى الخشاب، قال تحت عنوان (ظهور الفتنة و وقوع الخلاف بين الدواتدار (مجاهد الدين أبيك) و الوزير (مؤيد الدين العلقمي) و ابتداء نكبة الخليفة (المستعصم بالله)).

«في آخر صيف سنة أربع وخمسين حدث غرق عظيم أغرق مدينة بغداد لدرجة أن الطبقة العليا من المنازل هناك غرقت في الماء و اختفت تماما وقد استمر انهيار السيل في تلك الديار خمسين يوما ثم بدأ في النقصان و كان من نتيجة ذلك أن بقيت نصف أراضي العراق خرابا يابا و لا يزال أهالي بغداد حتى اليوم يذكرون الغرق المستعصمي».

«و خلال تلك الواقعة امتدت أيدي جماعة من الشطار و المشاغبين و الرعاع و العيارين بالسلب و الاعتداء و كانوا في كل يوم يغتصبون بعض الأشخاص الأبرياء، و كان مجاهد الدين الدواتدار يحتضن بنفسه هؤلاء الرعاع و السفلة فصار في مدة و جيزة صاحب شوكة و بأس. و لما لمس في نفسه القوة و رأى الخليفة المستعصم عاجزا لا رأى له و لا تدبير و سادجا اتفق مع طائفة من الأعيان على خلعه و تولية خليفة آخر من العباسيين في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٤٥

مكانه. و عند ما علم مؤيد الدين ابن العلقمي نبأ تلك المؤامرة أخبر الخليفة على انفراد قائلا: يجب تدارك أمرهم. فاستدعى الخليفة الدواتدار على الفور و أطلعه على ما قاله الوزير في شأنه ثم قال له: لما كنت اعتمد عليك و أتق بك فاني لم أصغ إلى كلام الوزير و هو يغمزك و إنى لأبلغك بأنه لا يجوز أن تخدع بأية و لا تحيد عن جادة الصواب. فلما أحس الدواتدار من الخليفة الشفقة و العطف أجاب (قائلا): إن ثبت عليّ جرم فهذا رأسي و هذا هو السيف و مع هذا فأين يذهب عفو الخليفة و صفحه و غفرانه؟ أما هذا الوزير المزور المخادع فقد حمله الشيطان بعيدا عن الطريق المستقيم و اختمرت في ذهنه المظلم فكرة الولاية و الميل إلى هولاء خان و جيش المغول و إن سعائته في حقي لمن أجل دفع هذه التهمة عن نفسه و إنه عدوّ الخليفة فهو يتبادل مع هولاء خان الجواسيس. فاستماله الخليفة و قال له: منذ هذه اللحظة كن يقظا و عاقلا. بعد ذلك خرج مجاهد الدين من حضرة الخليفة و على سبيل المكابرة و عدم المبالاة أصرّ على مهاجمته فجمع حوله شطار بغداد و أوباشها و كانوا يلازمونه ليل نهار فخشي الخليفة مغبة الحال و جمع جيشا لدفع هذا الخطر. ثم زادت الفتنة و الاضطراب في بغداد و كان الأهالي هناك قد ملّوا العباسيين و كرهوا حكمهم. و لما عرفوا أن دولتهم قد آذنت بالمغيب ظهرت الأهواء المختلفة بينهم، فخاف الخليفة مغبة الأمر و عهد إلى فخر الدين ابن الدامغاني صاحب الديوان بإخماد تلك الفتنة و كتب كتابا بخطه مؤداه: أن ما قيل في حق الدواتدار إنما هو محض افتراء و بهتان و نحن نعتمد عليه اعتمادا كلياً و هو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٤٦

في أماننا. و عند ما أرسلت تلك الرسالة على يد ابن درنوش إلى الدواتدار حضر و مثل بحضرة الخليفة، فاستماله هذا و عاد معززا مكرّما، ثم نودى في المدينة بأن ما قيل في حق الدواتدار إنما هو كذب، و صار اسم الدواتدار يذكر في الخطبة بعد اسم الخليفة و بهذا خمدت الفتنة في يسر».

و قال هذا المؤرخ تحت عنوان «توجه هولاء-كو إلى بغداد و تردّد الرسل بينه و بين الخليفة و عاقبة تلك الحال» قال: «بلغ هولاءكو الدينور في التاسع من ربيع الآخر سنة خمس و خمسين و ستمائة قاصدا بغداد ثم قفل راجعا و مضى إلى همدان في الثاني عشر من شهر رجب من تلك السنة. و في العاشر من رمضان أرسل إلى الخليفة (المستعصم بالله) رسولا يتهدده و يتوعده قائلا: لقد أرسلنا إليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة و طلبنا مددا من الجند و لكنك أظهرت الطاعة و لم تبعث الجند، و كانت آية الطاعة و الاتحاد أن تمدنا بالجيش عند مسيرنا إلى الطغاة. فلم ترسل إلينا الجند و التمس العذر و مهما تكن أسرتك عريقة و بيتك ذا مجد تليد (فإن لمعان القمر قد يبلغ درجة يخفى معها نور الشمس الساطعة) و لا بد أنه قد بلغ سمعك على لسان الخاصّ و العام ما حلّ بالعالم و العالمين على يد الجيش المغولي منذ عهد جنكيز خان إلى اليوم و الذل الذي حاق بأسر الخوارزمية و السلجوقية و ملوك الديالمة و الأتابكة و غيرهم ممن كانوا ذوى عظمة و شوكة و ذلك بحول الله القديم الدائم، و لم يكن باب بغداد مغلقا في وجه أية طائفة من تلك الطوائف و اتخذوا منها قاعدة ملك لهم فكيف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٤٧

يغلق في وجهنا برغم ما لنا من قدرة و سلطان، و لقد نصحناك من قبل، و الآن نقول لك: احذر الحقد و الخصام و لا تضرب المخصف بقبضة يدك و لا تلتطخ الشمس بالوحل فتتعب. و مع هذا فقد مضى ما مضى فاذا أطاع الخليفة فليهدم الحصون و يردم الخنادق و يسلم البلاد لابنه و يحضر لمقابلتنا و إن لم يرد الحضور فليرسل كلا من الوزير (مؤيد الدين) و سليمان شاه و الدواتدار ليلغوه رسالتنا دون زيادة أو نقص فإذا استجاب لأمرنا فلن يكون من واجبا أن نكن له الحقد، و سنبقى له على دولته و جيشه و رعيته أمّا إذا لم يصغ إلى النصح و آثر الخلاف و الجدل فليعبىء الجند و ليعين ساحة القتال فإننا متأهبون لمحاربتة و واقفون له على استعداد، و حينما أقود الجيش إلى بغداد مندفعاً بسورة الغضب (فإنك لو كنت مختفياً في السماء أو في الأرض فسوف أنزلك من الفلك الدوار و سألقيك من عليائك إلى أسفل كالأسد و لن أدع حياً في مملكتك و سأجعل مدينتك و إقليمك و أراضيكم طعمه النار).

فإذا أردت أن تحفظ رأسك و أسرتك فاستمع لنصحي بمسمع العقل و الذكاء و إلا فسأرى كيف تكون إرادة الله. و بعد ما بلغ الرسل بغداد و بلغوا الرسالة أوفد الخليفة شرف الدين ابن الجوزي و كان رجلاً فصيحاً و معه بدر الدين محمود و زكي النخجواني بصحبته الرسل و أجاب قائلاً:

أيها الشاب الحدث المتمنى قصر العمر و من ظن نفسه محيطاً و متغلباً على جميع العالم مغتراً بيومين من الاقبال متوهماً أن أمره قضاء مبرم، و أمر محكم، لماذا تطلب مني شيئاً لم تجده عندي (كيف يمكن أن تتحكم في النجم و تقيده بالرأى و الجيش و السلاح). ألا ليعلم الأمير أنه من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٤٨

الشرق إلى الغرب، و من الملوك إلى الشحاذين و من الشيوخ إلى الشباب ممن يؤمنون بالله و يعملون بالدين، كلهم عبيد هذا البلاط و جنود لي.

إنني حينما أشير بجمع الشتات سأبدأ بحسم الأمور في إيران ثم أتوجه منها إلى بلاد توران و أضع كل شخص في موضعه و عندئذ سيصير وجه الأرض جميعه مملوءاً بالقلق و الاضطراب غير أنني لا أريد الحقد و الخصام و لا أن أشتري ضرر الناس و إيذاءهم كما أنني لا أبغى من وراء تردد الجيوش أن تلهج ألسنة الرعية بالمدح أو القدح، خصوصاً أنني مع الخاقان و هولاًكو خان قلب واحد و لسان واحد، و إذا كنت مثلي تزرع بذور المحبة فما شأنك بخنادق رعيتي و حصونهم، فاسلك طريق الود و عد إلى خراسان و إن كنت تريد الحرب و القتال (فلا تتوان لحظة و لا تعتذر إذا استقر رأيك على الحرب، إن لي ألوفا مؤلفه من الفرسان و الرجاله و هم متأهبون للقتال) و إنهم ليشيرون الغبار من ماء البحر وقت الحرب و الطعان».

«و على هذا النحو بلغ الرسالة و صرف الرسل مع بعض التحف و الهدايا، و حينما خرج الرسل من المدينة (بغداد) وجدوا الصحراء كلها ممتلئة بالرعاع فأطلقوا ألسنتهم بسب هؤلاء الرسل و بادروهم بالسفاهة و أخذوا يمزقون ثيابهم و يبصقون في وجوههم لعلمهم يقولون شيئاً يتخذونه ذريعة لا يذنبونهم و الاعتداء عليهم. فلما علم الوزير (ابن العلقمي) بذلك أرسل على الفور بعض الغلمان فأبعدوهم. و عند ما وصل الرسل إلى حضرة هولاًكو خان و عرضوا عليه كل ما شاهدوه غضب و قال: إن الخليفة ليست لديه كفاية قط، إذ أنه معنا كالقوس العوجاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٤٩

فلو أمدني الله الأنزلي بعونه فسوف أجعله مستقيماً كالسهم. ثم دخل رسل الخليفة و هم ابن الجوزي و بدر الدين و زكي و بلغوا الرسالة، فغضب هولاًكو خان من عبارة الخليفة غير اللائقة و قال: إن إرادة الله مع هؤلاء القوم أمر آخر إذ ألقى في روعهم مثل هذه الأوهام».

«و في شهر ... من سنة الستين لوتيل الموافقة لسنة ٦٥٥ أذن هولاكو لرسل الخليفة في الانصراف من موضع (بنج انگشت) على حدود همدان التي كانت معسكرا له و أرسل يقول: إن الله الأزلي رفع جنكيز خان و منحنا وجه الأرض كله من الشرق إلى الغرب، فكل من سار معنا و أطاعنا و استقام قلبه و لسانه تبقى له أمواله و نساؤه و أبناؤه، و من يفكر في الخلاف و الشقاق لا يستمتع بشيء من ذلك. ثم عاتب الخليفة (مراسلته) بشدة قائلا: لقد فتنك حب الجاه و المال و العجب و الغرور بالدولة الفانية بحيث أنه لم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين بالخير و إن في أذنيك وقرأ فلا تسمع نصح المشفقين و لقد انحرفت عن طريق آباءك و أجدادك، و إذن فعليك أن تكون مستعدا للحرب و القتال فإني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل و الجراد و لو جرى سير الفلك على شاكلة أخرى فتلك مشيأة الله العظيم».

«و بعد أن وصل رسل بغداد بلغوا رسالة ذلك الملك الفاتح إلى الوزير (ابن العلقمي) فعرضها برمتها على الخليفة و قال: ماذا ترى لدفع هذا الخصم القاهر القادر؟ فأجاب الوزير (قائلا) - ينبغي أن ندفعه ببذل الأموال لأن الخزائن و الدفائن تجمع لوقاية عزة العرض و سلامة النفس ،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٥٠

فيجب إعداد ألف حمل من نفائس الأموال، و ألفا من نجائب الابل، و ألفا من الجياد العربية المجهزة بالآلات و المعدات و ينبغي إرسال التحف و الهدايا في صحبة الرسل الكفاة الدهاء مع تقديم الاعتذار إلى هولاكو و جعل الخطبة و السكّة باسمه. فأعجب الخليفة برأى الوزير و أمر بانجاز ذلك، و لكن مجاهد الدين أيبك المعروف بالدواتدار الصغير، بسبب الوحشة التي بينه و بين الوزير - أرسل إلى الخليفة رسالة بالاتفاق مع الأمراء الآخرين و شطار بغداد يقولون: إن الوزير دبر هذه الحيلة لمصلحته الخاصة لكي يتقرب زلفى إلى هولاكو و يلقي بنا - نحن الجنود - في البلاء و المحنة، و لكننا سوف نرقب مفارق الطرق و نلقى القبض على الرسل و نأخذ ما معهم من أموال و ندعهم في العذاب و العناء. فعدل الخليفة بسبب هذا الكلام عن إرسال الأحمال، و بدافع من التهور و الغرور أرسل إلى الوزير من يقول له: لا تخش القضاء المقبل، و لا تقل خرافة فإن بيني و بين هولاكو خان و أخيه منكوقاآن صداقة و ألفة لا عداوة و قطيعة و حيث إنني صديق لهما فلا بد أنهما يكونان صديقين و مواليين لي و إن رسالة الرسل غير صحيحة. أما إذا أضمر الأخوان لي خلافا و غدرا فلا ضير على الأسرة العباسية، إذ إن ملوك الأرض هم بمثابة الجنود لي، و هم منقادون و مطيعون لأمرى و نهى فادعهم من كل قطر و أسير لدفعهما و أثير إيران و توران عليهما، فقوم قلبك و لا تخافن تهديد المغول و وعيدهم، فإنهم برغم كونهم أرباب دولة و أصحاب شوكة لا يملكون سوى الهوس في رؤوسهم و الريح في أكفهم. فاضطرب الوزير لهذا الكلام و أيقن أن دولة العباسيين سوف تزول، و إذ كان إديار هذه الدولة سيكون في عهده فانه طفق يتلوى كالثعبان و يفكر في كل تدبير،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٥١

و قد اجتمع عند الوزير أمراء بغداد و عظمائها مثل سليمان شاه بن برجم و فتح الدين بن كره و مجاهد الدين الدواتدار الصغير و أطلقوا ألسنتهم بقدرح الخليفة و طعنه قائلين: إنه صديق المطربين و المساخرو و عدو الجيوش و الجنود و إننا أمراء الجيش بعنا كل ما أدخرناه في عهد والده (المستنصر). و قال سليمان شاه: إذا لم يقدم الخليفة على دفع هذا الخصم القوى و لم يبادر إلى طلب العون و المساعدة فسيغلب جيش المغول عن قريب على بغداد، و حينئذ لا يرحم المغول أي مخلوق، كما فعلوا بسائر البلاد و العباد، فلا يقون على أي شخص من الحضرة كان أو من البدو، قويا كان أو ضعيفا، و سيخرجون ربات الخدور من ستر العصمة، و لو أن المغول لم يحدقوا بجميع الجهات لكان من السهل حشد الجنود من الأطراف و لحملت عليهم بجيش في غارة ليلية و شتت شملهم، و لو جرت الأمور على خلاف ذلك فأولى بالفتى أن يقتل في حومة الوغى في عزة و شرف « و عند ما بلغ الخليفة هذا الكلام أعجب به و قال للوزير: إن كلام سليمان شاه له الأثر في النفس المنهكة فاستعرض الجند حسب تقريره لأغنيهم بالدرهم و الدينار، و سلم أمرهم إلى سليمان شاه ليحقق خطته.

على أن الوزير (ابن العلقمي) عرف أن الخليفة لن يمنح مالا، لكنه لم يبد على الفور رأيا مخالفا لأعدائه، و أمر العارض أن يعرض الجنود

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٥٢

بالتدريج فوجا فوجا، ليصل نأ تعبئة الجنود في حضرة الخليفة إلى البعيد والقريب والترك والعرب فتفتت عزيمة العدو.؟؟؟ خمسة أشهر أبلغ العارض الوزير أن الجند قد صاروا عددا وفيرا و جيشا جرارا و أن على الخليفة أن يمنح المال، فعرض الوزير الأمر على المستعصم ولكنه اعتذر فيئس الوزير من مواعيده كليه و رضى بالقضاء و وضع عين الانتظار على نافذة الاصطبار (حتى يكشف الفلك نفسه عما وراء الستار). و لما كان الدواتدار في تلك المدة خصما للوزير فإن أتباعه من سفلة المدينة و أوباشها كانوا يذيعون بين الناس أن الوزير متفق مع هولاءكو خان و أنه يريد نصرته و خذلان الخليفة، فقوى هذا الظن. ثم أرسل الخليفة ثانية هدية صغيرة إلى هولاءكو على يد بدر الدين ريكي قاضي بندنيجان و بعث يقول:

لو غاب عن الملك فله أن يسأل المطلعين على الأحوال إذ أن كل ملك حتى هذا العهد قصد أسرة بنى العباس و دار السلام بغداد كانت عاقبه وخيمه و مهما قصدهم ذوو السطوة من الملوك و أصحاب الشوكه من السلاطين فإن بناء هذا البيت محكم للغاية و سيقى إلى يوم القيامة. و في الأيام السالفة قصد يعقوب بن الليث الصفار الخليفة و توجه بجيش لجب إلى بغداد فلم يبلغ مأربه إذ مات بعله الزحار و الأمر كذلك مع أخيه عمرو إذ قبض عليه إسماعيل بن أحمد الساماني و كبله و أرسله إلى بغداد لكي يجري عليه الخليفة ما حكم به القضاء و كذلك جاء البساسيري بجيش عظيم من مصر إلى بغداد و قبض على الخليفة و سجنه في الحديثه. و في بغداد جعل الخطبة و السكّه مدة عامين باسم المستنصر الذي كان خليفة الاسماعيليه في مصر و في النهاية علم طغربك بذلك فأسرع من خراسان و قصد البساسيري في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٥٣

جيش جرّار و قبض عليه و قتله، و أخرج الخليفة من السجن و أعاده إلى بغداد و أجلسه على عرش الخلافة و كذلك قصد السلطان محمد (بن محمود) السلجوقي بغداد فعاد منهزما و هلك في الطريق، و جاء محمد خوارزم شاه بجيش عظيم قاصدا استئصال الأسرة فابتلى في روابي أسد آباد بالثلج و العواصف بسبب غضب الله عليه، و هلك أكثر جنوده و عاد خائبا خاسرا ثم لاقى ما لاقى من جدك جنكيز خان في جزيرة آبسكون فليس من المصلحه أن يفكر الملك في قصد أسرة العباسيين. فاحذر عين السوء من الزمان الغادر. فاشتد غضب هولاءكو بسبب هذا الكلام و أعاد الرسل قائلا: (أذهب فاصنع من الحديد المدن و الأسوار و ارفع من الفولاذ الأبراج و الهياكل و اجمع جيشا من المردة و الشياطين ثم تقدم نحوى للخصام و النزال فسأنزلك و لو كنت في السيماء و سأدفع بك غضبا إلى أفواه السباع).

ثم قال هذا المؤرخ اليهودي الأصل تحت عنوان «قصة اشتغال هولاءكو خان بترتيب الجيش و تجهيزه لفتح بغداد و ما حولها» قال:

«عند ما أعاد هولاءكو الرسل كان يفكر في كثرة جند بغداد فاشتغل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٥٤

بإعداد الجيش و تجهيزه و أراد أن يرسل أغلب الجند إلى نواحي بغداد حيث الجبال الشاهقة المنيعه فيستولى عليها، ثم أرسل رسولا لاستدعاء حسام الدين عكر الذي كان حاكما على درتنك و ما حولها من قبل الخليفة و كان حنقا عليه، فسلم حسام الدين درتنك دون تردد إلى ابنه الأمير سعد و حضر بنفسه لتقديم الطاعة لهولاءكو فشمله بكثير من العطف و الرعاية و أذن له في العودة و منحه حصنى و روده و المرج و عدة قلاع أخرى ثم قفل راجعا فأرسل إلى كل قلعه جيشا فخضع له أهلها جميعا و سلموا إليه القلاع. و لما تحققت أمنية حسام الدين التي طالما تمنهاها و تجمعت عنده جنود سليمان شاه بن برجم تعاضم و تكبر فأرسل إلى تاج الدين ابن الصلايا العلوى زعيم إربل يرجو منه أن يتوسط في الصلح بين الديوان العزيز و بينه و قال: لقد قدّرت هولاءكو خان و ما هو عليه من

كفاءة و كياسة و مهما يكن له من العنف و التهديد فليس له عندى قدر و لا وزن، فلو طيب الخليفة خاطرى و طمأن قلبى و بعث إلى بجيش من الفرسان لجمعت أنا أيضا ما يقرب من مائة ألف من فرق المشاة من كرد و تركمان و لسددت الطرق فى وجه هولاء و لا أذع أى مخلوق من جنده يدخل بغداد. فعرف ابن الصلايا الوزير (ابن العلقمى) بذلك، فعرضه هذا بدوره على الخليفة، فلم يبد اهتماما كثيرا. و لما بلغ هولاءكو خان هذا الكلام ثارت سورة غضبه و أوفد كيتو بوقا مع ثلاثين ألفا من الفرسان لدفعهم. و عند ما اقترب منهم استدعى حسام الدين قائلا: لقد صمنا على قصد بغداد و نحن فى حاجة إلى مشاورتك. فحضر حسام الدين دون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٥٥

تفكر أو تدبير و أوكل به كيتو بوقا و قال: إذا أردت النجاة و البقاء حاكما على هذه القلاع فأنزل نساءك و أبناءك و أتباعك و جنودك جميعا من هذه القلاع لكى أحصيهم و أقرر لهم الأموال و المؤن. فلم يجد حسام الدين بدا من الطاعة و أحضرهم جميعا. فقال كيتو بوقا: إذا كانت ميولك مخصصة للملك فمر بتخريب جميع القلاع ليتحقق هذا المعنى.

فأدرك أن كلماته التافهة بلغت مسامعهم، فيئس من حياته الغالية و أرسل من يهدم كل القلاع. ثم قتله المغول مع كافة أتباعه و أشياعه ما عدا أهل القلعة التى كان فيها ابنه الأمير سعد، فقد طلبوا إليه التسليم تخويفا و إرهابا فلم يجبههم و قال: إن عهدكم غير صحيح و لا أتق به. ثم ظل يجول مدة خلع العذار فى تلك الجبال و أخيرا سار إلى بغداد و لقي من ديوان الخليفة حسن الاستقبال إلى أن قتل فى حرب بغداد. و عاد كيتو بوقا مظفرا منصورا إلى حضرة هولاءكو. و كان الخان يتشاور مع أركان الدولة و أعيان الحضرة فى أمر تصميمه على الزحف إلى بغداد فكان منهم من يبدى رأيه حسب ما يعتقد، ثم طلب حسام الدين المنجم الذى كان مصاحبا له بأمر القآن ليختار وقت النزول و الركوب و قال له: بين كل ما يبدو لك فى النجوم دون مداهنة. و لما كانت له جرأة بسبب تقربه فقد قال بصورة مطلقة: إنه ليس ميمونا قصد أسرة الخلافة و الزحف بالجيش إلى بغداد إذ أن كل ملك حتى زماننا هذا قصد بغداد و العباسيين لم يستمتع بالملك و العمر و إذا لم يصغ الملك إلى كلامى و ذهب إلى هناك فستظهر ستة أنواع من الفساد أولها أن تنفق الخيول كلها و يمرض الجنود و ثانيها أن الشمس لا تطلع و ثالثها أن المطر لا ينزل و رابعها تهب ريح صرصر و ينهار العالم بالزلال و خامسها لا ينبت النبات فى الأرض و سادسها أن الملك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٥٦

الأعظم يموت فى تلك السنة. فطلب منه هولاءكو شهادة بصفة هذا الكلام فكتبها المسكين و قال الكهان المغول و الأمراء: إن الذهاب إلى بغداد هو عين المصلحة.. و بعد ذلك استدعى هولاءكو خان الخواجه نصير الدين الطوسى و استشاره فخاف الخواجه و ظن أن الأمر على سبيل الاختبار فقال: لن تقع أية واقعة من هذه الأحداث. فقال هولاءكو: إذن ماذا يكون؟ قال: ان هولاءكو سيحل محل الخليفة. ثم أحضر هولاءكو حسام الدين ليتباحث مع الخواجه فقال الخواجه: لقد استشهد جمع كثير من الصحابة باتفاق آراء الجمهور و أهل الإسلام و لم يحدث فساد قط و لو قيل إن للعباسيين مكرمة خاصة بهم فإن طاهر بن الحسين جاء من خراسان بأمر المأمون و قتل أخاه محمدا الأمين، و قتل المتوكل ابنه بالاتفاق مع الأمراء، كذلك قتل الأمراء و الغلمان المنتصر و المعتز و قتل عدد من الخلفاء على يد جملة أشخاص فلم تختل الأمور (فأضاء قلب الملك من قول العالم كأنه زهرة اللعل فى الربيع الباكر).

و قال هذا المؤرخ بعد ذلك تحت عنوان «تصميم هولاءكو خان و تحركه بعد ذلك إلى بغداد و زحف الجيوش من كل ناحية و صوب إلى مدينة السلام و الاستيلاء عليها و انتهاء الدولة العباسية».

«بعد ذلك عقد هولاءكو النية على فتح بغداد فأمر بأن تتحرك جيوش جرماغون و بايجونوين اللذين كانت معاقلهما فى بلاد الروم و أن تسير على الميمنة إلى الموصل عن طريق إربل ثم تعبر جسر الموصل و تعسكر فى الجانب الغربى من بغداد و ذلك فى وقت معين حتى إذا قدمت الرايات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٥٧

من المشرق تخرج إليها من تلك الناحية . و يسير الأمير بلغا بن شيبان بن جوجى و الأمير توتار بن سكتنقور، و قولى بن أورده بن جوجى و بوقا تيمور و سونجاق من الميمنة أيضا و يدخلون من مضيق سونتاي نوين إلى ناحية هولاءكو خان. أما قوات كيتو بوقا نوين و قدخون و نرك ايلكا فعلى الميسرة كانت تزحف من حدود لرستان و البيات و تكريت و خوزستان التى تمتد إلى (ساحل بحر عمان. ثم ترك هولاءكو المعسكرات و الأفواج فى مرج زكى من ضواحي همذان و أقر عليهم قياق نوين. و فى أوائل المحرم سنة ٦٥٥ سار بالجيوش فى القلب الذى يسميه المغول (قول) نحو كرمانشاهان و حلوان و كان فى ركابه كبار الأمراء: كوكا ايلكا و أرتو و أرغون آقا، و من الكتاب قرتاي و سيف الدين بينكجى المدير لشؤون المملكة و الخواجه نصير الدين الطوسى و الصاحب السعيد علاء الدين عطا ملك الجوينى مع كافة السلاطين و الملوك و كتاب بلاد إيران. و عند ما بلغ أسد آباد أوفد رسولا لدعوة الخليفة مرة أخرى للحضور فكان يماطل و يتعلل و وصل ابن الجوزى إلى الدينور للمرة الثانية قادمًا من بغداد يحمل رسالة بالوعد و الوعيد و ملتصبا أن يعود هولاءكو خان و يتراجع فى مقابل أن يسلم الخليفة للخزانة كل ما يقرره هولاءكو خان. فظن هذا أن الخليفة يريد من وراء عودة الجيش أن يعد جنده و يهيئهم لمقاومة المغول فقال:

و كيف نترك زيارة الخليفة بعد كل ما قطعناه من هذا الطريق؟! سوف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٥٨

نعود بأذنه بعد الحضور للقائه و التحدث معه. و قد تحرك جنود المغول من هناك إلى جبال الأكراد و نزلوا بكرمانشاه فى السابع و العشرين من الشهر و قاموا بالقتل و السلب و أرسلوا رسولا ليحضر على الفور الأمراء:

سونجاق و بايجو نوين و سونتاي، فوصلوا إلى الحضرة فى طاق جرى ثم قبضوا على أيبك الحلبي و سيف الدين قلع اللذين كانا من طلائع جيش الخليفة و أحضرهما إلى الحضرة فأعطى هولاءكو الأمان لأيبك و فى نظير ذلك قبل أن يقول الصدق ثم جعلهما هولاءكو مرشدين لطلائع قوات المغول، بعد ذلك أعاد الأمراء مرموقين بالعطف و الرعاية ليعبروا نهر دجلة و يتوجهوا إلى غربى بغداد، و أحرقوا أكتاف الأغنام، جريا على عادتهم، ثم عادوا و عبروا نهر دجلة قاصدين غربى بغداد. و فى تلك الجهة كان قائد الطلائع لجند الخليفة ببغداد هو قبجاق المعروف بقراسنقر. و أما سلطان جو الذى كان من نسل الخوارزميين فقد كان مع طلائع المغول، فكتب هذه الرسالة إلى قراسنقر يقول فيها: إننى و أنت من جنس واحد و بعد البحث و التدقيق التحقت بخدمة هولاءكو بسبب الفقر و الاضطراب و دخلت فى طاعته و هو الآن يعاملنى معاملة طيبة فأنتقد أنت أيضا حياتك و ترفق بها و أشفق على أولادك و قدّم الطاعة حتى تأمن على دارك و أولادك و مالك و روحك من هؤلاء القوم، فكتب إليه قراسنقر مجيبا: من يكون هؤلاء المغول حتى يقصدوا أسرة العباسيين، لقد شاهدت هذه الأسرة الكثيرين من أمثال دولة جنكيز خان و إن أساسها لأكثر إحكاما و رسوخا من أساس أسرة جنكيز خان التى تترنح من كل ريح عاصف، ثم إن العباسيين قد استمروا حكاما أكثر من خمسمائة سنة و كل مخلوق قصدهم بسوء قضى عليه الزمان و إذن فليس من العقل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٥٩

و الكياسة أن تدعونى لأنضم إلى جانب الغصن الغض لدولة جنكيز خان، و كان الأولى بالود و المسالمة أن لا يتجاوز هولاءكو خان الرى بعد فراغه من فتح قلاع الملاحدة و أن يعود إلى خراسان و تركستان لأن قلب الخليفة متأثر و ساخط بسبب زحف هولاءكو بجيوشه، فإذا كان هولاءكو نادما حقا على فعلته فعليه أن يعيد الجيش إلى همذان لكى نجعل الدواتدار شفيعا فيتضرع إلى الخليفة علّه يزول ألمه و يقبل الصلح فيغلق بذلك باب القتال و الجدل. فلما عرض سلطان جوقه تلك الرسالة على هولاءكو ضحك و قال: إن اعتمادى على الله لا- على الدرهم و الدينار فإن كان الله الأزلى مساعدا لى و معيننا فماذا أخشاه من الخليفة و جيشه؟ (تساوى فى نظرى النملة و البعوضة و الفيل كما يتساوى الينبوع و النهر و البحر و النيل، و لو كان أمر الله على خلاف ذلك فمن يدرى سواه كيف يكون ذلك الكلام؟

ثم أرسل عودا على بدء رسولا- يقول: إن كان الخليفة قد أطاع فليخرج و إلا فليأهب للقتال و ليحضر إلينا قبل كل شىء الوزير و سليمان شاه و الدواتدار لسمعوا ما نقول».

«و فى اليوم التالى سار هولوكو و عسكره على شاطيء نهر حلوان فى التاسع من ذى الحجة سنة ٦٥٥ حيث أقام إلى الثانى و العشرين من ذلك الشهر، و فى هذه الأيام استولى كيتو بوقا على كثير من بلاد لرستان طوعا و كرها. و فى الحادى عشر من شهر جقشباط من سنة موعايل الموافق التاسع من المحرم سنة ٦٥٦ عبر بايجو نوين و باقا تيمور و سونجاق فى الوقت المقرّر نهر دجلة عن طريق نهر دجيل و وصلوا إلى نواحي نهر عيسى، و قد التمس سونجاق نوين إلى بايجو أن يكون قائدا لجيش غرب بغداد ثم موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٦٠

سار بعد الاستئذان و جاء إلى حربى . و قبل ذلك كان مجاهد الدين أيبك الدواتدار الذى كان قائدا لجيش الخليفة و معه (فتح الدين) ابن كر قد أقاما معسكرهما بين بعقوبا و باجسرا، و حينما سمعا بمجىء المغول إلى الضفة الغربية عبرا نهر دجلة و حاربا سونجاق و بوقا تيمور فى حدود الأنبار على باب قصر المنصور فى أعلى المزرفة على تسعة فراسخ من بغداد، فلوى جنود المغول العنان و جاؤوا إلى البشيرية من ناحية دجيل، فلما لحقوا بايجو و وصل هؤلاء أعادوهم، و فى تلك النواحي كان يوجد نهر كبير ففتح المغول السدّ المقام عليه فغمرت المياه كل الصحراء الواقعة خلف جيش بغداد. و فى فجر يوم الخميس من نهار عاشوراء دهم بايجو و بوقا تيمور الدواتدار و ابن كر و انتصرا عليهما فهزم جيش بغداد و قتل فتح الدين ابن كر و قراسنقر اللذان كانا قائدى الجيش مع اثنى عشر ألف رجل فضلا عن غرق أو قضى نحبه فى الوحل، اما الدواتدار فقد فرّ هاربا مع نفر ضئيل و عاد إلى بغداد، كما هرب البعض إلى الحلة و الكوفة.

و فى يوم الثلاثاء منتصف المحرم قدم بوقا تيمور و بايجو و سونجاق إلى بغداد و استولوا على الجانب الغربى، و نزلوا فى أحياء المدينة على شاطيء دجلة و وصل أيضا بوقا نوين و الأمراء الآخرون من ناحية النخاسية و صرصر بجيش عظيم. و ترك هولوكو خان معسكراته فى خانقين و واصل سيره إلى بغداد و نزل فى الجهة الشرقية منها فى السابع من شهر جقشباط من سنة موغا الموافق الحادى عشر من المحرم سنة ٦٥٦ ثم تدفق الجيش المغولى موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ١٠-١؛ ص ٣٦٠

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٦١

كالنمل و الجراد من كل جهة و ناحية فحاصروا أسوار بغداد و احتموا بجدار أقاموه. و فى يوم الثلاثاء الثانى و العشرين من المحرم شرعوا فى الحرب و التحم الجيشان و كان هولوكو فى القلب من طريق خراسان على الجانب الأيسر من المدينة فى مقابل برج العجمى ، و كان ايلكا نوين و فربا على باب كلواذا، أما قولى و بولغا و توتار و شيرامون و أرقيو فقد نزلوا فى عرض (ظاهر) المدينة فى مواجهة باب سوق السلطان، و كان بوقا تيمور يقف فى جهة القلعة و جانب القبلة بموضع دولاب البقل، و كان بايجو و سونجاق يرابطان فى الجانب الغربى حيث المارستان العضدى و كان الجميع يحاربون و قد صوبوا المجانيق مباشرة تجاه برج العجمى حتى أحدثوا فيه ثغرة. و عندئذ أرسل الخليفة الوزير و الجائليق إلى هولوكو يقول: إن الملك قد أمر بأن أبعث إليه بالوزير و ها أنا ذا قد لبيت طلبه فينبغى أن يكون الملك عند كلمته. فرد الملك قائلا: إن هذا الشرط طلبته و أنا على باب همدان أما الآن فنحن على باب بغداد و قد ثار بحر الاضطراب و الفتنة فكيف أقنع بواحدة. ينبغى أن ترسل هؤلاء الثلاثة- يعنى الدواتدار و سليمان شاه و الوزير-. ثم ذهب الرسل إلى المدينة و فى اليوم التالى (لذاك) خرج إلى هولوكو الوزير (ابن العلقمى) و صاحب الديوان (فخر الدين ابن الدامغانى) و جمع من المعارف و المشاهير، و لكنه أعادهم و قد دارت حرب طاحنة مدة ستة أيام، ثم أمر الملك بأن يكتب ستة منشورات تفيد بأن القضاء و العلماء و الشيوخ و السادات و التجار و كل من لا يحاربنا لهم الأمان. و ربطوا هذه المنشورات بالنبال و ألقوها على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٦٢

المدينة من جوانبها الستة. و لما لم تكن توجد حجارة للمجانيق في أطراف بغداد فإنهم كانوا يأتون بها من جبل حميرين و جلولاء و كانوا يقطعون النخيل و يرمون بقطعها بدلا من الحجارة، و في يوم الجمعة الخامس و العشرين من المحرم هدم المغول برج العجمي و في يوم الاثنين الثامن و العشرين و حيث كان يقف هولاءكو تسلق جنود المغول السور عنوة و طهروا أعالي الأسوار من الجند، لكنهم لم يتسلقوا الأسوار من ناحية سوق السلطان حيث كان يحارب بولغا و توتار، فعاتبهم السلطان، كذلك لم يذهب أتباعهم (كذا) و في المساء تسلّم المغول جميع الأسوار الشرقية، بعد ذلك أمر هولاءكو خان بأن يقيموا جسرا في أعلى بغداد و آخر في أسفلها و أن يعدّوا السفن و ينصبوا المجانيق و يعينوا المستحفظين، و كان بوقا تيمور قد رابط مع عشرة آلاف جندي على طريق المدائن و البصرة ليصد كل من يحاول الهرب بالسفن. و لما حمى و طيس الحرب في بغداد و ضاق الحال على الأهالي أراد الدواتدار أن يركب سفينة و أن يهرب إلى ناحية السيب و لكنه بعد أن اجتاز قرية العقاب أطلق جند بوقا تيمور حجارة المنجنيق و السهام و قوارير النفط و استولوا على ثلاث سفن و أهلكوا من فيها و عاد الدواتدار منهزما. فلما وقف الخليفة على تلك الحال يئس نهائيا من الاحتفاظ ببغداد و لم ير أمامه مفرّا و لا مهربا قط فقال: سأستسلم و أطيع ثم أرسل فخر الدين الدامغاني و ابن الدرنوش

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٦٣

مع قليل من التحف إلى هولاءكو زاعما أنه لو بعث بالكثير لكان ذلك دليلا على خوفه فيتجرأ العود، فلم يلتفت هولاءكو إلى هذه الهدايا و عادا محرومين. و في يوم الثلاثاء التاسع و العشرين من المحرم خرج من بغداد للقاء هولاءكو أبو الفضل عبد الرحمن بن الخليفة الثاني، بينما ذهب الوزير (ابن العلقمي) إلى المدينة، و كان صاحب الديوان (فخر الدين ابن الدامغاني) و جماعة من العظماء مع أبي الفضل و قد حملوا أموالا كثيرة، فلم تقبل منهم، و في غد ذلك اليوم آخر المحرم خرج ابن الخليفة الأكبر (أبو العباس أحمد) و معه الوزير (ابن العلقمي) و جماعة من المقربين للشفاعة فلم يجدوا فائدة و عادوا إلى المدينة. و قد بعث الملك الخواجه نصير الدين (الطوسي) و ايتيمور برسالة إلى الخليفة، فخرجا في صحبة رسل بغداد غرة صفر، و أرسل فخر الدين الدامغاني الذي كان صاحب الديوان و ابن الجوزي و ابن الدرنوش إلى المدينة ليخرجوا سليمان شاه و الدواتدار و منحهم فرمانا و بايزة طمأنة لهم و تقوية لموقفهم و قال: إن الرأي للخليفة فله أن يخرج أو لا يخرج و سيكون جيش المغول مقيما على الأسوار إلى أن يخرج سليمان شاه و الدواتدار.

و في يوم الخميس غرة صفر خرج الرجلان فأعادهما مرة ثانية إلى المدينة ليخرجا أتباعهما حتى ينضموا إلى قوات مصر و الشام، و عزم جند بغداد على الخروج معهم و كانوا خلقا لا يحصون مؤملين أن يجدوا الخلاص فقسموهم ألوفاً و مئات و عشرات و قتلوهم جميعا. أما من بقي في بغداد فقد هربوا إلى الأنفاق و مواقد الحمامات ثم خرج جماعة من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٦٤

أعيان المدينة و طلبوا الأمان قائلين: إن ناسا كثيرين طائعون خاضعون فليمهلوا لأن الخليفة سيرسل أبناءه و يخرج بنفسه أيضا. و في تلك الأثناء أصاب سهم عين هندو البتكجي و كان من أكابر الأمراء. فتملك هولاءكو غضب عظيم وجد في الاستيلاء على بغداد و أمر الخواجه نصير الدين (الطوسي) أن يقيم على باب الحلبه أمانا للناس. فشرع الأهالي يخرجون من المدينة. و في يوم الجمعة الثاني من صفر قتل الدواتدار و جرى بسليمان شاه مع سبعمائه من أقاربه و كان مكبل اليدين فاستجوبه هولاءكو قائلا لقد كنت منجما و

مطلعا على أحوال السعد و النحس للبلاد فكيف لم تتنبأ بسوء مصيرك و لم تنصح مخدومك لكي يبادر إلينا عن طريق الصلح؟ فأجاب سليمان شاه: لقد كان الخليفة مستبدا برأيه منكود الطالع فلم يستمع لنصح الناصحين. ثم أمر بقتله مع كافة أتباعه و أشياعه كما قتل الأمير تاج الدين ابن الدواتدار الكبير و أرسل رؤوس هؤلاء الثلاثة على يد الملك الصالح ابن بدر الدين لؤلؤ إلى الموصل و كان بدر الدين صديقا لسليمان شاه فبكي و لكنه علق رؤوسهم خوفا على حياته. و بعد أن رأى الخليفة المستعصم أن الأمر قد خرج من يده استدعى الوزير (ابن العلقمي) و سأله ما تدبير أمرنا؟ فأنشد الوزير هذا البيت في جوابه:

يظنون أن الأمر سهل و إنما هو السيف حدث للقاء مضاربه

و بعد خراب البصرة خرج و معه أبناؤه الثلاثة أبو الفضل عبد الرحمن و أبو العباس أحمد و أبو المناقب مبارك و كان ذلك يوم الأحد الرابع من صفر سنة ٦٥٦ و كان معه ثلاثة آلاف من السادات و الأئمة و القضاة و الأكابر و الأعيان ثم قابل هولاءكو خان فلم يبد الملك غضبا قط و كلمه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٦٥

بالحسنى ثم قال له: مر سكان المدينة حتى يضعوا أسلحتهم و يخرجوا لكي نحصيهم- فأرسل الخليفة من ينادى في المدينة ليضع الناس أسلحتهم و يخرجوا، فألقى الناس أسلحتهم زمرا زمرا و صاروا يخرجون فكان المغول يقتلونهم ثم أمر بأن تقام الخيام للخليفة و أبنائه و أتباعه بباب كلواذا في معسكر كيتو بوقا نونين و نزلوا فيها و عهدوا بحراستهم إلى عدد من المغول و كان الخليفة (المستعصم) ينظر بعين الحقيقة إلى هلاكه و يأسه على تركه الحزم و إباته قول النصح (قال في نفسه: لقد فاز عدوى إذ رآني قد وقعت في الشرك كالطائر الحذر). و كان بدء القتل و النهب في يوم الأربعاء السابع من صفر فاندفع الجند المغول مرة واحدة إلى بغداد و أخذوا يحرقون الأخضر و اليابس ما عدا قليلا- من منازل الرعاة و بعض الغرباء. و في يوم الجمعة التاسع من صفر دخل هولاءكو المدينة لمشاهدة قصر الخليفة و جلس في المثنى و احتفل بالأمراء ثم أشار باحضار الخليفة فقال له: إنك مضيف و نحن الضيوف فيها أحضر ما يليق بنا. فظن الخليفة أن هذا الكلام على سبيل الحقيقة و كان يرتعد من الخوف و بلغ من دهشه أنه عاد لا يعرف مكان مفاتيح الخزائن فأمر بكسر عدة أقفال و أحضر لهولاءكو ألفى ثوب و عشرة آلاف دينار و نفائس و مرصعات و عددا من الجواهر. فلم يلتفت هولاءكو إليها و منحها كلها للأمراء و الحاضرين ثم قال للخليفة: إن الأموال التي تملكها على وجه الأرض ظاهرة و هي ملك عبيدنا لكن اذكر ما تملكه من الدفائن ما هي و أين توجد؟ فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب في ساحة القصر،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٦٦

فحفروا الأرض حتى وجدوه كان ملأنا بالذهب الأحمر و كان كله سبائك تزن الواحدة مئة مثقال. بعد ذلك صدر الأمر باحصاء نساء الخليفة فعدوا سبعمائة زوجة و سرية و ألف خادمة فلما اطلع الخليفة على تعداد نسائه تضرع فقال لهولاءكو: من على أهل حرمي اللائي لم تطلع عليهن الشمس و لا القمر. فقال له هولاءكو: اختر مائة من هذه النساء السبعمائة و اترك الباقي. فأخرج الخليفة معه مائة امرأة من أقاربه و المحببات إليه.

ثم رجع هولاءكو خان إلى المعسكر ليلا- و في الصباح أمر بأن يسير سونجاق إلى المدينة و أن يعتبر أموال الخليفة و يخرجها. و قصارى القول أن كل ما كان للخلفاء قد جمعه خلال خمسة قرون وضعه المغول بعضه على بعض فكان كجبل على جبل، و قد احترق أكثر الأماكن المقدسة في المدينة مثل جامع الخليفة و مشهد موسى (و) الجواد عليها الرحمة و قبور الخلفاء. و أخيرا أوفد سكان المدينة شرف الدين المراغي و شهاب الدين (محمودا) الزنجاني و الملك (أحمد بن عمران الباجسرى) دال رست أى المخلص إلى هولاءكو و طلبوا الأمان، فصدر الأمر بالتوقف من بعد ذلك عن القتل و النهب (لأن بغداد أصبحت ملكا لنا فليستقر الأهالي و لينصرف كل شخص إلى عمله) و بذلك وجد الأمان الذين نجوا من السيف.

و في يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر رحل هولاءكو عن بغداد بسبب عفونه الهواء و نزل بقريتي الوقف و الجلاية و أرسل الأمير عبد الرحمن لفتح ولاية خوزستان ثم استدعى الخليفة فأدرك هذا أن أمارات النحاس تبدو على مصيره و خاف خوفا شديدا و قال للوزير (ابن العلقمي): ما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٦٧

حيلتنا؟ فأجاب الوزير قائلا: لحيتنا طويلة. و كان مراده من ذلك أنه عند ما فكر في أول الأمر في أن ترسل أحمال و فيرة لدفع هذا البلاء قال الدواتدار مجاهد الدين: لحيه الوزير طويلة. و حال دون الأخذ بهذا الرأي و استمع الخليفة لكلامه و أهمل تدبير الوزير. و

يئس الخليفة من إنقاذ حياته واستأذن في أن يذهب إلى الحمام ليجدد اغتساله. فأمر هولاءكو خان بأن يذهب مع خمسة من المغول، و لكن الخليفة قال: أنا لا أريد أن أذهب بصحبة خمسة من الزبانية، و كان ينشد بيتين أو ثلاثة من قصيدة هذا مطلعها:

و أصبحنا لنا دار كجنات و فردوس

و أمسينا بلا دار كأن لم نغن بالأمس

و في مساء الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦ قضاوا على الخليفة و على ابنه الأكبر و خمسة من الخدم كانوا في خدمته في قرية الوقف ، و في اليوم التالي قتلوا الذين كانوا قد نزلوا معه في بوابة كلواذا، كذلك قضاوا على كل شخص وجدوه حيا من العباسيين اللهم إلما أفرادا قلائل لم يأبها لهم. و قد سلم مباركشاه الابن الأصغر للخليفة إلى أولجاي خاتون فأرسلته إلى مراغة ليكون مع الخواجة نصير الدين ثم زوجه من امرأة مغولية فأنجب منها بولدين. و في يوم الجمعة السادس عشر من صفر ألقوا الإبن الثاني للخليفة بوالده و أخيه و بذلك قضى على دوله خلفاء آل العباس الذين حكموا بعد بنى أمية و كانت مدة خلافتهم خمسا و عشرين و خمسمائة سنة و عددهم سبعة و ثلاثون خليفة حسب ما يأتي بالتفصيل». و ذكر المؤرخ الخلفاء بالترتيب ثم قال: «و في نفس اليوم الذي قتلوا فيه الخليفة أرسلوا إليها مؤيد الدين ابن العلقمي ليقوم بالوزارة و فخر الدين الدامغاني ليكون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٦٨

صاحب الديوان و جعلوا على بهادر شحنة لها و عينوا المحتسبين لمراقبة المقاييس و الأوزان و نصبوا عماد الدين عمر القزويني نائبا للأمير قراتاي و هو الذي عمر مسجد الخليفة و مشهد موسى (و) الجواد، و كذلك نصب نجم الدين أبو جعفر أحمد بن عمران الملقب براست دل (المخلص) واليا على أعمال شرقي بغداد مثل طريق خراسان و الخالص البندنجين ، و أمر هولاءكو بأن يكون نظام الدين عبد المنعم البندنجي قاضيا للقضاء و اختار إيلكانونين و قرابوقا و معهما ثلاثة آلاف من فرسان المغول و بعث بهم إلى بغداد ليقوموا بالعمارة في الحال و ليعملوا على استتاب الأمن. ثم بادر كل شخص بدفن قتلاه و طهرت الطرق من جثث الحيوانات النافقة و عمرت الأسواق. و في يوم الخميس التاسع و العشرين من صفر حضر إلى الدرگاه شرف الدين ابن الوزير و صاحب الديوان لتلقى التعليمات ثم عادا و في يوم الجمعة الثالث من العشرين رحل هولاءكو و نزل بقبة الشيخ مكارم ، و من هناك كان يسير مرحلة بعد مرحلة إلى أن بلغ معسكراته في خانقين. و في أثناء حصار بغداد كان قدم إليه بعض العلويين و الفقهاء من الحلّة و التمسوا إليه أن يعين لهم شحنة» .

و مما نقلنا من الأخبار المبسوطه في فتح هولاءكو لبغداد و العراق يظهر للقارىء أن مؤيد الدين ابن العلقمي كان أحد ثلاثة من أرباب دولة بنى العباس أراد هولاءكو حضورهم لتمثيل الدولة العباسية و بيان الأسباب في تلكؤها عن الأذعان للدولة المغولية و الدخول في طاعتها، و أن اثنين من هؤلاء الثلاثة أمر بقتلهم بعد ثبوت جرمهما عندها و الثالث هو الوزير ابن العلقمي نجا مع جماعة من أصحاب الدولة و استوزر فلو كان مخامرا لهولاءكو و مباطنا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٦٩

و مراسلا ما احتاج أن يدخله في عداد الثلاثة و لا اهتم بحضوره و حملة الرسالة، فهذا يدل على أن الرضا عنه وقع بعد سؤاله عن سبب اضطراب السياسة العباسية و تقديمه الأعذار المقبولة في أنه كان من رايه الطاعة للدولة المغولية التي يمتثلها هولاءكو و استشهاده شهودا على صدق قوله من أرباب الدولة نفسها كفخر الدين أحمد بن الدامغاني و تاج الدين علي بن الدوامي .

أدب ابن العلقمي

كان أبو طالب محمد بن أحمد ابن العلقمي أديبا كاتباً منشئاً ينظم الشعر الذي يسمى شعر المناسبات و قد حوت عدة تواريخ عدة قطع و مقطوعات من نثره و شعره، قال مؤلف الحوادث في سنة ٦٤٣ «و توفيت ابنة الخليفة المستعصم بالله، اسمها عائشة و عمل لها

العزاء في الرصافة على جاري العادة و أنشد الشعراء المراثي و كتب الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي إلى الخليفة (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. أجزل الله ثواب الخدمة الشريفة المقدسة النبوية الإمامية المستعصمية بالله على احتسابها، و جزاها أفضل جزاء الصابرين عند جزع النفوس و اكتتابها، و أفاء عليها ظلال- من البقاء ظليلا، و رجع طرف الحوادث عن حوزتها الشريفة حسيرا كليلا، و عوّض عمن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٧٠

عبر و ذهب بحراسه غيره مما وهب، و جعل السادة الموالى المعظمين في حوز حياطته، و كالأهم من كل حادث بعين حفظه التي لا تنام و رعايته، و أدام للدنيا و أهلها بقاء الخدمة الشريفة و استمرار عصرها، و خلود الدولة الحالية بمضاء مراسمها العلية و نفاذ أمرها: فإذا سلمت فكل شيء سالم و إذا بقيت فكل شيء باقى

و لا زال ملكها محروسا من الغير، لصون الموارد من الكدر، و لا أعاد إلى مواطن شرفها حادثا. و لا أنزل بمقدس ربعها الأمرع خطبا كارثا:

لا روعت بعدها الخطوب لكم سربا و لا فصلت لكم جملا (كذا)

بمحمد و آله». و قال في أخبار سنة ٦٤٤ «فيها كتب الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي إلى الخليفة ينهى حال بعض الأمراء و يقول في آخر كلامه و هو «مدبر» فوقع الخليفة على مطالعته بقلمه:

و لا تساعد أبدا مدبراو كن مع الله على المدبر

فكتب الوزير في الجواب من نظمه:

يا مالكا أرجو بحبى له نيل المنى و الفوز فى المحشر

أرشدتى لا زلت لى مرشداو هاديا من رأيك الأنور

فضلك فضل ما له منكرليس لضوء الشمس من منكر

أن يجمع العالم فى واحدفليس لله بمستنكر

فالله يجزيك بما قلته خيرا و يبيك مدى الأعصر

جعلت تقوى الله مقرونه بورد أفعالك و المصدر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٧١ من يجعل التقوى له متجرا فذاك حقا رايح المتجر»

و قال الخزرجى فى أخبار سنة ٦٤٦: «و فى شهر ربيع الأول أنعم على الوزير أبى طالب محمد بن العلقمي بدواة فضة مذهبه مدورة مثنه بديعة الصنعة جميلة الوضع فقال بعض الشعراء». و جاء فى كتاب الحوادث فى ذلك «و فيها أنفذ الخليفة إلى الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي دواة فضة مذهبه مع صلاح الدين عمر بن جلدك فى جواة فخلع عليه و نظم الشعراء فى ذلك أشعارا كثيرة».

و قال مؤلف الحوادث فى سنة ٦٤٨: «و فيها أنفذ الخليفة إلى الوزير على يد عمر بن جلدك شدة من أقلام فكتب الوزير (قبل المملوك الأرض شكرا للإنعام عليه بأقلام قلمت عنه أظفار الحدثان، و قامت له فى حرب صرف الدهر مقام عوامل المران، و أجنته ثمار الأوطار من أغصانها، و حازت له قصبات المفاخر يوم رهانها، فبالله كم عقد ذمام فى عقدها و كم بحر سعادة أصبح من مدادها و مددها، و كم مناد خط إستقام بمتفتاتها، و كم صوارم خطوب فلت مضاربها بمطرور مرهفاتها، و الله تعالى ينهض المملوك بمفروض دعائه، و يوفقه للقيام بشكر ما أولاه من جميل رأيه و جزيل حياته، بمحمد و آله:

خولتنى نعمتا كادت تعيد إلى عصر الشباب و تدنى منه أياما

لم يبق لى أمل إلا و قد بلغت نفسى أفاصيه بزا و إنعاما

تعطى الأقاليم من لم يبد مسألة جودا فلا عجا إن تعطى أقلاما

لأفتحن بها و الله يقدرنى مصاعبا أعجزت من قبل بهراما

إذا نسبن إلى خط فإن لهاشبي إذا أعملته يخرق الهاما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٧٢ بالحمد و الشكر أجريها لدولتكم و الرأى يحصد من أعدائها الهاما
طالع المملوك بدعائه الصادر عن ناصع ولائه، و الأمر أعلى و أسمى إن شاء الله تعالى» .

سنة ٦٦٣ هـ

١٣٢- و جمال الدين أبو الحسن على ابن برز القمى المعروف بأميران و هو ابن أخى الوزير مؤيد محمد القمى، ذكره مؤلف الحوادث فى وفيات سنة ٦٦٣ قال: «و فيها توفى جمال الدين أبو الحسن على بن برز القمى المعروف بأميران و هو ابن أخى الوزير مؤيد الدين القمى و دفن فى تربة عمه بمشهد موسى بن جعفر- عليهما السلام» .

سنة ٦٧٢ هـ

إشارة

١٣٣- و نصير الدين أبو جعفر محمد بن محمد الطوسى الحكيم العالم الفيلسوف المتكلم، ذكره مؤلف الحوادث فى وفيات سنة ٦٧٢ قال «فى منتصف ذى القعدة توفى الملك عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابورى ببغداد ... و توفى بعده نصير الدين أبو جعفر محمد ابن الطوسى فى ثامن عشر ذى الحجة و دفن فى مشهد موسى بن جعفر- عليهما السلام- فى سرداب قديم البناء، خال من دفن، قيل إنه كان قد عمل للخليفة الناصر لدين الله، و كان فاضلا عالما كريم الأخلاق، حسن السيرة متواضعا لا يضجر من سائل و لا يرد طالب حاجة، كان مولده سنة سبع و تسعين و خمسمائة و وراثه الشعراء فمما قاله بهاء الدين ابن الفخر عيسى الأربلى المنشىء فيه و فى الملك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٧٣

عز الدين عبد العزيز (بن جعفر النيسابورى) المذكور:

و لما قضى عبد العزيز بن جعفر و أردفه رزء النصير محمد

جزعت لفقدان الاخلاق و انبرت شؤونى كمرفض الجمان المبدد

و جاشت إلى النفس حزنا و لوعة فقلت تعزى و اصبرى فكأن قد»

و كان قال فى حوادث سنة ٦٥٨: «و فيها وضع نصير الدين الطوسى الرصد بمراغة و عين فيه جماعة يتولون عمله إلى أن انتجز فى سنة اثنتين و سبعين (و ستمائة)». و قال فى حوادث سنة ٦٦٢: «و فيها وصل نصير الدين محمد الطوسى إلى بغداد لتصفح الأحوال و النظر فى أمر الوقوف و البحث عن الأجناد و المماليك، ثم انحدر إلى واسط و البصرة و جمع من العراق كتبا كثيرة لأجل الرصد». و قال فيها: «و قبض على نجم الدين أحمد بن عمران الباجسرى و أخرج مكتوبا إلى ظاهر بغداد و نصبت هناك خيمة بها صاحب الديوان علاء الدين (الجوينى) و خواجه نصير الدين الطوسى (و جلال الدين) ابن الدويدار و جماعة من الأمراء فعمل له يارغو و قوبل على أمور إليه فوجب عليه القتل فقتل و أخذ ابن الدويدار مرارته ثم طيف برأسه على خشبة و نهبت داره و كان حسن السيرة ذا مروءة ..». و قال فى حوادث سنة ٦٧٢: «و فيها وصل السلطان أباقا خان إلى بغداد فى خدمة الأمراء و العساكر و خواجه نصير الدين الطوسى و عبر دجلة و تصيد فى أراضى قوسان حتى بلغ قريبا من واسط ثم عاد إلى بغداد و نزل بالمحول ... فلما انقضى الشتاء عاد إلى مقر ملكه و أما خواجه نصير الدين الطوسى فانه أقام ببغداد و تصفح أحوال الوقوف و أدرّ أخباز الفقهاء و المدرسين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٧٤

و الصوفية و أطلق المشاهرات و قزر القواعد في الوقف و أصلحها بعد اختلالها» .

و قال محمد باقر الخونساري: «الملك الرشيد و الملك النشيد و الملك المشيد سلطان المحققين و برهان الموحدين مولانا الخواجه نصير الملة و الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي - قدس سره القدوسي - هو المحقق المتكلم الحكيم، المتبحر الجليل صاحب تجريد العقائد و التعليم الكامل الزائد، كان أصله من جمهورود ساوه أحد أعمال قم ذات النقاوة و إنما اشتهر بالطوسي لأنه ولد بطوس المحروس و نشأ في ربه المانوس و تمتع هناك بسمع مجالس الدروس، و من جملة أمره المشهور المعروف المنقول استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران هلاكو خان بن تولى خان بن جنكيز خان من عظماء سلاطين التاتارية و أتراك المغول، و مجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد لإرشاد العباد و إصلاح البلاد و قطع دابر سلسلة البغي و الفساد و إخماد نائرة الجور و الإلباس بابداد (كذا) دائرة ملك بنى العباس و إيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغام إلى أن سال من دمائهم الأقدار كأمثال الأنهار بها في ماء دجلة و منها إلى نار جهنم (كذا) دار البوار، و محل الأشفياء و الأشرار، و قد كفيينا مؤونة تفصيل هذه الواقعة المشتته (كذا) بما رسمه أرباب التواريخ المعتبرة في أحوال السلاطين المغولية المسيطرة، مع أنه كان في الحقيقة يخرجنا عن طريق المقصود بالذات، و يدخلنا في مصاديق المشتغلين بما لا يعينهم من العمل بالذات و لا يغنيهم من الدخول في الزلات، فالأولى لنا التجاوز عن هذه المرحلة، و الإكتفاء بما خصني بالتكلم معي فيه رب النوع و صاحب السلسلة و المستوجب بعظيم حقه علينا من ربه صوب المغفرة، و من عبده صوب الرحمة و هو شيخنا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٧٥

الأعظم و سميينا الأجل الأفخم و سيدنا الفقيه الأعلم و الحبر المسلم صاحب كتاب مطالع الأنوار، حيث دخلت على حضرته المقدسة يوما و هو في مقام خلوته لا ينتظر لذة و لا نوما، فأخذ قدس سره الجليل - في توجيه الكلام معي من كل قبيل إلى أن انتهت النوبة إلى ذكر مقبولة: علماء أمتي كأنبيا بنى إسرائيل، فأطال الكلام، في بيان هذا المرام، و جعل يجول فرس تحقيقه، في ميادين النقض و الإبرام من لطائف معاني هذا الكلام، بل بجزّ ذيل صحبته المتفرقة نحو كل مجال، إلى أن قال في جملة ما أطال الناس من المقال: و كثيرا ما كنت أفكر في وجه توجه المرحوم الخواجه نصير الدين المذكور إلى جهة البلد المزبور (بغداد) في موكب ملك الجور و الزور و قبوله الوزارة من قبل ذلك المغرور، فتذكرت أنه - شكر الله سعيه و منه - لم يرد بين الله تعالى و بينه من رفع لواء هذه الهمة، و تحمل أعباء هذه الملة، إلا دخولا في زمرة علماء الأمة و مشيا على طريقة الأنبياء بعد الأئمة - عليهم من الله آلاف التحية و الرحمة - في إعلاء كلمة الحق، عند انتشار الظلمة و اشتداد غياهب الجهل كالغممة، و ترك التقيّة و الحذر من الحزب الحائرين في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و إجراء حدود الله تعالى عن القوم الفاجرين (كذا) و إقامة الجمعة و الجماعة بين الجماعات متجاهرين لا متدابرين مع أئمتنا التسعة المصطفين لم يكن تكليفهم كذلك بعد شهادة أبي عبد الله الحسين إلى أن يظهر إمامنا الحجة القائم - عليه و عليهم من الله السلام الدائم -.

ثم قال قدس سره المفضال: و كذلك الحال بالنسبة إلى سائر علمائنا العمال فمن كان منهم يريد أن يدخل في جملة مصاديق هذا الحديث فليكن حديثنا حديثا في نصر الشريعة المطهرة غير رثيث، و جسورا في نشر القوانين المقررة لا كفته أصحاب التأثيث (كذا) هذا و قد تقدم في ذيل ترجمه الشيخ أبي القاسم المحقق - رضی - ذكر ما وقع بينه و بين هذا الرجل من المحاورات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٧٦

و المباحثات و كان من جملة معاصريه السيد علي بن طاوس الحسنى الحلبي و الشيخ ميثم بن علي البحراني الآتي ذكره و ترجمته - إن شاء الله - و هما شريكاه في التلمذة عند الشيخ أبي السعادات الأصفهاني - المتقدم ذكره الشريف - . و عن بعض أفاضل المعتمدين أن مولانا الخواجه تلمذ عند الشيخ كمال الدين ميثم المذكور في الفقه، و الميثم تلمذ عنده في الكلام و الحكمة، و إن تنظر صاحب

اللؤلؤة في هذه الحكاية من جهة أن مولانا العلامة- أعلى الله مقامه- يقول عند ذكر مولانا الخواجه في نسخته إجازته الكبيرة لسادات بنى زهرة و كان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية و له مصنفات كثيرة في العلوم الحكمية و الشرعية على مذهب الإمامية و كان أشرف من شاهدناه في الأخلاق- نور الله ضريحه- قرأت عليه إلهيات الشفاء لأبي علي بن سينا و بعض التذكرة في الهياة، تصنيفه ثم أدركه الأجل المحتوم (إنتهى) و في نظره نظر لعدم منافاة أفضلية الرجل في العقليات حصولها من جهة تلمذها على ابن ميثم المذكور فليفتن. و من جملة مشايخه أيضا الشيخ معين الدين سالم بن بدران المصري، و قد قرأ عليه بنص نفسه جميع الجزء الثالث من كتاب الغنية لابن زهرة، و ذكر اسمه الشريف في إجازته له كما ذكره أيضا في اللؤلؤة بعنوان (الإمام الفاضل العالم الأكمل الأورع المتقن المحقق نصير الملة و الدين وجيه الإسلام و المسلمين سيد الأئمة و الأفاضل فخر العلماء و الأكابر و أفضل أهل خراسان محمد بن محمد بن الحسن الطوسي- زاد الله في علائه، و أحسن الدفاع عن حوائه- و من جملة شيوخ روايته أيضا الشيخ برهان الدين الهمداني الذي يروي عن الشيخ منجب الدين القمي صاحب الفهرست. و أما الرواية عنه- رضى- فهي أيضا لجماعة أجلاء منهم شيخنا العلامة- قدس سره البهي- كما قد عرفت، و منهم غياث الدين عبد الكريم بن طاوس المتقدم ذكره صاحب كتاب فرحة موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٧٧

الغرى و غيره مضافا إلى سائر تلاميذ حضرته المتعقب إلى أسمائهم الشريفة الأشارة من كلام صاحب مجالس المؤمنين. و أما مصنفاته الفائقة و مؤلفاته الرائقة، و هي أيضا كثيرة في أفانين شتى منها كتاب تجريد العقائد، المتقدم إلى ذكره التمجيد في مراتب المعرفة و التوحيد، و هو في الحقيقة كتاب شامل في شأنه كامل لجميع ما يحتاج الطالب إلى بيانه مع غاية إيجازه البالغة إلى حد السحر الحلال و الفارغة عما يوجب الضلال و الكلال و إن كان فيه نهاية الأشكال و الأعضاء و هو أولى ما كتب في العقائد الحققة الإمامية بهذا المنوال، و شرحه جماعة من الأعظم منهم العلامة الحلبي من علماء الشيعة و الشيخ شمس الدين الأصفهاني و المولى علي القوشجي الشافعي من غيرهم و منها كتاب التذكرة النصيرية في علم الهياة هو الذي شرحه نظام الدين حسن النيسابوري صاحب التفسير الكبير و منها تحرير أقليدس و كتاب تحرير المجسطي و شرح الأشارات، و الفصول النصيرية و الفرائض النصيرية و الأخلاق و الفصول النصيرية و الأخلاق الناصرية و قد استخلصه من كتاب الطهارة لأبي علي بن مسكويه المتقدم ذكره، كما أخذه أبو علي المذكور من حكماء الهند و غيرهم و لذا كان يوجد فيه الرخصة في شرب الخمر على وجه مخصوص منحوس- نعوذ بالله تعالى من أهواء النفوس و أدواء الرؤوس و كتاب آداب المتعلمين و رسالة الإسطراب المشهورة (بسى فصل) و رسالة في صفات الجواهر و خواص الأحجار و كتاب نقد المحصل و كتاب نقد التنزيل (كذا) و كتاب الزبدة و كتاب (خلافت نامه) و الرسالة المعينية مع شرحها جميعا بالفارسية في علم الهياة و رسالة خلق الأعمال و رسالة أوصاف الأشراف و كتاب قواعد العقائد و شرح رسالة العلم للشيخ جمال الدين علي بن سليمان البحراني أستاذ كمال الدين بن ميثم المذكور، و كان قد أرسلها إليه المصنف ليشرحها كما في اللؤلؤة و كتاب أساس الإقباس، و قد وجدت في بعض المواضع المعبرة نقل الفروق السبعة بين الكل و الكلي، عنه- رضى- في ذلك الكتاب و كتاب معيار الأشعار و رسالة الجبر و الإختيار و له أيضا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٧٨

إنشاء الصلوات و التحيات المشهورات على أشرف البريات، و عترته الطاهرين السادات، سرية الأثر في إنجاح المقاصد و كشف الملمات إلى غير ذلك من الحواشي و الرسائل و أجوبة الأرقام و المسائل و الأشعار و القصائد الفارسية و العربية. في كثير من المطالب و المشاكل، منها قصيدته اللامية المشهورة في اختيارات البروج الإثنى عشر لكل ما كان في النظر بالنسبة إلى انتقالات جرم القمر يقول في أولها:

هرمهي كآيد بتأييد خدای لم یزل، جرم مه در خانه مریخ یعنی در زحل

... و ينسب إليه أيضا هذه الرباعية في نظير هذا المعنى مختصرا:

اختيار هر چه خواهی هفت چیز آور بجای
و من شعره العربی فیما نسبه إليه صاحب أمل الآمل:
کنا عدما و لم یکن من خلل و الأمر بحاله إذا ما متنا
یا طول فنائنا و تبقى الدنيا لا الرسم یفی لنا و لا اسم المعنی
و منه أيضا قوله:

ما للمثال الذی ما زال مشتهر بالمنطقیین فی الشرطی تسدید
أما رأوا وجه من أهوی و طرته الشمس طالعة و اللیل موجود (کذا)
و منه أيضا بروایة غیره:

لو أن عبدا أتى بالصالحات غدا و دّ کل نبی مرسل و ولی
و صام ما صام صواما بلا ملل و قام ما قام قواما بلا کسل
و حج کم حج لله واجبة فطاف بالبيت حاف غیر منتعل (کذا)
و طار فی الجو لا یأوی إلى أحد و غاص فی البحر مأمونا من البلل
و أكسی الیتامی من الیدیاج کلهم و أطعمهم من لذیذ البرّ و العسل
و عاش ما عاش آلاف مؤلفة عار من الذنب معصوما من الزلل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٧٩ ما كان فی الحشر یوم البعث منتفعا إلا بحب أمير المؤمنین علی
قلت: و فی هذا المعنی الشریف مضمون کثیر من الأحادیث الإمامیة و غیرها. و من جملة ما ینسب إليه قوله بالفارسیة و هو: كما أفید
أرفع کلام فی التوحید ... هذا و من جملة کلامه الحقیق الرشید و الصادر عن معدن الحق و التحقیق فی تعیین الفرقة الناجیة من الفرق
الثلاث و السبعین، كما وقع فی حدیث سید المرسلین - صلی الله علیه و علی أهل بیته الطاهرین المعصومین بنقل فخر الدین ابن
العلامة (الحلی) فی شرح دیباجة القواعد عن والده القمقام أعلا الله مقامه قوله شکر نوله و طوله: الفرقة الناجیة هی الإمامیة و ذلك
أنی اعتبرت جمیع المذاهب و وقفت علی أصولها و فروعها فوجدت من عدد الإمامیة مشترکین فی الأصول المعتبرة فی الإیمان و إن
اختلفوا فی أشياء تساوی نفيها و إثباتها بالنسبة إلى الإیمان ثم وجدت أن الطائفة الإمامیة هم یخالفون الكل فی أصولهم فلو كانت
فرقة محمد عداهم ناجیة لکان الكل ناجین فدل علی أن الناجی هو الإمامیة لا غیر. و قال السید نعمه الله الموسوی الجزائري - أجزل
الله برّه بعد نقله لهذه العبارة و تحريره إن جمیع الفرق مطبقون علی أن الشهادتین و حدهما مناط النجاة تعویلا علی قوله - ص:-

من قال لا إله إلا الله دخل الجنة. أما هذه الفرقة الإمامیة فهم مجمعون علی أن النجاة لا تكون إلا بولاية أهل البيت إلى الإمام الثاني
عشر و البراءة من أعدائهم و هی مباينة لجمیع الفرق فی هذا الاعتقاد الذی تدور علیه النجاة.
و من هذا یظهر لك سر ما حققناه فی تأویل تلك الأخبار المطلقة من أنها مقيدة بشروط ...».

«و قال الشیخ أبو القاسم بن نصر البیان الفارسی الأنصاری ... فی کتابه بسلم السموات عند ذكره لهذا الرجل فی جملة من ذكره من
الحکماء أولى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٨٠

المقامات ... و من مصنفاته المشهورة کتاب تذرته فی علم الهیأة و شرحه الجدید علی إشارات الشیخ الرئیس فی المنطق و
الحکمتین و کتاب معنی التجرید فی علم الکلام و أصول العقائد ... و قال صاحب صحیفة الصفاء فی ذکر أهل الإجتباء و الإصطفاء
من بعد الترجمة له بما ترجمناه: کان من جملة غرس التحقیق فی الفلسفة و الرياضی و الکلام، ولد سنة ٥٩٧ و کان محبوسا فی حصن
الدیلم بأمر خورشید شاه القرمطی فلما غلبت الترك علیه و قتلوه و أخذوا حصن الدیلم أطلقوا الفیلسوف الإلهی من الحبس و أکرموه

لعلمه بالنجوم و كان في عداد وزرائهم و قصته مع ابن الحاجب مجعولة لبعد بعيد بين زمانيهما، توفي في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٦٧٢ و دفن بمقابر قريش.

له كتب معروفة في العقليات أشهرها رسالة تجريد العقائد إلى أن قال بعد تفصيله لسائر مصنفات الرجل: و كان جامعا بين مسلكي الإستدلال و العرفان، و للشيخ صدر الدين القونوي مساءلات إليه و له جواباتها ... إلى أن قال بعد نقله عبارة إجازة العلامة -رح- في حقه و بيان جملة من أشعاره العربية التي ذكرناها: يروي عن عدة من المشايخ منهم الشيخ ابن ميثم البحراني و الشيخ معين الدين (سالم) المصري و الشيخ فريد الدين دامانيسابوري، و يروي عنه جماعة منهم العلامة الحلبي و السيد عبد الكريم ابن طاوس و قطب الدين محمد بن مسعود الشيرازي و شهاب الدين أبو بكر الكازروني و (صح) بمعنى أنه ثقة صحيح الحديث ... و هذا و من جملة من ذكر أحوال الرجل أيضا هو الشيخ قطب الدين محمد الأشكوري فيما نقل عن كتابه الكبير الفارسي المتسم بمحجوب القلوب و المشتمل - كما حكى - عن وضعه المرغوب على كل غض مطلوب و كأنه هو الشيخ قطب الدين محمد بن محمد البويهى الرازي الآتي ذكره و ترجمته إن شاء الله في القسم الثاني صاحب كتاب المحاكمات و غيره أو المولى قطب الدين محمد بن علي الشريف الديلمي اللاهجي المنتسب إليه في الآمل مصنفات ... و بالجملة فتلخيص ما ذكره هذا الشيخ الأمين و قرّره أيضا صاحب مجالس المؤمنين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٨١

بناء على ما أخبره صاحب لؤلؤة البحرين أن هذا الرجل الإمام الذي قصة جنبه في البين (كذا) كان فاضلا محققا دانت له رقاب الأفاضل، من المخالف و المؤلف في خدمته لدرك المطالب المعقولة و المنقولة و خضعت جباه الفحول في عتبه لأخذ المسائل الفروعية و الأصولية و قد تلمذ في المعقولات على أستاذه فريد الدين دامانيسابوري عن السيد صدر الدين السرخسي نسبة إلى بلدة يقال لها سرخس و هو أخذ عن أفضل الدين الغيلاني من أهل غيلان و هو تلميذ أبي العباس اللوكوي نسبه إلى بلاد يقال لها لوكو، و اللوكوي من تلامذة بهمنيار و هو من تلامذة الشيخ أبي علي الرئيس. و قد قرأ الشيخ المذكور كتاب الأشارات على أستاذه فريد الدين المتقدم بالسند المتصل بمصنفه المذكور و قد شرحه المحقق بعد ذلك و كان فراغه من شرحه في أواسط شهر صفر سنة أربعين و ستمائة. و أما في المنقول فانه تلمذ على أبيه محمد بن الحسن و أبوه تلميذ فضل الله الراوندي و هو تلميذ السيد المرتضى و الشيخ الطوسي.

و كان مولده بمشهد طوس في يوم السبت حادي عشر جمادى الأولى وقت طلوع الشمس سنة سبع و تسعين و خمسمائة و نشأ بها و اشتغل بالتحصيل و قرأ على المشايخ المتقدم ذكرهم ثم اختلج في خاطره الشريف ترويح مذهب أهل البيت إلا أنه بسبب خروج المخالفين في بلاد خراسان و العراق مع استشهار مذهبه و اشتهار صيت فضله و كمالاته قد توارى في زاوية التقيّة و الاختفاء في الأطراف حتى علم بأحواله الرئيس ناصر الدين المحتشم حاكم قوهستان، من أفاضل الزمان و أعظم وزراء علاء الدين محمد ابن جلال الدين حسن ملك الإسماعيلية، فوجه بلطائف الحيل إلى المحقق المزبور ليتشرف بصحبته و اغتتم المحتشم صحبته و استفاد منه عدة فوائد و صنف المحقق الأخلاق الناصرية، و سماه باسمه و مكث عنده زمانا، و لما كان مؤيد الدين بن العلقمي الذي هو من أكابر الشيعة في ذلك الزمان وزير المستعصم الخليفة العباسي في بغداد أراد المحقق دخول بغداد و معارضته بما اختلج بخاطره من ترويح المذهب الحق بمعاونة الوزير المذكور و أنشأ قصيدة عربية في مدح المستعصم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٨٢

الخليفة و كتب كتابا إلى العلقمي الوزير ليعرض القصيدة على الخليفة و لما علم ابن العلقمي فضله و نبه و رشده خاف من قربه للخليفة أن تسقط منزلته عند المستعصم فكتب سرا إلى المحتشم: إن نصير الدين الطوسي قد ابتدأ بإرسال المراسلات و المكاتبات عند الخليفة و أنشأ قصيدة في مدحه و أرسلها حتى أعرضها عليه و أراد الخروج من عندك و هذا لا يوافق الرأي فلا تغفل عن هذا.

فلما قرأ المحتشم كتابه حبس المحقق فلما أراد الخروج إلى علاء الدين ملك الإسماعيلية بحصن الموت سحب المحقق معه محبوبا، فمكث المحقق عند الملك و كان أكثر أهل ذلك الحصن من الملاحدة، و أقام الخواجه معهم ضرورة مدة و كتب هناك عدة من الكتب منها تحرير المجسطى و فيه حل عدة من المسائل الهندسية ثم لما قرب إيلخان المشهور بهلاكوخان من أولاد جنكيز بقلع الإسماعيلية لفتح تلك البلاد خرج ولد الملك علاء الدولة من القلعة بإشارة المحقق سراً و اتصل بخدمة هلاكوخان فلما استشعر هولاءكو خان كونه لجأ عنده بإشارة المحقق و مشورته و افتتح القلعة و دخلها أكرم المحقق غاية الإكرام و الإعزاز و صحبه و ارتكب الأمور الكلية حسب رأيه، و إجازته، فرغبه المحقق - قدس سره - في تسخير عراق العرب، فعزم هلاكوخان على فتح بغداد و سخر البلاد و النواحي و استأصل الخليفة المستعصم العباسي ثم أمر هلاكوخان بالرصد و اختار محروسه مراغة من أعمال تبريز لبناء الرصد فرصد فيه و استنبط عدة من الآلات الرصدية و كان من أعوانه من العلماء و تلاميذه جماعة أرسل إليهم الملك هلاكوخان منهم العالم الأعلام العلامة قطب الدين محمود الشيرازي صاحب شرف الأشراف و الكليات و هو فاضل حسن الخلق و السيرة مبرز في جميع أجزاء الحكمة، محقق مدقق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٨٣

مفيد مستفيد في صحبة المحقق الطوسي و مؤيد الدين العرضي الدمشقي و كان متبحرا في الهندسة و آلات الرصد توفي بمرأه فجأة في سنة أربع (و) و ستمائة و فخر الدين و كان طبيبا فاضلا حاذقا و نجم الدين القزويني و كان فاضلا في الحكمة و الكلام و محيي الدين الأخلاطي و كان فاضلا مهندسا متبحرا في العلوم الرياضية و محيي الدين المغربي و كان مهندسا فاضلا في العلوم الرياضية و أعمال الرصد و نجم الدين الكاتب البغدادي و كان فاضلا في أجزاء الرياضى و الهندسة و علم الرصد كاتب مصورا، و كان من أحسن الخلائق خلقا، و ضبطوا حركات الكواكب و مات المحقق الخواجه و بان النقص في كتاب الزيج، و لنقصهم عن ذلك لم يتموه (إنتهى). و كان من قلة و فاء الملوك الجابرة و شدة جفائهم بالراكنين إلى مودتهم البائرة و سرعة قبولهم لسعاية السعاة الأراذل و لو في حق الأفاضل و السلوك مع أهالي الإحسان إليهم على خلاف ما يخيله الإنسان الغافل صدر ما صدر من الناصر المحتشم بالنسبة إلى جنابه المحترم حسبما عرفته من هذه العبارة على التفصيل، و من جملة ما يشهد بما ذكرناه ... ما ذكره بعض أرباب السير المعترف من أن السلطان هلاكوخان المذكور أيضا لم يبق مع حضرة الخواجه على ما كان بل تغير عليه قلبه و وجهه في عين زمن اشتغاله بأمر الرصد و انحطت مرتبته لديه فاتفق أن الملك كان ذات يوم في صف للسلام و الصلا العام (كذا) يذكر جنابه المقدس ببعض المساوى و يظهر عنه الشكايه مع رجال الدولة و يعدد خياناته معه إذ حضر ذلك الجناب عنده فلما رآه الملك صرف عنه وجهه و أظهر الكراهة من لقائه ثم التفت إليه بعد طويل من الزمان و قال له: هونا عليك يا رجل، مهلا يا فلان و حذرا و سكونا فلو لا أن أمر الرصد يبقى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٨٤

بفقدك باثرا لرأيت أنى بقتلك أمرا و لهتكك شاهرا. و قيل إن قطب الدين الشيرازي كان ثمة حاضرا ناظرا فلما سمع بعتابات الملك مع حضرة الخواجه إغتم الفرصة و قال من شدة عداوته الباطنية معه: أنا لاتمام أمر الزيج إن كان الرأى المبارك يقتضى شيئا في حق الرجل. فلم يجبه الملك بشيء و قام و تفرق المجلس، فلما خرجوا و تلاقى الخواجه المرحوم مع القطب الشيرازي في الطريق قال له على سبيل التجاهل عن سوء قصد و مكنون حسده و حقه: أما اتقيت الله في سفك دمي بيدي هذا المغولى المتقلب القتال حتى واجهته بمثل ما جئت من المقال و هو لا يدري بأنك أردت به الهزل و المفاكهة دون الجد و المبادهة. فقال القطب: و كيف لى بالهزل و المفاكهة مع جنابك و أى حد لى فى المبادرة إلى غير الجد بمحضرك أو غيابك. معرضا عليه - رضى - بأنه ما فعل ذلك إلا عن قصد و عداوة و بغض شديد و لا يبالي من أن يفعل به الخواجه بعد ذلك ما يريد. أقول: و هذه الحكاية تنافى بظاهر ما يقتضيه التوافى كون قطب الدين الشيرازي المعهود الذى هو يسمى بمحمود ابن مسعود تلميذا لمولانا الخواجه و آخذا منه سيره و منهاجه إلا

أنه ليس بأول قارورة كسرت في الإسلام و التعصب على المذهب مذهباً لوفاء من الأيام، كما قد نقل مثل هذه الخيانة أيضاً عن تلميذه الآخر نجم الدين علي بن عمر المعروف بديبران صاحب متن الشمسية و كتابي حكمة العين و جامع الدقائق و غيرها و أنه سأل يوماً حضرة الخواجه و هو في معركة القتال واضعاً إحدى رجليه على الركاب و الأخرى على الأرض عن أربعمئة مسألة من المعضلات و المشكلات الكلامية فأجابها جميعاً في مقدار نصف تقريباً فصار هذا سبباً لانحرافه عن المذهب الحق بعد ما كان من المائلين إليه، و وسوس إليه الشيطان بأن يقول في نفسه: إذا كان الرجل بهذه المثابة من الفهم و الذكاء و الحفظ و الإحتواء فلعله لبس علي أيضاً أمر المذهب بأمثال هذه الأمور- نعوذ بالله من سوء المنقلب و تقلبات الدهر الغرور ... و توفي- رضی- في دار السلام بغداد آخر نهار الإثنين المطابق ليوم عيد الغدير المبارك من شهور سنة إثنين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٨٥

و سبعين و ستمائة عن سبعة أشهر و خمس و سبعين سنة و دفن بالمشهد الكاظمي- على مشرفه السلام- في سرداب وجد هناك مرتباً معينا و بالغضارات الملبنة المنقشة بالألوان مزينا مكتوباً عليه (هذا قبر قداد خره الناصر لدين الله العباسي لنفسه، فلم يجعله الله له لأنه دفن في الرصافة) و نقش على لوح ذلك المرقد المنور الذي ما له في الشرف و الكرامة من مزيد حين دفن فيه هذا المولى العميد و الملك الرشيد بتقدير إلهنا العزيز الحميد (و كَلْبُهُمْ بِأَسِطِّ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ)، و نقل أنه قيل له- رضی- في مرض موته ألا توصي علي حمل جسدك إلى مشهد النجف الأشرف الأطهر؟ فقال: لا بل أستحي من وجه سيدي الإمام الهمام موسى بن جعفر- عليهما السلام- أن أمر بنقل جسدي من أرضه المقدسة إلى موضع آخر» .

و ذكره ابن العبري في تاريخه قال: «و في هذا التاريخ- يعني أواخر المائة السابعة- توفي خواجه نصير الدين الطوسي الفيلسوف صاحب الرصد بمدينة مراغة، حكيم عظيم الشأن في جميع فنون الحكمة و اجتمع إليه في الرصد جماعة من الفضلاء المهندسين و كان تحت حكمه جميع الأوقاف في جميع البلاد التي تحت حكم المغول و له تصانيف كثيرة منطقيات و طبيعيات و إلهيات و أوقليدس و مجسطي و له كتاب أخلاق فارسي في غاية ما يكون من الحسن جمع فيه جميع نصوص أفلاطون و أرسطو و الحكمة في الحكمة العملية و كان يقوى آراء المتقدمين و يحل شكوك المتأخرين و المواخذات التي قد أوردوا في مصنفاتهم و كان من الفضلاء في زمانه نجم الدين القزويني منطقي عظيم صاحب كتاب العين و مؤيد الدين العرضي و فخر الدين المراغي و قطب الدين الشيرازي و محيي الدين المغربي و من الأطباء المشهورين فخر الدين الأخلاطي و تقي الدين الحشائشي» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٨٦

و ذكره أبو علي في كتابه قال: «محمد بن محمد بن الحسن الطوسي ...

نصير الملة و الدين سلطان الحكماء من المتكلمين لا يحتاج إلى التعريف لغاية شهرته مع أنه كل ما يقال فيه فهو دون رتبته. و في الوجيزة: ثقة معروف.

و في النقد: روى عن أبيه محمد بن الحسن و كان أستاذ العلامة و روى عنه أحاديث و كان أصله من جهرود من توابع ساوة و الآن من توابع قم، له كتب، مات سنة اثنتين و سبعين و ستمائة ...»

و ترجمه الصفدي في تاريخه للتراجم: «محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين أبو عبد الله الطوسي الفيلسوف صاحب علوم الرياضيات و الرصد، كان رأساً في علم الأوائل، لا- سيما في الأرصاد و المجسطي فانه فاق الكبار، قرأ على المعين سالم بن بدران المصري المعتزلي الرافضي و غيره، و كان ذا حرمة و افرة و منزلة عالية عند هولاء و كان يطبعه فيما يشير به عليه و الأموال في تصريفه فابتنى بمدينة مراغة قبة و رصدا عظيما و اتخذ في ذلك خزانه عظيمة فسيحة الأرجاء و ملأها من الكتب التي نهبت من بغداد و الشام و الجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعمئة ألف جلد و قرر بالرصد المنجمين و الفلاسفة و الفضلاء و جعل لهم الجامكية، و كان حسن الصورة، سمحا كريما، جوادا حليما، حسن العشرة، عزيز الفضل جليل القدر داهية. حكى أنه لما أراد العمل للرصد رأى هولاء

ما ينصرف عليه فقال له: هذا العلم المتعلق بالنجوم ما فائدته؟ أيدفع ما قدّر أن يكون؟

فقال: أنا أضرب لمنفعته مثالا: القان يأمر من يطلع إلى هذا المكان ويدعه يرمى من أعلاه طست نحاس كبيرا من غير أن يعلم به أحد. ففعل ذلك فلما وقع ذلك كانت له وقعة عظيمة هائلة روّعت كل من هناك و كاد بعضهم يصعق. و أما هو و هولاء القوم فما تغير عليهما شيء لعلهما بأن ذلك يقع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٨٧

فقال له: هذا العلم النجومى له هذه الفائدة يعلم المتحدث فيه ما يحدث فلا يحصل له من الروعة و الاكتراث ما يحصل للذاهل الغافل عنه. فقال:

لا بأس بهذا. و أمره بالشروع فيه، أو كما قيل. و من دهائه ما حكى له أنه لما حصل له غضب على علاء الدين الجوينى صاحب الديوان فيما أظهر فأمر بقتله، فجاء أخوه إليه و ذكر له ذلك و طلب منه إبطال ذلك. فقال هذا القان و هؤلاء القوم إذا أمروا بأمر ما يمكن رده خصوصا إذا برز إلى الخارج. فقال له: لا بد من الحيلة فى ذلك. فتوجه إلى هولاء و بيده عكاز و سبحة و اسطرلاب و خلفه من يحمل مبخرة و بخورا و النار تضرم.

فرآه خاصة هولاء الذين على باب المخيم، فلما وصل أخذ يزيد فى البخور و يرفع الاسطرلاب ناظرا فيه و يضعه، فلما رآه يفعل ذلك دخلوا إلى هولاء و أعلموه و خرجوا إليه فقالوا: ما الذى أوجب هذا؟ فقال:

القان أين هو؟ قالوا له: جوا. قال: طيب معافى موجود فى صحبة؟

فقالوا نعم. فسجد شكرا لله تعالى و قال: طيب فى نفسه؟ قالوا: نعم.

و كرر هذا و قال: أريد أرى وجهه بعينى إلى أن دخلوا إليه و أعلموه بذلك، و كان وقت لا يجتمع فيه به أحد. فأمر بإدخاله. فلما رآه سجد و أطال السجود. فقال له: ما خبرك؟ قال: أقتفى الطالع أن يكون على القان قطع عظيم إلى الغاية، فقامت و عملت هذا و بخرت هذا البخور و دعوت بأدعية أعرفها أسأل الله صرف ذلك عن القان و يتعين الآن أن القان يكتب إلى سائر مماليكه و يجهز الألبية فى هذه الساعة إلى سائر ممالكه بإطلاق من فى الاعتقال و العفو عن له جناية أو أمر بقتله لعل الله يصرف هذا الحادث العظيم، و لو لم أر وجه القان ما صدقت. فأمر هولاء فى ذلك الوقت بما قال و أطلق صاحب الديوان فى جملة الناس. و لم يذكره النصير الطوسى، و هذا غاية فى الدهاء، بلغ به مقصده و دفع عن الناس أذاهم و عن بعضهم إزهاق أرواحهم. و من حلمه ما وقفت له على ورقة حضرت إليه من شخص (١) يعنى الاسماعيلى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٨٨

من جملة ما فيها يقول له: يا كلب يا ابن الكلب. فكان الجواب: و أما قوله كذا فليس بصحيح لأن الكلب من ذوات الأربع و هو نابح طويل الأظفار و أنا فمنتصب القامة بآدى البشرية عريض الأظفار ناطق ضاحك فهذه الفصول و الخواص غير تلك الفصول و الخواص. و أطال فى نقض كل ما قاله هكذا برطوبة و تأن غير منزعج و لم يقل فى الجواب كلمة قبيحة.

و رأيت له شعرا كتبه لكمال الدين الطوسى على مصنف صنفه المذكور و هو نظم منحط. و من تصانيفه كتاب المتوسطات بين الهندسة و الهيئة، و هو جيد إلى الغاية و مقدمة فى الهيئة و كتابا وضعه للنصيرى و أنا أعتقد أنه ما (كان) يعتقد أنه هذا فيلسوف و أولئك يعتقدون إلهية على. و اختصر المحصل للإمام فخر الدين (الرازى) و هذبه و زاد فيه و شرح الأشارات و ردّ فيه على الإمام فخر الدين فى شرحه و قال: هذا به جرح و ما هو شرح. قال فيه إني حررتة فى عشرين سنة و ناقض فخر الدين كثيرا. و لقد ذكره قاضى القضاة جلال الدين القزوينى - رح - يوما و أنا حاضر و عظمه - أعنى الشرح - فقلت: يا مولانا ما عمل شيئا لأنه أخذ شرح الإمام و كلام سيف الدين الأمدى و جمع بينهما و زاده يسيرا. فقال: ما أعرف للأمدى فى الأشارات شيئا. قلت: نعم كتاب صنفه و سماه (كشف التمويهات عن الأشارات و التنيهات). فقال: هذا ما رأيت. و من تصانيفه التجريد فى المنطق و أوصاف الأشراف و قواعد

العقائد و التلخيص فى علم الكلام و العروض بالفارسية و شرح الثمرة لبطليموس و كتاب مجسطى و جامع الحساب فى التخت و التراب.

و الكرة و الاسطوانة و المعطيات و الظاهرات و المناظر و الليل و النهار و الكرة المتحركة و الطلوع و الغروب و تسطيح الكرة و المطالع و تربيع الدائرة و المخروطات أو الشكل المعروف بالقطاع و الجواهر و الإسطوانة و الفرائض على مذهب أهل البيت و تعديل المعيار فى نقد تنزيل الأفكار و بقاء النفس بعد بوار البدن، و الجبر و المقابلة و إثبات العقل الفعال و شرح مسألة العلم و رسالة الإمامة إلى نجم الدين الكاتبي فى إثبات واجب الوجود و حواش على كليات القانون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٨٩

الجامع الصفوى فى الكاظمين كما هو فى العهد الصفوى تحف به قبور عدد من الاعلام و المشاهير

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٩٠

و رسالة: ثلاثون فصلا فى معرفة التقويم، و كتاب (اكراماء نالوس و إكرانا و ذوديوس و الزيج الايلخانى، و له شعر كثير بالفارسية، و قال الشمس ابن المؤيد العرضى: أخذ النصير العلم عن الشيخ كمال الدين ابن يونس الموصلى و معين الدين سالم بن بدران المصرى المعتزلى و غيرهما قال: و كان منجما لأبغا بعد أبيه و كان يعمل الوزارة لهولاكو من غير أن يدخل يده فى الأموال، و احتوى على عقله حتى أنه لا- يركب و لا- يسافر إلا- فى وقت يأمر به. و دخل عليه مرة و معه كتاب مصور فى عمل الدرياق الفاروق فقراه عليه و عظمه عنده و ذكر منافعه و قال: إن كمال منفعته أن تسحق مفرداته فى هاون ذهب.

فأمر له بثلاثة آلاف دينار لعمل الهاون. و ولاه هولالكو جميع الأوقاف فى سائر بلاده، و كان له فى كل بلد نائب يستغل الأوقاف و يأخذ عشاها و يحمله إليه ليصرفه فى جامكيات المقيمين بالرصد و لما يحتاج إليه من الأعمال بسبب الأرصاد و كان للمسلمين به نفع عظيم خصوصا الشيعة و العلويين و الحكماء و كان يبرهم و يقضى أشغالهم و يحيى أوقافهم. و كان مع هذا كله فيه تواضع و حسن ملتقى، قال شمس الدين الجزرى قال حسن بن أحمد (الأربلى) الحكيم صاحبنا سافرت إلى مراغة و تفرجت فى هذا الرصد و متوليه صدر الدين على بن الخواجا نصير الدين الطوسى و كان شابا فاضلا فى التنجيم و الشعر بالفارسية و صادفت شمس الدين محمد بن المؤيد العرضى و شمس الدين الشروانى و الشيخ كمال الدين الايكى و حسام الدين الشامى فرأيت فيه من آلات الرصد شيئا كثيرا منها ذات الحلق و هى خمس دوائر متخذة من نحاس الأول دائرة نصف النهار و هى مركوزة على الأرض، و دائرة معدل النهار، و دائرة منطقة البروج، و دائرة العرض، و دائرة الميل و رأيت الدائرة الشمسية يعرف بها سمت الكواكب و اصطرابا تكون سعة قطره ذراعا و اصطرابا كثيرة، و كتبا كثيرة. قال: و أخبرنى شمس الدين ابن العرضى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٩١

ان نصير الدين أخذ من هولالكو بسبب عمارة هذا الرصد ما لا يحصيه إلا الله، و أقل ما كان يأخذه بعد فراغ الرصد لأجل الآلات و إصلاحها عشرون ألف دينار خارجا عن الجوامك و الرواتب التى للحكماء و القوم. و قال نصير الدين الطوسى فى الزيج الإيلخانى: إننى جمعت لبناء الرصد جماعة من الحكماء منهم المؤيد العرضى من دمشق و الفخر المراغى الذى كان بالموصل، و الفخر الخلاطى الذى كان بتفليس و النجم ديران القزوينى و ابتدأنا بنائه فى سنة سبع و خمسين و ستمائة فى جمادى الأولى بمراغة، و الأرصاد التى بنيت قبلى- و عليها كان الإعتماد دون غيرها- هو رصد برجس و له مذ بنى ألف و أربعمائة سنة و بعده رصد بطليموس بمائتى سنة و خمس و ثمانين سنة، و بعده فى مله الإسلام رصد المأمون ببغداد و له أربع مائة سنة و ثلاثون سنة و الرصد البتافى فى حدود الشام و الرصد الحاكمى بمصر و رصد بنى الأعلم ببغداد، و أوقفها الرصد الحاكمى و رصد ابن الأعلم و لهما مائتان و خمسون سنة. و قال الأستاذون: إن أرصاد الكواكب السبعة لا يتم فى أقل من ثلاثين سنة لأن فيها يتم دور هذه السبعة، فقال هولالكو:

أجهد فى أن يتم رصد هذه السبعة فى اثنتى عشرة سنة. فقلت:

أجهد في ذلك. و كان النصير قد قدم من مراغة إلى بغداد و معه جماعة كثيرة من تلامذته و أصحابه فأقام بها مدة أشهر و مات و خلف من الأولاد صدر الدين عليها و الأصيل حسنا و الفخر أحمد. و ولي صدر الدين على بعد أبيه غالب مناصبه فلما مات ولي مناصبه أخوه الأصيل و قدم الشام مع غازان و حكم تلك الأيام في أوقاف دمشق و أخذ منها جملة و رجع مع غازان و ولي نيابة بغداد مدة فأساء السيرة فعزل و أهين فمات غير حميد و أما أخوهما الفخر أحمد فقتله غازان لكونه أكل أوقاف الروم و ظلم. و مولد النصير بطوس سنة سبع و تسعين و خمسمائة. توفي في ذي الحجة سنة اثنتين و سبعين و ستمائة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٩٢

ببغداد و قد نيف على الثمانين أو قاربها و شيعه صاحب الديوان (علاء الدين عطا ملك الجويني) و الكبار و كانت جنازته حفلة و دفن في مشهد الكاظم.

قال مصطفى جواد: هكذا فلتكن التراجم و إلما فلا، و قد نقلها ابن شاعر الكتبي من الوافي إلى كتابه و لم يزد من عنده إلا قوله في آخر الترجمة «رحمه الله تعالى أمين» و لم يشر إلى مرجعه الوافي و هذه عادته في أكثر تراجمه.

و ترجم له قطب الدين موسى بن محمد اليونيني في وفاته سنة ٦٧٢ من تاريخه قال: محمد بن محمد بن الحسن أبو عبد الله نصير الدين الطوسي صاحب علوم الرياضة و الرصد و غير ذلك من علوم الأوائل، كان إماما منفردا بذلك، فاق أهل مصره و انتهت إليه معرفه هذا الشأن و توفي بالجانب الغربي من بغداد يوم الاثنين ثامن عشر ذي الحجة و دفن في مقابر موسى ابن جعفر - رحمه الله عليهما - و قد نيف على ثمانين سنة، و قيل كانت وفاته في صفر سنة أربع و سبعين و الأول أظهر - رحمه الله - قرأ العلم على المعين سالم بن بدران بن علي المعتزلي المتشيع المصري و غيره و كانت له مصنفات كثيرة في أنواع من العلوم العقلية و إليه المرجع فيها و له أشعار كثيرة فمن ذلك ما كتبه من شعره على مصنف في أصول الدين لكمال الدين الطوسي، سيّره إليه ليجيب عن مسائل فيه سأله إياها فأجاب عنها أحسن جواب و مده بهذه الأبيات:

أتاني كتاب في البلاغة منته إلى غاية ليست تقارب بالوصف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٩٣ فمنظومه كالدرد جاد نظامه و منشوره مثل الدراري في اللطف

دقيق المعاني في جزالة لطفه يخبر في ضم الغموض إلى الكشف

كغاية حار العقول بحسنها فمرض عيناها و مثلها يشفي (كذا)

أتى عن كبير ذي فضائل جمه علم بما يبدي الحكيم و ما يخفي

فأصبحت مشتاقا إليه مشاهد بقلبي مخباه و إن عزّ في طرفي

رجا الطرف أيضا فالقواد لقاوه و أن لا يوافي قبل إدراكه حتفي

قرأت من العنوان لما فتحت و قبلت تقبيلًا يزيد على ألف

و لما بدا لي ذكركم في مسامعي تعشقكم قلبي و لم يركم طرفي

و صادفت هذا البيت في شرح قصتي و إيضاح ما عانيته جملة، يكفي

وردت رساله شريفه، و مقاله لطيفه، مشحونه بفرائد الفوائد، مشتمله على صحائف اللطائف، مستجمعه لغرائس النفائس، مملوءه من زواهر الجواهر من الجناب الكريم السيدى العالمى الفاضلى السندى المحققى المدققى الكمالى - أدام الله جماله و حرس كماله - إلى الواعى الضعيف المحروم المتلهف محمد بن الطوسى فاقتبس من شرار ناره نكت الزبور و آنس من جانب جناب طوره أثر النور، فوجدتها بكرًا حلت حله كريمة، و صادفتها صدفة تضمّنت درة يتيمة و هى أوراق مشتملة على رسائل فى ضمنها مسائل أرسلها و سأل عنها من كان أفضل زمانه، و أوحّد أقرانه، الذى نطق الحق على لسانه، و لوح الحقيقة من بنانه، و رأيت المورد - أدام الله فضله - قد سألتنى الكلام فيها، و كشف القناع عن مطاويها، و أين أنا من المبارزة مع فرسان الكلام، و المعارضة مع البدر عند التمام، و كيف

يصل الأعرج إلى قلعة الجبل المنيع، و أتى الظالع شأو الضليع، و لكنى بحرصى على طلب التوصل الروحانى بإجابة سؤاله، و شغفى بنيل التوصل الحقيقى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٩٤

لديه بإيراد الجواب عن مقابلة إجترأت فامتلت أمره و اشتغلت بمرسومه فإن كان موافقا لما أراد فقد أدركت طلبى و إلا فليعذرنى إذ قدمت معذرتى؛ و الله المستعان، و عليه التكلان، و الأخذ فى تصفح الرسالة فصلا فصلا و تقرير ما يتقرر عندى منه أو يرد على مستعينا بالله و متوكلا عليه إنه الموفق المعين» .

و ذكره ابن كثير فى وفيات سنة ٦٧٢ قال: «النصير الطوسى محمد ابن عبد الله (كذا) الطوسى، كان يقال له المولى نصير الدين و يقال:

الخوaja نصير الدين، اشتغل فى شببته و حصل علم الأوائل جيدا و صنف فى ذلك فى علم الكلام و شرح الأشارات لابن سينا و وزر لأصحاب قلاع الألموت الإسماعيلية و وزر لهولاكو و كان معه فى واقعه بغداد و من الناس من يزعم أنه أشار على هولاكو بقتل الخليفة فالله أعلم و عندى أن هذا لا يصدر عن فاضل عاقل، و قد ذكره بعض البغاة فأثنى عليه و قال: عاقلا فاضلا كريم الأخلاق و دفن فى مشهد موسى بن جعفر فى سرداب كان أعد للخليفة الناصر لدين الله، و هو الذى كان قد بنى الرصد بمراغة و رتب فيه الحكماء من الفلاسفة و المتكلمين و الفقهاء و المحدثين و الأطباء و غيرهم من أنواع الفضلاء و بنى له فيه قبة عظيمة و جعل فيها كتبا كثيرة جدا. توفى ببغداد فى ثامن عشر ذى الحجة من هذه السنة و له خمس و سبعون سنة و له شعر جيد قوى و أصل اشتغاله على المعين سالم بن بدران ابن على المصرى المعتزلى المتشيع فنزع فيه عروق كثيرة منه حتى أفسد اعتقاده». و كان هذا المؤرخ قد قال فى حوادث سنة ٦٥٧: «و فيه عمل الخوaja نصير الدين الرصد بمدينة مراغة و نقل إليه شيئا كثيرا من كتب الأوقاف التى كانت ببغداد و عمل دار حكمه و رتب فيها فلاسفة و رتب لكل واحد فى اليوم و الليلة ثلاثة دراهم و دار طب فيها للطبيب فى اليوم درهمان و مدرسة لكل فقيه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٩٥

فى اليوم درهم و دار حديث لكل محدث نصف درهم فى اليوم» .

و قال ابن حبيب فى وفيات سنة ٦٧٢ و سجع له كعادته: «و فيها توفى الخوaja نصير الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن الطوسى، و كان جزيل الفضائل، طيب علل المسائل، كنز دقائق الدلائل، علما زاهرا، فى علم الأوائل، شرح كتاب الأشارات و غيره، و حسن فى طرق الرئاسة سراه و سيره، و باشر وزارة القان هولاكو و تقدم عنده، أنشأ الرصد بمراغة و بذل فيه جهده، و كانت وفاته ببغداد عن خمس و سبعين سنة- تغمده الله برحمته-»

و قد كان قال فى سنة ٦٥٧: «و فيها بنى الرصد بمدينة مراغة بإشارة الخوaja نصير الدين أبى عبد الله الطوسى، و اجتهد فى بنائه و عمارته، و أقامه شاهدا على تمكنه فى وزارته و هو مشتمل على دار الطلبة الحديث و مدرسة للفقهاء و مقر حكمه للفلاسفة و مجلس للأطباء، و رفع قواعده، و شيد معالمه و معاهده، و ثابر على تحسين عقده المنظوم، و رتب لأهله ما يكفيهم من المعلوم، و نقل إليه كثيرا من الكتب الموجودة ببغداد، و جعله حسبا على مستحقه إلى أن يرث الله البلاد و العباد» .

و ذكره ابن العماد الحنبلى فى تاريخه قال فى وفيات سنة ٦٧٢: «و فيها أبو عبد الله نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن، كان رأسا فى علم الأوائل، ذا منزلة من هولاكو. قال العلامة شمس الدين ابن القيم فى كتابه إغاثة اللهفان من مكاييد الشيطان، ما لفظه: لما انتهت النبوة إلى نصير الشرك و الكفر و الإلحاد وزير الملاحدة النصير الطوسى وزير هولاكو شفى نفسه من أتباع الرسول و أهل دينهم فعرضهم على السيف حتى شفى إخوانه من الملاحدة و اشتفى هو فقتل الخليفة و القضاء و الفقهاء و المحدثين و استبقى الفلاسفة و المنجمين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٩٦

و الطبايعيين و السحرة، و نقل أوقاف المدارس و المساجد و الربط إليهم و جعلهم خاصته و أوليائه و نصر في كتبه قدم العالم و بطلان المعاد و إنكار صفات الرب- جل جلاله- من علمه و قدرته و حياته و سمعه و بصره و اتخذ للملاحدة مدارس و رام جعل إشارات إمام الملحدين ابن سينا مكان القرآن فلم يقدر على ذلك فقال: هي قرآن الخواص، و ذلك قرآن العوام، و رام تغيير الصلاة و جعلها صلاتين فلم يتم له الأمر، و تعلم السحر في آخر الأمر فكان ساحرا يعبد الأصنام. (إنتهى بلفظه) توفي في ذى الحجة ببغداد و قد نيف على الثمانين» .

و هذه الترجمة تمثل بذاء لسان ابن القيم الذي شحنها بالأباطيل و الأضاليل مما ليس له صلة بسيرة هذا الحكيم الفاضل الفلكي الكامل، قال الخونساري في ذكر بعض كتبه: «و أورد النصير الطوسي في كتابه هذا برهانا على حدوث عالم الأجسام بهذه العبارة: و الأجسام كلها حادثه لعدم انفكاكها من جزئيات متناهية متناسبة فانها لا تخلو عن الحركة و السكون و كل منهما حادث و هذا ظاهر» . و كتابه قواعد العقائد يدل على أنه كان مؤمنا صادق الايمان.

و لم يكن له دخل في قتل المستعصم بالله و إن ادعى ذلك من لا علم له فالمستعصم قتل بحسب قانون جنكيز خان الذي كان يجرى عليه هولاء من قتل المخالفين له و استئصالهم من غير رحمة و لا استثناء و كذلك كانوا يفعلون أولئك الطغاة الكافرون، و هولاء هو الذي أجبره على مصاحبته، و كان يستطيع قتله في كل لحظة و قد ذكرنا خبر انحرافه عنه و غضبه عليه في آخر حياته و تهدده إياه بالقتل.

عدد من المقبورين

١٣٤- و جماعة من السادة كانوا مقبورين في بغداد فنقلوا إلى مشهد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٩٧

الإمام موسى بن جعفر-ع- في سنة ٦٧٧ قال مؤلف الحوادث في أخبار هذه السنة: «و فيها رأى الناس في الليلة التاسعة من شهر رمضان بظاهر بغداد نورا متصلا بالسماء و في صبيحتها قال بعضهم إنه رأى قبرا فيه أحد أولاد الحسن بمحلة الهروية فانها الناس لزيارته ثم شرعوا في عمارته و تواتر بعد ذلك أخبار العوام برؤية المنامات و كثرة الظواهر و تحدثوا بقيام الزمنى و المرضى و فتح أعين الأضرأ، و نقل قوم عن قوم أشياء لا- أصل لها غير أهوية العوام، و بطل الناس من معاشهم و أشغالهم بسبب ذلك. فتقدم صاحب الديوان (علاء الدين الجويني) في نقل كل من يوجد له قبر إلى مشهد موسى ابن جعفر- عليهما السلام- ففعلوا ذلك و سكن العوام» .

سنة ٦٨٠ هـ

١٣٥- و عماد الدين أبو ذى الفقار محمد بن الأشرف ذى الفقار بن أبي جعفر محمد بن أبي الصمصام ذى الفقار بن الحسن بن أحمد بن حميدان بن إسماعيل بن يوسف بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٩٨

الحسنى المرندى الشافعى المدرس. ذكره ابن الفوطى في الملقبين بعماد الدين و قال: «كان شيخا فاضلا زاهدا قدم بغداد في شعبان سنة ثلاثين و ستمائة و أنزل في رباط الخلاطية و لما فتحت المدرسة المستنصرية في رجب سنة إحدى و ثلاثين (و ستمائة) رتب فقيها بها ثم عين عليه شرف الدين إقبال الشرايى مدرسا لمدرسته التى أنشأها بواسطة سنة ثمان و أربعين فانحدر إليها و درس، و لما فتحت المدرسة المستنصرية بعد الواقعة سنة سبع و خمسين و ستمائة عين عليه مدرسا بها و كان قد اشتغل على جده أبو الصمصام و

سمع صحيح البخارى على محمد بن القطيعي و كتب لى الاجازة و اجتمعت بخدمته لما قدمت من مراغة، و توفي فى شعبان سنة ثمانين و ستمائة و دفن فى حضرة الإمام موسى بن جعفر، و مولده بمرند سنة ست و تسعين و خمسمائة» .
و جاء فى كتاب الحوادث سنة ٦٤٨ هـ: «و فيها رتب شرف الدين إقبال الشرابي عماد الدين أبا ذى الفقار العلوي مدرسا بالمدرسة التى أنشأها بواسط.

حكى أنه لما حوّدث الشرابي فى ترتيبه دخل أحد الخدم و قال له: قد رأيت الليل مناما، فسأله عنه، فقال: رأيت عليا- عليه السلام- و معه سيف فى غمد أخضر و قد ناوله إياك و قال لك: هذا ذو الفقار، فأذن فى ترتيبه» و ذكر فى حوادث سنة ٦٧٤ تأخر وقوع الغيث و خروج الناس للاستسقاء ظاهر بغداد و خطب الخطباء و منهم الشيخ عماد الدين أبى ذى الفقار مدرس الشافعية بالمدرسة المستنصرية» . و استطرّد إلى ذكره ابن الفوطى فى ترجمه كمال الدين أبى بكر مدنى بن صديق بن محمود المرجى مرتب الشافعية بالمستنصرية قال: «لبس خرقة التصوف من يد شيخنا السيد المعظم عماد الدين أبى ذى الفقار محمد بن ذى الفقار الحسنى المرندى مدرس المستنصرية» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٣٩٩

سنة ٦٨١ هـ

١٣٦- و كمال الدين محمد بن محمد بن محمود بن النجيب الواسطى الشرقى أبو البدر بن أبى طالب الشافعى المعدل، ذكره ابن رافع فى ذيل تاريخ ابن النجار كما دل عليه اختصار مختصره تقى الدين الفاسى، قال:
«نزىل بغداد سمع من أبى بكر محمد بن مسعود بن بهروز مسند عبد بن حميد و من أبى بكر محمد بن سعيد بن الموفق ابن الخازن مسند الشافعى و حدث، سمع منه أبو العلاء (محمود بن أبى بكر) الفرضى و ذكره فى معجمه و قال: كان شيخا فقيها عالما فاضلا عدلا، سمع بواسط جماعة و قدم بغداد فى سنة ٦٢٥ و تفقه بالمدرسة النظامية (إنتهى) و قال ابن الفوطى: لم أسمع منه شيئا و أجاز لى جميع مسموعاته. مولده سنة ٦٠٣ و قال غيره: بشرقى واسط. و توفي ليلة الجمعة ثالث ذى الحجة سنة ٦٨١ و صلى عليه من الغد بجامع القصر الشريف و دفن بمشهد باب التبن بمقابر قريش غربى بغداد» .

سنة ٦٨٥ هـ

١٣٧- و شرف الدين ذو الفقار بن محمد بن أشرف بن أبى جعفر محمد ابن أبى الصمصام بن الحسن بن أحمد بن حميدان بن إسماعيل بن يوسف ابن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب القرشى أبو جعفر بن أبى عبد الله العلوى الحسنى، ذكره ابن رافع فى ذيل تاريخ ابن النجار كما دل عليه اختصاره لتقى الدين الفاسى، قال: «سمع من أبى بكر محمد بن سعيد الخازن مسند الشافعى و معجم الإسماعيلى و من إبراهيم بن عثمان الكاشغرى و أبى إسحاق إبراهيم بن إسحاق المكناسى.

قرأت بخط ابن الفوطى عنه: السيد العالم مدرس المستنصرية للشافعية، كتبت عنه و كان كريم الصحبة، جميل الأخلاق، توفي يوم الجمعة السابع و العشرين من شعبان سنة ٦٨٥ و دفن عند والده بالمشهد الكاظمى و شيعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٠٠

قاضى القضاة و الجماعة إلى مدفنه. و أجاز لأبى محمد عبد العزيز البغدادى و للحافظ علم الدين البرزالى (إنتهى) مولده بخوى من أذربيجان فى صفر سنة ٦٢٣ هـ .

و قال السيوطى: «ذو الفقار بن محمد بن أشرف بن محمد أبو جعفر العلوى الحسنى الشافعى قال الذهبى: نحوى سمع ببغداد من

الكاشغرى و ابن الخازن و درس بالمستنصرية. ولد سنة ثلاث و عشرين و ستمائة، و مات فى شعبان سنة خمس و ثمانين (و ستمائة). قال مصطفى جواد: لم يكن نحويا بل كان فقيها شافعيًا.

سنة ٦٩٤ هـ

١٣٨- و فخر الدين أبو الليث المظفر بن محمد بن جعفر ابن الطراح الشيباني العراقي الصدر الأديب الشاعر. ذكره ابن الفوطى فى الملقبين بفخر الدين فى كتاب الألقاب قال: «فخر الدين أبو الليث المظفر بن محمد بن جعفر الشيباني العراقي يعرف بابن الطراح الصدر الأديب، الصدر الكريم و الفاضل العليم الذى طار صيته فى أقطار الآفاق بالكرم و الأدب و مكارم الأخلاق، و لى الولايات الجليلة منها صدرية و اسط و صدرية الحلء، فوض إليه أعمال الحلء و نهر الملك فى شعبان سنة سبع و ثمانين (و ستمائة) و كان شجاعا، له فى قتال الأعراب الخارجين عن سنن الصواب اليد البيضاء، و لى و اسط فى شهر ربيع الأول سنة أربع و تسعين و ستمائة فبقى إلى سابع عشرى شعبان و وصل الملك نور الدين (عبد الرحمن بك تاشان) و معه بروجى متقدم الكلجية فأخذه محاذى برت مرتا و دوشخه، و أخذ نوابه و أتى به إلى بغداد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٠١

فوكل به بالمستجد ستة عشر يوما و أخرج فى بكرة نهار الخميس رابع عشر رمضان و حمل إلى الديوان و رجمه فى الطريق أولاد حصية العلويون و بقى ثلاث ليال و قتل، و صلب نائبه جلال الدين ابن هاشم على جسر و اسط» .

و قال مؤلف الحوادث فى أخبار سنة ٦٩٤: «ثم إن جمال الدين الدستجردانى تقدم إلى نور الدين عبد الرحمن (بن تاشان) نائبه ببغداد بأخذ فخر الدين مظفر بن الطراح صدر و اسط و البصرة و قتله، فانحدر إلى و اسط و قبض عليه و على أصحابه ثم دوشخ و طوق و أسمع كل قبيح و أخذ خطه بأنه وصل إليه شىء كثير من الأموال و أشهد عليه بذلك القاضى و العدول ثم حمله إلى بغداد و وكل به أياما ثم ضرب و عوقب و قتل و حمل رأسه إلى و اسط و علق على الجسر بعد أن طيف به فى شوارعها و سوقها ... و دفنت جثته فى مشهد موسى بن جعفر -عليهما السلام- و كان قد تجاوز فى العمر ستين سنة».

و قال مؤلف الحوادث أيضا: «و كان جوادا سخيا كريما ذا ناموس عظيم و سياسة يخافه الأعراب و سائر الرعايا، خدم فى أعمال العراق كلها و ناب فى صباه عن نجم الدين بن المعين فى الحلء ثم و لى ناظر طريق خراسان و ناب عن الملك فخر الدين منوچهر ابن ملك همدان فى و اسط، فلما سافر إلى بلاده استقل بالحكم فيها، و أضيف إليه قوسان و البصرة ثم عزل و رتب صدرا بالحلء و السيب ثم عزل و أعيد إلى و اسط مرة أخرى ثم عزل و أعيد صدرا بالحلء و السيب ثم نقل فى هذه السنة إلى صدرية و اسط و قوسان و البصرة و آلت حالته إلى القتل ... و كان يقول الشعر الجيد و له أشعار كثيرة مدح بها الصاحب علاء الدين بن الجوينى و أخاه شمس الدين و آخر ما قاله و هو فى السجن بدار النيابة ببغداد قبل أن يقتل أيام، و وجدت بخطه:

القول فيما مضى من عمرنا هدر فده و اصبر لما يأتى به القدر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٠٢ و استشعر الصبر إن نابتك نائبة فالصبر أجمل ما حلّى به البشر

و لا ترعك من الأيام منقصة فشيمة الدهر فى أبنائه الغير

فالشمس كم كسفت بعد البهاء و كم أمسى حليف خسوف مثلها القمر

و بعد أن كسفا و الله مقتدر عادا و نورهما يعيشو له البصر

فلا تضق خلقا من نعمه سلبت فالمال يرجع و الرزاق مقتدر

فكم مددت يدا بالعرف باسطة و كم قضى لى فى بذل اللهى و طر

و مثلما زال ذاك البشر و انقبضت كف السرور يزول الهم و الفكر

و إن أر الآن بعد النطق ذا حصر فسوف يذهب عنى العى و الحصر
و إن تصبنى سهام الخطب نافذة فلم تزل أسهم الأيام تعتذر
و كل حادثه فى الدهر هينة إذا غدا سالما فى طيها العمر
قل للعنة من الغابات و يحكم طيبوا فقد فقد الرئالة الذمر
و قل لبيض السيوف المرهفات لدى الأعماد قرى فقد أودى به القدر
مضى المظفر ليث الغاب عن كذب فليهن أعداءه من بعده الظفر

و توفى نور الدين عبد الرحمن بعد قتله بمدة شهرين ... و لما قبض على فخر الدين بن الطراح رجم بعض أصحابه قيل إنه زنى بامرأة
و صلبت امرأة بادية العورة قيل عنها إنها استودعت رحلا لبعض أصحاب ابن الطراح .

و كان قتل المظفر ابن الطراح فى أول حكم السلطان غازان بن أرغون ابن أباكو بن هولاکو بن تولى بن جنكيز خان. و أخبار المظفر
ابن الطراح مذكورة فى الحوادث كنيابته فى حكم أعمال واسط سنة ٦٦٠ «ص ٣٤٩» و ترتيبه صدرا بالحلة و الكوفة و السيب سنة ٦٧٣
«ص ٣٨٣» و ولاية الأعمال الواسطية فى سنة ٦٧٧ «ص ٤٠٤» و إعادته إليها بعد عزله و ذلك سنة ٦٨٠ «ص ٤١٨» و ذكر فى أخبار
المدعى أنه نائب صاحب الزمان، قال مؤلف الحوادث فى سنة ٦٨٣: «و فى شهر رمضان من هذه السنة ظهر فى سواد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٠٣

الحلة رجل يعرف بأبى صالح ادعى أنه نائب صاحب الزمان و قد أرسل إليه أن يعلم الناس أنه قد قرب ظهوره، و استغوى الجهال
بذلك و انضم إليه خلق كثير من الناس فقصد بلاد واسط و نزل بموضع يسمى بلد الدحلة من معاملاتها و أخذ من أموال الناس شيئا
كثيرا و سار إلى قرية كبيرة من واسط تعرف بالأرحاء و راسل صدر واسط فخر الدين ابن الطراح بأن يخرج إليه فقال لرسوله: قل له
يرحل عن موضعه و يحفظ نفسه و متى تأخر أنفذت العسكر لقتاله، فرحل و قصد الحلة فأرسل إلى صدرها ابن محاسن يستدعيه إليه
فأخرج ولده فى جماعة من العسكر فالتقوا و اقتتلوا قتالا شديدا فقتل ابن محاسن و جماعة من أصحابه و انهزم الباقون، فكتب والده
الحكام ببغداد يعرفهم بذلك فركب شحنة العراق و سار إليه. و أما أبو صالح فانه قصد قبة الشيخ البقلى بناحية النجمية من قوسان
فقتل كل من بها من الفقراء و الصالحين و نهب أموال أهل الناحية فوصل شحنة العراق بعساكره إليه و أحاط به و بأصحابه و وضع
السيف فيهم فلم ينج منهم إلا نفر يسير و حمل رأس أبى صالح و أصحابه إلى بغداد، و كفى الله شره، و لما رحل أبو صالح من
واسط ظهر فى قرية من قراها تعرف بقرية الشيخ رجل اسمه (شامى) ادعى ما ادعاه أبو صالح و أمر الناس بالمعروف و نهاهم عن
المنكر فمال الناس إليه و تاب خلق كثير على يده و اعترف قوم بالقتل و غيره و سألوا أن يقتص منهم و اعترف آخرون أنهم (سرقوا)
مال فلان و فلان يوم كذا، فكثر جمعه، فأرسل فخر الدين ابن الطراح إليه ينهاه عن فعله و يتهدده فلما اتصل به ما جرى لأبى صالح
هرب و التجأ إلى العرب و تفرق جمعه» .

و ذكر مؤلف الحوادث عزل المظفر ابن الطراح عن الأعمال الواسطية سنة ٦٨٣ «ص ٤٤٤» ثم ذكر أنه عزل عنها سنة ٦٨٥ «ص ٤٤٩» و
أنه رتب صدرا بالحلة سنة ٦٨٧ «ص ٤٥٥» و ذكر فى أخبار سنة (٦٩٠)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٠٤

أنه حرض جمال الدين الدستجردانى على قتل مهذب الدولة ابن الماسيرى اليهودى و قال له: ان ترك لا يؤمن. و خوفه من عاقبة
الحال حتى قال له.

جمال دين العلى يا ملك من يأملك عجل بقتل المهذب قبل أن يقتلك
..... و انظر إلى صاحب الديوان مجد الملك

«ص ٤٦٦» و ذكر فى حوادث سنة ٦٩٤ أنه طلب و هو صدر الحلة و كان موكلا به مع أصحاب محمد السكورجى على بقايا الحلة

فولّي قوسان و واسط و البصرة عوضا عن نور الدين عبد الرحمن بن تاشان «ص ٤٨٢» و لم يذكر ابن الفوطى و لا- مؤلف الحوادث السبب فى قتل المظفر ابن الطراح مع أنه ضمن لهم أموالا يدفعها إليهم، و أنا أرى و المؤرخ عميق النظر أن القتل كان سياسيا و ذلك أن الملك الأشرف خليل بن قلاوون ملك مصر و الشام بعد أن افتتح آخر معقل للافرنج الصليبيين فى بلاد الشام و هو قلعة بالروم عزم على افتتاح العراق بانتزاعه من أيدي المغول فراسل فيمن راسل من حكام العراق فخر الدين المظفر ابن الطراح، قال ابن حجر: و أرسل له توقيعا و خاتما و علما و تقرر الحال (بينهما) أنه إذا دخل السلطان أرض العراق يقدم عليه (فخر الدين ابن الطراح) لحينه، فلم يتفق للأشرف دخوله العراق ثم قدم قوام الدين (الحسن بن محمد بن جعفر ابن الطراح أخوه) فى أيام سلا و الجاشنكير و أحضر معه التوقيع و العلم و الخاتم فأكرم مورده و قرر له على الصالح بدمشق راتب ثم قدم القاهرة فذكر أبو حيان (الأندلسى) أنه اجتمع به و أخبره أنه أول من تشيع من أهل بيتهم و لم يكن غالبا فى ذلك و كان ظريفا كريم العشرة و له معرفة بالنحو و اللغة و النجوم و الحساب و الأدب ..

و لما طرق غازان الشام رجع معه إلى العراق و كانت وفاته بها فى المحرم سنة ٧٢٠ و فى قول آخر سنة ٧٣٥.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٠٥

و قال مؤلف الحوادث فى أخبار سنة ٦٩٢: «و فيها سار الملك الأشرف صاحب مصر إلى قلعة الروم فأقام عليها شهرين يتابع الزحف و القتال حتى فتحها و ملكها فقتل من بها و سبى الذرارى و نهب الأموال ثم هدمها و عاد إلى مصر و حدث نفسه بالمسير إلى العراق و تجهز و عمل سلاسل و مروسا من القنب لأجل الجسر ثم برز من القاهرة إلى الصالحية فى آخر السنة فقتل فى سنة ثلاث و تسعين على ما نذكره» .

و كان الملك الأشرف قد مهد لهذا الأمر الخطير بأن أرسل باطنيا إلى العراق لاغتيال أمير المسلحة المغولى بالعراق و قتله قال مؤلف الحوادث:

«و فيها أعنى سنة اثنتين و تسعين و ستمائة و ثب باطنى على نقاجو أمير المسلحة بالعراق على رأس الجسر العضدى ببغداد و ضربه بحجر عدة ضربات قتله بها و شد هاربا فمد له رجل إصفهاني رجلا على الجسر فسقط فقبض عليه فجعل يقول: فداء الملك الأشرف. فداء الملك الأشرف فسلم إلى ابن نقاجو المغولى فمثل به و قطع أطرافه و هو حى ... ثم قال لقاتله: يا مخنث إنك لم تصنع شيئا إلّا و هو دون ما كان فى نفسى فاصنع ما بدا لك. فقتله و ألقاه فى المكان الذى قتل فيه أباه» .

قال مصطفى جواد: و الظاهر أن المغول المسيطرين على العراق أطلعوا على اتصال فخر الدين المظفر ابن الطراح بدولة المماليك بمصر فقتلوه و لو بعد حين. و قال أخوه قوام الدين الحسن بن محمد ابن الطراح: «كتب إلى أخى أبو محمد المظفر يعاتبني على امتناعي عنه و هو الذى ربّاني و كفلني بعد الوالد فقال:

لو كنت يا ابن أبي حفظة اخائي ما طببت نفسا ساعة بجفائي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٠٦ و حفظتني حفظ الخليل خليله و رعيت لى عهدى و حسن وفائي

خلفتني قلق المضاجع ساهرا أرى الدجى و كواكب الجوزاء

ما كان ظنى أن تحاول هجرتى أو أن يكون البعد منك جزائي

فكتبت إليه الجواب:

إن غبت عنك فان ودى حاضرهن بمحض محبتي و ولائي

ما غبت عنك لهجرة تعتدها ذنبا علىّ و لا لضعف وفائي

لكننى لما رأيت يد النوى ترمى الجميع بفرقة و تنائي

أشفقت من نظر الحسود لوصلنا فحجبتة عن أعين الرقباء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٠٧

القرن الثامن الهجري سنة ٧٠٢ هـ

إشارة

١٣٩- و عماد الدين أبو هاشم عيسى بن أبي الفضل محمد بن أبي الفتوح يحيى الهاشمي العباسي الجوهري المحدث يعرف بابن البندار ذكره ابن الفوطي قال (هو) عيسى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن اسماعيل بن إسحاق بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب العباسي الهاشمي الجوهري، كان شيخا ظاهر البشر حسن الأخلاق، و كان معاصر العقار ثم أقطع و تاب. كان قد سمع في صباه الأحاديث المسلسلات التي جمعها الحافظ أبو محمد الحسن بن محمد الخلال، علي عفيف الدين أبي منصور محمد بن علي بن عبد الصمد المقرئ . بشرط التسلسل بظاهر حرّان في رجب سنة ثمان ... و دلنا عليه العدل جمال الدين عبد الله ابن عبد الحميد الأنسي فسمعناها عليه في داره بالبستان من محلة المأمونية يوم الأحد ... ٣ سنة خمس و ثمانين و ستمائة ثم سمعناها علي (الشيخ) جمال الدين احمد بن علي القلانسي و الحمد لله كثيرا سنة إحدى و تسعين موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٠٨ و ستمائة، في جماعة، و توفي عماد الدين في شهر رمضان سنة اثنتين و سبعمائة و دفن بمقابر قريش» .

سنة ٧٤٩ هـ

١٤٠- و علي بن عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الحسيني البغدادي، ذكره ابن رجب في معجمه و نقل منه ابن قاضي شهبه في تاريخه في وفيات سنة ٧٤٩، و كان ميالا إلى المذهب الحنبلي مع كونه علويا قال ابن رجب: «السيد النقيب كان يعظ بمشهد موسى الكاظم و يرتجل الشعر الحسن و يسبّ الراضية و يزور قبر الإمام أحمد (ابن حنبل) و يلازم السنّة ... سمع الكثير من الكمال ابن الفوطي و غيره و توفي في هذه ببغداد و دفن بالمشهد الكاظمي» قال مصطفى جواد: و هذا السيد المتحنبل يذكرنا بما ذكره السيد ابن عنبه نقلا من كتاب تلخيص مجمع الألقاب لابن الفوطي، قال: «و ذكر الشيخ الفاضل قوام الدين عبد الرزاق ابن الفوطي: زين الدين أبا محمد حبيب بن عبد المهيم بن سياهسلار بن سفيان بن أنس بن يحيى بن أحمد ذينب و ذكر أنه رآه ببغداد و هو كيلاني حنبلي المذهب و الأكبر يطايونه كيف أنه حنبلي. هذا كلامه و لكن أحمد ذينب لم يكن له ابن اسمه يحيى و لا ذكره أحد من النسب و الله تعالى أعلم» .

و من هذا الضرب ما ذكره صلاح الدين الصفدي في تاريخ العميان في ترجمة نور الدين أبي طالب عبد الرحمن بن عمر بن أبي القاسم البصري الفقيه الحنبلي مدرس الحنابلة بالمدرسة المستنصرية، أن تقى الدين أبا الوليد محمد بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤٠٩

إبراهيم الخالدي قال: حضرنا في خدمة الشيخ نور الدين يوما في ديوان المظالم و كان صاحب بهاء الدين (علي) بن الفخر عيسى صاحب ديوان الانشاء بالعراق حاضرا فتكلم الجماعة و تكلم الشيخ فاستحسن الحاضرون كلام الشيخ فقال له صاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى: من أين الشيخ؟ فقال: من البصرة. فقال: ما المذهب! قال: حنبلي. قال: عجيب بصرى حنبلي! فقال له الشيخ على الفور: هنا ما هو أعجب من هذا. فقال له: ما هو؟

قال: كردى رافضى. فأفحم صاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى حتى لم يحر جوابا، و كان أصله كرديا و كان متشيعا و قريب منه ما ذكره جماعة من المؤرخين في ترجمة وجه الدين المبارك ابن المبارك الواسطي النحوي الضرير، قال ياقوت الرومي

الحموى فى ترجمته:

«و كان الوجيه- رحمه الله- حنبلياً ثم صار حنفياً فلما درس النحو بالنظامية صار شافعيًا فقال فيه المؤيد أبو البركات محمد بن أبى الفرج التكريتى ثم البغدادى، و كان أحد تلامذته، و سمعته من لفظه غير مرة:

ألا مبلغ عنى الوجيه رسالته وإن كان لا تجدى لديه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل و ذلك لما أعوزتك المآكل
و ما اخترت دين الشافعى تديناو لكنما تهوى الذى هو حاصل
و عما قليل أنت لا شك صائر إلى مالك فافطن لما أنا قائل» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤١٠

نموذج من خط العلامة الفذ المرحوم الدكتور مصطفى جواد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤١١

الفهرس

كلمة التصدير ٧

القسم الأول من السلوك الناظم ٩

القرن الثالث الهجرى

يحيى بن الحسين بن زيد ١٣

ابراهيم بن محمد (ابن عائشة) ١٥

زبيدة بنت المنصور ١٧

ابراهيم المرتضى ١٨

موسى بن ابراهيم أبو سبحة ٢٠

محمد بن عبد الله بن طاهر ٢١

بشر بن موسى بن صالح الأسدى ٢٢

محمد بن طاهر الصناديقى ٢٣

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ٢٣

القرن الرابع الهجرى

عبد العزيز بن طاهر ٢٥

سليمان بن محمد (الحامض النحوى) ٢٥

عبد الله بن محمد بن المرزبان ٢٦

أبو محمد الحسن الأزدى المهلبى ٢٧

على بن اسحق (الزاهى) ٣٤

محمد بن عمر (ابن الجعابى) ٣٧

زينة بنت الوزير الحسن بن محمد ٣٩

على بن وصيف (الناشىء) ٤٠

أبو القاسم جعفر بن محمد (ابن قولويه) ٤٦

محمد بن أحمد بن داود بن علي ٤٧

أبو عبد الله الحسين بن الحجاج ٤٨

القرن الخامس الهجري

الحسن بن أبي جعفر (عميد الجيوش) ٥١

أبو عبد الله محمد بن النعمان (المفيد) ٥٣

علي بن عبد العزيز (ابن حاجب ٥٧ النعمان)

فخر الدولة الديلمي الاصفهسلار ٦٠

محمد بن أحمد (ابن أبي الشيخ) ٦١

مشرف الدولة، و جلال الدولة ٦١ البويهى

أبو سعد محمد بن علي بن المطلب ٦٦

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤١٢

الحسين بن علي المردوستى الحاجب ٦٩

المعمر بن محمد بن المعمر ٧٠

أبو طالب علي بن محمد (نقيب ٧١ المشهد الكاظمي)

القرن السادس الهجري

المرتضى أبو الفتح العبيدلى النقيب ٧٣

أبو الفضل علي بن ناصر العلوى ٧٤ المحمدى

أبو جعفر أحمد بن علي العلوى ٧٤ المحمدى

أبو نصر المؤتمن الساجى المقدسى ٧٥

علي بن نصر (الكاتب) ٧٧

علي بن افلح أبو القاسم (الكاتب) ٧٨

أبو الضوء العلوى ٨٦

محمد بن محمد ابن السلّال الورّاق ٨٧

أبو الحسين عبيد الله بن أبي الحق ٨٩

غرس الدولة محمد بن الحسن بن ٩٠ حمدون

علي بن صدقة (قوام الدين) ٩١

سديد الدولة ابن الانبارى ٩٣

علي بن هبة الله (البيّع) ١٠١

شمس المعالى بن ترکان ١٠٢

بهاء الدين بن حمدون الكاتب ١٠٣

يزدن التركي القائد ١٠٨

أبو تراب النيسابورى ١١١

- شهاب الدين أبو الفوارس (حيص ١١٢ بيص)
- أبو الفرج الأنباري بن سديد الدولة ١٣٣
- محمد بن محمد بن هبة الله ١٣٤
- مجد الدين أبو طالب العلوي الحسني ١٣٤ البغدادي
- أبو منصور بن يحيى الكاتب ١٣٨
- علي بن يحيى أبو المكارم (الريب) ١٣٩
- علي بن حسان بن مسافر ١٤٠
- مسعود بن أبي الفوارس الحاجب ١٤٢
- أبو الفوارس يحيى (ابن كرسا) ١٤٢
- عماد الدين ابن البخاري ١٤٣
- قوام الدين أبو طالب (ابن زبادة) ١٤٨
- أبو الحسن علي بن عبد الله العلوي ١٦٢ الحسيني
- علوي بن عبد الله (الباز الأشهب) ١٦٣
- محمد بن المبارك بن ميمون ١٦٥
- أبو الفتح صدقة (ظهير الدين) ١٦٦
- أبو الحسن علي بن محمد بن يعيش ١٦٧
- أبو البركات محمد بن القاضي (ابن ١٦٩ أبي الحديد)
- أبو منصور بن مبارك الكرخي ١٧١
- عبد الصمد بن طاعن الزبيري ١٧٢
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤١٣
- أبو الفضل أحمد بن علي بن علي ١٧٣ البخاري
- أبو البدر بن حيدر ١٧٤
- أبو القاسم بن حراز المقرئ الخياط ١٧٤
- الرضي بن حبشي ١٧٧
- أبو اسحاق بن خليل التبريزي ١٧
- القرن السابع الهجري
- أبو عبد الله أحمد بن علي (ابن ١٧٩ الدنبان)
- الحسن بن محمد بن عبدوس ١٨٠
- عبد اللطيف بن هبة الله بن أبي الحديد ١٨٤
- أبو شجاع (الخنوص الذهبي) ١٨٤
- جارية مكين الدين المقدادى القمي ١٨٤
- ابنة الأمير أرغش زوجة قشتمر ١٨٤
- أبو الحسن بن علي الجرجاني ١٨٨ البغدادي

- شرف الدين ابن الناقد ١٩٠
- الريب أحمد بن علي ابن الصاحب ١٩٢
- فخر الدين بن عمارة ١٩٣
- أبو حسن بن علي الجرجاني ١٩٤
- قوام الدين أبو الفوارس ١٩٤
- أبو الحسن بن شاذان أبي الأزاهر ١٩٦
- أبو بكر قيصر بن كمشكين ١٩٨
- تاج الدين أبو سعد بن حمدون ١٩٩ الكاتب
- محمد بن يوسف النيسابوري ٢٠٤
- أبو محمد عبد الله (ابن الحلبي) ٢٠٦
- أبو البركا عمر بن أحمد الزيدي ٢٠٨
- فخر الدين أبو البدر بن بدر الصوفي ٢١٠
- منتجب الدين النحوي العروضي ٢١١
- ابو السعادات محمد بن علي (ابن ٢١٣ الناقد)
- يحيى بن أبي طالب (ابن أبي زيد) ٢١٥
- محمد بن أبي العز الجببي ٢٢٢
- أبو الفتوح ابن النجاري القاضي ٢٣٢
- نصير الدين بن العلوكي الحسين ٢٣٤ المازندراني
- قيصر بن المظفر بن يلدرك ٢٤٢
- محمد بن مبشر بن أبي الفتوح ٢٤٢
- أبو الفضل بن أبي البركات (ابن ٢٤٣ حفنا)
- علي بن نما الحلبي كافي الدين ٢٤٤
- الشريفه كاملية بنت محمد العلوية ٢٤٦ الزيدية
- الشريف أبو محمد قريش بن السبيع ٢٤٧
- أبو المظفر قطب الدين ابن الملك ٢٤٨ قشمر
- أبو القاسم ظفر بن البيطار (ابن
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-١، ص: ٤١٤
- خضير) ٢٤٩
- أحمد بن عبد العزيز (الكرزي) ٢٥٠
- علي بن محمد بن السكني (ابن ٢٥٣ المعوج)
- أحمد بن أبي المظفر ٢٥٤
- عميد الدين أبو الفرج ٢٥٤
- عفيف الدين بن رسن النيلي الصوفي ٢٥٦

- نجم الدين بن حوثة القرشي الحراني ٢٥٧ المنجنيقي
 عضد الدين بن الضحاك الأسدي ٢٧٢
 أبو الحسن علي بن ابراهيم (ابن ٢٧٦ العطار)
 عبد الله بن قيصر بن الموصلاتي ٢٧٧
 اسماعيل بن الحسن (ابن الغيبي) ٢٧٧
 الشريف أبو محمد الحسن (ابن ٢٧٨ الأمير)
 أبو محمد اسماعيل بن باتكين ٢٧٩ الجوهري
 ياسمين بنت الشيخ سالم (ابن ٢٨٠ البيطار)
 محمد بن محمود الحمامي ٢٨١
 ابنه بدر الدين لؤلؤ الأتابكي (الملك ٢٨١ الرحيم)
 ضياء الدين (ابن الأثير) ٢٨٢
 منتجب الدين محمد بن الحسن ٢٨٧ الموصل
 نصير الدين أبو الأزهر (ابن الناقد) ٢٨٨
 مؤيد الدين بن برز المقدادى ٢٩٦
 فخر الدولة بن المطلب الكرمانى ٣٠٨
 عبد الغنى بن فاخر مهتر الفراشين ٣١٤
 علاء الدين الطبرس الدواتى ٣١٦
 عبد الله بن نصر الله بن الخياط ٣٢٠
 مجد الدين أبو الفتح ابن الناقد البغدادى ٣٢١
 مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد ٣٢٢ ابن العلقمى
 جمال الدين ابن برز القمى (اميران) ٣٧٢
 نصير الدين الطوسى ٣٧٢
 عدد من المقبورين ٣٩٦
 عماد الدين محمد بن الأشرف ذى ٣٩٧ الفقار
 كمال الدين بن النجيب الواسطى ٣٩٩
 شرف الدين ذو الفقار ٣٩٩
 فخر الدين أبو الليث ابن الطراح ٤٠٠
 القرن الثامن الهجرى
 عماد الدين أبو هاشم (ابن البندار) ٤٠٧
 على بن عبد الكريم بن محمد الحسينى ٤٠٨ البغدادى
 نموذج من خط الدكتور مصطفى ٤١٠ جواد
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٣

موسوعة العتبات المقدسة قسم الكاظمين تأليف جعفر الخليلي منشورات مؤسسة الأعلمی للمطبوعات بيروت - لبنان. ص. ب ٧١٢٠

إشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٤
 جميع الحقوق محفوظة و مسجلة الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
 مؤسسة الأعلمی للمطبوعات:

بيروت - شارع المطار - قرب كليّة الهندسة. ملك الأعلمی - ص. ب. ٧١٢٠

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٥

مقدمة موجزة في البدو و الحضارة و اسم الكاظمين و الكاظم كتبها جعفر الخليلي

إشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٧

البدو و الحضارة

إشارة

قبل الدخول في البحث عن اسم الكاظمين و مدينة الكاظمين و انساب الأسر التي تقيم في هذه المدينة منذ العهود البعيدة او القريبة يستحسن ان نتناول شيئا - و لو باختصار - عن البدو و البداوة باعتبارها المصدر البدائي الاول للبشرية جمعاء و للامة العربية و العراق منها بصورة خاصة، و لأن البدو كانوا سكان جزيرة العرب الاوائل و مستوطنى الصحراء و البوادي و اليهم يرجع أصل القبائل العراقية و معظم سكان مدن العراق، فليس هنالك من مدينة عربية الا و قد انتقل سكانها كلا او بعضا من البادية بعد ان اجتاز مراحل تفرضها طبيعة الحياة و مقتضيات المعيشة.

يقول ابن منظور: و البدو، و البادية، و البداء، و البداوة، و البداوة:

خلاف الحضرة، و بدا القوم بدوا: اى خرجوا الى باديتهم.

و قال الليث: البادية اسم للارض التي لا حضر فيها و اذا خرج الناس من الحضرة الى المراعى فى الصحارى قيل قد بدوا.

أما الحاضرة فيقول عنها ابو منصور: و الحاضرة: القوم الذين يحضرون المياه و ينزلون عليها فى حمراء القيظ، فاذا برد الزمان ظعنوا عن اعداد المياه و بدوا طلبا للقرى من الكلا، فالقوم حينئذ بادية بعد ما كانوا حاضرة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٨

و على رغم ان تاريخ البداوة العربية لم يخل من غموض لكثرة ما تكتنفه من الاساطير و الحكايات التي كان اغلب مصادرها القصص التي كانت تتناولها الألسن فقد ازاحت الآثار التي عثر عليها المنقبون فى العصور الاخيرة الستار عن حقائق ذات أهمية كبرى لا تصور حياة البداوة العربية فحسب و انما تصور حضارة مزدهرة فى بقاع كثيرة من الجزيرة و على الاخص اليمن، و تنقل الشىء الكثير عن

كيفية انتقال البداوة الى الحضارة و الاستقرار في قرى صغيرة تضمن للساكين ماء الشرب و سائر مقتضيات الحياة ثم تتسع هذه القرى على قدر ما فيها من مؤهلات للاتساع حتى تصبح مدينة.

يقول جرجى زيدان، و حين امتد نفوذ العرب الى ما وراء الجزيرة و قرأ أهل الخبرة ما تيسر من تاريخ العرب اندهشوا لما كان من اكتساح العرب للعالم المتمدن و هم جماعات من اهل البادية لا خبرة لهم، و لا دربة عندهم، فغلبوا الروم و الفرس في صدر الاسلام و استولوا على المملكتين في بضع عشرة سنة مما لم يسمع بمثله في تاريخ الأمم قديما و لا حديثا ثم أنشأوا الدول و نظموا الحكومات، و جندوا الجيوش فاصبح من اقصى امانى المحققين معرفة حقيقة ذلك الشعب، فاخذوا يبحثون في تواريخهم القديمة، و يطبقون ما رواه العرب على ما ذكره اليونان و غيرهم فعرفوا اشياء لم يعرفها العرب انفسهم فزادوا رغبة في استيضاح ذلك التاريخ باستنطاق الاثار المكتوبة و غير المكتوبة في انقاض المدائن العربية في اليمن و الحجاز و مشارق الشام و لكنهم لم يكونوا يستطيعون الوصول الى تلك الاماكن الا بالعناء الشديد .

و من هذه الاثار المتبقية ثم مما بقى حتى اليوم من العادات و الأخلاق التي انطبعت بها البداوة العربية و التي لا تزال نشهداها بين البدو بل و حتى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٩

بين القبائل المتحضرة التي تسكن مختلف الأقطار العربية كزراع و رعاة و على الاخص القبائل العربية التي تحتفظ بالشىء الكثير من طبيعة البدو و اخلاقهم مع ما مر عليهم من القرون الطويلة و هم يجاورون القرى و المدن و يحتكون بأهلها، بل لقد بقى البعض على الطبيعة البدوية القديمة في حين سكن منهم المدن و تحضر و ألف حياة المدينة و تطبع بطابعها. نلمس اثر البداوة في الكثير من المدن العربية، و ندرك شيئا من عوامل البداوة في الحضارة و عوامل الحضارة في البداوة.

البداوة غذاء الحضارة

و عن كيفية انتقال البدو الى التحضر و هجر الخيام و سكنى القرى و المدن يقول جرجى زيدان ان أقدم الامم السامية التي تمدنت و خلفت آثارا هم البابليون فقد تمدنوا في الالف الثالث قبل الميلاد و قد اعتمد جرجى زيدان على (كلاى) Clay في هذا التاريخ و هو الزمن الذى نرح فيه الفينيقيون من الخليج الى سوريا على ما يظن، و كانت بابل بلاد حضارة و تمدن قبل ذلك الحين باجيال و سكانها السومريون، فاقام الساميون اولا في غربها بادية العراق و الشام و هم قبائل رحل يعيشون على السائمة و الغزو مثل بدو هذه الايام هناك، و كما كان بنو لخم و غسان في صدر الاسلام فكان السومريون يستعينون بهم في محاربة اعدائهم كما كان الفرس و الروم يستعينون باللخمين و الغساسنة لان الغلبة كانت يومئذ للقوة البدنية، و ان الحضارة تبعث على الرخاء و الترف و الانغماس في الملذات و الركون الى الراحة فتذهب تلك القوة و تؤول الى الضعف، و ان البداوة تقوى الابدان، و تربي النفوس على الاستقلال، فلذلك كان اهل الحضارة او المدن يستعينون باهل البداوة او الجبال فيما يحتاج الى جهد، حتى اذا شاخت الدولة المتحضرة خلفها جيرانها البدو او الجبليون بالفتح او نحوه، و قاموا مقامها، و اقتبسوا عادات اهلها و ديانتهم ثم لا يلبثون ان يدركهم الهرم فيخلفهم سواهم من اهل البادية، سنة الله في خلقه، و كان اهل البادية او الجبال مصدر الغذاء للمدن: يحيون اهلها بالنزول بينهم و التزوج منهم،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٠

و يربون لهم الماشية و السائمة لغذائهم و ركوبهم، و كأن المدن مهلك الابدان و العقول يأتيها البدو بنشاطهم و أنفهم فلا يلبثون ان يتحضرروا و يركنوا الى الرخاء حتى تنحل عزائمهم، و يتولاها الضعف و يتفشى فيهم الذل، فيأتى من يقوم مقامهم.

هذا هو شأن العالم من قديم الزمان حتى الآن فالعراق بلاد خصب و رخاء نزلها الطورائون قديما: جاؤوها و هم أهل بادية او جبال، فطاردوا قوما كانوا فيها من اهل الرخاء لم يصلنا خبرهم، و أنشأوا فيها تمدنا حسنا، و اتخذوا آلهة و شرائع، و استنبطوا كتابة صورية

تحولت بتوالي الاجيال الى الشكل المسمارى المعروف، و لما تحضروا و غلب عليهم الرخاء، جاءهم الساميون من البادية و غلبوهم على ما فى ايديهم، و اخذوا آلهتهم و شرائعهم، و زادوا فيها او حسنوها، و قد تدرجوا فى التغلب و التحضر. على ان ما يذكره جرجى زيدان ليس فى الواقع ان كل التحضر قد جرى على اسلوب الغزو و انتهاز فرص ضعف المتحضرين و ما شابه و انما هنالك علل أخرى يعود اليها تمصير القرى و المدن و تحضر اهل البادية و انتقال جوانب من الحضارة الى البدو و تلوين حياتهم بها ألا و هى الاحوال الاقتصادية و مقتضيات المعيشة التى تتطلب من البدوى ان يدنو من القرى و المدن بداعى تبادل المنفعة و تبادل البضاعة ثم لا تلبث هذه المصالح ان تقوى اسبابها فتجر البدوى الى الاتصال بالمدينة اكثر و اكثر حتى يؤول الأمر الى سكناه و قد يكون سكناه هذا سببا لاتباع اثره من الاقرباء و المعارف حين يرون ما اصاب من الرخاء فيؤمون القرية و المدينة كما أمها هو و يعاف حياة البادية و عيشة الخيام و يسكن البيوت المسقفة و الحجر، و فى العراق اليوم قرى بل و مدن تسكنها أسر و عائلات كانت بالاصل قبيلة واحدة من قبائل العراق التى جاءت اول ما جاءت من البادية. و على ان هجرة البدو الى العراق قديمة و نزولها فى اطراف المدن كرعاء موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١١

ثم كمزارعين او ممتارين فقد جرت معظم الهجرة فى الفتح الاسلامى و دخول العراق و سكناه، و حين انتقل الامام على بن ابي طالب الى العراق و اتخذ الكوفة عاصمة للخلافة هاجرت من قبائل البدو جماهير غفيرة اخرى و اقامت فى العراق و على ضفاف نهر الفرات خاصة ثم طال مكثها فتحضرت و سكنت الكوفة و البصرة و واسط و الانبار بصورة خاصة و اكثر ما انطبعت و اتصفت به فى اول امرها هى الحروب فكان منها و ليس من غيرها جنود المعارك فى الحروب الداخلية و الخارجية، ثم عرفت برعى الابل و الغنم ثم القيام بزراعة الارض، و من هؤلاء البدو انحدرت معظم قبائل العراق و تألفت منهم سكان الكثير من المدن و اختلط هؤلاء السكان سكان المدن لا سكان القبائل باجناس أخرى.

و من المناسب ان نلخص هنا شيئا عن البدو و تكوين المجتمع البدوى و عن بدو العراق الذين لم يستقروا بعد و يتحضروا و انما ديدنهم التجوال داخل العراق و اطرافه طلبا للكلا معتمدين فى ذلك على ما كتب الدكتور نورى خليل البرازى فى دراسته عن البدو التى تناول فيها المجتمع البدوى من (فئة الرعاة) المتجولة فى بوادى العراق من الوجوه التالية:

(١)- التكوين العام لمجتمع البدو

(٢)- الوضع الاجتماعى

(٣)- النشاط الاقتصادى

التكوين العام للمجتمع البدوى - ١-

إشارة

يعيش البدو فى البوادي الصحراوية على هيئة مجتمعات بدائية منعزلة، و تتحكم الموارد المائية فى عدد هذه الجماعات و بمستواهم الاقتصادى، فالامطار و الابار أهم هذه الموارد فبعضهم يستقر حول الابار فى شكل تجمعات متصلة او منفصلة، و نتيجة لطبيعه هذا المورد المائى و خاصة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٢

الامطار يضطر البدوى للترحال بحثا عن المرعى و قد تأصلت فيه طبيعة التنقل و اصبحت له مثل و قيم و تقاليد يتمسك بها و يعيش فى ظلها.

و هناك ملامح أساسية مشتركة بين جميع البدو الذين يجوبون البوادي مهما اختلفت مواطنهم سواء فى نظام حياتهم القبلية كالعادات

و التقاليد التي تسيطر عليهم، او فى تحركاتهم الدورية.

و يقوم المجتمع البدوى على مجموعة من العناصر الحضارية البدوية و القبليّة التي فى مقدمتها الأسرة.

الأسرة

تعتبر الاسرة القاعدة الاساسية لتكوين القبيلة حيث تنمو الأسرة من ابسط صورها و تكبر على مر الزمن و يزداد عدد أفرادها حتى تصبح قبيلة و تنقل السلطة من الأب الذى هو رب الأسرة الى الرئيس المتعارف عليه فى هذا المجتمع بالشيخ الذى يتولى جميع السلطات، و يتوقف نفوذه على مكانته و قوته و حكمته.

و تكون الرياسة وراثية الا- اذا كان الابن الاكبر غير أهل لها فيختار مكانه اقرب الافراد الاخرين مكان (الشيخ) الراحل و الى جانب شيخ القبيلة الواحدة يوجد شيخ المشايخ و تكون هذه الظاهرة فى حالة اتساع حجم العشائر و انضمامها الى قبيلة واحدة، و هذا الانضمام يعود عليهم بالفائدة المعنوية و المادية كما يحصل فى مراجعة السلطات فيما يتعلق بشؤونهم الخارجية او فى حالة الازمات ليكونوا كتلة واحدة ضد القبائل الاخرى التي تناهضها.

و الشيخ مسؤول عن كل ما يتعلق بامور القبيلة فمثلا يعنى اوقات الترحل، و مناطق النزول، و يقوم بواجبات الضيافة، و المفاوضات مع القبائل الاخرى او مع سلطات الدولة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٣

و يكبر فى العادة حجم الاسرة البدوية التي تتألف من الأب و ابنائه و احفاده و زوجاتهم الذين يظلون مرتبطين به ما دام على قيد الحياة، مكونين و اياه شخصية معنوية واحدة مسؤولة عن تصرف كل عضو من أعضائها، كما أن عليه إعالة أفرادها فى حالة الشيخوخة، و المرض، و قد يشمل ذلك من يمت لهم بصله القرابة البعيدة المتصلة معهم بالجد الخامس.

و تعتبر الارض المخصصة لمراعى الاسرة و زراعتها ان وجدت ملكا مشاعا لافرادها فيحق لمن يشاء فى القبائل البدوية ان يرعى ابله حيث ترعى أسرته و يصيبه من نتاجها ما يصيب غيره، و ينتسب الفرد البدوى الى أسرة ابيه دون اخواله، حيث يرتبط بهم بمختلف المسؤوليات المادية و المعنوية، و لا يعتبر اخواله جزء من اسرته.

و تعتبر الاسرة نواة العشيرة و تسمى (بالبيت) و يتألف (الفخذ) من عدد من البيوت المرتبطة برابطة النسب المنحدرة من الجد الخامس، و تتألف العشيرة من عدة افخاذ ترتبط بمصالح مادية و منافع مشتركة، و انسابها البعيدة، و قد تكون من افخاذ لا تمت لبعضها بهذه الصلة و انما المصلحة المشتركة هي العامل الذى يوحد فيما بينها للمحافظة على كيانها و مراعيها و أرضها.

و بعد ما تصبح الاسرة عشيرة او قبيلة تتحد مع غيرها من القبائل، و بهذه الطريقة تتكون المجتمعات البدوية على هيئة وحدات متكاملة تربط بينها المصالح المشتركة، و المنافع المتبادلة، و السكنى فى منطقة واحدة، و يختلف أثر العلاقات فيها قوة و ضعفا حسب اتصالها و ما يحيط بها من الظروف الطبيعية، و الاحوال الاقتصادية. بالاضافة الى ارتباطها بوحدتها القومية و اللغوية و الدينية، و نوع العمل، و خضوعها للحكام المستمدة من العرف و العادات و التقاليد.

و تتميز العائلة البدوية بقوة الروابط المتينة و بالتعاطف و التجاذب، و بسيادة قيمها على القيم الفردية الشخصية، و بالزواج المبكر، و بحجم العائلة الكبير، و بسيطرة الرجل، و باحترام الشيوخ و الطاعين فى السن، و الاسرة أو العائلة فى المجتمع البدوى هي اصل تنظيمهم الاجتماعى، و النواة الاساسية التي تغذى الافراد فى طباعهم البشرية، ففيها ينال كل فرد أنماط سلوكه، و يتعلم خصائص الانسانية كالفخر و العصبية، و المباهاة بالنسب، و لهذا تجد البدوى فى اطار قبيلته يغار على سمعة أسرته و شرفها، و يعد نفسه للتضحية إن مس ذلك الشرف عار، و يحترم البدوى العمر و يعتبره شيئا مقدسا، لذلك لا يمكن لأى فرد من الأسرة ان يبت بشيء دون ان يأخذ رأى العضو الذى هو اكبر سنا، و العائلة فى هذا الوسط تقوم بكافة الوظائف التي يتطلبها المجتمع البدوى، و هي التي

تعدّ الفرد و تجهزه بكل ما يتطلبه المجتمع، و من العرف المتبع في هذا المجتمع الرعوي ان يسكن الاولاد و الاحفاد في بيت عميد الأسرة حتى يصل الأمر بهم ان ترى ثلاثة أجيال يعيشون تحت سقف واحد، و يجوز للولد المتزوج ان يسكن في بيت وحده اذا رغب في ذلك، و العائلة البدوية متضامنة و متكافلة في جريمة احد أعضائها و قد يكون الفخذ و العشيرة امتدادا للعائلة، و كل فرد في العائلة له حقوق و عليه واجبات و ادوار اجتماعية.

القبيلة

ان القبيلة البدوية التي تمثل امتدادا لتطور الاسرة التي مرّ بحثها هي جماعة من الناس ينتمون الى جد واحد مشترك انحدروا منه، و يسكنون عادة في منطقة واحدة يتجولون فيها و هم يحملون واجبات مشتركة في الدفاع، و دفع الديّة التي هي اهم ما يميّز القبيلة عن غيرها، و من الصعب تحديد عدد القبيلة لان عددها يتوقف على قدرتها على الدفاع و على قابلية موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٥

المرعى على اعاشه مواشيها، و اذا كانت القبيلة لا تستطيع الدفاع عن نفسها و الاحتفاظ بكيانها، فانها تندمج بالقبائل الاخرى، و في الغالب تفضل الاندماج باقرب القبائل نسبا منها، و يهتم البدوي بالنسب لانه يعتبره المرآة التي تظهر فيها نقاوة دم الفرد و ارتباطه بالقبيلة.

المفاهيم القانونية التقاليد و العرف

و ليس للبدو قانون منظم مكتوب، بل هناك تقاليد و اعراف بسيطة يتمسكون بها كل التمسك و ان مفعولها يسرى على القبيلة و لا يتعداه الى غيرها من القبائل الاخرى، و هي تقاليد صلبة جامدة تناقلوها عن اسلافهم، و يصعب تغييرها. و ان عدم وجود سلطة تنفيذية تقتص للفرد او تنزل العقاب بالجاني قد اعطى الحق للمجنى عليه ان يقتص لنفسه، و يعتبر الجرم عندهم حقا خاصا، لذلك اذا عفا المجنى عليه عن الجاني فان العقاب يزول عن الجاني و اذا قتل رجل شخصا من غير قبيلته، فان الواجب يفرض على قبيلة القتيل الاخذ بالثار و الاقتصاص من القاتل، و على قبيلة القاتل في الغالب حماية القاتل و الدفاع عنه بحكم العرف و التقاليد، الأمر الذي يؤدي في كثير من الحالات الى وقوع الحرب بين القبيلتين، على انه كثيرا ما ينتهي الامر بالمصالحة فيدفع القاتل الديّة المقننة حسب اعرافهم، و قد يأبى أهل القتيل او المجنى عليهم اخذ الديّة فيظل الجاني في حذر على نفسه اذ لا يتخلى عنه المجنى عليهم دون ان يقتلوه او يقتلوا احد ارحامه او قبيلته، و على هذا يسير الكثير من عشائر العراق.

- اما اذا وقعت ما بينهم خلافات و مشكلات فانهم يتقاضون عند رجل يدعى (العارفة) يحتكمون اليه، و المشروط ان يكون العارفة معروفا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٦

بالاتزان و اصالة الرأى و العدل و الاحاطة بشرايع القبيلة و انظمتها، و يجب ان يكون مشهودا له بالذكاء. و لعل الديّة من ابرز التقاليد المتبعة في المجتمع القبلي، حيث تشترك القبيلة في دفع دية القتل و بذلك يتحاشون الثأر قدر المستطاع و ما يجره من مشكلات و ويلات.

و ظاهرة العصبية في هذا المجتمع هي في الواقع دافع حيوي دموي في الواقع دافع حيوي دموي في صورتها العامة، فهي أصل من اصول حياة القبيلة الاجتماعية التي تعود عليها، و تعد اصلا من اصول السنن الاجتماعية التي توارثتها، كما تعدّ من اهم قواعد قانون القبيلة غير المكتوب، و لذلك فهي جزء من تراث هذا المجتمع الجمعي حتى ورد في امثلتهم:

(انصر اخاك ظالما او مظلوما)

التنظيمات السياسية

والقبيلة تمثل الوحدة السياسية عند البدو، وقد نشأ هذا التنظيم عن وجود العصبية التي توحد بين مجموعة من الناس تربطهم رابطة دم نقيه، فهي توجد في المجتمعات التي تعيش في بيئات منعزلة، ولما كانت قائمة على اساس رابطة الدم فهي دائمية وثابتة ولها أهمية كبرى، اذ أنها قوة سياسية دفاعية تربط بين أفراد القبيلة وبذلك تعمل على بقاء القبيلة وتحفظ كيانها، فالعصبية تشبه الشعور القومي في العصر الحاضر، وتميز العصبية بين البدو بالاجماع في الرأي، وعدم الانقسام وعدم التنافر بين الافراد، لان القبيلة تمثل مصدرا للمسؤولية المشتركة المتبادلة، وهي اساس لكل فعالية موحدة متضامنة وجماعية تجاه الاحداث التي يتطلبها نمط السلوك في البادية، لذلك فان افراد القبيلة يتضامنون تجاه القبائل الاخرى في الحروب والدماء،- والدفاع عن المصالح والمسؤوليات المشتركة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٧

وان زمالة الدم هي مبعث كافة الالتزامات السياسية والحربية في القبائل، فعلاقة الفرد بالقبيلة كعلاقته بعائلته، وليس هنالك فرق بين الشيء العام والخاص، فافراد القبيلة في العادة يقومون بواجباتهم نتيجة شعورهم بالمسؤولية نحو روح الأخوة والجوار، لا نتيجة إزام سياسي او قانوني، فالمجتمع البدوي لا يحتمل وجود طبقه مصطنعة فوقه لتحكمه حيث لا توجد محاكم ادارية، ولا ادارة مركزية للحكومة، ولا ضرائب او واردات ولا غيرها من التنظيمات المعروفة في انظمة الحكومات في المجتمع المتحضر.

المجلس

ولكل قبيلة عادة مجلس هو بمثابة ندوة لهم يستطيع كل فرد من افراد القبيلة حضوره والتحدث فيه، وفي الغالب يكون اجتماعهم يوميا في المساء في ديوان شيخ القبيلة، و احيانا يكون الاجتماع في النهار فهو بمثابة برلمان و منتدى وقاعة محاكمة. ويتحدثون في هذا المجلس بمختلف الاحداث، و يبحثون الامور والمسائل التي تخص القبيلة، و يناقشون الامور السياسية والخارجية فيه على قدر مفاهيمهم وما يترشح اليهم من الحضارة، ولكل فرد ابداء رأيه والدفاع عنه ما لم يكن ذلك مخالفا لرأى رئيس القبيلة في الغالب، و يبرز في هذا المجلس من اختص بالذكاء، واللباقة، وقوة المنطق، والحجة حسب مفاهيمهم، وفي هذا المجلس كثيرا ما يسمع السامع قصصهم، واساطيرهم، و اخبارهم.

الرئيس

ولكل قبيلة رئيس يدعى (شيخ القبيلة) وهو يتولى الرئاسة بطريق (٢)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٨

الوراثة واللياقة مجتمعين، و يشترط ان تكون له عصبية وقراءة تشد ازره و مال يستطيع ان ينفق منه ما يستعين به على تنفيذ مطالبه. و من مسؤوليات (شيخ القبيلة) ان يعدّ بيته للضيوف الوافدين، و من اعماله السياسية البارزة تولى المفاوضات الدبلوماسية مع القبائل الاخرى، و عليه ان ينهى النزاع بين الاطراف، و يحكم بين المتخاصمين او يحيل الأمر الى (العارفه) و يقوم هو بتنفيذ الحكم، و هو الذي يقود القبيلة في الحروب.

الوضع الاجتماعي للبدو - ٢-

مما مَرَّ يظهر ان الاسرة في المجتمع البدوي هي المحور الاساسي لحياتهم الاجتماعية، فالاسرة أو القبيلة تتكون نظريا من افراد يرجعون

فى نسبهم الى جد واحد، و مع ذلك فلا يلزم ان يجمع القبيلة كلها جد واحد بل كثيرا ما تتألف القبيلة من عدة حمايل (أسر) و قد تحالفت مع بعضها فتكونت القبيلة.

و من صفات البدوى الحرية فى ابداء رأيه و هو يمتاز بالبساطة و الصراحة و الكرم، و يتمسك البدوى بشجرة النسب، و قد ينتج عن هذه الظاهرة معارضتهم للزواج من اهل المدن و القرى، و قد يعتبر الكثير منهم ان السطو و السرقة هى من اعمال البطولة.

و من صفات البدوى حرصه على سلاحه، و هو لا يحب لاول مرة الاقامة فى المدن و السكن فى المنازل المبنية من الاحجار او الطين لشدة ألفته للصحراء و البوادي و النجوم و الرمال.

و من اقدس قوانين الصحراء هو الثأر لانه يعتبره من وسائل المحافظة على ناموس القبيلة و كيانها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٩

و يقيم كل فرد فى خيمة محوكة من الشعر و هى تعتبر قلعة الحصينة يعمل فيها ما يشاء دون ان يجراً احد من جيرانه او عشيرته منعه او الاعتراض عليه و تكاد تعتبر هذه الحرية قاعدة النظام السياسى للبدو.

و اما مضيف الشيخ اى ديوانه فهو اشبه بالبرلمان و الندوة و ساحة المحكمة ففيه يتناقل الناس الاخبار الوافدة الى ديارهم من مختلف الاصقاع، و فيه تنزل الوفود القادمة من الجهات المختلفة و الضيوف و فيه تجرى اخبار المراعى و اين يكون المطر قد تساقط و اين لم يتساقط - و فى اى مكان غمر العشب الارض من الصحارى، و كذلك يجرى فيه السمر بذكر قصص الغزو و الحرب و السلم، و الترحال؛ كذلك تحسم فى هذا الديوان الدعاوى و المنازعات التى تحدث بين افخاذ القبيلة و افرادها، و قد يودع رئيس القبيلة من هنا القضايا العويصة الى احد المحنكين المعروف باسم (العارفة) كما مرّ للبت فيها.

و بالرغم من ظروف قساوة البيئة الطبيعية التى يعيشون بها و التى من شأنها ان تدفعهم الى حياة التوحش و الابتعاد عن المفاهيم الانسانية فان هنالك مزايا للبدو تثير العجب منها حماية اللاجىء، و اكرام الضيف بكل ما هو ميسور لديه، و منها العطف على الضعفاء من الشيوخ و النساء و الاطفال بل ان الاعتداء على الضعفاء يعد عارا كبيرا فهم مثلا- لا يغزون قبيلة (صليب) و لا يسلبونهم و لا يتعرضون بهم، و صليب هولاء قبائل اختلف المؤرخون فى اصلها و هى قبائل بدوية جؤابة مرتحلة غلب عليها الضعف فأصبحت فى أمان.

لقد انعكس الكيان الاقتصادى لدى البدو فى حياتهم الاجتماعية فنشأت عن الحياة الرعوية: الحركة، و الترحال، و عدم الارتباط فى بقعة معينة من الارض مما ادى الى ظاهرة الغزو و الحروب القبيلة.

و هذه الظاهرة تؤثر كثيرا فى العرف و التقاليد و الاعتبارات الاجتماعية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٢٠

الاخرى، و تحدد نوعيتها ايضا، و يمتاز اهل البادية بالبساطة و عدم التكلفة و التصنع الذى نجده فى المجتمع الريفى و المدنى. و من المؤلفون ان القوانين و الانظمة هى التى تنظم المجتمع الحضرى و الريفى، اما المجتمع البدوى فان العادات و التقاليد الموروثة هى التى تقوم مقام القوانين و الانظمة و يتولى سلطتها شيخ القبيلة مع اعضاء آخرين من الشيوخ الذين دونه فى مقام الرئاسة، فالشيخ له المقام الاكبر و الشيوخ الآخرون من قبيلته لهم المقام الثانى فى تصريف امور قبيلتهم، و فى هذا المجتمع يقوم نظام الأبوة و هو النظام المعروف: (بالتراركية) و معناه ان رئيس العائلة هو الذى يقوم بتنظيم امور اسرته الكبيرة و يملى عليها او امره، اما علاقة الأسرة ببعضها فهى متينة فى الغالب و يؤكد ذلك نظام الزواج القائم بين القبائل، و بتعبير آخر، يقوم شيخ القبيلة و مجلس مشايخها بممارسة السلطة التنفيذية و التشريعية المعروفة فى نظام الحكومات فى المجتمعات المتحضرة.

و يعامل الأب ابنه معاملة الصديق و ليس له منه الا الرعاية، اما النساء فليس لهنّ فى تقاليد البدو منزلة فى المجتمع، و عليهن ان يقمن بمختلف الخدمات من رعى الأبل و رعى الغنم، و حلبها، و اعداد الطعام و حتى فلى رؤوس الرجال احيانا.

ان حجم المجتمع البدوى القبلى تحدده المصادر و الثروات الاقتصادية الطبيعية التى يمكن للقبيلة ان تعتمد هى و ماشيتها عليها كالمراعى الطبيعية و آبار الماء مثلا،

و فى العادة يكون عدد افراد القبيلة محدودا و صغيرا فى منازلها اذ لكل جزء من القبيلة الكبيرة مناخ و منزل خاص و ذلك بسبب ظروف الصحراء و طبيعة المناخ الجاف و لهذا يلزم ان يكون لكل فخذ او حمولة موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٢١

مراعيها و معالمها الخاصة فهى تضرب خيامها فى مواقع معينة على الغالب فى موسم الربيع، و قد تجتاز بعض القبائل حدود قبائل اخرى فتنشأ بسبب ذلك الحروب فى السابق اما اليوم فان الحكومة هى التى تحل تلك المشكلات. موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج ١٠-٢ ص ٢١

النشاط الاقتصادى للبدو - ٣ -

و للعوامل الجغرافية سيطرتها الطبيعية فى البوادي الصحراوية و ان ما يحوط اهلها من تخلف انما مردّه شدة خضوع اقتصادهم الى عوامل البيئة حتى انها تصبح تابعة لها تبعية مطلقة، و من ابرز هذه العوامل الامطار و المياه الجوفية، و درجة الحرارة، و نسبة الرطوبة التى تتطلبها الاعشاب، لذلك كان الكيان الاقتصادى للبدو لا يتجاوز تربية الماشية من الأبل و الخيل و الاغنام بعد ان ترك البدو فى السنين الاخيرة الغزو و السلب لاتساع نفوذ الحكومات العربية و استتباب الأمن.

و تتحكم كمية الامطار و نزولها فى البوادي فى وضعهم الاقتصادى من حيث الغنى و الفقر النسبيين، فاذا كان الموسم حسنا فمعنى ذلك ان الامطار قد تساقطت بوفرة حتى انتعشت المراعى و كثر فيها العشب، و بهذا يفيد البدو لما تصيبه مواشيه مما تخرجه الارض من عشب و ما يفيدون هم من جذور النباتات أكلا و على الاخص الكمأة بالاضافة الى صيد الحيوانات التى يعتمد عليها البدوى كثيرا فى حياته مثل الطباء و الحبارى، و الضب، و اليرابيع و ما شاكل.

و يزداد فى المواسم الجيدة انتاج المواشى و يتهيا للبدو الكثير من المنتجات اللبينة و فى مقدمتها السمن، اما الوبر و الصوف فانهم يتاجرون و يمتارون من قديم الزمان بثمانه ما يحتاجون اليه من الحبوب و الثياب و الفراء. و كثرة الامطار تؤدى الى غنى المراعى و معناه جودة الموسم، و هذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٢٢

يدفع البدو عادة الى الخروج عن العزلة و الانفراد، الى الحركة و الاختلاط، و الاحتكاك بغيرهم، فكل قبيلة تسابل ما جاورها من القرى و البلدان و تختلط باهلها و تتاجر معهم، و تتبادل محصولاتهم و مصنوعاتهم بمنتجاتها الحيوانية .

*** و من هذا الطريق طريق الاحتكاك بالقرى و المدن و لمس المنافع المادية تجد المدنية فى نفس البدوى ميلا لحياة المدينة و على قدر تأثر البدوى بمباهج حياة المدينة و انظمتها تذوب التقاليد التى نشأ عليها على الرغم من صعوبة ذوبانها فى نفس البدوى.

و هنالك عوامل اخرى فى تمدن البدوى و ركونه الى السكن و تركه حياة البداوة و التجوال فى الصحارى و هى عثوره على ما يظمن حاجاته من الماء و العشب و الامتياز؟؟؟ كأن تنزل القبيلة كلها او بعضها او بعض افرادها حول مياه و فيرة كافية فى مختلف الفصول و خصوصا إذا كان هذا المنزل ممرا للقوافل فلا يلبث هذا الموقع ان يكون قرية ثم مدينة بالقدر المتوفر فيه من العوامل التى تجعل منه مدينة كبيرة مهمة او غير كبيرة و غير مهمة.

و ان جميع القرى و المدن العربية القديمة فى التاريخ القديم تألف سكانها من مجموعة بدائية بدأت اول ما بدأت بحكم الحاجة و افضلية الاستقرار على حياة التجوال و الصيد و الغزو، لقد بدأت قرية صغيرة ثم كبرت بمقتضى العوامل الجغرافية التى تعمل فى اقتصادياتها و لا سيما فى حياتها الزراعية، و ذلك قبل اتساع دائرة الصناعة، و هنا تبدأ القرية باخذ مكانتها فى عالم الاقتصاد على قدر

قابلياتها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٢٣

و على هذه الطريقة قامت معظم المدن و القرى فى التاريخ القديم و قبل انتشار المدنية و الحضارة باستثناء المدن التى أنشئت لتكون مدنا منذ اول يوم نشأتها .

و ليس من شك ان القبائل التى تتأثر بحياة المدينة و طبيعتها تترك هى الاخرى فى المدينة أثرا على قدر ما فيها من قوة و قابلية سواء فى العادات او التقاليد او اللغة. و فى المدن العراقية اليوم أثر كبير من هذه التأثيرات التى خلفها افراد القبائل التى انتقلوا اليها و التى كانوا قد توارثوها من البدو .

و فى هذا النوع الذى يخرج البداوة من حياة البداوة و يدخلها فى حياة المدن فيتأثر السكان بعضهم ببعض لغة، و عادات، و تقاليد، بسبب الاختلاط و الامتزاج يقول محمود شكرى الالوسى عن العرب بما يشملون من بدو و حضر:

ان لفظ العرب فى الاصل اسم لقوم جمعوا عدة اوصاف: احدها ان لسانهم كان اللغة العربية، و الثانى: انهم كانوا من اولاد العرب، و الثالث: ان مساكنهم كانت ارض العرب، و هى جزيرة العرب التى هى من بحر القلزم الى بحر البصرة، و من اقصى حجر باليمن الى اوائل الشام بحيث كانت تدخل اليمن فى دارهم و لا تدخل فيها الشام، و فى هذه الارض كانت العرب حين المبعث و قبله، فلما جاء الاسلام و فتحت الامصار سكنوا سائر البلاد و من اقصى المشرق الى اقصى المغرب، و الى سواحل الشام و ارمينية، و هذه كانت مساكن فارس، و الروم، و البربر، و غيرهم، ثم انقسمت هذه البلاد قسمين، منها ما غلب على اهله لسان العرب حتى لا تعرف عامتهم غيره، او يعرفونه و غيره مع ما دخل فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٢٤

لسان العرب من اللحن، و هذه غالب مساكن الشام، و العراق، و مصر، و الاندلس، و نحو ذلك، و ارض فارس و خراسان كانت هكذا قديما، و منها ما العجمية كثيرة فيهم و غالبه عليهم، كبلاد الترك، و خراسان، و ارمينية، و اذربايجان و نحو ذلك، فهذه البقاع انقسمت الى ما هو عربى ابتداء، و الى ما هو عربى انتقالا، و الى ما هو عجمى، و كذلك الانساب ثلاثة اقسام: قوم من نسل العرب و هم باقون على العربية لسانا و دارا، او لسانا لا- دارا، او دارا لا- لسانا، و قوم من نسل العرب بل من نسل بنى هاشم ثم صارت العربية لسانهم و دارهم او احدهما، و قوم مجهولو الاصل لا- يدرون أمن نسل العرب هم ام من نسل العجم؟ و هم اكثر الناس اليوم سواء كانوا عرب الدار و اللسان او احدهما، و كذلك انقسموا فى اللسان ثلاثة اقسام: قوم يتكلمون بالعربية لفظا و نغمة، و قوم يتكلمون لفظا لا- نغمة و هم المتعربون الذين لم يتعلموا اللغة ابتداء من العرب و انما اعتادوا غيرها ثم تعلموها كغالب اهل العلم ممن تعلم العربية، و قوم لا يتكلمون بها الا قليلا، و هذان القسمان منهم من تغلب عليه العربية و منهم من تغلب عليه العجمة و منهم من قد يتكافأ فى حقه الامران إما قدره و إما عادة .

بدو العراق

و معظم قبائل العراق كان من اصل بدوى و كان الكثير منهم فى حدود العراق من ارض جزيرة العرب و البعض منهم كان فى العراق ايضا، و اختلف المؤرخون فى سبب ذلك فذهب ابن خلدون فى تاريخه عند الكلام على الطبقة الثالثة من العرب و هم العرب التابعة للعرب أن بختنصر ملك بابل هو الذى اسكن بعضهم فى الحيرة بسبب ما كان له مع التابعة و غيرهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٢٥

من الوقائع و الحروب، و بعد موته انتقلوا منها الى الانبار فانتشروا بعد ذلك بارض العراق.

و قال الهمداني فى كتاب جزيرة العرب: سار تبع ابو كرب فى غزوته الثانية، فلما اتى موضع الحيرة خلف هناك مالك بن فهم بن غنم

ابن دوس على اثقاله و تخلف معه من ثقل من اصحابه فى نحو اثنى عشر الفا، و قال: تحيروا هذا الموضع فسمى الموضع الحيرة، و هو من قولهم تحير الماء اذا اجتمع و زاد، و تحير المكان بالماء اذا امتلأ،

و يقول جرجى زيدان: و قد اكثر العرب من تحليل اسم (الحيرة) و تعليله على عاداتهم فى ارجاع الاعلام الى مشتقات عربية، فقالوا سميت بذلك من الحيرة اى الضلال، لأن تبعا لما بلغ موضع الحيرة- على ما يزعمون- ضل دليله و تحير، و زعم آخرون: ان مالكا لما نزلها جعلها حيرا- اى حظيرة او بستانا- و اقطعه قومه، ثم صارت الحيرة، و قال غيره بل سميت الحيرة من الحوار، اى البياض، لبياض ابنتيها.

و الحقيقة أن لفظها سريانى معناه الحصن او المعقل حوله الخندق، و هى و الحير العربية من اصل واحد كما نرى من تقارب اللفظ و المعنى و لذلك كانوا يعرفونها بقولهم (حيرة النعمان) او (حيرة المنذر) اى حصنه او معقله على جارى العادة فى انشاء المدن يومئذ، فكان الملك او الامير يبنى معقلا لنفسه و حاشيته، ثم يبنى الناس حوله فيتسع المكان بتوالى الأزمان و يصير مدينه، و على هذا النمط نشأت البصرة، و الكوفة

و لما كانت الحيرة على طرف العراق فى الغرب و ليس بعدها غير البادية رغب فيها البدو فكان يؤمها البدوى لابتياج بعض الحاجيات ثم لا يلبث ان يقيم فيها .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٢٦

و يقول الهمداني: ان مالكا كان اول ملوك الحيرة و أباهم، و كانوا يملكون ما بين الحيرة و الانبار، و هيت، و نواحيها، و عين التمر، و اطراف البرارى الغمير، و القطقطانة، و حفية.

و غير الهمداني يقول ان الحيرة بلدة على حافية البادية، و حافة سواد العراق، و ان تبعا لما سار من اليمن الى خراسان و انتهى الى موضعها ليلا تحير فتزل و أمر بنائها فسميت الحيرة، و صارت مقام الملوك اللخمييين من آل النعمان بن المنذر و بها تنصر المنذر بن امرىء القيس و بنى بها الكنائس العظيمة، و اقام قصرا سماه (الزوراء) و هو المعنى بقول النابغة الذبياني.

و تسقى اذا ما شئت غير مصرّذبزوراء فى أكنافها المسك كارع

و على هذا تكون الحيرة اول مدينة بناها العرب الذين جاؤوا من الجزيرة و يكون تبع و قومه اول من دخلوا العراق و اختلطوا بالسكان و تطبعوا بالطبيعة المدنية و اسسوا القرى و المدن.

و كثر بعد ذلك دخول القبائل العربية من جزيرة العرب الى العراق، و حين تم فتح المسلمين العراق دخلت اكبر موجة من الجزيرة فى بلاد العراق، و حين انتقلت عاصمة الخلافة من المدينة المنورة الى الكوفة فى خلافة الامام على (ع) كما مرت الاشارة اليه من قبل كان عدد القبائل المتحضرة و نصف المتحضرة و قبائل البدو الذين دخلوا العراق كبيرا جدا، و قد نال بعضهم قسطا مناسبا من المدينة كقبائل الحجاز، و بقى البعض الاخر على فطرتهم، و قد وجدت هذه القبائل فى بلاد العراق ما يطمئن لها رغد العيش فاقام منها البعض فى المدن و فى اطرافها و طبع بطابعها، و عاش البعض الاخر فترة من الزمن عيش البداوة فى مراعى العراق بعيدين بعض

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٢٧

البعد عن مراكز المدن حتى تسنى لها بعد ذلك ان تذوب بالتدرج فى الحياة المدنية و تعمل فى الزراعة و من هولاء جلّ قبائل العراق و كانت آخر قوافل البدو التى قدمت العراق فى العصور الاخيرة و استقرت فيه و تمدنت و ألف رؤساؤها مدينة (الناصرية) هى قبيلة آل السعدون، و لم يدخل العراق بعد هذه القبيلة من قبائل البدو قبيلة اخرى.

اما القبائل البدوية التى سبقت قبائل آل السعدون فى مجاورتها العراق و سكنها فى وسطه و اطرافه و ظلت على بداوتها فهى:

١- قبيلة شمر و تسكن هذه القبيلة داخل العراق و فى المنطقة الواقعة بين الفرات و دجلة من شمال بغداد و المسماة بالجزيرة.

٢- قبيلة عنزة و هى تسكن فى اعالي الفرات من الغرب و تتمركز فى الرطبة.

٣- قبيلة آل ظفير و هي التي تتمركز متجولة في الفرات الجنوبي من المغرب و حول (السلمان).

اما شمر فقد بدا عليها الاستقرار بعد الحرب العظمى الاولى حين حبب رؤساؤها لقبيلتهم استثمار الارض و زراعتها، و منذ ذلك التاريخ بدأ التطور المدني يبدو عليها، و اصبح لها منتوج زراعي يلزمها بالاستقرار و ترك حياة البداوة و قد تألفت من مجامعها الزراعية مجموعات تشبه القرى

و اما آل ظفير فقد انتقل منها البعض الى المدن و ترك حياة البداوة، و هناك الان كثير من العائلات التي تسكن مدن العراق الجنوبية يرجع تاريخها الى هذه القبيلة و مع ذلك فقد بقيت القبيلة بمجموعها الكبير على بداوتها.

و اما قبيلة عنزة فقد بقيت على فطرتها البدوية تنتقل كآل ظفير ضمن حدود معينة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٢٨

و الشيء المهم الذي لم يبق له اثر في هذه القبائل هو الغزو و المعارك و السلب الذي كانت قد تطبعت به القبائل البدوية و ذلك لقوة الحكومة و لأن هذه القبائل بدأت تدنو بسبب الاحتكاك نحو حياة المدينة كما دنت القبائل البدوية الاخرى من قبل و ذابت، و لا- يبعد ان يكون شأن (عنزة) و شأن (آل ظفير) كشأن شمر ثم تصبح هذه القبائل البدوية كعشائر العراق لا سيما و ان الحكومات العراقية بدأت تستعجل القبائل الرحل البدوية على المكث و الاستقرار بما تهىء لها من وسائل التمدين و تسهيل استغلال الارض في الزراعة.

و يقول البرازي: لقد استقرت البداوة في بوادي العراق منذ فترة طويلة، و نمت البدوى مهاراته و اساليب حياته، و كانت البداوة طيلة هذه الادوار التاريخية في نزاع مستمر مع الحضارة الزراعية المستقرة في وادي الرافدين، و بالرغم من هذا النزاع ظلت بداوة الرعى مزدهرة في هذه البوادي، و سارت جنبا الى جنب مع الزراعة المستقرة بعد ان انفصل مجالهما، فسكن المزارعون حول ضفاف الانهار و زرعوا الارض، بينما تكيف الرعاة مع طبيعة المرعى و طبيعة الحيوان، و اتخذوا مسارحهم في المناطق الصحراوية و شبه الصحراوية في هذه البوادي.

و ظلت هاتان الحضارتان الرعوية و الزراعية، و ما انبثق منهما من نشاطات اقتصادية و نظم اجتماعية تمثلان حضارة الانسان في العراق في تاريخها الطويل حتى الوقت الحاضر الذي ظهرت فيه الحضارة الصناعية، و لم يخفف التناقض في اسلوب الحياة و الرأى بينهما . اما الواقع فان الرعى لم يعد يختص بالبداوة و انما هو جانب من جوانب الزراعة الذي يتمشى مع استثمار الارض حتى لقد دخل الصناعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٢٩

في العراق و اصبح الرعى مشمولا بالمدينة التي ابعدهته عن حياة البداوة.

هكذا انتقل البدو و بدو العراق خاصة من حياة الترحل و التجوال و العيش المحدود الى حياة المدينة يوما بعد آخر حتى تألفت منهم المدن العراقية الكبيرة كالحيرة و البصرة و الكوفة.

و هذه مدينة الكاظمين ينحدر عدد غير قليل من سكانها من مختلف القبائل و على الاخص العلويين من العدنانيين و الخزرج من القحطانيين اللذين شرعنا بدراسة اصول أسرتيهما ابتداء من هذا الجزء.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٣٠

الكاظمين او المشهد الكاظمي

المشهد الكاظمي، او مشهد الامام موسى بن جعفر هو الاسم الذي عرفت به هذه المدينة- مدينة الكاظمين- في التاريخ و يرجع تاريخ هذه التسمية- تسمية هذه المدينة- بالمشهد الكاظمي، او مشهد الامام موسى ابن جعفر الى يوم دفن الامام موسى بن جعفر الصادق بن محمد بن الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابى عبد الله بن علي بن ابى طالب- عليهم السلام- في هذه البقعة، و ذلك في سنة ١٨٣ هـ، اما اسم الكاظمين او اسم الجوادين احيانا فقد عرفت به هذه المدينة في السنين الأخيرة فتغلب على الاسمين السابقين و اصبحت المدينة اليوم تدعى بمدينة (الكاظمين) أو (الكاظمية) بعض الأحيان.

و بقعة الكاظمين هذه هي جانب من ممتلكات الكشيين القدماء الذين جاءوا العراق في اواسط القرن الخامس عشر قبل الميلاد، لقد جاءوا من الجبال الشمالية الشرقية من منطقة لرستان، يقودهم زعيم اسمه (كندش) موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٣١

فاحتلوا مدينة بابل، و تعلموا اللغة البابلية السامية و كان منهم الملك (كاريكالزو) و هو الذي شيد للدولة عاصمة جديدة اطلق عليها اسمه المذكور و التي تعرف اطلالها و يعرف تلها العظيم اليوم باسم (عقرقوف) و تعتبر ارض مدينة الكاظمين جزءا من تلك العاصمة، و جانبا من جوانب هذا التل.

و في معجم البلدان لياقوت ان «عقرقوف هو عقر أضيف اليه فصار مركبا مثل حضر موت و بعلبك، و هي من نواحي (دجيل) بينها و بين بغداد اربعة فراسخ، و الى جانبها تل عظيم من تراب يرى من خمسة فراسخ كأنه قلعة عظيمة لا يدري ما هو، الا ان ابن الفقيه ذكر انه مقبرة الملوك الكيانيين، و هم ملوك كانوا قبل آل ساسان من النبط».

و في (نزهة القلوب) لحمد الله المستوفى القزويني المطبوع بليدن:

ان الذي بنى (عقرقوف) هو كيكاووس الذي أطلق عليه اسم النمرود، و نسبت له قصة ابراهيم و الاصنام و قصة احراقه بالنار، و كيفما كان الأمر فان تاريخ هذه البقعة قديم و يرجع الى ما قبل ٣٠٠٠ سنة.

و يقول الدكتور مصطفى جواد: و لم نقف على اسم منطقة (الكاظمين) في عصر الكشيين و لا- في عصور من حكموا قبلهم كالأكديين الساميين و البابليين و لا في عصر من حكموا بعدهم كالكلدانيين و الاخمينيين الايرانيين، و انما نستطيع ان نجد اسما لها يشبه الأسماء اليونانية و هو (قطر بل) و هذا يدل على ان الاسم كان معروفا في اواخر القرن الرابع قبل الميلاد . و كانت هذه المنطقة تعرف (بطسوج قطر بل) في أيام الساسانيين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٣٢

مقبرة الشهداء

و الغالب على الظن ان هذه المنطقة قبل ان تكون مدفنا للامام موسى ابن جعفر و حفيده محمد الجواد، و قبل ان تكون مقبرة للقرشيين باسم (مقابر قريش) كانت مدفنا لعدد من الذين استشهدوا في حرب الخوارج قرب الكاظمين و دفنوا هناك في غربى الكاظمين الجنوبي و ذلك سنة ٣٧ هجرية.

قال الطبرى: «و بالقرب من القبر المنسوب الى هشام (ابن عروة بن الزبير بن العوام) بالجانب الغربى قبور جماعة تعرف (بقبور الشهداء) لم ازل اسمع العامة تذكر انها قبور قوم من اصحاب امير المؤمنين على ابن ابى طالب كانوا شهدوا معه قتال الخوارج بالنهروان و ارتثوا في الوقعة ثم لما رجعوا ادركهم الموت فى ذلك الموضع فدفنهم على هناك، و قيل ان فيهم من له صحبة و قد كان حمزة بن محمد بن طاهر ينكر ايضا ما اشتهر عند العامة من ذلك، و سمعته يزعم ان لا اصل له و الله اعلم».

و ردّ الدكتور مصطفى جواد على من كان ينكر مرور الامام على بن ابى طالب (ع) بهذه المنطقة فى حرب الخوارج و على الذين أنكروا دفن الشهداء هنا مفندا ثم استدرك و قال:

ال- ان الراجح هو ان اولئك استشهدوا قبل وقعة (النهروان) بقليل، و كانت الوقعة بينهم و بين الخوارج قرب ارض الكاظمية و في نواحيها، و منها (مقبرة الشهداء) المذكورين، غير ان مقبرتهم و مقبرة (باب حرب) و غيرهما قد زالت و لم يبق لها أثر .
و في اخبار سنة ٦٤١ هـ من (الحوادث) ان ميتا حمل الى (مقبرة
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٣٣

(الشهداء) ليدفن فيها فلما حفر الحفار قبراً له وجد في الحفر جرّة مملوءة دراهم يونانية و دراهم اسلامية مما ضرب بالمدينة المنورة فاحضرها الى المحتسب ببغداد فحملها المحتسب الى دار الوزير نصير الدين احمد بن الناقد وزير الخليفة المستعصم بالله فأمره بالمضى الى المقبرة و اعتبار الحفر (اي فتشه)، فحضر و حفر حول القبر فوجدوا جرّة اخرى كان بها نحو عشرة آلاف درهم.
و عن نفس المصدر من الحوادث اورد الدكتور مصطفى جواد في الجزء الاول من قسم الكاظمين من موسوعة العتبات المقدسة عن قدم (مقبرة الشهداء) في منطقة الكاظمين العثور على نقود يونانية في تلك المنطقة مخلوطة مع نقود غيرها و ذلك يدل على ان احد سكان هذه المنطقة في العهود الاسلامية عثر عليها في أثناء حفر اسس لداره او لعمارة اخرى من العمارات.
و في سنة ٦٤٧ هـ أمر الخليفة المستعصم بالله بعمارة مشهد الامام موسى ابن جعفر -ع- فلما شرع الفعل و البناء في ذلك وجدوا برنيّة- اي بستوقة- فيها ألف درهم قديمة منها يونانية عليها صور، و منها ضرب بغداد و منها ما هو ضرب (واسط) فعرضت على الخليفة المذكور آنفاً فأمر ان تصرف في عمارة المشهد اضعاف ما كان حمل اليهم منها.

الى غير ذلك مما دلت الحفريات على قدم هذه البقعة التي اول ما اتخذت مدفناً فانما اتخذت للشهداء الذين حاربوا الخوارج في النهروان او قبل معركة النهروان كما يرى الدكتور مصطفى جواد و ذلك قبل ان تشتهر هذه البقعة كمقبرة باسم (مقابر قريش) ثم باسم (المشهد الكاظمي) او (مشهد الامام موسى بن جعفر) فيما بعد.
و مقبرة الشهداء هذه- كما عيّنها الدكتور مصطفى جواد في تحقيقه واقعة بالقرب من (الشالجية) الحالية، و هي جانب من المنطقة المعروفة باسم (سونايا) الأرامي الواقعة بين الكاظمين و بغداد من الغرب و المتصلة
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٣٤

بمقابر قريش (مشهد الامام موسى بن جعفر) الذي يسمى اليوم بالكاظمين، فكانت مقبرة الشهداء اول مقبرة قامت للمسلمين في منطقة الكاظمين.

و يذكر العلامة المؤرخ الشيخ محمد السماوي تخطيط المنصور لمدينة بغداد في ارجوزته فيذكر (المنطقة). و يذكر (برائا) و يذكر موقع (سونايا) الذي كان يشمل (مقبرة الشهداء) فيقول عن المنصور:

و عّين الغرب لنهر دجلة على ازورار نهرها في الجملة

و خطّها دائرة متّسقة و مركز الخط بحيث (المنطقة)

و هي التي يدعونها (سونايا) خلف (برائا) إذ تقاس نايا

حيث (برائا) للجنوب سمت تبعد عما خطّه نوبخت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٣٥

مقابر قريش

و يتضح مما مرّ ان مدينة الكاظمين الحالية لم تكن غير جانب من مقاطعة كانت معروفة في التاريخ القديم و قد قامت عليها المدينة المعروفة باسم (قطر بل) و قد ورد لها ذكر كثير في التاريخ و في الشعر العربي خاصة، و حين قام المنصور بتخطيط بغداد و بنائها سنة ١٤٩ لم نجد لهذه البقعة اي ذكر في التاريخ حتى مات ابن المنصور (جعفر الاكبر) الذي تكّنى المنصور باسمه و دعى بابي جعفر

فدفنه ابوه فى هذه البقعة و ذلك فى سنة ١٥٠ هـ و خص هذه المقبرة بالقرشيين، على ان يدفن هو فيها اذا مات فسميت بمقابر قريش، ثم تكاثر الدفناء فى هذه البقعة من الاكابر و الوجوه و الاعلام و سائر الناس تبركا بهذا المقام منذ أن جرى دفن الامام موسى بن جعفر (ع) فيه و ذلك سنة ١٨٣ هـ فلم تعد تعرف (بمقابر قريش) بل صارت مقبرة عامة للذين يلتمسون دفنهم فى جوار الامام الكاظم مثوبة عند الله لما عرف به الامام من صفات انفرد بها اولياء الله و اصفياؤه.

يقول الشيخ ابراهيم يحيى من قصيدة له فى الكاظم:

و حامى حمى الزوراء موسى بن جعفر ملاذ جميع الناس و الدهر مجحف

و ضامن دار الخلد للزائر الذى اتاه يؤدى حقه لا يسوف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٣٦ و بحر الندى ذاك الجواد الذى جرى رويدا فبد الغيث، و الغيث موجف

و جاء فى الحوادث: انه كان قد حفر للناصر لدين الله الخليفة العباسى سرداب فى جوار الامام موسى بن جعفر و لكنه دفن فى الرصافة و قد دفن نصير الدين ابو جعفر محمد بن محمد الطوسى فى هذا السرداب الذى كان قد حفر ليكون مدفنا للناصر لدين الله، و نقل انه قيل للطوسى - رض - فى مرض موته:

- ألا توصى بحمل جسدك الى مشهد النجف الأشرف الأطهر؟

فقال- لا، بل استحى من وجه سيدى الامام الهمام موسى بن جعفر- عليهما السلام- أن آمر بنقل جسدى من ارضه المقدسة الى موضع آخر .

و هكذا ما لبثت ان صارت هذه البقعة مدفنا للقرشيين و غير القرشيين، و لطائفة كبيرة من الأعلام و أئمة المسلمين كما يرى القارىء من استعراض تراجمهم فى الجزء الثانى من قسم الكاظمين من موسوعة العتبات المقدسة التى قام بجمعها و تحقيقها الدكتور مصطفى جواد عن الدفناء الذين تم دفنهم فى الكاظمين خلال سبعة قرون و وافاه الأجل قبل ان يتم تراجم الذين دفنوا بعد القرن الثامن الهجرى حتى القرن الرابع عشر الاخير من الاعلام و المشاهير.

و يقول ياقوت الحموى فى معجم البلدان عن مقابر قريش «و هى مقبرة مشهورة، و محلة فيها خلق كثير و عليها سور بين الحريية، و مقبرة احمد بن حنبل رضى الله عنه، و الحريم الطاهرى، و بينها و بين دجلة شوط فرس جيد، و هى التى فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، بن على زين العابدين بن الامام الحسين بن على بن ابى طالب، و كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٣٧

اول من دفن فيها جعفر الاكبر بن المنصور امير المؤمنين فى سنة ١٥٠ و كان المنصور اول من جعلها مقبرة لما ابنتى مدينته (بغداد) سنة ١٤٩».

و قال الخطيب البغدادي عن مقابر قريش:

«بالجانب الغربى فى اعلى المدينة (مقابر قريش) دفن فيها موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب و جماعة من الافاضل معه».

و يقول الخطيب بعد ذلك:

«سمعت بعض شيوخنا يقول: مقابر قريش كانت قديما تعرف بمقبرة الشونيزى الصغير، و المقبرة التى وراء التوتة تعرف بمقبرة

الشونيزى منظر عام لمقرد الامامين الكاظمين موسى بن جعفر و محمد الجواد عليهما السلام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٣٨

الكبير و كان اخوان (كذا) يقال لكل واحد منهما الشونيزى فدفن كل واحد منهما فى احدى هاتين المقبرتين، و نسبت المقبرة اليه « و هذا القول مردود اذا ما استعرضنا اقوال المؤرخين و تتبعنا تحديد المواقع، و يبدو لنا ان الخطيب البغدادي و من ذهب مذهبه فى اعتبار

الشونيزيه مقابر قريش واهمون.

اما الذى يجوز اعتباره من مقابر قريش و المتصل بها فهو (باب التبن) لورود نصوص بكون هذا الباب ضمن مدفن الامام موسى بن جعفر.

يقول ياقوت فى معجمه عن باب التبن:

«و هو بلفظ التبن الذى تأكله الدواب، اسم محلّة كبيرة كانت ببغداد على الخندق بازاء قطيعة ام جعفر، و بها قبر عبد الله بن احمد بن حنبل رضى الله عنه، دفن هناك بوصية منه و ذاك انه قال: قد صح عندى ان بالقطيعة نبيا مدفونا، و لأن اكون فى جوار نبى احب الى من ان اكون فى جوار ابي، و بلسق هذا الموضع (مقابر قريش) التى فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الامام الحسين ابن الامام على بن ابي طالب رضى الله عنهم، و يعرف قبره بمشهد باب التبن، مضاف الى هذا الموضع، و هو الآن محلّة عامرة ذات سور مفردة».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٣٩

الكاظمين

ليس بإمكان التاريخ ان يعرف كل الاسباب التى استدعت. اطلاق الاسماء لاول مرة على مسمياتها من المدن و المحلات و المواقع و غيرها، فلم يزل المؤرخون و المتتبعون يجهلون حتى اليوم اسباب تسمية عشرات الالوف من المدن و المحلات و المواقع باسمائها، فى حين ان الكثير من هذه المواقع قريب عهد بالتسمية بحيث لم يمر عليه بضعة قرون و حتى اقل من ذلك بكثير، و مع هذا فلم تزل اسباب اطلاق الاسماء عليها و ما تعنى هذه الاسماء مجهولة لدى المؤرخين و هى محل اختلاف و جدل على الأقل، و من هذه الاسماء التى يختلف المؤرخون فى معانيها او اسباب اطلاقها على مسمياتها من مدن العتبات المقدسة هى اسم (مكة) المكرمة، و اسم النجف الاشرف، و اسم كربلاء و غيرها، و مع ذلك فان هناك الكثير من المدن و مدن العتبات المقدسة معروفة الاسماء و المعانى و الاسباب التى دعت لاطلاق تلك الاسماء عليها، و ليس فيها للاختلاف محل و لا شبهة، و من ذلك كان اسم مدينة الكاظمين.

و الكاظمين - كما أشرنا من قبل - اسم حديث اطلق على هذه المدينة بعد ان اصبحت مدينة، و بعد ان تمصرت و سكنها الناس، اما اسمها السابق و قبل ان تكون مدينة و حتى بعد ان صارت مدينة بقليل فهو (مشهد الامام موسى بن جعفر) او (المشهد الكاظمي)، نسبة الى صفة الكظم التى اتصف بها الامام موسى بن جعفر الذى اشتهر بحلمه و كظمه الغيظ و عفوه عن الساءة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٤٠

و الكاظم الغيظ لغة: هو الذى يحبس غيظه و يمسك على ما فى نفسه منه.

و جاء فى لسان العرب: و كظم الرجل غيظه اذا اجترعه، و كظمه يكظمه كظما: ردّه و حبسه فهو رجل كظيم، و الغيظ مكظوم، و فى التنزيل العزيز: و الكاظمين الغيظ، فسره ثعلب فقال: يعنى الحابسين الغيظ لا يجازون عليه.

و قال الزجاج: معناه: أعدت الجنة للذين جرى ذكرهم، و للذين يكظمون الغيظ.

و روى عن النبى صلى الله عليه و سلم، انه قال: «ما من جرعة يتجرعها الانسان اعظم أجرا من جرعة غيظ فى الله عز و جل».

و فى الحديث: من كظم غيظا فله كذا ... و كذا

و من حديث عبد المطلب: ان له فخرا يكظم عليه - اى لا يبديه و يظهره، و هو حسبه .

و فى الكشاف للزمخشري فى تفسير الآية الكريمة: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ، وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» قال:

و كظم الغيظ، هو ان يمسك على ما فى نفسه بالصبر، و لا يظهر له اثرا و عن النبى صلى الله عليه و سلم: «من كظم غيظا و هو يقدر

على انفاذه ملاً لله قلبه أمانة وإيماناً».

و عن عائشة رضي الله عنها: ان خادماً لها غاضبها فقالت: لله درّ التقوى، ما تركت لذي غيظ شفاء.

و في قول الله (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) قال الزمخشري: الذين اذا جنى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٤١

عليهم احد لم يؤاخذوه، و روى: «ينادى مناد يوم القيامة: اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا».

و عن النبي صلى الله عليه و سلم «ان هؤلاء قليل في أمتي الا من عصم الله».

و في مجمع البيان للطبرسي في تفسير (و الكاظمين الغيظ) قال: اي المتجرعين للغيظ عند امتلاء نفوسهم منه فلا ينتقمون ممن يدخل

عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك، و في تفسير قوله تعالى: (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) قال الطبرسي: انه يعنى الصافحين عن الناس

المتجاوزين عما يجوز العفو و التجاوز عنه مما الى يؤدي الى الاخلال بحق الله تعالى .

*** و لقد صور الامام موسى بن جعفر - عليهما السلام - كظم الغيظ، و العفو تصويراً بلغ حد الاعجاز، اذ لم يرو عن احد في اعلام

التاريخ مثل ما روى عنه كظماً للغيظ، و عفواً عن الساءة، حتى لقب من دون خلق الله بكاظم الغيظ، و حتى اعتبره اصحاب التراجم و

السير قدوة لم يبلغ ذروتها احد من الأئمة الموصوفين باسمى صفات الحلم و التسامح.

و مما ورد عن الامام الكاظم انه احضر اولاده يوماً فقال لهم:

«يا بنى انى اوصيكم بوصية من حفظها لم يضع معها، ان أتاكم آت مكروها فاعتذر و قال: لم أقل شيئاً، فاقبلوا عذره».

و قد التقاه أبو نواس مرة فقال:

اذا أبصرتك العين من غير ريبه و عارض فيك الشك اثبتك القلب

و لو ان ركبا أمموك لقادهم نسيماك حتى يستدل بك الركب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٤٢ جعلتك حسبي في أموري كلها ما خاب من اضحى و انت له حسب

و يقول عبد الباقي العمري عن الامام الكاظم:

ملجأ العاجزين، كهف اليتامى مروء المرملين مأوى الضيوف

انا عنه حيا و ميتا بدنياى و اخرى لست بالمصروف

فليمنى من شاء انى موال رافل من ولائهم بشغوف

قال الربيع بن عبد الرحمن: كان و الله (اي الامام الكاظم) من المتوسمين فيعلم من يقف عليه بعد موته و يكظم غيظه عليهم، و لا

يبدى لهم ما يعرفه منهم و لذلك سمي الكاظم.

و يقول فيه عبد الغفار الاخرس:

كاظم الغيظ سالم الصدر عاف ما هوى قط صدره الاحقادا

و حين توفى حفيد الامام الكاظم محمد الجواد (ع) بعد وفاة جده بعدة سنوات، دفن الى جوار جده و عند ضريحه و كان الامام

(الجواد) يحكى شيئاً غير قليل من صفات حده موسى بن جعفر (ع) و لا سيما فى الجود و اسداء الجميل و الحلم، و من هنا بدأ البعض

يطلق صفة كظم الغيظ على الامامين معا فسميت المدينة باسم (الكاظمين) اي باسم صفة الجد و الحفيد، و لما كان كلا الامامين

موصوفين بالجود فقد اطلق البعض على اسم المدينة اسم (الجوادين) ايضا، و لكن هذا الاسم كان و لم يزل على شهرته دون شهرة

اسم (الكاظمين).

يقول الشاعر:

ما خاب من أمّ جوادا فهل يخيب من أمّ جوادين؟

و كثيرة هي الشواهد الدالة على سمو النفس عند الامام الكاظم و ما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٤٣

اتصف به من السماحة و العفو و الجود و كظم الغيظ، و هو فى اعلى مراتب العزة و عظمة النفس التى ترفعه عن الذلة و تصعد به الى اعلى القمم من الإباء و عزة النفس.

كان هرون الرشيد يرى بعينه و يسمع عن اقبال الناس على الكاظم عليه السلام و القبول منه، و الأخذ عنه، و الرجوع اليه، و عند ما كان يراه الرشيد و هو فى مثل هذه المنزلة مالكا قلوب الناس متمتعاً بهذه الشعبية المحبوبة كانت تساوره الهواجس فكان يحاذر على سلطانه منه، فتراه يتصدى لاجراجه بكل ما اوتى من قوة حطاً لقيمته و لقد سأله الرشيد ذات مرة:

- كيف صرتم ذرية رسول الله و انتم بنو على؟ و انما ينتسب الرجل ضريح الامامين: موسى الكاظم و محمد الجواد عليهما السلام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٤٤

الى جده لايه دون جده لأمه؟

فيجيبه الامام موسى بالآية الكريمة قائلاً:

«وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ لَيْسَ لِعِيسَى أَبٌ وَ إِنَّمَا الْحَقُّ بِذُرِّيَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِ أُمَّهِ، وَ كَذَلِكَ نَحْنُ الْحَقُّ بِذُرِّيَةِ النَّبِيِّ مِنْ قَبْلِ أُمَّنَا فَاطِمَةَ.

ثم اضاف الكاظم قائلاً:

لو نشر رسول الله و خطب اليك كريمتك أكنت تزوجه؟

قال الرشيد- نعم و افتخر على العرب و العجم.

قال الامام موسى- و لكنه (اي النبى) لا يخطب منى، و لا ازوجه لأنه ولدنا و لم يلدكم

و لقد دعا تخوف الرشيد من احتفاء الناس بالامام الكاظم و شدة الاقبال عليه، و كثرة ما كان وجود بالمال الذى كان يأتيه من جميع الاطراف على سبيل الهدية و التبرك فيتفقد به فقراء المدينة و المعوزين فى الخفاء و فى منتصف الليل اذ يحمل اليهم الزنبيلى و فيه العين (الذهب) و الورق (الفضة) و الأدقّة (الطحين) و التمر، فيوصل اليهم ذلك فلا يعلمون من اية جهة هو.

و فى عمدة الطالب: كان موسى الكاظم، عظيم الفضل، رابط الجأش، واسع العطاء، و كان يضرب المثل بصرار موسى حتى قيل:

«عجبا لمن جاءته صرّة موسى فشكا القلّة»

و يستبين المتتبع لصفات الكاظم و صفة السخاء و الكرم و منزلة هذه الصفة عنده من احدى و صاياه لهشام بن الحكم اذ يقول له:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٤٥

«يا هشام، كان امير المؤمنين (ع) يوصى اصحابه فيقول:

اوصيكم بالخشية من الله فى السر و العلانية، و العدل فى الرضا و الغضب، و الاكتساب فى الفقر و الغنى، و ان تصلوا من قطعكم، و تعفوا عمن ظلمكم، و تعطفوا على من حرمكم، و ليكن نظركم عبراً، و صمتكم فكراً، و قولكم ذكراً، و طبيعتكم السخاء، فانه لا يدخل الجنة بخيل، و لا يدخل النار سخي».

الى غير ذلك من الكثير الكثير

نقول: لقد دعا تخوف الرشيد من مكانة الامام موسى بن جعفر (ع) و حلمه الذى عرف به، و معروفه المشهور، و سخائه الذى ضرب به المثل، و تعلق الناس به من جميع الاجناس. الى التفكير فى ازاحته من طريقه، و زجه فى السجن ليغيبه عن اعين الناس و يمحو ذكره.

ففى الحجة التى قام بها الرشيد الى مكة قبض على الامام موسى الكاظم و قيده و أخرج من داره بغلين عليهما قبتان مستورتان، و جعل

الامام الكاظم في احدهما ووجه مع كل قبة خيلا، فاخذ جنده بواحدة من القبتين على طريق البصرة، و اخذ الجند القبة الأخرى على طريق الكوفة ليعتمى على الناس و كان الامام الكاظم في التي مضت الى البصرة، و أمر الرسول ان يسلم موسى الكاظم الى عيسى بن جعفر بن المنصور و عيسى هذا هو اخو الست زبيدة و ابن عم هرون الرشيد، و كان على البصرة حينذ، فجاء الجند بالامام الكاظم اليه فحبسه عيسى عنده سنة كاملة، و يبدو ان عيسى لم يحتمل ان يحبس اماما اشتهر بتلك المجموعة من الصفات من كظم الغيظ «الجود، و الحلم و العفو دونما ذنب او جناية فكتب الى الرشيد يقول:

«خذه مني و سلمه الى من شئت، و الا خليت سبيله، فقد اجتهدت أن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٤٦

آخذ عليه حجة فما قدرت على ذلك. حتى أنى لأتسمع عليه اذا دعا لعله يدعو عليّ او عليك فما اسمعه يدعو الا لنفسه، و يسأل الله الرحمة و المغفرة!!»

و ليس ادلّ على كظم الغيظ و العفو عن الناس من ان يحبس رجل مظلوم و بدون ذنب سنة كاملة ثم لا- يحمل لحابسه غيظا و لا للمنكّلين به غضاضة.

و حين نقله الرشيد بعد ذلك الى حبس السندي بن شاهك كان السندي من اقصى السجانين قلبا، و اكثرهم شدة فضيق عليه بما استطاع و كان للسندي هذا اخت كانت متديّنة و كانت تشرف على سجنه و قد حكّت عنه فقالت:

(انه كان اذا صلى العتمة حمد الله و مجده، و دعاه الى ان يزول الليل، ثم يقوم فيصلي، حتى يصلى الصبح، ثم يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، ثم يقعد الى ارتفاع الضحى ثم يرقد ... الخ .. و كان هذا دأبه الى ان مات «

و قال ابن الأثير عن اخت السندي بن شاهل هذه: «و كانت اذا رأته قالت: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل الصالح».

و بقى في الحبوس اربع سنوات ما سمعت له شكوى، و لا استغاثة، و لا دعاء على احد، و قد تولى قتله السندي بن شاهك بان دسّ له السم في طعام قدم اليه حسب اشارة الرشيد، فمات و لم يحمل غيظا لأحد و لم يغضب على احد من الناس.

و كل ما فعل الامام موسى بن جعفر هو انه وجه الى الرشيد من اعماق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٤٧

سجنه رسالة يقول فيها:

«لن ينقضى عنى يوم من البلاء حتى ينقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نقضى جميعا الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون».

و لقد جاء في نصوص الادعية التي يدعو بها الزائرون من عارفي فضل الامام موسى عند ضريحه ما يوضح مبلغ تجرع الامام الكاظم من الغصص و كظم الغيظ. و الصبر على المكاره من قبيل قول الزائر:

«... اللهم و كما صبر على غليظ المحن.- و يرجع الضمير للامام الكاظم- و تجرّع غصص الكرب، و استسلم لرضاك، و اخلص الطاعة لك، و محض الخشوع، و استشعر الخضوع، و عادى البدعة و أهلها ... (ثم يمضى الدعاء فيقول) امام الابرار، مقرّ النهي و العدل، و الخير و الفضل، و الندى و البذل، و مألّف البلوى و الصبر، و المضطهد بالظلم، و المقبور بالجور، و المعذب في قعر السجون، و ظلم المطامير، ذى الساق المرضوض بحلق القيود ... الخ».

الى غير هذا من القصص و الاخبار و الادعية و الاشعار التي تناولت خصاله و صفاته من كظم الغيظ، و العفو عن الساءة، و الصبر على المكاره، و الجود بما تملكه يداه و قضاء حاجات الناس حتى سمي بباب الحوائج، و اشتهر بهذا الاسم الى جانب شهرته بالكاظم.

قال ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) عن الكاظم: هو المعروف عند اهل العراق بباب الحوائج لنجح قضاء حوائج المتوسلين به.

و قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في (مطالب السؤل عن مناقب الرسول) عن الامام الكاظم:

هو الامام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكثير التهجد، المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجدا و قائما، و يقطع النهار متقصدا و صائما، و لفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدين عليه دعى كاظما، كان يجازى المسيء
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٤٨

باحسانه اليه، و يقابل بعفوه الجاني عليه، و يعرف في العراق: (باب الحوائج الى الله) لنجح المتوسلين به الى الله.

و في مقاتل الطالبين لابي الفرج الاصفهاني أن رجلا ممن تشبّع في بغض الكاظم كان يشتم على بن ابي طالب كلما رأى موسى بن جعفر و يؤذيه اذا ما لقيه في الطريق، و كان الامام الكاظم يكظم غيظه و لا يرد عليه بشيء، فقال له بعض مواليه و شيعة: دعنا نقتله، و بالطبع كان هذا من اكبر الكبائر عنده، فهو لم يستنكر مثل هذا العمل فقط و انما اراد ان يريهم كيف يمكن ان تروض اخلاق الناس بالعفو و بالاحسان ما داموا مصرّين على اذاحة هذا العدو من الطريق، فمضى الكاظم راكبا اليه و قصده في مزرعة له فتواطأها متعمدا بحماره، فخرج اليه الرجل زاجرا، و لكن الكاظم لم يصغ اليه بل قصده حتى بلغ منزله، و نزل عنده، و بدأ يلاطفه و يضاحكه ثم سأله بعد ذلك:

- كم تظن قد لحق بك من الخسارة بسبب تواطؤ حمارى لمزرعتك؟

قال- و هو يريد المغالاة في الضرر على ما يصف ابو الفرج، قال الرجل - مائة درهم.

قال الكاظم- و كم ترجو ان تريح لو كانت قد سلمت مواطىء الحمار من الضرر؟

قال- لا أدري

قال الكاظم- انما سألتك كم ترجو؟

قال الرجل - مائة درهم اخرى

فاخرج له الكاظم ثلثماية دينار (لا درهم) و وهبها له، فقام الرجل و قبل رأس الكاظم، و منذ ذلك الحين صار الامام الكاظم لا يدخل المسجد حتى يثب ذلك العدو و يسلم عليه و يقول:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٤٩

«الله أعلم حيث يجعل رسالته»

و لقد أثر عن الامام الكاظم قوله:

«الغضب مفتاح الشر»

و لذلك حق له ان ينفرد بكظم الغيظ و الابتعاد عن الغضب و ظهوره بمظهر القدوة في العفو و الحلم.

و من وصية له قوله:

«ان قول الله: هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ جرى في المؤمن، و الكافر، و البرّ، و الفاجر، فمن صنع اليه معروف فعليه ان يكافئه به، و ليست المكافأة ان تصنع كما صنع حتى ترى فضلك، فإن صنعت كما صنع فله الفضل بالابتداء».

و يستبين المتتبع لصفة المعروف و الاحسان عنده في كل اثر من آثاره حتى الشعر، فقد جاء في مناقب ابن شهر آشوب عن الامام موسى بن جعفر عليهما السلام انه قال:

دخلت ذات يوم من المكتب و معي لوحى، فاجلسنى أبى بين يديه و قال:

- يا بنى اكتب:

«تنح عن القبيح و لا ترده»

ثم قال لى أجز (أى اكمل الشطر بشطر آخر من الشعر على رويه وقافيته كما هو المألوف).

يقول الامام موسى بن جعفر (فأجزت) و قلت:

«و من أوليته حسنا فرده»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٥٠

يقول: ثم قال لى أبى:

«ستلقى من عدوك كل كيد»

(فأجزت) و قلت:

«إذا كان العدو فلا تكده»

*** من كل ما مرّ يخلص المتبعون الى الاسباب التي دعت الى تسمية هذا البلد (بالكاظمين) ثم (الجوادين) ثم الاكتفاء بتسمية الامام موسى بن جعفر بالصفة التي عرف بها و هي (باب الحوائج) لتدل على مدفنه و على مرور الزمان صار البعض يكتفى بان يطلق على الكاظمين اسم (الكاظم) و (الكاظمية) و لكن الغالب ظل على حاله، و ظلت الشهرة العامة مقتصرة على (الكاظمين) كمدينة من اشهر مدن العتبات المقدسة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٥١

مدينة الكاظمين و تمصيرها

لا يعرف بالضبط متى صار المشهد الكاظمي مدينة، و لكن المؤكد هو ان تمصير هذه البقعة قد جرى بالتدريج و سنة بعد سنة و منذ ان بدأ الناس يدفنون اعلامهم تبركا بمقام الامام، و منذ ان بدأ المهمومون و المغمومون يقصدون هذا الضريح ليصلوا عنده و ليدعوا الله بان يفرج كربهم، و يزيل همهم، و ينزل على نفوسهم السكينه و هم مفعمون بالرجاء بان الله سيتلطف بهم ما داموا يدعونه من اعماق ايمانهم و هم في هذا المقام المقدس عند ولى من اوليائه الذين لاقوا في سبيله من العذاب و التنكيل و القساوة ما لاقوا فصبروا، و كظموا غيظهم، و عفوا، و تصدقوا بما استطاعوا ان يتصدقوا.

و من المؤكد ان كثرة الزائرين كانت تستلزم ان يكون هناك من يقوم بخدمتهم تكسبا، لذلك لا يبعد ان يكون اول ساكني الكاظمين هم من القوام و القائمين بخدمة المقام، كذلك لا يبعد ان يكون بعض الزهاد و تاركى الدنيا من الذين كانوا يجاورون الضريح حتى اذا ماتوا دفنوا هناك اذ طالما ألف المسلمون وجود الكثير من الدراويش و الزهاد يقيمون حول اضرحة الاولياء ما يشبه المساجد و التكايا و الخانقاهات، فيسكنونها او هم يقصدونها في ايام و ليال من السنة المباركة.

يقول ياقوت الحموي عن (الشونيزية): انها مقبرة بالجانب الغربى ببغداد. دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين، منهم الجنيد، و جعفر الخلدى، و روبم، و سمنون المحب، و هناك خانقاه للصوفية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٥٢

صحيح ان التصوف و الخانقاهات لم تكن معروفة في العصر الذى تم فيه دفن الامام موسى بن جعفر (ع) بالمعنى الذى عرف به فى العصور العباسية التالية، و ما بعدها، و لكن شيئا كثيرا مما يدخل ضمن حدود الزهد، و التقشف، و العبادة، و الابتعاد عن الناس كان معروفا و مألوفا، فتألفت من كل هؤلاء، و اولئك القوام، و الزائرين الذين كانوا يقصدون الضريح ليقضوا ساعة او يوما او يومين متبركين متعبدين، لقد تألفت مجموعة من السكان ما لبثت ان توسعت و توسعت حتى غدت مدينة يقصدها المسلمون من جميع الجهات ليعمروا بها قلوبهم ببركة الامامين و ليشفوا بزيارتهم امراضهم النفسية بما تبعث هذه الزيارة من الاطمينان و الايمان فى النفوس.

يقول السيد حيدر الحلبي:

و على بلدة (الجوادين) عرّج بالقوافي مهنيا و بشيرا
قل لها لا برحت فردوس أنس فيك تلقى الناس الهنا و الحبورا
ما نزلنا حماك الا وجدنا بلدا طيبا و ربا غفورا
و امامين ينقدان من النار لمن فيهما غدا مستجيرا

و اكثر الظن ان الاستيطان في الكاظمين قد بدأ منذ القرن الثالث الهجري و بعد دفن الامامين بقليل، و ما لبثت المدينة تعمرو تعمرو
حتى صارت ملجأ و مأوى لأوى اليها المظلومون و الهاربون من مطاردة القساء و الظلمة، و لم يحل القرن الرابع و الخامس حتى عمرت
البلاد و حتى قامت فيها المؤسسات الخيرية، و في القرن السادس كان هناك بيت خاص، باليتامى العلويين الذين نكّل الحكام بأبائهم
أو الذين فجعوا باهليهم و لم يبق كافل لهم، مما يستنتجه القارىء من حكايات المؤرخين.

جاء في الفخرى ان بدر الدين أياز- و هو مملوك الوزير مؤيد الدين ابى الحسن المقدادى وزير الناصر لدين الله- قال: طلب الوزير
مؤيد الدين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٥٣

ذات ليلة من الليالى حلاوة النبات فعمل منها فى الحال صحون كثيرة، و احضرت بين يديه فى ذلك الليل، فقال لى الوزير: يا أياز:
أتقدر ان تدخر لى هذه الحلاوة موفرة الى يوم القيامة؟
فقلت- يا مولانا، و كيف يكون ذلك؟ و هل يمكن مثل هذا؟

قال- نعم، تمضى هذه الساعة الى مشهد موسى و الجواد- عليهما السلام- و تضع هذه الاصحن قدام ايتام العلويين، فأنها تدخر لى
موفرة الى يوم القيامة.

قال أياز- فقلت السمع و الطاعة

و مضيت- و كان نصف الليل- الى المشهد، و فتحت الأبواب، و انبهت الصبيان الايتام، و وضعت الاصحن بين ايديهم و رجعت
و حتى اليوم و الناس يقصدون ضريح (الكاظمين) للتنفيس عن كربهم، او للتقرب الى الله بزيارة هذين الامامين، فيضيق المقام على
رحبه بكثرة الزائرين بالاضافة الى سكان المدينة انفسهم كلما شعروا بضيق صدورهم او قصدوا المثوبة فى الصلاة و الدعاء تحت قبتي
الامامين.

يقول الخطيب البغدادي: «سمعت الحسن بن ابراهيم أبا على الخلال يقول: ما همنى أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به الا
سهل الله تعالى لى ما أحب»

و جاء فى شعر الشريف الرضى ما يعبر عن امنيات الزائرين للامامين الكاظمين و رجائهم المثوبة فى الدنيا و الاخرة قوله:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٥٤ ولى قبران (بالزوراء) أشفى بقربهما نزاعى و اكتئابى

اقود اليهما نفسى و أهدى سلاما لا يحيد عن الجواب

لقاؤهما يطهر من جنانى و يدرأ عن ردائى كل عاب

و شاعر آخر يمثل فى شعره هذا الايمان بكشف الكرب و زوال الهم لقاصد هذين الامامين و اللانذ بهما كولين فيقول:

لذ إن دهتك الرزاياو الدهر عيشك نكد

بكاظم الغيظ موسى و بالجواد محمّد

و حين قصد راشد افندى و هو احد مشاهير رجالات الدولة العثمانية ضريح الامام موسى بن جعفر و قد جاء من اسطنبول زائرا صحبه

الشاعر المعروف عبد الباقي العمري، و قد رأى تلهفه و تفانيه فى الولاء و التمسك بمشهد الامام الكاظم متقربا الى الله قال:

وافى من الروم يبغى (راشد) رشد الى طريق هدى سعيها على الراس

و يرتجى العفو من مولاه ملتجئاً بالكاظم الغيظ و العافى عن الناس

و الكاظمين اليوم مدينة عامرة تسكنها أسر يرجع تاريخها الى قرون بعيدة و تعتبر من اعمر مدن العتبات المقدسة، و قد اخرجت الكثير من العلماء و الشعراء فى مختلف ادوارها التاريخية كما كانت من اهم مقابر المسلمين من حيث قيمة دفنائها من الاعلام و المشاهير كما مر ذلك فى الجزء الثانى من قسم الكاظمين من هذه الموسوعة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٥٥

الكاظم و الكاظمين فى الشعر

لو تصدى متصد لجمع ما قيل فى الامام الكاظم و فى مدينة الكاظمين من الشعر لتألف من ذلك عشرات الدواوين لكثرة ما قيل فى هذا الموضوع و كثرة الشعراء- من المتقدمين و المتأخرين- الذين صوروا نزعاتهم و خواطرهم و ولاءهم فيما استعرضوا من الصفات التى تحلى بها الامام الكاظم (ع) و المميزات التى امتازت بها مدينة الكاظمين، و لقد اوردنا فى الجزء الاول من قسم الكاظمين من موسوعة العتبات المقدسة نماذج مجملة لبعض هذا الشعر فى صورته المختلفة و نكتفى الآن بان نورد على سبيل النموذج قصيدة للعالم الشاعر الشيخ سليمان الظاهر عضو المجمع العلمى بدمشق بالنظر لما تحتوى هذه القصيدة من التصاوير الصادقة المعبرة عن خواطر واحد من كبار رجال العلم و الأدب و ولاءه و ايمانه و هى قطرة من بحر واسع من الشعر الذى خص به الامام بصفة الكاظم، و خصت به المدينة بصفته مدفن الامامين الكاظمين موسى بن جعفر و حفيده محمد الجواد عليهما السلام:

الامام الكاظم (ع)

كم فى مغان باللوى و معالم أقوت حشى صب و مهجة هائم

و نواظرا ترمى محاجرها و قد أضحى عليها السكب ضربة لازم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٥٦ لله موقفنا نساءل مفحما من دارس عن عهدنا المتقادم

كانت مهبا للنسيم فأصبحت من بعد قاطنها مهب سمام

و غدت مطاف هواجر من بعد ما كانت مطاف نواعم و غمام

كانت بها تقضى المغارم فاغتدت و كأنها للدهر بعض مغارم

و مواسم اللذات كانت فاغتدت و كأنها للبين بعض مواسم

كان الزمان مسالما لحسابها فارتدّ و هو لهنّ غير مسالم

غرس المشوق بها الهوى لكنه لم يجنه الا مرير علاقم

لم يبق منها غير نوى مثل منعطف الحيتية او سوار معاصم

و ثلاث اعزبة أقمن مؤثلا يمتلن فى صبر المشوق الهائم

و لكم تطير بغير اجنحة جواثم فى قلوب لم تكن بجواثم

و اذا بدت للصب سحم وجوهها لم يلقها الا بوجه ساهم

و كأنما أحجارها السود اغتدت لفؤاده الملتاع سود أرقام

يا ناشدا أحبابه من طامس ظلل و رسم بالثوية طاسم
ما ان ترى لك من مجيب غير قلب واجم او جفن طرف ساجم
و تجاوب الأصداء فى دوية فكأنها لليوم بعض ماتم

يا قلب أقصر عن هواك فما الهوى الا الهوان لكل ندب حازم
من جنّ فيه فما لداء جنونه راق و ما يجديه رقص تمائم
حتام يسلس من مقادتك الهوى فتقاد مجنوننا بغير شكائم
هل فيك أبقى للحسان و حبهن بقيه حب الامام الكاظم؟
هو سابع لأئمة و أب لخمسة قادة هم خير هذا العالم
هم آل بيت إن نماهم آدم فيهم أقال الله عثره آدم
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٥٧ هل كان للأعراف غيرهم رجالا يعرفون برغم انف الكاتم

من كان معتصما ففى الدارين لن يلقى له من عاصم
نفسى الفدى لمضيع فى قومه و به يجعجع و هو أهدى قائم
و اذا نماهم هاشم كانت له من دونهم فى المجد ذروة هاشم
من كان يعزى للنبي محمد خير الورى و لحيدر و لفاطم
لم تشأه من همه و لوانهاشمخت على نسر السماء الجائم
ضلّ الذى قد قاسه فيمن غدافى جنبه حلما بجفنى حالم
و من السفاهة ان تقارن عالمافى جاهل او بانيا فى هادم
هل كان (هارون) يجارى فى تقى موسى) و فى شأوى علا و مكارم؟
بهرت فضائله العقول فما يحيط بها الورى من ناثر او ناظم
هو عيلم العلم الخضمّ و لم يكن فى الناس لو لا علمه من عالم
كم راح مستجدى نوال بنانه فى المحل مجتديا لعشر غمائم
لولاه ما كان ابن سالم اهتدى كلاً و لم يك من عماه بسالم
و عند ابن يقطين فكم من فتكة قد ردّها من قبل سلّ الصارم

أفديه من متنقل فى سجنه من عارم يهدى لآخر عارم
و السجن لم يك منقصا قدرا له أن يرتقى ابدا بوهم الواهم
ماذا به (السندى) يلقى ربه و هو الخصيم أمام أعدل حاكم
أيريع حزب الله منه و لا يعصّ بحشره سبابه من نادم
و يذيقه السمّ النقيع بسجنه ظلما و لا يلقى جزاء الظالم
افديه من متبتل لألهه متسربل سربال ليل فاحم
و تراه افضل صائم بنهاره و بليله الغريب افضل قائم

و ترى الضراغم كالظباء اذا دنا منها و تلقاه بقلب واجم
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٥٨ قل للذي أغراه فيه حلمه و مشى به يسعى لأعظم ظالم
 لم يرع فيه أو اصر القربى و لم تحجزه عنه رقة من راحم
 كم بدره نفتحك فيها كفه إن فيه قد أغرتك بيض دراهم
 فقطعت موصولا و كم بسعاية فيه انغمست بموبات مآثم
 ان عنك نامت عينه فاعلم بأن الله عن مسعاك ليس بنائم
 فجزاك ربك عن صنيعك ميتة ما أعقبت لك غير خزي الآثم
 أظننت جهلا أن ربك تارك أحزابه او غافل عن غاشم

يا حجة الله الذى أضحت ولاية حزبه فى الناس ضربة لازم
 ما زلت للحاجات بابا من يلجه فاز منه فى عظيم مغانم
 ما كنت متخذنا ولاية غيركم لى شافعا فى مثقات جرائمى
 هل كان يلقى خاشعا أو جازعا من كان جتته الولاء الفاطمى
 جار الزمان عليكم فى حكمه و عليكم ما انفك أجور حاكم
 ان الذى قلدتموهم صارماتخذوكم هدفا لداك الصارم
 و تقمصوا بكم قميصا لم يكن إلا لكم فى غابر او قادم
 و نسيجه من حكمه و سداه من حلم و لحمته سنى مكارم
 ألحى بنى العباس لو أصغوا مسامعهم الى لآحيهم و اللائم
 و اذا أمية منكم شهرت سيوف عداوة مطرورة و سخائم
 فلکم تتبعكم بنو العباس فى ظلم و قتل و اندراس معالم
 لم يشف ضغن صدورهم احياءكم فتتبعوا لكم عظيم رمائم
 صلى الإله عليكم ما ارضعت للنبت طفلا مثقات غمائم
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٥٩

**بيوتات الكاظمية كتبه الدكتور حسين على محفوظ دكتوراه الدولة و الاستاذ بكلية الآداب فى جامعة بغداد حالا و المفتش الأختصاصى بوزارة
 التربية سابقا**

إشارة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٦١

انساب المدن

قل من عنى بانساب المدن العراقية من المؤرخين و المتتبعين للتراجم و الأنساب، حتى لقد أوجد هذا الإهمال صعوبة كبيرة للذين
 يحاولون التصدى اليوم للتحقيق فى أنساب المواطنين من سكنة هذه المدن لضياح قسم كبير من المصادر و الأصول التى يجب ان

يرجع إليها المحققون، فكم من أسرة ذات جذور بعيدة في التاريخ لا نعرف اليوم عنها شيئاً ولا نعرف هي عن تاريخها شيئاً، ولقد كان في بعض ما أخذت موسوعة العتبات المقدسة على عاتقها هو التحقيق عن أشهر هذه الأسر التي تستوطن العتبات المقدسة على قدر ما هو تحت يد المؤرخ من وثائق ودراسات و تتبع، وقد قام باخراج الجزء الثاني من قسم الكاظمين لموسوعة العتبات المقدسة العلامة الفذ المرحوم مصطفى جواد الذي تناول تراجم أشهر دفناء المشهد الكاظمي و توفي قبل ان يتم عمله كما قد أشرنا إلى ذلك في مقدمه هذا الجزء أما الأنساب لأشهر الأسر المستوطنة حالياً في الكاظمين فقد تولى التصدي لها الدكتور حسين علي محفوظ بهذا الجزء من الموسوعة و الدكتور محفوظ من أساتذة جامعة بغداد المعروفين بالتحقيق في المخطوطات الإسلامية و العربية بصورة خاصة و تتبع تاريخ القبائل العراقية و الأسر التي تستوطن أهم المدن و منها الكاظمية و من المؤسف أن يضطرنا ضيق المجال و الاستعجال في هذا الجزء إلى الاقتصار على ذكر أسماء بيوت الكاظمين و أسرها و ذكر المشاهير منهم و الوقوف عند هذا الحد دون التطرق إلى تراجم المشاهير منهم بالتفصيل،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٦٢

كما اضطرنا ضيق المجال نفسه إلى حصر التعليق في كلمات محتصرة موجزة إذا لم تف بالغرض الكامل فقد تصلح ان تكون تعريفا موجزا بالأشخاص، و هذا الاضطرار- أى ضيق مجال هذا الجزء بسبب الاستعجال تلافياً للتأخر الحاصل في تتابع صدور اجزاء الموسوعة- هو الذي حملنا على ان نخص البعض بذلك التعريف الموجز و نغفل البعض الآخر على ان نعود إلى هذا الموضوع و نعود للتعليق في أحد الأجزاء القادمة فنتناول تراجم المشاهير و الأنساب و جذور الأسر المستوطنة بصورة واسعة و على غرار ما تقدم من ترجمة مشاهير دفناء مشهد الكاظم المار في الجزء الثاني إن شاء الله.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٦٣

البيوت العلوية

١- الاسر الحسينية

ذراري الإمام الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)؛ و هم: بيت أبو نرگيله، و بيت البلاط، و بيت بهاء الدين، و بيت جوطه، و بيت الجراغجي، و بيت الحسنى، و بيت السيد حيدر، و بيت خادم الجديد، و بيت دبشة، و بيت السرکشك، و بيت سيد سعيد، و بيت شكر، و بيت الصافي، و بيت الصراف، و بيت طرازه، و بيت عطيفه، و بيت الكردي، و بيت كشكش، و بيت الكشوان، و بيت المحامي، و بيت مشكور، و بيت النيص، و بيت هراته.

و عمود نسب السادات الحسينية- الذي تتفرع عنه أنساب بيوتاتهم الأصيله- هو نسب عطيفه بن رضاء الدين بن علاء الدين بن مرتضى بن محمد بن عز الدين بن الشريف حميضة بن نجم الدين محمد أبي نمي بن الحسن ابن علي بن الشريف الأمير قتادة ملك الحجاز بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله الأكبر بن محمد الأكبر الناصر بن موسى الثاني بن عبد الله الشيخ الصالح بن موسى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٦٤

الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).

و من فروع هذه الشجرة المباركة؛ السادة الحيدرية؛ بيت السيد حيدر بن السيد ابراهيم، بن السيد محمد العطار، بن علي، بن سيف الدين، بن رضاء الدين، بن سيف الدين، بن رميثة، بن رضاء الدين، بن محمد علي، بن عطيفه؛ المذكور.

وقد طرأ على الكاظمية- أخيرا- بيت مشيرف، في مدينة الهادي، و يسمون آل صرخه، و يدعون «الشكره» و هم من بني مطاعن بن ادريس.

و جماعة من بيت العلاك، من آل مطاعن بن مكثرو آخرون من بيت الحكيم الطباطبائين، و بيت بحر العلوم. و نزلها قبلهم بيت زلزله من الداووديئه، و نفر من آل زيني من بني عطيفه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٦٥

- ٢- الاسر الحسينية

إشارة

ذريات الإمام الحسين السبط الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)؛ وهم: بيت أبو الحب، و بيت أبو الشعر؛ و بيت أبو الملح، و بيت أبو النشه، و بيت أبو الورد، و بيت الأعرجي، و بيت البزاز، و بيت البصير، و بيت البيير، و بيت البياع، و بيت التاجر، و بيت السيد جابر، و بيت السيد حسن جني، و بيت الحكيم، و بيت الخانجي، و بيت السيد خضير، و بيت السيد راضي، و بيت زوايد، و بيت السبزواري، و بيت السيد سعد، و بيت شبر، و بيت شديد، و بيت الشماع، و بيت الشهرستاني، و بيت الشوك، و بيت الصراف، و بيت الصولي، و بيت طه، و بيت العاملي، و بيت العاملي من بني زهرة، و بيت العطار، و بيت العلوي اللاجورديون الكاشية، و بيت الفتال، و بيت فضل، و بيت فليح، و بيت القزويني، و بيت الكاشي، و بيت كافي، و بيت الكشوان «القزوينيون» و بيت السيد محسن، و بيت المدامغة، و بيت المزين، و بيت المشكي، و بيت مير جبار، و بيت النجار، و بيت هدو عدّ عن الأسر الموسوية، التي سيأتي تفصيلها- و سكن الكاظمية- أخيرا- الفؤادية من الأقسامية من بني زيد، في مدينة الهادي.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٦٦

و نزلها بيت التبريزي من الأفطسية قبل بضع سنين. و قطن بها قبل مدة بيت المرعشي من ذراري الحسين الأصغر. و فيها- الآن- جماعة من آل مرعب من ذرية زيد، و البوفضيلة من ولد زيد، و نفر من بيت جريو من الأعرجية، و البوخطه من الزيدية. و من أعمدة أنساب البيوتات الحسينية الأصلية في الكاظمية:

١- نسب بيت أبي الورد عقب السيد هاشم أبي الورد الملقب بالغازي ابن السيد جواد البغدادي بن رضا بن مهدي بن صادق الملقب بالباصي بن باقر بن علي بن حسين بن محمد بن خميس بن يحيى بن هزال بن علي بن محمد ابن عبد الله الملقب بالبهاثي (بن أبي القاسم بن أبي البركات بن القاسم بن علي بن شكر بن أبي محمد الحسن الأسمر) بن النقيب شمس الدين أبي عبد الله أحمد بن النقيب أبي الحسن علي بن أبي طالب محمد بن الشريف الجليل أبي علي عمر أمير الحج بن نقيب النقباء أبي الحسين يحيى بن الحسين النسابة النقيب بن أحمد المحدث بن عمر بن أبي الحسين يحيى بن أبي عبد الله الحسين ذي العبرة بن زيد الشهيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام.

و تتفرع من عمود هذا النسب أنساب بيت شديد؛ والد السيدين صالح و محمد؛ ابني السيد صادق الملقب بالباصي، و بيت التاجر، و بيت السيد فليح؛ الذي تتصل به أنساب بيت الشعرباف، و بيت العطار- و يسمون أيضا بيت الشوك- و بيت السيد حسن جني و بيت ابو النشه، و بيت أبو الحب، و بيت المزين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٦٧

السادة الحسينية في الكاظمية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٦٨

٢- نسب بيت الأعرجى - تتصل أنساب السادة الأعرجيه في الكاظمية بالسيدين؛ السيد محسن، و السيد راضى؛ ابني السيد حسن بن مرتضى ابن شرف الدين بن نصر الله بن زرزور بن ناصر بن منصور بن موسى بن علي بن محمد بن عمار بن مفضل بن محمد بن أبي العباس أحمد البن بن أبي الحسين محمد الأشر بن عبيد الله الثالث بن أبي الحسن علي بن عبيد الله الثاني بن أبي الحسن علي الصالح بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر ابن زيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).
و من البيوتات الأعرجيه في الكاظميه؛ بيت السيد محسن، و بيت السيد راضى، و بيت فضل، و بيت السيد كافي، و بيت المشكى؛ من بني شوله. و توطنها أخيرا بعض بيت شكاره.

٣- نسب بيت زوايد- عقب عباس زوايد بن محمد زوايد بن عباس ابن حسن بن طه بن صالح بن عبد الهادي بن ابراهيم بن خضير- و هو أخو علي الطول جد العاملين- بن يحيى بن زين الدين علي بن غياث الدين حسين ابن عميد الدين علي بن جلال الدين حسن بن عميد الدين علي بن عز الدين حسن بن عز الشرف محمد بن نقيب النقباء كمال الشرف أبي الفضل علي ابن مجد الشرف أبي نصر أحمد بن أبي الفضل علي بن نقيب النقباء أبي تغلب علي بن الحسن الأصم السوراوى بن النقيب أبي محمد الحسن الفارسي بن الحسين النسابة بن أحمد المحدث بن عمر بن يحيى بن الحسين ذى العبره بن زيد الشهيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

و تتفرع عن عمود هذا النسب أنساب بيت النجار، و بيت السيد جابر، و بيت اليزاز؛ الذين منهم بيت الصراف.

٤- نسب بيت شبر- ذرية السيد عبد الله شبر بن السيد محمد رضا شبر بن محمد بن محسن بن أحمد بن علي بن احمد بن محمد بن ناصر الدين ابن شمس الدين محمد بن محمد بن نعيم الدين بن رجب بن حسن الملقب بشبر- جد الشبريين آل شبر- ابن محمد بن حمزه بن احمد بن علي برطله

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١٠-٢، ص: ٦٩

ابن أبي عبد الله الحسين بن علي بن عمر شهيد فخ بن الحسن الأفطس رمح آل أبي طالب بن علي الأصغر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

نسب بيت الشهرستاني

٥- نسب بيت الشهرستاني- السيد محمد علي، هبة الدين الشهرستاني ، ابن حسين العابد بن محسن الصراف بن مرتضى ابن محمد بن الأمير السيد علي الكبير بن منصور ابن شيخ الإسلام أبي المعالي محمد نقيب البصره ابن احمد ابن شمس الدين محمد البارز ابن شريف الدين محمد بن عبد العزيز النقيب ابن علي الرئيس بن محمد بن علي القليل بن الحسن النقيب بن أبي الفتوح محمد بن شريعته المله الحسن بن عيسى بن عز الدين عمر بن أبي الغنائم محمد بن محمد النقيب بن أبي علي الحسن بن أبي الحسن محمد التقى السابسي بن أبي محمد الحسن الفارس النقيب بن يحيى ابن الحسين النسابة بن أحمد المحدث بن عمر بن يحيى بن الحسين ذى العبره بن زيد الشهيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع). و كان سلف الشهرستاني يدعون هبة الدين الشهرستاني

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١٠-٢، ص: ٧٠

بيت الحكيم، و هم بنو عمّ السادة الطالقانيين.

٦- نسب بيت العاملى الصوليين- عقب السيد يوسف بن موسى ابن محى الدين يوسف بن ابراهيم بن أبي علي محمد بن أبي عبد الله حسين ابن علي بن مهنا بن قطب الدين علي الطول بن يحيى بن زيد الدين علي بن نظام الدين أحمد بن زين الدين علي بن غياث الدين حسين بن عميد الدين علي ابن جلال الدين حسن بن عميد الدين علي بن عز الدين حسن بن عز الشرف محمد بن نقيب النقباء

كمال الشرف ابي الفضل علي بن مجد الشرف أبي نصر أحمد بن أبي الفضل علي بن نقيب النقباء أبي تغلب علي بن الحسن الأصم السوراوي بن النقيب أبي محمد الحسن الفارس بن الحسين النسابة ابن أحمد المحدث بن عمر بن يحيى بن الحسين ذى العبرة بن زيد الشهيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

و تتفرع عن عمود هذا النسب أنساب بيت السيد خضير، و بيت العاملى، و بيت الصولى، و بيت الفتال، و بيت البصير، و بيت هذو.

٧- نسب بيت العاملى؛ من بنى زهرة- ذرية السيد علي بن يوسف ابن درويش بن القاسم بن القاسم بن صلاح الدين بن القاسم بن زهرة بن أحمد ابن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن حمزة بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محسن بن الحسن بن زهرة بن الحسن بن حمزة بن الحسن بن المحاسن زهرة ابن أبي المواهب علي بن أبي سالم محمد بن محمد بن محمد الحرائى بن احمد الحجازى بن محمد بن الحسين بن اسحاق المؤمن بن الإمام جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٧١

- ٣- الاسر الموسوية

عقب الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع). ومنهم؛ بيت الأحول، و بيت الأصفهاني، و بيت أغامير السندی، و بيت اغامير العطار، و بيت بزون، و بيت البياع، و بيت سيد جابر، و بيت الخرده فروش، و بيت دروش، و بيت الرشتى، و بيت سيد علو، و سادة القطانة، و بيت الساعاتى، و بيت السندی، و بيت الشانه ساز، و بيت شرف الدين، و بيت شقافى؛ و هم بيت الصابونى؛ و بيت الصدر، و بيت العاملى، و بيت الغريفى البحرانيون، و بيت قاسم خان، و بيت الكشوان القزوينيون، و بيت المشاط، و بيت الموسوى العطارون، و بيت الموسوى؛ بيت الهندى، و بيت سيد موسى الموسوى، و بيت النسلى، و بيت نصر الله، و بيت النواب، و بيت الهاشمى، و بيت الهندى النقويون، و بيت الهندى الرضويون، و بيت الهندى، و بيت الواعظ الخونساريون، و بيت ويس.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٧٢

و من أعمدة أنساب البيوتات الموسوية فى الكاظمية:

١- نسب بيت الأحول- ذرية الحاج السيد سلطان بن السيد قاسم ابن علي الأحول بن عبد الله بن حسن شاه بن قوام الدين عبد الله بن يحيى ابن نظام الدين حسين بن حسين المستوفى بن نظام الدين حسن بن قوام الدين محمود بن نظام الدين حسن بن شرف الدين حسن بن تاج الدين جعفر الموسوى.

و منهم بيت دروش، و بيت ويس، و بيت جعفر؛ أسرة الدكتور ضياء جعفر . و محمد جواد جعفر.

٢- نسب بيت الأصفهاني الخونساريين- السيد محمد مهدي الأصفهاني ابن السيد محمد الأصفهاني الخونسارى؛ المدعو بالواعظ؛ ابن محمد صادق بن الحاج ميرزا زين العابدين الخونسارى الأصفهاني ابن أبو القاسم ابن حسين بن جعفر بن حسين بن قاسم بن محب الله بن القاسم بن مهدي بن زين العابدين بن ابراهيم بن كريم الدين بن ركن الدين بن زين العابدين بن صالح القصير بن محمود بن حسين بن حسن بن احمد بن ابراهيم بن عيسى بن حسن ابن يحيى بن ابراهيم بن حسن بن عبد الله بن الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

٣- نسب بيت الرشتى- عقب الحاج السيد عبد الباقي الرشتى بن مرتضى بن هاشم بن حسن بن مرتضى بن تقى بن احمد بن علي بن جلال ابن رضى بن يوسف بن جمال الدين بن مصطفى بن جواد بن عيسى بن يعقوب بن ابراهيم بن اسماعيل ابن ابراهيم المجاب

بن محمد العابد ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٧٣

السادة الموسويون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٧٤

٤- نسب بيت السيد علو بن عباس بن حسين بن احمد بن علي ابن محمد بن احمد بن سلمان بن يوسف بن محمد بن علي بن مرتضى بن اسحاق بن حسين بن موسى بن شريف بن حسن بن يوسف بن فضل الله ابن محمد بن احمد بن محمد بن ملك بن محمد بن فخر الدين أحمد بن الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)؛ و منه بيت الفتال.

٥- نسب سادة القطانة- ولد السيد صالح بن مهدي بن احمد بن حسن الملقب بالحصرى بن مهدي بن حسن بن كاظم بن علي بن عبد الله ابن جعفر موسى بن جعفر بن مسلم بن جعفر بن محمد بن مسلم بن محمد ابن موسى بن جعفر بن علي بن جعفر بن حسن بن موسى بن جعفر الحواري ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

٦- نسب بيت الصدر، و آل شرف الدين- عقب السيد صالح بن محمد بن ابراهيم شرف الدين بن زين العابدين بن نور الدين علي بن نور الدين علي بن عز الدين حسين بن محمد بن حسين بن علي بن محمد بن تاج الدين ابن شمس الدين محمد بن جلال الدين عبد الله بن احمد بن حمزة الاصغر ابن سعد الله بن حمزة الاكبر بن ابي السعادات محمد بن نقيب النقباء أبي محمد عبد الله بن أبي الحرث محمد بن أبي الحسن علي بن ابي طاهر عبد الله ابن ابي الحسن محمد المحدث بن أبي الطيب طاهر بن الأمير الحسن القطيعي ابن موسى أبي سبحة بن ابراهيم الأصغر المرتضى بن الامام موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب (ع).

٧- نسب بيت العاملي- أسرة السيد علي بن السيد رضا العاملي ابن الحسن بن الحسين بن علي بن هرون بن القاسم بن موسى بن الحسن بن أبي اسحاق ابراهيم بن الحسن بن علي بن المحسن بن ابراهيم العسكري بن موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٧٥

موسى أبي سبحة بن ابراهيم المرتضى بن الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

هكذا وجد نسبهم، و هو ينقص أسماء بلا شك.

٨- نسب بيت نصر الله - بن الحسين بن علي بن يونس بن جميل ابن علم الدين بن طعمة بن شرف الدين بن نعمة الله بن أبي جعفر أحمد بن ضياء الدين يحيى بن أبي جعفر محمد بن شرف الدين أحمد بن أبي الفائر محمد بن محمد بن أبي الحسن علي بن أبي جعفر محمد خير العمال بن أبي فويرة علي المجدور بن أبي عاتقه، أبي الطيب أحمد بن محمد الحائري ابن ابراهيم المجاب بن محمد العابد بن الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

٩- نسب بيت النواب- ذرية زين العابدين، مجاهد الدولة بهادر ابن محمد رضا خان بهادر بن كمال الدين حيدر بهادر بن جلال الدين شجاع الدولة أسد الحرب بن مقيم بن جعفر بن محمد بن منصور بن ناصر بن حسن ابن جعفر بن محمد طاووس السبزواري بن محمد عظيم بن غياث الدين علي ابن سراج الدين بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن محمد غياث الدين بن محمد ابن موسى بن قاسم بن علي بن جعفر بن حسين المقدم بن عبد الحى بن عمر ابن ارقم بن عبد القادر بن تاج الدين بن محى الدين بن علي بن زيد النار ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٧٦

و من السادة فى الكاظمية؛ بيت (أبو القاسم) و بيت (أبو الكنبه) و بيت الأصفهاني، و بيت الحكاك، و بيت سيد سلمان بيبي، و بيت طه، و بيت مصطاف، و بيت ميرزا ربيع، و السادة الشكرجية، و السادة القندرجية ... و غيرهم. و منهم؛ بيت الحكيم- و يسمون بيت العلوى، و سموا بيت آزر مى أخيرا، و بيت الهمداني. و هم ذرية الأخوين: السيد موسى الحكيم فخر الأطباء، و السيد رضا؛ ابني مير هاشم بن مير على بن مير اسماعيل بن مير عقيل- صاحب باغ مير عقيل فى همدان- من ذرية السيد على سياه پوش الهمداني؛ الملقب شاه رودبند، المدفون بكشمير.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٧٧

البيوتات العلمية مرتبة حسب الحروف الهجائية

إشارة

و هى كثيرة و هذا مقتضب لتواريخ طائفة من سرواتها. فمن البيوتات التى تجلت العلماء، أو انتسبت إليهم:

بيت أبى الورد

ذرية السيد هاشم أبى الورد؛ المتوفى فى حدود سنة ١٢٦٤ هـ؛ ابن السيد جواد الحسينى البغدادي؛ يبيع اللؤلؤ التاجر المعروف فى الكرخ ببغداد. ترك جدهم السيد جواد بغداد، فى أواخر القرن الثانى عشر، فسكن الغواضر ببلد، و لقب فيها بالبغدادي. ثم هاجر ابنه السيد هاشم إلى الكاظمية قبل سنة ١٢١٥ هـ، فسّمى فيها بالغازرى ثم لقب بأبى الورد نسبة إلى تقطير ماء الورد، صنعته أهل زوجته الأولى، من بيت بليل و من أعلامهم السيد محسن الصانع؛ المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ، الذى صاغ ضريح الحضرة الكاظمية الفضى، سنة ١٣٢٤ هـ.

السيد هاشم أبو الورد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٧٨

و يسمون بيت الورد، و بيت الوردى، و بيت أبو الورد. و كانوا يدعون بيت الغازرى.

بيت الأحمر

ذرية الشيخ حسين الأحمر، المتوفى سنة ١٣١٣ هـ؛ ابن الشيخ على الأحمر، من آل الشيخ عيسى؛ من ذرارى الشيخ عبد المهدي بن الشيخ عبد الله الخالصي؛ الذى ينتسب إلى على بن مظاهر الأسدي. السيد عبد اللطيف الخطيب

بيت الأخبارى

ذرية ميرزا محمد الأخباري؛ المقتول سنة ١٢٣٢ هـ؛ ابن عبد النبي ابن عبد الصانع بن محمد مؤمن بن علي أكبر بن نور الدين علي بن محمد طاهر بن فضل علي ابن شمس الدين محمد الجويني؛ النيسابوري؛ الهندي.
و يدعون - حاليا - بآل جمال الدين.

الدكتور علي الوردي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٧٩

بيت الأزري

ذرية الحاج حسين الأزري؛ البغدادي، الكاظمي؛ المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ. من عشيرة الشاعر المعروف، الملا كاظم، المتوفى سنة ١٢١٢ هـ ابن محمد بن مراد بن مهدي بن ابراهيم بن عبد الصمد، التميمي، الأزري.

و إليهم يعتري الحاج عبد الحسين الأزري الشاعر، المتوفى سنة ١٩٥٤- انتسابا إلى أمهاته- ابن يوسف الأزري بن محمد الأزري بن محمود الحضيري بن ابراهيم الحضيري .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٨٠

بيت أسد الله

ذرية الشيخ أسد الله الأنصاري التستري الكاظمي؛ المتوفى سنة ١٢٣٤ هـ، ابن الحاج اسماعيل بن ملا محسنا بن مجد الدين بن معز الدين. يعرفون حاليا بالأسديين نسبة إلى جدتهم الأعلى؛ الذي كان من أعلام عصره في العلم و التصدر و التأليف و الرأسة و الفضل. و هم ينتسبون إلى جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي المشهور بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن كعب بن غنم ابن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزويد بن جشم بن الخزرج.

الحاج عبد الحسين الأزري

بيت الأسدي

ذرية الشيخ كلب علي الكاظمي؛ المتوفى سنة ١١٤١ هـ؛ ابن غلام علي بن عبد علي بن محمد بن ابراهيم بن محمود بن محمد بن سعيد بن محمد كاظم بن جابر بن سعد بن منير بن وهب بن شجاع بن مظفر بن علي بن الحسين بن محمود بن مسعود بن مطرود بن مطر بن موهوب بن وهيب بن خزعل بن مناجز بن عبد الله بن حبيب بن مظاهر الأسدي.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٨١

و عقب الشيخ حسن الذي كان حيا سنة ١٢٢٦ هـ؛ ابن الشيخ هادي ابن الشيخ حسن بن الشيخ هادي؛ الأسدي الكاظمي.

و سلسلة الأسديين هذه، بخط السيد جعفر في بعض أوراقه. ثم نسبهم في إحدى كتبه المشجرة إلى أبي ذر الغفاري هكذا: كلب علي بن غلام علي بن عبد علي بن محمد بن حبيب بن ابراهيم بن بديع الزمان بن جمال الدين بن احمد بن نظام الدين بن جلال الدين بن رفيع الدين بن علي بن ضياء الدين بن يحيى بن فتح الله بن يحيى بن الحسن بن فخر الدين بن اميدوار بن فضل الله بن اسحاق بن فضل الله بن محمد بن أبي المكارم بن احمد بن علي ابن أبي المعالم بن أحمد بن أبي الغنائم بن محمود بن احمد بن أبي الفضل بن

هاشم بن فاضل بن يحيى بن عقيل بن يحيى بن ذر بن أبي ذر الغفارى.
و انتسابهم إلى بنى أسد معروف مشهور تعرّضت له كتب التراجم.

بيت الأصفهاني

ذرية السيد محمد الأصفهاني؛ الخونسارى؛ المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ، ابن محمد صادق بن الحاج ميرزا زين العابدين الخونسارى الأصفهاني.
هاجر السيد محمد الأصفهاني إلى العراق سنة ١٣٠٤ هـ. فسكن كربلاء ثم توطن الكاظمية.

بيت الأعرجي

ذرارى السيد محسن الأعرجي، من أعلام عصره فى الرآسة و التصدر و التأليف و التدريس؛ المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ، و السيد راضى الأعرجي؛ المتوفى سنة ١٢٣٧ هـ؛ ابني السيد حسن بن مرتضى -الذى انتقل إلى بغداد سنة ١١٦٥ هـ.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٨٢

بيت الأعمى

أسرة الشيخ صادق الأعمى؛ الذى توطن الكاظمية فى أواخر أيامه، و توفى بها سنة ١٣٠٦ هـ؛ ابن الشيخ محسن الأعمى؛ المتوفى سنة ١٢٣٨ هـ، ابن مرتضى بن قاسم بن ابراهيم بن موسى بن الحاج محمد الأعمى. ثم توطنها- من بعد- بعض أقاربه، و هم فخذ من زبدى، من عوف، من بطون مسروح، من حرب، من مضر .

بيت البحراني

بيت الشيخ أحمد؛ المتوفى سنة ١١٠٢ هـ- و أخوته يوسف و حسين، أبناء محمد بن يوسف الخطى، البحرانى، المقابى.

بيت البغدادي

ذرية الشيخ عبد الحسين البغدادي، الكاظمى؛ المتوفى سنة ١٣٦٥ هـ، ابن الحاج جواد بن الحاج محمود العطار البغدادي؛ من ولد أبى ذر الغفارى؛ صاحب رسول الله (ص). و هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن فليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٨٣

بيت البلاغى

عشيرة الشيخ أحمد البلاغى الكاظمى؛ المتوفى سنة ١٢٧١ هـ؛ ابن الشيخ محمد على بن عباس بن حسن بن عباس بن محمد على بن حسن البلاغى الربيعى، العاملى؛ من ربيعه. و أقاربه من بعد .

بيت جرموگه

عالمهم؛ الشيخ مهدي جرموگه؛ المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ؛ ابن الحاج ابراهيم بن الحاج هاشم؛ الدجيلى الكاظمى. من بيت جرموگه؛ من آل حدّاد من بنى سلامة، السلاميين؛ الذين يلحقون- فى الدجيل - بالخزرج، و ينتسبون إلى جابر بن عبد الله الأنصارى؛ الصحابى المشهور. و يدعون- الآن- بيت السلامى.

الشيخ محمد جواد البلاغى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٨٤

بيت الجزائرى

عشيرة الشيخ ابراهيم الجزائرى؛ نزيل الكاظمية؛ الذى كان حيا سنة ١٢٣١ هـ؛ ابن محمد بن عبد الحسين بن مظفر- جد آل المظفر فى النجف و بغداد- بن أحمد بن محمد بن على بن حسين بن محمد بن أحمد بن مظفر بن عطاء الله بن أحمد بن قطر بن خالد؛ من عقيل، من آل مسروح، و هم حرب، آل على؛ من مضر؛ من أهل العوالى .

الشيخ محمد حسن المظفر

بيت الحصانى

عتره الشيخ عباس الحصانى الكاظمى المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ؛ ابن محمد حسين من البوگمر، من كنانة.

الجوادات

ذرية جواد بن أحمد بن خضر بن عباس بن محمد بن مرتضى بن أحمد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٨٥

ابن محمود بن محمد بن ربيع؛ من ذرارى المثلّمس، الشاعر المشهور؛ صاحب الصحيفة، من بنى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. و هم عشيرة الشاعر المعروف؛ الشيخ محمد جابر الكاظمى؛ المتوفى سنة ١٣١٢ هـ؛ ابن الشيخ عبد الحسين بن عبد الحميد؛ المدعوّ حميد بن جواد؛ جدّ الجوادات؛ الربيعى.

الشيخ محمد حسين المظفر

بيت حجيجى

أسرة الشيخ محمد علي؛ المتوفى سنة ١٢٧٣ هـ بن الحاج درويش چلبى الحجيجي؛ من طيء.

بيت الشيخ حسين

ذرارى الشيخ ناصر بن الشيخ حسين المتوفى سنة ١٢٨١ هـ، ابن الحاج ياس؛ من ذرارى حبيب بن مظاهر الأسدى.
الشيخ محمد رضا المظفر
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٨٦

بيت الحسينى

أسرة السيد هادى؛ المعروف بالتبريزى، ابن السيد محمد بن حسين ابن مير خداداد؛ الحسينى القائمقامى، الفراهانى؛ نزىل الكاظمية سنة ١٩٥٨.

بيت الحيدرى

السادة الحيدرية؛ ذرية السيد حيدر؛ المتوفى سنة ١٢٦٥ هـ- من أعلام الرئاسة و العلم و التأليف فى عصره- بن السيد ابراهيم العطار المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ، بن محمد العطار المتوفى سنة ١١٧١ هـ، ابن على بن سيف الدين بن رضاء الدين بن سيف الدين بن رميثة بن رضاء الدين بن محمد على ابن عطيفة- جد السادة الحسينية- فى الكاظمية، و بغداد.
و هم أسرة السيد العلم المجاهد السيد مهدي؛ المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ، ابن السيد أحمد؛ المتوفى سنة ١٢٩٥ هـ؛ ابن السيد حيدر .
السيد مهدي الحيدرى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٨٧

شجرة بيت الحيدرى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٨٨

شجرة بيت أبى الورد و بنى عمهم على بن حسين بن محمد بن خميس بن الحسينى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٩٠

بيت الخالصى

و يسمون الخالصية، و بيت الشيخ عزيز، و هم ذرارى الشيخ عبد العزيز المتوفى سنة ١٢٨٦ هـ، ابن الشيخ حسين؛ المتوفى سنة ١٢٢٠ هـ؛ ابن الشيخ على بن الشيخ عبد الله؛ الذى يتصل نسبه بعلى بن مظاهر؛ أخى حبيب بن مظاهر، الشهيد الأسدى.
سكن جدّهم الأعلى الشيخ عبد الله الكاظمية من أجل طلب العلم، و قد أعقب ثلاثة بنين؛ هم:

(١) الشيخ على جدّ آل الشيخ عزيز؛ رأس البيت الخالصى فى الكاظمية و هم أسرة الشيخ محمد مهدي الخالصى- من أعلام عصره

فى الرياسة و العلم و التصدر و التأليف و الجهاد- المتوفى سنة ١٣٤٣ هـ ابن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٩١

الشيخ مهدي الخالصى

الشيخ محمد الخالصى

الشيخ محمد رضا الخالصى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٩٢

شجرة بيت الخالصى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٩٣

الشيخ حسين المتوفى سنة ١٣١٢ هـ؛ ابن الشيخ عزيز الخالصى.

(٢) الشيخ عبد المهدي؛ جد آل الشيخ عيسى، و آل الشيخ حبيب في الخالص بديالى، و بيت الأحمر في الكاظمية.

(٣) الشيخ محمود؛ جد الصبايغ، في الكاظمية، و الخالص، و الكوفة، و الرميثة ..

بيت الخراساني

أسرة السيد مهدي الخراساني؛ المتوفى سنة ١٣٦٩ هـ، ابن السيد ابراهيم نزيل الكاظمية بعد سنة ١٣١٢ هـ، المتوفى سنة ١٣٢٨ هـ، ابن مير محمد علي، الدرودي، الخراساني.

آل داود

أسرة إمام الحرمين، أبي المحاسن، محمد؛ المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ، ابن عبد الوهاب، المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ، بن داود، الهمداني، الكاظمي.

من اليسار عبد الرسول الخالصى، و المؤلف جعفر الخليلي و الحاج محمد حسن كبه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٩٤

بيت الرشتي

أسرة الشيخ حسين الرشتي؛ المتوفى سنة ١٣٤٨؛ الذي هاجر إلى الكاظمية في سنة ١٣٣٩ هـ؛ ابن الشيخ عبد الكريم الرشتي؛ المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ.

بيت السيد رضا العاملي

أسرة السيد علي؛ المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ، ابن السيد رضا بن السيد حسن الموسوي، العيشي العاملي.

انتقل والده السيد رضا من جبل عامل إلى العراق، و توطن الكاظمية، و توفي بها في حدود سنة ١٢٩٠ هـ.

بيت السيد رضا على الهندي

أولاد السيد رضا على الطبيب المدراسي؛ الهندي، الكاظمي؛ المتوفى سنة ١٣٠١ هـ. وهم السيد حسين الطبيب المقرئ المجوّد الشاعر الخطاط المعروف بالامام الهندي؛ المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ، و اخوته؛ السيد موسى، المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ، و السيد كاظم، المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ.

بيت الزنجاني

أسرة ميرزا على ابن الشيخ أسد الله الزنجاني - نزيل سامراء، المتوفى في النجف سنة ١٣٥٤، بن علي أكبر بن رستم خان الزنجاني.

بيت الشيخ زين العابدين

أسرة الشيخ محمد رضا؛ المتوفى في النجف سنة ١٢٦٩ هـ، ابن بهاء الدين محمد بن أحمد المدعو محسن - جدّ الأسرة؛ الذي هاجر إلى العراق في فتنة أحمد باشا الجزائر سنة ١١٩٧ هـ - بن زين العابدين علي؛ المتوفى موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٩٥ سنة ١١٤٣ هـ، ابن محمد قاسم بن يوسف بن موسى بن محيي الدين بن جبران ابن علي بن حسين؛ الجبراني، الأسدي، الحلبي، من ذراري حبيب بن مظاهر. كان والده محمد بهاء الدين من الشعراء، من تلاميذ السيد محسن المقدس الأعرجي.

بيت الزيني

ذرية الشيخ علي الزيني؛ المتوفى في حدود سنة ١٢٢٠ هـ؛ ابن محمد حسين بن الشيخ زين العابدين المتوفى سنة ١١٦٧ هـ بن الشيخ محمد علي بن الشيخ عباس التميمي الكاظمي. و من عقبه الشيخ صالح التميمي، الشاعر المشهور، المتوفى سنة ١٢٦١ هـ، ابن الشيخ درويش علي بن الشيخ علي الزيني.

بيت السبتي

ذرية الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد - المقتول سنة ١٣٢٤ هـ - بن موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٩٦ الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ علي بن الشيخ يوسف، السبتي، الكفراوي، العامل. سكن الكاظمية بعد الحرب العالمية الأولى.

بيت السبزواري

ذرية السيد محمد علي السبزواري؛ المتوفى سنة ١٣٣٨ هـ؛ ابن الحاج السيد ميرزا محمد تقي نزيل الكاظمية، المتوفى في شاهرود سنة ١٣١٢ هـ، ابن اقا ميرزا كاظم بن ميرزا ابو القاسم بن ميرزا رضى بن ميرزا محمد بزرك، من ذرية الحسين الأصغر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

بيت السلماسى

ذرية ميرزا ابراهيم السلماسى الكاظمى، المتوفى سنة ١٣٤٢ هـ، ابن ميرزا اسماعيل المتوفى سنة ١٣١٨ هـ، بن ميرزا زين العابدين، المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ، بن ميرزا محمد بن ميرزا محمد باقر، وقد ولّاهم الأمراء الدنابلة عمارة الحضرة العسكرية في سامراء.

بيت شبر

ذرية السيد عبد الله شبر؛ المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ من اعلام عصره في الرء آسء و التصدر و التأليف و التدريس وسعة العلم و وفور الفضل - بن السيد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٩٧

محمد رضا شبر؛ المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ، ابن محمد بن محسن بن احمد بن علي ابن احمد بن علي بن ناصر الدين بن شمس الدين محمد بن محمد بن نعيم الدين بن رجب بن حسن الملقب بشبر جد السادة الشبريين، آل شبر.

بيت شبيب

عتره الشيخ شبيب؛ المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ - جد بيت الشيبى في بغداد و النجف؛ تلميذ ميرزا محمد الاخبارى؛ ابن الشيخ راضى بن الشيخ ابراهيم ابن صقر الجزائرى.
السيد محمد شبر

بيت شديد

ذرية السيدين صالح و محمد؛ ابني السيد صادق الباصى بن السيد باقر بن علي بن حسين بن محمد بن خميس بن يحيى بن هزال بن علي بن محمد بن عبد الله الملقب بالبهائى؛ الحسينى.

و هم عشيرة السيد عبد العظيم؛ المدعو بالسيد عبد شديد؛ المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ؛ ابن علي بن مهدى بن محمد بن السيد صادق الباصى؛ المذكور.

السيد علي شبر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٩٨

شجرة بيت شبر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ٩٩

السيد عباس شبر

السيد محمد شديد

بيت الشريف العسكري

اسرة ميرزا نجم الدين الشريف العسكري- نزيل الكاظمية- هاجر إليها من سامراء، ابن ميرزا محمد بن رجب على العسكري.

و سبطهم السيد مرتضى العسكري ، نزيل الكاظمية سنة ١٩٤١؛ ابن شيخ الاسلام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٠٠

شجرة بيت الصدر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٠١

ابو محمد، المتوفى بكربلاد سنة ١٣٣٢ هـ، ابن اسماعيل بن محمد بن رضی ابن محمد بن رضی بن حسن الحسيني.

بيت شطيپ

عالمهم الشيخ هادي شطيپ؛ المتوفى سنة ١٣٧٩ هـ؛ ابن الحاج حسن ابن الحاج هادي بن الحاج علي بن الحاج مبارك؛ من طي

الشيخ هادي شطيپ

بيت الشهرستاني

اسرة السيد محمد علي؛ هبة الدين الشهرستاني؛ المصلح المجدد المتوفى سنة ١٣٨٦ هـ ابن حسين العابد بن محسن الصراف بن مرتضى

بن محمد بن الأمير السيد علي الكبير بن منصور بن أبي المعالي محمد نقيب البصرة.

بيت الصدر

ذراري السيد اسماعيل الصدر- من أعلام عصره في الرآسة و العلم و التقدم و التدريس و الفضل-؛ المتوفى سنة ١٣٣٨ هـ ابن السيد

صدر الدين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٠٢

محمد؛ المتوفى سنة ١٢٦٣- الذي ذهب لقبه على أولاده، و ذراري أخيه السيد محمد علي في الكاظمية- ابن السيد صالح.

و السيد هادي الصدر؛ المتوفى سنة ١٣١٦ هـ- والد السيد حسن الصدر؛ من شيوخ علماء عصره؛ المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ- ابن السيد محمد

علي؛ المتوفى سنة ١٢٤١ هـ، ابن السيد صالح، المتوفى سنة ١٢١٧ هـ؛ الذي هاجر إلى الكاظمية فرارا من فتنة الجزائر سنة ١١٩٧ هـ بن

السيد محمد، المتوفى سنة ١١٣٩ هـ، ابن السيد ابراهيم شرف الدين؛ المتوفى سنة ١٠٨٠ هـ جد آل شرف الدين في العراق و لبنان.

و منهم السيد الزعيم الكبير المقدم؛ السيد صدر الدين الصدر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٠٣
السيد محمد الصدر؛ المتوفى سنة ١٣٧٥ هـ ابن السيد حسن الصدر.

بيت العاملى

اسرة السيد محمد العاملى؛ المجاهد المتوفى سنة ١٣٦٥ هـ، ابن السيد محسن العاملى بن السيد جواد بن السيد على بن السيد يوسف؛ من بنى زهرة؛ الحلبيين.

بيت عبد الغفار

ذرية الشيخ مهدى؛ المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ؛ ابن الشيخ عبد الغفار بن محمد تقى؛ الكشميرى، القزوينى؛ الهندى؛ الكاظمى؛ من ترك العجم.
السيد حسن الصدر

بيت عبد النبى

اسرة الشيخ عبد النبى؛ المتوفى سنة ١٢٥٦ هـ؛ ابن على بن احمد بن جواد؛ خازن الحضرة الكاظمية؛ المدنى، الشيبى؛ من بنى شبيه.

بيت عطيفة

اسرة السيد على عطيفة؛ المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ- فى سبزوار- ابن عطيفة بن مصطفى بن عيسى بن جلال الدين بن رضاء الدين بن سيف الدين بن رميثة بن رضاء الدين بن محمد على بن عطيفة؛ الحسنى.

بيت القابجى

اسرة الشيخ محمد على القابجى؛ المتوفى سنة ١٣٦٥ هـ؛ ابن الشيخ
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٠٤
حسن القابجى؛ المتوفى سنة ١٣٤٥ هـ؛ ابن الشيخ محمد القابجى؛ الجمالى، الكاظمى.

بيت قنديل

اسرة الشيخ على؛ المتوفى سنة ١١٦٨ هـ تقريبا؛ ابن الشيخ محمد قنديل.
و هو استاذ السيد نصر الله الحائرى، الشاعر المدرس المعروف؛ و من شعره فى مدحه:

يا ايها الاستاذ (يا) من مدحان رمت احصره لسانى يحصر
يا ايها المولى الذى فى جوده دوح الأمانى كل حين يثمر
يا من غدا قنديل محراب العلى فالزيت منه بغير نار يزهر

بيت الكاشانى

بيت الحاج السيد مصطفى الكاشانى؛ نزيل الكاظمية المتوفى ١٣٣٦ هـ، ابن السيد حسين بن السيد محمد على بن رضا؛ الحسينى، الكاشانى. والد من اليمين عباس الخليلى و امين خالص و السيد ابو القاسم الكاشانى و المؤلف جعفر الخليلى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٠٥
بيت الكاظمى
اسرة شاعر العرب
الحاج على بن الحاج محسن بن محمد بن صالح بن على بن هادى النخعى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٠٦
شجرة بيت الكاظمى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٠٧
الزعيم السيد ابو القاسم الكاشانى؛ المتوفى سنة ١٣٨١ هـ .

بيت الحاج كاظم

ذرية الحاج كاظم- الذى كان حيا سنة ١٢٧٧ هـ- ابن الشيخ درويش ابن الشيخ محمد بن الشيخ يحيى بن الشيخ محمد بن الشيخ يحيى؛ المتوفى سنة ١١٣٧ هـ؛ ابن الشيخ محمد قاسم- ابن الوندى الفقيه الكاظمى- بن الشيخ محمد؛ المتوفى سنة ١١٠٠ هـ؛ الشريف العميدى الوندى؛ بن الشيخ محمد جواد؛ المعروف بالفاضل الجواد؛ المتوفى سنة ١٠٦٥ هـ بن سعد بن جواد، الكاظمى.
من بيوتات العلم القديمة فى الكاظمية. وقد نسبهم السيد جعفر الأعرجى النسابة فى بعض كتبه إلى الشيخ المفيد العكبرى. و هم اسرة الشيخ محمد؛ رئيس الكاظمية؛ المتوفى سنة ١٣١٣ هـ بن الحاج كاظم. والد الشيخ راضى المدرس المشهور؛ المتوفى سنة ١٣٤٩ هـ.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٠٨

بيت الكاظمى - ١-

ذرارى الشيخ محمد حسين الكاظمى نزيل النجف، المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ؛ ابن الشيخ هاشم بن حسين بن ناصر بن زباله. و هم ينتسبون إلى آل معتوق، فى الدوير، بلبنان. و فى ترجمة الشيخ محمد على الخالصى، بخط الشيخ عبد المحسن الخالصى؛ المتوفى سنة ١٣٧٠ هـ: «ان الشيخ محمد حسين الكاظمى- قدس سره- ابن الشيخ هاشم بن الشيخ على بن الشيخ عبد الله. فهو ابن عم الشيخ عبد العزيز (جد الخالصية فى الكاظمية)».

بيت الكاظمي - ٢-

اسرة شاعر العرب؛ الشيخ عبد المحسن الكاظمي؛ المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ ابن محمد بن عبد المحسن الكاظمي موسوعة العتبات المقدسة
 ج ١٠-٢؛ ص ١٠٩
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٠٩
 الحاج علي بن الحاج محسن بن محمد بن صالح بن علي بن هادي؛ النخعي.
 و الحاج محسن - هو اول من استوطن الكاظمية من آبائهم، الذين كانوا من سراء التجار في بغداد- وقد هاجر إلى العراق، في أواخر
 القرن الثاني عشر الهجري. و كل الظن انه قطن الكاظمية قبل قرنين.
 و خلف من بعد الحاج محسن، ابنه الحاج علي پوست فروش؛ المتوفى سنة ١٣١٤ هـ؛ اي يباع الجلود، المشهور؛ الذي ينتسب إليه بيت
 پوست فروش في الكاظمية؛ رهط الكاظمي الشاعر.

بيت كبه

عشيرة الشيخ الحاج محمد حسن كبه؛ المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ ، ابن الحاج محمد صالح بن الحاج مصطفى بن الحاج درويش علي بن
 الحاج جعفر
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١١٠
 ابن الحاج علي بن الحاج معروف، آل كبه، الربيعي، البغدادي، الكاظمي.
 من بني ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

بيت الكركي

ذرية الشيخ حسين الكركي؛ المتوفى سنة ١٢٩٩ هـ؛ ابن الشيخ علي الكركي الجبعي، العاملي، نزيل الكاظمية. و هو والد الشيخ عباس
 الكركي، الكاظمي، الشاعر؛ المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ.

بيت الكشوان

ذراري السيد صالح الكشوان، المتوفى سنة ١٣٠٩ هـ؛ ابن السيد مهدي ابن السيد احمد؛ الموسوي؛ القزويني الكاظمي. اسرة السيد
 محمد مهدي القزويني، المتوفى سنة ١٣٥٨ هـ؛ نزيل البصرة و اخوته الأفاضل.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١١١

بيت محفوظ

آل محفوظ- تنتهي أنساب آل محفوظ- في العراق، و لبنان- إلى شمس الدين؛ أبي محمد؛ محفوظ بن وشاح بن محمد؛ الأسد؛

الحلي؛ الذي كان من أكابر رجال الثقافة الفقهية والأدبية في العراق؛ و كانت وفاته، في سنة ٦٩٠هـ - على قول الشيخ محمد السماوي -

الشيخ محمد جواد محفوظ

الدكتور حسين علي محفوظ

قال السيد حسن الصدر، في ذيل ترجمته محفوظ، في تكملة أمل الآمل، ج ١ ص ١٥٠: «ان هذا الشيخ ابو طائفه كبيره بالهرمل (في لبنان) يعرفون إلى اليوم - بآل محفوظ، و بنى وشاح. خرج منها علماء أجلاء، رؤساء نبلاء». و قال الشيخ اغا بزرك، في نقباء البشر، ق ١ ص ٣٤٢: «آل محفوظ؛ بيت علم و أدب و فضل - من قديم - في جبل عامل، و الكاظمية، و الحلّة».

و قال في المخطوط ص ٢٢٠: «آل محفوظ بيت قديم للعلم، من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١١٢

شجرة بيت محفوظ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١١٣

عصر المحقق الحلي (المتوفى سنة ٦٧٦هـ) إلى اليوم».

و قال المرحوم الشيخ محمد رضا الشيبلي، في كتاب: العراق و آثار العلم و الأدب المنسية فيه: «آل وشاح ... اسره علم و أدب قديمه .. من الأسر الكبيرة».

و آل محفوظ في الكاظمية، و كربلاء، و البصرة - و آخرون منهم في لبنان - من ذرية الشيخ حسين محفوظ بن الشيخ علي محفوظ بن الشيخ محمد محفوظ العاملي؛ الهرملي.

هاجر بعض أسلافهم إلى لبنان في اواسط القرن الثامن الهجري، و أقاموا بالهرمل، ثم ترك الشيخ حسين محفوظ بلدة الهرمل في اوائل العشر التاسع من القرن الثاني عشر، و سكن الكاظمية. و توفي بها في جمادى الأولى سنة ١٢٦٢هـ. و كان أوحد زمانه في التأله و الزهد و التعبد و الفضل و التقوى و الكمال و العلم. و كان يعدّ من حسنات عصره، و يحسب قرن الشيخ حسين نجف في الزهد و العبادة.

قال السيد محمد بن مال الله بن معصوم القطيفي - في ترجمته السيد عبد الله شبر: «العالم الفاضل، و الفقيه الكامل، افضل أهل زمانه على الاطلاق، و من لو لا تقاه لما كان في ذا الزمان التقى. (التقى) النقى، و المولى الصفي، شيخنا و مولانا الشيخ حسين محفوظ».

و قال السيد حسن الصدر؛ في بغية الوعاة في طبقات مشايخ الاجازات:

«الشيخ الفقيه العابد الزاهد، امام الجماعة في حرم الكاظمين، لم يشاركه أحد في الإمامة حتى توفي .. كان نظير الشيخ حسين نجف».

و قال الشيخ مرتضى الأنصاري؛ في رساله إلى السيد محيي الدين آل فضل الله الحسنى العيناتي؛ سنة ١٢٧٤هـ: «سلمان زمانه، و أبى ذر أوانه، المرحوم المبرور الشيخ حسين محفوظ العاملي».

(٨)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١١٤

و آل محفوظ - في الكاظمية - ذرية الشيخ علي محفوظ؛ المتوفى ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٥هـ، و محمد محفوظ؛ المولود سنة ١٣١٥هـ؛ ابني الشيخ محمد جواد محفوظ؛ المولود في الكاظمية سنة ١٢٨١هـ؛ المتوفى بالهرمل في ذى الحجة، سنة ١٣٥٨هـ - و كان من اعلام الرآسة و التصدر و التأليف و الأدب و الفضل - ابن الشيخ موسى محفوظ؛ المتوفى ٢٨ شهر رمضان سنة ١٣٢٠هـ؛ ابن الشيخ حسين محفوظ؛ المتوفى سنة ١٢٦٢هـ؛ ابن الشيخ علي محفوظ؛ المتوفى سنة ١٢٢٢هـ؛ ابن الشيخ محمد محفوظ.

و منهم؛ الدكتور حسين علي محفوظ- كاتب هذا الفصل- المولود في الكاظمية يوم الاثنين ٢٠ شوال سنة ١٣٤٤ هـ- ٣ أيار سنة ١٩٢٦. و ناجي محفوظ؛ المولود في الكاظمية يوم الاثنين ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٤٨ هـ- ١٩٢٩ و علي حسين محفوظ؛ المولود في بغداد ١٨ ربيع الأول ١٣٨٥ هـ- ١٨ تموز ١٩٦٥ و إنما فصلت القول- في تراجم اسرتي و تواريخها- اقتداء بالمتقدمين، من المصنفين.

بيت المحقق

ذرية الشيخ علي؛ المدعو بالمحقق؛ الملقب بمحقق العراقين؛ المتوفى سنة ١٣٨٢ هـ؛ ابن الشيخ محمد حسين الكرهودي، السلطان آبادي، الكرازي، ابن محمد مهدي بن محمد اسماعيل؛ من ذراري قاضي زاده الكرهودي، صاحب كتاب «تحفه شاهي». موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١١٥

بيت المراياتي

سراة الشيخ مهدي المراياتي الكاظمي؛ المتوفى سنة ١٣٤٣ هـ؛ ابن الحاج صالح بن الحاج عيسى بن الحاج محمد جواد بن الحاج مصطفى بن الحاج محمد علي بن الحاج محمد درويش المراياتي، البغدادي؛ الأسدي. الشيخ مهدي المراياتي

بيت معتوق

ذرية الشيخ محمد؛ المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ ابن الشيخ جواد- الذي كان حيا سنة ١٢٥٣ هـ- ابن الشيخ علي؛ ابن فقيه اهل البيت شيخ علماء الكاظمية في عصره، الشيخ سليمان بن معتوق العاملي الكاظمي. هاجر الشيخ سليمان إلى الكاظمية. فرارا من فتنة احمد باشا الجزائر؛ الذي طغى في بلاد لبنان سنة ١١٩٧ هـ. و توفي بها سنة ١٢٢٧ هـ.

بيت مقصود

اسرة الشيخ محمد علي؛ المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ؛ ابن ملا مقصود علي، الكجوري، المازندراني. الشيخ عبد الرزاق آل معتوق موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١١٦

بيت المنشي

ذراري محمود رضا؛ المتخلص (ظهور)، المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ، و أحمد رضا؛ المتخلص (طور)؛ المتوفى سنة ١٣٣٥؛ ابني خورشيد الدولة محمد رضا الهندي- الذي ورد العراق سنة ١٢٧٥ هـ، و توفي في الطريق- ابن اعظم بيك بن اشرف بيك بن خرم بيك بن سردار بيك؛ من ذرية مالك بن الاشر النخعي.

و من اعلامهم؛ ميرزا محمد رضا المنشى الطيب، المتوفى سنة ١٣٦٩ هـ؛ ابن احمد رضا نور بن خورشيد الدولة محمد رضا طور.

بيت نقدي

أولاد الشيخ جعفر نقدي؛ المتوفى سنة ١٣٧٠ هـ؛ ابن الحاج محمد النقدي؛ المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ؛ ابن عبد الله ابن محمد تقى بن حسن بن حسين ابن على نقى، الربعى، من بنى ربيعه بن نزار بن معد بن عدنان.

بيت نوح

بيت الخطيب؛ ذرية خطيب الكاظمية، الشيخ كاظم آل نوح المتوفى سنة ١٣٧٩ هـ: ابن الشيخ سلمان الحلبي، نزيل الكاظمية، المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ ابن داود بن سلمان بن نوح بن محمد، آل غريب الكعبي؛

الشيخ كاظم آل نوح

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١١٧

من بنى كعب، القبيلة المعروفة فى الأهواز؛ عشيرة الشاعر المعمر ملا حمادى نوح الحلبي، المعروف، المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ؛ صاحب الديوان الكبير «اختبار العارف و نهل الغارف».

بيت الهندي

بيت الموسوى؛ عتره السيد محمد الهندي؛ المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ؛ ابن هاشم بن مير شجاعت على الهندي الشاهجهان آبادى؛ الرضوى، الموسوى؛ النجفى.

السيد رضا الهندي

بيت الهمداني

اسره الشيخ محمد على الهمداني الكاظمى؛ المتوفى سنة ١٣٤٩ هـ؛ ابن الشيخ محمد حسين الهمداني الكاظمى؛ المتوفى سنة ١٣١٣ هـ.

بيت ياسين

ذرارى الشيخ محمد حسن آل ياسين الشيخ محمد رضا آل ياسين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١١٨

المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ- من اعلام عصره فى الرأسه و التصدر و التقدم و العلم- ابن ياسين بن محمد على بن محمد رضا. اسره الشيخ محمد رضا آل ياسين؛ المتوفى سنة ١٣٧٠ هـ؛ الشيخ عبد الحسين؛ المتوفى سنة ١٣٥١ هـ؛ بن الشيخ باقر؛ المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ؛ ابن الشيخ محمد حسن آل ياسين. و كان من اعلام الفقهاء المجتهدين فى زمنه. و هم ينسبون الى الخزرج.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١١٩

من اليمين محمد توفيق الغصين و الدكتور عبد الحميد الهلالي و المؤلف جعفر الخليلي و الدكتور محمد حسين آل ياسين و آخرين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٢٠

شجرة بيت ياسين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٢١

الخدّام و السدنة مرتبة حسب الحروف الهجائية

إشارة

يقوم بخدمة الحضرة الكاظمية المقدسة بيوتات معروفة من القوّام و الخدّام؛ منهم:

(١) بيت ابو العيس؛ السادة الموسوية.

(٢) بيت ابو نرگيلة؛ السادة الحسينية.

(٣) بيت بلبل؛ من بنى سعد. و من قدمائهم؛ على بلبل بن ناصر بلبل، في اواخر القرن الماضي. و هم عشيرة التاجر الصالح؛ الحاج

محمد حسين بن حاج عبد الباقي؛ المتوفى سنة ١٣٢٤ هـ بن حمادي بن قدوري.

و كان سلافه يتولون إيقاد المسرحة؛ و فقيه معتوق؛ التي عملها درويش عابد، سنة ١١٧٣ هـ؛ و هي توقد ليلة اول رجب و ليلة منتصف

شعبان كل عام و قد تركت حوالى سنة ١٣٨٠ هـ تقريبا.

(٤) بيت بهاء الدين؛ السادة الحسينية.

(٥) بيت الجمالي؛ ذرية جمال الدين؛ متولى سدانة مرقد ابى يوسف.

فى الكاظمية سنة ١٠٢١ هـ، ابن ملا على متولى مرقد ابى يوسف، المتوفى سنة ١٠٢٠ هـ؛ ابن اسماعيل. من بنى شيبه بن عثمان بن طلحة بن

ابى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك

بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٢٢

مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

و هم عشيرة الدكتور محمد فاضل الجمالي بن الشيخ عباس بن الحاج محمد بن الشيخ جواد بن الحاج مهدي بن الحاج عبد الله بن

الشيخ كاظم بن عبد الرحمن بن جمال الدين.

و قد نسبهم السيد جعفر الأعرجى النسابة، فى الكتاب المشجر الى على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٢٣

ابن ابراهيم بن جمال (جدّ الجمالات) بن طرفه بن شايب بن مختار بن هبار بن سويد بن مدرك بن حجر بن عوسج بن حنظل بن

حرميل بن ناشد بن منشد بن خالد ابن عمرو بن نويل بن حفص بن اياس بن عبد العزى بن حاجب بن غفار، قبيلة أبى ذر الغفارى؛

صاحب رسول الله (ص). و الخلاف و الاختلاف كبير كثير فى كتب السيد الأعرجى؛ المشجرة و المبسوطه؛ على سعة علمه، و وفور

فضله، و كثرة اطلاعه.

(٦) بيت جوطه؛ السادة الحسينية.

- (٧) بيت الجراغجي؛ السادة الحسينية.
- (٨) بيت الجوخجي. من ابو محيي، من طيء. وهم عشيرة الدكتور نعمه بن جابر بن محمد علي بن فتاح. و الشيخ حميد معلّم الكاظمية، المكتب المؤدب؛ المتوفى سنة ١٣٥٩ هـ؛ ابن محمود بن عبد الحميد بن شريف بن هادي.
- (٩) بيت الحسنی؛ السادة الحسينية.
- (١٠) بيت خادم الجديد؛ السادة الحسينية.
- (١١) بيت دبشئ؛ السادة الحسينية.
- (١٢) بيت الساعجي؛ الساعاتيين؛ ذرية الشيخ محمد ابراهيم الساعاتي؛ المتوفى سنة ١٣١٣ هـ؛ ابن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ جواد؛ ابن عم الشيخ طالب - جد بيت الكلتيدار - و يلقبون - الآن - ببيت الشيباني انتسابا الى بنى شيبئ.
- (١٣) بيت السرکشک؛ السادة الحسينية؛ من رؤساء الخدام؛ اسرة السيد باقر الحسنی؛ المدعوّ بالبلاط، المتوفى سنة ١٩٥٨ ابن السيد احمد واحد العين .
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٢٤

بيت السرکشک

الى اليمين السيد باقر السرکشک و الى اليسار المؤلف جعفر الخليلي
السيد محمد عبد الحسين

- (١٤) بيت السيد سعد؛ السادة المدامغة الحسينيين. ينتسب قداماؤهم إلى الامام موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع). و قد نسبهم السيد جعفر الأعرجي
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٢٥
- النسابة الى علي الدماغ بن أبي البركات محمد بن أبي طالب عبد الله بن علي ابن عمر المحدث بن أبي طالب عبد الله بن أبي محمد الحسن الفارس النقيب ابن يحيى بن الحسين النسابة بن احمد بن عمر بن يحيى بن الحسين ذى العبرة ابن زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع). و يوافقه السيد مهدي النسابة المعاصر؛ ابن السيد عبد اللطيف الحسيني؛ الوردی
- (١٥) بيت شقافي؛ من بنى شيبئ.
- (١٦) بيت شقافي؛ السادة الموسوية.
- (١٧) بيت شكر؛ السادة الحسينية.
- (١٨) بيت الشماع؛ السادة الموسوية؛ من آل أبو علي.
- (١٩) بيت الصابوني؛ بيت نسلي؛ السادة الموسوية.
- (٢٠) بيت الصافي؛ السادة الحسينية.
- (٢١) بيت طه؛ الأشراف؛ السادة.
- (٢٢) بيت طه؛ اسرة الشيخ علي طه؛ المتوفى سنة ١٣٤١ هـ؛ ابن ملاطه - صاحب فرمان الأذان في الحضرة الكاظمية؛ المؤرخ سنة ١٢٨٥ هـ، ابن جواد بن مبارك. و كانوا يدعون «بيت مرگه» و «بيت ابو مرگه».
- و هم ينتسبون إلى بنى شيبئ بن عثمان بن طلحة بن ابى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر.

- (٢٣) بيت الشيخ عبد اللطيف؛ من بنى شيبه.
- (٢٤) بيت عطيفة؛ السادة الحسينية؛ اسرة السيد محمد عطيفة؛ المتوفى سنة ١٣٠٩ هـ.
- (٢٥) بيت الكردي؛ السادة الحسينية.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٢٦
- (٢٦) بيت كشكش؛ السادة الحسينية.
- (٢٧) بيت الكشوان؛ من بيت المريضة؛ السادة الحسينية، اسرة السيد جعفر الكشوان بن السيد قاسم الحسنى. جد الدكتور بهيج الحسنى بنت السيد باقر بن السيد جعفر: الموماً اليه .
- (٢٨) بيت الكليتدار؛ البواشيخ؛ سدنة الحضرة الكاظمية المقدسة.
- (٢٩) بيت المؤذن؛ من بنى شيبه.
- (٣٠) بيت الحاج محمد صالح؛ عشيرة الشيخ محمد محسن الوجيه المصلح المعلم المؤذب، المتوفى سنة ١٩٤٦؛ ابن الحاج محمد صالح بن الشيخ سليمان. ينتهي نسبهم إلى ذى النور، صاحب القصة الواقعة سنة ١١٩٠ هـ وهم بنو عم بيت الكليتدار لجا؛ من بنى شيبه.
- (٣٦) بيت مشكور؛ السادة الحسينية.
- (٣٢) بيت نعش؛ من بنى أسد. عشيرة الحاج ابراهيم نعش؛ التاجر المعاصر؛ ابن الحاج مهدي بن الحاج حسين. كانوا يدعون بيت الطويل.
- و لقب بعضهم شماره انتسابا إلى أهل امه. و منهم الشيخ عبد الله بن يوسف ابن درويش نعش؛ والد سليم نعش.
- (٣٣) بيت نسلى؛ السادة الموسوية.
- (٣٤) بيت النيص؛ السادة الحسينية.
- (٣٥) بيت وهاب؛ ذرية وهاب بن جواد بن صافى بن الحاج زين العابدين؛ من طيء.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٢٧
- و منهم جواد بن جعفر بن جواد؛ الحقوقي، سكرتير رأسه جامعة بغداد.
- و قد ولى السلطان سليم الأول العثماني بنى شيبه، سدانة الحضرة المقدسة الكاظمية؛ سنة ٩٧٨ هـ. و ما زالت السدانة و الكليتدارية فيهم موصوله الإسناد.
- و الكليتدار؛ السادن- اليوم- الشيخ فاضل بن الشيخ على؛ المتوفى سنة ١٣٨٥ هـ؛ ابن الشيخ حميد؛ المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ؛ ابن الشيخ طالب؛ المتوفى سنة ١٢٩٢ هـ؛ ابن الشيخ عبد الرزاق؛ المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ؛ ابن الشيخ محمد؛ المتوفى سنة ١٢٤٦ هـ؛ ابن الشيخ احمد بن الشيخ عبد النبي بن الشيخ حسين بن مبارك بن محمد بن ربيعة من ولد عثمان بن حنظلة الشيبى. و كلهم ولاة سدانة الحضرة الكاظمية.
- هكذا وجدت نسبه- من أمالى- المرحوم الشيخ على الكليتدار- بخط السيد جواد بن السيد عبود بن حمودى بن حسين بن على بن أبى الحسن ابن على بن عيسى بن جمال الدين؛ العطيفى، الحسنى، فى ورقه تاريخها غره رجب سنة ١٣٧٢ هـ ..
- و رواه لى كذلك الشيخ على الكليتدار الموماً إليه نفسه، فى حجرته، قبلى الصحن الشريف الكاظمى، قبل وفاته.
- و شيبه- جدّهم و جدّ ولاة الكعبة إلى اليوم- بن عثمان بن طلحة ابن أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن-
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٢٨
- كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن

معد بن عدنان.

و من بنى شيبه؛ بيت ابو الرگ، و بيت الجمالى، و بيت حمزة، و بيت الساعجى، و بيت شقافى، و بيت الشيخ عبد اللطيف، و بيت الكاتب، و بيت الكلتيدار، و بيت المؤذن، و بيت الحاج محمد صالح.
و منهم؛ ذرية الشيخ حبيب- نزيل جبل عامل الذى عاد إلى العراق سنة ١٢٦٣ هـ- و هم ولد الشيخ محمد؛ المتوفى سنة ١٣٢٤ هـ ابن الشيخ حبيب بن الشيخ طالب بن على بن احمد بن جواد؛ اسرة الدكتور كامل مصطفى الشيبى .

سدانة مرقد أبى يوسف

تولى سدانة مرقد أبى يوسف- فى الكاظمية- قديما بيت الجمالى.

فقد تقلد جدّهم جمال الدين السدانة سنة ١٠٢١ هـ، بعد والده ملا على المتوفى سنة ١٠٢٠ هـ- كما تقدم.

و الكلتيدارية- اليوم- فى بيت ابى يوسف؛ اسرة السيد ابراهيم ابو يوسف؛ المتوفى سنة ١٣٦٥ هـ- من وجوه الكاظمية و أبطالها الأعلام ابن احمد بن الملا مصطفى بن ملا عبد الله بن مصطفى أغا بن فتاح بن داود ابن محمد بن حسين بن ناصر بن حسن بن محمود بن محمود بن محمد بن قاسم ابن هاشم بن على بن حسين بن حسن بن فلاح بن حمزة بن سلامت بن شهاب ابن جلال الدين بن اسحاق بن بابا على بن يوسف بن منصور بن منصور بن اسحاق بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ع).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٢٩

البيوتات المعروفة مرتبة حسب الحروف الهجائية

إشارة

و هى كثيرة، نكتفى بالإشارة إلى نماذج منها تمثّل مختلف أصناف المجتمع و طبقاته و منها:

بيت أبو اللحم

أقارب بيت الكاظمى فى الكويت، اسرة الحاج زيد الكاظمى. و هم فى الكاظمية أولاد عباس، و جودى، و مراد؛ بنى كاظم الدجيلى، من البوطباخ، من بنى سلامة السلميين فى الدجيل، بالقرب من بلد، فى طريق سامراء. هاجروا إلى الكاظمية فى احدى الهجرتين. و لعلمهم فارقوا الدجيل فى الهجرة الثانية، سنة ١٢٤٦ هـ؛ أبان الطاعون الكبير.

بيت الاسترابادى

عشيرة الحاج عبد الهادى الاسترابادى، المتوفى سنة ١٣١٦ هـ، و أخيه الحاج مهدي الاسترابادى؛ المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ. و هم من تلالد الاسر من الكاظمية.

الحاج عبد الهادي الاسترآبادى (٩)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٣٠

و الحاج عبد الهادى، هو الذى ولأه فرهاد ميرزا عمارة صحن الحضرة الكاظمية سنة ١٢٩٦ هـ .

بيت الأسود

ذرية مهدي بن درويش بن مانع بن أسود، من ابو هلال، من بنى سلامة، السلاميين فى الدجيل.

بيت أغائى

المعلمون المكثبون القدماء؛ و منهم، الشيخ محمد حسن الكاتب، المتوفى فى حدود سنة ١٢٨٠ هـ، بن الحاج الشيخ جواد البصير المقرئ ابن الحاج محمد على اغائى.

الأنباريين

الأنباريون الذين ينسب إليهم طرف الأنباريين بمحلة التل شمالي الكاظمية. و هم ينتسبون إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، من ولد بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

هاجروا من بلد الأنبار؛ بالقرب من مدينة المسيب. و سكنوا الكاظمية قديما. و ما زالت بيوتاتهم فى الكاظمية- مجموعين فى ظرف الأنباريين إزاء (باب الكبيرة)- و المسيب، و كربلاء، و غيرها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٣١

و من بيوتهم: بيت ابو الدهن، بيت الاصفر، بيت بادي، بيت الباير، بيت برين، بيت برهم، بيت بكتاش، بيت تفاحة، بيت جروه، بيت جويد، بيت حمرة، بيت حيس، بيت خليفة، بيت خندوجه، بيت دامنى، بيت الدباغ، بيت دريوش، بيت الدلى «الدلالوه» بيت ديو، بيت رمضان، بيت زوله، بيت سعدون، بيت سعود، بيت سلوم، بيت السلمان، بيت شاه، بيت شرموط، بيت صنگور، بيت طيطو، بيت عام، بيت عبد الحاج فاضل، بيت الحاج عبد الحسن، بيت عبدى، بيت عبل، بيت عبودى، بيت عجاج، بيت عجم، بيت عدوله، بيت العلو، بيت علاوى، بيت على اغا «بيت على رزيح» بيت عمران، بيت غدير؛ بيت فدم، بيت فليح، بيت قاو، بيت قوزى، بيت گرنوص، بيت مغماس، بيت الحاج مهدي، بيت مهيدى، بيت الحاج ناصر «بيت خردو»، بيت نرگز، بيت نشعة، بيت نمش، بيت النملة، بيت هادى، بيت هجهج، بيت الهلال، بيت هويدى، بيت واوية، بيت ويس، بيت ياس.

و من ربيعة؛ السميلات: و منهم فى محلة السميلات بمحلة التل؛ بيت حباشة، و بيت سريع، و بيت السميلي، و بيت صورين.

و من افخاذهم فى ظاهر البلدة؛ البوبكر، و البوعبيد و البومال الله، و البونهار.

بيت الانصارى

ولد الحاج عبد (من عبيد) بن الحاج نجم الأنصاري، اسره الشيخ جعفر بن الحسين التستري؛ المتوفى سنة ١٣٠٣ هـ. من ذراري جابر بن عبد الله الأنصاري؛ صاحب رسول الله (ص). ومنهم أولاد الحاج حسين بن الحاج كاظم بن الحاج عبد، الذين تعرض لهم ظرافة الشيخ عبد المحسن الكاظمي شاعر العرب في بعض قصائده.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٣٢

البحية

إشارة

البوحيه؛ الذين ينسب إليهم طرف البحية، في محلة الدباغخانه، شرقي الكاظمة. وهم من طيء، من ولد سنيس بن معاوية بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء. وهو جلهمة بن ادد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهم ثلاثة أفخاذ:

(١) آل حمد:

و من بيوتاتهم؛ بيت الأغر، و بيت بارود «بيت سليم» و منهم بيت فليح. و بيت ثريا، و بيت حمد، و بيت سلطان، و بيت صكر، و بيت العليوي، و بيت فليح.

(٢) آل حسين:

و من بيوتاتهم؛ بيت الأفجم، بيت جواد «بيت بازي»، و بيت سعيد، و بيت عكله، و بيت علاوي «بيت قشعم»، و بيت مراد، و منهم بيت غضيب، و بيت النجم، و بيت هذب، و بيت ياسين.

(٣) آل الجوخجي:

و منهم بيت جابر، و بيت فتاح؛ من خدام الحضرة الكاظمة .

بيت البنا

ذرية عبد علي البنا، المتوفى سنة ١٩٤٩ بن الحاج محمد بن الحاج حسن ابن الحاج عبد النبي؛ من خفاجة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٣٣

بيت البير

ذرية محمد صالح البير بن الحاج علي بن مهدي بن الحاج محمد صالح البيتر، من بني أسد. و كان الحاج محمد صالح هذا من اعيان التجار في عصره. و قد مدحه الشيخ محمد جابر الكاظمي، الشاعر المشهور بأبيات حائية؛ منها:

هل السعد الّا فى جبينك لائح او العيش الا فى ظلالك صالح
الا و اغتتم اسنى الثناء فاننى و مجدك ما دام البقا لك مادح

بيت جشعم

ذرارى مهدي بن عبد بن سالم، من ولد ناصر بن مهنا من جشعم، من المناذرة و من بيوتهم؛ بيت النيار، و بيت المزين.

بيت جلال

أديبهم، الشيخ محمد سعيد جلال؛ المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ؛ ابن الحاج محمد حسين بن على بن الحاج محمد بن الحاج درويش بن الحاج اسماعيل ابن الحاج عبد الله بن الحاج احمد بن الحاج جلال.
و بيت جلال من بيوتات التجارة المعروفة فى الكاظمية، و بغداد، و البصرة، و كربلاء.

بيت الجواهرى

الجواهرية؛ الصواغ. ذرية الحاج محمد كاظم الجواهرى، نزيل الكاظمية، صاحب قرية مزرعة دوراه ميان- التى كان اسمها قرية كاظم آباد فى بلوك برخار، فى دار السلطنة اصفهان، المؤرخة ورقتها فى سنة ١٢٢٧ هـ- ابن الحاج محمد على. و يقول بعضهم انه سمع انهم ينتسبون إلى الصفوية فى تبريز، ثم هاجروا إلى اصفهان، و ورد جدهم
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٣٤
الحاج محمد كاظم الكاظمية. و من ذريته ولد محمد هاشم الصائغ؛ المتوفى سنة ١٢٩٩ هـ.

بيت الجيلاوى

ذرية حسين و حسن، ابنى على بن حسين بن عليوى، الغزال؛ من البوصغر، من الجنابين، من الدجيل. و يلقبون- اليوم- بيت الدجيلى.

بيت الجلبى

اسرة الحاج عبد الهادى الجلبى بن الحاج عبد الحسين الجلبى؛ المتوفى سنة ١٩٣٩ بن الحاج على الجلبى المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ- جد بيت على جلبى فى الكاظمية- بن محمد هادى بن الحاج حسن بن محمد اغا بن عبد الحاج عبد الحسين الجلبى

الحاج عبد الهادى الجلبى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٣٥

شجرة بيت الجلبى فى الكاظمية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٣٦

الرضا بن درويش بن كاظم حجي بن عبد الحسين. من طيء بن ادد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. و ينتهي نسبهم الى حاتم الجواد ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدى بن اخزم بن ابي اخزم بن ربيعة بن جروول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء؛ من قحطان و الجلبى لقب و هبه لهم السلطان العثماني. كان الجلبية فى جزيرة ابن عمر. ثم سكنوا بغداد، و توطن فريق منهم الكاظمة فى اواخر القرن الحادى عشر الهجرى. و منهم حكام الكاظمة القدماء الذين ورثوا من آباءهم الراسة و الحكم و الأمر، حتى سنة ١٨٦٥ م. و إلى عمود نسبهم تنتهى أنساب بيت الجلبى، و بيت حجي، و بيت الحجية، و بيت الحاج صالح، و بيت على الجلبى، و بيت گوش، و بيت المعمار، و بيت ليلو.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٣٧

بيت الحجى

اسرة الشاعر الحاج مهدي دوش - انتسابا إلى عشيرة أمه - المتوفى سنة ١٣٥٦ هـ بن الحاج خضير الشاعر المتوفى سنة ١٣٠٩ هـ بن عباس بن على بن محمد بن على بن حجي؛ البلدى، من العجيمات، من ربيعة.

بيت الحداد

شاعرهم، الحاج محمد حسن الحداد، المتوفى سنة ١٩٥٨ - من اعلام الثورة العراقية و السنة الجهاد - ابن الحاج على بن احمد بن مطر بن محمد بن سلمان بن علو بن سلمان بن كاظم بن حسين بن حسن؛ الذى هاجر من تكريت إلى بلد بالقرب من سامراء. و هم من البوقاسم، من بنى العباس، العباسيين.

بيت الحريرى

اسرة الحاج محمد تقى الحريرى - صاحب خان الحريرى فى بغداد، و هو ابن الحاج محمد على بن الحاج ابراهيم الحريرى الكاظمى و قد توفى الحاج تقى الحريرى سنة ١٩٥٤ و هو نفسه صاحب خان الحريرى المشهور الذى عمره سنة ١٩٥١.

بيت حسونه

عشيرة الصحفي الكاتب عبد المهدي الفائق بن عبد الحميد بن الحاج حسين بن الحاج عيسى حسونه، من طيء.

بيت الحلبي

من آل شمس الدين، ذرية الشهيد الأول شمس الدين محمد بن مكى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٣٨

ابن محمد بن حامد بن طه بن علي، المطلبي، العاملي الجزيني؛ المقتول في دمشق سنة ٧٨٦ هـ.

بيت حمودي

اسرة عبد الرسول بن حمودي بن خضير بن عبد النبي، من زبيد.

بيت الخليلي

ذرية ميراز خليل الطبيب المشهور بن علي بن ملا ابراهيم بن محمد علي؛ نزيل النجف. هاجر إلى الكاظمية سنة ١٢١٥ هـ، و لبث فيها مدة. ثم انتقل إلى كربلاء، ثم اقام بالنجف، و توفي بها سنة ١٢٨٠ هـ .
و في الكاظمية من ذراريه جماعة سكنوها قديما، و آخرون توطنوها حديثا.

بيت دارا

اولاد ميرزا احمد الشاعر الكاتب، المتخلص «دارا»، المتوفى سنة ١٩٤٣ ابن الحاج حسين الكازروني بن الحاج محمد تقى بن الحاج احمد الكازروني.

بيت الديسي

ذرية ملا سلمان بن داوود- صاحب الوقف المعروف. من فخذ المصالحه من بني تميم. عشيرة ملا حماد الديسي بن ملا سلمان-
رئيس بلدية الكاظمية المتوفى سنة ١٩١٩ م.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٣٩

بيت دروش

من الحمدانيين، من ربيعة.

بيت الدهوي

عشيرة الشاعر صالح الدهوي بن مهدي بن الحاج لطيف الدهوي.
و منهم الحاج عبد النبي الدهوي بن الحاج ابراهيم الدهوي المتوفى سنة ١٩٢٦ م و منهم بيت دخيل؛ اسرة عبد الغنى بن حسن بن دخيل. و هم من عبيد.

بيت رزوقي

عشيرة الحاج عبد الحسين؛ المتوفى قبيل الاحتلال؛ ابن الحاج رزوقي؛ المتوفى نحو سنة ١٣٠٥ هـ بن درويش بن موسى؛ من ربيعة.

بيت زيني

ذرية الشيخ احمد الزيني، اخى الشيخ على الزيني؛ اللذين هاجرا من صيدا إلى بغداد، فى زمن أحمد باشا الجزائر. و توطن الشيخ احمد الكاظمية، و اقام الشيخ على بالنجف.

بيت سريع

القصابون؛ فى الكاظمية؛ ذرية على سريع بن الحاج حسين بن قدرى- جد بيت القدرى- بن محمد بن قاسم خان، من السميلات، من ربيعة.

هاجر جدهم قاسم خان الى الكاظمية. و من كبارهم عبد على بن الحاج محمد بن على سريع. و اليهم ينسب خان سريع فى محله ام النومي بالكاظمية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٤٠

بيت السعدى

اسرة جعفر عمران السعدى؛ و هو ابن عمران بن عيسى بن الشيخ هانى؛ المتوفى سنة ١٣١٠ هـ؛ ابن الشيخ مهدى بن الحاج عمران السعدى، من بنى سعد.

بيت السعيد - ١-

اسرة الدكتور نعمت عبد الحميد السعيد، و هو ابن عبد الحميد بن الحاج هادى بن الحاج سعيد بن على. من عبده من الحجاز.

بيت السعيد - ٢-

اسرة الدكتور صادق مهدى السعيد؛ من ابو عزام، من الدليم، و هم ذرية الحاج سعيد بن محمد بن يونس بن طعمه بن سلمان بن عبد الله ابن عباس بن على بن عزام.

هاجر جدهم عبد الله إلى الكاظمية فى زمن عثمان چق، و كان ابوه عباس فى نهر ابو صديره، فوق الصكلاوية، بالقرب من الفلوجه.

بيت السلطان

فخذ الشيخين؛ الشيخ محمد السلطان؛ المتوفى سنة ١٩٥٨، و الشيخ حاتم السلطان المتوفى سنة ١٩٦٥؛ من رؤساء تميم. و هما ابنا سلطان بن محمد بن وهب بن حاجم بن سلطان بن محمد بن وهب بن حاجم، بحسب رواية السيدة الاعرجية زوجة الشيخ حاتم السلطان كما كان يحفظ ابنها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٤١

و السلسلة على رواية الشيخ محمد بن الشيخ حاتم السلطان؛ هكذا:

سلطان بن محمد بن وهب بن سلطان بن حاجم بن سلطان بن نهار. و هم من البونهار، من الطجاج؛ من بنى دارم بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

بيت سهيل

رؤساء تميم- الآن- اولاد سهيل؛ المتوفى سنة ١٩٢١، بن نجم بن سهيل بن عبيد بن سبهان بن صناع بن (زينى) بن عويد (بن الحاج حسن) من فخذ المصالحة من بنى منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم؛ و يتسبون الى الحسن بن العباس بن الأحنف المنقرى. و هم الشيخ حسين، المتوفى سنة ١٩٤٦، و الشيخ الحاج حسن، المتوفى سنة ١٩٥٧، و الشيخ على المتوفى سنة ١٩٦٢، و الشيخ محمد باقر المولود سنة ١٣٢١ هـ .

الحاج حسن السهيل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٤٢

بيت شالجي موسى

بيت الشالجي؛ عشيرة الحاج محمد عيسى چلبى بن الحاج محمد امين چلبى شالجي موسى زاده بن الحاج موسى، المعروف بشالجي موسى البغدادي؛ نسبة إلى بيع «شال ترمه». و هم من بيوتات التجارة و الأدب فى الكاظمية و بغداد. و تنتهى أنسابهم إلى قبيلة زييد.

بيت الشامى

اسرة المقرئ المجود الصالح المتعبد الحاج الشيخ عباس البقال الشامى، ابن على بن حسن بن حسين بن شامى؛ الشامى.

بيت شكيب

اولاد محمد هاشم بن الحاج محمد على بن اسماعيل بن خليل بن اسماعيل؛ سكن جدّهم الحاج محمد على الكاظمية؛ فى اواخر العشر التاسع من القرن الثالث عشر الهجرى.

بيت الشماع

ذرية الحاج عبد الحسين الشماع المتوفى سنة ١٩٥٦ والد محمد الشماع، ابن الحاج صادق الشماع، و بنو عمومته؛ من ذراري الحاج عبد الخالق ابن الحاج ابراهيم الحضيري التميمي.
هاجر والدهم الحاج عبد الحسين إلى الكاظمية بعد الحرب الأولى، نحو سنة ١٩٢٣.

بيت شندی

ذرية درويش شندی؛ من العزة.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٤٣

بيت الصراف

اسرة الحاج حسين الصراف ، المتوفى سنة ١٩٤٦؛ ابن الحاج ابراهيم ابن الحاج محمد جواد. و منهم عبد علي الصراف بن حسن بن الحاج ابراهيم ابن الحاج محمد جواد الصراف.
و هم، من البوسلمان الكبار، من شمّر الشمال.

بيت الصفار

اسرة الحاج عبد الرسول علي؛ الصفار رئيس غرفة تجارة بغداد السابق.

الحاج حسين الصراف

بيت صويلح

اسرة سعيد بن جواد بن كاظم بن صالح- جدّ بيت صويلح- من الكراكله؛ الكركوكيين.

بيت العبد

ذرية عبد بن علي بن حسين بن عبد الله- جدّ بيت العبد- بن عليوى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٤٤
ابن حسن بن ناصر، من المحامده، من الدليم. و كانوا يسمون بيت حسين العبد الله.

بيت عبد الغنى

اسرة الدكتور باقر عبد الغنى . و هو ابن عبد الغنى؛ المتوفى سنة ١٩٦٣، ابن الحاج مهدي، المتوفى سنة ١٩٤٧، ابن الحاج صالح بن حسين بن محمد؛ من الحرباويين في بلد. سكنوا الكاظمية سنة ١٩٦٠.

بيت الشيخ عبود

ذرية الشيخ القارى الخطيب؛ الشيخ عبود؛ المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ، ابن الشيخ درويش بن الشيخ ابراهيم الكعبي، الكاظمي. و منهم؛ بيت الخياط.

بيت عبيده

ذرية اسماعيل، و محمد جواد؛ ابني الحاج محمد- صاحب الوقف المؤرخ في سنة ١٢٤٦ و ١٢٥٢ هـ؛ المتوفى في حدود سنة ١٢٧٢ هـ ابن الحاج عبد الله بن عبيده الدباغ من طيء. كان عبيده يتوطن الجزيرة، في ناحية السيد محمد بالقرب من بلد. و من اعيانهم الحاج حمودي عبيده، المتوفى سنة ١٩٣٧ ابن صالح بن اسماعيل بن الحاج محمد. موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٤٥.

بيت عسكر

اسرة عبد الوهاب عسكر، الذي ينتسب إلى بنى شيبان من بنى عنزة ابن اسد بن ربيعه بن نزار بن معد بن عدنان.

بيت العطار - ٢ -

اسرة الدكتور حسن سعيد العطار؛ و هو ابن الحاج سعيد العطار بن الحاج حسن بن الحاج تقى بن الحاج معصوم؛ الكاظمي.

بيت العطار - ٣ -

المتطبيون العطارون. ذرية الشيخ عبد الوهاب العطار؛ المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ؛ ابن الشيخ راضى؛ المتوفى سنة ١٢٩٩ بن ابراهيم بن الحاج محمد ابن عبد الله بن مال الله البنا بن مصلح. عشيرة الشيخ عبد الكريم العطار الكتبي؛ المتوفى سنة ١٣٥١ هـ، بن الشيخ عبد الوهاب العطار.

و كانوا يعرفون ببيت الطابوقچي، في محلة صبايغ الآل ببغداد، و قد ورد الكاظمية جدهم الشيخ راضى.

بيت عطيه

ذرية الحاج عطية بن صالح دوش؛ من الخزاعل؛ و هو أول من سكن الكاظمية من آبائهم.

(١٠)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٤٦

بيت العطية

اسرة الشاعر الحاج محمد جواد بن الحاج كاظم بن عطية بن حسين الملقب ب (السكنة) بن صالح بن مهدي، من آل گمر، من كنانة

بيت العكيلي

العكيلات؛ من الخيلة. ذرية الشيخ عبد الله، ابو الخيل - الذي سكن الكاظمية سنة ١٢٦٥ هـ؛ من المصاليخ، من بني عنزة بن اسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان. و اليهم تنسب محلة العكيلات في الكاظمية.

و من أفاضلهم الحاج عبد الكريم؛ المتوفى سنة ١٩٥٨، بن موسى بن هادي ابن حسين بن عبد الله العكيلي .

بيت عيد

اسرة الشاعر جميل احمد الكاظمي ؛ ابن احمد بن ملا خضر رئيس بلدية الكاظمية سابقا- بن الحاج عباس بن عيد بن بريس بن سلمان؛ من البوغزلان من بني عامر.

بيت الحاج غانم

ذرية الحاج غانم الدباغ؛ المتوفى سنة ١٩٤٨، ابن سلمان ابو اصبع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٤٧

الدباغ بن الحاج عيسى السمين بن صالح بن مهدي بن اسعد بن حسن بن حمود بن عواد بن لكال بن غزال بن عدى؛ الذي ينتهي نسبه إلى حسن باشا السلطان الخزاعلي؛ من الخزاعل.

بيت الغبان

اسرة ابراهيم بن الحاج محمود بن الحاج كاظم الغبان، من زبيد.

بيت الغريباوى

اسرة الحاج عبود الغريباوى؛ المتوفى سنة ١٩٥١ بن الحاج مرهون ابن الحاج صالح بن الحاج علاوى؛ الغريباوى، اصلهم من النعمانية؛

بنى كلاب.

بيت قادريه

اولاد رشيد بن درويش المزيّن بن عبد الحسين بن أمين؛ المعامير؛ من عبيد.

بيت القشدار

اولاد ابراهيم بن حميد بن الحاج حبيب «جدّ بيت القشدار» بن أحمد ابن فياض. و يسمّون-الآن- بيت البيّاع.

بيت القصاب

اسرة الحاج عبد الباقي القصاب؛ المتوفى سنة ١٩٥٠، ابن دروش ابن محمود بن عبد النبي، من بيت الأجر، من طيء. موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٤٨

بيت القطيفي

و هم ذرية الحاج عبد الله القطيفي؛ المتوفى سنة ١٣٦١ ه؛ ابن حسن ابن فارس؛ من آل فارس. و يسمّون في القطيف بيت بن فارس. و منهم الدكتور عبد الحسين القطيفي .

بيت الحاج قنبر

اسرة الشيخ محمد؛ المتوفى سنة ١٣١٤ ه، ابن الحاج قنبر بن عبد كور على الكاظمي؛ المدني.

بيت الكاظمي في الكويت - ٣ -

و هم من بيت أبو اللحم في الكاظمية. و بيت ابو اللحم من البوطياخ؛ في بلدة الدجيل، بالقرب من مدينة بلد، في طريق سامراء. رحلوا إلى الكاظمية في إحدى الهجرتين؛ و كل الظن ان ذلك كان في الهجرة الثانية. ابان الطاعون الكبير المعروف بطاعون كير، سنة ١٢٤٦ ه.

و هم من بنى سلامة السلايين؛ الذين يلحقون في الدجيل بالخزرج، و يعدّون آباءهم إلى جابر بن عبد الله الأنصاري؛ الحاج زيد الكاظمي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٤٩

صاحب رسول الله (ص). و إليهم تنسب خرائب بنى سلامة جنوبيّ الدجيل. و ينتسب بنو عمهم؛ البوغنام، في الرارنجية؛ الذين يسمّون

هنالك بالسلامات، إلى قبيلة شمّر. و هو الذي رواه بعض وجوه الكاظمية عن الحاج عبد الحسين الكاظمي والد الحاج زيد الكاظمي. و ينتسب فريق من السلاميين إلى زيد. و تنتهي هذه الأصول كلها- على كل حال- إلى قحطان.

بيت الكاظمي في الكويت

و من بيت ابو اللحم- الكاظميين هؤلاء- في الكويت؛ بيت الكاظمي؛ اسرة الحاج زيد الكاظمي التاجر النائب، و إخوته .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٥٠
هاجر جدهم حسن المقتول في القطيف اغتيالاً- و هو ابن محمد جواد ابو اللحم لقد هاجر في زمان العثمانيين إلى الكويت و استوطنها. و كان من تجار التبغ. و هو والد الحاج عبد الحسين الكاظمي، وجد الحاج زيد ابن الحاج عبد الحسين بن حسن بن محمد جواد ابو اللحم.
و بيت الكاظمي اقارب بيت ابو اللحم في الكاظمية الذي منهم- الحاج حسين أبو اللحم- المتوفى سنة ١٩٥٦ هـ- بن عبود بن كاظم بن جودي بن كاظم ابن عباس.

بيت الكاظمي في البصرة - ٤-

و هم ذراري مهدي، و سلمان، و علوان، و أمين؛ أولاد حسون
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٥١
شجرة السلاميين في الكاظمية
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٥٢
نجمه. هاجروا إلى البصرة، في حدود سنة ١٨٧٠. و هم فخذ من بني سلامة، السلاميين. و ينتسبون إلى شمّر.

بيت الكاظمي - ٥-

اسرة ملما حسن للكاظمي الشاعر العامي المعروف؛ ابن محمد بن الحاج حسين بن علو بن خلف الكاظمي؛ من عشيرة الكرخية، من الشميسات، من قيس.

بيت مؤيد

اسرة الدكتور عبد القادر بن عبد اللطيف بن الحاج علي بن عبد الكريم ابن محمد جعفر بن عبد الكريم بن الحاج مؤيد.

بيت المتجهّد

ذرية الشيخ محمد رضا المعلم المجوّد المكتب؛ المتوفى سنة ١٣٨١ هـ، ابن الحاج علي المتجهّد اللاري، الكاظمي.

بيت المحلاتى

اسرة الشيخ سيفى المحلاتى، المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ.

بيت الحاج محمد

ذرية الحاج محمد بن عبد النبى، من البغادى، من افخاذ شمرطو گه.

بيت المزين

اسرة استا امين المزين الجراح المطهر؛ المتوفى فى ربيع سنة ١٩٣٩، ابن الحاج سعيد بن ملا حيدر، من جشعم، بنو عم بيت النيار.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٥٣

بيت المشاط

اسرة الحاج عبد الواحد المشاط، المتوفى نحو سنة ١٩٣٧؛ ابن الحاج على اكبر الشيرازى المشاط ثم التاجر، ابن الحاج حسن الملقب
بنير، و يدعى بعضهم- الآن- بالواحدى .

بيت معطوش

اسرة الدكتور على عبد الحسين الحاج راضى من البوسلطان، من زبيد.

بيت الملائكة

ذرية عبد الرزاق بن الحاج على بن الحاج محمد بن عبد الهادى بن الحاج درويش. و ينتسبون إلى اللخمين.
و منهم بيت الشالچى؛ الحاج على بن اسماعيل بن الحاج محمد؛ نسبة إلى صنعه أخيه الحاج عبد الكريم؛ صناعة الشال؛ القماش
المعروف.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٥٤

بيت الكظماوى فى قلعة سكر

فى قلعة سكر. و يسمون «الكواظمة» و يدعون حاليا «بيت الكاظمى» تركوا الكاظمة فى اواخر العشر الثالث من القرن الرابع عشر. و هم

ذري الحاج حسون الكظماوى، و الحاج جواد الكظماوى.

بيت الكظماوى فى الديوانية

اسرة عباس كظماوى؛ الشاعر العامى؛ المتوفى سنة ١٩٥٤؛ ابن عبود بن خضير بن عواد.

بيت كنعان

ذرية الحاج عبد على كنعان؛ من عشيرة حمد الحمود؛ المتوفى سنة ١١٩١ هـ؛ من الخزاعل، و إليهم تنسب الكنعانية فى الكاظمة.

بيت كصيد

من الخزرج.

بيت كلاوى

ذرية الحاج جاسم بن محمد بن درويش بن جعفر بن مرهون بن محمد صاحب الوقفية المؤرخة فى سنة ١٢٢٧ هـ - بن سعيد كلاوى؛ من بنى سعد. و يدعون اليوم بيت الدباس، و كانوا يلقبون بيت البزرجى.

بيت ليلو

من ابو حاجى صالح؛ من اچلية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٥٥

بيت المنذرى

ذرية الشيخ محمد رضا، المتوفى سنة ١٢٤٣ هـ - جد بيت الشيخ خلف رئيس بلدية الكاظمة و معمارها، المتوفى سنة ١٢٨٥ هـ - ابن الحاج حمزة بن الحاج درويش بن الحاج محمد رضا بن الحاج عبد الله؛ اللخمى:
هاجر سلافهم إلى الكاظمة فى سنة ٧٠٠ هـ. و كانوا يتوطنون الحيرة.
و الحاج حمزة، هو اخو عبد الهادى؛ جد بيت الملائكة فى الكاظمة، و بغداد.

بيت المنشى

اسرة الدكتورين؟ جواد على، و وصفى محمد على؛ ابني الحاج محمد على المنشى؛ المتوفى سنة ١٩٣٨ بن محمد حسين بن قاسم؛ من عجيل.

بيت الحاج مهدي

من رؤساء الانباريين و وجوههم فى الكاظمية؛ اسرة الحاج شهاب، المتوفى سنة ١٩٤٢. ابن الحاج احمد بن الحاج مهدي بن صالح بن سلطان، الأنبارى.

بيت موسى راضى

من بنى عامر.

بيت مومن على

ذرية الحاج بمانعلى؛ المتوفى سنة ١٣٨٨ هـ؛ بن عبد الخالق مصلح اليزدى، مؤسس الحسينية المعروفة تجاه باب القبلة للحضرة الكاظمية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٥٦

بيت النجار - ١ -

اسرة الحاج محمد على النجار بن الشيخ جعفر.

بيت النجار - ٢ -

اولاد الشاعر محمد على النجار الكوتى الشاعر المعاصر؛ نزيل الكاظمية سنة ١٩٣٨؛ ابن عرار بن عباس بن خميس بن سعيد بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن سعيد بن محمد بن گمر، من طيء.

بيت النداف

عشيرة الحاج عبد الجليل؛ النداف الشاعر العامى؛ المتوفى سنة ١٣٨٦ هـ؛ اولاد أخيه عبد الرضا بن الحاج سعيد النداف بن حسن بن نعمة بن حيدر ابن عبد الكريم. من الأنصار. و بنو عمومتهم و أقاربهم.

بيت النقيب

عشيرة الشيخ جواد المعلم المقرئ المجود المكتب؛ المتوفى سنة ١٣٨٧ هـ؛ ابن الشيخ محمد سعيد المعلم المجود المكتب؛ المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ ابن الشيخ كاظم الهنوزى الكاتب المقرئ المكتب بن الشيخ جواد النقيب، أغاولى؛ من آل خطى؛ من بنى تميم. و بقتهم- الآن- أولاد صالح المزين.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٥٧

بيت النعلبند

و يكتفى اولاد الحاج باقر النعلبند حاليا بالانتساب الى والدهم باقر و هم من خفاجه.
و منهم الدكتور فرحان باقر .

بيت النعمه

ذرية عبد الجليل بن الحاج نعمه، ينتسبون إلى ربيعة.
الدكتور فرحان باقر

بيت نگو

اسره الحاج سعيد نگو- بائع الرز الشاعر- ابن داود بن جمعه بن مرتضى؛ من ربيعة.

بيت النواب

ذرية محمد ابراهيم النواب المعروف بأغا ابراهيم؛ المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ؛ ابن ميرزا محمد حسين النواب؛ المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ. من ولد خادم سبط النبي غلام محمد على خان افسر الدولة النواب.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٥٨
و اليهم تنسب محله النواب فى الكاظميه، التى افتتح شارعها و اسست فى صيف سنة ١٩٣٥.

بيت هادى

اسره ملا سلمان بن حسين بن حسن بن هادى؛ من آل گعيد، من آل سليمان، الأنبارى. هاجر گعيد من الأنبار إلى الكاظميه، مع بنى عمهم سائر الأنباريين.

بيت الهلالى

ذرية الحاج محمد على الهلالي البزاز؛ ابن الحاج محمد الهلالي العطار؛ ابن ابراهيم الهلالي المتطبب بن سلمان الهلالي بن نافع الهلالي، من بني هلال.

و هم عشيرة امين الهلالي بن الحاج محمد على الهلالي، و الدكتور صادق الهلالي بن عبد المهدي بن الحاج محمد على؛ المذكور. موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٥٩

العشائر

يسكن ضاحية الهبنة؛ بيت السرحان، و بيت شريف، و بيت الضايغ، و المساره، و الهبنة. و يقيم بالقرب من التاجي؛ البحات، و الجبور، و الجميلة، و ابو عبيد من الدليم، و الفلاحات كذلك، و الندوات. و كان في ضاحية البطة- يمنية محلة النواب؛ البطة من زييد؛ و أفخاذهم: ابو دوار- و منهم البودباش- و ابو سندال، و ابو سويجن، و الشلش، و ابو عبيد، و عويص، و هميم. و في ضاحية الجكوك مساكن الجكوك، و هم ألفاف؛ منهم: الجبور، و الفلاحات، و المساره، و ابو مفرج، و ابو هيازع. و قرب الكاظمية- أيضا- العكيدات، و المشاهدة.

أما المشاهدة؛ فهم ينتسبون إلى السيد شمس الدين بن زامل بن غيث ابن زين الدين بن علي بن فارس بن ثابت بن مسلم بن أبي بكر بن ابراهيم بن أبي بكر بن ابراهيم بن اسماعيل بن جعفر بن اسماعيل بن يعقوب بن عبد الله ابن محمد بن علي بن جعفر بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب (ع).

و من افخاذهم؛ ابو ظاهر، و ابو ابراهيم، و ابو ياسين و ابو عثمان،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٦٠

و ابو يونس، و ابو يوسف، و ابو شيت، و ابو صالح، و ابو عمار، و ابو علي، و ابو عون الدين، و ابو بكر، و ابو تاج الدين، و ابو كمولى، و ابو حجازي، و ابو مشيهد، و المطاردة، و ابو سحاب، و ابو عفان، و السعيدة، و ابو هرموش، و ابو لطيف، و ابو شبلي.

بنو تميم

و يحيط بالكاظمية بنو تميم، من أكبر قواعد العرب. و هم بنو تميم ابن مر بنى اد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. و هم فريقان:

(١) بنو منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. و هم؛ المصالحه، و ابو حسن و ابو حسان، و ابو حمد، و العوينات، و الكوايد.

(٢) بنو دارم بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم؛ و هم سائر بنى تميم.

و بنو تميم فى الهور- هور عكر گوف- أربعة أقسام: المصالحه، الطجاج، و الخضيرات، و الكوايد.

المصالحه

و من فروعهم:

البو طعمه- و منهم؛ البو سهيل (الشيخ)، و البو شبيب، و البو زيني، و البو ريشه، و البو تاجي.
 البو صبره- و منهم؛ بيت معيدي، و بيت خلف الصالح، و الزجاله و البو حدادي، و المرامطة، و البو داود.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٦١
 البو حمد- و منهم؛ الزعيلات، و البو هويدي، و البو مهدي، و البو علاوي و الخوينات، و البو علوش، و البو عكله.
 العيايشة- و منهم؛ البو دريش، و البو كاظم الحبيب، و البو أسود، و البو محمد الحبيب، و البو عليوي العواد.
 الشهابات- و منهم؛ الحلوين، و البو كاظم المحمد، و العفوش، و البو بيدر «البيادره»، و البو عواد، و البو وزير.
 المراعيص- و هم فرع من البو صبره.
 النصيف-
 الرباغات- و هم من ربيعة.

الطجاج

و من فروعهم:

البونهار- و منهم؛ البو وهب، و البو خان، و البو حاجم، و البو كجج، و البو عساف و البو محمد- و منهم؛ العساجرة، و البو علي، و البو يعكوب، و البو داود، و البو بعير.
 الكصاعمه- و منهم؛ البو كاظم، و البو حيمد، و البو موله، و ألبودر، و البو رديني، و البو عز.
 البودده-

الخضيرات

و من فروعهم:

البو بلال- و منهم؛ آل زغم، و البو ضامن، و بيت حطاب.

(١١)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٦٢
 البو عبد العالي- و منهم؛ بيت حمور، و هاوش و حسن الجايف.
 العويسات- و منهم؛ البو شراد، و البو علي الجاسم.
 البو وحيد- و منهم؛ البو حبيب، و البو چاين، و البو علو.

الگواید

و من فروعهم:

البو فرهود- و منهم؛ البو علي الجاسم، و البو عبد الله.

الـبو خـلف- و منهم؛ البـو عـلى الخـلف، و البـو ابراهيم، و البـو عبد الله.
 البـو سعـيد- و منهم؛ البـو ضـبعان، و البـاشات، و البـو عزـاوى، البـو جـعـيفـص-
 البـو شـرف-
 البـو عبـود-

البـو خـيلان- و منهم؛ البـو علـوان الشـفـلح.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٦٣

الفهارس فهرس اسماء الاعلام و الأسر و البيوتات و القبائل

- آ -

آغا بزرك: ١١١.

آل جمال الدين: ٧٨.

آل الجوخجى: ١٣٢.

آل عداد: ٨٣.

آل حسين البوحية: ١٣٢.

آل حمد البوحية: ١٣٢.

آل داود: ٩٣.

آل زينى: ٦٤.

آل ساسان: ٣١.

آل شرف الدين: ٧٤، ١٠١.

آل شمس الدين: ١٣٧.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٦٤

ابراهيم ابو يوسف: ١٢٨.

ابراهيم بن حميد: ١٤٧.

ابراهيم بن محمد الجزائرى: ٨٤.

ابراهيم بن محمود الغبان: ١٤٧.

ابراهيم نعش: ١٢٦.

ابراهيم بن يحيى: ٣٥.

ابن الصباغ المالكى: ٤٧.

ابن الفقيه: ٣١.

ابن منظور: ٧.

ابن يقطين: ٥٧.

ابو ذر الغفارى: ٨١، ٨٢، ١٢٣. موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ١٠-٢؛ ص ١٦٤

- و الفرج الاصفهاني: ٤٨.
- ابو القاسم الكاشاني: ١٠٤، ١٠٦.
- ابو نواس: ٤١.
- ابو يوسف: ١٢٨.
- احمد باشا الجزار: ١١٥، ١٣٩.
- احمد الجلبى: ١٣٦.
- احمد بن حنبل: ٣٦.
- أحمد رضا بن خورشيد: ١١٦.
- احمد الرضوى الهندي: ١١٨.
- احمد الزينى: ١٣٩.
- احمد بن محمد البحرانى: ٨٢.
- احمد بن محمد على البلاغى: ٨٣.
- احمد بن الناقد: ٣٣.
- اسد الله الانصارى: ٨٠.
- الاسر الحسينية:
- الأسر الحسينية: ٦٥.
- الأسر الموسوية: ٧١.
- اسماعيل بن صدر الدين محمد: ١٠١.
- اسماعيل بن محمد عبيدة: ١٤٤.
- الأعرجية: ١٤٠.
- ام نزار الملائكة: ١٥٣.
- أمين بن حسن الكاظمى: ١٥٠.
- أمين خالص: ١٠٤.
- أمين المزين: ١٥٢.
- أمين الهلالى: ١٥٨.
- الانصارى و هو: ١٠٢.
- الانباريون: ١٣٠.
- اولاد صالح المزين: ١٥٦.
- اياز: ٥٢.
- ب -
- باقر الحسنى البلاط: ١٢٣.
- باقر عبد الغنى: ١٤٤.
- باقر النعلبند: ١٥٧.

- باقر الهندي: ١١٨.
- البحيات: ١٥٩.
- البطة، من زييد: ١٥٩.
- بمانعلي بن عبد الخالق: ١٥٥.
- بنو أسد: ٨١.
- بنو تميم: ١٦٠.
- بنو دارم: ١٦٠.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٦٥
- بنو سلامة: ١٤٨، ١٤٩.
- بنو شيبه: ١٢٨.
- بنو عامر: ١٥٥.
- بنو لخم: ٩.
- بنو مطاعن بن ادريس: ٦٤.
- بنو منقر بن عبيد: ١٦٠.
- بهادر بن محمد رضا خان: ٧٥.
- بهيجه الحسنى: ١٢٦.
- البو ابراهيم: ١٥٩.
- البو بكر: ١٣١، ١٦٠.
- البو تاج الدين: ١٦٠.
- البو تاجي: ١٦٠.
- البو حجازي: ١٦٠.
- البو حداري: ١٦٠.
- البو حسان: ١٦٠.
- البو حسن: ١٦٠.
- البو حمد: ١٦٠.
- البو حيه: ١٣٢.
- البو داود: ١٦٠.
- البو دباش: ١٥٩.
- البو دوار: ١٥٩.
- البو ريشه: ١٦٠.
- البو زيني: ١٦٠.
- البو سحاب: ١٦٠.
- البو سلمان: ١٤٣.

- البو سندال: ١٥٩.
 البو سهيل: ١٦٠.
 البو سويجن: ١٥٩.
 البو شبلي: ١٦٠.
 البو شبيب: ١٦٠.
 البو شيت: ١٦٠.
 البو صالح: ١٥٤، ١٦٠.
 البو صبرة: ١٦٠.
 البو طعمة: ١٦٠.
 البو ظاهر: ١٥٩.
 البو عبيد: ١٣١، ١٥٩.
 البو عثمان: ١٥٩.
 البو عفان: ١٦٠.
 البو على: ١٦٠.
 البو عمار: ١٦٠.
 البو عو الدين: ١٦٠.
 البو غزلان: ١٤٦.
 البو غنام: ١٤٩.
 البو فضيلة: ٦٦.
 البو فلاح: ١٤٩.
 البو قاسم: ١٣٧.
 البو كمولى: ١٦٠.
 البو لطيف: ١٦٠.
 البو مال الله: ١٣١.
 البو مسار: ١٤٩.
 البو مشيهد: ١٦٠.
 البو مفرج: ١٥٩.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٦٦
 البو نهار: ١٣١.
 البو هرموش: ١٦٠.
 البو هيازع: ١٥٩.
 البو ياسين: ١٥٩.
 البو يوسف: ١٦٠.

- البو يونس: ١٦٠.
بيت آغائي: ١٣٠.
بيت آغا مير السندی: ٧٠.
بيت آغا مير العطار: ٧١.
بيت ابو الحب: ٦٥، ٦٦.
بيت ابو الدهن: ١٣١.
بيت ابو الرک: ١٢٨.
بيت ابو الشعر: ٦٥.
بيت ابو العيس: ١٢١.
بيت ابو القاسم: ٧٦.
بيت ابو اللحم: ١٢٩، ١٤٨.
بيت ابو الكبه: ٧٦.
بيت ابو الملح: ٦٥.
بيت ابو نرگیله: ٦٣، ١٢١.
بيت ابو الشئه: ٦٥، ٦٦.
بيت ابو الورد: ٦٥، ٦٦، ٧٨.
بيت ابو يوسف: ١٢٨.
بيت الأجر: ١٤٧.
بيت الأحمر: ٧٨، ٩٣.
بيت الأحوال: ٧١، ٧٢.
بيت الاخبارى: ٧٨.
بيت الأزرى: ٧٩.
بيت الاسترابادى: ١٢٩.
بيت اسد الله: ٨٠.
بيت الأسدى: ٨٠.
بيت الأسود: ١٣٠.
بيت الأصفر: ١٣١.
بيت الاصفهانى: ٧١، ٧٢، ٧٦.
بيت الأعسم: ٨٢.
بيت الأعرجى: ٦٥، ٦٨.
بيت الأعبر: ١٣٢.
بيت الأفچم: ١٣٢.
بيت الأنصارى: ١٣١.

- بيت بادي: ١٣١.
- بيت بارود: ١٣٢.
- بيت البايير: ١٣١.
- بيت البحراني: ٨٢.
- بيت بحر العلوم: ٦٤.
- بيت برين: ١٣١.
- بيت برهم: ١٣١.
- بيت البزرجي: ١٥٤.
- بيت البزاز: ٦٨، ٦٥.
- بيت بزون: ٧١.
- بيت البصير: ٦٥.
- بيت البغدادى: ٨٢.
- بيت بكتاش: ١٣١.
- بيت البلاط: ٦٢.
- بيت البلاغى: ٨٣.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٦٧
- بيت بليل: ١٢١.
- بيت بليل: ٧٧.
- بيت البنا: ١٣٢.
- بيت بهاء الدين: ٦٣، ١٢١.
- بيت البوخطه: ٦٦.
- بيت پوست فروش: ١٠٩.
- بيت البير: ٦٥، ١٣٣.
- بيت البياع: ٦٥، ٧١، ١٤٧.
- بيت التاجر: ٦٥، ٦٦.
- بيت التبريزى: ٦٦.
- بيت تفاحة: ١٣١.
- بيت ثريا: ١٣٢.
- بيت جابر: ٦٥، ٦٨، ٧١.
- بيت مير جبار: ٦٥.
- بيت چراغچى: ٦٣، ١٢٣.
- بيت جرموكة: ٨٣.
- بيت جروه: ١٣١.

- بيت جريو: ٦٦.
- بيت الجزائرى: ٨٣.
- بيت جشعم: ١٣٣.
- بيت الجصانى: ٨٤.
- بيت جعفر: ٧٢.
- بيت جلال: ١٣٣.
- بيت الجلبى: ١٣٤، ١٣٦.
- بيت الجمالى: ١٢١، ١٢٨.
- بيت جواد: ١٣٢.
- بيت الجواهرى: ١٣٣.
- بيت الجوخجى: ١٢٣.
- بيت جوطه: ١٦٣، ١٢٣.
- بيت جويد: ١٣١.
- بيت الجيلاوى: ١٣٤.
- بيت حباشه: ١٣١.
- بيت الحجى: ١٣٧.
- بيت الحجيجى: ٨٥، ١٣٦.
- بيت الحجية: ١٣٦.
- بيت الحريرى: ١٣٧.
- بيت حسن جنى: ٦٥، ٦٦.
- بيت الحسنى: ٦٣، ١٢٣.
- بيت حسونه: ١٣٧.
- بيت الحسينى: ٨٦.
- بيت حسين العبد الله: ١٤٤.
- بيت الحكاك: ٧٦.
- بيت الحكيم: ٦٤، ٦٥، ٧٠.
- بيت الحكيم او بيت العلوى: ٧٦.
- بيت الحلبي: ١٣٧.
- بيت الخليلى: ١٣٨.
- بيت حمد: ١٣٢.
- بيت حمرة: ١٣١.
- بيت حمزة: ١٢٨.
- بيت حمورى: ١٣٨.

- بيت حيدر بن ابراهيم: ٦٣، ٦٤.
- بيت عيس: ١٣١.
- بيت الحيدري: ٨٦.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٦٨
- بيت خادم الجديد: ٦٣، ١٢٣.
- بيت الخالصى: ٩٠.
- بيت الخانچى: ٦٥.
- بيت الخراسانى: ٩٣.
- بيت الخرده فروش: ٧١.
- بيت خردو: ١٣١.
- بيت خضير: ٦٥، ٧٠.
- بيت خلف الصالح: ١٦٠.
- بيت خليفة: ١٣١.
- بيت خندوجه: ١٣١.
- بيت الخياط: ١٤٤.
- بيت دارا: ١٣٨.
- بيت دامنى: ١٣١.
- بيت الدباس: ١٥٤.
- بيت الدباغ: ١٣١.
- بيت دبشه: ٦٣، ١٢٣.
- بيت الديسى: ١٣٨-
- بيت دروش: ٧١، ٧٢، ١٣٩.
- بيت دريوش: ١٣١.
- بيت الدلى: ١٣١.
- بيت ريو: ١٣١.
- بيت الدهوى: ١٣٩.
- بيت السيد راضى: ٦٥، ٦٨.
- بيت ميرزا ربيع: ٧٦.
- بيت رزوقى: ١٣٩.
- بيت الرشتى: ٧١، ٧٢، ٩٤.
- بيت رمضان: ١٣١.
- بيت زلزله: ٦٤.
- بيت الزنجانى: ٩٤.

- بيت زوايد: ٦٨، ٦٥.
- بيت زوله: ١٣١.
- بيت زين العابدين: ٩٤.
- بيت الزيني: ٩٥.
- بيت الساعاتي: ٧١.
- بيت الساعجي: ١٢٣، ١٢٨.
- بيت السيزواري: ٩٦، ٦٥.
- بيت السيتي: ٩٥.
- بيت السرحان: ١٥٩.
- بيت السر كشك: ١٢٣، ٦٣.
- بيت سريع: ١٣٩، ١٣١.
- بيت السيد سعد: ١٢٤، ٦٥.
- بيت سعدون: ١٣١.
- بيت السعدي: ١٤٠.
- بيت سعود: ١٣١.
- بيت السعيد: ١٤٠.
- بيت سيد سعيد: ٦٣.
- بيت سعيد: ١٣٢.
- بيت السلطان: ١٣٢، ١٤٠.
- بيت السلماسي: ٩٦.
- بيت السلمان: ١٣١.
- بيت سلمان بيبي: ٧٦.
- بيت السلامي: ٨٣.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٦٩
- بيت سلوم: ١٣١.
- بيت السميلي: ١٣١.
- بيت السندي: ٧١.
- بيت سهيل: ١٤١.
- بيت الشالجي: ١٥٣.
- بيت الشالجي موسى: ١٤٢.
- بيت الشامي: ١٤٢.
- بيت الشانه ساز: ٧١.
- بيت شاه: ١٣١.

- بيت شبر: ٩٦، ٦٨، ٦٥.
- بيت الشيبى: ٩٧.
- بيت الشيخ حسين: ٨٥.
- بيت شديد: ٩٧، ٦٦، ٦٥.
- بيت شرف الدين: ٧١.
- بيت شرموط: ١٣١.
- بيت شريف: ١٥٩.
- بيت شطيظ: ١٠١.
- بيت الشعرباف: ٦٦.
- بيت شقافى: ١٢٨، ١٢٥، ٧١.
- بيت شكاره: ٦٨.
- بيت شكر: ١٢٥، ٦٣.
- بيت شكيب: ١٤٢.
- بيت الشماع: ١٤٢، ١٢٥، ٦٥.
- بيت شندى: ١٤٢.
- بيت الشهرستانى: ١٠١، ٦٩، ٦٥.
- بيت الشوك: ٦٦، ٦٥.
- بيت شوله: ٦٨.
- بيت الصابونى: ١٢٥، ٧١.
- بيت الصافى: ١٢٥، ٦٣.
- بيت الحاج صالح: ١٣٦.
- بيت الصدر: ١٠١، ٧٤، ٧١.
- بيت الصراف: ١٤٣، ٦٨، ٦٥، ٦٣.
- بيت صكر: ١٣٢.
- بيت سنگور: ١٣١.
- بيت صورين: ١٣١.
- بيت الصولى: ٧٠، ٦٥.
- بيت صويلح: ١٤٣.
- بيت الضايح: ١٥٩.
- بيت الطابوقچى: ١٤٥.
- بيت طه: ١٢٥، ٧٦، ٦٥.
- بيت طرازه: ٦٣.
- بيت طيطو: ١٣١.

بيت العاملى: ٦٥، ٧٠، ٧١، ٧٤، ١٠٣.

بيت عام: ١٣١.

بيت عبد: ١٤٦.

بيت العبد: ١٤٣.

بيت عبدى: ١٣١.

بيت الحاج عبد الحسن: ١٣١.

بيت عبد الحاج فاضل: ١٣١.

بيت عبد الغفار: ١٠٣.

بيت عبد الغنى: ١٤٤.

بيت عبد اللطيف: ١٢٥، ١٢٨.

بيت عبد النبى: ١٠٣.

بيت عبل: ١٣١.

بيت عبود: ١٤٤.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٧٠

بيت عبودى: ١٣١.

بيت عبيدة: ١٤٤.

بيت عجاج: ١٣١.

بيت عجم: ١٣١.

بيت عدوله: ١٣١.

بيت عسكر: ١٤٥.

بيت العسكرى: ٩٩.

بيت العطار: ٦٥، ١٤٥.

بيت عطيفة: ٦٣، ١٠٣، ١٢٥.

بيت عطية: ١٤٥.

بيت العطية: ١٤٦.

بيت عكله: ١٣٢.

بيت العكلبى: ١٤٦.

بيت علو بن عباس: ٧٤.

بيت العلو: ١٣١.

بيت العلوى: ٦٥.

بيت علاوى: ١٣١، ١٣٢.

بيت على آغا: ١٣١.

بيت على الجلبى: ١٣٦.

- بيت العليوى: ١٣٢.
- بيت عمران: ١٣١.
- بيت الغاضرى: ٧٨.
- بيت الحاج غانم: ١٤٦.
- بيت الغبان: ١٤٧.
- بيت غدیر: ١٣١.
- بيت الغريباوى: ١٤٧.
- بيت الغريفى: ٧١.
- بيت غضيب: ١٣٢.
- بيت ابن فارس: ١٤٨.
- بيت فتاح: ١٣٢.
- بيت الفتال: ٦٥، ٧٠.
- بيت فدم: ١٣١.
- بيت فضل: ٦٥، ٦٨.
- بيت فليح: ٦٥، ٦٦، ١٣١، ١٣٢.
- بيت القابجى: ١٠٣.
- بيت قادريه: ١٤٧.
- بيت قاسم خان:
- بيت قاو: ١٣١.
- بيت القزوينى: ٦٥.
- بيت القشدار: ١٤٧.
- بيت القصاب: ١٤٧.
- بيت سادة القطانئ: ٧١.
- بيت القطيفى: ١٤٨.
- بيت الحاج قنبر: ١٤٨.
- بيت قنديل: ١٠٤.
- بيت فوزى: ١٣١.
- بيت الكاتب: ١٢٨.
- بيت الكاشانى: ١٠٤.
- بيت الكاشى: ٦٥.
- بيت الحاج كاظم: ١٠٧.
- بيت الكاظمى: ١٠٨، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٧١

- بيت كافي: ٦٨، ٦٥.
- بيت كبه: ١٠٩.
- بيت الكردي: ١٢٥، ٦٣.
- بيت الكركي: ١١٠.
- بيت كرنوص: ١٣١.
- بيت كشكش: ١٢٦، ٦٣.
- بيت الكشوان: ١٢٦، ١١٠، ٧١، ٦٥، ٦٣.
- بيت كصيد: ١٥٤.
- بيت الكظماوى: ١٥٤.
- بيت الكليندار: ١٢٨، ١٢٦، ١٢٣.
- بيت كنعان: ١٥٤.
- بيت كلاوى: ١٥٤.
- بيت كوش: ١٣٦.
- بيت ليلو: ١٥٤، ١٣٦.
- بيت المتهدج: ١٥٢.
- بيت المحامى: ٦٣.
- بيت السيد محسن: ٦٨، ٦٥.
- بيت محفوظ: ١١١.
- بيت المحقق: ١١٤.
- بيت الحاج محمد: ١٥٢.
- بيت الحاج محمد صالح: ١٢٨.
- بيت المحلّاتى: ١٥٢.
- بيت المدامغة: ٦٥.
- بيت مراد: ١٣٢.
- بيت المراياتى: ١١٥.
- بيت المرعشى: ٦٦.
- بيت مرگه: ١٢٥.
- بيت المزين: ١٥٢، ١٣٣، ٦٦، ٦٥.
- بيت المشاط: ١٥٣، ٧١.
- بيت مشكور: ١٢٦، ٦٣.
- بيت المشكى: ٦٨، ٦٥.
- بيت مشيرف: ٦٤.
- بيت مصطفى: ٧٦.

- بيت معطوش: ١٥٣.
- بيت المعمار: ١٣٦.
- بيت معيدى: ١٦٠.
- بيت مغماس: ١٣٦.
- بيت مقصود: ١١٥.
- بيت المنذرى: ١٥٥.
- بيت المنشى: ١١٦، ١٥٥.
- بيت الملائكة: ١٥٣.
- بيت الحاج مهدي: ١٣١، ١٥٥.
- بيت مهيدى: ١٣١.
- بيت المؤذن: ١٢٦، ١٢٨.
- بيت موسى راضى: ١٥٥.
- بيت الموسوى: ٧١.
- بيت الموسوى الهندى: ١١٧.
- بيت مومن على: ١٥٥.
- بيت مؤيد: ١٥٢.
- بيت النجار: ٦٥، ٦٨، ١٥٦.
- بيت النجم: ١٣٢.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٧٢
- بيت النداف: ١٥٦-
- بيت نركز: ١٣١.
- بيت نسلى: ١٢٦.
- بيت نشعة: ١٣١.
- بيت نصر الله: ٧١، ٧٥.
- بيت نعيش: ١٢٦.
- بيت النعلبند: ١٥٧.
- بيت النعمة: ١٥٧.
- بيت نقدى: ١١٦.
- بيت النقيب: ١٥٦.
- بيت نگو: ١٥٧.
- بيت نمش: ١٣١.
- بيت النملة: ١٣١.
- بيت النواب: ٧١، ٧٥، ١٥٧.

بيت النيص: ٦٣، ١٢٦.

بيت التيار: ١٣٣.

بيت هاوى: ١٣١، ١٥٨.

بيت الهاشمى: ٧١.

بيت هجهج: ١٣١.

بيت هدب: ١٣٢.

بيت هدو: ٦٥، ٧٠.

بيت هراته: ٦٣.

بيت الهلال: ١٣١.

بيت الهاللى: ١٥٨.

بيت الهمدانى: ٧٦.

بيت الهندى: ٧١.

بيت هويدى: ١٣١.

بيت الواعظ الخونسارى: ٧١.

بيت داوية: ١٣١.

بيت الورد، و الوردى: ٧٨.

بيت وهاب: ١٢٦.

بيت ويس: ٧١، ٧٢، ١٣١.

بيت ياسين: ١١٧، ١٣٢.

بيت ياس: ١٣١.

- ت -

تميم: ١٤١.

- ج -

جابر بن عبد الله الانصارى: ٨٠، ٨٣، ١٤٨.

جابر الكاظمى: ٧٩.

جاسم بن محمد كلاوى: ١٥٤.

الجبور: ١٥٩.

جرجى زيدان: ٨، ٩، ١٠، ٢٥.

جعفر آل ياسين: ١١٨.

جعفر الأعرجى: ١٠٧، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤.

جعفر بن الحسين التستري: ١٣١.

جعفر الخلدى: ٥١.

جعفر الشرقى: ١٠٩.

- جعفر عمران السعدي: ١٤٠.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٧٣
- جعفر كاشف الغطاء: ١٠٢.
- جعفر الكشوان: ١٢٦.
- جعفر بن محمد النقدي: ١١٦.
- جعفر بن المنصور: ٣٧، ٣٥.
- الجكوك: ١٥٩.
- جمال الدين الجمالي: ١٢٨.
- جمال الدين بن علي: ١٢١.
- جميل أحمد الكاظمي: ١٤٦.
- جميل الملائكة: ١٥٣.
- الجميلة: ١٥٩.
- الجنيد: ٥١.
- الجوادات: ٨٤.
- جواد بن أحمد: ٨٤.
- جواد الجلبى: ١٣٦.
- جواد بن جعفر بن جواد: ١٢٧.
- جواد الحسيني: ٧٧.
- جواد شبر: ٩٧.
- جواد علي: ١٥٥.
- جواد الكظماوى: ١٥٤.
- جواد بن محمد سعيد النقيب: ١٥٦.
- جودى بن كاظم الدجيلي: ١٢٩.
- ح-
- حاتم السلطان: ١٤٠.
- حازم الجلبى: ١٣٦.
- حرب: ٨٢.
- حسن الجلبى: ١٣٦.
- حسن السلطان الخزاعلي: ١٤٧.
- حسن بن سهيل: ١٤١.
- حسن الشيرازي: ١٠٩.
- حسن الصدر: ٧٩، ١٠٢، ١٠٣، ١١١، ١١٣.
- الحسن بن العباس بن الأحنف: ١٤١.

- حسن سعيد العطار: ١٤٥.
- حسن الشيرازي (ميرزا): ١٠٢.
- الحسن بن علي (ع): ٦٣.
- حسن بن علي الجيلاوي: ١٣٤.
- حسن الكاظمي (ملا): ١٥٢.
- حسن بن محمد جواد ابو اللحم: ١٥٠.
- حسن الكظماوي: ١٥٤.
- حسين بن ابراهيم الصراف: ١٤٣.
- حسين ابو اللحم: ١٥٠.
- حسين الأزري: ٧٩.
- حسين بن رضا الهندي: ٩٤.
- حسين بن سهيل: ١٤١.
- حسين بن عبد الكريم الرشتي: ٩٤.
- الحسين بن علي (ع): ٦٥. موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ١٠-٢؛ ص ١٧٣.
- حسين بن علي الأحمر: ٧٨.
- حسين بن علي الجيلاوي: ١٣٤.
- حسين بن علي الكركي: ١١٠.
- حسين علي محفوظ: ٥٩، ٦١، ١١٣، ١١٤.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٧٤.
- حسين بن كاظم بن الحاج عبد: ١٣١.
- حسين بن محمد البحراني: ٨٢.
- حسين المشاط: ١٥٣.
- حسين نجف: ١١٣.
- حمادي نوح الحلبي (ملا): ١١٧.
- حمزة بن درويش: ١٥٥.
- حمزة بن محمد بن طاهر: ٣٢.
- حمودي بن صالح عبيدة: ١٤٤.
- حميد بن طالب: ١٢٧.
- حميد معلم الكاظمية: ١٢٣.
- حيدر الحلبي: ٥٢.
- حيدر بن ابراهيم العطار: ٨٦.
- خ -
- الخزاعل: ١٤٥.

الخزرج: ٨٣.

الخضيرات: ١٦٠.

الخطيب البغدادي: ٣٧، ٣٨، ٥٣.

خليل بن علي: ١٣٨.

درويش شندی: ١٤٢.

- ر -

راشد افندی: ٥٤.

راضي آل ياسين: ١١٨.

راضي بن حسن الأعرجي: ٨١.

راضي بن محمد بن كاظم: ١٠٧.

رباب الكاظمي: ١٠٩.

الربيع بن عبد الرحمن: ٤٢.

ربيعة: ٨٣.

رشدي بن عبد الهادي الجليبي: ١٣٦.

رشيد بن درويش: ١٤٧.

رضا بن رضا العاملي: ٩٤.

رضا بن مير هاشم: ٧٦.

رضا الهندي: ٩٤، ١١٨.

رويم: ٥١.

- ز -

الزجالية: ١٦٠.

زبيد: ١٤٩.

زبيدة: ٤٥.

الزمخشري: ٤٠.

زينب (السيدة): ١١٦.

زيد الكاظمي: ١٢٩، ١٤٨، ١٥٠.

- س -

سعيد بن جواد صويلح: ١٤٣.

سعيد بن محمد يونس: ١٤٠.

سعيد نگو: ١٥٧.

السعيدة: ١٦٠.

سلطان بن قاسم بن علي: ٧٢.

سلمان بن حسون الكاظمي: ١٥٠.

- سلمان بن حسين بن هادى: ١٥٨.
- سلمان بن داود الديسى: ١٣٨.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٧٥
- سليم الاول العثمانى: ١٢٧.
- سليم بن عبد الله نعش: ١٢٦.
- سليمان ظاهر: ٥٠، ٥٥.
- سمنون المحب: ٥١.
- السندى بن شاهك: ٤٦، ٥٧.
- السلامات: ١٤٩.
- سهيل بن نجيم: ١٤١.
- سيفى المحلاتى: ١٥٢.
- ش -
- شبيب بن راضى الجزائرى: ٩٧.
- الشريف الرضى: ٥٣.
- الشكرية (السادة): ٧٦.
- الشلش: ١٥٩.
- شمر: ٢٧.
- شمس الدين بن زامى؟؟?: ١٥٩.
- شهاب بن أحمد بن مهدى: ١٥٥.
- الشهيد الأول: ١٣٧.
- ص -
- صادق الباصى: ٦٦.
- صادق بن محسن الأعسم: ٨٢.
- صادق الملائكة: ١٥٣.
- صادق الهلالى: ١٥٨.
- صالح التميمى الزينى: ٩٥.
- صالح شديد: ٦٦، ٩٧.
- صالح بن محمد بن ابراهيم شرف الدين ٧٤.
- صالح بن مهدى بن أحمد: ٧٤.
- صالح بن مهدى الدهوى: ١٣٩.
- صالح مهدى السعيد: ١٤٠.
- صالح بن مهدى الكشوان: ١١٠.
- الصبايغ: ٩٣.

صدر الدين العاملي: ٧٩.

- ض -

ضياء جعفر: ٧٢.

- ط -

الطالقانيون: ٧٠.

الطبرسي: ٤١.

الطجاج: ١٦٠.

الطوسي، نصير الدين: ٣٦.

- ع -

عائشة ام المؤمنين: ٤٠.

عباس باقر: ١٥٧.

عباس البقال الشامي: ١٤٢.

عباس بن حسين الكركي: ١١٠.

عباس زوايد: ٦٨.

عباس شبر: ٩٩، ٩٦.

عباس العزاوي: ١٤٩.

عباس القمي: ١٠٢.

عباس بن كاظم الدجيلي: ١٢٩.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٧٦

عباس كظماوي: ١٥٤.

عباس بن محمد حسين الجصاني: ٨٤.

عبد بن علي العبد: ١٤٣.

عبد بن نجم الانصاري: ١٣١.

عبد الأمير العكيلي: ١٤٦.

عبد الباقي بن دروش القصاب: ١٤٧.

عبد الباقي الرشتي: ٧٢.

عبد الباقي العمري: ٩٥، ٤٢.

عبد الجليل النداف: ١٥٦.

عبد الجليل بن الحاج نعمة: ١٥٧.

عبد الحسين آل ياسين: ١١٨.

عبد الحسين الأزري: ٧٨، ٧٩.

عبد الحسين الچليبي: ١٣٤.

عبد الحسين بن جواد البغدادي: ٨٢.

- عبد الحسين بن رزوقي: ١٣٩.
- عبد الحسين شرف الدين: ١٠١.
- عبد الحسين بن صادق الشماع: ١٤٢.
- عبد الحسين القطيفي: ١٤٨.
- عبد الحسين الكاظمي: ١٤٩، ١٥٠.
- عبد الحسين بن محمد علي الأعمس: ٨٢.
- عبد الحميد كبه: ١١٠.
- عبد الحميد الهالالي: ١١٩.
- عبد الخالق بن ابراهيم الحضيري: ١٤٢.
- عبد الرزاق بن علي الملائكة: ١٥٣.
- عبد الرسول بن حمودي: ١٣٨.
- عبد الرسول الخالصي: ٩١.
- عبد الرسول علي الصفار: ١٤٣.
- عبد العزيز بن حسين الخالصي: ٩٠.
- عبد العظيم عبد الشديد: ٩٧.
- عبد علي البنا: ١٣٢.
- عبد علي بن حسن الصراف: ١٤٣.
- عبد علي كنعان: ١٥٤.
- عبد علي بن محمد سريع: ١٣٩.
- عبد الغفار الأخرس: ٤٢.
- عبد القادر بن عبد اللطيف مؤيد: ١٥٢.
- عبد الكريم بن موسى العكيلي: ١٤٦.
- عبد اللطيف ابو الورد: ٧٨.
- عبد الله ابو الخيل: ٣٨.
- عبد الله بن أحمد بن حنبل: ٣٨.
- عبد الله بن حسن القطيفي: ١٤٨.
- عبد الله الخالصي: ٩٠.
- عبد الله بن محمد رضا شبر: ٦٨، ٩٦، ١١٣.
- عبد الله بن محمد السبيتي: ٩٥.
- عبد الله بن يوسف نعش: ١٢٦.
- عبد المحسن الخالصي: ١٠٨.
- عبد المحسن الكاظمي: ١٠٨، ١٠٩، ١٣١.
- عبد المطلب: ٤٠.

- عبد المهدي حسونة: ١٣٧.
- عبد المهدي الخالصي: ٧٨، ٩٣.
- عبد النبي بن علي: ١٠٣.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٧٧
- عبد الهادي الاسترابادي: ١٢٩، ١٣٠.
- عبد الهادي بن درويش: ١٥٥.
- عبد الهادي عبد عبد الحسين الجلبى:
- ١٣٤، ١٣٦.
- عبد الهادي محبوبه: ١٥٣.
- عبد الواحد بن علي المشاط: ١٥٣.
- عبد الوهاب عسكر: ١٤٥.
- عبد الوهاب بن راضي العطار: ١٤٥.
- عبود بن درويش: ١٤٤.
- عبود الغريباوي: ١٤٧.
- عبدة: ١٤٤.
- عثمان جق: ١٤٠.
- عطية بن صالح دوش: ١٤٥.
- عطيفة بن رضاء الدين: ٦٣.
- العكيدات: ١٥٩.
- العكيلات: ١٤٦.
- علوان بن حسون الكاظمي: ١٥٠.
- علي بن ابى طالب امير المؤمنين: ٢٦، ٣٢، ٤٥، ٤٨.
- علي بن اسد الله الزنجاني (ميرزا): ٩٤.
- علي بن اسماعيل الشالجي: ١٥٣.
- علي بليل: ١٢١.
- علي پوست بن محسن الكاظمي: ١٠٩.
- علي بن رضا العاملي: ٧٤.
- علي الزيني: ١٣٩.
- علي سريع بن حسين: ١٣٩.
- علي بن سهيل: ١٤١.
- علي سياه پوش الهمداني: ٧٦.
- علي شبر: ٩٧.
- علي الشرقي: ١٠٩.

- على عبد الحسين معطوش: ١٥٣.
- على بن عبد الله الخالصى: ٩٠.
- على بن عطيفة: ١٠٣.
- على الكاظمى: ١٠٨.
- على المحقق بن محمد حسين الكرهودى ١١٤.
- على بن محمد جواد محفوظ: ١١٤.
- على بن محمد الزينى: ٩٥.
- على بن محمد قنديل: ١٠٤.
- على بن مظاهر الأسدى: ٧٨.
- على الوردى: ٧٨، ٧٩.
- على بن يوسف العاملى: ٧٠.
- عنزة: ٢٧، ٢٨.
- عوف: ٨٢.
- عويص: ١٥٩.
- العوينات: ١٦٠.
- عيسى بن جعفر بن المنصور: ٤٥.
- غ -
- غانم الدباغ بن سلمان الدباغ: ١٤٦.
- غسان: ٩.
- ف -
- فاضل بن على الكليتدار: ١٢٧.
- (١٢)
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٧٨
- فرحان باقر: ١٥٧.
- فرهاد ميرزا: ١٣٠.
- الفلاحات: ١٥٩.
- الفؤادية: ٦٥.
- ق -
- قاسم خان: ١٣٩.
- القندرچية: ٧٦.
- ك -
- كاريكالزو: ٣١.
- كاظم آل نوح: ١١٦.

- كاظم الأزرى: ٧٩.
- كاظم بن درويش: ١٠٧.
- كاظم بن رضا الهندي: ٩٤.
- كامل مصطفى الشيبى: ١٢٨.
- الكرائلة: ١٤٣.
- كلب على بن غلام على: ٨١.
- كلب على الكاظمى: ٨٠.
- كندش: ٣٠.
- الكنعانية: ١٥٤.
- كلاى: ٩.
- الگواید: ١٦٠.
- ل -
- اللخميون: ٢٤.
- الليث: ٧.
- م -
- مالك بن الاشر النخعي: ١١٦.
- المحامدة: ١٤٤.
- محسن بن حسن الاعرجى: ٨١.
- محسن الصايغ: ٧٧.
- محسن المقدسى الاعرجى: ٩٥.
- محفوظ بن وشاح: ١١١.
- محمد ابراهيم الساعاتى: ١٢٣.
- محمد ابراهيم النواب: ١٥٧.
- محمد باقر: ١٥٧.
- محمد باقر سهيل: ١٤١.
- محمد بهاء الدين بن زين العابدين: ٩٥.
- محمد تقى الحريرى: ١٣٧.
- محمد تقى الشيرازى: ١٠٢.
- محمد توفيق الغصين: ١١٩.
- محمد جابر بن عبد الحسين الكاظمى:
- ٨٤
- محمد جابر الكاظمى: ١٣٣.
- محمد الجواد: ٤٢، ٣٧، ٣٢.

- محمد جواد البلاغى: ٨٣.
- محمد جواد جعفر: ٧٢.
- محمد جواد بن كاظم العطية: ١٤٦.
- محمد جواد بن محمد عبيدة: ١٤٤.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٧٩
- محمد جواد بن معتوق (بيت معتوق):
- ١١٥.
- محمد بن حاتم السلطان: ١٤١.
- محمد حرز الدين: ١٤٩، ١٠٢، ٩٥.
- محمد حسن الحداد: ١٣٧.
- محمد حسن الكاتب الأغاثي: ١٣٠.
- محمد حسن كبة: ١٠٩، ٩٣.
- محمد حسن الكشوان: ٧١.
- محمد حسن بن محمد رضا آل ياسين:
- ١١٨.
- محمد حسن بن محمد صالح كبة: ١٠٩.
- محمد حسن المظفر: ٨٤.
- محمد حسن بن ياسين: ١١٨، ١١٧.
- محمد حسين بن عبد الباقي: ١٢١.
- محمد حسين الكشوان: ٧١.
- محمد حسين المظفر: ٨٤.
- محمد حسين بن هاشم الكاظمي: ١٠٩.
- محمد حسين آل ياسين (الدكتور):
- ١١٨، ١١٩.
- محمد رضا الأزرى: ٧٩.
- محمد رضا بن حمزة المندرى: ١٥٥.
- محمد رضا الخالصي (شالجي موسى):
- ٩٠.
- محمد رضا الشيبى: ١١٣.
- محمد رضا المتهدج: ١٥٢.
- محمد رضا بن محمد بن زين العابدين: ٩٤.
- محمد رضا المظفر: ٨٤.
- محمد رضا المنشى: ١١٦.

- محمد رضا آل ياسين: ١١٨.
- محمد سعيد جلال: ١٣٣.
- محمد سعيد جبوي: ١٠٩.
- محمد السلطان: ١٤٠.
- محمد السماوي: ١١١، ٣٤.
- محمد شديد: ٦٦.
- محمد بن صادق شديد: ٩٩، ٩٧.
- محمد صالح البير: ١٣٣.
- محمد الصدر: ١٠٣، ١٠٢.
- محمد بن طلحة: ٤٧.
- محمد طه نجف: ١٠٩.
- محمد عبد الحسين الحسنى: ١٢٤.
- محمد بن عبد الحسين الشماع: ١٤٢.
- محمد بن عبد النبي: ١٥٢.
- محمد بن عبد الوهاب بن داود: ٩٣.
- محمد عبده: ١٠٩.
- محمد عطيفة: ١٢٥.
- محمد على بن الحسين الأعمس: ٨٢.
- محمد على بن حسين الشهرستاني: ١٠١.
- محمد على الخالصي: ١٠٨.
- محمد على بن درويش: ٨٥.
- محمد على الصدر: ١٠٢.
- محمد على القابجي: ١٠٣.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٨٠
- محمد على بن محمد حسين الهمداني:
- ١١٧.
- محمد على بن مقصود: ١١٥.
- محمد على بن ميرزا السبزواري: ٩٦.
- محمد على النجار الحاج: ١٥٦.
- محمد على النجار الشاعر: ١٥٦.
- محمد على هبة الدين الشهرستاني: ٦٩.
- محمد على الهلالي: ١٥٨.
- محمد على آل ياسين: ١١٨.

- محمد عيسى بن محمد امين (شالچی موسى): ١٤٢.
- محمد فاضل بن عباس الجمالى (الدكتور) ١٢٢.
- محمد بن الحاج قنبر: ١٤٨.
- محمد بن كاظم: ١٠٧.
- محمد كاظم الجواهرى: ١٣٤، ١٣٣.
- محمد لايد: ١٤٩.
- محمد بن مال الله بن معصوم: ١١٣.
- محمد بن محسن العاملى: ١٠٣.
- محمد محسن بن محمد صالح: ١٢٦.
- محمد بن محمد جواد محفوظ: ١١٤.
- محمد بن محمد صادق الاصفهاني الخونسارى:
- ٨١.

- محمد المشاط: ١٥٣.
- محمد مهدي الاصفهاني: ٧٢.
- محمد مهدي الخالصي: ٩٠.
- محمد بن مهدي الخالصي: ٩٠.
- محمد مهدي القزويني: ١١٠.
- محمد مهدي كبة: ١٠٩.
- محمد هاشم الصايغ: ١٣٤.
- محمد هاشم بن محمد علي شكيب: ١٤٢.
- محمد بن هاشم الهندي: ١١٧.
- محمد يوسف الأزرى: ٧٩.
- محمود رضا بن خورشيد الطه محمد رضا:
- ١١٦.
- محمود بن عبد الله الخالصي: ٩٣.
- محيي الدين آل فضل الله: ١١٣.
- مراد بن كاظم الدجيلي: ١٢٩.
- المرامطة: ١٦٠.
- مرتضى الانصارى: ١١٣.
- مرتضى الخالصي: ٩٠.
- مرتضى العسكري: ٩٩.
- مرتضى آل ياسين: ١١٨.
- المسارة: ١٥٩.

- المستعصم: ٣٣-٣٢.
- مسروح: ٨٢.
- المشاهدة: ١٥٩.
- المصالحة: ١٦٠.
- مصطفى جواد: ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٤١.
- مصطفى بن حسين الكاشاني: ١٠٤.
- مصطفى الكاشاني: ١٠٧.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٨١
- مصطفى كبه: ١٠٩.
- مضر: ٨٢.
- المطاردة: ١٦٠.
- المعامير: ١٤٩.
- المفيد العكبري: ١٠٧.
- المنذر بن امرئ القيس: ٢٦.
- المنصور ابو جعفر: ٣٧.
- مؤيد الدين المقدادي: ٥٢.
- مهدى بن ابراهيم الخراساني: ٩٣.
- مهدى بن ابراهيم جرموكة: ٨٣.
- مهدى بن احمد بن حيدر: ٨٦.
- مهدى الاسترآبادي: ١٢٩.
- مهدى بن حسون الكاظمي: ١٥٠.
- مهدى الحيدري: ١٢٧.
- مهدى بن درويش: ١٣٠.
- مهدى دوش: ١٣٧.
- مهدى بن صالح المراياتي: ١١٥.
- مهدى بن عبد بن سالم: ١٣٣.
- مهدى بن عبد الغفار: ١٠٣.
- موسى بن جعفر الكاظم: ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٧٠، ١٢٤.
- موسى الحكيم فخر الاطباء: ٧٦.
- موسى بن رضا الهندي: ٩٤.
- ميرزا احمد الشاعر: ١٣٨.

- النابعة الذبياني: ٢٦.
- نازك الملائكة: ١٥٣.
- ناصر بن حسين: ٨٥.
- الناصر لدين الله: ٣٦، ٥٢.
- النبي عليه السلام: ٤٠، ٤١.
- نجم الدين الشريف العسكري: ٨٩.
- النداوات: ١٥٩.
- نصر الله الحائري: ١٠٤.
- نصر الله بن الحسين بن علي: ٧٥.
- نعمه بن جابر: ١٢٣.
- نعمه الجوخجي: ١٣٢.
- نعمت عبد الحميد السعيد: ١٤٠.
- النعمانية: ١٤٧.
- ه -
- هادي التبريزي: ٨٦.
- هادي بن حسن شطيظ: ١٠١.
- هادي الصدر: ١٠٢.
- هارون الرشيد: ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٥٧.
- هاشم ابو الورد الغاضري: ٦٦، ٧٧.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٨٢
- هاشم نصر الله: ٧٥.
- الهبنة: ١٥٩.
- هشام بن الحكم: ٤٤، ٤٥.
- الهمداني: ٢٦.
- هميم: ١٥٩.
- و -
- وصفي بن محمد علي المنشي: ١٥٥.
- وهاب بن جواد: ١٢٦.
- ي -
- ياقوت الحموي: ٣٦، ٣٨، ٥١.
- يوسف بن محمد البحراني: ٨٢.
- يوسف بن موسى العاملي الصولي: ٧٠.
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٨٣

الفهرست

- الموضوع الصفحة
البدو و الحضارة
البدو و حضارة ٩
التكوين العام للمجتمع البدوي ١١
الأسرة ١٢
القبيلة ١٤
المفاهيم القانونية ١٥
التقاليد و العرف ١٥
التنظيمات السياسية ١٦
المجلس ١٧
الرئيس ١٧
الوضع الاجتماعي للبدو ١٨
النشاط الاقتصادي للبدو ٢١
بدو العراق ٢٤
الكاظمين او المشهد الكاظمي
الكاظمين و المشهد الكاظمي ٣٠
مقبرة الشهداء ٣٢
مقابر قریش ٣٥
الكاظمين ٣٩
الموضوع الصفحة
مدينة الكاظمين و تمصيرها
مدينة الكاظمين و تمصيرها ٥١
الكاظم و الكاظمين في الشعر ٥٥
الامام الكاظم ٥٥
بيوتات الكاظمية
انساب المدن ٦١
الاسر الحسينية ٦٣
الاسر الحسينية ٦٥
نسب بيت الشهرستاني ٦٩
الاسر الموسوية ٧١
البيوتات العلمية

بيت ابي الورد ٧٧

بيت الاحمر ٧٨

بيت الاخبارى ٧٨

بيت الازرى ٧٩

بيت اسد الله ٨٠

بيت الاسدى ٨٠

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٨٤

بيت الاصفهاني ٩٤

بيت الاعرجى ٨١

بيت الاعسم ٨٢

بيت البحرانى ٨٢

بيت البغدادى ٨٢

بيت البلاغى ٨٣

بيت جرموكة ٨٣

بيت الجزائرى ٨٤

بيت الجصانى ٨٤

الجوادات ٨٤

بيت جحيجى ٨٥

بيت الشيخ حسين ٨٥

بيت الحسينى ٨٦

بيت الحيدرى ٨٦

بيت الخالصى ٩٠

بيت الخراسانى ٩٣

آل داود ٩٣

بيت الرشتى ٩٤

بيت السيد رضا العاملى ٩٤

بيت السيد رضا الهندى ٩٤

بيت الزنجانى ٩٤

بيت الشيخ زين العابدين ٩٤

بيت الزينى ٩٥

بيت السيتى ٩٥

بيت السبزوارى ٩٦

بيت السلماسى ٩٦

- بيت شبر ٩٦
 بيت شبيب ٩٧
 بيت شديد ٩٧
 بيت الشريف العسكري ٩٩
 بيت شطيظ ١٠١
 بيت الشهرستاني ١٠١
 بيت الصدر ١٠١
 بيت العاملي ١٠٣
 بيت عبد الغفار ١٠٣
 بيت عبد النبي ١٠٣
 بيت عطيفة ١٠٣
 بيت القابجي ١٠٣
 بيت قنديل ١٠٤
 بيت الكاشاني ١٠٤
 بيت الحاج كاظم ١٠٧
 بيت الكاظمي (١) ١٠٨
 بيت الكاظمي (٢) ١٠٨
 بيت كبه ١٠٩
 بيت الكركي ١١٠
 بيت الكيشوان ١١٠
 بيت محفوظ ١١١
 بيت المحقق ١١٤
 بيت المراياتي ١١٥
 بيت معتوق ١١٥
 بيت مقصود ١١٥
 بيت المنشي ١١٦
 بيت نقدي ١١٦
 بيت نوح ١١٦
 بيت الهندي ١١٧
 بيت الهمداني ١١٧
 بيت ياسين ١١٧
 الخدام و السدنة موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج ١٠-٢ ؛ ص ١٨٤
 ت ابو العيس ١٢١

- بيت ابو نرگيله ١٢١
 بيت بلبل ١٢١
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٨٥
 بيت بهاء الدين ١٢١
 بيت الجمالی ١٢١
 بيت جوطه ١٢٣
 بيت الجراغجي ١٢٣
 بيت الحسنی ١٢٣
 بيت خادم الجديد ١٢٣
 بيت دبشه ١٢٣
 بيت الساعجي ١٢٣
 بيت السرکشک ١٢٣
 بيت السيد سعد ١٢٤
 بيت شقای - من بنی شیبه ١٢٥
 بيت شقای - الموسویه ١٢٥
 بيت شكر ١٢٥
 بيت الشماع - الموسویه ١٢٥
 بيت الصابونی - بيت نسلی ١٢٥
 بيت الصافی ١٢٥
 بيت طه ١٢٥
 بيت الشيخ عبد اللطيف ١٢٥
 بيت عطيفه ١٢٥
 بيت الكردي ١٢٥
 بيت كشکش ١٢٦
 بيت الكشوان ١٢٦
 بيت الكليتدار ١٢٦
 بيت المؤذن ١٢٦
 بيت الحاج محمد صالح ١٢٦
 بيت مشكور - الحسينیه ١٢٦
 بيت نعش ١٢٦
 بيت نسلی - الموسویه ١٢٦
 بيت النيص - الحسينیه ١٢٦
 بيت وهاب ١٢٦

سدانة مرقداى يوسف ١٢٨

الببوتات المعروفة

بيت ابو اللحم ١٢٩

بيت الاسترابادى ١٢٩

بيت الاسود ١٣٠

بيت اعاىى ١٣٠

الانباريين ١٣٠

بيت الانصارى ١٣١

البجىة ١٣٢

آل حمد ١٣٢

آل حسين ١٣٢

آل الجوخجى ١٣٢

بيت البنا ١٣٢

بيت البير ١٣٣

بيت جعشم ١٣٣

بيت جلال ١٣٣

بيت الجواهرى ١٣٣

بيت الجىلاوى ١٣٤

بيت الجلبى ١٣٤

بيت الحجى ١٣٧

بيت الحداد ١٣٧

بيت الحربرى ١٣٧

بيت حسونة ١٣٧

بيت الحلبى ١٣٧

بيت حمودى ١٣٨

بيت الخىلى ١٣٨

بيت دارا ١٣٨

بيت الدىسى ١٣٨

بيت دروش ١٣٩

بيت الدهوى ١٣٩

بيت رزوقى ١٣٩

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٨٦

بيت زىنى ١٣٩

- بيت سريع ١٣٩
بيت السعدى ١٤٠
بيت السعيد (١) ١٤٠
بيت السعيد (٢) ١٤٠
بيت السلطان ١٤٠
بيت سهيل ١٤١
بيت شالجي موسى ١٤٢
بيت الشامى ١٤٢
بيت شكيب ١٤٢
بيت الشماع ١٤٢
بيت شندى ١٤٢
بيت الصراف ١٤٣
بيت الصفار ١٤٣
بيت صويلح ١٤٣
بيت العبد ١٤٣
بيت عبد الغنى ١٤٤
بيت الشيخ عبود ١٤٤
بيت عبيدة ١٤٤
بيت عسكر ١٤٥
بيت العطار (٢) ١٤٥
بيت العطار (٣) ١٤٥
بيت عطيه ١٤٥
بيت العطيه ١٤٦
بيت العكيلي ١٤٦
بيت عيد ١٤٦
بيت الحاج غانم ١٤٦
بيت الغبان ١٤٧
بيت الغرباوى ١٤٧
بيت قادريه ١٤٧
بيت القشدار ١٤٧
بيت القصاب ١٤٧
بيت القطيفى ١٤٨
بيت الحاج قنبر ١٤٨

- بيت الكاظمي في الكويت (٣) ١٤٨
 بيت الكاظمي في الكويت ١٤٩
 بيت الكاظمي في البصرة (٤) ١٥٠
 بيت الكاظمي (٥) ١٥٢
 بيت مؤيد ١٥٢
 بيت المتهدج ١٥٢
 بيت المحلاتي ١٥٢
 بيت الحاج محمد ١٥٢
 بيت المزين ١٥٢
 بيت المشاط ١٥٣
 بيت معطوش ١٥٣
 بيت الملائكة ١٥٣
 بيت الكظماوي (في قلعة سكر) ١٥٤
 بيت الكظماوي (في الديوانية) ١٥٤
 بيت كنعان ١٥٤
 بيت كصيد ١٥٤
 بيت كلاوي ١٥٤
 بيت ليلو ١٥٤
 بيت المنذري ١٥٥
 بيت المنشي ١٥٥
 بيت الحاج مهدي ١٥٥
 بيت موسى راضي ١٥٥
 بيت مومن على ١٥٥
 بيت النجار (١) ١٥٦
 بيت النجار (٢) ١٥٦
 بيت النداف ١٥٦
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٨٧
 بيت النقيب ١٥٦
 بيت النعلبند ١٥٧
 بيت النعمة ١٥٧
 بيت نكو ١٥٧
 بيت نكو ١٥٧
 بيت النواب ١٥٧

بيت هادى ١٥٨

بيت الهلاى ١٥٨

العشائر

العشائر ١٥٩

بنو تميم ١٦٠

المصالحة ١٦٠

الطجاج ١٦١

الخضيرات ١٦١

الكوايد ١٦٢

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٠-٢، ص: ١٨٨

هذه الموسوعة

على الرغم من انتشار الحضارة و الثقافة التى دفعت بالكثير من العلماء و المحققين و الباحثين فى العصور الأخيرة الى احياء مختلف التراث الاسلامى و الآثار العربية فيما بحثوا، و حققوا، و كتبوا، فقد ظلت هنالك كنوز ذات قيمة كبرى فى تاريخ العالم الانسانى فضلا عن تاريخ الاسلام و العرب.

لقد ظلت هذه الكنوز مطمورة فى بطون الكتب المخطوطة و المطبوعة لم يمسه احد الا من بعض اطرافها، و لم يتطرق اليها باحث الا من بعض جوانبها، و هى كنوز لم تقتصر على ناحية دون ناحية، فهى تخص العلم، و الادب، و الفن، و الفلسفة، بقدر ما تخص الفقه و التاريخ، متمثلة كلها فى تاريخ العتبات المقدسة:

مكة المكرمة- المدينة المنورة- القدس الشريف- النجف الاشرف- كربلاء- الكاظمين- مشهد الرضا- سامراء .. الخ
فلكل عتبه من هذه العتبات تاريخ ذو علاقة جد وثيقة بالثقافة و الحضارة الاسلامية و العربية، مما اخترنته من المخطوطات الاثرية، و الروائع الادبية، و ما قامت به من المدارس طوال العصور المظلمة، اذ لو لا هذه العتبات لما بقى اليوم بايدينا من تلك الكنوز الا النزر اليسير.

و هذا هو الذى دفع بطائفة من اهل الفضل و اساتذة جامعة بغداد من ارباب الاختصاص الى ان تتضافر جهودهم فى اخراج موسوعة تاريخية- علمية- اثرية- ادبية- عامه، تتناول جميع العتبات المقدسة بالبحث المفصل الشامل منذ اول تمصير العتبه المقدسة حتى اليوم- على ان يكون لكل عتبه اجزاء خاصة، و ان يكون كل جزء منها مستقلا بمواضيعه.

و هو اول عمل من نوعه، و اول مجهود خطير يقوم به مؤلفه، و يكفى ان يستدل القارئ على خطورته مما يقع تحت عينيه من اجزائه.

الجزء الحادى عشر**اشاره**

موسوعة العتبات المقدسة ١١ الجزء الثالث قسم خراسان

تأليف جعفر الخليلي

منشورات مؤسسة الأعلمی للمطبوعات بيروت- لبنان

ص. ب ٧١٢٠

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٤

جميع الحقوق محفوظة و مسجلة

الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

مؤسسة الأعلمی للمطبوعات

بيروت. شارع المطار. قرب كئيئه الهندسة. ملك الاعلمی. ص. ب: ٧١٢٠

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٥

خراسان قديما إمامة شاملة من أول يوم دخول خراسان التاريخ الى يوم مدفن الإمام الرضا (ع) كتبه جعفر الخليلي**إشارة**

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٧

خراسان قديما

خراسان من اهم ولايات ايران قديما و لم تزل حتى الآن من اهم ولايات ايران، و كانت خراسان في القديم تشمل مساحة جد واسعة بحيث كانت تتجاوز حدود ماوراء النهر (جيحون) من بلاد الترك شمالا، و حتى اواسط بلاد الافغان و اكثر من ذلك نحو الشرق و الى جانب من حدود الصين الغربية، و من الجنوب حتى حدود كرمان و الى ما يجاور بلاد السند، و قد اطلق بعضهم اسم خراسان على بحر الخزر و سماه بالبحر الخراساني الخزري لقربه من خراسان .

و قد اختلف المؤرخون في تحديدها فتوسع البعض و حدّد البعض هذا التوسع و قلّصه، و رأى ياقوت الحموي ان هذا الشمول الواسع لاسم خراسان عند بعض المؤرخين هو شمول للحكم اكثر مما هو للاقليم و المنطقة، كأن يصل حكم الذين يحكمون خراسان الى ابعد من منطقتها فيسمى ذلك باسمها، اما البلاذري فيقول: ان خراسان اربعة ارباع.

فالربع الاول (ايران شهر)- و هي نيسابور- و قهستان، و الطبستان، و هراة، و بوشنج، و بادغيس، و طوس، و اسمها (طابران).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٨

و الربع الثاني:- مرو الشاهجان، و سرخس، و نسا، و ابورد، و مرو الروذ، و الطالقان، و خوارزم، و آمل، و الاخيرتان على نهر جيحون. و الربع الثالث:- و هو غربي (النهر) و بينه و بين النهر ثمانية فراسخ! الفارياب، و الجوزجان، و طخارستان العليا، و خست، و اندرابه، و الباميان، و بغلان، و والج- و هي مدينة (مزامح بن بسطام) و رستاق بيل، و بذخشان- و هو مدخل الناس الى تبت، و من اندرابه مدخل الناس الى كابل، و الترمذ- و هو في شرقي بلخ- و الصغانيان، و طخارستان السفلى، و خلم، و سمنجان.

و الربع الرابع: ماوراء النهر، و هو بخارى، و الشاش، و الطارابند، و الصغد، و هو كس، و نسف، و الروبستان، و اشروسنه، و سنام، قلعة المقنع، و فرغانة، و سمرقند .

و على هذا الرأي كان ابن رسته، اذ عد جانبا كبيرا من بلاد ماوراء النهر كبخارى و سمرقند من جملة بلدان خراسان و في مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة و البقاع لعبد المؤمن صفى الدين بن الحق: ان حدود خراسان تبدأ مما يلي العراق، و آخرها حدود ما يلي الهند .

و جاء في (اللباب) ان خراسان بلاد كثيرة، و اهل العراق يقولون انها من (الريّ) الى مطلع الشمس، و بعضهم يقول من (حلوان) الى

مطلع الشمس .

و يعتبر الجزء الشمالي من خراسان جزءا من موطن الشعب الهندي الاوروبى فى العصر الحجرى وقبل ان يتفرق هذا الشعب فى البلدان الاخرى،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٩

و المرجح ان تاريخ ذلك الزمن يرجع الى اكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد بناء على الآثار الخطية الميديه التى عثر عليها و التى سنشير اليها فيما بعد و قد قدر الخبراء عمرها بما يقرب من اربعة آلاف سنة قبل الميلاد و اكثر.

و يقول الدكتور جيمس برستد: ان تاريخ ذلك الزمن الذى كان القسم الشمالى من خراسان ضمن وطن الشعب الهندي الاوروبى ليس بعد ٢٥٠٠ ق.م، و قد كان الشعب الهندي الاوروبى حينذاك قبائل منقسمين يتنقلون بقطعان غنمهم و مواشيهم من بقعة الى اخرى، و كان لديهم الكثير من الحيوانات الاهلية، أخصها الخيل التى لم تعرف بين الامم المتمدنة الشرقية الا بعد عصر حومورابى و لم يقتصروا فى استعمال الخيل على الركوب فقط و انما كانوا يستخدمونها فى جرّ العجلات ايضا، و كان عندهم بقر لحمل النير و جرّ السكة، لان بعض تلك القبائل كان قد ألف عيشة الحضارة، و شرع فى زراعة الحبوب و لا سيما الشعير .

و من هذا الشعب، و من آسيا المركزية التى تشمل الجزء الشمالى من خراسان انبعث الآريون و بدأت هجرتهم الى ايران و الى الهند، و تدل الشواهد على ان سكان ايران القدماء اى قبل الهجرة الآرية من آسيا المركزية كانوا اقزاما سود الوجوه و قد طردهم الآريون و حلّوا محلهم على مرور الزمن.

و تدل القرائن التاريخية على ان الآريين قد جرت هجرتهم الى آسيا الغربية فى موجات تدريجية و انهم لم ينتقلوا من طريق واحد و انما قد جرت هجرتهم من طرق مختلفة و فى ازمته متفاوتة، فان (هومل) و (ادورد ماير) يعتقدان ان اسماء بعض امراء القسم الجنوبى من فلسطين كما عثر عليها فى (تل العامرنه) كانت آرية، و يرى البعض ان ظهور الآرية فى غرب آسيا فيما يقارب ١٤ - ٢٠ قرنا ق. م .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٠

و تاريخ ايران القديم اى قبل قيام الهاخمنشيين يعتمد على القصص و الأساطير و الاخبار المغرقة فى الغرابة باستثناء ما يعثر عليه من الآثار التى تعين المؤرخين على كشف بعض الغموض و تكوين الرأى الصحيح، و قد ضاع معظم الكتب و المجاميع التى تحتوى على قصص السكان القدماء، و اخبار ملوكهم - و تراجم ابطالهم و الملاحم الواردة فى اساطيرهم و حكاية الاسر التى حكمت ايران قديما، او التى وجدت فى خراسان و على الأخص اخبار (البيشداديان) و (الكيانيان) التى تشير الى كل اولئك او بعضهم ممن كانوا يسكنون خراسان دائما او موقتا، و لم يبق من تلك القصص و الاخبار الا عدد قليل من مجاميع تتضمن سلسلة من المعلومات الطريفة ذات الالوان المتنوعة من الاحوال السياسية و الاجتماعية، و العقائد و الأديان ككتاب (خدای نامه) و كتاب (آيين نامه) و كتاب (رستم و اسفنديار) و كتاب (شهرزاد و ابرويز) و كتاب (التاج) و كتاب (دارا و الصنم الذهب) و كتاب (كشتاسب و ارجاسب) .

مصادر التاريخ الإيرانى و خراسان

و ان مصادر التاريخ الايرانى القديم قائمة على القصص و الاساطير، و على الآثار التى تم اكتشافها و التى لم تزل تحت التنقيب، و على التاريخ اليونانى و ما كتبه هيرودوت (ابو التاريخ) الذى قام برحلات واسعة فى البلدان فيما يقارب سنة ٤٨٠ ق.م و على غيره من مؤرخى اليونان و على التاريخ العربى الذى استقى الحوادث من مختلف المصادر الفهلوية و اليونانية و التبعات الشخصية التى قام بها المؤرخون العرب و غير العرب الذين سجلوا تاريخ الفرس بالعربية فكانت الكتب العربية اهم مصدر لتاريخ ايران العام الذى نستخلص منه تاريخ خراسان القديم قبل الاسلام و تاريخ خراسان بعد الاسلام حتى اوائل القرن الثامن.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١١

أهم مصادر العربية

- ١- كتب ابن المقفع بوجه عام. ٢- مضامين بعض كتب الجاحظ و لا سيما (البيان و التبيين) ٣- تاريخ يعقوبى. ٤- تاريخ الامم و الملوك للطبرى.
- ٥- النساب، و فتوح البلدان للبلاذرى. ٦- المسالك و الممالك لابن خرداذبه.
- ٧- الاخبار الطوال للدينورى. ٨- تاريخ سنى ملوك الارض و الانبياء لحمزة الأصفهاني. ٩- الفهرست لابن النديم. ١٠- مروج الذهب للمسعودى ١١- (صور الاقاليم) و (مسالك الممالك) للاصطخرى. ١٢- الأغانى لأبى الفرج الاصفهاني. ١٣- المسالك و الممالك و المفاوز و المهالك لابن حوقل.
- ١٤- الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبى ریحان البيرونى. ١٥- غرر اخبار ملوك الفرس و سيرهم للثعالبي. ١٦- البدء و التاريخ للمقديسى. ١٧- تجارب الامم و تعاقب الهمم لابن مسكويه. ١٨- الكامل لابن الاثير. ١٩- معجم البلدان لياقوت الحموى. ٢٠- مختصر الدول لابن العبرى. ٢١- (تقويم البلدان) و كتاب (المختصر فى اخبار البشر) لابی الفداء. ٢٢- (مقدمة ابن خلدون) و (تاريخ ابن خلدون) لابن خلدون. ٢٣- تحفة النظر فى غرائب الامصار لابن بطوطة. هذه اهم المصادر العربية حتى اوائل القرن الثامن، و غير هذه المصادر عشرات من الكتب العربية التى يستخلص منها المؤرخ تاريخ خراسان مضافا الى ما بقى من الكتب الفارسية و الآثار المكتشفة.
- و قد ذكر المسعودى المؤرخ الرحالة انه: شاهد بنفسه كتابا فى السوانح و الاحداث التى جرت فى عهد سبعة و عشرين من الملوك الساسانيين خمسة و عشرين منهم كانوا من الرجال، و اثنتين كانتا من النساء، ثم يقول انه:
وجد صورة كل واحد من اولئك الملوك قد صورت فى ذلك الكتاب باسلوب دقيق، و الوان انيقة للغاية، اذ كانت تلك الصور تعرض كل ملك بشكله
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٢
- و هندامه، و ملامح وجهه، و مخطّ لحيته، و الالوان الخاصة بملابسه، الامر الذى دعا هشام بن عبد الملك سنة ١١٣ هـ، بأن يستقدم الفنيين المهرة من ايران الى الشام، و كذلك المترجمين ليقوموا من ناحية بترجمة ذلك الكتاب العظيم، و يبادروا الى ترسيم و تصوير هياكل الملوك الواردة صورهم و سوانحهم فى الكتاب المذكور من ناحية ثانية.
- و قد تتبع المستشرق (وليم جكسون) هذا الاثر التاريخى و قال فى وصفه إنه: النسخة الاصلية للكتاب المعروف باسم كتاب (التاج)، و وافقه على هذا الرأى المستشرق الدانماركى (كريستنس).
- و كثير مثل هذه الكتب التى كانت تتناول تاريخ ايران القديم و التى يمكن استخلاص بعض الحوادث و الاخبار التى تخص خراسان منها قد ضاع و لم يبق منها بايدينا الا اسماؤها او بعض فصولها منها ٣٢ كتابا غير (الافستا) مما كان مكتوبا بالفهلوية، على ما ذكر (پورداد) و من هذه الكتب الباقية كتاب (درخت آسوريك) أى شجرة الأشوريين فى العراق، و كتاب (خسرو گواتان ريذگى) اى كتاب خسرو بن كيقباد الملك و خادمه ريذك، و كتاب (ريذك) و كتاب (خوتاي نامك) اى كتاب الله، و كتاب (دين گرت) اى الأعمال الدينية و غيرها من الكتب التى هى كل ما بقى مما كتب بالفهلوية، و قد اورد ابن النديم فى (الفهرست) أسماء طائفة كبيرة ممن تولوا ترجمة بعض ما بقى من تلك الكتب و الاخبار و الملاحم القديمة و الموعلة فى ابعد مدى من التاريخ الى العربية و فى طليعتهم ابن المقفع الذى اهتم بالجانب الادارى و الاجتماعى و الفلسفى من تلك الكتب، و مع ذلك فلم يتم تصنيف الملاحم القديمة و جمع القصص التاريخية، و الاساطير فى كتاب واحد الا فى القرن الرابع الهجرى الذى اصبح بعد ذلك اساسا يعول عليه
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٣

- بالرغم مما تكتنفه من اساطير- فى استخلاص ما يمكن استخلاصه من تاريخ ايران و تاريخ خراسان القديم الذى يعيننا هنا عرضه بايجاز.

كتاب الشاهنامه

ففى المنتصف الاول مى القرن الرابع الهجرى ووجه اهل خراسان و امراؤها اهتمامهم الى جمع اخبار ملوك ايران و سيرهم فاجتمعت لهم اسفار عرفت فيما بعد باسم (الشاهنامه) او كتاب الملوك، و كان اكثر هذه الكتب ذيوعا و شهرة (شاهنامه ابى منصور) و الى طوس، و يبدو ان ثانيتهما كانت اجمع و اوفى من اولاهما، فأقبل الناس على هذه المجموعة ايما اقبال، و صارت مادة للسمر و الشعر على السواء .

ثم ظهر الشاعر الخراسانى الكبير و الحكيم المعروف ابو القاسم الحسن بن محمد الطوسى، و كانت له يد فى جميع فنون الشعر و اللغة و الادب، و راح يبحث فى بطون الكتب و المخطوطات و الاخبار مما كان يعثر عليه ليؤلف منه (شاهنامه) جديدة يسجل فيها اخبار الملوك و ما كان قد روى عنهم و الحوادث التى وقعت فى عصورهم من حرب و سلم و قصص. فألف (الشاهنامه) التى عرفت (بشاهنامه الفردوسى) التى قيل فى وصفها انها المرجع المهم فى التاريخ و الأدب الفارسى لجميع الادباء و المؤرخين، و قد عرفوها بكنز اللغة الفارسية و قاموسها، و قد قيل ان الفردوسى كان من دهاقين طوس و وجهائها، و قد نظم (الشاهنامه) بالشعر مبتدئا من اول زمن (كيومرث) اول ملوك (البيشداديين) الى زمن (يزدجرد) بن شهريار الساسانى فى ستين الف بيت من الشعر و فى مدة ثلاثين سنة كان آخرها سنة ٣٨٤ هـ، و توفى بطوس سنة ٤١١ هـ .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٤

و صارت (الشاهنامه) بالاضافة الى ما سجله التاريخ اليونانى القديم و التواريخ العربية المؤلفة فى العصور الاسلامية عن تاريخ ايران و ما عثر عليه من المصادر الفارسية و المكتوبة باللغة القديمة المرجع الأكبر لاستقصاء تاريخ ايران و تاريخ خراسان بصورة خاصة، و بهذا تكون خراسان الى جانب كونها المنطلق الاول للاربيين المرجع الاول للتاريخ الايرانى العام، لان مؤلف الشاهنامه كان خراسانيا. و المتتبع لشاهنامه الفردوسى يرى ان الفردوسى يرجع أهمية اخباره و تاريخه الى كتاب يعود تاريخه الى ما قبل ألفى سنة من عصره اى ما يقرب من احد عشر قرنا قبل الميلاد، و فى هذا الكتاب الذى يشير اليه الفردوسى الكثير من الاخبار و القصص التاريخية و الحوادث التى اعتمدها الفردوسى فى سرد تاريخ ايران القديم و تاريخ ملوك خراسان.

الفردوسى من تصميم الاستاذ جوادى پور

و يرى الاستاذ ذبيح بهروز ان هناك كثيرا من الشواهد التى تدل على ان صلة اللغة الفارسية القديمة و الكتابة بها لم تكن قد انقطعت بعد فى القرون الاسلامية الاولى كما قد يظن البعض، بل ان اللغة الفارسية القديمة و الكتابة بها كانت لم تزال مفهومة حتى فى القرن الثالث الهجرى و بعده، فليس بالغريب ان يكون الفردوسى ممن يعرف تلك اللغة القديمة، و لذلك تمكن ان يقرأ ذلك الكتاب الذى يعتبر احد الشواهد على تقدم الحضارة فى تلك الازمان البعيدة بحيث استثار اعجاب الفردوسى اذ يقول:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٥ يكى نامه ديدم پر از داستان سخنهای ان پرمنش راستان

گذشته بر آن ساليان دو هزار گرايدون که برتر نيابد شمار

اى اننى رأيت كتابا مليئا بالقصص و الاخبار الثمينه الذى يعود تاريخه الى الفى سنة من قبل.

ففى اوائل القرن العشرين عثر فى غربى الصين اى فى شرقى خراسان على آثار كثيرة تحت تلوى التراب و قد وجدت بينها خطوط و كتابات دلت على ان هذه اللغة و الخطوط كانت مفهومة او قريبة للفهم فى عصر الفردوسى من القرن الرابع الهجرى، و هنالك من الآثار التى تم العثور عليها فى (صغد) و فى (خوارزم) و هما من اهم مدن خراسان الشمالية يستطيع الباحث بالاضافة الى الآثار التى تم

اكتشافها غربى الصين ان يعين مدى قدم تاريخ خراسان، و تاريخ حضارتها بكل سهولة.

ايران و خراسان

و قد عثرت مؤسسه (كارنه جى) الاميركية فى الحفريات التى أجرتها (بمرو) و (عشق آباد) على آثار وجدت بينها و بين الآثار السومرية فى جنوب العراق شهبها عظيما الأمر الذى جعل اكثر العلماء يحدسون بأن هناك صلة مدنية و حضارة بين سومر و ماوراء بحر الخزر و هو جانب خراسان الشمالى.

و نشرت مجلة (الجمعية الآسيوية الملكية) الانكليزية فى عددها الصادر سنة ١٩٤٥ (تقاويم) للسنة الشمسية القمرية يرجع تاريخها الى ٨-١١ قرن قبل الميلاد، و هى بعض ما عثر عليه بين الآثار التى اكتشفت فى غربى الصين من الآثار الايرانية المشار اليها و هى تعنى حضارة خراسان لاتصالها بها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٦

و وجودها فى حدودها الشرقية ان لم تكن ضمن حدود خراسان القديمة.

صحيح انه لم يستطع التاريخ ان يعين بالضبط الوطن الاصلى الاول للشعب الهندى الاوروبى لانعدام المصادر الثابتة و المؤكدة غير ان هناك بعض الادلة و الشواهد الدالة على ان وطنهم الاول كان السهول الفسيحة الارزاء الواقعة الى الشرق و الشمال الشرقى من بحر قزوين و هى التى تشمل الجانب الشمالى من خراسان.

و لما كانوا لا يزالون شعبا واحدا كانوا يتكلمون بلغة واحدة ثم تفرعت من لغتهم جميع اللغات التى تتكلم بها الامم المتمدنة فى اوربا الحديثة، و على هذا فان خراسان او خراسان الشمالية كانت موطن الآريين القديم الأول، و منها مما جاورها من الاصقاع فى الشمال انطلق الآريون الى ايران و الى غيرها من مواطن الآريين فى العالم.

اما اصل كلمة (ايران) فانها على الظاهر مأخوذة او محرفة، من كلمة (ايران) و كانت تطلق على تلك القبائل من الشعب الهندى الأوروبى الذى كان يسكن كما قلنا فى بطاح آسيا الشمالية، و قد نزحت منه القبائل بمواشيها و اغنامها طلبا للرعى و الكلا الى الجهات الجنوبية الغربية فبلغت تلك الاراضى و طاب لها العيش فيها و القت هناك عصاها لملائمة الطبيعة لها .

و من أقوال زرادشت تأيد هذا الرأى، و هو اول من سمي سكان هذه الهضبة- هضبة ايران- بالاييرانيين، و هى تعنى (النجباء) و ذلك قبل المسيح بعدة قرون و اطلق ابن رسته اسم ايران شهر على كل ايران .

و جاء فى (الافستا) كتاب زردشت المقدس عند الزردشتيين المكتوب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٧

باللغة الفهلوية القديمة الذى يرجع تاريخه الى ١٠٨٠ ق.م، على بعض الروايات ما يستدل على قدم خراسان و خصبها، و نصرتها، و جودة حاصلاتها، اذ يقول فى الفقرة ٤-، ١٣-١٤، ١٧-١٨، ٢١، ٢٥-٢٦ على لسان الاله: (آهورمزدا):

«خلقت المكان الاول (ايرانفيج)، و المكان الثانى النضر من الارض لاجل سكن فاضل هو ارض (الصغد) و المكان الثالث النضر من بقاع الارض من اجل سكن فاضل هو (مورو) اى (مرو) البلد الحصين المقدس، و خلقت المكان الرابع النضر للسكن الفاضل (يخدى) او (بلخ) المتلائمة ذات الرايات العالية، و خلقت المكان الخامس النضر من بقاع الأرض من اجل سكن فاضل هو (نيسا) المدينة الواقعة بين (مرو) و (يخدى) ...

الخ» .

و هذا و غيره يؤيد أن خراسان، و خراسان الشمالية بالذات هى و ليس غيرها كانت موطننا لايران القديمة و من مواطن الآريين الذين تألفت فيما بعد منهم الشعوب و الامم و الدول الآرية فى آسيا و فى اوربا، و انها كانت من اخصب البلدان، و كان سكانها من افاضل

السكان.

و في الاساطير ما يدل على قدم اسم خراسان فيما روى على لسان دغفل النشاب و هو ان (خراسان) كان ابن (عالم) بن (سام) بن (نوح) و قد خرج هو و اخوه (هيطل) لما تبلبلت الالسن ببابل فنزل كل واحد منهما في البلد المنسوب اليه يريد ان (هيطل) نزل في البلد المعروف بالهياطلة و هو ماوراء جيحون، و نزل اخوه (خراسان) في هذه البلاد التي تسمى بخراسان فسميت باسمه!! .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٨

و هناك من يرى ان اسم خراسان قد اطلق على هذا الاقليم في عهد الهاخمنشيين اما قبل ذلك التاريخ فقد كان يطلق عليها اسم (پارت) و قد ورد ذكرها بهذا الاسم في جميع التواريخ .

و دلت الآثار التاريخية على ان تاريخ خراسان بل و تاريخ حضارتها يمتد الى أبعد من ذلك بكثير و ان موطن الشعب الهندي الاوروبي الأول و ان لم يتعين تاريخه تعيينا كاملا- كما ذكرنا و لكنه كان معروفا قبل اكثر من اربعة آلاف سنة قبل الميلاد، لأن هنالك من الشواهد ما يستدل منها على وجود (الميديين) في وسط ايران الحالية و وجود حضارة ملحوظة لهم قبل اكثر من ٤٠٠٠ سنة ق. م فكيف لا تكون خراسان الشمالية اقدم من ذلك بكثير و هي موطن الشعب الهندي الاوروبي الذي انبعث منه (الميديون) و حلوا في اواسط ايران الحالية مثلما انبعث الفرس و حلوا في فارس من جنوب ايران و كلاهما آريان من أصل واحد.

لقد كان بين الآثار التي عثر عليها في هضبة (سيلك) التي كانت موطن الميديين سبعة شواهد من الخطوط المحفورة و المنقوشة التي يرجع العالم المستشرق م. دياكوف تاريخها الى اواخر الالف الرابع قبل الميلاد، اما هر تسفلد فيرى ان تاريخ هذه الألواح يرجع الى ابعد من ذلك و يرى انه في نحو الالف الخامس قبل الميلاد، و لعل قدم الخط الهيرو غريفى الايرانى يؤيد مثل هذا القول .

اسم خراسان

و في اسم خراسان و سبب تسمية البلاد بهذا الاسم اختلاف كاختلافه في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٩

سبب تسمية الكثير من البلدان التاريخية، و قد قيل: ان خراسان مؤلفة من كلمتين احدهما (خر) و هي اسم الشمس بالفارسية الدرية و (آسان) و تعنى الموقع و البلاد، اى انها بلاد الشمس او مطلع الشمس.

و قد يكون لهذه التسمية بعض الوجه لوقوع خراسان شرقى البلاد الايرانية و كون الشمس تشرق على خراسان قبل شروقها على الجهات الايرانية الاخرى، و قيل بل ان كلمة (خور) تعنى الاكل. و (آسان) تعنى الشىء الهين السهل فى اللغة الفارسية و معنى ذلك: (كل سهلا) على ما ذكر ياقوت الحموى، و ربما انبعثت هذه التسمية من طبيعة خراسان لكثرة فواكهها و حاصلاتها الزراعية و وفرة خيراتها، و قيل غير ذلك.

و يقال فى الانتساب اليها: (خراسانى)، قال سيبويه عن هذا الانتساب:

و هو أجود (اى قولك خراسانى) و قيل: و خراسى، و خرسى، و يقال:

هم خراسان كما يقال: هم سودان، و بيضان و منه قول بشار:

«فى البيت من خراسان لا تعاب».

يعنى (بناته) و يجمع على (الخرسين) بتخفيف ياء النسبة كقولك (الأشعرين) و أنشد:

«لا تكرين بعدها خرسيا» .

طبيعة خراسان الجغرافية

و طبيعة خراسان تشبه طبيعة قارة كآسيا تجمع بين السهل و الجبل، و الخصب و الجذب، و وفرة المياه و الانهار، و سعة الصحراء و الجفاف، فيشتد البرد في جهات منها حتى يجمد ماء النهر من سيحون، كما يشتد الحر في جهات اخرى حتى تجف الارض، و يسود الاعتدال في كثير من جهاتها في جميع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٠

فصول السنة، و اغلب ارتفاع اراضيها كائن في الشمال، و قد يشاهد الثلج في الصيف فوق جبال خراسان التي لا يزيد ارتفاعها على بضعة آلاف قدم، و يقول (السر برسى سايكس): انه شاهد الثلج في بعض جبال خراسان في الصيف على علو لا يزيد على تسعة آلاف قدم .

و كلما انحدرنا الى الجنوب انحسرت هذه الجبال و اتسعت رقعة السهول حتى تسفر عن صحراء واسعة الارحاء لا تلبث ان تتصل بالصحراء الملحية المعروفة (بكوير لوت) من كرمان، و تحد هذه الصحراء اقليم كرمان و السند جنوبا و اقليم الري و قم و كاشان غربا حتى تحاذى اقليم خراسان الخصب شمالا و تسمى بصحراء (كرگس) ، و بسبب الامطار و الثلوج التي تجرف على مرور الزمن طبقات من الجبال و تنحدر بها الى المنخفضات حصلت خراسان الحالية على مسافات واسعة من الاراضي الصالحة للزراعة الى جانب سهولها و اوديتها و اراضيها التي تسقيها انهارها المستمدة مياهها من العيون و الثلوج في اعالي جبالها كنهري (تجن) و نهري (كشف رود) و نهري (اترك) و نهري (مرغاب) الذي كثيرا ما يرد ذكره في التاريخ، و نهري گرگان و نهري (قراسو) و نهري سيحون في تاريخ خراسان القديم، فكثرت بسبب هذه الانهار و العيون و الطمي الذي تأتي به الامطار حاصلاتها الزراعية، و الحيوانية لكثرة مراعيها، و الخصب هذه المراعي في مناطقها الشمالية خاصة الى جانب بعض المعادن و وفرة الثروة التي مكنتها من ان تصنع، و تعمل، و تحصل على انفس الذخائر من المصنوعات و المصوغات، و اكتناز الذهب و الفضة، و صوغ الحلي و الاسلحة، و قد ساعدت هذه المحصولات، و هذه الخيرات بالاضافة الى البيئة الطبيعية الصالحة للسكن، و استعداد السكان الفطري على قيام حضارة ذات الوان اختص مجموعها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢١

اكثر ما اختص - بالخراسانيين انفسهم - و خراسان نفسها، و قد تناولت هذه الحضارة صنوفا من الثقافة العامة من الفنون، و الصناعة و الدين، و الاداب، و البطولة في ميدان الحرب و ميادين اخرى متنوعة.

و يصف المؤرخون العرب (خراسان) منذ اوائل تاريخها و حتى اليوم باوصاف تشمل ارضها، و هواءها، و منتجها الزراعي و الحيواني، و الصناعي، و يشيرون الى سكانها و قابلياتهم بالشىء الكثير من الاطراء و الثناء و الاعجاب مما ستمر الاشارة اليه.

لذلك كانت خراسان لوحة من ابهر اللوحات الفنية في تاريخ الحضارة الايرانية القديمة، و في مختلف العصور و لا سيما العصور الاسلامية لما تتمتع به من المواهب و ما تدر عليها من الخيرات من مختلف المناخ.

و ان التزام كثير من ملوك ايران القدماء بالاقامة في خراسان و اتخاذ بعض مدنها عواصم لمملكاتهم، و تأسيسهم بعض المدن، و بناء القلاع، و المباشرة بتعمير الارض، و الاخذ بيد الفلاحين و المزارعين، و ايجاد نظم اجتماعية متعددة الجوانب قد جعلت من خراسان منطقة متمتعة بالكثير من المزايا الطبيعية يعود الفضل فيها الى طبيعة البلاد الجغرافية و الى العوامل التي خلقت من الخراسانيين اناسا ممتازين كان لهم في تاريخ ايران الحضارى نصيب جد كبير، و على الرغم من عدم وجود احصاء صحيح للنفوس في العصور القديمة فبالامكان القول بان مدن خراسان كانت مكتنزة بالسكان لتوفر اسباب الرفاه و النعمة و قد جاء ان عدد الذكور في اغلب الاوقات كان اكثر من عدد النساء في خراسان، و ورد ان النساء الخراسانيات يلدن ذكورا اكثر مما يلدن اناثا .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٢

ولخراسان اهمية كبيرة في تاريخ الحضارة الايرانية فقد نبغ عدد غير قليل من الملوك و القواد و الامراء فيها قبل الميلاد بقرون بعيدة، فازدهرت على ايديهم كل اللوان الحضارة، و كان ل (طهمورث) و هو من اشهر ملوك ايران (الشيد اديان) القدمات يد في بناء عدد من المدن الخراسانية و تعميرها، و قد اتخذ (نيسابور) على ما قيل موطن له و عاصمة لملكه و قد وجه اهتمامه كما تقول القصص القديمة الى احياء الاراضى و زيادة الحاصلات الزراعية، و ساعد على العناية بالحاصلات الحيوانية، و حمل الرعايا على الاهتمام باقتناء الكلاب لمساعدة الرعاة في رعى اغنامهم، و حراسة بيوتهم، و شدد العناية بتربية الخيول و اكثر من العمارات و الابنية في عدد من الاقاليم.

و قد وجدت لطهمورث صور منقوشة على الصخور بين الاثار الايرانية القديمة و هى تصويره ممتطيا الشيطان و معنى ذلك في مفهوم عقيدة ذلك العصر أن عنصر الخير الذى يمثله طهمورث الملك قد ركب الشر الذى يمثله الشيطان و تغلب عليه.

و قد اورد الثعالبي ابياتا لشاعر عربى مدح احد الملوك حين رآه يركب فيلا مشبها اياه بطهمورث الذى ركب ابليس و اخضعه قائلا:

يا ليت ملكى أصبحت له المعالى خيسا

و راكبا من فيله مستشرفا نفيسا

كأنه طهمورث لما امتطى إبليس

و طهمورث هو الذى ادخل رعى الاغنام و المواشى في حياة سكان الصحارى و البوادي و هو الذى حمل سكان القرى على زراعة الاراضى، و كان من آثاره

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٣

العمرائية بناء مدينة آمل، و طبرستان، و بابل، و كردآباد، و نيشابور، و سمنان، و قد قلت نسبة الموت في زمانه فلم يكذب يذكّر الموت احد .

و كان دأب طهمورث التنقل و قد ساعد حبه للصيد على ان يطرق جهات مختلفة من البلاد و لذلك كان كانت اصلاحاته عامة و شاملة .

و يقول صاحب (لبّ التاريخ) ان طهمورث هو الذى ادخل استعمال الحرير و الافادة من الصوف على اوسع نطاقه، و أمر بتدوين ما عرف من العلوم و الافكار في ذلك العصر على الصخور و لاول مرة عرف الصوم في فى عهده فقد اصاب البلاد قحط دام نحو عشر سنوات كانت سنين عجافا للمحل الذى داهم البلاد، ففرض حينذاك الصوم و اتخذ له نظام خاص و مدة معينة، و قد فرض الصوم و العمل معا حتى استطاعت البلاد ان تغلب على تلك الشدة و اجتازت الازمة بسلام و ما لبث ان صار هذا الصوم وسيلة للتقرب الى الله، فخصص طهمورث نفقات صوم اليوم الواحد للفقراء و المعوزين و يقول المستوفى القزوينى ان من أهم ما عرفت به اصلاحات طهمورث هى الحرية الدينية فقد ترك لكل شخص حريته الكاملة فى اداء طقوسه الدينية و مراسيم عبادته و التعبير عن افكاره، و كانت مدة حكم طهمورث ٣٠ سنة على ما يروى المؤرخون.

و ينسب المسعودى بناء (القهندز) فى مرو لطهمورث و قيل ان طهمورث كان اول من استعمل الخط (البهلوى) فى الكتابة كما سيأتى ذكر ذلك، و اذا صحّ هذا فأن مزية أخرى ستضاف الى مزايا خراسان فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٤

تاريخها الحضارى بكونها صاحبة الفضل الا-كبر فى انتشار الخط الفهلوى القديم و تعميمه على ايران جميعا مما ساعد على نشر الحضارة الايرانية.

و لعل للملك (منوچهر) و هو يقيم فى خراسان لمحاربة افراسياب و محاربة الترك فى شمال خراسان بعض الاثر فى نشر الحضارة و ازدهارها بخراسان، فقد عرف (منوچهر) فى تاريخ ايران القديم بالعدل و الاحسان زيادة على ما نسب له من الابتكارات و الانظمة للنهوض بالبلاد و رفع مستواها فهو- على ما تروى هذه الكتب- اول من خندق الخنادق، و جمع آلة الحرب و اول من وضع (الدهقنة)

فجعل لكل قرية دهقانا، و حدّ الحدود في خراسان من ناحية الشمال بالمعاهدات و المصالحة مع افراسياب، و هو الذى بنى مدينة (بلخ).

و بالنظر لاهمية خراسان الكبرى و مجاورتها للترك الذين طالما غزوا حدودها الشمالية و توغلوا منها الى داخل خراسان و ايران فقد اقام غير واحد من ملوك ايران القدماء في خراسان و في المدن الشمالية خاصة للدفاع عنها فكانت هذه الاقامة- كما قلنا- عاملا ذا أهمية كبيرة في انتعاش الحركة الاجتماعية و ازدهار الحضارة، و نبوغ الابطال في ميادين الحروب، و جاء في بعض التواريخ ان (منوچهر) اول من عنى بالحدائق و حث على جمع الورود من مختلف الجبال و الاودية و عنى بتربية الازهار عناية خاصة و اوجد لأول مرة حديقة نموذجية حوت انواعا من الورود و الازهار التى جمعها من مختلف الجهات فعمّ بعد ذلك حب الورد و غرسه و العناية بحدائقه جميع البلاد، و المعروف ان منوچهر هو اول من امر بضرب النقارة و تأليف جوقه موسيقية تعزف صباحا و مساء في ساحة معينة من البلد .

و كان الملك (زو) من الملوك الذين تولوا سوق الجيوش في خراسان و قد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٥

طارد افراسياب حتى تغلب عليه و اخرجه من بلاده، و كان ذلك في:

(روز آبان) من شهر (آبان ماه) على ما قيل فاتخذت ايران هذا اليوم عيدا لتخلصهم من الشرور و العسف الذى اتصف به افراسياب. فجعلاه العيد الثالث لعيدهم: (النوروز) و (المهرجان) .

و كان الملك (زو) على ما جاء في هذه الاخبار و القصص: محمودا في ملكه، محسنا الى رعيته، و قد أمر باصلاح ما افسده (افراسياب) و بناء ما كان قد هدمه من حصون و قلاع و كرى ما اندفن من مجارى حتى أعاد كل ذلك الى أحسن ما كان عليه، و وضع عن الناس الخراج سبع سنين، فغمرت بلاد فارس في ملكه، و كثرت المياه فيها، و درّت معاش اهلها.

و المعروف عن (زو) انه كان اول من اتخذ الوان الطيخ و أمر بها، و باصناف الاطعمة، و اعطى جنوده مما غنم من الخيل و الركاب من اموال الترك و لا شك ان نصيب خراسان- و هى التى قامت جيوشها بالقسط الاكبر من الحرب لوقوع المعارك فيها- كان نصيبا كبيرا من تلك الغنائم، و من الاصلاح و التجديد و الرعاية لا سيما و فى بيئتها كل الاستعداد و القابلية- و هو نصيب لم يقل عن نصيب بابل و ارض السواد من الاصلاح الذى نسبه التاريخ (لزو) فى تلك الاقاليم.

ثم ان ملازمة (كيقباد) لخراسان و هو من اقدم سلالة الملوك (الكيانيين) و اقامته بالقرب من نهر (بلخ) فى شمال خراسان لمنع الترك من غزو خراسان- و قد عمّر كيقباد مائة سنة او ان مدة ملكه كانت مائة سنة على ما يروى الطبرى- هى الاخرى كانت من العوامل الكبيرة فى بعث روح الشجاعة و الاقدام فى نفوس الخراسانيين بالاضافة الى المزايا الاخرى من الوان الحضارة، فقد قيل عن (كيقباد) انه قال يوم عقد التاج على رأسه: انه سيجتهد فى اصلاح البلاد.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٦

و انه سيحذب عليها، و المعروف عنه انه هو الذى قدر مياه الانهار و العيون لسقى الارض، و سمى البلاد باسمائها، و حدّها بحدودها، و كور الكور، و أمر الناس باستغلال الارض باقصى حدود الاستغلال.

يقول الطبرى: و كان كيقباد فيما ذكر يشبه فى حرصه على العمارة و منعه البلاد من العدو، و تكبره فى نفسه: بفرعون. و جاء فى كتاب (السكيكين) الذى ترجمه ابن المقفع الى العربية: ان عددا من الملوك (الكيانيين) مثل كيكاووس، و كيخسرو، و لهراسب كانوا يسكنون (بلخ) و كانت بلخ دار مملكتهم- و المقصود بنهر بلخ هو نهر جيحون- و فى بعض اخبار الفرس على ما يروى المسعودى و الطبرى ان لهراسب هو الذى بنى (بلخ) الحسنة و سميت بالحسنة لما فيها من المياه و الشجر و المروج، و قد عمّر لهراسب البلاد، و احسن السيرة لرعيته و شملهم بعدله .

وقد اكتسبت خراسان مما جاورها في التاريخ القديم حضارات امم مختلفة تسربت اليها عن طريق الحروب و التجارة، و التنقل، و قد افادت الشيء الكثير في العصور الاولى من (الميديين) و الميديون هم الايرانيون الذين حلوا في ايران القديمة و طردوا سكان هذه الاقاليم المجهولي الاصل على مرور الزمن و اقاموا في مواطنهم من اواسط ايران الشمالية و اتخذوا (اكباتان) اي (همدان) عاصمة لهم فاسسوا حضارة كبيرة تناولت عدة جوانب من الحياة العامة، و على ما تم من البحوث و الاكتشافات حتى الآن وجد ان الميديين كانوا يعرفون صهر الحديد، و النحاس، و الذهب، و الفضة، كما يعرفون كيفية تدريب الخيول و تربيتها، و انهم كانوا يصدرون الكثير من المصنوعات الحديدية و النحاسية، و المصوغات الى خارج بلادهم، و قد دلّ البحث على انهم قد عرفوا النفط، و انهم استخدموه في الشعال كما عرفوا القار و استخدموه في البناء، و قد جاء في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٧

تاريخ (هيروdot) ج ١ ص ١١٩ ان الايرانيين القدماء كانوا يسمون النفط (رادنيكا)، و ان سكان اوربا القدماء كانوا يسمون النفط باسم الميديين و يطلقون عليه اسم (زيت الميديين)

و اضافة الى ما اخذت خراسان من حضارة الميديين في ادوار التاريخ القديمة و في ادوار (الهاخمنشية) فيما بعد التي كانت خراسان الجزء المهم من مملكتهم كما كانت الجزء المهم من مملكة الاسرة الكيانية و الپيشدادية و مملكة فارس الكبرى فقد اكتسبت خراسان من الحضارة الصينية، و اليونانية قسطا و افرا.

و حتى الذين فتحوا خراسان من الاجانب كالاسكندر المكدوني في القرن الرابع قبل الميلاد لم يستطيعوا ان يتجاهلوا قيمة خراسان و اهميتها، و اهمية سكانها، و قد عنى بها الاسكندر عناية خاصة، و اليه ينسب بناء مدينة سمرقند و هراة و هو الذي اقام سورا حول مدينة (مرو الشاهجان) يقدر طوله بفرسخ واحد في عرض فرسخ واحد كذلك هو الذي اخرج مدينة (نسا) من خراسان على شكل حية ملتوية على ما روى الثعالبي .

و في عصور ملوك الطوائف بعد عهد اليونانيين تقدم العلم في خراسان و بوشر بتأليف الكتب و قد بلغ اهل العلم منزلة جد عالية في اوساط الناس، و في هذا العصر تم تأليف كتاب السندباد و عدد آخر من الكتب المفيدة .

هكذا كانت اهمية خراسان في الدورين الپيشدادى و الكياني، و هكذا كانت في الادوار التاريخية الاخرى ايام حكم الاسرة الهاخمنشية و الاشكانية محل عناية جميع الاسر و موضع اهتمامهم لما خصت به من مميزات، و لقد بلغ من اهتمام الساسانيين بها ان افردوا كسرى انوشيروان بقسم إدارى خاص

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٨

فكانت خراسان القسم الشرقى الاول من جميع اقاليمه الاربعة و ضم اليها كرمان و ناطها بحاكم مزود بامتيازات خاصة . و ليس من شك ان النظم العامة التي تناولت الزراعة و العمران و الصناعة في عهد الساسانيين و عهد انوشيروان خاصة قد فعلت فعلها في خراسان بالنظر لما تمتاز به هذه البلاد من المؤهلات الجغرافية و السكنية و الحاصلات المختلفة.

و في دور الاسلام كان لخراسان شأن كبير سواء في ايام الخلفاء الراشدين او الدولة الاموية او العباسية او في عهد الاسرة الطاهرية او الاسرة الصفارية او الاسرة السامانية او الغزنوية، او السلجوقية و الخوارزمية او العهود الاخرى مما جعل لخراسان و حضارتها مكانة مرموقة في التاريخ القديم و الحديث.

ابن سينا تصميم الاستاذ (ابو الحسن صديقى)

و لقد انصهرت كل تلك الحضارات المكتسبة في مختلف الادوار بفضل عدد من العوامل الفعالة فطبتعت خراسان و بلدانها، و سكانها بطابع خاص انفردت به، و امتازت بمعالمة بين الكثير من حضارات البلدان.

و قد اخرجت خراسان في العهود الاسلامية الوفا من أئمة الفقه و الحديث كالامام احمد بن حنبل و سفيان الثوري، و من أئمة الفلسفة

و الطب و الحكمة كابن سينا، و من الأئمة في مختلف العلوم و الفنون و الموسيقى كالفارابي، و من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٩

أئمة التفسير و العلوم الدينية و التبخر في التشريع كابي جعفر الطوسي و الزمخشري و من أئمة العلوم و الحكمة و الفلسفة كابي حامد الغزالي، و من أئمة النحو اللغة كالخفش الاوسط الذي فضل على استاذة سيويه، و من رجال الوزارة و الادارة و التدبير كالبرمكي، و النوبختي، و آل سهل، و كيعقوب بن داود، و من علماء الفلك و الرياضيات كعمر الخيام

الامام الغزالي الطوسي

و من رجالات القيادة و الامارة كابي مسلم الخراساني و طاهر بن الحسين و عبد الله بن طاهر، و من أئمة الشعر كالرودكي و الفردوسي، و كابي منصور محمد بن احمد الدقيقي البلخي، و من أئمة التاريخ و الرياضيات كالبيروني و آلاف غيرهم ممن اشار اليهم المؤرخون و قالوا انهم يفوقون الاحصاء، و لو اريد استخلاص اسمائهم من بين كتب التاريخ لاحتاج الامر الى عدد كبير من القواميس لاستيعابهم، بصفتهم مراجع عامة و ائمة ليس للاسلام وحده و انما لقسم كبير من الامم التي افادت من علومهم في السابق و لم تزل تتدارس الكثير من علومهم و آثارهم حتى اليوم.

و سنمر هنا على اهم العوامل التي جعلت لحضارة خراسان هذه القيمة في جميع ادوارها التاريخية القديمة على قدر الامكان.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٠

أهم معالم الحضارة الخراسانية

الخط و الكتابة

و اول معالم الحضارة هو الخط و الكتابة، و ليس لدينا من الادلة التاريخية ما يمكن الركون اليها عن تاريخ انتشار الكتابة في ايران عموما و خراسان خصوصا غير تلك القصص القديمة التي بقيت من العصور الموعلة في القدم و التي بدأ المستشرقون يحققون فيها و في قيمتها على ضوء بعض الاكتشافات الاثرية و ما عثروا عليه من مخطوطات منقوشة فوق الصخور، و منحوتة فوق جهات من حفريات الجبال، و من هذه القصص التي وصلتنا عن طريق (شاهنامه الفردوسي) هو ان الخط و الكتابة كانت من مبتكرات (طهمورث) بخراسان، فقد جاءت في الفصل السابع و العشرين من (مينوى خرد) و في المجلد الاول من (الشاهنامه) ضمن القصص التي تتحدث عن الملوك القدماء و الابطال قصة تقول:

ان الملك (طهمورث)- و هو الذي اتخذ نيسابور من خراسان موطن له- كان قد تغلب على (الغيلان) حتى سمي بأسر الغيلان، و كان قد أسر عددا منهم و حين هم بقتلهم عرض عليه هؤلاء (الغيلان) مقابل العفو ان يعلموه فن الخط و الكتابة فرضى بذلك و علموه ثلاثين نوعا من الكتابة!!

ثم وردت هذه الاسطورة بعد ذلك في صور كثيرة من القصص و الحكايات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣١

الخيالية عند القصاصين حتى جاء المؤرخون الذين يعنون بالتحقيق و قاموا بتحقيق اصل الكتابة الايرانية فتوصلوا الى ان تاريخ الخط و الكتابة في ايران و في خراسان كان قديما جدا، و ان (طهمورث) الملك كان يتمتع بمزايا كثيرة، و مواهب عظيمة قد يعود له الفضل حقا في معرفة الخط و الكتابة الفارسية لاول مرة، فقد جاء في (فارسانما) ابن البلخي قوله: «و من آثار طهمورث انه كان اول من وضع الخط الفارسي».

و يقول الطبري مثل هذا القول بعد ان يعدد لطهمورث ابتكارات كثيرة و يقول انه هو الذي علم ركوب الخيل، و أنسل البغال من

الخيال و الحمير، و اول من بادر بصيد النمر، و هو اول من كتب الخط الفارسي

اما ابن النديم فيقول: ان اول من كتب بالفارسية كان (بيوراسب بن و نداسب) اما اول من صنف طبقات الكتاب و عين منازلهم فهو (لهراسب) ، و كثر بعد ذلك عدد الذين تخصصوا في قراءة التاريخ و استقصاء آثار الخطوط المتبقية فتأيد ان الخط الفارسي قديم جدا و هو يرجع الى نحو خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، و حتى الاسطورة التي وردت عن (الغيلان) الاسراء الذين علموا طهمورث الخط قد فهمها المتأخرون من ارباب الاختصاص بغير ما كان فهمها الاخرون فقد اورد ركن الدين همايون فرخ ان (الميديين) من سكان (طبرستان) كانوا يسمون سراء القوم و الأكابر عندهم (بالديو) اي الغيلان فالتبس الامر على المؤرخين المتقدمين و ظنوا ان المقصود بالغيلان هم الوحوش الذين نسجتهم الأخيلاء و أسكنتهم الصحارى و البرارى.

و لا شك ان هؤلاء الاسراء الذين اسرهم طهمورث من الميديين في طبرستان كانوا يعرفون الخط و الكتابة، و حين استولى طهمورث على طبرستان و اسر الغيلان اي سراء القوم اشترى منهم انفسهم بتعليمه ما كانوا يعرفون من موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٢

فنون الخط و الكتابة لا الغيلان الذين يرد ذكرهم في الاساطير و الذين التبس مرهم على الرواة و المؤرخين.

و يبدو ان هؤلاء الذين اطلق عليهم اسم (الديو) كانوا من الناس المهيين الذين يخشاهم المجتمع حتى آل بهم الامر الى ان يعبدوهم و يتخذوهم آلهة، و يستدل على ذلك من النهى الوارد على لسان زردشت عن عبادة (الديو) و من قول الفردوسى فى الشاهنامه اذ يقول:

تو مر ديو را مردم بدشناس كسى كو ندارد ز يزدان سپاس

اي عليك ان تعد الديو (الغيلان) اناسا غير طيبين.

و ليس بالبعيد ايضا و قد وصل الينا الشىء الكثير من اخبار طهمورث و قابلياته من ان يكون هو الذى حسن هذا الخط الذى تعلمه ثم وسع انتشاره فانبعث الخط الفارسي - اول ما انبعث - من خراسان، ثم عم اصقاع ايران، و دخلت عليه بعد ذلك تطورات الى ان تم انقراضه بعد فتح الاسلام لايران.

و اذا لم يصح ان تكون خراسان اول من ابتدعت الخط الفارسي فليس من شك انها كانت قد افادت من الكتابة الشىء الكثير لملازمة عدد من الملوك للاستيطان بها، و تجييش الجيوش، و تسجيل الاوامر الملكية. و كتابة الوصايا و العهد بها الى من يليهم فى الحكم و ضبط الاموال و حصر الارزاق و غير ذلك مما يتوقف على الكتابة و البروز فيها و الاحاطة بفنونها.

و قد اورد ابن النديم فى الفهرست ذكرا للوصايا التى يتركها الملوك فقال عن فريدون انه لما قسم الارض بين ولده: سلم، و طوج، و ايراج، خص كل واحد منهم بثلاث المعمورة، و كتب كتابا بينهم .

و استعراض موجز لتاريخ خراسان القديم يكفى لاعطاء فكرة لا يتسرب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٣

اليها الشك بان حظ خراسان من الكتابة و الخطوط و تسجيل ما تطلبه الحياة كان كبيرا قبل تغلغل الزردشتية، و حين انتشرت الزردشتية عمت الكتابة و اصبحت جزء كبيرا من حياة الناس و حياة خراسان بصفة خاصة و ذلك بسبب هجرة زردشت الى خراسان و نشر تعاليمه فيها مما سنشير اليه.

الدين و العقيدة

و الدين عامل من اهم العوامل فى بناء الحضارة و تقويم المجتمع فى التاريخ القديم، و تكون اهمية كل دين بقدر ما يتضمن من الافكار و الانظمة الاجتماعية و التشريع الذى يحفظ للمجتمع كيانه، و على قدر ما يبنى الدين و يعمر من الافكار الصالحة و

المعتقدات النافعة، و ما يغذى به النفوس من روح التأمل فى الوجود، و الدعوة الى المحبة و الخير العام، و لم يخل دين صحت أسسه او بطلت من نزعته خير عملت عملها فى تاريخ الانسان القديم، و كان لها و لو بعض الاثر فى تلطيف مزاج الانسان و لفت نظره للوجهة التى تحقق له سعادة بنسبة ما يتضمن ذلك الدين من التعاليم الصالحة، و قد كانت لخراسان القديمة حصتها من هذه الاديان التى ساعدت على تفتح الذهنية، و فتح المجال للتأمل و التفكير فى الوجود الذى يحيط بالانسان، و فهم الاسباب و المسببات و الخوض فى فلسفتها، و نشر الثقافة العامة فى وسط الناس عن طريق الطقوس و الآداب و الفنون.

و من اقدم الاديان و اشهرها التى قامت فى خراسان و التى يرجع بدء تاريخها الى عهد طهمورث على ما هو تحت ايدينا من الاخبار و القصص القديمة هي: (الصابئية)، و على ان (المجوسية) هي دين القبائل التى كانت تسكن ايران قبل نزول الآريين لهذه البلاد التى تم طردهم لسكانها الاصليين و احتلال ديارهم بمرور الزمن على ما جاء فى الروايات فاننا لا نعرف شيئاً

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٤

كافيا عن هذه (المجوسية) فى تاريخ ايران العام فضلاً عن تاريخ خراسان.

يقول محمد بديع فى العدد ٤٧ من (الاخاء) العربية: «و قبل ظهور زردشت اى قبل ان تشكل دولة (ميديا) كان بين سكان ايران غير الآريين دين يعرف بدين (مغان) ... و يظهر ان المجوس كالعيلاميين من سكنة ايران القدماء، و انهم لم ينتموا لاحد العنصرين الآرى او السامى» ثم يقول: و بالرغم من ان الاكثية الساحقة من المفسرين يفسرون المجوسية بالزردشتية فان المسلم به هو ان كلمة المجوس هي تعريب لكلمة (مكوش) فى لغة الفرس القديمة.

و اذا صح ان المجوس غير الزردشتيين، و ان دينهم اقدم دين للقبائل المجهولة الاصل القديمة التى كانت تسكن ايران قبل الآريين فاننا لم نعرف اى اثر لهذا الدين القديم فى خراسان سواء كان ذلك قبل نزول الآريين بخراسان او بعد نزولهم.

الصابئية

و لعل الصابئية على هذا اول ديانة او اقدم ديانة فى خراسان فتحت لاول مرة للاذهان كوى على العالم السماوى و السفلى، و حملت النفوس على التفكير فى خلق الكون و التأمل فى الكواكب و اضوائها، و تحليل وجودها فى هذا الفضاء اللانهائى المسمى بالسماء فكان لهذا الدين اثره من هذا الجانب على الخراسانيين و توجيههم لاول مرة الى العالم العلوى اضافة الى العالم لسفلى.

و يقول المسعودى ان نبي هذا المذهب هو (أيو داسف) و انه هو الذى حدث مذاهب الصابئية، و روى عن (ابو داسف) انه قال: ان مغالى الشرف كامل، و البلاغ الشامل، و معدن الحياة فى هذا السقف المرفوع (يريد السماء)، و ان الكواكب هي المدبرات و الواردات، و الصادرات، و هي التى بمرورها فى افلاكها، و قطعها مسافات، و اتصالها بنقطة، و انفصالها عن نقطة، يتم ما يكون فى العالم من الاثار من امتداد الاعمار و قصرها،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٥

و تركيب البسائط، و انبساط المركبات، و تتميم الصور، و ظهور المياه و غيضاها، و فى النجوم السيارة فى افلاكها التدبير الاكبر. و اضاف المسعودى قائلاً: و يقال ان هذا الرجل اول من اظهر آراء الصابئية من الحرابيين - و الصحيح الحرابيين - و الكيمياريين، و هذا النوع من الصابئية مبانيون للحرابيين فى نحلتهم و ديارهم فى بلاد واسط و البصرة من ارض العراق و هناك من يقول ان الصابئية هم عامة المعروفين بالحرابيين.

اما ابن النديم فيسمى مذهب (ايو داسف) بمذهب (السمنة) و لا بد ان تكون (السمنية) غير الشمسية التى تطلق على الرهبان البوذيين فى خراسان و ما وراء النهر، فالشمن صفة تخص الروحانيين من البوذيين، و يروى عنهم و عن عقيدتهم غير ما روى المسعودى، اللهم الا ان يكون يوداسف غير بوداسف و هذا بعيد الاحتمال.

يقول ابن النديم: قرأت بخط رجل من اهل خراسان قد الف (اخبار خراسان في القديم و ما آنت اليه في الحديث) و كان هذا الجزء يشبه الدستور، قال: بنى السمنية (بو داسف) و على هذا المذهب كان اكثر اهل ماوراء النهر قبل الاسلام و في القديم، و معنى (السمنية) منسوب الى (سمنى) و هم أسخى اهل الارض و الاديان، و ذلك ان نبيهم (بو داسف) اعلمهم ان اعظم الامور التى لا تحل و لا- يسع الانسان ان يعتقدها و لا يفعلها هو قول (لا) فى الامور كلها، فهم على ذلك قولاً و فعلاً، و ان قول (لا) عندهم هو من فعل الشيطان، و مذهبهم هو دفع الشيطان .

و اذا لم تكن الصابئية اول دين عرف فى التاريخ لامتداد تاريخه الى ما قبل (الحنفية) دين ابراهيم فقد انبعثت الصابئية- اول ما انبعثت- من خراسان، و هذه ميزة اخرى لخراسان فى ان تكون مبعث الاديان القديمة، و لا يبعد ان موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٦

تكون الصابئية هى السبب فى اثاره التفكير فى فلسفة المرثيات من الكواكب و علاقتها بالارض و السكان و معنى ذلك انها هى التى فسحت فى المجال و لوقليلاً للانسان القديم لكى يتباعد عن معتقداته القديمة بالسحر و الشعوذة و الاشباح التى كان يؤمن بها و التى كانت تسيطر على عقول الشعوب القديمة نتيجة الذعر و الخوف الذى كان يبعثه الظلام و الوحشة، و ليس بالبعيد ان تكون خراسان قد افادت بعض الشئ فى تجربه تمرين العقل و الاستعداد للمناقشة بسبب المعتقدات الصائبة التى تعزو الكثير من الامور الى الافلاك و النجوم، و ليس بالبعيد أن يكون بروز عدد من العلماء الخراسانيين فى العصور الاسلامية بالرياضيات و حساب النجوم و علم الهيئة السماوية بمثابة امتداد لتلك العقائد القديمة بالفلك و النجوم.

البوذية

و البوذية لم تتولد فى خراسان و انما جاءت اليها من وسط الهند واجده فى خراسان و فى بيئتها و فى قابلية سكانها ما يساعدها على الانتشار، و قد تأثرت خراسان بتعاليم البوذية لحد بعيد، حتى لقد كادت شهرة (بلخ) كمدينة بوذية تفوق شهرة اية مدينة عرفت باعتناق البوذية، و على ان هناك من يرى ان ظهور البوذية يرجع الى نحو اكثر من الف سنة قبل الميلاد فان المرجح ان يكون ذلك فى اواخر القرن الثامن او اوائل القرن السابع قبل الميلاد، و قد اعتنقت (بلخ) و الجانِب الشمالى من خراسان البوذية و من هذه الجهات انتشرت البوذية و عم انتشارها بلدانا بعيدة.

و مذهب البوذية يقوم على اسس اربعة:

اولا- الاعتقاد بان الألم من لوازم الوجود

ثانيا- و ان الانسان قد يرجع الى هذه الدنيا مرة اخرى، و ان سبب رجوعه هو الالتيث بالشهوات فى حياة سابقة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٧

ثالثا- ان الخلاص من اثر الشهوات هو الوسيلة الوحيدة للنجاة من العودة ثانية الى حياة على الارض بعد مماته.

رابعا- و ان على الانسان: ان يبعد عن نفسه العقبات التى تحول بينه و بين الخلاص من شهواته.

و تعتقد (البوذية) ان الواجب يقضى على الانسان ان يخلص نفسه و يخلص غيره من أسر الشهوات، و ان يلتزم الطيبة، و الشفقة، و الحب، و التسامح، و لين المعركة و التقشف .

و يقول الاستاذ (بارتولد)- تاريخ الحضارة الاسلامية- ص ٦٣:

«لم يكن لاقليم من اقاليم الساسانيين القديمة تأثير فى رقى المسلمين ديناً، و اقتصاداً و علماً، كتأثير (بلخ) التى ظلت مرتبطة بالديانة البوذية حتى قدوم العرب، فمن بلخ نشأ البرامكة وزراء خلفاء بغداد» .

و من اشهر معابد البوذيين فى بلخ هو النوبهار، و هو اعظم بيت من بيوت الاصنام، فحين سمع ملوك ذلك الزمان- قبل الاسلام طبعاً-

بشرف و اهمية اصنامها و احترام العرب لها بنوا هذا البيت (اي النوبهار) مضاهاةً للكعبة و زينوه بالديباج، و الحرير، و الجواهر النفيسة، و نصبوا الاصنام حوله، و كان الفرس و الترك يعظمونه و يحجون اليه و يهدون له الهدايا- و كان الهند و الصين يأتون اليه فاذا و افوه سجدوا للصنم .

و قد ذكر البلاذري في (فتوح البلدان): ان احد ولاة معاوية خرب معبد (النوبهار) في بلخ .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٨

و من هذا يتضح ان الخراسانيين قد اخذوا من البوذية الشيء الكثير من مختلف التعاليم خصوصا الدعوة الى تهذيب النفس، و تحمّل العذاب، و الصبر على المكاره الذي اثبت التاريخ ان خراسان كانت متفوقة فيه.

الزردشتية

و يستبان من تتبع الحوادث، و استقصاء الاخبار ان خراسان قد اتصفت في تاريخها القديم بنوع من حرية الرأي و الثقافة التي تمكن ارباب الرأي ان يجهروا بأرائهم و لو بقدر محدود، و يلاقوا من الخراسانيين آذانا مصغية الى الحد المقبول و الا لما لقي اقوى الاديان اصولا- مجالا- للتبشير هناك بدعوته و الاقبال عليه، فها هي ذى الصابئية، ثم البوذية، و الزردشتية ثم الاسلام قد لقيت دعواتها في خراسان قابلية تهضم المعقول و تدين بفلسفة الواقع، و تماشى المنطق، و تكسب من كل ذلك ثقافة صهرها لها تضارب الافكار و الاراء حتى صارت العقلية الخراسانية مضرب المثل في التاريخ القديم و في التاريخ الاسلامي الذي اخرجت فيه خراسان المئات من اهل النبوغ و العبقرية في مختلف العلوم و الفنون التي ملأت بطون الكتب.

و الزردشتية- دين جديد دخل خراسان قبل ان يدخل اي اقليم آخر، و نبي هذا الدين عندهم هو (زرادشت) و هو من اولاد (بروشسب) من سلالة منوچهر أحد ملوك ايران القدماء بخراسان على ما يقول البعض، و يعين اليونانيون في تواريخهم ظهور (زرادشت) باذربايجان- قرب بحيرة رضائية- بما يقارب الف سنة قبل الميلاد، و لكن البرفسور الالمانى (گولدنر) يعتقد ان ظهور الزردشتية لم يتجاوز القرن السادس قبل الميلاد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٩

و هناك غير مؤرخى اليونان من يقول بأن زردشت قد ولد باردييل (آذربايجان) و ما كاد يجهر بدينه حتى نفاه الميديون فالتجأ الى خراسان، و لكن مثل هذا الرأي لم يزل مجال شك، و لا يزال مولده و منشأه الاول مجهولا و كل ما يعرف عن دينه انه ظهر في شرقى ايران- اي خراسان- و ان (كشتاسب) الايراني في (بلخ) و من سلالة الكيانيين آمن به. و من هناك انتشرت التعاليم الزردشتية حتى عمت كل ايران من الميديين و الفرس و تركستان، و الهند، و اسيا الصغرى.

و الطبرى ممن يرى ان دعوة زرادشت قد ظهرت- اول ما ظهرت- في آذربايجان ثم خرج زردشت منها متوجها نحو بشتاسب (كشتاسب) ببلخ و لكن المستشرقين و منهم كريستنس الدنمركى يرى ان اللغة و المدينة التي جاءت في اجزاء (جات) من كتاب (الافستا) و هو كتاب زرادشت تشير الى ان ما فيها من اناشيد انما تتعلق بالمناطق الشرقية لايران، و قد اشار (بارتولومه) اعتمادا على الملاحظات الجغرافية الى ان تعاليم (الافستا) قد ظهرت في شرق ايران على اكبر تقدير لذلك من الراجح ان تكون الزردشتية قد بعثت في خراسان و انتشرت من بلخ الى سائر الجهات .

و هذا دليل آخر على ما كانت عليه خراسان من حرية الفكر، و وجود القابليات و المدارك التي يستطيع المبشرون ان يعتمدوها لقبول المناقشة و تبادل الاراء، و لقد قيل انه كانت لزرادشت احد معابد الزرادشتية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٤٠

مناظرات مع الحكماء، و قد دعاهم الى نبذ عبادة الاوثان، و الاتجاه الى عبادة الله الاوحد، و قيل ان هذه المناظرات مع رجال الفكر و

مناقشه زردشت من لدنهم قد جرت بمحضر الملك (كشتاسب) ببلخ (خراسان) و حصلت فيها محاججات و مما حكات علمية و عقلية حتى آمن به الجميع .

و تعاليم زردشت، كانت خطوة جديدة في الفلسفة يومذاك و هي تبني ديانتها على ثلاثة أصول:

١- هومت- أي النية الحسنة (و هي ما عبّر عنها بالفارسية: بيندار نيك)

٢- هومت- أي القول الحسن (و هو ما عبّر عنه بالفارسية: بگفتار نيك)

٣- هاورشت- أي العمل الحسن (و هو ما عبّر عنه بالفارسية: بكردار نيك)

و هذه التعاليم تدعو الى عبادة الله و تسميه (أهورامزدا) و ان كتابها الديني هو (الافستا) و ان شرحه هو (الزند) و ترجع هذه الديانة العالم الى اصلين:-

اصل الخير- و هو (يزدان) و اصل الشر و هو (اهريمن).

و تذهب تعاليم زردشت الى ان هذين الاصلين او المبدئين في نزاع دائم، و ان اصل الخير هو النور، و قد خلق منه كل ما هو حسن، و خير، و نافع، و ان اصل الشر هو الظلمة و قد خلق منها كل ما هو شر في العالم، و ان الحرب بين هذين الروحين: الخير و الشر سجال، و لكن الفوز النهائي سيكون للخير، فالنور و الظلمة، اصلان متضادان هما مبدأ موجودات العالم، و قد حصلت التراكيب من امتزاجهما، و حدثت الصور من التراكيب المختلطة، و ان مبدعهما واحد لا- شريك له، و لا- ضد له، و لا- ند، و لا يجوز ان ينسب اليه وجود الظلمة، و هو (اهورامزدا).

ثم يدعو زردشت بعد ذلك في كتابه (الافستا) الى حب الخير، و وجوب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٤١

تجنب الشر، و توحيد الفكرة في العمل لحياء الارض، و التعمير، و الاعتقاد بما وراء الطبيعة من قيام الآخرة، و وجوب التغلب على الشر .

و قد اعتبر البعض ديانة الزردشتية ثنوية و لكن التحقيق اظهر بعد ذلك ان زردشت كان موحدًا و انه يرى ان العالم كله يخضع لاله واحد و الى هذا ذهب الشهرستاني في (الملل و النحل) و القلقشندی في (صبح الاعشى) و غيرهما .

و الانسان على ما تقول الزردشتية مختار في اتباع احدي هاتين القوتين:

(اسپنت مينو) اصل الخير، و (انكره مينو) اصل الشر، فاذا اخبار الخير استحق الجنة، و ان اختار الشر استحق الجحيم، و ان السعادة تأتي من اباة؟؟؟ الاحكام التي تقود الى الخير، و تقول الزردشتية ان يمثل هذا الفكر يتحسس المرء بحريته في الحياة و يتعد عن قبول الافكار الجبرية، و تعتقد الزردشتية ان السعادة و الشقاء هو ما تقدمه يد الانسان فالانسان يستطيع ان يسعد نفسه او يشقيها .

و يقول محمد بديع: و النار في شريعة الزردشتية عنصر طاهر و مطهر و لذلك فهي مقدسة.

و من أهم احكام الزردشتية بعد ذلك الدعوة الى الزواج و يسمى زردشت الزواج: (اقدس اعمال العفة) يسنا ٥٣-٥ من اجزاء الافستا. و يستنكر زردشت تعدد الزوجات، و يدعو الى مشاركة المرأة للرجل و مساواتها به في جميع الحقوق المدنية و الاجتماعية (و نديدا- ١١-٧) من اجزاء الافستا.

و الطلاق محرم في الزردشتية (يشتهها ١٠٤) من اجزاء الافستا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٤٢

و يقول الدكتور جيمس هنري برستاد: ان دين الزردشتية قد نشأ من نفس جهاد الحياة، و صار قوة عظيمة في الحياة، و كان من اشرف الاديان التي وجدت قبله و في زمانه .

و في تعاليم الزردشتية بعد ذلك اتجاهات ادبية و فنية، و صور للشعر و الموسيقى كان لها تأثير كبير في صقل الذهنية الخراسانية و

افكارها و توسيع دائرة الثقافة العامة و جعل العقلية الخراسانية عقلية خاصة زودت هذه المجموعة من السكان بمواهب انفردت بها بين الاقاليم الايرانية في كثير من العهود.

المانوية

و قد بشر بها (مانى) المولود ببابل و هى خليط من العقائد البابلية القديمة و البوذية، و الزردشتية، و المسيحية، و تتلخص هذه الديانة فى ان الانسان خلق من أصل ربانى، و ان نجاته من الأذى و الشرور تتوقف على فهمه لنفسه، و فهمه للعالم المحيط به، فبمقدوره التقرب الى الانسانية الكاملة و بلوغ قمتها اذا استطاع ان ينزه نفسه من العيوب و الشرور، و هو يقول بالتناسخ، و يرى ان الانسان متى بلغ تلك المنزلة من التفاوت و الانسانية الكاملة كان مصيره للجنة اذا مات، اما اذا انصاع لشهواته، و انقاد للشر فستحل روحه بعد موته فى اجسام آخر، و لم تزل تنتقل من جسم الى جسم حتى تطهر.

و ترى (المانوية): ان المعاصى و الشرور فى الانسان انما تنطلق من لسانه و عينه، و يده، و ان عليه- اذا أراد ان يكون صالحا- ان يحافظ على لسانه و عينه و يده، لئلا ينطلق منها الشر و الأذى.

و قد حرمت (المانوية) على اتباعها التبدل و الركض وراء الشهوات،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٤٣

و دعت الى نوع من العرفان و الزهد، و النزوع الى معرفة الحقيقة، و ترمى فلسفتها الى البحث عن حقيقة الانسان و كيف جاء الى الدنيا، و ما هى ماهيته، و الى اين ينتهى به المطاف، و هى تقسم الوجود الى ثلاثة ازمنة:

١- الزمان القائم- و به الخير و الشر منفكاً.

٢- و الزمان المتوسط- اى الحاضر- و قد اختلط فيه الخير بالشر

٣- و الزمان القادم- المستقبل- و هو آخر الأزمنة حيث يعود التضاد الى الانفصال مرة اخرى.

و مآل العالم فى رأى (مانى) الى الفناء و ذلك لوجود قوى الخير و الشر، و النور و الظلام، و تكون نهاية العالم بنشوب حرب عالمية، او بنزول كارثة تدهم العالم و تقوض اركانه.

هذه باختصار هى فلسفة المانوية و عقيدتها، و قد ضمتها عدة كتب مزينة بالصور، و اهم هذه الكتب ما عرف باسم (ارژنك) و كتاب

(شاپوركان) و هو الكتاب الوحيد الذى كتبه (مانى) باللغة البهلوية، و يعدد ابن النديم كل كتب (مانى) و يورد اسماءها فى الفهرست.

و ليس من شك ان خراسان قد عرفت (المانوية) عند ظهورها، فقد قام مانى حوالى الثلث الاول من القرن الثالث الميلادى بجولة فى

ايران و تركستان و الهند للتبشير بالمانوية، و قد ورد اسم خراسان ضمن الاقطار التى بشر فيها مانى بدينه، و قد نص الدكتور هادى

طبيبزاده على ذلك بقوله:

«و سافر مانى الى (مرو) و (خراسان) مبشراً بدينه» و هذا دليل آخر على ما كانت تمتاز به خراسان من حرية الرأى، و اتساع ميدان

المناقشات، و مدارك الثقافة المستندة الى العقل و المنطق العلمى بحيث جعلت من خراسان شبه محك لتماحك الاديان، و شبه ملجأ

للمبشرين بارائهم من مضطهديهم، و لا شك ان هذه التعاليم قد فعلت هى الاخرى فعلها فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٤٤

نفوس الخراسانيين، فهضمت العقول منها ما يمكن ان يهضم، و نبذت ما لا تستسيغه عقولهم على قدر حدود تلك العقول فى تلك

الأزمنة .

و ليس من البعيد ان تكون خراسان قد عرفت اديانا اخرى كالوثنية اليونانية في أيام فتح الاسكندر، و لكن هذه الوثنية لم نجد لها أثرا ملحوظا في تاريخ خراسان، و اذا كان هناك شيء من ذلك فلا نحسبه الا و قد انقرض بانقراض عهد اليونانيين الذين لم يتجاوز حكمهم لايران اكثر من ٨٠ عاما.

و على ان المزدكية قد انتشرت في القرن الخامس الميلادي في كثير من جهات ايران فاننا لم نلاحظ في هذا الاقليم ما يشير الى ان المزدكية قد وجدت فيه مرتعا او مجالا للانتشار، و اذا صح هذا فهو الاخر دليل على ان ميزان العقل الخراساني كان ميزانا له قواعده و أصوله المنطقية، فالمزدكية كانت نوعا من أنواع الشيوعية المتطرفة، و هي تعتقد ان اكثر الخصومات و المباغضات و القتال في العالم انما تحدث بسبب النساء و الأموال، و ان التخلص من هذه الشرور هو في اباحة النساء و الأموال، و جعل الناس شركة حرة فيها كشركتهم في الماء، و النار، و الكلا، و قد حكى ان مزدك قد أمر بقتل النفس ليخلصها من الشر و المظالم..!!
و أصول الدين عند مزدك ثلاثة: هي: الماء، و النار، و الارض، و معبوده قاعد على كرسية في العالم الاعلى، و بين يديه اربع قوى، هي التميز، و الفهم، و الحفظ، و السرور.

و بعد هذه الخلاصة عن المزدكية فليس بالغريب اذا لم نجد المانوية في خراسان قائمة قيام الأديان المتقدمة، و غير فاعلة شيئا في نفوسها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٤٥

صحيح ان الأديان المتقدمة قد فعلت فعلها العظيم في يقظة جميع الاقاليم الاخرى لا الخراسانية وحدها، و بنت لها حضارتها، و نشرت الثقافة العامة في ربوعها و لا سيما في (ميديا) و في (فارس) بل ان كثيرا من الآثار التي خلفتها الأديان و فلسفات المتجانسة و المتضادة المتضاربة، كانت بارزة كل البروز في اصقاع ايران الاخرى كبروزها في خراسان و اكثر، و لكن فعل هذه الفلسفات الدينية و اتجاهاتها قد اعطت خراسان صبغة معينة خاصة، و خلفت فيها أثرا اقتصر ألوانه عليها وحدها بسبب تفاعل تلك الأديان و ما كانت تحمل من تيارات فكرية، و اتجاهات مختلفة جعلت من خراسان عقلية لها فهم خاص لبعض نواحي الوجود، و إدراك خاص لبعض صور الحياة، فكان من نتائج هذا التفاعل. و انصهار الافكار الدينية ان زاد الخراسانيون في امعان النظر في خلق السموات و الارضيين، و البحث عن فلسفة الوجود بحثا فيه الشيء الكثير من العمق، و فهم الدين فهما يركز الكثير منه على العقل و المنطق، و معرفة الحياة و حياة الانسان و الانسانية بنحو خاص كثيرا ما ظهرت آثاره فيما خلفه الخراسانيون من افكار و آراء، و فلسفة، و كتب و مؤلفات في العصور الاسلامية نتيجة انعكاس مجموعة من الثقافات و الافكار.

الاسلام

و حين دخل الاسلام لم يعان من الخراسانيين ما اعتاد ان يعاناه في اي بلد دخله الاسلام لاول مرة من قلة ادراك، و قلة استعداد لفهم روح الاسلام، بل ألقى عند أهل خراسان استعدادا للمناقشة، و فهما للواقع، و معرفة كاملة بفلسفة الأديان و أهدافها، و اعتراضا بالقيم التي خلقت منهم اناسا لهم شأن غير شأن الكثير من الناس في الكثير من الاقطار، يمحسون الافكار و الآراء دون ان يدعوا للعواطف طريقا للتغلغل الى محصمهم و فحصهم.

يقول ياقوت الحموي في وصف الخراسانيين: و كان محمد بن علي بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٤٦

عبد الله بن العباس قال لدعاته حين أراد توجيههم الى الامصار: اما الكوفة و سوادها فهناك شيعه علي و ولده، و البصرة و سوادها فعثمانية تدين بالكف، و أما الجزيرة فحرورية مارقة و اعراب كاعلاج، و مسلمون اخلاقهم كاخلاق النصارى، و اما الشام فليس

يعرفون الآ آل ابى سفيان و طاعة بنى مروان، عداوة راسخة، و جهل متراكم، و اما مكة و المدينة فغلب عليها ابو بكر و عمر، و لكن عليكم بأهل خراسان، فان هناك العدد الكثير، و الجلد الظاهر، و هناك صدور سليمة، و قلوب فارغة لم تتقسمها الاهواء، و لم تتوزعها النحل، و لم يقدم عليها فساد .

فالمنطق و العقل و الخبرة و التجربة، كان فى نسبة جد كبيرة عند الخراسانيين و لذلك كان عدد النبغاء منهم فى مختلف العلوم و الفنون الاسلامية، و غير الاسلامية و حتى فى النحو و اللغة العربية و آدابها و فى الفقه و الحديث و التفسير كبيرا جدا مما سنشير إليه اشارة عابرة.

«قال عبد الله بن احمد بن حنبل: قلت لأبى: يا أبت ما الحفظ؟

قال يا بنى شباب كانوا عندنا من أهل خراسان و قد تفرقوا، قلت: و من هم يا ابت؟ قال: محمد بن اسماعيل ذاك البخارى، و عبيد الله بن عبد الكريم ذاك الرازى، و عبد الله بن عبد الرحمن ذاك السمرقندى، و الحسن بن شجاع ذاك البلخى» و ما عدا (الرازى) فان الحفظ كلهم خراسانيون عند الذين يخرجون الرى من اقليم خراسان، و قد كان الحسن بن شجاع البلخى اجمعهم للابواب على ما روى احمد بن حنبل،

و قد لطف الأديان من الخراسانيين أمزجتهم، و هدبت منهم نفوسهم، و صقلت أفكارهم، و وسدت دائرة عقولهم، و وضعتهم فى المكان اللائق بهم، و طبعتهم لحد كبير على حب الحرية، و التمسك باذيالها تمسكا استلفت انظار الكثير من المؤرخين و مؤرخى الاسلام و العرب خاصة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٤٧

يقول زكريا بن محمد عن أهل خراسان:

«خراسان من احسن أرض الله و اعمرها، و اكثرها خيرا، و أهلها احسن الناس صورة، و اكملهم عقلا، و اقومهم طبعاً .
و قد وجد الاسلام فى خراسان بناء على ما مرّ أرضا خصبة، و نفوسا جاهزة لتلقى تعاليمه بالقبول، و عقولا تهضم المنطق و المناقشة، فكانت النتيجة أن سجل التاريخ الاسلامى للخراسانيين صفحات مشرقة، فقد تمشت التعاليم الاسلامية و أهدافها و فلسفتها مع ما جبل عليه الخراسانيون من امعان النظر فى الكون، و التأمل فى الحياة و أسرارها، و كان للقرآن اثره فى نفوسهم من قوله:
«أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَ زَيَّنَّاهَا، وَ مَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ، وَ الْأَرْضَ مِمَّا دَرَأْنَاهَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَ ذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» .
و فى قوله:

«وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، وَ اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ» .

واجهه مقبرة الغزالي بطوس فى اثناء تعميرها و لعل للمنطق العلمى و العقل الذى دعا اليه الاسلام و الادب الذى حث الاسلام على التحلى به ووجهها آخر من وجوه الجاذبية فى اقبال الخراسانيين على الاسلام و ايمانهم ايمانا خالصا فى قوله تعالى:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٤٨

«ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» .

و لربما كان للحرية الفكرية و الدينية التى عرف بها الاسلام فى دعوته شأن آخر فى انجذاب الخراسانيين الذين كانوا يعطون الحرية المقام الاسمى من نفوسهم كما يدل عليه تاريخهم القديم و ما كان للتعاليم من اثر عليهم، نقول لربما كان لهذه الحرية التى جلبوا عليها من عهد طهمورث، اثرها البليغ فى انجذابهم الى الاسلام فاقبلوا عليه بلهفة و شوق منجذبين بقوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» .

و في قوله:

«لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ».

و قوله تعالى:

«قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ».

و قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ».

و قوله تعالى:

«مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَهْتَدُونَ».

أجل لقد كانت الاديان القديمة على ما كان يعثور أسسها من علل و كان الدين الاسلامي الواسع في أهدافه الاجتماعية و مغازية عاملا من أهم عوامل الحضارة، و قد افادت منه خراسان في تنمية مواهبها الروحية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٤٩

و وضعت كل امكانياتها و بما في قلوبها من رغبة خالصة تحت تصرف الاسلام، و اخلصت في المحبة و الطاعة لمن توسمت فيه الايمان بالاسلام و مبادئه من الامراء و القواد و العمال،

كان الفضل بن عياض من أهل مرو و من مواليد القرن الثاني و قيل بل كان من أهل سمرقند و كان من قطاع الطرق و من المعروفين بالشرور و القساوة و قد سمع احدا يقرأ الآية الكريمة: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ» و ما كاد يعرف معناها حتى انجذب و تاب الى الله و اصبح من الصالحين .

و قد جاء عن أهل خراسان انهم لم يحبوا اميرا قط حبهم لسلم بن زياد لما ظهر عليه اول الأمر من الصلاح فسمى في تلك السنين التي كان بها سلم اميرا على خراسان اكثر من عشرين الف مولود باسم (سلم) لفرط حبهم له ، و لقد بلغ من حب الخراسانيين لسلم أن أخذ سلم منهم البيعة على الرضا، حين وصل الى خراسان خبير موت يزيد بن معاوية، و معاوية بن يزيد الى أن يستقيم أمر الناس على خليفة و قد مكثوا شهرين ينتظرون حتى رأوا من سلم ما لا يتفق و تعاليم الاسلام فاعرضوا عنه و نكثوا البيعة و لم يعد لسلم ذلك المقام، فكان ان أحبوه يوم توسموا فيه مثال المسلم الذي يدعو اليه الاسلام، و كرهوه يوم رأوه نقيض ذلك، و بهذه الروح استقبلوا اشرس بن عبد الله السلمي عامل هشام بن عبد الملك على خراسان حتى لقد كبر الناس فرحا به لما بدت عليه من مظاهر التقوى ثم لقبوه (بجغر) و انكروه حين ساءت فعالة،

و يروى لنا التاريخ الشيء الكثير عن قصة الاسلام و مقام المسلمين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٥٠

الأتقياء عند الخراسانيين، عمالا كانوا او قوادا او عربا مواطنين، فقد فهم الخراسانيون الاسلام فهما صحيحا و توقعوا في تعاليمه تغييرا جوهريا في النفوس و الحياة العامة.

يقول ياقوت الحموي عن أهل خراسان: «ثم اتى الاسلام فكانوا فيه أحسن الامم رغبة، و أشدهم اليه مسارعة، منا من الله عليهم، و تفضلا لهم، فاسلموا طوعا، و دخلوا فيه سلما، و صالحوا عن بلادهم صلحا».

و لقد تبوأ غير واحد من الخراسانيين مقام الزعامة الروحية و الامامة في الفقه الاسلامي و التشريع.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما مات العبادلة: عبد الله بن عباس، و عبد الله بن الزبير، و عبد الله بن عمرو بن العاص، صار الفقه في جميع البلدان الى الموالى، فصار فقيه أهل مكة: عطاء بن أبي رباح، و فقيه أهل اليمن طاووس، و فقيه أهل اليمامة: يحيى بن أبي كثير، و فقيه أهل البصرة: الحسن البصرى، و فقيه أهل الكوفة: النخعي، و فقيه أهل الشام: مكحول، و فقيه أهل خراسان: عطاء

الخراساني و قد أطرى عطاء كبار ائمة المسلمين امثال: احمد بن حنبل، و يعقوب بن شيبة، و روى عنه مالك بن انس و غيره. و كثير غير عطاء الخراساني الذين تبوأوا مقام الامامة العامة في الفقه و الحديث من أهل خراسان ليس في خراسان وحدها و انما في العالم الاسلامي، اجمع كالامام احمد بن حنبل، و الجويني امام الحرمين، و محمد بن اسماعيل البخاري، و الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المعروف بشيخ الطائفة، فازدهرت في خراسان حضارة روحية اجتماعية بسبب تفاعل جميع الأديان و بسبب تعاليم الدين الاسلامي خاصة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٥١

الجند و الحرب

و الجيوش و الحروب عامل آخر من عوامل الحضارة الخراسانية، فقد فرض موقع خراسان الاستراتيجي، و فرضت ثروة خراسان الطبيعية و غناها أن تكون مطمح انظار الترك في الشمال الذين طالما أعدوا عدتهم لغزوها و الاستيلاء على ثروتها كما جعلها مطمح انظار ملوك ايران انفسهم و سبب خصوماتهم للاحتفاظ بها كجزء من اهم اجزاء إيران لاستغلالها في شد ازر دولتهم و دعم سلطنتهم سواء الميديين او الفرس او الخراسانيين انفسهم، او الشعوب الآرية الاخرى، و قد ساعد مثل هذا التنازع و بذل المجهود للاحتفاظ بها على قيام حرب متواصلة إذا خمدت نارها في جهة شبت من جديد في جهات أخرى مما استدعى ان تكون الجيوش الخراسانية على اهبة الاستعداد في جميع الاوقات، و ان يكون للشجاعة و الفروسيه و البطولة شأن كبير عند الخراسانيين، فكان الخراسانيون يعلمون اولادهم فنون الحرب و خوض غمارها منذ الصغر، ثم ان التزام كثير من ملوك ايران القدماء بالاقامة في خراسان و على حدودها الشمالية خاصة على رأس جيش مستعد متيقظ و بناء العشرات من القلاع و الصروح قد جعل الجيش الخراساني معتزا بنفسه، مفتخرا بقوته، فلا يدخل الميدان الا و هو واثق من قدرته على الظفر و كسب الحرب، معتقد بأنه قوة لن تغلب و قد كان السلاح لا يكاد يفارق الخراساني في روحاته و غدواته،

و قد جاء على لسان ياقوت عن اهل (سجستان) و هي احدي معاقل الجيش المعروفة بخراسان قوله في وصف أهلها:

«إن في رجالهم عظم خلق و جلادة، و هم يمشون في أسواقهم و بأيديهم سيوف مشهورة».

و بقيت لخراسان هذه المزية طوال العهود القديمة، يقول المسعودي عن نظام اردشير انه جعل (الاصهبذيين) - و الاصهبذ هو المعروف اليوم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٥٢

(بالسهبذ) و معناه القائد الكبير - أربعة: الأول بخراسان، و الثاني بالمغرب، و الثالث ببلاد الجنوب و الرابع ببلاد الشام .

و لقد بلغت الجيوش الخراسانية من القوة لخوضها الوانا من الحروب ان غرت بالكثير من الملوك بأن يتجاوزوا الحدود في طموحهم و الاندفاع لسيط نفوذهم على اكبر منطقة من الدنيا كما فعل (كيكاووس) الذي ساق جيشه من (بلخ) لغزو اليمن!!

و سأل الحجاج ابن القرية عن بعض المدن فقال عن خراسان: «ماؤها جامد، و عدوها جاهد و بأسهم شديد، و شرهم عنيد» .

و الاعتزاز بالقوة عند الخراسانيين قديم جدا و يرجع الى ابعد مدى في التاريخ بل ان الايرانيين جميعا كانوا يفخرون بابطالهم و يروون مختلف القصص الغريبة عن شجاعتهم في كتبهم و اسمارهم و قد حظى (رستم) الذي ظهر في أيام (كيقباد) و حظى ابوه (زال) الذي كان في أيام منوچهر بالشىء الكثير من الاساطير و القصص التي تتحدث عن تلك البطولة، و قد وجدت لرستم صور منقوشة على الصخور تحكى جانبا من بعض قصص بطولته و شجاعته، و رستم هذا خراساني من (زابلستان) و لم يزل اسمه لليوم رمزا للقوة و الشجاعة و البطولة في تاريخ ايران الأسطوري القديم.

و كان وجود الخيل في خراسان باعتبارها اول بقعة عرفت بتربية الخيول و التي انتقلت منها الخيول الى سائر جهات العالم . عاملا من

عوامل تشجيع الفروسية، والحرب، وقد قيل ان الملك (افراسياب) كان اول من ابتدع استعمال الحبال التي يلقيونها من فوق ظهور الخيل على الاعداء و يلقونهم بها نظير الشباك التي يستعملها فرسان (المكسيك) كما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٥٣

قيل: ان (افراسياب) كان اول من ابتدع السهام و النبال .

و كان الملوك خاصة يعنون بتنشئة اولادهم تنشئة عسكرية و يعلمونهم منذ الصغر الفروسية و استعمال الاسلحة ليخلقوا منهم ابطلا يقودون الصفوف و يدخلون ميادين الحروب و هم اكفاء .

و يروى العرب فى تاريخهم الشىء الكثير عن بطولته الجيش الخراسانى و شجاعته و اهميته فى ميادين الحرب، و قد أفاد الاسلام و الدول الاسلاميه من الجيش الخراسانى ما امتلأت بذكره صفحات كبيرة من تاريخ العرب و الاسلام، حتى لقد جاء ذكر الجيش الخراسانى بما يشبه التقديس و اصفى عليه الشىء الكثير من التجلة الروحية.

و لضمان التغلب على الخوارج الذين ضايقوا الدولة بحربهم و شجاعتهم اعتمد ابو العباس السفاح الخراسانيين فى حربهم و أرسل خازم بن خزيمه الى (عمان) لمحاربتهم فكان جيش خازم مؤلفا من الخراسانيين و من أهل (مرو الروذ) خاصة، و انضم اليهم فى البصرة بعض بنى تميم، و قد قتل خازم فى هذه الحرب من الخوارج نحو عشرة الاف محارب و عاد منتصرا، فقد روى عن شريك بن عبد الله انه قال:

«خراسان كنانة الله إذا غضب على قوم رماهم بهم» .

و فى رواية أخرى:

«ما خرجت من خراسان رايه فى جاهليته و اسلام فردت حتى تبلغ منتهاها»

و عن شكيمه الجيش الخراسانى و قوته، و شدة بأسه قال ابن قتيبة:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٥٤

«أهل خراسان أهل الدعوة، و انصار الدولة، و لم يزالوا فى اكثر ملك العجم لقاحا لا يؤدون الى احد أتاؤه، و لا خراجا» .

و قد وصفهم ياقوت الحموى على لسان محمد بن على بن عبد الله بن العباس قائلا:

«... و هم جند لهم ابدان، و اجسام، و مناكب، و كواهل، و هامات، و لحي، و شوارب، و أصوات هائلة، و لغات فخمة تخرج من اجواف منكرة».

و فى قول قحطبه لاهل خراسان شىء مما يتصف به جيوش خراسان فى قوة البأس و الشجاعة و البطولة التي عرفها لهم التاريخ منذ اقدم العهود، فقد قال قحطبه لاهل خراسان:

قال لى محمد بن على بن عبد الله: أبى الله ان تكون شيعتنا إلا أهل خراسان لا ننصر إلا بهم، و لا ينصرون إلا بنا، انه يخرج من خراسان سبعون الف سيف مشهور، قلوبهم كزبر الحديد، اسماؤهم الكنى، و انسابهم القرى، يطيلون شعورهم كالغيلان، جعابهم تضرب كعابهم، يطوون ملك بنى امية طيا، و يزفون الملك لنا زفا.

و على اننا نفهم من قول قحطبه لاهل خراسان انه يريد تحفيزهم، و اثاره النخوة فيهم بهذا القول، و لكن قحطبه لم يتجاوز الحق فى وصف اهل خراسان و جيشهم، فقد كانت الجيوش الخراسانية فى جميع العهود من القوة بحيث اخضعت كثيرا من البلدان داخل ايران و خارجها، و فى القصص

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٥٥

القديمة سرد لكيفية سير رستم بجيش من سجستان الى اليمن و هى بمثل تلك المسافة من البعد عن خراسان لتخليص كيكاووس الملك من اسر (ذى الأذعار) ملك اليمن الى غير ذلك من القصص المروية عن الجيش الخراسانى و شجاعته و نظامه داخل اقليم

خراسان و داخل بلاد ايران و خارج الحدود الايرانية منذ اقدم العصور، لذلك كثيرا ما استعملت الدول الاسلامية الجيوش الخراسانية و اعدتها في حرب الصائفة، و هي الغزوة التي يقوم بها المسلمون في الصيف.

يقول ابن الاثير في حوادث سنة ١٩١: و فيها استعمل الرشيد على (الصائفة) هرثمة بن اعين في حرب الروم قبل ان يوليه خراسان و ضم اليه ثلاثين الفا من اهل خراسان.

و حين تولى فرخ الخادم بأمر الرشيد مهمة طرسوس سير الرشيد اليها جندا من اهل خراسان ثلاثة آلاف .

قال خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك بن مروان- و كان عبد الملك يتوجس الخيفة من سجستان- أما اذا كان الفتق من سجستان فليس عليك منه بأس، انما كنا نتخوف لو كان من خراسان .

قال ابو الفضل احمد بن ابى طاهر طيفور الاديب الشاعر المؤرخ:

«و حدثت ان المأمون و ابا اسحق المعتصم و آخر من القواد- ذهب عنى اسمه- اختلفوا في ذكر الشجعاء من القواد و الجند و الموالي، فقال المأمون:

ما في الدنيا احد اشجع من عجم اهل خراسان، و لا اشد شوكة، و لا اثقل وطأة على عدو» .

و من لوازم الاهتمام بالجيش في العصور القديمة هي رعاية الخيل و السروج و الركاب، و الاعتية، و استعمال انواع الاسلحة من السيوف، و الرماح،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٥٦

و الدروع، و التروس، و القسي، و النبال، و المبالغة في عمل هذه الاسلحة، و صياغتها، و التفنن في زينتها و هذا مما يستلزم اكتشاف الحديد و النحاس، و الذهب و الفضة، و فى (الافستا) اسماء كثير من الاسلحة القديمة، و الكثير منها مصنوع من الذهب، و اذا ما تحققنا من ذلك تحقق لدينا ان كثيرا من المعادن كانت معروفة عند الخراسانيين منذ القدم، و ان لوازم الحرب، و التفنن في عملها و زينتها قد اوجدت فى الخراسانيين ملكة أفادت منها الحضارة فى شؤون مدنية متعددة، و ان الدفاع عن المواقع الاستراتيجية يستلزم المبالغة فى هندسة القلاع، و ان مراعاة شؤون الدفاع مما يجعل للهندسة و التفنن فى البناء و الابتكار شأن فى نواحى اخرى من العمران و بناء القصور و المعابد، و تشييد البيوت، و مراعاة مواقع المدن و هندستها.

و الحضارة المستخلصة من نشأة الجيوش الخراسانية بعد ذلك هى النظام و الطاعة، و حب التفانى فى سبيل البلاد، و قد روى التاريخ حكايات كثيرة عن احتفاف الخراسانيين بملوكهم و تقديسهم لهم باعتبارهم رموزا لعزة البلاد، و عناوين لمجد السكان و المواطنين، فكان لهذه الطاعة و الانقياد للملوك و تقديسهم اياهم الاثر الكبير فى توحيد الكلمة للدفاع عن بلادهم، و غرس محبة الوطن فى نفوسهم و استرخاص كل نفيس فى سبيل اسعاد بلادهم و المحافظة عليه.

ذكر على بن محمد بتسلسله عن الشعبى قال بعث على (الامام امير المؤمنين) (ع) بعد ما رجع من صفين جعدة بن هبيرة المخزومي الى خراسان فانتهى الى (ابرشهر) و قد كفروا و امتنعوا، فقدم على على فبعث خليل بن قره اليربوعى فحاصر اهل (نيسابور) حتى صالحوه، و صالحه اهل (مرو) و اصاب جاريتين من ابناء الملوك نزلتا بأمان فبعث بهما الى على (ع) فعرض عليهما الاسلام و ان يزوجهما، قالتا زوجنا ابنيك فأبى، فقال له بعض الدهاقين :

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٥٧

ادفعهما الى فانه كرامة تكرمنى بها، فدفعهما اليه فكانتا عنده، يفرش لهما الديباج، و يطعمهما فى آنية الذهب، ثم رجعتا الى خراسان و لا شك ان فعل الدهقان هذا كان من قبيل الواجب الذى تفرضه عليه النشأة لاحترام ملكه و اسرته، و ان الاسلام لا يمنعه من ذلك، و هو مما نشأت عليه خراسان، بخلقت به.

و قد جاء فى الاساطير ان (زال) و هو البطل الايرانى الشهير و والد (رستم) الذى شغل من قصص البطولة فى تاريخ ايران القديمة و

اساطيرها، صفحات مطولة انه حين تعلق بحب ابنة أمير كابل لم يستطع ان يتزوجها الا بعد ان أمن رضا الملك، و بعد ان توسط له ابوه، و هذا الأب هو الآخر من كبار الامراء بسجستان لا لشيء الا لأن الطاعة للملك فرض واجب حتى في الشؤون الخاصة و في الزواج عند ابطال كزال و امثاله من القواد و الامراء، فكان لهذه الطاعة، و الشجاعة التي عرفت بها الجيوش الخراسانية، و ما كان يدخل على خراسان من انظمة جديدة و اساليب في حياتهم من جراء الفتوحات التي يقوم بها الجيش الخراساني في ايران نفسها و خارج حدود ايران و ما يدخل في حياة خراسان من تجديد بسبب الغنائم قد خلقت لاهل خراسان نهجا حضاريا خاصا يعود له الفضل في حب البلاد و التفاني في محبتها و الاعتزاز بالنفس الذي تجلت به خراسان في مختلف الأدوار التاريخية و صار لونا من الوانها اشارت اليه اساطير القرون القديمة في حكايات و قصص طويلة و ايده الآثار التي عثر عليها، و لم يقتصر ذكره على التاريخ الايراني و انما اعطاه التاريخ اليوناني و التاريخ العربي الاسلامي اهمية جد كبيرة و حظى منه بعناية فائقة قلما حظى بها قطر من الاقطار الاسلامية العريقة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٥٨

العلم و الأدب

و من ابرز معالم الحضارة في الشعوب هو العلم و الادب و الفن، و قد دلت التبعات و البحوث التاريخية أن حظ خراسان من العلم و الفن و الأدب كان كبيرا و ممتازا، و على ان اغلب الكتب و المخطوطات التي تتضمن تاريخ خراسان القديم قد ضاعت و اصابها البلى فقد بقي منها حتى العصور الاسلامية الاولى ما يكفي للدلالة على ما كان للعلم و الادب و الفن من منزلة في هذه البلاد، فقد احتفظت (مرو) بالكثير من الكتب القديمة و صارت فيها مكتبة من مخلفات الملوك الساسانيين و اصبحت مرجعا يرجع اليها المتبعون و الباحثون في تاريخ ايران و تاريخ خراسان بصورة خاصة للوقوف على سير تلك العلوم و الآداب و الفنون و طبيعتها. يحدثنا طيفور فيقول:

«قال يحيى بن الحسن: اني بالرقة بين يدي محمد بن طاهر بن الحسين على بركة إذ دعوت بسلام له فكلمته بالفارسية، فدخل العتابي - و كان حاضرا في كلامنا - فتكلم معي بالفارسية، فقلت له: أبا عمرو، مالك و هذه الرطانة؟ قال: فقال لي: قدمت بلدكم هذه - يريد بها خراسان - ثلاث قدمات، و كتبت كتب العجم التي في الخزانة بمرو - و كانت الكتب قد سقطت الي ما هناك مع يزدجرد فهي قائمة الي الساعة - فقال كتبت منها حاجتي ثم قدمت (نيسابور) و جزتها بعشر فراسخ الي قرية يقال لها (ذودر) فذكرت كتابا لم أقض حاجتي منه فرجعت الي (مرو) فاقمت اشهرًا، قال: قلت: أبا عمرو لم كتبت كتب العجم؟ فقال لي: و هل المعاني الا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٥٩

في كتب العجم؟ و البلاغة لنا، و المعاني لهم، ثم كان يذاكرني و يحدثني بالفارسية كثيرا». و فضلا عن هذه الكتب التي بقيت محفوظة في خراسان و التي كانت تحوى شيئا من العلوم الفارسية في خراسان، فقد ظلت بيئة خراسان و طابعها الأدبي حتى سنين عدة من العصور الاسلامية تنم عن منزلة العلم و الادب الخراساني.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٦٠

يقول ياقوت الحموي عن الخراسانيين: «فاما العلم فهم فرسانه و ساداته و اعيانه». و قد اورد الحموي اسماء المكتبات و خزائن الكتب التي تحتوى على عشرات الآلاف من المجلدات مما رآها بنفسه و افاد منها في خراسان و التي سنشير اليها عند استعراضنا لاشهر مدن خراسان التاريخية في الجزء الثاني من قسم خراسان.

يقول احمد امين «ان كثيرا من الشعراء و الادباء من العرب كانوا ينزلون فارس او العراق، و يخالطون اهله، و يرون مدينته فيكون لها الاثر في شاعريتهم، و كان ينزل خراسان نهار بن توسعة، و ثابت قطنه، و ابن مفرع الحميري، و المغيرة بن جبناء و غيرهم، و لا يخفى

ما للبيئة من تأثير في النفس و الخيال» .

و كانت هذه البيئة العلمية و الادبية الخراسانية التي عرفناها في العصر الاسلامي الاول امتدادا لبيئة علمية أدبية قديمة لم يستطع التاريخ ان يحدّد زمنها لقدمها، و قد مرّ كيف ان مناقشة علمية جرت بمحضر (كشتاسب) ملك خراسان حول مذهب زردشت، و كيف نوقش زردشت في هذا المحفل مما يدل على ان عقلية خراسان كانت عقلية علمية.

و من اقدم ما لدينا اليوم من الكتب التي توضح مقام العلم و الفلسفة و الأدب الفارسي القديم هو (الافستا) الذي انتهت الدراسة فيه الي ان هناك كان شعرا منظوما، و كانت اناشيد، و كانت اغاني، فقد قام في القرن التاسع عشر عدد من العلماء مثل (وستر كارد) و (وستفال) و (هرمن تريل)، و كان (اورل ماير) و (كولدر) قد اكتشفا قواعد النظم في الشعر الوارد في (الافستا) فوجدا ان عددا من اقسام (الافستا) تصور

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٦١

جانبا كبيرا من العلم و الفلسفة، كما تصور جانبا من الشعر المنظوم في الاناشيد و الاوراد من قسم (يسنا) .
و لما كانت (الافستا) قد انتشرت اول ما انتشرت في خراسان فان من المحقق انها جاءت مسبوكة سبكا يتناسب و عقلية المحيط و ادراكه و طبيعة ادبه و فهمه الشعر و النشيد و الغناء.

و المعروف ان الملوك الخراسانيين كانوا يؤدّبون اولادهم و ينشؤونهم تنشئة علمية ادبية اخلاقية الي جانب تعليمهم اساليب الحرب ليعدهم اعدادا لائقا لتولي الحكم. و قد اورد ابن الأثير عن نشأة (سياوخش) بن كيكاووس من الاسرة الكيانية القديمة. ان الملك كيكاووس الذي كان يسكن (بلخ) قد ضمّ ابنه (سياوخش) الي (رستم) و كان رستم هذا اصهبند (سجستان) و ما يليها، اي القائد الاعلى لكي يريه، فاحسن رستم تربيته، و علمه العلوم و الفروسية و الآداب، و ما يحتاج الملوك اليه، فلما كمل ما اراد، حملة الي ابيه، فلما رآه سرّ به صورة و معنى .

و كان هذا البروز بالعلم و الادب و الفن في خراسان نتيجة لانصهار عدة حضارات في بوتقة الشعب الايراني خصوصا حين توحدت البلاد الايرانية في عصر كورش، و كان من جراء ذلك ان توسعت رقعة ايران بسبب اشتباك الهاخمنشيين بالحرب مع امم متحضرة كبيرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٦٢

كالبابليين، و المصريين، و اليونانيين، و قد قبست خراسان في عهد الهاخمنشيين خاصة شيئا كثيرا من هذه الحضارات، كما اصبحت من المراكز الايرانية التي التقت فيها الثقافة اليونانية و الهندية لا سيما في الايام التي كان يحكم ايران امراء الاغريق بعد فتح الاسكندر كامارة (باكتريان) .

اما في عصر الاشكانيين الذي تلا عهد الاغريق فقد تأثر الفن الايراني و حضارته بالفن الصيني فكانت خراسان هي الباب لتسرّب هذه الحضارة و الفن من الصين و الهند الي ايران لمجاورتها للصين و الهند.

و لهذه الاسباب و العوامل ساد خراسان جو علمي و ادبي فني وجدت فيه الافكار العلمية الكثير مما تبتغى من الحرية التي ينشدها المفكرون لابداء الرأي و المناقشة و البعد عن التأثيرات العاطفية دون حذر و وجل و قد صارت هذه الحرية عاملا آخر لرواج العلم و الادب و ظلت خراسان متميزة بهذه الاجواء العلمية و الادبية و الحرية الفكرية حتى العصور الاسلامية.

الرودكي تصميم الاستاذ حسين بهزاد يقول البرفسور. أ. نكلسون عن يحيى بن خالد البرمكي و هو خراساني من (بلخ).

«ان يحيى امتاز بحكمته و نبل تفكيره، و اناقة لغته، و مع انه كان يتهج على سجيته الفارسية الصادقة بالمناقشات الفلسفية التي من اجلها اعتاد العلماء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٦٣

المتسمون بحرية التفكير، و الملحدون البارزون ان يلتقوا في غالب الاحيان في بيته فقد كان حذرا في مراعاته الخارجية للتقى .
و يرى المتتبع للتاريخ ان صفة العلم ظلت ملازمة لخراسان طوال العصور و ان الاعزاز الذي كان يلقاه اهل العلم من الناس و من خلفاء المسلمين و ملوكهم كان بمثابة التأييد لالتصاق هذه الصفة العلم بالخراسانيين و ما عرف به اهل خراسان من المكانة العلمية و الاقبال على العلم و الادب كطبيعة اختصت بها خراسان منذ اقدم العصور.
ذكر بعض المؤلفين: «ان هرون الرشيد قدم (الرقعة) فاحتفل الناس خلف عبد الله بن المبارك و تقطعت النعال، و ارتفعت الغبرة، فاشرفت ام ولد الرشيد من قصر الخشب، فلما رأت الناس قالت: من هذا؟ قالوا:
عالم من خراسان يقال له عبد الله بن المبارك، فقالت: هذا و الله الملك، لا هرون الرشيد الذي لا يجمع الناس الا بشرط و اعوان» .
يقول الدكتور زكي محمد حسن في استعراضه لصناعة السجاد في ايران:
«و لا عجب في ان تكون خراسان مركزا عظيما من مراكز صناعة السجاد فقد كان هذا الاقليم في طليعة الاقاليم الايرانية في الأدب و السياسة و الفن» .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٦٤

الغناء و الموسيقى

و فن الغناء و الموسيقى هو الآخر قديم في خراسان قدم العلم و الادب، و لكن ليس لدينا ما يمكن الوقوف على طبيعته غير تلك القصص و الاساطير التي يصعب الركون اليها و التي يأتي حديث الغناء و الرقص عرضا فيها، و من استعراضنا لهذه القصص نرى ان خراسان ربما سبقت اقاليم ايران الاخرى في معرفتها للموسيقى و الغناء بسبب ظهور الزردشية فيها قبل غيرها، و لان خراسان كانت معروفة بجيشها المحارب القديم و ابطالها، و ان الحروب و الديانة الزردشية ذات اتصال كبير بالغناء و الموسيقى.
و قد كتب المؤرخ الاغريقي الشهير (هيرودوس) يقول: «ان الموسيقى كانت تصاحب الاحتفالات الدينية في بلاد فارس، و ترافق المحاربين عند ذهابهم الى ساحات القتال» كما هي الحال اليوم في (المارشات) العسكرية
و في هذه القصص التي خلفها لنا التاريخ ذكر لسبق خراسان للاقاليم الاخرى من ايران في ابتداء آلات الطرب. فقد روى عن (افراسياب) الملك انه كان يحب اللهو و الرقص و الغناء، و انه هو الذي ابتدع الآلة الموسيقية (الهارب) المعروفة باسم (الحنك) عند الايرانيين، و قيل انه هو الذي ابتدع (هرباب) و لكن بعض المؤرخين يعتقدون ان (الحنك) لم يبلغ من القدم ما تشير اليه تلك الحكايات و انه من مبتدعات (باربذ) في العصر الساساني.
و ان اول كتاب يمكن الركون اليه في دراسة الغناء و الموسيقى الخراسانية هو كتاب (الافستا) لزردهشت الذي كشف علماء الاستشراق في القرن التاسع عشر هذا الجانب من الفن فيه فألفوا ان كثيرا من عبادته، و ادعيته مفروغ في قوالب شعرية و اناشيد غنائية، و كانت هذه الاناشيد تشتمل على ابيات ذوات اوزان مختلفة تعتبر من اقدم المنظوم و الاغاني، فكلمة (گاه)
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٦٥
كما يقول الاستاذ محمد بديع المستعمله اليوم بمعنى النشيد و النظم و التي نراها تشغل محلا خاصا في المقامات الموسيقية نحو سيگاه (سه گاه) و چهار گاه، و ما شاكلها مأخوذة من لفظ (گاس) الپهلوية المشتقة من لفظه (گاتا) او (گاته) من لغة الفرس على ما يقول.
و من المحقق ان هذه الاغاني و اناشيد التي وردت في (الافستا) قد رتلت- اول ما رتلت- في خراسان، و غنى بها الخراسانيون في معابدهم و بيوتهم قبل غيرهم، و مع ذلك فان الغناء و الموسيقى في خراسان كان كما هو في جميع انحاء ايران لم تسجل قواعده و لم تضبط اصوله، و لم يبلغ ذروة الكمال الا في عهد الساسانيين و لا سيما في عهد كسرى ابرويز (خسرو پرويز) الذي كان بلاطه مجمعا لاقطاب الموسيقيين و المغنين في ذلك العصر.

اما علاقة خراسان بهذه النهضة الموسيقية فهي ان احد المتدعين الكبار و واضعي اصول الموسيقى و فنون الغناء و مقاماته، و هو (باربد) كان خراسانيا و من مدينة (مرو) و لو لم يكن لفن الغناء و الموسيقى شأن كبير في اوساط خراسان و قيمة مشهودة لما اتيح لمثل (باربد) ان ينبغ و يبلغ القمة و يصبح من ابرز أئمة هذا الفن في العصور القديمة، و لقد ساقه طموحه للسفر الى (طيسفون) عاصمة الساسانيين و ادخلته شهرته بلاط كسرى ابرويز كمغن، ثم ما لبث أن بزغ نجمه، و بلغ اقصى حدود الشهرة، و دلت على ان البيئة التي انحدر منها و هي خراسان كانت بيئة ذات اتصال وثيق بالغناء و الموسيقى، و في العهود الاسلامية زاد يقين التاريخ بعراقة هذا الفن فيما اخرجت خراسان من نوابع الموسيقيين كالفيلسوف ابي نصر الفارابي من ابناء القرن الثالث الهجري و كشاعر ايران الكبير و الموسيقار الخالد ابي عبد الله جعفر بن محمد الرودكي من ابناء القرن الرابع، و كالرئيس ابن سينا من ابناء القرن الرابع و غيرهم الكثير الذين كان نبوغهم في الموسيقى امتدادا لنبوغ خراسان القديمة في هذا الفن، مثلما كان العلم و كان الأدب.

ج ١- خراسان (٥)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٦٦

و باربد المروزي الخراساني هو صاحب المقامات المعروفة، و ان الالحن التي تركها (باربد) تكاد لا تحصى، و اشهرها الالحن (الثلاثينية) المعادلة لايام الشهر، و قد قيل انه نظم و لحن ٣٦٥ لحن على عدد ايام السنة، و لقد صارت لباربد منزلة كبيرة عند الملك خسرو بسبب نبوغه حتى لقد جبن المقربون ذات مرة ان ينقلوا للملك خيرا محزنا فتولى باربد نقله اليه عن طريق لحن ابتكره و غناه .
اما الالحن الثلاثينية التي سجلها التاريخ لباربد فهي كما يلي:

- ١- گنج باد آور (في وصف باخرة رومية اصطحبها القائد الايراني شهر براز الى سواحل مصر). ٢- گنج گاو. ٣- گنج سوخته. ٤- شادروان مرواريد. ٥- تخت طاقيسي. ٦- ناقوسي. ٧- اورنگي.
- ٨- حقه كاوس. ٩- مآه بر كوهان. ١٠- مشك دانه.
- ١١- آرايش خورشيد. ١٢- نيمروز. ١٣- سبز در سبز. ١٤- قفل رومي. ١٥- سروستان مآه. ١٦- سيروسهي. ١٧- نوشين باده. ١٨- رامش جان. ١٩- ناز نوروز، (او ساز نوروز). ٢٠- مشكويه. ٢١- مهرگاني. ٢٢- مرواي نيك. ٢٣- شبديز (و هو لحن في نعي فرس ادهم لكسرى ابرويز). ٢٤- شب فرح. ٢٥- شب فرح روز. ٢٦- غنچه كبك دري. ٢٧- نخجيرگان. ٢٨- كين سياوش. ٢٩- كين ايرج.
- ٣٠- باغ شيرين .

و هناك انغام اخرى ينسب اكثرها لباربد على ما يروي الاستاذ محمد بديع مثل: باليزيان، و سزبهار، و باغ سياوش، و راه گل، و شادباد، و تخت اردشير، و دل انگيز، و چكاوك، و خسرواني، و نوروز بزرگ، و كوچك و خارا، و جامه دان، و يزدان آفريده (و هو غناء ديني في وصف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٦٧

الطبيعة و اسرار الخليقة)، و پرتو فرخار، و لاسكويه.

و من بين هذه الاسماء نجد اسم: چكاوك، و خسرواني، و نوروز و نوروز بزرگ، و نوروز كوچك، و نوروز خارا، و جامه دران، و زيرافكن لا تزال اسماؤها حتى اليوم باقية في قواعد الموسيقى الايرانية و مما لا ريب فيه أنه قد جرت تطورات كثيرة على هذه الالحن مع تطور العصور و توالي الايام .

و المقام المعروف بمقام (نیشابور) نسبة الى مدينة (نیشابور) بخراسان دليل آخر على قدم عهد خراسان بالموسيقى و الغناء.

و يذكر ابن خرداد أن الايرانيين هم الذين اخترعوا العود، و الكنارة، و ان الخراسانيين هم اول من استعملوا عودا فيه سبعة اوتار و سموه بالزنج (الصنج). و من الجائز ان تكون هنالك آلات موسيقية أخرى تسربت من خراسان الى سائر الجهات و ان اصلها

خراساني و مخترعها خراسانيون، و المعروف ان اول عمل عمله الوليد بن يزيد بن عبد الملك هو انه كتب لعامله نصر بن سيار في خراسان يطلب منه أن يتخذ له براط و طناير، و لو لا شهرة خراسان بهذه الآلات لما كتب لنصر في خراسان بذلك.

يقول حماد التركي: كنت واقفا على رأس المنصور فسمع جلبة في الدار فقال ما هذا يا حماد انظر؟ فذهبت فاذا خادم له قد جلس بين الجوارى و هو يضرب لهن (بالطنبور) و هن يضحكن، فجئت فأخبرته فقال: و اى شىء الطنبور؟ فقلت خشبة من حالها و امرها، و وصفتها له، فقال لى:

أصبت صفته فما يدريك انت ما الطنبور؟ قلت: رأيت به خراسان، قال نعم هناك .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٦٨

أفانين الصناعة

و فى العصور الاسلامية الاولى كانت افانين الصناعة الخراسانية فى الصياغة و النسج و النحت و الرسم و العمارة و سائر الفنون الاخرى موطن الاعجاب فى مختلف الاقطار الاسلامية و لا ريب ان هذه البراعة التى استلقت الانظار و اثار الاعجاب كانت احدى ثمار فنون قديمة هى خلاصة انصهار حضارات راقية فى ايران عامة و فى خراسان خاصة.

يقول الدكتور زكى محمد حسن: «و انا اذا استثنينا الفن الاغريقى القديم لا- نكاد نعرف اى فن آخر قدّر له ان يمتد امتداد الفن الايرانى، بل اننا نستطيع ان نقول فى ثقء و اطمئنان: انه ليس هناك فن عظيم لم يأخذ عن الفن الإيرانى شيئا من زخارفه أو أساليبه، فان الفن المصرى القديم و الفنون الإغريقية، و الرومانية، و البيزنطية و الصينية، و الهندية، كلها مدينة للفن الإيرانى ببعض اشكال التحف، و اساليب العمارة، و الزخرفة، او اسرار الصناعات الفنية الدقيقة» .

و لقد ساعد وجود بعض الأحجار الثمينة فى خراسان على ان تكون للخراسانيين شهرة فى صياغة التحف، و الابداع فى صياغة الحلى قديما و حديثا ذلك لان نيسابور و خوارزم هما من اشهر مواطن الفيروزج فى العالم، و الفيروزج النيسابوى هو اجود انواع الفيروزج فى جميع موطنه، كذلك وجود بعض الاحجار الشفافة التى تشبه البلور البنفسجى فى بعض جبال خراسان هو الآخر قد ساعد منذ القديم على عناية خراسان بصناعة التحف، و المنقول ان كثيرا من الاوانى و الادوات المصنوعة من البلور الملون الذى احدى مواطن معادنه فى العالم مدينة (طوس) قد قدّمت الى اسكندر على سبيل الهدية، فأمر بكسرها قائلا: اننى لا استطيع الاحتفاظ بهذه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٦٩

النفائس لأنها لا تخلو من ان يكسرها الخدم فى اثناء العناية بها فيخافون منى و يحزنون، و يبلغنى ذلك فأغضب عليهم، لذلك أفضل ان اتجنب إثارة الخوف فى نفوس خدمى و اثاره الغضب عليهم فى نفسى .

و يظهر ان هنالك احجارا منوعة اخرى فى خراسان هى اشبه بالدرّ و البلور الطبيعى الملون، و من كل هذا كانت خراسان تصنع انواع الحلى من الاقراط، و القلائد، و الاساو، و لا- تزال حتى الآن تصنع من تلك الاحجار و من حجر آخر رمادى اللون، و اسود، انواعا كثيرة من الحلى و ادوات الزينة.

و فى كنز كاتدرائية (سان ماركو) بمدينة البندقية (سلطانية) من الزجاج الازرق الفيروزجى محفورة فيها كلمة (خراسان)، و قوام زخرفتها رسوم ارناب محفورة، و هى و ان ارجع الخبراء تاريخها الى ما بعد القرن الثالث عشر الهجرى و لكنها قد تعتبر ذات اتصال بالفن الخراسانى القديم.

و ان جميع ما عثر عليه من التحف المعدنية الايرانية بين القرنين الثالث و السادس الهجرى قد عثر عليه فى خراسان، و همدان، و الرى، و سمرقند على ما يقول الدكتور زكى محمد حسن.

كذلك فان وجود انواع من المرمر و الصخور الخاصة قد ساعد الخراسانيين على ان يتفننوا فى تقطيعه و نحته و حفره و عمل الباريق

والاوانى و الظروف الصخرية منه فضلا عن استعمال تلك الصخور و الأحجار فى بناء العمارات و تزيينها و هندستها، و ان معرفة خراسان للذهب و الفضة و النحاس من قديم الزمان كما اشرنا اليه قبلا هو الآخر كان عاملا من عوامل ازدهار الحضارة من حيث الفن، فقد دلت الصناعة الخراسانية فى عهد السامانيين و السلجوقيين على وجود علاقة فنية بالماضى القديم، يؤكدها الدكتور زكى محمد حسن فى قوله:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٧٠

«ان خراسان كانت فى عصر الدولة السامانية فى القرن الثالث مركزا عظيما لانتاج التحف و الاوانى؟؟؟ من البرنز و تزيينها بالزخارف الايرانية القديمة».

و يضيف قائلا: «و نحن نعرف فى بعض المتاحف و المجموعات الاثرية الخاصة عددا كبيرا من التحف المعدنية لا تزال عليها زخارف من الطرز التى سبقت العصر الاسلامى». فالذهب و الاحجار؟؟؟ الكريمة، و الفيروز، و وجود مختلف الادوية فى خراسان قد ساعدت كثيرا فى نمو الصناعة و التفن فيها.

اما النسيج فقد كانت صناعة المتفوقة معروفة فى خراسان منذ العهود القديمة و تعتبر جودتها فى العصور الاسلامية و ازدهارها نتيجة تطور هذه الصناعة فى التاريخ البعيد، و لقد كان لملوك ايران و الملوك الذين سكنوا خراسان البسة خاصة و تخوت للعروش خاصة، كثيرا ما جاء وصفها و وصف ازياؤها فى كتب القصص القديمة و لا ريب انها كانت تنسج و توشى فى خراسان و تصنع التخوت و تزخرف بالذهب فى خراسان ايضا، و قد جاء فى كتاب (الفنون الايرانية): ان الاقاليم الشرقية فى ايران (المقصود بها خراسان) كانت اكثر الدولة ازدهارا فى عصر بنى تيمور، و زاد ما كان لخراسان من شأن عظيم فى صناعة النسيج، و اصبحت سمرقند، و هراة، فى عصر تيمور و خلفائه مركزا عظيما لنسج الأقمشة النفيسة التى كان الامراء و كبار رجال الدولة يلبسونها و يتخذون منها افخر الستائر و الفرش و الوسائد، و كل هذا يدل على ان الصناعة و فنونها لم تكن حديثة و جديدة فى خراسان، و حتى السجاد الخراسانى الذى لم يعرف الا فى العصور الاخيرة ربما كان بعض صناعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٧١

وليدة طرائق قديمة فى النسيج، و ان هذه المنسوجات المعروفة (بالبرك) و المنسوجة من وبر الابل، و المنتشرة اليوم هى احدى الصناعات الخراسانية القديمة التى لا يستطيع الباحثون تعيين عهدها الاول، و كل ما طرأ عليها فهو التطور الذى تناول طريقة نسجها. *** كل هذه العوامل من كتابه و خط، و ديانات، و علم، و أدب، و فن و صناعة، و حروب، و موقع استراتيجى قد اكسبت خراسان على مرور الزمن لونا بهيجا من حضارة متنوعة الجوانب فى صورها و لوانها، و حين دخل الاسلام الى خراسان، و انصبت تعاليمه فيها تحولت هذه الحضارة العميقة الى حضارة اسلامية حكمتها المئات من اعلام التاريخ الخراسانيين و صورتها المئات من الكتب التى خلفها الخراسانيون فى مختلف الفروع، و المئات من الآثار الفنية الخالدة، و كما امتازت خراسان بحضارتها فى العصور ما قبل الاسلام فقد امتازت بهذه الحضارة فى العصور الاسلامية، و اضىف عليها الاسلام لونا من الثقافة التى جعلت خراسان من اغلى و اثمن الحضائر الاسلامية فى جميع العهود.

و قلما حظى قطر من اقطار المسلمين بالثناء عليه ايمانا و تقوى، و شجاعة و بلوى، و ادبا و علما و حكمة، و سائر الصفات التى تحلى الانسان كأنسان كما حظيت خراسان، و قد قال ياقوت الحموى- و كان قد استوطن خراسان زمنا و عاشر اهلها، و خبر طبيعة بلدانها- قال:

«و قد طعن قوم فى اهل خراسان و زعموا انهم بخلاء، و هو بهت لهم، و من اين لغيرهم مثل البرامكة، و القحطبة، و الطاهرية، و السامانية، و على بن هشام و غيرهم ممن لا نظير لهم فى جميع الامم» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٧٢

انتهاء الحكم الساساني في إيران

حين اكتسحت الجيوش الاسلامية معظم البلاد الايرانية اتجه (يزدجرد) بن شهريار آخر ملوك ايران من السلالة الساسانية الى كرمان و من هناك حشد الجيوش و اتجه الى خراسان و معه رهائن من الزعماء و اولاد الدهاقين يريد ان يجمع في خراسان الجموع و يعود بها لمقاتلة المسلمين و اخراجهم من ايران، و كانت الدعوة الاسلامية قد سبقت الفتح الاسلامي للبلاد الايرانية و سبقت توغل جيوش المسلمين لايران و الا لما اضطر الملك يزدجرد ان يصحب الرهائن معه من اولاد الدهاقين و الرؤساء حذرا من انقلابهم عليه، و قد سار بمن معه الى (مرو) و لكن (مرو) لم تجب دعوته فالتجأ الى خاقان ملك الترك على ما ذكر ياقوت و لكن الطبري و ابن الاثير يقولان انه دخل (مرو)، و التجأ الى خاقان ملك الترك فيما وراء النهر، و عبر معه ملك الترك يدعمه و يسنده في محاربة المسلمين، و لما طالت الحرب بين الترك و المسلمين انسحب جيش الترك و عاد الى (بلخ).

اما يزدجرد فقد جمع خزائنه التي كانت بمرو و كانت كبيرة عظيمة على ما يصف ابن الاثير- و اراد ان يلحق بخاقان قال له اهل فارس: اى شىء تريد ان تصنع، قال اريد اللحاق بخاقان، فاكون معه او بالصين، قالوا له: هذا رأى سوء، ارجع بنا الى هؤلاء القوم- يعنون المسلمين- فنصالحهم فانهم اوفياء، و هم اهل دين، و ان عدواً يلينا في بلادنا احب الينا مملكة من عدو يلينا في بلاده و لا دين لهم و لا ندرى ما وفاؤهم، فابى عليهم فقالوا:

دع خزائننا نردها الى بلادنا و من يلينا، لا تخرجها من بلادنا فأبى فاعتزلوه و قاتلوه فهزموه و اخذوا الخزائن و استولى عليها و انهزم منهم و عبر النهر و لحق بخاقان .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٧٣

و يقول الطبري: و من بلاد الترك كان يزدجرد يكاتب اهل خراسان، و فى زمن عثمان (رض) كفر اهل خراسان فعاد يزدجرد من بلاد الترك الى (مرو)، و قد اختلف هناك هو و من معه و اهل خراسان فكان ان آوى الى طاحونة فقتلوه فيها .

و يعود الطبري فيقول فى مكان آخر: ان يزدجرد حين هرب من كرمان كانت معه جماعة يسيرة و جاء الى (مرو) فسأل مرزبانها مالا، فمنعه، فخافوا على انفسهم فارسلوا الى الترك يستنصرونهم عليه فأتى الترك فيبتوه و قتلوا اصحابه و هرب يزدجرد حتى اتى منزل رجل ينقر الارحاء على شط (المرغاب) فأوى اليه ليلا، فلما نام قتله، ثم يروى رواية اخرى ينفى فيها استعانة اهل مرو بالاتراك و يقول ان اهل (مرو) هم الذين قتلوا اصحابه و خرج هر منهم هاربا و معه منطقتة و سيفه و تاجه حتى انتهى الى منزل نقار على شط المرغاب، فلما غفل يزدجرد قتله النقار و اخذ متاعه و القى بجسده فى شط المرغاب .

و قد انتهى بقتل يزدجرد آخر الملوك الذين حكموا ايران قبل الاسلام.

خراسان فى عهد الخلفاء الراشدين

و اختلف الرواة فى تاريخ غزو المسلمين لخراسان فذهب بعضهم الى ان ذلك كان فى السنة الثامنة عشرة من الهجرة و فى زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فهو الذى انفذ الاحنف بن قيس فدخلها هذا و تملك مدنها و بدأ بالطيسين، ثم هراة، و مرو الشاهجان، و نيسابور، و قال بعضهم بل ان ذلك كان فى زمن الخليفة عثمان بن عفان (رض).

و يستبان من تتبع الاخبار ان خراسان بمجملها قد تلقت الدعوة الاسلامية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٧٤

بالقبول و الايمان، و ان كثيرا من مدنها قد دخل فى الاسلام طوعا او تلقى غزو المسلمين بالصلح، و قد تحدث الكثير من المؤرخين عن اسلام خراسان و نوهوا به و اعتبروه مثالا طيبا حتى لقد كانت نظرة اهل (مرو) الى النبي محمد (ص) نظرة تجلته و احترام قبل ان

يسلموا، و يستبان ذلك من تبادل الرسائل التي جرت بين مرزبان و الاحنف الذي اقبل على محاربة (مرو) و حصارها، يقول المرزبان في رسالته:

(... انه دعاني الى مصالحتك و موادعتك ما كان من اسلام جدى، و ما كان رأى من صاحبكم - يعنى النبى محمدا (ص) - من الكرامة و المنزلة فمرحبا بكم و أبشروا و انا ادعوكم الى الصلح بيننا و بينكم .. الخ) .

و يقول ياقوت و قد مرّ ذلك من قبل: «.. ثم اتى الاسلام فكانوا فيه - يعنى الخراسانيين - أحسن الامم رغبةً، و اشد هم اليه مسارعةً، منّا من الله عليهم، و فضلا لهم، فاسلموا طوعا، و دخلوا فيه سلما، و صالحوا عن بلادهم صلحا .. الخ» .

*** و فى سنة ٣٢ الهجرية و فى خلافة عثمان (ض) تم فتح (مرو الروذ) و (طالقان) و (الجوزجان) و (طخارستان) من اعمال خراسان.

و فى سنة ٣٧ الهجرية بعث الامام على (ع) بعد ما رجع من صفين جعده بن هبيرة المخزومى عاملا من لدنه على خراسان، فانتهى الى (ابرشهر) فامتنعوا عليه فبعث بخليد بن قره اليربوعى فحاصر اهل (نيسابور) فصالحوه و صالحه اهل (مرو)، و قيل بل ان المبعوث كان خليد بن طريف.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٧٥

[خراسان فى عهد بنى أمية]

إشارة

و الى هنا كان لا يزال شمال خراسان و ماوراء النهر من بلاد الترك لم يدخل الاسلام بعد، و كان على البصرة و الكوفة و المشرق و سجستان و فارس و السند، و الهند، زياد بن ابيه عاملا من قبل معاوية بن ابى سفيان و اليه يعود تعيين العمال فى تلك الجهات.

[عمال بنى أمية فى الخراسان]

الحكم بن عمرو الغفارى

و كان اول عامل عينه زياد فى خراسان على عهد بنى أمية هو الحكم بن عمرو الغفارى و كان ذلك سنة ٤٧ هـ فغزا الحكم جبال الغور و فراوندة و قهرهم بالسيف عنوةً و فتحها و اصاب فيها مغانم كبيرة. و كان اول من شرب من نهر جيحون مولى للحكم اغترف الماء بترسه و شرب ثم ناول الحكم الماء فشرب الحكم و توضع به و صلى بالناس، و قفل من غزوته هذه و مات بمرور و دفن بها، و كان من خيار الناس عدلا و تقى.

غالب الليثى - و خليد الحنفى

فوجه زياد غالب بن فضالة الليثى عاملا من قبله على خراسان سنة ٤٨ هـ على ماروى البعض، و يرى البعض الآخر ان الحكم بن عمرو الغفارى قد استخلف على عمله بعد موته انس بن ابى اياس و كتب بذلك الى زياد، و لكن زيادا عزل أنسا و ولى مكانه خليد بن عبد الله الحنفى شهرا واحدا ثم عزله.

ربيع الحارثي - عبد الله بن الربيع

و ولي زياد بعد عزله خليل بن الحنفى: الربيع بن زياد الحارثي و ذلك فى اوائل سنة ٥١ هـ ففتح الربيع (بلخ) صلحا، و فتح قهستان عنوة، و قتل الاتراك، و مات الربيع بن زياد الحارثي فى سنة ٥٣ هـ بعد اماره دامت سنتين موسوعه العتبات المقدسه، ج ١١، ص: ٧٦
و اشهر و استخلف ابنه عبد الله بن الربيع فولى شهرين ثم مات هو الآخر بعد ان استخلف خليل بن عبد الله الحنفى.

عبيد الله بن زياد

و فى سنة ٥٣ هـ مات زياد فى الكوفة بعد ان اتسعت منطقة اماراته و ضمت اليه اماره الحجاز، فقدم ابنه عبيد الله بن زياد و هو شاب فى نحو الخامسة و العشرين الشام و كان ذلك فى آخر سنة ٥٣ هـ و هو يطمع ان يولىه معاوية احدى الامارات، فقال له معاوية: لو كان ابوك قد استعملك لاستعملتك انا، فقال له عبيد الله: انشدك الله ان يقولها الى احد بعدك: لو و لآك ابوك و عمك لوليتك!! و يبدو ان معاوية قد افحمه قول عبيد الله و اعجبه فعهد اليه بامارة خراسان. موسوعه العتبات المقدسه؛ ج ١١؛ ص ٧٦
عبيد الله هذا هو الذى تولى بعد ذلك اماره البصرة و الكوفة و حارب الامام ابا عبد الله الحسين (ع) و قتله فى عرصه كربلاء و حز رؤوس اصحابه و سبى عيالاته و بعث بالرؤوس و السبايا الى يزيد بن معاوية فى الشام.
و قدم عبيد الله خراسان و قطع النهر الى جبال بخارى على الابل فكان اول من قطع جبال بخارى فى جند، و فتح بخارى، و أقام بخراسان سنتين.

أسلم بن زرعة

و عهد بالامارة الى اسلم بن زرعة الكلابي فاقام بخراسان اميرا سنتين

سعيد بن عثمان

و فى سنة ٥٧ هـ عهد بالامارة الى سعيد بن عثمان بن عفان و قد قطع سعيد نهر جيحون الى سمرقند، و قاتل اهل (الصغد) و صالحوه.
موسوعه العتبات المقدسه، ج ١١، ص: ٧٧

عبد الرحمن بن زياد

و فى سنة ٥٩ هـ ولى معاوية بن ابي سفيان عبد الرحمن بن زياد بن ابيه خراسان، و حين قدم خراسان اخذ اسلم بن زرعة امير خراسان الاسبغ و حبسه و اغرمه ٣٠٠ الف درهم، و قد اقام سنتين اقاله بعد ذلك يزيد بن معاوية الذى ولى الخلافة بعد ابيه سنة ٦١ هـ، و كان عبد الرحمن قد استخلف على خراسان قيس بن الهيثم بعد خروجه من خراسان.

سلم بن زياد

و في سنة ٦١ هـ ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد بن ابيه سجستان و خراسان معا، و كان على سجستان اخوه عبّاد بن زياد بن ابيه، فاقاله سلم و عين محله أخاه الآخر يزيد بن زياد على سجستان، و تجهز سلم بن زياد بعدة الاف من جيش البصرة و كان اخوه عبيد الله بن زياد يومذاك واليا على البصرة و خرج سلم بالجيش نحو خراسان، و قبض على قيس بن الهيثم الذي كان قد استخلفه اخوه عبد الرحمن بن زياد حين خرج من خراسان و زجه في السجن.

عبد الله بن خازم

و لما مات يزيد بن معاوية و لحق به معاوية بن يزيد خرج سلم بن زياد من خراسان فاشلا و قد ولى بكل ناحية من خراسان اميرا و ناطها بقبيلة من القبائل العربية فادى ذلك الى التنافس للاستيلاء على اماره خراسان و اقتتلت الجيوش العربية و وقعت الحرب بين مضر وائل و دامت سجلا حتى سنة ٦٥ هـ. و قد اورد المؤرخون ان عدد القتلى من بكر بن وائل بلغ ثمانية آلاف في المعركة التي خاضها عبد الله بن خازم في سبيل الاستيثار بالحكم حتى خضعت له معظم القبائل و اصبح اميرا على خراسان بعد قتال مرير بين بكر بن وائل و مضر و انصارهما، و ظل ابن خازم اميرا على خراسان نحو عشر سنوات.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٧٨

و في سنة ٦٥ كان الحجاز و العراق قد بايع عبد الله بن الزبير خليفة فايد عبد الله بن الزبير اماره عبد الله بن خازم على خراسان و كان الجوّ قد صفا لابن خازم بعد عدد من الحروب بين تميم و ربيعة و صار لعبد الله بن خازم شأن كبير في خراسان بعد عدد من الغزوات و الفتوحات بحيث ادى الى ان يكتب له عبد الملك ابن مروان في سنة ٧٢ هـ يمينه بامارة خراسان لمدة عشر سنوات بكل خراجها و محصولها بغية استمالته اليه و نقضه لبيعة عبد الله بن الزبير فسخر ابن خازم بعبد الملك.

و تقول بعض الروايات ان ذلك كان في سنة ٧٣ هـ، و حين قتل عبد الله ابن الزبير بعث عبد الملك بن مروان برأسه الى عبد الله بن خازم بخراسان، على سبيل الشماتة فوضعه ابن خازم في طست و غسله، و حنطه، و كفنه، و صلى عليه، و ارسله الى آل الزبير بالمدينة لدفنه، و قال بعضهم ان الرأس كان لمصعب بين الزبير و ليس لعبد الله، و كان ابن خازم من اشهر شجعان العرب و اهيهم.

بكير بن وشاح

و للتتكيل بعبد الله بن خازم ارسل عبد الملك بن مروان الى بكير بن وشاح و كان بكير خليفة ابن خازم على مرو يمينه بما منى به عبد الله بن خازم و يعده بان يوليه خراسان عشر سنوات بكل خراجها ان هو نار؟؟؟ في وجه ابن خازم و تغلب عليه، فصعد بكير بن وشاح بالامر و قبل ابن خازم و مثل به تمثيلا فظيحا و ارسل برأسه الى عبد الملك و تولى هو اماره خراسان.

أمية بن عبد الله بن أسيد

و في سنة ٧٤ هـ، عزل عبد الملك بن مروان (بكير بن وشاح) من اماره خراسان لما وقع بينه و بين القبائل العربية من مشاحنات و ولى أمية بن عبد الله ابن خالد بن اسيد، و قد كثرت الفتن و الحروب بين اتباع أمية و اتباع بكير ابن وشاح من القبائل حتى قتل أمية (بكير

بن وشاح)، و قد غزا أمية في
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٧٩
سنة ٧٧ هـ، بلخ و عبر النهر.

المهلب بن أبي صفرة

و في سنة ٧٨ عزل عبد الملك بن مروان أمية بن أسيد عن خراسان و ناط حكمها و حكم سجستان بالحجاج بن يوسف الثقفي
بالإضافة الى اماره البصرة و الكوفة، فولى الحجاج المهلب بن ابي صفرة اماره خراسان من قبله، و قدم المهلب خراسان سنة ٧٩ هـ، و
غادرها امية بن عبد الله في هذه السنة، و في سنة ٨٠ هـ، عبر المهلب نهر بلخ و ظل يحارب الترك في شمال خراسان حتى سنة ٨٢ هـ، و
قد توفي المهلب بخراسان و دفن فيها.

يزيد بن المهلب

و خلف المهلب على اماره خراسان ابنه يزيد بن المهلب، و في سنة ٨٥ هـ، عزل عبد الملك بن مروان يزيد بن المهلب بطلب من
الحجاج، و كان يزيد ذا جاه و ذا كرم، و له مكانة و حشمة، و قد خشى الحجاج مكانته بعد ان رأى رسوخ قدمه في خراسان فنحاه، و
زجّ به و باخوته في السجن (بواسطة) حتى اتيح لهم ان يهربوا من السجن و يستجروا بسليمان بن عبد الملك في - خلافة الوليد و هو
في فلسطين.

قتيبة بن مسلم

و استعمل عبد الملك بن مروان قتيبة بن مسلم بناء على طلب الحجاج، و قدم قتيبة خراسان في سنة ٨٦ هـ، و قضى في اماره خراسان
عشر سنوات، و قد عبر قتيبة النهر، و حارب الترك فيما وراء النهر، و فتح خوارزم، و بخارى، و سمرقند، و الصغد، و اخضع اهم البقاع
فيما وراء النهر، قاتل، و صالح، و عاهد، و توسعت رقعة خراسان في امارته حتى اجتازت و حدود الصين، و هو الذي صير الطريق بين
العراق و خراسان من (قومس)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٨٠

بعد ان كانت من فارس و كرمان، و قد أخذ المؤرخون على قتيبة نقضه العهود في بعض المصالحات، كما اخذ عليه العرب قسوته
التي رووا عنها الشيء الكثير، ففي حرب ملك (خام جرد) فيما وراء النهر جىء لقتيبة بأربعة آلاف أسير فقتل بين يديه الف أسير، و
عن يمينه قتل الف، و عن يساره الف، و خلف ظهره قتل الف.

و عند قيام سليمان بن عبد الملك بالحكم دعا قتيبة في خراسان الى خلع سليمان و لم يبايعه، و كانت القبائل العربية قد سئمت حكم
قتيبة فاتخذت من تمرد على سليمان بن عبد الملك ذريعة و ثارت تحت زعامه و كيع بن ابي سود التميمي و قتلت قتيبة في مرو.

عودة يزيد بن المهلب

و عاد يزيد بن المهلب الى اماره خراسان مره اخرى من لدن سليمان ابن عبد الملك، و كان ذلك في سنه ٩٧ هـ، و غزا يزيد بن المهلب دهستان، و جرجان بجيش مؤلف من اهل الكوفه و اهل البصره و اهل الشام، و اهل خراسان فيما يقارب مائه الف مقاتل سوى الموالى و المماليك، و استولى على دهستان من بلاد الترك، و اخضع جميع الجهات المتمرده عليه و التى نقضت عهوده و عهود الولاة من قبله، و قد اخذ عليه التأريخ شدته و قسوته فى الحرب و معاملته الاسراء كما اخذت على قتيبه ذلك قبله.

الجراح بن عبد الله

و حين تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة فى سنه ٩٩ هـ، عزل يزيد بن المهلب من اماره خراسان، و استدعاه اليه، و حبسه، و طالبه باعادة الأموال التى جباها و تصرف بها، و عين الجراح بن عبد الله اميرا على خراسان.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٨١

عبد الرحمن القشيري

و بلغ عمر بن عبد العزيز شيئا عن ظلم الجراح للناس فعزله فى سنه ١٠٠ هـ، و عين عبد الرحمن بن نعيم القشيري محله اميرا.

سعيد خدينة

و فى سنه ١٠١ هـ، توفى عمر بن عبد العزيز فخلفه يزيد بن عبد الملك، و فى سنه ١٠٢ هـ عهد يزيد بن عبد الملك اماره الكوفه، و البصره، و خراسان الى اخيه مسلمة بن عبد الملك، فعين هذا من قبله ختنه (سعيد خدينة) اميرا على خراسان، و قد حارب (سعيد خدينة) ختن مسلمة الترك، و كان لبنى تميم تحت قيادة المسيب شأن كبير فى تلك الحرب.

سعيد الحرشى

و فى سنه ١٠٣ هـ، و كان يزيد بن عبد الملك قد عزل اخاه مسلمة بن عبد الملك عن العراق و خراسان و عين مكانه عمر بن هبيرة، فعزل عمر هذا سعيد خدينة عن خراسان و ولى عليها سعيد بن عمرو بن الاسود الحرشى، فحارب الحرشى اهل (الصغد) و اخضع الاتراك ممن نقضوا العهد، و حاصر حصن (خجندة) و فتحه.

مسلم بن سعيد

و فى سنه ١٠٤ هـ عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشى عن خراسان و ولاها مسلم بن سعيد بن اسلم بن زرعه الكلابي و وقعت فى سنه ١٠٦ معارك بين القبائل العربية حول بلخ و ماوراء النهر فقد كانت العصية قد بلغت القمه فى تلك السنه و قد قتل من القبائل العربية عدد كبير لتعصب كل قبيلة لقبيلتها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٨٢

اسد بن عبد الله القسرى

و فى سنة ١٠٦ عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هبيرة عن العراق و خراسان و ولى خالد بن عبد الله القسرى فولى هذا اخاه اسد بن عبد الله القسرى اماره خراسان، فتعصب اسد بن عبد الله على مضر و ضربهم بالسياط، و حلق رؤوسهم و شم اكابهم و نكل بهم، و حين كثرت الشكاوى من جوره عزله هشام عن اماره خراسان.

أشرس بن عبد الله

و فى سنة ١٠٩ استعمل هشام اشرس بن عبد الله على خراسان و كانت سمعته حسنة حتى لقد كان يسمى بالرجل (الكامل) لفضله، و لما قدم اشرس كانت سمعته الطيبة قد سبقته الى خراسان فكبر الناس فرحا بقدمه ثم ما لبث ان تغير و تبدل، و قد غزا الترك، و قاتل اهل بخارى و السغد و كانت الحرب بينه و بينهم سجلا.

الجنيد بن عبد الرحمن

و فى سنة ١١١ عزل هشام بن عبد الملك اشرس عن خراسان، و ولى الجنيد بن عبد الرحمن الاماره، فحارب الجنيد ماوراء النهر، و بخارى، و كانت له وقعة كبيرة مع ملك الترك خاقان سميت بوقعة (الشعب) و فى سنة ١١٦ ه مات الجنيد بخراسان و دفن فيها.

عاصم بن عبد الله

و حين مات الجنيد ولى هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله الهلالى اماره خراسان ف وقعت بينه و بين القبائل العربية التى كان يقودها الحارث بن سريج معارك عنيفة راح ضحيتها كثير من القبائل العربية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٨٣

أسد بن عبد الله

و فى سنة ١١٧ ه عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان و ضم هذه الاماره الى عامله فى العراق خالد بن عبد الله، فولى خالد هذا اخاه اسد بن عبد الله اميرا على خراسان من قبله، و حين قدم اسد خراسان اعلن الحرب على الحارث بن سريج و من تبعه من القبائل العربية التى كانت تدعو للبيعة على سنة الله و رسوله و قسا اسد على القبائل العربية من الجيوش و على الجيوش الخراسانية غير العربية، و اتخذ مدينة (بلخ) مقر له سنة ١١٨ ه و نقل الدواوين اليها، و منها غزا الترك و تغلب على (خاقان) ملكهم و قتل خاقان، كما قتل اسد بشرا كثيرا على حد تعبير (الطبرى) و استولى على غنائم كثيرة فى وقعة (سان) من (الختل)، و قد بقى الحارث بن سريج هو و تابعوه من القبائل يقيمون فى شمال خراسان يدعون لمن يبايع على سنة الله و رسوله.

جعفر بن حنظلة - جديع الكرمانى

و فى سنة ١٢٠ مات أسد بن عبد الله بعد ان استخلف جعفر بن حنظلة و ولى جديع بن على الكرمانى، و قد سمي بالكرمانى لولادته فى كرمان و فى نفس هذه السنة عزل الكرمانى من اماره خراسان و ولى نصر بن سيار.

نصر بن سيار

و يظهر من استعراض تاريخ خراسان ان اول استقرار نسبه شاهده خراسان كان فى اوائل حكم نصر بن سيار فقد عمرت خراسان فى ابتداء امارته عمارة لم تعمر قبل ذلك فى ايام من سبقوه من العمال و قد وضع نصر بن سيار الخراج عن الناس، و أحسن الولاية و الجباية، و مع ذلك فلم يخل حكمه من قسوة فقد غزا ماوراء النهر، و اسر (كور صول) و قتله، ثم صب عليه النفط و احرقه. و فى سنة ١٢٥ هـ كان هشام بن عبد الملك قد مات و خلفه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٨٤

الوليد بن يزيد بن عبد الملك، و كانت خراسان تابعة ليوستف بن عمر عامل بنى امية على العراق، و اول عمل عمله الوليد ان كتب الى نصر يطلب منه ان يتخذ له من الآلات الموسيقية البرابط و الطناير و ان يجمع له اباريق الذهب و الفضة، و كل صناعة بخراسان يقدر عليها، و كل بازى و بروذن فاره، و يستعرض بهم اهل خراسان، كما كتب الوليد للاقطار بان يبايعوا لابنيه: الحكم، ثم لعثمان بعده، فاخذ نصر بن سيار البيعة من اهل خراسان لهما، و فى هذه السنة نفسها فصل الوليد خراسان عن تابعية يوسف بن عمر عامله فى العراق و ولى خراسان كلها لنصر بن سيار مستقلا، و قد عز هذا الامر على يوسف بن عمر فاشترى نصر و عماله فى خراسان من الوليد بالمال و استعاد بذلك تابعة خراسان له مرة اخرى.

و فى هذه السنة نفسها اى سنة ١٢٥ كان يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب قد لجأ بعد مقتل ابيه زيد فى العراق الى (بلخ) متخفيا عند الحريش بن عمرو فلاحقه نصر بن سيار فى جميع البلدان الخراسانية، و ما زال به حتى قتله فى احدى المعارك، و سلبه، و قطع رأسه.

و حين قتل الوليد بن يزيد خلفه فى الحكم يزيد بن الوليد بن عبد الملك فابقى نصر بن سيار على اماره خراسان، و قد أمن يزيد الحارث بن سريج، و اطلق نصر بن سيار من كان محبوسا عنده من اهل الحارث و قومه، و كان الحارث يدعو دائما الى كتاب الله و سنة رسوله فيعارضه عمال خراسان، و قد كثر تابعوه استجابة لدعوته، و اعتزل و من معه و اقام بشمال خراسان.

و فى الايام القصيرة التى تولى فيها ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك الخلافة بعد موت يزيد بن الوليد كان نصر بن سيار لم يزل اميرا على خراسان، و قد بقى اميرا كذلك فى خلافة مروان حتى زوال دولة بنى امية.

و حين تولى مروان بن محمد الخلافة عارض الحارث خلافته و لم يبايعه، و طلب من نصر بن سيار ان يدعو الى كتاب الله و سنة رسوله لان الخروج على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٨٥

التعاليم الاسلامية من قبل العمال قد تجاوز الحدود فلم يوافق نصر بن سيار الحارث فوقع الحرب بين نصر و الحارث و الكرمانى، و قد استولت القبائل على (مرو) و احتدم القتال بين القبائل العربية، و ذهب فى هذه المعارك ضحايا كثيرة، و قد مات نصر بن سيار فى سنة ١٣١ بساوه و دفن فيها، و كان آخر عامل لبنى امية فى خراسان.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٨٦

العوامل التي قوضت حكم بني أمية في خراسان

إشارة

كان هناك تباين جد كبير بين الدعوة الإسلامية و فلسفتها و اهدافها- التي كانت تساوى بين الشريف و الوضيع امام الشريعة الإسلامية، و تحفظ للمسلمين و حتى لغير المسلمين نفوسهم، و احوالهم، و اعراضهم، و حرياتهم الدينية الكاملة- و بين ما كان ينتهج الامراء و العمال و الحكام الذين كان يستعملهم بنو أمية على خراسان، فقد كان جميع هؤلاء الامراء و الحكام باستثناء القليل القليل منهم لا يعملون بابطال الامور مما كان يدعو اليه الاسلام، فكانوا يفرضون الجزية حتى على المسلمين، و كانوا يستولون على اموال الخراج، و اموال الرعايا، و يؤلفون منها ثروات كبيرة لانفسهم، و كانوا يسجنون، و يعذبون خصومهم باصناف العذاب، و يقسون في التعذيب بما تقشعر منه الابدان وفق ميولهم و دون محاكمة او مقاضاة على خلاف نهج الخلفاء الراشدين الذي كان يحمل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ان يقاضى حتى ابنه امام القضاء، و كان امراء خراسان يقتلون الاسرى بالماث بل بالالوف، و يمثلون بالجلت، و يطوفون بالرؤوس محمولة على القنوات فى الاقطار الإسلامية خروجاً على التعاليم الدينية التي تحرم مثل هذه الاعمال، و كان الكثير من اولئك الامراء و الحكام مبتلين بداء العصبية التي يشجبها الدين الاسلامى و ينهى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٨٧

عنها و يكافحها حتى لقد كان الامير الأموى يفرق بين القبائل العربية فيعهد بشؤون الدولة و الولاية الى احدى القبائل و احلافها، و يحرم القبائل العربية الاخرى لا لسبب الا للعصبية، الى غير ذلك مما يفسد طبيعة الدين الاسلامى و دعوته، و اهدافه التي يعتر بها الاسلام بين مختلف الاديان السماوية، فكان هذا اهم الاسباب التي دعت لتقويض الحكم الاموى فى خراسان فى حين كان الامويون ينتخبون عمالهم لامارة خراسان انتخاباً، و ينتقونهم انتقاءً، و يبعثون بهم الى خراسان باعتبارهم خير قادة لخير ثغر من ثغور المسلمين، فكيف لو كانوا من عرض الناس و من سائر الطبقات؟ فحين تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة استعرض كثيرا من الرجال حتى وقع اختياره على يزيد بن المهلب فنقله من اماره العراق الى اماره خراسان فى حين كان فى اشد الحاجة اليه فى العراق ثقة به و اعتماداً عليه.

و كان للخراسانيين من الحضارة و الثقافة ما يستطيعون ان يميزوا بها حقيقة الدين الاسلامى، و يدركوا ان الفساد كله فى الامراء و الحكام و ليس على الدين الاسلامى اى مأخذ من المآخذ، و لذلك حين منى و كيع بن ابى سود- القائم على حرب خراسان بجعل خراج جانب نهر بلخ لحيان مادام و كيع واليا، و ما دام حيان حيا- قال حيان لقومه من العجم: «هؤلاء يقاتلون على غير دين» .

و من بعض الشواهد على ان الدين كان لعقا على السنة خلفاء بنى أمية و حكامهم و انه لم يتجاوز حدود الصوم و الصلاة هو ان عمر بن عبد العزيز حين بلغه خبر استعمال يزيد بن المهلب على خراسان و هو من خيار امراء بنى أمية و قادتهم- و كان عمر حينذاك فى عرفات بالحج- قال عمر: «العجب لامير المؤمنين- يعنى سليمان بن عبد الملك- استعمل رجلا على افضل ثغر للمسلمين فقد بلغنى عمن يقدم من التجار من ذلك الوجه انه: يعطى الجارية من جواريه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٨٨

مثل سهم الف رجل، أما و الله ما الله أراد- يقصد سليمان- بولايته» .

و لم يراع خلفاء بنى أمية فى توليتهم الامراء اهداف الاسلام بقدر ما كانوا يراعون مصلحتهم الشخصية و تحقيق ميولهم و رغباتهم الخاصة، و بلغ من الامران كان لا يمتنع البعض من الخلفاء من اخذ الرشوة فى مثل تلك التعيينات و تولية الامارات، و من ذلك كان استعمال هشام بن عبد الملك الجيند بن عبد الرحمن على خراسان سنة ١١١ هـ لان الجيند كان قد أهدى لامرأة هشام قلادة فيها جوهر

فاعجبت هشاما فاهدى الجنيد لهشام قلادة اخرى فاستعمله هشام على خراسان .

و حين فصل الوليد بن يزيد بن عبد الملك اماره خراسان عن العراق و جزدها من حكم يوسف بن عمر عامله على العراق و خصها بنصر بن سيار سنة ١٢٥ اشترى يوسف بن عمر اعادة تابعية خراسان له من الوليد بالمال!!

و كان خلفاء بنى أمية و عمالهم يعتبرون اموال المسلمين اموالهم الخاصة، و ممتلكات الاسلام ممتلكاتهم الموروثة فيهبون ما يشاؤون لمن يشاؤون، و لقد أطعم عبد الملك بن مروان: عبد الله بن خازم اماره خراسان سبع سنين، و قيل عشر سنين إذا ما بايعه عبد الله بن خازم، و حين رفض عبد الله بن خازم ذلك أطعم عبد الملك خراسان بكير بن وشاح، و قد اصاب (بكير) اموالا كثيرة من خراسان. و بلغ الخروج على مبادئ الاسلام و الشريعة الاسلامية عند الامراء و العمال الذين استعملهم الامويون على خراسان أن طالب غير واحد من قواد العرب و شيوخ القبائل فى خراسان بوجوب تجديد البيعة و اخذها على الرضا لمن يبايعهم على سنة الله و رسوله، و من هؤلاء كان الحارث بن سريح

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٨٩

الذى طالب عاصم بن عبد الله الهلالي امير خراسان بوجوب اخذ البيعة على سنة الله و رسوله فقال له قطن بن عبد الرحمن بن جزى الباهلى- و من قوله هذا يستبان مبلغ التطرف فى عدم المبالاة بالدين- قال قطن: «يا حارث، انت تدعو الى الكتاب و السنة، و الله لو ان جبريل عن يمينك، و ميكائيل عن يسارك ما اجبتك» فاعتزل الحارث القوم و تبعه الكثير و بايعه الكثير على سنة الله و رسوله، و حارب، و بقى على رأيه ينشد الخليفة الذى يرضى بأن يبايع على سنة الله و رسوله، و نزل بقومه شمال خراسان. و فى عهد يزيد بن الوليد آمن يزيد الحارث فدخل الحارث (مرو) و عرض عليه نصر بن سيار آخر عامل لبنى أمية على خراسان ان يبايع، فقال له الحارث:

«خرجت من هذه المدينة منذ ثلاث عشرة سنة إنكارا للجور، و انت تريدنى عليه». و انضم الى الحارث ثلاثة آلاف، و قد اطلق نصر بن سيار المساجين من اهل الحارث و اولاده، و عرض عليه ان يوليه و يعطيه مائة الف دينار فلم يقبل الحارث و ارسل الى نصر يقول: «انى لست من الدنيا و اللذات فى شىء، انما اسألك كتاب الله و العمل بالسنة، و استعمال اهل الخير، فان فعلت ساعدتك على عدوك» .

و الحارث هذا الذى حكى جانبا من جوانب الدعوة الاسلامية و الهدف الذى يرمى اليه الاسلام لم يكن وحده الذى أيد رأى الخراسانيين المستمد من حضارتهم و المدرك ان ما عليه هؤلاء الحكام و الامراء مغاير كل المغايرة لحقيقة الاسلام و دعوته فقد كانت هناك صور لبعض المسلمين يتمثل فيها الاسلام بحقيقته و جوهره يعود لها الفضل فى تأييد رأى القائل بأن هؤلاء الحكام ابعد ما يكونون عن حقيقة الاسلام و نزعتهم و اهدافه و هى صور كثيرا ما يجدها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٩٠

الواجدون بين الطبقات العامة و سائر افراد المجتمع.

فحين تولى الحكم بن عمرو الغفارى اماره خراسان من لدن زياد بن ابيه الذى كانت امارته تشمل العراق و ايران كتب زياد الى الحكم بن عمرو يقول:

«ان امير المؤمنين- يعنى معاوية بن ابى سفيان- قد كتب الى ان اصطفى له البيضاء و الصفراء فلا تقسمن شيئا من الذهب و الفضة» و لكن الحكم لم يلتفت الى قول زياد و رفع الخمس و قسم الغنائم بين الناس و كتب الى زياد يقول: «انى وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين معاوية، و لو ان السماء و الارض كانتا رتقا على عبد ثم اتقى الله لجعل الله له منها مخرجا و السلام» .

و اصاب يزيد بن المهلب تاجا بجرجان فيه جوهر فقال: أترون احدا يزهد فى هذا التاج؟ قالوا: لا، فدعا محمد بن واسع الازدى، و قال له:

خذ هذا التاج فهو لك، قال: لا حاجة لي فيه!! قال: عزمت عليك، فأخذه و خرج، و لكنه لم يبعد كثيرا عن مجلس يزيد حتى اعطاه لسائل فقير..!

و مثل هذا ما روى انه كان على اقباض (خجندة) علباء بن احمر اليشكري فاشترى رجل منه جونة (خايبة) بدرهمين، فوجد فيها سبائك ذهب فرجع الى اليشكري وردّ الجونة له و اخذ الدرهمين..!!

ان مثل هذه الروايات و سبق بعض الصحابة و بعض التابعين و تابعي التابعين دخول خراسان في اول عهدنا بالاسلام بالاضافة الى خصب افكار الخراسانيين و فهمهم الامور فهما عقليا قد زاد الخراسانيين يقينا بأن هؤلاء الذين استعملهم بنو أمية على خراسان غير الذين يدعوا اليهم الاسلام و انهم و الاسلام من حيث الهدف و الفلسفة على طرفي نقيض.

لقد قدم الى أسد بن عبد الله سنة ١٠٩ هـ، و هو في السوق برجل كانوا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٩١

قد طلبوا اليه ان يتنصل من دعوته لسنة الله و رسوله و كانت على غير ما يرى بنو أمية فلم يقبل الرجل فأشرف عليه اسد بنفسه و في السوق نفسه و ضرب عنقه و الرجل يرتل قائلا: «رضينا بالله ربا و بالاسلام ديننا و بمحمد صلى الله عليه و سلم نبيا»!!

نماذج من الرشوة و الإثراء

و من اهم عوامل الفساد و سوء الحكم كان الاختلاس، و السرقة، و الاثراء على حساب الرعية عند الحكام و القواد و الامراء، و قلما اصبح ثغر من ثغور المسلمين نهبا للحكام و الامراء في عهد بنو أمية كخراسان، و قد كانت خراسان - كما قد مرّ - على جانب كبير من الثروة و الذخيرة و الجواهر، و كان هذا مما يطمع الحكام فيها فيمدون ايديهم اليها بشراهة و بشيء كثير من الظلم و القسوة حتى اذا انتهى دور هؤلاء الحكام و عادوا من خراسان عادوا و لديهم من الاموال الملايين فضلا عن العقود و الجواهر و الذهب و الفضة.

و حين اقبل عبد الرحمن بن زياد على يزيد بن معاوية و كان قد ولي خراسان في زمن معاوية قال له يزيد - و كان قد بلغه ما قد جنى من خراسان و حصل عليه -:

- كم قدمت به معك من المال من خراسان؟

قال: عشرون الف درهم!!

قال: ان شئت حاسبناك و قبضناها منك و ردناك على عملك، و ان شئت سوغناك و عزلناك.

قال: بل و تسوغني .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٩٢

و كان أمية بن عبد الله بن خالد امير خراسان في سنة ٧٧ هـ، يقول:

«ما اكتفى بخراسان و سجستان لمطبخي»!! و قد اخذ أمية الناس بالخراج و اشتد عليهم و كان لا بد له ان يعمل كل هذا ما دام على مثل ما ذكر من البذخ و الاسراف الذي لا يكفي كل الخراج لمطبخه.

و في غزوة قتيبة ليكنند، و بيكنند هذه بلدة من بلدان بخارى اصابوا فيها من آنية الذهب، و الفضة ما لا يحصى فأذابوا الآنية و الاصنام و رفعوها الى قتيبة ثم رفعوا اليه خبث ما اذابوا (اي النفاية) فوهبها قتيبة للبعض فجاء منهم من يشتري منهم هذه النفاية و دفع بها المشترون اربعين الفاً!!! فاعلم قتيبة بذلك فرجع عن هبته و أمر ان تذاب (النفاية) التي كان قد وهبها فأذبيت فخرج منها خمسون و مائة الف مثقال على ما روى الطبري، و اصابوا في (بيكنند) ما لم يصيبوا بخراسان.

و لقد علم عمر بن عبد العزيز: ان يزيد بن المهلب قد اصاب من خراسان ستة آلاف الف (أي ستة ملايين درهم) في إحدى غاراته، و

احتفظ بها لنفسه فكتب بذلك الى سليمان، و مع ذلك فلم يردّ يزيد المبلغ الى بيت المال على ما روى المؤرخون. و حضر أسد بن عبد الله امير خراسان سنة ١٢٠ هـ، المهرجان ببلخ فقدم عليه الامراء و الدهاقين بالهدايا فكان ممن قدم عليه ابراهيم بن عبد الرحمن الحنفي عامله على هراة و خراسان، و معه دهقان هراة و قد قدّمها هدية قومت بألف الف، و كان فيما قدما به قصران، قصر من ذهب و قصر من فضة، و اباريق من ذهب و اباريق من فضة، و صحاف من ذهب و صحاف من فضة، و قد أقبلوا و أسد جالس على السرير، و اشراف خراسان على الكراسى فوضعا القصرين ثم وضعا خلفهما الاباريق و الصحاف و الديقاج المروى، و القوهى، و الهروى و غير ذلك حتى امتلأ السماط، و كان فيما جاء به

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٩٣

الدهقان (أسدا) كره من ذهب فقسمها أسد بن عبد الله على الرؤساء.

و قلّما عتّن أمير على خراسان و لم يلاحق العمال الذين كانوا قبله و اتباعهم اذا وجدهم هناك، متهما اياهم بالسرقة و الاختلاس، و كثيرا ما يزوج بهما فى السجن و يعذبهم، و يغرمهم، و ينكل بهم اسوأ تنكيل، و قد فعل سلم ابن زياد حين ولى خراسان سنة ٦١ هـ، الشيء الكثير من هذا بالحارث بن قيس بن الهيثم.

و حين ولى سعيد بن خديئة على خراسان سنة ١٠٢ هـ، اخذ العمال الذين وُلوا ايام عمر بن عبد العزيز فحبسهم و قال لقد رفع الى عنهم ان عندهم اموالا من الخراج فضمنهم عبد الرحمن بن عبد الله القشيري، بسبعماية الف و اطلقهم، و قد رفع اليه ان ثمانية من العمال الذين كان قد استعملهم يزيد ابن المهلب على كور خراسان و مقاطعاتها ان عندهم اموالا قد اختانوها من المسلمين فحبسهم و عذب بعضهم، و مات بعضهم تحت العذاب.

و فى ولاية عاصم بن عبد الله على خراسان سنة ١١٦ هـ، زج فى السجن العمال الذين كانوا على عهد الجعيد و عذبهم بمثل هذه التهم. و لما عين سلم بن زياد واليا على خراسان كان اخوه عباد بن زياد عاملا بسجستان فخاف عباد اخاه سلم لأن سجستان كانت تابعة لخراسان و علم ان ليس له مقام فى سجستان بعد تعيين اخيه سلم اميرا على خراسان و سجستان قام بتقسيم ما فى بيت المال فى عبيده، و سلّف بما فضل ممن اتاه طالبا، و خرج من سجتان، و كان سهم كل مملوك من مماليكه- و كانوا الف مملوك- عشرة آلاف .

و استعارت امرأة سلم بن زياد- الرجل الذى سُمى اهل خراسان اولادهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٩٤

باسمه لما بلغهم عن صلاحه- لقد استعارت من زوجته صاحب (الصغد) الخراسانية حليها و لم تعدها اليها و ذهبت بها، و غير هذا الشيء الكثير مما قد نمر على بعضه عند استعراضنا للمظالم.

نماذج من الظلم و القسوة

و عامل آخر لا يقل شأنا عن البعث بأموال المسلمين و السرقات و النهب الذى كان يقوم به عمال بنى أمية و قوادهم فى خراسان ان لم يزد عليه إلا- و هو الظلم و القسوة فقد لقيت خراسان من ظلم الولاة و العمال ما قد يتجاوز حدود الوصف المألوف فى البطش و كان من ذلك الظلم و تلك القسوة ان استخلف قتيبة على سمرقند بعد أن فتحها عبد الله بن مسلم و اوصاه قائلا: «لا تدعنّ مشركا يدخل بابا من ابواب سمرقند الا- مختوم اليد، و ان جفّت الطينة قبل ان يخرج فاقتله!! و ان وجدت معه حديدة!! سكينها فما سواه فاقتله!!، و ان اغلقت الباب ليلا فوجدت فيها احدا منهم فاقتله، و قال: هذا العدا، لاعداء عيرين، لانه فتح خوارزم و سمرقند فى عام واحد، و ذلك ان الفارس اذا صرع فى طلق واحد عيرين قيل عادى بين عيرين» .

و كان الاتراك كثيرا ما يصالحون المسلمين ثم ينتقضون عهودهم و يقبلون لهم ظهر المجن، فحاصرهم يزيد بن المهلب فى (البحيرة)

ستة أشهر، و ارسل (صول) ملك الترك يطلب المصالحة على ان يخرج بنفسه و ماله و بثلثماية من اهل بيته و خاصته، و يترك له (البحيرة) فأجابه يزيد الى ذلك، و دخل يزيد الى البحيرة و قتل من الاتراك اربعة عشر الفا صبيرا، و عفا عن الباقيين!!
و دعى ادريس بن حنظلة لاحصاء ما فى (البحيرة) فلم يقدر على احصاء
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٩٥

ما فيها . و تمردت منطقة (جرجان) للمرة الثانية، و نقضت العهد الذى اعطته ليزيد بن المهلب فأقسم لئن ظفر بهم ان لا يقلع عنهم، و لا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم و يختبز من ذلك الطحين و يأكل منه!! فقصدهم يزيد بجنده، و هجم على معسكر الترك، فاعطوا بايديهم، و نزلوا على حكم يزيد، فسبى ذراريهم، و قتل مقاتلتهم، و صلبهم فرسخين الى يمين الطريق، و فرسخين الى يساره، و قاد منهم اثني عشر الفا الى وادى جرجان و قال:

من طلبهم بتأر فليقتل منهم من يشاء، فكان الرجل من جيش يزيد يقتل الأربعة و الخمسة، و قد أجرى الماء على الدم، و عليه ارحاء ليطحن بدمائهم تبريرا ليمينه، فطحن، و خبز، و أكل، و قيل قتل منهم اربعين الفا!! .

و من فظائع القسوة التى عامل بها امراء الامويين الناس افرادا او جماعات عربا أو عجماء فى خراسان ما يشيب لهولها الاطفال، فهذا أسد بن عبد الله امير خراسان فى عهد هشام بن عبد الملك سنة ١١٧ يقبض على جماعة و شى بهم كدعاة لبنى العباس و يزج بهم فى السجن و يخرج منهم موسى بن كعب و يأمر به فيلجم بلجام حمار، و يأمر باللجام ان يجذب فجذب حتى تحطمت اسنانه، ثم يقول: اكسروا وجهه، فيدق أنفه، ثم وجأ لحيته، فندر ضررس له!!

ثم قبض أسد على عمار بن يزيد بنفس التهمة فأمر به فقطعت يده، و قلع لسانه، و سملت عينه، ثم سجنه، و قتله بعد ذلك و صلبه!!
و حين فتح أسد قلعة (التبوشكان) من طخارستان العليا، و فيها بنو برزى التغليون و هم اصهار الحارث بن سريح الذى كان يلح على و جوب تطبيق التعاليم الاسلامية و المبايعة على سنة الله و رسوله، فقتل مقاتلتهم، و قتل بنى برزى و سبى عامه اهلها من العرب و العجم و الذرارى و باعهم بالمزايدة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٩٦

فى سوق بلخ...!!

و عند الاستيلاء على بلخ، و كان اهل بلخ قد نزلوا على حكم أسد بن عبد الله كتب أسد الى عامله (الكرمانى) ان يصير الذين بقوا عنده من الاسراء أثلاثا، فثلثا يصلبهم، و ثلثا يقطع ايديهم و ارجلهم، و ثلثا يقطع ايديهم دون ارجلهم، ففعل عامله ذلك، و أخرج اثقالهم، فباعها بالمزايدة، اما الذين قتلهم، و صلبهم فقد كانوا اربعمائة!!

و كان امراء خراسان يتفننون فى شروط الجزية و فرض الاتاوة، على غير سنة الله و رسوله و يعقدون شروط الصلح ليثقلوا كاهل المصالحين آخذين بالاصعب و الاعسر من الامور حتى لتركوا فى النفوس اسوأ الاثر للحكم، فحين حاصر يزيد بن المهلب سنة ٩٨ هـ، طبرستان صالح (الاصهبند) على ان يدفع له سبعمائة الف درهم، و اربعمائة الف نقدا، و مائتى الف و اربعمائة حمار موقرة زعفران!! و اربعمائة رجل على رأس كل رجل برنس، و على البرنس طيلسان و لجام من فضة، و سرقة من حرير الى ما هنالك من الشروط العجيبة!!

و المهلب حين حاصر احدى مدن خراسان مما تلى خوارزم سنة ٦١ هـ، سأل اهلها ان يذعنوا للطاعة، فطلبوا اليه ان يصالحهم فصالحهم على نيف و عشرين الف الف، و كان فى صلحهم ان يأخذ منهم عروضاً فكان يأخذ الرأس من الماشية و الدابة و الخيل بنصف اثمانها فبلغ قيمة ما أخذ منهم خمسين الف الف اى خمسين مليوناً فى حين المصالحة كانت على نيف و عشرين مليوناً.

و هذا أشرس بن عبد الله السلمى حين قدم خراسان سنة ١٠٩ هـ، اميرا من قبل هشام بن عبد الملك كبر الناس فرحا بقدمه لما كان قد بلغهم عن صلاحه و قد ركب حين قدم حمارا فقال له حيان النبضى: «ايها الامير: ان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٩٧

كنت تريد ان تكون واليا على خراسان فاركب الخيل، و شدّ حزام فرسك، و الزم السوط خاصرته حتى تقدم النار و إلّا فارجع، قال اشرس: أرجع اذن و لا- اقتحم النار، و كان الامراء قبله يأخذون الجزية ممن اسلم و ممن لم يسلم من السكان على حد سواء فرجع اشرس الجزية ممن أسلم، ثم تبدلت حاله بعد ذلك فركب الخيل، و كتب الى عماله بأخذ الجزية من الجميع بحجة ان فى الخراج قوة للمسلمين، فكتب له بعض عماله: ان الناس قد اسلموا، و بنوا المساجد، و جاءه دهاقين بخارى و قالوا له: ممن تأخذ الخراج و قد صار الناس كلهم عربا؟ و لكن اشرس كتب الى عماله: ان يستمروا فى اخذ الجزية ممن كانوا يأخذونها سابقا اى ممن اسلم و ممن لم يسلم !!..

و يقول الطبرى: فألح العمال فى جباية الخراج ممن اسلم، و استخفوا بعظماء العجم، و عومل الدهاقين معاملة سيئة، فاقيموا و خرّقت ثيابهم، و القيت مناطقهم فى اعناقهم، و اخذوا الجزية ممن اسلم من الضعفاء، و كان اشرس هذا هو الذى كبر الخراسانيون فرحا بقدمه.

و اغلب عمال بنى امية على خراسان كانوا يفعلون مثل هذا، و حين أمر نصر بن سيار عامل بنى امية على خراسان سنة ١٢١ هـ، برفع الجزية ممن اسلم أتاه ثلاثون الف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم .

و هناك قسم آخر من المظالم التى سلبت ثقة الخراسانيين بالحكام الامويين و بعثت الشكوك فى ديانة الامراء و اسلامهم و هو نقض العهود و الرجوع عن الامان الذى يعطونه فى المصالحة، اذ طالما اعطى الامراء عهد الله للمسلمين و المصالحين من منافسيهم او محاربيهم او مزاحمهم على الولاية و الامارة و السلطة من القبائل العربية ثم نقضوا هذا العهد، و نكلوا بهم، و عذبوهم، و قتلوهم شر قتل.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٩٨

فعندما قطع سعيد بن عثمان بن عفان والى خراسان من قبل معاوية سنة ٥٦ هـ، النهر الى سمرقند صالحه اهل (الصغد) بعد الحرب، و اعطوه رهنا منهم خمسين غلاما يكونون فى يده من ابناء عظمائهم، فعبر النهر، و اقام بالترمد، و لم يف لهم.

و فى سنة ١٠٤ هـ، طلب (الديوشنى) و هو دهقان اهل سمرقند النزول على حكم سعيد بن عمرو الحرشى امير خراسان من قبل يزيد بن عبد الملك فألفظه الحرشى و اكرمه مكيدة، ثم حين فرغ من احتلال (كس) خرج الى (ربنجن) فقتل الديوشنى و صلبه على ناووس، و كتب على اهل (ربنجن) كتاب جزاء بمائة الف ان فقد المصلوب من موضعه، و بعث برأس الديوشنى الى العراق، و اقتطع يده اليسرى، و بعث بها الى طخارستان.

و لقد روى الراوون عن الحرشى هذا انه كان محتارا فى فتح (خزر) لان خزر كانت منيعه، فقال له احدهم: ألا أدلك على من يفتحها لك بغير قتال؟ قال: بلى فقيل له: انه المسربل بن الخزيت بن راشد لانه صديق ملك (سبقرى) ملك (خزر) و كان هذا الملك يحب (المسربل) و جاءه المسربل مؤمنا له و لقومه ان يترك الحرب و ينزل بأمان، فاقنتع و صالح فآمنوه و بلاده، و عاد الحرشى الى (مرو) من هذه الغزوة و معه (سبقرى) الملك و فى الطريق قتل الحرشى سبقرى و صلبه و معه أمانه !!..

العصية و الكبرياء

و عامل آخر شارك فى هدم الدولة الاموية و كره الخراسانيين للامويين و تقويض حكمهم و هو العنجهية التى اتصف بها الحكام الامويون و العصية القبلية التى سببت كثيرا من الثورات بين القبائل العربية فى خراسان الامر الذى طالما هدد الأمن و الاستقرار سنين طويلة، فهذا اسلم بن زرعة حين كتب له عبيد الله بن زياد سنة ٥٦ هـ، بولاية خراسان للمرة الثانية- و قد كان العامل عليها يومذاك

سعيد بن عثمان بن عفان - طرق اسلم سعيدا ليلا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٩٩

و اخبره بخبر تعيينه في محله اميرا، و اتفق ان اسقطت في تلك الليلة جارية لسعيد بن عثمان غلاما فكان سعيد يقول: (لا قتلنَّ به رجلا من بنى حرب يريد آل معاوية-) ثم قدم على معاوية شاكيا اليه اسلم بن زرع فغضبت القيسية، و دخل همام بن قبيصة النمرى فنظر اليه معاوية محمر العينين فقال له: يا همام ان عينيك لمحمرتان؟ قال همام كانتا يوم صفين اشد حمرة!! قدّم معاوية ذلك، و كفّ سعيد عن الشكاية .

و كان اسد بن عبد الله اميرا على خراسان سنة ١١٧ هـ، كما قد مر و قد قدل له جماعة اتهموا ببث الدعوة العباسية في خراسان فحملته العصبية القبلية، على ان يأخذ البعض بالتهمة و يتغاضى عن البعض الآخر، و قد جرى اليه بلاهز بن قريط، فقال لاهز: و الله ما في هذا الحق ان تصنع بنا هذا و تترك اليمانيين و الربيعين، فضربه اسد ثلثمائة سوط، ثم قال اصلبوه .

و اول ما تسلّم نصر بن سيار العهد بامارته على خراسان سنة ١٢٠ هـ، استعمل مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم على (بلخ) و استعمل وشاح بن بكير ابن وشاح على (مرو الروذ) و الحارث بن عبد الله بن الحشرج على (هراة) و زياد بن عبد الرحمن القشيري على (ابرشهر) و ابا حفص بن علي - و هو ختنه - على (خوارزم) و قطن بن قتيبة على (الصغد)، قال رجل من اهل الشام من اليمانية: ما رأيت عصبية مثل هذه؟ فقال: بلى التي كانت قبل هذه، فلم يستعمل اربع سنين الا مضريا .. !!

و لم تنج خراسان من شرور العصبية و الغطرسه و الكبرياء حتى في عهد عمر بن عبد العزيز الرجل التقى الورع، و كان عمر بن عبد العزيز قد عرف ما لقيت خراسان من عربها و عجمها من فساد حكامها و استبدادهم و عصبيتهم، لذلك كتب الى القائم بالخراج يقول له:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٠٠

«ان للسلطان اركاناً لا- يثبت الا- بها، فالوالي ركن، و القاضي ركن، و صاحب بيت المال ركن، و الركن الرابع انا، و ليس من ثغور المسلمين ثغر أهم الي، و لا أعظم عندي من ثغر خراسان».

و قد احسن عمر بن عبد العزيز الظن بالجراح بن عبد الله فاستعمله واليا على الثغر الذي هو أهم و اعظم الثغور عنده و ارسله الى خراسان، و بعد أن أقام الجراح بخراسان ارسل الى عمر بن عبد العزيز وفدا ممن يتوسم فيهم عمر الصلاح و الصدق ليطلعهم على احوال خراسان في عهد عامله الجراح، و حين تكلم الوفد قال احدهم و هو من الموالي: «يا امير المؤمنين: عشرون الفا من الموالي يغزون بلا عطاء و لا رزق، و مثلهم قد اسلموا من اهل الذمة يؤخذون بالخراج، و أميرنا عصبى جاف، يقوم على منبرنا فيقول: أتيتكم حفيا و انا اليوم عصبى، و الله لرجل من قومي أحب الي من مائة من غيرهم؟» .

و يقول الطبري: و كان الجراح يقول: انا و الله عصبى عقى - يريد من العصبية- و قد عزله عمر بن عبد العزيز.

و استعان عمر بأبي مجلز لما بلغه من صلاحه في ترشيح خلف للجراح على خراسان، و عين عبد الرحمن بن نعيم، و عبد الرحمن القشيري على خراسان و كتب عمر لأهل خراسان: «انى استعملت عبد الرحمن على حربكم، و عبد الرحمن بن عبد الله على خراجكم عن غير معرفة منى بهما و لا اختيار الا ما اخبرت عنهما، فان كانا على ما تحبون فاحمدوا الله، و إن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله و لا حول و لا قوة الا بالله» و قد سارع الناس في خراسان الى الاسلام و دخل الآلاف منهم في الاسلام على عهد عمر ابن عبد العزيز.

و لقد عزّ وجود العمال الصالحين و الامراء الذين يقيمون شرائع الاسلام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٠١

حتى في عهد هذا الرجل التقى الصالح فكيف بالعهود الاخرى.

و تجاوز الاستهتار و العنجهية و الغطرسه الحدود المألوفة حتى كان الامير على خراسان كثيرا ما يرى في نفسه ندا للخليفة ليبرهن على

منزلته بما ينزل من القسوة دون اهتمام بالخليفة و اوامره، فهذا معقل بن عروة و قد ارسل من العراق عاملا على (هراة) فمضى الى هراة و لم يتح له ان يمر بالحرشى امير خراسان فى مرو فأرسل (الحرشى) فجىء به و جلده مائتين و حلقة؟ لأنه لم يمر به اولا و يسلم عليه!!

و ارسل جميل بن عمران للتفتيش على اعمال خراسان فى امارة الحرشى سنة ١٠٤ هـ، و حين علم الحرشى بأن جميلا لم يرقه وضع خراسان و حكم الحرشى فيها دس له السم فى بطيخه و أماته!!

و بلغ من الكبرياء و الغرور و الاستبداد ان مخلص بن يزيد بن المهلب كان عاملا على (بلخ) و قد تلقى رسالته من حيان سنة ٩٨ هـ، يبدأ فيها حيان اسمه فيستهل الرسالة قائلا: «من حيان مولى مصقلة الى مخلص بن يزيد» فشكاه المخلص الى ابيه يزيد بن المهلب امير خراسان فاغرم يزيد حيانا مائتي الف درهم جزاء لجرأته فى تقديم اسمه على اسم ابنه مخلص!!

فكان من جراء ذلك ان كثرت الفتن و الحروب بين القبائل العربية و سقط عدد كبير من القتلى لا سيما فى سنة ٦٥ هـ، بين قبائل مضر و وائل و غيرهم، و بين بنى تميم و ربيعة، و عادت العصبية كأشد ما تكون بين اليمانية و النزارية، و قد تساقطت الالوف من القتلى فى سنة ١٢٦ هـ و ما بعدها من السنين، و تمكنت العصبية الجاهلية من نفوس القبائل بسبب امرائهم، و أهمل البلد، و عم الفساد، و فقد العدل.

و لقد حدث الرجل الذى بعث به قتيبة سنة ٩٣ هـ، الى الحجاج فى العراق ليشره بفتح (سمرقند) قال: ان الحجاج قد وجهنى الى الشام، لأنقل الخبر الذى نقلته له الى الخليفة لكى يسمعه منى - قال. و دخلت المسجد قبل طلوع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٠٢

الشمس و كان الى جنبى رجل ضرير فسألته عن شىء من امر الشام، فقال لى أنت غريب؟ قلت: أجل و من خراسان، قال: ما اقدمك؟ فأخبرته، فقال «و الذى بعث محمدا بالحق ما افتتحتوها الا غدرا، و انكم يا اهل خراسان الذين تسلبون بنى أمية ملكهم، و تنقضون دمشق حجرا حجرا» .

*** كان هذا و امثاله هو الذى جعل خراسان تعتقد ان الدين الاسلامى شىء لا يمثله اغلب هؤلاء الحكام بأى وجه من الوجوه بل و لا يمثله اغلب الخلفاء الامويين، فلا ريب فى ان الخراسانيين كانوا قد عرفوا القرآن، و تفقهوا فى الدين، و قد اقام فى هذا الدور من الفتح الاسلامى عدد كبير من مشاهير اهل الحديث و الرواة من العرب فى خراسان، و سكنوا بها، و ماتوا فيها و دفنوا هناك، و من هؤلاء لفيث من الصحابة منهم: بريده بن الخصيب الاسلمى المدفون بمرو، و ابو برزة الاسلمى، و الحكم بن عمرو الغفارى، و عبد الله بن خازم الاسلمى المدفون بجوين، و قثم بن العباس المدفون بسمرقند و جمع من التابعين الذين تولوا شرح اهداف الاسلام و فلسفته و تعاليمه.

و لا ريب فى ان الخراسانيين قد عرفوا شيئا كثيرا عن سيرة النبى (ص) و سيرة الخلفاء الراشدين (رض) فعلموا ان هناك طبقة غير هؤلاء الخلفاء و الحكام هى التى تمثل الشريعة الاسلامية و تعاليمها، و هى وحدها التى تأخذ بكتاب الله و سنة رسوله، و لقد آن الاوان للبحث عن تلك الطبقة بعد ان بلغ السيل الزبى، و لا ريب ان الخراسانيين كانوا قد سمعوا الشىء الكثير عن آل النبى و عترته من الرواة الذين كانوا يغدون و يروحون بين الحجاز و العراق و خراسان، و كانوا يسمعون بأن اولئك و حدهم الذين اتخذوا من القرآن و تعاليمه قانونا عاما، و كانت خراسان، و خراسان الوسطى - و هى خراسان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٠٣

الحالية - و عاصمتها (مرو) اطوع ما تكون و اكثر ما تكون ايمانا بالله و رسوله، و الا لما حارب جيشها مع الجيوش العربية جنبيا الى جنب بمثل ذلك الاخلاص و التفانى الذى ابدوه فى محاربة الترك و ماوراء النهر، و قد عرف دعاة العباسيين للخراسانيين هذا الايمان الى جانب ما امتاز به الجيش الخراسانى من القوة و الشجاعة و المقدرة، فاتخذ العباسيون من خراسان موطننا للتبشير بدعوتهم، و نظرا

لقرب العباسيين للنبي (ص) فقد كان من السهل اعتبارهم وجها من وجوه العلويين ان لم يكونوا الصورة الكاملة للعلويين الذين أحسن رؤساؤهم و أئمتهم تمثيل الاسلام بكامل شروطه، و الذين ثاروا في وجه الأمويين غير مرة مستنكرين نهجهم الخارج على الشريعة الاسلامية كثورة ابي عبد الله الحسين (ع) و ثورة زيد بن علي بن الحسين و غيرهما من الثورات و ما لقي العلويون من الاضطهاد و التشريد و العذاب،

كل هذا كان معروفا عند الخراسانيين كما كان معروفا في جميع الاقطار الاسلامية فأصغى الخراسانيون للدعوة العباسية بكل جوارحهم و آمنوا بأهدافها كثورة في وجه الظلم يقوم بها الهاشميون دون ان يكون هناك فرق بين عباسي و علوي في هذه الدعوة و هو فرق ظهر بعد ذلك حين ظفر العباسيون بالخلافة و حدهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٠٤

الدعوة العباسية

إشارة

كانت خراسان بناء على ما مر خير تربة لغرس بذور الثورة في وجه الحكم الاموي فراح بنو العباس يوفدون بين آونة و اخرى بعض رجالا-تهم للاتصال بالخراسانيين و اثاره نخوتهم و تحفيزهم على جمع شملهم و الثورة في وجه الامويين، و قد شخص ابو مسلم الخراساني سنة ١٢٩ هـ، (و اسمه عبد الرحمن بن مسلم) من خراسان الى ابراهيم الامام- و كان يختلف منه الى خراسان و يعود اليه- و كان ابراهيم الامام يقول لأبي مسلم: «انك منا اهل البيت» .

و طاف ابو مسلم باصقاع خراسان مبشرا، و هيا في كل مكان رجالا للنهوض بالامر و جمع الاموال، و كان يرسل بما يجتمع لديه من الاموال التي يجمعها من الشيعة الذين آمنوا بالدعوة الى الامام ابراهيم، و ينفق البعض منها في تنظيم الحركة و اعداد الثورة، و كان يتلقى من الامام و من سائر جهات خراسان الكتب و الاخبار المؤيدة لحركته حتى اذا تكاملت عنده الأسباب دخل مدينة (مرو) و هناك أطلع الوجوه و الأكابر على توافق الانظار عند لخراسانيين و رجالاتها من التأييد و ما كان قد تلقى من كتب الامام من التشجيع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٠٥

فأيدته (مرو) العاصمة، و ناظت به رياسة الدعوة، و توحدت الكلمة في الدعوة الى خلع خلافة بنى امية، و كثر هناك اتباع ابي مسلم، و اتسعت حركته فوجه وفودا و دعاء من لدنه الى طخارستان، و بلخ، و خوارزم، و طالقان، و قد احكم امر الدعوة للثورة و اسلوبها و استخدم الوجوه المؤتمنة، و المعروفة بالصلاح كسبا للرأى العام و توحيده حتى اتاه في ليلة واحدة أهل ستين قرية مبايعين و في نحو اليوم الخامس من رمضان عقد ابو مسلم اللواء- الذي بعث به الامام و الذي دعى (بالظل)- على رمح، و عقد الراية التي دعيت (بالسحاب) على رمح و هو يتلو:

«أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» ثم لبس السواد هو و سليمان بن كثير، و اخوة سليمان و الموالي، و من اجاب الدعوة، و اوقدوا النيران- و كان هذا الايقاد علامة اتفقوا عليها مع شيعتهم في سفيدنج- فاجتمع اليه القوم في كل صوب، و حينذاك بادر ابو مسلم بتحسين حصن (سفيدنج) و رممه، و سدّ الدروب التي تصل اليه حذرا من الجيوش الاموية، فقد عرف ابو مسلم بحسن القيادة و التدبير و زادت هذه الشهرة بمقدرته يوما بعد يوم كما عرف الى جانب حسن قيادته و شجاعته بالبلاغة و الخطابة و نفوذ كلامه في النفوس.

و كان عيد رمضان قد حلّ فأقام دعوة طعام واسعة و أمر سليمان بن كثير ان يصلى بالناس و المبايعين من الشيعة، و نصب له منبرا

بالعسكر، ثم كتب الى نصر بن سيار امير خراسان ما يلي:

«اما بعد، فان الله تباركت اسماءه غير اقواما في القرآن فقال: و أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم، فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا إستكبارا في الأرض و مكر الشىء، و لا يحيق المكر الشىء إلا بأهله فهل ينظرون الا سنة الأولين فلن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٠٦

تجد لسنة الله تبديلا، و لن تجد لسنة الله تحويلا».

و كان جواب نصر بن سيار ان ارسل جيشا لمحاربة ابي مسلم فتغلب عليه ابو مسلم و هزمه فكان ان قويت دعوة ابي مسلم لخلع مروان آخر خلفاء بنى امية و دعا الى خلعه علانية حينذاك.

و كان لسلك ابي مسلم بين الناس شأن آخر في اجتذابهم فقد كان ابو مسلم ينزل في خباء و لم يتخذ له حرسا و لا حجابا، و قد عظم امره عند الناس و قالوا «ظهر رجل من بنى هاشم له حلم و وقار و سكينه» فانطلقت فتية من اهل (مرو) نساك يطلبون الفقه الى ابي مسلم فسألوه عن نسبه فقال:

«خيرى خير لكم من نسبي» و سألوه اشياء من الفقه فقال: «أمركم بالمعروف و نهيككم عن المنكر خير لكم من هذا، و نحن الى عونكم احوج منا الى مسألتكم فاعفونا».

و ارسل ابو مسلم جيشا الى (هراة) فاستولوا عليها، و طردوا عاملها، و اتسعت حركته اكثر، اما نصر بن سيار فقد بث في القبائل روح العصبية و دعاهم الى جمع الكلمة لمحاربة ابي مسلم غير العربى، و وقعت الحرب، و كان ابو مسلم اذا هزم جيش نصر بن سيار و أسر من اصحابه الاسراء كساهم و داوى جراحهم و اطلقهم فكان هذا عاملا آخر على نجاح الدعوة.

و فى سنة ١٣٠ هـ، كان ابو مسلم قد تغلب على (مرو) العاصمة و دخلها فاتحا و نزل دار الامارة، و دعا هناك الى البيعة، و كان نص البيعة كما يلي:

«ابايعكم على كتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم، و الطاعة للرضا من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم، و عليكم بذلك عهد الله و ميثاقه و الطلاق، و العتاق، و المشى الى بيت الله الحرام، و على ان لا تسألوا رزقا و لا طعاما حتى يبتدئكم به ولا تكتم» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٠٧

و استبشر الخراسانيون و احسنوا الظن بالدعوة، و ايقنوا ان عهد الظلم و الفتك و الفساد باسم الاسلام و شريعته سيذهب بذهاب الامويين و حكاهم، لا سيما و نصوص البيعة التى جاء بها ابو مسلم كانت واضحة و صريحة، بأنها دعوة الى كتاب الله و سنة رسوله، يشترط فيها الرضا بمن يبايع على هذا من آل بيت رسول الله، فاندفعوا بحماس منقطع النظر الى جمع الاموال و ارسالها الى العراق لتموين الثورة و تغذيتها، و هبوا يجندون انفسهم، و يبذلون ارواحهم لترسيخ هذا الهدف الذى يرمى اليه الاسلام، و كان ابو مسلم الخراسانى يبذل قصارى الجهد فى جمع المال و تحويله الى الكوفة، و يحشد الجيوش بأقصى ما يملك من قوة و استطاعة مقابل الجيوش الاموية المحاربة، و مقابل جيوش الترك فيما وراء النهر، فبمال الخراسانيين، و بايمانهم بالاسلام، و بجيوشهم قامت الدعوة العباسية على ما توقع محمد بن على بن عبد الله و على ما اشار اليه داود بن على و ابو جعفر المنصور و غيرهم من خلفاء العباسيين ، و لو لا الخراسانيون لما تم شىء من هذا، يقول الدكتور زكى محمد حسن عن ذلك: «... و لا غرو فقد قامت الدولة العباسية على اكتاف الايرانيين فى خراسان» . و لم يدر الخراسانيون ان هذه البيعة هى الاخرى ستكون حبرا على ورق، و ان سيرة الحكام العباسيين و الخلفاء العباسيين فى الغالب ستكون كسيرة الخلفاء الامويين و عمالهم، جمعا للثروة على حساب الشعب، و تقتيلا فى النفوس، و تمثيلا بالجنث. و تعذيبا للخصوم و المنافسين على غير سنة الله و رسوله و شريعة الاسلام فيما سنمر عليه بايجاز فيما يأتى:

والتحق قحطبة بن شبيب بجيش ابي مسلم، و هو احد النقباء الاثني عشر الذين اختارهم ابراهيم الامام فقد عهد اليه ابو مسلم بقيادة الجيوش الخراسانية،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٠٨

فكان أينما حل بجيشه دعا اتباع بنى امية من الجيوش و جلهم من مضر الى المبايعه على كتاب الله عز و جل و سنه نبيه صلى الله عليه و سلم و الى الرضا من آل محمد فاذا ابوا و لم يجيبوه قاتلهم، و قد جرى قتال عظيم بين الجيوش الخراسانية و الاموية ادى الى ان يبلغ عدد القتلى حول مدينه طوس وحدها نحو بضعة عشر الفا!! اما المعركة التي قتل فيها (نباتة) فقد بلغ عدد القتلى فيها عشرة آلاف نسمة!!

و قسا قحطبة قسوة قواد الامويين فقتل من اهل جرجان ما يزيد على ثلاثين الفا.

و هرب نصر بن سيار بجيشه من مدينه الى اخرى و انسحبت جيوشه حتى خرج من خراسان كلها و سار بمن معه من الجيش الى (الري) منتظرا المدد من جيوش العراق، و هناك مات نصر و دفن بساوه سنه ١٣١ هـ، بعد ان اصبحت كل خراسان تحت قبضة ابي مسلم الخراساني و امرته، و قد بايعته كل خراسان و دون استثناء على النص الذي اورده و على الرضا من آل محمد و انضم اليه بعض اليمانيين، و بجيش خراسان هذا فتح قحطبة و ابنه الحسن (همدان) و (اصفهان) و (نهابوند) و سائر جهات ايران، ثم فتح بعد ذلك العراق، و مات غريقا في الفرات، و تولى ابنه الحسن بن قحطبة قيادة الجيش و كان ابو مسلم يدير حركة الجيوش من مقره بخراسان و ينصب العمال و الولاة و ينفق على الجيوش في جميع الجهات مما كان يجمع من الاموال، و هو الذي عين ابا مالك عبد الله بن اسيدي الخزاعي على البصرة بعد فتحها.

و بويع ابو العباس السفاح سنه ١٣٢ في مسجد الكوفة اول خليفه من بنى العباس، فصعد المنبر بعد الصلاة و خطب، و كان موعوكا فاشتد عليه الوعك فجلس على المنبر و قام عمه داود بن علي بن علي مراقي المنبر و اتم خطبته بخطبة امتدح فيها اهل خراسان و اعترف بفضلهم و قال فيما قال:

«يا اهل الكوفة، انا و الله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٠٩

اباح الله شيعتنا اهل خراسان فاحيا بهم حقنا، و ابلج بهم حجتنا، و اظهر بهم دولتنا، و اراكم الله بهم ما لستم تنتظرون». و في معركة (الزاب) و مروان بن محمد آخر خلفاء الامويين يقود جيشه- و قد رأى جيش خراسان و بسالته التي طوت كل هذه البلدان و جاءت تحاربه في عقر داره- قال رجل كان مع مروان:

«لعن الله (ابو مسلم) حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم؟» .

و حين اشتدت المعركة و عبد الله بن علي يقود الجيوش قبال مروان نادى عبد الله:

«يا اهل خراسان! يا لثارات ابراهيم» .

و قتل مروان آخر خلفاء بنى امية- على ما روى الطبري- بصيحة استفزازية من عامر بن اسماعيل الحارثي باللغة الخراسانية إذ نادى و هو يحمل على مروان قائلا: «يا جوانكتان دهيد» .

و في حرب المنصور لابن هبيرة و حصاره لواسط كان يحوط حجرة المنصور عشرة آلاف من اهل خراسان، و كان السفاح لا يقطع امرا دون ابي مسلم.

يقول البرفسور (رينولد. أ. نكلسن):

«لقد حكم العباسيون الذين احيطوا بحرس خاص قوى من جند خراسان الذين كانوا يعولون على اخلاصهم» .

و على ان الخلافة العباسية قد قامت بناء على ما مر على اكتاف الخراسانيين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١١٠

و اموالهم فقد بدأ العباسيون ينهجون نهج الامويين في خراسان و مع الخراسانيين، فقد قتل السفاح وزيره أبا سلمة لمجرد اتهامه بالميل الى العلويين بعد ان كان العباسيون يسمون ابا سلمة (بوزير آل محمد)، و قتل المنصور أبا مسلم الخراساني لمجرد تخوفه من شخصيته بعد ان كان العباسيون يسمون ابا مسلم (بأمير آل محمد)، و كان ابراهيم الامام يقول له: «انك منّا اهل البيت) بالاضافة الى سفك الدماء و التشريد و التعذيب و السلب و النهب الذي يقرأه القارىء في تاريخ العباسيين بخراسان.

عمال العباسيين في خراسان

اشارة

و كان ابو مسلم الخراساني اول عامل خراساني لأول خليفة عباسي في خراسان و الجبال، و ذلك في سنة ١٣٢ كما كان خالد بن برمك- و كان قد وافق الحملة الخراسانية من خراسان حتى تم القضاء على بني امية- اول خراساني تولى ديوان الخراج. و في اماره ابي مسلم الخراساني خرج شريك بن شيخ المهري ببخارى على حكومة العباسيين، و نقم على ابي مسلم قائلا: «و ما على هذا اتبعنا آل محمد ان تسفك الدماء، و أن يعمل بغير الحق» و تبعه على رأيه اكثر من ثلاثين الفاً، فوجه اليه ابو مسلم زياد بن صالح الخزاعي و قتله.

و في اماره ابي مسلم تم فتح ارض (فرغانة) و الدخول الى بلاد الترك، و الانتهاء الى ملك الصين. و في سنة ١٣٣ هـ، و جه ابو مسلم زياد بن صالح الى حرب الترك فوق القتال على نهر (طراز) فظفر المسلمون بهم و قتلوا منهم زهاء خمسين الفاً!! و اسروا نحو عشرين الفاً، و هرب الباقون الى الصين. و في سنة ١٣٤ هـ، اقبل جيش الصين و نزل في (طلخ) فأخرج ابو مسلم ياد بن صالح الى حربته و انجده بجيش من الخراسانيين و وقعت معركة كبيرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١١١

انتهت بانهزام الصينيين و توغل جيش المسلمين في الصين .

و في هذه السنة نفسها غزا ابو داود خالد بن ابراهيم اهل (كش) و قتل ملكها (الاخريد) و هو سامع مطيع، و قتل اصحابه، و اخذ منهم من الأواني الصينية المنقوشة المذهبة ما لم ير مثله، و من السروج و متاع الصين كله من الديباج و الطرف شيئاً كثيراً فحملة الى ابي مسلم و هو بسمرقند، و قتل عدة من دهاقينهم!! و انصرف ابو مسلم الى (مرو) بعد ان أمر ببناء سور سمرقند.

و في سنة ١٣٥ خرج زياد بن صالح على ابي مسلم فخرج ابو مسلم لحربه حتى تم له قتله، و اكتشف ابو مسلم في هذه الحملة ان السفاح كان قد ارسل سباع بن النعمان الأزدي الى زياد بن صالح يأمره بأن يثب على ابي مسلم و يقتله ان حانت له فرصة، و ان زيادا لم يثب الا بتحريض من السفاح و لكنه اخفق و قتل.

و في سنة ١٣٦ كتب ابو مسلم الى السفاح يستأذنه في القدوم الى الحج و كان منذ قيامه بالثورة لم يفارق خراسان فكتب اليه السفاح باذنه على ان لا يصحب معه اكثر من خمسمائة جندي، و يبدو ان السفاح كان يحاذر من ابي مسلم، فكتب له ابو مسلم بأنه قد وتر الناس، و انه ليس آمناً على نفسه ما لم يتخذ الحيطه الكافية من زيادة عدد الجنود فاذن السفاح له بألف جندي، و لا يبعد ان يكون ابو مسلم قد حاذر بطش السفاح به خصوصاً و قد كان مسبقاً بذلك في ثورة زياد بن صالح عليه، لذلك سار في ثمانية آلاف و قد فرقهم بين نيسابور و الري و خلف على خراسان أبا داود في محله، و تلقاه السفاح بالبشر و الاكرام، و اذن له بالحج.

و كان المنصور قد اقنع السفاح بوجوب الغدر بأبي مسلم حذراً من شخصيته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١١٢

و مكاتته فى الاوساط الخراسانية، و امتنع السفاح فى اول الامر ثم رضى و سأل المنصور: و لكن كيف نقتله؟ قال المنصور: اذا دخل عليك و جاذبته الحديث ضربته انا من خلفه ضربة قتلتها بها، قال و كيف بأصحابه؟ قال ابو جعفر: لو قتل لتفرقوا و ذلوا، ثم ندم السفاح على ذلك و أمر أبا جعفر بالكف عنه .

و حج ابو مسلم، و كان الحاج بالناس ابو جعفر المنصور، و مات السفاح، و بويع المنصور بالخلافة و هو بمكة، و قيل ان ابا مسلم كان قد تقدم على ابي جعفر المنصور فى الرجوع من الحج لذلك عرف بخبر موت السفاح قبل ان يعرف المنصور فكتب للمنصور: «عفاك الله و متع بك، انه أتانى أمر أفضعنى، و بلغ منى مبلغا لم يبلغه منى شىء قط، وفاة امير المؤمنين، فنسأل الله ان يعظم اجرک، و يحسن الخلافة عليك، انه ليس من اهلك احد اشد تعظيما لحقك، و اصفى نصيحة لك، و حرصا على ما يسرك: منى» .

و كان السفاح قبل ان يموت بعث بعمة عبد الله بن على فى غزوة الصائفة للحرب مع الروم و معظم جنده من الخراسانيين فلما مات السفاح دعا عبد الله الناس الى نفسه و نايعه؟؟؟ الكثير.

و عند عودة المنصور الى العراق دخل عليه ابو مسلم، و كان المنصور جازعا فقال له ابو مسلم ما هذا الجزع و قد اتتک الخلافة؟ قال انما اتخوف شر عمى عبد الله بن على و شغبه على، قال ابو مسلم: لا تحفه فأنا اكفيك ان شاء الله فان عامه جنده و من معه هم من اهل خراسان و لا يعصونى، فسرى عن المنصور.

و روى ابن الاثير ان ابا مسلم بعد عودته من الحج قال للمنصور: «ان شئت جمعت ثيابى فى منطقتى و خدمتك، و ان شئت اتيت خراسان فأمددتك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١١٣

بالجنود، و ان شئت سرت الى حرب عبد الله بن على» فأمره المنصور بالمسير لحرب عمه عبد الله فسار ابو مسلم بالجنود و لم يتخلف عنه احد.

و كان عبد الله بن على قد خشى ان لا يناصحه اهل خراسان الذين كانوا معه فأمر بقتلهم فقتل منهم نحو من سبعة عشر الفا!! فكان هذا دليلا آخر عند الخراسانيين بأن الحكم فى عهد العباسيين هى كالحكم فى عهد الامويين كلاهما خارج على حدود الاسلام و الشريعة الاسلامية.

و التحم الجيشان جيش ابي مسلم و جيش عبد الله، و بعد عدة شهور مضت بين كثر و فر و حرب قاسية تغلب ابو مسلم و فر عبد الله بن على، و آمن ابو مسلم الناس بعد الهزيمة، و أمر بالكف عنهم، و عاد بجيشه الى حلوان، و هى بالقرب من حدود السواد من بغداد، و ساءت ظنون ابي مسلم بالمنصور كما ساءت ظنون ابي جعفر بأبي مسلم فأرسل المنصور من يطمئن ابا مسلم و يستدعيه اليه و لكن ابا مسلم لم يعد، و تبادلوا الرسائل و كتب له ابو مسلم يقول:

«اما بعد فانى اتخذت رجلا اماما و دليلا على ما افترض الله على خلقه، و كان فى محللة العلم نازلا، و فى قرابته من رسول الله صلى الله عليه و سلم قريبا، فاستجهلنى بالقرآن فحرّفه عن مواضعه طمعا فى قليل قد نعاه الله الى خلقه فكان كالذى دلّى بغرور، و أمرنى ان أجرد السيف و ارفع الرحمة و لا- اقبل المعذرة، و لا- اقبل العثرة، ففعلت توطيدا لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان جهلكم، ثم استقدنى الله بالتوبة، فان يعف عنى فقدما عرف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١١٤

به و نسب اليه، و ان يعاقبنى فيما قدمت يداى، و ما الله بظلام للعبيد».

و ما زال به المنصور يوفد له الوفود و هو بحلوان و يكتب له و يطمئه و يؤمّنه حتى قدم عليه و لم يأخذ بمشورة الذين حذروه من غدر المنصور و اشاروا عليه بالرجوع الى خراسان.

و كان المنصور قد دعا بأربعة من خاصته فأخفاهم عنده، و دعا أبا مسلم لتناول الغداء معه، و هناك طلب منه ان يريه السيف الذى قاتل به جيش عمه عبد الله بن على فدفع ابو مسلم بسيفه اليه، و حينئذ صقَّ المنصور- و كانت تلك علامة بهجوم المختبئين عليه، و هكذا انتهت حياته قتيلًا بتلك الصورة .

و اوصى المنصور حينئذ اكل بتوجيه الجيش الخراسانى كل قسم منهم الى جهة و فرقههم قبل ان يعرفوا بمقتل ابى مسلم، و امر لهم بالجوائز.

ابو داود

و فى سنة ١٣٧ هـ، استعمل المنصور ابا داود خالد بن ابراهيم على خراسان و كان ابو مسلم قد استخلفه فى مكانه عند خروجه للحج و كان المنصور قد كتب له سرا قبل ان يقتل ابا مسلم بأنه سيستعمله على خراسان اميرا ما دام حيا اذا قطع صلته بأبى مسلم. و حين بلغ خبر مقتل ابى مسلم خراسان قام (سنباد) و هو مجوسى من (اهروانه) احدى قرى نيسابور مطالبا بدم ابى مسلم، و لقيت دعوته رواجاً فكثر اتباعه و كانت عامتهم من اهل الجبال، و تغلب على نيسابور، و قومس، و الرى، و تسمى بفيروز اصبهذ، فوجه اليه المنصور جيشا كبيرا التقى به بين همدان و الرى و تغلب عليه، و كان عدد القتلى من اتباع سنباد على ما روى المؤرخون نحو ستين الفا!! و قد سببت ذراريتهم، و نساؤهم، ثم قتل سنباد بعد ذلك.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١١٥

و اصبح ابو داود خالد بن ابراهيم موضع اعتماد المنصور، فحين قبض المنصور على اتباع اعمامه سليمان بن على، و عبد الله بن على، و عيسى بن على قتل المنصور بعضهم بمحضره و ارسل بالآخرين الى خراسان ليقتلهم ابو داود فقتلهم ابو داود. و ظل الجيش الخراسانى ينتدب لكل مهمة مستعصية. ففى سنة ١٣٨ هـ، جهز المنصور خازم بن خزيمه بثمانية آلاف من (المروروذية) فى حرب (مليد) فى طريق الموصل.

عبد الجبار الازدى

و فى سنة ١٤٠ هـ، مات ابو داود عامل المنصور على اثر حادث عصيان من بعض الجيش فسقط من احدى الشرفات و انكسر ظهره و مات، فاستعمل المنصور عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدى على خراسان، و لما قدمها اتهم جماعة من قواد الجيش بالدعاء الى ولد على بن ابى طالب كان بين المتهمين مجاشع بن حريث الانصارى عامل بخارى، و ابو المغيرة خالد بن كثير عامل قوهستان، و الحريش بن محمد الذهلى فأخذهم و قتلهم، و حبس جماعة منهم و بدأ يلح على عمال ابى داود فى استخراج ما عندهم من الاموال كما كان يفعل عمال الامويين من قبل و قد بدأ عهد بنى أمية فى طريقة الحكم يتجدد دوماً فما كان هناك بيعه، و نصوص بيعه، و كتابا لله، و سنة لرسوله، و قد ساء ظن الناس بالحكام العباسيين كما ساء بالامويين من قبل، و اضطر المنصور الى استدعاء عبد الجبار فتمرد عبد الجبار عليه، و لما بلغ ذلك اهل (مرو الروذ) ثاروا فى وجه عبد الجبار، و حاربوه، و قاتلوه قتالا شديدا حتى انهزم منهم و لجأ الى معطنة فتوارى فيها فعبّر اليه المجشّر بن مزاحم من اهل (مرو الروذ) و أسره و حمله الى المنصور و معه ولده و اصحابه، فبسط المنصور عليهم العذاب حتى استخرج منهم الاموال ثم امر فقطعت يدا عبد الجبار، و رجلاه و ضرب عنقه، كما كان يفعل خلفاء بنى امية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١١٦

المهدى

و المنصور اول من تنبّه الى اهمية خراسان في دعم الخلافة العباسية بالأموال و الرجال، و اول من فكر في السياسة التي تضمن له ولاء هذه الامارة و تمدّه بالجيش و لا ريب انه قد افاد من تمرد عبد الجبار الازدى عليه فرشح في هذه المرة ابنه المهدي و ارسله الى الري و طبرستان و عهد اليه اماره خراسان و ارسل معه خالد بن برمك ليعينه على ادارة الامارة فكان مما قاله خالد للمهدي هو: إن اباك يريد منك ان تكون ولي عهده، و ان ولاية العهد تتطلب منك ان تأخذ من الاموال التي تجيها على قدر ما يكفيك و تقسم الباقي على مأموريك و جيوشك على ان يكون ما تجييه من اموال الناس و ما تدفعه لمأموريك متفقا مع مبادئ العدل، و على ان تمشي مع الناس في حكمك بالاحسان و المعروف .

و كان ذلك سنة ١٤١ هـ، و المهدي لم يزل فتى لم يتزوج بعد، و كان المهدي قد سار الى خراسان و نزل نيسابور، و غزا من هناك طبرستان، و بعد قتال مرير طلب الاصبهذ الامان و سلم له قلعة طبرستان المنيعة، و اخلص له اهل (مرو) و تفانوا في سبيله. و في سنة ١٥٠ هـ، تمرد اهل (هراء) تحت قيادة (استاذ سيس) و انضمت اليه باذخيس، و سجستان، و بعض جهات خراسان، و التقى بهم اهل (مرو الروذ) في قيادة الاجشم المروردي و قاتلوهم دفاعا عن العباسيين، و وجه المنصور خازم بن خزيمه الى المهدي فولاه المهدي القيادة في حرب (استاذ سيس) و ضم اليه بقيه القواد، و وقعت المعارك و دارت الدائرة على (استاذ سيس) و قد روى المؤرخون ان عدد القتلى من اتباع (استاذ سيس) قد بلغ سبعين الفا!! اما عدد الاسرى فقد كان اربعة عشر الفا، اما استاذ سيس فقد نجا بنفسه و يقول البعض ان استاذ سيس هذا هو جدّ المأمون لاهه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١١٧

حميد بن قحطبة

و توجه المهدي الى الحج ثم اقتضى بعد ذلك ان يتوجه الى (الرقه) لذلك استعمل المنصور حميد بن قحطبة على خراسان و كان ذلك في سنة ١٥٢ هـ، فغزا حميد (كابل) و اخضع الجانب الشرقي من خراسان، و بقي اميرا على خراسان الى سنة ١٥٩ هـ و هي السنة التي مات فيها، و كان ذلك في خلافة المهدي.

ابو عون عبد الملك

و في سنة ١٥٩ هـ، استعمل المهدي على خراسان أبا عون عبد الملك بن يزيد و قد وقف الخراسانيون في هذه السنة موقفا حازما في تأييد المهدي بخلع عيسى بن موسى الذي كان يجب ان تعود الخلافة اليه بعد المهدي بمقتضى البيعة السابقة فحصره و ولاية العهد بعد المهدي بموسى بن المهدي حتى اضطر عيسى ابن موسى الى التنازل عن ولاية عهده و مبايعه موسى بن المهدي وليا للعهد، و قد دفع له المهدي لقاء ذلك عشرة آلاف الف اي (عشرة ملايين) و قيل بل عشرين الف الف و قطائع كثيرة، و صعد المهدي المنبر و اعلن الناس بما اجمع عليه اهل بيته و انصاره من اهل خراسان (كذا).

و في كتاب العهد الذي كتبه عيسى للمهدي على ما روى الطبري جاء فيه: انه عهد يكتبه لامير المؤمنين المهدي و لولي عهده موسى بن المهدي، و لاهل بيته، و جميع قواده و جنوده من اهل خراسان (كذا).

ثم يقول في العهد: و قد جعلت للمهدي و ولي عهده و لعامة المسلمين من اهل خراسان (كذا) و غيرهم الوفاء ... الخ و هذا ما يستدل به على قيمة خراسان و شأنها في كيان الدولة الاسلامية بحيث ينصون عليها في البيعة و في الوصية.

و في سنة ١٦٠ هـ، خرج يوسف بن ابراهيم على المهدي بخراسان آخذا على المهدي السيرة التي يسير عليها في خلافته، و اجتمع معه على ذلك جمع كثير من الاتباع، فتوجه اليه يزيد بن مزيد و اقتتل الجيشان و تغلب عليه يزيد و أسره

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١١٨

و بعث به من خراسان الى المهدي، فأمر المهدي بقطع يدي يوسف ورجليه، و ضرب عنقه، و اعناق اصحابه و صلبهم على جسر دجلة الاعلى، و تولى هزيمة قتل يوسف بنفسه لان يوسف كان قد قتل اخا لهزيمة بخراسان. و لم ترض سيرة ابي عون عامل خراسان المهدي فما لبث ان سخط عليه و عزله. و المعروف ان ابا عون كان اول عامل عاش في خراسان عيشة تقشف و زهد و كان بيته مبني باللبن حتى لقد ندم المهدي على عزله و تعجب و قال: كنت اظن ان بيته مبني بالفضة و الذهب.

معاذ بن مسلم

و في سنة ١٦٠ استعمل المهدي معاذ بن مسلم اميرا على خراسان، و في ايام ولايته كان خروج (حكيم المقنع) بخراسان مبشرا بدعوة دينية ترمي الى القول بتناسخ الأرواح و قد آمن به كثير حتى قوى و صار الى ما وراء النهر من بلاد الترك فحاربه معاذ بن مسلم و معه عقبه بن مسلم و سعيد الحرشي الذي تولى اخيرا قيادة حربه و حصره بمدينة (كش) و شدد الحصار عليه، و حين يئس (المقنع) شرب سما و سقاه نساءه و اهله فمات و ماتوا معه خشية ان يؤول بهم الامر الى السبي، و احتل الحرشي قلعة، و احتز رأسه، و بعث به من خراسان الى المهدي.

المسيب بن زهير

و في سنة ١٦٣ عزل المهدي معاذ بن مسلم من اماره خراسان و ولاها المسيب بن زهير، و في سنة ١٦٦ هـ، اضطربت خراسان على المسيب ابن زهير فعزل من امارتها.

الفضل بن سليمان

و استعمل المهدي الفضل بن سليمان الطوسي سنة ١٦٦ هـ، و وجه في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١١٩

سنة ١٦٧ ابنه و ولى عهده موسى الى جرجان لحرب المتمردين بطبرستان، و يستبان من الحوادث انه قد بدا للمهدي ان يعهد بولاية العهد من بعده الى هرون فقد ذكر بعض المؤرخين ان المهدي قد كتب لابنه موسى بجرجان ان يتنازل عن ولاية العهد لاختيه هرون و كان ذلك في سنة ١٦٩ و لكن موسى تنمر و لم يلب طلب ابيه، فصمم المهدي على الخروج بنفسه الى جرجان و معالجته الامر هناك، و في الطريق اعتل المهدي و مات، و قيل بل انه مات في خروجه للصيد و لم يكن يقصد جرجان. و بقي الفضل اميرا على خراسان حتى سنة ١٧١ هـ، في خلافة هرون الرشيد، و قد استدعاه الرشيد و استوزره الى جانب يحيى بن خالد.

جعفر بن محمد - العباس - الغطريف - حمزة

و استعمل هرون الرشيد بعد استدعاء الفضل بن سليمان الطوسي: جعفر ابن محمد بن الاشعث، و في سنة ١٧٣ أقدم الرشيد جعفر بن محمد الاشعث من خراسان و ولاها ابنه العباس بن جعفر بن محمد ثم عزله سنة ١٧٥ و ولاها خاله الغطريف بن عطاء، و في سنة ١٧٦ عزل الرشيد الغطريف بن عطاء عن خراسان و ولاها حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعي، و في سنة ١٧٧ عزل الرشيد حمزة بن مالك.

الفضل بن يحيى

و في هذه السنة ١٧٧ هـ، ولى الرشيد اماره خراسان الفضل بن يحيى بن خالد اضافة الى ما كان قد ولاه سابقا من بلاد الجبال و الري و

سجستان، و لم تكن خراسان على ما يرام من حيث الاستقرار فكان عهد الفضل اول عهد عرفت فيه خراسان الامن و الاستقرار و العدل و العمران منذ اول عهدا بالعمال الامويين حتى ذلك التاريخ من العهد العباسي فقد روى الطبرى ان الفضل حين قدم خراسان سنة ١٧٨ واليا احسن السيرة، و بنى المساجد،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٢٠

و الرباطات، و غزا ماوراء النهر، و اخضع ملك (أشروسنة) و كان ممتعا، و اتخذ بخراسان جندا من اهل خراسان سماهم العباسية، و جعل ولاءهم لهم، و قد بلغت عدتهم خمسمائة الف رجل، و قد قدم منهم بغداد عشرون الفا فسّموا ببغداد (الكرنية) و خلف الباقي منهم بخراسان على اسمائهم و دفاترهم و فى ذلك مما قاله مروان بن ابى حفصة:

ما (الفضل) الا شهاب لا أقول له عند الحروب اذا ما تأفل الشهب

أمست يد لبنى ساقى الحجيج بها كئاب ما لها فى غيرهم أرب

كئاب لبنى العباس قد عرفت ما ألف (الفضل) منها العجم و العرب

أثبتّ خمس مئين فى عدادهم من الالوف التى أحصت لك الكتب

يقارعون عن القوم الذين هم أولى بأحمد فى الفرقان إن نسبو

و قد وجه الفضل أحد قواده الى (كابل) فافتحها، و غنم غنائم كبيرة، و ازدهرت خراسان و عمرت، و ساد الامن جميع ربوعها، و كثرت هبات الفضل، و عطايها. و اصبحت خراسان اكثر من اى وقت ولاء للعباسيين و تعلقا بهم فى عهد الفضل بن يحيى، و قد اشار الى ذلك بعض الشعراء عند عودة الفضل من خراسان سنة ١٧٩، و قد تضمنت احدى قصائد مروان بن حفصة هذا الازدهار، و سيادة العدل و استتباب الامن، و اطمئنان النفوس فى بعض ما جاء منها اذ يقول:

نفى عن خراسان العدو كما نفى ضحى الصبح جلاباب الدجى فتفرّدا

لقد راع من أمسى (بمرو) مسيره الينا و قالوا شعبنا قد تبدّدا

على حين ألقى قفل كل ظلامه و اطلق بالعفو الأسير المقيّدا

و أفشى بلا من مع العدل فيهم أيادى عرف باقيات و عودا

فأذهب روعات المخاوف عنهم و اصدر باغى الامن فيهم و اوردا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٢١

و بذلك اعاد الفضل الاطمئنان الى النفوس و زال ذلك الاضطراب الذى كان سائدا خراسان يوم ارسل الفضل ليعيد اليها السكينة. يقول عمر بن عبد الرزاق: و فى هذه المدة التى شغل فيها الفضل اماره خراسان كانت خراسان مضرب المثل فى سيادة العدل، و تقدير اهل العلم و لحسن اختياره للذين ولاهم الحكم فى المدن ممن عرفوا بحسن التدبير و التقوى عمّ العدل جميع نواحي خراسان، و انتعشت الاحوال الاقتصادية لحد كبير حتى لهجت جميع اللسان بفضله و احسانه و عدله و حسن تدبيره .

منصور - جعفر بن يحيى - عيسى بن جعفر

و فى سنة ١٧٩ ولى الرشيد منصور بن يزيد بن منصور الحميرى اماره خراسان و لم تمض سنة حتى ولاها جعفر بن يحيى و لكن اماره جعفر لم تدم اكثر من عشرين يوما حتى عزله الرشيد و ولى عيسى بن جعفر.

المأمون

و فى سنة ١٨٢ بويع لعبد الله بن الرشيد بولاية العهد بعد اخيه الامين و سمي بالمأمون و ولاه الرشيد اماره خراسان و ما يتصل بها الى

همدان، و حينما حج الرشيد سنة ١٨٦ سجل هذه البيعة في كتاب تضمن وصيته من بعده و قد كتبه الأمين بطلب من ابيه بخطه يقول فيه:

«هذا كتاب لعبد الله هارون امير المؤمنين كتبه محمد بن هارون (الأمين) و قد ولاني العهد من بعده، و ولي عبد الله (المأمون) العهد و الخلافة بعدى برضى منى طائعا غير مكره، و ولاء خراسان و ثغورها و كورها، و حزبها، و جندها، و خراجها و طرزها، و بريدها، و بيوت اموالها، و صدقاتها،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٢٢

و عشرها، و عشورها، و جميع اعمالها في حياته و بعده»، الى ان يقول:

«... فان حدث بأمر المؤمنين (هارون) حدث الموت، و افضت الخلافة الى محمد بن امير المؤمنين (الامين) فعلى محمد انفاذ ما امره به هارون في تولية عبد الله (المأمون) خراسان، و ثغورها و من ضم اليه من أهل بيت مير المؤمنين»- ثم يعين المنطقه فيقول- «من لدن الرى الى اقصى عمل خراسان ليس لمحمد (الامين) ان يحول عنه قائدا و لا مقودا، و لا رجلا واحدا ممن ضم اليه امير المؤمنين و لا- يحول عبد الله المأمون، عن ولايته التى ولاها اياها هارون من ثغور خراسان و أعمالها كلها ما بين عمل الرى مما يلى همذان الى اقصى خراسان و ثغورها، و بلادها، و ما هو منسوب اليها، و لا شخصه اليه، و لا يفرق احدا من اصحابه و قواده عنه، و لا يولى عليه احدا، و لا يبعث عليه و لا على احد من عماله و ولاء اموره بندار و لا محاسبا و لا عاملا».

الى ان يقول:

«فان اراد محمد (الامين) خلع عبد الله (المأمون) عن ولاية العهد من بعده او عزل عبد الله عن ولاية خراسان و ثغورها و اعمالها و الذى من حد عملها مما يلى همذان و الكور التى سماها امير المؤمنين فى كتابه ... الخ فلعبد الله ابن هارون الخلافة بعد امير المؤمنين، و هو المقدم على محمد بن امير المؤمنين و هو ولي الأمر بعد أمير المؤمنين و الطاعة من جميع قواد امير المؤمنين هارون من اهل خراسان و اهل العطاء ... الخ».

و من هذه الوصية يستبان قدر خراسان و اهميتها بين جميع الاقاليم الاسلامية الاخرى و مبلغ ما كان يعتمدها الخلفاء بحيث ينص الرشيد على خلع خلافة ابنه الامين اذا اراد ان يخل بشروط الولاية على خراسان.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٢٣

على بن عيسى

و كان على بن عيسى بن ماهان قد فوض اليه الرشيد اماره خراسان باسم المأمون سنة ١٨٣ هـ، و كان قد استشار يحيى بن خالد فى تعيينه فأشار عليه يحيى بأن لا- يفعل، و لكن الرشيد لم يعمل بمشورته و استعمل على بن عيسى على خراسان، فلما شخص على بن عيسى الى خراسان ظلم الناس، و ضيق عليهم، و جمع اموالا طائلة، و وجه الى هرون مما جمع هدايا قيل انه لم يجمع مثلها قط من الخيل و الرقيق، و الثياب، و المسك، و صنوف الاموال، فجلّ هرون قدر على بن عيسى و قال ليحيى بن خالد على سبيل الدعابة: «هذا الذى اشرت علينا ان لا نوليه هذا الثغر فخالفتناك فيه فكان فى خلافك البركة، فقد ترى ما انتج رأينا فيه و ما قل من رأيك».

فقال يحيى: «يا امير المؤمنين جعلنى الله فداك، انا و ان كنت أحب ان اصيب فى رأى، و أوفق فى مشورتى، فأنا احب من ذلك ان يكون رأى امير المؤمنين أعلى، و فراسته أثقب، و علمه اكثر من علمى، و معرفته فوق معرفتى، و ما احسن هذا و اكثره ان لم يكن وراءه ما يكره امير المؤمنين، و ما اسأل الله ان يعيده و يعفيه من سوء عاقبته، و نتائج مكروهه».

قال الرشيد: «و ما ذاك لأعلمه؟»

قال «ذاك انى احسب ان هذه الهدايا ما اجتمعت له حتى ظلم فيها الاشراف و اخذ اكثرها ظلما و تعديا، و لو امرنى امير المؤمنين

لأنيته بضعفها الساعة من بعض تجار الكرخ».

قال الرشيد: «و كيف ذاك؟»

قال يحيى: «قد ساومنا (عونا) على السقط الذي جاءنا به من الجوهر و اعطيناه به سبعة آلاف الف فأبى ان يبيعه، فابعث اليه الساعة بحاجبي يأمره ان يرده الينا لنعيد فيه نظرنا، فاذا جاء به جحدناه و ربحننا سبعة آلاف ثم كنا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٢٤

نفعل بتاجرين من كبار التجار مثل ذلك، و على ان هذا اسلم عاقبه و استر امرا من فعل (على بن عيسى) في هذه الهدايا بأصحابها فاجمع لأمير المؤمنين في ثلاث ساعات اكثر من قيمة هذه الهدايا بأهون سعي، و أيسر امر، و اجمل جباية، مما جمع (على بن عيسى) في ثلاث سنوات» فسكت الرشيد و لم يعلق بشيء على كلام يحيى بن خالد.

و في سنة ١٨٣ خرج (ابو الخصب) بمدينه (نسا) من خراسان فسوى على بن عيسى أمره و؟؟؟ و اكرمه، و في سنة ١٨٥ عاد (ابو الخصب) فتمرد و خرج و استولى على طوس، و نيسابور، و زحف على مرو، و قوى امره، فخرج على بن عيسى بن ماهان من (مرو) لحربه و كان ذلك في سنة ١٨٦ و قتله في (نسا) و سبي نساءه و ذراريه.

و قبيل خروج (ابو الخصب) للمرة الثانية كان قد خرج (حمزة الشاري) فوثب (عيسى بن علي) و هو ابن علي بن عيسى على حمزة الشاري و اتباعه و قد قدر المؤرخون عددهم بعشرة آلاف مقاتل فظفر بهم عيسى بن علي و قتلهم، و بلغ كابل، و زابلستان، و القندهار.

و لقد اصاب يحيى بن خالد في رأيه حين اشار على الرشيد بعدم استعمال علي بن عيسى، فقد عاث علي بن عيسى في خراسان و وتر اشرافها، و اخذ اموالهم، و استخف برجالهم، فكتب الكثير من كبراء القوم و الدهاقين و الاشراف و سكان الكور و الدساكر يشكون ظلم علي بن عيسى الى الرشيد، و يستغيثون بالله من جوره و سوء سيرته، و قد قيل للرشيد ان علي بن عيسى قد اجمع على خلافك فشخص الرشيد الى الري، و هناك اعاد تثبيت البيعة لأولاده و اعاد تثبيت النص على ان تكون خراسان ضمن ولاية (المأمون) التي يجب ان لا يعارضه فيها احد. و قد قدم عليه علي بن عيسى في الري، و جاء معه من خراسان بالاموال و الهدايا و الطرف من المتاع و المسك و الجوهر،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٢٥

و آنية الذهب و الفضة، و السلاح و الدواب على ما يعدد المؤرخون، و اهدى الى جميع من كان مع الرشيد من ولده و اهل بيته، و كتابه، و خدمه، و قواده على قدر طبقاتهم و مراتبهم، فرضى عنه الرشيد، و رده الى خراسان و كان ذلك في سنة ١٨٩.

و في سنة ١٩٠ خرج رافع بن الليث بن نصر بن سيار و تبعه من الاتراك عدد كبير و قد تم له قتل عيسى بن علي بن عيسى و هو القائد الذي ولاه ابوه علي بن عيسى قيادة الجيش لقتال رافع بن ليث، فساق على بن عيسى الجيش لقتال رافع و كتب الى الرشيد انه اضطر الى ان يبيع حلى نسائه و ينق الثمن في حرب رافع، في حين كان يبلغ الرشيد ان علي بن عيسى يجمع مالا كثيرا و انه قد اذل الاعالى من خراسان و اشرافهم، و كان يستولى على اموال الناس قسرا، حتى لقد اشترى مرة درقة ثمينه على كره من صاحبها بثلاثة آلاف و لم يدفع له ثمنها! فأقام صاحبها حولا ينتظر ركوب علي بن عيسى ليراه و ليبلغه بعدم تسلمه ثمن الدرقة، و حين ركب علي بن عيسى عرض له الرجل و اخبره، فصاح به علي بن عيسى و قذف أمه، الى غير ذلك مما استحوذ عليه من الضياع و العقار و الجواهر في حين يقول انه اضطر ان يبيع حلى نسائه لضيق ذات يده.

و قوى سلطان علي بن عيسى و بدرت منه بوادر تدل على الخلاف على الرشيد حتى لقد خشى الرشيد ان يعصى عليه لو امر بعزله او استدعائه اليه، و كانت ثورة (رافع بن الليث) في شمال خراسان قد اتسعت فاتخذ منها الرشيد حجة لمعالجة الوضع مع علي بن عيسى و احتال عليه بأن عين (هرثمة ابن اعين) كقائد و وزير لعلي بن عيسى و اوفده الى خراسان ليساعد علي بن عيسى في حرب رافع بن

الليث في الظاهر، اما في الباطن فقد كتب الرشيد لهرثمة بن اعين عهدا بالامارة على خراسان، و جهزه بالجيش و الهدايا و الاموال ليقدمها الى على بن عيسى ليستعين بها في حرب رافع بن الليث ظاهرا ثم ليقبض عليه و ينهي قضيته.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٢٦

هرثمة بن اعين

و اقبل ابن اعين في سنة ١٩١ الى خراسان متظاهرا بأنه إنما جاء فلكى يدعم قوات على بن عيسى في اخماد ثورة رافع بن الليث، و قد احسن هرثمة تمثيل الدور، و أحسن التدبير ففوض الى من يعتمد عليهم الوثوب على على ابن عيسى و اولاده و اصحابه في الوقت المناسب و وفق الخطة التي اختطها، و قد تم له ذلك بكل سهولة و قبض عليه، و استصفى ماله فاذا به ثمانون الف الف الف (ثمانون مليوناً) هذا عدا ثلاثين الف الف كان قد خبأها ابنه عيسى قبل ان يقتل في احد البساتين.

و حين قدم الرشيد خراسان سنة ١٩٣ و افوه هناك بخزائن على بن عيسى و كان يحملها ١٥٠٠ بعير!!

و هناك في المسجد بمر و خطب هرثمة و قرأ عهد الرشيد و كتابه الذي كتبه الرشيد بخطه الى على بن عيسى و الذي جاء فيه: «يا ابن الزانية، رفعت من قدرك، و نوهت باسمك، و اوطأت سادة العرب عقبك، و جعلت ابنا ملوك العجم خولك و اتباعك، فكان جزائي:

أن خالفت عهدي، و نبذت وراء ظهرك امرى، حتى عثت في الارض، و ظلمت الرعية ... و قد وليت هرثمة بن اعين مولاي ثغر خراسان و أمرته ان يشد و طأته عليك و على ولدك و كتابك، و عمالك، و لا يترك وراء ظهوركم درهما، و لا حقا لمسلم، و لا معاهد الا اخذكم به حتى ترده الى اهله» .

و كان هرثمة قد أعد معه عددا كبيرا من القيود الحديدية، و قد زج به جميع من قبض عليهم، و ارسل على بن عيسى مقيدا الى الرشيد، فحبسه الرشيد في داره ثم استعمله الأمين حيث آلت اليه الخلافة مشاورا و قائدا حتى قتل في معركة الرى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٢٧

هارون في خراسان

و كان رافع بن الليث قد استفحل امره في شمال خراسان، و بدا ان وضعه اصبح خطيرا بحيث استدعى الرشيد ان يشخص بنفسه الى خراسان و يعالج امر ابن الليث عن كثب، و لم تكن صحة الرشيد على ما يرام و لكن خراسان كانت كل شىء في الاقطار الاسلامية، فقدم من (الرقعة) متجها لى خراسان، و لم يكن في النية استصحاب احد من اولاده، فقد استخلف ابنه القاسم في (الرقعة) و محمد الامين في (بغداد)، و كانت نيته استبقاء عبد الله المأمون في العراق، فجاء الفضل بن سهل الذي دعى بعد ذلك (بذى الرياستين) الى المأمون و قال له: انت لست تدري ما يحدث بالرشيد في سفره الى خراسان، و هى ولايتك، و اخوك الامين هو المقدم عليك، و ان أحسن ما يصنع بك ان يخلعك و هو ابن زبيدة و اخواله بنو هاشم، و زبيدة و اموالها، فاطلب اليه ان يشخصك معه، فسأل المأمون اباه الاذن فأبى عليه، فقال له (ذو الرياستين): قل له انك عليل، و انما اردت انا ان اخدمك اذا سرت معك، و لست بمكلف اياك شيئا فأذن له الرشيد، و سار معه المأمون و الفضل بن سهل يلازمه .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٢٨

و التحم جيش هرثمة و جيش رافع بن الليث، و تم فتح (بخارى) و أسر ابن الليث اخو رافع و جرى به الى الرشيد، و كانت علة الرشيد قد اشتدت عليه. فطلب الرشيد قصابا و قال له: لا تشحذ مداك بل أبقيها على حالها غير مسنونة و قطع هذا الفاسق و عجل به، و لا تبغ

عضوا من اعضائه فى جسمه و انا حى!! و قد قطعه القصاب حتى جعله اشلاء، و عدت الاعضاء المقطعة فاذا هى اربعة عشر عضوا..!. و المنقول ان الرشيد اراد ان يعمل بجبريل بن بختيشوع ما عمل بأخى رافع ابن الليث و هو حى لانه غلط و أخطأ فى كيفية علاجه على ما ظن الرشيد فدعا اليه، و لكن جبريل توسل اليه ان ينظره الى الغد و هو ضمين بأنه سيصبح فى عافية و سيشفى و لكن الرشيد مات فى نفس اليوم.

و من قبل عمل بابن المقفع بأمر من ابى جعفر المنصور مثل هذا. فقد أمر عامل المنصور بتنور فأسجر ثم امر بابن المقفع فقطع منه عضو ثم القى فى التنور و ابن المقفع ينظر حتى اتى على جميع جسده، ثم اطبق عليه التنور .

و ساءت ظنون الرشيد بهرثمة فعهد للمأمون ان ينزل (مرو) و يباشر العمل بنفسه قبل وفاته بنيف و عشرين يوما، فتولى المأمون الامر و اقتصر عمل هرثمة على حرب رافع بن الليث.

و حين وصول الرشيد خراسان و اشتداد و طأة العلة عليه نزل فى منزل الجنيد بن عبد الرحمن فى ضيعة له تعرف (بسناباد) و مات فى القصر القائم بذلك البستان و دفن فيه، و كان ذلك فى جمادى الآخرة، من سنة ١٩٣ هـ.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٢٩

خراسان و المأمون

و فى السنة التى مات فيها هارون و هى سنة ١٩٣ بويح لابنه محمد الامين ببغداد، و المأمون فى (مرو) بخراسان و قد اخذت البيعة للأمين فيها، و لكنه لم يمر بعض الوقت من هذه السنة حتى دب الخلاف بين الاخوين الامين الخليفة و المأمون ولى العهد، و السبب فى ذلك هو ان (الامين) كان قد كتب حين بلغه تدهور صحته ابيه كتبا ارسلها مع بكر بن المعتمر و اوصاه ان لا يسلمها الى اصحابها فى خراسان الا بعد وفاة ابيه هارون، و كان من هذه الكتب كتاب كتبه الأمين الى اخيه صالح بن الرشيد الذى كان يومذاك بمعيه ابيه بخراسان يوصيه فيه بأن ينصب و يعزل من يرى من القواد و العمال، و ان يحمل له المال من خراسان، و ان يمكن الفضل بن الربيع، و كان الفضل ابن الربيع فى معيه هرون بخراسان- و قد فوض الامين للفضل فى كتابه جميع الحقوق التى كان هرون قد خصها بابنه المأمون فى خراسان الى نهاية الحدود من همدان، فكان هذا هو مبدأ الخلاف بين الاخوين، اذ شق على المأمون ان يتدخل الامين فى شؤونه و قد بدأ يرى ان الذين تلقوا هذه الكتب من الامين سواء من اولاد الرشيد او القواد و الزعماء صاروا يحلون انفسهم من بيعة المأمون كصاحب خراسان و اليها الذى لا يخلع، و قائد الجيش الذى لا ينازع حسب العهد الذى اخذه الرشيد للمأمون.

و قد اوقع الفضل بن الربيع ما يشبه الفوضى فى امارة خراسان، و دعا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٣٠

القواد، و العمال و القبائل و جيوشها الى مغادرة خراسان و الالتحاق بالامين ليفت فى عضد المأمون و يضعف من شأنه و يجعله امام الامر الواقع، و قد سجل على الفضل بن الربيع و هو يغادر خراسان الى بغداد بقوله: «لا ادع ملكا حاضرا لآخر لا يدري ما يكون من امره» و رحل و رحل معه جمع لهم شأن و قوة كان لا يخلو ارتحالهم من خطر على المأمون.

و جمع المأمون من بقى معه من قواد ابيه و اهل بيته و استشارهم فيما يفعل فأشاروا عليه بأن يلحقهم بالجيش و يردهم بالقوة من عرض الطريق، و دخل عليه الفضل بن سهل (ذو الرياستين) و قال له: ان فعلت بما اشاروا به عليك جعلت هؤلاء هدية الى (الامين)، و لكن رأى ان تكتب اليهم كتابا، و توجه اليهم رسولا و تذكرهم بالبيعة و تسألهم الوفاء، و تحذرهم الحنث و ما يلزمهم فى ذلك فى الدين و الدنيا، و ان رسلك تقوم مقامك فتستبرىء ما عند القوم ...

و عمل المأمون برأى الفضل) و لحق رسولان له بالقوم فى نيسابور و عرضا على القوم وصية المأمون، فلقيا منهم ما لا يسر، فقد سبوا

المأمون، و نالوا منه، و حاولوا قتل الرسولين فرجعا.

فقال الفضل بن سهل للمأمون: انهم اعداء و قد استرحت منهم، فاصبر و انا اضمن لك الخلافة، فقال المأمون لقد فعلت و جعلت الامر اليك فقم به.

و يقول الطبرى: بل قال الفضل: و الله لاصدقنك ان هؤلاء القواد و الامراء- و سماهم الفضل- انفع لك منى ان قاموا لك بالامر لرئاستهم المشهورة، و لما عندهم من القوة على الحرب فمن قام بالامر كنت انا خادما له حتى تصير اليّ محبتك و ترى رأيك فيّ، فلقد لقيتهم فى منازلهم و ذكّرتهم البيعة التى فى اعناقهم، و ما يجب عليهم من الوفاء.

و يقول الطبرى: فقال الفضل و كأنى جئتهم بجيفة على طبق، فقال المأمون للفضل حين ذاك: فقم انت بالامر، فقال الفضل: فالرأى ان تبعث الى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٣١

من بالحضرة من الفقهاء فتدعوهم الى الحق و العمل به، و احياء السنة و تقعد على اللبود و تردّ المظالم.

ففعل المأمون، و بعث الى الفقهاء بمشورة من الفضل، و اكرم القواد و الملوك و ابناء الملوك،- و يقول الفضل: فكنا ندعو كل قبيلة الى نقباء و رؤساء الدولة كاستمالتنا الرؤوس، و حططنا عن خراسان ربع الخراج، فحسن موضع ذلك منهم و سزوا به- و اقام المأمون على ما كان يتولى من عمل خراسان و نواحيها الى الرى، و كان قد اخذ البيعة لأخيه الامين كما مرّ و كاتب اخاه الامين و اهدى اليه هدايا كثيرة، و تواترت كتبه الى اخيه بالتعظيم و الهدايا من الطرف و النفائس الخراسانية و المتاع، و الآنية، و المسك، و الدواب و السلاح.

و فى سنة ١٩٤ حسّن الفضل بن الربيع للامين،- و كان الفضل قد نكث عهده للمأمون و عاد من خراسان الى بغداد مع من عاد- ان يخلع المأمون من ولاية العهد و يعهد بها الى ابنه موسى من بعده.

و قد أيد غير واحد من المؤرخين: ان مثل هذا الرأى لم يكن من رأى محمد الامين و لا من عزمه و لكن الفضل بن الربيع لم يزل يصغر شأن المأمون فى عين الامين و يزين له خلعه خوفا من المأمون اذا ما انتهت الخلافة اليه ذات يوم ان يحاسبه على نقضه لبيعتة بولاية العهد و اماره خراسان، و حمله القواد بخراسان على نقض العهد و مغادرة البلاد الى بغداد، و ما زال الفضل يحسن للامين ذلك حتى ادخل فى ذهنه فكرة الكتابة الى الاقطار بالدعاء لابنه موسى بعده، و عزله لآخيه القاسم عن ولاية الجزيرة و كان الرشيد، قد عهد بامارة الجزيرة الى القاسم و جعله وليا للعهد بعد المأمون و ترك امر تربيته و عزله عن ولاية العهد الى المأمون نفسه اذا ما اصبح المأمون خليفة.

و كانت سيرة المأمون فى خراسان قد حبيته الى جميع السكان حتى حملت رافع بن الليث الثائر فى شمال خراسان ان يطلب الأمان منه فأمنه المأمون

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٣٢

و عاد هرثمة من ساحة الحرب و كان معه من القواد الذين قادوا الجيوش فى حرب رافع بن الليث طاهر بن الحسين، فولى المأمون هرثمة قيادة الحرس، فأنكر (الامين) مثل هذا التعيين و غيره من التصرفات على (المأمون) و بعث بوفد عليه العباس بن موسى بن عيسى يطلب من المأمون ان يتنازل لابن اخيه موسى بن الامين عن ولاية العهد، و قد قام العباس بهذه المفاوضات و ذكر المأمون بأن جده عيسى بن موسى قد خلع نفسه فى ظروف كهذه الظروف اجابه لطلب المهدي فما يضر المأمون لو فعل ذلك و تنازل لابن اخيه، و هنا صاح به (ذو الرياستين) قائلا «ان جدّك كان اسيرا فى ايديهم. اما المأمون فهو بين اخواله و شيعته» ثم انزل كل عضو من الوفد فى منزل وراح (ذو الرياستين) بما عرف به من الدهاء يفاوض العباس رئيس الوفد حتى أقنعه بمبايعة المأمون بالخلافة، و قال له ان لك عندى ولاية الموسم و لا ولاية اشرف منها و لك من مواضع الأعمال بمصر ما شئت، فكان بعد ذلك حين عاد العباس الى بغداد

يكتب من بغداد بالآخبار للمأمون، و للفضل بن سهل، و يشير عليهما بما يرتئى!!

يقول على بن يحيى السرخسى: ان العباس حين اوفد الى خراسان لاقناع المأمون على التنازل مربي فوصفت له سيرة المأمون و حسن تدبير (ذى الرياستين) و احتمالاه الموضوع فلم يقبل ذلك منى، فلما رجع من (مرو) مربي، فقلت له: كيف رأيت (ذا الرياستين)؟ قال اكثر مما وصفت .

و اكثر الفضل بن الربيع الدسّ و الوقيعه على قدر ما استطاع حتى ابعد الشقه بين الأمين و المأمون و اخيهما القاسم، و قد ارسل بمن ينتزع العهدين اللذين كتبهما هرون و علقهما فى الكعبه- و اللذين يتضمنان البيعه بالخلافه للأمين و ولايه العهد و اماره خراسان للمأمون- ليمحو ما يستطيع من آثار هذين العهدين

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١١، ص: ١٣٣

من النفوس فجىء بالعهدين من مكه الى الامين، و مزقهما الأمين،

و قد دارت مكاتبات و رسائل بين الامين و المأمون كما يريد الامين منها اعتراف المأمون بسيطرته على خراسان على خلاف ما تضمن العهد و البيعه و كان يطلب من المأمون بأن يبعث له بالاموال من خراسان ليكون ذلك اعترافا او شبه اعتراف منه بتابعيه خراسان للامين، أما المأمون فكان يرد عليه فى رسائله ردودا مفعمه بالتواضع و الطاعه، و كان الغالب من تلك الرسائل يحبرها الفضل ابن سهل بنفسه أو تكتب بمشوره منه.

و طلب الامين مره من المأمون ان يفوض له أمر البريد فى احدى الكور بخراسان فاستشار المأمون قواده، و اهل بيته فرجح اغلبهم التسليم بذلك و التساهل فى مثل هذا الطلب الصغير الا الفضل بن سهل و اخوه الحسن بن سهل اللذان قالوا: من ذا الذى يضمن ان لا يكون هذا البريد عينا علينا و مركزا تدار منه الحركات و اثاره الشغب على اماره المأمون؟ و من ذا الذى يضمن ان لا يكون تنفيذ هذا الطلب منا مشجعا لطلبات اخرى قد تتجاوز الحدود فى حين ان مثل هذا الطلب ليس من حق الامين و لا من اختصاصه كما نصت على ذلك البيعه و جرى عليه العهد الذى أخذ على الامين فى حياه الرشيد.

و أحس (ذو الرياستين) بمحاولات مختلفه يقوم بها الامين بقصد توغل العيون و الرسل الى خراسان و بذل الاموال لقلب الدوله على المأمون فاتخذ كل الوسائل و الاحتياطات للحيلوله دون وصول هؤلاء الرسل و العيون و المكاتب التى يكتبها الامين الى بعض من يرجو منهم الطاعه و الانصياع له، و ذلك بأن ضبط (ذو الرياستين) الحدود فلم يكن يسمح بعبورها للمشبهين و من يشك فى امرهم الا بعد اجراء تفتيش دقيق بحثا عن المكاتب و ما يحملون من نقود تتجاوز كميتها الحدود المعقوله لاستعمالها فى الرشوه، و قد ثبت ان هذا التدبير كان نافعا جدا، و قد أفاد هذا التفتيش و العيون التى وضعت فى مداخل الرى و مداخل خراسان من قبل الفضل بن سهل كثيرا.

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١١، ص: ١٣٤

و استعان ذو الرياستين بعدد من القواد و الاصحاب اللذين يقيمون مع الامين ببغداد ليمدوه بما يعرفون من نيات الامين و اخباره فكان يتلقى اخبارا متصله عن كل شىء يهم امره المأمون و حكومته.

و لقد تأزم الوضع بين الامين و المأمون، فالامين يتوخى عزل المأمون و تنصيب ابنه موسى وليا للعهد و السيطرة على خراسان، و المأمون يشتد فى التمسك بحقه من البيعه و العهد الذى اخذه له ابوه الرشيد، لذلك القى بكل ثقل المهمه على كاهل الفضل بن سهل (ذو الرياستين) و اطلق يده فى تدبير الامر اطلاقا دون قيد.

و قد صار الناس فى خراسان يشعرون ان عهد خراسان فى ايام الفضل ابن يحيى بن خالد قد بدأ يتجدد، فقد ساد الاستقرار و عادت الطمأنينه الى النفوس، و اصبحت للمواطن حريته فى التصرف بأمواله و اداره املاكه و تجارته و سائر اعماله بعد ان لقي من عمال العباسيين الأمرين كما لقوا من عمال الامويين، و مرد ذلك الى سيرة المأمون و عقله و الى حسن تدبير الفضل بن سهل و فكره،

فتفانى الخراسانيون في محبة المأمون و احتفوا به و بالغوا في التنويه باسمه و الدعاء له، و شعروا بأن المعدل الذي يدعو اليه الاسلام بدأ يأخذ طريقه في ادارة الحكم.

يقول الطبري: ان الفضل بن ربيع لما اراد ان يزن أثر خلع المأمون و يزن ردّ فعله في نفوس الجيوش و السكان و على الاخص الخراسانيين اذا ما أقدم الامين على خلعه. سأل احد ارباب الرأي على سبيل المشاورة فيما يرى و يتكهن فلم يرجح له هذا الرأي، و اعتبره نقضا للعهد، و ضربا من ضروب الغدر .

و حين سأله عن رأيه في جنود المأمون؟ قال انهم قوم على بصيرة من امرهم لتقدم سعيهم و ما يتعاهدون من خطبهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٣٥

و حين سأله عن السكان و عامتهم قال: انهم «قوم كانوا في بلوى عظيمة من تحيف و لاتهم في اموالهم، ثم في انفسهم، صاروا به الى الأمانة من المال و رفاهه في المعيشه، فهم يدافعون عن نعمه حادثه لهم، و يتذكرون بليه، لا يأمنون العوده اليها فلا سبيل الى استفساد عظماء البلاد عليه ليكون محاربتنا اياه بالمكيدة من ناحيته، و لا بالزحوف نحوه لمناجزته، لمحبة الضعفاء له قد صاروا اليها لما نالوا به من الامان و النصفه، و اما ذوو القوه فلم يجدوا مطعنا، و لا موضع حجه، و الضعفاء السواد الأكبر». و المسؤول الذي سأله ابن الربيع و ان كان من الذين يميلون للمأمون و لكنه صدق في قوله، و لم يقل غير الحق.

و لكن مثل هذه المشورة لم تصد الفضل بن الربيع عن تصميمه فراح هو و على بن عيسى يحثان الامين على خلع المأمون حتى خلعه و قطع ذكره في الخطبة و أمر باسقاط ما كان قد ضرب من الدراهم و الدنانير في خراسان باسمه، و اعلن ابنه موسى وليا للعهد، ثم أمر على بن عيسى بن ماهان بالمسير لحرب المأمون.

معركة الري

و هنا كان لا بد للمأمون ان يتخذ الحيطه الكافية، و كان من رأى الفضل الاسراع بتجنيد الجنود و تجهيزهم بالمؤن، و لذلك تم تجهيز الجيش و تجنيده، على الحدود و أمر الجيش ان لا يتجاوز الحدود المعينه، و ان لا يطلقوا يدا بسوء في عامه و لا مجتاز، ثم اشخص الفضل طاهر بن الحسين من خراسان الى الري و فوض اليه القيادة و ضم اليه بقية القواد، و اسرع طاهر بن الحسين الى الري و نزل فيها و قسم جنوده و عيونه في النقاط المعينه و المهمه و كان ذلك في سنة ١٩٥.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٣٦

اما على بن عيسى بن ماهان فقد خرج من العراق بخمسين الف محارب و هو عازم على دخول خراسان و أسر المأمون معتمدا على قوة جيشه و شجاعته و خبرته التامة بخراسان يوم كان عاملا عليها من لدن الرشيد، و توغل جيشه في ايران و اقبل على الري.

و هنا و لأول مرة رأى طاهر بن الحسين وجوب المناداة بخلع الامين و تنصيب المأمون خليفه حذرا من ان تكون لحملة على بن عيسى على الري صفة شرعية ما دام قد قدمها باسم خليفه قد اخذت له البيعة من جميع الخراسانيين و التي توجب الطاعة على جميع المبايعين له، فنادى بخلع الامين و الدعوة للمأمون و كان اسم على بن عيسى يدخل الرعب في النفوس لما رافق حكمه في خراسان ايام امارته من قساوة و تنكيل، و كان على بن عيسى يستصغر شأن طاهر بن الحسين و يستهزئ به كقائد يستطيع الوقوف امامه، و لكن طاهر بن الحسين كان شجاعا غير هباب، و كان كثير الجلد و على جانب كبير من الاحاطة بفنون الحرب فلم تذهله هذه القوة الكبيرة التي جاء يقودها بطل من كبار ابطال الحروب و قائد ذو حنكة معروفة، فخرج طاهر في اربعة آلاف محارب لمواجهة خمسين الفا بعد ان امعن النظر و درس وضع القتال في حالة وقوفه محاصرا و مدافعا عن الري حتى يأتيه الامداد من خراسان او حالة القيام بهجوم من قبله، و أحسن تنظيم الحملة و توجيهها و تخطيط الجهات التي عينها للمعركة فالتحم الجيشان حتى انهزم جيش على بن عيسى امام جيش

طاهر ثم انتهت المعركة بقتل علي بن عيسى على يد خراساني يسمى (داود سياه) اي داود الأسود، و هناك من يقول بأن قاتله رجل يسمى بطاهر الصغير ، و قد قطع رأسه و جيء به الى طاهر بن الحسين، فكتب طاهر ابن الحسين الى المأمون و الى ذى الرياستين يقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم: كتابي هذا الى أمير المؤمنين، و رأس علي بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٣٧

عيسى بين يدي و خاتمه في اصبعي، و جنده مصرفون تحت امرى و السلام».

و حين تناول (ذو الرياستين) الكتاب دخل على المأمون و هنأه بالفتح، و خرج الى الناس يأمرهم بأن يدخلوا على المأمون، و يسلموا عليه بالخلافة، فأعلنت حينذاك خلافة المأمون لأول مرة و اتخذ (مروا) عاصمة له.

و ارجف الناس ببغداد و خافوا غائلة هذا الأمر، و ندم محمد الامين على ما كان منه من نكث العهد و خلع اخيه المأمون، على بعض القول. و مع ذلك فقد جهز عبد الرحمن بن جبلة الانبارى عشرين الفا من المقاتلة الى همدان ليقاتلوا طاهر بن الحسين و من معه من الخراسانية .

و كان للمأمون الف الف درهم كان الرشيد قد وصله بها و قد خلفها المأمون عند نوفل الخادم ببغداد و كان نوفل وكيلا للمأمون و الناظر فى امر اولاده ببغداد، و كان الامين قد حال بين التحاق اولاد المأمون بأبيهم و نقل امواله اليه عند ما طلب المأمون منه ذلك. و قد أشار عليه الفضل بن الربيع بأن يصادر تلك الأموال و الممتلكات التى تخص المأمون فصادرهما.

احتلال بغداد و قتل الامين

و فى سنة ١٩٦ كان المأمون قد تركز خليفه و بوبع له بأمره المؤمنين و خطب له، و كان الفضل بن سهل يشغل رياسة الحرب و امور الوزارة و لذلك لقبه المأمون (بذى الرياستين) منذ ذلك التاريخ.

و كان حامل اللواء بخراسان على بن هشام، و حامل القلم نعيم بن حازم، اما ديوان الخراج فقد عهد به الى الحسن بن سهل شقيق (ذى الرياستين).

و يمضى طاهر بن الحسين فى حرب جيش الامين و يهزم جيش عبد الرحمن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٣٨

ابن جبلة الانبارى و يهزم فى طريقه كل جيش يرسل به الامين لحربه حتى يدخل حلوان من العراق.

و كان المأمون قد جهز جيشا آخر من خراسان بقيادة هرثمة بن اعين ليحل محل طاهر بن الحسين لكى يقوم طاهر بن الحسين بجيشه فى حرب جيوش الامين فى الاهواز و جنوب العراق التى كان يخشى من بأسها، اذ عليها يتوقف القضاء على حكومة الامين لما كان للبصرة و واسط و الكوفة من اهمية كبيرة فى دعم الخلافة.

و انتقل طاهر بن الحسين بجيشه الى الاهواز و استولى عليها و زحف منها على واسط فخضعت له البصرة و الكوفة، و اينما صار حمل الناس على الاعتراف بخلع الامين و مبايعة المأمون بالخلافة، و نصب العمال و الولاة من قبله على الموصل، و الكوفة، و البصرة، و مكة، و المدينة، و اليمن.

و لما أخضع طاهر كل تلك الأقاليم و الاقطار زحف هو و هرثمة بن اعين و بعض القواد الآخرين على بغداد و حاصروها، و قد اشتد القتال داخل بغداد حتى فتحها و قتل الامين فيها.

و هنالك دخل طاهر المدينة، و صلى بالناس، و خطب للمأمون، و كان ذلك فى سنة ١٩٨، و كتب طاهر الى المعتصم، و قيل بل

كتب الى ابن المهدي:

«اما بعد. فانه عزيز على ان اكتب الى رجل من اهل بيت الخلافة بغير التأمير، ولكنه بلغني انك تميل بالرأى و تصغى بالهوى الى الناكث المخلوع، فان كان كذلك فكثير ما كتبت اليك، و ان كان غير ذلك فالسلام عليك ايها الامير و رحمة الله و بركاته». و لما وصل خبر قتل الامين الى المأمون بخراسان أذن للقواد، و قرأ حينذاك الفضل بن سهل الكتاب عليهم فهناؤه بالظفر و دعواه، و فى (البداية و النهاية)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٣٩

انه حين جىء برأس الامين قال ذو الرياستين يؤلب على طاهر:

«أمرناه بأن يأتى به أسيرا فأرسل به الينا عقيرا».

فقال المأمون: «مضى ما مضى».

و أمر طاهر بن الحسين بحمل موسى و عبد الله ابني الأمين إلى عمهما المأمون بخراسان رعاية لهما و كانت الفتن قد هدأت، و الشرور قد خمدت، و أمن الناس، و طابت الانفس على حد تعبير (البداية و النهاية)، و استعمل المأمون الحسن بن سهل اخا الفضل (ذا الرياستين) على كل ما كان افتتحه طاهر من كور الجبال، و العراق، و فارس، و الأهواز، و الحجاز، و اليمن.

و لقي الفضل بن سهل و اخوه الحسن بن سهل حظوة كبيرة عند المأمون و عند الخراسانيين فبفضل تديرهما تمت خلافة المأمون، و تم الرخاء، و تنسم الناس الحرية، و ازدهرت البلاد و شعرت خراسان فى عصر المأمون بشىء كثير من الاطمئنان و استتباب الأمن و سيادة العدل، اكثر مما اشير اليه قبل هذا، كما لقي طاهر بن الحسين مثل هذه الحظوة عند المأمون و عند الخراسانيين اذ بقيادته للجيش الخراسانى و الجيوش الاخرى، و بفضل تدابير العسكرية و تخطيطه للمعارك تم للمأمون الظفر بالخلافة، و القضاء على الخلافات القائمة فى جميع الانحاء من اقصى مشرق خراسان الى اقصى نقطة فى جنوب اليمن، و حين مات الحسين بن مصعب بن زريق والد طاهر بن الحسين بخراسان، و كان طاهر (بالرقة) يعد العدة للقضاء على نصر بن شيبث العقيلي، حضر المأمون بنفسه جنازة الحسين، و نزل الفضل بن سهل بنفسه قبره، و وجه المأمون الى طاهر يعزّيه بأبيه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٤٠

الحالة الاجتماعية و الرأى العام

كانت الخصومة بين العباسيين و العلويين على اشدها منذ انفرد العباسيون بالحكم و تسنموا كرسى الخلافة، و لقد خشى العباسيون العلويين و خشوا مكائنتهم فى النفوس فنكّلوا بهم اسوأ تنكيل، و استعملوا معهم من وسائل التهيب العجائب و انزلوا بهم من صنوف التعذيب و الاذى و الفظاعة فى التقتيل و لا سيما فى عهد المنصور و عهد الرشيد ما تقشعر منه الأبدان و ما تضيق بوصفه الكتب، و قد اورد قسما من ذلك ابو الفرج الاصفهاني فى كتابه (مقاتل الطالبين) و كان العلويون يدعون الى مذهب و عقيدة تتلخص فى المبايعة على سنة الله و رسوله قولاً و فعلاً و يرون فى سيرة الامويين و العباسيين على تلك الصورة امورا تخالف جوهر الاسلام و اغراضه فكان الكثير منهم يثورون فى كثير من الاوقات فى وجه الخلفاء سواء فى ايام الامويين و العباسيين مطالبين بتطبيق حدود الشرع الذى يضمن للناس الحرية و العدل و الذى يلخصه قول الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لعمر بن العاص حين أحسّ باخذ الناس بالقوة قائلاً لابن العاص: (متى استعبدت الناس و قد ولدتهم امهاتهم احراراً؟) فكان الناس يشدون ازر العلويين فى ثوراتهم تنفيساً عما لحق بهم من الظلم، و ايماناً بالسيرة التى شب عليها عدد من أئمة العلويين مما كانت تمثل دعوة الاسلام و مبادئه التى افتقدوها فى جميع خلفاء بنى امية و خلفاء بنى العباس باستثناء عمر ابن عبد العزيز، و ان وجود هذه الصور من العلويين فى سيرتهم التى تمثل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٤١

ما يرمى اليه الاسلام من الاهداف هو الذى جعل الكثيرين يعتقدون ان الدين الاسلامى حقيقة ثابتة، و دعوة روحية سماوية لم يمثلها إلا الخلفاء الراشدون و الاطائفه من العلويين و المتقين و هم وحدهم مرآة هذا الدين، و لولاهم لتضعضت ثقة الناس بالدين نفسه لما كان يرتكب اولئك الخلفاء من المخالفات من قتل الاسرى صبرا، و التمثيل بجثثهم، و سلب اموال الناس، و هتك الاعراض، و معاقرة الخلفاء للخمور، و الايغال فى الفجور، و ملء القصور بالجوارى و الغلمان، و الافراط فى تحقيق الشهوات.

و الناس - باستثناء المؤمنين بالعتيدة - قسمان، قسم و هو يمثل الأكتريه و هم الذين يخافون البطش و التنكيل فيجارون السلطة و يماشونها و يظهرون لها غير ما يبطنون ممن وصفهم شوقى فى موقفهم من الامام ابى عبد الله الحسين و لسان حالهم يقول عن الحسين:

«لسانى عليه و قلبى معه».

و قسم من الناس طامع يبيع الضمير بالمال ليشتري به نعيم الدنيا فيقترب من الذنوب الفاحشه ما يقترب كقاتل ابى عبد الله الحسين (ع) الذى دخل على يزيد بن معاوية فخورا بقتله الحسين و هو يقول:

أوقر ركابى فضة أو ذهاب فقد قتلت الملك المحجبا

يضاف الى ذلك ما يتصف به البعض من الخلفاء و العمال و الامراء من الحقد و الغل و القسوة التى يقف لهولها شعر الرأس و من ذلك ما فعل الوليد فقد كتب الى عامله بالكوفة، و كان قد صلب جسد زيد بن على بن الحسين، و بقى مصلوبا على جذعه امام باب الكوفة اربع سنوات - يقول له على ما اورد الطبرى:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٤٢

«إذا اتاك كتابى هذا فانظر عجل العراق - يعنى به جسد زيد المصلوب - فاحرقه ثم انسه فى اليمّ نسفا!!»

و قد نفذ عامله - و كان يوسف بن عمر - أمره و انزل زيدا من جذعه و احرقه بالنار ثم رضه فجعله فى قوصرة، ثم جعله فى سفينة، ثم ذره فى الفرت

و اشتدت النقمة على الحكم الاموى و العباسى و ضاق الناس ذرعا و نفذ صبرهم فاهتبلها رهط من العلويين فرصة للصرخة باسم الاصلاح، و باسم المطالبة بحقهم بكونهم اولى بالخلافة من ابناء عمهم العباسيين، و بداعى الثار مما انزله بهم العباسيون من التعذيب و التقتيل و التشريد فظهر ابن طباطبا العلوى بالكوفة يدعو لى البيعة على الرضى من آل محمد (ع)، و تغلب زيد بن موسى ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على و هو الذى يسمى بزيد النار على البصرة، و تغلب الحسين بن الحسن الافطس على مكة، و محمد بن سليمان ابن دود بن الحسن بن على على المدينة، و ظهر ابراهيم بن موسى بن جعفر فى اليمن، ثم بويج لمحمد بن جعفر بن على بن الحسين (ع) خليفة و كان قد امتنع من قبول هذه البيعة لما عرف به من عزوف عن الدنيا و انشغال بالزهد و التقوى و لكنه رضخ لما لقى من اصرار الناس حتى غلبه الجمهور على امره، الى غير ذلك من ظهور العدد الكبير من الثورات التى قام بها العلويون و غير العلويين باسم الاصلاح و استنكار سيرة الخلفاء العباسيين فى حكم المسلمين فكان العباسيون و اتباعهم يخدمون تلك الثورات بالقوة و القسوة و البطش الذى مّر بعض امثاله، فتزول الثورة و تبقى جذور الكراهية كامنة فى النفوس، و ضج الناس الى الله لكثرة ما أصابهم من الفساد و الخوف، و التنكيل فى جميع الاقطار الاسلامية و فى كثير من السنوات حتى لقد بلغ الحال فى بغداد كان الفساق كثيرا ما يقطعون الطريق على المارة، و يأخذون النساء و الصبيان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٤٣

من اهلهم علانية، فلا يقدر ان يتمتع منهم احد، و كم كانوا يطلبون من الرجل ان يرضهم، او يصلهم فلا يقدر على الامتناع، و كانوا ينهبون القرى و لا يمنعهم السلطان، بل يغريهم على ذلك لأنهم بطانته .

و لكثرة ما لقي الناس من هذا الجور و الفساد قام رجل من (الحريية) يقال له سهل بن سلامة الانصارى من اهل خراسان و يكنى بأبى حاتم و دعا الى الامر بالمعروف و النهى عن المنكر، و العمل بالكتاب و السنة، و قد علق مصحفا فى عنقه و صار يبشر بدعوته بين الناس و سمي تابعوه (بالمطوعة) و هى الدعوة التى كان يبثها العلويون بين الناس بصورة خاصة و التى حبت العلويين الى جماهير الامه، و أجرت ذكر الصالحين منهم على السنة الناس، و اعتبر تتم الأكثرية من الامه الاسلاميه- غير الطامعين و الحاقدين و المنافسين- المثل الأعلى للاسلام و الشريعة الاسلاميه.

*** كان هذا مجمل الحالة يوم تولى المأمون الخلافة، و كان هذا هو الحاصل من حكم العباسيين الى تلك الساعة، تعلق شديد بالعلويين و ايمان شديد بقيمتهم، و ثقة ما بعدها ثقة بالغالبية من اعلامهم و أئمتهم، بكونهم معدنا اصيلا له طابعه الخاص و جوهره الذى لا يتبدل على مرور الزمن.

يقول عباس محمود العقاد:

«... و انك لتنحدر مع اعقاب الذرية فى الطالبين ابناء على و الزهراء مائة سنة و مائتى سنة، و اربعمائة سنة، ثم يبرز لك رجل من رجالها فيختل اليك ان هذا الزمن الطويل لم يبعد قط بين الفرع و اصله فى الخصال و العادات كأنما هو بعد ايام معدودات لا بعد المئات و راء المئات من السنين، و لا تلبث ان تهتف عجبا: ان هذه لصفات علوية لا شك فيها، لانك تسمع الرجل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٤٤

منهم يتكلم و يجيب من يكلمه، و تراه يعمل و يجزى من عمل له، فلا يخطىء فى كلامه، و لا فى عمله» .

ثم يذهب العقاد فى وصف العلويين فيقول:

«طبع صريح، و لسان فصيح، و متأنه فى الأسر يستوفى فيها الخلق و الخلق، و نخوة لا تبالى ما يفوتها من النفع اذا هى استقامت على سنة المروءة و الاباء» .

هذه السيرة التى مشى عليها كل أئمة العلويين و اللامعون من هذه الاسرة هى التى دعت الناس ممن لا يطمع و لا يخاف و على الاخص المظلومين و هم اكثرية الشعب ان يحتفوا بالعلويين و يثوروا معهم باسمهم فى كثير من الأوقات فيقضى على ثورتهم الامويون و العباسيون بالمال و السيف و صنوف العذاب و التشريد.

هذه السيرة العلوية هى التى غرست فى النفوس العقيدة و اليقين بأن الخلافة هى من حق العلويين، و ان الامويين و العباسيين قد اغتصبوا هذا الحق، و ان الامه او الأكثرية من الامه على الاصح لن تهدأ حتى يعود هذا الحق لاهله كى يقوم الاسلام على قدميه دينا عمليا لا خصام فيه، و لا عصبية، و لا نهب، و لا سلب حرية، و لا تجاوز على مال، و لا قتل اسراء صبرا، و لا تمثيل بالجثث، و لا ... و لا.

*** و المأمون رجل عالم، و سياسى محنك فوض الرشيد امر تنشئه الى جعفر بن يحيى البرمكى منذ صباه فوجهه جعفر توجيهها جديرا بالخلافة من حيث الاحاطة و الخبرة، و يستخلص احمد فريد الرفاعى صفاته فيقول انه كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٤٥

وافر العلم، غزير الاطلاع، و ليس ذلك بعزير على خليفة، ملاء عصره بأنواع المعارف الانسانية و نفخ فيه من روحه القوى، حتى استطاع الباحث ان يسمه بسمته، و ان يرجع فضل الحضارة العباسية اليه، و لقد كان محوطا بشيوخ الاعتزال و الكلام امثال ثمامة بن اشرس، و يحيى بن المبارك، و كان متأثرا بما ترجم من اخلاقيات الفرس و آدابهم، و فنونهم، و فلسفة اليونان و علومهم، و قد اكتسب من نهج الخراسانيين خاصة قواعد المنطق فى مناقشة المذاهب و الأديان، و تقديس حرية الفكر و الرأى فنشأ عنده ما يشبه الميل الى العقيدة العامة بالعلويين.

اما ابن الاثير فيقول عنه: و كان المأمون شديد الميل الى العلويين.

والاحسان اليهم، و خبره مشهور معهم، و كان يفعل ذلك طبعاً لا تكلفاً.

بيعة الامام الرضا بولاية العهد

و سواء كان الامر كما يقول ابن الاثير وغيره من المؤرخين عقيدة راسخة و طبعاً لا تكلفاً و كما يصفه البعض اعتدالاً في الميول فان الصلاح كان يتطلب ان يسعى لكسب رضا العلويين و التقرب الى تحقيق ميول الشعوب الاسلامية باستثناء الشام و بعض الجهات الاخرى استجابة لعقيدته في العلويين و كونهم اصحاب حق في الخلافة، او اتباعاً لسياسة يكسب بها ثقة الغالب من الاقطار الاسلامية لتقوية سلطانه و نفوذ امره فصمم على ان يتقرب للعلويين، و ينتهج سياسة تخالف سياسة الامويين و العباسيين، و قد امعن النظر فلم يجد في بني علي و لا في بني العباس احداً، افضل، و لا اروع، و لا اعلم، من الامام الثامن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع).

و كان الامام علي بن موسى يقيم في المدينة من الحجاز، و المأمون يقيم (بمرو) من خراسان، فكتب المأمون الى علي بن موسى يستدعيه و يستقدمه الى خراسان.

و روى الصدوق ان الامام علي بن موسى اعتلّ عليه بعلة كثيرة معتذراً،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٤٦

و لكن المأمون ما زال يكاتبه، و يسأله حتى تيقن الامام ان المأمون لن يكف عنه فأجاب رسول المأمون و كان الرسول رجاء بن ابي الضحاك الذي ارسله المأمون اليه علي ما يقول البعض، اما ابو الفرج فيقول ان رسوله كان الجلودى من اهل خراسان و طلب المأمون منه ان يشخص بالامام من المدينة، و ان يأخذ به علي طريق البصرة و الاهواز و فارس، و امر رسوله ان يحفظه بنفسه في الليل و النهار حتى يقدم به علي (مرو) و معه جماعة من آل ابي طالب، و يبدو ان سر هذا الحذر كله ناشئاً من خوف المأمون من شغب آل من العباسيين و غدرهم اذا ما علموا بنية المأمون،

و قدم الامام علي بن موسى حتى وصل نيسابور، و نزل هناك في محلة تسمى بمحلة (القزويني) و فيها حمام و هو الحمام الذي عرف بحمام الرضا و كانت هناك عين ماء قد قلّ ماؤها، فأقام الرضا عليها من كراها و اخرج ماءها حتى توفر، و اتخذ من خارج الدرب حوضاً ينزل اليه بالمراقى الى اصل العين و قد دخله (الامام) بعد توفر مائه، و اغتسل فيه، ثم خرج و صلى على ظهره، و الناس يتناوبون ذلك الحوض، و يغتسلون فيه و يشربون منه الماء التماساً للبركة، و يصلون على ظهره، و يدعون الله عز و جل في حوائجهم و هي العين المعروفة بعين (كهلان) و يقصدها الناس الى يومنا هذا .

و خرج الامام بعد ذلك من نيسابور الى (سناباذ) و نزل هناك دار حميد ابن قحطبة امير خراسان المتوفى سنة ١٥٩، و دخل القبة التي دفن فيها هارون الرشيد، و صلى هناك ركعات، و دعا بدعوات، ثم توجه الى (مرو) عاصمة المأمون قبل اتخاذ بغداد عاصمة له، و استقبل من لدن المأمون بحفاوة كبيرة و قد بالغ المأمون في اكرامه و عظم امره و انزله في دار خاصة و انزل الحاشية من آل ابي طالب في دار اخرى.

و جاء في (عيون الاخبار) ان المأمون عرض على الامام علي بن موسى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٤٧

الرضا الخلافة، و جرت في ذلك مخاطبات و محادثات كثيرة فلم تسفر عن نتيجة، و ابي الامام قبولها اباء شديداً.

و يقول (المفيد) ان المأمون قد انفذ الى الامام بأني اريد ان اخلع نفسي من الخلافة و اقلدك اياها فما رأيك في ذلك؟ فأنكر الامام هذا الامر، و قال اعينك بالله يا امير المؤمنين من هذا الكلام و ان يسمع به احد، فرد عليه الرسالة، و قال فاذا أبيت ما عرضت عليك

فلا بد من ولاية العهد من بعدى، فأبى الامام ذلك ايضا اباء شديدا.

و فى رواية اخرى ان المأمون قد استدعى الامام على بن موسى الرضا و خلا به و معه الفضل بن سهل (ذو الرياستين) و ليس فى المجلس غيرهم، و قال: انى قد رأيت ان أوليك امر المسلمين، و أفسخ ما فى رقبتي، واضعه فى رقبتك.

فقال له الامام: الله الله يا امير المؤمنين، انه لا طاقة لى بذلك و لا قوة لى عليه، قال له: فانى موئيك العهد من بعدى .

و يقول ابو الفرج الاصفهاني: ان المأمون حين همّ بذلك ووجه الى الفضل ابن سهل فاعلمه انه يريد العقد للامام على بن موسى، و امره بالاجتماع مع اخيه الحسن بن سهل على ذلك ففعل و اجتمعا بحضرته، و جعل الحسن بن سهل يعظّم ذلك عليه و يحذره من العاقبة و ما قد يلاقى من العباسيين و من اهل بيته إن هو أخرج الأمر من ايديهم، مع ان الحسن بن سهل و اخاه من المواليين للرضا فقال المأمون:

«انى عاهدت الله أن أخرجها الى أفضل آل ابى طالب إن ظفرت بالمخلوع، و ما أعلم احدا أفضل من هذا الرجل» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٤٨

و حين أصرّ الامام على بن موسى على الرضا دعا به المأمون- على ما قال ابو الفرج- و قال له قولاً شبيهاً بالتهديد ثم قال:

«إن عمر جعل الشورى فى ستته أحدهم جدك و قال: من خالف فاضربوا عنقه» .

و ما زال به المأمون حتى اجابه الامام على بن موسى على قبول ولاية العهد.

و جلس المأمون فى يوم الخميس، و خرج الفضل بن سهل فأعلم الناس برأى المأمون فى على بن موسى (ع) و انه ولى عهده، و قد سماه (الرضا) و امرهم بلبس الخضرة، و العود لبيعته فى الخميس الآخر على ان يأخذوا رزق سنة.

و يصف ابو الفرج الاصفهاني يوم أخذ البيعة للامام الرضا (ع) فيقول و لما كان ذلك اليوم ركب الناس من القواد و القضاء و غيرهم من الناس فى الخضرة، و جلس المأمون، و وضع للرضا و سادتين عظيمتين حتى لحق بمجلسه و فرشه، و اجلس الرضا عليهما فى الخضرة و عليه عمامة و سيف، ثم امر ابنه العباس بن المأمون فبايع له اول الناس، فرفع الرضا يده فتلقي بظهرها وجه نفسه و بيطنها وجوههم، فقال المأمون:

- ابسط يدك للبيعة.

فقال الرضا- ان رسول الله صلى الله عليه و آله: هكذا كان يبايع.

فبايعه الناس، و وضعت البدر، و قامت الخطباء و الشعراء فجعلوا يذكرون فضل على بن موسى و ما كان من المأمون فى أمره.

و يمضى ابو الفرج فى قوله فيقول: ثم قال المأمون للرضا: قم فاخطب الناس، و تكلم فيهم، فقال الرضا بعد حمد الله و الثناء عليه:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٤٩

«ان لنا عليكم حقا برسول الله صلى الله عليه و آله، و لكم علينا حق به، فاذا أدبتم الينا ذلك و جب علينا الحق لكم».

و لم يذكر عنه غير هذا فى ذلك المجلس، و أمر المأمون فضربت له الدراهم، و طبع عليها اسم الرضا، و خطب له فى كل بلد بولاية العهد، و زوجة المأمون ابنته (ام حبيب) و قيل بل زوجته اخته (ام حبيبة) و سمى (للجواد) ابن الرضا ابنته (ام الفضل)، و المنقول عن ريان بن الصلت ان الذين لم يرضوا ببيعة المأمون للرضا كانوا يقولون ان الفضل بن سهل هو الذى اقترح على المأمون هذه البيعة، و يقول ريان ان المأمون سألنى ذات ليلة عما يقول هؤلاء الخاصة؟ فذكرت له ذلك، فقال المأمون: أنظن ان شخصا يستطيع ان يقترح على شخص تنقاد له النفوس و بيده الحل و العقد ان يتنازل عنها لغيره؟ قال ريان: لا و الله ما هو الا ما قلت انت و لكن هؤلاء الخاصة يقولون ذلك .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٥٠

عهد المأمون للرضا بالخلافة من بعده

كتب المأمون هذا العهد بخطه وبنشائه، وقد ظهره الامام على بن موسى الرضا (ع) بخطه، وقال على بن عيسى الأربلي في (كشف الغمة): انه رأى بعينه سنة ٦٧٠ هـ، هذا العهد بخط المأمون وعلى ظهره العهد الذي كتبه الامام الرضا (ع) بخطه، وقد اورد الكثير من المؤرخين نص هذا العهد، وهذه نسخته نقلها القلقشندی في (صبح الاعشى) عن صاحب (العقد) ابن عبد ربه.

نص العهد

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد امير المؤمنين بيده لعلى بن موسى بن جعفر ولى عهده: اما بعد، فان الله عز وجل اصطفى الاسلام ديناً، واصطفى له من عباده رسلاً دالين عليه، وهادين إليه، يبشرونهم بآخراهم، ويصدقونهم ماضيهم، حتى انتهت نبوة الله الى محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل، ودروس من العلم، وانقطاع من الوحي، واقتراب من الساعة، فختم الله به النبيين، وجعله شاهداً لهم، ومهيماً عليهم، وانزل عليه كتابه العزيز الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من وراءه)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٥١

خَلَفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) فأحلّ وحرّم، و وعد و أوعده، و حذّر، و أنذر، و أمر به و نهى عنه لتكون له الحجة البالغة على خلقه و (لِيَهْدِيكَ مَنْ هَمَكَ عَنْ بَيْتِهِ، وَيُحْيِي مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) فبلغ عن الله رسالته و دعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة و الموعظة الحسنة و المجادلة التي هي أحسن، ثم بالجهد، و الغلظة حتى قبضه الله اليه، و اختار له ما عنده صلى الله عليه، فلما انقضت النبوة، و ختم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الوحي و الرسالة جعل قوام الدين، و نظام أمر المسلمين بالخلافة، و اتمامها و عزها، و القيام بحق الله فيها بالطاعة التي تقام بها فرائض الله و حدوده، و شرائع الاسلام و سننه و يجاهد بها عدوه، فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم و استرعاهم من دينه و عبادته، و على المسلمين طاعة خلفائهم، و معاونتهم على اقامة حق الله و عدله، و أمن السبل، و حقن الدماء، و صلاح ذات البين، و جمع الالفه، و فى إخلال ذلك اضطراب جبل المسلمين و اختلالهم، و اختلاف ملتهم، و قهر دينهم، و استعلاء عدوهم، و تفرق الكلمه، و خسران الدنيا و الآخرة، فحق على من استخلفه الله فى ارضه، و ائتمنه على خلقه ان يوشر ما فيه رضا الله و طاعته، و يعدل فيما الله واقفه عليه، و سائله عنه، و يحكم بالحق، و يعمل بالعدل فيما حمّله الله و قلّده، فإن الله عز و جل يقول لنبية داود عليه السلام:

(يا داودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) و قال عز و جل:

(فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

و بلغنا ان عمر بن الخطاب قال (لو ضاعت سخلة بجانب الفرات لتخوفت ان يسألنى الله عنها) و أيم الله ان المسؤول عن خاصه نفسه، الموقوف على عمله، فيما بين الله و بينه لمتعرض لأمر كبير، و على خطر عظيم، فكيف بالمسؤول عن رعايه الأُمّة، و بالله الثقة، و اليه المفزع، و الرغبة فى التوفيق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٥٢

مع العصمة، و التسديد و الهداية الى ما فيه ثبوت الحجّة، و الفوز من الله بالرضوان و الرحمة، و أنظر الأئمة لنفسه، و أنصحهم فى دينه، و عبادته و خلافته فى أرضه من عمل بطاعة الله و كتابه، و سنّة نبية عليه السلام فى مدة ايامه، و اجتهد و أجهد رأيه و نظره فيمن

يوليّه عهده، و يختاره لإمامة المسلمين و رعايتهم بعده، و ينصبه علما لهم، و مفرعا في جميع ألفتهم، و لمّ شعثهم، و حقن دمائهم، و الأمن باذن الله من فرقتهم، و فساد ذات بينهم، و اختلافهم و رفع نزع الشيطان و كيدته عنهم، فان الله عزّ و جلّ جعل العهد بالخلافة من تمام امر الاسلام و كماله و عزّه، و صلاح اهله، و ألهم خلفاءه من توسيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة، صفحة من المصحف المنسوبة كتابته الى الامام الرضا (ع) نقلا من مجلة آستان قدس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٥٣

و شملت منه العافية، و نقض الله بذلك مكر اهل الشقاق و العداوة و السعى في الفرقة، و التريص للفتنة، و لم يزل امير المؤمنين منذ أفضت اليه الخلافة فاختر بشاعة مذاقها و ثقل محلها، و شدة مؤونتها، و ما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة الله و مراقبته فيما حمّله منها فأنصب بدنه، و أسهر عينه، و أطال فكره فيما فيه عزّ الدين، و قمع المشركين، و صلاح الأمة، و نشر العدل، و اقامة الكتاب و السنة، و منعه ذلك من الخفض و الدعء، و محبة ان يلقي الله مناصحا له في دينه و عبادته، و مختارا لولايته عهده، و رعايته الامّة من بعده، أفضل من يقدر عليه في دينه و ورعه و علمه، و أرجاهم للقيام بأمر الله و حقّه مناجيا لله تعالى بالاستخارة في ذلك، و يسأله إلهامه ما فيه رضاه و طاعته، في ليله و نهاره، و معملا- في طلبه و التماسه في اهل بيته من ولد عبد الله بن العباس، و على بن ابي طالب- فكره و نظره، و مقتصر ممن علم حاله و مذهبه منهم على علمه، و بالغا في المسألة عن خفي عليه أمره جهده و طاقتة حتى استقصى أمورهم معرفة، و ابتلى اخبارهم مشاهدة (و استبرى احوالهم معاينة) و كشف ما عندهم مساءلة، فكانت خيرته بعد استخارته لله، و اجهاده نفسه في قضاء حقه في عبادته و بلائه في البيتين جميعا (يقصد بيت بنى العباس و بيت على بن ابي طالب)! على بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب، لما رأى من فضله البارع، و علمه الناصح، و ورعه الظاهر، و زهده الخالص، و تخليه من الدنيا، و تسلّمه من الناس، و قد استبان له ما لم تزل الاخبار عليه متواطئة، و اللسن عليه متفقه، و الكلمه فيه جامعه، و لما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعا، و ناشئا، و حدثا، و مكتهلا، فعقد له بالعقد و الخلافة (من بعده واثقا بخيرة الله في ذلك اذ علم الله انه فعله) ايثارا لله و الدين، و نظرا للاسلام و المسلمين، و طلبا للسلامة، و ثبات الحجة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٥٤

و النجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لربّ العالمين، و دعا امير المؤمنين ولده، و اهل بيته، و خاصيته، و قواده، و خدمه، فبايعوه مسرعين مسرورين، عالمين بايثار امير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده و غيرهم ممن هو أشبك به رحما، و أقرب قرابة، و سماه (الرضا)، اذ كان رضا عند امير المؤمنين، فبايعوا معشر اهل بيت امير المؤمنين و من بالمدينة المحروسة من قواده، و جنده و عامه المسلمين لأمر المؤمنين و للرضا من بعده على اسم الله و بركته، و حسن قضاة لدينه و عبادته، بيعه مبسوطة اليها أيديكم، منشرحة لها صدوركم، عالمين بما اراد أمير المؤمنين بها، و آثر طاعة الله، و النظر لنفسه و لكم فيها، شاكرين الله على ما ألهم أمير المؤمنين من قضاء حقه (من نصاحته) في رعايتكم، و حرصه على رشدكم و صلاحكم، راجين عائدة ذلك في جمع ألفتكم، و حقن دمائكم، و لمّ شعثكم، و سدّ ثغوركم، و قوة دينكم، و رغم عدوّكم، و استقامة اموركم، و سارعوا الى طاعة الله و طاعة امير المؤمنين فانه الأمر (الذي) ان سارعتم اليه و حمدتهم الله عليه، عرفتم الحظّ فيه ان شاء الله تعالى» .

و كتب هذا العهد بيد المأمون و بخطه في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٢٠١ هـ.

العهد الذي كتبه الامام علي بن موسى الرضا

و قد ظهر الامام علي بن موسى الرضا (ع) عهد المأمون بيده و بخطه بما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الفعّال لما يشاء، لا معقب لحكمه،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٥٥

و لا راد لقضائه، يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور، و صلواته على نبيه محمد خاتم النبيين و آله الطيبين الطاهرين، اقول و انا على الرضا بن موسى ابن جعفر: إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد، و وقفه للرشاد، عرف من حقنا ما جهله غيره فوصل ارحاما قطعت، و أمن نفوسا فزعت، بل أحيها و قد تلفت، و أغناها إذ افتقرت مبتغيا رضى رب العالمين، لا- يريد جزاء من غيره، و سيجزى الله الشاكرين، و لا يضيع اجر المحسنين، و انه جعل إلى عهده، و الأمانة الكبرى إن بقيت بعده، فمن حلّ عقده أمر الله بشدها، و فصم عروة أحب الله ايثاقها فقد أباح حريمه، و أحلّ المسكوكات التي سكت باسم الامام الرضا بالخط الكوفى منقولة الى جانبها بالخط الحالى للتوضيح نقلا من مجلة (نامه آستان قدس)

محرمه، اذ كان بذلك زاريا على الامام، منتهكا حرمة الاسلام، بذلك جرى السالف فصبر منه على الفلتات و لم يعترض بعدها على العزمات خوفا من شتات الدين، و اضطراب جبل المسلمين، و لقرب امر الجاهلية، و رصد فرصة تنتهز، و باثقة تبتدر، و قد جعلت الله على نفسى إذ استرعانى أمر المسلمين، و قلدى خلافته، العمل فيهم، و فى بنى العباس بن عبد المطلب خاصة بطاعته، و طاعة رسوله صلى الله عليه و آله و سلم، و ان لا أسفك دما حراما، و لا ابيح فرجا، و لا مالا الا ما سفكته حدود الله، و اباحته فرائضه، و ان أتخير الكفاءة جهدى و طاقتى، و جعلت بذلك على نفسى عهدا مؤكدا يسألنى الله عنه فانه عزّ و جلّ يقول: وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا، و ان أحدثت او غيرت، او بدلت كنت للغير مستحقا،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٥٦

و للنكال متعرضا، و اعوذ بالله من سخطه، و اليه ارغب فى التوفيق لطاعته، و الحؤول بينى و بين معصيته، فى عافية لى و للمسلمين، و الجامعة و الجفر يدلان على ضد ذلك (وَ مَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَ لَا بِكُمْ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) لكنى امتثلت أمر امير المؤمنين، و آثرت رضاه، و الله يعصمنى و اياه، و اشهدت على نفسى بذلك و كفى بالله شهيدا، و كتبت بخطى بحضرة امير المؤمنين أطال الله بقاءه، و الفضل بن سهل و سهل ابن الفضل و يحيى بن اكثم و عبد الله بن طاهر و ثمامة بن اشرس و بشر ابن المعتمر و حماد بن النعمان فى شهر رمضان سنة احدى و مائتين .

هياج العباسيين و خلع المأمون

قال علماء السير و المؤرخون: فلما تمت البيعة بولاية العهد للامام الرضا شغب بنو العباس ببغداد على المأمون و خلعه من الخلافة و بايع الكثير منهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٥٧

ابراهيم بن المهدي بالخلافة و حدث هنالك ما يشبه الفوضى و وقعت الحرب بين اصحاب ابراهيم و اصحاب الحسن بن سهل الذى كان قد فوض له امر العراق و اماره الاقطار الاسلامية الغربية من قبل المأمون، و كان الفضل بن سهل يتلقى الأخبار فى بريد اخيه الحسن بن سهل كل يوم فيخفى - على ما يقولون - هذه الأخبار عن المأمون و يخفف من اهميتها ريثما تتم سيطرة اخيه و تخمد الفتنة خصوصا و ان بغداد كانت محاصرة آنذاك من قبل جنود اخيه الحسن بن سهل، و ان وقوف المأمون على تلك الاخبار المزعجة ربما كان يسبب اختلالا آخر فى الحكم بخراسان.

و يقول الطبرى: ان الامام على بن موسى الرضا هو الذى أخبر المأمون بما فيه الناس من الفتنة و القتال منذ قتل أخوه الأمين، و هو الذى اخبره بما كان الفضل بن سهل يستر عنه من الاخبار، و ان اهل بيته (العباسيين) ناقمون عليه اشياء، و ان الفضل لم ينقل له الحقائق، و قال الرضا للمأمون، ان من جملة ما ينقم الناس عليه هو مكان الحسن بن سهل فى العراق، و مكان اخيه الفضل بن سهل فى

خراسان، و مكانه هو (اي الامام الرضا) و مكان بيعه المأمون له بولاية العهد من بعده و قد استشهد الامام الرضا بعدد من الثقات المصلحين على ما كان يدور في العراق يومذاك: منها تنحية الحسن بن سهل لطاهر بن الحسين عن العمل و الزامه القعود بجيشه في الرقة، و هو الذي أبلى في طاعة المأمون و حارب، و فتح، و قاد اليه الخلافة مزمومة حتى اذا وطأ الامر أخرج من ذلك كله و صير في زاوية من الأرض بالرقة، و انه لو كان طاهر بن الحسين ببغداد لما ثارت الفتن .

و قال سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) ان الامام علي بن موسى الرضا (ع) قال للمأمون: «يا امير المؤمنين النصح لك واجب، و الغش لا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٥٨

لا يحل لمؤمن، ان العامية تكره ما فعلت معي، و الخاصة تكره الفضل بن سهل، فالرأى ان تنحينا عنك حتى يستقيم لك الخاصة و العامة فيستقيم امرك .»

توجه المأمون لبغداد

و اشير على المأمون بالرحيل من خراسان الى العراق، و حاول الفضل بن سهل صرفه عن رأيه محذرا اياه مما قد يقع له في العراق، خصوصا و انه المتهم بقتل اخيه الامين و انه هو الذي احدث هذا الحدث الكبير الذي اخرج الخلافة من بنى ابيه بعده و عهد بها الى الامام الرضا، و هو حدث يجمع على خلافه العامة و الفقهاء و العلماء و آل العباس - علي ما قال الفضل - و ان قلوبهم متنافرة عنه، و ان من الرأى السديد ان يقيم بخراسان حتى تسكن قلوب الناس على هذا. و لكن المأمون لم ينزل على هذا الرأى و لم ينزل على رأى الامام الرضا في حله من البيعة، و خلعه من ولاية العهد، و يبدو انه كان قانعا من ان اثاره الفتن مقتصرة على بنى العباس و ان الرأى العام مستصوب لما فعل و لذلك صمم على التوجه الى العراق و الاشراف بنفسه على شؤون الدولة. موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج ١١ ص ١٥٨

أعدت عدّة الرحيل من (مرو)، و ارتحل و معه الامام الرضا (ع) و الفضل بن سهل، و كبار القادة، و في مدينة (سرخس) مدينة الفضل بن سهل و موطن آبائه، و هي من اشهر مدن خراسان شدّ قوم على الفضل بن سهل و هو في الحمام يغتسل و ضربوه بالسيوف حتى مات و كان ذلك في سنة ٢٠٢ و قيل بل في سنة ٢٠٣، و قبض على قاتليه و كانوا من حشم المأمون و ضربت اعناقهم و بعث المأمون برؤوسهم الى الحسن بن سهل (بواسط) في العراق و مع ذلك فقد اتهم بعض المؤرخين المأمون بقتله، و قالوا انه هو الذي امر اولئك القتل بقتله حين رأى استفحال امره، و ان قتله سيكون عاملا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٥٩

من عوامل التقرب الى الخاصة و القواد و رجال الدولة، و كادت تحدث بسبب هذه الاشاعة فتنة كبيرة في خراسان فاستجار المأمون بالرضا (ع) فخرج الامام الرضا و خطب القوم ففرقوا و اخمدت الفتنة .

وفاة الامام الرضا

و في طريق المأمون الى العراق و قبل وصوله مدينة طوس بسبعة منازل على ما روى الصدوق في (العيون) عن ياسر الخادم اعتلّ ابو الحسن الرضا (ع) و قال ياسر: اننا دخلنا طوس و قد اشتدت بالامام العلة، فبقينا بطوس اياما فكان المأمون يأتيه في كل يوم مرتين، و اشتدت علته، و قد ذهب عدد من المؤرخين الى ان اعراض السم كانت بادية ظاهرة على الامام، و قد اتهم المأمون بسمه بالعنب

تخلصا من عهده و تقربا الى بنى العباس من اهل بيته.

و روى المفيد في (الارشاد) و في (خلاصة تذهيب الكمال في اسماء الرجال) عن سفن بن ماجه القزويني، و كلاهما من علماء السنة: ان الامام الرضا مات مسموما بطوس، و اورد السيد محسن الامين روايات اخرى تشير الى وفاة الامام الرضا مسموما، و قد اشار ابن الأثير في الجزء السادس الى هذه الروايات و استبعد روايه سمه.

و روى ابن خلکان انه قد اكل عنباً و اكثر منه، و قيل بل كان مسموما فاعتل منه و مات .

و يروى ابو الفرج الاصفهاني عن ابي الصلت الهروي قائلا: دخل المأمون الى الرضا يعود فوجده بوجود بنفسه فبكى و قال:

أعزز على يا اخي بأن اعيش ليومك و قد كان في بقائك أمل، و أغلظ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٦٠

علّي من ذلك و أشد: ان الناس يقولون: اني سقيتك سما، و أنا الى الله من ذلك برىء.

فقال الرضا: صدقت يا امير المؤمنين انت و الله برىء.

ثم خرج المأمون من عنده، و مات الرضا، فاهترت الدولة لموته الفجائي الذي جاء عقب مقتل الفضل و يقول احمد فريد الرفاعي انه من المعقول في مثل هذه الاحوال ان تنتشر الاشاعات، كما انه من المعقول ايضا في مثل هذه الاحوال ان يصعب الوقوف على الحقيقة لتضارب الاشاعات، و تناقض الارجيف و اختلاف وجهات النظر.

و جاء في كتاب (وفاة الامام الرضا) ان الامام الرضا كان ينصح المأمون بابعاد الفضل بن سهل و الحسن بن سهل عنه و ينهاه عن الاصغاء اليهما فعرفا ذلك عنه فجعلوا يحطبان عليه عند المأمون و يذكران له عند ما يبعدة منه و يخوفانه من جهل الناس و لم يبالا كذلك حتى قلبا رأيه فيه و عزم على قتله الى غير ذلك من الروايات المتضاربة.

و حضر المأمون الامام الرضا قبل ان يحفر قبره، و امر ان يحفر الى جانب ابيه و كان ذلك في ضيعة من ضياع طوس المعروفة (بسناباذ) و قد مر ذكرها في بستان من قصر الجنيد بن عبد الرحمن .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٦١

و يقول الطبري: و كتب المأمون في شهر ربيع الأول ٢٠٣ هـ الى الحسن بن سهل يعلمه ان على بن موسى بن جعفر مات، و يعلمه ما دخل عليه من الغم و المصيبة بموته، و كتب الى بنى العباس و الموالي، و اهل بغداد يعلمهم بموته و انهم انما نقموا بيعته له من بعده، و يسألهم الدخول في طاعته، فكتبوا اليه و الى الحسن بن سهل الجواب باغلظ ما كتب جواب لاحد، و لكن المأمون لم يعابهم لانه كان يعلم انهم انما يمثلون انفسهم و لو علم ان هذا هو رأى الامة للزم داره في خراسان و لما توجه الى بغداد.

و كان المأمون هو الذي صلى على بنى العباس، و اشتهرت قرية سناباذ منذ ذلك اليوم، و سميت بالمشهد، و اطلق عليها هذا الاسم و ذكرها بعضهم بالنسبة فقال (مشهد خراسان) و هي اليوم ثانية مدن ايران من حيث عدد النفوس .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٦٢

خراسان في عهد العباسيين الى حين وفاة الإمام الرضا

اذا استثنينا بعض الفترات التي تولى فيها الحكم بخراسان مثل الفضل بن يحيى و المأمون نفسه لم نجد كبير فرق بين سيرة الامراء الذين استعملهم الامويون و الذين استعملهم العباسيون في خراسان منذ اول قيام الدولة العباسية حتى خروج المأمون من خراسان اذ لم يكن يهتم اكثر بالحكام شىء غير ابتزاز الاموال، و الاستيلاء على الضياع، و البطش بالخصوم، و المتمردين عليهم بفضاعة و قسوة شجعت الكثير من الخراسانيين و خصوصا الاتراك فيما وراء النهر على التمادى في الثورات و معاملته المسلمين بنفس القسوة و

الفضاعة والاستهتار بالنواميس والاعراض مقابلة بالمثل لجيوش المسلمين حين كانوا يغزون و يأسرون و حين كانوا يحكمون مما كان الاسلام ينهى عنه و يعاقب عليه لو كان هناك من يستطيع ان يقيم حدود الله، و لو كان هؤلاء الحكام قد اتبعوا التعاليم الاسلامية فى سيرتهم لما كلف انتشار الاسلام شيئاً فى جميع اصقاع الدنيا. و لم يخل حتى عصر المأمون واجهته مدخل مقبرة محمد المحروق بنيشابور

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٦٣

الزاهر من الفضاعة التى نهى عنها الاسلام و حرّمها، فقد قبض على محمد بن محمد بن زيد بن على بنيشابور و كان قد ثار على حكم المأمون فقتل و احرق جسده كما احرق جسد عمه يحيى بن زيد و كما احرق جسد جده زيد بن على بن الحسين (ع) فى خلافة الامويين.

و كانت خراسان من اهم الاقطار بل واهم الثغور التى أمّدت الامويين و العباسيين باموال لا تحصى، و قومت خزانه الدولة، و مؤنت بيوت الخلفاء و الامراء و القادة بمختلف النفائس و العلائق، و الكنوز الثمينه، فضلا عن انها كانت ركيزة من اكبر ركائز الاسلام فى مختلف ميادين الحروب فى العصر الاموى و العباسى، و كان رجالها من اشهر رجال الدولة فى الحرب و فى الادارة و حسن التدبير، و قد عرف لها النبهاء من خلفاء العباسيين قدرها و عدوها سندهم، و دعامة خلافتهم، و اعترفوا بمالها من الحقوق عليهم و بذلوا كل المساعى للاحتفاظ بها، و دعوا لنشر العدل و الامن فيها، و لكن جلّ الحوادث كانت تؤيد صعوبة تحقيق هذه الامنية لفرط ما كان عليه الحكام و الامراء و القواد و حتى الخلفاء انفسهم من الشره، و الطمع، و الانغماس فى اللذات، و القصور او التقصير فى كيفية ادارة الحكم فى خراسان.

يقول الطبرى: ان المنصور لما اخذ عبد الله بن الحسن و اخوته صعد المنبر و خطب فى اهل خراسان و فى استعراضه لبنى امية قال: «... ثم وثبوا علينا بنو امية فأماتوا شرفنا، و أذهبوا عزنا، (الى ان يقول) فصرنا مرة بالطائف، و مرة بالشام، و مرة بالشراء، حتى ابتعثكم الله لنا شيعه و انصارا. فاحيا شرفنا و عزنا بكم اهل خراسان، و دفع بحقكم اهل الباطل و اظهر حقنا، و اصار الينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه و سلم، فقرّ الحق مقره و اظهر مناره، و أعز انصاره، و قطع دابر القوم الذى ظلموا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٦٤

و الحمد لله رب العالمين الخ».

و فى وصية المنصور لابنه المهدي عند موته قوله.

«... و اوصيك باهل خراسان خيرا فانهم انصارك، و شيعتك الذين بذلوا اموالهم فى دولتك، و دماءهم دونك، و من لا تخرج محبتك من قلوبهم، ان تحسن اليهم، و تتجاوز عن مسيئتهم، و تكافئهم على ما كان منهم و تخلف من مات منهم فى اهله و ولده، و ما اظنك تفعل (كذا)!!».

و قد عرف المنصور بثاقب رأيه ان القدرة على مكافأة الخراسانيين غير ممكنة لابنه و غير ابنه و الا لما قال له «و ما اظنك تفعل».

و يستخلص المؤرخ طبيعة الخراسانيين و مكانتهم، و منزلتهم فى المجتمع الاسلامى من مشاوره المهدي لاهل بيته فى حرب خراسان، فقد قال له محمد بن الليث:

«اهل خراسان- ايها المهدي: قوم ذوو عزة و منعه، و شياطين خدعه، زروع الحمية فيهم نابتة، و ملابس الأنفة عليهم ظاهرة،- و يستمر ابن الليث فى وصف حسناتهم و سيئاتهم حتى يقول- و ليس المهدي وفقه الله فاطما عادتهم، و لا قارعا صفاتهم بمثل احد رجلين لا ثالث لهما، و لا عدل فى ذلك بهما: احدهما لسان ناطق موصول بسمعك، و يد ممثلة لعينيك، و صخرة لا تتزعزع، و بهمة لا يثنى- اى الشجاع الذى لا يهتدى من اين يؤتى- و بازل لا يفرعه صوت الجبل، نقى العرض، نزيه النفس، جليل الخطر، قد اتضعت الدنيا عن قدره، و سما نحو الاخرة بهمته، فجعل الغرض الاقصى لعينه نصبا، و الغرض الادنى لقدمه موطئا، فليس يقبل عملا،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٦٥

و لا يتعدى أملا .. الخ» .

و من المؤسف ان يكون الحصول على مثل هؤلاء الولاة و الحكام و حتى الخلفاء لمثل خراسان التي امتازت بكل تلك الامتيازات بين جميع الاقطار الاسلامية يكاد يكون مستحيلا او شبه مستحيل، و لقد لقيت خراسان من الضيم و الظلم و البطش من لدن القواد و الامراء و العمال حتى صار عزل الحكام عن اماره خراسان سريعا و باقل ما يتصور المتصور في كثير من الاوقات، لا بداعى الاصلاح وحده بل بداعى الرشوة التي يقدمها بعض الحكام لبعض الخلفاء لينخو هذا و يقدموا ذاك، فهذا الرشيد يولى جعفر بن يحيى اماره خراسان عشرين يوما فقط ثم يعزله و يستعمل عليها عيسى بن جعفر، ثم يستقدم على بن عيسى من خراسان ليعزله و لكن لا يلبث ان يرده اليها اميرا على رغم كثرة شكاوى السكان منه، ثم ينكشف ان لابنه عيسى بن على بن عيسى الذي تولى القيادة ثلاثين الف الف، اما ابوه الذي كان يتظاهر بالتكشف حتى ادعى بانه اضطر لبيع حلى اهل بيته للانفاق على الجيش فقد قدرت امواله بثمانين الف الف، و قد حملت خزائنه على ١٥٠٠ بعير جرى بها الى الرشيد كما مر من قبل.

و يروى البيهقي عن ظلم الامراء الذين كانوا يرهقون كاهل اهل خراسان بجمع المال ظلما و عدوانا، و تشجيع الخلفاء لهم: قصة على بن عيسى الذي أمره هارون الرشيد على خراسان و ماوراء النهر فاستأصل شأفة خراسان و ما وراء النهر و احرقها، و سكّ اموالا لا تعدّ و لا- تحصى ثم جهز من تلك الاموال هدية للرشيد لم يقدم مثلها احد من قبل، و بلغت هذه الهدية بغداد فسرّ الرشيد بها و أمر باستعراضها في يوم معين، و يقول البيهقي:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٦٦

«و كانت هذه الهدايا تشتمل على الف غلام تركى بيد كل منهم حلتان ملونتان من الششترى، و الاصفهاني، و السقلاطون، و الملحّم من الديقاج، و الديقاج التركي و الديقارى، و غير ذلك من الانواع، و وقف الغلمان بهذه الحلل، و على اثرهم جاءت الف جارية تركية بيد كل واحدة كأس من ذهب يحتوى على الياسمين، و ملؤه المسك، و الكافور، و العنبر، و اصناف العطر، و طرائف البلاد.

ثم مائة غلام هندي، و مائة جارية هندية في غاية الجمال مرتدين ملابس ثمينة، و كان بيد الغلمان السيوف الهندية من اجود الانواع، و كانت الجوارى تحمل الثياب الرقيقة في اسفاط احلى من القصب، و كان معهم خمسة افيال منها اثنيان، و كان على الفيلة سروج من الديقاج، و مرايا من الذهب و الفضة، و الفيالان الاثنيان منها كان عليهما مهدان من الذهب احزمتهما و عدتهما مرصعتان بالجواهر البدخشية و الفيروز!!

ثم خيول جيلانية، و مائتا فارس من خراسان بسروج من الديقاج، و عشرون عقابا، و عشرون شاهينا، و الف جمل، منها مائتان بعدد و أجمه مغطاة بالحريير و الديقاج، و كانت في غاية الجمال، و ثلثماية اخرى عليها المحامل و المهود، منها عشرون عليها محامل مذهبة، و ما بين خمسمائة و ثلثمائة قطعة من البلور من شتى الاصناف، و مائة زوج من الابقار، و عشرون عقدا من الجوهر الغالى القيمة، و ثلثماية الف حبة من اللؤلؤ، و مائتا قطعة من الصينى الفغفورى من الصحون و الكؤوس و غيرها مما لم يشاهد مثلها في قصر اى ملك. و الفا قطع أخرى من الصينى من الاوانى الكبيرة، و الكاسات الواسعة، و زهريات صينية كبيرة و صغيرة و انواع اخرى و ثلثماية من الستائر الملكية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٦٧

و مائتان من سجاد القصور، و مائتان من السرر» .

و عرض بيان بكل هذه الهدايا، و حين تم عرض هذه الهدايا على جماهير الناس فى الموعد المعين ارتفعت اصوات الجند بالتكبير، و دقت الطبول، و نفخت الابواق.

و حين كان الفضل بن يحيى البرمكى اميرا على خراسان قبل اماره على بن عيسى لم يقدم الى الرشيد هدية توازى هدية اى عامل، فالتفت الرشيد الى يحيى و هو يستعرض الهدايا و قال له:
«أين كانت هذه الاشياء ايام ولاية ابنك الفضل؟».

فقال يحيى: «اطال الله عمر امير المؤمنين، لقد كانت هذه الاشياء ايام ولاية ابني الفضل فى بيوت اهلها فى مدن العراق و خراسان». *** و لأهمية خراسان كان الامين يخاف من تمكن المأمون منها، و هى بمثل ذلك الخصب و الثروة و العلم و الشجاعة، و كان تخوفه فى محله.

و عندما توفى الرشيد كان فى بيت المال تسعمائة الف و نيف ، اما المنصور فقد مات، و فى بيت المال، مائة الف الف و ستين الف الف عين مثاقيل و ليس من شك ان اغلبها كان من خراسان. و من عهد الرشيد للمأمون تستبان اهمية هذا الاقليم التاريخيه من حيث المال و الرجال، و الحضارة و الايمان بالاسلام الذى كان من بعض آثارهما ظهور العشرات من أئمة اهل العلم و الحديث و الفقه و التفسير و الفلسفة و العرفان و الادب فى مختلف المدن الخراسانية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٦٨

و الى اوائل القرن السابع الهجرى كان كل شىء فى خراسان يدل على عظمة هذه البلاد- على رغم ما لقيت من اضطهاد و عدم استقرار- من توفر عناصر الحضارة و المدنية و الثقافة و الثروة، و خزائن الكتب، و خزائن التحف و الرخاء بحيث كان ثمن الحمار فيها بخمسة دراهم على ما ذكر ياقوت، فغزاها المغول و قضاوا على كل ما كان فيها و لم يبق ما بين ايدينا من اخبارها القديمة الا النزر اليسير الذى تتحدث به الكتب، و الا- بعض الاثار القائمة التى تتحدث ببعض ما كان لخراسان فى العهود القديمة و فى العهود الاسلامية .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٦٩

خراسان فى الشعر جمعه و نسقه حسب الحروف الهجائية فؤاد عباس

إشارة

من خريجي الجامعة الأميركية ببيروت

و المفتش الاختصاصى

فى وزارة التربية العراقية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٧١

خراسان فى الشعر

أسيد بن المشمس المرى

قال حين خلع أهل خراسان الطاعة أيام عثمان بن عفان
ألا ابلاغاً عثمان عنى رسالة فقد لقيت منا (خراسان) بالغدر
فأذك هداك الله حرباً مقيمة (بمروى خراسان) العريضة فى الدهر
و لا تفرز عنا فان عدونا لآل (كنازء) الممددين بالجسر

اشجع السلمي

قال مشيرا الى الرشيد حين ولى جعفر بن يحيى البرمكى اماره خراسان
إنّ (خراسان) و ان اصبحت ترفع من ذى الهمّة الشانا
لم يحب هرون بها جعفرالكنه حابى خراسانا

الأصمعى (عبد الملك بن قريش)

أنشد :

اذا ما بدا عمرو بدت منه صورة تدلّ على مكنونه حين يقبل
بياض (خراسان) و لكنّه (فارس) و جئّه (رومى) و شعر مفلفل
موسوعه العتبات المقدسه، ج ١١، ص: ١٧٢

البحترى

قال يستسقى نبذا من أبى أيوب احمد بن محمد بن شجاع و قد أتاه بنو حميد بن عبد الحميد:
لك الخير ما مقدار عفوى و ما جهدى و آل حميد عند آخرهم عندى؟
تتابع الطاءان (طوس) و طيء فقل فى خراسان و ان شئت فى نجد
أتونى بلا وعد و ان لم تجد لهم براهم راحوا جميعا على وعد
و لم أر خلا كالنيذ اذا جفاجفاك له خلّانه و ذوو الودّ
و قال يمدح ابا نهشل محمد بن حميد الطوسى من قصيدة
الا تريان الربيع راجع أنسه و عادت الى العهد القديم معاهده
(كقصر حميد) بعد ما غاض حسنه و أقوت نواحيه و أجذب رائده
تلافاه سيب الصامتى محمد فعات له أيامه و مشاهده
و قال يرثى طاهر بن عبد الله بن طاهر و الحسين بن طاهر بن الحسين
فلله قبر فى (خراسان) ادركت نواحيه اقطار العلا و المآثر
مقيم بأدنى (أبر شهر) و طولاه على قصو آفاق البلاد الظواهر
عميدا (خراسان) انبرى لهما الردى بعامدين من صنوف الدوائر
موسوعه العتبات المقدسه، ج ١١، ص: ١٧٣

و قال يهجو محمد بن طاهر (هو ابن المرقى فى الابيات السابقة، ولى إمرة خراسان بعد والده الى ان خرج عليه يعقوب بن الليث
الصفار فحاربه و ظفر به يعقوب، و بقى عنده فى الاسر ثم نجا. و لم يزل خاملا ببغداد الى أن مات سنة ٢٩٨ هـ.)
على مثل رأسك زال السرور و مال الزمان بنا و انقلب
اذا نحن شئنا رأينا البلاء بأعيننا و سمعنا العجب
ذخائر آبائك الأولى... ن أتويتها فى مهور اللعب
و سلّمت سلطانهم حين صار إليك، بمقتلعات الكتب

فلم لا تعدّ من الأجودى ن، و ملك (خراسان) ممّا تهب؟!؟

البستي (ابو الفتح)

قال فى ابى على ابن سيمجور
 ألم تر ما ارتآه ابو عليّ و كنت اراه ذالّب و كيس
 عصى السلطان فابتدرت إليه جيوش يقلعون ابا قبيس
 و صيّر (طوس) معقله فاضحت عليه (طوس) اشأم من طويس

ابو تمام

قال يمدح محمد بن حسان الضبّي
 ما اليوم اول توديعى و لا الثانى البين اكثر من شوقى و احزانى
 دع الفراق فان الدهر ساعده فصار املك من روحى بجثمانى
 خليفة (الخضر) من يربع على وطن فى بلدة فظهور العيس اوطانى
 بالشام اهلى، و بغداد الهوى، و أنا بالرقمتين، و بالفسطاط اخوانى
 و ما اظنّ النوى ترضى بما صنعت حتى تشافه بى اقصى (خراسان)
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٧٤
 و قال يصف شدة البرد بخراسان
 لم يبق للصيف لا رسم و لا طلل و لا قشيب فيستكسى و لا سمل
 عدل من الدمع ان يبكى الحصيف كما يبكى الشباب و يبكى اللهو و الغزل
 يمنى الزمان طوت معروفها و غدت يسراه و هى لباس بعده بدل
 ما للشتاء و لا للصيف من مثل يرضى به السمع الا الجود و البخل
 اما ترى الأرض غضبى و الحصى قلقوا الا فقا بالحر جف النكباء يقتتل
 من يزعم الصيف لم تذهب بشاشته فغير ذلك امسى يزعم الجبل
 غدا له مغفر فى رأسه يقق لا تهتك البيض فوديه و لا الاسل
 يمسى و يضحى مقيما فى مباءته و بأسه فى كلى الاقوام مرتحل
 من كان يجهل منه جدّ سورته فى القريتين و امر الحق مكتهل
 فما الضلوع و لا الاحشاء جاهله و لا الكلى أنّه المقدماء البطل
 هذا و لم يشتمل للحرب ديدنه و اى قرن تراه حين يشتمل
 اذا (خراسان) عن صئبرها كشرت كانت قيادا لنا أنيابه العصل
 فما صلائي- إن كان الصلاء بهاجمر الغضا الجزل- إلا السير و الابل
 المرضياتك ما ارغمت آنفهاو الهادياتك و هى الرشد و الضلل
 تقرّب الشقّة القصى اذا اخذت سلاحها و هى الارقال و الرمل

إذا تظلمت من ارض فصلت بها كانت هي العزّ ألاً أنها ذل
و قال و قد سمع مغنيّة تغنى بالفارسيّة فاستحسن الصوت و لم يعرف المعنى
أيا سهرى ببلدة (أبرشهر) ذممت إلى في نومي سواها
شكرتك ليلاً حسنت و طابت اقام سرورها و مضى كراها
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٧٥ و ما شهد بمحمود و لكن قضى حاجات نفسي ما قضاها
إذا وهديات ارض كان فيها هواك فلا تحنّ الى رباها
سمعت بها غناء كان أولى بأن يقتاد نفسي من غناها
و مسمعة يحار السمع فيها و لم تصممه، لا يصمم صداها
مرت أوتارها فشفت و شافت- لو يستطيع حاسدها فداها
فما خلت الخدود كسبن شوقالقلبي مثلما كسبت يداها
و لم افهم معانيها و لكن ورت كبدى فلم أجهل شجاها
فبتّ كأننى اعمى معنى يحبّ الغانيات و ما يراها

الشيخ جابر الكاظمي

قال- رحمه الله- عند ما زار مشهد الامام الرضا (ع) في ايران
ثينا عطف محمود الثناء لمغنى سبط ختم الانبياء
لربيع هداية لله فيه مواهب رحمة لذوى (الولاء)
لمغنى فيه للرضوان مأوى و فيه (للرضا) اسمى بناء
لمغنى تلثم الشمس اعتماداتراه فى الصباح و فى المساء
*** الى شمس الشموس و ما سواه أنيس فى الاسى للاصفياء
الى شمس حبا (طوسا) بشمس تفوق الشمس باهرة الضياء
(على) الندب و ابن الندب (موسى) سليل ذوى الهدى (أهل العباء)
إمام من إمام من إمام و ما لله فيه من بداء
و (ثامن) سادة سادت بمجدسما ادناه مجد الانبياء
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٧٦ مودّة (ناصر الدين) المفدى صفت لك و هو أهل للصفاء
أقام لكم قبابا شاهقات سمت فيها سماوات العلاء

آقا شيخ حسن هروى

من القصيدة المسماة (الوجيزة الطوسية فى المظالم الروسية)
در عهد جهاندارى شاهنشاه (قاجار) شد واقعه كرب و بلا تازة دگر بار
افسوس كه در (طوس) بتوپ ستم روس شد منهدم الركن حريم شه ابرار
سلطان خراسان شه اقليم ولايت فرمانبر او نه فلک ثابت و سيار

و هذا ملخص تعريبيها: في عهد الشاهنشاه القاجارى تجددت مأساة كربلا مرة اخرى فقد صوب الروس مدافعهم الى حرم الامام الذى تمتثل أوامره الافلاك التسعة الثابتة و السيارة و هدموه.

السيد حيدر الحلى

قال من قصيدة مهنتا الحاج مصطفى كبه لما أقبل من زيارة الرضا (ع)
بلغته (الرضا) عزيمة نفس كبرت ان ترى الخطير خطيرا
كم طوى اليد باسطا كفّ جودنشرت ميت الندى المقبورا
فأتى (مشهدا) لمن طاف فيه قد اعد الآله اجرا كبيرا
حاز اجرا لو الورى اقتسمته لغدا فيه كلهم مأجورا
موسوعة العتبات المقدسة، ج ۱۱، ص: ۱۷۷

قصيدة سنائى الغزنوى

هذه اقدم قصيدة فارسية فى مدح الامام الرضا (ع) للشاعر ابى المجد مجدود بن آدم المعروف (بسنائى غزنوى) المتوفى سنة ۵۳۵ هـ. و يظهر ان سنائى قد نظم هذه القصيدة فى اثناء زيارته لخراسان و سفره الى نيشابور و يستبان ذلك من الرسالة التى كتبها سنائى الى الفيلسوف الشاعر عمر الخيام النيشابورى التى يرجوه فيها التوسط لدى السلطة التى قبضت على خادم سنائى بتهمته السرقة. و القصيدة هذه نقلتها مجلة (آستان قدس) التى تصدر من دار التولية بخراسان من ديوان سنائى الذى حققه المدرس الرضوى، فى العدد الرابع من المجلد السادس.

قصيدة دعبل الخزاعى

و الى جانب قصيدة سنائى الفارسية رأينا ان ثبت قصيدة دعبل بن على ابن رزين الخزاعى باعتبارها من اقدم ما قيل من الشعر فى رثاء آل على (ع) من الأئمة و مدحهم و ذكر الامام الرضا (ع) بالمدح و هى قصيدة محققة حذفت منها جميع الأبيات التى تستوجب المناقشة من حيث الزيادة و النقصان فقد قيل ان زيادات كثيرة كانت قد ادخلت على هذه القصيدة لشهرتها لذلك اجتهدنا ان ننسب من الاصل فنقلناه من تحقيق الدكتور عبد الكريم الاشر و قد كتبت هذه القصيدة و زينت بخط الشاعر الطيار كمال عثمان. و دعبل الخزاعى هذا هجا عددا من الخلفاء العباسيين لاضطهادهم العلويين فطلبوه و لم يظفروا به و كان يقول: ان لى خمسين سنة و انا احمل خشبتي على كتفى ادور على من يصلبنى عليها، فقد كان شديد الحب للأئمة متفانيا فى تشييعه، و هو كوفى و من مواليد القرن الثانى الهجرى.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ۱۱، ص: ۱۷۸

در مدح حضرت ثامن الائمه على بن موسى الرضا عليه آلاف التحية و الثنا كويد

دين را حرميست در خراسان دشوار ترا بمحشر آسان

از معجزه‌های شرع احمداز حجت‌های دين يزدان

همواره رهش مسير حاجت‌پيوسته درش مشير غفران

چون كعبه پر آدمى ز هر جای چون عرش پر از فرشته هر نان

هم فرشته کرده جلوه هم روح وصی درو بجولان
از رفعت او حریم مشهداز هیبت او شریف بنیان
از دور شده قرار زیرانزدیک بمانده دیده حیران
از حرمت زایران راهش فردوس فدای هر بیابان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ۱۱، ص: ۱۷۹ قران نه درو واو اولوالامر دعوی نه و با بزرگ برهان
ایمان نه و رستگار از او خلق توبه نه و عذرهای عصیان
از خاتم انبیا درو تن از سید اوصیا درو جان
آن بقعه شده به پیش فردوس آن تربه بروضه کرده رضوان
از جمله شرطهای توحیداز حاصل اصلهای ایمان
زین معنی زاد در مدینه این دعوی کرده در خراسان
در عهده موسی آل جعفر با عصمت موسی آل عمران
مهرش سبب نجات و توفیق کینش مدد هلاک و خذلان
مأمون چو بنام او درم زدبر زر بفزودهم درم زان
حوری شد هر درم بنامش کس را در می زدند زینسان
از دیناری همیشه تا ده نرخ درمی شدست ارزان
بر مهر زیاد آن درمها از حرمت نام او چو قرآن
اینکار هر آینه نه باز است این خور بچه گل کنند پنهان
زرست بنام هر خلیفه سیمست بضر ب خان و خاقان
بی نام رضا همیشه بی نام بی شأن رضا همیشه بی شأن
موسوعة العتبات المقدسة، ج ۱۱، ص: ۱۸۰ با نفس تنی که راست باشد چون خور که بیابدار گریبان
بر دین خدا و شرع احمد بر جمله ز کافر و مسلمان
چون او بود از رسول نایب چون او سزد از خدای احسان
ای مأمون کرده با تو پیوندی ایزد بسته با تو پیمان
این پیوندت گسسته پیوندان پیمانانت گرفته دامان
از بهر تو شکل شیر مسند درنده شده بچنگ و دندان
آنها که ز پیش تخت مأمون برهان تو خوانده بود بهستان
با درد حجود منگرش را اقرار دو شیر ساخت درمان
از معتبران اهل قبله در معتمدان دین دیان
کس نیست که نیست از تو راضی کس نیست که هست بر تو غضبان
اندر پدرت وصی احمد بیست مرا بحسب امکان
تضمین کنم اندرین قصیده کین بیت فرو گذاشت نتوان
ای کین تو کفر و مهتر ایمان پیدا بتو کافر از مسلمان
در دامن مهر تو زدم دست تا کفر نگیردم گریبان

اندر ملك امان على راست دل در غم غربت تو بريان
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٨١
 مرثية شاعر آل البيت - الشهيد دعل بن علي بن رزين الخزاعي
 مدارس آيات خلت من تلاوة و منزل وحى مقفر العرصات
 لآل رسول الله بالخيف من منى و بالركن و التعريف و الجمرات
 ديار على و الحسين و جعفر و حمزة و السجاد ذى الثفتان
 ديار عفاها جور كل منابذو لم تعف للايام و السنوات
 قفا نسأل الدار التي خف اهلها: متى عهدها بالصوم و الصلوات
 و أين الألى شطت بهم غربه النوى افانين فى الآفاق مفترقات؟
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٨٢ هم أهل ميراث النبى اذا اعتزواو هم خير قادات و خير حماة
 و ما الناس الا حاسد و مكذب و مضطغن ذو اخته و ترات
 اذا ذكروا قتلى بيدر و خيرو يوم حنين اسبلوا العبرات
 و كيف يحبون النبى و اهله و قد تركوا احشاءهم و غرات
 لقد لا ينوه فى المقال و اضمروا قلوبا على الاحقاد منظويات
 قبور بكوفان و اخرى بطيبة و اخرى بفخ، نالها صلواتى
 و قبر بارض الجوز جان محله و قبر بياخمر لى العرمات
 و قبر ببغداد لى نفس زكية تضمنها الرحمن فى الغرفات
 و قبر بطوس يا لها من مصيبة تردد بين الصدر و الحجابات
 فاما الممضات التى لست بالغامبالغها منى بكنه صفات
 الى الحشر حتى يبعث الله قائما يفرج منها الهم و الكربات
 نفوس لى النهريين من ارض كربلا معرسهم منها بشط فرات
 اخاف بأن ازدارهم و يشوقنى معرسهم بالجزع من نخلات
 تقسمهم ريب الزمان فما ترى لهم عقوة معشيه الحجرات
 سوى أن مهم بالمدينه عصبه مدى الدهر انضاء من الأزمات
 قليلة زوار سوى بعض روزمن الضبع و العقبان و الزحمت
 لهم كل جبن نومه بمضاجع لهم فى نواحي الأرض مختلفات
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٨٣ و قد كان منهم بالحجاز و أهلها مغاوير نحارون فى السنوات
 تنكب لأواء السنين جوارهم فلا تصطليهم جمره الجمرات
 حمى لم تطره المبديات و اوجه تضىء من الأيسار فى الظلمات
 اذا أورد و اخيلا تسعر بالقنامساعر جمر الموت و الغمرات
 و أن فخرها يوما أتوا بمحمد و جبريل و الفرقان ذى السورات
 أولئك، لامن شيخ هند و تربها سمية من نوكى و من قدرات
 ملامك فى اهل النبى فأنهم أجاي ما عاشوا و أهل ثقاتي

تخيرتهم رشدا لأمرى فانهم على كل حال خيرة الخيرات
 نبذت اليهم بالمودة جاهداو سلمت نفسى طائعا لولاتى
 فيا رب زدنى من يقينى بصيره و زدجهم يا رب فى حسناتى
 بنفسى أتم من كهول و فتيه لفك عناه أو لحمل ديات
 و للخليل لما قيد الموت خطوها فأطلقتهم منهن بالذريات
 أحب قصى الرحم من أجل حبكم و اهجر فيكم أسرتى و بناتى
 و أكنتم حبيكم مخافة كأشج عنيد لأهل الحق غير موات
 لقد حقت الأيام حولى بشرها و انى لأرجو الأمن بعد وفاتى
 ألم تر أنى مذ ثلاثين حججه أروح و أعدو دائم الحشرات
 أرى فيئهم فى غيرهم متقسما و أيدىهم من فيئهم صفرات
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٨٤ فال رسول الله نحف جسمهم و آل زياد غلظ القصرات
 بنات زياد فى القصور مصونه و آل رسول الله فى الفلوات
 اذا وتروا مدوا الى و اترىهم أكفا عن الأوتار منقبضات
 فلو لا الذى أرجوه فى اليوم أو غد تقطع قلبى أثرهم حسرات
 خروج أمام لا محاله خارج يقوم على اسم الله و البركات
 يميز فينا كل حق و باطل و يجزى على النعماء و النقمات
 سأقصر نفسى جاهدا عن جدالهم كفانى ما القى من العبرات
 فيا نفس طيبى ثم يا نفس أبشرى فغير بعيد كل ما هو آت
 و لا تجزعى من مدة الجور اننى كأنى بها قد آذنت بيتات
 فأن قرب الرحمن من تلك مدتى و أخر من عمرى ليوم وفاتى
 شفيت ولم أترك لنفسى غصه و رويت منهم منصلى و فئاتى
 عسى الله أن يأوى لذا الخلق انه الى كل قوم دائم اللحظات
 أحاول نقل الشمس من مستقرها و أسمع أحجار من الصلدا
 فمن عارف لم ينتفع و معانديميل مع الأهواء و الشهوات
 قصاراي منهم أن أؤب بغصة تردد بين الصدر و اللهوات
 اذا قلت عرفا أنكروه بمنكرو غطوا على التحقيق بالشبهات
 كأنك بالأضلاع قد ضاق رحبها لما ضمنت من شدة الزفرات
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٨٥

لدعل بن على الخزاعى

إربع (بطوس) على قبر الزكى بها إن كنت تربع من دين على وطر
 قبران فى (طوس) خير الخلق كلهم و قبر شرهم هذا من العبر
 ما ينفع الرجس من قرب الزكى و ما على الزكى بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امرىء رهن بما كسبت له يداه فخذ ما شئت أو فذر
 *** قال يعاتب الفضل بن العباس و كان دعبل مؤدبه.
 ألا ايها القطاع هل أنت عارف لنا حرمة أم قد نكرت التحرماً؟
 فهلاً (بطوس) و البلاد حميدة تعول الليالى و المطى المرسما
 و اسلمتنى من بعد ما صوّح الكلاو غاضت بقايا الحى و الماء أنجما
 ستعلم إن راجعت نفسك أو سخت عن الضف يوماً: أينما كان ألوما
 و قال فى رثاء على بن موسى الرضا:

ألا ايها القبر الغريب محلّه بطوس) عليك الساريات هتون
 شككت فما أدري أمسقى شربة فابكيك، ام ريب الردى فيهون
 و ايهمما ما قلت: ان قلت شربه و ان قلت موت، إنه لقمين
 ايا عجا منهم يسمونك (الرضا) و تلقاك منهم كلحه و غضون
 أتعجب للاجلاف أن يتحيفوا معالم دين الله و هو مبين
 لقد سبقت فيهم بفضلك آية لى، و لكن ما هناك يقين
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٨٦
 و قال فى رثائه:

يا حسرة تترددو عبرة ليس تنفد
 على (على بن موسى ب... ن جعفر بن محمد
 قضى غريباً (بطوس) مثل الحسام المجرد
 يا (طوس) طوباك قد صرت لابن احمد) مشهد
 و يا جفونى استهلّى و يا فؤادى توقّد
 *** و قال أيضاً:

لقد رحل (ابن موسى) بالمعالى و سار بسيره العلم الشريف
 و تابعه الهدى و الدين كلاهما يتبع الالف الالف
 فيا وفد الندى عودوا خفاف الحقائق، لا تليد و لا طريف
 و قد كنا نؤمل ان سيحيا امام هدى له رأى حصيف
 ترى سكناته فنقول: غرو تحت سكونه رأى ثقيف
 له سمحاء تغدو كل يوم بناثله، و سارية تطوف
 فأهدأ ريحه قدر المنايا و قد كانت له ريح عصفوف
 أقام (بطوس) تلحفه المنايا مزار دونه نأى قدوف
 فقل للشامتين بنا رويدا فما تبقى امرأ يمشى: الحتوف
 سررتهم بافتقاد فتى بكاه رسول الله و الدين الحنيف
 و قال فى رثائه أيضاً:

يا نكبة جاءت من الشرق لم تتركى منى و لم تبقى

موت (عليّ بن موسى الرضا) من سخط الله على الخلق
 اصبح عيني مانعا للكبرى و اولع الاحشاء بالخفق
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٨٧ و اصبح الاسلام مستعبرالثلمة باينه الرتق
 سقى الغريب المنتشى قبره بارض (طوس) سبل الودق

ربعى بن عامر

قال فى غزو خراسان سنة ١٨ هـ .
 و نحن وردنا من (هراة) مناهلارواء من (المروين) ان كنت جاهلا
 و (بلخ) و (نيسابور) قد شقيت بناو (طوس) و (مرو) قد أزرنا القنابلا
 أنخنا عليها كورة بعد كورة نفصهم حتى احتوينا المناهلا
 فلله عينا من رأى مثلنا معاغدة أزرنا الخيل (تركا) و (كابلا)

أبو سعيد المخزومى

يرثى المأمون :
 هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون فى عز ملكه المأسوس
 غادروه بعرصتى (طرسوس) مثلما غادروا أباه (بطوس)

شاعر

يا ارض (طوس) سقاك الله رحمته ماذا حويت من الخيرات يا (طوس)
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٨٨ طابت بقاعك فى الدنيا و زينها شخص زكى (بسينا باذ) مرسوس
 يا قبره انت قبر قد تضمّنه علم و حلم و تطهير و تقديس
 فخرا فانك مغبوط بجثته و بالملائكة الاحرار محروس

الشريف الرضى

سقى الله المدينة من محلّ لباب الماء و النطف العذاب
 و جاد على (البقيع) و ساكنيه رضى الذيل ملآن الوطاب
 و اعلام (الغرى) و ما استباحت معالمها من الحسب اللباب
 و قبرا (بالطفوف) يضمّ شلواقضى ظمأ الى برد الشراب
 و (سامرا) و (بغداد) و (طوسا) هطول الودق منخرق العباب
 *** صلاة الله تخفق كل يوم على تلك المعالم و القباب
 ارى شعبان يذكرنى اشتياقى فمن لى ان يذكركم ثوابى
 أجل عن القبائح غير أنى لكم أرمى و أرمى بالسباب

فاجهر (بالولاء) و لا اورى و انطق (بالبراء) و لا أجابى
محبكم و لو بغضت حياتى و زائر كم و لو عقرت ركابى

ابو الشيص

ابو الشيص (محمد بن عبد الله بن رزين) ابن عم دعبل الخزاعى كان احد شعراء الرشيد و لما مات الرشيد رثاه و مدح محمدا الأمين، قال :

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٨٩ جرت جوار بالسعد و النحس فنحن فى وحشة و فى أنس
العين تبكى و السنّ ضاحكة فنحن فى مأتم و فى عرس
يضحكننا القائم الأمين و يبكيننا وفاة الأمام فى الأمس
بدران: بدر هذا ببغداد فى ال... خلد و بدر (بطوس) فى الرسم

الصاحب بن عباد

قال يمدح على بن موسى (ع):
يا زائرا ساثرا الى (طوس) مشهد طهر و ارض تقديس
ابلق سلامى (الرضا) و حطّ على اكرم رمس لخير مرموس
و الله و الله حلفه صدرت عن مخلص فى الولاء مغموس
أتى لو كنت مالكا أربى كان (بطوس) الغناء تعريسى
و كنت أمضى العزيم مرتحلا منتسفا فيه قوة العيس
(لمشهد) بالزكاء ملتحف و بالسنى و السناء مأنوس
يا سيدى و ابن سادتى ضحكت وجوه دهرى بعقب تعيس
لما رأيت النواصب انقلبت راياتها فى ضمان تنكيس
صدعت بالحقّ فى ولائكم و الحقّ مذ كان غير مبخوس
يا بن النبى الذى به قصم الله ظهور الجبابر الشوس
و ابن الوصى الذى تقدّم فى ال... فضل على البزل القناعيس
و حائر الفضل غير منتقص و لابس المجد غير تليس
ان ابن عباد استجار بكم فما يخاف الليوث فى الخيس
بلّغ الله ما يؤمله حتى يحلّ الرحال فى (طوس)
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٩٠

العباس بن الاحنف

قالوا (خراسان) ادنى ما يراد بناثم القفول فقد جئنا خراسانا
متى يكون الذى ارجو و آمله اما الذى كنت أخشاه فقد كانا

ما اقدر الله ان يدني على شحطسكان دجلة من سكان جيحانا
عين الزمان اصابتنا فلا نظرت و عدت بفنون الهجر ألوانا
يا ليت من نتمنى عند خلوتنا اذا خلا خلوة يوما تمنانا

عبد الباقي العمري

ورد في ديوانه (البقيات الصالحات) ما يلي: هذان البيتان اللذان هما كآيتين منقولان من لغة الفرس، لجناب المؤيد بروح القدس،
الاديب الالمعي و الاريب اللوذعي الحاج محمد عيسى جلبي نجل المبرور الحاج محمد أمين جلبي شالجي موسى زاده البغدادي و
هما كذا:

قبة للرضا حوت كل فضل مذحوت من له بهاء و نور

قبة للافلاك لم تبق فخر اقال لبي: لكل لب قشور

و قال مؤلف هذه البقيات مشطرا لهما اربعة تشايطير، كل شطر منها أعطى شطر الحسن المنير، واصفا قبة حضرة الامام، على الرضا
العليه المقام، و ناعتا حضرته الشريفه في هذا النظام، البديع الانتظام:

(قبة للرضا حوت كل فضل) ما حواه و ادى طوى و الطور

و تلا الوحى سورة النور فيها(مذحوت من له بهاء و نور)

(قبة للافلاك لم تبق فخرا) تتباهى به غداة تمور

و هى تحكى بيض الانوق حفاظا(قال لبي: لكل لب قشور)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٩١

؟؟؟ الجرجاني

الدار داران: إيوان و غمدان و الملك ملكان: ساسان و قحطان

و الناس فارس، و الاقليم بابل و الإسلام مكة، و الدنيا (خراسان)

و الجانبان العلندان للذا خشنا منها بخارا و بلخ الشاهواران

قد ميّز الناس اصنافا و رتبهم فمرزبان و بطريق و طرخان

فالفرس كسرى، و للروم القياصر، و ال...حبش النجاشي، و الاتراك خاقان

مالك بن الربيع

قال يرثى نفسه:

لعمري لئن غالت خراسان هامتي لقد كنت عن بابي خراسان نائيا

ايا ليت شعري هل ابين ليلى بجنب الغضا أزجى القلوص النواجيا

فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه و ليت الغضا ماشى الركاب لياليا

الم ترني بعث الضلالة بالهدى و اصبحت في جيش بن عفان غازيا

المأمون العباسي

دخل ابو عباد ثابت بن يحيى الى المأمون و هو يختال في مشيته فقال المأمون :
زهو (خراسان) وتيه النبطو نخوة الخوز و غدر الشرط
اجتمعت فيك و من بعد ذانك رازي كثير الغلط
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٩٢

محمد بن عبيد الله (سبط ابن التعاويذي

قال في أهل البيت (ع) :
ساهدى للأئمة من سلامى و غرّ مدائحى ازكى هدى
سلاما أتبع الوسمى منه على تلك (المشاهد) بالولى
و اكسو عاتق الايام منه حباثر كالرداء العبقري
حسانا لا أريد بهنّ إلامساءه كلّ باغ خارجي
يضيع لها اذا نشرت أريج كنشر لطائم المسك الذكى
كأنفاس النسيم سرى بليل يهزّ ذوائب الورد الجنى
(لطيفة) و (البقيع) و (كربلاء) و (سامرا) و (فيد) و (الغرى)
و (زوراء) العراق و ارض (طوس) سقاها الغيث من بلد قصي
فحيا الله من وارته تلك القباب البيض من حبر نقى
و اسبل صوب رحمته دراكا عليها بالغدو و بالعشى
فذخرى للمعاد ولاء قوم بهم عرف السعيد من الشقى
كفانى علمهم أنى معاد عدوهم موال للولى

السيد موسى الطالقانى

قال :
و بنفسى افدى غريبا (بطوس) و قتيلا بالسم أى قتيل
خير من حلّ ارضها و سماهاخير داع الى الهدى و دليل
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٩٣

مشهد فى المصادر العربية كتبه الدكتور حسين على محفوظ

إشارة

دكتوراه الدولة من جامعه طهران
و المفتش الاختصاصى بوزارة التربية سابقا

و الأستاذ بكلية الآداب في جامعة بغداد اليوم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٩٥

مشهد في التواريخ تاريخ مشهد خراسان سنة ١٣٠٠ هـ

أقوال المشاركة في مشهد خراسان

... أغفل ذكر المشهد جماعة من علماء العرب، منهم؛ ابن خرداذبه، و المقدسى، و ابو الفداء. و ذكرها: الاصطخرى، و ابن حوقل، و زكريا ابن محمد بن محمود القزوينى، في كتاب آثار البلاد، و ياقوت الحموى، و ابن بطوطة.
و أما كتاب الفرس؛ فقد ذكرها: صاحب كتاب (نزهة القلوب)، و ذكرها الأمير زين الدين محمد في كتاب (زينه المجالس)، و القاضى نور الله التستري الحسينى فى (مجالس المؤمنين) المعروف، و احمد
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٩٦
الرازى فى (هفت اقليم)، و ميرزا حسن الزنوزى فى (رياض الجنة)، و فرهاد ميرزا فى كتاب (جام جم)، و ميرزا رضا قلى خان من مشاهير حملة السيف و القلم، فى العهد القاجارى.

أقوال المغاربة

ذكر المشهد من الافرنج (فورشاير) الرحالة الانكليزى، فى المجلد الثانى من رحلته، و قد اجتاز بها سنة ١٧٨٣.
و السر جون ملكم، سفير انكلترا على عهد فتح على شاه.
(و) ذكرها صاحبه (ماكدونال كينير) فى كتابه (جغرافيه ايران).
و الرحالة الانكليزى (فيروزور) و قد اجاز عليها فى منتصف القرن التاسع عشر. و عاشر طائفة من خاصة اهلها، و تظاهر بالاسلام، توصلوا إلى مقاصده، فنجح.
و المتجول (هانوى) فى رحلته إلى بلاد الروس و ايران، سنة ١٧٤٣.
و قد تمكن من الدخول إلى نفس المشهد، و افاض فى تاريخه القديم و الحديث، و أورد فصولا شائقة عن البلدة، و أحصى مدارسها، و عدد طلابها، و ذكر أوقافها و اجناسها، إلى غير ذلك.
و ذكرها ايضا- الدكتور (ريتر) الألماني، من أساتذة جامعة برلين و أعضاء المجمع العلمى فى كتابه (خطط ايران) بالألمانية. و كثيرا ما يعتمد على كلام فيروزور المتقدم ذكره.
و المسيو (كنولى) و قد مرّ عليها مجتازا إلى الهند، سنة ١٨٢٣.
و قال: ان مدينة طوس اوسع محيطا من هراء، ألّا انها اقل منها سكانا.
و بحث عن التجارة و احوالها هناك.
و المسيو (فريه) الرحالة الفرنسوى- مارا بها- سنة ١٨٤٥، فى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٩٧
المجلد الأول من رحلته. و وصف منظر البلاد الطبيعى، و أورد نبذة من تاريخها، و غير ذلك.
و تعددت له اغلاط .. غير ان اغلاط (خانيكوف) الرحالة الروسى ..
أكثر؛ فمنها قوله: ان مشهد طوس واقعة فى أقصى خراسان، مع ان أقصى ديار خراسان بلخ .

وقوله: ان الكتابات- في آثار المشهد- لا يرتقى تاريخها إلى ابعد من عصور الصفويين. والحالة ان قسما منها يرتقى تاريخه إلى زمان السلاجقة و المغول .. إلى غير ذلك من أوهامه.

ظهور المشهد و عمران المدينة

.. ان مدينة مشهد خراسان، قائمة على انقاض (سناباذ)، البلدة الفارسية القديمة، التي وليها حميد بن قحطبة، من قبل الرشيد. و كانت له فيها دار و بستان. و لما قبض الرشيد في خراسان دفن في دار حميد هذه. و أمر المأمون فأقيمت ثمة قبة، دعيت (القبة الهارونية).
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٩٨
ثم دفن إلى جنبه الامام، ابو الحسن على بن موسى الرضا؛ ثامن أئمة اهل البيت، سنة ٢٠٣، فغلب اسمه على القبر. و قيل ان الديالمة تقدموا بعد ذلك- بعمارة مشهده، ثم اخربه الأمير سبكتكين. و بالجملة؛ بقي المشهد خرابا، لا يجرأ الشيعة على عمارته خوفا من غيرهم. إلى ان تقدم بها السلطان محمود بن السلطان ناصر الدين سبكتكين، فجدد العمارة- كما ذكره ابن الاثير. ثم عمّره شرف الدين القمي، على عهد السلطان سنجر السلجوقي. و لم تزل عمارته قائمة إلى ان اخربها التاتار. ثم تقدم بتجديدها السلطان محمد خدابنده، حفيد هولوكو. و قد وصف عمارته هذه ابن بطوطة؛ مارا بمدينة طوس سنة ٧٣٤. و تقدم- بعد ذلك- غير واحد؛ من الملوك، و الصدور، بتعمير المشهد، و الانفاق على زينته. و قد رافق عمرانته عمران المدينة، الى ان استفحل شأنها على عهد السلطان ميرزا شاه رخ الكوركاني. فأمر بانشاء العمارات في طوس سنة ٨٠٨، و تقدمت بعد ذلك.

وصف المشهد

موقع بناء المشهد وسط المدينة، و هو مربع. و مساحة موضع الضريح عشرة اذرع في عشرة. و ارتفاع القبة عليه عشرون ذراعا. و للسور المحيط به اثنا عشر بابا؛ غشى بعضها بالذهب، و بعض بالفضة. اثبت فيها نصوص آيات و احاديث كثيرة، و مقاطيع شعر عربية و فارسية. و على موضع الضريح عدة مشبكات؛ اولها من الفولاذ، و لا تاريخ له. و بينه و بين المشبك الثاني عدة مشبكات من النحاس، طليت بالذهب؛
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ١٩٩
لحفظ المجوهرات التي داخله، و هي كثيرة.
أما القبة، فهي مغطاة بالذهب الوهاج، و في دائرها كتابة عربية واضحة، محصلها انه امر بتزيين هذه القبة الشاه عباس الكبير حين شد الرحال الى زيارة الامام، من قاعدة مملكته اصفهان. أمر بذلك سنة ١٠١٠، و تم ١٠١٦ (عمل كمال الدين محمود اليزدي سنة ١٠١٥ كتبه على رضا العباسي).
و هناك ايضا- كتابة عربية اخرى، يظهر منها ان الشاه سليمان الصفوي أمر مرة اخرى بتذهيب القبة، بعد سقوطها بزلزلة سنة ١٠٨٤، و كان تذهيبها سنة ١٠٨٦.

الكتابات في المشهد

الكتابات داخل المشهد كثيرة مختلفة، يرتقى أقدمها إلى سنة نيف و خمسمائة. جلها عربي الاسلوب و اللفظ. و بعضها بالخط الكوفي. يذكر في اواخرها اسم الكاتب، و المتقدم بالعمل غالباً. و في جملة المكتوب ابيات ابي نواس المشهورة التي اولها:
 مطهرون نقيات جيوبهم تجرى الصلاة عليهم اينما ذكروا
 و كتب تحتها (تقرب) بهذه العماره الضعيف الدليل المحتاج إلى رحمه ربه تعالى - مولى آل محمد، عبد العزيز بن آدم بن ابي نصر القمي).

و من الكتابات الكوفية في اطر بعض المحاريب؛ ما نصه (بسم الله الرحمن أحد مداخل الصحن الرضوى الشريف موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٠٠
 الرحيم شهد الله ان لا إله إلا هو و الملائكة ..) إلى قوله (ان الدين عند الله الاسلام).
 و عند هذا المحراب مكتوب (كن في صلواتك خاشعاً). و كتب بهذا الخط - ايضاً - نص الآية (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ) (لا إله إلا الله محمد رسول الله. اللهم اغفر لمن استغفر لأبي زيد محمد بن ابي زيد النقاش).
 و كتبت - ايضاً - سورة التوحيد، بخط دقيق، تاريخه سنة ٦١٢. و يوجد داخل المشهد غير ما ذكرنا رسم آيات، و احاديث، و كلم جامعة، و عظات كلها عربية، تقرأ واضحة جاء فيها ما نصه: (من كلام رسول الله صلى الله عليه و آله - انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم باخلاقكم. قال ابراهيم بن العباس الصولي: لو وزنت هذه الكلمة باحسن كلام الناس لرجحت.
 قال رسول الله - صلى الله عليه - لا علم كالتفكر. لكل قلب شغل.
 من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه. قلب الأحمق في فيه و لسان العاقل في قلبه. رسول الموت الولادة.
 و على المحراب - الذي يلي الرأس - رسوم آيات، و احاديث كثيرة.
 و هي عمل (على بن محمد بن أبي طاهر - غفر الله ذنوبه) و غير ذلك كثير.

الآثار و العمارات

دار الحفاظ

و الآثار الماثلة ازاء المشهد كثيرة؛ من اهمها (دار الحفاظ). و هو بناء عال مربع مستطيل (كذا) طوله ١٨ ذراعاً، في عرض سبعة اذرع و نصف.

و ارضه مبلطة بالقاشاني. احداثه گوهرشاد، زوج الأمير شاهرخ بن الأمير تيمور الكوركاني، امير هراة و خراسان. و في هذه الدار خمسة اضرحة لبعض ملوك الفرس و صدورهم. و فيه كتابات فارسية، و غير ذلك.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٠١

دار السيادة

ايضاً، من آثار گوهرشاد، و هي بناية مستطيلة، طولها ٣٢ ذراعاً، و عرضها مختلف. و فيها مسبل ماء عذب، و بعض الاضرحة.

و قد ضعفتها الزلزلة على عهد الشاه سليمان الصفوى. فتقدم بترميمها.
و فى بعض جدرها كتابات متأخرة؛ اكثرها شعر فارسى. غير ان فى بعض دروبها كتابات قديمة سابقة على وجود هذه الدار، إذ ان تاريخها يرتقى إلى القرن السادس و الثامن.

قبة: الله يارخان

و هى من الأبنية المشهورة المعظمة هناك محكمة البناء، عالية مثنى الشكل داخلها ثمانى صنف. كتب على قاشانها المعرق؛ مواليده الأئمة الاثنى عشر، و وفياتهم، و احاديث مأثورة عنهم. و ابيات فارسى، و رسمت فى دائرها الأعلى سورة الجمعة، و غير ذلك.

سائر الآثار

منها؛ الصحن العتيق، فى شمال المشهد. طوله ٨٦ ذراعاً، فى عرض ٦٠ و هو من آثار الصفويين - كما تشهد بذلك الكتابات الظاهرة إلى الآن.

و منها؛ الصحن الجديد. و هو من آثار السلطان فتح على شاه. طوله ٧٢ ذراعاً، فى عرض ٤٩. و هو مغشى الجدر بالقاشانى البديع الصنع. و ما يلى الارض منه بالرغام. و فيه كتابات عربية كثيرة.

و من أهم آثار المشهد؛ مسجد گوهرشاد، و هو آية فى إحكامه، و جمال هندامه. زين بالقاشانى المعرق، و غيره. طوله نحو ٥٣ ذراعاً، فى عرض ج ١- خراسان (١٤)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٠٢

٤٨. و فيه قبة ريفية، و مآذن عالية، لم تتضعع - بعد - مع ان بناءها يرتقى الى اوائل القرن التاسع.

و لهذا المسجد أربعة ابواب. و قد عمر فيه على عهد الصفويين، و القاجاريين و فيه كتابة منحوتة على الرخام، أو مفخورة فى القاشانى. جاء فى بعضها بعد ذكر المتقدمة بالعمارة گوهرشاد، و تمجيدها كثيرا، بالعربية، مانصه:

(اتفق تحريرها، فى اوائل شهر الله المبارك، رجب المرجب، سنة ٨٢١ عمل العبد الضعيف، المحتاج لعناية الملك الرحمن، قوام الدين بن زين الدين، الشيرازى، الطيان).

و من آثار المشهد؛ مقبرة البهائى و مقبرة الشاه طهماسب الصفوى ..

و مقبرة عباس ميرزا ابن فتح على شاه؛ المتوفى سنة ١٢٤٩، و مقبرة ربيع بن ختيم من مشاهير التابعين و الزهاد. و غير ذلك من مدافن الملوك و الصدور.

حوادث المشهد التاريخية

... اهم الحوادث التى طرأت على المشهد خلال تسعة قرون تنطوى فى جملتها الأحداث الحربية، و السياسية، و العمرانية، و الطبيعية، منذ عهد الدولة الغزنوية، و الدولة السلجوقية، و غزوات قبائل الغز، و تغلب التاتار، و المغول، و تنازع القوم فى تلك الديار، و مهاجمات عشائر التركمان، و الاوزبك، و الافشار.

مقبرة الشيخ البهائى بجوار الصحن الرضوى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٠٣

ثم ظهور الصفويين، و مناوشتهم ملوك تلك الارجاء، و قبائلها مدةً طويلةً. و لهم فيها آثار خطيرة. ثم حملة الأوزبك عليها، سنة ٩٥١، و قتلهم اهلها قتلا عاما، و استرداد الشاه عباس لها، سنة ٩٨١.

ثم انتزاع الذعار عليها، بعد اختلال الصفويين، سنة ١١٣٥، و تغلبهم و استردادها منهم. ثم قيام نادر شاه، و تغلبه عليها، و على سائر البلاد، و قد استولى عليها ابن اخيه على قليخان، بعد مقتل نادر سنة ١١٦٠. ثم محاصرات امراء الافغان لها، و رد جنود الزندية لهم. ثم استبداد بعض اوباشها فيها الى ان قام القاجاريون، في مستهل القرن الثالث عشر، فامتلكوا هذه البلاد ...

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٠٤

تاريخ طوس أو المشهد الرضوي سنة ١٣٤٦ هـ

طوس

هي حاضرة ايلالة خراسان، و من امهات بلاد ايران. و هي من المدن المقدسة، التي يؤمها سنويا آلاف من المسلمين، لزيارة قبر الامام على الرضا عليه السلام. تبعد عن طوس القديمة اربعة فراسخ. و هي محاطة بسور بناه الشاه طهماسب الصفوي. و محيط المدينة فرسخ واحد تقريبا، و لها ١٤١ برجاً.

و شكل المدينة على شبه النمر النائم.

و هي ست محلات:

(الاولى) محلة نوقان. و تقع على جهة شمالي الحرم.

(الثانية) خيابان العليا، و تقع على جهة الغرب.

(الثالثة) خيابان السفلى، و تقع على جهة الشرق.

(الرابعة) عيدگاه، و تقع على جهة الجنوب.

(الخامسة) سرشور، و تقع في الجنوب الغربي.

(السادسة) سراب، و تقع بين محلة سرشور، و بين محلة خيابان العليا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٠٥

يبلغ عدد نفوسها «١٠٠٠٠٠» نسمة تقريبا، عدا الزوار. و كلهم من الشيعة على طريق الاصوليين القائلين بالاجتهاد و التقليد. و فيها عدد يسير جدا من اليهود و الارمن.

و هواء طوس بارد.

اسمها القديم «سناباد». و كانت قرية صغيرة، تابعة لطوس القديمة.

و لما كانت طوس قد درست معاهدها، بهجوم الأمير تيمور لنك المغولي، هاجر ما بقى فيها من الأهالي إلى سناباد، و تحصنوا بمرقد الامام الرضا (ع)، و عمروا حوله دورا، و ابنيه ليأووا إليها.

و في سنة ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م؛ عين الأمير شاهرخ ابن الامير تيمور الكوركاني الخواجا سيد ميرزا ليهاجر بالمتحصنين حول المرقد الشريف إلى مقامهم الأول «طوس» فامتنعوا عن ذلك، فأمر الأمير شاهرخ ان يبني حول دورهم سور. فبنى حولهم حصنا حصينا. و صار هذا المكان الشريف بلدة ذا أهمية. و اشتهرت بطوس.

و ازدادت اهميتها يوما فيوما، حتى نراها اليوم بلدة واسعة؛ تعد قاعدة بلاد خراسان.

مسجد گوهرشاد المجاور الصحن الرضوي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٠٦

جوامعها

جوامعها كثيرة، لا تكاد تحصى، أشهرها، وأعظمها: جامع كوهر شاد و قد مر وصفه و جامع الشاه. و هو يقع في رأس الزقاق، الموجود فيه (حمام شاه). و قد بنى هذا الجامع الاوزبكية. و له قبة و منارتان، و مصليان (كلها بالقاشاني). و قد درست اطلاله، و هدمت آثاره. و مكتوب على بقايا قاشاني الايوان، هكذا: (الامير ملكشاه عرج الله معارج ... في رجب، سنة خمس و خمسين و ثمانمائة، سنة ٨٥٥) و جامع الامام الرضا المتصل بمقبرة قتلگاه، عمره الشاه عباس الصفوي، سنة ١٠١١/١٦٠٣ م.

مقابرها المشهورة

مقبرة قتلگاه برفسح، مترامى الأطراف. فيها قبر مئات من المسلمين. و سبب تسميتها بهذا الاسم؛ هو انه: لما قدم الطاغية جنكيز خان التتري إلى خراسان؛ أمر بقتل الناس جميعا، فقتلوا في ذلك الموضع. و في وسطها محل فيه حجر من رخام (يظهر انه حجر تاريخي). و بقربه قبر امين الاسلام الشيخ ابى على الطبرسى؛ صاحب تفسير مجمع البيان، و مغسل مقبرة قتلگاه. و مقبرة الشاهزاده محمد (من اولاد الامام على زين العابدين -ع- بثمانى عشرة واسطة): تقع في محله نوقان. و لها قبة من الآجر، بناها الشاه عباس الصفوي. و مقبرة السيد احمد مع ثلاثة من اولاد الامام موسى الكاظم. تقع على الجهة الشرقية، من مقبرة قتلگاه، بقرب سوق حكاكى الاحجار. و مقبرة پير پالان دوز: تقع في پائين خيابان. بناها احد التجار الأعظم؛ على عهد السلطان محمد خدابنده. و لها قبة مبنية بالقاشاني. و لم تعرف حقيقة الشخص المدفون فيها. فقد موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٠٧

روى فيه المدح، و الذم معا. و مقبرة الميرزا ابراهيم الرضوى: جدّ السادات الرضوية، و ناظر الحرم الشريف. تقع في الجهة الجنوبية، من المدينة. على بعد نصف فرسخ منها. و هى على جبل صخرى. و مقبرة الخواجه ربيع بن خيثم: تقع في الجهة الشمالية، من المدينة، على بعد فرسخ منها. عمرها، و اتمها الشاه عباس الصفوي، و ذلك بسعى «الغ الرضوى الخادم». و لها قبة كبيرة من القاشاني الملون. و تحتاج إلى الترميم. و صحنها بستان واسع، يتنزه فيه اهل المدينة، ايام الصيف. و فى المقبرة؛ قبر فتح على خان قاجار (حاكم استراباد، وجد القاجارية)، و الخواجه ربيع؛ هو أحد الزهاد الثمانية، و هو ثقة، عدل، من خيار المؤمنين، و كبار الصالحين. عينه سيدنا الامام على بن ابى طالب -ع- واليا على جهة الرى. و لذلك لم يشهد وقعة صفين.

توفى سنة ٦٣ هـ، ٦٨٤ م. و فى قرب الارك قبة خضراء، بناها احد الاطباء من العرفاء؛ ليدفن داخلها، و اليوم تجتمع الدراويش فيها.

مدارسها العلمية القديمة

ان مدارسها القديمة، التى لها اوقاف: عشرون، اشهرها مدرسة ميرزا جعفر المتصلة بالصحن العتيق. بنيت سنة ١٠٥٩ هـ / ١٦٤٩ م. و عمرها ناصر الدين شاه القاجارى. و بجوارها؛ قبر الحر العاملى؛ صاحب الوسائل. و يفضى إلى الصحن الشريف. و مدرسة مستشار المتصلة بالصحن العتيق أيضا.

بنيت على عهد ناصر الدين شاه القاجارى. و مدرسة دودر: الواقعة فى سوق سرشور، مقابل مدرسة پريزاد. بنيت على عهد ابى المظفر شاهرخ. و مدرسة فاضل خان: الواقعة فى بالاخيابان. بنيت على عهد الشاه سليمان صفوى.

و مدرسة نواب، الواقعة فى بالاخيابان أيضا. بناها صدر الممالك، سنة ١٠٨٦ هـ / ١٦٧٦ م، على عهد الشاه سليمان الصفوى. و مدرسة مولى محمد باقر: الواقعة فى بالاخيابان أيضا. بنيت على عهد الشاه سليمان الصفوى.

و مدرسة مولى حاج حسن: الواقعة فى بالاخيابان - أيضا. بنيت على عهد موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٠٨

الشاه سليمان الصفوى، أيضا. و مدرسة عباس قلى خان: الواقعة فى پائين خيابان. بنيت سنة ١٠٧٧ هـ / ١٦٧٦ م على عهد الشاه سليمان الصفوى.

و مدرسة خيرات حسان: الواقعة فى پائين خيابان أيضا. بنيت على عهد الشاه عباس الثانى الصفوى. و مدرسة سليمان خان: الواقعة فى زقاق حمام شاه.

بنيت على عهد فتح على شاه القاجارى. و مدرسة نو: الواقعة، بگندم آباد، فى جنوب جامع گوهرشاد. بنيت على عهد ناصر الدين شاه. و مدرسة پريزاد: الواقعة فى سوق سرشور. عمرها الشاه سليمان الصفوى. و مدرسة بالاسر: الواقعة فى سوق سرشور - أيضا - عند جهة رأس الامام. عمرها الشاه سليمان الصفوى، أيضا. و مدرسة پائين پا: الواقعة عند رجلى الامام، عمرها ناصر الدين شاه القاجارى. و مدرسة ابد الخان: الواقعة فى پائين خيابان عمرت سنة ١٢٩٧ هـ / ١٨٨٠ م، على عهد ناصر الدين شاه القاجارى. و فيها عدة مدارس؛ ابتدائية، و مدرسة واحدة عالية .

صحفها

و فيها ١٣ جريدة اسبوعية؛ و هى: چمن، و خورشيد، و آزاد، و فكر آزاد، و طوس، و صاعقه مشرق، و طليعه شرق، و آفتاب شرق، و صداى شرق، و مينو، و ترويج اسلام، و ناطق اسلام.

و أحسنها؛ خورشيد؛ للفاضل مرتضى ميرزا، و ناطق اسلام؛ للأديب الشيخ حسين الترتبى. و آزاد؛ للكاتب الحر عبد القدير السبزوارى و فيها ثلاث مطابع جيدة، لا بأس بها. و هى: نور، و طوس، و خراسان.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٠٩

و فيها؛ شارعان منتظمان، يمر من وسطهما نهر . و هو من آثار الأمير على شير «وزير السلطان حسين بايقرا». و يجنبه نهر آخر يعرف ب «ماء ميرزا» و يمران بالصحن الشريف.

اشهر ولاتها

و اشهر الولاة، الذين خدموا هذه البلدة المقدسة؛ هو: نير الدولة.

و من مآثره الخالدة انه أجرى ماء ميرزا المعروف؛ حيث حفر قناة من مسافة بعيدة، سنة ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢. و فتح نهرا يعبر من الصحن الشريف، و يمر بمحلة خيابان السفلى، و ينتهى الى نهايتها. و قد جعل حق شرب ذلك الماء لتنقية القناة، و تعمير الطريق الواقع بين شريف آباد و طوس.

و الصدقات الخيرية. و من اعماله الخيرية تسطیح الطريق الواقع بين شريف آباد و طوس، و تسويته.

اشهر الحوادث التى حدثت فى طوس

في سنة ١١١٧/هـ ١١١٧ م، وقع نزاع بين الفقهاء، وبين سيد علوى، فسبب ذلك النزاع بهب المدينة.
 و في سنة ١٢٠٧/هـ ١٢٠٧ م؛ زار الامام الرضا-ع- السلطان محمد خوارزمشاه.
 و في سنة ١٢٩٥/هـ ١٢٩٥ م؛ هجم على طوس، مما وراء النهر داود ابن البراق؛ من احفاد جنكيز، و نهبها.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢١٠
 و في شعبان سنة ١٤١٨/هـ ١٤١٨ م؛ زار الامام الرضا-ع- شاهرخ الكوركانى. و قدم له قنديلا ثقله ٣٠٠٠ مثقال ذهب. و قد صنعه ليعلق في القبة الشريفة.
 و في سنة ١٥٨٧/هـ ١٥٨٧؛ حاصر طوس عبد المؤمن خان اوزبك؛ حاكم بلخ ابن عبد الله خان ملك الاوزبكيه؛ مدة أربعة اشهر. و عند فتحه اياها قتل قتلا عاما، و نهب جميع ما في الحرم الشريف، من القناديل و الخزائن، و الكتب.
 و من جملة ما نهب، قطعة من الماس، كانت بقدر بيضة الدجاجة، و كان قد قدمها قطب شاه الدكنى، للحرم الشريف.
 و في ٢٧ ذى الحجة ١٠٠٧/هـ ١٥٩٨ م؛ زار الحرم الشريف، الشاه عباس الصفوى و لم ير فيه غير درابزين؛ اى محجر من الذهب، و شرع في تعمير الصحن الشريف.
 و في سنة ١٦٠٩/هـ ١٦٠٩ م؛ عاد الشاه عباس الصفوى من هراء إلى طوس. و قدم يار محمد خان قطعة الألباس المنهوبة. فأرسلها الشاه عباس بفتوى الفقهاء الى الروم لبييعها، و يبتاع بثمانى اراضى و املاكا، و يحبسها وقفا على الامام (ع).
 و في سنة ١٦٠١/هـ ١٦٠١ م؛ زار الشاه عباس طوس ماشيا على قدميه من اصبهان. و بعد قدمه، وسع الصحن، و نصب عند الرجلين بابا مرصعا.
 و في سنة ١٦٠٦/هـ ١٦٠٦ م؛ حبس الشاه عباس نفائس، و كتبها، و املاكا على الحرم الشريف.
 و في سنة ١٦١١/هـ ١٦١١ م؛ بنى الشاه عباس الايوان الشمالى، و الشرقى، و الغربى. و جعل مدخل الصحن من الايوان الشرقى و الغربى.
 و في سنة ١٦٤٨/هـ ١٦٤٨ م؛ حينما عزم الشاه عباس الثانى الصفوى
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢١١
 السفر إلى قندهار، سار من (طرق) ماشيا على قدميه إلى طوس. و زين الصحن العتيق بالقاشانى الملون.
 و في سنة ١١٥٣/هـ ١٧٤٠ م؛ قدم نادر شاه للروضه المطهرة قنديل الذهب المرصع، الذى نذره فى فتح الهند، مع القفل المرصع الذهبى، الذى نذره لفتح تركستان.
 و في سنة ١٢٦٦/هـ ١٨٤٩ م؛ قامت فتنه سالار. و فى يوم الاحد ٩ جمادى الاولى؛ فتحت طوس بيد حسام السلطنة.
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢١٢

مشهد فى الرحلات

الإشارات الى معرفة الزيارات

مدينة طوس بها الامام على بن موسى الرضا (رضه). ولد بالمدينة.
 عمره تسع و أربعون سنة. و الامام الرشيد (رضه) و قد ذكرتهما. و بها الامام الغزالى -رحمة الله عليه- و بجبانته خلق من المشائخ، و العلماء (رحمهم).

رحلة ابن بطوطة

و رحلنا منها (أى، مدينة طوس) إلى مدينة مشهد الرضا. و هو، على بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين الشهيد ابن امير المؤمنين على بن ابى طالب- رضى الله عنهم- و هى- أيضا- مدينة كبيرة، ضخمة، كثيرة الفواكه و المياه، و الأرحاء الطاحنة.

و كان بها الطاهر محمد شاه. و الطاهر- عندهم- بمعنى النقيب عند أهل مصر و الشام و العراق. و أهل الهند و السند و تركستان يقولون،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢١٣

السيد الأجل. و كان- أيضا- بهذا المشهد، القاضى الشريف جلال الدين.

لقيته بارض الهند. و الشريف على، و ولده أمير هندو، و دولة شاه.

و صحبوني من ترمذ إلى بلاد الهند. و كانوا من الفضلاء.

و المشهد المكرم، عليه قبة عظيمة، فى داخل زاوية، تجاورها مدرسة و مسجد. و جميعها ملىح البناء، مصنوع الحيطان بالقاشانى. و على القبر دكانة خشب، ملبسة بصفائح الفضة. و عليه قناديل فضة معلقة. و عتبة باب القبة فضة. و على بابها ستر حرير مذهب. و هى مبسوطة بأنواع البسط.

و ازاء هذا القبر، قبر هارون الرشيد، أمير المؤمنين- رضى الله عنه- و عليه دكانة يضعون عليها الشمعدانات، التى يعرفها اهل المغرب بالحسك، و المنائر.

و اذا دخل الرافضى للزيارة، ضرب قبر الرشيد برجله، و سلم على الرضا .

رحلات عبد الوهاب عزام

ركبنا و الساعة ثلاث و ربع بعد الظهر متوجهين تلقاء مشهد. و بينها و بين نيسابور ١١٦ كيلا . فسرنا صوب الشرق و الجنوب، فى سهل كثير الشجر. فبلغنا قرية اسمها قدمگاه، أى (موضع القدم). ثم اجترنا بشريف آباد. و عندها انعطفت الجادة صوب الشرق، فارتقينا جبالا ضربنا فيها أربعين دقيقة. ثم هبطنا إلى المشهد المقدس. فدخلناه بعد مغرب الشمس.

افترق الركب. فنزل جماعة بفندق هناك، و نزل آخرون فى دار أحد الكبراء جليل بك نصيرزاده. و كنت و زميلى الاستاذ العبادى ممن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢١٤

شرفوا بالنزول فى هذه الدار المعمورة. فلقينا من الحفاوة و الرعاية مالا ينسى .

مدينة المشهد

و قد لقيت المدينة- من غير الزمان- سعادة و شقاوة، و تقلبت بها أحوال مختلفة. و لكن شأنها كان يزداد نباهة على مر العصور.

و عنى عظماء المسلمين- منذ القرن الرابع الهجرى- بمشهد الرضا، و المدينة التى نشأت حوله.

قال ابن الأثير- فى أخبار السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى:

«و جدّد عمارة المشهد بطوس. و كان أبوه سبكتكين أخربه، و كان أهل طوس يؤذون من يزوره، فمنعهم من ذلك.

و كان سبب فعله، انه رأى أمير المؤمنين على بن ابى طالب- عليه السلام- فى المنام؛ و هو يقول له: إلى متى هذا؟ فعلم أنه يريد أمر

المشهد. فأمر بعمارته

ثم بنى ابنه السلطان مسعود سورا حول المشهد؛ ليقية غارات القبائل المجاورة.

و في القرن السادس الهجري؛ استولى الغز على المدينة، و نهبها.

و لكنهم أبقوا على مشهد الرضا.

و كذلك نهبت في القرن الثامن، في عهد السلطان محمود غازان، من الملوك الايلخانيين.

و أعظم الملوك عنايةً بالمشهد- قبل عهد الصفويين- السلطان شاهرخ ابن تيمور لنك (٨٠٩-٨٥٠)، و زوجه گوهرشاد .

و كان عهد الصفويين عهد نماء و ازدهار للمدينة، فقد تنافس الملوك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢١٥

الصفويون في ترميم المشهد و تجميله، و ترميم المدينة كلها. و لا- سيما الشاه طهماسب الأول (٩٣٠-٩٤٨). و الشاه عباس الكبير

(٩٩٥-١٠٣٩).

و لكن عناية الصفويين لم تكفها الغارات و النهب. فقد غضبها أمراء الازبك، و الشيبانية ثلاث مرات- على رغم الصفويين- و سيطروا

عليها أزمته مختلفه.

و كذلك استولى عليها الأفغان حينما استولوا على ايران.

ثم جاء البطل الكبير نادر شاه، فأكثر الإقامة فيها، و اختط قبره بها.

و بنى في المشهد الرضوى أبنية رائعة.

ثم عادت الى الافغان، حينما زلزلت دوله نادر شاه، بتنازع خلفائه على العرش. و تداولتها حوادث أخرى، حتى استولى عليها آقا محمد

خان إيوان نادر شاه الذهب كما هو عليه في القرن الثامن عشر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢١٦

القاجارى. و قتل سلطانها شاهرخ الأفشارى، في سنة ١٢١٠.

و في العصر الأخير؛ ثار بها- على القاجاريين- بعض الثائرين، فتدفع الروس بهذا إلى الاستيلاء عليها، فأطلقوا مدافعهم على المدينة في

٢٩ مارس ١٩١٢ م. و هي الآن تنال نصيبها من العمران و الطمأنينة السائدين في ايران اليوم.

و المدينة على ارتفاع ٩٣٠ مترا، و طولها ٥٩ و عرضها ٣٦، في وادي كشف رود (نهر كشف) الذي ينبع على عشرين كيلا إلى الشمال

الغربي من طوس. و يسمى أحيانا آب مشهد (نهر مشهد)، و يصب في نهر هراة (هرى رود) على ١٥٠ كيلا إلى الجنوب الشرقي من

مشهد.

و تبعد المدينة- عن شاطئه- سبعة كيلات إلى الجنوب. و يبلغ ارتفاع الجبال عندها ثلاثة آلاف متر. فهي باردة الشتاء، جيدة الهواء.

و نهر كشف لا يسقى المدينة، بل يأتيها الماء من عين اسمها چشمه كلاس، عند منبع نهر كشف، في قنوات طولها ٣٤ كيلا؛ جرّها

إليها الوزير الكبير، و الأديب العظيم، و الشاعر المفلح (على شيرنواي) وزير السلطان حسين بن منصور بن بايقرا، من أحفاد تيمور

لنك (المتوفى سنة ٩١٢ هـ).

و مشهد أكبر مدن خراسان- اليوم- و تسمى - أحيانا- خراسان.

و تجارتها رائجة. و لكنها ليست كعهدها الأول. فقد كانت ملتقى طرق القوافل، قبل أن يستولى الروس على التركستان، و ينشؤا سكة

الحديد القروينية. و بالمدينة شارعان عظيمان مشجران يخترقانها. و كان بها- في عهد نادر شاه- ٦٠ ألف دار. و سكانها- الآن- زهاء

٨٠ ألفا. و هي كثيرة المساجد و المدارس. بها زهاء عشرين مدرسة للعلوم الدينية. أقدمها المدرسة التي أسسها شاهرخ، في سنة ٨٢٣.

و يقصدها الطلاب من ارجاء ايران، و من افغانستان، و الهند،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢١٧

فيحصلون العلوم الدينية بها تسع سنين. و من شاء ان يزداد علما، توجه إلى النجف الشريف. و يحج إلى مشهد- كل عام- آلاف كثيرة يختلف التقدير فيها من ثلاثين ألفا إلى مائة ألف. و بها مقابر كثيرة، يحرص الشيعة على أن يدفنوا بها. فتنتقل جثثهم إليها من الأقطار البعيدة، و تختلف قيمة القبور بها؛ على قدر قربها من الحرم و بعدها.

و هي- عند علماء الشيعة- في المنزلة السابعة، بين الأماكن المقدسة مكة، فالمدينة، فالنجف، فكبلاء، فسامرا، فالكاظمية، فالمشهد. و في رواية أخرى؛ ان الترتيب بعد كربلاء؛ هكذا: الكاظمية، فالمشهد، فسامرا، فهي السادسة .

و لكنها من حيث كثرة الزائرين، و اتساع المسجد، و ضخامته- تعدد بعد مكة و المدينة، و قبل المزارات الأخرى؛ فيما أظن. و يرى الوافد على مدينة المشهد قبة عالية مغشاة بالذهب، و منارتين مذهبتين ريعيتين. فهذا أول ما يسر البصر من مسجد الإمام على الرضا. فاذا ذهب- إلى المسجد، الذي يسمى (الحرم الرضوى) أو (القبة المقدسة) «آستان مقدس»- رأى أبنية جميلة شامخة، جانب من الصحن الرضوى و القبة الشريفة في الليل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢١٨

واسعة، رائعة، لا يستطيع المشاهد- أن يعرف خطتها، و يدرك أقسامها- ألا بعد تأمل طويل، و زيارات كثيرة. و إذا دخل القادم المدينة من غربها، فسار في الشارع الكبير لتلقاء الشرق، انتهى إلى ابواب ضخام راعات، وراءها طريق مبلط، ينتهي إلى مدخل الحرم الرضوى. فيلجج إلى الصحن القديم (صحن كهنة). و هو فناء واسع، تجرى في وسطه قناة ماء. و تحيط به مساكن لطلاب العلم و غيرهم.

و إنى أشفق على القارىء من تفصيل الكلام- في وصف هذا الحرم العظيم، الذي توالى عليه الأيدي بالتشييد و التزيين قرونا كثيرة- فحسبى ان أقول: ان في وسط الحرم قبة الامام الرضا، و أروقة متصلة بها. و يمتد الصحن القديم شمالى هذه الأبنية، و الصحن الجديد شرقيها، و مسجد گوهرشاد جنوبيها. و يحار الطرف، في جمال القبة الشريفة، و زينتها، و فيما في المسجد كله من الكاشاني، و البلور، و الذهب الخالص. و القبة تقوم على قبر الامام الرضا. و هو في جانب منها. و يظن ان قبر هرون الرشيد في وسط القبة، و لكن لا يرى الزائر منه أثرا.

و أقدم ما في هذه الأبنية يرجع إلى سنة ٥١٢، و هو بناء السلطان سنجر السلجوقي. و قد توالى الملوك و الكبراء- من بعده- على البناء، و التنافس فيه.

و من هؤلاء: السلطان الجايقو؛ من الملوك الايلخانية، و شاه رخ بن تيمور لنك، و زوجه گوهرشاد، و على شيرنوائى؛ وزير سلطان حسين بايقرا.

ثم الملوك الصفويون؛ و لا سيما؛ طهماسب، و عباس الكبير.

و من القاجاريين؛ فتح عليشاه، و ناصر الدين شاه.

كل هؤلاء بذلوا جهدهم في ان يؤثروا في المشهد الرضوى أثرا خالدا، يكسف آثار من سبقهم؛ فتركوا هذا البناء الجليل؛ الذي يعجز القلم عن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢١٩

تصويره للقارىء .

و قد وعدت ... أن أصف مسجد گوهرشاد؛ هذه الأميرة النقية الخيرة.

فهو؛ مسجد يمتد جنوبى المشهد الرضوى، من الشمال إلى الجنوب (٩٥*٨٤ مترا). و أعظم أو اوينه؛ الايوان الجنوبى. و هو؛ عقد

هائل، ارتفاعه ٢٥ مترا. غشى كله بالكاشاني الجميل. و على حافته آيات من القرآن، بأحرف كبيرة جميلة، كتبها- بخطه- الأمير بايسنقر بن شاهرخ بن تيمور لنك.

و ذلك؛ إلى آثار أخرى، دليل على عناية أمراء المسلمين بالفنون الجميلة، و لا سيما الخط. و في هذا الايوان؛ كرسى من الخشب، يقال: ان المهدي سيجلس عليه أول ما يظهر للناس. و في وسط المسجد مصلى، يسمى بيرزن (مسجد المرأة العجوز). و فيما يلي المشهد الرضوى؛ بنية، اسمها دار الحفاظ. و تصل المسجد بالمشهد الرضوى أبواب صغيرة. زرنا المسجد الرضوى- صبيحة الجمعة، ثالث رجب، سنة ثلاث و خمسين و ثلاثمائة و الف- فرأينا أفواجا من الزائرين، و الزائرات؛ متزاحمين؛ بين مصلى، و مسبح، و داع، و باك، و مقبل للأعتاب، و مطيف بالضريح المقدس. و لهذا الحشر دوى يملأ القلب خشوعا و رهبة. و سار بنا الدليل إلى بناء في ناحية من الحرم؛ اسمه «حجرة التشرقيات». فصعدنا إلى حجرة كبيرة، بها جماعة من القوام على الحرم، فأحسنوا لقاءنا، و قدموا إلينا الشاي، و تحدثوا معنا بالعربية و الفارسية؛ معلنين سرورهم و اغتباطهم. متحدثين عن الاخوة الاسلامية التي تجمعنا و إياهم. ثم انصرفنا شاكرين، آملين أن نعود الى شرف الزيارة مرات، حتى تقضى النفس لبانتها من مشاهدة هذا الجمال و الجلال.

و يوم الأحد، التالي؛ زرت المكتبة الرضوية. و هي في الصحن الجديد، في الطبقة الثانية. و قد اطلعت فيها على مصاحف يحار الانسان في مرآها، و يعجز

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٢٠

عن وصفها. و حدثني قيم المكتبة؛ ان بها آلاف عدة من المصاحف المخطوطة.

رأيت: قطعة من مصحف بخط كوفي، آخرها: «كتبه علي بن ابي طالب»، و مصحفا كاملا بخط كوفي في آخره: «كتبه الحسن بن علي بن ابي طالب».

و رأيت مصفحا، وقفه ابراهيم قطب شاه سنة ٩٧٠، فيه ٣٣٩ ورقة. و في كل صفحة ١٢ سطرا، محلاة بالذهب و المينا. و طول الصفحة ٥٦ قيراطا، و عرضها ٣٧. و فيه من بدائع الصناعة ما يجلب عن الوصف؛ فما يزال فيه حائر القلب و الطرف.

و مصحف آخر، وقفه السيد محمد جعفر خان، سنة ١١٤٨، فيه ٦٠٦ ورقات، كل ورقة لها نقش خاص، يخالف نقش الورقات الأخرى. و في هذه المصاحف- من عجائب النقش و الوراقه، و التجليد- ما لا يدركه إلا الرائي. و قد قيل لى: ان بعض الاوروبيين بذل في جلد مصحف منها مئات الجنيهات فلم يظفر به.

و رأيت ورقة واحدة من مصحف، في طول قامه الرجال الطوال. و بها سبعة أسطر؛ بخط الأمير بايسنقر.

و قد شهدنا في- مدينة المشهد- افتتاح مستشفى الشاه رضا. و هو مستشفى كبير مجهز بأجهزة حديثة. و شهدنا معرض صناعات خراسان. و رأينا ألعابا رياضية- كالتى رأيناها في ميدان سلطنت آباد بطهران .. و كانت حفلات- للغداء و العشاء- دعا اليها رئيس الوزراء، و متولى الحرم الرضوى، ألقى فيها خطب كثيرة.

و زرنا مدفن نادر شاه. و هو البطل الكبير، الذى دفعته همته، من رعى الغنم إلى رعايه الأمم؛ و الذى أخرج الأفغانيين من ايران . و دبر الأمور باسم الصفويين حيناً. ثم استبد بالأمر، و تسمى نادر شاه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٢١

ثم فتح أفغانستان، و البنجاب، و غنم كنوزا لا تحصى من دهلى. و اضطر الدولة العثمانية إلى مصالحته على ما أراد لدولته. و توفى سنة ١١٦٠، بعد ان سيطر على ايران عشرين سنة.

دخلنا حديقة واسعة، فى وسطها بناء مرتفع قليلا، يشتمل على حجرات عدة. دخلنا واحدة منها، فقيل؛ هنا دفن نادر شاه و سيياد له قبر

...

برحنا المشهد عائدين إلى طهران، و الساعة عشر إلا ربعا من صباح يوم الاثنين سادس رجب (١٥ اكتوبر) فمررنا بقريه اسمها قدمگاه

(موضع القدم) ..

وقفت السيارة، فزلنا، و ملنا ذات اليسار. فدخلنا ساحة بين جدارين، فيها طاقات لا- أبواب لها. بناها بعض السلاطين لياوى اليها المسافرين.

ثم صعدنا الى مستوى ينحدر منه مجرى ماء، فانتبهنا الى شجرات عاديه، بجانبها حجرة كبيرة. و لقينا قيم المكان .. فقال أنا خادم القدم المبارك.

و لجنا الباب، فرأينا على يسارنا- بنية، فيها حجر بركانى أسود، فيه أثر قدم. قال دليلنا: هذا قدم الامام على الرضا. ثم خرج بنا إلى حجرة اخرى؛ فى وسطها بركة صغيرة مستديرة، بها ماء صاف، يشف عن سمكات صغيرات، يجلى بين سطحه و القاع. قال:

هذه عين الامام الرضا، فاشربوا. فغسلنا أيدينا، داعين منشدين:

و عين الرضا عن كل عيب كليله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٢٢

جولة فى ربوع الشرق الأوسط

عادت الربى، فتسلقناها. ثم أشرفنا على مشهد. و هى فى حجر الجبال ...

و هنا وقف السائق، و نبه القوم؛ أن ها هى مشهد، فارقبوها تبركا. فأخذوا يحاولون رؤية القبة- وسط الضباب، و الدخان المنبث- و كل من لمح منها قبسا، قرأ آيات التبريك ...

دخلنا مشهد، تحفها المزارع و البساتين. و هى فى منطقة غنية بالفاكهة؛ و بخاصة العنب، و يسمى (انگور)، و الخوخ .. ثم أخذنا نخرق طرقا فسيحة، يحفها الشجر، و تقوم عليها المباني الحديدية الوطية. و قد كانت- ن قبل- أزقة مختنقة كسائر بلاد فارس. لكن يد الاصلاح تناولتها اليوم على نحو ما فعلت فى طهران. و قد حلت نزل (مهمانخانه ملي) و هو جميل نظيف .. قصدت زيارة ضريح الامام الرضا؛ الذى بدت لئه قبة الذهبية البراقة من أميال .. و اذا المسجد و الحرم فاخر إلى حد كبير؛ مداخله عدة، الباب تلو أخيه؛ فى زخرف جذاب، و فن شرقى بديع؛ بالقيشانى، و البلور، و المرمر، و الرخام.

و أمام كل واجهة رئيسية- بهو أو (صحن) مربع، تحفه الحجرات المزركشة، اقيمت لطلاب العلم، فى طابقين. و تتوسطه قناة الماء، يغترف منها الجميع للشرب، و الغسل، و تنظيف الملابس، و الأحذية، و مآرب اخرى، و الباب الرئيسى للضريح يكسى كله بالذهب الخالص فى فجوات و تعاريج جذابة. و فوق الضريح قبة تكسى بالذهب الخالص. و للمسجد منذتان دقيقتان، عليهما غشاء من ذهب الى ذروتيهما. أما عن العالم المتراص كالموج المرتطم هنا و هناك، فحدث فى دهشة فائقة. كنت أسير، و لا أكاد أشق لى طريقا بينهم. و منهم المثقف أنيق الهندام، و البائس فى الخرق البالية ...

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٢٣

هذا إلى العلماء فى عباآتهم و عمائمهم السوداء للشرفاء منهم، و البيضاء لغير الشرفاء؛ يخضبون لحاهم المرسله بالحناء. و من زوار الأجانب خلق كثير؛ عراقيون، و هنود، و أفغان، و من كافة العالم الاسلامى ...

و يتوسط احد الافنية سبيل مذهب اتيق، فى داخله نافورة حولها السلاسل، تحمل القعاب للمحتسين. و يشرف عليهم كهل توقد حوله الشموع صباح مساء. و بين اونه و اخرى يمد مغرفة و يحرك بها الماء. و السعيد من استطاع ان يتذوق هذا الماء الطاهر. و يسد الجماهير المكان سدا.

أخيرا، دخلنا باب الضريح الفضى، و اذا المدفن وسط شباك الفضة و الذهب ترصعه الجواهر الثمينه. و قد أتممت طوافى حوله فى

ثلث ساعة، كدت اختنق خلالها من كثرة الزحام. و هنا رأيت عجبا؛ نواح، و صياح، و لطم، و تقبيل، و استلقاء على الأرض، و لمس للأعتاب بالحدود، و ما إلى ذلك.

خرجت إلى الفناء، و إذا في كل ركن من أركانه عالم يرتقى منبرا، و حوله خلق كثير جلوس على الأرض في وجوم و شبه ذهول. و هو يقص عليهم أبناء على، و الحسن، و الحسين، و الأسرة الشريفة كلها، و جميعهم يكون. و كلما أشار في قوله إلى الفاجعة صاحوا عاليا، و لطموا جباههم و حدودهم في فرقة مؤلمة. و منهم؛ الطفل، و المراهق، و السيدة، و العجوز، و الكهل الفاني، و المثقف، و الأمي الجاهل، و كنت أعجب لسيل دموعهم و بكائهم المر. و ذاك التبشير يظل طوال اليوم في جميع اركان الأفيئة. و ما أن أوشك الغروب، حتى سمعت من شرفة الباب الأوسط طبولا تفرع في نقرات مثلثة، ثم أعقبها صياح، و تلا ذلك نفخات في أبواق طويلة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٢٤

مزعجة. و ظل ذلك حتى غربت الشمس. فكأنهم يودعونها كما يفعل المجوس بذاك الذي يدخل الرهبة، و يلقي الرعب في القلوب. و في وقت الأذان، ترى عددا كبيرا. كل يصيح في ناحية، ثم تقوم الصلاة، و يجلس صبي صغار على المنابر، يصيحون بعبارات التبليغ، و القوم يصلون ...

و بجوار المسجد، مكتبة حوت مجموعة قيمة من المخطوطات، في سائر العلوم الاسلامية؛ حتى قالوا: إنها اكبر مكتبة إسلامية في الدنيا و فيها، بعض المصاحف بخط سيدنا على نفسه. و في وسط أحد الأفيئة مصلى يسمونها جوهر شاه. و كان بيتا لسيدة اسمها جوهر. فلما أراد الشاه إقامة المسجد رفضت ان تبيعه اياه فتركه لها، و أقام مسجده حوله، و بعد اتمامه اقامت هي في مكان منزلها مصلى و لذلك سميت (جوهر شاه). و يؤدي كثير من ابواب الحرم إلى أسواق مشهد المسقف الملتوية. و هي من اجمل اسواق فارس .. أخذت اتجول في القسم المستحدث من المدينة، و هو جميل؛ طرقة فسيحة، بجانبها الشجر، و تجرى الى جوارها قنوات الماء. و تقوم عليها المباني الوطيئة.

و هناك بعض متزهات لا بأس بتنسيقها. تكتظ بالمتريضين في كثرة هائلة ..

قصدت زيارة الحضرة يوم الجمعة، فكان الزحام فوق كل تصور. و حاولت دخول الضريح فلم استطع .. و كان يسير في الطرقات كثير من المهرجانات، يصبح الصبي حولها؛ إحياء ليوم الجمعة، و بأيديهم الأعلام. و بعد صلاة الغروب، أخذ العلماء يقصون على الناس نبأ فاجعة على و الحسين .. و عند

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٢٥

مدخل المسجد مكان القصاص لمن أذنب داخل أرض الحرم، و الحكم لرئيس الحرم، فكأنها حكومة وحدها. و في خارج الباب مضيئة يعد فيها رئيس الحرم طعام الغداء يوميا لمن طلب من الغرباء ذلك .. و للإمام الرضا من الأوقاف شيء كثير. فكل المباني التي تقع في الحي ملك له. هذا، غير الاراضي الزراعية، و الهدايا الثمينة، التي تقدم اليه. فكلما مات غني، اوقف جل ماله عليه. موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ١١؛ ص ٢٢٥

في احد ابواب المسجد فيروزة مغلقة في حجم بيض النعام. يقولون بأنها لا تقوم. و يقصون عنها .. ما لا يقبله العقل ... و حجر الفيروز كثير هناك. و مناجمه في قرية فيروز آباد في جنوب شيراز ..

مدينة المشهد

و قد رأينا ان نختم هذا الفصل بنبذة مما اورد الاستاذ عبد الوهاب عزام في رحلته عن مدينة المشهد حيث قال:

في عام اثنين و تسعين و مائة؛ سار هارون الرشيد إلى خراسان، لحرب رافع بن الليث بن نصر بن سيار. و كان قد ثار بخراسان و أعيا

الولاية.

و في صفر من سنة ثلاث و تسعين؛ اشتد به المرض - و هو بجرجان - فسار عنها إلى طوس. و نزل بضيعة اسمها «سناباد» في دار الجنيد بن عبد الرحمن. فلما أحس أجله، أمر فحفروا له قبراً في بستان الدار. و أمر جماعة فنزلوا فيه و قرأوا القرآن.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٢٦

و توفي نصف الليل، ليلة الست لثلاث خلون من جمادى الآخرة، و دفن في القبر الذي أعده.

و في سنة ثلاث و مائتين؛ كان الخليفة المأمون بن هارون قافلاً من خراسان يريد العراق - و قد ثار عليه عمه إبراهيم بن المهدي - فلما بلغ سناباد، نزل عند قبر أبيه أياماً. و كان معه علي الرضا بن موسى الكاظم - ولي عهده - فمات الرضا في ذلك المكان، في شهر صفر. فدفن إلى جانب الرشيد.

و في هذا يقول دعبل بن علي الخزاعي - فيما يزعم الرواة.

قبران في طوس خير الناس كلهم و قبر شرهم هذا من العجب

اشتهرت قرية سناباد، و سميت «سناباد المشهد»، ثم سميت «المشهد» و بهذا الاسم ذكرها المقدسي. و سماها ابن بطوطة «مدينة مشهد الرضا».

و اتسعت المدينة، و نسيت على مّر الزمان مدينة «نوقان»، التي كانت بجانب سناباد. و صار اسمها اسم محلّة في المدينة الجديدة. و نافست مدينة المشهد مدينة طوس - في اقليم خراسان - حتى أحملتها، ثم اختفت طوس حين حاصرها ميرانشاه تيمور، و فتحها فأخربها عام ٧٩١.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٢٧

المشهد الرضوي في المراجع الغربية كتبه و ترجمه من مختلف المصادر الغربية جعفر الخياط

إشارة

الحائز على درجة استاذ علوم M.S.C. من جامعة كليفورنيا و مدير التعليم الثانوي و المفتش الاختصاصي في وزارة التربية سابقا و مدير التعليم المهني العام حالا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٢٩

المشهد الرضوي في المراجع الغربية

مقدمة

لا شك ان المشهد الرضوي من المشاهد الإسلامية المقدسة التي يجلبها المسلمون في مشارق الأرض و مغاربها. و هو يعد أول مزار في إيران، على ما تقول دائرة المعارف الإسلامية، و سابع مشهد في العالم الإسلامي كله في نظر علماء الشيعة، بعد مكة و المدينة و العتبات المقدسة الأربع الموجودة في العراق. على ان هناك من يرى ان مشهد الإمام الرضا عليه السلام يقع في المرتبة السادسة بين هذه المشاهد، أي بعد المشهد الكاظمي و قبل المشهد العسكري في سامراء.

و يقول الدكتور دونالدسون، المشار اليه في الحلقات السابقة من هذه الموسوعة، في فصل خاص أفرده للمشهد الرضوي المطهر بعنوان (المشهد البعيد في خراسان) ان دفن الامام الرضا (ع) في مكان قصي مثل طوس قد حظي بحصته الكاملة من الرعاية و الالتفات في أخبار الشيعة. حتى ليقال ان النبي محمدا نفسه قال ذات يوم «ستدفن بضعة مني بخراسان ما زارها مؤمن الا موسوعة العتبات

المقدسة، ج ١١، ص: ٢٣٠

أوجب الله له الجنة و حرم جسده على النار».

و ينسب الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) أنه تنبأ نبوءة جلية حين قال: يقتل ابن من ابنائى مسموما فى خراسان، و يكون اسمه اسمى؛ و اسم أبية موسى». و يقول بعد ذلك: و من زار ضريحه يغفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، و لو كانت ذنوبه بعدد النجوم، و قطرات المطر، أو بعدد أوراق الشجر، لغفرت جميعها له.

و المقول أن الامام موسى بن جعفر، والد الامام الرضا، عليهما السلام كان يقول جازما «يقتل على ابنى بالسهم، ظلما و عدوانا، و يدفن الى جنب قبر هارون الرشيد»

الموقع و تاريخه

جاء فى دائرة المعارف الاسلاميه ان المشهد هى عاصمة إيالة خراسان الايرانية، و أعظم مزار من مزارات الشيعة فى ايران. و تقع على ارتفاع (٣٠٠٠) قدم فوق سطح البحر، فى درجة ٥٩ و ٣٥ طول شرقى، درجة ١٦ و ١٧ شمال فى وادى كشف رود الذى يتراوح عرضه بين عشرة و خمسة و عشرين ميلا، و يمتد من الجهة الشماليه الغربيه الى الجهة الجنوبيه الشرقيه.

و ينشأ هذا النهر المسمى «آبى مشهد» ايضا، من نقطه تقع على بعد اثنى عشر ميلا من شمال شرقى خرائب طوس فى بحيره «جشمه كيلاس»، ثم يلتقى بنهر «هبرى رود» فى مكان على الحدود الروسيه الايرانية يبعد عن جنوب شرقى مشهد بمسافه مئه ميل. و تقع مشهد نفسها على بعد أربعة أميال

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٣١

من جنوب ضفة نهر كشف رود. و ترتفع الجبال الممتدة على طول الوادى الى علو ثمانية آلاف قدم بالقرب منها.

و بالنظر لموقع (المشهد) المرتفع و قربها الى الجبال يكون الطقس فيها قاسيا فى الشتاء، على أنه كثيرا ما يكون حرها استوائيا خلال الصيف. و مع هذا فيعد الطقس فيها صحيا.

و يمكن ان تعتبر مدينة المشهد الى حد ما وريثه طوس التى كانت موجودة هناك قبل الاسلام، و كثيرا ما تحشر خطأ معها فى الحقيقة. و بينما كان الخليفة هارون الرشيد يعد العدة للزحف فى حملة من حملاته على خراسان و يقع مريضا فى قصر ريفى بقرية سناباد، التى كان قد توقف فيها لوقت ما، ثم توفى بعد أيام معدودة سنة ١٩٣ (٨٠٩ م). و يروى ان الخليفة بعد ان عرف أنه أوشك على مفارقة الحياة أمر بحفر قبر له فى حديقة ذلك القصر الريفى، و باحضار عدد من قراء القرآن.

و بعد موت هارون الرشيد بعشر سنوات توقف الخليفة المأمون عدة أيام فى هذا المكان، حينما كان فى طريقه من مرو الى بغداد، و كان فى معيته صهره على بن موسى الرضا الامام الثامن للشيعة الاثنى عشرية الذى عين لولاية العهد و فى خلال ذلك توفى الامام الرضا فجأة هناك سنة ٢٠٣ (٨١٨ م) من دون ان يعرف اليوم الذى حدثت فيه الوفاة بالضبط .

و قد كان قبر الامام المقدس، و ليس قبر الخليفة، هو الذى جعل سناباد (نوقان) تشتهر فى طول العالم الشيعى و عرضه، فنمت و توسعت بمرور الزمن من قرية صغيرة الى مدينة صارت تسمى «المشهد». و يطلق ابن حوقل على الروضة المطهرة كلمة «مشهد» فقط بينما يسميها ياقوت «المشهد الرضوى»، و يرد احيانا الاسم الفارسى «مشهد مقدس» كذلك موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص:

٢٣٢

كما فى كتاب حمد الله المستوفى مثلا. على ان أول ما يرد اسم «مشهد» ليدل على المكان و البلد كان فيما كتبه المقدسى، أى فى الثلث الاخير من القرن الرابع (العاشر الميلادى). و فى حوالى منتصف القرن الثامن (الرابع عشر الميلادى) نجد الرحالة ابن بطوطة يستعمل كلمة «بلدة مشهد الرضا». و يبدو أن الاسم «نوقان»، الذى ظل يكتب على العملة فى أيام الأيلخانيين خلال النصف الأول من

القرن الثامن (الرابع عشر)، قد استبدل في أواخر القرون الوسطى بكلمة «المشهد» أو «مشهد». و كثيرا ما يسمى المشهد بالتسمية الأدق اليوم، و هي «مشهد رضا» أو «مشهد مقدس» أو «مشهد طوس». و قد يلاحظ في الكتابات الأدبية، و لا سيما الشعر، اسم «طوس» فقط بدلا من ذلك، أى طوس الجديدة .

و ظلت تزداد أهمية سناباذ- مشهد، بازدياد الشهرة التي حظى بها المزار المقدس خلال السنين و الأيام، و بانحطاط شأن طوس التي تلقت ضربتها القاضية في ٧٩١ (١٣٨٩) م على يد ميرانشاه أحد أولاد تيمورلنك. فحينما ثار الأمير المغولي الذي كان يحكمها في تلك الأيام و أعلن استقلاله انتدب تيمور لنك ابنه ميرانشاه لتأديبه، فهو جمت طوس هجوما صاعقا بعد ان حوصرت عدة أشهر، ثم نهبت و هدمت حتى أصبحت أنقاضا و ركاما.

و قد قتل من سكانها عشرة آلاف نسمة، اما الذين تمكنوا من الهرب و النجاة بأنفسهم من تلك المجزرة الرهيبة فقد التجأوا الى حماية المشهد الرضوى.

و هكذا تركت طوس منذ ذلك الحين، فأخذت (المشهد) مكانها و أصبحت عاصمة للمنطقة بأسرها.

و يعالج دونالدسون تاريخ المشهد الرضوى هذا بتفصيل أوفى. فهو يقول ان الامام عليا الرضا قد انتقل الى الرفيق الأعلى في طوس في أوائل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٣٣

القرن التاسع للميلاد. و يعزى الفضل الى يعقوبى الذى كتب تاريخه في أوائل القرن نفسه. فيما عندنا من معلومات عن طوس التي يقول عنها انها كانت يومذاك اسما لمنطقة كبيرة و ليس لمدينة بالذات. و كانت البلدتان الرئيستان في هذه المنطقة: نوقان و الطابران، كما كانت نوقان أكثر اتساعا من اختها، و كثيرا ما كانت تسمى باسم طوس. و كان سكانها العرب ينتمون الى قبائل طى، لكن أكثرية السكان كانت من الايرانيين. و لذلك فقد كانت نوقان هي التي توفي فيها الامام الرضا عليه السلام و هارون الرشيد، مع ان الطابران هي التي صارت مدينة طوس المشهورة في السنوات المتأخرة. و هذا رأى، المبنى على ما يذكره يعقوبى، يؤيده ما يكتبه ابن رسته عن المراحل ما بين نيسابور و طوس، حيث انه يجعل نوقان هي المقصودة بالوصول و ليس الطابران.

و حينما قدم هارون الرشيد الى طوس بات ليلة في دار حميد بن قحطبة الطائي، حاكم المنطقة الذى كان يملك دارا و بستانا واسعة في سناباذ الكائنة على بعد ميل واحد من نوقان. و قد دفن بناء على طلبه في غرفة من غرف الدار هذه (اما الرواية الأخرى فتقول انه دفن في البستان)، فأمر ابنه المأمون فيما بعد بأن تشاد قبة خاصة فوق قبره. و لذلك عندما توفي الامام عليه السلام في بلدة نوقان نفسها، و دفن تحت نفس القبة قيل بحقه «أنه دخل دار حميد بن قحطبة الطائي، و دخل قبة هارون الرشيد».

و يلاحظ ان ربع الطابران المجاور كان فيه خلال القرن العاشر حصن يتكون من مبنى كبير شاهق يرى من بعيد، على ما يذكر المقدسى، و ان أسواق هذا النصف من البلدة كانت ملأى بالسلع. و يلاحظ كذلك ان القبرين الشهيرين فى سناباذ كانا فى القرن الرابع (العاشر) محاطين بأسوار محصنة تحصينا قويا، و ان المشهد المقدس كان يكتظ على الدوام بالزوار المتعدين، على ما يذكر ابن حوقل. إذ كان الأمير فائق عميد الدولة قد شيد ج ١- خراسان (١٦)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٣٤

بجانب ضريح الامام الرضا جامعا يقول عنه المقدسى أنه لا يوجد أجمل منه فى خراسان كلها. و قد جعل قبر هارون الرشيد بجنب قبر الامام، كما بنيت دور كثيرة و سوق بالقرب من البستان الكبيرة. لكن البناية الأولى هذه، على ما كانت عليه من فخامة و جمال شهد بهما ابن حوقل و المقدسى حينما شاهداهما فى القرن العاشر، قد عجل بتهديمها بعد ان تم بناؤها بقليل الأمير سبكتكين بدافع تعصبه الشديد ضد الشيعة. و قد ترك الضريح على هذه الحالة من الاهمال و الخراب عدة سنين نظرا لخوف الناس و خشيتهم من الاضطهاد الدينى.

غير ان المقول في السنين الأولى من القرن الحادى عشر ان السلطان محمود ابن سبكتكين ظهر له الامام على بن أبى طالب فى الرؤيا و قال له «الى متى سيظل هذا على حاله؟» فأيقن ان الامام عليه السلام كان يقصد بذلك مشهد الامام الرضا، فبادر إلى تشييد بناء معتبر تعلوه قبة عالية له. و قد تم البناء باشراف حاكم نيسابور سنة (١٠٠٩) للهجرة، و لكن البناية الثانية هذه أيضا سرعان ما هدمتها تجاوزات اللصوص و القبائل التركية. و مما يدل على حصول هذه التخريبات المستمرة عدم وجود كتابات تعود بتاريخها الى ذلك الوقت الباكر فوق البناية الحالية.

و فى عهد السلطان سنجر السلجوقى، فى القرن الثانى عشر، أعاد تشييد البناء رجل يقال له أبو طاهر القمى، و صرف عليه من ماله الخاص أو من مال السلطان. و لكن قبل ان يكون هذا المبنى الجديد قد مرت عليه مئة سنة أصيب بأضرار بالغة، من دون ان يتهدم فى أثناء احتلال المغول للمنطقة فبعد ان قام تلغوخان بتقتيل سكان نيسابور و تشريدهم، سنة ١٢٢٠ م، اندفع الى طوس مع جموعه المتوحشة و فعل الشىء نفسه فيها أيضا. فقد هدم طوس (الطابران) و نهب المشهد الرضوى المطهر، على أنه لم يهدمه تهديما كاملا لأن كتابات عدة موجودة الآن فى الحرم ترجع بتاريخها الى سنة ٦١٢ (١٢١٥ م) أى الى ما قبل واقعة المغول الأخيرة بخمس سنوات .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٣٥

على أن المشهد المطهر قد أعيد بناؤه و تصليحه فى أوائل القرن الرابع عشر، على عهد حكومة السلطان محمد أولجايتو، الذى كان أول من اعتنق المذهب الشيعى من الأسرة المغولية الحاكمة. فقد سمح للجهات المعنية بأن تستخدم المبالغ المجموعة من التبرعات و الهبات المقدمة للحضرة الرضوية فى الصرف على إعادة البناء تنفيذاً لوصية المتبرعين. و المعروف ان هذا السلطان المغولى كانت أمه المسيحية قد عمّدته عند ولادته فسمته نقولا، لكنه بدل ديانته فى الكبر و أصبح مسلماً شيعياً فى النهاية. و لذلك يلاحظ ان العملة التى سكبت فى أواخر أيامه قد كتبت عليها أسماء الأئمة الأثنى عشر جميعهم.

و قد زار الرحالة المغربى ابن بطوطة بناية المشهد الرضوى الجديدة بعد الانتهاء منها بسنوات معدودة خلال القرن الرابع عشر (١٣٣٣ م) فوجد المشهد مدينة كبيرة كثيرة السكان، ملىء بالفواكه. و شاهد قبة كبيرة تعلو القبر مزينة بستائر من حرير و شمعدانات من ذهب. و لاحظ تحت القبة و فى مقابل ضريح الامام الرضا عليه السلام قبر الخليفة هارون الرشيد، الذى كانوا يضعون فوقه على الدوام شمعدانات مضاءة، لكن «أتباع على» حينما كانوا يدخلون كانوا يركلون قبر الرشيد بأرجلهم ثم يذهبون للتبرك بضحرك الامام نفسه. و يشير المستوفى أيضا، المعاصر لابن بطوطة، الى (سناباد) نفسها فيسميها «المشهد» و يقول أنها أصبحت بلدة صغيرة ثم يشيد باللفظ الذى كان يديه سكانها للعرباء، و بكثرة الفواكه الموجودة فيها.

على ان هذه المشاهدات مرت عليها، بعد ان كتبت، سنوات معدودة جاءت فى أثرها غزوات تيمور لنك المدمرة، التى بدأت فى خراسان سنة ١٣٨٠ م، فدمرت المشهد و طوس تدميراً شديداً من جديد. و كان من حسن الحظ ان يتعين شاه رخ، ابن تيمور، حاكماً على خراسان بعد ذلك فيبادر الى اشغال نفسه فى الحال بمهمة إعادة التعمير و الاصلاح. و قد أزمع على بناء طوس من جديد فى بداية الأمر - سنة ١٤٠٥ م - لكنه وجد أن اولئك الذين نجوا بأنفسهم من المذابح السابقة قد استقروا فى سناباد، و بنوا لأنفسهم بيوتا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٣٦

من طين. فبذل بعض الجهد، بواسطة موظفيه، فى اقناعهم بالعودة الى طوس لكنهم لم يكونوا راغبين فى ذلك. لأنهم أصبحوا يعتبرون مكانهم الجديد ملجأ لهم و ملاذاً، و لذلك استرخصوا شاه رخ بأن يسمح لهم ببناء الجدران و الأسوار اللازمة لدورهم، فكان هذا هو المكان الذى أصبح مدينة (المشهد) الشهيرة بينما تركت طوس (التي كانت مشيدة فى موقع الطابران القديم) بالكلية.

و ليس هناك فى المدونات ما يدل على حصول تدمير آخر للمشهد الرضوى، قبل وقوع الزلزال الشديد الذى تصدعت به البناية الرئيسية فى أيام الشاه سليمان الصفوى. و كان الرحالة الانكليزى السر جون چاردين يومذاك فى أصفهان، فسجل الملاحظات الآتية فى يومياته: (١١ آب ١٦٧٣): .. لقد وصل فى اليوم الحادى عشر رسولان مسرعان، أحدهما فى أثر الآخر، و هما يحملان أبناء سيئة

تشير الى ان ثلث المشهد، عاصمة خراسان، و نصف (نيكابور) البلدة الكبيرة الأخرى فى الأيالة نفسها، و بلدة صغيرة بقربها، قد دمرها الزلزال. على ان الذى حزن له الايرانيون أكثر من أى شىء آخر، و لا سيما المتدينين منهم، هو التدمير الذى أصاب جامع المشهد الكبير الذى يوجد فيه ضريح الامام الرضا، و هو جامع مشهور جميل فى أنحاء الشرق كافة. و قد أصاب التدمير القبة على الأخص، لكن بقية البناء بقيت سالمة على ما يقال. فما كان من الملك الا ان يوفد فى الحال رجلا مرموقا من رجاله ليوافيه بمفصل ما وقع، ثم بعث بعده برجلين من النبلاء و زودهما بالأوامر اللازمة فى هذا الشأن إلى ضباط الأيالة و موظفيها الكبار.

ثم يقول چاردين بعد شهرين: .. و فى اليوم التاسع (تشرين الاول) ذهبت الى «دار الصاغة الملكيين» الموجودة فى القصر الملكى نفسه لأنفج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٣٧

عليهم و هم يصنعون الألواح الذهب، على شاكله البلاطات المألوفة، التى سوف تكسى بها القبة الكبيرة لجامع الامام الرضا فى المشهد الذى كان قد دمرها الزلزال، كما ذكرت من قبل. و كان يشتغل فى ترميم هذا الجامع حوالى ألف عامل، على ما يقال، و هم يشتغلون فيه بكل جد و مثابرة لأجل ان ينتهوا منه فى نهاية تشرين الأول. و هنا يصف البلاطات و قياساتها، و يذكر بعد ذلك ان كل واحدة منها تكلف عشر «كراونات»، و أن عددها كلها سيبلغ فى بداية الأمر ثلاثة آلاف بلاطة على ما أخبره به رئيس الصاغة الذى كان العمل يجرى تحت اشرافه .

و يذكر دونالدسون ان ترميم القبة الذهب فى أيام الشاه سليمان هذا مذكور فى كتابه خاصة منقوشة على القبة نفسها، و منتهية بالجملة الآتية: لقد استطاع الشاه سليمان الحسينى إكساء هذه القبة السماوية بالذهب، ليزينها و يرممها بعد أن أصابها ضرر من جراء زلزال شديد اهتز به هذا المكان المقدس سنة ١٠٨٤ (١٦٧٣ م). و هناك كتابه على الباب المؤدية الى الجامع من الايوان الذهب تدل على ان الشاه سليمان قد رمم مسجد گوهرشاد فى الوقت نفسه أيضا.

و على حشوة فى افريز القبة الذهب من الداخل، توجد كتابه خاصة تخلد الشاه عباس الكبير- الصفوى- الذى «نال حظوة المجيء راجلا من أصفهان، عاصمة ملكه لزيارة المشهد الرضوى، و كان من حسن حظه ان يسهم من ماله الحلال بتزيين هذه القبة سنة ١٠١٠ (١٦٠١ م) حتى انتهى العمل سنة ١٠١٦ (١٦٠٧ م)». و قد قام نادر شاه أيضا بتزيين القبة الذهب فى القرن الثامن عشر، و تقديم هدايا ثمينة أخرى إلى العتبة.

اما أهم ما قدمه شاهات الأسرة القاجارية المالكة للروضة المطهرة فهو تعمير بهو الاستقبال، و الايوان الذهب، من قبل فتح على شاه. و قد زين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٣٨

هذين الأثرين و أدخل بعض التحسينات فيهما بعد ذلك ناصر الدين شاه سنة ١٢٥٠ (١٨٤٨ م).

على ان آخر ضرر خطير أصاب المشهد المقدس، على ما يقول دونالدسون، كان من جراء قصف الروس له سنة ١٩١١. فقد عمد اللصوص فى تلك السنة الى نهب المدينة و اتخاذ المنطقة المقدسة منها مقرا لهم، ثم اعلنوا الثورة ضد الحكومة الدستورية التى كانت تحكم البلاد آنذاك. و لما كانت السلطات الايرانية عاجزة فى تلك الأيام عن سوق عدد كاف من الجند الى المدينة المقدسة هذه فقد حولت الروس، الذين كانوا يحتفظون بعدد كبير من الجند فى خراسان، بأن يتولوا توطيد الأمن و اعادته الى نصابه فيها. و من نقطة مناسبة تقع خارج المدينة عمد هؤلاء الى قصف منطقة الحرم الشريف، التى جعل الثوار منها مقرا لهم. و فى خلال دقائق معدودة أنزل ضرر فادح بالقباب و المباني العالية، و قتل على ما يقدر، حوالى مئة من الناس الذين لم يكن أكثرهم من المحاربين، بينما استطاع معظم اللصوص ان يلوذوا بالفرار و ينجوا بأنفسهم.

و قد استاء الناس من ذلك فى معظم أنحاء ايران استياء شديدا، فصاروا يعتبرون اليوم الذى حصل فيه هذا الفعل السيء يوما سنويا

للحزن. و لم يقصروا في الاعتقاد بأن ما أصاب روسية من تقلبات و حوادث مؤسفة بعد ذلك كان عقابا من الله للروس على ما افترفوه بحق المشهد المقدس. و لم يكتف الروس بقصف المشهد المقدس بالنار و انما احتلوه عدة أيام أيضا، و صاروا يدخلون في كل مكان منه بأحذيتهم و يسمحون لكلابهم بهذا كذلك على ما قال (دونالدسون).

صفحة من داخل القبة و الضريح الرضوى المطهر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٣٩

المشهد في كتابي لسترنج و سايكس

و يأتي على ذكر النقاط البار بحتها كلها، مع شيء من الاختلاف، المستشرق الانكليزي المعروف العلامة لسترنج في كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) الذي مرت الإشارة إليه في حلقات هذه الموسوعة السابقة.

فهو يبدأ فصله عن خراسان عامة (الفصل ٢٧) بقوله ان خراسان في الفارسية القديمة معناها «البلاد الشرقية». و كان هذا الاسم في أوائل القرون الوسطى يطلق بوجه عام على جميع الأقاليم الاسلامية الواقعة في شرق المفازة الكبرى الى حد جبال الهند. و لذلك كانت تضم في مدلولها الواسع كل بلاد ماوراء النهر التي في الشمال الشرقي، ما خلا سجستان و قوهستان في الجنوب.

و كانت حدودها الخارجية صحراء الصين و الپامير من ناحية آسيه الوسطى، و جبال هندكوش من ناحية الهند. الا ان حدودها هذه صارت بعد ذلك، أكثر حصرا و أدق تعيينا. حتى ليتمكن القول أن خراسان، و قد كان أحد أقاليم ايران في القرون الوسطى، لم يكن يمتد الى أبعد من نهر جيحون في الشمال الشرقي، و لكنه ظل يشتمل على جميع المرتفعات فيما وراء هراء، التي هي اليوم القسم الشمالي الغربي من أفغانستان. و الى ذلك فان البلاد في أعالي نهر جيحون، من ناحية الپامير، كانت على ما عرفها العرب في القرون الوسطى، تعد ناحية من نواحي خراسان البعيدة.

و كان إقليم خراسان في أيام العرب، أي في القرون الوسطى، ينقسم الى أربعة أرباع: نسب كل ربع منها الى إحدى المدن الأربع الكبرى التي كانت في أوقات مختلفة، عواصم للأقليم بصورة منفردة أو مجتمعة و هذه المدن هي: نيسابور، و مرو، و هراء، و بلخ. و بعد الفتح الاسلامي الأول،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٤٠

كانت عاصمتا خراسان في مرو، و في بلخ. الا أن الأمراء الطاهريين نقلوا دار الأمانة الى ناحية الغرب فجعلوا نيسابور في أيامهم عاصمة الاقليم، و هي أيضا أكبر مدينة في أقصى الأرباع غربا .

و يقول لسترنج بالنسبة لمدينة المشهد- او مشهد الامام- انها تقع في الجهة الشرقية من نيسابور، و تفصلها عنها سلسلة الجبال التي فيها مخارج أكثر أنهار سهل نيسابور. و هي اليوم قاعدة القسم الايراني من خراسان. و على بضعة أميال من شمال المشهد أطلال طوس المدينة القديمة. و كانت طوس في المئة الرابعة (العاشرة) المدينة الثانية في ربع نيسابور من أرباع خراسان. و تتألف من المدينتين التوأمين: الطابران و نوقان. و على مرحلتى بريد عنها: البستان العظيم في قرية سناباذ، حيث قبر الخليفة هارون الرشيد و قد توفي فيها سنة ١٩٣ (٨٠٨ م) و قبر الامام الثامن على الرضا و قد مات من سم دسه له المأمون سنة ٢٠٢ (٨١٧)، و كان يقال لقرية سناباذ هذه برذعة أيضا، و تسمى كذلك المثقب. و يظن ان هذه التسمية جاءت من الكوى التي في الضريح او من سبب و همى آخر.

و كانت نوقان في المئة الثالثة (التاسعة)، على ما يذكر يعقوبي، أكبر نصفى طوس، الا أن الطابران قد جاوزتها كبرا في المئة التالية لها، و بقيت المدينة الكبرى حتى أيام ياقوت، حين أخربت جحافل المغول طوس. و كانت نوقان مشهورة بصنع البرام التي تحمل منها الى سائر البلدان، و يستخرج من جبالها معدن الذهب و الفضة و النحاس و الحديد. و بالقرب من طوس أيضا الفيروزج، و حجر يقال له الخماهن و الدهنج، و كانت هذه المعادن تجلب الى أسواق نوقان للبيع. و هذا القسم من طوس ماؤه قليل. و كان الحصن المجاور

للطابران بناء فخما عاليا يرى من بعيد على قول المقدسى. و أسواق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٤١

هذا النصف من المدينة عامرة و جامعها حسن البناء بديع التزييق. و كان على القبرين فى سناباذ، فى المئة الرابعة (العاشرة) حصن حصين منيع، و فيه قوم معتكفون على ما ذكر ابن حوقل. و قال المقدسى ان الأمير عميد الدولة فائقا بنى على قبر الامام على الرضا مسجدا ما بخراسان أحسن منه، و بنى قبر هارون الرشيد بجانب ضريح الامام. و قامت فى أرض البستان الكبيرة دور كثيرة و سوق.

و لم يزد ياقوت فى وصفه مدينة طوس شيئا على ما مر ذكره، غير أنه ذكر أن من أشهر القبور فى الطابران قبر الفقيه السننى العظيم الامام الغزالى المتوفى سنه ٥٠٥ (١١١١ م) و قد عاش فى بغداد بضع سنين مدرسا فى المدرسة النظامية. و كان اسم طوس حين كتب ياقوت فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) يدل فى الغالب على ناحيتها، و كان بها أكثر من ألف قرية. على ان هذه البلاد و بضمنها مدينتا طوس و القبران فى سناباذ (المشهد) قد خربت و نهبتها جحافل المغول فى سنه ٦١٧ (١٢٢٠ م). و الظاهر ان طوس لم تقم لها قائمة بعد نهب المغول لها، و لكن القبرين المجاورين لها نالا عناية الأترياء من الشيعة فاستعادا بهاءهما السابق، فكان المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) من أوائل من أشار الى قرية سناباذ مسميا أياها «المشهد»، و هو الاسم الذى عرفت به منذ ذلك الحين.

و لما كتب المستوفى صارت المشهد مدينة عظيمة حولها قبور عديدة مع قباب مشهورة كثيرا، منها قبر الغزالى و قد مر ذكره الآن و هو فى شرق قبة الضريحين، و هناك أيضا قبر الفردوسى الشاعر المشهور. و حول المدينة أرض سهلة خصبة يقال لها مرغزارتكان، طولها اثنا عشر فرسخا و عرضها خمسة يكثر فيها العنب و التين. و أهل ناحية طوس، على ما ذكر المستوفى، من أحسن الناس خلقا و لطفهم مع الغرباء.

و انتهى الينا من ابن بطوطة، و قد زار مشهد الامام الرضا بعد ذلك بضع سنين، و وصف حسن للضريح، قال: مدينة كبيرة ضخمة عامرة الأسواق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٤٢

و حولها جبال، و على المشهد قبة عظيمة، و تجاوره مدرسة. و هذه الأبنية قد زوقت جدرانها بالقاشانى «و على قبر الامام دكانة خشب، ملبسة بصفائح الفضة و عليه قناديل فضة معلقة. و عتبة باب القبة فضة. و على بابها ستر حرير مذهب، و هى مبسوطة بأنواع البسط». و ازاء القبر قبر الخليفة «و عليه دكانة خشب يضعون عليها الشمعدانات» و اذا دخل الشيعى للزيارة ركل قبر هارون الرشيد برجله و سلم على قبر الامام الرضا. و قد تنبه الى ضريح الامام و جلاله السفير الاسبانى كلافيو الذى زار بلاط تيمور فى سنه ٨٠٨ (١٤٠٥) فقد مر فى طريقه بالمشهد. و مما يذكر ان النصرارى فى تلك الأيام كان يسوغ لهم دخول المشهد، فلم يكن الشيعة الفرس على ما هم عليه اليوم من تعصب فى هذا الأمر.

و يذكر السر برسى سايكس بالمناسبة فى (تاريخ ايران) سفارة هذا السفير الاسبانى الذى بعثه ملك كاستيل فى (١٤٠٣) لتمتين العلاقة مع تيمور لنك ضد العثمانيين الذين كان يخشى بأسهم. فهو يقول أن السفير راى غونزاليس دى كلافيو عبر مع جماعته من رودس الى قره باغ فى آذربايجان عن طريق طرابزون و خوى، ثم توجه الى تبريز فالسلطانية فكيلان. و من هناك الى طهران التى يأتى ذكرها بهذا الاسم لأول مرة، و لار، و منها خرجوا الى طريق المشهد فيما يقرب من دامغان و توجهوا من هناك الى نيسابور.

و قد سمح للكاستيليين فى المشهد بزيارة مرقد الامام على الرضا (ع)، الذى وجدوا فيه ضريحا كبيرا مغطى بشباييك من فضة .

اما المشهد الرضوى نفسه، اى العتبة المقدسة، فيقول سايكس (الص ١٥٤، ج ٢) ان المبنى العظيم فى مشهد، مجد العالم الشيعى، قد شيد كما موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٤٣

شيدت الكنائس القوطية الكبيرة فى أوربة خلال أجيال عدة أنجز خلال كل منها جناح خاص أو جزء من أجزائه. و كان أقدم ما شيد من هذا المبنى الحضرة المطهرة التى يوجد فيها الضريح، التى يعتقد انها البناء الأصيل الذى بناه المأمون بالذات فوق رفات والده

هارون الرشيد، ثم قبر فيه بعد سنوات الجدث الطاهر للامام الرضا عليه السلام. و كانت القبّة، التي بنيت على ثلاثة و ثلاثين قدما مربعا، واطئة بدرجة تلفت النظر. و لذلك يقال ان القبّة الذهب الحالية قد بنيت فوق القبّة القديمة التي ما تزال قائمة. و قد أهمل الضريح مدة تناهز المئتي سنة، لكن محمودا الغزنوي رأى رؤيا في المنام في بداية القرن الحادى عشر، فأوعز على أثر ذلك الى حاكم نيسابور بأن يوسع المشهد المقدس و يشيد جدارا من حوله.

على ان هذا المشهد قد أهمل من جديد على ما يبدو حتى تربع السلطان سنجر على دست الحكم. و يقول سايكس ان كتابه من الكتابات المنقوشة فى الداخل قد نقلت له، فتبين له منها ان بناية المشهد قد رمت بأمر من هذا السلطان سنة ٥١٢ (١١١٨ م). و تدل هذه الكتابة، مع كتابة أخرى يرجع تاريخها ال ٦١٢ (١٢١٥)، على ان الحضرة المطهرة لم يخربها المغول، مع أنهم نهوها و عبثوا بها. و لذلك يمكننا ان نقول على هذا الأساس ان هذا البناء هو البناء الأصيل للمشهد كله. و قد كسيت الجدران بعد ذلك بالقاشاني، الذى ما تزال أقسام منه باقية حتى اليوم.

و يشير سايكس كذلك (الص ١٧٤، ج ٢) الى استيلاء الاوزبك فى عهد ملكهم عبد الله الثانى على مدينة المشهد، و كان ذلك فى أيام الشاه عباس عند أول عهده بالحكم. فقد سار لانجادهما لكنه وقع مريضا بحيث تأخر عن هذه المهمة، فتسنى بذلك للأوزبك بأن يnehوا المدينة و يذبخوا الكثيرين من سكانها، و يجردوا المشهد المقدس من نفائسه و خزائنه. و بقيت على حالتها تلك الى سنة ١٠٠٦ (١٥٩٧ م) حين انتصر الشاه عباس على الأوزبك انتصارا لامعا فأوقف تعدياتهم عند حدها. و لأجل ان يحافظ على الحدود المكشوفة موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٤٤

من تلك الجهات عمد الشاه عباس الى نقل عدة آلاف من الأكراد من موطنهم فى كردستان الى خراسان الشمالية مع أسرهم و قطعانهم، و قد استقروا فى موطنهم الجديد، و حافظوا على لغتهم فيه، الى يومنا هذا.

وصف المشهد المقدس

لا حظنا فى المراجع الغربية المتيسرة لدينا ان كتاب دونالدسون المشار اليه، و مختصر دائرة المعارف الاسلامية، يأتيان بوصف يكاد يكون شاملا للمشهد المقدس، مع مرافقه و ملحقاته. و سوف نحاول هنا أن نورد النقاط المهمة منه.

و يبدأ دونالدسون (الص ١٧٨) فى ذلك بقوله ان مدينة المشهد يمتد فى صورة مدينة مشهد كما تبدو من الطائرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٤٥

وسطها شارع رئيس (خيابان) مركزى من الجهة الشمالية الشرقية الى الجهة الجنوبية الشرقية على طول المدينة. و يستطيع الزائر الدخول الى داخل المشهد المقدس أما من البوابة العليا أو البوابة السفلى الواقعتين على هذا الشارع، أو عن طريق السوق المسقفة. و هناك قناة للماء تمتد فى وسط الشارع العريض، لكن أشجار الحنار (شجر الدلب) التي زرعت فيه منذ سنين عديدة وراها فريزر فى ١٨٢٥ قد تضخمت فى نموها بحيث سقط الكثير منها الآن. و هناك شارع آخر يجرى تعميره حول المشهد بأجمعه لتسهيل المواصلات. و قد أدى فتح النصف الجنوبى من هذا الشارع الى ان يطل على العالم الخارجى قسم قديم من المدينة، كان يحتشد بأبنية بالية، مثل الحمامات و «المسافر خانات» القديمة التي كانت تعتبر خطرا على الصحة العامة فى المدينة، اما النصف الشمالى من هذا الشارع فيمر رأسا فى وسط المقبرة الواسعة، التي كان الشيعة المتدينون يدفنون فيها أمواتهم منذ عدة أجيال حتى يتسنى لأولئك الموتى ان يحشروا يوم القيامة مع الامام و ينجون من العقاب الأبدى بشفاعته منه. و كانت السواقى، التي فتحت لغرس الأشجار على جانبي الشارع الكبير، قد حفرت خلال ست أو سبع طبقات من القبور التي أخذت حجارتها لتستعمل فى أغراض التبليط ايضا. ثم سويت المقبرة القديمة التي تبلغ مساحتها حوالى عشرة أفدنة فى الجهة الشمالية لتجعل حديقة عامة يخترقها شارع الطبسى الجديد الذى يمتد من المشهد المقدس الى المحلة الواقعة فى قلب المدينة رأسا، و هى محلة نوقان القديمة.

و حينما يصل المرء من الشارع الأعلى الى الحاجز الذى تقف عنده وسائط النقل و يمنع غير المسلمين من تعديده، فانه يستطيع ان يشاهد القاشانى الدقيق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٤٦

فوق طاق البوابة التى تؤدى الى الصحن القديم البالغ (٢٧٧) قدما فى طوله، و (١٠٥) أقدم فى عرضه. و يشاهد من فتحة البوابة برج الساعة غير الجميل، الذى يدق الساعات و أنصافها من طلوع الشمس الى طلوعها ثانية. و فى الجهة المقابلة من الصحن القديم هذا توجد بوابه مماثلة تؤدى منه الى الشارع الأسفل، و يعلوها برج آخر لا توجد فيه ساعة كبيرة، بل توجد غرفة يجلس فيها الطبالون و البوقيون الذين يدقون على طبولهم، و ينفخون فى أبواقهم عند طلوع الشمس و عند غروبها فى كل يوم. و هذه تسمى «نقاره خانه». فقد كانت عادة ضرب الطبول احتفاء بحلول اليوم الجديد و طلوع الشمس فيه، و اداء للتحية الملكية، شيئا مألوفاً فى ايران منذ القدم. و فى داخل الصحن القديم يندھش الزائر بمنظر الذهب الوهاج الذى يشع من القبة المنيعة فوق الضريح. و يزداد تأثر هذا حينما يقع نظره على المنارة المتألثة التى ترتفع من فوق «الايوان الذهب»، و على المنارة المقابلة لها القائمة فوق «ايوان شاه عباس»، و على مقربة من وسط الصحن من جهة الغرب يوجد حوض للماء، الذى صار يملأ فى السنين الأخيرة بواسطة الأنابيب التى تأتى من خزان نظيف يقع فى غرب البلدة، و ليس من القناة التى تجرى على طول الشارع. اما المساحة الكبيرة الواقعة خلف الصحن القديم فيشغلها مبنى المشهد المقدس نفسه الذى يشتمل على خمس عشرة غرفة و عدد من الممرات و زوايا الجلوس. و تبلغ مساحة الغرفة التى يوجد فيها الضريح المطهر حوالى (٣٤) قدما مربعا، كما ترتفع القبة من فوقه الى علو ٨٢ قدما. و ليس هناك فى الوقت الحاضر ما يشير الى قبر هارون الرشيد سوى عمود غير مؤشر عليه بشيء فى زاوية الغرفة القريبة من ضريح الامام (ع).

اما عادة شتم الخليفة المتوفى فلم يعد يتبعها الجميع هذا اليوم كما كان يحصل فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٤٧

السابق. و قد زينت داخلية هذه القبة بقطع المرايا الفاخرة بأمر من ناصر الدين شاه، كما زينت الجدران بحشوات من القاشانى الثمين الذى نقش عليه آيات من القرآن الكريم و بعض الأحاديث و الأقوال المناسبة. و يتم الدخول الى الحضرة فى العادة من الجهة الشرقية، لكنه يوجد فى كل جهة من الجهات الأربع حنية خاصة او نصف مدخل يمكن للزوار ان يقفوا فيها فيؤدون الصلاة المطلوبة. و قد كتبت فوق جدران هذه المداخل النصفية عدة كتابات تشيد بعظمة الروضة المطهرة و جلال قدرها.

و تحافظ على الضريح ثلاث طبقات من الشبايك تقع احداها داخل الأخرى.

فهناك ناووس من الخشب مطعم بالذهب كتب عليه اسم الشاه عباس، و يحيط بهذا أول شباك من حديد الفولاذ البسيط الذى تغلفه شبكة من أسلاك النحاس معدة لتسلم الهدايا التى يودعها الزوار المخلصون. و تقوم سلطات العتبة المقدسة فى العادة بجمع هذه الهدايا قبيل أيام «النوروز» و بيعها بالمزاد فى كل سنة. و شباك الفولاذ الثانى مزين و مزخرف بالذهب و الجواهر، و تدل الكتابة المنقوشة فيه على انه قد أهدى من الشاه حسين الصفوى. اما الشباك الثالث أو الخارجى، المصنوع من الفولاذ ايضا، فهو مزخرف بكتابة دقيقة كتبت بها سورة الانسان بأجمعها. و لكل من الشباكين الثانى و الثالث رمانات ذهب مركبة فى الأركان الأربعة. و هناك فوق القبر سقف من الخشب تكسوه أوراق من الذهب، و تتدلى منه معلقات زخرفية مطعمه بالجواهر.

و يقول دونالدسون كذلك ان الزوار يبدأون طوافهم حول القبر المطهر من جهة الجنوب، و هناك يسلمون على الامام الذى ينعنونه بالغريب، الشهيد، المظلوم، المعصوم، المسموم، المحروم، المهموم، الهادى لأتباعه الى الصراط المستقيم. ثم ينتقلون الى الجهة الشرقية عند رجلى الامام، و هناك يسلمون عليه كذلك، لكنهم يقولون فى زيارتهم هنا «.. قتل الله من قتلك بالأيدى و الألسن،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٤٨

و الألسن، و لعن الله من ظلمك باليد و اللسان». و يذهبون بعد ذلك الى ما وراء رأس الامام فيسلمون عليه من جديد و ينعته هذه المرة بوارث آدم و نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و محمد. و أخيرا ينتقلون الى الجهة الغربية و يقولون: و كن شفيعى عند الله عز و جل، و منقذى من نار جهنم، و مؤيدى فى الأرض، و مرشدى فى طريق الحياة، و صديقى و رفيقى فى القبر، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

.. و هناك فى وسط الصحن منصة مرتفعة من الحجر، تبلغ مساحتها سبعة و ثلاثين قدما مربعا، و تحاط ببركة فى كل جانب من جوانبها. و هذه تسمى «مسجد المرأة العجوز» تخليدا لذكرى المرأة التى ظلت ترفض بيع تلك البقعة من الأرض ردحا طويلا من الزمن.

و فى شرق المبنى الرئيس للمشهد يوجد «الصحن الجديد» الذى بنى فى أيام فتح على شاه. و يتوسطه أيضا حوض ماء، لأن وجود الماء الكثير ضرورى لجموع الزوار المحتشدة التى تقدره حق قدره لاحتياجهم له فى كثير من الحالات فقط، بل ليساعدهم أيضا فى التوضى اينما وجدوا فى أنحاء المشهد المقدس.

و تضاء الأصحن الثلاثة خلال شهر رمضان كله، و فى ليالى العطل و أيام الزيارة، إضاءة تامة. و نظرا لعدم وجود أضوية كهربائية (كتب هذا البحث نقلا عن طبعة دائرة المعارف الاسلاميه المطبوعه فى ١٩١٣) فوق القباب و المنائر فان مرسماتها الرشيقة و انعكاس الأضوية عليها، و ألوانها الزاهية، يمكن ان تلاحظ لا فى كل مكان من أمكنة المدينة فقط بل يستطيع الزوار و المسافرون ايضا ان يشاهدوها من بعد خمسة عشر ميلا تقريبا.

المشهد المقدس فى دائرة المعارف الإسلاميه

اما ما تذكره دائرة المعارف الاسلاميه عن الروضة المقدسة و موقعها من المدينة فيبدأ بالقول ان المنطقة المقدسة تقسم الشارع الرئيس فى المدينة الى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٤٩

قسمين: الشارع الأعلى (بالاخيابان) فى الجهة الشمالية الغربية، و الشارع الأسفل (بايين خيابان) فى الجهة الجنوبية الشرقية، و يبلغ طول الأول ثلاثة أضعاف طول الثانى. و تسمى المنطقة المقدسة، التى يشغلها المشهد المقدس عادة «البسط». و كثيرا ما يطلق عليه كذلك اسم «الحرم الشريف» أو «الحرم المقدس» أو «الحرم الرضوى». و يقع البسط، الذى تبلغ مساحته ٩٠٠ * ٧٠٠ قدم فى النصف الأوطأ من الشارع الرئيس. و هو بأصحنه و جوامعه و مدارسه و خاناته و أسواقه و مساكنه و ما أشبه يكون بلدة قائمة بذاتها، و يعزله سور يلتف حوله عزلا- تماما عن بقية مدينة المشهد. اما المداخل الرئيسة التى تؤدى اليه من «الخيابان» فهى البوابة الكبيرة فى الشمال و البوابة الكبيرة فى الجنوب، لكن فتحة كل منهما تعترضها سلسلة كبيرة تمنع دخول أى حيوان او واسطة نقل الى الداخل. لأن أرض البسط أرض مقدسة لا يمكن ان توطأ الا بالقدم، و اذا ما دخل أى حيوان بالصدفة فيعتبر ملكا لادارة العتبة.

و للبسط حرمة خاصة للجوء أيضا، فان أى مدين يلجأ اليه يصبح فى مأمن عن الدائن، و لا يمكن ان يسلم المجرم الملتجئ الى الحكومة الا بأمر من «المتولى باشى»، و لا يتم هذا الا بعد ثلاثة أيام على الأقل. و يقوم بالمحافظة على الأمن الدقيق و النظام فى داخله شرطة البسط الخاصة، و هناك سجن خاص للصوص فيه.

و يمنع غير المسلمين منعا باتا عن الدخول الى البسط. غير ان هذا لم يكن ثمة تشديد فيه سابقا على ما يبدو، لأن كلافيو الاسبانى سمح له بالدخول الى الحرم الرضوى فى ١٤٠٤، كما استطاع الرحالة التالية اسماؤهم من الأجانب ان يدخلوا الى المنطقة المقدسة أيضا خلال القرن التاسع عشر: فريزر (١٨٢٢ و ١٨٣٢)، و كونولى (١٨٣٠)، و برنز (١٨٣٢)، و فيرير (١٨٤٥)، و أيستويك (١٨٦٢)، و

فامبرى (١٨٦٣)، و الكولونيل دولميچ (أواخر الستينات)، و ماسى (١٨٩٣). و لم يدخل من هؤلاء الى الروضة ج ١- خراسان (١٧)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٥٠

المقدسة فعلا سوى فريزر و كونولى و دولميچ و ماسى. و قد لبس فامبرى و ماسى ملابس المسلمين حينما دخلوا، بينما احتفظ الباقون بملابسهم الأوربية خلال الزيارة. و قد وصف جميع هؤلاء تقريبا المنطقه المقدسه و صفا كاملا فى الغالب.

و برغم المرات العديده التى نهبت فيها هذه العتبه العلويه خلال السنين و الأيام فانها ما تزال تحتفظ بنفائس لا تحصى فى أبنيتها الخاصه، يمكن ان تغطى على جميع الموجود من مثلها فى العتبات الاسلاميه الأخرى، بما فى ذلك كربلا و النجف أيضا، و ربما باستثناء مكه المكرمه فقط ..

ثم تقول دائره المعارف الاسلاميه ان تقديم معلومات مفصله عن الحرم الشريف، و تاريخه المعمارى، بالنسبه لما هو عليه اليوم شىء غير ممكن نظرا للمنح البات المفروض على دخول الباحثين غير المسلمين اليه. و اعتمادا على وصف المنطقه المقدسه الذى يقدمه الأوربيون و المستشرقون، و على الكتابات المدونه على الجدران، يمكن ان يفترض باحتمال غير يسير ان الضريح الأسمى بشكله الحالى، يعود تاريخه، بالنسبه لما تذكره الكتابات المنقوشه عليه، الى أوائل القرن السادس (الثانى عشر) و لم يبق من آثار الحقب المتقدمه على هذا التاريخ شىء يذكر فيه. أما الحرم فهو بشكله الحالى من نتاج الخمس مئه السنه الأخيره.

و تقوم العتبه فوق القبر و ملحقاته فى وسط البقعه المقدسه، فبجدها؟؟؟ من الشمال و الشرق صحنان كبيران هما: (صحن كهنه)، و (صحن نو) بينما يحدها من الجنوب مبنى جامع گوهرشاد واسع الأرجاء.

و أهم المداخل الى البسط، التى يفضلها الزوار فى العاده بوابه «بالاخيابان» التى تعترضها سلسله ضخمه من السلاسل. و يمتلىء الطريق الممتد فى هذا الشارع الى مسافه (٢٥٠) يارده بالدكاكين و المخازن، ثم ينتهى ببوابه كبرى يدخل منها الزوار الى الصحن القديم (صحن كهنه). و يرجع تاريخ القسم الشمالى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٥١

من هذا الصحن الى أيام الشاه عباس الأول، بينما يرجع تاريخ القسم الجنوبى منه الى النصف الثانى من القرن التاسع (الخامس عشر)، لكنه كان قد أعيد بناؤه كله فى عهد نادر شاه. و هناك أربعة أبراج كبيره لها أوابين تسمح بدخول الناس الى هذا الصحن، و أبسط هذه الأبراج البرج الغربى و الشرقى اللذان شيدهما الشاه عباس الأول، و قد بنيت الساعه الكبرى فى الأول منهما بينما تستعمل منصه الثانى بمقام «نقاره خانه» يقابل طلوع الشمس و غروبها منها بالنقر الموسيقى، جريا على العاده القديمه التى كانت موجوده فى المدن الايرانيه الملكيه الأخرى. و يخرج المرء من الباب الشرقى الى سوق الشارع الأسفل «بايين خيابان». على ان البوابه الشماليه التى بناها الشاه عباس الثانى، و البوابه الجنوبيه للصحن التى شيدها نادر شاه، تعتبران من أفخم الأبواب من الناحيه المعماريه، و لا سيما الجنوبيه التى تعم أفخم و أجمل ما بناه نادر شاه فى الحرم أجمع. و تقوم فوق كل من هاتين البوابتين الكبيرتين مناره يبلغ ارتفاعها مئه متر، و يكون قسمها العلوى مكسوا بالذهب. و قد بنى نادر فى الوسط كذلك «بئر نادر» المثلثه الأضلاع المشهوره، المغطاه بما يسمى «سقاخانه نادرى». و كانت هذه قد نحتت فى قطعه كبيره من المرمر الأبيض كان نادر قد جاء بها من هراه بتكاليف باهظه. و يمتد فى جدران الصحن صفتان من الأروقه، يشغل الصف الأسفل منهما الصناع، و المدارس الدينيه، و مساكن خدم الجامع، بينما يشغل موظفو الامام الكبار الطابق العلوى.

و قد بلط الصحن كله، الذى يبلغ طوله حوالى مئه يارده و عرضه سبعين، بحجاره سوداء من حجر المشهد .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٥٢

و تؤدى «باب نادر الذهب» الى حيث يثوى الجدث المقدس، مع الأبهاء و الغرف المحيطه به. و اذا ما توخينا الدقه فى التعبير يجب ان تطلق كلمه الحرم، أو الحرم المقدس، أو الحرم المبارك، على هذه النواه فقط. و قد تستعمل لذلك كلمه «الروضه المطهره» أو

(آستان). و بعد ان يدخل المرء من باب الذهب يصبح في «دار السيادة» التي بنتها گوهرشاد، و هي أجمل بهو في المنطقة المقدسة. و يوجد هنا معلقا على أحد الجدران صحن مدور للأكل يقال أنه الصحن المشؤوم الذي قدم فيه العنب المسموم الى الامام على الرضا (ع). و يستطيع الزائر من هنا ان ينظر الى داخل الروضة المقدسة من شباك فضة. و اذا ما استدار نحو الجنوب الشرقي يدخل الى غرفة أصغر أكثر بساطة في زخرفتها، و هذه تسمى «دار الحفاظ».

و في جوار دار الحفاظ من الشمال، تقع القبّة التي يرقد فيها الامام عليه السلام، او الحضرة. و تضاء داخلية الحضرة، و هي عبارة عن بقعة تكاد تكون مربعة تبلغ مساحتها ٣٠*٢٧ قدما، لعدم وجود شبايك فيها، بأضوية معتمة من مصابيح ذهب و شمعدانات عدة، و تزين تزينا فخما.

و يقع القبر نفسه في الزاوية الشمالية الشرقية، فيحاط بثلاثة شبايك جميلة واحد منها يرجع بتاريخه الى ١٧٤٧، و يعتقد أنه قد جرى به من فوق قبر نادر شاه الذي لم يبق له وجود. و قد أهدي الشاه عباس الأول سقف القبر و كسائه الذهب، و في امتداد أسفل القبر وضع فتح على شاه بابا كاذبه من الذهب المطعم بالجواهر. و تحفظ في حنيات أو أروقة صغيرة في الجدار وراء زجاج نذور ثمينة مقدمة في الغالب من الأسر الاسلامية المالكة. و ثمة على الجدار قطعتان من الكتابة العربية يرجع تاريخهما الى ٥١٢ (١١١٨) و ٦١٢ موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٥٣

(١٢١٥)، و تعتبر الأولى منهما أول نموذج معروف لخط الثلث في العربية.

و قد تساعدنا هاتان القطعتان من الخط على اعتبار تاريخ الغرفة الحالية في بداية القرن السادس (الثاني عشر)، بينما لم تشيد القبّة المكسوة ببلاطات نحاسية مكسوة بالذهب، التي ترتفع الى ٦٥ قدما، الا في ١٦٠٧ من قبل الشاه عباس الأول، ثم جددتها في ١٦٥٧ سليمان الاول، كما يستفاد من الكتابة المنقوشة عليها في الخارج. و لما كان خيط الأخبار المتواترة عن موقع قبر الامام لا يمكن ان يكون قد قطع مطلقا، فيمكن أن يقال بالتأكيد تقريبا أن القبّة الحالية قد بنيت في الموقع الأصلي. و ليس هناك أي أثر لقبر هارون الرشيد في الوقت الحاضر، و ربما كان موقعه في وسط الغرفة التي تعلوها القبّة حينما دفن الامام الرضا من بعده في إحدى زوايا المكان نفسه.

و لن نذكر من الغرف و الأبنية المنعزلة الأخرى التابعة لمجموعة الحرم الأصلي هنا سوى «گمبد الله و يردى خان» (المنارة) الكائن في الجهة الشمالية الشرقية، المسمى باسم بانيه، و هو من قادة الشاه عباس الأول المشهورين.

و اذا ما ترك المرء غرفة الحضرة المقدسة من الباب الشرقية يصل، بعد ان يمر بغرفتين متجاورتين، الى بوابة ناصر الدين الذهب المؤدية الى الصحن الجديد. و قد بدأ بتشييد هذا الصحن فتح على شاه في ١٨١٨، و أكمله خليفته الاثنان من بعده في ١٨٥٥. اما اذا استدار المرء الى الجهة الجنوبية من «دار السيادة» المار ذكرها فانه سرعان ما يصبح في منطقة الجامع الجميل الذي تبرعت بإنشائه السلطانة گوهرشاد زوجة السلطان شاه رخ.

موظفو المشهد المقدس و خدامه

جاء في (عقيدة الشيعة) للدكتور دونالدسون ان المشهد الرضوي فيه عدد كبير من الموظفين و المستخدمين الذين يقومون على أمره كل يوم .. و ان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٥٤

الوفر حينما يسقط بكثرة أول مرة في السنة يبتهج الناس جميعهم في مدينة المشهد، لأن انحباس الوفر و الأمطار كثيرا ما يؤدي الى المجاعة و العسر في البلاد. و لهذا أصبح من المعتاد ان يبادر موظفو المشهد الرضوي الكبار بهذه المناسبة الى اخذ المجارف بأيديهم و الصعود بها الى سطح الحضرة، لينظفوا الوفر المتراكم عن قاعدة القبّة الذهب. و يعد هذا من مظاهر التعبير عن الشكر و المنّة للامام

حينما يوقن الناس ان الموسم الجديد سيكون موسم خير و بركة للجميع.

و أكبر هؤلاء الموظفين هو ال «متولى باشى» الذى يعينه الشاه لادارة شؤون العتبة بأجمعها، و ينتظر منه ان يدفع الى خزانه الحكومة المركزية ١٠٪ من مجموع وارداتها. و يأتى بعده «نائب التولية» الذى يجب ان يكون من سلالة الامام رأسا، و تعهد اليه الرئاسة الدينية. و لذلك يكون منصبه هذا منصبا وراثيا فى العادة، مثل منصب القائم مقام الذى يكون رئيسا لمجلس الأمناء. و بالاضافة الى هؤلاء الثلاثة هناك ستة او ثمانية موظفين تناط بهم واجبات تنفيذية و كتابية يتسلمون لقاءها رواتب و أجور معينة. و لقد أثرى عدد من هؤلاء بوجودهم فى مثل هذه المراكز و قيامهم بالاشراف على ممتلكات العتبة و وارداتها.

على ان الذى يرهق واردات العتبة إرهاقا شديدا هو وجود عدد كبير جدا من الخدم و المصاحبين. فقد كان هناك الى وقت قريب حوالى سبع مئة بواب (دربان) مسجلين فى قائمة الدفع، ليتسلم كل منهم خمسة و عشرين پاون استرلينا، و ألف پاون من القمح، فى كل سنة. و يتوزع هؤلاء البوابون الى جماعات، تتولى كل جماعة القيام بالواجبات المنوطة بها مدة أربع و عشرين ساعة، مرة واحدة كل خمسة أيام. و تنحصر واجباتهم غالبا فى اعمال الحراسة و التشريفات. و الى جانب هؤلاء كان هناك ألف خادم يتقاضون ضعف ما يتقاضاه البوابون ايضا، و يتوزعون الى خمس جماعات كما يتوزع البوابون أيضا. و حينما يتولى أحدهم عمله فى الليل بقدم له طعام العشاء، المتألف من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٥٥

الرز المسلوقة و لحم الضأن المألوف فى بلاد الشرق الأدنى. و يقدم لهم هذا عادة فى الايوان الذهب. و من واجبات الخدام الاعتيادية تنظيف الصحن و الممرات و تطهيره تطهيرا شرعيا بمقدار كاف من الماء عندما يستدعى الأمر ذلك، و إشعال الشموع و الأضوية، و المساعدة فى أعمال الكنس، و ما أشبه.

و سواء كان هؤلاء الألف و سبع مئة مستخدم من الخدام او البوابين، فكل فرد منهم له الحق فى ان يدفن فى مقبرة العتبة نفسها خمسة أموات من أقاربه.

على أن عدد هؤلاء قد أنقص حاليا بأمر من الشاه، فنقص المجموع الى ثلث ما كان عليه قبل خمس سنوات (طبع الكتاب فى ١٩٣٣). و بالاضافة الى هؤلاء المستخدمين، هناك عدد غير يسير من الناس يجعلون منطقة المشهد المقدس مكانا لأعمالهم التجارية. فهناك طبقة تقليدية من «الوعاظ» يرتقون المنابر المنتشرة فى الأصحن و الممرات. و هناك القراء الذين يحفظون القرآن عن غيب «الحفاظ»، و هؤلاء يقسمونه الى ثلاثين قسما يقرؤون كل قسم منها فى يوم من أيام الشهر على حسابهم، لكن ذلك كثيرا ما يكون باتفاق مع الآخرين. و يوجد كذلك حوالى أربعين او خمسين من قراء الزيارة.

«زيارة خوانان» الذين يقودون جماعات الزوار الأميين و يستأذنون لهم بالدخول الى الحضرة و السلام على الامام (ع) فى الأماكن المعينة عند الطواف حول ضريحه. لكن هؤلاء يتسلمون اكراميات من الزوار عادة.

و قد كان هناك الى وقت قريب كذلك عدد من كتاب الأدعية، يجلسون فى الصحن القديم و يكتبون أدعية يأخذها المشترون الأميون منهم فيشدونها حول أذرعهم، أو أذرع أطفالهم، ليدفعوا عنهم شر الأمراض او يجلبون لهم الحظ السعيد .. و يرتاد الصحن القديم و الجديد أيضا عدد من باعة الطلاسم المتجولين أيضا فيستغلون الآلاف من الزوار الذين يأتون الى الزيارة فى كل سنة. على أنه لا بد من ان يشاد بذكر الادارة الحالية فى منع الكثير من هذه الطفيليات عن استغلال الزوار فى الايام الأخيرة.

اما الاستاذ ستريك كاتب بحث المشهد فى دائرة المعارف الاسلامية فيقول

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٥٦

أنه كان يوجد على رأس الادارة فى الحرم، منذ القدم، متولى باشى. و هذا ينبغى ان يكون من العوام، و ليس من السادة. و نظرا لطبيعة هذا المنصب و أهمية شاغله بصفته رئيسا لأعظم عتبة مقدسة فى ايران و مسؤولا عن مالية أعظم مؤسسة استثمارية، فمن الطبيعى أن

يكون التعيين لها شيئاً مشرفاً للغاية.

ولما كان من المؤمل جداً أن يحصل نزاع على السلطة بين شاغل هذا المنصب، وممثل السلطة الدينية، وحاكم خراسان، فقد نيّط الناحية الكتابية منذ أواسط القرن التاسع عشر بالسلطة المدنية في المنطقة بجعل مكتب المتولى باشى تابعا للحاكم. ولما كان شاغل هذا المنصب يستفيد استفادة جلى من وظيفته، لأنه يأخذ ١٠٪ من واردات الحرم وممتلكاته، فقد حرم على الشخص الواحد أن يشغله أكثر من فترة معينة من الزمن تطول لعدد من السنين فقط.

وتساعد المتولى باشى، على ما يقول الاستاذ ستريك، هيئة من المتولين.

و تنضوى تحت لوائه كذلك طبقة من رجال الدين الذين يعد المجتهدون، بنفوذهم الواسع و معرفتهم بشؤون الشرع و أحواله، فى المقدمة من بينهم.

و يأتى بعد ذلك جيش الملايئة الذين يقومون بمختلف الخدمات الدينية مثل القيام بالمراسيم الدينية و تدريس «طلبة العلم»، و الطواف بالزوار، و ما أشبه.

و هناك عدد غير قليل من هؤلاء يعيشون على كتابة و نائق دينية رسمية مختومة بختم الامام تنطرق الى مختلف الامور، و منها الاجابة على ما يرد فى العرائض التى يودعها الزوار فى الضريح المقدس.

ممتلكات المشهد الرضوى و وارداته

توحد فى المنطقة المقدسة من مدينة المشهد، على ما يذكر فى دائرة المعارف الاسلامية، أغنى الأسواق و أكثرها ازدحاما و مشغولية، و أغنى المدارس الدينية فى أوقافها و وارداتها؟؟؟، و أكثر الخانات و المنازل أرباحا و ثروة، و أهم الحمامات و أكثرها فى الزبائن. و هذه كلها، مع جميع البيوت و المساكن الموجودة فى المنطقة، تعد ملكا صرفا للامام (ع)، و العلويين المدفونين هناك،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٥٧

الذين ينتسبون الى الطبقة الدينية التى تدير الحرم بالنيابة عنه. و تعود لهذه الجهة كذلك ممتلكات أخرى من الأراضى و المبانى و القنوات فى أيلات ايران الأخرى، و لا-سيما فى الجوار القريب و البعيد لمدينة المشهد نفسها. و يضاف الى المبالغ الجسمية و المنتجات التى ترد من هذه الممتلكات، على شكل حاصلات و بدلات ايجار و ما أشبه، المدفوعات غير القليلة التى تقدم للمآتم و القبور و التى يدفعها الزوار و ما أشبه. غير ان هذه المبالغ كلها تقابلها من جهة أخرى مبالغ و مصروفات تدفع للموظفين الكبار و غير الكبار و للخدم و غيرهم من المستخدمين، و الى ما يحتاجه الحرم الشريف من صيانة و ترميم و أضاءة و زينة و غير ذلك.

و يقدم دونالدسون (الصفحة ١٨٣) من جهة أخرى معلومات مفيدة فى هذا الشأن، برغم كونها قديمة فى حالات كثيرة. فهو يقول ان نشرة خاصة نشرت سنة ١٩٠٠، ذكر فيها جميع الممتلكات التى تعود للمشهد الرضوى المقدس، و كان ناشرها شخصا يدعى عظيم الدولة. و هذه تدل على أن هبات كثيرة قدمت الى المشهد المقدس من ملوك ايران و حكامها المتعاقبين على شكل أملاك، فمسكت لها سجلات خاصة تسمى «طومارات». و فى هذه الطومارات تذكر الواردات السنوية بالنقد أو الحاصلات من الحقول الكثيرة و البساتين، و الدكاكين، و الحمامات، و المطاحن، و ما أشبه و برغم عدم وجود أرقام بمجموع الواردات فى هذه النشرة فقد قدر مجموع الوارد السنوى من هذه الممتلكات بمقدار (٢٣٥، ٠٠٠) پاون استرلىنى. ثم يقول دونالدسون، و لكن إحدى الجرائد الإيرانية نشرت بعد صدور هذه النشرة ما يفهم منه ان واردات هذه الممتلكات فى (١٨٧٨) بلغ مجموعها (٢٥٠، ٠٠٠) پاون.

لكن ملك ايران الحالى (المقصود رضا بهلوى والد الشاه الحالى) قد نجح فى أخذ ادارة جميع الأملاك و الأوقاف الدينية فى جميع البلاد و سلمها بيد الحكومة فكانت النتيجة ان أصبح المصرف الوطنى الايرانى نفسه يتولى الآن الشؤون المالية التابعة للمشهد المقدس. و المقول ان الواردات السنوية قد ازدادت بهذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٥٨

زيادة ملحوظة .

مساجد المشهد و أماكن الزيارة الأخرى

و يذكر الاستاذ ستريك، في دائرة المعارف الاسلاميه، ان مدينة المشهد غنيه جدا بمساجدها المشيده في البقعة المقدسه، و المقابر، و المدافن الخاصه.

و ترتبط هذه في الغالب بالمدارس الدينيه و سائر الأبنيه ذات الصبغه الدينيه

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١١، ص: ٢٥٩

الخاصه. و هنا يجب ان يذكر كذلك «المصلى» الذى يقوم على بعد نصف ميل من باب الشارع الأسفل (بايين خيابان) على طريق هراة. و هو عبارة عن ايوان يرتفع الى علو ثلاثين قدما، و يؤدى الى طاق جسيم يعلو الى ارتفاع ستين قدما. و يعد جامع (كوهرشاد) أفخم جامع فى المنطقه المقدسه و أجملها بناء و زخرفه. و قد تبرعت ببناؤه السلطانة گوهرشاد زوجه السلطان شاهرخ من أبناء تيمور لنك. و يشابه صحن هذا الجامع الصحن القديم فى المشهد الرضوى، فهو يمتد من الشمال الى الجنوب بطول مائه ياردة تقريبا و عرض تسعين ياردة.

و يعترض طول كل ضلع من أضلاعه الأربعة ايوان جميل، بينما يمتد فى الجدران الممتده فى جهتي كل ايوان من هذه الأواوين صف من الأروقه المعد كل منها للسكنى. و أكبر و أجمل الأواوين الأربعة الموجوده فى هذا الجامع هو «ايوان المقصوره» الواقع فى الضلع الجنوبي، و يستعمل للصلوة. و تعلو ايوان المدخل فى هذا الجامع قبه زرقاء تفوق قبه الامام الرضا فى علوها و عرضها و تقوم بجانبها منارتان مرتفعتان مكسوتان بقاشانى مزجج أزرق. و يشغل وسط الصحن «مسجد پيرزن» او «مسجد المرأة العجوز»، و هو عبارة عن بقعه غير مسقفه، مربعه الشكل، محاطه بدرابزين خشب يجرى من حوله الماء فى قناة صخرية عميقه.

و يقول دونالدسون (الص ١٨٢) عن جامع گوهرشاد هذا أن مساحته كله، بما فيه الصحن، تبلغ ١٨١ * ١٦٤ قدما. و له قبه فخمه زرقاء اللون، تقوم بجانبها منارتان مزينتان بالقاشانى الأزرق، و ترتفعان مع القبه الى علو (١٤٠) قدما، و ارتفاعها ٨٧ قدما، و هناك فى كل جانب من هذا الممشى الكبير غرف تسمى «أماكن الليل». و هكذا لا يختلف الجامع بشكله عن شكل الكنيسه بكثير، فيما عدا وجود الجبهه الكبيره المكشوفه فيه، مع طاقه

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١١، ص: ٢٦٠

و منارتيه المزخرفتين بأشكال معقده دقيقه بحيث يتكون منها تناسق مبهج من الألوان. و على القبه الجسيمه المكسوه بالقاشانى الأزرق، الذى تتغير صبغته بتبدل النور على ما يبدو، تلاحظ كتابه شعار المسلمين المعروف: لا اله الا الله محمد رسول الله. و قد نقشت فى قاعدة القبه الكبيره اول (٣٩) آيه من سورة ياسين التى يعيرها الشيعة أهميه خاصه.

و فى وسط صحن المسجد توجد منصه مرتفعه مساحتها ٣٧ قدما مربعا، و هى محاطه ببركه من الماء فى كل جانب من جوانبها. و هذه تسمى «مسجد المرأة العجوز»، تخليدا لذكرى امرأه عجوز يزعم أنها بقيت مده من الزمن تمتنع عن بيع هذه القطعه من الأرض بالذات.

و من الأماكن الصغيره التى يزورها الزوار فى الحرم الرضوى الشريف لا بد من ان نذكر اثنين منهما هنا، على ما تقول دائرة المعارف الاسلاميه.

و أولهما: «زيارة قدم مبارك» التى تسمى أيضا «جاسنك چهارپا»، و هى عبارة عن فسحه مدوره تغطيها قبه تقع فى شرق الايوان الشمالى فى جامع كوهرشاد. و فى هذه الفسحه تشاهد قطع حجر بيضويه الشكل رماديه غامقه فى لونها، يقال أن فيها اثرا منطبعا

لقدم الامام الرضا (ع). اما الشىء الثانى فهو عبارة عن عمود حجرى طويل نحت فيه حوض ماء، و يعتقد أنه نيزك نزل فى هذا المكان من السماء بصفه قطعة حجر لا شكل لها.

المدارس الدينية

جاء فى دائرة المعارف الاسلاميه (المختصرة) ان مدينة المشهد تعد مركزا للدراسات الاسلاميه الدينية و الشرعية فى ايران، و قد تخصص عددا من الكليات أو المدارس الدينية لتدريس هذه المواضيع فيها. و يذكر فى هذا المرجع ان الرحاله فريزر يورد فى رحلته قائمه بأربع عشرة مدرسه من المدارس الست عشرة الموجوده فيها اليوم، و ان المستشرق خانيكوف يذكر ثلاث عشرة منها، و ان السيد مهدي العلوى يذكر فى مؤلفه عن المشهد الرضوى ان المشهد

موسوعه العتبات المقدسه، ج ١١، ص: ٢٦١

كانت فيه عشرون مدرسه دينيه، و لا يورد الا أسماء خمس عشرة فيها ..

و يلاحظ من هذه المراجع التى يتم بعضها بعضا ان أقدم مدرسه من المدارس الموجوده حتى اليوم هى «مدرسه دودر»، التى شيدها سنه ٨٢٣ (١٤٢٠ م) شاه رخ و رمم بناءها سليمان الأول. و قد بنيت فى عهد السلطان نفسه «مدرسه پريزاد»، فأعاد بناءها و غير شكلها بعده سليمان الأول أيضا. ثم شيدها فى عهد الشاه عباس الثانى مدرسه «خيرت خان» (١٠٥٨ / ١٦٤٩ م) و مدرسه «مرزا جعفر» (١٠٥٩ / ١٦٥٠). على أن غالبية المدارس الدينية القديمه، التى لا يقل عددها عن تسع، تعود فى تاريخها الى عهد سليمان الأول الذى أعاد بناء بعض الأبنية لها (١٦٦٦-١٦٩٤ م).

اما فى عهد القاجاريين، فقد تأسست واحده فى أيام فتح على شاه و اثنتان فى أيام ناصر الدين شاه الذى أعاد أيضا بناء مدرستين كانتا قد تهدمتا من قبل.

و أجمل مدرسه من ناحيه الفن المعماري هى مدرسه (مرزا جعفر)، التى بناها و أوقف لها أوقافا كثيره رجل ايراني يحمل هذا الاسم كان قد جمع ثروه كبيره فى الهند. و هى تعتبر بوجه عام فى المرتبه الثالثه بين الأبنية الجميله فى المشهد، أى أنها تأتى بعد المشهد الرضوى المقدس و جامع گوهرشاد.

و هى بتصميمها و أوابينها المقببه، و بفنائها و أروقتها و زخرفتها، تتجانس مع طراز الأصحنه و المساجد الموجوده فى البقعه المقدسه المار وصفها آنفا، فتعد نموذجا لفن العمارة الاسلاميه فى ايران. و هناك مدارس أخرى لها أوقاف كثيره غير مدرسه مرزا جعفر، مثل مدرسه «پابين پا»، يرجع الفضل فى تشييدها الى الايرانيين الذين جمعوا ثروات جسيمه فى الهند. و أهم هذه الكليات أو المدارس الدينية، التى توجد فى منطقه البسط. هى المدارس التى مرت الاشارة الى كونها أقدم مدارس المشهد اى مدرسه (دودر) و مدرسه (پريزاد) و (خيرت خان)، و كذلك مدرسه (بالاسر) و مدرسه (على نقى مرزا) و بعض المدارس الدينية مثل مدرسه مرزا جعفر المار ذكرها، و مدرسه مستشار، لها أبواب تتصل بالصحن القديم التابع لمنطقه الحرم.

موسوعه العتبات المقدسه، ج ١١، ص: ٢٦٢

و يعيش الطلاب أيضا فى المدارس الدينية نفسها، فيصرف على إعاشتهم من الأوقاف الدينية. و اذا كان عدد الطلاب قليلا، و نوعيه المدرسين الممتازين معدومه فى أيام المستشرق خانيكوف (١٨٥٨)، فقد ارتفعت سمعه مدارس المشهد الدينية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر على ما يستفاد مما كتبه سايكس سنه ١٩١٠ فى كتابه (مجد العالم الشيعي)، حتى بلغ عدد طلبة العلم فيها (١٢٠٠) طالب من ايران و الهند و سائر البلاد الشيعيه. و كان يتحتم على الطالب الذى يرغب فى الدراسه الدينية العاليه، بعد دراسه تسع سنوات فى المشهد، ان يذهب الى مشهد على (النجف الأشرف) و يتلقى المحاضرات فيها على رجال يعدون فى الدرجه الأولى بالعلوم الدينية.

و هناك عدد من مدارس المشهد الدينية توجد فيها مكتبات لا بأس بها.

وقد أسس شاه رخ المكتبة العائدة لادارة الحرم في النصف الأول من القرن الخامس عشر. لكن النفائس الموجودة فيها فقدت معظمها حينما نهب الأوزبكي مدينة المشهد في عهد عبد المؤمن خان (١٥٨٩). و منذ سنة ١٩٢٦ أخذت تظهر نشرة خاصة عن مخطوطات المشهد بعنوان «فهرست كتابخانه مبارکه آستان رضوی»، فظهرت الأجزاء الثلاثة الأولى في سنة ١٣٠٥ هـ، ثم طبع الجزء الرابع في ١٣٢٥ (١٩٤٦ م). و لا بد لنا هنا من أن ننوه بنشاط الطباعة في المشهد، الذي بدأ في العقد الأخير من القرن التاسع عشر.

الإمام الرضا

لقد أفرد الدكتور دونالدسون فصلا خاصا، كتب فيه بشيء من التفصيل عن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٦٣

الامام الرضا عليه السلام، و عنوانه بعنوان «علي الرضا، الامام المتورط بالسياسة».

و يبدأ بحثه هذا بمقدمة تاريخية و جيزة يقول فيها ان هارون الرشيد قضى على نفوذ البرامكة بقسوة متناهية، و أصبح الفضل بن الربيع، المحب للعرب و الكاره للايرانيين، وزيرا من جديد. و كان الحرب العربي كثير التوق الى ان يخلف هارون الرشيد في الخلافة ابنه الأمين من بين الأخوين الأمين و المأمون، لأنه كان عربيا خالصا في أصله بينما كان أخوه المأمون من أم إيرانية هي الجارية مراجل. لكن هارون الرشيد كان يعترف بقابلية المأمون و أرجحيته للحكم.

و لما كان يخشى ان تنقسم الامبراطورية الاسلامية على نفسها بعد انتقاله الى الآخرة كانت تساوره على الدوام حيرة تنم عن تخوفه من اختلاف ابنه من بعده و انقسام الامبراطورية لهذا السبب. و لأجل ان يحول دون هذا الانقسام في حياته بعث ذات يوم بجلاذه مسرور ليأتي اليه من السجن يبجي البرمكي، الذي شعر بحاجة الى مشورته. فأخذ يشرح له ما في فكره و يقول: .. يا أبا الفضل، ان رسول الله (ص) مات في غير وصية و الاسلام جذع، و الايمان جديد، و كلمة العرب مجتمعة، قد آمنها الله تعالى بعد الخوف، و أعزها بعد الذل، فما لبث ان ارتد عامه العرب على أبي بكر، و كان من خبره ما علمت، و ان أبا بكر صير الأمر الى عمر، فسلمت الأمة له، و رضيت بخلافته، ثم صيرها عمر شوري، فكان بعده ما قد بلغك من الفتن حتى صارت الى غير أهلها، و قد عنيت بتصحيح هذا العهد و تصديره الى من أرضى سيرته، و أحمد طريقتة، و اثق بحسن سياسته، و آمن ضعفه و وهنه، و هو عبد الله (المأمون)، و بنو هاشم مائلون الى محمد (الأمين) بأهوائهم، و فيه ما فيه من الانقياد لهواه، و التصرف مع طويته، و التبذير لما حوته يده، و مشاركة النساء و الأماء في رأيه، و عبد الله المرضي الطريقة، الأصيل الرأي، الموثوق به في الأمر العظيم، فان ملت الى عبد الله اسخطت بني هاشم، و ان أفردت محمدا بالأمر لم آمن تخليطه على الرعية .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٦٤

و على؟؟؟، ففي السنة ١٨٣ للهجرة، و هي السنة التي دبر فيها مسرور نفسه؟؟؟ القضاء على حياة الامام موسى الكاظم (ع) في سجن السندی بن شاهك، أعلن هارون الرشيد للملا- تعيين الأمين خليفة له في بغداد «مع حماية الحرمين الشريفين و زعامة الاسلام الروحية»، على ان يحكم المأمون الأقاليم الشرقية التي يكثر فيها وجود الايرانيين، و تكون عاصمته في مرو. و في حالة وفاة أحدهما يتولى الباقي منهما حكم الامبراطورية بأجمعها .

و بعد تسع سنوات، أي في ١٩٢ للهجرة، توجه الرشيد الى خراسان و في معيته ابنه المأمون. فقد كانت تحدث هناك ثورات متتالية، و كان التبرم منتشر في خراسان، و لذلك كان هدف الرشيد من رحلته هذا ان يقضى على هذه الحالة و يثبت المأمون في منطقتة الجديدة. و بقي الأمين في العراق، لكن صديقه المتيقظ الفضل بن الربيع ارتحل مع الرشيد بينما كان في صحبة المأمون مستشاره الرئيس الفضل بن سهل.

و بعد ان ساروا في هذه السفر الطويلة المتعبة و قطعوا جبال البرز بطولها، ثم عبروا الممر في البلدة المسماة شريف آباد اليوم، و صلوا الى نوقان أكبر بلدة في منطقة طوس. و هنا أصيب الرشيد فجأة بمرض خطير، و قضى نحبه في الليلة نفسها. و ربما كانت وفاته هذه ناتجة عن الاجهاد الشديد الذي أصابه خلال الرحلة، في الوقت الذي كان يخفى فيه عجزا جسميا كان يشكو منه من قبل. أو انه، كما يرى البعض، قد أصيب بنوبة قلبية عصبية حينما أدرك بأنه وصل مريضا الى طوس التي تنبأ له المتنبئون من قبل أنه سيموت فيها. فدفن في بستان تقع في مكان يقال له سناباد، على بعد ميل واحد من نوقان. فتوجه بعد وفاته الفضل بن الربيع راجعا الى بغداد في الحال، ثم أمر الجيش الذي صادفه قادما مع الامدادات في الطريق بالعودة أيضا.

غير ان المأمون غضب غضبا شديدا لارتداد الفضل بن الربيع، لكنه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٦٥

كان الى جانبه الفضل بن سهل الذي كان اخلاصه للجانب الايراني لا يدانيه الا كرهه لسميه وزير الأمين. فأشار هذا الرجل على سيده بأن يتهيأ للنزاع الحاسم، لأن أخاه كان يقصد بحرمانه من الجند في الحقيقة القضاء على توليه الحكم من بعده بالنحو الذي كان والدهما قد قرره. و ذكره كذلك بالدور الفعال الذي كانت ايران قد لعبته في تسليم الخلافة للعباسيين في أيام أبي مسلم الخراساني، ثم حثه على تقوية مركزه باسترضاء الايرانيين، و العمل بعد ذلك على أخذ السلطة كلها بيده .

و على هذا وطد المأمون السلم في خراسان، و التفت التفتاتا خاصا للتقرب من رعاياه في ذلك الاقليم. و تمسك في الوقت نفسه تمسكا تاما بالعهد الذي كان قطعه على نفسه بين يدي والده في مكة، و اعترف بخلافة أخيه الأمين.

لكن الفضل بن الربيع ما أن وصل بغداد حتى أخذ يقنع الأمين بتجاهل ما تعهد به هو نفسه بين يدي أبيه، فيعين ابنه موسى ليخلفه بدلا من المأمون. و قد تم ذلك بالفعل سنة ١٩٤ للهجرة. و بسبب هذا التحرش أخذ المأمون يتأهب لسوق جيوشه من خراسان ليحافظ على حقه الخاص بالخلافة. و كانت هذه الجيوش، التي يوازرها الألوف من الايرانيين الذين كانوا يفضلون المأمون على الأمين، بقيادة القائدين القديرين هرثمة و طاهر .. و بلغت المعركة أوجها في حصار بغداد الذي كان طويلا صعبا (١٩٦-١٩٨ هـ) لم ينته الا بارسال رأس الأمين من قبل طاهر بن الحسين الى خراسان «برهاننا على ان الحرب قد انتهت في الحقيقة».

و مع ان المأمون قد أعلن خليفه للمسلمين في هذا الوقت تنفيذا للعهد، الذي قوى أمره بانتصار جيوشه، فانه لم يجراً على العودة الى بغداد بنفسه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٦٦

الا بعد مرور ستة عوام. و في خلال هذه المدة استمر على الخضوع الشديد لنفوذ وزيره الفضل بن سهل، الذي كانت ميوله الايرانية و الشيعة معروفة للجميع. و أخيرا فكر بخطه ديبلوماسيه بارعة، في نظره، و هي ان يحاول ترضية الشيعة بتسمية امامهم ليكون وريثه في الخلافة.

و كان امام الشيعة في ذلك الوقت على الرضا بن الامام موسى الكاظم عليهما السلام. و قد كانت أمه هو أيضا أم ولد ايرانية اسمها تكتم، إذ كانت السيدة حميدة نفسها قد اختارتها هي لابنها موسى الكاظم. و يروي المرجع الذي يورد هذه الرواية و هو (المجلسي) ان الرضا كان في طفولته يتطلب كثيرا من الحليب، و حينما سئلت أمه عما اذا كان حليبها قد قل أجابت تقول:

ان حليبى في الحقيقة لم يكن غير كاف، لكنه هو كان يريده على الدوام بحيث أنى أجد صعوبة في توفير الوقت الكافي للصلوة. و يقول دونالدسون بعد ذلك ان والده، بنسائه الكثيرات و أبنائه الثمانية عشر و بناته التسع عشرة كان يهمل سجلات أسرته على ما يبدو لأن سنة ولادة الامام الرضا يضعها عدة مؤرخين في سنة متأخرة أى في سنة متأخرة أى في سنة ١٥٣ هجرية، لكن التاريخ المقبول عند الشيعة المؤرخين بأجمعهم هو ١١ ذو القعدة سنة ١٤٨ هجرية. و لذلك يكون عمره عندما تولى الامامة في المدينة بعد وفاة والده عشرين أو خمسا و عشرين سنة، و بعد ذلك بثمانى عشرة سنة كان الخليفة غير واثق من ميل الناس له في العراق بحيث فكر في ان

يتقرب من الفئات الشيعية الكثيرة الموجودة فيه بتعيين الامام على الرضا خلفا له في الخلافة.

وقد كان الخليفة المأمون يومذاك بعيدا في مرو فأرسل يستقدم عليا الرضا من المدينة الى مقره العسكري البعيد. فلبى الامام دعوة المأمون، و تحرك من المدينة سنة ٢٠٠ للهجرة، مبتدءا برحلته الطويلة الى مرو التي كانت تعد في تلك الأيام الزاوية الشمالية الشرقية المتطرفة من ايران. و بعمله هذا تخلى الامام عن الخطأ التي كان قد اتبعها أسلافه الأئمة الثلاثة في هذا الشأن، لان الامام لا يمكن ان يكون وليا للعهد في الخلافة ما لم يصبح متورطا بشدة في السياسة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٦٧

على أنه جاهد في تفهيم الناس بأن ذلك لم يكن يتفق و رغبتة، و انما كان يفعل بموجب ما دعى اليه.

و يفهم من قائمة المعجزات الطويلة التي تنسب اليه عليه السلام أنه كان رجلا مفكرا محبوبا. و هنا يملأ دونالدسون صفحة كاملة بسرد المعجزات التي يشير اليها. ثم يقول بعد ذلك ان الامام قبل ان يبدأ بسفرته الطويلة المضنية من المدينة المنورة الى مرو أدى حجة الوداع في مكة، ثم توجه الى البصرة بحيث يمكنه الوصول الى بغداد من دون ان يمر بالكوفة (نقلا عن الكليني). ثم سار من بغداد شمالا فعب الممرات الجبلية في الجبال العالية الى كرمشاه فهمدان.

و سافر من هناك بمراحل قصيرة الى الري، القريه من موقع طهران اليوم.

و سارت القافلة المستأنية من هناك، و هي تحمل نور محمد المتجسد في ابنه، نحو الشرق مدة تنهاز الشهر حتى وصلت الى مدينة طوس. و من طوس سار الراكب الى مدينة مرو الكائنة فيما يسمى بالتركستان الى يومنا هذا. و من الممكن ان يكون الامام (ع) قد سافر على مهل و قطع المسافة بأكثر مما تستغرقه القافلة من الوقت عادة ما بين بغداد و مرو، لأنه استقبل باحتفاء مشهود في كل مكان فتأخر كثيرا لهذا السبب.

و حينما وصل عليه السلام الى مرو وجد الخليفة مصرا على رأيه، لكنه عامله بحفاوة بالغة، و وضع تحت تصرفه منزلا باذخا. و يذهب الكتاب الشيعي الى انه أجبر على قبول ما عرضه المأمون عليه، لكنه افصح عن تفضيله الأكيد لأن يكون في حل عن واجبات الإدارة الدنيوية. و قد أعلن وليا لعهد المأمون رسميا في يوم ٢٧ رمضان سنة (٢٠١) للهجرة على ما يذكر اليعقوبي، ثم أمر الخليفة بسك اسم الامام مع اسمه على عملات الذهب و الفضة.

و كان هذا يعني. على ما يقول دونالدسون، أكثر من مجرد إشغال الامام للمنصب الرسمي في الحقيقة لأن المأمون دعا بني العباس رجالا و نساء ليجتمعوا به في مرو. فكان اجتماعا كبيرا حافلا حضر فيه ثلاثة و ثلاثون ألف شخص، من البالغين و الأطفال، و بعد ان اكتمل عقد الحضارة دعى الخليفة الامام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٦٨

الرضا (ع) و أجلسه في المكان الشرقي ما بين أعظم النبلاء و أشرفهم منزلة.

ثم أعلن للذين حضروا بانه تأمل بعناية في أحوال بني العباس، و بنى على، جميعهم فلم يجد بينهم رجلا أكثر لياقة و أشد استحقاقا ليخلفه في الخلافة من علي الرضا. و لذلك أخذه بيده و أعلنه خلفا له على ملاء من الحاضرين (الكليني). و بعد هذا زوجه من ابنته أم حبيبة. و بعث المأمون الى الخارج أيضا بأوامره في ترك السواد في الألبسة و الرايات و استعمال الخضرة في مكانه، و كان اللون الأخضر لون آل علي بينما كان الأسود لون بني العباس.

و لا شك أن هذا العمل الخطير قد نقلت تفصيلاته الى الحزب العربي في بغداد، الذي كان ناقما على المأمون منذ مدة طويلة. فأدركت فروع الأسرة العباسية في العراق ان هذا التعيين سيحرمهم مما عندهم من سلطة رئيسية على أكثر الاحتمال.

و لذلك اجتمعوا سوياً فقررروا خلع المأمون و مبايعة عمه ابراهيم بن المهدي خليفة للمسلمين، و كان ذلك في الخامس محرم الحرام سنة ٢٠٢ للهجرة.

و حينما كان الامام الرضا مع المأمون في مرو نظم الفضل بن سهل مؤتمرا دينيا دعا اليه رؤساء الطوائف المختلفة، بما فيهم الزردشتية و النصرارى و اليهود، لأجل أن يستمعوا إلى ما يقوله الأمام و يستمع هو إلى ما يمكن ان يوردوه هم من أقوال أيضا. فأدى الاجتماع الأول الذى كان يجلس فيه الأمام بجنب المأمون، الى عقد اجتماع آخر بعده. و قد خصص أحد هذين الاجتماعين للبحث فى موضوع التوحيد، فأدار الجدل فيه عالم من علماء خراسان يومذاك يدعى سليمان المروزى. و تناول الاجتماع الآخر عصمة الأنبياء، فتولى الأجابه على قول الأمام فى هذا الشأن على بن محمد بن الجهم. فأدى ذلك الى عقد اجتماع آخر بحث خلاله فى الموضوع نفسه و أسهم الخليفة المأمون بمقدار غير يسير من المناقشه، و من المؤسف ان يكون ما عندنا من أخبار هذه الاجتماعات التى تسجلها المراجع الشيعية، لم يكتب الا- بعد مرور ما يقرب من مئتي سنة عليها. و يتضح انه من السهل على الكاتب، ابن بابويه (٤٣١ هـ) بعد مرور هذا الوقت الطويل ان ينسب أقوالا مناسبة للأمام و لا يخترع أجوبه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٦٩

تنطوى على الذكاء من معارضيه اليهود أو النصرارى أو الزردشتيين. و من المحتمل ان يكون ثيودور أبو قره، كاهن حران، هو الجاثليق غير المعروف الوارد ذكره فى أخبار هذه الاجتماعات، و ان يكون ما ذكره عن المجادله فى حضور الخليفة المأمون شيئا صحيحا. على ان الحبر الذى يورده يظهر ضعف معارضى الأمام كما يظهر ابن بابويه ايضا، كما ان ما يرد فيه عن التوراة و الانجيل يعتبر شيئا غامضا .. و يلاحظ من سرد دونالدسون لهذا القسم من البحث أنه يحاول التشكيك فى مقدرة الأمام على الخوض فى هذا المضمار على الرغم من تواتر الاخبار و اقوال المؤرخين بقدره الأمام العلميه حتى لقد جوزوا ان ينسبوا له المعجزات. و لم يكن بوسع الأمام على كل حال ان يبقى فى مرو أكثر من سنه واحده، لأن المأمون حينما سمع ان عمه ابراهيم قد بويع بالخلافه فى بغداد قرر ان الوقت قد حان له بأن يعود من خراسان الى بغداد ليؤكد حقه فى الخلافه بنفسه.

و لذلك شرع فى السنه نفسها بالتأهب للعودة الى العراق (٢٠٢ هـ). و كان بصحبته، كما يؤكد اليعقوبى؟؟؟، الامام الرضا ولى عهده و الفضل بن سهل الذى كان يسمى بنى الرياستين، اى الوزير و القائد العام. لكنهم عند ما وصلوا الى بلده سرخس قتل الوزير الذى كان فى نفس المنزل مع المأمون، فى حمامه من قبل غالب الرومى و سراج الخادم اللذين كان معهما عدد آخر من المؤازرين.

فقتل المأمون جميع الذين كان لهم ضلع فى المؤامره على كل حال، الأمر الذى يؤيد فكره ان السبب فى ذلك يعزى الى الحسد الذى كان يساور نفوس الفئات العربيه تجاه القتل، و ليس الى تدبير المأمون نفسه نظرا لأن الفضل كان يخفى عنه الأخبار السيئه عن الوضع العسكرى فى العراق. و فى خلال يوم أو يومين وصل الجيش الى منطقه طوس، فانتقل الامام الرضا الى الرفيق الأعلى فى قريه تسمى نوقان فى غره سنه ٢٠٣ للهجره. و يقول اليعقوبى؟؟؟، الذى يورد وجهه نظر الشيعه، ان مرضه عليه السلام لم يطل أكثر من ثلاثه أيام. و قد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٧٠

روى أن عليا بن هشام كان قد قدم له رمانه مسمومه. على أن المأمون أبدى كثيرا من الحزن و الأسى فى ماتم الأمام الرضا، لكن المسعودى يقول ان وفاة الأمام الرضا كانت بسبب عنب أكثر من أكله، على ان البعض يقول ان هذا العنب كان مسموما.

و نذكر فى الآتى روايه المسعودى حرفيا فى هذا الشأن: و قبض على بن موسى الرضا متوفيا لعنب أكله و أكثر منه، و قيل أنه كان مسموما، و ذلك فى صفر سنه ثلاث و مئتين، و صلى عليه المأمون و هو ابن ثلاث و خمسين سنه، و قيل سبع و خمسين سنه و سته اشهر. و كان مولده بالمدينه سنه ثلاث و خمسين و مئه للهجره، و كان المأمون زوج ابنته ام حبيبه لعلى بن موسى الرضا، فكانت إحدى الأختين تحت محمد بن على بن موسى (الجواد) و الأخرى تحت أبيه على بن موسى. أما روايه المسعودى عن قتل الفضل بن سهل فهى: و فى سنه اثنتين و مئتين قتل الفضل بن سهل ذو الرئاستين فى حمام غيله، و ذلك بمدينه سرخس من بلاد خراسان، و ذلك فى دار المأمون، فى مسيره الى العراق فاستعظم المأمون ذلك و قتل قتله، و سار الى العراق.

ثم يقول دونالدسون ان ابن بابويه يورد اسبابا مختلفة أدت بالمأمون الى ان يدس السم الى الأمام الرضا، و يبين أيضا الظروف التي سمى فيها ابنه محمدا ليخلفه في الأمامة (الجواد).

و ينهى دونالدسون فصله عن الأمام الرضا بقوله: .. و هكذا توفي الأمام على الرضا فدفن غريبا بعيدا عن المدينة، موطن آباءه آل بيت النبي. و في سناباد الواقعة على بعد ميل عن صورة خيالية قديمة تصور أخذ الإمام الرضا العنب المسموم من يد المأمون موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٧١

القرية التي قضى نحبها فيها وضعوه في لحد داخل قبر اشهر الخلفاء العباسيين، لأن المأمون كان قد دفن والده هارون الرشيد في هذه البقعة نفسها من البستان قبل عشر سنوات. فوقف في هذا الوقت، خلال عودته المتأخرة الى بغداد، في المكان نفسه و صلى على الأمام الذي كان من المؤمل ان يجعله خليفه من بعده.

اما الدكتور جون هولستر فيذكر في (شيعه الهند) معظم ما يذكره دونالدسون من النقاط عن الأمام الرضا عليه السلام، مع شيء من الاختلاف و الزيادة. فهو يقول ان أئمة الشيعة الاثني عشرية ظلوا في منأى عن النشاط السياسي في الامبراطورية الاسلامية مدة تناهز مئة و أربعين عاما. و مع ان ان الامام الرضا كان يصر على عدم رغبته في التورط بهذا الميدان، فانه يقول انه فعل ذلك إطاعة لأوامر الخليفة الصادرة اليه. و بذلك اصبح بطلا في الدراما التي أدت الى ان يلقب بالأمام «المتورط بالسياسة». و على كل فقد قارب الرضا ان يحقق ما كان الأئمة من أسلافه يدعون بحقهم فيه، سواء بالتخطيط المتعمد المتكتم او بطريق القدر و القسمة.

و كان المأمون، بن الرشيد، قد وطد الملك لنفسه حتى أصبح المهيمن الوحيد على امبراطورية بنى العباس بدحر أخيه الأمين في الحرب. كما كان وزيره الفضل بن سهل قد كسبته الجهات الشيعية الى جانبها حينما زار بغداد ذات مرة، و كان ذلك بتأثير الأمام موسى الكاظم او الأمام على الرضا نفسه، و بهذه الطريقة أصبح الخليفة أيضا مهتما بالعقائد الشيعية و ميالا الى طائفة الشيعة. و ربما كان الدافع الذي دفع المأمون الى ان يرشح أمام الشيعة ليكون خليفه من بعده رغبته في ان يقوى مركزه السياسي في الغرب حيث كان مركز أخيه الأمين قويا، و ذلك باسترضاء الشيعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٧٢

و جلبهم الى جانبه، أو رغبته في ان يجمع أهل السنة و الشيعة في صعيد واحد فيكون منهم جبهة قوية يعتز بها الإسلام .. ثم يذكر هولستر كيفية مفاتحة المأمون له بتولى الخلافة رأسا في بادئ الأمر و رفضه عليه السلام لها طالما كان الله قد قدر ان تؤول الى المأمون بعد قتل أخيه الأمين. كما يذكر قصة دعوة المأمون لبني العباس و جمعهم، ثم اعلان الأمام وليا للعهد على ملاءمهم، و قصة تبديل السواد باللون الأخضر شعار العلويين، و تزويج الأمام بابنة المأمون، و سك اسمه على العملة الى جنب اسم الخليفة نفسه.

و يشير هولستر كذلك الى ما كان من أمر بنى العباس في بغداد، و قيامهم بخلع الخليفة و تنصيب عمه ابراهيم في مكانه. لكنه يشير الى ان الفضل بن سهل وزير المأمون كان يخفي حصول هذه التطورات عنه فاضطر الى ان يزيله عن طريقه و يدبر قتله، ثم يأمر بأعدام القتلة ليخفي معالم الجريمة التي ارتكبها في هذا الشأن. و يقول بعد ذلك ان توترا كان قد حصل بين الخليفة و الأمام، و صار يزداد شيئا فشيئا حتى بات الأمام يعتقد بدنو أجله. و قد حصل ذلك بالفعل، لكن هولستر يقول ان كيفية قتل الأمام عليه السلام تختلف الروايات فيها، لكن المدونات الشيعية تقول «ان الأمام قد سمه المأمون عليه اللعنة». و بعد ان تخلص المأمون من الأمام و الفضل بن سهل استقبل في بغداد بحفاوة.

و قد دفن على الرضا في بستان يقع في قرية سناباد بالقرب من قبر هارون الرشيد. و المقول ان مكان القبر ظل منسيا لعدة أجيال بعد ذلك حتى حدث ذات يوم ان خرج للصيد بالقرب منه ابن من ابناء وزير السلطان سنجر في طوس، فتوقفت فرسه على مقربة من مكان القبر و حرنت عن السير. و لذلك اضطر ابن الوزير الى الترحل، ثم دخل المبنى الخرب و صلى فيه على الأمام موسوعة العتبات

المقدسة، ج ١١، ص: ٢٧٣

فشفى من مرض كان يشكو منه في الحال. فأدى ذلك الى ترميم المشهد الخرب و تعميره، و عظم امره بعد ذلك حتى صار المعنيون بالأمر يحافظون عليه باستمرار و يوسعون في ابنته و المرافق الملحقة به.

و يذكر هولستر بعد هذا ان المشهد الرضوي قد ألحقت به مكتبة عامرة تضم كتبا كثيرة في تفسير القرآن على الطريقة الشيعية، على ما يقول، فضلا عن الكتب الأخرى في أخبار الشيعة و تاريخهم و عقائدهم التي تستحق الدراسة بعناية و اهتمام. و أصبح الضريح بعد ذلك محجا رئيسيا للزوار الشيعة، و صارت البلدة التي توسعت من حوله تسمى «المشهد».. و هناك خط منتظم للسيارات ينقل الزوار من الهند اليه بصورة مستمرة، لأن زيارة هذه الروضة تعد من الأمنيات الكبيرة عند بعض الناس و هناك كثيرون ممن يفعل ذلك. و قد تولى الرضا الأمامة منذ سنة ١٨٣ الى سنة ٢٠٣ هـ. و كانت امه أم ولد أيرانية، كما كانت بشرته سمراء اللون. و يوصف بكونه رجلا مؤدبا رقيق الحاشية حلو الشمائل، يتخذ موقفا وديا مع الجميع، رحيمًا سخيا مع خدامه. كما كان رجل ورع و تقوى، متواضعا في سيرته بعيدا عن كل نوع من انواع العجرفة و الكبر.

و كان كذلك سخيا تجاه الفقراء عطوفا على الشيعة المنكوبين، بالإضافة الى كونه متشددا في اداء الواجبات الدينية. و تدل الألقاب التي يلقب بها على قناعته، و ورعه، و كثرة الصبر عنده.

و يتكلم هولستر ايضا عن الرضا و كونه زعيما لطائفته و عصره، فيقول جانب من ضريح الامام الرضا (ع) من داخل موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٧٤

انه كان شجاعا فعلا في هذه الناحية المهمة من حياته. و هناك ما يدل على انه كانت هناك دعاية واسعة منظمة له، تتناول جماهير الناس و موظفي الدولة على سواء. و كانت قصة انقلاب الفضل بن سهل و انضمامه الى جانب الشيعة مما يدل على نشاط هذه الدعاية في اوساط المسؤولين، كما تدل القصة التي يوردها براون عن الحسين بن منصور الحلاج على نشاطها بين طبقات الناس. فهو يقول ان الحلاج هذا كان من المبشرين الداعين الى على بن موسى الرضا في الأصل، و على هذا الاساس أوقف و عوقب في كوهستان بأيران. و يتطرق الدكتور هولستر بعد هذا الى الاجتماعات و المناظرات الفلسفية و الدينية التي كان يعقدها المأمون و يحضرها الأمام عليه السلام فيخوض المناظرات الطويلة مع الحاضرين فيها من مختلف الأديان، و يبذل جهدا غير يسير في شرح عقائد الشيعة و مبادئهم التي تدعو الى الاجتهاد و حرية الرأي. كما يتطرق الى اعتناق المأمون لمبادئ المعتزلة، و يخرج من ذلك القول بان اهتمام المأمون بالدعوة الشيعية لم يتوقف بعد انتقال الامام الرضا الى الرفيق الاعلى، و لا بعد عودته هو الى بغداد. يضاف الى ذلك انه كان يدرس مبادئ المعتزلة بحماسة، و في سنة ٢١٢ للهجرة أعلن للملا بأمر خاص قبوله لحرية الأرادة بدلا من الجبرية، كما أعلن اعترافه بخلق القرآن لا بأزليته كما كان يعتقد أهل السنة على الدوام. و بعد مدة من الزمن أعلن قبوله للمبدأ القائل بأن على ابن أبي طالب عليه السلام هو سيد البشر قاطبة بعد النبي محمد عليه الصلاة و السلام، و حلل المتعة في الشرع.

و يقول هولستر علاوة على ذلك أنه: اذا كان هناك آخرون من المعتزلة مسؤولون عن كسب الخليفة الى جانبهم في هذه العقائد، التي يمجها المتطرفون، و يسهم فيها الشيعة في الوقت نفسه، فلا بد من ان يعزى الفضل موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٧٥ الكافي في ذلك الى الأمام على الرضا الذي أثار اهتمام المأمون الى هذه الاتجاهات منذ البداية. و كان يعارض المأمون معارضة شديدة في هذه المبادئ أحمد بن حنبل الذي جلد و حبس. و قد استمر الواثق بعد المأمون في هذا الاتجاه بحماسة أشد. و بوفاة الأمام على الرضا (ع) صار يعتقد البعض من اتباعه بتوقف الأمامة من بعده و انتهائها به، و لم يعترفوا بأمامة أحد من ذريته، فكونوا طائفة خاصة تعرف بالواقفية. و يؤيد ما ذهب اليه هولستر من تأثر المأمون بأراء الأمام الرضا و فلسفته الدينية السيد أمير على (الهندي) في كتابه (مختصر تاريخ العرب و التمدن الاسلامي) الذي كتبه بالانكليزية. فهو يقول في مدح المأمون: .. و لم يكن ثمة من يعادله في الأخذ بناصر تلك النهضة الفلسفية، إذ كان متفوقا على معظم علماء عصره في الحديث و الفقه و دراسة القرآن و فهمه، فضلا عن أنه كان أحد تلاميذ الأمام الرضا الذي أخذ عنه حب الفلسفة و العلم و حرية الفكر .

و يشرح السيد أمير على في كتابه هذا، علاوة على ذلك، علاقة الأمام الرضا بالمأمون منذ البداية. فهو يقول: .. و في سنة ٢٠٠ هـ بدأ المأمون بتنفيذ مشروعه الخطير الذي طالما فكر فيه منذ زمن بعيد، و هو نقل الخلافة الى آل البيت، و تحقيقا لهذه الغاية أرسل في طلب الأمام الفاطمي «علي الثالث» بن موسى الكاظم من المدينة، و صرح علانية بأنه نظر في أبناء العباس و أبناء علي فلم يجد أحدا افضل و لا أحق بولاية العهد من «علي بن موسى الرضا» ..

و في اليوم الثاني من رمضان سنة ٢٠١ هـ أقام له حفلة البيعة بولاية العهد، لقبه ب «الرضا من آل محمد»، كما أمر باستبدال لون السواد شعار العباسيين باللون الأخضر شعار الفاطميين الذي اختاره شعارا للدولة. فأثارت مبايعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٧٦

علي الرضا بولاية العهد غضب العباسيين غضبا شديدا جعلهم يباعدون ابراهيم بن المهدي بالخلافة .. و في هذه الأزمة الطاحنة توجه الأمام الرضا الى المأمون و شرح له الحقيقة. فأعلمه بأن الوزير يمّوه عليه الأمور و يحول دون تسرب الأخبار اليه. و أخبره كذلك أن أهل بيته قد بايعوا ابراهيم بن المهدي بالخلافة، و انهم ينقمون عليه بيعته له من بعده، و أعلمه أيضا بكل ما حدث منذ مقتل أخيه الأمين. فدهش الخليفة و سأل بطبيعة الحال فيما اذا كان هناك من يعرف هذه الحقائق التي أفضى بها اليه فسمى له بعض القواد. و لما سألهم المأمون أخبروه بالخبر الصحيح بعد ان أمنهم على أنفسهم و ضمن حمايتهم من غضب الوزير و نقمته، و زاد على ذلك بقولهم: ان الخليفة قد فقد بموت هرثمة خادما أميناً، و ان الفضل دس له من قتله انتقاما منه .. فزال الغشاوة عن أعين الخليفة و أمر بشد الرحال الى الغرب على جناح السرعة، فسافر في اليوم التالي و بصحبته جميع موظفي البلاط. و لما أدرك الفضل ان مكيدته قد فشلت، و انه لا يستطيع الأيقاع بالأمام الرضا الذي كان منصبه يحميه من اعتداء، أخذ يصب جام غضبه على أولئك القواد الذين أيدوا كلام الأمام فجلد البعض و سجن البعض الآخر و ذبح عددا غير قليل ممن استطاع التنكيل بهم. و في هذه المرة ذهب الأمام الرضا الى المأمون أيضا و شرح له أعمال الوزير، فأجاب الخليفة قائلا: انه لا يستطيع على الفور تجريد الفضل من السلطة و النفوذ، انما يجب ان يفعل ذلك بالتدريج و يدارى ما هو فيه، غير ان أعداء الوزير من أهل فارس قد توقعوا ان الخليفة سيعزله من منصبه فشد عليه قوم منهم في «سرخس» التي تبعد يوما واحدا عن مرو و ضربوه بسيوفهم حتى مات، فأمر بهم الخليفة و بمحرضيهم فضربت اعناقهم.

ثم يقول: و لما وصل المأمون الى طوس، و هي البلدة التي دفن فيها أبوه الرشيد مكث قليلا من الزمن، و هناك فقد صديقه الأمين و مستشاره المخلص الأمام علي الرضا الذي أنقذ فعلا الامبراطورية من الانحلال و الخراب.

و قد توفي الأمام فجأة و خلفه ابنه محمد الجواد. فحزن عليه المأمون حزنا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٧٧

بالغا، و بنى له قبرا أصبح منذ ذلك الحين مقصد الزوار الشيعة يؤمنونه من جميع انحاء العالم و يسمى بالمشهد، أو المشهد المقدس. و بعد ان دفنه المأمون واصل سيره الى العاصمة و كان يقف في كل مدينة مدة من الزمن تختلف باختلاف خطرها و أهميتها. فمكث في النهروان ثمانية أيام حيث خرج اليه القواد و وجوه بغداد و أهل بيته، و كان الجميع يلبس الملابس الخضراء، و لكنه نزولا على طلب طاهر بن الحسين الذي جاء من الرقة ليسير بمعيته و استجابة لرجاء الزعماء الآخرين رجع الى لبس السواد شعار العباسيين.

هذا و قد لا حظنا ان السرجون باگوت كلوب، أو گلوب باشا الرجل الأنكليزي المعروف باشتغاله في الاردن لسنوات عدة، يحلل في كتابه (امبراطورية العرب) وضع المأمون و امبراطوريته، و اضطراره لتعيين الأمام الرضا لولاية العهد، تحليلا بارعا لا بد من إيراده هنا. فهو يقول أن قتل الأمين في الفتنة التي نشبت بينه و بين المأمون قد أعقبته حدوث ثورات عدة قام بها عدد من السادة العلويين في جهات مختلفة من الامبراطورية. فقد بدأت أولا في الكوفة خلال شهر شباط ٨١٥، و تبعها حركات أخرى في مكة و المدينة و واسط و البصرة. و حدثت ثورة أخرى بعد ذلك في اليمن فاستولى الشيعة فيها على الحكم. و ازدادت نعمة أهالي بغداد على المأمون لأنه عين الحسن بن سهل، شقيق وزيره الفضل بن سهل، لحكم العراق و بلاد العرب على أثر مقتل الأمين. ثم استمرت ثورات العلويين في

الجهات المذكورة و اتخذت شكلا مهددا، فهوجم العباسيون و مؤيدوهم فيها و نهبت بيوتهم فحرقت، ثم قتل كل من كان يرى متسحا بالسواد. و قد زاد فى الطين بله ما يخالغ نفوس العرب، و العباسيين على الأخص، من مؤازرة الأيرانيين للمأمون خلال انتصاره على أخيه الأمين بتلك الطريقة المؤلمة، و ارتفاع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٧٨

شأن الفضل بن سهل و أخيه الحسن بحيث صارا يلعبان فى مقدرات الدولة فى الحال و هما ما زالا قريبي عهد بالمجوسية. و لذلك فقد كانت دعوة الأمام الرضا من المدينة الى مرو، و ترشيحه الى ولاية العهد شيئا فى محلته، و خطوة معقولة يقصد بها تهدئة الأمور و أطفاء ذلك الأتون المضطرم.

و مع ان المأمون كان قد تم الاعتراف به خليفة للمسلمين فى كل مكان فقد بقى فى مقره البعيد فى مرو، بينما كان كره الناس لنائبه الحسن بن سهل فى العراق يزداد يوما بعد يوم. فأدى ذلك الى قيام سكان بغداد بثورة عارمة، اضطرب بها الحسن بن سهل الى ان يفر هاربا الى واسط. و قد حاول سكان بغداد تعيين المنصور بن المهدي عم المأمون خليفة فى مكانه لكنه لم يقبل بذلك، و فضل ان يبقى نائبا للمأمون فى بغداد. فتكون من ذلك وضع مضحك مؤسف فى العراق، انقلبت به الحالة الى شىء يشبه الحرب الأهلية ما بين الحسن بن سهل نائب المأمون و عمه المنصور بن المهدي.

و بينما كانت الحالة فى مثل هذا الوضع من الفوضى و الاضطراب تسلم الحسن بن سهل فى آذار ٨١٦ م كتاب المأمون الذى يعلمه فيه بتنصيب الأمام وليا للعهد. و قد امر المأمون بأن تؤخذ البيعة له على هذا الأساس فى كل مكان، كما أمر بأن يترك لبس السواد و يستعاض عنه باللون الأخضر شعار العلويين.

فكان لهذا الأمر المفاجيء وقع شديد مثل وقع الصاعقة فى شوارع بغداد المضطربة. و قد أذعن البعض لذلك فى الحال، و هم الشيعة على الأرجح، بينما رفض الباكون التخلي عن انحيازهم لبنى العباس فى هذا الصراع. و قرّر القرار اخيرا (تموز ٨١٦) فى بغداد على تعيين ابراهيم بن المهدي، عم المأمون الآخر الذى كان يشرب الخمر مع الأمين قبل مقتله بليتين على ما يقول گلوب، خليفة للمسلمين. و يقول گلوب كذلك ان المأمون ادعى بان الأمام الرضا كان اكثر استحقاقا و لياقة من أى فرد آخر من بنى العباس و أبناء على بن أبى طالب لهذا المنصب.

على ان الدكتور الدورى يرى (العصر العباسى الأول) ان ذلك قد تم بدس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٧٩

بارع من الفضل بن سهل وزير المأمون. فقد كانت بغداد فى الأساس مدينة عباسية، و لا يمكن ان تقبل بحاكم علوى مطلقا. و اذا ما اصبح الخليفة التالى علويا لا بد من ان تنتخب عاصمه جديدة له، و عند ذاك يكون من السهل ان تصبح إحدى المدن الأيرانية عاصمه له. و بذلك تنقلب امبراطورية العرب الى امبراطورية للفرس.

و من الصعب علينا ان نفهم لم بقى المأمون فى خراسان لمدة اربع سنوات بعد قتل الأمين، بينما كانت الامبراطورية تنحدر فى سيرها نحو الفوضى و الاضطراب. لكن التفسير الوحيد لذلك، على ما يبدو، هو ان الفضل بن سهل وزير المأمون كان يخفى الأخبار عنه و لا يطلعه على جلية الأمر فى بغداد.

و حينما تأزمت الأمور بادر الأمام الرضا (ع) فى أوائل ٨١٨ الى أخباره بوجود حرب أهلية فى العراق بين عمه ابراهيم بن المهدي و نائبه الحسن بن سهل، و بأن الفضل بن سهل كان يعتمد عدم أخباره بالوضع الحقيقى هناك. فما كان من المأمون الا ان يأمر فى الحال بالتأهب لنقل البلاط الى بغداد. و بعد ان بدأت الرحلة الملكية بمدة و جيزة فاجأ اربعة رجال مدججين بالسلاح الفضل بن سهل فى حماه و قتلوه، لكنهم اوقفوا و قطعت رؤوسهم لقاء ذلك، و هم يصرخون بان المأمون نفسه هو الذى أمرهم بذلك.

و بينما كان المأمون فى تشرين الأول ٨١٨ لا يزال فى طوس التى زار فيها قبر أبيه هارون الرشيد، توفى الامام الرضا فجأة على أثر

تناوله شيئاً من العنب.

و يقول كلوب ان الشيعة يقولون بأن الامام الرضا مات مسموماً، و سميت طوس التي توفي فيها ب «المشهد»، و لا تزال محجاً للزوار الذين ينزلون اللعنات على المأمون حينما يزورون الضريح المقدس.

و هكذا، فبعد ان توفي الامام الرضا، و قتل الفضل، و هما الشخصان اللذان انحطت سمعة المأمون عند العباسيين بسببهما، وصل الى همدان في ٨١٩. و ما ان علم البغداديون المتقلبون، (كذا) و رجال الجيش في بغداد، كذلك؟؟؟ حتى عادوا فقررروا خلع ابراهيم بن المهدي بعد ان كانوا قد أجلسوه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٨٠

على كرسى الخلافة قبل سنتين فقط. و أخذ اسم المأمون أمير المؤمنين يذكر في المساجد من جديد بعد صلوة الجمعة.

اما المراجع العربية فقد لاحظنا من بينها ان ابن الطقطقي يلقي بعض الأضواء على علاقة الامام بالمأمون في كتابه (الفخرى). فهو يقول: كان المأمون قد فكر في حال الخلافة بعده، و أراد ان يجعلها في رجل يصلح لها لتبراً ذمته، كذا زعم، فذكر أنه اختبر أحوال أعيان البيتين العباسي و العلوي، فلم ير فيهما أصلح و لا أفضل، و لا أروع، و لا أدين من علي بن موسى الرضا عليه السلام، فعهد اليه و كتب بذلك كتاباً بخطه، و أزم الرضا بذلك. فامتنع الرضا ثم أجاب، و وضع خطه في ظاهر كتاب المأمون بما معناه (أني قد أجبته امتثالاً للأمر، و ان كان الجفر و الجامعة يدلان على ذلك، و شهد عليها بذلك الشهود).

و كان الفضل بن سهل وزير المأمون هو القائم بهذا الأمر، و المحسن له، فبايع الناس لعلي بن موسى من بعد المأمون و سمي الرضا من آل محمد. و قد أمر المأمون الناس بخلع السواد، و لبس الخضرة. و كان هذا في خراسان، فلما سمع العباسيون ببغداد ما فعل المأمون، من نقل الخلافة عن البيت العباسي الى البيت العلوي، و تغيير لباس آبائه و أجداده بلباس الخضرة أنكروا ذلك، و خلعوا المأمون من الخلافة غضباً من فعله و بايعوا عمه ابراهيم بن المهدي، و كان فاضلاً شاعراً، مغنياً حاذقاً ...

و كانت تلك الأيام أيام فتن و وقائع و حروب، فلما بلغ المأمون ذلك قام و قعد فقتل الفضل بن سهل، و مات بعده علي بن موسى من أكل عنب.

فقيل ان المأمون لما رأى انكار الناس ببغداد لما فعله من نقل الخلافة الى بني علي، و انهم نسبوا ذلك الى الفضل بن سهل، و رأى الفتنة قائمة، دس جماعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٨١

على الفضل بن سهل فقتلوه في الحمام. ثم أخذهم و قدمهم ليضرب أعناقهم قالوا له: أنت أمرتنا بذلك ثم تقتلنا؟ فقال لهم: أنا اقتلكم باقراركم، و اما ما دعيتموه علي من اني أمرتك بذلك فدعوى ليس لها بينة. ثم ضرب أعناقهم و حمل رؤوسهم الى الحسن بن سهل، و كتب يعزيه و يوليه .. ثم دس الى علي بن موسى الرضا (ع) سما في عنب، و كان يحب العنب فأكل منه و استكثر. فمات من ساعته، ثم كتب الى بني العباس ببغداد يقول لهم: ان الذي أنكرتموه من أمر علي بن موسى قد زال، و ان الرجل مات فأجابوه أغلظ جواب.

و كان الفضل بن سهل قد استولى على المأمون، و مت أمتاتاً كثيرة بقيامه في أمره و اجتهاده في أخذ الخلافة له، فكان قد قطع الأخبار عنه. و متى علم أن أحداً قد دخل عليه، أو أعلمه بخبر. سعى في مكروهه و عاقبه، فامتنع الناس من كلام المأمون و انطوت الأخبار عنه.

فلما ثارت الفتنة في بغداد و خلع المأمون، و بويع ابراهيم بن المهدي، و أنكر العباسيون على المأمون فعله كتب ابن الفضل ذلك عن المأمون مدة.

فدخل عليه علي بن موسى الرضا (ع) و قال له؛ يا أمير المؤمنين ان الناس ببغداد قد أنكروا عليك مبايعتي بولاية العهد، و تغيير لباس

السواد، وقد خلعوك و بايعوا عمك ابراهيم، و أحضر اليه جماعة من القواد ليخبروه بذلك. فلما سألهم المأمون أمسكوا، و قالوا: نخاف من الفضل فان كنت تؤمننا من شره أخبرناك فآمنهم و كتب لهم خطه فأخبروه بصورة الحال، و عرفوه بخيانه الفضل، و تعمية الأمور عليه و ستره الأخبار عنه. و قالوا له الرأي ان تسير بنفسك الى بغداد، و تستدرك أمرك و الا خرجت الخلافة من يدك. فكان بعد هذا بقليل قتل الفضل، و موت الرضا على ما تقدم شرحه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٨٢

زوار المشهد الرضوى

لقد أكد الدكتور دونالدسون بصورة خاصة على حب الناس للامام الرضا، و تعلقهم الشديد به. فهو يقول ان التقلبات التي مرت على مدينة المشهد و من دفن فيه قد أسهمت لدرجة كبيرة في غرس الحب الذي يكنه الناس بصورة عامة للامام الرضا. و ليس من الغريب في هذه المدينة المقدسة البعيدة عن التدخل السني، بعد ان مرت سنين عديدة تأصلت فيها التقاليد و نمت نمو مطردا: ان ينسب اليه عدد غير يسير من المآثر المدهشة. و هنا يورد عددا من الكرامات و المعجزات المنسوبة للامام عليه السلام، ثم يقول بعدها ان هذا المزار البعيد عن مركز الحضارة الاسلامية بحيث لا يمكن الوصول اليه الا بتحمل المشاق و المتاعب قد أصبحت زيارته رمزا حيا و دليلا قويا على حب الناس الشديد له و تعلقهم به.

و قد جاء في دائرة المعارف الاسلامية ان المراجع العربي المدونة في القرون الوسطى تشير الى ان زيارة الامام الرضا، و الطواف حول ضريحه المطهر، قد بدأت في وقت مبكر.

و صار بعض الملوك و الامراء يزورون هذا المشهد بين حين و آخر منذ القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر) فصاعدا.

الباب الذهبى فى ضريح الامام الرضا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٨٣

اما عن عدد الزوار الذين يزورون المشهد سنويا، فلدينا تقديرات مختلفة عما كان يحصل في هذا الشأن خلال القرن التاسع عشر. فبينما يقدر الرحالة (بيت) عدد الزوار فى العقد الأخير من القرن بمقدار ثلاثين ألفا، فان الذين زاروا ايران قبله بكثير (عدا الرحالة مارش ١٨٧٢) يقدمون أرقاما أعلى بكثير من هذا الرقم. فيقدر بيليو (١٨٧٢) عدد الزوار السنوى هذا بأربعين الى خمسين ألفا، و يقدرهم فيرير (١٨٤٥) بخمسين ألفا، و خانكوف (١٨٥٩) و أيستويك (١٨٦٢) بأكثر من خمسين ألفا، و يوصل كرز (١٨٨٩) العدد هذا الى مئة ألف لكن هذا شيء كثير بطبيعة الحال.

و لا شك ان هذه الأرقام ترتفع ارتفاعا غير يسير حينما تحل المواسم و الزيارات الدينية الخاصة، مثل يوم وفاة الامام الرضا و الثلث الأول من شهر محرم الحرام حينما تقام التعازى بمناسبة واقعه كربلا. و يصف كونولى ماتم محرم التي أقيمت فى ١٨٣٠ وصفا مسهبا، كما يصفها بيت بايجاز فى سنة ١٨٩٤ .

و من حق كل من يصل الى المشهد من الزوار ان يعيش و يسكن مجانا لمدة ثلاثة أيام. فهناك فى المنطقة المقدسة جنوبى الشارع الأعلى «بالا- خيابان» مطبخ خاص يقدم الطعام الى الزوار فقط بمقدار خمس الى ست مئة و جبة أكل فى اليوم .. و هناك و وصف للمراسم التي يقوم بها الزوار حينما يزورون الضريح فيما كتبه الرحالة ماسى. و من جملة هذه المراسيم يذكر بصورة خاصة الطواف ثلاثا حول القبر، و سب جميع أعداء الامام ثلاثا، و لا سيما هارون الرشيد و المأمون .. هذا و يسمى الزائر الذي يزور قبر الامام على الرضا (ع) «مشهدى».

و ينزل الزوار الذين يقصدون المشهد الرضوى فى منازل و خانات خاصة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٨٤

كانت ولا تزال موجودة منذ القدم بعدد كاف. و يذكر في دائرة المعارف الاسلامية ان الرحالة فريزر (١٨٢٢) وجد خمسة و عشرين الى ثلاثين خاناً في المشهد مخصصة للزوار يومذاك، الى جانب الخانات الأخرى التي تركت و تهدمت، كما يذكر خانيكوف وجود ستة عشر خاناً لهذا الغرض، كانت ستة منها تقع في داخل المنطقه المقدسه، و أحد هذه الستة و أقدمها كان «خان السلطان» الذي بناه الشاه طهماسب الأول. بينما ترجع الخانات الأخرى هذه الى أيام سليمان الأول في تاريخها.

مدينة المشهد

و يفهم مما يكتبه دونالدسون في هذا الشأن ان المشهد أصبح في السنوات الأخيرة مدينة مستقلة عن الحرم الشريف و ما يحيط به من أماكن مقدسه، بعد ان كانت المدينة هي المشهد المقدس ذاته. و هو يقول بلهجة تقارب لهجة التشفي، ان التقدم السريع و انتشار التعليم في ايران كلها قد أدى الى ان يأخذ نفوذ المشهد الرضوى بالتضاؤل و التناقص. و لا يعنى الازدياد الملحوظ في وارداته السنوية ان الاقبال قد ازداد على زيارته، و ان التعلق بالامام ما زال موجوداً بمثل ما كان موجوداً من قبل، و انما يدل على ان الحكومة أخذت تستغل ممتلكات الامام استغلالاً حكيماً و تدير موارده الكثيرة لأغراض عامة مفيدة بصفتها مؤسسة من المؤسسات العامة. فان انشاء مستشفى جديد واسع و أبنية مدرسية حديثة للبنين و البنات، و فتح شوارع جديدة، و تخطيط متحف و مكتبة واسعة، يدل كله على وجود اتجاه مختلف لدى الحكومة بالنسبة لأوقاف المشهد الرضوى و صبغتها الدينية. و لا يعد هذا نوعاً من المصادرة، و انما يعد تخصيصاً لبعض المبالغ و وارداتها لأغراض على جانب أكبر من الجدوى و الفائدة العملية. و لم يعد يمكن الصرف على السادة المتحدرين من نسل الامام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٨٥

و إعاشتهم بحالة متعنة على حساب الصالح العام. كما ان إجبار الإيرانيين قاطبة على لبس القبعة الوطنية يعتبر ضربة هادفة الى هذه الطبقات المفضلة التي كانت تتميز بعمائمها الخاصة .

و هناك أغلبية من الناس في المشهد تتعاطف مع الاتجاه الجديد هذا، و عليه فان اولئك الذين يتصدون للاعتراض يجدون من الصعب عليهم مقاومة التبدل الجذرى الحاصل في الشعور الملحوظ بوضوح بين طبقات الناس. فقد أصبح الحق الالهى الذى يدعى به السادة النبلاء، من دون ان يكون مستندا الى مؤهلات عقلية و خلقية، يقابل بالسخرية و الاستهزاء. و كان عدد من الرحالة الأوربيين الذين زاروا المشهد في القرن الماضى يعتقدون بأن المشهد الرضوى نفسه هو الذى يكون المدينة، لكن أهمية المشهد كعاصمة لخراسان و مدينة تقع في موقع مناسب للتجارة يجب عدم تجاهلها. فان مدينة المشهد الحديثة بمعسكراتها البديعة الواقعة في الجنوب، و مطارها في الشرق، و بالمنطقة السكنية المشيدة حديثاً قرب سراى الحكومة، و مئات الأبنية المجددة على طول الشوارع العريضة الحديثة، و بمصلحة الباصات المنتظمة التي تمتد خطوطها الى جميع المدن الرئيسية فى الأيالة، و الى روسيا و أفغانستان و الهند، و بجميع مستشفياتها و مدارسها و مكباتها و حدائقها العامة و مطاعمها و مشاريع مائها وقاعة التمثيل الجديدة، و دور السينما فيها، يمكن ان يقال عنها أنها أصبحت بحق مدينة مستقلة قائمة بذاتها، يبلغ عدد نفوسها، بالنسبة للاحصاء الجديد، حوالى مئة و ثلاثين ألف نسمة. و يجعلها هذا كله أكبر المدن المقدسة فى الاسلام و رابع أوسع مدينة فى ايران نفسها.

اما دائرة المعارف الاسلامية (المختصرة) فقد جاء فيها بالنسبة لعدد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٨٦

النفوس فى مدينة المشهد ان هذا العدد بلغ حده الأعلى من قبل فى أيام نادر شاه، الذى كثيراً ما كان يفتح بلاطه فيها و يسهم بكل وسيلة فى تقدمها و ازدهارها. و كانت نفوس المشهد فى ذلك العهد لا تقل عن ستين ألف نسمة.

لكن نصف القرن الذى أعقب ذلك قد أدى بثوراته و نزاعاته و قلاقله، الى انحطاط شأن المشهد انحطاطاً ملحوظاً نزل فيه عدد

اليوت المسكونة الى ثلاثة آلاف بيت سنة ١٧٩٦. ثم أخذت تزدهر شيئا فشيئا في القرن التاسع عشر و لكن ببطء حتى قدر (ترويه) عدد دورها في ١٨٠٧ بأربعة آلاف دار، و فريزر (١٨٢٢) بسبعة آلاف و سبع مئة دار، كما قدر عدد النفوس بخمسة و عشرين الى ثلاثين ألف نسمة. ثم قدرها الرحالة كونولي (١٨٣٠) و برنز (١٨٣٢) بأربعين ألف نسمة، و قدرها فيرير (١٨٤٥) و خانيكوف (١٨٥٨) بستين ألف نسمة. و قد أصيبت خراسان كلها في سنة ١٨٧٤ بمجاعة فظيعة مات على أثرها في مدينة المشهد و حدها أربعة و عشرون ألف نسمة ..

و المقول انها يبلغ عدد نفوسها في الوقت الحاضر مئة الف نسمة، الأمر الذي يجعلها بهذا، ثالث أكبر مدينة في ايران على كل حال على ما جاء في دائرة المعارف الاسلاميه .

مقابر المشهد

ان أمانة كل شيعي في العالم، على ما يقول الكاتب في «دائرة المعارف الاسلاميه» هي ان يجد راحته الأبدية في ظل أحد الأئمة المعصومين، و لذلك صارت تتعدد المقابر و تتسع في مراكز الزيارة الكبرى منذ القدم. فان آلاف الجنائز تجلب للدفن في المشهد كل سنة، و لا سيما من ايران، و من سائر المدن الشيعية في العالم بطبيعة الحال مثل بعض مدن الهند و باكستان و أفغانستان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٨٧

و التركستان. و لما كان من المحتم ان تستعمل أراضي المقابر مرة بعد أخرى على الدوام فقد ترتب ان تغير القبور ساكنيها كل بضع سنين. و لا تستعمل الأحجار الجميلة المنحوتة لبناء القبور بل تستعمل قطع الحجر الخشن من الغرانيت و الحجر الصابوني الموجود في المقالع المجاورة للمدينة. و لا شك ان القبور في ضمن المنطقة المقدسة هي القبور التي تفضل على غيرها عادة، و لذلك يستفاد من كل فسحة فيها لهذا الغرض، و كثيرا ما تكون قطع التبليط المرمر في الأضحن المقدسة أحجار قبور للجثث التي تدفن تحتها. و تكون الأجور التي تستوفى عن الدفن في ضمن المنطقة المقدسة موردا غير يسير لسلطات الحرم المسؤولة.

و تعد أهم مقبرة خارج المنطقة المقدسة «مقبرة قتل گاه» الواقعة في شمالها، و في شرفها توجد مقبرة السيد أحمد التي دفن فيها ثلاثة من أطفال الامام السابع موسى الكاظم (ع). و في محله «الشارع الأسفل» توجد مقبرة «پيرى پالاندوز»، كما توجد في جنوب شرقي القلعة مقبرة «گمبد سبز» اي مقبرة القبة الخضراء، و قد سميت بهذا الاسم لوجود مرقد نصف خرب فيها يسكنه الدراويش في الوقت الحاضر.

و توجد في محله نوقان مقبرة شاهزاده محمد. و يجب ان يذكر كذلك ان موقع بلدة نوقان القديمة الكائن في خارج باب نوقان توجد فيه بقايا مقبرة واسعة الأرجاء وجدت فيها أحجار قبور تعود في تاريخها الى سنة ٦٧٠-١٠٩٩ (١٣٥٩-١٦٨٨).

و على مسيرة نصف ساعة من جنوبي المشهد توجد على أرض حجرية ممتدة مقبرة ميرزا ابراهيم الرضوي، و على بعد ثلاثة أميال من شمال المدينة تقوم مقبرة «خواجه ربيع»، و يقول الكثيرون من الناس ان هذا الخواجه كان من السنة برغم علاقته بعلي، و هذه المقبرة يدفن فيها الناس من أهل السنة الذين يمكن ان يوجدوا في خراسان. و مرقد «خواجه ربيع» من المراقد التي تلفت النظر بصورة خاصة في جميع خراسان، فهو بناء واسع مثن الأضلاع، تعلوه قبة خاصة، لكنه في حالة نصف خربة في الوقت الحاضر.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٨٨

قصف الروس للمشهد الرضوي في ١٩١٢

كانت المنافسة بين الروس و الانكليز قد بلغت أشدها في ايران خلال العقد الأول من هذا القرن، و قد وصلت حدا كانت فيه هاتان الدولتان تتصرفان بشؤون ايران الداخلية و تحتفظان ببعض القوات العسكرية احتفاظا يلفت النظر. و كان من جملة هذه التدخلات

المكشوفة تشجيع فئة سياسية ضد أخرى وانحياز كل من الدولتين الى فئات دون غيرها لترويج المصالح التي تخدم أغراضها. وقد أدى هذا التنافس في النهاية الى ان ينجح الوطنيون في ايران سنة ١٩٠٩ و يخلعوا محمد علي شاه القاجارى بعد ان التجأ الى المفوضية الروسية في طهران. على ان هذا العمل لم يضع حدا للدس الذي كان يقوم به ممثلو هاتين الدولتين في أنحاء البلاد. وقد أخذ الروس على الأخص يعملون على تمهيد الأمر لعودة الملك المخلوع الى العرش بعد ان نصب ابنه الفتى أحمد شاه في مكانه.

قبة الإمام الرضا و تشهد آثار القنابل التي اخترقتها من المدافع الروسية في حينما و كان من جملة المدن و المناطق- التي اصيحت ميدانا لهذا التدخل السافر، و هذه الدعاية التي قسمت البلاد الايرانية الى فئات متناحرة عدة- مدينة المشهد التي كان القنصل البريطاني العام فيها يومذاك السريبرسى سايكس مؤلف كتاب (تاريخ ايران) المعروف، و كتاب (مجد العالم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٨٩

الشيعة) الذي ألفه بشكل روائي يتناول رحلة أحد الزوار الايرانيين من كرمان الى المشهد الرضوى المقدس. و قد لعب دورا في مقاومة الحركات و المناورات الروسية في خراسان كلها المتاخمة للحدود الروسية، و لذلك أشار إلى ما وقع في ١٩١٢ في كتابه (تاريخ ايران). فهو يقول (الص ٤٢٦، ج ٢) انه لم يكن هناك ما يشين سمعة الروس في ايران يومذاك أكثر من اقدامهم على قصف المشهد الرضوى المقدس بالقنابل. فقد بذل زميلي الروسي جهدا كبيرا في العمل لمصلحة الشاه المخلوع ، و الكفاح ضد الوطنييين الايرانيين حتى انه ذهب الى حد تشجيع يوسف هراتي، الوكيل المشاغب، على القيام بحملة دعائية خاصة في مصلحته بحماية القنصلية الروسية نفسها. فبلغت المفوضية البريطانية بذلك، و كانت النتيجة ان طرد يوسف و جماعته بأمر من السفير الروسي نفسه. لكنه توجه في الحال الى الروضة المقدسة حيث كان بوسع زميلي الاستمرار على استخدامه فيما يريد. و بعد ان ثبت أقدامه في المنطقة المقدسة يمكن من جمع عدد كبير من الرجال و النساء، بينهم مئات من الزوار أنفسهم، بقصد الاستماع الى خطبه الرجعية المهيجة. و على هذا الأساس أشاع الروس بأن رعاياهم قد اصبحوا معرضين للخطر، و بهذه الحجة جاؤوا بقوة غير قليلة من الجند. لكن وجوه المشهد، الذين كنت على اتصال وثيق بهم، أدركوا الحيلة في ذلك و عرفوا شأن المصيصة أو الفخ الذي كان يعد لهم فلم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٩٠

يدخروا وسعا في انقاذ الموقف، غير ان جميع ما فعلوه لم يجد نفعاً. فقد قرر الروس أن يقصفوا الروضة المقدسة التي كان يسيطر عليها و كلاؤهم بالذات من دون تورع او التفات الى الحالة التي كان عليها السكان. و في ٢٩ آذار أطلقت مدافعهم نيرانها من دون ان تكون هناك أية مقاومة لهم تقريبا، برغم أن يوسف و جماعته أطلقوا بعض الاطلاقات تنفيذا لما أمروا به، فقتل عدد من الزوار و الأهالي الأبرياء و جرح عدد آخر غيرهم. ثم أخذ يوسف و سائر الوكلاء، في غسق الليل، في عربة خاصة الى خارج المدينة مستخدمين بذلك البوابة التي كان الروس قد فتحوها في سور المدينة و فرضوا حراستهم عليها من قبل.

و بعد عدة أيام كتب لى يوسف هراتي نفسه شاكيا من أن زميلي الروسي قد كافأه على خدماته الثمينة له مكافأة مزريئة، و جازاه كما جوزى سنمار.

ثم حرض الروس السلطات الايرانية في هذه المرحلة على اتخاذ التدابير المقتضية، فقبض على يوسف هراتي و أعدم من دون محاكمة، ثم طيف بعد ذلك بجثته التي لا تستطيع الاعتراف بما يخشى منه في الشوارع.

و بعد ان عجزت عن الحيلولة دون القصف الذي قدمت احتجاجي الشديدي عليه، أبدت اصرارى على زيارة الروضة المطهرة في اليوم التالي.

فكانت جث القتلى قد نقلت الى الخارج و أخذ الجرحى الى بيوتهم أيضا، لكن التدمير الذي أحدثه القصف الأهوج كانت آثاره

بادية للعيان. كما كانت خزانه الامام، المحتوية على النفائس و الهدايا المقدمة من الملوك و سائر الزوار، قد أخذت الى عهدة البنك الروسى. و قد أعيدت الى مكانها بعد زيارتى هذه، مع ان بعض محتوياتها كان قد نهب، و أجبر الكليدار الرسمى بتهديده بالقتل على توقيع مستند يقول فيه أنه استعاد الخزانة الثمينه سالمه كامله. و قد اعتبرت زيارتى، على خطأ أو صواب، هي السبب فى استعادة الخزانة فتسلمت رسائل عديده يشكرنى فيها الايرانيون، و حتى حاكم هراه السنى. و كتب زميلى فى تقريره الأول ان الروضه المقدسه لم تصب بشيء، لكننى تمكنت من

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١١، ص: ٢٩١

دحض هذه المفتريات بارسال نسخ عديده من التصاوير التى أخذت بايعاز منى الى المفوضيه البريطانيه فى طهران و السفارة البريطانيه فى سنت بطرسبورغ.

و قد كان الاستياء الذى سببه هذا العمل الأخرق فى أنحاء ايران المختلفه و غيرها من بلاد العالم الاسلامى، شيئاً بالغاً لأن المشهد يعد مزار ايران الرئيس على الدوام. و من الغريب ان القصف لم يجلب انتباه الناس اليه فى انكلترا لأنه وقع فى نفس الوقت الذى وقعت فيه كارثه غرق «التيتانيك» التى كان الرأى العام البريطانى منغمساً فى الاطلاع على تفصيلاتها، حيث أنها كانت تشغل أعمده الجرائد كلها و تحجب كل شيء آخر عن الناس تقريباً. اما بالنسبه لى، فان قصف الروضه المقدسه، الذى كنت قد تنبأت به قبل ان يقع و حذرت مفوضيتنا بشأنه، و الذى كنت مطلعاً على تفصيلاته كلها و وقعت على مشهد منى، يعتبر انتهاكاً لحرمة الروضه نفسها و اعتداء صارخاً على أناس أبرياء، و يدل بوضوح على الدوافع الشريره التى كانت تنطوى عليها السياسه الروسيه.

المشهد بعد إعلان الدستور ١٩٠٩

و بعد ان أعيد الدستور الى العمل فى طهران، على أثر خلع الشاه محمد على، وصل الى مدينه المشهد موظفون جدد ليشغلوا مناصب: نائب الحاكم و القائد العالم، و رئيس المحاكم، و مدير الشرطه. فزارونى فى مكتبى و بينوا لى بأن الحكومه قد زودتهم بالصلاحيات التامه فى العمل، و انهم يريدون اصلاح الأمور من دون تأخير. ثم اضافوا الى ذلك قولهم انهم قد تلقوا تعليمات خاصه بأن يأخذوا بمشورتى و يطلبوا مساعدتى. و قالوا أنهم عازمون على طرد الحاكم العام نفسه و «الكارگذر»، أو وكيل الخارجيه فى الحال، و كانوا مطمئنين بأنى سأوافق على اتخاذ هذه الخطوات فى الحال. فأجبتهم ان الماكنه القديمه كانت تسير و تقوم بعملها على قدر ما فى استطاعتها و لو كانت عديمه

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١١، ص: ٢٩٢

الكفايه، و اننى لا أرى من المصلحه اخراج الموظفين القدامى فى الأياله حتى يكون الموظفون الجدد قد تمكنوا من التعرف على الوضع فيها و درسوا المشاكل المعقده التى سيصادفونها فى عملهم. فأبدى زوارى تفهما للحديث و وافقوا على ابقاء الموظفين المذكورين الى وقت الربيع.

و قد كنت بطبيعه الحال مهتماً جد الاهتمام بدراسه سلوك الموظفين الجدد، و مؤملاً كل خير من تلقيح الاداره بدم جديد و عقليه متجدده.

غير أنى أصبت مع الأسف الشديد بخيبه أمل بالغه. فقد كان رئيس المحاكم ابن رئيسها السابق، و سرعان ما وقع فريسه للأساليب المفعمه بالفساد و التفسخ بحيث أصرّ زملاؤه الموظفون على وجوب استقالته خلال شهر واحد فقط.

و أبدى مدير الشرطه نشاطاً لا يستهان به، و افتقاراً غير يسير للباقة و الكياسه.

و قد امتنع هذا الموظف المهرج عن أخذ الرشوه فى بادىء الأمر، لكنه سرعان ما أصبح فى مستوى أسلافه فى الفساد. و حينما تورط فى قتل رئيس التجار الروسى بعد ذلك فر هارباً فى ظلمه الليل من المشهد.

وان انس لا أنسى القائد العام الذي كان يشبه شخصيات القصة الإيرانية التي كتبها جيمس مورير بعنوان «حاجى بابا الأصفهاني». فقد حدث بعد وصوله بقليل اضطراب في منطقة (دراگز) و طرد حاكمها. فجمع «القائد المقدم» قوة في قوچان، لكنه رفض رفضا باتا الزحف على (دراگز) ما لم يعد الحاكم المطرود بنفسه الى مكانه و يؤكد له بان الثوار قد انسحبوا و اختفوا عن الأنظار. و بعد ذلك تبع الحاكم مع القوة التي كانت تحت تصرفه، لكن المؤسف أنه أخطأ في وفد من القرويين خرج يستقبله و يحمل الهدايا له فظن ان العدو كان ينصب كميناً لقتله، فما كان من بطلنا المغوار الا أن يسابق الريح بفرسه و يعود الى قوچان قبل أن يستطيع الضباط الذين كانوا في معيته أفنعه بخطأه. و هكذا عاد الى السير فى الأخير، و أدرك رجاله فى الطريق، ثم دخل الى (دراگز) التي كانت قلاعها قد أصبحت فى خبر كان. و عند ذاك أمر باغلاق الأبواب و وضع مفاتيحها بين يديه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٩٣

و طير بريقة الى الوصى فى العاصمة يقول فيها انه استطاع بعد اثنتى عشرة ساعة من القتال العنيف ان ينزل خسائر فادحة بالثوار، و أصبحت دراگز خاضعة للحكومة الإيرانية من جديد. فقبول من الحكومة بكل تقدير و أجيب بأن إيران لو كان عندها عدد أكبر من مثل بطل دراگز الغازى لكان كل شىء فيه على الوجه المطلوب. و خرج بطلنا فى مناسبة أخرى للصيد مع عشرين من أتباعه، فأطلقت عصابة من اللصوص عليهم النار فى الطريق و إذا به يفر مذعورا من وجههم و يعود أدراجه الى البيت. و هنا أيضا ابرق الى طهران يقول أنه بينما كان يدور فى دورية على الحدود الأفغانية هاجمه مئتا أفغانى، فتمكن من قتلهم كلهم و تمزيق أشلائهم أربا أربا. و قد بقى هذا الجندى الرفيع الشأن سنتين فى المشهد، ثم رفع الى منصب أعلى. اما نائب الحاكم فقد كان رجلا نزيها، لكن رأسه كان يمتلىء بالمشاريع الخيالية. فقد قال لى يوما ان كل فرد فى الأيالة قد وافق على دفع ضعف الضرائب للحكومة، و انه لا يعوزه سوى ألف رجل، مسلحين تسليحا كاملا و مزودين بالمدافع الرشاشة، ليصنع من خراسان جنه أرضية.

و أضاف الى ذلك يقول أنه كان متأكدا من اننى استطع تدبير قرض مالى له بمئتى ألف باون، حتى يستطيع دفع المبالغ المطلوبة للذخائر و العدد التي تحتاجها هذه القوة. فبينت له أن الأغلبية العظمى من الناس إذا كانت قد وافقت على دفع ضعف الضرائب للحكومة فان نصف المبلغ الذى سيجمع سيكون كافيا لتلافى مصاريف القوة الجديدة المزمع تجنيدها. لكنه لم يشأ ادخال اى تبديل على مشروعه العتيدي!! و من المؤسف ان أقول انه كان رجلا جبانا أيضا. فقد بعث لى رساله فى ليلة من الليالى يقول فيها ان أحد الكتبة قد هدده بالقتل، و انه لا يستطيع الاعتماد على موظفيه و ضباطه، و لذلك يودّ ان أبعث له بأربعة من حراسى الهنود لحمايته. فبينت له ان وقوف مثل هؤلاء الحراس على بابة سيقضى على سمعته و منزلته فى الولاية، و اننى لا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٩٤

استطيع الموافقة على الطلب. و لذلك فر نائب الحاكم المقدم هذا تحت جنح الظلام الى خارج المشهد. هذه هى الحقائق التي جمعتها يوما بعد يوم فى المشهد، و يمكننى ان أضيف اليها انه حتى اذا لم يكن موظفو العهد الجديد هؤلاء أسوأ من أسلافهم، فان أسلافهم كانوا على الأقل يعرفون أين و كيف «يضغطون» من دون إثارة اى استياء لا- لزوم له، بينما كان القادمون الجدد متعجرفين متعترسين تجاه الجميع، حتى أنهم كانوا يقولون لى ان الإيرانيين لا بد من ان يساقوا الى العمل و يضربوا كما تضرب الجمال. و كانوا يفتقرون كذلك الى الخبرة فى العمل الادارى، و الى المعلومات الكافية فى الزراعة و الأحوال المحلية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٩٥

فهرست الكتاب

الموضوع الصفحة

خراسان قديما

مصادر التاريخ الايراني ١٠

اهم المصادر العربية فى تاريخ ايران و خراسان ١١

كتاب الشاهنامه ١٣

ايران و خراسان ١٥

اسم خراسان ١٨

طبيعة خراسان الجغرافية ١٩

اهمية خراسان فى تاريخ الحضارة ٢٢

اهم معالم الحضارة الخراسانية ٣٠

الخط و الكتابة

الدين و العقيدة ٣٣

الصابئية فى خراسان ٣٤

البوذية فى خراسان ٣٦

الزردشتية فى خراسان ٣٨

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٩٦

المانوية فى خراسان ٤٢

الاسلام فى خراسان ٤٥

الجند و الحرب ٥١

العلم و الادب ٥٨

الغناء و الموسيقى ٦٤

افانين الصناعة ٦٨

انتهاء الحكم الساسانى فى خراسان ٧٢

خراسان فى عهد الخلفاء الراشدين ٧٣

خراسان فى عهد ولاة بنى امية ٧٥

العوامل التى قوضت حكم بنى امية فى خراسان ٨٦

نماذج من الرشوة و الاثراء غير الشرعى ٩١

نماذج من الظلم و القسوة ٩٤

العصبية و الكبرياء ٩٨

الدعوة العباسية فى خراسان ١٠٤

عمال العباسيين فى خراسان ١١٠

هارون الرشيد فى خراسان ١٢٧

خراسان و المأمون ١٢٩

معركة الرى ١٣٥

- احتلال بغداد و قتل الأمين ١٣٧
 الحالة الاجتماعية و الرأي العام ١٤٠
 بيعه الإمام الرضا (ع) ١٤٥
 عهد المأمون للرضا بولاية العهد ١٥٠
 العهد الذي كتبه الامام الرضا (ع) ١٥٤
 هياج العباسيين و خلع المأمون ١٥٦
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٩٧
 توجه المأمون لبغداد ١٥٨
 وفاة الامام الرضا (ع) ١٥٩
 خراسان في عهد العباسيين الى حين وفاة الرضا (ع) ١٦٢
 خراسان في الشعر

اسيد بن المشمس - اشجع السلمى - الاصمعى، البحرى - البستى - ابو تمام - الشيخ جابر الكاظمى - آغا شيخ حسين الهروى - السيد حيدر الحلى - سنائى - دعبل الخزاعى - ربيعى ابن عامر - ابو سعيد المخزومى - الشريف الرضى - ابو الشيص - الصحاح بن عباد - العباس بن الاحنف - عبد الباقي العمري، عصابة الجرجاني - مالك بن الريب - المأمون العباسى - سبط ابن التعاويذى - السيد موسى الطالقانى ١٧١-١٩٢

مشهد فى المصادر العربية

مشهد فى التواريخ ١٩٥

اقوال المغاربة ١٩٦

ظهور المشهد و عمران المدينة ١٩٧

وصف المشهد ١٩٨

الكتابات فى المشهد ١٩٩

دار الحفاظ ٢٠٠

دار السيادة - قبة الله يارخان - سائر الآثار ٢٠١

حوادث المشهد التاريخية ٢٠٢

طوس ٢٠٤

جوامعها - مقابرها المشهورة ٢٠٦

مدارسها العلمية القديمة ٢٠٧

ج ١ - خراسان (٢٠)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٢٩٨

صحفها ٢٠٨

اشهر ولايتها - اشهر الحوادث التى حدثت فى طوس ٢٠٩

مشهد فى الرحلات - رحلة ابن بطوطة ٢١٢

رحلات عبد الوهاب عزام ٢١٣

- جولة في ربوع الشرق ٢٢٢
 المشهد الرضوى في المراجع الغربية
 الموقع و تاريخه ٢٣٠
 المشهد في كتابي لسترنج و سايكس ٢٣٩
 المشهد المقدس في دائرة المعارف الاسلاميه ٢٤٨
 موظفو المشهد المقدس و خدامه ٢٥٣
 ممتلكات المشهد الرضوى و وارداته ٢٥٦
 مساجد المشهد و اماكن الزيارة الاخرى ٢٥٨
 المدارس الدينيه ٢٦٠
 الامام الرضا ٢٦٢
 زوار المشهد الرضوى ٢٨٢
 مدينه المشهد ٢٨٤
 مقابر المشهد ٢٨٦
 قصف الروس للمشهد الرضوى سنه ١٩١٢ ٢٨٨
 المشهد بعد اعلان الدستور ١٩٠٩ ٢٩١
 موسوعه العتبات المقدسه، ج ١١، ص: ٢٩٩

فهرست الاعلام

أ

- آدم ٢٤٨
 آل ياسين (محمد حسن) ١٧٥، ١٨٩
 آهورامزدا ١٧، ٤٠
 ابراهيم (الامام) ١٠٤، ١٠٧، ١٠٩
 ابراهيم بن العباس ١٢٧
 ابراهيم بن المهدي ٢٥٧، ٢٢٦، ٢٤٨، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٢
 ابراهيم بن موسى بن جعفر ١٤٢
 ابراهيم بن ميمون الصائغ ١١٣
 ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك ٨٤
 ابراهيم الخليل ٢٤٨
 ابراهيم (ميرزا الرضوى) ٢٨٧
 ابراهيم قطب شاه ٢٢٠
 ابرويز (كسرى) خسرو ٦٩، ١٨٥
 ابن ابى سود (وكيع) ٨٠، ٨٧

- ابن ابي كثير (يحيى) ٥٠
 ابن ابي طاهر على بن محمد ٢٠٠
 ابن بابويه ٢٧٠
 ابن الاثير ١١، ٥٣، ٥٥، ٦١، ٧٢، ٩٣، ٩٤، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٥٩، ١٦٧
 ابن برمك - خالد - ٢٩، ١١٠، ١١٦
 ابن الاحنف (العباس) ١٩٠.
 ابن بطوطة ١١، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٤٨
 ابن حنبل (احمد) ٢٨، ٤٦، ٥٠، ٢٧٥
 ابن حوقل ١١، ١٩٥، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤١
 ابن خازم (عبد الله) ٧٧، ٧٨، ٨٨
 ابن خردادبه ١١، ٦٧، ١٩٥
 ابن خزيمة ٥٣، ١١٥، ١١٦
 ابن الخطاب (عمر) ٤٦، ٧٣، ٨٦، ١٤٠، ١٤٨، ١٥١، ٢٦٣
 ابن خلدون ١١، ٦٣، ١٥٩
 ابن الربيع (عبد الله) ٧٥، ٧٦
 ابن رسته ٨، ١٦، ٢٣٣
 ابن الزبير (عبد الله) ٥٠، ٧٨
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٠٠
 ابن الزبير (مصعب) ٧٨
 ابن زياد (سلم) ٣٢، ٧٧، ٤٩، ٩٣
 ابن زياد (عباد) ٧٧، ٩٣
 ابن زياد (عبد الرحمن) ٧٧، ٩١
 ابن زياد (عبيد الله) ٧٦، ٧٧، ٩٨
 ابن زياد (يزيد) ٧٧
 ابن سريح (الحارث) ٨٢-٨٥، ٨٨، ٨٩، ٩٥
 ابن سيار (نصر) ٦٧، ٨٣-٨٥، ٨٩، ٩٧، ٩٩، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨
 ابن سينا ٢٨، ٦٥
 ابن طباطبا ١٤٢
 ابن الطقطقى ٢٨٠
 ابن عامر (ربيعى) ١٨٧
 ابن العاص (عمرو) ١٤٠
 ابن عبد ربه ١٥٠
 ابن العبرى ١١

- ابن عمر (يوسف) ٨٤
 ابن عيينة ٦٣
 ابن الفقيه ٢١، ٥٢
 ابن قتيبة ٥٣
 ابن قحطبة (حميد) ١١٧، ١٤٦، ١٧٢، ١٩٧، ٢٣٣
 ابن ماهان (علي بن عيسى) ١٢٣-١٢٦، ١٣٤-١٣٦، ١٦٥، ١٦٧
 ابن المبارك (عبد الله) ٦٣، ١١٣
 ابن مسكويه ١١ موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج ١١ ؛ ص ٣٠٠
 ن المعتر ١٨٨
 ابن مفرغ (الحميري) ٦٠
 ابن المقفع (عبد الله) ١١، ١٢، ٢٦، ١٢٨
 ابن النديم ١٠-١٢، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٤٣
 ابن المهلب (يزيد) ٧٩، ٨٠، ٨٧، ٩٠، ٩٢-٩٦
 ابن هبيرة ٥٤، ٨١، ٨٢، ١٠٩
 ابن هبيرة (جعدة) ٧٤
 ابن الهيثم ٧٧
 ابو برزة الاسلمى ١٠٢
 ابو بكر ٤٦، ٢٦٣
 ابو تمام ١٧٣
 ابو حفص بن علي ٩٩
 ابو الخصيب ١٢٤
 ابو سلمة ١١٠
 ابو الشيص (محمد بن عبد الله بن رزين) ١٨٨
 ابو عباد (ثابت بن يحيى بن يسار) ١٩١
 ابو علي ابن سيمجور ١٧٣
 ابو عمر (كلثوم بن عمرو) ٥٨
 ابو الفداء ١١، ١٩٥
 ابو الفرج الأصفهاني ١١، ١٤٠، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٩
 ابو الكلام آزاد ٣٨
 ابو مالك (عبد الله بن السيد الخزاعي) ١٠٨
 ابو مجلز ١٠٠
 ابو مسلم الخراساني ٢٩، ٥٤، ١٠٤-١١٢، ١١٤
 ابو منصور الدقيقي (محمد بن احمد) ٢٩

- ابو نواس ١٩٥
- ابو نهشل (محمد بن حميد الطوسي) ١٧٢
- ابو ايوب (احمد بن محمد بن شجاع) ١٧٢
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٠١
- الأجشم المروزي ١١٦
- احمد امين ٥٩، ٦٠
- احمد شوقي ١٤١
- احمد فريد الرفاعي ١٢٧، ١٤٤، ١٦٠
- الاحنف بن قيس ٧٣، ٧٤
- الاخريد ١١١
- الاخفش الاوسط ٢٩
- ادريس بن حنظلة ٩٤.
- ادورد ماير ٩
- الاربلي (على بن عيسى) ١٥٠
- اردشير ٥١
- الازدي (محمد بن واسع) ٩٠
- استاذ سيس ١١٦
- اسد بن عبد الله ٩٠-٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٩
- اسلم بن زرعة ٧٦، ٧٧، ٩٨، ٩٩
- الاسكندر ٢٧، ٤٤، ٤٢، ٦٨
- اشرس بن عبد الله ٨٢، ٩٧
- اشرس بن عبد الله السلمي ٤٩، ٩٦
- الاصطخري ١١، ١٩٥
- الاصمعي (عبد الملك بن قريب) ١٧١
- افراسياب ٢٣، ٢٤، ٥٢، ٥٣، ٦٤
- الله يارخان ٢٠١
- ام حبيبة ٢٦٩، ٢٧٠
- ام حبيبة اخت المأمون ١٤٩
- ام حبيبة بنت المأمون ١٤٩
- ام الفضل بنت المأمون ١٤٩
- أمية بن عبد الله بن أسيد ٧٨، ٧٩
- امية بن عبد الله بن خالد ٩٢
- مير على الهندي ٢٧٥

امير هندو ٢١٣

الامين (محمد) ١٢١، ١٢٢، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٨، ١٨٨، ٢٦٣-٢٦٥، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٦-٢٧٩

انس بن ابى اياس ٧٥

انوشيروان- كسرى ٢٧-١٧١-١٩١

اهريمن ٤٠

الاوزبكي عبد الله الثاني ٢٤٣

اورل ماير ٦٠

ايراج ٣٢

الايلاخاني (السلطان الجاينو) ٢١٨

ايستوتك ٢٨٣، ٢٤٩

أيوداسف ٣٤، ٣٥

ب

باريد ٦٤، ٦٥، ٦٦

بارتولد ٣٧، ٣٩

الباهلي قطن بن عبد الرحمن ٨٩

الامير بايسنقر بن شاهرخ بن تيمور لنك ٢١٩

البحري ١٧٢

البخاري ٤٦، ٥٠

براون ٢٧٤

البرمكي جعفر بن يحيى ١٢١، ١٤٤، ١٦٥، ١٧١

البرمكي الفضل بن يحيى ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٣٤، ١٦٢، ١٦٧

البرمكي يحيى بن خالد ٦٢، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤، ٢٦٣

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٠٢

برنر ٢٤٩، ٢٨٦

بروشسب ٣٨

بريده بن الخصيب الاسلامي ١٠٢

البيستي ابو الفتح ١٧٢

بشر بن المعتمر ١٥٦

بشير فرنسيس ٢٣٩

بكر بن المعتمر ١٢٩

بكير بن وشاح ٧٨، ٨٨

البلاذري ٧، ١١، ٣٧

البلخي ٤٦

بور داود ١٢

الشيخ البهائي ٢٠٢

البهلوي رضا شاه ٢٢٠

البهلوي محمد رضا شاه ٢١٩، ٢٥٢

البيروني ابو ريحان ١١، ٢٩

بير بالاندوز ٢٠٦

بيليو ٢٨٣

بيور اسب ٣١

البيهقي ١٦٥، ١٦٧

ت

التربتي (الشيخ حسين) ٢٠٨

ترويه ٢٨٦

التستري (القاضي نور الله الحسيني) ١٩٥

السيدة تكتم (ام الرضا (ع)) ٢٦٦

تلكو خان ٢٣٤

تيمور لنك ٢٠٥، ٢١٦، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٢

ث

ثابت البناني ١١٣

ثابت بن قطنه ٦٠

الثعالبي ابو منصور ٢٢، ٢٧، ٥٣، ١٧١، ١٧٣، ١٨٧، ١٩١

ثمامة بن اشرس النميري ١٤٥، ١٥٦

ثيودور ابو قره كاهن حران ٢٦٩

ج

الجاحظ ١١

جبريل بن بختيشوع ١٢٨

الجراح بن عبد الله ٨٠، ٨١، ١٠٠

الجرجاني (عصابة) ١٩١

جعده بن هبيرة ٥٦

الميرزا جعفر ٢٠٧، ٢٦١

جعفر بن محمد الاشعث ١١٩

الجلودي ١٤٦

جليل لباف ٤١

جميل بن عمران ١٠١

الجنيد بن عبد الرحمن ٨٢ ٨٨ ٩٣، ١٢٨، ١٦٠، ٢٢٥

جنكيز خان ٢٠٦، ٢٠٩

الجواد محمد بن علي الرضا (ع) ٢٧٠، ٢٧٦

جوادى بور ١٤

السر جون جاردين ٢٣٦

السر جون مالكولم ١٩٦

الجوينى ٥٠

جيمس هنرى برستد ٩، ١٦، ٤٢

جيمس مورير ٢٩٢

ح

الحارث بن عبد الله بن الحشر ٩٩

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٠٣

الحارث بن قيس بن الهيثم ٩٣

الحارثى (ربيع) ٧٥

الحجاج ٥٢، ٧٩، ١٠١

الحر العاملى ٢٠٧

الحرشى سعيد بن عمرو ٨١، ٨٤، ٩٨، ١٠١، ١١٨

الحريش بن محمد الذهلى ١١٥

الحسن البصرى ٥٠

الحسن بن علي بن ابى طالب (ع) ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٥

الحسن بن قحطبة ١٠٨

الحسن بن سهل ١٣٣، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٧، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨١

حسين (السلطان بايقرا) ٢٠٩، ٢١٦، ٢١٨

حسين بهزاد ٦٢

الحسين بن الحسن الافطس ١٤٢

الحسين بن طاهر ١٧٢

الحسين بن علي بن ابى طالب (ع) ٧٦، ١٠٣، ١٤١، ٢٢٣، ٢٢٤

الدكتور حسين على محفوظ ١٩٣

الشيخ حسين القطيفى ١٦٠

الحسين بن مصعب بن زريق ١٣٩

الحاج حسين الملك ١١٦

الحكم بن عمرو الغفارى ١٠٢

حكيم المقنع ١١٨

- الحكم بن الوليد ٨٤
الحلاج (الحسين بن منصور) ٢٧٤
الحلى (السيد حيدر) ١٧٦
حماد التركي ٦٧
حماد بن النعمان ١٥٦
حمزة الشارى ١٢٤
حمزة الأصفهاني ١١
حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعي ١١٩
حمورابي ٩
الحموي (ياقوت) ٧، ١١، ١٩، ٤٥، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٦٠، ٧١، ٧٢، ٧٤، ١٩٥، ٢٣١، ٢٤٠
السيدة حميدة ام موسى الكاظم (ع) ٢٦٦
حميد بن عبد الحميد ١٧٢
الحنفي (ابراهيم بن عبد الرحمن) ٩٢
الحنفي خليل بن عبد الله ٧٥، ٧٦
حيان ٨٧، ١٠١
خ
خاقان ٧٢، ٨٢، ٨٣، ١٩١
خالد بن ابراهيم (ابو داود) ١١١، ١١٤، ١١٥
خالد بن كثير (ابو المغيرة) ١١٥
خالد بن يزيد بن معاوية ٥٥
خام جرد ٨٠
خانيكوف (نيكولا) ١٩٧، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦
خدابنده (محمد) ١٩٨، ٢٠٦
خراسان (اسم علم لشخص) ١٧
الخراساني (الملا كاظم الآخوند) ٢٨٩
الخرزاعي (دعبل بن علي) ١٨٥، ١٨٨، ٢٢٦
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٠٤
خسرو بن كيقباد ١٢
الخشاب (يحيى) ١٦٧
الخطيب البغدادي ٦٣
الخليلى (عباس) ١٨
خليد بن طريف ٧٤
خليد بن قره ٥٦، ٧٤

الخيام (عمر) ٢٢٧، ١٧٢، ٢٩

د

داود سياه ١٣٦

داود بن علي ١٠٧، ١٠٨

داود قربان ٩

داود النبي ١٥١

دغفل ١٧

الدكني (قطب شاه) ٢١٠

دولة شاه ٢١٣

دولميچ (الكولونيل) ٢٤٩، ٢٥٠

دونالدسون ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨٢، ٢٨٤

دنلوب (الدكتور دي ايم) ١١١

دياكوف ١٨

الدينوري ١١

الديواشي ٩٨

ذ

ذبيح بهروز ١٤، ١٥

ذبي الأذعار ٥٥

ر

الرازي ٤٦

الرازي (احمد) ١٩٥

رافع بن الليث ١٢٥-١٢٨، ١٣١، ١٣٢، ٢٢٥

ربيع (خواجه) بن خيثم ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٨٧

رجا بن ابي الضحاك ١٤٦

رستم ٥٢، ٥٥، ٥٧، ٦١

الرشيد (هارون) ٥٥، ٦٣، ١١٩، ١٢١-١٢٩، ١٣١-١٣٧، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٦، ١٦٧، ١٧١، ١٨٨، ١٩٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٥، ٢٢٦

٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٣

الرضا (الامام) علي بن موسى (ع) ١٤٥، ١٤٧-١٥٠، ١٥٢-١٥٥، ١٥٧-١٦٢، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٩

٢١٠، ٢١٢-٢١٤، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤-٢٣٦، ٢٤٠-٢٤٣، ٢٥١-٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦-٢٦٨

٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٩-٢٨٣، ٢٨٨، ٢٨٩

الرضي (الشريف) ١٨٨

ركن الدين همايونفرخ ١٨، ٢٧، ٢٩، ٣١

الرودكي ٦٢، ٦٥

رياض رافه ٢٧٥

ريان بن الصلت ١٤٩

ريتر (الدكتور) ١٩٦

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٠٥

ريذك ١٢

رينولد. آزنكلسن ١٠٩

ز

زال ٥٢، ٥٧

زبيدة ١٢٧، ١٣٤

زرادشت ١٦، ٣٣، ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٤

الزركلي (خير الدين) ١٤١، ٥٤

زكريا بن محمد ٤٧

زكى محمد حسن (الدكتور) ٤٣، ٤٨، ٤٩، ١٠٧

الزمرخري ٢٩

الزنوزي (الميرزا حسن) ١٩٦

زو ٢٣، ٢٤

زياد بن ابيه ٧٥، ٩٠

زياد بن صالح الخزاعي ١١٠، ١١١

زياد بن عبد الرحمن القشيري ٩٩

زيد بن علي بن الحسين بن ابي طالب (ع) ٨٤، ١٠٣، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣

زيد بن موسى بن جعفر (زيد النار) ١٤٢

زين الدين محمد ١٩٥

س

سام ١٧

سايكس (سر برسي) ٢٠، ٢٨، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦

سباع بن النعمان الازدي ١١١

السبزوارى (عبد القدير) ٢٠٨

سبط ابن الجوزى ١٥٧

سبقري ٩٨

ستروثمن ٢٣١

ستريك ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨

سراج الخادم ٢٦٩

سعيد خزينة ٨١، ٩٣

- سعيد بن عثمان بن عفان ٧٦، ٩٨، ٩٩
- السفاح ابو عبد الله ٥٣، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢
- سفن بن ماجه ١٥٩
- سفيان الثوري ٢٨
- السلمي (اشجع) ١٧١
- سليمان بن عبد الملك ٧٩، ٨٠، ٨٧، ٨٨، ٩٢
- سليمان بن علي ١١٥
- سليمان بن كثير ١٠٥
- السمرقندي ٤٦
- سبناد (فيروز اصبهيد) ١١٤
- سنجر (السلطان سنجر السلجوقي) ١٩٨، ٢١٨، ٢٣٤، ٢٤٣، ٢٧٢
- السندی بن شاهك ٢٦٤
- سهل بن سلامة الانصاري ١٤٣
- سهل بن الفضل ١٥٦
- سياوخش ٦١
- سيبويه ٢٩
- ش
- شاهرخ بن تيمور لنك ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٨، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٠٦
- شاهين عطية ١٧٣
- شبيب الطائي ٥٤
- الشبيبي (محمد رضا) ١٩٥
- شريك بن عبد الله ٥٣
- شريك بن الشيخ المهدي ١١٠
- الشعبي ٥٦
- الشريف علي ٢١٣
- الشهرستاني ٤١
- شهريار ٧٢
- شوستر (المسيو) ٢٨٩
- الشيرازي (قوام الدين بن زين الدين) ٢٠٢
- ص
- الصاحب بن عباد ١٨٩
- صادق نشأة ١٦، ١٦٧

صالح بن هرون الرشيد ١٢٩

صدر الممالك ٢٠٧

الصدوق ١٤٥-١٥٩

صفاء خلوصي (الدكتور) ٦٣، ١٠٩

الصفار يعقوب بن الليث ١٧٣

الصفوي (الشاه اسماعيل) ٢٠١، ٢٥١

الصفوي (الشاه حسين) ٢٤٧

الصفوي (الشاه سليمان) ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٨٤

الصفوي (الشاه طهماسب) ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢٨٤

الصفوي الشاه عباس الاول (الكبير) ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٥، ٢١٨، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣

الصفوي (الشاه عباس الثاني) ٢٠٨، ٢١٠، ٢٥١، ٢٦١

صنيع الدولة ١٩٥

صول ٩٤

الصيرفي ١٧٢

ض

الضبي (محمد بن حسان) ١٧٣

ط

الطالقاني (محمد حسن) ١٩٢

الطالقاني (السيد موسى) ١٩٢

الطاهر (محمد شاه) ٢١٢

طاووس ٥٠

طاهر بن الحسين ٢٩، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٥٧، ٢٦٥، ٢٧٧

طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ١٧٢

الطبرسي (امين الاسلام الشيخ ابو علي) ٢٠٦

الطبري ١١، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٩، ٥٧، ٦٧، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٨٠، ٨٣، ٩٢، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠٩، ١١٧، ١١٩، ١٢٤، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥

١٤١، ١٥٧، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤

طوج ٣٢

الطوسي (ابو جعفر) ٢٩، ٥٠

طهمورث ٢٢، ٢٣، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٤٨

طيفور ٥٥، ٥٨، ٥٩

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٠٧

ع

عاتكة الخزرجي (الدكتورة) ١٩٠

- عاصم بن عبد الله ٨٢، ٨٣، ٩٣
 عامر بن اسماعيل الحارثي ١٠٩
 عالم بن سام ١٧
 العاملي (السيد محسن الأمين) ٢٢٤
 العيادي (عبد الحميد) ٢١٣
 العباس بن جعفر بن محمد الأشعث ١١٩
 عباس قلى خان ٢٠٨
 العباس بن المأمون ١٤٨
 عباس محمود العقاد ١٤٣، ١٤٤
 العباس بن موسى بن عيسى ١٣٢
 عباس ميرزا بن فتحعلي شاه ٢٠٢
 العباسي (علي رضا) ١٩٩
 عبد الجبار الازدي ١١٥، ١١٦
 عبد الجليل لباف ٦٧
 عبد الرحمن الازدي ١١٥
 عبد الرحمن بن جبلة الانباري ١٣٧
 عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ٥٠
 عبد الرحمن بن نعيم ١٠٠
 عبد العزيز الدوري (الدكتور) ٢٧٨
 عبد الله بن الامين بن الرشيد ١٣٩
 عبد الله بن الحسن ١٦٣
 عبد الله بن خازم الاسلامي ١٠٢
 عبد الله خان اوزبكي ٢١٠
 عبد الله بن طاهر بن الحسين ٢٩، ١٥٦، ١٧٢
 عبد الله بن العباس ٤٦، ٥٠، ٥٤، ١٥٣
 عبد الله بن علي ١٠٩، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥
 عبد الله بن عمرو بن العاص ٥٠
 عبد الله فياض ٣٧
 عبد الله بن مسلم ٩٤
 عبد المجيد بدوي ١٣
 عبد الملك بن مروان ٥٥، ٧٨، ٧٩، ٨٨
 عبد الملك بن يزيد (ابو عون) ١١٧، ١١٨
 عبد المنعم صفى الدين ٨

- عبد المؤمن خان اوزبكيك ٢١٠، ٢٦٢
- عبد الوهاب عزام ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٥
- العتابي ٥٨
- عثمان بن عفان ٧٣، ٧٤
- عثمان بن الوليد ٨٤
- الغريان (سعيد) ١٦٥
- عطاء بن ابي رباح ٥٠
- عطاء الخراساني ٥٠
- الطار (الشيخ فريد الدين) ١٧٢
- عقبه بن مسلم ١١٨
- العلوي (السيد مهدي) ٢٦٠
- علي بن ابي طالب (ع) ٤٦، ٥٦، ٧٤، ٨٤، ١١٥، ١٥٣، ٢١٤، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٧٤، ٢٧٨
- علي اكبر فياض ٦٢
- علي شير نوائي ٢٠٩، ٢١٦، ٢١٨
- علي بن الحسين ٨٤
- علي قليخان ٢٠٣
- علي بن محمد ٥٦
- علي بن محمد بن الجهم ٢٦٨
- علي نقى ميرزا ٢٦١
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٠٨
- علي بن هشام ٧١، ١٣٧، ٢٧٠
- علي بن يحيى السرخسي ١٣٢
- عمار بن يزيد ٩٥
- عكرمة ١١٣
- عمر بن عبد الرزاق ١٢١
- عمر بن عبد العزيز ٨٠، ٨١، ٨٧، ٩٢، ٩٣، ٩٩، ١٠٠، ١٤٠
- العمري (عبد الباقي) ١٩٠
- عميد الدولة (فاتق) ٢٤١
- عون ١٢٣
- عيسى بن جعفر ١٢١
- عيسى بن علي ١١٥
- عيسى بن علي بن عيسى بن ماهان ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٦٥
- عيسى بن مريم ٢٤٨

عيسى بن موسى ١١٧، ١٣٢

غ

غالب الرومي ٢٦٩

غالب الليثي ٧٥

الغزالي (ابو حامد) ٢٩، ٤٧، ٢١٢، ٢٤١

الغزنوي (السلطان مسعود) ٢١٤

الغزنوي (السلطان محمود بن سبكتكين) ١٩٨، ٢١٤، ٢٣٤، ٢٤٣

الغطريف بن عطاء ١١٩

الغفاري (الحكم بن عمرو) ٧٥، ٩٠

ف

فائق (عميد الدولة) ٢٣٣

الفارابي ٢٨، ٦٥

فاضل (خان) ٢٠٧

فاميري ٢٤٩

فرخ ٥٥

الفردوسي ١٣، ١٤، ١٥، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٥٩، ٢٤١

فرهاد ميرزا ١٩٦

فريد وجدى ٣٧

فريرز ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٨٤

فريدون ٣٢

فريه (المسيو) ١٩٦

الفضل بن الربيع ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥

الفضل بن سليمان (الطوسي) ١١٨، ١١٩، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٩، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٠، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٤،

٢٧٦-٢٨١

الفضل بن عباس ١٨٥

الفضل بن عياض ٤٩

فؤاد عباس ٢٤٥، ١٦٩

فور شابر ١٩٦، ٢٥١، ٢٥٢

فيروزور ١٩٦

فيض الهندي ٢٧٢

فيرير ٢٤٩، ٢٨٣، ٢٨٦

ق

القاجاري (احمد شاه) ٢٨٨

القاجارى (فتحلى شاه) ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٨، ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٦١، ٢٩١

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣٠٩

القاجارى (محمد على شاه) ٢٨٨، ٢٨٩

القاجارى (ناصر الدين شاه) ١٧٦، ٢٠٧، ٢١٨، ٢٣٨، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٦١

القاسم بن الرشيد ١٢٧، ١٣١، ١٣٢

القاضى الشريف جلال الدين ٢١٣

قتيبة (بن مسلم) ٧٩، ٨٠، ٩٢، ٩٤، ١٠١

قثم بن العباس ١٠٢

قحطبة ٥٤، ١٠٨

قحطبة بن شبيب ١٠٨

القزوينى (زكريا بن محمد) ١٩٥

القسرى (اسد بن عبد الله) ٨٢، ٨٣

القسرى (خالد بن عبد الله) ٨٢، ٨٣

القشيرى (عبد الرحمن) ٨١، ٩٣، ١٠٠

قطن بن قتيبة ٩٩

القلقشندى ٤١، ١٥٠، ١٥٤

القمى (ابو طاهر) ٢٣٤

القمى (شرف الدين) ١٩٨

القمى (عبد العزيز بن ادم بن ابي نصر) ١٩٩

ك

كارنجى ١٥

الكاظمى (الشيخ جابر) ١٧٥

كبة (الحاج مصطفى) ١٧٦

كرزن ٢٨٣

الكرمانى (جديع) ٨٣، ٩٦

كريستنس ١٢، ٣٩

كشتاسب ٣٩، ٤٠، ٦٠

كلافيو ٢٤٢

كلوب (السر جون كلوب باشا) ٢٧٧، ٢٧٩

الكلينى ٢٦٧، ٢٦٨

كنولى (المسيو) ١٩٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٨٣، ٢٨٦

كورش الكبير ٣٨، ٦١

كور صول ٨٣

كور كيس عواد ٢٣٩

كولدندر ٣٨، ٦٠

كوهرشاد ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٣٧، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١

كيخسرو ٢٦

كيقباد ٢٥، ٥٢

كيكاووس ٢٦، ٥٢، ٥٥، ٦١

كيومرث ١٣

ل

لاهب بن قريط ٩٩

لسترنج ٢٣٩، ٢٤٠

لهراسب ٢٦، ٣١

م

مارس ٢٨٣

المازني (مالك بن الريه) ١٧٢، ١٩١

ماسين ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٨٣

ماكدونالد (كينى) ١٩٦

مالك بن انس ٥٠

المأمون (عبد الله) ٥٥، ٥٨، ١٢١-١٢٤،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣١٠

١٢٧-١٣٩، ١٤٣-١٥٠، ١٥٤، ١٥٦-١٦٣، ١٦٧، ١٦٧، ١٨٧، ١٩١، ١٩٧، ٢٢٦، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٣-٢٦٣، ٢٧٢-٢٧٤-٢٨٤

مانى ٤٢، ٤٣

مجاشع بن حريث الانصارى ١١٥

المجشر بن مزاحم ١١٥

المجلسى ٢٦٦

محسن الامين (السيد) ١٥٩

محمد (الشاهزاده) ٢٠٦، ٢٨٧

محمد النبى (ص) ٧٤، ٩١، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٨، ١١٠، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥، ٢٤٨، ٢٦٠، ٢٦٧

محمد اولجاتيو (المغولى) ٢٣٥

محمد امين جلبى شالى ١٩٠

محمد باقر ٢٠٧

محمد بديع ٩، ٣٤، ٤١، ٤٥، ٦٦، ٦٧

محمد بن جعفر بن على بن الحسين ١٤٢

محمد بن سليمان بن داود بن الحسن ١٤٢

- محمد بن طاهر ١٧٣
 محمد بن طاهر بن الحسين ٥٨
 محمد (التقى) بن عبد الله ٢٧٤
 محمد بن عبد الله بن عباس ١١٣
 محمد بن علي ٤٥، ٥٤
 محمد بن علي بن عبد الله ١٠٧
 محمد بن الليث ١٦٤
 محمد (المحروق) بن محمد بن زيد ١٦٢، ١٦٣، ١٧٢
 محمد تقى فخرداعى ٢٠، ٢٨
 محمد ثابت ٢٢٥
 محمد (السيد) جعفر خان ٢٢٠
 محمد جواد مشكور ١٧، ٣٩
 محمد (السلطان) خوارزم شاه ٢٠٩
 محمد رضا (شاه) ٥٩
 محمد عيسى (الحاج) جلبى ١٩٠
 محمد مهدي (العلوى) ٢٣٢
 محمد مهدي (الدكتور) ١٠٢
 محمود غازان ٢١٤
 محمود هداية ٢٢، ٢٧
 المخزومى ابو سعيد ١٨٧
 المخلد بن يزيد بن المهلب ١٠١
 مرتضى ميرزا ٢٠٨
 مرجليوث ١٩٢
 مروان بن ابى حفصة ١٢٠
 مروان بن محمد ٨٤، ١٠٦، ١٠٩
 المروزى بن سليمان ٢٦٨
 مزاحم بن بسطام ٨
 المستشار ٢٠٧ موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ١١؛ ص ٣١٠
 مستوفى ٢٣٥، ٢٤١
 المستوفى حمد الله ٢٣٢
 المستوفى القزوينى ٢٧، ٢٣٠
 المسربل بن الخريت بن راشد ٩٨
 المسعودى ١١، ٢٣، ٢٦، ٣٤، ٥١، ٤٥، ٢٦٣، ٢٧٠

- مسلم بن سعيد ٨١
 مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم ٩٩
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣١١
 مسلمة بن عبد الملك ٨١
 المسيب ٨١
 المسيب بن زهير ١١٨
 مشير الدولة ٩
 مصطفى حجازي ١٦
 معاذ بن مسلم ١١٨
 معاوية ٣٧
 معاوية بن ابي سفيان ٧٥-٧٧، ٩٠، ٩١، ٩٨، ٩٩، ٢٢٥
 معاوية يزيد، ٤٩، ٧٧
 المعتصم بن الرشيد ١٣٨
 معقل بن عروة ١٠١
 المغيرة بن جناء ٦٠
 المفضل ٥٨
 المفيد (الشيخ) ١٤٧، ١٥٩
 المقدسي ١١، ١٩٥، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٠
 مكحول ٥٠
 مكي البحراني ٣٨، ٤٠
 ملك شاه (الأمير) ٢٠٦
 المنصور (ابو جعفر) ٦٧، ١٠٧، ١٠٩-١١٧، ١٢٨، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧،
 المنصور بن المهدي ٢٧٨
 منصور بن يزيد الحميري ١٢١
 منوچهر ستوده ٢٠، ٢٣، ٣٨، ٥٢، ٧٠، ٢٤٦
 المكي ابو زيد ١١٣
 موسى بن الأمين ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٩، ٢٦٥
 موسى بن عمران ٢٤٨
 موسى بن كعب ٩٥
 موسى بن المهدي ١١٧، ١١٩
 موسى بن جعفر (الامام) ٢٠٦، ٢٣٠، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٨٧
 المهدي بن المنصور ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٦٤
 المهلب بن ابي صفرة ٧٩، ٩٦

ميرانشاه تيمور ٢٢٦، ٢٣٢

ميرزا (الخواجه السيد) ٢٠٥

ميرزا رضا قلي خان ١٩٦

ن

نادر شاه ٢٠٣، ٢١١، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٧، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٨٦

نادر (ميرزا) ٢٥٢

نادر (نظام) ١٧، ٣٩

نباته ١٠٨

النجاشي ١٩١

النخعي ٥٠

نصر بن شيبث العقيلي ١٣٩

نصيرزاده جليل بك ٢١٣

نعيم بن حازم ١٣٧

النقاش (محمد بن ابي زيد) ٢٠٠

نكلسون ٦٢

النوبختي ٢٩

نوح ١٧

نوفل الخادم ١٣٧

نهار بن توسعه ٦٠

نير الدولة ٢٠٩

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣١٢

ه

هادي طيبزاده ٤٣

هانوي ١٩٦

هرتسفيلد ١٨

هرثمة بن اعين ٥٥، ١١٨، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٨، ٢٦٥، ٢٧٦

هرمن تريل ٦٠

الهروي اقا شيخ حسن ١٧٦

هشام بن عبد الملك ٤٩، ٨٢، ٨٣، ٨٨، ٩٥، ٩٦، ١٦٠

همام بن قبيصة النمري ٩٩

هولاكو ١٩٨

هوليستر (جون هوليستر) ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥

هومل ٩

هيرودوت ١٠، ٢٧، ٦٤

هيطل ١٧

و

وستفال ٦٠

وستر كارد ٦٠

وشاح بن بكير بن وشاح ٩٩

الوليد بن يزيد بن عبد الملك ٦٧، ٧٩، ٨٤، ٨٨، ١٤١

وليم جاكسون ١٢

ونداسب ٣١

ى

يار محمد خان ٢١٠

ياسر الخادم ١٥٩

يحيى بن اكثم ١٥٦

يحيى بن الحسن ٥٨

يحيى بن زيد ٨٤، ١٦٣

يحيى بن المبارك ١٤٥

يزدان ٤٠

يزدجرد ١٣، ٥٨، ٧٢، ٧٣

اليزدى (كمال الدين محمود) ١٩٩

يزيد بن عبد الملك ٨١، ٩٨

يزيد بن معاوية ٤٩، ٧٦، ٧٧، ٩١، ١٤١

يزيد بن مزيد ١١٧

يزيد بن الوليد بن عبد الملك ٨٤، ٨٩

اليشكرى ٩٠

يعقوب بن داود ٢٩

يعقوب بن شيبه ٥٠

اليعقوبى ١١، ٩٠، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٦٧، ٢٦٩

يوسف بن ابراهيم ١١٧، ١١٨

يوسف بن عمر ٨٨، ١٤٢

يوسف مسكونى ١١١

يوسف هراتى ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٧

بيت الرحالة ٢٨٣

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١١، ص: ٣١٣

هذه الموسوعة

على الرغم من انتشار الحضارة و الثقافة التي دفعت بالكثير من العلماء و المحققين و الباحثين فى العصور الأخيرة الى احياء مختلف التراث الاسلامى و الآثار العربية فيما بحثوا، و حققوا، و كتبوا، فقد ظلت هنالك كنوز ذات قيمة كبرى فى تاريخ العالم الانسانى فضلا عن تاريخ الاسلام و العرب.

لقد ظلت هذه الكنوز مطمورة فى بطون الكتب المخطوطة و المطبوعة لم يمها احد الا من بعض اطرافها، و لم يتطرق اليها باحث الا من بعض جوانبها، و هى كنوز لم تقتصر على ناحية دون ناحية، فهى تخص العلم، و الادب، و الفن، و الفلسفة، بقدر ما تخص الفقه و التاريخ، متمثلة كلها فى تاريخ العتبات المقدسة:

مكة المكرمة- المدينة المنورة- القدس الشريف- النجف الاشرف- كربلاء- الكاظمين- مشهد الرضا- سامراء .. الخ
فلكل عتبة من هذه العتبات تاريخ ذو علاقة جد وثيقة بالثقافة و الحضارة الاسلامية و العربية، مما اخترنته من المخطوطات الاثرية، و الروائع الادبية، و ما قامت به من المدارس طوال العصور المظلمة، اذ لو لا هذه العتبات لما بقى اليوم بايدينا من تلك الكنوز الا النزر اليسير.

و هذا هو الذى دفع بطائفة من اهل الفضل و اساتذة جامعة بغداد من ارباب الاختصاص الى ان تتضافر جهودهم فى اخراج موسوعة تاريخية- علمية- اثرية- ادبية- عامة، تتناول جميع العتبات المقدسة بالبحث المفصل الشامل منذ اول تمصير العتبة المقدسة حتى اليوم- على ان يكون لكل عتبة اجزاء خاصة، و ان يكون كل جزء منها مستقلا بمواضيعه.
و هو اول عمل من نوعه، و اول مجهود خطير يقوم به مؤلفه، و يكفى ان يستدل القارىء على خطورته مما يقع تحت عينيه من اجزائه.

الجزء الثانى عشر

اشارة

موسوعة العتبات المقدسة ١٢

الجزء الأول من قسم سامراء

اشارة

تأليف جعفر الخليلي

منشورات مؤسسة الأعلمی للمطبوعات بيروت- لبنان ص. ب. ٧١٢

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٤

جميع الحقوق محفوظة و مسجلة

الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

مؤسسة الأعلمی للمطبوعات:

بيروت- شارع المطار- قرب كلية الهندسة- ملك الأعلمی- ص. ب. ٧١٢٠

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٥

إشارة

بحث يتناول منطقة مدينة سامرا و ما يحاذيها و يجاورها من المواقع التاريخية الى حين تمصيرها

كتبه الدكتور مصطفى جواد

خريج جامعة السوربون بباريس المتخصص في التاريخ العربي و الأستاذ المتفرغ بجامعة بغداد

و عضو المجمع العلمي العراقي ببغداد و المجمع العلمي العربي بدمشق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٧

سامرا قديما

سامرا اسم آرامي و هو في أصله مقصور كسائر الأسماء الآرامية بالعراق مثل «كربلا و عكبرا و حرورا و با عقوبا و بتمارا و تامرا» و قد مدّ العرب كثيرا من هذه الأسماء الآرامية المقصورة في استعمالهم إياها، و خصوصا ذكرها في الشعر إلحاقا لها بالأسماء العربية أو توهما منهم أنّها عربية تجمع بين المدّ و القصر مثل كثير من الأسماء التي انضمت عليها اللغة العربية ذات الأصول العربية.

رأيت «سامرا» مكتوبة في نسخة تاريخ الطبري المطبوع بمصر أعني بالألف المقصورة و سيأتي النصّ و هكذا.

و لم يذكر لسترنج المستشرق المشهور العالم المحقق معنى «سامرا» الآرامية، و لا مترجما كتابه إلى العربية في الترجمة، و إذ كانت الآرامية فرعا من فروع اللغة السامية الأمّ، و كان الغالب على سنها أن تبدل شيئا في العربية جاز أن يكون بين مادة «شمر» العربية و «سامرا» الآرامية صلة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٨

لفظية و صلة معنوية، قال الأصمعي: «التشهير: الارسال من قولهم:

شمرت السفينة، أرسلتها و شمرت السهم، أرسلته» و قال ابن سيده:

«شمر الشيء: أرسله، و خصّ ابن الأعرابي به السفينة و السهم» و قال أبو عبيدة في التسمير (بالسين) الوارد في الحديث: «و سمعت الأصمعي يقول: أعرفه بالشين و هو الارسال، قال: و أراه من قول الناس: شمرت السفينة: أرسلتها، فحوّلت الشين إلى السين». فغير بعيد أن كانت «سامرا» عند الآراميين فرضة كبيرة لارسال السفن في دجلة أو دار صناعة لها، و لدجلة عندها خليج لا يزال على حاله القديمة يتبطّح فيه الماء عند الزيادة. مع هذا فتفسيري هذا لا يخرج عن عداد الحسان و ذلك لعسر تفسير الأسماء الواغلة في قديم الزمان.

و قال الأب أنستاس ماري الكرملّي الطريفة: «لا جرم أن الذي أسس سامرا و بناها هو الخليفة العباسي المعتصم بالله ... أما اسم المدينة فليس من وضع المعتصم نفسه بل هو قديم في التاريخ فقد ذكره المؤرخ الروماني أميانس مرقلينس الشهر الذي ولد سنة ٣٢٠ م و توفي سنة ٣٩٠ بصورة (سومرا Sumeru) و نوه به زوسيمس المؤرخ اليوناني من أبناء المائة الخامسة للمسيح صاحب التاريخ الروماني بصورة (سوما Souma) و يظن أهل النقد من أبناء هذا العصر أن سقط من آخر الاسم حرفان و الأصل (سومرا: Soumara) و ورد في مصنفات السريان (شومرا) بالشين المنقوطة و عرفها ابن العبري باسم السامرة (كذا) و هذه عبارته: فلما جدّوا (أي الناس في زمن بناء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٩

برج بابل) في ذلك بأرض شنعار و هي السامرة، قات نمرود بن كوش راصفي الصرح بصيده (راجع كتابه مختصر الدول ص ١٩ من طبعة اليسوعيين في بيروت). و الغلط ظاهر إذ ليست السامرة في بلادنا بل في فلسطين لكن مجانسة اللفظة الواحد للآخر خدعته فقال ما قال ... أما الكلمة فليست بعربية صرفة و إن ذهب الى هذا الرأي كثيرون من المؤرخين و الكتبة و اللغويين و ذلك لعقتها كما

أوضحناه و هي عندنا من أصل سامى قديم و يختلف معناها باختلاف تقدير اللفظة المصحفة عنه، فاذا قلنا: إن أصلها (شامريا) فمعناها (الله يحرس (المدينة) أو بعبارة أخرى المحروسة)، و ان قدّرنا أصلها (شامورا) بامالة الألف الأخيرة فمعناها الحرس أى منزل الحرس أو موطن الحفظلة بتقدير حذف المضاف و إبقاء المضاف إليه و هو كثير الورد فى جميع اللغات السامية، و عليه نعتبر قولهم إن (سامرا) تخفيف سرّ من رأى) أو (ساء من و أى) من قبيل الوضع و لهذا لم يقبل أحد من المستشرقين هذا الرأى و عدّوه فى منتهى السخف» .

و زعم الأستاذ هرزفيلد أن اسم هذه البلدة قد جاء فى الكتابات الآشورية بصورة (سمراتا Su -Ur -Mar -Ta) و أنها كان لها فى أيام الفرس شأن كبير فى محارباتهم الرومان» .

أما مدّ «سامرا» و جعلها سامراء فهو محدث أحدثه العرب إجراء منهم لهذا الاسم مجرى الأسماء العربية كما ذكرت آنفا، و كانوا يفعلونه حتى مع اعترافهم بأن الاسم غير عربى، قال ياقوت الحموى: «عكبرا بضمّ أوله و سكون ثانيه و فتح الباء الموحدة، و قد يمدّ و يقصر، و الظاهر أنه ليس بعربى ... و قال

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٠

حمزة الاصبهانى: بزرج سابور معرب وزرك شافور و هى المسماء بالسريانية عكبرا» .

و للاستاذ البارع كاظم الدجيلى مقالة جيدة بعنوان: «آثار سامراء الخالية و سامراء الحالية» قال فيها: «أما اسمها فقد اختلفت الروايات فيه و فى معانيها (كذا) و كلها لا نصيب لها من الحقيقة، و أصدق لغة رويت فى اسمها هو (كذا) سامراء (بفتح السين بعدها ألف يليها ميم مفتوحة و بجانبها راء مثقلة مفتوحة ثم ألف ممدودة و فى الآخر همزة .) و أما قولهم: إن الرواية الصحيحة هى سرّ من رأى أو (سام راه) فهذه و غيرها من مخترعات المخيلة، و من التأويل التى انتجتها قرائح بعضهم إجابة للعقل الذى يحب الوقوف على أسرار الكون و الاكتفاء بما يرضيه. و لو فكروا قليلا- لأقروا أن تأويلهم بعيد لقدم ورود الاسم، و لعله من وضع البابليين أو الآشوريين أو الكلدانيين أو غيرهم من الأمم الخالية، فكيف يطلب لها معنى فى اللغة العربية؟» .

قلت: قد ذكرت رجحان المقصور «سامرا» على الممدود «سامراء» فى كلام سابق لهذا، و بينت أسباب الرجحان، و أضيف هنا أن مدّ الأسماء الأعلام غير مألوف فى غير اللغة العربية من اللغات السامية، و الغالب عليها فيها القصر، و إذ كانت اللغة البابلية و اللغة الآشورية و اللغة الكلدانية مع تشابهنّ من اللغات السامية كاللغة العبرية لم أر بأسا فى البحث عن معنى «سامرا» فى اللغة العربية مع مراعاة أطوار الابدال و الاوزان فى اللغات المذكورة و هى فى الصعوبة بمكان، بحيث لا يعلمها الا متقن تلك اللغات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١١

و دارس علم الموازنة بينها و هو ما لم نوفق له يا للأسف، و مع ذلك لم أجد حرجا فى إقامة باعث على التفكير فى معنى الاسم، أو إحداث فكرة تدور حولها، و البحث عن معانى الأعلام المدنية هو مما اعتاده المؤرخون المحدثون و الآثاريون العصريون، لأنه ذو فائدة لعلم التاريخ و الحضارة البشرية و علم اللغات، و اعتاده أيضا البلدانون القدامى كما ترى فى معجم البلدان لياقوت الحموى، و إنما الذى يؤخذ عليهم أنّهم كانوا يحاولون رجوع معظم الأسماء الأعلام و عامتها إلى اللغة العربية و هو الذى أنكره محققا الكاتب الفاضل، مع أن البلاد التى أنشئت فيها تلك المدن و البلدان و القرى و النواحي المعمورة لم تكن قديما من البلاد العربية، أما مواضع جزيرة العرب فكان لهم كلّ الحقّ فى البحث عن معانى أسمائها لأن واضعيها كانوا عربا.

و كان من الغلط المبين قول ابى محمد الحريرى: «و يقولون: للبلدة التى استحدثها المعتصم بالله (سامرا) فيوهمون فيه كما و هم البحرى فيها إذ قال فى صلب بابك:

أخليت منه البدّ و هو قراره و نصبته علما بسامراء

و الصواب أن يقال فيها (سرّ من رأى) على ما نطق بها فى الأصل لأن المسمى بالجملة يحكى على صيغته الأصلية كما يقال: جاء تأبّط

شرا ..

و حكاية المسمى بالجملة من مقاييس أصولهم و أوضاعهم، فهذا وجب أن ينطق باسم البلدة المشار إليها على صيغتها الأصلية من غير تحريف فيها و لا- تغيير لها و ذاك أن المعتصم بالله حين شرع في انشائها ثقل ذلك على عسكره فلما انتقل بهم إليها سر كل منهم برؤيتها فقبل فيها سر من رأى، و لزمها هذا الاسم و عليه قول دعبل في ذمها:

بغداد دار الملوك كانت حتى دهاها الذي دهاها

ما سر من را بسر من رابل هي بؤسى لمن رآها

و عليه أيضا قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في صفة الشعري:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٢ أقول لما هاج قلبي ذكرى و اعترضت وسط السماء الشعري

كانها ياقوتة في مدرى ما أطول الليل بسر من را!

فنطق الشاعران باسمها على وضعه و سابق صيغته و إن كان قد حذفها همزة رأى لاقامة الوزن و تصحيح النظم .

و ليس ما قاله الحريري- رح- بالمروى الصحيح و إنما الصحيح أن المعتصم بالله سأل عن ذلك الموضوع فقيل له: اسمه سامرا، فأراد التفاؤل على عادة العرب، فقال: نسميها سر من رأى، قال العلامة أبو الثناء السيد محمود الآلوسى معقبا «و ما أنكر الحريري غير منكر، قال ابن برى عن ثعلب و ابن الأعرابي: و أهل الأثر يقولون كما قال أيضا: اسمها القديم ساميرا، سميت بسامير ابن نوح- ع- لأنه أقطعه إياها، فكره المعتصم ذلك فغيرها و الأقرب أن يكون التغيير الى سامرا. و حكى بعض أهل اللغة أنها سميت (ساء من رأى) فحذفت همزة ساء و همزة رأى لطول الكلمة و قيل سامرا.

و حكى بعض فيها ست لغات: سر من رأى، ببناء الفعل للمفعول، و (سر من رأى) ببائه للفاعل او (ساء من رأى) و (سامرا) بالقصر و (سامراء) بالمد، و (ساميرا). و فى القاموس (سر من رأى) بضم السين و الراء و بفتحهما و بفتح الأول و ضم الثانى و سامراء، و مده البحرى بالشعر و كلاهما لحن و ساء من رأى، و سراء ممدودة مشددة مضمومة، و النسبة سرمرى و سامرى و سرى. و نقل بعد ذلك من معجم البلدان لياقوت الحموى.

و أنا لم أنقل التعقيب على الحريري على أنه خبر تاريخى صحيح بكماله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٣

بل نقلته لاثبات أن من القدماء من قال بقدم الاسم «سامرا»، و إن كان فى رأيهم أنه «ساميرا» فى اللغة يبدل أحيانا أحد الضعفين ياء كما قالوا «إيبالة» فى الإبالة و هى الحزمة من الحطب و الحشيش، و قالوا أصل الدينار «دنار» بدلالة جمعه على دنانير، و قالوا باطراد فى مصدر «فعل يفعل» تفعيلا، و كان القياس يوجب أن يقولوا «تفعلا» لأن فى الفعل عينا مضعفة، ينبغى ظهورها فى المصدر كما تظهر فى «تفعل تفعلا».

و يعلم مما قدمت أن جميع لغات «سامرا» التى نقلناها، تلك التى يقول فيها ياقوت «سر من رأى و سر من رى و سر من راء و ساء من رأى و سام راه الفارسى و سرور من رأى و سراء» ما هى إلا تلعبات باللفظ و تخريجات منه للتفاوت تارة و للتشاور مرة أخرى، إلا أن تسميته المدينة بسر من رأى غلبت على جميع التسميات لأن المعتصم شاء ذلك، ثم ضعفت بمرور الزمان، فكان من الناس من يسميها «سامرا» و كان منهم من يسميها «سر من رأى» على اعتبار أنه الاسم الصحيح و ليس بذاك، كما بيناه هناك.

و سامرا كثر فيها الأساطير ككل مدينة عريقة فى القدم، فقال حمزة الأصفهاني: «كانت سامراء مدينة عتيقة من مدن الفرس تحمل إليها الاتاوة التى كانت موظفة لملك الفرس على ملك الروم و دليل ذلك قائم فى اسم المدينة لأن (سا) اسم الأتاوة، و (مزة) اسم العدد و المعنى أنه مكان قبض عدد جزيه الرؤوس». فحمزة استنتج تاريخها من تحليل اسمها على الطريقة الفارسية لأن اللغة الفارسية آرية أى تركيبيه لا اشتقاقية كاللغات السامية، و هذا التحليل واه واهن، فانه يقال: ما الباعث على حمل الاتاوة إلى اهل هذه المدينة و

لم تكن من مدن الحدود بين المملكة الفارسية على اختلاف أطوارها و الدولة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٤

الرومية على اختلاف فتوحاتها، لأن الدولة الرومية كانت في غرب المملكة الفارسية، فالأولى أن يكون مكان القبض على الفرات لا على دجلة.

قال ياقوت: «و قال الشعبي: و كان سام بن نوح له جمال و رواء و منظر و كان يصيف بالقرية التي ابتناها نوح-ع- عند خروجه من السفينة ببازبدي و سماها ثمانين و يشته بأرض جوخا، و كان ممره من أرض جوخا إلى بازبدا على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي، و يسمى ذلك المكان الآن (سام راه) يعنى طريق سام. و قال ابراهيم الجيندى: سمعتهم يقولون إن سامراء بناها سام بن نوح-ع- و دعا أن لا يصيب أهلها سوء». فهذه أمثلة لما ابتدع من الأحوال في تاريخ سامراء، و قد نسب بعضها إلى رجال ثقة رغبة في ترويحها بين الناس، و هى طريقة مبتدعى الأساطير المألوفة عندهم المعروفة عند ذوى الأفكار الناقدة.

و من الطريف ما ذكره ابن بشار المقدسى قال: «سامراء كانت مصرا عظيما و مستقر الخلفاء فى القديم، اختطها المعتصم و زاد فيها بعده المتوكل و صارت مرحلة، و كانت عجيبة حسنة حتى سميت سرور من رأى ثم اختصر فليل سرمرى ... فلما حربت و صارت الى ما ذكرنا سميت ساء من رأى ثم اختصرت فليل سامراء». و قال مؤرخ آخر: «حكى فى بعض الكتب أن سر من رأى كانت مدينه عظيمة عامرة كثيرة الأهل فأخربها الزمان حتى حتى بقيت خربة و بها دير عتيق و كان سبب خرابها فيما حكى فى الكتاب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٥

المذكور أن أعراب ربيعه و غيرهم كانوا يغيرون على أهلها فرحلوا عنها» .

الطيرهان

و كانت منطقة سامراء تعرف فى أيام الساسانيين باسم «الطيرهان» قال أحمد بن أبى يعقوب: «كانت سر من رأى فى متقدم الأيام صحراء من أرض الطيرهان لا عمارة بها، و كان بها دير للنصارى بالموضع الذى صارت فيه دار للسلطان المعروفة بدار العامة و صار الدير بيت المال». و قال أبو الحسن المسعودى فى ذكر موضع سامراء: «و هو فى بلاد كورة الطيرهان». و قال أيضا «فانتهى المعتصم الى موضع سامراء و كان هناك للنصارى دير عادى، فسأل بعض أهل الدير عن اسم الموضع، فقال: يعرف بسامراء. قال له المعتصم: و ما معنى سامراء؟ قال: نجدها فى الكتب السالفة و الأمم الماضية أنها مدينه سام بن نوح. فقال له المعتصم: و من اى البلاد هى و إلام تضاف؟

قال: من بلاد طيرهان، و إليها تضاف». و استفاد من وصف ابن سراخيون للنهر الاسحاقى أن الطيرهان كانت تشمل الجانب الغربى من هذه البقعة فقد ذكر ان الاسحاقى كان يمر بطيرهان حتى يجيء الى قصر المعتصم «ص ١٨، ١٩».

و ذكرها ابن خرداذبه قال: «تكرت ... و الطيرهان و السن و الحديثه ...

قال ذلك فى كتبه كور الموصل، و قال قدامة: «و إذ قد أتينا على أعمال المشرق فلنرجع إلى أعمال المغرب فأولها حدّ الفرات تكريت و الطيرهان و السنّ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٦

و البوازيج و ارتفاعها على أوسط العبر سبع مائة ألف ألف درهم» و كرر ذلك فى كتابه .

و هذه المنطقة كانت مشهورة منذ أواخر القرن الأول للهجرة على عهد الوليد بن عبد الملك و من بعده فقد جاء فى أخبار الجاثليق النسطورى (صليبا زخا) أنه كان من أهل الطيرهان و تعلم بالمداين و أنه نصب فثيون الباجرمى أسقفا على الطيرهان. و بقى هذا الاسم مستعملا بعد ذلك بدلالة ان الجاثليق النسطورى سرجيس رتب قيوما تلميذه اسقفا على الطيرهان و فى أيامه قتل المتوكل على الله

العباسي، و كان إيشو عزخا أسقفا بالطيرهان في خلافة المعتمد على الله العباسي، و في الربع الأول من القرن الخامس للهجرة كان إيليا الأول أسقفا على الطيرهان، و في أيام القائم بأمر الله العباسي كان مكبخا بن سليمان القنكاني أسقفا على الطيرهان، و كان نرسي أسقف هذه المنطقة في بعض عهد الناصر لدين الله العباسي «٥٧٥-٦٢٢هـ»، و قرص المغول الدولة العباسية سنة ٦٥٦ و كان عمانوئيل أسقفا على الطيرهان بعد هذا التاريخ. و في بعض عهد الملك أبا قاخان ابن هولوكو (٦٦٣-٦٨٠هـ) كان بريخيشوع مطرانها .

و ذكر ماري بن سليمان مؤرخ كرسى الفطاركة ما يفيد أن «الطيرهان» كانت معروفة بهذا الاسم قبل ٣٩٣ من تاريخ اسكندر المقدوني و هي السنة التي توفي فيها ماري السليح . فالتسمية قديمة قد ترتقى إلى العصر الآرامي و العصر اليوناني بالعراق، و استمرت إلى أواخر القرن السابع للهجرة و لعلها بقيت إلى أكثر منه، إلا أن اسمها مذكور في الكتب النصرانية أكثر مما في الكتب الاسلامية، كما قدّمنا و نقلنا. و طيرهان في صورته اللفظية أقرب إلى اللغة الفارسية منه إلى اللغات السامية، بالضد من سامرا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٧

قدم السكن في سامرا

كانت مدينة «أربيل» الحالية المعروفة في التاريخ الاسلامي ياربيل و في التاريخ الآشوري بأربيل تعد أقدم بلدة مسكونة في عصرنا هذا لاستمرار السكن فيها من العصر الآشوري إلى اليوم و بعده، ثم ظهر في أن سامرا هي القدمى فقد أثبتت التنقيبات الأثرية في أطلالها أن موضعها كان أهلا منذ أدوار ما قبل التاريخ و قد كشف الأستاذ الآثري الألماني هرزفيلد فيها عن مقبرة من تلك الأدوار بين السنّ الصخر و آثار العصر العباسي على نحو من ميل واحد من جنوب دار الخليفة أي دار العامة القائمة الأواوين الثلاثة، و عثر على نوع من الفخار المصبوغ اطلق عليه اسم (فخار سامرا) و هو يمثل دورا من أدوار ما قبل التاريخ المشار إليه آنفا و قد سمي (دور ثقافة سامرا) إضافة تماثيل عثر عليها في تل الصوان في الحفريات الأخيرة يرجع تاريخها إلى الالف السادس قبل الميلاد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٨

له إلى الموضع الأثرى الذي كشف فيه عن هذا الفخار أول مرة ثم عثرت مديرية الآثار العراقية على موضعين آخرين في سامراء يرتقى عصورهما إلى ذلك الزمن، أحدهما في شمالي المقبرة المقدم ذكرها و الآخر في جنوبي سامرا على ضفة دجلة فوق صدر القائم و يسمى تل صوان و قد جاء اسم هذا الموضع في الكتابات الآشورية بصورة «سمراتا -Ur -mar -ta» و كان لهذا الموضع في أيام الفرس شأن كبير في محارباتهم الرومان خاصة و لقربه من النهر المعروف بالقطول الكسروي أي القناة الكسروية .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٩

منطقة سامرا على عهد الساسانيين

استطعنا أن نجد وصفا لمنطقة سامرا على عهد الساسانيين في رحلة الكاتب الرومي «أميانس مرقلانس» فقد رافق هذا الكاتب الحربى الانبراطور «يوليانس» في حملته سنة ٣٦٣ م على بلاد الفرس في عهد الملك «سابور الثاني» المعروف بذي الأكتاف، و قد سار الجيش الرومي من طريق حران ففرقيسيا و الفرات و استولى على حصن عانة و أحرق حصونا و قرى أخرى حتى بلغ مخرج الأنهار التي تتخلج من الفرات لتستقي مناطق بابل و منها نهر الملك و سماء «نهر ملكا» بالصيغة الآرامية و قال إنه يسقى المدائن «كتيزيفون» من الجهة الغربية بالبداهة، و كان الجيش الرومي دائم الازعاج للجيش الساساني لأنه كان يردّ و يصدّ، و الجيش الرومي يسير موغلا في البلاد حتى بلغ الأنبار المعروفة أيامئذ عند الروم باسم «پيري سابور» أي فيروز سابور و قال إنها كبيرة محتشدة السكان، يحيط بها الماء كأنها جزيرة و كانت مسورة بسور مضاعف ذى أبراج و أضلاع و في وسطها حصن مقام على قمة مسطحة لجبل صعب المرتقى، و كان

الحصن محدب الوسط فكان يشبه ترسا أرجوليا و كان مدورا إلا من الجهة الشمالية، فقد كان يسد نقصانه من التدوير صخر قائم في الفرات. و هو تحصين له أيضا، و كانت أفاريز شرف الحصن مبيته بالقير و الآجر، فحاصرها الانباطور يوليانس فكان السكان لا يهابون قوة السهام قد نشروا على السور أبرادا مدلاء و نسجا من الشعر، و كانوا هم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٠

أنفسهم متترسين بترسة من الخيزران جد وثيقة، و مغشاه بجلود الدببة، فكان ذلك من أشد دفاع عن أنفسهم، و أغنتهم عن إتخاذ وجوه من الحديد، و كانت أعضاؤهم مغشاه بصفائح معدنية محكمة التلئيم عليها فهي تقي جميع أبدانهم، و بعد أن تراجعوا إلى حصنهم أخذوا يرمون بسهام خيزران ذات نصول من الحديد عن قسي كبار لا تنثنى إلا ببطء لكبرها ثم يرسلون الأوتار بعد نزع هائل من أصابعهم فأظهر الأنباطور يوليانس كثيرا من الشجاعة في هذا الحصار و لقي أذى في بدنه فأمر بصنع مكينة تسمى هليبول «دبابة» فلما رأى المحصورون هذه الآلة استسلموا، فأمر الانباطور باحراق الموضع كسائر المواضع المأهولة الأخرى.

و بعد أن سار أربعة عشر ميلا- وصل الجيش إلى موضع فيه مزارع قد أخصبتها مياه غزيرة، و كان الفرس قد علموا من قبل بوجهة طريقنا و زحفنا فكسروا سكور المياه فتبطح الماء في الأرض و غمرها فكانها مستنقع واسع، فلذلك اضطررنا لصنع قناطر صغيرة من ظروف جلد المعزى، و قوارب من الجلود و جسور من جذوع النخل، و أكثر هذه البقاع مفروشة كرما و أشجارا مختلفة ثمرة أخرى، و النخل تكون فيها غابات طبيعية تمتد الى ميسان و البحر الكبير، كنا نرى أفنان الثمار في كل مكان، و طلعا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢١

تكون فيه ثمرة و فيرة العسل- يعنى الدبس- و النيذ، و قيل إن النخل يتزوج بعضها بعضا، و يستطيع تمييز النخلة الأنثى من الفحال بسهولة، و إن الاناث تلقح بأن تذر بذور الفحاحيل عليها، و إنها تجد لذة نوعية في ذلك، و الدلالة على هذا أن بعضها منحني نحو البعض الآخر بحيث لا- تفرق بينها أعصف الرياح، و أن الأنثى إذا لم يؤثر فيها الفحال لا تحمل إلا طرح ثمر- يعنى الشيص- و إذا جهل الملقح الفحال الذى عشقته النخلة و جب رش بذر فحال من الفحاحيل على جذعها، فاذا انتشت بهذه الرائحة الطيبة أظهرت أنها تريد الاقتران.

و قد مرّ جنودنا الروم بعدة جزر فوجدوا فيها أقواتا كثيرة، و إذ لم ينفك الفرس يزعجون الامبراطور يوليانس، بلغ الجيش حيث يتشعب قسم كبير من الفرات شعبا كثيرة فوضع النار في مدينة هناك كان اليهود يسكنونها و لكنهم جلوا عنها لأن سورها كان خفيضا جدا. و تابع الامبراطور زحفه حتى وصل «ما أوك ملكا» و هى مدينة كبيرة و محفوفة بسور و ثيق، إن هذه المدينة كانت محصنة جدا و فيها حصن مقام على هضبة من الصخر، المهندس بروج ضخمة هائلة، فنصب عليها يوليانس آلات الحصار، و هرب الذين كانوا يسكنون في ضواحيها إلى المدائن «كتيزيفون» في جذوع منقورة مجوفة و سوق أشجار كذلك، أو في زوارق صغيرة، و نشبت الحرب بين الروم و الفرس ببسالة و حماسة و بشايب السهام و الجلاميد و المشاعل لموقدة و المطارق ذات الرأسين، و أعمل الروم منجنقاتهم و عقاربهم الحربية و كباشهم الحصارية، فاستولوا على الموضع بعد معجزات من الشجاعة، و استعرض الانباطور حامية المدينة بالسيوف حتى أتى عليهم صبيرا، و كان ناس من السكان لاذوا بالمغاور و كانت المغاور كثيرة في هذه النواحي فسد الرومان عليهم منافذ المغاور بالتبن و حطب الكرم و أوقدوا فيها النيران، فهلك أولئك التاعسون اختناقا داخل المغاور.

و واصل الجيش الرومى زحفه ظافرا حتى وصل إلى غياض و مزارع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٢

فيها غلات و فيرة، و كان فيها قصر مبنى على الطراز الرومى فتركه الروم على حاله، و كان في تلك الناحية بعينها حير و هو سور ضخم مدور، قد أنشئ للاستراحات الملوكية، و قد رأينا فيه حيوانات وحشية و أسودا ذات ذوائب و خنازير ذات أنياب قوية، و دبة كالتى تكون في بلاد الفرس، مفترسة بحالة تفوق التصور و كان في الحير حيوانات أخرى عظيمة الخلقة، فكسر الفرسان الروم أبواب الحير و

قتلوا حيواناته ضربا بالسيوف و رميا بالنشاب. و كانت الأرض خصبة و محسنة الزرع و الاستغلال و كانت مدينة «كوثي» و تسمى أيضا «سلوقية» غير بعيدة عن ذلك الموضع، فاجتاز الانباطور يوليانس هذه المدينة المتروكة و كان «ويرس» قد أخربها، و كان هناك عين ماء جارية، قد أحدثت مستنقعا واسعا، يصب ماءه في دجلة، فرأى يوليانس عندها ناسا كثيرا معلقين على المشانق، و كانوا ذوى قرابة الجنود الفرس الذين استسلموا و أسلموا «فيروز سابور» إلى الروم.

و من هنالك انتهى الروم الى شواطئ نهر ملكا الجنوبية و كان «تراجان و سيقين» الأباطوران الروميان قد وسعا مجراه بالكرى و الحفر ليكون قناة عريضة، آخذة مياهها من الفرات و حاملة السفن الى دجلة، و كانت القناة جافة إذ ذاك و مردومة في بعضها بحجارة كبيرة، فأمر يوليانس بكسح الرّدم، فجرى فيها الماء في الحال، و استطاع الجيش الرومي أن يعبر في سفنه الى الضفة الأخرى من دجلة على مرتفعات «كتيزفون»، و ما كاد ينزل يوليانس في الضفة الأخرى حتى اختار للجيش موضع استراحة في حقل موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٣

خصيب زانته شجيرات و كروم و أشجار السرو و الخضرة النضرة، و كان في وسط الحقل قصر للتنزه و ارف الظلال، قد زينت جميع أقسامه بتصاوير تزويقيّة مستحسنه، تمثل الملك في صيده قاتلا حيوانات وحشية، ذلك لأن الفرس لا يصورون و لا ينحتون إلا مناظر المذابح و مشاهد الحرب.

و بالقرب من «كتيزفون» أدار الانباطور رحي حرب طحون هزم فيها الفرس- و على حسب وصف أمانس للعدو أى الفرس يعترف الانسان بصدق المنحوتات و التصاوير التي في خورص آباد ففيها صور فيلة- إن الأباطور الظافر طارد العدو حتى سور «كتيزفون» إلا أنه عدل عن حصارها لأمرين أحدهما هو أنها متعذرة الفتح و الآخر هو أن الملك سابور (الثاني) قد اقترب من جيش الروم في جيش عرمرم فأحرق يوليانس سفنه و ابتعد عن دجلة، للتوغل داخل البلاد، فأحرق الفرس بيادر حصادهم ليهلكوا بالقحط، فلم يجد يوليانس في آخر الأمر بدا من النكوص، و فكّر في أى طريق يسير؟ أينكص من موضعه هذا بمروره في بلاد «أفور» أى آشور محاذيا الجبال أم يتقدم في نواحي «كوردوين» فيعيث في «شيلوكوم» إن العزّافين لم يشيروا بهذا و لا بذلك، على أن الأباطور سار في جيشه «في اليوم السادس عشر من حزيران سنة ٣٦٣ م» متقدما نحو أصقاع «كوردوين» و في ذلك اليوم هب إعصار من التراب أشعرا باقتراب قطعان من حمر الوحش أى الفراء، و هي كثيرة الوجود في هذه الأصقاع، و كانت قد تجمعت على ذلك النحو لتقاوم هجمات الأسود، فاستراح الجيش يومين عند القصر الصيفي «همبرا» فهناك وجد كثيرا من الأقوات ثم استأنف السير و بعد أن قطع سبعين استادا بلغ مارنكا. قال أمانس: و لما تبلج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٤

الصبح بان لنا جحفل كبير من الفرس يقودهم «ميرين» أى مهران مقدّم الفرسان مع ابنين من أبناء الملك سابور و جماعة كثيرة من الأشراف و كانت هذه الفرق مدججة الصدور بالحديد و كل أعضائها مغطاة بالصفائح المعدنية المعدنيّة التامة التطبيق على المفاصل، و قد غشوا رؤوسهم بأغشية تشبه الوجوه البشرية و هي من الصلابة و القوّة و من كونها حرشنيّة الشكل بحيث لا تنفذ فيها السهام إلا من وصاص العين، فالذين يقاتلون بالحرب كانوا ثابتين لا يتحركون من مواضعهم كأنهم مربوطون بالسلاسل النحاس و كان بالقرب منهم الرّماة، و كانوا يبرزون سواعدهم و ينزعون في قسيهم المتأطرة السهلة الانحناء بحيث تمس الأوتار حملات ثندواتهم اليمن على حين يمسكون بأيديهم اليسر نصال السهام الخيزران فتطير و لها صفير و تحدث جروحا خطيرة، و وراء الرّماة كانت الفيلة مجهزة بأجهزة حربية فخمة، و كانت خراطيمها الرهيبة تنشر الهول و تبث الرعب و خصوصا في الخيل و ذلك بصيّها و نعيمها و رائحتها و منظرها المستغرب. و كان فيالوها يحملون بأيديهم اليمن سكاكين ذات نصب، كانوا استعملوها منذ الهزيمة التي أصابتهم بازاء نصيبين، فاذا هاج هذا الحيوان عصى فياله، و لمنعه من أن يطأ الجيش بارتداده و يسحقه بدلا من أن يعينه يقتله الفيال بأن يغرز المديّة بشدّة في المستوى الأفقى من الفقارة للفقارة التي تصل بين الرقبة و الرأس.

إن التجربة أثبتت للقائد «هاسدرو بعل» أخى «هنى بعل» أنه على هذا النحو يستطيع قتل هذا الحيوان قتلا وحشيا.

و إذ كان من عادة الفرس أن يقاتلوا أعداءهم على بعد لم يثبت الجيش الفارسى لصدمة الجيش الرومى، فتهارب جنودهم كالمطر تفرقه الريح،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٥

و كانوا فى أثناء هربهم يرشقون بسهام إلى ورائهم لكى يمنعوا الروم من أن يتعقبوهم. و بعد هذه الوقعة استراح الجيش الرومى ثلاثة أيام، و فى أثناء هذه الفترة ارتاع الانبراطور يوليانس من خوارق سماوية نارية و شهب هاوية راجمة، فقوض خيام جيشه باليوم الرابع للرحيل، و واصل سيره محترزا الاحتراز المألوف. فلم يلبث أن أنبىء بأن ساقه الجيش قد هجم عليها الفرس فأخذ ترسا و أسرع إلى الجانب المهدد من الجيش و لم يلبس درعا، و فى ذلك الوقت أيضا هجمت على قلب جيشه فرقة من الفرس «الفرثيين» مسلحة بكل سلاح، و فى وسط هذه الملحمة أصابته ضربة مزراق نفذت الى كبده من خلال الضلوع فانتزعه مى كبده بعد أن انقطعت أوتار أصابعه لعسر انتزاعها عليه، فحمل مرتثا إلى المخيم و فيه ضمّدوا جرحه، و لما شعر بتناقص الألم امتطى هذا الأنبراطور المقدام فرسا و لكن خور قوته خان شجاعته، فانتقض جرحه، و نزفه دم كثير، فحمل ثانية إلى المعسكر و هناك أسلم روحه بعد أن نطق بهذه الأقوال البديعة:

«أنا غير نادم على شىء، و لا آسف على شىء أتيت به سواء فى ذلك زمن نفى و زمن أخذى بزمام الحكم فى الانبراطورية، فأنا تسلمتها من الخالدين وديعة و افتخر بأنى حافظت عليها نقيه، و ذلك بالحكم فيها باعتدال بحيث لم آت أو لم أؤيد الحرب قط الا بعد اختبار نضيج، فان كانت الغلبة أو الفائدة التى كنت آملها لم تناسب ما كنت انتظره فان الحوادث من صنع الآلهة، و إيمانى بأن الحكومة العادلة ليست لها غاية سوى منفعة شعبها و سعادته، كنت و أنتم تعلمون ذلك، كثير الميل إلى السلام. و قد نزهت سيرتى عن الاباحة الخلقية المخربة و الاباحة المبيدة فى الأشياء، إن الجمهورية التى عدتها دائما أما حاكمه عزضتنى للخطر فى كل ناحية من نواحيها، فصمدت إليه بسرور

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٦

و تعودت ازدراء سخط الحظ، و للناس الحق فى أن يعدّوا من يريد الموت، حين يجب أن لا يراد، جبانا ندلا، و كذلك من يخافه حين ينبغى أن يتقبله برضا، إن قوتى لا تعيننى على أن أقول أكثر من ذلك، لقد تعمدت أن لا أسمى أحدا لولاية الحكم بعدى، إن أكن مستطيعا أن لا أعين من هو الأحق بالحكم، أو أسمى الأجدر به معرّضا له لأعظم خطر بهذا التفضيل فانى مع ذلك كالولد الشفيق الذى يتمنى أن تجد الجمهورية لنفسها رئيسا تراه أهلا لها بعد موتى.

قال أميانس مرقلانوس: فهل فى العالم كثير من الرؤساء يستطيعون أن يقولوا كهذه الأقوال؟ و لما مات يوليانس لم يكن له من العمر إلا اثنتان و ثلاثون سنة كعمر الاسكندر فى بابل، إن الموضع الذى هلك فيه ينبغى أن يكون قريبا جدا من بغداد .

و انتخب الجيش الرومى يوينيانس لرئاسة الانبراطورية بعد حدوث عدّة دسائس، فعقد معاهدة مخزية مع ملك الفرس سابور المذكور التزم فيها الروم أن يردوا على الفرس فيما يردون الأصقاع الخمسة فى غربى دجلة و هى الأرزن و ماكسين و زبديسين و رهمين و كورداسين، و كانت مدة الصلح ثلاثين سنة، و كان من شروط هذه المعاهدة أن يتخلى الروم عن جميع فتوحهم فيما بين النهرين حتى نصيبين، فنقل سكانها إلى آمد، إن ارتداد الجيش الرومى يحتوى على قليل من الأحداث المعبرة، إن عدّة إشارات خطيّة، مستحقّة للتدقيق من حيث الصحة، إلى المواضع، يمكن لها فى سهولة و يسر، تعرّف طريق الروم فى ذلك النكوص، فبعد انتخاب «يوينيانس» بلغ الجيش قبيل المساء و الفرس يزعجونه دائما، حصن «سوميز» Sumeze فهناك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٧

اتصل به أشرف خدمة القصر الجمهورى و كانوا قد التجأوا إلى حصن «وكت». و فى اليوم التالى لهذا اليوم خيم الرومان فى واد

يبدو للناظر محوَّط بسور و ليس له إلا- مخرج واسع بعض السعة، فغرز الجيش فيه، كما يدور، أوتادا مؤلَّلة الرؤوس، و بالليله التالية لذلك اليوم خيم الجيش في «كرخا» و كان حيا لها باشورات من التراب أى حواجز ترابيه، فى طفوفها الشاطيه لمنع العرب من العدوان على بلاد آشور، ثم سار الجيش ثلاثين استادا فوصل إلى «دور»، و هى مدينة فلبث فيها أربعة أيام، و فى أثناء هذه الاقامة عبرت بالليل نهر دجلة من الجيش كتيبه ثقيله مؤلفه من رجال سباحين، و هزمت العدو الموكل بحفظ ضفة النهر، هذه الضربة ضربها الجيش الرومى فى أثناء زيادة الماء خاصه، لأن الوقت كان فائظا، و سرعان ما عبر الجيش كله فمنهم من عبر بانحراف سباحه و عوما و منهم من عبره على زقاق المعزى و آخرون حاولوا قيادة الكراع أى حيوانات النقل، فكانوا يعومون هنا و هناك على إبالات من الصفصاف، و آخر الأمر أنهم بلغوا الضفة اليمنى لدجلة، عدا الذين هلكوا فى هذه العبيرة . و بعد مسيره سريعه وصل الجيش الى «حضرا» أى الحضير، مدينة عتيقه قائمه فى صحراء و مهجوره منذ زمن بعيد، و كان الانباطور «تراجان» و الانباطور «سيفير» حاولا تدميرها فهلكا مع جيوشهما. قال أميانس: و علمنا أن طول هذا السهل الفاصل سبعون فرسخا، فليس فيه إلا ماء ملح آسن و لا طعام إلا القيصوم و الشيح و اللوف و أعشاب أخرى قليله التشيهيه. و فى آخر مسيره كان أمدها سته أيام لم نجد

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١٢، ص: ٢٨

شيئا حتى العشب، و لحسن حظنا التحق بنا فى حصن «أور» الاطربون موريتيوس و دوق ما بين النهرين كاسين و أنقذانا من الجوع بما جاء به إلينا من الأزواد، و لكنها سرعان ما نفذت و كدنا نأكل اللحوم البشريه لو لم يبق معنا لحم الحيوانات التى قتلناها بعض الزمان، و مع ذلك تابع الجيش سيره، فبلغ بعد أن كابد كثيرا من الجوع «تيسالفاتا» و من ثم وصل إلى نصيين و فيها انتهت الأسوء التى أصابته، ثم دفن «پروكوپ» جثه الانباطور يوليانس فى ربض «تارز» على حسب مراده. و توفى يوينياس بعد برهه قصيره فى دودستان على سنكارايوس، المدينة التى تفصل «بثينى» «عن كلاتى» .

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١٢، ص: ٢٩

ديارات سامرا و القاطول الكسروى

إشارة

كانت ديارات سامرا و نواحيها أقدم المواضع المسكونه قبل إنشاء المعتصم بالله مدينة الجديدة فيها و كانت الديارات كما هو معلوم تقام على ضفاف الأنهار الكبيره و القنوات، و لذلك كان القاطول الكسروى أقوى أسباب السكن هناك و أدعى الدواعى إلى إنشاء الديارات فلا- حياه بغير ماء و لا نبات، قال ابن رافيون فى معرفه الأنهار التى تحمل من دجلة و إليها تصب: «و يحمل منها أيضا من شرقها (القاطول الأعلى الكسروى) أو له أسفل من دور الحارث بشىء يسير، مما س لقصر المتوكل على الله المعروف بالجعفرى و عليه هناك قنطره حجاره ثم يمر إلى الايتاخيه و عليه هناك قنطره كسرويه ثم يمر الى المحمدية و عليه هناك جسر زواريق ثم يمر إلى الأجمة: قرية كبيرة ثم يمر إلى الشاذروان ثم يمر إلى المأمونية و هى قرية كبيرة ثم يمر الى القناطر. و هذه قرى عامرة و ضياع متصله ثم يمر إلى قرية يقال لها (صولا) و باعقوبا و يسمى هناك

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١٢، ص: ٣٠

تامرا ثم يمر إلى باجسرا و يجىء إلى الجسر المعروف بجسر النهروان و يعرف النهر هناك بالنهروان ثم يمر إلى الشاذروان الأعلى ثم يمر إلى جسر بوران ثم يمر إلى عبرتا ثم إلى برزاطيه ثم إلى الشاذروان الأسفل . و هذه قرى و ضياع جليله، ثم يمر إلى إسكاف بنى الجنيد و هى مدينة فى جانبيين و النهر يشقها ثم يمر بين قرى متصله و ضياع ماده إلى أن يصب فى دجلة أسفل ما ذرايا بشىء يسير فى

الجانب الشرقي» .

و قال ياقوت الحموي: «القاطول فاعول من القطل و هو القطع ...

اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة و هو نهر كان في موضع سامرا قبل ان تعمر كان الرشيد أول من حفر هذا النهر و بنى على فوهته قصرا و سَمَّاه (أبا الجند) لكثرة ما كان يسقى من الأرضين و جعله لأرزاق جنده ... و فوق هذا القاطول (القاطول الكسروي) حفره كسرى أنو شروان العادل، يأخذ من جانب دجلة في الجانب الشرقي أيضا و عليه أيضا شاذروان فوقه يسقى رستاقا بين النهرين من طسوج بزرج سابور و حفر بعده الرشيد هذا القاطول الذي قدمنا ذكره تحته مما يلي بغداد و هو أيضا يصب في النهران تحت الشاذروان قال جحظة البرمكي يذكر القاطول و القادسية المجاورة لها:

ألا هل الى الغدران و الشمس طلقة سيبيل و نور الخير مجتمع الشمل؟

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣١ و مستشرق للعين تغدو ظباؤه صوائد الباب الرجال بلا نبل

إل شاطيء القاطول بالجانب الذي به القصر بين القادسية و النخل

إلى مجمع للطير فيه رطانه يطيف بها القناص بالخيل و الرّجل

فحانه مر عبد اليهودى إنهما مشهرة بالراح معشوقة الأهل

و كم راكب ظهر الظلام مغلس إلى قهوة صفراء معدومة المثل

إذا نَفَذَ الخمار دنا بمبزل تيننت وجه السكر في ذلك البزل

و كم من صريع لا يدير لسانه و من ناطق بالجهل ليس بذى جهل

ترى شرس الأخلاق من بعد شربها جديرا ببذل المال و الخلق السهل

جمعت بها شمل الخلاعة برهه و فرقت مالا غير مصغ إلى عدل

لقد غنيت دهرا بقربى نفيسة فكيف تراها حين فارقتها مثلي؟

و قد ورد ذكر القاطول في شعر على بن الجهم و البحتري و غيرهما و في عدة تواريخ .

و القاطول الكسروي له صلة بنهر يكاد يكون خياليا لأن اسمه يعني كل انكسار كان يحدثه الفيضان في ضفته اليسرى، قال ياقوت: «القورج:

بالضم ثم السكون وراء مفتوحة و جيم، هو نهر بين القاطول و بغداد منه يكون غرق بغداد كل وقت تغرق. و كان السبب في حفر هذا

النهر أن كسرى لما حفر القاطول أضرب ذلك بأهل الأسافل و انقطع عنهم الماء حتى افتقروا و ذهبت أموالهم، فخرج أهل تلك

النواحي إلى كسرى يتظلمون إليه مما حل بهم، فوافوه و قد خرج منتزها، فقالوا: أيها الملك إننا جئنا نتظلم. فقال:

ممن؟ قالوا: منك، فثنى رجله و نزل عن دابته و جلس على الأرض،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٢

فأناه بعض من معه بشيء يجلس عليه، فأبى و قال: لا أجلس إلا على الأرض إذ أتاني قوم يتظلمون مني. ثم قال: ما مظلمتكم؟ قالوا:

حفرت قاطولك فخرّب بلادنا و انقطع عنا الماء، ففسدت مزارعنا و ذهب معاشنا. فقال:

إني أمر بسده ليعود اليكم ماؤكم. قالوا: لا نجشّمك أيها الملك هذا فيفسد عليك اختيارك و لكن مر أن يعمل لنا مجرى من دون

القاطول. فعمل لهم مجرى بناحية القورج يجري فيه الماء، فعمرت بلادهم و حسنت أحوالهم، و أما اليوم فهو بلاء على أهل بغداد

فانهم يجتهدون في سده و احكامه بغاية جهدهم، و إذا زاد الماء فأفرط بثقه و تعدى إلى دورهم و بلدهم فخرّبه».

و اختصر ابن عبد الحق كلام ياقوت و لم يعقب عليه و لا ذكر فوهة نهر القورج أين كانت فيما بين القاطول و بغداد و لا كون هذا

النهر جاريا أو مندرسا أو مندفا في زمانه بخلاف عادته مع أنه لما ذكر وصف ياقوت للقاطول الكسروي عقّب عليه باستحالة امتداده

إلى نواحي بغداد كما زعم ياقوت، وقد نقلت ذلك التعقيب في حاشية سابقة. والعجيب في أمر هذا النهر الخيالي أنه لم يرد ذكره في تاريخ سوى من نقل من معجم ياقوت الحموي ومنهم مؤلف عجائب المخلوقات «ص ١٦٣». ومؤلف جريدة العجائب «ص ١١١» ومؤلفات المرصد من التواريخ ولا ذكرت عليه قرية من القرى ولا ضيعة من الضياع ولا رآه جغرافي ولا بلداني ولا سائح من القدامى ولا من المتأخرين، وكل ما ذكر من أخباره أنه انكسار عام في ضفة دجلة، ليس له موضع معلوم ولا مجرى خاص، ويسمى بالعربية «البثق» قال ابو الفرج بن الجوزي في حوادث سنة ٤٦١؛ «و في جمادى الأولى بلغت زيادة الماء إحدى وعشرين ذراعا و ثلاثين و بلغ إلى الثريا، و فجرت (بثقا)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٣

فوق الدار المعزية و بلغ الماء الى مشهد الندور و مشهد السبتي « فهذا البثق كان يسمى باصطلاح ذلك العصر «القورج» و قد سماه المؤرخ نفسه بعد ذلك «القورج» قال في حوادث سنة ٤٦٦: «و في جمادى الآخرة ورد الحاجب السلیماني من عكبرا فدخل الديوان، فرسم له تدارك القورج الذي هو فوق الدار المعزية و كانت دجلة قد زادت زيادة مفرطة و اتصل المطر بالموصل و الجبال و نودي بالعوام أن يخرجوا معه لذلك. فخرج من الديوان و أراد قصد الموضع فرأى الماء قد حجز بينه و بين الطريق، فرجع إلى دار المملكة و جلا و جمع زواريق و طرح فيها رحله ليعبر فيهرب...».

فقلوه «القورج الذي هو فوق الدار المعزية» يدل على أن القورج لم يكن واحدا و أنه اسم جنس عام، و أنه بثق يجوز أن يحدث في كل موضع من الضفة يثلمه الماء و مما نذكره هنا للبرهنة على ذلك أن أبا الفرج ابن الجوزي قال في حوادث سنة ٤٨٩: «و في هذه السنة حكم المنجمون بطوفان يكون في الناس يقارب طوفان نوح... فقبل ما يجتمع في بلد ما يجتمع في بغداد و ربما غرقت فتقدم باحكام المسنيات و المواضع التي يخشى منها الانفجار، و كان الناس ينتظرون الغرق». و قال ابن تغري بردي في كلامه على هذه الحادثة:

«فأمر الخليفة بأحكام المسنيات و سد القوارج و كان الناس يتوقعون الغرق».

فقلوه: «و سد القورج أو القوارج» يفسيه قول ابن الجوزي «بأحكام المسنيات و المواضع التي يخشى منها الانفجار». و هذا المؤرخ نفسه يقول

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٤

في حوادث سنة ٥١٦: «و في هذه السنة زاد الماء حتى خيف على بغداد من الغرق و تقدم الى القاضي أبي العباس بن الرطبي بالخروج الى القورج» و مشاهدة ما يحتاج إليه، و لهذا (القورج) الذي غرق الناس منه في سنة ست و ستين (و أربعمائة) تولى عمارته نوشتكين خادم أبي نصر بن جهير و كتب اسمه عليه و ضرب عليه خيمة و لم يفارقه حتى أحكمه و غرم عليه ألوف دنانير من مال نفسه... و في يوم الاربعاء رابع عشر صفر مضى الوزير أبو علي بن صدقة و معه موكب الخليفة الى القورج و اجتمع بالوزير ابي طالب و وقفا على ظهور مراكبهما ساعة ثم انصرفا. .

و قال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٦٦ المذكورة آنفا: «في جمادى الأولى زادت دجلة زيادة عظيمة لم يعهد مثلها و أمر الخليفة العوام بالخروج مع الحاجب (السلیماني) أيتكين إلى عمل القورج، فخرجوا، و إذا بالماء قد أقبل مثل الجبال، فرجع أيتكين و الناس، و جمع الزواريق و جعل فيها رحله و رحل أصحابه...» ثم قال: «و انكسر القورج على دار الخلافة و صار كالبحر ثم جاء من ناحية الجانب الغربي من الفرات» فتأمل قوله:

«ثم جاء من ناحية الجانب الغربي من الفرات» لتتحقق انه أراد مطلق انبثاق سد الماء أو ضفة النهر في أي موضع كان. و قال عز الدين ابن الأثير في حوادث السنة المذكورة- أعنى سنة ٤٦٧-: «في هذه السنة غرق الجانب الشرقي و بعض الغربي من بغداد و سببه أن دجلة زادت زيادة عظيمة و انفتح القورج عند المسناة المعزية و جاء في الليل سيل عظيم و طفح الماء من البرية مع ريح شديدة و جاء

الماء الى المنازل من فوق، و نبع من البلايع و الآبار بالجانب الشرقي و هلك خلق كثير تحت الهدم ...» .

و قال العماد الأصفهاني في حوادث سنة ٥٥٤: «و عند عودة المقتفى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٥

غرقت بغداد و ذلك في شهر ربيع الأول سنة ٥٥٤ و ذلك لأن الماء زاد في تلك السنة على خلاف عادته و تهوّر بثق القورج و تقوّر و غلب و بلغ السور من صوب الظفريّة و تسوّر و طاف بتلك النواحي طوفان نوح ... و ركب الوزير و أرباب الدولة فصدّوه و سدّوه» .
و قال أبو الفرج ابن الجوزي في حوادثها: «و في ثامن عشر ربيع الأول كثر المدّ بدجلة و خرق القورج و أقبل الى البلد و امتلأت الصحارى و خندق السور و أفسد الماء السور ففتح فتحه ...» ثم قال في حوادث سنة ٥٦٩: «و في غرة رمضان زادت دجلة زيادة كبيرة ... ثم زاد الماء في يوم الأحد عاشر رمضان فزاد على كل زيادة ...

و تقدم بالعوام (أن) يخرجوا بالوعاظ الى القورج ليعملوا فيه فخرجنا و قد انفتح موضع فوق القورج بقرية يقال لها الزورتيه و جاء الماء من قبله فتداركه الناس فسدوه و بات عليهم الجند و تولى العمل الأمير قيماز بنفسه و حده ثم انفتح يومئذ بعد العصر فتحه من جانب دار السلطان و ساح الماء فملاً الجواد ثم سدّ بعد جهد»،

و قال عز الدين بن الأثير في حوادث سنة ٥٥٤: «في هذه السنة ثامن ربيع الآخر كثرت الزيادة في دجلة و خرق القورج فوق بغداد و أقبل المدّ إلى البلد فامتلأت الصحارى، و خندق البلد و أفسد الماء السور» . ثم قال في حوادث سنة ٥٦٨: «في هذه السنة زادت دجلة زيادة كثيرة أشرفت بها بغداد على الغرق في شعبان ... و اشتغل الناس بالعمل في القورج ثم نقص و كفى الناس شرّه» ثم قال في حوادث سنة ٥٦٩: «و زادت دجلة زيادة عظيمة و كان أكثرها ببغداد ... و خاف الناس الغرق و فارقوا البلد و أقاموا على شاطئ»
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٦

دجلة خوفاً من انفتاح القورج و غيره، و كانوا كلما انفتح موضع بادروا بسدّه» ، و جاء في كتاب آخر: «ثم إن دجلة زادت زيادة عظيمة في سنة أربع و خمسين في خلافة المقتفى لأمر الله و انفتح القورج و احاط بالسور» و ورد في مختصر الدول في حوادث سنة ٥٥٤: «و في سنة أربع و خمسين (و خمسمائة) ثامن ربيع الآخر كثرت الزيادة في دجلة و خرج القورج ببغداد فامتلأت الصحارى و خندق البلد و وقع بعض السور».

و قال عز الدين ابن الأثير في حوادث سنة ٦١٤: «و فيها زادت دجلة زيادة عظيمة لم يشاهد في قديم الزمان مثلها و أشرفت بغداد على الغرق، فركب الوزير و كافة الأمراء و الأعيان و جمعوا الخلق العظيم من العامة و غيرهم لعمل القورج حول البلد و قلق الناس لذلك و انزعجوا و عابوا الهلاك و أعدوا السفن لينجوا فيها» ، ثم قال في حوادث سنة ٦٢٣: «و فيها في ربيع الأول زادت دجلة زيادة عظيمة و اشتغل الناس باصلاح سكر القورج و خافوا فبلغت الزيادة قريبا من الزيادة الأولى ثم نقص الماء و استبشر الناس» .

و جاء في حوادث سنة ٦٤٦ لمؤرخ ينقل من تاريخ ابن الساعي: «و في السابع و العشرين من شوال زادت دجلة زيادة عظيمة و أغرقت بالجانب الغربي الدور و الدكاكين و المساكن و الحمامات ... و أمر الخليفة على نائب المخزن بملازمة القورج و إحكامه، و أطلق من الديوان ذهب لاقامته الرجال و لزوم العمل ليلا و نهارا و خرج الوزير في غرة ذي القعدة مسرعا قاصدا للقورج و تتابع خروج الناس في أثره و نزل عن مركوبه و حمل باقه حطب و سار إلى آخر القورج و نبه الناس على المواضع المستضعفة منه و نقص الماء في ذلك اليوم أربع أصابع» . و جاء في كتاب الحوادث في الحادثة نفسها: «و كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٧

من حيث تزايد الماء في دجلة تقدّم باحكام القورج و خرج الوزير ابن العلقمي إلى هناك و نزل عن فرسه و حمل باقه حطب فوافقه كافة الناس و اشتد العمل فاتفق أن دجلة نقصت» . و قال الخزرجي في حوادث سنة ٦٥٢ ناقلا أيضا: «و في شهر ربيع الأول انفتحت فتحه في القورج أغرقت قرية يحيى و ما يجاورها ثم انفتحت في السبت فتحه أخرى أغرقت عدة نواح بنهر عيسى و نهر الملك ثم

زادت الفرات زيادةً تجاوزت المقدار المعتاد» .

وجاء في الحوادث في سنة ٦٥٤: «في هذه السنة زادت دجلة زيادةً عظيمةً و انفتح في القورج فتحه كبيرةً عجز من يتولاها عن استدراكها فركب الوزير و كافة الولاة معه و أخذ الوزير في يده باقةً شوكة، ففعل سائر العالم مثل ذلك و لم يقع التمكن من سدّها فتركت و انهزم الناس كلهم و الماء في أثرهم و أحاط ببغداد». و قال الخزرجي في حوادث سنة ٦٥٤: «و زادت دجلة إزيادةً أغرقت الجانب الغربي و وقع به دور كثيرةً و انفتح في القورج بعد حكامه فتحه عظيمةً و منع الناس من تداركها، و توالى الأهويةً و خرج الوزير و كافة الناس و أرادوا سدّ الفتحه فتعذر الوصول إليها» .

و قال مؤلف الحوادث في أخبار سنة ٦٧٤: «و فيها زادت دجلةً و غرق ببغداد عدّةً أماكن و انفتح في القورج فتحه عظيمةً، فخرج علاء الدين صاحب الديوان و كافة الولاة و الأكابر و العوام و أخذ الصاحب باقةً شوكة و وضعها على فرسه فلم يبق أحد الا فعل مثله و نزل الصاحب و عمل بيده و تكاثر الناس و تساعدوا فاستدركوها و سدّوها» .

و ورد في حوادث سنة ٧٦٥هـ، أن الخواجه أمين الدين مرجان بن عبد الله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٨

نائب السلطان أويس ابن السلطان الشيخ حسن الكبير ببغداد «قد فتح سدود دجلة فأغرق أطراف بغداد لمسافة أربع ساعات، فقد كسر سد القورج و قطع الطريق، فلم يتمكن السلطان أويس من الاستيلاء على البلد و مضت أيام و الوضع في توقف و لم يتيسر الأمر» . و مما يدل على شيوع اسم القورج أنه كان بالقرب من واسط موضع يعرف بباب القورج منذ العصر الأموي فقد جاء في حوادث سنة ١٢٧ في حرب الخوارج ما هذا نصه «فشد منصور بن جمهور على قائد من قواد الضحّاك كان عظيم القدر في الشراء يقال له عكرمة بن شيبان فضربه على باب القورج فقطعه باثنين فقتله» . و ذكر المقرئ أن عبد الله بن ميمون القداحي - اعنى عبد الله - «كان أصله من موضع بالأهواز يعرف بقورج العباس» .

و قال الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال - رح -: «لم أجد في المراجع التي بين يدي تعريفاً لموضع هذا البلد». قلت ذكره الطبرى في حوادث سنة ٢٥٨ في أخبار صاحب الزنج و قتل صاحبه يحيى بن محمد البحراني، و يفهم من النص التاريخي أنه كان في نواحي البصرة لا في الأهواز قال:

«فلما قربوا من نهر العباس جعل يحيى بن محمد سليمان بن جامع على مقدمته فمضى يقود أوائل الزنج و هم يجرون سفنهم يريدون الخروج من نهر العباس و فى النهر للسلطان شذوات و سميريات تحمى فوهته من قبل أصغجون و معها جمع من الفرسان و الرجالة فراعهم و أصحابه ذلك، فخلّوا سفنهم و ألقوا أنفسهم فى غربى نهر العباس و أخذوا على طريق الزيدان ماضين نحو عسكر الخبيث و يحيى غاز بما أصابهم، لم يأت علم شيء من خبرهم و هو متوسط عسكره و قد وقف على فنطرة قورج العباس» .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٩

دير سامرا

و الآن نشرع فى ذكر ديارات سامرا العتيقة فقد كانت أقدم زمانا من «سامرا المعتممة» و المألوف فى انشاء الديارات أن تكون على ضفاف الأنهار و القننى فى الأرضين الخصبة لتسهيل العيش على الرهبان و الراهبات، و القدرة على القيام بضيافة المضطرين من أهل الأسفار و الطّراء و المنقطعين، فأول دير نذكره هو «دير سامرا» فأننا لم نجد له اسما و لكننا وجدنا له ذكرا فى الأخبار فقد ذكر جماعة من المؤرخين أن المعتممة اشترى ديرا بسامرا و بنى فى أرضه و صار هذا الدير بعد إنشاء دار العامة فى أرضه «بيت المال» و لكنهم لم يذكروا اسم هذا الدير الشائع أيامئذ و لا اسمه الحقيقي فمن الديارات ما كان يشيع له اسم غير اسمه الحقيقي بسبب قوى من أسباب

الشيوع، قال يعقوبى وهو والبلاذرى أقدم من أرخ إنشاء سامرا المعتصم: «وخرج المعتصم الى القاطول فى النصف من ذى القعدة سنة (٢٢٠) فاخط موضع المدينة التى بناها وأقطع الناس المقاطع وجدّ فى البناء حتى بنى الناس القصور والدور وقامت الأسواق ثم ارتحل من القاطول إلى (سر من رأى) فوقف فى الموضع الذى فيه (دار العامّة) وهناك (دير) للنصارى فاشتري من أهل الدير الأرض واخط فىه وصار إلى موضع القصر المعروف بالجوسق على دجلة فبنى هناك عدة قصور للقواد والكتاب وسمّاها بأسمائهم». وقال فى كتاب البلدان: «قال أحمد بن أبى يعقوب: كانت سرّ من رأى فى متقدم الأيام صحراء من أرض الطيرهان لا عمارة بها وكان بها دير للنصارى بالموضع الذى صارت فيه دار السلطان المعروفة بدار العامّة وصار الدير بيت المال» وكّرر الحديث عودا على بدء فقال: «ثم ركب المعتصم متصيدا فمرّ فى مسيره حتى صار إلى موضع (سرّ من رأى). صحراء من أرض الطيرهان لا عمارة بها ولا انيس فيها إلا دير للنصارى فوقف بالدير وكلم من فيه من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٤٠

الرهبان وقال: ما اسم هذا الموضع؟ فقال له بعض الرهبان: نجد فى كتبنا المتقدمة أن هذا الموضع يسمى (سرّ من رأى) وأنه كان مدينة سام بن نوح وأنه سيعمر بعد دهور على يد ملك جليل مظفر منصور له أصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاة ينزلها وينزلها ولده...» .

وجاء فى تاريخ الطبرى «ذكر عن أبى الوزير أحمد بن خالد أنه قال:

بعثنى المعتصم فى سنة ٢١٩ وقال لى: يا أحمد اشتر لى بناحية سامرا موضعا ابني فيه مدينة فانى أتخوف أن يصيح هؤلاء الحربية صيحة فيقتلون غلمانى، حتى أكون فوقهم فان رابنى منهم ريب أتيتهم فى البرّ والبحر حتى آتى عليهم.

وقال لى: خذ مائة ألف دينار. قلت: أخذ خمسة آلاف دينار فكلما احتجت إلى زيادة بعثت اليك فاستردت. قال: نعم. فأتيت الموضع فاشتريت سامرا بخمس مئة درهم من النصارى أصحاب الدير واشتريت موضع البستان الخاقانى بخمسة آلاف درهم واشتريت عدة مواضع حتى أحكمت ما أردت ثم انحدرت فأتيته بالصكاك فعزم على الخروج إليها فى سنة (٢٢٠) فخرج حتى إذا قارب القاطول ضربت له فيه القباب والمضارب وضرب الناس الأخبية ثم لم يزل يتقدم وتضرب له القباب حتى وضع البناء بسامرا فى سنة (٢٢١). فهذا الخبر يؤكّد وجود الدير وابتياح المعتصم له ولمرافقه وثبت وجود عمران فى تلك البقعة لا كونها صحراء لا عمارة بها ولا انيس كما زعم يعقوبى وإنما كانت هناك قرى منشأة على الأنهار كالقاطول الكسروى وفروعه.

ولم أجد فى المراجع النصرانية ولا كتاب الديارات للشابشتى ولا غيره

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٤١

من الكتب التى أرخت الديارات ذكرا لدير سامرا، كما سميته انا، فمارى ابن سليمان مؤرخ الفطركة النساطرة وهم اهل المذهب النصرانى الغالب بالعراق أيامئذ يقول: «و فى السنة الثانية من خلافة المعتصم وقع الحريق ببغداد و تلفت أموال التجار قريبا و بعدا و لم يمكن طفية- يعنى إطفاءه- و اخرج المعتصم مالا و سلّمه الى قاضيين لاستحلاف كل إنسان على ما ذهب له و يدفع إليه خمسه، و خرج إلى الطيرهان للتصيد و صاد و جعل فى أعناق السباع الأطواق الحديد و وسم على أفخاذ الطباء و حمير الوحش اسمه و استطاب الموضع و ابتاع من سكان ذلك الموضع النصارى الخرابات المتصلة بالمطيرة و جدّد بناء «سرّ من رأى». و لم يذكر ديرا بعينه بل ذكر خرابات كما قرأت.

هذا و قد جاء ذكر بنى الصقر و كان بموضع الايتاخية التى سميت بعد ذلك المحمدية كما سيأتى فى الكلام على الجوسق.

كان هذا الدير في الطيرهان عند سامرا قرب الموضع الذي عرف بعد تمصير المعتصم لسامرا باسم قطرة و صيف، قال الشاشتي: «و هذا الدير بسر من رأى»، و هو دير عامر كثير الرهبان، حوله كروم و شجر و هو من المواضع الزهدة و البقاع الطيبة الحسنة». و ماري الذي أضيف اليه هذا الدير عرف في تاريخ النصارى الساطرة و هو فطر كههم باسم «مارماری السليم».

و هو الذي نشر النصرانية النسطورية في الشرق و نصر كثيرا من الناس ببابل و العراقيين و اليمن و الجزائر و بحر اليمن و بحر الهند و الأهواز و كور دجلة و فارس و كسكر و أهل الراذانيين و حمل رجلا واسع الحال على إنشاء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٤٢

ثلاث مئة و ستين بيعة و عمرا و ديرا و وقف عليها الوقوف و توجه الى مدينة سلوقية مقابل المدائن من الجانب الغربي و نشر فيها النصرانية و قاوم المجوسية الثنوية، و عمل العجائب في بناء البيع و من جملتها البيعة الكبيرة بالمدائن التي كانت مركزا لنصب الجثالقة بالجدد و بيعة داورتا ببغداد قبل ان يمصرها المنصور و قبل الدولة الاسلامية أصلا، و مضى الى الطيرهان منطقة سامرا ثم مضى الى دور قتي و كان بها امرأة نبيلة جلييلة اسمها قتي، فسارعت الى تصديقه و الايمان بدينه و وهبت له ضياعها و بنى الدير هناك و هو الذي دفن فيه و كان بيتا لنار المجوس ثم صار الى كسكر و كان اهلها و ثنين فنصرهم و حملهم على كسر الوثنيين اللذين كانا عندهم ثم انحدر الى دستميسان و دخل الابله و بنى البيعة التي عرفت ببيعة القدس فكانت الابله هي المدينة الاصلية هناك قبل الاسلام و بلغت دعوته البحر، و صور في البيع صور السيدة مريم -ع- و ابرار النصارى ثم توفي سنة (٨٢ م) و دفن بدير قتي عن يمين المذبح بعد فطر كه دامت ثلاثا و ثلاثين سنة». هذا موجز ما ذكره المؤرخان النصرانيان النسطوريان المذكوران في الحاشية و عليهما عهدة اقوالهما، و في هذا الدير يقول الفضل بن العباس بن المأمون:

انضيت في سر من راخيل لذاتي و نلت فيها منى نفسي و شهواتي

عمرت فيها بقاع اللهو منغمسافي القصف ما بين انهار و جنات

بدير مرمار إذ نحى الصبوح به و نعمل الكأس فيه بالعشيات

بين النواقيس و التقديس آونة و تارة بين عيدان و نايات

و كم به من غزال اغيد غزل يصيدنا باللحاظ الباليات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٤٣

و ذكر الفضل هذا انه خرج ذات يوم مع المعتز للصيد قال: فانقطعنا عن الموكب انا و هو و يونس بن بغا، فشكا المعتز العطش، فقلت له: يا أمير المؤمنين ان في هذا الدير راهبا عرفه له مودة حسنة، خفيف الروح و فيه آلات جميلة فهل لأمر المؤمنين أن نعدل اليه؟ قال: افعل فصرنا الى الديراني فرحب بنا و تلقانا أجمل لقاء و جاءنا بماء بارد فشربنا، و عرض علينا النزول عنده و قال: تتبردون عندنا و نحضركم ما تيسر في ديرنا فتناولون منه. فاستظرفه المعتز و قال: انزل بنا اليه فنزلنا. فسألني الديراني عن المعتز و يونس بن بغا.

فقلت: هما من أبناء الجند. فقال: بل مفلتان من ازواج الحور. فقلت:

هذا ليس من دينك و لا اعتقادك. قال: هو الآن من ديني و اعتقادي .

فضحك المعتز. ثم جاءنا بخبز و أشاطير و ما يكون مثله في الديارات، فكان من أنظف طعام و اطيبه و أحسن آنية، فأكلنا و غسلنا ايدينا. فقال لي المعتز:

قل له بينك و بينه من تحب ان يكون معك من هذين و لا يفارقك؟ قال الفضل فقلت له. فقال: كلاهما و تمرا. فضحك المعتز حتى

مال على حائط الدير من الضحك. فقلت للديراني: لا بد من ان تختار فقال الاختيار في هذا دمار، ما خلق الله عقلا يميز بين هؤلاء. ثم

لحقنا الموكب فارتاع الديراني. فقال له المعتز: بحياتي لا تنقطع عما كنا فيه فاني لمن ثم مولى و لمن ها هنا صديق. فجلسنا ساعة و

أمر له المعتز بخمسين الف درهم. فقال: و الله لا قبلتها إلا على شرط.

قال: و ما هو؟ قال: يكون أمير المؤمنين في دعوتي مع من أحب. قال المعتز:

ذاك اليك. فاتفقنا ليوم جئناه فيه على ما أحب، فلم يبق غاية و أقام بمن كان معه و جاء باولاد النصارى فخدمونا احسن خدمة. فسر المعتز سرورا ما رأته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٤٤

سرّ مثله. و وصله في ذلك اليوم بمال كثير، و لم يزل يطرقه اذا اجتاز به و ياكل عنده و يشرب مدة حياته» .

دير السوسى

قال الشاشبى: «هذا الدير لطيف على شاطئ دجلة بقادسية سرّ من رأى و بين القادسية و سر من رأى أربعة فراسخ، و المطيرة بينهما و هذه النواحي كلها متزهات و بساتين و كروم و الناس يقصدون هذا الدير و يشربون في بساتينه و هو من مواطن السرور و مواضع القصف و اللعب». و قال ياقوت:

«قال البلاذرى: هو دير مريم بناه رجل من أهل السوس و سكنه هو و رهبان معه فسمى به و هو بنواحي سر من رأى بالجانب الغربى». و لابن المعتز فى دير السوسى:

يا ليالى بالمطيرة و الكرخ و دير السوسى بالله عودى

كنت عندى انموذجات من الجنّ... ة لكنها بغير خلود

أشرب الراح و هى تشرب عقلى و على ذاك كان قتل الوليد

و جاء فى مسالك الأبصار: «دير السوسى و هو فى الجانب الغربى بسر من رأى و منه أرضها فابتاعها المعتصم من أهله». و هذا القول لا يصح بعد قول الشاشبى إنه بقادسية سامرا بينها و بين سامرا، إلا ان ياقوتا الحموى ذكر انه بالجانب الغربى و قد نقلنا قوله، و قول الشاشبى أثبت و أقدم.

و قال الخالدى: «حدثنا جحظة عن احمد بن ابى طاهر قال: قصدت سرّ من رأى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٤٥

زائرا بعض كتابها بشعر مدحته به، فقبلنى و أحسن الى و أجزل صلتى و وهب لى غلاما روميا حسن الوجه و رحلت أريد بغداد سائرا على الظهر و لم اركب الماء فلما سرت نحو الفرسخ أخذتنا السماء بأمر عظيم من القطر و نحن بالقرب من دير السوسى، فقلت للغلام: اعدل بنا يا بنى الى هذا الدير نقم فيه الى ان يخف هذا المطر ففعل و ازداد القطر و اشدت و جاء الليل، فقال الراهب: أنت العشيء ها هنا و عندى شراب جيد فتبيت و تقصف و يسكن المطر و تجف الطريق و تبكر.

فقلت: أفعل. فأخرج لى شرابا ما رأيت قط اصفى منه و لا أعطر. فقلت:

هات مدامك. و أمرت بحط الرحل، و بتّ و الغلام يسقيني و الراهب نديمى حتى مت سكرا، فلما اصبحت رحلت و قلت:

سقى (سرّ من را) و سكانهاو ديرا لسوسيتها الراهب

سحاب تدفق عن رعد الص... فوق و بارقه الواصب

فقد بت فى ديره ليله و بدر على غصن صاحبي

غزال سقانى حتى الصباح صفراء كالذهب الذائب

على الورد من حمرة الوجنتين و فى الآس من خضرة الشارب

سقانى المدامة مستيقظا و نمت و نام إلى جانبى

فكانت هنات لك الويل من جناها الذي خطه كاتبي

فيا ربّ تب و اعف عن مذنب مقرر بزله تائب

دير باشهرا

قال الشابتي: «هذا الدير على شاطئ دجلة (بين سامرا و بغداد) و هو

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٤٦

دير حسن عامر نزه، كثير البساتين و الكروم، و هو احد المواضع المقصودة و الديارات المشهودة، و المنحدرون من سرّ من رأى و المصعدون اليها ينزلونه، فمن جعله طريقا بات فيه و أقام به ان طاب له و من قصده أقام به في الدّ عيش و أطيبه و أحسن مكان و أنزهه، و لأبي العيّن فيه و كان نزله و أقام به و استطابه و قال فيه:

نزلنا دير باشهرا على قسيسه ظهرا

على دين يسوعى فما أختى و ما أسرى

فأولى من جميل الفعل ما يستعبد الحرّا

و سقّانا و روّانامن الصافية العذرا

و طاب الوقت فى الدير فربطنا به عشرا

و سقّينا به الشمس و أخذمنا به البدرا

و أحيت لذة الكأس و لكن قتلت سكرّا

و نلنا كل ما نهواه من لذاتنا جهرا

تصايينا و غنّينا و أرغمنا به الدهرا

و قد ساعدنا ربّنا... طوعا منه لا جبرا

جزاه الله عن خير به قابلنا خيرا

فقد أوسعته شكرّا كما أوسعنا برّا

دير عبدون

قال ياقوت الحموى: «دير عبدون هو بسر من رأى الى جنب المطيرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٤٧

و سمى بدير عبدون لأن عبدون أخا صاعد بن مخلد، كان كثير الالمام به و المقام فيه فنسب اليه و كان عبدون نصرانيا و أسلم أخوه صاعد على يد الموفق و استوزره و زاد ابن فضل الله العمري «و بلغ معه المبالغ العظيمة. و حكى البحترى أنه كان مع عبدون فى هذا الدير فى يوم فصح و معه ابن خرداذبه، قال فأنشدته قصيدتى التى مدحته بها و أولها:

لا جديد الصبا و لا ريعانه راجع بعد ما تقضى زمانه

فأمر لى بمائتى دينار و ثياب خزّ و شهرىّ بسرجه و لجامه، و أخوه حينئذ مع الموفق فى قتال العلوى البصرى (صاحب الزنج)، فسّر بذلك و قال لى:

يا ابا عبادة، قل في هذا شعرا أنفذه الى ذى الوزارتين - يعنى أخاه- و كان لقب بهذا، فقلت:

ليكتنك السرور و المرح و لا يفتكك الابريق و القدح
فتح و فصح قد و افاك معافالفتح يقرى و الفصح يفتح
فانعم سليم الاقطار تعتبق الصه..... باء كن دنها و تصطبح
فان أردت اجتراح سيئه فها هنا السيئات تجترح
و أقمنا يومنا الى الليل و خلع على ابن خرداذبه و حملة و انصرفنا» .

و استطرده الشابشتى الى ذكر عبدون بن مخلد هذا بغير باعث يبعثه على الاستطرد و لعل فى كتاب الديارات نقصانا حدث به زوال
الباعث قال: «و كان عبدون بن مخلد اخو صاعد بن مخلد عند وفاة اخيه و اطلاقه من الحبس صار الى دير قنى فأقام فيه و تعبد .. و
مات و هو مترهب بدير قنى فى سنه عشر و ثلاث مئه» قال: «و كان عبدون هذا متخلف الصنعة شديد التخلف و بلغ مع ذلك مبلغا
عظيما فى ايام اخيه. قال: فأهدت ريق المغنيه الى عبدون فاكهه مبكرة
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٤٨

مبكرة فيها تين و رمان و غيرهما، فقال لكاتبه: اكتب اليها جواب رقتها بشعر. فحلف انه ما قال شعرا قط. فغضب عبدون غضبا شديدا
و قال:

أنت بين يدي منذ سنين لا تحسن القصائد السبع يا حمار اكتب اليها:

قد أتتنا هديتانك فى يوم مهرجانك
و أكلنا من رمانك لأنك جانجاننا و نحن جانجانك
ثم ذكر خبر القبض عليه و على اخيه و استصفاة أموالهما.
و ذكر مارى بن سليمان و عمر بن متى فى اخبار فطاركة كرسى المشرق ان عبدون بن مخلد كان من اعيان النصارى النساطرة بسر من
رأى، و شارك فى انتخاب الفطرك «يوحنا بن نرسى» و كان الاجتماع بالمطيرة و لعله كان بدير عبدون. و قال ياقوت: «و فى هذا
الدير يقول ابن المعتز الشاعر:

سقى المطيرة ذات الظل و الشجر و دير عبدون هطال من المطر
يا طالما نبهتني للصبح به فى ظلمة الليل و العصفور لم يطر
اصوات رهبان دير فى صلاتهم سود المدارع نقارين فى السحر
مزترين على الأوساط قد جعلوا على الرؤوس أكاليا من الشعر
كم فيهم من مليح الوجه مكتحل بالسحر يطبق جفنيه على حور
لاحظته بالهوى حتى استفاد له طوعا و أسلفنى الميعاد بالنظر
و جاءنى فى ظلام الليل مستترى استعجل الخطو من خوف و من حذر
فقمتم افرش خدى فى التراب له ذلا و اسحب اذىالى على الأثر
فكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا و لا تسال عن الخبر
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٤٩

و قد ذكر ابن خلكان هذه الأبيات فى ترجمة عبد الله بن المعتز، و فى نقله زيادة هذا البيت:
و لاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامه قد قدت من الظفر

دير صباعي

قال الشاشبتي: «هذا الدير شرقي . تكريت مقابل لها، مشرف على دجلة، نزه عامر، له ظاهر عجيب فسيح و مزارع حوله على نهر يصب من دجلة الى الاسحاقى و هو خليج كبير، فيقصد هذا الدير من قرب منه فى أعياده و أيام الربيع، و هو اذ ذاك منظر حسن فيه خلق كثير من رهبانه و قسانه، و لبعض الشعراء فيه:

حنّ الفؤاد الى دير بتكرت لبر صباعى و قس الدير عفريت

و زاد ياقوت الحموى على ما ورد فى الديارات قوله: «و فيه مقصد لأهل الخلاعة». و قال ابن فضل الله العمري: «دير صباعى و هو على شاطئ دجلة الشرقى فوق تكريت بقليل و هو كثير الرهبان و له مزارع و جنينات، و لرهبانه يسار و غنى و فيه يقول بعض لصوص بنى شيان:

ألا يا ربّ سلم دير صباعا؟! و زد رهبان هيكله اجتماعا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٥٠ فكم جئناه أمواتا سغابوا رحنا منه أحياء شباعا

فيا للقصف ما أسرى نبيذاً ألدّ طلا و أحسنه شعاعا

لنعمته و منته علينا عمرناه و خزّينا الضياعا»

قال كوركيس عواد المحقق الفاضل بكتاب الديارات: «تصحف اسم هذا الدير تصحفا غريبا فى دائرة المعارف الاسلاميه (باللغات الفرنجية) إلى (دير سعباءة) فليصحح، و فى نسخة الديارات للشاشبتي إلى (دير ضباعى) بالضاد المعجمة و هو تحريف أيضا و الصواب (دير صباعى) بصاد مهملة مفتوحة فباء مشددة. و المقصود به هنا القديس الشهيد (شمعون بر صباعى).

و بر صباعى لفظ سريانى بمعنى (ابن الصباغين) لأن أهله كانوا يصبغون ثياب الملك و باسمه عرف هذا الدير، كان شمعون بر صباعى جاثليق المشرق فى المدائن و أصله من السوس و قد ابتدأت جثلقته سنة ٣٢٩ م ثم أذاقه سابور الثانى الملك الساسانى شديد الاضطهاد و مر العذاب إكراها له على جحد النصرانية ليدين بالمجوسية، لكن شمعون لم يحد عن دينه، فكان مصيره القتل مع جملة كبيرة من رفاقه سنة ٣٤١ م فى مدينه كرخ ليدان من أعمال الأهواز، و لشمعون بر صباعى تأليف سريانية مختلفة ضاع أغلبها و بقى منها رسائل و قصائد دينية اتخذها النصارى الكلدان فى صلواتهم الكنائسية و هى تعد من أقدم الآثار الأدبية فى السريانية و أنفسهم» .

و ذكر عمرو بن متى أن الفطرك شمعون بن صباعى كان من مدينه السوس و كان أكثر مقامه بالمدائن، و نصب للفطركه فى السنة السادسة لسابور الثانى - يعنى سنة ٣١٦- و فى أيامه اشتد اضطهاده للنصرانية و تقتيله لهم، و ذلك لأنه عرض على هذا الفطرك المجوسية ليدين بها هو و أتباعه فأبى كل الباء و حرض النصارى على التمسك بنصرايتهم حتى الموت و خصوصا نصارى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٥١

المدائن و اسفانين، فأمر سابور بالقبض عليه و لكنه لا لطفه ليمتجس فامتنع كل الامتناع فغضب عليه و على مائة و ثلاثة من رجال النصرانية و أمر بسجنهم ثم جمع من مملكته ستين ألف نصرانى و أخرجهم إلى الميدان بكرخ ليدان و طلب من الفطرك المذكور أن يأمر النصارى الحاضرين أن يكفروا بالمسيح -ع- و يدخلوا فى دينه فان فعلوا ذلك فانه يعطيهم ما أحبوا من المال و الجاه و يجعلهم أشرفا، و إن أبوا فانه يأمر بضرب أعناقهم بلا تأخير.

فلما سمع شمعون ذلك حمسهم و حرضهم على الالباء و الرفض، فغضب سابور و أمر أن تضرب رقابهم بحد الحسام و معهم الفطرك المذكور، و فى تمام تلك السنة أمر سابور بقتل النصارى فى باجرما و كرخ سلوخ و الأهواز و الدير الأحمر و إربل و آشور و الموصل و نينوى و المرح و الجزيرة و الفرات فقتل منهم مائة ألف و تسعون ألفا و كان بينهم دخان شاه بنت ملك الأهواز» .

و ذكر مارى بن سليمان أن الفطرك شمعون بن صباعى كان يلبس الثياب الديياج، و لما رتب فى منصب الفطركه منع النساء من

الاختلاط بالرجال في الصلاة، وأنه في عهده بسط سابور ذو الأكتاف أذيته على النصارى و كان يعذبهم بأنواع العذاب من الجوع و الضّرّ و الحبس و غير ذلك و يسفك دماءهم و يبقر بطون الحوامل، و يمنع من دفنهم حتى تأكلهم الطير، و أغراه أولياؤه و اليهود بشمعون بن صباعى و قالوا له: لا ينفعك شيء مما تفعل لأن شمعون يشجع النصارى و يمدّهم بالنفقات فقبض عليه و على مائة رجل و رجلين منهم مطارئة و أساقفة و قسّان و شمامسة، و طلب من ابن صباعى تطبيق الجزية على أصحابه و أخذها من أصحاب الصرف و غيرهم فقال له: إنى لست جابى مال لكن راعى غنم المسيح. و انتهى أمره إلى القتل على النحو الذى ذكرت.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٥٢

و قال كريستنسن: «و لم يكن أول اضطهاد الحق النصارى أيام كسرى راجعا إلى التعصب الدينى بل كان مرجعه إلى أمور سياسية، و يحكى الكتاب السريانى الذى يصف حياة القديس أوجين أنّ سابور قد رغب فى رؤية هذا الزاهد النصرانى و كان يجله كثيرا فقد شفى أوجين ولدين للملك، كانا فريستين للشيطان، و حق أنّ كتاب حياة أوجين مصدر مشكوك فيه كثيرا ... و مع ذلك فان البغض الدفين الذى يحمله نصارى ايران للدولة كان خطرا دائما عليها، ذلك بعد أن اتخذ ملوك الروم شعارا الصليب و لم يتردد سابور فى اضطهاد هذا العدو المواطن و قد استمر هذا الاضطهاد إلى نهاية عهده الطويل»

دير العذارى

قال الشابشتى: «هذا الدير اسفل الحظيرة، على شاطئ دجلة، و هو دير حسن، حوله البساتين و الكروم، و فيه جميع ما يحتاج إليه، و لا يخلو من متزّه يقصده للشرب و اللعب، و هو من الديارات الحسنه و بقعته من البقاع المستطابه، و إنما سمى بدير العذارى لأن فيه جوارى متبتلات عذارى هنّ سكانه و قطانه فسمى الدير بهنّ، و ذكر يموت بن المزرع عن الجاحظ قال: حدثنى ابن فرج الثعلبى أنّ قوما من بنى ثعلب أرادوا قطع الطريق على مال السلطان فأتتهم المعاينة فأعلمتهم أنّ السلطان قد نذرهم فساروا ثم أزمعوا على الاستخفاء فى دير العذارى، فصاروا الى الدير ففتح لهم فما استقرّوا حتى سمعوا وقع حوافر الخيل فى طلبهم، فلما أمنوا و جاوزتهم الخيل خلا كل واحد منهم بجارية هى عنده عذراء فاذا القسّ قد فرغ منهم فقال بعضهم:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٥٣ و ألوط من راهب يدعى بأن النساء عليه حرام

يحرم بيضاء ممكوره و يغنيه فى البضع عنها غلام

إذا مامشى غضّ من طرفه و فى الدير بالليل منه عرام

و دير العذارى فضوح لهنّ و عند اللصوص حديث تمام»

و قال ياقوت الحموى: «و الشعر المنقول فى دير العذارى يدل على أنه بنواحي دجيل ... و قال الشابشتى: دير العذارى بين سرّ من رأى و الحظيرة.

و قال الخالدى: و شاهدته و به نسوة عذارى و حانات خمر و إن دجلة أتت عليه بمدودها فأذهبتة حتى لم يبق منه أثرا، و ذكر أنه جثا به فى سنة (٣٢٠) و هو عامر ... و قال أبو الفرج: و دير العذارى بسرّ من رأى إلى الآن موجود تسكنه الرواهب. فجعلهما اثنين، و حدث الجاحظ فى كتاب المعلمين قال حدثنى ابن فرج الثعلبى أنّ فتيانا من بنى ملاصه من ثعلبه أرادوا القطع على مال يمرّ بهم قرب دير العذارى، فجاءهم من خبرهم أنّ السلطان قد علم بهربهم و ان الخيل قد أقبلت تريدهم فاستخفوا فى دير العذارى، فلما حصلوا فيه سمعوا أصوات حوافر الخيل التى تطلبهم و هى راجعة من الطلب فأمنوا، فقال بعضهم لبعض: ما الذى يمنعكم أن تأخذوا القسّ و تشدّوه و ثاقا و يخلو كل واحد منكم بواحدة من هذه الأبقار، فاذا طلع الفجر تفرقنا فى البلاد، و كنّا جماعة بعدد الأبقار اللواتى كنّ أبقارا فى حسابنا، ففعلنا ما اجتمعنا عليه، فوجدنا كلّهنّ ثيبات قد فرغ منهنّ القسّ قبلنا، قال بعضنا:

و دير العذارى فضوح لهنّ وعند القسوس حديث عجيب

خلونا بعشرين صوفيةً و نيل الرواهب أمر غريب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٥٤ سباع تموج و زاقولة لها في البطالة حظ رغب

و للقسّ حزن يهيض القلوب و وجد يدلّ عليه النحب

و قال الشابشتي ... «و ذكر ما قال الشابشتي و قد نقلته آنفا. و قال ابن فضل الله العمري: «دير العذارى و هو بين سرّ من رأى و بغداد بجانب العلت على دجلة في موضع حسن فيه رواهب عذارى و كانت حوله حانات الخمر و بساتين و متنزهات، لا يعدم من دخله أن يرى من رواهبه جواري حسان الوجوه و القدود و الألفاظ. قال الخالدي: و لقد اجتزت به فرأيته حسنا و رأيت في الحانات التي حوله خلقا يشربون على الملاهي و كان ذلك اليوم عيدا له، و رأيت في جنينات لرواهبه جماعة يلقطن زهر العصفرو لا يماثل خمره خدودهنّ، ثم إن دجلة أهلكتها بمدودها حتى لم يبق منه أثر و لجحظة فيه أخبار و أشعار لأنه كان مكانه و مأواه، و إليه ينجذب هواه و فيه يقول ابن المعتز:

أيا جيرة الوادي على المشرع العذب سقاك حيا حيّ الثرى ميت الجذب

و حسبك يا دير العذارى قليل ما يحن بما تحويه من طيبة قلبي

كذبت الهوى إن لم أقف اشتكى الهوى اليك و ان طال الوقوف على صحبي

و عجت به و الصبح ينتهب الدجى باضوائه و النجم يركض في الغرب

أصانع اطراف الدموع بمقلّة موقّرة بالدمع غربا على غرب

و هل هي الاحاجة قضيت لناو لوم تحملناه في طاعة الحبّ

و قال الخالدي: و أنشدني جحظة لنفسه:

قالوا قميصك مغمور بآثار من المدامة و الريحان و القار

فقلت من كان مأواه و مسكنه دير العذارى لدى حانوت خمّار موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٥٥ و سادده يده و الأرض مفرشه لا

يستطيع لسكر حلّ أزرار

لم ينكر الناس منه أنّ حلّته خضراء كالروض أو حمراء كالنار»

و ذكر ابن فضل الله بعد ذلك بيتين للصنوبري في دير العذارى، مع أنه ليس بدير عذارى العراق، بل هو دير عذارى حلب، كما رأى

فقد ذكر ياقوت ديرا للعداري بظاهر حلب في بساتينها و لا دير فيه و لعله كان قديما، و يؤيد ذلك ان الصنوبر تغزل في البيتين بغلام،

و ذكر بعدها ابياتا لابن فيروز البصير في دير العذارى، و هي من الغزل الغلmani أيضا فلا صلة لها بدير العذارى، ثم اورد حكاية

الجاحظ و أبيات اللصوص ثم ابيات الديارات التي نقلها الشابشتي و قد قدمت ذكرها و قال أخيرا: «وقيل في راهبة فيه:

يا ايها القمر المنير الزاهر المشرق الحسن المضيء الباهر

أبلغ شبيهتك السلام و هنها بالنوم و اشهد لي بأني ساهر

و قد ذكر دير العذارى بالعراق الباحث حبيب الزيات أحد الكتاب النصاري و المتجربين في بحوثهم للدفاع عن النصرانية .

دير العلت

قال الشابشتي: «و العلت قرية على شاطئ دجلة في الجانب الشرقي منها و بين يديها من دجلة موضع صعب، ضيق المجاز، كبير

الحجارة، شديد الجريه تجتاز فيه السفن بمشقة و هذه المواضع تسمى الأبواب، و اذا وافت السفن الى العلت ارست بها فلا يتهاى لها

الجواز إلا- بهاد من أهلها يكترونه، فيمسك السكان، و يتخلل بهم تلك المواضع، فلا يحطها حتى يتخلص منها. و هذا الدير راكب دجلة و هو من احسن الديارات موقعا و أنزهها موضعا، يقصد من كل بلد، و يطرقه كل أحد، و لا يكاد يخلو من موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٥٦

منحدر و مصعد، و من دخله لم يتجاوز الى غيره لطيبه و نزهته، و وجود جميع ما يحتاج اليه بالعلث و به». و قال ياقوت: «دير العلث، زعم قوم أنه دير العذارى بعينه، و قال الشابشتي: العلث قرية على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي في قرب الحظيرة دون سامرا و هذا الدير راكب دجلة و هو من الديارات و أحسنها و كان لا يخلو من أهل القصف». و قال في موضع آخر: «العلث بفتح اوله و سكون ثانيه و آخره ثاء مثلثة ... و هي قرية على دجلة بين عكبرا و سامراء، و ذكر الماوردي في الأحكام السلطانية ان العلث قرية موقوفة على العلويين و هي أول العراق في شرقي دجلة». و قال ابن عبد الحق: «العلث بكسر أوله و سكون ثانيه و آخره ثاء مثلثة قرية على دجلة بين عكبرا و سامرا، موقوفة على العلويين، كانت في شرقي دجلة، و هي الآن من عمل دجيل على الشطيطة». و كان قال: «دير العلث و هو دير على دجلة من شرقيها قرب الحظيرة و قيل انه دير العذارى و لعله الذي كان باقيا الى هذه الغاية» .

و قال الدكتور احمد نسيم سوسة: «أما المدن و القرى المهمة التي كانت على مجرى دجلة ضمن طسوج بزرج فأولها من الشمال مدينة (العلث) و هي المدينة التي ما زالت خرائبها الواسعة تشهد على مسافة حوالي سبعة كيلومترات من شمالي غربي مدينة بلد الحائية، و قد حافظت على اسمها القديم حتى اليوم فهي لا تزال تسمى اطلالها بالعلث، كما انه لا يزال يسمى سكنة هذه المنطقة (علثاويين) و تمتد خرائب العلث هذه على طول الضفة اليسرى لمجرى دجلة القديم (الشطيطة) و هو المجرى الذي يسمى فيه نهر بلد الحالى الذى يتفرع من ضفة نهر دجيل اليسرى و ينتهى الى بساتين بلد الحديثة ... و مما يدل على: استمرار ازدهار مدينة العلث بعد تحول مجرى دجلة عنها ان المنتصر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٥٧

كان يقصدها بين حين و آخر للاتصال بعلمائها، فقد ذكر سبط ابن الجوزى فى كتابه مرآة الزمان أن المستنصر (كان يمضى الى العلث قرية من دجيل، بينها و بين بغداد مسيرة يومين حتى يزور اسحاق العلثى الحنبلى» .

و قال الشابشتي بعد وصفه للعلث و دير العلث و لجحظة فيه:

أيها المالحان بالله جدّوا اصلحا لى الشراع و السكّانا

بلغانى هديتما البردانا و ابزلا لى من الدنان دنانا

واعد لا بى الى القبيصة فالزه... راء على أفرج الأحزانا

و إذا ما اقمتم حولا تماما فاقصدا بى الى كروم أوانا

و انزلا بى الى شراب عتيق عتقته يهوده أزمانا

و احظطا لى الشراع بالدير بالعل... ث لعلى اعاشر الرهبانا

(و طباء يتلون سفرا من الانجى... ل باكرن سحرة قربانا)

لا بسات من المسوح ثيابا جعل الله تحتها أغصانا

(خفرات حتى اذا دارت الكأس كشفن النحور و الصلبانا)

*** و للمعتمد:

يا طول ليلى بقم الصلح أتبع خسرانى بالريح

لهفى على دهر لنا قد مضى بالقصر و القاطول و الشلح

بالدير بالعلث و رهبانه بين الشعانين الى الدنح»

و قال ابن أبي أصيبعة: «قال يوسف بن إبراهيم: عدت جبرئيل بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٥٨

بخيشوع بالعلث سنة خمس عشرة سنة و مائتين و قد كان خرج مع المأمون في تلك السنة حتى نزل لمأمون في دير النساء، فوجدت عنده يوحنا بن ماسويه و هو يناظره في علته و جبرئيل يستحسن استماعه و إجابته و وصفه، فدعا جبرئيل بتحويل سنته و سألتني النظر فيه و اخباره بما يدل عليه الحساب، فنهض يوحنا عند ابتدائي بالنظر في التحويل، فلما خرج من الحراقة قال لي جبرئيل: ليست بك حاجة الى النظر في التحويل لاني أحفظ جميع قولك و قول غيرك في هذه السنة و انما أردت بدفعي التحويل اليك ان ينهض يوحنا فأسألك عن شيء بلغني عنه، و قد نهض، فأسألك بحق الله هل سمعت يوحنا قط يقول: إنه اعلم من جالينوس بالطب. فحلفت له أني ما سمعته قط يدعى ذلك» .

عمر نصر

قال ياقوت: «عمر نصر بسامرا و فيه يقول الحسين بن الضحّاك:

يا عمر نصر لقد هيجت ساكنة هاجت بلابل صدر بعد إقصار

لله هاتفة هبت مرجعة زبور داود طورا بعد أطوار

يحثها دالت بالقدس محتك من الأساقف مزور بمزمار

عجت أساقفها في بيت مذبحهاو عج رهبانها في عرصة الدار

خمار حانتها إن زرت حانته أذكي مجامرها بالعود و الغار

يهتز كالغصن في سلب مسودة كان دارسها جسم من القار

تلهيك ريقته عن طيب خمرته سقيا لذاك جنى من ريق خمار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٥٩ أغرى القلوب به الحاظ ساجية مرهاء تطرف عن أجفان سحار»

و قال الباحث حبيب الزيات: «و من الدياترات التي اشتهرت بهذا الطرب دير مارت مريم بين الخورتق و السدير ... و نظيره عمر نصر في سر من رأى و هو من متنزهات آل المنذر قديما بالحيرة، قال الحسين بن الضحّاك و كان كثيرا ما يألفه: اصطبحت انا و اخوان لي في عمر سر من رأى و معنا أبو الفضل رذاذ و زنام الزامر. فقرأ الراهب سفرا من أسفارهم حتى طلع الفجر، و كان شجي الصوت جدا و رجع من نغمته ترجيعا لم أسمع مثله، فتفهمه رذاذ و زنام، فغنى ذلك عليه و زمر هذا فجاء له معنى أذهل العقول و ضح الرهبان بالتقدیس فقلت: يا عمر نصر لقد هيجت ساكنة ...» و ذكر أربعة ابيات منها بيت لم يذكره ياقوت الحموي على الصحة و هو:

لما حكاها زنام في تفننهافتن يتبع مزمورا بمزمار»

و القول بأنه أي عمر نصر كان من متنزهات آل المنذر قديما بالحيرة مناقض لقوله باديء ذي بدء انه في سر من رأى، و يكون من المحال تنزه ملوك الحيرة القائمة على الفرات قرب النجف في أرض دير بسامرا على دجلة لبعده المسافة و لأن أرض الطيرهان و فيها الدير لم تكن من مملكة الحيرة و لا كان فيها لملوك الحيرة سلطة و لا سلطان و لا كلمة نافذة.

و رأيت مثل هذا الكلام في مجلة لغة العرب في الكلام على سامرا قال الكاتب «و كان في جوارها من سابق العهد أي قبل الاسلام عدة أديرة للنصارى كلها شهيرة منها قلاية العمر أو عمر نصر و كان من متنزهات آل المنذر بالحيرة» و قد ذكر نقلا من معجم البلدان لياقوت الحموي أن عمر نصر كان في ناحية سامرا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٦٠

دير مرجرجس

قال ياقوت الحموي: «دير مرجرجس: دير بنواحي المطيرة ...»

و ذكره الشابشتي مع دير مرجرجس، و لعله هو هو» و قد كان قال: «دير مرجرجس بالمزرفه بينه و بين بغداد أربعة فراسخ مصعدا و المزرفه قرية كبيرة و كانت قديما ذات بساتين عجيبه و فواكه غريبه، و كان هذا الدير من متزهات بغداد لقربه و طيبه». و على اعتبار أنه بالمزرفه، فلا يعد من ديارات سامرا و نواحيها، و أيد كونه بالمزرفه ابن فضل الله العمري قال:

دير جرجس و هو بالمزرفه أحد الأماكن المشهودة و المواضع المقصودة، و يخرج اليه من يتنزه من أهل بغداد في السميريات. لقربه و طيبه و هو على شاطيء دجلة و البساتين محدقه به و الحانات مجاورة له، و به كل ما يحتاج إليه. و قال قبلهما الشابشتي: «دير مرجرجس، هذا الدير بالمزرفه و هو أحد الديارات و المواضع المقصودة و المتزهون من أهل بغداد يخرجون اليه دائما في السميريات لقربه و طيبه و هو على شاطيء دجلة و العروب- يعني طواحين الماء السفينة- بين يديه و البساتين محدقه به و الحانات مجاورة له، و كل ما يحتاج إليه المتزهون فحاضر فيه. و المزرفه من أحسن البلاد عمارة و أطيبها بقعه و بها من البساتين ما ليس ببلد.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٦١

القادسية

و من المواضع التي كانت في ناحية سامرا المعتصم قبل تمصيرها «القادسية» قال الشابشتي في الكلام على دير السوسى و قد نقلناه في الكلام على هذا الدير:

«هذا الدير لطيف على شاطيء دجلة بقادسية سر من رأى و بين القادسية و سر من رأى أربعة فراسخ و المطيرة بينها ... و القادسية من أحسن المواضع و أنزهها و هي من معادن الشراب و مناخات المتطربين، جامعة لكل ما يطلب أهل البطالة و الخسارة و بالقادسية بنى المتوكل قصره المعروف ببركوار و لما فرغ من بنائه و هبه لابنه المعتز و جعل اعذاره فيه، و كان من أحسن ابنيه المتوكل و أجلها، و بلغت النفقة عليه عشرين الف الف درهم» .

و قد أخطأ ياقوت في تعيينها قال: «و القادسية قرية كبيرة من نواحي دجيل بين حربى و سامرا، يعمل بها الزجاج» . و عقب ابن عبد الحق على كلامه هذا قال: «هذه (القادسية) ليست من دجيل، إنما هي في الجانب الشرقى من دجلة من قرى سامرا، خربة تحت سامرا و المطيرة» . و كأن ياقوتا الحموي شعر بخطئه في معجم البلدان فاستدركه في كتاب له في آخر البلدان أيضا قال: «و القادسية قرية كبيرة قرب سامرا يعمل فيها الزجاج، ينسب اليها الشيخ أحمد بن على المقرئ القادسى الضرير، و ابنه محمد بن أحمد القادسى الكتبي مؤلف (ذيل تاريخ ابن الجوزى) و هو حى الآن» .

و قال الاستاذ المستشرق لسترنج: «و في شمال غربى العلت حيث ينعطف النهر اليوم إلى ناحية الشرق انعطافه العظيم قادسية دجلة، فلا يخلطن بين هذه القادسية و قادسية الفرات التي كانت في غرب هذا النهر، و كانت قادسية دجلة مشهورة بعمل الزجاج» و قال مترجما كتاب لسترنج: «يقوم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٦٢

سور القادسية في جنوب أطلال سامراء بين الضفة اليمنى لنهر القائم المندرس و ضفة دجلة اليسرى و هو سور مثنى من اللبن طول

كل ضلع من أضلاعه (٦٢٠) متراً، تدعّمه من الخارج (١٧) دعامة نصف دائرية و في كل ركن من أركان السور برج مدور كبير قطره نحو ثمانية أمتار، و ثخن السور أربعة أمتار و علوه نحو خمسة أمتار، و تبلغ مساحة الأرض التي يكتنفها السور نحو (٧٤٥) دونماً- و الدونم ٢٥٠٠ متر مربع-. و في هذا السور فتحات تدل على أنها كانت أبواباً له، و السور من الداخل مؤلف من أروقة كل رواق بين دعامين من دعائمه، و بعض هذه الأروقة اتخذت حجرات. و تشاهد في داخل القادسية في وسطها معالم أبنية من اللبن، و قد جرى بالماء الى القادسية من النهر المار من القاطول الكسروي إلى نهر القائم، ثم يعبره فوق قنطرة من الآجر قد اندرست، و عند وصول النهر الى سور القادسية يدخلها من أحد أبوابها و يتفرّع في داخلها. راجع سامراء لدار الآثار العراقية ص ٧٢ و سومر ٣: ١٦٧ و رى سامراء ٢٤٨». ثم قالوا: «يلاحظ الآن في شرقي سور القادسية خرائب عباسية قرب ضفة دجلة تكثر فوق سطحها كتل من الزجاج المصهور و كسر كثيرة من الأواني الزجاج و قد نقتب دائرة الآثار العراقية هذا الموضوع سنة ١٩٤٠ و عثرت فيه على مقادير كبيرة من هذه المواد الزجاجية و على بقايا أبنية و أكوام من رماد» .

قلنا: و تدل الدلائل الأثرية من السور المشبه بقيته سور دسكرة أبرويز قرب شهربان على أن هذا البنيان ساساني. و قال الشاشتي في ذكر إعدار المعتز بن المتوكل أي ظهوره بقصر بركوار: «لما صح عزم المتوكل على إعدار أبي عبد الله المعتز أمر الفتح بن خاقان بالتأهب له و أن يلتمس في خزائن الفرش بساطاً للايوان في عرضه و طوله، و كان طوله مائة ذراع و عرضه خمسون ذراعاً، فلم يوجد إلا فيما قبض من بني أمية، فانه وجد في أمتعة هشام بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٦٣

عبد الملك على طول الايوان و عرضه، و كان بساطاً إبريسماً غرز و ذهب مفروز مبطن، فلما رآه المتوكل أعجب به و أراد أن يعرف قيمته، فجمع عليه التجار، فذكر انه قوم على أوسط القيم عشرة آلاف دينار، فبسط في الايوان، و بسط للخليفة في صدر الايوان سرير و مدّ بين يديه أربعة آلاف مرفع ذهب مرصعة بالجواهر فيها تماثيل العنبر و الند و الكافور (المعمول به على مثل الصور، منها ما هو مرصع بالجواهر مفرداً و منها ما عليه ذهب و جواهر) و جعلت بساطاً ممدوداً، و تغدّى المتوكل و الناس» و جلس على السرير و أحضر الأمراء و القواد و الندماء (و أصحاب المراتب) فأجلسوا على مراتبهم و جعل بين صوانيتهم و السماط فرجة، و جاء الفراشون بزبل قد غشيت بأدم مملوءة دنانير و دراهم نصفين، فصبت في تلك الفرج حتى ارتفعت، و قام الغلمان فوقها، و أمروا الناس عن الخليفة بالشرب ، و أن ينتقل كل من يشرب بثلاث حفنات ما حملت يده من ذلك المال، فكان إذا أثقل الواحد منهم ما اجتمع في كفه أخرجته إلى غلمانة فدفعه إليهم و عاد إلى مجلسه، و كلما فرغ موضع أتى الفراشون بما يملؤونه (منه) حتى يعود الى حاله.

و خلع على سائر من حضر ثلاث خلع كل واحد (و أقاموا إلى أن صليت العصر و المغرب) و حملوا عند انصرافهم على الأفراس و الشهاري. و أعتق المتوكل عن المعتز ألف عبد، و أمر لكل واحد منهم بمائة درهم و ثلاثة أثواب، و كان في صحن الدار بين يدي الايوان أربعمائة بليّة ، عليهن أنواع الثياب بين أيديهن ألف نبيجة خيزران فيها أنواع الفواكه و الأترج و النارج على قلته- كان- في ذلك الوقت، و التفاح الشامي و الليموه و خمسة آلاف باقة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٦٤

نرجس و عشرة آلاف باقة بنفسج، و تقدم إلى الفتح أن ينثر على البليات و خدم الدار و الحاشية ما كان أعده لهم و هو عشرون ألف ألف درهم، فلم يقدم أحد على التقاط شيء، فأخذ الفتح درهماً، فأكبت الجماعة على المال فذهب، و كانت قبيحة (أم المعتز) قد تقدمت بأن تضرب دراهم عليها (بركة الله لأعدار أبي عبد الله المعتز) فضرب لها ألف درهم، نثرت على المزيّن و من في حيزه من الغلمان و الشاكريّة و قهارمة الدار و الخدم الخاصة من البيضان و السودان، و كان ممن حضر المجلس ذلك اليوم محمد بن المنتصر و أبو أحمد أبو سليمان ابنا الرشيد و أحمد و العباس ابنا المعتصم و موسى بن المأمون، و ابنا حمدون النديم و أحمد بن أبي رؤيم و الحسين بن الضحاك و علي بن الجهم و علي ابن يحيى بن المنجم و أخوه. و من المغنين عمرو بن بانه، أحمد بن أبي العلاء، ابن

الحفصى، ابن المكى، سلمك، عثث، سليمان الطبال، المسدود، حشيشة، ابن القصار، صالح الدفاف، زنام الزامر. و من المغنيات عريب، بدعة جاريتها، سراب، شارية و جواريتها، ندمان، منعم، نجله، تركية، فريده، عرفان، قال إبراهيم بن المدبر: لما ظهر المعتز اجتمع مشايخ الكتاب بين يدى المتوكل و كان فيهم يحيى بن خاقان و ابنه عبيد الله إذ ذاك الوزير و هو واقف موقف الخدم بقاء و منطلقه، و كان يحيى لا يشرب النبيذ، فقال المتوكل لعبيد الله: خذ قدحا من تلك الأقداح و اصب فيه نبذا و صير على كفك منديلا و امض إلى أبيك يحيى فضعه فى كفه. قال: ففعل. فرجع يحيى رأسه الى ابنه. فقال المتوكل: يا يحيى لا تردّه. قال: لا يا أمير المؤمنين . ثم شرب و قال: قد جلت نعمتك عندنا يا أمير المؤمنين، فهناك الله النعمة و لا سلينا ما أنعم به علينا منك. فقال: يا يحيى إنما أردت أن يخدمك وزير بين يدي خليفة فى ظهور ولى عهد. و قال إبراهيم بن العباس: سألت موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٦٥

أبا حرملة المزين فى هذا اليوم فقلت: كم حصل لك إلى أن وضع الطعام؟

فقال: نيف و ثمانون ألف دينار سرى الصياغات و الخواتيم و الجواهر و العادات.

قال: و أقام المتوكل ببركوار ثلاثة أيام ثم أصدع الى قصره الجعفرى و تقدم باحضار إبراهيم بن العباس و أمره أن يعمل له عملا بما انفق فى هذا الأعدار و يعرضه عليه، ففعل ذلك فاشتمل العمل على ستة و ثمانين ألف درهم و كان الناس يستكثرون ما أنفقه الحسن بن سهل فى عرس ابنته بوران حتى أرخ ذلك فى الكتب و سميت دعوة الاسلام ثم أتى من دعوة المتوكل ما أنسى ذلك». و على ذكر بركوار القصر الفخم الذى بناه المتوكل بسامرا و جعل مساحة إيوانه مائة ذراع فى خمسين ذراعا، أقول: قدّمنا من قول الشابشتى ما يفيد أن القصر بنى بالقادسية: قادسية سامرا و أن بين القادسية و سامرا أربعة فراسخ و المطيرة بينهما، و الأربعة الفراسخ تساوى فى الأقل «١٨» كيلو مترا، من مقاييس الطول فى عصرنا، فهل ينطبق آثار القصر «المنقور» المعروف اليوم بسامرا على «قصر بركوار»؟

جاء فى مقالة بعنوان «آثار سامراء الخالية و سامرا الحالية» و قد تقدم ذكرها، قول كاتبها «و لقد سبر الدكتور هرتسفلد بعض السبر قصرا واقعا على عدوة دجلة اليمنى يعرف بقصر العاشق و رأى أن يتابع السبر بعد ذلك.

أما الآن فانه يجرى التنقيب فى قصر مبنى قد افترش من الأرض فسحة عظيمة تناهز كيلو مترين مربعين و نصفا و هو واقع فى جنوبى سامراء و اسمه المنقور، و هو و لا شك القصر المعروف سابقا باسم (بلكوارا) الذى بناه و سكنه المعتز بالله ابن المتوكل على الله و ذلك قبل ارتقائه عرش الخلافة». ثم قال: «و بازاء العاشق فى الجانب الشرقى من ضفة دجلة الكويرا (بالكاف الفارسية و تصغير الاسم) و هو تلؤل مسافة طولها قرابة مائة متر و عرضها اليوم قرابة عشرة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٦٦

أمتار و قد أكل الشط نصفها و بقى النصف الآخر و ظهرت فيها غرف مبنية بالجص و الآجر مع سراديب و هى اليوم فى وسط الماء إذ مهواه عليها و فى أيام الفيضان يحيط بها الماء و تكون شبيهة بالجزيرة».

و علق الأب انستاس اللغوى المعروف على كلمة «الكوير» قوله:

«لفظة الكوير تشابه كلّ المشابهة لفظه بلكوارا، لا سيما لأننا نعلم أن العرب كثيرا ما تستقل الألفاظ الكثيرة الحروف، فيتصرفون بها كل التصرف، و قد وردت ألفاظ كثيرة حذفوا منها صدرها و أبقوا عجزها، فيحتمل أنهم حذفوا صدر (بلكوارا) و قالوا (كوارا)، و لما كان التصغير شائعا على ألسنة أعراب العراق جميعهم قالوا فيها (كوير) بحذف الألف الأخيرة من باب التخفيف. و الظاهر أن (بلكوارا) كلمة آرامية قديمة مركبة من (بل) أى بعل و (كوارا) أى الجبار أو القوي، أو الإله، و محصل معناه «بعل الجبار» فيكون موطن هذا القصر فى السابق هيكل (كذا) لبعل الأكبر، و تلفظ الكاف فى (كوارا) كالكاف الفارسية و كالجيم الآرامية أو المصرية و بتشديد الواو، و قد يكتب العرب الجيم المصرية أو الكاف الفارسية كافا لخلو حروف هجائهم من هذا الحرف (راجع تاج العروس مادة ج ب

ر.

و المزهري ١: ١١. و مقدمه ابن خلدون، طبعه بيروت الأولى (٥٠٩).

و مع كل هذه الأدلة التي يظنها الباحث أنها من البراهين المقنعة فلا يظن الاستاذ هرتسفلد أن (الكوير) هو (بلكوارا) و السبب الأعظم في رفض هذا الرأي هو أن بلكوارا كان في الجنوب الأقصى من موقع المدينة، و هذا لا- يصدق اليوم على موقع الكوير، ثانياً أن أعراب العراق لا يجعلون كافا فارسية أو جيما مصرية إلا القاف فيقولون: كالف، بالكاف الفارسية في «قال».

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٦٧

و عليه فيكون «كذا» أصل لفظ الكوير (القوير) تصغير القارة. و بمعنى الجبل المنقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة مع حذف الهاء للتخفيف.

هذا رأى الدكتور العلامة (هرتسفلد). و أما سكان سامراء فيزعمون أن الكوير سُمي بهذا الاسم من الكاوور و الكاوور عندهم الكفار أو النصارى، فيكون معنى اللفظ (تل الكفار) و هذا أيضا لا يسلم به، و السبب هو أن الكاف في كلا اللفظين (كاوور و كوير) و إن كانت تلفظ كالكاف الفارسية إلا أن الكاوور لا يصغر هذا التصغير أى على وزن زبير، كما أنه لا موجب هناك أن يسمى الكوير بهذا الاسم، إن كان هذا معناه، و لا- يسمى غيره بمثله، و عليه فهذا رأى فاسد لا- محالة. بيد أن ما يثبت كل الاثبات أن المنقور هو (بلكوارا) هو أن اليعقوبى يقول فى كتابه تاريخ البلدان- ص ٢٦٥- إن المتوكل ... أنزل ابنه المعتز خلف المطيرة مشرقا بموضع يقال له بلكوارا، فاتصل البناء من بلكوارا إلى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار أربعة فراسخ. و قد حضر الدكتور هرتسفلد فى المنقور فوجد هناك رقما عليه مكتوب (الأمير المعتز بالله ابن أمير المؤمنين) و لما كان المنقور (و يلفظ بالكاف الفارسية) آخرا خربة سامراء لم يعد يبقى شك فى أن المنقور هو بلكوارا فى السابق. .

قلت: القادسية معلومة الأثر و الأطلال و قد ذكر الشاشتى أن المتوكل بنى قصر بلكوارا فيها، و المنقور القائم الأطلال لا يعد اليوم من القادسية، فكيف يكون هو «بلكوارا»؟ ثم إن المنقور تسمية عامية فان العوام يقولون مثلا: حجر منقور، و رحي منقورة و خشب منقور بالمنقار، و جاء فى وصف دير متى شرقى الموصل «و أكثر بيوته منقورة فى الصخر» كما فى معجم البلدان.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٦٨

أى فيها تحفريات بالآلات الحفر، و لا- تشبه لفظه بلكوارا لفظه «المنقور» حتى يصحفها العوام إليها بله أن المنقور اسم عربى معرّف محلى بالألف و اللام، و بلكوارا اسم أعجمى لم يدخل عليه أحد الألف و اللام و لم يقل أحد «البلكوارا» حتى يحتج لذلك التحريف البعيد، و لو كان المنقور تصحيفا لذاك لبقى فى الأقل على صورة «منقورا» بغير تعريف بالألف و اللام. هذا و الأخبار التى نقلتها آنفا مذكور فيها أن فى قصر بلكوارا إيوانا طوله مائة ذراع و عرضه خمسون ذراعا، فينبغى أن يبحث فى خطة قصر المنقور عن موضع ينطبق على مساحة ذاك الايوان، فان وجد فذلك من مقويات رأى القائل بأن المنقور هو أطلال بلكوارا، و إن كانت جميع القصور أيامئذ تحتوى على أووين و كان المتوكل قد أحيا الطراز البنائى الحيرى المعروف بالحارى ذى الكمين و ذكره المسعودى فى مروج الذهب.

و لعل المنقور هو «الجوسق الخاقانى» قال اليعقوبى: «ثم أحضر المعتصم المهندسين فقال: اختاروا أصلح هذه المواضع فاختراروا عدة مواضع للقصور، و صير إلى كل رجل من أصحابه بناء قصر فصير الى خاقان غرطوج أبى الفتح بن خاقان بناء (الجوسق الخاقانى) و الى عمر بن فرج بناء القصر المعروف بالعمري و إلى أبى الوزير بناء القصر المعروف بالوزيرى». ثم قال: «و ولى صورتان من بقايا اطلال الجوسق الخاقانى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٦٩

جعفر المتوكل ابن المعتصم فنزل الهارونى، و أثره على جميع قصور المعتصم و أنزل ابنه محمدا المنتصر قصر المعتصم المعروف

بالجوسق». و قال أبو علي التنوخي: «و من ملح أخبار القاضى أحمد بن أبى دؤاد ما حكى أن المعتصم كان بالجوسق مع ندمائه و قد عزم على الاصطباح و أمر كلا منهم ان يطبخ قدرا و نظر سلامة غلام أحمد بن أبى دؤاد فقال: هذا غلام ابن أبى دؤاد جاء ليعرف خبرنا و الساعة يأتى فيقول: فلان الهاشمى و فلان القرشى و فلان الأنصارى و فلان العربى فيقطعنا بحوائجه عما كنا عزمنا عليه و أنا أشهدكم أنى لا أفضى له اليوم حاجة. فلم يكن بأسرع من أن دخل ايتاخ يستأذن لأحمد بن أبى دؤاد. فقال (المعتصم) لجلسائه: كيف ترون؟ قالوا: لا تأذن له يا أمير المؤمنين. قال: سواء لهذا الرأى و الله لحمى سنة أسهل على من ذلك. فأذن له، فدخل، فما هو إلا أن سلم و جلس حتى أسفر وجه المعتصم و ضحكت اليه جوارحه ثم قال: يا أبا عبد الله قد طبخ كل واحد من هؤلاء قدرا و قد جعلناك حكما فى أطيها، قال: فلتحضر لآكل و أحكم بعلم. فأمر المعتصم باحضارها فأحضرت القدور بين يديه، و تقدم القاضى أحمد بن أبى دؤاد، فجعل يأكل من أول كل قدر أكلا تاما. فقال له المعتصم:

هذا ظلم. قال: و كيف ذاك؟ قال: أراك قد أمعنت فى هذا اللون و ستحكم لصاحبه. قال: يا أمير المؤمنين ليس بلقمة و لا باثنتين تدرك المعرفة باخلاق الطعام و على أن أوفى كلا منها حقه فى الذوق ثم يقع الحكم بعد ذلك. فتبسم المعتصم و قال: شأنك إذن. و أكل من جميعها، كما ذكر، ثم قال: أما هذه فقد أحسن صاحبها إذ أظهر فلفلها و قلل كمونها. و أما هذه فقد أجاد صاحبها إذ كثر خلها و قلل فلفلها ليشتهى حمضا. و أما هذه فقد أحكمها طبأخها بتقليل مائها و كثرة ربها. و أقبل يصفها واحدة واحدة، حتى أتى موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٧٠

على جميعها بصفات سبها أصحابها» .

و جاء فى كتاب الأغاني عن أبى عبد الله الهشامى قال. «كانت مقيم (الهشامية) للبانة بنت عبد الله بن إسماعيل المراكبى مولى عريب فاشتراها على بن هشام منها بعشرين ألف درهم و هى إذ ذاك جويرية، فولدت له صفيه و تكنى أم العباس ثم ولدت محمدا و يعرف بأبى عبد الله ثم ولدت بعده ابنا يقال له هارون و يعرف بأبى جعفر، سمّاه المأمون و كناه لما ولد بهذا الاسم و الكنية، قال: و لما توفى على بن هشام عتقت، و كان المأمون يبعث إليها فتجيئه فتغنيه، فلما خرج المعتصم إلى سمر من رأى أرسل إليها فأشخصها و أنزلها داخل الجوسق فى دار كانت تسمى الدمشقى و أقطعها غيرها، و كانت تستأذن المعتصم فى الدخول إلى بغداد إلى ولدها فتزورهم و ترجع».

و هذا الخبر يشعر بسعة بقعة الجوسق الخاقانى بحيث أنشئت دور و مرافق فان كان اقطاع المعتصم لها من أرض الخاقانى أيضا فهذا التناهى فى و ساعه القصر و مرافقه، و قال أبو علي التنوخي: «قال أبو اسحاق أخبرنا أحمد بن أبى دؤاد قال: دخلت على المعتصم يوما فقال لى: يا أبا عبد الله لم يدعى اليوم أبو الحسن الافشين حتى أطلقت يده على (أبى دلف) القاسم بن عيسى فقامت من بين يديه و لم أبصر شيئا جزعا على أبى دلف و دخلنى أمر عظيم و خرجت فركبت دابتي و سرت أشد سيرا من الجوسق إلى باب الافشين بقرب المطيرة أو مل أن أدرك أبا دلف من قبل أن تحدث عليه حادثه».

و أنهى القصة بتحية أبى دلف فكانت من الفرج بعد الشدة الذى هو موضوع الكتاب.

و ذكر أبو محمد البلوى فى خبر ارتحال المعتمد على الله سنة ٢٦٩ إلى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٧١

مصر و العزم على الاستقرار فيها أن إسحاق بن كنداج القائد سار من نصيبين الى الموصل فى خيل جريده أربعة آلاف مملوك، فلحق المعتمد بين الموصل و الحديثه و منعه من الارتحال و أعاده الى سامرا قال: «فلما بلغوا سمر من رأى تلقاه أبو العباس ابن الموفق و صاعد بن مخلد (الوزير) فسلمه إسحاق إليهما و انصرف إلى دار الخليفة ينتظر عودتهم فأنزلا المعتمد دار أبى أحمد ابن الخصيب التى فى طرف الجسر و منع من نزول الجوسق و المعشوق و وكلا به قائدا فى خمسمائة رجل يمنعون أن يدخل إليه أحد» .

و قال ابن أبى أصيبعة: «قال يوسف بن إبراهيم: «كان خروج أمير المؤمنين (المعتصم بالله) عن مدينة السيلام عن غير ذكر تقدم

الخروج إلى ناحية من النواحي و كان الناس قد حضروا الدكة بالشماسية لحلبة السروج في يوم الاربعاء لسبع عشرة و ليلة خلت من ذى العدة سنة عشرين و مائتين، فأخرجت الخيل و دعا بالجمازات فركبها و نحن لا نشك في رجوعه من يومه، ثم أمر الموالي و القواد باللحاق به، و لم يخرج معه من أهل بيته أحد إلا العباس بن المأمون و عبد الوهاب بن علي، و خلف المعتصم الواثق بمدينة السلام إلى أن صلى بالناس يوم النحر سنة عشرين و مائتين ثم أمر بالخروج إلى القاطول، فخرج فوجهني أبو اسحاق (ابراهيم بن المهدي) بحوائج له إلى باب أمير المؤمنين، فتوجهت فلم يزل سيارة مرة بالقاطول و مرة بدير بني الصقر و هو الموضع الذي سمي في أيام المعتصم و الواثق بالايثاخية و في أيام المتوكل بالمحمدية، ثم صار المعتصم الى سر من رأى فضرِب مضاربه فيها و أقام بها في المضارب، فاني لفي بعض الأيام على باب مضرب المعتصم إذ خرج سلمويه بن بنان (طبيب المعتصم) فأخبرني

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٧٢

أن أمير المؤمنين أمره بالمصير الى الدور و النظر إلى سوارتكين الفرغاني و التقدم الى متطبه في معالجته من علمه يجدها بما يراه سلمويه صوابا و حلف علي أن لا أفارقه حتى نصير الى الدور و نرجع. فمضيت معه، فقال لي: حدثني في غداة يومنا نصر بن منصور بن بسام أنه كان يساير المعتصم بالله في هذا البلد- يعنى بلد سر من رأى- و هو أمير، قال لي سلمويه قال: قال لي نصر إن المعتصم أمير المؤمنين قال: يا نصر أسمعت قط بأعجب ممن اتخذ في هذا البلد بناء و أوطنه؟! ليت شعره ما أعجب موطنه: حزونه أرضه، أو كثرة أخاقيقته أم كثرة تلاعه و شدة الحر فيه إذا حمى الحصى بالشمس؟! اما ينبغي أن يكون متوطن هذا البلد الا مضطرا مقهورا أو ردىء التمييز.

قال لي سلمويه قال لي نصر بن منصور: و أنا و الله خائف أن يوطن أمير المؤمنين هذا البلد. فان سلمويه ليحدثني عن نصر إذ رمى ببصره نحو المشرق فرأى في موضع الجوسق المعروف بالمصيب أكثر من ألف رجل يضعون أساس الجوسق. فقال لي سلمويه: أحسب ظن نصر بن منصور قد صح.

و كان ذلك في رجب سنة إحدى و عشرين و مائتين، و صام المعتصم في الصيف في شهر رمضان من هذه السنة و غدى الناس فيه يوم الفطر و احتجم المعتصم بالقاطول يوم سبت و كان ذلك اليوم آخر يوم من صيام النصارى، و استأذنه في المصير الى القادسية ليقيم في كنيستها باقى يومه و ليلته و يتقرب فيها يوم الأحد و يرجع الى القاطول قبل وقت الغداء من يوم الأحد، فأذن له في ذلك و كساه ثيابا كثيرة و وهب له مسكا و بخورا كثيرا فخرج منكسرا مغموما و عزم على المصير الى القادسية فأجبتة الى ذلك». فتأمل ثانية سعة قصر الجوسق الخاقاني بحيث اشغل بوضع أساسه أكثر من ألف رجل و غدى المعتصم فيه الناس يوم الفطر.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٧٣

و قال اليعقوبى في سيرة المعتصم: «و توفي يوم الخميس لحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ٢٢٧ و صلى عليه ابنه هارون و دفن في قصره المعروف بالجوسق و كانت سنة ٤٩ سنة». و قال الخطيب البغدادي في ترجمته محمد المنتصر ابن المتوكل ناقلا: «مات المنتصر بالله يوم الأحد لخمس ليال خلون من شهر ربيع الأول من سنة ثمان و أربعين و مائتين، و صلى عليه ابن عمه أحمد بن محمد المستعين بالله، و دفن في سر من رأى في موضع يقال له الجوسق» ثم قال ناقلا: «ولد المنتصر بالله بسر من رأى و مات بسر من رأى و هو أول من أظهر قبره في خلفاء بنى العباس و كان عمره أربعاً و عشرين سنة».

و لم يذكر ياقوت الحموى في معجم البلدان «جوسق المعتصم» هذا أى الجوسق الخاقاني في مادته و لا في كتابه المشترك مع أنه ذكر جواسق عدة في بلدان مختلفة و لكنه ذكره في مادة «سامرا» في الكلام على القصور التي أنشأها المتوكل فيها و غيرها أن منها «الجوسق في ميدان الصخر خمسمائة ألف درهم» و قيمة هذا المبلغ الشرعية «خمسون ألف دينار» و هو مبلغ ضئيل بالنسبة الى نفقات القصور الأخرى التي كانت فيها أقل نفقات البناء خمسمائة ألف دينار للقصر المختار، و قصر التل، ما عدا قصر القلائد فقد كانت النفقة عليه خمسين ألف دينار كنفقة الجوسق. و أنا أستدل بهذا على أن المتوكل لم يكن المنشئ لقصر الجوسق بسامرا و إنما

أنشأه المعتصم و أحدث المتوكل فيه بنيانا جديدا فنسب إليه، دلنى على ذلك أن المؤرخين الذين ذكروا الجوسق بعد قتل المتوكل لم يميزوا بين جوسقين فى التسمية و الاضافة، بل أطلقوا لفظ «الجوسق» و دلنى أيضا أن الشابشتى قال: «و ذكر أحمد بن حمدون قال: بنى المعتز فى الجوسق فى الصحن الكامل بيتا قدرته له أمه و مثلت حيطانه و سقوفه فكان أحسن بيت رئى». فهذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٧٤

يدل على أن الجوسق كان من السعة فى خطته الأصلية و مرافقه ما يمكن معه إضافة أبنية أخرى.

و قد وردت أخبار لما حدث بعد وفاة المنتصر ابن المتوكل سنة ٢٢٨ احتوت على ذكر «الجوسق» فى تاريخ الطبرى و غيره، و أحسبها لجوسق المعتصم لأن جوسق المتوكل لا يزال غير مميز ذكره عن الجوسق العتيق سوى نسبته الانشاء إلى المتوكل مع أن النفقة لا تدل على إنشاء قصر فخم بالنسبة إلى القصور الأخرى . موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج ١٢ ؛ ص ٧٤

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٧٥

سامراء فى ظل الخلافة العباسية

إشارة

كتبه الدكتور حسين امين أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد بجامعة بغداد و الحائز على درجة دكتوراه الشرف الأول من جامعة الاسكندرية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٧٧

سامراء فى ظل الخلافة العباسية

فى أيام المعتصم

تولى الحكم فى دولة بنى العباس بعد وفاة المأمون، أخوه ابو اسحق محمد ابن هرون الرشيد و الملقب بالمعتصم سنة ٢١٨ هـ، ٨٣٣ م، و كان المعتصم قد أكثر من شراء الاتراك، الى حد صار عنده سبعون الف مملوكا، كما اشترى من كان ببغداد من رقيق الناس، و ممن اشترى ببغداد، (أشناس) و كان مملوكا لنعيم بن خازم ابن هارون بن نعيم، و إيتاخ كان مملوكا لسلام بن الابرش، و (وصيف) كان زرادا مملوكا لآل النعمان، و سيما الدمشقى و كان مملوكا لذى الرئاستين الفضل بن سهل، و كان اولئك الاتراك العجم إذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يمينا و شمالا فيثب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضا و يضربون بعضا و تذهب دماؤهم هدرا لا يعدون على من فعل ذلك فنقل ذلك على المعتصم و عزم على الخروج من بغداد فخرج الى الشماسية و هو الموضع الذى كان المأمون يخرج فيقيم به الايام و الشهور. فعزم ان يبنى بالشماسية خارج بغداد فضاقت عليه ارض ذلك الموقع و كره ايضا قربها من بغداد .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٧٨

و يبدو ان المعتصم تنقل إلى أمكنة متعددة، فقد اقام بالبردان ثم انتقل الى باحمشا من الجانب الشرقى من دجلة، ثم صار الى المطيرة فأقام بها مدة ثم مدّ الى القاطول، و القاطول نهر كان فى موضع سامراء قبل ان تعمر و كان الرشيد اول من حفر هذا النهر و بنى على فوهته قصرا سماه ابا الجند لكثرة ما كان يسقى من الأرضين و جعله لارزاق جنده، و فوق هذا القاطول القاطول الكسروى، حفره كسرى انوشروان . و لم تعجب ارض القاطول المعتصم و ركب متصيذا فمر فى مسيره حتى صار الى موضع سر من رأى و هى صحراء

من ارض الطيرهان لا عمارة بها ولا أنيس فيها إلا دير للنصارى فوقف بالدير وكلم من فيه من الرهبان، وقال: ما اسم هذا الموضع، فقال له بعض الرهبان: نجد في كتبنا المتقدمة ان هذا الموضع يسمى سر من رأى وانه كان في مدينة سام بن نوح وانه سيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر منصور له اصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاة، ينزلها وينزلها ولده. فقال: أنا والله ابنيها وانزلها وينزلها ولدى .

و أمر المعتصم ببناء القصور والدور، واستقدم المهرة من الصناع والفنيين لتشييد قصوره و بناياته و جلب اصناف الأشجار المثمرة من جميع البلدان فغرست البساتين في كل مكان، و ما انقضت سنتان او ثلاث حتى ارتفعت القصور و اقيمت المساجد و دواوين الدولة و بنيت الدور و مدت الأسواق و الشوارع و احكمت اسوار القطائع، و شيد فيها ثكنات لسكن ٢٥٠ الف جندي و اصطبلات واسعة لاستيعاب ١٦٠ الف حصان .

و يبدو ان المعتصم بعد ان وافق على اختيار موضع سامراء، صير الى كل رجل من أصحابه بناء قصر، فصير الى خاقان عرطوج أبي الفتح بن خاقان بناء الجوسق الخاقاني، و الى عمر بن فرج بناء القصر المعروف موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٧٩

بالعمري، و الى ابن الوزير بناء القصر المعروف بالوزيرى، ثم خط القطائع للقواد و الكتاب و الناس و خط المسجد الجامع و اختط الاسواق حول المسجد الجامع، و وسعت صفوف الأسواق و جعلت كل تجارة منفردة و كل قوم على حدتهم، على مثل ما رسمت عليه اسواق بغداد، و كتب في اشخاص الفعلة و البنائين. و اهل المهن من الحدادين و النجارين و سائر الصناعات و فى حمل الساج و سائر الخشب و الجذوع من البصرة و ما والاها من بغداد و سائر السواد و من انطاكية و سائر سواحل الشام، و فى حمل عملة الرخام و فرش الرخام فأقيمت باللادقية و غيرها دور صناعة الرخام، و افرد قطائع الاتراك عن قطائع الناس جميعا و جعلهم معتزلين عنهم، لا يختلطون بقوم من المولدين و لا يجاورهم إلا الفراغنة. و اقطع اشناس و اصحابه الموضع المعروف بالكرخ و ضم إليه عدة من القواد الاتراك و الرجال و امره ان يبنى المساجد و الاسواق .

يظهر لنا من النص السابق ان المعتصم لما وقع اختياره على موضع سامراء رغب فى جعل الاتراك يستقلون فى مواضع خاصة من المدينة و لا يختلطون بعناصر غريبة قد تفسد مزاجهم و تعمل على ضعف همتهم، كما انه الزم كل قائد و رجاله بتحمل مسؤولية العمل على المساهمة فى البناء، و هذا يقودنا الى حقيقة مهمة، انه بهذه الطريقة تمكن من اكمال مدينته بهذه السرعة العجيبة، و استخدام الاتراك بجهودهم و اموالهم إضافة الى الفنيين و الفعلة من ارجاء العالم الاسلامى، فترى فى ذلك الوقت ما يزيد على خمسين ألف من الرجال يعملون باخلاص و نظام و بهذا ارتفعت القواعد و اقيمت الأركان و شيدت المساجد العامرة و القصور الكبيرة و الدور العديدة و الحدائق النضرة، فكانت مدينة تفتخر بها الحضارة الاسلامية و كانت معجزة من معجزات الانسان فى القرون الوسطى.

و يبدو ايضا ان من سياسة المعتصم عزل جنده الاتراك عن كل العناصر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٨٠

الغريبة منهم، فقد صيرت قطائع الاتراك جميعا و الفراغنة العجم بعيدة عن الأسواق و الزحام فى شوارع واسعة و دروب طوال ليس معهم فى قطائعهم و دروبهم احد من الناس يختلط بهم من تاجر و لا- غيره، ثم اشترى لهم الجوارى فأزوجهم منهن و منعهم ان يتزوجوا او يباهروا الى احد من المولدين الى ان ينشأ لهم الولد فيتزوج بعضهم الى بعض و اجرى لجوارى الاتراك ارزاقا قائمة و اثبت اسماءهن فى الدواوين فلم يكن يقدر احد منهم ان يطلق امرأته و لا يفارقها .

كما نلاحظ ان المعتصم أمر قاداته و رجاله الذين اقطعهم الأراضي لبنائها، بأن لا يطلق لغريب مجاورتهم، كما ألزمهم بتشيد الاسواق الضرورية، قال اليعقوبى: و لما اقطع اشناس التركى فى آخر البناء مغربا و اقطع اصحابه معه و سمي الموضع الكرخ أمره ان لا يطلق

لغريب من تاجر ولا غيره مجاورتهم ولا يطلق معاشره المولدين، فاقطع قوما آخرين فوق الكرخ و سماه الدور و بنى لهم فى خلال الدور و القطائع المساجد و الحمامات و جعل فى كل موضع سوقية فيها عدة حوانيت، و اقطع الأفشين خيدر بن كاوس الأسروشنى فى آخر البناء مشرقا على قدر فرسخين و سمي الموضع المطيرة، فاقطع اصحابه الاسروشنية و غيرهم من المضمومين إليه حول داره و امره ان يبنى فيها هناك سوقية فيها حوانيت للتجار فيما لا بد منه و مساجد و حمامات .

و عنى المعتصم بمدنته عناية فائقة، فقسماها الى قطائع كل قطعة لجماعة معينة، و امتدت الشوارع المستقيمة و المنظمة و كان من اكبر شوارع المدينة الشارع المعروف بالسريجة و هو الشارع الأعظم و يمتد من المطيرة الى الوادى المعروف بوادى اسحق بن ابراهيم، و هناك شوارع اخرى مثل شارع ابى احمد بن الرشيد، و فى هذا الشارع قطائع قواد خراسان منها قطعة هاشم ابن بانيجور و قطعة عجيف بن عنبسة و قطعة الحسن بن على المأمونى و قطعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٨١

هرون بن نعيم و قطعة حزام بن غالب، و ظهر قطعة حزام، الاصطبلات لدواب الخليفة الخاصية و العامية، يتولاها حزام و يعقوب اخوه، ثم مواضع الرطابين و سوق الرقيق فى مربعة فيها طرق متشعبة فيها الحجر و الغرف و الحوانيت للرقيق ثم مجلس الشرط و الحبس الكبير و منازل الناس و الأسواق فى هذا الشارع يمينه و يسرة مثل سائر البياعات و الصناعات و يتصل ذلك الى خشبة بابك ثم السوق العظمى لا تختلط بها المنازل كل تجارة منفردة و كل اهل مهنة لا يختلطون بغيرهم، ثم الجامع القديم الذى لم يزل يجمع فيه الى أيام المتوكل فضايق على الناس فهدمه و بنى مسجدا جامعا و اسعا فى طرف الحير المسجد الجامع و الأسواق من احد الجانبين و من الجانب الآخر القطائع و المنازل و اسواق اصحاب البياعات الدنية مثل الفقاع و الهرائس و الشراب، و قطعة راشد المغربى و قطعة مبارك المغربى و سوقه مبارك و جبل جعفر الخياط و فيه كانت قطعة جعفر ثم قطعة ابن الوزير ثم قطعة العباس بن على بن المهدي ثم قطعة عبد الوهاب بن على بن المهدي و يمتد الشارع و فيه قطائع عامة الى دار هرون بن المعتصم، و هو الواثق عند دار العامة و هى الدار التى نزلها يحيى بن اكثم فى ايام المتوكل لما ولاه قضاء القضاة، ثم باب العامة و دار الخليفة و هى دار العامة التى يجلس فيها يوم الاثنين و الخميس، ثم الخزائن، خزائن الخاصة و خزائن العامة، ثم قطعة مسرور سمانة الخادم و إليه الخزائن ثم قطعة قرقاس الخادم و هو خراسانى ثم قطعة ثابت الخادم ثم قطعة أبى الجعفاء و سائر الخدم الكبار.

و الشارع الثانى يعرف بأبى احمد و هو ابو احمد بن الرشيد أول هذا الشارع من المشرق، دار بختيشوع المتطبب التى بناها فى ايام المتوكل ثم قطائع قواد خراسان و اسبابهم من العرب و من اهل قم و اصبهان و قزوین و الجبل و آذربيجان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٨٢

يمينه فى الجنوب مما يلي القبلة فهو نافذ الى شارع السريجة الأعظم و ما كان مما يلي الشمال ظهر القبلة فهو نافذ الى شارع ابن احمد، ديوان الخراج الأعظم، و قطعة عمر و قطعة الكتّاب و سائر الناس و قطعة احمد بن الرشيد فى وسط الشارع، و فى آخره مما يلي الوادى الغربى يقال له وادى ابراهيم بن رياح، قطعة ابن ابى دواد و قطعة الفضل بن مروان و قطعة محمد بن عبد الملك الزيات و قطعة ابراهيم بن رياح فى الشارع الأعظم. ثم تتصل الاقطاعات فى هذا الشارع و فى الدروب الى يمينته و يسرته الى قطعة بغا الصغير ثم قطعة بغا الكبير، ثم قطعة سيما الدمشقى، ثم قطعة برمش، ثم قطعة وصيف القديمة ثم قطعة إيتاخ و يتصل ذلك إلى باب البستان و قصور الخليفة.

و الشارع الثالث، شارع الحير الأول الذى صارت فيه دار احمد ابن الخصيب فى ايام المتوكل، و فيه قطائع الجند و الشاكريه و اخلاط الناس و يمتد الى وادى ابراهيم بن رياح.

و الشارع الرابع يعرف بشارع برغامش التركى، فيه قطائع الاتراك و الفراغنة، فدروب الاتراك منفردة و دروب الفراغنة منفردة، و الأتراك فى الدروب التى فى القبلة و الفراغنة بازائهم بالدروب التى فى ظهر القبلة، كل درب بازاء درب لا يخالطهم أحد من الناس،

و آخر منازل الاتراك و قطائعهم، قطائع الخزر مما يلي المشرق، اول هذا الشارع من المطيرة عند قطائع الافشين التي صارت لوصيف و اصحاب و صيف، ثم يمتد الشارع الى الوادى الذى يتصل بوادى ابراهيم بن رياح.

و الشارع الخامس يعرف بصالح العباس و هو شارع الاسكر، فيه قطائع الاتراك و الفراغنة، و الاتراك ايضا فى دروب منفردة و الفراغنة فى دروب منفردة ممتدة من المطير الى دار صالح العباس التى على رأس الوادى، و يتصل ذلك بقطائع القواد و الكتاب و الوجوه و الناس كافة.

و شارع الحير الجديد، يقع خلف شارع الاسكر، فيه اخلاط من الناس من قواد الفراغنة و الاسروشنية و الاشتاخنجية و غيرهم من سائر كور خراسان،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٨٣

و هذه الشوارع التى من الحير كلما اجتمعت الى اقطاعات لقوم هدم الحائط و بنى خلفه حائطاً غيره، و خلف الحائط الوحش من الطباء و الايائل و الحمير الوحش و الارانب و النعام و عليها حائط يدور فى صحراء حسنة واسعة.

و الشارع الذى على دجلة يسمى شارع الخليج و هناك الفرض و السفن و التجارات التى ترد من بغداد و واسط و كسكر و سائر السواد من البصرة و الأبله و الاهواز و ما اتصل بذلك و من الموصل و بربايا، و ديار ربيعة و ما اتصل بذلك، و فى هذا الشارع قطائع المغاربة كلهم او اكثرهم .

و اخذت مدينة سامراء فى الاتساع ايام الخليفة المعتصم و حمل إليها الغروس من الجزيرة و الشام و الجبل و الرى و خراسان و سائر البلدان، كما عقد جسرا يربط الجانب الشرقى بالجانب الغربى، حيث انشأ هناك العمارات و البساتين .

فى أيام الواثق بالله

و توفى المعتصم سنة ٢٢٧ هـ، و تولى الخلافة ولده هرون الواثق، و من اشهر عماراته فى سامراء، انشاؤه القصر الذى عرف بالقصر الهارونى، و هو على دجلة، و بينه و بين سامراء ميل و بازائه بالجانب الغربى المعشوق .

و كانت لهذا القصر مجالس فى دكة شرقية و دكة غربية، و لما توفى الواثق سنة ٢٣٢ هـ، دفن فى القصر الهارونى .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٨٤

فى أيام المتوكل

اشارة

و ارتقى عرش الخلافة العباسية المتوكل بن المعتصم، و اتخذ القصر الهارونى منزلاً له، و آثره على غيره من القصور، كما انزل ابنه محمدا الملقب بالمنتصر قصر المعتصم المعروف بالجوسق و انزل ابنه ابراهيم الملقب بالمؤيد بالمطيرة و انزل ابنه العتزل ببلكوارا.

و يعتبر المتوكل من اكثر الخلفاء العباسيين عناية بمدينة سامراء، فعمل على زيادة عماراتها و مد شوارعها، و من أشهر أبنائه بناؤه المسجد الجامع فى اول الحير فى موضع خارج منازل المدينة، و جامع سامراء من أهم الآثار العباسية فى منطقة سامراء و هو يظهر بجلاء، الجهود العظيمة التى بذلت فى سبيل انشائه و اظهاره بالشكل الذى يليق و مكانة العاصمة العباسية، و الزائر له اليوم لا يرى إلا بقايا جدرانه الخارجية، و مئذنته الشهيرة بالملوية، و طول المسجد ٢٤٠ متراً و عرضه ١٦٠ م، و يبلغ علو الجدران نحو عشرة امتار و تخنها لا يقل عن المترين، و يدعمها من الخارج ابراج نصف دائرية عددها اربعون برجاً، اربعة منها فى الأركان و ثمانية فى الضلع

الجنوبية و في الضلع الشمالية و عشرة في الضلع الشرقية و في الضلع الغربية، و في القسم الأعلى من الجدار الجنوبي الى الجهة القبليّة نوافذ مستطيلة ضيقة من الخارج واسعة من الداخل، و يظهر في داخل كل نافذة عمودان من الآجر يحملان طاقا مكونا من خمس حنايا.

و في الجهة القبليّة المحراب و على طرفيه بابان، و في الجدران الأخرى هناك واحد و عشرون بابا، خمسة في الجدار الشمالي و ثمانية في كل من الجدارين الشرقي و الغربي، و يستدل من استكشاف العلامة الآثاري هزرفلد، على انه كان في المسجد ٢٥ رواقا و ان الاوسط منها اكثر اتساعا من الاروقة الاخرى، و ٢٤ صفا من الأعمدة في كل منها عشرة عمد، هذا عدا الايوان الشمالي و فيه ٢٤ صفا من الأعمدة في كل صف منها ثلاثة عمد و الرواقين الجانبيين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٨٥

في كل منها ٢٢ صفا من الأعمدة في كل صف منها اربعة عمد، و بذلك تكون جملة عدد الأعمدة ٤٨٨ عمودا. و كانت السقوف ترتكز على العمد مباشرة دون طيقان من البناء .

و يبدو من الأخبار التاريخية انه كانت في وسط المسجد نافورة، فقد قال اليعقوبي: و بنى المسجد الجامع في اول الحير في موضع واسع خارج المنازل لا- يتصل به شيء من القطائع و الاسواق و اتقنه و وسّعه و احكم بناءه و جعل فيه فؤارة ماء لا ينقطع ماؤها . و كانت الفؤارة تستمد مياهها من القناة التي أنشأها المتوكل لا يصل الماء الى مدينة سامراء .

و يذكر بعض المؤرخين ان جدران المسجد الجامع في سامراء كانت فيها المرايا، و من النصوص الطريفة ما ذكره ابو الحسن الهروي قوله: و جامعها موضع شريف به المعجون كأنه المرآة يبصر المتوجه الى القبلة الداخل و الخارج من الشمال .

و على بعد خمسة و عشرين مترا من الجدار الشمالي و على محور باب المسجد تقع المئذنة الشهيرة بالملوية، و هي مخروطية الشكل تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها ٣٢ مترا، يصعد الى قمته بمرقاة حلزونية تدور حولها من خارجها باتجاه معاكس لدوران عقرب الساعة خمس مرات و تبدأ المرقاة من وسط الضلع الجنوبي للقاعدة و تنتهي في القمة بغرفة صغيرة مستديرة علوها ستة امتار لها باب من الجهة الجنوبية، و يبلغ ارتفاع الملوية على سطح الأرض ٥٢ مترا.

و كان الاعتقاد السائد ان الفارس كان يطلع هذه المئذنة، ذكر ابن خرداذبه ان بمنارة اسكندرية ثلثمائة بيت و ستة و ستين بيتا دائرة و المسجد بها في اعلاها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٨٦

و يركب الفارس و الفارسان الى اعلاها بغير درج، انما يدور الفارسان و الرجال الى اعلاها، مثل منارة سر من رأى . و لكنني اعتقد عكس ذلك إذ لا أرى ضرورة ان يصعد الفارسان الى اعلا المئذنة إضافة الى صعوبة ذلك، كما ان المئذنة و هي جزء من المسجد له قدسيته و جلاله، فمن الواجب الاحتفاظ به منزها من حوافر الخيل و فضلاتها.

و ذكر ياقوت ان المتوكل انفق على بناء المسجد الجامع خمسة آلاف الف درهم . و الرأي السائد ان مئذنة سامراء بنيت على غرار الأبراج البابلية المدرجة (الزقورات) و المنشآت الصينية في عهد تانج .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٨٧

و من الجدير بالذكر ان احمد بن طولون بنى في مدينة القطائع بمصر مسجدا على غرار جامع سامراء، و من لوحته التأسيسية المثبتة على احدى دعائم المسجد يتبين لنا ان المسجد الطولوني انشئ بأمر الامير احمد بن طولون سنة خمس و ستين للهجرة، و قد ذكر بعض المؤرخين تواريخ أخرى مقارنة من ذلك فقد ذكر المقرئى ان بناء المسجد كان في سنة ٢٦٤ هـ . بينما ذكر ابن دقماق ان البناء بدأ في سنة تسع و خمسين و مائتين للهجرة، و يحتل مسجد ابن طولون مربعة طول كل ضلع من اضلاعه ١٦٢ مترا تقريبا و هو اكثر مساجد مصر اتساعا، و تقع المئذنة في الزيادة الشمالية و قاعدة المئذنة مربعة تقريبا مقاساتها ٧٥، ١٢ سم من الجانبين الشمالي و

الجنوبى و ٦٥، ١٣ من الجانبين الأخرين ، و هو على طراز جامع سامراء و فى مصلاه عقود مديبة قائمة على خمسة صفوف من الدعائم، و تندمج فيها اعمدة مبنية ايضا بالآجر .

و قد بنى بسامراء جامع يعرف بجامع ابى دلف، و مساحة هذا الجامع اقل قليلا من جامع سامراء و هو مستطيل الشكل، طول ضلعه الكبير ٤٧، ٢١٥ مترا و ضلعه الصغير ٢٤، ١٣٨ مترا، و فى وسطه صحن مكشوف مستطيل الشكل ايضا، و حول الصحن من جوانبه الاربعه، اروقه عددها فى الضلع القبلى خمسة اروقه، و فى الاضلاع الأخرى رواقان و ما تزال اساطين هذه الاروقه المشيده بالآجر و الجص قائمه و كذلك أقواس بعضها، و قد قامت مديرية الآثار العراقىة بتقوية معظم هذه الاساطين و صيانه عدد من الاقواس، و اليوم بامكان الزائر مشاهدة هذا الأثر العباسى و قد اعيد له طرازه الاول بفضل الجهود المبذوله من اجل الحفاظ عليه و اظهاره بالمظهر الذى يليق به كأثر عربى اسلامى.

و سور الجامع مشيد باللبن، و دلت التنقيبات ان ثخن هذا السور لا يقل

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١٢، ص: ٨٨

عن ٦٠، ١ م و انه كان فى اركانه الاربعه ابراج مستديرة و يدعم كل جانب من الجانبين الشرقى و الغربى عشرة ابراج نصف دائرية. و فى الضلع الشمالى ثمانية ابراج و فى الضلع القبلى عشرة ابراج ايضا.

و لجامع المتوكليه (جامع ابى دلف) ثمانية عشر بابا، ثلاثة منها و هى فى ناحيه القبلة و تفضى الى مشتملات تتصل بالضلع الجنوبى و يبدو ان هذه الأبنية كانت معدة لاستراحة الخليفه إذا جاء لصلوة الجمعة و كان يدخل الى الجامع من باب بجانب المحراب.

اما مثذنه الجامع فانها تشبه ملويه جامع سامراء، و هى ذات مرقاة خارجيه و هى اصغر حجما من ملويه جامع سامراء و يبلغ علو المثذنه نحو ١٩ مترا، و تبدأ المرقاة من يمين الباب و تدور ثلاث دورات كامله باتجاه معاكس لدوران عقرب الساعة، و يستدل من الاخبار التاريخيه و من موضعه ان من عمل المتوكل العباسى، و لكن لا ادرى لم عرف هذا الجامع بجامع ابى دلف، علما ان القائد العباسى القاسم بن عيسى العجلي، توفى سنة ٢٢٦ هـ، فى حين ان المتوكل الذى أمر ببناء الجعفرية او المتوكليه و من ضمنها جامع ابى دلف، تولى الخلافة سنة ٢٣٢ هـ، معنى ذلك ان ابا دلف لم يعاصر بناء المتوكليه و لم ير جامعها.

و يبدو ان المتوكل العباسى، كان ذا هوايه كبيره فى تشييد الأبنية و مد العمران، و من اشهر القصور التى شيدها قصر الجعفرى، و هو بالقرب من سامراء بموضع يسمى الماحوزه، و لا تزال بقايا القصر و بركته تشاهد على ضفة دجلة فى شمال السور الداخلى لمدينة المتوكليه فى الزاويه التى يكونها نهر دجلة من جهة و نهر القاطول الكسروى من الجهة الثانية . و نستشف من الاخبار التاريخيه ان بناء القصر كلف الحاكم العباسى المتوكل اموالا طائله،

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١٢، ص: ٨٩

ذكر ابو الفدا: ان المتوكل انفق فى عمارته اموالا- تجل عن الحصر ، و ذكر ايضا ان المتوكل انفق على بنائه الفى الف دينار و كان المتولى لذلك دليل بن يعقوب النصرانى كاتب بغا الشرايى .

و بعد أن تم بناء المتوكليه انتقل المتوكل و حاشيته و رجال دولته و عامه الناس اليها، و للبحترى الشاعر قصيده عامره فى هذا القصر و بانيه يقول فى مطلعها:

قد تم حسن الجعفرى و لم يكن ليتم إلا بالخليفه جعفر

و لأبى على البصرى وصف حال المدينة العظيمه التى انفقت عليها الأموال

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١٢، ص: ٩٠

الطائله و حالها البائس بعد تحول السلطه و الرعيه عنها قصيده طويله جاء فى مطلعها:

إن الحقيقه غير ما يتوهم فاختر لنفسك أى امر تعزم

إن هذه المدينة الجديدة التي انتقل إليها المتوكل و رعيته، لم تكن على ما يبدو بالمدينة الناجحة أو الملائمة لحياة السكان، ذلك ان الذين اشرفوا على مهمة اىصال الماء الى المدينة المتوكلية لم يكونوا على خبرة واسعة و امكانية وافرة، فجاءت النتيجة على عكس ما كان يرغب المتوكل و الناس جميعا، و قد لعب مشروع النهر دورا خطيرا فى هجران المدينة، مثل دوره فى نشوء فكرة الانتقال إليها، و ذلك بسبب فشل هذا المشروع و عجزه عن تأمين اىصال المياه إليها فى موسم الصيف . و ذكر اليعقوبى: ان النهر لم يتم أمره و لم يجر الماء فيه إلّا جريا ضعيفا لم يكن له إتصال و لا استقامة على انه قد انفق عليه شبيها بألف الف دينار و لكن كان حفره صعبا جدا انما كانوا يحفرون حصا و افهارا لا تعمل فيها المعاول .

و بدىء العمل فى تشييد المدينة سنة خمس و اربعين و مائتين و وجه فى حفر ذلك النهر ليكون وسط المدينة، فقدر النفقة على النهر الف و خمسمائة الف دينار، و امر بأن تخطط القصور و المنازل و اقطع الولاة و الامراء و الكتاب و الجند، و مدّ الشارع الاعظم من دار اشناس التي بالكرخ و هى التي صارت للفتح بن خاقان مقدار ثلاثة فراسخ الى قصوره، و اقطع الناس يمنة الشارع الاعظم و يسرته و جعل عرض الشارع الأعظم مائتي ذراع، و قدّر ان يحفر فى جنبى الشارع نهريين يجرى فيهما الماء من النهر الكبير الذى يحفره، و بنيت القصور و شيدت الدور و ارتفع البناء، و اتصل البناء من الجعفرية الى الموضع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٩١

المعروف بالدور ثم بالكرخ و سرّ من رأى ماذا إلى الموضع الذى كان ينزله ابو عبد الله المعتز، ليس بين شىء من ذلك فضاء و لا فرج و لا موضع لا عمارة فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ .

ان ذلك العمل الذى قام به المتوكل، يعتبر من الأعمال الخارقة، و التي تستحق النظر و الاعتبار، و بصورة خاصة إذا ما قدرنا تلك الظروف و امكانياتها الفنية التي تكاد تكون امكانيات بدائية، و رغم ذلك فان المدة التي تمّ فيها بناء المدينة المتوكلية مدة قصيرة جدا، فقد كمل بناؤها فى اقل من سنتين و انتقل المتوكل الى قصور المدينة اول يوم من المحرم سنة سبع و اربعين و مائتين للهجرة، و اقام فيها حوالى تسعة اشهر و قتل فى شوال سنة سبع و اربعين و مائتين فى قصره الجعفرى، و تولى الخلافة العباسية ولده المنتصر، فانتقل الى سرّ من رأى و امر الناس جميعا بالانتقال عن الماحوزة (مكان المتوكلية) و ان يهدموا المنازل و يحملوا النقض الى سامراء فانتقل الناس و حملوا نقض المنازل الى سامراء و خربت قصور الجعفرى و منازل و مساكنه و اسواقه فى اسرع مدة و صار الموضع موحشا لا أنيس به و لا ساكن فيه و الديار بلاقع كأنها لم تعمر و لم تسكن .

و للمتوكل آثار عمرانية فى سامراء، بعضها لا يزال شاخصا حتى اليوم و البعض الآخر نتعرف عليه من الاخبار التاريخية، و خير من يلخص اعمال هذا الحاكم العباسى، ياقوت فى معجمه قوله: من الابنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل، فمن ذلك القصر المعروف بالعروس انفق عليه ثلاثين الف الف درهم، و القصر المختار خمسة آلاف الف درهم و الوحيد الفى الف درهم و الجعفرى المحدث عشرة آلاف الف درهم، و الغريب عشرة آلاف الف درهم، و الصبح خمسة آلاف الف درهم، و المليح خمسة آلاف الف درهم و قصر بستان الإيتاخية عشرة آلاف الف درهم و التلّ علّوه و سفله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٩٢

خمس آلاف الف درهم و الجوسق فى ميدان الصخر خمسمائة الف درهم و المسجد الجامع خمسة عشر الف الف درهم و بركوان للمعتز عشرين الف الف درهم و القلايد خمسين الف دينار و جعل فيها ابنيه بماية الف دينار، و الغرد فى دجلة الف الف درهم و القصر بالمتوكلية و هو الذى يقال له الماحوزة خمسين الف الف درهم، البهو خمسة و عشرين الف الف درهم و اللؤلؤة خمسة آلاف الف درهم .

يعتبر عام ٢٢١ هـ، هو بداية حياة سامراء كعاصمة للدولة العباسية، و فى هذه السنة سارت جحافل العباسيين الى محاربة بابك الخرمى، الذى خرج على الدولة العباسية، و قد دارت معارك شديدة بين العباسيين و أنصار بابك، و فى سنة ٢٢٢ هـ، سقطت مدينة (البذ)،

التي كانت قاعدة لبابك الخرمي، وقد نجح الافشين القائد العباسي ان يأسر بابك الخرمي و يقتاده اسيرا إلى سامراء سنة ٢٢٣ هـ، حيث قتل ثم صلب.

و من سامراء توجه المعتصم سنة ٢٢٣ هـ، لمحاربة البيزنطيين و قصد عمورية بجيش كبير، و انتصر الجيش العباسي انتصارا رائعا، و لما عاد المعتصم الى سامراء بعد ذلك النصر الذي احرزته على البيزنطيين في عمورية احتفل باستقباله احتفالا باهرا، و مدحه ابو تمام الشاعر بقصيدته التي جاء فيها:-

السيف اصدق انباء من الكتب في حده الجد بين الحد و اللعب

و في سنة ٢٢٧ هـ، توفي المعتصم و دفن في سامراء بقصره المعروف بالجوسق، و كان من وزرائه، احمد بن عمار بن شادي و محمد بن عبد الملك الزيات.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٩٣

عودة للوائح

و تولى الخلافة من بعد المعتصم ولده هارون الواثق، و يعتبر من افاضل الخلفاء العباسيين، و كان فاضلا لبيبا، فطنا فصيحاً و كان يتشبه بالمأمون في حركاته و سكناته .

و في مفتتح خلافته ثارت القيسية بدمشق، فأرسل الواثق إليهم رجاء بن ايوب الحضاري و كانوا معسكرين بمرج راهط، فحاربهم رجاء و هزمهم و أعاد الأمن و الاستقرار لدمشق .

و في سامراء سنة ٢٢٨ هـ، اعطى الواثق اشناس تاجا و وشاحين .

و في سنة ٢٣٢ هـ، توفي الواثق في سامراء و دفن في قصره المعروف بالهاروني. و لم يستوزر الواثق سوى محمد بن عبد الملك الزيات وزير ابيه .

عودة للمتوكل

و تولى الحكم المتوكل جعفر بن المعتصم، و لم تمض شهور حتى أمر بالقاء القبض على الوزير محمد بن عبد الملك الزيات و حبسه، و في سنة ٢٣٥ هـ امر بقتل ايتاخ.

و في سنة ٢٣٥ هـ، ظهر بسامراء رجل يقال له محمود بن الفرج النيسابوري فزعم أنه نبي و انه ذو القرنين و تبعه سبعة و عشرون رجلا و خرج من اصحابه ببغداد رجلا ن باب العامة و آخران بالجانب الغربي، فأتى به و باصحابه المتوكل فأمر به فضرب ضربا شديدا حتى مات .

و في سنة ٢٣٦ هـ أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام و هدم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٩٤

ما حوله من المنازل و الدور و ان يبذر و يسقى موضع قبره و ان يمنع الناس من اتيانه، فنادى بالناس في تلك الناحية من وجدناه عند قبر الحسين بعد ثلاثة حسنا في المطبق .

و في سنة ٢٣٧ هـ غضب المتوكل على احمد بن ابي دؤاد و قبض ضياعه و املاكه و حبس اولاده، و احضر المتوكل يحيى بن اكثر من بغداد الى سامراء و ولاة قضاء القضاة ثم ولاة المظالم، فولى يحيى بن أكرم قضاء الشرقية حيان ابن بشر، و ولي سوار بن عبد الله

العنبرى قضاء الجانب الغربى و كلاهما اعور، فقال الجماز فيهما:

رأيت من الكباثر قاضيين هما احدوثة فى الخافقين

هما اقتسما العمى نصفين قدرا كما اقتسما قضاء الجانبين الخ

و فى سنة ٢٤١ هـ وقع مطر شديد بسامراء فى شهر آب ، و فى سنة ٢٤٣ هـ سار المتوكل من سامراء الى دمشق على طريق الموصل، و دخل دمشق سنة ٢٤٤ هـ، و عزم على المقام بها و نقل دواوين الملك إليها و امر بالبناء بها ثم استوبا البلد، و ذلك بأن هواه بارد ندى و الماء ثقيل و الريح تهب فيها مع العصر فلا يزال يشتد حتى يمضى عامه الليل و هى كثيرة البراغيث و غلت فيها الأسعار و حال الثلج بين السابلة و المسيرة فرجع الى سامراء و كان مقامه بدمشق شهرين و أياما . و يذكر المسعودى ان المتوكل نزل قصر المأمون و ذلك بين داريا و دمشق، على ساعة من المدينة، فى اعلا الأرض، و هذا الموضع بدمشق يشرف على المدينة و اكثر الغوطة و يعرف بقصر المأمون الى هذا الوقت، و هو سنة اثنتين و ثلاثين و ثلاثمائة .

و فى سنة ٢٤٥ هـ، امر المتوكل ببناء مدينة المتوكلية و قد تعرضنا بالكلام

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٩٥

عنها فيما سبق. و فى سنة ٢٤٦ انتقل المتوكل الى المتوكلية، و فى سنة ٢٤٧ هـ، قتل المتوكل بقصره بالمتوكلية، قتله باغر التركى و اصحابه الأتراك .

أيام المنتصر

و بويح المنتصر ابن المتوكل خليفة للعباسيين، و حضر الناس الجعفرية (المتوكلية) من القواد و الكتاب و الوجوه و الشاكريه و الجند و غيرهم فقراً عليهم أحمد بن الخصب كتابا يخبر فيه عن المنتصر ان الفتح بن خاقان قتل المتوكل فقتله به فبايع الناس . و يكاد يجمع المؤرخون من ان المنتصر كان راسخ العقل كثير المعروف راغباً فى الخير ، جواداً كثير الانصاف، حسن العشرة و أمر الناس بزيارة قبر على و الحسين عليهما السلام، و أمن العلويين و كانوا خائفين ايام أبيه و أطلق و قوفهم . توفي المنتصر سنة ٢٤٨ هـ و دفن فى قصر الجوسق ، ذلك لأن اباه انزله ذلك القعر الذى بناه المعتصم ، و المنتصر اول خليفة من بنى العباس عرف قبره و ذلك ان امه طلبت اظهار قبره ، و من الجدير بالذكر ان المنتصر عاد الى سامراء فبدأ الخراب يدب الى المتوكلية، و رجع الناس الى منازلهم بسامراء .

فى أيام المستعين بالله و المعتز

و بويح فى سامراء احمد بن محمد بن المعتصم فى اليوم الذى تولى فيه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٩٦

المنتصر، و لقبه المستعين بالله، و فى عصره ظهرت بعض الفتن فى سامراء التى اثارها الجنود الأتراك، ففى ٢٤٩ هـ، وثب الجند بسامراء مرة بعد اخرى و تحاربوا و تحاملوا على (أوتامش) و قالوا أخذ ارزاقنا و ازال مراتبنا، و خرجت عصبه من الأتراك و الموالى الى الكرخ ، فخرج إليهم اوتامش ليسكنهم فقتلوه و قتلوا كاتبه شجاع بن القاسم و ذلك فى شهر ربيع الآخر و نهبت دورهما فوقع ذلك بموافقة المستعين و كتب إلى الآفاق بلعنه .

و يذكر ابن الأثير ان نفرا من الناس لا يدري من هم بسامراء فتحوا السجن و اخرجوا من فيه فبعث فى طلبهم جماعة من الموالى فوثب العامة بهم فهزموهم، فركب بغا و اتامش و وصيف و عامة الأتراك فقتلوا من العامة جماعة، فرمى و صيف بحجر فأمر باحراق ذلك

المكان و انتهب المغاربة ثم سكن ذلك آخر النهار .

و هذه الحوادث تدل على سوء الاوضاع و اختلال الامور، و صار القادة الاتراك يوشى بعضهم ببعض و يتأمر احدهم بالآخر، ففي سنة ٢٥١ هـ، قتل باغر التركي، قتله وصيف ، و بعد ذلك انحدر المستعين مع بغا و وصيف و شاهك الخادم و احمد بن صالح بن شيرزاد الى بغداد في حراقة، ثم تتابع الى بغداد الكتاب و العمال و بنو هاشم و جماعة من اصحاب وصيف و بغا .

و في السابع من محرم سنة ٢٥٢ هـ بويح للمعتر بالله في سامراء و كان سبب البيعة ان المستعين لما استقر ببغداد اتاه جماعة من الاتراك و القوا انفسهم بين يديه و جعلوا مناطقهم في أعناقهم تذلا و خضوعا و سألوه الصفح و الرضا، قال لهم المستعين: انتم اهل بغى و فساد و استقلال للنعم، الم ترفعوا إلى في اولادكم فألحقتمهم بكم و هم نحو من ألفى غلام؟ و في بناتكم فأمرت بتصيرهن موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٩٧

في عداد المتزوجات و هن نحو من اربعة آلاف و غير ذلك كله أجبتمك اليه و أدت عليكم الأرزاق، فعملتم آنية الذهب و الفضة و منعت نفسى لذتها و شهوتها لصلاحكم و رضاكم و انتم تزدادون بغيا و فسادا، فعادوا و تضرعوا و سألوه العفو فقال المستعين: قد عفوت عنكم و رضيت. فقال له احدهم و اسمه بابى بك: فان كنت قد رضيت فاركب معنا الى سامراء فان الاتراك ينتظرونك. فأمر محمد بن عبد الله بعض اصحابه فقام إليه فضربه، و قال محمد: هكذا يقال لأمر المؤمنين: قم فاركب معنا. فضحك المستعين و قال: هؤلاء قوم عجم لا- يعرفون حدود الكلام، و قال لهم المستعين: ترجعون الى سامراء فان ارزاقكم دارة عليكم و أنظر انا في أمرى فانصرفوا آيسين منه و أبغضهم ما كان من محمد بن عبد الله الى (بابى بك) و أخبروا من وراءهم خبرهم و زادوا و حرضوا تحريضا لهم على خلعه، فاجتمع رأيهم على اخراج المعتر و كان هو و المؤيد في حبس الجوسق و عليهم من يحفظهم فأخرجوا المعتر من الحبس و بايعوا له بالخلافة.

و لما علم المستعين استعداد لمواجهة الموقف فمخ الميرة عن سامراء و امر بتحصين بغداد و بحفر الخنادق في الجانبين، و نصب على الأبواب المنجنيقات و العرادات و شحن الاسوار، و فرض فرضا للعيارين و جعل عليهم عريفا اسمه (بينويه) و عمل لهم تراسا من البوارى المقيرة و اعطاهم المخالى ليجعلوا فيها الحجارة للرمل، و كتب المستعين الى عمال الخراج بكل بلدة ان يكون حملهم الخراج و الاموال الى بغداد و لا يحمل منها الى سامراء شىء و كتب الى الجند الذين بسامراء يأمرهم بنقض بيعه المعتر و مراجعته الوفاء له، و جرت بين المعتر و محمد بن عبد الله مكاتبات و مراسلات يدعو المعتر محمدا الى المبايعة و يذكره ما كان المتوكل اخذ له عليه من البيعة بعد المنتصر.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٩٨

و قدم عبد الله بن بقا الصغير من سامرا الى المستعين و كان قد تحلف بعد ابيه فاعتذر و قال لأبيه: انما قدمت لا موت تحت ركابك فأقام ببغداد أياما ثم هرب الى سامراء، فاعتذر الى المعتر و قال: انما سرت الى بغداد لا علم اخبارهم و آتيك بها فقبله المعتر و رده الى خدمته، و ورد الحسن بن الأفشين ببغداد فخلع عليه المستعين و ضم اليه جمعا من الاشروسنية و غيرهم .

و دارت بين جيوش المعتر و جيوش المستعين معارك شديدة تبادل- فيها النصر و الهزيمة، و أخيرا انتصرت جيوش المعتر و أرغم المستعين على خلع نفسه، و خلال تلك الحوادث، اجتمعت العامة بسامراء و نهبوا سوق الجوهريين و الصيارفة، ثم نقل المستعين الى واسط و بعد فترة قصيرة، بعث المعتر اليه من قتله، و حمل رأسه الى سامراء و قدّم الى المعتر و هو يلعب الشطرنج و قيل له هذا رأس المخلوع فقال: ضعه حتى افرغ من الدست، فلما فرغ نظر إليه و أمر بدفنه و امر لقاتله بخمسين الف درهم و ولاه معونة البصرة .

و كثرت الاضطرابات سنة ٢٥٣ هـ في سامراء، و قد سببت تأخر اموال البلدان و نفاذ ما في بيوت الاموال، فوثب الاتراك فخرج إليهم (وصيف) ليسكنهم فرموه فقتلوه و حرّوا رأسه، و تفرد بغا بالتدبير و ضعف امر المعتر حتى لم يكن له أمر و لا- نهى و انتفضت الاطراف، و خرج بديار ربيعة رجل من الشراء يقال له مساور بن عبد الحميد و يعرف بأبى صالح من بنى شيبان ثم صار الى الموصل

فطرد عاملها حتى قرب من سامرا و نزل في المحمدية ، فدخل القصر و جلس على الفرش و دخل الحمام و ندب له المعتز قائدا و جيشا بعد قائد و جيش و هو يهزمهم حتى كثف جمعه و اشتدت شوكته .

و توفي الامام علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٩٩

بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) بسامراء لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٥٤ هـ، و بعث المعتز بأخيه ابن احمد بن المتوكل فصلى عليه في الشارع المعروف بشارع ابي احمد، فلما كثر الناس و اجتمعوا كثر بكأؤهم و ضجتهم فرد النعش الى داره فدفن فيها ، و هو يلقب بالعسكري لمقامه بسامراء و كانت تسمى العسكر .

و في عصر المعتز تولى احمد بن طولون امر مصر نيابة عن (بابكباك) كما ظهر يعقوب بن الليث الصفار و استولى على فارس و جمع جموعا كثيرة، و لم يقدر المعتز على مقاومته .

و في سنة ٢٥٤ هـ، قتل بغا الشرابي، و نصب رأسه بسامراء و ببغداد و احرقت المغاربة جسده .

و في سنة ٢٥٥ خلع المعتز و قد وردت في هلاكه عدة روايات، ذكر المسعودي: انه ادخل الحمام مكرها و كان الحمام محميا و منع الخروج منه، و ذكر روايتين بعد حادثه الحمام، فالاولى تقول انه ترك في الحمام حتى فاضت نفسه، و الاخرى تقول: انه اخرج بعد ان كادت نفسه تتلف للحمي، ثم أسقى شربة ماء مقراة ثلج، فنثرت الكبد و غيره، ففخ؟؟؟ من فوره، و ذلك ليومين خلوا من شعبان .

و ذكر ابن الاثير: ان الاتراك طلبوا منه مالا فلم يتمكن من تلبية طلبهم، فدخل إليه جماعة منهم فجره برجله الى باب الحجره و ضربوه بالدبابيس و خرقوا قميصه، و اقاموه في الشمس، فكان يرفع رجلا و يضع اخرى لشدة الحر و كان بعضهم يلطمه و هو يتقى بيده، ... ثم ادخلوه سردابا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٠٠

و جصصوا عليه فمات .

و بويح محمد بن الواثق الملقب بالمهتدي، خليفة للعباسيين، ليلية بقيت من رجب سنة خمس و خمسين و مائتين للهجرة، بعد ان أحضر الأتراك الخليفة المعتز فخلع نفسه امام الناس و الى القاريء الكريم صورة الرقعة بخلع المعتز نفسه:-

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما شهد عليه الشهود المسمون في هذا الكتاب شهدوا أن ابا عبد الله بن أمير المؤمنين المتوكل على الله أقر عندهم و اشهدهم على نفسه في صحه من عقله و جواز من امره طائعا غير مكره، انه نظر فيما كان تقلده من امر الخلافة و القيام بامور المسلمين فرأى أنه لا يصلح لذلك و لا يكمل له و أنه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها، ضعيف عن ذلك، فأخرج نفسه و تبرأ منها و خلعه من رقبته و خلع نفسه منها و برأ كل من كانت له في عنقه بيعه من جميع اوليائه و سائر الناس مما كان له في رقابهم من البيعة و العهود و المواثيق و الايمان بالطلاق و العتاق و الصدقة و الحج و سائر الايمان، و حللهم من جميع ذلك و جعلهم في سعة منه في الدنيا و الآخرة بعد ان تبين له ان الصلاح له و للمسلمين في خروجه عن الخلافة و التبريء منها، و أشهد على نفسه بجميع ما سمى و وصف في هذا الكتاب، جميع الشهود المسمين فيه و جميع من حضر بعد أن قرىء عليه حرفا حرفا فأقر بفهمه و معرفته جميع ما فيه، طائعا غير مكره و ذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس و خمسين و مائتين» فوقع المعتز في ذلك بقوله: أقر أبو عبد الله بجميع ما في هذا الكتاب، و كتبه بخطه و كتب الشهود شهاداتهم، شهد الحسن بن محمد، و محمد بن يحيى، و احمد بن جناب، و يحيى بن زكريا ابن ابي يعقوب الأصبهاني، و عبد الله بن محمد العامري، و احمد بن الفضل ابن يحيى، و حماد بن اسحق، و عبد الله بن محمد، و ابراهيم بن محمد،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٠١

و ذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس و خمسين و مائتين

في أيام المهدي

و يعتبر المهدي من خلفاء العباسيين الذين و صفوا بحسن السيرة و التقوى و الورع و كثرة العبادة .
و في رمضان من سنة ٢٥٥ هـ، وثب عامه بغداد و جندها بمحمد بن أوس البلخي، الذي كان قدم من خراسان بجيوشه، فأعطى أصحابه من اموال جند بغداد فتحرك الجند و الشاكرية في طلب الارزاق، و كان الذين قدموا مع محمد بن اوس من خراسان قد أساؤوا مجاورة اهل بغداد و جاهروا بالفاحشة و تعرضوا للحرم، فاتفق العامة مع الجند فثاروا و اتوا سجن بغداد عند باب الشام فكسروا بابه و اطلقوا من فيه، و نهب اهل بغداد منازل الصعاليك من اصحاب محمد بن اوس البلخي، و جرح بن اوس البلخي و انهزم هو و اصحابه و تبعهم الناس حتى اخرجوهم من باب الشماسية و انتهوا منزله و جميع ما كان فيه .

و واجهت خلافة المهدي أخطر مشكلة، تلك هي مشكلة الزنج و قيام حركتهم في منطقة البطائح من جنوب العراق، و قد بدأت تلك الحركة سنة ٢٥٥ هـ، و اشغلت الخلافة العباسية حتى سنة ٢٧٠ هـ، و دارت بين الزنج و جيوش العباسيين حروب طاحنة انتهت بانتصار الموفق ولى عهد الخلافة العباسية أيام الخليفة المعتضد العباسي .

حاول المهدي أن يتقرب من العامة ليستند إليهم و يتخذهم عوناً قويا له في كفاحه الاثراك، فبنى قبة لها اربعة ابواب و سماها قبة المظالم، و جلس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٠٢

فيها للخاص و العام، و امر بالمعروف و نهى عن المنكر، و حرم الشراب و نهى عن القيان، و اظهر العدل، و كان يحضر كل جمعة الى المسجد الجامع، و يخطب الناس و يؤم بهم . و لما اشتد النزاع بينه و بين الاثراك، أحضر جماعة منهم فضرب أعناقهم و فيهم بابكيال رئيسهم فاجتمع الاثراك و شغبوا فخرج إليهم المهدي في السلاح معلقا في عنقه المصحف و استنفر العامة و اباحهم دماءهم و اموالهم و نهب منازلهم .

و لكن يبدو ان الاثراك كانوا من القوة أن سيطروا على زمام الامور في سامراء، حيث تجمعوا ففرق العامة و تمكنوا من الخليفة و دخلوا قصره و قضوا عليه ، و ذكر ابن الأثير يصف اللحظات الأخيرة للخليفة المهدي و صراعه مع الأثراك فيقول: فركب المهدي و قد جمع له جميع المغاربة و الأثراك و الفراغنة فصير في الميمنة مسرورا البلخي و في الميسرة ياركوج. و وقف هو في القلب مع اسارتكين و طبعايغو و غيرهما من القواد، فأمر بقتل بابكيال و القى رأسه إليهم عتاب بن عتاب فحملوا على عتاب فقتلوه. و عطفت ميمنة المهدي و ميسرته بمن فيها من الاثراك فصاروا مع اخوانهم الاثراك فانهزم الباقون عن المهدي، و قتل من اصحاب المهدي خلق كثير و ولى منهزما و بيده السيف و هو ينادى: يا معشر المسلمين، انا أمير المؤمنين، قاتلوا عن خليفتمكم، فلم يجبه احد من العامة الى ذلك، فسار الى باب السجن فأطلق من فيه و هو يظن انهم يعينونه فهربوا و لم يعنه احد. فسار الى دار احمد بن جميل صاحب الشرطة، فدخلها و هم في اثره فدخلوا عليه و اخرجوه و ساروا به الى الجوسق على بغل فحبس عند احمد بن خاقان، و قبل المهدي يده فيما قيل مرارا عديدة ، و جرى بينهم و بينه كلام ارادوه فيه على الخلع و استسلم للقتل و قالوا: انه كان قد كتب بخطه رقعة لموسى بن بغا و بابكيال و جماعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٠٣

من القواد انه لا يغدر بهم و لا يغتالهم و لا يفتكك بهم، و لا يهيم بذلك و انه متى فعل ذلك فهم في حل من بيعته و الامر إليهم يقعدون من شأؤوا فاستحلوا بذلك نقض امره، فداسوا خصيته و صفعوه فمات و اشهدوا على موته انه سليم ليس به أثر و دفن بمقبرة المنتصر .

تولى الخلافة بعد هلاك المهدي ابو العباس احمد بن المتوكل الملقب بالمعتمد على الله، و في أيامه كان الأمر و النهي لأخيه طلحة المعروف بالموفق، و كانت للموفق أيضا قيادة الجيوش و محاربة الأعداء، و مرابطة الثغور، و ترتيب الوزراء و الأمراء، و كان المعتمد مشغولا عن ذلك بلذاته .

و في سنة ٢٥٦ هـ، اى في السنة التي بويغ فيها المعتمد بالخلافة، دخل الزنج مدينة البصرة و قتلوا كثيرا من اهلها و احرقوها ، و في نفس السنة ظهر على بن زيد العلوي بالكوفة و استولى عليها و ازال عنها نائب الخليفة و استقر بها، فسيرت الجيوش لمحاربتة و انتصر في بداية الأمر على بن زيد و لكنه لم يتمكن من الوقوف امام كيجور التركي و جيوشه، و استقامت الامور للقائد التركي في الكوفة و عاد بعدها الى سامراء بغير امر الخليفة، فوجه إليه الخليفة نفرا من القواد فقتلوه بعكبرا في ربيع الاول سنة سبعم و خمسين و مائتين .

و في سنة ٢٥٨ حصل وباء في العراق شمل بغداد و واسط و سامراء، و ذكر اليعقوبى أنه مات كثير من الخلق و كان الرجل يخرج من منزله فيموت قبل ان ينصرف، فيقال انه مات ببغداد في يوم واحد اثنا عشر الف انسان .

و اشتدت المعارك بين جيوش الخليفة العباسى و الزنج، و في سنة ٢٥٩ هـ،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٠٤

عاد الموفق من حرب الزنج متعللا بالمرض فبعث المعتمد موسى بن بغا، فشخص من سامراء نحو الزنج و جرت بينه و بينهم حروب شديدة ، و في هذه السنة دخل الأهواز، كما دخل يعقوب بن الليث الصفار مدينة نيسابور .

و في سنة ٢٦٠ هـ توفى في سامراء الامام الحسن بن على بن محمد (ع) المعروف بالعسكري و دفن في داره في البيت الذى دفن فيه ابوه و هو ابن ثمان و عشرين سنة .

في أيام المعتمد

و في سنة ٢٦١ هـ، جلس المعتمد العباسى في دار العامة بسامراء فولى ابنه جعفرا العهد و لقبه المفوض الى الله، و ولى اخاه الموفق العهد بعد جعفر و لقبه الناصر لدين الله و ولاه المشرق و بغداد و السواد و الكوفة و طريق مكة و المدينة و اليمن و كسكر، و كور دجلة و الأهواز و فارس و اصبهان و قم و كرج و دينور و الرى و زنجان و السند، و شرط ان حدث به الموت و جعفر لم يبلغ، ان يكون الامر للموفق ثم لجعفر بعد و أخذت البيعة بذلك. و امر الموفق ان يسير الى حرب الزنج .

و في سنة ٢٦٢ سار المعتمد العباسى بجيشه الى سامراء لمحاربة يعقوب بن الليث الصفار، فوصل بغداد ثم الى الزعفرانية فنزلها و قدم أخاه الموفق، و دخل يعقوب الصفار مدينة واسط، و سير المعتمد اخاه الموفق فى العساكر لمحاربة يعقوب، فتنازل الموفق مع جيوش يعقوب و اوقع بها هزيمة كبيرة، و رجع المعتمد الى سامراء .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٠٥

و في سنة ٢٦٤ حصلت مشكلة بين الاخوين الخليفة المعتمد و ولى عهده الموفق، و سببها انه خرج سليمان بن وهب من بغداد الى سامراء و شيعه الموفق و القواد، فلما صار إلى سامراء غضب عليه المعتمد و حبسه و قيده و انتهب داره و دارى ابنه وهب و ابراهيم، و استوزر الحسن بن مخلد فى ذى القعدة، فسار الموفق من بغداد إلى سامراء و معه عبد الله بن سليمان بن وهب، فلما قرب من سامراء تحول المعتمد الى الجانب الغربى فعسكر به مغاضبا للموفق، و اختلفت الرسل بينه و بين الموفق و اتفقا و خلع على الموفق، و اطلق سليمان بن وهب و عاد الى الجوسق .

و توفى يعقوب بن الليث الصفار و تولى من بعده اخوه عمرو بن الليث، و عينه الموفق على الشرطة ببغداد و سامراء، كما ولى خراسان و فاراب، و اصبهان و سجستان و كرمان و السند .

و في هذه الفترة شددت الخلافة العباسية على محاربة الزنج و القضاء عليهم، فقد تحسنت اوضاع الخلافة بعض الشيء خاصة بعد وفاة يعقوب بن الليث الصفار، كما ان توسع الزنج و سيطرتهم على مدينة واسط و تهديدهم الخلافة كان من العوامل المهمة التي دفعت بالخلافة العباسية و القادة العباسيين الى اتخاذ مواقف حاسمة ضد الزنج، فجهز الموفق الجيوش الكثيفة، و اعد كذلك اسطولا نهريا، و اصبحت قيادة ذلك الجيش لابي العباس المعتضد ابن الموفق، و انتصر المعتضد انتصارات اولية على جيوش الزنج كانت لها اهمية كبيرة في تقوية المعنويات في صفوف العباسيين، فقد انتصر على قائد الزنج سليمان ابن جامع انتصارا رائعا و نجح في تمزيق جيشه . و لما اعد الزنج قوة كبيرة لمحاربة المعتضد، توجه الموفق سنة ٢٦٧ بجيش كبير لينضم الى جيش المعتضد و ليكون قوة و سنداً له، و لما سمع المعتضد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٠٦

بتحركات الزنج و استعداداتهم تراجع الى مقره بجوار واسط لينتظر والده .

ثم سار الموفق و ابنه المعتضد و سيطروا على مدينة (المنيعة) القريبة من واسط و هي من حصون الزنج الكبيرة، ثم سارا بجيوشهما لاحتلال (المنصورة) و كان الزنج قد حصنها بخمسة خنادق، و جعلوا امام كل خندق منها سورا يمتنعون به . ثم سار الموفق الى المختارة عاصمة الزنج القريبة من ابي الخصيب في لواء البصرة، و كانت هذه المدينة محصنة بتحصينات منيعة، فحاصرها الموفق و منع التموين عنها و اطال الحصار عليها، و قد حاول الزنج فك الحصار المضروب عليهم و لكن دون جدوى.

و اخذت هجمات العباسيين على المختارة بشكل متتابع و كان الهجوم العام على شرقى ابي الخصيب و غريه في اواخر محرم من سنة ٢٧٠ هـ و تمزقت جيوش الزنج و هرب رئيسهم و ابنه و سليمان ، و بذلك انتهت هذه المشكلة الخطيرة التي هددت الخلافة العباسية و التي كانت من اهم عوامل تفككها و انحلالها.

و حصلت بين المعتمد الخليفة العباسي و ولي عهده الموفق جفوة، فقرر المعتمد الذهاب الى مصر، و كتب الخليفة الى احمد بن طولون يشكو إليه حاله سراً من اخيه الموفق، فأشار عليه احمد بن طولون للحاق به بمصر و وعده النصره و سير عسكرا الى الرقة ينتظر وصول المعتمد إليهم. فاغتم المعتمد غيبة الموفق و انشغاله في حروب الزنج، فسار و سار معه جماعة من القواد فأقام بالكحيل يتصيد، فلما سار الى عمل اسحق بن كنداج و كان عامل الموصل و عامة الجزيرة و ثب ابن كنداج بمن مع المعتمد من القواد فقبضهم و انحدر بهم الى سامراء فتلقاه صاعد بن مخلد كاتب الموفق، فسلم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٠٧

اسحق بن كنداج، الخليفة إليه فأنزله دار احمد بن الخصيب و منعه من نزول دار الخلافة، و وكل به خمسمائة رجل يمنعون من الدخول إليه، و لما بلغ الموفق ذلك، بعث الى اسحق بخلع و اموال، و اقطعه ضياع القواد الذين كانوا مع المعتمد، و لقبه ذا السنين، و لقب صاعدا ذا الوزارتين، و اقام صاعد في خدمة المعتمد، و لكن ليس للمعتمد حل و لا ربط، و قال المعتمد في ذلك:

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلّ ممتنعا عليه

و تؤخذ باسمه الدنيا جميعا ما من ذاك شيء في يديه

إليه تحمل الأموال طراو يمنع بعض ما يجبي إليه

و في سنة ٢٧١ هـ، تأزمت الحالة بين الطولونيين و العباسيين، و سار المعتضد على رأس جيش لمحاربة خمارويه بن احمد بن طولون، و انتصر الطولونيون على جيش العباسيين ، و في نفس السنة عزل عمرو بن الليث عن خراسان، و وقعت معارك بين الصفاريين و العباسيين، و دارت الدائرة على جيش عمرو بن الليث الصفار فانهمز عمرو و عساكره، و غنم العباسيون عددا كبيرا من الدواب و البقر . و بلغت الخلافة العباسية حدا من الضعف و الفوضى و عدم السيطرة و الضبط على الامور، حتى لنلمس ذلك في تصرفات القادة و الامراء، و من امثلة ذلك ان خلفا شخصيا وقع بين محمد بن ابي الساج و اسحق بن كنداج و كلاهما من ولاة الامر في الجزيرة، و ان

محمد بن ابي الساج نافر ابن كنداج في الأعمال و اراد التقدم و امتنع عليه اسحق، فماذا كانت النتيجة؟ ارسل ابن ابي الساج الى خمارويه بن احمد بن طولون صاحب مصر و اطاعه و صار معه و خطب له بأعماله و هي قنسرين . فقامت الحرب بين المتنافرين و تدخل خمارويه بجيوشه لصالح محمد بن ابي الساج، حتى سيطر على الجزيرة
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٠٨

و الموصل و خطب لخمارويه فيها ثم لنفسه بعده . و هذا مما لا شك فيه من العوامل التي ادت الى اضعاف الدولة العباسية و هبوط هيبه الخلافة. و استمرار الحروب بين المتنافسين قد سبب ارتباكا عاما في جهاز الدولة الاقتصادي و العسكري.
و في سنة ٢٧٤ هـ، عادت الحرب ثانية بين العباسيين و الصفاريين، و في سنة ٢٧٦ هـ، جعلت شرطة بغداد الى عمرو بن الليث الصفار و كتب اسمه على الاعلام و الترسه و غيرها .

و في سنة ٢٧٨ توفي الموفق ولى عهد الخلافة العباسية و كان مريضا بالنقرس ، و في ذات السنة تحرك بسواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة، و اشتهر منهم حمدان و كان قد اتخذ كلواذى القريه من بغداد مقرا له، و كان يظهر الزهد و التقشف و يسف الخوص و يأكل من كسبه و يصلى اكثر الناس و يصوم ، و يظهر انه كان أكارا بقارا ، و قد نظم حمدان حركة القرامطة تنظيما كان له الأثر الكبير في نجاح الدعوة القرمطية و انتشارها في انحاء مختلفه من العالم الاسلامي .

و في سنة ٢٧٩ هـ، خرج المعتمد العباسي و جلس للقواد و القضاء و وجوه الناس و اعلمهم انه خلع ابنه المفوض الى الله جعفر من ولاية العهد، و جعل ولاية العهد للمعتضد بالله ابي العباس احمد بن الموفق .
و يبدو ان المعتمد العباس ترك سامراء، و انه اتخذ بغداد حاضرة ملكه، و ذلك بعد ان عمّر قصره العظيم المعروف في التاريخ بقصر المعشوق .

و في نفس السنة توفي الخليفة المعتمد على الله في القصر الحسنى ببغداد، و حمل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٠٩

الى سامرا فدفن بها .

و هكذا انتهت قصة سامراء عاصمة العباسيين، و التي عاشت حوالي الخمس و الخمسين سنة، ملك بها ثمانية خلفاء هم المعتصم، و الواثق بالله، و المتوكل على الله، و المنتصر بالله، و المستعين بالله، و المعتز بالله، و المهتدي بالله، و المعتمد على الله.
و بانتقال الخليفة العباسي الى بغداد، انتقلت معه الدواوين و جميع اجهزة الدولة، و بعد فترة و جيزة اصبحت سامراء من المدن الصغيرة، بعد ان كانت قد ضاهت بغداد في سعتها و كثرة عمرانها و جمال قصورها و نضارة متزهاتها.

ذكر القزويني في سامراء: انها اعظم بلاد الله بناء و اهلا ... و لم يكن في الارض احسن و لا أجمل و لا أوسع ملكا منها ، و قال ابن جبير في رحلته: و نزلنا مع الصباح من يوم الخميس الثامن عشر لصفر على شط دجلة بمقربة من حصن يعرف بالمعشوق ... و على قبالة هذا الموضع في الشط الشرقي مدينة (سر من رأى) و هي اليوم عبرة من رأى أين معتصمها و واثقها و متوكلها، مدينة كبيرة قد استولى الخراب عليها إلا بعض جهات منها هي اليوم معمورة، و لم يبق إلا الأثر من محاسنها و الله

طرف من اطلال قصر المعشوق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١١٠

وارث الأرض و من عليها لا إله غيره .

و من المرجح ان بناء مدينة سامراء كان مشروعا لم تتوفر له اسباب و دعائم النجاح، و الذي أبقاها كمدينة (قضاء) اليوم هو وجود العتبات المقدسة فيها، و كونها قريبة من بغداد و ان لآثارها العباسية اهمية تاريخية و اثرية تعمل على ورود كثير من السياح و الجوايين إليها.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١١١

سامرا في الشعر

إشارة

جمعه و نسقه حسب الحروف الهجائية نماذج مقتطفة مما جاء من ذكر سامراء في الشعر فؤاد عباس من خريجي الجامعة الاميركية ببيروت و المفتش الاختصاصي في وزارة التربية العراقية و موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١١٣

أحمد بن أبي دؤاد

(سّر من را) أسّر من بغدادفارم بغداد عامدا ببعاد
حبذا مسرحاتها ليس تخلو ابدا من طريده و طراد
و ديار كأنما نسج الدهر عليها محبّر الابراد
و اذكر المشرف المطلّ من التلّ على الصادرين و الورّاد
و اذا روّح الرعاة فلا تنس تداعي فراقد الاولاد

السيد أحمد الموسوي

قال مؤرخا تجديد ضريحي العسكريين (ع) بسامراء:
الى مهرجان أقام الهدى له حفلات باسمى معرّس
رأت (سّر من را) و من أمّها ضريحا على خير مثنوى يؤسّس
نعم هو مثنوى هداة الانام كأن النبى بمغناه يرمس
به شيد الحق تاريخه: (و جدّد نصب ضريح مقدّس)
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١١٤

الشيخ أحمد النحوى

قال مصدّرا و الاعجاز لولده الشيخ محمد رضا و قد نظماها في طريق أسامراء من قصيدة:
رحها فقد لاحت لديك المعاهدو عمّا قليل للديار تشاهد
و تلك القباب الشامخات ترفّعت و لاحت على بعد لديك المشاهد
و قد لاحت الاعلام اعلام من لهم حديث المعالى قد رواه (مجاهد)
حتثنا اليها العيس قد شقّها النوى و قد اخذت منها السرى و الفدافد
نؤم بها دار العلى (سّر من رأى) ديار لآل الله فيها مراقد

ديار بها الهادي الى الرشد و ابنه و نجل ابنه و الكل في الفضل واحد
 و له من قصيدة عند زيارته الامامين العسكريين (ع) في سامراء :
 فيا ابن النبي المصطفى و سميته و من بيديه الحل في الكون و العقد
 اليك حشناها خفافا عيا بها على ثقة أن سوف يوقرها الرشد
 فألوت على دار أناخ بها الندى و ألقى عليها فضل كل كلكه المجد
 فعوجا فهذا السر من (سر من رأى) يلوح فقد تمّ الرجا و انتهى القصد
 و هاتيك ما بين السراب قبا بهم فأونه تخفى و آونه تبدو

البحري

قال من قصيدة يمدح بها ابا سعيد محمد بن يوسف الثغري و يذكر انتصاره
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١١٥
 على بابك :

ما زلت تفرح باب بابك بالقناو تزوره في غارة شعواء
 حتى اخذت بنصل سيفك عنوة منه الذي اعيا على الخلفاء
 اخليت منه (البذ) و هي قراره و نصبته علما ب (سامراء)
 و قال في (الخضر بن أحمد) :
 قالت اراك بسر من را ثاويافي مرتع جشب و عيش منصب
 قلت اربعي في سر من را سيد كرمت ضرائبه عظيم المنصب
 و قال :

كم ليلة ذات اجراس و اروقة كاليم يقذف امواجا بامواج فالزو و (الجوسق) الميمون قابله
 غنج (الصبيح) الذي يدعى بصناج بسر من را) سرى همى و سامرنى
 لهو نفى الهم عن قلبى باخراج و قال يمدح على بن مر الطائي :
 اهز بالشعر اقواما ذوى و سن فى الجهل لو ضربوا بالسيف ما شعروا
 على نحت القوافى من مقاطعهاو ما على لهم ان تفهم البقر
 لا رحلن و آمالى مطرحة (بسر من راء) مستبطل لها القدر
 *** و قال :

و أرى المطايا لا قصور بها عن ليل (سامراء) تدرعه
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١١٦
 و قال :

و لما قصدنا (سر من را) تضاء لاو لا خضر يقرى فيهما، البدو و الحضر
 و قال يخاطب ابراهيم بن المدبر :
 اى شىء الهاك عن سر من راى و ظل للعيش فيها ظليل

بديع الزمان الهمداني

أما تروني اتغشى طمراممتطيا في الضرّ أمرا مرّا
 اقصى امانى طلوع الشعري فقد غنينا بامانى دهرًا
 و كان هذا الحرّ أعلى قدراو ماء هذا الوجه اغلى سعرا
 فانقلب الدهر لبطن ظهراو عاد عرف العيش عندى نكرا
 لم يبق من وفرى الا ذكراثم الى اليوم هلمّ جرّا
 لولا عجوز لى (بسرّ من را) و افرخ دون جبال (بصرى)
 قد جلب الدهر عليهم ضرّاقتلت يا سادة نفسى صبرا

أبو تمام

قال من قصيدة طويلة يمدح بها المعتصم و يذكر اخذ بابك الخرمى :
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١١٧ لما قضى رمضان فيه قضاءه شالت به الأيام فى شؤال
 ما زال مغلول العزيمة سادراحتى غدا فى القيد و الأغلال
 متلبسا للموت طوقا من دم لما استبان فظاظه الخللخال
 لاقى الحمام (بسرّ من راء) التى شهدت لمصرعه بصدق الفال
 قطعت به اسبابه لما رمى بالطرف بين الفيل و الفيال
 *** و قال من قصيدة يمدح ابا سعيد و قد غاب عنه :
 سأوطىء اهل (العسكر) الآن عسكرا من الذلّ مخاء لتلك المعالم
 فانى و ما حورفت فى طلب الغنى و لكنكم حورفتم فى المكارم
 *** و قال فى اصدقاء له ثلاثة :

لى فى نصيين شجو يستهلّ له دمعى و شجو (بسامرّا) و أزان
 ثلاثة سلبتنيهم حتوفهم بعد ائتلاف و خلّتنى و احزانى
 لقد خبت منهم بعد استنارتها فى الافق أنجم إنعام و إحسان
 *** و قال يذم بغداد و يمدح سرّ من رأى :

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١١٨ لقد اقام على بغداد ناعمها فليبيكها لخراب الدهر باكيها
 كانت على ما بها و الحرب موقدة و النار تطفىء حسنا فى نواحيها
 ترجى لها عودة فى الدهر صالحة فالآن اضمر منها اليأس راجيها
 مثل العجوز التى ولّت شبيتها و بان منها جمال كان يحظيها
 لزت بها ضرّة و هزاء واضحة كالشمس احسن منها عند رائيتها

جابر الكاظمي

قال من قصيدة بمناسبة تعمير مشهد العسكريين (ع) فى سامراء الذى تمّ سنة ١٢٨٥ هـ :

شمس قدس أبي سناها الغيا باقد انارت من العراق الرحابا
 سامرت (سامراء) منها ذكاء نورها اذهب الظلام ذهابا
 تأخذ الشمس أهبة من ضياها ثم تهدي الى النهار إهابا
 و قال يمدح السيد مرزا محمد حسن الشيرازي و يهنئه بيوم الغدير :
 ان يوم الغدير يوم منير ملاً الارض و السما منه نور
 قد صفا الدهر و ازدهى بصفاه إذ أعاد الصفا اليه الغدير
 أي سبط سرت به (سر من را) إذ لها بالهداه دام السرور
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١١٩

السيد جعفر كمال الدين

قال في دار السيد حسن الصدر في سامراء :
 لقد بقيت بسامراء منفردا مثل انفراد سهيل كوكب اليم
 و الدهر لما رمانى في فوادحه آليت لا اشتكى إلّا الى (الحسن)

الجواهرى

من قصيدة عنوانها: الطبيعة الضاحكة في سامراء :
 حيت سامرا تحية معجب برواء متسع الفناء ظليله
 بلد تساوى الحسن فيه فليله كنهاره و ضحاؤه كأصيله
 ساجى الرياح كأنما حلف الصبا ألّا يمرّ عليه غير عليه
 طلق الضواحي كاد يربى مقفر منه بزهرته على مأهوله
 و كفاك من بلد جمالا أنه حذب على انعاش قلب نزيله
 عجبى بزهو صخوره و جباله عجبى بمنحدراته و سهوله
 بالشاطىء الأدنى و بسطة رمله بالشاطىء الأعلى و برد مقيله
 بجماله و البدر يملؤه سنا بجلاله رهن الدجى و سدوله
 بالنهر فياض الجوانب يزدهى بالمطربين: خريره و صليله
 ذى جانبين: فجانب متطامن يقسو النسيم عليه فى تقبيله
 بازاء آخر جائش متلاطم يرغو اذا ما انصبّ نحو مسيله
 فصلتهما الجزر اللطاف نواتنا كلّ تحفز ماثلا لعديله
 و جرت على الماء القوارب عورضت بالجرى فهى كراسف بكبوله
 فاذا التوت لمسيله فكأنها تبغى الوصول اليه قبل وصوله
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٢٠ و اذا نظرت رأيت ثمة قارباتما تزه بالضوء من قنديله
 أو صوت مجذاف يبين بوقعه فوق الحصى عن شجوه و عويله

ساد السكون على العوالم كلها وتجلبب الوادى رداء خموله
وتبهت بين الصخور حمامة تصغى لصوت مطارح بهديله
واشاع شجوا فى الضفاف ورقه إيقاظ نوتى بها لزميله
ولقد رأيت فوق دجله منظر الشعر لا يقوى على تحليله
شفقا على الماء استفاض شعاعه ذهبا على شطآنه وحقوله
حتى اذا حكم المغيب بداله شفق يحوط البدر حين مثوله
فتخالف الشفقان: هذا فائرعدا، وهذا ذائب بنزوله
ثم استوى فضى نور عابث بالمائجتين: مياهاه ورموله
فاذا الشواطىء والمساحب والربى والشط والوادى وكل فضوله
قمراء راقصة الأشعة جللت بخفى سر رائق مجهوله
والجو افرط فى الصفاء فلو جرى نفس عليه لبان فى مصقوله
هذى الحياة لمثلها يحنو الفتى حرصا وشفاقا على مأموله

و اذا اسفت لمؤسف فلأنه خصب الثرى يشجيك فرط محوله
قد كان فى خفض النعيم فبالغت كف الليالى السود فى تحويله
بدت القصور الغامرات حزينه من كل منهوب الفناء ذليله
كالجيش مهزوم الكتائب فله ظفر، ورق عدوه لفلوله
(العاشق) المهجور قوض ركنه كالعاشق الآسى لفقد خليله
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٢١ و الجعفرى و لم يقصر رسمه الباقي - برغم الدهر - عن تمثيله
بادى الشحوب تكاد تقرأ لوعه لنعيمه المسلوب فوق طوله
و كأنما هو لم يجد عن (جعفر) بدلا يسر به ولا عن جيله
فضت مجالسه به و خلون من شعر (الوليد) بها و من ترتيله

ولقد شجنتى عبرة رقرقة حيرانه فى العين عند دخوله
انى سألت الدهر عن تخطيطه عن سطحه عن عرضه عن طوله
فأجابنى: هذى الخريبه صدره و البلقع الخالى مجرّ ذبوله
وسل الرياح السافيات فانها درى بكل فروعه و اصوله
وتعلمن ان الزمان اذا انتحى شهب السما كانت مداس خيوله
مدت بنو العباس كف مطاول فمشى الزمان لهم بكف مغوله
واجتاح صادق ملكهم لما طغوا بدعى ملك كاذب منحوله
وكذا السياسة فى التقاضى عنده تسليم فاضله الى مفضوله
خلدت سامراء لم اوصلك من فضل حشدت على غير قليله

يا فرحة القلب الذي لم تتركى اثرا للاعج همه و دخيله
 و افاك ملتهب الغليل و راح عن مغناك يحمد منك برد غليله
 أنعشيّه و نفيت عنه هواجسا ضايقنه و أترن من تخيله
 و صدقته أملا رآك لمثله أهلا، فكنت، و زدت فى تأميله
 هذا الجميل الغض سوف يرده شعري اليك مضاعفا بجميله
 و له من قصيدة عنوانها: سامرء او ساعة مع البحرى :
 أسدى اللى بك الزمان صنيعا فحمدت صيفا طيبا و ربيعا
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٢٢ أجلت منظر ك البديع و منظر اجلته لم لا يكون بديعا!!!

درج الزمان بها سريعا بعد ما ناشدته الّا يمرّ سريعا
 قرّت بمرآها العيون و قرحة للعين الّا تبصر المسموعا
 و نعمت اسبوعا بها و سعيده سنة نعمت خلالها اسبوعا
 الفيت حسن الشاطئين مرققا غضا و خصب الشاطئين مريعا
 واضعت احلامى و شرح شبيبتى و طلاقتى فوجدتهنّ جميعا
 صبح اغرّ و ليلة جدلانه بيضاء تهزأ بالصباح سطوعا
 و البدر بالأنوار يملأ دجلة زهوا و يبعث فى النفوس خشوعا
 و ترى ارتياحا فى الضفاف و هزة تعلق الرمال اذا أجدّ طلوعا
 و جرت على الحصباء دجلة فضة صهرت هناك فموتت تمويعا
 و كأنما سبكوا قواريرا، بهامضى السنا، فتصدّعت تصديعا
 و ترى الصخور على الجبال كأنما لبست بهنّ من الهجير دروعا

دور الخلائف عافها سمارها و تقطعت اسبابها تقطيعا
 درجت بساحتها الحوادث و انبرى خطب الزمان لها فكان فظيعا
 حتى شواطىء دجلة مناسبة تأبى تشهد منظرًا مفجوعا
 أبنتها مريئة و لطالما غازلت منها حسنها المسموعا
 و لقد تدمّ جلادة فى موقف للنفس أجمل ان تكون جزوعا
 قصر الخليفة جعفر كيف اغتدى بيد الحوادث، فظة، مصفوعا!
 و كم استقرّ على احتقار طبيعته لم تأله التحطيم و التصديعا!!
 و لقد بكيت و ما البكاء بمرجع ملكا بشهوة مالكيه بيعا
 زر ساحة السجن الفظيع تجد به ما يستثير اللوم و التقريبا
 ان الذين على حساب سواهم حلبوا ملذات الحياة ضروعا
 رفعوا القصور على كواهل شعبهم و تجاهلوا حقًا له مشروعا
 حتى اذا ما الشعب حرّك باعه فاذا هم ادنى و أقصر بوعا
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٢٣

الحسين بن الضحاک

قال مفضلاً سامراً على بغداد:
 على سرّ من را و المصيف تحية مجللة من مغرم بهواهما
 الأهل لمشتاق ببغداد رجعة تقرب من ظليهما و ذراهما؟
 محلان لقي الله خير عباده عزيمة رشد فيهما فاصطفاهما
 و قولاً لبغداد اذا ما تنشمت على أهل بغداد جعلت فداهما
 أفي بعض يوم شفّ عيني بالقذاحرورك حتى را بنى ناظراهما!!

حيدر الحلي

أدم ذكرها يا لسان الزمان و في نشرها فمك العاطر
 و هنّ بها (سرّ من را) و من به ربعها أهل عامر
 و قل يا تقدّست من بقعة بها يغفر الزلة الغافر
 كلا اسميك في الناس باد له باوجههم أثر ظاهر
 فأنت لبعضهم (ساء من رأى) و به يوصف الخاسر
 و أنت لبعضهم (سرّ من رأى) و هو نعت لهم زاهر
 و قال من قصيدة في مدح النبي و العسكريين (ع) و العلامة محمد حسن الشيرازي :
 زان (سامراً) و كانت عاطلاتتشكى من محلّها الجفاء
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٢٤ و غدت افناؤها آنسة و هي كانت او حش الارض فضاء
 حيّ فيها (المرقد الاسنى) و قل زادك الله بهاء و سناء
 ثم ناد (القبة) العليا و قل طاوولي يا قبة (الهادي) السماء
 بمعالي (العسكريين) اشمخي و على افلاكها زيدي علاء
 و بنا عزّج على تلك التي اودعتنا عندها (الغيبه) داء

خالد الكاتب

كانت اول شيء قيل في بناء سرّ من رأى :
 عزم السرور على المقام بسرّ من را للامام
 بلد المسرة و الفتوح المستنيرات العظام
 و تراه اشبه منزل في الارض بالبلد الحرام
 فالله يعمره بمن اضحى به عزّ الأنام
 و قال فيها أيضاً :
 بين صفو الزمان عن كدره في ضحكات الربيع عن زهره

يا سرّ من را بوركت من بلدبورك في نبتة و في شجره
غرس جدود الأنام نكبتها(بابك) و (المازيار) من ثمره
فالفتح و النصر ينزلان به و الخصب في ترابه و في شجره
و قال فيها أيضا :

اسقني في جرائر و زقاق لتلاقي السرور يوم التلاقي
من سلاف كأن في الكأس منه عبرات من مقلتي مشتاق
في رياض بسرّ من را الى الكرخ و دعني من سائر الآفاق
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٢٥ ياد كارات كل فتح عظيم لامام الهدى أبي اسحاق

دعبل بن علي الخزاعي

قال يهجو عميرا الكاتب :
خرجت مبكرا من (سرّ من را) ابادر حاجة فاذا (عمير)
فلم أثن العنان و قلت أمضى فوجهك يا عمير ... و خير
و قال في انشاء سرّ من رأى :
(بغداد) دار الملوک كانت حتى دهاها الذي دهاها
ما غاب عنها سرور ملك عاد الى بلدة سواها
ما (سرّ من را) بسرّ من رابل هي بؤسى لمن يراها
عجل ربّي لها خرابا برغم أنف الذي ابتناها

سكن

جارية محمود الوراق قالت في المعتصم العباسي :
ان الامام اذا ارفا الى بلدأرفا اليه بعمران و ايناس
فاصبحت (سرّ من را) دار مملكة مختطة بين انهار و أغراس
يا غارس الآس و الورد الجنى بها غرس الامام خلاف الورد و الآس
غراسه كل عات لا خلاق له عبل الذراع شديد البأس قنعاس
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٢٦ كبابك و أخيه اذ سما لهما بياتر للشوى و الجيد خلّاس
فذاك بالجسر نصب للعيون و ذا(سرّ من را) على سامى الذرا راسى

شاعر

يهجو ابا الفرّج محمد بن علي السامري (نسبة الى سامراء) احد وزراء الخليفة العباسي المستكفي بالله :
الآن إن كفر المقتر رزقه قالوا كفرت فخف عقاب النار
أ أكون رجلى مركبي و جنيتي خفي على ذليّ بذاك و عار

و (السّر من رائتي) في اصطبله مئتا عتيق فاره مختار
 كلب حمار بالخيول، و كاتب فطن يضيق به كراء حمار!؟
 انا قد دهشت فعرفوني أنتم: هذا من الانصاف في الاقدار؟؟

الشيخ عبد الحسين الحويزي

قال مادحا الامام علي الهادي (ع) :
 بك ارض (سامراء) اشرق نورها فمحت دجاها بالسنا المتوقد
 و علت بهيكلك الشريعة مسنداو السمك يعلو بارتفاع الاعمدة
 و نزلت كالبيت العتيق مكانة زينتها في نائل متجدد
 و قال من قصيدة مادحا الامام الحسن العسكري (ع) :
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٢٧ شخصت لرفعتك النجوم طوالعا كبرن شخصك بالعيون الحسد
 و خطرت عن عمرو العلا بارومة نشرت على الخضرا ذوائب سؤدد
 اصبحت ملتزما (مقام حظيرة) قدسيه عظمى و (قبله مسجد)
 باب لدار علاك اضحت (حطة) مسحت بها جبهات قوم سجد

عبيد الله بن أبي طاهر

اقول لما هاج قلبي ذكري و اعترضت وسط السماء الشعري
 كأنها ياقوتة في مدري ما أطول الليل بسر من را

الوزير الكاتب (أبو محمد بن سفيان)

كتب الى ابى امية ابراهيم بن عصام يعرض باحد الملوك :
 امرر بقاضى القضاة ان له حقا على كل مسلم يجب
 و قل له ان ما سمعت به عن (سر من راء) كله كذب
 قد غزنى مثل ما غررت به فجئته يستحنى الطرب
 حتى اذا ما انتهيت صرت الى سراب قفر من دونه حجب
 و مله للسماح ناسخة لها نبى إلهه الذهب
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٢٨

السيد محمد على آل خير الدين

من قصيدته. الحنين الى سامراء :
 عج للمحصب من مشارق دجلة حيث الفضا و الماء و الخضراء
 فهناك مربع جبرتي و هناك مفرع حيرتى و هناك (سامراء)

فاحبس بحيث العز يسحب ذيله تيهها و ينشر للفخار لواء
 و اخضع بحيث المجد القى رحله و اخشع بحيث أظلت العلياء
 و اجنح الى الحرم المنيع فلودنى ملكك زوته هيبه و بهاء
 تبصر تجلى نور ربك فى ثرى رقدت به ساداتنا النجباء

ابن المعتز

قال فى سرّ من رأى :

مقفره الربيع ليج هاجرها عامرها موحش و غامرها
 ينتحب البوم فى منازلها كأن اوطانها مقابرها
 و قال :

بأبى يا سرّ من رالا اراك الله شرًا
 موسوعه العتبات المقدسه، ج ١٢، ص: ١٢٩ ما ارى من يتقرى و الذى لا يتقرًا
 منهم إلا الأبراما جد الاخلاق حرا
 و قال :

يا سرّ من را لعنت من بلديخب فيك الادلاج و البكر
 كأنما الليل حين يسكنها يقدح فيه من بقها شر
 و قال فى خراب سامراء :

قد اقفرت (سرّ من را) و ما لشيء دوام
 فالنقض يحمل منها كأنه الآجام
 ماتت كما مات فيل تسلّ منه العظام

المنتصر العباسى

كتب الى المتوكل و هو بالشام :
 الى الله اشكو عبره تتحيرو لو قد حدا الحادى لظلت تحدر
 فيا حسرتا أن كنت فى (سرّ من رأى) مقيما و بالشام الخليفة جعفر
 موسوعه العتبات المقدسه، ج ١٢، ص: ١٣٠

السيد موسى الطالقانى

و على (سرّ من رأى) فاحبس الركب و نح فى عراض ربع محيل
 و اسعد اليوم فى المناخ على خيرالبرايا بزفره و عويل
 كم شهيد ثوى بها و شريدغاب فيها و كان مأوى الدخيل
 فمتى ينجلي النوى عن محيافيه يشفى قلبى و يطفى غليلى؟

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٣١

سامراء في المراجع العربية

إشارة

كتبه الدكتور حسين على محفوظ
دكتوراه الدولة من جامعة طهران و المفتش الاختصاصى بوزارة التربية سابقا و الاستاذ بكلية الآداب فى جامعة بغداد اليوم
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٣٣

سامراء فى التواريخ

الجامع المختصر سنة ٦٠٢ هـ

و فيها قتل الأمير سنجر بن مقلد بن سليمان بن مهارش أمير عبادة بأرض المعشوق . قتله اخوه على . و ذلك، فى شعبان .

الحوادث الجامعة سنة ٦٤٠ هـ

و فيها؛ وقع حريق فى مشهد سر من رأى، فأتى على ضريحى على الهادى و الحسن العسكرى - عليهما السلام - فتقدم الخليفة المستنصر بالله بعمارة المشهد المقدس، و الضريحين الشريفين، و اعادتهما الى أجمل حالاتهما.
و كان الضريحان مما أمر بعملهما ارسلان البساسيرى ..
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٣٤
سنة ٦٤٣ هـ

و فيها؛ تقدم الخليفة بارسال طيور من الحمام، إل اربع جهات، لتصنف أربعة اصناف، منها: مشهد حذيفة بن اليمان بالمدائن، و مشهد العسكرى بسر من رأى، و مشهد غنى بالكوفة، و القادسية.
و نفذم كل عدة من الطيور - عدلان و وكيل. و كتب بذلك سجل، شهد فيه العدول على القاضى بثوته عنده. و سميت هذه الاصناف باليமானيات، و العسكريات، و الغنويات، و القادسيات.
و نظم النقيب الطاهر، قطب الدين الحسين بن الاقساسى فى ذلك ابياتا و عرضها على الخليفة، أولها:
خليفة الله يا من سيف عزمته موكل بصروف الدهر يصرفها
و يقول فيها:

ان الحمام التى صنفتها شرفت على الحمام التى من قبل نعرفها
و القادسيات أطيّار مقدسة إذ أنت يا مالك الدنيا مصنفها
و بعدها غنويات تنال بهاغنى الحياة و ما يهوى مؤلفها
و العسكريات أطيّار مشرفة و ليس غيرك فى الدنيا يشرفها
ثم الحمام اليمانيات ما جعلت الا سيوفا على الأعداء ترهفها

لا زلت مستعصما بالله في نعم يهدى لمجدك أسناها و أطفها

سنة ٦٥٣ هـ

و فيها؛ حملت القصعة الحجر، المعروفة ب «قصعة فرعون» من سر من رأى إلى بغداد في كلك.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٣٥

و رفعت تحت دار الخليفة. و كانت عظيمة جدا، فلم تنزل إلى سنة سبع و خمسين و ستمائة، ثم كسرت .

دوحة الوزراء سنة ١٢١٠ هـ

انتهز الوزير فرصة حلول موسم الزيارات، و اعتدال الهواء، و قرر السفر نحو سامراء. و تحرك من بغداد في اليوم الحادى و العشرين من شهر شوال، و ظل يتنقل فى تلك المناطق للاصطياف، و تمضية الوقت، ثم عاد إلى بغداد .

تاريخ العراق بين احتلالين سنة ٩٦١ هـ

جاء إلى سامراء (سیدی علی رئیس .. الذى أودع إليه السلطان قبطانية مصر) وزار فيها عليا الهادى، و الامام حسنا العسكرى .

سنة ١١١٧ هـ

فى أواسط هذه السنة؛ توجه الوزير (حسن باشا الجديد) لزيارة الامامين على الهادى، و حسن العسكرى فى سامراء. فأنعم على الفقراء و الخدام، ثم ذهب يتصيد فى تلك الفلوات .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٣٦

سنة ١١٣٢ هـ

فى اواخر السنة الماضية؛ وقع الطاعون و كثرت الاصابات. و يعد بالألف أو أزيد يوميا. و هرب أغلب الأهلين، و خرج الوزير بعساكره إلى أنحاء سامراء. و استمر (الطاعون) إلى أوائل هذه السنة ...

سنة ١٢١٠ هـ

فى ١ شوال، خرج (الوزير سليمان باشا) من بغداد متوجها نحو سامراء للزيارة. و منها، مضى إلى عشيرة بنى عز. قضى بضعة أيام فى الصيد ...

سنة ١٢٧١ هـ

أمر (الوزير؛ الوالى محمد رشيد باشا الكورنكى) بكرى نهر الدجيل فى (بلد) التابعة لقضاء سامراء .

سنة ١٢٨٦ هـ

قضاء سامراء ... (من اقصية لواء بغداد) فى ايام مدحت باشا .

سنة ١٢٨٧ هـ

زار (ناصر الدين شاه) العتبات فى النجف، و كربلاء، و سامراء .

سنة ١٢٩٦ هـ

هاجم الهماوند سامراء، و لم تنقطع غوائلهم . موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج ١٢ ؛ ص ١٣٦

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٣٧

سنة ١٣٣٥ هـ

في ٥ جمادى الأولى، سنة ١٣٣٥ هـ، و ٢٧ شباط سنة ١٩١٧ م ...

تبين ان العدو يبلغ جيشه مائتي الف، و ليس لنا أكثر من خمسة آلاف محارب، فأمرت الدولة بنقل ما عندها من سجلات، و نقود، و مهمات أخرى إلى سامراء في القطار ...

* بعد واقعة بغداد تبعث الجيش العثماني و انحل انحلالا كبيرا ... توزعت جيوشه إلى جبهات عديدة ..

في ٢٩ آذار سنة ١٩١٧ ... انسحبت قوة العثمانيين إلى نهر العظيم ..

و من ثم اتصل (القول اردو ١٣) بجيش سامراء. و حدثت واقعة العظيم في ١٨ نيسان سنة ١٩١٧ م، و عادت المفرزة من العظيم إلى سامراء ..

و في جبهة سامراء نفسها كان قد رجع الجيش إلى اصطبلات .. و في ٢١ نيسان سنة ١٩١٧ م تعرض الانكليز له بقوى كبيرة فضايقه، و اضطره ان ينسحب و لم يثبت على القصف الشديد من العدو.

ترك سامراء و محطة القطار. و هذه الواقعة تعرف ب (واقعة السكر) لأن لدى الجيش العثماني في المحطة مقدارا كبيرا من السكر. ثم حدثت واقعة رويضات ... و الغريب ان الانكليز بعد أن ربحوا المعركة رجعوا إلى سامراء لما أصابهم من ضايعات كبيرة. فعادت خيالة الجيش العثماني، فأشغلت تكريت .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٣٨

الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ و نتائجها

فكر المخلصون بالقاء زمام القضية من ناحيتها الدينية إلى أحد كبار العلماء المجتهدين .. و هو آية الله المرحوم الميرزا محمد تقى الشيرازي. و قد كان ..

يومذاك يسكن مدينة سامراء ..

* و عند ما صمدت عشائر العزة في وجه الجيش البريطاني المحتل (في لواء ديالى)، أوعز حاكم سامراء «الميجر برى» الى عشائر العبيد بأن يذهبوا فيحرقوا بيوت عشائر العزة و قراهم، و ينهبوا أموالهم (و كانت بين العزة و عشائر العبيد خصومة قديمة) .

* وصلت الحركة إلى قضاء سامراء، فاشترك فعليا أفراد عشيرة الجبور برأسه المرحوم عبد الحميد السلامة، و المجمع برأسه محمد المهدي، و البوأسود برأسه حسين المطر، و البو فراج من العزة برأسه علوان المحمد، و بنو تميم برأسه حاتم الهذال، و العزة برأسه لفته الهيلان، و بعض العشائر الأخرى فهجموا على مركز قضاء سامراء، و حاصروا «الميجر برى» الحاكم السياسى و «فورنو» ضابط البوليس، و طلبوا منهما أن يسلما. إلّا انهما اعتصما في المدينة داخل السور، و ساعدهما سكان قصبه سامراء بحجة انهما دخلاء عليهم (اي في حمايتهم) كما أن بعض العشائر هناك قد قامت بمساعدة الانكليز، و اصطدمت بالثوار فحال ذلك دون تحرير سامراء، و الفتك بالحامية الانكليزية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٣٩

و شايع السراء في شأن سامراء

لفظة سامراء، معناها طريق سام. و كان سام بن نوح - على ما يزعمون - إن أتى جوحى، في فصل الشتاء - مر عليها ... او ان لفظ سا؛

اتاوة الملك، و لفظ مرا؛ عدد، و كان كسرى يأخذ الخراج في ذلك الموضع. و صحفت- على كلا القولين- بالهمز و التشديد في حرفين.

ثم أتى نحوها المعتصم اذ اشتكت بغداد من جنده. فارتاد سامراء للاجناد، و اختارها. ثم بنى ما شاء من دساكر، فسّر من رأى من العساكر. فسميت سرّ، و سرّ من رأى، و سامراء، و سر من راء، و سرى. و سميت عسكرة، و معناها مجتمع الجنود، و سميت ساء من رأى بعدما انهدم البناء بها.

عمرت سنة ٢٢١ هـ، و هدمت سنة ٢٧٩.

طولها (مايد)، أى: ٤٥ درجة و ١٤ دقيقة، و عرضها (لديه)، أى؛ ١٤ درجة و ١٥ دقيقة. جوها طلق، و تربها نقى، و ماؤها جار، حلّ بها المعتصم، و الواثق، و المتوكل، و المنتصر، و المستعين، و المعتر، و المهتدى، و المعتمد، و المعتضد، و هو الذى اقام في بغداد، من ضغط الأتراك. فظعن المقيمون فيها، و تركوا تلك القصور و الرياض، و خربت تلك المباني اجمع .

* هذا، و لما صفا الهواء للمتوكل و استوى على عرش الملك في سامراء اصغى إلى و شايه الأعدى، و استقدم الامام «على الهادى»، فجاء هو و ابنه الحسن، و ظل يعفى تارة، و يسجن تارة. حتى سمّه المعتر سنة ٢٥٤ و كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٤٠

المهدى بن الحسن ولد في تلك السنة. ثم قضى الامام الحسن سنة ٢٦٠ هـ، سمّه المعتمد .

* ثم شيد ناصر الدولة الحمدانى الدار و الجدر، و كلل الضريح بالستور، و حاط سر من رأى بسور، سنة ٣٣٣ هـ .

* ثم شاده معز الدولة البويهى، فأسس الدعائم، و عمر القبة و السرداب، و رتب القوام و الحجاب، و رفع الضريح بالأخشاب، و ملأ الحوض بالتراب، اذ صار كالبئر إذ كان الناس يأخذون التراب منه للبركة. و ذلك لأن العسكرة كان يتوضأ به أحيانا.

و جدد الصحن و سوره، و طرز البناء، و أكمل عمارة الحمدانى، سنة ٣٣٧ هـ .

* ثم سيج عضد الدولة البويهى الروضة بالساج، و ستر الضريح بالديباج، و عمر الاروقه، و وسع الصحن، و شيد السور، و ذلك في سنة ٣٦٨ .

* ثم ترك الأمير ارسلان بغداد، و حل تكريت، و عمر القبة، و الضريح و عمل الصندوق من الساج، و جعل الرمان فيه من ذهب، و ذلك في سنة ٤٤٥ هـ .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٤١

ثم جدد بركياروق السلجوقى الأبواب، و سيج الروضة، و رمم القبة و الرواق و الصحن و الدار، على يد الوزير مجد الدولة، في سنة ٤٩٥ هـ .

* ثم عمر الناصر العباسى القبة و المآذن، و زين الروضة، و عقد السرداب، و منع ان يأخذ احد ترابا من الحوض، و كتب اسماء الأئمة الاثنى عشر على نطاق العقد، على يد الشريف معد بن محمد بن معد، سنة ٦٠٦ هـ .

* ثم ابدل المستنصر الصندوق- بعد الحريق- و جعله من الساج و عمر الروضة، و السياج؛ على يد السيد جمال الدين احمد بن طاووس، سنة ٦٤٠ هـ .

* ثم زين ابو اويس حسن الجلائرى الضريح، و شيد القبة، و عمل البهو، و شاد الدار، و نقل المقابر التى فى الصحن إلى الصحراء، و ذلك في سنة ٧٥٠ هـ .

* ثم زين الشاه حسين الصفوى الروضة بالساج، و دعم البناء، و عمل الشباك من الفولاذ، و رخم الأرض و الدور، سنة ١١٠٦ هـ .

* ثم عمر احمد الدنبلى البرمكى الروضة و السرداب، و بدّل بابه، و اخشابه بالحجر الصوان و الرخام، و كان وكيله الميرزا السلماسى. و توفى الخان الدنبلى و لما يكمل البناء، و بقى السلماسى ينفق عليه، و ذلك سنة ١٢٠٠ هـ .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٤٢

ثم واصل البناء ابنه حسين، و أكمل البهو و الأبواب، و زين جامع السرداب، و كتب الآيات على الاركان، و زين القبّة بالكاشاني، و حفر قبراً له مع أبيه في الرواق، و ذلك على يد الميرزا السلماسى ايضاً، سنة ١٢٢٥ هـ .

* ثم جدد ناصر الدين شاه القاجارى الشباك، و ذهب القبّة، و عمر الضريح، و الرواق، و القبّة، و الصحن، و المآذن، و الدار. و رخم الروضة، و الرواق، و البهو، و الصحن. و شرع الأبواب، و رمم السور- الذى بناه الدنبلى من قبل- و ذلك على يد شيخ العراقيين، الشيخ عبد الحسين الرازى، سنة ١٢٨٥ هـ .

* و وسعت في زمان الملك فيصل الأول الطرق بين الدور و ذلك سنة ١٣٤١ هـ .

* و هكذا في زمان الملك غازى الأول سنة ١٣٥٢، و فيصل الثانى سنة ١٣٥٩ هـ .

* و نورت الروضة بالكهرباء سنة ١٣٤٩ هـ و عملت اسالة الماء سنة ١٣٤٣ هـ .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٤٣

كبار الحوادث:

سنة ٢٦٠ هـ، سجن سرارى الامام الحسن.

سنة ٢٧٩ هـ، عاد المعتضد إلى بغداد بعد الفتنة.

سنة ٤٤٥ هـ، حرب البساسيرى و السلجوقيين.

سنة ٦٤٠ هـ، احتراق المشهد بسبب الشمع.

سنة ١١٠٦ هـ، احتراق المشهد أيضاً.

سنة ١٣١١ هـ، الفتنة بين الأهالى.

سنة ١٣٥٦ هـ، سرقة لوحتين من الذهب، و قطع من الفضة .

مقابر المشاهير:

السيدة حلیمه بنت الامام الجواد، عمه الامام على الهادى، سنة ٢٧٤ هـ .

السيدة نرجس زوج الامام الحسن العسكرى، ام المهدي، سنة ٢٦٠ هـ .

ابو هاشم، داود، من ذرية عبد الله بن جعفر، سنة ٢٦١ هـ .

احمد الدنبلى الخوئى، سلطان خوى، سنة ١٢٠٠ هـ .

ابنه؛ الحسين بن احمد الدنبلى الخوئى، سنة ١٢٠٧ هـ .

محمود الطهرانى، سنة ١٣٠٤ هـ . عبد الحميد اللارى، سنة ١٣٠٦ هـ .

مهدي الشيرازى، سنة ١٣٠٨ هـ . اسد الله الطيب الشيرازى؛ اخو الميرزا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٤٤

محمد حسن الشيرازى، سنة ١٣١١ هـ . ابراهيم النورى، سنة ١٣٢٠ هـ .

محسن الزنجانى، سنة ١٣٢١ هـ . رضا بن هادى الهمدانى، سنة ١٣٢٠ هـ .

شريف الحسينى التويسركانى، سنة ١٣٢٢ هـ. حسين بن رضا على المقرئ، الطبيب الهنـدى، سنة ١٣٣٤ هـ. حسين بن محمد رضا بن على الحسينى، الأصفهانى، سنة ١٣٣٤ هـ .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٤٥

مآثر الكبراء فى تاريخ سامراء سنة ١٣١٨ هـ المسألة الدخانية

و مما وقع فى عصر (الميرزا محمد حسن الشيرازى، نزيل سامراء، المجدد المصلح الامام) المسألة الدخانية. و كان ممن عارض السلطان ناصر الدين شاه، و شدد النكير عليه فى اعطائه امتياز التباك لانكثرا هو السيد جمال الدين الأفغانى فأخرجه ناصر الدين شاه من ايران فلما وصل الى البصرة فى سنة ١٣٠٨ كتب الى سيدنا الامام الكبير الشيرازى قدس سره كتابا بليغا يستفزه فى ذلك و يستصرخه و يستنجد به بأنواع العبارات المهيجـة و المؤثرة فى النفوس و قد شاع هذا الكتاب فى وقته و وصلت نسخته الى النجف، قال العلامة السيد محسن العاملى كنت فى النجف و قرأناه و قرأه الناس و قد نشرت صورة الكتاب فى بعض اعداد العرفان الصيداوية و لكن الامام الشيرازى لم يظهر منه شىء فى هذا الباب من اجل هذا الكتاب و هذه صورته:

ج ١- سامراء (١٠)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٤٦

كتاب السيد جمال الدين الأفغانى لسيدنا الإمام الكبير الشيرازى رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم حقا اقول ان هذا الكتاب خطاب الى روح الشريعة المحمدية اينما وجدت و حيثما حلت و ضراعة تعرضها الامة على نفوس زكية تحققت شؤونها كيفما نشأت و فى اى قطر نبغت الا و هم العلماء فأحببت عرضه على الكل و ان كان عنوانه خاصا.

حبر الامة، و بارقة انوار الأئمة، دعامة عرش الدين، و اللسان الناطق عن الشرع المبين، الحاج ميرزا محمد حسن الشيرازى صان الله به حوزة الاسلام، ورد به كيد الزنادقة اللثام، لقد خصك الله بالنيابة العظمى عن الحجة الكبرى، و اختارك من العصابة الحققة و جعل بيدك ازمة سياسة الامة بالشريعة الغراء و حراسه حقوقها بها، و صيانة قلوبها عن الزيغ و الارتاب فيها، و احال اليك من بين الانام و انت وارث الانبياء مهام امور تسعد بها الملئ فى دارها الدنيا و تحظى بها فى العقبى و وضع لك اريكه الرياسة العامة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٤٧

على الافئدة و النهى، اقامة لدعامة العدل، و انارة لمحجة الهدى، و كتب عليك بما أولاك به من السيادة على خلقه حفظ الحوزة و الذود عنها و الشهادة دونها على سنن من مضى، و ان الامة قاصيها و دانيها، و حاضرها و باديها، و وضعها و عاليها، قد اذعنت لك بهذه الرياسة السامية الربانية جاثية على الركب، خازة على الاذقان، تطمح نفوسها اليك فى كل حادثة تعرفوها و تطل بصائرنا اليك فى كل مصيبة تمسها، و هى ترى ان خيرها و سعدا منك، و ان فوزها و نجاتها بك، و ان امنها و امانها فيك، فاذا لمح منك غض نظر، او نأيت بجانبك لحظة، و اهملتها و شأنها لمحة، ارتجفت افتدتها، و انتكثت عقائدها و زاغت ابصارها، و انهدت دعائم ايمانها، نعم لا- برهان للعامة فيما دانوا إلا استقامة الخاصة فيما امروا، فان وهن هؤلاء فى فريضة او قعد بهم الضعف عن امانة منكر اعتور أولئك الظنون و الاوهام، و نكص على عقبه مارقا عن الدين القويم، حائدا عن الصراط المستقيم، و بعد هذا و ذاك و ذلك اقول ان الامة الايرانية بما دهمها من عراقيل الحوادث التى آذنت باستيلاء الضلال على بيت الدين و تطاول الاجانب على حقوق المسلمين، و

وجوم الحجّة الحق (اياك اعني) عن القيام بناصرها و هو حامل الامانة، و المسؤول يوم القيامة، قد طارت نفوسها شعاعا، و طاشت عقولها، و تاهت افكارها، و وقفت موقف الحيرة، و هي بين انكار و اذعان، و جحود و ايقان لا- تهدي سيلا- و هامت في بيداء الهواجس في عتمة الوسوس ضالّة عن رشدها لا- تجد اليه دليلا و اخذ القنوط بمجامع قلوبها و سد دونها ابواب رجائها و كادت تختار ياسا منها الضلالة على الهدى و تعرض عن محجة الحق و تتبع الهوى و ان احاد الامّة لا يزالون يتساءلون شاخصه ابصارهم عن اسباب قضت على حجة الاسلام (اياك اعني) بالسبات و السكوت و حتم عليه ان يطوى الكشح عن اقامة الدين على اساطينه و اضطره الى ترك الشريعة و اهلها الى ايدي زنادقة يلعبون بها كيفما يريدون و يحكمون فيها ما يشاؤون حتى ان جماعة من الضعفاء زعموا ان قد كذبوا و ظنوا في الحجّة ظن السوء و حسبها ان الامر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٤٨

احبولة الحذق و اسطورة المدق و ذلك لأنها ترى و هو الواقع ان لك الكلمة الجامعة و الحجّة الساطعة و ان أمرك في الكل نافذ و ليس لحكمك في الامّة منابذ و انك لو اردت ان تجمع آحاد الامّة بكلمة منك و هي كلمة تنبثق من كيان الحق الى صدور اهله لترهب به عدو الله و عدوهم و تكف عنهم شر الزنادقة و تزيج ما حاق بهم من العنت و الشقاء و تنشلهم من ضنك العيش الى ما هو أرغد و اهنأ فيصير الدين بأهله منيعا حريزا، و الاسلام بحجته رفيع المقام عزيزا هذا هو الحق انك رأس العصاة الحقّة، و انك الروح السارى في آحاد الامّة فلا يقوم لهم قائم الا بك و لا تجتمع كلمتهم الا عليك لو قمت بالحق نهضوا جميعا و لهم الكلمة العليا و لو قعدت تثبطوا و صارت كلمتهم هي السفلى و ربما كان هذا السير و الدوران حينما غض حبر الامّة طرفه عن شؤونهم و تركهم هملا بلا راع و همجا بلا رادع و لا داع يقيم لهم عذرا فيما ارتابوا خصوصا لما رأوا ان حجة الاسلام قد الفى «؟!» فيما اطبقت الامّة خاصتها و عامتها على وجوبه و اجمعت على خطر الاتقاء فيه خشية لغوبه الا و هو حفظ حوزة الاسلام الذى به بعد الصيت و حسن الذكر و الشرف الدائم و السعادة التامة و من يكون اليق بهذه المزايا و اخرى بها ممن اصطفاه الله فى القرن الرابع عشر و جعله برهانا لدينه و حجة على البشر، ايها الحبر الاعظم ان الملك قد وهنت مريته فسات سريره و ضعفت مشاعره فقبحت سيرته فعجز عن سياسة البلاد و ادارة مصالح العباد فجعل زمام الامور كليها و جزئها بيد ائيم غشوم ثم بعد ذلك يسب الانبياء فى المحافل جهرا و لا يقيم لشريعة الله امرا و لا- يرى لرؤساء الدين و قرا يشتم العلماء و يقذف الاتقياء و يهين السادة الكرام و يعامل الوعاظ معاملة اللثام و انه بعد رجوعه من البلاد الافرنجية قد خلع العذار و تجاهر ... و موالة الكفار و معاداة الابرار هذه هي افعاله الخاصة فى نفسه ثم انه باع الجزء الأعظم من البلاد الايرانية و منافعها لاعداء الدين المعادين و السبل الموصلة اليها و الطرق الجامعة بينها و بين تخوم البلاد و الخانات التى تبنى على جوانب تلك المسالك الشاسعة التى تشعب فروعها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٤٩

الى جميع ارجاء المملكة و ما يحيط بها من البساتين و الحقول نهر كارون و الفنادق التى تنشأ على ضفتيه الى المنبع و ما يستتبعها من الجنائن و المروج و الجادة من الاهواز الى طهران و ما على اطرافها من العمران و الفنادق و البساتين و الحقول و التبناك و ما يتبعه من المراكز و محلات الحرث و بيوت المستحفظين و الحاملين و البائعين أنى وجد و حيث نبت و حكر العنب للخمر و ما يستلزمه من الحوانيت و المعامل و المصانع فى جميع اقطار البلاد و الصابون و الشمع و السكر و لوازمها من المعامل و البنك و ما أدراك ما البنك و هو اعطاء الاهالى كليه بيد عدو الاسلام و استرقاقه لهم و استملاكه اياهم و تسليمهم له بالرياسة و السلطان، ثم ان الخائن البليد اراد ان يرضى العامة بواهى برهانه فحقيق قائلا ان هذه معاهدات زمانية و مقاولات وقتية لا تطول مدتها ازيد من مائة سنة، يا لله من هذا البرهان الذى سوله خرق الخائنين و عرض الجزء الباقى على الدولة الروسية حقا لسكوتها لو سكتت مرداب رشت و انهر طبرستان و الجادة من أنزلى الى خراسان و ما يتعلق بها من الحدود و الفنادق و الحقول و لكن الدولة الروسية شمخت بأنفها و اعرضت عن قبول تلك الهدية و هي عازمة على استملاك خراسان و الاستيلاء على آذربيجان و مازندران ان لم تنحل هذه

المعاهدات و لم تفسخ هذه المقاولات القاضية بتسليم المملكة تماما بيد ذلك العدو هذه هي النتيجة الأولى لخيانة هذا الاخرق، و بالجملة ان هذا المجرم قد عرض اقطاع البلاد الايرانية على الدول ببيع المزداد و انه يبيع ممالك الاسلام و دور محمد و آله عليهم السلام للأجانب و لكنه لخسة طبعه و دناءة فطرته لا يبيعه الا بقيمة زهيدة و دراهم بخسة معدودة نعم هكذا يكون اذا امتزجت اللامة و الشره بالخيانة و السفه و انك ايها الحججة ان لم تقم بناصر هذه الامة و لم تجمع كلمتهم و لم تنزع السلطة بقوة الشرع من يد هذا الأثيم لأصبحت حوزة الاسلام تحت سلطة الاجانب يحكمون فيها ما يشاؤون و يفعلون فيها ما يريدون و اذا فاتتك هذه الفرصة ايها الحبر و وقع الامر و انت حتى لما ابقيت ذكرا جميلا- بعدك في صحيفة العالم و اوراق التواريخ و انت تعلم ان علماء ايران كافة و العامة بأجمعهم ينتظرون منك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٥٠

و قد خرجت صدورهم و ضاقت قلوبهم كلمة واحدة و يرون سعادتهم بها و نجاتهم فيها و من خصه الله بقوة كيف يسوغ له ان يفرط فيها و يتركها سدى، ثم اقول للحجة قول خبير بصير ان الدولة العثمانية تتبجح بنهضتك على هذا الامر و تساعدك عليه لانها تعلم مداخلة الافرنج في الاقطار الايرانية و استيلاءها عليها تجلب الضرر الى بلادها لا محالة و ان وزراء ايران و امراءها كلهم يبتهجون لكلمة تنبض في هذا الشأن لانهم بأجمعهم يعافون هذه المستحذات طبعاً و يسخطون من هذه المقاولات جبلة و يجدون بنهضتك مجالا لا بطالها و فرصة لكف شر الشره الذي رضى بها و قضى عليها، ثم ان العلماء و ان كان كل صدع بالحق وجبه هذا الاخرق الخائن بسوء اعماله و لكن ردعهم للزور و زجرهم عن الخيانة و نهرهم المجرمين ما قرت كسلسة المعدات قراراً و لا جمعتهما وحدة المقصد في زمان واحد و هؤلاء لتماثلهم في مدارج العلوم و تشاكلهم في الرياسة و تساويهم في الرتب غالباً عند العامة لا ينجذب بعضهم الى بعض و لا يصير احد منهم لصقاً للآخر و لا يقع بينهم تأثير الانجذاب حتى تتحقق هياة و حدانية و قوة جامعة يمكن بها دفع الشر و صيانة الحوزة كل يدور على محوره و كل يردع الزور و هو في مركزه هذا هو سبب الضعف عن المقاومة و هذا هو سبب قوة المنكر و البغي و انت وحدك ايها الحججة بما اوتيت من الدرجة السامية و المنزلة الرفيعة علته فعالة في نفوسهم و قوة جامعة لقلوبهم و بك تنظم القوى المتفرقة الشاردة و تلتئم القدر المشتته الشاذة و ان كلمة تأتي منك بوحداية تامة يحق لها ان تدفع الشر المحدق بالبلاد و تحفظ حوزة الدين و تصون بيضة الاسلام فالكل منك و بك و اليك و انت المسؤول عن الكل عند الله و عند الناس، ثم اقول ان العلماء و الصلحاء في دفاعهم فرادى عن الدين و حوزته قد قاسوا من ذلك شدائد ما سبق لها منذ قرون و تحملوا لصيانة بلاد المسلمين عن الضياع و حفظ حقوقهم عن التلف كل هوان و كل صغار و كل فضيحة، و لا شك ان حبر الامة قد سمع ما فعله ادلاء الكفر و اعوان الشرك بالعالم الفاضل الصالح الواعظ الحاج ملا فيض الله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٥١

الدربندی و ستسمع قريبا ما فعله الطغاة الجفافة بالعالم المجتهد النقى البار الحاج السيد على اكبر الشيرازى و ستحيط علما بما فعله بحماة الملء و الامة من قتل و كى و ضرب و حبس و من جملتهم الشاب الصالح الميرزا محمد رضا الكرمانى الذى قتله ذلك ... فى الحبس و الفاضل الكامل البار الحاج سياح، و الفاضل الأديب النجيب الميرزا محمد على خان، و الفاضل المتفتن اعتماد السلطنة و غيرهم و اما قصتى و ما فعله ذلك الظلوم معى فمما يفتت اكباد اهل الايمان، و يقطع قلوب ذوى الايقان و يقضى بالدهشة على اهل الكفر و عبدة الاوثان ان ذلك ... امر بسحبى و انا متحصن بحضرة عبد العظيم عليه السلام فى شدة المرض على الثلج الى دار الحكومة بهوان و صغار و فضيحة لا يمكن ان يتصور مثلها فى الشناعة هذا كله بعد النهب و الغارة انا لله و انا اليه راجعون ثم حملنى زبانيته الاوغاد و انا مريض على بردون مسلسلا فى فصل الشتاء و تراكم الثلوج و الرياح الزمهريرية و ساقنتى جحفة من الفرسان الى خانقين و صحبنى جمع من الشرطة الى بغداد، و لقد كاتب الوالى من قبل و التمس منه ان يبعدى الى البصرة علما منه انه لو تركنى و نفسى لأيتتك ايها الحبر و بثت لك شأنه و شأن الامة و شرحت لك ما حاق ببلاد الاسلام من شر هذا ... و دعوتك ايها الحججة الى

عون الدين و حملك على اغائة المسلمين و كان على يقين انى لو اجتمعت بك لا يمكنه ان يبقى على دست الوزارة المؤسسة على خراب البلاد و اهلاك العباد و اعلاء كلمة الكفر و مما زاده لؤما على لؤمه و دناءة على دناءته انه دفعا لثرتة العامة و تسكينا لهياج الناس نسب تلك العصابة التى ساقتها غيره الدين و حمية الوطن الى المدافعة عن حوزة الاسلام و حقوق الاهالى بقدر الطاقة و الامكان الى الطائفة البائية كما اشاع بين الناس اولا بأنى مجنون، وا إسلاماه ما هذا الضعف! ما هذا الوهن كيف امكن ان صعلوكا دنى النسب و وغدا خسيس الحسب قدر ان يبيع المسلمين و بلادهم بثمان بخس دراهم معدودة و يزدرى العلماء و يهين السلالة المصطفوية و بيت السادة المرتضوية بالبهتان العظيم و لا يد قدرة تستأصل هذا الجذر الخيث شفاء لقلوب المؤمنين،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٥٢

و انتقاما لآل سيد المرسلين عليه السلام ثم لما رأيت نفسى بعيدا عن تلك الحضرة امسكت عن بث الشكوى، و لما قدم العالم المجتهد القدوة الحاج السيد على اكبر الى البصرة طلب منى الى الجبر الاعظم كتابا ابث فيه هذه الغوائل و الحوادث و الكوارث فبادرت اليه امثالاً و علمت ان الله تعالى سيحدث بيدك امرا و السلام عليك و رحمة الله و بركاته»

يقول الامير شكيب ارسلان فى تعليقه على حاضر العالم الاسلامى فكان هذا النداء من السيد الحسينى من اعظم اسباب الفتوى التى افتاها ذلك الامام بيطان هذا الامتياز و اضطرت الحكومة الفارسية خوف انتفاض العامة الى الغائه انتهى.

و قال العلامة السيد محسن العاملى (و لكن الحقيقة ان الامام الشيرازى افتى بتحريم تدخين التباك حينما بلغه اعطاء الامتياز الى الدولة البريطانية قبل ان يرسل له السيد جمال الدين هذا الكتاب و لم يكن افتاؤه بتأثير كتاب السيد جمال الدين و لو لم يكن له مؤثر دينى من نفسه عظيم لم يؤثر فيه كتاب جمال الدين و لكن الناس اعتادوا اذا مالوا الى شخص ان يسندوا كل وقائع العالم اليه .

المسألة الدخانية التى طار صيتها فى الآفاق

ألف بعض الفضلاء من المتأخرين رسالة واسعة فى المسألة الدخانية باللغة الفارسية، و رأيت نسخة منها مخطوطة عند العلامة الميرزا محمد الطهرانى بسامراء فأحببت ايراد بعض عباراتها المهمة التى لها دخل فى المقصود قال (ما تعريبه) لما استولت دول الاجانب على بلاد ايران جعلوا يتربصون بأهلها الدوائر حتى اخذوا امتيازات الكثير من اجناسهم و اطعمتهم فغطت أسواق التجارات من جراء ذلك و كثر الحزن فى مكاسبهم فآل امرهم الى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٥٣

الفقر و المسكنة و بطلت مصانع منسوجاتهم و معامل سكرهم ثم لم يقنع الأجانب بذلك فجعلوا يفسدون اخلاقهم و يعيرون علماءهم و يزينون للجهال معارفهم و لا ريب أن النفوس ميالة الى اللهو و اللعب و الناس الى امثالهم أميل و المجالسة مؤثرة و المخالطة تورث المحبة و المحبة تورث الاتحاد فى اللباس و المآكل و المشارب و العلوم و المعارف و جميع الآداب و الرسوم فيؤول حينئذ أمر المسلمين الى الفناء و الزوال، و كان الأجانب يرسلون فى كل سنة عدة من ابنائهم الى ايران فيدخلون انفسهم فى مكاسبهم بكل حيلة و مكيدة حتى مهنة التجارة و الخياطة و العمارة و الصياغة و غيرها، و كان الامر كذلك الى ان سافر السلطان ناصر الدين شاه الى لندن فى سنة ١٣٠٦ هـ فاستقبلوه فى موكب عظيم و احتفلوا به و بذلوا جهدهم فى اكرامه و احترامه اللائق به و هو غافل عن مقاصدهم و ما يريدون منه ثم احتفلوا به فى محفل كبير و قالوا له ان امتيار التتن و التباك نستدعيه منكم مدة خمسين سنة بشروط نقوم بها:

الاول:- نرسل فى كل سنة خمسة عشر الف ليرة الى خزيتكم سواء ربحنا او خسرنا و هذا المبلغ تؤديه كله فى مدة خمسة اشهر.

الثانى:- يجب على أولياء الحكم فى جميع بلدان ايران اجبار الزراعين باعطاء التعهدات لنا و ان كل ما يزرعون من التتن و التباك لا يجوز لهم بيعه و شراؤه و تضمينه الا باذن صاحب الامتياز، و ليس لاحد اصدار الاجازة بذلك الا من صاحب الامتياز و ليس للبايع و

المشترى ان يعامل بغير دفتر الاجازة و من فعل ذلك فعليه المجازاة.

الثالث:- يجب على صاحب التتن و التباك ان يسلم ربع المنافع الى الخزانة و ذلك بعد وضع جميع المخارج المتعلقة بذلك و للمأمورين تفتيش الدفاتر في رأس كل سنة.

الرابع:- حرية الآلات و المكائن المتعلقة باصلاح التتن و التباك و خلوها عن مصارف العشارين حين دخولها في ايران. موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٥٤

الخامس:- عدم جواز الحمل و النقل من التتن و التباك مطلقا الا باجازة صاحب الامتياز.

السادس:- يجب على اصحاب الامتياز شراء جميع الدخان الموجود في ممالك ايران و ليس للبايع الامتناع من ذلك.

السابع:- يجب على اولياء الحكم أن لا يزيدوا في الاعشار و الكمارك المعمولة الى مدة خمسين سنة.

الثامن:- كل من باع او ابتاع خفية او وجد عنده شيء منه بدون اجازة فيجب على المأمورين للدولة العلية الايرانية مجازاته الشديدة. التاسع:- يجوز لأصحاب الامتياز انتقال حقوقهم مع شروطها الى من يريدونه كائنا من كان.

العاشر:- يجوز لأصحاب الامتياز ابتياع الأراضي للمخازن الدخانية نعم لا يجوز ابتياع ازيد من ذلك.

الحادي عشر:- لو تجاوز حكم ما قرر في دفتر الشروط عن مقدار السنة بمعنى ان الهيئة التي تعرف باسم الكمپانية لم يشتغلوا بالعمل حتى ينقضى من تاريخ كتابة الشروط مقدار سنة بطلت الشروط و بطل الامتياز فيجب تشكيل ذلك بسرعة ثم كتبوا وثيقة الامتياز صورتين و ختمهما السلطان ناصر الدين شاه بخاتمه، و قبل ذلك كله غفلة عن حقيقة الحال او عدم علمه بالمآل ثم رجع السلطان الى عاصمته ملكه طهران و جاءت من لندن هيئة تعرف باسم الكمپانية و اشتغلوا بشراء الأراضي و بناء المخازن و احضار المكائن و الآلات و الأدوات و انتشر الخبر في الآفاق و نشروا ذلك في الجرائد و هتفوا بخطأ هذه المعاملة و قالوا ان دخانية اصبهان وحدها في سنة واحدة تبلغ عشرين الف ليرة و طعنوا بالسلطان و كثر اللغظ فيبيناهم كذلك اذ جاء من لندن جماعة من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٥٥

الاجانب لا يقل عددهم عن مائة الف نسمة بين رجال و نساء و دخلوا طهران و شرعوا في تنفيذ مقاصدهم و ارسلوا في كل بلد من بلاد ايران عدة من هيئتهم و قويت بذلك كل ملء في ايران سوى ملء الاسلام و كثرت الفواحش و شرب الخمر فلم تزل كل يوم تكثر هذه الدواهي و قد فتح الاجانب المدارس لدعوة الناس الى مذهب المسيح و جعلوا المبشرين (البرتستانت) في جميع المستشفيات ينفقون اموالاً جمّة على الفقراء و المساكين و يستخدمون بنات الاسلام و فتيانها و صار المسلمون مقهورين تحت ايديهم و فرقوا اربعمائة الف تومان بين الامراء و الحكام ليوافقوهم في تنفيذ مقاصدهم و ابتاعوا قطعة ارض قرب حديقة الايلخاني بخمسة و اربعين الف اشرفي و انفقوا لعمارتها مائة و خمسين الف ليرة و جعلوها مسورة بسور رفيع حصين و نصبوا على ابراجها مدافع، و كان قطر السور اربعة اذرع فلما فرغوا من استحكاماتهم في طهران ارسلوا هيئة الى شيراز فلما قربوا من البلدة و انتشر خبر قدومهم فيها اجتمع الاشراف عند علمائهم و انكروا هذا العمل فوافقهم العلماء في ذلك مصلحة لدينهم و اصلاحا لمفاسد امورهم فأخبر بذلك اصحاب الامتياز فخافوا ان يدخلوا البلدة الى ان سيرت الحكومة السيد العلامة الحاج السيد علي اكبر الذي كان من قدوة العلماء في شيراز الى (ابو شهر) خفية فلما علم بذلك اهل البلدة هاجوا و ماجوا و اضطربت الامور و عطلت الاسواق و لاذوا بالحضرة المقدسة حضرة السيد احمد بن موسى بن جعفر عليهم السلام الذي يعرف بشاه جراج و كثر البكاء و الضجيج بحيث خشيت الحكومة المحلية فأمرت باحضار جنود لتفريق الناس بالبنادق فقتل عدة من المسلمين و انهزم الباقون معجروحين خائفين و جلين و لكن الاضطراب يشتد في كل يوم غير ان الحكومة المحلية استقبلت اصحاب الامتياز و ادخلتهم البلدة مع كل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٥٦

الاحترام و سار الحاج السيد علي اكبر الشيرازي مع جماعة من العلماء من (ابو شهر) الى (سر من رأى) و استعانوا بآية الله المجدد

الشيرازى قدس سره فأمر رحمه الله بضيافة السيد و تجليله و تعظيمه بما لا- مزيد عليه، ثم ان أصحاب الامتياز ارسلوا هيئة الى آذربيجان فأخبر بذلك العلامة الحجة الميرزا جواد آقا فأمر بمنع دخول الهيئة و انكر ذلك اشد الانكار قال الامر الى تأخير ذلك الحكم عن آذربيجان و كثرت المراسلات بين السلطان بين هذا العالم الغيور الاسلامى الى ان قهر و اضطهد و دخلت الهيئة آذربيجان بالقوة القاهرة و اخذوا يتناعون النقاط الرئيسية للبلدة و الامكنة المعمورة و ابتنوا فيها قصورا شاهقة و ابنيه فخمة فزاد ذلك وحشة الناس و خوفهم على اضمحلال بلاد ايران و سقوطها بيد الاجانب بلا كلفة فاستغاث الناس بعلمائهم و استدعوا منهم المكاتبه الى سلطانهم و الاحتجاج عليه و ان يبينوا له مفساد هذه المعاملة ففعلوا غير انهم ما نالوا مرادهم فكتبوا الى سر من رأى بالقصة التفصيلية و استغاثوا كلهم بآية الله المجدد و كان قدس سره من خطته أن لا يتداخل فيما يتعلق بأمر المملكة و السياسة فلما كثرت الشكاوى من جميع بلاد ايران و تواترت الكتب من العلماء و الاشراف و معاريف التجار و تكلموا فى اطراف القضية و اوضحوا مفساد هذا الامتياز أبرق آية الله المجدد فى التاسع عشر من ذى الحجة سنة ١٣٠٨ الى السلطان ناصر الدين و كتب كتابا مفصلا الى نائب السلطنة اوضح فيه ما يجب ايضاحه و شرح ما يجب شرحه فأرسل السلطان جواب المكتوب مع كمال التعظيم و التوقير و كان مفاده.

اولا- ان ايران حالها فى هذا اليوم ليس كحالها فى الامس فيجب على سلطانها ان يحفظ استقلالها و هذا لا يتم إلا باظهار المودة مع الدول القوية.

و ثانيا- دفع الفاسد بالافسد امر راجح.

و ثالثا- خراج ايران الذى يعرف باسم المالىات لا- يفى بمصالح الملك فليس لنا بد عن امثال هذه المعاملات مع الاجانب لتتم به مصالح المملكة.

و رابعا- لا يجوز للسلطان اذا ختم بخاتمه فى دفتر المعاملة ان ينقضه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٥٧

و خامسا- لا يمكن الفسخ و الابطال فيها لانها تحولت الى ايد قوية من دول اوربا و كيف يمكن للسلطان مع ضعفه ان ينازع الأقوياء.

و سادسا- على فرض امكان السلطان من فسخ هذه المعاملة و ابطالها فانه يحتاج الى مصارف كثيرة لا يمكننا تحصيل عشرينها، فأرسل السلطان الكتاب الى قنصله فى بغداد و كتب له بأن يسافر الى (سر من رأى) حاملا- معه الكتاب و يبذل جهده فى ارضاء الامام الشيرازى ففعل القنصل فلم يقبل (قدس سره) هذه المعاذير و اجاب عن كل واحد منها و ابرق للسلطان برقية ثانية و كتب كتابا ثانيا ادلى فيه ببراهين قاطعة أخطاء هذه المعاملة الفاسدة فكتب فى آخر الكتاب ان عجزت الدولة عن الجواب فلسنا بعاجزين و ان لم تقدر ان تجيب الخصم و تطالب بحقوق الملة فخل بيننا و بينه ثم فى خلال ذلك صدر الأمر من رئيس اصحاب الامتياز بجمع التباك الموجود فى جميع ممالك ايران و شرائه فوق التشارج و التنازع فى القيمة و مقدار الثمن و ما ادخره بعض لحاجة أو لغرض آخر حتى ان احد التجار كان له اثنا عشر الف كيس من التباك فجاء اليه اصحاب الامتياز لابتياح ذلك فلم يرض البايع بما عينه صاحب الامتياز من الثمن فاستمهله لغد فلما خرج اصحاب الامتياز من عنده اخرج اكياس التباك فى الفضاء و صب عليها النفط و احرقها جميعه فلما اصبحوا جاؤا اليه و طالبوه بالاكياس فقال بعثها باعلى الثمن فاستشاطوا غضبا و قالوا له كيف بعثها من غير إذن منا فذهب بهم الى الرماد و قال بعثها لهذا غيرة للدين فافعلوا الآن ما شئتم فكثر الاضطراب بين الناس و اشتد الأمر على الزراع و ضاق الأمر على الرعية لكثرة ما حملوهم من التكاليف الشاقة الضارة لدينهم و دنياهم و اتصل باصحاب الامتياز كثير من الدجالين الذين يريدون التقرب اليهم و يدعون انهم من المسلمين، فكانوا يدلونهم على اعراض الناس و نواويسهم و ما ادخروا من التباك و جعلوا يصرفون عوام الناس عن إطاعة العلماء فاضطهد اهل الدين و كانوا يحذون السفور لبنات المسلمين و ينصبون الكراسى فى المعامل الاسلامية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٥٨

ليجلسوا و ينظروا الى بنات المسلمين اللاتي يشتغلن فى المعامل، و هن سافرات و وقع من امثال ذلك مالا يحيط بيانه القلم، فلما رأى

العلماء في اصفهان ان البلية قد عمت البلاد امتنعوا عن استعمال التباك و بيعه و شرائه فوافقهم أهل الدين و انتشر الخبر فهددوهم بارسال المدافع الى بيوتهم و تخريب مساكنهم غير ان العلماء لم يكثرثوا بهذه التهديدات غيرة للدين قال أمرهم الى النفي و الاخراج فخرج بعضهم خفية و بعضهم جهرا الى (سر من رأى) و استغاثوا برئيس الشيعة الامام المجدد رحمه الله فلما رأى أنه قد تفاقم الأمر و انتهى الأمر الى هذه النتيجة السيئة التي لا ترضى الله و رسوله كتب مصدرا فتواه التي رنّ صداها في العالم الاسلامي لا سيما في ايران فكان نص تعريبها بعد البسملة «اليوم استعمال التباك و التتن حرام بأى نحو كان و من استعمله كمن حارب الامام عجل الله فرجه» و نصها بالفارسية (بسم الله الرحمن الرحيم امروز استعمال تباكو و تتن در حكم محاربه امام زمان عليه السلام است حرره الاحقر محمد حسن الحسيني) فأرسل صورة الفتوى الى اكبر علماء طهران الحاج ميرزا محمد حسن الأشتياني قدس سره و في اواخر شهر ربيع الثاني سنة ١٣٠٩ اقام اصحاب الامتياز الاجانب في دائرة الكمپاني حفلة عظيمة اجتمع فيها خلق عظيم من رجالهم و نسائهم و حضر القنصل الروسي و القنصل الالمانى و القنصل الايطالى و الامريكى و القنصل التركى و غيرهم من القناصل و المأمورين و الامراء و الحكام و التجار الايرانيين و كانت هذه الحفلة حفلة سرور و نشاط لظفرهم بمراهم و كانوا فرحين بانقضاء مدة الاستمهال حسبوا انهم من الغد يسيطرون على المسلمين و ينالون مرامهم فلما اصبح الناس في غاية الحزن و الانكسار سمع بعضهم من بعض ان الامام الشيرازى حرم استعمال التباك و التتن و جعله في حكم المحاربة مع الامام الحجة ابن الحسن (ع) فكادوا يطرون فرحا و سرورا و جعلوا يسألون من أين جاء هذا النبأ العظيم الذى فيه حياة ايران و الايرانيين فازدحموا على دار حجة الاسلام الأشتياني لكى يعرفوا صحة الخبر و كان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٥٩

الأشتياني مترقبا هذه الفتوى غير ان البريد تأخر اسبوعا فأخذ أولياء الامر يعاقبون من تكلم بحرمة الاستعمال و يقولون هذا من حيلكم و لم تصدر من الامام الشيرازى فتوى بالحرمة فاذا بالبريد قد دخل دار الأشتياني و أعطاه صورة الفتوى فقرأها الأشتياني على عموم الناس فلم تنقض ساعات إلا و استنسخوا عنها مائة الف نسخة و قرأوها على المنابر فى المساجد و المحافل و ما أمسى الناس إلا و طبق البلدة الخير و انتشر فى البلدان و القرى التي كانت من اعمال طهران فأمرت الحكومة بجمع النسخ و أخذها من أيدي الناس غير أنه ما نالت مرامها و جعلت تسأل عن نسخة الاصل فدلت على الأشتياني و كان قدس سره يخشى من إظهار نسخة الاصل فاستعلمت الحكومة الامر من (سر من رأى) فأبرقوا للعلامة الميرزا حسين النورى و الشيخ الحاج آفا النورى و أمثالهما فأجيبوا بصحة صدور الفتوى من الامام الشيرازى فايقنوا بصدق صدور الحكم فابرق التجار و العلماء الى جميع ممالك ايران بذلك و خضع الناس جميعا للحكم و انقادوا و امتثلوا مبتهجين مسرورين و كل من كان عنده شىء من التباك أحرقه و كسر غليانه و شطبه و من عجيب نفوذ هذا الحكم ان الفساق المتجاهرين بالفسق الذين يفطرون شهر الصيام و يشربون الخمر امتنعوا عن استعمال الدخان فقيل لهم ما بالكم تشربون الخمر و لا تشربون التباك قالوا ان شرب الخمر له توبة و هذا ليس له توبة فمن استعمل التباك فهو مثل من قتل الامام عليا (ع) و قاتل الامام لا تقبل توبته، و من عجيب نفوذ هذا الحكم بسرعة ان اصحاب المقاهى كسروا كل ما عندهم من ادوات الغليان، و ان كان من أغلى الأثمان و أبطل اصحاب المعامل كل ما له تعلق بالغليان سواء فى ذلك التاجر و الكواز و الصياغ و غيرهم، و كسروا ما عندهم فى المعامل فبلغ الامر الى أن رجلا سأل بعض العلماء و قال انى رششت التباك بالشمس لبيس و أريد الآن جمعه فاجعله فى كيس و اخرجه من دارى فهل هذا استعمال اولاً-؟، و ارسل رجل رأس غليان الى دكان ليصلحه قبل وصول الحكم فبعد انتشار الحرمة ذهب ليأخذ رأس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٦٠

رأس الغليان فرأى أن الأستاذ يصلح ثقبته و ما هو معد لشرب الافيون ورد رأس الغليان كما كان و لم يصلحه فقال له الرجل هل يجوز شرب الافيون قال لا و لكن له توبته بخلاف شرب الغليان الذى ليس له توبة، و رأوا درويشا يشرب الغليان فانكروا عليه فحلف انه

ليس فيه تنباك و انما هو حشيشة فلم يقنعوا بذلك حتى قلبوا رأس الغليان فرأوا انه قد صدق فتركوه، و من عجيب نفوذ هذا الحكم الشريف أن خوانين حرم السلطان و جواربها قد كسروا ما كان عندهم من الغليان و استعفى السلطان ناصر الدين شاه خدامه عن هذا العمل فعفا عنهم و خلى سبيلهم، و من عجيب نفوذ هذا الحكم الشريف أن اليهود و المجوس و سائر الفرق الباطلة و افقوا جماعة المسلمين و قالوا ان هذا حكم محترم يجب اتباعه و لا يجوز التخلف عنه فمن تخلف عنه فبعيد عن الشرف، و لا يدلنا التاريخ منذ خلق الله الدنيا على ان حكما نفذ بسرعه في جميع طبقات الناس كبيرا كان أو صغيرا رجالا أو نساء مؤمنا أو منافقا مسلما أو كافرا عاليا كان أو دنيا مثل هذا الحكم فانتشر في العالم الاسلامي امتنع المسلمون عن شربه بسرعه بالطوع و الرغبة و يرون ذلك فخرا لأنفسهم، و قد دلنا التاريخ من أحوال الأنبياء عليهم السلام انهم من بعد سنين متطاولة من تبليغهم احكام الله و تحملهم المذلة و الأذى في ذلك يتبعهم شرذمة قليلة و عظمت نفوذ هذا الحكم الشريف بلغت درجة لا يمكن وصفها لانا نرى بالعيان و نسمع بالآذان انه قل ما يوجد اتفاق جميع العلماء في جميع البلدان في حكم يتعلق بالمصلحة العامة و هذا الحكم الشريف لما صدر من مصدره خضع له جميع العلماء و استقبلوه بكل ارتياح و قبول و انقادوا اليه بكل ابتهاج و سرور و لعمرى أن هذا من النوادر الغريبة التي قل ما تتفق في عصر من العصور كما يدلنا سير التواريخ لا سيما تواريخ العظماء المصلحين ثم ان اصحاب الامتياز اصبحوا حيارى مبهوتين كأن على رؤوسهم الطير فكتبوا الى لندن بهذا المضمون (ان قد وقعت داهية عظمية لا يدلنا التاريخ على مثلها في ايران و هي ان شرب التنباك و الانفية التي كانت عادتهم استعمالها في الليل و النهار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٦١

و أهم لوازمهم بل كانوا يعدونه من الواجبات في بيوتهم تركوه بتاتا حين وصلت اليهم فتوى رئيسهم بالحرمة، و من حين صدور الحكم من رجل واحد تركوا اعظم ما كانوا متعودين به منذ سنين متطاولة من غير كره و لا اجبار و عامة المسلمين خضعوا لفتوى رئيسهم حتى دوائر الحكومة الايرانية و صار استعمال التنباك عندهم من انكر المنكرات و لم يزلوا يكسرون (الشطب) (و الغليان) و يرمون بخزفه و أخشابه الى دائرة الامتياز) و مثل ذلك كتب السفراء الى ممالك اوربا فاجتمع اصحاب الامتياز الى السلطان و استغاثوا به فوعدهم بالعلاج و كان السلطان فرحا بهذا الحكم الشريف بالباطن غير انه لم يكن له بد من المماشاة مع اصحاب الامتياز فعقد حفلة عظيمة دعا فيها مشاهير علماء دار الخلافة منهم الميرزا الآشتياني و المولى السيد على اكبر التفرشى و الشيخ فضل الله النورى و شريعة مدار امام الجمعة و شريعت مدار السيد محمد رضا و الآخوند ملا محمد تقى القاشاني، و من طرف الدولة أحضر السيد عبد الله البهبهاني و نائب السلطنة و أمين السلطان و أمين الدولة و مشير الدولة و قوام الدولة و مخبر الدولة فلما اجتمعوا احضر السلطان صورة ما قرر بينه و بين اصحاب الامتياز و خاطب العلماء و قال هذا ما قرر بين الدولة و بين اصحاب الامتياز فانظروا فيه فما كان فيه مخالفا لحكم الشرع المطاع نأمر بتغييره، و أما أصل المسألة فباطاله محال، فلما قرأوا فاذا في صدر الدفتر كلمة (مينويل) فسأل العلماء عن تفسير هذه الكلمة فقيل لهم أن هذه الكلمة معناها بالانكليزية الامتياز و الانحصار يعنى ان التنباك لا يجوز بيعه و لا شراؤه إلا باجازه اصحاب الامتياز، و هذا حق يختص به فقط، فقال العلماء هذا اول ما يجب تغييره او اسقاطه لأنه خلاف ما قرر في شريعة رسول الله صلى الله عليه و سلم و من الاصول المقررة الثابتة قاعدته ان (الناس مسلطون على أموالهم) فعلى هذا الأصل كل واحد من الناس مسلط على ماله يفعل فيه ما يشاء فهو مختار على بيعه و ادخاره بأى نحو كان، و قاعدتكم ج ١- سامراء (١١)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٦٢

هذه مخالفة لحكم الشرع المطاع حيث انكم أمرتم بأن الرعية لا- تباع إلا- لشخص معين و بضمن معين في مكان معين و هو مجبور مسلوب الاختيار في جميع ذلك و الشارع لا يرضى بذلك أبدا فبهتوا و افحموا، و كل واحد من اركان الدولة لم يحرجوا، فقال الوزير الاشتياني أن السيد ميرزا محمد حسن الشيرازى مجتهد و جنابك ايضا مجتهد فيمكنك أن تفتى بالاباحة كما انه فنى بالحرمة، فاجابه الآشتياني بكلمات قارصة و قال ان مولانا الميرزا الكبير سيد الشريعة و امام الشيعة و ملاذ الأمة و نائب الأئمة حكمه مطاع و

أمره لآزم الاتباع و نحن عبیده و مطيعوه في كل ما يقول لأن الراد عليه على حد الشرك، فيئس الوزير الأعظم من اقناع العلماء و عددهم برفع الامتياز فلما مضى اسبوع على عقد المجلس المشار اليه عقدوا مجلسا آخر و أحضروا المذكورين و حضر السلطان ناصر الدين و قالوا قد ابطلنا الامتياز عن داخل ايران فأحاد الرعية مختار في بيع التبناك بأى وجه يريد و بأى ثمن و فى أى وقت يشاء لا إجبار فى البين غير أن الامتياز باق بحاله فى خارج المملكة و التبناك من ايران يحمل الى المملكة العثمانية فقط و معلوم عندكم ان اختيار الخارج ليس بأيدنا فنستدعى من العلماء أن يصعدوا المنابر و يعلنوا بالاباحة فقالوا ما افتينا بتحريمه حتى نفتى باباحته و لا ربط لنا فى المسألة انما القول قول السيد الكبير الميرزا الشيرازى منه الأمر و منا الاطاعة و الانقياد فراجعوه انتم فى المسألة حتى يتبين لكم الأمر، فكتبوا صورة بريقة و ختموها بخواتيم العلماء و ارسلوها الى سامراء و كانوا فى انتظار الحكم بالاباحة فاذا الجواب من سامراء مفاده (التشكر من السلطان و الرجاء بقطع أيدى الأجانب من ايران) فلم يبق مجال للسلطان على علماء دار الخلافة فبقى حكم الحرمة بحاله، فلما مضى اسبوع رأى الناس فى صبيحة يوم الاثنين اعلانا على حائط شمس العمارة مفاده ان يوم الاثنين الآتى نحن مأمورون بالجهاد فمن كان مسلما فيجب عليه الجهاد بفتوى الامام الشيرازى مد ظله فولول الناس فهاجوا و ماجوا و انتشر الخبر الى تمام دار الخلافة و خاف الأجانب على انفسهم فجعلوا ينهزمون خفية حتى ان كثيرا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٦٣

منهم خرجوا من ايران لابسين ثياب النساء و كانت قلوبهم مملوءة رعبا من الحكم بحرمة الدخان و قالوا ان المسلمين مستميتون و نرى ان رئيسهم الدينى لو أمرهم باحراق انفسهم بالنار لا يتخلفون عن امره فالاقامة فى ايران فيها خطر عظيم، و اما اصحاب الامتياز فلجأوا الى شمس العمارة أو استغاثوا بالسلطان ناصر الدين شاه فارس السلطان الى الآشيتانى و استخبر منه فحلف انه لا علم له بذلك و وعد السلطان بتسكين الناس و كان كثير من الناس يتعاونون الاسلحة و يجددون العهد و الوصية و علت اصوات البكاء من دورهم و كانوا يودعون نساءهم و صبيانهم فلم تزل هذه الأمور تتضاعف و يشتد خوف الأجانب و اصحاب الامتياز فدعا الآشيتانى اصحاب المنابر و المحاريب و امرهم بتسكين الناس و ان هذا الاعلان لا اصل له فهدأت فورة الناس غير ان سفراء اوربا خافوا الأمر و زعموا ان هذه الهدنة من المسلمين سياسة و اغفال للخصم فاحتفلوا قبل مضى اسبوع و احضروا اصحاب الامتياز و السلطان ناصر الدين شاه و كثيرا من الأكابر و الأشراف و كان المتكلم السفير الروسى و خاطب الحضرار و قال (زنده باد اتفاق مسلمانها) أى ليحى اتفاق كلمة الاسلام على السلامة فتعجب السفراء من هذه الكلمة فلما رأى السفير الروسى تعجبهم قال حضرت هذه الحفلة حتى اقول لكم هذه الكلمة و ان شئتم اشرح لكم، قيل له قل، قال اليوم مقدار مائتى الف من رؤوس (الغليان) و كيزان البلور للغليان و غيرهما مما يتعلق بالدخان و قفت تجارتها عن روسيا و لا يدري الى ما يصير مآلها و كان السبب فى ذلك ان «آرسن» رئيس اصحاب الامتياز وضع حكما فى ايران يخالف قوانينهم الاسلامية فافتى رئيسهم المطاع بحرمة استعمال الدخان فاطاعوه و تركوا عادة كانوا متعودين عليها منذ خمسمائة سنة و منشأ هذه الخسائر ليس إلا (آرسن) رئيس الامتياز، اليس من الواجب عليه رفع يده عن هذه المعاملة قبل حدوث حادثة اكبر من هذه، قالوا باجمعهم نعم، ثم قال هذا سهل يمكن تحمله، و لو فرضنا ان رئيس الامتياز لم يرفع يده عن هذه المعاملة و رئيس الاسلام يشدد فى الحكم لقطع يد الأجنبى و يفتى بحرمة شرب «الشاي»

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٦٤

و من المعلوم ان تأثيره فى قلوب المسلمين ليس بأقل من تأثير حرمة الدخان فعنده هل يمن احصاء الخسائر التى ترد الينا و الى سائر دول اوربا لأن ذلك يعطل تجارة السكر بأنواعه و تجارة جميع الآلات التى يتوقف عليها استعمال «الشاي» و قد يكون ذلك سهلا لو فرض و لكن لو اصدر سيدهم المطاع فتوى بحرمة استعمال جميع ما يرد من البلاد الخارجية الى ايران لعمت الخسائر و الاضرار جميع الدول و لو فرضنا مع ذلك سهولة هذه الخسائر العظيمة و لكن لو اصدر فتواه الحاسمة بوجوب قتل جميع المسيحيين الذين هم منتشرون فى بلاد ايران و تنزيهها عن الأجانب فما تفعلون فقالوا باجمعهم لا شبهة انه لو افتى بذلك لقاتلونا لانهم يرون الجهاد واجبا

عليهم و من قتل منهم يكون شهيدا فعند ذلك نكون مسؤولين تجاه صاحبنا لأن التبعة الخارجية كثيرة في بلاد ايران و تلك داهية عظيمة، فقال السفير الروسي لهم فانظروا عندئذ عواقب المسألة فقالوا بأجمعهم الحق ما تقول و يجب على (آرسن) رئيس الامتياز فسخ المعاملة و ابطالها فقال (آرسن) كيف افسخ هذه المعاملة و انى منذ دخلت ايران الى يومى هذا انفقت اربعة كرور من الليرات فى الرسومات و العمارات و الآلات و الوظائف و غيرها، فقال السفير الروسي هذه الخسائر التى وردت عليك كنت قد اقدمت عليها لعلمك خلاف القوانين الاسلامية و رؤسائهم الدينيون لم يرضوا بذلك، فبهت (آرسن) و لم يجر جوابا ثم استمهل السفراء لينظروا فى امره فكان كلما فكر فى الأمر لم تطب نفسه الى ترك المعاملة، فكتب اليه السفراء بأن لا- تقوم فى ايران الا- ان تأخذ الاجازة باستعمال الدخان من علماء الاسلام، ثم ان (آرسن) جعل يسأل عن احوال علماء دار الخلافة و مراتب زهدهم و تقواهم الى ان وجد فيهم من كان يطلبه فدخل داره خفية و رشاه بثلاثة آلاف تومان له و خمسمائة تومان لكاتبه فقبل تلك الرشوة فقال برئيس الامتياز أنا افيتت بالحرمة لجهات اقتضت و الساعة أفتى بالاباحة فشرب فى الوقت الدخان فلما رأى ذلك (آرسن) فرح بذلك و زعم أنه نال مرامه من هذا الفاسق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٦٥

المتهتك فقال المرتشى أنا متعهد بإبقاء معاملة الامتياز على حالها و استعمال الشعب الدخان و لكن يجب عليك ان تواجه السلطان و تستدعى منه إخراج من هو معارض لنا من طهران، فقام (آرسن) و اتى الى السلطان و قال ما جئنا الى ايران الا معتمدين عليك لتزيل عنا كل غائلة حدثت و اليوم أصابتنا خسائر فادحة و فيها مسؤولية عند السفراء فنستدعى من حضرتمكم اما ان تتحمل خسائرنا لنرجع الى بلادنا او تأخذ لنا الاجازة من العلماء، و لما كان الأول غير ممكن للسلطان وعده بالتانى اضطرارا ثم حدثه بالفصه و ما وقع الاتفاق عليه مع المرتشى المذكور فبقى السلطان متحيرا فكتب إلى الآشتياني بما مضمونه ان جنابك مخير بين ان تعلن بأباحة استعمال الدخان أو تسافر مدة قليلة من طهران فان الأمر كذا و كذا فكتب اليه الآشتياني أما نقض حكم الامام الشيرازى فمحال، و اما المسافرة فاسافر مع الغد إن شاء الله فانتشر نبأ المسافرة فى تمام البلده بسرعة هائلة فعظم ذلك الأمر عند العلماء فاجتمعوا من كل محله و قصدوا دار الآشتياني و اجتمع من طبقات الناس خلق كثير فملئت الشوارع و الاسواق و رفعوا اصواتهم بالبكاء و النحيب مستنكرين ذلك أشد الانكار و كان الأمر كذلك الى قريب من الظهر فبينما هم كذلك اذ بأفواج النساء صارخات باقيات يهرعن الى الأسواق فكلما رأين دكانا مفتوحا امرن بسده فعطلت الأسواق و ملئت الشوارع و السكك من الرجال و النساء فجعلوا يسبون اصحاب الامتياز و كل من ينصرهم و يعينهم و تارة يصرحون باسماء الوزراء الكبار بحيث خاف أركان الدولة على أنفسهم فسجدوا ابواب شمس العمارة و نصبوا المدافع على سطوحها و أمرو الجيوش باطلاق نيران بنادقهم فخالف الجيوش أوامر الضباط و كانوا يبكون لبكاء النساء و علت اصوات البكاء من حرم السلطان و جواريتها و كن يشتمن الوزراء الذين تعهدوا ببقاء الامتياز و هتفن بالسب الشنيع و الشتم الفظيع فارسل السلطان نائب السلطنة ليسكت الناس فلما صادف الناس صاحوا فى وجهه و ضربوه ضربا مبرحا فاطلق بعض حواشى السلطان بندقيه فقتل نفرا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٦٦

من الرجال فكثير الضجيج فسكتهم الآشتياني و قال السلطان استدعى منى أن لا أخرج من دار الخلافة فامضوا إلى مساكنكم فهدأت فورة الناس فدخل عضد الدولة الآشتياني بعد تفرق الناس مع جماعه من وجوه حواشى الدولة و اعتذر منه بكل لسان و قال له رفعنا الامتياز عن الخارجية فضلا عن الداخلية و قطعنا ايدى الأجانب بالكليء من ايران فنرجو من فضلكم الآن أن تبرقوا الى سامراء و تشرحوا للامام الشيرازى حقيقة الأمر ليصدر فتواه بجواز استعمال الدخان فاجابه الآشتياني لذلك فابرق برقية مفادها ان امتياز الدخانية رفع بيمن بركاتكم و مساعيتكم الجميلة من داخل ايران و خارجها و بطلت المعاملة الجائرة و عاد الأمر كما كان و قطعت ايدى الأجانب من ايران فالناس منتظرون امركم فى جواز استعمال الدخان، و بهذا المضمون أرسل سائر العلماء بقرقيات إلى سامراء فجاء

الجواب للآشيتاني مفاده ان بركات العلماء وصلت الي و أنا اشكر مساعيكم و اصدق اقوالكم غير اني لا اعتمد على طريق الوصول و هي البرقية فان كتبتم إلي تفصيل ما في البرقيات بقطع يد الأجنبي عن ايران بتاتا و عود امر الدخانية الي ما كان سابقا فالترخيص يجيئكم انشاء الله، فكتبوا اليه قدس سره فجاء الجواب بالترخيص فخرج اصحاب الامتياز من ايران راجعين الي اوربا بخفي حنين، و كان يوم وصول الترخيص يوما مشهودا و فرح السلطان ناصر الدين شاه فرحا شديدا و قال ان الميرزا الشيرازي أحيى دولة القاجارية و كان قدره مجهولا عندنا و اليوم عرفنا منزلة هذا الرجل الكبير أدام الله بقاءه، و استنسخوا الف صورة من كتاب الامام الشيرازي و ارسلوها إلى سائر بلاد ايران فعاد الأمر كما كان و انتشر الخبر الي سائر آسيا و بلاد اوربا و افريقيا و امريكا و نشر ذلك في الجرائد الخارجية، و أرسل الأمريكان الي سفيرهم في بغداد سائلين عن هذا الرجل الكبير المطاع الديني الذي قام في قبال اربع دول و نال مرامه و غلب عليهم و أمر الروس سفيرهم في بغداد بمسافرتة الي سر من رأى ليظهر اخلاصه فامتثل و كان الأجانب من كل جانب يسألون حاله قدس سره حتى خيف عليه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٦٧

من اليد العادية و لكن يد الله فوق أيديهم؛ و كتب السلطان ناصر الدين شاه عريضة مفصلة بديعة، أظهر فيها اخلاصه الصميم، و كذا الوزراء و الحكام؛ حتى اشتهر- قدس سره- بآية الله المجدد؛ لأنه جدد الدولة و المنه .. - .

العراق قديما و حديثا

قضاء سامراء

سامراء من المدن الواغلة في القدم و العمران، فهناك من يقول ان وجودها سبق ظهور الاسلام بزمن بعيد، إذ دلت بعض الحفريات على أن بعض مواطنها كانت مأهولة منذ زمن ما قبل التاريخ و انها من بعد ان بلغت ابعده شأو في المدينة و الحضارة أخذت في الهوى و الهبوط شأن كل موجود حتى جاء المعتصم بالله فجدد بناءها سنة ٢٢١ هـ - ٨٣٥ م و منهم من يرى أنها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٦٨

مدينة عباسية بحتة، اختطها المعتصم بن الرشيد في السنة المذكورة على الجانب الشرقي من دجلة، و حمل إليها الأعراس المختلفة من سائر أنحاء المملكة الإسلامية، و زينها بالقصور و البرك و الميادين، ثم جاء بعده بعض الخلفاء العباسيين فأقاموا فيها القصور، فبنى هارون الواثق بالله القصر المعروف بالهاروني، و أضاف إليها جعفر المتوكل على الله القصر المسمى بالجعفرى، و شيد المعتصم على الله ابن المتوكل القصر المسمى بالمعشوق، و المعروف الآن بالعاشق. و كان الناس قد اتسعوا في العمران في زمن المتوكل أكثر مما اتسعوا في بغداد حتى اتصل من «الدور» إلى «بلكوارا» أو «المنقور» كما يعرف الآن، فلم تزل المدينة في سامراء في تقدم و توسع حتى غدت أجمل مدن العراق دار متعة و عزة و سطوة للعباسيين أكثر من خمسين عاما، ثم قلب لها الدهر ظهر المجن فجعلها خرائب و آكاما تمتد اليوم على شاطئ دجلة الايسر إلى نحو من ثلاثين كيلومترا.

أما سامراء الحالية فإنها كانت إحدى المحلات الشهيرة في أيام المعتصم و كان يسكنها الإمام على الهادي، فلما توفي (ع) سنة ٢٥٤ هـ - ٨٦٨ م دفن مدينة سامراء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٦٩

في بيته، و لما توفي ابنه الحسن العسكري سنة ٢٦٠ هـ - ٨٧٣ م دفن إلى جوار أبيه فاتخذ شيعتهما مرقديهما مزارين و قد بناوا حولهما العمارات و أنشأوا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٧٠

الدور و المنازل العامة فحافظت على عمرانها و وضعها إلى ما بعد انقراض

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٧١

الدولة العباسية، فلما شرع في التنظيمات الإدارية في العراق على عهد الوالى مدحت باشا عنيت بها الحكومة فجعلتها مركز قضاء، و هي اليوم على مسافة ١٢٨ كيلومترا من شمالي بغداد، أكثر بيوتها مبنى بالآجر المنتزع من سامراء القديمة؛ و جل سكانها من العشائر المحيطة بها و هم، أو أكثرهم، يدعون السيادة و انهم من نسل الإمامين العسكريين عليهما السلام و كان هؤلاء يعيشون على زوار العتبات المقدسة من الإيرانيين و الهنود و الافغان، فلما وقف سيل هؤلاء أو كاد، انصرف الأهليون إلى الارض يحرثونها و يزرعونها ليعيشوا على غلالها و يتجروا بخيراتها، و قد أدى هذا التحول الاقتصادي إلى ارتفاع مستوى المعيشة فيها فصاروا يأخذون مياه شربهم من الحنفيات بعد أن كانوا يستقونها من النهر على يد السقائين، و أخذوا يستنيرون بالكهرباء بعد أن كانوا يتخذون الزيوت للإضاءة، و انتشرت في أرجائها الحدائق العامة و الخاصة بعد أن كانت بلقعا، أما جوها فإنه لم يزل لطيفا كما ان نسيمها لم يزل نقياً عليلاً، و قد نصب لها جسر من زوارق حديدية فسهل لها المواصلات بعد أن كان الناس يعبرون النهر بالزوارق الخشبية، و مما زاد في أهميتها مرور «قطار الشرق السريع» بها و تدل سجلات النفوس على ان نفوس قضاء سامراء بلغت في نهاية سنة ١٩٤٧ (٦٤٩٠٤) نسمات عدا الأجانب.

و قد قامت مديرية الآثار القديمة سنة ١٩٤٠ م بترميم بعض هذه الآثار و فتحت متحفا في (سامراء) و وضعت فيه مخططات و مصورات مهمة عن آثارها و جمعت جزءا مما عثرت عليه من زخارف جصية و جسية جميلة و آثار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٧٢

زجاجية و فخارية من الفسيفساء و الآجر المزجج على اشكال زهرية او على هيئة الكاشي المعرق.

و كان يحيط بسامراء- الحالية- سور ضخيم يبلغ طول محيطه كيلومترين و لا يتجاوز قطره الأعظم ٦٨٠ مترا، عمره في حدود سنة ١٢٥٠ هـ- ١٨٣٤ م زين الدين السلماسى و قد انفق على تعميره احد ملوك الهند كما جاء في «شرح الطرّة» و لهذا السور اربعة ابواب باب القاطول و باب الناصرية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٧٣

و باب بغداد و باب الملطوش، و قد هدمت مديرية الآثار العامة الباب الغربى- اى باب القاطول- في عام ١٩٣٦ م. و بنت الحكومة منه صرحا لها و دارا للبلدية و مستشفى للأهلين و مدرسة للبنين و ناديا للموظفين و دائرة للبرق و البريد. و هدمت الباب الجنوبى- اى باب الناصرية- فبنت خارجه مسلخا و مذبحه. و حولت الباب الشرقى- اى باب بغداد- إلى متحف محلى تعرض فيه نماذج الآثار المنتزعة او المستخرجة من الحفريات التى تقوم بها المديرية المذكورة.

و فى مدخل سامرا يقع مشروع التراث الذى يقى بغداد من الغرق و هو مؤلف من قسمين هما: ١- القناة التى تصل دجلة بمنخفض وادى التراث و يبلغ طولها ٦٢ كيلو مترا و (٢) سدة على نهر دجلة مقابل مدينة سامراء لحجز المياه الفائضة و تحويلها إلى القناة. و تتكون هذه السدة من سبع عشرة فتحة عرض كل منها (١٢) مترا ترفع بالقوة الكهربائية و بالعتلات التى تدار باليد إذا انقطع تيار الكهرباء. أما طول السدة فهو (٤٤٩) مترا. و يتضمن المشروع أيضا ناظم من ست و ثلاثين فتحة عرض كل منها ١٢ مترا مجهزة بأبواب من الحديد لإمرار تسعة آلاف متر مكعب من الماء فى الثانية، كما يتضمن بناء اسس لتوليد القوة الكهربائية تقدر طاقتها الانتاجية بمئة و اثني عشر الف كيلو واط و قد بلغت نفقات حفر القناة و إنشاء السدة حوالى ستة عشر مليون دينار و بوشر فيه سنة ١٩٥٢ م فتم افتتاحه فى الثانى من نيسان عام ١٩٥٦ م و هو من مشاريع مجلس الإعمار المدعمة بواردات العراق من النفط.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٧٤

سامراء في الموسوعات و المراجع العامة

وفيات الأعيان

و لما كثرت السعاية في حقه (- على الهادي) عند المتوكل أحضره من المدينة. و كان مولده بها. و أقره بسر من رأى، و هي تدعى بالعسكر؛ لأن المعتصم لما بناها- انتقل إليها بعسكره، فقبل لها العسكر. و لهذا؛ قيل لأبي الحسن (على الهادي) المذكور: العسكري؛ لأنه منسوب إليها، و أقام بها عشرين سنة، و تسعة أشهر. و توفي بها، يوم الاثنين، لخمس بقين من جمادى الآخرة ... سنة اربع و خمسين و مائتين، و دفن في داره ...

أخبار الدول و آثار الأول

سامرا (سر من رأى)
مدينة عظيمة، كانت على شرقي دجلة، بين تكريت و بغداد. بناها المعتصم سنة احدى و عشرين و مائتين. و سكن بها جنوده، حتى صارت اعظم
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٧٥
بلاد الله. و هي - اليوم - خراب، و بها اناس قلائل كالقرية .

أحسن الوديعه

سامراء .. و هي بليدة .. و من بغداد إليها مدت الحكومة الألمانية- بعد أخذ الامتياز من حكومة تركيا- السكة الحديدية المعروفة بالقطار، و ذلك بعد سنة ١٣٢٧.
و سامراء بلدة عذبة الماء، طيبة الهواء، قليلة الداء ...
و هذه البقعة الطاهرة .. هي مزار المسلمين عموما، و الشيعة خصوصا.
و أمر هذه البلدة كانت في الشدة و الضعف، حتى جاء العلامة الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي، فسكن بها، و جعلها- كما كانت- مركزا علميا لأصحابنا، و رحلت إليه طلابنا و أصحابنا، من البلاد؛ للتلذذ عليه. فعمل مدرسة كبيرة باقية حتى الآن و حمامين.
و اليوم فيها جماعة كثيرة من فضلاء الشيعة، و أختيارهم، و عوامهم.
و بالجملة، فسامراء من مراكز العلم قديما و حديثا ...

أعيان الشيعة

سامراء، يقال سر من رأى. و لعل سامراء مخفف منها. بناها المعتصم سنة ٢٢١، و سكنها بجنوده، لما ضاقت بهم بغداد. فصارت مدينة عظيمة.
و لم تزل في تناقص، حتى قريه، و كثرت فيها الشيعة، لما توطنها الإمام الميرزا الشيرازي؛ السيد محمد حسن. و صارت إليها الرحلة من

الآفاق.

و كانت فيها في عصره مدرسة عظمى للشيعة في العلوم الدينية. و بعد وفاته
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٧٦
سنة ١٣١٢؛ تناقص عدد الشيعة فيها، و عادت إلى شبه حالها الاول.
و اليوم؛ فيها جماعة من العلماء و الطلاب .

تاريخ الشيعة

سامراء، اسسها المعتصم عام ٣٢٠ (كذا)، و جعلها عاصمة ملكه.
و انتقل اليها بحاشيته و جيشه. و انت جد خبير بأن التشيع يسير مع الاسلام اينما سار. فكم كان بين الجند، و القواد، و الامراء، و
الكتاب، من يحمل بين حنايا ضلوعه ولاء اهل البيت عليهم السلام.
و ظهر التشيع جليا بعد ان قام الامامان فيها. و شاهد الناس ما لهما من علم و سجايا حميدة، و مزايا دلت على انهما فرعان من شجرة
النوء، و وارثان لذلك العلم الالهى؛ على الرغم من مناوأة العباسيين لهما، و اجتهادهم فى منع الناس من الاجتماع بهما، و اجتماعهما
بالناس. و لكن الشمس تفيض على العالم اشعة تنمى الضرع و الزرع، و ان حالت السحب دون ذلك الشعاع.
و يشهد لظهور التشيع فى سامراء- ذلك اليوم- ما ذكره يعقوبى فى تاريخه (٣: ٢٢٥) عن حوادث عام ٢٥٤، و وفاة الهادى (ع)
تاريخه (٣: ٢٢٥) فيها، قال: «فصلى عليه فى الشارع المعروف بشارع ابى حمد. فلما كثر الناس، و اجتمعوا؛ كثر بكأؤهم و ضجتهم، فرد
النعش إلى داره، فدفن فيها».

و هكذا، ذكر غيره عند وفاة ولده أبى محمد الحسن- عليه السلام-.

و ما زال التشيع فيها راسخ القدم. إلى ان حاربه الأيوبي فى تلك الجهات، و اقتفى أثره بعد أمد بعيد- السلطان سليم العثمانى- و
جرت على ذلك السياسة العثمانية من بعده.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٧٧

و لو لم يكن إلا مراد الرابع محاربا للشيعة فى هذه المناطق البعيدة عن المجتمع الشيعى لكفى فى اخفاء التشيع، و هرب الظاهرين من
رجاله. و لقد نرح عنها ثلة من الناس هربا بأرواحهم. و كان منهم سدة ذلك الحرم المقدس.

و لما قطن فيها زعيم اهل الدين- فى عصره- السيد ميرزا حسن الشيرازى! استعداد التشيع فيها نشاطه، و هاجر إليها كثير من ابناء العلم و
ارباب المكاسب.

و حينما تضاءل- قبل هذا- التشيع زما طويلا كان آخذا بحظ وافر فى قبائلها الجنوبية القاطنة على ضفتى دجلة، و فى القرى، و
الرساتيق الشرقية الجنوبية التى بينها و بين بغداد.

و ما زالت- بعد ارتحال السيد الشيرازى (عليه الرحمة) مهبطا لبعض أهل العلم.

و لم تخل- فى عهد من عهدها إلى اليوم، من رجال، لهم قيمتهم العلمية و الاجتماعية.

و يسكنها- اليوم- جماعة من الشيعة، من أهل الحرف و العمل.

و سامراء، من البلاد المقدسة، التى يؤمها الشيعة لزيارة الامامين الهادى، و ابنه الحسن العسكرى عليهما السلام .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٧٨

سامراء في الأدلة و الجغرافيا

الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦

أطلال سامراء

تقع أطلال سامراء المدرسة، بجوار مدينة سامراء الحديثة. تحتوي هذه الأطلال على آثار عربية مهمة تدل معالمها على ما كانت عليه هذه المدينة من العز، و المنعة، ففيها أنقاض السجن، و الكمرك؛ الذي بناه المتوكل على الله، و الذي يسمى بالعاشق، و هما مقابلان لسامراء الحالية، و سور (و) منارة الجامع الكبير الذي بناه المستنصر بالله. و تعرف هذه المنارة بالملوية ... الخ .

دليل تاريخي على مواطن الآثار في العراق سامراء اليوم

على نحو ١٢٠ كيلو مترا من شمال بغداد، على ضفة دجلة الشرقية،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٧٩

تقوم بلدة سامراء الحديثة، فوق جزء ضئيل من اطلال عاصمة بني العباس القديمة، الممتدة اطلالها مسافة طويلة الى شمالها و جنوبها و شرقها.

و هي - اليوم - مركز قضاء واسع، من أفضية لواء بغداد.

كان يحيط بهذه البلدة، إلى ما قبل عشر سنوات سور ضخمة، يبلغ طول محيطه نحو كيلومترين. شيد منذ نيف و مائة سنة؛ لصد غارات البدو عنها. و كان له أربعة ابواب؛ هي: باب القاطول في الغرب، و باب الناصرية في الشمال، و باب الملطوش في الجنوب، و باب بغداد في الشرق.

و قد هدم الآن معظم هذا السور توسيعا للبلدة التي أخذت تمتد فيها وراءه.

الروضة العسكرية و سرداب الغيبة

و في قلب مدينة سامراء الحديثة؛ الروضة العسكرية حيث ضريح الامام على الهادي (ع)، و الحسن العسكري (ع). و عليه قبة طليت بالذهب سنة ١٢٨٥ هـ.

و كان الامام على الهادي يسكن سامراء في أيام المعتصم بالله. فلما توفي سنة ٢٥٤ هـ، دفن في وسط داره، و لما توفي الامام الحسن العسكري سنة ٢٦٠ هـ، دفن بجانبه.

و في جانب الضريح، الجامع. و تعلق بنايته قبة يزيناها كل شيء ملون مزخرف. و تحت الجامع سرداب غيبة الامام الثاني عشر؛ محمد بن الحسن العسكري. و هو السرداب المعروف باسم «غيبة المهدي». و فيه باب خشبي جميل، عمل سنة ٦٠٦ هـ ١٢٠٩ م، بأمر الخليفة العباسي، الناصر لدين الله:

تزينه كتابة نسخية جميلة، تبرز على ارضية مزخرفة ..

و يزين جدران السرداب كاشي ملون و مزخرف. و يمتد - على طول الجدران الثلاثة - نطاق من الخشب، طوله ٨٠، ٤ م: فيه كتابة كوفية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٨٠

بارزة هذا نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم»- محمد رسول الله، أمير المؤمنين علي بن ابي طالب، الحسن بن علي، الحسين بن علي، (علي بن الحسين)، محمد بن علي، جعفر بن محمد، موسى بن جعفر: علي بن موسى، محمد بن علي، علي بن محمد، الحسن بن علي، القائم بالحق- عليهم السلام-. هذا عمل علي بن محمد و بن آل محمد رحمه الله .

الدليل العام لتسجيل نفوس العام لسنة ١٩٥٧ العشائر المتوطنة

إشارة

اسم العشيرة/ السكان بموجب ارقام الإدارة المحلية لسنة ٥٦ /مركز العشيرة أو موطنها وسعة المنطقة بالدونم أو الكيلومتر البوعباس / ٧٠٠٠ / يسكنون معيجل، و العلفه، و داود الجزيرة.
البودراج / ١٢٠٠ / يسكنون في العاشك، و الطونية، و الجزيرة.
البونيسان / ١٢٥٠ / في الديوانية الحريجية، و الجزيرة.
البوباقر / ٥٠٠ / يسكنون ام الطلائب.
البوعيسى / ٦٠٠٠ / يسكنون مكيشيفه، و الجزيرة.
الدورين / ٤٠٠ / يسكنون في الزلاية، و الجزيرة.
العبيد / ٢٦٥٠ / طعس الدابة وسعتها (٤٠٠ كم ٢)، و الحدادية وسعتها (١٥٠ كم ٢)، و يسكنون الباصوني و عتبه الامام-
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٨١

و الصراة، و الدعالج وسعتها (٣٠٠ كم ٢) و مطييجة وسعتها (٤٠٠ كم ٢)، و الخرابة وسعتها (١٥٠ كم ٢)، و عجل وسعتها (٤٥٠ كم ٢).

البوصگر / ١٠٠

الصايح / ٩٥٥٥ / يسكنون ابوفسيلة وسعتها (٤٠٠ كم ٢) و الصراة وسعتها (٤٠٠ كم ٢)، و الخاتونية وسعتها (٦٠ كم ٢)، و مليحات وسعتها (١٦٠ كم ٢) و سديدة وسعتها (٤٠٠ كم ٢)، و الاغير وسعتها (٧٥٠ كم ٢)، و المناهله وسعتها (٣٠٠ كم ٢)، و الجيايش وسعتها (٣٠٠ كم ٢)، و ابو حواى وسعتها (٤٥٠ كم ٢) و الزلزلية وسعتها (١٠٠ كم ٢)، و الفرشيات وسعتها (٦٥٠ كم ٢) و البعجى وسعتها (١٥٠ كم ٢)، و صعيد، وسعتها (١٠٠ كم ٢).

السادة / ٥٠ / الجلوب وسعتها (١٠٠ كم ٢)، و الخاتونية سعتها (٦٠ كم ٢)، و مليحات وسعتها (١٦٠ كم ٢)،

العزة / ٩٧٠ / ام البلبل وسعتها (٤٠٠ كم ٢)، و حاوى المتية وسعتها (٥٠٠ كم ٢)، و حاوى الحمود وسعتها (١٥٠ كم ٢)، و قلعة الرمل (١٠٠ كم ٢)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٨٢

و مجموع العشائر المتوطنة (١١) عشيرة.

و مجموع نفوس العشائر المتوطنة فى سنة ١٩٥٦ (٠٧٥، ٣٠).

مجموع نفوس العشائر المتوطنة تخميناً فى ايلول سنة ١٩٥٧، بعد اجراء التعديل اللازم (٦٩٥، ١٨).

الأحياء:

محلة العابد، محلة البوجول، محلة البويدري، محلة البونيسان، المحلة الغربية، محلة القاطول، محلة القلعة، المحلة الشرقية .

الدليل الجغرافي العراقي سامراء

و فيها اطلال مدينه (سر من رأى) العباسية. اسست في زمن الخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٧ هـ) لجعلها عاصمه له، ثم اوصلها الى أقصى اتساعها المتوكل (٢٣٢-٢٤٧) هـ.

و من اهم آثارها: بقايا دار الخليفة، و المنارة الملوية؛ التي انشئت مع المسجد الجامع الكبير- على عهد المتوكل. و في مدينه سامراء الحالية؛ ضريح الامام على الهادي، و ولده حسن العسكري-ع- كانت وفاة الاول في سنة ٢٥٤ هـ، و الثاني في سنة ٢٦٠ هـ.

الأماكن المقدسة في العراق

اسس سامراء الخليفة المعتصم بالله، سنة ٢٢١ هجرية (٧٣٦ ميلادية).

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٨٣

و سكنها خلفه حتى سنة ٢٧٩ هجرية (٧٩٢ ميلادية) و فيها؛ مسجد مشهود، يرجع الفضل في بنائه إلى ثلاثة من أئمة المسلمين الامام العاشر، و الحادي عشر، و الثاني عشر. فالعاشر الامام على العسكري، و الحادي عشر الامام حسن بن على العسكري. دفنا في ضريح تعلوه قبة محلاة بالذهب، بأمر شاه العجم؛ ناصر الدين شاه. و في حجرة صغيرة مبنية تحت الأرض، غاب الامام المهدي، الامام الثاني عشر، المعروف عنه ان جثته قد اختفت من الضريح سنة ٢٦٤ هجرية (سنة ٨٧٨ ميلادية).

و لما آلت مدينه الخلفاء إلى الخراب، و أخذت معالمها في الاندثار؛ استوطن بعض الناس الأماكن المحيطة بالمسجد، بعد رجوع الخلفاء إلى بغداد و أصبح- بعدئذ- مكانا شهيرا عند الشيعة يؤمنونه للزيارة. و قد احيطت بلدة سامراء في العهد الحديث بسور من الآجر لصيانتها ..

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٨٤

جغرافية العراق

سامراء:

تقع سامراء على ضفة دجلة اليسرى بعيدة عن الساحل، و هي مركز القضاء التابع الى لواء بغداد.

و القصبه مبنية على ارض خصبة رملية. و يحيط بها سور من الآجر.

و فيها، مرقد الإمامين على الهادي، و الحسن العسكري؛ في صحن كبير، واقع في وسط القصبه. و يؤمها الزوار من كل حدب و صوب، للزيارة و التبرك.

و تقع مزارع القصبه و بساينها على الضفة المقابلة، نظرا إلى خصب التربة هناك.

و قد كثرت فيها في الآونة الاخيرة المضخات، لضخ الماء من نهر دجلة. و في شمالي القصبه اطلال قصر الخليفة، و هي من أجل الآثار العباسية الباقية شأنًا.

و البناء يدل على تقدم فن الريازة فى عهد العباسيين .

سامراء فى الرحلات رحلة ابن جبیر

و نزلنا مع الصباح من يوم الخميس الثامن عشر لصفرة (سنة ٥٨٠ هـ) على شط دجلة، بمقربة من حصن يعرف بالمعشوق، و يقال انه (كان) متفرجا لزبيدة ابنة عم الرشيد و زوجه - رحمه الله- .
و على قبالة هذا الموضع، فى الشط الشرقى؛ مدينة سر من رأى. و هى
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٨٥
- اليوم - عبرة من رأى اين معتصمها؟ و واثقها؟ و متوكلها؟
مدينة كبيرة قد استولى الخراب عليها، الا بعض جهات منها، هى - اليوم - معمورة.
و قد أطب المسعودى - رحمه الله - فى وصفها، و وصف طيب هوائها، و رائق حسننها. و هى كما وصف، و إن لم يبق إلّا الأثر من محاسنها، و الله وارث الأرض و من عليها، لا إله غيره. فأقمنا بهذا الموضع طول يومنا مستريحين .

الاشارات الى معرفة الزيارات

مدينة سامراء، و قيل؛ سر من رأى، بها الامام على بن محمد الهادى، ولد بالمدينة، عاش خمس (كذا) و سبعين سنة.
و بها الامام الحسن بن على العسكرى (رضه).
و بها الامام الحجة، محمد بن الحسن المنتظر (رضه)؛ مولده سر من رأى، عمره سبحان عالم الغيب و الشهادة، قبره؛ الله يقضى حيث يشاء.
الخ ...

رحلة ابن بطوطة

ثم رحلنا، فنزلنا موضعا - على شط دجلة، بالقرب من حصن يسمى «المعشوق». و هو مبنى على الدجلة.
و فى الشرقية - من هذا الحصن - مدينة سر من رأى، و تسمى - أيضا -
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٨٦
سامرا. و يقال لها «سام راه» و معناه بالفارسية؛ طريق سام. و راه هو الطريق.
و قد استولى الخراب على هذه المدينة؛ فلم يبق منها إلّا القليل، و هى معتدلة الهواء، رائعة الحسن؛ على بلائها، و دروس معالمها.
و فيها - أيضا - مشهد صاحب الزمان - كما بالحلة - .

نزهة الجليس و منية الأديب الأنيس

ثم سرنا من بغداد إلى سامرا ... لزيارة الإمام على الهادى، و الامام حسن العسكرى، فرزناهما - رضى الله عنهما - و فرزنا بالقبول، و بلوغ

المأمول، و أقمنا بها ثلاثة أيام، و رجعنا إلى بغداد دار السلام ..

مدينة سامرا؛ على طرف شرقي دجلة. و هي بين بغداد و تكريت.

بناها المعتصم بالله العباسي؛ سنة ٢٢١ عند ما ضاقت بغداد بعبيده الأتراك.

و أنشأ بها جامعا، و عدة دور جليله، قيل انه انفق على بنائها خمسمائة الف الف دينار. و بنى بها المنارة التي كانت من احدى العجائب. و بنى بها قصورا على شاطئ الدجلة.

و بها نهران يشقان شوارعها، و يشقان الجامع الذي بها.

و في الجامع؛ سرداب قد ثبت - عند الشيعة الامامية - ان المهدي؛ محمد بن الحسن العسكري - و هو صاحب الأمر المنتظر - قد غاب فيه الغيبة الكبرى ايام المتوكل العباسي .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٨٧

رحلة المنشىء البغدادي

سامرا؛ من الدور إليها ثمانية فراسخ. طيبة الهواء كثيرا، و فيها نحو ألفى بيت.

و من المزارات فيها مزار الامام على النقي، و الامام حسن العسكري (ع)، و محل غيبة الامام محمد المهدي.

و في كل سنة يبلغ زوار الشيعة - من العرب و العجم - نحو ثلاثين ألفا؛ يأتون إلى هذه المشاهد للزيارة.

و يقال لسامراء (العسكر)، طولها و عرضها ثلاثة فراسخ. و هي تقع على ساحل دجلة.

و هي من بناء الخلفاء العباسيين، و أكثر بيوتها إلى الآن ظاهرة. و لها مسجد كبير من بناء الخلفاء. و المنارة فيها و يقال لها (الملوية)؛ و

هي لا تزال قائمة و يصعد عليها من الخارج بالتواء، بخلاف سائر المنائر؛ فان طريق الصعود إليها من سلم في الداخل.

و في سامرا البطيخ الأحمر كثير الجودة، و ليس فيها و لا في (الدور)، و تكريت بساتين من جهة ان أرض تلك الأنحاء كلسية (جص)

رحلات عبد الوهاب عزام يوم سامراء ..

يوم السبت. السابع و العشرين من رمضان (١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م) كان يوما أغرّ بين أيام رحلتنا. كان أغرّ و إن كره الساخون، الذين

سموه اليوم العصيب، و سموا سامرا «غم من رأى» بدل «سر من رأى». أليس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٨٨

يوم سامرا أبقى الأيام في نفوسهم أثرا، و أعظمها وقعا؟

بدأنا رحلة سامرا بأغلاط؛ غلطنا في تقدير الطريق طانين أنه ساعتان أو ثلاث. و غلطنا في اختيار المطايا. فأخذنا سيارات من بغداد

صغيرة مكان سيارات حيفا القوية، ثم أضاع سائقو السيارات ٤٥ دقيقة في التزود من البنزين.

خرجنا من بغداد، و الساعة احدى عشرة و خمس و أربعون. و واصلنا السير مسرعين ما أسمحت السيارات، متعجلين حين تقف. و

كثيرا ما وقفنا العلل. فواعدنا قنطرة المستنصر، فاجتمعنا عندها. و هي قنطرة عظيمة من الآجر، ذات ثلاث عيون، بناها المستنصر بالله

على نهر دجيل، و لا تزال قائمة متينة. و قد كتب عليها بخط واضح آيات من القرآن، و اسم الخليفة و ابيه و جده و الثناء عليهم الخ.

و قد نسخنا ما كتب عليها إلا كلمات قليلة محاها الزمان. و تاريخ بناء القنطرة تسع و عشرون و ستمائة.

تركنا القنطرة نحمد هذا الخليفة العظيم، باني المستنصرية وغيرها من الآثار الناطقة بهمته و حسن سياسته.
تركنا القنطرة مواصلين السير، حتى بلغنا شاطئ دجلة ازاء سامرا، و الساعة أربع و نصف. فوجدنا معبرا يسير بسلسلة ممتدة بين الشاطئين.

و كان لا بد من نقل السيارات، و هي سبع لا يمكن نقلها مرة واحدة. فعوقنا العبور زمنا طويلا.
سرنا إلى سامرا؛ فإذا مدينة صغيرة مسورة، هي سامرا الحديثة. و إذا أطلال سامرا القديمة منثورة في فضاء فسيح يعيا السائر دون نهايته.
و أقرب الأطلال إلى المدينة جامع المعتصم. و هو؛ واسع المساحة، عظيم السور، يذكّر الرائي بجامع ابن طولون. و كأن ابن طولون بنى جامع على نسقه. و خارج المسجد على مقربة من جداره الشمالي، منارة عظيمة، لها
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٨٩

درج من الخارج، يدور حولها. و يظن ان منارة ابن طولون محاكاة لهذه المنارة؛ لم تبلغ درجتها من الضخامة و الإحكام.
سرنا بين الطلول، نقرأ في سطورها تاريخا عظيما دارسا. و رأينا على دجلة مجلسا للمتوكل، بقى من قصره العظيم.
يدخل الى المجلس المشرف على دجلة، من رواق عليه قبة تظهر فيها محاكاة ايوان كسرى.
و لا تزال بلاطات المجلس، و الطريق المفضى إلى الباب واضحة المعالم.
و رأينا- إلى الشمال- بركة عظيمة جافة، حسبنا أنها البركة التي وصفها البحري .
عدنا- بعد- إلى سامرا الحديثة، فاسترحنا قليلا في دار رئيس البلدية، و جانا هناك القائمقام؛ أو مأمور المدينة. فذهبنا إلى مشهد سامرا. و هو مسجد على طراز مساجد الكاظمية، و كربلاء، و النجف. و لكنه أصغر، و أقل أبهة.
و تحت قبته مقصورة، فيها أربعة قبور؛ للإمام الهادي، و ابنه الحسن العسكري، و السيدتين سكينه، و حلیمه. و يقال لهما هنا سكينه خاتون، و حلیمه خاتون. و هي كلمة تركيبيه مستعملة في العراق، معناها السيدة.
إحداهما؛ زوج الهادي، و الاخرى؛ عمته .

كنا أمرنا سائقي السيارات، أن يعبروا و ينتظروا على الشاطئ الآخر.
فلما جئنا لزيارة المسجد، لقيناهم هناك. فقلنا: ما خطبكم؟ قالوا: لا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٩٠
نستطيع السير ليلا، و ليس معنا بنزين.

فعرفنا أنها ليلة ليلاء، و خرجنا- بعد زيارة المسجد- معجلين عن زيارة السرداب، الذي اختفى فيه الامام محمد المهدي بن الحسن العسكري و هو الامام الثاني عشر صاحب الزمان. و كم أسفنا على أن فاتنا زيارة السرداب، و نحن بجانبه .. -

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٩١

سامرا في المراجع الغربية

إشارة

كتبه و ترجمه من مختلف المصادر جعفر الخياط
الحائز على درجة استاذ علوم M. S. C. من جامعة كليفورنيا و مدير التعليم الثانوي، و المفتش الاختصاصي بوزارة التربية سابقا و مدير التعليم المهني العام حالا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٩٣

سامراء فى المراجع الغربية

تعد سامراء فى مقدمة المدن المقدسة فى الإسلام، لأن تربتها الذكية قد قبرت فيها رفات الأمامين العسكريين: أبى الحسن على الهادى و أبى محمد الحسن الخالص الملقب بالعسكرى، ولأن الأمام الحجة المهدي صاحب الزمان قد ولد فيها و اختفى فى بيت من بيوتها مبتعدا عن جور العباسيين و اضطهادهم المعروف لآل البيت النبوى الكريم، الذى أخذ يزداد و يشتد منذ ان تولى المتوكل الخلافة فيها.

الاسم و الموقع

و كانت سامراء قد مضرت فى عهد الخليفة المعتصم حينما ضاق سكان بغداد ذرعا بجنده الأتراك، و كثر الاصطدام بين الفريقين بحيث ارتأى هذا الخليفة العسكرى ان يبتعد بجنده عن بغداد و يشيد عاصمة جديدة له على ضفاف دجلة. فوق اختياره على بقعة أظهرت التنقيبات الأثرية انها كانت آهلة منذ القدم، و ان حضارتها ترجع الى عصور سحيقة فى التاريخ إذ يقول الدكتور سوسه فى (رى سامراء فى عهد الخلافة العباسية) أنه عثر فى أثناء تنقيباته

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٩٤

و تدقيقاته لآثار سامراء على فخار يعود الى عصر ما قبل التاريخ، فى تل الصوان الواقع على نهر دجلة جنوبى سامراء فى جوار منارة القائم. و انه قد اتصل بالبروفسور هرتسفيلد الألمانى، الذى درس آثار سامراء دراسة مستفيضة سناتى عليها فيما بعد، و أخبره بذلك فكتب له مؤيدا ما توصل اليه بالإضافة الى قوله ان هذه الآثار هى من بقايا مقابر قديمة ترجع الى عصر ما قبل التاريخ. و يشير الى هذا: العلامة المستشرق لسترنج فى كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) بقوله (فى الص ٧٦ من الترجمة العربية): كانت مدينة سامراء التى اتخذها سبعة من خلفاء بنى العباس عاصمة لهم مدى نصف قرن و نيف، أى من سنة ٢٢١ الى ٢٧٩ (٨٣٦-٨٩٢ م)، معروفة قبل الفتح العربى ثم بقيت بعد ان تهاوت من ذروة عزها الذى لم يدم طويلا مدينة ذات شأن ردحا طويلا من الزمن. و اسمها بالأرامية سامرا، فأمر الخليفة المعتصم حين أقام فيها ان تسمى «سر من رأى». و بهذه الصيغة الأخيرة وجد اسمها فى النقود العباسية المضروبة فيها. و كانت التسمية مع ذلك تلفظ بصورة مختلفة ذكر ابن خلكان ستا و من اشهرها: «سامراء»، و هو الاسم الذى اتخذه ياقوت عنوانا لبحثه عن هذه المدينة.

و جاء فى تعليق للمترجمين الفاضلين اللذين ترجما لسترنج هذا ان التنقيبات الأثرية فى أطلال سامراء قد أثبتت ان موضعها كان أهلا منذ أدوار ما قبل التاريخ. فقد اكتشف فيها البروفسور هرتسفيلد المنقب الألمانى مقبرة من تلك الأدوار بين بقايا القصر العباسى و السن الصخرى الذى بنيت عليه المدينة العباسية على نحو ميل واحد من جنوب دار الخليفة. و عثر فيها على ضرب من الفخار المصبوغ أطلق عليه «فخار سامراء»، و هو يمثل دورا من أدوار ما قبل التاريخ

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٩٥

فى العراق سمي ب «دور حضارة سامراء» نسبة الى الموضع الأثرى الذى اكتشف فيه هذا الفخار لأول مرة. كما عثر مديرية الآثار العراقية القديمة على موضعين آخرين فى سامراء يرتقيان الى هذا الزمن، أحدهما فى شمال المقبرة المارة الذكر و الآخر فى جنوبى سامراء على ضفة دجلة شمال صدر القائم يسمى «تل الصوان» و قد جاء أسم هذا الموضع فى الكتابات الآشورية بصورة «سر مارتا» Sur -ur -mar -ta، و كان لهذا الموطن فى أيام الفرس شأن كبير و لا سيما فى حروبهم مع الرومان و لقربه من القاطول الكسروى.

اما ما اورده ابن خلكان فى أسماء سامراء فهو: (و سر من رأى فيها ست لغات، حكاها الجوهرى فى كتاب الصحاح، فى فصل رأى، و

هي (سر من رأى) بضم السين المهملة وفتحها و (سر من راء) بضم السين وفتحها و تقديم الألف على الهمزة في اللغتين و (ساء من رأى) و (سامراء). و استعمله البحترى ممدودا في قوله (و نصبته علما بسامراء).

ثم يتابع لسترنج بحثه في هذا الشأن فيقول ان الأرض التي بنى عليها الخليفة المعتصم (و هو اصغر أبناء هارون الرشيد) أول قصر له حين قدم الى سامراء في سنة ٢٢١ (٨٣٦) كانت ديرا للنصارى اشتراه من أصحابه بأربعة الاف دينار (٢٠٠٠ باون استرليني)، و كانت ارضه تعرف بالطيرهان. و يذكر الشيء نفسه الدكتور دوايت دونا لدسون في كتابه (عقيدة الشيعة)، و يزيد على ذلك قوله ان اسم سر من رأى أطلقه المعتصم نفسه على عاصمته الجديدة التي اصبحت تسمى «المدينة الثانية لخلفاء بني هاشم»، و ان المسافة ما بين سامرا و بغداد كانت تبلغ حوالي ستين ميلا (انها اليوم حوالي ١٢٠ ك)، و ان عدد المراحل ما بين سامراء و مكة المكرمة على ما يذكره ابن رسته كان تسعا و تسعين مرحلة طول كل منها اثنا عشر ميلا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٩٦

هذا و يقول المؤرخ الألماني المشهور كارل بروكلمان في كتابه (تاريخ الشعوب الاسلامية) ان سامراء اسم فارسي و ليس اسما آراميا ، كما يستفاد من السطور التالية: و اذا كان هارون الرشيد قد أثر في السنوات الأخيرة من حياته ان يفزع الى الرقة، البلدة الريفية الواقعة على الفرات، اجتنابا لصخب بغداد، فقد عزم المعتصم على ان ينشئ سنة ٨٣٦ مقرا جديدا لنفسه في سامراء القائمة على الضفة اليمنى من دجلة (الصحيح على الضفة اليسرى) على مسافة مائة كيلو مترا الى شمال بغداد. و لعل الأذن العربية توهمت ان الاسم الفارسي يخفى في طياته نذير شوم فحرف في الاستعمال الرسمي الى «سر من رأى».

و ربما يكون بروكلمان قد استمد هذا الرأي من دائرة المعارف الإسلامية (غير المختصرة- ١٩١٣). فقد جاء فيها ان شكل الأسم الأصلي قد يكون ايرانيا.

و ان هذا الافتراض يستند عن كون الأسم قريبا من «سام راه» و «سايي أمورا» أو «سار مورا»، و معنى الأسمين الأخيرين «مكان دفع الجزية».

و في فصل خاص يفرد لسامراء المستر سيتون لويد، خبير مديرية الآثار العراقية القديمة مدة من الزمن، في كتابه عن (المدن الأثرية القديمة في العراق) يورد السبب المعروف عن كيفية بناء المعتصم مدينة سامراء و يقول ان المعتصم أخذ يطوف في دجلة لاتخاذ المحل المناسب فاقلع مصعدا في دجلة حتى وصل الى هضبة مستوية ترتفع عن ضفته اليسرى بعدة أمتار، عن مسافة قصيرة من موقع سد نمرود. و كان يقوم هنا دير من الأديرة، فكانت أول خطوة يخطوها أنه استشار رهبان هذا الدير في الأمر و سألهم عن اسم الموقع. فكان جوابهم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٩٧

له «.. اننا نجد فيما عندنا من مدونات ان المكان يسمى سر من رأى، و أن هناك نبوءة تقول ان ملكا مظفرا، قويا عظيما، ترافقه حاشية من رجال تشبه أوجههم طيور الفلا، سيعيد بناءه في يوم من الأيام». و كأن الرهبان في جوابهم هذا كانوا يتوقعون قبض نصف المليون من الدنانير التي دفعت لهم فيما بعد تعويضا عما استملك من أراضيهم في هذا الشأن. و على كل فان القسم الأخير من النبوءة هو الذي تأثر به المعتصم، لأنه سرعان ما تذكر أباه هارون الرشيد و كان قد اخبره بالشيء نفسه تقريبا في مناسبة سابقة. فقد خرج للصيد مع اخوته في يوم من الأيام فلم يكن موفقا فيه، و لم يصطد سوى بومة واحدة، و حينما جاء بها خجلا و وضعها بقرب ما كان اخوته قد اصطادوه من طيور الجباري و الغزلان تأثر أبوه هارون بذلك لسبب من الأسباب و تنبأ له بأنه سوف يتربع على كرسى الخلافة ذات يوم، و ان رجال حاشيته ستكون لهم أوجه كأوجه البوم. و لذلك استقر المعتصم في سامراء و شرع ببناء قصر منيف له سماه «دار العامة» في مكان الدير، و خطط مدينة من اجمل المدن القديمة في تخطيطها و طراز بنائها.

و يقول السر بيرسي سايكس في كتابه «تاريخ ايران» ان قائدا تركيا كان قد تعين للقيادة العسكرية العليا التي كانت تعمل في غرب

الامبراطورية على عهد الخليفة هارون الرشيد، و كان ذلك قبل ان يتولى المعتصم الخلافة بثمان و أربعين سنة. و في خلال هذه المدة كان يؤتى بالاف المماليك الأتراك من آسية الوسطى للإنخراط في سلك الجيش، و تكوين أفواج الحرس الملكي. و استطاع الكثيرون من هؤلاء أن يحوزوا على رضا الخليفة فأخذوا يحلون بالتدريج في محل العرب الذين عادوا الى باديتهم. و قد ظهرت مساوية هذا الجهاز منذ البداية، لكن المعتصم كان يزداد اعتماده على الأتراك كلما ازداد موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٩٨

كره العرب و احتقارهم لهم حتى تمكنوا بمرور الزمن من اغتصاب السلطة. و حينما ازدادت تعدياتهم على الناس في بغداد و كثر تعرضهم بهم في الطرق و الأسواق تأثر المعتصم من ذلك و أسس مدينة سامراء على بعد ستين ميلا من العاصمة.

و جاء في دائرة المعارف المشار اليها ان سامراء تقع على دورة من دورات دجلة تتجه نحو الجنوب الشرقي ما بين قريتي «كرخ فيروز» في الشمال و «المطيرة» في الجنوب الشرقي منها. و هناك قناتان تتفرع إحداهما، و هي القاطول الكسروي، من فوق (كرخ فيروز) بالقرب من الدور فتجري في اتجاه جنوبي شرقي لتتصل بالقناة الثانية «القاطول اليهودي» التي تتفرع من دجلة فيما تحت المطيرة فتجري في اتجاه شرقي - شمالي شرقي، و بذلك تحصر سامراء و ضواحيها الشرقية في بقعة تشبه الجزيرة. و تقع في الضفة الغربية في مقابل سامراء عدة قصور يمر ما بينها نهر يجري بموازاة دجلة يسمى «الاسحاقى» ثم يعود فيصب في دجلة في موقع يقع تحت المطيرة و ما فوق قصر «بلگوارا» بقليل.

و من الحوادث المشهورة في تاريخ منطقة سامراء القديم المعركة الحامية الحاسمة التي وقعت بين الرومان و الايرانيين في يوم ٢٦ حزيران سنة ٣٦٣ قبل الميلاد. فقد اصطدم الجيشان بقيادة الأمبراطور جوليان و شاهپور العظيم، على ما يسميه السريسي سايكس، فيما يقرب من سامراء فقتل و خسر الرومان، فاستعاد الايرانيون بذلك نصيبين و ما كان قد استولى عليه جوليان في شرق دجلة، و عادت جيوشه متفجرة عبر دجلة بقيادة خلفه جوفيان .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ١٩٩

بناء سامراء

و بعد ان اختار المعتصم موقع سامراء، على ما مر ذكره، عهد تخطيطها و بناءها الى أشناس، القائد التركي، على ما يقول بروكلمان . فأنشأ فيها هذا قناتين متفرعتين من دجلة الى الشرق، خلعتا على المدينة الجديدة، بالإضافة الى النهر نفسه، منعه الحصن البحري، و كانت المدينة تنتظم من قبل ثمانية أديرة نصرانية. و لقد شيد قصر الجوسق للمعتصم أولا، حتى اذا ما جاء بعده خلفاؤه و كانوا سبعة طوال نصف قرن، حلوا جيد المنطقة بقصور و مساجد جديدة. و على الرغم من أنه لم يبق لنا من هذه المنشآت الفخمة التي أقيمت خلال تلك الفترة القصيرة من الازدهار الا خرائب و أطلال فالحق أنها تقدم لنا صورة عن فن العمارة في العصر العباسي هي أنبض بالحياة من تلك التي تقدمها بغداد، حيث عبثت أيدي الأجيال المتأخرة بما ثبت من آثارها في وجه الأعصار المغولي. و الواقع ان المعماريين المسلمين اعتمدوا في الشرق، كما اعتمدوا في الغرب، التقاليد القديمة سواء بسواء. فقصر الخليفة المتوكل الموسوم بلگوارا و هو أهم بناء لا تزال أسسه محفوظة لنا في سامراء - انما شيد على طراز قصور المدائن الفهلوية من حيث التصميم العام، و تخطيط المساحات و شكل الواجهات.

أما مهندسو الجامع الكبير فتأسوا أثرا أعرق و أوفر حظا من جلال القدم.

ذلك أنهم بنوا مثذنه هذا الجامع فوق قاعدة طولها (٣٢٨) ياردة على طراز الأبراج البابلية ذات السلالم الخارجية الملوية، و هي «الزقورة». و الحق ان الموارد العظيمة التي كانت ما تزال في متناول هؤلاء المعماريين، على الرغم من أن الامبراطورية كانت في ذلك

الوقت قد أخذت في الانحطاط، لتظهر لنا أوضح ما يكون الظهور من مساحة الجامع الهائلة حقا. فهو بمثابة مستطيل يبلغ (٢٦٠) مترا طولا، و (١٨٠) مترا عرضا تقريبا. و يستغرق

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٠٠

صحته الداخلي المتوزع على خمس وعشرين بلاطة اربعة و اربعين الف متر مربع.

و لأجل أن نكون فكرة واضحة عن معنى هذا الرقم علينا ان نذكر ان صحن كنيسة القديس بطرس في روما يبلغ (١٥١٦٠) مترا مربعا، في حين لا يزيد صحن كاتدرائية كولون على (٦١٢٦) مترا.

اما المستشرق لسترنج فيقول في (بلدان الخلافة الشرقية) أن سامراء نفسها كانت تقوم على ضفة دجلة الشرقية، و تمتد قصورها الى مسافة سبعة فراسخ بمحاذاة النهر، و كان يقوم في الجانب الغربي أيضا كثير من القصور.

و قد انفق الخلفاء الواحد تلو الآخر اموالا طائلة لا يكاد يصدقها العقل على إنشاء ميادين جديدة للصيد و اللعب ...

و قد أقطع المعتصم جنده الأتراك قطائع في (كرخ فيروز) و ما فوقها حتى الدور، و قطائع أخرى في جنوبي سامراء في جهة المطيرة. و بنى أول مسجد جامع قرب ضفة دجلة الشرقية، ثم خطط قصره. و كتب في إشخاص الفعل و البنائين و أهل المهن من سائر انحاء الدولة، و في حمل الساج و سائر الخشب و الجذوع من البصرة، و فرش الرخام من أنطاكية و اللاذقية. و اختط الشارع المسمى بالشارع الأعظم بموازاة دجلة. و قامت على يمين الشارع و يساره القصور الجديدة و القطائع. و كان الشارع الأعظم ممتدا من المطيرة الى الكرخ، و في جانبه دروب و اسواق. و أنشأ أيضا بيت المال الجديد، و دواوين الدولة و دار العامة التي كان يجلس فيها الخليفة في يومي الاثنين و الخميس.

و لما فرغ المعتصم من الخطط و وضع الأساس للبناء في جانب سامراء، عقد جسرا الى الجانب الغربي من دجلة. فأنشأ هناك البساتين و الأجنه، و حمل النخل اليها من البصرة و حملت الغروس من الشام و خراسان و سائر الأقاليم و كان يسقى الجانب الغربي أنهار

تحمل من الأسحاقى، الذي حفره اسحاق بن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٠١

ابراهيم صاحب شرطة المعتصم ... و لما توفي المعتصم سنة ٢٢٧ (٨٤٢ م) كانت سامراء قد أخذت تنافس بغداد في فخامة قصورها و جمال مبانيها. و قد أكمل ابنه الواثق و المتوكل اللذان تعاقبا على الخلافة من بعده ما بدأ به أبوهما. فقد بنى هارون الواثق القصر المعروف بالهاروني، نسبة اليه، على دجلة و جعل فيه مجالس في دكة شرقية و دكة غربية. و حفر الواثق فرضه من النهر تصلح لدخول السفن التي تردها من بغداد. و خلفه أخوه المتوكل على الله في سنة ٢٣٢ (٨٤٧ م) فنزل الهاروني أولا، الا انه في سنة ٢٤٥ (٨٥٩ م) شرع ببناء قصر جديد له على ثلاثة فراسخ شمال الكرخ، و مد الشارع الأعظم، و قد عرف قصره و المدينة الجديدة التي قامت حوله بالمتوكلية أو «القصر الجعفري»، و ما زالت أطلال القصر الجعفري في الزاوية التي يؤلفها تفرع النهروان هناك، و اندمجت به الماحوزة و هي المدينة القديمة.

و بنى المتوكل أيضا جامعا جديدا متسع الأرجاء في مكان الجامع الذي بناه أبوه، لأنه ضاق على أهل العاصمة الجديدة. و امتدت القصور و البساتين من المطيرة الى الدور و اتصلت. و في سنة ٢٤٧ (٨٦١ م) قتل المنتصر أباه المتوكل في قصره المعروف بالجعفري في المتوكلية. و أقام الخلفاء الأربعة الذين أعقبوه في ذلك العهد المضطرب، في قصر الجوسق في غربي دجلة قبالة سامراء، و هو من أبنية المعتصم. و قد أقام المعتمد بن المتوكل و آخر الخلفاء في سامراء في الجوسق أولا ثم ابنتى له قصرا جديدا في الجانب الشرقي و هو القصر المعروف بالمعشوق.

و من هذا القصر انتقل مركز الدولة العباسية الى بغداد قبل وفاة المعتمد سنة ٢٧٩ (٨٩٢ م).

و قد اشارت مراجعنا الى اسماء كثيرة من القصور التي بناها الخلفاء في من بقايا اطلال قصر المعشوق بسامراء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٠٢

سامراء. فذكر ابن سراييون «قصر الجص» المشهور و هو من أبنية المعتصم على الأسحاقى. و سرد ياقوت جملة كبيرة من القصور، و زاد على غيره مبينا ما أنفق الخلفاء عليها من أموال خيالية. فكان مجموع تلك النفقات مئتي مليون و أربعة ملايين درهم، أى ما يعادل نحو من ثمانية ملايين باون استرلىنى.

ولا- بد لنا من ان نعلق هنا على بعض ما أورده لسترنج حول موقع قصرى الجوسق و المعشوق فنقول ان المعروف اليوم هو ان المعشوق الذى يسمى بالعاشق يقع فى الجانب الغربى و ما تزال أطلاله شاخصه، اما الجوسق فيقع فى الجامع الشرقى من سامراء. و نقول علاوة على ذلك ان مترجمى كتاب لسترنج المشار اليه يشيران فى حاشية لهما الى ان مديرية الآثار العراقية قد اكتشفت أثرا عباسيا يقع على الأسحاقى المندرس فى غربى دجلة على بعد (١٧) كيلو مترا شمال محطة قطار سامراء يعرف بالحويصلات هو قصر الجص نفسه.

ثم يقول المستشرق لسترنج ان ابن حوقل و هو من أهل المئة الرابعة للهجرة (العاشرة ميلادية) يطنب فى وصف بساتين سامراء الزاهرة العامرة و لا سيما ما كان منها فى الجانب الغربى. لكن المقدسى يذكر أن الكرخ فى الشمال أصبح فى أيامه أكثر عمراناً من سامراء، و كان المسجد الجامع فيها ما زال قائماً. و لقد وصفه بقوله: «و بها جامع كبير يختار على جامع دمشق قد لبست حيطانه بالميناء و جعلت فيه أساطين الرخام و فرش به، و له منارة طويلة». و هى ما زالت شاخصه و تعرف بالملوية و الملوية الآن على نحو نصف ميل من شمال سامراء الحالية. و هذا ما رآه المستوفى فى النصف الأول من المئة الثامنة فقال ان المنارة التى كانت تقوم فى المسجد الجامع يومذاك يبلغ طولها مئة و سبعين ذراعاً، و لها مرقاة من خارجها لا يرى مثلها فى مكان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٠٣

آخر و زاد على ذلك أنه قد بناها المعتصم.

هذا و نضيف هنا ما جاء فى حاشية لمترجمى كتاب لسترنج من معلومات عن «الملوية» نفسها. فقد ذكر أنها تقع اليوم على بعد قليل من شمال شرقى سامراء الحديثة، على نحو (٢٥) متراً من الجدار الشمالى لجامعها القديم.

و كان الخراب قد نال من بعض أقسامها و لا سيما من قاعدتها، و فى ملتوياتها الأولى، حتى ان معالم قاعدتها خفيت عن الأنظار بما تراكم عليها من أنقاض، فظن كثيرون ان مرقاتها تبدأ من سطح الأرض. الا ان مديرية الآثار العراقية عنيت بصيانته هذه المنارة فأزالت عنها تلك الأنقاض و أظهرت أسس القاعدة و أعادت بناءها و عمدت مرقاتها حتى القمة. و من طريف ما ورد فى حواشى المترجمين الفاضلين كذلك ان أبا منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ، أشار الى الملوية فى كتابه (ثمار القلوب) و قال عنها ان المتوكل كان يصعداها على حمار مريسى، و ان درجها من خارجها و أساسها على جريب من الأرض، و طولها تسع و تسعون ذراعاً.

المسجد الجامع و قد قامت عليه المنارة المعروفة بالملوية

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٠٤

و قد عثرنا فى دائرة المعارف الاسلامية المار ذكرها على تفصيلات أخرى عن عمران سامراء العباسية و ابنتها، جاء فيها انه كان من شوارعها الرئيسة يومذاك (شارع السريجة) الذى يمر بين يدى دائرة الشرطة و السجن ثم يمتد الى المحلة التى كانت تحمل اسم الوزير الحسن بن سهل، و من ثم الى شارع أبى أحمد بن رشيد والى قرية الأيتاخية المشيدة على ضفة القاطول الكسروى.

و قد سميت الأيتاخية باسم القائد التركى إيتاخ، لكنها صارت تعرف بعد ذلك بالمحمودية. و كانت هناك كما يفهم من المدونات التاريخية خمسة شوارع رئيسة أخرى هى: شارع الحير، و شارع برغموش التركى المؤدى الى حى الاتراك، و شارع صالح المؤدى الى مخيمات المعسكر، و شارع الحير الجديد، و شارع الخليج.

و تقول دائرة المعارف هذه كذلك ان المؤرخين يقدمون لنا تفصيلات كثيرة عن الأبنية المهمة التى كانت موجودة فيما يجاور

سامراء، ومنها أبنية كانت هنا قبل أن تشيد سامراء نفسها في تلك المنطقة، مثل الأديرة الثمانية التي أهمها «دير الطواويس» و «دير ماري» و «دير أبي الصفرة»، لكن أشهر الأبنية كانت القصور الكبيرة. وقبل ان يقتل المتوكل بتسعة أشهر كان منشغلا بتخطيط مدينة جديدة في شمال سامراء ما بين (كرخ فيروز) و الدور، و قد سميت «الجعفرية» باسمه. و من التفصيلات التي يوردها المؤرخون في هذا الشأن ما ذكروه من ان المتوكل جاء من ايران بشجرة السرو المقدسة عند الزردشتيين في كيشمار ليستعمل خشبها في البناء. و يرى بعضهم كذلك ان اندثار قصور المتوكل و خرابها السريع بعد ذلك كان عقابا من الله له على الجريمة النكراء التي ارتكبها في تهديم قبر الامام الحسين (ع) في كربلاء سنة ٢٣٦ للهجرة. و بعد أن قتل المتوكل أعاد ابنه الخليفة المنتصر بلاطه الى سامراء نفسها، و جعل إقامته في الجوسق. و قد شيد المعتمد، و هو آخر خليفة أقام في سامراء، قصر المعشوق في الضفة الشرقية سنة ٢٥٥ هـ. و قد حل الخراب بمعظم هذه الأبنية و القصور منذ القرن العاشر للهجرة، و لم

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٠٥

يستقيم منها غير الجامع الكبير بالقرب من معسكرات الجيش، و من أجل هذا عرفت تلك المنطقة من المدينة باسم «العسكر». و جاء في دائرة المعارف الاسلامية هذه أيضا أن السمعاني يذكر في كتابه (الأنساب) قائمة بأسماء كان يتلقب أصحابها بلقب (سامرائي) أو «سمرى» كما يذكر أسماء أخرى كان يلقب أصحابها بلقب «كرخي» نسبة الى ولادتهم في «كرخ فيروز».

بناء سامراء في كتاب سيتون لويدي

و يقول سيتون لويدي في «مدن العراق الأثرية» المار ذكره أن المعتصم استقر في سامراء بعد ان عين موقعها، و أخذ يبني لنفسه قصرا منيفا أطلق عليه اسم «دار العامة» في موقع الدير الذي استملكه من الرهبان. كما أخذ يخطط حوله مدينة من أجمل المدن القديمة و أكثرها تنسيقا و عمراناً. و في خلال أربعين السنة التي أعقبت ذلك، حكم في سامراء خلفاء سبعة آخرون، فبنى كل منهم قصورا و مساجد جديدة و امتدت المدينة شيئا فشيئا بمحاذاة النهر حتى صار شارعها الأعظم يمتد في وسطها الى مسافة عشرين ميلا قبل ان ينتهي بالبر المحيط بها. و في نهاية تلك الفترة المزدهرة ترك كل شيء في سامراء، و انتقلت العاصمة الى بغداد من جديد. و كان هذا الانتقال ثالث حادث في تاريخ العالم، يؤدي فيه شذوذ ملك أو أمير الى اقامة مشروع جسيم باهظ التكاليف سرعان ما ثبت عقمه و عدم جدواه، و لذلك فان مشاهد سامراء القديمة تلوح للزائر اليوم و هي لا تختلف كثيرا عما يشاهده في عاصمة اخناتون التي لم تعمر طويلا في تل العمارنة بمصر، أو في مدينة ملك آشور سرجون الثاني في خورساباد القريبة من الموصل. فقد بقيت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٠٦

أطلالها و هي متأثرة بعوادي الزمن في الغالب بحيث يمكن استقصاء تخطيطها من دون حفريات تقريبا. و بوسع المرء أن يرى من الجو المدينة تلك بقصورها و شوارعها الوسيعة و ساحات سباقها، حتى أنه ليصعب على المرء أن يصدق بأنه ينظر الى مدينة مندمرة تخلى عنها سكانها منذ ثلاثة عشر قرنا.

و اذا عدنا الى حديث المعتصم و مدينته نجد انه بعد ان شيد «دار العامة» و جاء بالمهندسين الحاذقين من البلاد النائية ليختاروا له مواقع القصور الأخرى، و الجوامع و ما أشبه، شرع بتخطيط قسم السكن من المدينة و بتخصيص قطع الأرض لبناء البيوت العائدة لمواطنيه. لكنه تذكر السبب الذي ترك بغداد من أجله فشيدها ثكنات جسيمة مسيجة لجنده الأتراك في شمالي المدينة، بمعزل تام عن الأحياء السكنية. ثم اشترى لكل واحد منهم جارية يتخذها زوجة له، و منع الطلاق الى حد الجيل الثاني من النسل. و بعد ان انتهى من هذه المهمة، وجه اهتمامه الى الحصول على الصناعات و المواد من أطراف العالم العربي جميعه لتجميل مدينته و ما فيها من أبنية. فأسست مقالع للمرمر و أماكن خاصة للبنائين في أماكن نائية مثل أنطاكية و الاسكندرونه في سورية، ثم أرسلت الوفود الى مصر لتجمع من الكنائس المسيحية الأعمدة و مواد التليط و الزخرفة.

وقد برهنت البقع الواسعة من الأرض المنحصرة ما بين السن الصخرى الذى شيدت فوقه المدينة و ضفاف دجلة على خصبها، فزرعت فيها جميع الأنواع المعروفة من الفواكه و الأزهار بحيث صارت القصور المشيدة فوق السن العالى تطل على جنان نظرة من الحدائق و البساتين. و قد اتسعت المدينة نفسها بين عشية و ضحاها برعاية الخليفة المستعجل، الذى اعتاد على التجوال فى الشوارع خلال الأمسيات، و توزيع المنح و الهبات السخية الى المواطنين و المهندسين الذين كانوا يتفوقون فى أعمالهم العمرانية خلال النهار. و لم تكن المدينة قد اكتمل بناؤها حينما توفى المعتم، لكن حمى التعمير و الانشاء كانت قد تفتت فاستمرت تسير من دون انقطاع فى أيام من جاء بعده من الخلفاء.

و يأخذ المستر سيتون لويد بوصف الأبنية المهمة التى أقيمت فى سامراء

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٠٧

يومذاك، مثل المسجد الجامع و الملوية و دار العامة و قصر. بلگوارا و غير ذلك، مستندا على كتابات المنقب الفرنسى فيوليه، و الأثرى الألمانى هرتسفيلد، مما سنأتى عليه فى مكان آخر من هذا المبحث. على انه يتطرق كذلك الى ما فعله المتوكل أيضا فى سامراء، فيقول أنه حينما جاء دوره فى تحسين أحوال المدينة و توسيعها ابتنى له حيا جديدا بكامله فى خارج حدود المدينة الأصلية من جهة الشمال. فنشأت عن ذلك من جديد القصور و المباني المنيفة و الشوارع و المخازن و ما أشبه. و حينما انتهى من هذا كله صار بوسعه ان يقول بقناعة صبيانية «الآن عرفت اننى ملك حقا، فقد شيدت مدينة لنفسى صرت أعيش فيها». و مع هذا فان أعظم مشروع اضطلع به المتوكل لم يكن مشروعا ناجحا. فقد كانت سامراء توزع معظم مائها المستمد من دجلة و الآبار على ظهور الحمير، و لم يكن يروق ذلك للمتوكل، فشرع يحفر قناة كبيرة تلف حول المدينة من الجهة الشرقية لتزودها بما يكفيها من الماء، فكلف حفرها مبلغا يزيد على المليون دينار على ما يقال. لكن المؤسف هو ان المتوكل تطرف فى الاعتماد على مهندسيه لأن القناة حينما اكتمل حفرها وجد المهندسون انها عاجزة عن أخذ الماء من دجلة بمقدار كاف، غير انه ما ان شعر بمرارة هذه الخيبة الفاضحة حتى قضى نحب، فهجر خلفه حى المتوكلية بأجمعه و عاد الى الأقامة فى سامراء.

و من الأبنية الشمالية التى عجل الخراب اليها على هذه الشاكلة الجامع الكبير الثانى المعروف بأبى دلف. و كان لجامع أبى دلف أيضا منارة ملوية، و قد بقى شىء أكثر من داخلته بحيث أصبح أكثر رونقا و بهاء من المسجد الجامع. فتشاهد فيه الأساطين و هى مبنية بالآجر و من الأبنية الشمالية التى عجل الخراب اليها على هذه الشاكلة الجامع الكبير الثانى المعروف بأبى دلف فتشاهد فيه الأساطين و هى مبنية بالآجر.

و بقى معظمها شاخصا حتى اليوم. و هناك بقايا منبر كذلك و محراب متقن الصنع، و من ورائه مجموعة من الغرف تحيط بفناء صغير كاف يجلس فيه الخليفة قبل الصلوة و بعدها. و هناك سور خارجى توجد آثاره أيضا.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٠٨

و حينما يعود المرء من أبى دلف الى البلدة الحديثة يمر بأحسن المناطق السكنية، و بوسعه ان يسوق سيارته بسرعة غير يسيرة على طول «الشارع» الرئيس الذى يبلغ عرضه ثمانين قدما، و تلاحظ بقايا جدول للماء فى كلا الجانبين. كما تلاحظ بوابات الأبنية المتسطرة على طول الشارع و صفوف الدكاكين، و جدار السجن. و قد نقتب دائرة الآثار فى عدد كبير من البيوت و لذلك يشاهد عدد من الغرف لا تزال جدرانها قائمة بارتفاع عدة أمتار و هى مرتبة بمجموعات مزدوجة إما لتكون للديوان و الحرم أو لتستعمل فى الصيف و الشتاء، و كلها مزخرف بأحسن الزخرف. فتشاهد فى كل مكان تقريبا حشوات الزخرف بالجص الى علو الوزرات، و لعل هذا من بقايا فكرة الزخرف بالألواح الحجرية التى كانت تكتسى بها أسافل الجدران فى القصور الآشورية و الحثية. و هناك فوق هذه أحيانا رسوم كلسية تعتبر مقدمة للطراز الأجد من الزخرف الهيلينى. و توجد نماذج جيدة لكلا النوعين فى قسم الآثار العربية من متحف بغداد.

و آخر ما يجده المرء عند عودته من أبى دلف الى سامراء الحديثة فى الجانب الأيسر من الطرائف التل الطويل الذى يمثل «منصة

الخليفة الكبرى» في وسط ساحة السباق الثانية. و تشبه هذه الساحة في شكلها الزهرة ذات الكأسيات الأربع عند ما ينظر اليها من الجو، بحيث أن الخيول او العربات المتسابقة كانت تضطر دوما، بعد ان تكون قد دارت أربع مرات في الأطراف، الى العودة و الدوران بصورة جذابة مباشرة على مرأى من المشاهدين من فوق التل القائم في وسط الساحة.

و تعليقا على ما يذكره المستر سيتون لويد في ملاحظاته عن قناة المتوكل و ساحات السباق لا بد لنا من ان نزيد في توضيح هاتين النقطتين باقتباس شيء مما ورد عنهما في الجزء الأول من كتاب (رى سامراء) للدكتور أحمد سوسه. فقد جاء عن قناة المتوكل (الص ٢٧٠) ان المعتصم كان قد اكتفى بجعل عاصمته سامراء تمتد على محاذاة دجلة في الطول ليسهل حمل مياه الشرب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٠٩

من النهر في الروايات على البغال و الأبل، و لذلك لم يفكر في القيام بمشروع رى كبير يؤمن إيصال المياه الى قلب العاصمة، و قد رأى ان يوجه عنايته الى الجهة الغربية من دجلة .. فأنشأ نهر الأسحاقى. و لكن المتوكل، و هو الذى كان له ولع خاص بمثل هذه المشاريع العامة، لم يقنع بهذا فبذل قصارى جهده لتحقيق مشاريع الرى على الجانب الذى تقع فيه عاصمته ... فكان أول مشروع قام به بعد توليه الخلافة المشروع المعروف ب «قناة المتوكل» أو «قناة سامراء» الذى يؤمن إيصال المياه الى عاصمته سامراء بطريقة الرى الجوفى المعروف برى «الكهاريز». و يشتمل هذا المشروع على كهريزين ضخمين يستعمل أحدهما فى الشتاء و الآخر فى الصيف، و هما يستمدان المياه من نهر دجلة شمالى الدور فيسيران حوالى أربعين كيلو مترا حتى يصلا الى قلب العاصمة. و قد مد المتوكل هذين الكهريزين الى الجنوب ليخترقا المطيرة ثم يسيران الى ما يجاور القادسية. و بفضل هذا المشروع تمكن المتوكل من انشاء مشاريعه الجبارة فى قلب العاصمة و التوسع شرقى سامراء باتجاه منطقة الحير، و من أهم هذه المشاريع انشاء حوض للسباحة خلف «دار الخليفة» و هو الحوض المعروف اليوم باسم «بركة السباع»، ثم البركة الواسعة الواقعة فى الجهة الشمالية الغربية من هذه البركة، و أخيرا حلبة السباق و تلها الذى يشرف عليها المعروف باسم «تل العليق» و هى الحلبة التى أنشأها المتوكل فى جهة الحير .. و هذه القناة هى التى مكنت المتوكل من تموين المسجد الجامع الذى أنشأه فى أول الحير بالمياه الدائمة فجعل فيه على قول يعقوبى «فواره ماء لا ينقطع ماؤها».

اما عن ساحة السباق المشار اليها فيقول الدكتور سوسه (الص ١١٦) أنه يشاهد فى غربى ساحة الحير على الحدود الشرقية لمباني سامراء القديمة آثار ثلاث حلبات للسباق، أحدثها و أكثرها تنسيقا تلك التى تقع فى حدود الحير شمال شرقى المسجد الجامع بقليل، و هى مكونة من أربع حلقات كبيرة حول ج ١ - سامراء (١٤)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢١٠

مربع مركزى فيه دكة مرتفعة معدة لجلوس الخليفة و حاشيته (و هى التى يسميها لويد منصة الخليفة الكبرى). و يبلغ طول الدورة الكاملة فى هذه الحلقات المتتالية ما يزيد على خمسة كيلومترات، فى حين ان البعد الأعظم من الدكة المركزية على طول هذه الحلقات يقل عن ستمائة متر. و هكذا كان المتسابقون يقطعون فى هذه المساحة مسافة طويلة من دون ان يتعدوا عن الدكة المركزية أكثر من ستمائة متر فى جميع الأحوال.

و جاء فيما كتبه السر بيرسى سايكس عن خلافة المتوكل فى سامراء أن أهمية حكم المتوكل تنحصر فى الدرجة الأولى برد الفعل السننى الذى أخذت تظهر علائمه للوجود. فقد كوفحت مبادئ المعتزلة، و اضطهد علماءهم و رجالهم بأعنف الوسائل و أقساها. و صار يضاهى ذلك فى العنف الكره الذى بدا من الخليفة الجديد تجاه آل بيت النبى، حتى أنه أخذ يشجع مهرجه على تقليد «أسد الله» فى مظهره و لباسه بينما يغنى المغنون من حوله باستهزاء عن «خليفة الاسلام الأصلح البطين». ثم هدم قبر الحسين فحرث موضعه. و كان المتوكل علاوة على هذا معاديا لغير المسلمين بعناد و تعصب فأحيا القوانين المهجورة التى سنت ضدهم فى الماضى. و قد تحتم عليهم بذلك ان يرسموا صورة الشيطان على أبواب بيوتهم، و يدفعوا رسوما و ضرائب خاصة بهم، و يلبسوا لباسا أصفر يتميزون

به عن الغير، و منعوا من تولى اية وظيفة حكومية كما منع اولادهم من تعلم العربية.

و يروى سايكس كذلك قصة شجرة السرو المقدسة في ايران و قطعها، ثم نقلها من كيشمار إلى سامراء للأفادة منها في بناء «الجعفرى» بأمر من المتوكل. فهو يقول: .. و كان الخليفة فاسقا مسرفا في الشهوات. و بنى في جوار سامراء قصرا جديدا تكلف مبالغ لا تعد و لا تحصى من المال. و لهذا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢١١

القصر علاقةً بأسطورة كيشمار و كونها ملتقى الملك كوستاشب و زرادشت.

فقد قيل ان «نبي ايران» لأجل ان يخلد هذا اللقاء، زرع شجرة من أشجار السرو تقدمت في النمو بعد ذلك فأصبح حجمها هائلا جدا، و صار الزردشتيون يعتبرونها شجرة مقدسة. غير أن الخليفة المتعصب أمر بقطعها، بعد أن بلغ عمرها ١٤٥٠ سنة كما يقال، برغم المبالغ الجسيمة التي دفعت من أجل انقاذها، فقطعت و نقلت قطعة قطعة الى سامراء، لكن الأسطورة تقول ان المتوكل قتل في اليوم الذي وصلت فيه قطع هذه الشجرة الى سامراء ..

فن العمارة في سامراء

لقد أجمع المؤرخون و الفنيون، من المسلمين و الأجانب، على ان بناء سامراء في العهد العباسي، بقصورها و مرافقها و سائر مبانيها، قد تجلت فيه آيات الفن المعماري و الزخرفي الى أقصى حد ممكن في تلك الأيام. و يؤكد الغربيون من المؤرخين و الفنيين على ان ذلك الفن المعماري، الذي بلغ الأوج في ابداعه من عدة اوجه، قد كان متأثرا لدرجة ما بتأثيرات الفن المعماري الايراني و الهندي و الهيليني و غير ذلك مما كان معروفا يومذاك، فضلا عن تأثره بفن العمارة العراقية القديم. لكن هذه الآراء، و ما يختص منها بالتأثير الهيليني الذي يذكره المنقب هرتسفيلد على الأخص، تحتاج الى الكثير من النظر و التدقيق في التطورات الطارئة على نظريات الفن الاسلامي برمته.

و أهم من كتب عن آثار سامراء العربية و الفن المعماري فيها العلامة الألمانية أرنست هرتسفيلد، الذي ضمن كتاباته جميع ما توصل اليه من دراسات عن سامراء، و لا سيما بعد التنقيب الذي أجراه بنفسه. ففي مطلع سنة ١٩١١ استطاع الرحالة و العلامة الألماني المشهور فردريك صاره Fredrick Sarre الحصول على امتياز خاص من الدولة العثمانية للقيام بالتنقيب في آثار سامراء، و عهد بالعمل الى الدكتور أرنست هرتسفيلد الأستاذ في جامعة برلين يومذاك.

فاضطلع هذا بمهمته في الحال و قام بأعبائها خير قيام، ثم نشر ما توصل اليه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢١٢

في مؤلفات عدة أصبحت منبعاً ثرا يستقى منه الكتاب عن سامراء في جميع اللغات. على أن هذا العمل كان قد تولاه قبله على مقياس ضيق المهندس الفرنسي فيوليه في ١٩٠٧، بالنسبة لقصر الجوسق فقط، فنشر نتائج عمله في بعض المجلات و النشرات الفرنسية المختصة .

و قد لخص الاستاذ كريسيويل، عضو المجمع العلمي البريطاني، أهم ما كتبه هرتسفيلد عن سامراء في كتابه المعروف «فن العمارة الاسلامي القديم» المطبوع لأول مرة سنة ١٩٥٨. فهو يصف في الفصلين الرابع عشر و السادس عشر عمارة قصر الجوسق الخاقاني (اي قصر المعتصم) بجميع أجزائه و مرافقه، و الجامع الكبير في سامراء بمنارته الملوية، و جامع أبي دلف، و بيوت سامراء، و القبة الصليبية، ثم يبحث في طراز الزخرفة و الزينة في تلك الأبنية بوجه عام.

و يبدأ ذلك بمقدمة تاريخية موجزة عن انتقال العاصمة من بغداد الى سامراء في عهد المعتصم، و يخلص من ذلك الى القول بأن أول ما فعله هذا الخليفة،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢١٣

حين أقدم على بناء عاصمته الجديدة، هو انه استقدم الفعلة و البنائين و الصناع، مثل النجارين و الحدادين و غيرهم، من الخارج كما فعل أسلافه حينما عمدوا الى بناء المدينة المدورة (بغداد) من قبل. و جلب أخشاب الساج و جذوع النخل، و سائر أنواع الخشب من البصرة، ثم استقدم العمال المختصين ببناء المرمر و نحته من اللاذقية و غيرها. و لم يقتصر هذا على جميع الصناع و العمال المهرة من أنحاء الأمبراطورية حسب، و انما استجلب شيئا غير يسير من المواد البنائية من مصر و غيرها أيضا. و هو ينسب الى عبد الله بن المقفع قوله ان المعتصم بعث بأناس خاصين الى مصر و زودهم بصلاحيات و أوامر قاطعة بأن يجمعوا أنواع المرمر و الأساطين من الكنائس أينما وجدت. و بعد ان جردوا كنائس الأسكندرية من كل ما وجدوه فيها من هذا القبيل ذهبوا الى كنيسة القديس ميناس في مريوط، الكائنة في غرب الاسكندرية، فاقتلعوا ما كان فيها من المرمر الملون و مواد التبييط التي لم يكن لها مثيل في كل البلاد. و حينما استولى المعتصم نفسه على عمورية في حملته المشهورة سنة ٨٣٨ للميلاد أخذ بوابتها الكبرى و نقلها الى سامراء أيضا .

الجوسق الخاقاني

كانت أطلال هذا القصر العظيم، على ما يقول كريسويل، قد نقتب فيها المهندس الفرنسي فيوليه سنة ١٩٠٧ بنطاق ضيق أجرى فيه تنقيبات تجريبية هنا و هناك، و بعد ذلك بسنوات قليلة تولت التنقيب فيها بمقياس واسع بعثة ألمانية باشراف صاره و هرتسفيلد. و قد كان أول ما وجدته هذه البعثة حوضا كبيرا في الأرض المنخفضة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢١٤

المصاوبة لدجلة، تبلغ مساحته (١٢٧) مترا مربعا (٤١٧ قدما مربعا).

و تصعد من هذا الحوض الى السن العالي الواقع بين يدي «باب العامة» سلم ضخم عرضه ستون مترا (١٩٧) قدما. و تتألف «باب العامة»، التي حافظت على شكلها أحسن من أي جزء آخر من القصر العظيم، من جبهة ثلاثية العقود يبلغ ارتفاعها حوالي اثني عشر مترا (٥، ٣٩ قدما)، و تمتد من ورائها ثلاث غرف مسقفة بعقادات متوازية تطل على نهر دجلة. و يمضي كريسويل في وصف الاواوين و مساحاتها، و هيكل البيا و مرافقه وصفا دقيقا في مساحات ثابتة من الطول و العرض و الارتفاع. و الأساطين و زخارفها و هندستها حتى يصور القصر تصويرا مجسما امام القارىء

ثم يأتي على وصف جناح الحرير من القصر فيقول، كما يقع في الجهة الجنوبية قسم الحرير الذى يمتد منه ملحق جنوبي يتفرع الى عدة فروع. و يقع على الفناء الأول مباشرة الحمام الكبير. على ان الداخل اذا استمر على السير الى الأمام رأسا يمر فى بهو أمامى يؤدي الى «قاعة شرف» طويلة يكون جدارها الشمالى و الجنوبى بسيطين خاليين من الزخرف، بينما تبدو من الجهة الجنوبية جبهة «غرفة العرش» بأبوابها الثلاث .

و تتألف «غرفة العرش» من بهو وسطى مربع الشكل كان من المؤكد، على ما يبدو، مغطى بقبة خاصة مع أربعة أبهاء فرعية بنى كل منها على شاكلة «الباسيليك» الرومانى ثلاثى الأجنحة، و بذلك تكون هذه أشبه بغرفة العرش فى قصر المشتى أيضا. و يقول هرتسفيلد ان السبب فى بناء هذه الابهاء الاربعة على شاكلة الباسيليك هو الحاجة الى تدبير الاضاءة الكافية. و قد وجدت قطع من

أفريز مرمر جميل فى البهو الأوسط المربع. و كانت هناك بين اذرع الصليب المتكون موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢١٥

من شكل البناء أبهاء أصغر مؤزرة بقطع من المرمر، و مصلى للخليفة مؤزر بالزخارف الجصية فيه محراب خاص.

و يقع قسم الحرم حول محور مستعرض يمر من الغرفة الوسطى و يتصل بالغرفة المكونة شكل

(T)

من الشمال و الجنوب. و لم ينقب الا فى القسم الجنوبى من هذا القسم، و يقع بين يدي البهو الجنوبى من هذا القسم بهو واسع بعرض

الفناء المطل عليه. و يشغل ضلعي الفناء الشرقي و الغربي عدد من غرف الجلوس، جهاز كل منها بالماء الجارى الذى يصل الى قسم منها بأنايب رصاص كبيرة، و بأنايب خزفية مزججة أو غير مزججة الى القسم الآخر.

و هناك علاوة على ذلك غرف خاصة للغسيل و المراحيض. و فى مقابل غرفة العرش من جهة الفناء الجنوبية توجد غرفة من نوع خاص مربعة الشكل، بعرض الفناء نفسه أيضا. فهى قبل كل شىء محاطة بممر طوله واحد و عشرون مترا (٦٩ قدما) من كل جهة، و لها أربعة أبواب واسعة، مع أربعة أعمدة مرمر فى زواياها الأربع. و قد كانت هذه الغرفة مزخرفة كلها برسوم بشرية مختلفة. و يوجد أمام البهو الشرقى الشبيه بالباسيليك فى جناح غرفة العرش بهو كبير آخر يبلغ حوالى ثمانية و ثلاثين مترا (١٢٥) قدما فى عرضه، و (١٠، ٤٠) مترا فى عمقه، و يفتح على شرفة عظيمة بخمسة أبواب. و هذه عبارة من ساحة مفتوحة واسعة الأرجاء تبلغ مساحتها ٣٥٠ * ١٨٠ مترا، و يقسمها جدول من الماء الى قسم غربى مبلط فيه نافورتان و قسم شرقى غير مبلط يخترقه عدد من الجداول الصغيرة.

و اذا سار المرء متجها الى شرقى الشرفة الكبيرة يأتى السرداب الصغير الكائن على محور القصر الأسمى. و يؤلف مدخل السرداب غرفة مربعة الشكل يوجد على جدرانها أفريز مزين بجمال ماشية من ذوات السنامين منحوتة بالجص الملون، مع نافورة دائرية الشكل. و يقع سلم السرداب فى الجانب الغربى من البناء فوقانى. اما السرداب نفسه فهو عبارة عن مغارة منحوتة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢١٦

فى داخل الصخر بعمق ثمانية امتار و طول (٢١) مترا. و يوجد فى كل جدار من جدران المغارة ثلاثة كهوف تصلها ببعضها ممرات خاصة، كما يوجد فى قاعها حوض ماء. و تتصل بالمربع المحيط ببنائة السرداب ساحة خاصة بها، كما أن السرداب و ما يتصل به كله يحجز بين فنائين متشابهين تقريبا يقع فى جهتيهما الشمالية و الجنوبية فسطاط بشكل T. و قد كان السرداب محاطا كله بصفوف متوازية طويلة من الغرف التى يظن أنها كانت اصطبلات للخيل .

و هناك فى وسط الساحة الشرقية مقصورة يمكن للمرء أن يطل منها على حير طويل مستعرض محاط بسياج يبلغ حوالى مائة و ثمانين مترا فى طوله و خمسة و ستين مترا فى عرضه. و لا بد من ان يكون هذا ساحة الكرة و الصولجان (الپولو)، اما الاصطبلات فقد كانت لأفراس الپولو الصغيرة، كما كانت المقصورة مخصصة للمتفرجين. و بهذا نصل الى حافة القصر الشرقية التى تتصل بساحة الصيد أو الحير. و فى مقابل المقصورة، على امتداد المحور الرئيس للقصر، يقوم فسطاط عال كبير يطل على ساحة الپولو و ساحة السباق التى تضيع ممراتها البالغ طولها خمسة كيلو مترات، فى الأفق البعيد. و يبلغ طول هذه الأبنية و المرافق كلها طول محور القصر الرئيس (١٤٠٠) متر .

اما «السرداب الكبير» فهو مربع منفصل محاط بجدران يبلغ طول ضلعه الواحد مائة و ثمانين مترا، و يتصل بالطرف الشمالى الشرقى من القصر نفسه بينما يقع طرفه الجنوبى عند الجدار الشمالى للشرفة الكبيرة. و هو يتألف من كهف مربع عميق، محفور فى الصخر، يبلغ طول ضلعه ثمانين مترا، مع امتدادات صليبية من محاوره يصل طولها الى ١١٥ مترا. و توجد فى قاع السرداب حفرة ثانية دائرية الشكل يبلغ طول قطرها سبعين مترا. و يعتقد ان هذه الحفرة كانت حوضا للماء لأن كهريزا عميقا يصل اليها. و يوجد فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢١٧

الطابق العلوى منه عدد من الغرف الصغيرة غير المنتظمة حول الجهة الداخلية من الجدران. و يسقف عدد من هذه الغرف باطواق متقاطعة. و الى الشرق من السرداب شيدت مجموعات مختلفة من الأبنية على طول الجدار الشمالى.

و يختم هرتسفيدل وصفه لهذه الأبنية و المرافق بقوله أن روعة الزينة الموجودة فى القصر و فخامتها تنطوى فى تناسبها مع هذه الأبنية، بحيث لا يمكن ان يوجد مثل لها فى أى مكان آخر. اما فى غرف العرش فتحل محل الوزرات الجصية وزرات مرمر منحوتة الزخرف. و فى الغرف الواقعة ما بين أذرع الصليب الذى يتشكل به شكل الأبنية العام فتتغلف الوزرات ببلاطات من المرمر. و كان القسم الأعلى

من جدران الحريم مزخرفا برسوم كلسية من الأشكال الحية التي اكتشفت بقايا مهمة منها ... وقد كانت جميع أعمال الخشب و الأبواب و الدعامات و الأعتاب و السقوف من خشب الساج، المحفور المنقوش، او المنقوش فقط و المطعم قسم منه. و مما كان يزيد في ذلك رونقا و بهاء وجود المسامير البرونزية المشغولة بدقه بين وسائل الزينة. و يجدر بنا ان نذكر هنا كتابات كثيرة مزخرفة قد وجدت منقوشة على أعمدة الساج، و منها توابع الصناع المهرة بالعربية و السريانية و اليونانية.

الجامع الكبير في سامراء

يقول البروفسور كريسويل في كتابه المشار اليه ان الخليفة المعتصم توفي سنة ٢٢٧ (٨٤٢ م) فأعقبه هارون الواثق. و هذا توفي في سنة ٢٣٢ (٨٤٧ م) فأعقبه المتوكل الذي قام بتشييد المسجد الجامع الكبير.

و الجامع عبارة عن مستطيل واسع الأرجاء يحيط به سور محصن من الأجر المشوى تبلغ مقاييسه ٢٤٠* ١٥٦ مترا من الداخل. و لذلك فان مساحته تبلغ حوالي (٣٨٠٠٠) متر مربع او (٥٠٠، ٤٥ ياردة مربعة)، و بهذا يعد أكبر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢١٨

جامع في العالم، أى أنه بضعف جامع ابن طولون في القاهرة. و لم يبق منه سوى الجدران المحيطة به، بعد ان تقوضت سقوفه و اختفت اعمدته التي كانت تستند اليها السقوف. و هذه الجدران، التي يبلغ سمكها (٦٥، ٢) مترا قد بنيت بأجر خفيف أحمر تبلغ مساحة الواحدة منه ٢٥-٢٧ سم مربع و سمكها سبعة سنتيمترات. اما الأبراج المنتشرة فيها فهي نصف دائرية في تخطيطها تقريبا، و يبلغ قطرها (٦، ٣). كما يبلغ طول الجدران الساترة بين كل برج و آخر خمسة عشر مترا في المعدل. و هناك علاوة على ذلك أربعة أبراج ركنية كبيرة، و اثنا عشر برجا آخر يمتد شرقا و غربا فيما يجاورها، و ثمانية شمالا و جنوبا، بحيث يكون مجموع الأبراج الكبيرة أربعة و أربعين برجا. و يقوم كل واحد من هذه الأبراج فوق قاعدة مستطيلة تتألف من ساقين أو ثلاثة من الأجر.

و قد كان للجامع ستة عشر بابا يختلف في عرضها اختلافا بينا. و كانت هذه الأبواب حين وجدها الرحالة روص في ١٨٣٤ قد تهدم البناء من فوقها فيما عدا الأبواب الكائنة في وسط الضلع الشمالي منه. لكنه يبدو من فحص قوائم الأبواب المحفوظة بشكلها الآن أن فتحاتها كانت مغطاة بعوارض خشبية يسندها من فوقها طاق من الأجر. غير أنه يلاحظ من أقصى باب من جهة الجنوب في الجهة الغربية ان هذا الطاق يأتي فوقه بناء من الأجر الصقيل جدا البارز قليلا الى الأمام، و الممتد على طول الجدار. و في الباب المقابل من الجانب الآخر يلاحظ بروز طاق صغير جدا يعتبر جزءا من عقد متين يمتد الى داخل الجدار كله. و لا يدل هذا الا على أنه كان هناك عدد من الشباييك الصغيرة المقدسة (ربما ثلاثة) فوق كل باب من الأبواب.

و يلاحظ كذلك ان بناء الأبراج هو بناء بسيط جدا، لكن كل جدار موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢١٩

من الجدران القائمة بينها يكون مزخرفا بأفريز متألف من ستة مربعات منخفضة ذات حافات مشطوفة عدا مربعات الجبهة الجنوبية التي كان عددها خمسة فقط. و يوجد في كل مربع صحن ضحل لا يزيد عمقه على (٢٥) سم، و ما زال قسم من هذه المربعات مغطى بزخرف جصى. و يبلغ علو الجدار في الوقت الحاضر حوالي عشرة امتار و نصف.

و لقد فتح في القسم الأعلى من الجدار الجنوبي، فيما تحت الأفريز، أربعة و عشرون شباكاً، و شباكاً في كل جانب يفتحان على حرم الجامع، و بذلك يبلغ عدد الشباييك ثمانية و أربعين. و تبدو الشباييك من الخارج و هي عبارة عن فتحات مستطيلة ضيقة، لكنها مؤطرة من الداخل بأقواس خماسية الفصوص متشعبة من أعمدة صغيرة متشابهة، و قد ركب هذا كله في أطار مستطيل منخفض.

اما الأساطين التي تستند اليها السقوف فقد أزيلت منذ مدة على ما يبدو، لكنه يتضح من الحفر المتخلفة عن هذا العمل ان الحرم كان فيه أربعة و ستون صفا منها تكوّن خمسة و عشرين فسحة يكون معدل عرض كل منها (٢٠، ٤) مترا، و هذه تتناظر مع محور الشباييك عدا الفسحة الوسطى التي تكون أوسع من الباقيات بقليل. و كان من الواضح أيضا ان السقف كان يستند الى الأساطين رأسا من دون

وجود طوق لها، لأن مثل هذا الطوق لم يكشف له أى أثر فى الجدران.

وقد أيدت تنقيبات هرتسفيلد بأن الحرم كان فيه أربعة وعشرون صفا من الأساطين، و فى كل صف تسعة منها، بالإضافة الى أربعة وعشرين صفا فى الرواق الشمالى، و فى كل صف من هذه ثلاثة أساطين فقط. أما الأروقة الجانبية فكان فى كل منها عشرون صفا، و فى كل صف من هذه الصفوف اربع اساطين، تقوم بموازاة الصحن. و على هذا يبلغ مجموع الأساطين

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٢٠

كلها (٤٦٤).

و لقد بقى من آثار هذه الأساطين ما يكفى لتعيين شكلها. فقد كانت القواعد مربعة الشكل طول ضلعها (٠٧، ٢) مترا. و كانت تقوم فوق كل واحدة منها اسطوانة مثمثة الجوانب، مبنية بالآجر، عدا الأساطين الركنية الأربعة التى كانت من المرمر .. و لما كانت أعمدة المرمر، التى تتكون منها الأساطين الركنية، لا يزيد طولها على المترين فقد كانت الأسطوانة الواحدة تتألف من ثلاثة أعمدة على الأقل يوضع أحدها فوق الآخر و تلحم ببعضها بالرصاص و أوتاد الحديد، كما هى الحال فى جامعى الكوفة و واسط الكبيرين.

أما الأساطين المبنية بالحجر فقد بيضت و لونت بحيث تحاكي المرمر فى شكلها.

و يبلغ الارتفاع الصافى الى حد السقف (٣٥، ١٠) مترا أى (٣٤) قدما.

و اتضح عند عملية التنقيب ان فتحة فى وسط الجدار الجنوبي كانت موقعا للمحراب المتهدم. و لم يكن المحراب مدورا بل كان مستطيلا فى تخطيطه،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٢١

كما هى الحال فى الأخضر، و كما كانت عليه القاعدة فى العراق و ايران فى العهود الاولى، بحيث يبلغ (٥٩، ٢) مترا فى العرض و (٧٥، ١) مترا فى العمق. و كان يقوم فى جانبه زوجان من أعمدة المرمر وردى الشكل المستجلب من عيتاب، التى تكون لها تيجان و قواعد بشكل الساعة، يستند اليها قوسان متحدا المركز فى داخل اطار مستطيل يرتفع بارتفاع الجامع نفسه تقريبا. و كانت هناك آثار للموزاييك المذهب فى خصور العقود.

و يعزو كريسويل الى المؤرخ المقدسى قوله ان جامع سامراء كان ينافس جامع دمشق، و ان جدرانه كانت مزخرفة بالمينا. و يذهب هرتسفيلد الى أن كلمة «مينا» التى يذكرها المقدسى تعنى الموزاييك نفسه، و قد تأيد ذلك بما عثر عليه فى تنقيباته من بقايا الموزاييك المزجج الكثيرة .

و قد لوحظ بوضوح عند التنقيب ان زيادات عدة قد أدخلت على البناء الأسمى، و منها اضافة جدار جديد يمتد من النهاية الجنوبية لكل جدار من الجدارين الجانبيين الأصليين. و تدل التصاوير الجوية على ان هذين الجدارين كانا يؤلفان جزءا من سور كبير يحيط بالجامع من الشرق و الشمال و الغرب. موسوعة العتبات المقدسة ؛ ج ١٢ ؛ ص ٢٢١

أن هذا المستطيل الكبير كله قد وضع فى داخل مستطيل أعظم و أكبر منه بحيث يحيط به من جميع الجهات الأربع. و قد بنيت هذه الجدران الاضافية من الآجر الذى أخذ القسم الأعظم منه فى الوقت الحاضر. و تبلغ أبعاد هذا السور الخارجى ٣٧٦ * ٤٤٤ مترا (١٢٣٠) * (١٤٥٥ قدما). و لذلك فان المساحة الكلية للجامع و الزيادات الطارئة عليه تصل الى ما يقرب من (١٧) هكتار، او (٤١) أيكرا .

و عند مقارنة هذا الجامع بجامع ابن طولون فى القاهرة، لا بد من ان نتوقع وجود بنايات ملحقه به للمرافق الصحية و أماكن الوضوء، و من المؤسف ان هرتسفيلد و صاره لم يتهيأ لهما الوقت الكافى للتنقيب عن هذه الزيادات.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٢٢

و يتطرق كريسويل بعد ذلك الى ذكر المنارة الملوية و أبعادها، فيورد نفس المعلومات التى أتينا على ذكرها من قبل.

الأسس الفنية لعمارة الجامع الكبير

ان أول ما يذكره الأستاذ كريسويل في هذا الشأن قوله ان فكرة السلم الحلزونية التي أنشئت بموجبها منارتا الجامع الكبير في سامراء و جامع أبي دلف مستمدة من فكرة الزقورة البابلية، و ان هذا شى يعترف به المختصون اعترافا تاما. لكن الزقورات لم تكن كلها من نوع واحد، لأن النوع الاعتيادى الشائع منها يتألف من برج مدرج مكون من طوابق عدة متراجعة ذات جهات متعامدة (غير مدورة). و يتم الوصول الى الطابق الأول بمرقاة شديدة الانحدار تتقاطع عمودا مع الجانب الجنوبي الشرقى من وسطه، كما يتم الوصول الى الجوانب الأخرى فيها بامتدادات لهذه المرقاة. و لم يكن هذا الطراز من الزقورات هو الذى استمدت منه فكرة (الملوية)، و انما استمدت من طراز آخر مربع التخطيط يدور من حوله منحدر خفيف يكون عددا من الدورات الكاملة حتى يصل الى القمة. و من الغريب ان هذا النوع لم يعرف له وجود الا فى مكان واحد، و هو (زقورة خرساباد) التى اكتشفها بالتنقيب قبل مائة سنة المسيو بلاس، فعثر فيها على ثلاثة طوابق سالمة و بقايا الطابق الرابع. و هو يقول انه عشر على بناء رباعى الأضلاع تماما يبلغ طول الجانب الواحد منه (١٠، ٤٣) مترا بدلا من ان يكون بناء مدورا كما كان يتوقع. و تبدأ بهذا مرقاة خفيفة الميل جدا من الزاوية الجنوبية، و تستمر على طول أحد الجوانب، ثم تدور حول القرنة و هى تستمر فى الصعود دوما، و تدور حول القرنتا كلها بالتعاقب، حتى تنتهى بالقرنة التى بدأت منها، و لكن على ارتفاع (١٠، ٦) امتار أو (٢٠) قدما. و يتجه الدوران

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٢٣

باتجاه مضاد لدوران عقرب الساعة كما هى الحال فى ملوية سامراء. و قد تم العثور عند التنقيب على طوابق ثلاثة، يرتفع كل واحد منها الى عشرين قدما (١٠، ٦) مترا مع بقايا الطابق الرابع كما ذكر من قبل.

و يقول كريسويل كذلك ان وصف هذه الزقورة التى عثر عليها بلاس ينطبق على الوصف الذى وصفها به هيرودوتس. ثم يضيف الى ذلك قوله أنه لا بد من ان تكون قد وجدت زقورات أخرى فى العراق من هذا القبيل خلال القرن التاسع الميلادى، أى فى أيام العباسيين الذين شيدت سامراء فى عهدهم، برغم العثور على واحدة فقط خلال القرن التاسع عشر. و يؤيد ذلك، على ما يقول كريسويل، ما ذكره بنيامين التيطلى اليهودى فى رحلته التى وصف فيها السلالم الحلزونية المدورة فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر للميلاد. على ان كريسويل يذكر كذلك ان التحوير الذى أدخله معماريو المتوكل على الفكرة هو أنهم شيدوا المرقاة الملوية حول بناء مدور بدلا من الشكل المربع الموجود فى الزقورة المشار إليها.

جامع أبي دلف

كان المتوكل، قبل ان يقوم بتشيد الجامع الكبير فى سامراء، قد قرر ان يبنى مدينة جديدة له فى شمال سامراء، و اختار لها موقعا يقال له «الماحوسة» فبدأ العمل فيها سنة ٢٤٥ (٨٥٩ - ٦٠ م)، و مدد الشارع الأعظم الى حيطان الجامع الكبير من جهاته الثلاث و تبدو مدينة سامراء من خلفها

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٢٤

ثلاثة فراسخ أخرى، أى الى حيث يقع قصر المتوكل الجديد نفسه. و فى اليوم الأول من شهر محرم الحرام ٢٤٧ (١٧ مارت ٨٦١) انتقل الى مدينته الجديدة التى أطلق عليها اسم «الجعفرية».

و تشغل أطلال القصر الجعفرى هذا مساحة تقدر بحوالى (١ ١ / ٣) كيلو متر مربع، و هو محاط بأسوار تنتشر فيها الحصون المبنية بالآجر. و هذه لم يتم التنقيب بها على ما يقول كريسويل، الذى يورد رواية يعقوبى عن المتوكل و يقول انه لم يسكن فى قصره هذا الا تسعة أشهر و ثلاثة أيام، و انه قتل فيه فأصبح قصرا مشؤوما تذكره التواريخ جيلا بعد جيل. و كان قتل المتوكل فى يوم ٣ شوال

٢٤٧ (١١ كانون الاول ٨٦١). فخلفه المنتصر، و عاد الى سامراء بعد ان أمر السكان بأجمعهم أن يعودوا اليها كذلك ... كما أمر بتقويض الأبنية و نقل موادها البنائية الى سامراء أيضا. و لهذا دب الخراب في قصور الجعفرية و بيوتها و أسواقها مع سائر أبنيتها و مرافقها، و اصبحت خرائب تنعق بها اليوم.

لكن كريسويل يقول ان حالة جامع ابي دلف هي على نقيض الحالة التي وجد فيها الجامع الكبير. فقد بقيت من هذا الجامع في سامراء أسواره الخارجية و زالت داخلية من الوجود، بينما بقيت داخلية جامع ابي دلف قائمة، و لم يبق من سور الذي كان مبنيا بالآجر الا أسسه الطويلة، فيما عدا الضلع الشمالي الذي بقى قائما الى ارتفاع (٥-٧) أمتار.

و هناك في الرواق الشمالي ستة عشر عقدا بطبيعة الحال، كما هو الأمر في الحرم، و لكن العقد الواحد تكون فيه ثلاثة أقواس فقط يبلغ معدل فتحاتها (١٠، ٣) مترا. و هذه تنتهي من جهة الصحن بشكل T، لكنها تنتهي من من جهة الشمال بأساطين جدارية بسيطة مبنية بالآجر المشوى ... و تكون الفسحة الوسطى في الحرم أعرض من سائر الفسحات.

و يكون النصف الأعلى من واجهات الأساطين المواجهة للصحن مزينا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٢٥

بحشوة متراجعة يحتوي على فرجة مقوسة ضيقة. و قد بنيت الأقواس كلها بحلقتين من الآجر المربع، فوضعت آجرات الحلقة الداخلية بحيث يتعرض وجهها الى الخارج بينما وضعت آجرات الحلقة الخارجية على حاشيتها، كما هي الحال في مبنى «باب بغداد» في الرقة، على ما يقول كريسويل، فيما يكون سمك كل حلقة آجرة و نصف بدلا من آجرتين. أما نوعية الآجر فهي أدنى من نوعية الآجر الذي بنى به جامع سامراء من قبل، و تختلف الآجرات في حجمها من ٢٥ الى ٢٩ سم مربعا، و يكون سمكها سبع سم.

و يرى كريسويل ان جامع ابي دلف كان له سطح منبسط مثل جامع سامراء الكبير، و لم يكن هذا على أكثر من ارتفاع ثمانى أمتار. و يذكر كريسويل كذلك، نقلا- عن هرتسفيلد، ان الأسوار التي بقيت قائمة من الجامع تبلغ (١٠٦) امتار في سمكها .. و قد تمت تقويتها، كما هي الحال في جامع سامراء، بأبراج حصينة نصف دائرية ما تزال ثلاثة منها شاخصة للعيان من الخارج. و تبلغ هذه حوالى ثلاثة أمتار في عرضها، و تبرز الى الخارج بمقدار (٢٠، ١) مترا تقريبا فتكون و اجهتها مبنية بالآجر المشوى. و قد كانت هناك أربعة أبراج ركنية، و أحد عشر برجا متوسطا في الجهتين الشرقية و الغربية و ثمانية في الشمال، و عدد غير أكيد- ربما ستة- من الجهة الجنوبية، ليكون المجموع الكلى ثمانية و ثلاثين برجا. و يبلغ معدل طول الجدران القائمة فيما بينها أربعة عشر مترا، كما توجد في بعض الأماكن الواقعة في الجدار الشمالي حروز خاصة لأنابيب المجارى تبلغ عشرين ستمترا في عمقها و (١٨) في عرضها، كما هي الحال في جامع سامراء الكبير.

و قد كانت هناك ستة أبواب من الجهة الشرقية و ستة من الجهة الغربية و ثلاثة من الجهة الشمالية، فيبلغ مجموعها كلها خمسة عشر بابا. و كانت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٢٦

لهذه الأبواب قوائم من الآجر المشوى ما زال بعضها شاخصا حتى اليوم

اما المنارة فقد وصفها الرحالة روص بأنها مصغر للملوية المعروفة التابعة للجامع الكبير، و قد بنيت على مسافة تسعة أمتار و نصف عن جدار الجامع الشمالي. و كانت قاعدتها، التي تبلغ مترين و نصف في ارتفاعها و أحد عشر مترا مربعا في مساحتها، مزخرفة بصف متكون من أربع عشرة حنية صغيرة في الجهات الشمالية و الشرقية و الغربية، و عشر حنيات فقط من الجهة الجنوبية نظرا لوجود المدخل الى المراقبة فيها. و يقوم فوق هذه القاعدة الجزء الحلزوني من المنارة، اما المدخل البالغ عرضه (١٧، ١) مترا فيكون في وسط القاعدة.

و يتجه الممر الى اليمين رأسا فيبدأ بسيره الحلزوني بحيث يكون ربع الدورة الأول محفورا في آجر القاعدة القرصية. و قد خربت

المرقأة بحيث لا يمكن استعمالها، و تبلغ علوا يقرب من (١٦) مترا، و تدور على ما يبدو ثلاث دورات كاملة باتجاه معاكس لدوران الساعة.

دور سامراء

و يورد كريسويل في هذا الشأن نص ما كتبه هرتسفيلد الذى يقول أن دور سامراء فى تلك الأيام كانت مبنية بموجب طراز خاص. و تتألف الدار الواحدة من مدخل مغطى يؤدي من الشارع او «الدربونه» الى فناء فسيح مستطيل الشكل، يفضل فيه المقياس ٣: ٢. و يقع فى نهايته بهو رئيس بشكل T مع غرفتين اثنتين فى زاويتين. و يتكرر توزيع الغرف هذا أحيانا فى فناء ثان، مما يمكن ان يستتج بأنهما عبارة عن حرم، و ديوان. لكنه اذا ما تكرر فى جانبيين متقابلين من الفناء نفسه فإنه يدل على وجود غرف صيفيه و شتويه. اما بقية الفناء فتحاط بصفوف من الغرف المستطيلة و المخازن.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٢٧

و يوجد فى غالبية البيوت عدد من الأفنية الجانيئة الصغيرة التى توجد فيها غرف تختص بالخرن. و توجد فى البيوت على الدوام حمامات و مجار و آبار فى كثير من الأحيان، و يلاحظ أحيانا وجود أبهاء مفتوحة او مكشوفة تقوم سقوفها على أعمدة، و سراديب فيها ترتيبات خاصة للتهوية. و قد كانت جميع الدور ذات طابق واحد، و يصل عدد الغرف فى الدار الواحدة الى خمسين أحيانا!!! هذا و قد كانت مادة البناء لهذه الدور: الآجر غير المشوى بوجه عام، إذ لم يكن يستعمل الآجر المشوى الا للماء و المجارى. اما تلبيط الغرف و الساحات فكان يستعمل له الآجر الكبيرة التى تصل مساحه كل منها أحيانا الى ٥٠ * ٥٠ سم. و كانت السقوف من دون استثناء تصنع من الألواح المنبسطة، و الأبواب بصورة أفقيه على الدوام تقريبا و نادرا ما كانت تغطى فتحاتها بالأقواس المدببة. و قد وجدت شبابيك كانت ملامى بالزجاج الملون و هو بشكل أقراص كبيرة يتراوح قطرها بين عشرين و خمسين سنتمتر. و بعض الدور كانت الأبهاء و بعض الغرف الخاصة بها مزخرفة زخرفه غير قليلة، و كان بعضها الآخر مزخرف بالغرف بأجمعها. بينما لم تكن ساحات الدور و أفنيته مزخرفة عامه، و كانت وزرات الجدران فى الغرف مزخرفة الى علو متر واحد، و كذلك إطارات الشببيك و حواشى الجدران العليا، و أحيانا بطينات العقود المقوسة فوق الأبواب .. و كانت تزخرف حواشى الوزرات العليا، و وسطها أحيانا، بالحنيا الصغيرة التى تشكل فى الغالب و توطر بزخرف توريقي، كما هى الحال فى الدور الشرقية العصرية، و هى تسمى «طاقجه» بالفارسية.

اما مادة الزينه و الزخرف فى الوزرات فهى الجبس الصافى نسبيا المخلوط بقليل جدا من التراب.

القبه الصليبيه و مدافن الخلفاء

و يذكر كريسويل ، مستعينا باستكشافات هرتسفيلد، انه توجد فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٢٨

الجانب الغربى من دجله فوق تل يقع على بعد ميل واحد تقريبا من جنوب قصر العاشق اطلال بنايه مثنئه الأضلاع. و هذه تحتوى على مثنم داخلى لا تزال أضلاعه سالمه، و مثنم خارجى هدم أكثر من نصفه. و توجد بين الاثنين فسحة عرضها (٦٢، ٢) مترا لا بد من أنها قد كانت مغطاه بطاق خاص لا تزال بقايا الأقواس الستة عشر التى يستند عليهما شاخصه للعيان، تبرز كل اثنين منها من طرفى كل ضلع من أضلاع المثنم الداخلى. و هناك مدخل مقوس يبلغ عرضه سبعة أقدام فى كل ضلع باق من أضلاع المثنم الخارجى .. و حينما يدخل المرء الى داخل هذا المبنى يعجب عند ما يرى ان الفسحة الوسطى فى داخلها تكون على شكل رباعى، طول ضلعه

الواحد (٣١، ٦) مترا، بدلا من الشكل المثلث الذي يتوقعه. و كل باب من الأبواب تقوم على جانبيها حنية نصف دائرية عرضها (٦٣) ستمترا. و هناك ما يدل على ان هذا المبنى كان مغطى بقبة خاصة به. و لقد شيّدت البناية كلها بنوع من الحجر الاصطناعي المصنوع بشكل آجرات يبلغ مقاسها ٣٢-٣٣ ستمترا مربعا و عشر ستمترات في السمك. و هذا الحجر مصنوع في الغالب من الطين القوي المخلوط بمقدار غير يسير من مادة «الكوارتز» بحيث يصبح

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٢٩

حجرا صلبا.

و يتضح من دراسة هذا المبنى أنه من أبنية العصر الذي بنيت فيه سائر الأبنية التي تلاحظ أطلالها في سامراء اليوم، من حيث الانشاء و المواد.

كما أن نوع الحجر الاصطناعي الغريب المستعمل في البناء يدل على أنه من الفترة المتأخرة في تاريخ سامراء العباسية، لأن هذه المادة الانشائية قد استعملت كذلك في تشييد قصر العاشق، و ليس في تشييد الأبنية الأقدم منه. و اذا ما بحثنا في المعلومات المتيسرة لدينا عن دفن الخلفاء الذين عاشوا في سامراء نجد أن أولهم، و هو المعتم، قد دفن في الجوسق الخاقاني، و ان الواثق قد دفن في الهاروني، و ان والده المتوكل قد دفنت في جامع «الجعفرية»- أي في أبي دلف- اما المتوكل نفسه فقد دفن في القصر الجعفري. لكن المنتصر ابنه كان أول خليفة عباسي يعرف قبره بوجه عام لأن أمه اليونانية طلبت رخصة من المسؤولين لا قامه قبة خاصة فوق قبره فلبى طلبها، و يقع هذا الضريح فيما بجاور «قعر الصوامع». هذا و قد عرف ان المعتر و المهتدي كانا قد دفنا في نفس القبة بعد ذلك أيضا. و يقول كريسويل ان العلامة هرتسفيلد يقترح، بناء على وجود هذه الأدلة القوية، بأن القبة الصليبية ربما تكون هي القبة التي دفن فيها أولئك الخلفاء الثلاثة من العباسيين. فقد نقب في كانون الأول ١٩١١ تحت تلبيط هذه القبة فعثر على ثلاثة قبور إسلامية في تلك البقعة، و لذلك يمكن ان يعتبر هذا الاكتشاف تأييدا جليا لقوله ان القبة الصليبية نفسها هي القبة التي أقامتها أم المنتصر فوق قصر ابنها بعد ان قتل في حزيران ٨٦٢ م.

و على هذا فانها لا تعد أقدم قبة في الاسلام فقط و انما تعد أيضا أول قبة من هذا القبيل فيه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٣٠

الزخرف السامرائي

لقد قسمت زخرفة الآثار العربية في سامراء، عند أول اكتشافها، الى ثلاثة أطرزة على ما يقول كريسويل و هي: الطراز الاول، و الطراز الثاني، و الطراز الثالث.

و تتميز زخارف الطراز الأول بشيوع أغصان و أوراق الكروم فيها:

الموجودة في قبة الصخرة و قصر المشتى. لكن زخرفة سامراء هذه قد أدخل فيها شيء من التحوير على شكل الأوراق التي تبقى فيه بوجه عام خماسية الفصوص. و يبدو هذا الطراز واضحا على الأخص في «باب العامة»، و هي أقدم بناية بنيت في سامراء.

اما الطراز الثاني فتغلب فيه تراكيب نباتية مركزية، مثل الوريدات المتكونة من البراعم، من دون ان تكون لها سيقان. و لذلك لا يلاحظ فيها نمو نباتي، و انما يكون كل جزء منها مستقلا بذاته و له منتهاه الخاص به.

فوجد في هذا الزخرف شجرة النخيل متقلصة الى قسمها العلوي فقط. و هذا يعنى بتعبير آخر انه طراز زخرفي معاكس للطبيعة في الدرجة الأولى، و أن خطوطا حلزونية تلتف في القسم الأغلب منه. و من مزايا الطرازين الأول و الثاني الجذابة أنها تتشكل بتركيبات

وريدية دائرية كبيرة أو مفصصة، و تمتلىء بها وحدات ذات أشكال مختلفة، مربعة أو مثنئة و غير ذلك.

و تكون الأشكال في الطراز الثالث قد صنعت مقدما بقوالب خاصة:

فيما عدا بعض الحواشي البسيطة. و يورد كريسويل وصف هر تسفيد لهذا الطراز من الزينة الزخرفية، فيبدأ بقوله ان بروز التركيبات الزخرفية يكون على الدوام ضحلا غير عميق، و هو أشبه في هذا بحفر الخشب. و هو على درجة من عدم العمق بحيث تنعدم فيه الظلال، الا في حالات الضوء العمودي، و هو نادر الوقوع عمليا. و تكون ذروة الأشكال صغيرة جدا على الدوام بالنسبة للارتفاع، و تتكرر عناصرها بسرعة واحدا بعد آخر على شاكلة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٣١

صف الألواح .. و يبدأ الصانع بقص القالب من الخشب فيشكل بموجه الشكل المطلوب من الطين، ثم يأخذه فيفخره، و يصنع الزخرف الجصي على منواله .

فقد كان استعمال القوالب في هذه العملية قد جعل من الممكن تزيين مساحات كبيرة من الجدران بسرعة عظيمة. و هناك عناصر زخرفية كثيرة الاختلاف و التباين مثل أشكال القوارير، و أوراق البرسيم، و أشكال السعف، و الخطوط الحلزونية، و ما أشبه. و تسيطر على تصميم الزخارف فكرة ملء السطوح و أشغالها في الدرجة الأولى، بحيث لا يبقى شيء باديا للعيان من أرضية القطعة المزخرفة. و تحجز كل شكل عن الآخر خطوط هندسية مختلفه، و بذلك تنحصر الزخرفة في نطاق الأشكال الهندسية المتكونة. و هذه وسيلة توفر الكثير من العمل بحيث لا يستطيع المرء الا أن يفكر بأن هذا المبدأ قد عظم تأثيره بسبب ما يوفره من العمل الكبير الذي كان لا بد من أن يتم بسرعة يكاد لا يتصورها المرء من أجل انجاز بناء سامراء.

عمارة سامراء في دائرة المعارف الاسلامية

و هناك بحث موجز مفيد عن أبنية سامراء و فنها العربي المعروف في دائرة المعارف الاسلامية المطبوعة سنة ١٩١٣ في لا يدن. و يبدأ هذا البحث بقول كاتبه ان سامراء اليوم عبارة عن مساحة كبيرة من الخرائب و الأطلال تقع في الجانب الشرقي من دجلة. و تشمل هذه الخرائب على مواقع أغنى المدن العباسية و أثرها، التي كلف بناؤها مبالغ جسيمة من المال. و قد جاءت سامراء الى الوجود في ٨٣٨ (الصحيح هو ٨٣٦) في عهد المعتصم بن هارون الرشيد، و وصلت الى أوج عزها و عظمتها في عهد المتوكل (٨٤٧-٨٦١) ثم اندثرت بموته.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٣٢

و يعطى وجود سامراء قصير الأمد لهذه الخرائب أهمية خاصة لدى طلاب الفن الاسلامي و اصوله. و من المؤسف ان يكون عرب العراق قد عمدوا خلال عدة قرون الى اتخاذ هذه الآثار العجيبة مقالع للمواد البنائية، فعجلوا بالخراب الذي أنزلته فيها عوادي الزمن، و مع هذا فقد اماطت اللثام التنقيبات الجارية مؤخرا (طبع البحث في ١٩١٣) عن معلومات مهمة كافية تختص بأسس الأبنية الرئيسة، و تعطينا فكرة واضحة عن جمال المدينة الاسلامية الزاهرة التي كانت تشع ببريقها اللامع على العالم في تلك الأيام.

ثم يأخذ كاتب البحث في دائرة المعارف هذه بتعداد الأبنية و القصور المختلفه، و يصف البعض منها بوصف لا يخرج عن نطاق ما بيناه قبل هذا نقلا عن هر تسفيد. على أننا لا بد من أن نضيف هنا ما يقوله عن قصر بلگوارا الذي لم نأت على وصف له من قبل. فقد جاء في هذا البحث ان خرائب بلگوارا تشغل مستطيلا كبيرا يزيد طول ضلعه الطويل على ألف ياردة. و ما تزال تقوم في جبهته الواسعة ثلاثة طوق من الطابوق، و هي مخلفات القصر الوحيدة الباقية منه. و كان هذا القصر قد بناه المتوكل لابنه المهدي بالله.

و كانت هذه الطوق المواجهة للنهر، و قاعة الاستقبال، مع ايوان الضيوف، مفتوحة باتساع على الوادي. و كانت وراء الطوق ساحات داخلية ثلاث تتبعها الغرف على شاكلة الصليب: و هي غرف العرش، و غرف صغيرة عديدة، و أجنحة سكن خاصة مجهزة بحمامات باذخة. و كانت هناك من الجهة الشرقية حديقة واسعة مستطيلة الشكل تنتشر فيها الشلالات، و تحيط بها جدران ذات ربعات تنفتح على صواوين صغيرة غنية بالزخارف و الزينة. اما من جهة الشمال فقد كان هناك نهر كبير ينزل اليه سلم فخم، فضلا عن الفرض و

الكهوف الجميلة التي كانت محفورة في أجرافه. و فيما وراء القصر كانت تقع مجموعة من البيوت تضم الحرم والحاشية، مع مسجد صغير، و ثكنة كبيرة لحرس الخليفة و خيالتهم.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٣٣

و كانت العناصر الكثيرة المختلفة التي يتكون منها القصر الجسيم بأجمعه مرتبة ترتيبا بديعا متناسقا، يتكون منه شكل T بمقياس واسع يكون محوره الطويل المتعامد مع النهر منتهيا بحجر الجبهة الثلاث الغنية بالزينة و الزخرفة بالموزاييك.

و فيما حول قصر الخليفة كانت هناك بيوت سكن كثيرة الزينة، و كانت أفخم هذه البيوت و أكثرها تواضعا مبنية بتصميم واحد. فقد كانت مشيدة بطابق واحد، و تشتمل على سلسلة من الأقبية الداخلية و نافوراتها، و كانت تطل على هذه الأقبية الأواوين و غرف الاستقبال. و لقد تخلد هذا الطراز المعماري في بعض البلاد الشرقية الى يومنا هذا. و كانت الزينة الداخلية من أهم ما يميز هذا الطراز. فان تغليف الجدران بالخشب المحفور، و وجود الأفاريز، يميز على الدوام غرف الاستقبال و جميع غرف الدور في بعض الأحيان. و كانت الأقبية و الساحات الداخلية تزين كذلك أحيانا، لكن الجدران الخارجية لم تكن تزخرف مطلقا.

و قد كانت زينة الحفر بالخشب في قصور سامراء و بيوتها على نفس الدرجة من المهارة الفنية، و هي تعطينا فكرة راقية عن تقدم الفن و تطوره في تلك الفترة. الخ.

و كانت التغليفات الدقيقة تقام على طول الجدران في الغرف الى ارتفاع ثلاثة اقدم. و كانت تقام فوقها طاقات زخرفية، كما كانت اطارات الأبواب و الشبابيك مزينة كذلك. و كانت السقوف تزخرف بكورنيشات و أفاريز، تصنع معظمها من الجص المزخرف بدقة و الملون في بعض الأحيان.

و يكون شكل الزخرف و تصميمه عادة بأنواع و طرز كثيرة الاختلاف.

فبعضها بسيط، و بعضها معرق بعروق كبيرة خشنة الصنع، بينما تكون غيرها على جانب أكبر من الدقة. و كان بعضها ينحت في محله. بينما كان البعض الآخر يصنع في قوالب على حدة و يركب في الأماكن المطلوبة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٣٤

و لقد اقترح بعض المختصين تصنيف الزينة الزخرفية في سامراء الى ثلاثة أطرزة: ١- الزخرفة ذات الصبغة القبطية. و ٢- الزخرفة ذات الصبغة الايرانية. و ٣- الزخرفة ذات الصبغة العراقية. على ان كاتب البحث في دائرة المعارف يقول ان مثل هذا التصنيف غير دقيق و غير ناضج لأنه يؤدي الى ارتكاب الكثير من الخطأ. غير ان ما يمكن استنتاجه من دراسة هذه الأنواع الزخرفية في سامراء هو ان تأثيرات فنية مختلفة قد اجتمعت في هذه البقعة من آسية من دون ان تتضارب، أو أن يتفوق أحدها على الآخر.

فقد كانت سامراء مركزا يجذب اليه عدد كبير من الصناع و الفنانين من جميع انحاء المعمورة بتأثير الثروة و مركز الخلافة. و بذلك أصبحت سامراء يومذاك بوقعة انصهر فيها الفن الهيليني، و القبطي- السرياني، و الهندي- الايراني، فأنتج الفن الاسلامي العربي بوجه عام ... و يبدو أن كاتب هذا البحث قد استمد هذه المعلومات من كتابات العلامة هرتسفيلد ايضا.

لكن كتابا جليلا ظهر في السنوات الأخيرة عن الفن الاسلامي عامة باللغة الالمانية، و ترجم الى العربية، فيه اشارات مهمة لفن العمارة في سامراء، و الزخارف المعمارية المعروفة باسمها. و الدكتور كونل أستاذ في جامعة برلين، و عضو بمعهد الآثار الالمانى و جمعية العلوم و الفنون، و مؤلف كتب عدة عن الفن الاسلامي و غيره ترجمت الى عدة لغات. و كان في سنتي ١٩٣١ و ١٩٣٢ مديرا لأعمال الحفر الأثرى ل (جمعية طيسفون) التي قامت بالتنقيب يومذاك في منطقة طاق كسرى بسلامان باك.

و هو يقول في كتابه عن جامع سامراء الكبير: .. و يعد جامع سامراء المشيد في عهد المتوكل (٨٤٦-٨٥٢) أروع المنشآت ذات الأثر في تلك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٣٥

الفترة. و قد أقيم على رقعة مستطيلة ضلعها الأكبر (٢٦٠) مترا، و الأصغر (١٨٠) مترا، و كان سطحه بغير عقود، و يرتكز على دعائم مثنئة الأضلاع ترتبط بها أعمدة من الرخام. و حوله من الخارج سور ذو أبراج مستديرة كما في جوامع المعسكرات و الأربطة، و تقوم مئذنته الملوية خارج السور على هيئة برج حلزوني مصعدة من الخارج على غرار الأبراج البابلية المدرجة (الزقورات) و المنشآت الصينية في عهد تانج. و شيد في سامراء جامع أصغر قليلا هو جامع أبي دلف، و له برج مماثل و يرتكز سقفه على عقود مدببة تمتد عمودية حتى جدار القبلة ..

ثم يقول بعد ذلك: و ما زال الجامع الرائع الذي بناه أحمد بن طولون في مدينة القطائع بمصر (٨٧٧-٨٧٩) في حالة جيدة، و هو على طراز جامع سامراء، و في مصلاه عقود مدببة قائمة على خمسة صفوف من الدعائم، و تندمج فيها أعمدة مبنية أيضا بالآجر .. و قد اقتبست بعض الكنائس الرومانية طراز تلك العقود المدببة .. و أقيمت مئذنته خارجه فوق قاعدة مربعة بمصعد داخلي، يتمشى حلزونيا مع درج خارجي.

و يقول كونل بالنسبة للقصور و المساكن: .. كما يرجح ان قصور الحكام تأثرت في تخطيطها بقصر معسكر اللخمين الذي كان قائما في الحيرة، و ضاع كل أثر له. و في مقدمة القصور التي تأثرت به قصر الأخيضر و قصر بلگوارا.

اما قصر بلگوارا فقد بناه الخليفة المتوكل لابنه المعتز بالقرب من سامراء، على غرار قصر الحيرة. و به عدة أفنية كبيرة متتابعة، و عدد من قاعات العرش المتعامدة ممتدة على طوله على هيئة أبهاء مكشوفة لها واجهات مؤلفة من ثلاثة عقود. و عن يمين وسطه و يساره تمتد أروقة بها عشرات من المساكن لكل منها فناء خاص. و ينتهي ذلك كله بحديقة تتجه نحو نهر دجلة ممتدة الى ما وراء السور الخارجي، و بها حوض ماء و مرسى للزوارق .. و في نحو سنة ٨٨٠ أقيم على الضفة الغربية لدجلة قصر العاشق، و في داخله قصر أصغر كثيرا مماثل له في التخطيط. و ما زال باقيا من قصر الجوسق في سامراء بهو مدخل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٣٦

منيف طويل.

و كانت بيوت الأفراد كلها من طبقة واحدة، و تمتد غالبا طوليا بمحاذاة النهر، و عددها حوالي خمسين بيتا مبنية باللبن على غرار المساكن الجانبية بقصر بلگوارا. و هذا النظام نفسه كان يتبع في المساكن الكبرى، مع أبهاء مكشوفة ذات أعمدة و حجرات تحت الأرض تتصل بسرديب للالتجاء إليها صيفا. و كانت هذه البيوت كلها مزودة بالحمامات و المجارى .

و جاء في كتاب كونل عن «خزف سامراء» ان أعمال الحفر في سامراء كشفت عن قطع خزفية من العصر الاسلامي الأول، و مصنوعات زجاجية مختلفة. و كانت الكمالية المستعملة و قنذاك بعضها مصنوع محليا، و بعضها مستورد من شرق آسية. و هناك أدلة قوية على ان الخزف الصيني الأبيض و الخزف المعروف باسم سيلادون كانا يصنعان محليا و يصدران الى الخارج.

كما عثر على قطع حجرية من تانج مزججة تزجيجا منقطة، و على آثار أخرى صنعها الخزافون المسلمون على غرار قطع مستوردة، مع اتجاه جديد في الصناعة، و ابتكار للبريق المعدني الذي يكسب الميناء او المادة الزجاجية لمعانا معدنيا زخريا له تأثير بديع.

و كما استعملت هذه الطريقة في الأواني لتكسيبها ألوانا براقه عديدة متجاورة استعملت في البلاطات التي كانت تكسى بها الجدران على هيئة مربعات لتزيين الجوامع و القصور. و لا شك ان البلاطات التي كسى بها محراب جامع القيروان جلبت من بغداد. و قد عم انتشار هذه الأواني في البلاد الاسلامية لاستعمالها بدلا من الأدوات المصنوعة من الذهب و نهى الاسلام عن استعمالها. و قد عثر على شظايا من هذه الأواني و الأدوات العراقية في مدينة الزهراء باسبانية، و في الفسطاط بمصر، و في سوسه و الري بايران. كما دخلت صناعة الخزف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٣٧

ذو البريق المعدني الى تلك الأقطار الثلاثة و الى سورية .

الفنون الإسلامية في سامراء

يعتبر العصر الذي نشأت فيه سامراء، و عادت الى الاختفاء عن مسرح التاريخ، من العصور الإسلامية الزاهرة التي ازدهت بالمدينة العربية العباسية و طبق ذكرها الخافقين. فقد رافق النهضة العمرانية الجبارة، التي نشطت عندما قام خلفاء بني العباس بتشيد سامراء و قصورها، نهضة في فن العمارة و زخرفها و في الفنون الجميلة الأخرى بمختلف أنواعها و محالات عملها.

و لقد كتب عدد غير يسير من الغربيين عن ازدهار هذه الفنون في المدن و المراكز الإسلامية الكبيرة، و عن الابداع الذي حققه العرب و المسلمون في ميادينها المختلفة. و ليس بوسعنا في مثل هذا المبحث ان نلم بجميع ما كتب من هذا القبيل بالنسبة لسامراء و العصر الذي ازدهرت فيه فنونها، و انما سنقتصر هنا على ايراد ما جاء في مرجع اختصاصي مهم يعد من أهم ما كتب في الموضوع و هو كتاب «الفنون الإسلامية» الذي ألفه بالانكليزية الدكتور م. س. ديماند، أمين مجموعات الشرق الأدنى في متحف الميتروبوليتان في نيويورك، و نقله الى العربية أحمد محمد عيسى أمين مكتبة جامعة القاهرة، ثم نشرته دار المعارف في ١٩٥٤.

و يبدأ الدكتور ديماند كتابه الجليل هذا بفصل عن ظهور الاسلام و انتشاره، و قيام الدول العربية و الإسلامية، فيتعرض إلى ذكر العباسيين في بغداد و سامراء حين يقول: .. و أنشأ العباسيون عاصمة جديدة لهم على دجلة هي بغداد، التي أصبحت مركزا مهما للعلوم و الفنون الإسلامية .. و أنشأ المعتصم العباسي موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٣٨ مدينة سامراء على بعد ستين ميلا شمالي بغداد، و كانت هي الأخرى مركزا و مقرا للخلفاء من سنة ٨٣٦ الى ان هجرت فجأة في سنة ٨٩٢ م.

ثم يأخذ بالبحث في الفنون المختلفة، فيذكر سامراء عند بحثه في موضوع التصوير و الرسوم الحائطية. فيبدأ بقوله ان معلوماتنا التاريخية عن فن التصوير الإسلامي في عصوره الأولى لا تزال قليلة، و لكننا نستطيع على الأقل ان نتصور مدى الرونق و البهاء في النقوش الحائطية في العصر الأموي و بداية العصر العباسي من الآثار القليلة التي اكتشفت في سورية و العراق و ايران. و يبدو التأثير الإيراني واضحاً في العصر العباسي على الرسوم الحائطية في قصر من قصور سامراء يرجع الى القرن التاسع. و من أطرف هذه الرسومات ما وجد بجناح الحریم، و تضم مناظر راقصات و موسيقيين و حيوانات و طيور، تنحصر بين تفریعات نباتية و دوائر. غير ان الألواح الخشبية التي عثر عليها في هذا القصر تحوى رسوماً بحتة، ذات أسلوب إسلامي خالص يشبه أسلوب زخارف سامراء الجصية، و قوام هذه الرسومات موضوعات نباتية ملونة بالألوان: الأبيض و الأزرق و الأحمر و الأصفر و تحدها حدود باللون الأسود. و الظاهر أن رسوم الجدران في قصور سامراء قد تكونت منها طريقة خاصة صارت تعرف باسمها، و انتشرت في أنحاء الإمبراطورية كلها.

فيقول ديماند مثلاً ان قصرًا من القصور قد اكتشف في خوجو بالتركيستان الروسية فوق تل يعرف باسم «تية مدرسه» فوجدت فيها زخارف يأخذ بوصفها وصفاً كاملاً يقول في نهايته .. و تمثل زخارف هذه الحنيات أسلوب زخارف سامراء السابق ذكره، و القائم على الأساليب الأموية التي نراها واضحة فيما عثر عليه من تيجان الأعمدة الرخامية في مدينة الرقة، و كذلك في المنبر الخشبي لجامع القيروان، و في الأواني الإيرانية البرونزية المحفوظة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٣٩

في متحف الهرميتاج، و ترجع كل هذه الأمثلة الى النصف الثاني من القرن الثامن أو أوائل القرن التاسع. و حينما يبحث الدكتور ديماند في موضوع النحت على الحجر و الجص يتطرق الى ذكر سامراء بطبيعة الحال. فهو يقول ان النشاط الفني العظيم في العصر العباسي يقترن بنشأة مدينة بغداد، و بتأسيس مقر الخلافة الموقت في سامراء على نهر دجلة. و قد كشفت الحفائر التي أجراها في مدينة سامراء علماء الآثار الألمان بأشراف صاره و هرتسفيدل عن مدينة عظيمة رائعة.

و المعروف ان المعتصم أنشأ هذه المدينة عام ٢٢١ (٨٣٦ م)، و كمل بناؤها و زاد اتساعها ثم هجرت في مدة قصيرة لا تتجاوز سبعة و أربعين سنة (٨٣٦-٨٨٣) بقيت سامراء خلالها مقرا لثمانية من الخلفاء. و اشتملت المدينة على طرقات واسعة و مساجد جميلة و قصور و أسواق و ملاعب، و أحياء خاصة لسكنى أجناد الجيش التركي و عمال الدولة و سائر المواطنين. و جهّز قصر الخليفة كما جهّزت المنازل الخاصة بالحمامات و النافورات، و زينت جدران الغرف الرئيسة بالصور الحائطية، و غطيت الأجزاء السفلى من جدرانها بوزرة من الجص الى ارتفاع ٤٠ بوصة. و فيما عدا حشوات قليلة أصيلة، فان جميع حشوات متحف برلين عبارة عن نماذج منقولة بالصب، نقلها رجال بعثة الحفائر في سامراء عن القطع الأصلية، و من نفس المواد التي عملت منها هذه القطع. ولدى متحف المتروبوليتان أربعة من هذه «القوالب» حصل عليها من متحف برلين.

و تدل أساليب زخارف سامراء الجصية على ثلاث مجموعات مختلفة، يتضح من المجموعتين الثانية و الثالثة ان الزخارف حفرت على الجدران، او على حشوات جصية منفصلة ثبتت بعد ذلك على الجدران، اما في المجموعة الأولى فقد صبت الزخارف في قوالب، و يمكن اعتبار اسلوب المجموعة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٤٠

الثالثة أقدم الأساليب جميعا، و تتكون زخارفه من تفرعات العنب و كيزان الصنوبر و المراوح النخيلية و أشكال الزهريات داخل تقسيمات هندسية و جامات سداسية الفصوص. و مع ان الزخارف هنا تعتمد على أساليب الزخرفة الأموية الا أن رجال الفن العباسيين ابتكروا أشكالاً جديدة ذات مظهر زاخر رائع و من الخصائص المميزة للزخرفة في العصر العباسي هو عناء رجال الفن بابتكار العناصر الزخرفية و اختلاف عمق الحفر الذي نرى خير امثله في منبر خشبي مهم بمسجد القيروان، و في حشوة خشبية من تكرت محفوظة بمتحف المتروبوليتان

اما المجموعة الثانية فتمتاز زخارفها بتجردها عن الطبيعة، و تتكون من اشكال زهريات و تفرعات هندسية، تحمل أوراقا نباتية دائرية او أشكالاً مختلفة من المراوح النخيلية. و قد نحتت هذه الزخارف نحتا قليل البروز، و كسيت بأشكال معينة مزلعة.. و يتمثل في أسلوب المجموعة الأولى اكتمال تطور مبدأ خاص من مبادئ الفن الاسلامي هو مبدأ تغطية الفراغ تغطية تامة.

و كادت تختفي الأرضية تماما في هذه المجموعة، أو اقتصرت على حزوز ضيقة نتيجة اتباع طريقة جديدة في الزخرفة. و أساس هذه الطريقة ان تنحت العناصر الزخرفية نحتا مائلا، و تتقابل حوافها بعضها ببعض في شكل زوايا منفرجة. و قد اتبعت هذه الطريقة أيضا في النحت على الحجر و الخشب و يطلق عليها عادة الاصطلاح المعروف بالنحت المشطوف او المائل. و تتكون الأشكال الزخرفية المجردة من مجموعة من التعبيرات قوامها تفرعات من التواريق النباتية و مقتبسات من المراوح النخيلية أضيفت اليها تحزيرات قليلة و خطوط قصيرة و نقط. و اشتملت تلك الأشكال أيضا على كثير من الزخارف التقليدية الاسلامية، و لكنها فقدت العناية بتفاصيلها حين استخدمت في هذا اللون الجديد من الصنعة. و شاعت طريقة النحت المشطوف هذه في عصر العباسيين، بل عرفت في عهد هارون الرشيد، و يمثلها في متحف المتروبوليتان تاج عمود جميل من المرمر.

و كان من عادة الولاة المسلمين استقدام مهرة رجال الفن و الصناعة من

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٤١

الأقاليم المختلفة ليشيدوا لهم المدن و القصور و المساجد. و سبق ان ذكرنا انه عند تأسيس مدينة بغداد جمع الخليفة لها العمال من سورية و الموصل و الكوفة و واسط و البصرة و ايران. و لا بد من أن يكون هذا التقليد قد اتبع عند بناء سامراء، و يدل تعدد أساليب زخرفتها على كثرة الاتجاهات الفنية التي سادت العصر العباسي.

و قد اتبعت الأساليب الزخرفية في الحفر على الجص و الحجر أيام العصر العباسي في سائر الأقاليم الاسلامية. و دخل هذا الاسلوب مصر من العراق زمن الدولة الطولونية، اذ نرى اسلوب زخارف سامراء من المجموعتين الثانية و الثالثة واضحا في الزخارف الجصية

بمسجد ابن طولون سنة ٢٤٣ (٨٧٤). و شاعت بمصر كذلك طريقة النحت المائل التي لا حظناها في الزخارف العباسية. اما في ايران فيشاهد أحسن مثال للاسلوب العربي العباسي في الزخارف الجصية الزاخرة في مسجد ناين بالقرب من مدينة يزد، و هي زخارف من ورق العنب تذكر بالاسلوب الثالث من جص سامراء. و يظهر في ناين نوع من زخارف المراوح النخيلية يوضح اتجاهها جديدا نحو المغالاة في زخرفة المسطحات. و تدل هذه التعبيرات الفنية على ان زخارف ناين متأخرة عهدا عن سامراء، و أنها ترجع الى أوائل القرن العاشر. و يقول ديمانند بعد ذلك:

.. و قد استعار الفن العباسي فيما استعار من فنون الأمم الأخرى الأشرطة الزخرفية التي تحولت في اسلوبى سامراء و نيسابور الى أشكال زهرة اللوتس المثثة، الموصولة بطيور او مراوح نخيلية. و تشبه زخارف نيسابور الجصية زخارف كل من سامراء و ناين، و لكنها تفصح عن تعبيرات و مبادئ زخرفية جديدة .. و يحتمل ان ترجع معظم زخارف نيسابور الجصية الى أواخر المدة التي أعيد فيها بناؤها، اي بين سنتي ٩٤١ و ٩٨١ (بعد سامراء بحوالي مائة سنة) .. و هكذا تعتبر هذه الزخارف حلقة اتصال مهمة في سلسلة الزخارف الجصية الايرانية بين الاسلوبين العباسي و السلجوقي.

ج ١- سامراء (١٤)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٤٢

و يعالج ديمانند موضوع حفر الخشب أيضا فيتطرق الى ذكر سامراء بمناسبة الزخرفة التي يتناولها الحفر. فيقول ان الاسلوب العباسي المجرد يتمثل هنا في وجود زخارف من فروع العنب تحمل أوراقا نباتية متناهية في البعد عن الطبيعة، و كيزان صنوبر بدلا من عنقيد العنب .. و تزين مناطق أخرى من تلك الحشوات موضوعات مجردة تتكون من عدة تعبيرات مركبة يمكن اعتبارها الأصول الفنية لبعض العناصر الزخرفية للأسلوبين الثاني و الثالث من جص سامراء. و يعتبر منبر القيروان الذي يرجع الى عهد هارون الرشيد واحدا من روائع أمثلة الحفر على الخشب من مدرسة بغداد. و تدل زخارفه، كما تدل زخارف جص سامراء، على مهارة فائقة في اظهار التفاصيل و تنوع مستويات الحفر .. و يذكر ديمانند بعد ذلك انه سبق له ان قال بأن للفنانين المسلمين في ختام القرن الثامن الميلادي اسلوبا زخرفيا يناسب طريقة الحفر الجديدة، و هي طريقة الحفر المائل أو- المشطوف- التي يغلب ان يكون أول ظهورها على الخشب. و يحتفظ متحف المتروبوليتان من هذا الاسلوب العباسي الجديد بمصراعى باب و حشوتين، من المحتمل ان تكونا جزءا من كنفى باب او من سقف منقوش. و لما كان العثور عليهما في تكريت فالمرجح ان تكونا قد جاءتا من مكان قريب من سامراء نفسها. و الحشوتان من أكبر و أكمل أمثلة الحفر على الخشب في تلك المنطقة.

اما في موضوع الخزف و صناعته الفنية فيقول الدكتور ديمانند ان الفتح لبلاد الشرق الأدنى كان بداية عهد جديد في تاريخ فنون الخزف. و قد اتبع الخزافون المسلمون في أول الأمر الأساليب التقليدية التي سادت مصر و سورية و العراق و ايران، و لكن هؤلاء الفنانين أخذوا يتكرونها تدريجيا أساليب جديدة في زخرفة الخزف، و كانت لهم خلال القرن التاسع ابتكارات على جانب من التنوع، سواء في الزخارف أم في الألوان أم في الأساليب الصناعية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٤٣

و أصبحت هذه الابتكارات من مميزات صناعة الخزف في العالم الاسلامي.

ثم يقول: و قد أمدتنا الحفائر الأثرية التي أجريت في مناطق مختلفة من البلاد الاسلامية مثل سامراء و الفسطاط و المدائن و الرى و غيرها بمادة لها أهميتها بالنسبة لتاريخ الخزف في بداية العصر الاسلامي. و لما كانت سامراء قد أنشئت و هجرت بين عامي ٨٣٦ و ٨٨٣ فان الخزف الذي اكتشف في أطلالها يرجع بالتأكيد الى القرن التاسع، و بالتالى فانه يساعدنا على تاريخ الفخار المشابه له في بعض البلاد الأخرى.

و يقول ديمانند ان الخزف العباسي ذا اللون الواحد يمكن تقسيمه الى مجموعتين: الأولى و تشتمل على جرار كبيرة مغطاة بدهن براق

أزرق و أخضر، اما زخارفها البارزة المكونة من أشربة و تفرجات نباتية فمصنوعة بطريقة الصب بالقرطاس، و هي الطريقة التي اتبعت عادة في زخرفة الفخار غير المدهون. و تتكون المجموعة الثانية من أوان أكثر رقة، فتشتمل على صحن صغيرة و أكواب و أوان أخرى من بينها زمميات ذات حليات زخرفية بارزة مغطاة بطلاء أخضر براق. و تتألف زخارف ما عثر عليه من الأواني في سامراء من رسوم هندسية و نباتية و أوراق محورة. و ينسب الى المجموعة السابقة عدد من الأواني الصغيرة، معظمها صحن مغطاة بطلاء أصفر من أملاح الرصاص له بريق ذهبي يعتبره بعض المختصين بريقا معدنيا حقيقيا، و يعتبره البعض الآخر بريقا قزحي اللون. و يحتمل ان يكون بعض ما عثر عليه من القطع الخزفية في سامراء و المدائن و الفسطاط ذا بريق معدني حقيقي ناتج من تلوين طلائها بأملاح الحديد و الأنتيمون.

و يتطرق هذا البحث الى صناعة الفخار المدهون ذي الزخارف المحزوزة كذلك، فيشير الى أن هذا الفخار و زخرفته قد كثر استعماله، مع بقع و تعريقات باللون البني المصفر و الأخضر الأرجواني الفاتح تقليدا للأواني موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٤٤

الصينية التي استوردها العباسيون، و عثر على قطع منها في عدة أماكن من بينها سامراء و المدائن و نيسابور. و قد اكتشفت بشرق العالم الاسلامي، مثل سامراء و المدائن و سوس و سمرقند، كميات كبيرة من هذا النوع من الخزف الذي يرجع الى ما بين نهاية القرن الثامن و العاشر الميلادي. و كان بعض ما عثر عليه من الأواني متقنا الى حد كبير، و البعض الآخر مشوها في رسومه.

و تحت عنوان «الخزف ذو الزخارف المرسومة بالبريق المعدني» يقول الدكتور ديمانند أنه عثر على الخزف العباسي بالعراق في كثير من الأماكن مثل سامراء و المدائن، و في ايران في مدينة سوس و الري بوجه خاص، و في مصر في أطلال مدينة الفسطاط. و يعتبر الخزف العباسي المحلي بزخارف من البريق المعدني من أجود منتجات الخزف في العالم الاسلامي كله، فان صناعة البريق المعدني كانت من الابتكارات العظيمة التي اهدى اليها الخزافون المسلمون في القرنين الثامن و التاسع .. و يصنع هذا النوع من الخزف عادة من طفل أصغر نقي مغطى بطبقة غير شفافة من المينا القصديرية ترسم عليها الزخارف بالأكاسيد المعدنية بعد حرقها للمرة الأولى. ثم تحرق للمرة الثانية حرقا بطيئا جدا تحت درجة حرارة أقل من الأولى، تتراوح بين ٥٠٠ و ٨٠٠ فهر نهائيت و عندئذ تتحول الى الأكاسيد المعدنية باتحادها مع الدخان الى طبقة معدنية رقيقة جدا. و يصبح بريق اللون المعدني المتخلف اما ذهبيا أو أحد أطياف اللونين البني او الأحمر. و لم ينته القرن التاسع حتى صار الخزفيون المسلمون سادة تلك الصناعة التي اقتصر أمرها على الشرق الأدنى. و قد أخرجت لنا حفريات سامراء التي قام بها كل من صاره و هرتسفيلد بعضا من أروع أمثلة الأواني ذات البريق المعدني و هذا ما دفع البعض الى القول بأن صناعة البريق المعدني عراقية الأصل.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٤٥

.. و قد وجدت أنواع من الخزف ذي البريق المعدني المتعدد الألوان بايران في السوس و الري و كذلك في مصر، و لكن خير ما يعرف منها ما اكتشف منها في سامراء نفسها .. و يعتبر الخزف العراقي ذو البريق المعدني الذي يرجع الى العصر العباسي و الذي اكتشف في سامراء أحسن ما وصلنا من هذا النوع، و ذلك الى جانب ما أمدتنا به المدائن من أمثلة كثيرة جميلة منه. و يفوق ما صنع للخلفاء العباسيين بسامراء (٨٣٦-٨٨٣) من خزف ذي بريق معدني جميع أنواع الخزف الاسلامي البراق في ما تلا ذلك من العصور، من حيث جمال شكله أو بهجة ألوانه. و قد رسمت زخارف خزف سامراء بعدة ألوان أو بلون واحد هو الأصفر الذهبي أو الذهبي المخضر، أو البني فوق طبقة من المينا القصديرية.

و تعد القطع المتعددة الألوان، أجمل ما أنتجته سامراء من أنواع الخزف ذي البريق المعدني. و نرى في مجموعة منه اللون الذهبي، و الأخضر الزيتوني، و الأخضر الفاتح، و البني المائل الى الحمرة. اما زخارفه العباسية الاسلوب فتتكون من تفرجات نباتية بها تعبيرات زخرفية على هيئة الأقماع، و أشكال أزهار بعيدة عن الطبيعة و تواريق متنوعة و مراوح نخيلية ثلاثية الفصوص، و مراوح نخيلية مجنحة،

ثم زينت هذه الموضوعات و ما بينها من فراغ بتوشيرات تشبه قطع الفسيفساء من أشكال المعينات و الفروع النباتية و الدوائر المنقطعة. و يقول ديماند كذلك في هذا الشأن أن أواني سامراء ذات البريق المعدني تشبه بلاطات فاخرة ذات رسوم من لون واحد أو عدة ألوان (الذهبي و الأصفر الطفلي و البني المحمر) و هي بلاطات محراب مسجد سيدى عقبه في مدينة القيروان بتونس. و تذكر لنا المراجع العربية انها استوردت، و معها المنبر الخشبي المشهور الموجود بالجامع، من بغداد على الأرجح. و قد أيدت حفريات سامراء تأييدا حقيقيا ما تذكره المراجع العربية. و لا بد من ان

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٤٦

تكون بلاطات جامع القيروان من صناعة بغداد لأنها تسبق بتاريخها خزف سامراء. و لما كانت سامراء مقرا موقتا لخلفاء بني العباس فيمكن اعتبارها فرعا للمدرسة العراقية في صناعة الخزف ذي البريق المعدني الذي كانت بغداد مركزه الرئيسي. و تدل الزخارف الغنية و التنوع الكبير في رسوم بلاطات محراب جامع القيروان على مقدار تفوق العراق في صناعة الخزف ذي البريق المعدني في النصف الاول من القرن التاسع.

و يترسل الدكتور ديماند في هذا البحث الشيق فيقول ان هناك مجموعة أخرى تفوقت على بلاطات جامع القيروان، و هي من خزف سامراء، مرسومة ببريق معدني ياقوتي اللون يوجد في أغلب الأحيان مع اللون الأصفر و الأخضر و الذهبي و الأرجواني. و لم يقتصر مثل هذا الجمع بين الألوان الفنية على الأواني حسب بل وجد كذلك على بلاطات استخدمت في تزيين قصر سامراء. و كانت في متحف برلين أمثلة منها على جانب عظيم من الجمال.

و يزين بعض هذه التريعات رسم ديك داخل اكليل على أرضية صفراء مرمرية.

و في بحث «الخزف ذو الزخارف المرسومة فوق الدهان» يذكر الاستاذ ديماند ان من انواع الخزف العباسي الجميل نوعا رسمت زخارفه فوق الدهان باللونين الأزرق و الأخضر، و عثر عليه في سامراء و سوس و الري و قد صنع هذا النوع من الخزف، مثلما صنعت الأواني العباسية ذات البريق المعدني، من طفل أصفر نقي مغطى بطبقة من المينا القصدية اللون، و يدخل هذا النوع في ضمن خزف سامراء. و تحتوى زخارفه على كتابات كوفية باللون الأزرق مع بقع حمراء، كما تحتوى على أشكال من الأوراق النباتية أو السيقان المزهرة ذات المراوح النخيلية بطريقة سريعة باللون الأزرق أو الأزرق مع الأخضر .. و قد أمدتنا حفريات نيسابور بأمثلة عديدة من الخزف الذي صنع بشرق ايران تقليدا لخزف العراق.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٤٧

و يتطرق كتاب ديماند الى البحث عن الخزف غير المدهون كذلك. و هنا أيضا يأتي ذكر سامراء العباسية حينما يشير المؤلف الى انه قد وصلتنا عدة أمثلة مزخرفة من هذا الخزف من سامراء و المدائن و نيسابور. كما يشير كذلك الى ان هناك مجموعة أخرى من الخزف غير المدهون، عملت زخارفه بواسطة أختام مستديرة او غير مستديرة. و تشتمل زخارف الأختام على رسوم حيوانات و طيور و أشكال آدمية و وريعات و كتابات كوفية. و قد وجدت أمثلة هذا النوع في بلاد العراق، و وجدت في سامراء أمثلة عديدة من هذا الخزف ذات رسوم حيوانية ترجع الى القرن التاسع .. و يبدو مما عثر عليه بسامراء من أمثلة هذا النوع ان زخارف الأواني الخزفية غير المدهونة أقل جودة و اتقاناً في القرن التاسع عن مثيلاتها في القرنين الحادي عشر و الثاني عشر.

و يأتي ذكر سامراء بعد هذا في معرض البحث عن «الخزف الاسباني المغربي» حيث يقول ديماند أنه قد وجد في مدينة الزهراء بالأندلس بقايا من قطع الخزف ذي البريق المعدني، ذات صلة بما عرفناه من خزف سامراء و غيرها من بلاد العراق، و ليس ببعيد ان يكون مستوردا من تلك البلاد.

و هناك فصل ممتع في كتاب الدكتور ديماند عن «الزجاج و البلور»:

يقول فيه أن أواني سامراء الزجاجية المصنوعة في القرن التاسع يتضح منها ان أشكالها كانت استمرارا لأشكال الأواني الساسانية التي

كشفت عنها بالمدائن و كس. ثم يقول في مكان آخر ان من الأساليب القديمة المعروفة نقش الزجاج و حفره اما باليد أو بواسطة عجلة خاصة بذلك، و ان ما وجد في مصر و سورية من الزجاجات و الأباريق من هذا النوع بسيط جدا في زخارفه .. على اننا نرى في القطع المنسوبة الى سامراء في القرن التاسع تقديما ملحوظا في زخارفها المحفورة .. و قد عثر في سامراء كذلك على مجموعة عظيمة الأهمية من بقايا قطع الزجاج البلوري النقي من القرن التاسع تزيناها زخارف محفورة حفر موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٤٨

غائرا. و يمكن اعتبار هذه المخلفات العباسية، على قول الدكتور لام، من انتاج العراق، و يحتمل ان تكون من انتاج بغداد بالذات لما ذاع عنها من شهرة في صناعة الزجاج ذي الزخارف المقطوعة. و لنا كذلك ان نعتبر تلك المخلفات العباسية مصادر فنية لهذا النوع ذاته في العصر الفاطمي.

و يأتي ذكر سامراء بعد هذا (الص ٢٤٩ من كتاب ديمانند) في بحث «النسيج المصري زمن العباسيين و الطولونيين» حين يقول الدكتور ديمانند ان شهرة دور الطراز في مصر قد ذاعت بما انتجته من المنسوجات الكتانية و الحريرية التي كانت تصدر منها في العهد الاسلامي الى البلاد العربية الأخرى مثل سورية و العراق و غيرهما. و قد وجدت في سامراء قطعة نسيج كتانية من القرن التاسع، عليها كتابة مطرزة بالحرير الأحمر تدل على أنها صنعت بمدينة تيس قرب بورت سعيد.

هذا و الملاحظ ان الدكتور فيليب حتى يشير في كتابه «تاريخ العرب» لمنشور بالانكليزية كذلك الى الفنون و الصناعات الاسلامية في مناسبات عدة، لكن بصورة مقتضبة. فيذكر مثلا أن باني سامراء، الخليفة المعتصم، قد مر بأن تزين جدران قصره برسوم كلسية تمثل نساء عاريات و مناظر صيد مختلفة، كما فعل قصير عمره قبله، و لعل ما وجد من هذا القبيل كان من صنع لفنانين المسيحيين. و استخدم من بعده المتوكل، الذي بلغت سامراء على عهده الأوج في عظمتها، رسامين بيزنطيين لزخرفة الجدران في قصوره. لم يتورع هؤلاء عن ادخال صورة من صور الكنائس و الرهبان بين الصور التي رسموها. و يستند فيليب حتى في هذا الخبر على مقال لأرنست هرتسفيلد شره في احدي المجلات الالمانية سنة ١٩٢٧.

و يتطرق الدكتور حتى كذلك الى صناعة الصيني و الخزف عند العرب موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٤٩ فيقول ان من بين النفائس الموجودة في متحف اللوفر، و المتحف البريطانية و متحف الآثار العربية في القاهرة، قطعاً فنية رائعة من صنع سامراء و الفسطاط مثل الصحون و الأكواب و المزهريات و الجرار و الأبرج، المصنوعة للبيوت و المساجد. و قد زينت هذه جميعها بزخارف ذات بريق معدني أخاذ أو كسيت بطبقات معدنية دقيقة ذات صبغات قزحية. و يذكر، في صدد البحث عن المباني التي أنشأها أحمد بن طولون في مصر، ان هذه المباني كانت متأثرة الى آخر حد بفن العمارة المعروف في سامراء التي قضى معظم أيام صباه فيها. و ان شطرا كبيرا من القرآن الكريم قد نقشت آياته بخط كوفي جميل على الأفريز الخشبي الممتد حول داخلية جامع ابن طولون- كما يقول بالاضافة الى ذلك ان المعتصم يعزى اليه تأسيس معامل جديدة للزجاج و الصابون في سامراء و بغداد، قد أمر بتأسيس معامل للورق فيها أيضا.

هذا و هناك مراجع ثلاثة أخرى عن الفنون الاسلامية، كتب أصحابها عن سامراء و فنها المعماري بصورة مقتضبة، لكن مرجعنا المذكور في أعلاه يعتبر أكثرها فائدة و أحدثها في المعلومات و الاحاطة.

خلفاء سامراء

كانت سامراء، برغم ما صرف على تشييدها و انتقال مقر الخلافة اليها من مال و جهود، قد قدر لها أن تكون قصيرة العمر و ان لا يطول امد الخلافة فيها الا مدة لا تكاد تبلغ الخمسين سنة و نيف (٨٣٣-٨٨٢).

فقد تربع على كرسى الخلافة العباسية الذي انتقل اليها خلفاء ثمانية فقط، لم يكن أكثرهم سوى آلات مسيرة بأيدي القواد الأتراك،

الذين استفحل أمرهم موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٥٠

بحيث كانوا يعزلون هذا الخليفة و ينصبون غيره بكل ما فى هاتين العمليتين من إذلال و اهانة. و من يدرى فلعل ما أصاب المتوكل و أبناءه من هذا التنكيل:

و ما حل بقصورهم و مراتبهم من خراب و تهديم قبل ان يتمتعوا بها زمنا طويلا، لم يكن الا عقابا من الله العزيز القدير، على ما يقول بعض المؤرخين لكونهم انتهكوا حرمة الحسين أبى الشهداء و أبنائه و اضطهدوا آل البيت النبوى الكريم فى كل مكان. و قد كتب عن هؤلاء الخلفاء عدد يسير من مؤرخى الغرب و كتابهم، من مثل بروكلمان الألماني، و دائرة المعارف الاسلاميه، و سيتون لويد :

و غيرهم. على ان خير من كتب من هؤلاء بصورة موجزة مفيدة المستر ريتشارد كوك فى كتابه المعروف «بغداد مدينة السّلام». فهو يبدأ بتولى المعتصم ثالث من يتولى الخلافة من أبناء الرشيد و يقول انه سكن فى بداية أمره «الجعفرى» قصر الوزير جعفر البرمكى القديم فى الجانب الشرقى من بغداد، لأنه كان مسكن أخيه المأمون الرئيس من قبل. ثم بنى لنفسه قصرا خاصا فى المخرم و ترك الجعفرى لبوران أرملة المأمون العجوز. على أنه قرر بعد ثلاث سنوات ان يتحرك حركة أخرى كان من نتيجتها ان تحرم بغداد من وجود الخلافة فيها مدة تبلغ ستا و خمسين سنة. فقد كان العباسيون يعتمدون فى تسيير شؤون الامبراطورية و ضبطها على أناس من أقوالم غريبة، و كان حرسهم الخاص منذ البداية يتألف من جنود ينتمون الى مختلف الأمم الشرقية و من الأتراك و حدهم بعد ذلك. و قد استعصى أمر هؤلاء فى النهاية حتى أصبحوا أشبه ما يكون بالحرس «الپريتورى»، فضج البغداديون من تصرفاتهم الشائنة و سوء سلوكهم. فقرر المعتصم فى أحد الأيام ان يأخذ بمشورة قواده الأتراك و ينقل مقر الحكومة عن بغداد. فوقع اختياره الأول على مكان موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٥١

يقع فى أعالي النهر يسمى «القاطول»، ثم غير رأيه بعد هذا فانتخب موقع سامراء، و هى من البلدان التى كانت موجودة قبل الفتح العربى للعراق بالقرب من القصر الصيفى الذى شيده الرشيد له من قبل. و قد بقيت الحكومة فى هذا المكان خلال مدة حكم المعتصم و أخلافه السبعة. و منذ ذلك الوقت فصاعدا لم يعد للمعتصم أى اتصال مباشر بمدينة السّلام، عدا ما قام به بعد ذلك من ارسال البوابة الحديد الكبرى التى اقتلعها جنده المنتصر فى حصار عمورية.

و قد استخدمت هذه البوابة بعد ذلك فى تزيين قصور الخلفاء عند عودتهم الى بغداد من سامراء.

و قد توفى المعتصم سنة ٨٤٢ فأعقبه ابنه هارون فى الخلافة، و لقب بالواثق بالله. و مما يجدر ذكره هنا ان هذا الخليفة هو محور المؤلف الرومانتيكى المشهور الذى ألفه الكاتب الانكليزى بيكفورد. و كانت شؤون الخلافة مستقرة و مزدهرة فى عهده، لكنه عاش مدة قصيرة لم تؤهله لترك طابع معروف فى ادارتها. و يعتبر موته فى العادة نهاية العصر الذهبى الذى عاشت فيه الدولة العباسية. و كان خلفه، أخوه جعفر، الذى تلقب بالمتوكل على الله، متطرفا فى تأييده لعقيدة السنة، فألغيت بأمر منه فى الحال جميع الأنظمة و التعليمات التحررية التى صدرت فى عهد أسلافه. و بدأت فترة من حكم الارهاب الذى أصابت شروره الشيعة و المعتزلة و اليهود و النصارى على سواء. و أخذ أتباع أحمد بن حنبل يرهبون الناس فى بغداد فكان ذلك بداية القصة الطويلة للفتن الدينية، و عدم التسامح، التى فعل تأثيرها السىء فى الأخير فعلة فى مصير مدينة السّلام المحزن. و مما حدث من هذا القبيل ان السكيت، الشاعر الشيعى المعروف و الشخصية المرموقة فى أيامه تصدى له الحرس الأتراك فقتلوه ذات يوم ركلا- و رفسا بالأقدام. كما صدرت مراسيم خاصة باجبار النصارى و اليهود على لبس لباس خاص بهم و معاناة أنواع أخرى من الاهانات.

و لقد كانت شخصية المتوكل من أسوأ الشخصيات و أنحسها، حتى أطلق عليه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٥٢

اسم «نيرون العرب». و لما كان بحالة سكر دائم صارت سيطرته على أمور الدولة و شؤونها تتضاءل يوما بعد يوم حتى أدى به الأمر

الى أن أقدم على اغتياله الحرس الأتراك بالتواطؤ مع ابنه أحمد، الذي أعقبه في الحكم باسم «المنتصر بالله». و كان هذا رجلا عادلا رؤوفا بالناس، لكنه قتل بعد فترة من الحكم دامت ستة أشهر فقط فأعقبه رجل من أبناء عمه يسمى أحمد كذلك، و تلقب بلقب «المستعين بالله». و ما حل هذا الوقت حتى أصبحت السلطة في العاصمة بأيدي القواد الأتراك، و باتت الأقاليم وقفا على الحكام من أبناء الأسر الحاكمة فيها التي كان يكاد يقتصر ولاؤها لسامراء على دفع الخراج السنوي فقط.

و قد اضطرت أحوال الثغور الشمالية من جديد، و صار اليونانيون يتجاوزون على الأقاليم الواقعة على الحدود بصورة مستمرة. فسرعان ما وجد المستعين نفسه، و هو على شيء من الجرأة، في وضع غير محتمل و أخذ يفكر في وسائل ينقذ فيها العرش من تعسف الأتراك العابثين. و لذلك عوّل على مؤازرة العرب له وفر هاربا من سامراء الى بغداد التي عادت فأصبحت مقرا موقتا للخليفة من جديد. فرد عليه الأتراك بتنصيب خليفه مناويء له في عرش سامراء، و هو ابن من أبناء المتوكل اسمه محمد، و لقب «المعتر بالله». على ان المستعين و مؤيديه أخذوا في الوقت نفسه يعدون العدة للدفاع عن أنفسهم في بغداد.

و لأجل ان يقف في وجه الجيش التركي الذي عرف أنه سيتعقبه من سامراء لا محالة، عمد المستعين في الحال الى تشييد سور مدور حول المدينة بأسرها فدخلت جسور بغداد الثلاثة في داخله. فبلغت تكاليف السور الجديد و ما يتبعه من تحصينات حوالي (٠٠٠، ٣٥٠) دينار من الذهب، او ما يعادل (٠٠٠، ١٦٠) باون استرليني اليوم. و حينما وصل الجيش الأتراك الرئيس من سامراء خيم في العراء خارج باب الشماسية، و وجهوا هجماتهم الرئيسة على محلات بغداد الشمالية في كلا الجانبين. و قد استعملت المدفعية بكثرة لدى الفريقين، على شكل عرادات و مجانيق ثقيلة ركبها المدافعون من الأسوار

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٥٣

نفسها. و استقام الحصار عدة أشهر من دون أن يؤدي الى نتيجة تذكر، كما وقعت اشتباكات عامة عديدة في خارج الأسوار أبدى سكان المدينة المحاصرة فيها كثيرا من البطولة و الاستبسال. و كان المستعين قد وعد بوصول نجدات عاجلة له من ايران، لكنه اعتمد في الدرجة الأولى على أمه في جمع شمل العرب من حوله مرة أخرى للدفاع عن حقوقهم القومية، غير أن أمه هذا كان عديم الجدوى لأن القوات العربية التي تجمعت في الأنحاء سرعان ما شتت شملها الأتراك من دون أية صعوبة. و بهذا انتهى الدور الذي كان يلعبه العرب في الشؤون الإمبراطورية انتهاء قاطعا، و لم يبق لهم أي تأثير في مصائرها.

و لقد نفذ صبر القوات التركية في هذا الحصار الطويل فعزموا على القيام بضربة حاسمة. و لذلك بادروا الى تطويل خطوط الهجوم من الشرق و الغرب:

و شنوا هجوما عاما من باب خراسان الى باب الأنبار الكائنة في السور الجديد بالقرب من محلة الحربية حيث يخرج الطريق الرئيس الى سورية. و بصدفه حسنة لهم احترق الجسر الشمالي من جسور بغداد، و في خلال الفوضىئة التي أعقبت ذلك، و ربما بخيانته حصلت في الأوساط العليا، استطاع المهاجمون الدخول الى المدينة و انتهى الأمر بسرعة، فقد هرب المستعين و قبض عليه فيما بعد و قتل، و عاد الأتراك منتصرين الى سامراء.

و مع ان الحزب السامرائي، و الحرس الأتراك، قد انتصروا انتصارا موقتا في هذا الكفاح فان سطوتهم قد أخذت تتدهور بوجه عام .. فبعد فترة قصيرة، تعرف من الناحية السياسية بتصدع جبهة الأتراك أنفسهم، قتل المعتر أيضا في ٨٦٩ لعجزه عن تلبية ما كان يقدمه الأتراك من طلبات فاحشة.

فترجع على دست الخلافة ابن من أبناء الواثق لقب «المهتدي بالله». و لما كان المهتدي رجلا يتصف بالنشاط و القابلية فقد بدأ بتسنمه العرش عهد انتعشت فيه الخلافة، لكنه قتل في (٨٧٠) بسبب آرائه الاصلاحية. و كان قد عرف بكونه آخر خليفه ترأس بنفسه محكمة الاستئناف. فأعقبه رجل من أبناء المتوكل

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٥٤

بلقب «المعتمد على الله». غير ان السلطة في زمانه كانت بيد أخيه الموفق في الدرجة الأولى. وقد جعل الموفق، وهو العسكرى المقتدر، مقره في بغداد ليكون أقدر على النضال ضد حركة الزنج في العراق الجنوبي. فأعاد هذا الترتيب كثيرا من أعمال الحكومة الى بغداد برغم بقاء الخلافة اسما في سامراء.

وقيل ان يقضى المعتمد نجه أعلن للملأ عن عزمه على نقل مقر الحكومة الى بغداد مرة أخرى، وربما كان ذلك بمشورة من أخيه الموفق. و كان قبل سنوات قد زار بغداد من عاصمته سامراء زيارة رسمية فنزل في الجعفرى الذى كانت تسكنه بوران أرملة المأمون التى كانت قد تجاوزت الثمانين من عمرها. و حينما قضت نحبها جعل هذا القصر مسكنا رسميا للخليفة، و فيه نزل المعتمد عند ما نقل عاصمته من سامراء و هناك قضى نجه بالسلم الذى دسه اليه ابن أخيه الموفق بالتواطؤ مع الحاجب التركى مشكير. فتولى الخلافة بعنوان «المعتضد بالله».

و نرى من المناسب هنا أن نورد ما يذكره المؤرخ الألمانى بروكلمان فى (تاريخ الشعوب الاسلاميه) عن بعض خلفاء سامراء، و نعتبره تعليقا على ما مر ذكره من قول ريتشارد كوك، لما فيه من معلومات أخرى. فهو يقول :

و لم يستطع المنتصر قاتل أبيه ان يحافظ على العرش أكثر من ستة أشهر، بذل خلالها جهودا عقيمة لاستخلافه لنفسه عن طريق اكراه أخويه المعتز و المؤيد، على التنازل عن ولاية العهد، و من طريق محاسنه العلويين. و بعد أن قتله الأتراك بالسلم رفعوا الى العرش ابن أخى المتوكل أحمد المستعين بالله حتى اذا حكم أربع سنوات لا غير، فقد سلطته التى كانت قد تقلصت فعلا الى طيف من الخيال بسبب النزاع المستمر بين أمراء الجيش الأتراك.

فقد اضطر بغا، الذى كان له فضل تنصيبه خليفة، الى ان يفر معه من وجه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٥٥

الخصوم الى بغداد، فى حين رفع المعتز الى عرش الخلافة فى سامراء. و حاول محمد بن عبد الله بن طاهر الذى كان المستعين قد عينه أميرا على العراق و المدينتين المقدستين ان ينجد سيده المحاصر فى بغداد، و لكنه لم يلبث بعد خلاف نشب بينه و بين بغا ان انقلب عليه، و هكذا لم يعد فى ميسور المستعين ان يثبت فى بغداد، فاضطر الى خلع نفسه فى كانون الثانى سنة ٨٦٦ ليقتل فى تشرين الأول من السنة نفسها فى واسط.

و حاول المعتز ان يتخذ من حرسه المغاربة أداة لمقاومة الأتراك الذين كان لهم على كل حال الفضل فى ارتقائه كرسى الخلافة. و لكن الأتراك لم يلبثوا بعد ثلاث سنوات و نصف ان خلعوه عن العرش لعجزه عن سد حاجتهم الملحة الى المال. و الحق ان خلفه محمد المهتدى بالله ابن الواثق سعى عبثا الى اجتناب مصير أسلافه، فاختصر نفقات القصر الملكى لكى يعيد الى الجهاز المالى المضطرب شيئا من النظام الذى فقده. و أيا ما كان، فقد قتل فى معركة ضد موسى بن بغا، و هو لما يتم السنة الأولى من ولايته.

و نضيف الى هذا ما جاء فى تاريخ ابن العبرى عن الخليفة ابن المعتز، لما فيه من غرابة و طرافة فى الوقت نفسه. فقد جاء فيه: .. فلما بايع المستعين للمعتز وجهه الى البصرة و منها الى واسط و تقدم بقتله و حمل رأسه الى المعتز فقال ضعوه حتى أفرغ من الدست. فلما فرغ نظر اليه و أمر بدفنه. و فى هذه السنة حبس المعتز المؤيد أخاه ثم أخرجه ميتا لا- أثر فيه و لا- جرح، فقيل أنه أدرج فى لحاف سمور و أمسك طرفاه حتى مات .. و فى سنة ٢٥٥ صار الأتراك الى المعتز يطلبون أرزاقهم فمأطهم بحقهم، فلما رأوا انه لا يحصل منه شيء دخل اليه جماعة منهم فجزوا برجله الى باب الحجره و ضربوه بالدبابيس و أقاموه فى الشمس فى الدار و كان يرفع رجلا و يضع رجلا لشدة الحر. ثم سلموه الى من يعذبه فمنعه الطعام و الشراب ثلاثة أيام ثم أدخلوه

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٥٦

سردابا و جصصوا عليه فمات. و كانت خلافته من لدن بويغ بسامراء الى أن خلع اربع سنين و سبعة أشهر (و كان عمره ٢٤ سنة) .. و بعد قتل المعتز طلبت أمه الأمان لنفسها فأمنوها و ظفروا لها بخزائن فى دار تحت الأرض و وجدوا فيها ألف دينار، و ثلاث مئة

ألف دينار، و مقدار مكوك زمرد و مقدار مكوك من اللؤلؤ الكبار و مقدار كيلجة من الياقوت الأحمر. و كان طلب منها ابنها المعتر مالا يعطى الأتراك فقالت: ما عندي شيء. فسبواها و قالوا: عرضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار و عندها هذا المال جميعه.

ما كتبه السرجون غلوب عن خلفاء سامراء

و في الكتاب الذي كتبه السرجون غلوب (غلوب باشا) بعنوان:

(امبراطورية العرب) بحث طريف، فيه الكثير من العبر، عن هؤلاء الخلفاء. فهو يكتب عن الخليفة المعتصم و نشاطه اولاً، و عن الواثق و المتوكل ثانياً. و يحلل تحليلاً رائعاً ثورة بابك الخرمي في ايران على الخلافة الاسلامية في بغداد و سامراء، و حملة المعتصم على عمورية و فتحها. كما يحلل وضع المتوكل و أحواله الذي أدت الي ان يتواطأ ابنه المنتصر مع بعض الأتراك على قتله.

فهو يقول عن المعتصم، بعد ان يذكر ما يذكره غيره من المؤرخين عن استفحال وضع الأتراك في بغداد و عزم المعتصم على نقل العاصمة الى سامراء بسببهم، انه لما كان مولعاً بتشييد الأبنية و الزراعة فقد انصرف بكل ما عنده من نشاط الى تشييد القصور، و انشاء الحدائق، و غرس البساتين:

و تنظيم المزارع، لعاصمته الجديدة. و كان هو رجلاً ذا قوة جسمية عظيمة، و شكل مؤثر في النفس، و شجاعه شخصيه فائقة. على أنه كان الى جنب ذلك

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٥٧

قليل الثقافة و التعلم، على نقيض ما كان عليه أخوه المأمون.

ثم يأتي على قصة بابك الخرمي و ثورته و يقول أنه اعلنها على الفوضوية التي انتشرت بسبب النزاع الذي احتدم بين الأمين و المأمون، و ما آل اليه من قتل الأمين. و لم تستطع الحملات التي شنت عليه اخضاعه و القضاء على ثورته حتى جاء المعتصم و عزم على حسم الأمر و تصفيته، فكلف قائده حيدر الأفشين بالأمر فتم له ذلك و جرى ببابك مكبلاً الى سامراء. و في هذا الشأن يقول المستر غلوب أنه أخضع في الأخير سنة ٨٣٧، بعد ان هوجمت قلعته و أحرقت الى الأرض و سيق الى سامراء مكبلاً بالسلاسل. و قد جعل يوم وصوله اليها يوماً مشهوداً ابتهجت به الناس من جميع الطبقات. و قبل ان يعدم ألبس أحسن الملابس الحرير، و وضع التاج فوق رأسه، و طيف به في الشوارع على ظهر فيل حتى أخذ الى قصر الخليفة. و هناك جرّد من ألبسته الفاخرة بحضور الخليفة، و قطعت يداه و رجلاه، و صار ينخس بالسيف ببطء حتى يدخل الى جوفه من دون أن يمسه الأعضاء المهمة فيه ليطول أمد تعذيبه. لكنه تحمل كل ذلك تحملاً -شهد به الأعداء قبل الأصدقاء، من دون ان يبدو منه أي صوت أو تألم. ثم قطع رأسه و بعث به الى بغداد، بينما علق جسده الخالي من الرأس مسمراً على عمود خشبي في سامراء. فبقى المكان الذي علق فيه يسمى «خشب بابك» الى ما بعد قرن من الزمن. و يقول غلوب ان المؤرخين العرب يذكرون ان بابك ينسب اليه قتل مئتي ألف نفس خلال المدّة التي ظل ثائراً فيها. و حينما استولى جيش الخلافة على قلعته وجد فيها سبعة آلاف امرأة مسلمة و طفل يشتغلون مثل العبيد.

و يشير بعد ذلك الى ان المعتصم الفعال استطاع كذلك أن يجرّد عدداً من حملات المظفرة، و يفرض حكمه، على البلاد الجبلية البعيدة مثل طبرستان طخارستان و كابل و قندهار. ثم يأتي على ذكر حملة عمورية فيقول ان بابك حينما زحف عليه الأفشين من

سامراء اتصل بثيوفيل امبراطور بيزنطة، ج ١ - سامراء (١٧)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٥٨

و حرضه على مهاجمة الثغور الاسلامية لأن جيوش الخليفة كانت منشغلة بجهته معظمها. فاغتنم ثيوفيل الفرصة و سار على رأس جيش عرمرم، عدته سبعون ألف جندي، الى الحدود السورية، و قد حاصر في صيف ٨٣٧ بزطرة، الكائنة على بعد ثلاثين ميلاً من جنوب ملاطية، في الوقت الذي كانت فيه الجيوش الاسلامية ما تزال في أذربايجان. و لما كانت للمعتصم علاقة عاطفية بزبطرة هذه،

لأنه كان قد ولد فيها حينما كان والده الرشيد مصطحبا أمه في إحدى حملاته إلى هناك، فقد طلب إلى ثيوفيل أن يرأف بأهلها ولا يتعرض بها. لكنه لم يتجاهل طلب الخليفة حسب، وإنما عاملها، معاملة صارمة قاسية على الأخص. فقد غزاها غزوة عنيفة وهدمها بأكملها إلى الأرض، وسبى أكثر من ألف امرأة مسلمة منها عدا الأطفال، بعد أن قتل الرجال كلهم. وارتكب أعمالا فظيعة أخرى في البلاد المحيطة بها.

وما إن وافت هذه الأنباء إلى سامراء حتى بادر المعتصم في الحال إلى نصب معسكره في الجانب الغربي من دجلة ونشر راياته استعدادا للزحف والانتقام. وقد دعى الرجال لذلك من جميع البلاد العربية أيضا، بالإضافة إلى الوحدات التركية الجاهزة. وفي صيف ٨٣٨ سار المعتصم على رأس أكبر جيش قاده خليفة من الخلفاء حتى ذلك اليوم. فقد كانت عدته على ما يقول المسعودي مئتي ألف جندي على الأقل. فعبر هذا الجيش اللجج جبال طوروس برتلين اثنين، أحدهما يقوده الخليفة نفسه عن طريق الساحل، والآخر بقيادة الأفشين الذي ترتب عليه عبور الجبال من ممر الحدث.

وكان العرب على ما يبدو قد حذفوا أسرار النار الأخرقية التي كانت قد أنقذت القسطنطينية من قبل حينما هاجمها معاوية وسليمان بن عبد الملك من بعده. فقد سارت مع جيش المعتصم وحدات خاصة لهذا الغرض. وبعد أن عبر العرب طوروس في ٨٣٨، تسلّم الامبراطور البيزنطي تقريرا من رجال استخباراته بأن رتلا عربيا آخر - هو رتل الأفشين - يقوم بعبور السلسلة الحبلية في الحدث، فصمم على مهاجمته في الحال قبل أن يجتمع الرتلان في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٥٩

أنقرة كما تم الاتفاق عليه، واتخذ ما يلزم لذلك.

على أن المعتصم علم بما عزم عليه الأمبراطور، ولم يستطع عمل شيء لأشغاله في تلك الظروف، لكنه بعث إلى الأفشين يحذره مما عزم عليه العدو وقبل أن يصل إلى الأفشين التحذير فاجأه الامبراطور بالهجوم، لكنه بعد أن ارتبك بعض الارتباك أعد عدته ففكر عليه بهجوم مقابل وحر الجيش البيزنطي شر اندحار. فأدى ذلك إلى تقهقره أمامه من دون انتظام، وكان ذلك في أواخر حزيران ٨٣٨. وبعد أن التقى الرتلان العظيمان في أنقرة زحف الجيش العربي بكامله على عمورية، التي صادف أن كانت هي بدورها المحل الذي ولد فيه الامبراطور ثيوفيل نفسه، أو بلدة أسرته الأصلية. ولذلك عزم المعتصم على تهديمها وإزالتها من الوجود. وبعد أن اندحر الجيش البيزنطي هوجمت عمورية، بعد أن هدمت أسوارها وحوصرت خمسة وخمسين يوما. ويقول المؤرخون العرب، على ما يذكر غلوب، أن ثلاثين ألف امرأة وطفل تم سبيهم في تلك المعركة. وهكذا اقتصر المعتصم للشناعات التي كان قد ارتكبها ثيوفيل في زبطرة.

ويصف المستر غلوب الخليفة الواثق، الذي تولى بعد أبيه المعتصم، بكونه مسالما هادئا على عكس أبيه في أمور كثيرة. ولذلك ترك شؤون الحكم والخلافة إلى وزيريه محمد الزيات وأحمد بن أبي داود. وقضى وقته كله في سامراء من دون أن يزور الأقاليم أو يترأس الحملات العسكرية. لكنه كان مثقفا مثل عمه المأمون وميالا إلى حرية التفكير. وقد كان يهتم على الأخص بآل علي بن أبي طالب (ع)، ويساعدهم ماليا فيخصص لهم المخصصات والرواتب. أما المتوكل الذي ولى بعده فقد كان على العكس من ذلك، فقد اضطهد الشيعة، والأقليات غير المسلمة اضطهادا يذكره المؤرخون الغربيون جميعهم على الأخص. ولذلك هدم قبر الحسين (سنة ٨٥٠ م) ومنع زيارته،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٦٠

كما سبق أن أتينا على ذكره في مناسبات عدة من قبل. ويقول المستر غلوب كذلك أن حياطين الشوارع والمساجد كانت في عهده تمتلئ خلال الليل بكتابات خلاصتها النيل منه ورميه بالكفر والألحاد.

أما قضية قتل المتوكل فيقول مؤلفنا البارح هذا أنه كان عند أول توليه الخلافة قد رشح لها ابنائه الثلاثة من بعده، يتسلسلون واحدا بعد

آخر تبعاً لأعمارهم. فكان من المنتظر ان يكون المنتصر ولي عهده، و المعتر من بعده، و أخيراً المؤيد. لكن المتوكل كان مغرماً على الأخص بأم المعتر ابنه الثاني:

و كانت أمه يونانية تسمى السيدة قبيحة (لجمالها)، حتى أنه نظم أبياتاً من الشعر بحقها في عدة مناسبات. و لذلك كانت مسيطرة عليه الى درجة استطاعت بها ان تؤثر عليه و تقنعه بتولية ابنها المعتر من بعده، بعد ازاحة أخيه المنتصر (الأكبر) عن طريقه. فبادر المتوكل الى تنفيذ هذا و طلب الى ابنه المنتصر ان يتنازل عن حقه في ولاية العهد، لكنه رفض ذلك و أصر على موقفه في هذا الشأن. و صار أبوه يحقره و يستهزئ به في مجالسه، و بنتيجة اصرار السيدة (قبيحة) الجميلة عليه دعى المنتصر الى مجلسه في النهاية و أخبره بأنه أصدر الأوامر اللازمه بعزله عن ولاية العهد.

و مع ان هذا العمل لم يولد أزمة خطيرة في بادىء الأمر، و لم يحدث توتراً في الحال، فقد ثبت انه حادث جر الوبال على المتوكل في النتيجة. فقد سبق ان بدأت الدسائس في جو سامراء السياسى، و لا سيما بين الضباط الأتراك، و الأوساط الرسمية العليا، إذ كان بعضهم يحسد بغا الشرابى، الذى كان يعد أقوى رجل فى البلاط العباسى يومذاك و أول رجل يضع المتوكل ثقته فيه، لأنه كان مملوكاً تركيا عادياً و نادلاً فى القصر الملكى. و بالنظر لمزاياه و قوة شخصيته تدرج فى الوظائف فأصبح ذا منزلة عالية فى الحقيقة. و هنا ازدادت مخاطره، و أخذ مناوئوه يوغرون صدر الخليفة عليه، لا سيما

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٦١

و قد كان فى وضع متهىء لذلك بالنسبة للحياة الداعرة التى كان يحياها، و لاهمال شؤون الخلافة و الحكم الذى كان يديه. و قد شاءت العناصر المغرضة فى بلاط سامراء ان تلعب على الطرفين:

فوجهت أخباريات غفلاً من التوقيع تنبىء بغا بأن الخليفة يعد العدة لقتله بصورة سرية، كما وجهت أخباريات أخرى مثلها الى المتوكل تخبره بأن بغا عازم على اغتياله. و قد صادف ان حصل الخلاف بين المتوكل و ابنه المنتصر فى هذا الوقت المشحون بالدس و التوتر. و لما كان بغا ينتظر شراً من المتوكل فى أى وقت كان فقد قرر ان يسبقه الى العمل و يتغدى بالخليفة قبل ان يتعشى هو به. فصادف فى إحدى الأمسيات ان كان المتوكل فى مزاج ممتاز، و كان طلقاً فى الكلام و الحديث مع الحاضرين فى مجلسه. و ازداد ثملاً بالشراب كلما تقدمت الأمسية و مرت ساعاتها، و ظل يطلب مزيداً من الشراب، أو أن بغا ظل يسقيه قدحاً بعد آخر عن عمد و تدبير مسبق. و حينما انسحب معظم أفراد الحاشية الى مخادعهم بتقدم الليل، و لم يبق سوى بغا و الفتح بن خاقان، دخل الى الغرفة فجاءه خمسة رجال من الأتراك يحملون سيوفاً مسلولة بأيديهم، و كانت النتيجة ان قتل الخليفة و صاحبه المقرب الفتح بن خاقان و أصبحا جثتين هامدتين فى بركة من الدماء.

و سارع بغا بعد ذلك الى داخل القصر ليأتى بولى العهد، المنتصر، و ينصبه فى مكان أبيه القتل. فصادفه قادماً الى محل الحادث، و سلم عليه بالخلافة.

و عند ذاك دعى الخدام و رجال الحاشية على عجل و طلب اليهم ان يبايعوا الخليفة الجديد. و فى صباح اليوم التالى، ١١ كانون الأول ٨٦١، اجتمع جمع من الناس خارج القصر فى سامراء و طالبوا بتنصيب المعتر لكن المعتر لم يمكن العثور عليه لأنه كان قد ألقى الأتراك القبض عليه خلال الليل و وضعوه فى السجن. و بذلك أصبح بغا مسيطراً على الوضع سيطرة تامة، و غدا المنتصر أميراً للمؤمنين ما دام الأتراك راضين عنه على الأقل.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٦٢

الروضة العسكرية المطهرة

ان أقدم من يشير الى وجود الروضة العسكرية المطهرة فى سامراء من المراجع الحديثه محرر و دائرة المعارف الاسلاميه (غير

المختصرة) المطبوعة في لايدن بهولانده سنة ١٩١٣. فقد جاء فيها قولهم: .. وقد حل الخراب في معظم هذه الأبنية والقصور منذ القرن العاشر للهجرة، و لم يستقم منها غير الجامع الكبير بالقرب من معسكرات الجيش، و من أجل هذا عرفت تلك المنطقة من سامراء باسم «العسكر». وقد أدى تمسك الشيعة بأئمتهم المعصومين الى الاحتفاظ هناك بقبر امامهم الحادى عشر ابي محمد الحسن الملقب بالعسكرى لأنه توفى فى سامراء سنة ٢٦٠ هـ، و بكهف الغيبة الذى اختفى فيه ابنه أبو القاسم محمد المهدي خليفته اليافع سنة ٢٦٤ (٨٧٨ م) و المعروف ان زوار الشيعة ظلوا خلال الألف السنة الأخيرة يزورون سرداب سامراء معتقدين بأن الامام المهدي سيعود الى الظهور هناك فى آخر الزمان.

غير اننا لا حظنا ان هذا المرجح لا يتطرق بشىء الى ذكر الامام الهادى عليه السلام، و لا الى ضريحه المقدس.

و يشير الى ذلك ايضا العلامة المستشرق لسترنج فى كتابه، الذى مرت الإشارة اليه، فيقول: .. اما ما هو احدث من ذلك من مراجع، فلم يزدنا علما بسامراء الا قليلا. ثم صار جل أهل سامراء من الشيعة، إذ أن فيها ضريحى الامامين العاشر و الحادى عشر: على الهادى و ابنه الحسن العسكرى و فى جامعها سرداب الغيبة يقولون ان الامام الثانى عشر غاب فيه سنة ٢٦٤

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٦٣

(٨٧٨ م) و هو القائم المهدي المنتظر الذى سيعود فى آخر الزمان. و يقوم هذان الضريحان فى الموضع المعروف بعسكر المعتمصم. و الى هذا الموضع نسب الامام العاشر فعرف بالعسكرى. و فى أوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين كتب المستوفى، و هو شيعى، ذكر هذه المراقد بوجه خاص و قال ان فى المسجد الجامع القريب من هذه المراقد، فضلا عن منارته العظيمة التى أشرنا اليها، حوضا مشهورا من حجر، يعرف بقصعة فرعون محيطها ثلاث و عشرون خطوة و ارتفاعها سبع أذرع و ثخنها نصف ذراع، قائمة فى صحن الجامع للوضوء. و قد أمر الخليفة المعتمصم بعملها. و زاد المستوفى على ذلك ان معظم سامراء استولى عليها الخراب و لم يبق من المدينة الا قليل. و أيد هذا القول وصف ابن بطوطة له، و قد زار سامراء سنة ٧٣٠ (١٣٣٠ م).

و نذكر بمناسبة ذكر القصعة ان كتاب (الحوادث الجامعة) يذكر فى (الص ٣٠٦) انها حملت سنة ٦٥٣ هـ «من سر من رأى الى بغداد فى كلك، و رفعت تحت دار الخليفة، و كانت عظيمة جدا، فلم تزل الى سنة سبع و خمسين و ست مئة، ثم كسرت». و يعلق الدكتور مصطفى جواد على ذلك بقوله ان هذا الخبر يدل على ان المستوفى لم ير القصعة فى سامراء، بل نقل خبرها لأنها لم تكن باقية فى زمانه.

اما المسترسيون لويد، فيشير الى وجود الضريحين المطهرين اشارة عابرة فى (مدن العراق الأثرية) المشار اليه قبل هذا. فهو يقول: .. و هى تحتوى على ضريح امامين من الأئمة الاثنى عشر، و مزار خاص بالامام الثانى عشر، المهدي، الذى اختفى هنا فى كهف تحت الأرض. و ان الباب الذى يسمى «باب الغيبة»، و الذى ينتظر ان يمر منها ثانية عند ظهوره فى آخر الزمان، محفوظة فى سرداب يقع تحت القبة الذهب الكبرى فى سامراء. و هى نموذج يلفت النظر لأشغال الحفر التى تعود الى القرن الرابع عشر، و قد رمت مؤخرا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٦٤

و تعليقا على ذلك نقول ان هذا الباب قد نقل بعد ذلك الى جناح الآثار العربية من المتحف العراقى الجديد فى بغداد، و ما يزال موجودا فيه. و لا بد لنا من ان نشير كذلك الى ان سرداب الغيبة الذى يعتقد سيتون لويد، و غيره من الكتاب الغربيين مثل هرتسفيلد، انه تحت القبة الذهب الكبرى هو فى الحقيقة تحت القبة الثانية غير المذهبة كما لا يخفى.

و يذكر سيتون لويد علاوة على ذلك ان إحدى أبواب مدينة سامراء القديمة قد أعيد بناؤها و وسعت فجعل منها متحف صغير على الطراز الحديث.

و قد حفظت فيه خرائط و تصاوير سامراء القديمة على ما يقول، مع نماذج من اللقى التى وجدت بين ما عثرت عليه مديرية الآثار القديمة فى تنقيباتها.

سامراء في كتاب دونالدسون

لقد أفرد الدكتور دوايت دونالدسون المبشر الانكليزي الذي عاش في ايران سنين عديدة أربعة فصول غير قصيرة (التاسع عشر و العشرون و الحادى و العشرون و الثانى و العشرون) عن سامراء و الأئمة الأطهار الثلاثة عليهم السلام: على الهادى و الحسن العسكرى و الحجة المهدي.

و بفصله الخاص بسامراء يبدأ بالحديث عن موقعها و بنائها من قبل المعتصم، و عن الجامع الكبير فيها، و استبعاد القادة الأتراك بحكمها، مما سبق ان أتينا على ذكره مرات عدة. ثم يتابع بحثه بالقول ان الخلفاء في سامراء قد اشغلوا أنفسهم ببناء قصر بعد آخر في جانبى دجلة، فكلفهم ذلك شيئا لا يقل عن (٢٠٤) ملايين درهم بعملة تلك الأيام. و يتطرق خلال هذا الى ان شجرة سرو عظيمة اشتهر ذكرها في «الشاهنامه» بكونها كانت قد نمت من غصن موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٦٥

جاء به زرادشت من الجنة، كانت موجودة في قرية كيشمار بالقرب من تورشيز في ايران. و قد زرعها تخليدا لذكرى اعتناق الملك كوستاشب الديانة المجوسية، و صارت الزلازل بوجودها لا تؤثر في تلك القرية بينما كانت تنتاب المنطقة بأسرها بين حين و آخر فتهدمها تهديما. و يذكر القزوينى، على ما يقول دونالدسون، ان الخليفة المتوكل أمر في سنة ٢٤٧ (٨٦١ م) بأن تقطع هذه الشجرة الباسقة و تنقل عبر ايران كلها، فتحمل على ظهور الابل في قسم من المسافة، من أجل ان يستفاد منها في بناء قصره الجديد في سامراء. لكنها حينما وصلت اليها كان المتوكل قد قتل بتحريض من ابنه. و يشير دونالدسون بعد هذا الى ان المستوفى، الميتال للشيعة، يذكر ان المتوكل قد اقتص منه العدل الالهى فقتله ابنه و تهدمت قصوره فغدت خرائب تنعق بها البوم لأنه أوعز بتهديم قبر الحسين عليه السلام في كربلا و منع الزوار من زيارته ردحا من الزمن. كما يذكر ان سامراء لم يبق مسكونا منها حينما زارها سوى قسم قليل جدا.

و هذا القسم المحدود الذى وجده المستوفى مسكونا في القرن الرابع عشر للميلاد، يقارب سامراء المعروفة اليوم في حجمها و اتساعها على ما يقول دونالدسون، و هى التى كانت جزءا من «معسكر المعتصم». و هنا سمح للامام على النقى و ابنه الحسن بالعيش مدة من الزمن، و لذلك سميا بالعسكريين، و هنا دفنا كذلك. و يذكر دونالدسون في الحاشية ان الشهرستانى يقول بأن الامام على النقى (الهادى) عليه السلام مدفون في قم، ثم يعلق على ذلك بقوله ان هذا من قبيل الروايات المغلوطة. و يتابع البحث فيقول ان سامراء هذه تقع على بعد عدة خطوات من جدران جامع الجمعة الكبير، و هذا يتفق مع ما أورده المستوفى من أن ضريح الامام على النقى، حفيد الامام الرضا، و ضريح ابنه الحسن العسكرى يقعان في قبالة الجامع المذكور. و تدل الدراسات الأثرية اليوم على أن سامراء مدينة الخلفاء كانت أوسع من البلدة الحالية بكثير .. كما تدل اللقى الأثرية على ان لها قيمة خاصة لدارسى الفن

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٦٦

الاسلامى في مختلف العصور، لأنها تعود الى الحقبة التى كانت فيها مدينة الخلافة العباسية تشع بنورها على العالم. و فى القسم الباقى من سامراء اختفى الامام المهدي- محمد بن الحسن العسكرى- على ما يقال، و يقول المستوفى ان ذلك وقع في سامراء سنة ٢٦٤ (٨٧٨ م). هذا و أن السماح للطائفة الشيعية بأن تجعل مقرها، بعد سقوط البويهيين، فيما يقرب من الحلة حيث تسنى لهم ان يفاوضوا هولاء-كو خان بعد استيلائه على بغداد للمحافظة على العتبات، قد أدى الى نشوء فكرة ان الامام المنتظر سيظهر في تلك المدينة (الحلة). و الى هذا يعزى ما يلاحظ من ارتباك في رواية ابن بطوطة (١٣٥٥) الذى شاهد مزارين أقيما للامام المهدي:

أحدهما في سامراء و الآخر في الحلة. لكن الحقيقة هى ان «جامع آخر الأئمة» في الحلة يدل على المكان الذى ينتظر ان يظهر فيه، اما مكان اختفائه فهو في قبة ضريحى الإمامين العسكريين (ع) و جانب من الصحن الكبير و قبة الغيبة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٦٧

و تعد مدينة سامراء الحديثة في نظر الشيعة اليوم ذات أهمية فائقة لوجود المشهدين اللذين احتفظ بهما في أحسن حال. و تعلق مشهد الامامين العسكريين القبة الذهب التي بدأ بتشييدها ناصر الدين شاه و أكمل بناءها مظفر الدين شاه سنة ١٩٠٥ و توجد تحت هذه القبة أربعة قبور مطهرة هي: قبرا الامامين علي النقي و ابنه الحسن العسكري، و قبرا السيدتين القريبتين لهما. و إحداهما حليلة أخت الامام علي النقي التي روت الظروف التي أحاطت بولادة الامام الغائب، و الأخرى نرجس خاتون أم الولد المسيحية والدة الامام الذي اختفى في الخامسة (او التاسعة) من عمره. اما المشهد الثاني ففيه المكان الذي اختفى به عن الأنظار، و له قبة تمتاز بدقه تصميمها و زخرفتها بالقاشاني الأزرق.

و يقع تحتها سرداب الغيبة، الذي ينزل اليه الزوار عن طريق سلم طويل خاص.

ثم يورد الدكتور دونالدسون في هذا الفصل ترجمة للزيارة التي يقرأها الزوار عند دخولهم الى سرداب الغيبة، بعد ان يذكر موجزا لآداب الزيارة المعروفة، و يستغرق ذلك ما يقارب الأربع صفحات، و قد جاء بذلك نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية، تحت كلمة «الاثنا عشرية».

و في مستهل الفصل الذي يتكلم فيه علي الامام الهادي عليه السلام يستطرد دونالدسون بمقدمة تاريخية يقول فيها ان النصف الأول من القرن التاسع للميلاد خضعت فيه روما و القسطنطينية و بغداد الى طغيان العناصر الأجنبية عليها .. و قد اضطر ثيوفيل (٨٢٩-٨٤٢) الى الاحتفاظ بسطوته، و المجازفة بامبراطوريته، باستخدام جيوش إيرانية و أرمنية. و على الشاكلة نفسها اضطر المأمون و المعتصم و اخلافهما الأقربون، في بغداد، الى أن يضعوا جل اعتمادهم على جيوش تركية مستأجرة خلال الحقبة نفسها خوفا من مؤامرات العناصر موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٦٨

الاسلامية المتخاصمة. و لأجل ان يزيدوا في السلامة و الأمان أسسوا مدينة عسكرية جديدة في سامراء، على بعد ستين ميلا من شمال بغداد، و جعلوا مقرهم فيها. و لكن ما مر وقت طويل على هذا حتى أخذ القادة الأتراك، الذين استطاعوا القضاء على ثورات اسلامية عديدة، ان يملوا ارادتهم على الخلفاء و أصبحوا الحكام الحقيقيين في البلاد، بينما بقي الخلفاء أنفسهم ألعوبة في «سجن» المدينة التي أنشأوها. و في مثل هذا الوقت الذي كانت السلطة الاسلامية تنتقل فيه بسرعة الى أيدي الأتراك ولد الامام العاشر، علي النقي، و عاش.

الأمام الهادي عليه السلام

لقد عنون الدكتور دونالدسون هذا الفصل بعنوان «علي النقي، السجين لعشرين سنة». و بعد المقدمة السابقة، يتابع بحثه عن الامام و يقول ان سنة ميلاده مختلف فيها، فهي اما سنة ٨٢٧ او سنة ٨٢٩، و اذا اعتبرنا ان ولادته كانت في ٨٢٧ م فيكون قد تجاوز سبع سنوات من عمره حينما توفي والده. و كانت أمه علي ما يقول الرواة أم ولد تدعى سمانة المغربية، لكن صاحب «المشكاة» يذكر أن اسمها سوسن و أنها كانت تسمى درة المغربية، مما يدل على أنها كانت من أسرى إحدى الأمم المسيحية.

و حينما شب الامام و ترعرع عاش في المدينة و أشغل نفسه بالتعليم و التعبد. فصار يجتذب الناس اليه باعداد كبيرة تدريجيا، و لا سيما من الأقاليم التي كان يكثر فيها شيعة آل البيت مثل العراق و إيران و مصر.

و في خلال السبع او الثمان سنوات التي بقيت من خلافة المعتصم بعد وفاة الامام محمد الجواد، و في طوال السنوات الخمس التي تولى فيها الخليفة الواثق من بعده ليس هناك ما يدل على أن الامام قد مسه أحد بسوء أو اعتدى عليه. و من الأحاديث التي تنسب روايتها له، و كان قد كتب

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٦٩

في «الصحيفة» بخط علي بن ابي طالب و أملاء رسول الله، و توارثته الأئمة جيلا بعد جيل، ان الرسول عليه الصلاة و السلام كان قد

حدد الأيمان و وصفه بكونه موجودا في قلوب الرجال، و ان أعمالهم تنم عليه.

على أن خلافة المتوكل ما أن بدأت حتى حدث في أثنائها رد فعل بارز ضد حرية الرأي و التفكير، و وضعت الخطأ لاضطهاد منظم ضد المعتزلة و الشيعة و لم يسلم منه سوى السنة الأفحاح. و في سنة ٨٥١ م، حينما كان الأمام في الخامسة و العشرين من عمره، أمر المتوكل بحظر الزيارة لضريحي الأمامين على و الحسين عليهما السلام. و في ذلك العهد نقض المشهد الحسيني المطهر و دمر عن آخره.

و في هذا العهد كذلك أصبح الخليفة ينظر الى الأمام الشاب بعين الشك و الارتياب. غير ان الأمام استطاع ذات يوم ان ينقذ نفسه، على ما يقول المسعودي، بجواب بارع أجاب به عليه السلام المتوكل حينما وجه له سؤالاً محرجا. فقد سأله «ماذا يقول المتحذرون من نسل أبيك بالعباس بن عبد المطلب؟» فرد عليه الأمام يقول «ماذا يقول المتحذرون من صلب ابي، يا أمير المؤمنين، في رجل أمر الله الناس بأطاعة أولاده:

و ينتظر من أولاده ان يطيعوا الله؟» فسر الخليفة من هذا الجواب و أمر بأن يعطى الأمام مئة ألف درهم.

و يروى المسعودي بالمناسبة نفسها حادثة أخرى اوردها المبرد في الأصل، و ذكرها ابن خلكان في وصفه للأمام على النقي. و هي أن الأمام قد سعى به عند المتوكل، و قيل: إن في منزله سلاحا و كتبا و غيرها من شيعة. و أوهموه أنه يطلب الأمر لنفسه: فوجه اليه بعدة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٧٠

من الأتراك ليلا، فهجموا عليه في منزله على غفلة، فوجدوه وحده في بيت مغلق، و عليه مدرعة من شعر، و على رأسه ملحفة من صوف، و هو مستقبل القبلة، يترنم بآيات من القرآن في الوعد و الوعيد، ليس بينه و بين الأرض بساط الا الرمل و الحصى. فأخذ على الصورة التي وجد عليها، و حمل الى المتوكل في جوف الليل. فمثل بين يديه، و المتوكل يستعمل الشراب، و في يده كأس. فلما رآه أعظمه و أجلسه الى جانبه.

و قيل له: لم يكن في منزله شيء مما قيل عنه، و لا حباله يتعلق عليه بها.

فناوله المتوكل الكأس التي كانت بيده فقال: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي و دمي قط، فاعفني فأعفاه.

و قال له: - أنشدني شعرا استحسنته.

فقال:- أنى لقليل الرواية للشعر.

قال:- لا بد ان تشدني، فانشده:

باتوا على قلل الأجمال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل

و استنزلوا بعد عز من معاقلهم فاودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا

ناداهم صائح من بعد ما قبروا اين الأسرة و التيجان و الحلل

أين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الاستار و الكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طال ما أكلوا دهرا و ما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

قال:- فأشفق من حضر على عليّ، رضى الله عنه. و ظن ان بادرة تبدر اليه. فبكى المتوكل بكاء شديدا حتى بلت دموعه لحيته، و بكى

من حضر. ثم أمر برفع الشراب.

ثم قال:- عليك يا أبا الحسن دين؟

قال:- نعم أربعة آلاف دينار.

فأمر بدفعها اليه، و رده الى منزله مكرما.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٧١

هذا و ينقل عن يحيى بن هرثمة، قائد الحرس، انه روى كيفية إيفاده الى المدينة للأتيان بالأمام الى سامراء على الوجه التالي، قال: بعثني الخليفة المتوكل الى المدينة و أمرني بأن آتى بعلى بن محمد ليحجب على بعض الاتهامات التي اتهم بها. و حينما وصلت الى بيته تعالى النحيب و العويل بشكل لم أسمع مثله مطلقا من قبل. فحاولت تهدئتهم و أكدت لهم بأننى لم أتلق أى أمر ينطوى على إيذائه أو المس به. و عند ما فتشت الدار التي كان يعيش فيها لم أجد سوى قرآن، و كتب للأدعية و ما أشبه. و لذلك عرضت عليه خدماتي حينما أخذته و أبديت له غاية الاحترام.

و قد حدث ذات يوم خلال الرحلة، حينما كانت السماء صافية و الشمس على وشك الطلوع، ان وضع على عباة على رأسه بينما كان يمتطي صهوة جواده و عقد ذيل الحيوان. فتعجبت من ذلك، غير أننا ما عتمنا حتى رأينا غمامة تتوسط السماء، ثم أخذت تصب مدرارا من مطرها. و عند ذاك التفت إلى على و قال «أنى أعلم بأنك لم تفهم ما رأيتنى أفعله، و أنك تتصور بأنى كان عندى معرفة خارقة بهذا الأمر. ان الأمر ليس كما تظن، لكننى كنت قد نشأت فى البادية و أصبحت على علم تام بالرياح التي تسبق هطول المطر. و قد هب الريح هذا الصباح بصورة لم تجعل مجالا للشك، و شممت رائحة المطر فتهيأت له.»

ثم يتابع هرثمة سرد القصة فيقول: و عند وصولنا الى بغداد كانت زيارتنا الأولى لأسحق بن ابراهيم الطاهري الذي كان حاكما فيها. فقال لى «أعلم يا ابا يحيى ان هذا الرجل هو ابن رسول الله، و انت تعرف المتوكل و يمكنك ان تؤثر عليه، فإذا ما حرضته على قتل هذا الرجل فسيعاديك الرسول.» فأجبت بأننى لم أجد فى سلوك على غير ما يستحق الثناء و الأطراء بالكلية. ثم ذهبت الى سامراء حيث واجهت وصيفا القائد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٧٢

التركي، لأننى كنت من أصدقائه المقربين. فقال لى «أقسم بالله اذا مسّت شعرة واحدة فى رأس هذا الرجل، فسأطالب انا بحقه.» و قد عجبت بعض العجب لموقف هؤلاء الناس من على، و حينما أخبرت المتوكل بما سمعت من ضروب الثناء على الأمام قدم له هدية ثمينة، و عامله بكل احترام و تقدير.

.. و مع هذا فنظرا للأخبار العديدة الأخرى التي كانت تصل الى الخليفة عن ولاء الأمام الهادى فقد بقى أسيرا فى سامراء. و كانت هذه المدينة تسمى «العسكر» فى بادىء الأمر لأن المعتمصم كان قد بناها لتكون معسكرا لجنده فى خارج بغداد، و لذلك كان يسمى الأمام على النقى أحيانا «العسكرى» بالنظر للعشرين السنة التي قضاها أسيرا فى مدينة الجيش.

و يقول دونالدسون ان هناك ما يدل على ان الامام على النقى كان يسمح له بشىء من الحرية فى اثناء حياته فى سامراء، فقد كان يلتقى بأصدقائه، و يخرج راكبا الى خارج المدينة ثم يعود اليها، و يحضر فى مجلس الخليفة. و كانت له داره الخاصة به ايضا، لكن الجواسيس كانوا يترصدون حركاته و يراقبونه مراقبة دقيقة. و قد قيل ان المتوكل أصدر أمره فى الأخير بقتله .. فدعا الى مجلسه، ثم أوصى أربعة من خدامه بأن يسولوا سيوفهم و ينتظروا اشارة منه بقتل الأمام عند ما يخرج.

و حينما خرج الامام من مجلس الخليفة و تقرب من أولئك الخدم أسقط بيدهم و لم يتم قتله.

و بعد ذلك بمدة و جيزة تمرض المتوكل بظهور خراج كبير. فى جسمه بحيث لم يعد يستطيع الجلوس و لا النهوض و قد أراد أطباؤه أن يشقوا الخراج بالمبضع لكنه لم يقرهم على ذلك، و لم تجد نفعا وسائل العلاج الأخرى. لكن أم المتوكل بعثت تطلب مشورة الأمام سرىا بذلك، فأوصى عليه السلام باستعمال «لزقة» خاصة ضحك عليها الأطباء. غير ان الفتح بن خاقان أوصى بتجربتها على كل حال، فتم الأمر و انفجر الخراج

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٧٣

فشفى الخليفة.

وقد قتل المتوكل في سنة ٨٦١ على يد الأتراك المرتزقة الذين استطاعوا ان يسيطروا على شؤون الخلافة في سامراء، و توفي ابنه المنتصر بعد سنة، ثم حكم المستعين بعده ثلاث سنوات حتى قتل في ٨٦٥. لكن الأمام الهادي عليه السلام بقي يعيش أسيرا مبعولا في سامراء. وقد أطنب مؤرخو الشيعة، على ما يقول دونالدسون، في ذكر مزاياه الحميدة، و لو أردنا أن نضع الزلفى المبالغ فيها جانبا يبدو أنه كان رجلا- رزينا حسن الطبع، طيب الخلق، عانى كثيرا من كره المتوكل له في جميع الأيام، لكنه مع ذلك حافظ على هيئته و وقاره، و أبدى كثيرا من الصبر .

و يختم دونالدسون فصله عن الأمام عليه السلام بقوله ان يعقوبى يقول أنه توفي بصورة غامضة في اليوم السادس او السابع و العشرين من جمادى الأخرى سنة ٢٥٤ (٨٦٨ م)، فانتدب المعتز أخاه أحمد بن المتوكل ليصلى عليه في محلة «أبى أحمد». لكن الناس حينما تجمعوا حصل كثير من الضوضاء و الجلبة فنقل التابوت الى بيته حيث دفن في فناءه. و كان قد وصل الى الأربعين من عمره، و خلف ابنين اثنين هما الحسن و جعفر.

أما الدكتور جون هولستر ، المشار اليه في معظم الأجزاء السابقة من هذه الموسوعة، فيذكر جميع ما أورده دونالدسون عن الأمام الهادي تقريبا. لكنه يذكر بالأضافة الى ذلك أنه كان يبلغ السنة السادسة أو الثامنة من عمره حينما توفي والده، و لذلك كان الأمام «الصغير» بين الأئمة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٧٤

الأثنى عشر عليه السلام. كما يذكر عنه انه مات مسموما، و يرجح ان ذلك تم في أيام الخليفة المعتز، و ان الذى صلى عليه و تولى مراسيم دفنه ابنه الحسن العسكرى عليه السلام. و يستند فى روايته على كتاب عساف فيضى الهندى.

الحسن العسكرى عليه السلام

إن أهم المراجع الغربية التى تأتى على ذكر الأمام العسكرى عليه السلام، كتاب دونالدسون (عقايد الشيعة) و كتاب هولستر (شيعة الهند) المار ذكرهما. فى الفصل الذى يفرده دونالدسون لهذا الغرض (الفصل ٢٠، الص ٢١٧-٢٢٥) يقول ان هناك شكاً فى المكان الذى ولد فيه الأمام الحادى عشر، فمن المؤرخين من يقول انه ولد فى المدينة المنورة و منهم من يقول انه ولد فى سامراء. و تختلف الروايات كذلك فى السنة التى ولد فيها بين سنتى ٢٣٠ و ٢٣١ أو ٢٣٢ للهجرة. فيقول الكلينى (الأصول الكافى) انه ولد سنة ٢٣٢ لكنه لم يعين المكان الذى ولد فيه.

اما العلامة المجلسى فقد ذكر فى الجزء الثانى عشر من (بحار الأنوار) عدة آراء فى هذا الشأن من دون ان يلقى ضوء على الموضوع. على اننا نعلم ان الأمام الهادى عليه السلام لم يؤخذ أسيرا الى سامراء الا فى سنة ٢٣٤ هـ، و لذلك فأن أسرته كانت حتى ذلك الوقت فى المدينة التى يحتمل جدا أن يكون ابنه الحسن قد ولد فيها. و كانت أمه، مثل أمهات معظم الأئمة الآخرين، أمه من الأمام تشرفت بعد إنجابها أطفالا لسيدتها باللقب الخاص «ام ولد». و كان اسمها حديثا، لكن أناسا كثيرين يقولون انها كانت تسمى سوسنا، أو غزاة، أو سليلا، او حربتا. و نقول تعليقا على هذا ان المراجع العربية تجعل بعض أسمائها هذه حديثة بدلا من حديث، موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٧٥

و حربية بدلا من حربتا، و غزل المغربية بدلا من غزاة.

ثم يتابع دونالدسون بحته عن الأمام الحسن فيقول انه كان يلقب بالصامت، و الهادى، و الرفيق، و الذكى، و النقى. لكن اللقب الذى غلب عليه هو «العسكرى»، لأنه عاش فى مدينة الجيش بسامراء. اما كنيته فهى «أبو محمد». و حينما بلغ الثانية من عمره (او الثالثة أو الرابعة) حامت الشكوك حول والده الامام على الهادى، و تصور المتوكل انه يشترك فى مؤمرات تحاك ضده، فجىء به أسيرا الى سامراء. و لما كان قد رخص له بالعيش فى بيت خاص به فقد سمح لأسرته الكريمة بأن تأتى الى سامراء كذلك. و هناك شب الفتى

وخصص القسم الأعظم من وقته للدراسة وطلب العلم. وبالإضافة إلى الدراسات الاعتيادية التي كانت مطلوبة من الأولاد المسلمين عن القرآن و الشريعة و ما أشبهه، فإن الأمام العسكري ربما كان منشغلا أيضا لدرجة ما يتعلم اللغات، لأن من الأمور اللافتة للنظر التي لوحظت عليه في السنين الأخيرة انه كان يستطيع التكلم بالهندي مع المسلمين القادمين من الهند، و التركية مع الأتراك، و الإيرانية مع الأيرانيين (نقل دونالدسون هذا عن خلاصة الأخبار). و كثيرا ما كان يسمى هو و أبوه وحده بأسم «ابن الرضا» من دون ان يلقب بالأمام، لأن طائفة كبيرة من الطوائف الشيعية كانت تعتقد ان الأمامة تقف في الأمام الرضا عليه السلام و لا تستمر في سلالته من بعده، و هؤلاء كان يطلق عليهم «الواقفية».

و مما يروى عن الامام و قد كان في السابعة أو الثامنة عشرة من عمره، في خلافة المستعين، أنه استطاع أن يركب بغلة مشاكسة كانت تعود للخليفة من دون أن يجد صعوبة، و قد شاع يومذاك ان الخليفة كان ينتظر و هو جازم ان تلك البغلة ستقضى عليه، لكن الأمام أبدى مقدرة تامة في السيطرة عليها بخلاف ما كان يريد صاحبها الخليفة.

و على عادة الدكتور دونالدسون، الذي يتسقط فيها الهفوات و يجمع

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٧٦

الخرافات و الأقوال الغريبة ليفسرها كما يريد و يهوى، فانه يقول مدعيا الاستناد الى كتاب يسمى (عقائد الشيعة) لمؤلف يدعى حاجي مرزا عكاسي (مطبوع بالحجر في مشهد خراسان سنة ١٨٧٩) ان الأمام العسكري لم تكن له زوجة شرعية، و ان إحدى جواريه التي انجبت له ابنه الأمام الحجة القائم كانت نرجس خاتون ابنة يشوع بن امبراطور الروم. و لم يكن للأمام عليه السلام سوى الحجة القائم و ابنة أخرى. ثم يذكر دونالدسون ان قصة نرجس خاتون و كونها أميرة من أميرات الروم ربما تكون قد وضعت لتؤكد على نبل الأمام من جميع الجهات، لكنه لم يكن من المستبعد انها كانت من بين الأسرى المأسورات من جهات الامبراطورية البيزنطية، اللواتي جيء بهن الى أسواق النخاسة جاريات في بيوت عليه القوم من المسلمين.

و يروى دونالدسون كذلك عددا من المعجزات المنسوبة الى الأمام مثل قصته مع الشحاذ الذي أقسم بأنه لا يملك شروى نقيير بينما كان يخبىء في بيته مئتي دينار، و حديثه مع الرجل الذي زاره فتذكر بأنه قد أضع خمسين دينارا فدله الأمام على مكانها، و قصته الأخرى عن السجادة التي جلس عليها أحد زواره فكانت سجادة جلس عليها الأنبياء جميعهم من قبل. الى غير ذلك مما يلتقطه من اخبار و روايات خارجة عن حيز التاريخ.

و ينتهي الفصل الخاص بالأمام العسكري (ع) بقوله ان اهم ما كان يزعجه به الخليفة في السنوات الأربع أو الخمس الأخيرة من حياته الشريفة انه منع عنه «الخمسة» الذي كان من المعتاد ان يسلم الى آل البيت النبوي الكريم. ثم يقول ان المراجع تجمع على ان الأمام أبا محمد الحسن العسكري قد توفي في بيته بسامراء سنة ٢٦٠ للهجرة، و هناك دفن الى جنب والده.

و تقول الكتب الشيعية مثل كتاب (تذكرة الأئمة) و كتاب (عقائد الشيعة) انه توفي بالسم الذي دسه له المعتمد العباسي.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٧٧

اما الدكتور هولستر فيورد النقاط التي تطرق اليها دونالدسون بشكل أوضح، و لا يتوسع في ذكر المعجزات و الكرامات و ما أشبه مما أورده دونالدسون ضمن حوادث التاريخ معتمدا فيه على الروايات و الاخبار التي تجافى سرد التاريخ و يقول ان الأمام العسكري تولى مسؤوليات الأمامة و هو في الثانية أو الثالثة و العشرين من عمره، فكان أكثر نضجا مما كان عليه أبوه و جده حينما توليا تلك المسؤولية .. و يبدو ان عزله عن الناس كان يتبع بشيء أكثر من الصرامة التي كان يعامل بها أبوه، و كان يتضح من ذلك ان خلفاء بني العباس كانوا يرغبون في التخلص منه. و للبرهنة على هذا يورد هولستر قصة البغلة الجموحة، و غيرها.

و بعد ان يشير الى قصة تزويجه بالسيدة نرجس خاتون المار ذكرها كذلك، يذكر أن الأمام الحسن منع من مقابلة الناس و أبقى في عزلة شاملة لوحده مدة من الزمن. و لما كان لم ينجب أي ولد و حتى ذلك الحين فقد كان اعداؤه يطمعون في ان يقطع نسل الأئمة

الأطهار. ولأجل إخضاعه الى الرقابة الشديدة التامة كان سجنه في ذلك الوقت عبارة عن غرفة في القسم الأسفل من القصر الملكي، ولم يسمح له بأن يبقى زوجته المفضلة معه. و كان لتلك الغرفة باب فقط، و لم يكن فيها أى شباك يمكن ان يدخل منه النور و الهواء. و قد سجن فيها سنتين، و مع أنه كان شابا في الرابعة و العشرين من عمره فقد خرج من السجن و هو يبدو كأنه رجل مسن قد ناهز السبعين. لكنه تحمل كل ذلك الأذى و العذاب بطمأنينة و هدوء .

و قد اطلق المعتمد سراحه بعد ذلك و سمح له بالعودة الى بيته. و صار يراقب مراقباً دقيقه من دون ان يكتشف عنه أى نوع من الخيانة، على موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٧٨
ما يقول هولستر. و بعد ذلك قطع عنه الخليفة «الخمس» .. فوق الأمام في ضائقة شديدة من جراء ذلك، لكنه لم يفقد شخصيته و اتزانه.

فتوفى في سامراء سنة ٢٦٠ هـ. و قد حصلت ضوضاء و صخب في البلد حينما سرت أنباء وفاته فيه لكن الأمور عادت الى الهدوء حينما انضم الى موكب التشيع رجال الدولة و كبار بنى هاشم. فدفن الأمام الحسن بالقرب من قبر والده في سامراء. و كانت قد اشتركت في التشيع كذلك جموع غفيرة من الناس، و خيم الحزن في كل مكان. و لما كانت الحاجة للتقية و التمسك بها قد انتفت بوفاته فقد عبر الناس عن حزنهم العميق يومذاك بكل صراحة.

و يقول هولستر بعد ذلك أن أخاه جعفرا قد حظى بالتفات خاص من السلطة و غيرها بعد وفاة الأمام. و كانت بعض الأوساط تعترف به من قبل بدلا من ان تعترف بالأمام الحسن، او ابنه، لكن الأثنا عشرية يسمونه «الكذاب». و هناك جماعة أخرى يسمون أنفسهم «الجعفرية» كانوا ينكرون وجود ابن للأمام الحسن و يعترفون بجعفر الكذاب هذا خليفة له، بينما كان آخرون يقولون ان الأمامة تنتهى بالحسن العسكري نفسه.

و هنا يذكر هولستر ان المستر كانن سيل صاحب كتاب (الأثنا عشرية)، بعد ان يتطرق الى أصل الشيعة النصيرية يقول: .. و هناك تفسير آخر على جانب أكبر من الاحتمال ينض على أن اسمهم - النصيرية - الحالى ينسب الى محمد بن نصير من وكلاء الأمام الحادى عشر الحسن العسكري.

و يقول ماسنيون المستشرق الفرنسى ان محمدا هذا كان يسمى نفسه «باب» الأمام العاشر على النقى، و ابنه الكبير محمد الذى مات قبله في ٢٩٤ هـ. و بهذا يفرق المستر سيل بين النصيرية و الاسماعيليه، و قد ازدادت الشقة بعدا بين هذين الفريقين بمحاولة الاسماعيليه الاستيلاء على النصيرية في منطقتهم بسورية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٧٩

الأمام المهدي المنتظر

لقد كتب عن الأمام المهدي ابى القاسم عليه السّلام عدد غير يسير من كتاب الغرب، و لا سيما عند البحث عن المهدي و المهديوه بوجه عام.

لكننا سنتقصد هنا على ايراد شيء مما كتبه هولستر في كتاب (شيعة الهند) و دونالدسون في كتاب (عقيدة الشيعة) المار ذكره. و يبدأ الدكتور هولستر بالقول ان رأى الجعفرية الذين يصرون على ان الأمام الحسن العسكري لم يكن له ولد، يشاركهم فيه عدد من الباحثين في موضوع الهرطقة. فيشير ابن حزم مثلا الى اختلاف الآراء في هذا الامام و يلخصها في الآتي: (١) أنه ولد في السنة التي توفي فيها أبوه.

و (٢) أنه ولد بعد ان توفي والده. و (٣) انه كان في الخامسة من عمره حينما انتقل والده الأمام الى دار الخلود. (٤) هناك أخبار متناقضة عن تكون أم الولد نفسه.

ثم يقول: ولا تعتمد عقيدة الأثنى عشرية على عدم تصديق السنة أو غير المسلمين، لهذا الرأي. لكنه يبدو ان شخصية الأمام الثاني عشر، والآراء التي تكونت بشأنه، تعتبر من أساسيات العقائد الشيعية.

ثم يقول هولستر ان الأمام المهدي ولد في سامراء سنة ٢٥٥ هـ.

وخلف والده في الإمامة سنة ٢٦٠ هـ، وبذلك يكون قد بلغ الخامسة من عمره حينما توفي والده. وكانت امه نرجس خاتون أمه من أهل الغرب. ويقول الحلبي عنه انه أفضل الأئمة جميعهم، كما تروى الروايات عددا من المعجزات عن ولادته.. وقد أخفاه أبوه الأمام العسكري، خلال السنين الأولى من سني حياته، عن الناس عدا الأصدقاء الأخصاء خوفا عليه من الخليفة الذي قد يعمد الى القضاء عليه اذا ما سمع بالظروف

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٨٠

التي صحبت ولادته. غير انه بعد ان توفي والده وأصبح اماما بعده، اختفى عن الأنظار ودخل الغيبة. و يروى هولستر هنا عددا من الروايات التي يستمدتها من الاخبار وليس من التاريخ.

وتقول احدي الروايات ان الامام المهدي اختفى من سرداب في سامراء، و يروى ابن بطوطة في رحلته انه كان قد وجد خياله من الجنود تقف في مدخل هذا السرداب. ويبدو ان هذه الرواية شائعة القبول بين الناس، و لذلك يدل أحد المزارين الموجودين في سامراء اليوم على المكان الذي قيل انه حصلت فيه الغيبة. إذ يوجد تحت القبة السرداب الذي يعتقد بأن الأمام الفتى قد غاب فيه. و تعتبر زيارته عن طريق سلم طويل مؤد اليه من الزيارات المعروفة بالكثير من الأجر والثواب.

و كان يمثل الأمام خلال «الغيبة الصغرى» التي امتدت الى ما يقرب من سبعين سنة أربعة وكلاء، وهم: عثمان بن سعيد، و أبو جعفر محمد، و ابو القاسم الحسين بن روح، و على بن محمد السمرى. و كان عثمان بن سعيد قد خدم الأمامين الأخيرين سكرتيرا و أمينا للصندوق، كما كان مسؤولا في الحقيقة عن ممتلكاتها. و قد رشحه الحسن العسكري ليكون وكيله، و سمح لجماعة من أتباعه حينما جاءوا يسألون عن الأمام من بعده بأن يروا الأمام الفتى محمدا بأنفسهم، ثم قال لهم بأنهم لن يستطيعوا رؤيته مرة أخرى حتى يكون قد تقدم كثيرا في العمر.

و أخبرهم بعد ذلك بأنهم يجب ان يقبلوا خلال هذه المدة ما يقول لهم عنه عثمان بن سعيد لأنه وكيله. و كان كل وكيل يسمى من سيخلفه في الأمر، كما كان كل منهم يدير مصالح الأمام و شؤونه، و ينقل الى رؤساء موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٨١ الطائفة الأثنى عشرية رسائل الأمام السريه. و ما حلت نهاية العهد الذي اشتغل فيه الوكيل الرابع على بن محمد حتى كان الاضطهاد قد ادى الى تفرق الطائفة و أفرادها شذر مذر بحيث لم يبق على قيد الحياة من كان قد رأى الأمام بأمره من قبل. و قد امتنع الوكيل الأخير عن تسميته من يخلفه او ينوب عنه فقال «ان الأمر قد أصبح بيد الله»، و قد عرفت الحقبة المبتدئة بذلك العهد ب «الغيبة الكبرى».

و قد كان الأمام المهدي (ع) طوال أيام الغيبة الصغرى يظهر بين حين و آخر للمخلصين المقربين من أتباعه، لكنه كان يتصل بالجميع عن طريق الوكيل. حتى يظهر في آخر الزمان. و قد يظهر في مكة مع الحجاج في أيام العيد الأضحى من دون أن يعرفه أحد الى غير ذلك من المعتقدات.

هذا و هناك أشياء أخرى عن الأمام الحجة ينقلها الدكتور هولستر عن عدد من كتاب الهند المسلمين، تختص بالرجعة أو ظهور المهدي في آخر الزمان و ما أشبهه. كما يبحث في مزايا اعتقاد الشيعة الأثنى عشرية بهذه العقيدة، و فوائدها في حياتهم اليومية و الدينية. ثم يختم البحث بالإشارة الى أن كلمتي «المنتظر» و «القائم» تدلان بطبيعة الحال على مقدار الأمل الذي يخالغ نفوس الشيعة في عقيدتهم هذه.

اما دونالدسون فيبدأ الفصل الذي خصصه للكتابة عن الأمام المهدي بالمقارنة بين فكرة «المهدي» عند أهل السنة، و ما يعتقد الشيعة

بالنسبة لها. ثم يقول انه من المحتمل جدا ان يكون الفشل المحزن، الذي منيت به الأباطورية المسلمة، في تحقيق العدالة و المساواة بين الناس على عهد الخلافة الأموية (٤١- ١٣٢ هـ) قد تكون له علاقة بنشوء فكرة ان رجلا رشيدا من بين المسلمين سيظهره الله في آخر الزمان لهذا الغرض.

و الحقيقة ان كلمة «المهدي» كانت قد نشأت بعد اغتيال الأمام على (ع) قتل ابنه الحسين، و ما أعقب ذلك من فظائع الحروب الأهلية التي نشبت و بين العرب، حين أطلقت في سنة ٦٦ للهجرة على الأمام محمد بن الحنفية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٨٢

فقد سمي يومذاك «المهدي بن الوصي» و حينما توفي دفن في جبل رضوى، و صار أتباعه ينتظرون عودته من هذا الجبل، و بذلك أصبح «المهدي المنتظر» ... و نظرا لأن القرآن ليس فيه ما يبرر حقيقة هذه الآمال، فقد كان من الضروري ان تدعم بروايات و أحاديث تؤكد وجودها. على ان ابن خلدون قد شكك في صحة ما روى من الأحاديث في هذا الشأن، و استند في ذلك الى عدم ذكره في صحيح البخاري و مسلم، و شك في اعتماد الترمذي و أبي داود على عاصم. و لذلك لم يتطلب علماء السنة و جوب إدخال فكرة «ظهور المهدي» في عقائدهم.

على أن علماء الشيعة من جهة أخرى يعتبرون انتظارهم لظهور المهدي شيئا أساسيا في عقائدهم. فهم يذهبون الى ان الآيات القرآنية التي تعبر عن فكرة الهداية الألهية يجب ان ينظر في علاقتها بالأئمة بتصرف، و يؤكدون بصورة خاصة على الآية «وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ». و قد زعم الكليني و غيره من علماء الشيعة، بالاستناد الى أحاديث مروية عن الأمام الصادق و الأمام الباقر عليهما السلام، ان كلمة أمة في هذه الآية تعني الأئمة من آل بيت النبي. و هناك حديث عن الأمام على يقول فيه «ان هذه الأمة ستقسم الى ثلاثة و سبعين فرقة، اثنتان و سبعون منها في جهنم و واحدة في الجنة.» و هناك عدة آيات تشير مباشرة الى القيامة. و إن الإشارة الى «القائم» في يوم القيامة خلال الآية «أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» يقصد بها المهدي.

لكن الشيعة يعتبرون القرآن أيضا ليس فيه وضح كاف في الموضوع، و ان ما ينقصه في هذا الباب تكمله الاحاديث الموثوقة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٨٣

ثم يذكر دونالدسون ان الأمام الثاني عشر، الذي كان يسمى صاحب الزمان، يقال انه ولد في سامراء سنة ٢٥٥ او ٢٥٦ هـ. و يدل هذا على أنه ولد قبل وفاة والده الحسن العسكري بأربع أو خمس سنوات. ثم يحاول هذا المؤلف التشكيك في إمكان تطبيق ما ورد من أحاديث نبوية و غيرها بشأن «المهدي» على ولادة الأمام الحجّة، مما لم نجد موجبا لا يراده هنا لانه خارج عن العرض التاريخي.

و يذكر بعد ذلك ان ابن خادم من خدام الحسن العسكري (ع) يروي قائلا: .. ان الحسن عليه السلام حينما ولد الأمام بعث يطلب والده، و أوصاه بتوزيع عشرة آلاف رطل من الخبز و عشرة آلاف رطل من اللحم على بني هاشم و غيرهم في سامراء، و ان يذبح عددا من الأغنام لهذا الغرض. و يذكر كذلك ما روته نسيم و مارية، خادمتا الحسن العسكري عن ولادة المهدي عليه السلام و ما رافق ذلك من كرامات و معجزات كما يروي مثل هذا عن عمته حليمة.

و يشير دونالدسون بعد هذا الى ان المهدي عليه السلام قد أعلنت أمامته قبيل وفاة والده. فقد أخبر رجل يدعى اسماعيل انه عاد الأمام الحسن في مرضه الأخير و جلس بقربه. فسمعه يطلب من عقيد خادمه بأن يحضر له شيئا من سائل المستكى، لكن والده صاحب الزمان سرعان ما جاءت بالأثناء و وضعته في يد الحسن. غير ان يده ارتعشت حينما حاول ان يشرب شيئا منه فارتطم الأثناء بأسنانه. و عند ذاك وضعه جانبا و طلب من خادمه عقيد ان يذهب الى الغرفة و يخبر الطفل الذي كان يصلي فيها بالمجيء اليه. و بعد ان انتهى من صلاته جاءت أمه و أخذت بيده فأتت به الى والده. و حينما حضر عند والده كانت سيماء الطفل النبيل تضيء و تزهو، و كان شعره جعدا، و قد ابتسم فبانت اسنانه. و قد بكى الوالد المحتضر عند ما وقع نظره عليه و قال له: يا سيد أهل بيته أعطني شربة فأني ذاهب الى خالقي و بارئى يوم القيامة. فأخذ الطفل ماء المستكى،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٨٤

و قرأ عليه، ثم سلمه لوالده. وعند ما شربه قال جهزني للصلاة، فأخذ صاحب الزمان منشفة مسح بها وجه والده و رأسه و قدميه للوضوء. و عند ذاك خاطب الإمام المحتضر ابنه بقوله: طفلي العزيز، انت صاحب الزمان، أنت المهدي، أنت آية في أرضه. أي طفلي و وصيي، أنت محمد ابني و ابن الرسول، انت خاتم الأئمة. لقد أخبر رسول الله عنك، و ذكر اسمك و كنيته. و هذا هو عهد أبائي قد جاء الي .. و في تلك اللحظة توفي الإمام العسكري عليه السلام.

و يبدو ان الإمام الفتى قد اختفى و بدأت غيبته فيما يقرب من ذلك الوقت. و قد جاء في (جنات الخلود) انه اختفى في بيته الذي ورثه من ابيه بسامراء في سرداب يتم الوصول اليه بعدد من الدرجات. و كان ذلك هو المكان الذي كان يختفى فيه هو و والده بعيدا عن عبث الطغاة حينما كانا ينصرفان الى العبادة. و كان حينما بدأت غيبته في السادسة، او السابعة، او التاسعة، من عمره مع عدد من الأشهر و الأيام. و يقول دونالدسون ان صاحب (عقائد الشيعة) لا يذكر كيفية اختفاء الإمام لكنه يقول ان قول البعض بأنه لم يكن قد ولد يومذاك، أو أنه مات في أيام والده، هو قول باطل. فمن الضروري الاعتقاد بأنه ولد و عاش، و لكن في الغيبة، و انه سوف يظهر في آخر الزمان.

و يقول دونالدسون كذلك، ان فكرة بقاءه على قيد الحياة، و اختفائه بصورة غامضة في وقت يقرب من الوقت الذي توفي فيه والده، تؤيد ما تروييه الأخبار عن عودته الى الظهور في مناسبات عدة، و لا سيما في ماتم والده و عند الدفاع عن حقوقه وقت توزيع التركة. فتقول الأخبار مثلا ان عمه جعفرا الكذاب حينما كان يوشك ان يصلى على جنازة أخيه ظهر طفل و سيم جعد الشعر لماع الأسنان و أمسك برداء عمه، فأصر على ان يصلى هو نفسه عليها.

و حينما ادعى جعفر كذبا بالميراث ظهر صاحب الزمان بقرب البيت و سأله

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٨٥

قائلا: لماذا تدعى بحقوقي؟ فلم يتمالك جعفر ان امتقع لونه و لاذ بالصمت.

و بعد ذلك اختفى الإمام، و حاول جعفر العثور عليه في كل مكان لكنه لم يستطع التوصل اليه. و قد جاءت جدة الامام الحسن العسكري لأمه و أمرت بأن يدفن في تلك الدار. فاعترض جعفر على ذلك مدعيا بأن البيت أصبح يعود له، ثم طلب عدم دفن أخيه فيه. لكن صاحب الزمان ظهر من جديد، و سأل عمه بقوله: هل يعود هذا لك يا جعفر؟ ثم رحل في الحال و لم يره أحد بعد هذا (الحق اليقين للمجلسي الص ١٥٢ و ١٤٦).

و هناك أخبار كثيرة عن حوادث و مناسبات ظهر فيها الإمام الحجّة للمسلمين المؤمنين، بعد الصلوة أو وقت الحاجة. لكنه بقي سبعين سنة ينوب عنه و كلاؤه في الأرض. و كان أولهم عثمان بن سعيد، و حينما مات خلفه ابنه أبو جعفر، الذي رشح بدوره أبا القاسم ابن روح، و هذا عين بعده أبا الحسن السمرى.

و عند ما أشرف الأخير على الموت طلب اليه ان يسمى أحدا بعده لكنه رفض ذلك و أجاب يقول: ان الأمر بيد الله الآن. و على هذا فأن الحقبه التي كان الوكلاء يمثلون خلالها الإمام اصبحت تعرف بالغيبة الصغرى. و هذه تمتد على ما يقال من سنة ٨٦٩ الى سنة ٩٤٠ ميلادية. و منذ ذلك الحين فصاعدا دخل المستتر في «الغيبة الكبرى»، و لا ينتظر ان يعود الا في آخر الزمان.

أما عن رجعة الامام المنتظر، و ظهوره في آخر الزمان، فيقول دونالدسون ان الشيعة يؤكدون على الآيات الآتية في اثباتها: و تتلو عليك من نيا موسى و فرعون بالحق يؤمنون.

ان فرعون علا في الارض و جعل أهلها شيعا: يستضعف طائفة منهم، و يذبح ابناءهم و يستحيى نساءهم.

و نريد ان نمّن على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين.

و نمكّن لهم في الأرض، و نرى فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٨٦

و أوحينا لأُم موسى ان أرضعيه فان خفت عليه فألقيه في اليمّ ولا تخافى ولا تحزنى، انا رادّوه اليك و جاعلوه من المرسلين.
و حينما سئل الأمام زين العابدين (ع) عن تفسير هذه الآيات رد يقول:
أقسم بالله الذى بعث محمدا بالحق اننا نحن آل البيت مثلنا مثل موسى و اتباعه، و مثل اعدائنا و أشياعهم كمثل فرعون و اتباعه.
و هذا ما رأينا اثباته عن الأمام المهدي (ع)، ملخصا مما أورد دونالدسون فى كتابه.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٨٧

وكلاء الإمام صاحب الزمان

إشارة

لقد أفرد الدكتور دونالدسون، من دون سائر المراجع الغربية التى تيسرت لنا، فصلا خاصا فى كتابه المشار اليه من قبل بحث فيه عن وكلاء الأمام الحجّة (ع) الذين مر ذكرهم. و يبدأ الفصل بقوله ان ولادة الأمام الثانى، على ما يروى، حصلت فى الثامن من شعبان سنة ٢٥٦ (٨٦٩ م) و ان وكيله كان عثمان بن سعيد، الذى اوصى بالوكالة من بعده لابنه أبى جعفر محمد، و هذا اوصى بها الى ابى القاسم ابن روح، ثم اوصى بها بدوره الى أبى الحسن على بن محمد السمرى. و كان الأمامان العاشر و الحادى عشر يعتبران عثمان بن سعيد سكرتيرهما الخاص، و أمين صندوقهما، و يعدانه شخصا موثوقا به تمام الثقة و يعتبر كل ما يقوله مرويا عن لسانهما. و لذلك كان الأمام العسكرى (ع) يخاطبه فى بعض الأحيان على ملاء الناس بكونه «وكيلا على مال الله».

و قد روى ان اربعين رجلا من وجوه الشيعة كانوا قد اجتمعوا ذات يوم و جاءوا الى الحسن العسكرى قبيل وفاته، ليستفسروا منه عن سيكون حجّة الله فى أرضه من بعده. فانسحب عليه السلام من بينهم و دخل الى البيت،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٨٨

و لم يعد اليهم الا بعد ساعة و هو يحمل بين ذراعيه طفلا و سيما بهى الطلعة.

و قد بين لهم ان هذا الطفل هو الذى سيخلفه فى الأمامة، و انهم لن يروه حتى يكون قد تقدمت به السن كثيرا. لكنه أخبرهم بأنهم يجب عليهم، فى الوقت نفسه، ان يقبلوا بما يقوله لهم عثمان بن سعيد فى كل شىء لأنه وكيل إمامهم.

و يروى علاوة على ذلك ان الحسن العسكرى قال عنه انه وكيله، و انه وكيل ابنه محمد. و على هذا فقد كان هو - اى عثمان بن سعيد - الذى تولى غسل جثمان الامام العسكرى و تضميخه بالطيب قبل دفنه و ايداعه فى ضريحه الطاهر.

و حينما سئل عثمان بن سعيد عما اذا كان قد رأى ابن الأمام الحسن العسكرى، الذى كان يفترض أنه ولد قبيل وفاة أبيه، انفجر باكيا و قال «بلى لقد رأيته ..» لكنه لم يذكر اسم الطفل لئلا يسمع به الأعداء، و يبدأوا بالتفتيش عنه. و المقول ان قبر عثمان بن سعيد يوجد فى بغداد، داخل الجامع الكائن فى شارع الميدان بالقرب من باب المدينة. و كان هناك فى سنة ٤٠٨ هو مدخل خاص الى الغرفة التى يوجد فيها قبره من باب صغير فى محراب الجامع، لكن هذا الجدار هدم بعد اثنين و ثلاثين سنة و ترك القبر مكشوبا فى الصحن، حيث يستطيع ان يزوره كل أحد.

و قد عين الوكيل الثانى، أبو جعفر محمد بن عثمان، بوصية خطية كتبها أبوه ليخلفه فى وكالة الأمام المستتر. و كان هو الذى غسل جثة ابيه و أجرى مراسيم الدفن بنفسه، و هنا إجماع عند شيعة العراق على أنه كان يتمتع بالسلطة التى كانت عند أبيه. و المقول أنه كانت عنده عدة كتب عن القوانين الشرعية التى ورثها من أبيه، و التى كان أبوه قد تسلمها من الأئمة بدوره. و بعد ان خدم الأمام

المنتظر بعد أبيه مدة تناهز الخمسين عاما توفي سنة ٣٠٥ (٩١٧). وقد دفن في جنب قبر أمه، على طريق باب الكوفة- في بغداد- في الدار التي كان يسكنها والتي تقع الآن في وسط الفلاة. وحينما كان في بغداد عشرة من شيعته يسهمون معه في مسؤولية تزعم الطائفة الشيعية، و يساعدونه في ادارة شؤونها، كان الشريك الذي يعتمد عليه اكثر من الآخرين أبا القاسم الحسين موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٨٩

بن روح، و لذلك أوصى له بأن يأخذ مكانه في وكالة الأمام المستتر، فاصبح الوكيل الثالث للأمام. و مما يروى عن أم كلثوم، ابنة أبي جعفر، انها قالت ان الحسين بن روح كان وكيل أبيها خلال عدة سنين، و انه كان يشرف على أملا-كه، و ينقل رسائله السرية الى وجوه الشيعة المعروفين. و كان خلال ذلك الوقت كله متحمسا في خدمة أبيها الذي كان يعتمد عليه بلا أدنى ريب. و مع ان أباهما كان له صديق مخلص آخر، هو ابو جعفر بن أحمد، فقد وجد من المصلحة ان يستخلف ابن روح من دون ان تثار أية معارضة ضده.

و تقول الرواة ان ابا جعفر كان مقدرًا جد التقدير من الشيعة و السنة على سواء، و انه كان معروفا عندهم بعلمه و ثقافته. و كان يقدر على الأخص لبراعته في التقيّة. ثم يورد دونالدسون هنا قصصا تؤيد ذلك، و أخرى تدل على مرونته و حذقه في اجتذاب خصومه اليه ... و قد توفي أبو القاسم ابن روح سنة ٣٢٦ فدفن، على ما تقول أم كلثوم، بالقرب من دار علي بن أحمد النوبختي في مكان يقع وراء قنطرة الشوك من جهة باب المدينة. و المعروف اليوم لدى الكثيرين من سكان بغداد ان قبره يقع في منطقة الشورجة خلف بناية الأوقاف الكبيرة (الجديدة) المطلّة على شارع الجمهورية، التي تشغل قسما منها مديرية البرق و البريد العامة. و تشاد في هذه الأيام بالذات قبة صغيرة فوق قبره.

و كان الوكيل الرابع عليا بن محمد السمرى. و يقول دونالدسون خلال كتابته عنه أن وفاة الأمام الحسن العسكري كانت قد مرت عليها سبعون سنة يومذاك، و برغم انتظار الشيعة المخلص للإمام صاحب الزمان، فانه لم يظهر لهم. و في خلال هذين الجيلين كان اولئك الذين عرفوا الإمام شخصيا و أدركوا أيامه قد انتقلوا الى الدار الآخرة. و قد استطاعت مجرد بقاء غير كبيرة من الطائفة الشيعية ان تبقى على قيد الحياة بالسير خلال طريق التقيّة الوعر. و كانت ج ١- سامراء (١٩)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٩٠

هذه البقية قد لاقت الأمرين خلال الشغب و الاضطراب السياسى و الاجتماعى الذى ضعفت فيه عقائد الناس أجمعهم و فترت هماتهم. و شاع الجور و التعسف فى الأرض بحيث صار الكثيرون من الناس يعتقدون بان الإمام كان لا بد من ان يظهر بالتأكيد. فلم يتشتت شمل الأقلية الشيعية الباقية و يزداد الضغط عليها حسب، و انما انحطت سمعة الامبراطورية الاسلامية أيضا و نال منها تكرر غزوات القبائل المتاخمة لها ما نال، كما اصيبت جيوش المسلمين بخسرات فادحة بالقتال المستمر مع البيزنطيين. ففى السنة التى توفى فيها الامام العسكري عليه السلام فى سامراء هلك الخليفة الصالح، بعد تعذيب شنيع و راح ضحية لضغط اسياده الأتراك عليه.

و جاء عهد الخليفة المعتمد بسلسلة من الكوارث الرهيبة. و هنا يعدد دونالدسون ما حل بالبلاد العراقية و غيرها من نكبات و يشير الى ثورة صاحب الزنج و ما اقترفت فيها من فظائع و شناعات، و الى ما وقع من حوادث الطاعون و الزلزال و ما حصل من نزاعات و حروب اهلية، فضلا عن اندحار الجيوش أمام البيزنطيين، حتى تولى السفاح الثانى، الخليفة المعتضد، و استطاع ان يعيد الى الخلافة شيئا من هيبتها.

و يقول دونالدسون بعد سرد هذه الأشياء ان الوكيل الرابع قد تولى فى أسوأ الأوقات و أنحسها. و ربما كان هذا الوكيل يعتقد بالنسبة لما جرى ان الأمام القائم (ع) كان لا بد من ان يظهر، و الا فيكون موقفه حرجا بين الناس و يصيبه الكثير من الخيبة و الفشل. و لذلك نجده يقول حينما كان يحتضر:

و طلب اليه ان يسمي وكيلا من بعده، ان الأمر اصبح بيد الله. و هكذا رفض ترشيح احد، فلم يعد يوجد بهذا على وجه الأرض اى وكيل للإمام منذ ان توفى السمرى سنة ٣٢٩ (٩٤٠) حتى اليوم، و انتهت مدة الغيبة الصغرى التي امتدت من سنة ٢٥٦ الى سنة ٣٢٩ للهجرة، و حلت بعدها حقبة الغيبة الكبرى. و يقول دونالدسون ان قبر الوكيل الرابع - السمرى - يقع فى شارع الخلبخى بالقرب من قناة النهري. لكن المعروف عند الكثيرين من الناس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٩١

بيغداد اليوم هو انه مدفون فى وسط سوق السراى فى مقابل باب المستنصرية الكبرى تقريبا .

بعد عودة الخلافة الى بغداد

و منذ ان انتقلت عاصمة الخلافة العباسية على عهد المعتمد من سامراء الى بغداد سنة ٨٧٠ للميلاد، لم يبق لسامراء شأن يذكر و لم تعد تلفت اليها الأنظار الا نادرا. و لذلك نجد ان اسمها ينقطع وروده فى التواريخ جميعها الا حينما يشار فيها الى حوادث و رجال اصبحوا فى ذمة التاريخ نفسه. و حينما دالت دولة بنى العباس، و اكتسحت سيول التركمان و المغول بلاد العراق فقوضت دعائم الخلافة العباسية فى بغداد، خمل ذكر العراق بأجمعه و لم يعد سوى إقليم ناء من أقاليم الدول التركمانية، أو ولاية من الولايات المهملة تنتمى الى الدولة العثمانية مترامية الأطراف.

لكن سامراء مع انحطاط شأنها على هذا المنوال، و انقلابها الى محطة صغيرة من المحطات التي تقف فيها وسائط النقل النهريه فى فى بعض الأحيان بين الموصل و بغداد، أو بغداد و استانبول، فقد بقيت كعبة للزوار الذين كانوا و ما زالوا يفتنون اليها من انحاء العالم الاسلامى جميعه لزيارة الأضرحة المطهرة فيها، التي بقيت رمزا لانتصار العقيدة الحقة على الظلم و الفساد.

و حينما بزغ فجر النهضة الحديثة فى أورپه و صارت أنظار الغرب تتجه الى البلاد الشرقية لاستغلالها و استثمار خيراتها و مواقعها الجغرافية، و ترويج المصالح التجارية و الاستعمارية فيها، صار الرحالة الغربيون يسلكون الى الشرق طريق استانبول - الموصل، او حلب - الموصل، ثم يأخذون طريق النهر من الموصل الى بغداد فالبصرة فى كثير من الأحيان. و لذلك صرنا نجد اشارات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٩٢

عابرة، او اشارات فيها شىء من التفصيل، الى سامراء فى رحلات هؤلاء الغربيين، حيث ان اكلاكلهم كانت تقف فى شواطئها فيتلبثون فيها بعض الوقت.

و أقدم ما عثرنا عليه من هذا القبيل ذكر سامراء فى رحلة الرحالة الفرنسى المشهور جان بابتيست تافيرنيه الذى زار العراق فى منتصف القرن السابع عشر للميلاد.

و قد وصف فى رحلته طريق النهر من الموصل الى بغداد و أتى فيها على ذكر سامراء. فهو يقول (الص ٧٤ من الترجمة العربية): .. و فى اليوم الثانى و العشرين - شباط ١٦٥٢ - بعد ان بقينا ساعتين فى الماء، التقينا بجدول يأخذ ماءه من دجلة لسقى الأراضى هناك، و يمتد الى قرب قبالة بغداد، و هناك يصب فى دجلة مرة ثانية. و من هناك نزلنا الى البر فى الجهة الكلدانية، لأنه كان برفقتنا مسلمون أحبوا ان يتبركوا بزيارة مكان يقال له سامراء، و فيها جامع لا يبعد اكثر فرسخ من النهر، يؤمه كثير من المسلمين لتقديم فروض العبادة، خاصة الهنود و التتر الذين يعتقدون ان اربعين نيا من أنبيائهم مدفونون هناك. و لما علموا اننا نصارى لم يسمحوا لنا بأن نطأ أرضه. و على خمس مائة خطوة من الجامع برج مشيد بمهارة فائقة، له مرقتان من خارجه تدوران حوله دوران الحلزون. و إحدى هاتين المرقتين أعمق فى بناية البرج من الأخرى و كان بإمكانى ان امعن النظر فيه اكثر من هذا لو سمح لى بالدنو منه الى مسافة قريبة. و الذى لاحظته انه مشيد بالآجر و تبدو عليه مسحة القدم. و على نصف فرسخ منه تبدو ثلاثة أبواب كبيرة كأنها أبواب قصر عظيم. و فى

الحقيقة لا يبعد في هذه الأنحاء ان كانت مدينة عظيمة، لأن مسافة ثلاثة فراسخ على طول النهر لا يرى شيء سوى الخرائب و الأطلال.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٩٣

سامراء في القرن التاسع عشر

إشارة

إن أقدم من أشار الى سامراء في رحلته من الرحالة الغربيين، الذين أخذ يزداد عددهم في القرن التاسع عشر، الكابتن جون ماكدونالد كينيير الانكليزي، الموظف في بحرية شركة الهند الشرقية، و المنتدب لدربار نواب كارناتيك في الهند. فقد جاء من انكلترا الى استانبول في صيف ١٨١٣، ثم وصل من الأناضول الى الموصل في طريقه الى الهند. و من هناك استقل كلكا ألقع به الى بغداد. و في خلال هذه الرحلة وقف قليلا في تكريت و سامراء، و كتب شيئا عنهما. فهو يقول: ... و وصلنا الى تكريت في صباح يوم ١٢ آب ١٨١٣، و هي عبارة عن قرية مبنية بيوتها بالطين تقع بين سلسلة من التلوال الصخرية في الجانب الأيمن من دجلة. و تكريت هي برثا BIRTHA القديمة التي كانت في القرن الثاني عشر للميلاد مقرا للمطران اليعقوبي في هذه الجهات. و عند وصولنا الى هنا رخصت الحرس من حملة البنادق الذين كان باشا الموصل قد بعثهم معنا للمحافظة، بعد ان وجدت ان إزعاجهم لنا كان أكثر من فائدتهم.
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٩٤

و ألقعنا ثانية في السادسة صباحا فكانت الشواطىء في جنوب تكريت من الجانبين مغطاة بشطيات الرقى و الخيار، التي يرفع لها الماء بالكروود التي تكلمت عنها من قبل (يلاحظ انه يسمى الكروود مكائنا) ... و يكون دجلة عريضا جدا عند تكريت. و في الساعة التاسعة و ثلث لاح لنا مرقد إمام الدور و قريته الكبيرة، التي تقوم على مرتفع غير عال من التلوال الرملية البعيدة عن شاطىء الجانب الأيسر من النهر بمسافة نصف ميل و مرقد الإمام بناء عال مربع الشكل تعلوه قبة بنيت بالطراز الاسلامى (اراييسك). و لا شك ان «دورا» هو الأسم القديم لهذه البقعة التي يعرفها قراء التاريخ جيدا، بكونها المكان الذي حاول فيه الجيش الرومانى ان يعبر دجلة بعد موت جوليان، و حيث وقّع خلفه على اتفاقية مهينة تنازل فيها عن نصيبين و الأقاليم الكائنة فيما وراء دجلة الى الأيرانيين. و كانت الشواطىء هنا أيضا، ملاءى بالمكائن المعدة لزراعة الرقى، الذي يعد أحسن رقى في البلاد، و يرسل بكميات كبيرة الى بغداد. و قد لاحظنا وجود بستان كبيرة للنخيل أول مرة منذ أن خرجنا من الموصل. و في الساعة الحادية عشرة و نصف لاح لنا خرائب الطين لقرية أسكى بغداد في الجانب الأيسر، و هنا يتفرع النهر الى فرعين متساويين في الحجم يحيطان بجزيرة طولها نصف ميل. و في الثانية عشرة و نصف أتينا الى بلدة تسمى «اشناس» على الجانب الأيسر. و بعد ان سرنا الى الساعة الثانية بعد الظهر لاحظنا اطلالا عالية لقصر يسمى «قصر العاشق» على بعد ربع ميل من ضفة النهر اليمنى، و في مقابلها مباشرة من الجانب المقابل خرائب يقال لها «المعشوق». و للعرب أساطير و أقوال تروى عن هذين المكانين .. و هنا أيضا يقسم النهر الى فرعين سرنا في الفرع الواقع على يميننا منهما، و ما حلت الساعة الثالثة حتى وصلنا الى سامراء الكائنة في الجانب الأيسر:

و هي بلدة تحتوى على ألفى نسمة، و تبعد حوالى ربع ميل عن نقطة تشعب الفرعين.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٩٥

و كانت سامراء، و هي سامير

Samere

القديمة، محل الأقامة المفضل لعدد من خلفاء بنى العباس، و لا تزال أطلال مدينتهم هناك تشغل فسحة كبيرة من الأرض. و أهمها

قبر و مشهد الأمام المهدي الذي دفن في سامراء (؟).

و هو بناء. جميل من الطابوق، تعلوه قبتان و منارتان مزينتان بالكاشي الملون الذي يتباهى به العرب، و يبدو بمنظر جذاب حينما تتساقط أشعة الشمس عليه. و هناك على مسافة غير بعيدة عنه برج مخروطي الشكل يعلو علوا عظيما، و يبدو بمنظر متناسب. و تلف حول هذا البرج مرقاة حلزونية شيدت بمهارة بحيث يمكن ان تصعد منها الى القمة الخيل و البغال عند اللزوم.

و على بعد عشرة أميال و نصف من شمال شرق البلدة الحديثة، و على الفرع الأيسر من دجلة، تقوم خرائب قصر الخليفة الذي يبدو أنه كان واسعا جدا، و هو مبن بالطابوق و الطين. و لكنه برغم ما كان عليه من أهمية و ازدهار لا يحتوى على شيء يستحق المشاهدة (يظهر ان الكابتن كينير لم يكن يتذوق الآثار و ما فيها من فن و زخرفة). و تشاهد أيضا أقساما كبيرة من سور البلدة أيضا، و هي تمتد الى مسافة غير يسيرة في البادية المحيطة بها. و من الصعب ان يتصور المرء كيف ان بقعة مثل هذه يمكن ان تنتخب موقعا لعاصمة مهمة يقيم فيها «أمير» ذو سطوة و منعة. فان أرضها الممتدة الى مد البصر قاحلة، و هي يباب بلقع ليس فيه زرع و لا شجر، يمكن أن يريح و لو قليلا من سطوع الشمس و حر الرمال. و يمتلىء الجو من فوقها بغيوم من الغبار تولدها الرياح الشديدة التي تضيف بعصفها شيئا غير يسير الى وحشة المكان. و مع ان المعروف عن العراق العربي ان أرضه تصبح خضراء نضرة بمجرد سقيها و جر المياه لها، فان الضفاف هنا عالية و دجلة عريض ضحل. و لذلك لا بد من ان تنشأ صعوبات غير قليلة في الري هنا.

و قد كتب بعد كينير من الرحالين الغربيين، في القرن التاسع عشر، المستر كلود دايوس ريج القنصل البريطاني في بغداد (١٨٠٨-١٨٢١) على

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٩٦

عهد الولاية سليمان باشا الصغير (المسمى بالقتيل) و سعيد باشا، و داود باشا آخر المماليك. و كان هذا رجلا مثقفا متحركا قوى الشخصية، سافر كثيرا في العراق و تجول فيه بقصد الاطلاع و استكشاف الآثار التاريخية و غير ذلك.

و قد سافر في ١٨١٦ الى أوربة مع زوجته، ثم عاد منها عن طريق استانبول و الموصل، و توجه من الموصل الى بغداد بالكلك عن طريق دجلة. فأشار الى سامراء حين توقف فيها و نزل ليطلع على أحوال البلدة و معالمها. و لذلك ذكرها في مدوناته أو يومياته عن الرحلة. و قد اطلعت إحدى قريباته المسماة كونستانس اليكساندر، على هذه اليوميات فلخصت ما كتبه عن سامراء بالذات في كتابها المعروف بعنوان (بغداد في الأيام الغابرة). فهي تقول عن سفرة ريج و زوجته بعد ان تحركا من تكريت: .. و كانت سامراء، التي تبعد بمسافة عشرين ميلا، موقعا آخر من مواقع الاستراحة، و قد مروا في الطريق اليها بخرائب أسكى بغداد التي كانت تمتد لمسافة غير يسيرة على طول النهر. و هي تعود في تاريخها الى أيام الخلفاء الأوائل، و لم يكن فيها سوى تلول من الزبل تدل على الموقع. على ان سامراء كان لها شيء من الأهمية، و يقدرها الشيعة تقديسا كبيرا، لأنها قد دفن فيها ثلاثة من أئمتهم: أي الامام علي النقي، و الحسن العسكري، و أعظم الجميع المهدي صاحب الزمان الذي غاب هنا، و لا يزال يعيش في إحدى الآبار على ما يزعم، ليعود الى الظهور من جديد في آخر الزمان. و كان قد بنى مؤخرًا جامع جديد، و بقربه حمام و خان لا يواء الزوار، على نفقة أحد الايرانيين المتدينين. و حينما كان ريج و جماعته يتجولون في سامراء جاءهم المتولى، او الكليدار، و دعاهم للتفرج على الجامع و السرداب الذي غاب فيه المهدي أو قتل (؟). فلم يتحمس ريج و المسيحيون من جماعته للنزول الى سرداب الغيبة، فقد لا يروق ذلك زوار الشيعة، لكنهم

نظروا الى الداخل من إحدى الكوات فوجدوا هناك موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٩٧

على ما يقول درويشا يتمشى ذهابا و ايابا و هو يقرأ الزيارة و الدعاء. و كانت هناك أيضا بئر خاصة يلاحظ في قعرها على الدوام قمر تام البروغ، على ما يقال، و كان هذا ناتجا بطبيعة الحال عن حيلة ما في الأضياء، نظمرا لعمق البئر و صغر الفتحة التي يدخل منها النور، لكن ذلك كان فيه تظمين للآمال التي يعلقها الزوار عليه.

و كانت ترى فيما حول سامراء خرائب ممتدة، و بقايا أبنية كبيرة في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٩٨

جميع الجهات، و أهمها أو أكثرها استتارة لحب الاستطلاع كان البرج المدور الملوى على شاكله الحلزون المتكون من ستة طوابق (؟) الذى قال أحدهم عنه انه كان منارة للجامع، و قال آخرون غير أنه كان برجا للمراقبة. و لا شك ان المقصود بهذا (الملوية) المعروفة التى بنيت لتكون منارة للجامع الكبير القريب منها. و قد فحص ريج بعض الخرائب الأخرى الممتدة على طول النهر:

فظن أنها لا بد من ان تكون اطلال القادسية، نظرا لشكلها المشابه للأبنية الساسانية، و لنوع الآجر الذى كانت مبنية به. و كانت هذه البلدة قد تقرر فيها إنهاء أمر الامبراطورية الايرانية فى القرن السابع، حينما وقعت فيها معركة حامية ضد العرب الذين استولوا عليها فى النهاية. و لا شك ان المستر ريج، و قريبته كاتبه الكتاب، قد أخطأ فى هذا التفسير، لأن الموقعة التى جرت بين الفرس و العرب فى شهر شباط او مارت سنة ٦٣٧ م، المشار اليها، قد وقعت فى قادسية الكوفة الكائنة على الفرات و ليس قادسية دجلة كما ظنا. يضاف الى ذلك ان الآثار التى اعتقد ريج انها القادسية من المحتمل جدا ان تكون غير القادسية، لأن قادسية دجلة تبعد عن سامراء من جهة الجنوب بحوالى ثلاثة فراسخ و لا أظنه يستطيع الذهاب من سامراء اليها فى تلك الظروف.

و يقول المنشى فى رحلته ان محيطها يبلغ ثلاثة أميال و هى بلدة مدورة و ان عرض سور القادسية (١٥) قدما. و قد جاء فى (رحلة المنشى البغدادي) المعربة من الفارسية عن سامراء فى ذلك الدور (١٨٢٢) ما يأتى: .. و من الدور اليها ثمانية فراسخ، طيبة الهواء كثيرا، و فيها نحو ألفى بيت. و من المزارات فيها مزار الامام على النقى، و الامام حسن العسكري (ع)، و محل غيبة الامام محمد المهدي. و فى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٢٩٩

كل سنة يبلغ زوار الشيعة من العرب و العجم نحو ثلاثين ألفا، يأتون الى هذه المشاهد للزيارة و يقال لسامراء العسكر. و طولها و عرضها ثلاثة فراسخ تقع على ساحل دجلة. و هى من بناء الخلفاء العباسيين، و أكثر بيوتها الى الآن ظاهرة، و لها مسجد كبير من بناء الخلفاء. و المنارة فيه يقال لها «الملوية» لا تزال قائمة، و يصعد اليها من الخارج بالتواء، بخلاف سائر المنائر فان طريق الصعود اليها من سلم فى الداخل. و فى سامراء البطيخ الأحمر كثير الجودة، و ليس فيها و لا فى الدور و تكريت بساتين من جهة أن أرض تلك الأنحاء كلسية .. هذا و نذكر زيادة فى الايضاح ان السيد المنشى كان موظفا فى القنصلية البريطانية ببغداد، اى فى معية المستر ريج القنصل المار ذكره.

رحلة جونز

و ممن اشتهر ذكره من الأجانب فى العراق فى اواسط القرن التاسع عشر الكوماندر فيليكس جونز. و كان هذا من رجال البحرية فى الحكومة الهندية (الانكليزية طبعا) يومذاك، و قد انتدب لمهمات كثيرة فى العراق كان من أهمها مسح الأنهر العراقية، و لا سيما نهر دجلة، تمهيدا لفتح خطوط ملاحه نهريه فيها. و من جملة رحلاته هذه (رحلة بالباخرة الى شمال بغداد) بدأ بها على ظهر الباخرة (نيكوتريس) فى يوم ٢ نيسان ١٨٤٦، و قد وصل فى هذه الرحلة الى سامراء مساء يوم ٦ منه.

و هو يكتب عن سامراء فى تلك الأيام، فيقول: .. تقع بلدة سامراء الحديثة على جرف عال ممتد فيكون الضفة اليسرى من دجلة، و هى الآن محاطة بسور متين شيد على حساب شيعة الهنود المتنفذين. و حينما زرتها فى ١٨٤٣، كان هذا السور قد بدىء بتشيدته حديثا، و كانت البلدة قبله موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٠٠

مكشوفة، فكابدت كثيرا من طلبات البدو الجائرة. فقد كانوا يخيمون فى خارجها، و يهددون بغزوها اذا لم تنفذ مطالبهم المتكررة.

على أنها أصبحت اليوم آمنة بفضل السور الجديد، و لا يحصل فيها مثل ما كان يحصل. لكن بناء السور حصل فيه شيء غير يسير من قصر النظر، لعدم تمديده الى ما يقرب من حافة الجرف المطل على النهر نفسه، لأن البدو يستطيعون الآن ان يأتوا في كل وقت فيخربوا القناة التي تأخذ الماء الى البلدة، و بقطع هذا الشيء الحيوى يستطيعون ارغامها على الرضوخ لمطالبهم.

و هي على كل حال بلدة حقيرة بوجه عام، لكن أهميتها تعزى فى الدرجة الأولى الى الضريحين الجميلين الموجودين فيها. و تعلق هذين الضريحين قبتان، شيدت كبراهما فوق قبر الامام الحسن العسكرى. و قد أجريت بعض الترميمات فيها مؤخرا، و اعتقد انها كانت قد كسيت من قبل بالذهب على غرار القباب المقامة فى الكاظمة و كربلا و النجف، لكنها تبدو الآن بيضاء تماما لأن المبالغ المتيسرة حاليا عند المعنيين بها غير كافية للعمل على إرجاع رونقها السابق اليها. اما القبة الصغيرة، أو قبة الامام المهدي، فهي قبة نظيفة جديدة قد زينت بالكاشى الجميل الموشى بأوراد صفراء و بيضاء فوق أرضية خضراء تميل الى الزرقة.

و كان الامام المهدي آخر الأئمة، الذين يقدهم الشيعة، و يقال انه اختفى فى هذه البقعة. و يدل كهف كبير أقيم فوقه هذا البناء على الموقع الذى غاب فيه الامام، و يعتقد انه سيعود الى الظهور فيه فى المستقبل. و لذلك يقده المسلمون كثيرا، و لا سيما الشيعة منهم. و يقصد هذا المكان كل سنة من الزوار من انحاء ايران كلها. فقد قيل لى ان معدل زوار هذه البقعة المقدسة يبلغ حوالى عشرة آلاف كل سنة، لكننى ميال الى الاعتقاد بأن هذا العدد يعتبر أقل من الواقع بكثير. و لا تجبى أية ضريبة هنا عليهم، لكن أصحاب الخانات و البيوت التى يقيمون فيها يدفعون الى الحكومة قرشين اثنين عن كل زائر.

و فى حاشية للكوماندو جونز يقول ان الأتراك منذ ان احتلوا كربلا

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٠١

و النجف المقدستين فى ١٨٤٣، قل توارد الزوار على باشوية بغداد، لكن الأمن الذى تسهر عليه الحكومة اليوم و التساهل الذى يديه الوالى نجيب باشا سوف يعيد الزوار الايرانيين بسرعة الى التكاثر من جديد، و يضيف فى الوقت نفسه الى واردات الولاية المادية كل سنة شيئا غير يسير من المال، الذى كان قد قل بتأثير السياسة التى كان يتبعها الباشا من قبل. لكن المعروف فى التاريخ ان نجيب باشا هذا كان ظالما متجبرا هاجم كربلا بقسوة و فظاظة سنة ١٨٤٣ و أخضعها بقوة و عنف. و من جملة ما يروى عن هذه الوقعة ان كثيرا من الأهالى التجأوا الى صحن الامام العباس (ع) فلم يعصمهم ذلك من شر الهجوم، و قد قتل قسما منهم ظلما و عدوانا، و ان الباشا نفسه روى عنه انه دخل ممتطيا سهوة جواده الى الصحن كذلك عند تعقيب الفلول المتقهرة من الأهلىن . و لعل هذا الحادث هو الذى أدى الى تناقص الزوار او انقطاعهم بعد ذلك.

ثم يتابع فيليكس جونز حديثه فيقول: ان البلدة تتألف من حوالى (٢٥٠) بيتا، مع عدد من السكان السنة لا يتجاوز الألف الذين يحمل مائة منهم السلاح.

و قد أقطعت البلدة فى هذه السنة الى الضابط الحالى السيد حسين لقاء (٠٠٠، ٢٨٠) قرش، أو ما يعادل (٦٦٠) باونا استرلينا تقريبا. و يوجد على ما يقرب من نصف ميل من شمال البلدة برج غريب حلزوني الشكل، يسمى الملوية، و يقدر علوه بمائة و ثلاثة و ستين قدما. و من الممكن للناظر ان يرى من قمته منظرا جميلا لسامراء القديمة. إذ تنتشر فى كل جهة من الجهات أكوام من كسر الطابوق و الزجاج و الخزف، بالإضافة الى التخطيط الواضح للكثير من الأبنية القديمة الذى يمكن ان يشاهد. و المقول ان المدينة القديمة كانت تسقى بكهريز تحت الأرض، يبدأ فمه (فتحته) فيما يقرب من حمرين. و ما تزال آثار هذا الكهريز معروفة بواسطة بقايا الآبار. و قد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٠٢

شيدت الملوية و بقايا البناء المستطيل (الجامع او المدرسة) القريب منها بالطابوق الفاخر، الذى لا يمكن أن يضاهى بناءه النظيف البناء الذى يحصل اليوم.

و يبلغ طول المدرسة (او الجامع) ٨١٠ أقدام و عرضها ٤٩٠ قدما، و لها اثنتا عشرة دعامة او ركيزة ما بين الحصون الركنية فى الضلعين

الشمالي و الشرقى و الجنوبي و الغربى. و يقابل المدخل الرئيس القبلة، ليدل فى الحال على أصله الاسلامى. و يبدو ان بركة كبيرة كانت توجد فى وسط الصحن، و يبلغ علو السور اليوم حوالى ثلاثين قدما، كما تشاهد من الجهة الجنوبية الغربية بقايا شباييك قوطية الطراز. و الى الشمال الغربى للملوية، على بعد ميلين و نصف تقريبا توجد بقايا قصر الخليفة أو قصر المعتصم ثامن الخلفاء العباسيين: الذى ترك بغداد و بنى سامراء خوفا من طبيعة البغداديين النائرة. و ليس فيه اليوم قائما غير مدخله، و تشغل الأطلال المحيطة به مساحة كبيرة من الأرض، توجد تحتها غرف مقببة. و هناك أقوال كثيرة ينقلها العرب عن هذه الغرف، التى كنا خلال زيارتنا لها فى ١٨٤٣ قد نزلنا اليها بالحبال، فأخاف ذلك السكان العرب الذين لم يكونوا يأمنون الوقوف بقربها. فهم يعتقدون اعتقادا جازما ان أسدا كان يقيم فى هذا المكان. و تمتد هذه الأقيية الى مسافة غير يسيرة، و يبدو انها كانت قد نحتت فى الحجر الكلسى لكن اسطحها بنيت بالطابوق.

و لا شك ان موقع سامراء كان قد اختير اختيارا جيدا. إذ يحده دجلة من الغرب، و يمتد فرع النهروان الرئيس من قنطرة الرصاص الى نهر العظيم من الشمال، كما يمتد فرع النهروان الجنوبي من القائم نحو الشرق ليتصل بالفرع الشمالى فى الجنوب. و بذلك يحيط بمستطيل كبير جدا من الأرض الغنية بخصبها التى يبلغ طول أطول جهاتها ٣٥ ميلا انكليزيا، و الضلعين الباقين حوالى عشرين ميلا. و قد أشغلت هذه المنطقة عدة بلدان من قبل، و يدل على خصبها وجود الأقيية العديدة المتفرعة من النهروان. اما الآن فلا ترى فيها و لا ورقة واحدة أو ذرة من العشب.

و الى الشمال الغربى من قصر الخليفة، و فوق تل متموج يكون الحدود

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٠٣

اليمنى لوادى دجلة يوجد طلل آخر من نفس النمط البنائى على ما يبدو.

و لا يزال قسم من حصون هذا الطلل قائما .. و هى اما دائرة او مضلعة، و مبنية باتقان من أفخر الطابوق. و هذه أطلال قصر «العاشق»، و بعض التلول العالية الكائنة فى منتصف المسافة بين قصر الخليفة و العاشق فى وادى النهر نفسه تدل على وجود آثار قديمة فيها، ربما تكون بابلية الأصل على ما اعتقد. على ان العرب يطلقون على هذه التلال «المعشوق»، و يقال ان جسرا كان يصل فى قديم الزمان بينها و بين العاشق. و على بعد أربعة أميال من شمال سامراء يقوم تل عال فى الفضاء، يسمى «تل العليج». و تروى عن هذا التل قصص عدة تفيد بأنه كان قد أقامه ملك قديم أمر جنوده بأن يأتى كل منهم بملء كيس العليق من التراب الى هذا المكان فتكون هذا التل الكبير. و هو يشبه تمام الشبه التلول التى تشاهد فى سوريه و وادى الشهر يزور بالقرب من السليمانية.

و يقول فيليكس جونز فى الحاشية ان هذا التل العالى موقع كومة الحطب التى حرقت بها جثة الأمبراطور جوليان الرومانى قبل ان يؤخذ رمادها الى طوروس. ثم يذكر بالتفصيل قصة الحرب التى وقعت بين الرومان و الايرانيين و قتل فيها جوليان، التى أتينا على ذكرها قبل هذا نقلا عن كتاب بيرسى سايكس عن تاريخ ايران.

رحلة جون أشر

و فى صيف ١٨٦٤ قام المستر جون أشر، عضو الجمعية الجغرافية الملكية فى لندن، برحلة طويلة الى موقع الآثار الايرانية المعروف باسم پرسو پولس، او تخت جمشيد، القريب من شيراز. و ضمّن جميع مشاهداته على طول الطريق فى رحلته المطبوعة سنة ١٨٦٥. و قد عبر من الأناضول الى الموصل، موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٠٤

ثم استقل الكلك منها الى بغداد، فمرّ فى طريقه بسامراء. و قبيل وصول الكلك الى سامراء مرّ بنهر النهروان، ثم وصلوا فى مساء ذلك اليوم الى ما يقابل خرائب أسكى بغداد التى كانت تشغل رقعة كبيرة من الأرض. و يقول المستر أشر أن هذا الاسم أطلقه العرب على

أطلال هذه البلدة الفارسية او العربية القديمة. و في صباح اليوم التالي (١٩ كانون الأول ١٨٦٤) مروا بأطلال قصر العاشق قبيل الرسو في سامراء.

اما سامراء نفسها فقد وجدها المستر أشرف بلدة غير صغيرة فيها عدد كبير من السكان، و شاهد فيها الملوية التي سماها برجا و قدر ارتفاعها بمائة قدم.

و هو يقول ان آثار العباسيين فيها كانت مغطاة بأكوام كبيرة من التراب و الأنقاض، و يشير الى تقديس المسلمين الشيعة لمشهد الامامين العسكريين، و غيبة الامام الحجة (صاحب الزمان) فيها. و عند استئناف الرحلة وصل الكلكك في مساء ذلك اليوم الى خرائب اصطبلات فألقى مراسيه بالقرب منها للمبيت.

الرحالة نيهولت

و قد زار الرحالة الهولاندي لكلاما آنايهولت (نيهولت) العراق سنة ١٨٦٦ / ٦٧، و بقي في بغداد مدة من الزمن، ثم غادرها قاصدا سامراء يوم ١٦ أيار ١٨٦٧. و قد لخص سفرته هذه الأستاذ مير بصري، الذي يقول أنه خرج من بغداد فمر بقرية الجديدة (بالتصغير) على دجلة، و ينگجة، و الجيزاني، و نهر حزام، و خان نجار، و خان المزراقجي، حتى لاحت لعينيه قباب سامراء في ٢١ أيار. و كانت أبواب البلدة مغلقة خشية هجوم الأعراب، ففتح له الباب الشمالي و أخذ الى دار فسيحة بنيت للزوار، و فيها شرفة جميلة و غرف تطل على فناء رحيب و اصطبل للخيل. و يحدثنا الرحالة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٠٥

عن مدير الناحية الذي زاره حالما علم بقدومه و هيا له وسائل الراحة، و أرسل اليه الهدايا من الخرفان و الفواكه و التمر و كان المدير عبيد الناجي أغا رجلا صغيرا لطيف المعشر، فائق الأدب، في نحو الثلاثين من عمره.

و يقول الرحالة ان سامراء مبنية على تلال كثيرة الحصى تشرف على نهر دجلة، يحيط بها سور شيد قبل عهد قصير بأمر أميرة هندية لحماية البلدة من غزوات البدو. و تضم سامراء مدافن أئمة الشيعة الثلاثة: علي النقي و ابنه لحسن العسكري و حفيده المعروف بصاحب الزمان الذي يقال ان أعداءه حاولوا الفتك به، فلما رفعوا الجنجر لقطع رأسه، انشقت الأرض و غيبته، فاذا بمهاجميه الداهلين أول المؤمنين بقداسته. و يقول رحالتنا ان شاه ايران قد أعلن قبل عدة أشهر عزمه على اهداء صفائح ذهب لتزيين القبّة، فكان الناس ينتظرون وصول هذه الهدية الثمينة خلال أيام معدودة.

و يقول كذلك: ان النهر الذي يبعد قليلا صافى المياه بالنظر الى الحصى الذي يكسو عقيقه، و عرض دجلة يبلغ هنا نحو من (٣٠٠) متر، و على شاطئيه تقوم خرائب المدينة القديمة التي كانت بلدة كبيرة لا تقاس بها القرية الحاضرة التي تضم سوقا صغيرة تتألف من بضعة دكاكين يباع فيها التبغ و الرز و التمور و التفاح الأخضر الخ. و يحيط السور بالبلدة عدا جهة النهر، و له فتحات عليا، و ثلاثة أبواب. و نفوس سامراء تقرب من ٤٠٠ عائلة. و يقول الرحالة ان قبة صاحب الزمان المغشاة بالقاشاني جميلة، اما قبة العسكري فمتداعية و للمسجدين فناءان فسيحان لم يسمح لصاحبنا بالدخول اليهما، و كان انطباعه عن سامراء اجمالا ان فيها شيئا يبعث الانقباض في النفس لمنظر هذه الأطلال الشاسعة التي توحى بعظمة البلدة السابقة و انحطاطها الحاضر.

و أشاد نيهولت بهواء البلدة النقي و خلوها من البعوض، و ذكر الملوية التي تشبه برج (بيزا) و سائر الأطلال العباسية، ثم نوه بمشاهدته لقدم الأفواج المتقاطرة من الزوار. و هو يقول ان مدارج الملوية تتصاعد بيسر و سهولة ج ١- سامراء (٢٠)

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٠٦

حتى يمكن للخيل و البغال ان ترقاها الى أعلى حاملة الخلفاء الى الشرفة التي تطل على الضواحي. و كانت توضع بالرفة المقامة

بأعلى الملوية، و لها فتحات الى جهات الأفق، مصاييح تسرج في كل مساء لانارة سبيل القوافل القادمة ليلا. و ترتفع الملوية في ظهر مسجد الجمعة العظيم الذي لم يبق منه سوى حيطانه الخارجيه، و قد رأى نايهولت الأخشاب و القصب المستعمله في بنائه كما في طاق كسرى. و من هناك يصل السائر، اذا اتجه صوب النهر، الى (ميدان أسبها) اي (سوق الخيل) و المكان يغشاه العشب، ثم (المهترخانه) و كانت اصطبالات واسعة، فالمدرسه، و لم يحفظ الزمن من كل تلك المباني سوى أنقاض و حيطان متداعية و آثار أرضيه ممزوجه بالطابوق. و يأتي بعد ذلك السوق التي تمتد الى آخر البلده على مسيره ربع ساعه من دجله، و هناك لا تزال قائمه.

و قد مضى الرحاله متجها الى اليسار ليصل الى (حفرة السباع)، و هي حفرة عميقه مقطوعه في الصخر الكلسي الذي يؤلف قاعده تلال سامراء القديمه. و تؤدي الحفرة الى مغاور كانت تتخذ لحبس الأسود، و هي محفوره في الصخر أيضا و معقوده بالطابوق. و المقول ان حفرة السباع تتصل بدهاeliz تحت الأرض بسجن قريب. و يروى في ذلك ان الخليفه هارون الرشيد القى في هذا السجن بالامام حسن العسكري و أراد ان يجعله فريسه للسباع فأمر بفتح الباب المتصل بمغاره الأسود. لكن الوحوش الضاربه ما أن دخلت و رأت الامام حتى أقعت باحترام عند قدميه، و لم تمسسه بسوء. ثم توجه الرحاله لزيارة بقايا قصر من قصور الخلفاء، و هو مشيد على مثال مدائن كسرى بمقياس أصغر، فثمت نفس توزيع الحجر على الساحة الداخليه مع طاق رئيس في وسط ما تبقى من الواجهه و نفس نقاط تعليق المصاييح في السقف

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١٢، ص: ٣٠٧

المعقود. و ترى الى جانب ذلك فتحه كان فيها جرس استولى عليه بعض القناصل من هواه الآثار!

و تجاه هذه الخرائب مباشره تنتهي التلال فتنبطح الأرض سهله حتى تتصل بدجله على مسيره عشر دقائق. و هناك مرتفع على الشاطيء كانت تقوم عليه قرية أرمنيه اسمها (الكاوور) أي (قرية الكفار). و كان في موقع سامراء الحاضره محلثان أخريان للأرمن أسمهما (الناصرية) و (الخاتون) و عند أطلال قرية الكاوور الأشجار الوحيدة المزروعه في ضواحي سامراء و هي اشجار توت، و لذلك سمى المكان باسم (التكى) و هو ثمر التوت باللغه الفارسيه. و اذا أصعدنا في ضفه النهر بلغنا أنقاض حصن يسمى (قلعه اشناس): و على بعد فرسخين منها أطلال (أبي دلف) و ينسب بناؤها الى الفضل بن يحيى البرمكى. و وصل الرحاله بعد ذلك الى (تل العليج) الذي يزعم أنه من عمل جنود هارون الرشيد: فقال ان الامام العسكري سأل الخليفه عن عدد جنده، فأجاب هارون سيحمل كل جندي حفنه من الرمال و يرميها في هذا المكان فترى الذي سيرتفع بعد ذلك! و هكذا صنع مئات الآلاف من رجال الجيش التلول التي نشاهد آثارها الآن.

و على الجانب الآخر من النهر ترى أطلال مربعه الشكل تنتهي بأعمده أو أبراج صغيره، و هذا كل ما بقى من قصر مشيد بالآجر بازاء قصر الخلفاء و يعرف بقصر «العاشق». و تحدثنا الأساطير عن فتى أحب بنت الخليفه و أحبته، فلم يكفها ان تراه من نافذتها بل أمرت بتشيد شرفه على سطح قصر أبيها لتتمتع بمشاهدته. و وراء قصر العاشق خرائب أخرى تعرف باسم «كف الكلب» إذ يسمع منها في مساء أيام الجمع نباح الكلاب!!

و قد عاد الرحاله من زيارة تلك الأماكن يصحبه السيد مهدى، الذي اختاره المدير لمرافقته. و غادر سامراء في الغداه بعد ان اشترى كلبا سلوقيا جميلا، و قد رافقه مضيفاه السيد عباس و السيد محمد شطرا من الطريق.

و نقول تعليقا على ما جاء في أقوال نايهولت عن الامام العسكري و السباع،

موسوعة العتبات المقدسه، ج ١٢، ص: ٣٠٨

و على ما جاء في قولى فيليكس جونز و نايهولت عن تل العليق، ان القصه التي تروى عن القاء الامام عليه السلام بين السباع قد جرت في أيام الخليفه المعتمد و ليس في أيام هارون الرشيد كما لا يخفى. اما تل العليق فقد اختلف فيه الرواه العرب فنسبوا القصه الى الخليفه المعتمد أولا و الى المتوكل أيضا. و يقول الدكتور سوسه في هذا الشأن «... و قد اختلفت الآراء في تاريخ انشاء تل العليق كما

اختلفت في معرفة الغاية التي أنشئ من أجلها، فبعض المؤرخين من الأفرنج يرى انه يرجع الى عهد الرومان و البعض الآخر يرى انه يرجع الى ما قبل ذلك العهد. الا- أننا نرى بان اتصال التل بقناة المتوكل هو أقوى دليل على أنه من عمل المتوكل. اما القصد من انشائه فتكاد الآراء تجمع على أنه انشئ لتأمين تمتع الخليفة و رجال حاشيته بمناظر حلبه السباق من محل مرتفع يمتد فيه البصر الى أقصى حد الحلبه مما يساعد على تتبع حركات الخيول في هذه المسافه الطويله.»

السر والس بيج

و قد وصل الى العراق قادما من مصر سنة ١٨٨٨ عالم من علماء الآثار البريطانيين يدعى السر والس بيج، و أقام في بغداد عدة أشهر. فتسنى له خلال مدة وجوده في العراق ان يزور الكاظمية و سامراء و يكتب شيئا عنهما، في كتابه الذي أخرجه بمجلدين سنة ١٩٢٠ بعنوان (على ضفاف النيل و دجلة) .

و كانت زيارته لسامراء عن طريق النهر بين الموصل و بغداد. و هو يقول بعد توجهه بالكلك من الدور الى سامراء انهم بعد ان جاوزوه بقليل لاجلهم في الجانب الشرقي من النهر تل عال كبير يسمى «تل البنات»، ثم باتوا في الكلك تجاه مصب النهر وان على مقربة من «تل المهيجر». ثم اقلعوا في صباح اليوم موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٠٩

الثاني و ظلوا يسيرون في محاذاه الجانب الغربي من دون ان يعبروا الى الضفة الشرقية ليشاهدوا خرائب «قنطرة الرصاص» التي يقول انها سميت كذلك لأن حجارتها شدت بالرصاص، ثم جاوزوا «أبا دلف» القائم في الضفة الشرقية و شاهدوا أطلال «قصر المتوكل» أو «الجعفرية» التي يقول عنها انها عبارة عن ضاحية من ضواحي سامراء الشمالية، و إن القسم الأكبر منها يسمى «أسكى بغداد». و مروا بعد ذلك بخرائب أشناس و تل العليق الذي يقع على بعد ميلين او ثلاثة عن ضفة النهر. لكنه يقول إنهم رأوا على الضفة نفسها- أي الشرقية- «قصر المعشوق». و بعد ان تجاوز السر والس و جماعته خرائب قصر الخليفة في الجانب الشرقي من النهر وصلوا الى سامراء فتوقفوا فيها قرب جسر الزوارق الذي يشير الى وجوده .. ثم قصدوا البلدة من شاطئ النهر الرملي فوجدوها محاطة بسور سميك يبلغ ارتفاعه تسعة عشر قدما، و كان حديث البناء لكنه بحاجة الى شيء من الترميم.

و يقول السر والس أن أحد الثقلاء فرض نفسه عليهم و رافقهم خلال تجوالهم في البلد، لكنه نصحهم بأن يغادروه بأسرع ما يمكن لأن نظرات الناس في السوق اليهم، و تصرفاتهم تجاههم، كانت شيئا غير ودي. فدلّت على أنهم لم يكونوا من المرغوب فيهم هناك. ثم يذكر ان البلدة تشتهر بوجود مشهدي الامامين العاشر و الحادي عشر فيها، و يسميها (على العسكري) و (الامام الحسن)، و يقول ان القبتين القائمتين فوق الضريحين كانتا من أروع ما يمكن ان يشاهده المرء من بعيد. لكنه يستدرك و يقول ان اقترابهم منهما كان شيئا غير ممكن. و يحدثنا عن الجامع الذي تقوم في وسطه قبة صغيرة و يقول ان سردابا أرضيا غاب فيه الامام الثاني عشر سنة ٨٩٨، و أنه على ما يقال ما زال حيا يرزق. و لذلك سمى بالامام القائم، و هو الامام المهدي الذي سيملا الأرض قسطا و عدلا بعد ان ملئت ظلما و جورا حينما يعود الى الظهور .. و يقول بعد ذلك ان المشهدين يقعان في القسم الغربي من البلدة، بينما يقع في شمالها بناء يضم الجامع القديم الذي يبلغ (٨١٠) أقدام في الطول و ٤٩٠ قدما في

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣١٠

العرض، و حوالي ثلاثين قدما في ارتفاع السور.

و يحدثنا بيج كذلك عن «الملوية» التي يذكر ان كلوديوس ريج يسميها برجا حلزونيا بست طوابق، يبلغ ارتفاعه ١٦٣ قدما على ما يقول فيليكس جونز. ثم يذكر ان بعض الرحالة الأوربيين يذهبون الى انها عبارة عن زقورة بابلية، و أنه من المحتمل جدا ان يكون المعتمس هو الذي بنى هذه المئذنة للجامع الكبير الكائن بقربها. اما الحقيقة فهي ان الذي بنى الملوية هو المتوكل. و يتكلم بيج بعد

هذا عن موقع سامراء الحسن وجوها اللطيف و أراضيها الخصبة، و يرجح ان تكون قد وجدت في مكانها مدينة من المدن القديمة، لا سيما و قد وجد بعض الآجر البابلي على شاطئها. و مما يذكره كذلك ان سامراء كانت قد احتفظت بأهميتها الى ما بعد انتقال مركز الخلافة العباسية عنها .. ثم استحال في القرن الرابع. عشر الى خرائب و ركام كما يستفاد مما كتبه ابو الفدا و ابن بطوطة عنها. و آخر ما يكتبه بج عن سامراء ان الروضتين المطهرتين فيها يصرف عليهما مما تجود به أكف الزوار من المال، كما يصرف من ذلك أيضا على ترميم سور البلدة و المحافظة عليه. و بعد أن أخذ بج و جماعته شيئا من البطيخ معهم في الكلك و نقدوا البائع ثمنه بالروبيات، اقلعوا متوجهين الى الجنوب.

المس غير ترودييل في سامراء

كانت المس غير ترودييل، سكرتيرة دار الاعتماد البريطاني ببغداد، التي عرفت خلال السنين الأول لتأسيس الحكم الوطني في العراق، قد زارت سامراء لأول مرة سنة ١٩٠٩، أي في أيام الحكم العثماني قبل نشوب الحرب العالمية الأولى في ١٩١٤. و كانت منذ ذلك العهد تعمل في مصلحة الاستخبارات البريطانية و تطوح في آفاق البلاد العربية لهذا الغرض. فقد جاءت من لندن الى بغداد عن طريق سورية و نزلت في دار المقيمة البريطانية حينما كان الكولونيل رمزي فصولا عاما فيها. و من هناك قصدت سامراء لدراسة موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣١١

الآثار الاسلامية فيها على ما تقول، فوصلتها في أواسط نيسان. و لذلك نراها تكتب في رسالتها المؤرخة في ١٥ منه ما يأتي في انتقاد ما عمله هرتسفيلد المنقب الالمانى المعروف:

ركبت مدة قصيرة من الزمن، و أنجزت أشغالا كثيرة، قبل أن أصل الى هذا المكان. فقد أخذنا في طريقنا مقياس بلدة بأكملها (لعلها تقصد خرائب القادسية القريبة من سامراء)، و من حسن الحظ أن هذه البلدة لم يبق منها الا أسوارها الخارجية، لكن ذلك استغرق ثلاث ساعات من الوقت. و تعد سامراء أهم مكان في العالم يمكن ان تشاهد فيه العمارات الاسلامية القديمة.

ان المخطط الذى رسمه هرتسفيلد لها هو من بنات أفكاره و تخيلاته، و قد كنت اتوقع بوثوق بأن أجد جميع ما فعله لا يمكن ان يدخل عليه اى تحوير او تحسين من الغير، لكننى يترتب على الآن أن أفعل كل هذا من جديد، و انا أخشى ان ينطبق هذا على الأشياء الأخرى التى اشتغل بها. فهو مختص بفن العمارة، و لا يمكن ان أتصور ان مختصا بفن العمارة مثله يبقى ما يزيد على الساعة في ذلك الجامع (لعلها تقصد جامع سامراء الكبير) و لا يلتفت الى تفصيلات البناء المهمة فوق العادة، التى لم يلتفت لها. و أنا حينما تسنح لى الفرصة لتدقيق ما فعله المختصون بالعمارة، ابدأ بالاعتقاد بأنى أصبحت مختصة فيها أيضا- لكن هذا يعتبر أكثر مما يجب بطبيعة الحال. و على كل فان المرء يمكنه على الدوام ان يقدر تمام التقدير الأشياء التى يسعى لاخراجها و هى مطابقة للحقيقة و الواقع مطابقة تامه ..

و فى رساله أخرى، مؤرخة فى ١٨ نيسان تقول: .. و كما توقعت، كان من المحتم على ان أعيد عمل جميع ما كان هرتسفيلد قد فعله من جديد،

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣١٢

و قد انصرفت الى ذلك بكل عزم و قوة لمدة ثلاثة أيام و نصف. و بينما كنت يوم أمس منهمكة فى رسم المخطط لقصر من قصور الخليفة عثر رجل كان يحفر فى الخرائب، من أجل استخراج الآجر منها، على قطعة جميلة من الزخارف الجصية التى كانت لا تزال فى مكانها. و قد وعدت الناس بأن أقدم بخشيشا لكل من يأتى لى بمزيد من هذا، فكانت النتيجة ان حصلت على قطعتين أخريين من الزخارف الجدارية، تكفيان لتركيب الأجزاء الباقية كلها من هذا الطراز الزخرفى الجميل. و لا أعرف مكانا آخر تعرف فيه الزخارف

الجصية القديمة من هذا النوع الا في مصر. و كنت في الوقت نفسه قد جمعت كومة كبيرة من كسر الفخار، الخشن جدا، المغطى بالأشكال الزخرفية المهمة. و من حسن الحظ ان الدنيا أمطرت بعد يوم أمس بعد الظهر بشدة بحيث كان يستحيل على الاشتغال في الخارج، و لذلك جلست في خيمتي و رسمت جميع ما عثرت عليه من قطع الفخار. فعندى أربعة و أربعون شكلا مختلفا، عدا قطعة أو قطعتين جيدتين بصورة خاصة كنت قد أخذتهما معي.

و كانت إحداهما قطعة جميلة جدا، تزينها بطء جميلة مرسومة على الطين ...

و توجد في (رسائل غير ترودبيل) رسالتان كتبتهما المس بيل من سامراء، إحداهما في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٧ و الثانية في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٧، أي بعد احتلال الانكليز للعراق و خلال تأسيس الادارة العسكرية فيه.

و هي تروى في الرسالة الأولى كيف تأخرت عن المجيء الى سامراء لحادث مهم حدث في بغداد، و هو موت الجنرال مود (فاتح بغداد) بمرض الهيضة (الكوليرا). و يظهر أنها كانت متأثرة جدا من ذلك، و متحيرة كيف وقعت الوفاة بتلك السرعة و لا سيما ان انتشار هذا المرض لم يكن واسعا في بغداد، و ان الجنرال مود نفسه لم يكن يختلط مع السكان العرب كثيرا على حد قولها. موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣١٣

لكنه كان قبل يومين من وفاته قد حضر حفلة في مدرسة اليهود شرب فيها شيئا من القهوة و أكل بعض «الكيك»، و فعلت الشيء نفسه هي و سائر الحضار أيضا. و لذلك كان يستحيل التكهن عن المكان الذي أخذ منه العدوى، على ما تقول. لكن المعروف في سائر المراجع الانكليزية عن هذا الحادث انه شرب الشاي و الحليب في حفلة مدرسة الأليانس التي حضرها، فكان ذلك سببا لنقل العدوى له. ثم تعود المس بل في الرسالة و تقارن بين وفاة الجنرال مود و وفاة الامبراطور جوليان-الروماني- فيما يقرب من سامراء، و تستشهد بما يقوله المؤرخ القديم اميانوس مارسيلينوس في تأيين الامبراطور:

«فليحمد الله العلي القدير لأنه مات في معمعان المجد، الذي حصل عليه بجدارة و انصاف» ..

ثم تقول عن سامراء نفسها انها بلدة مسورة جميلة، ترتفع في وسطها القبة الذهب الهائلة، التي تعلق المشهد فتحجب السماء عن الناظرين من الطرق الضيقة الآيلة جدرانها الى الانهدام ..

و تعنون الرسالة الأخرى إلى أهلها و أسرتها في لندن فتقول انها ما زالت باقية في سامراء لأن مضيفها قائد الجحفل الانكليزي أصر عليها بالبقاء فيها حتى يتم لها الشفاء. ثم تقول ان الكولونيل و يلكوكس جاء الى سامراء أيضا في صباح ذلك اليوم لتغيير الهواء لأن سامراء تعتبر مصححا لهذه المناطق، على حد قولها. و تتحدث بالمناسبة عن طيب المناخ و الهواء الشمالي العليل، و السماء الصافية. كما تتحدث عن تجوالها خارج البلدة ممتطية سهوة الجواد أو راكبة في السيارة، فتذكر ان كل شيء هنا عبارة عن بادية تخرقها عشرات الأقيئة و الجداول القديمة و التلألؤ الأثرية الدالة على القرى المنذرة.

و هي تقول انه يكاد يكون من المستحيل على المرء أن يتصور كيف كانت هذه البلاد حينما كانت تسقى بهذه الأقيئة من دجلة، و عند ما كان سكانها يحتشدون في القرى و الأرباض الممتدة الى عمق عشرة أميال من جهتي النهر. ثم تذكر ان الدنيا امطرت هنا في الاسبوع الماضي فكان مجموع ساعات المطر ١٨ ساعة. موسوعة العتبات المقدسة؛ ج ١٢؛ ص ٣١٤

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣١٤

و لذلك أخذ الناس ينشغلون بالحراثة، و أصبحت الأرض تلوح للناظرين بلونها الأسمر الزاخر بالحياة بدلا من لون الرمل الأصفر الباهت.

و قد ورد اسم سامراء في رسالة أخرى من رسائل المس بيل مؤرخة في ١٤/٣/١٩٢٠، و هي تقول فيها خلال حديثها مع المرحوم العلامة السيد حسن الصدر في الكاظمية: .. و تطرقنا بعد ذلك الى طقس سامراء الذي شرح لي بأنه أحسن من طقس بغداد بكثير، لأن سامراء تقع في المنطقه المناخية الثالثة في عرف الجغرافيين القدماء.

و في رسالة تاريخها ١٦ تموز ١٩٢١ تروى المس بيل كيفية إعلان الأمير فيصل ملكا على العراق في مجلس الوزراء (يوم الاثنين ١١ / ٧ / ١٩٢١)، و اعتراض بعض الشخصيات العراقية يومذاك على هذا. ثم تقول: .. و من المهم ان يذكر ان الكمالين ما ان علموا بقدوم فيصل الى العراق حتى بدأوا بشن حملة دعائية حامية في مصلحة مرشحهم الشيخ أحمد الأدرسي السنوسي.

و كان أول ما علمناه في هذا الشأن من مواطن موصلى جلب الى المستر نولدر وثيقته خاصة تدعو العراقيين الى مبايعة السنوسي. و جاءنا الخبر الآخر من رجل يقال له «نقيب سامراء»، كان مع الأتراك منذ ١٩١٨ و عاد مؤخرا الى العراق. و لهذا الشخص سمعة تتسم بالمكر و الخديعة، لكنني أعجبت به.

فقد قال لي ان الأتراك كانوا قد دعوه الى حمل أوراق البيعة هذه الى هنا فرفض ذلك، مع أنه ذكر أناسا آخرين كانوا قد قبلوا القيام بالمهمة .. و ان مجرد مجيء أناس متحفظين مثل نقيب سامراء، أو اقدمهم على ارسال رسائل الى فيصل يسترخصونه فيها بالمجىء، يعدّ شيئا مرضيا. إذ يبدو أنهم لا يثقون كثيرا بالخطط التركية السنوسية.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣١٥

سامراء في الحرب العالمية الأولى

إشارة

لقد قدر لسامراء، كما قدر لبعض البلدان العراقية الأخرى مثل الكوت و بغداد و سلمان باك و ما أشبهه، ان يذكر اسمها ذكرا خاصا خلال الحرب العالمية الأولى و ما قبلها بفترة قصيرة. فقد أصبحت قبيل اعلان الحرب نهاية سكة الحديد التي انشئت بمساعدة الألمان بينها و بين بغداد، باعتبارها جزءا من «سكة حديد بغداد- حيدر باشا- برلين» الداخلة في ضمن الامتياز الذي حصل عليه الألمان من الدولة العثمانية. و لما كانت سكة الحديد وسيلة مهمة للغاية من وسائل الحرب، لا سيما في تلك الظروف و الأيام، و لما كان اتصال العراق بتركية يتم عن هذا الطريق عادة فقد جاءت الحرب الى بغداد و سامراء بمزيد من الحركة و النشاط الحربى. و يقول ريتشارد كوك في (بغداد مدينة السلام) المشار اليه قبل هذا ان قطار سامراء الجديد، الذى كان قد فتح للعمل حديثا، بقى مشغولا في الليل و النهار بحركة الرجال و المعدات و الذخائر، و صارت الأكلاك المعروفة فيما بين النهريين منذ القدم تشاهد في سامراء قادمة من الموصل على وجه الماء و هى محملة بأحمال و سلع و لم يسمع بها من قبل مثل البنادق و الذخيرة و السيارات و حتى مدافع الميدان الخفيفة.

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣١٦

و يأتى ذكر سامراء مرة أخرى في كتاب كوك هذا بمناسبة وصف لعملية انسحاب الأتراك من بغداد، و اخلائها في ليلة العاشر من شهر مارت ١٩١٧، بعد ان تقرر ذلك في المجلس الحربى الذى عقده خليل باشا قائد الجبهة في مخيم الخر. إذ يقول ريتشارد كوك: .. و قد أخذت البرقيات الملحة تترى عليه- على خليل باشا- من أنور باشا فى استانبول بوجود الثبات فى وجه العدو المتقدم، لكن قادة الجبهة فى الميدان كانوا يضعون نصب أعينهم الاعتبارات العسكرية الصرفة، و يشيرون الى عدم كفاية القوات الموضوعه تحت تصرفهم لمقاومة الهجوم البريطانى الجازم، و النتائج المرعبة التى يمكن ان تؤدى اليها الهزيمة المفاجئة أو التفهقر غير المنتظم من المدينة نفسها. فطالبوا بالانسحاب العاجل خلال الليل الى نقطة تقع على خط السكة الحديد، حيث يكون بوسعهم الاتصال بقاعدتهم فى سامراء .. و عند ذاك ركب خليل باشا و ضباط ركنه الى محطة الكاظمية و استقلوا القطار منها الى سامراء. و يفهم من هذا بلا شك ان سامراء أصبحت قاعدة الأتراك الحربية فى جبهة العراق، بعد سقوط بغداد.

احتلال سامراء

ما عتم الجيش البريطاني ان احتل بغداد، في ليلة ١٠ مارت ١٩١٧، حتى أعد العدة بسرعة لمطاردة الجيش العثماني المنسحب الى الشمال. وقد اشتبك الفريقان في عدة مواقع قبل الوقوف في اصطلات، ثم جرت موقعة حامية في هذا المكان ايضا، و في بند العظيم، قبل وقوع الاشتباك في موقعة سامراء.

وقد ذكر هذا كله بالتفصيل المستر ادموند كاندلر، المراسل الحربي البريطاني الذي رافق الحملة- أو قوة «دي» كما يسمونها- من الفاو الى

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣١٧

الموصل، في كتابه المعروف باسم (الطريق الطويل الى بغداد). فقد أفرد فصلا خاصا في الجزء الثاني منه (الفصل ٣٦) لوصف المعركة و تفرعاتها.

وقبل ان يأتي على وصف معركة سامراء و ما سبقها، يعمد المستر كاندلر الى وصف معركة «بند العظيم» بكثير من التفصيل لأن الانكليز لم يكن من الممكن لهم ان يتقدموا الى الشمال باتجاه كركوك و الموصل لو لم ينتصروا في جبهة العظيم. و يظهر من وصفها انها كانت معركة دموية هائلة استمرت فيها الأتراك في الصمود، و عبأوا جميع ما كان عندهم من قوة فيها. فقد حشدوا ثلاثة آلاف جندي تركي مثلا في جبهة لا يزيد طولها على (٤٠٠) ياردة، على ما يقول كاندلر. و تبودلت قرية العظيم التي أزيلت من الوجود عدة مرات بين الفريقين. و يقول كاتبنا هذا كذلك ان معركة بند العظيم هذه كانت اشد معركة دموية جرت في ما بين النهرين (العراق) خلال تلك الحرب، بالنسبة للخسائر التي حصلت فيها و نسبة ذلك الى القوات المشتركة في القتال. فقد خسرت معظم الكتائب الانكليزية نسبة كبيرة من أفرادها، مثل كتيبة جيشير التي خسرت (١٢٦) قتيلًا- من مجموع (٣٣٠) في آخر مرحلة من مراحل المعركة و خسرت كتيبة (ساوث ويلز بوردر رز) (٢٠٣) قتلى من مجموع (٣٤٠).

و وجد الانكليز مائة من القتلى الأتراك في المكان الذي حمى فيه و طيس القتال.

و يبدو ان معظم هذا القتال كان قد جرى بالسلاح الأبيض، على ما يقول كاندلر. و قد انتهت هذه المعركة في آخر يوم من نيسان ١٩١٧.

أما بالنسبة لسامراء فيقول كاندلر انه كان ينتظر ان تستطيع الفرقة السابعة البريطانية ان تحتلها بعد انتهاء القتال في جبهة العظيم بيوم واحد أو يومين فقد بادرت في يوم ١٩ نيسان الى احتلال مرتفعات الخين الكائنة على بعد ميل و نصف فقط من خنادق الأتراك في اصطبلات. و كانت خطوط الأتراك هنا على غاية من القوة و المنعة، و لو كانوا قد نفذوا رأى القائد كاظم قره بكر بك موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣١٨

في الموضوع لأصبح الأتراك على جانب أكبر من القوة في الاستحكام و القتال ففي الوقت الذي كان يبدو ان بغداد قد أوشكت على السقوط كان يقود الفيلق التركي الثامن عشر كاظم قره بكر بك، القائد المشهور بخدمته و خبرته الطويلة و حينما تم الانسحاب من بغداد كان من رأيه ان يكون هذا الانسحاب الى اصطبلات رأسا لتقوية المواقع التي كانت موجودة فيها و تحشيد القوة الكافية لها، لأنه لم يكن يعتقد بتبذير قواته و إتاعبها بالقتال في مواقع صغيرة. على أن رأيه لم يجد قبولا لدى القيادة العليا، كما تبين من أقوال الأسرى الأتراك بعد ذلك، فاستقال من منصبه و اعطيت القيادة الى شوكت باشا. فأدت النتيجة الى ان تحصل عدة معارك بين بغداد و اصطبلات. من دون ان يستفيد منها الأتراك المتقهقرون بشيء. و قد برهنت الحوادث على انهم كان بوسعهم ان يستفيدوا فوائد جلي بتراجعهم الى هذه الخطوط رأسا.

و مع هذا فقد كانت خطوط اصطبلات قوية فوق العادة. و كانت أول معركة جرت فيها معركة حامية الوطيس امتد فيها القتال على

طول الخطوط.

لكن الأتراك صمدوا في طوابي الدجيل بعناد و كأن بقاءهم في آسيه كلها كان يتوقف على هذا الموقع. بينما كانت نقطة سكة الحديد معرضة للخطر.

و هي أكثر أهمية من بغداد لهم من الناحية الاستراتيجية.

و بعد ان احتلت أول مواضع اصطبلات في ٢١ نيسان زحف اللواء الثامن و العشرين البريطاني، و ظل يناوش العدو و يتصل به. و في ظهر الروم التالي (٢٢ منه) وصل مقر هذا اللواء الى خرائب اصطبلات فكان بوسع الضباط فيه حينما أطلوا من المرتفعات أن يشاهدوا ساحة المعركة بأجمعها، و سقف محطة القطار الكائن على بعد عدة أميال، و القبة الذهب القائمة فوق مشهد سامراء يشع بريقها في شمس منتصف النهار، مع البرج الغريب (الملوية طبعاً) الذي كان يرتفع فوق جميع ما كان حوله. و كانت الأرض تنحدر تدريجياً نحو هذه العلامات الشاخصة، التي لم يكن أي منها يقع في منطقة القتال، حتى تصل الى سلسلة من التلول و الآكام الممتدة من النهر

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣١٩

الى محطة القطار. و على هذه المرتفعات و الروابي كان الأتراك قد اختاروا الصمود، و القتال للدفاع عن سامراء.

لكن مدفيعتنا سرعان ما اصبحت تصل الى القسم الأعظم من مراكز القوة التركيه المتخذة بين النهر و سكة الحديد. غير ان الموضوع كان ممتدا بحيث لم يمكن قصفه كله او مهاجمته من جميع نقاط الجبهة بالمدافع و المشاة المتيسرين لدينا. فقرر بناء على ذلك القيام بالضغط على جناح الأتراك الأيسر و دفعه الى الوراء من جهة النهر، بينما تتولى الخيالة بحركة التفاف من الجناح الأيمن تتقدمها بطارية من السيارات المصفحة الخفيفة ..

و قد تم الهجوم بهذه الخطه، لكن المستر كاندلر يقول ان الأتراك صمدوا له و قاوموا حركة الالتفاف بشجاعة. على ان الذي اخافهم اكثر من أي شيء آخر، فجعلهم يتراجعون هو مدفعية الرتل الانكليزي الذي كان في الجانب الأيسر من النهر. فقد اوقعت بجناحهم و مؤخرتهم خسائر فادحة. و كان من نتيجة الهجوم ان حصل تقدم في جبهة النهر، و عزز المتقدمون بقوات جديدة. و يقول كاندلر: ان الأتراك انسحبوا في تلك الليلة فتمادينا في تعقيبهم عند الفجر، و احتلنا محطة سامراء، و عند ذاك تراجع العدو الى تكريت.

و كانت محطة القطار، و مظلات البضائع، و الورش، قد نهبت. و قد كنا نتوقع ان نجد القاطرات، و عجلات السكك الحديد، قد دمرت لكن الأتراك كانوا قد صمموا على الدفاع عن سامراء بكل ثمن على ما يبدو، و لذلك لم يفسح لهم احجامهم عن الانسحاب المجال لإكمال عملية التخريب.

و كان من بين غنائم الحرب عدد من قاطرات و عجلات الخط العريض، التي كانت كلها قد تضررت، عدا بعضها الذي كان قد تم اصلاحه. و في ظرف أيام معدودة استطعنا تسيير القاطرات بين بغداد و نهاية السكة.

و أصبحت سامراء مقرنا الأمامي في الصيف. و قد بلغت درجة الحرارة فيها ١١٩ درجة فهرنهايت في الظل، لكن القوة «دي» تهيأ لها شيء من الراحة

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٢٠

بعد ان حققت أهدافها. فقد استطاعت في معارك نيسان ان تدحر الفيلق التركي الثالث عشر ثلاث مرات، و الفيلق الثامن عشر خمس مرات، و هي تدفعه أمامها خلال ستين ميلاً. و استطاعت ارتالنا خلال الشهر، في كلا جانبي دجلة ان تأسر ثلاثة آلاف أسير، و تغنم ستة عشر مدفعا.

ثم يختم كاندلر فصل سامراء بقوله ان سامراء قد شهدت الكثير من عمليات صنع التاريخ خلال القرون، و كنا نشعر بأنها يجب ان تصنع المزيد من هذا. إذ يرقد الامبراطور جوليان مدفوناً فيها. بعد أن خر صريعاً بقربها، خلال تفهقره من طيسفون (المدائن)، و يمكن

رؤية قبره من اسوار المدينة. و هو عبارة عن تل من التراب محاط بخندق (ربما يشير بهذا الى تل العليق). يضاف الى ذلك ان هذا المكان من الأمكنة التاريخية أيضا من جهة انه شهد نهاية الصولة الروحية على الأرض. فقد اختفى الامام الثاني عشر هنا في سرداب مبهم غامض من سراديب البلدة، و سوف يظهر من جديد على ما يقول الشيعة الذين ينظر الكثيرون منهم الى تلك البقعة من أجل هذا الغرض. و جاء بعد ذلك الهوني - أى الألمانى - فوضع يده الدنسة على سامراء: و وصمها بجعلها نقطة أمامية لنفوذ المسيطر. و كذا جابهت القوتان احدهما الأخرى، فترتب على النضال الجارى اليوم ان يقدر طريقه الحياة بعد الحرب، و فلسفتها، أو دينها.

سامراء بعد الاحتلال

و قد كان من الطبيعى ان يعقب احتلال البلاد إجراء شىء من التنظيمات المدنية لتمشية الأعمال الحكومية، و توجهها نحو الإسهام فى المجهود الحربى.

و هناك عدة اشارات من هذا القبيل الى سامراء فى كتاب السرارنولد ويلسن موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٢١ و كيل الحاكم الملكى العام فى العراق بعد تلك الفترة. فقد أشار فى الص (١٧٠) الى ان المناطق المحتلة فى العراق قد قسمت لأغراض ادارية الى ست عشرة وحدة ادارية، و كانت سامراء واحدة منها. اما الوحدات فهى: العمارة، بغداد، البصرة، دير الزور، الديوانية، الدليم، الحلة، خانقين، كركوك، كوت العمارة، الموصل، المنتفك، سامراء، الشامية، السليمانية. و كان ذلك قد تم فى ١٩١٩. و تقول المس بيل بهذه المناسبة كذلك فى تقريرها الرسمى الذى رفع الى الحكومة البريطانية عن الوضع العام فى العراق خلال سنى الاحتلال البريطانى المنتهية ببداية عهد الانتداب فى صيف ١٩٢٠ أن المجالس البلدية فى كركوك و الحلة و الديوانية و سامراء و العمارة و ديالى و الرمادى قد شكلت فى شتاء ١٩١٩ - ١٩٢٠.

و يذكر ويلسن (الص ١٨٠) ان أعمال المسح كانت تجرى تباعا فى هذه المناطق كذلك. فيقول ان المناطق المحتلة كلها الى حد الكوت و الناصرية قد تم مسحها عند ما كانت القوات البريطانية تحتل بغداد. و لذلك ترتب على المسؤولين ان يمدو أعمال المسح بعد احتلال المناطق التى خضعت لنفوذهم:

و لا سيما من بغداد الى الحدود الأيرانية، و الى سامراء، و مناطق الفرات.

و تم مع هذا المسح رسم خرائط حربية جديدة بشىء غير يسير من التفصيل استعدادا لما قد يحدث من عودة القتال. و يشير ويلسن كذلك الى المقابر و الأماكن التذكارية التى خلفتها الحملة البريطانية فى العراق. فهو يقول (الص ٢٠٣) أن العراق اصبح فيه خمس عشرة مقبرة للأنكليز الذين أريقت

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٢٢

دماؤهم فيه، و هى موزعة كالاتى: ثلاث مقابر فى الموصل، و أربع فى بغداد، و ثلاث فى البصرة، و اثنتان فى العمارة، واحدة فى كل من سامراء و الكوت.

و يذكر ريتشارد كوك بالأضافة الى ذلك (الص ٣١٢ من كتابه المشار اليه قبل هذا) ان بغداد اصبحت تخدمها ثلاث محطات للسكك الحديد:

احداها فى الكرخ و تعرف بمحطة غربى بغداد، و هى نهاية الخط الوارد من البصرة و كربلاء، و نهاية الخط الوارد من سامراء الذى أنشأه الألمان قبل الحرب. و من المحطتين فى الرصافة تقع محطة شمال بغداد خارج باب المعظم:

و هى نهاية الخطوط الواردة من خانقين و كركوك، و محطة شرقى بغداد فى الشيخ. و للكاظمية محطة خاصة بها، تقع على خط

سامراء الألمانى.

وقد ورد اسم سامراء فى تقرير المس بيل المشار اليه، فى مناسبات عدة كذلك. و أول ما تذكر هذا الأسم بمناسبة حديثها عن العلماء والمدن المقدسة، و تعلق الشيعة بها (الصفحة ٦ من الترجمة العربية). و يأتى بعد ذلك ذكر سامراء عندما تقول المس بيل ان الشيخ محمد على كموته اتصل بالانكليز من كربلاء فى ايلول ١٩١٥، و تراسل مع السر بيرسى كوكس الذى كان ما يزال فى الكوت بصحبة الحملة البريطانية قبل استيلائها على بغداد. و قد اقترح على الانكليز يومذاك بان يتعهدوا بتنصيبه حاكما وراثيا مستقلا فى ولاية مقدسة تمتد من سامراء الى النجف الأشرف (الصفحة ٣٠). ثم يرد اسم سامراء بمناسبة ذكر المس بيل لمنطقة الاحتلال البريطانى بعد الاستيلاء على بغداد، فتقول ان تلك المنطقة كانت تمتد الى سامراء خلال الأشهر الستة الأولى من يوم الاحتلال.

لكن أهم ما تذكر به سامراء فى هذه السنوات فى كتاب فيليب ويلارد

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٢٣

آيرلاندا (العراق - دراسة فى تطوره السياسى)، خلال البحث عن الثورة العراقية (١٩٢٠) ضد الأنكليز الغزاة. فهو يقول (الصفحة ٢٠٨): .. و كانت دلتاوة قد رضخت منذ مدة لنفوذ السيد محمد الصدر الذى جعلها مقرا له بعد ان حاولت الحكومة القاء القبض عليه فى بغداد يوم ١٢ آب، و منها أخذ يشجع الثوار و لا سيما فى سامراء. و يقول (فى الصفح ٢١٠ من العربية) كذلك: .. و وقعت الثورة حوالى سامراء بجهود السيد محمد الصدر الذى كان يؤازره فيها أحد الشيوخ المتنفذين، بالإضافة الى التأثير الذى أحدثته حوادث منطقة بعقوبة و الى طبيعة القبائل القلقة. و قد استقى المستر آيرلاندا تلك المعلومات من تقرير أحد الحكام السياسيين الذين اشتغلوا فى منطقة سامراء يومذاك. و فى حاشية يوردها آيرلاندا فى اسفل الصفحة ٢٣١ من الترجمة العربية يذكر تعيين أحمد بك قائمقاما فى سامراء بتاريخ ٢١ كانون الأول ١٩٢٠ من قبل مجلس الوزراء.

و يشير الى امتداد ثورة العشرين الى سامراء المستر لونكريك أيضا فى كتابه الثانى المشار اليه (العراق ١٩٠٠ - ١٩٥٠، الصفح ١٢٥). فهو يقول. و فى المنطقة المحيطة بسامراء أدت الدعاية المنبثقة من المدن المقدسة الى ثورة القبائل فى أواخر آب ١٩٢٠، لكن هجومها على البلدة لم يقترن بالنجاح

موظفو الانكليز فى سامراء

هناك فى الملحق الرابع من ملحقات كتاب ارنولد ويلسن المشار اليه قبل هذا قائمة كبيرة بالموظفين الانكليز، و غير الانكليز، الذين أشغلوا وظائف فى مختلف الدوائر على عهد الحكم البريطانى، و من جملتهم أناس اشتغلوا فى سامراء بطبيعة الحال. و قد وجدنا من المناسب ان نورد اسماءهم فى الآتى:

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٢٤

فقد اشتغل فى جيش «الشبانة» المرتزق الكابتن أيس وايت و قد عين بتاريخ ١٢ - ٣ - ١٩١٩، و الكابتن آر غاربوت و قد عين فى ١ - ١٢ - ١٩١٩، و الكابتن أيل ماثيوز و قد عين فى ٢٩ - ٥ - ١٩١٩. و اشتغل فى صحة سامراء الدكتور جهان خان بصفته مساعد جراح من الدرجة الأولى و قد عين فى ٤ / ١٢ / ١٩١٨، و الدكتور جى كلوف الجراح المدنى و قد عين فى ٢٠ / ٣ / ١٩٢٢، و اشتغل الكابتن سى يكتول اعتبارا من ١ / ٣ / ١٩١٩ معاون حاكم سياسى فى سامراء، و اشتغل فى شرطة سامراء الكابتن أى جونسون بصفته معاون مدير شرطة و قد عين فى ٣ / ١١ / ١٩١٩، و الكابتن تى فورنو بصفته معاون مدير شرطة و قد عين فى ١٥ / ١١ / ١٩١٩. و اشتغل الميجر أيس مورى ملحقا سياسيا لرئيس الحكام السياسيين و قد عين فى سامراء يوم ٢٨ / ٤ / ١٩١٧، و اشتغل الميجر أى برى معاون حاكم سياسى فى سامراء من ٢٩ / ٣ / ١٩١٨ الى ٧ / ٦ / ١٩١٨ ثم نقل الى بلد، و عاد الى سامراء مرة ثانية بصفته حاكم سياسى ابتداء من ١ / ١١ / ١٩١٨.

و اشتغل مظفر شاه خان بهادر وكيل معاون حاكم سياسى و قد عين بتاريخ ٢٢ / ١٢ / ١٩١٩. و اشتغل المستر جى جورج جوس ملحقا سياسيا للحاكم السياسى و قد عين فى سامراء يوم ١ / ٥ / ١٩١٩. و اشتغل محمود افندى رئيسا للبلدية من ٢٣ / ٧ / ١٩١٩، و اشتغل عبد المجيد افندى مدير مال فى سامراء اعتبارا من ١ / ١ / ١٩٢٠. كما اشتغل وكيلا لمعاون الحاكم السياسى السيد عمر دراز خان (خان صاحب): و قد عين فى ٢٥ / ٦ / ١٩٢٠.

فرايا ستارك فى سامراء

و ممن زار سامراء من الغربيين المتأخرين و كتب عنها بعض الملاحظات الكاتبة الانكليزية التى كانت معروفة فى العراق، المس فرايا ستارك . موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٢٥

فقد زارتها فى الثلاثينات الأولى و كتبت فصلا خاصا عنها و عن تكريت فى كتابها الموسوم (صور بغدادية). فقد ذهبت الى سامراء و هى مدعوة عند أحد العراقيين مع امرأتين اخريين على ما تذكر. و هى تقول انهن سافرن لوحدهن لان الطريق أمين، و الأمور سائرة من ان يعكرها شىء. فسلكن الطريق الشمالى المار بالكاظمية، و قابلهن الناس مقابلة و دية أينما كن يذهبن، لا سيما و قد شعرن بالحرية لوحدهن فكن يقفن فى المقاهى الصغيرة على الطريق و يأخذن التصاوير و يتحدثن الى الرعاة و غيرهم من الناس. و تتحدث عن الرعاة الذين كانوا يأتون من مسافات بعيدة لا يصال الأغنام الى بغداد. و قد أوصاها جماعة من هؤلاء بزيارة تكريت، و السؤال عن أحفاد رجل نصرانى قديم من أهالى تكريت كان يدعى عبد السطیح. و مما يروى عن هذا الشخص انه دعى للاسلام ففضل ان يقفز بفرسه من أعلى الصخرة الى دجلة على ان يدعن لذلك.

ثم وصلت الى شريعة سامراء فانتظرت طويلا- حتى اتت العبارة المحملة على شختور، و عبرت بها الى الجانب الأيسر مع الحمير و السيارة و بعض الأعراب على حد قولها. و تقول عن سامراء انها أكثر المدن المقدسة الأربع عروبة و أقلها صبغة فارسية، و انها محاطة بالأسوار فى منطقة من الخرائب تقوم فوق جرف غير عال تبدو من تحته الأراضى النهرية المزروعة. فوجدتها بلدة نظيفة مسالمة، تحاط من جميع جوانبها بالبدو الذين يقصدونها على الدوام:

و قد أضاءت شيئا من شعور الكراهية للأجانب الذى تتميز به البلدان العراقية بسبب التقلبات التى مرت عليها. و تقول المس ستارك ان سامراء تمتعت بفترة قصيرة من الأزدهار و المجد تقل عن خمسين سنة، و قد حكم فيها ثمانية خلفاء شيدوا عددا من القصور الجميلة، التى ينقب الآن عن زخارفها الجصية بالتدرج لتزيين بها اجنحة المتحف العربى فى بغداد. و لم نجد أناسا أوريين فيها، و انما وجدت ثلاثة من المختصين بفن العمارة العراقيين يقومون بالتنقيب بكل حماسة على حسابهم هم أنفسهم، و كانوا أناسا لطيفين. ثم تذكر المس

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٢٦

ستارك ان وجدت التنقيب فى هذه الآثار المهمة مشاعا يومذاك للجميع، حيث يستطيع كل فرد يملك الوسائل اللازمة ان ينقب اينما يريد.

و تقول كذلك ان الأهالى فى البلدة كانوا فى حيرة من امرهم لان الحكومة كانت تعتز بالأمن و السكينة التى تسود البلد، و لذلك كانت تنوى تهديم السور و الاستفادة من آجره الاعتيادى لترميم الآثار العباسية. و هى تعتقد ان إزالة السور من شأنه ان يفقد البلدة كثيرا من جمالها و طابعها التاريخى، و تناشد من يقرأ سطورها ان يمد يد المساعدة ليحول دون ذلك ان أمكن. ثم تعلق على هذا العمل و تقول انها تحب الخرائب كأماكن يجلس فيها المرء و يفكر فى حياة الغابرين من الناس، و ان المرء يستطيع ان يفعل ذلك

أحسن فيما لو لم ينقب فيها أحد. ولهذا ذهبت بالسيارة مع رفيقتها الى الطرف الشمالي من سامراء و وقفت في فناء جامع أبي دلف الذى لم تصل اليه يد التنقيب، و هناك شاهدت أساطينه المتكسرة و هى تجمع في مكانها الجسامه و العظم خلال العاصفة الترابية. و تأتي بعد ذلك على وصف الأطلال حتى تقول ان هذا المكان كان يعج في يوم من الأيام بصخب القادة الأتراك و تحكمهم بالخلفاء بحيث كانوا يقتلون خليفه بعد آخر، و ينشرون العنف و الدسائس فى كل شارع على الدوام. اما اليوم فتقوم فى الوحدة المخيمه على هذا المكان أدغال القلغان ذات الرؤوس الزرقاء و كأنها صلبان ذات أذرع ممدودة، بصفوف لا نهاية لها تمتد حول حافات التلول الأثرية. و تذهب فى الخيال الى أبعد من ذلك فتقول:

.. و فى خرائب الصحن الكبير مرق طائران من طيور الزرياب بأجنحة مرواغه لماعه، من تحت الأعمده المكتسيه بلون الغبار، الى السماء المغبره، فذكرتنا بأن الحياه الناعشه الزاخرة قد تنبثق من هذه المادة الداكنه فى اى وقت كان و من المؤسف ان نرى، مع جميع ما يبدو على المس ستارك من علم و سعه اطلاق و أفق، انها تجهل تاريخ المكان الذى تقف فيه مثل هذه الوقفا المتفلسفه، و تزعم ان الامام الثانى عشر الذى غاب فى سامراء غيبته المعروفة يدعى «جعفر الصادق». فهى تقول: ان خلفاء سامراء قد أضافوا خلال

موسوعه العتبات المقدسه، ج ١٢، ص: ٣٢٧

سيرتهم المسرعه المؤلمه تعقيدا آخر الى تعقيدات الاسلام لأنهم هم الذين سببوا غيبه الامام الثانى عشر، جعفر الصادق (?)، فأعطوا للشيعه بذلك ذريعه لا تثنى بثمن يستفيدون منها، و هى وجود زعيم مخنف يمكن ان يتجسد فى الوجود فى أى لحظه. و تتمادى فى جهلها و غلطها فتقول: .. ان السجن الذى وجد فيه لآخر مرة قد أدخل مع قبرى الامامين العاشر و الحادى عشر فى مشهد واحد تعلوه قبتان، فتكون أسواره الغفل بأبوابها الأربعة مركزا للبلده. و يمتد بين يدي المشهد شارع تصطف على جوانبه تخوت المقهى. و فى شارع مغبر متعرج من الشوارع الجانبية، يمر من ممر معقود سقفه بالآجر المنحوت، أنزلنا فى بيت جهزه راجا پريور فى الهند لنزول الزوار. و هناك كان الشيخ سعيد بعباءته و عمته الخضراء ينتظر وصولنا ..

سامراء فى حوادث ١٩٤٠

و حينما وقعت حوادث أيار ١٩٤٠، و هرب عبد الاله مع عدد من رجال ذلك العهد الى الأردن، قرر الانكليز استخدام «الجيش العربى» الذى كان يقوده رجل الاستخبارات الانكليزى گلوب باشا لاعادتهم الى العراق بعد القضاء على الثورة الوطنيه التى تزعمها الجيش العراقى ببغداد.

فسار رتل من الجيش العربى، مع ارتال الجيش البريطانى، من الأردن نحو الحبانيه التى كان يحاصر القاعده الجويه البريطانيه فيها الجيش العراقى الثائر، و بالنظر لكثرة الجيش الزاحف، و وفره معداته و حادثاتها، سقطت الحبانيه بأيديهم، و بدأ الجيش البريطانى بزحفه على بغداد بعد ذلك عن طريق الفلوجه- بغداد. و لأجل إشغال الجيش العراقى فى عدّه جبهات، و بناء على ما ارتآه من محاصره بغداد و قطع اتصالها بالموصل و غيرها فضلا عن الحيلولة دون وصول الامدادات لها، فقد كلف گلوب باشا و جيشه «العربى» بان يقطع الجزيره الكائنه بين النهرين و يعبر الى شمال بغداد منها حتى يصل الى سكه

موسوعه العتبات المقدسه، ج ١٢، ص: ٣٢٨

حديد بغداد- الموصل فيقطعها فى جنوب سامراء، بينما يستمر الجيش البريطانى الرئيس فى زحفه على طريق الفلوجه، فتم له ذلك و وصل گلوب و قوته الى محطه المشاهده.

و قد ذكر هذه العمليه بالتفصيل گلوب باشا فى كتابه (قصه الجيش العربى). و من جمله ما يقوله فى هذا الشأن قوله: .. فتوجه الجيش

العربي في صباح اليوم الثاني قبل الرتل الزاحف الى هدفه. و وقف الرتل وقفه طويله في منتصف الطريق للغداء فأضاع وقتنا غير يسير تكبد أشياء كثيرة بسببه في اليوم التالي. لكنني أخذت في الوقت نفسه بعض أفراد الجيش العربي و سرت لقطع السكة و خطوط التلفون في محطة المشاهدة قبل ان يصل الرتل المتأخر اليها. و كانت معنا مفرزة من النشافة لكن الجنود لم يكن عندهم مع الأسف من المتفجرات ما يكفي لنسف الجسور، فاقنصر عملنا على قطع الخط برفع القضبان الحديد لبعض المسافات. و قد أطلقت علينا النار من رشاش في المحطة:

و بينما كنا مشتبكين على هذه الشاكله وصل الرتل الرئيس و عبر خط السكة، ثم استدار الى الجنوب على طريق الموصل - بغداد الرئيس. و حينما انهينا عملنا وجدنا أنفسنا في مؤخرة الرتل بدلا من ان نكون في مقدمته.

.. و يبدو ان حكومة رشيد عالي قد علمت بمحاولتنا الأولى لقطع سكة الحديد في جنوب سامراء يوم ٢٣ ميس. فقد وصلهم نبأ يشير الى ان ثلاثة من الانكليز كانوا يعبثون بالسكة خلال الليل. و كان هذا النبأ صحيحا تمام الصحة لأننا كنا مع الرتل الانكليزي الزاحف موجودين في البادية على بعد ميل واحد من طريق سامراء. و بعد يومين وصل الى الحكومة العراقية ايضا نبأ المعركة الصغيرة التي وقعت بين دورية الجيش العراقي و سرية الضابط لا شى في خارج سامراء. و كانت لقطار الموصل أهمية بالغه بالنسبة لحكومة رشيد عالي، و لذلك كانت تبدو شديدة الحساسية تجاه كل ما من شأنه ان يهددها موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٢٩

بشىء. فأوفد في صباح يوم ٢٨ ميس متصرف بغداد - جلال خالد - و زعيم في الجيش العراقي الى سامراء للتحقيق في هذه الهجمات الموجهة الى سكة الحديد، و اتخاذ الاجراءات الممكنة لمعالجتها. و بينما كانا في سامراء نفسها وصلنا نحن الى الطريق فحلنا بينهما و بين العاصمة، و حينما كانا يسوقان عائدتين في طريقهما الى بغداد وجدنا نفسيهما فجأة في مؤخرة رتلنا ..

نبذ متفرقة عن سامراء

لقد لا حظنا ان هناك نبذا متفرقة عن سامراء و أحوالها ترد هنا و هناك في بعض الكتب الغريبة الحديثة التي صدرت في السنوات الأخيرة. و من جملة هذه الكتب كتاب المستر لونكريك الثاني عن العراق. فهو يقول في معرض البحث عن سكان العراق و أقلياته في ١٩٠٠: .. فاذا كانت هذه الأقليات الكردية و اليزيدية و التركمانية تنحصر بالكلية تقريبا في ولاية الموصل، فان الحالة تختلف بالنسبة للايرانيين المقيمين في العراق. فقد كان يندر وجود هؤلاء في البلاد العراقية الكائنة في شمال جبل حمرين، و كان يقتصر وجودهم في العراق الجنوبي على بعض الأسر و العوائل. لكن تكاثفهم الأ-كبر كان في كربلا- و الكاظمية و سامراء و النجف، اي في المدن المقدسة الأربع، و في بغداد .

و يقول في مكان آخر: أن تدفق الزوار الايرانيين على النجف و كربلا- و الكاظمية و سامراء، مع كونه كان يثير من سوء التفاهم المشترك، فانه كان مشحونا بالفرص التي تنتهزها الحكومات للتشدد في الضغط على الحريات، و الطلبات غير المعقولة، بالنسبة لأجور السمات و الحجر الصحي و ما أشبه .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٣٠

و يتحدث في مناسبة أخرى عما كانت عليه طبيعة المجتمع و احواله فيها تختلف باختلاف البيئة التي تحيط بها. فان كثيرا منها لم تكن لها صبغة معينة بل كانت عبارة عن محطات تقف فيها القوافل، و مراكز للمنتجات الزراعية، و محطات وقود للبوخر النهرية، أو مراكز للقطعات العسكرية. لكن غيرها كانت لها صبغة خاصة تقريبا. فقد كانت هيت مركزا لصناعة القير، و كانت كركوك و أربيل مركزين رئيسين للشؤون الكردية، و «مشتلين» للأفندية الذين يتكلمون التركية، بينما كانت خانقين نقطة للحدود الايرانية ... أما الكاظمية و سامراء فقد كانت تنحصر أهميتهما في كونهما مشهدين من المشاهد الشيعة المقدسة و محجا للزوار. و في معرض البحث عن

المجتمع العشائري في ١٩٠٠، يقول لونكريك ان بيته القبيلة لم تكن تؤثر على اقتصادياتها حسب و إنما كانت تؤثر أيضا على طريقة حياتها .. فان زراع الفاكهة و التبوغ في كردستان، و زراع القمح و الخضروات في سامراء كانوا يختلفون اختلافا كافيا عن منتجي التمور في بعقوبة أو الشامية، أو العاملين في مرزات البو محمد أو الفتلة .

و يذكر في معرض البحث عن انشاء سكة حديد بغداد- سامراء ان ما ميسنر باشا (الألماني)، الذكي الفعال، و المستشرق المثقف، ظهر في بغداد خلال شهر تموز ١٩١١ و فتح مكتبة في بيت كاظم باشا الذي اصبح بعد ذلك مقرا للمندوب السامي البريطاني و السفارة البريطانية في الأخير. ثم اختير موقع محطة القطار المقبلة في الجانب الأيمن من دجلة، و حفرت أول حفرة تراب للخط المزمع أنشاؤه من بغداد الى سامراء بحضور الوالي في تموز ١٩١٢.

و يتحدث لونكريك عن شؤون الري في بداية القرن كذلك، فتطرق الى التوصيات التي قدمها مهندس الري البريطاني الأكبر السر ويليام ويلكوكس، و من جملتها التوصية بانشاء مشروع الثرثار بالقرب من سامراء و توجيه مياه دجلة الفائضة الى منخفضة .

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٣١

و عند البحث عن معاهدة ١٩٢٠ يتطرق لونكريك الى معارضة الوطنيين لها، و الاستعانة بعلماء الدين في ذلك. فهو يقول: ان رئيس الوزراء قرر اجراء انتخابات عامة في البلاد لتقوية مركزه في الوزارة، و للاطلاع على رأى الأمة في هذا الشأن، و لو شكليا على الأقل. فلم يكتف الحزب الوطني بمقاطعة الانتخابات، و بالنشاط الذي بدا منه في مقالات الصحف، و الخطب و المناشير اليدوية، بل لم يتردد في الاستعانة أيضا بسلطة المجتهدين الشيعة في تحريم المعاهدة الجديدة. على أن هؤلاء كانوا قد عدلوا عن التدخل بالمرء، الا في سامراء التي تدخلوا فيها جزئيا .

و يشير لونكريك أيضا الى أن استتباب الحالة في المناطق العشائرية قد أدى الى تفرغ الحكومة العراقية الى انجاز الكثير من الأعمال العمرانية و الثقافية، و منها اجراء الحفريات في سامراء في حدود سنة ١٩٣٢، و غيرها من الأماكن الأثرية الأخرى. كما يشير الى الحفريات التي قامت بها دائرة الآثار القديمة في سامراء، و جبل سنجار، و واسط ما بين ١٩٣٩ و ١٩٤١.

و في الكتاب الذي اشترك فيه المستر لونكريك مع المستر فرانك ستوكس:

يشير المؤلفان كذلك الى أهمية سامراء الأثرية و وجود متحف خاص للآثار العربية فيها. و هناك مناسبات أخرى يرد فيها ذكر سامراء في هذا الكتاب أيضا، إذ يورد المؤلفان خلاصة تاريخية موجزة جدا عن تاريخ العباسيين في العراق و يشيران الى انتقال الخلافة من بغداد اليها على النحو المار ذكره قبل هذا. و يشيران كذلك الى انشاء سكة حديد بغداد- سامراء من قبل الألمان قبيل الحرب العالمية الأولى .

و آخر ما وجدناه من المراجع الغربية التي تأتي على ذكر سامراء في مناسبات

موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٣٢

عدة كتاب أمريكي عن العراق ظهر في ١٩٥٨ من تأليف عدة كتاب باشراف جورج هاريس، و أول ما يرد ذكر سامراء فيه هو الخلاصة التاريخية التي يذكر فيها أيضا نقل العاصمة من بغداد الى سامراء بالنحو المعروف. ثم يبحث الكتاب في توزيع سكان العراق و شؤون النفوس فيه، و يقول ان المنطقة التي يزداد تكاثف السكان فيها على دجلة تبدأ مما يقرب من سامراء، و تسير مع النهر و فروعه و لا سيما الغراف و الدجلة. و حينما يتطرق الكتاب الى نوعية السكان، و يبحث في أحوال العرب العشائريين منهم، يقول ان هؤلاء العرب أكثرهم من الفلاحين الشيعة الذين لا يختلفون بشيء عن العرب الموجودين في خوزستان بايران، و يزداد الارتباط بين هؤلاء بوجود المدن الشيعية المقدسة في العراق: النجف و الكاظمين و كربلا و سامراء .

و يبحث هذا الكتاب كذلك في النواحي العمرانية من العراق فيشير الى أعمال مجلس الأعمار السابق، و ما كان يفعله في كل سنة من تخصيص «اسبوع الأعمار» لبث الدعاية لمنجزاته. و أول اسبوع أقيم من هذا القبيل تم فيه افتتاح السدتين الكبيرتين في سامراء و

الرمادى. و عند البحث عن مشاريع الري الكبرى التى أنجزت فى ذلك العهد يقول المؤلف ان أهم مشروع كبير أنشئ على دجلة لدرء خطر الفيضان عن بغداد و غيرها من البلاد الجنوبية هو «سدّ سامراء» التى تؤخذ المياه الزائدة من دجلة بواسطةها الى وادى الثرثار.

و وادى الثرثار هذا عبارة عن منخفض طبيعى واسع الأرجاء يكون قعره فى مستوى سطح البحر، و تعلق ضفافه الى علو (٢٠٠) قدم. ثم يقول فى تلك الأيام (١٩٥٨) ان المشروع الذى خصص له مبلغ عشرة ملايين دينار قد أنجز معظمه، و بدء منذ ١٩٥٦ بتوجيه المياه اليه فى مواسم الفيضان. و بذلك يدرأ الخطر عن بغداد و ما فى جنوبها غالباً، و يخزن مقدار كاف للزراعة الصيفية فى المستقبل .
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٣٣

الفهرست

- سامراء قديما
- سامراء قديما ٧
- الطيرهان ١٥
- قدم السكن فى سامراء ١٧
- منطقة سامراء على عهد الساسانيين ١٩
- ديارات سامراء و القاطول الكسرى ٢٩
- دير سامرا ٣٩
- دير مرمارى ٤١
- دير السوسى ٤٤
- دير باشهرا ٤٥
- دير عبدون ٤٦
- دير صباعى ٤٩
- دير العذارى ٥٢
- دير العلث ٥٥
- عمر نصر ٥٨
- دير مرماجرجس ٦٠
- القادسية ٦١
- سامراء فى ظل الخلافة العباسية
- فى أيام المعتصم ٧٧
- فى أيام الواثق بالله ٨٣
- فى أيام المتوكل ٨٤
- فى أيام المنتصر ٩٥
- فى أيام المستعين بالله و المعتز ٩٥
- فى أيام المهتدى ١٠١

- في أيام المعتمد على الله ١٠٣
سامراء في الشعر
احمد بن ابى دؤاد ١١٣
السيد احمد الموسوى ١١٣
الشيخ احمد النحوى ١١٤
موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٣٤
البحترى ١١٤
بديع الزمان الهمداني ١١٦
ابو تمام ١١٦
الشيخ جابر الكاظمى ١١٨
السيد جعفر كمال الدين ١١٩
محمد مهدي الجواهري ١١٩
الحسين بن الضحاك ١٢٣
السيد حيدر الحلبي ١٢٣
خالد الكاتب ١٢٤
دعبل الخزاعي ١٢٥
سكن ١٢٥
الشيخ عبد الحسين الحويزي ١٢٦
عبيد الله بن ابى طاهر ١٢٧
ابو محمد بن سفيان (الوزير الكاتب) ١٢٧
السيد محمد على آل خير الدين ١٢٨
ابن المعتز ١٢٨
المنتصر العباسى ١٢٩
السيد موسى الطالقاني ١٣٠
سامراء في المراجع العربية
الجامع المختصر ١٣٣
الحوادث الجامعه ١٣٣
دوحة الوزراء ١٣٥
تاريخ العراق بين احتلالين ١٣٥
الحقائق الناصعة ١٣٨
و شايع السراء في سان سامراء ١٣٩
كبار الحوادث ١٤٣
مقابر المشاهير ١٤٣

- مآثر الكبراء في تاريخ سامراء ١٤٥
- كتاب السيد جمال الدين الافغانى للامام الشيرازى ١٤٦
- المسألة الدخانية ١٥٢
- العراق قديما و حديثا ١٦٧
- وفيات الأعيان ١٧٤
- أخبار الدول و آثار الاول ١٧٤
- احسن الوديعه ١٧٥
- ايعان الشيعة ١٧٥
- تاريخ الشيعة ١٧٦
- الدليل العراقى الرسمى ١٧٨
- دليل تاريخى على مواطن الاثار فى العراق ١٧٨
- الدليل العام لتسجيل النفوس العام ١٨٠
- الدليل الجغرافى العراقى ١٨٢
- الاماكن المقدسة فى العراق ١٨٢
- جغرافية العراق ١٨٤
- سامراء فى الرحلات (رحلة ابن جبير) ١٨٤
- الاشارات الى معرفة الزيارات ١٨٥
- رحلة ابن بطوطة ١٨٥
- موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٣٥
- نزهة الجليس و منية الأديب الانيس ١٨٦
- رحلة المنشى البغدادى ١٨٧
- رحلات عبد الوهاب عزام ١٨٧
- سامراء فى المراجع الغربية
- (الاسم و الموقع) ١٩٣
- بناء سامراء ١٩٩
- بناء سامراء فى كتاب سيتون لويدي ٢٠٥
- فن العمارة فى سامراء ٢١١
- الجوسق الخاقانى ٢١٣
- الجامع الكبير فى سامراء ٢١٧
- الاسس الفنية لعمارة الجامع الكبير ٢٢٢
- جامع ابى دلف ٢٢٣
- دور سامراء ٢٢٦
- القبه الصليبية و مدافن الخلفاء ٢٢٧

- الزخرف السامرائي ٢٣٠
 عمارة سامراء في دائرة المعارف الاسلامية ٢٣١
 الفنون الاسلامية في سامراء ٢٣٧
 ما كتبه السر جون غلوب عن خلفاء سامراء ٢٥٦
 الروضة العسكرية المطهرة ٢٦٢
 سامراء في كتاب دونالدسون ٢٦٤
 الامام الهادي (ع) ٢٦٨
 الحسن العسكري (ع) ٢٧٤
 الامام المهدي المنتظر ٢٧٩
 وكلاء الامام صاحب الزمان ٢٨٧
 بعد عودة الخلافة الى بغداد ٢٩١
 سامراء في القرن التاسع عشر ٢٩٣
 رحلة جونز ٢٩٩
 رحلة جون أشر ٣٠٣
 الرحالة نيجهولت ٣٠٤
 السر والس بج ٣٠٨
 المس غير ترود بيل في سامراء ٣١٠
 سامراء في الحرب العالمية الاولى ٣١٥
 احتلال سامراء ٣١٦
 سامراء بعد الاحتلال ٣٢٠
 موظفو الانكليز في سامراء ٣٢٣
 فرايا ستارك في سامراء ٣٢٤
 سامراء في حوادث ١٩٤٠ ٣٢٧
 نبذ متفرقة عن سامراء ٣٢٩
 موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ص: ٣٣٦

هذه الموسوعة

على الرغم من انتشار الحضارة و الثقافة التي دفعت بالكثير من العلماء و المحققين و الباحثين في العصور الأخيرة الى احياء مختلف التراث الاسلامي و الآثار العربية فيما بحثوا، و حققوا، و كتبوا، فقد ظلت هنالك كنوز ذات قيمة كبرى في تاريخ العالم الانساني فضلا عن تاريخ الاسلام و العرب.

لقد ظلت هذه الكنوز مطمورة في بطون الكتب المخطوطة و المطبوعة لم يمسه احد الا من بعض اطرافها، و لم يتطرق اليها باحث الا من بعض جوانبها، و هي كنوز لم تقتصر على ناحية دون ناحية، فهي تخص العلم، و الادب، و الفن، و الفلسفة، بقدر ما تخص الفقه و التاريخ، متمثلة كلها في تاريخ العتبات المقدسة:

مكة المكرمة- المدينة المنورة- القدس الشريف- النجف الاشرف- كربلاء- الكاظمين- مشهد الرضا- سامراء .. الخ

فلكل عتبه من هذه العتبات تاريخ ذو علاقة جد وثيقة بالثقافة و الحضارة الاسلاميه و العربية، مما اخترنته من المخطوطات الاثرية، و الروائع الادبيه، و ما قامت به من المدارس طوال العصور المظلمة، اذ لو لا هذه العتبات لما بقى اليوم بايدينا من تلك الكنوز الا النزر اليسير.

و هذا هو الذى دفع بطائفه من اهل الفضل و اساتذة جامعه بغداد من ارباب الاختصاص الى ان تتضافر جهودهم فى اخراج موسوعه تاريخيه- علميه- اثريه- ادبيه- عامه، تتناول جميع العتبات المقدسه بالبحث المفصل الشامل منذ اول تمصير العتبه المقدسه حتى اليوم- على ان يكون لكل عتبه اجزاء خاصه، و ان يكون كل جزء منها مستقلا بمواضيعه. و هو اول عمل من نوعه، و اول مجهود خطير يقوم به مؤلفه، و يكفى ان يستدل القارىء على خطورته مما يقع تحت عينيه من اجزائه.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفُسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبه/٤١).
قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فى تليخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللهُ - كان أحداً من جهاذة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطقى مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم. مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقليين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المبتدله أو الرديئه - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءة و إغناء أوقات فراغه هواره برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و...

- منها العداة الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانية - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى. - من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدّعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسة " الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشاركين فى الجلسة

(ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنّة

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع "پنج رَمضان " و مُفترق " وفائى/ " بنايه " القائميّة "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسيّة (= ١٤٢٧ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحاليّة لهذا المركز، شعبيّة، تبرعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفى الحجم المتزايد و المتسعّ للامور الدينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثقافيّة؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَلَّ اللهُ تعالى فرجه الشريف) أن يُوفّق الكلّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حدّ التمكنّ لكلّ احدٍ منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان

الغامدية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

